

تَذَكُّرَةُ أَوْلِيَاءِ النَّحْوِ وَالْعُرْفَانِ
بِإِسْمِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْوَحِيدِ
وَذَكَرِ جَوَادِثِ التَّهْمَانِ

تَأْلِيفُ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَسَنِ
مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْقَصَصِ

الجزء الأول

مَكْتَبَةُ الرِّشْدِ
بِغَدَادَةِ

ح) مكتبة الرشيد، ١٤٢٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./

إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. - الرياض، ١٤٢٧ هـ ٨ مج

٤٠٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٦١٩-٠١-٩٩٦٠ (ج ١)

أ- العنوان

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم

١٤٢٧/٤٧٩٢

ديوي ٩٥٣

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٦-٦١٩-٠١-٩٩٦٠ (ج ١)

الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الرشيد - ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com



فروع المكتبة داخل المملكة

- ★ الرياض: فرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٣٠١
- ★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٢٥٠٦
- ★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٢٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٢٨٢٤٢٧
- ★ فرع جدة: ميدان الطائف: هاتف: ٦٧٧٦٢٢١ - فاكس: ٦٧٧٦٢٥٤
- ★ فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة: هاتف: ٢٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٢٢٤١٣٥٨
- ★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
- ★ فرع الدمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٨٤١٨٤٧٣
- ★ فرع حائل: هاتف: ٥٢٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

- ★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣
- ★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٢ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد:

فهذه ترجمة المؤلف الشيخ إبراهيم بن عبيد رحمه الله.

ترجمة المؤلف

هو الشيخ الفرضي اللغوي المؤرخ الواعظ إبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن بن عبيد.

ولد في الخامس عشر من جمادى الآخرة لعام أربع وثلاثين بعد الثلاثمائة والألف (١٥/٦/١٣٣٤هـ) في مدينة بريدة بمنطقة القصيم ونشأ في بيئة محافظة وأسرة معروفة بالعلم والديانة.

فجده الشيخ عبد المحسن بن عبيد عرف بالديانة وحب أهل العلم والفضل، والصبر على خشونة العيش، وقد اتخذ أصحاباً من خيرة أهل زمانه للاستعانة بهم بعد الله على سلوك سبيل المؤمنين، وفقد بصره في آخر عمره، وقد خلف ابنين هما عبيد ومحمد وبتتاً واحدة، توفي رحمه الله سنة خمس بعد الثلاثمائة والألف للهجرة (١٣٠٥هـ).

أما والده فهو الشيخ الفاضل عبيد بن عبد المحسن من أكابر أعيان بريدة في زمنه ومن تجارها، كان محباً للعلم وأهله باذلاً ماله في خدمة الفقراء والمحتاجين، عرف بالنسك والسخاء. ولد سنة سبع وستين بعد المائتين والألف للهجرة (١٢٦٧هـ) في زمنٍ كثرت فيه الحروب والحن والمخاوف، تأخر زواجه فلم يتزوج حتى بلغ أربعين سنة بعد أن شهد وقعة المليداء، وكان جيد الخط كاتباً لأمير بريدة حسن بن مهنا، عارفاً بخرص الثمار، فيذهب مع خارص الأمير حسن بن مهنا لخرص الثمار وكان رفيقه في جودة الخط الكاتب محمد بن

عبدان، ولم يكن في زمانهما أحسن منهما خطأً، وقد بسط الله عليه الرزق في النصف الأخير من عمره، فكان يتمنى أن لو كان ذلك في حياة والده ليواسيه ويوسع عليه، وكان يأكل من كسب يده وعنده ثروة عظيمة، ويبذل الأموال في سبيل الخير والإحسان وصلة الأقارب، وله مقامات في الإحسان.

ولما كانت سنة الجوع كان إذا خرج من بيته إلى السوق يحمل على رأسه أوعية التمر (الزبلان) فيها التمر والدقيق ويوزعه على من مرّ به من الواقعين على ظهر الأرض من الجوع، وذلك سنة ١٣٢٧هـ، وله مقامات ومبشرات كثيرة بأنه من أهل الجنة بسبب شكره لنعم الله وإنفاقها في سبيل الخير. وكان محافظاً على الصف الأول في الصلاة ولم تفته تكبيرة الإحرام عشرين سنة، وله عادات مستحسنة، فكان يفطر الصوام في شهر رمضان، ويرسل بالطعام إلى المعتكفين في العشر الأواخر منه، ويكثر من ذبح الأضاحي، وكان مكرماً لأولاده وأحسن تربيتهم وقدمهم لتعلم القرآن والسنة، وإذا رأى منهم مجتهداً فرغّ باله وتكفّل له بطلب معيشته وجعله يشتغل بالعلم، وله معرفة بشراء الكتب ومطالعتها ويقدم كثيراً منها لأبنائه، وكان مولعاً بتلاوة القرآن ويحب الشعر والحكمة.

كانت وفاته، رحمه الله، في آخر رمضان سنة ١٣٥١هـ وله من العمر أربع وثمانون سنة، وعمر المؤلف حين وفاة والده سبعة عشر عاماً، وعدد أولاد عبيد اثنا عشر، سبعة من الذكور وهم: عبد العزيز فلما توفي صغيراً ولد ابن له آخر فسماه أيضاً عبد العزيز وتوفي كذلك صغيراً، وعبد الرحمن ومات في حياة والده سنة ١٣٣٧هـ، وعبد المحسن وتوفي بعد والده بثلاث عشرة سنة في سنة ١٣٦٤هـ، وفهد وتوفي سنة ١٤٢٢هـ، وإبراهيم وهو المؤلف، ومحمد ولا يزال حياً وعلى ذكر حسن وإقبال على العبادة وزهادة في الدنيا مع كثرة

اطلاعه على كتب السلف وخاصة شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وكتب أئمة الدعوة النجدية، ولم يتزوج محمد وعمره الآن يزيد على الثمانين أطال الله عمره على طاعته وختم بالصالحات عمله.

وولد لعبيد أيضاً خمس بنات ماتت واحدة في حياته وبقيت أربع إلى بعد وفاته، وذريته مباركة صالحة بحمد الله وتوفيقه.

نشأ المؤلف في هذه الأسرة ونهل من منهلها ولمّا بلغ السادسة من عمره، التمس أهله فيه النجاة فقدمه والده إلى الشيخ المربي صالح بن محمد الصقبي، رحمه الله، وكان الشيخ صالح قد تفرّغ لتربية وتعليم الصبيان حتى إنه أنشأ مدرسة أهلية يتعلم فيها الطالب مبادئ العلوم والقراءة والكتابة والحساب، وبلغ عدد الطلاب في إحدى السنين في هذه المدرسة أربعمئة طالب يدرسهم الشيخ صالح والبارزون من طلابه.

وتستمر الدراسة في المدرسة ست ساعات يومياً، ولذا تميّز من درس في هذه المدرسة عن غيره ومن التمس فيه الشيخ نجابة وحرصاً فإنه يخصّه بكثير من الوقت والفائدة، فيحفظ الطالب المجدّد عنده القرآن، ثم ينتقل إلى المشايخ الذين يدرّسون في المساجد. وكان المؤلف، رحمه الله، من هؤلاء المجدّين، فحفظ القرآن ولم يجاوز الثانية عشرة من عمره وأتقن حفظه بالتجويد. وكان الشيخ صالح، رحمه الله، يحفظ في منظومات التجويد، ولقد جعل الله القيول والحجة لهذا الشيخ فأحبه أهل بريدة وأجلّوه لما كان له من جهد في تربية وتعليم أبنائهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾، وتوفي الشيخ صالح سنة (١٣٥٨ هـ)، وانتقل المترجم له من مدرسة

الشيخ صالح إلى حيث دروس الشيخ العلامة عبد العزيز بن إبراهيم العبادي ولد سنة (١٣١٤هـ) وتوفي سنة (١٣٥٨هـ) رحمه الله فدرس عليه في شتى العلوم وأخذ عنه في التجويد، وكان الشيخ العبادي، رحمه الله، يحفظ عدداً من المنظومات في علم التجويد، فكان يحفظ الجزرية والتحفة، فحفظ المترجم عليه شيئاً من منظومات هذا العلم واستفاد من شيخه العبادي في هذا العلم.

ولقد قرأ أحد أحفاده القرآن عليه، رحمه الله، كعادته في مجالسه فوق أن أخفى الميم في الفاء، فرد عليه ونبهه على هذا الخطأ وبين أحكام الميم الساكنة، واستشهد بقول الجزري في التحفة:

(واحذر لدى واو وفاء أن تختفي لقربها ولاتحاد فاعرف)

وتأمل اهتمام الشيخ العبادي رحمه الله بعلم التجويد مع ما كان عليه من ثقل في لسانه، رحمه الله، ولم يمنعه ذلك فقد كانت همته عالية .

وأخذ المترجم عن العبادي في الحديث والفقه والتوحيد والفرائض، وقد استفاد منه كثيراً في الفرائض، وقد كان العبادي متميزاً في الفرائض، ولذا قال الشيخ عبد المحسن العبيد في رثائه له:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| لقد كان في علم الفرائض آية | فسبحان من قد خصه بالمواهب |
| يفكك تركيباتها و حسابها | له نظر في فقهها والغرائب |
| إذا خاض في أبوابها وعلومها | وأحكامها يوماً أتى بالعجائب |

وقال فيه الشيخ إبراهيم العبيد:

كما فاق في علم الفرائض غيره، وفي النحو والقرآن قد جاء بالعجائب.

وعرف عن العبادي أنه يسهب في إيضاح المسائل وقرأ عليه في المطولات كـ (أعلام الموقعين عن رب العالمين) و(المغني) و(الشرح الكبير) و(شرح المنتهى) و(المقنع) و(الصحاح والسنن والمسانيد).

وقرأ عليه (مدارج السالكين) وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومع أخذه عن العبادي، رحمه الله، في هذه العلوم، فقد كان ملازماً لشيخه الشيخ عمر بن سليم، رحمه الله، الذي انتهى إليه قضاء القصيم في زمنه وسارت إليه الركبان وجثت حوله الركب، وقد كان بحق مدرسة، بل جامعة متنقلة حوى من العلوم أنواعها، فلزم المترجم الشيخ عمر بن سليم، رحمه الله، ملازمة شديدة، وأخذ في شتى العلوم، وأكثر من الأخذ عنه، خاصة في الفرائض، فهو شيخه ومعلمه في الفرائض.

وكان الشيخ عمر يخصصه بمزيد عناية لما رأى منه نبوغاً في الفرائض، ولقد حدث أنه كان وأقرانه عند الشيخ عمر يدرسون الفرائض، فكان الشيخ عمر على هيئته شديداً في تعليمهم الفرائض، فأخبر أنهم كانوا ييكون عند الشيخ عمر لأنه كان يعنف من لا يجيب، فشكوا ذلك إلى الشيخ العبادي وطلبوا منه أن يكلم الشيخ عمر فيرفق بهم في تدريس الفرائض، فذهب إليه العبادي وكلمه وقال رحمه الله: (فلم يزد ذلك إلا شدة في التعليم رحمه الله).

وكان المترجم في جلساته يثني كثيراً على الشيخ عمر بن سليم رحمه الله ويحمله، ويذكر أنه ما مرّ على القصيم رجل بمثابة الشيخ عمر بن سليم، ولذا ترجم له في تاريخه بترجمة حافلة في أحداث ١٣٦٢هـ، ورثاه بقصيدة طويلة عدّد فيها مآثر شيخه الشيخ عمر رحمه الله .

كما استفاد المترجم أيضاً من الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم ولم يدرك كثيراً من مجالسه فكان جلّ أخذه عن الشيخين العبادي وعمر بن سليم.

وجلس المترجم للتدريس في المساجد وهو في الثانية والعشرين من عمره، وذلك بإلحاح من قبل مشايخه سنة ١٣٥٦هـ.

واستمر في طلب العلم مع جلوسه للتدريس واشتغاله بتأليف الكتب، فلقد ألّف كتابه (عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان) وعمره خمس وعشرون سنة، وانتهى من تأليفه في سنة ١٣٥٩هـ .

وأقبل على دروسه الكثير من طلبة العلم وأخذوا عنه في القرآن والتجويد واللغة والتوحيد والفقه وبخاصة الفرائض.

ومن أشهر من أخذ عنه الشيخ الفاضل صالح بن إبراهيم البليهي رحمه الله، ولد سنة ١٣٣١هـ وتوفي في ٣/٥/١٤١٠هـ، وكان أكبر سناً من شيخه فأخذ عنه، وكانت لهما رحلات إرشادية إلى بعض المدن والقرى، ومن أبرز مؤلفات الشيخ صالح البليهي كتاب (السلسيل في معرفة الدليل) حاشية على زاد المستقنع.

ومن طلاب الشيخ المترجم الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، حفظه الله، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة.

ومن طلابه أيضاً محمد بن عودة، الرئيس العام لتعليم البنات سابقاً.

ومنهم الشيخ عبد الرحمن الحميد، والشيخ علي بن راشد الرقيبة، والشيخ الزاهد عبد الله الحسين، والشيخ علي السكاكر رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقاً، والشيخ صالح بن عبد الرحمن القرعاوي استمر بالقضاء في عدد من المدن وانتهى به المطاف إلى أن أصبح قاضياً في هيئة

التميز بمكة المكرمة، وتوفي رحمه الله في ٢٨ رمضان ١٤٢٥هـ، والشيخ الفاضل علي الريش رئيس المحكمة الجزائية بريدة، والشيخ الفاضل الواعظ عبد العزيز العقل، والشيخ عبد الله بن محمد الزعاق توفي عام ١٤١٠هـ رحمه الله، والشيخ الزاهد محمد المرشد رحمه الله، والدكتور علي العجلان مدير عام فرع وزارة الشؤون الإسلامية في منطقة القصيم، والأستاذ سليمان التويجري. وغيرهم كثير من مشايخ وقضاة رحم الله الأموات منهم وحفظ الأحياء وبارك فيهم.

وقد امتدحه الشيخ الأديب محمد بن عبد العزيز الهليل فقال:

| | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| هو الشهم إبراهيم ذو النبل والإخا | أبوه عبيد العابد المتبصر |
| عبيد بن عبد المحسن العابد الذي | محاسنه في الناس تروى وتذكر |
| جزا الله إبراهيم خيراً فإنه | لذو العلم والتوفيق والله أقدر |
| ففقّه وتاريخ مع الوعظ والرثا | علوم وآداب تصان وتنشر |

أما عن صفته، فقد كان رحمه الله أبيض اللون طويلاً، عريض ما بين المنكبين، وله هبة ووقار، وترى عليه سمة العالم، ولقد حدثني أحد كبار السن قال: كنا ونحن صغار نرى الأرض ترتج إذا مشى في السوق أحد هؤلاء الثلاثة - عمر بن سليم، وفهد العبيد، وإبراهيم العبيد - على أن المتحدث لم يكن بعبد السن عن المترجم رحمه الله .

وأحدثت هبة شخصيته، فقد كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وربما طالب بتأديب المعتدي ويقف على تأديبه بنفسه، وله احترام وتقدير لدى المسؤولين من ولاية الأمر.

وشارك أهالي بريدة قديماً في تطوير مدينتهم وتوفير الخدمات، فكان الأهالي قديماً يراجعونه في هذه الأمور فيرفع إلى ولاية الأمر مباشرة بل ربما ذهب بنفسه إلى ولي الأمر وقابله في ذلك.

وأخبرناه مرة أنه بُدئ العمل في امتداد شارع المياه جنوباً، فقال: نعم أنا كتبت بطلب هذا الشارع برغبة الأهالي ورفعت الطلب إلى الملك فيصل، رحمه الله، وجاء بعدها بريد بالشكر والإفادة أنه سيتم ذلك، إن شاء الله، بعدما يتم اعتماد شارع الشاحنات ببريدة.

وكان أريحياً اجتماعياً لمن يجلس معه بأدب، فلقد حدثني أحد طلابه قال: كان الشيخ يأخذنا نحن الطلاب إلى رحلة برية ترغيباً لنا في العلم وكان يمازحنا بل ويجعلنا نلعب أمامه لعبة المطارحة، فكان يشاهدنا ويضحك لذلك.

قال تلميذه الأستاذ سليمان التويجري وكان من صفاته التي يعتز بها كل تلميذ جثم على ركبتيه أمامه متعلماً دماًثة في الخلق ومتواضعاً في الأخلاق وإخلاصاً في إيصال المعلومات إلى أذن تلاميذه.

ومن الجدير بالذكر أن المؤلف، حفظه الله وأكثر من أمثاله، رجل اجتماعي بطبعة يحب الاختلاط والامتزاج بمشايقه وتلاميذه، وكانت النكتة لا تغادر مجلسه الأمر الذي يدعو جلساءه إلى الرغبة الأكيدة في الاجتماع والالتئاس به، وكان قارضاً للشعر وله ديوان في الشعر، والمذكور يملك حاسة رقيقة شفافة تدعوه في كثير من الأحيان إلى إبداع غرر القصائد التي يرثي بها مشايخه وتلاميذه أهـ.

وكان يجيب دعوة الزواج ويحرص عليها على كثرتها ويحث أبناءه على الحضور، فإذا حضر وسلم على الحضور أمر أحد أولاده بأن يقرأ آيات من

القرآن، ثم يشرع هو في تفسيرها والتعليق عليها ولا يطيل لمناسبة الدعوة. ويلبي دعوة من دعاه ولو كان بعيد البلد، ويذكر أحد أبنائه قال: ذهبت معه إلى إحدى القرى وقد أجاب دعوة، وتبعد تلك القرية عن بريدة قريباً من ثلاثمائة كيلومتر، فحضر الدعوة ووعظ في المسجد والبيت ثم رجع في يومه.

وكان يحب الجلوس والاجتماع بأولاده وأحفاده وأصهاره ويقيم لذلك وليمة، ولا يمر أسبوع إلا وقد جمع الأسرة، فإذا اجتمعوا أخذ بالحديث ربما عن التاريخ وأخبار الأمم أو عن أخبار علماء القصيم وأئمة الدعوة النجدية، أو طلب من أحد أبنائه أن يقرأ شيئاً من القرآن، فكان ينصت للقراءة ويثني على القارئ ويفسر الآيات وي طرح أسئلة في إعراب الآيات على الحضور، وكان يطرح عليهم كثيراً من المسائل الفرضية، وربما أحضر معه كتاباً وطلب من أحد أبنائه أن يقرأ عليهم ويحب دواوين الشعر. ولم يكن يملّ من ذلك.

وقبل وفاته بشهر قرئ عليه الميمية لابن القيم وذلك قبل الحج بأيام، وكان يحبها، فأثنى على ابن القيم كثيراً وعلى القصيدة، وحيث كان في جلسة أسرية فقد طلب من بعض النساء الحضور لسماع القصيدة والتعليق عليها، فشرع يشرح القصيدة ويتلذذ بها. حتى خنقته العبرة فجعل يخفيها رحمه الله.

قال أحد أحفاده: ولما رجعنا من الحج تلك السنة وقدمت للسلام عليه قدم إليّ ديوانه البستان وهو مخطوط، وطلب مني أن أقرأ عليه قصيدة الصرصري في قصة يوسف وإخوته عليهم السلام، وفي الليلة التي أصيب فيها بالمرض كنا في وليمة أسرية فطلب أن نحضر كتاباً لنقرأ فيه فاخترت له كتاب الشوقيات لأحمد شوقي، فأخذه وجعل يثني على شعر أحمد شوقي ويذكر ما بينه وبين حافظ إبراهيم، ثم بحث عن قصيدة.

وأصيب رحمه الله بالمرض في تلك الليلة، ولما رجع من جدة وقد كان ذهب إليها للعلاج، اجتمعنا حوله للسلام عليه، فطلب مني أن أقرأ آيات من القرآن، فقرأت عليه سورة النجم كاملة، وكان قد ضعف بصره ويعاني من الألم، فلما بلغت قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْثَى﴾ جعل يتأمل كلام ابن تيميه رحمه الله حينما قال:

أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي

فترحم عليه.

وهكذا كانت مجالسه عامرة بالعلم حتى إنه كان يطرح المسائل العلمية على بناته وحفيداته رحمه الله.

وكان من شأنه أيام الطلب أنه يقضي أوقاتاً كثيرة في طلب العلم تزيد على ست عشرة ساعة يومياً ما بين قراءة وتأليف، وكان يكره أن يشغله أحد عن القراءة والكتابة، واختار الاشتغال بالتعليم عن الوظائف الأخرى، فلقد عرض عليه القضاء مرات فاعتذر حياً للسلامة وإيثاراً للعافية، عرض عليه القضاء في إحدى نواحي القصيم وفي عسير وفي الجوف وفي تيماء، فاعتذر، وألحَّ عليه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أن يتولى قضاء تيماء فطلب منه الإعفاء حتى بكى أمام الشيخ فعذره الشيخ لذلك.

التحق بالتعليم النظامي عندما أسست أول مدرسة في بريدة سنة ١٣٥٦هـ، واستمر يدرس فيها حتى تقاعد رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٦هـ.

وطلب منه أن يفتح درساً في الفرائض وأخبر برغبة طلاب العلم بذلك فقال إنه منشغل بالتأليف وأنه جلس ما فيه البركة، وأخبر أنه جلس أربعين سنة يدرس فيها بالمساجد وهكذا وأكثر منه في إمامة المسجد.

قال الدكتور عبد الله بن محمد الرميان: تولى الشيخ إبراهيم العبيد إمامة مسجد ماضي سنة ١٣٦٢هـ بعد وفاة إمامه سليمان الحميد واستمر في إمامته حتى سنة ١٣٦٦هـ، فتكون إمامته في هذا المسجد خمس سنوات، انتقل بعد ذلك إلى مسجد ابن خضير الجنوبي، ثم انتقل إلى مسجد مجاور لسكنه، واستمر في إمامته إلى وفاته رحمه الله سنة ١٤٢٥هـ، فتكون مدة إمامته قريباً من ثلاث وستين سنة.

وكان بقاؤه في مسجد ابن خضير إلى سنة ١٣٩٩هـ، وفي مسجد السويلم إلى سنة ١٤٠٣هـ، ثم في مسجده من عام ١٤٠٣هـ، إلى وفاته رحمه الله.

وكان له جلد في نسخ الكتب بيده، ونسخ عدداً من الكتب قبل وجود الطباعة الحديثة مثل (حادي الأرواح) لابن القيم، و(فتح المجيد) للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

وقصائده كثيرة ومؤلفاته التي بلغت أكثر من ٥٢٣٧ صفحة.

أما عن شعره فلقد أنشأ عدداً من القصائد في فنون متنوعة كالوصف والنصيحة والمدح والثناء والإخوانيات وغيرها في أكثر من ست وعشرين قصيد بما مجموع أبياتها: ٨٧١ بيتاً، وهذا ما ذكره في كتابه التذكرة وله قصائد غيرها.

وبذا عدّه الأدباء والمؤلفون في شعراء المنطقة. قال الدكتور إبراهيم المطوع وهو يتحدث عن كتاب على تذكرة أولى النهي والعرفان، ولكون المؤلف شاعراً، فقد احتوى الكتاب على مادة شعرية وفيرة للمؤلف نفسه ولشعراء من المنطقة ومن خارجها ك: ابن سحمان وابن مشرف وحسن بن

نفسه فيحرص المؤلف على أن يتبع كل حادثة أو مناسبة أو موقعة مما قيل فيها أو حولها من قصائد شعرية تصل أحياناً إلى سبعة وسبعين بيتاً، كقصيده للشاعر صالح بن عبد العزيز العثيمين، فرثاء الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وقصيدة المؤلف البالغة ثمانية وسبعين بيتاً في مناسبة وفاة عدد من معارفه عام ١٣٦٤هـ، وقد يتدخل المؤلف في إصلاح ما اعوج عروضياً من تلك القصائد أو يحذف أبياتاً منها لعدم استقامتها أو يترك القصيدة فلا يوردها لأنها غير موزونة.

وعلى ذلك فهو يكتب تاريخه بحس الأديب الناقد، وهذا ما يجعلنا مطمئنين إلى ما أورده من نصوص شعرية إلى أن قال: وهكذا نرى أنه ورد في كتابه ما مجموعه من القصائد والمقطوعات (٤٤) قصيده ومقطوعة، ومجموع أبياتها (١٣١٨) بيتاً فقط لشعراء المنطقة من عام ١٣٥١-١٤٢٠هـ.

على أن الدكتور إبراهيم استفاد منه في الأجزاء المطبوعة، وهي إلى سنة ١٣٨٤هـ، وتلك نهاية الجزء الخامس، وبعد النظر في المخطوطات وهي الأجزاء المتبقية وجدت له عدداً من القصائد، ونقل عن غيره كذلك.

أما مؤلفاته

فأقدمها وأشهرها هو كتاب (عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان). الكتاب الذي أثنى عليه الأكابر والأصاغر، وهزّ القلوب وساقها إلى علام الغيوب مع أنه ألفه في صغره، فقد فرغ من تأليفه سنة ١٣٥٩هـ وعمره حينها خمس وعشرون سنة، وطبع الكتاب الأول سنة ١٣٧١هـ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة على نفقة الشيخ حسن محمد بن محمود الشنقيطي رحمه الله، وتوالى الطبعات بعدها في أكثر من أربع عشرة طبعة، واشتهر عند الناس في وقته، وكان يقرأ به في مساجد نجد قبل صلاة التراويح وبين السليمات وصلاة

القيام في شهر رمضان، ولقد أخبراني أنه بلغه أن الكتاب وصل إلى الملك عبد العزيز رحمه الله فكان يقرأ عليه في رمضان وكان يبكي وهو يستمع للكتاب، وسأل كثيراً عن مؤلفه فأهداه الملك بعضاً من الكتب، ويقع الكتاب في مجلد واحد في أربعمئة وإحدى عشرة صفحة بتوزيع بديع على مجالس الوعظ والإرشاد في شهر رمضان.

ومن كتبه كتاب التاريخ، وقد سماه (تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان) طبع منه خمسة أجزاء ولا زالت البقية إلى الجزء الثامن في المطبعة، وتتولى طبعه مكتبة الرشد، ولعله ينزل قريباً بإذن الله تعالى، وبدأ في التاريخ بمقدمة ثم ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ثم بتعريف بالمملكة العربية السعودية.

وأول سنه أرخ فيها سنة ١٢٦٨هـ ونهاية الجزء الأول إلى سنة ١٣١٩هـ، ويبدأ الثاني من سنة ١٣٢٠هـ إلى سنة ١٣٣٩هـ، ويبدأ الثالث من سنة ١٣٤٠هـ إلى سنة ١٣٥٢هـ، ويبدأ الرابع من نفس السنة إلى سنة ١٣٧٢هـ، والجزء الخامس وهو نهاية المطبوع يبدأ سنة ١٣٧٣هـ إلى سنة ١٣٨٤هـ، ويبدأ السادس وهو مخطوط من سنة ١٣٨٤هـ إلى نهاية السنة ١٣٨٥هـ، ويبدأ السابع من سنة ١٤١٠هـ، ثم الثامن من السنة نفسها، وآخر خبر ذكره في تاريخه ووقف عليه قلمه هو نبأ وفاة الشيخ العالم العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ولم يكمل ترجمته وذلك سنة ١٤٢١هـ.

وقد أودع في تاريخه أخباراً عالمية مصدره منها الإذاعات والإعلام وأفواه الرواة، وأخباراً محلية وقف على كثير من الإعلام وأخباراً عن علماء نجد والقصيم بخاصة وأخبار القصيم وتراجم العلماء ومشايخ ووجهاء القصيم

ومراثيه لهم، فحفظ بهذا الكتاب تاريخ تلك الفترة الزمنية ما بين سنة ١٢٦٨هـ إلى سنة ١٤٢١هـ.

وهو مرجع الباحثين والمؤرخين في تلك الفترة في كثير من الأمور، وقلما تجد من ألف عن القصيم إلا وينقل عن هذا الكتاب.

قال الدكتور إبراهيم المطوع: وهو كتاب تاريخي قيم يؤرخ للدولة السعودية ويعد مرجعاً أصيلاً وفريداً لكثير من مؤرخي ودارسي الأدب والتاريخ السعودي.

ومن كتبه كتاب (الأعلام المرفوعة والتحف المدفوعة وعقيدة أمة الإسلام المقروءة والمسموعة) وهو شرح لمتن العقيدة الوسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، ويقع في جزئين، وهو مطبوع بأكمله وفرغ من تأليفه في ١٤٠٣/٨/٢١هـ.

ومن كتبه أيضاً: (السحاب المركوم والرحيق المختوم في وظائف السنة منورها والمنظوم) ويقع في ثلاثة مجلدات. ومن كتبه أيضاً: (رياض الأنوار الزاهرة والحكم المنثورة الباهرة في تعظيم سنة سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة) ويقع في مجلد واحد، وقد فرغ من تأليفه في ١٤١١/٣/٢هـ.

ومنها كتاب (تحذير الأنام عن ارتكاب القبائح والآثام في تحريم الدخان والمسكرات والمفطرات) ويقع في مجلد واحد حرره في ١٤١٨/٥/٤هـ، وله كتيب صغير في دعاء ختم القرآن، فهذه كتبه المطبوعة وله كتب مخطوطة، منها كتاب (البستان) في المواعظ والحكم والأمثال، وهو ديوان شعري جمع فيه بعضاً من قصائده وقصائد لبعض المسابقين، ومنه كتاب (التحريم في تبرج النساء) وكتاب

(لزوم الجماعة) وله منسك في الحج والعمرة وذكره في كتابه (التذكرة) أنه قد ألّف كتاباً في وصف رحلته إلى جنوب المملكة، وله قصائد كثيرة لم تنشر.

أصيب الشيخ إبراهيم بجلطة في شبكة العين في شهر ذي الحجة من عام ١٤٢٤هـ، فراجع المستشفيات، وسافر إلى جدة لأخذ العلاج، واعتمر في سفرته تلك ثم رجع إلى بريدة، وبعد رجوعه بيومين اشتد عليه الألم في صدره، وفي تلك الليلة الأولى من سنة ١٤٢٥هـ نقل إلى مستشفى الملك فهد التخصصي ببريدة وبقي فيه إلى وفاته، رحمه الله، يوم السبت الثامن من شهر محرم سنة خمس وعشرون بعد الأربعمئة والألف في الساعة العاشرة والنصف صباحاً، وقد تناقل الناس نبأ وفاته في ذلك اليوم واجتمعوا للصلاة عليه لصلاة المغرب في جامع الخليج ببريدة الذي يؤم فيه المصلين فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن محمد النويان، حفظه الله وبارك في جهوده، فازدحم الناس للصلاة عليه وامتلاً المسجد بالمصلين وكذا الطرقات وصلى عليه في المسجد إماماً أخوه محمد ثم حمل على الأكتاف حيث صلى عليه في الطريق إلى المقبرة عدة مرات. صلى عليه فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي حفظه الله إمام الجامع الكبير ببريدة، ومرة أخرى صلى عليه الشيخ عبد الله بن الشيخ صالح الخريصي إمام جامع الخريصي، ودفن تلك الليلة التي توفي فيها بعدما بكاه الناس وترحموا عليه وتأثروا لفقده، وحضر جمع كثير من طلاب الشيخ وأصدقائه ومحبيه، وقبر في مقبرة الموطأ ببريدة، فإننا الله إنا إليه راجعون .

تقديم

الناشر «علي الحمد الصالحى»

أحمدك اللهم حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا كما أنت أهله.

وأصلي وأسلم على عبدك ورسولك المصطفى ونيك المجتبى، عدد قطرات الماء وذرات الثرى، وعدد سكان الأرض والسماء من الخلائق، وعدد ما نطق بذكر الله ناطق؛ وعدد الحركات والسكون، وعدد ما كان وما يكون.

وبعد فإن علم التاريخ من العلوم التي تناولها الكاتبون: في كافة العصور لأن فيه عدة مقاصد، منها الاعتبار بحال من مضى وما جازى الله به من أطاع وعصى في الدنيا جزاء معجلًا، ومنها أن من عرف أخبار الماضين عاش معهم في أحوالهم وأفكارهم إلى غير ذلك من المقاصد.

وقد اعتنى به أناس كثيرون خارج الجزيرة العربية ما بين خاص بقطر أو بلاد وما بين عام، أما في هذه الجزيرة فلم يعتن به إلا أفراد قلة في القرون الأولى، ثم أهمل مئات من السنين، ثم بعد دعوة الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» كتب فيه أناس حسب ما تهيأ لهم من داخل الجزيرة وغيرها، وتعتبر دعوة الشيخ بمنزلة المطر النازل على الأرض الميتة فاهتزت وربت.

ثم كتب فيه ابن غنام والجبرتي وابن بشر وآخرون، منهم كاتب هذا التاريخ الشيخ الفاضل المؤرخ «إبراهيم بن عبيد» وقد بذل فيه جهدًا كبيرًا، وأوقافًا ثمينة، وتابع الوقائع والحوادث حسب ما بلغ إلى علمه؛ فجاء هذا التاريخ عامًا في وقت مست الحاجة إليه. حافلًا بشتى الحوادث والأخبار والوفيات؛ ولعله يكون حافزًا للقراء المطلعين لجمع بقية الشتات، ونقل للحقائق من السنة الثقات.

«ومؤسسة النور للطباعة والتجليد» ترى عظيم المنفعة لمن كان مساندًا لها بالسبق لهذه المفخرة؛ وقد كانت بفضل الله عليها سبابة للخير، داعية إليه، تترسم من الأمور أعلاها.

وسيكون هذا التاريخ في خمسة أجزاء متوسطة ^(١) حسب تجزئة مؤلفه؛ نفع
الله به والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على نبينا محمد وآله
وصحبه وسلم.

(١) بلغت أجزاء هذا المؤلف ثمانية أجزاء إلى نهاية عام ١٤٢١هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

بقلم تلميذه:

سليمان عبدالعزيز التويجري

هو الشيخ الفاضل الموسوم بالعلم والفضائل إبراهيم بن عبيد بن عبدالمحسن آل عبيد ولد في خامس عشر جمادى الثانية سنة ١٣٣٤هـ، ونشأ في أحضان والديه، ثم أخذ في الدراسة في إحدى المدارس الأهلية في بريدة، ولما تم له من العمر اثنتا عشرة سنة حصل على حفظ القرآن ودراسته بالتجويد، وأخذ نصيباً من تعلم الخط والحساب، وكان ذلك موضع الإعجاب من مدرسيه لما لمسوه منه من الجهد والاجتهاد.

ثم إنه لما أخذ نصيبه الوافر من تلك المدرسة انضم إلى التعلم على يد الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي المشهور بالعلم والتدريس في القصيم.

وانضم أيضاً إلى التعلم من فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم وجدّ ونافس في طلب العلم وأكثر من الأخذ عنهما.

ومن جملة ما درس به عليهما إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، وكشاف القناع عن الإقناع للبهوتي؛ والروضة الندية لصديق بن حسن القنوجي الهندي، وزاد المستقنع وشرحه، والرحبية في الفرائض والموارث وملحة الإعراب في النحو، وألفية ابن مالك في النحو والصرف، وكتب العقائد والحديث كالعقيدة الواسطية؛ والصابونية والطحاوية، والتوحيد وشروحه.

وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم ونال الإعجاب من مشائخه وأعجبوا بجهده واجتهاده وقوة حافظته وذاكرته، حتى كان يذهب بين العشائين

والعتمات وأواخر الليل إلى تلك المساجد التي لا تزال إذ ذاك عامرة بالتدريس وحلق الذكر لأخذ نصيبه من العلم رغم زمهرير الشتاء وبرده القارس، وأمطاره وثلوجه، وكان مشائخه يقدرون أعماله ويعرفون له فضل الاجتهاد.

ولما بلغ من العمر اثنين وعشرون سنة أخذ يدرس ويعلم في المسجد واجتمع عليه تلامذة كثيرون فضلاء.

من تلامذته الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي المدرس في المعهد العلمي، والشيخ علي بن محمد السكاكر رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مقاطعة القصيم، والشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحميد، والشيخ محمد الصالح المرشد مدير المعهد العلمي في بريدة سابقاً، والمدرس بالجامعة الإسلامية لاحقاً؛ والشيخ علي بن محمد الريش أحد أعضاء المحكمة المذكورة، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالله بن عودة أحد أعضاء رئاسة القضاء في السعودية؛ وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم الدوسري مساعد مدير مكتبة الحرم المكي، وعلي بن راشد الرقية، وأخذ عنه الأستاذ سليمان بن عبدالعزيز التويجري، وأخذ عنه صالح بن إبراهيم الرسيني، وعبدالله بن صالح الحسين، وأخذ عنه غير هؤلاء خلق كثير وجمع غفير، وأخذ عنه ابنه عبدالرحمن ومحمد.

ومن العجائب أن غالب الذين أخذوا عنه وتعلموا عليه، وفقهم الله، ولديهم صلاح في دينهم، وقد برز أقرانه في مادة الفرائض التي قل من يسبر عورها ويحل عويصها، وكان يرجع إليه في كثير من المسائل الفرضية التي قد تبلغ حد الإعجاز في صعوبتها ويتلقاها بصدر مملوء باليقين والاستعداد، حتى أنه بلغ به الأمر إلى أن تأتيه المسائل الفرضية من جهات بعيدة من خارج المملكة، ولا يزال الآن يعالج مهنة حل المسائل والإفتاء، وكان الرجل شغوفاً ومحباً لمادة التاريخ، وله ذوق رفيع في مادة القواعد، وكان من صفاته التي يعتز بها كل تلميذ جشم على ركبته أمامه متعلماً دماً الخلق، ومتواضعاً في الأخلاق، وإخلاصاً في إيصال المعلومات إلى أذهان تلاميذه.

والجدير بالذكر أن المؤلف حفظه الله وأكثر من أمثاله رجل اجتماعي بطبعه يحب

الاختلاط والامتزاج بمشايخه وتلاميذه، وكانت النكتة لا تغادر مجلسه، الأمر الذي يدعو جلسائه إلى الرغبة الأكيدة في الاجتماع والاستئناس به، وكان قارئاً للشعر وله ديوان في الشعر والمذكور يملك حاسة رقيقة شفافة تدعوه في كثير من الأحيان إلى إبداع غرر القصائد التي يرثي بها مشايخه وتلاميذه، أما عن مؤلفاته فكفاه فخراً واعتزازاً سفره الباقي ما بقي المحبون للخير؛ وذلكم هو كتاب «عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان» الذي ما فتى كل إمام مسجد في المملكة وغيرها يقرؤه على مأموه في ليالي رمضان الشريف. حتى آل الأمر إلى أن قام رجال فضلاء من خارج المملكة بدعوة إلى الشيخ بالاستئذان منه بطلب ترجمته إلى اللغة الأردنية، والإنجليزية، والفرنسية؛ وهذا ورثي شيء يبعث الاطمئنان والاعتزاز والسرور.

كما أن من مؤلفاته «البدور البهية والفتوحات القدسية»^(١) وهو وظائف لسائر السنة يدور حول المشاكل الاجتماعية في الوسط الاجتماعي الراهن سيطلع عن قريب وهو ثلاثة أجزاء، ومنها هذا التاريخ.

أخي القارئ علك تجد فيه ضالتك المنشودة وبغيتك المطلوبة، وقد أنفق المؤلف من عمره في تأليفه ثمان عشرة سنة كانت حافلة بالجهد المتواصل، والسهر الطويل، ولم المعلومات من مظانها ومن كل صوب وحذب، والمذكور غني عن قيلة قائل في مدحه والثناء عليه، فالذي بين يديك أخي القارئ يحكي واقع المذكور وهو لا يرجو منك إلا الدعاء والصفح عن كل خلل، فإن كان خيراً فممن توفيق الله وامتنانه، وإن كان غير ذلك فالإنسان عرضة للخطأ، وقبل أن نختم هذه العجالة العابرة عن حياة المؤلف نورد لك نموذجاً من شعره فقد كان يدرس عليه أحد المتنبين للتدريس في

(١) قام المؤلف رحمه الله بتغيير اسم هذا المؤلف إلى «السحاب المركوم أو الرحيق المختوم في وظائف السنة منظومها والمنثور» وهو مطبوع، وكذلك مؤلف بعنوان «الأعلام المرفوعة والتحف المدفوعة وعقيدة أمة الإسلام المقروءة والمسموعة» وهو مطبوع.

المملكة فما كان من تلميذه إلا إن جرى منه عدم مواضبة فعاتبه الشيخ بهذه الأبيات
الطريفة:

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| سلام يفوق الشمس في الحسن والبها | ويفضح حسن البدر في التم معلما |
| ويسري بادلاج يمر مسارعا | إلى ذلك الندب الجليل متمما |
| محمدأ لا ترك دروسأ سلكتها | تفوق على الدر النفيس وترثما |
| عليك بتحصيل العلوم فإنها | نحاة لعمرى من طريق جهنما |
| بأي كتاب الله يولع عارف | له نهمة تعلو سموأ على السماء |
| كذك علوم النحو تعلو لغيرها | تقوم ألفاظأ وتهدي من العماء |
| يراد بها كل البيان فخذ بها | فهذا لعمرى بالقرار مسلما |
| ولا تعد عيناك المكارم موثراً | قهاو وأشغالا تعود فتثلما |

﴿فأجابه ذلك الأستاذ بهذه الأبيات﴾

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| عليك سلام الله نورأ متمما | ورحماته تترأ تباعأ من السماء |
| وأوزعك الرحمن شكر هباته | والأئه من منعم جل منعما |
| وأتاني الرحمن علماً وحكمة | وزودني فقهاً وعقلاً معلما |
| وأنت الذي نورأ أضاء جبينه | وبان عليه الفضل والحسن معلماً |
| أ أترك نهراً قبض الله فيضه | على ظماً مني وقد تقتل الظماء |
| أ أترك نورأ كنت شمساً تمدد | وأمشي طريق العائرين معتما |
| أ أترك أي الله لأ أعيتني بها | وها قد بدت من فرقل يكشف العما |
| أ أترك درس النحو لو أن خبرته | لازداد جهلاً بالعلوم فأظلما |
| ولو علم التوحيد يوماً أخذته | ودرس الحديث أن يكون هو علما |
| فلا تشفقن يوماً حريصاً محاذراً | مقاطعتي جمع العلوم مسلما |

إلى آخر الأبيات:

وفي الأخير أحبي كل من أسدى إلى الأمة خدمة جلى وعملاً مشكوراً من

نصح وتوجيه، أو تسجيل حوادث، أو غير ذلك مما ينير طريق الحياة المعتم لكل
ناشد معرفة، وقاصد علم؛ والله أسأل أن يهدينا طريقه المستقيم وأن يمن علينا
بالهداية والتوفيق؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بقلم أحد تلاميذه

سليمان الحبذ العزيز التويجري

مفتش القسم المساعد بإدارة التعليم ببريدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وبه نستعين﴾

الحمد لله الذي ذلت لعظمته العظماء؛ وكلت عن الإحاطة بكنه معرفته أفهام الأذكياء؛ ووسع علمه أهل الأرض وأهل السماء، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، جلّت صفات ربوبيته ونعوت وحدانيته فلا تحصيها بلاغة الفصحاء، واحتجب في هذه الدار عن الأبصار وقدر السعادة والشقاء على أهل الجنة والنار، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما.

فسبحانه من إله تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره متوحد في العز والبقاء، وسبحانه من متصرف دبر الأزمان والدهور، وعاقب بين الأيام والشهور، وأباد الأمم لماضية على توالي العصور، وقدر ما يكون من الحوادث وقضا، وتعالى ملك قهر حكمه الجبابرة، وكسر الأكاسرة؛ فلا مفر عن حكمه، ولا محيد عن أمره، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى؛ وهم من خشيته مشفقون، أحمده حمداً يفوق العد والإحصاء.

وأشكر على ما أولاه من الفضل والعطا وأسأده من الآلاء والنعماء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله كسر المتجبرين؛ وجبر المكسورين؛ وجمع المتفرقين، وفرق المجتمعين، وأغاث الملهوفين، وتناول بفضله على سائر العالمين فسعت نعمته إلى جميع الأحياء ووسعت رحمته كل الأشياء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى، والخليل المحبب والحبيب المرتضى، ﷺ وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء والسادة الأصفياء وسلم تسليمًا.

أما بعد فكما أن الله جعل هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وعبرة لأهل العقول من ذوي العرفان، وقنطرة عبور لا مسكن حبور، كما نرى ذلك ونشاهده من ذلة عزيز، وسقوط رفيع، وفقير غني، وغناء فقير، وأخذ مولع بزخرفها على غير

استعداد، وإنزاله في لحدّه بلا أهبة ولا زاد، قد فارق الأحباب، ووسد التراب، وانقطع عن الأحباب؛ فالواجب علينا أن نعتبر بأيام الله وما جرى على الأمم؛ ودار عليهم من السلب والعدم. وما آل إليه أمر المنيع في أعالي القصور، وإنزاله منها على الرغم بعد السرور قد رفع البنيان، وفاخر الأقران؛ ونسى طوارق الزمان؛ ووثق بما لديه من الأمانى والأمان، فلم يشعر إلا بالمنية قد أنشبت فيه أظفارها، وعضت عليه بأنيابها، وأنزلته إلى قعر الحضيض؛ وأبدلته بعد العز ذلاً، وبعد الحياة خموداً، وبعد الحركة سكوناً، فيا عجباً له من قوي عاد ضعيفاً، وبعد قهره أصبح مقهوراً، وبعد سطوته ليثاً عاد مأسوراً، وبعد أنس ربه عاد محصوراً، يا عجباً لأهل هذه الدنيا كيف لا يعتبر الخلائف بالماضين، وكيف لا يتعظ المطلق بالمقيدين، وكيف لا تبكي العيون لمصيرها، فكم لهذه الدنيا من صريع.

وكم لها من جريح، وكم لها من كسير، وكم لها من أسير، وكم لها من قتيل؛ ولكن أهلها لا يتعظون، وبغدرها لا يشعرون، ولا من سكرها يفيقون، ما هي والله إلا جيفة مستحيلة، أولعت النفوس باستجلابها، غافلة عما فيها من الفجائع والقوارع والأنكاد، وقنعت بها همم دنية من أراذل العباد، فلا بذمها يسمعون، ولا بكثرة جفائها يزهدون.

يا عجباً كم هدمت الأيام من حصن، وكسرت من قوي وأذلت من شريف وأفقرت من غني وفرقت من حبيب، وكسفت من بال، وعطلت من بئر، وخربت من قصر مشيد.

ولما كان المطلوب منا الاعتبار بمن مضى من القرون، وما جرى على الملوك الصيد، ممن طغى وتجبّر على العبيد، وأتته الدنيا على ما يشتهي ويريد؛ وخدمته الولدان والخليل والعبيد، ولبس رفاق الثياب من كل غالٍ وجديد، وتزينت له الدنيا في غرورها كالعيد، فما كان إلا القليل حتى تكدرت منه العين، واختطفته أغربة اليبس، ودارت عليه المنون رحاها، وحل بعراصد البلا ومحاهها؛ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ﴿وَتِلْكَ

الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠].

لقد كنت أتشوق لوضع تاريخ في ذكر حوادث ما جرى من الوقعات من لدن سنة سبع وستين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية إلى زمننا، هذا بحيث ما وجدت أحد أتى بالمقصود ولم أجد بنقاشي غليلاً ولا لروي غليلاً.

بيد أن يوجد قطع فيها نبذ من الوقعات التي جرت في ظهور صاحب الجلالة الملك «عبدالعزیز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود» إنما سجلت ودونت لغرابة سطوة هذا الملك الأعظم، والرئيس الأفخم، غير أن هذه النبذة، وإن كانت جلّ المقصود، فلا تفي بالتاريخ، وما كان هذا الوقت يجدير الإهمال، ولا بسهل المجال، ولكنه ترك لصعوبته، ولعدم من يقوم بأعباء مهمته، فسنح بخاطري أن أضع تاريخاً لائقاً، رائقاً في هذا الموضوع، وإن كنت لا أرى مساعداً على هذا الشأن، ولا من يجري فرسه في هذا الميدان، وذلك لأن التاريخ أصبح اليوم لا يعرفه في الحقيقة أكثر الناس، ولا يعتني به في غالب البلدان، وأخص بذلك نجد إلا سيما ما بين رأس هذا القرن إلى نصفه، فقد أهمل كإهمال تاريخنا قبل ثلاثمائة سنة، وكنت إذا سألت الشيوخ والمسنين ممن أظنه أهلاً لتلك البضاعة، ومن أخال فيه الصدق والكفاءة، فإنه يقول: غزا فلان وانكسر فلان، وحادثة كذا في الربيع؛ إما كونه يعرف السنة والشهر واليوم، بل الساعة والدقيقة، فلا يهتدون إليه سبيلاً، فخلت من مساعد يعين على هذه المهمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله؛ هذا وقد يسر الله ما كنت أرومه، ومنّ علي بذلك، وكم له علينا من منة لا نقوم بشكرها، وأقرّ بفضلها العين بوجود ما كنت أتمناه، وأكدح في نيله وأتلقاه، وذلك بمدة طويلة بذلت فيها مجهوداً من طاقتي، وسهرت الليالي لاستحصائها، وكلفت الأيام لرصدها لتكون متلقة من مصادر وثيقة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

فصل

ويا ويل كل مؤرخ، بل لو شئت لقلت كل مؤلف في هذا الزمان من بعض المتعنتين الفارغين، الذين قلت بضاعتهم من العلم بحيث كانوا قطاع السبيل في طريق المؤلفين، لا سيما في التاريخ فنجد أحدهم يتحيل لتشويه سمعة المؤلف بمخرقة وغروره، مثال ذلك أن الحادثة قد تروى من طرق كثيرة، ومن الناقلين من تكون بضاعته زعموا، فيقوم الممخرق ضارباً بنقل المؤرخ عرض الحائط، وإن كان صحيحاً، ثم يأتي بطريق أخرى كأنه نزل الوحي بصحتها لأي شيء، لا لظهور الحق حاشا والله، بل وكلا، بل لكثرة الخط والنيل من حق المؤلف، فهل لا يقوم ذلك المعارض إن كان فيه مؤهل فيضع تاريخاً لأن الباب مفتوح أو يكف شره عن المؤلفين كما قيل:

اقلوا عليهم لا أبا لأبيكمو من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
فإذا وقعت حادثة مثلاً في أعالي السوق ومنتهاه، واجتمع الناس لرؤيتها منهم المتقدم ومنهم المتأخر، فإن الأمة بعد صدورهم ترويه على جهات مختلفة، وكل رواية لا توافق الأخرى، هذا وهي في بلد، ووقعها في الحال، فما بالك فيما لا يكون في بلدك ولا في زمانك فما شئت من تغيير واختلاف وطريق الحل هو أن تمسك بتلابيب من قتل القتيل وشهد حفر الحائط، ورأى بعيني رأسه وسمع بأذنيه، وأمسك بيديه، فناخذ منه مشافهة بعد ما نعرف ثقته وأمانته، فعند ذلك نهتدي إلى الصواب سبيلاً، والله المستعان وعليه التكلان لا رب غيره ولا إله سواه.

فصل

وقد كانت الأمم الأخرى تشجع المؤلفين وتبذل لهم مقابل أعمالهم التي قاموا بها جوائز سنوية لقيامهم بأعمال يشكرون عليها، وهذه طريقة طيبة أن ينال المؤلف أو المخترع للصناعة جزاء يشجع على عمله، ويشجع أمثاله حتى تحصل المسابقة إلى الأعمال الكاملة، فيا ليتنا إذا لم نحصل على هذه الخطة ألقينا

عن عواتقنا رداء الحسد؛ ونهضنا بآمتنا كل بحسب مقامه، حتى تسير السفينة لنصل إلى ساحل الكمال والمعرفة، وسلمنا من التلطح بتلك الأقدار والتضخم بها، وخطابي هذا موجه إلى المتعنتين فقط، أما فطاحل العلماء وأهل الفضل والمعرفة فإنهم بالمكان الأرفع، وقد حماهم الله من ذلك وهم في كرامة.

ولعل قائلًا يقول لو أن المؤلف جعل ذكر آل سعود متصلاً وآل رشيد على حده ونحو ذلك من الآراء، ويقول لو كانت تراجم الوفيات على حدة ونحو ذلك، فاعلم أن الآراء لا تزال مختلفة وكل له نظر واختيار، وقد تعشقت طريقي التي سلكتها، وللناس فيما يعشقون مذاهب، وبكل حال فإن من أراد أن يسوق الحوادث على ترتيبها كل سنة بحوادثها، فإنه يضطر إلى سلوك الطريقة التي سلكنا، وهي طريقة الحافظ بن كثير، وابن بشر وأمثالها.

فصل

فدونك كتاباً يصلح للدنيا والدين، ويلائم سائر طبقات الناس، قد اشتمل على نكت أدبية، ونبد تاريخية وتراجم لأئمة أعلام وملوك أكاسرة عظام، أبادهم مولاهم الذي أوجدتهم، وسيجددهم بعدما أخلفهم ويجمعهم بعدما فرقهم، وقد احتوى على قطع شعرية تشهد لأهل نجد بل للعرب بالفتوحات الإسلامية، وقمع البدع المظلمة الوبية، ولعمر الله لقد بذلت مجهودي في تأليفه، وجمعه، وترتيبه، وتصنيفه، وحرصت على أن لا أنقل فيه إلا ما كان صحيحاً، والتزمت بالإنصاف فيما أذكره فلا أغلو ولا أجفو.

وسميته تذكرة أولي النهى والعرفان، بأيام الله الواحد الديان.

فجاء منة من الله لا يملّهُ جليسه، ولا يشبع منه الأنيس، ممتعاً لقارئه، مشوقاً للناظر فيه، فلقارئه غُثمُهُ، وعلى مؤلفه غرمه له صفوة، وعليه كدرة، له عذبه، ولمؤلفه مره، وما هو قد نصّب نفسه هدفاً لسهام الراشقين، وغرضاً لأسنة الطاعنين.

وأنا سائل بالله من اطلع عليه، أن لا ينظر إليه بعين السخط، فإنها تبدي المساوي،

وأن لا يتصف بأخس الحيوانات التي تترك الطيات وتتبع الخيئات، وأن يهب الخطأ للإصابة؛ ويدفع بالحسنة السيئة، فهذه بضاعة المؤلف المزجاة تعرض عليك، وموليتك الكريمة تساق إليك، فإن وافقت كفواً كريماً، لم تعدم منه قبولاً وإحساناً، أو رداً جميلاً إن كان خطيئتها احتقاراً أو استهجاناً، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ وَعَمَلَكُمْ وَعَسَلُكُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ﴾ إلى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[التوبة: ١٠٥]﴾.

وقد قنع المؤلف بدعوة صالحة يفوز بها في الآخرة، وتستتر عليه الباطنة والظاهرة، والمؤمن يستر وينصح، والمنافق يهتك ويفضح، وقد ظهر تاريخنا بثوبه الذي ألبأت إليه الضرورة، فتارة تجد فيه ترغيباً وترهيباً، وأخرى تأخذ من نواتجه وملحه نصيباً، فإن شئت وجدته واعظاً وناصحاً، وإن أردت وجدته لنيل نصيبك من الدنيا مانحاً، وللسياسة والتجربة صالحاً.

وأسأل الله رب الأرباب، وراحم من انطرح بين يديه وأنان، ومجزل الثواب للأحباب، أن يفتح لي وللمسلمين الأبواب، ويسهل العقبات، ويرشدنا لأحسن الأسباب، ويهب لنا من لدنه رحمة، إنه هو الكريم الوهاب.

وقد أحببنا أن نجمله بوضع ترجمة لشيخ الإسلام قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، وذكر نبذة من الكلام عن المملكة العربية السعودية.

ذكر ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

هو الإمام العالم العلامة، والبحر الفهامة، العلم الظاهر، والبحر الزاخر، ذر المناقب العليا، والأخلاق الذكية والسيرة المرضية، وناصر السنة المحمدية والملة الإبراهيمية، شيخ الإسلام ومجدد الإسلام، بعد ما اندرس بين الأنام، الإمام المحقق والألمعي المدقق الشيخ «محمد بن عبد الوهاب»، أجزل الله له الأجر والثواب، وأدخله الجنة بغير حساب، وهذا نسبه.

هو أبو الحسن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زافر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيح بن نهشل بن شداد بن زهير بن

شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظل بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مراد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

له خمسة أبناء حسين وحسن وعلي وعبدالله وإبراهيم.

ولد الشيخ في بلدة العيينة ١١١٥ هجرية، وكان من بيت علم؛ فأبوه شيخ كبير وجده سليمان بن علي عالم نجد في زمانه، له اليد الطولى في العلم، وانتهت إليه الرياسة في نجد، ولما ولد المترجم في العيينة فرح به والده، وحفظ القرآن تجويداً عن ظهر قلبه، قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتى نال حظاً وافراً وأصبح موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه، وجودة ذكائه، لأنه كان حاد المزاج متوقد الذهن سباقاً في عقله، قوياً في جسمه، وشوهد منه في حال سفره كثرة المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره لمعرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، ولما تم له اثنتا عشرة سنة من عمره بلغ الحلم، ورآه والده أهلاً للإمامة في الصلاة، فقدمه إماماً فقام بأعباء هذه المهمة رغم حداثة سنه.

أخلاقه وسجاياه

كان بشوشاً متواضعاً جواداً، ذا عبادة وإيثار للفقراء والمساكين، أضف إلى ذلك قوة وهيبة تهابه الأمراء والرؤساء، بل كان يهابه كل من يراه.

ومن العجائب، أنه في أصله متواضع، لين العريكة سمح بشوش، لكن الله تعالى جعل له هبة في القلوب، ومنحه كمال الرأي والفراسة والتدبير، وكان شكوراً لنعمة الله، وعلى جانب عظيم من الإنطراح بين يديه؛ وكثيراً ما يلهج بقوله تعالى: ﴿فَبَسَّسَ صَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ﴾ [النمل: ١٩]، ويتمثل لهذه الآيات:

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| لبأي لسان أشكر الله أنه | لذو نعمة أعجزت كل شاكر |
| حباني بالإسلام فضلاً ونعمة | علي وبالقُرآن نور البصائر |

وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادي يوم كشف السرائر
 وأيضاً: فإنه كان على ثقة بربه عز وجل ويعلم أنه من كان مع الله كان الله معه ومن قام لله
 قام الله معه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].
 وكان قوياً بأمر الله تعالى، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يستشعر الخوف
 ولا اليأس معلقاً آماله بالله، ولقد قام في زمن عاد المعروف فيه منكرات والمنكر معروفاً
 والسنة بدعة والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير، وقد طبق الشرك
 مشارق الأرض ومغاربها إلا من شاء الله، قد ملأ الشرك الأقطار وعم القرى
 والأمصار، وملأت البدع الفياثي والقفار، فأراد الشيخ أن يكون داعية إلى الله وإلى
 كتابه ورسوله، وما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، لأنه حنيف موحد
 وإمامه الرسول، جعل يدعو إلى التوحيد وإفراد الله بأنواع العبادة، وخلع عبادة ما
 سواه، مبيناً أن تلك الجمادات التي يعبدونها، والأموات لا تجلب خيراً ولا تدفع
 ضرراً، وما النفع إلا بيد الله الذي لا يرزق سواه، ولا ينفع غيره صارخاً بالدعوة:
 «أيها الناس هلموا إلى ربكم وأفردوه بالعبادة»، ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
 كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، فما كانت هذه الأشجار لتجلب نفعاً أو تدفع
 ضرراً، وإن الميث لا ينفع نفسه فضلاً عن أن ينفع غيره؛ وكان لنجد من الشرك الحظ
 الأوفر فكان لما دعاهم إلى ذلك عود الشجا في حلوقهم، وحنظلة في أفواههم، فما
 كان لصرخته مجيب، ووافقت آذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، قد استحوذ عليهم الشيطان
 فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، وزين
 لهم الشيطان عبادة الأشجار والأحجار، والقبور والبناء عليها، والتبرك بها، والنذر
 لها، والاستعاذة بالجن والشياطين، والذبح لها، فكانوا في نجد يضعون الطعام للجن في
 زوايا البيوت، يطلبون شفاء مرضاهم وكشف بلواهم.

قلت يا عجباً لأمر المشركين حيث أعمى الله بصائرهم ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ
 فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [المائدة: ٤١].

ثم أخذ ينشر الدعوة، ويحذرهم من بطش ذي النعمة والسطوة، ولكن أين الثريا من يد الملتمس، قد انعكست قلوبهم وعمي عليهم مطلوبهم، لسان حالهم ينادي أنترك يا سفيه الرأي فحل الفحول، والغار الفلاني الذي لجأ إليه فلان فشفى مريضاً؛ والشجرة الفلانية التي ما قصدها أحد فخاب، فما أنت إلا سفيه لا تحترم الأولياء ولا تتأدب مع الأنبياء، ويلك يا ابن عبدالوهاب ما أكبر جراءتك؛ فلما رأى هذه الحالة لم ييأس من هداهم؛ ولم يدع نصحهم، وعزم بأن الدين لا يزول كما زال فيما مضى، ولكن من أين المساعد وأين المعاضد من حماة الدين، وحزب الله الموحدين، فيا طوبى له من وحيد على كثرة الجيران، ومن غريب مع كثرة السكان بين أناس رؤيتهم همى الأرواح، وغيض القلوب لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً.

ولما تجرد للدعوة، وعرفوا ما يريد، نصبوا له الحبائل، وبغوا له الفوائل، واختلقوا له المشاكل، وأجلبوا عليه بخيلهم وأرجلهم وصاحوا به من أقطار الأرض مشدد ساحر، غال، كذاب، كاهن، وشوهوا سمعته، وقامت عليه قيامتهم، وشنوا عليه غارتهم، ذلك بأنه دعاهم إلى ما يخالف تلك العادات، ولا تلائم طبائعهم التي عاشوا بها على الكفر والشركيات، قد خلعوا من رقابهم ربة الدين، وسلخوا سبيل الهالكين، وتعلقوا بالأولياء والصالحين، ونسوا مولاهم رب العالمين، نسوا الله وذكروا الجمادات، وولعوا بما لديهم من التخييلات والحكايات والمنامات، وأغشتهم العوائد والمألوفات، وصدتهم الشبهات والجهالات عن نيل الهدى من النصوص المحكمات.

ذكر ما كان في زمانه من الشرك والبدع

قد أحببنا ذكر شيء من غربة الإسلام، واندراسه بين الأمة لتعلم ما لهذا الشيخ الذي أقام الله به معالم الملة، وكشف به البدع والضلالات، فأما أهل نجد فلا تسأل عما هم فيه، إذ ذاك من الغباوة، فقد كانوا في بدع مظلمة، وفتن مدهمة، وقد أعيت مشكلتهم الأطباء وأمثالهم، إذ ذاك كثير، إن أهل نجد قد بالغ الشيطان في كيدهم

وجد، وكانوا يتتابون قبر زيد بن الخطاب وقبته معلقين آمالهم به، يرون أنه يقضي لهم الحوائج، ويزعمون أنه من أكبر الوسائل، وكانوا يترددون إلى قبر زيد بن الخطاب ويدعونه رغباً ورهباً بفصيح الخطاب قائلهم؛ يقول شيء تقضيه يا ابن الخطاب، شيء الله يا كاشف العذاب، وكانت هذه القبة من أعظم أصنام أهل نجد، تراق حولها الدماء، ويصاح عندها، وتعفر الجباه، وتستقبل وتقبل بالشفاه. وتخضع الأكابر لديها وتنكسر الرؤوس، فتعالى الله الملك القدوس، ويترددون إلى قبر يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور، ولا شك أنه كذب ظاهر وبهتان مزور؛ وكذلك أيضاً عندهم نخل فحال، ينتابه النساء والرجال، ويفعلون عنده أقبح الفعال، وكانت المرأة إذا تأخر عنها الزواج، ولم ترغب بها الأزواج، تذهب إليه وتضمه بيديها برجاء وابتهاال، معرضة عن الملك ذي الجلال، وتقول يا فحل الفحول؛ أريد زوجاً قبل الحول.

وشجرة عندهم تسمى الطريفية أغراهم الشيطان بها، وأوحى إليهم التعلق عليها، وأنها ترجى منها البركة، فكانوا يأتونها طوائف وفرق، ويعلقون عليها الخرق، وقد تشبث بها الشيطان واعتلق؛ يفعلون ذلك لعل الأولاد يسلمون وعن الموت يجارون، ولكن قد قال من يقول للشيء كن فيكون، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وفي أسفل الدرعية غار كبير؛ يزعمون أن الله فلقه لامرأة تسمى ابنة الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها ويظير، فصاحت داعية الله فانفلق لها بإذن الولي الكبير، وكان الله لها من ذلك سوء مجير، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون، ويبعثون إليه ويقربون، فعياداً بالله مما يعملون، وفي وادي غبراء يجري من الهجر والمنكر؛ ما لا يعهد مثله ولا يتصور، كذلك قرية في الدرعية يزعمون أن فيها بعض الصحابة مقبور؛ فأصبح حظهم من عبادته موفور.

ومن العجائب المضحكة أن بعض هذه الآلهة بل غالبها لا يعرف لها أصل ولا فضل، بل زين لهم الشيطان عبادتها ابتلاءً وامتحاناً، نسأل الله العافية.

كما جرى لأهل العارض إذ ذاك في عبادتهم «تاج» وطلبهم منه البركة والإفراج، وكان يدعى الولاية فيأتون إليه، ويرغبون فيما عنده من المدد بزعمهم ولديه، فتهاقت الحكام والظلمة، ويلوذون به في الأمور الملحمة، ويزعمون أن له تصرفاً وفتكاً بمن عصاه، ومقدرة مع ما يحكونه عنه من الأمور الشنيعة، التي تدل على انحلاله من الملة والشريعة، وهكذا سائر بلدان نجد على ما وصفنا، وقد فشت هذه الاعتقادات الباطلة، والمذاهب الضالة والعوائد الجائرة، والطرائق الخاسرة، وعمت وطمت حتى بلاد الحرمين الشريفين.

فمن ذلك ما يفعل عند قبر محبوب؛ وقبة أبي طالب عم الرسول ﷺ فيأتون للاستغاثة عند نزول المصائب، وحلول الأزمات والنواكب بالسماعات والعلامات، لنيل المطالب فكانوا يعظمونها غاية التعظيم، فلو أنه أتى سارق أو غاصب أو ظالم إلى قبر أحدهما، لم يتعرض له أحد، لما يرون لهما من وجوب الاحترام والمكارم، ويفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين وعند قبر خديجة زوج خاتم النبيين، ما تشمئز منه قلوب المؤمنين وتنكره فطر العالمين، من اختلاط النساء هناك بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات وسيء الأفعال، ويشقون الجيوب ويرفعون الأصوات، ويفعلون من الشرك والضلال أعظم المنكرات، وهكذا كانت سائر القبور في مكة والمدينة، قد نصبت عليها القباب وتمرغ المشركون في تلك الرحاب شرفهما الله وطهرهما من لوث أهل الارتياب.

أما قبر ابن عباس في الطائف، فكان يتتابه الفقراء وذوو الإفلاس، من أهل الكفر والنفاق والإبلاس، ويستمدون منه الرزق والغوث وكشف الضر والبأس، ويقف السائل عند القبر متضرعاً مستكيناً، وييدي الفاقة إليه مستعيناً، فيفعل عنده من الأمور الشركية، ما لا تبلغه العبارة ولا تحصره الإشارة، وقد ذكر محمد بن حسين النعمي الزبيدي رحمه الله، أن رجلاً رأى ما يفعل في الطائف من الشرك، فقال إن أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس، فقال له بعض من يترشح بالعلم معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله.

فانظر يا أخي إلى هذا الشرك الوخيم، والغلو القبيح الذميم، المجانب للصراط المستقيم، كيف أن الشيطان إذا استولى على قلب العبد، فإنه يورده المهالك.

ووازن بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله في الآية الأخرى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وقد لعن الرسول اليهود والنصارى، باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبد الله فيها، فما بالك بمن عبد الصالحين ودعاهم.

وكذلك ما يفعل عند قبر حمزة وفي البقيع، من الفعل الذميم، والأمر الشنيع ما يكل عنه اللسان ولا يبلغه البيان، فلو رأيت تلك القباب وعكوف أهل الشرك والارتباب، معتقدين أنها تضيء على العالمين، وتذكر بأهلها للنفع والضرر، لقلت لم يبق شيء لمالك يوم الدين، ومدبر الخلائق أجمعين، فجزى الله من هدمها وأزالتها وسواها.

وفي بندر جدة ما قد بلغ من الضلال حده، وعندهم قبر طوله ستون ذراعاً، يزعمون أنه قبر حوى، وقد بلغ عنده من الضلال الغاية القصوى، فمن لم ييذل الحطام لسدنة قبر أمه من الأنام فإنه يعد من اللثام، ولا يدخل عليها للسلام فتجدهم يجيئون من الأموال، ما لا يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وهذا القبر قد وضعه بعض الشياطين، فأكثروا في شأنه من الإفك وبالغوا في الكذب.

وكان عندهم معبد يسمونه العلوي، بالغوا في تعظيمه والغلو به حتى جاوزوا جميع الخلائق، حتى لو دخله قاتل نفس أو غاصب أو سارق لم يتعرض له بمكره مؤمن ولا فاسق، ولم يجسر أحد أن يكون مخرجاً له أو يناله بسوء.

ولقد انكسر رجل تاجر من أهل جدة بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم يقدر ذلك المال تسعمائة ألف، فلما رأى ما وقع به الإفلاس وليس لديه مقابل، ذهب إلى مشهد العلوي مستجيراً به ولاذ بأعبائه، ولجأ إليه فلما رأى ذلك غرماؤه لم

يتقدم إليه منهم شريف ولا وضيع ولم يتجاسر أحد من الملوك والحكام على هتك ذلك المشهد، وترك الرجل وبيته ولم يرزأ بشيء احتراماً للمشهد، واجتمع طائفة من التجار وجعلوا له منهج الإنضار واليسير واتفقوا على تنجيّمه مدة سنين، وذلك بإرشاد من أهل العلم إذ ذاك والدين، وكان ذلك في ١٢١٠، فلو أن هذا المنكسر لاذ بالله وتعلق بأستار بيته لما التفتوا إليه، ولم يرعوا الله حرمة بل أخذوه وغلوه وهتكوه وعذبوه، فانظر كيف كان قدر هذا العلوي أعظم عندهم من قدر الله تبارك وتعالى قبحهم الله أنى يؤفكون.

أما بلاد مصر وصعيدها وأعمالها فقد جمعت من الأمور الشركية والعبادات الوثنية، والدعاوي الفرعونية مالا يتسع له كتاب، ولا يحصره خطاب، يراها المؤمنون كلهم من أقبح القبائح، ويعدونها من أعظم الفضائح قد قلبت من الدين رسمه، وغيرت منه اسمه، وكان عنهم مشهد البدوي الذي لا يعرف له أصل ولا فضل ولا عبادة، بل قد افتتنوا به وصرفوا له الألوية من دون الله، وقد جاوزوا به وبأمثاله عندهم من المعبودين ما ادعته الجاهلية لأهنتهم، وجمهورهم يرى له من تدبير الربوبية والتصرف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة ما لم ينقل مثله عن أحد بعد الفراعنة والنامردة، وبعضهم يقول القطب أحمد يرجعون إليه.

وكثير منهم يرى أن الأمور شورى بين عدد ينتسبون إليه، وكانوا يتداولون بينهم حكايات، ويحكون في محافلهم مجريات من أفحش المنكر والضلالات، فيقولون فلان استغاث بفلان فأغيث، وفلان شكى لصاحب القبر حاله وأمره فأغاثة. وكشف ضره.

وكان بعض أهل مصر يعتقدون أن أحمد البدوي يتصرف في الكون، وبعضهم يقول إن الذين يتصرفون في الكون سبعة ويعدّه معهم، وبعضهم يقول أربعة، وكانوا بزعمهم البدوي والرفاعي، والدسوقي، وأبو العلاء، وهؤلاء في مصر.

وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمة الله عليه أنه في حال لبثه بمصر، وجد فيها عالماً متفتناً إذا أخذ يعبر عن المسائل الأصولية، والفرعية، فكأنه البحر

الذي لا ساحل له فأعجب به الشيخ عبدالرحمن، وأبدى من إعجابه بذلك العالم لرجل من أهل الدين يثق به هناك فأجابه ذلك الرجل بقوله لا تغتر بكلامه، فإنه مشرك، وسأطالعك على شركه إن شئت، فجمع بينهما بمصر وسأله كمسترشد قائلاً يا أستاذ كم الذين يتصرفون في الكون، فتكلم ذلك العالم المشار إليه بالتعظيم بأن قال: يا بني سبعة هم الله والبدوي، والرفاعي، والدسوقي، وأبو العلاء، وعبدالقادر الجيلاني، وسابعاً أسماه لهم، فأما أحمد البدوي فلا يدخل مصر ذرة ولا يخرج منه ذرة إلا بإذنه، فالتفت صاحب الشيخ عبدالرحمن إليه قائلاً له: احمداوا الله يا أهل نجد على ما من به عليكم من معرفة التوحيد.

وذكر الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن أنه رأى في أيام رحلته إلى مصر لطلب العلم مجتمعاً هائلاً أعظم من اجتماع المسلمين عشية عرفة عند جبل الرحمة فسأل عنه فقليل هذا مولد البدوي، ورأى سوقاً طويلاً للبغايا اللائي قد أوقفن فروجهن في ذلك اليوم للسيد البدوي، ويأتي الفساق فيقعون عليهن متصدقات بذلك له في هذا المجتمع، وكان يحصل في مصر من الكفر بالله والإشراك به ما لم يصل إليه كفر أبي جهل وأشياعه، فالله المستعان.

وإنها لحالة تضحك العقلاء، ويستحي والله من ذكرها فيعاذ بالله من هذا الهوس الذي بلغ مهم إلى هذه الغاية، وكذلك ما يفعل باليمن؛ ما هو منحرف عن أوضح السنن، بل كان أعظم الشرك والحن، وأكثر من أن يستقصى، أو يعد ويحصى.

وكان في شرقي صنعاء قبر يسمونه الهادي، فترى كلاً من الضلال على دعوته، والاستغاثة به رائجاً وغادي، فتأتيه المرأة إذا تعسر عليها الحمل وكانت عقيماً، وتقف وتقول عنده كلاماً قبيحاً ذمياً. فسبحان الله من كان على جهل خلقه حليماً.

وكذلك ما يجري في بلد برع من عبادتهم القبر الذي يؤتى إليه من مسيرة أيام وليالي لطلب الغوث منه، وشكاية الحال، وما يجري من أهل الهجرية ومن حذا

حذوهم، فيأتون قبر بن علوان، ويصدونه في نوائب الزمان، ويستغيث به كل لهفان، ويسميه الغوغاء منهم منجى الغارقين، كما حكاه بعض السامعين، وكانوا يندرون له في البر والبحر، ويفعلون في حضرته أموراً تريوا على العدو الحصر؛ يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس، وقد جعلها لهم عبادة إبليس، ويقولون وهم يرقصون، ويغنون له ويطربون، قد ملأ الوجد منهم ألباباً، وذهناً يا سادتي قلبي بكم معنى، ويفعلون عند قبره الموالد، ويجتمع عنده أنواع الكفار لفعل المعاصي والمفاسد؛ فليس في أقطار اليمن في ذلك الزمان من يساويه في الاشتهار، بل ولا في سائر الأقاليم والأقطار، فيا ليت شعري أما علموا أنه مخلوق مربوب، وبمعاصيه مطلوب، وإنه من جملة الأموات الذين لا يستطيعون زيادة في الحسنات، ولا نقصاً من السيئات. فسبحان من يحلم على العصاة، ولا يعاجل بالعقوبات.

وأما أهل حضرموت والشحر ويافع وعدن؛ فقد ثوى فيهم الغي وقطن، وعندهم العيدروس الذي كابروا فيه بغلوهم المحسوس، يقول قائلهم عند قبره وهو مستجير، وقد التفت عن السميع البصير شيء الله يا عيدروس، شيء يا محي النفوس، وكذلك ما يفعل في بلدان الساحل.

وما يجري من أهل المخا عند قبر علي بن عمر الشاذلي، وأهل الحديدية في قبر صديق، فإنه قد أقبل على تعظيمه، والغلو به كل فريق وأدى بهم الحال إلى أنه لا يمكن أحداً يريد ركوب البحر، والنزول منه حتى يجيء إليه ويسلم عليه، ويطلب منه الإعانة والمدد.

وأما أهل اللحية فعندهم الزيلعي، يسمونه الشمس من غير اختلاف، فيه عندهم ولا لبس، وسبب هذه التسمية لأنه ليس عليه قبة، بل هو مكشوف، وكان أهل البادية منه يزعمون أنه كان رسولاً في حاجة فضايقه غروب الشمس، فقال لها: قفي فوقفت وامثلت أمره؛ والله يعلم ظاهر الحال وسره، فبذلك كان لديهم معروف، وجميع نوع من النذر إليه مصروف.

(وكذلك قبر رابعة فلا يحلف صادق الإيمان إلا بها).

وفي أرض نجران يجري عندهم من تلاعب الشيطان، وخلع ربة الإيمان، ما لا يخفى على أهل العلم بهذا الشأن، من ذلك رئيسهم المسمى بالسيد، عبده بانواع العبودية؛ وصرفوا له رسماً من الألوهية، وأتوا من طاعته وتعظيمه، وتصديره، وتقديمه، والغلو فيه ما مضى بهم إلى عبادة الأوثان والأصنام، وخلع ربة الملة والإسلام.

وكذلك حلب ودمشق، وسائر بلاد الشام فيها من تلك المشاهد والنصب، والأعلام ما لا يوافق عليه أهل الإيمان، ولا تلائمه الأديان.

وكذلك الموصل وبلاد الأكراد ظهر فيها من أنواع الشرك والفجور والفساد فوق ما يذكر ويراد.

فتعالى من لا يعاجل بالعقوبة على الجرائم ولا يهمل الحقوق والمظالم وقد بلغوا من الضلال ما يتنزه العاقل عن ذكره ووصفه ولا يمكن الوقوف على غاياته وكشفه مما تستنكر عن ذكره المسامح ولا يتمكن من وصفه ناظم أو ساجع. فناهيك بقوم إستخفهم الشيطان وعدلوا عن عبادة الرحمن، وباؤا بالخزي والهوان.

أما العراق فقد كان فيه المشهد الحسيني قد اتخذته الرافضة وثناً بل رباً مدبراً، وخالقاً ميسراً وأعادوا به المجوسية، وأحيوا به معاهد اللات والعزى وما كان عليه أهل الجاهلية وكانوا يأتون مشهد العباس ومشهد علي فيركع فيه له أحدهم ويسجد ويدعوه بخالص الدعاء من دون الله ومنهم من يزعم أن زيارته أفضل من سبعين حجة، ولقد غلوا في تلك المشاهد وأتوا من الشرك القبيح أعظم مما يفعل النصارى في المسيح وكذلك ما يفعلونه في مشهد الكاظم وغيره وإذا كان يوم عاشوراء فإن الرافضة قد جعلته مأتماً فهذا يصرخ وهذا يحثو التراب على رأسه يدعو بالويل والثبور وهذا يضرب صدره بالحديد والخشب حتى يكون كأنما أصابه لهب، وكان من الرافضة من يصلي لتلك المشاهد، ويركع ويسجد لها الساجد، وقد صرفوا من الأموال والنذور لسكان تلك الأحداث والقبور مالا يحصل عشر معشاره للعزیز الغفور، ويفعلون عند

قبر أبي حنيفة، ومعروف الكرخي من الدعاء والاستغاثه، وسفح العبرات والدموع، والتعظيم والذل، والخضوع، مالا يصدر بين يدي الله في الصلاة من الحضور والخشوع، ويقولون قبر معروف الترياق المجرب.

وأما عبدالقادر الجيلاني فقد فتن به أهل العراق، فيأتون ضريحه في بغداد ويسجدون لحضرته، ويرون أنه لداعيه يسمع من مدة بعيدة، وأجمعوا على أنه يسمع الشكايات؛ ويغيث اللهفات، وزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يظفيء الحريق، وينجي الغريق، وصرفوا له العبادة من دون الله، وبالجمله فهم شر أهل تلك الأمصار، وأعظمهم نفوراً عن الحق، والاستكبار.

وكذلك أيضاً ما حوالي البصرة، وما توسط فيها مثل قبر الحسن البصري، والزبير، فقد أكثروا هناك الدعاء والاستغاثه، وأقبلوا على تلك المشاهد والتجؤ إليها عند الشدائد، وليس هناك منكر لها ولا زاجر، ولا رادع.

وهكذا جميع قرى الشط والمجرة على غاية من الجهل، وكان في القطيف، والبحرين من الرفض والبدع، والشرك، والأحداث المجوسية؛ والمقامات الوثنية، ما يضاد الملة المحمدية، ويصادم الطريقة الحنفية، فلما تفاقم هذا الخطب، وتلاطمت أمواج مجور الشرك والكفر، وادرست أعلام الملة، وانطمست آثارها وخيمت البدع والضلالات.

تجرد هذا الشيخ رحمة الله عليه للدعوة إلى الله تعالى، ورد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح في باب العلم والإيمان، وباب العمل الصالح، والإحسان، وترك التعلق على غير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم، والاعتقاد في الأحجار والأشجار والغيران، وغيرها، فاستحسن بعض الناس ما يقول ممن سبقت له من الله السعادة، وكان على بصيرة وهدى من ربه، ولكن لظهور الجهل والجاهلين، لم يتمكنوا من إزالة بدع المبتدعين، ولم يقدروا على رد هؤلاء الشاردين، ثم إن الشيخ طلب من والده عبدالوهاب أن يسمح له بالحج إلى بيت الله الحرام فأجابه إلى طلبه، وبادر الشيخ

بالحج إلى بيت الله الحرام، وأدى المناسك، ثم إنه قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأقام بها شهرين.

ثم إنه رجع إلى وطنه وأشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، ثم بعد ذلك رحل لطلب العلم، وذاق حلاوة التحصيل، والفهم وزاحم العلماء والكبار، وذهب إلى الحجاز والبصرة مراراً.

ولما أن وصل المدينة، وجد فيها الشيخ العالم عبدالله بن إبراهيم بن سيف النجدي من آل سيف رؤساء بلد الجمعة، فأخذ الشيخ عنه، وذكر أنه كان عنده يوماً من الأيام فقال له عبدالله بن سيف المذكور: تريد أن أريك سلاماً أعددتَه للمجموعة، فقال له نعم، فأدخله في منزل قد مليء بكتب كثيرة فقال هذا الذي أعددتُ لها ثم إن الشيخ رحمه الله كان عنده، وأخذ بيده مرة فمضى به إلى الشيخ العلامة محمد حياة السندي المدني فأخبره بالشيخ محمد وعرفه به وبأهله، فأقام الشيخ عنده وأحبه، وأخذ عنه ولما كان ذات مرة في حال إقامته في المدينة وقف عند الحجرة النبوية، وإلى جانبه الشيخ محمد حياة فرأى الشيخ أناساً يدعون رسول الله ﷺ ويستغيثون بالحجرة، ويطلبون الحاجات من رسول الله ﷺ، فالتفت الشيخ محمد إلى الشيخ محمد حياة وقال له ما تقول يا شيخ في هؤلاء، فرفع محمد حياة إصبعه إليهم، وقال: «إن هؤلاء متبر ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون» فقال له الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ما منعك من الإنكار عليهم، قال لا أقدر، أنا ولا أنت على ذلك فوثق به الشيخ، واتخذهُ صديقاً، وأقام في المدينة ما شاء الله، ثم خرج منها إلى نجد، وتجهز إلى البصرة يريد الشام، ولما أن وصلها جلس فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة، قرية من أعمال البصرة في مدرسة فيها، وهذا العالم كان اسمه محمد المجموعي، فأقام مدة يقرأ عليه فيها، وينكر أشياء من البدع، وأعلن بالإنكار واستحسن شيخه ذلك، وقرر له التوحيد، وانتفع به وحكي عن رجل في مجموعة البصرة، إن أولاد ذلك العالم كانوا أحسن أهل بلدهم صلاحاً ومعرفةً للتوحيد، ذلك لما نشره الشيخ بين ظهرائهم، ولما أن قام بالدعوة، هناك اجتمع عليه أناس من رؤساء أهل البصرة، وغيرهم، فنافروه وآذوه أشد الأذى، وأخرجوه منها

وقت الهاجرة، ولحق شيخه أيضاً منهم أذى فسار الشيخ رحمه الله إلى الزبير، غير أنه لما كان في منتصف الطريق أدركه العطش، وأشرف على الهلاك لأنه كان يسير إذ ذاك راجلاً وحده، فوافاه صاحب حمار مكارى يقال له أبو حميدان من أهل بلد الزبير، فرأى عليه الهيبة والوقار، وكان على حالة عجيب من العطش فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الزبير فجعل يقلب حيلته فيمن يبدأ بدعوته، فأراد أن يسير على الشام فضاعت نفقته فثنى عزمه، وإنما أراد أن يبدأ بالشام لظنه أنه أسهل انقياداً من نجد.

ولما أراد الله الذي سبقت إرادته أن يجمع أهل نجد بعد الفرقة ويكثرهم بعد القلة، وأن تعمّر تلك الرباع بالتوحيد بعدما تذرّت سار الشيخ من تلك الديار إلى جهة الأحساء، ولما أن وصل إليها نزل على الشيخ العالم عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الشافعي الأحسائي.

ثم أنه خرج من الأحساء وقصد بلد حريملا، وكان والده عبدالوهاب قد انتقل إليها من العيينة سنة ١١٣٩هـ بعد وفاة أمير العيينة عبدالله بن معمر في الوباء المشهور الذي وقع في العيينة، وكان لما أن توفي تولى بعده بن ابنه محمد بن حمد الملقب خرفاش فوقع بينه وبين عبدالوهاب منازعة أدت إلى عزل عبدالوهاب عن القضاء، فزله خرفاش وجعل مكانه أحمد بن عبدالله بن عبدالوهاب بن عبدالله، فانتقل والد الشيخ إلى حريملا فقدم إليها الشيخ محمد واستقر هناك فيها، فجعل ينكر في حريملا ما يفعل الجاهل من البدع والشرك في الأفعال والأقوال، وكانوا إذا مرض المريض فالسبب لعافيته اذبحوا له خروفاً بهيماً أسود أو تيساً أصمغ، ولا تسموا الله على ذبحه، وأعطوا المريض منه كذا وكذا، وكلوا منه كذا وتركوا كذا وكذا، فربما يشفي الله المريض فتنة لهم واستدراجاً وامتحاناً، وربما يوافق وقت الشفاء المحتوم فيكون فتنة لكل مفتون، واشتد نكير الشيخ لهذه الأمور حتى وقع بينه وبين أبيه نزاع بل وقع بينه وبين أهل البلد النزاع أيضاً، غير أنه تمكن أن ينكر المنكر مدة سنين حتى توفي والده عبدالوهاب في ١١٥٣هـ.

ثم بعد ذلك أعلن الشيخ بالدعوة واشتد نكيره على أهل الأوثان والأصنام، وقام

بأوامر الله ورسوله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهجر ما كان عليه الخلوفا من البدع والأغيار، وجادل وقرر الحجج والبيانات، وبذل نفسه لله، وأنكر على أصناف بني آدم الخارجين عن سواء السبيل، وما زال هذا دأبه حتى ظهر الإسلام في الأرض، واستجاب له من أراد الله هدايته من الحاضر والباد، وانقمع به أهل الشرك والضلال والفساد.

وكان أهل حريملاء إذ ذاك قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة، وهم رؤساء أهل البلد، وكل قبيلة ترى أن الأمر لها وليس لواحدة منهما سلطة على الأخرى، وما كان للبلد رئيس يرجع إليه ويزع الجميع بل كان الأمر يكاد أن يكون فوضى، لأن بلداً لا رئيس له تكثر المنازعة فيه، وما حصل الشقاق في قديم الدهر وحديثه إلا عن عدم الرؤساء القدراء الذين بإمكان الواحد منهم أن يوقف كل معتد عند حده فثار عبيد لإحدى القبيلتين يقال لهم الحميان، قد كثر فسقهم واعتداؤهم بين الأمة على الشيخ وأرادوا الفتك به، وأن يبيتوه ليلاً وتعاقدوا سراً على ذلك، لما كان من منعه لهم عن الفساد والمنكر والغي، فلما تسوروا عليه الحائط ليلاً علم الناس فصاحوا وهرب العبيد فتيين من هذه الخطة التي أجمعوا كيدهم بها للشيخ أنه مهدد بالخطر الفادح.

فاتنقل من حريملاء إلى العيينة، وكان رئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر فرحب به وتلقاه، وأكرمه وتزوج فيها الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، وعرض على الأمير عثمان ما قام به، ودعا إليه وقرر له التوحيد، وشجعه على نصرته، وقال إني أرجو أن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهر الله وتملك نجداً وأعرابها، فساعده عثمان بن معمر في بادئ أمره وأعلن الشيخ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبعه أناس من أهالي العيينة فقوي عزمه وقام لإزالة أشجار بها تعظم ويعلق عليها، فبعث إليها سراً من يقطعها بأجرة من ماله فقطعت.

ومن ضمن هذه الأشجار شجرة عظيمة عندهم من أعظم الأشجار لم يتمكن من قطعها مباشرة فخرج بنفسه سراً لذلك غير أنه وجد عندها راعي غنم أهل البلد فصده عنها، وخافه الشيخ بأن ينم عليه فأعطاه أحد أسلابه التي عليه فلان له الراعي، وتركه وشأنه فقطعها.

ثم أنه صار أمره في ازدياد وظهور، واجتمع مع عصابة نحو من سبعين رجلاً فيهم من هو من رؤساء آل معمر فعزم الشيخ على أن يهدم قبة زيد بن الخطاب رضي الله عنه التي عند الجبيلة وهذه والتي بعدها هي سبب قيامة الأعداء عليه، وشنهم الإغارة عليه، فطلب من عثمان بن معمر مساعدة فعليه لهدمها قائلاً له دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بها الناس عن الهدى، فقال له دونكها فاهدمها، فقال إني أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي، فسار معه الأمير بنفسه بنحو من ستمائة مقاتل فلما قربوا منه ظهر عليهم أهل الجبيلة يريدون الدفاع عنها.

فعلم بن معمر بما هموا به فتأهب للحرب وأمر جنوده أن تتعزل للحرب، فكف أهل الجبيلة وخلوا بينهم وبينها فبلغنا عن الأمير عثمان بن معمر لما ظفروا بها أنه قال للشيخ نحن لا نتعرض لها فاهدمها أنت، فأخذ الشيخ فأساً وهدمها حتى سواها في الأرض، فرجعوا وجعل الهمج والرعا يتربصون به الدوائر، وماذا يحل به من الفواقر بسبب هدمها فاصبح الشيخ بحال جميلة.

وأن قيام بن معمر معه لهدمها ومساعدته تلك المساعدة ليحمد عليها.

ولكنه مع الأسف لم يثبت على تلك المناصرة، واستفزه الذين لا يوقنون فيا له من صارم لولا ما عراه من الأنتلام، وأراد الله أن يفوز بنصرة هذا الشيخ المجدد غيره.

ثم إن امرأة أتت إلى الشيخ واعترفت عنده بالزنا وأنها محصنة، وأقرت على نفسها أربعاً، فسأل عن عقلها فإذا بها عاقلة فقال لعلك مغصوبة فنفت ذلك وأقرت بما يوجب الحد، فأمر بها فرجعت كما فعل النبي ﷺ في شأن الغامدية، وماذا على شيخنا إذا تأسى بالرسول ﷺ وأقام الحدود وأجرى أمر الشريعة على الأرض بعدما اندثرت أعلامها فخافه لذلك أهل الزنا والريب والنفاق واستشاط لهذه الفعلة أرباب الفسق والشقاق، ورن صدى هذه الفعلة في مشارق الأرض ومغاربها، وعظم أمر الشيخ وثقل على أعداء الإسلام شأنه، وعجزت عن حملها الأعناق وطبق ذكرها الآفاق.

وبعث قائد الأحساء والقطيف وما حولها من العربان إلى بن معمر يتهدهه بقطع راتبه إن لم يقتله، وذلك لما قيل له أن في بلد العيينة عالماً هذه فعالة، هدم القباب وقطع الأشجار، ورجم الزناة، فأرسل هذا القائد المعروف بسليمان بن محمد بن غرير الحميدي بكتاب إلى عثمان بن معمر قال فيه: إن هذا المطوع الذي عندك فعل كذا وكذا، وفعل وفعل ثم تهده، وقال اقتله فإن لم تفعل قطعنا خراجك الذي عندنا في الأحساء، وكان قدره بلغ ألفاً ومئتي أحرر وما يتبعها من طعام وكسوة، فلما ورد عليه كتاب بن غرير، باع الدين بالدنيا وسارع إلى نيل حطامها خائفاً من ذهاب العاجل، نسأل الله العافية، ولما أن قرأ كتابه وما جاء فيه من التهديد لم يسعه مخالفته، وعظم أمره في صدره لأنه لم يتمكن التوحيد فيه، ولم يعلم قدره وما لمن نصره، وقام به من العز والتمكن والسعادة في الدنيا والآخرة.

فبعث إلى الشيخ يقول له إنه أتانا كتاب من سليمان قائد الأحساء وليس لنا طاقة بحربه ولا إغضابه، فقال له الشيخ إن هذا الأمر الذي قمت به ودعوت إليه كلمة «لا إله إلا الله» وأركان الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أنت تمسكت به ونصرته فإن الله سيظهرك على أعدائك فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك فإن ناصيته بيد الله، وإنني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك بلاده وما ورائها، وما دونها، فاستحيا بن معمر وأعرض عنه، ثم إنه تعاظم في صدره أمر صاحب الأحساء، وباع العاجل بالآجل عياداً بالله فأرسل إلى الشيخ ثانياً وقال: إن سليمان أمرنا بطردك ولا نقدر على غضبه، ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلادنا فشأنك ونفسك، وخل بلادنا، فأمر فارساً عنده الفريد مع خيالة معه منهم طوالة الحمراني، وقال اركب جوادك وسر بهذا الرجل إلى ما يريد، فقال الشيخ أريد الدرعية، فركب الفارس جواده والشيخ يمشي راجلاً أمامه، وليس معه سوى مروحته، وكان ذلك في شدة الحر في فصل الصيف، وأوعز بن معمر إلى فارسه بأن إذا بلغت به موضع أخيه يعقوب فاقتله عنده، وكان يعقوب هذا رجلاً صالحاً قتل ظلماً بين الدرعية والعيينة، وجعل في غار هناك على

قارعة الطريق، ونسب الشيخ إلى إخوته لأجل الصلاح، فسار الفارس والشيخ أمامه لا يلتفت بل يلهج بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ والفارس لا يكلمه، فلما أن بلغ به الموضع المشار إليه سل سيفه وهم بقتله، والشيخ لا يشعر فوقفت يده بإذن الله تعالى، وأصابه رعب شديد حتى لم يستطع المشي قدماً، وبطل كيده فصرف جواده منصرفاً إلى ابن معمر، يروي له هذه الخارقة، ويعبر عن خوفه ورعبه وكيف كانت الحالة التي صدرت عن قصده، فمن مبلغاً دحلان وشيعته وأتباعهم عن خوارق العادات لهذا الشيخ، وما قام به من الثبات، وما أجراه الله له من النصر والتمكين، ولكن قد قال أحكم الحاكمين: ﴿أَفَأَنْتَ تُشْحِقُ الْضِمَّةَ أَوْ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف: ٤٠].

وقد أحسن الشيخ محمد بن أحمد الحنفي حيث يقول:

| | |
|-------------------------|----------------------------|
| الحنبلي الأثري الأحمدي | شيخ الهدى محمد الحمدي |
| يصرخ بين أظهر القبيلة | دعاً إلى الله وبالتهليل |
| ولاله معاون موازر | مستضعفاً وماله من ناصر |
| مهفة تغنيه عن مهنة | في ذلة وقلّة وفي يده |
| والحق يعلو بجنود الرب | كأنها ريح الصبا في الرعب |
| وضرب موسى بالعصا للحجر | قد أذكرتني درة لعممر |
| ليس إلى نفس دعا أو مذهب | ولم يزل يدعو إلى دين النبي |

إلى أن قال:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| ومن تولى معرضاً فقد هلك | ومن أجاب داعي الله ملك |
| آل سعود الكبراء القادة | والسابقون الأولون السادة |
| ونصرة الإسلام والشم الأنف | هم الغيوث والليوث والشنف |
| وعرفوا من حقه ما نكروا | فأقبلوا والناس عنه أدبروا |
| وكم وكم الله من ضنائن | حفوا به كأسد العرائن |

ثم إن الشيخ قصد بلد الدرعية فوصل أعلاها في وقت العصر، فنزل على محمد بن سويلم العريني في بيته ونزل في ضيافته، ولما أن دخل عليه ضاقت عليه داره، وخاف على نفسه من أمير الدرعية محمد بن سعود فوعظه الشيخ، وسكن جأشه، وقال سيجعل الله لنا ولك فرجاً ومخرجاً فياله من امتحان وابتلاء لهذا الشيخ، ولكن كما قيل في كلام الحكمة: اشتدى كربة تنفرجي.

قال الله تعالى: ﴿وَلَبَّيْكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْبِرِينَ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزِلْوْا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فإن كان الرسول ﷺ أذاه أهل مكة وخرج منها إلى الطائف يريد النصرة فخذله أهل الطائف، ورجع منها مهموماً مكسوف البال فلا تبعه فيه أسوة.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فعلى المؤمن الموفق أن يوطن نفسه ويبتظر الفرج ويعلق أماله بربه، وكفى به حسيباً.

ولما أن علم بقدومه خصائص من أهل الدرعية زاروه خفية فقرر لهم التوحيد وأستقر في قلوبهم فأرادوا أن يخبروا الأمير محمد بن سعود، ويشيروا عليه بنصرته، ولكنهم هابوه وخشوا سطوته، فاستعانوا عليه بزوجه موضي بنت أبي وهطان، وكانت نبيلة وذات عقل ومعرفة وهي من آل كثير فأتوا إليها وأخبروها بمكانة الشيخ ومنزله، وما يأمر به وينهى عنه، وعلقوا آمالهم بعد الله عليها يطلبون مساعدتها لهم نحو الأمير، فوقر في قلبها معرفة التوحيد، وقذف الله حب الشيخ في قلبها، وانبعثت إلى زوجها تشجعه وتحثه على النصرة، وأخبرت الأمير بشأن الشيخ وطلبتة مناصرته، وقالت له إن هذا الرجل أتى إليك وهو غنيمة ساقها الله إليك فأكرمه وعظمه، واغتنم نصرته، فإن الله ناصرك ومؤيدك، فقبل الأمير مقالتها

وسمع نصيحتها، وأصغى لها، ورق لحالة الشيخ وألقى الله سبحانه وتعالى في قلبه محبته، وأراد أن يرسل إليه فقالت له زوجته وإخوته سر إليه برجلك في مكانه، وأظهر تعظيمه والاحتفال به فلعل الناس أن يكرموا ويعظموا.

فقام الأمير محمد بن سعود وسار بنفسه إلى الشيخ في بيت بن سويلم جعلها الله خطوات قائدة له إلى الجنان العالية في دار الآخرة وشكر سعيه، وجزى الله زوجته خيراً، ولما دخل عليه في بيت آل سويلم رحب بالشيخ وبدره قائلاً أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة، فقال الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها وعمل بموجبها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم فإن قمت بهذا الأمر فلا يقاومك أحد إلا أن كانت هذه العنز تقاوم هذا الجبل.

ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله ﷺ وما دعا إليه وما عليه أصحابه رضي الله عنهم من بعده، وما أمروا به وما نهوا عنه، وإن كل بدعة بعدهم ضلالة، وكيف أعزهم الله بالجهاد في سبيله وأغناهم به، وجعلهم إخواناً ثم أخبره بما عليه أهل نجد إذ ذاك من الشرك بالله تعالى والبدع والاختلاف والجور والظلم.

فلما تحقق الأمير محمد بن سعود معرفة التوحيد وعلم ما فيه من المصالح الدينية والدنيوية، وأنه لا خير إلا في طاعة الله عز وجل، ولا شر إلا في معصيته أطرق رأسه وأرسل فكره الثاقب، وجال رايه فيما يلقاه من العجائب، وما يناله من الأذى والنواكب، إذا قام بهذا الدين وتصافرت عليه الأعداء لأنه إذا قام بهذا الأمر ورام تنفيذه فلا بد أن يصبح عليه الجور وتطبق الأمة على حربه وتحفوه عامة أهل الأرض، إلا من شاء الله لكنه لاقى ذلك بالصبر الجميل ثم رفع رأسه وقال يا شيخ: إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، وأبشر بالنصرة لك، ولما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد، ولكن أريد أن أشرط عليك اثنتين: الأولى إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان فإنني أخشى أن ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا، والثانية أن لي على الدرعية قانوناً أخذه منهم في وقت

الثمار وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئاً فقال له الشيخ: فأما الأولى فأبسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم، وأما الثانية فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها، فوقع تحقيق ظنه رحمه الله، فإنه لما كان ذات مرة أتى الأمير بغنيمة عظيمة فقال له الشيخ هذا أكثر مما كنت تأخذه على أهل بلدك فتركها بعد ذلك.

ثم أن الأمير محمد بسط يده وباع الشيخ على دين الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الله وشعائر الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقام الشيخ مع الأمير ودخل به البلد واستقر عنده في الدرعية.

ولما احتفى بحمى الله ثم حمى بن سعود تسلل إليه عند ذلك شيعته الذين في العيينة، ومن ينتسب إلى الدين ومن ضمن هؤلاء أناس من رؤساء بلد العيينة معاكسين لعثمان بن معمر، وهاجروا إلى الدرعية، وهاجر أيضاً أناس إليها ممن حولهم من البلدان لما علموا بأن الشيخ استقر ومنع ونصر، ولولا خشية الإطالة لأتينا بقصيدة نذكر فيها مآثر آل سعود وما لهؤلاء الأئمة الذين رفع الله قدرهم وشاد في العالمين ذكرهم من السبق إلى المكارم، والسمو إلى همم تعلوا على ذوي الهمم ولكن تركنا ذلك خشية أن يضيق الموسع غير أننا نشاطر المحبين بذكر شيء من مناقب هؤلاء المهديين:

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| محمد الهادي لسنة أحمد | يعيد وييدي غامضات الفوائد |
| إذا افتخرت يوماً بقاع بأهلها | فنجد لها فخر على كل سائد |
| له في كمال السبق باع مطول | وهمة نحرير علت كل جاهد |
| فبادر إلى كشف له قد أتى به | ليدفع غيا قاله كل مارد |
| يحل به شبهاً تضل عن الهدى | فأوهى بناء شاده كل كائد |
| بأي كتاب الله يردي للمحد | ونصر رسول الله ختم الأماجد |
| فيما طالباً للحق يبغي حصوله | هلم إلى كتب له في العقائد |
| ومن عذبه فاشرب زلالاً عن الضما | لتنجوبه يوم الجزاء والموارد |

عليه سلام الله ما هبت الصبا ورحماته تترى كثير التوارد

وهذه أبيات تتعلق في مديح آل سعود في مناصرتهم للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب:

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| لقد أتى الشيخ مطروداً ومضطهداً | من البرية لا تلقاه منصورا |
| قد أعرض الناس عن أقواله وجفوا | وقابلوا دعوة دعا بها زورا |
| واستبدلو الخير بالشر المشوم وقد | استأثروا بخرافات وتسطيرا |
| وكان في بلدة الدرعية العظما | أكرم بهم نصرة للدين بل سورا |
| رئيسهم ماجد تسمو مناقبه | نجل السعود أبو الأشبال مشهوراً |
| رباعهم للهدى مأوى وملتجأ | سبحان من زادهم فضلاً وتبصيراً |
| يقول يا شيخ أهلاً إن مقدمكم | لقد هدى أمة نالوا به نورا |
| وقام يشدد له ازراً ويعضده | مقدما نفسه إذ ذاك تقديراً |
| شرع إلالة فلا نبغي له بدلاً | ومن يرم غير ذا نرديه مدحورا |

ولي من أبيات في مديح آل سعود بمناصرتهم للشيخ:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| بآل سعود أيد الله حربه | وعاد بهم نجم الردى شرايب |
| أتى نحوهم شيخ الوجود لنصره | بوقت به ضاق الفضا من معائب |
| محمد الموصوف بالعلم والهدى | فوائده يهدي بها كل ناكب |
| رجال يدينون الإله بشرعه | سيماهم التوحيد مع قطع شائب |
| ويسعون في نيل الفضائل جهدهم | يريدون من رب الورى حسن عاقب |
| فقاموا بإكرام على حسب قدرهم | وما المرء إلا ذكره في المراتب |
| أحاط بهم من حزب الإله بطانة | عليهم بهاء الصدق ليس بكاذب |
| وما زال يسعى الشهم أعني محمدا | سليل سعود في اقتحام المعاطب |
| يريد جهاداً بالنفيس ونفسه | وأنجاله الغر الكرام الأطايب |
| على حسب ما يرسم له من طريقة | تعود على الإسلام في كل صائب |

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| على كل ما يرزا به يلحق صابراً | صبوراً على الشدات عند النوائب |
| لقد نصر الإسلام بالبيض والقنا | وبالنفس حتى دان كل محارب |
| فلا زال من أبناء الفر قادة | يحامون عن دين الهدى كل خائب |
| أولئك الأنجباب من آل مقرن | ليوث لدى الهيجاء لكسر الكتائب |
| فمن مثلهم في الناس جوداً وعفة | وحزماً وإقداماً غيوث المساغب |
| فما أحسن التقوى وأبهى لباسها | مجملة أصحابها في النوائب |

ولما هاجر المهاجرون إلى الدرعية واستوطنوها كانوا في عيش ضيق وحاجة شديدة وابتلوا بلاء شديداً في ضيق المعيشة، فكانوا في الليل يحترقون بالأجرة، وفي النهار يتعلمون من الشيخ حلقاً في المساجد، يذكرون في الحديث وفنون العلم، أضف إلى ذلك أن أهل الدرعية إذ ذاك في غاية الضعف، وضيق المؤنة، ولكن قد قال المبعوث إلى كافة الناس في وصيته للحبر ابن عباس: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»، وجعل الشيخ رحمه الله يتحمل الدين الكثير في ذمته عن المهاجرين لمؤنتهم، وما يحتاجون إليه، وفي حوائج الناس وجوائز الوفود إليه من البلدان والبوادي، وكان استيظانه للدرعية سنة ١١٥٨هـ.

وقد قدم عليه عثمان بن معمر في الدرعية لما علم أن بن سعود قد أواه ونصره، وأن أهل الدرعية فرحوا به وأقبلوا عليه، كما أنه قد هاجر إليه من العيينة أناس وفيهم من هم من أسرته، وتركوه وبلاده، وكان قد ركب إليه في عدة رجال من أهل العيينة ورؤسائها، وندم على طرده وخاف منه أموراً تتفاقم عليه.

ولما أن قدم على الشيخ في الدرعية حاوله على الرجوع معه، ووعدته النصرة والمنعة، فقال له الشيخ: ليس هذا لي إنما هو إلى محمد بن سعود، فإن أراد أن أذهب معك ذهبت، وإن أراد أن أقيم عنده أقمت، ولا أستبدل برجل المقاني غيره إلا أن يأذن لي، فأتى عثمان إلى أمير المؤمنين محمد بن سعود يطلب منه الشيخ فأبى عليه،

ولم يجد إلى ذلك سبيلاً فرجع خائباً إلى بلده، وأبى الله أن يكون ظهور الدين إلا على يدي الأمير ابن سعود وأنجاله، ثم إن الشيخ أخذ يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم ويبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وأمرهم أن يتعلموا معنى لا إله إلا الله، وأنها تنفي وتثبت، فلا إله تنفي جميع المعبودات وإلا الله تثبت العبادة لفاطر الأرض والسموات، ثم أمرهم بتعلم ثلاثة الأصول؛ وهي معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته، والهيته كالشمس والقمر والليل والنهار، ومعرفة دين الإسلام وأنه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وأنه ثلاث مراتب، ومعرفة النبي محمد ﷺ والتفريق بين دينه ودين أبي جهل وأتباعه، فلما أن استقر في قلوبهم معرفة التوحيد بعد الجاهلية أشرب في قلوبهم محبة الشيخ وأحبوا المهاجرين، وأووهم، وكانوا قبل ذلك قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر، وتهاونوا بالصلاة والزكاة، فلا للأحكام يعرفون، ولا بالشرعة يتقيدون، ثم إنه ألّف الرسائل والكتب، وحذر فيها من طرق الغي والردائل، وبثها مفسرة بأوضح البراهين والدلائل؛ وكتب إلى أهل البلدان ورؤسائها وفقهائها، ومدعى العلم منهم وباح بما عنده، فمنهم من قبل واتبع الحق وفاز بسعادة الدنيا والآخرة، فاستجابوا لدعوته بعد أن كانوا في بيداء الضلالة واستضاءوا بنور الوحي والرسالة وهم الأقلون، ومنهم من عصى وهم الأكثرون، وأعرضوا عن دعوته، واتخذوه سخرياً ونسبوه إلى الجهل، ومنهم من نسبته إلى السحر، وأن مذهبه مذهب خامس، وأنه يريد أن يدعى النبوة وغير ذلك من أمور اختلقوها من تلقاء أنفسهم، قبحهم الله، ومن لم يراقب الله ولم يصن وجهه ولم يرع مخلوقاً، فليفعل ما شاء، نعوذ بالله من الخذلان فيا ويحهم إذا وقفوا بين يدي رب الأرباب، وشهدت عليهم الجلود والأسماع والأبصار، ويا خجلهم من ارتكاب سبيل هذه الورطة التي لوا بها عن الصراط المستقيم، وسكلوا لأجلها طريق الشقاء والجحيم.

ومما قاله الشيخ المرسوم بالدين والإيمان المدعو بملا عمران بن علي بن رضوان

صاحب لنجة من بنادر العجم في ذبه عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما افتراه
عليه أعداء الإسلام، وأهل الضلال من الطغاة:

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدي
قد زخرفوها للعوام بقولهم
لو أن ناظمها تمسك بالذي
إلى أن قال:

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة
تاجا وشمسان ومن ضاهاهما
يرجون منهم قربة وشفاعة
ورأوا لعباد القبور تقربا
ما أنكر القراء والأشياخ ما
بل جوزوه وشاركوا في أكله
فأتاهم الشيخ المشار إليه
يدعوهم لله أن لا تعبّدوا
لا تشركوا ملكاً ولا من مرسل
فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا
ما قاله آباؤنا أيضاً ولا
أنا وجدنا جملة الآباء على
فالشيخ لما أن رأى الشأن من
نادا هموا يا قوم كيف جعلتموا
قالوا له بل إن قلبك مظلم
**

يدعون أصحاب القبور الحمد
من قبة أو تربة أو مشهد
ويؤملون كذاك أخذاً باليد
بالنذر والذبح الشنيع المفسد
شهدوا من الفعل الذي لم يحمّد
من كان يذبح للقبور ويفتد
بالنصح المبين وبالكلام الجيد
إلا المهيمن ذا الجلال السرمدي
كلا ولا من صالح أو سيد
إلا عجيب عندنا لم يعهد
أجدادنا أهل الحجى والسؤود
هذا فنحن بما وجدنا نقتدي
أهل الزمان اشتد غير مقلد
لله أنداداً بغير تعدد
لم تعتقد في صالح متعبد
**

قد عيروه بأنه قد كان في
قلنا لهم ما ضر مصر فإنها
وادي حنيفة دار من لم يسعد
كانت لفرعون الشقي الأطرده

إن النماردة الفراعنة الأولى
ذا قال أنار رب وذا متنبئ
يناً وشاماً والعراق ومصرها
فبموتهم طابت وطار غبارها
إن المواطن لا تشرف ساكناً
من كان لله الكريم موحداً
وبعكسه من كان يشرك فهو لم
خرج النبي المصطفى من مكة
إن الأماكن لا تقدر أهلها
لو أنصفوا لرأوا له فضلاً على
ودعوا له بالخير بعد مماته
قالوا له غشاش أمة أحمد
هل قال إلا وحدوا رب السما
وتمسكوا بالسنة البيضاء ولا
عجباً لمن يتلو الكتاب ويدعى
ويقول للتوحيد غشاش إن ذا
ويجدد الإسلام والإيمان
ما ذنبه في الناس إلا أنه
إلى أن قال:

قالوا صبا تم نحوه قلنا لهم
ما بيننا نسب غيل به ولا
أيضاً ولا هو جارنا الأدنى الذي
لكنها شمس الظهيرة قد بدت

كانوا بأرض الله أهل تردد
هم في بلاد الله أهل ترديدي
من كل طاغ في البرية مفسد
وزهت بتوحيد الإله المفرد
فيها ولا تهديته إن لم يهتد
لومات في جوف الكنيف المطرد
يفلح ولو قد مات وسط المسجد
وبقي أبو جهل الذي لم يهتدي
إن لم يكونوا قائمين على الهدى
إظهار ما قد ضيعوه من اليد
ليكافئوه على وفاق المرشد
وهو النصيح بكل وجه يتيدي
وذروا عبادة ما سوى المتفرد
تتنطعوا بزيادة وتردد
علم الحديث مسلسلاً في المسند
خطر على من قال فليتشهد
معتقداً بأن الشيخ خير مجدد
هدم القباب وتلك سنة أحمد

الحق شمس البصير المهتد
حسب قريباً له يتودد
نغار نعمته ولم نستتردد
لذوي البصائر فاهتدى من يقتد

إلى آخر القصيدة وكلها من هذا النمط لكننا أحببنا الاختصار.

وقال أيضاً رحمه الله لما جد واجتهد في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله والذب عن أهل الإسلام الموحدين فلقبوه بالوهابي فانشأ هذه القصيدة:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| إن كان تابع أحمد متوهباً | فأنا المقر بأنني وهابي |
| أنفى الشريك عن الإله ليس لي | رب سوى المتفرد الوهاب |
| لا قبة ترجى ولا وثن ولا | قبر له سبب من الأسباب |
| كلا ولا شجر ولا حجر ولا | عين ولا نصب من الأنصاب |
| أيضاً ولست معلقاً لتميمة | أو حلقة أو ودعة أو ناب |
| لرجاء نفع أو لدفع بلية | الله ينفعني ويدفع ما بي |
| والابتداع وكل أمر محدث | في الدين ينكره أولو الألباب |
| أرجو بأنني ولا أقاربته ولا | أرضاه ديناً وهو غير صواب |

ثم ذكر عقيدته التي يدين الله بها حيث أنها عقيدة الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة وعقب ذلك بقوله:

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| وبعصرنا من جاء معتقداً به | صاحوا عليه مجسم وهابي |
| جاء الحديث بغربة الإسلام | فليك الحب لغربة الأحباب |
| هذا زمان من أراد نجاته | لا يعتمد إلا حضور كتاب |
| خير له من صاحب متهجم | ذي بدعة يمشي كمشي غراب |
| مهما تلى القرآن قال عبارة | أي أنه كمترجم لخطاب |
| وإذا تلى آي الصفات يخوض بها | تأويلها خوضاً بغير حساب |
| فالله يجمعنا ويحفظ ديننا | من شر كل معاند سباب |
| ويؤيد الدين الحنيف بعصبة | متمسكين بسنة وكتاب |
| لا يأخذون برأيهم وقياسهم | ولهم إلى الوحيين خير مآب |
| لا يشربون من الكدر إنما | لهم من الصافي الذ شراب |

قد أخبر المختار عنهم أنهم
في معزل عنهم وعن شطحاتهم
غرباء بين الأهل والأصحاب
وعن الغلو وعن بناء قباب

وقال عالم صنعاء الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني يمتدح إمام الدعوة ويثني عليه:

قفي واسألني عن عالم حل سوحها
محمد الهادي لسنة أحمد
لقد أنكرت كل الطوائف قوله
وما كل قول بالقبول مقابل
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله
وأما أقاويل الرجال فإنها
لقد سرني ما جاءني من طريقه
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل
ويعمر أركان الشريعة هادماً
أعادوا بها معنى سواع ومثله
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها
وكم عقروا في سوحها من عقيرة
وكم طائف حول القبر مقبل

به يهتدي من ضل عن منهج الرش
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
ولا كل قول واجب الطرد والرد
فذلك قول جل يا ذا عن الرد
تدور على قدر الأدلة في النقد
وكنت أرى هذي الطريق لي وحدي
يعيد لنا الشرع الشريف بما يدي
ومبتدع منه فوافق ما عندي
مشاهد ضل الناس فيها عن الرش
يغوث وود بئس ذلك من ود
كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
أهلت لغير الله جهراً على عمد
ومتسلم الأركان منهن باليد

وقال بعض أدباء أهل بريدة لما ذكر ما لفقّه أعداء الشريعة من الأكاذيب على الشيخ محمد بن عبد الوهاب فأتى بالرد عليهم بعد ذلك بقوله:

أقول فلما أعلنوا الثلب للهدى
وكتبهم في ذا تروح وتغتدي
أكاذيب أن تقصد تحقق ما حكوا
تجده سجايا كاذب فهو خلب
وصاروا به فوق المنابر يخطبوا
بتزوير قول نغموه وأسهبوا

ولكن لنهيج الحق ذاك المسلح
من الآي مع نص الأحاديث اشطب
لكي يدر نمر الزور أنه ثعلب

فكم حركتي لا لنفسي غيرة
لا دفع ما قد قذروه وعدتي
إذا صادف الأعناق منهم أبانها
إلى أن قال:

سيقصر عنه النبح لو جداً كلب
ذكرت سيجزي الكل ما كان يكسب
سبيلهم فهو السبيل الأطيب
بهند ومصر والعراق ويشرب
بها الجهل حتى جاء يدعو ويسلف
ولكن دين الله يعلو ويغلب
إلى الله يدعو لا من الضد يهرب
مكائدهم يشدد حقاً ويصلب
أبنت بنظمي ما لدي محب
أنابوا إلى سبيل الهدى وتوهبوا
وآيات قرآن تقال وتكتب
أهش إلى تلك المقال وأطرب
ففيه إلى رب الهدى أتقرب

ولكن علمي أن بدر ذوي الهدى
يهون ما قد حل بي وكذا إذا
وإلا فما شيخ الهداة يذم أو
فجدد دين الله يدعو لشامهم
على فترة قد جاء نجداً وقد فشى
فريداً دعا للحق من غير ناصر
فقام على ساق اجتهاد مشمرا
فمهما يكيدوه بأمر تجده في
ومن أجل ذا لما اعتقدت اعتقاده
توهبت لما أن رأيت أولي النهى
فما هو إلا سنة نبوية
فإن قيل قال النبي فلإني
وما أنا أرضى غير هدي محمد

إلى آخر قصيدته التي وضحت مذهب الوهابية وأنه مذهب الإمام أحمد بن
حنبل والأئمة المرضيين.

ولا نطيل بذكر ما امتدحه به الشيخ سليمان بن سحمان لأن لو أتينا بما ينبغي
لضاق الموسع غير أننا نأتي بأنموذج من كلام حسان السنة في وقته محي السنة وميت
البدعة الشيخ المشار إليه قال رحمه الله في رده على بابصيل بعد أبيات أبان فيها
عقيدة الشيخ ثم قال بعد ذلك:

فاظهر مولانا بفضل ورحمة
تقياً نقياً المعياً مهذباً
تبحر في كل الفنون فلم يكن
وسباق غايات وطلاع أنجد
فاطد للتوحيد ركناً مشيداً
وحذر عن نهج الردى كل مسلم
فاقوى وأوهى كل كفر ومعبد
وجادله الأجبار فيما أتى به
وألزم كلاً عجزه فتألبوا
فلم يخش في الرحمن لومة لائم
وكل امرء أبدى العداوة جاهداً
فاظهره المولى عل كل من بغى
وكيف وقد أبدى نوابغ جهلهم
وألقمه بالحق والصدق صخرة
وقد رفع المولى به رتبة الهدى
فزالت مباني الشرك بالدين وانمحت
وحالت معاني الغي واللهو والهوى

وجود وإحسان أماماً مفهما
نبيلاً جليلاً بالهدى قد ترسما
يشق له فيها غبار ولن وما
وبحر خضم إن تلاطم أوطما
وأرشد حيراناً لذاك وعلماً
وهدى من الإشراف ما كان قد سما
يجد وأعلى ذروة الحق فاستما
وكل امرء منهم لدى الحق أحجما
عليه وغادوه عناداً ومأثماً
ولا صده كيد من القوم قد طما
وبالكفر والتجهيل والبهت قدر ما
عليه وعاداه فما نال مغنما
فكم مقول منهم تحدى فأبكما
وكان إذا لاقى العداة عثمما
بوقت به الكفر ادلهم وأجهما
وفل حسام كان بالكفر لهذما
بإشراق نور الحق لما تبسما

ولا نطيل بمدح العلماء له إذ المقصود الإشارة إلى شيء من ترجمته.

ولما أبى أكثر الخلق عن اتباع الحق ورأى تصميم الأكثر على ما هم عليه قبل ذلك، أمر بالجهاد وحث عليه فاستعد أهل الدين وامتلوا، فأول جيش غزا سبع ركائب، وكانوا لم يعتادوا ذلك؛ فلما ركبوها وأخذت النجائب في سرعة السير سقطوا من أكوارها، ثم أغارت هذه النجائب على بعض الأعراب فغنموا ورجعوا سالمين، وصبر الأمير محمد بن سعود لأول وهلة وصدمة لأن الحرب سجال؛ ثم إنها تتابعت الغزوات؛ وكان الشيخ رحمه الله هو الذي يجهز الجيوش، ويبعث

السرايا، ويكتب أهل البلدان ويكتبونه، وتنفذ الوفود إليه والضيوف عنده والداخل والخارج، فإنه يرجع إليه فلم يزل مجاهداً حتى أذعن أهل نجد وانقادوا للحق وتابعوه وبايعوه، فعمرت نجد بعد خرابها، وصلحت بعد فسادها، ونال الفخر والملك من آواه، وصاروا ملوكاً بعد الذل وضيق الجاه، وأمد الله أهل الدرعية بجنده، وساعدهم بالعز والقبول، حتى أصبحت إذ ذاك مركز الدائرة، وتوالت عليها الفتوحات وترادفت إليها البركات، فكانت موضع الإعجاب والبهجة والنعمة والسرور والازدهار، بحيث يعجز عن عد صفات القبول عليها اللسان، ويكل عن التعبير عنها البيان، وسنلوح لذلك عن قريب.

ذكر علوقدره واسناد الأمور إليه

كان آل سعود قد أسندوا الأمور إليه فكانت الأخماس والزكوات، وما يجيء إلى الدرعية من جل الأشياء ودقها تدفع إليه فيضعها حيث شاء، ولا يأخذ الإمام عبدالعزيز ولا غيره من ذلك شيئاً إلا عن أمره، وتديره فيده الحل والعقد والأخذ والإعطاء والتقديم والتأخير، ولما فتح الله الرياض ورجف بدهام بن دواس أحصي الدين الذي في ذمة الشيخ مما يبذله لله، وفي إظهار دينه وإعلاء كلمته، فبلغ ألف محمدية فقضاها من غنائمها، وكان لا يمكسك على دينار ولا درهم، وجميع ما يرد من الأخماس والزكاة وغيرها، يفرقه في أوانه ويعطي العطاء الجزيل بحيث أنه يهب خمس الغنيمة العظيمة لاثنين وثلاثة، وكان لا يرسل جيش ولا يصدر رأي ولا تدبير من الأمير محمد وابنه عبدالعزيز إلا عن رأيه وأمره.

وبالجملة فبيت المال أمره إليه قد فوض إليه أمره وأسند إليه شأنه.

فلما فتح الله الرياض واتسعت ناحية الإسلام، وأمنت السبل وانقاد كل صعب من حاضر وبادي، جعل الشيخ الأمر بيد عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وفوض أمور المسلمين وبيت المال إليه، وانسلخ منها بعدما أسسها ولزم العبادة، وتعليم العلم، ولكن عبدالعزيز ما كان ليمضي بأمر دونه، ولا ينفذ شيئاً دون إذنه

ورأيه، وكان عطاؤه عضاء من وثق بالله بحيث لا يخشى الفقر، وكان كثير اللهج بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وعليه سيما الهيبة التي لم تحصل للملوك ولا للأمرء، ولم نسمع بها لغيره من العلماء والرؤوساء مع تواضعه ولين جانبه وخفض جناحه لطلاب العلم والسائل والمستفد وذو الحاجة والفاقة.

وبالجملة ففضائله أكثر من أن تحصر؛ وأشهر من أن تذكر، ولقد تضمنت السنة أعدائه بمسبته في أول ظهوره حسداً وبغياً كما قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

ومع ما يسمع من الأذى وينقل إليه وينمي يتضرع إلى فاطره أن يشرح صدور أعدائه للحق، وأن يسهل لهم قبوله ويعاملهم بعد القدرة بالصفح والعفو والمغفرة، ويسارع إلى قبول معذرة من جاء إليه معتذراً من العلماء والرؤوساء لما وفدوا إليه منقادين وأذهم الله بين يديه، فما وبخ ولا أهان بل أبدى البشاشة والعطف كأن لم يصدر منهم شيء، وهذه صفات كما قال الله عنه: ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، ولو أرخينا عنان القلم لطال الكلام ولخرجنا عن المقصود.

ذكر مؤلفات الشيخ

أما مؤلفاته فهي الموارد العذبة اليانعة تدل على قدر مؤلفها وفضله ومكانته في العلم، إذ هو العالم الذي لا يبارى والجواد الذي لا يجارى، نفع الله بها المسلمين وجعلها للموحدین وهي عديدة ومساثلها مفيدة،

فمنها كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو كتاب لم ينسج مصنف على منواله، ولقد بارك الله بهذا المؤلف وشرحه العلماء، مثل الشيخ سليمان بن عبدالله، والشيخ عبدالرحمن بن حسن، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، والشيخ حمد بن عتيق.

ومنها كتاب كشف الشبهات الذي غدا بين الأمة جواهر لا قيمة لها.

ومنها كتاب ثلاثة الأصول، وشروط الصلاة وأركانها وغير ذلك، ثم ختمه

بأربع القواعد، وكان لا يستغني عنها مبتدي ولا منتهي.

وكتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد.

وكتاب أصول الإيمان.

وكتاب فضائل الإسلام.

وكتاب الكبائر.

وكتاب آداب المشي إلى الصلاة، وهو هذا المتداول في أيدي الناس، قد جعل الله له قبولاً بين الأمة، وهو مأخوذ من شرح الإقناع.

وكتاب نصيحة المسلمين.

وكلامه على القرآن أكثر من مجلد.

ومختصر الإنصاف والشرح الكبير في مجلد ضخمة.

وكتاب مختصر الهدى.

وكتاب مختصر سيرة ابن هشام، وهذه الثلاثة من أحسن ما يكون.

ومسائل الجاهلية التي خالف فيها الرسول أهل الجاهلية، بلغت مائة وتسعاً وعشرين.

وكتاب في الحديث كوضع المتقى.

وكتاب نواقض الإسلام مردوداً بعشر درجات تتعلق ببطلان الشرك، ومعاملة أهله، وثمان حالات لإقامة دين الحنيفة، والكلام على بعض فوائد الفاتحة.

أما الرسائل والأجوبة الفقهية والأصولية فإنها كثيرة جداً لا يمكن استيعابها، وهي بعمومها تدل على إخلاص مؤلفها وصدقه وتحقيقه وبراعته، فنسأل الله تعالى أن يجازيه عن الإسلام وأهله خيراً.

ولقد بعث إلى أحد إخواني في الله لما بعثه جلالة الملك عبدالعزيز إماماً ومرشداً في جهة اليمن، لما أن فتحها الله عليه، فأقام هناك ورفقته من الأئمة والمرشدين

يبنون ويعلمون كما سيمر في هذا التاريخ، فقال في كتابه لما رأى من الأمور
الشركية والبدع الوخيمة والوثنية في تلك الجهات، أنه يجب الدعاء للشيخ محمد بن
عبد الوهاب، وإن فضله علينا أعظم من آبائنا وأمهاتنا، ولا يعرف قدر للشيخ إلا
من شاهد مثل ما شهدنا من البدع والكفر، فيجب علينا أن نقدمه بالدعاء له قبل
آبائنا وأمهاتنا لأنه أخرجنا من ظلمات الجهل إلى نورا لعلم والتوحيد، وصدق هذا
القائل فقد بلغت الحال بالشيخ محمد إلى أن قام بالملتزم يدعو الله أن يهدي خلقه؛
وذلك لما أراد نشر دعوته في نجد وغيرها، فرحة الله عليه من إمام جدد معالم
الإسلام وسعى في هداية الأنام، وجاهد في سبيل الله حتى أبلج الحق واستقام،
فعليه من الرحمن أعظم الرحمة والسلام.

وذكر مشايخه وتلامذته

أما مشايخه فإنه أخذ عن والده عبد الوهاب وأشتغل في العلم بين يدي أبيه
وجد في الطلب، وذلك قبل رحلته لطلب العلم في كثير من البلاد وكان والده
يتوسم فيه الفضل والعلم ويحدث أخا الشيخ سليمان بذلك حتى قال له لقد
استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام، وأخذ عن الشيخ المدني محمد حياة
السندي وأخذ عن الشيخ عبدالله بن سيف وأخذ عن الشيخ محمد المجموعي
صاحب البصرة وغيرهم.

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فإنهم علماء كبراء من بنيه وبني بنيه وغيرهم من
علماء النواحي والأقطار فمنهم أبناؤه الأربعة العلماء الأذكياء والقضاة الفضلاء
الذين جمعوا أنواع العلوم الشرعية، واستكملوا الفنون الأدبية، وهؤلاء حسين
وعبدالله وعلي وإبراهيم وكل هؤلاء جهابذة نجباء فلا تسأل عما كانوا عليه من
التدريس والحفظ والذكاء الذي فاقوا به الأقران، ونفعوا به الغرباء والسكان،
ولكل واحد منهم قرب بيته مدرسة فيها طلبة العلم من الغرباء ونفقتهم من بيت
المال ويأخذون عنهم فنون العلم في كل وقت.

فأما حسين فهو الخليفة بعد أبيه والقاضي في بلد الدرعية وله عدة بنين طلبة علم وقضاة.

وأشهرهم علي بن الحسين وحمد وحسن وعبدالرحمن وعبدالملك.

فأما علي فهو الشيخ الفاضل وحاوي الفضائل العلامة في الأصول والفروع، الجامع بين المعقول والمشروع، كاشف المشكلات، ومفتاح خزائن أسرار الآيات، قاضي الدرعية بوجود أعمامه وخليفته فيها إذا غابوا زمن سعود وابنه عبدالله ثم القضاء للإمام تركي بن عبدالله آل سعود في حوطة بني تميم؛ ثم كان قاضياً في بلد الرياض للإمام فيصل بن تركي، وكان له معرفة تامة في الحديث والفقه والتفسير وغير ذلك، وأما حسن فولّي قضاء الرياض زمن تركي بن عبدالله، وله معرفة تامة في الفقه وغيره ولكنها لم تطل حياته فقد مات ١٢٤٥ وأما عبدالرحمن بن حسين فقد ولي القضاء في ناحية الخرج لتركي بن عبدالله ثم لابنه فيصل وله معرفة ودراية في الفقه والتفسير والنحو وغير ذلك، وأما حمد وعبدالملك فطلبة علم ولديهم معرفة.

وأما عبدالله بن الشيخ فهو الخليفة بعد أخيه حسين في القضاء وكان هو قاضي الدرعية زمن سعود بن عبدالعزيز، وكان آية من آيات الله في العلم والمعرفة، وله خبرة في الحديث ورجاله وفنون العلوم وكذا كان ابنه سليمان بن عبدالله فقد كان آية من آيات الله في العلم ولديه معرفة تامة في الحديث ورجاله وصحيحه وحسنه وضعيفه والفقه والتفسير والنحو وكان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم وكان حسن الخط؛ فما كان في زمنه من يكتب مثل كتابته وله كتاب شرح التوحيد سماه تيسير العزيز الحميد ولكنه مع الأسف لم يكمله وقد أخذ العلم عن أبيه عبدالله والشيخ حمد بن ناصر بن معمر وأخذ العربية عن حسين بن غنام وغيره.

قتله إبراهيم باشا في وقعة الدرعية بعدما تهدده وأرغمه بآلات اللهو من

الرباب وغيرها ثم أمر أن يثوروا فيه البنادق والقرايين^(١) فثوروا فيه فتمزق لحمه رحمه الله، ثم إنه جمع لحمه بعد ذلك قبح الله قاتله ولا بد من فصل القضاء بين الخلائق يوم المعاد وكان ذلك ١٢٣٣ وقد كان لعبدالله ابن آخر اسمه عبدالرحمن أجلى معه إلى مصر وهو صغير فصار في رواق الخنابلة في الجامع الأزهر وعنده طلبه علم وله معرفة تامة.

وأما علي بن الشيخ فكان عالماً جليلاً وورعاً كثير الخوف من الله تعالى وكانت الأمثال تضرب به في بلد الدرعية بالورع والديانة وله معرفة بالفقه والتفسير وغير ذلك وراودوه على القضاء فأبى ويعرف له ابن اسمه محمد طالب علم وذو معرفة.

وأما إبراهيم بن الشيخ فكان مدرساً في العلوم ولديه معرفة تامة لكنه لم يل القضاء وأخذ عن الشيخ الإمام محمد بن ابنه الشيخ العالم الفاضل، وقدوة الأفاضل وعين الأقران والأمثال عبدالرحمن بن حسن رئيس قضاة المسلمين ومجد الفضلاء والمدرسين وناهيك به من عالم احتاج إلى تفريغ منطوقة الأكابر وأحيا مدارس العلم بعدما كانت رباعها دوائر، فعمرت بدروسه المساجد وجثا بين يديه العلماء الأماجد ولا بد من ذكر ترجمته في سنة وفاته وأخذ عن الشيخ أيضاً الماهر العظيم الورع الزاهد الذي طبق علمه الآفاق، وشهد له بالفضل كل أهل الاتفاق خلى عدواً من أهل الخبث والنفاق، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين الناصري شيخ أبي بطين قاضي الوشم زمن الإمام عبدالعزيز وابن سعود وابن عبدالله وأخذ عن الشيخ أيضاً العالم الجليل؛ والجهيد الخبر النبيل، الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر قاضي الدرعية في زمن سعود؛ وأخذ عنه أيضاً الشيخ العالم العامل الزاهد الفاضل سعيد بن حجي قاضي حوطة بني تميم في ناحية الجنوب زمن الإمام عبدالعزيز وابنه سعود، وأخذ عن الشيخ أيضاً العالم العلامة

(١) نوع من سلاح تركيا .

القاضي في بلد الدلم وناحية الخرج الشيخ محمد بن سويلم وذلك في زمن الإمام عبدالعزيز؛ وأخذ عنه أيضاً العالم عبدالرحمن بن خميس إمام قصر آل سعود في الدرعية ثم تولى القضاء في بلد الدرعية في زمن الإمام عبدالعزيز وابنه سعود، وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن نامي قاضي بلد العيينة ثم كان قاضياً في الأحساء زمن سعود وابنه عبدالله، وأخذ عن الشيخ أيضاً محمد بن سلطان العوسجي قاضي الحمل ثم كان قاضياً أيضاً في الأحساء زمن سعود، وأخذ عنه أيضاً عبدالرحمن بن عبدالمحسن أبا حسين القاضي في حريملاء وبلد الزلفى وغيرهما زمن سعود وابن عبدالله، وأخذ عنه أيضاً العالم عبدالعزيز بن سويلم القاضي في ناحية القصيم زمن عبدالعزيز وابنه سعود وابنه عبدالله وأخذ عن الشيخ أيضاً حمد بن راشد العريبي القاضي في ناحية سدير زمن عبدالعزيز وأخذ عنه أيضاً من القضاة ممن لا يحضرني الآن ذكره خلق كثير ومن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان جم غفير من هؤلاء الإمام عبدالعزيز بن الإمام محمد بن سعود وأخذ عنه أيضاً العالم الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

وبالجملة فبركات هذا الشيخ وسبقه عظيم وله من المناقب والمآثر ما لا يخفى على أهل الفضائل والبصائر لأنه العالم الذي لا يشق غباره ولا تبلغ في البحث والإفادة آثاره.

فسبحانه من خصه بتلك الخصال والله يختص بفضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وكان جهوري الصوت إذا أخذ في الخطبة فإنه يسمع من في المسجد على العموم وكان سنه حين وفاته نحو اثنتين وتسعين سنة وقد ثقل في آخر عمره فكان يخرج لصلاة الجماعة يهادي بين رجلين حتى يقام في الصف.

ولما نشر السنة وأمات البدعة وعمرت به معالم الملة بعد ما كان الإسلام غريباً، ونشرت راية الجهاد بعد أن كانت الخلائق في فتن وضلال، وعرف الناس التوحيد

الكبير والصغير واجتمع الناس على الصلوات والدروس، والسؤال عن أصل الدين وفرعه، وتعلم العلم القاري والأمي، وانتفع بعلمه سائر الآفاق لأنهم سألوا عما يأمر به وينهى عنه، فاتضح أنه يأمر بتوحيد الله وينهى عن الشرك، وأن هدفه الذي يرمي إليه وهو طلب طريقة الرسول وأصحابه فهذمت القباب والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية من الحرمين واليمن وتهامة وعمان والأحساء ونجد وغيرها من سائر الأقطار، حتى لا تجد في جميع من شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر فضلاً عن الأكبر، اللهم إلا ما كان بين العبد وبين ربه، وأمر جميع أهل البلدان من أهل النواحي يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاء عن معرفة ثلاثة الأصول، وهي معرفة الله ومعرفة دين الإسلام وأركانه، وما ورد عليها من الأدلة في القرآن، ومعرفة محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته وأول ما دعا إليه وهي لا إله إلا الله بمعرفة معناها، ومعرفة البعث بعد الموت وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وفروض الوضوء ونواقضه وما يتبع ذلك.

أقام على ذلك يحث المتمسكين بالدين على الثبات ويشجعه حتى توفاه الله تعالى في آخر ذي القعدة ١٢٠٦هـ، فجبر الله القلوب بفقده، وأحسن العزاء، ونسأل الله تعالى أن يغفر له ويرفع درجاته في الجنان، وأن يجمعنا وإياه في دار الرضوان إنه هو الكريم المنان، ولما أتاه نازل القدر والقضاء وطارق الموت والفناء الذي لا يمنع منه حصن ولا يدفعه مغالب، وانتزعه من بين الأحباب والأصحاب، وأخلى منه المنازل والرحاب رثاه العلماء من أهل الإيمان والتحقيق والعرفان فقال الشيخ العالم حسين بن غنام هذه القصيدة يرثاه بها رحمه الله:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| إلى الله في كشف الشدائد نفزع | وليس إلى غير المهيمن مفزع |
| لقد كشف شمس المعارف والهدى | فسالت دماء في الخدود وأدمع |
| أمام أصيب الناس طرا بفقده | وطاف بهم خطب من اليبين مومع |
| وأظلم أرجاء البلاد لموته | وحل بهم كرب من الحزن مفضع |

شهاب هوى من أفقه وسمائه
وكوكب سعد مستنير سناؤه
وصبح تبدي للأنام ضياؤه
لقد غاض بحر العلم والفهم والندى
فقوم جلا عنهم صدا الدين فاهتدوا
وقوم ذووا فقر وجهد وفاقه
لقد رفع المولى به رتبة الهدى
إبان له من لمعة الحق لمحة
سقاء غير الفهم مولاه فارتوا
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه
فأنوار صبح الحق باد سناؤها
سما ذروة الحمد التي ما ارتقى لها
وشمر في منهاج سنة أحمد
وينفي الأعادي عن حماه وسوحه
يناضر بالآيات والسنة التي
فأضحت به السمحاء يسم ثغرها
وعاد به نهج الغواية طامساً
وجرت به نجد ذيول افتخارها
فأثاره فيها سوام سوافر
لقد وجد الإسلام يوم فراقه
وطاشت أولوا الأحلام والفضل والنهى
وطارت قلوب المسلمين بيومه
فضجوا جميعاً بالبكاء تأسفاً
ففاضت عيون واستهلّت مدامع

ونجم ثوى في الترب وأراه بلقع
وبدر له في منزل اليمن مطلع
فداجي الدياجي بعده متقشع
وقد كان فيه للبرية مرتع
فأسماعهم للحق تضغي وتسمع
حووا واقتفو ما فيه للعيش مطمع
بوقت به يعلي الضلال ويرفع
أزبل بما عنه حجاب وبرقع
وعام بتيار المعارف يقطع
وأقوى به من مظلم الشرك مهيع
ومصباحه غال ورياه ضيع
سواه وحاذا فناها سميذع
يشيد ويحي ما تعفى ويرقع
ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
أمرنا إليها في التنازع نرجع
وأمسى محياها يضيء ويلمع
وقد كان مسلوكةً به الناس تربع
وحق لها بالألمعي ترفع
وأنواره فيها تضيء وتلمع
مصاباً خشينا بعده يتصدع
وكادت له الأرواح تترى وتتبع
وظنوا به أن القيامة تفرع
وكادت قلوب بعده تتفجع
يخالطها مزج من الدم يهمع

بكتفه ذو الحاجات يوم فراقه
فمالي أرى الأبصار قلص دمعها
ومالي أرى الأبواب تهدي قساوة
لقد غدرت عين تظن بمائها
يحقق لأرواح المحبين أن ترى
وتتلو سريراً فوقه قمر الهدى
فما بالها قرت بأشباح أهلها
فيالك من قبر حوى الزهد والتقوى
لئن كان في الدنيا له القبر موضع
سقا قبره من هاطل العفو ديمة
وأسكنه بمجوحة الفوز والرضا
وأهل الهدى والحق والدين أجمع
وليست على فقدها تهمني وتدمع
وليست على ذكره يوماً توجع
عليه وكبد قد أبت لا تقطع
مقبوضة لما خلت منه أربع
وشمس المعالي والعلوم تشيع
ولم تك في يوم الوداع تودع
وحل به طود من العلم ممرع
فيوم الجزاء يرجى له الخلد موضع
وباكه سحب من البر همع
ولا زال بالرضوان فيها يمتع

وكان بن غنام هذا هو صاحب التاريخ المشهور وصاحب العقد الثمين الذي
في شرح أحاديث أصول الدين.

وكان أعني ابن غنام له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه، وقد ذكر في تاريخه
انه ابتداء بالشيخ مرضه في شوال ثم ذكر معبراً عن عبادته من صلاة وصيام تطوعاً
وترغنه بالقرآن في دجا الظلام، إذ كان دأبه إحياء غالب الليل وأنه كان على حالة في
الزهد مرضية، وقد مات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً بل كان عليه دين كثير فأوفى
الله عنه الجليل والحقير؛ وكان قد ذكر عن المترجم شيئاً عظيماً من الفضل وخفض
الجنح واحتمال الأذى حتى أظهر الله دعوته ونصره على كل من أراد به سوء، ولا
ريب أن شهرة الشيخ أعظم من ذكره، وقد أحببنا الاختصار ولو بسطنا لاحتاج إلى
عدة أسفار، وخير الكلام ما لم يطلل فيه السامعون.

وقال الشيخ العالم العلامة القطب اليماني محمد بن علي الشوكاني صاحب نيل
الأوطار رحمة الله عليه يرثي الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أجزل الله له الأجر
والثواب وأدخله الجنة بغير حساب لما نعت له وفاته، وكانت هذه المرثية عظيمة،

ولا غرور ولا بدع فمن البحر يستجلب الدر، وبذلك تعرف قدر الشيخ عند ذوي
الإيمان وورثة سيد ولد عدنان.

قال الشوكاني

مصاب دها قلبي فأذكي غلائلي
وخطب به أعشار أحشائي صدعت
ورزء تقاضاني صفاء معيشتي
فعدت به رهن التباع ولاعج
أسير جوى أفنى فؤادي رسيه
مصاب به قامت على قيامتي
مصاب به ذابت حشاشة مهجتي
مصاب به قد أظلم الكون كله
مصاب به الدنيا قد أغبر وجهها
رمىت به عن قوس أبرح لوعة
به هد ركن الدين وأثبت حبله
وقام على الإسلام جهراً وأهله
وسيم منار الأتباع لأحمد
وهبت لنار الأتباع سمائم
فيا مهجتي ذوبي أسا وتأسفاً
ويا لوعتي دومي وزيدي ولازمي
ويا مقلتي نحي الكرى عنك جانباً
ويا جزعي لا غبت كن متجدداً
فقد مات طود العلم قطب رحي العلا
ومات علوم الدين طرا بموته

واصمي بسهم الافتجاع مقاتل
فأمست بفرط الوجد أي تواكل
وأنهلني قسراً أمر المناهل
حليف أسا للقلب غير مزايل
وقلب من الحزن المبرح ذاهل
ومن كرب لا قيت أعظم هائل
وعن حمله قد كل متني وكاهلي
وكان على حال من الحزن هائل
وقد شمخت أعلام قوم أسافل
يها نجم روحي كان أسرع آفل
وشد بناء الغي مع كل باطل
نعيق غراب بالمذلة هائل
هوان انهدام جاء من كل جاهل
بسم لنفس الدين مرد وقاتل
ويا كبدي انقشي بحزن مواصل
ويا فجعتي للقلب ما عشت نازلي
وجودي بدمع دائم السكب هاطل
ويا سلوتي ولي وللقلب زائلي
ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وغيب وجه الحق تحت الجنادل

ومروي الصدى من فيض علم ونائل
 وجم القري صدر الصدور الأوائل
 وجالي الخفا عن مشكلات المسائل
 منيل المنى من سيبه كل أمل
 وشيخ الشيوخ الجدد فرد الفضائل
 وجل مقاماً عن لحوق المطاول
 سلاله إنجاب زكي الخصائل
 تبلى ثراه بالضحي والأصائل
 وقام مقامات الهدى بالدلائل
 من الفضل تثنى همة المتطاول
 له في تقارير لها من مماثل
 وميدان فخر سابق للأوائل
 وكامل أوصاف وحسن شمائل
 منيب وعن مولاه ليس بغافل
 وجفن بهتان المدامع هامل
 وفي الجهر طول الدهر ليس بذاهل

إمام الهدى ماحي الردا قاصع العدا
 جمال الورى رحب الذرا شامخ الذرا
 عظيم الوفا كنز الشفا معدن الصفا
 بهي السنا عذب الجنا طيب الثنا
 إمام الورى علامة العصر قدوتي
 محمد ذو المجد الذي عز دركه
 إلى عابد الوهاب يعزي وأنه
 عليه من الرحمن أعظم رحمة
 لقد أشرقت نجمد بنور ضيائه
 إمام له شأن كبير ورتبة
 في يد كمال في العلوم فهل ترى
 تأخر ميلاداً وفي حلبة العلى
 على خلق يحكي النسيم لطافه
 وقلب سليم للمهيمن خاشع
 وجنب تجافيه المضاجع في الدجا
 وعن ذكر رب العرش في السر دائماً

إلى الشيم يعزي ليس يهفو لعاجل
 ضحك ووجه البشاشة باذل
 وعن منكر ينهي وليس يقابل
 برأي وتدبير وحسن تعامل

عفو عن الجاني صفوح وحلمه
 يقابل من لاقى ببشر ومبسم
 ويأمر بالمعروف في كل حالة
 ولم يأل جهداً في نصيحة مسلم

يحازي بإحسان إساءة غيره وبالجاء عن مستوجه غير باخل

تقمص بالتقوى وبالحشية ارتدى
ومن شأنه قمع الضلال ونصره
وكم كان في الدين الحنيف مجاهداً
وكم ذبّ عن سامي حماء وذاد من
ولم يمض منه العمر في غير طائل
لمن كان مظلوماً وليس بخاذل
بماضي سنان دامغ للأباطل
مضل وبدعى ومغو ونائل

فقيم استباح أهل الضلال لعرضه
وليس له شيء عن الله شاغل
فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزاً
ولا كان للتوحيد واضح لاحب
فما هو إلا قائم في زمانه
ستبكيه أجفاني حياتي وإن أمت
وتبكيه أقلامي أسا ومحابري
عجبت لقبر ضمه كيف لم يكن
ولله نعش كان حامل جسمه
ولا غرو أن يبكي الزمان لفقده
فأها على ذاك المحيا وحسنه
وأها على تحقيقه ودروسه
وما نكست أعلامه بالأراذل
ولا عن وصال الاعتبار بفاصل
ولا اشتد للإسلام ركن المعادل
يقيم اعوجاج للسير من كل عادل
مقام نبي في إمامة باطل
سيبكيه عني جفن طل ووابل
ويبكيه طرسي دائماً وأنا ملي
يميد ببحر فائض العلم سائل
هنيئاً له إذ كان أشرف حامل
فقد كان غيث الجود كهف الأرامل
وأها على تلك العلوم الجلائل
وتوضيحه للمعضلات المشاكل

فمن للبخاري بعده ولمسلم
ومن ذا لتفسير الكتاب ومن ترى
ومن لمسانيد سمت ومعاجم
ألم ترى أن الدهر نصف كآبة
ومن للمعاني والبيان ومنطق
يبين المخبا منهما للمجادل
لأحكام نقد الدين من للمسائل
وكشف لثام الحكم عند النوازل
عليه وذو جسم من الحزن ناحل
وردع أخي الجهل الغوي الجمامل

ومن لك بالأصلين واللغة التي بها أنزل القرآن أشرف نازل
ومن بعده للصدع بالحق قائم يجدر ولا يخشى ملامة عاذل

أفق يا معيب الشيخ ماذا تعييه نعم ذنبه التقليد قد جذ حبله
ولما دعا الله في الخلق صارخاً ولما دعوا الله في الخلق صارخاً
أفيقوا أفيقوا أنه ليس داعياً أفيقوا أفيقوا أنه ليس داعياً
دعا لكتاب الله والسنة التي دعا لكتاب الله والسنة التي
فوا أسفا والهف قلبي وحسرتي فوا أسفا والهف قلبي وحسرتي
ويا ندمي لو كان يجدي من الفضا ويا ندمي لو كان يجدي من الفضا
ولو كان من ريب المنية مخلص ولو كان من ريب المنية مخلص
وما مات كلا بل إلى جنة العلى وما مات كلا بل إلى جنة العلى
ولما له الفردوس زاد اشتياقها ولما له الفردوس زاد اشتياقها
وكان على حسن الأرائك في ذرا وكان على حسن الأرائك في ذرا
شدت ورق أغصان الهناء ترجعا شدت ورق أغصان الهناء ترجعا
وخاطبه التاريخ فالأ بقوله وخاطبه التاريخ فالأ بقوله

فيا سائر الأولاد للشيخ إنني أعزيكم ومع ذي انتساب ابن وائل
وأوصيكم بالصبر طرا والرضا يحاري القضاء في عاجل ثم آجل
بتسليم أمر الله ثم احتساب ما لديه تعالى من أجور جزائل
فما جزع يوماً بنافع جازع وما الحزن رداً للقضاء بعاجل
ومثلكم لا يعتريه تزلزل ولا وهن في فادحات النوازل
فإن كان للجنات والدكم مضى فقد كان فينا معقباً كل كامل

وأنتم بحمد الله عنه خلائف
وإننا لنرجوا أن تكونوا أئمةً
وللخير والإحسان من كل وجهةً
ونسأل رب العرش يعظم أجوركم
ويجبر صدع القلب والكسر منكم
ولا زلتمو غيظ القلوب لكل من
ولا فجعت في الدهر ساحة سوحكم
عليكم سلام الله ما هب ناسم
أو في الثنا مني عليكم مكررا
وأضعافها للمقرنين كلهم
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم
لقد جاهدوا في الله حق جهاده
فناديهمو في كل نادٍ مبجل
سعود مضى والسعد حالف نجله
لقد نصروا دين الإله وحزبه
عليهم سلام الله ما ذر شارق
وأزكى صلاة الله ثم سلامه
محمد المختار من فرع هاشم

بعلم وفضل شامخ القدر شامل
بكم يقتدي في دينه كل فاضل
تحت إليكم مضمرات الرواحل
ويحميكم من طراقات الغوائل
ويعقبكم طراً جمال المحافل
يعاديكم من كل حافٍ وناعل
برزء لموصول المسرة فاضل
وجمل زاكي ذكركم كل عاطل
وأزكى تحيات سوام كوامل
هداة الورى من محتدي فرع وائل
جميع بني الدنيا فما للمجادل
إلى أن أقاموا بالضبا كل مائل
فحقهم التبجيل بين القبائل
كما حالف الآباء ليس براحل
كما دفعوا داعي الهوى بالقنابل
وما اهتزت الأزهار في صبح هاطل
على المصطفى الهادي كريم الشمائل
وآل وأصحاب كرام أفاضل

وهذا آخر ما أردنا إيراده من ترجمة الشيخ على جهة الاختصار والإشارة.

ونرجع إلى ما نحن بصددده، فنقول لما قام الشيخ في الدعوة إلى الله عز وجل
وأبى أكثر الخلق إلا العناد، وفل آل سعود راية الجهاد لنصرة الدين حصلت غزوات
وقامت ساق الجهاد، وشمرت الحرب وأكثر ما كانت الخيانة والعداوة والمقاطعة من
دهام بن دواس بحيث أذى أهل الدعوة، وما زال يحمل عليهم الحملات المنكرة حتى
رجف الله به وفر على وجهه تاركاً الرياض معه أولاده وأتباعه فأبادهم الله تعالى

بالهلاك جوعاً وعطشاً، وكان ذلك في حر الصيف، وإن خروجه بهذه الصفة لآية من آيات الله تعالى لأنه نادى في الرياض بالفرار ففر إلى الخرج وتركوا الرياض خاوية لا أنيس فيها، ودخلها الجيش السعودي، وكذلك ما جرى من خروج عريعر مع بني خالد كافة يقدمهم رئيس نجران قاصدين الدرعية معهم أسلحتهم ومدافعهم وعددهم وعددهم يريدون إطفاء نور الإسلام وهدم قواعده العظام، وكان معهم مدافع وأسلحة نارية يزجي الوحوش رنينها فردهم الله خائبين، وباؤوا بالخزي بين العالمين، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما جرى من ثويني والشريف غالب وغيرهم مما كفيينا ذكره فحسبك ما أثمرته تلك الدعوة الوهابية من نشر دين الحنيفة، وبث الهدى منشوراً للناظرين في تلك البلاد الإسلامية التي استجابت لداعي الله ورسوله حتى أصبحت قد حفت بالتوفيق ديناً ودنيا ونما أهلها وكثروا وبورك في ثمارهم ومعاشهم.

ذكر القبول الذي جرى على الدرعية

كانت الدرعية منشأ هذه الدعوة ومر عليها زمن كانت في قوة عظيمة في البناء الشامخ، ورفاهية العيش وكثرة الرجال والأموال، حتى ذكر عنها بعض المؤرخين مبالغة في الوصف بحيث لا يقدر الواصف على صفتها ولا يحيط العارف بمعرفة شأنها، فلو أنك ذهبت تعدّ رجالها وإقبالهم وذهابهم في كتائب الخيل والنجائب العمانيات، وما يدخل على أهلها من أحمال المال والأرزاق واللباس التي لهم مع المسافرين من أهلها ومن أهل الأقطار لم يسعه كتاب، ولرايت العجب العجائب، وكان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق من اليمن وتهامة وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم إلى غير ذلك مما يطول عدّه، فهذا في الذهاب وذلك في الإياب، وآخر يتلو القرآن ليله في مناجاة رب العالمين حتى ذكر الشيخ المؤرخ عثمان بن عبدالله بن بشر التميمي الناصري الحنبلي ما نصه: «ولقد نظرت إلى موسمها يوماً في مكان مرتفع وهو في الموضع المعروف بالباطن بين منازلها الغربية التي فيها آل سعود المعروفة بالطريف، ومنازلها الشرقية المعروفة بالبجيري التي فيها أبناء الشيخ، ورايت موسم الرجال في جانب، وموسم النساء في

جانب، وموسم اللحم في جانب، وما بين ذلك من الذهب والفضة والسلاح والإبل والأغنام والبيع والشراء والأخذ والعطاء وغير ذلك، وهو مدى البصر ولا تسمع فيه إلا كدوي النحل من النجناج وقول بعت وشريت، والدكاكين على جانبيه الشرقي والغربي وفيها من الهدوم والسلاح والقماش ما لا يعرف ولا يوصف، إلى أن قال في موضع آخر: وكانت الدور فيها لا تباع إلا نادراً وأثمانها سبعة آلاف ريال وخمسة آلاف والداني بألف ريال وأقل وأكثر، وكل شيء يقدر على هذا التقدير وكروة الدكان الواحد في الشهر خمسة وأربعون ريالاً وسائر الدكاكين للواحد بريال في اليوم وشيء بنصف ريال، وذكر لي أن القافلة من الهدوم إذا أتت إليها بلغت كروة الدكان في اليوم الواحد أربعة أريل، وأراد رجل منهم أن يوسع بيته ويعمره فاشترى نخيلات تحت هذا البيت يريد قطعها وتعمير موضعها كل نخلة بأربعين ريالاً وخمسين ريالاً فقطع النخل وعمر البيت ولكنه وقع عليه الهدم قبل إتمامه.

وذكر لي من أثق به أن رجلاً من أهل الدرعية قال لي إنني أردت ميزاباً في بيتي فاشتريت خشبة طولها ثلاثة أذرع بثلاثة أريل وأجرة نجره وبنائه بريال، وكان غلاء الحطب فيها والخشب إلى حد الغاية، حتى قيل أن حمل الحطب بلغ خمسة وستة والذراع من الخشبة الغليظة بريال وكل بيوتها مقاصير وقصور، كان ساكنها لم يكونوا من أبناء ساكني القبور، فإذا وقفت في مكان مرتفع ونظرت موسمها وكثرة ما فيها من الخلائق وتزايدهم فيه وإقبالهم وإدبارهم وسمعت رنهم ونجناجهم فيه فكأنه دوي السيل القوي إذا صب من عالي جبل، انتهى.

قلت ما ذكره رحمه الله فإنه عجيب من جهة العز والرفاهية وكانت هذه الأشياء المقدرة بهذا التقدير أمراً بديعاً بحيث أن حمل الحطب في ذلك الزمان لا تزيد قيمته عن ربع ريال في سائر البلدان النجدية وغالب البيوت في البلاد الأخرى لا تبلغ قيمتها أكثر من ثلاثمائة ريال فرانسي أضف إلى ذلك كساد الأشياء بعد ذلك بحيث كان غالب البيوت في مائة ريال والبيت العادي لا تتجاوز قيمته ثمانين ريال، ونذكر مهور النساء بعد ذلك فمن النساء من لا يتجاوز مهرها ثلاثة ريالات وأما

الخشب فحدث في الرخص عنها ولا حرج فقد يعمر الإنسان بيته بعد ذلك فلا تتكلف قيمة الخشب بأكثر من سبعة ريالات، أما ما كان عن الدرعية فقد بلغنا عن بعض الثقات أنها بلغت الحالة في تقدمها بالترف، بحيث أن من المترفين من يغتسل بالطيب، وأن رجلاً دعا صاحباً له فأكرمه بأن عمل له شراب الشاي على نار عود البخور وذكر لي أنه مر على الدرعية زمان كان فيها أربعمئة عالم كلهم كانوا أهلاً للقضاء وأن قرية من قرى الوشم وهي أشيقر مر عليها زمان وهي تضم ثمانين عالماً كلهم يحملون مؤهلات القضاء.

وأما قول بن بشر ولكنه وقع عليه الهدم قبل إتمامه فيشير إلى هدم الدرعية في طلعة إبراهيم باشا سنة ١٢٣٤ لما سلط الله الدولة العثمانية على أهل نجد وابتلى المؤمنين، وذلك بشؤم الذنوب والمعاصي فقامت الدولة العثمانية وانتدبت محمد علي صاحب مصر لنزع ابن سعود من ملكه فجهاز المذكور ابنه إبراهيم يقود الجيوش العظيمة وحصل على أهل نجد ما حصل، وآخر ذلك قدمت الرسل والمكاتبات من محمد علي تحمل الأوامر بهدم الدرعية وتدميرها، فأمر على أهلها أن يرحلوا عنها ثم أمر العساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها ولا يرحموا صغيراً ولا كبيراً فقامت العساكر وهدموها وبعض أهلها فيها مقيمين وقطعوا الحداثق وأشعلوا النيران في بيوتها حتى احترقت وأخرجوا البقية من السكان فتركوها خاوية على عروشها كأن لم يكن فيها قبل ذلك من ساكن وتفرق أهلها في النواحي والبلدان وذلك بتقدير من إذا قال للشيء كن فكان.

ولقد مررت بالدرعية سنة ١٣٧٤هـ لأرى آثارها وأقف على أخبارها وجعلت أقلب النظر في تلك الأطلال والروابي التي بقيت من حيطان البيوت فما وجدت من يهديني إلى معرفة تلك الآثار سبيلاً، وبيناً أنا متحير بل ومندهش إذا أنا بشيخ كبير السن قد خرج من كوخ صغير يريد كوخاً آخر يحمل معه تمرأ في إناء كهيئة خف البعير فسلمت عليه وإذا هو أشعث اللون كأنه خرج من قبر ولم يكن

من أهل الحياة فرد علي السلام فأوقفته أسائله عن آثار الدرعية وطلبت منه يطلعي على أخبار ما يعرف فذهب بتمره ورجع إلي فأخذ بيدي وأوقفني على المسجد الجامع فيها وإذا لم يبق منه غير بقية عمد سقطت فروعها وبقيت أصولها تقدر بخمسة وأراني آثار حيطان المسجد وجعل يشير إلى محلة متهدمة متجرفة ويقول هذه محلة العبيد وإلى موضع آخر ويقول هذا مرج الخيل وأوقفنا على سوق فيه آثار قطع من الطين.

فسبحان من لا يزول ملكه ولا يضام سلطانه ولا يرام عزه، ولا بد أن نذكر العز والنهضة التي كانت في آخر أيام الملك عبدالعزيز إلى يومنا هذا فنقول عن المملكة العربية السعودية كانت تحد شمالاً بالكويت والعراق وبادية الشام وشرق الأردن وجنوباً باليمن وحضرموت وعمان وشرقاً الخليج العربي وغرباً بالبحر الأحمر وتقع في الطرف الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وكان هذا الموقع جعلها عظيمة الأهمية لما لها من الاحترام العظيم في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من قديم الزمان لما فيها من الأماكن المقدسة ويقدر سكانها باثني عشر مليوناً وتبلغ مساحتها نحو أربعمئة وخمسين ألف ميل مربع تقريباً، أما تضاريسها فمنها صحراء الدهناء وصحراء الأحقاف وصحراء الربع الخالي ومن الأودية وادي الرمة ووادي الدواسر ووادي سبيع ووادي فاطمة ووادي بيشة، ومن الجبال سلسلة جبال السروات بالحجاز وجبال آجا وسلمى وسلسلة جبال طويق بنجد ومن العيون القديمة عين زبيدة والعين الزرقاء وعيون وادي فاطمة وعيون الأفلاج وعيون الخرج وعيون الأحساء وغيرها وتنقسم إلى أربعة أقاليم، نجد، والحجاز، وعسير، والأحساء وما يليه.

أما نجد

فهو المرتفع من الأرض وفي هذه الأراضي المرتفعة شمالاً وغرباً وجنوباً أماكن تختلف في العلاء والوطاء بعضها عن بعض فالقصيم يعلو ألف قدم فوق

العارض وقد طالما تنازع السيادة فيه كبيرتا بلدانه بريدة وعنيزة ونزعت كلتاها قديماً إلى الاستقلال عن ابن رشيد وعن ابن سعود ولأهل القصيم أوصاف وسجايا تخالف سجايا أهل العارض وعاصمة القصيم اليوم هي بريدة، وهذه المدينة كانت في الماضي ماء لآل هذال فاشتراها منهم راشد الدريبي العنقري آل عليان سنة ٩٥٨ ثم عمرها وسكنها وعشيرته ومن معهم وكان الدريبي من أهالي ثرمدا.

قال ياقوت بريدة تصغير بردة ماء لبني ضبيينة وهم ولد جعدة بن غني بن أعصر بن سعد بن قيسر بن عيلان ، عبس وسعد، أمهما ضبيينة بفتح الضاد وكسر الباء بنت سعد بن غامد من الأزد غلبت عليهم؛ ولقد كان الزمن الذي بين وفاة ياقوت وبعث بريدة لا يقل عن مائتين وخمسين عاماً لأن وفاته في أوائل القرن السابع، وقال محمد أمين الخانجي في منجم العمران الذي جعله استدراكاً على معجم البلدان في ذكر بريدة أنها ماء لبني ضبيينة، وقال البستاني أيضاً هي مدينة بالقصيم من جزيرة العرب شمالي عنيزة عدد سكانها ٢٥٠٠٠ نفر، وهي من منازل حجاج بغداد فيها أسواق حسنة وشوارع فسيحة ويحيط بها سور تحفه البساتين التي يحيط بها سور آخر وأبراج وخنادق وبها قصر قديم يقيم به شيخ البلد وكانت ذات تجارة وثروة ثم ذكر انخطاطها في ظهور إبراهيم باشا بعد حصار ثلاثة أيام ودك حصونها ثم عادت سنة ١٢٥٩ وكان ذكره لهذا الانخطاط بعبارة ركيكة وسكان بريدة ليسوا من قبيلة واحدة بل هم الآن من قبائل شتى؛ ومن سكانها آل أبي عليان الذين منهم الأمير حجيلان بن حمد في زمن الإمام سعود بن عبدالعزيز والأمير عبدالعزيز آل محمد الذي يأتي ذكره في أواخر أيام الإمام فيصل، وسمي القصيم بهذا الاسم لأنه قصيمات رمل متقطعة، وفيه معارك في الجاهلية والإسلام ويقع بين جبلي طيء وحائل وقراها، وبين عارض اليمامة وقراه ووشم اليمامة الذي عاصمته شقراء قال زيد الخليل الطائي:

| | |
|------------------------|---------------------------|
| ونحن الجالبون نساء عبس | إلى الجبلين من أهل القصيم |
| فكان رواحها للحي كعب | وكان غدوها لبني تميم |

وقال في القاموس والقصيمة رملة تنبت الغضى ثم قال وكأمر موضع بين اليمامة والبصرة انتهى، وحده جنوباً بلد المذنب، وشمالاً بلد القوارة، وشرقاً النجاج المعروف بالأسياح؛ وتبلغ قرى القصيم مائتي قرية، أما بريدة قاعدة القصيم فتشتهر بالبساتين وتربية الإبل والغنم والخيول والتجارة الواسعة، ولما أن تطورت الأحوال توفرت فيها السيارات على اختلاف أنواعها وفجرت فيها العيون الارتوازية ولا تزال في تقدم وقوة في الكمية والكيفية، وقد امتاز أهلها بكمال السمع والطاعة لمن تأمر عليهم وقد امتدحهم الأمير الشاعر محمد بن علي العرفج بهذه الصفة لذلك لا يضع من قدرهم أبتاعهم لأمرهم محمد بن عبدالله أبي الخليل حين تغلب عليهم فتبعة ذلك عليه لا عليهم، ولما أن دخلت هذه المدينة في حكم آل سعود كبقية نجد كان لهم الإذعان التام؛ وطالما قدموا نفوسهم وأموالهم أمام جلالة الملك عبدالعزيز بما كانوا به موضع ثقة من حكومتهم وكان آل أبي عليان هم أمراءها حتى انتزعها منهم آل أبي الخليل.

وإليك بعض أمرائها فمنهم حجيلان بن حمد البطل الشجاع، وبعده محمد بن علي العرفج، ثم عبدالعزيز بن محمد وكلهم من آل عليان، وعبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان، ومحمد الغانم، وسليمان الرشيد، ومحمد بن أحمد السديري، ومهنا الصالح آل أبي الليل وكل من هؤلاء تحت حكم آل سعود، ولما قتل الأمير مهنا تولى بعده ابنه حسن واستقل بريدته، وبعده أمراء آل رشيد الآتي ذكرهم، ثم جعل الملك عبدالعزيز في إمارتها صالح الحسن أبا الخليل، وبعده محمد بن عبدالله، ولما أظهر العصيان لابن سعود جعل مكانه السديري فلم تطل مدته، فجعل ابن سعود فيها الأمير عبدالله بن جلوي، أما قضائتها منهم الشيخ عبدالعزيز بن سويلم من أهالي الدرعية؛ ومنهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين؛ ومنهم الشيخ سليمان بن علي المقبل، وبعده الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، ثم بعده الشيخ صالح بن قرناس؛ ثم أعيد الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم إليها للمرة الثانية؛

وبعده الشيخ عبدالعزيز بن بشر، وبعده الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وبعده الشيخ عمر بن عمر بن محمد بن سليم وقد أنجبت رجالاً وزعماء وعلماء ومدرسين وقضاة ومفتين قال بعض الأدباء يمتدحها: ^(١)

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| وسكنائي في فيحا بريدة من لها | ينادي جميع الشرق وسطك أرحب |
| لما ضم من أهل العلوم الذين هم | يزال عن الدين المشرف غيب |
| فأكرم بها كم أنتجت من مهذب | نجيب فتى من ذي النجابة أنجب |
| فهذا أبا فتيا وهذاك واعظ | وذاك بأمر العرف يأتي ويذهب |
| وذاك بتدريس وذاك مصنف | يهدي بما يهدي لنا ويهذب |
| يقضي زماناً والأنامل دابها | تسير أقلاماً بذا وتبوب |
| فيا رب حط سكانها وولاتها | وأرجائها وما شأن يعزب |

ولا تزال في تقدم حتى أن سور الدرربي الذي أحاطها به ليقدر بجزء من خمسة وعشرين جزءً منها حال وضع التاريخ ثم أحاطها بعده الأمير حجيلان بن حمد بسور، ثم لما زادت البيوت واتسعت رقعة المدينة كغيرها من البلدان، بعد سور حجيلان، أقيم لها سور وآخر ذلك سور آل سعود، وكان في مدينة بريدة مائة مسجد وثمانية مساجد منها الكبار والصغار والمتوسطة من مساجدها ما يبلغ عدد المأمومين فيه ثلاثمائة مأموم ومعدلها مئتان وخمسون مأموم من بين مساجدها تسعة تقام فيها صلاة الجمعة، فإذا كان في أوقات الصلاة فلا تسمع إلا لجة في الجو من أصوات المؤذنين، ولا يتخلف عن حضور الجماعة مع سعة البلد من كان حاضراً من الرجال ومن تجب عليه الجماعة، وجزء من مساجد بريدة عامر بخلق الذكر صباحاً وظهراً أو مساءً، وفي صلاة الفجر يقوم المؤذن بتفقد المأمومين، وفيها مدارس ابتدائيات ومتوسطات وثانويات وزراعية ومعهد

(١) هو الأديب الشاعر صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين صاحب السابلة.

علمي، ومعهد النور، ومعهد المعلمين الليلي وفيها مدارس أهلية بحيث تبلغ مدارسها ثلاثاً وثلاثين مدرسة.

أما مدارس القصيم الحكومية فتبلغ مائة واثنين وستين مدرسة، أما عدد سكان بريدة فيقدرون بمائة ألف وعشرين ألفاً وقد شرع في تعبيد طرقها وتوسعة شوارعها، ومن أهلها من يتعاطى بالملايين وبعد ما تأسست فيها البلدية وقلم المرور وأوجد فيها شرطة، تنظمت شيئاً ما مشاريعها ولها مستقبل زاهر جداً، وقد نهضت نهضةً عجيبة وتقدمت تقدماً باهراً وذلك بتوفيق الله عز وجل، ولو تكاتف الأهالي وتعاضدوا وتساعدوا لكان لها شأن عجيب ويؤمل منهم ذلك لأنه قد ظهر من الأهالي من يعرفون قدر الحياة ويدأبون في تقدم البلاد وعمرانها وكان من يقدم إليها من الأجانب والمتتدين والمدرسين وغيرهم يعجبون من تقدمها في مراحل الحياة، ويمتد عمران المدينة جنوباً وشمالاً بقدر أربعة أميال وشرقاً وغرباً بقدر ميلين يحفها من الغرب والشرق والجنوب كثب الرمال الحمراء ومن جهة الشمال أرض صحراء وبما أن البلدة محرومة فيما قبل ذلك من المياه العذبة فقد أصبحت اليوم مروجاً وأنهاراً كالنيل والفرات وتحسنت الفلاحة أضعاف أضعاف ما كانت قبل ذلك وأقبل معظمهم على الفلاحة والزراعة مستخدمين الآلات الحديثة ربما أن الفلاحة كانت فيما مضى تسقى بالساقية فقد تطورت إلى آبار ارتوازية يسقي بسبجها ما تمر عليه والبقية يسقون باستعمال الماكينات المائية وكانت البقاع منها ما يساوي مائة ألف ريال، وقد أنتجت إحدى المزارع من الحبوب ما بلغت قيمته مائة ألف ريال وكان لأهل بريدة تمسك بالدين وإقامة لشعائره كجعيت تعتبر من أعظم ما على البسيطة في الديانة والأخلاق وتحكيم الشرع والتحاكم إليه، أضف إلى ذلك سلامتهم من الغوائل والشور والبدع وعدم الاغترار بالتقاليد الغربية ولأن كان على العموم من تزداد فيهم النزعة إلى المدينة والأدب والتخلق بدمائة الأخلاق لأن مستقبل الوقت يخالف الطريقة الأولى كغيرهم من سائر البلدان فإنه لا يزال موجوداً فيها من أهل التمسك من لا يزالون ثابتين، وعلى مبادئهم متمسكين، فلو

طفت في غالب الأماكن و الأقطار لم تجد مثلها في التمسك بالدين، وأظنك أيها المنصف توافق على ذلك وهذا على حسب الزمان، وإلا فإن الكمال عزيز؛ وإنني لأنصح وأحذر من تقاليد الأجانب في الأخلاق ومدينتهم العاطلة، فما فاز شعب إلا بالثبات على الأديان السماوية والتمسك بشرائع المرسلين، وما حصل الضعف والوهن والفشل إلا بالانحلال من ذلك والانخداع للأعداء.

أما ما كان عن منتجاتها فلديهم النخيل المختلفة في الثمار وأنواع الحبوب من الحنطة والذرة والدخن بأنواعه والبطيخ والحبوب والرمال الحسن والعنب والباذنجان واللوز والطماطم والكوسة وسائر أنواع الخضراوات والبساتين، ولديهم تربية الإبل والغنم والخيل، ويعتمدون على البر واللين واللحم، وكان يشق المدينة من الشمال إلى الجنوب وادي يدعى الفاجرة لا يكاد يجري إلا في كثرة السيول وقد يسبب أضراراً إذا جرى لأنه يفسد ما أمامه من العمران، وهناك وادي يقع عنها شمالاً بشرق يدعى الوادي إذا جرى فإنهم يخرجون نحوه للتنزه والفرجة لكونه لا يبعد عن البلد بأكثر من كيلوين ويحفظها من جهة الشمال والغرب البساتين والنخيل الكثيرة الجميلة وتمتد هذه النخيل من الشمال إلى الجنوب غربي البلد بقدر خمسة أميال حتى تتصل بفيحان جنوباً، وفي الجنوب الشرقي تقع حارة منها وهي السادة فيها نخيل وبساتين، وفي هذا الموضع آثار حصن عظيم قد ضاد ثويني وإبراهيم باشا وكان ذلك الحصن عظيم الحيطان بحيث يبلغ مسطح الحائط ثلاثة أمتار ولا تزال بقيته موجودة حتى الآن.

أما القرى التابعة لبريدة فمثل الشماس والقويح والزرقاء والجريه والقرعاء والشقة العليا والسفلى وهي قرية فيها معدن الملح المشهور بملح ضاري وخب البريدي وفيه آثار حصون قوية عظيمة قديمة ويبلغ سكانه على العموم أربعة آلاف نسمة والقصيعة والمريديسية والعريضي والغماس والبصر وخب روضان واللسيب وقرية الخضر ورواق وفيحان وكان قرية عظيمة قد امتازت بالنخيل وكثرة السكان ويقدر سكانه بخمسة عشر ألفاً ولديه قوة في البناء والقصور ويوشك أن يتصل

ببريدة وقرية وهطان وخضيرا وقرية خب القبر والعكيرشة والنقع والطعميات وكانت قصوراً أعدت للمزارعين فيها لا تقل عن ستين قصراً وحواليها بئر تدعى القلب بالتصغير يمتاز ماؤها بأنه عذب مرئ وحواليها (العود) بفتح العين المهملة و(الظليم) بالتصغير، ثم قرية الشماسية وتبعد عن بريدة شرقاً بأربعة فراسخ وتحتوي على أكثر من ثلاثة آلاف نسمة، وروضة الربيعية وكانت قوية حسنة وتحتوي على ألفي نسمة، و(الهدية) ذات النخل والأثل الكثير.

أما الطرفية فتبعد عن بريدة بأحد عشر ميلاً وتقع شمالاً بشرق، وكان فيها قصور ومياه وحصون قديمة وأطلال ضخمة البناء وقد ضبطت مساحة الحائط من تلك الأطلال بالعرض فكانت مترين ونصف متر وقد جعل بالموضع الواقع عنها شرقاً جابية للسيول تدعى عندهم الخبراء والقرية يقدر سكانها بأكثر من ستمائة نسمة وقد اشتهرت بواقعتين تنسبان إليها أحدهما بين ابن الصباح وابن رشد، والأخرى بين ابن سعود وسلطان بن رشيد، ومن أحسن ما رأيت فيها أنهم يجتمعون في المسجد الجامع للصلوات الخمس فيسمع لهم لجبة في تلاوة القرآن أوقات الصلوات، ولديهم قصور لا تزال مستمرة في الزراعة، وفيهم تمسك بالديانة، ومن القرى أيضاً الوطأة وحواليها ماء القويطير، وكان هذا الماء عذباً مريئاً جداً ويقتطر من صدوع في جبل هناك فيجتمع في جابية صغيرة على قدر الشرب والقرب، ولا تزيد عن ذلك شيئاً، ولا شك أن هذا الماء أعني القويطير كان آية من آيات الله بحيث أنه يخرج على قدر ولا يتجاوز موضعه، ولا ينشف في وقت من الأوقات والله على كل شيء قدير.

وقد أنشأ فيه بعض العلماء أبياتاً تتضمن حالته وما فيه من العجائب، أما المئينات فإنها قصور وآبار أعدت للزراعة هناك، ومن القرى أيضاً خب العوشز وخب الوجيعان، وضراس والدعيسة، وخب الحلوة والشحية، والضلفعة، وغالب هذه فيها مدارس ابتدائية، وقد عمرت مساجدها بالصلوات الخمس وتلاوة القرآن،

واتصلت بالعاصمة بريد هيئت للذهاب والإياب، ومن القرى الصغار واسط، ونقرة البسام، والمويه، والنخلات، وغضي بالتصغير.

ومن أهم مدن القصيم عنيزة التي تبعد عن العاصمة باثني عشر ميلاً إلى جهة الجنوب، وكانت كثيرة البساتين، وكانت تمتاز على بقية مدن القصيم بتكاتف أهلها وتعاضدهم، والنهضة ببلدهم، ولديهم بشاشة في الضيف إذا كان شريفاً، وبالرغم من الأهالي في نهضتها فإنها لا تزال متأخرة في العمران، وكثرة السكان بحيث يقد سكانها على الثلث من سكان بريدة، وكانت تضم مدارس ابتدائية ومدرسة ثانوية وحرية، وفيها مساجد عامرة بالصلوات، ولديهم أدب، غير أن التجارة أقل من بريدة؛ ومن رجالها الشيخ عبدالرحمن بن ناصر سعدي صاحب التدريس والمؤلفات الحسنة، كان يدرس في المسجد الجامع الكبير فيها ويؤم فيه، ويظهرون تعظيمه لما له من المؤهلات ودماثة الأخلاق، ويفتي ويقنع السائل، ومن أكبر الأسر فيها آل سليم الأمراء، وآل بسام، وآل نعيم، ولا تزال المدينة تطلب الشرف لأن رجالها متكاتفون، ولديهم أدب، وفيها محطة للاسلكي التلغراف، وأنشئ عندهم مطار البريد الجوي، ثم أزيل كغيره لما جمع القصيم على مطار أقليمي، أما قضاتها فممنهم العويضي، وصالح بن عثمان القاضي، وعبدالله بن محمد بن مانع، ثم إنه جعل بعده في القضاء الشيخ محمد بن عبدالله بن حسين، وبعده بن عودان، ثم بن عقيل، وحواليهم وادي أبي علي الواقع بينها وبين العاصمة وقد ملئ بالنخيل والغراس لأهل عنيزة، وفيه عيون غير أن هناك مادة سبخة مالحة تحدث في جوه تكديراً وقد امتدت النخيل والأثل في ذلك الوادي بكثرة، ولا يزالون في طلب المياه العذبة من الآبار الارتوازية، وقد حصل المقصود، ومما هو جدير بالذكر أنه انفجر في الوادي عين عذبة كما أنه انفجر في الزغبية عين قوية لعبدالله بن سليمان كعيون بريدة غير أنها بعيدة عن عنيزة ومستقبل الأمور يبشر بخير إن شاء الله،^(١).

(١) سيأتي بقية ذكر لمشاريع القصيم فيما يمر بنا من التاريخ.

ومن أهم بلدان القصيم الرس التي تقع عن عنيزة غرباً على قدر مسافات خمسة وثلاثين ميلاً من العاصمة، وفيها قاضي ومدارس، وفي الأهالي نشاط وتقدم وفيه محطة للتغراف اللاسلكي، وحوالي الرس قصر بن عقيل وفيه مدرسة أميرية وسكانه لا بأس بهم، وهناك الشنانة والقوعي والرسييس.

ومن أهم بلدان القصيم مدينة الخبراء ورياض الخبراء وقد عمرت الخبراء في سنة ١١٤٠هـ، ومن أهم بلدان القصيم مدينة البكيرية التي عمرت في سنة ١١٨٠هـ، وتشتمل على خمسة عشر ألف نسمة، وأهلها هادؤن وإليها تنسب الواقعة التي بين ابن سعود وابن رشيد، ولأهلها عناية في الدراسة وهمة في تربية البقر والمواشي، وكذلك أيضاً البدائع ذات المنازل والقصور الكثيرة، وكانت قابلة للزراعة ولأهلها همّة في الزراعة ولديهم قوة ونشاط، وهذه المدن فيها أمراء وقضاة وكلها لا تبعد عن عنيزة بأكثر من خمسة وعشرين ميلاً، وكذلك الهلالية وصبيح والنبنانية ففيها مدارس ومساجد.

ومن مدن القصيم أيضاً المذنب الذي يبعد عن بريدة جنوباً بمرحلتين وله مستقبل لما فيه من المدارس.

أما ما كان عن شمال القصيم وشرقه فهناك قصيماً وهي تبعد عن بريدة بمرحلتين، وكان فيها عيون ونخيل وزراعة؛ غير أن جوها غير مستقيم لكثرة تعفن المياه هناك، لذلك تكثر فيها الملاريا ولا يسلم من تلك الحمى غير العبيد فيها، وبمرور السيارات فيها تقل عنهم تلك التكديرات الناشئة عن المستنقعات، ولا سيما إذا عبدت الطرق بينها وبين العاصمة.

ثم عيون الجواء وينسب إليها أنها مأوى لعنترة بن شداد، وكان يروى أن قبر مالك بن نويرة في غربي القصير قريب الضلفة التي تقدم ذكرها.

أما الأسياح فتقع في شرقي القصيم وتعرف في المعاجم بالنباج؛ وهي قرى ذكروا أن أول من اختطها عبدالله بن كريز بن عامر.

وسميت الأسياح لأنها سيوح جارية، وقرى الأسياح هي العين والبرقا والتنومة وخصيبة وحنيزل وأبي الدود والقيصومة، والقصر والبرود وطريف، وهذه الشمالية.

أما الجنوبية فالجعلة والنبقية، وفي الأسياح قصر حصين قوي البناء لأنه بني من الحجر والآجر، ويسمى عندهم بقصر مارد وكان محاطاً بجائط وفيه غرف بجهاتة الشمالية، والشرقية، والجنوبية، وله باب من جهة الغرب، وقد كان محكم البناء.

وقد قيل أن سلطان مارد مر بالأسياح حاجاً فلما أن وصل إليها بجنوده، وكان من رجال الدولة العثمانية إذ ذاك وقف على موضع العين الأولى التي تنسب إليه لما رآها ينبع ماوها، وقد دل عليها وذكرت له إمارات هناك فقال لمن معه من الجنود لقد فاتنا الحج في هذه السنة، ثم أخذ يحتقر العين المذكورة، ثم إنه بنى قصره الذي يقع عنها شرقاً، فلما أن اعتصم بالقصر قطع مواصلته بالدولة وبذل ما عنده من الأموال التي جهزته بها دولته فيما يختص به وتمرد عليها، وبينما هو ذات يوم من الأيام جالس حوالي عينه إذ أقبل أعراب من الضياغم فنزل صبي يغتسل في العين فرآه سلطان مارد؛ وأعجب بحسن صورته فجعل يسأل هل لهذا الصبي من أخت وكان والد ذلك الصبي اسمه عرار، وبين عرار وبين الأمير عمير منافسة ويحسده عرار على الإمارة فتكلم عرار قائلاً نعم إن له لأختاً هي أحسن بنات الحبي، ولكنها زوجة لعمير قبل ذلك لعل سلطاناً يقتل عميراً بصفته عدوه ووعدته أن سيزوجه منه بشرطين.

الأول أن يكيل للأعراب، والثاني بأن لا يقربها إذا جاؤوا بها إليه حتى تغيب مضاهيرهم من خلف قرية الجعلة، ففعل ذلك وأجابهم إلى ما طلبوا فرجع الضياغم إلى حميدان رئيس قبيلة الضياغم وأخبروه الخبر، وكان حميدان أخرس ومن شجعان العرب المشاهير، وخالاً لزوجة عمير فلما بلغه الخبر جعل يشير بيده حتى تكلم بكلمة فهمت منه وهي قوله (مثالاً) يريد لا نزوجه ميثا؛ فقام الضياغم

وأخذوا جارية سوداء فجعلوها في الهودج وقدموها إلى سلطان ثم ذهبوا فوفا لهم بشرطهم، ولم يقربها حتى تغيبت ركبهم من خلف قرية الجعلة، وإنما خدعوه بهذه الحيلة لأن لا يسمعوها صياحها وجزعها إذا مسها، ولما أن كشف عنها الهودج يريد الحسن والجمال إذا بها سوداء شعناء فصاح للعساكر بالصافرة وعبا جيشه على أتم أهبة ثم زحف على الضياغم حتى أدركهم في الصريف فتقاتلوا قتالاً شديداً، وتبادل سلطان وحيدان ضربتين فسقطا ميتين، فقال شاعر الضياغم أبياتاً نبطية ونحن نوردها في كتابنا:

| | |
|---------------------------------|---------------------------|
| تقول ميثا يا أهلي يا الراشد | الروم لحقونا بغير حساب |
| لحقونا ييون ميثا غصية | دونها صبيان تسن حراب |
| يا كم جمل يهف مع وري مقطع الصغا | يذب العفا ولا وراءه حجاب |
| حجاب الخيل في ذارع القنا | لا عاد ما يثني لهن رقاب |
| تناطح حميدان وسلطان مارد | تهال لذا من كف ذا صواب |
| تعاقبوا ضرباً بشلفا سنينة | عربية تودع الدروع خراب |
| ترى مذبحه بالدمث بالرمث بالصفاء | حوالي قويرات الصريف أنصاب |
| ترى ذبحي بالبرقا ثمانين ملبس | غير العواري مالهن حساب |

وإنما سقنا هذه الأبيات لأن النفس تحب الإشراف على ما ذكر وإلا فلا رغبة لنا في الشعر النبطي.

أما القوارة التي هي متهى قرى القصيم من جهة الشمال فيمرها السائر إلى جهة حائل، وفيها نخيل وسكانها قسمان، بدو وحضر، ولكل قسم أمير، وفي شمالي القصيم أبلق ووثال.

الوشم وضواحيه

أما قاعدته فهي شقراء ، وكانت مدينة يتعاقب فيها القضاة وناحية الوشم غربي جبل طويق بجنوب، وأهم بلدانه ثرمدا والجريفة والقرائن وأشقر على

ساعتين من شقراء، والفرعة على رمية سهم من أشيقر، وذات غسل أو غسلة وأثيثة والقصب على ثمانية عشر ميلاً من شقراء، وهو بلد حميدان الشويعر، وكان حميدان قد هجا أهل تلك الجهات لما هم فيه من الفقر في زمانه، ومن بلدان الوشم مرارة بلدة أمرؤ القيس، ثم الجريف على مرحلة واحدة من روضة سدير.

ونقول عن سدير وضواحيها

أما سدير فهو أكبر نواحي ذلك الجبل وقاعدته الجمعة التي عمرت في سنة ٨٢٠هـ ويقال لها ولحرمة منيخ، وكان يفصل بين سدير والقصيم نفود كبير يمتد جنوباً إلى وادي السر، وكانت الجمعة بلداً لابأس بها، ومن أشهر قضاتها وأرفعهم وافقهم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري العالم المشهور الفاضل التحرير قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، وكانت بلدان سدير عديدة، ومن أكبرها وأقدمها حرمة وقد عمرت في سنة ٧٧٠هـ، وكانت كثيرة النخل والزرع وقريبة من العاصمة، ووادي حرمة يقال له هناك وادي الكلب، ووشي؛ وجوي، وجلجل والتويم، وقد عمرت في سنة ٧٠٠هـ، والداخله والحصون الجنوبية والعطار والجنيفية والعودة وعشيرة والخطامة، وتمير والخيس والروضة روضة سدير، وهذه قد هجا أهلها حميدان الشويعر ووصفهم بالفقر وغير ذلك، وكان ذلك الوصف بالفقر واللؤم في زمان حميدان، فأما في هذه الأزمنة فقد تحسنت الحال وأصبحت تلك المواضع بلداناً عامرة قوية وأنشأ فيها مدارس ومعاهد وهم لا يزالون في تقدم ونشاط.

المحمل

أما المحمل فإن ناحيته مؤلفة من ثادق التي هي قاعدتها، وقد عمرت في سنة ١٠٧٩هـ، والصفرات هي والبير تدعى كلها اللهزوم، أما الصفرات فهي عدة بلدان قريبة من ثادق، وهناك البير الجنوبي عن الصفرات عمرت في سنة ١٠١٥هـ، ورغبة وقد عمرت في سنة ١٠٧٩هـ، ثم من الشعيب والمحمل نستمرها بطين إلى الشعيب التي تفصل بين العارض وسدير، قاعدتها حريملا على مرحلتين من الرياض عمرت في سنة ١٠٤٥هـ، وأهم بلدانها قرينة وقد عمرت في سنة ١١٠١هـ، وملهم وصلبوخ وسدوس التي فيها آثار قديمة قيل أنها حميرية وهذه النواحي شمال من الرياض.

الجمادة

هي سهل يمتد من الشمال إلى الجنوب بين جبل طويق ونفود السر، وفيه الزلفى وغيرها من القرى بعضها في النفود كائن بينها وبين عنيزة وبعضها في السهل ومن هذه القرى مليح بين الزلفى والغايط وفريتان وجنوبي فريتان الداهنة من هجر عتيبة.

أما الغايط التي هي بين الجمعة قاعدة سدير وبين الزلفى على مرحلة واحدة من الاثنتين فهي مشهورة بأنها مسكن السدارا من أعيان أهل سدير والذين صاهرهم آل سعود قديماً وحديثاً، فأم جلالة الملك عبدالعزيز ابنت السديري وهم أخوال عبدالعزيز، وقد أمرهم آل سعود في البلدان فكان تركي السديري أميراً على عمان في الزمن الغابر، وكان ابنه أحمد جد الملك عبدالعزيز أميراً على الأحساء في عهد الإمام فيصل، وكان ابناءه محمد وعبدالمحسن متولين للحكم في القصيم وفي الجمعة.

العارض وضواحيه

وكانت ناحية العارض فيها الآبار المتعددة والبساتين التي يزدهي فيها النخيل

وتتمازج في ظلها اخضرار البرسيم وأنواع البقول، وهناك عيون عذبة، ونشاط في العمران والتقدم، وقد كانت تلك الجهات تدعى اليمامة فيما مضى من الأزمان.

واختلف في تسميتها اليمامة واشتقاقها، فقل الأصمعي اليمام ضرب من الحمام البري واحدته يمامة وتنسب إليها زرقاء اليمامة مضافة إليها؛ وهي امرأة من طسم كانت متزوجة في جديس، فبهذا تبين أنها في الزمن القديم مساكن طسم وجديس والعماليق، وقاعدتها حجر اليمامة، وقد قيل في تسمية طويق الجبل المشهور أنه تصغيرة طوق ويسمى طوق اليمامة، وجو اليمامة وهو الوقع شرقي الأكمة الحمر مما يلي المزاحية.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى خرجت بنو حنيفة بن لقيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل يتبعون الريف وبرتادون الكلاء حتى قاربوا اليمامة على السميت الذي كانت عبد القيس سلكته لما قدمت البحرين، فخرج عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدئل بن حنيفة منتجعاً بأهله وماله يتبع مواقع القطر حتى هجم على اليمامة فنزل موضعاً يقال له قارات الجبل، وهو من حجر على مسافة يوم وليلة فأقام بها أياماً ومعه جار له من اليمن من سعد العشيرة، ثم من بني زبيد فخرج راعي عبيد حتى أتى قاع حجر فرأى القصور والنخل، وأرضا عرف أن لها شأناً وهي التي كانت لطسم وجديس، فرجع الراعي حتى أتى عبيداً فقال والله إني رأيت أطاماً طوالاً وأشجاراً حسناً، هذا حملها وأتى بالتمر معه مما وجدته منتشراً تحت النخيل فتناول منه عبيد وأكل، وقال والله هذا طعام طيب وأصبح فأمر بجزور فنحرت، ثم قال لبنيه وغلماناه احتروا حتى أتاكم، وركب فرسه وأردف الغلام خلفه وأخذ رمحه حتى أتى حجراً فلما رآها لم يحل عنها وعرف أنها أرض لها شأن فوضع رمحه في الأرض ثم دفع الفرس واحتجر ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة وسماها حجراً وكان تسمى حجر اليمامة بعد حجر عبيد لها فقال في ذلك:

حللنا بدار كان فيها أنيسها فبادوا وحلوا ذات شيد حصونها
فصاروا قطينا للفلاة بغربة رميما وصرنا في الديار قطينها

فسوف يليها بعدنا من يحلها ويسكن عرضاً سهلها وحزونها
ثم ركز رحمه في وسطها ورجع إلى أهله فأحتملهم حتى أنزلهم بها، فلما رأى
جاره الزبيدي ذلك قال يا عبيد الشرك قال بل الرضا فقال ما بعد الرضا إلا
السخط، فقال بها الزبيدي ثم غرض (أي ضجر وسئم) فأتى عبيداً فقال له
عوضني شيئاً فإنني خارج وتارك ما ههنا فأعطاه ثلاثين بكرة فخرج ولحق بقومه
وتسامعت بنو حنيفة ومن كان معهم من بكر بن وائل بما أصاب عبيد بن ثعلبة
فأقبلوا فنزلوا قرى اليمامة أقبل زيد بن يربوع عم عبيد حتى أتى عبيداً فقال أنزلي
معك حجراً فقام عبيد وقبض على ذكره وقال: والله لا ينزلها إلا من خرج من هذه
يعني أولاه، فلم يسكنها إلا ولده وليس بها إلا عبيدي، وقال لعمه: عليك بتلك
القرية التي خرج منها الزبيدي، فأنزلها فنزلها في أخبية الشعر حتى بنوا القصور،
وكان عبيد يقول لولده: انطلقوا إلى باديتنا يريد عمه فيمضون يتحدثون هناك، فمن
ثم سميت البادية، وهي منازل زيد وحبيب، وقطن لبيد بني يربوع بن ثعلبة بن
الدول بن حنيفة ثم جعل عبيد يغسل النخل فيغرسها فتخرج ولا تحلف ففعل أهل
اليمامة كلهم ذلك فهذا هو السبب في تسمتها حجراً.

وقد أكثر الشعراء من ذكرها والتشوق إليها فروي عن نبطوية قال: قالت أم
موسى الكلابية، وكان قد تزوجها رجل من أهل حجر اليمامة ونقلها هناك.

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| قد كنت أكره حجر إن ألم به | وأن أعيش بأرض ذات حيطان |
| لا حبذا الغرف الأعلى أساكته | وما يضمن من مال وعيدان |
| أبيت أرقب نجم الليل قاعده | حتى الصباح وعند الباب علجان |
| لولا مخافة ربي أن يعاقبني | لقد دعوت على الشيخ بن حيان |

ولعل الشيخ بن حيان هو الذي عقد لزوجها عليها؛ وكان حجر المشهور في بني
جشم المعروف بالشجاعة من أهل هجر وقصته مع الحجاج بن يوسف معلومة.

قال ابن بطوطة في رحلته في القرن السابع دخلت اليمامة وقاعدتها حجر
فوجدت بلدة عظيمة كثيرة النخيل والمياه والفواكه والزروع، وأطال الكلام عليها

فكان حجر اليمامة هي البلدة العظيم في الجاهلية وفي الإسلام، ثم إنها كانت قاعدة تلك الناحية في بلد الدرعية لما قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقام بنصره آل سعود الأقدمون محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز، وسعود بن عبدالعزيز حيث امتدت الفتوحات الإسلامية على أيديهم، وفي الدور الثاني انتقلت قاعدة المملكة إلى الرياض وجعلها الإمام تركي بن عبدالله عاصمة للملكه فاستمرت كذلك، وفي الدور الثالث من أدوار آل سعود جعلها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن عاصمة ملكه، كما قد جعلها الإمام فيصل بن تركي عاصمة للملكه قبله؛ وسعود إلى ذكرها عن قريب.

التعريف بالعارض وتلك الضواحي

أما الأسماء المشهورة في الجاهلية باليمامة حجر اليمامة وجو اليمامة والوادي المسمى بوادي حنيفة يشق جبل اليمامة وبنوا حنيفة يسكنون من أعلاه إلى أسفله وما حوله يمنة ويسرة قصور ونخيل ومزارع أعلاها البرة وما حولها من القصور والمزارع إلى الحائر، وكانت البرة وضرمى التي تدعى فيما مضى بقرمى تعرف وما حولها فيما مضى بقر قرا، وكانت متاخمة لوادي الحيسية، وكذلك الحجيلاء تقع عن بلد البرة في الجهة الجنوبية على مسافة ساعتين، وهناك آثار دارسة تدل على قدمها، وأنها قبل البعثة وهذه كانت مساكن ثمامة الحنفي، وتسمى بوادي ثمامة، وأهل تلك الناحية يعرفون بالصبر عند القتال، والثبات في مواطنه وشدة البأس، وقد شوهد ذلك في مواطن كثيرة حتى قالت العرب فتحنا فارس والروم بعد علم أخذناه عن بني حنيفة في القتال، وقائل ذلك هم الذين قاتلوا بني حنيفة مع خالد ابن الوليد لما بعثه إليهم الصديق رضي الله عنه.

وكانت اليمامة إذا أطلقت فهي جبل معترض في نجد الشرقية؛ وأغلب قرى نجد المعمورة ذات النخيل والزروع والقصور، إما أن تكون فيه أو جاثمة في غربيه وشرقيه، وجميع غراس تلك الجهة يشرب من ماء هذا الجبل وسيله، ونخل تلك الجهات شماليها الخضري وما عدى ذلك يسمى الدقل، وما كان من الناحية

الجنوبية منه فنخيلها الصفري والسري والدقل، وكان طرف هذا الجبل يمتد حتى يكون محاذياً للنباج شمالاً وطرفه الجنوبي محاذياً للأفلاج منقطع في الجهة الشمالية منه، يضعف إذا خلف بلد الغاط المتقدم ذكره؛ وكان بلد الغاط قديم في الجاهلية، وللشعراء فيه أوصاف، كما أن أثينة بلد جرير الشاعر وذريته، وثرمدا لبني سعد، وبني منقر في الجاهلية، وكان هناك موضع يسمى ماء ملبح في سفح جبل.

وجبل اليمامة ينقسم على ثلاثة أقسام، جبل طويق وهو يطلق علي القطعة الشمالية منه وهي تعم جميع اليمامة، ووسطه يقال العارض، وهذا الأسم يعمه كله، والاسم الثالث يطلق على القسم الجنوبي منه العويرض.

وكان جبل اليمامة ملتحمًا منعقدًا بعضه ببعض طرفه الشمالي يبعد عن طرفه الجنوبي مسافة شهراً أو أكثر، وفيه أودية تقسمه فتكون معها الطرق، منها وادي العتك الذي في أعلاه القصب، وفي هذا الجبل يقع المشقر، ومنها وادي الكلب الذي تقدم ذكره.

وفيه قرى عامرة بالنخل، منها بلد الجمعة ويليها بلد حرمة وبلد ظلمي، وبلد الحائر والخوبر، ووشي وتقدم ذكره، ومنها وادي جلاجل، ذكروا أنه يسمى وادي المياه؛ ويليها بلد التويم، وفي أعلا تلك الناحية المعشبة، ومنها وادي سدير، وهو وادي عظيم فيه قرى ونخيل أعلاه بلد الروضة؛ وبلد الحصون، وبلد الجنوبيين، وبلد الحوطة، وبلد العطار وبلد العودة، ومن تلك الأودية وادي يقال أبوقتادة: ووادي الحائر ووادي الأوسط، ووادي نساح، وهو وادي الخرج ماوان، ووادي برك وبريك.

ذكر الرياض عاصمة المملكة السعودية

كانت الرياض تدعى فيما مضى بروضة القمعية ورياض السلي، والسلي قريب من الرياض، ثم إنه غلب هذا الاسم حتى نسي ذكر حجر اليمامة ونحوه، وأصبح الرياض هو اسم تلك الأمكنة، وأعاد الله عز وجل على تلك الجهات تاريخها الأغبر.

وكان صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز مولعاً بها في حادثة سنة حتى فتحها عنوة فسكنها لأنها عاصمة أبائه وأجداده، وليس بينها وبين الدرعية إلا قريباً من مسيرة ثلاث ساعات، وما زالت الرياض في ازدياد وتقدم حتى أصبحت قبلة الأماني ومحطة رحال الوافدين، وإن بدأ يستقر بها الملك وتقد إليه فيها الوفود من مشارق الأرض ومغاربها، وينتابها القريب والبعيد والأحرار والعبيد لجديرة بأن تصبح موضع الإعجاب، وكانت الوفود تقد إليه فيها زرافات وأفواجاً، ويقصده من أعراب نجران وأعراب جلق، وما بين ذلك من الجهات أمم لا يحصيهم إلا الذي خلقهم، يأتون إلى تلك السدة الملكية؛ حتى أنه ليلغ عدد الوافدين في اليوم الواحد عشرة آلاف أو يزيدون، وذلك في وقت الركوب الذي قدره ستة أشهر، ويبعث منها سيارات النقود والأرزاق والحلل، فتفرق على جميع الجهات ممن لم يقدموا، وهذه العاصمة القاهرة من تجول فيها ورآها علم أن ملكها عادل في ملكه صالح في نفسه قد أصلح الله شأنه وجميع التجارة تجلب إليها كالإبل والبقر والأغنام، والحبوب والدهن والخطب والفحم والسيارات والمكيفات والقهوة والهيل والسكر والشاي وجميع الأقمشة فبذلك كانت زهرة البلاد في عصرنا هذا، وكان الملك عبدالعزيز يعطي القاضي والداني، والله حكمه في إيجاده بهذا العصر.

قال الشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| من مبلغ الصحب عني قول مبتجع | بما يلاقي قرير القلب والعين |
| إنني أويت من العليا على حرم | قبل الإناخة بالبشرى يحيني |
| ينتابه الناس أفواجاً كأنهم | جاؤوا لنسك على صهب العثانين |
| ترى الملوك قياماً عند سدته | وتنظر ابن سبيل وابن مسكين |
| ذا يطلب العفو من عقبى جريرته | وذا يؤمل فضلاً غير ممنون |

وقال أيضاً:

فالآن لما أقال الله عثرتنا في دولة المرتضى في القول والعمل

فخفّض الهم وأنعم في ذرى ملك وأعف الركائب من حل ومرتحل
ملك تباشرت الدنيا بطلعته وافتر ثغر الرضا عن مبسم الجذل
سما إلى المجد لم تقطع ثائمه بصدق عزم فتى في رأي مكتهل
إلى أن قال:

لو كان فيصل يدري قبل ميته أنك من صلبه استبطنى فدى الأجل
أصلحت للناس دنياهم ودينهم فأصبحوا بك في أمن وفي خول
أرشدت جاهلهم علماً ومحسنهم فضلاً ومذنبهم عفواً عن الزلل

ولقد توفرت في الرياض العلماء والقضاة والمفتون والمعلمون والمدرسون،
وتخرج من هذه المدينة رجال هذبت الشريعة نفوسهم، وصقلت التجارب همم،
وأصبحوا موضع الإعجاب، ولسداد آرائهم وسمو مبادئهم ونبيل عواطفهم كان
منهم القواد والقضاة والزعماء والفقهاء والوعاظ، ونذكر من هؤلاء العلماء فئة.

فمنهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه الشيخ عبداللطيف بن
عبدالرحمن وشهرتهما تغني عن ذكر مدحهما.

ومنهم رئيس القضاة الشيخ الإمام عبدالله بن عبداللطيف الجواد الكريم الذي
رحلت إليه الخلائق في وقته من سائر أقطار الأرض لاستفراغ منطوقة وجثت
العلماء على ركبهم بين يديه فصار المثل الأعلى في أهل زمانه وبعده.

ومنهم أخوه إبراهيم بن عبداللطيف وناهيك به من حبر عظيم كان غرة الزمان
وواسع البيان، نسال الله أن يجبر المسلمين على فقدهم.

ومنهم الشيخ محمد بن عبداللطيف الذي رسم في علم التوحيد، وجبل على
الإنفاق والجود.

ومنهم الشيخ سليمان بن سحمان حسان السنة في زمانه الذي ما زال يدأب في
نصرة الدين وإعلاء شعائره، ويكافح كل من أراد الدين بسوء من غاو ومفتري
وهذه قصائده ومؤلفاته كنار على علم، أحييت السنة وأماتت البدعة.

وكذلك أيضاً الشيخ حمد بن فارس الذي كساه الله حلال التقوى، ونال الثقة والأمانة في دولته.

ومنهم الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ العالم العامل الذي لا تأخذه في الله لومة لائم.

ومنهم الشيخ سعد بن حمد بن عتيق الذي ثبت الله به أركان الشريعة وأشاد بنيانها، وبذل نفسه لله ولإظهار دينه، ولم يعبأ بعاذليه من كل مجامل، وكل هؤلاء أئمة فحول تعزى الحياة الدنيا بفقدهم وموتهم، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فعلموا ودرسوا وبينوا، وتهذب على أيديهم علماء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي وقتنا هذا خلفهم من الأعيان رجال على رأسهم سماحة المفتي وشيخ الوجود رب الحجا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ العالم العلامة الذي لا تزال أوقاته عامرة بالتدريس والإفتاء، وجلب المواعظ والنصائح والتحذير من الخزي والفضائح، قد بذل نفسه لله وفي إظهار دينه، فتخرج على يديه أناس سدت بهم الجهات.

فمنهم الشيخ الورع الزاهد الناصح عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الذي نال مقامات القضاة والمفتين والمدرسين والمواقعين عن رب العالمين.

ومنهم الشيخ عبدالله بن يوسف بن وابل قاضي الحلوة ثم كان في قضاء أبها. ومنهم الشيخ سليمان بن عبيد بن سلمي قاضي الزلفى، ثم كان في قضاء الجمعة، ثم كان في قضاء الظهران.

ومنهم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة، ومنهم الشيخ بن رشود. ومنهم الشيخ صالح بن جارد وغيرهم، ويكفينا شرفاً له تهذيب هؤلاء وأمثالهم، ومن الأعيان في الرياض الشيخ عمر بن حسن رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نجد، وكان قد جعله في هذا المقام الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لما كان يتوسمه فيه من المؤهلات.

ذكر تعزيز مقام الأمر بالمعروف

لما كان في حكمة الله أنه لا قوام للدين ولا الدنيا بل ولا للعالم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ به تستقيم البلاد وتصلح العباد، ويرتدع أهل الفسق والفساد، اقتضت إرادة صاحب الجلالة أن يجعل في كل بلد أمة يأمر بالمعروف وينهون عن المنكر، امتثالاً لأوامر الله ورسوله، وإذا كان الأمر كذلك فمن أولى بهذه المهمة من مدينة عظمى امتلأت بالسكنى والجنود واختلط فيها الشامي باليميني والعراق بالحجازي، والعربي بالأعجمي، والأحرار بالعبيد، فجمع الملك أيده الله لذلك العلماء والزعماء والكبراء، وباح بما لديه من جهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنه لا بد من جعل هيئات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وبعد سؤال وجواب انتدب صاحب الجلالة لهذه الخطة صاحب الفضيلة الشيخ عمر بن حسن بن حسين آل الشيخ رئيساً لهذه الهيئات، ذلك لما قام بهذا الشخص من المؤهلات التي قضت له بأن يكون موضع الثقة والأمانة لهذه البضاعة، ولما أن عينه في هذا المقام تعهد له بالمساعدات الفعلية سواء ثبت الأمر على شريف أو وضع مع تأمين معيشته، ومن كان في معيته من الأعضاء؛ وضم إليهم جنوداً وقوة، فقام الشيخ بما وسد إليه خير قيام، وانبعثت تلك الأعضاء، يأمر بالمعروف وينهون عن المنكر ويصلحون في الأرض، ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾؛ وناهيك بهذه الخطة شرفاً، وكان الشيخ عمر يقيم الحدود ويحلد ويسجن ويعزر؛ ولو ذكر ما يقاسيه لضاق الموسع، ومن كلام صاحب الجلالة له أن قال يميني هذه وأشار بها معك مسلولاً بها سيف للشرع فتوكل على الله.

وقد قال رسول الله ﷺ «لتأخذن على يد السفية ولتأطرنه على الحق أظراً أو ليوشكن الله أن يعمكم بعقوبة من عنده»، وما ضعفت القوة ولا سقطت الدول وخربت البيوت ودمرت الأمم إلا بسبب التغافل عن المعاصي وأهلها، وعدم

الأخذ على أيدي السفهاء ومنعهم من الرذائل، وإن الله تعالى لما أوجد هذا الملك ووسع في ملكه حفظ التوحيد وأقام شعائر الدين، وهذه هي السر في عزه واتساع ملكه لأن هذه الدولة الإسلامية لا يستقيم لها أمر إلا بحماية دينها والتمسك به.

فنسأل الله تعالى أن يقيم لنا رجال أكفاء يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر لهم علم ودراية ومعرفة وبصيرة أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وأن يشد أزرهم ويقوي عزائمهم ويمنحهم التوفيق.

وقد نشر الملك عبدالعزيز العلم وطبع الكتب وعني بكتب أهل السنة والجماعة وبذل أسباباً كافية لطلاب العلم وحملته والقضاة والمفتين والمدرسين؛ فجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وقد اتخذ أئمة من العميان للبيوت السعودية يتلون القرآن ويؤمنون فيها بصلاة التراويح في شهر رمضان، فأصبح أولئك الأئمة أغنياء أعزة بعد أن كانوا فقراء ضائعين جائعين، وكانوا محشومين لديه يلبسون الكسوة الفاخرة ويركبون من أحسن السيارات، ذلك لأنهم قراء للقرآن يتلون كتاب الله في البيوت السعودية آناء الليل والنهار.

ولقد شاهدت من إكرامهم وحشمتهم ما لا تبلغه العبارة، بحيث كان الأعمى لا يصدده عن الملك أحد من الحجاب إذا احتاج شيء من الأغراض؛ لا يقل عددهم عن مائة وخمسين مطوعاً.

أما البيوت التي تصرف عليها الحكومة مجاناً من آل سعود وآل رشيد واللاجئين فإنها تبلغ أربعمائة بيت، وكلها تفرش بالنمارق والمياثر والزبل الجميل وتضاء بالكهرباء وما يلتحق بذلك من الثلاجات والغسالات والمرابح والدفائن وغيرها.

وقد اختط الملك عبدالعزيز موضع المربع لآل سعود وموضعه في زاويته الشمالية ومليء بالقصور، وفيه مساجد تقام فيها صلاة الجمعة وكانت تلك القصور شاهقة في الجوهرة البناية متسعة الأركان إذا تجولت في المربع تظن أن أهلها ليسوا بمن يسكن القبور.

وقد زينت الرياض بالزينات حتى أصبحت جنة الدنيا، وفيها حارات تعتبر كل حارة كمدينة عظيمة، ومنها محلة القصمان، ودخنة ومعكال وغميتة والشميسي وغيرها.

أما ما كان عن محلة المربع الذي تسكنه الأسرة المالكة والبطحاء فحدث ولا حرج، وكان فيها حدائق ربيت فيها الوحوش، ولقد استمرت الرياض في تقدمها وتطورت في عهد الملك سعود وبعد وفاة والده الملك، وكانت حديقة الناصرية التي اتخذها الملك الحالي منتزهاً عظيماً، وقد بني ذلك القصر على أحدث البناية الحديثة وملئ من عجائب الدنيا، وفيه أزواج من الوحوش كالأسود والنمور والفيلة والنعام وغير ذلك من ذئب وضبع وغير ذلك، ويوجد في بقية الحدائق كذلك كالفاخرية.

وكانت مدينة الرياض واسعة الأرجاء، مترامية الأطراف، ويفد إليها من الأحساء والحجاز واليمن والشام، والكويت، والعراق، والقصيم، والهند، والسند، والجاوه، والأوربيتين والأمريكتين خلق كثير، ومن قدم إليها فإنه يجد من الأعمال ما يستغرق وقته، فمن هؤلاء من يقدم إليها للتكسب والبيع والشراء.

ومنهم من يفد لطلب العلم؛ وآخرون ضيوف ووفود أضف إلى ذلك ما جعل فيها من الضيافة، والمطابخ، والنعمة؛ والسرور، والزينة، والبهجة والخبرة، بحيث يقدم إليها الصعاليك لا يملكون شيئاً فما تمر عليهم الأيام القلائل حتى يصبحوا أغنياء وعلى أهلها سيماء النظرة والترف، وفاخر اللباس، فلا إله إلا الله ما تسمع فيها بأذن جلبة البيع والشراء والأخذ والإعطاء وأصوات السيارات ودوي الطائرات والعساكر والجنود قد احتشدت في الشوارع والأمكنة، ولكل نجل من أنجال الملك عبدالعزيز خدم وعبيد وجنود وسيارات سواء في ذلك الكبير والصغير.

وقد غرقت الجنود بالأسلحة الحديثة من بنادق ومسدسات ومدافع رشاشة وغير ذلك من السيوف والخناجر.

ولقد أحسن الشاعر محمد بن عثيمين في قوله:

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| قوم إذا ذكرت أفعالهم فخرت | بهم ربعة من فاس إلى الصين |
| وحين خفيت رسوم الدين وانطمست | وسيم أهل التقى بالخسف والهون |
| اختارك الله للأمر الذي سيقـت | به السعادة للدنيا والدين |
| فكنت في هذه الدنيا القوام لهم | وكنت للدين قسطاس الموازين |
| أعطوا بسعدك خطاماً توهمه | فكر ولم يك في الدنيا بمظنون |
| قال العزيز الذي أنت العزيز به | قم واستعن بي فأني ناصر ديني |
| أجبت حظك إذ ناداك معتزماً | بالرهفات وجرد كالسراحين |
| إذا سرين بالليل خلت أنجمه | من قد جهر الحصى يشعلن في الطين |

ولقد ساعدت الظروف بأسباب المواصلات بين مدن المملكة السعودية، وذلك بالسيارات والطائرات والقطار بين العاصمة والظهران، كذلك عن طريق التلغرافات اللاسلكية والتلفونات وغيرها.

ويلتحق بالعارض قرى كثيرة كالدرعية التي تقع شمالاً عن الرياض وعزره وأبو كباش التي كانت مسكناً لآل سعود الأقدمين قبل تأسيس الدرعية، ومثل العمارية والجهيلة واليمامة مسكن مسيلمة قديماً؛ والعينة بلد آل معمر، وأما ما كان عن العاصمة جنوباً فالمصانع ومنفوحة وحائر وسبيع، وعنهما غرباً ضربة المتقدمة، وهي مؤلفة من قصور ومزارع عديدة وجنوبي ضربة الغطغط هجرة الأخوان المشهورين.

وكانت منفوحة هذه هي بلدة الشاعر ميمون بن قيس الأعشى الشاعر المشهور قال صاحب الأغاني أخبرنا أبو الحسن الأسدي حدثنا علي بن سليمان النوفلي قال: أتيت اليمامة والياً عليها فمررت بمنفوحة التي يقول فيها: «بسفح منفوحة فالحاجر»، فقلت: هذي قرية الأعشى، قالوا: نعم، قلت: فأين منزله، فقالوا: ذاك وأشاروا إليه، قلت: فأين قبره، قالوا: بفناء بيته، والشطر المذكور من قصيدته التي أولها:

شأقتك من قتلة أوطانها بالشط فالوتر إلى الحاجر
فركن مهراس إلى مارد فقاع منفوحة فالحائر
ومنفوحة قد أمست اليوم منفوحتين القديمة، والجديدة على رمية سهم منها
لكن القديمة لا تزال خرائبها بادية للعيان.

وأما الحائر فإنه على مسافة خمسة وعشرين ميلاً من الرياض وتدعى حائر
سبيع لأن سكانها من عرب هذه القبيلة النازحين من الغرب، وفيها أيضاً السهول
حلفاء سبيع، ولقد كانت الأودية مثل وادي الرمة ووادي حنيقة لا تستقيم البلدان
فيها، فانظر إلى اليمامة ومنفوحة وما ذاك إلا انقطاع المطر أعواماً متوالية عنهم
فتجف العيون والآبار فينزع أهلها، أو يكون ذلك لهطول الأمطار والسيول التي إذا
كثرت دمرت ما مرت به من العمران خراباً يباباً.

الخرج وضواحيه

أما الخرج فقد كانت ناحية خصبة التربة غزيرة المياه جداً، وتزرع في أرضها
الحبوب وفي بساينها الثمار على أنواعها من شمش ودراق وتين وعنب وتربى
فيها أحسن الجمال والإبل على العموم كذلك البقر والدواجن على اختلاف
أنواعها وقد أوجد فيها الملك عبدالعزيز المياه الغزيرة والزروع الكثيرة والمباني
الشاهقة وهناك روضة فيه واقعة بين الخرج والسهبا يقال لها روضة البجادية قد مد
إليها شطر من مياه تلك الناحية فجرت كالنهر التيار وطافت بها وزرعت على تلك
المياه وغرست فيها النخيل فأصبح الخرج بهمة صاحب الجلالة قد تحسن تحسناً
عجيباً وفيه جهات يتزهون فيها طيبة الهواء ويأتي إليه الملك عبدالعزيز في بعض
الأحيان فيسكن في تلك القصور التي عمرت على الطراز الحديث فجرت من بينها
الأنهار، وأحاطت بها الحدائق والجنان، فلكون أرضه خصبة كثيراً ما يتردد إليه
الملك إذا أراد تغيير الهواء، وإن الخرج يعتبر الآن أصلح أرض للإبل وحديثي عنه
طويل وسيمر في حوادث هذا التاريخ بقية ذكر لما جلب إليه من العجائب.

أما قاعدة الخرج فهي الدلم على ثلاث مراحل من الرياض وأهم بلدانها زميقة، ونعجان، واليمامة، والسلمية؛ في طرفها الشمالي والعدار، وفيه مواضع بعثت في هذا العهد الحديث وهي الهياثم وكانت بلداً لآل عاصم بطن من قحطان يرأسهم ابن حشر؛ والضبيعة وهذا الاسم جاهلي بقي إلى هذا العهد، ويقال أنها قرية لبني قيس بن ثعلبة سميت بالضبيعة لأنه سكنها ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وسكانها اليوم بطن من سبيع بن عامر يقال لهم عجمان الرخم يرأسهم بن هديهد، ثم وادي الفرع إلى الجنوب، وفيه بلدان وسط جبل اليمامة أكبرها الحوطة التي تبعد عن الدلم جنوباً بثمانية وأربعين ميلاً، وفي أعلى الوادي الحريق على مسافة أربعة وعشرين ميلاً من الحوطة، أما أهل هذين البلدين فمن بني تميم الأشداء، ومن اتباع الحنابلة المحافظين على تقاليدهم وعزلتهم الغيورين على استقلالهم.

ولما أن دانت بلاد نجد لابن رشيد ظل أهل الحوطة التي تدعى بحوطة بني تميم خارجين متمردين، وكان لهم شأن عظيم من جهة التمسك، فلما عاد ابن سعود ونازعه السيادة ابن عمه سعود العرافة نصر أهل الحوطة والحريق سعود على جلالة الملك عبدالعزيز، ولما أن انتصر عبدالعزيز على من نازعه ضمن لأهل هذه الناحية بالأمن على شريطة أن يعترفوا بسيادته ويدفعوا الزكاة ويلبوا دعوة الجهاد معه.

ومن البلدان في الخرج السيح الذي كان مأوه عظيم القدر بحيث يعتبر كوادي عظيم وكان يخرج من مواضع قريبة التناول باستخدام المكائن المائية الضخمة جداً. ومن البلدان في الخرج أيضاً نعام ومضيفر والحلوة التي غالب سكانها من عنزة أما وادي الخرج المنخفض الذي تصعد منه جنوباً إلى الأفلاج وشمالاً إلى الرياض فإنك إذا ذهبت جنوباً فهناك.

الأفلاج

وهو أكبر النواحي الجنوبية وأخصبها وتكثر فيه الآبار والعيون والنخيل وتزرع في تلك الناحية الحبوب والثمار وشيء من القطن، قاعدتها لبلى على سبع مراحل من الرياض، وما كان في العارض الجنوبي من برك إلى وادي الهدار فهذا كله يقال له الأفلاج، وهي بلد الحمير، والهدار والستارة والخرفة، وفي تلك الناحية بقعة تدعى السيح من العيون السائحة بل فيها بحيرات عدة، هي من مياه جبل طويق التي تصب غرباً بجنوب تحت أرض الوشم، وفي وادي حنيفة ثم تظهر على وجه الأرض بصورة دائمة في الأفلاج، ومن بلدانه الفعل والعمار وحراضة وواسط ووسيلاً ومروان والزريقية والروضة والبديعة وسويدان، أما العرب الذين كانوا يقطنون هذه الناحية فهم من قحطان والدواسر وسبيع قال رجل من بني هزان:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| سلوا فلج الأفلاج عنا وعنكم | وأكمة إذا سألت سرارتها دماً |
| عشية لو شئنا سبينا نسائكم | ولكن صفحنا عزة وتكرماً |
| عشية جاءت من عقيل عصاة | تقدم من أبطالها من تقدماً |

أما وادي الدواسر

فإنه يقع عن الأفلاج إلى الجنوب الغربي وسكان هذا الوادي أغلبهم من عرب الدواسر الأوشاش البدو منهم؛ والحضر وفي ناحيته الشمالية موضع يدعى السليل وفيها من القرى حنابج ورويسة وفرعه وغيرها وفي طرفه الجنوبي ناحية تثليث ومن قراها العمق ومطيلة وخريفة وبعد الوادي جنوباً على ثلاث مراحل منه.

نجران

لبنى يام الذين كانوا في الماضي خارجين على كل سلطة مشروعة فما دانوا لأحد غير شيوخهم ولكنهم منذ ثلاث وثلاثين سنة دخلوا في الرعاية السعودية فصاروا يدفعون الزكاة طائعين.

إن أكبر قرى نجران بخلاف وحبونه.

أما المنطقة الشرقية وتعرف بالأحساء فتحد شمالاً بالكويت وجنوباً بقطر وشرقاً بالخليج العربي وغرباً بنجد الذي فيه السهول والجبال والصحاري المليئة بالرمال التي تكثر فيها المراعي كالدهناء ونحوها من مواضع الرمال والرياض الطيبة وفيه الأودية والشعاب والواحات والقفار وهناك الأراضي المنبسطة الفسيحة التي لا كلاء فيها ولا ماء كالصمان وهي أرض فيا غلظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة وخباري تنبت السدر وإذا خصبت ربت العرب جميعاً والصحان متاخم للدهناء وكانت الصمان مفاوز في أيام القبط لا يجوزها إلا الإبل التي تحمل الماء لكنها استخرجت فيها المياه الكثيرة العذبة في جهتين منها بالآلات الحديثة في روضة الحنى وفي روضة الشملول وذلك في عهد الملك عبدالعزيز.

أما الدهناء فتمد وتقصر، وسميت بهذا الاسم لاختلاف النبات والأزهار في عراصها وطيب نباتها وهوائها.

أما الأحساء

فهو أكبر النواحي وأخصبها ولا يفوق عليه في كثرة العيون وخصبة التربة سوى القصيم، وكان في صفة أرضه أنها رمل تحتها صلابة فإذا أمطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة أن يفيض، ومنع الرمل السمائم أن تنشفه، فإذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء.

وفي الأحساء واحات متفرقة أهمها الحساء والقطيف، وبينهما أرض رملية مثل التي ذكرنا وفيها المياه الجارية والعيون العذبة والبساتين والأرض التي تصلح للحراثة فتزرع فيها الحنطة والشعير والسمسم والذرة والأرز.

وفي الأحساء قرب الهفوف عيون معدنية متنوعة مياهها حارة وباردة أهمها عين نجم المشهورة قرب المبرز التي يتغنى الشعراء بمائها العجيب.

وقد كانت الحساء في أيام القرامطة عاصمة مقاطعة هجر، لهذا لما زحف

القرامطة إلى مكة وقتلوا الحجاج، واقتلعوا الحجر الأسود ورجعوا به إلى هجر، ثم استولى على الأحساء الأمراء العيونيون، وقد استولى عليها بنو خالد إلى حين ظهور آل سعود الذين أدخلوا بني خالد في طاعتهم.

وعلى أثر الشقاق الذي حدث بين أبناء الإمام فيصل سنة ١٢٨٧هـ عادت الدولة العثمانية إلى الأحساء فاحتلتها كما دخلت في حوزتهم سنة ٩٢٦هـ قبل بني خالد، وكان مناخه حاراً رطباً، وظهرت شهرته في العالم بعد ظهور البترول في أراضيه، وكان بدء استخراج البترول سنة ١٣٥٧هـ بواسطة شركة أمريكية، ولا تزال تزداد كمية استخراجه يوماً عن يوم، مما يبشر بمستقبل زاهر، وعلى ذلك فإنه يحصل منه على مال وفير، واتخذت مدينة الظهران قاعدة رئيسية لحصوله.

وفي سنة ١٣٦٦هـ مدت أنابيب من أبيق إلى ميناء صيداء بالبنان تسهيلاً للنقل حتى بلغ طول هذه الأنابيب ٧٥٢ ميلاً، وحقول البترول المنتجة هي السفانية؛ وأبو حدريد، والفاضلي، والقطيف، والدمام؛ والبقة، وأبيق وعين دارد والعثمانية وحرص، وكلها تقع في المنطقة الشرقية، وكانت مشتقات البترول هي الكيوسين الذي يستخدم في الإضاءة، والوقود والبنزين والديزل الذي هو للقاطرات والآلات والشحم والإسفلت الذي يستخدم في رصف الطرق، ومن المدن في هذه المقاطعة مدينة الظهران والدمام والخبر ورحيمة ورأس تنورة، وقد أقيمت البيوت الحجرية هناك ونصبت القضاة وأصبح يبلغ عدد العمال في الشركة هناك زهاء عشرين ألف عامل، وتواصلت بالرياض بالقطار والطائرات والسيارات، وإن إقليمياً يكون بهذه المثابة لجدير بأن يكون موضع الإعجاب، وحديثي عن المقاطعة الشرقية طويل لا تتسع له هذه الأوراق وإن بروزها بتلك الصفة تركها مسرح الأفكار ومزار السائحين.

وإذا دفعنا إلى شمال المملكة فإنه يحاذ القصيم جبل شمر أي جبلا طي أجا وسلمى وما يتبعهما من السهول والجبال وعاصمة تلك المقاطعة هي حائل التي

أميرها عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، وكانت مدينة من أكبر المدن العربية وأجملها، ويقدر سكانها بثمانين ألفاً، وكان أهل تلك الجهات مثل أهل القصيم يكثرّون الأسفار والإتجار، ويبارون بالرفاهية أهل الأمصار، وبالبسالة والشجاعة أهل القفار، وهناك قرى عديدة منها قفار، وقبة وبقعاء وسميرا والكهفة وكلها تابعة لحائل.

وإذا سرنا منها شمالاً بغرب واجتزنا النفود الكبرى نصل إلى الجوف جوف آل عمروا، ووادي السرحان التي كانت لعرب الرولة من عنزة، فاستولى عليها ابن رشيد ثم بعد سقوط حائل دخلت في حوزة ابن سعود وقاعدتها الجوف، وأهم قراها سكاكا وكادة وقریات الملح وأثره، وقرقر، وهناك عند الطرف الشمالي من وادي السرحان قريبا من حدود المملكة العربية السعودية الشمالية.

أما ما كان عن عسير وجهاته فنقول:

عسير

يقع أقليمه في الجهة الغربية من المملكة ويحد شمالاً بالحجاز، وجنوباً باليمن، وشرقاً بنجد، وغرباً بالبحر الأحمر ومساحته خمسون ألف ميل، وسطحه ينقسم قسمين سهول ساحلية تعرف بتهامة عسير فيها أودية خصبة تنبت الحبوب والسمسم والقطن والبن وغير ذلك، ومناخها حار، والقسم الثاني جبلي يعرف بعسير السراة تنحدر من جبالها سيول كثيرة تكسب الأرض خصوبة ومناخها معتدل.

أما أشهر مدن عسير فجيزان على ساحل البحر، وتقع أمامها جزائر فرسان، ومنها صبيا، وكانت بلدة قديمة ومياها كثيرة ومزارعها واسعة.

أما أبها فهي قاعدة عسير وكانت تعد مركزاً هاماً للمواصلات وطرق القوافل، وقد أقيمت على تل في وسط عسير وجوها معتدل صيفاً وبارد شتاءً.

أما القنفذة فهي أشهر ميناء على الساحل لأقليم عسير، وبينها وبين جده مائتا

ميل جنوباً، وكذلك بارق وكان وادياً بين بلد القنفذة وبين جبل السراة سكنته بطون من بني بارق بعد خراب السد، وكان غالب قبائل عسير بنو مالك وشهران وبام وبالحرث وسيأتي له بقية تعريف.

أما الحجاز

فإنه أقليم تكثر فيه الحرات وسطحة جبل على العموم والجزء الغربي منه سهول ساحلية ممتدة على ساحل البحر الأحمر ومناخه يختلف باختلاف جهاته ففي الجهات الساحلية حار رطب، وفي المناطق البعيدة عن الساحل حار جاف.

وفي المناطق الجبلية معتدل صيفاً بارد شتاءً، وتبلغ مساحته نحواً من مائة وخمسين ألف ميل مربع، وأغلب القبائل التي تسكنه ثقيف وقريش وجهينة، وحرب وبنو شهر، وبنو سعد وبنو حرث وبنو مالك وغمدان وزهران، وفي الحجاز جميع الموانئ الغربية كميناء جدة وميناء ينبع، والجزء الشمالي والشرقي سهول تكثر فيه الحرات، وفي الوسط بالقرب من ساحل البحر الأحمر تمتد سلسلة جبال السروات، ويتخللها سهول تقع فيها مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف.

أما مكة المكرمة فإنها عاصمة الحجاز وبلد الله الأمين وحرم الله وخيرته من بين سائر بقاع الأرض شرفها الله تعالى وعظمها، وكانت مهاجر إسماعيل وأمه، وتحتوي على بيت الله المعظم وفيها ولد الرسول الأمين وخاتم المرسلين، وفيها المشاعر المعظمة ويقع حوالها جبل حراء وغار ثور.

وقد كفينا ذكر تاريخها القديم، ولقد كان فتحها على يدي جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود يعتبر من أكبر نعم الله تعالى على المسلمين.

ولقد كان الحجاج قبل ولايته عليها يقاسون من النهب والسلب، والأذى ما يقلق راحتهم، ويشتت شملهم ويقضي على الأمن والطمأنينة هناك، فشاءت قدرة الله عز وجل أن يتولاها آل سعود لما قام بهم من العدل والإنصاف والتأمين.

ولما كان الحجاج قبل ذلك تسرق آنيتهم من بين أيديهم وهم ينظرون، وتعبث أيدي الحرامية بفعل تلك الجرائم بحيث تؤخذ الكسوة من فوق الظهور فلو رأيت الشنان والمفزعات إذا دحرجت من فوق رؤس الجبال وانطلقت على إبل الحجاج فندت وسقط ما تحمله فوق ظهورها، وكان حظه النهب والسلب لذابت لذلك الأكباد وأنكرته فطر العباد، فغار ربك من هذا الصنيع الذي تعمله هذه الأيادي الجائرة بزوار بيته ووفده، وولى على تلك البلاد والرباع ذلك الأسد في برائه الذي قهرت سطوته أهل الفساد، وآمن به العباد والبلاد فولت تلك الأشباح الوحشية إلى أكهافها وأوكارها قد أعشاها فجر الأمن والتوحيد، وأصبحت الطرق آمنة مطمئنة فله الحمد والشكر لا نحصي ثناء عليه.

إن مكة

والحق يقال تعتبر مثلاً للنظام وحسن التدبير، ذلك لما أولتها الحكومة من العناية والحرص على راحة أهلها بتأسيس المستشفيات ومراكز الإسعاف وتعبيد الطرق بالإسفلت حتى أصبحت طرقها كأحسن ما يكون، واتخذت الحكومة إجراءات نحو الطريق بينها وبين مدينة جدة فرصفته وجعلت على قدر مسافة الكيلو لوحة فيها أرقام، لذلك وكانت المسافة بين البلديتين ٧٣ كيلو متراً، كما قد رصفت الطريق بين جدة والمدينة المنورة، كذلك بحيث كان الطريق بين البلديتين ٣٧٨ كيلو متراً، وكانت غالب دوائر الحكومة فيها وجلبت إليها سيارات الإطفاء وفيها معامل ومحطات كثيرة لتوليد الكهرباء واللاسلكي ومراكز للشرطة، وفيها المدارس والمعاهد والمستشفيات ومواضيع أخرى للأدوات الحديثة وغير ذلك مما وفر لأهلها كمال الراحة، ومن جهة أخرى فإن الكهرباء يسر وجوده لديهم جميع المكيفات، والآن كانت تشاركها في بعض ذلك البلاد الأخرى، فإن مكة قد نالت قصب السبق وفازت بنا من قديم، وقد خدمت بالحرس والبلديات والتنظيم ما كانت تفخر به على غيرها في المدينة وحسن النظام، ولا ريب أن البلاد تتحسن وكانت مسافتها شرقاً وغرباً طويلة، أما من جهات الجنوب والشمال فإن الجبال

هناك ولا تزال أسواقها عامرة بالبيع والشراء وهي كثيرة كالجودري والمدعى والحلقة وسوق الليل والمسعى والقشاشية وسويقة والسوق الصغير وشارع الملك عبدالعزيز وشارع الأمير فيصل وغير ذلك، وما حاراتها جياذ وشعب عامر وسوق الليل والقشاشية والمعابدة والشامية وجرول والشبيكة وحارة الباب والمسفلة وغزة والقرارة والنقا.

وغالب سكانها مجاورون من جاوى وحضرموت والهند وغير ذلك، أما أهلها المتأصلون فإنهم على قدر النصف من ذلك، وكان يرد عليها من الفواكه والحبوب والأرزاق شيء كثير، وقد قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧]، فيجلب إليها البطيخ والقثاء والباذنجان والرمان والليمون والبرتقال والسفرجل والخيار والحش والبصل والتين والبطاطس والدبا والغنم والبقر، أضف إلى ذلك العنب وأنواع التمر والخضر، ولا ريب أن لديهم بركة كما دعى لهم الخليل عليه السلام ولكل بضاعة سوق خاص فللقماش سوق، وللنجارة كذلك حتى تصل إلى مبيع الفحم والحطب.

ولقد بنى صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز مساجد كثيرة فيها وجدد مساجد أيضاً وقد كتب على ألواح فيها من الخارج بالخط البارز براعة استهلال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، ومن أهم المساجد التي رأيتها فيها بعد المسجد الحرام مسجد بناه الملك المذكور، وكان يقع أمام قصره في المعابدة، وقد أحكم بالإسمنت المسلح.

المسجد الحرام في الوقت الحاضر

إذا دخلنا مع باب السلام إلى المسجد الحرام فإننا نجد هناك مكاتب ملئت بالكتب والمصاحف والدفاتر والأقلام والمحابر وما إلى ذلك، ومما يؤسف جد الأسف أن غالب هذه الكتب إنما هي عصرية لكنه قد يوجد في بعضها كتب دينية وإننا لنأمل من أرباب هذه المكاتب لما عرف من أدبهم وأخلاقهم الطيبة أن يجزّلوا

جانب كتب السلف ويوجدوا لها كمية لا سيما وفيهم الرجال الأمثال الذين يشهد لهم الوقت بالثابرة على تحجني الأدب واكتسابه.

ألا وإن المسجد الحرام قد احتوى على أروقة رحبة واسعة تحيط ببيت الله الكعبة المعظمة وبئر زمزم ومقام إبراهيم وحواليها المقامات الأربعة إذا ولج المؤمن في ذلك المسجد فليس له التفات إلى الدنيا نشاهد هناك البيت الذي حجه الرسل قبلنا ونطوف به ونمسح أركانه على وفق المشروع ونصلي في جوانب المسجد ونتمتع برؤية الكعبة مليحة اللباس جميلة المنظر فما شئت من سرور وبهجة وفرح وكشف هموم وغموم.

ولقد بذلت الحكومة جهوداً في نظافة المسجد وترميمه وملئ بلمبات الكهرباء حتى أمسى كأن لم تغب الشمس عنه في ليل ولا نهار وتمكن القارئ من أن يقرأ بالكتاب في كل موضع من مواضعه وقد خدم المسجد الشريف بالشرطة الأكفاء لتوطيد الأمن وتنظيم الحجاج والمعتمرين من الرجال والنساء عن الاعتداء بعضهم على بعض وجعل لهم مخفر هناك، ولا يزال عن يمين الحجر الأسود ويساره اثنان على الدوام يتناوبونه بالمرّة قد كلفوا بحفظه ورعايته ليلاً ونهاراً فلا يتخلون عنه وإذا جرى تشويش في المسجد الحرام وألجأت الضرورة فإنها تصيح الصافرة للاستغاثة بالدوائر الأخرى فتنهمر العساكر على المسجد كالسيل فما هي إلا لحظة ثم يزول الإشكال.

أما الأغوات فعبید قائمون على أقدام الجدد لمباشرة أعمالهم من التنظيفات والتنظيم وترتيب صفوف الرجال والنساء حوالي الكعبة عليهم آثار الهدوء والسكينة واحدهم خصى لا شهوة معه فلو رأيتهم وهم يقبلون النساء وينظمون صفوفهن بكمال الثقة عليهم فلانس كبار مستطيلة جداً طوال الأكمام محترمين يرشدون إلى لزوم النظام والهدوء والسكينة، ولقد حرصت مكة وضبطت بالعساكر والحرس، ونجد فوق قلاعها مدافع ضخمة قد صوبت إلى البلد أما ما كان من أمر الشحن والذهاب والإياب فإنها لا تزال السيارات والعربات والحيل والبغال

والجمال والحمير تروح وتغدو وفي مكة مطاعم كثيرة وقهاوي ومجالس وأشياء أعدت بكثرة وفيها مطابع للكتب، والصحافة كمجلة الحج، ومجلة المنهل وجريدة البلاد السعودية، وهي أكثر جرائد الحجاز ذيوياً وأشهرها وتصدر يومياً وجريدة أم القرى، وهي الجريدة الرسمية للحكومة السعودية وتصدر أسبوعياً وجريدة المدينة المنورة، وفي مكة مكاتب ومراكز وسهرت الحكومة على شئون الحجاج وراحتهم والعناية بهم طيلة إقامتهم بالأراضي المقدسة وتنظيم المشاعر كمنى ومزدلفة وعرفات والجمرات وتوفير المياه وموضع البسط لا تتسع له هذه الأوراق وكانت مكة تسقيها على العموم عين زبيدة.

وإذا سرنا إلى جدة فإن تعبيد طريقها قد ربطها بمكة ولكثرة السيارات بينهما أصبحت مدينة جدة كأنها أحد زوايا مكة وقد توالى القهاوي في الطريق والمراكز والمزارع فأول مركز نمر به الشميسي ثم مجره وكانت قرية ضعيفة ثم أم السلم ثم نصل إلى جدة. إن جدة تقع في منتصف ساحل البحر الأحمر الشرقي تقريباً على خط عرض ٢٨ ٥٢١ ك شمال.

وقد اختلف في أول من اختطها فقليل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه جعلها ميناء لمكة.

وبعضهم يقول أنها موجودة في العصر الجاهلي ويقدر عدد سكانها بمائة وخمسين ألفاً وكانت أزقتها قد تحسنت وتنظمت من حديث ومنازلها منخفضة وعلى جدة مظاهر النظافة وفيها بيوت السفارة القناصل ويرد إليها من البحر الأحمر ثروة بليغة ومستقبلها زاهر، وقد أقيمت فيها بيوت من الحجر والإسمنت واطمئن أهلها لكثرة المياه العذبة فيها بعد ما كانت محرومة منها فقد مدت إليها الحكومة أنابيب من وادي فاطمة بعد ما كانوا يشربون من الكنداسة وإذا سرنا منها إلى المدينة فيوجد في الطريق محطات أهمها رابغ وأبيار بن حصاني والمسيجيد وأبيار علي وهي ذو الحليفة.

أما المدينة المنورة

فهي مهاجر الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فمناخها طيب لأن الجبال لم تضايقها وتسقيها على العموم عين الزرقا ولا تخلو غالب البيوت من الآبار احتياطاً، وكانت مركز الخلافة في عهد الرسول وأبي بكر وعثمان وقد أولتها خلفاء الدولة العباسية عطفاً وعناية كما قد أولتها بعدهم الدولة العثمانية اهتماماً وعناية ولو لا ما فدحت به المدينة من الزعازع والكوارث المتابعة التي منها وقعة الحرة والتي بعدها في زمن المنصور وغيرها وآخرها الحرب بين الأتراك والحلفاء في إمارة فخري باشا وما كابده أهلها من الجوع والمخاوف والمهالك حيث اضطر أهلها إلى الهجرة منها إلى البلدان الأخرى لكان لها منظر غير منظرها الحالي وباستيلاء الحكومة السعودية عليها عادت إليها الطمأنينة والسكون ونسأل الله تعالى أن يمنح مدينة الرسول ومهاجره التوفيق والتمكين.

وإذا أطلقت هذه الكلمة فالمراد بها بلد الرسول ﷺ ومهاجره فالمدينة علم على هذه البلد التي هاجر إليها الرسول ودفن بها فإذا أطلقت تبادر إلى الفهم أنها المراد بذلك وإذا أريد بهذه اللفظة غيرها فلا بد من قيد وتسمى بيثرب وتسمى حرم الرسول، وسيدة البلدان، وطيبة، وطابة، ولها أسماء غيرها.

وكان سكانها العمالق ثم نزلها طائفة من بني إسرائيل، ثم نزلها الأوس والخزرج، ولها فضائل كثيرة.

ومن الآثار فيها قبره ﷺ وقبر صاحبيه، فإن حجرته ﷺ ضمت جسداً ما كان في الأرض ولا في السماء ولا العرش ولا حملته أفضل منه ما عدى الجبار جل وعلا فإنه أعظم من كل عظيم، ومن الآثار فيها منبره ومصلاه ومسجده، وقبور بنيه وبناته وزوجاته أمهات المؤمنين، وقبور أعمامه، وعماته نورها الله عليهم وصب عليها من شايب رحمة، فيالها من مناظر تبكي الحبيب وتذرف دموع المؤمن.

ومن الآثار فيها مسجد قبا وبئر أريس وبئر معونة وبيرحاء، ووادي العقيق وأحد، والشهداء والبقيع، فلو رأيت تلك الآثار لتذكرت النبي المصطفى المختار ﷺ وعهده وما كان عليه، ولسكنت الدموع من المحاجر، وتردد الشهيقة في الحناجر. ولقد زادت الحكومة السعودية في الاحتفاظ بحجرة الرسول ﷺ وبذلت جهوداً في تنظيف المسجد النبوي وحراسته، وفرشه بفرش مثمينة، وإضاءته بالكهرباء والثريات، وعمّرت المسجد عمارة ضخمة على الطراز الحديث، وأوسعت أروقته وفتحت شوارع محيطة به على أكمل وضع وأتم تركيب، بحيث نقول لا تستطاع الزيادة على هذا التحسين فأصبح المسجد النبوي كروضة من رياض الجنة، وكان يرجع تاريخ عمارته على شكله قبل العمارة السعودية إلى عهد السلطان مراد خان سنة ٩٩٨هـ، ثم عمّره السلطان عبدالمجيد، أما المساجد فيها بعد قبا، فمسجد الجمعة سمي بذلك لأنه أول مسجد صلى فيه الرسول ﷺ أول جمعة بالناس، ومسجد الفتح، ومسجد الأحزاب، وأقيم في المكان الذي دعا فيه الرسول على الأحزاب في غزوة الخندق فاستجيب له، ومسجد القبلتين، ومن الآثار بئر رومة التي اشتراها عثمان بن عفان وأوقفها على المسلمين، ونجد على أهل المدينة وعساكرها الهدوء والسكينة والرفق واللين، وقد ملئ المسجد النبوي بالساعات والهدايا.

ومن مدن الحجاز الطائف الذي هو مصيف الحجاز لا سيما أهل مكة، وهو مدينة تقع في الجنوب الشرقي من مكة، وجو هذه المدينة معتدل للغاية، ومياهها غزيرة، وتكثر فيها الخضراوات والفاكهة، وتنمو فيها الأزهار التي يستخرج منها المياه العطرية.

أما ينبع فميناء المدينة المنورة وتقع على ساحل البحر الأحمر.

وتنقسم إلى قسمين ينبع البحر، وينبع النخل، وكانت هذه واحة كثيرة النخيل أهلة بالسكان وحوالي جهات الحجاز الشمالية تبوك وخيبر والعلا وتيماء وغالب مدن الحجاز تسقيها عيون كعين الزيمة وعين الشرايع وغيرها.

فهذه نبذة يسيرة حررتها أمام المقصود؛ ولقد أصبحت تلك الأماكن آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ضد ما كانت عليه قبل ذلك.

ولنشرع في المقصود والله المستعان وعليه التكلان، وقد وجدت في بعض التواريخ بين يدي شيخنا عمر بن محمد بن سليم وضبطه لها أن ما بين آدم أبي البشر وولادة نبينا محمد ﷺ ٦٢١٩ سنة، فيكون ما مضى مم خلق آدم إلى سنة ١٢٦٨ هـ، ٧٥٤٠ سبعة آلاف وخمسمائة وأربعين سنة والله أعلم.

واعلم أنني كمؤرخ للحوادث والوقعات ووفيات الأعيان، وليس هذا بمقام انتصار لأحد. فأقول ومن الله أستمد الصواب:

ثم دخلت سنة ١٢٦٨ هـ

استهلت هذه السنة والإمام في نجد على الإطلاق، هوفصل بن تركي بن عبدالله آل سعود وقد ساعدته الظروف والأحوال، وأعد نجله الأمير عبدالله في ذلك الوقت قائداً للجيش، وكان عبدالله إذ ذاك منصور اللواء يغير بالجنود الإسلامية ويقيم ما اعوج من القبائل والبلدان.

وفيها قدم المدينة عساكر كثيرة من قبل والي مصر عباس باشا بن أحمد طوسون ابن محمد علي، وشاعت الأخبار بأنهم يريدون الخروج إلى نجد.

فلما أن كان في جمادى الآخرة خرج محمد بن ناصر من المدينة متجرداً للقتال من قبل الأتراك، وانضم إليه كثير من بادية حرب، فأغاروا على ابن سقيان من بني عبدالله على الفوارة وأخذهم، ثم رجع إلى المدينة ومعه عساكر كثيرة، وتبعه كثير من عربان حرب، فأغاروا على الغضيان عرب الضييط من عتيبة على الدفينة، فأخذهم ورجع إلى المدينة أيضاً، وكان ذلك في رجب من هذه السنة.

ولما أن وصل الخبر إلى الإمام فيصل أمر بالجهاد وكتب إلى جميع الرعية، ثم صاح بالنفير وخرج بجموع أهل العارض والخرج، ونزل الجمعة فاجتمع إليه هناك غزو بلدان عسير والمحمل والوشم والقصيم، وولى على قضاء بلدان سدير فضيلة الشيخ عثمان بن علي بن عيسى، وكان قبيلة سبيع.

ثم لما كان في شهر رمضان جاءت الأخبار بأن عباس باشا، وإلى مصر جهاز جيوشاً كثيرة إلى بلدان عسير، فحصل الأمن والاطمئنان لنجد وأهلها، وكان عباس باشا قد ضم إلى هذه الجيوش من في المدينة من العساكر فتوجهت أولئك العساكر إلى بلدان عسير وجرى عليها من الأسر والقتل ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ولما تحقق الإمام فيصل الخبر عن تلك العساكر ارتحل من بلد الجمعة بمن معه من جنود المسلمين وصبح الصهبة من مطير على أم الجماجم، فأخذهم ثم رجع إلى الرياض وأذن لمن معه من جنود المسلمين بالرجوع إلى أوطانهم، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

وفيها في ذي القعدة بعث السلطان عبدالمجيد خان طوقاً من ذهب للحجر الأسود زاده الله تشريفاً وتكريماً، ولا زال يقبل ويستلم في أثناء الليل والنهار، وأمر بأن يجعل عليه ذلك الطوق، وكان بعثه صحبة الشريف عبدالمطلب، ويقدر ذلك الطوق بألف دينار، ثم إنه أزيل طوق الفضة القديم وركب الذهبي.

وقد قيل أنه وزن فكان عشر أوقيات من الذهب الخالص، ولم يعلم أن الحجر الأسود قد طوق بالذهب غير هذه المرة، وكان هذا الطوق في غاية الحسن من التنقيش ومكتوب فوقه.

بسم الله الرحمن الرحيم، وحواليه آية الكرسي وبعض آيات قرآنية، وأصل ذهب هذا الطوق من كنز وجد بمكة في شعب جباد، وأخرج الطوق الأول من الفضة فأرسل إلى الأستانة عاصمة الدولة العثمانية إذ ذاك وبهذا وأمثاله نعرف باهتمام الدولة العثمانية بالحرمين الشريفين، إن الله عز وجل جعل هذه الأماكن المقدسة محترمة لدى العالم أجمع، ولا تزال الحكومات الإسلامية في قديم الدهر وحديثه تولي الحرمين عناية واهتمام، ومن أبلغ ما بذل من الجهود فيما قبل آل سعود الذين لم يدعوا ذكراً لمن قبلهم هم سلاطين آل عثمان حيث عمروا الحرمين، وجدوا في سبيل العناية بهما، نسأل الله تعالى أن يعمرها بالطاعة والتقوى وأن يجعلهما على الدوام ملجأ للحجاج والعمار والزوار.

ثم دخلت سنة ١٢٦٩هـ

ففيها أنزل الله الغيث في أوائل الموسم ثم إنها تتابعت الأمطار والسيول وعم الحياء بلدان نجد، وكثر الخصب ورخصت الأسعار جداً، فبيعت الحنطة ثلاثين صاعاً بالريال، وبيع الأقط من ثمانية وعشرين صاعاً إلى ثلاثين صاعاً بالريال، وكثرت الكمأة حتى أنها بيعت في تلك السنة خمسين صاعاً في ريال قلت يا عجباً سبحان المتصرف في ملكه فإن الكمأة يومنا هذا تساوي خمسين صاعاً منه خمسمائة ريال كما أن الأقط الآن كذلك في القيمة، وبيع التمر في تلك السنة ستين وزنة بريال، وفي بعض البلدان سبعين وزنة، وبيع السمن ثلاث عشرة وزنة بريال.

وفيهما حصل بين عائض بن مرعي رئيس بلدان عسير وبين العساكر المصرية عدة وقعات نصره الله فيها عليهم إلى أن استأصلهم قتلاً وأسرأ، وكانت الدولة العثمانية تحاول بذلك الاستيلاء على اليمن وعسير، ولما نزلت جيوشها بقيادة توفيق باشا في الحديدة استرجعت أولاً الحكم من الشريف حسين بن علي بن حيدر، كان هذا من أبي عريش الذين كانوا يحكمونها ثم عاد الشريف بعد ذلك إلى مقره أبي عريش؛ ولما نزل توفيق باشا بلد الحديدة بانتداب الدولة استولى على أبي عريش، وتقدم بجيوشه إلى صنعاء، ولكنهم لم يستولوا عليها ولا تمكنوا من البقاء في اليمن الأعلى إلا أن الثورات في تهامة ولحج أضعفت شوكة الإمامة، وقسمت البلاد، ولما نصر الله تبارك وتعالى عائض بن مرعي على العساكر المصرية كتب إلى الإمام فيصل بشارة بذلك وأرسل إليه هدية معها قصيدة لقاضيهم علي بن الحسين الحفطي يذكر فيها مفاخر قومه وما أعطاه الله أميرهم عائض بن مرعي من الظفر والنصر على الأعداء في وقائع سماها وهي هذه القصيدة العظيمة:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| أيأ أم عبد مالك والتشرد | ومسراك بالليل البهيم لتبعدي |
| وما أواك أوصاد الكهوف توحشاً | ومثواك أفياء النصب وغرقد |
| وما جاوزت ساقاك من سفح رهوة | واشعافها ما بين عال ووهد |
| ومسراك من ذات العميق وكوثر | ونهران من در القذال الملبد |

وما السران بدلت قصراً مشرفاً
فما مثل هذا منك إلا لضيقة
فقال رويدا يا أبا عبد إنما
عرمرم جيش سيق من مصر معنفا
ويسبي ذراري الأكرمين جبارة
فقلت لها مهلاً فدونك منهم
وضرب يزيل الهام عما ربت به
وطعناً ترى نفذ الأسنة لمعا
قفي وانظري يا أم عبد معاركاً
وإن كنت عنها في البعاد فسائلي
وفيها ليوث الأزد من كل شيعة
وفيها رئيس عائص حول وجهه
خليفة عصر للحنيفي مثقف
فيالك من يوم الحفير وما بدا
ويالك من يوم اللحوم سباعه
ويالك من أيام نصر تتابعت
تظامت رقاب الروم فيها عبوقها
فأضحى جثثاً في البقاع مر كما
ويالك من يوم المزارع لواءه
كان تقحام الشريد وعوره
تخرمها نحو الهجير وإنها
ويا عجباً من في حظي وما دنا
وفي ربوة الشعين داهية أتت
ويوم المقضى قد تقضت أمورهم

وعرشاً وفرشاً بالعري والنلد
من العيش أو من سوء أخلاق معتد
أضاق بنا ذرعاً شديد التواعد
لهتك أستار النساء ويعتد
وينظم سادات الرجال بمقلد
ضروب حماة بالحديد المهند
ويظهر مكنونات أجواف أكبد
من القوم يعوى جرحها لم يسدد
يشيب لها الولدان من كل أمرد
ففيها أسود من مغيد بمرصد
يصالون نار الحرب حرباً لمعتد
حياض المنايا أصدرت كل مورد
لما اعوج منه في حجاز وأنجد
لريدة من طول القتام مشيد
شباع وطير الجو تحظى لمشهد
بها من شواظ الحرب ذات التوقد
كاعاق دود للجراد المقدد
تزعزعه ربح العشية والغد
تقنع بالصرعى به كل مقعد
قرود نحاه فجاة أعسر اليد
لتعهد منه فري ناب ومفصد
لوادي كسان من قتيل مسند
عليهم فما أغنى دفاع بعسجدي
بفاقرة الظهر التي لم تضمد

ومن قبل ذا يوم العزيزة عزهم
كتائب فيها صرعوا ثم غودروا
بأيدي رجال من شؤة جدهم
تداعى عليهم من صميم أصولها
ففاخر بهم يا خاطباً فوق منبر
ليهن من بني قحطان مجد فخارهم
فيا راكباً أما لفيت ببيشة
فسلم على قبر شكبان سالم
يحامي على التوحيد حتى عرى له
ومر على أجزاء ظلفع قف بها
على ظهر قباء الكلى لا يربها
تشر الحصا بالخف كالخذف قبلها
كما ثر من عين برملان وحشة
توسمت الوسمي أما بكوره
وأما ثوانيه فإن زال ضعنها
نعللها منه غواد فاشطأت
فأضحت تسامي في سنام كأنها
فقل لمعد لا تغر بسرحها
بسمر العوالي والمراضي ودونها
وأما أجازتك الدخول فحوملا
وسقها إلى نجد يؤمك ليلها
وإن خلأت يوماً لشحط مزارها
ودعها عن التهجير حتى إذا رأت
وأشرف على وادي اليمامة قائلاً

ذليل بضرب المشربي المجرد
بأشلائهم قاني الدماء المكبد
رقى بهمو مجدا إلى حذو فرق
ثبات وجمع كالحيط المزبد
على الناس فاقوا بالحسام وسود
مدى الدهر في نادي بواد وأبلد
وما دفعته من ضراب وفد فد
فقد كان قد فلق دم كل سيدي
من الخنف كأس جرعه ذو قرد
قليلاً وما يغنيك عن ضرب معبد
حفا حزن منجاة قفر منك
وقد ضاق هما صدرها للتعبيدي
يحفله قناصه بالترصد
فمن نقأ الدهناء سعدانها الندي
فمن حضن حتى الرشاء المهد
بقول ورمث زهرها ذو تطرد
بنجد تليع الهضب عالي التصعد
فتلقى كماء الحي جنباً بموعد
وميض لموضون الحديد المسرد
فصباحا فعرضاً فالسراديح فاعتد
بنات لنعش والضحي فيه تهتد
فأبدل بها عيناء ذات التعرد
وروداً بماء من صفار فأورد
ود معك سفاحاً على الخد والثد

سلام على عبدالعزيز وشيخه
دعا الناس دهرأ للهدى فأجابه
وقفاهما حذوأ سعود بسيفه
وعرج بها ذات اليمين وقد هوت
ونادى بأعلى الصوت بشرى لفیصل
إليك نظاماً نشره في وقائع
فعثرون ألفاً من قضى الله منهم
ولم ينج منهم غير قواد قومهم
كان أنین الموقمین ومن به
أنین معین زادها داؤها الذي
أرى ساكني الأمصار قد حل فيهم
أتاهم بها إذ غاب نجم مشعشع
فكل الذي لا قوه يحسب دوغماً
فقل لدليل القوم هلا أفاده
ومهما أعادته الأماني مجربنا
ويا قافلاً أما ثنيت زمامها
ولاح سهيل ضاحكاً لك ثغره
فسلم على الأحباب تسليم موجد
وأخر قولي وابتدائي فيهم
وآل وصحب كلما قال منشد

وتابع رشد للإمام المجد
فنام فمنهم عالمون ومقتدي
يميز مجود النقود من الرد
على عرصات للرياض بمقصد
ومن نسل سادات الملوك مسدد
على جحفل المصري قد شد باليد
فما بين مقتول وعار مجرد
على صافنات في قليل معودي
جوارح رمي قاصفات لأعمدي
بأكباد آضني عليها ليتدي
عقاص فاصماهم على كل مرقد
من الجو في مغرابه نحس أسعد
تعكس من حزم الهمام المعمد
من العلم أن البغي قتال معقد
نصبتا لهم أمثالها بالحدد
وأقبلت ما استدبرته للتعودي
وقد لمحتة عينها مفلق الغد
ولا تنس جيران البجير بالحد
صلاة وتسليم على خير مرشد
أيام عبد مالك والتشرد

ولما وردت هذه القصيدة أجاب عليها الشيخ أحمد بن علي بن مشرف رحمه الله
بقصيدة فريدة، ذكر فيها مآثر آل سعود ومناصر تهم للشيخ محمد وعرج في آخر
القصيدة بمديح الأمير عائض بن مرعي وشيعته وختمها بطلب قبولها والعطف
عليها وترك أم عبد ذات التشرد.

وفيهما غزا الإمام فيصل بن تركي يريد الجبلان من مطير فزحف من الرياض حتى نزل على رماح، وكتب إلى أمراء بلدان نجد يأمرهم بالقدوم عليه بمن معهم من الغزو فقدموا عليه في ذلك الموضع، فقاد الجيش بنفسه حتى صبح الجبلان على الوفراء، فأخذهم وقفل إلى الرياض ثم أمر ابنه بالمسير بمن معه من جنود المسلمين الحاضرة والبادية وقصد عربان آل مرة وكانوا قد أكثروا الغارات على أطراف الأحساء فصباحهم وهم على النعيرية، وأخذه وقتل منهم عدة رجال ثم زحف منها على نعيم ومعهم أخلاط من بني هاجر والمناصير وهم على سلوى، وأخذهم وأقام هناك أياماً وقسم الغنائم وأذن لمن معه من البوادي بالرجوع إلى أوطانهم، ثم توجه بمن معه من الحاضرة إلى عمان، وكان قد بلغه أنه وقع فيهم بعض الاختلاف بين رؤساء البلدان فلما قرب من البلاد تلقاه الرؤساء والكبراء، والأعيان للسلام وقابلوه بالسمع والطاعة والانقياد، وكان عاقلاً حليماً عادلاً شهماً حازماً حسن التدبير فعاملهم بالرفقة والإحسان فاطمئن الناس واستبشروا بقومه وانهالت إليه الهدايا والتحف، فقبض خراج البلاد، وأقام هناك إلى النصف من ذي القعدة ثم قفل راجعاً إلى بلده وأذن لمن معه من أهالي النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيهما وقع الاختلاف بين الأسرتين أسرة راشد بن ثامر بن سعدون بن محمد ابن مانع بن شبيب، وأسرة عقيل بن محمد بن ثامر بن سعدون، وكان قد انحاز مع الآخرين أسرة عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون، وهذا الاختلاف في طلب الرياسة على المنتفق وانقسمت عربان المنتفق عليهم فحصل بينهم وقعة شديدة بالقرب من سوق الشيوخ فصارت الهزيمة على أسرة عقيل وأتباعهم من أسرة عيسى، وقتل رئيسهم عبدالله بن عقيل بن محمد المذكور، وقتل من الفريقين خلق كثير فصارت الرياسة لمنصور بن راشد بن ثامر بن سعدون ثم سار بعد هذه الواقعة محمد بن عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون إلى بغداد، وطلب من الوزير عسكرياً لقتال أسرة راشد فجهز معه عساكر كثيرة، وتوجه بهم لقتال المذكورين، وأمر الوزير آل قشعم وآل بعيج وغزية بالمسير مع محمد

بن عيسى المذكور وأطعمهم في العطاء فتبعه منهم جمع غفير، ولما أن علمت أسرة راشد بما بيّته لهم أولئك انهزموا إلى بادية الظفير، وأقاموا هناك فاستقل محمد بن عيسى بولاية المنتفق.

ثم دخلت سنة ١٢٧٠هـ، ففيها أنشأ الشيخ عارف حكمة مكتبة في المدينة المنورة وأرسل إليها ستة آلاف كتاب من كتبه، وأراد أن يأتي ببقيتها بنفسه ليضعها في مكتبته غير أن المنية عاجلته قبل ذلك وبيعت الكتب الباقية بأجنس الأثمان وكان عارف هذا مولعاً بالمطالعة وجمع نواذر الكتب ولا يزال يلهج بالبحث والمطالعة ومن شعره في ذلك قوله:

أروح وأغدو في التهاب وغلة لفرط اشتياقي في مطالعة الكتب
إذا ما خلت نفسي وصرت جليسا أراني كعطشان على المنهل العذب
أهم ولو كانت بحوراً بشربها ولكنه لا يرتوي أبداً قلبي
وقد جمع من الكتب ما يقرب من عشرة آلاف كتاب.

وفيه ولد الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون، وكانت ولادته في الأستانة لأن أباه كان فيها ثم عاد بعد سنتين من ولادته إلى مكة مع والده، وجده ثم عاد والده علي إلى فرق وأقام فيها إلى أن توفي والده بعد سنة، وكان علي في تلك المدة عضواً في المجلس الأعلى ثم صار وزيراً وعين عضواً في مجلس الشورى للدولة العثمانية، وكان الحسين بن علي في صفته رقيق البشرة معتدل الأنف دقيقه له جبين رفيع وضاح يظهر بكمال بهائه عندما يرفع العقل، وقد يلبس العمامة، وله عينان فيهما نور يشع من حدقتين عسيلتين تحيط بهما هالة زرقاء، وله ابتسامة تجذب القلوب، وكان فصيحاً معجباً بنفسه، وإذا تكلم فإنه يردد لفظة أقول كذا لأن صوته خفوتاً تضعيع عنده الكلمات، فيعيدها مثبّتاً ممكناً، وفي كلامه لغز ورموز ويبين من أخلاقه هممه التي ستصدر بعد ذلك منه.

وفيه في صفر توفي الشيخ أبو بكر بن محمد الملا الحنفي الأحسائي صاحب مختصر التبصرة، وكتاب حادي الأنام إلى دار السلام، وله مؤلفات وهذا هو الذي رد عليه الشيخ سليمان بن سحمان.

وفيها أيضاً ولد الشيخ إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن عيسى في بلد شقراء ، وهذا هو المشهور بالمؤرخ بن عيسى وضع ذيلاً مختصراً لتاريخ بن بشر بلغ فيه إلى غاية القرن الثالث عشر.

وفيها قتل والي مصر عباس باشا بن أحمد طوسون بن محمد علي صاحب مصر فأقيم بعده على ولاية مصر عمه سعيد باشا بن محمد علي.

وفيها: في شعبان ثار أهل عنيزة على أميرهم جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأنزلوه من القصر وأخرجوه من بلدهم، وكان قد جعله أميراً فيها أخوه الإمام فيصل سنة ١٢٦٥هـ، ونزل إذ ذاك هذا القصر في عنيزة، وكان أميراً على سائر القصيم.

وسبب ما جرى منهم عليه أنه حصل بين بعض خدمه وبين بعض أهل عنيزة نزاع، ولم تتفق الحال لمصلح يسعى بالرشد فكتب أهل عنيزة شكاية الأمير جلوي على أخيه الإمام، فعلم الأمير بسعيهم وحصل بسببها وحشة بينه وبينهم فأل الأمر إلى أن أخرجوه، وتعتبر هذه زلة من أهالي عنيزة أخطأوا فيها فغضب لذلك القاضي الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين، وخرج بأولاده وحرمه إلى بريدة.

وكان الأمير جلوي قد سار منها أيضاً إلى بريدة وأقام فيها، ولما أن أخرجوه وسار بمن معه إلى بريدة كتب إلى أخيه الإمام يخبره بذلك فتأثر الإمام لهذا الخبر وغلب عليه الغضب، واشتعل الغيظ في جأشه والتهب وقام وقعد وكتب إلى جميع البلدان يستنفرهم لجهاد عنيزة، وبعث عبدالرحمن بن إبراهيم بسرية من الرياض فينزل في بريدة وبعث غزو ضرما والقويعة إليه وأمره بقطع سابلة أهل عنيزة، فزحف عبدالرحمن بمن معه من الجنود وأغار على أطراف عنيزة وأخذ ما وجده من المواشي ثم رجع إلى بريدة.

ولما كان في ثالث ذي الحجة خرج عبدالله بن الإمام فيصل من الرياض بغزو أهل الرياض والجنوب، وعقد موعد الغزو أهل سدير والوشم في بلد شقراء ، فلما

أن وصل إليها وجد الجيوش قد اجتمعت هناك وذلك يوم عيد النحر، فسار بتلك الجنود يقودها إلى عنيزة، ولما أن كان في اليوم الخامس والعشرين من ذي الحجة صبح أهل الوادي وأخذ جميع ما عندهم من متاع وأثاث ومواشي وقتل منهم نحو عشرة رجال، وأمر عبدالله بن الإمام بقطع نخيل الوادي فخرج عليهم أهل عنيزة ومعهم خلائق كثيرون من أهل القصيم ومن البادية فحصل بين الفريقين وقعة شديدة في الوادي قتل فيها عدة رجال من الفريقين منهم سعد بن محمد بن سويلم أمير بلدة ثادق من قبل الإمام، ثم إن عبدالله بن الإمام ارتحل بعد هذه الوقعة من الوادي ونزل العوشزية، ثم رحل منها ونزل على روضة الربيعية وقدم عليه طلال بن عبدالله بن رشيد بغزو أهل الجبل من حاضرة وبادية.

وكان أهل عنيزة لما عزلوا الأمير جلوي لم يتعرضوا لما معه من الأموال والسلاح، وجعلوا أميراً على بلدهم عبدالله بن يحيى بن سليم، وسليم هذا لقب على سليمان بن يحيى بن علي بن عبدالله بن زامل، وكان بيت الإمارة من آل سليم، أما جلوي هذا الأمير فإنه ولد الأمير الشجاع الفاتك عبدالله بن جلوي أمير الأحساء.

وكان منصور المطرودي وأخوه حمد المطرودي من سكان عنيزة ثم انتقلا إلى العوشزية، وسبب ذلك أن منصوراً هذا كان بينما هو شيخ كبير قدّر أنه كان ذات يوم جالساً في الطريق في بلدة عنيزة إذ مر الأمير وكان في فكر مستغرق، فلما جاوزه لم يسلم عليه فوجد منصور في نفسه على الأمير وناداه باسمه ألا تلقي تحية الإسلام وهي السلام بل تجاوزني كأنك لا تعرفني، ونسيت أياماً مضت بيننا من المساعدة والمناصرة، فجعل الأمير يقلب الحيلة في التخلص من هذا السهو ويعتذر، غير أن منصوراً أبى أن يقبل منه عذراً، ثم إنه طلب من أخيه حمد النقلة إلى العوشزية الواقعة إلى جهة الشرق عن المدينة بقدر من عشرين كيلو متراً فسكنها وأخوه.

ولما أن كان في إمارة جلوي بن تركي قدر أن المطرودي وأولاده ذهبوا لصلاة الجمعة في عنيزة لأنه إذ ك لم يتأسس لديهم جمعه، فلما كان في ذلك الوقت، جاء

لصوص من الخنشل فاستاقوا إبل أهالي العوشزية، وأخذوها غنيمة باردة وكانت القرية قد خلت من الرجال فلم يبق سوى الخدم والنساء والصبيان، وكان لمنصور ابنة تدعى مزنة المنصور خالة عبدالله بن جلوي، فلبست ثياب أخيها وامتشقت الحسام وأمتطت الفرس وأمرت أحد الخدم أن يركب فرساً أخرى، فشدت في طلب القوم حتى أدركتهم فقالت لهم جنبوا عن الأدباش، فقالوا: أخرج جواباً للمذكر لظنهم أنها رجل، فأقسمت بالله لأن لم تجنبوا لتفاقدوا العدة، فلما رأوا تصميم الفارس قالوا لها: يا هذا اجعلنا في وجهك، فقالت: ممنوعين على رقابكم، فأجابوا يقولون: من نحن في وجهه، فأجابت بوجه حماد المطرودي، ثم إنها استأقتهم مع الأدباش حتى ألبتتهم إلى مزارع العوشزية وأسرتهم، فلما أن جاء الرجال راجعين إلى القرية مع غروب الشمس إذا بها قد قدمت العشاء، فلما أن قيل تفضلوا يا ضيوف؟ أجابوا يقولون: والله لا نطعم حتى يحضر مضيفنا، فتكلم منصور يقول: إن مضيفكم ليس بمحاضر وإنما مضيفكم امرأة، وهي التي طبخت عشاءكم، فظهر بذلك أن الذي كسر أولئك الأبطال وأسره امرأة، فشاع ذكرها فتزوجها جلوي بن تركي، وولدت له ابناً سعوداً وبناتاً.

وبعد ما توفيت سأل جلوي: هل لها من أخت، فلما تحقق ذلك جاء يخطبها، فقال منصور المطرودي: ما لدي سوى ابنة صغيرة، فطلب الأمير منه أن يزوجه أختها وهي ميثا، وإن كانت ذات أولاد، فتزوجها ثم توفيت، فخطب الثالثة وهي رقية، فتزوجها وولدت منه عبدالله بن جلوي، ومن ذرية منصور المطرودي ثامر ابن علي بن محمد بن عبدالله بن منصور، ومن ذرية حمد عبدالعزيز بن محمد بن سليمان بن محمد بن حمد.

وفي هذه السنة شرع في عمارة المسجد النبوي، وكان الذي تولى ذلك السلطان عبدالمجيد خان، واستمرت هذه العمارة نحواً من أربع سنين، نسأل الله تعالى أن يعمره بالطاعة.

ثم دخلت سنة ١٢٧١هـ ففيها قدم على عبدالله بن الإمام فيصل بقية غزو

أهل نجد، واجتمع عليه من الخلائق بادية وحاضرة مالا يحصيهـم إلا الله تبارك وتعالى، فلما اجتمعت تلك الجنود زحف بهم عبدالله من روضة الربيعية يريد قتال أهل عنيزة، فنزل الحميدية ثم ارتحل منها ونزل الغزلية، فاشتد الخطب وعظم الهول، فعندها طلب أهل عنيزة من ابن الإمام الصلح، وكان الإمام فيصل قد ذكر لابنه أنهم إن طلبوا الصلح فأجبهـم إليه، ويكون ذلك على مواجهتي وعلى يدي، وكان ذلك عادة له لما فطر عليه من الشفقة والرفقة بالمسلمين جزاء الله خيراً، فكتبوا بذلك إلى الإمام فيصل فأجابهم إليه وأعطاهم الأمان على أن الأمير الجديد عبدالله بن يحيى بن سليم يقدم عليه في الرياض، فسار الأمير عبدالله بن يحيى من عنيزة، وقدم على الرياض، وطلب من الإمام العفو والإحسان، واعترف بما صدر منهم من الخطأ والعصيان، فقبل الإمام معذرتـه وصالحه على أشياء طلبها الإمام منه والتزم بها الأمير، وتم الصلح فأذن له بالرجوع إلى بلده، وكتب الإمام إلى ابنه عبدالله يخبره بما وقع عليه الصلح، وأن يرجع إلى بريدة ويأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، فقفـل القائد الأعلى إلى بلد الرياض ومعه عمه جلوي، وأذن لأهل النواحي ممن كان معه بالرجوع إلى أوطانهم، ورحل الشيخ القاضي أبي بطين معه بأولاده وحرمه إلى بلد شقراء ، فتلقاه أهلها بالسلام واستبشروا به وكان ذلك في ربيع الآخر من هذه السنة.

وفيهـا أعاد الكرة أسرة راشد بن ثامر بن سعدون، فأخذوا في جمع الجنود وساروا لقتال محمد بن عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون الذي قد غلبهم على الرياسة في المنتفق كما تقدم عن قريب، وقام مع أسرة راشد سلطان بن سويط بمن معه من الظفير، وسار معهم صقر بن حلاف بمن معه من السعيد، وبإذراع بمن معه من الصعدة، فالتقى الفريقان على نهر الفاضلية، واقتتلوا قتالاً شديداً طارت له الرؤوس عن أجسامها، وبارحت الأرواح لأكمـامها، فصارت الهزيمة على محمد بن عيسى وأصحابه، وقتل محمد في المعركة، وقتل من الفريقين خلق كثير، ثم صارت الرئاسة في المنتفق لمنصور بن راشد بن ثامر

بن سعدون، وذلك في رجب من هذه السنة.

ولما كان في شهر رمضان حصل اختلاف بين منصور هذا وبين أخيه ناصر بن راشد في طلب الرئاسة، وقام ينازعه إياها، فانقسمت عليهما عربان المنتفق، ووقع بين الفريقين قتال شديد، فصارت الهزيمة على منصور وأتباعه بعد ما حصلت له الرئاسة قليلاً، وصارت الرياسة في المنتفق لناصر بن راشد؛ وبعدما انخزل منصور سار إلى بغداد واستقر عند الوزير سعيد باشا، وطلب منه الإعانة والمساعدة على قتال أخيه ناصر فوعد بذلك.

وفيهما كثرة السيول والأمطار والخصب، وكان على قضاء بريدة الشيخ سليمان بن علي بن مقبل رحمه الله، هذا ولاتزال العمارة مستمرة في المسجد النبوي، وشرع في زخرفته عكس ما أقره الرسول وشرعه، حيث قال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد».

ثم دخلت سنة ١٢٧٢هـ

استهلّت هذه السنة والأمير في عنيزة عبدالله بن يحيى آل سليم، والأمير في بريدة عبدالعزيز بن محمد بن عليان المشهور، وهو الذي جرت عليه واقعة بقعا، وواقعة اليتيمة، وفيها كانت عمارة دار المفتاح في الصفا، وقد وضعت هذه الدار ليسكنها من يتولى سدانة الكعبة، وذلك بسعي علي بن محمد الشيبني حينما سافر إلى القسطنطينية في سلطنة السلطان عبدالمجيد خان بن السلطان محمود خان، فلما قدم إليه أكرمه وأحسن إليه ومنحه قدراً عظيماً من المال، وأمره ببناء هذه الدار، فلما رجع علي بن محمد إلى مكة المكرمة شرع في عمارة دار المفتاح المذكورة، وامتدت عمارتها ستين.

وفي هذه السنة أنزل الله الغيث في أول الموسم، ثم تابعت الأمطار والسيول، وعم الحيا جميع بلدان نجد، وكثر الخصب ورخصت الأسعار.

وفيهما خرج منصور بن راشد بعساكر كثيرة من قبل الوزير سعيد باشا جهزها

معه برئاسة مصطفى باشا، فتوجهوا إلى سوق الشيوخ ونزلوه وما كان لمنصور معهم أمر ولا نهى.

ولما بلغ الخبر ناصراً وتيقن كثرتهم، علم أنه لا طاقة له في لقائهم، وخرج بأهله وأولاده وأتباعه وماله من سوق الشيوخ، ونزل على سلطان بن سويط في كايده، ثم مرج حكم المتفق وتغلبت عليهم الدولة العثمانية، فكانوا يولون من أرادوا توليته ويعزلون من أرادوا عزله، وذلك لكثرة خلافهم وتفرقهم.

ثم دخلت سنة ١٢٧٣هـ

ففيها في رابع عشر من شهر شوال توفى الشيخ الجليل العالم عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالجبار بن شبانة الوهبي التميمي، وكانت وفاته في بلد الجمعة رحمه الله تعالى وكان أخذ العلم عن أبيه الشيخ العالم العلامة عثمان بن عبدالجبار، وعن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام، فكان عالماً فاضلاً ولاه الإمام تركي ابن عبدالله القضاء على بلدان منيخ والزلفي بعد وفاة أبيه الشيخ عثمان، وذلك في سنة ١٢٤٢هـ.

فلما توفى الإمام تركي رحمه الله وتولى ابنه فيصل عزل صالح بن عبدالحسن بن علي عن إمارة الجبل وجعل مكانه عليها عبدالله بن علي بن رشيد، وبعث معه الشيخ عبدالعزيز المترجم قاضياً في الجبل، فأقام هناك ثلاثة أشهر حتى انقضى الموسم، ثم أذن له بالرجوع إلى بلده فاستمر قاضياً في بلدان منيخ والزلفي إلى أن توفى في هذه السنة المذكورة، ولما أن توفى الشيخ عبدالعزيز طلب أهل الجمعة من الإمام فيصل أن يرسل إليهم قاضياً فأرسل إليهم الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن موسى بن صالح بن مرشد قاضياً في بلدان منيخ والزلفي وجميع بلدان سدير.

وفيه سار عبدالله بن الإمام فيصل بجنود المسلمين من البادية والحاضرة، فأخذ بن مجلاد ومن معه من عنزة في الدهنا، وكان عبدالله قد ضرب موعداً لطلال بن عبدالله بن رشيد أن يقدم عليه بغزو أهل الجبل في زرود، ثم سار إلى زرود.

فلما أن وصلها وجد الأمير طلالاً وعمه عبيد بن علي بن رشيد بغزو أهل

الجليل فيها، فسار من زرود وعدا على مسلط بن محمد بن ربيعان ومن معه من عتبية، فصباحهم على شبرمة وأخذهم، ثم أغار على الروسان وهم على الرشاوية، وأخذهم ثم توجه إلى الشعراء ونزل عليها وقسم الغنائم، ثم فقل راجعاً إلى الرياض وأذن لأهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيها في شهر رمضان توفي الشاعر الفحل عبدالله بن ربيعة رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته:

هو عبدالله بن ربيعة بن عبدالله بن وطبان بن ربيعة بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، وجده وطبان بن ربيعة، هو بن أخي مقرن بن مرخان جد آل مقرن ملوك نجد، فيجتمع آل مقرن وآل وطبان في مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة. وسبب نزول وطبان بن ربيعة في بلد الزبير، أنه قتل ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان في الدرعية، فهرب إلى بلد الزبير وصار لآل وطبان صيت في الزبير وشهرة، وصاروا السعدون شيوخ عربان المتفق والصبح رؤساء الكويت، فمحمد بن الثاقب هو جد الشيخ محمد الصباح، وأخوته محمد وجراح وحمود وجابر لأهمهم، وكان إبراهيم بن ثاقب بن وطبان رئيساً في الزبير.

ولما توفي تولى الرئاسة بعده في الزبير ابنه محمد بن إبراهيم بن ثاقب، وكان حازماً عاقلاً ومن الدهاة المعدودين، وكان أهل الزبير يسمونه البلم لدهائه ومعرفته بالأمور، لأن البلم يفرق غيره ويسلم، ولم يزل على رئاسته في بلد الزبير ليس له فيه منازع، وأمره نافذ حتى البصرة، وكان متسلم البصرة أحمد أغا يخافه ويعلم أنه لا يتم له الأمر في البصرة إلا بقتله، فلم يزل يدبر الرأي والحيلة لقتله، فلم يفز بذلك مدة طويلة لأن بن ثاقب كثير الجنود شديد التحفظ على نفسه حتى أنفذ الله فيه أمره، وذلك في سنة ١٢٥٣هـ.

وصفة اغتياله أن أحمد أغا متسلم البصرة مسافر إلى بغداد مكيدة منه، وأقام فيها مدة أيام ثم رجع إلى البصرة وليس معه ما يريد من عسكر ولا غيرهم، وبعث إلى محمد بن إبراهيم بن ثاقب يستقدمه إليه في البصرة ويأتي معه بمن يحب من الأعيان

للسلام وليعرض عليهم كتاباً من وزير بغداد للأهالي، فسار محمد المذكور من الزبير إلى البصرة ومعه جنوده بسلاحهم يحملون الطبول، فلما أقبلوا على السرايا قاموا يغنون ويضربون الطبول ويعرضون، وكان قد جعل لهم المستلم كميناً من العسكر في موضع السرايا في السطح وفي أسفل السرايا كميناً آخر، فدخل محمد بن إبراهيم المذكور في السرايا ومعه أصحابه يغنون ويضربون الطبول ويلعبون في أسفل السرايا، وصعد محمد المذكور ومعه ثلاثة رجال من أصحابه إلى المتسلم وهو في السطح للسلام عليه فخرج عليهم العسكر الذين جعلهم المتسلم كميناً كما تقدم، وقبضوا عليهم وقتلوه وقطعوا رأس محمد بن إبراهيم المذكور ثم رموا برأسه وجثته إلى أصحابه من أعلى السرايا وهم يلعبون ويغنون، فلما رأوه هربوا إلى الزبير، وأرسل المتسلم عدة أنفار من العسكر للزبير وأمرهم بالقبض على أموال محمد بن إبراهيم وأموال آله وأتباعه، فقبضوا ما وجدوه من أموالهم وكانت شيئاً كثيراً وهرب آل ثاقب من الزبير إلى الكويت.

وفيها في آخر ذي القعدة قام بن مهليلب شيخ برية على حاج أهل عنيزة وهم على الداث الماء المعروف، فطلب منهم مطالب فامتنعوا من إعطائه فأخذهم.

ثم دخلت سنة ١٢٧٤هـ

ففيها اصطنع السلطان عبدالمجيد خان عوارض من حديد وضعت بين الأساطين الأمامية المطللة على الحصاوي، وعلق في كل عارضة بين الاسطوانتين خمسة قناديل توقد من ابتداء رمضان إلى عشرين من ذي الحجة، وهذه مدة أيام الحج وأشهره لأن المسجد الحرام في حاجة إلى زيادة الإضاءة للطائفين والمصلين، وتم في هذه السنة بناء دار المفتاح التي أنشأت على أرض تابعة لآل شيبة الذين هم سدنة الكعبة المعظمة.

ولما توفي رئيس السدنة أخو علي بن محمد الشيبلي الذي سافر وسعى إلى السلطان في طلب الدار، واسم هذا السادن أحمد بن محمد قبل أن يسكن الدار لأنه

توفى في أول هذه السنة غسلوه فيها ثم تولى بعده السدانة للكعبة الرئيس عبدالله ابن محمد الشيبى في هذه السنة، وكان أول من سكن دار المفتاح بعد عمارتها ومكثت السدانة بيده اثنتين وعشرين سنة.

وفيهما التقى حرب وعتيبة بقرب ساق المعروف فحصل بين الفريقين قتال شديد فصارت الهزيمة على عتيبة وقتل منهم نحو ستين رجلاً، ومن حرب نحو خمسين رجلاً.

وفيهما أيضاً توفى الحميدي بن فيصل بن وطبان الدويش شيخ عربان مطير رحمة الله على أموات المسلمين، وكان للحميدي هذا قصة مع الأمير عبدالعزيز الحمد، وذلك أن عبدالعزيز أغار على الحميدي وجنوده، فلما سمع الدويش ضرب الطبول والرمي قال لأصحابه: لا بأس عليكم فهذا دمعان لقب لعبدالعزيز فتناولوا قهوتكم، وقام الحميدي هذا وعليه جبة غليظة فوثق لها مسمار من حديد فشققها فتطير وخاب وصارت الهزيمة عليه.

وفيهما غزا عبدالله بن الإمام فيصل بجنود المسلمين من الحاضرة والبادية، وأخذ ابن حميد والهضيل على دخنة ثم عدا من دخنة وأخذ العصمة على نفي، وأقام هناك أياماً ثم عدا على البقوم ومعهم أخلاط من سبيع، وهم على أم الجواهر فصباحهم وأخذهم ثم قفل راجعاً إلى الرياض، وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيهما وقع الوباء العظيم في نجد والبحرين والأحساء ومات خلائق كثيرة. وفيها في ثالث عشر شعبان توفى الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي وعمره نحو السبعين، وخلف ستة من الذكور وهم عبدالله وعلي وحسين وعون وسلطان وسادسهم لا أعرفه، وتولى إمارة مكة بعده ابنه عبدالله، وكانت إمارة مكة يتداولها نسل هؤلاء الأشراف كما حصرها أبو نمي في نسله هؤلاء وهم: ذوو بركات وذوو زيد وذوو عون.

ذكر قانون أبي نمي

كان له قانون محفوظ لا يزال يتداوله الأشراف بينهم وقد تضمن أموراً هي:

أولاً - في حفظ الإمارة وجعلها وراثية بالتدريج في الأسرة الهاشمية.

ثانياً - يحظر على أي شريف كان أن يشتغل في أي مهنة أو صنعة كانت بأي كيفية إلا في القراشة الحطب والفحم والجمال والزرع.

ثالثاً - إذا قتل الشريف أخذ من أهل القاتل أو القرية أربعة وقتلوا لأجله.

رابعاً - صافع الشريف يقطع يده.

خامساً - شاتم الشريف يقطع لسانه.

سادساً - الشريف لا يحاكم في مجلس خصمه.

سابعاً - إذا هم الشريف بقتل شريف أو رفع عليه السلاح ينفى من البلاد.

ثامناً - لا يقتل الشريف إذا قتل غير الشريف.

تاسعاً - للشريف الحاكم ثلث دية المقتول .. إلخ.

قلت لا يخفى ما في القانون من أعظم الجور والظلم، وهل كان هذا إلا مناقضة لأحكام الإسلام، إن الإسلام ساوى في الجنايات بين الشريف والوضيع، وعدل بين الرؤوساء والسوقة، ولكن قد قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقد زاد من جاء بعد أبي نمي من الأشراف على هذا القانون مواد أخرى.

ثم دخلت سنة ١٢٧٥هـ

ففيها قتل ناصر بن عبدالرحمن السحيمي في الهلالية، وهو ناصر بن عبدالرحمن ابن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن إسماعيل، قبيلته في بلد أشيقر معروفة بآل إسماعيل، وكان قتله لأحقن قد كانت كامنة في الصدور بينه وبين آل سليم حتى قتلوه في هذه السنة.

وسبب ذلك أنه لما انتقل جده عبدالله من بلد أشيقر إلى عنيزة كان مع عبدالله ابنه عبدالرحمن وابن ابنه مطلق الضرير، فنزلوا على عشيرتهم آل بكر من سبيع فأكرمواهم وأقاموا عندهم، وتزوج عبدالرحمن وابنه ناصر هذا وكانت الرئاسة يتجاذبها إذ ذاك على بلد عنيزة آل بكر وآل زامل، فلما كبر ناصر المذكور ظهرت منه الشهامة والشجاعة، وكان الأمير إذ ذاك في عنيزة يحيى السليم، فصار ناصر يعارضه في أمور، ويساعد ناصرأ في ذلك أكابر عشيرته من آل بكر، فخاف يحيى وكان عاقلاً حكيماً حازماً من شر يقع بينه وبين آل بكر، فدعى بناصر المذكور وقال له إن لك حقاً علينا فاختر في إمارة عنيزة، وأنا لي الشداد ومعلوم الدرب والعكس إن شئت، وكان ذلك في الفوضى التي بين هتك الدرعية وبين مقام الإمام تركي، فخاف ناصر أن يكون يحيى غير صادق فيما قاله، وأكد بالعهود والمواثيق، فلما علم ناصر صدقه قال: أنا ولد ويكفيني الشداد، فاستقام الأمر على ذلك، ولما قتل يحيى بن سليم في واقعة بقعا وتأمر بعده في عنيزة أخوه عبدالله بن سليم، بقي على إمارته أربع سنين إلى أن قتل سنة ١٢٦١هـ في واقعة بين أهل عنيزة وبين ابن رشيد أيضاً، فتولى الإمارة بعده أخوه إبراهيم بن سليم ثم عزله عنها الإمام فيصل بعد أربع سنين وجعل مكانه أميرأ على عنيزة ناصر بن عبدالرحمن السحيمي، فقام بعدها بسنة عبدالله بن يحيى آل سليم وزامل بن عبدالله بن سليم ورجال من أتباعهم ورصدوا لناصر هذا في طريقه بعد العشاء الأخيرة يريدون قتله، فرموا بثلاث طلقات أصابته واحدة منهم على غير مقتل وركضوا بعدما سقط على الأرض يريدون قصره، وكان قد ضبطه بالرجال وجعل فيه أخاه مطلقاً الضرير، فوجدوه مغلقاً لأنه قد سبقهم النذير وشمروا للحرب، فهرب عبدالله وزامل ومن معهما منهزمين إلى بريدة وأقاموا عند أميرها عبدالعزيز الحمد، أما ناصر فقام من فوره ودخل قصره في عنيزة وجارحوه حتى برئ من جرحه، وكتب إلى الإمام فيصل يخبره باعتداء آل سليم عليه بغير جرم ولا سبب، ثم كتب عبدالعزيز الحمدي إلى الإمام يخبره أن آل سليم عنده ولم يفعلوا ذلك إلا لأشياء حدثت من

السحيمي، فبعث الإمام فيصل إلى أمير بريدة عبدالعزيز بأن يرسل إليه آل سليم بلا مراجعة، فأرسلهم إليه بهدية سنية، وقدموا على الإمام وأكرمهم وعفا عنهم، وكتب إلى السحيمي أن آل سليم عندنا وأنت على مرتبتك ونحن ننظر في الأمر إن شاء الله، وكان مطلق الضرير لما جرح أخوه ناصر، أرسل إلى رجل من أعوان آل سليم يقال له بن صخيبر فضربه حتى مات، ثم قام ناصر لما برئ من جرحه فقتل إبراهيم بن سليم، فقام آل سليم يحاولون قتله به حتى قتلوه في هذه السنة لأنهم جعلوا يترقبون الفرص لقتله، فلما ركب من عنيزة لينظر إلى خيل له في بلد الهلالية عند بعض أصحابه فيها ليعلفها هناك، ركب في أثره عبدالله بن يحيى بن سليم وزامل بن عبدالله بن سليم وحمد بن إبراهيم بن سليم، فسطوا عليه في الهلالية وقتلوه نائماً عند خيله، ورجعوا إلى عنيزة، فانتقل أخوه بعد مقتله بأولاده إلى بلد أشيقر حتى توفي فيها أعني مطلق الضرير، وذلك بعد هذه السنة بسبع سنين.

ذكر عزل أمير بريدة

لما كان في رجب من هذه السنة كتب الإمام فيصل إلى عبدالعزيز المحمد أمير بريدة أن يقدم عليه، فركب عبدالعزيز ومعه ابنه عبدالله وعلي وثلاثة من خدمه، فقدم على الإمام، ولما جلس بين يديه انتهره الإمام وأغلظ عليه في الكلام وجعل يعدد عليه أفعاله القبيحة، وما حصل منه من الشقاق، فأجاب بالاعتراف وأن كل ما عاتبه فيه حق، ثم قال: وأنا أطلب العفو والمسامحة، فأنزله الإمام في بيت عنده ومن معه، وأجرى عليهم من النفقات ما يكفيهم، وأمره بالمقام عنده في الرياض، وأمر في بريدة عبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان من آل عليان عشيرة عبدالعزيز المذكور وآل أبي عليان من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

في هذه السنة، جلس عبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان أميراً في بريدة وذلك في رجب منها.

ولما كان في جمادى الأولى بعث الشيخ الأديب أحمد بن علي بن مشرف بقصيدة

إلى الإمام فيصل بن تركي يحرضه على كف الأعراب عن النهب والفساد، افتتحها تغزلاً كعادته ثم ذكر نهبهم للأموال وسفكهم للدماء وإفسادهم في الأرض بعد إصلاحها وإغارتهم في الطرق وقطعهم السبل إلى غير ذلك مما يتوقع من البدو، فمن أبيات القصيدة المشار إليها قوله:

| | |
|-----------------------------------|------------------------------|
| فقال ادخلوا في السلم طراً وأسلموا | وإلا فحرب وعده ليس يخلف |
| وأقسم لا نعطي على ديننا الرشا | وما عندنا إلا حسام ومصحف |
| فمن لم يقومه الكتاب أقامه | حدود الضبا والسهمري الثقف |
| فهل يستقيم الدين إلا بدعوة | إلى الله يتلوها سنان ومرهف |
| وقد فرض الله الجهاد على الوري | لمن كان عن نهج الشريعة يصدف |
| وقد كان يبدي الحلم والصفح عنهم | ويعطيهمو الأموال كي يتألفو |
| فلما أبوا إلا الخلاف تمرداً | رماهم بما يؤذي النفوس ويتلف |
| يجيش لهم حشوه الخيل والقنا | تهب رياح الموت منه وتعصف |
| يقودهمو شبل الإمام وإنه | لبالجود والإقدام والمجد يوصف |

ثم قال في مديح فيصل:

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| هو البحر يتتاب العطاش وروده | وكل امرئ يروي المزاد ويغرف |
| فأسيافه من خصمه ترعف الدما | وأقلامه بالبذل والجود ترعف |
| لقد أتعب الكتاب كتب صكاكه | فكدت على أقلامهم أتخوف |

وامتدحه أيضاً بقصيدة في هذه السنة أفصحت عن جوده وكرمه والثناء عليه، ثم امتدحه أيضاً بقصيدة في هذه السنة بل في رجب ذكر فيها كيفية الأمن الذي نشره الله على يدي الإمام، ومن أبياتها قوله:

| | |
|-------------------------|------------------------------|
| تبدل بالثياب جلود نمر | وسل على أولى الظلم الحساما |
| فصار الذئب للأغنام سلما | وصاحب في الفلا النعم النعاما |

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| ويعث للعدى جيشاً لها ما | أمام للهدى يدعو البرايا |
| تسح الجود والمنن الجساما | وإن ذكر الندى فيداه غوث |
| وكم أعييت عطاياه الكراما | فكم أعطى السوابق مسرجات |
| فكان وقودها جثثاً وهاما | وكم أصلى الأعادي نار حرب |
| مزايا من مناقبه عظاما | وإن ذكر علاه فلست أحصى |
| إليه الملك قد ألقى الزماما | همام فاضل فاطن ذكي |

فلما كان في شعبان غزا الإمام فيصل بجنود المسلمين حاضرة وبادية، ونزل على رماح فأقام هناك أياماً، ثم أمر ابنه عبدالله أن يسير بتلك الجنود ويقصد بهم عربان برية من مطير لأمر حدث منهم، وقفل بنفسه راجعاً إلى الرياض، فزحف القائد عبدالله بمن معه من الجنود وصبح عربان برية على دخنة فأخذهم، ثم نزل على عريفجان فاستدعى كبار برية فركبوا إليه، فلما صدروا من الشبيكة صادفهم غزو قحطان فأخذوهم وقتلوا منهم خمسة رجال منهم مناحي المريخي وهذا القريفة، فغضب عبدالله بن فيصل لذلك، ولما وصل إليه غزو قحطان المذكورون أخذ جميع ما معهم من الخيل، وهي نحو مائة وأربعين فرساً وأسر منهم خمسة وعشرين رجلاً، وقفل بهم معه إلى الرياض، وطلب عليهم أشياء فأعطوه جميع ما طلب ودفعوا لبرية دية المقتولين منهم وجميع ما أخذوا منهم ثم أطلقهم، وفيها تصالح عربان برية وقبائل علوي بعد حروب بينهم.

وفي هذه السنة أنشأ الشيخ أحمد بن علي بن مشرف قصيدة، وبعث بها إلى الإمام فيصل منهضاً له على جهاد الأعراب المفسدين، فأثار فيها سواكنه وشجعه فيها، حتى أن هذه القصيدة لتستجيش من يسمعها، وهذا نصها رحمه الله تعالى:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| أشمس تجلت من خلال السحاب | أم البدر جلى حالكات الغياهب |
| أم انجابت الظلماء عن لمع بارق | تلاًل من ثغرها لإحدى الكواكب |

بصبح جمال تحت ليل الذوائب
كما فاق بدر التم زهر الكواكب
وقد كان ذا جسم من الوجد شاحب
وقد نام عنها كل واشٍ مراقب
تميس كغصن البان أو مثل شارب
وقلت لها قول المحب المعاتب
فلم يطفها ماء العيون السواكب
من المهمة الزيزاء وبعد السباب
أحاطت بها الأعداء من كل جانب
جهاراً ولا يخشون سوطاً لضارب
وكم أفسدوا في سبلها بالهائب
على رسلكم لا تحذروا درك طالب
لكم هدر لا تحذروا من معاتب
نيام فهم بين لاه ولاعب
أم القوم غروا بالأمانى الكواذب
فصارت بهم تعدو صغار الثعالب
يخوض لظى الهيجاء ليس بهائب
حمية ضرغام جسور موائب
ولا أمن إلا بعد سل القواضب
من الهام في أطرافه والجوانب
وجر العوالي فوق مجرى السلاهب
بنفسك أو بلغه مع كل راكب
إذا لم يسالك الزمان فحارب
فكم خرب الجرذى في سد مأرب

نعم أقبلت سلمى فأشرق وجهها
فتاة تفوق الغانيات بحسنها
فما للمعنى لا يهيم بذكرها
تناءت فزارت سحرة بعد هجعة
فتم برياهها الصباحين أقبلت
فحيث بتسليم فأحسننت رده
صليت بنار الهجر أحشاء مولع
فقلت ألم تعذر فكم حال بيننا
أننا في ربا نجد وأنت ببلدة
يغيرون في أطرافها وسروحها
فكم قعدوا للمسلمين بمرصده
يقولون سيروا إن ظفرتم بنهبة
وإن تسفكوا فيها الدماء فإنها
فياليت شعري هل سراة حماتها
أم الحد منهم كل أم زندهم كبا
لقد كان تحشى بأسهم أسد الشرا
وأنى يحوط الملك إلا سميده
له غيرة تحمي الرعايا كأنها
فلا دين إلا الجهاد قوامه
ولا ملك حتى تخضب البيض بالدماء
ولا مجد إلا بالشجاعة والندى
فقل لإمام المسلمين وسر له
وأشده إن أحسست منه ثاقلاً
ولا تحقر الخصم الضعيف لضعفه

فقم واستعن بالله وانهض إلى العلا
فكيف تنام العين منك عن العدا
ولا ترض إلا مقعد العزم مقعدا
ولا تستطب ظلاً سوى ظل قسطل
وشن على الأعراب غارات محنق
ومزق جماعات الضلال وحزبه
وجر عليهم جحفاً بعد جحفل
جيوشاً تريهم ظلمة الليل في الضحى
إلى أن يكون الدين لله كله
ومن كان معوجاً فقومه بالضبا
فبالبيض مع سمر القنا تدرك المنى
بذلك تعطيك المعالي زمامها
وإن كره الناس الجهاد بداية
وأثمارة نصر وأجر ومفخر
فشمر بعزم للجهاد ولا تهن
فإن أنت سالت العدو مخافةً
ولازم تقى الرحمن واسأله نصرةً
فإن التقى حصن حصين لأهله
ودونك نظماً ينهض الشهم للعلی
بدا من أديب كالجمان قريضه
إذا قال قولاً أنشد الدهر قوله
وصل إلى العالمين مسلماً
محمد الهادي إلى خير شرعة
كذا الآل والأصحاب ما اهتزت القنا

فكسب الثنا والأجر خير المكاسب
وقد أوقدوا للحرب نار الحباحب
على ظهر مهر العنان مجاذب
وظل القنا الخطي بين الكتائب
وانهلهما صاب الردى بالمصائب
بريح سموم من لظى الحرب حاصب
وضيق عليهم أرضهم بالمقائب
ولمع المواضي كالنجوم الثواقب
وينقاد للإسلام كل محارب
إذا لم يفد بذل الخيا والمواهب
وبالجود والإقدام نيل المطالب
وتسمى على أعلى الذرا والمراتب
فأثاره محمودة في العواقب
وإن عمت عنها عيون الغياهب
فتدعو إلى سلم العدو المجانب
فأيسر ما تلقاه بول الثعالب
بمدك من إسعافه بالعجائب
ورع يقي من حادثات النوائب
ويدعو إلى حسن الثنا والمناقب
طيب زمان عارف بالتجارب
وغنى به أهل الحجا والمناصب
على خاتم الرسل الكرام الأطائب
به شرفت أبنا لؤي بن غالب
وما انتدب الفرسان بين الكتائب

ثم دخلت سنة ١٢٧٦هـ

ففيها جهز الإمام فيصل بن تركي ابنه عبدالله وجمع معه جيشاً عرمرماً كثيراً ضخماً في العدد والعدة من نجد كلها، وأمره أن يزحف به لقتال العجمان، وذلك لأنهم طالما أكثروا الغارات وأظهروا العصيان والمخاربة للمسلمين، ونشير هنا إلى العجمان وإن كان تعريفهم يأتي بعد ذلك.

فنقول لما كان في أيام الإمام تركي بن عبدالله جعل رؤسائهم يحضرون عنده ويتملقون له بالسنة حداد، فبذل فيهم الإحسان وجمعهم على رئيسهم فلاح بن حثلين، وأنزلهم الإمام بلاد بني خالد وأجزل لهم العطاء، فصار لهم بعد ذلك شوكة عظيمة وعظم شأنهم.

ولما تولى فيصل بن تركي عاملهم أيضاً بالإحسان غير أنه ما كان ليفيد فيهم الإحسان والرافة، لأن اللثيم يتمرد مع الإحسان بل أبطرتهم النعمة؛ فقد رصد فلاح هذا بالعجمان لحجاج الأحساء وفارس والبحرين وغيرهم بالقرب من الدهناء فاستأصل أولئك الحجاج أخذاً وسلباً، ومعهم أموال كثيرة، وهلك من الحجاج خلق كثير عطشاً، وكان ذلك في سنة ١٢٦١هـ، هذا وحزام بن حثلين أخو فلاح مع الحجاج.

ثم إن الله تعالى لم يمهل فلاحاً بعد هذه الفعلة الشنيعة، ولا جرم أن فرس الباغي عثور، بل عجل الله له العقوبة بعدها بسنة بأن ظفر به الإمام فيصل وقيده وأرسله إلى الأحساء مقيداً، فطيف به في الأسواق في بلد الأحساء ثم ضربت عنقه، فقام راكناً ابنه رئيساً بعده في العجمان، وجعل يكتب إلى الإمام فيصل ويتودد ويطلب العفو، وأن يجعله عوضاً عن أبيه، وجعل يردد الرسل ويبعث الهدايا إلى الإمام من الخيل والنجائب وأكثر حتى صفح عنه الإمام، وحضر بين يديه وبايعه على السمع والطاعة.

ثم بعد ذلك عظم أمره وصار شراً من أبيه، فأغار في هذه السنة على إبل

الإمام فيصل وأخذ طرفاً منها، ثم ارتحل بعدها من بلاد بني خالد هو ومن معه من العربان إلى جهة الشمال، ونزلوا على الصبيحية بقرب الكويت.

فلما كان في شعبان من هذه السنة أمر الإمام فيصل على جمع رعاياه من البادية والحاضرة بقتال هذا العدو الألد وجهاده، فزحف القائد الشهم عبدالله بن الإمام في آخر شعبان بغزو أهل الرياض والخرج واستنفر من حوله من البادية من سبيع والسهول وقحطان، وكان قد واعد غزوا أهل الوشم وسدير والحمل الماء المعروف بالدجاني، فلما وصل إليه وجدهم قد اجتمعوا هناك، فأقام ثلاثة أيام ثم ارتحل منه واستنفر عربان مطير فتبعه منهم جم غفير وخلق كثير فقصدوا الوفراء الماء المعروف وعليها عربان من العجمان، فهجدهم بياتاً وأخذهم وانهزمت شرائدهم إلى الصبيحية وعليها آل سليمان وابن سريعة من العجمان.

ثم ارتحل ابن الإمام بتلك الجنود التي كقطع الليل المظلم، وسار من الوفراء حتى صبح العربان على الصبيحية فأخذهم وانهزمت شرائدهم، ونزلوا على بن حثلين ومن معه وهم على الجهراء.

ثم ارتحل عبدالله بن الإمام ونزل على ملح الموضع المعروف بقرب الكويت فجرت وقعة ملح التي رن ذكرها في الأقطار، ولما نزل ابن الإمام في هذا الموضع استبسل العجمان، وقام رؤسائهم يشجع بعضهم بعضاً وعمدوا إلى سبعة جمال فجعلوا عليهن الهوداج، وأركبوا في كل هودج من تلك الهوداج بنتاً جميلة من بنات الرؤساء محلاة بالزينة، وقد كانوا في جاهليتهم يستصحبون النساء الخرائد في وسط جموع الحرب ليشجعن الفتيان وينخين الفرسان والشجعان فتثير هذه النخوة الغيرة والحمية عن العار ليقاتلوا قتال المتهالك فقرنوا الجمال وساقوها أمامهم وتوجهوا لقتال عبدالله ومن معه من المسلمين، فلما وصلوا إليهم نهض عليهم المسلمون وثاروا ثورة الأسود من غابها، فأظلم الجو وحصل بين الفريقين قتال شديد وجلاد أكيد، يشيب من هوله الوليد، وثبت المسلمون فانهزم العجمان هزيمة شنيعة، وولوا الأدبار لا يلوى أحد على أحد، وتركوا الهوداج والإبل وجميع أموالهم، وقتل منهم

سبعمائة مقاتل، وغنم المسلمون منهم الإبل والأموال، وانهزمت شرائدهم إلى الكويت، وذلك يوم سابع عشر من رمضان، وأقام عبدالله بمن معه من الجنود على الجهراء أياماً، وبعث الرسل إلى أبيه بالبشارة، وإلى بلدان المسلمين فحصل بذلك الفرح والسرور، فله الحمد لا يحصى ثناء عليه.

ولما وصل الخبر إلى الزبير والبصرة سروا بذلك، لأن العجمان قد أكثروا بشن الغارات على أطرافهم، وأرسل باشا البصرة إلى عبدالله بن الإمام هدايا كثيرة صحبة النقيب محمد سعيد، وأرسل إليه رئيس بلد الزبير سليمان بن عبدالرزاق بن زهير هدية سنية، ثم إنه ارتحل عبدالله من الجهراء وقفل راجعاً إلى الرياض، فلما وصل الحفنة المعروفة في العرمة وهي الخبراء أذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، وتوجه إلى الرياض مؤيداً منصوراً، ولما بلغت البشارة بهذه الواقعة إلى الأحساء أنشأ الشيخ أحمد بن علي بن مشرف قصيدة فريدة تهنئة للإمام بهذا النصر على أعدائه المفسدين وهي هذه:

| | |
|---|---|
| لَكَ الْحَمْدُ اللَّهُمَّ مَا نَزَلَ الْقَطَرُ | وَمَا نَسَخَ الدِّيَجُورُ مِنْ لَيْلِنَا الْفَجَرُ |
| وَمَا هَبَّتِ النُّكْبَاءُ رِخَاءً وَزَعَزَعَتْ | عَلَى نَعْمٍ لَا يَسْتَطَاعُ لَهَا حَصْرُ |
| فَمَنْ ذَلِكَ الْفَتْحُ الْمُبِينُ الَّذِي لَهُ | تَهْلُلُ وَجْهَ الدِّينِ وَابْتَسِمُ الثَّغَرُ |
| تَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لِمِثْلِهِ | وَيَعْلُو بِسَيْطِ الْأَرْضِ أَثْوَابُهَا الْخَضَرُ |
| فَنَاهِيكَ أَمِنْ فَتَحَ بِهِ مِنَ الْغَلَا | وَأَسْفَرَتِ الْبُلْدَانُ وَابْتَهَجَ الْعَصْرُ |
| تَسَامَى بِهِ نَجْدٌ إِلَى ذُرُوءِ الْعِلَاءِ | وَأَسْفَرُ وَجْهَ الْحِظِّ وَافْتَخَرَتْ هَجْرُ |
| لَقَدْ سَرْنَا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشَارَةٍ | فَزَالَتْ هُمُومُ النَّفْسِ وَانْشَرَحَ الصَّدْرُ |
| لَدُنْ قَيْلِ عَبْدِ اللَّهِ أَقْبَلَ عَادِيًّا | يَقُودُ أَسْوَدًا فِي الْحُرُوبِ لَهَا زَارُ |
| رئيس به سيما الخلافة قد بدت | وفي وجهه الإكبار والعز والنصر |
| فصبح قوماً في الصبيحة اعتدوا | وقادهم للبغي من شأنه الغدر |
| فروى حدود المرفهات من الدماء | كما قد روت منه المثقفة السمر |
| فغادر قتلى يعصب الطير حولها | ويشبع منها النسر والذئب والنمر |

قبائل عجمان ومنهم شوامر
وطائفة مريّة غير عذبة
أساؤوا جميعاً في الإمام ظنونهم
نغير على بلدانه ونخيفها
فلن لم نصب ما قد أردنا فإنه
وما أنكروا في الحرب شدة بأسه
وقد قسموا الأحساء جهلاً بزعمهم
أمانى غرور كالسراب بقيعةً
كذبتهم فهجر سورها الخيل والقنا
ومن دونها يوم به الجو مظلم
فقل للبوادي قد نكثتم عهدكم
فعودوا إلى الإسلام واجتنبوا الردى
ونذركم من بعدها إن من عصى
فمن لم يكن عن غيه الوحي زاجراً
تهنا بهذا النصر يا فيصل الندى
وهذا هو الفتح الذي قد بني لكم
وهذا هو الفتح الذي جل قدره
فقابل بحمد الله جدواه مثيلاً
ولا تبين للأعراب مجداً فإنهم
إذا أودعوا النعماء لم يشكروا لها
فوضع الندى في البدو مطغ ومفسد
وبالعكس أسس أمر الرعية واحمهم
وألّف بني الأحرار في زمن الرخا
وما الذخر جمع المال بالسلم للوغي

ومن لحسين يتمون وما بروا
خلائقها بل كل أفعالها مر
فقالوا ضعيف الجند في عزمه حصر
ليعرفنا الوالي وينمو لنا الوفر
صفوح عن الجاني ومن طبعه الصبر
ولكن بتسويل النفوس لها غروا
لعجمانهم شطر وللخالدي شطر
يرى في الفلا وقت الضحى إنه بحر
ومن دونه ضرب القماحد والأسر
أستتنا والبيض أنجمه الزهر
وذقتم وبال النكث وانكشف الأمر
ولا فلا يؤيكم السهل والوعر
فأفسد أو شق العصا دمه هدر
له كان في ماضي الحديد له زجر
فقد تم للإسلام والحسب الفخر
مكارم يبقى ذكرها ما بقي الدهر
وقد كل عن إحصائه النظم والنثر
على الله بالنعما فقد وجب الشكر
كما قيل أصنام لها الهدم والكسر
وإن رمت نفعاً منهمو بدا الضر
فأصلحهمو بالسيف كي يصلح الأمر
عن الظلم كي ينمو لك الخير والأجر
تجدهم إذا الهيجاء شد لها الأمر
ولكن أحرار الرجال هم الذخر

ودونك نظماً بالنصائح قد زها كما أن نظم العقد يزهبه الدر
وأختم نظمى بالصلاة مسلماً على المصطفى ما هل من مزنة القطر
كذا الآل والصحب الأولى بجهادهم سما وعلى الإسلام وانخفض الكفر

ذكر قتل أمير بريدة عبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان

لما كان في صفر من هذه السنة تذامر رجال من آل أبي عليان على قتل الأمير المذكور وجعل أولئك الأعداء يرتقبون الفرص للفتك به فكان ذات يوم عنده محمد بن صالح الضبيعي في قصره، فجعل يمزح عليه يقول يا أبا ضبعان ألا تدعوننا إلى بيتك فتحيء لنا القهوة، فاعتذر قائلاً له: أيها الأمير لا آلة عندي للقهوة ولا لدي مجلس وما كان هذا عذره، بل قد علم بما قد تذامر به أولئك الأعداء فخشي أن يقتل في بيته، وفي رواية أخرى أنه جاء بنفسه لدعوة الأمير وأنه ممن يعين على قتله وأنه ندم فالله أعلم.

ولما ألح عليه الأمير عبدالله جعل يتلوم حتى قال أنه لا بن عندي ولا بهار، فقال له قم فالين والبحار يأتيك في أرداني يا أبا ضبعان فقام محمد ليهيء القهوة للأمير، فانتهاز أعدائه هذه الفرصة، وذهب الأمير من قصره إلى حتفه، وما علم بما بيته له الأعداء، فلما دخل بيت الضبيعي وجلس تسور أعدائه المحنقون عليه الجدر يريدون الفتك به، فلما أحس بالشر سلّ سيفه الذي كان يسمى رحيان وقام دونه على باب المجلس حارس له شجاع يدعى عبدالله بن جاراالله الفضلي قد انتضى سيفه، فلما عجزوا عن الدخول عليه صعد بعضهم إلى السطح فرماه بسهم فوقع الأمير على الأرض وهو يقول: سالم .. سالم، ثم تقدم شاهراً سيفه يحبو حبواً لأن السهم كسر فخذته، فإذا بسهم آخر أصاب الحارس الشجاع عبدالله فوقع إلى الأرض يجود بنفسه، وتقدم الأمير إلى باب المجلس حبواً فهوى بسيفه نحو فارس من أعدائه فأصابه السيف مع خشبة من سقف الباب فقطعها وقسم الفارس نصفين، فوقع الفارس إلى جانب حارس الأمير، وكان في هؤلاء الأعداء رجل يدعى خرشه يقال أنه دعى، فضرب الأمير حتى قضى عليه، وكان في هؤلاء الأعداء رجال من

عشيرة ابن عدوان وهم عبدالله الغانم؛ وأخوه محمد؛ وحسن آل عبدالمحسن المحمد، وأخوه عبدالله، وعبدالله بن عرفج.

ولما جاء الخبر إلى الإمام فيصل غضب على عبدالعزيز بن محمد وأمر بحبسه وجعل محمد الغانم أميراً في بريدة مكان بن عدوان وكان محمد ممن قتلوه وكثر القيل والقال، وجعل عبدالعزيز بن محمد وهو في الحبس يكتب إلى الإمام فيصل ويحلف له إيماناً مغلفة أنه ليس له علم بذلك الأمر ولم يرض به.

وقال في خطابه للإمام ولو أذنت لي بالمسير إلى بريدة لأصلحت ذلك الأمر ولأمسكت الرجال الذين قتلوه وأرسلتهم إليك مقيدين بالحديد أو أنفيهم عن البلاد، فأمر الإمام بإطلاقه من الحبس وأحضره بين يديه وجعل يحلف للإمام ويتعلق، فأخذ الإمام عليه العهود والمواثيق على ذلك، فكساه الإمام ومن معه، وأجازه وأكرمه وأذن له بالرجوع على بريدة، واستعمله أميراً عليها، وعزل محمد الغانم عن الإمارة فتوجه إلى بريدة.

وأمر الإمام فيصل على عبدالله بن عبدالعزيز المحمد بالمقام عنده في الرياض، ولما وصل عبدالعزيز إلى بريدة قرب الذين قتلوا ابن عدوان وأدناهم وألقى بعهوده ومواثيقه عرض الحائط، وكان وصوله إليها في جمادى الأولى من هذه السنة جعل يكتب للإمام فيصل بأشياء مكرراً وكذباً، فحاق به مكره والعياذ بالله، وجرى عليه ما سيأتي في السنة التي بعدها، وكان عبدالعزيز هذا كثيراً ما يجري منه الخلاف للإمام فيصل فيصفح عنه، وكان قد جرى بينه وبين محمد العلي العرفج الشاعر المشهور خلافاً ومنافسات يطول ذكرها.

ولقد جاد عليه الإمام تركي لما جعله أميراً في بريدة لأول مرة وذلك في سنة ١٢٤٣هـ بأنه لما جعله أميراً وخاف عليه من محمد العلي المذكور لأنه أميراً كان قبله فيها، فأرسل الإمام إلى محمد وجعله عنده في الرياض ولم يأذن له بالرجوع إلى بريدة حتى قويت شوكة عبدالعزيز بن محمد ثم أذن له.

ولما لم تصلح الحال بينه وبين عبدالعزيز، وحصل نزاع وشقاق قام أهل الإنصاف من ساكني بريدة وقالوا: لا يستقيم الخلاف بينكما والمرجع فيصل في الرياض، فكتبوا إليه بعد وفاة أبيه يؤيدون عبدالعزيز، وكان قد أتى لهم الإمام على ما يطلبون فأقر عبدالعزيز وقال لابن عرفج يا محمد إن هنا بلاد أحسن من بريدة وهي الجوف، هوائها طيب وجوها معتدل إذا كنت ترغب في الإمارة، وإنما أشار عليه الإمام بها ليعده عنه لأنه شاعر وله دهاء ولعله أن يقتل بها لأن أهل الجوف إذ ذلك كانوا إذا لم يوافقهم الأمير قتلوه، فذهب بن عرفج أميراً على الجوف من قبل الإمام، ولكنه على أمر عجيب بحيث أنه لما قدم إلى الجوف أميراً خطب فيهم خطبةً ظريفة قال فيها يا أهل الجوف لقد علمتم بأنه لم يعثني الإمام إليكم إلا رغبةً في قتلي إن لم أوافيكم، فأنا الذي لا أخالف رأيكم، بل أكون تبعاً لما تطلبون، فإن شئتم تسجدون وتهللون فأنا زاهدكم، وإن أحببتم الغنا واللهو فأنا رئيسكم، وإن قمتم ترقصون وتصفقون فأنا صاحب الدف أحمله أمامكم، وفرحوا به وسروا، وقالوا هذا الأمير أحسن فلا نبغي سواك، فاستقام عندهم، وله نكت عجيبة لكنه لا يزال يلهج بذكر بريدة ويقول فيها الأشعار يمتدحها وأهلها بعدم الخلاف لمن تأمر عليهم.

ومن نكته أنه خطب جارية من أهلها وكانت حسناء جميلة، وأهلها لا يزوجونها إلا بإذنها، فأجابت بشرط أن تراه، وكان محمد دميماً فواعدهم أن يمر من عند بيتهم لتشاهده، فإن بن عرفج ذكره يملأ المسامع غير أن صورته لا تعجب النساء، فالمرأة تميل إلى الجميل كما أن الرجال يميلون إلى الجميلة، فأخذ بن عرفج بيد عبدالمحسن آل سديري وذهبا يمشيان حتى مرا من أسفل البيت وهي تنظر فتكلمت جارية من الطاق تدعو ابن عرفج باسمه ليتنظره، فقال لصاحبه التفت إلى نحو هذا الذي يدعوننا ففطن لها عبدالمحسن وعلم مقصده، وأبى أن يلتفت إلا بعباءة ثمينة كانت على محمد، فأجابه بذلك فلما التفت السديري وكان فتى نصيراً عشقته ظناً منها أنه صاحبها فأجابت إلى زواجه، وتزوجها وبعد الدخول لم تتمكن من الخلاص لإذنها وإجابتها.

ذكر برجس بن مجلاد

كان برجس بن مجلاد ليثاً شجاعاً وبطلاً مغواراً، وكان معاصر العبدالعزیز بن محمد، ويروى عنه قصص تدل على شجاعته وجراءته، وكان موضعه في ناحية بيوحا من سباخ بريدة، ومن شجاعته أن العدو أغار على سروح بريدة فأخذها، وكان العدو في عشر من الخيل وعشر من العمانيات، ولما أخذوا السروح انطلقوا بها غنيمة باردة، وكان أخذها من الضاحي المعروف، وهذه عادة الأعراب ينهبون ويسلبون إذا لم يخشوا سطوة قاهرة، فأخبر برجس بالقصة وكان ممن يعد لمثلها ويلاذ به في الأزمات، فقام الأسد من فوره له زئير ويتخي، وكان إذا انتخى تبول فرسه دماً، فسلّ السيف وامتنطى جواده وأرسلها كالريح العاصفة يقول من يقابل فلا رغبة لي في الحياة. وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمى:

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه | يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم |
| فشد ولم يفزع بيوتاً كثيرة | لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم |
| لدى أسد شاكي السلاح مقذف | له لبد أظفاره لم تقلم |
| جريء متى يظلم يعاقب بظلمه | سريعاً وإلا يبد بالظلم يظلم |

وقال غيره:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| كذبتهم وبيت الله لا تأخذونها | مراغمة ما دام للسيف قائم |
| متى تجمع القلب الذكي وصارماً | وأنفأ حمياً يجتنبك المظالم |

فأدركهم في الأسياح وهو ينتخي فاستولى عليهم الخوف والذعر ولم يشعروا به إلا وقد ضربهم من جهة اليمن وخرج من الأخرى فقتل فارسين، خرجت أعة فرسيهما تجران بالأرض، ورجع يريد أن يكبهم أخرى فطاروا شاردين قد تركوا جميع ما تحت أيديهم ونجوا بأنفسهم، فاستاق برجس الخيل والإبل والسروح ورجع بها قائلاً دونك يا عبدالعزیز خذ الفرسين وعشر العمانيات وردّ إلى أهل بريدة سرحهم.

وفيهما كثر الخصب والخيرات، وفيها عمل السلطان عبدالمجيد خان ميزاباً للكعبة المعظمة في قسطنطينية، ثم جيء به صحبة الحاج رضا باشا، وركب في الكعبة، نسأل الله تعالى أن يرفع قدرها، وكان الوالي على مكة يومئذ الشريف عبدالله بن محمد بن عون، وكان هذا الميزاب الذي ركب مصفحاً بالذهب نحو خمسين رطلاً على التقدير، وهذا الميزاب هو الموجود في الكعبة إلى العصر الحاضر فلم يبدل.

وفيهما أسست مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، وكانت هذه المكتبة من أعظم المكاتب في العالم.

ثم دخلت ١٢٧٧هـ

ففيها اجتمع رؤساء العجمان وتشاورا في أمرهم، فاجتمع أمرهم على السير إلى عربان المنتفق، فتوجهوا إليهم ونزلوا معهم، وتحالف رؤسائهم ورؤساء المنتفق على التعاون والتناصر والتأصر على كل من قصدهم بحرب وعلى محاربة أهل نجد من البادية والحاضرة إلا من دخل تحت طاعتهم منهم، فسارت ركبائهم وتتابعت الإغارات على أطراف الأحساء وعلى أهل نجد، وأصبح لهم وللمنتفق شوكة عظيمة وقوة منيعة، حتى أخافوا أهل البصرة والزيبر، وكثرت الإغارات منهم على أطراف الزيبر والبصرة والكويت، فقام باشا البصرة حبيب باشا ودعى بسليمان بن عبدالرزاق بن زهير فأعطاه مالا كثيراً وأمره بجمع الجنود من أهل نجد، فأخذ سليمان يجمع الجنود ممن كان هناك من أهل نجد وبذل فيهم المال فاجتمع عليه خلائق كثيرة.

ثم أن عربان المنتفق ومن معهم من عربان العجمان أجمعوا رأيهم على أن ينزلوا بالقرب من البصرة ويأخذون منها من التمر ما يكفيهم لستهم وكان ذلك في وقت صرام النخل، ثم بعد ذلك يتوجهون إلى حرب نجد، فساروا إليها ونزلوا قريباً منها ثم نهضوا إليها وانتشروا في نخيلها وعاثوا فيها فساداً بالتهب والسلب، فنهض إليهم سليمان بن عبدالرزاق بن زهير بمن معه من أهل نجد ومن أهل الزيبر

وباشا البصرة بمعسكره وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى أخرجوهم من النخيل، ثم حصل القتال الشديد في الصحراء بين الفريقين، وصارت الهزيمة على عربان المنتفق ومن معهم من العجمان، وقتل منهم خلق كثير، وظهر من أهل نجد الذين حضروا في الواقعة مع سليمان بن زهير شجاعة عظيمة دلت على كفائتهم وبسالتهم.

وكان سليمان بن زهير يعد من أفراد رجال الدهر عقلاً وحلماً وكرماً وشجاعةً فقال في مدحه السيد عبدالغفار بن عبدالواحد بن وهب البغدادي المعروف بالأخرس الشاعر المشهور هذه القصيدة العصماء، وامتدح أيضاً فيها من معه من أهل نجد، وكان الشاعر قد حضر الواقعة فباح بما لديه منوهاً مبجلاً وهي من البحر الطويل:

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| أبى الله إلا أن تعز وتكرما | وإنك لم تبرح عزيزا مكرما |
| تذل لك الأبطال وهي عزيزة | إذا استخدمت يمينك للباس مخدما |
| ويا رب يوم مثل وجهك مشرقاً | لبست به ثوباً من النقع مظلماً |
| وأبزغت من بيض السيوف أهلة | واطلعت من زرق الأسنة أنجماً |
| وقد ركبت أسد الشرى في عراصة | من الخيل عقباناً على الموت حوما |
| ولما رأيت الموت قطب وجهه | والفاك منه ضاحكاً متبسماً |
| سلبت به الأرواح قهراً وطالما | كسوت بقاع الأرض ثوباً فعندما |
| أرى البصرة الفيحاء لولاك أصبحت | طلولاً عفت بالمفسدين وارسماً |
| وقالوا وما في القول شك لسامع | وإن جدع الصدق الأنوف وأرغما |
| حماها سليمان الزهيري بسيفه | منيع الحما لا يستباح له حما |
| تحف به من آل نجد عصاة | يرون المنايا لا أبالك مغنما |
| رماهم بعين العز شيخ مقدم | عليهم وما اختاروا إلا مقدا |
| بصير بتدبير الحرب وعارف | عليهم فلا يحتاج أن يتعلما |
| أبناء نجد انتمو جرة الوغى | إذا أضرمت نار الحروب تضرما |
| وذا العام ما شيدتموه مبانيا | من المجد يأبى الله أن تهتما |

وما هي إلا وقعة طار صيتها
رفعتم بها شأن المنيب حمية
غداة دعاكم مرة فأجبتكم
وجردكم فيها لعمرى صوارما
ومن لم يجردكم سيوفاً على العدا
وإن الذي يختار للحرب غيركم
كما راح يختار الضلال على الهدى
ومن قال تعليلاً لعل وربما
عليكم إذا طاش الرجال سكية
ولما لقيتم من أردتم لقاءه
صبرتم لها صبر الكرام ضراغما
ووأدعوهما شرعة الموت منهلاً
وما خاب راجيكم ليوم عصبص
وجردكم للضرب سيفاً مهنداً
ومن ظن أن العز في غير بأسكم
وما العز إلا فيكمو أو عليكمو
إذا ما قعدتم الأمور وقمتم
وما سمعت منكم قديماً وحادثاً
وإن قلتمو قولاً صدقتم وما انثنى
ولما أناكم بالأمان عدوكم
وفيتم له بالعهد لم تعباً وإبن
ولو مد من تأتیه عنكم يد له
وفيما مضى يا قوم أكبر عبرة
أيجسب أن الحال تكتم دونكم

وأنجد في شرق البلاد واتهما
وخضتم بهم بجرأ بالصناديد مظلماً
على الفور منكم طاعة وتكرماً
إذا وصلت جمع العدو تصرماً
نبا سيفه في كفه وتثلماً
فقد ظن أن يغنيه عنكم توهماً
وعوض عن عين البصيرة بالعماء
فماذا عسى يغني لعل وربما
تزلزل رضوى أو تبید يللملاً
رميتم به الأهوال أبعد مرتماً
واقحمتموها المرففات تقحماً
تذيقهموا طعم المنية علقماً
يريه الردى لونا من الروع أدهماً
وهزكمو للطعن رحماً مقوماً
وها عزه في زعمه وتندماً
وما ينتمي إلا إليكم إذا انتمى
حمدتم عليها قاعدين وقوماً
رواية من يروي الحديث توهماً
بكم عزمكم أن رام شيئاً وصمماً
وعاهدتموه أن يعود ويسلماً
أشار إلى الغدو الكنين مجمماً
لعاد مجد السيف أجذع أجذماً
ومن حقه إذ ذاك أن يترسماً
وهيهات أن الأمر قد كان مبهماً

فإظهر مستورا وأبرز خافيا
 أمتخذ البيض الصوارم للعلی
 نصرت بها هذا المنيب تفضلا
 على غلمة في الناس لله دره
 تأثّل في أبطاله ورجاله
 وقلبها ظهرا لبطن فلم يجد
 هناك ولي الأمر من كان أهله
 وطال على تلك البغاة بئاسه
 وما سبق الوالي المنيب بمثلها
 سليمان ما أبقيت في القوس منزعا
 كشفت دجاها بالصوارم والقنا
 فأصبحت في تاج الفخار متوجا
 إليك أبا داود نزجي ركائبنا
 رمتنا فكنّا بالعري عن قسيها
 فأكرمت مثوانا ولم تر عين
 لأحظى إذا شاهدت وجهك بالمنى
 وأهدي إلى عليك ما استقله
 فحبك في قلبي وذكرك في فمي

وأعرب عما في الضمير وترجما
 طريقا وسمر الخط للمجد سلما
 وأجريت ما أجريت منك تكرما
 تصرف فيها همة وتقدا
 فلم يغن سحر غاب عنه مكتما
 نظيرك من قاد الخميس العرمرما
 فجّل في كل النفوس وعظما
 وحكم فيهم سيفه فتحكما
 وفاق ولادة الأمر ممن تقدما
 ولا تركت للبذل يملك درهما
 وقد كان يلغي حالك اللون أسحما
 وفي عمّة المجد الأثيل معمما
 ضوامر قد غودرن جلدا وأعظما
 وقد برت من شدة السير أسهما
 من الناس أندى منك كفا وأكرما
 واشكر من نعماك لله أنعما
 ولو أنني أهديت درا منظما
 ألد من الماء الزلال على الظما

ولما رجع باشا البصرة قد فاز بالظفر على أعدائه خاف ناصر بن راشد بن
 عامر بن سعدون رئيس المنتفق على أموال المنتفق وأملاكهم التي في البصرة وكانت
 نخيلا كثيرة ملكوها في وقت عزهم وتغلبوا عليها، وقيل له أن الباشا عزم على مد
 يده على تلك الأملاك فكتب ناصر بن راشد إلى باشا البصرة وسليمان بن
 عبدالرزاق يقول إن أولئك الأعراب الذين حدث منهم ذلك ليسوا من باديتنا وأنما
 هم من بادية نجد جاءوا هاريين من وإلى نجد بن سعود ونزلوا بجوار بعض بادية

المنتفق وقد رجعوا إلى بلادهم، والذين معنا من باديتنا يطلبون المرعى لمواشيهم وحصل هذا الحادث من بادية العجمان وشمل من كان معهم، وأما نحن فعلى ما تعهدون من الصداقة بيننا والطاعة للدولة وترددت الرسائل بينهم في ذلك وصلاح أمرهم ولم يتعرض الباشا لأملاكهم.

رجعنا إلى ما نحن فيه فنقول: لما هزم الله عز وجل العجمان ارتحلوا ونزلوا على كوييدة وعلى كابدة وعلى الجهراء، فيا ليت شعري أما علم هؤلاء الأجلاف أن في الحياض من يذود عنها.

كلا والله إن الأمر كما قيل يستجيرون بالنار عن الرمضاء، ولما جاءت الأخبار إلى الإمام فيصل بمسير العجمان ومن معهم من عربان المنتفق إلى أرض الكويت وأن قصدهم محاربة المسلمين أمر الإمام على جميع رعايا المسلمين من الحاضرة والبادية وصاح بالنفير للجهاد، فنسأل اله تعالى أن يحمي حوزة الدين ويذل العصاة والمجرمين.

ذكر واقعة الطبعة

لما أمر الإمام على الرعية بالغزو واعدتهم الحفنة الخبراء المعروفة في العرمة، ثم أمر على ابنه عبدالله في آخر شعبان أن يسير بجنود المسلمين لقتال عدوهم، فتجرد ابن الإمام وخرج من الرياض معه أهل الرياض والخرج وضرما والجنوب وعربان الرياض من سبيع والسهول، وتوجه الحفنة فنزل عليها أياماً إلى أن اجتمعت عليه جنود المسلمين ثم ارتحل منها وتوجه إلى الوفراء.

فلما وصل هناك قدم غزو عربان مطير وبني هاجر، ثم زحف منها بجنوده وحث السير حتى وافى العجمان ومن معهم من المنتفق وهم على الجهراء فوافتهم الجيوش السعودية والرايات الإسلامية في المطلاع بين البصيرة، والكويت فصباحهم في هذا الموضع.

فلما توافوا حصل بين الفريقين جلاذ تطيش منه العقول، وتذهل المراضع أولادها لشدة الذهول، وجرت ذبحة تذيب الجمود وتفتت الكبود واشتعلت النار كالوقود،

وتقاتلوا قتالاً يشيب من هوله المولود، فما كان إلا قليل حتى كانت الهزيمة على المتفق والعجمان وأجأهم المسلمون إلى البحر وهو جازر فدخلوا فيه، ووقف المسلمون على ساحل البحر فمد البحر على من فيه من العجمان وأتباعهم فأغرقهم وهم نحو ألف وخسمائة مقاتل، وقتل منهم خلائق كثيرة، وغنم المسلمون منهم من الأموال ما لا يعد ولا يحصى، وذلك في خامس عشر من رمضان من هذه السنة، وأجلى من بقي من العجمان إلى نجران، واشتهرت هذه بواقعة الطبعة، وأقام عبدالله هناك مدة أيام يقسم الغنائم، وأرسل الرسل للبشارة إلى أبيه وإلى بلدان المسلمين.

ولما وصل خبرها إلى الزبير والبصرة حصل لهم بذلك الفرح والسرور، واستبشروا بما حصل على أعدائهم من القتل والذل والثبور، لأنهم كانوا على خوف منهم بعد أن وقع بينهم من القتال في أول السنة، وأرسل باشا البصرة بهدية سنية إلى عبدالله وهو في منزله ذلك مع النقيب عبدالرحمن، وأرسل سليمان الزهري إلى عبدالله بن الإمام، هدية جلييلة مع محمد السميطة.

ثم إن ابن الإمام قفل بعد ذلك بمن معه من المسلمين راجعاً إلى نجد، ولما أن وصل إلى الدهناء بلغه أن سحلي بن سقيان ومن تبعه من بني عبدالله من مطير على المنسف بالقرب من بلد الزلفي فعدى عليهم وأخذهم وقتل منهم عدة رجال منهم حمدي بن سقيان أخو سحلي، قتله محمد بن فيصل ثم توجه عبدالله إلى القصيم ونزل روضة الربيعية.

ولما بلغ الخبر إلى أمير بريدة عبدالعزيز المحمد بن عليان، ركب خيله وركابه هو وأولاده حجيلان وتركي وعلي ومعهم عشرون رجلاً من عشيرتهم وخدمهم وهربوا من بريدة إلى عنيزة ثم خرجوا منها متوجهين إلى مكة.

ذكر قتل الأمير عبدالعزيز المحمد سنة ١٢٧٧هـ

وكيفيته وما جرى عليه، قد قدمنا أنه لم يف للإمام فيصل بعهوده من قبل الذين قتلوا بن عدوان، وقد تقدم منه عثرات كثيرة سأل الله تعالى.

فنقول لما قدم عبدالله بن فيصل إلى روضة الربيعية وفر عبدالعزيز المذكور لعظم الوحشة بينه وبين عبدالله بلغ ابن الإمام فراره، وكان في الروضة من يعين و يساعد على قتله لما هنالك من الضغائن فحسن بعض أعدائه قتله، فأرسل عبدالله ابن فيصل سرية في طلبهم وجعل عليها أخاه محمداً فاتبع ساقته وأدركهم في أرض الشقيقة فلما رأى عبدالعزيز الطلب وقف وقال على ما يقتلني ابن سعود وما بيني وبينه دم فلا والله لا يصلون إلينا فأنذره خازنه سليمان بن حمد الصقعي قائلاً له: خذ حذرک فالقوم قد وصلوك فلما غابت الشمس من أحد أيام شوال أدركوهم وقتل الأمير عبدالعزيز وأولاده حجيلان وتركبي وعلي وقتل معهم سبعة رجال منهم عثمان الحميضي من عشيرة عبدالعزيز العليان، والعبد جابس بن سرور وأخوه عثمان ابن سرور، وتركوا بقيتهم، وكان من الناجين سليمان الصقعي لما أن رأى الطمع في الرقاب شق أسفل خرجه الذي فيه النقود فجعلت تساقط على الأرض فاشتغل بها القوم وفر تحت ظلام الليل إلى مكة.

ثم أن عبدالله رحل من روضة الربيعية ونزل في بلد بريدة فأقام فيها مدة أيام وكتب إلى أبيه يخبره بمقتل عبدالعزيز المحمد وأولاده ويطلب منه أن يجعل في بريدة أميراً، فأرسل الإمام فيصل رحمه الله عبدالرحمن بن إبراهيم إلى بلد بريدة واستعمله أميراً فيها ثم هدم عبدالله بيوت عبدالعزيز المحمد وبيوت أولاده، وقدم عليه في بريدة طلال بن عبدالله بن رشيد بغزوا أهل الجبل من البادية والحاضرة.

ولما فرغ من هدم تلك البيوت ارتحل من بريدة بمن معه من جنود المسلمين وعدا على ابن عقيل ومن معه من الدعاجين والعصمة والنفعة من عتية وهم على الدوادمي فصباحهم وأخذهم، ثم قفل راجعاً إلى الرياض مؤيداً منصوراً وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، وكان عبدالله بن عبدالعزيز المحمد قد غزا مع ابن الإمام عبدالله في هذه الغزوة لأنه كان مقيماً في الرياض فلما قرب من الرياض شرد من الغزو فالتمسوه فوجدوه قد اختفى في غار هناك فأمسكوه وأرسلوه إلى القطيف وحبسوه فيه فمات في حبسه ذلك.

وهذه ترجمة الأمير عبدالعزيز الحمد

هو الأمير عبدالعزيز محمد بن عبدالله بن حسن آل أبي عليان أمير بريدة بل على سائر القصيم في زمن تركي بن عبدالله، وكان معظماً عند أهل بريدة، وإذا احتاج ماله جمعوا له، ويلقب بدمعان، ولقد جاد عليه الأمير تركي وابنه فيصل مع ما يجري منه من المخالفات كما في واقعة اليتيمة التي عادت على أهل القصيم بالهزيمة وكان هو أسبابها فقد ذهل الوالد منهم ولده وفك بهم بن الإمام فيصل فتكاً عظيماً بمن معه من أهل الرياض، ولولا أن عبدالله أدركته الرحمة بهم لكان غير ما وقع، وقد خرجت النساء حاسرات يستغثن برب الأرض والسموات ويستخلفنه لشدة الهول وحدث ضجة عظيمة في سائر القصيم عموماً، وفي بريدة خصوصاً.

ولما وصل عبدالعزيز إلى عنيزة هارباً بأصحابه أمرهم يغنون ويلعبون وشجعهم للحرب والقتال، وأين هذا منهم في ذلك المجال، والرعب في قلوبهم أمثال الجبال، فانخذل عنه الناس ولم يرفعوا لتشجيعه رأساً، ثم كتب إلى أخيه عبدالمحسن كتاباً يقول فيه أن سعد التويمجري وعلي بن ناصر وأنا سأساعدوهم دخلوا إلى البلاد وتخلفوا عنا في الهزيمة فالزمهم يأتون إلينا.

فكتب إليه عبدالمحسن يقول: إني إذا نصحتك أو خالفتك في شيء قلت لي أنت مجنون وإن هؤلاء الذين عددتهم كلهم في المعركة صرعى وهربت ونجوت بنفسك وتركتهم، فحقك عليهم بالأمس مضى، والآن قد نفذ فيهم حكم القضاء، وحقهم عليك أن تدفن أجسادهم وتعزي أولادهم فلما رأى العقوبة اختلف عليه رأيه وتديره وكثر الناس يشيرون عليه وبعضهم يعذلونه فتارة يقول دعونا على من كان بالعوشريات نسير إليهم، وتارة يشير بغير ذلك فلم ينفذ لهم أمل، ولم يساعدهم القدر، فكان لا يرى ما يهتدي به ولا يدري إلى أين بذهب، ولا كيف يصنع، فأتى إليه الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين قاضي القصيم، وقال له يا هذا اتق الله وارباً بنفسك فإن البلد ليست هي لك ولا بيدك

وأمرها بيد أهلها، وليس لك فيها أمر ولا نهى وهم يريدون أن يصلحوا أنفسهم مع الإمام فإن أردت أن تكون كذلك فافعل، فلما رأى انحلال الأمر من يده هرب من عنيزة وقصد بريدة وهربت عنه جنوده وكل مؤازر ومعين.

ثم أن رؤساء أهل عنيزة جاءوا إلى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين وقالوا له إن هذه الأمور التي منا وقعت والحوادث التي قد صدرت لا يصلحها إلا أنت ولا يزيل غضب الإمام ورؤساء المسلمين إلا أنت فقال لهم إنكم تعلمون أنني لست من أهل بلدكم ولا عشيرتكم ولا يحسن مني الدخول في هذا الشأن، الذي ركض فيه الشيطان فاعفوني ودعوني وأرسلوا في هذا الأمر غيري فقالوا له إن هذا الأمر قد تعين عليك فعند ذلك قال إني أخشى من إخلاف وعد، أو نكث عهد، أو شيء من الأمور التي يختلف فيها فيجد الإمام في نفسه علي، وأكون مسبة لأهل الإسلام فلما قرروا له ذلك، ركب الشيخ رحمه الله إلى الإمام فيصل في بلد المذنب فأكرمه الإمام، ووقره واحتشمه، ولما سعى بالصلح صفح عن كل صاحب جرم وخطيئة وعفا عفواً عاماً وأعطاهم الأمان، وكم له من منقبه علياً.

ثم أن الإمام فيصل أرسل إلى عبدالعزيز المحمد يدعو إلى السلم أو الحرب فأراد الحرب من بلده فأشار عليه إخوته وأولاده ورؤساء قومه ألا يهرب وقالوا له إن هذا الإمام حليم كريم وعادته العفو والصفح فاجلس في بلدك، ودعنا نركب إليه لعله أن يعفو عنك ويسمح ويصفح، فركبوا إلى الإمام وقالوا له لما جئنا بين يديه أن هذا الرجل قد أسلم، واستسلم ووجهه من الفشل قد تغير وأظلم، وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ومقته أهله وأقاربه، ونحن حاولناه على القدوم إليك، والجلوس بين يديك، فأجاب بأنه ليس لي وجه يشاهد إمام المسلمين بعد نقض البيعة وتجنيد عليهم الجنود ورفع الرايات على الإمام والمسلمين، وإنه يقول إما أن تصلحوا حالي معكم وإلا تركت لكم بلدكم، وقد جئنا إليك فيه متوجهين وفي جنائياته شافعين، وأنت أهل أن تدمح زلته، وترحم انكساره وذلته، ومن عادتك العفو والإحسان لأنك قد عفوت عن الجليل والحقير، وهذا من خلُقك ووجبلتك، فلا يكون هو المحروم من بين رعيتك.

فقال وفقه الله هذا رجل جرمه كبير ولا بد من قدومه إلينا وأخذ ما بيده من الحلقة والسلاح، فلم يزلوا إليه يشتفعون، وإلى بابه يترددون حتى سمح له أن يسكن البلد فقاموا وضمنوا للإمام على عبدالعزيز جميع المخالفات، وبذلوا للإمام السلاح والخيل العتاق، وقاموا بالعهد والميثاق فسمح له أن يسكن، وقبل شفاعته إخوته وأولاده، وجعله أمير في بلدة بريدة، وكان عبدالعزيز ليس له قوة ولا شهرة بل كان من أوسط عشيرته، ولكن والد فيصل اختاره واستعمله أميراً في بريدة وكف عنه عشيرته آل أبي عليان فإنهم من أقوى العشائر، ولهم فتك وطوارئ وصوله من بعضهم على بعض في القتل والقطيعة.

وجعل الإمام تركي يحوطه من أمامه وخلفه خوفاً عليه من أعدائه، حتى هابه بنوا الأعمام والعشيرة وارتفع صيته في هذه الجزيرة، أفيحسن فيمن كان هذا فضلهما، واحسانهما المعاملة بالمنازمة والعصيان.

وبعد هذا العفو والإحسان الذي جرى من فيصل، فإن عبدالعزيز لم يأمن منه بل لما أقبل الإمام فيصل قافلاً من مغزاه في سنة ١٢٦٦ ونزل أبا داود الموضع المعروف شمالي القصيم دخل عبدالعزيز الخوف والوجل لما تقدم منه من النقص للعهد وحرب المسلمين فأمر أهل بلده بالمغزاة، وتجهز معهم فلما خرجوا قاصدين الإمام صرف ركابه وخيله وقصد الشريف محمد بن عون في مكة هو وأولاده وترك نساؤه فلما علم بذلك الإمام فيصل ترحل بالمسلمين ونزل بريدة ودعى إخوة عبدالعزيز وقال إن أخاكم هرب من البلد بلا سبب أتاه منا والآن ليس في ذمة الإسلام والمسلمين منه شيء، فخافوا على أمواله، وتلطفوا بالقول للإمام وقالوا عادتكم الصفح والإحسان عمن أساء، وقد جرت عادة الله لك فيمن أحسنت إليه وكفر إحسانك أنه لا بد أن يكون في قبضتك، فترك الإمام لهم جميع أمواله واستعمل في بريدة أخاه عبدالمحسن بن محمد أميراً عليها.

ولما وصل عبدالعزيز إلى الشريف أهدى إليه ما كان معه من خيل وسلاح

فوعده ومناه حتى استحصل الهدايا فجفاه وأقام عنده مدة أشهر يتودد إليه فقال الشريف، إن هذه الجنود التي عندنا لا تسير إلا بدراهم؛ ولا يمشي الرجل إلا بعطاه قبل ممشاه.

وكان عبدالله بن الإمام قد وصل في مغزاه إلى مران فداخل أهل الحجاز الرعب وانعكس أمر عبدالعزيز وعلم أن أمره آل إلى تباب فرجع بعد الفزعة إلى النزعة، وطلب من الشريف أن يشفع له عند فيصل ليرجع إلى بلده ويجتمع بأهله وولده وصارت الرسل تتردد إلى فيصل وهو إذ ذاك في قطر، ويشفع لعبدالعزیز أن يردّه أميراً في بلاده ولا عليه بأس، ولا له أمر ولا نهى على أحد من الناس فسمح له فيصل بذلك وأذن له أن يركب مع جلوي غازياً إلى قطر فرحل جلوي غازياً بأهل القصيم معه عبدالعزيز، ولما قدم على فيصل في العراق عاتبه على ما مضى منه فما أجاب إلا بالاعتراف، وطلب العفو والمساحة فعفا عنه وسامحه، وأقام معه حتى قفل واستعمله أميراً في بلده.

أضف إلى ذلك ما جرى منه في واقعة سنة ١٢٥٧هـ وما أدراك ما هي إنها واقعة بقعا مشؤمة على أهل القصيم، وذلك بأنها أغارت عنزة من أتباع القصيم على فريق من شمر أتباع بن رشيد فأخذتهم فخرج بن رشيد وأغار على عنزة فأخذهم، فبلغ الخبر الأمير عبدالعزيز الحمد وكان بلوغة في ضحى يوم الجمعة فغضب لذلك ووافق أن الخطيب وهو الشيخ سليمان بن علي بن مقبل يخطب على منبر جامع بريدة فقال في موعظته والناس منصتون للاستماع «الفتنة راقدة لعن الله موقضها» يريد بذلك وعظ المسلمين كجاري العادة، فقام الأمير عبدالعزيز وسل السيف في ذلك الجمع العظيم وجعل يهزه يرفع قدماً ويضع أخرى ويرغي ويزيد، يقول يا أيها الناس لا يخذلكم هذا الخطيب فإنه عبد لا يساوي ربيعين، فرجلاي هاتان والله لأطئن بهما ابن الرشيد ولأهدمن قصره في حائل، ثم جند الجنود بعد الصلاة، وخرج وأمير عنيزة على ميعاد، ولما توافوا مع وجعان الرأس من شمر أخذوا منهم أموالاً كثيرة من الإبل والغنم والأثاث فقال يحيى بن سليمان

أمير عزيزة دعنا يا عبدالعزيز نرجع على هذا العز والنصر فحلف أن لا يرجع حتى يقاتل ابن رشيد في بلدة حائل.

ولما ساروا زحف عبدالله بن علي بن رشيد إليهم في بقعا وكان ذلك ليثاً كاسراً فجرت الهزيمة على أهل القصيم وكانت شنيعة جداً بعدما ولوا لا يلوى أحد على أحد وبطش بهم ابن رشيد والعياذ بالله بطشاً شديداً فقتل يحيى وفر عبدالعزيز بنفسه وقتل من الأعيان خلق كثير؛ يا عجباً لك يا عبدالعزيز من هذه المخالفات فلا لإمام تخضع، ولا لنا صح تسمع، فلما كان في هذه المرة لم تسلم الجرة وأحاط به أمر رب العالمين وأخذه الله وهو أحكم الحاكمين.

ومما قال الشيخ الأديب العالم العلامة أحمد بن علي بن مشرف تهنئة للإمام المكرم فيصل بن تركي بالنصر في واقعة الطبعة التي دمرت العجمان وتهنئة بهذه الانتصارات في تلك الحوادث:

| | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| لك الحمد اللهم يا خير ناصرٍ | لدين الهدى ما لاح نجم لناظر |
| وما انفلق الإصباح من مطلع الصبا | فجل وجلى حالكات الدياجر |
| لك الحمد ما هب النسيم من الصبا | وما انهل ودق المعصرات الماطر |
| على الفتح والنصر العزيز الذي سما | فقرت به منا جميع النواظر |
| وإظهار دين قد وعدت ظهوره | على الدين طرا في جميع الجزائر |
| وعدت فأنجزت الوعود ولم تزل | معزاً لأرباب التقى والبصائر |
| لك الحمد مولانا على نصر حزينا | على كل باغ في البلاد وفاجر |
| ومن بعد حمد الله جل ثناؤه | على نعم لم يحصها عد حاصر |
| نقول لأعداء بنا قد تربصوا | عليكم أديرت سيئات الدوائر |
| ألم تنظروا ما أوقع الله ربنا | بعجمانكم أهل الحدود العوائر |
| بأول هذا العام ثم بعجزه | بأيام شهر الصوم إحدى الفوائر |
| همو بدلوا النعماء كفرأ وجاهرأ | بظلم وعدوان وفعل الكوائر |
| فكم نعمة نالوا وعز ورفعة | على كل باد في الفلاة وحاضر |

إذا وردوا الأحساء يرعون خصبها
وكم أحسن الوالي إليهم بذله
وكم نعمة أسدى لهم بعد نعمة
ومن يصنع المعروف في غير أهله
لقد بطروا بالمال والعز فاجتروا
فمدوا يد الآمال للملك واقتفوا
وأبدوا لأهل الظعن ما في نفوسهم
همو حاولوا الأحساء ومن دون نيلها
فعاجلهم عزم الإمام بفيلق
وقدم فيهم نجله يخفق اللواء
فأقبل من نجد بجيل سوابق
فوافق في الوفرى جموعاً توافرت
سبيعاً وجيشاً من مطير عرمرما
ولا تنس جمع الخالدي فإنهم
فسار بموار من الجيش أظلمت
فصبح أصحاب المفاصد والختا
بكازمة حيث التقى جيش خالد
فلما أتى الجهراء ضاقت بجيشه
فولى العدى الأدبار إذ عاينوا الردى
فما اعتصموا إلا بلجة مزبد
فغادرهم في البحر للحوت مطعما
تفاءلت بالجبران والعز إذ أتى
فواه لها من وقعة عبقرية
بها يسمر الساري إذ جد في السرى

وفي برها نبت الرياض الزواهر
وبالصفح عنهم في السنين الغواير
ولكنه أسدى إلى غير شاكر
يلاقي كما لاقى مجير أم عامر
على حرمة الوالي وفعل المناكر
لكل خبيث ناكث العهد غادر
من الحقد والبغضا وخبت السرائر
زوال الطلا ضربا وقطع الخناجر
رماهم به مثل الليوث الخوادر
عليه وفي يمناه أيمن طائري
ترى الأكم منها سجدا للحوافر
من البدو أمثال البحار الزواجر
ومن آل قحطان جموع الهواجر
قبائل شتى من عقيل بن عامر
له الأفق من نقع هنالك ثائر
بسمر القنا والمرهفات البواتر
بهرمز نقلا جاءنا بالتواتر
وجالت بها الفرسان بين العساكر
بطعن وضرب بالظبا والخناجر
من البحر يعلو موجه غير جازر
وقتل لسرحان ونمر وطائر
بشير لنا عبدالعزيز بن جابر
تشيب لرؤياها نواصي الأصاغر
ويخطب من يعلو رؤوس المنابر

تفوه بمدح للإمام ونجله
كفاه من المجد المؤثر ما انتهى
فشكرا إمام المسلمين لما جرى
فهنيئت بالعيدين بالفتح أولا
وشكر الأيادي بالتواصي بالتقى
صبرت فملت النصر بالصبر والمنى
فدونك من أصداف بحري لثالثا
وبكرا عروسا أبرزت من خبائها
إلى حسننها يصبو ويشد ذو الحجى
وأختم نظمى بالصلاة مسلما
محمد المختار والآل بعده
مدى الدهر والأزمان ما قال قائل

ومعشره أهل التقى والمفاخر
إليه من العليا وطيب العناصر
وهل تثبت النعماء إلا لشاكر
وعيد كمال الصوم إحدى البشائر
بترك المناهي وامثال الأوامر
وما انقادت الآمال إلا لصابر
إلى نظمها لا يهتدي كل شاعر
شبيهة غزلان اللواء النوافر
لك الخير حدثي بظبية عامر
على من إليه الحكم عند التشاجر
وأصحابه الغر الكرام الأكابر
لك الحمد اللهم يا خير ناصر

قد قدمنا أن الإمام جعل على إمارة بريدة عبدالرحمن بن إبراهيم، وكان من أهالي أبي الكباش من بلدان العارض من الفضول، فاستقر المذكور أميراً فيها.

وفيهما توفي الشيخ الفقيه عبدالرحمن بن حمد الثميري نسبة إلى الثمارى من زعب قاضي بلد الجمعة رحمه الله وعفا عنه، وكان حبراً نبيلاً وعالمًا جليلاً، تخرج على الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وشرب من منهله الزلال، فهو أحد تلامذته، وكان رحمه الله قاضياً في سدير للإمام تركي، ثم كان قاضياً في الزلفي للإمام فيصل قدس الله روحه ونور ضريحه.

وفيهما وفاة الأمير أحمد بن محمد السديري جد جلالة الملك عبدالعزيز من جهة أمه، وهو الأمير الفاضل الهمام الأجدد، وكانت قبيلته من الدواسر.

أما أحمد هذا فكان حسن السيرة وصافي السريرة، له مناقب سامية وهمة عالية، وثق به الأتراك فجعلوه أميراً على الأحساء فقدمها رحمة من الله لهم، وسكن

روعهم واطمأنت إليه قلوبهم، ولو كان الأمير عليها إذ ذاك غيره لوقع في الأحساء خلل كبير؛ فزاره علماء الأحساء وقضاتها وأعيانها، ودعوا له وشكروه وأقر كل موظف على وظيفته جزاءه الله خيراً، وأنعم عليه، وبعث رجالاً يخرصون الزرع في الأحساء والقطيف فخرصوها من غير ظلم، ولبت في الأحساء في أمن وأمان حتى خلفه غيره من الأتراك فانعكس الأمر.

ولما قدم على سدير عن أمر خالد بن سعود سنة ١٢٥٤هـ، وكان قد بعثه يريد منهم أموالاً تعزيراً ونكالاً، كانت إمارته في سدير دفعاً من الله عنهم وعن بلدهم، وجعل يرى العسكر ضعفهم ويدافع عنهم بحسن سيرته، ويحرض العسكر على الرفق بهم لما هم فيه من الشدة والقحط، فما أخذوا من كل بلد إلا أربعين ريالاً أو خمسين ريالاً، وما زال يضع عنهم ويدافع ويسترضي حتى وقى الله بسببه ظلم الأتراك، ويكفيك معاملة الله له ولأنجاله، ومن كان مع الله كان الله معه، فانظر كيف كان عاقبة الأمير أحمد وعاقبة أولاده بأن ملكهم الله جل ذكره وجعلهم قادة لأهل الإسلام.

ولما ولاه الإمام فيصل إمارة الأحساء سنة ١٢٦٠هـ كان موضع الثقة والأمانة لما من الله عليه به من السمع والطاعة، أضف إلى ذلك رأياً وعقلاً وشجاعةً وسخاءً ولين جانب وسماحة مع الناس المسلمين، وشدة وصلابة على أعداء الله من المفسدين.

ولقد كان كثيراً ما يصلح الله على يديه الأمراء ويتنظم بأسبابه أمور التوفيق والهدى، ولما رآه فيصل بهذه المثابة أمره أن ينظر في المصالح الخاصة والعامة من إصلاح الثغور ونفي الخبائث والشرور، وجعل يحث الناس على الاجتماع للصلوات في المساجد، وتأديب أهل الكسل من كل مخالف ومعاند، وإن أحمد وأبناءه ليعتبرون من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة، وكانوا مع ما هم فيه من الولايات الفاخرة الرفيعة لا يعهد منهم تقلب ولا مكر، ولا يضمرون الحقد والغيط في الصدر، فلو نظرت إلى أصغرهم لقلت حاز الأدب من بين الأقران، ولو

رأيت بذلمهم لقلت لم يدخروا ديناراً ولا درهماً لنوائب الزمان، وكان أنجاله تركي
ومحمد وعبدالمحسن:

- فأما تركي فجعله الإمام أميراً في الأحساء بعد وفاة أبيه.

- وأما محمد فكان أميراً في سدير ومنبخ وما يليه.

- وأما عبدالمحسن فكان أميراً في بلدهم الغاط، وكلهم خيار نجباء من رجل
طيب، والشبل يشبل أباه، وكان آل سعود يختصونهم بالولايات الكبار، ويقدمونهم
على غيرهم في الأمصار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم،
ولما ولاه فيصل على عمان عنيت به الأمير أحمد، بعثه إليه الشيخ أحمد بن علي بن
مشرف بهذه القصيدة يمتدحه بها ويثني عليه بالشهامة والسبق:

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| تهلل وجه الدين وابتسم الثغر | وقد لاح من بيض السيوف له النصر |
| وجلّى دياجير الضلالة والردى | سنا المرهفات البيض فانصدع الفجر |
| وشمس الأماني بالتهاني لنا بدت | وبالسعد لاحت فانجلت أنجم زهر |
| وقد جاءنا ذاك البشير مبشراً | بفتح عمان حين حل به الدر |
| همام له قاد الجيوش بفيلق | إذا جاش بالأبطال يشبه البحر |
| فأطأهم جمعاً عماناً فاذعنّت | ودان له من أرضها السهل والوعر |
| وجالت به الخيل السوابق بالقنا | وسلت سيوف الحق فانهزم الكفر |
| وطهرها من كل سوء وباطل | وكانت تبدي بالقبائح والسحر |

ثم قال الأديب شاعرنا في آخر القصيدة:

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| ودونكها منظومة عبقرية | تناثر من أصداف أبياته الدر |
| وبكر عروس قد تصدى لرفها | محب لكم أذنّى وسائله الشعر |
| فعجل قراها فالضرورة أحوجت | وكاد يكون الفقر لولا الهدى كفر |
| وأنجز له الوعد الذي وعدته | فأمنيته والوعد ينجزه الحر |
| أصلي على المختار ما هبت الصبا | على الروض مطلولاً فعطره الزهر |

ثم دخلت سنة ١٢٧٨هـ

ففيها وقع الاختلاف بين أهل عنيزة وبين الإمام فيصل رحمه الله.

وفيهما في ثامن جمادى الأولى نزل على الحجاز سيل عظيم فدخل المسجد الحرام، وكان ذلك قبل صلاة الصبح، فلما أن دخل السيل في المسجد ارتفع الماء حتى بلغ قفل باب الكعبة المشرفة وغطى مقام المالكى، وتعطلت صلاة الجماعة خمسة أوقات، فلم يتمكن من الصلاة في المسجد الحرام ذلك اليوم أحد إلا أناس صلوا صلاة العصر على دكة باب الزيادة، وغرق خلق كثير في الحرم، وغرقت نفوس كثيرة أيضاً خارج الحرم، وأحصي الذين ماتوا في السيل من الأنفس البشرية، فكانوا فوق العشرين، وتخربت من هذه السيول أرض الأروقة ومماشي المسجد الحرام، وحاشية المطاف والله على كل شيء قدير، ودخل السيل ف خزانة كتب نفيسة تحتوي على ثلاث آلاف وستمئة وثلاثة وخمسون كتاباً، وهذه الخزانة قبة كانت خلف بئر زمزم في الساحة الحصوة، فغرق كثير من الكتب التي فيها لأن شبابيكها قريبة من الأرض، ويشاهد اثر السيل في بقية كتبها إلى الآن، وهذه مثل السلوك للمقرئزي، ونهاية الأرب للنويري ونحوهما، وليست هذه أول مرة تعبت فيها السيول بالكتب الموضوعة في داخل الحرم، فقد تقدم في غابر السنين لها نظائر كثيرة، وأنزل الله غيثاً في الخريف سالت منه بلدة أشيقر وتقطعت بعض أوديتها من شدة السيل، والنخيل إذ ذاك قد كثر الرطب ولم يختلف من ثمر النخل شيء في تلك السنة.

وفيهما تم بناء جامع الهفوف الذي بناه الإمام فيصل في الأحساء، وقد أحسن الشيخ الأديب أحمد بن علي بن مشرف، حيث أرّخه في آخر هذه الأبيات التي امتدح فيها الإمام:

| | |
|------------------|----------------------|
| يامن أشاد جامعاً | لله في الأحساء عمراً |
| به يسر كل من | لله مولانا شكري |

| | |
|-----------------|------------------|
| كل ظلوم قد بطر | من بعد أن خربه |
| كمـن بتخريب أمر | وليس من يعمره |
| غداً بيت من درر | بشراك يا عامر |
| ذات قصور وثمر | في جنـة عاليـة |
| محـرر عـز أغـر | من أجل ذا تاريخه |

ولقد امتدح الشاعر الأديب أحمد بن علي إمام المسلمين بقصائد كثيرة، منها قصيدة ميمية بعثها إليه في هذه السنة أطنب في مدحه وعرض فيها بأن عماله ظلّموا أهل الأحساء في الخرص، وقد احتوت على فصاحة وبلاغة، وأن الإمام فيصلاً أهل للمديح، ولولا خشية الإطالة لأتينا بها.

رجعنا إلى ذكر عنيزة فتقول: في شعبان وقع الحرب بينهم وبين الإمام فيصل رحمه الله، فأمر الإمام على البوادي أن يشنوا الغارة عليها، فأغار عليها آل عاصم في آخر شعبان وأخذوا أغناماً، وأرسل الإمام سرية مع صالح بن شلهوب إلى بريدة وكتب إلى أمير بريدة آن ذلك عبدالرحمن بن إبراهيم يأمره أن يغير بهم على أطراف عنيزة، فلما كان في شهر رمضان أغاروا على عنيزة وأخذوا إبلأً وأغناماً ففزعوا عليه، وحصل بينهم وبينه قتال وتكاثر الأفرع من أهل عنيزة، فترك لهم ابن إبراهيم ما أخذ منهم وانقلب راجعاً إلى بريدة.

ولما كان في شوال قدم إلى عنيزة محمد الغام الذي كان من جملة قاتلي ابن عدوان، وكان قد ولي إمارة بريدة، ثم عزله الإمام كما تقدم، والمذكور من آل أبي عليان، فقدم من المدينة ليستثمر من هذا الاختلاف تشفياً، فشجع أهل عنيزة على الحرب، وزين لهم السطوة على بلد بريدة نسأل الله العافية، فخرج أهالي عنيزة منها في خمس رايات وساروا قاصدين بريدة فدخلوها آخر الليل وأضحوا في وسط البلد وقصد بعضهم بيت مهنا الصالح أبا الخيل، وبعضهم قصد القصر، وفيه الأمير عبدالرحمن بن إبراهيم وعدة رجال من أهل الرياض ومعه صالح بن شلهوب وأصحابه فاتبه بهم أهل البلد ونهضوا إليهم من كل جانب فوضعوا فيهم

السيف وأخرجوهم من البلد، فانهزموا راجعين إلى بلدهم عنيزة، وقتل منهم عدة رجال، وإنما خصصوا في قصدهم لبيت مهنا لأنه قد ساعد وحسن لابن الإمام قتل عبدالعزيز المحمد كما مر قريباً.

ولما بلغ الخبر إلى الإمام فيصل في الرياض أمر على بلدان المسلمين بالجهاد وأرسل سرية إلى بريدة تقوية لجانب أميرها، وأمر السرية بالمقام فيها مع الأمير، ثم غزو الوشم وسدير بالمسير إلى بريدة واستعمل عليهم عبدالله بن عبدالعزيز بن دغثير أميراً، فساروا إليها واجتمع عند ابن إبراهيم وابن دغثير خلائق كثيرة، وكثرت الغارات منهم على أهل عنيزة، ثم إنه حصل بين الأميرين وبين أهل عنيزة وقعة في رواق فصارت الهزيمة على ابن إبراهيم ومن معه، وقتل من أتباعه نحو عشرين رجلاً من بينهم الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن دغثير، وقتل من أهل عنيزة عدة رجال، وبعد هذه الواقعة غضب الإمام على عبدالرحمن بن إبراهيم لأشياء نقلت عنه؛ فدعى به من بريدة إلى الرياض وأمر بقبض جميع ما عنده من المال، وفيها بعث الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بقصيدة إلى الإمام فيصل يمتدحه بها ويثني عليه، وهذا نصها:

| | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| إذا أنت أجمعت المسير لتنجدا | فلا تعد قصرأ في الرياض مشيدا |
| بناه إمام المسلمين ولم يزل | يؤسس ما يبني على الدين والهدى |
| ترى حوله الأضياف تلمس القرى | وقوماً يريدون المكارم والندا |
| فيرجع كل نائلاً ما يرومه | من العدل والإحسان والفضل والجدأ |
| كريمأ يرى للمعتفين إذا أتوا | ومن يطلب المعروف حقأ مؤكدا |
| تعود بسط الكف طبعأ وإنما | لك امرئ من دهره ما تعودا |
| تعيش اليتامى والضعاف بنيله | ويروي حدود المرفقات من العدا |
| وهل يدرك العليا إلا مهذب | أضاف الإحسان سيفأ مجردا |
| فاكرم بهذا من إمام لقد حوى | عفافأ وإقدامأ وحزمأ وسؤددأ |
| وقد سود المختار عمراً لجوده | فحقأ لهذا بالندا أن يسود |

تراه لفعل المكرمات مشمراً
يخوض لظى الهيجاء فرداً وكفه
يعامل من يرعى برفق ورحمة
إذا اجتاز قوم بالنوال أجازهم
هو العارض البراق يخشى ويرتجي
هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً
فإن قست أهل العصر لم تر مثله
أعد لمن رام الخلاف سليله
فكم غارة قد شنها بعد غارة
وصيرهم قسمين هذا مجندلاً
وإخوانه مثل النجوم زواهر
فأخباره مشهورة حين حاربت
فأرداهمو بالبيض والسمر إذا أتوا
وقائع أيبي النساء في عينة
وشد أخوه العضد منه بجيشه
فروعاً كساها أصلها المجد فانتمت
فشكراً إمام المسلمين لخالق
فأحسن إلى من قد رعيت ولا تطع
يريكم لدى الإقبال نصح مودة
فلا ملك إلا بالرجال وإنما
ولا مال إلا بالرعايا إذا نمت

الخ ... وهي طويلة.

إذ الجود والإقدام للناس أقعدا
سحاب ندى يهمني لجينا وعسجدا
ويقمع منهم من طغى وتمردا
فعاش بخير كلما راح أو غدا
وأنشد به إن كنت للشعر منشدا
على الدر واحذره إذا كان مزبدا
رئيساً فسائل من أغار وأنجدا
أبا النجم عبدالله كالليث مرصدا
أصار بها شمل العدو مبدا
قتيلاً وهذا في الحديد مصفدا
ولا تنس منهم من يسمى محمدا
قبائل في أرض القصيم تمردا
يقودهم للحتف من ليس مرشدا
وشين فيها كل من أمردا
فأطفئ به الله الحروب وأخذنا
إلى منصب عال أعز وأمجدا
حباك بإعزاز ونصر وأسعدا
بهم واشياً مقصوده الغش والردا
وإن عضكم دهر يكن أكبر العدا
يؤلفها بالمال من شأنه الندا
وأنصفها الوالي بعدل وأرشدنا

وقال أيضاً الشيخ العالم أحمد بن علي في هذه السنة قصيدة يمتدح الإمام فيصلًا فيها:

للك الحمد اللهم حمداً خلداً
فكم نعمة أو ليتنا بعد نعمة
ونسأله التوفيق للشكر إنه
على أن هدانا ثم ألف بيننا
إماماً به الرحمن أمن سبلنا
وقوم أركان الشريعة ناصراً
سخياً جرياً في الحروب وحازماً
يسير أعلام الجهاد خوافقاً
أبو النجم عبدالله ليشأ أعدده
إذا أفسد الأعراب في أي موطن
فراياته منصورة حيث يمت
فلما بغت حرب على الناس واعتدوا
وشتهم كما دهاهم بفيلق
همو منحوه الأهل والمال إذ رأوا
وولوا سراعاً هاربين كأنهم
فحسبك من أيام نصر تتابعت
وكفت بها الأعراب عن سوء فعلهم
فكم قد أخافوا السبيل من قبل غزوه
فأضحوا عن المال النفس أعفة
كذلك شأن السيف إن سل حده
فشكراً لإمام المسلمين لما جرى
ولا زلت للإسلام كهفاً ومعقلاً
ودونك نظماً من أديب يصوغه
إذا شاعر أهدي لكم خرزاته

على نعم لم تحص عدداً فتفندا
وفتح به قد صح من كان أرمداً
يكون لنعماء الإله مقيداً
بملك إمام واجتماع على الهدا
وكف يدي من كان في الأرض مفسداً
بسمر القنا والبيض سنة أحداً
وما الملك إلا بالشجاعة والندا
على نجله لا زال للدين منجداً
أبوه لمن أخطأ الصواب أو أعندى
أغار عليهم بالجيوش وأنجداً
وطالعه من أنجم السعد قد بدا
رماهم بحرب منهم الشمل بدداً
من الخيل والفرسان كالبحر مزبداً
له صارماً ممضي ورعاً مسدداً
نعام تراهم في المفاوز شردا
على يده ذلت بها سائر العدا
ودان بها وانقاد من قد تمردا
وكم ريس منهم أغار وأفسداً
ولو نظروا في الطرق درأ وعسجد
يهاب ولا يخشى إذا كان مغمداً
من النصر والإعزاز لا زلت مسعدا
وسيفاً على هام العدو مجردا
إذا قال شعراً أصبح الدهر منشداً
بعثنا إليكم لؤلؤاً وزبرجداً

فأحسن إلينا بالقبول وبالرضا ودم سالماً حياً معافاً مؤيداً
وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى ما ناح سدم وغردا
كذا الآل والصحب أنصار دينه وأتباعهم ما أطرب العيش من حدا

ثم دخلت سنة ١٢٧٩هـ

استهلت هذه السنة وأهل عنيزة مقيمون على المخالفات للإمام فيصل، وكان لما قتل عبدالله بن عبدالعزيز بن دغثير أمير الجيش غضب لقتله فيصل وعزل أمير بريدة، ثم إنه جهز ابنه محمداً يغزو الرياض والجنوب في هذه السنة وأمره بالزحف إلى عنيزة، ويكون طريقه عن بريدة فيأخذ معه من فيها من غزو أهل الوشم وسدير لقتال أهل عنيزة، فزحف محمد بن فيصل ومعه الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ عبدالعزيز بن محمد بن علي بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ ناصر بن عيد، فلما وصلوا إلى بريدة أمر على من فيها من الجنود من أهل سدير والوشم بالمسير معه، وقدم عليه عيد بن علي بن رشيد وابن أخيه محمد بن عبدالله بن علي بن رشيد بغيرو أهل الجبل، فسار الجميع إلى عنيزة وحصل قتال شديد بين الفريقين فانهزم أهل عنيزة وقتل منهم نحو عشرين رجلاً، ثم إنه نزل محمد بن فيصل بمن معه من الجنود في مقطع الوادي وشرعوا في قطع نخيله.

ذكر وقعة المطر

لما شرع القائد محمد بن فيصل وجنوده في قطع نخيل الوادي، خرج أهل عنيزة في خامس عشر من جمادى الآخرة عن بكرة أبيهم، فالتحم الفريقان والتقى الجمعان وجرى بينهم قتال شديد يشيب من هوله الوليد، فانهزم لذلك محمد بن فيصل وجنوده، وتتابع هزيمتهم إلى خيامهم، فأمر الله عز وجل السماء بالمطر وكان غالب سلاح أهل عنيزة البنادق الفتيل، فبطل عملها من شدة المطر، فكر

عليهم محمد وأصحابه، فانهزم أهل عنيزة وقتل منهم أربعمائة مقاتل، وإن عدداً يبلغ ذلك ليضعف العدو ويكسر شوكته، فاحتصر أهل عنيزة في بلدهم، وأقام محمد بن الإمام هناك وأمر على من معه من الجنود بقطع نخيل الوادي فقطعوا غالبها ودوى ذكر هذه الواقعة بواقعة المطر؛ ثم قدم على محمد بن الإمام في منزله ذلك طلال بن عبدالله بن علي بن رشيد في بقية غزو أهل الجبل.

ولما أن جاءت الأنباء إلى الإمام فيصل وأن هذا الجيش لم يسفر عن كبير شأن، بل انهزم محمد؛ ثم كر على أهالي عنيزة وانتصر وقطع النخيل عند ذلك دعى فيصل بمحمد بن أحمد السديري، وأمره أن يتوجه إليه بغزو أهل الأحساء، فقدم محمد بن أحمد إلى الرياض بغزوه، وذلك في شعبان ثم أمر الإمام فيصل على ابنه عبدالله بن فيصل أن يسير بهم وبقية غزو بلدان المسلمين، فخرج عبدالله بن الإمام بمن معه من الجنود ومعهم المدافع والقوس، وأوصاه أبوه بوصية قال فيها: إن طلبوا الصلح فأجبهم إليه وإياك وحربهم، وهذه سجية فطر عليها ذلك الإمام نسأل الله تعالى أن يثيبه عليها الجنة وأكد على ابنه في ذلك.

وكنت أظن أن الله تعالى إنما مكن له ونصره وأعزه وأظفره بأعدائه لما قام به من الرأفة والرحمة والشفقة على الخلق، وإلا فلو تركت هذه الجيوش وشأنها لالتهمت عنيزة التهاماً؛ ولما سار محمد السديري بغزو الأحساء كان معه الشيخ أحمد بن علي بن مشرف فقال هذه القصيدة فيما يتعلق بالمعنى:

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| خرجنا والأمير بنجم سعد | نقود الخيل بالإبل الرسيم |
| تدوس بنا الحصا في كل فج | فتورى القدح في الليل البهيم |
| نهضنا للجهاد بلا توان | سوى قدر الترحل للمقيم |
| لنجمع لأمة الحرب كنا | نداولها لذلك من قديم |
| فسار الجيش مثل البحر هبت | عليه العاصفات من النسيم |
| قبائل من عقيل قد توافقت | وقوم يتمنون إلى تميم |
| يؤم ابن الإمام بهم جميعاً | عنيزة وهي في أرض القصيم |

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| نقاتل فيه أوباشاً لثاماً | أطاعوا فتنة الغاوي الرجيم |
| فإن فاءوا فإن الله يهدي | لمن شاء للصراط المستقيم |
| وإلا كان قتلهم يسيراً | بحول القادر الرب العظيم |
| لأنهم أناس أهل جهل | ونقص في الديانة والحلم |
| بحلم إمامنا اغتروا زماناً | ولما يرهبوا غضب الحليم |
| إمام ماجد الأحساب ينمي | إلى أعلى الذوائب والصميم |
| إلى العلياء يسمون افتخاراً | بفعل المجد للعظم الريم |
| فلا زالت به الأيام غرا | يطيب عرفها عرف النسيم |

ولما توجه عبدالله بن الإمام بهذه الجنود إلى عنيزة، ووصل إلى شقراء أرسل المدافع وأثقاله إلى أخيه محمد، وهو إذ ذاك في وادي عنيزة، ثم عدا عبدالله على عربان عتيبة وهم على الرشاوية فأخذهم وتوجه إلى عنيزة.

فلما نزل عليها حاصرها ونصب عليها المدافع فرماها رمياً هائلاً، ونزل عليه أخوه محمد بمن معه من الجنود، واجتمع هناك جنود عظيمة كقطع الليل المظلم فأحاطوا بالبلد وطوقوه وثار الحرب وعظم الأمر واشتد الخطب، ودامت الحرب بينهم أياماً، فلما كادت المدينة مستهدفة للسحق والحرق، ورأى ورأوا من أمر الله مالا يطاق، وإنه لا قبل لهم بتلك الجنود، طلبوا الصلح من عبدالله ابن الإمام والنزول على حكمه فما وسعه إلا امتثال أوامر والده فأجابهم إلى ذلك بشرط أن الصلح يكون على يدي أبيه الإمام ومواجهته، فكتبوا بذلك إلى الإمام فأجابهم الإمام إلى ذلك رفقاً بهم وحقناً لدمائهم، وأعطاهم الأمان على أن الأمير عبدالله ابن يحيى بن سليم يقدم عليه في الرياض، فخرج الأمير عبدالله بن يحيى إلى عبدالله بن فيصل واعتذر واعترف بالخطأ والإساءة، فطلب العفو والصفح والمسامحة فقبل معذرتة وصلحت حالهم.

وحصل بذلك الأمن والأمان للعباد والبلاد، وأطفأ الله الفتنة، وأزال الحنة،

ورجع عبدالله بن الإمام قافلاً ظافراً إلى الرياض، وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، وركب معه عبدالله بن يحيى آل سليم أمير عنزة ويحيى الصالح إلى الرياض ولما أن قدما على الإمام فيصل وجلسا بين يديه طلبا منه العفو والصفح، وعاهداه على السمع والطاعة فعفا عنهما وسامحهما، رحمه الله وعفا عنه ذلك لما قام به من العدل والرافة بالرعية والشفقة على المسلمين لأنه كان إماماً عادلاً مباركاً ميموناً صفوحاً عن الجاني، وأقاما عنده في الرياض مدة أيام، ثم إنه كساهما وأعطاهما عطاءً جزيلاً وأذن لهما بالرجوع إلى بلدهما.

ولما وقع الصلح بين الإمام وبين أهل عنزة استعمل الإمام فيصل بن أحمد السديري أميراً على بريدة بل على سائر القصيم، وكان قبل ذلك أميراً على الإحساء كما تقدم، وكان من أفذاذ الرجال رأياً وشجاعةً وكرماً، فقدم على بريدة ومعه عدة رجال من خدمه من أهل الرياض ونزل في قصرها المعروف وصلحت الأمور وانحسرت الشرور.

فقال الشيخ العالم العلامة أحمد بن علي بن مشرف هذه القصيدة لما فتح الله عنزة على يد ابن الإمام عبدالله ابن فيصل سنة ١٢٧٩هـ:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| سبحان من عقد الأمور وحلها | وأعز شرعة أحمد وأجلها |
| وقضى على فئة عتت عن أمره | بهوانه فأهانها وأذلها |
| كفرت بأنعم ربها فأذاقها | بأس الحروب فلا أقول لعلها |
| وحى سياسة ملكنا بمهذب | وآل إذا ربت الحوادث فلها |
| بالعزم والرأي السديد وإنما | فيه الأناءة ذو الجلال أحلها |
| يدعو مخالفه إلى نهج الهدى | فإذا أبى شهر السيوف وسلها |
| فسقى وروى أرضهم بدمائهم | قتلاً وأنهلها بذاك وعلها |
| في كل ملحمة تعيش نسورها | منها وترتاد السباع محلها |
| رجفت عنيزة هيئة من جيشه | لما غشى حيطانها وأظلمها |
| فعصت غواة أوردوها للردى | وأمر سوءٍ قادهما فأضلها |

واختارت السلم الذي حقن الدما
فتح به نصر المهيمن حزبه
فانظر إلى صنع المليك بلطفه
لا تياسن إذا الكروب ترادفت
واصبر فإن الصبر يبلغك المنى
والزم تقى الله العظيم ففي التقى
وإذا ذكرت بمدحة ذا شمية
أعني أخا المجد الموثل فيصلاً
كفاه في بذل الندى كسحابة
ما زال يسمو للعلي حتى حوى
بشرى المدائح بالنفائس رغبة
فإذا أناخ مصابراً لقبيلة
ساس الرعية حين قام بعدله
مني إليك فريدة هجرية
طوت المفاوز نحو قصرك لم تهب
فأجز وعجل بالقرا فلم تزل
لا زلت بالنصر العزيز مؤيداً
والله أحده على نعمائه
ثم الصلاة على النبي محمد
وآل والأصحاب ما نسخ الضيا

إذ وافقت من للهداية دها
وأزاح أوغار الصدور وخلها
وبعطفه كشف الشدائد كلها
فلعلها ولعلها ولعلها
حتى ترى قهر العدو أقلها
عز النفوس فلا يجامع ذها
فأماننا ممن تفيأ ظلها
نفس تتوق على حماء ثولها
جادت بوابلها فسابق ظلها
دق المكارم في الفخار وجلها
حتى بمفتاح اللهى فتح اللهبا
في الحرب أسامها الوغى وأملها
ويذله غمر النوال مقلها
حسناء يهوى كل صب دها
لصا ولا ذيب الفلاة وصلها
تقرى الضيوف بها وتحمل كلها
تدعى الأعز ومن قلاك أذها
رب البرية ذا الجلال وإن لها
ما باشر الأرض السماء قبلها
من شمسنا وقت الظهيرة ظلها

وفيهما ظهر الجراد في نجد، وكان قد انقطع عنه نحو من سبع عشرة سنة وكان في انقطاعه يخشى انحلال نظام العالم كما جاء في بعض الأحاديث.

وفيهما أيضاً أمر السلطان العثماني عبدالعزيز خان بترميم المسجد الحرام بعدما تخربت أرض أروقه ومماشيه من السيل الذي وقع في السنة التي قبلها، وجعل أمر

الترميم موكولاً إلى الشريف عبدالله بن أمير مكة محمد بن عون، وإلى شيخ الحرم أحمد عزت باشا، فشرعوا في ٢٨ ثامن وعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة، وأخرجوا جميع الطباطب القديم من حاشية المطاف والمماشي والأروقة، وجددوه بأقنن مما كان سابقاً، وكان تمام العمل في غاية ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هـ.

وفيها توفي والي مصر سعيد باشا بن عم محمد علي والي مصر المشهور، فأقيم بعده إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا بن محمد علي.

ثم دخلت سنة ١٢٨٠ هـ

في هذه السنة قدم على الإمام فيصل رحمه الله وفد أهل الأحساء وطلبوا منه أن يرد عليهم أميرهم محمد بن أحمد السديري، وكان قد نقله منهم الإمام إلى بريدة وجعله أميراً على مقاطعة القصيم كما أسلفنا لأنه لا يسد مقاطعة القصيم وغيره.

ولما أن قدم عليه رؤساء أهل الأحساء يطلبونه منه لم يرى بداً من أن يجيبهم إلى ذلك لا سيما وقد كان في الوفد فضيلة الشيخ أحمد بن علي بن مشرف قد استعانوا به على نجاح هذه المهمة، فكتب الإمام إلى محمد السديري وأمره بالقدوم عليه في الرياض، ولما أن قدم أمره أن يتجهز إلى الأحساء وجعل مكانه في إمارة بريدة سليمان الرشيد من آل أبي عليان.

ووافق أن توفي هذه السنة صالح بن راشد وكيل بيت مال الأحساء للإمام فيصل، ولما بلغ الإمام وفاته جعل مكانه على بيت مال الأحساء فهد بن علي بن مغيصيب.

ثم إن الإمام كسا وفد أهل الأحساء وأعطاهم عطاءً جزيلاً، فتوجهوا إليها وسار معهم الأمير محمد بن أحمد وفهد بن علي بن مغيصيب بعد ما أذن لهم الإمام.

فقال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف هذه القصيدة يمتدح فيها الإمام فيصل ويذكر شيئاً من مآثره ومناقبه:

لقد لاح سعد النيرات الطوالع
غداة أنحنا بالرياض ركابنا
حريص على إحياء سنة أحمد
يقيم اعوجاج الأمر بالبيض والقنا
ويحيي دروساً للعلوم بدرسها
تقي نقبي قانت متواضع
وما زال للدين الحنيفي ناصراً
يعامل قوماً بالأناة فإن تفد
وإن تسألن عن جوده وسخائه
فإن كنت عن علياه يوماً محدثاً
هو المنهل الطامي ييل به الصدى
به أمن الله البلاد فأصبحت
بمدحته فاه الزمان وأهله
يربي يتامى المسلمين كأنه
وكم بائس عارٍ كساه برفده
قصده من هجر نؤمل رفده
أعذناه بالرحمن من كيد كائد
ونستودع الله المهيمن ذاته
وصل إليه العالمين على الذي
محمد المبعوث للناس رحمةً
كذا الآل والأصحاب ما هبت الصبا

وغابت نحوس من جميع المطالع
بباب إمام تابع للشرائع
وإخماد نيران الهوى والبدايع
ويحكم بالوحيين عند التنازع
وتقريب ذي علم قريب وشاسع
ما الفخر إلا بالتقى والتواضع
بتدمير أوثان وتعمير جامع
وإلا أفادتهم حدود اللوامع
فكفاه مثل المعصرات الهوامع
فحدث وقرط بالحديث مسامعي
فرده ودع آل البقاع البلاقع
لنا حرماً في الأمن من كل رائع
فحسبك من صيت له فيه شائع
لهم والدٌ بر بهم غير دافع
وكم أشبعت يمناه من بطن جائع
فجاد علينا بالمنى والمنافع
ومن شر شيطان وخب مخادع
وربى كريم حافظ للودائع
أنا بنور من هدى الله ساطع
بأقوم دين ناسخ للشرائع
وما أطرب الأسماع صوت لساجع

وفي هذه السنة تكسر بعض طوق الحجر الأسود الذهبي الذي ركبه السلطان
عبدالمجيد وقد تقدم التعريف له، وسرق ما تكسر منه فلم يعلم من أخذه، ثم إنه
حشي مكانه زنك أسود.

ولما كان يوم الأربعاء الموافق لعاشر ذي القعدة، أمر السلطان عبدالعزيز خان بتجديد سقف المقامات لأنها خربت حتى تكسر بعض خشب مقام الحنفي، فبدأوا بتصليحه مقدماً على بقيتها، ثم بمقام الحنبلي، ثم مقام المالكي، ثم مقام إبراهيم وزادوا في ارتفاع قبه.

وكان أول من وضع هذه المقامات بعض ملوك الجراكسة وإلا فما كان لها أصل من كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، عدى مقام إبراهيم فإنه صخرة فيها آثار قدميه لما كان بيني الكعبة، ولا تزال آثار قدميه إلى اليوم هذا تشاهد، غير أن أهل الجاهلية جعلت تمسح هذه الصخرة حتى ذهبت آثار الأصابع ثم جعل عليها حجرة ورفع سقفها، أما هذه المقامات المبتدعة المشار إليها فهي أربعة مقام الحنبلي وهو الواقع في الجهة الجنوبية مقابل لما بين الركن اليماني والحجر الأسود، ومقام الشافعي، وهو مرادف لمقام إبراهيم من جهة الشرق مما يلي بابه، ومقام الحنفي وهو واقع في الجهة الشمالية حذاء الميزاب والخطيم، وقد فاق على بقيتها في الكبر والحسن وجعل له سطح ودرج، ويصلي فيه عدد من المأمومين وفيه مصاحف وهو موضع المنبه في الوقت الحاضر.

أما مقام المالكي فيقع في الجهة الغربية وهو على صفة وضع مقام الحنبلي، وكلها على ضفة حاشية المطاف.

وفيها أعني هذه السنة توفى تركي بن حميد من شيوخ عتبية.

وفيها حصل اختلاف بين أهل بريدة وبين أميرهم سليمان الرشيد أبو عليان، وكثرت الشكايات على الإمام ضده، فعزله الإمام فيصل وجعل مكانه أميراً على بريدة مهنا الصالح أبا الخليل، وكان هذا هو أبا الخليل المشهور، ومهنا كان تاجراً كبير القدر رفيع الذكر، وقد أشار عليه بعض أحبابه أن لا يتولى الإمارة ويكفيه سمو مقامه وعلو قدره، ويكون يعيش في نعمته، فما أصغى لناصح، وإنما أشير عليه بتركها خوفاً عليه من القتل، فإن آل أبي عليان لا يتركون الإمارة لغيرهم ففي هذه السنة كانت إمارته في بريدة.

ثم دخلت سنة ١٢٨١هـ

في هذه السنة أرسل السلطان عبدالعزيز خان طوقاً من فضة للحجر الأسود، وذلك بأنه لما انكسر الطوق الأول وحشي مكانه زنك أسود بعث السلطان العثماني بدله في هذه السنة فوصل إلى مكة في ١٤ من رمضان وابتدئ في تركيبه من الغد بعد قلع الطوق الأول الذي أرسله عبدالمجيد، وكان أمير مكة حينئذ الشريف عبدالله بن محمد بن عون وشيخ الحرم إذ ذاك اسمه وجيهي باشا.

وفيهما سار عبدالله بن الإمام بجنود المسلمين فتوجه إلى الأحساء وكانت بادية نعيم وأخلاط من آل مرة وغيرهم قد أكثروا الغارات في أطراف الأحساء، فعدا عليهم وصبحهم وهم على حلبون، فأخذهم وقتل منهم عدة رجال منهم جبر بن حام شيخ نعيم؛ وابنه محمد بن جبر، وأقام ابن الإمام على حلبون أياماً، ثم عدا على آل مرة ومن معهم من المناصر فأخذهم، واتفق أنه في مغزاه ذلك صادف ركباً من العجمان فأخذهم وقتلهم ثم توجه راجعاً ونزل على النجبية فقسم الغنائم، ثم قفل منها إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيهما أنشأ الشيخ الإمام أحمد بن علي بن مشرف قصيدة في ذكر مآثر الإمام فيصل بن تركي، ويتبادر إلى الفكر أنها آخر قصائده التي قالها في حياته:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| على الوالي المهذب خير وال | إمام المسلمين أخي المعالي |
| سلام فاق عرف المسك نفحاً | بنظم مثل منظوم اللآلي |
| تضمن مدحه بخصال مجد | حواها وهي من خير الخصال |
| عفاف ثم اقدام وحزم | وجود بالمكارم والنوالي |

ثم امتدحه بالنداء والبشاشة والشجاعة إلى أن قال:

| | |
|----------------------------|------------------------|
| فإن تطلب له في العصر مثلاً | فقد حاولت إدراك المحال |
| تبتعنا ذخائره جميعاً | فلم نبصر له من كنز مال |

ولكن كنزه التقوى وظن
 ويط الأعرجيات العوادي
 وتقليد الرجال بكل طوق
 بطلعته الزمان زها افتخاراً
 سيشكر فضله من كان حراً
 فأهل العصر مثل الطير طبعاً
 فإن جربت أكثرهم تجدهم
 علامات النفاق بهم تراها
 خيانتهم وإخلاف لوعده
 فسل على البوادي سيف عزم
 وأدبهم إذا انتبهوا وعاثوا
 وأنى من سيوفك لست انبوا
 واسنج في علاك برود مدح
 فإن فقت الملوك وأنت منهم
 ودونك من بنات الفكر بكرة
 إليك أنت من الأحساء تطوي

جميل في المهيمن ذي الجلال
 وجمع البيض والسمر العوال
 من المعروف ذي قدر وبال
 ولم تكتم أياديه الليالي
 ولكن أين أحرار الرجال
 بخفتها وأحلام السعال
 على صنفين ختال وقال
 ثلاث هن من شر الخلال
 وكثرة كذبهم عند المقال
 وقائلهم على منع العقال
 بجد المرفعات وبالنكال
 أنافح من قلاك ولا أبالي
 وأدراعا تقى وقع النصال
 فإن المسك بعض دم الغزال
 حكمت حسن الغزالة والهلال
 لها اليد بجل وارتحال

وفيهما توفي الشيخ إبراهيم بن حمد بن عيسى رحمه الله تعالى وعفى عنه، وكانت وفاته في آخر ليلة عرفه من هذه السنة، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الفقيه الفاضل إبراهيم بن حمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى قاضي بلدان الوشم في شقراء ، ولده الإمام فيصل بن تركي رحمه الله القضاء في بلاد شقراء وجميع بلدان الوشم، فباشره بعفة وديانة وصيانة وثبت وتأن في الأحكام وكتب كثيراً من الكتب الجليلة بخطه المتوسط في الحسن الفائق في الضبط، وحصل كتباً كثيرة نفيسة في كل فن على كل كتاب منها تهميش وتصحيح وجلب فوائد وتنبيهات وأجاب على مسائل عديدة في الفقه بجوابات حسنة سديدة،

أخذ العلم عن الشيخ أبي بطين وأخذ عن الشيخ الإمام القدوة عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ عن الشيخ العالم العلامة والقدوة الفهامة عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين وناهيك بهؤلاء جلاله وعلمًا ومعرفة وما زال على قضاء شقراء حتى توفاه الله في هذه السنة.

وفيها توفي الشيخ عبدالرحمن بن عبيد إمام جامع بلد جلاله وكانت وفاته في مكة المشرفة بعد انقضاء الحج رحمه الله وعفا عنه.

ثم دخلت سنة ١٢٨٢

استهلت هذه السنة والكلمة مجتمعة والرعية مستقيمة وقد أمن الله العباد والبلاد بالإمام فيصل بن تركي فكان على إمارة جبل شمر الأمير طلال بن عبدالله ابن رشيد، وكانت الإمارة في الجبل وراثية لهم بفضل من الإمام كما سيأتي، وكان على إمارة بريدة مهنا الصالح، وعلى عنيزة عبدالله بن يحيى آل سليم، وعلى إمارة الأحساء محمد بن أحمد السديري، وهكذا سائر البلدان.

ذكر نكت تتعلق في ذلك الزمان

لقد كان مما يحمل ذكره ويتعين علينا رقمه هو أن نذكر حالة أهل ذلك الزمان وسجايهم وما هم عليه من العادات فنقول: كانت معاملتهم حسنة ويحنو بعضهم على بعض لأن غالبهم كانت طاهرة قلوبهم وألين مما كانت القلب عليه الآن والدنيا لم تبسط عليهم كما بسطت على من بعدهم فكان الإنسان يعطي وإن كان من قلة ويبذلون أموالهم في الأوقاف على الفقراء والمساكين وطلاب العلم والأئمة والمؤذنين، فإنك لا تكاد تجد نخلاً من النخيل إلا وفيه تمر معلوم للصوام أو مؤذن المسجد أو إمامه أو مصباح المسجد ويتسابقون في الخيرات كما أن غلات الأراضي تكثر فيها الأوقاف ويعمرون المساجد ويؤوّن الضعيف ويرحمون ذا الفاقة هذا وما كانوا يعرفون طيارة ولا سيارة بل لم يتمكنوا من تسييرها ولم يتوصلوا إلى هذه الكهرباء.

أما جعل مراكب برية كهذه المصنوعات فقد أوجدوها غير أنهم لم يستطيعوا

تسييرها إلا ببغال أو جمال أو حمير تجرها وغالب سلاحهم إنما هي أم فتيل أو مدافع
تجر ويجعل فيها البارود والقبس وسيوف ورماح ونحوها.

أما المصاييح إذ ذاك فكان مادتها الودك يلقي فيها فتائل وتوقد أو شمعها
ونحوها، لذلك كانوا إذا أغار بعضهم على بعض وطلبوا المغير عليهم ليلاً لسيتردوا
ما أخذ يربطون قدراً بين بعيرين، ويوقد في هذا القدر نار من حطب ليقصوا الآثار
ويسمون مشعل الشيخ أي الرئيس وما نشأت إذ ذاك هذه الأهوال والمهمات، وما
كانوا يعرفون الكهرباء أو اللوكس أو شيئاً من البترول، ولم تظهر هذه المطابع التي
هيأت توفير الكتب والمطبوعات والرسائل وغيرها في هذه الأزمنة، وعلى قياس
هذا تعرف أنهم في بداوة وغالب الشعراء الذين لم يتعلموا العلم إنما كان شعرهم
نبطياً فيه فصاحة وبلاغة، فيري غير موزون كما يشاهد في شعر حميدان والقاضي
وابن ربيعة وابن غرفج وابن لعبون، وكانوا يعيرون نسب الحداد وأهل الصناعة
كالتجار والطار والصيرفي، فمتى كان المرء كذلك فهو ساقط النسب عندهم،
وكان الرجل إذا أحسن إلى الرجل وأراد مكافأته ينصب على بيته راية بيضاء،
وينادي عليها فلان بيض الله وجهه:

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| أعلل ربعي بالثنا من خصاله | رفعت له بيضاء على رأس شاهق |
| فتى تنجلي أكارها من فعاله | له ترفع البيضاء ويحدي بذكره |
| فعم كريم مع جلالة خاله | تسلسل حراً بين قوم أعزة |

وكانوا يعتنون في الفلاحة لا سيما النخيل والزروع كالبر والدخن، وقد جعل
الله فيها بركة أعظم منها اليوم.

وقد حدثنا والدنا السعيد قدس الله روحه أنهم أنكروا الساعة لما حدثت حتى
أطلق عليها بعضهم أنها صنم.

ولما جاءت لأول مرة إلى القصيم في إمارة حسن بن مهنا يحملها رجل من
العقيلات وشى به بعضهم إلى الأمير حسن يقول إن معه صنماً، فلما ألقى الأمير

القبض عليه وفتشه وجد الساعة لا يعرفونها إلا أنها صنم، وذلك لأنه لا يوجد ساعات في نجد إذ ذاك، وكان لأهل نجد عادات وأخبار عجيبة.

ومن أبلغ مشروباتهم القهوة البن فإنهم يتغالون في تقديمها وعملها، ولهم أشعار رائعة في القهوة لأنهم كانوا يرون فيها رجولةً وتقدماً، فهي أعظم ما عندهم من الحشمة يقدمونها على اللحم والألبان وسائر المأكولات ويستنشقون رائحتها إذا حمصت أبلغ من استنشاق العود والبخور والطيب والعطر، ولا سيما إذا صبت كنفاعة الحنا، فإن لهم سماً بصفتها، ويرون إكرام الضيف وحسن الجوار وتزيج الأكفاء وإن كان المهر قليلاً ولم يفش فيهم الترف والمدينة إنما يخشوشون في بعض الأحيان تأدباً مع الشريعة، ولكل زمان دولة ورجال.

وبالجملة فإننا إذا نظرنا إلى حالة الزمانين نجد بوناً بعيداً كأن الدنيا التي نعيش فيها ليست كدنياهم مع قرب الزمن ووحدۃ الدين والله المستعان وعليه التكلان.

ذكر بلاد العرب وإماراتها

كان على مكة أمراء من الأشراف لأن الإمارة فيهم وراثية وبإزاء كل أمير من أمراء مكة يكون والٍ من قبل الدولة العثمانية يكون على النظام والقوة ويحصل بسبب ذلك منافسات ومشاغبات بين والي والأمير لأنها لا تستقيم بلدة فيها سلطتان وحدوث هذه الوظيفة جديد وهي تابعة للدولة العثمانية، وكان الحاكم على نجد على العموم فيصل بن تركي بن عبدالله بن سعود وامتدت فتوحاته إلى عمان، وكان على البصرة وبغداد ولالة من قبل الأتراك، كذلك الشام تحت نفوذ العثمانيين، كما أن البحرين تحت حكم آل خليفة والكويت حكامه آل صباح المشهورون.

أما اليمن فإنه يتنازعه العثمانيون بنفوذ ضعيف وأئمة الزيود وكثر النزاع فيها بين الأتراك وبين أئمة الزيدية إلى إبان الحرب العظمى حتى تغلب عليها الإمام يحيى.

فعبارة يقال عن العراق إنه تحت نفوذ الأتراك وحكمهم إلى أن أعلنت الثورة

لأنهم طردوا عنه الفرس، كما أن الشام تحت حكم الأتراك بعد إخراجهم لجيوش محمد على صاحب مصر.

وكانت هذه الأمصار في ذلك الزمان لا يزال غالب أهلها يتمسكون باسم الإسلام، وغالب المساجد تقام فيها الصلوات الخمس ويتقيدون بمشاريع الدين، وإن كان فيها شرك وضلال فإن فيهم من لا يزال يتعصب، ولم يحدث هذا الانحلال وضعف الديانات وتقرير القوانين إلا بعد ذلك لأن الاختلاط بالدول الأجنبية التي دخلت بلاد العرب كالإنجليز وفرنسا هو الذي صبغ الأمة بصبغة جديدة لأن الأديان وإن كانت بعيدة العهد من الرسل فلا بد أن يوجد من يثبت على رسومها من اليهود والمسيحيين، وما زالت تتضاعف الأديان وتضمحل حتى كانت الأمم الأخرى دهرية كلها إلا من شاء الله وقليل ما هم، وذلك لقلّة الداعي وعدم الاعتناء بأمور الديانات وللإكباب على الدنيا واتساع الرقعة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا كان هناك من الإسبانين والإفريقيين، والأوربيين وغيرهم من ينتمي إلى دين الإسلام ويدين بالشريعة المحمدية لأنها لا تخلو الأرض من بقايا فإنهم ضعفاء قليلون بالنسبة إلى غيرهم فتعتبر بلاد العرب مركز الدائرة لدين الإسلام وتختص نجد بالديانة والثبات على الإسلام لقوة الاعتناء وبث الدعاة وتشجيع المتدينين، وما زالت الحكومة السعودية بعد النهضة الأخيرة العزيزية تدأب في قمع الفساد وتنشر الدعاية في مصر والسودان والهند والسند، وتوطد الصلات في العراق والشام واليمن، حتى أصبح الحجاز أحد أقاليم المملكة مطهراً من القباب والتوسلات الشريكة، ويعيش أهله في رغد العيش والثبات على الإسلام وحسن التمسك بقواعده العظام.

أن بلاد العرب والحق يقال لها مستقبل زاهر كما يشاهد في بيروت ولبنان وبغداد، وتطورت الحياة وتأثرت بحياة الشعوب ونهضت نهوضاً باهراً وأصبح العرب بعد اللبن والطين في العمارة تلك الأزمان يبنون بالحجر والإسمنت المسلح

والرخام والزينات، ورفعوا البيوت ونجدوها، غير أننا نريد منهم أن يشاطرونا في قوة الدين والتمسك بالإسلام وشعائره لنفوز وننجح جميعاً، وإذا كان لهم تقدم في الحياة فترجوا أن يكون لهم تقدم في الدين وفقهه لأنه لا عز إلا بالدين ولا منعة إلا بتقاليد الإسلام وشعائره.

وأضرب لذلك مثلاً وإن كان المقام ضيقاً فنقول هذه الدولة العثمانية لا تغيب الشمس عن ممالكها كما بينا ووضحنا في هذه النبذة اليسيرة.

قلما قام داعية الخير وإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب لنشر الدين وتجديده في الأرض لأن الله تعالى يبعث من يجدد لهذه الأمة دينها قامت هذه الدولة وضادت دعوته أعظم مضاده وصادمتها أشد مصادمة وبذلت نفسها ونفيسها، وآخر ذلك أعلنت الدستور، فقال بعض المتورين بابتته لما رسمت نفسها بغياً، وقررت الدولة لها تقريرها والله لا تستقيم دولة بعد القرآن الحكيم يكون شرعها الدستور ودأب في خلاص ابتته حتى أنقذها منهم، وذلك في سنة ١٣٢٧هـ، فانظر إلى ما أحله الله بها بعد ذلك من الهوان الذي آخرته سلب ممالكها واقتسامها وإنني لأسف جد الأسف على أن تكون الشام ومصر والعراق واليمن مسرح الفتن والزلازل والحن بعد أن كانت معدن العلماء والأولياء والقضاة والمفتين والأئمة الربانيين كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب وابن مفلح وأعلى منهم مثل الشافعي وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وإسحاق بن راهوية والموفق بن قدامة وابن عبد الهادي الجهابذة هؤلاء الأخلاف، أما الخلفاء الأمويون والعباسيون والقواد والزعماء إذ ذاك فترجوا من أمتنا أن يوجدوا ويبرزوا لنا رجالاً مثقفين يحامون على البلاد ويقهرون الأضداد كهؤلاء الرجال فهم رجال ونحن رجال.

أما القضاء في ذلك الوقت فكان القاضي إذ ذاك يجلس للخصمين ويسمع إلى حجتيهما فإذا فرغا وتبين له حكم القضية قضى بينهما فيقومان راضيين خالصين، وما تعرف عندهم المحاكم، وأخص بذلك أهل نجد، وإذا جرى بيع عقار وإثبات صك ونحو ذلك من القضايا الكبار فإنه يوقع القاضي عليه بالختم.

وكان القاضي في بلد بريدة فضيلة الشيخ سليمان بن علي بن مقبل، وهذه أفضيته وتصديراته لا ترى فيها شيئاً مما يستعمل في هذه الأزمنة من حسن الإنشاء وتنميق الكلام والتقعر في الفصاحة وتشقيق العبارات وتحليلتها، كما نشاهد من أفضية الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم والشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد قاضي بلدة حائل.

أما الشيخ سليمان فكان يجري في مجلس خصومته عجائب من تحمله للعثرات وفراسته الغريبة، منها أنه حضر لديه خصومة فأكثرُوا اللجاجة والترديد، فلما أتبعوه قام مولياً يقول: أنتم يا أهل العيون لا تفهمون ولا تخلصون، فلحقه بعضهم يقول بعدما جبذه بردائه اجلس رحمك الله يا شيخ فإنما جعلت لمن لا يفهم ولا يخلص، أما من يفهم ويسمع فلا يصلحك، اجلس فإنما نصبت للأعوج تقيمه.

ومن فراسته أن عجوزاً ذهبت إلى دار قوم في وقته كان عندهم مائدة عشاء فتقدمت العجوز عند فراغها تطرق الباب كأنها رسول سلطان كعادة الثقلاء، ومن قل حياته من الطفيلية والأغبياء، فجاءت ربة البيت وعنفت الكلام لهذه الجراءة، فأجابت عجوز السوء للمرأة تشفياً بقولها لم أجيء نحوكم للطعام وإنما أمانة في عنقي كلفت أداؤها بأن زوجك أخوك من الرضاة والسلام، وذهبت كالريح العاصفة، فلما ألقت هذه المقالة كان جوابها إرسال العبرات من المرأة المسكينة، واجتمع عليها بثها وحزنها وترك الطعام في المواعين، وأهان الداعي للمدعوين فما كان ليلة أطول من ليلتهما، وانبعث الزوج مسارعاً لما طلع الفجر إلى الشيخ سليمان ليكشف هذه الغمة، فلما جاءه وقص عليه القصص، قال اتني بها إن كنت تعرفها، فدعى الرجل بالعجوز وأجلسها بين يدي الحاكم ليأخذ المسألة من فيها وكلمها مخاطباً؟ نريد يا أمة الله الفرق بين هذا وزوجه، فإن كنت على يقين فتكلمي وإلا فحققي، أجابت العجوز أيها الشيخ إنني لست بأمير ولا قاضي إنما أخبر عن الواقع، ومن اهتدى فلنفسه ومن أساء فعليها، وما لدي سلطة على أحد، فقال لها: يا هذه اتق الله فبين يديك هول المطلاع وهول

المطلع شديد، وإن هذا النبأ يقتضي أموراً منها أنك قد فرقت بين مجتمعين طالما اجتماعاً، وثانياً له أولاد ويلحقهم بذلك خجل، وثالثاً يفارقها بغير طلاق فيكون عار زواجها وأثمه عليك، وكل هذا في ميزانك غداً، والناقد بصير فكوني على يقين لتتالي السلامة في الدنيا والآخرة، فارتعدت هذه العجوز بعدما خجلت وأخبرته بحقيقة الأمر بأنها لما عنفت عليها بالكلام لم تجد عقوبة لها أنكى من هذه الدعوى، فقام عليها بالعصا وطفق يضربها ضرباً شديداً، وطردها خاسئة حسيرة، وأمر الرجل أن يذهب إلى أهله.

ذكر تأسيس بيت آل رشيد

لما قتل الإمام تركي بن عبدالله رحمه الله عليه، وكان ابنه فيصل في القطيف ومعه جنوده من قبائل شتى، رحل قافلاً إلى الأحساء لما علم بهذه الفادحة، وكان الذي أخبره بها زويد فأخفا الخبر عن الناس وأحضر لديه رجالاً من الرؤساء وأخبرهم أنه لا بد له من أخذه بثأر أبيه فبايعوه على طاعة الله ورسوله وعلى السمع والطاعة، فرفع فيصل راياته وجنوده وجمع أصحابه وجنوده فسار إلى الرياض.

ولما قرب منها نزل بجنوده وثوروا من البارود حتى كان له دوي عظيم وانقضاض فخرج إليه وفد منها يطلبون منه ألا يأذن بالدخول إليها لغير أهلها من الجنود لأنه إذا هجم عليها النجديون من غير أهل الرياض قد يقاومهم الأهالي ليمنعوهم من احتلالها فيحدث قتال في البلد فتولد المحنة محنة أشد منها، وكان مع فيصل رجل يدعى عبدالله بن علي بن رشيد طرده أمراء حائل المعروفون بآل علي، فلاذ عبدالله بآل سعود، فلما هم الجنود بالدخول إلى الرياض لأنهم أهله، هموا بالدخول من دون قتال لأن أهلها كانوا من حزب تركي.

وكان مشاري بن عبدالرحمن القاتل لخاله تركي والعياذ بالله قد تحصن وامتنع وظن أنه لا يطيقه أحد من البشر، وما علم أن الله ليس منه ملاذ ولا مفر، فبا بشس الفعلة منه، من قريب ابن اخته وابن عمه، فحصل من عبدالله بن علي بن رشيد

فزعة عظيمة لفیصل لما رآه یرید تقحم هذه الأخطار، وأخذته الحمیة له بأن یكون معهم، وكان لیثاً شجاعاً وصارماً قطعاً لا یطاق إذا صال، وتتضائل عنده سورة الأبطال، فاستأذن فیصلاً فأذن له أن یكون معهم، فلما دخلوا الریاض حصلت بدون قتال لأن فیصلاً أمر على رجال ممن كانوا معه من أهل الریاض أن یدخلوا البلد لیلاً ویسکوا البروج والبیوت المقابلة للقصر، ولكنهم وجدوها مملوءة برجال مشاري قد ضبطوها، غیر أنهم لما عرفوهم سکتوا عنهم وأدخلوهم فلم یفجأ مشاري وذویه الذین بالقصر إلا أصوات أولئك الرجال وبنادقهم یصیحون بالثار، وقد شبوا النار لها شرار.

ودخل فیصل البلد وركب على القصر المدافع الکبار ثم شب النار على من فی القصر، وتابع الطلقات فتسبب عبدالله بن علي لاحتلال القصر بأن کلم رجلاً فی برج من أبراجه یدعی سويد بن علي، كان أميراً فی جلاجل، وجاء لیسلم على ترکی لأنه لم یعلم بقتله فرحب به مشاري وأنزله فی ذلك البرج فی القصر، فقال له عبدالله بن رشید یا سويد وما دخلک أنت فی آل سعود؟ فقال إني مغضوب. فقال له: إن جئت إلیک بأمان من فیصل أترمي لنا حبلاً لنصعد إلى القصر؟ فقال سويد: إني من رجال ترکی وسأساعدکم على شرط أن یؤمنی فیصل ویعطینی نخلة الدامنة وهو نخل معروف، فتواثق الرجلان ورمى سويد إلیهم بحبل فصعد هذا الأسد الصائل إلى القصر وصعد خلفه أربعون من رجال فیصل من بینهم عبدالله بن خمیس، وأعطوهم الأمان سوى من باشر قتل الإمام أو ساعد فیهِ، وكان هذا بإذن من فیصل بعدما شاور رؤساء المسلمین، لأن لا یأخذه عنوة فیکون ما فی القصر من الأموال والخزانات أشتات بین الناس، فأحاطوا بمشاري ومن معه وقتلوهم وأخرجوا جسد مشاري ورأسه خارج القصر لیعرف، وأصیب عبدالله بجرح بلیغ فی یده لما تجالدا مع رجال مشاري، فسر فیصل بشجاعة عبدالله بن علي بن رشید، ولما رأى جراح یده رق له وقال له لك منی ما ترید، فقال عبدالله أطلب منك أن تؤمرنی فی حائل، وأن تكون الإمارة لی ولعائلتی من بعدي! فأجاب

فيصل طلباته، وكان ذلك أول تأسيس لإمارة الرشيد، فجعله الإمام فيصل أميراً على حائل.

ولما أن توفي هذا الشجاع سنة ١٢٦٣هـ جعل الإمام مكانه ابنه طلال ابن عبدالله، وكان لعبد الله أبنان غيره وهما متعب ومحمد.

فأما متعب فهو الذي تولى الإمارة بعد أخيه طلال.

وأما محمد فكان عقيماً وهو الذي انتهت إليه ولاية الجبل ونجد بعد آل سعود، وكان لطلال ستة أولاد وهم: بندر وبدر ونايف وأخوتهم.

أما متعب بن عبدالله فكان له ابن وهو عبدالعزيز الظالم العنيد.

وكان لنائف ابن طلال ابن اسمه طلال، ولطلال ابنان، وهما: عبدالله ومحمد.

أما عبدالعزيز بن متعب فكان له أربعة أولاد، وهم متعب، ومشعل ومحمد وسعود. وكان لمتعب ابن اسمه عبدالله، فهؤلاء فخذ من أولاد علي بن رشيد يسمون آل عبدالله، أما الفخذ الثاني فهم آل عبيد بن علي، وكان لعبيد هذا ابن يسمى حمود العبيد، وكان لحمود أربعة بنين وهم فيصل، وسلطان وسعود وماجد.

وكان لماجد ابن هو عبيد.

رجعنا إلى ما نحن بصدده فنقول: في هذه السنة جدد السلطان عبدالعزيز خان مقام الحنفي، وكان قبل هذه العمارة مبنياً بالحجر الصوان والشميسي فأبدلوا الصوان برخام وأعادوا الأصفر على ما كان، وكان من جهة المغرب عمود في الوسط وقوسان فرفعوا العمود وجعلوه قوساً واحداً، وكذلك من جهة الشرق وفرغوا من عمارته في ذي الحجة من هذه السنة.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها وقع الحادث الفادح والكرب العظيم الجارح الذي شتت المسلمين وفرق المجتمعين، وذلك بتقدير رب العالمين، وهو وفاة الإمام فيصل رحمه الله تعالى، وكانت وفاته لتسع بقين من رجب سنة ١٢٨٢هـ فأصيب القلوب بكلوم فقده

وانقطع من عقد الشمل سلك عقده فما أشبهه بالعين التي قلعت عن مكانها، وأزيلت عن أركانها فأصبح صاحبها يندب بفؤاد موجوع، وقلب بألم الفراق ملسوع، أضف إلى ذلك ما تفتق بموته من مواد الشرور والبلا، فإننا لله وإنا إليه راجعون، إن هي إلا محنة سكبت الدموع من الأجفان ومصيبة أثارت سواكن الأشجان ونائبةً من نوائب الزمان، وهذه ترجمته.

هو الإمام الضرغام والأسد المقدام ومؤطد دعائم الملة والإسلام، والناسك الحبر الهمام سلالة الأكرمين وأمير المؤمنين فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة أبو عبدالله المريدي، ولد سنة ١٢١٣هـ، وتولى الإمامة بعد قتل قاتل أبيه فكان إماماً عادلاً حليماً مهيباً، وافر العقل، سمحاً كريماً جواداً، حسن السيرة، سهل الأخلاق، محباً للعلماء، مجالساً لهم، كثير الخوف من الله تعالى، وقد يسقط السيف من يده إذا خوَّفَ بالله، وكان شجاعاً ثابتاً، اجتمعت فيه جلّ المفاخر والفضائل، ونال من المواهب ما يندر مثلها في الأواخر والأوائل، وطلعت بشائر سعوده وهو ملتف في مهوده، وتقحم عظام لم يجسر عليها البسلاء من آبائه وجدوده، وسطا على قاتل أبيه سطوة يشيب من هولها المولود، وتابع الحرب عليهم حتى جعلهم كلهم خمود، وشب الحرب على عبدالله بن ثنيان مع شدة بأسه وقوة أعوانه ولم يهب شجاعته وبطشه وعظمة عدوانه، واستنقذ الملك بالحرب والضرب من أهل زمانه، وظهر من حبس الترك مرتين وذلك في مصر كرتين، وأخذ الملك قسراً، وقهر أعدائه قهراً، فعاد به ظلام الاختلاف فجراً، ولا خاف في استنقاذ الملك صولة الترك والعلوج الأبطال ولا هاب أشبالاً غصبوا ملكه بل استرده بالقتال وجيش الجيوش براً وبحراً وأخذ الممالك طوعاً وجبراً، وسلكت جنوده في نجد وعمان، وذانت له بالطاعة الأعراب والبلدان، وتوفرت بحسن سياسته مصالح المسلمين، وجمع في سياسته بين الشدة واللين، سياسة تعجز عنها الملوك وأعوانها، وتصلح بها الممالك وسكانها، أقلامه بالعطاء جارية؛ وخزائنه إلى نفع الرعية سارية، وخازنه ليس له حاجة إلا

تنفيذ الأوامر، ويده مشغلة في صدقات السرائر، يرجو من مولاه جابر الكسر طلب الجزاء منه والأجر.

ذكر شيء من سياسته

كان في زمانه رئيس قبيلة من العربان تأخر عنه العطاء، فأخذ في مسبة الإمام والنيل منه، فما زال ذلك الجلف في غباوته وطغيانه حتى آل به جهله إلى أن ركب جواده ذات مرة وجعل يرسلها بين قومه في البرية وينتخي ويعتزي يقول: جوادي هذا لأطئن بها الرياض ولا غزون فيصل وأريه الفعل خيال التوحيد أخو من أطاع الله.

فوشى به أحد أعداءه إلى الإمام وأكثروا مسبته، يقولون تغدُّ بالذئب قبل أن يتعشاك، فدعى الإمام أحد رجاله على خفية وأركبه مطية من النجائب المسرعة وناولوه أربعين ريالاً وعباءة ومحرمة وقال: اذهب إليه وناوله إياها وأرفقها بكتاب فيه، من فيصل ابن تركي إليه.

ثم قال بعد التحية أيها العزيز نعتذر إليكم من نسياننا لواجب حقكم، وذلك لكثرة الأشغال، فالحمد لله الذي جعل هذا النسيان وقع في حقكم لأنكم تتحملون تأخر جائزتكم هذه المدة، فترجوا المسامحة وسنجعلكم بعدها على البال لا زلتم بخير وسلام.

فلما قدم عليه النجاب وناولوه ما معه، انقلبت خمرته خلأً وصعد المنبر بعد صلاة الجمعة عليه عمامة ضخمة، فألقى خطبةً على الناس قال فيها: أيها الناس اعلموا بأنه يوجد فيكم منافقون يسبون إمام المسلمين، والإمام أطل الله بقاءه قد أوجب الله طاعته حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فإني أعاهد الله لأن سمعت أحداً يسبه منكم لأقتلنه ولأجعلنه نكالاً لغيره، فلما رجع النجاب إلى الإمام وأخبره بما صنع عجب لهذه القصة الظريفة وقال على طريق الأمثال: كلب ينبح لك أولى من كلب ينبح

عليك، لو قتلناه وترنا أهله وعشيرته ولا تنسى الظغائن، فهاهو قد كف وأصبح
ينافح عنا، وكان مكرماً لحملة القرآن، رحيماً بالأرامل والفقراء والضعفاء، ولم
يكن سفاكاً للدم الحرام، ولا غاصباً لما في أيدي الأنام من الحطام، ولقد أحسن
من قال في مدحه:

عفيف شريف النفس للفضل عارف حلیم کریم سالم القلب منصف
وقال غيره:

له في سرير الملك أصل مؤثر تلقاه عن أسلافه السادة الغر
هم العقد من أعلا اللالي منظماً ويفصل في العقد واسطة الدر
غدت أرض نجد تزد هي بفعاله وترفل في ثوب الجلالة والفخر
وكان كثيراً ما يرسل الصدقات إلى كل بلد من بلدان المسلمين، تقسم على
الفقراء والمساكين، وشديد البحث عن الأيتام والفقراء يتفقدهم بالبر والعطاء.

ذكر ما جرى عليه من المحن والأخطار وثقته بالعزیز الجبار

فنعول كان كثيراً ما تقوم عليه حوائم الخطوب والآفات، ويقع في عظام
الأخطار والمهلكات حتى يدخل من ذلك اليأس على الأتقياء والأكياس، فضلاً
عن عامة سائر الناس، فيجعل الله له من ذلك الفرج القريب ويمنحه الله بفضله
المخرج العجيب.

من ذلك مخرجه من حبس الترك المرة الأولى، ولطف الله به في خروجه من
مصر، وعناية الله به في سفره في البر والبحر، وكان ذلك في حياة والده رحمهما الله.
المخرج الثاني: الحادثة الكبيرة والفعلة الشهيرة، وهي قتل والده تركي فإنه
سار من القطيف وزحف بما لديه من الأهوال حتى دخل الرياض، وسل سيفه
وشهره والتجأ إلى ربه فنصره، حتى جرع الباغي ريب المنون وبدا لهم من الله
مالم يكونوا يحسبون، هذا مع شدة احتراز عدوه بالعدة والعدد فما زال به حتى
قتله في حصنه.

المخرج الثالث: لما ظفر به الترك مرة ثانية فأسروه، فقال الناس هذا منهم فيما مضى شارد، وقد أوثقه الصائد فهذه المرة لا يسلم والقتل عليه قد تحتم لأنه قد قاتلهم وأساء إليهم، ووقع الآن في قبضة أيديهم، وعزم أهل الظنون من الأكياس أنه سيسقى من الموت أمراً كأس، فأنزله الله تعالى بعجيب قدرته التي لا يعجزها شيء، وأعمى أبصارهم عنه حتى وصل إلى بلاده، وكان قد خلفه على ملكه من عشيرته شجاع قتال وجمع عنده كثيراً من الخيل والسلاح وآلات الحرب والرجال والأحوال، فرجف الله به وداخله الرعب والذل حين سمع به ورأه، فلم يثبت له بل هرب بإذن الله حتى حصره وأخذ منه الملك قهراً.

المخرج الرابع: عصيان أهل القصيم له ونبذهم العهد واستعدادهم للحرب، فساعده الله وجعل له الفتح والنصر وعفى لما قدر، وبالجملية فخوارق عاداته كثيرة، وفضائله شهيرة تحتاج إلى بسط يضيق عنها هذا الموضع.

وما قال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف يمتدحه:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| بعدل ولاة الأمر ترسو دعائمه | ويا من في قفر الفلاة سوائمه |
| وبالحزم والكتمان والجحد والحجا | ينال أخو العليا ما هو رائمه |
| وحكمك محمود العواقب إن يكن | له صارمٌ ينفي الذي لا يلائمه |
| وأسوس أهل الملك من ساس من رعى | برفق فإن لم يغن أغناه صارمه |
| كذاك إمام المسلمين لنفسه | آناة فإن لم تغن أغنت عزائمه |
| هو البحر من أصدافه الدر يجتني | وإن طاش بالأموال لم ينج حائمه |
| تخلق بالصفح الجميل وبالندى | وبالحلم مذ نيّطت عليه تمائمه |
| مرؤاته أفنت خزائن جمعه | فهل أنت في فعل المكارم لائمه |
| عطاياه كالوسمي إن شيم برقه | ويعمه الراجون ما خاب شائمه |
| بمدحته رنت بهجر بلابل | وغنت بنجد ورقه وحمائمه |
| فساد بناء الجحد بالجوود فاعتلى | ومن بينه بالبخل لا شك هادمه |
| وإن أنت شبّهت الإمام وجوده | بمعن أو الطائي فإنك هاضمه |

وتشيع أصناف الطيور ملاحمه
تلته سراحين الفلا وحوائمه
لحوماً وحظ الجيش منه غنائمه
فإن هم أبوا أسلت عليهم صوارمه
وترتادهما عقباناه وقشاعمه
من الدين في حل الديار معالمه
عن الظلم للمظلوم بالسيف ظالمه
وسفك الدما بالحق للدم عاصمه
يقر له بالفضل من لا يسأله
تناوم عنه الدهر أو هب نائمه
فما باله لم يبد ما هو كاتمته
وما حاد عن بيت القصيدة ناظمه
أثاب لها معي المطي ورازمه
ولا الطرس تنوعي كلما أنا راقمه
ومدحاً كمثل المسك إن فضى خاتمته

موائده مثل الربيع لمحل
إذا بعث الجيش اللهم إلى العدى
فأطعمهما مما تنال رماحه
يجاهد بالقرآن من زاغ واعتدى
فغادر قتلى يعصب الطير حولها
ولولاه ف هذا الزمان لما بدت
ولا أمنت طرق الحجيج ولا انتهى
ولكن أخاف المفسدين فسالموا
ومن يجتمع فيه الشجاعة والندا
ألا إنه إنسان عين زمانه
مفاخره شمس يراها حسوده
فأنشده بيتاً قاله بعض من مضى
إذا ظفرت منك العيون بنظره
فلا النظم يحوى مدحه إن مدحته
ولكني أهدي له صالح الدعاء

ولما توفاه الله تعالى في هذه السنة رثاه الأدباء والعلماء بمراثي حسان، ونورد
هنا مراثاة الشيخ أحمد بن علي بن مشرف التي رثاه بها لما فجعت القلوب بفقده
ونكبت الأمة بمصيبته رحمه الله وجعل الجنة مثقله ومثواه:

بكينا بدمع مثل صوب الغمام
بسمر القنا والمرهفات الصوارم
وأفنى رؤسا منهم في الملاحم
ويرميهم في حربته بالقواصم
تغير بنجد خيله والتهائم
وأصبح عرش الملك عالي الدعائم

على فيصل بحر الندى والمكارم
إمام نفى أهل الضلالة والخنا
فكم فل من جمع لهم جاء صائلاً
يجر عليه جحفاً بعد جحفل
فما زال هذا دأبه في جهادهم
إلى أن أقيم الدين في كل قرية

وأخلى القرى من كل شرك وبدعة
ويعطي جزيل المال محتقراً له
مناقب جوده قد حواها جيلة
تغمده المولى الكريم برحمة
فلا جزع مما قضى الله فاصطبر
فلما تولى خلف الملك بعده
يقام بعون الله بالأمر سائساً
فتابع أهل العدل في كف كفه
وشابه في الأخلاق والده الذي
وقرب أهل الفضل والعلم والنهى
ومن يستشر في أمره كل ناصح
على يده جلّ الفتوح تابعت
وأسلمت الأعراب كرها وجانبوا
فذكرنا عبداً العزيز وشيخه
فلا زال منصور اللواء مؤيداً
فدونك آياتاً حوت كل مدحة
ونهدي صلاة الله خالقاً على
محمد الهادي وأصحابه الأولى
صلاة وتسليماً يدومان ماسراً

وما زال ينهى عن ركوب المحارم
سماحاً ويعفو عن كثير الجرائم
فحاز الثنا من عربها والأعاجم
وأسكنه الفردوس مع كل ناعم
ولاً تستلو مثل سلو البهائم
لنجل خليق بالإمامة حازم
رعيته مستيقظاً غير نائم
عن إن المكس شر المظالم
فشا ذكره بالخير بين العوالم
وجانب أتباع الهوى غير نادم
ليبب يكن فيما جرى غير نادم
فساوى القرى في الأمن مرعى السوائم
حضوراً لدى الطاغوت عند التحاكم
وما كان في تلك الليالي القوادم
على كل باغ معتدٍ وخاصم
فأضحت كمل الدر في سلك ناظم
نبي عظيم القدر للرسول خاتم
حموا دينه بالمرهفات الصوارم
نسيم الصبا وأنهل صوب الغمام

كان له من الأولاد أربعة، وهم: عبدالله ومحمد وسعود وعبدالرحمن.

فأما عبدالله فهو ولي عهده وبايعه الناس على السمع والطاعة بعد أبيه، وتولى الملك فضببط الأمور وساس الرعية وسار سيرة جميلة، ونشر العدل وكان شجاعاً مهاباً، وافر العقل حكيماً جواداً ذا حزم ودهاء، ولكن أيامه منغصة عليه مكدره من كثرة المخالفين، وسيأتي ذلك ذلك إن شاء الله تعالى.

وفيهما شرع الإمام عبدالله بن فيصل المذكور في بناء قصره المعروف في بلد الرياض.

وفيهما وفاة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين رحمه الله، وكانت وفاته في سابع جمادى الأولى، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة والقدوة الفهامة، البارع الماهر، والبحر الزاخر، والعلم الظاهر، الخبر النبيل والهامم الجليل الذي اشتهر علمه بين الثقلين، وانتشر ذكره بين الخافقين، خاتمة المحققين وقدوة الموفقين، وسيف الله على أعناق الكافرين، وسهمه الصائب لأئمة المارقين، الحافظ الذكي الأملعي اللوذعي عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالله بن سلطان بن خميس الملقب أبي بطين العائدي قدس الله روحه، ونور مرقده وضريحه، ولد في بلد الروضة من بلدان سدير لعشر بقين من ذي القعدة سنة ١١٩٤هـ، فنشأ فيها على طلب العلم والديانة والعفاف، حتى أدرك ما يقصر عن إدراكه أولو العرفان وفاق في الفضل والنهي لأهل الزمان، وما زال يتقدم في الفضل ويسمو في العلم حتى بلغ رتبة يقصر عنها سبق السابقين، ويقف عندها اختلاف المتنازعين، مد يده لنيل العلوم، فنال نشر الفوائد والمنظوم، وغاص بفهم واقد في التحقيق، فسل غوامض من العويص بتمام التدقيق، فله دره من إمام بارع وصارم لأعناق أهل الضلال قاطع، ومن سبر رسائله وأجوبته وتدبرها تبين له سبق هذا الإمام الذي افتخرت به الأواخر على أوائل الزمان، وازدهت به الأقطار والبلدان، وانتفع بعلمه القاصي والدان، وإنه شمس غير أنه لا يغيب وآثاره ومواهبه لا يوارىها غطاء المريب.

واعلم بأنه يجب تقديمه في الذكر ولكن لما كان السلطان ظل الله في الأرض قضت الظروف بتأخير ترجمته لأسباب ذلك وما يتعلق به.

ذكر مشائخه الذين أخذ عنهم

أخذ العلم عن الشيخ العالم العامل الورع الزكي عبدالعزيز بن عبدالله الحصين

الناصرى التميمى وغالب ما أخذه عنه التفسير والحديث والفقه وأصوله وأصول الدين، وأخذ عن الشيخ العالم الفاضل المتقن حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر التميمى، وأخذ أيضاً عن الشيخ محمد بن الحاج عبدالله بن طراد الدوسرى الحنبلى عالم الروضة مسقط رأسه فظهر فى الفقه مظهراً حسناً فى إبان تشييبته وفاق أهل عصره، وكان الشيخ محمد أول مشائخه، وأخذ عن الشيخ العالم أحمد بن حسن بن رشيد العفالقى الأحسائى ثم المدنى الحنبلى، ولما ولاه سعود بن عبدالعزيز قضاء الطائف جلس يتعلم من الشيخ حسين الجعفرى فن النحو حتى برع ومهر، وكان إذ ذاك يدرس أعني المترجم فى الطائف، وأخذ عنه أمة هناك ومع شرفه وعلو مقامه لم تأخذه العزة عن أن يتعلم من هذا، وكان أول زمانه فى الروضة ثم ارتحل إلى بلد شقراء عاصمة الوشم فاستوطنها.

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فمنهم قاضى القصيم الشيخ العالم العلامة الواصل بالسميع العليم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سليم، والشيخ الفاضل وقدوة الأمثال السيمدع محمد بن عمر بن سليم، وناهيك بهما عقلاً ومعرفةً وديانةً تشهد لمربيهما بكمال الكفاءة، وأخذ عنه الشيخ علي بن محمد بن علي بن حمد بن راشد، وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حمد بن عيسى، وأخذ عنه ابنه الشيخ أحمد، وأخذ عنه الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى، والشيخ سليمان بن عبدالرحمن، والشيخ عبدالله بن عبدالكريم بن معيقل، والشيخ محمد بن عبدالله بن مانع وابنه الشيخ عبدالرحمن، والشيخ صالح بن حمد بن نصر الله، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالله بن شومر وأخذ عنه أيضاً أحمد بن دعيج، والشيخ علي بن فراج وجري بن فهيد الصميت وسليمان بن عبدالمحسن، والشيخ جمعان بن ناصر، والشيخ علي بن عبدالعزيز بن سليم، وأخذ عنه غير هؤلاء خلق كثير وجم غفير، وغالب الذين أخذوا عنه، تولوا القضاء وأخذ عنه فى حال إقامته بالطائف جماعة كثيرون.

ذكر الوظائف التى نالها

تولى قضاء الطائف زمن سعود بن عبدالعزيز، فباشر مهمته بعفة وديانة

وصيانة، وثبت وإناءة في الأحكام، ثم كان قاضياً في ناحية عمان لعبدالله بن سعود، ثم كان قاضياً في ناحية الوشم وسدير لتركي بن عبدالله، وكان يأخذ بعض السنة في الوشم وبعضها في سدير، ونزل روضة سدير فتوجهت إليه الخصوم، ورحل إليه طلبة العلم من أهل سدير ومنيخ وأخذوا عنه، ثم كان قاضياً في ناحية القصيم والوشم لفیصل بن تركي، وكان ذلك عن طلب من أهل القصيم له من الإمام فیصل أن يكون قاضياً في بلدانهم، ومدرساً في أوطانهم، فأمر الإمام عليه أن يسير إليهم وكان إذ ذاك في بلد شقراء قاضياً لناحية الوشم، فسار إليهم وقدم بلد عنيزة وأقام عندهم فطلبوا منه أن ينقل أولاده وينزل بهم عندهم في عنيزة، فنقلهم واستوطنها فأكرموا واحترموا وانتفعوا بعلمه، وكان يدرس في فنون من العلم شتى حتى كثر لديه طلبة العلم، ومن بركاته سعيه بالصلح بينهم وبين الإمام فیصل، فأكرمه فیصل وأنجح طلبته، وكان محبوباً عند الناس خاصهم والعام، معلماً جليلاً على التعليم والتدريس، لا يمل ولا يضجر ولا يمل من تعليمه الطالب، أضف إلى ذلك كرمه وسخاءً ووقاراً، وكان دائم الصمت، قليل الكلام، كثير التهجد والعبادة، قليل المجيء إلى الناس، وكان حسن الصوت بالقراءة، وعلى قراءته هيبة مرتلة قراءته مجودة وكتب كثيراً من الكتب الجلييلة بخطه الحسن المضبوط المتقن.

ذكر مؤلفاته وسعة علمه

كانت مؤلفاته كثيرة مفيدة وأجوبته وافية سديدة تدل على فضل منشئها ومكانته في العلم، وتطيب النفس إذا وردتها، وأعلام القبول لائحة عليها، ذلك لخروجها من معدن علم ومن البحر يستجلب الدر.

فمنها تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس، وكان مؤلفاً حسناً مفيداً لا يشبع منه طالب الحق، وكتاب الانتصار لحزب الله الموحدين وهو

مصنف بديع الأسلوب، رد فيه على أعداء الله ورسوله، ورسالة في معنى كلمة التوحيد وتضمنها الكفر بما يعبد من دون الله، وذكر في هذه الرسالة معنى لا إله إلا الله عند جميع أهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء، ورسالة أيضاً سئل فيها عن هذه المسألة وما تنفي لا إله إلا الله، وما تثبت أفاد فيها وأجاد، وبلغ في الغاية فوق ما يراد، ورسالة في تعريف العبادة وتعريف الطاغوت، وأبلغ وأبان غامض هذه المسألة، ومنها رسالة إلى إبراهيم بن عجلان ذكر فيها الرد على من قال أن الشيخ تقي الدين وتلميذه ابن القيم شددوا في أمر الشرك تشديداً لا مزيد عليه وهي عظيمة، ومنها مؤلف في رد شبهات من تأول حديث أن الشيطان يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ويستدل بهذا الحديث على استحالة وقوع شيء من الشرك في جزيرة العرب، والحديث المروي في الضالة يا عباد الله احبسوا، والحديث الذي فيه قتل أسامة للرجل وأتى على ذلك بشيء عجيب مع الاختصار، وله مؤلف في حكم من يكفر غيره من المسلمين والكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل، فلا يحكم عليه به إلا بعد أن تقوم الحجة عليه، والذي لا يعذر ورد على أعداء الله ونصر دين محمد ﷺ بأوضح الدلائل وأقوم البراهين، كتاب مختصر الفوائد لابن القيم وقع على قدر نصف الأصل وكتب على شرح المنتهي حاشية مفيدة نفيسة جردها من هوامش نسخة المؤلف تلميذه وسبطه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن مانع، فجاءت في مجلد ضخيم، ورسالة في تجويد القرآن، وله فتاوى وأجوبة واختيارات يخرج في بعضها عن المذهب لقوة الدليل، ولو تتبعناها لخرجنا عن المقصود.

ولما كان في سنة ١٢٧٠هـ رجع من عنيزة إلى بلدة شقراء ، فأقام بها وترك الهرج ولزم العبادة مستمراً على طريقته معرضاً عن الدنيا والقال والقليل إلى أن توفاه الله في هذه السنة، وخلف أولاداً منهم عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله الذي جعله الإمام فيصل على بيت مال القصيم واستعمله عليه.

ثم دخلت سنة ١٢٨٣هـ

استهلت هذه السنة والإمام الأعظم في نجد كلها عبدالله بن فيصل بن تركي، ففيها أمر الإمام عبدالله بن فيصل على جميع رعاياه من البادية بالجهاد وسار بهم إلى ناحية الشمال فأغار على عربان الظفير وهم على شقراء المعروفة بالقرب من الهور، وكان قد سبقه النذير إليهم وانهمزموا، فأخذ منهم إبلاً وغنماً ثم قفل إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها وفاة أمير الجبل طلال بن عبدالله بن رشيد، وذلك لأنه أصابه خلل في عقله كسحر، فعرض نفسه على طبيب فذكر له أنه بعد العلاج يصح ولكنه يكون ضعيف العقل كفلان لمجنون عندهم فجزع وقتل نفسه.

ثم تولى الإمارة بعده أخوه متعب بن عبدالله.

وفيهما خرج سعود بن فيصل من الرياض مغاضباً لأخيه عبدالله، فتوجه إلى محمد بن عائض بن مرعي رئيس بلدان عسير، فقدم عليه وأقام عنده مدة يطلب منه النصرة، ولما علم الإمام عبدالله بن فيصل باستقرار أخيه سعود عند ابن عائض أرسل بهدية إلى ابن عائض صحبة الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ سعد بن ربيعة، وكتب إليه بأن خروج سعود من الرياض من غير سبب يوجب ذلك، وأن مراده قطيعة الرحم والشقاق، وكتب إلى سعود يأمره بالقدوم إليه وأنه يعطيه ما طلب، فأبى سعود أن يرجع إليه، وأقام حسين والشيخ سعد هناك مدة أيام وقد أكرمهما محمد بن عائض إكراماً جزيلاً، ولما أن يشا من رجوع سعود، طلبا من ابن عائض الأذن لهما بالرجوع فكساهما وأعطاهما عطاء جزيلاً، وأذن لهما بالرجوع وأرسل معهما بهدية للإمام عبدالله بن فيصل، وكتب إليه كتاباً قال فيه أن سعود بن فيصل قدم علينا وطلب منا المساعدة والمناصرة فلم نوافقه على ذلك وأشرنا عليه بالرجوع وترك الشقاق فلم يقبل.

ذكر إمامة عبدالله بن فيصل وما جرى فيها

فنقول لما توفى الإمام فيصل تولى بعده نجله عبدالله، وكان خليفاً بالإمامة ولكنه قام ينازعه الإمامة أخوه سعود، وبعد سعود أبنائه فحصلت قطعية وبات الفشل وتسلبت الأعداء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَإِنَّكُمْ تَقْشَرُونَ وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وما حصل النقص على أهل الإسلام والفشل وتسلبت الأعداء إلا بالتخاذل، وقطيعة الرحم وترك القيام بأوامر الله تعالى وفعل نواهيته، وهذه عادة الله بخلقه كلما أحدثوا ذنباً غير ما بهم من النعمة.

وقد روى أن رجلاً من المتقدمين كان له عدة بنين، فلما كبر وهرم جمع أبنائه لديه وقال لهم بني إني جمعتكم الأمر فخذوا به فإني خير بالأمور مجرب، وعانيت ما لم تعانوا من المشاق فأطرق أبنائه يستمعون وصيته، فأخرج إليهم حزمة من العصي وقال لكبيرهم: حطم هذه الحزمة فأخذها فلم يطق، فقال له ناوها أخاك فأخذها ولم يطق حتى عجزوا كلهم، فقال هكذا كونوا مجتمعين يا بني فإنه أقوى لشوكتكم وأنفذ لأمركم وأقهر لعدوكم، فإن اختلفتم تمزقتم وعبث بكم الأعداء.

ولما حدث من سعود هذا الخلاف الذي يعد من أعظم المصائب على المسلمين وكان مع أخيه الإمام بغزاته على عربان الظفير قرب بلد الزبير، ورجع الإمام بعد ذلك كان هناك منافرة بينهما، وبعد مضي عشرة أيام من قدومهما إلى الرياض هرب سعود إلى ابن عائض فرده خائباً.

فلما تحقق أن ابن عائض لا يساعده على أخيه عاد من أبها إلى نجران بالخفية، ولما أن نزل على رئيس نجران المسمى بالسيد أقام عنده وطلب منه النصرة فأجابه إلى ذلك، ووجد العجمان هناك، وكانوا أعداء لعبدالله بن فيصل لحملاته عليهم وكسره لهم ثم إجلائه بقيتهم إلى نجران فاغتنموها فرصة ليداووا كلومهم، فاجتمعوا على سعود وشدوا أزره وقدم عليه فيصل المرخف من شيوخ آل مرة وعلي بن

سريعة من شيوخ آل شامر، وكتب إليه مبارك بن روية رئيس السليل يأمره بالقدوم عليه ويعدده القيام معه والنصرة له فاجتمع على سعود بن فيصل خلائق كثيرة من بام وغيرهم، وأمدّه رئيس نجران بمال وأرسل معه اثنين من أولاده وأمدّه بجنود من أتباعه، فسار سعود بمن معه من الجنود حتى قدم على مبارك بن روية في السليل واستفحل أمره.

وكانت نتيجة هذه الخلاف بين أولاد فيصل والتنازع أن أضاعوا الملك فانتقضت قحطان وعصت العجمان وتمردت عنزة وتقلبت مطير وتذبذبت عتيبة وصال بنو مرة وتنمر بنو خالد، وقام بعض الأخوة على بعض يتنازعون الملك فكانوا في حروب وأصبحوا مغنماً لهذه القبائل النازعة إلى الغزو.

قامت القبائل توالي هذا وتناوي هذا وتؤز هذا على أخيه أو ابن عمه طمعاً بنيل كسب أو شفاء غليل فتفتقت نجد بالشرور ونشأت الفتن من جديد، وجرى من الحن ما الله به عليم.

ولما جلس الإمام عبدالله بن فيصل على عرش الحكم وتربع عليه طمع العلماء والأدباء بعد له وتذكروا سير والده فيصل فبدلوا له المديح والنصائح وأثاروا سوكن متحركاته إلى كل فعل جميل لأنه جدير بذلك وشبل الأسد يشبه أباه ومن أشبه والده فما ظلم، فمن ذلك قول الشيخ أحمد بن علي بن مشرف في هذه السنة:

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| أتقبل عذر الصب أم أنت عاذله | بذكرى حبيب عنه شطت منازلـه |
| غزال حوى كل المحاسن وإليها | يغازلني بعد العشاء وأغازله |
| فتاة كأن الشمس غرة وجهها | فلإني يبين البدر حين تقابله |
| نأت فنأى عن حبها كل عاذل | فياليتها تدنو وتدنو عواذله |
| فمن لعذول لا يزال بجهله | يحادلني في حبها وأجادله |
| وما أنا إلا كالفتى في اعتلاله | فلا أثير تبيده فيه عوامله |
| وقد أصبحت سلمى بأبعد شقة | يكل بها كوم المطي وهازله |

تيمية حلت بتيما ودونها
فعن مثلها فائن العنان ميمماً
إله السماء والأرض فاسأله راغباً
فنشكو إلى الله الزمان الذي استوى
به اندرست كل العلوم وأقفرت
وقائلة أقصر فما بعد فيصل
أترغب في نظم القريض وجسمه
فقلت دعني إن يكن مات فيصل
فقد ورث المجد المؤثل والندى
أبو النجم عبدالله حامي حمى الهدى
بنجد حشا المال الجزيل تبرعاً
وكم غارة شعواء شن على العدا
فأئخن حرباً بالحروب فسالت
ومن دم سراق الجحيم عتية
وقائع سل عنها الحجاز وغيره
جهاداً ودرأ للفساد ونية
تولى فلم يرض المكوس لدينه
ولما نمتي الركبان أخبار عدله
بعثنا له در القريض بمدحه
فأبلغه تسليماً إذا فض ختمه
فيا أيها الوالي نصرت على العدا
حنانيك لا تسمع بنا قول كاشح
ولا تصغ للنمام سمعك إنما
وما هو إلا فاسق أو منافق

من الجبل الطائي قفار وحائله
مليكاً عظيماً لم يخب قط سائله
تنل كل ما ترجو وما أنت آمله
لدى أهله قس الكلام وباقله
فأنكر فضل العلم بالعلم جاهله
لذي أدب حظ فماذا تحاوله
مواري بقبر غيته جنادله
فخالفه حي وما فات نائله
لنجل زكت أخلاقه وشمائله
بغرتة بشرى الندى ومخائله
فعاشت به أيتامه وأرامله
وكم فارس منهم نعتة حلائله
ودانت له نجد وذلت قبائله
سقى البيض حتى أنهل الرمح حامله
ونجداً ومن في البحر ينيك سائله
وسعيأ به يرجو المثوبة فاعله
عفاً ومن يعفف تعف عوامله
إلينا وشاعت في البلاد فضائله
وخير الثنا مالا يكذب قائله
تارج من أرض الرياض معاقله
وسددت في الأمر الذي أنت فاعله
ولا حاسد تغلو علينا مراجله
يجيء به الإفساد والألم حاصله
يريك صريح النصيح والغش داخله

ولا يدخل النمام في الحشر جنّة
وأكرم بني الشيخ الرئيس الذي نهى
وألّف في التوحيد تأليفه الذي
كذا عابد الرحمن أعني حفيده
ينافح عن دين الهدى كل مبطل
وعبد اللطيف الحبر لا تنس فضله
فمن رام خذلاناً لهم وتنقصاً
فدونك نظماً كالزلال عذوبة
وكل امرئ يهدي على قدر وسعه
وختمي صلاة الله ثم سلامه
محمد المبعوث من آل هاشم

حديثاً عن المختار يرويه ناقله
عن الشرك لما شاع في الأرض باطله
شجت في حلوق المشركين دلائله
بنور الهدى يهدي فمن ذا يعادله
فيطّل تمويهاته ويناضله
إمام هدي بالعلم تزهى محافله
لقدرهم بالبغي فالله خاذله
صفت للعطاش الواردين مناهله
فدونك ما نهدي فهل أنت قابله
على من به الإرسال عمت رسائله
كذا الصحب ما غنت بروض بلابله

وقال الشيخ سليمان بن سحمان يمتدح الإمام عبدالله بن فيصل ويشجعه ويثني عليه بهذه الأبيات وهي من قصيدة:

أخا المجد عبدالله من شاع ذكره
هو العارض الهطال بالجوّد والندا
فما جوّد من قد جاد إلا مزادة
فإن عد كعب في السماح أبت له
وحاتم طيء قد تضاءل جوّده
يهاب ويرجى نيله فكعارض
هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً
هو المنهل الطامي لمن رام شربه
هو الضيغم العادي إذا استعر الوغى
فكم من قتيل قد أصاب مجندلاً
وكم ليل خطب مدّهم ظلامه

وغار لعمرى في البلاد وأنجدا
إذا كنت عن سيم الحقيقة أرمدا
تكسبها من جوّده وتزود
أنامل تهمني عسجداً وزبرجدا
إلى جنب من يعطي الجزيل إذا جدا
نخيف وقل إن كنت في الشعر منشدا
على الدر واحذره إذا كان مزبدا
يزيح بها عند الحرارة والصددا
وشب ضرام في الوطيس وأوقدا
وكم من أسير في الحديد مصفدا
حدث بيضه عنا غياهب ما سدا

فيالك من مجد أثيل سما به ومن غارة شعواء شن على العدا
دهاهم بها جهراً وأخرى فجاءة فأقحمهم حوض المنايا وأوردا
وجر عليهم جحفاً بعد جحفل وبدد شلاً منهمو فبدا
هو المجد وابن المجد والمجد أصله وما المجد إلا ما تآزر وارتدا
وكيف تحيط النظم يوماً بمدحه وقد فاق أهل الأرض جوداً وسؤدا
سلالة أساد الشرى من تضلعت بهم سنة المختار كأساً منددا

ذكر الأمور التي عارضت استقامة أمره وكان أمر الله قادراً مقدوراً

أما الأمور التي عرقلت المساعي فهي منازعه أخيه له في الملك وبعده أبنائه في الخرج، يخرضون القبائل عليه فكان سعود وأبناءه العدو للألد للإمام عبدالله. ومنها مناصرته لآل عليان على أعدائهم آل مهنا الأمراء الحاكمين في بريدة ذلك الوقت، وكان صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود يقول لم يستقم الأمر لعبدالله لثلاثة أسباب:

- ١- وجود أبناء أخيه في الخرج يخرضون القبائل.
- ٢- مناصرته لآل عليان أمراء القصيم السابقين على أعدائهم آل مهنا الأمراء الحاكمين بعدهم، وكان هذا جهلاً من عبدالله لأنه في وقت ضعفه ليس من الحكمة أن يتحزب لبيت مغلوب فيضعضع نفوذه في القصيم.
- ٣- ظهور محمد بن رشيد الطامع بحكم نجد، فقد تحالف مع آل أبي الخليل من آل مهنا فكانوا يداً واحدة على ابن سعود.

هذه بعض الأمور ومنها أنه كان أذنأ سامعة لكلام أهل النميمة والمغرضين، وجرى بسبب ذلك بعض إهانة منه يرحمه الله لبعض العلماء، والله إنه لمن المؤسف أن لا يجد المؤرخ مندوحة عن ذكر الأمور على حقائقها لواجب الإخلاص للتاريخ.

ذكر واقعة المعتلا

قد ذكرنا اجتماع القبائل على سعود؛ ولما كان في ذي الحجة من هذه السنة أقبل سعود بجنوده حتى قدم وادي الدواسر وأقام هناك، فانضم إليه عدد من الدواسر، ولما بلغ الخبر إلى الإمام عبدالله أمر على غزو أهل سدير والمحمل أن يقدموا عليه في الرياض، فتجهزوا وقدموا عليه، وضم إليهم غزو أهل الرياض ثم أمر على أخيه محمد بن فيصل أن يزحف بهم لقتال سعود، فسار محمد بتلك الجنود حتى التقوا بالمعتلا، فلما تراءى الجمعان حصلت بين الفريقين وقعة شديدة انهزم لها سعود وجنوده، وقتل منهم عدة رجال، منهم علي بن سريعة وأبناء رئيس نجران، وجرح سعود جراحات كثيرة في يديه وفي سائر بدنه وحصل في يديه عيب شديد، وذهب مع العجمان إلى جهة الأحساء وأقام عند آل مرة إلى أن برئت جراحاته.

وقتل أيضاً من أتباع محمد بن فيصل عدة رجال منهم: عبدالله بن حجة آل مبارك أمير بلد حريملا، وعبدالله بن تركي بن ماضي من رؤساء بلد روضة سدير، ثم قفل محمد بعد هذه الغزوة إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، ولما برئ سعود من جراحاته سار إلى عمان فأقام هناك وطلب النصر، وجعل يستنجد صاحبها فلم ينجده، وجعل يبرم الكيد لأخيه الإمام ويستجيش القبائل عليه.

وفيها في يوم الأحد الموافق التاسع وعشرين من شعبان شرع في تجديد نصف أرض الحجر من جهة مقام الحنفي، وكان ذلك في سلطنة السلطان عبدالعزيز خان وأمير مكة إذ ذاك الشريف عبدالله بن محمد بن عون.

ثم دخلت سنة ١٢٨٤هـ

ففيها أمر الإمام عبدالله بن فيصل عمه عبدالله بن تركي بالمسير إلى الأحساء، وأكد عليه أن يجبس كل من ظفر به هناك من بادية العجمان، وأن يحرق بيوتهم التي لهم في الرقيقة، فسار عبدالله بن تركي في سرية من أهل الرياض والوشم وسدير، ولما وصل إلى الأحساء قبض على من وجده من العجمان هناك وحبسهم وأحرق البيوت والصرائف التي لهم في الرقيقة، وكان أمير الأحساء إذ ذاك محمد بن أحمد السديري فكتب إليه الإمام وأمره بالقدوم عليه في بلد الرياض، فسار محمد السديري من الأحساء وقدم على الإمام عبدالله في بلد الرياض، فعزله عن إمارة الأحساء وجعل مكانه أميراً في الأحساء ناصر بن جبر الخالدي.

وفيهما في شعبان توفي الشاعر محمد بن عبدالله القاضي المشهور صاحب الشعر النبطي رحمه الله تعالى، كان أديباً لبيباً كريماً موصوفاً بالعقل والذكاء ومكارم الأخلاق، وكانت وفاته في بلد عنيزة.

ثم دخلت سنة ١٢٨٥هـ

وفيهما كتب الإمام عبدالله بن فيصل إلى أمراء بلدان نجد يأمرهم بالقدوم عليه في الرياض بغزوهم ما عدا أهل القصيم فإنهم لم يحضروا لأنه لم يدعهم، فخرج من الرياض في ١٥ محرم ونزل على بيان وجمع الجموع من بادية وحاضرة، فزحف بهم إلى وادي الدواسر وكان في نفسه غيظ شديد على أهل الوادي لمساعدتهم أخاه سعوداً ومناصرتهم إياه، فلما بلغ الوادي قطع نخيلاً وهدم بيوتاً وأخذ أموالاً وسلاحاً كثيرة، وأقام هناك نحو شهرين، ثم قفل إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيهما في أول أربعمائة الشتاء بدأ طلع نخيل القصيم وصار لقاحها في شدة البرد فشيخت جميعها ولم يبق من فرائد نخيلها إلا ما يبلغ قد سبع وزان، وتعرف هذه السنة بسنة الشيص، والله على كل شيء قدير.

وفيها ولد توأمان بجسدين ورأسين قد التصقت بينهما عظمة الجبهة فكانا
عشيان معاً ببدنين مفترقين ويجمعهما عظمة الجبهة، وعاشا ثلاثاً وستين سنة والله
على كل شيء قدير وقدره الله صالحة.

كما أنه ولد في أمريكا مولود بأربع عيون فسبحان الله المتصرف في خلقه على
وفق مراده.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

ونبدأ بالأهم فالأهم وهم هؤلاء المذكورون، الشيخ عبدالرحمن بن حسن،
الشيخ أحمد بن مشرف، وسعود بن محمد بن سعود وعثمان بن علي بن عيسى،
أمير عنيزة عبدالله آل يحيى آل سليم، أمير الجبل متعب بن عبدالله بن رشيد.

وفاة الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله وهذه ترجمته

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر الفاضل وقدوة الأفاضل وعين الأمثال،
رئيس الموحدين وقامع الملحددين، وخاتمة المحققين وفخر الواصفين مفيد الطالبين
ومرشد المتعلمين، الذي أحيا مدارس العلم بعد رسمها الدائر، ورد عصر العلم في
الشباب بعد ما صار في سن الأكابر، واحتفلت بدروسه المدارس والمساجد،
 واحتاج إلى تفرغ منطوقه أهل الفضائل والفوائد، رئيس قضاة المسلمين، ومفتي
فرق الأنعام من الموحدين، جامع العلوم الشرعية ومحقق الأحاديث النبوية، البحر
الغزير والسמידع التحرير، الموفق للصواب في الجواب، عبدالرحمن بن حسن بن
محمد بن عبدالوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب وأدخله الجنة بغير حساب ولا
عذاب، فله دره من إمام عالم عامل، وعلى من لا يعرف قدر هذا الشيخ فلا يلم
مترجمه لأن الإنسان عدو ما جهل، ولد سنة ١١٩٦هـ في الدرعية.

أما علمه فحدث عن البحر ولا حرج بحيث أن جميع الذين تعلموا منه ممن أراد
الله هدايته فإنه لا يلبث إلا يسيراً حتى يكون فائناً بفهمه ومرتفعاً بعلمه، وهؤلاء

تلامذته تنادي بهم البلدان ويشهد بها القاصي والدان ومن يغطي ضوء الشمس في وسط النهار، وما زال يتقدم حتى شاع ذكره وعلا قدره في الآفاق، كيف لا؟ وشجرته طيبة حتى بلغ سناها غاية الإشراق، فنسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وأوصافه العلى ويعلمه الذي وسع الأرض والسماء أن يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

أما مشائخه الذين أخذ عنهم، فمنهم جده إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب الذي افتخرت به أمة محمد ﷺ على سائر الأمم، قرأ عليه في كتاب التوحيد من أوله إلى أبواب السحر، وقرأ عليه كتاب آداب المشي إلى الصلاة، وحضر مجالسه والقراءة عليه في البخاري والتفسير وكتب الأحكام بقراءة علي بن محمد عم المترجم وشيخه والقراءة عليه في المنتقى، وأخذ عن الشيخ حسين بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، وأخذ عن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن فاضل وتعلم منه في السيرة النبوية، وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن خميس علم الفرائض، وأخذ عن الشيخ أبي بكر حسين بن غنام صاحب التاريخ.

وأخذ عن الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي وسمع على الشيخ محمد حياة السندي، والشيخ عبدالله بن إبراهيم القرظي الحنبلي.

أما مشائخه الذين أخذ عنهم من أهل مصر فمنهم الشيخ العالم الكبير عبدالله بن سويدان لقيه بمصر وأجازه بجميع مروياته، وأخذ عن الشيخ حسن القويسني وأجازه أيضاً بجميع مروياته ودفع له كل واحد منهما نسخته المتضمنة لأوائل الكتب التي رويها بسندها إلى الشيخ المحدث عبدالله بن سالم البصري شارح البخاري، ومنهم الشيخ عبدالرحمن الجبرتي، أخذ عنه وأجازه وأخذ عن الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري مفتي الجزائر، وامتدح هذا الشيخ بحسن العقيدة وطول الباع في العلوم الشرعية، وأخذ عن الشيخ إبراهيم العبيدي المقرئ، وقرأ عليه في تجويد القرآن وأخذ عن الشيخ أحمد بن سلمونة، وكان هذا الشيخ يمتاز بحسن الأخلاق والتواضع مع ماله من اليد الطولي في القراءات، وأخذ عن الشيخ يوسف الصاوي، وأخذ عن الشيخ إبراهيم البيجوري وغيرهم.

وكل من هؤلاء أجازوه وقضوا له بالتقدم والفضل.

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فخلق كثيرون وجم غفير تعلم منه فحول من العلماء وتخرج عليه جهابذة من الأدباء والأذكياء فمنهم ابنه الشريف الحاوي لتالد العلم والطريف الشيخ الألمعي عبداللطيف وتفقه عليه أيضاً الشيخ العالم القاضي في ناحية الخرج عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ وتفقه عليه أيضاً الشيخ العالم القاضي الفقيه حسن بن حسين بن الشيخ قاضي الإمام تركي في الرياض لكنه لم تطل مدته رحمه الله ومات شاباً، وتفقه عليه أيضاً الشيخ العالم عبدالملك بن حسين بن الشيخ القاضي في حوطة بني تميم للإمام فيصل، وتفقه عليه.

وأخذ عنه الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ وكان على قضاء الحريق لفصيل وتفقه عليه أيضاً حسين بن علي بن حسين بن الشيخ وكان هو القاضي في بلد الرياض للإمام فيصل وكان طويل الباع في علم العروض وله قصائد نفيسة، وأخذ عنه الشيخ القاضي عبدالله بن حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ عنه عبدالله بن عبداللطيف، وأخذ عنه أيضاً حسن بن علي بن حسين آل الشيخ، وأخذ عنه عبدالله وعبدالعزیز وعلي وعبدالرحمن أبناء الشيخ محمد بن علي بن الشيخ، وأخذ عنه أيضاً أبناء القاضي علي بن الحسين وهما عبدالله وحسن.

وأما محمد بن علي فكان من الطالبين المجتهدين، وكل هؤلاء المذكورين من ذرية الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وبارك في عقبه وجعلهم قادة يقتدي بهم في الخير، وهم من بيت المترجم؛ وأخذ عنه وتفقه عليه خلائق كثيرون من علماء نجد وقضااتها، فمنهم الشيخ العالم المشار إليه بالتعظيم والمتفق على قبوله عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالجبار بن شبانة قاضي بلدان منيخ، والزلفي، والغايط للإمام تركي ثم لابنه فيصل، وأخذ عنه أيضاً العالم المفيد ذو القول السديد والفعل الحميد الشيخ ناصر بن عيد القاضي في الرياض للإمام تركي ثم في بلد الحلوة.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ العالم الورع ذو الإتقان الحبر محمد بن سلطان قاضي بلد عرقة للإمام تركي ثم لابنه فيصل.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ الفقيه عبدالرحمن بن حمد الثمير القاضي في سدير للإمام تركي ثم كان قاضياً في الزلفي للإمام فيصل.

وأخذ عنه العالم الرباني الشيخ حمد بن عتيق القاضي في الحلوة ثم جعله الإمام فيصل قاضياً في الإفلاج وناهيك به علماً وزهداً وورعاً.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم قاضي القصيم الذي شهرته تغني عن مدحه.

وأخذ عنه الشيخ محمد بن عمر بن سليم ويعد هذا من فطاحل العلماء في القصيم.

وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن جبر القاضي في منفوحة.

وأخذ عنه الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف القاضي في جبل شمر عند بن رشيد إلى أن مات رحمه الله.

وأخذ عنه أيضاً العالم النحرير الفقيه البحر الغزير عبدالعزيز بن حسن بن يحيى القاضي في حريملا والمحمل للإمام فيصل.

وأخذ عنه الشيخ ذو الدراية والعرفان محمد بن إبراهيم بن عجلان القاضي في الحريق.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالله بن علي بن مرخان القاضي في ضرما للإمام فيصل، وأخذ عنه الشيخ حمد بن عبدالعزيز بن القاضي ومحمد بن عبدالعزيز قاضي بلد ثادق للإمام فيصل.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن عدوان قاضي بلد الرياض في أيام عبدالله بن فيصل.

وأخذ عنه الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى.

وأخذ عنه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى.

وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن مانع:

وأما من أخذ عنه من العلماء ممن لم يل القضا فعدد كثير وجم غفير وناهيك بها منقبة أن أولئك العلماء الفطاحل الجهابذة الرؤساء إذا قيل من ينتمون إليه في العلم أجابت الألسن إلى عبدالرحمن بن حسن فجير الله المصاب بهذا الشيخ لأنه كما قيل في الأمثال:

فما كل إنسان يعوضك غيره ولا ألف شخص يعدلون بواحد

ذكر مؤلفاته وسعة علمه

لما كان في سنة ١٢٣٤هـ حمل إلى مصر مع آل سعود وآل الشيخ بأمر إبراهيم باشا لما عثا فساداً في نجد فأقام المترجم بها إلى سنة ١٢٤١هـ فرجع فيها لما أعاد الله الكرة للمسلمين بظهور الإمام تركي ففرح به المسلمون واستبشروا بقدمه وجلس للتدريس وأصبح موضع الإعجاب وانتفع الخلق بعلومه فكان ملازماً للتدريس مكرماً لطلاب العلم كثير الإحسان، لين الجانب، سمحاً كريماً سخياً وقوراً عليه السكينة كثير العبادة، عزيز القدر مستقيماً، أمره مطاع لدى الخاص والعام، ومن أكثر من لزمه في مصر ونجد للطلب ابنه عبداللطيف فضربت إليه آباط الإبل من أقطار نجد والأحساء.

وألّف مؤلفات حسنة مفيدة، منها قرّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين وهي حاشية على كتاب التوحيد، لم أر أحسن في بابها منها، ومنها فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد اختصره من شرح الشيخ سليمان بن عبدالله وأتمه لأنه لم يتمه، كتاب بيان المحجة، في الرد على صاحب اللجة، كتاب بيان كلمة التوحيد والرد على الكشمير العنيد، كتاب المورد العذب الزلال، كشف شبه أهل الضلال، كتاب ما يحل وما يحرم من الحرير وهو في الحقيقة مفيد كبير من طالعه دله

على علمه الغزير، رد فيه على من أباح لبس المحرمة الروغان، التي ابتلى بها ولبسها الناس في ذلك الزمان، وكتاب في الرد على داود بن سليمان بن جرجيس العراقي، وكتاب في الرد على عثمان بن منصور، ونصيحة عظيمة في التقوى ورسالة في الزجر عن طلب العلم لغير الله.

ولقد كان له من الرسائل والنصائح التي بثها في القبائل وازدهت بها المجالس والمحافل ما يضيق عنها الموسع، وقد من الله بجمعها وطبعها فظهرت في مجموع الرسائل والمسائل فله الحمد لا نحصي ثناءً عليه، فمن أحب الاطلاع عليها فيجدها هناك، وكان كثيراً ما يتعاهد أهل بلدان نجد بالرسائل والنصائح يذكرهم بأيام الله ويعلمهم ما يجب عليهم من أمر دينهم ويبين لهم نعمة هذا الدين واجتماع شمل المسلمين وما من الله به على أهل نجد في آخر هذا الزمان.

قال الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر وقد كان متنبهاً فطناً لدسائس أهل البدع، كتبت له مرة ودعوت له في آخر الكتاب وقلت في ختام الدعاء إنه على ما يشاء قدیر، فكتب إلي وقال في أثناء جوابه أن هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد وهو قول الكثير إذا سأل الله تعالى قال وهو القادر على ما يشاء وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شراً وكل ما في القرآن وهو على كل شيء قدير، وليس في القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلاً أن القدرة شاملة كاملة وهي والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجودات والمعدومات، وإنما قصد أهل العلم بقولهم وهو القادر على ما يشاء أي أن القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت به المشيئة.

قال وكتبت له مرة أهنيه بقدوم ابنه الشيخ عبداللطيف من مصر، وتوسلت إلى الله في دعائي بصفاته الكاملة التي لا يعلمها إلا هو، فكتب إلي فقال وقد ذكرت وفقك الله في وسيلة دعوتك جزاك الله غني أحسن الجزاء عن تلك الدعوات، قلت: وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها إلا أنت فاعلم أيها الأريب الأديب أن الذي لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول؛ ففرق هذا الإمام بين ما

يعلم من معنى الصفة على ما يليق بالله فيقال استواء لا يشبه استواء المخلوقين ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه، وأما الكيف فلا يعلمه إلا الله، فتنبه لمثل هذا فالإمام مالك تكلم بلسان السلف، فانظر إلى سعة علومه ودقة انتباهه.

ثم ذكر بن بشر رحمه الله رسالة للشيخ المترجم بعثها إلى بلدان نجد في ذكر ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما كابده من عدم قبول الملأ والكبراء والفسقة لدعوته وهي عجيبة غريبة، ولولا خشية الإطالة لسقناها بكماها.

وكتب إلى الإمام فيصل بنصيحة يحرضه على إقامة الدين قال بعد البسملة: من عبدالرحمن بن حسن إلى إمام المسلمين وخليفة سيد المرسلين في إقامة العدل والدين وهو سبيل المؤمنين والخلفاء الراشدين فيصل بن تركي جعله الله في أعدادهم متبعاً لسيرهم وآثارهم آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم أخذ يقذف بالحق على الباطل ويرمي الغي بسهام الرشد ولا تأخذه في الله لومة لائم، فكان جوابها من الإمام بعد البسملة: من فيصل بن تركي إلى من تصل إليه هذه النصيحة ويسمعا أن يعمل بما ذكر فيها ولا لأحد عذر لا من منع أو ردع، فلا يعذر حتى يبلغنا فإذا بلغنا من منعه فهو معذور والموجب أن حوائج الناس ما تقف عنا القوي يوصل حاجة الضعيف ويعين عليه بذكر حاله ولا بأس في هذا ويثاب عليه فتوكلوا على الله وافعلوا ما أمركم به وتأملوا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، ويكون ذلك على علم وحلم، فإن جبتتم فالله حسيب عليكم وهو حسبنا ونعم الوكيل وصل الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

ولما نكبت نجد في ولاية عبدالله بن سعود وجرى على الحكومة السعودية ما جرى بقضاء الله رب العالمين من تسليط الأعداء العثمانية والجنود المصرية، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فابتلى أهل نجد وزلزلوا زلزلاً شديداً، وهدمت البلدان وقتل الأبرياء وهتك العلماء فتشتت الشمل وفر العلماء إلى الأقطار، كان من جملة الراحلين إلى مصر فبعث إليه الشيخ العالم عبدالعزيز بن الشيخ أحمد بن ناصر بن معمر وهو إذ ذاك في البحرين بقصيدة رائعة يذكر فيها العهد القديم وما جرى

بعده من الحن والأحن والزلازل والكوارث وما حل في نجد من الدمار والخراب
وتسلط الأعداء وشتات الشمل واذية أهل الدين بالقتل والأسر والنفي مطلع
القصيدة:

سلام عليكم دونه عدد الرمل يجدد ما تبقى البواكر والأصل
وعدتها خمسة وعشرون بيتاً، فأجاب الشيخ عبدالرحمن عليها بهذه القصيدة
التي أهاجت السواكن، وهي قوله:

| | |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| تخطت إلينا حين عن لنا الوصل | مفاوز نجد كلما انخفضت تعلو |
| فتاة كميّاس الغصون تمايلاً | وقد أكملت فيها الملاحاة والذل |
| لها فاحم ضاف على الردف سابغ | ووجه يضاهي البدر هابه العقل |
| لها منزل من بين حزوى ورامة | ومن دون مرباها الصوارم والأسل |
| أناخت إلينا عند إدراكنا المنى | لعسر مضت من بعدها أربع تتلو |
| فضمت وحيث ثم بشت وأسفرت | عن الورد والياقوت واللؤلؤ المحل |
| فقلت لها أهلاً وسهلاً ومرحباً | سلام عليكم دائماً أبداً يعلو |
| الذ وأحلى من زلال على الظما | وأبهى من الروض الذي صابه الوبل |
| تحية مشتاق على البعد والجلال | ولم يسله عنكم نعيم ولا أهل |
| لأنكمو أهل الفضائل والتقوى | بكم قام فرع الدين وأغدودق الأصل |
| فعادت وأبدت بالثنا لابن أحمد | أبي وفي عالم فاضل سهل |
| تخبر عن ذلك الفتى بفضائل | تنبئ عنها الرسائل والرسل |
| يناد مني بالبعد عنه كتابه | لقد طاب ذاك الفرع أيضاً كذا الأصل |
| وذكرتني يا ابن الإمامين معشراً | هم السادة الأنجاف والأوجد النبل |
| صحبناهمو دهرأ نعمنا بظلمهم | علينا غمام بالغنائم تنهل |
| وأيدلت منهم أوجهها لا تسرني | وجسمي بأرض ليس فيها لنا شكل |
| فلما افترقتا ضل قلبي بأرضهم | سوى عصبة قلوا فكنت بهم أسلو |
| فيا لهف نفسي بأذكاري ولوعتي | على أنجم غابت فغاب بها العدل |

فصبراً على بعد المدى واغترابنا
ويبدو محياها بنور مشرق
وصل على المختار ربي وآله
وما زال مقيماً لدين الله باذلاً جهده في نصرة التوحيد حتى أتاه اليقين، وكانت وفاته عشية يوم السبت ١١ ذي الحجة من هذه السنة.

ولما توفاه الله تعالى وانتقل إلى جواره رثاه الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع الوهبي التميمي بهذه القصيدة، وكان تلميذاً له:

| | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| ترد رداء الصبر في حادث الأمر | وفوض بتسليم مع الحمد والشكر |
| فنعم احتساب المرء في حال رزئه | ونعم أدراع الصبر في العسر واليسر |
| لقد ساءنا ما جاءنا من مبلغ | مشيع بها يهدي إلى المسمع الوقر |
| فصخت له سمعاً وألححت سائلاً | بماذا ينادي والفؤاد على جهر |
| ف قيل ينادي أخطأ الله شره | فإن إمام الدين أوفى على العمر |
| فأزعج من ألبابنا كل ساكن | وحرك أشجاناً بها عيل من صبر |
| وأيقنت أن الأرض مادت بأهلها | وإن الفضل مما بنا صار كالشير |
| لقد ظل أهل الحق من بعد موته | حياري كأيتام أصيبوا على صغر |
| فيما مهجتي حقاً عليه تفتتي | ويا عبرتي خلي غرور الأسى تجري |
| مضى عابد الرحمن نجل محمد | مجدد دين الله عن وصمة الكفري |
| فلا يبعدنك الله من شيخ طاعة | بعيد عن الأدناس ناء عن الكبر |
| قوي بأمر الله شهم مهذب | أشد لدى هتك الحدود من النهر |
| تجرد للتدريس والحفظ دائباً | وأسقى غراس العلم في سائر العمر |
| ففي الفقه والتوحيد بحر غظم | وفي بحثه التوحيد نادرة العصر |
| وفي النحو والتأصيل قد صار آية | وكل فنون العلم أربى على البحر |
| يجيب على التقوى جواباً مسدداً | يزيح به الإشكال عن مرتع الفكر |
| فيضحي عوبص المشكلات موضحاً | بتحقيق أبحاث أدق من الشعر |

فسل عنه في التوحيد تهذيبه الذي
وفي رده تشبيهه كل مشبه
إذا مبطل يأتي بتزويقي شبهة
ففي كل أقليم له الرد فانتهدت
ولما طغى عالج العراق بجهله
رماء كما يرمي الرجيم بثاقب
وباء ابن منصور بإرغام حجة
وفي كل معنى وفر الله قسمه
فلو كان يفدى لافتدته نفوسنا
أو الأجل المحتوم يدفع برهنة
ولكن أطواق المنايا قلائد
لقد بان فيها النقص من بعد موته
فكانوا كسلك قد وهى من نظامه
فهذي علامات القيامة قد بدت
فترجوا إله العالمين يثينا
ويسكنهم جنات عدن مع الأولى
وما مات من كان المبجل شيخنا
سمى رتبة في العلم لم يتصل بها
فكانوا أحق الناس في قول من مضى
إذا قال لم يترك مقالاً لقائل
وأفلامه تجري على متن طرسه
وإن طالب يأتيه يبغى إفادة
وأنهله من بحره الجسم نهلة
فلا زال يولي الطالبين من الهدى

غدا بين تيك الكتب كالكوكب الدر
من الملحددين المعتدين أولي الغدر
جلاها كما يجلى دجى الليل بالفجر
تصانيفه في كل مصر وفي قصر
وغرره من لفقوه من الهذر
فراح ابن جرجيس على الذل والصغر
ودحض فولى بالبور وبالخسر
وفضل إله العرش يسمو على الحصر
بارواحها لو كان ذلك من أمر
لزدناه من وقت به منتهى العمر
باعتاقنا لا نفتديها من الأسر
وموت أهل العلم قاصمة الظهر
فلهفي على أهل النهى الجلة الطهر
ونقل خيار الناس من أعظم النذر
ويجبر منا ما تصدع من كسر
سعوا في بيان الدين في العسر واليسر
خليفته عبداللطيف بن ذي القدر
سواه ولم يبلغ سناها ذوو الصدر
إذا ما انتدى للقوم في محفل الذكر
مصيب ولم يثن اللسان على هجر
فتشفى أورام الصدر عن مغلق الحصر
أزاح له الإشكال بالسبر والخبر
فراح بها يدري وقد كان لا يدري
ويعنح أهل العلم من سبيه الغمر

يحدد منهاج الأئمة جددوا
هم القوم أحيوا سنة الدين واقتفوا
فأحيوا سبيل الرشد بعد اندراسه
فأصبح منهاجاً قوياً لسالك
أولئك أشياخي وقومي وسادتي
لئن أصبحوا قد ضمهم بطن ملحد
فقد خلفوا فينا تقارير ديننا
تغمدهم رب البرايا بفضل
وأحيا إله العالمين منارهم
إمام الهدى عبدالإله بن فيصل
كثير الأيادي في البوادي وحضرهم
تولى أمور الخلق حقاً فساسهم
بيت إذا نام الهدان بهمة
وألبسهم الرحمن جلباب هبة
وأن يأتيه ذو رفعة وتكبر
إذا سار ينوي قرية أو قبيلة
أدام له المولى الكريم اعتزازه
وبلغه من كل خير قوامه
وسدده في كل حال وقاده
وأحسن حتم النظام صلاتنا
صلاة وتسليماً يدومان ما سرا

لدين الهدى فانضاح في البر والبحر
منار طريق الحق بالسر والجهر
وقد بذلوا فيه النفيس من العمر
وبعد الخفا أضحي يضاهي سنا البدر
وهم قدوتي حتى أوسد في قبري
وماتوا كراماً موت ذي نجدة حر
ولم يغفلوا منه أقل من الظفر
وأسكنهم من جنة الخلد في القصر
بسلطاننا الميمون بالمجد والفخر
سمام العدى نجل الغطارفة الغر
مبيد الأعادي بالمهنة البتر
سياسة عدل غير جور ولا غش
يدبرها بالحرم والعزم والفكر
كما ألبس الفاروق بالباس والصبر
تضاءل كالعصفور أبصر بالحر
تقدمه جيش من الرعب بالنصر
وأيده بالنصر والعزم والقهر
مع الأمن والتوفيق والسعد واليسر
بتوفيقه في ظاهر الأمر والعسر
على المصطفى والآل مع صحبه الطهر
نسيم الصبا أو ناخ في أيكه القمري

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ أحمد بن علي بن مشرف رحمه الله وعفا عنه،

وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الأديب الحجة الثقة المحدث الفقيه المتقن

الأثري السلفي حسان السنة في وقته أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التميمي المالكي، ولد رحمه الله في الأحساء، وأخذ العلم فيها عن الشيخ حسين بن غنام وغيره، وكان راسخاً في العلم متفتناً في الأدب متقياً لآثار السلف، قارضاً للشعر، درّس في الأحساء، ونظم رسالة بن أبي زيد، وله الديوان البديع المعاني الذي أتى فيه بالقصائد الفريدة، وقد تقدم شيء منها فما أحسن أرجوزته في العقيدة، وأعذب قصيدته اللامية التي سماها الشهب المرمية على المعطلة والجهمية، وورثاه للعلم وذكر شرفه وفضله، وقد أتى في ديوانه بالعجب العجائب، وقد تولى قضاء الأحساء في أواخر أيام الإمام فيصل وأوائل ولاية ابنه عبدالله، وكانت وفاته في بلد الأحساء.

ومن توفى فيها من الأعيان الأمير جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود. ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ سعود بن محمد بن سعود بن حمد بن محمد بن سلمان بن عطية قاضي بلد القويعية رحمه الله وعفا عنه. ولما توفى تولى قضائها بعده ابنه محمد بن سعود.

ومن توفى فيها أيضاً الشيخ عثمان بن علي بن عيسى قاضي بلدان سدير، وكان قد تخرج على الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين رحمه الله عليه، وكان من قبيلة سبيع.

ومن توفى فيها من الأعيان أمير عنيزة عبدالله بن يحيى آل سليم، وكانت مدة إمارته فيها خمس عشرة سنة قضاها في صرامة وشجاعة، وتولى بعده إمارة عنيزة زامل بن عبدالله بن سليم، ففي هذه السنة تولى زامل إمارة عنيزة.

ومن توفى فيها أيضاً من الأعيان متعب بن عبدالله بن رشيد قتله ابنا أخيه طلال وهما بندر وبدر.

ثم تولى إمارة الجبل بعد متعب بندر بن طلال بن رشيد وذلك بمهمات من عمه عبيد بن علي بن رشيد على قتله، فאלله المستعان.

وكان أخو المقتول محمد بن عبدالله بن رشيد قد ركب من الجبل وافداً على الإمام عبدالله بن فيصل، فجاءه الخبر بقتل أخيه متعب وهو إذ ذاك في الرياض، فأسرها في نفسه، وكان عاقلاً، وأقام هناك عند الإمام بقية تلك السنة.

ثم دخلت سنة ١٢٨٦هـ

ففيها ولد الشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي، ويعرف بصاحب المكتبة، لأن له مكتبة في مكة المشرفة بمحلة الشامية بقاعة الشفا وتحتوي على ألف وسبعمائة كتاب وأربعة عشر كتاباً، ومن نفائس محتوياتها تواريخ مكة المخطوطة.

وفيهما توفي الشيخ عبدالرحمن بن عدوان تغمده برحمته الكريم المنان وأسكنه فسيح الجنان، وكان رحمة الله عليه ممن أخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وعن الشيخ محمد بن مقرن بن سند بن علي بن عبدالله بن فطاي الودعاني، وهو من الغراير من تميم، وكان قد تولى قضاء الرياض للإمام عبدالله بن فيصل.

وفيهما أغار أمير الجبل بندر بن طلال بن رشيد على الصعران من برية، وهم على الشوكي، فأخذهم وقتل رئيسهم هذال بن عليان بن غرير بن بصيص.

هذا ولا يزال محمد بن عبدالله بن رشيد مقيماً في الرياض لدى الإمام عبدالله، وفيها زحف الإمام عبدالله بن فيصل بجنود المسلمين من الحاضرة والبادية، فقصده جهة الأحساء ونزل على دعي لج المعروف هناك، وكان سعود بن فيصل إذ ذاك في عمان فأقام الإمام عبدالله هناك نحو أربعة أشهر، ثم بعث في ذي القعدة سرية إلى قطر مع مساعد الظفيري والعسعوس وأمرهم بالمقام هناك، وبعث سرية إلى الأحساء مع فهد بن دغثير وأمرهم بالمقام عند ناصر بن جبر الخالدي، وعدا بمن معه من المسلمين على الصهبة من مطير وهم على الوفرا، فأخذهم ثم قفل راجعاً إلى الرياض، وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيهما وفد الأمير بندر بن طلال بن رشيد على الإمام عبدالله ومعه له هدية ثمينة، فأكرمه الإمام ومن معه وأحسن وفادته، ثم طلب الأمير بندر من عمه محمد

بن عبدالله أن يرجع معه إلى حائل وأعطاه العهود والمواثيق على أنه لا يناله منه مكروه، وأقاموا في الرياض أياماً، ثم رجع بعمه إلى حائل وحصل على الأمير بندر من محمد بن عبدالله ما سنذكره إن شاء الله تعالى؛ وفي كلام الحكمة: «اتق شر من أحسنت إليه».

وفي هذه السنة ابتدئ بحفر خليج السويس ليتصل بحر الروم ببحر القلزم، وكان تمام ذلك بعد تلك السنة بست سنين، وكان القائم بهذه المهمة دولة الفرنسيين والأنكليز، وإسماعيل باشا والي مصر، وبعد تمامه جعلوا على المراكب التي تمر منه رسوماً معلومة على قدر ما فيها من الحمل، وقد كان هذا العمل إرادة أمير المؤمنين هارون الرشيد ليتها له غزو الروم إذا اتصل بالبحران، فمنعه وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال له: إن فعلت ذلك تحتطف الأفرنج للمسلمين من المسجد الحرام، فامتنع الرشيد عن ذلك وكف عنه عملاً بنصائح الوزير.

ثم دخلت سنة ١٢٨٧هـ

وفيها أقبل سعود بن فيصل من عمان وتوجه إلى البحرين، فقدم على آل خليفة رؤساء البحرين، وطلب منهم النصرة والقيام معه، فوعدوه بذلك وقدم عليه في البحرين محمد بن عبدالله بن ثنيان بن سعود بن مقرن، واجتمع على سعود خلائق كثيرة فتوجه بهم إلى قطر لقتال السرية المرابطة فيه من جهة الإمام عبدالله، وحصل بينه وبينها وقعة شديدة صارت الهزيمة فيها على سعود وأتباعه وقتل منهم عدة رجال، من أعيانهم محمد بن عبدالله بن ثنيان، ورجع سعود بعد هذه الوقعة إلى البحرين وأخذ يكاتب العجمان، فقدم عليه منهم خلائق كثير.

ولما كان في رجب من هذه السنة سار سعود من البحرين ومعه أحمد بن الغنيم ابن خليفة وعدة رجال من أهل البحرين، وتوجهوا إلى الأحساء بتلك الجنود، ولما وصلوا إلى العقير اجتمع عليهم من عامة العجمان وآل مرة ومن معهم من البوادي جم غفير، وكان رؤساء العجمان يكتبون سعود بن فيصل ويعدونه بالنصرة

ويسألونه القدوم عليهم في الأحساء، ويأمرون عامتهم بالمسير إليه والقدوم عليه والقيام معه ومناصرتة مع ما كانوا يتملقون به عند أمير الأحساء ناصر بن جبر وعند فهد بن دغثير أمير السرية المرابطة في الأحساء من قبل الإمام، يظهرون السمع والطاعة للإمام ويبطنون المكر والغدر.

ثم إنه زحف سعود من العقير وتوجه إلى الأحساء بمن معه من الجنود، ولما أن وصل إلى الجفر البلد المعروف هناك، أراد أهلها أن يمتنعوا من تلك الجنود المتضافرة، غير أنهم عجزوا عن ذلك لكثرة العدو وقلة المساعد، فدخلت تلك الجنود البلد ونهبوها وعاثوا في قرى الأحساء بالنهب، وقام ابن حبيب أمير بلد الطرف مع سعود واشتد الخوف واضطرب البلد، فقام حزام بن حثلين وابن أخيه راكان بن فلاح بن حثلين، ومنصور بن منيخر لدى الأمير ناصر بن جبر وفهد بن دغثير ورؤساء الأحساء وطلبوا منهم الخروج لقتال سعود ومن معه من الجنود، وحلفوا لهم الأيمان المؤكدة على التعاون والتناصر، وأن يكونوا يداً على من ناواهم، فخرج أهل الأحساء يتقدمهم العجمان المناصرون، ولما وصلوا الوجداج الموضع المعروف غدرتهم العجمان وانقلبوا عليهم فأخذوهم وقتلوا منهم نحو ستين رجلاً، من أعيانهم عبدالله بن محمد بن ملحم وسليمان بن ملحم، وانهزم بقية أهل الأحساء إلى بلد الهفوف وهم ما بين جريح وسليب، فتحصن أهل الهفوف بعد هذه الواقعة في بلدهم واستعدوا للحرب، ثم زحف سعود بعد هذه الواقعة بجنوده ونزل على بلد الهفوف، فثار الحرب بينه وبينهم وأقام لهم محاصراً أربعين يوماً.

وأما ما كان من أمر الإمام عبدالله، فإنه لما بلغه مسير سعود من البحرين إلى الأحساء، أمر على جميع بلدان نجد بأن يتجهزوا للغزو، وأن يقدموا عليه في الرياض، فقدم عليه غزو أهل ضرما والحمل وسدير، فجعل عليهم أخاه محمداً وضم إليه غزو أهل العارض وسبيع والسهول، فزحف محمد بن فيصل بتلك الجموع إلى الأحساء وقد كان أهل الهفوف يتابعون الرسل إلى الإمام يطلبون منه النصرة، ولما علم سعود بمسير أخيه محمد لنجدة أهل الأحساء فك الحصار عن الهفوف وسار بجنوده للقاء أخيه محمد.

ذكر واقعة جودة^(١) سنة ١٢٨٧هـ

قد تقدم ذكر شيء من انهزام أهل الأحساء، وذلك بتدبير الحيل من العجمان الذين لا يزالون منابذين للإمام للأوغاد التي في صدورهم قبل ذلك.

ولما قرب الأمير محمد بن فيصل إلى جودة، وجد أخاه سعوداً قد سبقه إليها، فنزل محمد وجنوده بالقرب منها، وكان قد انضم مع سعود خلائق كثيرة من العجمان وآل مرة ومعه المبرز وأحمد بن الغنيم بن خليفة وابن حويل.

فما كان إلا قليل حتى نشبت الحرب بين الفريقين، وتقاتلوا قتالاً شديداً، وذلك في اليوم السابع والعشرين من رمضان، فحصلت خيانة من العربان الذين مع محمد بن فيصل والعياذ بالله وهم سبيع، وانقلبوا على أصحابهم يهبونهم، فصارت الهزيمة على محمد بن فيصل وجنوده فانهزم جيش الإمام وقتل من الجيش خمسمائة مقاتل، من أعيانهم عبدالله بن بتال المطيري ومجاهد بن محمد أمير بلد الزلفي وإبراهيم بن سويد أمير بلد جلال وعبدالله بن مشاري بن ماضي من رؤساء روضة سدير، وعبدالله بن علي آل عبدالرحمن أمير بلد ضرما، وقتل من أتباع سعود عدد كبير وقبض سعود على أخيه محمد بن فيصل وأرسله إلى القطيف فحبسه هناك.

ولم يزل في حبسه ذلك إلى أن أطلقه الأتراك في السنة التي بعدها.

واستولى سعود ومن معه على ما كان مع أخيه محمد من السلاح والقوات والركاب والأمتعة، وكانت شيئاً كثيراً، وهذا يعد ظفراً ونصراً مؤزرراً، وأقام على جودة بعد هذه الواقعة، وكتب إلى رؤساء أهل الأحساء يأمرهم بالقدوم عليه والمبايعة، فقدموا عليه هناك وبايعوه.

(١) نسبة إلى جودة الماء المعروف.

ثم ارتحل بعد ذلك من جودة وسار إلى الأحساء فاستولى عليها وأخذ من أهلها أموالاً عظيمة ففرقها على العجمان، وأقام هناك، ولما جاء الخبر إلى الإمام عبدالله بن فيصل وأن أخاه محمداً حبس وقتل رجاله وغنمت أموالهم وخيلهم وركابهم، خرج من الرياض وقصد ناحية جبل شمر ومعه عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين، وناهض بن محمد بن ناهض، فلما وصل إلى البعيثة وهي ماء معروف في العروق، نزل عليه وضرب خيامه هناك وأرسل عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين برسائل وهدايا لباشا بغداد وباشا البصرة النقيب محمد، وطلب منهم النصرة والمساعدة على أخيه سعود، فوعدوه بذلك وأخذوا في تجهيز العساكر إلى الأحساء والقطيف، وأقام عندهم عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله أبي بطين ليأتي بتلك العساكر.

ولما أن كان في شهر شوال من هذه السنة وفد محمد بن هادي بن قرملة ومعه عدة رجال من رؤساء قحطان على سعود بن فيصل في الأحساء فلم يلتفت إليهم ولم يعبأ بهم، فخرجوا منها وتوجهوا إلى الإمام عبدالله وهو على البعيثة، فعاهدوه على السمع والطاعة، وارتحل معهم راجعاً إلى الرياض فدخلها في شهر ذي القعدة. ولما أن كان في آخر الشهر المذكور خرج سعود من الأحساء يريد بلد الرياض، ولما أن كان في أثناء الطريق بلغه الخبر اليقين أن أخاه عبدالله بن فيصل قد رجع إليها ومعه قحطان، فرجع سعود إلى الأحساء.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن حمدان بن محمد بن مانع بن شبرمة الوهبي التميمي، كانت وفاته رحمة الله عليه في بلد الأحساء، كان من أهالي شقرا، ثم انتقل إلى الأحساء واستوطنها، ثم ولاه الإمام عبدالله بن فيصل القضاء في القطيف وقت الموسم، فإذا انقضى الموسم رجع إلى الأحساء، وكان عالماً فاضلاً أديباً ليلاً بارعاً، أخذ العلم عن أبيه الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع وعن جده لأمه الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين، وعن الشيخ العالم العلامة القدوة

الفهامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه الشيخ العالم الكبير والعلم الشهير عبداللطيف بن عبدالرحمن وغيرهم، وكان كثير المطالعة سديد المباحثة والمراجعة، مكباً على طلب العلم منذ نشأ إلى أن مات، وجمع كتباً كثيرة بخطه الحسن المتقن المضبوط النير، وجرّد حاشية جده الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين على المنتهى من هوامش نسخته، فجاءت في مجلد ضخّم، ولديه قدرة وصلاحية، وهذا هو الذي مرّ بنا مرثيته في الشيخ عبدالرحمن بن حسن، فالله المستعان.

ولقد ظهر من بيت آل مانع رجال عظماء علماء تبتهج البلاد بذكرهم، وتلهج الألسنة على الدوام بشكرهم، منهم الشيخ محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم والد المترجم، ومنهم مدير عام المعارف السعودية الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، ومنهم قاضي عنيزة الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع ومنهم صاحب الترجمة، فهذا يتبين أن بيتهم بيت علم غفر الله لهم.

وفي هذه السنة وقع القحط في نجد واشتدت المؤونة وحصل غلاء شديد واستمر القحط والغلاء، وفيها قتل سلطان بن قنور في عين بن قنور المعروفة بالسر قتلة محمد بن عويد بن قنور ورجاله من عشيرته ومعهم فوزان الصوينع، وسبب قتله هو أنهم اتهموه أنه يميل إلى آل ربيع المعروفين من آل شقراء في السر لما بين آل قنور وآل ربيع من الشرور، وكان سلطان المذكور حين أرادوا قتله جالساً إلى جنب ابن أخته عبدالله العطيفة، فلما رآهم سلطان دخل على عبدالله المذكور واستجار به، فقام عبدالله ينهّاهم عنه فلم يلتفتوا إليه وقتلوه، ولم يرعوا لعبدالله حرمة فغضب عبدالله لذلك وسار إلى الرياض ومعه ثوب خاله سلطان بن قنور مضرّجاً بالدماء، فقدم على بني عمه العطيفات في بلد الرياض وهم فالح وخطاب وحجاب وراشد، فصاح عند وبكى وقال إن آل عويد قتلوا خالي ظلماً وعدواناً وهو في وجهي ونهيتهم فلم ينتهوا بل هتكوا حرمتي وقطعوا وجهي وجعل يبكي حتى استجاش سوكنهم، فغضبوا لذلك وكانوا من جملة خدام الإمام عبدالله بن فيصل ومن المقربين لديه لشجاعته، وكانوا معروفين بالشجاعة طلبوا الإمام عبدالله أن يسمح

لهم في قتل محمد بن عويد، فإذن لهم وركبوا سائرين من الرياض حتى قدموا آل ربيع في بلد شقراء ، فركبوا معهم وتوجهوا إلى السر، فلما وصلوا إلى بلدهم الطرفية المعروفة بالسر، لم يجد فيها سوى النساء، والصبيان فسألوا النساء عن الرجال، فأجبن بأنهم خرجوا للصيد فركب المتعطفات ومن معهم من آل ربيع وأتباعهم من أهل شقراء نحو من عشرين رجلاً وتوجهوا إلى النفود في طلبهم، وأقام بقيتهم في الطرفية يترقبون مجيئهم، فوجدوهم في نفود السر، ولما رآهم محمد بن عويد ركب حصانه وانهزم وكان مشهوراً بالرماية، لم يكن في زمنه من يماثله، وسار إلى السر وترك أصحابه فأحاطوا بهم وقام آل ربيع على فوزان الصوينع فقتلوه لأمر بينهم وتركوا الباقيين ثم ساروا خلف محمد بن عويد وطلبوه فأدركوه في عين الصوينع فقتله العطيفات، ثم رجعوا إلى شقراء وسار العطيفات منها إلى الرياض وختمت هذه السنة بفتن وزلازل ومحن واحن فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٢٨٨هـ

استهلت هذه السنة والحرب قائمة بين أبناء فيصل عبدالله وسعود. هذا ومحمد بن فيصل محبوس في القطيف حبسه سعود، واستضعف جانب الإمام عبدالله لما بذله سعود من المشاغبة له والمنازعة. وفيها اشتد القحط والغلا والجوع، وكثرت الملاحم. وفيها قتل أمير الجبل بندر بن طلال، قتله عمه محمد بن عبدالله، وقتل معه أربعة من إخوته، منهم بدر وكان في قتله لهؤلاء الخمسة نبؤ عجيب بحيث أنه لما قتلهم صب ميزاب السطح الذي قتلهم فيه دماً، ثم إنه جعل يقيم الأعذار بعد ذلك تارة يزعم أنه خاف على نفسه منهم فقتلهم قبل أن يقتلوه، وتارة يزعم أنه أخذ بثأر أخيه ابن متعب بن عبدالله فالله أعلم.

وفي هذه السنة تولى محمد بن عبدالله بن رشيد إمارة حائل، واستمر له النصر وكان عاقلاً سياسياً مدارياً يعد من أفذاذ الرجال في الدها والسياسة.

وفيهما في محرم خرج سعود بن فيصل بجنوده من الأحساء، وجعل على إمارة الأحساء فرحان بن خير الله، ثم زحف إلى الرياض، فلما قرب من الرياض خرج الإمام عبدالله الفيصل منها وقصد بوادي قحطان، وكان قد أرسل قبل خروجه منه أمتعته وأثاثه ومدافعه وتبوسه مع سرية قائدها خطاب بن مقبل العظيفة، وأمرهم أن يتوجهوا إلى عربان قحطان فصادف السرية سعود في الجزعة وأخذ جميع ما معهم من الركاب والسلاح والأناث بعد قتال شديد جرى بينهم، فلما حصلت الهزيمة على خطاب وأصحابه قتلهم وأخذهم.

ومن أعيانهم خطاب المذكور وفلاح بن صقر العظيفة وعويد بن خطاب العظيفة ومحمد بن راشد الفقيه.

ثم دخل سعود بلد الرياض ومعه خلائق كثيرة من العجمان وغيرهم فعاثوا في البلد ونهبوا بلد الجبيلة وقتلوا جماعة من أهلها وقطعوا النخيل وخربوها، وتبروا ما علو تتبيرا، ففر أهل الجبيلة وتفرقوا في بلدان العارض، ولم يبق فيها ساكن، وانحل نظام الملك وكثر المهرج واشتد الغلاء والقحط، وأكلت جيف الحمير والكلاب، ومات خلائق كثيرة من الجوع، وحل بأهل نجد من القحط والجوع والمحن والنهب والقتل والفتن والموت الذريع ما الله به عليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وابتلى الله عز وجل أهل نجد بالحروب والملاحم في سبب الاختلاف بين أبناء فيصل، ولما استقر سعود في الرياض كتب إلى رؤساء البلدان يأمرهم بالقدوم عليه للبيعة فقدموا عليه وبايعوه وأمرهم بالتجهز للغزو.

ذكر واقعة البره

لما كان في ربيع الأول من هذه السنة خرج سعود من الرياض غازياً بجنوده من العجمان وآل مرة وسبيع والسهول والدواسر وأهل الرياض والجنوب والخرج، ومعه عمه عبدالله بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وكان عمه عبدالله يميل إلى عبدالله بن فيصل، فزحف سعود بتلك الجنود يريد أخاه عبدالله ومن معه من

قحطان، فلما وصل إلى ثرمداء جاءه الخبر بأنهم ارتحلوا من موضعهم الأول وهو الأنجل، ونزلوا على البره، فسار سعود بجنوده إليها لقتال أخيه عبدالله بن فيصل ومن معه من قحطان، وأرسل عمه عبدالله بن تركي إلى شقراء ومعه عدة رجال فأمرهم بالمقام فيها وكان بينه وبين عمه وحشة.

ولما كان في سابع جمادى الأولى وصل سعود ومن معه البره فلما تراءى الجمعان والتقى الفريقان جرى بينهما ما لا يحسن ذكره، فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً يطيش له الجليلد ويشيب لهوله الوليد، فانهزم عبدالله بن فيصل ومن معه من قحطان وغيرهم، وقتل منهم قتلى كثيرة، من أعيانهم عبدالعزيز بن محمد بن ناهض وبراك بن عبدالله بن براك وقتل من جنود سعود عدة رجال منهم منصور الطويل من رؤساء العجمان ونهبت تلك الجنود بلد البره، وتوجه عبدالله بن فيصل ومن معه إلى بلد الرويضة، رويضة العرض فنزلوا عليها وأقام عند قحطان هناك.

وأما سعود فإنه دعى بعمه عبدالله من شقراء بعد انتهاء الواقعة، ثم قفل راجعاً إلى الرياض وأذن لمن معه من الجنود التي من النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

ذكر قدوم العساكر العثمانية والجنود التركية

لما كان في ربيع الأول من هذه السنة، سارت العساكر من البصر إلى الأحساء والقطيف يقودهم فريق باشا ومعهم عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أباطين، وقد جاءوا باسم النصرة للإمام عبدالله بن فيصل على أخيه سعود، وليس الأمر كذلك بل لما رأوا الحرب في بلاد العرب، وتضعضع ملك آل سعود طمعوا في نجد.

ولقد كان من المعلوم الذي لا يمتري فيه عاقل أن الدولة العثمانية لا تسعى مع أحد لحظ نفسه، وإنما تسعى لحظ نفسها، فقدمت الأحساء والقطيف في تلك السنة، واستولت عليها لا أقل ولا أكثر.

ثم اطلقوا محمد بن فيصل من حبسه وأكرموه، فأقام عندهم في الأحساء وأخرجوا فرحان بن خير الله أمير سعود وطرده، وأظهروا أنهم جاءوا لنصرة

الإمام عبدالله بن فيصل، وكتبوا إليه وهو إذ ذاك عند قحطان، فقدم عليهم في الأحساء، فأكرموه ظاهراً والله عليهم بما يبتغون، فأقام عندهم هناك.

وأما سعود فإنه لما أذن لأهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم بعد واقعة البره، لم يبق عنده في الرياض غير شردمة قليلة من العجمان، فقام عليه أهل الرياض وساعدتهم عمه عبدالله فحصره وجنوده في القصر، وثار الحرب بينهم ثم إنهم أمئوه ومن معه من أولاده وخدمه، وأخرجوهم وطردوهم ثم بايعوا لعمه عبدالله بن تركي، فتولى عبدالله على الرياض وكان من الذين أذن لهم سعود بعد هذه الغزوة عبدالله بن إبراهيم بن نشوان من رؤساء أهل أشيقر وإبراهيم بن سليمان الصبي، ومحمد بن سعد بن معيقل، وسعود بن حمد من أهل الشعراء، وعبدالله بن عثمان من أهل الدوادمي لما ذهبوا إلى أوطانهم، ومروا بالبكرات بالقرب من ثادق صادفهم ركب من آل عاطف من قحطان، كبيرهم فريج بن مجحود فحصل بينهم وقعة شديدة وصارت الهزيمة على قحطان، وقتل منهم عدة رجال، منهم شناز بن فريج بن مجحود، وقتل في هذه الوقعة عبدالله بن إبراهيم بن نشوان، وكان هذا فيما يقال عنه كريماً مقداماً شجاعاً، وعبدالله بن عثمان وكان معروفاً بالشجاعة والرمية رحمة الله على أموات المسلمين.

وكان سعود لما أخرج من الرياض ذهب إلى بلد الدلم فأقام فيها.

ولما كان في آخر جمادى الآخرة سار من الدلم يريد الأحساء، فقدم على بوادي العجمان وآل مرة فرغبوه في أخذ الأحساء والقطيف من أيدي العساكر العثمانية، واجتمع عليه خلائق كثيرة فعاثوا في قرى الأحساء بالنهب والتخريب، وذلك في رجب من هذه السنة المذكورة.

ذكر وقعة الخويرة

لما اجتمع على سعود أصحابه والتم عليه شمله، جعل يستنهضهم على الترك،

فالتف حوله جنود كثيرة وعزم على قتال الأتراك ولكن أين هم من عساكر الدولة، وفي كلام الحكمة الكثرة غلبت الشجاعة، فلما اجتمع على سعود أولئك الجنود، زحف بهم ونزل الخويرة الماء المعروف بالأحساء قريباً منه، وأكثروا النهب والفساد، فخرجت عليهم عساكر الترك وأهل الهفوف يقودهم عبدالله بن فيصل فحصل بين الفريقين ملحمة عظيمة ووقعة جسيمة تجلت عن هزيمة سعود وأصحابه، وقتل في هذه الوقعة خلائق كثيرة من بين الفريقين، وجلهم من أصحاب سعود فانهزم وأقام مع العجمان.

ولما كان بعد هذه الوقعة بأيام وصل إلى بندر العقير مدحت باشا بعساكر كثيرة يريد أن يتولى على الأحساء والقطيف من قبل الدولة العثمانية، وكان فيما يقال عنه أنه والي بغداد، فجاء رجل من أعيان العسكر الذين في الأحساء إلى عبدالله بن فيصل وقال له: إن مدحت باشا قد وصل إلى العقير، وهو يريد القبض عليك ويرسلك إلى بغداد، وقد التزم بذلك للدولة اعترافاً لها وكان مدحت باشا قد وعده بأن يعينه قائم مقام ولاية نجد، ولكن عبدالله خشي أن تكون خدعة وقيل له إن قدرت على الهرب فافعل.

فأخذ عبدالله بن فيصل يدبر الحيلة في ذلك، فحضر عند فريق باشا وطلب منه أن يأذن له في الخروج بعد العصر إلى عين نجم المعروفة هناك للاغتسال فيها والفرجة، فأذن له في ذلك، فلما خرج من عند الباشا أمر على بعض خدمه أن يجهز خمس ركائب ويأخذ معه رفيقاً من العجمان ورفيقاً من آل مرة، وواعده الجبل المعروف بأبي غنيمة، ففعل الخادم ما أمره به.

ولما كان بعد العصر من يومه ذلك خرج بابنه تركي وأخيه محمد بن فيصل على خيل وخرج معه ثلاثة من عسكر الترك على خيلهم، فلما أن وصلوا إلى الصفيا المعروفة، أخذوا يتطاردون ويلعبون على تلك الخيل، وعند غروب الشمس انهزم عبدالله وابنه وأخوه على خيلهم فلحقهم الثلاثة الموكلون بهم من العسكر على خيلهم، وشدوا في طلبهم فقاتوهم ورجعوا إلى البلد.

ولما وصل عبدالله وابنه وأخوه إلى الجبل المذكور ووجدوا الركائب هناك، فركبوها وقصدوا بلد الرياض، فلما وصلوا إلى الرياض دخلوها واستبشر بهم أهل الرياض، وحصل لهم الفرح والسرور، وفيها نزل ثقل بن رويضان ومن معه من عربان السهول بالقرب من بلد شقراء ، وكثر منهم النهب والفساد فخرج عليهم أهل شقراء وحصل بينهم وبين السهول قتال شديد، فصارت الهزيمة على السهول، وقتل منهم عدة رجال من أعيانهم ثقل بن رويضان، وأخذ منهم أهل شقراء من الأغنام والأمتعة شيئاً كثيراً.

وقتل من أهل شقراء في هذه الواقعة محمد بن سعد البوادرى.
وفي آخر هذه السنة في ذي الحجة غزا الإمام عبدالله بن فيصل بأهل الرياض وضمها، وأخذ آل شامر بالقرب من عليا وقتل منهم عدة رجال وقتل في هذه الواقعة محمد بن عبدالله بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ١٢٨٩هـ

استهلت هذه السنة والفتن في نجد تغلي مراجلها، وكان الأمير في حائل محمد ابن عبدالله بن رشيد والأمير في عنيزة زامل بن عبدالله بن سليم، وكان الأمير في بريدة مهنا الصالح أبا الخيل.

أما الرياض فكان فيها الإمام عبدالله بن فيصل، وأما الأحساء والقطيف فقد استولت عليها عساكر الدولة العثمانية، وفيها اشتد الغلا والقحط في نجد وأكل الناس الميتة وجيف الحمير، وصار كثير من الناس يأكلون الجلود البالية بعد حرقها بالنار، ويدقون العظام ويأكلونها، ويأكلون البرسيم (القت) وأكل ورق الزرع والأشجار، فأثر ذلك في وجوه الناس وأرجلهم نفخاً وأوراماً ثم يموتون بعد ذلك، وعظم الأمر ومات لذلك خلائق كثيرة جوعاً، فمن لم يموت بالسيف مات من الجوع وجلى كثير من أهل الوشم وسدير والرياض إلى الأحساء والزيير والبصرة والقصيم، واستمر الغلاء والقحط إلى آخر السنة التي بعدها وهذا من آثار الذنوب والمعاصي.

فإن أهل الإسلام اليوم في رغد وخصب ونعمة، فيجب أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحل بهم عقاب الله فما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا.

رجعنا إلى قصة سعود بن فيصل وما جرى بينه وبين أخيه عبدالله من الاختلاف، فنقول: بعدما انهزم في واقعة الخويرة ما كان هذا الفشل ليثني عزمه، فقد عاد يقطع الدهن إلى الأفلاج.

وفي شوال قدم سعود بن فيصل إلى وادي الدواسر بمن معه من الجنود وقصد الخرج، وكان الإمام عبدالله بن فيصل قد أمر أخاه محمداً وعمه عبدالله بن تركي وعدة رجال من أتباعه أن يسيروا على بلد الدلم ويضبطوها خوفاً من أخيه سعود، فسار إليها محمد بن فيصل وعمه عبدالله بغزو من الرياض وضرما، فدخلوها وأقبل سعود بن فيصل بجنود كثيرة من العجمان والدواسر وأهل الجنوب، وقام معه أيضاً ابن قنيان والعجالين والهزاني وأهل الحوطة، فنزل على البلد وحصرها حصراً شديداً، فخان أهل البلد الأمير محمد بن فيصل وأصحابه وفتحوا الباب لسعود فدخلها وجنوده، ولما رأى البوار محمد بن فيصل ركب فرسه وانهزم إلى الرياض، ثم قبض سعود على عمه عبدالله بن تركي وأمر بحبسه، وأخذ ركاب أصحاب أخيه وسلاحهم، وقتل منهم عدة رجال، وبعد أيام قليلة توفي الأمير عبدالله بن تركي بحبس سعود ذلك، وكان شهماً شجاعاً صارماً فرحمة الله عليه.

ولما جرت هذه الفتن العمياء، قام الشيخ الإمام العالم الأملعي عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ فبث الرسائل والنصائح، وباح بما عنده من النصيح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، واستعظم جداً ما فعل سعود بن فيصل من خروجه على الأمة وإمامها يضرب برها وفاجرها إلا من أطاعه وانتظم في سلكه.

وذكر رحمه الله أن لعبد الله بن فيصل بيعة وله ولاية شرعية في الجملة، ثم رد على سعود وسفه رأيه بمفارقة جماعة المسلمين وخروجه على أخيه، وكان الشيخ قد بعث أولاً نصيحة لابن عائض وأمثاله من الرؤساء والأمراء ينهاهم فيها عن متابعتة والإصغاء إليه ونصرتة، وفعلاً قد امتثلوا وما رفعوا لسعود رأساً.

وكان الشيخ قدس الله روحه قد ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بتحريم ما فعل والتغليظ على من نصره.

ولما جرت واقعة جودة وثل عرش الولاية وانتشر نظامها وحبس محمد بن فيصل وخرج الإمام عبدالله شاردأ وفارقه أنصاره وأقربائه، وجفاه أعوانه وجلساؤه، أوصاه الشيخ عبداللطيف بالاعتصام بالله وطلب النصرة منه وحده وعدم الركون إلى الدولة الخاسرة.

ولما كاتب الإمام عبدالله بن فيصل الدولة الخاسرة واستنصرها واستجلبها على ديار المسلمين، خاطبه الشيخ عبداللطيف مشافهةً بالإنكار عليه والبراءة، وأغلظ له بالقول وبين له أن هذا هو هدم الأصول الإسلام وهدم لقواعده العظام، فأظهر الإمام عبدالله التوبة والندم وأكثر الاستغفار.

ثم إن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رفع الله منازلته في الجنان وجعله في زمرة سيد ولد عدنان، كتب على لسان الإمام عبدالله بن فيصل كتاباً لوالي بغداد، إن الله قد أغنى ويسر وانقاد الناس من أهل نجد والبوادي ما يحصل به المقصود إن شاء الله ولا حاجة لنا بعساكر الدولة، وكلاماً من هذا الجنس، فارسل الإمام الكتاب فيما يرى وتبرأ مما جرى.

فلما قدم سعود على الرياض ودخلها يجنوده من العجمان والدواسر وأهل الفرع وأهل الحريق وأهل الأفلاج وأهل الوادي، وقطع الثمار وأخاف الأراذل والمحصنات بمن معه وخيف من انتهاك حرمة اليتامى والأيامى، أضف إلى ذلك أن الإمام عبدالله فرّ من الرياض قبل دخوله البلد وأهلها أن يستيحيها سعود ومن معه من الأشرار وفجار القراء، نسأل الله العافية، حيث كانوا يحثون على ذلك ويتفوهون بتفكير بعض رؤساء البلد، فخرج إلى سعود قبل دخوله إليها خشية أن يأخذها عنوة فتسفك الدماء وتستباح النساء، لأن أسباب ذلك متوفرة فواجهه وخاطبه فيما يصلح الحال بينه وبين أخيه الإمام، فاشتراط سعود الشروط الثقيل

على أخيه ولم تتفق الحال، فصارت المهمة فيما يدفع الفتنة ويجمع الكلمة ويلم الشعب ويستدرك البقية، فرأى الشيخ بثاقب رأيه ونبل معرفته النزول إلى هذا المتغلب والتوثق منه ودفع صولته، وخرج رؤساء البلد والمعروفون من رجال الرياض بأمر الشيخ فبايعوا سعوداً بعدما أعطاهم على دمائهم وأموالهم محسنهم ومسيئهم عهد الله وميثاقه وأمانه عهداً مغلفاً، وقد بذل الشيخ جهده ودافع ما استطاع حتى حصل أهل الرياض على ذلك.

ثم كتب الشيخ إلى العالم العلامة حمد بن عتيق في بلاد الأفلاج يأمره بلزوم الجماعة وعدم التفرق والاختلاف فوق الله شر تلك الفتنة ولطف بالمسلمين، فلما أتى الفادح الجليل والخطب العظيم الذميمة الذي طمس أعلام الإسلام ورفع الشرك بالله وعبادة الأصنام في تلك البلاد التي كانت بالإسلام ظاهرة، ولأعداء الملة قاهرة، وذلك بوصول عساكر الأتراك واستيلائهم على الأحساء والقطيف، يتقدمهم طاغيتهم داود بن جرجيس لا حيّاه الله ولا يّاه، فأهون به من ما ذق ما أقبحه، ومن جهول ما أمقته، ومن خبيث ما أفسده، قدم بهم داود بن جرجيس داعياً إلى الشرك بالله وعبادة إبليس منتهزاً فرصة هذا الخسيس، فانتقادت لهم تلك البلاد وأنزلوا العساكر بالحصون والقلاع، ودخلوها بغير قتال، وتوفرت منهم أقبح الفعّال، فطاف بهم إخوانهم من المنافقين، وظهر الشرك بالله رب العالمين، وشاعت مسبة أهل التوحيد والدين، ويرقص في هذه الفتنة الشيطان، ولم ينطح لذاك شاتان، فلا حول ولا قوة إلا بالله الملك الديّان.

ذكر ما حل ودهى وما حصل وجرى

من قدوم العساكر العثمانية والجنود التركية قد ذكرنا في السنة التي قبلها قدوم عساكر الدولة العثمانية إلى الأحساء والقطيف وأنهم جاءوا بزعمهم لنصرة الإمام عبدالله بن فيصل، فاستولوا بهذه الدعوى على الأحساء والقطيف، وعزموا على قبض الإمام عبدالله وإرساله إلى بغداد.

ولما هرب عبدالله ووصل إلى الرياض واستقبله أهلها، واتفق به الشيخ عبداللطيف وذاكره النصيحة وعظه بآيات الله وحقه وإيثار مرضاته والتباعد من أعداء الله وأعداء رسوله ودينه، أظهر الإمام التوبة والندم، واضمحل أمر سعود فصار مع شرذمة من البادية حوالي آل مرة والعجمان، وصارت الغلبة للإمام عبدالله.

ثم إن الله تعالى ابتلى المسلمين مرة ثانية بسعود بن فيصل، فهذا هو ذا أقبل واستولى على الخرج غير أن مصيبة العثمانيين أنست ذلك كله، فتذكر هنا القصيدة التي أنشأها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه فيما يتعلق بذلك، وهي جواب لقصيدة وردت عليه فأنشأ هذه القصيدة ذاكراً فيها العهد الذي سبق قبل ذلك من ظهور الإسلام بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب، فانتشرت بدعوته الملة الإسلامية والطريقة المحمدية، واستقام الإسلام وانتشرت أعلام الجهاد، وانمحت آثار الضلال والفساد.

ثم ذكر ما وقع من مفاصد العساكر، وكانت هذه القصيدة من غرر القصائد وبدائع الفوائد، وأشد ما يكون على الأعداء وثباتها، فتعين لذلك إيرادها وإثباتها، وكان إذ ذاك في شدة مقاسات أهوال تلك الفتن، ومعاناة أثقال تلك الحوادث والحن، وقلة من المساعد، وكثرة من المكاييد والمعاند، تغدو عليه الأرجيف وتروح، وتظهر أنياب النفاق إذ ذاك وتلوح، وثم من يقود المشركين ويؤزهم على عباد الله الموحدين.

وقد ابتلى الناس مع ذلك بجور الأئمة والولاة واستباح الأموال والدماء أشرار طغات من الحضر والبوادي العتات، وأصبح أهل الحق ما بين معاقب مكبل في الحديد، وما بين شريد في القبائل طريد، فاشتد البلاء وأعضل اليأس، وكثر الجهل وعظم الإلتباس، وقلت الديانة في كثير من الناس، وسار والي البلاد التي هجمت عليها العساكر، وظهرت بها أنواع الفسوق والمنكر، وصار لأهل الرفض والشرك بها الصولة، وكان لهم في تلك الجهات الغلبة والدولة، وضيعت بها أحكام الشريعة المطهرة، وظهرت بها أحكام الكفرة الفجرة، فبذل الشيخ الجد والاجتهاد بإرسال الرسائل والنصائح والتحذير من أسباب الندم والفضائح، كما يعرف ذلك من أمعن

النظر في رسائله من التغليظ والنهي عن السفر إلى بلدان الشرك وقبائله، وأبان الخفايا بواضح الحق ودلائله، وهذا نص الأبيات التي وردت عليه:

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| رسائل شوق دائم متوتر | إلى فرع شمس الدين بدر المنابر |
| سلالة محمد من كرام عشائر | يعيد بديعاً من كنوز المحابر |
| ويبدي لك التوحيد شمساً منيرة | ولكن أهل الزيغ عمى البصائر |
| سقى عهدكم عهد الشريعة والتقوى | وتعظيم دين الله أذكى العشائر |
| مدارس وحي شرفت بأكابر | على ملة بيضاء تبدو لسابر |
| فيا راكباً بلغ سلامي وتحفة | تعزية فيما قد مضى في العشائر |
| وأعظم من ذا يا خليلي كتائب | تهدم من ربيع الهدى كل عامر |
| ويبدو بها التعطيل والكفر والخنا | ويعلو من التأذين صوت المزامر |
| فقد سامنا الأعداء في كل خطوة | واحتل من الإسلام سوم المقامر |
| أناخ لدينا للضلالة شيعة | أبا حوا حمى التوحيد من كل فاجر |
| وقابلهم بالسهل والرحب عصبه | على أمة التوحيد أجبث سائر |
| يقولون لكننا رضىنا تقيّة | تعود على أموالنا والذخائر |
| فضحك ولهو واهتزاز وفرحة | وألوان مأكول ونشوة ساكر |
| مجالس كفر لا يعاد مريضها | يراح إليها في المسا والبواكر |
| ويرمون أهل الحق بالزيغ ويجهم | أما رهبوا سيفاً لسطوة قاهر |
| وأما رباع العلم فهي دوارس | نحن إلى أربابها والمذاكر |
| مصاب يكاد المستجن بطيبة | ينادي بأعلى الصوت هل من مثابر |
| فجد لي برد منك تبرد لوعتي | ويجدي به في كل ركب وسامر |
| وتنصر خلافي هواك مباعداً | ولولاك لم تبعث به أم عامر |
| فأكثر وأقلل مالها الدهر صاحب | سواك فقابل بالمنى والبشائر |

فأجابه الشيخ الإمام عبداللطيف بن عبدالرحمن قدس الله روحه بما يثلج الصدور
وبيعث الانشراح والسرور وهذا نص الجواب:-

رسائل إخوان الصفا والعشائر
تذكرنا أيام وصل تقدمت
ليالي كانت للسعود مطالعا
وكان بها ربع المسرة أهلاً
وفيهما الهداة العارفون بربهم
محابرهم تعلو بها كل سنة
مناقبتهم في كل مصر شهيرة
وفيهما من الطلاب للعلم عصبة
وفيهما الحماة الناصرون لربهم
وهندية قد أحسن القين صقلها
ورومية خضراء قد ضم جوفها
وكانت بهم تلك الديار منيعة
غدت بهمو تلك الفنون وشتوا
وحل بهم ما حل بالناس قبلهم
وبدل منهم أوجهها لا تسرني
يذكر فيهمو كل وقت وساعة
وأرملته تبكي بشجو حينها
وهذا زمان الصبر من لك بالتي

أتك فقابل بالمني والبشائر
وعهد مضى للطيبين الأطاهر
وطائرها في الدهر أيمن طائر
تمتع في روض من العلم زاهر
ذووا العلم والتحقيق أهل البصائر
مطهرة أنعم بها من محابر
رسائلهم يغدو بها كل ماهر
إذا قيل من للمشكلات البوادر
معاقلمهم شهب القنا والخناجر
مجربة يوم الوغى والتشاجر
من الجمر ما يغري صميم الضمائر
محصنة من كل خصم مقامر
فلست ترى إلا رسوماً لزائر
أكابر عرب أو ملوك الأكاسر
قبائل يام أو شعوب الدواسر
كتائب هلكى من وليد وكابر
لها رنة بين الربى والمحاجر
تفوز بها يوم اختلاف المصادر

فصل فيما جرى من مفاسد العساكر والبوادي

ودارت على الإسلام أكبر فتنة
وذلت رقاب من رجال أغزة
وأضحى بنو الإسلام في كل مأزق
وهتك ستر للحرائر جهرة

وسلت سيوف البغي من كل غادر
وكانوا على الإسلام أهل تناصر
تزورهمو غرث السباع الضوامر
بأيدي غوات من بواد وحاضر

وجاءوا من الفحشاء مالا يعبده
وبات الأيامي في الشتاء سواغباً
وجاءت غواش يشهد النص أنها
وجر زعيم القوم للترك دولةً
ووازره في راية كل جاهل
وآخر يتتاع الضلالة بالهدى
وثالثهم لا يعبأ الدهر بالتي
ولكنه يهوى ويعمل للهوى
وقد جاءهم فيما مضى خير ناصح
وينقذهم من قعر ظلماء مضلة
ويخبرهم أن السلامة في التي
فلما أتاهم نصر ذي العرش واحتوى
سعوا جهدهم في هدم ما قد بنى لهم
وساروا لأهل الشرك واستسلموا لهم
ومذ أرسلوها أرسلوها ذميمةً
وباءوا من الخسران بالصفقة التي
وصار لأهل الرفض والشرك صولةً
وعاد لديهم للواط والخنا
وشتت شمل الدين وأبنت جبهه
وأذن بالنفاقوس والطبل أهلها
وأصبح أهل الحق بين معاقب
فقل للغوي المستجير بظلمهم
ويكشف للمرتاب أي بضاعة
ويعلم يوم الجمع أي جناية

لييب ولا يحصه نظم لشاعر
يبكين أزواجاً وخير العشائر
بما كسبت أيدي الغوات الغوادر
على ملة الإسلام فعل المكابر
يروح ويغدو أثماً غير شاكر
ويختال في ثوب من الكبر وافر
تيد من الإسلام فعل المكابر
ويصبح في بحر من الريب عامر
إمام هدى يبني رفيع المفاخر
لسالكها حر اللظى والمساعر
عليها خيار الصحب من كل شاكر
أكابرهم كنز اللهى والذخائر
مشائخهم واستنصحوها كل داغر
وجاءوا بهم من كل أفك وساحر
تهدم من ربع الهدى كل عامر
يئو بها من دهره كل خاسر
وقام بهم سوق الردى والمنابر
معاهد يغدو نخوها كل فاجر
وصار مضاعاً بين شر العساكر
ولم يرض بالتوحيد حزب الزامر
وبين طريد في القبائل طائر
ستحشر يوم الدين بين الأصاغر
أضاع وهل ينجو مجير أم عامر
جناها وما يلقاه من مكر ماكر

فيا أمة ضلت سبيل نبيها
يعز بكم دين الصليب وآله
وتهجر آيات الهدى ومصاحف
هوت بكمو نحو الجحيم هوادة
سيبدو لكم من مالك الملك غير ما
يقول لكم ماذا فعلتم بأمة
وواليتمو أهل الجحيم سفاهة
نسيتم لنا عهداً أتاكم رسولنا
فسل ساكن الأحساء هل أنت مؤمن
وهل نافع للمجرمين اعتذارهم
وقال الشقي المفتري كنت كارهاً
أمانى تلقاها لكل متبر
تعود سراباً بعدما كان لامعاً

وأثارة يوم اقتحام الكبائر
وأنتم بهم ما بين راض وأمر
ويحكم بالقانون وسط الدساكر
ولذات عيش ناعم غير شاكر
تظنون أن لاقى مزيرو المقابر
على ناهج مثل النجوم الزواهر
وكنستم بدين الله أول كافر
به صارخاً فوق الذرى والمنابر
بهذا وما يحوي صحيح الدفاتر
إذا دار يوم الجمع سوء الدوائر
ضعيفاً مضاعاً بين تلك العساكر
حقيقتها نبذ الهدى والشعائر
لكل جهول في المهامة حائر

فإن شئت أن تحضي بكل فضيلة
وتدنو من الجبار جل جلاله
فهاجر إلى رب البرية طالباً
وجانب سبيل العادلين بربهم
وبادر إلى رفع الشكاية ضارعاً
وكابد إلى أن تبلغ النفس عذرها
ولا تيأسن من صنع ربك أنه
ألم تر أن الله يبدى بلطفه
وأن الديار الهامدات يمدها
فتصبح في رغدٍ من العيش ناعم

وتظهر في ثوب من المجد باهر
إلى غاية فوق العلى والمظاهر
رضاء وراغم بالهدى كل جائر
ذوي الشرك والتعطيل من كل غادر
إلى كاشف البلوى عليم السرائر
وترفع من ثوب من العفو ساتر
يجيب وأن الله أقرب ناصر
ويقف بعد العسر يسراً لصابر
بويل من الوسمي هام وماطر
وتهتز في ثوب من الحسن باهر

وله أيضاً قدس الله روحه ونور مرقدہ وضريحه قصيدة أخرى من هذا النمط أنشأها لما اشتدت الكربة، واستحكمت الغربة، وقل المعاون والمساعد، وكثر المخالف والمعاند، ودهمت فوادح معضلات الحوادث، وهجمت بكلاكلها الخطوب الأثاث، التي تشيب من أهوالها النواصي، وتعجز عن حملها الجبال الرواسي، ذلك لما دهم أهل الإيمان والإسلام وهتك قواعد الدين من أفعال أولئك الطغام بانتشار المشركين بين أظهر عباد الله المؤمنين، وظهور البغي والفساد، وتلاطم بحار الشر والأنكاد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فأول ذلك الفتنة التي وقعت بين المسلمين وأثل بها عرش الملة والدين، وانهدم بها سور الإسلام، وصار الأمر بأيدي البوادي الطغام، فتفجرت ذات البين وانكشفت العورة لأهل الكفر والمين، فعند ذلك فدحت المعضلات العظام وانهدمت أصول الدين والإسلام، وانطمست المعالم والإحكام، فقدمت العساكر إلى البلاد الإسلامية، وانكشفت شمس الرسالة المحمدية، وافتن كثير من جهلة الناس بفتوى من ينتسب إلى العلم من أهل الجهل والإفلاس بأن تلك العساكر التي هجمت على بلاد أهل الإسلام إنما جاءوا لنصرة ذلك الإمام، فأنشأ الشيخ المرسوم بالعرفان، عبداللطيف بن عبدالرحمن، هذه المنظومة التي نشأت من حرارة الجوى، خوفاً على الناس من سلوك مفاوز إلتوى، وأساء على من هلك بشبهة المشبهين وتمويهات الأئمة المضلين، ويذكر مآثر أهل الإسلام، الذين استجابوا لله ولرسوله بدعوة شيخ الإسلام، وعلم الهداة الأعلام، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وما كانوا عليه من المعتقد وحسن السيرة وخلوص الطوية والسريرة، ويجذر من طريقة أقوام، إنما نشؤوا في ظل عافية الإسلام، ولم يعرفوا ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان. والأصنام، والذرائع المفضية إلى الدخول في ولاية من حاد الله ورسوله وموالاتهم والرضا بأحكامهم وقوانينهم وقد حملت فيهم الأثقال، ورحلت الرواحل، واستفاء بظلمهم من أثر العاجل، وغمض الطرف عن الآجل، فكم هلك بسببهم من هلك، وانتظم في سلوكهم من شك في دينه وارتبك، فنعوذ بالله من الجور بعد الكور ولا حاجة إلى الإطالة فيما وقع من مفاسد العساكر العثمانية، فأصبحت عين الدين تسح أجفانها، وأصبح أهل التوحيد ما بين مأسور

ومقتول، ومقيد في الحديد مكبول، وما زال شيخنا يسكن الثوائر، ويقمع أهل الضلال بالنصوص الظواهر، وببذل الوسع بكتب الرسائل والنصائح، والتحذير من أسباب الندم والفضائح، حتى أبان الحق الذي بعث به خاتم النبيين، وأوضح حكم الإقامة بين أظهر الكافرين، من أنها لا تصدر والحالة هذه ممن يؤمن بيوم الدين، ويراقب مولاه رب العالمين.

والقصيدة المشار إليها هذا نصها وقد وجدت مسودة:

| | |
|--|----------------------------|
| دع عنك ذكر منازل ومغاني | وبدور أنس قد بدت وغوان |
| وجؤذرا في روضة يشدو بها | صوت النديم وشادن فتان |
| لا تصغ للعشاق سمعك إنما | منادمهم بين البرية عان |
| والعشق داء قاتل وداؤه | في السنة المثلى عن الأعيان |
| قطع الوسائل والذرائع والتي | بين الورى أحبولة الشيطان |
| واقرا كتاب الله إن رمت الهدى | أو رمت ترقى ذروة الإحسان |
| واعكف بقلبك في أرائك روضة | مملوءة بالعلم والإيمان |
| وانظر إلى تركيبه واعمل به | إن كنت ذا بصير بهذا الشأن |
| هذا ولا ينجيك طب في التي | ترجو بغير مشيئة الرحمن |
| واسأله في غسق الليالي والدجا | يا دائم المعروف والسلطان |
| وانظر إلى ما قاله علم الهدى | عند ازدحام عساكر الشيطان |
| أشكو إليك حوادثاً أنزلتها | فتركتني متواصل الأحزان |
| من لي سواك عند شدائدي | إن أنت لم تكلاً فمن يكلاني |
| لولا رجاؤك والذي عودتني | من حسن صنعك لاستطير جنان |
| واذكر مآثر أقوام قد انتدبوا ^(١) | يوماً لنصر الدين بالإحسان |

(١) هذين الصدرين من البسيط والقصيدة من الطويل، فيما أن يكون تحريفاً من الناسخ أو سهواً من الناظم.

من صالحى الإخوان أعلام الهدا
قامت بهم أعلام شرعة أحمد
وغد الزمان بذكرهم متبسماً
سارت بهم أنباء مجد في الورى
قد جددوا للدين أوضح منهج
حتى علا في عهدهم شأن الهدى
أما العقائد أن ترد تحقيقها
إن الإله مقدسٌ سبحانه
حقاً على عرش السما قد استوى
يعطي ويمنع من يشاء بحكمة
خضعت لعزة وجهه وجلاله
بل كل معبودٍ سواه فباطلٌ
(١) فاحذر توالي في حياتك غيره
واحذر طريقة أقوام قد افتتنوا
واقطع علائق حبها وطلابها
لهفي عليهم لهفةً من واله
قد صاده المقدور بين معاشر
واستبدلوا بعد الهدى طرق الهوى
واقطع علائق حبهم في ذاته
واهجر مجالس غيهم إذ قطعوا
لا سيما لما ارتضاهم جاهل
لما بدا جيش الضلالة هادماً
قومٌ سكارى لا يفيق نديمهم
قومٌ تراهم مهطعين لمجلس

من أطدوا التوحيد ذا الأركان
وعلت سيوف الحق والإيمان
ييدي سنا للطالب الولهان
يغشى سناها عابد الأوثان
ييدي ضيا للسالك الحيران
وانقض ركن الشرك في الأديان
عنهم بلا شك ولا كتمان
رب عظيم جلي عن حدثان
ويرى ويسمع فوق ست ثمان
في كل يوم ربنا ذو شأن
حقاً وجوه الخلق والأكوان
من دون عرشٍ للثرى التحتان
من كل معبودٍ ومن شيطان
في حب أدنى أو خسيس فان
إذ قطعوا فيها عرى الإيمان
متوجعاً من قلة الأعوان
في غفلةٍ عن نصرة الرحمن
لما عموا عن واضح البرهان
لا في هواك ونخوة الشيطان
فيها عرى التوحيد والإيمان
ذو قدرة في الناس مع سلطان
ربع الهدى وشرائع الإحسان
أبد الزمان يعود بالخسران
فيه الشقاء وكل كفر دان

بل فيه قانون النصارى حاكماً
 بل كل أحكام له قد عطلت
 ويرون أحكام النبي وصحبه
 ويرون قتل القائمين بدينه
 والفسق عندهم فأمر سائغ
 المنع في قانونهم وطريقهم
 فانظر إلى أنهار كفر فجرت
 بل لا يزال لجريها بين الورى
 والله لولا الله ناصر دينه
 فالله يجزي من سعى في سدها
 والله يعطي من يشاء بفضله
 وكذا يجاري من سعى في رفعها
 يا رب واحكم بيننا في عصبة
 فسلوا سيوف البغي من أغمادها
 واستبدلوا بعد الدراسة والهدى
 حرفوا نصوص الوحي عن أوضاعها
 فتحوا الذرائع والوسائل للتي
 وسعوا بها في كل مجلس جاهل
 وقضوا بأن السير نحو ديارهم
 لم يفقهوا معنى النصوص ولم يعوا
 ما وافق الحكم المحل ولا هو استوفى
 فادراً بها في نحرهم تلقى الهدى
 واقعد لهم في كل مقعد فرصة
 حتى يعود الحق أبلج واضحاً

من دون نص جاء في القرآن
 حتى النداء بين الورى بأذان
 في شرعه من جملة الهذيان
 في زعمهم من أفضل القربان
 يلهو به الأشيخ كالشبان
 غصب اللواط كذاك والنسوان
 قد صادمت لشريعة الرحمن
 من هالك متجاهل خوان
 لتقصمت فينا عرى الإيمان
 من أمة التوحيد والقرآن
 فوق الجنان عطية الرضوان
 ما قد أعد لصاحب الكفران
 شدوا ركائبهم إلى الشيطان
 وسعوا بها في ذلة وهوان
 بالقحح في صحب وفي أخون
 وسعوا بها في زمرة العميان
 يهوى هواها عاببدو الصلبان
 أو مشرك أو ألقف نصران
 في كل وقت جائز بأمان
 ما قال أهل العلم والعرفان
 الشروط فصار ذا بطلان
 وارجمهموا بثواقب الشهبان
 واكشف نوابغ جهلهم ببيان
 يبدو سنا للسالك الحيران

وقضوا بأن العهد باق للذي ولي الولاية شيعة الشيطان
تبأ لهم من معشرٍ قد أشربوا حب الخلاف ورشوة السلطان
وقضوا له بالجزم أن متابه قد هدماً أعلى من البنيان
وطلابه للأمـر والحرب الوفي فعلى طريق العفو الغفران

وفي هذه السنة جرت واقعة بين حاج أهل شقراء وبين ناصر بن عمر بن
قرملة ومن معه من قحطان، قتل فيها من أهل شقراء عبدالله بن عبيد.

وفيها جرت واقعة أيضاً بين أهل شقراء وبين أهل وثيثة.

وسبب ذلك أن أبناء محمد بن عبدالكريم البواردي، جاءوا بأمـتعة لهم من
شقراء يريدون بلد وثيثة، وكانوا إذ ذاك ساكتين فيها فلما أن وصلوا إلى بلد
صادفهم ركب من السهول خارجين من البلد، فأخذوهم خارج البلد فدخل الأبناء
المأخوذون بلد وثيثة، فوجدوا فيه رجلاً من الركب فأمسكوه وربطوه في المال الذي
أخذه أصحابه، فقام بعض أهل البلد يريدون إطلاقه وكثر النزاع في شأن هذا
الرجل فأهل البلد يحامون دونه وهؤلاء يريدون مؤاخذته بقبيلته، فسار أحد أبناء
البواردي إلى شقراء مستفزعين لأهلها، وجاء هذا بعدة رجال منها ليسيروا بالرجل
المذكور إلى شقراء إلى أن يأتي المال الذي أخذه أصحابه فمانع أهل البلد من ذلك
وأخذه بجرمة غيره، فحصل بين أهل شقراء وأهل وثيثة وقعة في وسط البلد، قتل
فيها من أهل وثيثة عبدالله بن الأمير سعد بن عبدالكريم بن زامل وعبدالله بن
عبدالعزیز بن عبدالله بن زامل، فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٢٩٠هـ

في هذه السنة ابتلى الله الناس بسعود بن فيصل للمرة الثانية، وعاد يريد
الرياض، ففي الحرم منها خروج سعود من بلد الدلم معه جنوده وسار يريد بلد
ضرماء، فدخلها وأخذ من أهلها أموالاً عظيمة، فقسمها على جنوده، ثم سار منها
إلى بلد حريملا، ولما وصل إليها خرج أهلها لقتاله فنشب القتال بينهم وبينه، فأوقع

بهم وهزمهم وقتل منهم ثلاثين، منهم ناصر بن حمد آل مبارك وابنه وسليمان السيارى من رؤساء أهل ضرما، وكان سليمان إذ ذاك في حريملا فحضر الواقعة.

ثم تحصن أهل البلد في حريملا، فأمر سعود جنوده بقطع نخيل حريملا، فقطعوا منها كثيراً، ثم إنهم صالحوه فارتحل عنهم وسار إلى الرياض متغلباً، ولما قرب منها خرج عليه أخوه عبدالله بن فيصل بأهل الرياض فحصل بينه وبينهم وقعة شديدة في الجزعة وجرى بين الفريقين قتال شديد وجلاد أكيد، وصارت الهزيمة على عبدالله بن فيصل وأهل الرياض، وقتل منهم عدة رجال، منهم مساعد بن سلمان الظفيري وأخوه فهد، ثم دخل أهل الرياض بلدهم.

وأما عبدالله بن فيصل فإنه فر متوجهاً إلى عربان قحطان، وهم على موضع المستوي فأقام عندهم أياماً قليلة ثم توجه إلى بلد الرس وأقام هناك أياماً، وكان معه أخوه محمد.

فلما أن وصل حاج عنيزة إلى الرس خرج محمد بن فيصل من الرس فتفاوض مع أهل عنيزة في إقامة الإمام عبدالله بن فيصل وأتباعه فيها، فاتفقوا على مراجعة أميرها زامل، فلما راجعوه لم يوافق على ذلك خوفاً عليه أن يقتل أو يصاب ببلدهم، ثم ارتحل الإمام عبدالله بن فيصل إلى الخبراء ثم إلى عربان عتيبة إلى جهة الكويت وأقام هناك على الصبيحية.

ولما أقبل سعود بن فيصل يؤم الرياض قد خلى له الجوّ خشي الإمام العالم الشيخ عبداللطيف من البادية الذين معه أن يحلوا بأهل الرياض مالا تحمد عقباه، فبعث كتاباً إلى سعود معجلاً في طلب الأمان لأهل الرياض، وكف البادية عنهم وبأشر بنفسه مدافعة الأعراب معه شرذمة قليلة من أهل البلد، فدخل سعود البلد وبأيعه أهل البلد على السمع والطاعة.

ثم كتب سعود إلى رؤساء البلدان يأمرهم بالقدوم عليه، وبأيعوه على السمع والطاعة، وأمرهم بالتجهز للجهاد، وتم لسعود مقصوده وجرت له هذه الفتوحات كلها وملك الرياض وبأيعه أهلها للمرة الثانية.

ولما أن كان في ربيع الثاني، خرج سعود من الرياض بجنوده واستنفر من حوله من العربان، وجمع غزو البلدان فاجتمع إليه خلائق كثيرة، فلما جمع هذه الجنود زحف بها لقتال مصلط بن ربيعان ومن معه من عتيبة، وكانوا على ماء طلال المعروف فصبحهم بتلك الجنود، فلما توافوا حصل بين الفريقين قتال شديد تقارعت له الأبطال، ثم إنها صارت الهزيمة على سعود وجنوده، فقتل منهم خلق كثير وجم غفير، وأخذ العتبان غالب سلاحهم وركابهم وفرشهم وأمتعتهم، وكان من أعيان القتلى سعود بن صنيان ومحمد بن أحمد السديري الأمير المشهور أمير بلدة الغاط إذ ذاك وأخوه عبدالعزيز وعلي بن إبراهيم بن سويد أمير بلد جلاجل، وقتل من أهل شقراء فهد بن سعد بن سدحان وسعد بن محمد بن عبدالكريم البواردي وصالح بن إبراهيم بن موسى بن فوازن بن عيسى وسليمان بن عبدالله بن خلف بن عيسى وعبدالعزيز بن أحمد بن منيع.

وفيهما قام السادة من أهل صنعاء على الإمام واستعانوا بالأتراك، فدعوههم إلى صنعاء، ففازوا هذه المرة ووطدوا في الجبال العالية حكمهم إلى حين، لأن أهل اليمن الذين يثرون على ساداتهم، والسادات الذين يتمردون على إمامهم لا يوالون الأجني طويلاً.

وفيهما تم عمل الكسوة الباطنة الداخلية الحمراء للكعبة المشرفة زادها الله تشريفاً وتكريماً، وكانت من الحرير الأحمر مكتوب فيها بالنسيج الأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله، الله جل جلاله ثم سبحان الله وبجمده، سبحان الله العظيم، يا حنان يا سلطان يا منان يا سبحان، فاستمرت هذه الكسوة من هذه السنة في آخر ولاية السلطان عبدالعزيز خان إلى نهاية ٦٣ سنة لم تغير حتى استحال لونها رمادي.

ذكر قيام عبدالرحمن بن فيصل يريد الملك لنفسه

وهذا أصغر أبناء فيصل

ففي هذه السنة قام عبدالرحمن هذا معه فهد بن صنيان وسار يريد الأحساء فجرى بينه وبين العساكر ما سنذكر بعدها إن شاء الله تعالى، فهذا سعود قد ذكرنا تغلبه وعبدالله بن فيصل يجمع أمره للقتال.

وفي هذه السنة قام عبدالرحمن فلا تسأل عما أصبح الناس فيه من الحن والابتلاء من تشتت شمل المسلمين وتجسم الحن بين العالمين، وقد جرت الحوادث الكوارث، والفتن المضلات الأثاث، من تفرق الإخوان في البلاد وحلول الأهوال وأنواع الأنكاد، أضف إلى ذلك ما نجم من أولئك الأعراب الذين عاثوا في البلاد وأكثرها فيها الفساد، وساموا أهل الإسلام سوء العذاب، وباءوا بالخزي والتباب، وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله قصيدة تتعلق في ذلك ويتأسف على ماضي زمانه وتشتت أصحابه وإخوانه:

| | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| الا ليت شعري هل لماضي زماننا | رجوع فترتاح النفوس وتأنس |
| فيحلو مريـر العيش بعد رجوعه | وتقضي ليانات هوتهن أنفس |
| عسى ينقضي هذا الزمان وينتهي | وتعفو علامات عليه وتدرس |
| وينجاب هذا الليل بعد ظلامه | ويبدو سنا صبح الهنا يتنفس |
| فلهني على العهد القديم الذي انقضى | فمن بعده فالحق يحى ويطمس |
| ويا ليت شعري هل يعود كما مضى | فما مثله مثل به يتأنس |
| أعلل نفسي بالرجا فأريحها | ويطرقها طيف الأسى فتنكس |
| أقلب طرفي بين صحبي فلا أرى | سوى من بأكبال الأساء مكوكس |
| غريب بعيد الدار تعرفوه ذلة | إذا ما رأى المكروه يغضي ويخرس |
| فقد عيل صبري عن مقاسات حادث | من الهم ما خلق لذاك منفس |
| عسى فرج يأتي به الله عاجلاً | فيهدم ما يبني الأسى ويؤسس |

عسى وعسى أن لا يدوم لنا الأسى فقد طالما هذا الأسى يتنكس
فصبراً فما الأحداث إلا كما ترى وفي الزمن الماضي أساء مؤنس
فقد غرت الأحداث من كان قبلنا وما مرهم منها أمر وأشكس
فلسنا بحمد الله بدعا من الورى وللصبر للمقدور أعلى وأنفس
فعاقبة الصبر الجميل حميدة ومن يخطه الصبر الجميل فمفلس
فتق واعتصم بالله ربك وليكن رجاءوك في مولاك ما منه مأس
فما خاب من في الله كان رجاءه وملجأه في الحادثات ومؤنس
وأزكـا صلاة الله ما هبت الصبا وما لاح نجم بعد أن كان يكنس
على المصطفى والآل ما فاض بارق وما أظلم الديجور حين يعسـس

ثم دخلت ١٢٩١هـ

ففيها قتل عبدالله الغانم في سباخ بريدة وسبب قتله أنه من جملة القتالين
لعبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان أمير بريدة سابقاً، فقام عبدالمحسن بن مدلج وابناه
عبدالله ومدلج مدعى أنهم أقرب عاصب له، وكانوا أيضاً من آل أبي عليان من
عشيرته فقاموا على عبدالله الغانم وقتلوه بالفؤوس والعياذ بالله حتى سمع له رغاء
كرغاء البعير.

وفيهما حدث في عنيزة وجع يصيب الرؤوس، وتوفى منه عدد كثير، ومن أعيان
من توفى فيه الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع رحمة الله عليه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم العلامة الفاضل محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع
بن إبراهيم بن حمدان بن محمد بن مانع بن شبرمة الوهبي التميمي، وكانت وفاته في
ليلة الأحد الموافق تاسع جمادى الآخرة في بلد عنيزة، ولد في شقراء سنة ١٢١٠هـ،
فنشأ على الديانة والعفاف والزكاء نشأة حسنة وحفظ القرآن في صغره وطلب
العلم وجدّ ونافس، وأخذ عن الشيخ الإمام الورع الزاهد عبدالعزيز بن عبدالله
الحصين الناصري التميمي، ولما انتقل الشيخ العالم عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين

العائذي من روضة سدير إلى بلد شقراء لازمه المترجم وأخذ عنه وتزوج ابنته، وكان لا يفارقه إلا وقت النوم، فانتفع به وقرأ عليه في التفسير والحديث والفقه وأصوله وأصول الدين وفي النحو حتى ظهر مظهراً حسناً، وناهيك برجل شيخه أبي بطين علماً وورعاً وذكاءً.

ولما تولى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن قضاء عينة وارثاً إليها بأهله وأولاده، ذهب معه المترجم المذكور بأهله وأولاده، فنزل في عينة وأحب أهله وأكرمهم واحترمهم وقدرهم تقديراً لم يعهد مثله ذلك لما قام به من حسن الأخلاق ومعاني الشيم وتحميه الخاص والعام، وكان الشيخ محمد ذكياً فاضلاً أديباً مكرماً لطلاب العلم وموقراً للغرباء الطالبين، وأخذ عنه جماعة من الفضلاء.

ومن أنجاله عبدالعزيز وحفيد المترجم هو الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف السعودية سابقاً، وكان المترجم حسن الحظ كثير التصحيح والتحرير والضبط والتهميش، وغالب كتبه عليها رموزه وتقريراته وضبطه، وما زال على الاستقامة إلى أن توفاه الله في هذه السنة.

وقد رثاه تلميذه الذكي الفاضل النجيب، والشاب الأديب صالح بن عبدالله ابن بسام بهذه المراثية:

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| أيا قلب دع تذكّار سعدي فما يجدي | وأيام أنس سالفات بذى الرند |
| فليس بذى الدنيا مقام ترومه | ولكنها كالحلم تمضي على العبد |
| ولما شجاني أن قضى حتف أنفه | محمد الحمود في العلم والزهد |
| عنيت به الخير الجليل ابن مانع | ومن هو في دنياه عاش على الحمد |
| سقى الله قبراً قد حواه ثرى له | سحائب فضلٍ فاضح البرق والرعد |
| لقد كان مجراً للعلوم وعارفاً | وفي علمه يهدي إلى منهج الرشده |
| وقد كان في أمر العبادة يحتذي | مسالك للأسلاف كانوا على قصد |
| وقد كان لي شيخاً نصوحاً بعلمه | محباً لفعل الخير يهدي ويستهدي |

ولازمته منذ سنين عديدة
فيا عين لا تبقي دموعاً ذخيرةً
ويا قلب لا تبقي قليلاً من الأسى
وأشد ما يبيري من الصدق والوفا
ولست بناسٍ ما حييت لصاحبٍ
سابكيه ما جاء الحديث بذكره
جزاه إله العالمين برحمةٍ
فجئت بنظم للوفاة مؤرخ

فلم أره إلا على سالف العهد
فما بعده أرجو شبيهاً له عندي
على عالم قد حل في غامق اللحد
مقالاً صحيحاً صادقاً فيه من جد
صفوح عن الزلات خالٍ من الحقد
بكاء محبٍ للحبيب على فقد
ينال بها المطلوب في جنة الخلد
مقيم بدار الحمد في منتهى القصد

وفيهما أمر سعود بن فيصل على أهل البلدان أن يتجهزوا للجهاد ويقدموا عليه في الرياض، فلما حضرو عنده توجه بهم إلى بلد القويعة ونزل هناك وأقام عدة أيام، ثم ارتحل عنها، وتوجه إلى الرياض وأذن لمن معه بالرجوع إلى أوطانهم، ولما رجع أهل النواحي منه كل يريد وطنه وقع في بلد أشيقر فتنة بين آل نشوان من المشاركة من الوهبة وبين الحصانا والخرasha من آل بسام بن منيف من الوهبة.

وسبب ذلك أن أمير بلد أشيقر محمد بن إبراهيم بن نشوان لما أمر سعود بن فيصل بهذا الجهاد، جهز غزو أهل أشيقر وأمر عليهم بن عمه محمد بن علي بن نشوان، ثم سافر الأمير إلى بلد بريدة ليقضي بعض حاجاته، ولما قدم الغزاة على سعود بلغ الخراشاء والحصانا أن محمد بن علي بن نشوان قد تكلم في حقهم لدى سعود، فلما رجع بالغزو خرج إليه عبدالرحمن بن إبراهيم الخراشي وأخوه عبدالله وعلي بن عثمان الحصيني وابن أخيه عبدالعزيز بن إبراهيم الحصيني، فأمسكوا محمد ابن علي بن نشوان خارج البلد وضربوه ضرباً شديداً، فرجع إلى بلد الفرعة وأقام عند أصهار له فيها.

ولما بلغ الخبر عثمان بن عبدالله بن إبراهيم بن نشوان، وكان إذ ذاك في الجعريفة، سار إلى بلد الحريق وطلب منها النصرة لأن آل نشوان وأهل الحريق

كلهم عشيرة من المشارفة من الوهبة من تميم، فسار معه عدة رجال منهم يريدون أن يشفوا غليله، فدخلوا بلد أشيقر آخر الليل ورصدوا على باب عبدالرحمن لصلاة الفجر، ألقوا القبض عليه وضربوه ضرباً شديداً، وأمسكوا علي بن عثمان وضربوه وجرحوه جراحاً شديداً، فثار عليهم أهل البلد مع آل بسام وحصل بينهم وبين أهل الحريق قتال، فانهزم أهل الحريق إلى بلدهم وقتل منهم عثمان بن عبدالله بن مقحم.

ذكر شيء من أذكار عبدالرحمن بن فيصل،

قد قدمنا فيما مضى والتاريخ يعيد نفسه إن عبدالرحمن هذا سار إلى بلد الأحساء وذلك بأنه لما مرج الملك بين آل سعود وكثر الهرج وأصبح كل ابن من أبناء فيصل لا يخضع للآخر ما خلا محمداً ، فإنه لا يزال مقيماً على الولاء لأخيه عبدالله.

ولما كان في شهر رمضان من هذه السنة، قدم عبدالرحمن بن فيصل من بغداد إلى الأحساء يصحبه فهد بن صنيطان، فلما قدم عبدالرحمن قام معه أهل الأحساء وأخذوا يبرمون الحيلة في تدمير العساكر التركية، فقاموا على العسكر الذين عند أبواب الهفوف فقتلوهم، ثم حصروا العساكر الذي في خزام القصر المعروف خارج البلد، ونصبوا عليه السلام وأخذوه عنوةً وقتلوا جميع من فيه من العسكر، وتحصن أهل الكوت فيه هم ومن عندهم من عسكر الترك الذين في كوت إبراهيم، وفي كوت الحصار فحاصروهم عبدالرحمن بن فيصل ومن معه من أهل الأحساء والعجمان وآل مرة، واشتد الحصار عليهم وكاد أن يظفر ببغيته لولا نجدة جاء بها ابن سعدون من العراق فكسرت العجمان وشتت شملهم، وذلك لأن العساكر أرسلوا إلى والي البصرة وباشا بغداد يطلبون النصرة، فأمر باشا بغداد على ناصر بن راشد بن ثامر بن سعدون رئيس المنتفق أن يسير إلى الأحساء، وعقد له على إمارة الأحساء والقطيف وجهاز معه عساكر كثيرة من بغداد، واستنفر ناصر بن

راشد رعاياه من المتفق وغيرهم من بادية العراق، فاجتمع عليه جنود عظيمة، فسار بهم إلى الأحساء، فلما قرب من بلد الهفوف خرج إليهم عبدالرحمن بن فيصل ومن معه من العجمان وآل مرة وأهل الأحساء، ووقع بين الفريقين قتال شديد، فانكسر لذلك أهل الأحساء وانهزموا إلى بلادهم وتتابعت الهزيمة على العجمان ومن معهم من العربان، وعاد عبدالرحمن بن فيصل إلى بلد الرياض معه فهد بن صنيتان، وهرب رؤساء الأحساء إلى البحرين.

ثم دخل ناصر بن راشد بلدة الهفوف بمن معه من الجنود ونهبوها وأباحوها ثلاثة أيام، وخرج عسكر الترك الذين في الكوت، فصاروا مع تلك الجنود فعاثوا في البلد نهباً وقتلاً وفساداً، حتى قتلوا كل من ظفروا به من أهل السنة من ساكني الأحساء ومن كان فيه من أهل نجد، ولم يتعرضوا للرافضة، فقتل خلائق كثيرة ونهبت أموال عظيمة لا يحصيها إلا الله تعالى، وكان أكثر من باشر القتل عسكر الترك طلباً لثأر من قتل منهم، وكان من أعيان الذين قتلوا في هذه الفتنة الشيخ عبدالعزيز بن نعيم.

أما الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الوهبي فإنه ضرب ضرباً شديداً وأخرجوه من الكوت، وكان ساكناً فيه قبل ذلك، وقتل محمد بن عبدالرحمن بن عامر وعمه أحمد ورشيد بن عبدالعزيز الباهلي ومحمد بن حسين الباهلي، وجرى في هذه الأيام محن عظيمة وخطوب جسيمة تشيب لها النواصي، وتعجز عن حملها الجبال الرواسي، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي آخر هذه السنة بل في شهر ذي القعدة خرج سعود بن فيصل من بلد الرياض غازياً فلما وصل صوار الموضع المعروف في أسفل بلد البير من بلدان المحمل مرض فرجعوا به إلى الرياض فوافاه أخوه عبدالرحمن لما رجع من الأحساء مريضاً في قصره، فلبث سعود أياماً قليلة وتوفى في ثامن عشر الحجة من هذه السنة فآله المستعان.

وهذه ترجمته رحمة الله عليه:

هو العاهل المقدام والأسد الضرغام وسلالة الأجداد والكرام سعود بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود آل مقرن، كان شجاعاً ومشهوراً بالجرأة والإقدام، قد ظهرت فيه علامات السيادة وهو قد التف في مهاده، وكان له كرم عظيم وبذل وعطايا كثيرة حتى اشتهر جوده واعتلى صيته، وقد ساعده التقدير، مع ماله من الهمة العلياء والأمر الخطير، والقدر السامي والشأن الكبير، فلما رآه والده أهلاً للرئاسة استعمله أميراً في ناحية الخرج وكان مقروناً به الظفر، وله سبق في الفضل، غير أنه قام ينازع أخاه الإمام عبدالله الملك، فحصل بسبب ذلك محن على أهل الإسلام وفتن كبيرة على الآنام، وهذا يعد من سيئاته والله يغفر له، فأنجج خلافه ومنازعته فتناً مظلمة وحوادث مدلهمة، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ولولا ما يسره الله من قيام الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وسعيه في تسكين بعض الحوادث الثائرة بحسب جهده وطاقته، مع أنه لا يستطيع وليس في إمكانه قطع مواد الشر من أصله لعدم سلطانه وقلة معاضديه وأعوانه، لكان الأمر أدهى مما وقع وأجسم مما حصل، ولكنه ما زال يدأب في قمع الفساد وييث نصائحه في العباد حتى رمم بعض ما تفتق، وهذه الدنيا جعل الله صاحبها يعيش في كيد ويفشوا بين أهلها النكد والحسد، أضف إلى ذلك ما إذا كان للإنسان أعوان لا يساعدونه على فعل الخير مع ما بلى به العبد من الهوى والنفس والإمارة بالسوء، وتسويل الشيطان وغرور الدنيا، كما جرى ذلك في القرون السالفة والله ولي التوفيق.

ولما توفى قام بالأمر من بعده أخوه الإمام عبدالرحمن بن فيصل وكان عبدالله بن فيصل إذ ذاك هو وأخوه محمد بن فيصل مع بادية عتبية.

ثم دخلت سنة ١٢٩٢هـ

ففيها أمر عبدالله بن فيصل على أخيه محمد بن فيصل أن يسير إلى شقراء ، وكتب معه بكتاب إلى رؤساء أهلها، وكتب أخرى على رؤساء بلد الوشم يأمرهم

أن يجهزوا غزوهم معه، فسار محمد إليها ومعه عدة رجال من الخدم وعتيبة وأقام في شقراء مدة أيام، ثم سار منها يغزو واستجابوا له وأطاعوا من أهل الوشم، فتوجه إلى ثرمدا، وكان أخوه الإمام عبدالرحمن بن فيصل لما جاءه الخبر بوصوله إلى بلد شقراء قد خرج من الرياض ومعه جنود كثيرة من أهل الرياض والخرج والجنوب والعجمان ومعه الدويش ومن معه من مطير وسبيع، ومن ضمن اتباعه أولاد أخيه سعود بن فيصل، فزحف بهذه الجنود وتوجه إلى الوشم فالتقى بمحمد بن فيصل ومن معه في ثرمدا فحصرهم الإمام وحصل بينه وبين أهل ثرمدا ومحمد بن فيصل قتال شديد، قتل فيه من أهل ثرمدا ثمانية رجال ومن العجمان خمسة، ثم إنهم تصالحوا على أن محمد بن فيصل يخرج إليهم ويدفعون إليه ركائب أصحابه وسلاحهم، فلما خرج محمد قبضوا عليه وهرب من معه من الجنود، ثم إن الإمام عبدالرحمن وأبناء أخيه ومن معهم من الجنود حاصروا شقراء فأعياهم أمرها فارتحلوا عنها وفر الأمير محمد بن فيصل إلى الرياض فدخلها ومن معه، ثم أن عبدالله بن فيصل حاول الرجوع إلى الرياض لكنه هاب أخاه عبدالرحمن لما معه من كثرة الجنود.

ولما سار الإمام عبدالرحمن بجنوده توجهوا إلى الدوادمي، ولما أن وصلوا إليه وإذا مصلط بن ربيعان ومحمد بن هندي بن حميد وهذال بن فهيد الشيباني ومن معهم من قبائل عتيبة قد أقبلوا يريدون النزول على بلد الدوادمي، فوقع بين الفريقين قتال شديد وكانت الغلبة لعتيبة، فرجع الإمام عبدالرحمن بن فيصل إلى الرياض.

ثم إنها وقعت الشحنة بين آل مقرن كل يرى أنه أولى بالولاية وله الأولوية، فأصبح المسلمون يتوقعون كل يوم فتنة، وإنما قدموا عبدالرحمن بعد وفاة أخيه سعود خوفاً من عتاة الأعراب والغزاة الذين قدموا إلى الرياض، وقد حدثتهم أنفسهم بنهبها، فبايعوا الإمام عبدالرحمن لغيبة أخيه عبدالله، وتعذر مكاتبته، ومن ذكره إذ ذاك يخشى على نفسه وماله.

فراى الشيخ عبداللطيف بثاقب رأيه أن يحاوله على ترك الإمامة لأخيه عبدالله لكبر سنه ولما له من الأولوية في الإمامة، وجعل يكرر عليه ويشير فكان من تنازل عبدالرحمن عنها لأخيه ما سنذكره إن شاء الله تعالى في السنة التي بعدها.

ذكر قتل مهنا الصالح أمير بريدة رحمه الله تعالى

قد قدمنا أن مدينة بريدة كانت قبل ذلك ماء لآل هذال من شيوخ عنزة، فاشتراها منهم راشد العنقري التميمي من آل عليان، ثم عمرها وسكنها ومن معه من عشيرته، وكان آل أبي عليان من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم خرجوا من بلد ثرمدا في الحروب التي وقعت بين العناقر في ثرمدا وفي بلد مرات لطلب الرئاسة، وسكنوا ضرية ورئيسهم راشد المذكور، وهو جد حمود بن عبدالله بن راشد الذي فتك في عشيرته آل أبي عليان، وقتل منهم ثمانية رجال في مسجد بريدة سنة ١١٥٥هـ، ولحمود هذا ابن يسمى راشد، ولم تزل الرئاسة لهم في بريدة لأنهم الذين أسسوها وهم أصحاب الحق الشرعي فيها إلى أن غلبهم عليها مهنا الصالح وأجلى رؤساءهم منها إلى عنيزة، فجعلوا يدسون الدسائس لآل مهنا ويستنجدون بهذا وبذاك عليهم، فأفضى الأمر إلى قتل مهنا في هذه السنة.

ولما كان مهنا قد استمال أعيان أهل بريدة وكثر أنصاره، أضف إلى ذلك أنه صاحب ثروة وغنى وقد أجلى عن البلد كل من يخافه ويخشى شره من آل أبي عليان، لم يستطيعوا قتله إلا غيلةً، فاتفق اثنا عشر رجلاً من آل عليان وساروا على خفية من عنيزة حتى دخلوا بلد بريدة آخر ليلة الجمعة ١٩ محرم، فدخلوا في بيت على طريقه إلى المسجد الجامع يريدون قتله إذا ذهب لصلاة الجمعة، فلما مر من عندهم قتلوه تحت منارة جامع بريدة، ثم ذهبوا مسرعين إلى قصر مهنا الجديد المعروف فيها، فدخلوه وتحصنوا فيه، فقام عشيرته مستفزعين أهالي بريدة ووفق أنه لم يكن في البلد سوى ابنه عبدالله، وذلك لأن محمداً وصالحاً قد بعثهما بغزو لقتال أهل الرس لمنافرة كانت بينه وبين أهل الرس، وقد وصلا إلى الشقة، كما أن ابنه حسناً إذ ذاك عند الرعاة، فقام عبدالله معه أهالي بريدة وشيعتهم وحصروا آل أبي

عليان في القصر، ثم كتبوا إلى محمد وصالح يأمرونهم بالقدوم في الحال، فقدموا وجنودهم وحصل بينهم وبين أهل القصر قتال، وكان آل أبي عليان قد أرسلوا إلى زامل وأهل عنيزة يريدون النصره منهم فامتنعوا.

ولما ثار الحرب بين الفريقين كان أول من باشر القتال علي بن محمد الصالح أبا الخيل ومعه رجل يدعى السولة، فجعل علي بن محمد يتهدد ويتوعد ويقول والله لئقتلكم قتلة ما قتل بها أحد، فأجابه آل عليان وأنذروه أن ينجو بنفسه لئلا يلحقوه به، فلم ينته فضربوه برصاصة قضت عليه، وكان قد جاء ومن معه بأبواب تقيهم السهام ثم ضربوا حسن بن عودة آل أبي الخيل برصاصة فوقع ميتاً ثم قام أهل بريدة وآل مهنا فحفروا لغماً من تحت الأرض إلى أن وصلوا المقصورة التي فيها آل أبي عليان فحشوه باروداً وثوروه، فثار وسقطت المقصورة بمن فيها، فهلك بعضهم تحت الهدم وأمسكوا بقيتهم فقتلوهم، ولم ينج غير إبراهيم بن عبدالله بن غانم وزيد الحائك لأنه الذي ذهب إلى أهل عنيزة، وكان من أعيان المقتولين صالح بن عبدالعزيز آل محمد، وابن أخيه عمر بن تركي بن عبدالعزيز آل محمد، وابن أخيه الثاني إبراهيم بن علي بن عبدالعزيز آل محمد، وعبدالله بن حسن آل عبدالمحسن آل محمد.

ثم تولى إمارة بريدة حسن بن مهنا لما وصل بعد الحادثة إليها.

وهذه ترجمة مهنا:

هو الأمير الخطير والبطل الشهير أبا الخيل مهنا الصالح الحسن آل أبي الخيل من عنزة أمير الإمام فيصل على بريدة.

وكان رسول أهل القصيم إلى الإمام فيصل بن تركي لما خرجوا عن طاعته وطلبوا الصلح، فلما قدم رسولاً من أهل القصيم انتظم على يده الصلح، وما زال يتوعد إلى الإمام حتى كتب معه أنهم يدفعون الزكاة ويركبون معه غزاة ويدخلون في السمع والطاعة والجماعة، فرجع مهنا إليهم بذلك وكان شجاعاً مقداماً وتاجراً كبيراً من كبار التجار، ولما أراد الإمارة أشار عليه أحبابه وذوو

الرأي أن لا يتأمر لعلمهم أن سيحدث نزاع بينه وبين آل أبي عليان، بل يكون من زعماء البلد فإنه أرفع لشأنه وأحسن لمستقبله لأن الرأس مستهدف للآفات، فلم يصغ وصمم على مراده.

فأما شجاعته فكانت الأمة تضرب الأمثال بإتباعه للخيال إذا ركبها فإذا ما استهزلوا دابة قالوا هذه قد ركبها مهنا، وله معاملة في التجارة للفلاحين فكان يقول لو كي له لا تعامل من يكون أقوى منا، فقال له الوكيل مرة ومن أقوى من الأمير، فأجاب قائلاً أقوى منه الفقير إذا ادعى العسرة فإنه يجب أنظاره، وكان يعطي أهل الشرق عشرهم اثني عشر ويعطي أهل الغرب عشرهم أحد عشر فاشتكى إليه الشرقيون قائلين ما بالنا نغلب في المعاملة، فهل يساوي بيننا، فقال لا يستوي من إذا دخل المدينة فالشمس في وجهه وإذا خرج فكذلك في وجهه يشير إلى أن الفلاح يدخل من أول النهار ويخرج من آخره ويلقي الغريبون معاناة الشمس عكس الشرقيين، فإنها إذا لوحت وجوههم تنقمع أبصارهم وتسود ألوانهم.

ولما مات خلف من البنين أربعة مشهورين، وهؤلاء الأمير حسن ومحمد وصالح وعبدالله.

وفيها قتل فهد بن صنيان، وصنيتان لقب على عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله ابن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن.

وكان قتله يوم الجمعة في جامع الرياض، قتله محمد بن سعود بن فيصل رحمه الله تعالى، وكان لما أهوى عليه محمد بالسيف اتقاها بعمود من عمد المسجد فجعل يدور عليه حتى قتله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ولما قتل فهد هذا وخرج ابن جلوي من البلد، قام الشيخ عبداللطيف مقدماً على محاولة الإمام عبدالله في تركه الولاية لأخيه، وأشار عليه وكرر طلبه في ذلك وألح عليه فأجاب إلى ذلك حقناً لدماء المسلمين، هذا وأولاد أخيه سعود معه، فلما علموا بذلك انقلبوا على عبدالرحمن ووقع الصلح على أن عبدالرحمن بن فيصل قد

تنازل عنها لأخيه عبدالله ذلك لأنه الأكبر وأقدم في الولاية، وقد ندم على ما سلف منه من جر العساكر إلى نجد.

ولما تنازل عبدالرحمن وحصلت بينه وبين أبناء أخيه سعود منافرة، خرج من الرياض وقدم على أخيه عبدالله بن فيصل وهو إذ ذاك في بادية عتيبة، فلما قدم عليه أكرمه إكراماً عظيماً وقدره تقديراً بالغاً، وأخذ عبدالله في جمع الجنود من البادية والحاضرة وجمع جمعاً ثم توجه بها إلى قتال أبناء أخيه في الرياض الثائرين، وكانوا قد انسحبوا من الرياض إلى الخرج وأقاموا فيها.

ولما نزل الإمام عبدالله بساحة أهل الرياض أمر الشيخ عبداللطيف على محمد ابن فيصل أن يظهر إلى أخيه فيأتي بأمان لأهل البلد وسعى الشيخ في فتح الباب لعبدالله واجتهد، ثم إنه خرج الشيخ للسلام عليه وتلقيه.

وإذا أهل الفرع وجهلة البوادي ومن معهم من المنافقين يستأذنه في نهب النخيل والأموال، ووجد معه بعض التغير والعبوس فكلمه الشيخ فأظهر له الكرامة ولين الجانب، ومن عامل الله فما فقد شيئاً، ومن ضيع الله ما وجد شيئاً وزال عنه بعض ما يحده من الانقباض، وزعم أن الناس قالوا ونقلوا وبئس مطية الرجل زعموا، ثم أظهر التوبة والاستغفار والندم بين يدي الشيخ الإمام والجهبذ الهمام، وبايعه الشيخ على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتتابع الناس في البيعة.

ثم دخل عبدالله بن فيصل بلد الرياض واستقر فيها، ثم قدم عليه رؤساء البلدان وبايعوه على السمع والطاعة، وكان جديراً أن يقال صفى الجو لعبدالله بن فيصل فاصبح أخواه محمد وعبدالرحمن مطيعين له منقادين، وهلك سعود الذي كان لا يدعه يستريح، ولكن ماذا يصنع بأبناء سعود الذين ظلوا في الحياض عاصين متمردين يحرضون القبائل عليه، وهناك أيضاً غيوم أخرى أخذت تتلبد في الأفق الشمالي لها رعود وبروق.

وفيها قام أمير بريدة حسن بن مهنا فقبض على عبدالمحسن بن مدلج وابنيه

عبدالله ومدلج من آل أبي عليان وحبسهم، وكان قد نمي إليه بأنهم يكاتبون من بقي من عشيرتهم في عنيزة بعد توليه، يحسنون له السطوة على بريدة، فلما أودعهم السجن ولبثوا فيه هربوا منه ذات ليلة، فانتبه لفرارهم الأمير حسن وبعث في طلبهم برجال من المهنا فأدركوهم وألقوا القبض على عبدالمحسن وابنه عبدالله فقتلا، وفاتهم مدلج بن عبدالمحسن فلم يتمكنوا منه، بل فرّ إلى عنيزة.

وفيه أيضاً قام عثمان بن عبدالله بن نشوان على عبدالرحمن بن إبراهيم الخراشي في بلدة أشيقر فرماه بمسدس فوقعت الرصاصة في رأس عبدالرحمن وسقط على الأرض فظن عثمان أنه قضى عليه، فذهب عنه، فأتى عشيرة المقتول إليه ووجدوا به رمقاً فحملوه إلى مكان وأخفوه إلى الليل، فبلغ الخبر عثمان المذكور، فأخذ يفتش عليه سائر يومه ذلك ليجهز عليه فلم يجده، ولما كان من الليل جاء إليه عشيرته البسام وكانوا قد اختفوا في النهار خوفاً على أنفسهم من آل نشوان، فحملوه إلى بلد شقراء وجارحوه وأخرجوا الرصاصة من رأسه فشفاه الله تعالى.

ولما كان بعد ذلك بأيام، سطى آل بسام على آل نشوان في أشيقر وأخرجوهم منه إلى بلد الحريق بغير قتال، ثم قام آل نشوان في رجب من هذه السنة فسطوا في أشيقر ومعهم سبعون رجلاً من أهل الحريق كبيرهم الأمير محمد بن إبراهيم بن نشوان، فدخلوا في داره المعروفة في جانب البلد، فعندما حصرهم آل بسام في الدار حتى أشرفوا على الهلاك، فلما دخل الناس في صلاة المغرب هربوا إلى بلد الحريق بعد جهد شديد، وقتل منهم عثمان بن إبراهيم الطويل ومحمد بن عبدالعزيز بن حسن بن نشوان، ثم بعد ذلك قامت الشرور بين آل نشوان المذكورين وبينهم وشمרת الحرب عن ساق.

وفيهما كتب آل مهنا إلى الإمام عبدالله يشكون آل أبي عليان، فلم يسمع شكايتهما بل انحاز إلى آل أبي عليان يريد مناصرتهم، فلما لم يسمع من آل مهنا شكاية ولم يروا منه مساعدة بل انحاز إلى نصرة عدوهم، قطعوا العلائق منه وذهبوا يستنجدون الأمير محمد بن رشيد، والتجئوا إليه فلماهم بن رشيد ليضعف جانب

آل سعود، فإذا حصل له ذلك فإن آل مهنا ليسوا بذوي أهمية، وما كان محمد بن عبدالله ليناصرهم لحظ أنفسهم إنما ذلك منه لأمر يريده، وكان ميل الإمام عبدالله ابن فيصل إلى نصرة آل أبي عليان أضرم حقداً عظيماً في قلوب آل مهنا على عبدالله بن فيصل وإخوانه، وصار هذا الحقد كامناً في نفوسهم كالنار في الزناد. وفيها توفي والي الحجاز محمد رشدي باشا ومن مناقبه أنه كان له مكتبة أوقفها وجعل فيها كتباً وموضعها عن يمين الخارج من باب أم هانيء من أبواب المسجد الحرام رحمة الله على أموات المسلمين.

ثم دخلت سنة ١٢٩٣هـ

في هذه السنة قدم على الإمام عبدالله بن فيصل آل أبي عليان رؤساء بلد بريدة في الماضي، وهؤلاء عبدالله بن عبدالمحسن آل محمد ومحمد بن عبدالله بن عرفج وحمد بن غانم، وإبراهيم بن عبدالمحسن بن مدلج آل عليان، وكان قدومهم من عنيزة، لأن مهنا قد أجلوهم عن بريدة؛ وكان معهم كتاب من زامل بن عبدالله آل سليم أمير عنيزة يطلب من الإمام القدوم عليه في عنيزة ويعدده القيام معه ومساعدته على استيلائه على بريدة وطلب عبدالله بن عبدالمحسن آل محمد المذكور ومن معه من عشيرته القيام معهم والمساعدة في أخذ بريدة من أيدي آل أبي الخليل، وذكروا للإمام أن لهم عشيرة في البلد وأنهم إذا وصلوا إلى البلد ثاروا فيها وقاموا معهم وفتحوا الباب.

فسار معهم الإمام عبدالله الفيصل بجنوده من المسلمين بادية وحاضرة وقدم بلد عنيزة، ولما أن قدمها كان حسن بن مهنا لما بلغه مسيرهم قد كتب إلى محمد بن رشيد أمير الجبل يستحثه في المناصرة فخرج بن رشيد من حائل بجنوده واستنفر من حوله من بادية حرب وشمر وهيثم وبني عبدالله نزح بهم متوجهاً إلى بلد بريدة، فنزل عليها بمن معه من الجنود وكان ابن رشيد قد أرسل إلى أهل عنيزة يلتمس منهم أن لا يساعدوا عبدالله بن فيصل فلم يرجع منهم الرسول بجواب ثم إنه حصل الاتفاق على أن ابن رشيد يرجع إلى الجبل وأن الإمام عبدالله بن فيصل يرجع إلى الرياض وتبقى الأمور على ما هي عليه، وهذا يعتبر أول مسير حصل

بين ابن سعود وابن رشيد، فأما عبدالله بن فيصل فإنه يرجع إلى الرياض، وأما ابن رشيد فإنه أقام على بريدة مدة أيام ثم رجع إلى الجبل.

وفيها توفي الشيخ الإمام عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمة الله عليه، وسبب علته لما سطى محمد بن سعود على فهد بن صنيان تلك السطوة بمسجد الجامع وهو قريبه من ذوي رحمه فلم يرع حق القرابة ولا حق المسجد. وتلك القتلثة أثرت صدعاً في قلب الشيخ حتى توفي رحمه الله.

وهذه ترجمة الشيخ الإمام النبيل، والعالم العلامة الجليل، الألعلي الماهر الهمام، والخبر السמידع المقدام، البحر الزاخر، والعلم الظاهر، ذو الأخلاق الزكية، والمناقب الجليلة، شيخ الإسلام، وقدوة العلماء الأعلام، عبداللطيف بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، أسكنه الله فسيح جنته وصب عليه في لحده شاييب رحمته، فله دره من إمام تحلى بذكره المجالس ويحذى بمناقبه على ممر الهواجس، كساه الله ثوباً من البهاء والإجلال ما كان يملأ ذكر المسامع ويقنع الباحث والمراجع:

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ويا من على العرش استوى فهو بائن | فيا حي يا قيوم يا من له الثنا |
| فإن الفتى يميز بما هو دائن | أنله الرضا والعفو فضلاً ورحمة |
| وإعلائه حتى عللاً يداهن | وقد بذل المجهود في نصرة الهدى |
| لكي يستبين الرشيد من هو مائن | وأبدي كنوزاً في العبادة للورى |
| لواردها للصادي وما هو شائن | أماط القذى عنها وصفى معينها |
| يزيل الصدى والحق كالشمس بائن | قرد منهالاً عذباً زلاًلاً فإنه |

كان عبداللطيف معظماً محترماً تهابه الملوك وسائر الرعية، ولما حمل إلى مصر مع من نقل إليها على أثر نكبة نجد، أخذ عن علماء من أهل مصر فمنهم الشيخ العلامة مفتي الجزائر محمد بن محمود الجزائري الحنفي، وأخذ أيضاً عن الشيخ إبراهيم البيجوري شيخ الجامع الأزهر، وأخذ عن الشيخ مصطفى الأزهري، والشيخ أحمد الصعيدي وغيرهم.

ونقل عنه أن بعض الأزهرين قال له: مسيلمة الكذاب من خبر نَجِدْكُمْ، فقال جيباً له وفرعون اللعين رئيس مصركم، فبهت القائل له وسكت، وصدق الشيخ رحمه الله فإن كان مسيلمة قد ادعى النبوة فإن فرعون قد ادعى الربوبية وأين كفر مسيلمة من كفر فرعون لو كانوا يعلمون، مع أن سيئات مسيلمة وفرعون تحمل على ظهورهما.

وأخذ العلم عن الشيخ والده عبدالرحمن بن حسن، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، وأخذ أيضاً عن الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي، وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله.

أما ولادته فكانت في سنة ١٢٢٥هـ في الدرعية، فلزم طلب العلم وجد واجتهد حتى كان آية من آيات الله، باهرة في الحفظ والذكاء وكثرة المطالعة وحتى أصبح عالماً بارعاً محققاً فاضلاً ملازماً للتدريس مرغباً في العلم معيناً عليه، وما زال يتقدم حتى كان سباقاً في العلوم لا يبارى، وجواداً في نيل الفضائل لا يجارى، وكان قد تفود بوالده في مصر وتخرج عليه حتى أنار الله قلبه بنور العلم والإيمان ومنحه طرائف التوفيق والعرفان فأنعم به من ماهر متكلم وحافظ تتقاصر عنه سورة كل متقدم ولا غرو ولا بدع، فقد كان أصله طيباً وسلسلته زاكية، فرحمة الله عليه من إمام بلتع وفاضل فصيح مصقع حاز قصب السبق في الفروع والأصول وحوى منها ما سمق وسبق به الأئمة الفحول، فلقد تبحر في جميع فنون العلم وبلغ شأو العلى في رصانة المنثور والمنظوم؛ وهذه رسائله المفيدة وأجوبته القاطعة السديدة قد اشتملت على أصول أصيلة ومباحث قيمة جليلة تدل على فضله وتطلعك على ما هنالك، وثواقب علومه يهتدي بها السائر عن سلوك المعاطب والمهالك.

ثم إنه لما قدم من مصر إلى نجد في سنة ١٢٦٤هـ، قدم معه بكتب كثيرة فانتفع الناس بعلمه وجلس لديه خلق للتدريس كبرى، واستعمله الإمام فيصل قاضياً في الأحساء ثم كان قاضياً مع أبيه في الرياض، وكان الإمام فيصل يختصه ويسافر به معه، كما خرج به في خروجه لغزو أهل القصيم، فكان الشيخ في معيته إماماً

وقاضياً له، وإذا جلس الإمام فيصل في الصيوان وجلس المسلمون حوله قد حفوا به كان الشيخ إلى جتته، فيأمر القارئ بالقراءة بين يديه، وكان على شيء عجيب من البصيرة في الدين وسعة الحلم وكمال الأدب، كما كتب إليه الشيخ حمد بن عتيق في بعض الأيام بكتاب أغلظ فيه القول كعاداته يحضه فيه على الصدع بالحق وأساء الأدب معه في الكلام ولم يرع حق من تزدهم على نيل فوائده الآنام، وثبت فوائده الأقلام، ويحتاج إلى تفريغ منطوقه أولو الإفهام ويقرّ بفضلته الخاص والعام، والباعث للشيخ حمد شدة الغيرة كعاداته في المراسلات، ولم يعن النظر فيمن يخاطبه، فبعث إليه الشيخ برسالة أفصحت عما لديه من الميراث النبوي، وبين له فيها الخلق العظيم وسجية المصطفى الكريم، وقال في معرض الجواب:

وبعد فإنني أحمد إليك الله سبحانه على نعمه، والخط وصل وصلك الله بما يقربك إليه، وما أشرت إليه صار معلوماً لا سيما الإشارة الخفية والنكت الأدبية التي منها تشبيه أخيك بالطير المبرقع وإيراد المواعظ وأنت بمكان أعلى وأرفع وكنت حال وصوله قد قرأته بمرئى من أهل الأدب ومسمع، فمن قائل عند سماعه هذا الرجل طبعه الغلظة والجمود، وآخر يقول كأنه لا يحسن الدعوة إلى ربنا المعبود، فقلت كلا إنه ابن جلا؛ وله سبق في مضممار الديانة العلى، لكن من عادته أن يتجاسر على أحبابه؛ ويزدري رتب أخدانه وأترابه، والحج له الدلال، والمرء يشرق بالزلال، ثم بين له بعد ذلك طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإن الشدة والغلظة إنما تستعمل بعد اللين، ثم أفاده بالطف عبارة وأوجز إشارة.

ثم قال في آخر الرسالة: هذا وقد كنت أظن أنكم تحبون من هاجر إليكم وتراعون حق أسلافه في المشيخة عليكم ومكان العلم وتعليمه.

ولقد جرى في وقته فتن ومحن وشقاق في شأن الإمامة بين أميرين من آل سعود لكل منهما أنصار، وكلاهما يرى أنه أحق بالإمامة من الآخر، وتطلع في هذه الفتن ما كان قد قبع من أتباع الشيطان، ورفع رأسه فيها كل مارد فتان، وفرح بها أهل النفاق والطغيان، فقام رحمه الله بأعباء الدفاع عن بيضة الإسلام وبث رسائله

ونصائح؛ ولم يأل جهداً في تسكين تلك الثوائر، ونصر دين الله باللسان والحجة واستعمل ضروباً من الحكمة كل ذلك لتحذير المعتدين، وتذكير المسلمين، وإفادة السامعين، يصول بشرع الله المطهر، وينهى عن كل ابتداع ومنكر، حتى أتاه اليقين وانتقل إلى رحمة أرحم الراحمين.

فيا طوبى له من إمام قرر التوحيد ونهى عن الشرك بالله والتنديد، وأبان الحق لكل طالب ومستفيد، فنسأل الله تعالى أن يشكر سعيه ويعظم أجره ويجازيه على إحسانه وأن يتغمده برحمته وغفرانه.

ذكر تلامذته والأخذين عنه

تعلم منه فحول من العلماء وتخرج عليه جهابذة من الأئمة والعلماء، وضربت إليه أكباد الأبل من مشارق الأرض ومغاربها، ويكفي تلامذته عزاً وبهاءً وشرفاً أنهم يتمنون إليه، وها أنا أذكرهم:

فمنهم نجله الشيخ العالم التحرير، والبحر الغزير، الذي افتخرت به الأواخر على الأوائل، وسبق في المكارم الأقران والأمثال، الإمام عبدالله بن عبداللطيف وحيد زمانه وقدوة إخوانه وفائق أقرانه علماً وذكاءً وعفةً وبراعةً حتى كان رئيس قضاة نجد.

ومنهم نجله الشيخ البارع الذي تضرب الأمثال بمؤهلاته للعلم وعليه سيما العلم والبهاء والذكاء الحافظ إبراهيم بن عبداللطيف.

ومنهم نجله الفاضل الكبير الشيخ محمد بن عبداللطيف.

وأخذ عنه العالم النبيل والفاضل الجليل أخوه الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن آل الشيخ.

وأخذ عنه ذو المعارف الإلهية والأسرار الربانية من كان بالعلم ارتدى وتأزر، ونصر الحق وما قصر، المجاهد بالحجة واللسان، وحسان السنة في ذلك الزمان، الشيخ سليمان بن سحمان ذو المؤلفات العديدة والأجوبة السديدة.

وأخذ عنه الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ.
وأخذ عنه الشيخ العالم الألمعي والفاضل الذكي قاضي القصيم محمد بن
عبدالله بن سليم، وناهيك بفضلته.

وأخذ عنه الشيخ المعظم محمد بن عمر بن سليم.
وأخذ عنه الشيخ الزاهد الورع الإمام عبدالله بن محمد بن فدا.
وأخذ عنه الشيخ صعب التويجري.
وأخذ عنه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى.
وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن مانع.
وأخذ عنه الشيخ الناسك عبدالله بن عبدالعزيز الدوسري.
وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن حسن بن يحيى قاضي بلاد المحمل.
وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن عبدالملك.
وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز الخطيب.
وأخذ عنه عبدالرحمن بن إبراهيم أبو الغنيم وعثمان بن مرشد.
وأخذ عنه إبراهيم بن راشد، وأخذ عنه زيد بن محمد آل سليمان.
وأخذ عنه أيضاً صالح بن محمد الشثري، وعلي بن حمد بن سلمان.
وأخذ عنه أيضاً حسن بن عبدالله آل الشيخ، ومحمد بن راشد الجابري.
وأخذ عنه عبدالله بن معيدر، وصالح بن عثمان بن عقيل.

وأخذ عنه إبراهيم بن مرشد، وأخذ عنه أيضاً عبدالعزيز بن إبراهيم بن
عبداللطيف، وعبدالله بن علي بن جريس، وعبدالرحمن بن محمد بن جربوع،
ومنيف بن نشاط، وأخذ عنه أيضاً غير هؤلاء مما لا يحضرني ذكرهم الآن، ورحل
إليه الطلاب من كل جهة يؤمنونه وأقبلوا نحوه من كل قطر يقصدونه.

ذكر مؤلفات الشيخ المحفوظ بعين التشريف الحبر الإمام عبداللطيف

وأما مؤلفاته ورسائله فكانت منها عذباً يردها الموحدون، ويأخذ بها أهل المعرفة المتقون، فما هي إلا روضة حفت بنور ربيعها تسرح فيها الأفكار، وتتمتع فيها الأنظار، لما لها من القبول عند الأتقياء والأخيار، وكانت مملوءة بالنكت والفوائد توحيداً وفقهاً وأصولاً وفروعاً ونحواً وصرفاً وغير ذلك من فنون العلم.

فمنها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» وهو رده على المرتاب عثمان بن منصور لما أقذع في مسبة علم الأعلام ومشيد دعائم الإسلام ومردى عبادة الأوثان والأصنام، فقام هذا الملحد وألف مؤلفاً سماه جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة والمراد بالأمة عنده هم عبدة الأصنام، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور، وانتصر فيه لعبادة الأصنام وذبح عن أهلها وضلل أهل التوحيد وذمهم.

فلما جرى منه ذلك انتدب له هذا السמיד وأوهى شبهه وخزعبلاته وترهاته حتى عادت كنسج العنكبوت وأصبح بنيانها في العرى ضعيف الثبوت وقطع كلما يتعلق به المبطل وأزال بالبراهين والدلائل كل مشكل، ونصب دبوس الحق على أم رأسه ليرتدع من هو من أجناسه ليعلم من في قلبه مرض أن في الحياض من يذود عنها وأن الحمى فيه من قعد بثغرة المرمى.

وكان رحمه الله قد بعث إليه رسالة قبل أن يتبين من أمره ما تبين، وقبل أن يتضح شأنه وتعين ما تعين، وقبل أن يظهر للناس حاله وتنتشر مصنفاته ويتلون بالخبث مقالته، لكنه قد يظهر من حاله ويلوح من صفحات وجهه وقلبات لسانه ما يغمص به، وتنسب إليه هفوات وشيء من البدع والمعضلات، فبعث إليه رسالة يحذره فيها من ورود تلك المعاطب وارتكاب ما يبدو منه من المثالب مع أنه تقدم له مقامات في الدين كشرحه لكتاب التوحيد وانتمائه إلى صالح العبيد، فيا له من رجل لو استقام، وصارم لولا ما عراه من الأنثلام، فلما تبين أمره

وأضغانه وانهد من القواعد بنيانه وأبان للناس ما لديه، وكشف عورته بيديه،
تصدى له الشيخ ودحض حجته.

ومن مؤلفات الشيخ رحمه الله رده على داود بن جرجيس، وكان داعية
للكفر وعبادة الأوثان، فرد عليه بما شفى وكفى، ولما وقف الشيخ عبدالقادر
أفندي البغدادي الحنفي في رده على داود بن جرجيس أثنى عليه ثناءً جميلاً
وقرطاً عليه بهذه الأبيات:

| | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| عبد اللطيف جزاه الله خالقنا | يوم الجزاء بأجرٍ غير ممنون |
| هو الهمام الذي شاعت فضائله | في الشرق والغرب من نجد إلى الصين |
| بحرٌ من العلم ييدي من معارفه | بديع رد غزير القدر مكنون |
| حمى طريق رسول الله عن شبه | منسوبة لجهولٍ غير مأمون |
| وساوس وأقاويل ملفقة | كأنها بعض أقوال الجانين |
| ظن ابن جرجيس من جهلٍ ومن سفيه | لم يبق في الناس ذو علم وتمكين |
| فقال ما قال من زورٍ ومن كذبٍ | ومن خرف قد تبدي غير موزون |
| ولم يكن عنه يغني الظن فانعكست | ظنونه في مجالٍ غير مظنون |
| إذ رده ناكصاً يدعو النجاء على | أعقابه بخسر الدنيا مع الدين |
| أن ابن جرجيس برذون وذا أسدٌ | وهل تقاس أسود بالبراذين |
| دلائل تعتلي كالشهب أرسلها | عبد اللطيف رجوماً للشياطين |
| جزاه مولاه عنا كل صالحة | من جنة الخلد في يوم الموازين |

أما رسائله ونصائحه فقد جمعها الشيخ الموفق المعاصر سليمان بن سحمان
وجعلها منسوقة واعتنى بضبطها والتعريف بها، وجعل لكل رسالة مقدمة فيما
تحتوي عليه، ولم يفته منه إلا النادر، وياليتي اعتنى بترتيب الرسائل وذكر وقت
التاريخ لوضع المؤلف لها، وها هي منشورة في مجموع الرسائل والمسائل
النجدية، فعلى من أحب مراجعتها فليراجعها فإن فيها مالا عين رأت ولا أذن
سمعت، بيد أنه يجمل ترتيبها ووضع تاريخ لكل رسالة أن تيسر ذلك، وساقها

الله إلى خير بتلك البضاعة، فيا حسنها والإخلاص قد كساها، وعلم القبول يلوح بين أسطرها وجلالها، وياهي شمس الضحى حسنها وسناها، وقد وضعها الشيخ المعاصر في نحو من عشرين كراسة سماها عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، فناهيك بها أمارات أعربت عن قدر منشئها ومنزلته، وأجوبة أفصحت عن براعته ودرجته.

فمنها رسالته إلى علماء الحرمين الشريفين زادهما الله تشريفاً وتعظيماً إلى يوم الدين، وسبب ذلك لما ورد أمر السلطان العثماني بأن يعطل الأذان في الحرمين الشريفين، وأن تكشف النساء عن وجوههن للفجرة والفاسقين، فغار الشيخ لهذا النبأ الفادح وحملته الغيرة الدينية والحمية الإسلامية والأنفة العربية على مكاتبتهم في شأن هذا الأمر العظيم والحدثان الفظيع الذميم. ودفع مفساد ما أراده أعداء الله رب العالمين، وما أحدثه أضداد الملة والدين، وما انتحلوه من تغيير شعائر الإسلام. وهدم معالمة العظام، فصدر هذه الرسالة بالحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وجعلها بعد إهداء التحية لأنصار الملة الحنيفية والحماة للشريعة المحمدية ولم يعين إنساناً بعينه وحثهم على نصرة الدين وأنهم إذا تخلوا عنه فكيف ينصر.

كفى حزناً للدين أن حماته إذا خذلوه قل لنا كيف ينصر وتلطف في هذه الرسالة لعلماء الحرمين لعل الله أن يبطل ما أسس من هذه الضلالة، فانظر إلى ما أعطاه الله من الحكمة وحسن التخلص بان جعلها حماة الشريعة والمدافعين عن كيانها، وإن هذه الفادحة ملقاة على عاتقهم.

ومنها رسالة وضعها رحمه الله وتغمده بإحسانه وصب عليه من شأبيب بره وامتنانه، وهذه إلى سائر المسلمين أرسلها يحرضهم فيها على الجهاد في سبيل الله والتزام أصول الدين والاعتصام بجبل الله المتين، ويذكرهم نعمة الله التي أمنن بها عليهم بدعوة شيخ الإسلام وقدوة العلماء الأعلام الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» أجزل الله له الأجر والثواب إذ كانوا قبله على جاهلية جهلاء وضلالة عمياء وبدعة صماء لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه.

ومنها رسالة إلى محمد بن عون من أهل عمان، وذلك أنه أورد عليه جهمي من ضلال الجهمية النفاة أسئلة شنيعة تدل على قلة بضاعة متعسفها، فبعث بها إلى الشيخ الإمام عبداللطيف، فلما وردت عليه أجاب وأفاد وقرر وأجاد: إفادة لمحمد بن عون إذ كان من أهل التوحيد والإثبات، ومن جاهد الجهمية في تلك الجهات، وإلا فليس هذا الجهمي الكافر كفوء للجواب لأنه من العجم الطغام وأضلّ من سائمة الأنعام، وقدموه هذا الجهمي الكافر بهذه السفسطة والجمعجة وهرقع بهذه المخرفة والقعقة، وظن أن ليس في حمى التوحيد من أهله ضيارم ولا لتلك الشبه المتهاففة من عالم مضارم كلا والله إن الليث مفترش على برائه لحماية حمى التوحيد وقاطنه، فأجاب الشيخ وأبان وأوضح الحق حتى علا واستبان، فرحمة الله عليه من إمام جهبذ ألمعي ومقول بارع لوذعي أحكم وأبرم من الشريعة المطهرة أمراسها، وأوقد منها للورى نبراسها، وسقى عللاً بعد نهل غراسها، فأورقت وبسقت أشجارها وأينعت بمحمد الله ثمارها، فجنى من ثمارها كل طالب مسترشد، وورد من معينها الصافي كل موحد.

ومنها رسالة له قدّس الله روحه ونور مرقدّه وضريحه في توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة، أبلغ فيها غاية البلاغة وأفصح في ترصينها وترصيعها بأوضح عبارة، فحقيق لمن نصح نفسه ولها عنده قدر وأحب سعادتها وسعى في نجاتها وتخليصها، وأراد إفادتها أن يتحقق بما اشتملت عليه من العلوم النافعة واللطائف، ويسيم ثاقب فكره في مروج معانيها وما احتوت عليه من الحقائق والمعارف لأن ما اشتملت عليه هو أهم الأشياء وأجلّ العلوم، وعليه المدار وعنه السؤال يوم القيامة.

وأمر هذا شأنه حقيق بأن تشنى عليه الخناصر ويعضّ عليه بالنواجذ، ويقبض فيه على الجمر، فحقيق بالمؤمن أن يتدبرها فإن فيها مالا يوجد في المطولات بآتم عبارة، وأوضح بيان لأهل العقول المستنيرات.

ومنها رسالته إلى زيد بن محمد آل سليمان وهو من أعيان المسلمين وعلمائهم

يعاتبه فيها بعض المعاتبة، وهذه الرسالة بديعة أودعها من الفصاحة والبلاغة ما يعجز عنه فحول الرجال وتتضاءل عندها أفهام أولي النهي من الأمثال.

ولقد أثنى الشيخ سليمان على المترجم وأثنى على آبائه وأجداده الذين قاموا في نصر هذا الدين وأشادوا معاملة وأبادوا الشرك وأهله ومظالمه، وذلك لما أراد إدراجها مع رسائله فباح بالأبيات الآتية، وكان الشيخ عبداللطيف في بعثه لهذه الرسالة إلى زيد قد وجد منه عند تلك الحوادث والكوارث فتوراً، ورأى منه في حق من تجانف أو تساهل في ذلك تقصيراً أو قصوراً، وقد وضع الحق في ذلك واستبان، وكان من ذوي المعرفة والإتقان وخاصة خلاصة الإخوان، فعاتبه الشيخ بهذه المعاتبة الرصينة المباني وأفصح له بهذه الرسالة البليغة المعالي، قال الشيخ سليمان في مقدمة هذه الرسالة يمدح المترجم:-

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| معاني مبانيها الطوامح في العلا | لآلئ أصدا ف البحور الزواخر |
| ويختار في مهما مطاوح ما انطوت | عليه من الترصين قس المحاضر |
| وأبدى بديعاً من عويص غويصه | لثام المعاني المحكمات لسابر |
| لقد جد في نصر الشريعة والهدى | وسد ينابيع الغواة الأخاسر |
| وإعلاء دين الله جل ثناؤه | وتأسيس أصل الدين سامي الشعائر |
| وإحياءه بعد الدروس ونشره | وقمع لمن ناواه من كل غادر |
| وإبعاد أعداء الهدى وجهادهم | وتحذيره عنهم بكل الزواجر |
| وقد رد بل قد سد كل ذريعة | تؤول إلى رفض الهدى من مقامر |
| ففي أثر آباء كرام أئمة | أولى العلم والحلم الهداة الأكابر |
| بيذلهمو للجد والجهد في الدعا | إلى الله من قد ند من كل نافر |
| همو أظهروا الإسلام من بعدما عفى | من الأرض فاستعلى به كل ناصر |
| فكم فتحوا بالعلم والدين والهدى | قلوباً لعمري مقفلات البصائر |
| وكم شيدوا ركناً من الدين قد وهى | وأقوى ففازوا بالهنا والبشائر |
| وكم هدموا بنيان شركٍ قد اعتلى | وشادوا من الإسلام كل الشعائر |

وكم كشفوا من شبهة وتصدروا
وكم سنن أحيوا وكم بدع نفوا
لقد أظدوا الإسلام بالعلم والهدى
تغمدهم رب العباد بفضلہ
لحل عويص المشكلات الكوادر
وكم أرشدوا نحو الهدى كل حائر
وبالسمر والبيض المواضي البواتر
ورحمته والله أقدر قادر

وكان بين الشيخ عبداللطيف وبين الشيخ أحمد بن علي بن مشرف صحبة
أكيدة فكتب إليه الشيخ المترجم رسالة يعتب عليه فيها ويناديه وضمنها هذا البيت
المنسوب لضمرة بن ضمرة التميمي وهو قوله في قصيدة:

وإذا تكون كريهة ادعى لها
وإذا يحاس الحيس يدعى جندب
وبعضهم ينسب هذا البيت لعمر بن الغوث بن طيء فبعث إليه الشيخ أحمد
يقول: بعد التحية، وبعد فقد وصلنا كتابك وهيجنا بديع خطابك واستشهادك
بالبيت القديم الذي هو لبعض بني تميم إلى نظم أبيات على تلك القافية، وهي في
الاعتذار كافية ثم نسج الشيخ أحمد كعاداته في القريض أبياتاً على هذا البيت من
بحر الكامل مدحاً للشيخ المترجم ومنادمةً فقال:

الود أصدق والتوهم أكذب
أظن أنا قد جفوناكم فلا
الدين يأبى والمروءة والإخا
أظن في أهل الحفيظة والنهى
أو كفرهم بعض الأيادي بعدما
أو ينكرون أخوة قد أكدت
أو لم تكن في الحلم طوداً راسياً
وأبوك حبر فاضل من علمه
إن خاض في علم الحديث فمسلم
ولمن مضى منكم فضائل جمة
أقول إذ قد لمتني متمثلاً
فعلام تلحقنا الملام وتعتب
أدري أظنك أم عتابك أعجب
ما قد ظننت فبرق ظنك خلب
هجر الصديق بغير ذنب يوجب
وجب الجزاء لها بما تستوجب
بقراية ومناقب لا تحسب
والعلم بحرأ طامياً لا ينضب
ترجى الهداية والمقال الأصوب
أو علم فقه قلت هذا أشهب
كدنا بها فوق المنابر نخطب
بقديم الشعر قاله من يعتب

وإذا أتك كريبه أدعى لها
فلكاهما تدعى إليه بحول من
فاصفح ولا حظنا بعين الرضا
وانظر إلى درر القريض نظمها
وفي جيد غانية حكمت شمس الضحى
تهدي إليك تحية من مولع
وبها تأرجت الرياض وأزهرت
ثم الصلاة على النبي محمد
وعليه تسليم الإله وروحه
وآل والأصحاب ما مزن بكى

وإذا يحاس الحيس يدعى جندب
وهب الجزيل ووعد لا يكذب
وأقبل إذا اعتذر المحب المذنب
يزهي بها العقد النفيس المذهب
فإذا تجللت كل نجم يغرب
من نشرها فاح العبير الأطيب
فيها الرياض فطيرها يتناوب
مالذ في الأسماع صوت مطرب
ما جاد في الإثنا عليه المطنب
فاهتز يضحك بالنبات المجذب

واعلم أن رتبة هذا العالم رفيعة ومنزلته شريفة، قد تبحر في العلم حتى كأن العلوم نصب عينيه وأثنى عليه العلماء والرؤوساء.

ولما مات بكى لمصابه الشيخ حمد بن عتيق وأشدت نحيبه وظهر عليه الحزن فقل له يرحمك الله، لقد مات الشيخ أبي بطين فلم نر منك هذا التأثر ومات الشيخ عبدالرحمن بن حسن، فما وجدت عليه وجدك بالشيخ عبداللطيف فقال بوفاة الشيخ أبي بطين ووفاة الشيخ عبدالرحمن نسلوا بهذا الخلف، فلما مات هذا الشيخ من أين لنا منه خلف.

وقد قال الشيخ العارف سليمان بن سحمان يمتدحه ويثني وذلك لما أراد جمع رسائله وأعجبته واستحسنها ذكر مقدمة لها وباح بهذه القصيدة التي خرجت من لواجع الإحشاء:

فيا من هو العالي على كل خلقه
وكان لها سبحانه جل ممسكاً
وزين أدناها بشهب ثواقب

وسوى السموات العلى وبنائها
بغير عماد في الوجود نراها
مصاييح في ديجورها ودجاها

وأطد بالأطواد أرضاً بسيطة
بأسمائك الحسني وأوصافك العلى
وأول الرضا هذا الإمام الذي له
وبوأه في الفردوس والخلد منزلاً
فقد قام في نصر الشريعة جاهداً
ويرد على من ندّ من كل ملحد
وقد شيدت أركان سنة أحمد
فأشرف منها الحق للخلق ناصعاً
وأجوبة تسمو وتسمق بالهدى
يضوع لأهل الحق منها نواشر
إذا أرسل التحرير ثاقب فكره
أقر له بالفضل والعلم والحجى

وأحكمها سبحانه ودحاها
أذقه من الفردوس طيب جناها
مآثر يزهو في الأنام سناها
وألبيه من أثوابها وحلاها
ولم يأل جهداً في ارتفاع ذراها
على السنة الغراء ورام حفاها
رسائله اللاتي أضاء ضيائها
وأعشى عيون الملحين سناها
لأسئلة قد أشكلت فجلاها
يفوق عبير المسك طيب شذاها
بفيح معانيها وشأو ذراها
وإن قد تسامى للعلى فعلاها

وقال الشيخ سليمان بن سحمان يرثاه لما توفى في هذه السنة وانتقل إلى جوار
الغفور التواب وفارق الأحباب والأصحاب بلّ الله ثراه بوابل الغفران وأسكنه
شامخ الغرف في أعالي الجنان.

وهذه المراثية قوية المباني، بديعة المعاني، أنشأها لما فجعت الخلائق برزئه وبكته
محابر العلماء وطروس الكتاب وعمت مصيبته الآفاق، فإنا لله وإنا إليه راجعون،
اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها:

تذكرت والذكرى تهيج البواكيا
معاهد كانت بالهدى مستنيرة
وآراضها بالعلم والدين قد زهت
وقد أينعت منها الثمار فمن يرد
وأنهارها للواردين شريعة
وقد غردت أطيارها برياضها

وتظهر مكنوناً من الحزن ثاوياً
وبالعلم يزهو ربع تلك الروايا
وأطواد شرع الله فيها رواسيا
جناها ينلها والقطوف دوانيا
منالها كالشهد فعم صوافيا
يرجعن ألحان الغواني تهانيا

وكنّا على هذا زمانا بغبطة
فما كان إلا برهة ثم أطبقت
فكنّا أحاديث كأخبار من مضى
لعمري لأن كانت أصيبت قلوبنا
لقد زادت البلوى اضطراماً وحرقة
فقد أظلمت أرجاء نجد وأطفأت
لموت إمام الدين والعلم والتقى
فعبد اللطيف الخبر أوحده عصره
لقد كان فخراً للأنام وحجة
إماماً سمى مجداً إلى المجد وارتقى
تصدى لرد المنكرات وهدمها
فأضحت به السمحاء يسم ثغرها
حباه إله العرش في العلم والنهى
وقد جد في ذات الإله بمجده
ولما نعى الركبان أخبار موته
رثيناه جبراً للقلوب لما بها
لشمس الهدى بدر الدجى علم الهدى
لأن ظهرت منا عليه كآبة
فقد كسفت للدين شمس منيرة
سقى الله رمساً حله وإبل الرضا
ولا زال إحسان الإله وبره
وأسكنه الفردوس فضلاً ورحمة
عليه تحيات السلام وإن نأى
يفوق عبير المسك عرف عبيرها

وأنوار هذا الدين تعلو سواميا
علينا بأنواع الهموم الروازيا
وننبئ عنها في القرون الخواليا
وأوجعها فقدان تلك المعاليا
فحق لنا إهراق دمع المآقيا
مصاييح داجيها لخطب وداهيا
مذيق العدى كاسات سم الأقاليا
إمام هدى قد كان لله داعيا
وثقلاً على الأعداء عضباً يمانيا
وحل رواق المجد إذ كان عاليًا
بنته عداة الدين من كل طاغيا
ويحمي حماها من شرور الأعاديا
بما فاق أبناء الزمان تساميا
ولم يأل في رأب الثنى والمناهيا
وأصبح ناعي الدين فينا مناديا
وحل بها من موجعات التأسيا
وغيض العدا فالبيك من كان باكيا
وحل بنا خطب من الرزء شاجيا
يضيء سناها للورى متساميا
وهطال سحب العفو من كل غاديا
على قبره ذي ديمة ثم هاميا
والحقه بالصالحين المهاديا
وأضحى دفيناً في المقابر ثاويا
ويبهر ضوء الشمس أزكى سلاميا

فإنا معاشر الإخوان صبراً فإنما
 فإن أفل البدر الفريد وأصبحت
 فقد شاد أعلام الشريعة واقتفى
 همو جددوا الإسلام بعد اندراسه
 وكم لهمو من منحة وفضيلة
 مناقبهم لا يحصها النظم عدة
 فيا رب جد بالفضل منك تكرمأ
 وأبق بينهم سادة يقتدى بهم
 ونسألك اللهم ستر عيوبنا
 فعفوك مأمول لكل مؤمل
 وأحسن ما يحلو القريض بختمه
 وأصحابه والآل ما ماضٍ بارق

خلف الشيخ عبداللطيف أنجالاً فضلاء وهم: عبدالله وإبراهيم ومحمد وعبدالرحمن
 وعمر وصالح وعبدالعزيز وأحمد وسيمر في هذا التاريخ ذكرهم إن شاء الله تعالى.

وفيها تولى الخلافة السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد خان العثماني، ويعد
 في خلفاء الدولة العثمانية كأحسن خلفائها لأنه لجأ إلى سياسة جمع المسلمين
 تحت لواء الخلافة، ومحاسنه معاملة العرب وخصص المبالغ الطائلة لإنشاء
 التعميرات وبناء دور الحكومة التي لا تزال موجودة حتى الآن، وله همة
 ونشاط في تقدم الدولة، وامتدت سلطته قدراً من ثلث قرن، وبعدها بات
 الفشل في الدولة العثمانية.

وفيها جرت وقعة بين أهل شقراء وبين الشيايين من عتيبة وقتل في هذه
 الوقعة رجل من الشيايين، وقتل من أهل شقراء صالح بن عبدالوهاب رحمه
 الله تعالى، وهذه القبيلة من عتيبة يسكنون أراضي الحجاز ولهم نهمة في
 الاختلاس ممن مر بهم من الحجاج وغيرهم قبل عهد الملك عبدالعزيز بن
 عبدالرحمن بن سعود.

ثم دخلت سنة ١٢٩٤هـ

ففيها ولد الأمير محمد بن علي الإدريسي وهذا نسبه:

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس وكان سيداً كبيراً في عشيرته؛ ولما ولد جيء به وهو شاب إلى مصر فدخل كلية الأزهر وتخرج فيها ثم سافر إلى كفرة بالمغرب فقرأ هناك على السيد السنوسي، وجاء منها إلى السودان فأقام في أرجوبد نقله وتزوج بابنة هارون الطويل شيخ الطريقة الأحمدية هناك، وكان له نفس كبيرة شريفة أبت عليه الخمول والاستعباد، وكانت الأسفار قد زادت بعلومه ومداركه، ثم عاد بعد ذلك إلى عسير مسقط رأسه، وكان الأتراك جنوباً يحكمون حيثما يستطيعون ويستغزون روؤساء العشائر بمشاهرات لا يدفعون غير اليسير منها فانقلبت عليهم أصحاب الديون واستمالهم الإدريسي إليه، وما زال يحتال حتى ساد أكثر أهل عسير.

وفيها ظهر الجراد في نجد وكثر جداً ثم أعقبه دباء أكل الزروع والشمار والأشجار وتأذى أهل نجد بتلك الجنود.

وفيها صلفت رعود الأمير حسن بن مهنا أمير بريدة وبروقه وأكثر الغارات على أهل شقراء وغيرهم من أهل الوشم، فارسل سرية في المحرم تغير على بلد شقراء، ولما أن أغارت هذه السرية فزع لذلك أهل شقراء وحصل فيما بين الفريقين قتال شديد انهزمت له سرية ابن مهنا، وأخذ أهل شقراء جملةً من ركبهم وقتل من أهل شقراء عبدالله بن عبدالرحمن بن جمار رحمه الله تعالى.

ولما وفد في هذه السنة وفد من آل أبي عليان على الأمير محمد بن رشيد في الجبل، وهؤلاء الوفد مؤلفون من ثلاثة أعضاء هم: حمد بن غانم وإبراهيم بن عبدالمحسن بن مدلج آل أبي عليان روؤساء بلد بريدة في الماضي وعبدالله الجالس المعروف من موالي آل أبي عليان، علم بهم الأمير حسن بن مهنا فبعث في آثارهم ابن عمه صالح آل علي أبا الخليل يقود سرية لطلبهم، فوجدوهم في الموضع المسمى بقرية راجعين من عند بن رشيد يريدون عنيزة فقتلوهم.

وفيهما في ١٤ من جمادى الآخرة توفي الشريف عبدالله بن محمد بن عبدالمعين بن عون، وكان عمره إذ ذاك ستاً وخمسين سنة ومدة إمارته نحواً من عشرين سنة، وكان له من الذكور اثنان وهما علي ومحمد رحمة الله على أموات المسلمين.

وتولى بعده إمارة مكة أخوه الشريف حسين بن محمد بن عبدالمعين بن عون.

وفيهما أيضاً غزا محمد بن عبدالله بن رشيد أمير الجبل ومعه الأمير حسن بن مهنا أمير بريدة يريدان بادية عتبية فزحفا وجعل ابن رشيد طريقهما على بلد أشيقر، فكان وقتاً لصرامة النخيل فجرى من تلك الجنود فساداً عظيماً، نهبوا البيوت وصرموا النخيل وأخذوا ما وجدوا فعياداً بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ثم دخلت سنة ١٢٩٥هـ

ففيهما أمر السلطان عبدالحميد خان بن عبد المجيد خان الخليفة العثماني بأن يفرش سطح الكعبة المشرفة باللواح المرمر، ففرش في هذه السنة، هذا والأمير إذ ذاك في مكة المشرفة حسين بن محمد الشريف عم الحسين صاحب الثورة العربية. وفيها ولد ملك إيران الدستوري وهو رضا ابن عباس علي خان، وكانت ولادته في قرية الأشث من قرى سوادكوه، وكان أبوه حين ولادته حاكماً على سوادكوه وقائداً للقوة العسكرية فيها.

وفي هذه السنة في ربيع الآخر أرسل الإنذار الدولي للباب العالي في الدولة العثمانية من قبل المؤتمر الذي سعت به روسيا إلى عواصم أوروبا حيث زار المندوب عاصمة عاصمة، وكان هذا الإنذار يقتضي أنه يجب على الدولة العثمانية أن تتم عقد الصلح مع الجبل الأسود وأن تترك له الأراضي التي يطالب بها وأن تنفذ الإصلاحات التي طلبتها منها الدول وأن تقلل عدد عساكرها العظيم في حالة السلم فلا يكون كحالة الحرب.

وأرسلت روسيا بانفرادها إنذار آخر للباب العالي فعرض الباب العالي هذين

الإنذارين على مجلس البعثات ليرى رأيه فيهما ذلك بأن السلطان عبدالمجيد يعرض مهام الأمور على المجلس الذي لا يقل عدد أعضائه عن مائة وثمانين عضواً من عظماء الدولة ورجالها.

ولما كان في تاسع أبريل من هذه السنة رفض هذين الإنذارين وأعلن الباب العالي في حادي عشر أبريل للدولة الأوربية رفضه لهما، ومن ذلك اليوم صارت الحرب على أبواب تركيا، وأخذت تركيا من جهة وروسيا من جهة أخرى تتم تجهيزاتها الحربية وترسل جيوشها على الحدود، ولما رأت روسيا أنها لا تستطيع التغلب على تركيا والفوز عليها إلا إذا عبرت جيوشها بلاد رومانيا عقدت في ١٦ أبريل مع هذه الإمارة اتفاقية تسمح للجنود الروسية بالعبور في أراضي رومانيا وأعلنت روسيا في ٢٤ أبريل من هذه السنة رسمياً الحرب على تركيا مبنية في إعلانها أن غرضها بالحرب نصرة المسيحيين، وأعلنت رومانيا استقلالها التام عن الدولة العثمانية واتفقت روسيا مع رومانيا في ١٤ مايو اتفاقاً دفاعياً هجومياً، وانضمت جنودها إلى جنود روسيا، ثم إنها أخذت الجنود الروسية تهاجم مدينة (بلغنة) المرة بعد الأخرى وارتدوا على أعقابهم خاسرين، لما أقام حولها عثمان باشا من المعقل والحصون المنيعة، ولكن سوء حظ الدولة العثمانية قضى عليها بأن لا ترسل ما يلزم من المدد للغازي مختار باشا بعد أن فقد جيشه الرجال الأبطال، فسقطت منه لذلك قارص في أيدي الروسيين في هذه السنة وقد أعيت معقل بلغنة وحصونها الروسيين فحاصروها حصاراً شديداً وشهدوا قوة الأتراك وشهامتهم، وأعجب قيصر الروس نفسه بمهارة الغازي عثمان باشا وقوة إدراكه.

وقد طالت محاصرة بلغنة حتى انقطع المدد على الأتراك ونفذ كل ما عندهم من الذخائر، فعزم الغازي عثمان باشا على الخروج من بلغنة مع جنوده الأشداء، فخرج في آخر هذه السنة بالفعل، ومرت الجنود العثمانية من وسط الأعداء غير خائفة نيرانهم ولا مقذوفاتهم بل جاعلةً وجهتها الاستحكامات التي كان أقامها الروسيون حول بلغنة على ثلاثة خطوط متعاقبة واستولت على مدافع الخط الأول

والثاني وكادت أن تستولي على الخط الثالث غير أن الغازي عثمان باشا وقع جريحاً فظنه قومه ميتاً وانتشر خبر موته بين الجنود العثمانية فببطت همهم وانحلت عزائمهم، ودخل الروسيون في هذه الأثناء بلفنة واضطر قواد الجيش العثماني للتسليم والإتفاق مع قوات الجيش الروسي على إيقاف الحرب بإلقاء الجيش العثماني للسلاح، وقد فقد الجيش الروسي في محاصرة بلفنة ٣٨٠٨٠ قتيلاً وفقد الجيش العثماني ١٥٣٠٠ قتيلاً، ولم يعتبر رجال العسكرية في أوربا سقوط بلفنة انتصاراً للروسيين على العثمانيين، بل أعجب كل إنسان بالعثمانيين أكثر من إعجابه بالروسيين، فإن الروسيين عددهم كان مائة ألف وخمسين ألفاً والعثمانيين كانوا ثلثهم أي خمسين ألفاً، وكانت روسيا تأمل انتصاراً أعظم منها.

ذكر الفظائع التي فعلتها روسيا والأعمال الوحشية

لما انتصرت روسيا على العثمانيين صنعت أنواع الفظائع بالجنود العثمانية، ففي هذه السنة وجدت معسكراً يحتوي على مائة ألف من نساء الأتراك نازلاً ببعض الأمكنة فما كان من جنود روسيا وأتباعها إلا أن فتكو بهن وطردهن أمامهم على ثلوج نهر ميرتزا إلى جبال دورب حتى مات أكثرهن من البرد والجوع، وأصبحت بعض الأماكن التي تبلغ سبعين ميلاً، وكانت بالأمس مرتعاً للآلاف من العائلات، فأصبحت قاعاً صفصفاً خاوية على عروشها ليس فيها سوى جيف الموتى وعظام القتلى وبقايا المقتولين، فتحوّلت نضارتها السابقة إلى منظر خيف وأطلال دوائر، وذلك من الفضائح المنكرة التي تقشع من هولها الأبدان وينكرها أهل العقول من ذوي الأديان، حتى جاء في بعض الجرائد المتعلقة بهذا الموضوع.

وكانت هذه الجريدة تميل إلى روسيا غير أن هذه المرة تسخط من هذا الصنيع، قال وكنا نرى جثث الفلاحين مغطاة بالثلوج ولا شك أن بعضها قد لبث على هذه الحالة الشنيعة الحزنة أسبوعين أو ثلاثة ولم تزل آثار الدماء على ملابسهم وهكذا كنا نسير بين رمم القتلى وآثار الخيام والأرض حولها مغطاة بالجثث وبقايا المعسكرات كما تغطي بالفرش والبسط.

وكنا نخترق صفوفاً من جثث القتلى ورمم الحيوانات مسافة لا تقل عن خمسة وثلاثين ميلاً، فرأينا نساء ملقاة في الثلوج وأولاداً وأطفالاً مرماة في البرك ورجالاً ممزقة أجسامهم مما أصابهم من الجراحات القتالة ورأينا الثلج محمراً من أثر الدماء المنهطلة، وأظن أن أغلب النساء متن من البرد القارص لأن نضارة الحياة كانت بادية على وجوههن، أما الأطفال والأولاد فهم كالنساء مات أغلبهم من شدة البرد القارص والثلوج المتراكمة، هذا ويرى عليهم آثار النضارة الطفولية وبعضهم بادية وجوههم وبعضها مغطاة بالثلوج، لأن مما لا شك فيه أن أمهاتهم لما رأينهم أمواتاً على صدورهن من شدة البرد وأن لا أمل في عودتهن للحياة رمينهم في الثلوج ليخففن حملهن وفارقن حشاشات أكبادهن بالرغم منهن والدموع تسيل من عيونهن، حتى إذا أدركت الحدود تحولت برداً من شدة الزمهرير.

ولقد وصف بعضهم امرأة تسير بجانبها طفلة تناهز العاشرة من عمرها وهما تجدان في المسير فراراً من معاملة الروسيين وقساوتهم وفظاعتهم، ولكن الابنة لم تقو على المشي لأن أقدامها العارية تعبت غاية التعب من المسير على الثلج فسقطت ميتة بين أمها الحنونة ولقد داهم الأم الليل بظلامه الحالك وبرده الفاتك فسقطت طريحة بجانب ابنتها.

وكانت جيف القتلى من الأتراك يقوم عليها فلاحو البلغار فلا يكتفون بما أصابها من القتل بل يرمونها بالحجارة ليفنوا عظام أولئك القتلى، ولما سئلت إحدى العائلات التركية من أين جاءت وإلى أين تسير، قالت لها تركت بلفتة من خمسة شهور مضت وهي على مثل حالها من الفقر المدقع تسير ليلاً ونهاراً ليس لديها إلا ما تجده من لحوم الحيوانات التي تموت في الطرق، كانت هذه العائلة مكونة من أب وأم على صدرها طفل صغير وولد لا يبلغ العاشرة من العمر وكلهم حفاة عراة، الأرض فراشهم؛ والسماء غطاؤهم وليس لديهم سوى بعض خرق يسترهم بها سوءاتهم وقدر يطبخون به اللحم من تلك الميتات، وكلما سرت رأيت مناظراً أبشع وأفظع، فهذه امرأة وزوجها مقتولان نائمين بجانب بعضهما وطفلان بقربهما على الثلوج، وشيوخ متكسرة جماجمهم.

ومن المناظر التي تولد الحسرة وتحزن الفؤاد، رؤية شيخ هرم من الترك ملقى على الأرض إلى جانبه مصحف قد تلوث بدمه حتى ترك خمسة وسبعون ألف بيت خالية من السكان، وكان الأتراك شيوخاً وأطفالاً ونساءً يفرون فلا يستطيعون الفرار فينقض عليهم البلغاريون فيفتكون بأغلبهم حتى سميت بعض الطرق التي يفرون معها طريق الموتى لكثرة ما فيها من القتل.

ثم دخلت سنة ١٢٩٦هـ

استهلت هذه السنة والكلمة متفرقة والجماعة مختلفة والأحوال تنذر بشرها وويلاتها، فكان على الخرج أبناء سعود بن فيصل، وعلى بريدة حسن بن مهنا، وعلى عنيزة زامل بن عبدالله، وعلى الرياض وما يليه الإمام عبدالله بن فيصل ومعه أخوه محمد وعبدالرحمن، هذا وعلى ناحية جبل طي الأمير محمد بن رشيد وقد اشتعلت بروقه وصلفت رعوده، يريد الاستيلاء على نجد كلها فأصبح يخطب الملك لنفسه وما كانت حائل لتقنعه إماراتها ولكن أين من ينتبه له، فهل كان آل سعود نياماً أم يقظاناً أم قد اختلفوا فيما بينهم حتى ينفذ فيهم المقدور، فإن كان الإمام عبدالله قد أطاع له أخواه واستقروا في الرياض فكانوا يداً واحدة، ففي الجو مكدر فهؤلاء أبناء أخي الإمام في الخرج مصرين على الخلاف والعناد، وهذا الأمير بن رشيد قد طمع في نجد لما تضعضع ملك آل سعود، فقد خسروا القصيم وجبل طي والأحساء والقطيف وغالب بلدان الجنوب، فأنشأ الشيخ سليمان بن سحمان رحمة الله عليه قصيدةً يمدح فيها الإمام عبدالله بن فيصل ويحرضه على الانتباه والأخذ بالحزم في كبح ابن رشيد وينهضه لانتهاز الفرصة، وأن لا يغفل أمر العدى فمن نام عن غنمه تولى رعيها الأسد وكيف تنام العين في السفينة وقد شرع العابثون في أكل أحبالها:

| | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| أدم بالعوالي الطعن في الضدان جدا | وبالبيض قد للعدى تعتلي مجدا |
| ألا إنما العز الموطد والعلى | بظل المواضي والطلا للعدى غمداً |
| فما أوهن العدو سوى البيض والقنا | وصيرهم الأبهى آلة جندا |

فلن تدرك الفوز الموطد بالمنى
وأعمل هديت اليعملات بداجن
وفي ربيعها عمداً أنخها ولا تهب
لتدرك عزاً باذخاً مثلقاً
وليس ينال الفخر عاشق راحة
وليس شديد النخوة اليوم راضيا
ويعتاض هوناً بالهواة لابساً
فعجز مدارة العدى بعد ما بدت
وإياك أن تغتر منهم بمنطق
فليس يرجى صفو ود لحاسد
ففيما مضى من مكرهم وخداعهم
فبادر فهذي فرصة قد تمكنت
ومن لم تخف منه العدى في بلادها
ومن لم يشاركهم على كل ما هوى
ومن طلب العليا تفضل وانتضا
وجانب لذات النفوس ولم تكن
ومن رام عزا للرعايا وراحة
فإن رمت أن تحيا عزيزاً مؤيدا
فجرد بجد سيف عزمك صاعدا
وإن لها سامياً على ذاك يني
ملازمة التقوى على كل حالة

ولكن آدم غزو العدا وأبذل الجهدا
من الليل جوباً للفلى وأحثت الوخدا
وقد نحوهم جهراً علانية جردا
ويكبو حسيراً خاسئاً ضدك الأردا
ومستوطى فرش التكاسل ما اعتدا
بثوب الهوينا والعدا تلبس الحمدا
مهاودة الأبهها جهرةً يردا
مظاهرةً منهم إذا لم تجدد بدا
لييب فإن السم قد يمزج الشهدا
وهل يرجى صفو من الممتلي حقدا
دليل وإرشاد لمن يتبع الرشدا
وعين العدا يقضا فلا تغتمظ رقدا
أخافته في أوطانه واختضت غمداً
فإن لهم قيماً حوى ذلك القصد
لكل العدا عزمأ وعضباً له قدا
له همةً دون العلى فارتقى مجدا
أخاف الأعادي فأنثنى فيهم رشدا
وكل الرعايا بالفلى رتعاً رغدا
لنيل العلى قصداً ورم هامها عمدا
لمن رام تشييداً لما انحل وانهدا
فإن بها تقوى على كل من صدا

ومن أمعن النظر في الدولة الأموية وأسباب سقوطها التي قضت على عرشها
بالذل والسلب، وجد ذلك راجعاً إلى أمور من أهمها إهمال أمر العدو وعدم
المبالاة بشأنه والاتكال إلى ما لدى الإنسان من القوة وعدم الأخذ بالفرصة

والحزم، فعلى الملك أن يأخذ بالحزم وينتهاز الفرص ولا يغفل أمر العدو حتى يستفحل، فإن إطفاء الشرارة أهون من إطفاء الحريق، ولقد أحسن زهير بن أبي سلمى حيث يقول في معلقته التي لا يزال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلهج بها:

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
وفيها وقفت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا، وذلك لأنها لما رأت الدولة العثمانية أن أوربا ضدها وأن لا نصيب لها بين الدول وأن إطالة الحرب مضرة بها، طلبت من روسيا إيقاف الحرب وعقد هدنة للمخاطبة في شروط الصلح، فقبلت روسيا ذلك بغاية الامتنان وعقدت الهدنة بين المتحاربين في [أدرنة] بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٨٧٨ م.

واشترطت روسيا عند عقد الهدنة أن القواعد الأولية للصلح يجب أن تكون استقلال المغرب ورومانيا وتنازل الدولة العثمانية لهما وللجبل الأسود عن بعض الأراضي، وجعل بلغاريا مستقلة استقلالاً إدارياً وجعل الإدارة في البوسنة والهرسك مستقلة، وتقدير غرامة حرية تدفعها تركيا لروسيا.

وما انتشر خبر هذه الاتفاقية التي عقدت في [أدرنة] بين المتحاربين حتى هاجت الخواطر في النمسا ضد روسيا، ورأت حكومة الأمبراطور فرنسو جوزيف أن هذه الشروط التي جبرت روسيا الدولة العثمانية على قبولها ماسة بحقوقها ومصالحها في البلقان وعلى شواطئ نهر الدانوب، فأعلنت الدول الأوروبية بأنها تعتبر كل اتفاق يقع بين المتحاربين لاغٍ لا عمل له، وأن أوربا كلها يجب عليها أن تجتمع في مؤتمر للفصل بين تركيا وروسيا.

أما أنكلترا فقد أظهرت عندئذ ميلها للدولة العثمانية وتظاهرت بالحبّة والصدقة لملك آل عثمان، وأرسلت بأسطولها إلى ميناء البوسفور وهددت روسيا بإزالة العساكر الإنكليزية إلى الأستانة.

وسيرى القارئ إلى أي غاية كانت ترمي إنكلترا عندئذ، وهل كانت صادقة في

تظاهرها بالمودة للدولة العثمانية أو غير صادقة، وقد أجابت الحكومة الروسية على إعلان النمسا بأن ليس لأوروبا حق في أن تتدخل في أمور لا تمس مصالحها مطلقاً، وأن روسيا تعرض على الدول عقد مؤتمر أوربي للنظر في شروط الصلح، وبعد هذا المؤتمر الذي عقد ببريل وعرضت فيه شروط الإتفاق التي منها أن الدولة تدفع لروسيا غرامة حربية قدرها ١٤٠٠ مليون من الروبل وأنها قد تنازلت روسيا إلى ١١٠٠ مليوناً من الروبل، فاعترف سواس الدول الأوربية لما علمت بهذه الشروط باعتداء روسيا على الدولة العثمانية شر اعتداء، وكان أشد الدول تهيجاً على روسيا هي النمسا لاتفاقية بينها وبين روسيا عقدت في السنة التي قبلها، فخابرت إنكلترا واتفقت معها على معارضة روسيا كل المعارضة، غير أن القيصر أجاب بأنه لا يرضى بأن دول أوروبا تناقش في الشروط التي لا تخص إلا روسيا وتركيا.

ولما رأت روسيا أنه لا استطاعة لها على محاربة النمسا والإنكليز بعد محاربتها تركيا وقعت الإتفاقية، وبهذا خسرت الدولة العثمانية شيئاً كثيراً من ممالكها، وسبب ذلك هو انخداعها للدول الأخرى بأنها ناصحة لها وهي غير ناصحة، لا سيما إنكلترا فإنها لم تسعف الدولة العثمانية بشيء من الإسعافات في هذه الحروب سوى أن اشترطت على روسيا عند الشروع فيها بأنه لا يصل إلى الإنكليز ما يضر بمصالحها فيا عجباً لهذه المناصرة.

وفيهما عزم القاضي الشيخ سليمان بن علي بن مقبل على أن يسافر إلى مكة المشرفة يريد الحج وأظهر أنه سيستقر فيها مجاوراً بدعوى أنه كبر سنه وسئم من القضاء، وكان إذ ذاك قاضياً في بريدة، ثم إنه أشار على أمير بريدة حسن بن مهنا أن يجعل على قضاء بريدة الشيخ الإمام محمد بن عبدالله بن سليم، وذكر للأمير ما لهذا الشيخ من المواهب والفضائل وأنه لا يقوم بأعباء هذه المسألة غيره، فبعث ابن مهنا إلى الشيخ محمد بن عبدالله وأحضره لديه وطلب منه القيام بهذه المهمة كما تقتضيه الظروف، فتولى الشيخ محمد القضاء في بلد بريدة، وكان موفقاً في أقضيته وتصديراته.

وكان من أعيان العلماء في بريدة الذين اشتهروا بالعلم والدين إذ ذاك ابن عمه الشيخ محمد بن عمر بن سليم، والشيخ العارف الزاهد عبدالله بن محمد بن فداء رحمة الله عليهم.

ثم دخلت سنة ١٢٩٧هـ

استهلت هذه السنة والأمر على ما هي عليه في نجد من الاختلاف والتفرق وقد تعرقلت المساعي عن الإتفاق وتجسمت العضلات وأصبح أمراء البلدان كل لا يعدو أمره وتديره عن بلده، سوى أنه ما كان لأمر أن يعتدي على الآخر.

وفي هذه السنة شرع الأمير حسن بن مهنا أمير بريدة في تفجير العيون وإنشاء العقارات والآبار لما له من النهمة في ذلك، وأخذ في إصلاح قصر الحكم في بريدة وشرع في عمارة مسجد عودة الرديني المعروف في بريدة، وكان يقول أنني آليت على نفسي أن لا أجعل فيه إلا نفقة طيبة فكان يأتي بخشبة وجريد سقفه من روضة مهنا، ويقول هذه من أرثي الذي خلفه لي والذي مهنا قبل أن يتولى الإمارة ولم يجعل فيه شيئاً من بيت المال.

ولما فرغ هذا المسجد كان لا يزال منيراً بالعبادة ومعموراً بالتدريس والتلاوة، وكان خارص الأمير حسن الذي يبعثه عاملاً للزكاة جدنا من قبل الأم وهو عبدالرحمن بن سلمى وقد امتاز بالعدل والإنصاف في خرصه لا يظلم الناس لا يجور في الخرص، ولما وشى به بعض الأعداء إلى الأمير حسن بن مهنا بأنه يتسامح ولا يأخذ الزكاة كاملة، بعث إليه من يفتش عليه في خرصه ويدقق، وكان ذلك بعد ما جعل الصدقات في سجلها وتصرف الفلاحون بالثمار فغار لذلك عبدالرحمن ومزق السجلات واشتد غضبه ورجع إلى الأمير قائلاً كنت أتيك بها نقية، فبعثت إلي من يأتي بها قدرة فالفغو أريد أيها الأمير.

ولما خرج من عنده غضبان أسفاً جاء المفتش إلى الأمير وجلس قائلاً: أيها الأمير إنه مزق الأوراق خشية أن أعرضها على الثمار، فأرى عمله وعلاوة على

ذلك يقول اذهب إلى سيدك يجعلك عاملاً فما لدي له خبر، فعند ذلك أحضره الأمير لديه واسترضاه، وقال له: قم يا عبدالرحمن فلا معارض لك بعد هذا اليوم، ولكن كيف نصنع بالذين ضاع حسابهم ولم نقف على خبرهم، فقام العامل عبدالرحمن وكان حافظاً يجيد سرد الزكوات من حفظه فأملاها على البديهة كما كانت، وذكر كاتبه أنها على وفق وضعها في السجل، وكان سكرتير الأمير حسن بن مهنا والدنا السعيد قدس الله روحه، وذلك لجودة خطه وأمانته، فكتبها كما ألقاها الخارص.

أما عبدالرحمن هذا فمن نكته أنه خرص مرة ثمرة مزارع، فضج المزارع يقول ظلمتني يا خارص فإنه لا يبلغ الزرع هذا القدر، فأجابه قائلاً بعه علي فقد اشتريته بخرصي، فخجل المزارع وسكت.

وفيها اشتد البرد جداً وحصل من ذلك البرد أن ماتت الأشجار لشدة البرد وأصرعت النخيل؛ وكان ذلك في أيام أربعمائة الشتاء، وجمدت المياه والله على كل شيء قدير.

وكانت دموع الإبل تسقط على الأرض فما تصل حتى تكون جامدة كالثلج والجليد فسميت هذه السنة في نجد سنة البردة، وكانت القرب لا ينتفع بها حتى تجعل في الشمس فتذوب بعد الظهر، وكانت المياه التي تتسرب من أعلاها إلى أسفل جامدة كالأعمدة.

وفيها في اليوم ٢٩ من ذي الحجة ولد صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن سعود ملك المملكة العربية السعودية، وكانت ولادته طلوع فجر ذلك اليوم المبارك فأكرم بطلعته يماً وسعداً.^(١)

(١) قد قيل أن ولادته في سنة ١٢٩٣هـ، وما أثبتناه أقرب إلى الصواب.

وهذه ترجمته نأتي بنسبه وإلا فيأتي بقيتها في سني هذا التاريخ:

هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ابن محمد بن مقرن بن مرخان بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن مانع ابن الحارث بن سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان بن بكر بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فهذا نسب آل سعود، وقد اشتهروا بهذا الاسم وبآل مقرن حماة الدين والقائمين بإصلاحه، وأول من تولى الإمامة منهم محمد بن سعود لقيامه بنصرة الشيخ الكبير والعلم الشهير الشيخ محمد بن عبدالوهاب الداعي إلى دين الله تعالى، فلما قام محمد بن سعود بنصرته ومساعدته على قلة من معاون والمساعد وكثرة من المعاند والمكائد صاح عليه الجو وقام عليه الأعداء من كل حذب وصوب، ونشأت بينهم الحروب والمعاطب، وشمرت الحرب عن ساقها، وما زال محمد بن سعود يبتلى إلى أن جعل الله العاقبة له ولذريته من بعده فإن العاقبة للمتقين.

فلما مات محمد بن سعود قام بالأمر بعده ابنه عبدالعزيز بن محمد وجمع بين الملك والعلم والدين، وقام لقتال الأعداء أتم قيام حتى أمن الله به العباد والبلاد، فلقد كان الرعية في زمنه إذا سافروا يجعلون أكياس الدراهم أطناً للخيام ولا يخشون عليها وتوفر الأمن في وقته شيئاً عظيماً، فلما قتل وهو ساجد في صلاة العصر رحمة الله عليه قام بالأمر بعده سعود بن عبدالعزيز الذي سمي سعود الكبير نجل عبدالعزيز، وكان شبلاً شجاعاً من ذوي الحجى، وعلى غاية عظيمة في الحظ والتوفيق واتسعت في وقته رقعة الملك، فلما مات رحمه الله قام بالأمر بعده ابنه عبدالله بن سعود وكان ذا سيرة حسنة مقيماً للشرائع ثباتاً في اللقاء ومصابرة الأعداء، سوى أنه تولى الإمامة وتركيا تضرم نيرانها للسعوديين فلم يساعده القدر، وكتب عليه البوار، وتسلبت العثمانيون على أهل نجد فعاثت الدولة العثمانية في نجد فساداً حتى وصلوا إلى الدرعية، وبعد حروب ووقعات شديدة احتلتها ونكلت بأهل نجد وأخذت الإمام عبدالله بن سعود وسيرته إلى مصر، فهلك هناك بالشنق، رحمة الله على روحه.

فهؤلاء عضو من أعضاء أولاد محمد بن سعود، فلما تضعضع الملك وانتشرت الفوضى وتشتت الشمل، قام بالأمر تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ووفق وملك وساس الرعية وأذعنت له العباد، وتأسست الدولة السعودية مرة ثانية فقتله ابن عمه مشاري بن عبدالرحمن، ثم قام بالأمر بعده نجله فيصل بن تركي وسدد وطالت مدته في الملك، فلما توفاه الله تعالى قام بعده أولاده كلٍ يخطب الملك لنفسه، وكاد الأمر أن يستقيم للإمام عبدالله لولا معثرات قامت في نحره ومنازعات ومشاغبات بين أمراء آل سعود في الملك، حتى كانت الفتن تغدو على الناس وتروح ونياب الأهواء تظهر إذ ذاك وتلوح، وكلٌ قد استعد بسلاحه يتوقع الغوائل، ولا يدري في أي موضع نصبت له الحبال، فضاع الملك بين آل سعود حتى قبضه محمد بن رشيد.

فلما شب هذا العاهل العظيم والضرغام المقدام استلم هذه الوديعة من يد مغتصبها وكان لما بلغ الحادية والعشرين من عمره تجرد لنزع الملك، وتقلد سيفه يفلق الهام ويزيل الأعناق حتى قال عن نفسه ما في المملكة من شبر إلا وقاتلت عليه، فأخذ الملك بالسيف ما زال يجند الجند ويحيش الجيوش حتى كان ما بين البحر الأحمر إلى خليج فارس وما بين الشام إلى اليمن يدين له بالسمع والطاعة، وهؤلاء العضو الثاني من أولاد الإمام محمد بن سعود وسيأتي بقية ترجمته إن شاء الله تعالى.

وفيها أيضاً جدد فرش الكعبة المشرفة، وفرش سطحها وغير بعض أخشاب سقفها وأصلح بعضها، وذلك في عهد السلطان عبدالحميد لأن له همة عالية في الإصلاحات لا سيما في الحرمين الشريفين كعادة سلاطين آل عثمان في عمارة الحرمين الشريفين وبذل الأسباب وبث الأموال ونحت الطرق، ولقد اعتنت في أعمدة المسجدين وزخرفتها، فאלله المستعان.

وختمت هذه السنة بتقوية الصلات بين ابن رشيد وابن مهنا.

ثم دخلت سنة ١٢٩٨هـ

ففيها حدث اختلاف بين الإمام عبدالله بن فيصل وبين أهل الجمعة أدى ذلك الاختلاف إلى الحرب.

وفيهما ولد الشيخ عمر بن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم شيخنا القاضي في مقاطعة القصيم وكان له إخوة أسن منه، فمنهم الشيخ الألعلي الذي افتخرت به أواخر هذه الأمة على أوائلها شيخنا عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليم، وكان قد انتهت إليه الفضائل ونال درجة القضاء بعد أبيه في القصيم، ومن إخوانهما عبدالرحمن بن محمد وصالح بن محمد وسليمان.

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الإمام العالم الورع ذو العلم والأتقان القاضي محمد بن سلطان رحمه الله وعفا عنه، كان رحمه الله حبراً نبيلاً، تولى قضاء بلد عرقة للإمام تركي وابنه فيصل، وأخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ عن غيره من علماء هذه الدعوة حتى أثار الله قلبه بالتوحيد والإيمان والمعرفة، وجد ونافس حتى بلغ درجة المحققين، ولما توفى رثاه الشيخ سليمان بن سحمان بهذه القصيدة.

| | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| طار الكرى وفاض الدمع وانسجما | من فادح حادث بالناس قد دهما |
| وثلمة فرجت في الدين وانثلمت | لا يستطيع أمرؤ سدا لما انثلما |
| بعالم عام في بحر العلوم فلم | يترك لمتقدي قولاً ولا كلما |
| وفاضل حمدت في الناس سيرته | بالحلم فاق على أقرانه فسما |
| قد أفقرت وخلت منه الربوع فيا | للعلم فأبكوا دماً بل أخضلوا ديماً |
| وابكوه وارثوه أن كنتم ذوو آخرين | وذوا اكتئاب على فدح بكم دهما |
| لله در إمام زاهد ورع | وعالم بنعوت العلم قد وسما |
| ومن فقيه غدى من فقهه علماً | ومنهلاً سلسيلاً مفعماً حكماً |
| قد زانه الله بالتقوى وسربله | وخصه الله من وحيه فاعتصما |

أعني بذلك من طابت أرومته
ذاك بن سلطان من شاعت فضائله
إنني لأرجو له فوزاً ومغفرةً
فالله يعليه من فردوسه درجا
والله يجزيه من خير برحمته
حبر تقضت به الأيام وانصرفت
لما نمتي موته الناعون أن به
طاشت حلوم ذوي الألباب وانصدعت
وظائفنا بعده هم فأرقنا
أنى وقد أظلمت كل البلاد وقد
وفاض في الناس هذا الجهل واندرست
من فقد كل إمام جهل ثقة
كالفاضل الثقة الموهوب تكرمة
يكنى أبا حسن من طاب مدحته
ونجلاه الفرد من سارت فضائله
من رام شأو العلى حتى علاه وقد
فاظلمت بعدهم أرجاؤه وعفت
ثم الصلاة على المعصوم سيدنا
والآل والصحب ما هب النسيم وما

بقية العلماء السادة القدماء
محمدأ من فضل العلم قد رسماً
ومنزلاً يجوار الله منتعماً
والله يجزيه رضوانه كرماً
وفضله خير ما يجزي به العلما
حتى اغتدى رهن رمس بالثرى
ريب المنون أناخ الرحل فاخترما
منا القلوب لهذا الخطب إذ عظما
وليس عما قضاه الله منهزماً
عم البلاء فأبدى القلب ما اكتتما
معالم العلم حتى غاض وانصرما
قد اعتنى بحمى الشرع فانتظما
فضلاً على الناس بالعلم الذي علما
من كان للفضلاء في علمهم علما
مسير ذي الشمس في الأقطار حين سما
أعيت مناقبه نثراً ومنتظما
واستحكم الجهل في الأقطار حين طما
أزكى البرية بل أزكاهمو ذمما
طار الكرى وفاض الدمع وانسجما

وفيهما ولد سلطان لحج عبدالكريم الفضل وعقدت في هذه السنة في ٧ جمادى
الآخرة معاهدة جديدة بين أخيه السلطان فضل بن علي بن محمد محسن وبين
الحكومة البريطانية، وكان السلطان عبدالكريم له نهمة في تقدم لحج وتحسن
زراعتها وكل ثروتها، وأثيرت بالكهرباء وشقت فيها الشوارع الواسعة وغرست
على جوانبها الأشجار حتى صارت تضاهي بجمالها وبهائها أجمل المدن الحديثة،

ونهض بالإمارة حتى كان بلاد لحج في مقدمة بلاد اليمن عمراناً وازدهاراً، وذلك بإقرار الذين زاروها ودرسوا أحوالها.

وفيهما أيضاً ولد رئيس جمهورية تركيا مصطفى كمال، وكانت ولادته في مدينة سلانيك وأسرته كان من الأريسا في بلاد اليونان، ويأتي له بقية ذكر في سنة وفاته، وكان قد توفي والده وهو صغير بدون ثروة تذكر، فلجأت أمه إلى أخيها وكان مزارعاً فنقلها أخوها مع فتاهما إلى قريته وكفله، فأخذ يساعد خاله في عمله سواءً في الحقل أو في الدار أو في السائمة، ثم شق على والدته أن ينشأ فتاهما هذه النشأة الخاملة فأعادته إلى شقيقتها في سلانيك ليتعلم، فأدخلته هذه مدرسة رسمية من مدارس الحكومة، وشملت بعنايتها، وضربه الأستاذ يوماً ضرباً مبرحاً لأنه تشاجر مع زميل له ساعة الدرس، فشق ذلك على جدته فأخرجته من المدرسة وأقصته عنه، فاختار الدخول في المدرسة العسكرية لميل غريزي فيه، ولما عارضت والدته حينما عرض الدخول عليها في المدرسة خوفاً عليه ولثلا تصاب ببعاده، أصرّ على الدخول وكان له ما أراد ولقب في المدرسة العسكرية بكمال فأصبح يدعى مصطفى كمال، وما زال يترقى ويمتاز الصفوف الأولية حتى نودي به رئيس جمهورية تركيا.

وختمت هذه السنة باتفاق أهل بلد الجمعة مع الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد على أن يكون حليفهم وحاميهم وأن يكونوا من رعاياه، وكان هذا الإتفاق بعد عدة وقعات جرت بين أهل الجمعة وبين الإمام عبدالله بن فيصل، قتل فيها عدة رجال من الطرفين، فلم يستول عليها عبدالله وأحدثت شغباً، ورجع الإمام عبدالله صفر اليدين منها، وبذلك تعلم ضعف جانب الإمام لأنه إذا عجز عن فتح بلدة في سدير ودخولها تحت طاعته فغيرها أولى.

ثم دخلت سنة ١٢٩٩هـ

ففيها أعاد الإمام الكرة عبدالله بن فيصل على الجمعة فأمر على أهل بلدان نجد

بالتجهز للغزو، ثم خرج من بلد الرياض وتوجه إلى بلد الجمعة ومعه جنود كثيرة من أهل العارض والحمل وسدير والوشم، وسار معه بادية عتبية بأهاليهم فنزلوا بلد حرمة وحاصروا بلد الجمعة وقطعوا كثيراً من نخيلها.

وكان أهل الجمعة لما بلغهم مسيره، كتبوا إلى أمير الجبل محمد بن عبدالله بن رشيد يستحثونه في الزمن لإسعافهم، وتتابعت الرسل منهم إليه، وكان قد وعدهم بالنصرة وواطأهم على حرب الإمام عبدالله بن فيصل، فعند ذلك استنفر ابن رشيد من حوله من بادية شمر وحرب وبني عبدالله، فلما اجتمعت إليه هذه الجنود خرج من حائل بجنود أخرى وزحف إلى بلد بريدة، فنزل عليها بجنود كثيرة وعدد وعدة، فلما قدم على بريدة وجد الأمير حسن بن مهنا قد جمع أهل القصيم ومن وجده من أهل البادية واستعد بأهبة للزحف مع الأمير محمد بن رشيد لنصرة أهل الجمعة.

ولما تكاملت جيوش ابن رشيد في بريدة زحف متوجهاً معه حسن بن مهنا ونزل على الزلفي، فلما علم بذلك بوادي عتبية ارتحلوا من حرمة منهزمين وارتحل الإمام بمن معه من المسلمين متوجهاً إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، وكان مدة إقامته على بلد الجمعة محاصراً لها أربعين يوماً.

ثم إن ابن رشيد ارتحل من الزلفي بمن معه من الجنود ونزل على بلد الجمعة وأقام عليها أياماً، ثم إنه جعل فيها أميراً من قبله، وهو سليمان بن سامي من أهل حائل ورجع إلى بلده.

وكان الأمير حسن بن مهنا لما سار في تلك الجهات جرى منه ومن جنوده فساد عظيم ليهلك الحرث والنسل، فكان يؤتى بالبكرة الثمينة من آلة السانية فتتزع من قرون البتر وتلقى في النار يطبخون عليها القهوة ويحرقون عليها الأبواب ويفسدون كل ما مروا عليه، وكان هذه من ابن رشيد بعد فوزه في القصيم تعد الخطوة الثانية في استيلائه على نجد.

ثم إنه عاد الإمام الكرة على الجمعية فاستغاث أهلها ثانياً بابن رشيد وابن مهنا فأغاثهم فأدى إلى وقعة بينهم وبين الإمام.

وفيها شرع في حفر آبار البدائع المعروفة، وكانت الآن قصوراً قابلة للزراعة وهي تابعة لعنيزة لحسن مواصلة كانت بين الأمير حسن بن مهنا وبين أمير عنيزة زامل بن عبدالله، وذلك لأن الثاني طلب من الأول إلحاقها بعنيزة فسمح له بذلك، وكانت البدائع تمتاز بقوة واتساع ناحية لما لأهلها من الهممة العالية في الزراعة.

وفيها عمر السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد في الكعبة المشرفة وفرش باطنها بالرخام وعمر بعض الخراب فيها فتم حينئذ فرش سطحها كما أشرنا إليه قبل ذلك وتم أيضاً فرش باطنها في هذه السنة واستمر ذلك، وفيها خصصت القبة الواقعة في باب الدريية لحفظ الكتب التي أرسلها السلطان عبدالحميد خان وكان قد أضر بها السيل حين دخوله المسجد الحرام كما تقدم، وقد أصدر السلطان عبدالحميد أوامره ببناء مدرسة ومكتبة بجانب التكية المصرية فتوفى قبل تنفيذ هذا الأمر.

فلما كان في هذه السنة نقل بقيتها إلى القبة المذكورة ثم بعد ذلك ضمت إليها الكتب التي أوقفها الشريف عبدالمطلب أمير مكة، وكتب الشيخ صالح عطرجي أحد مدرسي الحرم الشريف سابقاً.

وفيها في ٢٤ ذي القعدة ولي إمارة مكة الشريف عون الرفيق، وهو عون بن محمد بن عبدالمعين وانعزل الشريف عبدالمطلب بن غالب وامتدت إمارة الشريف عون ثلاثاً وعشرين سنة إلى أن مات سنة ١٣٢٣هـ.

وفيها في أول يوم من صفر ولد الشيخ حسين بن عبدالله باسلامة الحضرمي مؤلف كتاب حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الإسلامية، وكان له فضل وفواضل وله مؤلفات عديدة منها تاريخ الكعبة وتاريخ المسجد الحرام.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم الشيخ الإمام العالم العلامة الفاضل عبدالعزيز بن حسن بن يحيى قاضي بلد ملهم رحمه الله وعفا عنه، أخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ أيضاً عن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن وتولى قضاء حريملا والمحمل للإمام فيصل بن تركي، وكان عالماً فاضلاً متواضعاً حسن السيرة عليه آثار التواضع والعلم.

ومن توفي فيها أيضاً الشقي داود بن جرجيس ونذكر شيئاً من ترجمته:

هو داود بن سليمان بن جرجيس البغدادي ويسمى بداود العراقي كان له تحبيط في العقيدة، وميل إلى مذهب عباد الأصنام، وقد تظاهر بالشرك وشطر البردة وزاد الرمذ عمى فقبحه الله ما أمقته وكان في بداية أمره أن قدم على الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين في مبتدأ النصف من القرن الثالث عشر ومعه شيء من كتب المذهب وجلس يتعلم العلم من الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن، فلما كان بعد ذلك طلب منه إجازة في الفتيا في المذهب، فلما حاز الإجازة ذهب إلى بلده وقام بإجازة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين يتجمل بها، ثم شرع والعياذ بالله يشبه على الناس ويموه بكلام معناه استحالة وقوع الشرك في الأمة المحمدية ويزعم أن دعاء الأموات والغائبين والذبح والنذر لغير الله ليس بشرك.

فلما كان بعد ذهابه بأربع سنين قدم إلى نجد، واتفق بالشيخ أبي بطين معه ورقة فيها شيء من عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية يضعها في غير مواضعها، فلما تبين للشيخ حالته باحثه أمره فوجده قد وقع في هوة الردى فدحض حجته وأبان له خطأه، فاذعن في الظاهر ووافق وانقاد، ثم إن الشيخ كتب على ورقة أربع كراسات رداً عليها سماها بعض الإخوان من طلاب العلم الشريف [الانتصار لحزب الله الموحدين]، ثم إنه طلب بعض الإخوان من الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بيان معنى بعض أبيات في البردة وتشطيرها، فكتب الشيخ عليها قدراً من ورقتين

فاشماز بعض الأشرار والذين في قلوبهم مرض ونفاق، واعتراض على ما كتبه بكلام قد ضمنه شركاً عظيماً فكتب الشيخ على كلامه قدر ثلاث كراسات فرفع أولئك الأشرار رد الشيخ أبي بطين الأول والثاني إلى كبيرهم داود المذكور، مستنصرين به، فقام وقعد وجد واجتهد في جمع ما اعترض به أعداء شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، فحصل على جملة منها وزاد من عنده فضائح وضعها من تلقاء نفسه، فعند ذلك رد عليه الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبي بطين بكتاب سماه «تأسيس التقديس» وكان قد ألف هذا المعترض كتاباً سماه «صلح الإخوان» ويعني بالإخوان أهل التوحيد وعباد القبور والأصنام، فرد عليه الشيخ عبداللطيف برد سماه أيضاً «بيان المحجة» رداً على من انتصر لداود العراقي، ولقد أحسن الشيخ سليمان حيث أبان نخلة داود ورد عليه وعلى من انتصر له من الأغبياء، قال الشيخ سليمان هذه الأبيات من معرض قصيدة:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| جاس ابن جرجيس بغياً من شقاوته | خلال سنة خير الناس بالأحن |
| وبالفواضع من زور ومن كذب | وما نحاه من التحريف للسنن |
| وللنقول التي كان ينقلها | عن الثقات ذوي القربان بالحسن |
| فحرق الأحق الزنديق ما نقلوا | تحريف داعية الكفر مفتتن |
| فدم بيغداد خلد لأخلاق له | هينغ قيعم معبوبق السنن |

إلى أن قال:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| مخلط ليس يدري حين يكتب ما | يهذو به كالذي في غمرة الوسن |
| أو ذاهب العقل والنشوان من سكر | أو كالحمار الذي يعدو بلا رسن |

إلى أن قال:

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| وإنما مثل المافون حيث طغى | كرائد أعجبت به خضرة الدمن |
| فسام في مرجها إذ خال من سفه | أن ليس في روضها الندى من سكن |
| فحينما سام في روضاتها وعشى | وخال أن قد خلت من قاطنِ ضنن |

تواثبت نحوه أسد ضياغمة
فانظر إليه صريعاً في مفازتها
من ضيغم باسلٍ حبر أخى ثقة
عبداللطيف الذي شاعت مناقبه
قد فوقوا أسهماً بالآي والسنن
يكبو على وجهه المسوخ والذقن
وجهه المعى فاضل فطن
غرباً وشرقاً ومن بصرى إلى عدن
إلى آخرها.

ثم دخلت سنة ١٢٠٠هـ

في هذه السنة واقعة عروى بين محمد بن سعود بن فيصل وبين محمد بن عبدالله ابن رشيد وحسن بن مهنا، وكان مع محمد بن سعود بادية عتيبة حشدها معه وقام ينتصر لعمه الإمام فكان في ذلك فائدة لعبدالله بن فيصل.

ولما التقى محمد بن سعود وجنوده بمحمد بن رشيد وأتباعه عند هذا الماء الذي يدعى عروى نازل العدو هناك وحصل بين الفريقين قتال شديد، فصارت الهزيمة على ابن أخى الإمام وجنوده وولوا الأدبار، وهذه أول العداوة بين ابن رشيد وأبناء سعود بن فيصل، ولو استقام أبناء سعود وكانوا يداً واحدة مع عمهم عبدالله لاستفادوا من ذلك قوة ولكنهم قاموا بعد ذلك على عمهم عبدالله يريدون انتزاع الملك منه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وفيها غزا أيضاً محمد بن سعود بن فيصل ومعه جنود كثيرة من أهل الخرج ومن آل شامر والدواسر وغيرهم وعدى على ابن بصيص ومن معه من بادية بربه، فصباحهم وهم على الأثلة فحصل بينه وبينهم قتال شديد وأخذ منهم إبلًا وغنماً وقتل من الفريقين عدة رجال منهم عبدالرحمن بن سعود بن فيصل رحمه الله تعالى.

وفيها أخذ الإمام عبدالله بن فيصل آل روق من قحطان على رويضة العرض.

وفيها أيضاً تم تأليف كتاب غالية المواعظ للحافظ نعمان الألوسي وقد جاءت في الوعظ كأحسن شيء وذلك في خلافة السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد، فلذا تجد المؤلف نعمان قد أطلال في ديباجة الكتاب بتمجيد الخليفة المذكور.

وفي هذه السنة حصلت منافرة بين أمير بريدة حسن بن مهنا والقاضي محمد بن عبدالله بن سليم، فعزم الشيخ على السفر من بريدة إلى عنيزة، ولما سار الشيخ إلى عنيزة واستقر فيها دعى الأمير حسن بالشيخ محمد بن عمر بن سليم وهو ابن عم القاضي فأحضره لديه وعرض عليه قضاء بريدة، فأبى وقال للأمير ما كان لمثلي أن يسد ثلثة الشيخ، ولكني أشير عليك يا ابن مهنا أن ترد الشيخ إلى عمله فلئن طال مقامه في عنيزة واستوطنها يوشك أن لا تدركه فقدم الأمير وسعى في استجلاب الشيخ إلى بريدة، فأرسل إليه يسترضيه وبعث إليه وجعل يعتذر ويستعطف حتى رجع إلى وطنه بريدة وقد تزوج في عنيزة وولد له فيها.

وقد بعث إليه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الدوسري بكتاب وهو في عنيزة يحثه على القيام بأوامر الله تعالى وأن يصدع بالحق ولا يخشى ملامة لائم.

وهذه صورة الكتاب قال بعد البسملة: من عبدالله بن عبدالعزيز الدوسري إلى جناب الشيخ المكرم محمد بن عبدالله آل سليم سلمه الله تعالى من الأسوى وألزمه كلمة التقوى أمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فموجب الخط إبلاغك السلام والتحية والإكرام ومحب يحمد إليك الله على ما أعطاه من النعم وصرفه عنه من النقم جعلنا الله وإياكم لنعمه من الشاكرين وأوصيك يا أخي ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته والمحافظة على فرائضه وواجباته واجتناب مساخطه ومغاضبه، فإن من اتقاه وقاه ومن استكفى به كفاه ومن لاذ بحماه حماه ومن اعتصم بحوله وقوته عصمة وحرسه وحفظه جعلنا الله وإياكم من المتقين الذين يحشرون إليه وفداً، وأكثر من هذا الدعاء الذي أرشد الله إليه نبيه وأمره به فقال عز من قائل: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾ فإننا وإياكم إليه أشد حاجة نسأل الله الكريم بوجهه الكريم أن يحسن عاقبتنا وعاقبتكم في الأمور كلها وأن يجيرنا ويجيركم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، إنه ولي ذلك والقادر على ما هنالك واحرص على نشر ما علمك الله من توحيده والإيمان به ومعرفة معاني كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ فإن الله

قد أخذ عليك العهد والميثاق في ذلك كما صرح الله لك بذلك في كتابه العزيز، فأنت استعن بالله وقم بوظيفتك التي أوجب الله عليك وفرضها عليك فإن الله سائلك عما استرعاك واستحفظك من كتابه وسنة نبيه الكريم ومن قام لله قام الله له ومن كان مع الله كان الله معه، وإن كان الله معك فلا تخف من المخلوقين فإن الله ناصرك ومظهرك وكافيك وحاميك وواقيك وحارسك وحافظك ومؤيدك ومظفرك بأعدائك وأعداء ربك فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون جعلنا الله وإياكم من المتقين المحسنين ومن حزه المفلحين في الدنيا والآخرة ومن جنده الغالبين وأوليائه المنصورين ولا تنسنا من صالح الدعاء كما هو لك مبذول ورد جواب الخط وخبرنا عن أحوالكم وأحوال حمولتكم وعيالككم ومحمد العمر لعل أمورهم جميلة وأحوالهم مستقيمة، وكذلك أخبرنا عن أحوال والدتي وإخواتي لعلهم طيبون، وأنا في حوطة بني تميم من عقب وقعة جودة والأخبار عنا منقطعة من قبل الوالدة والأخوات، والخطوط عنا واقفة فأنت لا تغفل عن الجواب بارك الله فيك، طرشه لنا ولو مع بدو ممن يحيثنا من عندكم وعطه حمد العثمان يطرشه علي إن شاء الله وسلم لنا على حمد العثمان وعلى عيالككم وحمولتكم وكافة الإخوان الذين يحبونكم في ذات الله وتحبونهم فيها، ومن لدينا إبراهيم بن عبد الملك وحسين بن حمد وزيد بن محمد وصالح الشثري يسلمون عليكم وأنت عليكم وأنت في أمان الله وحفظه وأنت سالم والسلام.

وفيها قام الحصانا والخراشا قبيلتان من آل بسام في بلد أشيقر على محمد بن إبراهيم بن نشوان فقتلوه بعد صلاة العصر في البلد المذكور، وذلك في ١٤ من شوال من هذه السنة وذلك لضغائن كانت بين الفريقين، وكان سخياً جواداً كريماً تضرب الأمثال في كرمه رحمة الله عليه.

ثم دخلت سنة ١٣٠١هـ

ففيها جرت واقعة الحمادة المشهورة بين الإمام عبدالله بن فيصل وبين محمد بن عبدالله بن رشيد.

وذلك بأنه لما كان في ربيع الأول خرج الإمام عبدالله بن فيصل من الرياض غازياً وأمر على أهل بلدان نجد بالجهاد، فنزل على شقراء ودعا بغزو البلدان فقدموا عليه فيها، وأمر على بوادي عتيبة أن ينزلوا الحمادة المعروفة، وكان يريد حرب أهل الجمعة، فنزل عربان عتيبة في الروضة الكائنة في الحمادة وهي التي تسمى أم العصافير ثم ارتحل الإمام عبدالله من شقراء بمن معه من الجنود ونزل على عربان عتيبة هناك، وكان لما علم أهل الجمعة بما دبره لهم الإمام عبدالله فزعوا إلى محمد بن رشيد وأمير بريدة حسن بن مهنا وتابعوا الرسل يستعينونهما ويستحثون بعجلة.

فما كان إلا أن جمع ابن رشيد جنوده من حاضرة الجبل وباديته وزحف من حائل بتلك الجنود متوجهاً إلى بريدة، ولما أن قدمها وجد الأمير حسن بن مهنا قد جند جنوده فيها، فارتحل ابن رشيد وحسن بن مهنا بجنودهما وتوجها لقتال عبدالله بن فيصل ومن معه من عتيبة، ولما التقى الفريقان جرت بينهما وقعة شديدة جداً، وصارت الهزيمة على عبدالله بن فيصل ومن معه وقتل منهم خلق كثير، ومن مشاهير القتلى الذين من أهل الرياض تركي بن عبدالله بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن مقرن، وفهد بن غشيان وفهد بن سويلم وابن عياف رحمهم الله، وقتل أيضاً أحمد بن عبدالحسن السديري أمير الغاط، وقتل من أهل شقراء عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله أبي بطين، ومحمد بن عبدالعزيز بن حسين، وعبدالعزیز بن محمد بن عقيل.

وقتل من مشاهير عتيبة عقاب بن شبنان بن حميد، وأقام الأمير محمد بن رشيد بعد هذه الواقعة في الحمادة مدة أيام ثم إنه دعا برؤساء بلدان الوشم وسدير، فقدموا عليه في ذلك الموضع، وأمر في كل بلد من بلدان الوشم وسدير أميراً على ما تقتضيه إرادته، ورحل من ذلك الموضع راجعاً إلى بلده، وطمع بعد هذه الواقعة في الاستيلاء على نجد وأطمع أهل الأغراض والمقاصد وأخذ يكتب رؤساء البلدان ويبدل لهم الأموال، واستفحل أمره، وتعتبر هذه الخطوط الثالثة في استيلائه على نجد، وقد ضبط تلك النواحي.

وفيه صادف آل صويط وهم رؤساء عربان الظفير صادفوا محمد الحميدي بن فيصل بن وطبان الدويش فقتلوه، وكان سائراً لمحمد بن رشيد، وكان قتله في دم كان بينهم.

وفيه أيضاً قتل سليمان بن حمد بن عثمان الحصيني رحمه الله تعالى قتله آل نشوان لما وجدوه خارج بلد أشيقر، وكان سليمان من جملة الذين قتلوا محمد بن إبراهيم بن نشوان في السنة التي قبلها.

وفيه أيضاً في ربيع الثاني جرت واقعة بين أهل بلد روضة سدير بين آل ماضي رؤساء البلد وهم من بني عمرو بن تميم، وبين آل عمر وهم من الدواسر، وكان ذلك في وسط البلد قتل فيها محمد بن زامل بن عمر رئيس آل بن عمر المذكورين وقتل من أتباع آل ماضي عبدالعزيز الكلبي وإبراهيم بن عرفج، فصارت الغلبة لآل ماضي وجلى آل بن عمر من الروضة إلى بلد جلالج فأقاموا هناك.

ذكر وفاة الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى وهذه ترجمته

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، ولم يرع مخلوقاً في إظهار دين الله تعالى، ولم يبال رضا الناس وسخطهم، ذو الغيرة الدينية والنزعة الحمدية، وناصر الملة الإبراهيمية، الحبر المحقق حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة الفقيه الأصولي المحدث سيف الله على أعناق المبتدعين وسهمه الصائب لأفئدة المارقين.

ولد رحمه الله في بلدة الزلفي المشهورة في نجد، ونشأ بها وتعلم القرآن وتشبث بطلب العلم وهو في سن الصغر، وسافر لطلب العلم ودرس على علماء نجد، فتخرج على الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وأخذ العلم عنه، وأخذ عن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، وأخذ عن الشيخ علي بن حسين، ونافس في الطلب، وأخذ عن غيرهم من العلماء، وكان رحمه الله متقشفاً لا يبالى بحسن ملبوسه أو لين موضع جلوسه، قد زانه الله بالعلم والدين، ورفع ذكره بين العالمين يجاهد أعداء الله بالحجة واللسان ويشن الغارة على شيعة الشيطان، أضف إلى ذلك محبته لأهل

السنة، والتحلي بحلية المتقين حتى أصبح حنظلة في حلوق الكافرين والملحدين، ونصرةً لأولياء الله الموحدين، فهو ریحانة الأخیار حنظلة الأشرار، وأخذ عنه العلم كثير من علماء نجد، من أشهرهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف علامة نجد، والشيخ سليمان بن سحمان، وأخذ عنه أنجاله العلماء الأجلاء الشيخ سعد بن حمد، والشيخ عبدالعزيز، والشيخ عبدالله، والشيخ عبداللطيف، والشيخ إسحاق وغيرهم، وكان مشهوراً بالكرم والورع وقد وقع في زمنه بنجد فتن عظيمة، فكان من أعظم الناس صبراً وجهاداً بسيفه ولسانه، ولم يأل جهداً في التحريض على الجهاد الشرعي في تلك الفتن.

الوظائف التي نالها

أما الوظائف التي نالها فقد ولاه الإمام فيصل قضاء بلد الدلم في الخرج، ثم نقله منها إلى الحلوة القرية المشهورة في حوطة بني تميم، ثم نقله منها إلى الأفلاج وبها استقر حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة، ودفن ببلد العمار وقبره معروف إلى الآن، وكان له مؤلفات نفيسة منها أبطال التنديد باختصار شرح التوحيد، ومنها بيان النجاة والفكاك من مولاة المرتدين وأهل الإشراك، وقد جاءت مؤلفاته على أحسن وضع وأبدعه، وأثنى عليه العلماء ومدحوه، ولمؤلفاته قبول عند الموحدين لما فيها من الإخلاص والنصرة لدين الله تعالى، فكان علم القبول يلوح عليها، وكثيراً ما تأخذه الغيرة الدينية فتجد رسائله إلى العلماء وأنصار الشريعة فيها التحريض والتأكيد في القيام لله والصدع بالحق، ويعاتب أنصار الشريعة بأن لا يهنوا ولا يفتروا عن بيان الحق والقيام بحقوقها وترميم ما درس في ربوعها وفي خروقتها، كما عاتب الشيخ الإمام عبداللطيف بن عبدالرحمن بكتاب أغلظ فيه الجواب والكلام وبالع في الخطاب والملام، والحامل له على ذلك شدة الغيرة لله وكتابته ولرسوله، فتلقاه الشيخ بالقبول والتقدير والمناصحة، ذلك لأن الشيخ عبداللطيف يقدر العلماء ويعرف لكل فضله ودرجته، وكثيراً ما يكتابه ويناصحه ويحثه على القيام بأوامر الله تعالى، كما في الفتن التي جرت بين آل سعود، ويكتابه أيضاً الشيخ

عبد اللطيف في كل مهم ويحثه أيضاً على عداوة أعداء الله ورسوله، وبث ما لديه من العلم، ومهما كانت الأحوال والظروف، فإن الشيخ حمد بن عتيق له سطوة في دين الله، لا يبالي ولا يراعي، ومن كان مع الله كان الله معه، ومن وجد الله فما ضيع شيئاً.

وكان قوياً في الدعوة إلى الله، وبنى له دينه وصدقه ومولاته لأولياء الله ومعاداته لأعدائه ذكراً منتشرأ لا ينسى على ممر الأيام والليالي، والرجل فوق ما قيل في فضله علماً وعفةً ودينأً وذكاءً وجوداً وحلماً.

ومن مؤلفاته الفرق المبين بين مذهب السلف وابن سبعين، وله رسالة في نحو كراستين في الرد على ابن دعيج الذي ضمن رسالته تزكية الكفار وأئمة الردة ومسبة المسلمين، وأنهم يكفرون من أقام ببلد المشركين وإن كان مظهراً للدين، ومؤلفاته كثيرة، وكان رحمه الله يقول الشعر سريع البديهة كتب إليه ابنه سعد في سفره لطلب العلم من الهند هذين البيتين:

لاكتساب العلم سافرنا ونرجو أنه فتح وإقبال وبر
قلت يا قلبي فأرخ منهما قال تاريخي له بمن أغر
فلما وقع نظر والده عليهما أنشأ يقول مجيأً عليهما:

يا إلهي لا تخيب سعيه أوله التوفيق حقاً والظفر
واجعل العلم اللدني حظه أوله فهم المنزل والآثر
أعطه رزقاً حلالاً واسعاً كافياً حاجاته في ذا السفر
أكفه جميع محذوراته حادثات البر أيضاً والبحر

ومن شعره أبيات فيها أسباب حياة القلب نذكر بعضها:

حمدت الذي أغنى وأقنى وعلمنا وصير شكر العبد للخير سلماً
وأهدي صلاة تستمر على الرضا وأصحابه والآل جمعاً مسلماً
كما دلنا في الوحي والسنن التي أتنا بها نحو الرشاد وعلمنا

أزال بها الأغلاف عن قلبٍ حائرٍ
فيا أيها الباغي استنارة قلبه
فعنوان إسعاد التي في حياته
وناقد ذا لا شك قد مات قلبه
وآية سقم في الجوارح منعها
وصحتها تدري بإتيان نفعها
وعين امراض القلب فقد الذي له
ومعرفة الشوق إليه إنابةً
ومؤثر محبوب سوى الله قلبه
وأعظم محذور خفا موت قلبه
وآية ذا هون القبايح عنده
فجامع أمراض القلوب أتباعها
ومن شؤمه ترك اغتذاء بنافع

وفتح أذاناً صمت وأحكما
تدبر كلا الوحيين وانقد وسلما
مع الله إقبالاً عليه معظما
أو اعتل بالأمراض كالرين والعمما
منافعها أو نقص ذلك مثلما
كنطق وبطش والتعرف والنما
أريد من الإخلاص والحب فاعلما
بإثار ذا دون الحجات فأحكما
مريضاً على جرفٍ من الموت والعمما
عليه لشغل عن دواه يضدما
ولولاه أضحى نادماً متألماً
هواها فخالفها تصح وتسلما
وترك الدوا الشافي وعجز كلاهما

الخ وهي حسنة، ولما توفاه الله تعالى رثاه الشيخ سليمان بن سحمان بهذه
القصيدة:

على الخبر بحر العلم بدر المنابر
وآية عينٍ لا تشج بمائها
فلا نعمت يوماً ولا قلب قائلٍ
فوا لهفاً من فادحٍ جل خطبه
ورزء فضيع بل مريع ولائع
يعز علينا أن نرى اليوم مثله
وللشبهات العضلات وردها
فلله من حبرٍ إمامٍ وبلتع
ويقفوا لآثار النبي وصحبه

وشمس الهدى فليكن أهل البصائر
عليه كئج المعصرات المواطن
خلى من الأشجان ليس بغائر
وثلم من الإسلام إحدى الفواقير
لشمس هدى أضحى نزير المقابر
لحل عويص المشكلات البوادر
إذا ما تبدت من كفور مقامر
يعوم بتيارٍ من العلم زاخر
يجدد من منهاجهم كل دائر

ويحيى علامات من العلم قد عفت
إمام تزياً بالعبادة فاستما
لقد كان أمأ في السماحة والندى
وفي الحلم قد أضحي لعمر كآية
تقي نقي المعني مهذب
وبدر منير يستضاء بضوئه
لأن كان قد أضحي له القبر منزلاً
لقد كسفت للدين شمس منيرة
فواحرنا أن كان لا بقية
فسار على منهاجهم واقتنائهم
وأرتج أفواه العدا فهي خرس
فلا ذو ضلال وابتداع برائم
لقد عاش في الدنيا على الأمر بالتقى
يجاهد في ذات الإله ولم يكن
فلا مذهب عن نهج الحق صده
ولكنما مطلوبه الحق والهدى
فأضحى رهيناً في المقابر أويأ
لقد صابنا صاب من الحزن مفجع
وأرق جفن العين خطب عصبص
فجالت لنا الأشجان من كل جانب
وأصبح منهذ القواعد موحشاً
فصبراً بني الإسلام صبراً فإنما
وللعلم فليكي ذوو العلم والنهي
ولم يبق إلى رسمه فهو دارس

ويعمر من بنيانه كل دامر
بها وارتقا مجدأ سمي المظاهر
فليس له في عصره من مناظر
وفي العلم ذو حظ أطيء ووافر
أريب رسيب الجأش ليس بطائر
إذا ما أجنحت حالكات الفواقر
وأقوت رباع من حماة أساور
يغطي سناها كل باغ وكافر
تخلف من بعد الهداة الأكابر
على المنهج الأسنى على المفاخر
وأشرح من مفتوقها كل كاشر
سبيلاً إلى تشكيكه كل قاصر
ونهى الورى عن موبقات المناكر
لتأخذه في الله لومة لائم
ولا ذهباً يبغي كفعل الأخاسر
على نهج ما قد سنه خير أمر
وصار إلى رب كريم وغافر
لذن طرق الناعي بفخر المحاضر
يضعضع من ركن الهدى كل عامر
وأظلم من نجد سطيع الدساكر
وقد كان معموراً سمي المفاخر
بعد جزيل الأجر حقاً لصابر
فقد غيبت أعلامه في المقابر
خفي على السلاك من كل سائر

فصبوا من الأجفان دمع المحاجر
على علم الأعلام بدر المنابر
حميد المساعي مشعل المآثر
وقد كان ذا علم بفقهِه الآخر
تسامى بها فوق النجوم الزواهر
من القول بالفتوى وقطع التشاجر
فضائله أعت على كل حاصر
سمياً شهيراً بين بادٍ وحاضر
ورحمته والله أقدر قادر
مع الصالحين الطيبين الأطاهر
مدى الدهر في أصالها والبوكر
أبروا على أن يحاط لحاصر
وما أنهلت الجون الغوادي بماطر
وما أم بيت الله من كل ضامر
وأصحابه والآل أهل المفاخر

لعمري لقد قوى من الأرض وأنقضا
ويا أيها الإخوان لا تسأموا البكا
فما حمد بالعلم إلا متوج
عليه بفقهِه الأقدمين محقق
وقد حاز في علم الحديث محلة
وبالسلف الماضين كان اقتفاؤه
وفي كل فن فهو للسبق حائز
وحسبك أن قد صار مشهور فضله
تغمده المولى الكريم بفضله
وأسكنه بجوحة الفوز والرضا
ولا زال هطال من العفو والرضا
على قبره يهمني فذو العرش مجده
وصل إلهي كلما ذر شارق
وما هتفت ورقاً في كل أكمة
على المصطفى الهادي الأمين محمد

توفى الشيخ حمد عن عدة بنين من أشهرهم وأعلمهم الشيخ سعد بن حمد،
والشيخ عبدالعزيز بن حمد وغيرهم، فنسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته ويسكنه
فسيح جنته ويجبر المصاب بفقده.

وفيه صدرت أول صحيفة بمكة المكرمة من المصحف والجرائد ابتداءً.

وفيه في غاية شوال أوفد الإمام عبدالله بن فيصل أخاه محمداً بن فيصل إلى
الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد في الجبل ومعه كتب من أخيه الإمام يذكر فيها
مآثر آل سعود وما قاموا به من تقديم آل رشيد في إمارة الجبل وجعلها وراثية فيهم
لا سيما في آل عبدالله، ويطلب من الأمير حسن المعاملة والمجاملة وحسن الجوار لما
بين البيتين من الصلة والعطف، ولما قدم محمد بن فيصل على الأمير محمد بن رشيد

تلقاه بالإكرام والاحترام والحفاوة، وأجلسه عنده كأكرم حشيم، وحقاً عليه محمد بن رشيد أن يكرم آل سعود، أليسوا سادته وأهل الفضل عليه وعلى آل بيته، وأقام في حائل حتى قدم في السنة التي بعدها.

وفي هذه السنة أزيلت قبتان في المسجد الحرام خلف بئر زمزم، وذلك لأنه لما دخل السيل في المسجد الحرام وأتلف كثيراً من الكتب التي هناك اقتضى رأي ولاية الأمر في ذلك الوقت إلى نقل الكتب كما تقدم، وجعل محل القبتين رحبة في المسجد الحرام توسعة للمصلين فلم يبق لهما أثر، وهذا في بدء ولاية الشريف عون الرفيق، وكان شيخ الحرم إذ ذاك عثمان نوري باشا.

وفيها أزال عثمان المذكور بشيخ المسجد الحرام المزولة التي بصحن المسجد الحرام خلف زمزم، وجاء بساعتين كبيرتين يبلغ طول الواحدة منهما نحو مترين، فوضعهما في حجرة ملاصقة لباب بازان مما يلي منارة باب علي بالمسجد الحرام، ولا تزال الساعتان موجودتين غير أنهما صارتا غير صالحتين لعدم تعهدهما بالإصلاح، ولطول الزمان وتداول الأيدي عليهما.

ثم دخلت سنة ١٣٠٢هـ

ففي محرم منها قدم محمد بن فيصل إلى بلد الرياض، وكان قدومه في خامس محرم راجعاً من عند الأمير محمد بن رشيد بهدية ثمينة لأخيه الإمام عبدالله بن فيصل من الأمير المذكور، وترك له بلدان الوشم وسدير.

وكان قد مدّ يديه عليهما كما أسلفنا، فقام الإمام عبدالله وعزل من أراد عزله من أمراء تلك البلدان وأبقى من أراد بقاءه منهم، فكثر الاختلاف منهم على الإمارة، وعظم الشقاق، وتغلب أهل البلدان على بلدانهم، فما تم نفوذ ابن سعود فيها ولا استقامت رعايته عليها، ولا تقلص عنها أمر ابن رشيد، بل زاد ذلك شقاً بينه وبين ابن رشيد، وكان هذا سبباً للمشاغبات والاضطرابات، وضعف أمر آل سعود بسبب تفرقهم واختلاف كلمتهم وكثرة تنازعهم.

وقد كان أولاد سعود يتحينون الوثبة على عمهم الإمام عبدالله، فكتب الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى رسالة أرسلها إليهم يناصح آل سعود ويحثهم فيها على الاجتماع والاتفاق والتناصر، وينهاهم عن التفرق والاختلاف مبيناً عاقبة الاختلاف، وما حصل بسببه عليهم من الذل والهوان، وخروج بلدانهم من أيديهم، وكيف طمع الأعداء بملكهم، وباح فيها بما لديه من النصح والتحسر مع الرسالة بقصيدة وهي هذه:

متى ينتهض للحق منكم عساكر
وينهض لنصر الدين منكم أكابر
يكون لها بالصدع ناه وأمر
متى ينقضي هذا القلا والتهاجر
كأنكمو ممن حوته المقابر
تبواها بالرغم منكم أصاغر
أذلا حيارى والدموع مواطر
وساءت لهم حال إذ الجدد عاثر
وأنتم لها أحوثة ومساخر
أجابت بيت ضمته الدفاتر
أنيس ولم سمر بمكة سامر
ألم يك للأخلاف منكم مفاخر
وقد حرر التفسير فيها أكابر
بأيديهم سمر القنا والبواتر
لدى مآزق فيه يرى النفع ثائر
به أنفخت للحق بصائر
قد اشتهرت والله مولى وناصر
وليس لأمر حمد الله قاهر

متى ينجلي هذا الدجى والدياجر
متى تنتهوا عن غمرة النوم والردى
متى تتجدد دعوة حنيفة
متى ترعوي منكم قلوب عن الردى
فحتى متى هذا التواني عن العلى
وأموالكم منهوبةً وبلادكم
وأشياكم في كل قطرٍ وبلدة
وأطفالكم هتكى تشنت شملهم
ممالككم قد قسموها ملوككم
فإن ذكرت أو ذكرت بعض ما مضى
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
ألم يك للأسلاف منكم مناقب
وفي آية في الفتح قد جاء ذكركم
وفتيان صدق من رجال حنيفة
يرون شهود البأس أربح مغنم
فسل عنهم يوم الصبيحة الذي
وسل عنهم يوماً به الطبعة التي
وسل عنهم يوماً بجانب جودة

فقد بذلوا غالي النفوس لربهم
فأبكيهمو بأعين منك وأسبلى
ولا تتركي يا نفس شيئاً من الأسى
أيا مفخر القوجاذدي إلباس والندى
على الله ذي الرحمن جمعاً توكلوا
أجيبوا جميعاً مسرعين إلى الهدى
وأجدادكم أهل النباهة والعللا
فكم لهمو يوماً به الجو مظلم
وجدكم الأعلى لدى حومة الوغى
وكم لكم من فاتك تعرفونه
فما فارس الشهبأ وما الحارث الذي
وإن ذكرت أركانكم ورؤوسكم
فكم مشهدكم معهد تعرفونه
فلله أيام له ومحاسن
فلا تقنطوا من رحمة الله إنما
عسى ولعل الله يأتي بلطفه
فتشفى ليانات وتقضى مآرب
وحسن ختام النظم صل مسلماً
كذا الآل والأصحاب ماذراً شارق

وأمسوا لأيدي الأذلين مجازر
دموعك والأجفان منك فواطر
على مثلهم تنشق منك المرائر
أجيبوا جميعاً مسرعين وبادروا
أذيقوا العدا كأس الردى وتوازرو
فليس بكم إلا القلا والتشاجر
إلا فاقنطوا تلك الجدود الغواير
وقد نشرت للحق فيه شعائر
به قطعت للمعتدين دواير
أوائلكم معروفة وأواخر
أباد لظاها والرماح شواجر
فإن أبا تركي ليس يغادر
كما عرف أقوام باد وحاضر
تشبه بالأعياد والأمر ظاهر
تجي محنة وإليه للخلق قاهر
فلا بدع فيما قد أنته المقادر
وتبهج فيما تشتهيه النواظر
على المصطفى ماسح في الأفق ماطر
وما غردت ورق وما ناح طائر

وفيها جرت محنة حبس لها بعض طلاب العلم، وسببها أنه لما كان ليلة الثلاثين من شعبان، تراءى الناس هلال رمضان، وكانت ليلة غيم فلم يره أحد سوى نساء لا يوثق برؤيتهن، ادعى رؤيته، فأمر الإمام عبدالله بن فيصل بالصيام، فصام وصام أهل البلد معاً، ولم يصم الشيخ عبداللطيف ولا الإخوان الذي يدرسون عليه، وأصبح الشيخ عبدالله جالساً للتدريس كعادته مفطراً يقرء الطلاب حلقات،

وتدار القهوة على الحاضرين والبخور والطيب، كذلك من دخل للاستماع، ووجد الشيخ والإخوان مفطرين يفطر تأسياً بهم، فذهب بعض الناس من المرجفين إلى الإمام نائري الرؤوس متفخخي الأشداق، واستثاروا جأشه فلم يربداً من أن يبعث إلى مجلس التدريس من يشتهه، وألزم الناس بالصيام بعد إغلاق بيت الشيخ وإخراج الطلاب وحبس بعضهم.

وكان من جملة من حبس من أهل العلم سليمان بن سحمان، وكان الساعون بهذه المسألة مع ما قام بهم من الغيظ والحمق يرون صيام يوم الشك إذا حال دون منظر الهلال غيم أو قتر وهي رواية عن الإمام أحمد، أخذ بها بعض الأصحاب، ويكون ذلك احتياطاً ولم يذكروا أنه يضرب ويؤذي من لم يصم كحبسه ونحو ذلك. والرواية الثانية: أنه لا يصام إلا برؤية هلال رمضان وإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً، وهذه الرواية هي الصحيحة، وعليها العمل وهو الراجح عند جمهور الأصحاب، وعليه تدل الأدلة الصحيحة فهذا هو الباعث لتلك الحنة.

ما كان لعبدالله بن فيصل أن يصوم أو يأمر بالصيام إلا بإذن من شيخ الطريقة وعالم الوقت ألا وهو الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأن له مندوحة عن هذا الفعل السيئ الذي يجرح العواطف، وقد لبث المسجونون من الصباح إلى وقت الظهر ثم أخرجوا بشفاعته والده الإمام أثابها الله.

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان في ذلك الحادث يشكو إلى الله شماتة الأعداء:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| لله عيش تقضي بالمسرات | وسلوةً وانشراحات وخيرات |
| والقلب ذو رغدٍ فيه وذو دعةٍ | قد انقضى بسعادات وراحات |
| ولم يقاس من الأهوال فادحةٍ | ولا أستهين بلوعات وروعات |
| في كل يوم أقاسي شدة وهنا | بعد الذي كان في عصر المسرات |
| استغفر الله عما كان من زلل | ومن خطأ تخطأ بالمصيبات |

وليس إلا إلى الرحمن منجمسي
وهو الرحيم وملجأ من يلوذ به
وقد ممدت حبالني راجياً فرجاً
فقلت مشتكياً ما قال مبتهلاً
فصل حبالني وأوصالي بملك يا
أنا الذليل أنا المسكين ذو شجن
أنا الكسير أنا المحتاج يا أُملي
أنا الغريب فلا أهل ولا وطن
أنا العبد الذي ما زلت مفتقراً
لا أستطيع لنفسني جلب منفعة
مالي سواك ولا لي عنك منصرف
أنت القدير على جبري لوصلك لي
أدعوك يا سيدي يا مشتكي حزني
فانظر إلى غربتي وارحم ضنا جسدي
وقد دهيت فلم يسمع وقلت فما
أنت المغيث وأنت المستعان ولا
وناصري غاضني بل هاضني وشفأ
يا قادراً قاهراً من كان ذا عنت
وقد شجيت فقلبي لا يصاحبني
وقول هذا الوري قد أدخلوه وكم
لما انتصرت وعن نفسي دفعت أذاً
يا رب فاغفر لمن لم يدر ما قصدوا
وأنت يا سيدي يا منتهي أُملي
والراحم الكافل الكافي لآمله

فهو العليم بأحوالي ونيات
الكاشف الغم القاضي الحاجات
ومشداً قبل داعٍ ذي امتحانات
بالله مرتجياً تفريج أزمت
ذا الكبرياء وحقق فيك رغبات
أنا الفقير إلى رب السموات
جد لي بفضلك واعف عن خطيئات
أنا الوحيد فكن لي في ملهمات
إليك يا سيدي في كل حالات
ولا عن النفس لي دفع المضرات
ذكراك في القلب قرآني وآيات
أنت العليم بأسرار الخفيات
يا جابري يا مغيثي في مهمات
يا راحم الخلق يا باري البريات
أجدي لدي ناصري فاسمع شكايات
تحفى عليك إرادتي وغايات
أو غار قوم بغوا وأعظم لوعات
أنت القدير لقهر الظالم العات
من عظم هول الخطوب المجريات
قد أخرجوه لمرات عديدات
وقد ظلمت بأنواع الجنايات
وما أراد الأعادي من مضرات
تدري وتعلم مقصودي ونيات
الماجد الغاني الماحي لزللات

وما اقترفت وما قد كنت مجترحاً
وابسط بفضلك لي ماكنت آمله
ومن له الجود والموجود أجمعه
وعبدك المشتكي والمرتجي فرجاً
وصل يا رب ما هب النسيم وما
على النبي الأمين المصطفى شرفاً
من الذنوب فإني لذو الخطيات
يا من له الفضل محضاً في البريات
والخلق والأمر ثم الكائن الآلي
لاطفه وارحمه وأحفف بالعنايات
غنى الحمام على أفنان أيكات
والآل والصحب أصحاب الكرامات

ولما أن خرج الشيخ سليمان من السجن إنشاء قصيدة أخرى من هذا الموضوع
تتضمن ما حصل عليه من الإهانة والسجن على غير ما مبرر، وباح بلسان الشكاية
إلى الله عز وجل اعتداء المعتدين، وشماتة الأعداء الحاسدين، والقصيد من الطويل
على قافية القاف فعلى من أحب الاطلاع عليها مراجعتها في ديوان الناظم فمن
أبياتها:

على غير ذنب موجب قد جنيته
فلو كان عن ذنب جناية من بغى
ولكنه لا ذنب لي غير أنني
وأبذل جهدي واجتهادي ومذودي
أناضل عن دين الهدى كل مبطل
وأتابع أقوال الرسول وصحبه
فإن كان ذا ذنباً وأوجب ما ترى
لدى الملك الديان يوم معادنا
فيسألنا الرحمن جل جلاله
فهيء جوباً أيها الخصم واعترف
فإن قصارى هذه الدار برهة
ويجمعنا حشر ونشر وموقر
يسوغ به للشامت القذح والقذف
لما ليم من أخطاء على ماله يهف
إلى الحق قد أصبو وللضد قد أجفو
لقمع العداء إن جاءنا منهمو عنف
وأحيى حمى التوحيد إن سامه خسف
على حسب علمي بالدليل الذي يصفوا
فيا حبذا إنا غداً سوف نصطف
فيحكم لا حيف بل النصف الصرف
وكلّ سيلقى بارزاً كل ما يقفوا
بأن غداً والله ينكشف السجف
ومن بعدها دار بها سوف نلتف
طويل وأهوال يقاسي بها اللفف

الخ. وهي طويلة حسنة، قلت وقد أخطأ الإمام عبدالله بن فيصل بهذا الصنيع، والله يغفر له، ولعل الباعث لذلك منه هو ردع المخالف لأوامره، لئلا يتساهل الناس بالخلاف.

ثم دخلت سنة ١٣٠٣هـ

ففي هذه السنة هجم أبناء سعود على عمهم الإمام عبدالله بن فيصل فقبضوا عليه وألقوه في السجن، ذلك لما في تلك النفوس من الحقد على بعضها البعض، وكأنهم ورثوا تلك العداوة عن أبيهم سعود بن فيصل، فلما سجن الإمام عبدالله دبّ محمد بن عبدالله بن رشيد من حائل يقتطف ثمار الخلاف كعادته، فجاء فرعاً لعبدالله بن فيصل من أبناء أخيه الثائرين، وكتب إلى رؤساء البلدان في نجد يسفه عمل أبناء سعود، ويدعو لنصرة الإمام عبدالله من هذه الأيادي الجائرة، فانخدع له الناس ولبوا دعوته مسرعين، وزحفوا معه إلى الرياض لانقاذ الإمام كما ادعى، ولما أن دنى يمين منها معه من الجنود، ووصلوا إليها خرج إليهم وفد من الرياض للمفاوضة، يرأس هذا الوفد عبدالرحمن بن فيصل، ولما بحثوا في الموضوع قال محمد بن رشيد كلا فما قصدي والله غير أن أخرج عبدالله من السجن وأن تكون الولاية في بلدكم لكم يا آل سعود، ثم عاهدهم على ذلك، فلما رأى أبناء سعود اتحاد الناس عليهم طلبوا الأمان من ابن رشيد فأمنهم على دمائهم وأموالهم، فغادروا إلى الخرج، وبعدما دخل ابن رشيد الرياض واستولى عليها ظهر في مظهر الفاتح القهار، فأطلق عبدالله بن فيصل من السجن وأرسله وأخاه عبدالرحمن وعشرة آخرين من آل سعود إلى حائل أسراء، ثم أقام سالم بن سبهان أميراً على الرياض، وكان سالم بن سبهان هذا رجلاً ظلوماً لا يخاف الله ولا يتقيه عياداً بالله، وهو من آل سبهان الذين هم إخوان الرشيد.

ذكر إمارة سالم بن سبهان على الرياض ١٣٠٣هـ وشيء من عدله

لما جلس الأمير سالم أميراً على الرياض، ورجع محمد بن عبدالله بن رشيد إلى

حائل، قدم على الأمير سالم بعد خمسة أشهر وفد متظلم من الخرج يشكو خلافاً وخصومة بينهم وبين أبناء سعود بن فيصل الذين جاءوا إلى الخرج قادمين من الرياض، فعند ذلك ذهب سالم يحسم الخلاف هناك ويحل المشاكل، ونعم فقد حسمه حسماً تستحيل عنده العادة، فقتل أبناء سعود وهم محمد وسعد وعبدالله الذين أمنهم بن رشيد على حياتهم، وبعد ما قتلهم أجلى أهلهم إلى حائل، وكان هنا ابن رابع لسعود يدعى عبدالعزيز استبقاه لصغره فكان من جملة المجلوبين مع أهله إلى حائل، ولما فعل سالم بن سبهان هذه الفعلة الشنعاء ضج الناس من إمارته وقاموا يحتجون على آل سبهان، وكان سالم ينسب إليه جراءة عجيبة.

فروي أنه كان له أسنان كاشره فكان يقول يا أيها الناس لا تغتروا بخروجها فإنها لا تخرج إلا عند القتل، يعني لا تظنوا أنه يضحك فإنها كما قيل:

إذا رأيت نيوب الليث باديةً فلا تظنن أن الليث يتسم

وسياتي له بقية ذكر عند إمارته في بريدة والعياذ بالله، ولما ضج الناس من أفعال سالم بن سبهان الوحشية، وذلك بأنه سار من الرياض بما يزيد عن مائتي مقاتل من أتباعه لقتل أبناء سعود، فصباحوا الخرج وقصدوا منزل الأمير عبدالله بن سعود بن فيصل في بلد الدلم، فدخلوا عليه وهو آمن فقتلوه صبراً في منزله وبين أهله وأولاده، ثم أرسل ثلاثين فارساً إلى محمد بن سعود الذي كان متغياً في بلد زميقة فأدكوه وقتلوه، ولما أن علم الأخ الثالث سعد بن سعود بما جرى على أخوته فر على وجهه والتجأ عند بادية الدواسر، فقام سالم بن سبهان لما علم بفراره، واعتقل عدداً من رجال الدواسر الموجودين في الخرج وهددهم بالقتل إذا لم يحضروه، فجاءوا به ومثل بين يديه فقتله صبراً والعياذ بالله.

ثم إنه صادر كل ما عندهم من مال وسلاح وخيل وركائب وملابس وغيرها وجمع نساءهم وعوائلهم، ثم أرسلهم إلى حائل وبعث أحد رجاله وهو إبراهيم بن جبر الفضلي إلى محمد بن رشيد بجائل يبشره بقتلهم، ولما أن وصل رسوله إلى حائل

يحمل هذا النبا الفظيع، علم الإمام عبدالله بن فيصل وأخوه عبدالرحمن بمقتل آل سعود، فحزنوا لذلك حزناً شديداً، وكانوا معتقلين هناك، فقام محمد بن رشيد يحلف لهم الأيمان المغلظة بأنه لم يأمر سالم بقتلهم وإنما استبد هو من دون أن يعلم، ثم عزله عن إمارة الرياض، وجعل مكانه فهاد بن رخيص من كبار شمر وتظاهرا بالخجل أمام الناس من ظلم بن سبهان.

وكان لما جاء الخبر وعبدالله بن فيصل إلى جانبه، تأثر عبدالله لهذا الأمر، فأشار محمد بن رشيد إلى لسانه يحذر عبدالله من الكلام ويعددهم أنهم لا يرون بأساً ما داموا قد ملكوا ألسنتهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وسبحان المتصرف في خلقه على وفق مراده؛ بينا أن محمد بن رشيد نجده قبل هذه السنة بست عشرة سنة ينزل على الإمام عبدالله وافداً متواضعاً تحت سلطانه أذابه في هذه السنة يقتل أهل بيته ويعامله معاملة الأسير تحت ضغطه وسلطانه في حائل، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤١].

ونحن نشير إلى سياسة ابن رشيد نحو آل سعود بأنه لم يقتل سالم بن سبهان، ولم يقصه عنه بل عزله عن الإمارة وادخره صارماً مسلولاً لمثلها.

وفيهما ولد الملك فيصل بن الحسين بن علي الشريف الهاشمي، وكانت ولادته في مكة المشرفة وأمه الشريفة عابدية كريمة الشريف عبدالله باشا بن محمد بن عون، وقيل أن ولادته في التي قبلها ولعله الصحيح.

رجعنا إلى ذكر الإمام عبدالله بن فيصل فنقول: كان قد انقضى عشرون عاماً منذ خلف والده الفذ على عرش بلاده كوارث شرعي للدولة السعودية التي امتدت من جبل شمر إلى ساحل عمان ومن الخليج العربي حتى الحجاز، وحدود اليمن، واستطاع بعجزه وعدم جدارته بهذه التركة الواسعة أن يبدد هذه المملكة، ولم يتورع عن طلب المعونة الأجنبية لتثبيت عرشه المتداعي، وكانت النتيجة أن ضم أولئك الأجانب لبلادهم، البلاد التي جاءوا لإنقاذها ولم يبق في يده سوى منطقة

العارض وسلطة أسمية على الوشم وسدير، وأخيراً نقل أسيراً إلى حائل لتطول سنواته الأخيرة في المنفى، ولقد مضى عبدالله ثلث مدة حكمه لاجئاً لا وطن له أثناء ما حكم الآخرون مكانه في وسط دولة متفككة منحلة، ومع كل هذا فإنه كان في دماثة خلق وإن كان تاريخه يشهد على أنه كان أمراً تنقصه الحكمة والدهاء.

وكانت هذه فرصة محمد بن رشيد الطامع في حكم نجد لبسط سلطانه على ما تبقي من الدولة الوهابية حينما توجه إلى الرياض على رأس جيش كبير متظاهراً بصداقة الإمام عبدالله. فاستولى على الرياض، وأطلق سراح عبدالله من سجنه وأخذه إلى حائل وهذه نتيجة التخاذل بين آل سعود، وما أحسن ما قاله علي بن المقرب صاحب الحماسة يندد بسياسة الهوق واللين، ويحث على التصلب لما يعلم من سوء عواقب التراخي والدعة:

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| تجاف عن العتبي فما الذنب واحد | وهب لصروف الدهر ما أنت واجد |
| إذا خائنك الأدنى الذي أنت حزبه | فلا عجباً أن سالتك الأ باعد |
| ولا تشك أحداث الليالي إلى امرئ | فذا الناس أما حاسد أو معاند |
| وعد عن الماء الذي ليس ورده | بصافٍ فما تعمي عليك الموارد |
| فكم منهل طامي النواحي وردته | على ظماء فانصعت والريق جامد |
| فلا تحسين كل المياه شريعة | يبيل الصدى منها وتوكي المزود |
| فكم مات في البحر المحيط أخو ظما | بغلته والماء حار وراكد |
| وأن وطن ساءتك أخلاق أهله | فدعه فما يغضي على الضيم ماجد |
| فبت جبال الصل ممن توده | إذا لم يرد كل الذي أنت وارد |
| وقل للليالي كيفما شئت فاصنعي | فإن على الأقدار تأتي المكائد |
| ولا ترهب الخطب الجليل لهوله | فطعم المنايا كيف ما ذقت واحد |
| فقم نحصد الأعمار ونبليغ المنى | يجد فالأعمار لا بد حاصد |
| فليس بصعاد إلى المجد عاجز | نؤم تناديه العلى وهو قاعد |

إلى أن قال:

تناولني الجوزاء والجد راقداً
نجوم الثريا والسها والفراقداً
جرت وزمان عاثر الجهد فاسداً
بسوء فهم أساسها والقواعد
على ذلك شيطان من الأنس مارد
وقد كنت أرمي دونهم وأجالداً
حسام لمن يبغي جلادي وساعداً
رأيت سموماً وهو للخصم بارد
له عاذر أو مبالغٍ لي مجاهد
بلحامي أسود منهم وأسادوا
من الجذب لا يرجو به الخصب رائداً
من الأمر مالا ترضيه الأماجد

خليلي كم أطوي الليالي وعزمتي
وكم ذا أناجي همةً دون همها
وتقعدني مما أحاول نكبة
وإخوان سوء إن ألت ملمةً
يسرون لي مالا أسر وكلهم
لقد بذلوا المجهود فيما يسؤني
وأعجب ما لقيت أن بني أبي
عزيزهم إن لمت يوماً بظله
وسائرهم إما ضعيف بضعه
همو الحموني النائبات وأولغت
وهم تركوا عمد جنابي ومربعي
وهم شمتوا بي حاسدي وذلکم

ثم دخلت سنة ١٣٠٤هـ

استهلّت هذه السنة وعبدالله بن فيصل وأخوه عبدالرحمن بن فيصل وأفراد
الأسرة السعودية في بلدة حائل تحت رحمة الأمير محمد بن رشيد، وعلى ما تقتضيه
مشيئته.

كما أن مصر قد دخلت تحت الحماية وذلك على أثر الثورة العراقية، وظل هذا
شأنها حتى إعلان الحرب العظمى.

أما بلد الرياض فلا يزال في إمارتها فهاد بن رخيص من قبل الأمير محمد بن
عبدالله بن رشيد، وكان على بريدة وضواحيها حسن بن مهنا أبا الخيل، وكان مولعاً
بتفجير العيون وبناء القصور.

ومن أعظم ما شيده قصر مدينة بريدة المشهور، وكان كبيراً جداً فيه حصون

وأبراج وقلاع، مهياة للحرب، وجعل في أعالي حيطانه مصاليت ومعدات للقتال، وأودع فيه محلات المالية ومجايي التمور والحبوب والأسلحة، وفيه مجالس واسعة وخزائن وسجون وجميع ما تحتاج إليه هذه الإمارة، وكان هذا القصر محكم البناء بالنسبة إلى بناء البلد منيعاً جداً وقد زاد على حيطانه حائطاً بعد حائط من يتولى بعده من الأمراء، ويسكن هذا القصر أمير بريدة الموجود فيها، وإذا قدم جلالة الملك إلى القصيم فإنه يسكنه وموضعه في وسط البلد، وقد هدم ما حواله من الجهات الأربع ليكون متحداً وحده فلا يتصل به مساكن، بل كان كل ما يليه فسحة يقدر ميدانها من كل جهة، بستين متراً وقد رأيت جدار حسن بن مهنا لما هدم الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان ركن القصر الشرقي الجنوبي لما كان أميراً في بريدة لإنشاء بعض غرف فيه، فوجدته في غاية القوة والإحكام لا تكاد المعاول والفؤوس تهده.

وكان الأمير إذ ذاك في عنيزة زامل بن عبدالله آل زامل قد استقل كل منهما في بلده، وقد تحسنت العلاقات بين أمير بريدة وأمير عنيزة.

أما محمد بن رشيد إذ ذاك فإنه يبرم حيلته في ضم القصيم إلى مملكته لكنه لفضل سياسة ودهاء كان متصفاً بهما لا يظهر ما يؤثر على الأميرين، وقد قام بعد ذلك يتحرش بأهل القصيم.

هذا وقد استقر الشيخ الإمام محمد بن عبدالله بن سليم في بلدة بريدة، وذلك كما قدمنا أنه نفي منها إلى عنيزة، نفاه منها الأمير حسن لما أوعز إليه بعض جلسائه بذلك، وأشار عليه بجلب عالم في العراق معروفاً عند الأشقياء، فقبل إنها ذرفت عينا الأمير حسن وخاف من جلب عالم أجنبي يفسد عقائد أهل القصيم، وقال لقد نفيت ابن سليم لهوى نفسي فأعاده إلى بريدة مكرماً وتولى قضاءها.

ونزيد المقام أيضاً فنقول: لقد دبر أحد أمراء القصيم رجلاً معيناً لقتله فكان يرصد له في الطريق، وكلما أراد أن يتقدم لاغتيال الشيخ يصيبه رعب شديد يحال بينه وبينه، فلما أن اطلع الشيخ محمد بن عبدالله على جلية الأمر وأخبره ذلك

الفاثك وتاب من ذنبه، اتصل الشيخ بالأمير وأبدى أسفه الشديد على ما صدر منه، وقال على ما تقتلي ولم أشاقق في الملك، ولم ييدر مني بواذر ضدكم، فوالله لا أملك سوى هذه المروحة من سعف النخل، فتكلم الأمير قائلاً والله لهي أثقل علي من ذي الفقار «سيف علي بن أبي طالب» فغادر الشيخ بلد بريدة ثم عاد إليها. وفي هذه السنة نزلت أمطار غزيرة على القصيم، فأخصب الناس وخرجت نوابت الأرض وأعشابها.

وفيها وفاة دحلان، وهذه ترجمته:

هو حامل راية الضلال الخبيث المتقول على أهل الحق بالكذب والزور، نسأل الله تعالى العافية، أحمد بن زيني دحلان المكي، شرف الله مكة وزادها تعظيماً، ويسمي إذ ذاك بمفتي الشافعية بمكة، وكان قد شرق بهذه الدعوة الوهابية، وسب أهلها وأجلب عليهم بخيله ورجله، واتبعه على خبثه من كان على طريقته ممن لا يفرق بين الغث والسمين، وأقذع في مسبة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتلوث لسانه وكتبه بذلك.

وكان الدافع له على ذلك الدولة العثمانية، بذلوا له الأموال الطائلة وأغروه، فانقاد إلى تلك الهاوية، وإذا لم يخش العبد ربه، ولم يستح من خالقه فليفعل ما شاء، نعوذ بالله من الخذلان.

وقد جَوَزَ التوسل بالأنبياء والأولياء، وزعم أن الشيخ محمد كَفَرَ الناس، وإنه يدعى أنه نبي غير أنه لا يبدي هذه المقالة، وأنه ضرب أعمى كان يصلي على الرسول ﷺ ويديمها وقد نهاه، فلما لم ينته ضربه حتى مات.

وأجاز دحلان شد الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء إلى غير ذلك من التضليلات، وأورد أخباراً في استحباب زيارة قبر الرسول ﷺ وقد ردّ عليه العلماء وصاحوا به من أقطار الأرض وبدعوه وضللوه.

ومن العجائب أن كل من أبغض هذه الدعوة الوهابية فإنه يستمد ضلاله من

دحلان. وكان له من المحاسن رسائل مجموعة مختصرة في وجوب الصلاة والمحافظة عليها، وتأکید حضورها مع الجماعة، فالله المستعان.

وفيهما قتل الأمير علي بن قاسم بن ثاني نجل أمير قطر المشهور، الذي يلقب جوعان، وكان قتله على يدي العجمان.

وكان المترجم قارضاً للشعر العامي، وقد اتصل به الشاعر النجدي محمد بن عبدالله بن عثيمين اتصالاً وثيقاً حتى أصبح نديماً له وصفيّاً، ولما قتل وقام قاسم بن ثاني بعد ذلك لقتال العجمان لأخذ ثأره، كان الشيخ محمد بن عثيمين هو الحامل للراية، وظهر من آثار شجاعته وشدة سخطه وقوة وفائه ما رفع منزلته عند آل ثاني أمراء قطر، وواسوه بالمال والرعاية حتى أصبح كواحد منهم، يعيش بين قصورهم ويصحبهم في أسفارهم.

وفيهما وفاة الشيخ علي آل محمد آل راشد قاضي عنيزة، وكان من قبيلة الأساعدة أهل الزلفي، وبلدته علقه من قرى الزلفي، تولى قضاء عنيزة سنة تسع وستين بعد المائتين والألف، ينييه على القضاء فيها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين لأنه قد تخرج عليه وأخذ عنه، فاستمر في قضاءها حتى توفي في هذه السنة.

وقد جرى في أيامه أنه قدم آل عاصم الذين هم بطن من قحطان، يقودهم حزام بن عبدالرحمن بن حشر على الغميس والشقيقة المجاورة لبلد عنيزة، وكانت حمى لأهل عنيزة يرعون فيها الإبل والأغنام ويمنعون الكلاً لسوانيهم التي يسقى عليها الزرع، فلما دخلوا الحمى بعث إليهم أهل عنيزة يأمرهم بمغادرة المكان والذهاب إلى الفضا والفلاة الواسعة، وكانت تلك القبيلة من قحطان فيها بغى وجبروت على أهل القرى، يتطاولون ويتمردون، فلم يرفعوا رأساً إلى تلك الرسل التي أرسلها إليهم رئيس بلد عنيزة زامل بن سليم، فجاء الرئيس إلى القاضي المترجم وقال له: أيها القاضي إن هؤلاء الأعراب قد طغوا وتجبروا يضربون من وجدوا في تلك الناحية من أهل البلد من رعاة وغيرهم، وقد آذونا فهل يحل لنا

غزوهم؟ فأجابه أن نعم، ثم إنه تأهب أهل عنيزة وخرجوا في يوم الأربعاء أحد أيام رجب من سنة ١٢٩٥هـ، فلما زحفوا تحت رايتهم التي كان يحملها الصقيري على راحلته انكسر الرمح الذي فيه الراية ورجع رئيس الجيش زامل بقومه فأمرهم بالنزول، وذهب إلى القاضي علي يقول له إنا خرجنا في هذا اليوم وهو مكروه عند العرب، فلما كانت الراية عند باب البلد انكسرت، فماذا ترى؟ أنقيم اليوم ونغزوا غداً نهار الخميس؟ فقال الشيخ خذوا رمحاً سالماً وأصلحوا رايتكم واغزوا على بركة الله، فإنه لا خير إلا خيره ولا طير إلا طيره، وليس عند الأيام خبر، فزحفوا في حينهم والعدو على مسافة يوم، وكان في بلد عنيزة رجل يقال له فتنان من قبيلة قحطان أيضاً، فبعث ابنته إلى قومه قحطان في جوف الليل ينذرهم، وأمرها أن تخبرهم الخبر بأهل عنيزة واصلون قريباً إليهم، فقدمت الابنة على آل حشر في ناديمهم، وكانت ذات حسن وجمال فوقفت على القوم قائلةً أن أبي أرسلني إليكم بأن أهل عنيزة خرجوا يقصدونكم فخذوا حذرکم، وأنه لم يخرج بنفسه خوفاً من أن يغضب عليه جيرانه إذا علموا بمجيئه إليكم، فضحكوا منها والتفت بعضهم إلى بعض متهمين قائلاً بعضهم لبعض ما أحسن أن يزغب هذا النذير، يعني أن ينكح، فهم في تهكمهم وضحكهم، إذ طلعت عليهم جيوش أهل عنيزة، فقتلوهم شر قتلة أصابت من آل حشر أحد عشر رئيساً من بينهم القائد حزام، فانهزم القحطانيون بعدما دفنوا قتلاهم وحملوا أميرهم حزاماً مضرجاً بدمائه، مثخناً بجراحه، فدفنوه في نفي الماء المشهور بعالية نجد في ذلك الوادي، وكان الرجل المدعو بفتنان قد غضب لما رجعت إليه ابنته وشكت إليه مقابلتهم لها بالتهكم، والتهب قبله التهاب النار، فلما كان من الغد أتاه الخبر بقتلهم، فسكن غضبه فقال في ذلك شاعر آل عاصم أبياتاً بعد دفنه وارتحالهم من نفي.

ثم دخلت سنة ١٣٠٥هـ

استهلت هذه السنة بضعف دولة آل سعود واضمحلالها، وهذا هو دور الانحلال الذي انحلت به دولة آل سعود الغر الميامين، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وفيهما وفاة الأمير سعود بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود.
وفيهما وفاة جدنا أبي الوالد عبدالمحسن بن عبيد آل عبيد قدس الله روحه ونور
ضريحه، وكان قد عمي بصره في آخر عمره، وله صبر على خشونة العيش وقوارع
الزمان، وله أصحاب وإخوان ذوو فطر سليمة وصدور زكية وأعمال مستقيمة،
وكان والدنا برأ به وقد خلف ابنين وبتاً.

أما الأمراء فكانوا على رتبهم، وكان على إمارة مكة عون الرفيق وقد ظهرت
في أيامه مواهب ابن أخيه الحسين بن علي، فتلاً ذكائه، واشتد عزمه، وكان
شعوره ومساعيه عربياً كريماً غيوراً على قومه وبلاده، فراب الأستانة أمره وعمل
الأمير عون على إبعاده، وذلك لانتقاده الأمير عوناً في إهماله أمر العربان واتفاقه
مع الوالي التركي في تقاسم المصالح، فضعفت بسبب هذا الإهمال شؤون الإمارة،
وساء الأمن، وعم القلق، وانتشرت الفوضى، وازداد الظلم والجور، وإرهاق
الحجاج بالضرائب، وما زال الأمير عون يسعى في إبعاد الحسين حتى دعى إلى
الأستانة بعد ذلك ليكون ضيف الباشا وأسيره مثل ما تقدمه من الأشراف، ولما
قدم عاصمة ملك الدولة اشرب هناك روح السيادة العالية، فصعد في الدواوين إلى
مقام المقربين من السلطان، وأسندت إليه الوزارة مثل أبيه، وعين عضواً مثله في
مجلس الشورى، فاستمر في وظيفته إلى أن نال إمارة مكة المكرمة سنة ست وعشرين
بعد الثلاثمائة والألف، هذا وقد ساعدت الظروف والأحوال عوناً الرفيق، وكان
خطه مستقيماً وانتصر على كل من ناواه.

وفيهما وفاة الشيخ سليمان بن مقبل رحمة الله تعالى عليه، وهو قاضي مدينة
بريدة، تولى قضاء بريدة مدة تبلغ ٣٩ سنة تخللها فترات قليلة يقوم بالعمل عنه
الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان ورعاً ناسكاً مسدداً في أقضيته وتدابيره،
ويعتبر من خيرة أهل زمانه، وكان عم الشيخ محمد بن مقبل وموطنهم البصر وهو
موضع من الجنوب الغربية عن مدينة بريدة، وكان قد ثقل في آخر عمره وتخلّى عن
القضاء، وجاور في مكة المشرفة، ثم انتقل إلى البصر، ومات فيها تغمدته الله برحمته
عن عمر يناهز ٨٥ سنة، فآله المستعان.

وفيها جدد السلطان عبدالحميد باب العنبرية، وزاد في السور الذي عمّره السلطان عبدالعزيز قبل هذه السنة بعشرين سنة، وكان عبدالعزيز قد جعل ارتفاع هذا السور الكائن بالمدينة المنورة نحواً من ٢٥ متراً، وبني فيه أربعين برجاً تشرف على ضواحي المدينة للدفاع عنها، وفي هذا السور كثير من معدات الكشف وأبراجه مشحونة بالمدافع والدخائر الحربية، وفي غربي هذا السور سور آخر أوسع منه يحيط بالبيوت التي خارج السور الأول في غربه وجنوبه، ويتدئ من البقيع في الجنوب الغربي، وينتهي بالقلعة التي أنشأها السلطان سليمان بن السلطان سليم سنة ٩٣٩هـ.

ثم دخلت سنة ١٣٠٦هـ

في هذه السنة أكثر ابن رشيد من الغارات حتى نفذ إلى أراضي يلي وجهينة في الحجاز، ولما أن عاد إلى حائل من هذه الحملة وجد عبدالله بن فيصل مريضاً، وكان يظهر احترامه وتعظيمه، فأذن له بالرجوع بعدما عاهده على أن يكون أميراً في الرياض، ولم يكتف برجوعه إلى الرياض بأن يكون أميراً فيها فحسب، بل يكون مضافاً إليه العارض والحمل والشعيب وبلدان الجنوب، ولم يسمح بعودته فقط، بل اعاد إليه جميع حقوقه في حكم بلاده، فسار عبدالله بن فيصل وأخوه عبدالرحمن إلى الرياض ولكن أين هم وذاك.

فقد زعم بعض الرواة بأن ابن رشيد قد نفذ أمره بدس سقية سمية جعلت لهما في فنجان القهوة، تقضي عليها بعد ثلاثة أشهر، فأما عبدالله فإنه أساغها، وأما عبدالرحمن ففطن لها وألقاها في العراء بعدما وصلت إلى فمه، فأثر عليه ناسوراً تحت لسانه غير انه سلم منها^(١) ولما أن كان في اليوم ١٢ من ذي الحجة، سارا إلى الرياض من عنده محفوفين بالكرامة فودعهما، ولما أن كانا يسيران في أثناء الطريق اشتد على عبدالله مرضه، فكان ينتف شعر رأسه بيديه، وما وصل إلى الرياض حتى

(١) ذكر الأحسائي في تاريخه تحفة المستفيد.

توفى عبدالله ودفن في جبانة العود، وكانت وفاته في مستهل السنة التي بعدها، هكذا بلغني في بعض الروايات.

ومن توفى فيها ملك الألمان الإمبراطور فريدريك، فجلس على كرس المملكة بعده الإمبراطور غليوم الثاني، وهو ثالث إمبراطور للسلطنة الألمانية، وقد اشتهر بعلو همته وقوة نشاطه وكثرة حذقه واعتائه في شؤون السلطنة، حتى قيل أنه لا ينام أكثر من خمس ساعات في اليوم واللييلة، وهو فيما يزعمون بارع في كثير من العلوم والمعارف الحديثة خصوصاً في الفنون الجميلة كالنقش والتصوير والموسيقى، وله مهارة عجيبة في العلوم السياسية، حتى أنه بقوة دهائه استجلب قلوب الفرنسيين وجذب عقولهم إلى محبته، واستولى على عواطفهم حتى جعلهم يرمقونه بعين المودة والمحبة، وصار له شأن عندهم، وكان جيش ألمانيا إذ ذاك يبلغ في وقت السلم أكثر من خمسمائة ألف جندي مشاة، وفرساناً ومدفعية، وفي وقت الحرب يمكنها إيصاله إلى سبعة ملايين، وحكومتها إمبراطورية دستورية وهي مؤلفة من أربع ممالك.

أما ثروتها فقد قدرت في بعض السنين إذ ذاك بسبعة آلاف وثلاثمائة مليون من الجنيهات، وإنما ذكرنا بعض الإشارة لهذه الدولة لما جرى بعد ذلك من تطورها وقوتها.

ذكر شيء من أخبار الشيخ محمد عبده

كان هذا الشيخ يسمى المصلح الكبير المجتهد الخطيب الكاتب أحد أركان النهضة العربية، كانت نشأته من أسرة فقيرة فتعلم الأدب وأخذ عن أستاذه جمال الدين.

ولما قامت ثورة عرابي بمصر أحاطت الشبهة بعنقه وحوكم، وحكم عليه بالنفي من مصر ثلاث سنين وثلاثة أشهر، ولما كان في هذه السنة، عاد الشيخ محمد إلى مصر بعد انقضاء مدة النفي، وفي خلال هذا النفي استطاع أن يلتقي في باريس بأستاذه جمال الدين الأفغاني.

وكان الشيخ محمد يسعى سعيًا حثيثاً إلى إصلاح المحاكم الشرعية وإصلاح الأوقاف وإصلاح المساجد، وكانت وسائل الشيخ في هذا الإصلاح متعددة، وربما كان من أقواها عنايته بتفسير القرآن التي كادت تستغرق كل مجهوده ودروسه في تفسير القرآن، كانت حاشدة يتوافد إليها الطلاب من كل ناحية، ومن أظهر أعماله الإصلاحية عمله على إصلاح الجامع الأزهر.

ولقد حاول الشيخ ذلك جهده المستमित واحتمل فيه أذى كثيراً، ولكنه بقي يثابر ويكافح حتى أُلجئ إلى الاستقالة من مجلس إدارة الأزهر اضطراراً وأوصد في وجهه باب العمل على إصلاح الأزهر، فلقي من ذلك خيبة أمل رده، أو كادت ترده يائساً، ثم لم يلبث أن توفي على أثرها وسنذكر بعد ذلك سنة وفاته.

وكان يقول بعد استقالته من الأزهر يظنون أنني بخروجي من الأزهر تركته مرعى خصيباً لشهواتهم ترتع حيث تشاء، ألا أنني ألقى بين جوانب هذا المكان شعلة لا تنطفئ إن لم تلتهب اليوم أو غداً فستلتهب في ثلاثين عاماً، وستكون ضراماً.

وكان رحمه الله قاضياً بالمحاكم الأهلية، ثم مفتياً للديار المصرية، وتولى التدريس بالأزهر وإليه يرجع الفضل في إصلاحه، وهكذا يكون الرجال المخلصون في أعمالهم، ولقد كان الشيخ محمد عبده موضع الإعجاب بين رجال الدين المصريين، وتفتخر به الأمة المصرية التي يعيش في أكنافها ويظله سماء وطنها، وما زال يتقدم حتى بلغ صيته ما بلغ الليل والنهار، فرحمة الله على روحه وحيا الله رجال العلم والدين.

ولقد سمعت شيئاً من مؤلفاته المفيدة ودعواته السديدة وإصلاحاته الرشيدة، فرأيتها والله مثلاً في الإخلاص، وأكبر برهان على فضله ومقامه.

وفي هذه الفترة لا تزال المشاغبات والنزاع مستمراً نتيجة الخلاف الذي جرى في المسائل الدينية بين الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وبين بعض المنتسبين إلى

العلم، وحاصل هذا النزاع أن المخالفين للشيخ يقولون بجواز التوسل إلى الله بذوات العلماء والصلحاء، وجواز السفر إلى بلدان المشركين والإقامة بها، ويقولون أن الهجرة منقطعة لقوله ﷺ لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية.

ولا ريب أن هذه الأقوال مطروحة، وهذا الحديث يفيد أنه لا يهاجر من مكة بعد ما فتحت وكانت بلاداً إسلامية.

وقد نتج عن هذا الخلاف افتراق وتحزب لذلك أحزاب، وتوترت العلاقات بين القائلين بالجواز والممانعين منه، حتى كان لكل طائفة ردود ومؤلفات وانتصارات، وامتدت هذه المحنة قريباً من ربع قرن، فإننا لله وإنا إليه راجعون، والمسألة يطول شرحها وتفصيلها، وتحتاج إلى بسط لا يتسع له هذا الموضع.

ولا ريب أن الحق الذي لا مرية فيه هو ما كان عليه الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وأتباعه رفع الله قدره وأشاد في العالمين ذكره، وما كان مع المخالفين ما يستند عليه، وندين الله تعالى بقول الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم: ونعتقد ونسأل الله تعالى الثبات عليه إلى أن نلقاه إنه جواد كريم.

ثم دخلت سنة ١٣٠٧هـ

ففيها في ٢ ربيع الثاني توفي الإمام عبدالله بن فيصل رحمه الله وعفا عنه^(١) وهذه ترجمته:

هو العاهل الهمام والرئيس المقدام عبدالله بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود البطل الشجاع، كان هو القائد العام للجيش السعودي في حياة والده فيصل، موفقاً في حروبه إذ ذاك، ولا تزال رايته خفاقة منصوره كما قد جرى ذلك في الواقعات المتقدمة.

(١) والقول الثاني أن وفاته في مستهل هذه السنة.

ولما مات والده الإمام كان ولي عهده غير إنه حصل اختلاف بين أبناء فيصل، وعظم الشقاق كلٍ يخطب الملك لنفسه، فشمرت الحرب عن ساق بينه وبين أخيه سعود، فكان لكل واحد أعوان وشوكة، وكان الإمام عبدالله قصير القامة، وكان لسعود هيكل عظيم، ويعجب الأعراب من قائدهم أن يكون له شخصية بارزة، فالتف إلى سعود جمع غفير، وإذا كان القائد ذا هيكل عظيم وكان شجاعاً مع ذلك كان موضع إعجابهم، واستمرت الفتن حتى مات سعود بن فيصل، فقام أبناؤه خلفاً في شقاق عمهم والوقوف في نحره، حتى تشتت الشمل واختلفت الكلمة، واشتدت البلية، وعظمت الرزية، وتضعف الملك، واجتمع على الإمام عبدالله خلاف عشيرته ومنازعة ابن رشيد له ومقاومته ومضادة آل مهنا، حتى أصبحت إمامته منغصة عليه وقد ناصر آل عليان على ضدهم آل مهنا فلم تنجح المسألة بل حصل على مقاومة آل مهنا، فأثر ذلك أحقاداً في صدورهم لآل سعود، أضف إلى ذلك أن الإمام عبدالله قد أبعد بعض المنتسبين إلى العلم، وقدم عليهم ضدهم وأصغى إلى نصيح من لا ينفع نصحه، وبعث يستنجد الدولة العثمانية على أخيه سعود.

ولا شك أن هذه زلة منه والله يعفو عنه، فمناصرت لآل عليان وهم مغلوبون أثار عليه أحقاد آل مهنا، فكانت مراجل حقدهم لا تزال تغلي عليه وحالفوا محمد بن رشيد فكانوا يداً واحدة عليه.

وأما الشقاق الذي حصل بينه وبين أخيه وبنيه فإنه كف بساط ملكه عن غالب نجد، وكانت فرقاً وظهور محمد بن رشيد بمطامعه وسياسته ضعيف ملك آل سعود، وآخر أمره حبس فاستنجد بمحمد بن رشيد فأنجده وقتل أبناء أخيه غدرًا، ولما أخرجه من السجن بعث به إلى حائل كأسير، ثم رده إلى الرياض ليعيد له الإمارة فمات ولم يحصل عليها.

ولما مات عبدالله بن فيصل وانتقل إلى ربه، كتب الإمام عبدالرحمن بن فيصل وهو إذ ذاك مقيم في الرياض إلى محمد بن رشيد يخبره بذلك ويسأله أن يعزل عامله

حسب العهد المذكور، وحقاً على ابن رشيد أن يعزله ويكون أمير الرياض عبدالرحمن بن فيصل الهمام، أليس ابن سعود وأخا عبدالله وأوى الناس بالإمارة، أليس ابن فيصل الرئيس المقدام، ولما أن كتب إليه بذلك ما كان جوابه له إلا أن عزل أميره فهد بن رخيص، وعين مكانه أميراً في الرياض سالم بن سبهان أي أنه نكث عهده، وما كان مراقباً سعودياً ولا غيره، ففي هذه السنة ولي سالم بن سبهان إمارة الرياض للمرة الثانية.

كان سالم هذا لا قيمة لعهده عنده ولا ميثاق، ولما أن كان في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة في هذه السنة بعث إلى عبدالرحمن بن فيصل بأن يجمع له آل سعود ليسلم عليهم ويهتثهم بعيد الأضحى، ويلقي عليهم كلاماً من ابن رشيد، وكان من نيته وعزمه أن يفتك بهم ويقتلهم جميعاً كما فعل بأبناء سعود في السنة المتقدمة قبل هذه، نسأل الله العافية، هذه نتيجة هذا السلام وهذه التهتة.

ولما علم عبدالرحمن بن فيصل بما بيته لهم من الغدر وما انطوى عليه من المكر، احتاط للأمر وأعد له أهبطه، فاجتمع بأفراد أسرته وخدمه وأطلعهم على الأمر وعما كان يبيته له سالم بن سبهان، وعندما وصل ابن سبهان بجنوده وكانوا أربعين رجلاً مسلحين أمر عبدالرحمن بن فيصل رجاله أن يسبقوه إلى شبه ما يريد، وكان من بينهم ابنه فيصل بن عبدالرحمن وابن عمه فهد بن جلوي وعبدالعزيز بن جلوي؛ وفهد بن إبراهيم بن مشاري وغيرهم من أتباعه، فوثبوا عليه وعلى رجاله وقتلوا منهم عدداً وألقوا القبض على سالم وبقية رجاله وجردوهم وسجنوهم؛ وقد همّ الإمام عبدالرحمن أن يقتل سالمًا وبقية رجاله انتقاماً لقتل أبناء أخيه سعود؛ غير أنه فكر أنه إذا قتلهم فإن ابن رشيد سيقتل جماعة آل سعود الذين كانوا عنده في حائل، ومنهم عبدالعزيز بن تركي وعبدالله بن جلوي، وسعد بن جلوي وهذلول ابن ناصر بن فيصل، وفعلاً فإنها تحققت أمنيته ووقع ما كان يتوقعه، فإن آل سعود المقيمين بحائل قد ساروا منها إلى الرياض قبل وصول الخبر إلى ابن رشيد بيوم واحد، ثم إنه بعث في طلبهم ثلاثين رجلاً من خدمه فأدركوهم على ماء العدة

فألقوا القبض عليهم وقيدوهم بالحديد ورجعوا بهم إلى بلدة حائل، ولما أن كان بعد رجوعهم بثلاث جمع جموعة وجنوده، وزحف بجيش خميس من حائل إلى الرياض؛ ومعه آل سعود لبث سالم بن سبهان في مركزه، وكان أهل القصيم لما أن بلغهم خبر الحادث الذي جرى بين الإمام عبدالرحمن الفيصل وبين سالم السبهان، كتبوا إلى عبدالرحمن بن فيصل يعاهدونه على السمع والطاعة والتعاون والتعاقد، وحينما مر ابن رشيد في مسيره بالقصيم، وقف أهل القصيم في الطريق وصدوه عن جهته فوعدهم وعاهداهم بأنه سيعطيهم بادية مطير مضافاً إليها الخوة التي كانت تفرض على الحجاج، وسول لهم فرضوا بذلك وتركوه وشأنه رافضين عهودهم مع عبدالرحمن الفيصل، ثم إنه وإلى زحفه إلى الرياض بعدما جاوز القصيم، ونزل على الرياض بجيشه فحاصرها أربعين يوماً ونهب كل ما وجده في ضواحيها من إبل وأغنام، وقطع نخيلها ودمر بساتينها وشدّد الحصر عليها وأهلها يدافعون عنها أشدّ الدفاع، وأخذ يغير على طرق تموينها وأهالي القرى المنزلة له المحيطة بها فيدمر مزارعهم ونخيلهم حتى قيل أنه قطع ما لا يقل عن ثمانية آلاف نخلة، وبعد أربعين يوماً قضاها ابن رشيد في مثل هذه العمليات العقيمة، اقترح على عبدالرحمن أن يتفاوضا لعقد الصلح وتسوية الخلافات بالحسنى فوافق على ذلك الإمام عبدالرحمن، وخرج من الرياض وفد مؤلف من محمد بن فيصل، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف رئيس القضاة، والشيخ حمد بن فارس، ومعهم نجل عبدالرحمن بن فيصل عبدالعزيز بن عبدالرحمن وعمره إذ ذاك في الحادية عشرة، وبعد المفاوضة تم الصلح على أن تكون إمارة الرياض وتوابعها من بلدان العارض والمحمل وسدير والوشم وبلدان الجنوب من الخرج والأفلاج والحوطة والحريق تابعة للإمام عبدالرحمن، وأن ينقل ابن رشيد حاميته من الرياض، وأن لا يكون لابن رشيد نفوذ في الرياض ولا غيرها من البلدان التي وقع الصلح عليها وأن يفرج عن الأسراء الذين اتقلهم من آل سعود، وعلى أن يخلي الإمام عبدالرحمن سبيل الأسرى الذين كانوا عنده في الرياض سالم بن سبهان ورجاله ورجع ابن رشيد إلى حائل، وكان

هذا الصلح مموهاً لأن ابن رشيد لم يتمكن في الحصار من فتح الرياض ولا تمكن أهالي الرياض من رده عنها، وبكل حال فإنه عاد هذه المرة خائباً، فلما مرّ في مسيره بالقصيم عائداً إلى الجبل، قام أهل القصيم يطلبون منه الوعد الذي وعدهم فسوف وتردد، فنهضوا ثانيةً عليه وحشدوا قواتهم للحرب وما كان هذا الشمري ليرد طالباً، وكان قد وافق أن الأمير حسن بن مهنا قد تذامر وأمير عنيزة زامل بن عبدالله على أن يكون يد واحدة على بن رشيد، فلما رأى نهوض أهل القصيم عليه، استنفر قبائله وعشائره والتقى بأهل القصيم في القرعاء.

وجرت واقعة المليداء التي سأذكرها بعد ذلك..

وفيهما في جمادى الأولى وفاه صديق حسن القنوجي ملك مدينة «بهويال».

كان عالماً له مؤلفات عديدة، منها الروضة الندية، وأبجد العلوم، والإذاعة لما بين يدي الساعة، وألف القمط لإصلاح ما استعملته العامة من الأغلاط، وغيرها.

وفيهما شرع الأمير حسن بن مهنا في بناء مسجد عود الرديني فهدمة وزاد فيه وجعل بناءه مهندساً يدعى الحوفي وحرص على أن تكون نفقته طيبة، فجيء بالخشب وجريد النخل من روضة مهنا، وكان هذا المسجد طويلاً من جهة الشمال والجنوب أما شرقاً وغرباً فليس بواسع ويقع في جنوبي بريدة وله منارة طويلة.

وقد جعل الله له قبولاً بين الأمة ويأنس فيه قاصده.

ولا يخلو في غالب الأوقات من حلق الذكر ومجالس الذكر.

ومن أشهر أئمته محمد بن عبدالعزيز الصقعي كان له صوت جهوري ونغمة حسنة، وقد استمر في إمامته عن أمر رئيس بريدة حسن بن مهنا، ثم إنه كان في إمامته الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وازدهمت عليه فيه حلق الذكر، كما سنشير إلى ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة ١٣٠٨ هـ

استهلت هذه السنة وأهل القصيم مقاومون لابن رشيد ولا يزال يبرم حيلته للاستيلاء على سائر القصيم وقد فعل، وفيها تمت عمارة مسجد عودة الرديني جزى الله المحسنين خيراً.

وفيها وفاة الشيخ محمد بن عمر آل سليم عفر الله له وأسكنه فسيح جنته، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الألمي الحافظ الماهر الورع الجواد السخي الكريم صاحب العلم والمعرفة والدين القويم والتمسك بشريعة المصطفى وملة إبراهيم الإمام العالم محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن عبدالله بن صالح بن حمد بن محمد بن محمد بن محمد بن ميمون بن سالم بن زبيد بن مزاد.

ومحمد بن ميمون هذا له سهم في الفقرة فقرة الأحامدة، وارتحل إلى الحناكية واستقر فيها مدة، وترافق هو والطويل محمد الذي غرس أم أصواء، وأمهاات ومؤذن في العيينة، وقدم معه إلى بلد العيينة وغرس فيها نخلاً قبلة باب سليم المشهور بالعيينة، وبني المسجد الذي على حدود الباطن شمالي الباطن وقبل قدومه من بلد العيينة قدم عنيزة وتزوج فيها، وأقام مدته بالعيينة يرفقهم إذا أرادوا القر عادة العرب المشهور للمدينة وغيرها.

ثم بعد ذلك ارتحل إلى بلدة منفوحة وبعدما جرت قتله أجعيشن بالجزعة واقتتل هو ورفاقته ارتحل إلى بلد الدرعية وأقام فيها، وله ولد يسمى حمد حج في السنة التي تدعى سنة الحبس بعد ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمة الله وسلم عبدالله مع من سلم وذلك لأنهم خرجوا على أقدامهم، هذا معرفة نسب شيخنا.

كان رحمه الله آية من آيات الله في العلم والمعرفة والدين والبصيرة بأصول التوحيد ومسائله، والرد على من خالفه ونأى عنه، مكرماً لطلبة العلم وحملة القرآن

ثقة عارفاً، وكان مع ذلك سخياً جواداً يعطي العطاء ويبذل المال لله، وفي ابتغاء مرضاته ومعاضداً لابن عمه الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم ورداً وموازراً، ذلك لأنه تخلل زمنهما فتن واختلاف كثير بسبب الولاء والبراء، وكثر المعاند وقل المساعد، فثبت الشيخ محمد المترجم وناصر ابن عمه، ولما عرض عليه أمير بريدة وضيغه القضاء في بريدة عوضاً عن الشيخ محمد بن عبدالله بعدما سافر هذا إلى عنيزة لسوء التفاهم بينه وبين الأمير رفض المترجم ذلك.

أما مشايخه فإنه أخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وعن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين، ولا تزال الرسائل تتردد بينهم وناهيك بهؤلاء المشايخ والعلماء، فضلاً وشرفاً، وأخذ عن غيرهم ودرس وأفتى وعلم وانتفع بعلمه الموفقون من الأنام، وتردداً إلى مجالسه وتعليمه هداة أعلام، فأخذ عنه الشيخ عبدالله بن محمد بن فدا العالم الزاهد ذو الفضل والحامد، وأخذ عنه الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان، كان على قضاء أبي عريش، وأخذ عنه أيضاً ابنه إبراهيم بن محمد بن عمر، وأخذ عنه أيضاً الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وذلك في بداية أمره، وأخذ عنه أيضاً صالح بن كريدس، وأخذ عنه سليمان بن عبدالله بن حميد، وأخذ عنه أيضاً عبدالرحمن بن غيث، وهؤلاء الثلاثة أدركتهم وأنفقت بهم، وكانوا طلاب علم موحدين متمسكين بالسنة، وأخذ عنه القاضي القصيم الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وأخذ عنه فضيلة الشيخ القاضي عمر بن محمد بن سليم، وأخذ عنه غيرهم، وكان مسدداً في أقضيته وفتاويه وتصديراته مهاباً موقراً عاقلاً ذا رأي ومعرفة.

ومن غريب ما ذكر عنه أن صاحب هذا البيت الذي يقول:

وابعث على يد من ترضاه من بشرٍ رزقي وصني عمن قلبه قاسي

إن الله بعث له رزقاً على يدي فارة جاءت به إليه تحمله، وكان له مسجد معروف في بريدة يؤم فيه ويدرس، ولما مات خلف بعده أبناء منهم إبراهيم وسليمان وعبدالعزیز، أما إبراهيم فهو الذي خلف أباه في مسجده إماماً، ولقد أدركته أعني إبراهيم وصليت خلفه وعمري إذ ذاك لا يتجاوز الثانية عشرة، ولا يزال أحفاد المترجم موجودين، ومن أشهرهم الأديب عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن عمر، وكان ذا معرفة ودماثة أخلاق، تولى إدارة المدرسة السعودية الأولى في بريدة في أول تأسيسها.

ثم تولى إدارة المدرسة الأهلية في الرياض، ثم تولى إدارة المدرسة المعروفة بمعهد المعلمين في بريدة، أما سليمان بن محمد فسيأتي ذكر ترجمته في سنة وفاته.

ذكر واقعة المليداء سنة ١٣٠٨هـ

قد قدمنا أن أهل القصيم وقفوا في نحر ابن رشيد منصرفه من الرياض، ولما رأهم قد نهضوا عليه، استفز جنوده وعشائره فالتقى الجمعان في المليداء، وذلك في ١٢ جمادى الأولى، فتناوشوا القتال، وكان الغلبة أولاً لأهل القصيم، فاقترح بعض رجال ابن رشيد أن يخرجوا من ذلك المكان الذي هم فيه ويفروا كأنهم منهزمون، فيأخذ العدو قافيتهم فيقطعون ساقته بالخيـل.

قال بعض أهل المعرفة أن أهل القصيم شجعان غير أن رأيهم قليل.

فلما أن رحل الأمير محمد بن رشيد كأنه منهزم، وخرجوا على أثره من مزابنهم ومتارسهم صائحين انهزم ابن رشيد انهزم الحقوه، وبعدوا عن مراكزهم ومواشيهم، فعند ذلك كر عليهم وهجمت الخيل على أهل القصيم في موضع لا ملاذ فيه ولا مزابن تقيهم ولا جبال، فاجترت مؤخرهم الخيل وأوقع بهم ابن رشيد إيقاعاً شديداً، وأصيبوا بضربة عنيفة ووقعة مشؤمة، انهزم فيها أهل القصيم هزيمة عظيمة وقتل منهم ألف رجل غالبهم من الأعيان والرؤوساء، وما

نجا إلا القليل، فإنه لم يرجع من أهل عنيزة الذين حضروا الواقعة سوى خمسين رجلاً، ولم يفلت من أهالي بريدة الحاضرين إلا القليل، وعادت على أهل القصيم بالتباب، وتم لابن رشيد الاستيلاء على نجد كلها، واستتب له الأمر فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن نجا من القتل فإنه لم يسلم من الجراح الممخنة، ولما ظفر بن رشيد ذلك الظفر انتقل من معسكره ونزل العكيرشة على بئر لحسن بن مهنا تدعى بالرفيعة، وكان قد غضب على أهل القصيم وحلف بالطلاق أن يبيحها ويجوس خلالها، ويتبر ما على تبيرا، وقد عزم جنوده على أخذ بريدة ونهب أموال أهلها والفساد فيها، وهابه أهل القصيم مهابة شديدة فجعلوا يتوقعون ماذا يحله بهم من العقوبات، فخرج إليه الشيخ الكبير العالم التحرير محمد بن عبدالله بن سليم في موضعه ذلك، ولما أن رآه مقبلاً نحوه، أمر أن يجرد من ثيابه ويهان، فقام إليه الأعداء وفعلوا به ما قضت به إرادة الأمير، فلم يدعوا عليه سوى ما يساوي عورته، وكان إلى جانب الأمير محمد بن رشيد رجل يدعى السحيمي، فقام غيرةً لله ولأوليائه ونزع عباءته وكساها الشيخ، ولما جلس الشيخ بين يدي الأمير انتهره وأغلظ عليه في الجواب وجعل يتهدده ويتوعده، فتكلم بقوة وثبات قائلاً أيها الأمير يقول الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وجعل يتلوا آيات العفو: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ، وكان للشيخ مهابة عظيمة ولا يخاف في الله لومة لائم، وقد كساه الله حلة البهاء والوقار والهيبة، وجعل يقول يا ابن رشيد: اذكر قدرة الله عليك واعلم أنه من فوق الجميع، فبكى محمد بن رشيد، وقام مستوياً على قدميه يقول: اللهم إني قد عفوت يشير بيده إلى بريدة ويكررها، ثم جلس وقد ظفر غيظه وانكسرت حدته، فأكرم الشيخ وكساه وسأله عن يمينه بالطلاق، فأفتاه الشيخ ثم أذن بالانصراف إلى أهله نائلاً ما طلب وحلف أن لا يرجع إلا على متن فرسه الخاص فرجع الشيخ محفوظاً مرفوعاً ودافع الله عن المسلمين بمساعيه.

وقد حدثني بعض الثقات أنه اعتذر إلى الأمير بأنه لا يحسن ركوب الخيل فأردفه بمن يسكنه على ظهر الفرس حتى وصل إلى بيته، ثم إنه جاء رجل من أهل العكيرشة يسوق نحو ابن رشيد ثمانية عشر حملاً تحمل البرسيم على ظهورها والرطب، فوضعه بين يدي ابن رشيد وقال هذا لخليل الأمير فأعجبه ذلك وقال له من أنت فقال أنا الكراع فقال لست بالكراع إنما أنت طويل الذراع فقبلها وشكره.

وقد قال حمود العبيد بن رشيد في وقعة المليداء، وما جرى فيها من الهول أبياتاً نبطية أحببت إبرازها في كتابنا هذا وإن كان المقام لا يسمح بإيراد غيرها وهي هذه التي خرجت بنا عن المقصود:

| | |
|---|-------------------------------|
| يا ما لنفس ما تريد السؤال | إلا من الله جامع الناس لحساب |
| بالله يالي فوق الإسلام عال | بالخير إلي من ترجاك ما خاب |
| النفس لو صارت بعالي الوصال | تصبر على الكاين وخطاها ما صاب |
| يوم جرى بالضلفة له ظلال | يعده الأول لناس بالاصلاب |
| جوناً وجيناهم سواة الجبال | وصار الطمع منا ومنهم بالارقاب |
| صرنا عليهم مثل وصف الجبال | ما كنها إلى حوطة ما لها باب |
| أول علفهم زامل والعيال | وتكسرت عن رؤسهم عوج الأنصاب |
| والقرد ^(١) يبري لها سواة العزال ^(٢) | فضخ بوغداتها كما فضخ فصاب |
| يا ذيب يالي بالجوى والمفالي | أقبل يتهبا لك نصب ومغراب |
| ترى بالضلفة مثل الرجوم الطوال | قبيله يشبع بها النسر وغراب |

ومن أبيات الحسين بن علي بن نفيسة يذم أهل بريدة لما قاموا ضد بن سعود في

(١) القرد السيوف.

(٢) العزال أفواه القرب المحلولة.

أيام محمد العبد الله أبا الخليل ويعرض بأن ابن سعود لم يظلمهم كما ظلمهم غيره
مذكراً لهم بواقعة المليداء.

ألا تذكروا حرب المليداء وما جرى هناك وأنتم كالحمير تسوقو.

ثم إنه لما ظفر محمد بن رشيد، أقام في بريدة أميراً عليها حسين بن جراد،
ورحل من القصيم إلى حائل وقد ضبط القصيم، وحمل معه إلى حائل الأمير حسن
بن مهنا حقيراً مكسور اليد وقد يصل إليه بعض التوبيخ والتقريع فسبحان من لا
انقضاء للملكه ولا نهاية لأبديته.

وهذه ترجمته هو الأمير ابن الأمير حسن بن مهنا بن صالح آل أبي الخليل آل
حسين أبو صالح العنزي، تولى إمارة بريدة في سنة قتل أبيه واستمرت إمارته فيها
ست عشر سنة، وكان في بداية أمره مخالفاً لابن رشيد وذلك لأنه لما لم ينصر الإمام
عبدالله بن فيصل آل مهنا على ضدهم آل أبي عليان، انحاز حسن إلى الأمير ابن
رشيد، وكان حسن مستقلاً في إمارة بريدة بعد ما ضعف حكم آل سعود، وبذلك
كانت بريدة وضواحيها إذ ذاك خاضعة لإمارته، وتزوج بعد ذلك بامرأة من آل
زامل أهل عنيزة فتحسنت الحال بينه بين الأمير زامل ووهب لزامل زكاة قرية
البدائع، وكان طاهر العرض رزين العقل غير أن فيه حنفاً على من يخالف أوامره،
ولا يزال يسر ما في نفسه ويؤثر السلم ويحب العافية إلا عند الغضب فله بواد،
وكان أعور العين وله خدم يختصهم لخدمته مثل حمود بن عبدالوهاب وخضير
المزعل، ولما ملئت أذناه بمسبة الشيخ القاضي محمد بن عبدالله بن سليم وأكثر
أعداؤه من مسبته أساء معاملته، وخرج الشيخ يريد سكنى عنيزة، فردّه إلى وطنه
بريدة وعاهده على أن يكون خاضعاً لأحكام الشرع مكرماً له موقراً، فرجع الشيخ
إلى بريدة بعدما لبث مدة في عنيزة، وقد زعم بعض الرواة أن العلاقات توترت بينه
وبين الشيخ المذكور، وأنه ألجأه إلى مبارحة بريدة وبالغ بعض الرواة في ذلك، لكن
المقصود أنه رده إلى بلده محتشماً موقراً منصوراً، وكان يجري في مجلسه مجون ونواد
وإن كان الأمير يكره ذلك:

منها أنه دخل عليه رجل يمر خصمه، وكان خصمه مضحكاً وصاحب مجون فشكاه صاحبه يقول أيها الأمير كنت نائماً في الصحراء فجاء هذا وبالي في فمي، والتفت إليه الأمير معبساً وسأله: مالذي حملك على ذلك؟ فقال إنه كان فاغراً فاه ولم أرى الرجل بل رأيت هذا الحجر المظلم فحسبته حجراً حقيقة، وهذا الذي قدر الله أيها الأمير، فضحك لذلك ضحكاً شديداً وقال حسبنا الله عليكم يا أهل القصيم فضحتمونا بالأجانب وتهدد المجرم لأن لا يعود إلى مثلها:

ولما كان بعد أيام وافق أن جاء أعرابي يسأل هذا الماخن تنباكاً أعني دخان فأجابته نعم لدي تنباك ولكنه لا يوزن وزناً ولا يكال كيلاً لأنه طيب بل أبيعه سيجارير الواحدة بنصف ريال، ففرح الأعرابي وأخذ واحدة ليتمتع بطعمها وريحها، وكان ذلك الماخن قد حشاها باروداً سدها من جهة طرفيها بتبن، فأصبحت السيجارة ملح بارود لا أقل ولا أكثر، ولما ناوله إياها جعل يوصيه بأن لما يخبر به أخذاً فإنه لا يبيع هذا المال لكل أحد، ولما أن ذهب ذلك الأعرابي فائزاً بطلبه وأوقدها كعادة شارب الدخان، نسال الله العافية، انفجعت عن نار أحرقت فمه وخياشيمه، فرجع إلى صاحبه مشوهاً يقول اذهب معي إلى الأمير ليرى ما صنعت فقال له صبراً أتريد باروداً مني أم تنباكاً إنا لا نبيع التنباك ولا أحلله بل أمقت شارب، اذهب معي يا خبيث إلى الأمير امش إلى حسن ليرى خبيثك، قم بنا إليه فنجعل الأعرابي وخاف وشرد من بين يديه مغتتماً السلامة.

رجعنا إلى أعمال الأمير حسن بن مهنا فنقول كان مولعاً بركوب الخيل والمسابقة وكان غالب مجالسه معموراً بالقهوة العربية البن وله همة بتفجير العيون وإنشاء الآبار العظيمة ولا تزال باقية إلى يومنا هذا، وبنى قصوراً من أعظمها قصر الحكم في بريدة.

ولما جرت واقعة المليدا كانت أولاً الهزيمة على ابن رشيد وذويه فقتنع بها زامل أمير عنيزة وأشار على الأمير حسن بالرجوع ويكفي العدو ما جرى عليه فأبى حسن وأجاب بأنه لا ينكف حتى يقضي على ابن رشيد، فمأتم له ذلك، وأبى الله

إلا أن يكر عليهم العدو فيصبحوا صرعي على ظهر الأرض كأنهم أعجاز نخلِ خاوية آمنّا بالله.

وقد حدثني والدنا السعيد وكان قد حضر الواقعة قال: لما انهزمنا لا يلوى أحد على أحد كان من بين المنهزمين رجل ظفر بمزود فهو حامله على ظهر جملة يقول ما أحلاك من يوم فسمعه آخر مثخن بالجراح يئن على ظهر جبل مشدوداً فأجابه بقوله على أناس من أناس.

ذكر أزواج حسن وأبنائه

كان له زوجتان وهما الجوهرة ومزنة بنت جابر الله وله خمسة بنين، صالح ومهنا وسليمان وعبدالرحمن وعبدالعزیز.

فأما صالح فهو الفارس الشجاع الذي انتهت إليه إمارة بريدة بعدما استولى عليها عبدالعزیز بن سعود، وقد شوهده منه شجاعة وبسالة وكفاءة في حرب البكيرية، وكشف بأهل القصيم جيش ابن رشيد وعساكر الأتراك، واستمر في إمارته حتى جرى منه ما يوجب عزله بعد سنتين، وقتل أخوه مهنا وكذلك لم تمتد أعمار عبدالرحمن وعبدالعزیز، أما سليمان فقد عاش إلى زماننا هذا، وكان لحسن خمس بنات أيضاً.

ذكر من قتل فيها من الأعيان

وهم خلق كثير، ولكن نذكر الأعيان زامل بن عبدالله أمير عنيزة المشهور، وقد كانت إمارته تزيد على ثمانين سنة، وقتل معه أبنائه عبدالعزیز وغيره وأخوه علي بن سليم، سليمان بن ناصر بن جربوع قدس الله روحه ونور ضريحه، وهو أخو زعيم بريدة المشهور، بل كان زعيماً عظيماً، دحيم بن علي الرشودي وهو أخو فهد الرشودي الرجل المشهور، وكان دحيم هذا من الأعيان والرؤساء، حسن بن مهنا الأمير، عودة بن حسن آل عودة، وكان من آل أبي الخليل وقد قتل أبوه في سنة قتل مهنا لأنه قام يطلب بثاره فقتل معه.

علي بن مرشد الصالح كان رحمه الله باراً صالحاً تقياً ومقره القصيعة بلدة أبيه
مرشد، محمد بن علي بن مرشد بن المتقدم ذكره.

عثمان العريني كان فتى هماماً له إقدام ومقره قرية تدعى، وكان له فيها نخيل
وعقار وقد أحاطه بسور وجعل للسور بايين شرقياً وغربياً فالشرقي باب الديرة
نسبةً إلى جهة بريدة، والغربي باب البر إشارةً إلى أنه إلى جهة البرية وكان مشهوراً
مذكوراً.

عبدالعزیز بن عبدالله المهنا أخو محمد الأمير، سليمان بن أحمد آل رواف كان
من المشاهير الأعيان وهذا أخو عبدالله بن أحمد الرواف، عبدالله بن عثيم كان
مشهوراً وأبنائه وأقربائه في موضع الشماس شمالي بريدة، عبدالله التويجري كان
موضعه في قرية القصيعة وكان مشهوراً، حمد بن سعيد.

وممن قتل فيها من الأعيان أبناء ناصر العجاجي، وكانوا خمسة كلهم فضلاء،
وهذه أسمائهم: محمد بن ناصر، وعبدالله بن ناصر، وإبراهيم بن ناصر،
وعبدالرحمن بن ناصر، وإبراهيم بن ناصر، وكل هؤلاء شريف من العرب ذوي
الأحساب، فأما عبدالرحمن بن ناصر العجاجي فإنه كان زاهداً ورعاً تقياً وله
مقامات في الزهد عجيبة، وكان مقبلاً على الله والدار الآخرة معرضاً عن الدنيا،
طالب علم عاملاً، وله كتاب الفصول في قيام ليالي رمضان، وهذه الفصول
موجودة تداولها الأيدي، وقد كان مصنفها رحمه الله ليس له اعتناء في النحو
والصرف والشعر فلذلك يرى في فصوله شيء من القصور، وأظنه لا يعتني
بالإعراب إنما جل مقصوده الوعظ والتذكير، وقد حدثنا من رآه مرة في المقبرة
فالتفت يمنة ويسرة فلما لم ير أحداً تجرد من ثيابه، وكان قد لبس تحتها أكفاناً، فنزل
في قبر وتمدد فيه وجعل يبكي ويحاسب نفسه، مالك تفعلين كذا لم تعصين الله وهو
يراك، وتأكلين المتشابه، وقد تكرر ذلك منه عدة مرات فرحمة الله عليه، وهذا والله
كمال العقل أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويتأهب لذلك المصراع الطويل، أما
بقية القتلى فلا يحضرني الآن ذكرهم.

ولقد كان موضع المعركة يشيب الوليد بحيث أن الجرحى يثنون فوق ظهر الأرض لا يجدون من يقوم برعايتهم، حتى هلكوا بين أولئك القتلى، والأمر كان فوق ما قيل من الهول والأمر الفظيع، وهذه الواقعة شبيهة بواقعة بقعا فإن الجرحاء لما وقعوا بين الأموات إذ ذاك قام الرشيديون ينادون بالماء لمن يريد الشراب فإذا تكلم الجريح أجهزوا عليه، وهل بعد هذه القسوة شيء، نسأل الله العافية، وما أشبه الليلة بالبارحة، فتلك فعلها عبدالله بن علي بن رشيد بأهل القصيم، وهذه فعلها ابنه محمد بن عبدالله بهم أيضاً، وبهذا تعرف فظاعة آل رشيد وغلظتهم وفظاظتهم.

وتعلم أن أهل القصيم ابتلوا وامتحنوا بوقعات أضعفت شأنهم كبقعا وأليتيمة والمليداء وغير ذلك.

رجعنا إلى ذكر الإمام عبدالرحمن الفيصل، فنقول لما علم الإمام عبدالرحمن بما جرى، خرج من الرياض لينجد أهل القصيم، ولما أن علم وهو في أثناء الطريق ما جرى في المليداء من الهزيمة على أهل القصيم ثنا عزمه، وعاد إلى الرياض، فأخرج حريمه وأولاده منها وترك أوطانه فاراً منها، فليس له قرار حتى يعيد الله الكرة وينعش أوليائه، ويأتي بفرج وفتح من عنده، فارتحلوا إلى الأحساء، وكان المتصرف فيها عاكف باشا، وبعد أن وصل الإمام عبدالرحمن إليها قابله مندوب من قبل واليها، وهو شاب لبناني اسمه الدكتور زخور عازار، انتدبه المتصرف ليقاوض ابن سعود ويعرض عليه شروط الدولة، فاجتمع بعبد الرحمن على عين النجا قرب المبرز في جمادى الثانية من هذه السنة، وكان مع عبدالرحمن ابنه الصغير عبدالعزيز، فعرض عليه أن يعود إلى الرياض ويتولاها من قبل الدولة العثمانية إذا اعترف بسيادتها، وأن يخضعوا لها ويدفعوا بمثابة الخراج ألف ريال في السنة، فلعلم الإمام بعجز الأتراك عن مساعدته مساعدة فعلية، ولعلمه بنيتهم أبى ورفض ما اشترطوه قائلاً: إن بعد ذبح بندر بن رشيد تفلتت العشائر فصارت خائنة بعضها لبعض وللأمراء الحاكمين كذلك، وكان صاحب قطر وهو قاسم بن ثاني يومئذ خارجاً على الدولة فشاع أن مندوب عاكف باشا يسعى في عقد اتفاق بين ابن سعود وبين

أبن ثاني لإخراج الدولة التركية من الأحساء، فأوقف خمسة عشر يوماً في الهفوف ثم استدعى إلى بغداد فكان بعد التحقيق بريئاً، ولكنه بعد هذا أبى أن يعود إلى منصبه، أما الإمام عبدالرحمن فبعد تلك المفاوضات رحل بأولاده إلى الكويت فمنعهم محمد بن صباح من دخولها، وكان يومئذ أميرها، فعاد عبدالرحمن بأولاده إلى البادية، وأقاموا بضعة أشهر مع العجمان:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| فضاقت به البلدان يسعى لعزه | وما الأمر إلا بتقدير خالق |
| رحلنا من بلاد نشأنا بظللها | على الرغم منا بالجهود الطوالق |
| إلا أيها الدهر المشتت للهوى | رويدك لا تغدق بمز المذايق |
| تريد لنا أمراً والله ضده | وأمر إله الحق فوق الخلائق |
| عسى الله ذو العز القديم بديلها | بكل الذي يهوى وثيق العلائق |

ثم أنهم أموا قطر بلاد ابن ثاني فأقاموا فيها شهرين، وكانت الدولة لا تزال تبغي عقد اتفاق مع ابن سعود لتأمين من حركاته وسكناته، فأرسلت بواسطة متصرف الأحساء إليه يستدعيه إليها، فلبى دعوة المتصرف.

وقد تم بعد ذلك الاتفاق على أن الدولة تدفع إلى عبدالرحمن بن فيصل ستين ليرة مشاهرة وأن يقيم وعائلته في الكويت، فقبل ابن صباح إذ ذاك أن يتوطنوا بلاده واستحب الإمام عبدالرحمن بن فيصل سكني الكويت لأنه قريب من نجد والأخبار تصل إليه فيه بسرعة.

وأيضاً كان فيه آمناً من تسلط الأعداء، فليس لأحد عليه فيها اتصال بما يكره لا من جهة الدولة ولا من جهة ابن رشيد، وكان في الكويت يعيش في أرغد عيش وأنعم بال، وإنما أخذ معاش الدولة الذي قلما كانت تدفعه إليه لأجل تسكين الثوائر مع أن الكويت في طرفهم، والولاية لهم فيه ظاهراً.

ثم دخلت سنة ١٣٠٩هـ

ففيها استقر الإمام عبدالرحمن بن فيصل وعائلته في الكويت بعد الاتفاق على

العقد المتقدم ذكره، وكان من بين عائلة نجله المعظم والرئيس الأفخم عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل، وكان حدث السن لكنه يروم مع صغر سنه من الأمور معاليها ويتبوأ بهمته إلى هاماتها وأعاليها، وقد ضبط عنه أنه لما مرّ بالبحرين مع والده في ذهابهم إلى الكويت كان عمره لا يتجاوز الحادية عشرة، فسأله أمير البحرين عيسى بن علي آل خليفة قائلاً: أقطر أحسن أم البحرين؟ فأجابه عبدالعزيز بالحال الرياض أحسن منهما، قال الشيخ عيسى بن خليفة فدهشت لهذا الجواب السريع، وعلمت أن وراء الأكمة ما وراءها.

وفيها نهض سادات صنعاء على الترك فحاربوهم وأخرجوهم من صنعاء، وكانت تلك الثورة فاتحة حروب وفتن، واستمرت ربع قرن يوماً تضطرم نارها، ويوماً تهمد تحت الرماد، وعندما قام عليهم الإمام المنصور والد يحيى، بعثت الدولة الفريق أحمد فيضي باشا لإخماد الثورة، فتقدم بجنوده إلى صنعاء فحاصرها واستولى عليها، فتقهقر الإمام ومات بعد ذلك، ثم إنه أعاد الكرة ابنة الإمام يحيى على الترك، وجرى بينه وبينهم ما سنذكره بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

ذكر إمامة محمد بن رشيد في نجد

لما قتل هذا الأمير أبناء أخيه بندراً وإخوتهم، جلس على عرش إمارة الجبل، وكان حليماً حكيماً، وكان قد آلى على نفسه بعد قتلهم ألا يقطع الرؤوس إلا في الحرب، فكان البدو يسخرون منه لقلة قتله فيقولون لا يحسن الملك لأنه لا يكثر قطع الرؤوس، ولما لبث في إمارة حائل عشرين سنة، جرت المليداء فكتب له النصر وتم له الاستيلاء على نجد، فكان ملكاً سياسياً له غور بعيد على الأمور وأهوالها، وله حظ عظيم من الدهاء، فقام بسياسته وقديماً ما نفعت السياسة القائم بها، وخاض نجداً يريد مناصرة عبدالله بن فيصل، ومن يأخذ بالظاهر فإنه حمده على ذلك فأخرج عبدالله من السجن ثم أسره وبقية آل سعود، وبعث بهم إلى حائل ثم مكر بهم إلى غير ذلك.

ومن سياسته أنه يحترم العلماء ويوقرهم ويعرف حقهم، وكان ذات يوم إلى جانبه الشيخ عبدالرحمن العجاجي، فقال له أيها الأمير: إن هؤلاء الأعراب نشأوا علي جهل فلو جعلت لديهم مطاوعة يرشدونهم ويبنون لهم لتبرأ ذمتك، فإنهم لا يعرفون طهارة ولا صلاة، فالتفت الأمير إلى عمه عبيد بن رشيد وقال له: أسمع ما يقول الشيخ، دعهم وجهلهم لنسلم من شرهم، فلو جعلنا عندهم من يعلمهم وعرفوا حقوقهم لبدأوا بالإنكار علي.

وقال مرة إني لا أقر الفساد ولا أرتضيه، فقليل له هذا فلان يرصد النساء في مواضع المياه إذا جئن يسقين ويسعى للريبة والخبث، فبعث إليه ينهيه ويتهدده، غير أن هذا مبتلى والعياذ بالله بالفتنة فلم يطق الصبر عن فعله فلما بلغه أنه لم ينته، خرج على جواد وتحين له في ناظوره، فلما رآه حوالي النساء، أرسل عليه جواده كالطير، فلما أحس المريب بالشر أطلق رجله كالريح يريد البلد، فأدركه الأمير وضربه بالصمصامة فطار عنقه كأنه كره وضل الجسد يركض بلا عنق، فلما رآه كذلك بكى وقال ليعلم الناس بأنه خرج عن السمع والطاعة، وندم على قتله بعد ذلك حتى قيل أنه دفع ديتة إلى أهله.

ولما توافق هو وأهل القصيم وبان له الظفر، بث جنوده لينهبوا الأموال ويقتلوا الرجال، فجأؤه بالأموال التي قد نهبها والأدباش من القرى وغيرها، وأخرجوها من معاطنها وحشروها لديه، فبكى وقال أريد أعناق الرجال وتأتوني بالحمير والبقر والغنم، أنا لا أريدها.

ولما جرى من أمر الله مالا يطاق في آخر الواقعة وفر بعض العجزة من أوطانهم إلى عنيزة ونحوها، وجعل المسلمون يرتقبون ماذا يحله بهم لأنه ظهر مظهر الفاتح المسلط، عفا وكفّ جنوده عن كل فساد، ولما ذكره يمينه أنه سيبيحها ويضرب بريدة طولاً وعرضاً، ويقتل وينهب، قال لجنوده ادخلوا من أي باب شئتم واخرجوا فليس هناك معارض، أما الفساد فلا ولا رخصة لكم بذلك وأن القصيم

الآن يعتبر رعية مثلكم وأمن الله به العباد والبلاد، واجتمعت الكلمة وساد الناس بجلمه وعقله وسعة رأيه وأقر قضاة البلدان على بلدانهم، وتعتبر أيامه بالنسبة إلى أيام ابن أخيه عبدالعزيز كخلافة في العدل والإنصاف وحسن الرعاية.

ولما أن جلس الأمير حسين بن جراد على عرش إمارة بريدة من قبل بن جراد على عرش إمارة بريدة من قبل ابن رشيد، كان حسين هذا كأمرء آل رشيد في السطوة والجبروت، فبعث بعض الأهالي بشكايته إلى ابن رشيد وجعلوا الكتاب سراً صحبة رجل يدعى زيد بن عجلان فلما ورد الحاكم كتاب الشكاية، بعث إلى أميره يتهدده بأن أهل القصيم نسبوك إلى الظلم، فقام الأمير يرغي ويزيد وجعل يدس الدسائس ليصل إلى من بعثه ويرسل العيون يستطلع الأخبار فقبل له لعله محمد بن لهيب، فدعى به وحبسه حتى ظهرت براءته فأطلقه.

ودعى بمحمد بن عبدالعزيز الصقعي، وكان خطاطاً فأحضره وحبسه وجعل يقرره وهو ينكر ويقول له إنه لا ذنب لك إنما الذنب لمن أمرك، أخبرني من أمرك ونحو ذلك الرجل، ويشدد نكيره، فلما أن أقبل الليل جاء ناس ليشفَعوا له وأبدوا للأمير بأنه ضعيف البنية إذا لبث في السجن ليلاً، فيوشك أن يهلك مع أنه مظلوم ولا دخل له في الموضوع، حتى لان له وأخرجه بشفاعَة أولئك الشافعين.

أولاً: - أنه مظلوم، وثانياً: - لأنه مطوّع وليس من عادته أن يتدخل بما لا يعنيه، وثالثاً: - لضعف بنيته، فهو لا يطيق الحبس ونحن نضمن بأنه لم يكتب في حكم مسبة، ثم دعى برجل يدعى ابن شومر، وجعل يعذبه بأنواع التعذيب حتى مات، وسيعازيه الله الذي لا يظلم النقيير والقطمير بما فعله بهذا المسلم، نسأل الله العافية.

ثم دعى بالجمّال زيد بن عجلان، وكان لم يعلم بحقيقة الحال، وأن هذا الكتاب شكاية، فجعل يتطلع أخبار محبي زيد هذا، لأنه كان غائباً، ولما قرب من البلد خرج إليه أهله وأقربائه يحذرونه دخول البلد، وأمرّوه أن ينجو بنفسه ويفر إلى أحد

البلدان خشيةً عليه من سطوة الأمير، فلعلمه أن الفرار لا ينجيه قدم بريده، وعلى الفور دعى به إليه، فجعل يقول له لا بأس عليك، وأنتك جمال فأخبرنا بصاحب الكتاب، وأنه لا ذنب لك ولا عليك فإنك إن تخبرنا بالحال نجازيك على إحسانك ولا نخبر صاحبك، أجب هذا الرجل الأمير بقوله: أيها الأمير والله لا علم لي بصاحب الكتاب ولا بالكتاب، غير أنني لما قدمت الجبل وحملت الكتب لأوزعها، وجدت من بينها كتاب الحاكم فدفعته إليه، ولو قد علمت أنه مسبة لم أحمله، فعفا عنه ثم أذن له بالذهاب، ودعى به بعد ذلك، فلما حضر تكلم الأمير بقوله: يا زيد الكتاب عرفناه قد أظنه فلاناً فتبين أنه فلان يا زيد، الله لا يتهم بريء، وهذه كلمة عامية معناها «نسأل الله أن لا نتهم أحداً وهو بريء» فهل كان الأمر كما قد علمنا، وزيد لا يجب إلا بالإنكار والبراءة من فلان وفلان، ويعاهده على عدم معرفته، فقام الأمير للوضوء وهذا الجمال جاثٍ على ركبتيه لم يتحول، وقد كان لدى خدم الأمير ورجاله معروفاً ومحتشماً، ومع ذلك لم يتجاسر أحد منهم على كلامه، والسلام عليه خوفاً من الأمير، ثم خرج من وضوءه ودعى بالقهوة وأجلسه إلى جانبه وعفا عنه؛ فقام الرجال يسلمون عليه ويسألونه عن أهاليهم في بلدة حائل، كيف فلان وما صنع فلان، وقام منصرفاً قد سلم منهم.

ولما جلس الإمام عبد الرحمن بن فيصل وعائلته في الكويت، بعث الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد بهدية إلى ابن صباح في الكويت، وكان بعثه لهذه الهدية على يدي رجل من خاصته، ذوي الدراية والمعرفة، وأوحى إليه بأني لا أخشى من عبدالرحمن بن فيصل إنما خشيتي من أبناءه، فاذهب واتني بخبرهم، وكان قد خامره خوف من ذرية عبدالرحمن هذا، ففعلاً سار هذا الرسول بالهدية وقدم بها على صاحب الكويت للسلام عليه والمواصلة الحسنة، وبعد ما ناوله الهدية، طلب السلام على عبدالرحمن الفيصل وأنجاله الكرام لما وصل إلى ساحتهم فاجتمع الرسول بعبدالرحمن، وجعل يقلب النظر في أولئك الأولاد وينظر إلى محمد بن عبدالرحمن قد طر شاربه وعليه آثار السمات والحياة.

أما عبدالعزيز فوجده نائر الرأس يصارع الصبيان ويغالبهم، فلا يدعهم يستريحون يقول أنا الأمير عليكم وبعدما سبرهم الرسول، وأقام في الكويت بضعة أيام رجع إلى حائل يحمل أخبار أولئك الأنجال ما وجدت يا «بعدحي».

أيها الأمير وجدت أنجاله اثنين الذين يشار إليهما محمد الكبير عليه الحياء والسمت، ووجدت عبدالعزيز نائر الرأس يصارع الصبيان ويغالبهم فيغلبهم كأنه مجنون، والذين حواليه في عناء شديد منه، وقد يلبس العقال ويضرب بعصاه الأرض ويهذي قائلاً أترون صاحب هذا المحجان يحكم في نجد، وأما بقية الأنجال بعد عبدالعزيز الذي عمره اثنتا عشرة سنة فصبية صغار لا معرفة لديهم، فاندعر محمد بن رشيد يقول «يلهن حيك» أيهم المصارع؟ فأجاب عبدالعزيز هو عبدالعزيز، عبدالعزيز الذي يصارع، فجعل ابن رشيد يقول خف من المصارع، أنا أخشى ممن يصارع، أخشى من عبدالعزيز ومصارعته، هذا كلام محمد بن رشيد بجروفه، ويعدّ من دهائه وغوره لأنه وقع ما كان يتوقعه.

ثم دخلت سنة ١٣١٠هـ

ففيها دعى الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد بمحمد بن هندي إليه بعدما أضعف جانبه باستجلاب كثير من قومه، ولما حضر بين يديه جعل يتهدده ويتوعده كأنه قد بلغه ما يريه عنه، وقام رجل من أتباع ابن رشيد يدعى الطوير موافقة للأمير، فجعل يتكلم في حق محمد بن هندي ويقول: كأني بالمغاتير والمجاهيم تؤخذ منك، وإنني لأرجو أن أتولى نهبها من بين يديك، فرد عليه ابن هندي قائلاً: قبحاً لك وما حصلت عليه إذأ، إنك لم تحصل إلا على الخزي أخذك الله، وكان محمد هذا رجلاً تقياً وذا عبادة، أضف إلى ذلك شجاعة تضرب الأمثال بها، فاستمر ابن رشيد في تأنيبه حتى قال له: يا ابن هندي انج بنفسك فلك المهربات، فقام من عند ابن رشيد بعد العصر، وسار معه أربعة من رجاله حتى أشرف على قومه وأدباشه

فأمرهم بحفظها، وذهب فاراً يريد النجاة، أما الأمير فإنه لم يمهله^(١) بعد ما ذهب شد في طلبه تلك الليلة وجد في السير، وأمر جنوده بالنهب والسلب فشرعوا في أخذ ما مروا عليه، ولما أن أشرفوا على رعاياه كان من بينها المغاتير والمجاهيم قد جعل في كل رعية حارسين، فهما في وسط الرعية، فإذا قرب منها العدو خرج أحد الحارسين فرشقهم بالنبل، فإذا انكشفوا رجع داخلها، وهكذا وكان جنود ابن رشيد على تلك الصفة ولا يهملون محمد بن هندي فتراهم يطالعونه من خلفهم، فلما كان ذات مرة اجتمعوا وشدوا على إحدى الرعتين، فأخذوها فخرج الحارسان ودخلا في الأخرى فهم في جهاد وعلاج فعند ذلك أجمعوا أمرهم وحمل منهم مائتان على الأخرى وعزموا على أخذها، هذا ولا تزال أعينهم ترقب ابن هندي على البعد، فلا يغفلونه لمعرفة لسطوته، فلما غامروا الحرس، خرج صبي من بين الرعية ينادي بأعلى صوته قائلاً محمد بن هندي يا محمد بن هندي تكفى أخذت يا محمد بن هندي أخذت فلانة لعمانية مشهورة بسلامة النسب، عربية متولدة أباً عن جد، قد نتجت وادخرت ليومها، فلم يشعر القوم إلا به قد صاح بأذن فرسه وأجلب وكانت فرساً في أعينهم هطلاً، ولبتها تكاد تمس الأرض لضخامتها وهو يسير منهزماً في بداية الأمر مع منخفض الأرض، فلما سمع النخوة شد عليهم وهو يصيح في آذانها، فصارت تلك الفرس كهيئة الذئب وأقبلت تعدو به كالطير فلم يشعر القوم إلا به كالأسد الوثوب الذي لا يطاق إذا صال، وعجب القوم لتلك الفرس كيف اجتمعت كذلك فرمى بالرمح واختطفه بالسيف فقطه نصفين وشد على إحدى القطعتين فضربها فقسمها إشارةً منه أن ما وصله هذا السيف لا ينجو، فعند ذلك فر ابن رشيد وقومه بخيلهم وركابهم وعدا محمد بن

(١) المهربات هي إمهال الرجل ثلاثة أيام في البلد يستعد للرحيل في خلال هذه الثلاثة الأيام، وبعد مضي هذه الثلاثة يقتله الأمير إذا تحلف، غير أن ابن رشيد لم يمهله بعد مقاتته ولا يوماً واحداً، بل شد في طلبه، نسأل الله السلامة والعافية، وفي قصة الأمير ابن هندي أكبر مثال من شجاعة العرب.

هندي فغمر الخيل من خلفها فقتل منهم خمسة عشر فارساً، ونفرت خيلهم تجر أعتتها ولحق الطوير وشد عليه حتى ضربه بالصارم ضربة سقط لها شطره الأعلى، ولم يبق على الفرس سوى وركيه، ولبت محل القطع عشر دقائق أبيض لم يخرج منه دم، فجمع القوم خيلهم تباري الأمير خشية أن يسقط ليركب على الأخرى فتكون الخيل على استعداد هذا وهم يطرون منهزمين.

قال: من حضر الواقعة أشهد بالله لرايته يعني محمد بن رشيد منبطحاً على ظهر جواده وهو يطير به ويقول اللهم اكفنا شره، يكررها فلم يشعر الفوارس إلا به قد جاءهم من أمامهم فتفرقوا شاردين فشد على الأمير وبعد ما أدركه من خلفه رفع السيف فوق أذنه يقول احفظها لي يا ابن رشيد، فانقلبوا بشرحال ورجع محمد بن هندي بما ناله من الخيل والإبل والسلاح شعراً:

وما تريد بنو الأغيار من رجلٍ بالجمر مكتحل بالليل مشتمل
لا يشرب الماء إلا من قلب دمٍ ولا يبيت له جان بلا وجل

فلما كان بعد أيام بعث إليه ابن رشيد يقول: هل أنت مسالم أم محارب؛ فقال بل مسالم ولكنك اضطررتني لأن أكون محارباً، فأمره أن يعرض طلبه وما يريد، فقال أريد جميع ما أخذتموه تردونه فردّه عليه.

وفي هذه الأيام سكن الفارون من الجلائن الذي جلوا من القصيم ومن بينهم آل مهنا وآل سليم والشاعر العوني، واطمئنوا في الكويت ودمشق لاجئين هناك عن حكم آل رشيد.

وفيها ظهرت مواهب الأديب مصطفى كامل صاحب مصر وكان منظوراً إليه فيه بعين الإجلال والاحترام لدى المصريين ولدى معلميه وأساتذته لما امتاز به من حسن الإلقاء وفصاحة اللسان وصراحة القول عندهم واستقلال الفكر وكانوا يعجبون به ويتوقعون له مستقبلاً مجيداً وسيأتي ذكره في سنة وفاته إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة ١٣١١هـ

ففيها وقع نزاع بين أمير مكة الشريف عون الرفيق بن محمد بن عبدالمعين بن عون وبين والي التركي الذي يجعله الدولة مقابلاً للأمير يدير النظام، وكان هذا والي يدعى عثمان نوري باشا والي الحجاز، وقوى من دانهما ذلك العصر، وجرت مشاحنات ومنازعات في السلطة، ولما جرى ذلك دخل في ذلك النزاع سادن الكعبة عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن زين العابدين الشيبى، وانضم إلى حزب والي التركي، كما أنه انضم إلى حزبه أيضاً مفتاتي مكة ورئيس السادة العلوية ونائب الحرم، وبعض من لهم شخصية بارزة من الأشراف ورفع كل من الشريف عون الرفيق، وعثمان نوري باشا الأمر إلى السلطان عبدالحميد خان بن عبدالمجيد خان العثماني صاحب الولاية والسلطنة على الممالك العثمانية ومن ضمنها الحجاز واستعان عثمان نوري باشا على الشريف عون بمضبطة من الذوات ذكرهم ضد الشريف عون.

فانجلت المعركة بفوز الشريف عون الرفيق على خصمه، وكان النصر حليفه في ذلك المشكل وصدر أمر السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد بعزل والي الحجاز عثمان نوري باشا، وبعزل الأعيان الموقعين في تلك المضبطة ونفيهم جميعاً من الحجاز.

ففعلاً جرى عزل الجميع من وظائفهم ومن بينهم السادن للكعبة عبدالرحمن بن عبدالله الشيبى فإنه عزل غير أنه لطيف به فلم ينف من الحجاز كغيره ولكنه بارح مكة المكرمة وسكن الهدى، وهي قرية صغيرة واقعة بسفح جبل كرا الذي هو شرق مكة وواقع بينها وبين الطائف، وهو من سلسلة جبال السراة، ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٢٢٠٠ متراً، ويبعد عن مكة نحواً من ٣٥ ميلاً، وبينه وبين الطائف نحو ٨ أميال، ثم إنه تولى بعده سدانة الكعبة ورئاستها السادن محمد بن صالح بن أحمد محمد الشيبى في هذه السنة، فكان شهماً هماماً، وتولى بعد ذلك رئاسة مجلس الشيوخ في عهد الملك حسين بن علي لما صار على مكة، واستمرت سدانة محمد ٢٤ سنة حتى توفاه الله تعالى.

وفيه وفاة محمد بن فيصل، وهذه ترجمته:

هو الأمير محمد بن الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وكان من الذين ناصرُوا الإمام عبدالله بن فيصل وعاضده وآزره وشاركه في غزواته في عز الحياة وذُلهَا، قائد كَبِيرٌ ذا شجاعة وعلم ومعرفة، حتى كانوا يسمونه المطوَّع، وكانت وفاته بالرياض.

ذكر شيء من النشاط الديني في ذلك الزمان

كان هناك في نجد الشيخ العالم القدوة الذي أصبح كالشجى في حلوق أعداء الشريعة عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، لا يزال ينشر أعلام التوحيد، ولا تأخذه في الله لومة لائم، مقيماً في الرياض مدرساً ومعلماً.

كما أن الشيخ سليمان بن سحمان قد جد في نصرة الحق، ولا تزال إذ ذاك أقلامه تصنف وتبوب وينظم الشعر ويردي بحجته ولسانه بنيان أهل البدع، فلا يدع جافياً ولا غالياً إلا ألقاه في قعر الحضيض، فجزاه الله عن الإسلام خيراً.

وكان في القصيم أعني بريدة رجال دين يشار إليهم بالأصابع، ويدفع الله بهم عن المسلمين، فمن بينهم شيخ الطريقة محمد بن عبدالله بن سليم، قد جد واجتهد في البيان والتعليم، وكان له مقامات قامها الله وفي ابتغاء مرضاته، أضف إلى ذلك شجاعة وقوة في إظهار الدين والحق، وكان له أتباع في هذه الطريقة تمسكوا بالدين وبسنة سيد المرسلين، ولم يستكينوا ولم يهنوا، فمن بينهم فضيلة العارف القدوة الزاهد عبدالله بن محمد بن فدا، ويكفيك به شرفاً وديناً وعقلاً ثباته على الشريعة وتمسكه بها على كثرة من المعاند والمشاقق وانتشار كل خب ووغد من كل مارق ومنافق، ومنهم الألعى المشهور بالعلم والدين علي بن مقبل، وصاحب الجود والسخاء حمد بن مبارك وأخوه إبراهيم بن مبارك، وساكن الشماسية فوزان بن عبدالعزيز وأخوه سعود بن عبدالعزيز، وزعيم بريدة إذ ذاك عبدالكريم بن ناصر ابن جربوع، ومنهم الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم القاضي بعد أبيه، ومنهم

الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وعثمان بن حمد بن وضيان، وحسين بن عبدالعزيز بن عرفج، ومحمد بن حمد بن مضيان، وسليمان بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن غيث، وعبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد، عبدالعزيز بن عبدالله بن فدا، وصالح بن إبراهيم بن فوزان الملقب العويده، وصالح بن كرديس، وابن قوبع، وجرى إذ ذاك في تلك السنة محاورات في المسائل الدينية، ومن بين أولئك الرجال فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل قاضي المذنب، وقد وشى به أعدائه نحو الأمير ابن رشيد يريدون عزله، فما نالوا إلا الخزي والعار، ورد عليهم الأمير بقوله: إن بلدكم يسمى الذنب فبركة هذا الشيخ سمي المذنب، ومن الرجال أيضاً سالم بن حجي، فيا سبحان الله إن الزمان يمثلهم لبخيل.

ثم دخلت سنة ١٣١٢هـ

استهلت هذه السنة والملك مستقيم للحاكم محمد بن عبدالله بن رشيد والأمان متوفر، وذلك بتوفيق الله، ثم تمام سياسته تغلب على البلدان، واستولى عليها بالكرم والسيف والإرهاب، فمن لم تفد فيه الهدايا والصلوات جرد عليه الحسام وامتشقه، وجعل يتودد إلى الناس.

فمنها أنه خطب في حائل معتذراً عن قتل أبناء أخيه، فقال: أيها المسلمون والله ما قتلتهم إلا خوفاً على هذه، وضرب رقبة بيده، إنهم هموا بقتلي فسبقتهم ومنعتهم، وهل تظنون أن من قتل أخي متعباً يعفو عني، وكان قد ساعده إذ ذاك حظ ونصيب.

وفيها وردت أبيات من الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن آل الشيخ وهو مقيم في الهند، قد سافر إليها لطلب العلم، فكان في بلاد دهي بعث بها إلى الشيخ سليمان بن سحمان تضمنت هذه الأبيات شدة وجدة واشتياقه إلى إخوانه وأصحابه، يطلب منهم إخباره عن أحوالهم ويعدهم بالإياب إليهم عن قريب. فأجابه عليها الشيخ سليمان بن سحمان بقصيدة من أبياتها قوله:

حليف هموم الاغتراب مع الفقد
وفقد وأحزان عضالٍ وذا وجد
ومن فقدكم في منتهى غاية الوجد
لهاماً وكم أشجّت فؤاداً على عمد
وهيهات كم بين اليمامة والهند
وأواجه اللاتي تشيد بالرعد
وما قدر المولى فحق بلا رد
محامده في محتدا ذروة المجد
بنجدٍ فأضحى بالهدى فائح الند
لواعجها تربو على الحد والعد

فقل للمحب الأملعي أخِي التقي
لئن كنت ذا همٍ وغمٍ ولوعةٍ
فوالله ثم والله إننا لبعـدكم
فكم بثت الأشواق جيشاً عرمرماً
فكم دون من نهوى من البيد والفلا
ومن دونه البحر الخضم وهوله
وذاك قضاء الله جل جلاله
فيا من زكت أخلاقه وتألقت
سلالة بدر الدين من جدد الهدى
حنانيك هل من أويه تشف لوعةٍ

إلى أن قال:

مقالك في النظم الذي ضاع بالهند
تسلسل لي الأخبار عن ذلك العهد
على يد محبوب صفي وذِي ودي

وقد زادنا همأً وغمأً وحسرةً
فلا رسلٍ من جيرتي لا رسائلٍ
فذا أربعٍ أو خامسٍ قد أتاكمو

إلى آخرها وهي حسنة.

ثم إن الشيخ إسحاق رحمه الله عن له الوصول إلى مصر لأجل القراءة على
علماء الأزهر، فارتحل إليه فعاتبه الشيخ سليمان على إخلاف الوعد القديم، حيث
هَبَّجَ الأحزان وبعث الأشجان لأنه وعد بالجيء إلى أوطانه وعشيرته وإخوانه، ثم لم
يفاجئهم إلا به في مصر، فأقام بها برهةً من الزمان، فبعث إليه الشيخ سليمان بهذه
الآيات لما تبلبلت أفكاره وطالت غربته وانتظاره:

وانضب الهم والأحزان ما كلما
فالدمع للبين منكم قد رمى وهما
والحزن للقلب بالأوصاب قد هما

تأجج الوجد في الأحشاء واضطربا
بالله هل للضني والكلم ملتئم
أو للتنائي عن الأصحاب منصرم

إن الرجا روح الأرواح فابتهجت
ثم أرعوت هذه الأحزان فاستعرت
وذاك في الشر والمنظوم إذ وعدا
وبلبل البال بعد الابتهاج نوى
وكم أراق من الأجفان من ديم
فالآن في وهج الأحزان ملتهباً
والآن في رجة الأفراح منجذلاً
والوجد في منهج الأحباب متقدّ
لكنه لم يكن في قلبه وهجٌ
فالوجد يولع من في قلبه وله

فانزاح عنها من الأحزان ما هجما
وأضرمت بعد في الأحشاء مضطربا
بالارتحال بالرجعى كما زعما
من بهويال إلى مصرى فكم كلما
لولا الرجا أخضلت بعد الدموع دما
من كان في نهج بالراح منتظما
من كان من طرب الأفراح مبتسما
لو كان ذاك بقلب الأخ لانكلما
من شطة البين فالحبوب قد وهما
والشوق يزعج قلباً بالغرام نما

وفي هذه الآونة توترت العلاقات بين اليابان وروسيا، وذاك لأنه لما كان في هذه السنة فتحت اليابان مجربها مع الصين أبواب مطاعم كثيرة للدول الأوربية في الشرق الأقصى، من حملتها إنشاء خط حديدي لروسيا في منشوريا يخترقها من الغرب إلى الشرق تكميلاً لخط سيبيريا الممتدة إلى فلاد يفستوك وحرسته بالجنود الروسية.

ثم لما استولت ألمانيا على ثغر كيار تشاو بإيجار لمدة معلومة اقتدت بها روسيا أيضاً، وأخذت تليانوان وبور آثر فأقامت في ذلك المرفأ أعلامها وعززته بالمعقل والمدافع وكنزته بالذخائر والمؤن، وأرسلت إليه الفيالق والبوارج، ثم مدت يدها إلى يالوا وشمولبو، وشادت مستودعات للذخائر في نيفامبو من أعمال كوريا، ولم يبق بينها وبين اليابان إلا فرجة ضيقة، ولما ثبتت قدمها استحصلت أيضاً على امتياز إنشاء خط حديدي يخترق منشوريا من الشمال إلى الجنوب إلى شبه جزيرة ليا وتولخ، وحرسته بالجنود أيضاً، ولما رسخ قدمها في تلك البقاع، تحركت مطاعمها لامتلاكها وأخذت تبذل في ذلك جميع مساعيها، إلا أن اليابان كانت واقفة لها بالمرصاد وفؤادها يتوقد غلاً وحسداً ويقطر دماً منها، فانتصبت معاندة في غاياتها

إلى أن ألزمت الدول بالمداخلة في هذه المسألة، وبذلك نتج إبرام معاهدة بين روسيا والصين تقتضي بجلاء الروس عن تلك المراكز في أجل معلوم، ثم حلّ الأجل ولم تفِ روسيا بوعدها بل كانت متهكمة في تعزيز قوتها في الشرق، فثارت لذلك خواطر اليابانيين، وبدأت من ذلك الوقت المخابرات وتبادل المذكرات بين الدولتين، وأخذت بعض الدول في التوسط في هذه القضية قصداً لحسم النزاع بينهما، فلم يجد ذلك نفعاً.

وكانت الاقتراحات اليابانية تتوالى على أسماع الحكومة الروسية، وهي تعرض عنها كالمحاول مع استمرارها على التجهيزات الحربية وحشد الجنود الروسية وذخائرها إلى الشرق، فعلمت اليابان سوء مقاصدها وأصدرت منشوراً لرعاياها بإعلان الحرب على روسيا، وبعد محاورات بين الدولتين طويلة، ثارت نيران الوغى بين الفريقين، ودخلت الروس في ميدان الحرب بشمخ وعجب، وولجتها اليابان اضطراً للدفاع، وحينما شبت نار الحرب، انضمت الأحزاب اليابانية إلى اتحاد العضوية والاتفاق، خالية من جرائم النزاع والشقاق، وامتشقت حساماً في وجه روسيا لم يكن لها مجسبان، وهزت سناناً كان له صدأ في ميدان الطعان، وسلكت معها خططاً حربية لم تخطر لها ببال غير آسفة على عزيز ولا ضانة بغال، وبعد أن انصبغت مياه البحار بخضاب دم الأبطال وغصت بجثثهم رحبان السهول وسفوح الجبال، واندمج هزيم رعد الجو بدوي المدافع التي كانت تقذف صواعق القنابل الماحقة، وغدت سحب دخانها تسح هواطل شهب الرصاصات الساحقة، واشتبكت بين الفريقين ملاحم شابت من هوها الولدان، ونفذ من كنوز خزائن الدولتين الأحران عادت الأمة اليابانية رافعة لواء النصر والظفر بين الأقران وباءت روسيا مكبلة بثياب الفشل والخسران آسفة على ضياع المليونيات من الأموال وضحايا كرات الألوف من البشر، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن ذكر، وسقطت من أوج عزها الشامخ ورفيع مجدها الباذخ وخسرت أكثر سفنها الحربية غرقاً وتعطيلاً وغنيمة لليابانيين، ولم يبق سالماً منها إلا القليل، ودلت النتيجة الحربية

على توهيم جملة حقائق كانت سائدة على الظنون بشأن روسيا من قديم الزمان، وتمت المعاهدة الصلحية على عودة السلم والوداد بين الدولتين والرعتين وذلك في أربعة عشر مادة، جاء في الثالثة عشرة منها جلاء الجيشين من منشوريا في ظرف ثمانية عشر شهراً.

وفي سنة ١٢ هذه سقطت صاعقة من السماء على منارة جامع بريدة بعد الصلاة يوم الجمعة، وذلك بعدما خرج السرعان فأصابته المنارة من جهة الشمال الشرقي، وقتلت رجلاً في خلوة المسجد بدون إصابة، وأصاب ثوب رجل آخر من جهة كتفه الأيسر، فاحترق ذلك الجزء من الثوب وكف بصره، فجعل الشيخ إبراهيم بن جاسر يقول: يا أمة محمد هذه رمية الجبار.

ثم دخلت سنة ١٣١٣هـ

في هذه السنة قام مبارك بن صباح وقتل أخويه محمداً وجراحاً طمعاً في الإمارة والعياذ بالله، وتم له الاستيلاء على الكويت، وكان أميراً من دهاة العرب المشهورين، ولما قتل أخويه محمداً وجراحاً جلس على عرش إمارة الكويت، وكاد الجو أن يصفو له في الحكم غير أنه رمي بداهية دهياء، وهي يوسف بن عبدالله آل إبراهيم خال أبناء المقتولين، فإنه قام يطلب الثأر وكان ذا ثروة ضخمة جعلته يطمح إلى حكم الكويت لما يعلمه من مكانته في نفوس الكويتيين، لا سيما الذين خامرهم من فعلة مبارك بن صباح بأخوته، فأخذ يوسف المطالبة حجة له وقاوم مباركاً بكل ما أوتي من قوة، فألب عليه الحكومة العثمانية، وكاد أن ينجح لولا تدخل حكومة الإنكليز، وسعى يوسف بن عبدالله آل إبراهيم لدى محمد بن عبدالله بن رشيد بمساعدة الشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر، فلم يفلح ولم يأل يوسف بن عبدالله جهداً في حمل ابن رشيد على محاربة مبارك بن صباح، ولكنه لم يوفق لاقتناع ابن رشيد ومعرفته ودهائه.

وفيها تمت عمارة المسجد الجامع في بريدة على يدي الشيخ محمد بن عبدالله بن

سليم قدس الله روحه ونور ضريحه، وكان لما أن أراد أن يشرع في عمارته قال للملأ من أهالي بريدة: إني قد عزمت على عمارة جامعكم على نفقتي ليس إلا، ومن أراد المساعدة منكم فلا مانع من ذلك وقد قدم الأهالي مساعداتهم وساهموا في هذا المشروع جزى الله المحسنين خيراً، ولا شك أن الساعي بهذا له أجره مدخوراً عند الله تعالى.

وفيهما كثرت الشكايات على ابن رشيد ضد الشيخين عبدالله بن عبداللطيف ومحمد بن عبدالله بن سليم وأتباعهما، فطلب الحاكم محمد بن عبدالله بن رشيد بعث الشيخ عبدالله إليه في حائل ليراه ويطمئن بجلوسه لديه في حائل ونذكر هنا حالة الشيخ في سفره وإقامته وإيابه فنقول وبالله المستعان.

ذكر سفر الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى حائل

لما أكثر الأعداء من مسبته والكلام فيه أمر محمد بن رشيد أميره في الرياض أن يجهزه إليه بكل ما يليق به من حفاوة وإكرام واحترام ليراه ويسلم عليه، وبعث إليه بكتاب خاص قال فيه: نحن بالأسواق إلى رؤيتكم وإلى الجلوس عندنا لتتعلم ونشارك أهل الرياض بعلمكم، ولتنشروا العلم وترشدوا من الجهل.

فسار الشيخ ميماً إلى جهة حائل وجعل الله سفره ميموناً وآثاره مباركة، فكان إذا مرّ ببلد أو قرية فإنه يظهر دين الله ويرشد ويبين، حتى كان لفوائده آثار هناك كمواقع القطر، ولما قدم بلدة حائل تلقاه الحاكم محمد بن رشيد وأعدّ له بيتاً وفزع الأهالي إلى رؤيته والسلام عليه وضيافته، ووضعوا برنامجاً للموائد والإكرام.

فلما استقر بيته قال ابن رشيد: أيها الناس إن عشاء الشيخ ما دام مقيماً فهو عندي ولا يزاحني فيه أحد، وأما الغداء فشأنكم به، فأبى فضيلة الشيخ عبدالله الذهاب إلى نحو موضع أحد من الناس، وإن من أراد كرامته فليأتي بها إلى بيته، فانطلق أهل الجبل ينقلون نحو بيته أنواع الأطعمة والفواكه من طلوع الفجر كل يوم إلى وقت الضحى، فكان الشيخ يدرس في العلوم والخلائق تزدحم على بيته، قوم للدراسة، وقوم للاستماع، وقوم تغمهم بركة مجلسه فيحصلون على الأكل

والشرب والانبساط، حتى حدثني بعض الثقات أنه رأى في بيت الشيخ يوماً من الأيام خمسة عشر سقاء لبن معلقة، وأقبلت الأمة من كل فج عميق يدرسون ويستمعون ويأكلون ويشربون، فنشر علمه بين العالمين، واهتدى على يديه فئام من المكلفين، وكان من بين من تخرج عليه هناك رجل الدين والخير الشيخ صالح بن سالم آل بنيان، لزمه وحافظ على دروسه، وترك ابن رشيد وأعماله حتى برع من بين الإخوان ونبع من أولئك الأقران، وأصبح من أعظم أنصار القرآن والسنة، ومن بين خيرة أهل ذلك الزمان، وقد اشتهر الشيخ صالح بقصائد تدل على بصيرته ومقامه في الدين، والرد على الضلال والملحدين.

ولما علّم ودرّس شيخنا في بلدة حائل وضربت إليه أكباد الإبل من كل قطر وجهة، وبان للأمير مقام هذا العالم، أجازته جائزة سنوية وأعطاه إبلاً وغنماً وصرفه إلى وطنه الرياض مصحوباً بالسلامة.

ومما هو جدير بالذكر أنه أتى على آخر تلك الأدبаш وهو في طريقه إلى الرياض، ففي كل منزل ينزله ينحر جزوراً ويذبح أغناماً للزائرين والرفقة، حتى لم يقدم الرياض بشيء منها، وتلك عادة فطره الله عليها كرمًا وجوداً وإحساناً، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وكان المنافقون والذين في قلوبهم مرض يرتقبون إهانتة من ابن رشيد، فما لقي منه إلا الكرامة، فله الحمد على ذلك.

وفيها حصلت حروب طاحنة بين الحبشة وإيطاليا، وكان سبب هذه الحروب دسائس الإنكليز التي غررت إيطاليا وأغرقتها على احتلال سواحل الحبشة والتوغل في بلادها، فأثارت تلك الدسائس الأحباش وأضرمت في وجه إيطاليا حرباً جبرياً أصلت به الإيطاليين ناراً حامية، وانتهى الأمر بفوز الأحباش فوزاً عظيماً، ورجع الإيطاليون بخفي حنين وباؤا بفشل عظيم ولم ينالوا من سعيهم إلا تكبد الخسائر الباهظة وانحطاط قدر جيشهم أمام عيون الناظرين، وقبولهم الشروط المهينة لشرفهم والملاحقة لحقوقهم، ولهذه الدولة جملة مهددات لا محيص

لها عنها، منها عداوة فرنسا لها، ومنها ترقب البابا الفرصة لاسترداد نفوذه المسلوب منه إلى غير ذلك.

ثم دخلت سنة ١٣١٤هـ

في هذه السنة عمر السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد المسجد الحرام المكي شرفه الله، وذلك لأنه مضى عليه منذ عمارة السلطان عبدالعزيز خان إلى هذه السنة نحو من ٣٥ سنة، لم يجر فيه ترميم ولا إصلاح يذكر، ولطول هذه المدة زالت ألوان الأصبغة والنقوش المحلى بها جدر المسجد الحرام وعقوده، وتكاثف على الأساطين والرخام حتى عمل بها تأثيراً من طبقة مرمرة، وتغير لونها وأزالت الشمس ألوان ما كان من النقوش على المقامات وأبواب المسجد، وتصدع فرش الحجر بداخل الأروقة والمماشي وحاشية المطاف، وامتألت بطون القبب من عش طير الأبايل، ونسج العنكبوت بيوته على سقف المسجد الحرام وجدره، فلما كان في هذه السنة صدر أمر السلطان عبدالحميد بإجراء ما يلزم للمسجد الحرام من عمارة وأصلاح وترميم وتنظيف ونقوش داخلاً وخارجاً، فقام ناظر الحرم الشريف بذلك وأحضر آلة للبناء، وعمل أولاً نحو خمسين سلماً من الخشب وجعل كل سلم على أربع قوائم، فنظفت القبب من عش الطيور والعنكبوت والغبار المتراكم، ثم نظف سطح الحرم ونظفت الأسطوانات، ونورت كلها وأصلحوا عموم الأحجار المرصوفة، وحاشية مدار المطاف، وكذا جميع المنارات والمقامات ومقام إبراهيم عليه السلام، وبئر زمزم، وأبواب المسجد الحرام رمت وأحكمت إحكاماً ودهنوها مع أخشاب المقامات باللون الأخضر، ودهنت قبة زمزم وقبة مقام إبراهيم باللون الأخضر، واستمرت العمارة سنة يجد واجتهاد ونشاط، فعاد المسجد الحرام أحسن ما ينبغي أن يكون عليه من البهجة والرونق، وكتب تاريخ تلك العمارة بالذهب باسم السلطان عبدالحميد خان العثماني بن السلطان عبدالمجيد خان العثماني سنة ١٣١٤هـ، ووضعت تلك الكتابة بعلو باب النبي ﷺ، وهي لا تزال في موضعها إلى العصر الحاضر على شكلتها يوم وضعت.

ومن توفي في هذه السنة الأستاذ عبدالله النديم رحمة الله على أموات

المسلمين، وكان من أشهر خطباء مصر في الأندية، وكانت خطابته في الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية.

وفي هذه السنة رحل الحسين بن علي الشريف وأسرته إلى الأستانة، ومن بينهم نجله فيصل وعبدالله، وذلك حينما تلقى الحسين دعوة السلطان عبد الحميد، فنزلوا في القصر الفخم الذي أهده السلطان لهم، وعين عضواً في مجلس شورى الدولة، وقضى أولئك الأنجال زمن الشبيبة في الأستانة عاصمة ملك الدولة، يدرسون على أساتذة خصوصيين، وكان يتردد على قصرهم رجال الدولة ويجتمعون بالعظماء والأدباء من مشاهير الترك، وأكسبهم ذلك خبرة واسعة.

وفيهما عزم محمد بن رشيد على جعل ابن أخيه عبدالعزيز متعب ولي العهد من بعده، ذلك لأن محمداً عقيم، وجعل يوصي ولي عهده بوصايا نافعة تعود عليه وعلى الرعية بالصلاح والأمن، وسيأتي ذلك في التي بعدها إن شاء الله تعالى.

هذا ولا تزال الحركة الدينية في القصيم في غاية النشاط والتقدم، وكان لدى أهل الدين في ذلك الوقت قوة عزيمة وصدق مع قلة المساعد وضعف المعاضد، ولكنه كما قيل من كان مع الله كان الله معه، ومن عامل الله فما فقد شيئاً، فנסأل من بيده أزمة الأمور أن يلطف بأوليائه وينصرهم ويظهر دينه ويعلي كلمته وبذل أعدائه، ويرفع يده عنهم ويريح البررة، ويمحق الفجرة إنه على كل شيء قدير.

ثم دخلت سنة ١٣١٥هـ

ففيها هدمت وأزيلت الحنفية التي كانت في موضع الصفا من مكة، وأزيل أيضاً معها من الحنفيات غيرها، من الحنفيات التي كانت خلف المدارس على مسيل وادي إبراهيم، وذلك بسبب كون الذين كانوا يتوضؤون منها يلوثون أبواب المسجد الحرام بالوحل الذي يتراكم من فضلات المياه المستنقعة هناك.

وفيهما في ٣ رجب توفي الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد على فراشه، ولم يكن

مات عن قتل كغالب آل رشيد، بل مات موتاً طبيعياً وهذه ترجمته:

هو الأمير الكبير وذو الشأن الخطير، الحاكم محمد بن عبدالله بن علي بن رشيد بن عبدالله آل رشيد آل خليل آل جعفر آل عبدة، ويسمى محمد الأكبر، كان عقيماً لم يولد له أولاد، ويمتاز بالدهاء والمعرفة والغوص على غامض الأمور، أضف إلى ذلك عقلاً وسياسةً مع حظ حسن، وكان حاذقاً ماهراً في إصلاح الملك ومعه إناة ورأي سديد، وكان مهاباً غير أنه ليس بمحبوب على الإجمال عند الناس، ذلك بأنه انتزع الملك من آل سعود ظلماً وعدواناً، ولا ريب أن آل سعود أرجح كفة عند الناس وأهل الحق في التقديم، أما تدابير و سياسته، فإنه أسد رأياً من مبارك بن صباح مع ما لمبارك من الدهاء والحذق، وكان هو أمير الحاج العراقي حينما كان بندر بن طلال متولياً الإمارة، ولما قتل بندر هذا وأخوه بدر عمهما متعب بن عبدالله، فر محمد المترجم ولاذ بالإمام عبدالله بن فيصل خوفاً على نفسه من ابن أخيه بندر بن طلال، فوفق الإمام بينه وبين ابني أخيه بندر وبدر، فأمنّا محمد على حياته، وعاد إلى حائل واستمر على إمارته للحاج، ولكنه طمع بإمارة أكبر منها، فقام بعد قليل يحقق مطامعه، بل قام يطلب بثأر أخيه متعب، فقتل بندراً وبدرًا وأخوتهما، ولما قتلهم خلاله الجو كما قيل.

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالأياب المسافر
ثم إنه صاح للقبائل فلبته مختارة أو مكرهة، وكتب له النصر في جميع حروبه، وقام يتحجب إلى الناس ويعتذر من قتل أبناء أخيه وذكر أنه قتلهم قبل أن يقتلوه كما قيل تغد بالذئب قبل أن يتعشاك، ولما تولى الإمارة كان سيداً مطاعاً في عشيرته، فهو كبيرها وكبير شمر بل كبير العرب في أيامه، واستولى على بلاد نجد كلها حتى وادي الدواسر، وكان في حكمه وأمره عادلاً وتضرب الأمثال في رأيه ومعرفته، ويتأسى بتدابيره وسياسته.

وكان حليماً حكيماً حتى أن البدو ليسخرون منه لقلّة حصده الروس فيقولون هذا حاكم لا يحصد الرؤوس، ومن دهائه أنه قدم عليه كبير أعراب، رفيع القدر،

فأقل جائزته ثم قدم بعده أمير أعراب صغير فأجزل له الجائزة، فعجب الحاضرون لهذه السياسة وابدأوا له شيئاً من ذلك لأن هذا يستحق من الإكرام على قدر قوته، وذاك يستحق على قدر ضعفه فأجاب: بأن هذا الكبير القوي نكله إلى علو درجته ونأمن تقلباته لأنه شريف معروف، وأما الثاني فإنه كالعصفور يضيع بين الشجر يشق عليه تعطفه إلا بالبذل، وكان يداري الناس ويعاملهم على قدر عقولهم، ويقول لمن يثق به يعلم الله أنني لست بمدهاين ولكني مداري، وأوصي ولي عهده عبدالعزيز بن متعب ألا تعادي ابن صباح فإن يحاربك وهو على مسنده، وأوصاه بأن يحمل على الأعراب، ويثقل وطأته عليهم، فإن البدوي من عادته الظلم وأما الحضري فإنه لا يخطيء، وغالب هذه الوصايا وهو في مرض الموت، فأجابه ابن أخيه بقوله: مت ويكون خير، ولما قام من عنده أتبعه بصره وقال يا ويل نجد من عبدالعزيز بن متعب وبدرته العبرة، والله لولا ما سبق من جعلي له ولي عهد لما جعلته، ثم مات، وكانت مدة إمارته عشرين سنة ومدة ملكه ثمانين سنين.

ذكر إمارة عبدالعزيز بن متعب بن رشيد

لما مات عمه ما كان بحاجة إلى سياسة، بل تولى الأمر بصلف وغرور.

ونذكر شيئاً من جبروته وغشمه الذي سيجازى عليه وما ربك بظلام للعبيد.

فنقول لما دفن عمه محمد بن عبدالله، كتب إلى بلدان نجد يخبرهم بأنه تربع على تخت الحكم، وأنه ليس لديه إلا الحافر وصنع الكافر أي الخيل والأسلحة النارية، وتحت هذه الكلمات أعظم دلالة على قوة نفس هذا الجبار العنيد، والفاجر المريد، لأن هذين هما آلة الفتك والتدمير.

وهذه صفته كان أربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين، قوي الساعد، مفتول العضد مستدقة، أشم الأنف، أشدق أدعج العينين، أزهر اللون، أصبح ذا لحية خفيفة حسنة، وله شارب ينثي طرفاه بذؤابة تشبه السيف أو الخنجر، كثير الطيب، نظيف الملابس، فصيح القول، جهوري الصوت، كثير الغضب، مقطب الوجه،

عيناه كأنهما شهابان من نار، مرهوب النظرة، قد أرخى كوفيته على وجهه، فوق عينيه، وفوقها العقال قد خفضه إلى نحو عينيه، ودائم التلثم، وكان بنيانه بنياناً مكيناً كأنه قطعة من حديد، فيه قوة الإعصار وصلابة الصخر، وجبروت المردة، وعناد النمر، وبطش الأسد، وكان فيه جبروت وكبرياء وصلف شديد.

ولما جلس على سرير الحكم خرج مرة والجنود منظمة من باب حائل إلى الرياض تحت السمع والطاعة، فجعل يقول من يذكر منكم مسيئاً أو مضاداً لآل رشيد، أو متحركاً وإن كان جرمه قديماً؟ فقليل له هذا فلان يكتاب ابن سعود ويراسله، فأمر بأن يحضر بين يديه، فلما أن مثل بين يديه، وكان شاباً قد يكون أن صدر منه كتاب للسلام على آل سعود، فأقيم بين يديه وجعل يقول: هو فلان على التحقيق، فلما تحققه آتاه من خلفه وأخرج سكيناً من جيبه «مبرة»، فكشف له عن كتفه الأيمن فجعل يقد اللحم والعصب حتى سقطت اليد مع كتفها، وهل هذا إلا من الظلم والمبالغة في الأذى، نسأل الله العافية، ومن لم يراقب الله ولم يخف من سطوته ومقامه بين يديه، ولم يستحي من الخلق، ولم يصن عرضاً، فليفعل ما شاء.

ثم إنه أجلى المشائخ والعلماء، فنفى الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم إلى موضع يكون أهله من أجباف الخلق، لأن لا يوفق من يدرس عليه ويتعلم، وجعل منفاه إلى صبيح أو النبهانية، وتمتاز هاتان القريتان إذ ذاك بالجهل والجفا، ونفى معه ابنه الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ونفى ابنه الثاني الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم إلى البكيرية، وعزل أئمة المساجد وأبدلهم بأئمة آخرين، وقطعت رواتبهم، وابتلى الله به أهل نجد، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وسبى أموال الأغنياء بعد ما أراد قتلهم، فأشار عليه بعض أهل بيته أن يسبي الأموال ولا يقتلهم، ولما رأى ذلك يوسف بن عبدالله آل إبراهيم خصم ابن صباح، قام مغتتماً هذه الفرصة، وقدم على الحاكم عبدالعزيز بن متعب يبغى له الغوائل وينصب له الحبال، وجاء هذه المرة بمخالد بن محمد أحد الموتورين بقتل أبيه وعمه، وجعل يحرض عليه ويهيج على حربه، وطلب المساعدة على ذلك، فوجد أذنأ صاغية سامعة، وصار معه على ابن

صباح، وكان مبارك لما قتل أخويه واستولى على الكويت قام عليه الأعداء من كل جانب، وأهمهم يوسف آل إبراهيم، جعل يؤلب عليه كما قدمنا، وكان مسموع الكلمة لأنه تاجر كبير من تجار اللؤلؤ، وأغنى أهل وقته، فبذل ثروته وجهده وجازف في حياته طلباً للانتقام من مبارك، وسافر إلى قطر والبصرة وحائل والحجاز يحرض الأمراء والحكام على خصمه، فكان قاسم بن ثاني ممن نقم على مبارك في اغتصاب الملك وأمر يوسف أن يذهب إلى محمد بن رشيد ويستنجد به، وكتب قاسم كتاباً إلى محمد بن رشيد، فزين له احتلال الكويت ويعدّه بالمساعدة الحربية.

وبما أن محمد بن رشيد كبير العرب يومئذٍ عقلاً وحنكةً واقتداراً فإنه لم تستفزه كلمات ابن ثاني ولا يوسف وأمواله، بل أوصى إلى ولي عهده من بعده وابن أخيه عبدالعزيز بن متعب ألا يطمح بأنظاره إلى الكويت، ولكنه لم يحفظ وصية عمه بل عمل بضدها، ولما أن قدم عليه يوسف بن عبدالله أعظم الهول، وجاء بأحد ابني المظلومين، لباه عبدالعزيز بن رشيد ونزل في بيت من بيوت بريدة في القصيم، وبذل الأطماع.

ثم دخلت سنة ١٣١٦هـ

ففيها انتدب الحاكم عبدالعزيز بن متعب لمقاومة ابن صباح، وجعل يشن الغارة على الكويت تمهيداً للهجوم والاستيلاء، لأنه طمع بالاستيلاء على الكويت وهو يبغى منفذاً على الخليج وذلك بسعي يوسف بن إبراهيم ولقد علم مبارك بالقصد الأكبر وما تقدم من التآليب عليه فأخذ يقلب الحيلة في الفكك من عدوه والانتصار عليه هذا ويوسف يستنجد القبائل ويستجيشها بالأصفر الرنان ويشحذ عزمها ببذل الحطام على مقاومة ابن صباح ويؤلب.

فلما رأى مبارك ما تفتق عليه من الشر أرسل رسله إلى العراق مستنجداً بالدولة العثمانية فوجد يوسف قد سبقه إليها وأغراها بالأطماع فأرسلت الدولة حملة مؤلفة من أربع طوابير إلى بلد الزبير ضد مبارك بن صباح وجعلت تهدده وتوعده.

وفي هذه السنة ظهر ظلم آل رشيد ومنعوا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا يتكلم أهل العلم بشيء من أمور الدين فأنشأ الشيخ سليمان بن سحمان قدس الله روحه قصيدة تضمنت ذكر غربة الدين وإكباب الناس على حب الدنيا، وما جرى من تعطيل الأمر والنهي في ذلك الزمان، وباح بما عنده باكياً على غربة الدين وما حل من الغربة، ودهى من مرارة الكربة وهي تدل على عظمة منشئها ومبرزها للناس ومبديها:

فقد طمست أعلامه في العوالم
على هذه الدنيا وجمع الدراهم
وتحصيل ملذوذاتها والمطاعم
سواء لذيهم ذو التقى والجرائم
يكون له ذخراً أتى بالعظائم
على قلة الأنصار من كل حازم
وباح بما في صدره غير كاتم
وملة إبراهيم ذات الدعائم
من الناس من باك وآس ونادم
ولم يبق إلا الاسم بين العوالم
ولا زاجر عن معضلات الجرائم
عفاء فأضحت طامسات المعالم
عليها السوافي في جميع الأقالم
كذاك البرا من كل غاوٍ وآثم
بدين النبي الأبطحي بن هاشم
به الملة السمحاء إحدى القواصم
إلى الله في محو الذنوب العظائم
وران عليها كسب تلك المآثم

على الدين فليكني ذوو العلم والهدى
وقد صار إقبال الورى واحتياهم
وإصلاح دنياهم بإفساد دينهم
يعادون فيها بل يوالون أهلها
إذا انتقص الإنسان منها بما عسى
وأبدي أعاجيباً من الحزن والأسى
وناح عليها آسفاً متظلماً
فأما على الدين الخنيفي والهدى
فليس عليها والذي فلق النوى
وقد درست منها المعالم بل عفت
فلا أمر بالعرف يعرف بيننا
وملة إبراهيم غودر نهجها
وقد عدمت فينا وكيف وقد سفت
وما الدين إلا الحب والبغض والولا
وليس لها من سالك متمسك
فلسنا نرى ما حل بالدين وانمحت
فنأسى على التقصير منا وملتجي
فنشكوا إلى الله القلوب التي قست

السنا إذا ما جاءنا متضمخ
نهش إليهم بالتحية والثنا
وقد برئ المعصوم من كل مسلم
ولا مظهر للدين بين ذوي الردى
ولكنما العقل المعيشي عندنا
فيا محنة الإسلام من كل جاهل
وهذا أوان الصبر إن كنت حازماً
فمن يتمسك بالحنيفية التي
له أجر خمسين امرئ من ذوي الهدى
فنج وابك واستنصر بربك راغباً
لينصر هذا الدين من بعد ما عفت

بأضرار أهل الشرك من كل ظالم
ونهرع في إكرامهم بالولائم
يقيم بدار الكفر غير مصارم
فهل كان منا هجر أهل الجرائم
مسألة العاصين من كل أثم
ويا قلة الأنصار من كل عالم
على الدين فاصبر صبر أهل العزائم
أنتنا عن المعصوم صفوة آدم
من الصحب أصحاب النبي الأكارم
إليه فإن الله أرحم راحم
معالمه في الأرض بين العوالم

وفيهما ظهرت رائحة كريهة من جوف الكعبة أنكرها السدنة لنتنها، وكان رئيس السدنة إذ ذاك محمد بن صالح الشيبى، فكان في مصيفه بالطائف، وكان الأمير على مكة عون الرفيق، فلما بلغ ذلك رئيس السدنة أرسل ابنه إلى مكة ففتح الكعبة المعظمة وطفق يطلب تلك المادة ومن أين وجدت، فظهر أن سبب تلك الرائحة الكريهة من وقوع خراب في سقف الكعبة، فنزل ماء المطر من ذلك الخراب إلى جوف الكعبة فاجتمع منه مستنقع، تولد منه على طول المكث جراثيم، فظهرت من ذلك الرائحة الكريهة، فأزالوا ذلك المستنقع وتلك الأوساخ، ثم قلبوا النظر في سقف الكعبة المعظمة، فظهر أن الخراب وقع في فرش الرخام الذي على سطح الكعبة لكونه تصدع بعضه، فعمل الصنائع لذلك معجوناً من النورة وزلال البيض والإسمنت وغير ذلك، وسدوا به الأشطاب، وأصلح إصلاحاً تاماً ومكث العمل فيه قدراً من نصف شهر.

وفيهما أعلنت أمريكا الحرب على إسبانيا بخصوص تحرير جزيرة كوبا من ظلم الإسبانين، وذلك بأنه قد رحل إليها جملة كثيرة من الإسبانين واستطنوا بها، وبنوا

بها مدينة هافا، التي أخذتها إنجلترا منهم ثم ردتها إليهم بعد احتلال عشرة أشهر، وكانت قد أطلقت حرية التجارة بها قبل هذه السنة باثنتين وثمانين سنة وبلغت من الثروة ما لم تبلغه جزيرة من جزيرة أنقيلة وقد شبت بها جملة ثورات تمكنت إسبانيا من إخمادها إلا ثورة قبل هذه السنة بثلاث سنين، فإنها قصرت قوتها عن إطفائها حتى انتدبت أمريكا لحربها إنقاذاً للجزيرة من جور الإسبان وظلمهم واستبدادهم، وقد تحقق مرادها وفازت على إسبانيا بنصر مبین، ونالت الجزيرة استقلالها التام ولم يبق لإسبانيا شيء بأمريكا أصلاً، وانطوى ذكرها من أرضها بعد أن كانت تملك أمريكا الجنوبية كلها ونصف أمريكا الشمالية فأكثر، وتنازلت إسبانيا عن كل حق وسيادة لها في جزيرة كوبا وبورتوريكو وأضيفتا إلى الولايات المتحدة وأبرمت الاتفاقية في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ١٢١٧هـ

في هذه السنة أكثر ابن رشيد من شن الغارات على ابن صباح وعلى الكويت، وقامت الدولة العثمانية تسعى ضده، فقد بعثت طوابيرها وقواتها نحوه فيا عجباً لك يا مبارك بن صباح، هذا ابن رشيد يهاجم كالذئب الغشوم والدولة العثمانية قد جهزت قواتها عليك، ويوسف بن عبدالله يؤلب القبائل ويشحذ عزمها بالأصفر الرنان.

وقد كان المال محبوباً فلما رأى ما أصبح به من الأخطار وما أحاط به من البلى، وأن يديه قد انطلقتا جاء أبو عجمي سعدون فخرج معه بعشائره آل المنتفق ضد ابن رشيد، وأيضاً جعل حليفه الأكبر عبدالرحمن بن فيصل وعبدالرحمن وإن كان يومئذ، قليل ذات اليد وخلواً من القوى المادية إلا أن لديه قوة أدبية كبرى، وهي عطف أهل نجد عليه لأنه صاحب نجد السابق، وكان أيضاً عنده في الكويت، فتعاهد هو عبدالرحمن على أن يكونا يداً واحدة على ابن رشيد، وحصل لابن صباح مقصودة منه، فإن ابن رشيد لما اصطدم به هناك أظهرت هذه الصدمة له

عدواً جديداً لأهل بيته، وهذا العدو وهو عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي قام يشمر عن ساق الحرب ويريد هذا المغتصب لديار آبائه وأجداده، ولما أن تعاقد مبارك وعبدالرحمن على هذا الأمر، دعا به مبارك وأدخله خزائن مملوءة بالبنادق والبارود والسلاح والنقود والفلوس، وبعد ما أطلعه عليها قال: اعلم يا عبدالرحمن بأني أقسم بعزة الله وقدرته لأحارب ابن رشيد ما بقي من هذه فلس، فاشتد عضد عبدالرحمن، وخرج بجيش من الكويت فأغار على عشائر قحطان في روضة سدير ومع أن الدولة تجهز على ابن صباح والأخطار محيطة به فإنه لم يفقد من عزمه شيئاً ولا تسأل عما فيه من الدهاء وحق له أن يسمى الحواقة فإنه قدر رمي بشبكتين في بحر السياسة دفعا للحرب واستعداد لها.

ثم إنه بعث إلى ابن رشيد نبأ يفاوضه في السلم والصلح فأبى الصلح وتجبر وعتى هذا وأبو عجمي يطارده بعشائره، وكان ابن رشيد قد وصل أطراف العراق وهزم أبا عجمي فبعث أبو عجمي إلى مبارك يستنجده ويطلب المدد، فعند ذلك جهز مبارك جيوشاً وخرج يقودها بنفسه، وقعد أخوه حمود، ثم إنه نزل الجهرى.

ولما أن رجع عبدالرحمن بن فيصل من غزوته، أرسل إليه مبارك أن لا يقدم الكويت ولا يشاهد عائلته، وكان له بذلك مأرب من السياسة، فقدم عليه عبدالرحمن بن فيصل وكان معه مبادراً إلى نجدة أبي عجمي، وزحف بجنوده إلى السماوة متتبعاً ساقه ابن رشيد التي هزم أبا عجمي، وبلغ في إغاراته أطراف العراق، وكانت الحملة التي جهزتها الدولة لحرب ابن صباح قد تأنت في المسير وأبطأت وذلك لكمال حظ مبارك بن صباح، فلبثت ستة أشهر بين بغداد والزيبر كل هذا لعل الأمر ينقضي قبل وصولها، وأيضاً فإن الدولة تستجلب في عدم السرعة زيادة الأطماع التي بذلت لها من غير حساب، ولما بلغ مبارك في زحفه ما بين الزيبر والخميسية منعت حكومة البصرة من سيره، فاستغرب ذلك مبارك وطلب مقابلة الوالي فوافاه إلى قرب الزيبر، وبعد المفاوضة أذن لأخيه حمود وعبدالرحمن بن

فيصل أن يطاردا ابن رشيد فقتبعاه، ولما بلغ جيشهما عين صيد رجل عبدالعزيز بن رشيد من السماوة ثم عاد حمود وعبدالرحمن من مطاردة ابن رشيد.

فعند ذلك شرع مبارك بن صباح يعد القوة للغزوة الكبرى غزوة نجد، فاستفز القبائل واستشارها يريد مقابلة ابن رشيد، فلبته مطير بأجمعها ولباه العجمان وآل مرة وغيرهم من بوادي الجنوب، ثم جاء أبو عجيبي السعدون بعشائره من الشمال مع من كانوا كاتبوه من زعماء نجد، يعدونه بالمساعدة كآل سليم أمراء عنيزة وآل مهنا أمراء بريدة وغيرهم، ذلك لما قاسوه من حكم آل رشيد، فانضم عدد كبير منهم إلى جيشه وأصبح عدد جيش مبارك بن صباح عشرة آلاف مقاتل، وزحف هذا الجيش العرمرم الجرار يقوده أمير الكويت فجعل ابن رشيد يستجذبه شيئاً فشيئاً حتى وسطه من نجد، وجرى ما سنذكره في السنة التي بعدها.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ المخضوب صاحب الخطب المشهورة:

وهو الشيخ العارف المحقق عبدالله بن حسين المخضوب صاحب ديوان الخطب، وكانت خطبه حسنة جميلة في بابها، وقد سلمت من الإلحاد والتعطيل كما يستعمله بعض من قلت بضاعته من العلم في الأسماء والصفات، وكان المترجم مقتبساً من علماء هذه الدعوة، وأخذاً عنهم وبينه وبينهم مراسلات ومجاوبات، وهو من بني هاجر من قحطان، وكان قاضي بلد الخرج، ووفاته في جمادى الأولى.

وفيها عقدت اتفاقية بين الحكومتين الإنكليزية والمصرية بحق السودان مشتركاً بينهما، ذلك بعدما تسلطت مطامع الدول الأوربية على السودان، فجاءت إيطاليا واستولت على كسلا، ثم تقدمت فرنسا من جهة الكونغو على إقليم بحر الغزال، فلما رأى الإنكليز تطفل الأوربيين على السودان انتدبوا لاسترجاعه ووافقهم السعد على ذلك، وبعد استرجاعه أخذوا في تنظيم إدارته، وبعد ذلك عقدت هذه الاتفاقية.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ نعمان أفندي الألوسي الحنفي البغدادي، وكانت وفاته في محرم في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ١٣١٨هـ

استهلت هذه السنة والحرب قائمة بين ابن صباح وابن رشيد، واضطربت نيرانها، وكان لما سار مبارك بن صباح زاحفاً بجيشه الذي ألفه من مطير والعجمان وآل مرة وأبي عجيبي وعشائره وآل سليم وآل مهنا، جاء يقطع الصمان ثم الدهنا بهذا الجيش الذي عدده عشرة آلاف، وكان في جيشه عبدالرحمن الفيصل وابنه عبدالعزيز بن عبدالرحمن، فنزل على ماء يدعى الشوكي دون الدهنا، ولما أن نزل عليه، طلب عند ذلك عبدالعزيز بن عبدالرحمن من والده أن يأذن له بالإغارة على البوادي من أهل نجد ممن كان في ولاية ابن رشيد ليتقوى بما يأخذه منهم على محاربة ذلك العدو المريد والفاجر العنيد عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، وكانت هذه أول نزعة نزعها صاحب الجلالة والمهابة الشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة، فأذن له والده وطلب من مبارك قوة يسير بها نحو الرياض ليفتحها، وذلك لما قام بهذا النجل من الحماسة التي قضت له طلب الخروج معهم في هذه الغزوة، ولما أن بلغ ذلك الموضع طلب هذه المسألة يريد أن يشفي كلومه:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| فقام لأخذ الثأر يشفي غليله | لعل إله العرش يؤتي ويفتح |
| بهيمته العليا على غير قوة | ولكنه بالله يسعى ويكـدح |
| يريد بلاداً ملكها غير حاصل | وما بالهويناً بابها يتفتح |
| على كل ذي جبن حرام حصوها | ومن دونها نار تعوم وتلفح |
| تخير فوق الصافنات مقامه | ولا في هوان مستريحاً ويمـنح |
| ومشروبه لو كان مرأً وحنظلا | ففي طلب الأوطان أحلى وأقـرح |
| ينحوض بحار الهول همراء يصطلى | بنيرانها للنفس يرمي ويسـبح |
| إذ العز في حامي الوقائد جنة | أجل وأبهى من ديار تنـزح |

فسير معه مبارك بن صباح ألف رجل من البادية ليستولي على الرياض، فزحف عبدالعزيز بجيشه من الشوكي يريد الاستيلاء على الرياض، وزحف مبارك بجيوشه يريد الخصم الألد، ولما زحف مبارك احتل في طريقه بلداناً عديدة في نجد

بدون قتال، بل كان أهلها يرحبون به لعلمهم أن حليفه هو ابن سعود، أما ما كان من أمر ابن رشيد فإنه جعل يتقهقر حتى جر العدو إلى قلب القصيم، فوقف له بعد ذلك في الصريف التي يبعد ١٥ ميلاً من بريدة إلى جهة الشمال.

ذكر واقعة الطرفية سنة ١٣١٨هـ

لما كان في ٢٦ من ذي القعدة إلتقى الجمعان في ذلك الموضع واشتبكا في القتال، وكان الحاكم عبدالعزيز بن متعب معه من الجنود ما يكفي به خصمه، فمعه عشرة آلاف مقاتل أو يزيدون، فجرت الملاحمة طيلة ذلك اليوم، واستعرت نار الوغى، واصطلى بها الفريقان، ثم إنها انفصلت الواقعة بهزيمة ابن صباح وجنوده فولوا الأدبار بعد ما قتل منهم مقتلة كبرى، وكانت الواقعة من أعظم وقعات العرب الحديثة، ودارت فيها الدوائر على ابن صباح ومن معه، وأخذ منهم شيء كثير من عتاد الحرب والأموال، وعاد منهزماً بمن سلم معه من الجيش إلى الكويت لا يلوي أحد على أحد، وقتل أخوه وابنه وقتل من الأعيان خلق كثير.

ولما ظفر ابن رشيد ذلك الظفر كان قاسياً عتياً، ففتبع الفلول المنهزمين وأوقع بهم إيقاعاً شديداً، وقتلهم صبراً، واستعمل شراسة نفرت القلوب من حكمه لأمر يريده الله تبارك وتعالى، ثم زحف ونكل بأهالي نجد من البلدان الذين كانوا أسلموا إلى صاحب الكويت وأظهروا الميل إلى ابن سعود تنكيلاً فظيعاً.

وكان الأمير على بريدة من قبل ابن رشيد الرجل المدعو بالحازمي، وكان لما سمع بقدوم ابن صباح إلى الموضع المعروف بنجب العكرش على قدر ميلين من بريدة إلى جهة الشرق، قام من مجلسه في فسحة ترادف المسجد الجامع من الشمال مبادراً إلى قصر الحكم فدخله وجنوده وأغلقوا الباب، فقام أهل بريدة يرحبون بالإمام عبدالرحمن بن فيصل، وصفت الجنود للاستعراض، ودخل عبدالرحمن خلفه الجنود يصفقون فرحاً ثم ساروا إلى موضع الواقعة، ولما انفصلت عن تلك الصفة التي ذكرنا، أزال ابن رشيد الحازمي جعل مكانه سالم بن سبهان لما يعرفه عنه من شدة العسف والجبروت.

ذكر قتل الأسراء بعد الواقعة وما جرى من ابن رشيد من الظلم

والجراءة التي سيجازيه الله عليها وقد قتل وما بلغ مراده

فنقول لما انهزم ابن صباح وجنوده وولوا الأدبار لا يلوي أحد على أحد، أقام ابن رشيد أميره سالم بن سبهان وأمره أن يتبع الفلول حتى جمع خلقاً كثيراً، فأودعوا في الحبس.

ثم نصب الأمير سالم خيامه بين بريدة والصريف بعدما امتلأت السجون، فكان يقتل من وجده ولا يرقب فيهم إلا ولا ذمة، وكانت القتلى في حال الواقعة لا تزيد عن ثلاثمائة، ثم إنه جلس الحاكم عبدالعزيز بن متعب على دكة وأمر بالأسراء أن يصبروا بين يديه، وكانوا أربعمائة، فجاء بهم يسحبون بين يديه على وجوههم وقتلهم واحداً بعد واحد، وسخر أناساً يسحبونهم بعد القتل وهو ينادي لا تدفنوهم مع المسلمين.

وقد حدثني ثقة من المسخرين، قال: كنت ضئيل الجسم إذ ذاك، وأدركتن الرحمة، فكنت لا أتمالك من البكاء، وعجزت عن العمل فشتموني وطرّدوني، ثم إنه أتى ابن رشيد برجل شاب من أهالي الكويت يريد أن يفتدي نفسه بعشرة آلاف ريال، فأبى أن يقبلها وقلب فيه النظر قائلاً: نحن لا نريد الفلوس، إنما نريد الرقاب ثم قتله.

ومن قتل فيها من أعيان أهالي بريدة دحيم بن محمد الربدي^(١) وقتل ابنه سليمان.

(١) كان قد قام سبهان وذهب بعبد الرحمن الربدي إلى عبدالعزيز بن متعب بن رشيد يريد أن يأخذ له وجاهة ليسلم من القتل، ولما قدم به على عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، كان قد قتل من بيت آل رشيد مهنا وسالم أبناء حمود العبيد بن رشيد، فلما خاطب سبهان الحاكم ابن متعب بشأن الربدي تقدم أبناء حمود العبيد وعمهما عبدالله العبيد آل رشيد وأناس من آل رشيد عددهم اثنا عشر وقالوا لسبهان: والله لأن لم نحضر دحيم الربدي لنقتلنك به، فأحضر الربدي وقتله بن متعب بالذين قتلوا من آل رشيد.

غريبة عجيبة

حدثني ثقة عن عبدالله القصير أنه قال: أتى سالم بن سبهان وهو في مقامه إذ ذاك في البرية برجل من قوم ابن صباح، فلما وقف بين يديه قال: غدوه كناية عن قتله، فقال أيها الأمير أمهلوني لأصلي ركعتين قبل الموت، فقال له صل ما بدا لك فوالله لا ينجيك الله وصلاتك من القتل، فقام ليؤدي الركعتين والحرس قد أحاطوا به حتى يفرغ، فلما كان في التشهد طار من بين أيديهم فلا يدري أين ذهب، قال: فأشهد بالله لرأيتة بعيني ورجلاه تخط بالأرض قدراً من خمسين باعاً وهم ينظرون، ثم إنه ارتفع فلا يدري إلى أين ذهب والله على كل شيء قدير، والقدرة صالحة.

ولا ريب أن من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء^(١) وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وأنواع المقدرة، والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم.

كما كان أبو مسلم الخولاني مشهوراً بإجابة الدعوة، فكان يمر به الضب فيقول له الصبيان ادع الله أن يحبس علينا هذا الضب، فيدعو الله فيحبسه حتى يأخذوه بأيديهم.

وكان العلاء بن الحضرمي في سرية فعمطشوا، فصلى ثم قال: يا عليم يا حكيم يا عظيم إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ، ولا

(١) وأمثال هذا الظلم كثير، فقد أتى إلى سالم بن سبهان بشاب وكهل، فقال له سالم: قم إلى جانب حفرتك لئلا تؤذينا بنقلك بعد قتلك بدمائك، فقام وجلس على ضفة الحفرة فأطلق عليه البندقية، فسقط يتضرع بدمائه، ثم قال الأمير سالم للشاب قم واجلس إلى جانب صاحبك، فقال الشاب يا سيدي يقول الله «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» فقال أيضاً تعرف القروة، أي «القراءة» ثم ضربه بعقب البندقية وانتهره، فقام الشاب إلى جانب صاحبه واستسلم للقتل بأن جعل يديه على رأسه، وكان هدفاً للقتل، فأطلق عليه البندقية فحبسها الله عنه، ثم أطلقها ثانية وثالثة ورابعة وهي تحبس، ثم جاء الأمر إلى الجلادين من الحاكم ابن متعب بالتوقف عن القتل، فسلم الشاب وفرّ على وجهه وكتبت له النجاة.

تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا، فساروا قليلاً فوجدوا نهراً من ماء السماء يتدفق، فشرّبوا وملؤا أواعيهم، ثم ساروا فرجع بعض أصحابه إلى موضع النهر فلم يروا شيئاً، كأنه لم يكن في موضعه ماء قط.

وكان حبيب العجمي أبو محمد معروفاً بإجابة الدعوة، دعا لغلام أقرع الرأس، وجعل يبكي ويمسح بدموعه رأس الغلام، فما قام حتى اسود رأسه وعاد كأحسن الناس شعراً.

وأتى برجل زمن في حمل، فدعا له، فقام الرجل على رجله فحمل محمله على عنقه ورجع إلى عياله، وهذا باب واسع لا يمكن استيعابه، وإنما المقصود ذكر هذه الواقعات وما جرى فيها من العجائب.

وفي هذه السنة جعل ابن رشيد في قضاء بريدة بعد الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم الشيخ الصالح بن قرناس، وكان من أهالي بلدة الرس المشهورة، كما جعل أميراً في بريدة بعد سعد الحازمي سالم بن سبهان.

ثم إنه دعا عبدالعزيز بن متعب بن رشيد بزعماء بريدة وأودعهم السجن، وعزم على قتلهم من آخر النهار، وكانوا خمسة وعشرين شخصاً، فلما عقد عزمه على ذلك قدر أنه كان رجل من أتباعه يدعى ناصر بن عتيق قد علم بما بيّته لهم، فذهب إلى ماجد بن حمود بن رشيد، فوجده على فراشه من آثار جراح أصابه في تلك الحرب، فانطرح منكباً على وجهه يبكي وقال: يا ماجد أما علمت أن ابن رشيد قد عزم على قتل زعماء بريدة، فهاهم الآن في السجن وقد أمر بضرب أعناقهم بعد العصر من هذا اليوم، فإن رأيت أن تجعلها في ميزان حسناتك فتشفع لهم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فإنك ممن يؤمل مثلها، فقام ماجد واستوى جالساً وأمر بالفرس أن تسرج.

ثم إنهم حملوه على ظهرها فذهب إلى قصر الحكم في بريدة، وكان ذلك في منتصف النهار، فاستأذن في الدخول على الحاكم ابن متعب، وقد نام في القيلولة، فأدخل عليه ولما توصل إليه خاطبه بقوله: يا عبدالعزيز قد جئتكم متوجهاً لزعماء

بريدة لتعفو عنهم، ثم أخذ البندقية وجعلها في ثغرة نفسه وأقسم بالله العظيم لئن لم تعفو عنهم وتطلق سراحهم إلى أهلهم ليطلقن البندقية على نفسه وينتحر، فرفق له ابن رشيد بصفته القريب المخلص له، وأمر بإخراجهم من السجن، وصفح عنهم، ثم أشار عليه ماجد بأن يأخذ أمواله، فإن المال أسهل من النفوس.

ثم إنه جعل - أعني ابن رشيد - على تجار أهل القصيم ضرائب، كل تاجر ثلاثة آلاف أو ألفين يريد أن يضعف شوكتهم، وسخر أهالي البيوت يطحنون له، وأصدر أوامره على أرباب البقر أن يحلبوها ويمخضوا الألبان ويبعثوا بها إليه.

وقد حدثني أحد شيوخ الصحراء قال: إنه جعل على أهل قريتنا في يوم واحد ست ضرائب، فسألته؟ فقال: لما كان بعد صلاة الصبح جاءنا رسول يقول: نريد تمرأ فجمعنا له ستمائة وزنة، ولما بعثنا بها إذا بأخر يقول نريد عليقاً لخليل الحاكم، فبعثنا بمئتي صاع من الشعير، فلم نلبث أن جاء رسول ثالث يقول: اجمعوا برسيماً وأرسلوه في الحال، فجددنا ستمائة وزنة وبعثنا بها إليه، فلما كان بعد الظهر إذا بخادم ابن رشيد يقول: نريد حطباً لعشاء الحاكم، فأخذنا ما في بيوتنا من الحطب وبعثنا إليه بمحملين، ثم إنه بعث إلينا رسولاً حوالي الليل يقول: إن زكاتكم لم تصل، وكان بذلك كاذباً، فأديناها ثانية، وجاء رسول يقول: نريد تبنأ للمواشي، فهذه ست ضرائب في يوم واحد، وانتهت هذه الوقعة المشهورة بواقعة الطرفية، وكان الأولى بها أن تنسب إلى الصريف لقربها منه.

رجعنا إلى ذكر الشاب المحبوب عبدالعزيز بن عبدالرحمن، فنقول لما سار من الشوكي يؤم الرياض، قد سار جنوباً بغرب يريد الاستيلاء على عاصمة أجداده واستردادها، وصلها بعد يومين، وكان في باكورة أعماله وغزواته موفقاً، فاحتلها أو كاد لكن حامية ابن رشيد اعتصمت بقصرها الحصين، فحاصرها فيه وعزم على أن يستولي عليه لأنه شرع ورجاله في حفر نفق إليه، وباشروا هذه المهمة لولا أن وافته أخبار هزيمة مبارك في الصريف، فتركها ولوى عنانه راجعاً، ولكنه استفاد من هذه الغزوة كيفية مأتى الحصول على حصن الرياض الأعظم، وعاد برجاله إلى الكويت.

ثم دخلت سنة ١٣١٩هـ

استهلت هذه السنة والشيخ محمد بن عبدالله بن سليم مقيم في منفاه قرية النبهانية وفي معيته نجله عمر بن محمد بن سليم، وكذلك الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم مقيم في بلد البكيرية.

ويلاحظ على الشيخ محمد بأن لا يكون له مجالس للتدريس، لئلا يتحزب له أحزاب لزعمهم الفاسد بأنه يضل الناس وكذبوا وأعظموا الفرية ويأبى الله له ذلك بل كان هادياً ومهدياً.

وسبب نفية وإهانته وشاية الأعداء به إلى ابن رشيد وإنه يمالي على آل رشيد. وكان من جملة ما وبخه به أن قال: أما كان في عنقكم بيعة لي يا ابن سليم، وتخرج لاستقبال ابن صباح ومبايعته، فأنكر الشيخ ذلك فتوعده ونفاه إلى النبهانية. ولما قدم إليها استقبله أهلها وهياؤها بيتاً مجاوراً للمسجد الجامع، وجعلوا فيه ضيافة على قدر وسعهم، وجاءت عجوز تقول: إني أريد أن أساهم في كرامة الشيخ ولا أقدر على غير تنظيف طريقة وقمه، فكانت دائماً تتعامد طريقه.

ولما أصبح في هذه القرية كان لا يتمكن من التعليم والتدريس وإذا أراد أن يدرس عليه ابنه فإنهما يخرجان إلى الصحراء خشيةً من الأعداء الذين يوعزون إلى ابن رشيد بأنه على تدرسه وتعليمه، لأنه بذلك يريد أن لا ينشر علمه، فتفرد به ابنه الشيخ عمر بن محمد وانفع بعلومه وجدّ واجتهد حتى نال قصبة.

وسمعت عن شيخنا عمر رفع الله درجاته يقول: بينما نحن مرة في حال إقامتنا في النبهانية ونحن في شدة حذر من عيون ابن رشيد التي ترقبنا، استأذن في الغداة رجل قائلاً السلام عليكم، فأنكرنا أن يكون حوالينا من يحسن الاستئذان الشرعي، فلما فتحنا الباب إذا به الأخ في الله عبدالعزيز بن عبدالله بن فداء فاستغربنا محيثة إذ ذاك وأدخلناه في بيتنا وإذا هو جاء لطلب العلم على والدي في ذلك المنفى، ففرحنا به وخفنا من شر الأعداء، وكان والد عبدالعزيز قد أذن له بالسفر نحو الشيخ أن

أمن من الزلازل والحزن، وكان رجلاً ناسكاً تقياً عارفاً بعلوم الدين، وعلم العقيدة، فرحمة الله على روحه.

ولما أن عزل الحاكم عبدالعزيز بن متعب أئمة المساجد وأبدلهم بأخرين على ما تقتضيه إرادته، كان من بين أولئك الأئمة أمام قرية اللسيب، وكان معتزلاً وله سجع مليح في الكلام، فدعا به ابن رشيد إليه وقال: أيها يا مطوع اللسيب ينسبون إليك كليبات فما هي؟ فأجابه نعم كنت أقول أن ابن رشيد يأخذ من الزاعب ويعطي اللاعب، وقد كنت أقول أنا في نقرة في الغميس غاب عنها إبليس، ولا علمت بفعل الجواسيس، فضحك منه ابن رشيد والتفت ضاحكاً إلى ماجد بن حمود يقول: صدق ولم يتعرض له بسوء.

ولما ولي في القصيم وعزل وأحكم وأبرم، زحف يريد الكويت وأعاد الكرة على ابن صباح، فنزل في الحفر المعروف، وكان يقع في منتصف الطريق بين القصيم والكويت، وذهب يوسف بن عبدالله آل إبراهيم يهيج عليه الدولة، وكانت شكوى الموتورين أبناء أخوي مبارك وشقيقه قد وصلت إلى الأستانة، ففتحت لها الدولة إذنهما وأصاخ لها الباب العالي وأنذر صاحب الكويت، فسيرت الدولة إلى الكويت باخرة حربية، وكانت هذه الباخرة تحمل عدداً من الضباط وكثيراً من الجنود، وسلم إلى مبارك رسالة تتضمن توليته منصب عضو في مجلس الشورى لديها في الأستانة لتمسك بزمامه أو يغادر الكويت إلى أي بلاد أرادها، وحينئذ تعطيه الدولة راتباً ضخماً، هذا وابن رشيد قد زحف على أطراف البلاد وهم بالهجوم على الجهراء، فأحاطت بمبارك الأخطار، ولما رأى نفسه وبلاده في شبه الحصار، أرسل إلى أبي شهر يستنجد الإنكليز ويستفزعهم، فجاء بعد ثلاثة أيام مركب عظيم من بريطانيا العظمى نصرة لابن صباح، وكان هذا المركب حربياً عظيماً فرسى في مياه الكويت عشرين يوماً، فتلبدت الثائرات على مبارك وجعل يجهز الحملة الثانية على ابن رشيد، بل زحف إلى الجهراء والمركب الحربي البريطاني سائر في مرأى من الجيش إليها ولسان حاله يقول: أتبعون حصاري براً وبحراً ها أنا ذا جئتكم بجرأ وبرأ

بالقوات التي لا تغلب إذا جارت الدولة العثمانية بقهرها علينا، فهنا دولة أعظم منها وهي إنكلترا، فلما سار المركب البحري الحربي لنصرة ابن صباح، لم يطلق مدفعاً إلا أن مدير أعمال الحرب في هذا المركب إذن ببعض المدافع الرشاشة، فأنزلت في الزوارق إلى البر ومعها ضباط، ثم أطلقت الأسهم النارية على ابن رشيد وجنوده في الليل على الفضا فكان لها التأثير المطلوب، فعند ذلك فرّ ابن رشيد وجنوده عندما رأوا النيران انطلقت من الأطواب قد اشتعلت في السماء، وبعد هذا الحادث علم الشمري أنه بدون مساعدة الدولة مباشرة لا يستطيع الاستيلاء على الكويت، فعاد بجيشه إلى الحفر وشرع يفاوض الترك في بغداد، فلما علم مبارك بذلك اغتنم أن يشغله بنجد وراء الدهنا، وكان عبدالعزيز بن عبدالرحمن يلح على والده ليستأذن مباركاً بإعادة الكرة على الرياض، وذلك بالمبالغة منه، ولقد كان السعد في وجود آل سعود خادماً لمبارك بن صباح، فعند ذلك أجاب مبارك قائلاً حباً وكرامة.

ذكر فتح الرياض في هذه السنة على يدي صاحب الجلالة عبدالعزيز

بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود

ففيها نهض الشاب عبدالعزيز وعمره إحدى وعشرون سنة، وقد كانت حالة لا تساعد على المخاطرة بغزو يكون من الجماعة وهم أربعون رجلاً من عائلة آل سعود ومواليهم المخلصين لهم السابقين، وأعطى مبارك بن صباح عبدالعزيز بن عبدالرحمن أربعين ذلولاً وثلاثين بندقاً ومئتي ريال وبعض الزاد فكانت الحملة مؤلفة من أربعين رجلاً وأربعين بعيراً ولا ريب أنها حملة ضعيفة وعبرة للمعتبرين، وقد قال الله تعالى: ﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ ۖ يٰٓأَذِينَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ مَعَ الصّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، نهض هذا الشاب يقود هذه الحملة معتمداً على إيمانه الصادق بالفوز المطلوب، غير يائس معتمداً على الله، فلله من هذه الجراءة العظيمة التي لم ينلها سواه، وقد كان يحمل مبارك بن صباح أن يقوي هذا الجيش ويشد

عزمه ويساعده بكل ما يؤمن، ولكنه خرج بنفسه ليشيعه ويهيجه: يا ولدي داو جراحي وخذ لي بالثأر من عدونا، يا وليدي أشف صدري من هذا العدو العنيد، وجعل يدعو له بالنصر والظفر.

ونهض هذا الشاب نهوض الليث يلقي بنفسه ولا يهاب الموت، وفي كلام الحكمة من طلب المخاطر تحمل الأخطار.

نهض يطلب ملك آبائه وأجداده ونار عزمه تأجج، وكان قد رأى في منامه وهو مقبل لفتح الرياض كأنه نفخ سراجاً فانطفأ، فشد ذلك عزمه وزحف متفائلاً مصمماً لا يثني عزمه شيء.

ثم إنه لما زحف بهذه القافلة يوم الرياض، استنفذ القبائل والبوادي فأتاه شراذم من العجمان، وأنضم إليه بني مرة وسبيع والسهول وغيرهم.

ولما أن بلغ حرض، كان قد اجتمع إليه ألف وأربعمائة مقاتل منها أربعمائة خيال وألف ذلول، فاشتد عزمه وذهب يقطع الصمان والدهنا إلى أن وصل إلى موضع في نجد يسمى العرض فغزا هناك عرب قحطان الذين هم تبعاً لابن رشيد، فأصاب منهما مغنماً كبيراً، وعاد إلى ناحية الأحساء، فعندما علم ابن رشيد بهذه الغزوة هجم في أطراف الكويت على قبائل عريدار ليظهر انه لا يبالي بمثل هذا العدو الذي ليس له بكفؤ، ولأموون عبدالعزيز بن عبدالرحمن جيشه في الحسا، خرج غازياً مرة أخرى فوصل إلى سدير وشن الغارة على قبائل الدواسر ومطير وغيرها كقحطان في موضع يسمى عشيرة، فأخذها ورجع بالغنائم فنزل ثانية في الأحساء وكان جيشه يزيد، فأصبح معه ألف وخمسمائة ذلول وستمائة خيال.

فلما جرى ذلك عاد ابن رشيد بجيشه إلى الحفر وبعث رسولاً وهو الحازمي إلى أمير قطر قاسم بن ثاني يستنهضه على هذا العدو الجديد، ثم كتب أيضاً إلى حكومة البصرة لتعرض حكومة الأحساء بطرد ابن سعود، ومن تلك النواحي تحريض البوادي عليه.

فلما أن أعمل الحيلة وأجابته الدولة، فمنعت ابن سعود وعشائره عن الميرة منها والقدوم إليها شرد، خوفاً من ابن رشيد وقومه أكثر من ألف ذلول ومائة خيال من قوم ابن سعود، غير أن ابن سعود لم يكن ليالي بهم لأنه لم يعتمد إلا على من كانوا معه من الرجال الأربعين، ثم غزا عبدالعزيز في جنوب نجد وأغار هناك على قبائل من الدواسر ولم يصب كبير مغنم ولكنه عاد إلى ناحية الأحساء، وكان ذلك في الشتاء، فتفرق البدو طالبين المرعى لمواشيهم، وما كان يربطهم بابن سعود إلا حب الكسب فمن أين يمكنه أن يلزمهم على البقاء.

ولما أن تفرق من معه بسبب امتناع بعض قواد الأعراب عن مساعدته لأجل تضيق الدولة عليه، بعث إليه والده والأمير مبارك بن صباح بكتاب يسألانه فيه الرجوع إلى الكويت، فخالف هذه الفكرة، وأبى ذلك، وسار برجاله جنوباً إلى مكان حرض وواحة يبرين، فأقام به شهراً.

وواحة يبرين هذه قرية كانت حول الأحساء تبعد عنها مسافة، وكانت ذات عمران واسع وشهرة كبيرة تدل عليها بقية آثارها الكثيرة ونخيلها الكثيفة الملتفة، وهي الآن من مساكن بني مرة، وما زال ابن رشيد في الحفر يستنجد الأتراك ويستحثهم على عدوه الجديد بل على آل سعود حتى قطعت الدولة معاش كبيرهم وسدت أبواب الأحساء على صغيرهم فتشتت جيش عبدالعزيز.

فلما تحقق ما عمله ابن رشيد من الحيلة وتعذر الوصول إلى بعض تلك الأقطار للامتياز، وصعب عليه تموين جيوشه حتى تفرقت عنه خوفاً من أعدائه المتألبة، وهذا شأن البدو في كل زمان ومكان، ولم يبق معه سوى ستين رجلاً من الجيش الذي بلغ عدده ألفين إلا عشرين عند ذلك نهض لما أراد ابن رشيد حصره إلى جهة الربع الخالي وصمم على المضي إلى الرياض ليضرب ضربة قاضية إما عليه أو على خصمه، وعزم على الهجوم على الرياض ليستولي عليها أو يقتل في سبيلها، فزحف بهؤلاء الستين البسلاء ويم جهة الرياض وذلك في خامس شهر رمضان، فلما كان ليلة عيد الفطر إذا قد بلغوا أبا جفان.

ثم ساروا في ثاني يوم من شوال إلى حدود الرياض ونزلوا في الساعة الثالثة عريية من الليل، ليلة رابع شوال في جبل على مسافة ساعتين من الرياض، فعندها ترك عبدالعزيز عشرين رجلاً من قومه هناك كجيش احتياطي، وتقدم بأربعين مقاتلاً من هؤلاء أخوه محمد بن عبدالرحمن وعبدالله بن جلوي ابن عمه، ولما أن وصل إلى البساتين خارج السور أقام محمداً وثلاثين هناك، ومشى بالعشرة الباقية على غرضه.

صفة حراسة الرياض

كان ابن رشيد لما استولى عليها قطع كثيراً من نخيلها تشفياً وانتقاماً، وهدم أسوارها كلها خشية أن تعصيه ثانية، وتناوئه واكتفى بالحصن الذي تسكنه الحامية، وقد وقف هذا الحصن في وجه جلاله الملك في هجومه الأول، ولولاه لثم له مرامه ولتمكن من بناء السور أثناء اشتغال خصمه بمحاربة ابن صباح، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها، وقد أفادت ذلك خبرة بهذا الحصن، وكان ذلك الحصن قلعتان واحدة في ضمن الأخرى شيدهما ابن رشيد وجعل فيهما تسعين حارساً رئيسهم عجolan، وكان عجolan هذا من مولدي أهل حائل وكبير الحامة من قبل ابن رشيد، وكان عبدالعزيز لما مشى بالعشرة يؤمل أن يجد عجolan في بيت زوجته خارج الحصن الداخلي ولكنه لم يتمكن من الدخول إلى الحصن الخارجي، أي حصن السور إلا من البيت المحاذي، وهو لفلاح يتجر بالبقر، فقرع عبدالعزيز الباب كأنه من رجال الأمير: عجolan يتبغي شراء بقرة للمضيف؟ فأجابته امرأة تقول: من أنت؟ فقال: أنا رجل من رجال الأمير عجolan، أريد من زوجك أن يشتري لنا بقرأ صباح الغد، فأجابته المرأة بقولها أخساً فما جئت تبغي البقر يا فاجر بل جئت تبغي الفساد، فأجابها عبدالعزيز: لا والله يا خالة ما أريد الفساد بل أبغي صاحب هذا البيت، فإذا لم يخرج إلي الآن فإن الأمير سيقتله صباح الغد، سمع صاحب البيت هذا التهديد فجاء يفتح الباب.

وكان عبدالعزيز يعرفه من الهجوم الأول في السنة الماضية ويعرف حريمه وفيهن

من كن يخدم من سابقاً في بيت آل سعود، فلما خرج أمسكه بيده قائلاً: إذا تكلمت قتلتك في الحال، فصاح النساء وقد عرفنه قائلات: عمنا، عمنا عبدالعزيز، عبدالعزيز، وجعلوا يستبشرون مع ما هم فيه من الخيفة عليه؛ فقال: لا بأس عليكم إذا سكتن، قال هذا وأدخلهن في غرفة وأقفل عليهن الباب.

ثم تسلق الجدار إلى البيت الآخر عند الحصن فإذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد، فلفهما بالفراش وحملهما إلى غرفة صغيرة فأودعهما فيها وأقفل الباب فاطمان من عبدالعزيز البال وأرسل يطلب أخاه محمداً والباقيين، فجاءوا من غير أن يشعر بهم أحد، واجتمعوا في ذلك المكان، وكان البيت الآخر إلى جانب الحصن للأمير عجلان وفيه إحدى نسائه وهو يزورها تارة بالليل وطوراً بالنهار، فمشى عبدالعزيز وعشرة من رجاله إلى ذلك البيت فدخلوه وطاقوا بغرفة، فوجدوا في أحدها اثنين نائمين على فراش واحد ظنوهما الأمير عجلان وزوجته، فدخل متسللاً ومعه رجل يحمل سراجاً، فلما دنا من الفراش، رفع الغطاء فإذا هما امرأتان، فأيقظتهما فاستوتا جالستين دون أن يعرفوهما شيء من الخوف، إحداهما زوجة عجلان والثانية أختها زوجة أخيه فعرفته زوجة عجلان وبادرت تقول: أنت عبدالعزيز؟ فأجابها يقول: نعم، فقالت: من تبغي؟ أجابها يقول: أبغي زوجك، فقالت: أخشى عليك من عجلان فإنه ذو بأس، فقال لها: ما سألناك عن هذا، إنما نريد أن نعرف متى يخرج عجلان من الحصن الداخلي؟ فقالت: لا يخرج إلا بعد طلوع الشمس بساعة.

فقال لها: هذا كل ما نبغيه منكن، ولا بأس عليكم إذا سكتن، يقول هذا الكلام وهو ورجاله يسوقون المراتين وبقية النساء إلى غرفة واحدة، فحبسوهن وأوصدوها عليهن، ثم كسر الباب الذي يوصل إلى البيت الذي فيه بقية الرجال، فدخلوا منه واجتمعوا كلهم في بيت عجلان.

وهذا كله إلى تمام الساعة الثامنة ليلاً، ثم استراحوا وأكلوا طعام العشاء تقرأ وشربوا عليه القهوة، وناموا ليلاً ثم جعل يشجع أصحابه ويزمرهم ويقول: آمالنا

أو نعذر، وما فاز باللذات من ليس يقدم، فجعلوا يدبرون حيلةً للهجوم على الحصن الداخلي، فلما لاح الصباح، قاموا متأهبين وراء الباب وقوف الأسود لفرائسها ينتظرون عجلان ليهاجوا الحصن الذي هو فيه عند فتحه، وكان بابه مقابلاً لباب البيت الذي هم فيه تفصلهما فسحة فيها مرابط الخيل، وكان من عادة عجلان إذا خرج من الحصن صباحاً يتجول فيها ويتفرج على الخيل ثم يؤم بيته لشرب القهوة عند أهله.

فلما أن ذر قرن الشمس يوم خامس شوال سنة ١٣١٩هـ فتحت خوخة باب القصر وخرج بعض العبيد ليخرج الخيل إلى الشمس، ثم خرج الأمير عجلان على عادته فانقض عليه عبدالعزيز يعدو نحوه والسيف مسلول يمينه معه خمسة عشر رجلاً من بينهم أخوه محمد وابن عمه أبوفهد عبدالله بن جلوي، فارتد عجلان فاراً لما رأى الهائعة ورجاله يركضون خلفه، ولكن باب القصر قد أغلق ولم يبق غير الخوخة مفتوحة، ولما أراد عجلان أن يدخل مسرعاً رماه عبدالعزيز برصاصة فجرحته فأدركه عبدالعزيز وقد دخل نصفه وكاد أن يدخل لولا أن عبدالعزيز أمسك برجله فجره إلى الخارج، هذا وقد رماه عبدالله بن جلوي بحربه فأخطأه ودخلت بالباب فانكسرت ولا تزال موجودة حتى الآن.

ولما جذبه عبدالعزيز تصارعا كلٌ يريد الفتك بصاحبه، وانفلت عجلان فاقتحم عبدالله بن جلوي الباب وراء عجلان فأرداه بطلق ناري وجلله بعد ذلك بالسيف، فخر لوجهه قتيلاً وقد صعد رجاله إلى أعلى الباب وجعلوا يطلقون النار من المصاليات على رجال ابن سعود، فجرحوا أربعة وقتلوا اثنين، وذلك لما جاءت السهام من فوقهم.

فصاح عبدالعزيز بالباقيين من رجاله فاقتحموا الباب وأخذوا يقتلون الحامية ففتكوا بهم ولم يبق منهم سوى عشرين رجلاً تحصنوا ببرج من أبراج القصر، فأمنهم عبدالعزيز على حياتهم ونزلوا سالمين، وقد صبت الدماء من السقف حوالي باب القصر على الحائط، ثم خرج المنادي بصيح بالأسواق الحكم لله ثم لعبدالعزيز

بن عبدالرحمن، فدهش الناس من الفرح وأقبلوا نحو القصر زرافات ووحداناً
يسلمون عليه ويبايعون على السمع والطاعة ويحمدون الله على خلاصهم من
إرهاب آل رشيد وعسفهم، فأمرهم على الفور ببناء السور وترميم المتهدم منه،
ففزعوا في الحال وأتموه في نحو خمسة أسابيع.

ومما قال الأديب الشاعر الأثري حسين بن نفيسة قصيدة افتتحها بحمد المعز
بعد الذلة، والمكث بعد القلة، والشافي بعد العلة، الجائد بالامتنان، بعد الامتحان
الدافع للضراء بالسراء، المزيل للحرَج بالفرج، الكاشف بالنور للظلمة، الحافظ من
توكل عليه بالعصمة المنتقم ممن عصاه بالنقمة.

ثم ذكر ما جرى من أمراء آل رشيد، الذي شوش الازدهان، وغير الألوان من
الذل والهوان، لا سيما ما فعه بهم ابن سبهان، فقد طال أذاه المشائخ والإخوان،
وقد نبذ أمر الله ظهراً، وبسط يده ظلماً وقهراً، فسب وسلب، وعزر وضرب،
وغرب وخرّب، فما قر كبيراً ولا رحم صغيراً، ولا أنظر فقيراً، تجبراً وعناداً،
وعتواً وفضاظَةً على العباد، فما راقب الملك العلام، ولا خاف من دعوة مظلوم
ترفع فوق الغمام، ثم قال بعد ذلك في ذكر هذا الفتح المبين:

| | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| تألق في العوجا الهدى ثم أنور | ونادى مناد العدل والجور أدبرا |
| وأخصب منها الربع إذا كان محلاً | وأمطر فيها الجود حتى تكثرا |
| وصارت على رغم الأنوف بسبة | لأيمن محمود السجايا غضنفاً |
| فآب بها والناس ترنوا عيونهم | وأصدقها بالسيف ضرباً منكراً |
| أيا شبل من قد صدق القول فعله | مع الصبح لما أن أهل وكبرا |
| أناها برهط أو يزدون نصفهم | وقال لهم آمالنا أو لنعذرا |
| وقال أثبتوا فالموت طوق رقابكم | فما الذل دفاعاً لما الله قدرا |
| فأزمرهم حتى لأمر تعاقدوا | يميناً على أن يجعلوا الموت مصدرا |
| لعمرك ما نال العلى مثله فتى | سقا إذ سطا في عاقب ما تفكرا |
| فقادهمو كالليث في وثباته | إذا صال تخشى بأسه أسد الشرا |

وتباً لمن يحمل من الهم ثقله
فصبح أهل القصر حتى أبادهم
فأسقاهمو كأس الحمام على قلا
مكور فحان المكر منه مقاتلاً
خلائف سوء عن هدى الله اضربوا
فردوا هداة الحق لا ينفذونه
سويلم لا سلم من النار عظمه
ظلوم سبانا ثم من غير حجة
جهاراً يسب المسلمين ويصطفي
فمن ينس لوعات اللثيم وبغيه
جرى على الرحم شلت يمينه
وكم محصنات أبرزت من قصورها
فغار لها رب السموات آنفاً
إذا جاء أمر منه فينا مدبر
أيا وقعة من صادق صار مقعد
حنانيك من قال الدليل لسانه
فأغدقهم بالفضل حتى تمولوا
أبو الرمل ولأيتام هل مثل فيصل
أصول نشت في الدين طابت فروعها
وهم عابد الرحمن أعني وعقبه
فما المجد إلا منهم وإليهم
فلما استباح الدار عبد عزيزهم
به ابتهجت نجد وعزت بعزه
ومن قبل قد أسوت وبان نشوزها

إذا كان ضرب المشرفيات أفخرا
أبت نفسه دون العلى أن تصبرا
ومنها سقى عجلان حتى تقطرا
فمن شؤمه أن واجه الله مدبرا
ووافقهم من باع ديناً وما شرا
وأهل الخنى كانوا صحاباً وشورا
ولا قاهواناً يوم يدعى ليحشرا
وكشف عورات وساء ودمرا
كرائم أموال العباد تجبرا
لقد كان أعتاهم وأطغى وأفجرا
فكم مسلم أذى وأودى وعزرا
وقد كان مرأها عزيزاً فلم ترا
رحيماً وقصاماً لمن كان غيرا
غدا كل أمر دون ما جاء أبترا
بما كان من جد قديم له جرا
جمعت ضعاف المسلمين من الفرا
وأودعهم نجل الكرام المطهرا
وأحسن من ساس الرعايا ودبرا
فمنها جنينا الطلع من حيث أثمرنا
مصاليخ ناس دارعين وحسرا
بقاياهم سل عنهم خبيراً لتخبرا
بلا منة للظاعنين وحضرا
وأوفته في برد الصبا تبخترا
فأبدت جيلاً بعد لتسترا

فساحها سوانها وهو قادر
وقام لأمر المسلمين برأيه
يجر الخميس الزحف أن ناب نائب
تراه في الأطوال كل طمرة
عليها من الفتيان صبح مفارها
سلالة أجماد وسادات حسرا
رأى الصفيح والأعراض أرجى فيسرا
لحاملها التأيد إن سار أو سرا
كدفاع موج البحر لما تزخرا
وكل كميث صادق العدو أحرا

وهي طويلة فلنقتصر منه على ذلك.

وكان الأمير عجلان قد تجبر وعزم على أن يزيد في الضرائب على أهل
الرياض، ولقد اطلع قبل قتله من مكان شامخ على سوق الرياض وإلى جانبه
جلس له فقال لجليسه: هؤلاء قد كثرت أموالهم وقوي شأنهم فأريد أن أزيد في
القدر الذي يؤخذ منهم، ولما أن أشار عليه جليسه بعدم الظلم، جعل كلما أشار في
نقص الضريبة يزيد هو، فذا يقول كثيراً ما أضعفت وهذا يزيد الضعف حتى
سكت المناصح لثلا يكون سبباً في ظلمهم إذا كان يستكثر عشرة آلاف فيقال خمسة
عشر ألفاً فما كان إلا قاب قوسين أو أدنى، حتى أخذه الله وأراح منه الخلق، فله
الحمد على فضله.

ذكر مخاطرات جلالة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل

سعود أدام الله توفيقه

فنقول: قام هذا الشاب لما تم له عشرون سنة يطلب ملك أبائه وأجداده، فغامر
مغامرة تنطوي على كثير من الجرأة والشجاعة، ولم يطر إذ ذاك عارضاه، وصمم
على الملك أو الموت في طلبه، فسطا في الرياض بأولئك الفوارس المجربين الذين
ألفوا الأخطار، فقتل عجلان واستولى على الرياض ولقي الأهوال في ابتداء الأمر،
وذلك لأنه تقلد السيف ولم يضعه من يده حتى أخضع نجداً كلها، وكان يقول إنه
لا يوجد في داخل جزيرة العرب شبر أرض لم يقاتل عليه ولولا ذلك لما حصل
المقصود وجميع الأشياء بأمر الرب المعبود.

المخاطرة الثانية ملاقاته لابن رشيد، وقد جراً عليه الدولة العثمانية وما زال يدافع حتى قتله وفرق الأعداء شذر مذر وآخر ذلك أن طرد الدولة عن القصيم.

المخاطرة الثالثة خروج عبدالله بن محمد أبا الخيل عليه بعد ما أمره في بريده فدخل عليه البلد في ساعة حرجه وكانت مخوفة عليه.

المخاطرة الرابعة فتح الأحساء وطرده الدولة عنها ولما فرغ من نجد مد يده للحجاز حتى استولى عليه ونريد أن نعرف بالرياض عاصمة الملك، فنقول: هي مدينة من بلاد العارض اليمامة وهي عاصمة ملك آل سعود بعد خراب الدرعية تبعد عنها ثلاث ساعات للراجل دخلت في حوزة آل سعود بعد أن هرب منها دهم بن دواس، وبعد ظهور الإمام تركي جعلها عاصمة للملكه، وما زالت كذلك حتى جعلها عبدالعزيز عاصمة للملك وقد تقدم التعريف بها.

رجعنا إلى ذكر ابن رشيد فنقول: كان عبدالعزيز بن متعب فارساً شجاعاً وبطلاً مغواراً، وله من الشجاعة حظ جسيم ومن الغلظة والفظاظة قدر عظيم يقتل ذكره الرجال، وتتلاشى دون وثبته العظماء الأبطال، ولما بلغه ما صنعه هذا الأسد الصائل الضرغام، وهذا الجريئ الشاب المقدام وفتح الرياض، وقتل عجلان لم يكثرث وجعل يستهزئ على أن متى ما أراد جاء وطرده وكانت كلمته لما بلغه الخبر أن قال (أرنب محجرة وأهلها مقيمون يكفي ابن سعود أن انفض عليه عباءتي فيفر) وكان إذ ذاك نازل على الحفر يريد احتلال الكويت وما همه ابن سعود، ولا تحرك عن الحفر بل كان يكاتب الدولة العثمانية ويماطلونه ويطاولونه.

والسبب في ذلك أن مباركاً احتفى بالإنكليز ضرورة كما تقدمت الإشارة إليه، ولما طلب ذلك أمن من الأتراك، غير أن بريطانيا العظمى كان لها بذلك الحظ الحسن فقد أصبح الكويت ملكاً لها بلا شريك، ولما رست الباخرة البريطانية لنصرة ابن صباح، وقد رفعت العلم البريطاني ما كان للدولة العثمانية بها قبل، بل كانوا يظهرون لابن رشيد الولاء ويماطلونه ويأمرونه بأن يفاوضهم في محاربة ابن صباح فأخر ما نقول عن مبارك أنه قد احتفى من جهة البحر ببريطانيا، وحماه من جهة البر ابن سعود.

ولما بلغ مباركاً فتح الرياض بعث إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن يهنيه بفتح الرياض الذي قد أثلج صدره ويدعو له بالبركة، وجعل ينخاه على خصمه ويدعو له يا ولدي تولاك الله وعافاك وقواك وجعل النصر أخاك، وكان لا يدعوه إلا يا ولدي يا عبدالعزيز وطلب منه النجدة.

ثم إن صاحب الكويت أمدّ عبدالعزيز فبعث أخاه سعد بن عبدالرحمن بالنجدة التي طلبها، ومشى بنفسه إلى غرضه، فشن الغارة على قبائل ابن رشيد حتى استولى على النواحي الجنوبية مثل الخرج والحوطة والحريق والأفلاج ووادي الدواسر، وكاتبته البلدان الشمالية بالطاعة سرّاً، وهذه كالحمل والوشم وسدير والشعيب فهي موالية لابن سعود وإن كانت في حوزة ابن رشيد.

وهذه نبذة من ترجمة الملك عبدالعزيز، أما نسبه فتقدم في سنة ولادته.

وأما صفته فإنه كان قوي البنية طويل القامة براق العينين طاهر العرض نظيفاً وقد بلغ في الشجاعة مبلغاً عظيماً فكان يقابل في ميادين النزال عديداً من الفرسان الأشداء وهو وحده ويحيطون به وكلهم شجاع قوي فيمزق شملهم ويضطرهم إلى الفرار، وقد كان من شجاعته ألا يضع لنفسه حارساً، وبهذه المخاطر فإنه يرى عليه علامات الافتراس كما يرى في رقاب السباع أثار الدماء، وقد ملأ جسمه بجراحات بعضها خطره، ولكن شفاه الله منها وبعض إصاباته من السيف، وبعضها من الرصاص وبعضها من شظايا القنابل، وهي أعظم شهادة تدل على الشجاعة والبطولة والإقدام، وإذا كان بدر بن عمار يكرم سيفه عن الليث ويجعل له سوطه كما قال عنه أبو الطيب المتنبي يمتدحه بهذا البيت:

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

فإن ابن سعود صارع من هو أقوى من الليث حتى صار اسمه اليوم أعظم من الجيش، فمن شجاعته النادرة أنه قهر عبدالعزيز بن متعب الذي كان هو الشجاع المعلم الذي تنفست عنه الجزيرة في القرن الرابع عشر، ويعترف له أبطال نجد

بالشجاعة الفائقة والصلابة القوية والقوة الطاغية الذي كانت نظرتة تذيب الشجعان، ومع هذا فإن ابن سعود هزمه وقتله، فالشجاع لا يغلبه إلا الشجاع، وقديماً قيل: «لا يفل الحديد إلا الحديد».

ومما عرف من قوة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الجسمانية العظيمة الطافحة أنه اتكأ مرة على باب سيارة فورد جديدة فخلعه، وأن الجواد الصبور ينوء بحمله، وكان في بعض غزواته راكباً وعمره في العشرين، فلكرز دابته بعصاه فركضت به، فوقع على الأرض وكان مريضاً إذ ذاك فوطئته جمال رجاله واستطاع أن يركب ويحارب في اليوم الثاني.

أخلاقه ونشأته

كان كبير القلب كبير النفس كبير الوجدان، انتهت إليه الفضائل العربية بأجمعها، قليل النوم، كثير التيقظ، عظيم الانتباه، كريماً إلى حد السرف، وكان ذا عدل وإنصاف، وآتاه الله بسطة في العلم والجسم، وعليه البهاء، وله الهيبة العظيمة. ولما بلغ السابعة من عمره أرسله والده إلى المدرسة في الرياض حين كانوا فيها، فكان يقرأ القرآن ولا يترك الصلاة، ويألف المسجد ويصوم، وقد أبعدته والده عن أسباب الفسوق كعادته مع أبنائه.

ذلك الإمام عبدالرحمن بن فيصل، فلا يهمل في تربية أبنائه، فإنه كان شديداً عليهم في التأديب، وحملهم على مكارم الأخلاق وما ذاك إلا لما أودعه الله عز وجل من السلوك على طريق الحق كعادة الوهابية، كيف لا وهو من سلالة محمد ابن سعود الذي نصر الحق بنفسه وأولاده.

ولما كان الإمام عبدالرحمن يتوسم في هذا الابن أمور النجاح وأسبابه، كان يمرنه في حال صغره على معاناة المشاق، ويصلب عوده ونفسه وجسمه، فكان يبعثه تحت الشمس القائظة إلى خارج الرياض ويكلفه المسير في منتصف النهار على الرمال الحارة حافي القدمين، ويأمره بمغادرة فراشه مبكراً، كل هذا ليجعله قوياً شديداً.

ثم إنه نشأ مع الفتى هذا عبيد صغار مثله في الشباب والفتوة، لاعبوه صغاراً وحفظوه بالحراسة كباراً، فكانوا أكثر جنده له إخلاصاً وأعظم عنه دفاعاً، وهؤلاء العبيد هم الذين قال عنهم رسول ابن رشيد لسيدته إنه قد شغلهم بالمصارعة والمغالبة، ولما تم له خمسة عشر سنة اختارت له والدته قدس الله روحها فتاة عربية يتزوجها، وكان والده في فاقة يشق عليه زواجه، فتأخر الزواج حتى قدم تاجر نجدي فعرض ما لديه من مال ينفق في عرس الفتى عبدالعزيز، فأفضى هذا العمل إلى حزن عميق ملأ قلب الوالد أساً وحزناً، ولكنه تقبل الأمر الواقع رحمة الله عليه، ولما تزوج الابن تلك الزوجة شاء الله عز وجل أن لا يستمر ابن سعود مع زوجته أكثر من ستة أشهر فطواها الموت، فالتاع لفقدها وموتها لوعة هدت من صحته ثم تعاقبت الأيام والشهور على هذه الفاجعة، ثم تزوج الفتى من امرأة ثانية، فوهب الله له منها غلاماً سماه تركي وهو بكره ويكنى به، وقد سرّ به والده الإمام عبدالرحمن كل السرور.

سياسته ومقدرته

كان سياسياً ماهراً ذا أناة وحلم ودهاء وذكاء، وكان ضخماً تام الخلقة ساحراً بكلامه يكلم الناس على قد عقولهم ومراتبهم، فيعامل المشايخ العلماء بالبحث والتدقيق بحيث لا يدع لقائل مقالاً في باب العلم، ويكلم الملوك والوزراء على حسب ما يقنعهم بسياسة حيرة بريطانيا والأمم الأخرى، ذلك لسعة عقله ومعرفته وغوره وبعد نظره، فكان عقله كاملاً ورأيه سديداً، أضف إلى ذلك قوة في الدين وطهارة في عرضه، فما قارف فاحشة مرة قط.

وقد جعل الله له محبة في القلوب عظيمة، ذلك بأنه جلو الحديث، جميل المخالطة، لطيف المعاشرة، محب للحديث، راغب في المعرفة، طالب للعلم، مكرم العلماء وأهل الدين والفضل والأدب.

وكثيراً ما يجلس لأصدقائه وأنصاره يحاورهم ويحدثهم ويمجادهم ويمجادونه وهو

أرغب ما يكون في الاجتماع مع الغرباء، يستمع منهم أخبار بلدانهم وأمصارهم وما يتعلق به من أخبار السياسة وأحداث الزمان.

ومن غرائبه أنه لا يحتاج للنوم كما يظهر، ولا ينام إلا حين لا يرى أحداً غيره ساهراً، وإذا نام فلا ينام إلا ثلاث ساعات أو أربع ساعات، ولو خير لجلس الليل كله يتحدث إلى أحد رجاله من الذين يروق له حديثهم، وتلذذ له عشرتهم، وكان من الذين يستمعون القول ويحسنون الاستماع، فإن وجد في الحديث خيراً قبله وفعل بموجبه وهو إلى ذلك ليس عنيداً في إنكاره، مع أنه لا يزال في سجيته يعامل بالحسنى ويقابل الإساءة بالإحسان، فإذا لم يفد ذلك بدرت منه بوادر تقضي على من خالفه بالدمار والتباب، فما ألينه في الأمن وما أصعبه في المخاوف كما قيل.

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً على الدر واحذره إذا كان مزبداً

ذكر أمراء آل رشيد وقضاتهم

كان أمير بريدة بعد حسن بن مهنا بأمر محمد بن عبدالله بن رشيد، من كان يدعى حسين بن جراد، ثم عزله وجعل مكانه حمود الزيد، فلبث قليلاً ثم عزله وجعل مكانه سعد الحازمي، ومات الحاكم ابن رشيد فأقره على الإمارة عبدالعزيز بن متعب، وهو الذي جمع الناس بأمره وأخذ البيعة له، ثم عزله بن متعب وجعل مكانه فهد بن محمد القويعي، ثم عزله بعد ذلك وأقام الحازمي ثانية أميراً، وهو الذي وقعت الطرفة وهو فيها، ثم عزله وجعل مكانه سالم بن سبهان، ثم عزله وجعل مكانه عبدالرحمن بن ضبعان وهو آخر أمراء آل رشيد عليها.

أما القضاة فإن الحاكم محمد بن عبدالله بن رشيد جعل على قضاء بريدة محمد ابن عبدالله بن سليم، وكان هو القاضي قبل، فأقره على قضائها، فاستمر على ذلك في آخر ولاية محمد وأول ولاية عبدالعزيز، ثم إنه عزله عبدالعزيز بن رشيد لكثرة الوشاة، وذلة أهل الحق في ولايته، وجعل مكانه الشيخ صالح بن قرناس.

ولما أن قدم الشيخ صالح كان معه كتب كثيرة ورثها من أبيه، فأظهر

الموافقة لآل رشيد وأتباعهم، ومال إليهم لما رأى الغلبة لهم وأظهر إكرامهم، ولكنه بعد ذلك رجع عن فكرته وأعلن إكرام الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان كريماً سخياً.

حدثني من دخل بيته وجلس على مائدته أنه وجد في بيته حمل بطيخ، أعني ما يحمل البعير، ووجد التمر على حصير، ومن قدم فإنه يأكل ويشرب وينبسط.

وقد تزوج في أيام إقامته في بريدة بامرأة من أهالي وهطان، وشوهد في زواجه بذل أموال وسعة في الأطعمة.

وقد أحببت أن أورد قصة عجيبة يستدل بها على امتحان أولياء الله ورسوله، ويتذكر بها المؤمن ما من الله به على المسلمين بولاية آل سعود، أدام الله الملكهم الخلود، وهي أنه لما أراد السعي إلى وهطان فضيلة الشيخ صالح بن قرناس لعرسه وزواجه وصهره أبو حلوة، وكان قد صبح في الناس من أراد رفقة الشيخ فليأتي بدابته معه، فجاء خمس عمانيات وثلاثون حمراً، وصف أهلها ينتظرون الذهاب مع الشيخ المذكور، فجاء بعبدالله الباحث، وعبدالعزیز بن مديش، وسليمان بن ثويني، وعلي بن يحيى، وعبدالعزیز بن يحيى، وعثمان بن مضيان، وصالح اللهيبي تسوقهم رجال الأمير أذل ما كانوا قط، فوافق في ساعة مجيئهم خروج الشيخ صالح ليركب ويذهب ورفقته.

وقد كان الناس حوالي بيته الذي يعرف ببيت صعب في جنوبي بريدة، وكان أولئك المذكورون قد بعث إلى ابن رشيد بمسبتهم وأنهم ليسوا على طريقة المسلمين، وقد ضلوا وأضلوا، فتكلم خادم الأمير يقول هؤلاء المغاليت قد حضروا يا شيخ فكيف يصنع بهم، وكان هؤلاء المشار إليهم من فقراء الإخوان أهل الدين والفضل ومن شيعة آل سليم، تقع أوطانهم حوالي بريدة في الشماسية ووهطان والصوير وغيرها، وما كانوا مغاليت بل كانوا هداة مهتدين معهم تمسك في العقيدة ومحبة المؤمنين، وقد كان واحدهم يحمل كتبه وحقيته تحت إبطه ويتزاورون ويتحاربون في ذات الله، فلما أخبر الخادم بمجيئهم كان إلى جانب الشيخ صالح من

كان يدعى بعبدالله بن عمرو آل رشيد قد أمسك بيد الشيخ ويوشي بهم، نسأل الله العافية، فتكلم مجيباً للخادم بقوله إن الشيخ في شغله فاذهب إلى الأمير وقل له أن نظره فيه الكفاية في أمرهم، فرجع بهم الخادم إلى الأمير ليرى رأيه فيهم، فلما أن جلسوا بين يديه، أخرج كتاب ابن رشيد إليه وناولوه القاريء، فلما سمع الكتاب وعرف موضوعه تكلم الأمير سعد بقوله: أين ابن مضيان الذي صوته كرنين الذبابة، أما تستحي وتلزم فلاحتك وتترك المشي إلى الناس بفوائدك؟ فتكلم مجيباً: كذب أيها الأمير إنني لم أمشي بين الناس، وبا ليتني أفيد نفسي.

ثم جعل يقول: أين بن يحيا فأجاب بقوله حاضر، فأنبه بقوله: تركت فلاحتك تهلك عشباً إلا تجلس للحرثة وتدع الذهاب إلى الناس فقد شغلهم عن فلائحهم، فأجاب بقوله: كذب بارك الله فيكم ما مشيت.

ثم إنه تكلم متهدداً لابن مديهش يقول: أيها يا ابن مديهش يوماً بالمستجدة ويوماً بوهطان ألا تتقي الله في نفسك من تعويق الناس عن فلائحهم وشغلهم، وقال لعبدالله الباحوث: أنت صنمهم تدهن لحيتك وتذهب تدجل على الناس، وكان هذا معروفاً بالخوارق، ويجري الله على يديه عجائباً.

قال مرةً لابنه تريد هذا العصفور، فقم فخذهُ وكان لا يطاق إلا بالبندقية، فقام وأخذه بيده، ثم سكت قليلاً ثم تكلم يقول: أين ابن ثويني؟ إنك تسابق إمام مسجدكم ابن سيف في الإمامة، تؤم وهو إلى جانبك فأعرض وكفّ عن ذلك، فأجابه بقوله: ليس بصحيح فإني لا أتقدم بهم حتى يقدموني وأنت يا سعود بن فوزان يوماً بالمذنب ويوماً بالشماسية، فلو استرحت فأرحت الناس؟ فأجاب بأنه مقصر في حق إخوانه في الزيارة، فلما فرغ الأمير من كلامه سكت قليلاً وقال تعلمون بأني مدبر وإلا فأشهد بأنكم على الحق، قوموا إلى أولادكم بالسلامة، فقاموا من عنده شاكرين، وكان بعض الناس يخشى عليهم بهذه الدعوة ولكن الله قال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

أما عنيزة فكان عليها من قبل الأمير ابن رشيد بعد واقعة المليدا صالح بن يحيى، واستمر في إمارتها حتى جرى منه اعتداء على عبدالله الربدي، وما زال يضمّر له العداء حتى أخرجه من بيته ليلاً بحيلة فضربه ضرباً شديداً، فبعث عبدالله إلى قريبه عبدالرحمن الربدي في بريدة يخبره من فوره بما فعله به أمير عنيزة، ولما أن بلغه ذلك بعث من فوره نجاباً بكتاب إلى الحاكم محمد بن رشيد في حائل، وقال للرسول: واصل السفر فإنني لا أريد هذا العمانية بعدها، ولما أن طوى مسيرة ستة أيام في يومين ووصل إلى ابن رشيد، بعث بعزله وجعل مكانه ابن أخيه حمد بن عبدالله بن يحيى، وكان القاضي في عنيزة إذ ذاك العويضي، وكان يشرب التنباك، لذلك قد هجاه بعض العلماء بذلك ثم إنهم طلبوا من ابن رشيد أن يجعل في قضائهم الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر فنصبه فيهم.

وفيها في ليلة ١٣ شوال ولد الملك سعود بن عبدالعزيز نجل الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن، وكان ذلك تفاؤلاً بالسعادة، لأنه جاء في بدء ملك والده، وكانت أمه من آل عريعر، فهم أخواله.

ولما بلغ السابعة من عمره بعثه والده إلى المؤدب وسنزيد المقام فيما بعد إنشاء الله تعالى.

وفيها توفي الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن رحمه الله تعالى وعفا عنه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة المتقي العارف بأصول الدين، والمجاهد لأعداء الله الملحدّين، إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان، كان المترجم أخاً للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، بيد أن الشيخ أبرع منه وأشهر، حتى كان الشيخ إسحاق يقرّ له بالفضل ويدعوه بشيخنا، وقد كان سافر إلى الهند في طلب العلم، فكان في بلد دلهي، وكثيراً ما تتعاقب الرسائل بينه وبين الشيخ سليمان بن سحمان، كما قد مرّ بنا بعضه وقد سافر إلى مصر للدراسة على علماء الأزهر.

ومن ذلك أنه أرسل إلى الشيخ سليمان أبياتاً ورسالةً يشكو ما حدث من الأغيار بعد ولاية أولئك الأشرار، ويعج من فساد الزمان وكثرة المناكر والافتتان، فأجابه بأن ما حدث لديهم أعظم من ذلك من اللهو والإعراض عن الدين والتكالب على الدنيا واستحلال الزكاة وأكلها بالباطل، وتضييع الصلوات وتعطيل شرائع الله، وفعل الفواحش إلى غير ذلك.

ومن أبيات الشيخ إسحاق هذه القصيدة التي أنشأها لما استحكمت الغربة واشتدت الكربة، وقد قال في مقدمتها:

أعلم أيها المنصف أنه لما شنع على الإخوان بعض من شغب بالقليل والقال، وتركوا مهملين من بيت المال، وضاعوا في المجاعة أياماً وليالٍ لما تفرقوا عن مدارسهم ورباعهم، عن لي أن أرثاهم وأبين أن الله من ذلك براهم:

| | |
|----------------------------------|------------------------------|
| يا عين فابكي وأهمي الدمع كرات | من حادثٍ فادحٍ نادي بأشتات |
| العلم طلابه أودوا وقيل لهم | ترحلوا إنكم جئتم بأنات |
| ما نعرف الفرق والفرقان مطرح | والجمع دين الناس بين البريات |
| والفرق صعبٌ علينا جالب عنا | ومحدثٌ بيننا تفريق حالات |
| ما يقدر الخلق هذا الفرق فارتدعوا | أو نرمكم باعتقادات شنيعات |
| خوارج أنتم أخرجتمو بدعاً | بأهجر منكم لأرباب العصايات |
| فاسمع جواباً عن الإخوان تبرئة | مما رماهم به أهل الجهالات |
| نبرأ إلى الله مما قال شائهم | فيهم ونصرخ يا أهل العداوات |
| هل لازم الهجر تكفير الذين عصو | يا ظالمين ويا أهل السفاهات |
| حاشاهم بهذا ما كفروا أحدا | بالذنب حاشاهم من ذي الضلالات |
| والهجر نوع وتكفير العصات ذا | نوعٌ به مرقت شر البريات |
| فإن زعمتم أن الهجر جاعلهم | كذاك فأتوا بمقطوع الدلالات |
| وإن زعمتم أن الهجر مبتدعٌ | فأتوا على زعمكم ذا باحتجاجات |
| بما يرد النصوص الواضحات فما | تحصلون ولو أقوالاً ملغيات |

عند البخاري ما يشفي ومذهبه
وفي أصول رزين الخبر ترجمة
والهدي كافٍ وفي الأدب تبصرة
لمقصدي باطلٍ فالله ينصرنا
ما قطعهم حق إخوان الصفاء إذا
عند الإمام وحرص أن تكون به
وصدهم قلبه عن أن يفني ويعي
ألا لما أبطنوا لكنهم آمنوا
واستحكم الشر والأدبار قارئة
وأحذر تكون لما أتوا وتألفه
فالدين ممتحن والنصر مقترن
والأسوة المصطفى الهادي الأمين وقد
عليه مني صلاة الله أجمعها
وآل والصحب والأتباع قاطبة

التحديد كي يرعوي آتي العصايات
قد نورت بالأحاديث الصحيحة
فالويل للناكب عقد المؤاخات
عليهم أنه كافي المهمات
من بيت مالٍ وسعي بالمضرات
كمثلهم عاصياً رب السماوات
نصيحة فعل أرباب الغوايات
لما خلى الربع من أهل العناية
فاقبض على الجمر واصبر في الملمات
يوماً توالي ويوماً ذا معادات
فاعجب لمن يطلب الزلفي بلذات
قالوا صياجن هذا ذو افتراءات
مع السلام ومقبول التحيات
عداد ما قد مضى من قبل والآت

ولما أن بلغ سن التميز وترعرع، أدخله والده إحدى المدارس الأهلية، فقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب، ثم إنه أخذ يطلب العلم ويدرس في حفظ بعض المختصرات في الحديث والفقه والتوحيد، ولازم والده وأخذ عنه، ثم سافر بعد وفاة والده كما قدمنا، فوصل على هندستان لطلب الحديث، وكان ذلك في رجب سنة تسع وثلاثمائة وألف.

ولما أن قدم بلد بمباي، حضر مجالس تحتوي على الأدب والغزل وشيء من فنون اللغة وهو إذ ذاك متوجه إلى لقاء علماء الحديث الأفاضل ومشتاق إلى مجالسة الفحول الأماثل، ثم إنه بلغه الله منيته ومن عليه برويتهم والاجتماع بهم، فأولهم السيد نذير حسين المقيم ببلدة دهلي، قرأ عليه شرح نخبة الفكر بالتأمل والتأني، ثم شرع في قراءة الصحيحين، وقرأ أطرافاً من الكتب الستة وموطأ الإمام مالك،

وبلوغ المرام، ومشكاة المصابيح، والجلالين في التفسير، وحصل له منه السماع والإجازة والقراءة، وذلك في شهر رجب سنة تسع وثلاثمائة وألف، وكانت مدة إقامته عند السيد نذير تسعة أشهر.

ثم ارتحل في رمضان إلى بهويال فقرأ فيها على الشيخ حسين بن محسن الأنصاري في الأصول والفروع، وأجازه إجازتين مختصرة وإجازة عامة في كل ما تجوز له روايته وتنفع درايته من علم التفسير والتأويل والسنة، وذلك في شهر شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف.

وحضر لدى سلامة الله المدرس في بهويال، وسمع منه سنن ابن ماجه وغيرها، وبعض كتب المعقولات، وقرأ على القاضي في حيدر آباد وغيرهم، وعاد إلى وطنه فاشتغل بالتدريس والإفادة ونشر العلم، ولما أن عاد إلى وطنه وجلس للتدريس، رحل إليه الطلاب من أطراف نجد للأخذ عنه والتعليم بين يديه، فنفخ الله به ونشر علمه، وقضى بقية زمانه في التعليم، فأقام على ذلك مدة إلى أن وافاه أجله المحتوم في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب من هذه السنة، وكان له مؤلفات حسنة منها: الجوابات السمعيات في الرد على الأسئلة الروافيات، وغالب مؤلفاته فيما يتعلق في الإقامة بين أظهر المشركين، والسفر إلى بلدان أعداء الملة والدين والهجرة والولاء والبراء، ومن أحب أن يعرف قدره، فليراجعها فإن فيها من الفوائد والبحوث ما يشفي العليل، ويروي الغليل، وأفاد وأجاد، فمن ذلك قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم، من إسحاق بن عبدالرحمن إلى المحب المكرم عبدالله بن أحمد وفقه الله للطريق الأحمد، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وغير ذلك الموجب لهذه المكاتبة النصيحة وحسن الظن فيك، وأتقن أن ألحق ضالتك، فالذي أوصيك به أن تطيع الله ورسوله وتقدم ذلك فيما أشكل عليك، ثم أتى بالآيات القرآنية والأحاديث، ثم قال:

فإذا كان الله يحذر نبيه من اتباع أكثر الناس، فما الظن بهذا الزمن وأهله، وقد

قال الصادق المصدوق «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ» وأي اغتراب أعظم من هذا الاغتراب.

ثم أطال إلى أن قال فقد علمت كلام الصادق المصدوق، فلا يكون قول الغير في نفسك أعظم من كلام نبيك، فما حجتك يوم القيامة إذا قال الله لأي شيء أطريت رسولي ورفعته فوق منزلته، أتقول سمعت في الأشعار خلاف قوله فاتبعته، أم تقول لم يبلغني كلام نبيك، أعد للسؤال جواباً.

ثم قال: وفي بعض الآثار كلمتان يسئل عنهما الأولون والآخرين «ماذا كنتم تعبدون» «ماذا أجبتم المرسلين» وكيفيك الميزان السوي العادل في كل فعل وقول صدر من الناس، وهو قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وهذا الحديث أصل من أصول الدين، فمن تأمل ما في مطاويه، وتفهم أصوله ومبانيه، استوحش من كثير عبادات لم يشرعها الله ولا رسوله ثم أطال وأطنب.

وله مؤلف مختصر برئ فيه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مما رماه به أهل الإفك والضلال من الكذب، وكانت فوق ما قيل فيها، أعني تلك الكلمات، وعلى من أحب ذلك مراجعتها.

ومن كلامه في ذلك المؤلف قوله: وكثيراً ما يضعون من مقداره ويغضون ما رفع الله من مناره منابذة للحق الأبلج وزيفاً عن سواء المنهج، والذي يقضي به العجب قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم وذلك أنهم لا يجدون زلة من المنتسبين إليه ولا عثرة إلا نسبوها إليه وجعلوا عارها راجعاً إليه، وهذا من تمام كرامته وعظم قدره وإمامته.

وقد عرف من جهالهم واشتهر من أعمالهم أنه ما دعا إلى الله أحد وأمر بمعروف، ونهى عن منكر في أي قطر من الأقطار إلا سموه وهابياً، وكتبوا فيه الرسائل إلى البلدان، بكل قول هائل يحتوي على الزور والبهتان.

ومن أراد الإنصاف وخشي مولاه وخاف، نظر في مصنفات هذا الشيخ التي هي الآن موجودة عند أتباعه، فإنها أشهر من نار على علم وأبين من نبراس على

ظلم، ثم إنه أسهب في بيان عقيدته وما هو عليه، وإنه على ما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد، والمؤلف نفيس ينبغي لمن كرمته عليه نفسه أن يتأمله، فإنه غزير الفائدة ويدل على عظمة مؤلفه ومكانة الرجل في العلم والمعرفة وله أجوبة سديدة نفيسة ومكانة في التوحيد والعلوم.

ولما أن كان الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم ذات يوم في تدريسه، كان أحد التلامذة يقرأ عليه في مسائل الشيخ إسحاق المشهورة، فأوقف الشيخ عبدالله القارئ وأخذ يثني على الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب جزاءه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وجعل يذكر مناقبه ومناقب آبائه وأجداده وأطال في تمجيده، ونوه بذكره والثناء عليه والمترجم فوق ما قيل عنه في العلم والمعرفة، نسأل الله تعالى أن يرفع درجاته في الجنان وأن يسبغ عليه العفو والغفران، إنه جواد كريم.

وفيها وقع وباء في مكة المشرفة أيام الحج، مات فيه خلائق كثيرة، نسأل الله العافية وكثيراً ما يقع الوباء في أيام الموسم لما يتزاحم في تلك البقاع من الخلائق وعدم المكيفات وقلة وجود المضادات للروائح المستكرهة، ولما جرى بعد ذلك في ولاية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن مقاومة لتعفن الجو، زالت بإذن الله تلك المكروبات وتحسن الوضع، وعاش الحجيج يتمتعون بالصحة والعافية وكرم الله أوسع.

ولما أن دفعنا إلى ذلك، أحببنا ذكر علماء عنيزة وقضاها الذين استولوا على أعمالها في هذه الفترة.

فمنهم الشيخ عبدالله بن حمد بن عضيب الناصري التميمي تولى قضائها سنة ١١١٠ من الهجرة، ثم تولى من بعده تلميذه الشيخ سليمان بن عبدالله بن زامل في سنة ١١٦١هـ.

ثم تولى من بعده الشيخ محمد بن إبراهيم أبا الخيل.

ثم تولى من بعده الشيخ عبدالله بن أحمد بن إسماعيل.

ثم تولى القضاء من بعده الشيخ محمد بن علي بن زامل المسمى أبو شامة.

ثم تولى القضاء بها من بعده الشيخ صالح بن محمد بن عبدالله الصائغ، وكانت وفاته سنة ١١٨٤هـ.

ولما كان بعد وفاته تولى قضائها الشيخ عبدالله بن سويلم وبعده كان على قضائها الشيخ غنيم بن سيف من أهل ثادق.

ثم تولى القضاء من بعده أخوه الشيخ عبدالله بن سيف في سنة ١٢٢٥هـ واستمر في القضاء إلى سنة ١٢٣٠هـ.

ثم إنه تولى القضاء من بعده الشيخ عبدالله بن فائز أبا الخليل من سنة ١٢٤٠هـ إلى ١٢٤٣هـ، وتوفى في سنة ١٢٥٠هـ رحمه الله.

ثم تولى القضاء من بعده الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم القاضي من حين ما بارح سلفه إلى آخر ١٢٥١هـ.

ثم تولى القضاء، فيها العالم العلامة فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين قدس الله روحه، فلبث في القضاء سبع سنين وثمانية شهور، ثم استقال من قضائها في أواخر شعبان سنة ١٢٦٩هـ.

ثم إنه تولى القضاء فيها الشيخ محمد بن إبراهيم السناني ستة شهور.

ثم تولى القضاء فيها الشيخ علي بن محمد الراشد من أهالي الزلفي أصله وولادته في عنيزة، استمر من تخلي سلفه حتى توفاه الله تعالى سنة ١٣٠٣هـ، فكانت مدته في القضاء ثلاثاً وثلاثين سنة، وكانت وفاته في ٨ شوال من السنة المتقدمة.

ثم إنه تولى القضاء من بعده الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن مانع إلى سنة ١٣٠٧هـ.

ثم إنه تولى القضاء بعده الشيخ صالح بن قرناس من أهل الرس ثمانية شهور.

ثم تولى القضاء بعده عبدالله بن عائض عشر سنين، وتوفى فجأة في المقبرة بعدما عزل بأربع سنين.

ثم تولى القضاء فيها الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر من سنة الطرفية المذكورة إلى سنة ١٣٢٤هـ.

ثم إنه تولى القضاء فيها الشيخ صالح بن عثمان القاضي إلى سنة ١٣٥١هـ.

ثم إنه كان القاضي بعده الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع.

وفيه من العلماء الذين لم يتولوا قضائها الشيخ علي بن محمد السناني، والشيخ صالح بن عبدالله البسام، والشيخ عبدالعزيز بن زامل السليم، والشيخ محمد بن عبدالكريم الشبل، والشيخ ناصر بن عبدالله بن سعدي، وابنه عبدالرحمن بن ناصر العالم المشهور، وعلي بن ناصر بن وادي، والشيخ عثمان بن صالح القاضي، والشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف السعودية سابقاً، وسنذكر ما تيسر من تراجمهم فيما بعد من سني هذا التاريخ إن شاء الله تعالى.

أما قضاة بريدة وعلمائها فمنهم الشيخ القاضي عبدالعزيز بن سويلم من أهل الدرعية، تولى قضاء بريدة في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وعهد نجله الإمام سعود بن عبدالعزيز.

ثم تولى قضائها بعد ذلك الشيخ عبدالله بن صقية في أول إمارة عبدالعزيز المحمد آل عليان، واستمر في القضاء عشر سنين، وكان من تلامذة الشيخ قرناس، ثم توفى في سنة ١٣٥٦هـ، فتولى القضاء بعده الشيخ سليمان بن علي بن مقبل، وطالت مدته ثم عزل سنة وجعل مكانه الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، ثم عزل وأعيد الشيخ سليمان بن مقبل، ثم عزل وأعيد بن سليم، ثم عزل وأعيد بن مقبل، فاستمر حتى ذهب إلى مكة المشرفة وجاور فيها كما قدمنا، وكان قد استتاب الشيخ محمد بن عمر بن سليم، ثم كتب له بعد ذلك يخبره أنه قدم استقالته وأنه قد عزله عن النيابة وذلك لأن الشيخ سليمان قد أسن وكبر.

ولما أن استقال رجع إلى وطنه البصر وسكنه حتى مات، رحمة الله تعالى عليه في سنة ١٣٠٤هـ.

ومن علماء بريدة محمد بن إبراهيم بن عجلان في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر تقدم ذكر جم غفير منهم.

وسياتي في تاريخنا هذا ما هو من أعجب العجائب في ذكر العلماء، فعليك أن تلقي السمع وترى بعين البصيرة ما أنتج القصيم، بل ما أنتجت نجد من العلماء الفطاحل لتقارن بين الأزمان وترى أن الله تعالى ابتلى المسلمين بذهاب علمائهم بحيث يقتطفهم الموت وهم في سن الشباب والكهولة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن علماء الدين الشيخ عبدالله بن حسين بن صالح أبا الخيل، كان زاهداً ورعاً وموطنه قرية المريدسية، وكان في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، ووفاته قريباً من ربيع القرن الأول، ومنهم الشيخ عيسى الملاحي ووفاته في منتصف هذا القرن.

أما أمراؤها فمنهم الأمير حجيلان بن حمد آل عليان، تولى إمارتها مستقلاً فيها زمناً طويلاً، ثم إنه خضع لإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فلبث أميره فيها وأمير نجله سعود وعبدالله بن سعود حتى عاث إبراهيم باشا في نجد بالفساد، وقتل العلماء والأمرء، فحمل معه حجيلان أمير القصيم وتوفى في المدينة عن عمر فوق الثمانين، وكان شجاعاً مقداماً، استطاع أن يتقلب في الإمارة ما يزيد عن خمسين سنة، ومن صرامته وشجاعته أنه لما زحف سعدون بن عريعر معه بنوا خالد والظفير وبوادي شمر وبوادي عترة، ونزل ببريدة وحاصرها وقد خان بعض أهلها البلد برئاسة سليمان الحجيلاني ورجال آخرين، مضى الأمير حجيلان فضرب عنق سليمان وقتله، فسكتت المتحركات وثبت معه أهل البلد، فلبث سعدون محاصراً لبريدة مدة أشهر تزيد على أربعة، ويجري فيها وقعات، غير أنه لم يحصل على طائل.

ولما أن كان سعدون ومن معه من الجنود ينتظرون بفارغ الصبر تسليم بريدة، إذ بضرب الدفوف في ليلة من ليالي الحصار، فسأل سعدون ما هذا ف قيل له هذا

لزواج الأمير حجيلان في هذه الليلة، فعلم سعدون أن أمير بريدة وأهاليها لم يعبؤوا به، وإنهم ممتنعون، فارتحل عنها وتفرق الذين معه، وسار ونزل قرب الزلفى، فالتف إليه جموع فأقام على ذلك أياماً ثم رحل ونزل مبايض يدير الرأي ومن معه في أي بلد يسطون.

تنبيه

قد ذكرنا فيما تقدم أن جيش الملك عبدالعزيز الذي زحف به من الكويت لفتح الرياض أربعون رجلاً، وبما أن هؤلاء النقباء قاموا بأمر يشكرون عليه، فإننا سنورد أسمائهم، وهؤلاء هم:

أخو جلالة الملك محمد بن عبدالرحمن بن فيصل، عبدالله بن جلوي، عبدالعزيز بن جلوي، عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، ناصر بن سعود الفرحان، سعود بن ناصر الفرحان، فهد بن جلوي آل سعود، عبدالله بن صنيان، فهد بن إبراهيم المشاري، عبدالعزيز بن عبدالله بن تركي، فهد بن معمر، عبداللطيف بن معشوق، محمد معشوق، فهد بن معشوق، سعد بن بخيت، عبدالله بن عسكر، صطام أبا الخيل، فرحان بن سعود، مطلق بن عجيان، محمد بن هزاع، مسلم بن مجفل السبيعي، إبراهيم النفيسي، عبدالله الهزاني، محمد بن شعيل، عبدالله بن عبيد، عبدالله بن جريس، فيروز عبدالعزيز، معضد بن خرصان الشامي، يوسف بن مشخص، عبدالله بن خنيزان، مسعود بن مبروك، ناصر شامان، مطلق المغربي، سعيد بن بيشار، فلاج بن شنار الدوسري، حزام العجالين الدوسري، منصور بن محمد بن حمزة، فهد بن الوبير الشامي، منصور بن فريج، زيد بن زيد، صالح بن سبعان، ماجد بن مرعيد.

وكان لما وصل إلى الموضع الذي يبعد عن الرياض مسافة ساعتين على الأقدام، ترك المطايا والخيول هناك وجعل عليها معضد بن خرصان، ومسلم بن مجفل، وحامل الراية عبداللطيف بن معشوق وقال لهم: إن ارتفعت الشمس ولم يأتكم منا أحد فانهزموا حيث شئتم، فإننا إذاً مقتولون، وإن أظفرنا الله بمطلبنا واستولينا على

البلد فإني سأبعث لكم فارساً يلوح لكم بثوب، ثم إنه بعد ما نصره الله لم يقتل من أصحابه إلا اثنين زيد بن زيد، وفهد بن الوبير، وجرح ثلاثة وهم عبدالعزيز بن مساعد وإبراهيم النفيسي وصالح بن سبعان، ذلك بأن الحامية قامت تمطرهم بالرصاص، وكان لما أن نفلت عجلان، جريحاً دخل في مسجد القصر، فلاحقه عبدالعزيز وأطلق عليه خمس رصاصات قضت عليه.

وبذلك نختم المجلد الأول من تاريخنا والله المستعان وعليه التكلان.
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم
آخر الأول والحمد لله بنعمته تتم الصالحات
آخر المجلد الأول ويتلوه إن شاء الله المجلد الثاني، ومبدؤه ثم دخلت سنة ١٣٢٠هـ.

فهرس الجزء الأول

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| مقدمة الناشر | ٣ |
| ترجمة المؤلف | ٥ |
| خطبة الكتاب | ١٠ |
| فصل ويا ويل كل مؤرخ | ١٣ |
| فصل وقد كانت الأمم الأخرى تشجع المؤلفين | ١٣ |
| فصل فدونك كتاباً يصلح | ١٤ |
| ذكر ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب | ١٥ |
| أخلاقه وسجاياه | ١٦ |
| ما لقيه الشيخ من أذى قومه | ١٨ |
| ما كان في زمانه من الشرك والبدع | ١٨ |
| ما كان في نجد من الشرك والبدع | ١٨ |
| ما كان في الحجاز من الشرك والبدع | ٢٠ |
| ما كان في مصر من الشرك والمخالفات | ٢٢ |
| ما كان في اليمن من الشرك والمنكرات | ٢٣ |

| | |
|---------|--|
| ٢٦..... | ما كان في العراق من الشرك والبدع |
| ٢٧..... | تجرد الشيخ ودعوته إلى الله |
| ٢٨..... | قدوم الشيخ إلى حريملا |
| ٢٨..... | انتقال الشيخ إلى العينة |
| ٣٠..... | مؤامرة قائد الأحساء لإبعاد الشيخ عن العينة |
| ٣١..... | هجرة الشيخ إلى الدرعية |
| ٣٣..... | نصرة الأمير محمد بن سعود للشيخ |
| ٣٤..... | ثناء المؤلف على الشيخ محمد بن عبد الوهاب |
| ٣٥..... | ثناء المؤلف على آل سعود بمناصرتهم للشيخ |
| ٣٦..... | محاولة بن معمر رجوع الشيخ إليه |
| ٣٧..... | ثناء العلماء على الشيخ |
| ٤٥..... | جهاد آل سعود في سبيل الله |
| ٤٥..... | ذكر علو قدر الشيخ وإسناد الأمور إليه |
| ٤٦..... | ذكر مؤلفات الشيخ |
| ٤٨..... | ذكر مشايخه وتلامذته |
| ٥٢..... | وفاة الشيخ وما قيل فيه من المراثي |
| ٦٠..... | ذكر القبول الذي جرى على الدرعية |
| ٦٣..... | البيان عن المملكة العربية السعودية |
| ٦٣..... | نجد وما يلحق به |
| ٦٩..... | القصيم وضواحيه |

| | |
|----------|--|
| ٧٣..... | الوشم وضواحيه |
| ٧٤..... | سدير وضواحيها |
| ٧٥..... | المحمل وضواحيه - الحمادة - العارض وضواحيه |
| ٧٨..... | التعريف بالعارض وتلك الضواحي |
| ٧٩..... | ذكر الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية |
| ٨٣..... | ذكر تعزيز مقام الأمر بالمعروف |
| ٨٧..... | الخرج وضواحيه |
| ٨٩..... | الأفلاج |
| ٨٩..... | وادي الدواسر |
| ٨٩..... | نجران |
| ٩٠..... | الأحساء |
| ٩٢..... | عسير |
| ٩٣..... | الحجاز وضواحيه |
| ٩٤..... | مكة المكرمة في الماضي والحاضر |
| ٩٥..... | المسجد الحرام في الوقت الحاضر |
| ٩٨..... | المدينة المنورة |
| ١٠٠..... | الشروع في التاريخ سنة ١٢٦٨هـ وما فيها من الحوادث |
| ١٠١..... | تطويق الحجر الأسود بالذهب - سنة ١٢٦٩هـ |
| ١٠٢..... | الوقعات بين عائض بن مرعي وبين العساكر المصرية |
| ١٠٢..... | قصيدة علي بن الحسين الحفظي |

- غزو الإمام فيصل قبيلة الجبلان ١٠٦
- الاختلاف بين أسرة راشد بن ثامر وأسرة عقيل بن محمد ١٠٦
- سنة ١٢٧٠هـ ولادة الحسين بن علي الشريف ١٠٧
- وفاة أبي بكر الملا ١٠٨
- ولادة الشيخ إبراهيم بن عيسى المؤرخ ١٠٨
- وفاة والي مصر ١٠٩
- ثورة أهل عنيزة على أميرهم جلوي ١٠٩
- ذكر مصاهرة جلوي للمطرودي ١٠٩
- عمارة المسجد النبوي ١١١
- سنة ١٢٧١هـ وما فيها من الحوادث ١١١
- جهاد الإمام ليصل أهالي عنيزة ١١١
- سنة ١٢٧٢هـ وما فيها من الحوادث ١١٢
- عمارة دار المفتاح ١١٣
- أمطار على نجد وحصول الخصب والرخص ١١٣
- سنة ١٢٧٣هـ ١١٣
- وفاة الشيخ عبدالعزيز بن عثمان بن شبانة ١١٣
- غزوات عبدالله بن فيصل ١١٣
- وفاة الشاعر عبدالله بن ربيعة ١١٤
- اغتيال محمد بن إبراهيم بن ثاقب رئيس بلد الزبير ١١٤
- سنة ١٢٧٤هـ وما فيها من حوادث ١١٥

- وضع عوارض من حديد بين الأساطين في المسجد الحرام..... ١١٦
- وفاة الدويش الحميدي بن فيصل والشريف محمد بن عبدالمعين ١١٦
- قانون أبي نمي ١١٧
- سنة ١٢٧٥هـ وما فيها من الحوادث ١١٧
- قتل ناصر السحيمي ١١٧
- عزل أمير بريدة عبدالعزيز بن محمد ١١٩
- إمارة عبدالله بن عدوان في بريدة ١٢٠
- قصائد مديح الإمام فيصل لابن مشرف ١٢٠
- زحف الأمير عبدالله بن فيصل إلى دخنة ١٢١
- قصيدة لابن مشرف في مديح الإمام فيصل وتشجيعه لقتال المفسدين ١٢١
- سنة ١٢٧٦هـ وما فيها من الحوادث ١٢٤
- قتال العجمان ١٢٤
- واقعة ملح ١٢٥
- تهنئة شعرية لابن مشرف في الإمام فيصل ١٢٦
- قتل أمير بريدة عبدالله بن عدوان ١٢٨
- إمارة محمد بن غانم في مدينة بريدة ١٢٩
- شجاعة ابن مجلاد وأخباره ١٣١
- سنة ١٢٧٧هـ اتفاق العجمان وعربان المنتفق ١٣٢
- القائد سليمان الزهيري وما له من الشجاعة في رده تلك الجنود
- عن البصرة والزيبر ١٣٢

- قصيدة طنانة في الثناء على الزهيري وأصحابه النجديين ١٣٣
- واقعة الطبعة وما جرى فيها من الشجاعة من ابن الإمام ١٣٦
- قتل الأمير عبدالعزيز بن محمد بن عليان وترجمته ١٣٧
- تصرفات الأمير عبدالعزيز السيئة وفشله ١٤٢
- قصيدة طنانة لابن مشرف يهنئ الإمام فيصل بن تركي ١٤٣
- إمارة عبدالرحمن بن إبراهيم في بريدة ١٤٥
- وفاة الشيخ عبدالرحمن الثميري ١٤٥
- وفاة الأمير أحمد السديري وترجمته رحمه الله ١٤٥
- سنة ١٢٧٨ هـ الاختلاف بين أهالي عنيزة وبين الإمام فيصل ١٤٨
- أمطار على الحجاز أحدثت أضراراً بالأنفس ومكاتب الحرم ١٤٨
- بناء جامع الهفوف في الأحساء وثناء ابن مشرف على الإمام ١٤٨
- قتال أهالي عنيزة وظفر الإمام والثناء عليه ١٤٩
- سنة ١٢٧٩ هـ وما فيها من الحوادث ١٥٣
- وقعة المطر بين جيش الإمام وأهالي عنيزة ١٥٣
- انتصار الإمام على أهل عنيزة والثناء عليه ووقوع الصلح ١٥٦
- إمارة محمد بن أحمد السديري في بريدة وضم القصيم إليه ١٥٦
- ظهور الجراد بعد انقطاعه ١٥٧
- ترميم المسجد الحرام ١٥٧
- سنة ١٢٨٠ هـ وما فيها من الحوادث ١٥٨
- إعادة الأمير محمد السديري إلى الأحساء بطلبهم ١٥٨

- جعل سليمان الرشيد أميراً في بريدة..... ١٥٨
- ثناء ابن مشرف على الإمام بهذه المناسبة..... ١٥٩
- تجديد سقف المقامات وذكر واضح تلك المقامات..... ١٦٠
- إمارة مهنا الصالح في بريدة..... ١٦٠
- وفاة تركي بن حميد من شيوخ عتيبة..... ١٦٠
- سنة ١٢٨١هـ وما فيها من الحوادث..... ١٦٠
- بعث السلطان العثماني عبدالعزيز خان طوقاً من فضة للحجر الأسود..... ١٦٠
- زحف عبدالله بن فيصل إلى الأحساء لتأديب الأعراب..... ١٦١
- قصيدة في ذكر مآثر الإمام فيصل بن تركي..... ١٦١
- ترجمة الشيخ إبراهيم بن حمد عيسى..... ١٦٢
- وفاة الشيخ عبدالرحمن بن عبيد..... ١٦٢
- سنة ١٢٨٢هـ وما فيها من الحوادث..... ١٦٣
- ذكر نكت تتعلق في ذلك الزمان..... ١٦٣
- ذكر بلاد العرب وإماراتها..... ١٦٥
- تأسيس بيت آل رشيد..... ١٦٩
- وفاة الإمام فيصل بن تركي وترجمته..... ١٧١
- ذكر شيء من سياسته..... ١٧٣
- ما جرى عليه من الحن والأخطار..... ١٧٤
- مدحه ورثاؤه..... ١٧٥
- أبنائه الكرام وذكرهم..... ١٧٧

- بناء الإمام عبدالله قصره ١٧٨
- ترجمة الشيخ عبدالله أبي بطين ١٧٨
- سنة ١٢٨٣ هـ وما فيها من الحوادث ١٨٢
- ابتداء النزاع بين أبناء فيصل عبدالله سعود ١٨٢
- إمامة عبدالله بن فيصل رحمه الله ١٨٣
- مديح الشعراء لعبدالله بن فيصل لما جلس على عرش المملكة ١٨٤
- الأمر التي عارضت استقامة أمره ١٨٧
- واقعة المعتلاء ١٨٨
- سنة ١٢٨٤ هـ وما فيها من الحوادث ١٨٩
- تجهيز الإمام عبدالله عمه إلى الأحساء للتكليف ببادية العجمان ١٨٩
- عزل الأمير محمد السديري عن الأحساء وإمارة ناصر بن جبر فيها ١٨٩
- وفاة محمد بن عبدالله القاضي الشاعر ١٨٩
- سنة ١٢٨٥ هـ وما فيها من حوادث ١٨٩
- زحف الإمام عبدالله بجموعه إلى وادي الدواسر للتكليف بهم
- لمساعدتهم سعوداً ١٨٩
- ولادة توأمين متلاصقين ١٩٠
- سنة الشيخ ١٩٠
- ترجمة الشيخ عبدالرحمن بن حسن ١٩٠
- ترجمة الشيخ أحمد بن علي بن مشرف ١٩٠
- وفاة الأمير جلوي بن تركي رحمه الله ١٩٠

- وفاة الشيخ سعود بن محمد بن سعود رحمه الله ١٩٠
- وفاة أمير عنيزة عبدالله بن يحيى آل سليم ٢٠٢
- وفاة متعب بن عبدالله بن رشيد أمير الجبل ٢٠٢
- سنة ١٢٨٦هـ وما فيها من حوادث ٢٠٢
- ولادة الشيخ عبدالستار ٢٠٢
- وفاة الشيخ الفاضل عبدالرحمن بن عدوان ٢٠٢
- إغارة أمير الجبل بندر بن طلال على الصعران ٢٠٢
- وفادة الأمير بندر بن طلال على الإمام عبدالله في الرياض ٢٠٣
- حفر خليج السويس ٢٠٣
- سنة ١٢٨٧هـ وما فيها من حوادث ٢٠٣
- اجتماع سعود بن فيصل بآل خليفة ٢٠٣
- زحف سعود إلى الأحساء ٢٠٤
- واقعة جودة ٢٠٥
- ترجمة الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن مانع ٢٠٦
- القحط والغلاء تلك السنة ٢٠٧
- قتل سلطان بن قنور والأخذ من قاتله بالثأر ٢٠٧
- سنة ١٢٨٨هـ وما فيها من حوادث ٢٠٨
- قتل أمير الجبل بندر بن طلال وإخوته ٢٠٨
- ولاية الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد أمارة الجبل ٢٠٩
- دخول سعود بن فيصل الرياض ٢٠٩

- واقعة البره وانهزام الإمام عبدالله بن فيصل ٢٠٩
- قدوم العساكر العثمانية إلى الأحساء ٢١٠
- إخراج سعود من الرياض ٢١١
- واقعة الخويرة ٢١٢
- فرار الإمام عبدالله من الأترار ودخوله الرياض ٢١٣
- غزو الإمام عبدالله آل شامر ٢١٣
- سنة ١٢٨٩هـ وما فيها من حوادث ٢١٣
- قدوم سعود بلاد الخرج وخيانة الأهالي للإمام عبدالله ٢١٤
- ضعف الإمام عبدالله ودخول سعود الرياض للمرة الثانية ٢١٥
- ما قام به شيخ أهل زمانه عبداللطيف من تسكين الفتن ٢١٥
- ما جرى بسبب قدوم العساكر من المفاسد ٢١٧
- قصيدة في غربة الدين لبعض الفضلاء وجواب الشيخ عبداللطيف ٢١٨
- واقعة بين حاج أهل شقراء وأناس من الأعراب وواقعة أخرى ٢٢٦
- سنة ١٢٩٠هـ وما فيها من حوادث ٢٢٦
- بقية ذكر لتغلب سعود ودخوله الرياض ٢٢٧
- زحف سعود بجنوده لقتال عتيبة وهزيمة وذكر أفراد من أعيان القتلى ٢٢٨
- قيام أهالي صنعاء بثورة ضد الإمام ونجاحها ٢٢٨
- عمل كسوة باطنة للكعبة المشرفة ٢٢٨
- قيام الإمام عبدالرحمن بن فيصل يريد الملك ٢٢٩
- سنة ١٢٩١هـ وما فيها من حوادث ٢٣٠

| | |
|-----|---|
| ٢٣٠ | قتل عبدالله الغام في سباخ بريدة |
| ٢٣١ | حدوث وجع الرؤوس في عنيزة |
| ٢٣١ | ترجمة للشيخ محمد بن عبدالله بن مانع |
| ٢٣١ | تجهز الأمير سعود بن فيصل للجهاد وزحفه |
| ٢٣٢ | فتنة في بلد أشيقر بين آل نشوان وبين الحصان |
| ٢٣٣ | ذكر شيء من أذكار عبدالرحمن بن فيصل |
| ٢٣٣ | حصار العساكر التركية في الأحساء |
| ٢٣٤ | قدوم ناصر بن راشد بن سعدون إلى الأحساء |
| ٢٣٤ | وما جرى من القتل والنهب |
| ٢٣٥ | ترجمة سعود بن فيصل |
| ٢٣٦ | سنة ١٢٩٢هـ وما فيها من حوادث |
| ٢٣٧ | قتال بين أهالي ثرمدا وبين عبدالرحمن بن فيصل |
| ٢٣٧ | أسر الأمير محمد بن فيصل وفراره وما جرى من المحن |
| ٢٣٧ | قتل أمير بريدة مهنا الصالح |
| ٢٣٩ | ترجمة الأمير مهنا وإمارة ابنه حسن |
| ٢٣٩ | قتل فهد بن صنيان |
| ٢٤٠ | تنازل الإمام عبدالرحمن بن فيصل عن الإمامة لأخيه عبدالله |
| ٢٤١ | قبض الأمير حسن بن مهنا على أناس من آل عليان وقتل بعضهم |
| ٢٤١ | إرادة عثمان بن نشوان للخراسي بالقتل وفتن بينهم |
| ٢٤٢ | شكاية آل مهنا على الإمام عبدالله خصمائهم آل أبي عليان |

- سنة ١٢٩٣ هـ وما فيها من حوادث ٢٤٢
- إيعاز أمير عنيزة إلى الإمام عبدالله بالاستيلاء على بريدة ٢٤٣
- زحف أمير الجبل لنجدة أمير بريدة وفشل الإمام عبدالله ٢٤٣
- ترجمة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ٢٤٣
- تلامذته والآخذون عنه ٢٤٦
- مؤلفات الشيخ ٢٤٨
- ولاية السلطان عبدالحميد بن عبدالجيد ٢٥٨
- سنة ١٢٩٤ هـ وما فيها من حوادث ٢٥٨
- ولادة الإدريسي محمد بن علي ونسبه ٢٥٨
- ظهور الجراد في نجد وإفساده ٢٥٨
- قتل حسن بن مهنا أناس من آل عليان ذهبوا إلى ابن رشيد ٢٥٩
- وفاة الشريف عبدالله بن محمد بن عبدالمعين ٢٥٩
- زحف محمد بن رشيد وحسن بن مهنا إلى بلد أشيقر
- ونهبهما البيوت والنخيل ٢٥٩
- سنة ١٢٩٥ هـ وما فيها من حوادث ٢٥٩
- فرش سطح الكعبة ٢٥٩
- ولادة ملك إيران ٢٦٠
- إنذار روسيا لتركيا ورفضه ٢٦٠
- ذكر الفضائع التي فعلتها روسيا بالعثمانيين ٢٦١
- سنة ١٢٩٦ هـ وما فيها من حوادث ٢٦٣

- تشجيع الشيخ سليمان بن سحمان للإمام عبدالله ٢٦٣
- توقف الحرب بين تركيا وروسيا ٢٦٥
- سفر للشيخ سليمان بن علي بن مقبل إلى مكة ٢٦٧
- سنة ١٢٩٧هـ وما فيها من حوادث ٢٦٧
- عمارة مسجد عودة الرديني في بريدة ٢٦٧
- اشتداد البرد في هذه السنة حتى سميت سنة البردة ٢٦٨
- ولادة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ونسب آل سعود ٢٦٩
- سنة ١٢٩٨هـ وما فيها من حوادث ٢٧١
- خلاف بين الإمام عبدالله وبين أهل الجمعة ٢٧١
- ولادة الشيخ عمر بن محمد بن سليم ٢٧١
- ترجمة الشيخ محمد بن سلطان ٢٧١
- ولادة سلطان لحج عبدالكريم الفضل وشيء من أخباره ٢٧٣
- ولادة مصطفى كمال رئيس جمهورية تركيا ٢٧٣
- سنة ١٢٩٩هـ وما فيها من حوادث ٢٧٤
- زحف ابن رشيد وحسن بن مهنا لمناصرة أهل الجمعة
- وفشل الإمام عبدالله ٢٧٤
- ابتداء حفر آبار البدائع وتأسيسها ٢٧٥
- عمارة السلطان عبدالحميد في الكعبة وشيء من إصلاحاته ٢٧٥
- ولاية الشريف عون الرفيق إمارة مكة ٢٧٦
- ولادة الشيخ حسن باسلامة الحضرمي ٢٧٦

- ٢٧٦ وفاة عبدالعزيز بن حسن قاضي بلد ملهم
- ٢٧٦ ترجمة داود بن جرجيس
- ٢٧٨ سنة ١٣٠٠هـ وما فيها من حوادث
- ٢٧٨ واقعة عروى بين محمد بن سعود بن فيصل وبين محمد بن رشيد
- ٢٧٩ غزاة محمد بن سعود المذكور لبادية بريه وأخذه إياهم
- ٢٧٩ غزاة الإمام عبدالله وأخذه لآل روق
- منافرة بين أمير بريدة وبين الشيخ محمد بن عبدالله آل سليم
- ٢٧٩ وفرار الشيخ إلى عنيزة
- ٢٨١ قتل محمد بن إبراهيم بن نشوان
- ٢٨١ سنة ١٣٠١هـ وما فيها من حوادث
- ٢٨١ واقعة الحمادة بين الإمام عبدالله ومحمد بن رشيد
- ٢٨٢ قتل محمد الحميدي الدويش
- ٢٨٢ قتل سليمان بن حمد الحصيني
- ٢٨٢ فتنة بين أهل بلد روضة سدير
- ٢٨٢ ترجمة الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله
- ٢٨٨ صدور أول صحيفة بمكة المكرمة
- ٢٨٨ بعث الإمام عبدالله أخاه محمد للوفود
- ٢٨٨ علي ابن رشيد وضع ساعتين للحرم المكي
- ٢٨٨ سنة ١٣٠٢هـ وما فيها من حوادث
- ٢٨٩ قدوم محمد الفيصل من حائل

- قصيدة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى في مناصحة آل سعود ٢٨٩
- محنة حبس لأجلها بعض الأعيان ٢٩١
- سنة ١٣٠٣هـ وما فيها من حوادث ٢٩٤
- سجن الإمام عبدالله وزحف الأمير محمد بن رشيد لإخراجه ٢٩٤
- إمارة سالم بن سبهان في الرياض ٢٩٥
- قتل سالم لأبناء سعود بن فيصل ٢٩٥
- ولادة الملك فيصل بن الحسين ٢٩٦
- قصيدة عظيمة لابن المقرب في شكوى الزمان ٢٩٦
- سنة ١٣٠٤هـ وما فيها من حوادث ٢٩٩
- نزول أمطار على القصيم ٣٠٠
- ترجمة الشيخ دحلان ٣٠٠
- قتل الأمير علي بن قاسم ثاني وترجمته ٣٠١
- ترجمة الشيخ علي آل محمد قاضي عنيزة ٣٠٢
- واقعة بين أهالي عنيزة وآل عاصم ٣٠١
- سنة ١٣٠٥هـ وما فيها من حوادث ٣٠٢
- وفاة سعود بن جلوي ٣٠٤
- وفاة جد المؤلف عبدالحسن بن عبيد ٣٠٤
- ترجمة الشيخ سليمان بن مقبل قاضي مدينة بريدة ٣٠٤
- شيء من إصلاحات السلطان عبدالحميد في المدينة المنورة ٣٠٤
- سنة ١٣٠٦هـ وما فيها من حوادث ٣٠٤

| | |
|-----------|---|
| ٣٠٤ | غارات ابن رشيد |
| ٣٠٥ | مرض الإمام عبدالله بن فيصل |
| ٣٠٥ | وفاة ملك الألمان فريدريك |
| ٣٠٥ | شيء من أخبار الشيخ محمد عبده |
| ٣٠٦ | النشاط الديني في القصيم |
| ٣٠٧ | سنة ١٣٠٧ هـ وما فيها من حوادث |
| ٣٠٨ | ترجمة الإمام عبدالله بن فيصل |
| ٣٠٩ | طلب عبدالرحمن بن فيصل أن يكون إماماً في نجد |
| ٣٠٩ | إمارة سالم بن سبهان وما جرى من الاختلاف بسبب إمارته للمرة الثانية |
| ٣٠٩ | زحف محمد بن رشيد إلى الرياض ليثبت مركز سالم بن سبهان وفشله |
| ٣١١ | وفاة صديق بن حسن الهندي |
| ٣١٢ | بناية مسجد عودة الرديني ببريدة للمرة الثانية |
| ٣١٢ | سنة ١٣٠٨ هـ وما فيها من حوادث |
| ٣١٢ | ترجمة للشيخ محمد بن عمر بن سليم |
| ٣١٤ | واقعة المليداء وما جرى فيها من الأهوال |
| ٣١٧ | ترجمة الأمير حسن بن مهنا |
| ٣٢٠ | ذكر من قتل في المليداء من الأعيان |
| ٣٢١ | بقية ذكر للإمام عبدالرحمن بن فيصل ومبارحته لنجد |
| ٣٢٢ | سنة ١٣٠٩ هـ وما فيها من حوادث |
| ٣٢٣ | استقرار الإمام عبدالرحمن في الكويت |

- ثورة سادات صنعاء على الأتراك وإخراجهم ٣٢٣
- إمامة محمد بن عبدالله بن رشيد ٣٢٤
- إمارة حسين بن جراد في بريدة وشيء من أخباره ٣٢٥
- تجسس ابن رشيد الأخبار عن أبناء عبدالرحمن بن فيصل ٣٢٦
- ١٣١٠هـ شيء من شجاعة أمير عتيبة محمد بن هندي ٣٢٨
- استقرار الفارين من أهل نجد بالكويت ٣٣٠
- شيء من أخبار مصطفى كامل ٣٣٠
- سنة ١٣١١هـ وما فيها من حوادث ٣٣٠
- وقوع نزاع بين أمير مكة عون وبين الوالي التركي ٣٣٠
- النشاط الديني في ذلك الزمان ٣٣١
- ١٣١٢هـ وما فيها من حوادث ٣٣٢
- مجاوبات بين الشيخين إسحق بن عبدالرحمن وسليمان بن سحمان ٣٣٣
- قيام حرب بين اليابان وروسيا وانهازم روسيا ٣٣٥
- سقوط صاعقة من السماء على منارة جامع بريدة ٣٣٦
- قتل أمير الكويت أخويه محمد وجراحاً ٣٣٦
- سنة ١٣١٣هـ ٣٣٦
- عمارة المسجد الجامع في بريدة ٣٣٧
- سفر الشيخ الإمام عبدالله بن عبداللطيف إلى حائل ٣٣٧
- نبذة من ذكر الشيخ صالح بن سالم ٣٣٨
- حروب طاحنة بين الحبشة وإيطاليا ٣٣٩

- سنة ١٣١٤هـ وما فيها من حوادث ٣٣٩
- عمارة السلطان عبدالحميد للمسجد الحرام وتصيغه ٣٣٩
- وفاة الأستاذ عبدالله النديم الخطيب في مصر ٣٣٩
- رحيل الشريف حسين بن علي وأسرته إلى الأستانة ٣٤٠
- جعل الإمام محمد بن عبدالله بن رشيد ابن أخيه عبدالعزيز ولي عهده ٣٤٠
- سنة ١٣١٥هـ وما فيها من حوادث ٣٤٠
- إزالة حنفية كانت في موضع الصفا من مكة ٣٤١
- ترجمة محمد بن عبدالله بن رشيد وأشياء من ساسته ٣٤١
- ذكر إمارة عبدالعزيز بن متعب بن رشيد وصفته وجراءته ٣٤٢
- تأليب يوسف بن عبدالله آل إبراهيم القبائل وقيامه ضد ابن صباح ٣٤٤
- سنة ١٣١٦هـ وما فيها من حوادث ٣٤٤
- شن ابن رشيد الغارة على الكويت ٣٤٥
- تجهيز تركيا عساكرها ضد ابن صباح ٣٤٥
- ظهور ظلم ابن رشيد وتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٤٥
- قصيدة تراثي الإسلام للشيخ سليمان بن سحمان ٣٤٥
- ظهور رائحة كريهة من الكعبة ٣٤٧
- إعلان أمريكا الحرب على إسبانيا ٣٤٧
- سنة ١٣١٧هـ وما فيها من حوادث ٣٤٨
- إغارة عبدالعزيز بن رشيد على الكويت وإزعاجه بن صباح ٣٤٨
- تعاقد ابن صباح والإمام عبدالرحمن على محاربة ابن رشيد ٣٤٨

- غارات ابن رشيد إلى أطراف العراق ٣٤٩
- جمع ابن صباح قواته لمنازلة ابن رشيد ٣٤٩
- وفاة الشيخ عبدالله المخضوب ٣٥٠
- عقد اتفاقية بين الإنكليز والحكومة المصرية في شأن السودان ٣٥٠
- سنة ١٣١٨ هـ وما فيها من حوادث ٣٥٠
- زحف ابن صباح لقتال ابن رشيد في نجد ٣٥١
- تجرد العاهل عبدالعزيز بن عبدالرحمن لاسترجاع ملك آبائه وأجداده ٣٥١
- ذكر واقعة الطرفية سنة ١٣١٨ هـ ٣٥١
- قتل الأسراء بعد الواقعة وأنواع من الظلم ٣٥٢
- عجبية غريبة ٣٥٣
- شيء من كرامات الأولياء ٣٥٤
- تولي الشيخ صالح بن قرناس القضاء في بريدة ٣٥٥
- سجن زعماء مدينة بريدة وشفاعة ماجد بن حمود فيهم ٣٥٥
- أشياء من ظلم بن متعب وأثقال كواهل الخلق بالضرائب والتسخير ٣٥٥
- فشل القائد الشاب عبدالعزيز عن فتح الرياض في هذه السنة ٣٥٦
- سنة ١٣١٩ هـ وما فيها من حوادث ٣٥٦
- نفي الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وأنجاله عن بريدة وعزل أئمة المساجد ٣٥٦
- حصار ابن صباح واحتمائه بالإنكليز ٣٥٧
- ذكر فتح الرياض سنة ١٣١٩ هـ على يدي الشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن .. ٣٥٩
- تهنئة الفاتح ومبايعته ٣٦٥

| | |
|--|-----|
| ذكر مخاطرات جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل | ٣٦٦ |
| جبروت عبدالعزيز بن رشيد بأنه لا يعبأ بفتح الرياض | ٣٦٨ |
| نبذة من ترجمة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن | ٣٦٨ |
| أخلاقه ونشأته | ٣٦٩ |
| سياسته ومقدرته | ٣٧٠ |
| ذكر أمراء آل رشيد وقضاتهم | ٣٧١ |
| ولادة الملك سعود بن عبدالعزيز | ٣٧٤ |
| ترجمة الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن | ٣٧٤ |
| وقوع وباء في مكة المشرفة أيام الحج | ٣٨٠ |
| علماء عنيزة وقضائها | ٣٨٠ |
| قضاة بريدة وعلمائها | ٣٨٢ |
| أمراء بريدة | ٣٨٣ |
| تنبيه في ذكر أسماء النقباء الذين صحبوا الملك عبدالعزيز | |
| في فتح الرياض | ٣٨٣ |
| فهرس الجزء الأول | ٣٨٥ |

تَذَكُّرَةُ أَوْلِيَاءِ النَّبِيِّ وَالْعُرَفَاءِ
بِإِسْلَامِ اللَّهِ لِلْوَاحِدِ الْبَرِيَّانِ
وَذَكَرَ حَوَادِثَ التَّهْمَانِ

تَأْلِيفُ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْمَحْسَنِ
مِنْ سُلَمَاءِ أَهْلِ الْقَصْرِ

الجزء الثاني

مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ
بِغَدْدَا

٢ مكبة الرشء؁ ١٤٢٧هـ

فهرة مكبة الملك فهء الوطنفة أثناء النشر
آل عبء المحسن؁ إبراهفم عبفء
تذكرة أولف النهف والعرفان بأفام الواحد الءفان وذكرف ءوافء الزمان./
إبراهفم عبفء آل عبء المحسن. — الرفاض؁ ١٤٢٧هـ

٣٣٦ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

رءمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

X-٦٢٠-٠١-٩٩٦٠ (ج ٢)

أ- العنواف

١- التاريخ الإسلامف ٢- التراجم

١٤٢٧/٤٧٩٢

ءفوف ٩٥٣

رءمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإفءاع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

X-٦٢٠-٠١-٩٩٦٠ (ج ٢)

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مفمفء ءقوق محفوظة

مكبة الرشء - ناشرون

الملكة العربفة السعوففة - الرفاض

شارع الأمفر عبء الله بن عبء الرحمن (طرفق المءاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرفاض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com



فروع المكبة داخل المملكة

- ★ الرفاض: فرع طرفق الملك فهء: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٣٠١
- ★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
- ★ فرع المءفنة المنورة: شارع أبف ذرف الغفارف: هاتف: ٨٢٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٢٨٢٤٢٧
- ★ فرع ءءة: مفءان الطائف: هاتف: ٦٧٧٦٢٣١ - فاكس: ٦٧٧٦٢٥٤
- ★ فرع القصفم: برفءة - طرفق المءفنة: هاتف: ٢٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٢٢٤١٣٥٨
- ★ فرع أبها: شارع الملك ففص: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
- ★ فرع الءمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٨٤١٨٤٧٣
- ★ فرع ءائل: هاتف: ٥٢٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

- ★ القاهرة: مءفنة نصفر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موفافل: ٠١٠٦٢٢٢٦٥٣
- ★ بفروت: بفرف ءسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موفافل: ٠٣/٥٥٤٧٥٢٣ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

ثم دخلت سنة ١٢٢٠هـ

استهلت هذه السنة والحرب مشمرة عن ساقها بين عبدالعزيز بن عبدالرحمن وعبدالعزيز بن متعب بن رشيد، هذا يدافع عن كيانه وذاك يريد نزع الملك منه وأخذ بلاد آبائه وأجداده، وكانت نجد كلها إذ ذاك تحت سلطان بن متعب، فما حصل خصمه إلا على الرياض وما وافقه من جريانه، فلما كثر ظلم آل رشيد وأمرائهم واشتدت أذيتهم للمسلمين في أموالهم ودمائهم لما يعاملهم به عبدالعزيز بن متعب من الغشم والقهر، رماه الله عز وجل بهذا الخصم الذي ما يزال يدبر الحيلة ويحيش الجيوش حتى قتله الله علي يديه بعدما خسر نصف ملكه، وفي ذلك عبرة لمن يخشى أن يظهر هذا الشاب من بلاد الكويت في ضعف وقلة بجيش عدده أربعون رجلاً على إبل ضعيفة قليلة، فما زالت الفتوحات ترى حتى اتسعت رقعة ملكه، واستلم زمام الملك وانتزعه من يد ابن رشيد مع كثرة جيوشه وشدة بأسه وفتكه.

ذلك لما قام بالملك ابن سعود من تعظيم العلماء وإكرامهم والرفقة بالفقير والشفقة على الرعية عكس ما عليه خصمه القاسي الألد من الأمور الشنيعة، وكان يحتقر ابن سعود وشأنه وما كان يظنه شيئاً مهماً كان في حساباته. وقد كانت الملوك الحية من المتقدمين لا يؤمرون متكبراً لأنه يستهين بالعدو ويحتقره حتى يصطلمه.

ثم إنه قام الشاب الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن فأغار في أوائل هذه السنة مرتين على قبائل من قحطان كانت نازلة حلبان في أطراف نجد، فأخذهم ولكنه مرض في هذه السنة، وكان مرضه في الغزوة الثالثة وهي على ماء الحسي شمالي مكان قرب الشعري، بينه وبين الرياض نحو من ثلاثمائة ميل، أعني قدراً من خمسة

عشر يوماً للركاب، وكذلك القدر الذي بين الرياض ووادي الدواسر على مثل ذلك، وكان ابن رشيد مقيماً على الحفر إذ ذاك، فلما رأى من ابن سعود ما لم يكن في حساباته بعد أن يئس من وعود الأتراك، وحيره ما صنع هذا الشاب وبهت عما فعل، لوى عنانه راجعاً إلى حائل ليقضي على حركان ابن سعود بزعمه فقدمها، وعباً جيشاً جديداً وتجهز للحرب جامعاً جنوده من شمر والقصيم وسدير والوشم وغير ذلك، ثم إنه زحف في ربيع الأول من هذه السنة بجيوشه إلى الرياض وقد آلى على نفسه أن لا يدخل حائل حتى يقضي على حركته.

ذكر رجوع الإمام عبدالرحمن بن فيصل إلى الرياض

بعد إقامته في الكويت

لما أن علم عبدالعزيز بن عبدالرحمن بخبر ابن رشيد، وأنه تجرد لمقابلته، أرسل إلى والده في الكويت يذكر له أن الحرب قائمة وأن المصالح تقتضي أن يكون الإمام عبدالرحمن في الرياض مقيماً، فعند ذلك أقبل والده مسرعاً وغزا في طريقه قبائل من الظفير وشمر المواليين لابن رشيد، وخرج جلالة الملك عبدالعزيز ورجاله يستقبلونه من مسافة ثلاثة أيام، فدخلها بعدما بارحها منذ إحدى عشرة سنة.

ثم إنه جرى بينه وبين والده خلاف نادر المثال فقد أرسل عبدالعزيز من القصر إلى والده في بيته في الرياض، يقول الإمارة لكم وأنا جندي في خدمتكم، فأبى ذلك الإمام عبدالرحمن واستدعى بالعلماء فجمعهم وأخبرهم بالأمر، ثم استدعى بالابن، فلما حضر بين يديه تكلم عبدالرحمن قائلاً: إذا كان قصدك في استدعائي إلى الرياض لأتولى الإمارة فيها فهذا غير ممكن ولا أقبله مطلقاً، ولا أقيم هنا إذا ألححت فيه، فقام العلماء على عبدالعزيز وقالوا له: على الابن أن يطيع والده، وقالوا لعبدالرحمن: أنت والد عبدالعزيز رئيس عليه، فأجاب الإمام عبدالرحمن: ولكن الإمارة تكون لعبدالعزيز، فقال عبدالعزيز: إني أقبلها بشرط أن يكون والذي مشرفاً على أعماله دائماً، فيرشدني إلى ما فيه خير البلاد، ويردعني عما يراه مضرراً في مصالحها.

كذلك تمت البيعة لعبدالعزیز.

ولما أن زحف ابن رشید بجيوشه نزل في رغبة من بلدان الحمل، وقصده محاصرة الرياض، فأرسل سالم بن سبهان بجيش من قحطان إلى ضربة ليهجم عليها من الجنوب الغربي، وأمر الحازمي أن يستنهض العجمان وآل مرة بموازة الحكومة فيهجمون من الشرق الجنوبي، فحينئذ أرسل عبدالعزیز بن سعود أخاه محمد وعبدالعزیز بن جلوي إلى تلك النواحي الجنوبية يستنجدان الدواسر وآل مرة، فظفروا بما لم يظفر به الحازمي وأعوانه الأتراك.

وكان قد علم ابن رشید بأنه قد تبع ابن سعود كثيرون من أتباعه وانضموا إليه، فأقام في رغبة شهرين وأسابوعين في الحسي، وهو عاجز عن الهجوم على الرياض، ثم رحل إلى الحفر ليحول دون تموين العدو من الكويت، فصار لكل أمير من أمراء العرب دائرة استخبارات، ولكنهم هناك يسمون الأشياء بأسمائها الحقيقية.

فلما علم ابن سعود من جواسيسه أن ابن رشید ينوي أن يصادر الأرزاق التي تجيء إلى نجد من جهة الكويت والحسا تذاكر ووالده، فعقدت النية على حيلة تقربه منهم فيتلاحمون وإياه، فإما أن يقضوا عليه أو يحولوا بينه وبين تنفيذ خطته على أقل الأحوال، فخرج عبدالعزیز بن عبدالرحمن من الرياض ووجهته الجنوب، وذهب شمالاً إلى مناخ ابن رشید وأشاع أن ابن سعود خائف من خصمه وأنه فرّ هارباً.

فلما سمع بن رشید بهذا رحل مسرعاً وأقبل حتى نزل على ماء بيان، ولم يكن بينه وبين الرياض سوى عشرين ميلاً أو أقل، ثم جاءه يقين الخبران الرياض محصنة وأن ابن سعود في حائر سبيع بالخرج، فأمر ابن رشید في حيرة مزعجة أبت عليه التقهقر وحالت بينه وبين الهجوم، وقد أمر ابن سعود أميره أحمد السديري، وكان قد جعله قائد سرية في الدلم عاصمة الخرج أن يتأهب للزحف معه إلى الرياض إذا هجم ابن رشید عليها، أما إذا تجنبها ومشى إلى الخرج فأهل الرياض يتقفونه بالسلاح

وعبدالعزیز یفزع إلى السديرى فى الدلم، وبعد هذه التدابير وكل ابن جلوى بمن كان معه من الجنود فأقامهم فى علىة وهى جبل بين الحريق والحوطة قريب منها.

ثم أرسل أخاه سعد إلى الحريق يستنجد أهلها، وذهب هو للغاية نفسها إلى الحوطة، فبلغه فى اليوم الثانى هناك خبر هجوم ابن رشيد على الدلم، فوقع ابن رشيد فى هذه الشبكة التى نصبت له، وبادر ابن سعود إلى ذلك المكان وقد جمع جيوشه من أهل الحوطة والحريق، فبلغوا مع من كانوا فى جبل علىة ألفاً وخمسمائة مقاتل، فاجتمعوا فى ماوان على مسافة عشر ساعات من الخرج وسروا، فلما كان قبيل انفجار الصبح إذا بهم فى الدلم، وكان ابن رشيد قد نزل نعجان على قدر مسافة ساعتين من البلدة، ولم يعلم بدخول ابن سعود إليها.

ولما قدمها ابن سعود قبيل الفجر كان قد مضى عليه أسبوع كامل لم يكتحل جفنه بالكرى ولم يتذوق خلاله طعم الراحة ولذيق العيش، والله در القائل:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

فوجد فرصة يريح بها بدنه من شدة التعب وعظيم السهر، فذلك جسمه بدهن وملح ونام هادئاً من صلاة الفجر حتى أذان الظهر، ثم استيقظ وأخذ فى ترتيب جنده وإعداد العدة لمهاجمة خصمه.

ولما كان من العصر أرسل ابن رشيد سرية متكشفة، فخرجت لها خيل ابن سعود فتهاجم الفريقان وتطاردا، فانهزمت خيل ابن رشيد، ولما كان فى فجر غدا ذهب ابن سعود يكمن لابن رشيد، وكان قد علم أن من عادته أن يخرج وبعض رجاله صباح كل يوم فيطوقون فى البساتين يرعون إبلهم ويقطعون النخيل، غير أنه لم يخرج كعادته لأنه قد أحس أن ابن سعود فى الدلم.

ولما أن بعث ابن سعود خيالة للكشف، ذهبوا وعادوا يقولون أنه متحصن فى نعجان، فما كان من رأى ابن سعود أن يهجم عليه فى النهار لأن خيله قليلة، ولأن الهجوم يبعده عن الحصون، على أن الكشف لم يصلوا إلى حقيقة الأمر جبناً منهم أو جهلاً، وحينما عاد ابن سعود إلى البلدة بلغه الخبر أن ابن رشيد قد خرج على

عادته يتجول في النخيل، فبادر ابن سعود إليه بقسم من جيشه، فعند ذلك تقابل الفريقان وتواجه الخصمان خارج الدلم في وسط النخيل، وهذه أول مقابلة بينهما، فوقعت الحرب شديدة، واستمرت ست ساعات حتى غربت الشمس، غير أنها لم تسفر عن شيء يذكر سوى أنه أسر السعوديون جماعة من أهل لبدة قوم ابن رشيد وحصروهم في القصر، وفروا منه في المساء، وطارد ابن سعود ابن رشيد ورجاله، فتقهقر عن معسكره، وقلت الذخيرة التي عند ابن سعود، ففدت أن كادت، فأرسل يطلب مدداً من الحوطة وطعن ابن رشيد فسار إلى أسفل الخرج جنوباً فنزل في السلمية التي تبعد عن الدلم ست ساعات، فتقفاه ابن سعود بعد ما أتاه مدد الذخيرة، ونازله في السلمية فأخرجه منها، ولكنه لم يتمكن من تعقبه وإدراكه، وذلك لقلّة خيله وركائبه وكثرتها مع ابن رشيد فقد كان جيش الشمري مؤلفاً من أربعة آلاف ذلول وأربعمائة خيال، وجيش ابن سعود لم يتجاوز الألفين ولم يكن معه غير أربعين من الخيل، ومع ذلك هزم ابن رشيد وثبتت سيادته في الخرج بل في النواحي الجنوبية كلها.

ثم دخلت سنة ١٢٢١هـ

ففيها ارتحل ابن رشيد بعد هزيمته في الخرج عائداً إلى الحفر، واستأنف الغزو فأغار على عربيدار قرب الكويت، وعلي سبع في الدهنا، وعلى عتيبة قرب الأرطاوية، ثم باشر محاصرة الكويت، وكان على فرعته وجبروته.

فلما أن حصر الكويت أرسل الشيخ مبارك بن صباح إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن يخبره بصنع الأمير الشمري ابن رشيد، ويستنجده عليه يقول: يا ولدي يا عبدالعزيز أن ابن رشيد قد حصر الكويت، هذا وقد كان عبدالعزيز مشغولاً بمالديه، فقد عاد إلى الرياض وأقام بها شهر، ثم غزى عرب مطير في الصمان وعتيبة في عرق رغبة بين الوشم وجبل طويق، لأن بعض القبائل على ولاء ابن رشيد، وقد تشقت القبائل وجعل يغير هذا على هذا، واختلفت الأمة وتفرقت

الكلمة، وكان لكل دولة أعوان وأنصار، ولأن كانت الدولة السعودية أيدها الله ومدّ في نصرها لها حق التقدم والولاية، فإن بهذه الفترة قد تحزب أحزاب لبيت آل رشيد يوالونهم ويخلصون في محبتهم من الأمراء والعلماء، ولهم أتباع وأصحاب يشدون أزهرهم ويكثرون سوادهم، وهنا أيضاً منافقون يظهرون مالا يبطنون، ويتربصون الدوائر، وهنا أيضاً همج اتباع كل ناعق.

ولما أن جاءت استغاثة مبارك بن صباح بعبدالعزیز بن عبدالرحمن يستنجد به لأمر دهاه وخطب حل به، ذلك لأن الدولة العثمانية قد حرصت على مبارك سعدون باشا رئيس قبائل المنتفق، وقد تفرق عنه أنصاره، أضف إلى ذلك حصر ابن رشيد له في الكويت، فلم يرى عبدالعزیز بدا لما ذكر أيادي مبارك لديه وإبوائه لهم عنده في الكويت، فقام فزعاً بجيوش عظيمة وزحف بعشرة آلاف مقاتل لنجدة ابن صباح، فباعجباً من قلب الدهر مبارك بالأمس ينجده بأربعين بعيراً لفتح الرياض، فأصبح يطلب منه النجدة فأنجده بهذا الجيش العرمرم، وكان قد عزم عبدالعزیز على أن يأتي بمن خلفوا في الكويت من أهليهم وأولادهم وذخائرهم إلى الرياض. ولما أن زحف عبدالعزیز بهذا الجيش إلى الكويت رحبت به الكويت وهلت له وأنظم منها إلى جيشه ما كان قد جنده الشيخ مبارك بقيادة ابنه جابر.

ثم خرج القائدان عبدالعزیز وجابر غازين طالبين ابن رشيد فانتهزها أهل النفاق والذين في قلوبهم مرض وبعثوا يخبرون ابن رشيد بخلو بلد الرياض من الجند ويستحثونه في القدوم وأن ينتهز الفرصة على حين غفلة من أهلها قد كان أن يكون ذلك لولا أن وقى الله المسلمين شره وردّه الله بغیظه، لم ينل خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً.

ذكر تقدم ابن رشيد إلى الرياض

لما زحف ابن سعود ورفيقه بذلك الجيش مؤلفاً من قبائل الإحساء كلها من العجمان وآل مرة وبني خالد وبني هاجر والعوازم والمناصير وسبيع والسهول، فتم

عدده أربع عشر ألف، منها أربعة آلاف خيال، توجه هذا الجيش إلى الحفر، غير أنهم أخبروا أن ابن رشيد قد عاد إلى بلاده، وكان هذا الخبر وافاهم في الطريق بين الكويت والحفر، فهجموا على مطير في الصمان فقتلوه عن بكرة أبيهم وغنموا أموالهم وأرزاقهم كلها.

لكنه مع الأسف لم يعد ابن رشيد إلى بلاده ما هي إلا إشاعات وتعمية للأخبار، بل قد خدعهم وزحف إلى الرياض يريد احتلالها، فوا أسفا إن حلاوة هذا النصر لم تدم على ابن سعود وجابر بن صباح، فقد أتاهم الخبر اليقين، وعندما وصلوا إلى ماء طوال أن ابن رشيد قد خدعهم ومال إلى الرياض، وقد كان مرّ في مسيره بعربان من السهول فضربهم وضمهم إلى جيشه، ثم تقدم مسرعاً يريد أن يفاجيء العاصمة بالهجوم عليها ليلاً، ولما دنى من الرياض وعسكر عند جبل أبي مخروق دون أن يعلم بذلك أحد من أهلها، ثم مشى إليها وأصبح في ظلال نخيلها، عند ذلك شرد رجلٌ من السهول المكريين ودخل البلد يصيح بالناس قائلاً: العدو بساحتكم ابن رشيد عند السور، فعند ذلك نهض عليه الإمام عبدالرحمن بن فيصل بأهل الرياض وخرجوا للدفاع، فنازلوا خارج السور، فردّه الله خائباً مدحوراً لم ينل طلبه، ثم إنه انتقل بعد ذلك من معسكره في أبي مخروق إلى نخيل يبعد مسافة ساعة عن الرياض، فأقام هناك ثلاثة أيام دون أن يأتي بحركة، وقد أنشأ الشيخ سليمان بن سحمان قصيدة يهنيء بها الإمام المكرم عبدالرحمن بن فيصل بما من الله عليه به من النصر والظفر على هذا العدو في هذه المفاجئة التي حصلت ولم تكن في الحسبان:

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| لك الحمد اللهم يا واسع المجد | والله أولى بالجميل وبالحمد |
| لك الحمد يا حنان يا واسع العطاء | لك الحمد حمداً ليس يحصى بلا حد |
| لقد منّ مولانا علينا بلطفه | وإحسانه والله ذو المد والمجد |
| لقد جاءنا الأعداء على حين غفلة | وفي هجعة من آخر الليل بالجرد |
| على عدة منهم وشدة أهبة | وغيط وإيعاد عنيف بما يرد |

وما كان منا عالم بمجيئهم
فجاء الطغاة المعتدون بخیلهم
إلى أن غشوا كل البلاد وأحدقوا
يريدون أن یسطون فی البلد التي
فنبهنا الله اللطیف بفضله
فثرنا كأساد الشری نبتغي الوغی
فلله من جندٍ أسودٍ ضراغم
مساير في الهيحاء مداعيس في الوغی
فلما استحس المعتدون بأننا
ولو قدموا ألفوا رجالاً أعزّة
وبالجميع حول السور دون نفوسهم
فولوا على الأعقاب لم يدركوا المنی
وهمتہم أخذ الحمير وما عسى
وساورهم منا أناسٌ أماجد
ومن غير أمر بالخروج إليهم
فسددهم ربي وأظفرهم بهم
وفي قلّةٍ منا وفي حين غفلةٍ
فكر على الأعقاب نحو بنوده
وقد قتلت أجناده وإصابةٍ
بما فلّ منه الحد فاثقل عرشه
فاخرج نحو المفسدين إمامنا
فوافوهم قبل الغروب فأمطرو
فولوا على الأعقاب نحو خيامهم
وقد قتلوا منهم أناساً وأثروا

إلینا ولكنا على أهبة تجدي
وجندهم المخذول یمشي على وخذ
یارجائها واستنجدوا كل ذي كمد
أبى الله أن یسطو به غارة الضد
ورحمته حتى كانا على وعد
إلى السور والأبواب نعدو بلا عد
یسومون في الهيحاء نفوساً بلا نقد
لیوث شراً من طبعها الفتك بالضد
شعرنا بهم هابوا القدوم على الجند
قد اعتقلوا بالسّمهري وبالهند
وأموالهم والمحصنات بما یرد
وصار لهم شأنٌ سوى مرتمی القصد
یکون لهم فیها من العز والحمد
قلیلون کالأساد لكن بلا وعد
على أهبة تنكي العدو بما یرد
وأجلوهمو منها على كثرة الجند
وعن كثرةٍ منهم على أهبة تحدي
وثقلته قد آب بالخزي والکمد
من العقر في الخيل المطهمة الجرد
وصار إلى إفساد زرع وفي وقد
أناسٌ قليلاً یعتدون على الضد
عليهم بصوب المارتین التي ترد
وما أحد یلوي علي أحد یجدي
جراحاً كثيراً فات عن حصرٍ ذي عد

وقد صح أن القتل من غير مريّة
فأصبح مرعوب الفؤاد مرزءا
وفرّ هزيماً آخر الليل مجنباً
ثم أخذ في مدح الإمام عبدالرحمن بن فيصل وماله من المآثر، وقدم إليه بعض الآراء والنصح إلى أن قال مهنتاً لجلالة الملك عبدالعزيز:

فمن مبلغ عبدالعزيز وجنده
وما نال إلا الخزي والعار والردى
ليهنك يا عبدالعزيز به الذي
وأكد أكباداً وأوهى ذوي الردى
ونصر على الأعداء وهزم جنودهم
وما شمر إلا عداة ذوي الهدى
فسر نحو أعداء الشريعة قاصداً
إلى شمر أعداء دين محمد...
وجر عليهم جحفاً بعد جحفلٍ
فإنك منصورٌ عليهم مؤيد

ولما أن أقام بن رشيد في ذلك الموضع ثلاثة أيام بلغه أن عبدالعزيز بن عبدالرحمن زاحف إلى القصيم، فطعن مسرعاً لما سمع بذلك وقصد ناحية الوشم عن طريق ضربة.

وكان الإمام عبدالرحمن بن فيصل قد أرسل سريةً بقيادة مساعد بن سويلم، فاستولت على الحمل والشعيب ثم زحفت إلى شقراء، وكان فيها أمير لابن رشيد اسمه الصويغ، فلما دنا مساعد من البلد، فرّ الصويغ إلى ثرمدا هارباً، فاستولى مساعد على شقراء برضاء من أهلها، ففي هذه السنة استولى ابن سعود عليها. ولما أن فتحها مساعد زحف وهجم على ثرمدا، فأدرك الصويغ فيها فقتله وقبض على العنقري أمير ثرمدا، فارسله إلى الرياض.

ولما أن جرى من الأمير مساعد بن سويلم ما ذكر من هذه الشجاعة تعقبه ابن رشيد وهجم عليه في ثرمدا، فأخرجه منها وفرّ إلى شقراء فتحصن بها، ولكن ابن رشيد تقفاه أيضاً وحصره فيها، وكان الإمام عبدالرحمن بن فيصل لما كشف بأهل الرياض عبدالعزيز بن رشيد، كتب إلى ابنه عبدالعزيز يبشره بذلك فلم يشغر إلا بالبشير من جهة أبيه يخبره بهزيمة ابن رشيد عن الرياض، فاطمأن منه البال واهتم في نقل عائلتهم التي كانت لا تزال في الكويت، فعاد بها إلى نجد.

ولما أن وصل إلى العاصمة الرياض استراح بها يوماً واحداً وزحف مسارعاً لنصرة الأمير مساعد بن سويلم لما أن علم أن ابن رشيد قد حصره في شقراء، لأن مساعد بن سويلم البطل الشجاع أصبح قد حصره ابن رشيد في شقراء، ولما أن سار صاحب الجلالة عبدالعزيز وبلغ حريملا، علم الطاغية ابن رشيد بزحفه، فقفّل إلى الغاط وفك الحصار عنها، ولكن عبدالعزيز واصل الزحف إلى شقراء فاحتلها.

وكانت سرية ابن رشيد بقيادة حمد بن عسكر أمير الجمعة لا تزال في ثرمدا، فأرسل عليها صاحب الجلالة أميره القائد المحنك عبدالله بن جلوي، فلما جاءهم أعطاهم الأمان، فأبوا إلا القتال، فتقدم إليهم وضربهم ضربةً دحرتهم غير السرية فإنها تحصنت في القصر، فأمر القائد عبدالله بمهاجمتها ليلاً، فكانت النتيجة أن قتل منهم عدد وفرّ الآخرون، وناهيك بعبدالله بن جلوي صرامةً وشجاعةً وجرأةً، فلما سلمت له ثرمدا رحل الأمير الشمري عبدالعزيز بن متعب بن رشيد من الغاط إلى القصيم، وكان الغاط من بلدان سدير يبعد عن الجمعة مسافة عشرين ميلاً.

ولما رحل ابن رشيد ترك سريتين في سدير، إحداهما في الجمعة والأخرى في الروضة، فأرسل الملك عبدالعزيز إليهما سرية بقيادة خاله أحمد السديري، فنازلت السرية السعودية سرية الروضة فكسرتها واستولت على البلد ثم مشت في سدير ظافرة، فاستولت على بقية بلدانه ما عدا الجمعة فإنها حافظت على سيادة ابن رشيد، ودافعت دفاعاً شديداً، ولكنه قنع ابن سعود بما حاز من النصر، فترك سريتين أخريين واحدة في الروضة والثانية في جلاجل، وأمر السديري في شقراء، ثم عاد إلى الرياض، وكل هذه الملاحم العظيمة في هذه السنة.

ولما أن عاد ابن سعود إلى الرياض استراح بها شهراً، وما كاد يتم الشهر حتى جاءت الأنباء تفيد أن ابن رشيد خرج من القصيم غازياً، وقصده الهجوم على عتبية وقحطان، وقد كانتا من قبائل ابن سعود، بعد استيلائه على سدير والوشم، وحاصر ابن رشيد التويم وهي قرية من قرى سدير، فخرج عبدالعزيز بن سعود من الرياض مسارعاً بعدما أصدر أوامر إلى أهل الوشم أن يبادروا مع أحمد السديري إلى أنجاد سدير، وعندما وصل إلى ثادق تحقق أن ابن رشيد لم يحصل على طائل في غزوته وحصاره، بل انهزم مشرقاً ونزل على ماء شمالي الأرطاوية.

ذكر الاستيلاء على القصيم

فنعول: سار عبدالعزيز بن عبدالرحمن من ثادق إلى جلاجل، فأقام بها عشرين يوماً يعد القوة لفتح القصيم، فبلغه أن ابن رشيد قد عاد إلى تلك الناحية ماراً بالزلفي، فزحف ابن سعود بجيشه إلى بلد الجمعة عاصمة سدير، وكانت لا تزال مقيمة على ولاء ابن رشيد، وله سرية فيها، فاتفق هو وأهلها على أن يسلموا إذا هو استولى على القصيم، ثم إنه جتد الجنود وألف جيشاً قدره سبعة آلاف من المشاة وأربعمائة ذلول فقط، وزحف بهذا الجيش إلى الغاط، ثم إلى الزلفي، وكتب كتاباً إلى الشيخ مبارك بن صباح من هناك يسأله أن يرسل إليه من كانوا عنده من أهل القصيم كآل مهنا وآل سليم وما يستطيعه من المدد، فلما بلغه هذا الكتاب أرسل إليهم وكانوا جالين من القصيم ولاجئين إلى الكويت بعد واقعة المليداء والطرفية، فلما أخبرهم بهذا الخبر كان ينقصهم المال والرجال.

وكان في دمشق من الشام كثير من أهل القصيم المعروفين بعقيل، فاقترحوا على الشاعر العوني أن ينظم قصيدة يستثير بها همهم ويحرك بها سواكنهم بصفته شاعراً مهيجاً ففعل ذلك، ولما قرأت عليهم القصيدة بكوا وصفوا تجارتهم وتجهزوا وصفوا تحت راية ابن سعود إلى أن تم استرجاع القصيم، وتسمى هذه القصيدة بالخلوج لأنها تخيل ناقة فقدت ولدها، فهي لا تهدأ من الحنين.

ولما أن قدموا على ابن سعود كان معيهم مائتي مقاتل مدداً من ابن صباح،

لأبن سعود، فوافق في هذه السنة قلة أمطار وقحط، فضاق العيش جداً بسكان الزلفي ، ولحق الضيق بالجيش حتى كانوا يأكلون جمار النخيل، فلم يمكن السير إلى بريدة لقلة الزاد والركائب، مع أنه ليس في الطريق بلد يأوون إليه، أضف إلى ذلك أن ابن رشيد له الاستيلاء على القصيم أجمع، فماذا عسى أن يفعل ابن سعود.

ولما أن أصبحت الأمور كما ذكر، كتب عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى بعض المواليين له في القصيم يطلب منهم أن يؤلفوا سرحدات تهجم على بعض البلدان تمهيداً لدخوله، تفتح له الباب، فلم تتفق المسألة لصعوبة ذلك، فلما تيقن ابن سعود أنه لا يستطيع الهجوم ولا البقاء في الزلفي، اقتضى رأيه الميمون أن يعود إلى الرياض، أما ابن رشيد فإنه رحل من القصيم قاصداً البطين لعله أن يظفر هناك ببعض عربان ابن سعود، فأقام على ذلك عشرة أيام يفكر في الوسيلة لقطع دابر الخصم، وما أحسن ما قيل في مثل حالته وأشباهها والأمثال تضرب للناس:

فوا أسفاً أن لا حياة لذيذة ولا عمل يرضى به الله صالح

«بيان» إذا أطلقت السرية فإنها من المائة إلى خمسمائة خيال، والجيش إذا أطلق ما كان أكثر من ذلك، وكذلك إذا أطلق على الأمير الشيخ فإنهم يطلقون ذلك على من كان حاكم في البلد وله السلطة عليها، فكان شيخ الكويت مبارك بن صباح وشيخ قطر قاسم بن ثاني وشيخ المحمرة خزعل بن مرداو وشيخ البحرين عيسى آل خليفة وشيخ نجد عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ثم إنهم جعلوا يطلقون على عبدالعزيز لفظة الشيوخ.

ذكر ذهاب ابن رشيد إلى الدولة العثمانية يجرها على المسلمين

سنة ١٢٢١هـ

لما رأى عبدالعزيز بن متعب أمور ابن سعود قد نجحت واستصعب عليه أمره، والتفت عليه عشائر نجد، لم يجد مندوحة عن الالتجاء إلى الدولة العثمانية يستنجد بها عليه، فأجمع أمره واستعد لحفظ القصيم، فأرسل أربعمئة

من رجاله بقيادة ماجد بن حمود بن رشيد إلى جهة عنيزة، فأرسل ثلاثمائة من رجاله بقيادة حسين بن جراد إلى السر وحفظ بريدة بأمره عبدالرحمن بن ضبعان، وأمر حسين بن جراد أن يثبت بسريته في الوشم.

ولما أن ضبط القصيم حف أمراءه بالأجناد والأرزاق والذخيرة وشجعهم على الثبات حتى يأتهم بالعساكر العثمانية.

ثم إنه انحدر في ١٠ ذي الحجة إلى أطراف العراق ليستفز شمرًا ويستنجد الأتراك هناك، ولما وصل إلى ساحة بغداد بث رسله إلى باشاتها، فاستجاشها وأثارها بالبخاشيش، فأمدوه بالأجناد وعزموا على نجاته بعساكره مباشرة ليس إلا، فعند ذلك انتهز الإمام عبدالرحمن بن فيصل هذه الفرصة وأمر ابنه العظيم عبدالعزيز بن عبدالرحمن أن يغير بالجنود الحنيفية والجيوش الإسلامية على حسين بن جراد ومن معه من أولئك الأجناد، ومن اجتمع من حرب وسائر الأمداد، فزحف صاحب الجلالة وواصل السير في السرى، فالتقى بحسين بن جراد في موضع السر يوم ١٨ ذي الحجة، فقلّ عليه الراية المنصورة، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما خاض حنين بن المنذر براية رسول الله ﷺ السوداء التي كان يستصحبها الصحابة في غزواتهم:

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حنين^(١) تقدا
ويقدمها في الموت حتى يزيروها حياض المنايا تقطر الموت والدماء

فأخذهم الله عز وجل وقتل منهم مقتلة عظيمة، وقتل حسين بن جراد وأكثر من معه، وغنم عبدالعزيز أموالهم وركابهم كلها، وتدعى هذه بوقعة جراد، وكان من نتائجها أنها قسمت قبيلة حرب المقيمة بين السر والقصيم، فانحاز منها قسم كثير إلى ابن سعود بعدما كانت كلها تابعة لابن رشيد.

(١) حنين بالضاد المعجمة.

ولما أباد الله خصرهم، قال الشيخ سليمان بن سحمان هذه القصيدة تهنتاً
للظافر عبدالعزيز بن عبدالرحمن:

معالي الأمور الساميات المعالم
وبالحزم للأعداء وبالعزم في الوغى
وكل معالي الخلتين أخذتها
وقد فقت أبناء الملوك جميعهم
يلاحظك الإسعاد أين تيممت
وما قصرت أعداك في الحزم والدها
وقد جمعوا جيشاً لهاماً عرمرما
ولكن دهاهم من دهائك فتكة
وحسن رجاء الله فيما ترومه
وصدق وتدبيرٌ وحسن طويةٍ
ولاحظك الإقبال والعز فاستما
وحلّ بهم ما حلّ بالناس قبلهم
لأمر قضاه الله جلّ جلاله
فسرت إليهم بالجيوش تقودها
لعمري لقد كانوا ليوثاً لدى الوغا
أبدت بها خصرهم فتمزقوا
وولت على الأعقاب حربٌ وما أرعوت
وحالت على أبناء حائل وقعةٌ
وقد غودروا في فيضة السر جثما
ووالله ما من وقعةٍ قبلها أتت
وأخرى ستدهاهم بها وتسومهم
يسومون في الهبجاء نفوساً عزيزةً
وتستأصل الأعداء بها وتسومهم

لأهل التقى والجود أهل المكارم
تنال العلى بالمرهفات الصوارم
ونلت ذراها في الخطوب العظام
بجدٍ وإقدام بكل الملاحم
بنودك لا يثنيك لومات لائم
وتقليبهم أفكارهم للمصادم
وصالوا به واستنجدوا كل ظالم
بفتيان صدق كالأسود الضراغم
بحزم وعزم والوفاء الملازم
حللت به فوق السهى والنعائم
لك النصر والإسعاف بين العوالم
قديماً من الإدبار عند الملاحم
وليس لأمرٍ حمه من مصادم
لنفجأهم في غرة بالضياغم
وليس لهم عند اللقاء من مقاوم
أيادي سبا واستأصلت كل غاشم
ولكنهم باءوا بشر الهزائم
أجحت بها خصرهم بالصوارم
طعام سباع والنسور الحوائم
عليهم فقد باءوا بإحدى القواصم
وتفجأهم فيها بأسدٍ ضياغم
وترخص منهم في حضور المواسم
بها الخسف والإذلال سوم البهائم

بجول الذي فوق السموات عرشه
 فيا من سما مجدأ وجودأ وسؤددا
 ليهنك يا شمس البلاد وبدرها
 هنيئاً لك العز المؤثل والعلی
 فهذا هو الفتح الذي جلّ ذكره
 فله من يوم عظیم عصیصب
 فشكراً لمنّ أولادك عزاً ورفعةً
 فذي وقعة ما مثلها شاع ذكرها
 ولا قبلها كانت عليهم فجائع
 فلا زلت في عز أطيّد مؤثل
 ولا زلت وطاءً على هامة العدى
 ولا زلت كهفأً للعناة ومعقلأً

ويسعدك الإسعاف في كل ظالم
 وحل على هام السها والنعائم
 بلوغ المنى من كل باغ وغاشم
 هنيئاً هنيئاً فحزمأً في العوالم
 وهذا هو العز الرفيع الدعائم
 يشيب النواصي هو له في الملاحم
 ونصرأً وإسعافأً على كل ظالم
 ولا مثلها فيهم أتت بالعظام
 ولا سامهم من قبلها ذل سائم
 وأعدائك في خفضٍ وذلٍ ملازم
 لك النقض والإبرام بين العوالم
 منيعأً منيفأً في الخطوب العظام

ثم إنه عاد قائد الجيوش العربية السعودية بعد وقعة ابن جراد إلى الرياض وأقام فيها شهر ذي الحجة، وما كاد يتم الشهر حتى زحف في آخره إلى الغرض الأكبر، فأرسل إلى أهل القصيم في شقراء يأمرهم بأن يوافوه إلى ثادق، لأنه يريد أن ينحدر إلى الكويت، ولما شاع هذا الخبر ترك عبدالعزيز ثقل أحماله في قصر الجريفة من قصور الوشم وزحف بجيشه مسرعاً إلى ماجد بن حمود بن رشيد في عنيزة، وفي آخر هذه السنة عاد الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سليم من النبهانية إلى بريدة، فجرت به ذيول افتخارها وازدهت به مرحاً وابتهجت بقدومه، وكان رحمه الله قد ثقل وشقّ عليه المشي لألم في وركيه، سببه أن رجلاً سقط من سطح المسجد على وركيه فأثر ذلك عليه خللاً في الوركين، فكان إذا مشى يجر إحدى رجله.

ثم دخلت سنة ١٢٢٢هـ

استهلّت هذه السنة والبطلان مصطليان في نار الحرب، ابن متعب قد انحدر

ليأتي بالدولة العثمانية لإبادة خصمه، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن يهاجم ويسطو ويضم الممالك إلى نفسه.

ولما قتل حسين بن جراد وسريته، سار قاصداً بلدة عنيزة يريد الاستيلاء عليها، ولما وصل إلى ماء الشريمة في وسط النفود، علم بعض من كان معه من البادية أنه يريد ماجداً في عنيزة، فشدوا عنه، واستمر هو بزحفه لم يبال بهم، غير أنه ضلّ الدليل الطريق فتأهوا في النفود طيلة ذلك الليل، ثم خرجوا منه فإذا بكشافه لماجد، فعندما نزل ابن سعود طيلة ذلك النهار في قصر الحميدية من قصور عنيزة على مسافة أربع ساعات منها.

ثم إنه تقدم في ساعة الغروب، فوصل إلى نخل عنيزة، فعسكر هناك وأمر من كان معه من أهل القصيم، وفيهم آل سليم أن يهجموا على أهل عنيزة في تلك الليلة، وقد كان بعض الأعداء فيها مثل آل يحيى وآل بسام الذين لا يزالون إذ ذاك على ولاء ابن رشيد ومحبه، وبغض آل سعود بغضاً كامناً مع كل من انتسب إليهم، وعندهم سرية من سرايا ابن رشيد رئيسها فهيد السبهان.

أما الأمير ماجد فكان نازلاً قرب المربيط وهو باب من أبواب عنيزة، فعند ذلك هجم أهل القصيم أتباع ابن سعود على عنيزة، فاصطدموا بطلائع ابن رشيد من أهلها ومن شمر، فتلاحم الفريقان وقتل فهيد من ضمن من قتل، غير أن رجاله لم يسلموا، فطلب السعوديون من أميرهم مدداً، فأرسل إليهم مائتي من المقاتلة بقيادة الظافر عبدالله بن جلوي، فلما سمع أهل عنيزة بالنجدة التي جاءت يقودها الأسد في برائه عبدالله بن جلوي، سلموا في الحال إلى آل سليم.

أما ابن سعود فركب بعد أن صلى الفجر على رأس سرية من الخيل، وقصد المكان الذي فيه ماجد بن حمود الرشيدي، فلما رأى خيل ابن سعود فرّ هارباً، فتعقبه ابن سعود واستولى على مركزه بعد أن قتل أكثر قومه، ومنهم أخوه عبيد، ثم عاد ماجد ومعه بضع وعشرون من الخيل والركائب وفيهم نفر من آل سعود الذين كانوا منفيين إلى حائل، جاء بهم ليردوا العدو المنتصر، لأنه إذا عرفهم وهم

من آل سعود قد يمتنع عن القتال فلا يقتل أحداً منهم، ولكن صاحب الجلالة عبدالعزيز لما رأى أهله وقد عرفهم، أمر بعقر خيلهم ليتمكنوا من خلاصهم، وكذلك كانوا فقد فازوا بعد عقر الخيل أثناء المعركة بسعود بن عبدالعزيز وسعود بن محمد وفيصل بن سعد، فخلّصوهم من القتل والأسر، ولقبوا بعد هذا بالعرائف والكلمة مأخوذة من قول البدو إذا خسروا في الغزو جهلهم ثم استعادوها فهم يسمونها العرائف، فصار هذا لقباً يطلقه عبدالعزيز على بني عمه سعود العرافة وفيصل العرافة إلى ذلك.

ثم إنه فرّ ماجد بن حمود إلى حائل منهزماً مقهوراً، وتم فتح عنيزة في خامس محرم سنة ١٣٢٢هـ، فأقام بها عبدالعزيز بضعة أيام ثم زحف بجيشه إلى بريدة، فسلم أهلها ودخلها عنوة، غير أن الأمير فيها من قبل ابن رشيد وهو عبدالرحمن بن ضبعان تحصن وحاميته بالقصر وسدوا عليهم الباب، فحاصره عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ولكن الأمير عبدالرحمن بن ضبعان بعد ما أغلق القصر أغراه طول القصر وعرضه وحصونه وثبت يقول: نار وجدار وركب ما عنده من القوات حتى لم يقدر أحد من الدنو حوالي القصر، ونبت الأعشاب على قد متر هناك وما استطاع أحد رعيها في هذا المكان الذي بين القصر والبلد، وناهيك به من أمير حافظ على ولاء صاحبه، غير أنه ما كان ليطبق مطاولة ابن سعود، ولقد اتخذوا له مكائد عظيمة وسردبوا وجعلوا ألغاماً تحت الأرض، ونازله ابن سعود في قصر حذاءه، واشتد الحصار جداً وضاق على ابن ضبعان وحاميته أمر المعيشة لأنهم استطاعوا أن يطاولوا ابن سعود ثلاثة أشهر، فأكلوا ما ضم القصر حتى أكلوا نوى التمر، وجعلوا يشربون من ماء بئر القصر المالح.

واصطنع حداد من رجال ابن ضبعان مدفعاً عظيماً وحشاه بالبارود وشيئاً من القنابل، فأطلقه وسمع له وجبة عظيمة غير أنه لم يفد شيئاً، وكان هذا الصانع يدعى الأسطا، ومن عزمه أن يهدم البلد بهذا المدفع، فأعمل المدفع مرةً أخرى وجعل فيه صاعين من البارود وقنابل، فأطلقه ولما ثار تقطع المدفع وقتله، وكانت

المسبة بين الفريقين والاعتزاز والتعير مناولةً من أعالي السطوح، وما زالت الحامية تدافع حتى نفذ ما عندهم، وكان ابن سعود ينادي الأمير ويتهدده ويتوعده بقوله: يا ابن ضبعان أي شيء تريده من ابن سعود حينما قمت تشاقه في ملكه وملك آبائه وأجداده، فتوكل على الله وارحل فإنك مخطئ، آثم، اخرج فلك عهد الله وميثاقه، لأن خرجت لأمنتك في نفسك وأهلك ورجالك، فقد رانه في ليلة ثالث عشر ربيع الثاني قدم فارسان من ابن رشيد معهما، كتب لابن ضبعان يحثه على الثبات، ولو ليلتين فإنه جاء بالعساكر، ولما أن قرب الفارسان للإلقاء الكتب من أعالي حائط القصر، لأن القوم محصورون، رأهما رجل سعودي يدعى أبو قيان فكشفهما في الساعة التي ألقيا الكتب فيها وسقطت في العراء ولم تصل، ولما أفشى أبو قيان خبر الفارسين إلى ابن سعود فتشت الكتب فعلم بعد ذلك أنهما ناديا الحامية وما سمعهم وما علموا بها ولا بالخبر وإلا فلو علموا لثبتوا إلى آخر رمق، ولكن هذا الحسن حظ ابن سعود.

ولما أن كان في ليلة ١٥ ربيع الثاني، سلم ابن ضبعان في الساعة الثالثة ليلاً وجعل ينادي: أين ابن سعود يكلمن؟ فأجابه نعم وما لديك يا عبدالرحمن؟ فقال يا أبا تركي نحن أعذرنا من معزنا ولم يبق لنا أمل في المقام، فتكلم عبدالعزيز يقول: يا أبا عبدالرحمن إن ابن رشيد ذهب وخلى سبيلك فليكلمني معك فلان وفلان فكلموه وطلبوا منه أن يعطيهم عهد الله وميثاقه على دمائهم ورحلهم غير الحلقة والسلاح، فأعطاهم ذلك ونزلوا بوجه الله ثم وجهه، فنقضوا سد الباب وخرجوا آمنين، ووفقا بعهده ووعد، وكان خروجهم صبيحة تلك الليلة بعدما ضبط ابن سعود السبل كلها عند خروجهم خشيةً من دسائس العدو، وتم لابن سعود الاستيلاء على القصيم، ولقد كان في استيلائه على نجد مع ما كان لابن رشيد فيها من القوى والعدد والعدة وماله من شدة الفتك والصف من أعظم آيات الله تعالى، وكان قد جرى له فرص يمكنه أن يتدارك الملك قبل ذهابه، ولكن كيف يصنع وسوط القدر يسوقه إلى مراد الله، ومن كان مثله، فإنه لا يملك في الغالب.

وفيهما قام الإمام يحيى بن محمد حميد الدين بعد وفاة أبيه، فأعاد الكرة على الدرك فحاصروهم في صنعاء حصار دام ستة أشهر حتى أكل أهل المدينة أثناء الحصار لحم البغال والحمير، وأكلوا الفيران، حتى سلم الأتراك الذين فيها ليحيى، وفيهم الأهالي، وكان عددهم لا يقل عن ستين ألفاً، ولكنهم أعادوا بعد ذلك الكرة على صنعاء فتقهقر الإمام وجنوده إلى شهارة فتبعهم العدو إلى تلك المضائق الهائلة، وخسر العدو هناك الحرب، تلك هي وقعة شهارة لم يكن مع الإمام غير ثلاثة آلاف مقاتل غلبوا ثلاثين ألف من الأتراك، وقد حارب وجنوده عساكر الأتراك حتى بالصخور أيضاً يدرجونها عليهم، وأهل اليمن يحسبون النصر في تلك الوقعة أعجوبة، بل كرامة من كرامات يحيى.

وكان يقول في حصاره لصنعاء لمن يحدثه أطعمناهم النار والفار، فسلموا بدون شرط وفاز يحيى في تلك الثورة بأن غنم سبعين مدفعاً وكثيراً من الذخيرة والسلاح، وهذه نبذة من ذكر يحيى هو صاحب الدهاء والسياسة الإمام يحيى بن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى، ببيع بالإمامة في شهر ربيع الأول من هذه السنة يوم الجمعة الموافق لعشرين منه بعد وفاة والده في الشهر المذكور، لأنه توفي قبل أن يختار ولياً لعهد، فاجتمع العلماء والأعيان وأرباب الحل والعقد وأجمعوا على مبايعته بالإمامة لاعتقادهم أنه خير من يستطيع النهوض بأعبائها، ولاستجماعه الشروط الشرعية وهي أربعة عشر، فامتنع في أول الأمر وتردد فأصروا عليه وألحوا ولم يقبلوا له عذراً فأجابهم إلى سؤالهم ووافقهم، وشروط الإمام عندهم أن يكون ذكراً مكلفاً حراً مجتهداً علوياً فاطمياً عدلاً سخيّاً ورعاً سليم العقل سليم الخواص سليم الأطراف صاحب رأي وتدبير مقداماً فارساً.

أما صفة يحيى: فكان ربيعة من الرجال صغير اليد والرجل، أسمر اللون علي الجبين مستدير الوجه قائمة، له قم كقم الطفل بارز صغير وله منخاران بارزان، الحق أنه دميم، عيناه سوداوان قريبتان من أنف قصير عريض صفته نور يضيء وشرارة في بعض الأحيان روعة، وله لحية مستديرة سوداء قصيره يتخللها خيوط من

الشيب، وما زال يتقدم حتى أصبح يحكم نحو مليونين ونصف من البشر وكان عنده أربعمئة ألف بندقية وعنده مائتا مدفع متنوعة جبلية رشاشة وجيشه النظامي خمسة آلاف ويستطيع أن يجند ثلاثمئة ألف من المجاهدين، ويصنع له قصر غمدان من صنعاء نوع الفشك والإطلاق كل يوم أربعة صناديق يحتوي الصندوق على ألف فشقة وكانت جنوده تجلب الرصاص ويستخرجون من أرضهم ملح البارود وكان يقول عندنا المدافع والرجال وعندنا فوق ذلك المال.

نعم كان عنده كنوز عظيمة مرصودة فهو غني جداً عنده في كل بيت من بيوته في بئر الغرب خزنة من الذهب والفضة لذلك تسمع الحرس في الليل يتبادلون كل ساعة كلمة الأمان.

وعنده في شهارة في قنن الجبال هناك كنوز لا يعرف الطريق إليها سواه.

وإذا كانت الطريق، فالحجر الذي هو باب الكنز لا يعرفه سواه، وإذا عرف الحجر فلا يستطيع أن يرفعه أحد سواه لأنه موضوع في شكل سره مفتاحه عند الإمام، وكان أهل الجبال يعدون له كرامات وخوارق عادات، كما جهل عليه مرة أعرابي من جنده وجعل يتهدهه خارج القصر بالبندقية، فظل عليه يحى وقال في رأسك، فلما كان من آخر النهار، نام الأعرابي وقد جعل البندقية معه طوياً فيها طلقاً فتحرك في نومه فوافق الريشة فثارت في رأسه، فكان يغتر بذلك وأشباهاها من الأمور من يعتقد فيه، ولولا أنه كان بخيلاً لكان له حالة ليست لغيره وتقريب المسألة أنه داهية مخادع بحيله العجيبة ونكته البديعة الغريبة.

ذكر واقعة البكيرية والشنانة وما جرى فيهما من الخطب الفادح

قد تقدم ذكر ذهاب ابن رشيد في آخر السنة التي قبلها وسيره إلى العراق والتجائه إلى الدولة العثمانية، ولما أن استنجد بها واستنفر شمرّاً هناك انضاف إلى ما خالط الأتراك من الاضطراب الشديد، خضوع القصيم لابن سعود الذي تعدّه من جملة الممالك، فعند ذلك أجابت الدولة طلب ابن رشيد وذلك منها أنها لما رأت أنه

قد وقع بين العرب حروب عديدة وملاحم شديدة، طمعت في بلاد العرب بواسطة الانتصار لعبدالعزیز بن رشید علی خصمه، كما أخذت الإحساء والقطيف بغياً وعدواناً بواسطة الانتصار لعبدالله بن فيصل علی أخيه سعود، وقد كان من المعلوم أنها لا تمشي مع أحد لحظ نفسه وإنما تمشي لحظ نفسها، ولكن لا يشعر تائه بمصابه لأنه دخل الأمر من غير بابه.

وقد كانت الدولة لم تكن تحسب لابن سعود حساباً قبل استيلائه علی القصيم الذي تراه بعين التعظيم، بل كانت تود إيجاد خصم لابن رشید في نجد ليبقى صديقها ابن رشید محتاجاً إليها، وكانت ترجح عدم الاصطدام مع صاحب الكويت خشيةً من التحامها مع بريطانيا العظمى، فأما إذا قام ابن سعود علی استيلاء القصيم وتم له ملكه فلم يكن لها بد من مباشرة قتاله ومقابلته وجهاً لوجه، فقامت وأمدت ابن رشید بأحد عشر طابوراً من العساكر وقدرها تقريباً من ثمانية آلاف وثمانمائة، وأمدته بأربعة عشر مدفعاً، وأمدته بما لا يحصى من الذخيرة والمؤنة والنقود، فأضاف إلى تلك القوة كل ما استطاع أن يجمعه من قبائل شمر وغيرها، وأتى بتلك الجيوش العظيمة يجرها إلى نجد، وصادر جمال العقيلات لتحمل هذه الجيوش والمعدات إلى القصيم، فأقبل بتلك الجنود التي كالجبال.

ولقد حدثني من حضر الواقعة بأنه بلغ جيشه ثمانية عشر ألف مقاتل مجهزةً هذا الجيش بكل ما استطاع، فأقبلت هذه الجموع يقودهم البطر والطغيان وإرادة أهل الإيمان بالقهر والهوان، وظنوا أنهم لمن عداهم من الناس سيقهرون، ولمن حاربهم من البشر سيغلبون والله غالب علی أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم شعراً:

فجاءوا بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجى الوحوش رنينها
ومهما كانت الأحوال والظروف فإن ابن رشید قد جاء بالقوة التي لا تغالب
بزعمه ونزل في قصييا.

ولما أن نزل في قصييا أمر بتجارب المدافع وتهيئتها، فلما أطلقت وسمع لها

دوي عظيم، وثار قتام الأرض، قال لرجل من أهالي القصيم يدعى الفداغي: أتيت لأخذ بلدك وهتكها فسكت، فقال لم لا تتكلم؟ فقال: إن شاء الله، قال: وتقول إن شاء الله ! فكأنك بنساء أهل القصيم تتواثب عليها رجال الدولة كما تتواثب القعوسة على النواة، فتكلم ماجد بن حمود قائلاً لا يا عبدالعزيز فإني أسأل الله إن كان هذا قصدك أن لا يسر أمرك ولا يبلغك مقصدك وأن يجعلني أول قتيل.

ثم إنه زحف يريد بريدة فوافته السرية التي أميرها ابن ضبعان قد طردت من بريدة، فعاتب أميره ابن ضبعان ونف لحيته ولعن حيه وميته، ولما اعتذر ببطئه عنهم وأنه أوشك ومن معه على الخمود من الجوع، عذره ووالي الزحف ليهجم من الجهة الغربية على بريدة فنزل القرعاء، فلما علم ابن سعود وما أبرمه من الكيد كان إذ ذاك في إمارة بريدة صالح الحسن بن مهنا فصيح بالفير العام وأخلى ابن سعود بريدة وثار بمجموعه من أهل الرياض والقصيم وغيرهم ثورة الأسود من غابها، وكان قد ألف جيشه من أهل العارض والقصيم والبادية ومن انضم إليهم وهم قليل بالنسبة إلى جيش العدو، فزحف بهم ونزل البصر وهي خب من خوب القصيم، فنقل ابن رشيد من القرعاء إلى جهة البكيرية، فنزل الشحية فنقل ابن سعود ونزل البكيرية.

ولما أن كان في غرة جمادى الأولى من الغد في منتصف النهار، ولم يجري حركة من الطرفين، ظن المسلمون أنه لا يكون في ذلك الوقت قتال، فتفرقوا في النخيل والأشجار، فعندما انتهز ابن رشيد هذه الفرصة وعباً عساكره وجنوده ونشر راياته وبنوده، وجأوا كما قال الله تعالى: ﴿بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧]، ف وقعت بين الطائفتين وقعة عظيمة وملحمة جسيمة، واصطدمت الجيوش صدمة شديدة هائلة، والتحموا وتجالدوا بضع ساعات، وقد تواجه أهل سوريا والعراق بجند ابن سعود، فأطلقت الأطواب والبنادق وكانت ذبجة هائلة، فانكشف جلاله الملك عبدالعزيز وأهل العارض بعد أن جائتهم الخيل من خلفهم وذلك لأن المسلمين نهضوا إليهم على غير تعبئة.

وكانت العساكر والجنود الطاغية قد نهضوا بأجمعهم في نحر أهل العارض ومن معهم من أهل النواحي بحيث أن ابن رشيد قد جعل الناظر في عينيه وأمر جنوده أن يركبوا القوة كلها على راية ابن سعود نفسها، فانحسب ليس معه من خياله سوى عشرين فارساً، وقتل من جيشه تسعمائة مقاتل، منهم ستمائة وخمسون من أهل العارض، وأصيب جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بشظايا قبلته في يده اليسرى.

ولما كان في آخر النهار قبل غروب الشمس، ظهرت جموع أهل القصيم بقيادة صالح الحسن وهم لا يعلمون بانكشاف العارض لأنهم كانوا في ضب منخفض، فحملوا على العساكر العثمانية والجنود الرشيدية فهزموهم شر هزيمة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهناك أبدى أهل القصيم بسالة وشجاعة في كبح هذه الجنود المتضافرة من أجناس شتى وضربوهم ضربات أوقفتهم عند حدهم مرات وحملت العدو خسائر فادحة، وقد انضم بعض أهل الرياض إلى أهل القصيم، فعند ذلك أخذ السعوديون خيام العدو ومدافعهم ومطارحهم، وقتلوا منهم خمسمائة من أهل الجبل، من أعيانهم ماجد بن همود بن رشيد وعبدالعزيز بن جبر وأربعمائة من العساكر من أعيانهم أربعة ضباط من كبار العساكر، ووقع ابن رشيد من فرسه فطاحت عليه الفرس فألمته ألماً شديداً غير أنها لم تقعه، ثم هجم أهل القصيم وعرب مطير بقيادة عبدالعزيز بن جلوي على جناح العدو فبعجوه، ثم أغاروا على بادية شمر فغنموا أرزاقها ولكن الشمريون هجموا أيضاً على معسكر ابن سعود، فنهبوه واحدة بواحدة وتمت الهزيمة على الجانبين سواء بسواء.

ثم إن أهل القصيم رجعوا إلى مركز ابن سعود، فوجدوا فيه المدافع وثلاثمائة من عساكر الأتراك، فتواقعوا وإياهم فقتلوهم وغنموا المدافع، وظلوا في البكيرية، ولما طلبوا إمامهم وفتشوا فلم يجدوه وأين هو؟ فقد هرب إلى حوالي المذنب ويحق له ذلك لأن العدو صدق عليه الحملة بالعساكر، فحمل أهل القصيم الأسلحة الخفية وعادا إلى بريدة وعنيزة.

ثم إنهم أرسلوا في طلب الإمام عبدالعزيز، فأدركوه وأخبروه بظفرهم والنصر الذي انتصروا على العدو، وألحوا عليه بالرجوع قائلين: يا عبدالعزيز اتق الله ولا تفرّ وتدعنا لابن رشيد ينكل بنا فقد ناصرناك، وإن ظفر بنا أهلكنا، فأشكل عليه الأمر وأحب أن يطلع على حقيقة غايتهم، فقال: اثبتوا مكانكم فإني سأستفزع أهل نجد وأرجع إليكم، فبعثوا له الرسل والكتب يقولون: إذا أنت رحلت فلا يستقيم بعدك أمر، وإذا رجعت نحن نعاهدك في السراء والضراء، نقدم أنفسنا وأموالنا وأولادنا بين يديك لنحمي أوطاننا أو نموت جميعاً، وكانت الأمة قد اجتمعت في عنيزة على ساقته، فرجع إليهم عبدالعزيز وخرجوا لاستقباله فرحين مستبشرين حتى خرجت المخدرات يصفقن ويغنين، فقدّموا المال والرجال، ولما بلغ الخبر أهل نجد جائوا مجاهدين وأقبلت عتيبة ومطير بأجمعها فانضموا إليه حتى اجتمع لديه في ستة أيام اثنا عشر ألفاً من المقاتلة، فزحف بهذا الجيش الخميس إلى البكيرية، يريد أن يهجم على ابن رشيد فيها ولكنه كان قد رحل منها في اليوم السابق، وهجم على الخبراء وفيها سرية لابن سعود، فعند ذلك دافع أهل الخبراء مع الجنود الحامية دفاعاً شديداً، وقد شدّد عليهم عبدالعزيز بن متعب الوطاة بما لديه من البأس والصلف وحصر الخبراء وأطلق عليه المدافع التي ظلت قنابلها طيلة ذلك النهار تضربها، ولكن ثبتوا له ثبات الأسود في غابها ولم تؤثر مدافعه فيها مع ضخامتها وقوتها، ولقد كان يوالي إطلاق المدافع عليها، ومع ما هم فيه من الوباء الذي سرى فيهم من عساكر الأتراك الذي رماهم الله به وساقه عليهم فإنهم ثابتون وللعُدو مصابرون.

ولما علم ابن رشيد بزحف ابن سعود إلى البكيرية أهتم أن يهجم عليها وهي مركزه العام للجيش وفيها ذخائره وعتاده، فأرسل إليها سرية كبرى بعدها سرية وسريه حتى أرسل إليها ألفاً وخمسمائة خيال بقيادة سلطان بن حمود بن رشيد، فتصادموا بخيالة ابن سعود وهي ستمائة وخمسون عند انفجار الصبح قرب البكيرية فكانت الهزيمة على سلطان بن رشيد وجنوده، ثم دخلها ابن سعود وفتك بحامية

ابن رشيد فيها، فقتل أكثر رجالها، وانهزم الباقون وهربوا فارين، ثم طاردت الخيل السعودية خيل ابن رشيد حتى أوقفتهم في الخبراء، فرحل ابن رشيد منها إلى الرس، فهجموا على بواديه وغنموا عدداً كبيراً من الإبل، ثم نزل ابن رشيد في الشنانة على مسافة ساعة من الرس جنوباً فنزل ابن سعود في الرس، ثم إنه قام ابن رشيد فنصب مدافعه على الرس وجعل يضربها كما ضربها إبراهيم باشا في طليعة القرن الماضي، وما أشبه الحاليتين، فدافع أهل الرس على عادتهم في الشجاعة حتى الرمق الأخير وثبتوا ثباتاً عظيماً.

ذكر واقعة الشنانة وما جرى من ابن رشيد

لما طوق ابن رشيد الرس بالحصار وشدد الوطأة عليها، هلك أمير الرس في أثناء الحصار، ومع موته وتوالي ضرب القنابل عليها فإنها لم تسلم، واستبسل أهلها وثبتوا في سبيل الدفاع عن أنفسهم لخوفهم من فظاعته وظلمه إن تولاهم، وكان ابن رشيد قد استنزل قائداً من قواد الرس يدعى ناصر بن الخالد الهديان بالعهد والميثاق، فلما قبض عليه قتله غدرًا ومن معه بضعة رجال، فأقام عبدالعزيز بن عبدالرحمن في الرس ثلاثة أشهر من تاريخ منتصف جمادى الأولى إلى تاريخ منتصف شعبان.

هذا وابن رشيد في الشنانة ولم يكن في غالب هذه المدة بينهما مزاحمة، إنما هو مناوشات بالخييل ومطاردات حتى ملّ الناس من تلك الحال، فقد أنتنت الأمكنة من جثث القتلى، وانتشرت الأمراض البوائية الفاتكة بين العسكريين والسيوف أعظم فتكاً من تلك الأمراض البوائية، فعند ذلك قام البدو يتفتلون كل عن أميره لأن ذلك الوقت هو فصل الربيع يريدون أن ترعى مواشيهم وتسمن استعداداً للقيظ، وصاحوا بالضرر كلّ يشكو إلى أميره، فلما أحس ابن سعود بذلك أرسل رسولاً من قبله إلى عبدالعزيز بن رشيد، وهذا الرسول هو فهد بن علي الرشودي، وكان فتىً ندباً عاقلاً وذو رأي سديد، ومن أكبر أعضاء أهل بريدة، بعثه ابن سعود يدعو عبدالعزيز بن رشيد إلى الصلح والهدنة، وكان ابن سعود يعلم بعناد ابن رشيد

وتصلبه وجبروته، وهكذا كان فقد قابل الرسول بالاستهزاء والسخرية والوعد والوعيد لأهل نجد.

ولما سار الشهم فهد بن علي الرشودي إلى ابن رشيد، احتاط لمجيئه وصف له الجنود والعساكر، وأظهر القوة وناهيك بهيبة ابن رشيد نفسه، فقد كانت رؤيته تفطر القلوب، ولما وصل إليه الرسول أصابه ضجر وفزع شديد، فأخذ عبدالعزيز بن متعب بالحديث مع من حواليه حتى سكن جأشه واطمأن به المجلس، ثم التفت إليه قائلاً: أيها فهد ما الذي عندك وما لديك؟ فأجابه قائلاً: أيها الأمير نريد الصلح فقد أسرع الهلاك بالمسلمين، فأجاب ابن رشيد بقوله: عجباً لكم يا فهد، هذا ابن سعود دعنا منه طالب ملك، ولكن فأنتم ما الذي حملكم على مقاومتي، وأنتم رعية لي أو لابن سعود؟ فتكلم فهد بن علي يقول: يا عبدالعزيز فعلت بنا أموراً لا يمكن الصبر عليها، فوالله إن صياحاً^(١) أخذ أموالنا وأثأثنا وأثقل ظهورنا بالضرائب، وكل يوم وقد ضوعفت علينا المظالم حتى عجزنا عن الدفع، ولما اعتذرنا بالقلة ونفاد الأموال كان جواب صياح لنا أن قال: (أجروا فروج نسائكم واكتسبوا المال) فهل بعد هذا خزي أيها الأمير يا عبدالعزيز ما فعلنا نحن مقاومة إنما أنت فعلتها بنفسك، فغضب ابن رشيد وأنكر ذلك، ثم قال: وما يقع عليه الصلح يا فهد؟ فقال إذا رأيت أن تترك لابن سعود العارض والقصيم وتدوم على ملكك، فأجاب يقول: بعد حلفه بالله العلي العظيم: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك، أيرضى ابن رشيد بأن يقصر على طابة وموقق ويكون نجد لصاحبكم، ثم ضحك متهمكماً ومتهدداً ومتوعداً، وقال من ينبغي حكم نجد فليكن ذا اصطبار وهل يصالح من بيده قوة الدولة، فوالله لا صلح قبل أن أضرب بريدة وعنيزة والرياض ضربة لا تنساها مدى الدهر يا فهد ما جئكم بهذه الجيوش والنظام أبغي السلم، ولكن

(١) صياح هذا خادم لابن رشيد مشهور بالظلم والجبروت، بل تضرب الأمثال بجبروته، وكان مشهوراً من بين قومه في بريدة.

استعدوا للموت وأنتم يا أهل القصيم لا يغرنكم ابن سعود لا يغرنكم شاب طائش يبغي الدراهم ليأخذها لأمه الفقيرة، فقام فهد الرشودي وهو يقول: يا طويل العمر إذا قتلني فإني فلاح لا أعز ولا أذل، ورجع يحمل كلام ابن رشيد وتهديداته إلى ابن سعود، ولما أن وصل إليه وجد المجلس الكبير قد امتلأ ليسمعوا جواب ابن رشيد، فألقاه عليهم فهد بن علي وهو يبكي، وكان رصيناً محترماً موعظاً موقراً، وقال: يا أهل نجد ما رأيت هناك إلا ظالماً عتياً كفرعون، سيقتل رجالكم ويستحي نسائكم، ما عند ابن متعب لكم غير السيف، ويصنع بكم كما صنع فرعون ببني إسرائيل، فأثرت كلماته فيهم تأثيراً بليغاً وكانت كوقع النار على قلوبهم، واشتعلت من قلوبهم نيران العداوة لابن رشيد وتبايعوا على الموت، ومع أن بادية ابن سعود قد تفرقت كما هي عادة البدو، إنهم يتبعون مصلحة أنفسهم لا سيما أنهم يريدون رعي مواشيهم، ولم يكن لابن سعود أن يكرههم على البقاء لأنهم لم يكونوا من الجند بل كانوا متطوعين متكسبين، ولم يبقَ مع عبدالعزيز غير ثمانمائة من الحضر وثلاثمائة من رؤساء القبائل، فإن هؤلاء ما كانوا ليتاركوا ابن رشيد، وهذا مما يدل على سعة رأي ابن سعود لأنه يريد أن يستبسل أهل القصيم على ابن رشيد، ويظهر لهم ما انطوى عليه من الحق، ويدل أيضاً على قصر مبلغ عقلية ابن رشيد وسوء تدبيره، حيث أضاع الفرصة ولم يغتنم جنوح خصمه إلى المسالمة، بل كان حظه أن أثار حمية العدو على فكاك أرواحهم منه على أن الملل لم ينحصر في بادية ابن سعود، بل كان قد ظهرت أنواع الضجر والملل في عساكره وجموعه، فقد قامت عليه باديته تقول: هلكت مواشينا وهلكت أولادنا جوعاً، فإما أن نرحل جميعاً فنمشي ورائك وإما أن نرحل نحن ونذكرك، فأجابهم ابن رشيد يقول: كيف نرحل ولا ركائب عندنا لعسكر الدولة، وذلك لأنه تلف عليه عشرة آلاف ذلول في هذه الواقعة والمناوشة بعدها، فقال رجال شمر: كل قبيلة منا تقدم الركائب لقسم من العسكر، فقبل ابن رشيد وأمر أن توزع أمتعة العسكر إجمالاً على شمر وذلك لما خاف تفرق قومه لطول المقام، ولأن المسلمين لا يدعونهم

ينتشرون لرعي إبلهم وجيوشهم حتى أكلوا جميع ما في الشنانة حتى النخيل، ثم عزم على الرحيل تاركاً عدوه ورائه، فيا عجباً لسوء هذا التدبير كيف رفض الصلح الشريف الذي عرض عليه، ورحل بدون طائل، بل إنه رحل رحيل المنهزم المغلوب.

أضف إلى ذلك تهديده الذي شد عزائم السعوديين على مهاجمته والقضاء عليه، فلما عزم على الرحيل ذلك اليوم لم يشعر إلا وقد هجم ابن سعود عليه بخيوله ليحول دون ذلك يقول أنا أخو الأنور لا أدعهم يرحلون لا إلا المناجزة، فتصادموا وتقارعوا من صلاة الفجر يوم سادس عشر شعبان إلى غروب الشمس، فارتحلت بادية ابن رشيد قبله وتركته ورائها، فخرج ابن رشيد من الشنانة وجعل ابن سعود يطارده إلى أن أذنت الشمس بالمغيب، فنصب ابن رشيد خيامه إذ ذاك خدعةً للمبيت، فانخدع له ابن سعود ورجع بخيله بعد أن أقام هناك بعض الحرس والكشافة، فشرع ابن رشيد يتأهب للرحيل، وكانت خطة ابن سعود الحربية أن ينهك خصمه بالمفاجئات والمناوشات، فإذا أضعفه ضربة ضربة تكون هي القاضية.

ولما رجع مساءً إلى مركزه في الرس من يومه وجلس على العشاء، جائه أحد الكشافة يقول: رحل ابن رشيد، فقام وترك العشاء هو ورجاله وسارعوا إلى الخيل وأخذوا قافية العدو، ولما قربوا منه رأوا سواداً ظنوه غنماً فأغاروا عليها فإذا بها عساكر الترك، وكان قد جنّ الليل فنازلوهم ساعةً دون نتيجة تذكر.

ثم عاد ابن سعود وجنوده إلى الرس وترك كشافته على حسب العادة في مكان معلوم ومعهم رجال من أسرتهم وزودهم بهذه التعليمات، إذا رحل ابن رشيد وقرب إلى الخنق «وهو موضع بين جبلي إبان معروف» فأرسلوا إلي أخبروني وتقفوه لتعلموا بمسيرة، أما إذا مشى إلى قصر ابن عقيل فعليكم أنتم يا آل سعود أن تسبقوه إلى القصر لتشجعوا أهله وتقولوا لهم إننا مسارعون إلى نجدتكم، وكان في قصر ابن عقيل سرية لابن سعود، فلما ذهب ابن رشيد تلك

الليلة نزل على الجوعي ودنا من قصر ابن عقيل، فزحف إليه يريد ضربه، وكان القصر منيعاً ولا يخشى عليه إلا من المدافع أن تثلم جدره، فهم ابن رشيد في صباح تلك الليلة بالهجوم عليه ولكن سبقه بنوا سعود إليه وأرسلوا يخبرون عبدالعزيز، ولما أن وصل ابن رشيد إلى القصر ركب في الحال مدافعه كلها عليه، وشرع يضرب القصر، فلما جاء الخبر إلى ابن سعود ظهراً وإن ابن رشيد حصر قصر بن عقيل، صاح برجاله قائلاً، انهزم ابن رشيد ونريد أن نعمل مناورة خارج البلدة فاستبشروا وأخرجوا للمناورة فكشف لهم عن قصده الحقيقي، وأمرهم بالزحف إلى قصر ابن عقيل فترددوا لأنهم لم يكونوا متأهبين للرحيل وما معهم ماء، ولا زاد وكان ذلك في الساعة الأخيرة من النهار والمسافة بينهم وبين القصر قد عشرين ميلاً، فخطب فيهم ابن سعود محرضاً مستنهضاً، ثم قال أنا واحد منكم ومثلكم أنتم خاشون وأنا أخشى، أنتم حفاة وأنا والله لا أنتعل، وهذا نعلي وهذا نعلي، وهذا ذلولي قال ذلك وهو يضع النعل في الخرج ويلقي بجبل الذلول على غاربه، ثم مشى أمامهم حافياً فمشوا ورائه متحمسين وعندما وصلوا إلى القصر قبل نصف الليل بساعة أرادوا أن يهجموا على ابن رشيد في ذلك الحين، فمنعهم عبدالعزيز لعلمه بما حل بهم من التعب والجوع، فدخلوا القصر واستراحوا تلك الليلة.

أما ابن رشيد فبعد أن شغل مدافعه على القصر بضع ساعات بدون طائل، رحل في صباح اليوم ١٨ بعد ما وصل ابن سعود قصر ابن عقيل، فلما رآه ابن سعود يرحل إبله ويحمل أطوابه أمهل حتى مشى برجاله والعساكر، ثم إنه خرج بجيله وجنده واتبع ساقتهم بجيوشه للمفاجأة فأدركوهم في وادي الرمة، وكان هذا الوادي لا يوجد في جزيرة العرب مثله في الطويل بحيث يخترق القصيم يمتد شرقاً من حرة خيبر إلى الرس ثم شرقاً بشمالي إلى البصرة وهو بين البصرة وهو بين عنيزة وبريدة وكذلك البكيرية والخبراء والشنانة واقعات على ضفافه، وكذلك الشحية والجبل تمتد هناك بضعة وخمسي ميلاً من الرس، فجرى على ابن رشيد في هذا الوادي ملحمة فاصلة.

ذكر واقعة وادي الرمة سنة ١٣٢٢هـ

لما طارد السعوديون ابن رشيد من قصر ابن عقيل وأغاروا عليه أدركوه في وادي الرمة في اليوم ١٨ من شعبان فأناخ هناك وجمع جيوشه ثم إنه نصب المدافع وبني بيوت الحرب، وشجع قومه واستبسلهم، فثبتوا للسعوديين فتهاجم الفريقان إلى منتصف النهار وكانت الغلبة أولاً لابن رشيد.

ثم إن ابن سعود عندما رأى جناح العدو متقهقراً صمد لهم بهجمة عنيفة وشوهد منه بسالة لا تنسى، فهدم بيوت الحرب واشتد الحرب والضرب والطعان واشتبكت بين الفريقين ملاحم تشيب لها النواصي وتعجز عن مقاساتها الجبال الرواسي، وحصلت ذبحة هائلة، فانكسر ابن رشيد وولت عساكر الأتراك الأدبار لا يلوى أحد على أحد، وانهزم ابن رشيد ورجاله وفرّ الجميع هاربين، فأراد ابن سعود أن يتعقبهم ولكن الحملات والأموال والغنائم شغلتهم عن تتبع الفارين، فشغلوا بها حتى جنّ الليل وهم ينهبون بها، ثم عادوا في اليوم الثاني والثالث والرابع وظلّوا عشرة أيام وهم يجمعون الغنائم من الأسلحة والذخائر والأمتعة والثياب والنقود سوى الإبل والغنم، وما وجدوا من الأموال بين تلك الأحمل من صناديق الذهب والفرش والمؤن، فحملوها إلى عنيزة مقر ابن سعود فوزعها مثل بقية الغنائم على رجاله ولم يأخذ منها شيئاً لنفسه.

تالله إنها لغنيمة عظيمة جسيمة قسمها ابن سعود بين رجاله فأصاب الرجل الواحد مائة وخمسين ليرة ذهباً وبضعةً وعشرين بغيراً إلى ما لا يقدر من الأثاث وغيره من الأشياء الثمينة.

وقضت هذه الواقعة على ابن رشيد وعساكر الدولة وقضت وقعة ذي قار على الفرس، وكانت هذه الواقعة الحاسمة قد غيرت مجرى التاريخ في جزيرة العرب وانفصلت عن نتيجتين إحداهما نفوذ الأتراك وهيبتهم في نجد قضاء مبرماً وزعزعت ملك ابن رشيد فلم تقم له ابن رشيد قائمة بعدها.

أما العساكر فقد تفرقوا شذر مذر ومات بعضهم من الوباء وغالبهم قام عليهم أهالي القصيم يصطادونهم ويذبحونهم حتى جرت مواضع السانية من دمائهم لأنهم كانوا يختفون بها فينحرون هناك فهذا جرى من ذكر هذه الواقعات، ولم يجري في القصيم مثلها، ومما قال الشيخ سليمان بن سحمان قدس الله روحه في ذكر مقامات صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وأن ذكره فيها يستحق أن يشكر ويخلد مجده بين الأنام ولا ينكر، كيف لا وقد دافع الله بفتوحاته البلاء عن العالمين ونصر الله بطلعته سنة سيد الأولين والآخرين، فجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين:

| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| لقد منّ مولانا وأفضل وارتضا | لنا ملكاً منا سمي المناقب |
| فشام المعالي وارتضاها وأمها | بهتمته العليا وجرد شواذب |
| وبيض قواض يختلي الهام حدها | وقود الهجان اليعملات النجائب |
| فتأهمه العليا وشأو مرامها | فأمّ إلى هاماتها والغوارب |
| فتأ ليس يثني همه ومرامه | طوال العوالي أو طوال السياسب |
| ينخوض عباب الموت والموت نافع | إذا استعرت نار الوغى في الكتائب |
| ويركب هول الخطب والخطب معطل | وقد هابه شوس الملوك المصاعب |
| يرد لهام الجيش وهو عرمرم | ويحطمه بالمرهفات السواكب |
| لقد فات أبناء الزمان وفاقهم | بنيل المعالي الساميات المراتب |
| وجود وإقدام إذا احتكك الفضأ | وضاق مجال الصافنات السلاهب |
| وأحجم أهلولها بيوم عصبصب | به النقع بسمو كارتكاب السحائب |
| هنالك لا تلقاه إلا كضغيغ | هزبر أبي شبلي حجز المخالب |
| ترى جثث الأبطال صرعى بغابه | تراوحها الأشبال من كل ساغب |
| كذا الملك الشهم الهمام فإنما | كما العدى جزر له بالقواضب |
| ترى عافيات الطير يعصبن فوقه | لتحضى بأشلاء العدو المشاغب |
| ويتبعه غرث السباع لعلها | تروح بطاناً من لحوم المحارب |
| وقد وثقت أن لا تعود خوامصا | وأن لها جزر كمات الكتائب |

فلله من ندب همأم مهذب
 فنلنا المنى من بعد أن كادت العدى
 بعبد العزيز ابن الإمام ابن فيصل
 ومن المعى أحوذى ومصفع
 يقود أسوداً في الحروب ضياغما
 حنيفة في دينها حنيفة
 سما بهمون نحو المعالي سميع
 إذا هو أعطى ذمة لم يخس بها
 فإن رمت أخباراً له ووقائعاً
 وحرباً وسل عنها مطيراً وغيرهم
 فمزقهم أيدي سبا فتفرقوا
 وما بين منكوب وقد خال أنه
 فما نال إلا الخزي والعار والردى
 بلطف من المولى له وإعانة
 وعز وإسعاف على كل من بغا
 ونصر له بالرعب في كل مأزق
 إذا أم أمراً واعتلى متسامياً
 وما ذاك إلا إنه لا ترده
 ولا غرو من هذا ولا بدع إنما
 ومن والد سامي الذرى ذى مآثر
 لا فتكات بالأعادي شهيرة
 أدام لنا ربي بهم كل بهجة
 وسنة خير العالمين محمد
 عليه صلاة الله ثم سلامه

أغاض العدى من عجمها والأعارب
 تحيط بنا من كل قطر وجانب
 حليف العلى نسل الكرام الأطلاب
 بليغ بما قد شائه في المقائب
 تغير على الأعداء كأسد سواغب
 وليس لهم إلا العلى من مآرب
 أبي وفي فاضل ذو مناقب
 وما كان ذا غدر وليس بكاذب
 فسل شمرأ عنها بصدق المضارب
 من العجم والأعراب من كل ناكب
 فما بين مقتول وما بين هارب
 بقوته قد حاز كل المآرب
 وآب حسيراً خاسئاً غير راغب
 على كثرة الأعداء له والمحارب
 عليه وتسديد لدى كل نائب
 من الملك العلام مولى المواهب
 تمزقت الأعداء من كل جانب
 طوال العوالي أو طوال السباب
 حواها من الشوش الكرام الأطايب
 حسان وأخلاق يفاع المراتب
 يقصر عن تعدادها كل كاتب
 على السنن الحاوي لكل المطالب
 نبي الهدى السامي لا على المناقب
 بعد وميض البرق جنح الغياهب

وبعد هذه الوقعات في القصيم تشتت بقية الجنود التركية على حالة سيئة فرّ جزء منهم يسير مع ابن رشيد وهام آخرون في الفيا في كالسائمة وقتلوا ومنهم من لجأ إلى ابن سعود فأواهم وكساهم وأعطاهم الأمان وكان يوجد من نسل هؤلاء اللاجئين رهط قليل في القصيم، أما ابن رشيد فإنه فرّ هارباً إلى الكهفة، وهي قرية من قرى حائل، وأرسل إلى الدولة يستنجد بها مرة أخرى وقد نكبت الدولة العثمانية نكبتين، نكبة في نجد ونكبة في اليمن هذه السنة.

ومن الغرائب أن الشاب في صنعاء يحيى بن محمد حميد الدين، وأن الشاب العامل في نجد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل كسر الدولة العثمانية وهزما جيوش المنصورة، بل عادت جيوشاً مقهورة مع سطوتهم وغلبتهم ورفع هذان الشابان للسيادة العربية أعلاماً لا تزال تحفّق.

ثم دخلت سنة ١٣٢٣هـ

استهلت هذه السنة والقاضي في بريدة فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم قد جعله على القضاء جلالة الملك عبدالعزيز رفع الله قدره وشهر ذكره لأنه لما كان له الولاية على القصيم ما كان ليبغى عنه بدلاً.

أما الأمير فيها فصالح الحسن المهنا، وكان القاضي في عنيزة الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر بطلب آل بسام له من ابن رشيد قبل زواله، وكان إبراهيم بن جاسر هذا معظماً عنه شيعته وأتباعه.

ومما يؤثر عنه أنه كان سخيّاً لين العريكة ذا رحمة وعطف على الفقير والمسكين، وكان من أسرة في القصيم، وقد عاد إلى بلدة بريدة فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن عبدالله بن سليم بعدما بارحها إلى النبهانية وأقام هناك خمس سنين تقريباً، هذا ولا تزال الملاحم مشتبكة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان خطيب جامع بريدة إذ ذاك فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم بعدما قدم إلى بريدة من النبهانية، وكان يخطب على سيف في يده هذا وقد

توالت الفتوحات الإسلامية ونصر أهل السنة وأذلّ أهل البدع على يدي صاحب الجلالة، نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل الجرمين، وما أولى بالمسلمين من إمام همام سميدع قدير يرفع أعلام التوحيد وينصر أهله ويذل البدع ويهين أهلها.

ذكر ذبحة الحواشيش وما جرى من قساوة ابن رشيد

لما خذل الله عبدالعزيز بن متعب بن رشيد وقهره، وأنهزم مرّ في مسيره وهو يحوس خلال الديار على روضة مهنا المعروفة هناك، وكانت روضةً يكثر فيها الكلاء والعشب ويرصعها الربيع بأزهارها، ويأتيها فقراء أهل القصيم يحشون العشب ويبيعون حشيشهم في البلاد ويأكلون ثمنه، إما أن يحملوه على رؤسهم أو على حميرهم، فإذا باع الفقير اشترى لأولاده طعاماً وبلغه، فلما مرّ عليها ابن متعب وجد فيها أربعين رجلاً من العجزة ومعهم أطفال، فأحب أن ينتقم من أهل القصيم بقتل هؤلاء الأبرياء ويتشفى بقتلهم لما فيه من الحق على أهل القصيم، فقرن هؤلاء الأربعين بعدما صفهم صفاً بجال، وكانت رؤيتهم مفضعة، فأشار عليه ابن عجل قائلاً: يا عبدالعزيز اتقتل هؤلاء البؤساء فوالله الذي لا رب غيره لأن قتلتهم لتحاربك ملائكة السماء، فأجابه لو تركتهم لانضموا تحت راية يقاتلون مع قومهم، ثم قتلهم صبراً أجمعين.

ولما وصل الدور إلى شيخ كبير قد حناه الهرم وقوس ظهره وقد أمسك بيد طفل يناهز العاشرة من العمر، تكلم لابن رشيد قائلاً: أيها الأمير اقتلني واستبق هذا الطفل فورائنا عدة أيام لا عائل لهن بعدنا فكان جوابه أن قتل الطفل بمرأى من أبيه، ثم ألحقه به والعياذ بالله شعراً:

قضى الله أن البغي يصرع أهله وإن على الباغي تدور الدوائر
ومن يحتقر بئراً ليوقع صاحباً سيهوي قريباً بالذي هو حافر

وهذا والله منظر تعج منه السماوات السبع والأرض ومن فيهن، هذا منظر

هائل لا يصدر إلا من جبار لا يخاف سطوة جبار السموات والأرض، وقد طبقت هذه الفعلة على ظلم الحجاج بن يوسف، فإن الحجاج لم يفعلها مع ظلمه، وقد رنّ صدى هذه الفعلة ودوى ذكرها في أقطار الأرض وأنكر العالم هذه الفعلة وصارت بقعة سوداء في تاريخه، هذه ذبحة الحواشيش التي صدرت من ابن متعب وأزعجت جزيرة العرب والله بالمرصاد.

ولما فعلها كان بعد ذلك لا يهناً بنوم، فكلما غمضت عيناه بدا له ذلك الشيخ الهرم في المنام وخنقه، فيفزع لذلك فزعاً شديداً ويقوم منتصباً، وكان إذا خنقه يقول له: والله لا تفلح ولا توفق، فيحرمه لذيق النوم والراحة، فكان إذا فزع وقام مرعوباً يقول مالي ولهذا الشايب.

هذا وعبد العزيز بن عبدالرحمن عكسه في الحال يسعى بالأمان ويقابل كل مسيء بالصفح والعفو.

وفيها وفاة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وهذه ترجمته، نذكر ما تيسر منها وإن كنت في حال وضعها في غاية عظيمة من كثرة الأشغال فنقول:

هو الشيخ الإمام الحبر الكبير والبحر الغزير والعلم الشهير تاج الفضلاء وبقية النجباء والأصفياء، ومن قد احتاج إلى تفرغ منطوقه جهابذة الفصحاء، هو البارع المصقع والألمعي السميدع، الماهر في العرفان والفائق للأقران، والواثق بالله الملك الديان، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن حمد بن محمد بن صالح بن حمد بن محمد بن سليم بن محمد بن ميمون، يلتقي هو وابن أخيه محمد بن عمر بالنسب في صالح بن حمد، لأن محمداً وعبدالله إخوان، وكان عبدالله تزوج من آل عبدربه مطاوعة الدرعية، وصالح وابنه عبدالله هما اللذان غرسا الرس بالدرعية والخليج، وقاموا مع الشيخ محمد هم وآل سويلم وآل موسى بن سليم آل شقير أسرة أخرى جمعهم الاسم كل هذه الأخبار في زمن عبدالله بن معمر، هذا معرفة نسبه رحمه الله.

وله في سنة ١٢٤٠هـ في بريدة، أما مشايخه فإنه أخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن، وناهيك به وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن

عبدالوهاب، وأخذ عن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، وأخذ عن الشيخ سليمان بن علي بن مقبل، وأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق، وكفيك شرفاً له أخذه عن هؤلاء الفطاحل السادة الربانيين الذين تحلو المجالس بذكرهم، ويسمو من انتسب بمشيختهم.

ولما نبغ وبرع في العلوم عن لقاضي القصيم سليمان بن علي بن مقبل السفر إلى مكة المشرفة يريد أن يجاور بها، ولأنه اغلقت قواه وكل من أعمال القضاء، فأشار على أمير بريدة بجعل المترجم على قضائها، فراوده الأمير واستقر الشيخ قاضياً ومفتياً، وإنما أشار بجعله قاضياً لما كان يعرفه فيه من المؤهلات والكفاءة، واستمر في القضاء اثنتين وعشرين سنة سوى فترة قليلة في أول القرن لسوء تفاهم جرى بينه وبين أمير بريدة، قضى له ذلك بأن يسافر إلى عنيزة وقيم بها وتزوج فيها وولد له.

ثم إنه دعا به الأمير المذكور واسترضاه واعتذر إليه، وأن الحامل له على سوء معاملته كلام الضد فيه ودعوى أنه مشاغب، فرجع مصحوباً بالسلامة واستمر على قضائها أواخر ولاية حسن بن مهنا وأيام محمد بن عبدالله بن رشيد، وكان في بداية ولايته لأنه حلف بالطلاق لبيحن بريدة ويجوس خلاها ويتبرأ ما على تنبيرا، وخافت الأمة من سطوته وماذا يحله من أنواع العقوبات، فخرج إليه الشيخ محمد بن عبدالله وما زال به حتى تنازلت عن فكرته، وجعل القصيم خضراً مرخى عليها ستارها، وأكرم الشيخ واحترمه وقلبه بخير، ولا يزال يعظمه لعلمه وبأن الناس لا يعدلون به شيئاً ذلك لسعة عقل محمد بن رشيد.

ولما توفاه الله تعالى وتولى بعده ابن أخيه، وكثر المرج والهرج وأصبح أهل الحق أذلاء لكثرة القيل والقال وتغير الحال، عزل ابن متعب ونفاه إلى النبهانية، وكانت إذ ذاك قرية تضرب الأمثال بجهل أهلها، وبعدهم عن العلم فسار إليها وسكنها امتثالاً لإرادة مولاه وفاطره له، وقدمها فاغبط به أهل القرية وقاموا في تعظيمه وإكرامه ونفعهم الله به استفادوا من علمه.

ولما لبث فيها بضع سنين كان في حال إقامته هناك مقبلاً على ربه واثقاً به قد شدّ يديه بحبله وفوض أمره إليه صابراً على ما أصابه الحكمة ضالته والسنة طلبته، فيا طوبى له إذا ضمته الأكفان، وخلقى بأعماله لدى خالقه الواحد الديان، وفاز أهل الإيمان بالخلود في نعيم الجنان، فبينما هو مقيم في الغربة ومكابدة مرارة الكربة، إذ بأعلام آل سعود قد رفعت وراياتهم المنصورة قد خفقت فرجع إلى وطنه مصحوباً بالسلامة، وكان قصد عبدالعزيز بن متعب بنفيه إلى النبهانية، لأن لا يضل الناس بزعمه الفاسد بنفيه على تلك الجهة يأمن شره ولا أدري ما هذا الشر الذي يجاذره ابن متعب، فإن كان متابعة النبي محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب شراً وضلالاً فيا حبذا هذا الشر نسأل الله تعالى أن يثبتنا على متابعة إلى أن نلقاه، وإنا صاحب الضلال والشر من يدعو إلى عبادة الأموات والتوسل، بذوات المخلوقات، أطرح نصوص الكتاب والسنة اختلاف التأويل لها، فأبي الفريقين أحق بالأمن ن كنتم تعلمون، شعراً:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم
وترى اللبيب محمداً لم يحترم شتم الرجال وعرضه مشتم
وحاشا وكلا لما أنه لا يضل الناس ولم يضل الناس، بل كان هادياً مهدياً، ولكن قد قال من يقول للشيء كن فيكون: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُنْفِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

ذكر قضاؤه وسعة علمه وحلمه وكيفيته وصفته

كان ربعة من الرجال يميل إلى الطول في قامته جسيماً بعيد ما بين المنكبين، عريض الصدر، له عيانان حسنتان وله هيبة عظيمة وشجاعة، وكان عاقلاً رصيناً بليغاً فصيحاً، وله سمت عظيم يخاطب الملوك ويصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان في صفة قضاؤه أنه يجلس للخصمين على الأرض وما تحته وسائد ولا فرش، فإذا سمع كلام الخصمين واستورد ما لديهما من البيئات، قضى قضاء

جالس بين الجنة والنار لا يراعي ولا يدهن، ولا يطمع الغنى في ميله، ولا يخاف الفقر من حيفه وجوره، وكان يتحلم على الجاهل ويتغافل عن سقطات اللثام، كما كان يمشي ذات مرة فأسمعه بعض الجاهل كلاماً سيئاً، فقال له ابنه الشيخ عبدالله: لو ردعت هذا الجاهل فإنك قادر على حبسه وتعزيره، فالتفت إليه قائلاً: يا بني إذا نتعب لو تعامل كل جاهل بما يستحق ولكن تعامل الناس على قدر ما نستحق، يا عبدالله: سدّ أذنك وأغمض عينيك فهذا زمن السكوت ولزوم البيوت، ومن يتكلم بالحق فإنه ممقوت، ودعاه صديق مرة وكان لا يحب الإجابة، فلما جلس لديه في بيته سأله عن أبيه فقال: إنه في أقاصي البيت وسيأتي بعدنا ويلقي خيراً، فقال له: يا بني أخطأت في هذه المعاملة لوالدك إذ الحق أن يكون مقدماً في المجلس ومتصداً فيه، والآن فلا يخلو لنا طعامك، فأخذ بيد خادمه الرئيس راشد الفرج، وكان مصاحباً له في هذه الدعوة، فقال له: يا شيخ بل يذهب إلى أبيه فيدعوه فقال: لا بل المرة الثانية نجده حاضراً، فطلب منه الرئيس أن يرجع لأن صاحب الدعوة قد أحضر الغداء والإكرام، فخرج وذهب به إلى بيته وأمر أهله أن يأتوا بغدائه، وكان خبيصاً طيباً فقدمه وقال له: تفضل يا رئيس من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وقضى مرة على شخص فقال: إلى الله أشكو، فلو كنت مثل فلان يقدم لك رقاب الضان لم تقضي علي، فضحك منه ولم يعاتبه، غير أن قال: جرب بنفسك حتى نقضي لك إذا أصلحك الله، وكان فقيهاً أصولياً متمسكاً بالتوحيد، وله ثبات عظيم أعظم من ثبات الجبال الرواسي التي جعلت للأرض أوتاداً، وإذا قضى في المسألة فقد يمضي ويوقع عليها بجتمه، ولا يحب تزويق الكلام وتنميقه وتكلف الفصاحة، لكنه يوجد له بعض الرسائل في الفقه ولا تزال الرسائل تترى بينه وبين الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وغيره من أئمة هذه الدعوة.

ذكر كراماته ومكاشفاته وماله من خوارق العادات

كان في وقته قوم يتكلمون في حقه بكلام سيء، فنام أحدهم فرأى في منامه كأنه أتى بالشيخ في صحن وجلسوا يأكلون من لحمه وهم كارهون، فقصها على

معبر، فأخبره أنه على الحق وأعدائه على الباطل، وأمره أن يكون متبعاً له، ورأى بعض مخالفه في المنام: كان الشيخ جالس وحواليه أصحابه، وقريباً من ساحتهم بعض المخالفين له، فجاء ملك ووقف على رأسه وجعل يقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]، ويشير إلى الشيخ وأصحابه، ثم قرأ: ﴿ فَأَتَّخِذُوهُمْ سَخِرَاءَ حَتَّىٰ أَسْأَلَكُمْ ذِكْرِي وَكَنتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٠]، ويشير إلى مخالفه، ثم قرأ: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١١]، ويشير إلى الشيخ أصحابه.

وكان جلالة الملك عبدالعزيز يقول في محفل كبير لما قدم مقاطعة القصيم: إنكم سموتم على أهل العارض يا أهل القصيم بشجرتين، شجرة آل سليم وشجرة نوع النخيل المسماة الشقراء، وكان لهذه المقالة سبب، وهو أنه دعي بجلالة الملك رجل من الإغنياء المياسير وكان قصده بذلك أن يستميل قلبه عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، فساعة جلس في بيت هذا الرجل بدره ومن إليه ينحو بهذا الكلام قبل يبداه، وهذا يعتبر إما فحاشة من هذا الملك الموفق، أو يكون الله تعالى أنطقه بما كان يختلج في صدورهم، ولقد جعل الله لهذا الشيخ هبة عظيمة وسمعة طيبة، فكان يقطع بكلامه كل من سمعه، ولا يزال ذكره عالياً يملأ المسامع، كما أن أمارات القبول لا تزال لائحة عليه، وأعين الخلائق شاخصة بالثقة إليه.

وقد أراده بعض الأشرار بسوء وذلك بإيعاذ من بعض الرؤساء له بقتله على ما تتصوره عقولهم، فلما همّ به سوء وجعل يكمن له بالليل عصمه الله منه وقبض على يديه، وأخبر الشيخ بما بيته له الأعداء وأن الله أعجزه عنه، وكان له معاملة مع ربه، فكان في عبادته والانكسار بين يديه أمراً عجيباً بحيث ضبط على جهة التحقيق أنه ما في جامع بريدة موضع قدم ولا شبر إلا وقد صلى فيه ركعتين وأودعه برهاناً يشهد به يومئذٍ تحدث أخبارها، وقد عمر المسجد الجامع في بريدة التزم بنفقته لو كانت بأجمعها، وكان الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن كثيراً ما

يتحدث عنه ويمتدحه ويلهج بمآثر آل سليم وما منّ الله به عليهم ويحترمهم ويعظمهم كعاداته في إكرام آل الشيخ، وكفى بها شرفاً للمكرم والمكرم، لأن الملك عبدالعزيز له غور بعيد وبصيرة عظيمة بالرجال، وسيأتي في ترجمته ما يشفي ويكفي لأنه نادرة زمانه، ولعلك أيها المنصف إذا نظرت في سيرة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وسيرة ابنه عبدالله وعمر وسيرة الشيخ محمد بن عمر آل سليم توافقي ولا يضيق بها صدرك، فنسأل الله أن يتغمدهم بعفوه ومغفرته ويوفق بينهم لاقتفاء آثارهم.

ذكر تلامذته والآخذين عنه

أما تلامذته والآخذون عنه فخلقٌ كثير، وجمٌ غفير، جثت العلماء إلى ركبته وضربت آباط الإبل من المشارق والمغارب إليه، فأصبح كهفاً منيعاً للإخوان ومعقلاً لأولياء الرحمن، وتخرج عليه أولو الرتب العالية والمقامات السامية، فمنهم نجله عبدالله بن محمد بن سليم القاضي في مقاطعة القصيم، وكان فوق ما قيل فيه، وآية من آيات الله في العقل والفضل والعلم، تخرج عليه ونشأ بين يديه.

ومنهم الشيخ عمر بن محمد بن سليم نجله الثاني، رباه والده ونشأ بين يديه وفي ظله، وكان ملازماً له حتى في منفاه، فأصبح ذا قدرٍ عظيم وخطر جسيم، فتفرّد بأبيه واستمسك بغرزه، وقد نال عدة وظائف آخرها أن كان في قضاء مقاطعة القصيم بعد أخيه عبدالله، وكان حبراً يشار إليه بالأصابع وتضرب الأمثال في عقله وورصاته وتدريسه وإبداعه ولا غرو فمن البحر يستجلب الدر.

وأخذ عنه الشيخ العالم العلامة قاضي مكة وحائل عبدالله بن سليمان آل بليهد.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ الإمام عبدالله بن محمد بن فداء ذو المعارف الربانية والأسرار الآلهية والعلوم الشرعية، فما شئت من علم وزهدٍ وورعٍ وتقى.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ العالم الرباني عبدالله بن دخيل قاضي المذنب، وكان حبراً فوق ما قيل عنه علماً وذكاءً، ويعتبر من الأقطاب العظام.

وأخذ عنه الشيخ العالم القاضي عنيزة عبدالله بن محمد بن مانع.

وأخذ عنه الشيخ الرزين العالم محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف السعودية.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ الموفق علي بن مقبل.

وأخذ عنه الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان قاضي إحدى نواحي اليمن.

وأخذ عنه أيضاً الماهر الحافظ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد، وكان هذا مولعاً بجمع الكتب ويخط بيده وخطه حسن جميل، وله عناية بعلم التوحيد والعقيدة وله صبر على قلة ذات اليد.

وأخذ عنه الشيخ محمد بن حمد بن مضيان.

وأخذ عنه الشيخ سليمان بن عبدالله بن حميد، كان إماماً في أحد مساجد بريدة، ولديه قوة في الدين.

وأخذ عنه دحيم بن غيث.

وأخذ عنه أيضاً عبدالكريم بن ناصر بن جربوع.

وأخذ عنه حمد بن مبارك آل مبارك.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ فوزان بن عبدالعزيز صاحب الشماسية.

وأخذ عنه سعود بن فوزان.

وأخذ عنه الشيخ الزاهد عبدالرحمن بن ناصر العجاجي.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ الشاب التقي عبدالعزيز بن عبدالله بن فداء، وكان هذا هو الذي قدم عليه في حال غربته في النبهاية، وله مؤهلات وقوة وعزيمة.

وأخذ عنه حسين بن عرفج.

وأخذ عنه أيضاً غير هؤلاء، فمن أخذ عنه الشيخ محمد بن سليمان العمري، وكان هذا مفتي الأمير حسن بن مهنا.

وأخذ عنه الشيخ صعب التويمري.

وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالعزيز الصقعي.

وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ ناصر بن سلمان بن سيف.

وأخذ عنه أيضاً صالح بن دخيل.

وأخذ عنه عبدالله بن أحمد آل رواف.

وأخذ عنه صالح الضبيعي، وغير هؤلاء خلق كثير وجم غفير، وقد ألبس الله تلامذته ثوباً من الوقار، ومن الطبقة الأولى صالح بن إبراهيم آل فوزان، وصالح بن كريدس، وعبدالله بن إبراهيم الباحوث، وعلي بن يحيى، وسليمان بن ثويني، وصالح اللهمي، وعبدالعزیز بن مديهش، وانتفع بعلمه القاضي والداني، فنسأل الله تعالى أن يجبر المصاب بفقده.

ذكر ما جرى عليه من الأمور وثقتة بالله العزيز الغفور

ف نقول لما كانت هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان وقنطرة عبور لا موضع حبور اقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن يمتحن أوليائه ليميز الخبيث من الطيب، فكان هذا العالم العظيم قد كابد في عمره أهوالاً تشيب لها النواصي وتعجز عن حملها الجبال الرواسي.

فأول ذلك فتن سعود بن فيصل وما جرى في ذلك الشقاق من الحن وترادف الدواهي والأحن، يروع بها المسلمون ساعة بعد ساعة، وتذهب الأوقات في الإضاعة، وبعدها فتن آل مهنا وعدم الركون إلى الأمن والراحة، وكثرة الزلازل وتشتت الهم وانكشاف البال، وفشوا الباطل والضلال، ذلك لكثرة المكائد، وقلة المساعد وتوفر المخالف والمعاند، وعدم من يفيد في تلك الشدائد حتى أصبح أهل الدين مرؤعين، وبأثواب المذلة متقلين، أضف إلى ذلك كثرة الهرج والطوارئ وخوف الأعادي من كل حاضر وبادي، وتطور الأحكام على الأنام، وغلبة الجهال والطغام، مع فرقة الإخوان وتكدر الأذهان، حتى كان لكل شوكة وأعوان، وقد اضطرتة الأحوال إلى أن يغادر وطنه ويفارق عشيرته وسكنه، ثم بعد ذلك واقعة المليداء وقدم محمد بن رشيد يتهدد ويتوعد، وبعدها مقاسات أولئك الأمراء الجورة والولاة الظلمة الفجرة، وآخر ذلك ولاية ابن متعب التي طمت الوادي والقرى.

فأول ذلك فتن آل سعود في منازعتهم الملك فيما بينهم، ثم قتل مهنا في بريدة والشيخ جالس يقرع أذنيه ذلك، ثم ولاية الأمير حسن وما فيها من اختلاف الدين وتشتت المسلمين، ثم واقعة المليداء وما فيها من الأهوال، ثم خروجه لمقابلة ابن رشيد في حال غضبه ومكابدة مرارة توبيخه، ثم بعد ذلك ولاية عبدالعزيز بن متعب وواقعة الطرفية، وما جرى عليه بعدها، ثم واقعة البكيرية وترقب الأخطار والأهوال والشدائد، وكان قد جرى عليه من بعض الأمراء أن أوعز على قتله وإعدامه، غير أن الله حفظه ووقاه، وكان يكمن له في طريقه إلى المسجد كل ليلة من باع آخرته بحطام عاجلته يريد قتله بالسيف، فلما مضى عشر ليالٍ تقدم ذلك الشقي لقتله، وحينما رفع السيف يبست يده فصاح للشيخ يستغيث به، وجاء إليه ولم يعلم بحقيقة ما كان يبيت له من الكيد والمكر، فأخبره صراحاً بأنه جعل له جعل ودبر على قتله وإن الله أعجزه، وسأل الشيخ أن يدعو الله له فدعى له وشفى، وقام يسأل ويستفهم عن ذنبه الذي أوجب له ذلك، فما كان لأعدائه جواب سوى الخزي والعار، وماله ذنب إلى تحقيق التوحيد ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، واستمر في تدريسه وإفتائه يرشد الجاهلين ويفيد الطالبين وينشر علمه بين العالمين.

ومما قال الشيخ صالح بن سالم يمتدحه في أبيات:

| | |
|-----------------------------------|------------------------------|
| وجاء لنا نصرٌ من الله بعدما | بدى الظن ظن السوء من كل ملحد |
| على يد مأمون السريرة من غدا | يسمى بشيخ المسلمين محمد |
| أخو الحلم والتقوى مع العلم والحجي | فلا زال يعلو سامياً فوق فرق |
| يقضي بدريس العلوم نهاره | مجداً ويحيي ليله بالتهجد |
| ويحمي حما الإسلام جهراً وأهله | إذا سامهم خسفاً شديد التوعد |
| أليس الذي قد قام لله وانتضا | من العزم عضباً في زمان منك |
| فقام قيام الليث في عزم باسل | يرى الموت فخراً من حسام مهند |
| ولم يشه في الله لومة لائم | ولا وهنت منه القوى للتهدد |
| به أيد الله الهدى وانمح الردى | وعاد العدى واهي ظهور وأعصد |

ذكر أولاد الشيخ رحمه الله

كان له أولاد فضلاء، فمنهم نجله الفاضل الشيخ عبدالله بن محمد، وسيأتي ذكره في سنة وفاته، ويكفي شرفاً له أن تولى قضاء بريدة حتى توفاه الله تعالى. ومنهم الماهر في العلوم الشيخ عمر بن محمد، يأتي ذكره في سنة وفاته أيضاً.

ومنهم عبدالرحمن بن محمد ساكن عنيزة، ومنهم صالح بن محمد، فأما عبدالله فإنه خلف بعده نجلاً طيباً غير أن المنية اختطفته في ريعان الشباب، وكان زاهداً بضاعته العلم، ويأتي ذكره في ترجمته، وأما عمر فله أولاد متعلمون، وأما عبدالرحمن فقد خلف أولاد متمسكين في الديانة صلحاء ومحبين لأهل الخير، وأما صالح فله أبناء فضلاء، فمنهم الشيخ عبدالعزيز بن صالح، كان عالماً مجداً في خدمة العلم الشرعي، وقد تولى وظيفة إمام في أحد مساجد بريدة، ونال وظيفة التعليم في إحدى مدارسها، وكان متواضعاً زاهداً، ويأتي له بقية ذكر.

ومنهم الشيخ محمد بن صالح قاضي مستعجلة المدينة المنورة، ثم تولى القضاء في مدينة الخبر الواقعة في المنطقة الشرقية.

ومنهم إبراهيم وهواسن من محمد، ولا يزالون في تمسك بالديانة.

أما مرض المترجم فإنه أصيب بوجع في قدميه ثم انتقل بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى ومات على حالة تسر الصديق، وارتحل إلى جوار أرحم الراحمين، وأتاه طارق الموت والفناء الذي لا يفوته هارب ولا يتحصن منه متحصن، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك بعدما أقر الله عينه بعودة الملك إلى آل سعود.

واعلم أنني لم أجد قصيدة في وفاة هذا العالم الكبير، غير أن أحببت أن أرثيه بهذه الأبيات تنوياً بذكره وإحياء لمآثره:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| على مثل شيخ المسلمين محمد | تسح دموع العين حراء تذرف |
| وحق له هذا البكاء وذا الأسى | أصبيت بما يؤذي النفوس ويؤسف |
| فيا عين جودي بالبكاء تأسفاً | على عالم أذكاره لا تكيف |

سلالة عبد الله من كان أمةً
يدين بنصر الحق مهما وجدته
مأثره كالشمس في سادس الضحى
وما زال يدعو للهداية جاهداً
به نصر الرحمن دين محمدٍ
هو اللبث في الهيجاء إذا الحرب شمّرت
فأسيافه في البحث تردى لما ذق
ومن كان مغزاه الهدى جاهداً له
يدين بقال الله قال رسوله
فإن إله العرش لا بد مظهرٌ
إلهي أوله الغفران منك تفضلاً
وأمن لخوف الشيخ واسكن لرعبه
أليس الذي قد ثبت الله عزمه
فكان لهم كهفاً منيعاً تهابه

حريصاً على نصر الهدى متحنف
فلا لائماً يخشى ولا عنه يصدف
سوى أن أذكراً له ليس تكسف
وينشر أعلام الهدى يتعطف
وعاد به صرح الغواية يرجف
وقام دعاة الغي للدين تقذف
وتلقى غيباً في الحضيض وتنسف
مديباً على تقديمه ليس ينكف
سجيته بذل النصائح يهتف
له رغم أعداء له لو تكلفوا
فعاداتك الحسنى أجلّ وألطف
يوم به أهل الذنوب يخوف
بوقتٍ به أهل النهي ليس ينصفوا
ملوكٌ بساحاتٍ لها تتخوف

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ محمد عبده المصري رحمة الله عليه، كان يسمى المصلح الكبير، وهذا شيء من ترجمته:

هو العالم الشهير والخبر النبيل والبحر الغزير، كان أحد أركان النهضة العربية، وكان خطيباً كاتباً، ونشأته من أسرة فقيرة وقد قدمنا شيئاً من ترجمته.

ولد المترجم سنة ١٢٦٦هـ بإحدى قرى مديرية الغربية، ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة، وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنة العاشرة، ثم رغب في التعلم فحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالجامع الأحمدى، ثم انتقل إلى الأزهر في مصر ونبغ في علومه.

إن الأزهر هذا مسجد جامع في مصر شرع في بنائه سنة ٣٥٩هـ، قام بتأسيسه قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، واسم هذا القائد المؤسس جوهر الصقلي،

وقام بعده بتوسيعه الأمير ببيرس سنة ٧٠٩هـ، ثم الأمير علاء الدين أقبغا سنة ٧٤٠هـ، وما زال في التوسعة حتى تضاعفت مساحته، وكان له خمس منارات، ويتألف من مقصورتين، إحداهما هي التي أنشأها جوهر، وبها ٧٦ عموداً من الرخام الأبيض، والأخرى أنشأها عبدالرحمن كتخداي وبها ٥٠ عموداً، ويبلغ عدد أعمدته ٣٧٥، وله تسعة أبواب، ولقد أوقف الأزهر لطلابہ الأمراء مثل الناصري والسلطان قانصوه وغيرهم قناطير العسل ومئات الدنانير وكمية من السمن والحلوى وغير ذلك، وبلغ عدد طلبة الأزهر في إحصاء سنة ١٢٦٨هـ ٥١٤ و١٧، أما المدرسون فيه فإنهم ١٢٢٠.

ولما قدم إلى مصر جمال الدين الأفغاني ١٢٨٢هـ وأعاد إلى مصر دراسة الحكمة والبيان والكلام، لزمه المترجم، وكان أنبغ تلاميذه وأحرصهم على ملازمته والاستفادة منه، ونال درجة العالمية سنة ١٢٩٤هـ، واختير سنة ١٢٩٥هـ مدرساً للأدب والتاريخ العربي بدار العلوم ومدرسة الألسن، ثم اختير لإصلاح لغة الوقائع المصرية، ثم صار رئيس تحريرها، وفي هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها، وحدث عقب ذلك الثورة العربية ونفي من مصر إلى سوريا، لأن الشبهة أحاطت بعنق المذكور وحوكم وحكم عليه بالنفي المذكور، فتولى التدريس بمدارس سوريا، ثم انتقل إلى أوربا فالتقى بجمال الدين الأفغاني، فأنشأ معاً جريدة العروة الوثقى، ثم عفا عنه الخديوي وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الأهلية، ثم مفتياً للديار المصرية، وتولى التدريس بالأزهر، وإليه يرجع الفضل في إصلاحه، وما زال كذلك حتى توفي في هذه السنة.

وقد رثاه الأستاذ محمد بك حافظ إبراهيم بهذه المراثية العظيمة:

| | |
|------------------------------------|------------------------------|
| سلام على الإسلام بعد محمد | سلام على أيامه النضرات |
| على الدين والدنيا على العلم والحجي | على البر والتقوى على الحسنات |
| لقد كنت أخشى عادي الموت قبله | فأصبحت أخشى أن تطول حياتي |
| فوا لهفي والقبر بيني وبينه | على نظرة من تلكم النظرات |

وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً
أبنت لنا التنزيل حكماً وحكمةً
ووقفت بين الدين والعلم والدجا
وقفت لها نوتو ورينان وقفةً
وخفت مقام الله في كل موقفٍ
وأرصدت للبಾಗಿ على دين أحمد
مشى نعشه يخال عجباً بربه
بكى الشرق فارتجت له الأرض رجةً
بكى عالم الإسلام عالم عصره
فيا ويحٌ للشورى إذا جدّ جدّها
فيا ويحٌ للفتيا إذا قيل من لها
بكيناً على فردٍ وإن بكائنا
تعهدنا فضل الإمام وحاطها

كأني حيال القبر في عرفات
وفرت بين النور والظلمات
فاطلعت نوراً من ثلاث جهات
أمدك فيها الروح بالنفحات
فخافك أهل الشك والنزعات
شياة يرّاع ساحر النفثات
ويخطر بعين اللمس والقبلات
وضاقت عيون الكون بالعبرات
سراج الدياجي هادم الشبهات
وطاشت بها الآراء مشتجرات
ويا ويحٌ للخيرات والصدقات
على أنفسٍ لله منقطعات
بإحسانه والدر غير موات

ومن توفى فيها من الأعيان الشريف عون الرفيق أمير مكة المشرفة من قبل
الدولة العثمانية إذ ذاك، وهو عون بن محمد بن عبدالمعين بن عون، ولي إمارة مكة
ثلاثة وعشرين سنة، قضاها بحسن حظٍ وقد ظفر بكل من ناواه حتى أبعد الحسين
بن علي عن مكة بعدما كان مقيماً بها في أيام عمه عبدالله بن محمد، وانضم الحسين
إليه ليعيش في كنفه، فلما تولى الإمارة الشريف عون، عمل على إبعاد الحسين من
مكة، لما يأتيه الحسين من التأليب عليه والكيد له في الخفا حتى تغلب الشريف عون
عليه وألجأه إلى الرحيل إلى الأستانة.

ولما توفى عون في هذه السنة تولى إمارة مكة بعده الشريف علي باشا، ولكنها
لم تطل إمارته، فقد عزل بعدها بستين.

ومن توفى فيها من الأعيان: يوسف بن عبدالله آل إبراهيم عدو ابن صباح،
فيقال لابن صباح: خلالك الجو، فيبضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري.

وفيهما تم عمل سكة الحديد التي أنشأها السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد، وكانت قد مدت من المدينة المنورة إلى أن اتصلت بالأراضي الشامية، وكان الباعث لعمل هذه السكة تقريب مسافة المدينة للحجاج والزوار الذين يأتون إليها من مسافة بعيدة، والأمر الثاني صلة بلاد الحجاز لأجل إذا وقع أي واقع تسنى للدولة في الحال إخماده، وكانت مدة العمل فيها سبع سنوات، وأنفقت عليها خمسة ملايين وربع مليون جنيه عثماني، ويقدر العارفون أن هذا المبلغ قليل بالنسبة لطول الخط، وكان طوله ١٩٥٩ كيلو متر، فأصبحت المدينة زهرة البلاد الحجازية، ولولا فقد السلطان وتلا الحرب العظمى لالتحقت سائر بلاد الحجاز بالمدينة، وما زالت هذه تتلاشى حتى بطل عملها.

وفي هذه السنة أرسلت الدولة العثمانية أحد رجالها الكبار، وهو المشير أحمد فيضي باشا الذي اشتهر بشجاعته وحسن سياسته، وشفعته الدولة أيضاً برجل آخر اسمه الفريق صدقي باشا المتصف ببعد النظر وطول الآناة، جاء الأول بثلاث طواير وخمسة أطواب من بغداد، وجاء الثاني من المدينة بطاويرين، فالتقوا وعسكروا قرب القصيم، ولم يكونوا قصدوا الحرب، ولكنهم رغبوا في المفاوضة من أجل السلم، وإنما أرسلت الدولة هذه القوة من جندها لتعزز جانبها، وكانت قد بعثت إلى ابن سعود بواسطة الشيخ مبارك بن صباح تقول: إنها تريد أن تفاوض أباه عبدالرحمن بن فيصل، وطلبت أن يوافي والي البصرة إلى الزبير، فأجاب الإمام طلب الدولة وسافر إلى الكويت ومنها إلى الزبير، وكان قد اتفق بمبارك بن صباح في الكويت فساروا معاً إلى الزبير، فاجتمعوا هناك بالوالي، وبعد المفاوضات في أمور نجد والقصيم قرروا أن يكون القصيم على الحياد أي يصير حاجزاً بين ابن سعود وابن رشيد وأن يكون للدولة فيه مركز عسكري وموضع شوري، ولكن عبدالرحمن بن فيصل لم يوافق على هذا الأمر، غير أنه وافق بعد أن يعرض ذلك على أهل نجد إكراماً للشيخ مبارك، ولم يقبل أهل نجد ذلك البتة بأن يكون القصيم على الحياد ولا أن يكون للدولة فيه حامية قطعاً.

فلما عاد الإمام عبدالرحمن، خرج ابنه الملك عبدالعزيز لاستقباله إلى الحسي، فاجتمع به هناك وسارا إلى شقراء، فأقام والده فيها، واستمر عبدالعزيز سائراً برجاله إلى القصيم، فنزل موضعاً يسمى العمار يبعد عن بريدة جنوباً بخمسة وعشرين ميلاً، وكان فيضي باشا وصدقي قد اجتمعا بابن رشيد فتفاوضوا واختلفوا، وكان ابن رشيد قد أراد من الباشا أن يضغط أهل القصيم ويأخذهم بالسيف، فخالفه المشير ولسان حاله يقول:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العليا كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الفرسان

وكان صدقي باشا يتعجب من شجاعة عبدالعزيز بن رشيد، حتى قال هذا فارس كعلي بن أبي طالب في الشجاعة، لكنه أعطى حظاً من السياسة، فعاد ابن رشيد بعسكره حانقاً إلى الكهفة وركب المشير على رأس جنوده قاصداً القصيم، ولما وصل إلى بريدة منعه أهلها من الدخول، ولكن الأمير صالح الحسن أرسل إليه رسولين هما عبدالله بن عمرو، ومحمد بن علي أبا الخليل يقول إنه وأتباعه يطلبون حماية الدولة والاستقلال، أما بريدة وعنيزة وتوابعهما من القرى فلم يقبلوا سادة الأتراك بل أرسلوا إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن ليأخذون راية في المقاومة، وكان فيضي باشا قد أرسل رسولاً إلى الرياض يقول أن الدولة لا تبغي محاربة أهل نجد، وأنه جاء مسالماً، ثم أرسل إلى ابن سعود في العمار يؤمنه قائلاً: إنني لا أريد إلا السلم، ولست محققاً مقاصد ابن رشيد، وقد سأله أن يلزم مكانه ويرسل أباه عبدالرحمن ليوافيه إلى عنيزة للمفاوضة، فقبل عبدالعزيز ذلك وأمر الناس أن يخلدوا إلى السكينة فلا يأتون عملاً عدائياً أثناء المفاوضة، فركب الإمام عبدالرحمن بن فيصل من شقراء إلى عنيزة، وسار فيضي باشا جنوباً فنزل على مقربة منها، فتواجه الاثنان في عنيزة وأسفرت المفاوضة على أن يكون للدولة مركزان في القصيم، أحدهما في بريدة والثاني في عنيزة، ويكون هذا مؤقتاً إلى أن يتم الصلح بين ابن

سعود وابن رشيد، هذا ما تريده الدولة، ولكن أهل القصيم لا يريدون ذلك إلا ما كان من أمير بريدة صالح الحسن فإنه قبل وأتباعه ذلك، فرأى الإمام عبدالرحمن أن يقبله أهل القصيم مؤقتاً، وكاد أن يتم وأن يكون ساري المفعول، ولكنه حال دونه حوادث صنعاء في اليمن وما صنعه الإمام يحيى من شدة الحصار على صنعاء، وفيها ستون ألفاً من الأتراك العسكريين والمدنيين كما تقدمت الإشارة إليه.

وبما أنه ليس عند الدولة للنكبات أقدر ولا أشجع من المشير فيضي، توكل عليه في إنجاد أبنائها الذين أطعمهم يحيى في حصاره النار والفار وأشياء ذكرها حتى أشرفوا على الموت، فلذلك صدر الأمر إلى أحمد فيضي بالإسراع إلى اليمن، فسار نحوه وترك القصيم ومشاكله لصدقي باشا يحلها بالتي هي أحسن، ولما تولى صدقي باشا قيادة الجيش نقل إلى الشحية فعسكر فيها، وما كان له ما للمشير من سعة الرأي، بل اهتزت منه جارحة للحركة، وأقام بجنوده في الشحية لا محارين بل مفاوضين، بل كانوا متفرجين، وقد استأنف ابن سعود وابن رشيد القتال، ولما وصل المشير فيضي باشا إلى اليمن أمدته الدولة بمخمسين ألف مقاتل لتأديب الثائرين والعصاة، فاستولى ثانية على صنعاء ثم تتبع الإمام يحيى الذي انسحب بجنوده إلى شهارة، ولكنه دحر شر دحرة هناك، فعقد بعدها اتفاق بين الإمام يحيى وبين الدولة العثمانية، لكنه لم يدم غير بضع سنين.

وفيها استنجد أمير قطر وشيخها قاسم بن ثاني بعبدةعزيز بن عبدالرحمن بن سعود على أخيه أحمد بن ثاني وبني مرة، فقد عصوا عليه وكادوا يخرجونه من قطر، فبادر إليه ابن سعود في وقت كان القصيم يغلي فيه بمراجل التقلبات، فضرب الثائرين ضربة أعادت لقاسم بن ثاني كامل نفوذه وسلطته، وكان قاسم هذا من أعز أصدقاء عبدةعزيز وأحبهم إليه، تربطهما رابطة العقيدة السلفية وحسن الجوار، ولكنه حصل منه رحمه الله بعض الحسد على ابن سعود لما ولّاه الله بلاد الإحساء، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله.

ذكر الحركة والتقلبات في القصيم

لما نقل صدقي باشا إلى الشحية وعسكر فيها جرى شقاق وحركة في القصيم وانقسم أهل القصيم إلى ثلاثة أقسام: قسم مع ابن سعود، وقسم مع الدولة، وقسم مع ابن رشيد، ولما أن رأى ابن سعود ما تفتق من الشر نفض يديه وتركه بين هذين العدوين ميمناً نحو الرياض، فعندها قام الفريق الأكبر من أهل القصيم وهم الذي يؤثرون ابن سعود وسيادته وأرسلوا إلى أمير الكويت مبارك بن صباح يطلبون منه أن يتوسط بين أهل القصيم وابن سعود، فإنهم لا يريدون سواه ملكاً، ومبارك وإن كان الصديق الأقرب لابن سعود فإن استيلائه على هذه الممالك أحدث له خوفاً أن يمد ابن سعود يده إلى ملكه، كيف لا وملك نجد إذا ما استولى على القصيم واجتاز الحفر لا يقف على حد دون الخليج، وقد أحسَّ ابن سعود من مبارك انقلاباً في نيته.

ولما طلب منه أهل القصيم أن يتوسط بالصلح اغتنم هذه الفرصة لينفي التهمة عن نفسه، وبعث إلى عبدالعزيز يظهر أنه الصديق الأعظم له، ويشير عليه أن يعود إلى القصيم، وأن يعفو عن أهله لأنهم مخلصون له ولا يرغبون سواه ملكاً.

وهذه كبوات الشيخ مبارك

فنقول لما امتدت فتوحات ابن سعود وطلع نجم سعده حسده مبارك وقام يريد استرضاء الدولة لما كانت نائمة عليه قتله أخويه، فسعى في استرضائها ومصالحة حليفها وخلصها عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، وكان يظهر الصداقة لابن سعود ويكتب سرّاً ابن رشيد، فأرسل إليه رسلاً تحمل كتب التودد والولاء بينه وبينه، وإنه عقد صلحاً معه تم آخر هذه السنة، وكان كاتب ديوان الشيخ مبارك غير موفق، فقد جرى سر ذلك مكشوفاً، وذلك بأنه لما كتب مبارك مرةً إلى ابن رشيد هذا الكلام: إني متكدر جداً من أعمال ابن سعود، وقد جرت الأمور في نجد على غير ما اشتهد، أما الآن فانا وإياكم عليه

والكويت وحائل شقيقان، ومصلحة البلدين واحدة، ولكم مني ما تشاؤون من المساعدة على حرب ذلك النشء.. إلخ، وكتب إلى ابن سعود يقول: ولدي يا ولدي أنا معك في كل حال وحين، قواك الله وتولاك، لا ترك هذا الكلب فحل الشول ولا تدعه يستريح ولا تصالحه وأنا أبوك مستعد لمساعدتك في كل ما تريد، ثم إن الكاتب جعل غلطاً كتاب هذا في ظرف هذا وكتاب هذا في ظرف هذا وكل وصله كتاب خصمه.

ولما علم ابن صباح بما كشفه الله واطلع عليه ابن سعود بعث بعده كتاباً بعدما استأنف القتال إلى ابن سعود فيه كلام وجيز قاسي، وفيه إذا كان لا يعيد المنهوبات التي نهبها من ابن رشيد فسيعلن عليه الحرب، وهذه المنهوبات غنمها رجل من أنصار ابن سعود يسمى علي الضويحي من قبيلة الظفير، غنم المذكورة من قبائل العراق، وليس لمبارك حق في التدخل بما لا يعنيه.

ولم يكتف بذلك بل صالح أمير بريدة صالح الحسن وكتب إليه يحرضه على قتال ابن سعود، وكل هذه مضحكات جرت من مبارك بن صباح فالله المستعان.

ذكر أمر صالح الحسن بن مهنا

قد ذكرنا الحركة والتقلبات في القصيم، وذلك لأنه لما بادر ابن سعود لنجدة ابن ثاني في قطر انتهز أمير بريدة فرصة غيابه، وظهر من آل مهنا في هذه السنة حقدهم الذي كان كامناً في قلوبهم كالنار في الزناد.

وذلك أن عبدالله بن فيصل بن سعود قد شكى إليه فيما تقدم آل مهنا أعدائهم آل أبي عليان، فلم ينصرهم عبدالله بل انضم إلى عدوهم بالمناصرة، فظل هذا الغل والحقد كامناً إلى هذا الوقت فظهر من صالح الحسن الذي يود الاستقلال كآبيه أيضاً، وهيات فقد تغيرت الأحوال والظروف وكان يتبادر منه الانضمام إلى الدولة.

ثم خرج على ابن سعود وابن رشيد معاً وشرع يتزلف إلى الترك لتحقيق ما

يريد في قلب الأحوال وتلون الحوادث، ولما أن تباعد ابن سعود من نجد كان في ذلك أخذة أسف لابن رشيد من القصيم.

ولما أن أطلق صالح الحسن يديه من ابن سعود كان لابن سعود أكبر الحظ في ذلك لأن صالحاً تأكد وأتباعه بعد ذلك أنهم لا يستطيعون الدفاع إذا أشهر ابن رشيد عليهم الحرب، وربما أن يكون ابن سعود ارتحل من القصيم ليتخلى عن أهله ويدع صالحاً وشأنه ليكون له من خطاه وعجزه أكبر تأديب.

فقد أرسل ابن رشيد سرية على الفور إلى الرس يقودها صالح العذل معه حسين بن عساف فاستولت عليه، فاجتمع أهل القصيم في قرية الشقة لأجل الدفاع وقد انضم إليهم عدد من العربان، فهجم عليهم ابن رشيد وقتل منهم عدداً وحاصر البقية في تلك القرية، فضج القصيم وعلم الأمير صالح الحسن أنه ليس لهم منعة إلا بعون الله ثم بابن سعود.

فلما بلغت ابن سعود أخبار القصيم بعده عاد مسارعاً إلى نجد وبعث أخاه محمد على الفور يقود سرية للدفاع ابن رشيد، فهجمت السرية على حرب وعادت فنزلت وادي الدواسر.

أما صالح الحسن فإنه أرسل أخاه مهنا إلى أهل عيزة يطلب منهم أن يشفعوا له عند ابن سود، فذهب الوفد ورحب به وعفا عن صالح وأتباعه، ثم إنه توجه ابن سعود إلى القصيم ولكنه لم يكن إذ ذاك قادراً على محاربة ابن رشيد لسببين: أحدهما الجذب القحط في تلك السنة، والثاني تفرق البادية ليهتموا بمواشيهم.

ولما علم ابن رشيد بقدوم خصمه خرج من منزله في البقية وأغار على قبيلة من مطير، فأخذها وعاد فنزل في قصيبا، وتكررت غزواته على قبائل ابن سعود وجعل ينتقل من قصيبا إلى الأجفر، ومن الأجفر إلى البشوك، وكانت قصيبا على مسيرة اثنتي عشرة ساعة من بريدة إلى الشمال، كما أن الأجفر بين القصيم وحائل.

وأما البشوك فكانت على مسيرة خمسة أيام من حائل شرقاً، فلما رآه ابن سعود على تلك الإغارات قفل راجعاً إلى نجد ليستفز العربان من عتية ومطير

الأعلين، فجمع جيشاً وعاد به إلى القصيم لمحاربة هذا الجبار المريد عبدالعزيز بن متعب بن رشيد.

ولما وصل القصيم أحسّ أن صالح يسعى سراً في مصالحة ابن رشيد، غير أن صالحاً جاء معه قوم من أهالي بريدة فانضم إلى ابن سعود، ولما جاء بهذه الصفة وانضم إليه قبله على علاقته، وما كان ليخفي عليه أمره وخيانتة، لكنه حليم وذو سياسة.

أما عبدالعزيز فإنه نزل بجيشه في الأسياح، وأقام بها عشرين يوماً في جيشه الذي كان مؤلفاً من الحاضرة والبادية، هذا وأمير بريدة صالح بن حسن عنده تلك الأيام يظهر الولاء، ثم إنه بدا له أن ينسحب وقومه من الأسياح فيبقى ابن سعود بجيشه الذي معه، ولا قدرة له على ابن رشيد، وهذه خيانة من صالح، نسال الله العافية، ففطن ابن سعود، غير أنه أحب ترميم الشرور، وقام بجيشه من الأسياح فزحف إلى الزلفي، وكان بينهما قدراً من خمسين ميلاً جنوباً عن الأسياح، كما أن الأسياح عن بريدة شمالاً بشرق قدراً من أربعين ميلاً، وإنما انتقل ابن سعود ليعود عن صالح ومحلته.

ولما أن وصل في زحفه إلى مكان يسمى النبقية، استأذنه صالح الحسن بالرجوع إلى بريدة، فأذن له لأنها تقررت خيانتة، فعاد إلى بريدة، واستمر ابن سعود بزحفه إلى الزلفي وجعل يجمع الجيش، ثم رحل من الزلفي ونزل على ماء غدير بالقرب من الأرطاوية، فانضمت إليه قبائل مطير التي يرأسها فيصل الدويش، وبلغه هناك خبر الصلح الذي تم بين مبارك بن صباح وبين ابن رشيد وما ملأ عليه صالح الحسن من التحريض على قتاله ومقاومته، وختمت هذه السنة بزعازع وخيانات وتقلبات، فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٢٤هـ

استهلّت هذه السنة وابن رشيد لا يكاد ينأى، لأنه إذا غمضت عيناه يفزع مرعوباً يقول: جاثني الحواشيش، مالي وللحواشيش، وكان يتبدا له ذلك الشيخ

الهرم الذي قتل ولده أمامه فيخنته، ثم ينتبه مرعوباً وكلامه في أذنيه يقول له: يا ظالم والله لا تغلح، وقد قدمنا صفة قتلهم الذي سيجازيه الله عليه، وقد قتل في الموضع الذي قتلهم فيه قبل مضي سنة من قتلهم، هذا وما كان إلا في عتوه، فهو يتنقل في أطراف القصيم ويجوس خلاله.

ولما كان في افتتاح هذه السنة في غرة محرم، نزل ابن سعود على غدير الأرتاوية المذكور، وجعل يجند الجنود حتى تكامل جيشه ألفاً وستمائة مقاتل، ألف ومائتان من الحضر وأربعمائة خيال من البادية، فرحف بهذا الجيش مسرعاً إلى القصيم، وقد دفع الراية إلى مطرف، وكان مسيره في آخر محرم يريد ابن رشيد في الثويرات من عقلة الزلفي لما ذكر له أنه معسكر هناك، وكانت أمكنة وعرة كثيرة الرمال.

ولما أن زحف إليه لم يدركه هناك، وكان ذلك في ١٧ صفر، وهذا في يوم من أيام الربيع العاصفة الماطرة التي لا يطيب الحرب ولا الغزو فيها للرياح والأمطار، فقد يدنوا المتحاربون بعضهم من بعض دون أن يشعروا بذلك، فإذا هم فجأة في المهلكة الكبرى، وكان ابن رشيد يتراجع ليصل إلى الشقة فيجتمع هناك بصالح الحسن الذي جاءه مناصراً مصالحاً، وقد أخذه الله قبل أن يجتمع به، وكان حامل رايته رجل يدعى الفريخ.

ذكر قتل عبدالعزيز بن متعب سنة ١٣٢٤هـ

لما أراد الله أن ينفذ فيه إرادته، جرى منه غفلة أهمل بها أمر العدو، ذلك لأمر يريده الله تعالى، فإنه سار ابن سعود مجدداً في طلبه طيلة ذلك اليوم، ثم إنه لما كان من آخر النهار توقف ابن سعود ورجاله عن تتبعه، وذلك لأن شدة الأمطار والرياح منعتهم من أن يواصلوا السير نحوه، فعاد كشافة ابن سعود يخبرونه بأنه على مسيرة ساعتين منهم، وقد نزل روضة مهنا، فعندها بادر ابن سعود ورجاله شيئاً على الأقدام كي لا يشعر العدو بقدومهم، ولكن بعض كشافة ابن رشيد

بادروا إلى أميرهم بالخبر، وقد نام فجعلوه يوقظونه وهو يتأنى ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فاستيقظ وشرع يذمر جيشه، وكان مؤلفاً من ستمائة من الحضرة وألف ومائتين من البادية الخيالة، ثم أمر أن تضرم النيران، فكانت سبباً لهجوم الجيش عليهم، فهجم الجيش السعودي إلى ساحة القتال، ولم تنتصف ليلة ١٨ صفر إلا وقد اختلط الجيشان وتواقعا تحت جناح الليل.

وكان السعوديون قد هجموا على جناح شمر فحزحوهم، وصال في موضعهم بعدما تفهقر جنود ابن رشيد.

هذا وما علم ابن رشيد بهذا الهجوم، بل ركب حصانه وتبع راية ابن سعود يظنها رايته لأنها تفهقرت رايته وثبتت في مكانها، وهو ينادي من هنا يا لفريخ من هنا، يا لفريخ أيش هذا التدبير، يا لفريخ، ولكن ابن الفريخ قد تفهقر مع المتفقهقرين، فلما عرف السعوديون صوته صاحوا ينادون بقولهم ابن رشيد، ابن رشيد، يا طالبه، فصوبت البنادق وثار به بضع وعشرون رصاصة، فخرّ صريعاً عن ظهر جواده يتخبط في دمائه، فأخذ الجيش السعودي سيفه ونزعوا خاتمه وألقوهما بين يدي عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ذبحناه وهذا سيفه وخاتمه يا إمام، ثم إنه قطع رأسه وذهب به ثلة من السعوديين إلى سوق بريدة وهم يقولون نحن أهل العوجا مروية السنين أسنة الرماح، وجعل المسلمون يستبشرون بقتله، وانتهت حياته المملوءة بالدماء وآخرها دمه.

وهذه ترجمته نذكرها وإن كان قد تقدم بعضها:

هو الأمير الخطير وذو الشأن الكبير والعلم في الشجاعة، الرفيع الشهير عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله بن علي بن رشيد بن عبدالله آل رشيد آل خليل آل جعفر آل عبدة الذي شهدت له بالشجاعة أبطال الرجال، وتضعضعت عن ملاقاته عناتيب الأشبال، هو الذي تنفست عنه جزيرة العرب في القرن الرابع عشر، فكان فارساً شجاعاً وبطلاً مغوراً إلى حد الهوج، وبلغت به شجاعته درجة من القساوة والسطوة تعدت به عن حد السياسة التي هي من شروط الأمراء الأساسية وأعلى

درجة من الشجاعة الهوجاء، فهو الجبار العنيد وذو البطش الشديد، ولد في أوائل ١٢٧٤هـ قبل وفاة والده باثنتي عشرة سنة، وقال عنه القائد التركي لما شاهد تلك الجرأة والبسالة: هذا فارس كعلي بن أبي طالب في الشجاعة لا غير، ولا أظنه سمع بقول القائل:

الرأي قبل سجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
ولم يكن على شيء من السجايا التي تحب القائد إلى رجاله والحاكم إلى رعيته، بل كان جباراً عنيداً عتياً لا أثر للخوف في قلبه ولا شيء من الرحمة والحنان، أضف إلى ذلك أنه قطوب عبوس كثير التلثم، فسمي العبوس المتلثم الذي قلما يتبسم.

فمن عنفه وشجاعته أن رؤيته تذيب الأبطال وذكره يزعزع الرجال، وقد يقتل ذكره، ونحن نسوق شيئاً من عجائب سطوته، فإنه كان في أيامه رجلٌ يكتب ابن سعود، فعثر رصده في بعض الأيام على كتاب هذا الرجل، فأخذه وقدمه إلى ابن رشيد، فلما علم بموضوعه بعثه مع خادم وقال للخادم ألقه بين يدي كاتبه، فعجب لذلك الخادم وسأله مستفهماً أيقنته؟ قال بل ناوله كتابه وأتتني، فذهب وعمل بأوامر سيده، ولما فتحه ذلك البائس إذا بكتابه الذي بعث به إلى ابن سعود قد وقع في يد ابن رشيد فانزعج لذلك وانقطع قلبه فمات، وذلك لأنه علم أن ابن رشيد قد اطلع على موالاته لعدوه، وسيعاقبه على ذلك، وما كان لأحد أن يجيره منه فمات لذلك.

ولما انهزم مرة، ذهب إلى جهة حائل فنزل ضيفاً برجل في إحدى قرى حائل ومع خمسة من رجاله، فغيّر هيئته وأخفا خبره لأن لا يعرفه ربّ المنزل، ولما قدم المضيف طعام العشاء، قام على رؤسهم يروحهم، وكان كهلاً كريماً، فأخذ ابن رشيد يحادثه على غير معرفة قائلاً له: يا رجل هل سمعتم عن هذا الظالم ابن رشيد، إنهم يقولون أنه انكسر وظهر عليه ابن سعود، فأخبرنا عن الأخبار وما جرى لهذا الفاجر، فتخلل صاحب المنزل بلسانه وأجاب بقوله: أبشرك بأن الله خذله، فلعل الله أن يريح منه المسلمين، فقد طالما كانوا في أذى منه، فأجابه قائلاً: يا

عم أكل الناس يبغضه؟ قال ومن يحبه لعنه الله، ولكن يجب ألا يسمعننا أحد فيبلغه ذلك، وكانت الذبيحة التي قدمها يتسامن المعز، فسكت ابن رشيد ثم جعل يقلب عصعص التيس ويقول: هذا تيس يلعن حيك يردد هذه الكلمة، وكان نور السراج ضعيفاً فجعل المضيف يقلب النظر فيه بين مصدق ومكذب لما عرف لغته وتذكر ابن رشيد فإذا هو فصرخ الرجل صرخة لما كان يعلمه عنه وكان مستنداً على الحائط واقفاً، فأزال الأمير الكوفية عن وجهه وبدره بقوله: لك عهد الله وميثاقه أن لا يصلحك مني بأس، فإذا به قد سقط على الأرض وقضى نحبه، فعياداً بالله من هذه الفظاظة.

وكان ذات يوم جالساً للناس في الفلاة بين أصحابه، فاحسّ بشيء يلدغه في ظهره، فخاف أن تكون شيئاً من الحشرات التي لا تستحق الاهتمام، فسكت وتجلد حتى انتهى من عمله، ثم دخل إلى الخيمة وطلب أحد عبيده فجاء ورفع ثيابه فإذا ما بين كتفيه عقرب كبير يلدغ جلده، فصاح العبد مذعوراً وخشي أن يمس العقرب، فتناوله الأمير عبدالعزيز بيده ورماه خارج الخيمة، ثم أمر الخادم أن يذر على مكان اللدغ رماداً حامياً، ونام الأمير بعد ذلك كأن لم يكن شيء، وكل هذا يدل على صلابته وشدته وشدته وقسوته، وكان في ظلمه وعسفه وجبروته تضرب به الأمثال، ولا ريب أنه نعمة أحلها الله بأهل نجد وعذبهم به، وكان يبعث رجاله إلى أهل القرى تنهب البطيخ واليقطين والرطب والبرسيم، ومن أبى فإنه يؤخذ ظهره بالضرب والتعذيب، وكان يبعث إلى أرباب البقر من يأتي بألبانهم إليه فبعدما يجلبونه ويمخضونه على مرأى من الأطفال والعوائل، ينتظرون خادم الأمير فيطرق الباب ويأخذه، وقد يبعث إلى أهل البيت بسبعة ريالات أو ستة لعلف البقر، أضف إلى ذلك مسائل أخرى من الحن.

وقد وصل في هذه الدرجة إلى أشياء يستحي من ذكرها، بلغت في التسفل إلى غاية لا يرضاها لنفسه كريم، وجرّ عساكر الأتراك إلى نجد، وأهان أهل الدين والعلم وأجلاهم عن الأوطان، ولم يرع لكبير حرمة، ولم يعامل ضعيفاً برحمة،

وشدد الوطأة على الأغنياء حتى عزم على قتلهم، ثم إنه بدا له بعد ذلك أن يسبي أموالهم، وجعل عليهم ضرائب أرهقهم بها، ولقد فرح بقتله المسلمون حتى قومه من شمر، وذلك لما كابدوه من الأهوال والحروب معه، ولما قتله الله على يدي جلاله الملك ابن سعود، وتحقق قومه قتله، أطلقوا أعنة ركابهم فارين منهزمين إلى حائل ولم يرى ابن سعود تتبعهم، فما أذن لرجاله أن يتعقبوهم.

وكان سنة يوم قتل خمسين عاماً، وقد أنشأ الأديب الشيخ حسن بن علي بن نفيسة الحنبلي قصيدة في قتل ابن رشيد وما جرى لابن سعود من النصر، وهي هذه:

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| لك الحمد يا منان والفضل والشكر | لقد قلت أن العسر يتبعه اليسر |
| ففرجت عنا الكرب من بعد ذلنا | تفضلت بالأنعام إذ مسنا الضر |
| ترينا بعدل منك إظهار عجزنا | فتعطف بالحسنى علينا فتستر |
| فتحت لنا فتحاً وأظهرت أمرنا | وقدرت منا الحد فاعتدل النصر |
| لقد حشدوا أهل الشقاق وألبوا | جنوداً كأوياش الحماها القفر |
| نجوم نفاق في قرى نجدنا بدت | ولكن خفت لما سمي فوقها البدر |
| وكل على ساق العداوة قائم | حراساً لو اسطاعوا لنا فرصة كروا |
| وقد أجهد الطائي في حرب شيخنا | وحاول أمراً والإله له أمر |
| وكاد ولم يترك خنا وخديعة | ولم يدر أن السوء يحقه المكر |
| أتى بطغام أعسرين وأنهم | لدى القرن ميل إذ يصادمهم نفر |
| وساقهم سوقاً حثيثاً حينهم | فقاتهم الإقبال وأنهتك الستر |
| نشا العارض النجدي يبرق غدوة | كعارض عاد حالك قذفه جمر |
| ولكنه للمسلمن مسرة | وبالعكس للطاغين يطرهم شر |
| بوارقه حد الضباة ورعده | قواصف من أفواه ما أنتج الكفر |
| فسيره الرحمن قصداً إليهم | وميكاله ليث الشرى ويعضل الكسر |
| إذا فل يوماً للمعادين راية | عليها عقاب الطير حلق والنسر |
| نصف على كل الخميس كواسر | وفي ظلها يشتد من ضمه الجمر |

معوذة من كفه واسع الغني
فلما أراد الله يقضي مراده
تحلب جوا فوق كل منافق
وحيط بهم من كل أفق وجانب
فدقتهم والله ينفذ أمره
فقل عزاهم عند عظم مصابهم
أميرهم المختال أكبر رزئهم
فأكرم بها من وقعة لو شهدتها
فأنالهم من عصبة مقرنية
سراعاً إلى الجلال بطاء عن الخنا
إذا رقدوا أغنموا وإن عاهدوا وأوفوا
وإن سئلوا جادوا بما في أكفهم
حليفهم في شاهق العز ثاوباً

تضل شهوراً رزقها طيب وفر
وأبى لأمر حمه الله يزور
وصبت عز إليه الدما منهم نثر
فإذا عاينوا الأبطال خاروا وما فروا
رحى الحرب ذا قتل وذا شدة الأسر
وحان بلادهم عندما استحکم الوزر
صريعاً وقد حضين من دمه النسر
ولكن بحمد الله فيها لنا وفر
مصاليت في الهيجا أسود لها زئر
ميامين هم ذخركم ضده الدهر
وإن سالموا سروا وإن حاربوا ضروا
فلم يدر مجتدى متى خلق الفقر
وعيشهم خصب ونائلهم غمر

إلخ، وهي طويلة تضمنت مديح آل مقرن والثناء عليهم.

أما أولاد عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، فكانوا أربعة متعب، ومشعل ومحمد وسعود، فأما متعب فهو الذي تولى الإمارة بعد أبيه.
وأخر ما نقول عن عبدالعزيز بن متعب أنه أوتي شجاعة غير أنه لم يؤت سياسة وقديماً قيل:

أعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه

أما مبارك بن صباح فقد حيرته الأقدار وغلبت فكرته حيث لا تغلب.
وكان لما عنف بالكلام على ابن سعود وصالح ابن رشيد لم يشعر إلا وقد أحاط الله بابن رشيد، فبعث بكتاب إلى أين سعود لما علم بقتله كأنه لم يعلم، وكان هذا الكتاب طويلاً عريضاً يقول فيه: (إني لك دائماً يا ولدي يا عبدالعزيز أنا أبوك وعونك وعضدك ولم أصالح ابن رشيد إلا لأفهر الترك، ولكني مستعد أن أمدك بما تحتاج إليه من المال والرجال، المال مالك يا ولدي يا عبدالعزيز والحلال والحرام).

ولما أن قدم كتابه على ابن سعود يحمله زيد المعرقب رسول ابن صباح أراد ابن سعود أن يطلع على الحقيقة، فكلّم الرسول مخاطباً له بقوله: إن والدي الشيخ مبارك أخبرني أنه أمرك أن تكتّم خبر قتل ابن رشيد، فأجابه قائلاً: والله ما نام الشيخ من شدة الفرح عندما بلغه خبر قتله، فعلم ابن سعود بخجل الشيخ مبارك في معاملته تلك، وتعد هذه أيضاً مضحكة من ابن صباح، وكتب إلى مبارك يخبره بوصول الكتاب الأول وما فيه من التهديد بالحرب، وبوصول الكتاب الثاني وفيه التعطفات الطيبة، ثم أخبره بذبحه ابن رشيد وختمه بقول الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

ولقد فرح ابن صباح بقتل ابن رشيد أشد الفرح كيف لا وهو عدوه الألد.

ذكر إمارة متعب بن عبدالعزيز بن رشيد وما جرى من الحوادث

لما تولى متعب الإمارة بعد قتل أبيه أظهر أنه راغب في السلم، فتفاوض وابن سعود، وتم الاتفاق على أن تكون حائل وملحقاتها وشمر لابن رشيد وباقي بلاد نجد بما فيه القصيم لابن سعود، ثم أطلق الأمير متعب من كانوا مأسورين من آل سعود في حائل، فقدموا بريدة وأقاموا فيها، والباعث لعقد الهدنة والصلح والسلم، هو أن ابن سعود بعدما قتل ابن رشيد عاد إلى بريدة برجاله، فوجد أميرها صالح الحسن وأتباعه ومن على طريقته لا يساعدهونه على حرب عدو ولا ينضافون إلى جيشه، وكان لصالح أتباع كثيرون في بريدة، أضف إلى ذلك أنه ظهر لابن سعود عداوة صالح وأتباعه وبما أنه لا قوة لديه كافية لمحاربته، ولا للزحف إلى حائل على أنه يحذر دائماً أن يحس الناس بضعفه يوم ضعفه أو يحسوا يوم القوة على حقيقة قوته، فقام تاركاً لأهل القصيم وشأنهم، وأغار بمن كان معه على عدو غير صالح الحسن وهو ناهش الذويبي رئيس قبائل حرب المواليين لابن رشيد، فأدركه وعربانه في مكان يدعى الرحا، بين القصيم وحائل فقتلهم عن بكرة أبيهم ثم أغار بمن معه على قبائل من حرب في أبي مغير بأعالي نجد فشتوهم وغنموا أموالهم.

أما صالح الحسن فلم يقعد به شره ولم يفتر له همة، وقد علم ابن سعود ذلك على جهة التأكيد في حال إقامته ببريدة بعد قتل ابن متعب إنه اتفق وصدقي باشا على أن ينسحب بعسكر الدولة من الشحية ويحتل بريدة، فسارع ابن سعود إلى بريدة وقد أمن من ابن رشيد بذلك الصلح حتى يقضي على حركة صالح الحسن بن مهنا.

ذكر قتل صالح الحسن بعد إجلاله

إن صالح الحسن والحق يقال يجب عليه أن يكون سامعاً مطيعاً لأوامر ابن سعود ويدين له بذلك لأنه أمير من أمرائه خادماً من خدمه، غير أنه غره الأعداء وسولت له نفسه الاستقلال والاستبداد.

ولما أن قدم ابن سعود إلى بريدة اجتمع بزعمائها وكبرائها وشكى إليهم خيانة صالح وتمرده ونفاقه وعدائه، فبينوا خطأه وطلبوا عزله لأنه تعدى طوره، فقبض عليه ابن سعود وعلى أخيه مهنا وأجلاهما إلى الرياض، وأقام مكانه ابن عمه محمد بن عبدالله آل أبي الخليل أميراً على بريدة، وعاد ابن سعود بعد ذلك إلى الرياض وجد صالحاً وأخاه قد فرا من الرياض، وذلك لأنهما أودعا في السجن للنظر في شأنهما، ولما وجدا من السجن غفلة خرجا وقتلا السجناء وعذبا المراقب وفرا على وجهيهما لأنه وسع لهما هناك، فتتبعهما الأمير محمد بن عبدالرحمن في الفضاء حتى أدركهما فقتلتهما جزاءً وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد، وكان صالح هذا شجاعاً وذا شخصية بارزة وله مقامات في واقعة البكيرية، ولكنها تكررت خيانتته مع ما يتوقع من شره، فقد تمرد على ابن سعود ولبته مطير وجعل يميز الجوائز السنية، أضف إلى ذلك أن الشاعر العوني جعل يؤلب عليه ابن سعود ويهيجه، وقد قال الشاعر العوني في تألبة لابن سعود عليه: لا تأمن محمد بن عبدالله أبا الخليل فإنه ابن عم صالح وطريقتهما واحدة، وقد وقع ما أشار به هذا الشاعر، غير أن ابن سعود أقره على إمارته تسكيناً للثوائر، ولكن العوني وإن كان ناصحاً بهذه المشورة والنصيحة

فقد أسراً أيضاً لمحمد بن عبدالله آل أبي الخليل عدم الثقة بابن سعود والركون إليه، فأصبح مهيجاً وجرى عليه ما سنذكره فيما بعد.

ولما أن قدم ابن سعود إلى الرياض ما كاد أن يستريح من الأسفار حتى جاءه خبر يقول أن الأتراك في أطراف القصيم يحاولون استمالة بعض البادية إليهم، وأن الدويش فيصلاً له يد في المسألة، فنهض عبدالعزيز بن عبدالرحمن يريد قتال الدويش الذي ظهرت خيانتة، فأغار على بعض قبائله وأخذها، ثم عاد إلى بريدة وجهز من فيها من آل سعود الذين قدموا من حائل، فسيرهم إلى الرياض ولم يبق هناك معه فيها غير حاشيته، فاطمأن أهل القصيم وسكن المناوئون، ولكن هنا أمراً جديداً أزعج جلالة الملك عبدالعزيز، وهو أن ابن رشيد كان يفاوض الأتراك في الشحية ويزين لهم الانسحاب إلى حائل، وكان قصده في هذا أن يأخذ ما كان معهم من عتاد الحرب والذخيرة، كأنه يقول أعطونا سلاحكم إذا كنتم لا تحاربون، وذلك لأن الدولة سخطت خطة القائد صدقي باشا حيث لا حرب ولا صلح ولا مسالمة ولا مفاوضات، فأمرت قائداً آخر من كبار جيشها وسياستها يدعى سامي باشا الفاروقي الذي كان يومئذ بالمدينة، أن يسافر إلى حائل للمفاوضة مع ابن رشيد، فجاء سامي باشا مرغياً مزبداً واجتمع بالأمر متعب في سميرا قرية من قرى حائل، فاتفق وإياه على أن يكون القصيم في حوزة الدولة وهذا يعد من تغفيل الأمير متعب كيف يعطي ما لا يملكه.

ذكر المفاوضات بين ابن سعود وبين مندوب الدولة

قد ذكرنا اتفاقه مع ابن رشيد ثم إنه قدم إلى القصيم للمفاوضة مع ابن سعود وقد ظنه كالأول، فلما جاء سامي باشا، عزل صدقي وتولى بنفسه قيادة الجيش في الشحية، ثم أرسل إلى ابن سعود يطلب الاتفاق به، فسار ابن سعود ووافاه في البكيرية، فلما جلسا للمفاوضة أغلظ القول على ابن سعود وجعل يتهدد وما كان لابن سعود أن يصبر على ضيم، فصارت المذاكرة منكرة، وقام ابن سعود بصرامته

وشجاعته فأصدمت في المجلس الحميتان العربية والتركية، فقال سامي مخاطب ابن سعود مرغياً مزبداً: إن أهل القصيم يريدون أن تكون السيادة في بلادهم للدولة، فأجابه ابن سعود الذي ما كان ليراعي جانباً قائلاً: ليس لأهل القصيم رأي في الأمر فهم من أتباعي، فبادر سامي باشا بقوله: إن التابعة تقتضي الحماية وأنت لا تستطيع أن تحميهم ولا ابن رشيد، فأجابه ابن سعود قائلاً: وهل حمتهم الدولة، ثم تمثل بهذا البيت:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ومع ذلك فهؤلاء زعماء القصيم في مجلسك أسألمهم يحيوك، فتكلم إذ ذاك أحدهم قائلاً: إن صالح الحسن افترى عليهم وأنه لا يمثلهم بشيء ولا يرضون عن غير ابن سعود بديلاً، فتكلم سامي قائلاً إنكم تجهلون صالحكم وتتهمون حقوقاً ليس حقوقكم، ما جئنا نسترضيكم ولا نستغويكم، جئنا نعلمكم الإخلاص والطاعة للدولة العلية، ولا معلم اليوم غير السيف، فقال عبدالعزيز بن عبدالرحمن: إني آسف على ما بدا منك، بل آسف لأن وكلت الدولة أمورها إلى مثلك، ما كان العرب يا سامي ليطيعوا صاغرين لا والله ولولا أنك ضيف عندنا لما قمت من مكانك هذا، فقاما من المجلس وافترقا بعد ذلك العنف، ولكن سامي باشا أرسل رسولاً اسمه دياب أبو بكر بعد إذن إلى ابن سعود يقول: يسلم عليك الباشا ويقول أن الدولة تدفع لك عشرين ألف ليرة ومخصصات سنوية إذا كنت تعترف بسيادتها على القصيم.

فلما سمع ابن سعود هذا الكلام غضب وعمد إلى سيفه قائلاً: أتتجاسر يا خبيث أن تحمل إلينا مثل هذه الرسالة، ألم يردعك شمم العرب، ومتى كان ابن سعود يقبل الرشوة فيبيع بلاده ورعيته ممن يريدون استرقاقها، لا أذنس سيفي بدمك يا خبيث، ولكن لا أرد عنك سيفاً بيد سواي،^(١) فبادر الرسول إلى ذلوله

(١) لما قال ابن سعود تلك المقالة، وقف إبراهيم بن علي الرشودي وكان من زعماء بريدة، فقال لابن سعود لا تقتله يا طويل العمر فإنه ينجس السلاح، وقد قيل أن الدولة العثمانية حقدت على صاحب تلك المقالة.

بعدما سمع هذا التهديد وذهب شاردأ وترك الشحية، ولم يرجع الجواب إلى الباشا، بل فرّ هارباً إلى المدينة، فلما كان مساء ذلك النهار بعد صلاة المغرب أرسل ابن سعود إلى الفاروقي ثلاثة من رجاله ينبؤنه ليكون متأهباً بأنه هاجم عليه، ولا بد في اليوم الثاني بعد صلاة الفجر، وما كان جاداً في ذلك إنما كان تهوية جاءت بفائدة، فقد أرسل الباشا ثلاثة من ضباطه مع رجال ابن سعود مسترضياً، فجاء الضباط يقولون: إن الباشا وعسكره ضيوف عندكم واحسبوهم في معيتكم.

فلما استهل رمضان من هذه السنة صفي الجو وسكنت المتحركات إكراماً لرمضان، فصام ابن سعود في عنيزة، ولكنه ما كاد يتم إلا وقد جاءت الأنباء تفيد بأن ابن رشيد يواصل السعي في استقدام عساكر الترك إلى حائل، وذلك يوم عيد الفطر.

ذكر رحيل الأتراك عن القصيم سنة ١٣٢٤هـ

لما علم ابن سعود بمساعي ابن رشيد، جهز لحينه حملة من أهل القصيم ونزل البكيرية، ثم أرسل إلى الفاروقي بلاغاً جاء فيه أن يبارح القصيم وخيره بأحد أمرين، أما أن ينتقل بجيشه في خمسة أيام إلى وادي الدواسر فيحول بعده عن القصيم بينه وبين المفاوضات مع ابن رشيد.

وأما أن يرحله ابن سعود من نجد فيرسل الجنود العراقية إلى العراق والجنود الشامية إلى المدينة، وإذا رفض هذين الأمرين فهو هاجم عليه لا محالة.

وكان ابن سعود جاداً في هذه المرة فعندها قامت الجنود العثمانية والضباط لما علموا بهذه الخطة يطلبون من سامي باشا الإذعان بل طلبوا منه أن يرحلهم إلى بلادهم، وقام بعضهم يهدده بالقتل، وبعضهم قالوا له إن لم تفعل ستندم إلى جيش ابن سعود، فلما رأى القائد ذلك قبل بترحيل الجنود، ولكنه اشترط أن يضمن عبدالعزیز ابن عبدالرحمن سلامتهم وسلامة معداتهم في الطريق إلى المدينة وبغداد، فقبل ابن سعود لذلك واشترط أن ينقل الجنود العراقيين إلى بريدة فيبقون فيها إلى أن يصل سامي باشا بجنوده إلى المدينة لأنه خشي أن يسير الباشا إلى حائل فينضم

إلى عسكر ابن رشيد فيعيد الكرة عليه ابن رشيد وصاحبه الباشا، وقد كان عبدالعزيز بن سعود صريحاً على عادته فقال للفاروقي، إذا سرتم إلى المدينة رأساً رحلنا جنود العراق وإذا حدثم عن الطريق ذبحناهم، وسنكون عاملين بمسيركم.

ثم دعا عبدالعزيز شيوخ حرب إلى مأدبة طعام صنعها، وكانوا هم الذي قد حملوا العساكر، فقال لهم: أنتم الذين حملتم الترك من المدينة وأنتم الذين ترجعونهم إن شاء الله، وستبقون عندنا إلى أن يصلوا سالمين، فقامت حرب وحملت العساكر برجالهم وعتادهم على الجمال وارتحلوا، وبعد أسبوعين جاء رسول إلى ابن سعود يقول: إنهم اجتازوا الحناكية ورحلتهم المدينة فأمر إذ ذاك أن تجهز العساكر الذين في بريدة، فرحلوا على ركائب آمنين شاكرين إلى العراق فلما أن مضى شهران من تاريخ رحيلهم جاء الجواب من السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد شكراً للأمير عبدالعزيز بن عبد الرحمن على معاملته عساكر الدولة تلك المعاملة الشريفة ويسأله أن يرسل أحد رجاله لمقابلته، فأرسل جلالة الملك إلى السلطان عبد الحميد صالح العدل مصحوباً برفيقين إلى الأستانة، فنزلوا ضيوفاً عند الخضر الشاهانية وتكلم الوزراء معهم بكلام سياسي لم يثمر شيئاً، ولم يجيبوا عليه بشيء، وصالح العذل هذا كان شيخاً نبيلاً اختاره عبدالعزيز للرسالة، وكان صامتاً قليل الكلام، ولما سئل بعد ذلك: هل سرتم في الأستانة؟ قال ما سررنا بشيء مثل سرورنا يوم رحلنا منها.

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان حسان السنة في وقته قصيدة في ذكر مآثر الإمام عبدالعزيز بن عبد الرحمن وأفعاله الحميدة في الإسلام وذلك لما جاهد الترك تلك المجاهدة وصابروهم ودافعهم بالمخادعة والإرجاف وأخافهم بالتهديد والوعيد والإرعاب حتى أذلهم الله وردهم خائبين، وبالذل والهوان راجعين فرحلوا عن القصيم وعلموا أن في الحياض من يذود عنها، كلا والله إن منال الثريا لأسهل من منالها والتدريج بالأكفان دون التدريج بوصولها وعناق القنا دون عناقها والأخذ بذراع الأسد دون الأخذ بساقها:

أهاجك أم أشجاك رسم المعاهد
أتذكر عهداً بالأوانس رافها
لفيحاء سلسال المذاقة بارد
كان وميض البرق في غسق الدجى
كان أريج المسك نكهة ثغرها
لها مقل دعج وكف مخضب
وفرع أثيث سابغ متجدد
وقد قويم ناعم متوئد
برهرمة كالشمس في يوم صحوها
فلو كلمت شيخاً بطاعة ربه
لأصبح مفتوناً بها ومولعا
فضلت على تلك الديار وعهدا
فدع ذكر عهد قد تقادم عصره
ولكن زاح عنك الهموم وسلها
وجب للمطاويح المفاوز قاصدا
لشمس تبدي ضوءها فهو ساطع
رأى ضوءه من بالوهاد ومن على
فثاب إلى ضوء المحاسن وأرعوى
وقد بلغت شرق البلاد وغربها
تسامى لها شمس البلاد وبدرها
هو الملك الشهم الهمام أخو الندى
إمام الهدى عبدالعزيز الذي له
أزاح جموع الترك عنا بهمة
ومزقهم أيدي سبأ فتمزقوا
وما بين محمول إلى عقر داره

معاهد أنس بالحسان الخرائد
ويعقيد وصل حافد بالمقاصد
كيعقيد مشتار شهى الموارد
رفيف ثنايا كالأقاح النضائد
إذا هي ناجت وأمقاذا تواجد
رخيص كأعنام بغض العناقد
كديجور ليل حالك اللون حاشد
كغصن من البان المذلل مائد
منعمة تسيي نها كل ماجد
مدياً عليها جاهدا غير حائد
وخال رشادا أن تفني بالمواعد
كمثل سليم شاجن القلب ساهد
وتذكار وصل للحسان الخرائد
بعوجاء من قود الهجان الحرافد
ولا تخش من فتك اللصوص الرواصد
وطالع سعد مشرق بالحامد
يفاع الرعان الشائحات الفدافد
إلى ظل أفياء لها كل شارد
فكا لشمس حلت في السعود الصواعد
وجمع شراد المعالي الشوارد
مذيق العدى كاسات سم الأساود
محامد في الإسلام أي محامد
تسامى بها فوق السها والفراقد
فما بين مقتول مصاب وشارد
كسيراً حسيراً خاسئاً غير فائد

بكره وإجبار وعنف توعد
فهذا هو المجد الأثيل وإنما
وميراث آباء له ومآثر
لعمري لقد أضحى بها متساميا
فتى حسنت أخلاقه فتألفت
فتى دمث سهل الجنب مهذب
أذاق الأعادي والبوادي جميعها
وكم جر من جيش لهام عرمرم
له رأي حزم كالحسام فرندة
ووثبة ضرغام أبي سميدع
وبذل نوال كانسجام هوامع
فيا من سمت أخلاقه وتألفت
عليك بتقوى الله جل ثناؤه
وبالعفو والإحسان والصدق والوفا
وراع جناب الحق في الخلق راجيا
وإياك أن تصغي لمن جاء وأشيا
وما قصده إلا ليحضى لديكمو
وكن باذلا للجهد والجهد قائما
فهذا الذي كنا نحب ونرتضي
وكان على دين النبي محمد
ونصح ولاية الأمر قد جاء ذكره
أبي وفي لا يخيس بعهد
وليس له قصد بأخذ تراثهم
ولكن ببذل المكرمات وفعلها

فعادوا وقد باؤا بخيبة عائد
حوى ذاك عن قوم كرام أماجد
تأثلها عنهم بحسن المقاصد
على كل أملاك البلاد الأماجد
وغنت به الركبان فوق الجلاعد
ولكنه صعب المقاد لكائد
كؤوس حتوف من سمام الأسود
يفادي به شوس الملوك السوامد
ولهزم عزم نافذ للمعانيد
إذا الحرب ألفت بالدواهي الشدائد
تعودها طبعاً لعاف وقاصد
محامده نحو السها والفراقد
واصلاح ما يدعوا لعضل المفاصد
فلإن بها تسمو لشاو المحامد
جزيل ثواب الله يابن الأماجد
يرى أنه بالنصح أعظم وافد
بما قال من زور وبهتان حاقد
بنصرة دين الله عن كل كائد
لمن يتولى الأمر من كل قائد
ويا حبذا الدين القويم لسائد
عن السيد المعصوم أرشد راشد
ولكنه لا يرتضي بالمفاصد
وما جمعوا من طارف بعد تالد
يجود وهذا قيد شبه الأوابد

وفيها وفاة الشيخ عبدالله بن دخيل رحمة الله تعالى عليه وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الزهد الورع عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن عثمان بن دخيل الناصري التميمي ولد في سنة ١٢٦٠ وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وعن الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن؛ وعن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وأخذ عن الشيخ صالح بن فرناس، وأخذ عن الشيخ ابن راشد وغيرهم، ورحل إلى مكة المشرفة في سنة ١٢٨٥ لطلب العلم من الفقه والحديث وإلى المدينة المنورة قبل ذلك في سنة ١٢٧٩ وإلى بريدة في سنة ١٢٩٣ وعنيزة والمجعة والرياض وحفظ القرآن عن ظهر قلب، ثم أنه جلس للتدريس في بلد المذنب من بلدان القصيم وكان ركناً عظيماً وشيخاً فاضلاً زاهداً عابداً واستمر في التدريس من سنة ١٣٠٠ إلى أن توفاه الله تعالى في هذه السنة وقد تولى قضاء المذنب.

ومن عجائب ما جرى في تاريخه أنه بينما هو مرة نائم في القائلة في حجرة بيته إذا أيقظه موقظ ففتح عينيه فإذا حلقة من الجن قد أحاطوا به فسلموا عليه بأحسن تحية ودعوا له وطلبوا منه أن يدرسهم وقالوا نحن إخوانك من الجن نطلب منك أيها الشيخ أن تدرسنا كما كنت تدرس إخوانك الإنس فتعجل لنا وقتاً خاصاً نحضرك بمجلسك كل يوم مستمعين فخرجوا أن لا نحرم من تدريسك فلما رأى هيئتهم مزعجة في خلقهم قال لهم إن عقولنا لا تتحمل مجالستكم وتدريسكم أما إذا حضرتم واستمعتم فحياكم الله ووفقكم فدعوا له وقالوا نرجوا أن تبلغ فلاناً لرجل كبير يحمل عصا غليظة ويحضر مجلس الشيخ بأن يسمي الله عندما يلقي العصا واقفاً فإنه يؤذينا بعصاه إذا سقطت ثم تفرقوا عنه.

وكان الشيخ جهبذاً عظيماً وعالمًا وعلماً شهيراً دفع ببلاده حتى تقدمت في العلم والتف إليه خلق كثير من طلاب العلم وضربت إليه آباط الإبل حتى أصبح يحف به من الغرباء الذين رحلوا إليه من الآفاق لاستفزاز منطوقة خمسة وتسعون تلميذاً وهؤلاء غير من كان لديه من الطلاب الأهالي، وكل هؤلاء رجال فضلاء

فجرت زيارة^(١) ومواصلة وإقبال على العلم عظيم ولما كان عود الشجا في حلوق المنافقين توصل أعداؤه بمسبته إلى الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد في زمنه فأجابهم يقول: إن ابن دخيل هو الذي رفع بواجب حقكم وإلا فبلدكم اسمها الذنب فسميت بسببه المذنب وكان الأهالي يذبحون كل ليلة لطلاب العلم الأجانب كبشين، ولقد تصدق بعض الأجواد بثمانين لباساً من السراويل للغرباء ألقاها في سطح المسجد الجامع في أيام الصيف ولم يعلم به أحد وسبب ذلك أن فقيراً من الطلاب انكشف فخذه وهو نائم فراءه ذلك الجواد وتصدق بهذا القدر والله لا يضيع أجر من أحسن وبذلك تعلم إلى أي حد ما بلغ التدريس والجد والاجتهاد في ذلك الزمان، وكان يشجع بعضهم بعضاً ويتواضع بعضهم لبعض ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ويصبرون على مرارة العيش ويكابدون قلع الفياقي ومشاق السفر ولا يضجرون.

هذا وما كان هناك مكافئات ولا أرزاق لهم تصرف من بيت المال بل كانوا على بركات الله يسيرون ولما عنده يطلبون وكان الدافع لهم حسن نية وعقيدة.

وأنا أذكر لك مثلاً هوان رجلاً من الطلاب سافر لطلب العلم من إحدى قرى القصيم إلى الرياض وكان يحمل مزوداً على ظهره فيه كتبه وأوراقه وغالبها خط يد فلما كان في أثناء الطريق ضربه المطر بأرض لا ملاذ فيها ولا مخبأ ولا مناص غير أنه سلم لقضاء الله وقدره ولما سثم من السير حافياً لأن نعليه مزقهما الماء آوى إلى شجرة فنام إليها وتوسد مزوده ولما أن برق الفجر قام من نومته بعدما أنهكه التعب فذكر الله تعالى وتوضاً من غدير حواليه وصلى ثم نزل ضيفاً على قوم وفتش في مزوده وإذا لم ينمح منه شيء.

(١) وقد كثرت الزيادة بين الإخوان من طلاب العلم في حائل والرياض والقصيم ويجتمع الأجلة إذ ذاك فيتفاوضون في البحث في مسائل العلم وتذكر السلف الصالح والعبادة والزهد وكان الوقت إذ ذاك قابلاً للبحث والمناقشة في العلوم النافعة ويجمعون في محبة الله عز وجل ويتفرقون على ذلك.

وفيهما ولد سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن وكانت ولادته في الرياض في شهر شوال، وكان في ولادته كاسمه فقد كان وجوده عقيب ذبحة ابن رشيد وانتصار والده وكانت والدته ابنة عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن فأبوه زعيم العرب وأمه ابنة شيخ عظيم جليل فحق له أن يكون نجيباً ومن كان والده عبدالعزيز وجده الشيخ عبدالله بن عبداللطيف فإنه جدير أن يكون باقعة في الدهاء والسياسة والتقدم.

وكان فيصل أديباً ناقداً عبقرياً ذواقاً ولو قام كل شعب يفخر بأمر من أمراء لقام الشعب السعودي يفخر بالأمير فيصل.

ذكر إمارة أبي الخيل في بريدة

لما أن نصبه إمام المسلمين أميراً في بريدة في هذه السنة ما كان ليقنعه ذلك بل تحركت منه جارحة آل مهنا فأبدى الخيانة والمكر يريد الاستقلال وخرج عن طاعة ابن سعود في آخر هذه السنة كما أنه خرج على ابن سعود نايف بن هذال وفيصل الدويش، ولكن أهل بريدة ضلوا على الإجمال موالين لابن سعود وقد تحالف الثلاثة على الخروج عليه غير أنه ما علم بخيانة أبي الخيل بل خرج مسارعاً إلى القصيم لما بلغه خيانة الدويش وابن هذال متأهباً متحققاً فأرسل عندما قرب من بريدة إلى أحد خدامه فيها وهو شلهوب يخبره بقدمه في ذلك النهار وقد كان ابن سعود معسكراً في غدير بالقرب من الشقة بين الشقتين يدعي الفريسة^(١) فشاع أن ابن رشيد هاجم عليه هناك فخرج عبدالعزيز بنفسه مستكشفاً فلم يجد ما يشغل البال أو يستحق الاهتمام ثم رجع إلى معسكره وتأهب لزيارة زوجته في بريدة فتجمل ولبس أفخر اللباس وكانت كسوته زبوناً فاخراً من الكشمير الثمين فوقه رداء من قماش هندي تمتزج ألوانه الزاهية بعضها ببعض وفوقها كوك معطف مزركش بالقصب وفوق ذلك عباءة من الوبر الطيب فخرج من آخر النهار بطييه

(١) وهذا الغدير يسمى بنغب العرجه وسيأتي رجوعه إليه لأنه غادر فيه جيشه.

وبهائه وزينته وسرى تحت جناح الليل يحف به ستة من الخدم ويماشي قلبه جيش من الشوق فيا حسنه من مشتاق إلى حبيب بعد طول غياب.

ولما دنى حف بريدة على قدر مسافة ثلاثين دقيقة منها إذا برسول شلهوب قد وافاه يقول أن محمد العبدالله أبا الخيل قد أقفل القصر وهو متأهب للحرب فوافق مع ذلك أن قعقع الرعد ولعلع البرق في ساعة لا مأوى له فيها ولا بيت يكنه فهطلت الأمطار وهبت الرياح وأمسى الظافر حائراً ورجاؤه والشوق عاد باثراً لا يستطيع الدخول إلى بريدة ولا الرجوع إلى معسكره بعدما بعد منه مسافة ثلاث ساعات فيا لها من ليلة عاصفة ماطرة ليلة مظلمة باردة ليلة خاب فيها الأمل وعظم فيها الخجل وخيانة أبي الخيل أشد وأقبح فوقف ابن سعود حائراً يتعجب من تقلب الأغيار وشدة الهول والأخطار فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وتعتبر هذه أعظم زلة ومكر من محمد بن عبدالله أبا الخيل، فعند ذلك لمز عبدالعزيز فرسه ورجع محزوناً فسمع نباح كلب فساق إليه فإذا هناك بيت من الشعر فنزل عن فرسه والخدم معه وترجل قاصداً البيت ليلجئه عن المطر الهطال وما ذلك البيت إلا خيمة قبيحة صغيرة طولها ستة أذرع وعرضها ثلاثة أذرع وفيها نفوس كثيرة من البشر والمعرز، فتكلم صاحب الجلالة يا أهل البيت نحن ضيوفكم فأجابوه عن غير معرفة أهلاً ومرحباً ولكن البيت ضيق يا أضياف، فأجاب قائلاً إذا لم يسعنا دخل بعضنا فلم يقبل البيت إلا واحداً وظل الباقيون خارج الخيمة فدخل عبدالعزيز الخيمة الصغيرة وكان فيها عشرة أنفار كبار وصغار فيهم عجوز مريضة وشائب مجنون فجلس عبدالعزيز على رحل قرب الباب وقد ضم يديه إلى جنبه من الضيق وجعل يرتعد برداً من المطر الذي بل ثيابه وكانت الجديان تثب على كتفيه والمعزى تبول أمامه والمطر لقبح الخيمة يخر من سقفها والمريضة تتن والمجنون يصيح والصغار يبكون والكبار السالمون من علل يتصاحبون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تالله إنها الحالة مضحكة عجيبة لمن عرف الدنيا وأهوالها، جلس زعيم العرب على ذلك الكور في تلك الخيمة وهو يتأمل حالتها وحالته، فيا لبليه من طولها وعناءها سقف قبيح يكف من الماء القذر بالأوساخ

والعجوز يقلق أنيها والشائب المجنون يؤدي بهذيانه وصياحه والفضا متعكر الجو من مخالب الريح العاصفة والأرض تجري بالسيول، وما تمت الليلة المشؤومة وأسفر الفجر إلا به ركب فرسه وعاد إلى الشقة ليس ثيابه وينظفها لأنها مثقلة بالماء والوحل والأقذار ولما أن وصل إلى تلك القرية رأى أن يذهب إلى بيت الأمير فيها سند الحصيني ولما قصده ونزل عليه خلع ثيابه وناولها الأمير سنداً لينشفها فقام الأمير بالخدمة وأكرم الخيل بالشعير والبرسيم وكانت أراضي الشقة كلجة البحر.

ورأى جدران بيوتها تنهار من شدة السيل والأمطار، فأم بيت الأمير وكان لا يزال يملك بيتاً فيه غرفة ذات سقف وفيها نار موقده تتأجج فشكر الله على ذلك، ثم تصلى ويس ثيابه وأزال منها الأوحال ثم ركب يقصد بريدة.

وجرى عليه في هذه المخاطرة وهي دخوله بريدة وإتيانه قصر الحكم فيها وأبو الخيل محارب داخله أعظم مخاطرة وقد انتقد هو جرائته تلك، غير أن الله تعالى دافع عنه، ذلك بأنه لما دخل بريدة ذهب إلى القصر فوجده مغلقاً ومقفلأ فقرع الباب فسئل من أنت فأجاب أنا عبدالعزيز بن سعود فلم يسع من حوله من داخل القصر إلا أن يفتحوا.

وعندما واجه أبا الخيل رآه يرتعد خوفاً ووجلاً فسأله قائلاً ما بالك قبح الله وجهك فأجابه يقول افترى الناس علي هم يكذبون والله فيما يقولون فقال له صاحب الجلالة عبدالعزيز وقد عنف في الكلام اسكت فما بين أمرك إلا أنت وما زاد على ذلك شيئاً، وركوب بحر هذه الخطة صعب جداً.

ولما أقام ابن سعود في بريدة مستطلعاً الأخبار بعد هذه المخاطرة تحقق خيانة رؤساء مطير فسارع إلى محاربتهم واضطر في أثناء هذه التحركات أن يصالح أعداءه في بريدة فعفا عن زعيم الأعداء الأمير محمد بن عبدالله أبا الخيل على مفضض حين تحين الفرصة للقضاء عليه، ولما سئل كيف تعفو عنه وقد جرى عليك بسببه تلك الليلة المشؤومة أجاب سائله بقوله: «مكره أخوك، لا جرم» يعني أنني مضطر عندما رأيت الحالة حرجة أن أعفو عنه.

فهذا ما جرى من أبي الخيل نسأل الله العافية، وإذا نزع الحياء من العبد فليفعل ما شاء نعوذ بالله من الخذلان، وإذا كان بهذه المثابة فلا يبعد وقوع العذاب عليه.

وقد كان والد الأمير محمد بن عبدالله لما ولاه ابن سعود إمارة بريدة لم يرضها له والده عبدالله بن مهنا الصالح الذي إذ ذاك كان ساكناً في الكويت بل غضب لما علم بإمارته وقال حسبنا الله عليه إنه في الحقيقة لم يعمل خيراً بتولية الإمارة ويا ليتنا سلمنا من هذه الإمارة يا آل مهنا فإنه لم يبعدنا عن ديارنا ولم يشوه سمعتنا إلا الإمارة.

وكان عبدالله والد الأمير عاقلاً طيباً وله من البنين إبراهيم، وفهد، وعبدالرحمن، وكان عبدالرحمن في حجره وهو يقول تلك المقالة وعمره لا يتجاوز سنتين وفعلاً كانت العاقبة سيئة كما كان يتوقعها عبدالله بن مهنا، ذلك بأنه جرى من الأمير محمد بن عبدالله أبا الخليل هذا خروج عن طاعة الإمام عبدالعزيز وسوء معاملة والله يغفر له، وقد قدم إلى الحكم عدل يحاسب على النقيير والقطمير، وكان للأمير محمد بن عبدالله أتباع لا يزالون على العداء لآل سعود وأتباعهم وهم على غيهم وتماديهم حتى أظهر الله طالع آل سعود فسكنوا وأظهروا الولاء.

وفيها قتل الأمير متعب بن عبدالعزيز بعدما حكم بعد أبيه عشرة أشهر قتله وأخويه مشعلاً ومحمداً أبناء حمود آل عبيد بن رشيد، وذلك أنه اجتمع فيصل وسعود وسلطان أبناء حمود المذكورون فتذامروا بينهم على قتل أولئك واتفق رأيهم على أنه ذهب يوم عبدالله وجاء يوم عبيد لسان حالهم ومقالمهم يقولون هؤلاء الصبيان أولاد عبدالعزيز المتعب لا يستحقون الإمارة وستتازعونها فيذللوننا ويفقدون فعلينا أن نقتلها منهم لتبقى في بيت آل رشيد.

ولما أن كان في ٢١ من ذي القعدة في هذه السنة خرج أبناء الرشيد يطلبون الصيد وهؤلاء هم الستة المتقدم ذكرهم وقد خدع أبناء حمود المتذامرون للأمير وأخويه بدعوى طلب الصيد والرمي في العراء على الأهداف فلما بعدوا عن حائل وخفيت أسوارها كان معهم العبيد والخليل في ساعة تقدم فيها أبناء عبدالعزيز بن متعب لأنهم الأمراء وكل واحد قد ركب حصانه فساق كل واحد من أبناء حمود العبيد حصانه على أولئك خفية فتناولوا رؤسهم من أعلى السروج بقرونهم وأغمد كل واحد خنجره بصدر الآخر فسقط الثلاثة صرعى على وجه الأرض يتشحطون بدمائهم والعياذ بالله.

فلما رأى العبيد والخدم ما جرى لم يحرك أحد منهم يده بالدفاع عن أحد ما هو إلا الرشيد قتل بعضهم بعضاً فرفع آل عبيد أصواتهم قائلين الحمد لله هذه آخرة آل عبدالله، ثم تولى الإمارة سلطان بن حمود آل عبيد أحد الفاتكين وما نجي من أولاد عبدالعزيز بن متعب إلا سعود وهو الصغير منهم فر به أخواله آل سبهان خوفاً عليه إلى الحجاز.

ولما جلس سلطان بن حمود على عرش الإمارة كان هنا من ينبغي له الغوائل وهو أخوه سعود جعل يدبر الكيد له ومتى يفتك به، ثم أن الأمير سلطاناً باشر حكمه بالمخاتله فأرسل رسولاً إلى ابن سعود يطلب الصلح وأرسل خفية في الوقت نفسه يخطب ود أهل القصيم ونجد ويستنصرهم على ابن سعود فبينما رسول السلم عند ابن سعود جاءه رسل من الزعماء في تلك النواحي ورؤساء البادية يحملون الكتب التي كتبها إليهم أمير حائل الجديد فغضب لذلك ابن سعود وشم الرسول وهم بطرده فأشار عليه والده عبدالرحمن بقبول ما جاء رسوله من أجله، فعندما قبل عبدالعزيز مشروطاً على سلطان الشروط التي اشترطها على سلفه الأمير متعب وهي أن إمارته تنحصر في حائل والجبل وأن سيادة ابن سعود تعم نجداً والقصيم فعاد رسول السلم إلى سيده.

ثم دخلت سنة ١٣٢٥هـ

ففيها ذهب ابن سعود غازياً بعض القبائل المتقلبة في الجنوب ثم جمع جيشاً من بادية مطير ومن الحضر وزحف به إلى القصيم، وكان قد أخذ بنصيحة العوني وبأن له صدقه في شأن محمد أبي الخيل ووافق ما عنده وعزم على عزله ولكن العوني أذاع هذا السر إلى أخي الأمير فهد بن عبدالله فبلغه أخاه فاحتاط لها الأمير واجتمع بزعماء يستشيرهم فأشاروا عليه بما يفصله عن ابن سعود وزينوا له أن يلجأ إلى ابن رشيد وكان قبل ذلك قد أشار هو وزعماءه على ابن سعود بأن لا يركن إلى ابن رشيد ولا يصالحه بل الحرب أولى، وكان عبدالعزيز قد تحقق من ذلك من كتب سلطان إلى رؤساء القبائل في نجد والقصيم فما تردد

ابن سعود في إخلاصهم له وفيهم من أصدقاء السابقين شيخان من مطير وهما فيصل الدويش ونائف بن هذال.

ولما زحف من بريدة يريد حائلاً لم يتوفق في غزاته تلك كما أنه لم يتوفق في وضع ثقته بالدويش وابن هذال لأنهما قد تعاقدتا مع أبي الخليل على نصرته ابن رشيد والالتجاء إليه، فلما تحقق ابن سعود بالخيانة التي جرت وأن بريدة قد خرجت وتفلتت مطير من يده وتعددت الأعداء ذهب يستنجد عتيبة عدوة شمر ومطير فأفلح بعض سعيه.

وفي خلال ذلك هجم الأمير سلطان بن حمود على قافلة لابن سعود وكانت قد خرجت من قصبتها فأخذها وأمن رجالها ثم قتلهم فشد عليه ابن سعود فلم يدركه بل عاد إلى حائل ثم عرج ابن سعود على بريدة متحماً ما صدر منهم من التقلب لا سيما أميرهم ثم إن كشافة ابن سعود التقوا برجل في الطريق تراءى بهم أمره فقتلوه وفتشوه فوجد معه كتاب يحمل من محمد أبي الخليل أمير بريدة إلى سلطان بن رشيد يعاهده فيه على حرب ابن سعود.

ولما رأى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن تعدد الخيانات والأعداء ذهب يدبر وسيلة الانتقام من الدويش فقد أثارت خيائته في عبدالعزيز أشد الحنق والغضب، وكان من تدابيره أن أذن لعتيبة بالرحيل ليقال أنهم خذلوه، ثم صالح أهل بريدة وعفا عنهم وقد ضرب لبوادي عتيبة موعداً في مكان يدعى الجعله فذهب على خفية واجتمع بهم هناك فقاموا وأغاروا بغتة على الدويش في جهة سدير فلاذ بالجمعة وقد كان فيها حامية لابن رشيد فأدركوه ورجاله في بساينها ففتكوا بهم فانهزموا شر هزيمة وغنموا أموالهم كلها وجرح الدويش في تلك الواقعة جرحاً موحياً.

ثم جاء بعد هذه الواقعة كبار مطير مستسلمين مستغفرين فأعطاهم ابن سعود الأمان ثم عاد إلى الرياض، وما تم له شهر وهو هناك حتى جاءت الأنباء مثبتة بخيانة أبي الخليل وأنه قد عقد هو وابن رشيد عهد الصلح والولاء، فعند ذاك قام عبدالعزيز لفوره واستفز بوادي قحطان وعتيبة ورفض من جاء إليه منضمّاً مع

جيشه من مطير ومن لا يوثق به، وكان ابن رشيد قد غزا في الوقت نفسه عربان ابن سعود فما نال مغنماً بل حصل عليه عطش وظماً فمات عدد كبير من خيله وركائبه فعاد إلى الجبل ونزل في قرية الكهفة.

فيا عجباً لهذه التقلبات، سلطان بن رشيد يعاهد ويغدر، وقد جاء هذه المرة يريد بريدة لحلف بينه وبين أميرها وأبو الخيل تكررت خيانتة بعدما عفى سيده عنه.

وكان أمير عنيزة ابن سليم قد سعى بالتوسط بينه وبين ابن سعود وما كان هذا اللثيم ليفيد لديه عفو ولا وساطة ورجال مطير قد انضموا إليه بعد ولائهم لابن سعود.

وهناك عدو آخر لا يستهان به وهو مبارك بن صباح فقد جاءت كتبه إلى سلطان بن رشيد يحرضه على خصمه ابن سعود ويلح عليه بالاتفاق مع أهل القصيم على حربه ويوشي بينه وبين ابن سعود وقد جرى من كاتب ديوانه مثل ما مر فيه غلطاته حينما كان يكاتب عبدالعزيز بن متعب فبعث هذه المرة مراسله بينه وبين ابن سعود يغريه بآبن رشيد هذا ويغري ابن رشيد بآبن سعود، وجعل كتاب هذا في ظرف هذا وكتاب هذا في ظرف هذا غلطاً منه.

وكان مبارك لثقتة به وإخلاصه له لم يعز له في سابقته وما توفى في ذلك لغلط صاحبه بل كان حظه الفضيحة، فهذه أفعال مبارك بن صباح يغري كل واحد منهما بصاحبه ليضعف الجانبين وهو مستريح وما أشبهه بالثعلب الذي خاف الأسد والنمر فحرش بينهما ليضعفهما وهو رابح من خسارتهما ذهب إلى الأسد وأظهر أنه ابن أخته وقال يا خال هذه وثيقة النسب وتلاها عليه فصدقه الأسد فيما يقول ثم ذهب إلى النمر وزعم له ما زعم للأسد ثم حرش بينهما فاقتتلا قتلاً عنيفاً، وأبو الحصين يهتف من فوق ربوة فلتعش يا خال أبقر البطن أهلكه إلى النار يا عدو خالي الحميم وكلاهما يظن أنه المقصود بهذا التشجيع وعدوه المقصود بالويل والنبور فاستراح منهما وصفا له الجو .

ولقد افتضح مبارك بهذا الغلط الذي هو غير مقصود من كاتبه المشؤوم فلما أن ظهرت الخيانات انحدر عربان ابن سعود يلبونه كقحطان وعتيبة ونزلوا العرض ثم اجتمعوا بمن انضم إليه من الحضر بوادي السر وزحفوا شمالاً إلى بريدة يقصدونها، كما أنه قد انضم مع ابن رشيد شمر وحرب ومطير فتصافت القبائل، وكنتم ابن سعود ما جرى من الأمير مبارك بن صباح وتكرر.

ثم زحف بجيشه من السر إلى المذنب فجاء هناك رجل من أهل القصيم يسمى عبدالعزيز بن حسن وكان رجلاً ذا دهاء وإخلاص له يخبره خفية أن مبارك بن صباح أرسل يتوسط بالصلح بين أهل القصيم وابن رشيد، ولكن ابن سعود لم يحتج إلى خبر في تقلبات ابن صباح وخدعه ومكره، ثم إنه تقدم ابن سعود إلى عنيزة فاستفاد منها أن معسكر ابن رشيد خارج بريدة على مسافة ساعة منها فسرى يريد الهجوم عليه فعلم سلطان بذلك ونقل إلى قرب القصر في بريدة فلحقه ابن سعود وتناوش الفريقان مراراً دون أن يتمكن بعضهم من بعض على أنه في إحدى الغارات عثر فرس عبدالعزيز بن سعود فوق وقع مشؤومة انكسر لها عظم كتفه اليسرى وأغمى عليه.

وكان فيصل الدويش قد جاء فرعاً لابن رشيد، فأنزل أهله في الطرفية وتقدم بجيامة ورجاله إلى بريدة، فلما دنا من عسكر ابن سعود خرجت إليه سرية فنازلته وهزمته وقتلت عدداً من رجاله وغنمت كثيراً من الإبل ثم تتبعت الفلول حتى هجمت على الطرفية فذبحت أهل الدويش واستولت على البلد.

أما صاحب الجلالة فإنه واصل السير على ساقه سريته فوصل إلى الطرفية في وقت العصر وعسكر فيها فلما جن عليه الليل اشتد ألم كتفه حتى منعه النوم والراحة فدعا قواد، وهو على تلك الحال وقال اعلموا أن ابن رشيد وأهل بريدة هاجموا عليكم هذه الليلة فتأهبوا وكونوا متيقظين بثوا الحرس والكشافة في الطرق وحصنوا القصر، وأمرهم بالاستعداد والاحتفاظ.

ذكر واقعة الطرفية الصغرى

لما كانت ليلة خامس شعبان من هذه السنة جاء رجل من بريدة يسعى فوافا رجال ابن سعود وقواده في منتصف الليل منذراً يقول أن ابن رشيد قد خرج برجاله يريدون المهاجمة فلم ير القائد الذي بلغه الخبر أن يزعم ابن سعود وهو في تلك الحال لا سيما وقد كان الجيش مستعداً للدفاع ولكن هنا أمرين أفسدا الاستعداد وهما أن ابن رشيد تأخر فنام الحرس وأيضاً سلك طريقاً غير معروفة إما لأنه ضاع أو كان قصده أن يباغت العدو فلم يشعر السعوديون إلا وهو ورجاله في وسط المعسكر، وكان لما هجم قبحه الله فجأة كانت بادية من جهة وأهل بريدة هجموا مع الجهة الأخرى وأرادوا بذلك احتلال القصر فقام الحرس والحامية فصادمتهم وصدتهم عن الدخول ولما هجم ابن رشيد ذلك الهجوم على السعوديين هجومًا هادئاً لياغتوهم وهم نيام استيقظوا وهبوا إسراعاً للدفاع وجرت مصادمة هائلة واختلط الحابل بالنابل وتضاربوا بكعاب البنادق ثم بالسيوف فسالت الدماء وعلت الأصوات بهذه الكلمة «على المشركين على الخونة» فأطلقت حينئذ البنادق والأسلحة النارية فهب العسكر كله للقتال واستمر الأمر كذلك حتى الفجر، فأصبحت المياه جارية بين النخيل وقد احمرت من دم القتلى، وتقفى حزب الإمام وجنوده الطائفة الرشيدية وأميرها يرددون هذه الكلمة «صبحناكم لا صبحتكم العافية».

فلما أضحى اليوم الخامس من شعبان تجلت هذه الواقعة عن ثلاثمائة وثلاثين قتيلاً منهم ثلاثون من قوم ابن سعود وثلاثمائة من جنود ابن رشيد، وكان الفضل في هذه الواقعة للحضر في الجيش السعودي أما البوادي فشدوا ولم يرجعوا إلا بعد بضعة أيام.

أما سلطان بن رشيد المسلط فإنه فر هارباً إلى حائل معه باديته وترك أخاه فيصلاً في بريدة ليكون عوناً لأبي الخيل فيها.

ومما قال الأديب حسين بن علي بن نفيسة هذه القصيدة رداً على أهل الجمعة والخطوة وأهل بريدة فيما جرى من خروجهم على ابن سعود وعن طاعته في ذلك الزمان وقد شنع عليهم بذلك.

وقلبك للطيف المبهرج يزهب
نوى فرقت للحى فالربع مخلق
فيا عجباً ما خلت مثلك يعشق
غراماً وبرحاً يقتل المتشوق
عفى رسمها والناس عنها تفرقوا
بعيد المدى في وجوده فهو معرق
له قبله والغير صدوا وشرقوا
فغنا بعلياه الحمام المطوق
فأضحى خفي الأمر بالحق ينطق
ورقع دست الملك وهو غرق
ففتح منها كلما كان يغلق
فلما رأوه تثعلبوا وتخرقوا
طغى أهلها واستمردوا وتنفقوا
بأسبابه من ربة الرق أطلقوا
وأعوانكم في حربكم قد تمزقوا
فهذا جزا الإحسان منكم ترندقوا
هناك وأنتم كالحمير تسوقوا
فهلا رفوتم كلما كان فتقوا
ولا عن لئيم تأنفون وتفرقوا
ولا لعدو بالعداوة تصدقوا
بلا منة منكم ولا مال ينفق

أراك لوصل الغانيات تشوق
وتبكي على أطلال ليلي وتشتكي
وتستوقف الركبان تسأل عنهم
فدع عنك تذكّار الصبا إن في الصبا
إلى ذكر من أحيى المكارم بعدما
إمام الهدى بحر الندى مشخن العدى
تفرع من جرثومة المجد فاهتدى
فشيد تأسيساً لآبائه الأولى
به الله أحياء كل موؤد ذلة
وألبس أثواب المعزة أهلها
فحاصر أمصاراً أبت لا تطيعه
تري أهلها كانوا أسوداً بزعمهم
فيا لك من فتح قريب لبلدة
على من لهم لا يرحم الله كلهم
فقل للبريدين قد خاب سعيكم
لعبدة العزيز الشيخ كيف تحاربوا
ألا تذكروا حرب المليدا وما جرى
لآل رشيد ترعوون وتسمعوا
فما لصديق تحسنون صداقة
ولا لكريم تشكرون صنعة
أنبيوا لمن ولاه ربي زمامكم

ولا منة أيضاً عليه لغيركم
إمام هداة الله للعدل فاهتدى
ومن يأب إلا السيف فالسيف مصلت
فأكرم به في حالة الجود والندى
وأكرم بمن والاه شدا إزاره
خليف الندا والجود أعني محمداً
ولا تنسى كل المقرنين أنهم
وما فيهم من سيء غير أنهم
ولا سيما عند الوغى حالة اللقا
جريون حين الباس لا يستفزه
مطيعون لا يعصون أمر رئيسهم
يقودون الأعداء جرداً سويحاً
تراهم كأسد الغاب في كل بهيمة
إذا جثت صبح الكون دار ضديدهم
فكم ذللوا صعباً تعدى لظوره
حثة ناس للشقاء تحزبوا
فيا راكباً أما لقيت ابن عسكر
وينقاد بالإذعان فالحق قد سمى
فتوح من الرحمن تترى ومنه
وقل لتميم نسل آكلة النوى
على طاعة الله ثم لأمره
سلامي لمن أنباكمو أن فخركم
فلا تبطرون الحق عودوا لطاعة
فما قلت قد كان منكم أنفاً

سوى أنه في ربه متعلق
له الناس منهم راغب بل ومشفق
عسى الله أن يهدي به من هو أحق
وعند العدى والحرب والخيّل تعرق
جناحاه سعد والهمام الموفق
وصول الحبلى المحتدي المتشقق
سلالة ناس للمكارم يرتقوا
إلى كل مأثور من المجد أسبق
تجدهم لدى الهيجا أشد وأخنق
قراع الأعادي والأسنة تبرق
إذا ما دعا جاءوا سراعاً فأحدقوا
وقوماً تسد الأفق للخصم ترهق
عوايس للأقران يردوا ويوثقوا
تجد أئمة تنعى وهاماً تفلق
وناساً لما يابى الإله تلفقوا
خفافيش أعشاها من الحق مشرق
فأولى له بعد النفاق يحقق
فإن سبيل البغي والجور ضيق
فليس لمن عادى مفرّ وفتق
أجيبوا لما قال الإمام وأطبقوا
تعيشوا وتهودوا للصواب وترزقوا
يعود وبالأ في المآل فيمحق
ولا تقبلوا أن جائكم متزندق
فتوبوا فباب العفو ليس يغلق

لقد خاب أهل الظلم وانثل عرشهم
وأولاك ربي أنعماً دام ظلها
فأول رعاياك المساكين رافةً
وكن شرساً فظاً غليظاً لمن عتى
صفوحاً عن الزلات للشرع تابعاً
ودم سالماً تولى الجميل وتصطفي
وهاك على قدر الذكاء قصائداً
وختم نظامي بالصلاة مسلماً
وأصحابه والسالكين سبيله
جميعاً وأعداء الشريعة إسحق
عليك ولا لقيت ما كان يوبق
بشكرك والتمجيد يولوك ما بقوا
حليماً رحيماً نحو من كان يتقوا
ولا تصغ للنمام إذا يتشدق
كرائم أموال العداء وتمحو
فكفك بالجدواء للفقير تحلق
على المصطفى والآل ما ذر مشرق
مدى الدهر والأيام ما أخضر مورق

قد ذكرنا هزيمة سلطان بن رشيد وفراره إلى حائل، وكان قد ترك أخاه فيصلاً
عوناً لأمير بريدة ومساعداً، وأيضاً ليعده عنه وعن حائل لأنه يود فراقه وإبعاده
وما ذاك إلا لما بين آل رشيد من القطيعة للرحم وحب الرئاسة، فلا يسمح أحدهم
للآخر بالإمارة، ولما انتهت هزيمة العدو وعاد من سلم من أهالي بريدة فارين إليها
فزحف ابن سعود يتبع فلو لهم.

ذكر واقعة السباخ

وسببها أن أهالي بريدة لما أسخطوا ابن سعود وقاموا ضده يقاتلون تحت راية
ابن رشيد بإضلال أبي الخليل لهم كما هو معلوم انتصر ابن سعود عليهم وعلى
الطاغية ابن رشيد الذي ما لعهد ولا ميثاق قيمة عنده أقبل ابن سعود بعد تلك
الواقعة المتقدمة مغضباً وحق له ذلك، فأغارت خيله على بريدة وغنمت المواشي
التي خارج السور كلها، ثم إنه عاد ونزل في الزرقاء وكانت خباً منخفضاً على
مسافة ساعة من بريدة شمالاً بغرب، فأباح لعسكره القرى التي ساعدت أهل
بريدة مجازاة لهم على نكثهم، فنبهت الجنود قرى بريد كالسباخ ورواق وخضيرا
وخب القبر، وظل أهل بريدة فيها عشرين يوماً داخل البلد كأنهم في حصار، فلم
يخرجوا لا موالين ولا محاربين، غير أن فريقاً منهم أرسلوا على خفية إلى ابن

سعود معذرين بأن أبا الخليل مستولي على البلد بمن معه من رجال ابن رشيد وأنه إذا انسحب يعنون ابن سعود من جوارها يكون لهم قدرة على أن ينهضوا على أميرهم ومن معه من شمر، مع العلم بأن آل مهنا فيهم حقد على آل سعود، وقد ملّ أهل بريدة إمارتهم وظلمهم، ولكنهم في وقت الحال لا يستطيعون أن يقاوموا أميرهم ويتخلصوا منه فبهذا لا يعينون عدوه عليه، بل كانوا يوماً معاً ويوماً عليه، وإذا كان الأمر كذلك فإنهم ظلوا حيناً يخدعون ابن رشيد إن خافوا منه، ويخدعون أميرهم، كذلك وحيناً يخدعون ابن سعود، هذه خطة أهل بريدة في إمارة أبي الخليل، وليس هذا بعذر بل الواجب عليهم إذا ابتلاهم الله بأمراء يخرجون عن طاعة ولي الأمر ويتمردون عليه كما مر في كتابنا وقبله لا يلتفتون إلى معصية أميرهم للوالي بل ينفضون أيديهم منه ويقومون ضده ولا يكونوا مذنبين، فلوا فعلوا ذلك ولا أقل من أن يكونوا على الحياد مع الأمير لاستفادوا راحة لأنفسهم وأمناً على أموالهم، كيف لا وفيهم إذ ذاك الوقت رجال أكفاء يستطيع واحداهم أن يكون باقعة يوقف كل معتد على حده، ولكن ما الحيلة وهم في طبائعهم وسبحياتهم على عدم الخلاف لمن تأمر عليهم، ومع الأسف لم يكونوا يعرفون الطريقة التي تصلح أمرهم مع الإمام الأعظم غير أنهم استفادوا ما ذكرنا في السنة الآتية وبيضوا وجوههم في معاملة ابن سعود وصلح أمرهم معه حتى حصلوا منه على غاية الثقة والولاء.

رجعنا إلى ما فعل بهم ابن سعود بعصيانهم وعلى نفسها تجني براقش.
فنقول: لما كانوا منه في شبه حصار قام من كان في بريدة من شمر عاثين على سلطان بن رشيد في انهزامه وطلبوا منه أن يعود إلى بريدة فبادر الأمير سلطان وزحف من حائل حتى دخل بريدة ليلاً وأخذ وأبا الخليل يتبادلان الرأي فيها.
وعندما علم ابن سعود بقدومه مشى إلى عنيزة وتقدم منها حتى كان على قدر مسافة ساعة من بريدة، فالتف إليه عربانه الذي فروا فيما تقدم، وقد كان ابن رشيد في زحفه لمناصرة أهالي بريدة مرّ في مسيره على رعاة لابن سعود، ففاجأهم خيله، فأخذتهم وغنمهم ابن رشيد.

ولما كان بعد غروب الشمس خرج رجل من بريدة لأن يقطف الرطب من نخل له في السباخ، فحينما صعدھا إلى فرعھا رأى النيران مشتعلة في العشاش قد أضرمھا ابن سعود وجنوده، فأقبل منهزماً إلى بريدة وأخبر أبا الخليل بذلك، فأمر على أهل البلد أن يسيروا آخر الليل إلى جهة باب البلد الجنوبي، فجعله لهم موعداً، وبات يدور على الحصون والأبراج التي في سور البلد يحثهم على الثبات، وما زال كذلك من قديم في شدة الاحتفاظ.

ولما أن طلع الفجر خرج الناس على أهبة للقتال، فالتقى الجمعان في موضع يدعى سعة الله، قريب من البلد على قدر عشر دقائق، وحصل قتال شديد وجلاد أكيد، اشتركت فيه البدو، وكان لما هجم البدو احتاط لذلك ابن سعود وجعل الحضر في مؤخرهم ليمنعوهم من الفرار إذا أحسّوا بالهزيمة، أما الحضر فإنهم في الجيوش العربية كالجنود النظامية، وأما البدو فهم بدو وغزوهم وقتلهم ونصرتهم بل وكل أمرهم عجب، فلا إله إلا الله ما أعجب حالة البدو كما في كلام بعضهم يصف البدو أنهم كالقرلى أن رأى خيراً تدلى أو رأى شر تعلّى، وقد كان هذا المثل صادقاً عليهم، ومن عادتهم أن يجيئوا ويرحلوا ويحاربوا ويشردوا كما توحى إليهم طباعهم وترشدهم الحوادث.

فانهزم الإمام عبدالعزيز وقتل من رجاله خمسة وأربعون مقاتلاً في مزارع السباخ وبين نخيلها، واستمر عبدالعزيز في سيره جنوباً حتى وصل إلى عنيزة، ثم نقل منها إلى البكيرية، ثم الحرس وجعل هناك يجند الجنود من الحضر، وتراجع أهل بريدة وقوم ابن رشيد وعاد سلطان إلى الجبل وترك أخاه فيصلأ أيضاً في بريدة ردتاً لأبي الخليل.

ولما بقي فيصل بن حمود عند الأمير محمد في بريدة جرى بينهما خلاف، فغضب فيصل وعاد إلى الجبل، ولما أن قدم على أخيه فيها أغضبه وساء فعله، فبعثه بمهمة إلى الجوف وقصده بذلك إبعاده عنه، ثم إن ابن سعود نقل من الرس إلى جهة عنيزة فنزل هناك في جبل يسمى سواج، وجعل يترقب الفرص للهجوم، وبينما هو كذلك علم باختلاف أبي الخليل وفیصل ابن رشيد واختلافه مع أخيه، فسارع إلى جبل شمر،

ولكن البدو لما نصفوا الطريق خذلوه وشردوا ولكنه استمر سائر ونزل بقومه على ماء سقى، فوجدوا هناك قبائل من حرب فأغاروا عليهم وغنموا كثير من أموالهم، فرأى صاحب الجلالة أنه لم يتوفى في زحفه إلى الجبل فعاد إلى الرياض.

ولما أن أقام فيها شهراً جاء رجل من بريدة يخبره أن أهلها مستعدون إذا قدم عليهم أن يهجموا على أبي الخيل، فسار إلى القصيم مسارعاً، ولكن الظروف لم تساعد وذلك أنه لما بلغ الموضع المعين للاجتماع خارج البلد لم يجد هناك أحداً فعرض على يديه وعاد إلى عنيزة.

فلما كان بعد سبعة أيام أتاه الرسول منها يقول أنهم مستعدون ومتأهبون للهجوم على أبي الخيل، فزحف ثانية حتى بلغ الخضر الذي على مسافة ساعتين من بريدة، ومشى بالجنود مرتين إلى بريدة لعله يتفق بالأنصار، فلم يخرج إليه أحد، لله أنتم يا أهل بريدة.

فإن قيل فما المانع من خروجهم إلى الميعاد وإحجامهم عن الهجوم على الأمير؟ قيل: إنه يوجد طائفة ليست بقليلة في بريدة أتباع لطاغية مهنا وابن رشيد، فهذا الذي عثر المساعي عسى أن يحصل الأمر من غير قتال بين أهل البلد، فلما كان ابن سعود في ذلك الطلب جاءت الأنباء إليه بأن ابن رشيد زاحف من الجبل لينجد أهل بريدة، فثار مبادراً ليصدّه عن ذلك غير أنه لما بلغ الكهفة وجد الخبر مكذوباً، ولكنه برغش بن طوالة وكان رئيساً من رؤساء شمر كان نازلاً على ماء (فيد) بالقرب من جبلى سلمى هناك فسرى إليه ابن سعود يريد الهجوم عليه.

ولم رآه ابن طوالة مقبلاً إليه ساعة الفجر، راكب النساء على الخيل فسافرت، فجئن بلا قينة مستعطفين، وتقدم برغش بن طوالة إلى ابن سعود طالباً العفو ويعاهده على النصرة والولاء، وأقسم بالله أنه سيكون من رعاياه على الدوام مخلصاً سالماً، وكان برغش هذا هو رسول السلم بين ابن سعود وابن رشيد.

ذكر قتل سلطان بن حمود بن رشيد أمير حائل

ففي هذه السنة قام سعود بن حمود بن رشيد على أخيه سلطان فقتله، وكان

قتله له أن خنقه بجبل فقتله ودفنه في حفرة بالقصر عياداً بالله من هذه القطيعة، وكان قتله بعدما حكم سبعة أشهر.

قلت يا عجباً لآل رشيد حيث جعلهم الله تبارك وتعالى كالنار يأكل بعضها بعضاً، ولما قتله تولى بعده الإمارة وأرسل رسولاً إلى ابن سعود يطلب السلم ويحدد المعاهدة التي خرقها سلطان بن حمود فقبل ابن سعود غير منخدع ولكنه أراد بعقد المعاهدة معه في ذلك الحين أن يحيد ابن رشيد لعله هو أن يتمكن من أمير بريدة وينشط أنصاره فيها فيبدأ بالأهم فالأهم.

وفيها عزل الشريف علي باشا عن إمارة مكة المشرفة بعدما تأمر فيها ستين، فرحل منها ومعه من الأموال الطائلة والذهب الكثير مما كان جمعه في هاتين السنتين إلى القطر المصري فاشترى به أملاكاً وعقاراً وقصراً بديعاً في ضاحيه من ضواحي القاهرة، وعاش فيه عيشة الملوك والأمراء، ويأوي إليه كل غاد ورائح من الأسرة الهاشمية في شدة أو رخاء.

ثم إنه ولي إمارة مكة بعده الشريف عبدالإله، ولما صدر فرمان الشاهاني ولايته، وكان بالأسطانة عاجلته المنية بعد أيام قليلة بعد أن أعدّ العدة للرحيل إلى محل إمارته مكة المكرمة، وقد حامت حول موته فجأة الشكوك والظنون وذهبت ببعض من كان ينتظر الإمارة من الأشراف المقيمين بالأسطانة كل مذهب، وأول من كان يتهم في ذلك من هو في طلب الإمارة ليلاً ونهاراً، فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٢٦هـ

استهلّت هذه السنة والدولة العثمانية قد نخر في عظام كيائها سوس الضعف المعنوي باستيلاء أشخاص من ذوي الأغراض الفاسدة على المايين واستخدامهم ذلك النفوذ لدى جلالة السلطان في أمور كانت عاقبتها ذهاب الدولة وشتات أمرها كان يعنيه على ذلك ضعف السلاطين علماً وعقلاً وسياسةً وذلك أنه إذا

جلس على عرش السلطنة والخلافة السلطان منهم فإنه يأخذ ولي العهد بعده ويزجه في قصر بعيد عن العالم لا يجاوزه إلى غيره، ويضيق عليه حتى يتصلب بزعمهم، فآثمر ذلك أن هذا إذا تولى يكون همه نفسه في اللذات والشهوات تعويضاً لها عما نالت في السجن من البؤس إلى غير ذلك من السياسات العاطلة، فيكون قصد السلطان مسرحاً تمثل عليه أغرب روايات النسائية وملعباً للوشايات والأغراض الشخصية.

أما تلك المملكة الواسعة الأرجاء البعيدة الأطراف، فلا شأن لها من نفسه، فأصبحت يديرها شרذمة الاتحاديين، وصارت الدولة العظيمة الشأن إلى التدهور والانحلال، وتجرات عليها الدول الصغيرة التي كانت بالأمس ولايات تابعة له وأخر بلية تقرر الدستور في الدولة العثمانية في هذه السنة، ففي هذه السنة تقرر دستور الدولة العثمانية الذي عاد عليها بالتباب والوبال.

وفيهما في آخرها خلع السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد وبدأ الفشل في الدولة العثمانية.

ذكر إمارة الحسين بن علي الشريف

كان في حالة إقامته بالأستانة يعمل ليومه الذي يرجوه ويسعى لتحقيق فكرته التي ملأت رأسه والتي كان يعتقد أن تحقيقها لا يتم إلا على أيدي أوربية، فمن ثم أخذ يتصل بالأوربيين السياسيين في الأستانة ويستعين بهم على مآربه، وقد تبين واضحاً ما كان يحمله الحسين في نفسه من الثقة بالأوربيين في الحرب العالمية حين استعان بالحلفاء استعانة كان خيرها لهم وشرها له وللعرب والمسلمين، لم يخف على الباب العالي صلة الحسين بالأوربيين وسعيهم معه خصوصاً وقد كان أغلب من يحيط به من جواسيس عبد الحميد الذي كان يعتني بفن الجاسوسية كل العناية، ولكن السلطان عبد الحميد لم يعبأ كثيراً بسعي الحسين لما كان مرتكزاً في نفسه من قوة الباب العالي ما يتلاشى معه كل هذه الصغائر التي جاء يوم كانت فيه جبلاً من الفتنة طحنت عبد الحميد وعرشه طحناً في ثورة حزب الاتحاد والترقي.

ولما مات الشريف عبدالإله بعد تعيينه في إمارة مكة بقليل رأي الحسين حينئذ الفرصة سانحة فيجد جده وسعى عند المقرين من الباب العالي، حتى أشار بعضهم على السلطان عبدالحميد بتولية الحسين إمارة مكة وحسنها له ودفع بعض ما كان في نفس السلطان من سوء الظن والريبة، وبعد تردد ومعارضة في السلطان: «إني راضي بتعيينه أميراً لمكة إذا اكتفى بذلك فقط، بل إني أعتقد أنه لا يكتفي بالإمارة فحسب بل يطمح لأكثر منها يهدد يوماً ما عرشي».

ثم أصدر فرمانه الشاهاني بتولية الحسين إمارة مكة على مضض في شوال سنة ١٣٢٦هـ، وقد قال السلطان عقب تولية الحسين بن علي للإمارة: «لقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان بتعيين هذا الرجل لإمارة مكة وياليتي يكتفي بإمارة مكة واستقلال العرب فقط، ولكنه سوف يعمل بدهائه لأن ينال مقام الخلافة العظمى لنفسه».

ولا يخفى ما في هذا القول من المبالغة، ويعد هذا من دهاء السلطان عبدالحميد الذي كأنه ينظر من خلال سيرة الحسين ومسايعه وما عرف من أخلاقه وميوله ما آل إليه أمر الحجاز وخروجه تحت إمارة الحسين على الدولة العثمانية وانضمامه إلى صفوف أعدائها الذين كانوا يعملون نهاراً وليلاً على تقويض بنائها وتشتيت شملها واقتسام أجزائها.

وقد ظهرت مطامع الحسين ونواياه بإزاء الدولة العثمانية واضحة جلية وجر على نفسه وعلى الحجاز، بل وعلى العالم الإسلامي بسياسته وبالأ كبيراً، فإنه كان ذا آمال كبار ومطامع عظيمة وحلم بعيد المدى بالامبراطورية العربية ولكنه مع الأسف لم يكن يعرف الطريق الموصل إليها وإلى تحقيق مقاصدها، فلذا ضلّ سبيل الرشd ووقع في الفخ الذي نصبته له دول الاستعمار ولكن كما قيل:

ستعلم حين ينكشف الغبار
أخيل تحت رجلك أم حمار
وكان صدور فرمانه في ٦ شوال من هذه السنة، وكان كل صاحب مركز عظيم في الدولة العثمانية تصدر بتوليتهم هذه المراكز فرمانات وهي كلمة فارسية معناها عهد بالولاية.

ولعمر الله أنه لمأ يذيب حبة القلب أن يجعل في ألفاظ الفرمان صورة لا تليق إلا بالله رب العالمين، وهذا الفرمان يصدر من الباب العالي بالألقاب الضخمة والألفاظ الجوفاء، فيوجد فيها من تفكك الألفاظ وسخافة المعنى وركاكة التعبير ما تنكره اللغة العربية.

تعريب الفرمان الذي صدر لحسين بن علي أمير مكة المكرمة

بما أن الله سبحانه وتعالى جل شأنه وعم نواله قد نظم خلق كونه وأحسنه وجعل كل شيء عنده بمقدار، فقد اختص ذاتي بكماله قدرته الأزلية لتكون خليفة للإسلام وسلطاناً للأنام، وجعلني سبحانه وتعالى بكمال عدله شرف الملوك وجعل سيادتي ملجأً للخاص والعاص لذا كان من الواجب على ذاتنا الشاهانية والمحتم على دولتنا العلية أن نجعل أبواب عواطفنا الملوكية مفتحة لكل من قام بحسن خدمتنا وبرهن بعمله على صداقته لدولتنا العلية حيث أن أنواع مكارمنا التي لا غاية لها متهيئة لذوي الصدق من رجالنا وأنت أيها الشريف المحترم من أعظم رجال سلطتنا، كما أنك سابقاً من أعضاء لجنة شورى دولتنا ومتخلق بحسن السيرة والفتانة والنجابة، وإن آمالنا الشاهانية تؤمل في نجابتك حسن الخدمة وإظهار مآثر الصدق لدولتنا العلية.

وبناء على هذا الأمل أعربت عن عواطفنا المنيرة السلطانية في اليوم السادس من شوال عام السادس والعشرين بعد الثلاثمائة والألف مصحوبة بكمال توجهاتي السنية وتما عناية الشاهانية فأحسننت ووجهت الرتبة السامية الوزارة إلى عهدة استعدادك وتأهلك بموجب إرادتنا الملوكانية أخص بتوقيعنا هذا الملوكاني الرفيع للقدر حائز لنشانين العثماني والمجيدي المرصعين الدستور المكرم الوزير المفخم نظام العالم مدير أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الآنام بالرأي الصائب، مهتماً ببيان الدولة والإقبال مشيداً أركان السعادة والإجلال المحفوظ بصون الملك الأعلى وزيري المختص الشريف حسين باشا أدام الله إجلاله

وأعطيتك هذا المنشور الفائق السرور، وأصدرت أمري الملوكاني بتفويض رتبة الوزارة الجليلة إليك من تاريخ فرماني هذا، إلخ، وهنا صورة منيفة أيضاً على نمط هذا الاختراع والتطوير.

ثم إنه بارح الشريف حسين بن علي الأستانة، فوصل إلى جدة ميناء الحجاز صباح يوم ٩ ذي القعدة من هذه السنة فاستعد الحجازيون لاستقباله استعداداً عظيماً، وحضرت الوفود من مكة والمدينة وغيرها من الحاضر والبادية إلى جدة في انتظار الباخرة طنطا التي استقلها من الأستانة.

ذكر استقبال الحسين بن علي لما قدم الحجاز

لما أن وصل الحسين إلى جدة في اليوم المذكور اكتظ رصيف الميناء بالمستقبلين وعلى رأسهم الأشراف، فحيوه أحسن تحية وأظهروا له كامل السرور بتوليته إمارة مكة، وتلك عادة الحجازيين يظهرون السرور وإن كانت القلوب بخلافه.

فنزل ضيفاً على الشيخ محمد حسين نصيف، وألقى تحيةً له صاحب مدارس الفلاح بمكة وجدة ومبای والبحرين، وهو الحاج محمد علي زنيل بخطبة مسهبة حوت من غرر المديح ودرر الثناء شيئاً كثيراً، فكان جوابها التأثر من الحسين الذي أسأل عبراته من مآقيه، ثم تكلم الشريف معرباً عما في نفسه لتلك البلاد وأهلها من الحب وما يرجوه لها ولهم من الخير.

ولم يبقَ في جدة إلا ريثما تلقى وفود المهنيين، واستراح من وعشاء السفر ومشاق البحر فشد رحله ميمماً أم القرى، فبلغها في اليوم ١٢ من ذي القعدة فكانت الحفاوة والاستقبال قد بلغا إلى حد العجب ونزل بيت الإمارة في محله الغزة بجانب سوق الليل، وكان قصراً بناه محمد علي باشا حين استولى على مكة وجعله وفقاً على منصب الإمارة، وكانت الدولة تجعل بجانب الشريف الذي يتولى إمارة مكة والياً من قبلها من الرجال العسكريين أو الإداريين يكون إليه الجيش النظامي والمحاكم وإدارة الأموال وعلى العموم كل مصالح الحكومة النظامية، وكان مقر هذا

الوالي في الحميدية بجانب الحرم الشريف، وقد بنتها الدولة العثمانية مقرأً لمن تبعته من الولاة.

أما عمل الشريف فإنه يكاد ينحصر في شؤون البدو وما إليهم، ولكنه بحسب قوة الشريف يتدخل في الأمور النظامية أو بعضها خصوصاً إذا كان الوالي من قبل الدولة ضعيفاً فترى الشريف يتدخل بما ليس من وظيفته، وهذا على حسب الأشراف، ولقد نشأ من تغالب هاتين السلطتين متاعب كثيرة للدولة والأهالي وضاع بسببه أموال كثيرة وحقوق ليست بقليلة، فإنه لا يمكن أن تصلح بلد فيها سلطتان تدير كل واحدة إلى جهة وتحاول كل منهما التغلب على الأخرى، ولكل واحدة منهما من القوة ما يغريها ويحملها على المشاكسة، وإذا كان الأمر كذلك فهل يخفى أن الحسين لما فطر عليه من النصرة العربية يكون أشد الأمراء الأشراف مشاكسةً ومعاكسةً للوالي التركي، فالله المستعان.

ذكر ابن سعود ودخول بريدة في ولايته للمرة الثانية

ففي هذه السنة عاد صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بعد ما تمت المعاهدة بينه وبين سعود بن حمود بن رشيد إلى البكيرية، فعسكر فيها وسار بنفسه إلى عنيزة يريد استرجاع بريدة وما قطع اليأس منها، وجعل يستطلع الأخبار، فأخبر أن أهل بريدة مستعدون الاستعداد التام هذه المرة وكانوا صادقين وعازمين على الهجوم، ذلك لأنهم قد ملوا إمارة آل أبي الخيل وانتقدوا فعلهم، فبادر عبدالعزيز إلى حصانه وعدا به عائداً إلى البكيرية، فقطع مسافة خمس ساعات في ساعتين ونصف وأمر عند وصوله بالزحف السريع إلى بريدة، فزحف الجيش في ذلك النهار إلى أن وصل حوالي بريدة عند غروب الشمس فنزل موضعاً على مسافة أربعين دقيقة شمالاً عنها، وأين الرجال؟ أين المستعدون للحرب؟ الحق يقال أن السيادة كل السيادة فيها لمحمد بن عبدالله أبي الخيل.

فقام أعضاء أهل بريدة ورؤسائهم وهم الذين بيدهم الضبط والربط يرأسهم

محمد بن عبدالرحمن بن شريدة وعبدالكريم بن ناصر آل جربوع وآل مبارك وآل رشودي فبعثوا إليه في موضعه ذلك الذي يعرف بالحسيانة رجلاً على خفية يدعى بعبدالكريم بن عبيد الملقب «قني» تصغير قنو، وكان هذا الرجل عارفاً بالأمور وذا تجربة، أضف إلى ذلك أنه من أهل القافة، وبعثوا معه بكتاب فيه المعاهدة على السمع والطاعة والنصرة وضربوا له موعداً وهو الباب الشمالي لسور البلد مما يليه، على أنه إذا قدم بعد صلاة العشاء الآخرة يجد البلد مفتوحاً، ولما أن أراد الخروج رسول القوم وأجري عليه التفتيش من رجال أبي الخيل لأنهم لا يذرون داخلاً ولا خارجاً إلا أجري عليه ذلك، كان قد احتاط للمسألة وجعل الكتاب بين أطباق نعله وخرز عليه، وأقبل يحمل على عضده حزمة من البرسيم، فكلمه الغبي يقول: ألقى الحزمة وأخرج ما في جيبيك، فلما لم يقفوا على شيء تركوه وشأنه، ولما قرب من ساحة ابن سعود ضحك منه وتكلم قائلاً: أبشير أم نذير.

ولما دعى بالسكين ليشق النعل ويخرج الكتاب كثر ضحك ابن سعود منه، وبعدما قرأ الكتاب لم يكلفهم غير فتح الباب.

ثم إنه جمع رجاله ليلة الدخول الموافقة ٢٠ من ربيع الآخر، فتكلم قائلاً: أين الرجال الطيبون؟ فسكت القوم لا يعلمون قصده فأعادهم يقول: أين الذين يستحيون؟ أين أهل الأنفة والشمية؟ فقام عشرة، فأعاد مقالته فتقدم الجيش كله، فأمر سريتين بالتقدم إلى البلد إذا ما فتح الباب، فيسيرون إلى البيوت التي كانت قريباً من القصر الذي فيه أبو الخيل فيحتلونها.

وحينما دخل الناس في صلاة العشاء الآخرة إذا برجال البلد يتقدمون لفتح الباب على رأسهم الشهم محمد بن عبدالرحمن بن شريدة، فكلّم البواب بقوله: أفتح الباب لتنظر في مدينتنا، ولما أصرّ على عناد قبض عليه وأخذ المفتاح منه ففتحوا، ودخلت السريتان وقدرها ثلاثمائة، فاحتلت البيوت ووقف صاحب الجلالة بالباب، ثم أرسل فرقة عددها خمسمائة مقاتل لتحتل أبراج السور القريبة منه.

وكانت وصايا ابن سعود ثقيلة على قومه في المنع عن الفواحش وآخر كلمة قالها: الويل لمن اعتدى على النساء فإن يدي عليه، ثم إنه دخل على رأس جيشه يقصد من تقدمه من الفرسان.

وما كاد يخرج الناس من المساجد حتى علت الأصوات ودوت صيحات الحرب، فاشتبكت الجنود برجال أبي الخيل، ففرّ ابن سعود هارباً بعدما دوت البنادق يقول ختموني يا أهل بريدة، غير أن الأنصار أدركوه يقولون لا بأس عليك يا طويل العمر، إن البلد لا تخلو من الأعداء، فرجعوا به وأدخلوه في بيت من بيوت بريدة، واستمر القتال طيلة الليل كانت الضحايا بين الفريقين خمسة عشر مقاتلاً عشرة من رجال أبي الخيل وخمسة من رجال ابن سعود.

ولما هدأ القتال تقدم به الأنصار إلى بيت عبدالكريم بن ناصر آل جربوع، فدخل ومعظم رجاله فيه واستراح تلك الليلة بين أولئك الأنصار وجعل وجوه الأهالي يأتونه من كل فج، فاطمأن به المجلس واشتدت ثقته وابتهجت الأهالي بالسرور والبشارة، وقام عبدالكريم يقدم العبيط والتمر والقهاوي لابن سعود ورجاله، فأكلوا وشربوا وباتوا بخير والحمد لله وحده.

فلما طلع الفجر جاء بقية رؤساء البلد يبائعون ويطلبون العفو، فأجاب إلى كل ما طلبوا بشرط أن يسلم المقاتلون السلاح والحلقة، فسلموا قبل وقت الضحى ولكن الأمير أبا الخيل ظل محاصراً يوماً وليلة، ثم طلب الأمان بعد ذلك فأمنه ابن سعود على حياته وتركه يذهب حيث شاء، فرحل إلى العراق ثم إنها أذعنت بريدة وانطفأ نيران الفتنة واستراح أهلها من حكم آل مهنا وآل رشيد من ذلك اليوم.

ذكر ما جرى من الحوادث

ففيها استشار ابن سعود أهالي بريدة في بقاء قاضي آل أبي الخيل في بريدة وهو الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، فأشاروا عليه في عزله، فعزله عن القضاء وجعل مكانه الشيخ ناصر بن سليمان آل سيف مؤقتاً.

أما الإمارة فيها فإن ابن سعود بعدما أفادته التجارب ما كان ليؤمر فيها إلا رجلاً من أهل بيته، فجعل ابن عمه عبدالله بن جلوي أميراً على بريدة، بل وعلى سائر مقاطعة القصيم وناهيك به عقلاً ورأياً وشجاعةً وصرامةً، وشتت الله عز وجل آل مهنا.

وفيهما وفاة مصطفى كامل. وفيها قتل أمير حائل سعود بن حمود آل رشيد، وكان قتله بمساعي آل سبهان بعدما حكم سنة وشهرين، قتل في الموضع الذي قتل فيه أخاه، وكان قد كثر منه الفتن والاضطرابات ونكث العهد. ثم تولى الإمارة بعده في حائل آل سبهان، وبعث الأمير بوفد إلى ابن سعود، وقد قتل سعود هذا والأمور مائجة، وإنما تولى آل سبهان الإمارة لسعود بن عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الذي فر به أخواله عن آل عبيد.

ذكر قتل داعية الضلال عبدالله بن عمرو آل رشيد

وذلك بأن هذا الرجل كان لا يزال والعياذ بالله يسعى في الفتنة وله مؤامرات ضد آل سليم وآل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فشأت الإرادة الإلهية والقدرة الربانية أن يحمل من بريدة إلى الرياض فقتل هناك.

وكان في بداية أمره عليه آثار الزهد والخمول ثم إنه اتصل بعباد القبور والأوثان وتربص بين أظهرهم، ثم قدم من تلك الأمصار يدخل بدعته وتشكيكه حتى اغتر به من قل دينه وعلمه، فلا حيّاه الله ولا يباه.

وقد ألف العلماء كتباً في الرد عليه كالشيخ سليمان بن سحمان وسما كتابه «الجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية» وشتت الله عز وجل أهل الزيغ والريب بولاية آل سعود.

ثم دخلت سنة ١٣٢٧هـ

وتسمى هذه السنة بسنة الجوع وذلك لأن الله تعالى أنزل بالمسلمين مسغبة عظيمة وجوعاً شديداً، وقد ورد في بعض الآثار أن الله عز وجل إذا أراد الجوع

بأهل الأرض ينادي منادي: «يا أمعاء اتسعي ولا تشبعي» فعند ذلك لا ينفع الإنسان أكله، وهذا شيء مشاهد، فقد نقل لنا أن رجلاً استيقظ في جوف الليل فجعل يتضور من الجوع فأيقظ ابنته إلى جانبه في السطح وشكى إليها ما يجده من الجوع، فإذا بها أشد خمصاً منه فقاما لطبخ الطعام، ولما شرعا فيه أبصرا غالب البيوت قد أوقدت فيها النيران للطبخ وقد أصاب الأمة ما أصابه.

ونقل لي أن رجلاً اشترى إحدى عشرة وزنة من التمر، وخرج بها من البلد لعائلته التي تبعد عن المدينة بمسافة ساعة، فما وصلهم بشيء مما كان معه، ذلك بأنه جعل يمشي ويأكل فلم يبق معه شيء فحدثت بذلك بعض من أثق به مستبعداً وقوعه، فقال هذا فلان لرجل سماه أنه أكل في ضحى يوم اثنتين وعشرين وزنة تمر.

واشتدت المسغبة حتى جعل الناس يأكلون الأعشاب والعظام والقذ والنوى وغير ذلك، ونفدت الأطعمة حتى سقط الناس في الشوارع والأزقة موتى على وجه الأرض، وكان سعر البر يباع صاعان في ريال، وسعر التمر خمس وزنات بريال فليس ذلك عن اشتداد مؤنة، غير أن الإنسان يأكل ولا يشبع فجعل الناس يموجون من الجوع ويتضاغون من حر المساغب.

وكان والدنا السعيد قدس الله روحه إذا خرج صباحاً إلى دكانه عجن الدقيق بالتمر وجعله لقمماً في زنبيل وفرقة على من يمر بهم في طريقه من الساقطين على وجه الأرض.

ونقل لنا عن رجل الخير والفضل محمد بن شريدة رئيس أعضاء أهالي بريدة أنه تصدق بكمية من التمر على فقراء أهالي بريدة إذ ذاك لا يقل ذلك القدر عن ثلاثة آلاف وزنة، ولما علم بذلك أخوه منصور شاركه وشاطره فيه يعني جعل الخارج على نفقتيهما جزاهما الله خيراً.

وفيها حصلت مفاوضات بين ابن سعود وبيت آل رشيد لكنها لم تسفر عن شيء يذكر لا سلم ولا عن شبه سلم، فاستؤنف القتال بين الفريقين، فخرج

صاحب حائل ونزل الشعبية وأغار على قبيلة من مطير التابعة لابن سعود فقتل رئيسها وأصاب منه مغنماً، فخرج الإمام عبدالعزيز في طلب الخصم على ذلك الماء فلم يجده فأغار على قبائل حرب وشمّر وغنم أموالهم ثم رجع إلى الشعبية فأقام هناك يوماً يخمس الأخماس وقسم الغنائم.

فلما أن علم ابن سبهان بوجود ابن سعود في الشعبية زحف إليه، فعلم ابن سعود بزحفة فمشى حتى وصل وقت غروب الشمس إلى مكان في النفود يدعى الأشعلي، فنزله وشرع يتأهب للحرب، فأخرج البدو من المعسكر وأبعدهم عنه وأخرج الحضر إلى رأس النفود فتحصنوا فيها، فأمست الخيام خالية ثم أمر ألا تعقل الإبل التي غنموها من شمّر وحرب في هذه الوقعة والقصد في هذا لأن الطمع غريزة البدو فإذا سمعت الإبل إطلاق الرصاص فرت لأنها لم تعقل فيتبعها بوادي العدو ليغنموها، فلما انتصف الليل هجم صاحب حائل وما علم بما نصب له من الحبائل فقصد الخيام الخالية وأطلق الرصاص ففرت الإبل وذهبت ذخيرة العدو سدى، فلحقت بادية العدو تلك الإبل التي شردت، وكذلك أيضاً شردت بادية ابن سعود تحت جناح الليل والظلام، فلم يبقَ في الجيشين سوى الحضر.

فأرسل ابن سعود سرية لمناوشة من هجموا على الخيام، ثم بعد المناوشة أمرهم أن ينسحبوا، ففعلت فظن العدو أن ابن سعود معها وقد انهزم وأنى هيهات أنه ورجاله كانوا كامنين في رأس النفود.

فلما كان عند انفجار الصباح يوم ٥ ربيع الأول أغار ومن معه على العدو، فكانت واقعة الأشعلي المشهورة، كان فيها النصر المين لابن سعود، وخسر صاحب حائل عدداً كبيراً من الرجال والرحال هناك ونكب بضربة تفهقر فيها ومن معه فارين إلى الشعبية.

ثم عاد ابن سعود بعدها بجاضرته إلى قبة وكانت بواديه قد شردت، ثم إنها حصلت بعد الواقعة هدنة بين الفريقين سببها قلة الأمطار والضيق،

وكثرت المشاغب فلم يستطع أحد الفريقين مواصلة القتال، ولكن ابن سعود خرج من قبه غازياً بعض عربانه العاصين في أعالي نجد على طريق المدينة، ثم عاد إلى القصيم.

ذكر إمارة بريدة وقضائها

قد ذكرنا: جعل ابن سعود في إمارة بريدة عبدالله بن جلوي.

وأما القاضي فقد بعث ابن سعود إليها قاضياً وهو الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن بشير، وكان عالماً لا بأس به، غير أنه لا يعرف الرجال ولا يميز الناس، ومعرفة الناس أمر مهم يجب على القاضي، لأن من لا يعرف الناس يظن كل بيضاء شحمة وكل حمراء لحمية، حتى ذكر الإمام ابن بطة الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال: لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون في خمس خصال، فذكر الخامسة معرفة الناس.

وهذا مما يدل على جلالة الإمام أحمد ومحله من العلم فإن معرفة الناس أصلاً عظيم، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فيتصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحق بصورة المبطل وعكسه، وراج عليه المكر والخداع والاحتيال وتصور له الزنديق في صورة الصديق، والكاذب في صورة الصادق، وليس كل مبطل ثوب زور تحتها الإثم والكذب والفجور، وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا.

وقد حصل بسبب عدم معرفة الناس شر كبير في قديم الدهر وحديثه.

أما ما كان من إمارة الشهم عبدالله بن جلوي، فأمر فوق ما يتصور وقد استطاع بفضل رأي وتدبير وصرامة وجراءة أن يسكن الأمور ويهدأ الأحوال ويقضي على الفتن.

وكان هو الذي باشر قتل عجلان في فتح الرياض، وأحد النقباء الذي اختارهم صاحب الجلالة لمعوته في فتحه وهو الذي سلمت مدينة عنيزة في فتحها لما جاء من قبل أبين سعود منجداً، فسلمت في الحال لآل سليم أمراء ابن سعود.

رجعنا إلى غزوات الفاتح فنقول: لما عاد ابن سعود بعد واقعة الأشعلي إلى بريدة وضبط القصيم انحدر إلى الرياض، ولما أن كان قاب قوسين منها التقى برسول من أبيه يقول جنبا جنبا الفتنة مشتعلة في الحريق بين الهزاة.

وكان آل هزان هؤلاء من عنيزة وهم أقارب لآل سعود لكنهم بعيدون، وقد جرى في هذه الفتنة قتال هلك فيه بعضهم لأنه قد قتل بعضهم بعضاً، فأرسل الإمام عبدالرحمن بن فيصل سرية قبضت على القتلة الظالمين وسلمتهم إلى إخوان المقتولين فقتلوهم، ولم تخل الفتنة من مأرب سياسي، فعاد الهزاة بعد رجوع السرية يشعلون نار الفتنة، فاعتدوا على آل خثلان فذبحوا منهم شيخين طاعنين في السن ادعوا أنهما اشتركا في قتل أخيهم الكبير محماس، وأثار هذا الادعاء الكاذب، غضب الإمام عبدالرحمن، وحالما أقبل إلى الرياض صقر الجزيرة ومبيد العداء عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وجاءه رسول من أبيه فرصة يومين ليزور أهله في العاصمة فكان ذلك.

فلما كان اليوم الثالث فزع إلى الحريق ودعا أهل الحريق إلى حكم الشرع، فأبى الهزاة أن ينقادوا للشرع، وحقيقة أمرهم أنهم لا يريدون الخضوع لحكم آل سعود، ثم إنه حصنهم وتحصنوا، فحاصرهم عبدالعزيز شهرين، وفي أثناء المدة يلح عليهم أن ينقادوا لحكم الشرع وهم متمردون وفي حصنهم ممتنعون، فلما أعذر منهم أراد أن يعمل بهم عملاً تنفر منه الطباع للبشرية ويعد في غير البلاد العربية كبيراً. وذلك بأنه أمر رجاله أن يحفروا نفقاً يوصلهم إلى الحصن، فباشروا ذلك، وكان طول النفق عندما تم أربعين باعاً ثم عزم على أن يشعل به البارود فينسف ذلك الحصن نسفاً.

وكان نساء المحصورين وأولادهم ساكنين فوق النفق، فأرسل عبدالعزيز يندرهم ويؤمنهم على حياتهم، ولكنهم أصروا على العصيان واستمروا متمردين، فأرسل إليهم رسولا يقول: إذا لم تخرجوا نسائكم وأطفالكم فأنتم المسؤولون عن أرواحهم بين يدي الله غداً، وكانوا في أول الأمر يظنون أن النفق صنعه تهويلاً، فلما تأكد الحقيقة وأنه قد أحاط بهم البلاء سلموا لتسليم عائلتهم.

فلما أن سلموا عاد ابن سعود إلى الرياض ومعه زعمائه آل هزان إلا واحداً منهم استأذن بالسفر إلى حوطة بني تميم لأشغال هناك فأذن له بذلك ولكن أخاه راشد، أحد الذين سلموا كتب يشير عليه بالفرار وأنه لا حق به، فوقع الكتاب بيد عبدالعزيز، وكانت النتيجة أن صاحبه معاتباً بعد أن كان مكرماً مع الضيوف في الرياض.

وفيها أعني في هذه السنة كانت رحلة البتوي، وقد ذكر في رحلته مكتبة الشيخ عارف حكمت، وقال عنه أنها آية في نظافة مكانه وحسن تنسيقها وترتيب كتبها، وكانت هذه المكتبة المشار إليها أراد صاحبها أن يسير به إلى الإمام ولكن عاجلته المنية قبل ذلك كما تقدم.

ثم دخلت سنة ١٣٢٨هـ

استهلت هذه السنة بخروج العرائف وهم آل سعود الأدنون، وهم الذين كانوا سابقاً أسرى في حائل، فجاء بهم ماجد بن حمود بن رشيد إلى عنيزة، فقاموا يجتازون إحسان عبدالعزيز من الأسر والقتل كما مر بنا في حوادث فتح عنيزة فقاموا يجازون إحسان عبدالعزيز بالعصيان والتمرد وقد يكون بين فتنة آل هزال وخروج العرائف صلة سرية أو أن أحدهما سبب للآخر.

وهذا من أسباب النقض الذي جعله الله عز وجل نقمة على العرب حيث تسلط بعضهم على بعض وقطعت الأرحام وقد طالما نكثت العهود وقتل بعض العرب بعضاً، كما ذبح خزعل أمير الحمرة وذبح مبارك بن صباح أخويه وذبح بندر بن رشيد عمه وقتل محمد بن عبدالله بن رشيد أبناء أخيه خمسة وقتل أبناء عبيد بن رشيد أولاد عمهم وقتل سعود بن حمود أخاه سلطاناً وقتل آل سبهان سعوداً هذا وقتل بعد ذلك آخر الأمراء من آل رشيد قريبه كل ذلك طمعاً في الملك والإمارة.

ولقد طهر الله عز وجل حاشية آل سعود وتاريخهم من دنس دم ذوي الأرحام

والقطيعة فاستهلت هذه السنة في دعوى العرائف وخروجهم على ابن سعود والجوع الذي استمر في أول هذه السنة فإنه اشتد الجذب والشدائد فخرس ابن سعود مبلغاً جسيماً من الأموال والإبل والمواشي ولم يكن لديه ما يمكنه من الحرب للعدو وغزوه.

ذكر الانقلاب في الدولة العثمانية

ففيها ثار حزب الاتحاد والترقي بعدما خلع السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد وتولى السلطنة فيها السلطان محمد رشاد الخامس مقيداً بالدستور وأضحت السلطة المطلقة بيد رؤساء من جمعية الاتحاد.

وبسبب هذه التقلبات جعلت الدولة العثمانية تنظر إلى العرب بعين الحقد والغضب وجعلوا يوجهون قواهم ودسائسهم لخضد شوكة كل من يرونه فيه قوة ويخشون أن تلتزم عليه الأمة العربية.

وأول من يهتمهم أمره وأخصوه بقسم وافر من دسائسهم هو عبدالعزيز بن سعود ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وكان من الثورات أن جهز سعدون حملة كبيرة ضخمة على مبارك بن صباح وكان بعض الزملاء قد وعدوا مباركاً بالمساعدة الفعلية لكنهم خذلوه فأمسى منفرداً في الورطة، فأرسل يستنجد ذلك الشاب الذي يدعوه يا ولدي ألا وهو عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي شب في ظل مبارك غير أنه كان في ورطة أكبر من ورطة مبارك وكان قد اهتم بأمر العرائف، ومع ذلك فقد مشى إلى طلب الشيخ مبارك وقصد الكويت بجيش صغير من العربان وفيهم بعض العجمان.

ولما أن وصلها وافى مبارك بن صباح قد جهز ما لديه من القوة لمحاربة سعدون فأشار عليه عبدالعزيز بالتربص وقال ليس بيننا وبين الرجل خلاف حقيقي يوجب الحرب وإنني أرى مسألته أخرى والمسألة خفيفة وأنا أتوسط بينكم وبين السعدون فشق ذلك على مبارك وما سمع لهذه المشورة وإن كانت صادرة من ناصح وعون له في الشدائد.

فقال مخاطباً لعبدالعزیز أنت ولدي وهل يقبل الولد أن يهان أبوه فقال
عبدالعزیز وقد خجل لا والله ولك مني ما تريد إني ملب الطلب إن شاء الله
ولكنني أسأل والدي أن يمهلني لأستنجد أهل نجد فما معي الآن غير مائتين من
رجالي أما العشائر فلست براكن إليها في القتال؛ فأجابه مبارك قائلاً إني أجند من
الكويت الجنود الكافية ولا أبغى منك غير القيادة، فأجابه عبدالعزیز قائلاً إذا أنت
باشرت التجنيد فابن سعدون قريب منا وعالم بأخبارنا وأعمالنا أجمعها فهو إذ ذاك
يتأهب لنا ولا ريب عندي أن شواوي رعاة المنتفق كلهم سيلتفون حوله، فأمهلني
سلمك الله ومن رأيي أن تسير قوة صغيرة مع أحد أنجالك فتبعد عن أطراف
الكويت وتربص للهجوم على ابن سعدون إذا تفرقت عنه عشائره وسننال مراننا
منه بحول الله؛ فلما قال عبدالعزیز هذه المقالة لم يوافق عليها مبارك بل أصر على
تجنيد الجنود وعلى خروج ابن سعدون معها فوافق عبدالعزیز مكرهاً.

فقام مبارك في هذه السنة فألف جيشاً عدده ألفان من الحضر الشبان الناضرة
وجوهم النادرة شجاعتهم، وأربعة آلاف من البادية ومائة وخمسون فارساً أضاف
إليه عربان ابن سعود والباقي من رجاله فبلغ عدد الجيش كله نحو سبعة آلاف
يقوده جابر بن صباح، فلما زحف هذا الجيش وبعد على مسافة يوم من الكويت
جاء رجل من كبار عرب الظفير ليسأل ابن سعود أن يتوسط بينهم وبين ابن صباح
وقد أكد له ابن السعدون وعرب الظفير يقبلون بذلك فأشار عبدالعزیز بإلزام جابر
الصباح بعد ما عرض عليه الأمر، فكان جوابه لعبدالعزیز أن قال إني لا أعهدك
جباناً فما هذا منك فغضب عبدالعزیز وقال سترون غداً الجبانة وتعرفون أين هي،
فاستمروا ذلك اليوم سائرين وواصلوا السير بالسري.

وكان سعدون باشا لما علم بزحفهم بادر بعشائره بالسير نحوهم يريد الهجوم
وقد كان عدد جيشه نحواً من جيش مبارك وكل جيشه كان من عشائر المنتفق
والظفير والبدور وغيرها وأكثره خيالة؛ فنام عربان سعدون في الطريق لكنهم عندما
أحسوا بقرب الكويتيين استيقظوا وهبوا وتراجعوا إلى مقر القيادة كي لا يتصادموا
وإياهم ليلاً.

فلما انفجر الصباح تكلم عبدالعزيز قائلاً اسمع يا جابر من رأيي أن تأمر البدو بالإغارة على سعدون وجماعتهم فتبعدهم عنا ونشغل العدو.

أنى والله في ريب من أمرهم أما إذا سيرناهم أمامنا فنأمن خيانتهم، لم يستحسن جابر هذا الرأي، وأصر على أن يكون الهجوم عاماً، فقال عبدالعزيز يخاطب أخاه الأصغر سعداً إنني لا أرى غير الهزيمة لهذا الجيش قف معي وقومنا على حده لنتمكن عند الحاجة من الدفاع عن أنفسنا فإن اليوم يوم دفاع يا سعد لأن هؤلاء الناس لا رأي لهم ولا هم يقبلون النصيحة.

فلما رأى جابر أن ابن سعود وقومه اعتزلوا الجيش، لامهم قائلاً أنتم إخواننا والإخوان في الحرب لا يجمعون فخجل ابن سعود وأمر أخاه بالاشتراك في الهجوم فكانت الفاتحة للخييل فأغارت خيالة ابن صباح وكانت مائة وخمسين على خمسمائة من فرسان السعدون فكر هؤلاء عليهم كرات سريعة شديدة هائلة فانهزموا هزيمة شنيعة وانهزم معهم جابر وجيشه بدون قتال ولم يبق مع ابن سعود إلا عشرة فقط من الخيالة وقد فر بقيتهم مع الفارين، وترك جيش ابن صباح لما انهزم كثيراً من المال والحلال من الأمتعة والإبل والخييل فكانت هدية من جيش الكويت لجيش السعدون، وسميت هذه الواقعة «هدية» وكان وقوعها في أول جمادى الثانية.

ولما أن هزم الجيش الكويتي بقيادة جابر بن مبارك لحق بهم عبدالعزيز فما أدركهم إلا في عصر ذلك النهار والهزيمة كانت في صباحه.

ولما أدركهم جعل يهون عليهم الأمر ويقول هذه عادات الرجال والحرب سجال ونحو ذلك من الكلام الذي يجبر قلوبهم وهم في شدة عظيمة أنستهم كل تسلية، فبينما هم سائرون ضلوا الطريق وأدركهم الجوع مع الهزيمة فجاعوا جوعاً شديداً وما كان معهم من الزاد ما يسد رمقهم فلطف الله بهم بأن التقوا بأباعر شاردة من حملة ابن سعود عليها أحمال الشعير فاطعموا الخييل أحمالها ونحروها ليطعموا أنفسهم.

فلما كان في اليوم الثاني جاءهم أيضاً اللطف من الله وذلك بأن فيصل

الدويش لما علم بقرّبهم منه جاء بأهله يلاقيهم فنصب الخيام وأضافهم تلك الليلة ضيافة طيبة، ثم نحر لهم ثانية في الصباح، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ولكن تلك الهزيمة لم يكونوا لينسوا ذكرها فقد أهدت أموالهم لسعدون هدية.

أما مبارك بن صباح فإنه لما بلغت أخبار تلك الواقعة خرج إلى قصره السره يداوي كلومه، فجاءه ابنه جابر وعبدالعزیز ابن سعود وجعلوا يهونان الأمر عليه، ولكنه عقد نية على استنفار أهل الكويت ثانية قائلاً سأجمع والله خمسة أضعاف هذا الجيش وسأحرق المتق فلا يبق منها غير الرماد.

فلما رأى عبدالعزیز شدة الغضب من مبارك خطر له خاطر سياسي ليمحق به كلام مبارك وهو أن يجهز أحد أولاده في جيش صغير فيسير هو معهم ويشاع أنهم ساروا يطلبون العرائف فيبلغ سعدون الخبر فيسرح عربانه فنعيد الكرة إذ ذاك عليه ونحن مدركوه بحول الله.

فما وافقه مبارك على ذلك ورفض ثانية رأيه.

وفي خلال ذلك عاد آل سبهان بسعود بن عبدالعزیز بن رشيد صغير أبناءه الذي فر به أخواله إلى المدينة فرجعوا به في هذه السنة.

ذكر إمارة سعود بن عبدالعزیز بن متعب

رجعنا إلى ذكر بيت آل رشيد لضرورة التاريخ فنقول في هذه السنة تولى إمارة حائل سعود بن عبدالعزیز بن متعب بعدما عاد به أخواله آل سبهان إليها وكان مغيباً في المدينة؛ فقد جاء دوره لسان أخواله المقالي يخاطبونه في صغره يا وليد سنرجع بك إلى حائل والإمارة لآل عبدالله.

فصفت حائل استحساناً لذلك مرحى مرحى وقدم هذا الأمير الصغير فتقلد الإمارة في حائل وعاد يوم آل عبدالله فعند ذلك علم فيصل المبسام ثالث أنجال حمود بن عبيد وقد كان أخوه سلطان قد جعله أميراً في الجوف حذراً منه وإبعاداً له

عنه لما أغضبه ورحمه عن القتل فكان لا يزال مسروراً بهذه الإمارة الصغيرة خصوصاً لما علم بقتل أخيه الأول ثم بقتل أخيه الثاني، ولكنه لما علم برجوع آل عبدالله إلى عرش الإمارة لم ير السلامة لروحه حتى ولا في الجوف، فهجر بلاده ورحل شرقاً ثم جنوباً وذهب مسرعاً حتى وصل الرياض فرمى نفسه بين يدي ابن سعود فرحب به وأكرمه واتخذة لحفة في روحه خدنا ونديما.

هذا هو فيصل المسام الذي كان يسم ويذنب ولا يغيظ صاحب البسمة الإبلية. فلما تربع سعود بن عبدالعزيز هذا على تخت الحكم في بلاد حائل كتب ابن سعود إلى ابن هذال وابن شعلان أحدهما رئيس العمارات والآخر رئيس الرولة والعشيرتان كلاهما من عنزة يستنجدهما على ابن رشيد فأجاباه إلى ذلك وضرب الموعد للاجتماع، ولكن المشاكل تعددت في الحساء وكان مرتبطاً ببعض الموعد وكان قد عقد ابن سعود مجلساً قبل سيره إلى الكويت بشأن العرائف الذين تمردوا عليه وقابلوا إحسانه بالإساءة فتكلم الحاضرون في مهمتهم، وقال أحد الحضور يخاطب ابن سعود ادعهم إليك للجواب فإن أبوا فاضربهم وقرر على هذا الرأي آخرون وتكلم كل برأيه فما استحسّن ابن سعود دعوتهم قائلاً قد يحدث بينكم وبينهم قتال فأكون ذابحاً لذوي القربى وهذا مكروه عندي دعوهم كفانا الله شرهم، فرحل العرائف وهم تسعة معهم خدمهم ورجالهم إلى الحساء ونزلوا على العجمان، وكانوا أخوالاً لهم، ولكن العجمان اعتدوا على بعض عشائر الكويت فنهبهم فهددهم مبارك بن صباح فالتجأوا إلى ابن سعود.

فبعث مبارك كتاباً إليه يسأله أن يسعى في ارتجاع المنهوبات منهم، وكان مبارك بن صباح لما علم بخروج العرائف على ابن سعود وأنهم جاءوا إلى الحساء أرسل إلى ابن سعود يستأذنه أن يدعو العرائف إلى الكويت فيسعى في الصلح بينه وبينهم فقبل ابن سعود ولسان حاله يقول نصلح بينه وبين العجمان فيصلح بيننا وبين العرائف وجزاء حسنة حسنة مثلها.

أما العرائف فقبل منهم اثنان لدعوة مبارك وجاء اثنان إلى عبدالعزيز مستغفرين مستأمنين فأعطاهما الأمان.

وكان مبارك من كمال سياسته إنما توسط بالصلح بين العرائف وبين ابن سعود يريد بذلك جزاء كبيراً عند ابن سعود وهو قتاله معه في الغزوة السابقة لسعدون لما جهز عليه سعدون تلك الحملة العظمى التي ما استطاع مبارك مقاومتها وما أحسن ما قيل:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
ولما أن انكسر جيش الأمير مبارك ذلك الانكسار وعزم على أن يعيد الكرة على سعدون، وأبدى له ابن سعود رأيه في قتاله فرفض رأيه، وافق أن ابن رشيد قد هجم يومئذ على ابن هذال وابن شعلان وهما حليفان لابن سعود فأخذهما في «بصية» على حدود العراق ونجد، فعند ذلك قال عبدالعزيز مخاطباً لمبارك إذا كنت تصر على تجنيد جيش كبير فأنا أترك عندي رعاياي من عرب مطير وأعود إلى بلادتي لأن ابن رشيد بعد انتصاره على ابن هذال وابن شعلان لا بد أن يزحف إلى القصيم، وأخشى أيضاً أن يقوم العرائف بحركة في الرياض فيتفاقم الأمر علي ولا أظنك تريد لي ذلك.

فلما قال عبدالعزيز هذه المقالة وكان ابن صباح قد أمل أن يغلب السعدون ولو بعون ابن سعود المعنوي ندم لما لم يقبل نصيحته وقال إذا رميتني اليوم يا ولدي فليس لدي أحد ينهض بي فيتمكن مني العدو أنا والدك يا عبدالعزيز ولي عليك حق المساعدة والبلد بلدك وله عليك حق الدفاع ابق عندي ولا تخرج مع الجيش ابق عندي فأتسلى بوجودك لدي فكان في كلامه هذا صريحاً.

والحقيقة أن مجرد وجود ابن سعود عنده مفيد فإنه يستأنس بآراءه وتهرب أعداؤه عنه مادام في حماه.

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| يريد احتفاظ في وجود بقاءه | ويأنس في لقياءه من كل عابث |
| فتقنع منه النفس إن كان خائفاً | فتى هابه أهل اللقا في الحوادث |
| أمان لأهل الحي مادام قاطنا | به الله يحمي من خطوب الكوارث |
| ألا إنه حصن منيع عن العدى | حنانيك لا تعجل وأنعم بلا بث |

ثم قال أريد منك أن تقيم وتبقى عندي ثلاثة أشهر فقط؛ قال عبدالعزيز فلما قال هذا الكلام استجبت منه وبقيت فكان مبارك بن صباح أثناء تلك الثلاثة الأشهر مطمئناً فلم يهاجمه سعدون ولكن فوائد قوم مصائب قوم فقد كان عبدالعزيز في قلق دائم لأن ابن رشيد قد تغلب على رئيسي العمارات والرولة وهما تابعان لابن سعود، كما أن العجمان مع العرائف تدمروا عليه وأسند العرائف عائدين إلى الرياض، ومنهم من كتبوا إلى الشريف في مكة يستجدونه على ابن سعود، أضف إلى ذلك أن القبط قد اشتد حره فتفرقت البوادي إلى ورد الماء، وجرى في هذه الحال عثرة كبرى من مبارك، وقديماً قيل: في كلام الحكمة «اتق شر من أحسنت إليه» فلقد قابل أفعال ابن سعود الحسنى بالإساءة وذلك بأنه اعتدى في هذه المدة بعض عربان مطير التابعين لابن سعود على غرب قحطان وسبيع ولاذ المعتدون بابن رشيد فلما وصلوا إلى أطراف الكويت أراد عبدالعزيز تأديهم على فعلهم فتصدى له مبارك مانعاً فكتب إليه عبدالعزيز يلومه لأنهم من قبائله العاصية.

ومن جهة أخرى فإن الأجدرك يا مبارك أن تساعدني كما ساعدتك فغضب لذلك مبارك وخرج إلى معسكره الذي فيه جابر ابنه وراء الكويت فاجتمع بابن سعود وقد اشتعل في صدره الغضب، فكان أول كلمة قاله بها مرادفة للإهانة أن قال أظنك يا ابن سعود تبغي أهلك فأجابه جلالة الملك بكلمة واحدة وهي نعم وخرج من ذلك المجلس كما دخل مبارك إليه مكتئباً متغيظاً.

تالله إنها لحالة عجيبة وأيام عصيبة جرت على عبدالعزيز في هذه السنة معروفة لم يشكر، وأعداؤه قد تعددوا وهجرته بواديه، وهناك الطامة الكبرى وهي قلة المال عنده فما مر عليه في دهره كله مثلها فيا ما أمر فوادح الدهر وقواهره، هذا وهو حاكم نجد وكبير العرب، فعند ذلك حاول أن يستدين من أهل الكويت فاعتذروا خوفاً من مبارك بن صباح؛ فأرسل عبدالعزيز إلى نسيه ووكيله في البصرة وهذا اسمه عبداللطيف باشا المنديل يطلب منه ألفين ذهباً فقط ويقول له أن يقبض القيمة مما تبقى عند الدولة من معاش والده عبدالرحمن الفيصل.

ثم رجع عبدالعزيز بن عبدالرحمن من الكويت في أواخر هذا العام راكباً مطية الإفلاس يعلوه الغم والكآبة.

وفيها في جمادى الأولى تقدم الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن سليم إماماً في مسجد عودة الرديني في بريدة وجلس فيه للتدريس فحصل عليه إقبال عظيم والتف عليه أمة من طلاب العلم حتى أصبح ذلك المسجد ينتابه القريب والبعيد فضربت إليه آباط الإبل من كل جانب وعكفت الأمة حوالي تلك الحلق يستمعون ويدرسون وكان ذلك الوقت قابلاً للتعليم، وينشأ ذلك عن نية حسنة ورغبة في العلم والدين والخير، ما كان لهم مساعدات مالية بل كانوا يعيشون في فقر وقلة ذات يد، ويطلبون العلم بتواضع وأدب وسكينة ويصبرون على مرارة التعليم ويبحثون وينسخون الكتب ويحتفظون في الفوائد ويوقرون من يتعلمون منه ويدأبون في طلب العلم والجد والاجتهاد؛ فنشأ عن هذا الإقبال والنية الحسنة رجال حصلوا على العلوم الشرعية وخدموا الحكومة في وظائف القضاء والوعظ والإرشاد والفتوى امتلأت منهم الأقطار ونشروا علمهم في الأمصار، وبأليت ذلك قد استمر ولكن أنى وهيهات كيف لا وقد أذن الله بالإدبار ورحى المنون لا تزال تدار وأهل العلم لا يزال عقدهم في انتشار.

ولقد جرى على يدي هذا الشيخ العظيم تعليم ديني ونهضة عجيبة لو كانت في مصر أو الشام أو العراق في القرون المتأخرة لامتلأت بها الصحف وافتخر بها الأواخر على الأوائل وقصرت دونها سورة كل مطاول وعلينا أن نذكر تلامذته فيما يأتي في مواضعها وفي ترجمته بعد وفاته.

ثم دخلت سنة ١٣٢٩هـ

ففيها تصالح ابن سعود وابن رشيد ونية ابن سعود في ذلك أن يتمكن من استخدام ما تبقى لديه من قوة في مقاومة العرائف الذين خرجوا عن طاعته

وكان قد أرسل ابن سعود أخاه سعداً وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة إلى عتيبة يستنجد رجالها لهذه الغاية ولكن عتيبة ولت وجهها شطر مكة فانحازت إلى الشريف حسين مضيف بعض العرائف ومكرمهم إكراماً لابن سعود، قائلاً ليس بيننا وبين ابن سعود أيها النجيب غير ما يوجهه حسن الجوار وهذا لا يخفى على نباهات كمالات نجابتكم.

هذا ولم يكن بين الحسين بن علي وبين ابن سعود عداوة توجب الحرب في هذه الأيام، ولكن الشريف كان موالياً للاتحاديين ساعياً في اكتساب ثقتهم طامعاً بالسيادة له ولأنجاله وكانت الحكومة قد فقدت الثقة ببيت آل رشيد بعد أن تعددت فيهم الجرائم العائلية فأدارت بنظرها إلى الحسين وهي ترجو أن يستميل في الأقل ابن سعود إليها، ولا ريب أن الشريف وعدّها بأكثر من ذلك.

ذكر حرب إيطاليا للدولة العثمانية

لما تقرر دستور الدولة العثمانية كان نقباؤها طلعت باشا وأنور باشا وجمال باشا فلما عازمت إيطاليا على محاربة الدولة العثمانية في طرابلس الغرب اغتنمت فرصة اشتغال العثمانيين بثورة حوران فأرادت أن تضعف قوة الأتراك وتشغلهم لتقسيم جنود الأتراك إلى أقسام ليتمكن لها التوغل في طرابلس وتحوز النصر والآمال التي كانت تحلم بها، فرأت أن أقرب وأسلس رجل يعتمد عليه هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي أمير عسير، فخابرتة واتفقت معه، وكان لها من أقارب الإدريسي بمصر رجال يتفاوضون معها وتخابرهم في كل ما يلزم لتنفيذ الخطة الموضوعة وقد تم الاتفاق وظهر الإدريسي للقوم بمظهر الناصح المرشد ينصحهم ويغريهم على الحكومة بقالب مستتر؛ فظهرت المشاغبات وتوالت الشكايات.

فلما جرى بين الدولة العثمانية ودول الفرنج مبادئ الحرب والعداء واتفقت إيطاليا مع الإدريسي كان أول من انضم إلى الحلفاء من أمراء العرب وأول العرب

حمل على الأتراك فأخذ من إيطاليا سلاحاً فاستخدمها ناراً وسياسة، فاضطرت الحكومة العثمانية لأن ترسل قوة إلى عسير فتوجهت النية إلى اختيار قائد ما فعينت سليمان باشا شفيق فتوجه المذكور فوصل إلى عسير بجنوده وسعى لإخماد الثورة بسلم فلم يفلح فطلب ما طلب من جند فأجيب ثم أعيدت ثانية إلى الأستانة بقيت الثورة تتأجج نيرانها، وعقد في أثناء ذلك عدة اجتماعات من طرف الحكومة مع الإدريسي للاتفاق معه وإطفاء نيران الفتنة فلم تفلح وأخيراً أعلن الإدريسي الحرب على الحكومة وهاجم أبها مركز قائدها وحاصرها؛ فبلغ الحكومة ما آل إليه شأن الإدريسي على أثر التقارير المرفوعة من متصرف عسير، فرأت بعد طلب الحسين بن علي أمير مكة أن يكون هو القائم بإخماد الثورة لما يعرفه من عوائد البادية وأساليب إخضاعها فخبرته بذلك، وقد كان الحسين يرمي من وراء ذلك أن تكون له يد في عسير لتساعده في يومه المعلوم.

فلما كان في يوم الأحد ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٩ توجه الحسين من مكة قاصداً عسير ومعه الجيش النظامي التركي وجيش من البدو، فوصل القنفذة ثم حث السير إلى محل يقال له القوز الشاهد، فنشبت هناك معركة دامية كسر الشريف فيها وتشتت جنده حتى أن ابنه فيصلاً وعبدالله لم يخرجوا من المعركة إلا بعد أن أعراهما الثوار وارتدوا راجعين إلى القنفذة فبقوا إلى أن لموا شعثم وتوجهوا قاصدين أبها، فوصلوها بعد أن وقع في الطريق خمس عشرة معركة؛ وذلك في يوم السبت ١٩ رجب، ويظهر مما تقدم أن مسألة عسير لم تنته بصورة قطعية، فإن الثوار تحصنوا في الجبال ولم تصلهم يد الحسين وجنده فتقضي عليهم القضاء الأخير، والدليل على ذلك أن الحسين لما أراد الرجوع إلى الحجاز لم يذهب من الطريق الذي أتى منه وهو القنفذة بل رجع من طريق شهر فييشه إلى الطائف فوصل إلى مكة في ٢٦ شوال من هذه السنة؛ وكان مسيره من أبها في ٤ شعبان وما ذاك إلا أن طريقه الأولى مملوءة بالثوار.

ولما استقر في أبها في مسيره ذلك صادف أحد أيام إقامته فيها حفلة المعراج

ويوم الحرية والدستور، فجمع الحسين الجند والأهالي وخطب فيهم خطبة عظيمة بليغة، ونحن نسوقها لتعلم ما كان عليه الحسين من البلاغة والبراعة التي طمحت به في تلك البحار، قال:

أيها الإخوان اعلموا علم اليقين أنه لولا وجود هذه الدولة العثمانية وشدة اعتناء خلفائها بالأمة الإسلامية خصوصاً مولانا أمير المؤمنين الحالي لاختطفتكم الدول الأجنبية اخطاف الذئب للغنم المنفردة، فإن جميع الدول ساعية من زمن بعيد في اضمحلال الشريعة المحمدية بواسطة هؤلاء المغرورين الذين يخدمونها لأغراضهم الشخصية، إخواني هل يرضيكم أفعال هؤلاء القوم الساعين في تخريب بلادكم باسم الحق، ولا أدري كيف اغتررتهم هؤلاء وأمثالهم وأنتم أولوا العقول الراجحة والنخوة العربية الأصيلة، آبائكم الأولون كانوا عز العرب وعندهم ورثتم الهمم العالية، ألستم أبناء التبايع؟ ألستم الذين قال فيكم جدي رسول الله ﷺ العلم يمانى والحكمة يمانية؟ ألستم أنتم أبناء أسلافكم الكرام الذي اشتهروا بالذكاء الفطري والمجد المؤثل؟ فالله الله يا أبناء الأمة العربية في دينكم لا تضيعوه بل احفظوه واستظلوا بظل الراية العثمانية التي هي شعار الإسلام، ولا تغتروا بأقوال المفسدين الساعين في تنفيذ أغراض المحركين لهم أعداء الدين الإسلامي، وأنتم لطيب عنصركم وعدم معرفتكم بالسياسة الأجنبية تظنون أنهم إنما يخدمون الدين، إنهم والله عن الدين بمعزل لا يخدمون إلا أغراضهم الشخصية مستترين باسم الدين، فأحذركم أن لا تغتروا بمثل هؤلاء الأوغاد المارقين من الدين، بل كونوا مطيعين لأمر المؤمنين ولتعلموا أن من خالفه فقد خالف الله ورسوله ومن خالفهما فقد باء بغضب من الله وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، هذا نص خطبته مجروفاً.

ولما عاد الحسين إلى مكة مضى عليه فيها قريب سنة والأحوال مائجة مضطربة في عسير حتى أتت البوارج الحربية الإيطالية إلى سواحل اليمن وأقلقت الأهالي

وضربت الموانئ وسدت طرق البحر ولم يبق منفذ للأتراك غير طريق مكة، فعند ذلك كلفت الحكومة التركية الحسين بن علي مرة ثانية بإرسال الجنود إلى عسير، فأرسل الحسين ابنه فيصلاً إليها من مكة، فلما سار وبلغ قوز الشاهد أقام به، وكان على مسافة ثلاثين كيلو متراً من القنفذة، وحصلت وقائع لم تنتج نتيجة تذكر، وعاد فيصل بن الحسين إلى الحجاز بدون جدوى.

ذكر وفاة الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ

ففي الليلة السادسة من ذي الحجة في الساعة السادسة منها توفي الشيخ وهذه ترجمته:

هو الإمام العالم العلامة الحبر النبيل والفاضل الجليل العارف الأوحد المحقق البارع المدقق سيف الله على أعناق المبتدعين وسهمه الصائب لأفئدة المارقين، الحبر الثقة اليقظ النبيه الشهم الملهم المتقن الحافظ المجتهد الزاهد العابد الورع، مفيد الطالبين ذو العقل الفائق والرأي الصائب الرائق.

ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٨٠هـ ونشأ بها نشأة طيبة، وكان له معرفة تامة في علم الحديث والتفسير والفقه، أخذ العلم عن أبيه الشيخ عبداللطيف، وأخذ عن أخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأخذ الفقه والنحو عن الشيخ حمد بن فارس وغيرهم، وما زال يتقدم في العلوم النقلة والعقلية حتى كان آية في الفهم والذكاء والحفظ والفتنة تضرب الأمثال به في الذكاء والشهامة والحفظ، ولما كان في سنة ١٣٢١هـ، ولاه الملك عبدالعزيز القضاء في الرياض فاستمر في هذه الوظيفة إلى أن توفاه الله تعالى:

وكان له مجالس في التدريس كثيرة زاهرة بالعلم، وكان هيناً ليناً مهاباً سمحاً كريماً متحبباً ومفيداً للطالبين قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نهاية الأمة ولا يخاف في الله لومة لائم، له قوة وإقدام وشهامة وهيبة، وكان زاهداً في الدنيا لا يذكرها ولا تدور في ذهنه، وله مكارم أخلاق وحسن عشرة ووفور حلم وغزير فتنة.

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فمنهم ينوه الشيخ محمد، والشيخ عبدالله، والشيخ عبداللطيف، وأخذ عنه الشيخ عبدالملك بن إبراهيم، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن داود، والشيخ عبدالله بن حمد الدوسري، والشيخ مبارك بن باز، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن سالم، وأخذ عنه الشيخ فالح بن عثمان، وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حسين بن فرج، وأخذ عنه الشيخ سالم الحناكي، وأخذ عنه الشيخ سعد بن سعود، وأخذ عنه الشيخ سليمان بن سحمان.

وأخذ غير هؤلاء خلق كثير وجم غفير، وكان له فتاوي كثيرة ذكر منها جملة في مجموع الرسائل والمسائل، وله رد على أمين بن حنشل.

ولقد رثاه العالم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري لما توفاه الله تعالى بهذه الآيات:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| إلى الله نشكو ما دهانا ونفزع | ونرخي أكفاً للدعاء ونرفع |
| عسى نفحةً من جوده حين سؤلنا | تلم لنا شعثاً وللشمل تجمع |
| فما مرّ في أزماننا من ساعةٍ | أتانا بها أمر فظيع مروع |
| فما أوحش الدنيا علينا بمادها | وأيتمني والقلب مني مصدع |
| بموت إمام فاضلٍ متفضل | ومن في فنون العلم بحر مترع |
| لقد سالت العينان مني بالبكا | وحق لها عند الزلازل تدمع |
| دهانا شديدٌ من خطوب جليّةٍ | وقلبي لفقد الأكرمين مفجع |
| فيالك من حرجٍ ممضٍ ولوعةٍ | تكاد لها الأحشاء مني تقطع |
| ويالك من رزءٍ فظيعٍ على الورى | وهـد بسور الدين من أين يرقع |
| لقد كان شمساً للورى مستنيرةً | وبدراً على أهل البسيطة يسطع |
| شهابٌ على هام الشياطين مرصدٌ | ونجم لطلاب الهداية يطلع |
| إذا ما دجى ليل الشكوك وأظلمت | غياهب سحب الغي عنا يقشع |
| فتضحى لنا السمحا يلوح طريقها | ويبدو لنا التوحيد يسمو ويلمع |
| عسى ربنا الباري يجود بمنةٍ | ويدخله الجنات يرقى فيرفع |

إلى حضرة الفردوس من كل مخلص
ويبقى لنا ذرية الشيخ منهمو
إلى صالح الأعمال بالسعي يسرع
أمن علينا من الآباء وأنفع

وكان الشيخ إبراهيم عالماً أصولياً متفتناً له كمال السبق في الفضائل، ومن
أعلام الأئمة المهديين من آل الشيخ وجد وجاهد ونافس في المعالي.
وما أحسن ما قيل فيه:

| | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| حليم كريم عالم متفنن | جسور بما يأتي لحل المشاكل |
| بصير بأقوال الهداة محب | إلى الخلق طراً في الخصال والفضائل |
| يدين بقال الله قال رسوله | بعيد عن التقليد في كل نازل |
| وكان على الأعداء شديداً وزاجراً | وثقلاً على من ليس يوماً بسائل |
| عن الغي والإفساد والخبث والردى | ويسعى لما يهوى فيا ويح جاهل |
| أعد لمن يدعو إلى الغي والخنأ | شبة يراع قامع للأباطيل |
| فيا حسنه في وقته وزمانه | فأنعم به من فاضل وابن فاضل |

وكان الشيخ غنياً عن التعريف به في الفضل والعلم والنهى.

أما نسبه: فهو أبو عبدالله الشيخ القاضي إبراهيم بن الشيخ عبداللطيف بن
الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رفع منازلته في دار
عليين، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كان رحمه الله لما كان
قاضي بلد الرياض جعله على قضائها جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن منصفاً
بارعاً عارفاً عالماً عاملاً، وله قوة إدراك وملكة على استخراج النصوص من
مطائنها، أضف إلى ذلك تسديداً في القضاء وعدلاً ومقدرة يقنع الخصمين، وتطيب
النفس بقضائه ذلك، لما من الله به عليه من كمال العقل والبصيرة والغوص على
فنون العلم والمسائل والعدل والنية الحسنة.

وكان مع ذلك ذا أصل عظيم ومعرفة بالتوحيد وعلم العقيدة، ومبعداً لأهل
الضلال والتنديد، فكان عود الشجا في حلوق أعداء الله ورسوله ومناصر لأهل
الدين والعلم، ولقد كان في أقضيته وتصديراته آية من آيات الله، حتى كانت

تضرب الأمثال بإقناعه للخصمين ورضاهما وقبولهما، فنسأل الله تعالى أن يجبر المسلمين بفقده.

ولما مات اندهش الناس لموته، وكان الزاهد الصوفي عبدالكريم الدرويش المشهور لما بلغته وفاته كان في تلك اللحظة إلى جانب أمير من أمراء البادية، فضرب بيده على الأخرى وقال إنا لله وإنا إليه راجعون، واشتد بكائه وجزعه وقال: مات قاضي الرياض وتعطل الرياض بلا قضاء، يموت العالم فلا يخلف من عقبه من يسد مقامه ويموت هذا ويشير للأمير فيكون عقبه عشرون شيطاناً كل واحد أنبه في الإمارة من الآخر، يعني أن الأمراء كثيرون بخلاف العلماء، وصدق رحمه الله فإن الإمارة كثير أربابها بخلاف القضاء، فقد يموت الأمير ويكون له أنجال كلهم أمراء، وإن العالم بالشرعية لا يكون من عقبه من يسد مقامه وهذا شيء مشاهد وسنلوح عن قريب بذكر الدرويش هذا.

وكان الشيخ إبراهيم كهفياً لأهل الدين ولا يزال في حياته معاضداً لأخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رئيس القضاة والمفتين في نجد إذ ذاك يتنا بهما الإخوان وطلاب العلم وحصناً منيعاً لأهل هذه الدعوة المحمدية والملة الإبراهيمية، وذلك لما منحهما الله تعالى من نفاذ الكلمة وقوة الإرادة والفتوحات الإلهية والعلوم الربانية ما أضاء نورهما في الأفاق وسما به فضلهما كالشمس وقت الإشراق، ولما مات خلف من الأولاد، محمداً وعبدالمملك، وعبدالله وعبداللطيف.

فأما محمد فهو الشيخ الذي انتهت إليه الفضائل والمكارم في وقتنا هذا، وناهيك به حيث أصبح المفتي العام في الحكومة السعودية وسماحته متأهل لجميع العلوم. وأما عبدالمملك فإنه رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز، وكان فيه مؤهلات مع دماثة أخلاق وتحب إلى من يجالسه.

وأما عبداللطيف فهو مدير المعاهد العلمية تحت إشراف أخيه محمد وله ذوق في العلوم وفضل وبراعة لا سيما في علوم المواثيق.

ولما مات الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف رثاه العلماء بمراثي حسان، فمنها ما رثاه به الشيخ سليمان بن سحمان، وقد كان لها حسن الوقع وغاية القوة.

على الحبر بحر العلم شمس الحقائق
دمأ بدموع وكفها متابع
إراقة دمع العين سحاً ودائماً
على علم الأعلام نجل ذوي التقى
هموا أظهروا الإسلام في كل وجهة
هموا جردود الإسلام بعد اندراسه
فلهفي على شمسٍ تشعشع ضوئها
فما طرقتنا ليلةً بمصيبةٍ
لست مضت من شهر ذي الحجة إنها
لتسع سنين بعد عشرين قد تلت
بأعظم منها لوعةً ومصيبةً
ولا كصباحٍ مرَّ يوماً بمره
فضجوا جميعاً بالبكاء وبالدهاء
لفقد محبٍ كان مذ شَب يافعاً
يروم المعالي باهتمام ورغبةً
بهتمته العليا لنيل مرامها
وقلب عقولٍ مطمئنٍ مفهمٍ
فقام بتيار المعارف قاصداً
علوم أصول الدين والفقه فارتوى
بهن ينال المرء كل فضيلةٍ
فلله من حبر هزبرٍ محققٍ
تقيٍ نقيٍ المعِي مهذبٍ
ليبٍ أريبٍ أحوذِي موفقٍ
ووقاد ذهن حازمٍ متسيقٍ

نريق كصوب المدجنات الدوافق
وحق لذي لب محبٌ ووامق
على الشيخ إبراهيم شمس الحقائق
من اشتهروا بالفضل بين الخلائق
من الأرض في غريبها والمشارك
وهدوا رعان الكفر من كل شاهر
وبدرٍ سمت أنواره في الغواسق
ورزه دهمي بالمعضلات الطوارق
لست من الساعات من جنح غاسقٍ
ثلاث مئين بعد ألفٍ مطابق
فأعول كل بالبكاء والتشاهق
كصبحٍ تولوا بالحبيب المفارق
وسالت جفونٌ بالدموع الدوافق
وكهلاً إلى غير النهى غير تائق
فأم إلى هاماتهم الشواهد
ونهمة مشتاقٍ إليها وشائق
يرى إنما تحصيلها في التسابق
إلى ثبج هاتيك العلوم الشوارق
فنال المنى منها بأسنى الطرائق
وليس بغير العلم ترجي لوامق
أبسي وفي عالم بالحقائق
كريمٍ سليم القلب دمث الخلائق
نقيته التقوى وبغض المماذق
وذي حذرٍ عن معضلات العوائق

وقد كان ذا عقلٍ رزينٍ مؤيدٍ
له في فنون العلم باعٌ ومسرَحٌ
يغوص بفهمٍ ثاقبٍ متوقدٍ
وإدراكٍ ذي علمٍ وحسنِ روايةٍ
وحفظٍ وإتقانٍ وحسنِ تصورٍ
يؤم إلى كل العلوم بخبرةٍ
قريبٌ إلى أهل التقى وذوي النهى
بعيدٌ عن الأشرار من كل فاسقٍ
حباه إله العرش هذا تفضلاً
تراه محباً ظاهراً متملقاً
وقد كان للطلاب كهفاً وموئلاً
فيصدر كل من أولئك راجعاً
يفتيهمو بالنص إن كان وارداً
فإن لم يجد أقوالهم قال بالذي
وقد كان لي بالحق خير مساعدٍ
ومبتدع في الدين أو متهوكٍ
كذاك على جافٍ جهولٍ مفرطٍ
لئن كان في الدنيا على خير حالةٍ
لدى الملك العلام ذي العرش والعلی
ويرجو بها الزلفى لديه ذوو التقى
فسيرته محمودةٌ مستفیضةٌ
بكل جميلٍ من محاسن من مضى
فترجوا من المولى له العفو والرضا
وإن كان قد أضحى رهيناً لرمسه

وليس بطيئاً ولا المتحامق
وميلٌ إلى القول الصواب الموافق
لحلٍ عويص المشكلات الدقائق
يفوق بها الأقران من كل حاذقٍ
لما كان معنياً يراد لسابقٍ
وعلمٌ وتحقيقٌ وحلمٌ مطابقٍ
وليس لأعداء الهدى بالموافق
وذي دغلٍ جافٍ جهولٍ منافقٍ
على رغم أنف الكاشح المتحامق
وليس على ما يدعيه بصادقٍ
إذا ما دهتهم معضلات الوثائق
بكل الذي يهوي بمحض الحقائق
وأقوال أهل العلم من كل سابقٍ
يقول به الأصحاب من كل لاحقٍ
على قمع صناديد كفور مشاققٍ
بأهل الهدى أو مستريب منافقٍ
وآخر غالٍ مفرطٍ ذي شقاشقٍ
يفوز بها أهل التقى والسوابق
وخالقنا الرحمن رب المشارق
ويسمو بها في الناس بين الخلائق
لدى الناس لا تخفى على كل رامقٍ
تحلى فأضحى فائقاً كل فائقٍ
ومحو الذنوب المثقلات العوائق
لقد خلف الأحزان في كل وامقٍ

وأضحت ربوع العلم قفراً دوارساً
فيالهف نفسي قد أمضت بها الضنى
وإني لذو حزنٍ وإني لصادقٌ
فيا من على العرش استوى فوق خلقه
أنله الرضا والفوز بالقرب وأكفه
وإن كان ربع العلم أفقر بعده
عسى الله أن يبقى لنا قمر الدجا
وأعني به من كان للناس قدوةً
وكفهاً منيعاً عند كل بليةً
هو الشيخ عبدالله من سار ذكره
هو الردم للأعداء من كل مأذقٍ
هو القطب فينا لو تزيل لاجترى
فيارب حقق بالرجاء فيك سؤلنا
وأبق بينهم سادةً يقتدي بهم
وأورثهمو حكماً وعلماً وهب لهم
ووفقهمو للخير فضلاً وهب لهم
وصل على المعصوم ربّ وآله
وتابعهم والتابعين لنهجهم

من العلم للطلاب بين الخلائق
من الحزن لم يلهم بها حزن ماذق
وبعض الورى في قيله غير صادق
عليه على من فوق سبع الطرائق
لهيب لظى عند احتضار المضائق
وحل بنا رزئ الحب المفارق
وشمس الهدى للحالكات الغواسق
إذا ما دهتم معضلات الطوارق
إذا دهمت من ملحدٍ أو منافق
من الأرض في غربها والمشارق
ومن كل شر ضرير ومارق
علينا العدا من كل خصم مشاقق
وأحسن لنا العقبى من كل طارق
إلى منهج المعصوم أزكى الخلائق
ذكاءً بها في كل فنٍ مطابق
ذكاءً لكيلا ينطقوا بالشقاشق
وأصحابه أهل النهى والسوابق
على السنن المحمود أسنى الطرائق

وللشيخ حسين بن علي بن نفيسة الحنبلي قصيدة يرثاء بها وهي هذه القصيدة
التي أفصحت عن صفاته الحسنة وأخلاقه الجميلة:

قفأ وأبكيأيا صاحباً من تقدماً
هل الدهر أبقى للمنازل آية
فلن قال هذا ربع أحبابنا الأولى
وعوجاً على الأطلال ثم توهما
وهل من مجيبٍ بالجواب يجكما
فجوداً بماء العين حتى ولو دماً

عفا لا عفا من كل بكر مليحة
فعهدي به فيما مضى بهجة لنا
فيارب ليلي العامرية لا بلى
تسلي بتذكار المعالم ما بنا
ونندب شيخ العلم والحلم والتقوى
له في فنون العلم أطول ساعد
على الشيخ إبراهيم تبكي مدارس
نعم هد ركن للهدى وبدى الردى
على مثله نبكي جهاراً وخفية
لقد قل من في الأصل يؤمن بعده
فما كان رب المال راج لنيله
إذا جلسا حفتها منه هية
له نية قرت بجذر فؤاده
به قد اصيب المسلمون جميعهم
أولوا العلم صاروا للحوادث عرضة
إذا مات عالم مات عالم
فيا آل آل الشيخ جدوا وجددوا
إلى طلب العلم الذي إن سبقتم
وضيقتكم لا تتركوها فتنموا
فبالدين لا بالمال قد تردك المنى
وحوماً على التوحيد إذا كان عزكم
فتباً لمن لا قام مثل مقامه
فأكرم به إذ حاز كل فضيلة
محمد الهادي للملة أحمد

ولا زال مأنوساً ولا زال منعماً
وعهدي به السمار والبيض كالدماء
ويا رسم سلمى لا تزال مسلماً
من الحزن إذا صما الفؤاد والماء
سلالة ناس يرشدون من العما
ومسلك عدل لم يكن فيه متهماً
لقد عهدت بالدرس تنمي وتنما
وغيب بدر الحق فالأفق أظلماً
ونبكي على بنيان علم تهدهما
سوى من له يعزي فهم فيه أعلما
ولا يائساً مما قضى متظلماً
فقاما بما أرضاهما من تخاصما
فوفقه رب العباد وألهما
ألا أن هذا الخطب قد صار أعظماً
وما ذاك إلا شؤم ذنب تعظماً
وأصبح نور الحق بالجهل مسهما
عزائمكم واسموا كمن للعلی سما
إليه فقد نلتهم به كل مغنماً
فمن فعل الأسباب لن يتندما
فسحقاً لمال غب مشربه ضما
وميراث جد قد مضى فيه مقدما
مقاماً به من قام لله أكرما
حنانيك في وقت به الكفر قد طما
فهذا هو الدين الذي كان قيما

إلا إن أحلى ما يقيت قلوبنا
صلاة وتسليماً على خير مرسلٍ
وما كان للأرواح أنها وأنعما
مع الآل والأصحاب ما دامت السما

وفيهما توفي الشيخ عبدالله بن خاطر قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، وهو العالم العارف الصابر الجواد الكريم السخي ذو الفضل والمعرفة، عبدالله بن محمد بن خاطر المعروف بالدين والفضل والمنتظم في سلك أهل هذه الدعوة الوهابية النجدية مظهر التوحيد ومبيد الكفر والتنديد، كان مكرماً لحملة العلم والدين وحبر جليلاً وثقة نبيلاً، يقصده أهل الإيمان ويألفه أهل الفضل والعرفان فيجدون عنده ما يؤملون، ويكفيك شرفاً له أن يبعث إليه الشيخ سليمان بن سحمان يطلب منه أن يطبع ردوده على أعداء الله ورسوله لما انتشر ما طبعوه في مسبة الشيخ الإمام وعلم الأعلام محمد بن عبد الوهاب، وما رموه به من الأكاذيب والترهات، وكان صندوق مالية الحكومة السعودية إذ ذاك خالياً بواسطة نفقات الحروب والغزوات، فبعث إليه يشجعه ويستنجد به، علماً منه بأنه العضد الأشد في نصرة الدين ومكافحة الكفار والمنافقين، فإذا كان أولئك الزنادقة يبوحدون بما لديهم من الكفريات والضلالات، وعندنا أعظم مصادمة لها وقوة ملكة وإرادة، غير أنه لا مطابع عندنا ولا نفقة للطبع، فإننا نستنجد بك يا عبدالله، ونرجوك المساعدة في نشر هذه الردود لمصادمتها خرافاتهم وتمويهاتهم.

فمن أبيات قصيدة الشيخ سلمان يمتدح المترجم ويشجعه ويسأله ما لديه في طبعها قوله:

إلا أيها الغادي على ظهر ضامر
تجوب فيافي البید وخدا ومسئدا
تحمل هداك الله مني تحية
ومن قد سمت أخلاقه وصفاته
هو الشهم عبدالله أعني ابن خاطر
وأبلغه تسليماً على البعد والنوى
من اليعملات الناجيات النجائب
ولم تكثرث يوماً بطول السباب
هدية ذي ود على خير صاحب
سلالة أجماد كرام أطائب
حميد المساعي ذو النهى والمناقب
بعد وميض البرق جنح الغياهب

وما حن من رعد وما ذر شارق
يؤرج ترب الأرض إذ فض ختمه
وما ذاك إلا أنه ذو محبة
لقد سرنى ما جائي عنه من تقى
وإجلاله أيأهمو ومحبة
يجب لا جل الله من كان مؤمناً
يجب لا جل الله من كان جده
ومن ذا الذي فيها يسامي لقاسم
فشام الأبى الألعى مآثراً
رأى نصره الإسلام حقاً وواجباً
يرد غلات مارقين أخابث
يريدون أن يطفؤا من النور والهدى

وما أنهل ودق من خلال السحاب
عير شذا مختومه في المقانب
لأهل الهدى من عجمها والأعارب
وصحبته الأخيار من كل صاحب
لمن دان بالإسلام أعلى المطالب
ويغض أهل الكفر من كل ناكب
بتلك الصفات الساميات الثواقب
ولكن سعت أعراقه بالمناقب
وأم إلى هاماته والغوارب
وقد غاضه من هاضه بالمصائب
على الشيخ شمس الدين بدر المناقب
بأفواههم والترهات الكواذب

ثم ما رامه أعداء الشريعة من تكفير الشيخ وأتباعه، إلى أن قال:

وقد من مولانا علينا برد ما
وما أفسدوا في الأرض بالكتب التي
وقد طبعوا منها لعمرى مطابعاً
فحاموا على الدين الحنيفي والهدى
فلا زلت بالمعروف تعرف
وجو زيت من مولاك خير جزائه
ولا زلت مذكوراً بكل فضيلة

به مو هو من مفضعات المعائب
أشاعوه في شرقها والمغارب
وزجوا بها في كل قطر وجانب
ولا تتأنوا في اكتساب الرغائب
ولا زلت مقصوداً لدى كل المناقب
وبوأك المولى يفاع المناقب
ويشني بها جهراً بكل المقانب

ومما قد طبعت مؤلفات الشيخ سليمان بن سحمان والله الحمد والمئة بمطابع الهند ومصر وغيرها.

ومما قاله الشيخ حسين بن عل بن نفيسة يمتدحه في قصيدة منه هذه الأبيات:

فدع ذكر من تهوى فما أنت والهوى
إلى عابد الله الهمام بن خاطر
إلى ذكر من أحيا المروات والكرم
خواطره خطارة للعللى أمم

له شطرها والناس في الشطر كلهم
فلم يبق إلا الربع إن حملوا له
تساماً لها طفلاً فأدرك يافعاً
ففاق على أقرانه بفعاله
على كل حال تلفه غير طائش
فأذكره في الفضل والبذل والندى
إذ كان هذا فعل أبائه الأولى
إلا أنهم فيمن مضى عرفت لهم
هم الباذلون المال لله طاعةً
على إثر أجداد على الجود حافظوا
ليهنه عبدالله ما كان أهله
لييبّ منيباً ماجدً فائق الذكا
لقد أثر التقوى فأوى أولى التقى
أبت خصلتان غير لابن محمد
تأوى له الهلاك من كل جانب
له علموا فاستأنفوا السير والسرى
رجالاً وركباناً يهلون نحوه
فيجمعهم ناديه من بين مقتر
على قدر ما يؤتى من الله لم يكن
فهيئات من يعطي الجميل تبرعاً
تبصرت من يبني نباه فلم أجد
أحابيه بالقليل الذي أنا قائل
أضائق أهل العرف نشر ثنائهم
قصائد تتلى ليس تبلى وقد بليت

ويأخذ شطر الشطر منهم إن قسم
فذاك والأقلّة ثم ما سئم
لها كلها من قبل أن يبلغ الحلم
وأطلق كف الجود حتى بها علم
ولا فاحشاً سيان أن أثراً أو عدم
وعند العدى والحرب والضرب أن ألم
فإن الفتى في سلك آثارهم أهم
فضائل أن دهر على جارهم أزم
وهم يوقدون النار أن أخمد البرم
أبى الله أن تترك بنوهم لما رسم
من المجد والإحسان والخيم والشيم
شمائله بين البرية لم تدم
وكان عن اللاوي ملاذ وملتمزم
رضا الله والمعروف بالكف والقلم
فيمطرهم من جوده وابل زدم
تراهم على الأنضا إلى قصده زيم
كما هلل الحجاج في الأشهر الحرم
وغرثى اليتامى والمخول والقدم
منوعاً فما من فضله أحد حرم
سواه ولا من كان في سالف القدم
ففضلته والشكر مني له لزم
فهيئات أن أدرك جزاه ولو آدم
وحسبك ما أسدى زهير إلى هرم
جوائزها من مسرجات ومن نعم

فإن عشت لا أنساه في كل محفلٍ
بنشر يضيّق الحصر عن حصر بعضه
وإن كنت في الإنشاد لست كمن مضى
وكم من صموت لا يراعا وربما
وكم معرض والناس ما عنه أعرضوا
فعش وابق عبدالله واسلم لنا ودم
إلهي أوله المكارم والغنى

إذا كان نشر الثنا خير ما غنم
ونظم مدى الأيام مهما لي انتظم
فكم من حسام لم يغلل في البهم
إذا أطربت أقوال جل الورى خصم
إلا إن من أشرهم قل من سلم
عن العشر مغناً والعدوان لنا زحم
وسدد وأبعد كل سوء له بهم

وقال أيضاً يرثاه لما قتل مظلوماً وفجأةً بيد من لا يفلح، فرثاه شاعرنا بهذه
المراثية العجيبة الفصيحة التي شفت وكففت فالله المستعان:

خلى الربيع من سلمى فأصبح مسفراً
ليالي إذ سلمى فتاةً كأنها
وإلا من اللائي رعين بوجرة
سقته السواقي بعدما كان حقةً
وتختلف الأنعام بين مروجة
عفى غير آثار الجياد وجثم
سقى الله هاتيك الربوع بها طل
عهدت بها الحي الجميع فأصبحت
سليماً بنا الأحزان لمت فألمت
فمالي وما للهو إذ شاب عارضي
ذريني وما قد كان مني صباةً
فيالك من خطب أصم مسامي
كأن فؤادي بين أظفار طائر
نهاري كليلى بل ونومي كيقظي
على طاهر الأثواب إذ سكن الثرى

وقد كان مأنوساً به البيض تسمر
من البان أنبوباً به الطلع يزهر
مهاة دعاها بالخميلة جوذر
براح عليه بالعشي وينشر
وتدني به اللذات والعيش أخضر
وأشعث مشجوج ونو بدور
من الدلو لا تخلو مدى الدهر تطر
طيور النوى تشدوا بها ثم تصفر
وهل هيج الأحزان إلا التذكر
وعال سواد الرأس شيب يفكر
وبكى فإن الرزء أدهى وأكبر
وعيني دواماً دمعها يتحدر
يمزقه في الجو ساعةً يشهر
ويسري كأعساري وعيشي ممر
وقد كان يثري بالجزيل ويغمر

لأن كان عبدالله أودى شبابه
توفيت الآمال والعرف بعده
أرى بعده أن الحياة ذميمة
فتى لا تخطاه الرفاق لغيره
فتى همه فعل الندى في كل لحظة
فتى يكسب المعدوم من حر ماله
فتى حسنت أخلاقه وفعاله
فتى لا يبالي أن يصير بجسمه
فتى لم أرى من يقوم مقامه
فتى حاز دق المكرمات وجلها
فلن رمته في الدين فأت نديه
بتعليم قال الله قال رسوله
ترى الأمهات الست من جل كنزه
على السنة الغرا حريص وعامل
فيذل للمعروف والعرف أمره
فكم منكر أردى وكم بدعة محأ
وكم جمع الإخوان في وسط داره
على جفن مثل الجوابي ينوبها
يصلي كثير الليل لله لم يزل
دعى للندى الداعي بصوت تحييه
فيطعمهم يرجى من الله برة
وإن رمته في الحرب فهو ضرامها
له تشهد الخيل الكمأة مع القنا
فما أسد تحشى الضراغم بأسه

فلن سبيل الجود لا شك أوعر
فلو خلت حظي كلما قام يعثر
وكل جواد بعده ليس يذكر
يلاقيهمو بالبشر والكون تنحر
خليق له مذهب ما عنه يصبر
أياديه لم تنفك بالجود تملطر
فتى ضاحك العينين والوجه مسفر
كلوم بيوم الروع والموت أحمر
إذا أزمت غير السنين وأعسروا
فلن ذكروا أهل العلى فهو أفخر
تجد كل من يروي الحديث ويخبر
وما قاله الأصحاب بعد وكرروا
وفي كتب الشيخين دأباً يذكر
بما اسطاع منها لا يمل ويفتر
ولا يكثرث بالناس إن كان غيروا
حكيم عليهم بالذي فيه يأمر
على كل ما تهوي النفوس وتشكر
وفود لهم كل يوم تحضر
سؤلاً له حتى إذا الناس أسفروا
مساكين والغرثى لديه تخبر
بيوم به كل الصحائف تنشر
إذا أكلحت أنيابها فهو مسعر
ويشهد حين الكر بدو وحضر
له أشبل يسعى لها ويكر

فيصطاد أبطال الرجال يقيتها
 ترى الناس قد هابوا حماء مخافة
 باظفر منه حين يلتحم الوغى
 نثيل على الأعداء وغيث على الندى
 فمن بقطير مثله غير جده
 أولئك عبدالله والشيخ قاسم
 فذكرهما بالجلود فرض وسنة
 تسامى لما قد عرفاه من العلى
 تقضي زمان الوصل وانعكس الذي
 وولت سويغات السرور وأبعدت
 فمن مثله للوافدين مؤمل
 لقد كان للدهر المربد أعيناً
 فيا آل مر مرر الله عيشكم
 ويا آل نوطان تناطون بالبلى
 قتلتم كريم الجد والخال سيد
 فيا أخوا عبدالإله إلا اصبروا
 فهذا سبيل الناس للموت والبلى
 فقد كان عبدالله أردى قرينه
 ولكن أحب الله لقياه إنه
 وفضله منه بخير شهادة
 فأين أبو حفص الذي عز ديننا
 وأين شهيد الدار حب نبينا
 وأين الذي أردى ابن ودي بكفه
 وسبطا رسول الله أبناء لو يكن

بلحمهم تغذي صغاراً فتكبر
 فمن يمشي في واديه فهو مخطر
 وتزفر أحقاد الصدور وتظهر
 كريم إذا أسدى وصلوا بيسر
 يلي خاله الأدنى كريم يفخر
 وفضلهما بين البرية أشهر
 على كل من يروي القريض ويشعر
 فما زال للنفس العزيزة يصغر
 نريد فهل ابن المطايا تنحر
 عسى الله للمكسور بالوصل يجبر
 إذا أجذبت أوطانهم ثم أعسروا
 فلما تولى أصبح الدهر يعثر
 وأسكنكم في الحشر ناراً تسعر
 وتقهركم أعدائكم ثم تجزر
 منيع ذمار الحي والنقع أكر
 ولا تجزعاً مما أراد المقدر
 ولو مدت الآجال لا بد يقبر
 غشاه نجيع بالجراحة أهر
 حبيب له فاشتاق منه التبر
 كما فضل الأخيار قبل وحبروا
 وسماه بالفاروق النبي المبشر
 مجهز جيش العسر ما ذاك ينكر
 علي الذي منه العلوم تفجر
 بذى الدار من يبقى لعاشوا وعمروا

فيا فهد أو صيك بابن محمد
فسيرة عبدالله لا تتركها
فما أنت إلا صنوه وشقيقه
فواخ هداة الحق إن كنت حازماً
عن الله أو عما قال رسوله
وكن عاملاً بالعلم لا بجهالة
وأخلص لمولاك الدعاء موحداً
ودونكها يا ابن الكرام خريدة
من الوطن النجدي سارت مجدة
فذاك الذي يقري القرى كل لحظة
وأزكى صلاة الله ثم سلامه

وأنت لعمرى بالوصية أجدر
فإنك إن حققتها سوف تذكر
واصلكما منه المكارم تظهر
وجالسهم واحفظ لما كان سطور
من الهدي واحذر كل أمر يحذر
لتنجو بيوم الحشر والهول أكبر
فإن الذي تخفيه يوماً سيظهر
سمت من محب للمحاسن ينشر
إلى فهد أعني بن خاطر تخطر
ويعطي الله قبل السؤال فيكثر
على المصطفى والصحب ما انشق نير

ومن أبيات للشيخ سليمان بن سحمان يرثاه بل الله ثراه بوابل الغفران
وأسكنه بفضلته فسيح الجنان:

يا عين جودي بدمع هامع هام
لا تسأمي أن تريق الدمع عن كذب
على الوفي الصفي اللودعي ومن
أخي المكارم عبدالله من حسنت
لله من المعني فاضل ورع
أبكيه لما أتاننا نعيه حزناً
حامي الذمار إذا ما أزمة أزمت
يا لهف نفسي على من كان همته
مجاهداً جاهداً فيما يقربه
وبذل جود وإحسان ومكرمة
يغار الله أن تؤتي محارمه

على الأغر الأبى الفاضل السام
على الدوام بدمع منك سجام
بالدين يسمو عن الأدناس والذام
في المسلمين له آثار إنعام
مهذب أريحى ذي تقى سام
يا لهف نفسي على ذي العفة الحام
لله درك من حام ومقدام
في الدين سامية عن زهو وأهام
من الإله بإخلاص وإعظام
قد كان ذلك منه منذ أعوام
لا يخشى في ذاك من لومات لوام

يحب في الله أهل الدين مرتجياً
وإن عرى الدين ثلم قام منتصراً
حوى المكارم عن جد أخي ثقة
ما كان في قطر من فضل منقبة
حامي على الدين حتى اعتز جانبه
يا لهف نفسي وواحزني ووا أسفا
مضى شهيداً وحيداً في مكارمه
لما أتاه الأعادي قاصدين له
ولا استكان لدى الأوباش عن رهق
لكن رماهم فأودى من رماه وقد
فليكه كل ذي دين ومكرمة
إذ كان ذا طاعة لله مجتهداً
وكان ذا عفة عن كل مظلمة
مصاحباً لذوي التقوى وياً لفهم
فقل لقاتله بغياً وعن أشر
لا زلت أن مت في مسجورٍ لاطية

فضلاً من الله من جودٍ وإكرام
في قمع كل مجدٍ فيه أوحام
وعن مكارم أخوالٍ وأعمام
إلا وقاسم فيها القادم السام
لله درك من حامٍ لإسلام
على الزكي الرضي المنهل الطام
لله درك من حامٍ وضرغام
لم يشنه الخصم عن وردٍ وإقدام
منهم هنالك عن ذلٍ وإحجام
لاقى المنون ولاقى ضرب مقدم
على الدوام بدمعٍ هامعٍ هام
براً وصولاً لأيتامٍ وأرحام
وكل فاحشة تدعو لآثام
مجانباً لذوي الآثام والذام
لا زلت ما عشت في ذلٍ وأسقام
من السعير وفي محمومها الحام

وفيهما عزل الشيخ عبدالعزيز بن بشر عن قضاء بريدة وجعل في قضائها فضيلة
الشيخ عبدالله بن الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليم، وسبب ذلك
أنه لما كان الشيخ عمر بن سليم إماماً في مسجد من مساجد بريدة التفت عليه
خلائق يطلبون العلم وأصبح ذلك المسجد روضة من رياض الجنة يتتابه البعيد
والقريب فوشى به أعداؤه إلى القاضي قائلين أنه لا يمكن تدريس في المسجد
الجامع ما دام ابن سليم بهذه الصفة عكف عليه الطلاب من كل جانب واتخذوك
ظهرياً فتحركت جارحة الحسد منه وجعل رحمه الله يسعى ضد الشيخ عمر حتى
أجأه إلى أن يجلس إليه يطلب العلم فجلس الشيخ بين يديه يدرس في أعلام

الموقعين لابن القيم، ولما تنجل هذه الوحشة بل دام المقام متوتراً، جاء الشيخ عمر إلى الأمير عبدالله بن جلوى حال كونه في إمارة القصيم، وطلب منه أن يسمح له بالذهاب إلى النبهانية يقيم فيها لأن الأحوال اضطرتة إلى ذلك، فطمأنه الأمير عبدالله وطلب منه أن يترث حتى يتمكن من مراجعة الحاكم عبدالعزيز بن عبدالرحمن وكان الشيخ قد أتى إلى الأمير بجملة بعثها إليه القاضي ابن بشر فيها توجيهات وتأنيبات له.

وكان صاحب السمو الأمير عبدالله رجلاً فصيحاً حكيماً سياسياً يقدر أهل العلم ويعرف لهم مواقفهم فاستقرأها حتى أتى على آخرها، ثم أنه بعثها إلى صاحب الجلالة في الرياض، وما كاد السلطان عبدالعزيز يعلم بموضوعها حتى دعا بخادم له يدعى أبا رذن، وأمره يذهب من فوره غداة يوم السبت فيقدم إلى بريدة يوم الخميس فيعزل عبدالعزيز بن بشر ويجعل ناصر بن سليمان بن سيف إماماً في المسجد الجامع حتى يقدم من بلد البكيرية فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم فيتولى القضاء، فنفذت هذه التدابير بسرعة خارقة.

ولما أن قدم صباح يوم الخميس صلى فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن بشر بالمسلمين صلاة الظهر ثم ناوله أوامر السلطان وصلى في جامع بريدة صلاة العصر الشيخ ناصر بن سليمان، وبارح القاضي الإمامة والقضاء، ثم بعث الخادم إلى الشيخ في البكيرية لياشر مهمة القضاء.

ولما تعلل الشيخ واعتذر عن القضاء بعث إليه الشيخ عبدالله بن فداء من فوره يطلب منه أن يقدم على الفور، وأن لا يقطع رجاء المسلمين الذين ما زالوا يتعطشون لتوظيفه، فقدم إلى بريدة وياشر القضاء والإمامة فيها، وكان عند حسن الظن في العدل والنزاهة والقيام بما وسد إليه من الأعمال.

وكان الشيخ عبدالله رجلاً حصيناً حليماً متواضعاً، واستمر في القضاء من هذه السنة حتى توفاه الله تعالى وسنذكر مناقبه وفضائله في سنة وفاته. أما الشيخ ناصر بن سليمان فإليك شيئاً من ترجمته:

هو الشيخ ناصر بن سليمان ابن محمد بن سيف ولد في سنة ١٢٤٨هـ وتوفي في سنة ١٣٣٩هـ أعني بعد هذه السنة بعشر سنين عن عمر بلغ الحادية والتسعين قضاهما في طلب العلم وسافر إلى الرياض مع الشيخين محمد بن عبدالله بن سليم ومحمد بن عمر بن سليم؛ وأخذ العلم عن مفتي الديار النجدية الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين، وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن وأخذ عن ابنه الشيخ عبداللطيف.

وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن بشر وجلس للطلاب يقرئهم القرآن ويعلمهم مبادئ العقيدة السلفية في مدرسة والده سليمان بن محمد بن سيف ونفع الله به أولاد أهالي بريدة، وكان محبوباً لدى مواطنيه لا يقضون أمراً دونه وكثيراً ما يكتب العقود الشرعية من وقف وهبة ووثائق شرعية بخطه الجميل، مما يدل دلالة واضحة على مركزه الاجتماعي والثقافي.

وكان رحمه الله حافظاً للقرآن ومن القراء المعدودين يقرأ عن ظهر قلب وبسرعة فائقة مع عدم الإخلال في القراءة وكان إماماً لمسجده الذي يطلق عليه اسمه حتى الآن ويوجد قرب السوق الداخلي، وكان يصلي التراويح وقيام رمضان إماماً بقراءة مجودة عن ظهر قلب، واستمر في إمامة المسجد حتى أقعده الكبر والمرض.

وكان رحمه الله يجيد فن تجليد الكتب ويحترف هذه المهنة مما ساعده على مواصلة طلب العلم ولازم الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم حال كونه قاضياً في بريدة ويكتب بين يديه حتى اسمته العامة «زابن الدراجة» في ذلك الوقت، وخلف خمسة بنين سليمان؛ وعبدالله، وصالح، وعلي، ومحمد، وثلاث بنات.

أخبار زاهد

كان الزاهد عبدالكريم الدرويش مشهوراً في ذلك الزمان، وكان عابداً تضرب الأمثال بتوكله وله شهرة وقبول.

فمن أخباره التي تدل على توفيقه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وما يقع فيه

من الأهوال الصعبة فيدافع الله عنه، وقديماً ما جرى من الطاف بأهل الدين يريدون وجهه، كما قال تعالى في محكم كلامه البليغ الوجيز: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

من ذلك أنه أهدى إليه مرة صاعاً برطب فأمر أهله أن يصنعوا من ذلك عشاء ويتصدقوا بالبقية، فشح أهله وادخروها لغد، فلما كان من المساء فتش في البيت فأخرج ما بقي وألقاه في الشارع بكيسه لمن وجده قائلاً لم تدخرون لغد ورزق غد على الله، وكان قد أخذ على أهله أن لا يدخروا لغد.

ومر به إنسان يركض ويقول: من حفظ المطية، فاستوقفه الدرويش وقال له: أنا، ففرح بذلك صاحبها وجعل يدعو له، فأوقفه على نعش في المسجد وقال: هذا المطية، إشارة أنه يحمل عليه الموتى، وهو مطية من مشي على الأرض إلى القبور.

ومرّ رحمه الله على شيخ يسني ويغني فوقف عليه وقال: عياداً بالله شيخ كبير وتغني، وقام عليه بالعصى فطفق يضربه ضرباً عنيفاً، ثم ذهب بعد ذلك ومعه رفيق له إلى المسجد ليصليا، فجاء ابن المعزّر إلى أبيه بعدما وقفت السانية وأبوه قد أعظم الأمر وجعل يخبط كأنه مجنون يريد تشجيع ابنه على الانتقام من الدرويش، وبدر ابنه بقوله: أمك طالق يا ابن المرأة إن لم تقتله، فقام الشقي من فوره وأعمل البندقية وكان شاباً قوياً، فأنذر الدرويش وهو يصلي، فلم يتأثر وأتم صلاته ثم التفت قائلاً لصاحبه إلى جنبه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، الله أكبر وصف الصلاة هذا والابن كالأسد يحاور أباه في قتله، فلما سلم الدرويش إذا به قد أعمل الفتيلة وأقبل نحوهما، فقال له صاحبه: يا عبدالكريم أطلق رجلك فإن الرجل أقبل مسرعاً يريد قتلك، فالتفت إليه وهو يقول: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، الله أكبر وصف للصلاة فإذا بالأب يدعو ابنه قائلاً: يا محمد زال الرشا عن البكرة عدله يا محمد وامض لشغلك، فرجع الابن لهذه المهمة لأن لا ينقطع ظهر البعير، ولما أن رقى يريد تركيب الرشا وصعد فوق قرون البئر وأبوه ينتظره انطبقت البئر عليه من أقصى جهاتها فكانت قبراً لهما وللإبل، فما وقف لهما على خبر.

فلما سلم الدرويش، نظر إلى صاحبه وقال: احفظ الله يحفظك، أما قلت لك
سيكفينا الله شرهم.

تالله إنها لحالة عجيبة يجب على كل مؤرخ سطرها وإثباتها تطلعك على عناية
الله بأوليائه، وأنه الثائر لهم، ومن عاداهم فقد بارز الله بالمحاربة، ومن حارب الله
غلب وخذل، فانظر إلى تلك الخارقة وتلك الثقة التي صدرت عن قوة إيمان وصدق
توكل، وما أحسن ما قال بعضهم:

ما بال دينك ترضى أن تدنسه وأن ثوبك مغسولاً من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

ودعا مرة رجلاً من أهل الديانة فقال له: أحسن الكتابة يا أخي؟ فاستحيا منه
بأنه يكتب فقال: له أئتي بدواة ورقة فاتا بهما فقال: اكتب: «بسم الله الرحمن
الرحيم من عبدالكريم الخراساني إلى عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، سلام على من
اتبع الهدى، أما بعد فقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ
مِنَ الْمَقْتُولِينَ﴾ [القصص: ٤١-٤٢]، وجعله في ظرف وبعث به إليه.

وبعث إليه عشرين ريالاً بعض أمراء القصيم، وقال للخادم قل له يستعين بها
على بعض مؤنه الدنا فإنها من عون العبد لأخيه، وهذا الأمير هو عبدالله بن
جلوي فلما أن وردت عليه أخذ منها ريالاً واشترى به نعللاً لابنه وبعث ببقيتها إلى
الأمير مع الخادم، وقال له: قل للأمير أنني أخذت لابني ريالاً وهذه بقيتها جعله الله
يكوي بها في نار جهنم، يأخذون الأموال ظلماً ويتجملون بها، قل له يردها على
أربابها الذين أخذها منهم.

ولما رجع بها الرسول إلى الأمير سأله ما الذي منعه من أخذها وبأي
شيء أجاب؟ وقال يا سيدي: إنه ردها ولا حاجة إلى ذكر هذيانه، فألجأه
إلى أن يخبره بكلامه، فلما أخبره جعل ردائه على فمه وضحك ضحكاً
شديداً وجعل يفكر في مقالته.

وأهدي إليه مرة منيحة شاة، فذهب يوماً ليأتي بها مساء من السرح ففاته صلاة المغرب جماعة، فلما صلى أخذ برقبته وأخرجها عن بيته يصفعها ويقول لست بمنيحة، أنت شيطان، أهيتني عن عبادة ربي.

وبعث إليه أمير قريته بتوعده ويظطره إلى أن يبارح القرية، وقال في تهديده له: إن أصبح قتلته، فلبس أكفاناً وبات يدعو الله أن يهلكه، فلما أن كان من آخر الليل سقطت على الأمير غرفته فمات تحتها.

إلى غير ذلك من الكرامات والأفعال التي يجب أن تجمل بها الصحف ويسمر بها، فرحة الله عليه، عبر الدنيا وما عمرها، وما هي إلا ساعة صبروا فيها على النكد فأعقبت لهم الراحة التامة والذكر الحسن.

ذكر نهاية أمر الشيخ إبراهيم بن جاسر

فنعول: كان هذا قد جرى بينه وبين آل سليم مخالقات ومناقشات تستغرق بسطاً طويلاً نذكره في غير هذا الموضع لأسباب، لكننا نشير هنا إشارة لطيفة، فإن الشيخ إبراهيم كان في بادئ أمره تلميذاً لآل سليم، ثم خالف عليه جماعة من العلماء في مسائل، فشن عليه المخالفون غارتهم وأجلبوا عليه، ولسوء الحظ لم توفق المشكلة لحسن حل، وآل أمر هذا الخلاف والشقاق إلى فتن ونحن يمتد لهيها على عنان السماء تارة، وتارة تهمد رماداً، وما زال منذ أيام الأمير حسن بن مهنا حتى غاية هذه السنة وهو مصرّ على رأيه، وله أتباع يؤيدون مذهبه ويشدون أزره.

غير أنه لما تبدأ طالع آل سعود حماة الدين ونصرة الشريعة، ضعف شأنه وانفشعت غمامة هذا الخلاف، وجمع الله المسلمين على يدي صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل، قام الشيخ المذكور يظهر الموافقة، وكان قد تولى قضاء عنيزة في آخر ولاية عبدالعزيز بن متعب، وتولى قضاء بريدة في أيام محمد أبي الخيل، ولا ريب أن تلك الأمراء يقدمونه وينتصرون لمقالاته، أضف إلى ذلك أنه كان متواضعاً وذا عطفٍ على الفقير والمحتاج مع سخاء وكرم يتصدق بما يجد

ويواسي وإن كان عن قلة، وكان سريع الانفعال كثير التقلب لا يبالي بالنظر في العواقب، وقد أقلع عن مقالته غير مرة ثم رجع إليها.

ومن تقلبه أنه مرَّ في مجلس تدريسه في المسجد الجامع في بريدة، ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأغلظ القول في ذلك، وأن القائمين به مقصرون، ثم إنه رفع يديه وهو يدرس فقال: اللهم فلاناً لكبير الأمر بالمعروف في بريدة، وجعل يكرر لعنه بين الحاضرين، كما أهمل أمرك يا ربنا ونهيك، فلما خرج الشيخ بعد التدريس التقى بهذا الرجل كأن لم يكن بدر منه شيء، غير أن ذلك قد امتلاً حقدأ من كلامه فيه وجرى بينهما ما يستحيا من ذكره.

وكان المترجم له عشيرة وأصحاب يأخذون برأيه ويعملون بقوله ويعجبون بتوجيهاته، ثم إنه دعا به ابن سعود إليه وأشار له بأن أهل حائل يريدون قاضياً، وأنه يجمل به أن يذهب لسد ذلك الفراغ، وألزم عليه أن يسير إلى تلك الجهات، فأجمع أمره وسار على مضض يريد بلاد حائل، ومنها سار إلى الكويت فتوفاه الله بها، فאלله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٣٠هـ

استهلّت هذه السنة والأحوال في الدولة العثمانية مائجة مضطربة، وقد شددت إيطاليا على اليمن وطأتها وضيقّت المنافذ، ولم تفد تجهيزات الحسين الشريف لإخماد الثورات هناك شيئاً.

ذكر مطلب الوحدة العربية

قد أسلفنا ذكر الانقلاب في الدولة العثمانية، وذلك بعدما خلع السلطان عبد الحميد افتقرت الأتراك، فخطبت حكومة الاتحاد خبط عشواء وتلطخت أيدي زعمائها بدم الأبرياء، فنشرت منها كل العناصر من غيرهم، فلأجل ذلك أخذ كثير من أهل الغيرة والحمية تفكر ملياً فيما عليه سلاطين آل عثمان وما ستؤول إليه

الدولة العثمانية إذا هي بقيت على هذه السياسة، وإنه لا شك أن أجلها قريب وأنها تحفر قبرها لترقد فيه رقدةً أبديةً، وإن تلك الأملاك والولايات لا بد أن تؤول حيثئذٍ إلى الدول الغربية المتربصة لتلك الرقدة، فأروا من الواجب والنصح للشرق والعرب والإسلام أن يعملوا على تلافي هذا الخطر جهد الطاقة، فأسسوا الجماعات وأصدروا الصحف والمجلات والكتب في نصح السلاطين ومن التف حولهم، وتحذروهم من عاقبة هذه السياسة.

ولسوء الحظ لم يكن جزاؤهم إلا غيابات السجن بعد تعطيل صحفهم ومصادرة كتبهم، فأروا أن الداء قد استحکم وأنه لا مفر من موت هذه الدولة العلية، فلا بد من العمل على إنقاذ الإسلام والعرب بطريقة تجعلها في مأمن من التأثير بهذه العاقبة، وبجانب هذه الفكرة رأى جماعة آخرون العمل على إحياء هذه الفكرة الطورانية لأن تعلق تركيا بغير عنصرها الطوراني من العربي والفارسي وغيرهما هو الذي أنهك قواها وأضعف قوتها، وجد كل في سبيل العمل إلى تلك الخطئة، لأن الدولة الأجنبية لا تزهد في موت العرب والإسلام بذهاب الدولة العثمانية، ولكنه مع ذلك لم يحصل الناصحون على شيء، بل ولا ظفرت الحكومة من أمانيتها بشيء، بل انتصرت عليها إيطاليا وذهبت طرابلس الغرب، وحصل غير ذلك من الحروب السياسية العظيمة في الخفاء توقد نارها إنكلترا وفرنسا وغيرهما من الدول التي تعلم حقيقة ما عليه الدولة العثمانية، فتريد التهامها وتقسيم تراثها.

وقد كان أمراء العرب الكبار ظلوا على الحياد في تلك الحرب ما عدا الإدريسي، فإنه حالف الأجانب على الأتراك، وما عدى الشريف حسين، فإنه حليف الدولة، وكان الإمام يحيى مع أنه عدو الإدريسي ظل ساكناً، فلم يغنم الفرصة للفتك بالأدارة وأتباعهم، ولكنه أعلم الدولة بإخلاصه لها وإنه يأذن لعسكرها أن تجتاز بلاده لتسقط على الإدريسي من الجبال فتجتز شأفته بجذافيرها.

فعند ذلك طلبت حكومة الاتحاديين المساعدة من ابن سعود، وتعهدت أن تقوم

له بكل ما يحتاج إليه من السلاح والذخيرة والمال، فمالي الطلب بل كتب إليهم كتاباً يقول فيه: إني عربي فلا أحارب العرب لأجل الدولة ورضاها وإني والإدريسي لعلى ولاء، والبلاد بعدية عنه أيضاً فلا يتمكن ابن سعود من محاربة أهلها، فاعادت الحكومة الطلب وإنهم يريدون أن يخص الإحساء بعسكر عربي لحماية تلك الناحية، فرفض عبدالعزيز، ذلك ثم كتب إليه والي البصرة سليمان شفيق كمال باشا يسأله رأيه في أمراء العرب وشقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية، فكتب عبدالعزيز إليه كتاباً، وإنه يفكر في الوحدة العربية منذ حين، وهذا صورة كتابه إلى والي البصرة، قال بعد البسملة:

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى سليمان شفيق إنكم لم تحسنوا إلى العرب ولا عاملتموهم في الأقل بالعدل وأنا أعلم أن استشارتكم إياي إنما هي وسيلة استطلاع لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي، وهاكم رأيي ولكم أن تؤلوه كما تشاؤون، إنكم أنت المسؤولون عما في العرب من شقاق فقد اكتفيتم بأن تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك، وقد فاتكم أن الراعي مسؤول عن رعيته وقد فاتكم أن صاحب السيادة لا يستقيم أمره إلا بالعدل والإحسان، وقد فاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون إذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم، أردتم أن تحكموا العرب فتقضون إربكم منهم فلم تتوفقوا إلى شيء من هذا وذاك، لم تنفعوهم ولا نفعتم أنفسكم، وفي كل حال أنتم اليوم في حاجة إلى راحة البال لتتمكنوا من النظر الصائب في أموركم الجوهرية.

أما ما يختص منها بالعرب فإليك رأيي فيه: «إني أرى أن تدعوا رؤساء العرب كلهم كبيرهم وصغيرهم إلى مؤتمر يعقد في بلد الأسيادة ولا نفوذ فيه للحكومة العثمانية لتكون لهم حرية المذاكرة والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف، ثم تقرير أحد أمرين، أما أن تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد، وأما أن تقسموها إلى ولايات فتحددون حدودها وتقيمون على رأس كل ولاية رجلاً كفواً من كل الوجوه، وتربطونها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من

المصالح والمؤسسات، ويتبغى أن تكون هذه الولايات مستقلة استقلال إدارياً وتكونوا أنتم المشرفين عليها، فإذا تم ذلك فعلى كل أمير عربي أو رئيس ولاية أن يتعهد بأن يعضد زملائه ويكون وإياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده أو أخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم» هذه هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب ويكون فيها الضربة القاضية على أعدائكم.

فلما أن بلغ ذلك والي البصرة استحسّن هذا الرأي وأرسل به إلى الأستانة، ولكنه لم يستحسنه أولوا الأمر هناك بل سفهوه قائلين: يريد ابن سعود أن تجمع الكلمة بواسطتنا ولخير نفسه، وكانت سياستهم مبنية على ظنهم، فشرعوا يقاومون فكرة الوحدة سراً وعلناً بمساعدة عمالهم مباشرة وبواسطة بعض أمراء العرب، وقد كان يومئذٍ جمال باشا السفاح في بغداد والشريف حسين في مكة، وابن رشيد في حائل، وكل هؤلاء يسمعون كلمة الأستانة ويطيعون، فطفق الشريف حسين بن علي يحرّض القبائل على ابن سعود كعتيبة وغيرها، ولا بد أن نذكر عداء الحسين الشريف لعبدالعزیز بن عبدالرحمن بن سعود، فإنه قام في هذه السنة يسعى ضد ابن سعود، وذلك لما يكتنه من العداء المتأصل لأهل نجد.

وفيها وفاة الشيخ حمد بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى وهذه ترجمته:

هو العالم العلامة الفقيه الزاهد المذكر العابد الشهم النبيه، الشيخ حمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن حمد بن علي بن سلامة بن عمران العوسجي البدراني الدوسري، ولد في سنة ١٢٤٥هـ في بلدة ثادق، وأخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وابنه الشيخ عبداللطيف، والشيخ محمد بن مقرن، والشيخ عبدالعزيز بن حسن، والشيخ عبدالرحمن بن عدوان، وأخذ الفرائض عن الشيخ عبدالعزيز بن شلوان وغيرهم.

وكان بارعاً في جميع الفنون ويقظاً، قليل المثل في الشهامة والذكاء والديانة والعبادة كثير الخير، له قدم راسخ في العلوم الشرعية والفتيا، وله وقع في النفوس، وكان دمث الأخلاق قوي الجأش آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ولي قضاء

ناحية سدير في ولاية الإمام فيصل بن تركي وابنه عبدالله، ثم كان قاضياً في الوشم، ثم كان قاضياً في بلدان المحمل بعد الشيخ عبدالعزيز بن حسن، وله أجوبة سديدة ونصائح مفيدة ومجالس في التدريس، أخذ عنه العلم ابنه محمد وغيره من سائر بلدان المحمل، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة رحمه الله تعالى.

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ صالح السالم رحمه الله تعالى وهذه ترجمته:
هو الشيخ العالم الفاضل المحقق، ذو العلوم الربانية والمنح المرضية صالح بن سالم آل بنيان تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته، وقد نظم بعض المحبين وفاته بقوله:

وقد كان في يوم الربوع وفاته لتسع مضت من بعد تسع ليالياً
وفي صفر عام الثلاثين قبلها ثلاث مئين بعد ألف لباغياً

أي في اليوم التاسع من شهر صفر من هذه السنة كان المترجم رحمه الله تعالى من أهل العلم في بلدة حائل، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف لما زار الشيخ بلدة حائل بدعوة من الحاكم محمد بن عبدالله بن رشيد لأنه كان قبل ذلك كاتباً للمذكور، ثم إنه استمسك بغرز الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في حال إقامته لديهم، وسافر إليه في بلدة الرياض ولازمه وأكثر الأخذ عنه وترك أعمال ابن رشيد، وما زال يأخذ عن مشايخ هذه الدعوة مثل الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، ومن على طريقته حتى كان من أكبر الدعاة للتوحيد وأعظم المنتصرين للحق وأهل، يجاهد أهل الباطل بلسانه وحجته، وله جملة قصائد تدل على تمسكه بالدين والعيب على من خالفه.

فمن ذلك قصيدته الدالية المشهورة، ومنها قصيدة نونية في الرد على من حسن طريقه دحلان وشيعته، ومنها قصيدة رائية في فضل الغرباء الذين طوبى لهم من أبياتها قوله:

وأصبح ذو الإيمان فيهم كقابضٍ على الجمر أو في الجنب صلي الجامر
وما زادهم إلا ثباتاً مع الرضا بقلب سليم للمهيمس شاكر

فأكرم بهم من عصبة الحق إنهم لحفظ نصوص الدين أهل تناصر
إذا ما بدا نص الكتاب وسنة تنادوا عباد الله هل من مثابر
وعضوا عليها بالنواجذ فاهتدوا وما رغبوا لخرص الخواطر

إلى آخرها وهي عزيمة حسنة، وله قصيدة نونية في تشجيع سليمان بن سحمان في ردوده على أهل الزيف والنفاق من أبياتها قوله:

فالله يجزيك الذي ترضى به من جنة المأوى مع الرضوان
ويؤيد الإسلام دهرأ طائلاً ببقائك فينا أخوا العرفان
وكذا يسرك أن رأيت موسداً قريباً وقد أدرجت في الأكفان
فلقد أتى والله كل منافق بقوارع زادت على الحسابان
قفعدوا يصدون العباد عن الذي خلقوا له من طاعة الرحمان

وأثنى عليه العلماء وامتدحوه بما كان عليه من الثبات ودافعوا عن عرضه مسببة كل منافق ومعاند، فنسأل الله تعالى أن يرفع درجاته في الآخرة ويسبغ عليه هناك نعمه الباطنة والظاهرة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ذكر العداء بين الشريف حسين وابن سعود

وآمال الشريف وما انطوى عليه، نسأل الله العافية، ما زال الخلاف يشتد بين الأشراف وآل سعود حتى تولى الحسين بن علي إمارة مكة، فاستبشر العرب بعهد جديد كما يتبادر من كبراء الحجاز، ولكن الرجل كان يحلم بآماله حتى أنه وقف في وجه جميع الإصلاحات التي كان يريد الاتحاديون القيام بها في الحجاز لأنه رأى من خلالها تقوية نفوذ الأتراك وشلّ يده عن العمل في الحجاز، فعرقل مد سكة حديد بين جدة ومكة، كما عرقل مد طريق مكة والطائف من جهة جبلى كرى، ولو تتبع الحسين خطته الأولى لنجح في أعماله، غير أنه طمح إلى مقاصد كبرى بمحاربة أمراء العرب والاستخفاف بهم وعدم تقديره إياهم التقدير الصحيح، فضاعت عليه الفرصة وتعرقلت أعماله التي طمح إليها ولم يأخذ الأمر بالإناء والصبر، وكان أول خصم يهمله هو ابن سعود.

هذا مع أن ابن سعود ما زال يتوود إلى الحسين ويرسل إليه رسائل التفخيم والتبجيل، كما كتب إليه في ١٨ من رمضان سنة ١٢٢٨هـ كتاباً قال فيه: حضرة جناب الأجل الأفخم يمين الشيم أمير مكة المكرم سيدنا الشريف حسين باشا ابن السيد علي دام مجده وعلاه أمين، وأطال في تفخيم الحسين، إلى أن قال وأمرك علينا تام على كل حال، ثم قال ذلك والولد برسم الخدمة، ولما ختمه أمضى عن نفسه خادم الدولة المملكة والوطن أمير نجد رئيس عشائرها عبدالعزيز السعود، وأهدى مع الكتاب إليه جياذ الخيل.

وكتب بعده كتاباً في تاريخ ١٥ شوال منها إليه أطال فيه بالتمجيد، ووضع نفسه كخادم بين يدي الحسين، ومن ألفاظ الكتاب «وما عرف جنابكم كان لدى ابنكم معلوم خصوصاً ما عرف جنابكم من جهة عتية والقصيم، وإنهم يلقون بالكاذب التي ليس لها حقيقة ويتظلمون عند حضرتكم، فنحن نقول عما قالوا سبحانه هذا بهتان عظيم، فأما من جهة نظركم علينا وعليهم، فهذا هو شأن مثلكم وهو مقامكم العزيز، ثم أطال إلى أن قال: فالآن ابنكم وخادمكم ومملوك فضلكم ثاني نفسه سامع مطيع لله ثم لحضرتكم، لأن واحداً من أهل القصيم أو من عتية يدعى علي بأدنى شيء من الظلم، فكما تأمرون أفعَل امتثالاً لأمر الله ثم لأمركم، وجميع ما زوروه على حضرتكم دواء الكذب المقابلة، فإن كنت المجرم فأنا تحت أمركم كما تأمرون أفعَل واصطبر لأدبكم، فإن كانوا هم الكاذبين وتحقق عند جنابكم ذلك فنحن قد دحنا لهم من الزلات أكثر، وحققنا على جنابكم أن تكونوا على حذر من أقوال الغاشين للإسلام والمسلمين، وأنا والله، وبالله، وتالله إن رضاكم وامتثال خدمتكم عندي أعز من رضا عبدالرحمن وخدمته، ثم أنا معطيكم عهد الله وميثاقه أني ولدك سامع مطيع ما أخلف شوفتك في جميع أمر».

ثم أطال بالتواضع والخضوع للحسين وختم الكتاب، ثم بعث إليه بكتاب في ٢٢ من ربيع الأول من هذه السنة على هذا النمط.

وقد أوردنا ذلك ليعلم المنصف مبلغ احترام ابن سعود للحسين، وأنه لم يأل في مسألمته، فما أظنك لو اعترف الحسين لابن سعود وقدر هذه التعطفات قدرها، ولكنه طموح في مقاصده، فكان ينظر إلى ابن سعود نظر ولي الأمر إلى موظفه.

أضف إلى ذلك أن الأتراك لما خافوا من حركة الحسين وانقلابه الذي بادرتهم بوادره، عرضوا على ابن سعود إمارة مكة، فأبى وأصرّ على الرفض لأن قبوله لغرض الأتراك الذي اضطروا إليه سيجعل مركزه حرجاً، فلن يرضى الحسين بذلك، ولما كان في هذه السنة قام الحسين يشمرّ الأردن وخرج من الحجاز بجيش من البدو والحضر، وكان ذلك في رجب منها فنزل الكويعة محلة عتية وبلادهم، وقد قدمنا أن أخا جلالة الملك سعد بن عبدالرحمن جاء يستنجد عتية، فلما أن قرب منها خرج إليه من الكويعة شرذمة من خيالة عتية فظنهم جاءوا يلاقونه ويرحبون، ولكنه عندما دنوا منه إذا لم يكن معه غير أربعين رجلاً، فركب وعشرة منهم الخيل وقفلوا راجعين، وذلك أنه استراب منهم فلحقته عتية يؤمنونهم قائلين: نحن خدامكم فقوا ولا تخافوا فصدقهم سعد، وما أشار عليه رجاله بالثقة بأولئك وحذره فوقف وأخذه بنو عتية وصادوه، ثم بعثوا به أسيراً إلى الشريف حسين، ولما بلغ عبدالعزيز هذا الخبر وكان قد تاهب لمحاربة العرائف بالحريق، فعندها ترك أربعمائة من رجاله بقيادة فهد بن معمر في الخرج وكرّ راجعاً يستند أهل نجد لينقذ أخاه.

أما الشريف فبعد أن أسر سعداً رحل من الكويعة شمالاً فنزل الشعراء، ثم زحف من الشعراء شرقاً فنزل على ماء قريباً من الوشم، ولكنه عندما علم أن ابن سعود قد وصل بجيشه إلى ضرما ما تراجع غرباً فنزل على ماء يدعى عرجا، وأرسل يستنجد ابن رشيد، فكتب وكيل الإمارة زامل ابن سبهان إلى الأمير عبدالله بن جلوي، وكان إذ ذاك أمير القصيم يقول في كتابه أن بيننا وبين الشريف معاهدة تضطرننا إلى مساعدته، هذا وما كأنه كان بينه وبين ابن سعود، بل الصلح الذي بين ابن سعود وابن رشيد ما هو إلا قصاصة من الورق.

لقد كان الشريف ما يقصد الحرب إذ ذاك والمناورات، إنما يريد إزعاج ابن سعود وإكراهه فيما يريد، وقد كتب إليه وهو يفر ويكر من ماء إلى ماء يؤكد ذلك وقال في كتابه إذا هجمت علينا تركنا لك المعسكر والخيام وعدنا بأخيك سعد إلى مكة فيبقى عندنا إلى أن تطلب الصلح، وهذا الصلح شروطه بيد الشريف حسين. ومن غرائب الاتفاق أن خالد بن لؤي أمير الخرمة كان يومئذ الواسطة بين الأثنين، وخالد هذا وأهله وإن كانوا من أشراف الحجاز فهم منذ القدم على ولاء آل سعود وظلوا متمسكين به محافظين عليه.

جاء خالد إلى عبدالعزيز بن سعود يعرض عليه شروط الشريف، ولم تكن غير شروط الدولة التذي تطلب أن يعترف بسيادتها ولو إسمياً في نجد أو في القصيم على الأقل وطلبت فوق ذلك أن يدفع ابن سعود شيئاً من المال عربون التبعية كل سنة تالية أن الأمير مضحك عجيب ابن سعود يستدين من نسيبه ووكله في البصرة ما يسد به حاجاته ويحيله على الدولة، والدولة تسعى بواسطة الشريف أن تدخل ابن سعود في تبعيتها فتقاضاه بدل أن تدفع له ما كانت تدفع.

ولما جاء خالد يحمل شروط الصلح، وخالد وإن كان بدوياً فهو على شيء عظيم من الدهاء والذكاء، فلما جاء تكلم مع عبدالعزيز بهذا الكلام البديع: اسمع يا عبدالعزيز، أنا أعلمك لا غاية للشريف سيئة، لا والله ولكنه يبغى يبيض وجهه مع الترك، فاكتب له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضرك وأنا أتكفل برجوع سعد، وأتكفل أن الشريف لا يتدخل في أمور نجد، هذا إذا كنت لا تتجاوز الحدود، أما إذا هو اعتدى عليك فأنا خالد بن لؤي أعاهدك عهد الله عليك، فأكون معك والله كما كان آبائي مع آبائك وكما كان أجدادي مع أجدادك، فقبل عبدالعزيز بتوسط خالد وكتب له قصاصة ورق تنفع الشريف عن الترك ولا تضرك، كأنها فقد تعهد فيها أن تدفع بلاد نجد للدولة ستة آلاف جنيه مجيدي كل سنة، وما كانت غير قصاصة من ورق كلام الليل يحوه النهار، وقد جاء في بعض التواريخ أن الواقعة كانت قبل هذه السنة بستين، والصحيح ما أثبتناه.

ذكر ما جرى من العرائف والهزازنة

قد تقدم أن أولاد سعود بن فيصل كانوا مقيمين على شق العصا كما فعلوا مع عمهم عبدالله، وكان الخلاف قد بقي في أولادهم الذين كانوا أسرى عند ابن رشيد، ولما خلصهم عبدالعزيز وحقن دمائهم كرامة للرحم أن تقطع، وكذلك عفا عنهم فذهبوا إلى الكويت ثم رجعوا منه، ومن الإحساء كما قدمنا ونزلوا في الخرج يريدون الاستيلاء عليه، ولكنه قام عليهم القائد فهد بن معمر ومن معه وصدوهم بل طردوهم، فرحلوا إلى المقر الذي اتقدت فيه قصة آل هزان إلى جهة الحوطة والحريق.

أما الهزازنة الذين كانوا أسرى في الرياض فإنهم بعد ما أطلقهم عبدالعزيز ومن عليهم بالرجوع إلى بلادهم إكراماً لأمير قطر قاسم بن ثاني الذي توجه لهم، فحالما وصل العرائف إلى الحريق بعد طردهم من الخرج، رحب بهم الهزازنة وتعاهدوا وإياهم فكانوا يداً واحدة، وقد انضم إليهم ناس أيضاً في الحوطة فمشوا معهم إلى الحريق، ثم هجموا على القصر هناك، وكان في القصر إذ ذاك سرية لابن سعود فحاصروها سبعة أيام واستولوا على القصر.

فلما خلص ابن سعود أخاه سعد من الأسر وصالح الشريف، عاد من القصيم قاصداً ناحية الحريق الذي قد استولى عليه العرائف والهزازنة تلك الأيام بالغشم، وانضم معهم جمع كبير من البادية.

إن الحريق بلدة كائنة في وادي بين جبلين وليس لها غير طريق واحد، فأسرى فيه عبدالعزيز ليدخل البلدة ليلاً على حين غرة، ولكنه عند وصوله إلى قصر كان قريباً منها نزل هناك وأمر جيشه الذي لم يكن يومئذ غير ألف ومائتين من الحضرمين أن يعسكروا ويستعدوا لحصار طويل، ولكن خيالة العدو في جولة من الجولات اصطدمت بفصيلة من خيالاته فكانت الشرارة التي أضرمت نار الحرب، فهجم حضر عبدالعزيز بن عبدالرحمن هجمة واحدة على الحريق ولم

يقفوا حتى استولوا عليها وعلى بلدة أخرى اسمها مفيجر، فشرذ العرائف ولم يقفوا من شدتهم على الخيل حتى وصلوا إلى أهل الحوطة فالتجأوا إليهم فردوهم خائبين، فرحلوا إذ ذاك إلى الأفلاج.

وكان في السيح هناك أخوهم فيصل، وفي ليلي أحمد السديري من قبل ابن سعود، ويلي هي قاعدة الأفلاج، والسيح كانت بلدة من بلداتها فيها مياه جارية، فاحترب فيصل والأمير السديري قليلاً قبل وصول العرائف.

أما عبدالعزيز فبعد انتصاره في الحريق زحف جنوباً فنزل نعام وهي قرية في الطريق، وأراد الجيش أن يهجم على الحوطة فيكتسحها فأبى ذلك، لا أسعى في خراب بلدين من بلاد في يوم واحد سأقدم لأهل الحوطة الصلح وأعطيهم الأمان لعل الله أن يهديهم سواء السبيل، فعند ذلك ظفر أهل الحوطة بالأمان، شكراً لعالمهم ورؤسائهم الذين خرجوا إلى ابن سعود، وقد عقدوا المحارم في رقابهم، ولكن أهل الحوطة يقول فيهم بعض المؤرخين أنهم براءة قتلة لا يضعون على الرقاب ولا يفهمون في العقاب غير السيف، ومع ذلك فقد صفح عبدالعزيز مشروطاً أن يدخل بجيشه البلد، فدخل ظافراً، ثم زحف إلى الأفلاج، وبينما هو على ماء في الطريق جاءه رسول من أميره السديري يقول: إنه حين وصول العرائف إلى السيح علم أهل البلدة بما جرى في الحريق ففروا هاربين وقد تركوا فيها أمتعتهم وأموالهم فغنمها السديري عند احتلاله تلك الناحية، ولكن سعود بن عبدالله أحد العرائف وعزيز الهزاني الذي فرّ هارباً بعد فتنة الهزازنة الأولى ومعهم ثلاثون رجلاً هجموا على السيح بعد أن هجرها أهلها دون أن يعلموا بما جرى في الحريق فقبض السديري عليهم وألقاهم في السجن.

فلما بلغ الخبر صاحب الجلالة عبدالعزيز أطلق سراح سعود بن عبدالله وخيّر في أمرين: البقاء عنده أو الإلتحاق بإخوانه، فاختر البقاء، وهذا سعود العرافة الموجود الآن في الرياض فاستراح من الشقاق لما له من الحظ الكبير، ورحل بقية العرائف شاربدين إلى مكة ولاذوا بالشريف وواحد منهم فرّ إلى الإحساء ليستنهض البادية هناك.

وأما الهزازنة فإن عبدالعزيز بن عبدالرحمن عفا عن راشد الذي تقدم ذكره، وما زال مشمولاً مجلم عبدالعزيز أولاً وأخيراً، ثم قتل بقية المأسورين وانتقم منهم جزاءً وفاقاً.

فيا عجباً من لئيم لا يفيد فيه الإحسان ولم يقم فيه مروءة إنسانية وشيمة عربية تأبى له أن يتصف بالغدر، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى، إن ابن سعود والحق يقال، قد قاسى أهوال الشدائد، وذلك لكثرة التقلب من الأعداء، فهذا ابن رشيد يعاهد ويغدر ويماطل ويختال، ولا قدر لعهدٍ عنده ولا كافل، وهؤلاء العرائف، والهزازنة قد ذهبوا يغدرون ويستنهضوا القبائل، وحسين الشريف يسعى في الشرور والغوائل وقد نصب له الأشراك والحبائل.

والدولة العثمانية جادة بواسطة نفوذها في الإحساء بإلقاء العداوة بين العرب، ولا تزال مصر على أن نجداً ولاية تركية خاضعة لها بالطلب.

ومع هذا فإن صقر الجزيرة ثابت الجأش لا تزعزعه الحوادث ولا يتأثر لهذه الكوارث، وما أحسن ما قيل:

يخلق الله للحروب رجالاً لا يهابون كثرة الأخطار
وقديماً قيل إياك والسامة في طلب الأمور فتقذفك الرجال خلف أعقابها وقد
أصبح الرؤساء يوماً أحلافاً، ويوماً أعداءً، بعضهم على بعض وتفتقت الأرض
بالشر، واتسع الخرق على الراقع، وأصبح أهل الجزيرة في قلق شديد.

ثم إنه سار عبدالعزيز من الأفلاج ومرّ بقبائل من الدواسر عاصين فأدبهم، فلما بلغ الرياض استراح بها بضعة أيام، سار لمطلوبه وهو الحسا، فضرب العاصين من العجمان وأدبهم تأديباً بليغاً، ولما كان في جهة الحساء جائته الاستغاثة من مبارك بن صباح وقد أرسل وفداً هذه المرة من بلاد الكويت بكتابه إلى ولده عبدالعزيز وأرسل ذلولين، يقول في كتابه: إني مرسلٌ إليك ذلولي وقد كنت أركبها إلى الغزو وأنا الآن عاجز عن الركوب والمغازي، أنا والدك يا عبدالعزيز والذلولان اللذان شهدا الغزوات والمعارك العديدة هما لك يا ولدي وهم يطلبان منك أن

تأخذ بثأر والدك من ابن السعدون، فأجاب عبدالعزيز أن مشاكله كثيرة، عشائره متقلبة فيخشى الخيانات بعد أن اجتمع له الأمر في بلاده، وهو يضطر والحالة هذه أن يستخدم كل ما لديه من قوة في معالجة مشاكله الداخلية، ومنها في تلك الحالة مسألة تركي بن سعود العرافة الذي انحدر إلى الحساء من الخرج يستنهض العجمان كما تقدم قريباً، وقد انضم إليه آل سفران فأخذ منهم.

ولكن مباركاً أبى أن يعذر ابن سعود، ودام على الاستغاثة والتأوه، وكتب إليه مرة ثانية فقال في كتابه إلى ابن سعود: يا ولدي أنا أصبح وأناديك وأنت يا ولدي تصم أذنيك، أمثل ذلك يعامل الوالد، أتهجرني يوم شدتي فيساعد هجرك العدو علي، اسمعني أصبح وأناديك لتفزع لوالدك وبلدك، ففزع عبدالعزيز وسمع له افستفز عشائره مليباً ندائه، وزحف تلك المرة بجيش مؤلف من ألف وخمسمائة من الحضر وخمسة آلاف من البدو، يصحبه اثنان من أبناء الصباح وهما سليمان الحمدود وعلي بن خليفة، ثم سار ينتقم لوالده من ابن سعدون وابن سويد، وأعلم ابن صباح بمسيره وأنه سينزل الحفر، ولكن العدو أثناء ذلك انقسم قسمين فاحترب أهل الظفير وأهل المنتفق بعد أن كانوا متحالفين.

وسبب ذلك العداوة التي كانت كامنة في نفوسهم، فلما علم الشيخ مبارك بما صدر بين عدويه وأن حمود بن سويط كان أميل إليه، كتب إليه يخبره أن ابن سعود زاحف إليه وحذره منه.

ثم توجه ابن سعود إلى ناحية الزبير فورد كابده ووجد هناك أغناماً كثيرة لابن سعدون فغنمها كلها، واستمر سائراً إلى صفوان فلاقاه في الطريق رسول من والي البصرة ومعه وفد من أهل الزبير، فأكرموه وقدموا له الهدايا الثمينة من الحكومة ومن الأهالي، وكانوا خائفين لما جاءوا مستعطفين، فأمر ابن سعود جيوشه بأن لا يعتدوا على أحد ولا يؤذوا أحداً في أطراف الزبير والبصرة.

ثم جاءه بصفوان رسول من قبل الأمير مبارك بن صباح، وهذا الرسول هو عبدالعزيز بن حسن، جاء بمهمة جديدة، وهي أنه طلب أن يهجم على عدد من

الرعاة للغنم يوماً كانوا من رعاياه ويوماً من رعايا العراق، أريد يا عبدالعزيز أن تأخذهم وحيولهم وسلاحهم، فعلم عبدالعزيز بالأمر وهو أنه يريد بذلك أن يحرك عليه حكومة العراق إذا فعل ذلك فلم ينجح طلبه، وقفل راجعاً من صفوان إلى الكويت فرفض قومه أن يرجعوا معه وقالوا: لا ندخلها إلا محاربين، فأبى عليهم ومشوا طائعين يحفون به حتى وصلوا الجهراء فنزلوا فيها، وقد جاء مبارك ليسلم على ولده، فاعتذر عما بدا منه، وقبل عبدالعزيز العذر دون معاتبة.

ولما فرغ من أعمال مبارك وخدعه ومكره سار يقصد الحساء، وكان قد كثر فيها وفي جوارها الأشقياء، فبلغه وهو في السير أن العجمان العاصين هجموا على عرب من عربان فيصل الدويش وأخذوا عدداً كبيراً من الإبل لرجل اسمه ذو النون كان في ضيافة ابن سعود وهو من الموصل، فسارع عبدالعزيز إلى مقاتلة المعتدين، ثم جاء خبر أنهم على ماء قريب منه، فجد في طلبهم فأدركهم وأخذهم جميعاً، ثم لما علم أنهم غير المذنبين وأن هؤلاء أبرياء أعاد عليهم كل ما أخذ منهم وخلى سبيلهم.

أما المذنبون ورؤسهم تركي العرافة فكانوا قد التجأوا إلى حكومة الترك في الحساء وأخبروا الترك أن ذا النون من رعاياهم في الموصل، فأرسلت الحكومة تحتج على ابن سعود وتحذره أن يتعرض لقبيلة العجمان، فأجاب أن في تأديبهم خير للناس وللحكومة، ومع ذلك فإنه لم يستحب أن يغضب الترك في الحساء فتركهم وشأنهم.

أما الشريف حسين فإنه لا يزال جاداً في تحريض القبائل على ابن سعود وكان قد جهز جيشاً لنصرة راشد الهزاني الذي كان قد لجأ العرائف إليه فيما تقدم وسيره إلى الحريق، وأمد العرائف أيضاً في محاربة نسيبهم حاكم نجد، ولما أن أرسل عبدالعزيز رسولاً إلى الشريف وهو صالح العذل ومعه هدية من الخيل بكتاب تقدم ذكر تاريخه ٢٢ ربيع الأول، واطال فيه بتمجيد الحسين، وقال في آخره: إننا نستغرب منكم هذا العمل وبيننا وبينكم معاهدة.

وكان جيش ابن سعود قد أغار على فخذ من عتية المتشيعية للعرائف، فغضب لذلك الشريف ورد صالح العذل خائباً ورد فوق ذلك الهدية فخرج العرائف على

ابن سعود، وقد ختمت هذه السنة بخيانة مطير ورئيسها فيصل الدويش الذي استغواه عجمي السعدون، ولا شك أنها بمساعي الترك وذلك أنهم كانوا يناوؤن العرب وبالأخص من يحاول جمع كلمتهم وتوحيد سياستهم وهو ابن سعود. وفيها ولد الأمير محمد بن عبدالعزيز نجل جلالة الملك وكانت ولادته في الرياض.

ثم دخلت سنة ١٣٣١هـ

ففيها فتح الإحساء وهي المخاطرة الرابعة، وذلك أن الترك لما أهمهم أمر عبدالعزيز بن عبدالرحمن جعلوا يحرضون عليه الشريف حسين بن علي وابن رشيد وابن سعدون وكذلك جعلوا يستغون عشيرة من عشائره الكبرى وهي مطير وناهيك بالعجمان في الحساء وبحرب في أطراف الحجاز.

وكانوا لما نفضوا أيديهم من ابن رشيد جعلوا يحرضون عليه سعدون، والشريف فلما كان في ربيع الأول من هذه السنة خرج عبدالعزيز بن عبدالرحمن لما أوغرت صدره هذه الأفاعيل التي تدبرها الدولة العثمانية فأحب أن يقضي على آخر سلطة لهم في جزيرة العرب وهي الإحساء والقطيف، وأن يحكم السيف فهو الحكم الفيصل، فصمم ابن سعود على أخذ الإحساء واستعادة تراثه القديم وحسم مواد ذلك النفوذ العثماني المرتكز في الإحساء، فسار حتى نزل على الخفس وأقام عليه بقية الشهر وأغار أثناء ذلك على عربان بن مرة مذنبين، فأخذ مواشيهم، على أن الغرض من هذه الإغارة لم يكن محصوراً بظاهره، ثم تقدم بعد ذلك إلى الإحساء فأرسل الأتراك عند ذلك يستطلعون خبره، وقصده فقال قصدي الامتياز شراء الأمتعة والزاد.

ثم عاد إلى الرياض تاركاً عسكريه على الخفس، وفي ذلك الحين وصل إلى عاصمة نجد رجل إنكليزي اسمه «ليتشن» قادماً من الشام بطريق الجو فسأله ابن سعود ما القصد في سياحتك فأجاب قائلاً: إني جغرافي وأريد أن تساعدني لاجتاز الربع الخالي من واحة بيرين إلى عمان، فقال له عبدالعزيز: إن قدومك على هذا

الوجه خطأ فلا علم لنا به وليس معك توصية من الحكومة البريطانية، فقال: «ليتشن» إني رجل إنكليزي طالب علم وأنتم مشهورون بإكرامكم الإنكليز خصوصاً العلماء منهم، فلم يتأكد عبدالعزيز حقيقة ما ادعاه الرجل، بل ظن أنه يتجسس للترك، فيما أنه كان قد عزم على الهجوم في الإحساء، وقد خامر الترك بعض الريب في أمره رأى أن يستخدم هذا الجغرافي لإزالة ذلك الريب فيطمئن من الخصم البال ويسير وهو مطمئناً أيضاً إلى غرضه، فقال له: لا يستطيع أن يجيب طلبك غير الترك في الحسا، فأرى أن نذهب إلى المتصرف هناك وأنا أكتب إليه بخصوصك، وكتب فيما أرسله أن هذا الرجل مجهول لدينا وهو واصل إليكم، فيما ينبغي الرأي الموفق إن شاء الله، فرحل «ليتشن» وبعد قليل شد ابن سعود راجعاً إلى معسكره في الخفص.

وكان جمال باشا يومئذٍ والياً في بغداد وكان يجامل ابن سعود ويتظاهر بصداقته، فوعده بالسعي في حسم الخلاف بينه وبين الشريف حسين، وسأله أن يرسل مندوباً إلى بغداد للمذاكرة في هذا الأمر، فأرسل ابن سعود رجلاً من رجاله العصريين وهو أحمد بن ثيان، ولكن جو السياسة العربية تغير أثناء ذلك، فعندما وصل أحمد بن ثيان إلى بغداد وجد جمالاً متغيراً وليس بجمال وسمع منه كلاماً لإجمال فيه ولا حكمة، فعجب ابن ثيان من تنكر جمال فهو الذي طلب من ابن سعود مندوباً ولما جاءه قابله بما يكره، وكان من كلامه أن قال ابن سعود لا يعرف مقامه وقد غره أن صفح عنه المشير فيضي باشا، فإذا كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة، فإن بإمكانني أن أخترق بلاد نجد من الشمال إلى الجنوب بطابورين لا غير.

والسبب في تغير جمال أنه قد طمع في ابن رشيد وظن أن نجمه سطع، فرجع أحمد بن ثيان مغضباً محققاً من مقابلة جمال وسخفه، وبلغ ابن سعود كلامه وإنه قد قلب ظهر المحن فكتب ابن سعود عندما سمع كلامه كتاباً إلى جمال أرسله بواسطة وكيله في البصرة عبداللطيف باشا المنديل وفيه هذه الكلمة.

قلت أنكم تستطيعون بطابورين أن تخترقوا بلاد نجد من الشمال إلى الجنوب ونحن نقول إنا سنقصر لكم الطريق وذلك عن قريب إن شاء الله.

ثم كتب إلى عبداللطيف المنديل إذا سألك الترك هل أنت مندوب ابن سعود فقل لهم إني عثمانى وقد أشار بذلك خشية أن يلحق به ضرر بعد الهجوم على الحساء، ولكن عبداللطيف باشا لم يعمل بإشارة موكله فلم ينكر أنه نجدي أو وكيل أن سعود، وقد قال للأتراك جهلتم قدر هذا الرجل وها هو الآن يعرفكم بنفسه.

ذكر فتح الإحساء سنة ١٢٣١هـ

لما أراد جلالة الملك السير إلى الحساء أجرى إسبانيا لإبعاد العجمان عن الحساء فضرب لهم موعداً في الشمال لمحاربة مطير، وقام يعمي أمره عن الطائفتين، هؤلاء يبنني لهم بأنه يريد الامتياز للطعام، وهؤلاء يبنني لهم أن يغزوا عدوهم، فذهب هؤلاء الأجلاف يريدون مواعده وأخلوا البلد من شوكتهم ذاهبين إلى الميعاد.

وكان لما تجرد هذا الصارم البتار من غمده اشتغل أهل البلد وخافوا من سورته، ولما زحف جد في السير إلى الإحساء فالتقى في الطريق برسول من حكومتها يحمل كتاباً إليه من المتصرف وفيه الرجاء أن يعلمه من أي الجهات جاء الإنكليزي إلى الرياض، فقال ابن سعود للرسول غداً إنشاء الله أنا بنفسى أعلم المتصرف، ثم سار حتى وصل الحساء ولم يكن معه من أهلها أوله فيها معاونون غير وكلائه أبناء القصبي ويوسف بن سويلم، فسألهم أن يعلموه بالمكان المناسب للهجوم على الكوت وهو جهة من الهفوف فيها القلعة والحامية، ففعلوا وأعلموه بما هناك من الصعوبات لعلو السور ووجود الحرس فأرسل إليهم يقول أننا هاجمون في هذه الليلة وكل صعب مسهل بحول الله.

وكان عبدالعزيز قد نزل على عين من عيون الإحساء تبعد ميلاً واحداً من الهفوف، فلما كان في الليلة الخامسة من جمادى الأولى والساعة الثالثة ليلاً، خرج من المعسكر بستمائة من رجاله من الحضر وخطب فيهم قائلاً: إننا هاجمون على الترك في الكوت وإننا منتصرون بإذن الله، أمشوا كأنكم بكم إلى غرضكم ولا

تضجوا إذا كلمكم أحد فلا تحيوه حتى وإن ضربتم بالبنادق ونحن في الطريق فلا تضربوا، أما وقد صرتم في الكوت فحاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم، فأما البيوت فلا تدخلوها والنساء لا تدنوا منهن.

قال ذلك ومشى أمامهم فسارعوا على الإقدام تحت ستار الليل وهم يحملون جذوع النخل والحبال، فلما أن وصلوا إلى السور قسمهم ثلاث فرق، فقال للفرقة الأولى: أنتم تسيرون إلى الباب الجنوبي فتقبضون على الحرس وتستولون على الباب وما يليه، وللفرقة الثانية وأنتم تسيرون إلى السرايا على المتصرف فيها فتأسرونه، وللفرقة الثالثة وأنتم تتفرون في أبراج السور، هذه هي أوامر فاعملوا بها ولا تتعدوها، فقام الناس وحزموا الجذوع بالحبال فصنعوا منها سلماً تسلقه عشرة من ذوي الشجاعة والجرأة، ثم رموا بالحبال إلى العساكر، فصعدوا ساكتين ونزلوا إلى الكوت متسللين والحرس يسألون من أنتم فلا يجيبهم أحد، فلما تكامل دخولهم سارت كل فرقة إلى الجهة المعينة لها، ولكن هذا العمل لم يتم بدون ضجة في الحصون والمدينة، ثم فرعت العساكر والأهالي من النوم فاستولت عليهم الخوف والذعر وهم لا يدرون من الهاجم فعلت الأصوات وأطلقت البنادق.

فأمر إذ ذاك صاحب الجلالة عبدالعزيز أحد رجاله أن يصعد إلى السور وينادي أن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن، من أراد العافية فليلزم مكانه، فلما نادى المنادي بذلك استبشر الناس وتهللت وجوههم وجعلوا يهتفون كبارهم وصغارهم أهلاً وسهلاً سمعاً وطاعة، بل جاءوا بالمياه إلى العساكر كأنهم إخوانهم وقد عادوا من سفر، أما عبدالعزيز فهو خارج السور فأراد أن يتسلقه فأبى عليه ذلك من بقي من الجنود فهدموا جانباً من السور فدخل ودخلوا معه.

وكان الحرس قد لجؤوا إلى القلعة وأهل الكوت بعد أن سمعوا صوت المنادي والناس، وقد خرجوا من بيوتهم جاؤوا يراجعون بآبن سعود ويعاهدونه على السمع والطاعة والولاء، فلما طلع الفجر جاء بقية الأهالي يبائعون ويرحبون، فأكرم عبدالعزيز محسنهم وعفا عن مسيئهم، أما الأتراك فباتوا تلك الليلة بشر ليلة

في حصونهم قابعين، وقد كان لهم أربعة حصون في الهفوف وخارجها اثنان في الكوت، وكوت الإحساء هو حصنها المنيع وما أحاط به من البيوت، وقد بناه الأتراك في استيلائهم عليها سنة ١٠٤٠هـ بعد انقراض دولة الأجود العقيلي منها، وحصن إلى الجنوب وآخر إلى الشمال، فعندما أبلج الفجر شرعوا يطلقون البنادق والمدافع من تلك الحصون على البلاد فكانت طلقات طائشة فلم نصب أحداً بل أنصحت عن الذعر والرعب الذي أخذ منهم كل مأخذ.

فلما كان عند الظهر جاء جندي من جنود ابن سعود باسير من الترك وهو ضابط طاعن في السن فأرسله عبدالعزيز رسولا إلى المتصرف وإلى قائد الحامية وقال له: قل لهم يسلمون إذا كانوا ييغون العافية ونحن نؤمنهم ونرحلهم إلى بلادهم، أما إذا أبوا فليستعدوا لقتال سنهажهم في مراكزهم ساعة هاجمنا البلد البارحة، فقبل المتصرف والقائد الأمان ثم سلمت الحامية التي كان عددها ألف وخمسمائة جندي، فأذن جلالة الملك لهم بالنزول ولا ننزع عنهم سلاحهم قاتلاً لا ننزع من الجند العثماني سلاحه، أما المدافع والذخائر فظلت مكانها في الحصون، ثم جهزهم بالركائب ورحلهم وعائلاتهم وأمتعتهم، فساروا إلى العقير وليس معهم من يخفرهم ويؤمن طريقهم غير رجل واحد من رجال ابن سعود وهو أحمد بن ثنيان رسوله سابقاً إلى جمال باشا، وعندما وصلوا إلى العقير جهزهم أحمد بسفن تقلهم إلى البحرين.

الاستيلاء على القطيف سنة ١٣٣١هـ

لما استولى ابن سعود على الإحساء أرسل سرية إلى القطيف بقيادة عبدالرحمن بن سويلم فلما أن وصل إلى تلك الناحية بادر أهلها إلى التسليم ولم يكن للترك في القطيف غير شرذمة من الجنود ففروا في السفن هارين.

أما عساكر المتصرف الذي رحلوا من الحساء فعندما وصلوا إلى البحرين بالسفن بعد إكرام ابن سعود لهم وتعظيمهم ومنحهم الزاد والأثاث وبعث من يجرسهم تشاوروا وتراجعوا ووجدوا من يزين لهم الرجوع وإعادة الكرة بأن

يرجعوا إلى العقير ويسترجعوا القصر هناك، وقد ظفر فريق منهم بمركب لآل بسام كان يحمل تمرأ فركبوا فيه وعادوا إلى العقير وهجموا ليلاً على القصر فردتهم الحامية خائبين، ثم هجموا على مركزين آخرين كان في أحدهما ثلاثون رجلاً فهزمهم الأتراك واحتلوا مراكزهم.

فلما بلغ الخبر عبدالعزيز وهو في الهفوف ثار مسارعاً إلى العقير فوصلها في الساعة الثانية ليلاً، وكان قد سير كوكبة من الخيل فوجدت عند وصولها أن السرية التي كانت في القصر قد هجمت على الترك في المركز الذي احتلوه فهزمتهم السرية وأسرت منهم ثلاثين فعند ذلك خلي عبدالعزيز سبيلهم وأركبهم البحر وصرفهم لأنه غير مكترث لهم، ثم كتب إلى الشيخ عيسى آل خليفة أمير البحرين وإلى الوكيل السياسي لبريطانيا العظمى يحتج على ما بدا منهم، فقال في كتابه: (أيليق بكم تحريض العدو علينا ونحن أصدقاؤكم، فإذا كنتم لا تتلافون مثل هذه الأعمال وتمنعونها فالتبعة فيما قد يعقبها هي عليكم).

فجاءه الجواب من دون بطي، وفيه أن العساكر ركبوا السفن من البحرين قاصدين البصرة وقد رجعوا إلى العقير دون علم من الحكومة أو الوكلاء، أما الحقيقة فهي أن آل خليفة والوكيل الإنكليزي خشوا أن يتقدم ابن سعود إلى داخل الخليج في فتوحاته، فأقدموا على عمل كان التسرع فيه أظهر من العداء.

ولما تولى جلالة الملك عبدالعزيز على الإحساء كان أهلها وقد سئمو من حكم الأتراك لعدم الأمن وكثرة الاضطراب الذي آل بهم أن ظل الرجل لا ينام على فراشه إلا وهو متوسد بندقيته المحشوة اتقاء من الطواري.

ثم توجه عبدالعزيز إلى القطيف ينظم شؤونه، فأمر فيه عبدالرحمن بن سويلم وهو الذي اختاره لصحبة سامي وجنوده المتقدمين وجعل على الإحساء أميراً فيها عبدالله بن جلوي أمير بريدة، وهذان الرجلان من كبار رجاله للبسلاء، فصارا في تلك الناحيتين وأصبحت تلك الجهات آمنة مطمئنة تحت رعاية صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل وفي ظل الله ثم ظله، وكانت مدة ملك الأتراك

للإحساء والقطيف وأطرافهما المرة الأخيرة أربعاً وأربعين سنة، لأن ولايتهم عليها كانت ١٢٨٨هـ.

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان قصيدة في ذلك تهنته للإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن لما فتح الله على يديه الإحساء والقطيف:

| | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| بهجر أضاء الفجر واستعلن الرشد | وناء على آطامها الطالع السعد |
| وقد كان أهلوها بأسوء حالة | وقد فتحت للكفر أعينه الرمد |
| وكانت قضاة السوء تصرخ جهره | بتمجيد عباد القبور وهم ضد |
| وتمجيد ضباط لهم وعساكر | فبعاً لهم بعداً وسحقاً لمن ودوا |
| وقد صارحونا بالعداوة والأذى | فهم للهدى ضد وللأشقياء جند |
| وقد أظهر الأرفاض فيها شعارهم | ومدوا يداً نحو العلى وبها امتد |
| وفيهما الخنا والخمر والزمر ظاهر | وما ليس محصوراً وليس له عد |
| وقد كان فيها للضلالة والردى | مقر وفيها للهوى صادق يشدو |
| وقد كان فيها للملاهي ملاعب | وحاد على أعقاب أربابها يحدو |
| وأحكام أهل الكفر تجري بسوحها | وقانونهم يعلو بها ظاهراً يبدو |
| فناء بها يعد السعود فأسفرت | بآل سعود هجر وافتخرت نجد |
| وأقلع عن هجر دياجير ما سجي | من الكفر والأرفاض حل بها النكد |
| وأصبح من فيها محب وناصح | ينادي ألا أهلاً بكم أيها الجند |
| فقد طالما كنا بأيدي عداتنا | أذلاء والأعداء يسمو لهم جد |
| وهم قد أخافونا بها وتغلبوا | يسوموننا خسفاً ويعلوا بها الضد |
| فقوض عنا الغي والبغي والأسى | وأهل الردى والفحش فاستعلن الرشد |
| وزال قمام الكفر عنا وأشرقت | شموس الهدى والحق في الخلق ممتد |
| وأضحت بهجر شرعة الحق تجتلي | وقانون أهل الكفر حل به النكد |
| وقد أشرقت فيها شمس ذوي الهدى | وحالت بحمد الله أحوالها الكمد |
| فيا من بها من عصبة الدين والهدى | ليهنكم الإقبال والعز والمجد |

فشكراً بني الإسلام قد رجعت لكم
وقد ظن قوم أنها دولة مضت
فقد عاد ما قد فات غضاً كما بدا
وذلك من فضل الإله ومده
وقد كان ما أجراه فضلاً ونعمة
بمهد هزبر المعى مهذب
وغيض على أعداء دين محمد
أتاهم بها إذ غاب نجم مشعشع
لسبع من الساعات في غسق الدجا
فما راعهم إلا وآساد جنده
وصاحوا بها من كل قطر وجانب
وقد ملكوا أبوابها وبروجها
يقودهموا ليث همام سديد
يخوض عباب الموت والموت ناقع
ويركب هول الخطب والخطب معضل
هو الملك السامي إلى منتهى العلى
إمام الهدى عبدالعزيز الذي به
لقد فاق أبناء الزمان وفاقهم
فيا أيها الغادي على ظهر جلعد
تجوب فيافي البید وخدا ومسئدا
تحمل هداك الله مني تحية
وأورى به من لاعج الشوق جذوة
وخامره من نشاء البشر نشوة
إلى الملك الشهم الهمام أخي الندى

بناكرة من بعد أن يئس اللد
وليس لما قد فات عود ولا رد
فله مولانا على ذلك الحمد
فمن جوده الحسنى ومن فضله المد
ولله من قبل الأمور ومن بعد
يقود أسوداً في الحروب بها جرد
وأحزابهم ممن عن الدين قد ندوا
وقائده الإقبال والعز والسعد
وقد هجع الأحراس والترك والجند
قد اقتحموا فيها وما مسهم نكد
شعارهم التهليل والذكر والحمد
ومن كل نهج نحو أعدائها تعد
أبي وفي فاتك إن عشى الضد
إذا اشتعلت نار لها في الوغى وقد
وقد هابه الأبطال رعباً وبد ندوا
وقد أمه في نيلها الطالع السعد
تضعضت الأملاك واستعلن الرشد
بغفور وإقدام وساعده الجدد
عرنوسة ما مسها دهرها جهد
وما نقت أخفاقها عندما تحدد
هدية مشتاق أمضى به الوجد
ولكنه قد عاقه النأي والبعد
وفي قلبه سكر من البشر ممتد
مذيق العدى كأس الردى عندما يعد

ومن جوده الجدوى لمن مسه الجهد
شذى المسك لما ضاع نشره الند
بمجلسه الأسنى الذي حفه السعد
بلوغ المنى لما تسامى بك المجد
وعزت بك الإحساء واستعلن الرشد
وكل كفور دينه الكفر والجحد

ثم أطال الشيخ سليمان بمديح جلالة الملك والثناء عليه وبذل النصيحة له،
وقد اقتصرنا منها على بعضها خشية الإطالة.

وقال الشيخ الأديب حسين بن علي بن نفيسة مهنتاً صاحب الجلالة عبدالعزيز
في هذا الفتح للإحساء والقطيف:

فأنت الذي تؤي وتولى وتكرم
ولا معطي إلا أنت بالخلق أرحم
لك المن والإحسان ما ذاك يكتم
لك البر يا بر رحيم مسلم
وقد بلغ المأمول من هو أحزم
ذرى المجد حتى احتازها وهي سنم
وقل جددوا أشعاركم وترنموا
ولكنها بالحمد والشكر تعلم
تغير منها كلما كنت تعلم
وأقوت فما ينبيك عنها مكرم
رواكذ أمثال الحمائم جثم
صروف النوى سكانها فتقسموا
ونسأل عن أضعائهم أين يمموا
ووصل العذاري بيتنا ليس يفصم

ومن أصله المجد الموثل والعلی
فأبلغه تسليماً كأن أريحه
ونادى بأعلى الصوت عند لقائه
ليهنك يا شمس البلاد وبدرها
ونال بك الإسلام فخراً ورفعةً
وذلت بك الأعداء من كل فاجر

لك الحمد ما هلّ السحاب المراك
فما أحد إن جدت بالفضل مانع
لك الشكر لا نخصيه والمجد كله
لك الجود يا معبود يا غاية المنى
أيا صاح حق الوعد من ربنا لنا
إمام التقى ليث اللقاء الذي ارتقى
فناد جميع المفئدين بمدحه
فهناك نسيبي وهو أرجى بضاعة
أتعرف إطلالاً بجزوى دوارساً
وأضحت من السمار قفراً بلا قعاً
فلم يبق إلا موقد النار حوله
عهدت بها الحي الجميع فبددت
وقفنا نسح الدمع فيها عشية
ليالي أقتاد الهوى ويقودني

وقد ساعدت بالوصل سعدي وأومات
وخولة خالت بارق الشوق فأرعوت
دقاق المثاني والخواطر والحشى
حسان الوجوه والثغور لثالي
عقائل من أبناء بكر ابن وائل
فمن لي بتلك الغايات وما جرى
أحب شبيهات المها غير أني
فبشراك يا عبدالعزیز بهذه
منيحة أقوام كثير فطمتهم
هنيئاً لك الملك الذي قد أتاكه
بما كان تخفيه الصدور من الأذى
ولا غرو إن ملكتم الخط والحساء
فعادت كما كانت فللشكر جددوا
حلفت يميناً غير ذي مثوية
لما مهدت في المهد مثلك حرة
بأسطى ولا أمضى على الهول واللقا
إذا كان مالا يستطاع دفاعه
إذا هدأت عنك العيون فجأتها
فأنت لعمرى فارس الخيل في الوغى
نجشمت أهوال الظلام على العدى
وأصحابك الفتاك أسد الشرى الذي
تسورتم الأسوار لله دركم
فإما شهيد قد تلقته رحمة
فلا تنس أهل الجذع واعرف مقامهم

سليماً بأطراف البنان تسلم
واسماً سمت بالود فالود يعلم
تعلقهن القلب فالصب مغرم
يعز على لمأحهن التوسم
كراماً فما أنسابهن تذمم
من الأنس والعيش الذي ليس يسأم
بذكرك يا بدر الزمان متيم
هي المنة العظمى عسى لك تسلم
عليها بكى ترك وبدو وأروم
إله السما والأرض من هو أعلم
فإن أبرموا أمراً فربك يبرم
تلائدكم كانت نزائع منكمو
فأولاكم مولاكم إذ صبرتم
وما كنت قبل اليوم بالحنث أتهم
وما تبع الجيش الخميس العرمم
وإن نقدوا رأياً فرأيك أعزم
وحاولته نقضت ما منه مبرم
فأرويت زند الحرب والناس نوم
وأنت شهاب الليل والليل مظلم
فطارت طيور العز والسعد عنهم
لحوض المنايا واردين وحوم
فيا حبذا من كان منكم وفيكم
وإما سعيد فائز ومغنم
وأنت بجال الجند أدري وأعلم

فهذا هو الفتح الذي رفعت به
وهذا هو الفتح الذي فتحت به
وهذا هو الفتح الذي لم يكن جرى
قهراً بغات الترك وسط حصونها
وهذا هو الفتح الذي عاد مثله
به ذهب القانون والحاكمون به
فأصبح مناج الشريعة واضحاً
فيا دولة الأتراك لا عاد عزمكم
ملكتم فخالفتهم طريق نبينا
جعلتم شعار المشركين شعاركم
تزودتموا دين النصارى علاوة
فبعداً لكم سحفاً لكم خيبة لكم
فذاك من الركان في وحي ربنا
فيا أهل هجر هاجروا في دياركم
أناكم بها نجل الكرام نقيّة
صراط سوى عنه لا تفرقوا
فأمسيتم للكفر فيكم دعائم
لكم ما يكن للمسلمين من العطا
ولكن بشرط السمع منكم لأمره
وداؤوا جرحات القلوب بتوبة
فإن كنتم استجمعتموا يوم زينة
فحيا لقال الله قال رسوله
فقد جائكم من زيد في العلم بسطة
يحيامي على التوحيد إذ كان دينه

منازل أقوام وقوم تدموا
بصائر أهل الدين إذ خصمهم عمو
سلمتم وكوفيتهم معاً وغنمتم
فما سلموا حتى جرى منهم الدم
به انخفض الطغيان والحق يسم
وولت فعال الشرك والكفر معهم
وأضحى الخنى والفسق بالحق يحسم
علينا وفي أوطاننا لا رجعتهم
وللمنكرات والخمور استبحتم
فكنتم إلى الإشراف أسرع منهم
فرجساً على رجس عظيم حملتم
ومن كان يهواكم ويصبو إليكم
ألا إنه ممن تمس جنهم
فهذا هو الحظ الذي لا يقوم
حقيقة دين المصطفى فلها ألزموا
إلى سبل إن تبعوها ضللتهم
وأصحتهموا الإسلام ثوب عليكم
وإن عليكم ما يكون عليهم
وطاعة مأمور يولى عليكم
تجب الذي أسلفتموا واقترفت
ورقص وتصفيق له قد حضرتم
وللصلوات بادروا وتقدموا
وفي الجسم مشهور هو أفضل منكم
سيتلى عليكم فافهموا وتعلموا

ويثبت في التنزيل ما كان مثبتاً
 هما أثبتا أن المهيمن بائن
 بإعزاز أقوام وإذلال ضدهم
 وهناك محروم من البسط والعطا
 يدبر تدبيراته في سمائه
 فلا ملك إلا وهو الله وحده
 قضى أن يولي خيرنا وابن خيرنا
 حفيداً فريد العصر هذاك فيصل
 لقد جد في إظهار دين نبينا
 إمام التقى والجود أما نهاره
 وهل يزكون الفرع إلا إذا زكت
 هم شرفت أجدادهم وجدودهم
 ودونك شطراً قاله خير شاعر
 حنيفةً في دينها حنيفةً
 حييون بذّالون في الأمن أبحر
 فصيحون إن قالوا يهابوا إن أضربوا
 شديدون قتالون في الهول جربوا
 إذا لقحت حرّ عوان مضرّة
 فسادوا وقادوا بل وفادوا وفودوا
 وإن أجحفت بالناس عبر سنينهم
 هنالك هم غيث المساكين بالندی
 هم الناس ينقاد الورى لأمرهم
 فمن رام خذلاناً لهم أن تنقصاً
 وبالأئمة في حبهم ومدحهم

وبالسنة الغراء يحل ويحرم
 من الخلق فوق العرش والله يحكم
 فهذاك مسلوب وهذا مقدم
 وهذاك مكسور وهذا مقوم
 فهذاك مرحوم وهذا ينقم
 فإن شاء بنا عزاً وإن شاء يهدم
 عليكم فهذي نعمة قد كسبتم
 عليه سلام الله وقفاً محتم
 وآوى الذين للحنيفي ينتموا
 فبذل وأما الليل لله محرم
 مغارسه والفضل بالفضل يعلم
 هم عرفوا المعروف والشرع قدموا
 وأحسن فيما قاله المتقدم
 فأحسابهم أعلى وأذكى وأكرم
 وأواجهها بالجود تظمى وتلطم
 بأنديتهم تلقى بدوراً وأنجم
 ليوث على الأعداء تعدوا فتلحم
 ترى خصمهم حين اللقى يتحطم
 مغانم في الأقوام تحذى وتقسم
 ولا مال إلا عند من كان يحدم
 ومطعمهم دأباً مدى الدهر يطعم
 وإن ذكروا أهل العلى ذكروا هم
 فسوف يولي الظهر والجمع يهزم
 ترحزح قصياً أن قولك مائم

فليس الجبال الشم مثل حزونها ولا من يقل جداً كمن يتهكم
وقد أتينا بغالب القصيدة وحذفنا بعضها خشية الإطالة، ولولا ضيق المجال
لأتينا بقصيدة جادت بها قريحة الشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين، ولكننا نحيل
القارئ على ديوانه.

وفيها ولد الأمير خالد بن عبدالعزيز نجل جلالة الملك وكان شقيقاً لمحمد
وأخوالهما آل جلوي، وكان ممتازاً برجاحة العقل على غالب أبناء جنسه.
وفيها توفي الشيخ العالم مفتي الوشم في وقته علي بن عيسى رحمة الله عليه،
وكانت وفاته في شهر رمضان منها.

رجعنا إلى ذكر فتح الإحساء وما ألانه الله عز وجل لهذا الملك العاهل المقدم
من الأمور الصعاب فنقول؛ كان على الخليج إلى الشرق والجنوب من البحر رأس
من الأرض محاذ لشاطئ العقير وهو قطر بلاد قاسم بن ثاني شيخ الأمراء يومئذ
سناً وجاهاً؛ وقد حاول قاسم مراراً أن يخرج الترك من الحساء، فلما فاز ابن سعود
ذلك الفوز عري قاسماً هزة عظيمة حركت سواكنه لأمر شتى منها خوفه على
إمارته فقد أصبح الفاتح جاره الأدنى الذي وإن كان صديقاً صادقاً غير أن الملك
عقيم؛ فلما أن رأى ابن سعود على أبوابه انقلب بعد أن كان من أكبر المحيين له
وغضب غضبة شعواء؛ فكتب إليه كتاباً شديد اللهجة يحذره ويهدده ويلومه على
أخذه الإحساء، ولكن الحمام عاجله قبل أن يتلقى الجواب فانتقل إلى رحمة الله
تعالى وتوفي في عاشر شعبان من هذه السنة، وهذه ترجمته:

هو الأمير الجليل قاسم بن محمد بن ثاني شيخ قطر الورع الزاهد التقي
الفصيح البليغ الحنبلي كان جواد مبذلاً عالماً بالعلوم الدينية والفقهية، ولد رحمه
الله سنة ١٢١٦هـ وعاش مائة وخمس عشرة سنة تزوج تسعين امرأة وبعده من
الجواري، وكثر له النسل الإنساني فكان له من الأولاد والأحفاد وأبناء الأحفاد
ذكوراً وإناثاً ما لا يصدق به كثرة، فقد قيل أن الذين يركبون معه إذا ركب ستون
فارساً في موكبه كلهم من صلبه ولم يكن سيده في غير عشيرته، فلما تم له خمسون

من العمر جعل يدعو العشائر كلها إلى الاستقلال فلبت دعوته وبعد وقعات عديدة برية وبحرية مع أهل البحرين وكسرات وغلبات حازت قطر استقلالها وكادت تستولي على البحرين، وكذلك أيضاً حارب الترك فكسروهم في عدة وقعات وقتل منهم عدداً كبيراً ولكنه لم يتمكن من إخراجهم من الحساء.

وكان مولعاً بكثرة النكاح وتجارته بالؤلؤ فكان له خمس وعشرون سفينة للغوص ويجمع المال من هذه التجارة ويبدله في سبيل البر والإحسان.

ومن إحسانه أنه كان ولوعاً في جمع العبيد وعتقهم، قيل أنه أعتق في حياته أكثر من خمسين عبداً، وأن ممالكه الأحرار أسسوا بلدة في قطر سموها السودان، وعاش رحمه الله قرناً ويزيد في قطر فكان أميرها وخطيبها وقاضيتها ومفتيها والمحسن الأكبر فيها، وقد رثاه لما مات الشعراء وأثنوا عليه، قال الشيخ حسين بن علي بن نفيسة يرثي قاسم بن محمد بن ثاني، فقال هذه مرثية في شمس الفضائل ومنتهى الأمانى الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني مؤيد الدين وحتف المعتدين شيخ قطر المتوفى في ١٠ شهر شعبان سنة ١٣٣١هـ:

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| لمن طلل أمست به الهوج تنسف | عفى وخلا من نحب ونألب |
| وأحني عليه الحين بعد أنيسه | فناح غراب البين بالبين يهتف |
| فلم نستبن من آية غير أورق | عليه مطايا القدر جثم وعكف |
| كأن لم يكن للخرد البيض مائما | ولا اختلف فيه ضباء وأخشف |
| كواعب أتراب يشاكلن بألبها | بدور شهور حين أيام تنصف |
| ولا سماء ماء الرضاب كأنه | جنى النحل أو إكار كرم تقطف |
| ثقيات إعجاز دقيقات أخصر | ويسمن عن منضود در يضعف |
| فروع تحاكي الليل والشمس تحته | فما الليل ممتاز ولا الشمس تكسف |
| فهيهات لا ما فات بالأمس راجع | فقم نبك من بالفضل والبذل يعرف |
| فآه وآه بعد قاسم ذي الندى | مجيب الندى للصارخ إذ يتلهف |
| حنانيك من للدين أرسى دعائماً | لطالبه يقرى ويثرى ويكهف |

فيا أيها القمري في الدوح غني
وقائلة ما بال دمعك لم يزل
أرى منك حال الحال عما عهدته
فقلت لها والقلب مني كأنه
ذريني وما أملت مني صباة
لك الويل لا تلحي علي فإني
دعيني فلا والله ما بعد قاسم
إلى من له تأوى العناة وتجري
إلى من له أهل المغارم ترجي
فكم أدركوا ما أملوا غير مرة
تعزي عليه المكرمات لأنه
بإحيائها في كل حين وساعة
أبوها أخوها عمها خالها الذي
ترعرع فيها ثم كانت طباعه
فيا قطراً أظلمت إذ فاتك البهاء
لقد زانك الشيخ الذي قد رثت له
هو المصمعل المشعمل بهمة
هو البحر لا تطمع به وهو هائج
هو الليث في الهيجا بل الليث دونه
فخذ منه ما أملت في يوم أنسه
قريباً إذا سالمته متهللاً
وذي لجب في وسطه الخيل شرب
إذا نابيه أمر أشار فأقبلوا
إذا أوغلوا في الحرب فهو رئيسهم

فهذا أوان النوح إن كنت تسعف
يسح على خديك دثباً ويزدرف
فماذا الشجي ماذا الأسى والتأسف
بأشراك صياد به يتصرف
عداك هزالي والهوى والترف
رأيت العلى بنيانها يتقصف
لأمل جدوى أو طريق يخوف
إلى من تسير اليعملات وتوجف
وعان ثوى فيقيده فهو يرسف
إذا قصدوه فولوا ثم أتحفوا
مدى دهره فيها شج ومكلف
تراه بها مستغبطاً يتشرف
لها سابق جل الورى مذ تخلفوا
فما هو عن أسبابها متوقف
وإذ منك ولى مربع ومصيف
وفود وأضياف وسيف ومنسف
تكاد إذا استعلت على البدر يكسف
وفي رهوه إن غصت للدر تصدف
وكالغيث إن يزوى من الناس أعجف
وإياك واليوم الذي فيه يأنف
بعيداً إذا حاربتة يتخوف
له الوحش تبرى والطيور ترفرف
ألف لأدني أمره تتألف
وقائدهم بل زائد ومشرف

ويوم إذا حمي الوطيس وأقدت
 تجده أمام القوم يحمي حماهم
 لييب لأهل الخير رحب فناؤه
 تقى نقي طاهر العرض أوحداً
 منيب وآواه خوفاً لربه
 مآثره كالشمس في رونق الضحى
 يقات به أهل التقى في ديارهم
 من الله يرجو يوم تبلى سرائر
 فهذا هو الصدق الذي قد علمته
 على رسلكم أهل الثور والقلى
 إذا لم تنالوا حظه صار حظكم
 فحتى متى لا تتقون إلهكم
 فيا لهف نفسي بل ويا عظم لوعتي
 لقد كان حظي يسبق الناس موفراً
 فإني لبأكيه وإنني لصادق
 رضينا بما يرضى الإله لنا به
 فلا عيب فيه غير أن كان ماله
 حنانيك لا تنفك نذكر قاسماً
 عليه سلام الله ما ذعزع الهوى
 وجاد على رمس تضمن جسمه
 لأن زال منه الشخص فالحمد لم يزل
 هو الفرع عبدالله من شهدت له
 فأنعم به في حفظه أصل دينه
 وليس فضول القول تنطق عنده

قدور المنايا بالرجال توثف
 بغضب يمان للجماجم يقطف
 حبيب لدى زواره يتلطف
 زكي سخي بالمساكين يرأف
 وبالله أدري وهو الله أخوف
 وإحسانه ما زال ينمو ويقطف
 وكل غريب قادم يتحنف
 بيوم به كل الصحائف تكشف
 وإن غيروه الحاسدون وسوفوا
 فكلكم قوال زور ومسرف
 أباطيل وبهتان ومين تزخرف
 وتولوا ذكراً للجميل وتنصفوا
 عسى الله بالآمال والحال يلطف
 فمذ بان نجم الوقت فهو مخلف
 فما القلب مرتاح ولا الدمع ينزف
 والله في تدبيره هو أعرف
 على ضعفاء المسلمين يوقف
 بحسن التي ما دامت العين تطرف
 وما دام ضوء الصبح لليل يكشف
 بصيب عفو ما بقى الدهر ينطف
 تورثه قرم بصير وينصف
 أياديه إذ تهمني الجميل وتزعف
 لقد كان حرى للصوب وأضرف
 وأما يقل قولاً فبالحق يقذف

فتى لا يخاف الموت والحرب لائج
فأنعم به والليل مرخ سدوله
لباغي القرى المضطر من نصب السرى
فلست بمحص فضلته إن كتبته
بني قاسم الهدى رثائي إليهم
لأنهم أجواد دهري وإنهم
قديماً لهم مجد طريف وتالد
هم الناس فيهم خصلة لا غيرهم
ولولا قريض الشعر ما كان يعلموا
قيود اللهى سبك القوافي فدونكم
هي القرض أقرضنا وقد بشر الرجاء
وأزكى صلاة الله مع سلام على الذي
كذا آله والصحب ما لاح كوكب

ولكن يخاف أن يقول فيخلف
وأنعم به والخيل بالنبع تحذف
وآخر مكروب به القوم طوف
ولو أن نفساً بالحابر ينشف
ومنظوم قول طيب جين يرشف
فراة فلم يظماً الذي منه يغرف
لهم يهتدي الطراق والريح زرف
لأضيافهم منهم مغيم وملحف
ينات العلى من أين تؤتى وتعرف
من اللؤلؤ المنضود ما هو أشرف
بان قد يرد القرض غصا ويضعف
به أضحت الأصنام تمحى وتنقف
وما طاف حجاج ولبوا وعرفوا

وقد قيل أن وفاته في شوال من هذه السنة، وقال الشاعر الفصيح المنطق محمد بن عبدالله بن عثيمين يرثا الفقيه المترجم لما فجع يفقده لأنه كان أسير فضله والرائع في ظل رفته رحمة الله عليهما:

برغم المعالي فارق الدست^(١) صاحبه
وأضحت بنو الآمال سهماً وجوهها
تقول إلى من نطلب العرف بعدما
مضى كأقل الأيتام في كل شتوة
أقول لناعيه إلى تجاوباً

وثلت عروش المجد وأنهد جانبه
تقلب طرفاً خاشعاً ذل حاجبه
على قاسم المعروف بنيت نصائبه
وموئل من ضاقت عليه مذاهبه
بفك الثرى لم تدر من أنت نادية

(١) الدست: المجلس.

نعت امرأ للبر والدين سعيه
فيا قاسم المعروف للبأس والندى
ويا قاسم المعروف للطارق الذي
ويا قاسم المعروف للملتجي الذي
وللمرهق المكروب يفرخ^(١) روعه
وللجحفل الجرار يهدي رعيه
هو المانع الخصم الألد مرامه
فقل للجباد المشمعات لاحها
على قاسم فابكى طويلاً فإنه
إذا ما رمى المرمى البعيد ذر عنه
جحافل سهلن الروابي فأصبحت
إذا نشرت أعلامهن تحدبت
فما مشرق الإله فيه وقعة
أقول لقلبي حين جذبته الأسى
تعز بما عزيت غيرك أنه
هو الدهر يستدعي الفناء بقاءه
له عشرة بالمرء لا يستقبلها
أباح حمى كسرى بن ساسان صرفه
وكر على أبناء جفنة كرة
وأعظم من هذا وذاك مصيبة
هم الأسوة العظمى لمن ذاق غصة

ولللجود والمعروف ما هو كاسبه
وللخصم مشتطاً على من يطالبه
من الزاد قد أصبحن صفراً حقائبه
تحاماه من عظم الجناية صاحبه
إذا أسلمته للخطوب أقاربه
إلى كل جبار أبي يشاغبه
وإن رام منه معضلاً فهو سالبه
تجاوز غيطان الفلا وسياسيه
فتاك إذا ما استخشن السرج راكمه
به ناجيات زاملتها شوازيه
سباسب مما بعثرتها كتائبه
بأرجائها صيد الملوك تراقبه
ولا مغرب إلا أرنت نوادبه
وللجفن لما جرفته سواكبه
طويل أسى من أودع اللحد غائبه
وتستصغر الخطب العظيم مصائبه
إذا ما أنيخت للرحيل ركائبه
فلم تستطع عنه الدفاع مرازيه
سقاها بها كأساً ذعافاً مشاربه
قضى النحب فيها المصطفى وأقاربه
من الدهر أو من أجرضته نوائبه

(١) يفرخ: يذهب ويزيل.

(٢) النبث: الحفر.

بني قاسم إن كان أودعتم الثرى
فخلوا الهوينا واجعلوا الرأي واحداً
وألقيوا مقاليد الأمور لما جد
بعيد المدى لا يدرك النبث^(٢) غوره
أبا حمد لولاك كان مصابه
سقى الله قبراً ضم أعظم قاسم
وثن إلهي بالصلاة على الذي
كذا الآل والأصحاب ما ناح طائرٌ

أبا طرزت برد المعالي مناقبه
فيخشاكم نائي البلاد وصاقبه
أخي ثقة قد أحلمته تجاربه
أبي على الأعداء محض ضرائبه
على الناس ليلاً لا تجلي غياهبه
من العفو شؤبوب رواه سحائبه
سمت في مقامات الكمال مراتبه
بأنفان ودح تستميل ذوائبه

ورثاء أيضاً شاعرنا المذكور بأخرى تذكر مطلعاً وهي قوله:

ترى من حنيني كان شدو الحمائم
فلا غروان انطلقت بالشجو صامتاً
فقد جل هذا الخطب حتى تدكدكت
وحتى هوى بدر الدجنة واكتست
لعمرك ما يوم قصى فيه قاسم
مضى هضبة الدنيا وبدر دجاها

ومن أدمعي كان استقاء الغمام
وأبكيته حتى راتعات السوائم
لموقعه شم الجبال المعالم
له ظلمة زهر النجوم العوائم
على الناس الأمل يوم التزاحم
وفارسها المشهور عند التصادم

ولا نطيل بذكرها فعلى من أحب مراجعتها أن ينظر في ديوان الناظم.

وفي آخر هذه السنة رجع الملك عبدالعزيز إلى الرياض وذلك في وقت
الخريف وقدم من البصرة عبداللطيف باشا المنديل منتدباً من الحكومة العثمانية
للتوسط بالصلح بينها وبين فاتح الإحساء، فقبل عبدالعزيز التوسط وأجل
النظر في المسألة إلى الربيع.

وكان ابن سعود كبير القلب واسع النظر عظيم الاطلاع، فأخذ يفكر فيما
يبيتون له من الكيد وما ينصبون له من الأشرار، لأنه لما انتصر عليهم واستخلص
الإحساء من برائتهم وانتزع نفوذهم من تلك الجهد أيقن بأن تركيا سوف لا
تسكت عن حربه ولا تدعه وشأنه، لا سيما وقد كان لا يزال لها في الحجاز قوة

كبيرة لا يستهان بها، فأخذ يبحث فيما يؤمنه من شرها ويتقي به إذائها فإن الدولة العثمانية إذا انتصرت على أعدائها الذين لا تزال رحي الحرب طاحنة بينهم وبينها، فلا بد أن تحمل عليه حملة قوية للتكحيل به واسترجاع البلاد من يديه، فهذا الذي جعله يطيل النظر وبدعه دائم الحذر.

وبينما هو على هذه الصفة إذا المدد من قبل الله تعالى يأتيه على أشد فاقة إليه، وهو أن بريطانيا العظمى لما رأت توالي فتوحاته وتقدم خطواته بعثت وهي في أوج عزها تخطب وده وتطلب منه أن يأذن بالاجتماع، فرجع في ذي الحجة إلى الإحساء وهو يفكر هل كان ذلك يقظة أم مناماً، فاجتمع في العقير بالوكيل السياسي للبحرين ومعه رجل آخر اسمه شكسبير، ولكن هذا الاجتماع لم يسفر عن شيء إلا أنه مهد السبيل إلى مقاومة النفوذ الألماني في تركيا بعد أن تلاشى فيها النفوذ الإنكليزي، ذلك النفوذ الذي كان في المقام الأول منذ حرب القرم خشيت إنكلترا على طريق الهند، فعندما علا نجم ابن سعود وظهرت شوكته طفقت تخطب وده لأنها لا تزال في التأثير على الأتراك وتسعى في عقد اتفاق معه ليكون عضداً على الخليج فيقف سداً منيعاً دون ذلك النفوذ الألماني الذي كان قد خيم على العراق.

ثم دخلت سنة ١٣٣٢هـ

ففيها عاد ابن سعود إلى الرياض ولما أن قدمها ما كان ليستريح حتى بلغه خبر دسيسة في القطيف، فأرسل سريةً إليها ثم سار بنفسه إلى تلك الناحية فنزل في الجبيل وقد جاءه كتاب من والده مبارك بن صباح يخبره أن أحد كبار الترك قدم الكويت ومع هدية من أنور باشا لابن سعود وإجازة للتوسط في الصلح، ثم جاء عبداللطيف المنديل ليخبر ابن سعود أن قد تألف للمفاوضات وفد يرأسه السيد طالب النقيب وفيه ياور من ياورية السلطان.

فلما تعدد الخاطبون اضطرب مبارك بن صباح فكتب إلى ولده عبدالعزيز يطلب منه أن يكون الاجتماع في ظله بالكويت ليكلاً بنظره ويمده بإرشاده، وقال في الكتاب من حقي عليك يا ولدي ألا تقبل وساطة هؤلاء إلا في بلدك الكويت،

ولقد شيع هذا الولد من كلائة أبيه، وبما أنه يحب مجاملته فقد أجاب بعض طلبه وسار إلى جهة الكويت، فنزل الصبيحة على مسافة يوم من العاصمة، فكتب إليه ثانيةً يلح عليه بالقدوم إليه فأجابه عبدالعزيز بقوله إني الآن لقريب من الكويت فليتقدموا لي.

وبينما هو في الصبيحة كتب إليه الوكيل السياسي لبريطانيا العظمى في الكويت يستأذن بالمقابلة فضرب له موعداً في ملح واجتمع به هناك، جاء الوكيل في السيارة وجاء سائقها بكتاب من مبارك يقول لكن صلباً معه يا ولدي - يعني الوكيل - فلا تكمنه من شيء ولا تعطه الجواب الشافي، فلم يرَ عبدالعزيز بأساً في مجاملة مبارك في هذه المرة لأنه لم يكن قد قرر خطته السياسية اتجاه الترك والإنكليز، فقال للوكيل لا يمكن أن نقرر شيئاً اليوم، ولكن والدي مباركاً ينوب عني، فعاد الوكيل غضباً إلى الكويت وركب ابن سعود ضاحكاً وعاد إلى معسكره في الصبيحة.

ثم جاء بعد ذلك بقليل السيد طالب وافداً إلى ابن سعود ووصل مع ذلك رسولاً من مبارك يحمل كتاباً من الوالد مبارك الحائق الحاقداً للائم الشاتم، وقد كان ناقماً على الوفد لأنه لم ينتخب لرئاسته، وكان في هذا الكتاب التحذير لعبدالعزيز من هؤلاء الكذابين المكارين الخداعين، كن صلباً عليهم يا ولدي ولا تمكنهم من شيء، ولا تصدق ما يقولون أنهم كذابون خداعون، وكان جبر بن مبارك يومئذٍ عند ابن سعود فأطلعه على كتاب أبيه قائلاً له: تراه يحذرنني من الإنكليز ويحذرنني من الأتراك، وهل في إمكاني أن أحارب الجهتين؟ فأجابه جابر قائلاً له: انظر إلى ما فيه مصلحتك واترك الناس.

ذكر عقد المعاهدة بين ابن سعود وتركيا سنة ١٣٢٢هـ

عقدت جلسة المؤتمر الأولى وجابر بن مبارك ورجاله حاضرون، فألقى عبدالعزيز ابن سعود كلمة زعزعت المؤتمر وسربها الحاضرون، فقال إذا كنتم تبغون مصالحتي فدونكم والدي مبارك بن صباح فهو الواسطة بين وبينكم، ولست قابلاً

بغير ذلك، وهذه الجلسة وقت الصباح، فلما كان في الليلة الآتية بعد العشاء الآخرة حصلت أيضاً جلسة أخرى خصوصية، وكان ما بين الجلستين فترة كافية لتوبيخ رئيس الوفد وهو طالب النقيب.

ولم يحضر هذه الجلسة سوى رجال الوفد فأطلعهم عبدالعزيز قبل افتتاح المفاوضة على كتاب مبارك، فكانت ضحكة طالما أضحكتهم، ثم باشر والمفاوضات الولائية، فطلب الوفد أن يكون للدولة معتمدون في القطيف وفي الحساء، غير أن ابن سعود أبى ذلك وطلب أن تكون العلاقات ولائية فقط وأن تساعد الدولة لقاء هذا الولاء بالأسلحة والذخيرة والمال، وبعد التي والتيا قبل الوفد بذلك وقرروا أن يصل هذا الاتفاق سراً إلى أن يقره الباب العالي.

ثم عاد رجال الوفد إلى الكويت فأحسن مبارك استقبالهم وسألهم عما جرى فأخبروه بما فاقه ابن سعود في الجلسة الأولى، فقال مبارك: نصحتكم فما انتصحتم، قلت لكم أن الرجل سفيه عيار ولا يملك قيادة أحد غيري، وفي هاتين الكلمتين بشاعة وانتقاص، لأن السفيه الجاهل والعيار من لا يجره نفسه عن ركوب هواه.

ثم بعد يومين صنع عبدالوهاب آل قرطاس مأدبة في البصرة للوفد حضرها الوالي شفيق كمال باشا، والأمير خزعل، والأمير مبارك، فصار الحديث في الوفد وابن سعود، فتكلم مبارك يخاطب الوالي: ألم أقل لكم أنكم لا تفلحون إلا إذا انتدبتموني أنا للتوسط بينكم وبين ابن سعود، وما طلبت ذلك منكم والله إلا لأمرين:

أولاً: لكي أقوم بخدمة للحكومة العثمانية.

ثانياً: لكي أستر على ابن سعود لأن السفيه لا يعقل ما يقول.

فأجاب الوالي قائلاً: رأيك هو الصواب ولكن الأمر قد انفرط ما تقول أنت يا طالب، فأجابه طالب: أقول ما قاله الشيخ مبارك: فلو كان حضرته معنا لما فشلنا. فلما كان بعد أسبوع جاء من الباب العالي إلى والي البصرة برقيه فيها

التصديق على ما تقرر في مؤتمر الصبيحية مقرونًا بالشكر لابن سعود بالنيشان العثماني الأول، فعندها حمل السيد طالب تلك البرقية مسارعاً إلى مبارك، وكان في الفيلا، فسلم عليه وقال: أبشر يا شيخ فقد اتفق ولدك مع الحكومة، فاندھش مبارك لذلك وحن له همه وقلقه، وأجاب قائلاً: ومتى كان هذا؟ فأجابه طالب متهاًناً: الأمر قضي بليل، فقال مبارك كلها بمساعيك يا خبيث، فأجابه طالب لهجاً بقوله: تعلم الولد الخبائث من أبيه، فأجابه مبارك وقد اشتد غضبه قائلاً: سلط الله عليك يا خبيث إليك عني، فضحك طالب وهو يعيد قراءة البرقية.

ثم أرسل الشيخ مبارك بعد ذلك رسوله عبدالعزيز بن حسن إلى ابن سعود يهنئه ويلومه لأنه لم يخبره بالاتفاق، فكتب إليه السلطان عبدالعزيز قائلاً: إني ابنك وقد أهنت نفسي في القدوم من الجبيل إلى الكويت، وما ذاك إلا حبالك وعملاً بإرادتك، ولكن كيف أستطيع أن أرضي والدي وهو يأمرني أن لا أتفق مع الإنكليز، وأن لا أتفق مع الترك، فإذا بين لي حضرة والدي الطريق الثالث أسلكه راضياً شاكراً، ولكني أسأل والدي الآن كيف استحسن ذلك الكلام في ولده على مائدة ابن قرطاس؟ فكتب مبارك معتذراً وقال لا تصدق يا ولدي أكاذيب طالب اللعين، وتأكد يا ولدي أنني أريد أن أظاھر أمام الأتراك بالبعد عنك والجلفا لأدرك لك الغاية التي تنشدها، فأجابه عبدالعزيز والحمد لله أن الأمور كانت على ما يرام، فليهنأ الوالد بعز ولده والسلام، هذا خلاصة ما جرى بين ابن سعود وبين الدولة.

ذكر هادمة العهود ومفرقة الوفود وهي الحرب العظمى سنة ١٣٣٢هـ

الموافق لسنة ١٩١٤م

لما شبت الحرب العظمى في هذه السنة قامت ألمانيا على الإنكليز وحلفائها، وانضمت الدولة العثمانية إلى الدول الوسطى إلى ألمانيا والنمسا ضد الإنكليز وحلفائهم، فخاضت الدولة العثمانية غمرات الحرب العمومية وشهرت في تلك

الحرب الضروس السيف على الحلفاء وقررت القيادة في اليمن الزحف على عدن. فلما علم بذلك الإنكليز أوقفوا ثلاثة طوابير من الجنود في البحر كانوا مسافرين من الهند إلى السويس فضربوا الشيخ سعيد، وهذا الاسم يقع على قرية بل جزيرة صغيرة في باب المندب على مقربة من رأس البر اليمني، وقد كان للدولة العثمانية في اليمن خمسة وثلاثون طابوراً يبلغ قدرها خمسة عشر ألف جندي، وقد اجتمع سعود بن عبدالعزيز بن متعب بن رشيد بوالي البصرة سليمان شفيق كمالى بقرب بلدة الزبير، فانضم إلى الدولة العثمانية وتم بينهما التحالف على حرب ابن سعود على أن يكون منه الرجال ومن الدولة العتاد والمال، فأعطته الدولة عشرة آلاف بندقية وذخائرها وأموالاً كثيرة، أما الذي أثار الحرب العالمية الأولى:

إن طالباً من أبناء البوسنة اسمه «غفر يلوير نسيب» أطلق الرصاص على «الأرشيديق فرانتز» وارث عرش الأمبراطورية النمساوية في سرايفو عاصمة البوسنة، بينما كان ولي العهد يقوم بزيارة رسمية، فأرداه هو وزوجته قتيلين، وذهل العالم بهول تلك الجريمة الكبرى المفاجئة، وعرف من التحقيق أن الطالب ينتمي إلى جمعية اليد السوداء الصربية التي ارتكبت من قبل عدة اغتيالات سياسية واتهمت الحكومة النمساوية الحكومة الصربية أنها لأسباب متهمه فيها تعد مسؤولية عن هذه الجريمة الشنيعة، وأمهلتها شهراً لإجابة مطالها، وأنذرت النمسا للحرب، فردت الحكومة الصربية بأنها مستعدة للموافقة على إجابة بعض هذه المطالب، غير أنها رفضت رفضاً قاطعاً المطالب النمساوية التي تمس مظهر استقلالها.

فأرسلت النمسا في ٢٣ يوليو إنذاراً نهائياً إلى الحكومة الصربية تطلب منها الموافقة على جميع المطالب خلال ثمان وأربعين ساعة، ومن أهم هذه المطالب: أن تتعهد صربيا بتحقيق نزيه عاجل في الجريمة وأن تنزل بمقتريها والمتواطئين عليها عقاباً رادعاً، وأن تعمل على كبح الدعاية العنيفة القائمة ضد النمسا والمجر في الصحف ودور العلم الصربية، وحل الجمعيات السرية، وطرده الموظفين الصربيين الذين يناصرون تلك الدعاية.

ولما رأت الحكومة النمساوية المماثلة وعدم الخضوع لبعض هذه التطلبات أعلنت الحرب عليها في الثامن والعشرين من يوليو، وبما أن روسيا تؤيد الصرب تأييداً قوياً في موقفها فإن الأمبراطور «وليم الثاني» أيد النمسا بصفة أن القتل صديقاً وحميماً له، وبذلك أُنذرت السماء ببروقها ورعودها وقامت الدنيا وقعدت تنذر بشرها وويلاتها.

ألمانيا تعلن الحرب على روسيا وفرنسا

قامت روسيا بتعبئة جيوشها وإنفاذها إلى الحدود المتاخمة لألمانيا، فطلبت ألمانيا سحب هذه القوات فوراً فرفضت روسيا أجابتها إلى مطلبها فأعلنت ألمانيا الحرب عليها في أول أغسطس وطلبت من فرنسا أن تحدد موقفها، ولما ردت عليها رداً لم تطمئن إلى جانبه أشهرت عليها الحرب أيضاً في ٣ أغسطس.

زحف ألمانيا على البلجيك

بادرت جحافل الألمان إلى الزحف فاحتلت دوقية لكسمبرج المحايد وأرسلت الحكومة الألمانية في نفس اليوم إنذاراً نهائياً إلى البلجيك أمهلتها فيه اثنتي عشرة ساعة، وطلبت منها السماح للجيش الألماني بعبور أرضها في طريقها إلى فرنسا، فرفضت الحكومة البلجيكية هذا الطلب واستصرخ مليكها الملك جورج الخامس البريطاني، فطلبت الحكومة البريطانية مشددة من ألمانيا احترام حيده البلجيك بمقتضى معاهدة لندن سنة ١٨٣٩م التي وقعت عليها روسيا نفسها.

ولما شرعت القوات الألمانية تشق طريقها في البلجيك على أثر انتهاء موعد الإنذار ونزلت كل دولة ساحة الوغى، وقد كانت النمسا ترتعد فرائصها فزعاً من الخطر الذي داهم إمبراطوريتها المتعددة الأجناس.

وكانت الحكومة العثمانية قد عقدت مع ألمانيا معاهدة سرية في أول أغسطس في نفس اليوم الذي أشهرت فيه تلك الدولة الحرب على روسيا، وتظاهرت تركيا بالحياد فترة من الزمن، ولكن حينما بدا لها أن استعداداتها الحربية قد اكتملت

بدرجة كافية أرسلت أسطولها، فضرب في ٢٩ أكتوبر ١٩١٤م الموانئ الروسية على البحر الأسود، فردت روسيا على هذا الاعتداء بإشهار الحرب عليها.

وفي ٥ نوفمبر أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على الدولة العثمانية وقطعت علاقاتها بها.

وفي ١٨ ديسمبر أعلنت بريطانيا الحماية على مصر، وبذلك غدا القتال عالمياً في فترة لم تزد على ثلاثة أشهر، وشمل خمساً من قارات العالم الست، ووقفت الإمبراطوريات الألمانية والنمساوية والعثمانية في جانب، وروسيا وفرنسا وبريطانيا ومستعمراتها وصربيا والجبل الأسود واليابان والبلجيكا في الجانب الآخر.

أما إيطاليا فقد رفضت أولاً أن تدخل الحرب، ولما وقعت الواقعة توقع الألمان أن يحرزوا نصراً خائفاً على أعدائهم، وكانت خطتهم ترمي إلى انقضاض جحافلهم على فرنسا فتحطم جيوشها في الغرب في مدى أسبوعين، ثم ينقضون على الروس بعد ذلك في المشرق.

ولما أن شق الجيش الألماني الزاحف في فرنسا طريقه دون أن يستطيع الفرنسيون والبريطانيون وقفه اضطرت فرنسا إلى الاستعداد لحصار مرير، ولكن القائد للجيش الفرنسي المارشال «جوفر» أحرز نصراً فاصلاً على الألمان فاضطروا إلى التقهقر سريعاً إلى نهر أالين، وما لبث القتال إلى أن تحول إلى حرب خنادق تحصن في داخلها المقاتلون من كلا الفريقين، وامتدت المتاريس والخنادق من بحر الشمال إلى سويسرا جنوباً، وبدا في هذه الحرب استخدام الطائرات لاستطلاع حركات العدو وكشف مواقعه وضرب قواته ومدنه بالقنابل.

قتال روسيا في الجبهة الشرقية

لما تقدم جيش روسيا الجرار لشن هجوم كبير على ولاية بروسيا الألمانية استعد له القائد الألماني «المارشال هند نبرج» فضرب الروس ضربة ساحقة، اضطروا إلى التقهقر على عجل عن جميع الأراضي الألمانية بعدما تكبدوا خسائر هائلة في القتلى

والجرحى، وأسر منهم ٢٥ ألف مقاتل، وكذلك أرغم جيش روسي آخر على الانهزام لا يلوي أحد على أحد، وأصيب بخسائر فادحة، فاضطر الروس إلى الانسحاب، وتقدم الألمان فاحتلوا «كورلند» «ليفونيا» «أستونيا».

ولما رأت بريطانيا وفرنسا ما حل بروسيا أرادت أن تخفف عنها الضغط الهائل الذي أوقعته عليها دولتا الوسط وأن تشقا لها طريقة لتوصيل الذخيرة التي كانت جيوشها في أشد الحاجة إليها لمواصلة القتال، فحاول أسطول فرنسي إنكليزي أن يخترق عنوة مضيق الدردنيل، ولكن الألمان أحبطوا هذه المحاولة، ورأى الحلفاء أن يبذلوا محاولة أخرى، وذلك بأن ينزلوا قوة برية كبيرة في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة غاليبولي، لكن المارشال الألماني «ليمان فون ساندرس» قد جعلها أمتع من عقاب الجو، فاستقبلت قوات الحلفاء بنار حاصدة عند نزولها، وأخيراً أكرهت على الانسحاب دون أن تحرز تقدماً مذكوراً، وقد تمكنت القوات البريطانية المدافعة عن قناة السويس بمعاونة بعض كتائب الجيش المصري من أن تصد حملة تركية على القناة وتغلغل جيش هندي بريطاني في أرض العراق، ولكن قوة تركية حاصرته وأرغمته على التسليم في كوت العمارة في أبريل سنة ١٩١٥ م.

وما زالت الحرب متطاحنة حتى خسر الجيش الفرنسي في معركة واحدة نصف مليون مقاتل، وبلغت خسائر الألمان نحو ستمائة ألف.

بلغاريا تعلن الحرب على صربيا

لما دحر الألمان الروس استمليت بلغاريا الخوض في غمار الحرب إلى جانبهم، فأعلنت الحرب على صربيا في ١٤ أكتوبر سنة ١٩١٥ م، وهوجم الجيش الصربي من الشمال ومن الشرق فأكره على إلقاء سلاحه بعد أن أنزلت به خسائر ماحقة، والتجأت فلولة إلى ألبانيا.

ولقد أغرق الألمان عدداً كبيراً من السفن التجارية وسفن الركاب مما أثار احتجاج الدول المحايدة، ولا سيما الولايات المتحدة، فقد هلك بإغراق غواصة

ألمانية لسفينة بريطانية نحو ألف ومائتي رجل وامرأة وطفل من بينهم نحو مائة أمريكي، فانسحبت روسيا من الحرب لما وقع فيها من الخسائر، ودخلت الولايات المتحدة في الحرب، وقد ذكرنا أن الأتراك أمدوا ابن رشيد بالأموال والذخائر، فأخذها الشمرى الشاب ليستعين بها على قتال خصمه، وهذه مبادئ واقعة جراب التي كان يؤرخ بها أهالي نجد، وكان ذلك في الوقت الذي تم فيه عقد المعاهدة بين ابن سعود وبين الدولة العثمانية بواسطة السيد طالب النقيب على ماء الصبيحية.

فيا عجباً من أمر الدولة حيث كان الباب العالي يعمل بيمينه وتنقض يسراه، فدونك تقريب المسألة: هو أن الوفود تعددت في باب ابن سعود وعقدت عهود ناسخة لعهود، وقد حالت الحرب العظمى دون ذلك وهدمت الناسخ والمنسوخ، وكان لم يعلم ابن سعود باتفاق ابن رشيد بوالي البصرة إلا بعد رجوعه إلى الرياض في أول هذا العام.

ولما أن كتب إلى ابن رشيد يذكره بعهد الصلح الذي بينهما ويعيب عليه ذلك الاتفاق بينه وبين الأتراك، أجابه ابن رشيد بكتاب يقول فيه إني من رجال الدولة ومصالحتي وإياك لا تكون إلا إذا رضيت الدولة بها، فعد ذلك عبدالعزيز خيانة منه، وكتب إليه يقول إذا كنت مصرأً على نكث العهد فالقاومة أولى، وما خطر في باله عنه ما كتب هذه الكلمة بأن الدولة قد قام بعضها على بعض بالسلاح.

ولما أعلنت الحرب العظمى وعبأت تركيا جيشها، سارع عبدالعزيز عندما اتصل به خبرها إلى مراسلة أمراء العرب إلى الشريف حسين وابن رشيد وابن صباح في الموضوع، فأرسل رسله تحمل الكتب إلى هؤلاء بما مضمونه في هذا الكلام « قد علمتم ولا شك بوقوع الحرب فأرى أن نجتمع للمذاكرة علناً نتفق فننقذ العرب من أهوالها ونتحالف مع دولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا، فلما بعث الرسل بهذه الكتب جاء طالب النقيب من قبل الأتراك ثانية ليسترضي ابن سعود فاجتمع به في القصيم، ولكن الإنكليز كانوا أثناء ذلك قد احتلوا البصرة، فجاء الملازم شكسبير المتقدم ذكره قريباً يحمل في حقيبته تفويضات لا قيد يقيد بها غير المصلحة البريطانية واقترانها بمصلحة نجد.

ثم قدم من المدينة وفد عثماني يحمل إلى ابن سعود عشرة آلاف ليرة، وينزلف منه بواسطة صديقه محمود شكر الألوسي أحد أعضاء الوفد، ثم خرج من الحجاز الأمير عبدالله بن الشريف حسين موافداً من والده للنظر في المسألة التي كتب عبدالعزيز بخصوصها فاجتمع على الحدود بمندوب ابن سعود وافتراق الاثنان كما اجتمعا دون أن يقررا شيئاً.

والحقيقة أن الشريف يتحين الفرص للهجوم على ابن سعود تنفيذاً كما قيل لتلك المعاهدة التي وصفها الأمير خالد بن لؤي في قوله اكتب له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضره.

أما ابن رشيد فقد أجاب بصراحة بقوله: إني رجل من رجال الترك فأحارب إذا حاربت، وأصالح إذا صالحت وكتب مبارك بن صباح يخبر ولده عبدالعزيز بأن «اللورد هاردنغ» حاكم الهند قادم إلى البصرة، ومن رأيي يا ولدي أن تقدم أنت إلينا للمفاوضة.

فلما رأى جلالة الملك عبدالعزيز هذه الرياح المتحركة والعواصف المكدره، جعل يعمل بما تقتضيه المصلحة، فرد وفد الألوسي رداً حسناً، وقال لمحمود شكري إنها كما ترى فلا يمكنني مقاومة الإنكليز بعد احتلالهم البصرة، أما طالب النقيب فإنه بعد ذلك الاحتلال يخشى الرجوع إلى بلده، فتوسط ابن سعود من أجله فأذن له الإنكليز، وعاد كما عاد الألوسي خائب الأمل.

ذكر الطراد أمدن وما جرى منه وعليه

كان لألمانيا طراد سمي باسم بلدة تسمى أمدن، وهي ميناء في ألمانيا، وقد فعل هذا الطراد أفعالاً عظيمة بهمة قائده الكابتن «كارل فون مولر في الأقيانوس» الهندي بخليج بنغال وغيره، تشهد له بالمقدرة وتقر له بالشجاعة والإقدام، فقد قهر وأغرق ما بين بواخر تجارية ومدركات حربية ما ينوف عن ثلاثين، تقدر قيمتها بستمائة وخمسين ألف جنيه، وهكذا كل يوم، ويصيد ويقتل حتى صيد، وكان قد

أُتلف من محمول البواخر والمدرعات ما ينوف أيضاً عن ثلاثة ملايين جنية، وما أوقفه في خليج بنغالة تسعة ملايين جنية.

وسبب القبض عليه لما صيد في جهة الأقيانوس الهندي اتجاه جزر كوكس كيلنغ، أن في تلك الجزيرة مركز تلغراف لاسلكي، فقصدوها أمدن ليخرب ما فيها ويعطلها، فعندما أقبل رآه صاحب اللاسلكي فاستغاث بأقرب مركز للحلفاء.

ثم وصل أمدن الجزيرة وأنزل بعض بحارته وضباطه ورشاشاته ليخربوا ما فيها فبادرت نجدة الحلفاء بإرسالهم لأقرب طراد «يسمى سدني» فما أمهله طراد الحلفاء لأن يقضي غرضه بل وصل الجزيرة سريعاً فعارضه طراد الألمان أمدن فأصيب الطراد أمدن بعد دفاع عظيم وأسر قائده وقتل من بحارته عدد وأسر عدد، أما البحارة الألمان الذين نزلوا في الجزيرة فبقوا كامنين حتى ذهب سدني ولم يدر عن وجودهم بها فقاموا وواصلوا السير بلنش من جزائر كوكس كيلنغ إلى سومطرة التابعة لهولندا ومروا بسواحل الهند متكرين حتى عبروا مضيق باب المنذب فالحديدة فالتنفة ومنها إلى الليث قاصدين جدة فلما قربوا لجدة قام البدو عليهم يرمونهم بالرصاص وذلك بإيعاز من الحسين بن علي ولكن وجود الرشاشات والذخيرة مع الألمان هو الذي منع تغلب البدو عليهم.

ولما سمعت تركيا بالخبر خابرت الشريف الحسين بذلك فأرسل ابنه عبدالله منجداً لهم فوصل إلى جدة فأقام لهم الشريف الحسين وليمة فخمة إكراماً لهم، ثم غادروا جدة عن طريق البر مارين بالسواحل حتى وصلوا سوريا وكان ذلك قبل هذه السنة بستتين، وقد نقل عن قبطان أمدن أنه أسر لخديوي مصر عباس لما قابلهم أن قال أن الشريف حسيناً وابنه عبدالله خونة يجب قطع دابرهما عن الحجاز فإن كانت هذه قد وصلت إلى أذن الشريف فيوشك أن يتنفخ لذلك غيظاً وحنقاً ونذكر قتله لإخوانهم في السنة التي بعدها.

وفي تلك الآونة هبت رياح شديدة على أهل الغوص بين الكويت والبحرين وأصيبت السفن الكائنة بذلك البحر بضربة شديدة، وقد حدثني من

كان في تلك الورطة، قال لما كان في أواخر الخريف نشأت سحابة من الأفق الغربي فلما كانت فوق رؤوسنا وتوسطت السماء صبت أمطاراً غزيرة ممزوجة بالحجارة والبرد وهبت رياح عاصفة وأمسى البحر تلك الليلة يرمي بزبدته وتتحرك زوابعه وكانت السفن المجلجلة فيه تبلغ ثمانمائة سفينة فأصيبت كلها بالعطب واصطفقت وتحطمت كلها وكان من هذه السفن ما تبلغ حولتها من ثمانين راكباً إلى خمسة عشر راكباً وكان ذلك في أوائل الشهر وظلمة شديدة في الليل فكان من لا يحسن السباحة حظه الهلاك.

أما الناجون فهم قليل ركبوا ألواحاً وبراميل على ظهر الماء وكان البرق في شدة لمعانه يضيء إلى مسافة بعيدة، قال فما زلنا طول ليلنا ركاباً على تلك الألواح المحطمة والبراميل حتى طلع الفجر فأغاثني الله وصاحبي بسفينة حوالي البحرين فمسكننا بجبالها ونحن في حالة يرثى لها قد تمزقت ثيابنا وأنهكنا الموج والبرد فلما نزلنا في السفينة فزعوا إلينا لأنهم رأونا في حالة مزعجة وخشوا أنا لصوص فلما أخبرناهم بحديثنا وحالتنا رقوا لنا وحملونا معهم إلى البحرين فنزلنا ضيوفاً على ابن خليفة وساعدنا بشيء من النقود ثم سرنا إلى العقير بجرأ ثم سرنا إلى الإحساء عن طريق البر.

وفي هذه السنة سافر سعود بن عبدالعزيز الملك الحالي إلى قطر ليسلم سليمان ابن محمد الذي فر إلى أحمد بن ثاني فأتى به إلى أبيه.

وفيها سافر الشيخ سليمان بن سحمان قدس الله روحه وأسكنه الجنة يريد البحرين، كما أنه سافر أيضاً الأمير خالد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن نجل الملك ورفقتهما إلى البحرين، كذلك لمعالجة أعينهم وذلك لأنه قد عمى الشيخ سليمان لنزول الماء في عينيه وتألم لذلك فعرض عليه جلالة الملك أن يسافر للعلاج، فسافر إلى الدكتور المسيحي في البحرين لأجل قدح الميل فيهما، ولما أن قدما البحرين وباشر الدكتور علاجه ذلك الدكتور الذي يدعي المعرفة والبراعة، فقال الشيخ قصيدة في أعماله وخذقه يظنه كذلك:

إلى الله في كشف المهمات نرغب
فذو العرش أولى بالجميل ولطفه
ليكشف عنا الهم والغم والأسى
من الله إفراجاً ولطفاً ورحمةً
ولا عن رياض المجد والدين والهدى
ولكننا نرجوا رضاه وعفوه
ولولا رجاء الله جل ثنائه
وقد صابنا من خوفه وركوبه
إلى أن وصلنا دخترأ ذا درايةً
فقرب أهوالاً لديناً خوفاً
وأشياء لا ندري بها غير أنها
فغسل من أجفاننا قبل ضربها
فمیل سير العين مني بميله
كمثلي وأرجانا ليالٍ قليلة
وأبصرت من كف الحكيم أناملاً
وعثمان بعد الضرب أبصر وجهه
وقد جاء هذا بأشياء لم يكن
فشد على العينين منا بخرقه
وألزمننا أن لا نزيل عصائباً
وما كان هذا فعل من كان قد أتى
ولا كان هذا من شأنه وصنيعه
فهذا الذي قد كان من بعض شأنه
وأما الذي كان من شأن خالد
رأى منه صبراً في حدوثه سنه

ونسأله الفضل العظيم ونطلب
وآلائه الحسنی بها ننتقلب
فنحن على أوصابها نترقب
فلولاه ما كنا عن الإلف نذهب
إلى بلد فيها من الكفر أضرب
وإحسانه والله بالخير أقرب
لما كنت للبحرين في الفلك أركب
غمومٌ وأهمام عضال وأكرب
ومعرفةً في الطب والحدق منجب
وكرخانة من نارها تتلهب
يحار بها العقل السليم ويعجب
بأدوية شتى بها يتقلب
وميلٌ من عثمان من كان يصحب
ليتنظر البرء الذي هو يطلب
يحركها من بعد أن كان يضرب
وكفاله يسمو بها ويصوب
ليفعلها من كان للقدح ينسب
لتسعة أيام تشد وتعصب
إلى أن يجيء الوقت ذاك المرتب
إلى أرضنا من حجزه يتطبب
ولا كان هذا حاله حين يضرب
على إنما تخفيه من ذاك أعجب
فأمر وری منه ما كانت النفس تحسب
وقد كان منه دائماً يتعجب

فقص الذي في عينه قد أشانها
وما خاف لما أن رأى منه ما دهى
فقلنا له هذا سلالة ماجدٍ
غطارفة شوسٍ مساعير في الوغى
وقد كان عبد الله في حال ضربه
فغسل جفن العين منه وشقها
دماً بدموع وهو في ذاك كله
وخيّط ما قد شقه وأصاره
وها نحن في همٍ وغمٍ وكربةٍ
إلى الله في كشف المهمات كلها
فيا من هو العالي على كل خلقه
ولا ذرة أو حبة في سمائه
بأسمائك الحسنى وأوصافك العلى
أنل ملكاً فاق الملوك وسادها
وذاك هو الشهم الهمام الذي له
إمام الهدى عبدالعزيز أخو الندى
حليف العلى بحر الندى معدن الوفا
فيصلى العدى منه سعيراً ويسقمهم
سعى جهده في برئنا من سقامنا
فما آل جهداً في تطلب برئنا
فلا زال رضوان الإله يمهده
ولا زال في عزٍ أطيده موئل
وأحسن ما يجلو الختام بذكره
على السيد المعصوم والآل كلهم

وأصلح ما يؤذيه منها ويتعب
ولا كان من أهواله ينب
ونسئل ملوكٍ لا تخاف وترهب
مداعيسُ في الهيجا إذا هي تنشب
لأعيننا من خيفةٍ يترقب
بمقراضه والعين تهمي وتسكب
له مستكينٌ خاضعٌ يتقلب
إلى حالةٍ يرضى بها المتطبب
من القدح لليمنى وإننا لنرغب
وعاجل ما نرجوا وما نتطلب
على العرش ما شيءٌ من الخلق يعزب
وفي أرضه على علمه يتغيب
والطافك اللاتي بها تتجيب
رضاك وبلغه الذي هو يطلب
تضعضت الأملاك بل منه ترهب
مذيق العدى كأس الردى حين ينكب
إمام به نار الوغى تتلهب
كووس الردى منها وفيها يككب
لدى دخترٍ ذي خبرةٍ يتطبب
وما كان يرضى ربه ويقرب
بعزٍ وإسعافٍ به يتقلب
يلاحظه الإقبال أيان يذهب
صلاةً وتسليمٌ بها نتقرب
وأصحابه ما لاح في الجو كوكب

وما حن رعداً أو تآلق بارقاً وما أنهل صوباً ودقه يتحلب

ثم إنه لما كشف عنها الدكتور العصب كان عليها بياض وحمرة شديدة، ولم يبصر كما أبصر في أول الضرب، فضربها بالميل ثانياً، فلم يغني ذلك شيئاً، فقال في الموضوع قصيدة أخرى ونحن نأت بها:

أرى كل ما قد قدر الله يكتب
قضاء من الرحمن جل جلاله
لعمري لقد أوفى الإمام بكل ما
سعى جهده في برئنا من عمائنا
فجازاه مولاه الرضا وأثابه
فيا من سما مجدداً وجوداً وسودداً
سنشرح من أخبارنا بعض ما جرى
ولما انقضت تلك الليالي التي لها
ثمان ليالي حل منا عصائباً
فلم أرى مما كنت أبصرت أولاً
وقد صار في عيني غواشٍ وحمرة
من الغم للعين والعصب والأسى
وأرجائي خمساً وفي كل ليلةٍ
بأدوية شتى فما بين باردٍ
فلم يغني شيئاً ما يحاول كشفه
فمليها أخرى وكانت مريضة
أدار عليها الميل من بعد ضربها
وهرة منها حرة العين بالدواء
وقد سفحت بالدم من أجلها ضربها
ودامت على عيني الحرارة بالدوى

وليس عن المولى مفرٌ ومهربٌ
وما قدر الرحمن لا شك أغلب
يؤمله مما يريد ويرغب
وسبب أسباباً لذاك تقرب
بأحسن ما يجزي به المتقرب
حنانيك ما سر عليك محجب
سوى ما مضى مما رقمناه يكتب
يؤمل منه ما أراد ويطلب
تشد على العينين منا وتعصب
يحركها من كفه ويصوب
وأوساخ ما يطفو عليها ويحجب
وأمرار ما قد كان يؤذي ويوصب
يحاول أوساخاً تزول وتذهب
وما بين ذا حرٍ بها يتقلب
ولا كل ما يهوى وما يتطلب
وقد صابني همٌ شديدٌ عصصب
ثلاثاً يزيد الماء عنها وينضب
وكان شديداً حره يتلهب
وتهرتهها بالميل أيان يضرب
لعمري إلهي ساعةٌ وهي توصب

وعثمان بعد الحل للعين قد رأى
سوى أنه قد كان أبصر حمرة
كذلك أوساخ عليها كثيرة
فهرتها بالميل وهو مشرب
وصرنا على ذا الحال كل عيشة
دواءً لذيذ بارد لم يكن به
إلى أن مضت من حين أيام ضربها
فقال لعثمان ستبصر بعد ذا
وما أنا فالحال أن شكيئي
على حالها ما تم لي ما أريده
أبيت بطول الليل من حين ضربها
أنام قليلاً ثم أحبس برهة
وقد كنت فيما قبل أرجو سلامة
وها أنا في حال الرجاء مترقب
ولكنه قد زادني ذاك علة
فهذا الذي قد رابني وأمضي
وأطلب منه العفو مما جنيته
وقد عيل مني الصبر من أجل أنني
فلا زاد إلا بلغة بتكلف

وأبصر منها ما رأى حين يضرب
على عينه تعلق عليها وتحجب
وورم يحفن العين يؤذي وينصب
بذاك الدوى المؤذي لها حين ينكب
يجيء إلينا بالقطور ويذهب
أذا سوى غم لها حين يعصب
ثلاثة أسباع تعد وتحسب
بيوم من ما قد كان في الصحف يكتب
وما كان من أمري يرجا ويطلب
وشكواي لم أبرح بها أثقلب
إلى أن مضت عشرون والعين تعصب
وأعراق رأسي من جوى العين تضرب
وعافية والله بالخير أقرب
من الله ما أرجو وما أتطلب
وداء سوى ما كنت أرجوه يذهب
على أنني من فضله أترقب
وعافية مما يمضي وينصب
رأيت مقامي أمره منتصب
ولا نوم إلا ريثما أثقلب

ثم إنه لم يجد شفاءً وعزم على الرحيل من البحرين إلى وطنه أنشأ قصيدة حسنة
جميلة نالت الإعجاب وذكر فيها أن الدكتور إلا عماء ولم يفد شيئاً وامتدح صاحب
الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن وأشاد بذكره ونوه في ما له من المقامات السامية
وبعث بالسلام في آخر القصيدة على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وإخوانه وأنجاله
ولولا خشية الإطالة لأتينا بها.

وفيها وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود رحمه الله وعفا عنه، وهو العالم العلامة والبحر الفهامة فقيه نجد على الإطلاق هكذا يطلقونه عليه في زمنه، وكان رجلاً عظيماً مقدراً وفقياً جليلاً القدر مقدماً، وفيه قوة وحسن طوية وقوة إرادة ويعد من خيرة أهل زمانه يعظمه العلماء وتحشوا بين يديه لاستفراغ منطوقه وله باع طويلة في جلب العلوم واستخراج غامضها.

ويتصل نسبه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت ولادته سنة ١٢٥٠هـ ببلد ضرما ونشأ بين والديه إلى سن التمييز، ثم أنه كان بعد ذلك في حضانة أمه وتعلم القرآن وحفظه وهو ابن تسع سنين ثم أخذ يطلب العلم على الشيخ عبدالله بن نصير وارتحل إلى مدينة الرياض في سنة ١٢٦٥هـ فأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ، وأخذ عن ابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، وأخذ عن ابن عدوان، وأخذ عن ابن عيد، وابن شلوان وغيرهم من العلماء، وما زال يتقدم حتى أطلق عليه فقيه نجد وجد واجتهد ونبغ في العلم فعينه الإمام فيصل بن تركي قاضياً في وادي الدواسر فباشره مدة ثلاث سنين، ثم كان قاضياً في بلد ضرما إلى سنة ثمانين وبعد وفاة الإمام فيصل عينه الإمام عبدالله بن فيصل قاضياً في بلد الرياض وجلس للتدريس بها وانتفع به خلق كثير وجثت العلماء بين يديه على الركب، فممن أخذوا عنه الشيخ عبداللطيف، وعمر بن اللطيف، وحسين بن حسن، والشيخ عبدالله بن حسن، وحسن بن عبدالله، وحمد بن حسين، وصالح بن عبدالعزيز، وعبدالحמיד بن الشيخ محمد، وعبدالعزیز بن عبدالوهاب، وعبدالعزیز بن حمد، وعبدالعزیز بن عبدالرحمن بن بشر، وعبدالله بن مسلم، وابن دريهم، وعبدالله الحجازي، وعبدالعزیز الملهمي، وابنه ناصر، وعبدالله بن فيصل، ومحمد بن عياف، ومحمد بن فيصل، وعبدالله السيار، وأبو عرف، وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وعبدالله بن زاحم، ومحمد بن حمد بن فارس، ومبارك بن باز، وعبدالله بن سعد بن محمود، وعبدالله بن عتيق، وعبدالله بن جريس، وسعد الخرجي، ويعقوب بن محمد، وصالح السالم، وعبدالعزیز المرشدي، وغيرهم من المشايخ بحيث أخذ عنه أربعون قاضياً.

وكان له مؤلفات منها كتاب الرحيق المسلوف في اختلاف الأدوات والحروف.
ومن محفوظاته كتاب منتقى الأخبار للمجد ابن تيمية وانفرد بعلم الفقه
وشارك في غيره كالحديث والنحو والتفسير.
وقد رثاه الأدباء والشعراء فمن ذلك ما رثاه به الشيخ حسين بن علي بن
نفيسة وهي هذه:

| | |
|---|--|
| <p>خيال زارنا وقت الهجود فأهلاً بالذي قد زارنا سحراً رعاك الله من خل وفي فتاه باللالئ قد تحلت دماليج وأقراط وشذر أضاء الليل إذا أرخت لثاماً تحاكي البان ليناً واعتدالاً تفوت الغانيات بهى وحسناً علينا من لحاظ الجفن سلت فكم قد طل منا من قتيل وفي كل الحروب لنا جلاد فدعنا منهم فسالهم جمر لقد حلت خطوب شيتنا فلو حلت على أركان رضوى زمان الأنس عنا قد تولى غداة أتى إلينا نعي حر فهل الدمع منا مثل عقد فابكوا شيخكم يا أهل نجد أبا محمود ذو فضل وعلم وأما فضله في الفقه فاعلم</p> | <p>فحي الطيف من أم الوليد وسهلاً بالمريسة للبريد فذاك الكاشحون مع الحسود فنور الحسن مع نور العقود فمال الغصن بالطلع النضيد فذا البدر أم ورد الخدود وتكسو القد بالفرع المديد وترمي الصيب بالطرف الصيود سيوفاً كلها للقوم مود بسهم الطرف لا سهم الحديد وفي ميدانهم ما من جليد ودعنا من وصال أو وعود وشاب هو لها رأس الوليد لأضحى الصخر منها كاهييد وبدلناه بالهم العميد ونحرير غداة المستفيد وهي سلكاه من نحر وجيد على الإطلاق ذي الخلق الحميد كفضل القائمين على القعيد كفضل السائدين على العبيد</p> |
|---|--|

وفي كل العلوم له اطلاع
 حلّيم بل عليم ذو تقاء
 ترى الطلاب عاكفة عليه
 إذا ما قال قائلهم أفدنا
 برفق ثم إرشاد بعلم
 لتبكيه المحافظ حيث لفت
 كذا الأقلام تبكي حيث جفت
 ربوع الشيخ أمست دارسات
 قلاها الراتعون بها زمانا
 بدور العلم غابت عن أناس
 وفي تحصيلها كدوا وجدوا
 إذا غابت رجال العلم منهم
 أرانا موجعين بكل عام
 رزئنا الشيخ إبراهيم قدما
 فغابت شمسنا المومى إليها
 ومفتيها إذا أشبكت فروع
 سيعطيك الجواب بلا توان
 سلام الله ما هبت رياح
 ورضواناً وغفراناً يوالا
 على أشياخنا أولاك كنا
 فيا مولاي أوردتهم جناناً

فوا قلباه لما قيل أودي
 وذو زهد وخوف للوعيد
 يمحون المسائل كالورود
 أجاب بلا فتور أو جمود
 وأن تبحثه يأتي بالمزيد
 عن التدريس في الزمن السعيد
 عن التسويد في الورق الجديد
 وقد كانت تضيق من العديد
 كفقد المستفيد من المفيد
 على الدنيا تواصوا بالخلود
 ولم يدروا بهذا النقص الشديد
 فباقيهم كأشباه القرود
 لنا حبر يوارى في الصعيد
 ومفتي الوشم أنعم بالرشيد
 فتم العقد بالنبل الفريدي
 ولم يمتاز شوك من نضيد
 عليم بالزكي من النقود
 على من حل في بطن الصعيد
 وإحساناً إلى يوم المزيد
 بهم نسمو على كل العبيد
 مع الأبرار في دار الخلود

ثم أنه امتدح الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وأثنى على آبائه وأجداده ومراده
 بالشيخ يعني أخاه المتقدم ذكر وفاته، وأما مفتي الوشم فهو الشيخ علي بن عيسى
 المتقدم ذكر وفاته في السنة التي قبلها فإله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٣٣هـ

ففيها وصل إلى جدة تجار ألمان أتوا من الصين الألمانية واي هاي واي، متكرين باسم تجار يابانيين وعبروا مضيق ملقا إلى سواحل الهند فالبهر العربي فباب المنذب فجدة ثم أرادوا الذهاب إلى سوريا فشرعت الحكومة تستعد لهم بقوة لتوصلهم وتحافظ عليهم ولكن الشريف على ما يقال حال دون ذلك وتعهد بإيصالهم من قبله أناساً ليكونوا أدلاء ورفقاء لهم ثم أوعز لقومه أن يقتلوهم عن بكره أبيهم فقتلوهم بعد مغادرتهم لجدة بمراحل.

ذكر مساعي بريطانيا العظمى وقيامها ضد تركيا

فبقول قامت الإنكليز بما لديها من القدرة فاستمالت العرب إليها بالسياسة والأطماع والمكر والخديعة وبذلت الأصفر الرنان لأمرء الأتراك ومنتهم بوعودها فخانت الأمرء والوزراء دولتها ما عدا ابن رشيد فإنه لا يزال على ولاء الأتراك. ولما انضم العرب إلى الحلفاء وكان في صفها روسيا قامت بريطانيا تستقرض من اليهود والأمريكيين لأن أمريكا كانت إذ ذاك على الحياد، فدفع اليهود قرضاً سميناً للإنكليز ووعدتها وعداً عرف بوعده بلفور نتيجه أن يعطي اليهود مقابل ذلك القرض سكنى فلسطين، ولقد أخطأت بريطانيا بهذا الوعد وظلمت العرب مساكنهم، ثم أنها شرعت الإنكليز في مفاوضة الشريف على أن الأتراك يفاوضونه لأنهم في ريب منه.

مفاوضة الفريقين للشريف

بينما كان الملك حسين بن علي الشريف في ظهر يوم من الأيام على المائدة في الطائف عنده ابنه عبدالله، وزيد، دخل الحاجب يقول غريب في الباب يبغى سيدنا وكان هذا الغريب رسولاً خفياً جاء إلى الحجاز متذرعاً بالحج وهو يحمل إلى الشريف سرّاً من مندوب بريطانيا العظمى في مصر «اللورد كتشن» دعوة للانضمام

إلى مصاف الأحلاف فأبى يومئذ الشريف ثم كتب إليه «السير هنري مكماهون» في الموضوع نفسه فتردد وتودد، وكان لا يزال محافظاً على ولائه للعرش العثماني مع أنه لم يحضر إلى المدينة للسلام على أنور وجمال عندما زاراها في هذه السنة، وقد كان نصح للأتراك أن لا يدخلوا في الحرب العظمى ولكنه بعد دخولهم عرض عليهم المساعدة بشروط منها: العفو عن المسجونين السياسيين في سوريا والعراق وإعطاء البلدين نوعاً من الاستقلال أي إنشاء حكم لا مركزي فيهما وعندما رفض الترك طلبه وألحوا عليه رغم ذلك بالتجنيد في الحجاز ذهب إلى قرية خارج مكة يعتزل السياسة إلى حين ثم حدثت الفظائع في سوريا وعلى رأسها شتى أحرار العرب فأثارت غضب الشريف فكتب إلى جمال باشا الذي هو أحد رجال الدولة العثمانية وأحد نقبائها محتج على أعماله القاسية فأجابه جمال أن يتقي بنفسه بدل أن يدافع عن سواه، ثم كان يفاوض الإنكليز ليتفق معهم ويفاوض أيضاً الأتراك على السوية بل أنه كان يترقب الفرص ليثور على الأتراك ويستقل بالحجاز، ثم أنه أرسل بعض المتطوعين إلى المدينة المنورة وطلب من جمال باشا إرسال المال والسلاح لمساعدة المتطوعين فجاءه من الدولة ستون ألف جنيه، وعلى أثر ذلك أبرق الحسين إلى أنور باشا يقول له إذا كنت حقاً ترغب في إلزامي لجانب الهدوء والسكينة فينبغي الاعتراف باستقلالي في سائر الحجاز من تبوك إلى مكة وجعلي أميراً وراثياً فيها كما ينبغي أيضاً العدول عن محاكمة العرب المتهمين وإعلان العفو العام في سوريا والعراق فأرسل أنور باشا هذه البرقية إلى جمال باشا، فكتب جمال للحسين لقد نمتي إلى خبر برقيتك إلى أنور باشا فأنت تطلب أن تكون الإمارة وراثية في أسرتك وأن يمنح أشخاص عديدون العفو الشاهاني بعد أن قامت البراهين على خيانتهم للوطن والملة، وليس من المستطاع إجابة هذا الطلب الثاني ولا أدى ذلك إلى ضرر شديد في مسألة لها تعلق وارتباط بالمصلحة العامة فإن الحكومة التي تصفح عن الخونة خليقة بأن يتهمها الجمهور بالضعف بل قد يغري ذلك الصفح كثيراً من الناس بالخيانة وطعن الدولة والملة طعنة نجلاء فلو عرفت محتويات الوثائق التي ظهرت في المحكمة لرأيت إلى أي حد من الخيانة قد تسفل إليه أولئك المتهمون.

أما فيما يختص بمسألة جعل الإمارة وراثية في أسرتك فإني يخيل لي وأظنك تساعني في ذلك الرأي لأن الفرصة ليست مناسبة للمطالبة بذلك الطلب فإني في وقت الحرب الذي تتعرض فيه كل قوى الإنسان العقلية والجسمية لأشد العناء والنصب أراك تعترف بأن الإعراب عن مثل تلك الرغبات من شخص يشغل مركز إمام وفي أهم بقعة من بقاع الدولة العثمانية بقعة هي أكثر تعرضاً للأخطار عما عداها لا بد أن يكون له أسوء وقع في نفوس الجمهور والذي اعتقده أنه ما كان ينبغي لك أن تطلب مثل ذلك الطلب حتى لو كان لك الحق في طلبه وذكر أن الهم ينبغي صرفه إلى جهة واحدة وهي إحراز النصر في تلك الحرب وأشار إلى أن دخول الدولة في تلك الحرب لمصلحة العالم الإسلامي.

ثم بعد شهر جاء رد الشريف الحسين على البرقية وفيها:

إن جواب جمال باشا وقع في نفس الشريف أسوء وقع؛ وأرسل إلى الصدر الأعظم جواباً يقول فيه أنه لا يعرف أي الرجلين يصدق هذا السياسي الذي يتعامل معه مباشرة ولطالما أظهر له المجاملة والود، أم ذاك الذي استعمل معه ألفاظاً جارحة مهينة فهو يرى نفسه مضطراً إلى قطع العلاقات مع الحكومة حتى تجاب المطالب التي طلبها من أنور باشا منذ شهرين، وأيضاً أرسل إلى جمال باشا برقية بهذا المعنى، هذا ما دار بين الحسين وتركيا وما حصل بينه وبين جمال باشا الحازم الذكي.

وإليك ما دار بين الشريف وبين بريطانيا العظمى من المفاوضات فنقول:

انتخبت الإنكليز لمفاوضة الشريف وضمه إليها أحد رجالها، وتشير إلى تلويحة هنا قليلة بأن بريطانيا وقفت برجال من قومها مخلصين مهذبين يكدحون لمصالح الدولة ويسهرون لها ويبدلون النفس والنفس في رضا حكومتهم وإن قضى ذلك بهلاك ذاتهم وما تنهض الأمة إلا برجال قدراء وقواد مثقفين محنكين شذبتهم التجارب وفطروا على نجاح الطلب والتضحية بالنفوس في سبيل الحكومة ولولا

ذلك لم تتقدم الشعوب ولم تتسع الممالك، نسأل الله تعالى أن يغيث الحكومات الإسلامية برجال الدين والقدرة والشجاعة والسياسة والنصح، وإنني لأسف أن يكون للحكومات الأخرى رجال في هذه الصفة حافظوا على شرفهم وشخصياتهم ومقاماتهم وقانونهم ودستورهم ولا يشاركهم رجال حكوماتنا، فليس دستورهم القرآن وأمتهم العرب الذين تشهد لهم الأمم بالتقدم وشرف الدين وحسن الملبس وهو الصلاح والوفاء إذاً فنقول ندبت بريطانيا لمفاوضة الشريف ذلك الباقعة وهو «السير آرثر هنري مكماهون» الأتبع اللوذعي الساحر بفصاحته الماهرة له هامة عظيمة سبحانه من وضعها على ذلك العنق الطويل.

ذكر النهضة العربية واتفاق الشريف مع الإنكليز

كتب الشريف هذه الاتفاقية المشتملة على خمسة بنود وبعث بها مع كتاب إلى مكماهون ليطلع عليها دولته وهذا نصها:

١- تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقاً من بحر خليج فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الأبيض وشمالاً حدود ولاية حلب والموصل الشمالية إلى نهر الفرات ومجتمعة مع الدجلة إلى مصبها في بحر فارس ما عدى مستعمرة عدن فإنها خارجة عن هذه الحدود وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحل في محلها في رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الأفراد.

٢- تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخله كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأمراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام

لحين اندفاعه وهذه المساعدة في القيامات والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية.

٣- تكون البصرة تحت أشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حال احتياج الحكومة العربية التي هي حكمها قاصرة في حوض بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الأشغال.

٤- تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة ومهماتا والذخائر والنقود مدة الحرب.

٥- تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب من النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد ولعدم استعدادها أه سنة ١٣٣٣هـ فأجابه مكماهون في ١٩ شوال منها بهذا الجواب:

إلى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد الشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل ذو الدولة الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبله العالمين ومحيط رحال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين:

ثم شرع في كلام حلو لطيف يسبي عقول الأذكياء وأطال ثم ذكر أن مصالح العرب نفس مصالح الإنكليز والعكس بالعكس وذكر رغبتها في استقلال بلاد العرب وسكانها وأن جلالة ملك بريطانيا العظمى رحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدولة النبوية.

ثم قال أما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها وتصرف الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة رهاها ولأن الأتراك لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً وعلى الأخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقاً من العرب القاطنين تلك

الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها وبدل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة إلى الألمان والأتراك، نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب وهو الألمان وذلك الظالم العسوف وهو الأتراك ومع ذلك فأنا على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل ما للبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية، وستصل بمجرد إشارة سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه، وقد علمنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته إلينا، ونحن على الدوام معكم قلباً وقالباً ومستنشرين رائحة محبتكم الزكية ومستوثقين بعري محبتكم الخالصة سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا، وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي.

المخلص السير آرثر مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

ثم أجابه الحسين الشريف على هذا الكتاب بكتاب مؤرخ في ٢٩ شوال يلح فيه بقبول تلك الحدود المعينة في الاتفاقية، فأجابه في ١٥ ذي الحجة بكتاب أشد لهجة من الأول وأعذب، وقال بعد الديباجة المفعممة والألفاظ التي بالمسك مضمخة إنني قد أسرع في بلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم وأجابه إلى كل ما طلب سوى تعديلات يسيرة، وتلطف وأطال بالمديح والثناء العجيب، ثم قال بعد ذلك: وفي الختام أرفع إلى دولة الشريف ذي الحسب المنيف والأمير الجليل كامل تحياتي وخالص مودتي، وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة راجياً من ذي الجلال أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير العالم وصالح الشعوب أنه بيده مفاتيح الأمر يحركها كيف يشاء، ونسأله تعالى حسن الختام والسلام.

نائب جلالة الملك السير آرثر مكماهون

فردّ الحسين على هذا الكتاب بأنه يعترف بأن الولاياتين مرسين وأضنة لستا داخليتين في حدود البلاد العربية التي تطلبها، وقبل تأجيل البحث في ولايتي حلب وبيروت إلى ما بعد الحرب.

ولا غرو ولا بدع للشريف بن علي إذا انتفخ من هذه التعطفات وامتلاّت نفسه عجباً، وكان عظيم الاستبداد بالأمر دون الوالي التركي حتى كان لا يترك واحداً من الأهالي يتقاضى في قليل أو كثير إلا عنده سواء في ذلك الأحوال الشخصية والحقوق المدنية، وكان مع هذا يوعز إلى أعيان الحجاز الذين استولى على قلوبهم بدهائه، وما كان يظهره لهم من التحبب والعطف والتواضع أن يكتبوا للدولة بالشكايات من الولاة الأتراك، وأن يفتروا عليهم أموراً لم تكن، ولقد ساعد الحسين على هذه المشاكسة ضعف الكثير من الولاة الأتراك الذين كانت تبعثهم الدولة العثمانية غافلة عن ضخامة المركز الذي سيشغله وحروجه وشدة حاجته إلى رجل باقعة في السياسة، صلب العود شديد البطش، يستطيع أن يوقف كل معتدٍ عند حده، بل غفلت الدولة عن كل هذا، فكانت تبعث كل عام من الولاة من يمثل ضعف العزيمة والخور، فما يلبث أن تبث الشكايات فيه بالحق والباطل، فيذهب ويحيى غيره، وهكذا إلى أن وقفت الدولة لرجل جمع صفات الولاية ومؤهلاتها من سياسة إلى ذكاء وفطنة إلى حب للخير، وعطف على الناس إلى شجاعة وقوة عزيمة وصرامة، رأي ذلك هو «وهيب باشا» الرجل الذي بيض بالحجاز وجه الدولة، ونال بحق إعجاب عقلاء الحجازيين، ولكنه مع الأسف جاء والخرق كان واسعاً والشريف كان ذا عصبية لا يستهان بها، فأخذ وهيب يعمل بمجد وهمة لا يفتقر على تحسين مركزه والضرب على يد العابثين، فكانت حرب عنيفة بين الحسين وبينه غبارها مرةً يعلو ومرةً يهبط، ونارها مرةً تصل إلى عنان السماء ومرةً تخبو، حتى كادت تؤدي إلى استعمال السلاح والتقاء الجيوش، ومن كان له أنفةً وشيمةً فلا يرضى لنفسه بالدنايا ولا يدع حقوقه تمتهن، ويسكن غبار تلك المشاغبات سياسة وهيب وحكمته، وما كاد وهيب باشا يقرب من الغاية، حتى جاءت الحرب العالمية التي نحن بصدددها، فغيرت مجرى الحوادث، ودبراً الحسين ما دبره، وذهب وهيب باشا إلى المدينة من متطوعي الحجاز، وأقام بمكة خلفه غالب باشا وانتهى الأمر بنهضة الحسين التي كان يمني العرب والحجاز بأنها ستبطلهم استقلالاً تاماً وتحررهم

من قيود التبعية التركية وتعطيهم من الحرية ما يعيدون به مجد السالفين، وعز الغابرين فعاونوه على نهضته بكل ما استطاعوا، وأطاعوه حتى فيما كرهوا، وأسفر الصبح عن مأساة شنيعة جداً أحمر لها وجه العرب والمسلمين خجلاً، وقرت بها عيون الحلفاء والأوربيين جذلاً.

ذكر وقعة جراب سنة ١٣٣٣هـ

قد قدمنا أن الدولة العثمانية قد اتفقت من ابن رشيد أمير حائل وهو سعود بن عبدالعزيز بن متعب، وأمدته بعشرة آلاف بندقية من أمهات خمس القصار، وأمد الإنكليز ابن سعود على حرب ابن رشيد، وقد كان ابن سعود لا يلتفت إلى شريف مكة ولا إلى منع المارين من رسل الدولة للاجتياز إلى اليمن، وإنما كان يهمل ابن رشيد أمير الجبل، فما كان إلا القليل حتى تأهب الفريقان للحرب في وقت قصير ولم يتجاوز جيش كل منهما ثلاثة آلاف مقاتل، فقد كان مع ابن سعود نحو ألف مقاتل من الحضرم وأكثرتهم من أهل الرياض ونواحيها، ويمتاز هؤلاء المقاتلة بالبسالة والشدة ومعه ثلاثمائة خيال من العجمان ما عدى البادية ومدفع واحد لا غير، كما أن ابن رشيد معه ستمائة من الحضرم وألف فارس من فرسان شمر، وقد رافق ابن سعود الضابط الإنكليزي شيكسبير المتقدم ذكره، فما استحسّن ابن سعود خروجه معه وقال له: ليس من رأي أن تمشي معنا وإني أفضل انتظارك إيانا في الزلفي فنعود إن شاء الله إليك، غير أن الضابط أجابه بقوله لا يجوز أن يقال أن رجلاً إنكليزياً قرب من ساحة القتال بين ابن سعود وابن رشيد ورجع جباناً وخوفاً، وقد ألح عليه ابن سعود بالرجوع، وألح هو أيضاً بالحضور، فركب مع الجيش إلى ساحة القتال في جراب، وجراب هذا ماء من مياه القصيم.

ولما أن حضر شكسبير في جيش ابن سعود قام على تعصبه بعادات أجداده وتقاليد أمته فما غير لباسه، بل ركب وبين يديه آلة التصوير، فلما كان في سابع ربيع الأول التقى الجمعان واصطدم الفريقان وذلك في شدة الحر وعلت بالقوة

والبسالة قوم ابن سعود يقولون «أهل التوحيد أهل العوجاء وشمّر يعترفون بهذه الكلمة «سنا عيس سنا عيس» وقد أخرجت شمّر عمارياتها وهذه العماريات بنات أبكار، من عادات العرب أن كل قبيلة تنتخب في الحرب بنتاً من بناتهم الأبكار تسمى العمارية، فتركب في هودج أو تقف وتكون سافرة مرخية شعرها وتتقدم قومها إلى ساحة القتال والوغي منتخية منخية ولا أعلم لأي فائدة في ذلك ويقرب أن وجود هذه البنت بين قبيلتها يشجعهم على القتال فيقوموا بواجب الدفاع عن النساء والذرية، وقد أبطل ابن سعود هذه العادة القبيحة، أما الانتحاء بأهل العوجاء فهو لأهل الرياض والاعتزاء يكون بأسماء الآباء والأجداد وأسماء القبائل أو البلدان وما فيه مفخرة.

ولما أن تبادرت الأصوات «أهل العوجاء أهل العوجاء» ويردد الإخوان من قوام ابن سعود أيضاً هؤلاء الكلمات التي تقذف البدوي في الوغى وتصلية نيران الحرب:

هبت هبوب الجنة أين أنت يا باغيها
كما أنه يجيبهم أولئك سنا عيس سنا عيس، ما كان إلا أن تصادمت الأبطال وتقارعت في المجال وتطاردت وتراجعت، وكان ذلك في ظهر ذلك اليوم، فكانت الغلبة في بادئ الأمر لابن سعود وجعل رصاص أهل التوحيد يقع أمام الشمرات الواقفات فوق أسمنة الإبل فيصحن بالرجال إلى القتال ويهتفن هازجات:

يلبي يتمناً حربنا غويت يا غاوي الدليل
كم واحد من ضربنا دمه على الشلفي يسيل
فاحتدم القتال ودوت البنادق فأصيب شكسير برصاصة قضت عليه، وظهر تحاذل من فرسان العجمان الذين هم مع ابن سعود بأن تراجعوا فأغارت إذ ذاك بادية ابن رشيد على جناح أهل التوحيد الأيسر فدحروه وغنموا أمواله.

وكان بدو ابن سعود الذين أكثرهم من مطير قد أغاروا أثناء ذلك على جيش ابن رشيد ونخيمه فغنموا وفازوا وانفصلت الواقعة عن هزيمة ابن سعود، وقد حدثنا من حضرها أن رايته تجر على الأرض حتى مزق بعضاً منها.

ولحق رجل من العدو ابن سعود وكان الرجل فارساً ولم يعرفه، فقال له ألق السلاح، فالتفت إليه ابن سعود وبيده سيفه فقال خذه فإنك أهلّ له، فضربه بالسيف بقوة فقسمه السيف شطرين.

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان قصيدة في هذا الموضوع يسلي بها صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود، وأن الحرب سجال وفيها تحريضه أيضاً على الجهاد.

| | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| أمور القضا ليست بحكم العوالم | ولكن إلى رب حكيم وعالم |
| فضاها إله العرش جل جلاله | وقدرها من قبل خلق العوالم |
| بخمسين ألفاً قدرت من سنينا | فليس لأمرحه من مقاوم |
| فلوا أن «لو» تجدي وتنفع قائلاً | لأصبح مفتوناً بها كل لائم |
| يلوم على ما قدر الله والقضا | فتبأ له ماذا جنى من مآثم |
| وما كان هذا الأمر بدعا فقد جرى | لأفضل خلق الله صفوة هاشم |
| محمد الهادي إلى الرشيد والهدى | وأصحابه أهل النهى والمكارم |
| لأن كان قد أضنا بنا وأمضنا | بشؤم الذنوب المعضلات العظام |
| من القرح ما نرجوه من فضل ربنا | وإحسانه محواً لتلك الجرائم |
| فقد مسهم من ذلك القرح فادح | فكانوا طعاماً للنسور الحوائم |
| بأيدي رجال من ذوي الصدق في اللقاء | حاة كمات كالأسود الضراغم |
| يسومون في الهيجا نفوساً عزيزة | وترخص منهم في حضور الملاحم |
| وقد غادروا أبناء حائل في الوغى | جثثاً ركاماً كالهشيم لشائم |
| وقد من مولانا بطلعتك التي | أضاءت بها شمس العلى في العوالم |
| فأصبح هذا الناس في ظل مجدكم | بأمن وفي رغدٍ من العيش ناعم |
| وجاء بك المولى معافاً مسلماً | وأعداك في كبتٍ وذلٍ ملازم |

الخ. على أن العدو لم سلموا من الانهزام لكن شدة الواقعة كانت على ابن سعود.

ومن أبيات للشيخ حسين بن علي بن نفيسة يسلي بها صاحب الجلالة ويذم
بها العجمان الخائنين بأنهم لثام لا يفيد فيهم الإحسان وهي قوله:

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| سبحان من يجمع الأوصاف في بشرٍ | حتى يذل له في الحب شجعان |
| قلت أمتعينا بوصلٍ يا حبيبتنا | فطالما جد بي وجدّ وهجران |
| قالت تروم وصالاً لا سبيل له | هلا سمعت بما قد رام ضيدان |
| رأس النفاق ضعيف الرأي أسفهم | أبدا الخنا فغدى للشر ديدان |
| واستسمن الكلب بالنعما فقابلها | بالكفر والغدر إذ غروه عجمان |
| هلا تذكر ما أسدى الإمام له | له النفائس أفراسٌ وذيدان |
| بل والفلوس وما قد صيغ من ذهبٍ | الكل تأتية أمان وأثمان |
| يا ضيعة المال فيمن ليس يشكره | إذ قال ربي جزى الإحسان إحسان |
| في فرقة نكثت للعهد فاسدةً | تأتي الفساد كما يأتيه فيران |
| لا غرو قد وافقوا الأتراك دهرهم | فليس ينهاهم دينٌ وإيمان |
| من حبههم أجلبوا نحو العراق وقد | جدوا بأثارهم رحلٌ وأضعان |
| فخاب ما أملوه من مفاسدهم | ضلوا كما ضل في مسراه حيران |
| لا يهتدون إلى رشدٍ وقد جبلوا | على طبائع أسلاف لهم بانوا |
| فالشرى لم تنقلب أرياً مرارته | وقد يكون من الثعبان ثعبان |
| فالسحت مآكلهم والغدر شيمتهم | لم تغن عنهم موثيقٌ وأيمان |
| كم خربوا بلداً كم فرقوا عدداً | كم أيتموا ولداً كم مسلمٌ هانوا |
| قد قال جدي حسين فيهم مثلاً | تلقاء عمك إذ وافاه راكان |
| لو ترم في البحر صلبوخاً وتخرجه | فأقدح ففي وسطه شرٌّ ونيران |
| هم الزناديق لا تقبل لعذرهم | كم ناهم منك إعراضٌ وإحسان |
| فلم تزدهم سوى البغضاء من سفه | إذا صدهم عن سبيل الرشد شيطان |
| إياك إياك أن تريحهم أبداً | أن اللثام إذا لم يغدروا خانوا |
| فالعفو عن مثلهم ذل ومنقصةٌ | والجور في مثلهم جود وإحسان |

بنو القطيعة هاهم قطعوا سبلاً
كسر أنوفاً من الإعجاب قد شمخت
بالقتل والأسر والتشريد عاملهم
أعدّ لهم ملحاً مع طبة سلفت
لا تبق مصاص ثدي منهم أبداً
شردّ بهم من بهجر من بواديها
لا يسكنون بها مدمت مالکها
يقول قائلهم فأتكم رطب
فلا يغرك من أبدا بشاشته
مهلاً رويداً بنوا السوات فاتشدوا
مع الهمام زكي الأصل يقدمهم
عبدالعزیز الذي سارت فضائله
في فتية من بني الإسلام قد عرفوا
كم وقعة أوقعوها في عدوهم
فأصبح الملك للرحمن ثم له

فاقتل وصلب كما قد قال قرآن
كما تكسر أصناماً وأوثان
ما للصنيع مع الفجار ميدان
حتى يكونوا كأن القوم ما كانوا
كي لا تشور من الكبريت نيران
فهم أناس لأهل البغي أوثان
فإنما وطن الأشرار نجران
فابكوا وقد فاتكم خوخ ورماني
والقلب بالغش والبغضاء ملائ
حتى يصبحكم جيش وفرسان
ليث إذا ما التقى الأبطال غضبان
في الأفق غنى بها جمع ووحدان
في الحرب إن خالط الأقران أقران
يكاد من ذكرها ينهد ثهلان
والمسلمون له جند وأعوان

الخ. وهي طويلة جميلة حذفنا باقيها خشية الإطالة.

ذكر التعريف بالعجمان

هم من قبائل اليمن من قحطان وينسبون إلى همدان وينتمون إلى مذكر بن أيام
بن أصبا بن رافع بن مالك بن جشم بن خيوان بن نوق بن همدان يسكنون في
الماضي نجران، ثم ارتحلوا شرقاً وهم قبيلة ، ولما أن سكنوا نجداً ما كان لهم في ذلك
الوقت قوة يمتنعون بها، ولما كان في أيام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود جعلوا
ينافقون ويظهرون حلو الكلام فأحسن الإمام إليهم وأنزلهم بلدة بني خالد وبعد
هلاك الإمام تركي عاملهم نجله فيصل بمثل معاملة أبيه لهم فبطروا النعمة،

واستفحل أمرهم فصاروا يقطعون الطرق على السابلة والحجاج، وكان لهم صرامة وحمية وعصبية يندر مثلها في العشائر وفيهم التقلب والغدر، عصوا الدولة العثمانية فتركتهم وشأنهم وكثيراً ما كان عمالها في الحسا يشاركون رؤسائهم الغنائم ومع ذلك فقد كان الواحد منهم يسلب جندي الدولة فرسه ويدخل بها الحساء لينعلها، وعصوا مبارك بن صباح فحاربهم واسترضاهم وما تمكن لا من قهرهم ولا من ولائهم.

وكان من تمردهم أن نسوا معروف الإمام تركي، وناصروا ابنه فيصل بالعداوة، فسير إليهم نجله عبدالله فأوقع بهم في ملح، وكاد يفنيهم بعدها بعام في واقعة الطبعة بقرب كاظمة على خليج الكويت، ثم أجلاهم إلى نجران، وبعد ولايته واختلافه مع أخيه سعود ذهب سعود إلى نجران فاجتمعوا عليه وآزره وجاءوا معه يناصرونه وليثأروا باسمه من عبدالله وقد قدمنا في موضعه وآخر أمرهم ووالوا ابن سعود ثم حالفوا عليه أبناء عمه العرائف، هذا مع أنهم أصغر القبائل عدداً فمقاتلتهم لا تبلغ خمسة آلاف مقاتل، وقد تفوقوا حتى نازعوا بني خالد الإمارة، كما قال الشاعر:

وقد قسموا الإحساء جهلاً بزعمهم لعجمانهم شطر وللخالدي شطر

وكان لهم شدة بأس وعصبية يفنى بعضهم في سبيل بعض إذا سئل الواحد منهم أتقبل الخير من الله بنفسك يجيب قائلاً: لا أقبل خيراً لا يكون للعجمان كافة.

ولقد جائهم ابن سعود بالخير العميم فرفضوه مراراً بل امتشقوا الحسام عليه والتاريخ شاهد عليهم كما في جراب والإحساء، وسنذكر قصة فيما بعد ذلك في قتل ضيدان وما جرى منهم من إلقائهم أنفسهم إلى التهلكة في طلب ثأره.

ولما أن انتهت واقعة جراب عاد ابن سعود إلى القصيم، وعاد ابن رشيد إلى جبل شمر فأدب كل واحد من الأميرين بادية الآخر، ووفق كل واحد بمقصوده، ولكن ابن سعود لم يقتنع بما نال من البادية بل ذهب يطلب خصمه الذي قد رحل

برجاله إلى العراق، ثم عاد منه فلما كان ابن سعود بشقراء جاءه رسول من ابن رشيد يطلب الصلح والسلام فجددت المعاهدة السابقة.

ولما أن كان في ذلك اعتدى العجمان على عشائر ابن صباح فنهبوا مواشيهم، فكتب ابن صباح إلى عبدالعزيز يشكوهم ويطلب منه تأديب المذنبين ورد المنهوبات، وكان مجيء الرسول إليه في شقراء أيضاً، فأرسل ابن سعود ابن عمه ناصر إلى الشيخ مبارك بكتاب يقول فيه: لست يا مبارك بصديق صدوق قد نالني من العجمان أكثر مما نالك فصبرت وتحملت، ونحن الآن في وقت القیظ ولا نتمكن من شدته أن نسیر بجيش إلى ديرة العجمان، والأمر الثاني هو أنني في ريب من صلح ابن رشيد فأخشى نكث العهد إذا أنا غادرت نجد ودخلت في حرب العجمان، والأمر الثالث نفقات هذه الحروب وقد تكاثرت علي فضاقت في سبيلها الأسباب، والأمر الرابع يا حضرة الوالد هو أنني أخشى أن يلجأ العجمان بعد الحرب إليك فتقلب علي كما فعلت يوم سعدون والظفير، ومن رأيي في حال العجمان أن تؤجل المسألة إلى فصل الصيف، فكتب مبارك إلى ولده عبدالعزيز إن الأمر لا يؤجل ولا بد استرجاع المنهوبات فأجابه عبدالعزيز قائلاً:

إن العجمان لا يرجعون ما ينهبون إلا مكرهين بحرب وعنف لأن مباركاً مسلفهم الإساءة، فإذا عزمتم على محاربتهم تعطيني عهد الله وميثاقه أن تعينني بالمال والرجال وأن لا تسلك في سياستك معهم مسلماً غير مسلكي، ولا تستقبلهم إذا لجأوا إليك ولا تتوسط بالصلح بيني وبينهم، ولما أن عاهده مبارك على ذلك بعهد الله وميثاقه مشى عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى الحساء بفرقة صغيرة من الحضر والبدو في صيف هذا العام بشدة الحر القاطظ، أضف إلى ذلك أنها على أثر واقعة جراب، فعلم العجمان بقدمه فرحلوا اتجاه قطر، فعندها حشد عبدالعزيز بن عبدالرحمن جيشاً من أهل الحساء وزحف جنوباً متفقيماً أثرهم، وقد كان لشدة الحر لا يستطيع المشي نهراً فكيف بالقتال، ولم يكن لديهم رواحل لضعف الحال فأسروا ماشين حتى وصلوا موضعاً يسمى كنزان، وكان العدو معسكراً فيه، أولئك العجمان فلا يستهان بشرهم.

ولما أن وصل ابن سعود بجنوده إلى ذلك الموضع كانت النخيل تبدوا في الليل كأيّيات من الشعر فشرعوا يطلقون الرصاص عليها ظناً منهم أنها العجمان، غير أن العجمان أخلدوا ورائها حتى أفرغ أهل الحساء ذخيرتهم على الأشجار، فخرجوا من مكائهمم والتقوا بابن سعود وذويه فهاجمهم من ورائهم، فتلاحم الفريقان واستمروا طيلة ذلك الليل الشديد الظلمة، فاختلف الحابل بالنابل، بل ظل أهل الإحساء يفتك بعضهم ببعض من شدة الظلمة فجرح صاحب الجلالة عبدالعزيز، وقتل أخوه سعد بن عبدالرحمن رحمة الله تعالى عليه، وكان عمره حين قتل في السابعة عشرة، فدارت الدوائر على رجال ابن سعود وعادوا منهزمين إلى الحساء، وتقفاهم العجمان حتى نزلوا قرب الهفوف فحاصروها ثلاثة أشهر.

ولما رأى ابن سعود تفاقم الأمر بعث إلى والده ليستنفر أهل نجد، وبعث إلى الشيخ مبارك يستنجده أيضاً، فسارع أهل نجد تحت قيادة أخي الملك محمد بن عبدالرحمن، وقد انضم إليه سعود بن عبدالعزيز العرافة وكان قد فرّ قبل ذلك من الخرج إلى ابن رشيد وحارب معه في واقعة جراب، غير أنه لما رأى هذه المرة ابن عمه الملك عبدالعزيز في تلك المحنة أخذته الحمية وعاد إليه تائباً ومناصرّاً وما أحسنها من حالة نسأل الله أن يلم شمل المسلمين ويعطف قلوب بعضهم على بعض، وما فازت أمة إلا بالتعااض والتناصر والمساعدة كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وما حدث الفشل والضعف إلا عن نتيجة التفرق والنزاع والتخاذل.

ولما أن علم العدو الألد ابن رشيد تحفز للوثوب ملقياً بالعهود والصلح عرض الحائط ونكث العهد يريد احتلال بريدة، فزحف إليها ما دام ابن سعود منشغلاً بورطة العجمان، ولما أن زحف يريد بريدة، لم يعجب الشريف حسيناً عمل ابن رشيد هذه المرة، ذلك بأنه يريد الانضمام إلى الإنكليز، وابن رشيد كان حليف الأتراك فأرسل ابنه عبدالله لمضادة ابن رشيد، ولما علم ابن رشيد بزحف عبدالله بن الحسين ليصده رجع من أثناء الطريق مدحوراً، وعاد عبدالله بن الشريف إلى الحجاز مطمئن البال، ولما لم يأت من قبل مبارك بن صباح مدد بعث إليه ابن سعود ثانياً يذكره العهد وما بينهما من المساعدة فجاءت منه نجدة صغيرة مجهزة تحت قيادة

ابنه سالم واثنين آخرين من أولاده، وكانت هذه القوة صغيرة لا تتجاوز مائة وخمسين رجلاً من الحضر ومائتين من البدو، ثم إنها قدمت الإحساء وانضموا إلى جيش ابن سعود، ثم إنه امتد حصار العجمان للهفوف ثلاثة أشهر مدة الصيف، والحقيقة أنهم نزلوا أماكن تكثر فيها الثمار وتتفجر الأنهار فلا يستطيع المهاجمون الوصول إليهم، فلما كان في آخر ذي القعدة رحلوا منها فتبعهم عبدالعزيز وأمر أخاه محمد وسالم بن صباح وجنودهما أن يبقوا في مراكزهم وزحفوا ليلاً بفرقة من رجاله ومعهم بضعة مدافع، ومشوا على الأقدام لأن أكثر الإبل كانت قد أرسلها إلى نجد لقلة المرعى في الحساء، فأدركوا العجمان في وقت الصباح فنصبوا عليهم المدافع، ثم هموا بالهجوم، ولكن سارع أولئك العربان إلى ركائبهم ففروا عليها هاربين إلى جهة الكويت فلم يتمكم السعوديون من اللحاق بهم لقلة الركائب، ثم إنه عاد عبدالعزيز إلى مقره وأمر أخاه وسالماً حليفه بمطاردة العجمان، فجمع الاثنان رجالهما ومشوا كلهم طائعين متآلفين، ولكنه ما كان إلا قليل حتى تفرقوا، فلما أن أدركوا العجمان ظهرت خيانة آل صباح بأن هجروا حليفهم ابن سعود واتفقوا مع أولئك العشائر العاصية، وكان الباعث لذلك أن سالماً لما اشتبك بالقتال مع العجمان نصرة لابن سعود، وظهرت الفرصة للظافر انقلب سالم فجأةً فصالح العجمان وأعلن حمايتهم لكتاب جائه من قبل أبيه مبارك يؤتیه فيه ويقول: أرسلتك مراقباً لا مقاتلاً.

ولما أن ظهرت تلك الخيانة من ابن صباح أرسل محمد بن عبدالرحمن إلى أخيه الملك يخبره أعمال ابن صباح ويستأذنه بالهجوم على العدوين ابن صباح والعجمان، فأجابه الملك بقوله: لا تفعل، كيف نكون حلفاء في أول النهار وأعداء في آخره، والناس لا يعرفون حقيقة الحال، ثم كتب عبدالعزيز إلى الشيخ مبارك يشكو إليه خيانة سالم ويقول: لم أقدم على تأديبه إكراماً لك، فأجابه الشيخ مبارك في كتاب يقول فيه بأن بينه وبين العجمان صداقة قديمة، وما طلبت منك أن تحاربهم بل أن تسترجع منهوباتي منهم، ما طلبت منك أن تطردهم من ديارهم، فلما قدم كتاب مبارك على الملك عبدالعزيز وقراه جعل يحتدم غيظاً وهتف يردد

هذه الكلمة التي يأخذها من فاتحة الكتاب إذا هو أعلن الحرب: «إياك نعبد وإياك نستعين»، صبرنا على مبارك صبراً جميلاً وأمثلنا منه شيئاً كثيراً وفادينا من أجله بالمال والرجال وما نحن بصابرين إلى الأبد «إياك نعبد وإياك نستعين» وختمت هذه السنة بتلك التقلبات فאלله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٣٤هـ

استهلّت هذه السنة والكتب تتبادل بين الإنكليز وبين الشريف حسين، وكانت المفاوضات في هذه السنة مستمرة بين عدن وجيزان وبين القاهرة ومكة وبين أبي شهر والرياض، وذلك من جهة الحكومة البريطانية تستجلب أمراء العرب ليدخلوهم في تلك الحرب الضروس في صف الأحلاف، وفعلأً بادر أمراء العرب إلى ذلك، وقد انضم الإدريسي إلى الحلفاء وحمل على الترك حملات منكّرة ثم لبى ابن سعود ذلك الطلب وعقد وإياهم معاهدة بعد ستة أشهر، كما أن الشريف يفاوض عميد بريطانيا العظمى في القاهرة، والغرض في إدخال العرب في سلك الأحلاف والوقوف بصفهم هو محاربة الأتراك وصدّهم عن تأليف كتلة عربية يقفون بها في وجه بريطانيا العظمى هناك فيقطعون عليها طريق الهند.

ولما كان في ٨ صفر من هذه السنة جاء كتاب من نائب ملك مصر إلى الشريف قال فيه: من نائب ملك الإنكليز إلى الشريف حسين أمير مكة إلى صاحب الإصاّبة والرفعة وشرف، المحترم سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر، والنسب الفاضل، دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبلّة الإسلام والمسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء، ثم إنه صرح بالمبالغة بالمديح والثناء وخدع والله صاحبه بذلك، ثم إنه تكلم بخصوص الحدود وأفصح عن نصح الإنكليز للعرب، ثم قال بعد تلك العبارات العذبة، وإن حكومة بريطانيا مستعدة لتنفيذ تطلّباته هذا وعربوناً على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة، فإنني مرسل مع رسولكم الأمير مبلغ عشرين ألف جنيه، وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية

وخالص التسليمات الودية مع مراسم الإجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمحبة الصادقة، لمقام دولتكم السامي ولأفراد أسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام ثم أنه أمضى وذكر اسمه فرد عليه الشريف بكتاب، ووعده بالقيام بجمع كلمة العرب على قتال الأتراك طالباً بعض الأسلحة والذخائر والأقوات فأجابه مكماهون بكتاب في جمادى الأولى بلغ في التعطف واللين غايةً بديعة قال: إلى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر، قبلة الإسلام والمسلمين، معدن الشرف وطيب المجد سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف بن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي أمير مكة المعظمة زاده الله رفعةً وعلاءً آمين، ثم بعد إني أعرب عن كامل الولاء والمحبة والاحتشام وتقدير خالص التحية والسلام تكلم بكلام عظيم في الإطراء وقال: وقد سرنى أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم، وإن كل شيء رغبتم الإسراع فيه وفي إرساله فهو مرسل مع رسولكم حامله هذا والأشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في «بور سودان» تحت أمركم لحين الحركة، ثم أطال في ذكر أن جميع مطلوباته ستدفع إليه على مأموريته، وحثه على الأتراك حثاً مزعجاً بانتهاء الفرصة في مصادمتهم وأنه بلغ دولته أنهم إلى أن قال: وقد بلغنا أن ابن رشيد قد باع للأتراك عدداً عظيماً من الجمال، وقد أرسلت إلى دمشق والشام ونؤمل أن تستعملوا كل مالكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك وإذا هو صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حالاً، ولا شك أن في ذلك مصالح لمصلحتنا المتبادلة، وقد يسرنى إن أبلغ دولتكم أن العربان الذين ضلوا السبيل تحت قادة السيد أحمد السنوسي وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الألمان والأتراك فقد ابتدأوا يعرفون خطأهم وهم يأتون إلينا وحدانا وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد إلينا، والحمد لله قد هزمت القوات التي جمعها هؤلاء الدسائسين الخ.

ثم إنه ختم الكتاب بكمال الاحترام والدعاء وإخلاص المودة التي لا يزعزعها

كر العصور والأيام وأمضى عليه كتبه المخلص نائب جلالة الملك «السير آرثر مكماهون».

فهذا تمام أربعة كتب، وقد ألفت الطائفة الإنكليزية في صباح أحد تلك الأيام على أهل جدة منشورات تحث الأهالي على الثورة والانتفاض على الأتراك وقالت فيها أن الحامل على ذلك العداء للأتراك هو حب العرب والشفقة عليهم من أن يكونوا ألعوبة في يد دولة أجنبية بل يريدون للعرب تمام المصلحة لما عندهم لهم من الرأفة والحنان وسيصيرون بحول الله وقوته أمة مجتمعة بكل معاني الاستقلال، ألا فاعلموا أن الديانة الإسلامية قد احترمتها الإنكليز وأنهم ما فتئوا لمساعدة سلطان تركيا حتى أنكر كل جميل صنعوه به إلى أن قالوا وإن أقرب برهان على ما ذكرنا هو رغبتنا في مساعدة سكان الأراضي الحجازية بمقادير من الحبوب ولكن ضباط الألمان والأتراك صادروا هذه المقادير حال وصولها جدة؛ وألجئونا إلى عدم متابعة إرسال الحبوب لأعدائنا كذا ليسدوا ما بهم من ألم المسغبة في حين أن الفقراء خفاف البطون يتضورون من ألم الجوع وبالرغم من كل هذه الصعوبات فإن الحكومة الإنكليزية بعدما سمعت بما يتكبده الحجاج وسكان بلاد العرب الأبرياء من آلام الجوع لندرة المأكولات قد حركتها عوامل الشفقة والصدقة السرمدية نحو العرب أجمع فقررت التصريح بجلب المأكولات إلى جدة عن طريق البحر فليتأكد العرب أنفسهم أن هذه المؤن الغذائية هي قوت لهم ولعائلاتهم وليجتهدوا في منع مصادرتها من هؤلاء الذين يعملون على نقض القواعد المتبعة إبان الحروب ويخطفون لقمة الجائع من فمه أهـ.

ولكن ينبغي للعاقل أن يعرف أن بريطانيا فعلت ذلك لأمر ما، والدليل عليه تناقضها بعدما وضعت الحرب أوزارها، وكانت مفاوضة الإنكليز للشريف بعدما فاوضت ابن سعود بشهر، أما ابن سعود فإنه قد نهض في محرم من هذه السنة وزحف مسارعاً يريد مهاجمة العجمان وابن صباح على السواء ذلك ابن صباح الذي ظهرت خيانتة وتحريشه بين ابن سعود والعشائر، فلما أن وصل إلى نخيم أخيه

محمد ومعسكره أتاه نعي مبارك بن صباح فوقف مدهوشاً يقول إنا لله وإنا إليه راجعون مات الشيخ مبارك.

وهذه ترجمته:

هو شيخ الكويت وأميرها مبارك بن صباح آل صباح وهو السابع من آل صباح الذين تولوا حكم الكويت؛ وآل صباح من ربيعة وكانت الكويت عبارة عن بيوت صغيرة حقيرة لبني خالد فقدمها جدهم الأعلى صباح وعمل على إصلاحها فنمت وعظم أمرها ولا تزال حتى الآن في ازدياد.

ولما كان في سنة ١٣١٣هـ تولى المترجم إمارة الكويت بعدما قتل أخويه محمداً وجراحاً نسأل الله العافية طمعاً في الإمارة وحباً للمجد فقام عليه خال أبناء المقتولين يوسف بن عبدالله وجازف في حياته وأرخص الأموال وبذلها في سبيل محق مبارك فلم يفلح ولحسن حظ مبارك هلك يوسف هذا ولم يشف غيظه.

كان الأمير مبارك رجلاً سياسياً مخادعاً مكاراً ذا دهاء لقب بالخواقة من قولهم حاق أذلف ودار، ونصف عمله سرّاً لا يدركه سواه ونصفه خدعة باهرة أو خدعة مضحكة أو خدعة كثيفة مدهمة لآعب العشائر وغالبها، وما كان دائماً من الفائزين وذلك لكثرة التقلب منه فكان يجزل العطاء للعشائر وتأخذ ماله وهداياه على غير مصلحة، وكان حاد المزاج شديد البأس فيه صفات من الأسد وأشياء من الحرباء، بدوي الطبع حضري الذوق تارة يحبه الخصم، وتارة يجامله وكان كريماً جواداً بل كان مسرفاً يسترسل إلى الترف والبذخ يطلب المجد مقدماً في ذلك نواعم العيش ونوافله على كل شيء شيد قصوراً في الكويت وهدم قصوراً في السياسة خطب ود الدولة العثمانية ولا مهر عنده سوى الحب والإخلاص، نقسم بالله العلي العظيم أننا مخلصون للدولة ونفديها بدمنا، ففتحت له قلبها ثم انقلبت عليه، وغازل الدولة البريطانية فبادرت إليه ولهانة ويدها على قلبها الذي ما كان لينجذب مع مخادع ثم بنت ملكها في بلاده، وأحب آل سعود فطوقهم بذراعيه يقول أنتم أعز من أولادي ثم ضرب بهم عدوه ابن رشيد، وأحب العجمان ثم حاربهم فلما لم

يفقد فيهم حربه ولا صلحه جعل يشعل النار بينهم وبين ابن سعود، وكان صديقاً لخزعل وأحبه حباً شديداً صافياً فبنى له قصراً في الكويت وبنى خزعل لمبارك قصراً في الحمرة إلى غير ذلك لكن إذا تأملنا سياسته وتقلباته العجيبة بعد إمعان النظر في سيرته وجدناه من دهاة العرب وحكامهم الذين يصلحون الدنيا بإفساد الدين ولا يتقيدون بشرع رب العالمين. وهذه صفته:

كان طويل القامة أسمر اللون أدعج العينين ماکراً قوي الذاكرة قليل النسيان وكان مع ذلك قليل الإناءة كثير اللهو صلب الإرادة ولا يرده راد إذا ما عزم على أمر، طموحاً طامعاً ويحلم بالسيادة على البلدان المجاورة له.

ولما استجمع الباب العالي على جعله عضواً في مجلس الشورى لدى الدولة العثمانية وضايقته في بلاده التجأ إلى الإنكليز فكان الكويت لهم غنيمة باردة وما أحسن مثلاً له بالثعلب في مكره وروغانه، وكان في آخر أمره يتظاهر بالفاحشة حتى في رمضان هكذا نقله المؤرخون عنه نسأل الله السلامة، ولما مات قام بالأمر بعده ابنه جابر بن مبارك، فعدل ابن سعود عن مهاجمة العجمان وبعث تعزية له بأبيه ونصيحة له أن لا ينهج على منوال أبيه في السياسة ثم رجع ابن سعود من جهة الكويت، ولما أن كان في أثناء الطريق التقى برسول من الممثل البريطاني في خليج فارس السير برسي كوكس أحد رجال الإنكليز يرجوه أن يوافيه إلى القطيف للمفاوضة في أمور هامة فتوجه عبدالعزيز إلى تلك الناحية واجتمع به هناك.

ذكر اتفاق ابن سعود مع الإنكليز وعقده معهم

لما هلك شكسبير لم يسأم الإنكليز من ابن سعود فقد جعلوا مكانه السير برسي كوكس يطلبه إلى الانضمام إلى الإنكليز ضد تركيا فاتفق بابن سعود في جزيرة دارين ولما اجتمع به كوكس سأل ابن سعود عما يستطيع أن يؤديه من المساعدة للأحلاف فأجابه ابن سعود إني أساعدهم بأمرين؛ أحاهدهم، أولاً أن لا يحيثهم ضرر مني ما دامت المعاهدة بيني وبينهم مرعية الجانب، وأعاهدهم ثانياً أن

لا أنضم إلى حلف عربي ضدهم، وإني أؤكد لكم أن العرب لا يجتمعون عليكم إذا لم أكن أنا معهم إني أحب أن يجتمع أمرنا على مساعدة الأحلاف؛ نعم وسأكتب إلى الشريف حسين بهذا الخصوص إذا أحببتم؛ ولكن ذلك الأمر لم يتم كما يأتي، فظل لذلك موقف ابن سعود موقفاً سلبياً ومن المسائل التي تستطلعها الدولة البريطانية مسألة الخلافة وكانت بريطانية تفاوض أمراء العرب بواسطة رجالها سرّاً وتكتم كل واحد ما أبرمته مع الآخر لأنه كان يبيئها أحد الأمراء مدعياً أنه سيد العرب أجمعين وأنهم أطوع له من بنانه فيسبرون غوره ويتحققون صدق كلامه أو كذبه ولكنهم يوالونه على شيء من القوة ثم يبيئهم الآخر ودعواه أكبر من دعوى من تقدمه وكذلك الآخرون وقد فعلت مع الشريف فعلة لا تليق فوهبته البلاد العربية كلها ما عدا عدن والبصرة وأعطته ما لا تملكه، وقد اعترفت لابن سعود والإدريسي بسيادة كل منهما في بلاده وبسيادة من يتولى الحكم بعدهما من بيتهما ثم ضمنت حدود البلدين وتعهدت بالدفاع عنهما إذا اعتدي عليهما، ثم بعد ذلك كله أدخلت البلدين عسير وبلاد نجد في دولة عربية يرأسها الملك الشريف فخدعت الجميع.

وكان ابن سعود أثناء الحرب من المخدوعين ولكنه كان حكيماً لا يطمح إلى غير ما يستطيع تحقيقه، فهذا صارت بلاد العرب كلها ضد الترك ما عدا ابن رشيد الذي ما زال مخلصاً لهم وهم مخلصون له يعطونه كل ما يريد من السلاح والعتاد والمال.

ولما خشيت إنكلترا من ابن رشيد أن يعرقل سير أعمالها فاوضوا ابن سعود وأمدوه بالمال والسلاح وكان هم الدولة البريطانية يومئذ إخراج الترك من العراق وسوريا بل من البلاد العربية وتؤمن لبواخرها وجنودها الخليج والبحر الأحمر فاتخذت لهذا الغرض طرائق شتى منها: محالفة أمراء العرب كما قدمنا ونذكر اتفاقهم مع ابن سعود.

معاهدة العقير سنة ١٣٣٤هـ

فنقول: لما فتح ابن سعود الإحساء وانتصر على الأتراك أخذ يفكر

فيما يبيتون له من الكيد وما سينصبونه له من الأشرار لعلمه أن الدولة لا تدعه وشأنه، ولحسن حظه اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى وانشغلت الدولة عنه، ولكنه ماذا يصنع لما سمع بانتصاراتها الباهرة وهي متى ما خرجت من الحرب فلا بد أن تحمل عليه حملة قوية للتنكيل به واسترجاع البلاد منه، لا سيما وهي لا يزال لها الحجاز قوة لا يستهان بها، أضف إلى ذلك أن بريطانيا العظمى تفاوض الشريف وقد اعترفت له بالزعامة على بلاد العرب وتمنيه ببسط حمايته على نجد بمقتضى خطابات مكماهون للشريف فإن سلم ابن سعود من الأتراك فإنه لا يسلم في الغالب من نفوذ بريطانيا فبينما هو يفكر في الموضوع إذا ببريطانيا تطرق أبوابه لوضع اتفاقية معه تأمن بها شره وتخطب بها وده ويأمن بها في ملكه، فيا لهذا الفرج الذي من به الله عليه.

ولما كلمه السير برسي كوكس انتهز الفرصة ليأمن على حكومته فقال له المندوب أن بريطانيا العظمى قد انتدبتني إليك لأعقد معك أيها الأمير معاهدة صداقة تحقق لك كلما تصبو إليه وتمنع عنا ما نخشاه من ضرر قد يتأتى منك فماذا تريد فلم يكذ يسمع هذا من مندوب بريطانيا حتى تلاً وأجابه بصراحة العربي وطية قلبه أن نجداً والإحساء والقطيف والجبيل وملحقاتها والمرافئ التابعة لها على سواحل خليج العجم كل هذه المقاطعات تابعة لي ولآبائي من قبلي وأنا الحاكم المطلق على جميع القبائل الموجودة فيها، وكلما أريده هو أن أحتفظ باستقلالي ولا يعارضني أحد في الحكم والسلطان، وإذا حاول أحد الاعتداء علي فأريد منكم أن تعينوني عليه ولا أريد منكم غير هذا، وأنتم ماذا تريدون، فأجابه السر برسي كوكس بلغة السياسي العظيم ودهائه: نحن على استعداد لأن نجيبك إلى طلبك هذا ولا نريد منك إلا ما فيه رعاية مصالحك وتقديم كل ما يمكن من الخدمات إليك: ثم عقدت الاتفاقية في سبع مواد وهذا نص بعضها:
رابعاً: يتعهد ابن سعود بأن لا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر الأقطار المذكورة ولا قسماً منها ولا يتنازل عنها بطريقة ما.

ولا يمنح امتيازاً لدولة أجنبية أو لرعايا دولة أجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية وبأن يتبع مشورتها دائماً بدون استثناء على شرط أن لا يكون ذلك محققاً بمصلحه.

خامساً: يتعهد ابن سعود بحرية المرور في أقطاره على السبل المؤدية إلى المواطن المباركة وأن يحمي الحجاج في مسيرهم إلى المواطن المباركة ورجوعهم منها.

سادساً: يتعهد ابن سعود كما تعهد آبؤه من قبل أن يتحاشى الاعتداء على أقطار الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان التي هي تحت حماية الحكومة البريطانية، ولها صلات عهديه مع الحكومة المذكورة، وأن لا يتدخل في شؤونها وتخوم الأقطار الخاصة بهؤلاء ستعين فيما بعد.

وجرى توقيعها في ١٨ صفر من هذه السنة الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩١٥م، ولا ريب أن هذه الاتفاقية جائزة لأنها جعلت بريطانيا كأنها ولي الأمر على ابن سعود وقد انتقدها الكتاب فقال عنها الضليع فؤاد حمزة لما أشرف عليها أنها معاهدة جائزة.

وقال عنها الماهر الذكي حافظ وهبة المشهور بحرية الفكر ورجاحة العقل واستقلال الرأي ما نصه: تجلّى قصر نظر مستشاري ابن سعود بما يجري في العالم والاستفادة من الفرص ولكن يقال عنها أن الظروف والأحوال ذلك الوقت دعت إلى توقيعها.

ولما خلى ابن سعود وصحبه الذين فيهم الشرف والدين والقوة غير أنهم لا يعرفون لغة السياسة وأساليب الاستعمار ولا يصدقون بالظفر لغير الصارم البتار واستشارهم كعادته أجابوه بأننا في حال ضعف وخصمنا قوي جبار فتراها تنفعنا بإذن الله ولا تضرنا إذا كنا في حالة منعة وقوة ويمكن تعديلها فيما بعد فالعبرة في القوة في كل وقت وحال، فقم وتوكل على الله ووقعها، كما أنه أدرك بأنه لا يبيع ولا يتخلى ولا يرهن ومن نيته حسن الجوار وتسهيل طرق الحجاج فما أحسن نتائج هذه الآراء والأفكار ولنا أسوة في صلح الحديبية، أضف إلى ذلك أنها لغت

بعد سبع سنوات وعدلت فيما بعد ذلك لما فتح الله له الحجاز واعترفت له بريطانيا بالاستقلال التام يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ثم أنه عاد ابن سعود بعد عقدها إلى الرياض فبعث رسولاً إلى الحسين بن علي الشريف وهذا الرسول هو صالح العذل ليخبره بما جرى بينه وبين الإنكليز ويسأله المؤازرة في مساعدة الأحلاف فعندما علم الشريف بعقد المعاهدة خشي أن يتقدمه ابن سعود في الزعامة والنفوذ لدى الأحلاف إلى قبول البنود الخمسة، وتم الاتفاق سرّاً بينه وبين المعتمد البريطاني فكتب الدولة اتفاقه مع الإنكليز، وكتب ابن سعود ذلك وأعطى الشريف رسول ابن سعود جواباً نصفه شكر والنصف الآخر إيهام في ثوب المجاملة وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى اشتعلت نار الثورة، ولما خاض السر برسي كوكس في الخلافة وانتقلها إلى العرب اتخذت المجاملة سبيلاً إلى غرضه فعرضها على ابن سعود قائلاً إن حكومة جلالة الملك تستحسن ذلك وتساعد في تحقيقه، وكان عبدالعزيز بن عبدالرحمن حكيماً لم يخف عليه قصد المعتمد أجاب قائلاً: لا ذوق لي بالخلافة، وإنني لا أرى من هو أجدر بها من الشريف حسين فاطمأن بال الوكيل وتلقفها حسين بن علي الشريف.

ذكر الخلافة وعقد الحسين مع بريطانيا

قد قدمنا اتفاق الشريف مع بريطانيا وكان عظيماً في الأرض ملكاً في مكة خليفة في عمان أسيراً في قبرص؛ ولقد رفعته الإنكليز رفعة بلغ بها الثريا ثم بعد ذلك وضعته حتى كان في قعر الخضيض.

ولما أن تلقف الخلافة وأبرم اتفاقيته مع الإنكليز خدع الأتراك وجر أسباباً إلى إبعاد الوالي التركي الماهر وهيب باشا الذي كان في نحره بأن دبر الحسين في إبعاده مع فرقة المتطوعين إلى المدينة وخلفه غالب باشا، كان نجل الحسين علي بن الحسين في المدينة المنورة قبل الثورة يمهّد لها بالتدخل في الشؤون الإدارية والأعمال التي لا علاقة له بها ويضايق بذلك بصري باشا الذي هو حاكمها فاشتكا بصري على

جمال باشا وطلب منه أن يكف عنه الأمير علياً من التدخل في هذه الأمور ففعل جمال باشا ذلك بواسطة والده وأخيه فيصل حين كان فيصل عنده في سوريا. ولما أراد الحسين أن ينفذ خطته في الثورة أرسل لابنه فيصل يخبره بما سيحصل ورسم الخطة للانسحاب من سوريا، فاستأذن الأمير فيصل جمالاً بالخروج من سوريا والذهاب إلى المدينة فأذن للمتطوعين الذين معه ثم أذن له بعد ما قرأ كتاب الشريف وأنه أمرهم بالتجنيد وسيشارك العرب مع عسكر الدولة وحليفها الألمانية في الزحف على ترعة السويس إذا أسرع في إرسال الأمير فيصل إلى الحجاز فجاء ومعه عشرة آلاف ليرة وأربعة آلاف بندقية ليقاتلوا بها ويتقوا على قتال الإنكليز. ولما أن وصل فيصل إلى المدينة اجتمع بأخيه علي واتفقا على مغادرة المدينة ففعلاً، خرجا منها ليضمنوا حولهم القبائل وليستعدوا لحصارها وكان جمال باشا قد لاحظ أن بؤادر النهضة قرب وقتها فأرسل فخري باشا إلى المدينة ليكون قائداً عسكرياً ويبقي بصري باشا حاكماً إدارياً فقط وعندما وصل فخري باشا إلى المدينة أرسل الأمير علي إليه كتاباً قال فيه: بناء على الأوامر الصادرة من أبي سيقف نقل المتطوعين إلى فلسطين.

ولهذا عقدت النية على العودة بالمجاهدين إلى مكة بدلاً من ضياع الوقت هنا وإنني آسف لاضطراري إلى الرحيل بدون أن أودعك فالمرجو قبول عذري، وفي الحال تحول بمن معه من مكانهم إلى جهة غير معلومة لفخري باشا، فلما أن وصل الكتاب لفخري باشا أسرع إلى مكان نزول الشريف علي وأخيه ومن معهم فلم يجد أحداً واتضح له حينئذ ما يحول بنفس الحسين وأولاده من الثورة وأنها أصبحت قاب قوسين أو أدنى فأخذ لذلك عدته واحتاط للأمر جيداً، وحصن المدينة بأقصى ما استطاع وجلب إليها من الأقوات والأرزاق ما أمكن.

أما الخليفة الهاشمي فقد بعث بعدما خرج نجلاء من المدينة بالمتطوعين إلى جمال باشا بكتاب خلاصته أنه يعتذر عن عدم استطاعته الاشتراك في الحملة على القناة إلى أن تجاب الطلبات التي طلبها في برقيته.

ذكر إعلان الثورة

لما أراد الحسين الشريف الثورة على الأتراك زار بعد صلاة الجمعة الدور الرسمية ولاطفهم وحثهم على المواظبة في أعمالهم، وأظهر لهم مودته للحكومة العثمانية حتى إذا سمعوا أنه يريد الثورة لا يصدقون، فلما كان فجر السبت الموافق ٩ شعبان سنة ١٣٣٤هـ في الساعة التاسعة تزيد اثنتي عشرة دقيقة أعلن الثورة بتنفيذ طلق ناري كان علامة لذلك، فقامت على أثره البدو وبعض الأهالي يطلقون النار من أربع جهات، فأخذ الأتراك التدابير وثبتوا في مراكزهم لكنه ما ظفر الشريف إذ ذاك لا في أسر ولا استيلاء، أما بلدة جدة فقد اتفق الإنكليز على ضربها ذلك اليوم، فضربت بوارج الإنكليز جدة وألقت قنابل مدافعها على الثكنة العسكرية ليلاً في الساعة الثالثة من ليلة ١٠ شعبان، واستمر الحصار لها من البر والبحر جاءها جند الشريف برأ بقيادة الشريف محسن بن منصور، وجاءها ضرب الإنكليز من البوارج البحرية.

وكان في جدة من جند الأتراك ما يقارب خمسمائة، وقد طال الحصار وما ظن أنها تلبث، زيادة عن يومين، فخابر الإنكليز في إرسال الطائرات فأرسلت له على ظهر إحدى البوارج، فطارت الطائرات وألقت مناشيرها وقنابل على مراكز الجيش تنصح وتحذر، فذعر أهالي جدة وضجت لما رأت المنشورات، فخابر الشريف أعيان البلاد وقال لهم: إن الأنكليز يريدون ضرب جده رأساً، وأنه ليس له دخل أو مسؤولية إذا لم يسلموا له، فذهب الأهالي إلى قواد الأتراك فيها وأخبروهم أنهم يخشون على الأهالي من الخطر والضرر الذي أحاط بهم فقبلوا ذلك وسلموا جده في ليلة ١٥ شعبان سنة ١٣٣٤هـ.

وإليك نصر المنشور بحروفه: قالت إنكلترا - وما ربك بظلام للعبيد.

إلى سعادة قائد القوات التركية وحضرات ضباطه الكرام بخط الدفاع بجدة

أعلمكم علم اليقين وأخبركم بالحقيقة التي لأمرء فيها أن مكة المكرمة والطائف أصبحتا في يدي دولة أمير مكة المعظم الشريف حسين بن علي وانتصاراته على الجيوش التركية متوالية فقد أصبحت أرض الحجاز خالية بالمرة من دوائر الحكومة الاتحادية مع إعلامكم بأن الحركة لم تكن إلا لتأسيس دولة خلافة عربية إسلامية وأن العرب لا يكرهون الترك من حيث هم لأنهم مسلمون مثلهم، وإنما يريدون التخلص من الحكومة الاتحادية الجائرة التي تلعب بها الألمان، والله على ما أقول شهيد، فبدلاً من وقوفكم في وجه العرب الذين لكثرة عددهم وعدتهم سيحرزون النصر المبين إن شاء الله بعد إزهاق الكثير من الأرواح وبدلاً من المقاومة التي لا نتيجة لها، أنصح لكم أن تسلموا بدلاً من أن تبيدوا عن آخركم ومهلتكم هي مجرد وصول هذا إليكم لأنكم بعد رفضكم لهذا النصح تصب عليكم القنابل من السفن الهوائية، ومن البحر والبر حيث استعد لكم العرب بالمدافع الجبلية السريعة ومدافع الميدان الحديثة والرشاشات السريعة، وعلى كل حال فإننا لا نعد ذلك جبناً منكم ولا إهانة لشرف رايتمكم ولكن الرجل المضطر يركب الصعب من الأمر وهو عالم بركوبه ويتجاوز الأدب وهو كاره لتجاوزه فلا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة وحسن رعايتكم بعد التسليم مضمونة والعاقبة للمتقين.

الإمضاء: الحكومة الإنكليزية

إن مكة والطائف وغيرها لم تسلم ولكن لدهاء الإنكليز ونمام سياستهم أقنعوا الأتراك بذلك.

ولما سلمت جده دخلها جيش الحسين بقيادة الشريف محسن وهاج وماج فيها ونهب كل ما يحمله الجندي العثماني من البسة خاصة، وسرق حقائب الأسرى، ثم بعد أيام قلائل هجم على دار أحد أعيان جده وهو أحمد الهزاز ونهب جميع ما لديه حتى كان البيت قاعاً صفصفاً، ويظهر أن ذلك بإيعاز من الحسين لعداء بينهما، وقد أصيب برصاصة في يده اليمنى قبل ذلك يذكرون أنها بإيعاز من المذكور.

أما مكة المشرفة فإنه مكث الضرب فيها ليلاً ونهاراً، ثم لما عجز الشريف عن

الاستيلاء على المواقع التركية صبر إلى أن سلمت جدة ثم طلب من الإنكليز إرسال جنود مصرية فأرسلت له ووصلت مكة فتوالي الضرب من الطرفين، وكان القصر الهاشمي مرمى قذائف الأتراك وقنابلهم، وكان الشريف لشجاعته ثابت الجنان في قصره لا يبالى، وقد أصيبت الكعبة المعظمة ببعض القذائف لوقوعها أمام موقع من المواقع الهاشمية، ثم سقطت آخر المواقع وهي ثكنة أجياد في ٩ رمضان صباحاً في الساعة الرابعة، ولما سقطت هجم البدو وبعض من الأهالي على القلعة وقتلوا طبعنها وكل من فيها، وذهبوا إلى محلات الأتراك العمومية والخصوصية فنهبوا ما فيها من أثاث وأموال وغيرها.

أما الطائف فكان فيه الأمير عبدالله بن الحسين مقيماً قبيل الحركة بأيام فجاءته التعاليم من أبيه أن يخرج ويقيم في جبالها، فخرج قبل الحركة بثلاثة أيام ثم زحف يوم الثورة إلى الطائف بجنود من البدو، ومن حضر لديه من والده من الجنود المصرية التي بعثها بريطانيا امثالاً لأمره، فحاصر عبدالله الطائف وضيق عليها.

وبما أن في الطائف عدداً من الجنود التركية والضباط ما ليس بهين، فقد امتد الحصار بين أقدام وأحجام حتى نفدت الأرزاق من يد الأتراك بعد دفاع أربعة أشهر من ابتداء الثورة إلى يوم الاثنين الموافق ٢٦ من ذي القعدة، فسلمت ثم أرسلت الجنود التركية مع والي الحجاز غالب باشا إلى جدة فركبوا على ظهر إحدى البواخر لنقلهم إلى معتقلتهم، ولما سلمت تلك المذكورات نزلت بجارة الإنكليز مطمئنة آمنة.

ذكر الحرب في المدينة والسواحل

لما قام الحسين بنهضته في جدة ومكة والطائف تقدم أبناء علي وفيصل لمهاجمة المدينة، فوجدوا فخري باشا قد استعد اللقاء استعداداً مهماً فوقعت بين الطرفين مواقع ارتد فيها جيش الشريف مرات عديدة، حتى أن الجيش التركي في بعض الوقعات طاردهم حتى أوصلهم إلى ينبع النخل، ولولا قنابل مدافع المدرعات الإنكليزية التي كانت راسية في هذا الميناء ومالها من شدة التدمير لقضى على الجيش الهاشمي، ثم إنه امتد الحرب والضرب بين الفريقين ثلاث

سنين، وسبب ذلك أن حامية المدينة بقيادة فخري باشا وما أدراك ما فخري باشا، إنه رجلٌ من رجال تركيا، قائد عظيم لا يستهان بحقه، وقد استطاع بما معه من الحامية أن يصابر جيش الشريف كل هذه الثلاث سنين بدون كلل ولا ملل، مع أن جيش الشريف كان به من الجنود المصرية والمغربية والضباط الإنكليز والفرنسيين وغيرهم عدد غير قليل، وكان مجهزاً بأقصى ما يمكن من مدافع الحصار ومعدات الحرب العتيقة، ومع أن جيش الشريف كان قد قطع سكة الحديد التي مدت منها إلى الشام حتى انقطع ورود الأرزاق والأقوات والسلاح والمدد عن المدينة بتاتاً، فإن فخري باشا حين رأى ذلك وأن الأرزاق قد انقطع موردها وأيقن بإصرار جيش الحسين بمساعدة الحلفاء على فتح المدينة والاستيلاء عليها مع ما حل بالأتراك في مكة وجدة والطائف، أصرَّ هو كل الإصرار على الدفاع إلى آخر لحظة من حياتهم، وناهيك به من شهيم همام غير أنه لا يستطيع أن يسد مجرى السيول في عباءته.

ولما رأى خطر المجاعة المهلكة محدقاً بالمدينة ومن فيها من جيش وأهالي أخذ يخفف وطأة المجاعة بترحيل الأهالي منها، وكان ذلك قبل أن يقطع الخط الحديدي فكان في كل يوم يقل القطار عدداً يذهبون إلى الشام مرةً ومرة يذهبون إلى العراق ومرةً إلى غير ذلك ولم يكن الجيش الهاشمي يتعرض لهم بل كان يترك القطار يذهب حيث يشاء إذا كان به من أهالي الحجاز الراحلين وقد ذهب بعضهم إلى مكة وغيرها من البلاد الحجازية حيث تشتت جميع أهل المدينة أي شتات، وكان هذا لا بد منه فراراً من المجاعة التي خيمت على المدينة أثر الحصار فإن الأزواد والأقوات كانت قد فرغت من بيوت الأهالي ومن الأسواق وكان يوزع عليهم فخري باشا كل يوم شيئاً قليلاً، وقد مات بعض أهل المدينة جوعاً ولولا ما استعمله فخري من هذا الترحيل لكانت المصيبة أطم وأعظم.

ومع شدة الحصار وتضييقه فإنه ما كان يمنع فخري باشا من تعمير ما كان يخرج من المنازل بضرب قتابل الجيش الهاشمي التي كانت تصب صباً على

المدينة بعد أن عقدت الهدنة بين الحلفاء بثلاثة أشهر، وبعد حرب دامت ثلاث سنين كتب فيها لفخري باشا صحيفة من الشجاعة والثبات لا تمحى مدى الأيام ولا تنسى إلى آخر الدهر.

أما السواحل الحجازية فقد سلم أغلبها أو كلها على أثر سقوط جدة بعضها سلماً والبعض الآخر بعد حرب بسيط، وبما هو جدير بالذكر أنه قد اشتركت الطائرات في حرب المدينة وأكثر السواحل وذلك أن تركيا بعثت طائرات قواها ألمان ونمساويون فقابلهم الشريف بمثلها استمد الحلفاء فأمدوه بطائرات يقودها ضباط إنكليز.

وقد تعدى الألمان والنمساويون والإنكليز حدود الحرم وخالف بذلك قواد الأتراك نصوص الشرع الإسلامي الذي يحظر على غير المسلم فعله وهو مجاوزة هذه الحدود وكانت تركيا هي السبب في ذلك.

وكانت المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قبل هذه الحرب العامة خير بلاد الحجاز، وأكثرها عناية والتفاتاً من الدولة العثمانية وملوكها وأفرادها فقد وصلت بالشام في سكة الحديد التي تقدم ذكرها، وكان لهذه السكة شأن كبير جداً في اتساع عمران المدينة المنورة بما سهلت من أسباب الرفاهية ورغد العيش لأهلها بما كان يجري معها من الأرزاق والخيرات، حتى كثر المهاجرون إليها فأصبح عدد سكانها كبيراً جداً، والذي ساعد على ذلك قابلية المدينة بجوها المعتدل وكثرة مياهها العذبة وغير ذلك مما كان يدعو الأتراك إلى العناية بها، وقد فكروا إذ ذاك في جعل كلية علمية إسلامية بها لشباب الحجاز وغيرهم على أساس فكرة لوحدة إسلامية، ولما أوفدت جمعية الاتحاد لذلك وفداً لارتياح المكان اللائق لبنائها جاء الوفد ووجد المكان وشرع في العمل وتأسيسها.

ولا ريب أنها لو كانت لانتفع بها الحجاز انتفاعاً عظيماً، وقد حالت الحرب دون تنفيذ هذه الخطة، فتبين بهذا أن مركز المدينة المادي والأدبي كان يخالف بكثير جداً مراكز البلاد الحجازية الأخرى بل لم يكن هناك نسبة تقريباً فتبين بهذا السر في

طوال مدة الحرب بين الأتراك والأشراف إلى هذا المدى في شأن المدينة، وكان وقت تسليمها في اليوم الثامن من ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ.

ذكر الحرب في دمشق

لما خرج نجلا الحسين علي وفيصل من المدينة قبل الحرب ترك فيصل أخاه علياً لمحاصرة المدينة وذهب هو لينضم إلى جيش الحلفاء الذي كان يحارب في سوريا، فقام فيصل بجيش من العرب والمصريين والمغربيين وغيرهم، يطوق الجيش التركي من جهة شرق الأردن والحلفاء يشاغلونه من جهة قنال السويس وفلسطين، وهناك أبدى الجيش التركي بسالةً وشجاعةً في رد هذه الجيوش المتظافرة من أجناس شتى، وأحاطت به من جميع جهاته فضربهم الجيش التركي ضربات أوقفتهم عند حدهم مرات عديدة، وحملت الحلفاء خسائر فادحة، وأخيراً بعد حرب وكفاح دخل الشريف فيصل دمشق مع جيش الحلفاء وذلك بعد سنتين.

رجعنا إلى ذكر بن سعود وشأنه في هذه الحرب، فنقول: لما كان الشريف قد كتم أمره قبلها عن دوائر الحكومة الحجازية غير أن تلك المفاوضات السرية أو في الأقل مجيء الرسل من بورسودان ورواحهم أيقظ في دوائر الحكومة الحجازية عيون الريب والشبهة، فأدرك الوالي غالب باشا بعض ما كان يبطنه الشريف حسين وعقد النية على مفاوضة ابن سعود في الأمر ولكنه موه قصده بالطريقة التي اتخذها إليه، فقد أرسل رسوله وهدية إلى عبدالعزيز بواسطة الشريف الذي خانته، فبقي الهدية عنده وأذن للرسول بالسفر إلى نجد، وكان ذلك الرسول يحمل كتاباً من غالب باشا إلى ابن سعود ما نصه:

إنك تعلم بأعمال الشريف وأنا الآن أزيدك علماً أنه يفاوض الإنكليز وهو على وشك أن يخون الدولة ويفتح لأعدائها الحرمين، فإذا قدمت إلى الحجاز أسلمك الحرم وأساعدك بكل ما لدي من قوة - نعم إن هذه المفاوضة من غالب لابن سعود لحسنة من رجال تركيا، ولكنها ضعيفة السراية لضخامة أمر الحسين

إذ ذاك، فأرسل ابن سعود إلى غالب باشا هدية، وقال في جوابه إنه والحسين يداً واحدة ولكنها لم تصل الهدية إلى مكة إلا بعد الثورة، فاستلمها الحسين وأكل الهديتين، ونهض كما نهض بأنجاله على الترك طمعاً في الهدية الكبرى التي وعدته بها الإنكليز.

ولما أن ثار ثورته طفقت تتوارد إلى جدة من بور سودان الإمدادات الحربية والمالية، وجاء الذهب إليه بالصناديق ليستخدمه في تجنيد العرب واستمالة أمرائهم ورؤسائهم إلى النهضة، فأرسل إلى ابن سعود صرة في آخرها هذا العام وبعث في السنة التي بعدها إليه أيضاً بثلاث صرر مقدار الواحدة خمسة آلاف ليرة، ولكنه لم يكتب كلمة بخصوصها، كان يجيء الرسول بهذا المال فيقول: من جلالة الملك ليس إلا، وكان ابن سعود بعد ما عقد معاهدة دارين بواسطة السر «برسي كوكس» المتقدم ذكرها، واستمرت سبع سنين إلى بداية ١٣٤٢هـ اشترط في مفاوضاته مع كوكس أن يتكلم الشريف باسم العرب ويدعي أنه ملك العرب، فقبل وتوسط كوكس بين ابن سعود وبين ابن صباح في مسألة العجمان، فقبل ابن سعود أن يوقف حركاته الحربية على شرط أن يطرد صاحب الكويت العجمان من بلاده، فعمل جابر ابن صباح بنصيحة السر رسي وأجاب طلب ابن سعود.

أما العرائف الذين أغراهم الأعداء بنسيبهم الأكبر جلالة الملك ابن سعود فإنهم لما أدركوا أن أخوالهم العجمان لم يناصروهم إلا لحظ أنفسهم.

وأيضاً أدركوا حقيقة ابن رشيد والشريف أنهما أكبر عليهم عداوة، عندما تحققوا الثقة بنسيبهم بعدما بعث إليهم الكتب اللاهجة بالتودد وكمال الحنان والشفقة عليهم، وعادوا إليه تائبين وأصبحوا مشمولين بعنايته وحسن عطفه مقيمين في الرياض بسبعة أبيات بخير.

أما ما كان من أمر الحسين بن علي فإنه كما قيل عنه إذا أمعنا النظر في سيرته وما لديه من الدهاء وأساليب السياسة، نتأكد أنه اتخذ الدين والعاطفة الدينية في العرب سبيلاً إلى تحقيق مقاصده، فقد نشر منشوراً طويلاً ذكر فيه سبب الثورة، ثم

إنه دعا فيه لسلطين آل عثمان، وأنه لم يأل جهداً في مناصرتهم إلى أن نشأت في الدولة جمعية الاتحاد وما جرى منهم من خوضهم في غمرات الحروب الحاضرة وتفريق سكان ممالكها وتمزيقهم، فريقاً بالصلب وأنواع بالإعدام والآخر بإجلائه عن وطنه، علاوة على ما أصيب به في أموالهم وأنفسهم واضطروا العموم إلى بيع أبواب دورهم ودواليبهم وأخشاب سقفيها، وآخر ذلك مصادمتهم لنص الكتاب من جعل نصيب الأنثى مثل نصيب الذكر في الأثر، وهدم أركان الإسلام وهي إباحة الفطر للجند في المدينة ومكة والشام، وما حصل من خلعه السلطان المعظم، حتى أصبحت الدولة في يد «أنور باشا» و«جمال باشا» و«طلعت باشا» يحكمون بها ما يشاءون ويفعلون بها ما يريدون، ثم أطال بذكر تعديد مساوئها ومناقضتهم لسورة البقرة في أمر الشهود، وصلبهم في آن واحد لإحدى عشرين رجلاً من عظماء المسلمين وكبراء نوابغ العرب، عدى من صلبوه من قبل، فلو كان هؤلاء المصلوبون من بهائم الأنعام لعدمنا فيا للرحمة، وإنهم نفوا العوائل وفيها الشيوخ والأطفال وربات الخدور ما تنفطر له القلوب وتزهق الأنفس حسيرات، وشنع عليهم برميهم للبيت العتيق الذي أضافته العزة الأحدية لذاتها السبحانية، وأصابوه بقنبلتين من قنابل مدافعهم وقعت إحداها فوق الحجر الأسود والثانية تبعد عنه بثلاثة أذرع حتى التهب بالنار ستائر البيت وهرع الألوف من المسلمين لإطفاء لهيبه بالضجيج والنحيب، وترك الحكم في هذا الاستخفاف للعالم الإسلامي، ثم إنه بعدما أطال قال رافعين أكف الضراعة لرب الأرباب متوسلين برسول الملك الوهاب أن يتولانا بالتوفيق، ويمدنا بالهداية إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين والاعتماد على الله العلي الكبير وهو حسبنا ونعم النصير، وأمضي تحته شريف مكة وأميرها الحسين بن علي ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٤هـ.

وقد كان يظهر من هذا المنشور غيرة الحسين لدين الله وشرعه من فعل تركيا ولكنه كان ذلك منه لأمرٍ ما.

أما مفاسد تركيا وما هي عليه من التدهور قبل الثورة وبعدها فليس يخفي

كوضعها للدستور المنافي للشرعية ومنابستها لأهل الدين وغزوهم وتشتيت شملهم كما فعلوا بالوهابين قديماً وحديثاً وهم بفعلهم ذلك إنما نابذوا التوحيد وأهله وقس على ذلك، ثم إنه قام الشريف بعد انتصاراته في آخر هذه السنة ونظم مرسوماته بتأليف هيئة الوكلاء وتأليف مجلس الشيوخ وغيرها.

وفيها أنشأ الأديب حسين بن علي بن نفيسة قصيدة يمتدح بها الأمير عبدالله بن جلوي ويعرض فيها بزيارة أهله ومطلعها قوله:

| | |
|---------------------------------|---------------------------|
| لكل زمان طلعةً وأفول | وكلّ له نحو الفناء سبيل |
| هو الموت ألا إن في الموت راحةً | إذا لم يساعد صاحب وخليل |
| أييت أناجي الهم حران مولعاً | ونومي إذا نام الخلي قليل |
| صحابي قفوا لي بالديار فإنني | حنيني إلى تلك الديار طويل |
| وهل بالحمى أحبابنا إن دنا الحمى | مقام فود القلب ليس يزول |
| وهل من معين منجج لمطالبي | فما لمرءٍ إلا شافعٍ ومنيل |

ثم إنه قال بعد وصفه لوجده وبالغ في ذلك:

| | |
|---------------------------------|----------------------------|
| أقول لنفسي حين عز غرامها | وطول الأسى للمغرمين قتول |
| هيبني فما في الناس لي من مساعدٍ | فأهل الندي والمكرمات قليل |
| عفت طرق المعروف من كل سالكٍ | وليس حل المشكلات فعول |
| مضى محسن لم يلحق المنّ رفده | ومستحسن منه الثناء جميل |
| وكل جوادٍ يسبق السؤل جوده | فلم يبق إلا مانع وسؤل |
| فقالت بدا منك القنوط سفاهةً | فأنت لعمرى مخطئ وجهول |
| إذا ما رأيت الناس لا نفع فيهم | وكل شفيعٍ ليس منه حصيل |
| فهلّا لعبداً تشكو فإنه | وفيّ سخيٌّ ماجدٌ ونييل |
| وفرغّ نما من أصل قوم أماجِدٍ | وما الفرع إلا ما نمته أصول |
| فدع كل قولٍ كالسرّاب بقيعةٍ | إلى قوله إن قال فهو يطول |
| فما الحزم والإقدام إلا مثله | هو الليث كل الليث حين يصول |

أرى الجود والأتلاف منه سجية
له همة تسمو ونفس أيبة
ليب على الأصحاب سهل جنبه
أبا فهد هل لي بوعد وعدته
أبا فهد ترجي لكل ملمة
فهل لي رجاء بعد مكثي وغربي
فعود على ضعفي فإني ربما
فأرجو إلهي ثم أرجوك نافعا
وكن راحما فالله يرحم راحما
ولا تحسبن الله لاه وغافلا
بحق الذي أعطاك عزاً ومفخراً
وأعطاك أولاداً وجاهاً ورفعة

عياداً برربي أن يقال بخيل
وعزم كعضب ليس فيه فلول
وأما على الأعداء فهو ثقیل
فما أنت تراك الوعود مطول
إذا لویت عند الخصوم ذحول
فإن شقائي في البلاد مقيـل
لفقد عيالي في العباد أعـیل
فلا تعترضني إن أردت أجول
لينجيك في يوم بلاه يهول
عليك رقيب في الذي ستقول
وأعطاك مالا تستل وتنيل
مطاع فلا يلغا لقلبك قيل

إلى آخرها وهي حسنة على من أراد مراجعتها تصفح الديوان.

وفيهما في ١٥ جمادى الآخرة ولد المؤرخ أئابه الله تعالى وهو الفقير إلى الله عز
شأنه «إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن».

ثم دخلت سنة ١٣٣٥هـ

استهلّت هذه السنة ورحى الحرب طاحنة.

وفيهما في ٢ محرم عيد البيعة للحسين، فقد بايعه الحجازيون ملكاً على الحجاز
ووفدت لذلك الوفود من سائر الأقطار الحجازية للبيعة، وتبارى الخطباء والشعراء
أمام جلالته، فصار هذا اليوم عيداً رسمياً مشهوراً بعيد البيعة تقام له في كل بلدة
من الأقطار الحجازية احتفالات في كل سنة، وعيد النهضة والاستقلال يقام في ٩
شعبان من كل سنة تقام فيه ذكرى النهضة والاستقلال في جميع الأقطار الحجازية
فيتبارى فيه الخطباء والشعراء وتلاميذ المدارس وتمتد معالم الزينات.

ولما أن أراد الشريف الحسين من الأمة الحجازية أن تباعه فكر في أي لقب يلقب نفسه به، أملكاً على العرب، أم ملكاً على الحجاز، أم خليفة للمسلمين، فقرر وأيد على ملك العرب فأوعز إلى مندوبه بمصر إذ ذاك «محمد شريف الفاروقي» أن يجسّ نبض الحلفاء في الاعتراف له بملك العرب، فأخبره مندوبه باقتناعهم عن الموافقة بهذا اللقب الذي يشمل بظاهره جميع العرب في عدن، واليمن وتونس والجزائر ونجد والعراق وفارس ومصر، وخلافه من بلاد العرب وخشي الحلفاء من الاعتراف بملكه على جميع مستعمراتهم العربية، وأن يكون تابعة للحسين هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فنهضته لم تسر جميع المسلمين ولا العرب، فاعترف الحلفاء له بذلك يغضب المسلمين وربما يقع ما يقع ولكنهم اعترفوا للحسين بملك الحجاز فقط واستقلاله ليس إلا.

ولما لم توافق الحلفاء على طلبه بقي يلقب نفسه به في كتبه ومجالسه وتلقبه جريدة القبلة وأنجاله والأشراف حتى غضب لذلك سلطان نجد.

ذكر توتر العلاقات بين ابن سعود وبين الشريف

ولما حصل التوقيع والمبايعة للحسين هلت جريدة القبلة، وازدهت بتلقيب الشريف حسين صاحب الجلالة العظمى ملك العرب، ولما هلت الجريدة بهذا اللقب ستبشر به غلاة القومية، وزعماء النهضة ولسان حالهم يقول هو ذا الزعيم الأكبر هو ذا المنتقد الأعظم ولكنه ما كاد ينتشر هذا اللقب حتى جاءت الأنباء من الأحلاف أنها اعترفت بالحسين ملكاً على الحجاز فقط، والمانع من ذلك ما تقدم، وأيضاً فإن صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن فيصل غضب لذلك لأنه يدخل تحت هذا اللقب فخابر الحكومة الإنكليزية بصفتها حليفة الاثنين بان تمنع الحسين عن قصده وإلا أدى ذلك إلى مالا خير في عقبه ففعلاً خابرت الحسين ومنعته عن تسمية نفسه بذلك «أعني أمير المؤمنين وملك العرب» فبدأت فكرته تهبط وأخذ عن هذا اللقب.

ولما أن جاءت في هذه السنة هدايا الشريف لابن سعود كالتى قبلها بلغت هذه المرة قريباً من خمسة عشر ألف جنيه استراب لذلك ابن سعود وعقد مجلساً عالياً دعى إليه حضرة والده الإمام عبدالرحمن ورئيس قضاة نجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وغيرهما من الأكابر والرؤساء وأطلعهم على الأمر، وقال إذا كان القصد من إرسال هذا الذهب المساعدة في الحرب فالقصد محقق لأنى أمرت أهل نجد خصوصاً أهل القصيم وعتيبة وحرب بمساعدة الشريف، وأمرتهم بأن لا يتعدي أحد منهم على من أراد أن ينضم إلى جيش الحجاز، فتكلم الإمام عبدالرحمن قائلاً: لو كان الشريف يبغي المساعدة فقط لكتب إلينا بذلك ولست أرى في قصده غير الخوف من أن نغتتم فرصة قيامه على الترك فنحمل عليه فأراد في إرسال الذهب تسكيناً، وقد كان الشيخ عبدالله بن عبداللطيف من هذا الرأي فقال: عبدالعزيز يمكن ذلك، وإنني سأكتب إليه فأتحقق الأمر فإذا كان يريد المساعدة وهو صادق في عمله وقوله ساعدناه بأكثر مما تقدم، وإذا كان له قصد آخر انتبهنا إليه، يا حضرة والدي إننا وإياك في هذه الحروب وثمرتها لنا ولك فقد مشت عرباننا وعشائرنا عملاً بأوامرنا إلى مساعدتكم ولكي أبغي أكثر من ذلك، وإنني مستعد أن أرسل إليك أحد أخواتي أو أولادي ليحارب مع أولادكم، وفي ذلك الفوز الأكبر إن شاء الله، قد يكون حدث بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي فلا بد إذن من التفاهم والتأمينات وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينكم فتزول الشكوك وتتضاعف من أهل نجد المساعدات.

فلما أن وصل هذا الكتاب إلى صاحب الجلالة قام يذيع في جريدة القبلة وفي الديوان الهاشمي فسمع صوته في نجد، وكان من جوابه قال: إنك سكران يا ابن سعود أو مجنون، أفلا تعلم لأي أمر قمنا وأي غرض نبغي، فكتب عبدالعزيز إلى الوكيل البريطاني في البصرة يطلب الاجتماع به في العاجل، فاجتمعوا في العقير وبعد أن أطلع السر برسي كوكس على كتاب الحسين قال له الوكيل: لا تكثر به نحن ضامنون استقلالك ونتعهد بأن لا يتعدى عليك الشريف أو غيره، وأنت تعلم أن

أية حركة على الشريف اليوم هي علينا ومساعدة لأعدائنا وأعدائك، وقد ألح ابن سعود عليه في هذا الاجتماع أن يعطيه جواباً قاطعاً لأن لا يكون بينه وبين الشريف محاربة، فوعده بأمرين:

أولهما: أن لا يتدخل الشريف في شؤون نجد.

الثاني: أن لا يتكلم باسم العرب.

تعهد السر برسي كوكس لابن سعود بذلك، ثم إنه دعى عبدالعزيز لزيارة البصرة فلبى عبدالعزيز الدعوة وعرج في طريقه على الكويت ليعزي آل صباح بوفاة كبيرهم الشيخ مبارك، ثم إنه جاء وفود الإنكليز والعرب وذلك لأن الشريف لما رفعته الإنكليز إلى هذه الغاية وأمدته بالأسلحة والذخائر والأموال وقلدوه الخلافة سولت نفسه أن العرب كالحاتم بيده، وأن وعود بريطانيا له كانت لا يغيرها شيء، لم يحط علماً بأنها جعلته لها يداً تضرب به أعدائها، فإذا حصلت على أمرها أتت على بنيانه من أسه فسقط عليه، لهذه الرفعة التي حصلت له، كان لا يرى ابن سعود ولا يعده إلا أنه أمير يجب أن يخضع للجلالة الهاشمية، وإذا تحدث عنه قال إنه أمير من الدرجة الخامسة لما يجده لأهل نجد من الكره الموروث، فبسبب ذلك ثارت كوامن الساكنات، وقام لا يريد مفاوضة بين الإنكليز وبين ابن سعود، على أن الإنكليز أهمهم أمران، حربي وسياسي، أما السياسي: ففي الحجاز، وأما الحربي ففي العراق، فجاءت الوفود البريطانية وقدم المستر ستورس ورفيقه المستر هوغرث إلى جدة ليسافرا من قبل المعتمد البريطاني في القاهرة إلى الرياض عن طريق الحجاز فلم يأذن الشريف وادعى بعدم الأمن، وحقيقته أنه يخشى أن ترجح كفة النفوذ في الرياض، بل كان يخشى أن يكون اتفاق الإنكليز وابن سعود مضراً بمصالحه أو مجحفاً باتفاقه معهم فلا يرضى لهذا بأي اتفاق يكون بينهم وبين أمير من أمراء العرب إلا بواسطة قائلاً: اتركوا لي ابن سعود فأنا أعالجه لخيركم وخير العرب.

وقد كان ابن سعود محافظاً على عهوده مع بريطانيا العظمى، غير أنه يخشى أن يكون بينها وبين خصمه اتفاق سري ملحق للمعاهدة يضره ومصالحه، ولا

يستغرب هذا كما قدمنا، فهل يصلح رسل التوفيق ما أفسده عاقدوا المعاهدات.
فلما أغلق باب الطريق إلى ابن سعود مع الحجاز في وجه وفد القاهرة جاء
الوفد الآخر من الطريق الثاني إلى الرياض.

وفيها أمر فخري باشا بوضع أساس النصب التذكاري، وكان موضعه بالمناحة
جنوبي السيل، تذكراً لتولية الدولة العثمانية للشرif علي حيدر على إمارة مكة،
وبينما كان العمال يحفرون لوضع الأساس هناك إذا انفتحت لهم هوة كشفت عن
بيوت سقوفها تحت طبقة هذه الأرض، فنزلوا إليها ووجدوا فيها ثياباً معلقة على
حبال ومع بلاها، فإنها كانت محتفظه بهندامها متماسكة بحكم الرطوبة وعدم خلل
الهواء للغرف الموجودة بها، ولكن بمجرد لمس العمال أيّاً منها تناثرت كما تناثر
الرماد وتساقطت تساقط الأجساد المحنطة إذا مستها يد، فدمروا البيوت وأشادوا
عليها بناية التذكاري، وقد دمرت هي أيضاً في عهد الحكومة الهاشمية، وقد جرى مثل
هذه القصة منذ سنتين وكثيراً ما يوجد أسفل المدينة مدينة مدفونة إذا نقت الأرض
فيوجد آثار الأديار وأعمال الأولين.

وفيها عظم الإقبال والجد والاجتهاد في طلب العلم والدراسة والنشاط بين
يدي الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن سليم وآل الشيخ، واتسع نطاق العلم
ونظمت القصائد في فوائد العلم وفضله وآدابه وأسبابه وموانعه، وكثرت المجاوبات
عليها والمراسلات بينهم وذلك يدل على همهم العالية ومطالبهم السامية، ويعد
ذلك الوقت في القصيم عصر النهضة والتقدم والتعليم، وأولع الطلاب بدراسة
القرآن وحفظه والبحث في مسائل العلم، وسهروا ليلي الشتاء، وضربت أباط
الإبل إلى الرياض وبريدة وغيرها للأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وعن
الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وكان من الطلاب من يسافر راجلاً إذا لم يجد
مركوباً.

وفيها وفاة راشد بن سليمان أبو رقية من أهالي بريدة في القصيم وهذه
ترجمته:

هو راشد بن سليمان بن محمد بن سبيهين، كان من آل شيحة آل سبيهين في القرائن في شقراء من وهبة تميم، ولد في سنة ١٢٦٥هـ، وكان من طلاب العلم أخذ عن الشيخ محمد بن عمر بن سليم، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان تاجراً من تجار أهالي بريدة، وله أيادي في الإحسان والبذل لا سيما في سنة المسغبة التي جرت عام ١٣٢٧هـ، وكان له خط جميل وكثيراً ما يعتمد عليه في الوثائق والصكوك الشرعية.

ومن النوادر أن جمالاً من الذين يجلبون الحطب وفَدَّ بجمل البعير، فاستامه راشد بن سليمان ثم إنه طلب الجمال الزيادة فلم يزد في القيمة عن سومه إلا قليل، فترك صاحب هذه الزيادة وباع على أبي رقية عله أن يطعمه من طعام بيته، فذهب به إلى بيته، وأمر أنجاله أن يلقوا الحطب عن ظهر البعير، ثم ذهب به إلى موضع التمر وكان مجبواً في موضع لا ينقص عن خمسة آلاف وزنة فأجلسه وكشف له الغطاء وأذن له في الأكل مهما استطاع، وكانت الأمة إذ ذاك في قلة من المأكولات لقلتها ولم يفتح الله تبارك وتعالى عليهم في كثرة الأرزاق، فغاب عنه ثلاثين دقيقة ثم جاء إليه لعلمه أنه أخذ نصيبه في ذلك الوقت من الأكل، فلما جاء إليه وجده لم يذق منها شيئاً، فسأله وقد وجده جاعلاً يده على خده ويفكر لم لا تتناول شيئاً؟ فقال يا عم إني شبت قبل الأكل لما رأيت هذه الأنعام بارك الله لك فيها، فأتى بزنبيل وملاه وناوله إياه لأولاده فانصرف من عنده شاكراً.

ثم دخلت سنة ١٣٣٦هـ

ففيها قدم وفد من الكويت ومن البحرين مؤلف من الوكيل السياسي «الكولونل هاملتن» و«المستر فليبي» و«الكولن أون» ليفاوضوا ابن سعود في الأمرين السياسي والحربي الذين تقدم ذكرهما، أي ليوافقوا بينه وبين الحسين وليستهضوه على ابن رشيد وعلى أحلافه من عشائر العراق، وكان عبدالعزيز قد علم بتوقيف وفد القاهرة في جدة، فطلب المستر فليبي أن يتوسط في الأمر وتعهد إذا أذن بالسفر إلى الحجاز أن

يعود مسرعاً ومعه المعتمد البريطاني، فأذن له عبدالعزيز بالسفر وأرفقه برهط من رجاله، وقد كان فليبي له قصد في رحلته، وهو أنه قطع صحراء نجد في رحلة طويلة ليضع كتابه في قلب الجزيرة، وكان معتمداً عظيماً لبريطانيا في نجد، ومن المعلوم أن الطريق إلى نجد براً من الحجاز هي أقصر جداً من الطريق البحرية الهندية، وقد كان يزعم الشريف في ادعائه أنها آمن منها في تلك الأيام، وكان هذا المال الذي يبدل في شبه الجزيرة يجيء عن طريق مصر، وأن الحكومة الإنكليزية في الخليج الفارسي كانت في حاجة إلى قسم كبير ليصرف في أطراف العراق ونجد.

ولما سار المستر فليبي إلى الحجاز هو متأكد أن سيعود في الطريق نفسها ومعه في الأقل المال الذي كان متوقفاً في جدة، سار ومعه كتاب من ابن سعود إلى الملك حسين مدججاً بירاع اللطف والولاء، فلما قدم الطائف وعلم به الشريف لم يسعه إلا إبداء السرور به لأنه ضيف كريم، فدعاه إلى جدة ليكون في ضيافته، فتوجه فليبي من الطائف ماراً بالسيل فعين مبارك فالوزيرية فحجوم فالمرشدية فحده فبحره حتى وصل جدة.

ولما أن اتفق بالحسين وناولته كتاب ابن سعود قابله بالفظاظة والغلظة وقال للمستر فليبي أن الرجوع إلى نجد يا حضرة النجيب غير ممكن، ولما أراد الذهاب أبى أن يعود فارغ الوطاب بدون أن يعمل شيئاً، فجنس نبض الحسين وأرادته على وضع معاهدة صداقة بينه وبين الإنكليز فلم يوفق، وكذلك عاد الاثنان الآخران من وفد الإنكليز وما حصلوا على شيء من الحسين.

أما رجال ابن سعود فأذن لهم الحسين بالرجوع إلى بلادهم، ولم يزودهم بكلمة لطف أو عنف، ما هو إلا إن قال لهم لا لزوم يا أولادي للكتابة نحن نحل مشاكلنا بيدنا، كذلك عولج المشكل السياسي خلال الحرب، فظل مشكلاً بعدها.

أما المشكل الحربي فقد كان حله يختص بمصادرة المؤن والذخائر التي كانت تصل إلى الأتراك في بغداد وفي الشام عن طريق الكويت والبادية، وكانت الكويت هي الباب الأكبر للتهريب تجميعها المؤن من جميع الأرزاق كالشاي والأرز والسكر من الهند

والعجم فتباع بأسعار باهظة وتتسرب إلى الدولة وإلى رؤساء العشائر فيهربونها إلى الأتراك والألمان في سورية وفلسطين ومن أولئك الرؤساء ماجد ابن عجل شيخ العبداء أكبر قبائل شمر، وضاري بن طوالة شيخ شمر العراق وعجيمي السعدون رئيس المنتفق فقد كان العدو في الشام وفي بغداد يحصل بواسطتهم مهماً كانت الأسعار باهظة على كثير من الأرزاق والذخائر التي كانت تجيء إلى الكويت للإنكليز في جنوب العراق فعلى الإنكليز إذن أن يصادروا المهريين ويحكموا نطاق الحصار لمنع التهريب أو تخفيفه، فحاولوا لذلك حراسة خط يمتد من الكويت إلى البصرة فالناصرية، ولكن الكويت نفسها كانت أضعف حلقة في سلسلة الحصار، وكان حاكم الكويت سالم ابن صباح من كبار المستثمرين تجارة بلاده ومن المستغلين عملية التهريب.

ومع أن الكويت في حوزة الإنكليز فلم يتمكنوا من إحكام النطاق الحربي عليها فاضطروا في النهاية أن يحددوا ويحتفظوا من غير ضغط، ومع ذلك كان يتسرب إلى العدو قسم كبير منها فبذلوا المال في العشائر للمصادرة واشتروا كبار المهريين مثل ماجد بن عجل وضاري بن طوالة.

ولما عاد فليبي في ربيع من هذه السنة جاء عن طريق الهند والبصرة وخرج إلى البادية ينشد المصادرين، وكان في قافلته جمال تحمل أكياس الفضة والذهب، وكان ضاري بن طوالة قد انخرط في السلك الإنكليزي لقاء مشاهرات معلومة ووظيفته مصادرة البضائع التي كانت تصل إلى الشام بواسطة ابن رشيد في حائل، ولكن ضاري شيخ من مشايخ شمر، وشمر هي ظهر ابن رشيد فهل يلام إذا صادر أعدائه، فقد جاءه فليبي وهو في الحفر يحمل النقود عاقدة العهود وناقضة الوعود، فشكى إليه ضاري ضيق الحال وفقر الرجال والحاجة يا فليبي شديدة إلى المال، فأناخ فليبي جماله وشحذ نصحه بالفضة فابتسم ضاري، وقال والله يا فليبي نحن رجالك على السمع والطاعة وخلع طاعة ابن رشيد تحت قدميه فقال له فليبي: قوموا إذن وارحلوا معي إلى ابن سعود، فامثل ضاري أمره ومشى في موكبه بستان من رجاله وجاءوا مع فليبي إلى ابن سعود يتوددون ويعاهدون.

ولما أن اجتمعوا بابن سعود على غدير يدعى الشوكي اتفقوا على أن تكون المصادرة عامة بدون تمييز، وأقسم ضاري ميمناً مغلظة أن شمّر العراق تكون دائماً أبداً مغلصة للإنكليز ولا بن سعود، ثم أرسل ماجد بن عجل أيضاً رسوله إلى ابن سعود يطلب الصلح فقال له: إني أنذركم يا شمّر فإذا كنتم مخلصين لنا تعالوا أقيموا في كبدي وأما إذا كنتم تفاوضون الإنكليز وتساعدون الترك فأنا عدوكم والله قاهركم إن شاء الله.

ذكر اتفاق فليبي مع ابن سعود

لما خدع فليبي رؤساء شمّر ببذل النقود وضمهم إلى ابن سعود جعل ابن سعود يفاوض فليبي فقال له: يا فليبي أما حائل فإذا تركتم أمرها لي فأنا أعالجه بالسياسة وإذا ألحتم فعليكم بالمدد وليس المقصود بالمدد المال فقط، بل الأسلحة والذخيرة وهي يومئذ قليلة عزيزة، ثم قال عبدالعزيز أن حائلاً في فكرنا دائماً، ولكن حائلاً جدار، ونار ترى الصحيح أن ابن رشيد محصن فيها وراء الجدران والمدافع.

ثم إنه عاد المستر فليبي مع ابن سعود إلى الرياض وكانت المفاوضات والمباحثات متواصلة، وكان من جملة ذلك أن ابن سعود يقول: إني قادر أن أمنع ابن رشيد عن محاربة الشريف، وهذا جلّ ما ييغونه الآن لكن عهداً بيني وبين شمّر يوجب التربص، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم، فإذا رجع ابن رشيد وكان حليفاً لنا فذلك خير تحقق بدون قتال وإلا فسنحاربه.

أما العهد الذي أشار إليه عبدالعزيز فهو أنه بعد سفر فليبي إلى الحجاز، شد على ابن رشيد الذي كان يومئذ على الحجر عند الترك ولكن مشايخ قبائله جاءوا ابن سعود يعاهدونه على الطاعة والولاء ودليل صدقهم كما قالوا هو أن ابن رشيد طلب منهم أن يحاربوا مع الترك الشريف، فأبوا وقد تعاهدوا وابن سعود أنهم ينذرون ابن رشيد فإذا قدم من الحجر وكان معك يداً واحدة، فنحن عشائره

وعشائرك، وإذا رفض الرجوع فنحن معك عليه، فلبث عبدالعزيز ينتظر الجواب من مشايخ شمر، ولم يرَ أن يبقى المستر فليبي أثناء ذلك عنده في الرياض فصارحه في الأمر فرغب فليبي في رحلة علمية إلى وادي الدواسر، واستأذن ابن سعود بذلك فرحله مصحوباً برهط من المحافظة، وذلك في شهر رمضان، ثم إنه جاء الجواب من ابن رشيد يرفض مطالب رؤساء شمر فجمع عبدالعزيز جيشه يريد الزحف إلى حائل، وكان فليبي مرافقاً للجيش ولكنه لم يكن كمواطنه الذي سار معه في وقعة جراب شكسبير وشارك في القتال حتى قتل، بل تخلف هذا في القصيم وتقدم عبدالعزيز بجيشه إلى حائل وكان قصده أن يشغل ابن رشيد عن مناوشات العرب الذين كانوا يحاربون مع الأحلاف في شرقي الأردن.

ولما وصل إلى ماء ياطب في أطراف حائل رأى جمعاً كبيرة من العربان وقد حالوا دونه وأمنيته، ولكنه هاجمهم فأصاب منهم مغنماً، وعاد فنزل على ماء قريب من المدينة فخرج ابن رشيد في آخر النهار يريد الهجوم عليه ليلاً، لكنه عدل عن قصده وقفل راجعاً بدون قتال، وسبب ذلك أن الترك استنجدوه، لأن «الجنرال اللنبي» قد بدأ في الهجوم العام على الترك في فلسطين وشرقي الأردن، فعدل ابن رشيد عن محاربة ابن سعود إلى نجدة الأتراك، وقد كان من المألوف في مثل هذه الحال أن ينهض الجيش المهاجم فيتأثر الجيش المتقهقر ويحتز ساقته، ولكن الله تعالى ما أرادها لابن سعود في تلك الساعة بل عاد في اليوم الذي بعد هذا إلى القصيم وقصده أن يجمع قوة أكبر من تلك القوة التي كانت معه فيقسمها إلى قسمين، قسم لمنازلة عربان شمر، وقسم لمهاجمة حائل، ولكنه مثل خصمه عدل أيضاً عن قصده والسبب في الحاليين هو ما أحرزته جيوش الأحلاف والعرب في هذه المدة من النصر المبين في فلسطين وسوريا، وكان ذلك في ذي القعدة، فوصل الخبر كالبرق إلى البلاد العربية، ودخل العرب الشام ظافرين وفر الترك منهزمين، وسلم الألمان وعقد الصلح، فعندها تعظ العرب وتوقف ابن سعود وابن رشيد عن القتال وعقدا فوق ذلك مثل الأحلاف وألمانيا صلحاً صغيراً.

ذكر سكون الحرب العظمى

لما كان في ذي القعدة من هذه السنة انتهت حركة هذه الحرب بظفر الأحلاف والعرب وهزيمة الأتراك، فأخرجوا من الجزيرة ووضعت الحرب أوزارها ودخل الشريف فيصل بن الحسين دمشق مع جيش الحلفاء في ٢٤ ذي الحجة، فأقيمت المهرجانات ومعالم المسرات لقدمه، وتوافدت العرب إلى شطر المسجد الحرام قادمة من سائر الجهات لشد أزر الحسين بن علي ومعاونته على نهضته شاماً وعراقاً ومن مصر وطرابلس وفرنسا وإيطاليا، وقد كان للحسين منهم أكبر مصلحة ولكنه ويا للأسف لسوء حظه وقبح تصرفه اختلف معهم، وما كان ليرى إلى نصح ناصح ولا إلى إرشاد مرشداً، فارتحل أولئك المخلصون عنه ولم تف له الإنكليز بوعودها لسوء معاملته.

ولما أن استقر فيصل بن الحسين ملكاً في سوريا وهدأت الخواطر، بدأت الأمة السورية تفكر في مصلحة وطنها وبلادها، وذلك لا يكون إلا بالاستقلال التام والحرية المطلقة، فبدأت تعمل لذلك وعلى رأسها الأمير فيصل يطرقون الأبواب ويواصلون السعي مع الساسة من رجال الحلفاء، فتكاثرت الأحزاب وتحالفت الآراء، حزب يطلب الاستقلال تحت الحماية وحزب يطلب الاستقلال الناجز بدون شرط ولا قيد، وحزب يطلب احتلال فرنسا لسوريا، فبقيت سوريا هائجة مضطربة، ولما رأى بعض الأحزاب تلاعب السياسة الفرنسية أعلنت تتويج فيصل ملكاً دستورياً في السنة التي بعدها بستين، فحصل بذلك ما سذكركه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

أما جلالة الملك حسين الشريف فقد كان مغروراً جداً بما لديه من وعود الحلفاء التي ظنها موثيق لا تقبل نقضاً وأن إشارة منه واحدة تطير في الهواء كل من يقف في سبيل غاياته إذ كان يعتقد أن إنكلترا حليفته وبكل حال فإن الحسين بن علي تعدى طوره وأغضب أيضاً الإنكليز.

ذكر البدو والهجر

الهجر هي مساكن البدو التي أمرهم بلزومها الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن، والداعي لذلك ثلاثة أمور هي: تعليم البدو الدين، ونفعهم بأرض يحرثونها، والاستيلاء عليهم، فباشر ابن سعود تلك المهمة للإصلاح الكبير، وكان يرسل المطاوعة إلى البادية ليعلموا أهلها التوحيد والفرائض وكان يعين بقعة من الأرض فيها ماء لقبيلة أو لفخذ منها فتنقل إليها وتباشر ببناء البيوت فيها ويساعدهم مالياً في بناء البيوت الجديدة، ولقد كان ذلك صعباً على البدو إذ من المعلوم أن رزق البدوي أباعره فما زالت عنده لا تزال البادية تستغويه فيروح في ساعات الضجر طالباً الرزق حلالاً وحراماً غزواً أو غيره فلذلك جبر البدو على بيع جواهرهم والزمهم ليعيشوا كالحاضرة.

فيا عجباً لأمر البدو وحيث لا يستريحون ولا يريحون فما مثلهم إلا كالسراب يلوح للظمان ولقد قال الله عز وجل فيما نزل: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ ، فقد كان البدو منذ القدم غزاة عصاة عتاة ولهم غريزة دينية غذتها الخرافات ومطامع تكاد تنحصر بالأقوات ولكنهم في طاعتهم وإخلاصهم وجهادهم وولائهم لا يحتملون فوق طاقتهم يجاربون ويشدون ويخنون ويغترون وهم وإن غلوا في دينهم فإن ردتهم سريعة، دعاهم مسيلمة فلبوه ثم دعاهم ابن طاهر القرمطي فصاربوا معه كالبنيان المرصوص، ثم تشبثوا بعد كسرة القرامطة ثم بعدها بنوا القباب على القبور وعلقوا الرقاع على الأشجار.

ثم لما قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه جعل يبين لهم أن الدعاء والعبادة لله وحده وجاء يعلمهم التوحيد بمساعدة سيف بن سعود ولكنهم في كل أطوارهم بدو لا يحملون شيئاً في جيوبهم ولا في قلوبهم بل لا جيوب لهم ولا قلوب رفاقك في الطريق اليوم وأعدائك غداً وجل مقصودهم هو الطمع، أما

الدين عندهم فكالرداء يلبسونه زمناً فيغسلونه مرة أو مرتين ثم يلبسونه مقلوباً ثم يبنذونه وقد تمزق نبذ النواة، كيف نتوضأ ونغن نبغي الماء للشرب، ولم الصوم والسنة كلها رمضان عندهم إلى غير ذلك.

وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الأمير وذاك لا يفرقون وربك بين ابن سعود أو ابن رشيد أو ابن صباح بل من رجحت كفة ميزانه فهم معه سيف في يد الأمير يوماً، وخنجر في ظهره غداً مجاهدون إن كان ثم غنائم يحاربون ما زالوا آمنين ويفرون شاردين عند أول خطر يلوح، لذلك كان ابن سعود يقدمهم في القتال ويدعمهم بالحضر وكان فيهم شجاعة إذا كان لهم ظهر وإلا فإنهم فارون، وقد جاء في أمثال العرب.

«البدوي كالقرلي إن رأى الخير تدلى وإن رأى الشر تعلّى» ولكن البدوي وحده يدافع عن نفسه وبعبيره حتى الموت وإن كان خصمه قبيلة بأسرها فسبحان من خلقهم والسلام.

وكان عبدالعزيز بن عبدالرحمن يقول محدثاً عن البدو الذين اشتهروا بالإخوان يجيئوننا في السلم فنعطيههم كل ما يحتاجون إليه من كسوة ورزق ومال ولكنهم في أيام الحرب لا يطلبون شيئاً منا فيتزr الواحد منهم الخرطوش ويبادر إلى البندق ثم يركب الذلول إلى الحرب ومعه شيء من المال والتمر قائلين القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا كنا نغشي ثلاثة أيام بدون أكل يأخذ الواحد منا ثمرة من حين إلى حين يرطب فيها فمه.

وقد كانت الحاضرة قدماً وأشد بأساً من البادية أما الآن فالبادية المتحضرون أهل الهجر هم في القتال أثبت من الحاضرة وأسبقهم إلى الاستشهاد فرأى عبدالعزيز أثابه الله أن يجعل لهم هجراً فيكون وطن البدو البادية وهي مهد الشرك، فالهجرة منها إذن هي الهجرة إلى الله والتوحيد فنقلهم من بيوت الشعر إلى بيوت من لبن وحجر.

أسماء الهجر

قد أسست هذه الهجر في ابتداء سنة ١٣٣٠هـ وأولها الأرطاوية لعرب مطير شرقي بريدة وقرب الدهنا وسميت بهذا الاسم لأن الأرطا الشجر المعروف الذي ترعاه الإبل يكثر في جوارها ثم تبعتها بقية الهجر كالغطف والروضة، والسنام، وعروى هذه لبرقة من عتية، والصرار، وحنيد والصحاف، والعقير، وعريعر، وهذه للعجمان، والنخيل، والفيضة، والطرفية لبني عمرو؛ ومشاش جوان والبعايث ومطلق، وضيده، ومدرج وبقيعا الجنوبية هذه لحرب، وعفيفة، والسليسة، والوجهة والشعراء والقاعية، والقويعة ووثيلان، والبرود، وعريفجان، والعرفجية، والبجادية، وقرين الدلابجة، ونفي، والحيد، وشيرمه هذه لعتية، والثعيان، والبلازية؛ وعقيلة لبن، وعقلة جديد والجعلة، هذه لعنزة والعظيم، والأجفر، وفيد؛ والربع والصفراء، والبير، وسلما، وغمرة، والغيمار؛ وسميرا، والكهفة والكهفية، والصغوا، والثعلبي هذه لشمر، والفواره، ومرغان؛ والعمودة والنومانية، والحجر، وبقيعا الشمالية والنابتية، والبدع ومغيرا؛ والقحصاء؛ وأم العراد، ومشاش جرود، والنجعة؛ والصلبية، والأرطاوي وكحيلان، وكحلة، ومكحول، ومطيوي غلاب، والقرائن لابن شطينة، والخشبي، والدحلة؛ ودهيما، وعبلا، ومشاش ركيان والرديهة وشويمان، والنمرية، والطارار الشمالي والخرشا هذه أيضاً لحرب والهبيرة، وقطن والمباري، والمحيلاني وعقلة الصقور وعطا وعطى، وثادج، وثويدج، وجرار الجنوبي، والبتراء، والرويضية، والنجيبة، والنقرة، وجبيرة والحنيية هذه أيضاً للحرب، والميسرية، والشهيكية ودخنة، والطرفاوي، وغسل وغسيلة، والحجازية، ودريميحة، والقرين، وقبة وطراق قبة والزبيرة، والقوارة، وطراق المخرم، والمخرم، والجريمي؛ وذوبان ودويح والبععاء، والبصري؛ والقنيية الداث، والزهيرية والهمجة والغازي هذه أيضاً لحرب، ومبايض، وفريتان، ومليح، والعمار والأثلة ومسكة وضرية، وقرية العليا وقرية السفلى هذه لمطير؛ والهيائم والجفير، والحصاة والرين الأسفل والرين الأعلى هذه لقحطان؛ ومشيرفة، والوسيطي للدواسر، والصرح وساجر، وعرجا،

وعسيلة، ونفي؛ والدهنا هذه للروقة، والدليمية، والساقية وحليفة هذه لحرب في نجد؛
والحسي؛ والحفات، والعتيق هذه للعوازم، والشباك، والبيرق، وعين دار سكانها بنو
هاجر لبني مرة، والقصير، والحفير، والحبذ، وبنوان، والتميم، وأم القلبان، والشقيق،
وخريفط، والمصارع، والمرير هذه لشمر، وبيضاء نثيلة لعنزة كما أن بنوان وخريفط
والمرير فهن لهتميم، والضبيعة والمنيصف، والأخضر، وطيسم، والروضة هذه هجر في
الخرج، والدفينة، والصمغورية، واللافيدة؛ والحليفة، وأم الهشيم، والمستجدة،
والسليمي والجفن والعوشزية قرب الجفن؛ والمصلح والشنانة الشمالية والحفيج،
وعجاجان والبيصيات.

ومن قبائل نجد سبيع؛ والدواسر وبنو هاجر، وبنو خالد وتنتشر قبيلة بنو خالد
في الإحساء كالقطيف والجيليل، ومن أشهر قبائل نجد قبلة قحطان التي تسكن في
وادي الرين ومن قبائل نجد قبيلة مطير ومن أشهر القبائل عنزة وتمتد منازلها من
وادي القرى وتنتشر في نجد.

ومن أشهر القبائل عتيبة وتمتد منازلها من الأماكن المجاورة لمكة من جهة الشرق
إلى أطراف الوشم.

ومن قبائل المملكة السعودية ثقيف وجهينة وبللى وهذيل القاطنة في الحجاز
فأصبحت هذه الهجرة يبلغ المجاهدون منها مائة ألف وسبعون ألفاً متأهبين للحرب يلبي
الجهاد رجالاتها الذي عرفوا بالتجارب يقدمون على الملك فيدفع لهم الإكراميات وقيمة
مرضية من المال أو يدفعها لهم في العواصم يردونها فيأخذون ما رتب لهم وصار
سكانها هم الإخوان أهل التوحيد إذ ذاك ولكنهم بعدما باعوا جاههم وصاروا إخواناً
يتعصبون بالعصاة البيضاء التي تميزهم عن الناس أقاموا في الهجر في أول تأسيسها لا
يعملون شيئاً في أيام السلم غير الصلاة وغدت بيوتهم مناسك وقد نزلوها ابتغاء وجه
الله تعالى لكنهم أصبحوا عائلة على صاحب الجلالة لذا قام ابن سعود يعالج هذا
المشكل فبعث إليهم مطاوعة وعلماء يثون فيهم الخير وينشرونه فقام أولئك يعلمون
المتحضرين ما فيه سعادة دينهم ودنياهم ويجذبون إليهم العمل لإصلاح معيشتهم وأن

التجارة والصناعة لا تنافي الدين وأن المؤمن الغني خير من المؤمن الفقير غير الصابر الذي معيشته على السؤال فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه كان يملك ثمانية آلاف رأس من الإبل والخيول وهل تشكون في أن الله سبحانه وتعالى يفتح لكم إذا أنتم زرعتم وتاجرتم أبواب الثروة والجاه، وقد أفلح المطاوعة أو كادوا في تحبيب العمل والمال إلى الإخوان فشرعوا يزرعون الأرض حول المهجر ويتاجرون وقد نشأت هذه القرى نشوءً سريعاً فصارت أسوة القرى القديمة وألف أهلها الزراعة واستعذبوا ثمارها، وكان البدو اليوم على غير حالتهم بالأمس فلا يشردون ولا ينهبون بل يحاربون حباً للجنة وخوفاً من النار.

هبت هبوب الجنة أين أنت يا باغيها
وعرفوا الشرع فخشوا عاقبة الفرار وبما أن البدوي فطر على النهب والسلب والقتل فلا تزال الحكومة تدخل عليهم التحضر شيئاً فشيئاً، ولكنه نشأ فيهم غلو وإفراط ومجاوزه للحد بعدما انقطعوا عن النهب وتفرغوا لعبادة الله تعالى وتلبدت غيوم في الأفق يخشى منها وأصبح مستقبلهم ينذر، وجرى منهم ما سنذكره فيما بعد إنشاء الله تعالى.

هذا ولا تزال فيهم تلك العادات التي فطروا عليها كامنة في نفوسهم من سرعة الانفعال وعدم النظر في العواقب وحبهم للنهب والسلب؛ ولولا سيف الحكومة الذي لا يزال مسلولاً على كل معتد لكان لهم تغيرات وتبديلات كما سيمر بنا بعد ذلك.

وفيها وفاة رجل الدين والفضل علي بن مقبل قدس الله روحه ونور مرقدته وضريحه، وكان المترجم من قبيلة سبيع وصاحب صدق وإحسان ومحبة لأوليائه الله وبغض لأعدائه ويعد من رجال الوطن في الدين وحسن المعاملة ومن صفاته الحسنة وأعماله الطيبة أنه أحاط بعض المقابر الكائنة في مدينة بريدة وله معاملة في مداينة الفلاحين يراعي الفقراء في المعاملة فإذا تمت المدة ضرب على الزيادة عن رأس المال وأخذ رأس ماله، ومن صفاته التي امتاز بها أنه إذا خرج ليكتال

من الغريم فإنه لا يطعم شيئاً من ثمرة الفلاح إلا بعد ما يقبض ماله فيأخذ بقلنسوته رطباً ويأكلها.

وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وأخذ عن ابن عمه الشيخ محمد بن عمر بن سليم، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن فدا وكان مناصراً للشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وعضده الأشد فلذلك تضخمت بمسبته السنة المنافقين وشنوا عليه الغارة، وما زال ثباته ونصرته لأهل الدين وكانت ولادته في سنة ١٢٤١هـ وتوفى عن عمر يناهز الخامسة والسبعين رحمة الله تعالى عليه.

ثم دخلت سنة ١٣٣٧هـ

ففيها جرت واقعة تربة بين الإخوان من جنود ابن سعود وبين الشريف وأسباب ذلك الخلاف الذي توترت له العلاقات في مسائل الحدود بين نجد والحجاز ونحن نبسط الواقعة فنقول وبالله المستعان وعليه الانتكال.

ذكر واقعة تربة

لما أعلنت الهدنة بين الأتراك والحلفاء سلمت المدينة بعد إعلان الهدنة بثلاثة أشهر في ٨ ربيع الثاني من هذه السنة بعد حصار امتد ثلاث سنين فكتب الأمير عبدالله بن الملك حسين إلى أمراء العرب يخبرهم بذلك وأرسل إلى ابن سعود هذا الكتاب:

إلى حضرة المحترم المكرم الأمير عبدالعزيز بن سعود الفيصل، وبعد فإنني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ثم أخبرك بأن الله فتح لنا أبواب مدينة خير البرية وأن حاميتها قد أسرت واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الأملاك والآلات والأدوات العائدة للحكومة الغابرة، كما أن فخري باشا قد اعتقل في بئر درويش.

وأما العساكر فبادرنا بنقلهم إلى بلادهم ولا يخفى على مدارككم بأنه لم يبق والحالة هذه هنا ما يشغل حكومة صاحب الجلالة أدامه الله وأيده عن الالتفات

لإصلاح داخليتها وشؤونها والتنكيل بمن يسعى للإفساد والتخريب من العشائر التابعة لها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في ربيع الآخر ١٣ سنة ١٣٣٧ هـ قائد الجيوش الشرقية الختم الأمير قال إنني عبدالله وقد كتب ابن سعود إليه كتاب تهنئة دعاه فيه للتفاهم بخصوص العشائر وأكد له أنه لا ينبغي غير السلم إذا كان هو من المسالمين فجاءه الجواب الآتي:

«إلى جناب سامي الرحاب الشهم الأوحد والهمام الأجدد الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود سلمه الله، وبعد الديباجة المفعممة بالتودد والتبجيل يقول إنني منكف راجع إلى الوطن إن شاء الله تعالى في الأسبوع القادم لأكون في خدمة صاحب الجلالة الهاشمية أدام الله نصره، وإنني أرجوكم أن تبلغوا سلامي إلى معالي والدكم الجليل والأنجال والإخوان الكرام، ومن لدينا حضرة صاحب السمو الملكي سيدي الأمير على نصرة الله يهديكم جزيل السلام» في ٣ جمادى الثانية ١٣٣٧ هـ.

قائد الجيش الهاشمي الختم الأمير
ومع هذا الكتاب كتاب مثله لهجة من جلالة الحسين وملحق خير من سمو الأمير فيه ما يأتي:

إنني أخوكم الصادق ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون ولا يجوز أن يفرق بينكم وبين والدي أمور البادية التي لا أهمية لها، وكيف يمكن أن يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوص تربة والخزمة والبادية، ها أنا متوجه إلى مكة فأرجوكم أن ترسلوا أحد رجالكم وأن ارتأيتم أن يكون أحد أنجالكم فذلك أولى وأنا كفيل النجاح بحسم الخلاف والاتفاق مع سيدي الوالد.

ولكن أحد العقيلات الذين كانوا في الحجاز جاء يخبر إلى الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن بأن الأمير عبدالله يتأهب للزحف إلى التربة ثم جاءه آخر يقول أن الأمير خرج من المدينة ووجهته تربة فكتب عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى حكومة

بريطانيا العظمى بواسطة مندوبها في العراق يخبرها بمقاصد الملك حسين وقائد جيشه ابنه عبدالله فجاءه الجواب أن ذلك من الإشاعات التي لا صحة لها. فكتب ابن سعود ثانياً يقول ما معناه:

إنني متحقق ما أخبرتكم به وما أخبرتكم خوفاً أو شكاية بل لتكونوا عالمين بالحوادث وبما قد يعقبها، وكتب ثالثاً يخبر المندوب السامي أن الأمير عبدالله مشى بجيشه من المدينة ووجهته تربة فلم يجيئه جواب الكتاب الأخير، وكان عبدالعزيز لما رأى هذه الحركة قد جهز سرية مؤلفة من ألف ومائتي هجان بقيادة سلطان بن بجاد أمير الغطط فأمرها بالمسير إلى الخرمة وتربة للمحافظة على أهالي تلك الناحية وأمر ابن بجاد والعالم المرافق للسرية بأن تكون خطتهما الدفاع لا غير، ثم أرسل بعض العقيلات متجسسين وأمرهم بأن يخبروه خصوصاً بما يفعله الأمير عندما يصل إلى عشيرة فإذا ترك عسكريه هناك ودخل مكة كان فيما كتب صادقاً وإذا استمر سائراً كان جوابه خدعة فرحف الأمير عبدالله بجيشه من المدينة جنوباً إلى عشيرة فوافاه إليها والده الحسين إلى مكة وبعد المفاوضة عاد الحسين إلى مكة واستأنف عبدالله السير جنوباً فخيم في شعب يدعى البديع في جبل حضن، وكان قائد الجيوش الهاشمية عبدالله بن الحسين يقول لمن يحدثه بعد ذلك أنه لم يكن من رأيي مهاجمة تربة وقد حاولت أن أقنع جلالة الوالد بالعدول عن عزمه ولكني كقائد الجيش الهاشمي مطيع لأوامر مولاي حتى أنني كتبت إليه بعد أن تذاكرنا في عشيرة ولبثت في البديع أنتظر جوابه فلم يكن غير الأمر بالرحيل.

ولما أن علم المعتمد البريطاني بمقصد الحسين حينما عزم على تسيير الحملة المذكورة وتبين له ما يبيته لابن سعود، بعث إليه خطاباً مع سكرتيره «حسين أفندي روعي» ينهاء عن ذلك وينصح له فصمم وأجابه بصوت جهوري سمعه الحضور وبعض الجنود امض وقل لهم لا نسمح لأحد بالتدخل في شؤوننا ولنا الحق في أن نفعل ما نريد فبذلك عصى بريطانيا التي هي عضده الأشد وما عمل بنصيحة قريب ولا بعيد.

ولما أن أكد على ابنه عبدالله بالزحف كان قد كتب الأمير عبدالله في أوائل رجب إلى ابن عمه الأمير عبدالله بن محمد وهو يومئذ في الخرمة أو في جوارها هذا الكتاب:

بعد السلام ورحمة الله وبركاته، كتابكم رفقة عائض بن جوهر وصل وعلم مضمونه وعيال مهزي الصفار نوحوا البارح على صاحب الجلالة وأخبرونا بالكون عليهم وبكسرة الوهابية، ولا شك أن العرب إذا صدقوا اللقاء كسروا المغير عليهم هذا أمر ثابت وحسب الرغبة أمر صاحب الجلالة بإنقاذ ابن مهزي فاخترنا مائتين من الجعدة مع غالب ابن عنيزة يمسون غداً أو بعده إن شاء الله كلمة مبهمة أمير الخرمة السيد غازي الحارث من السطوة في البلاد الآن فبعد وصولي بالقوة الكافية إليكم نزودها بما تستحقه والتوفيق بيد الله، هذا ما لزم ودمتم ونحن على ممشاً في هذين اليومين، الأمير القائد عبدالله في ٣ رجب سنة ١٣٣٧هـ.

مشى بعد كتابة هذا الكتاب من عشيرة إلى جبل حضن فخيم في البديع وجاء إلى ابن سعود في غرة شعبان أحد عقيلاته يخبره بذلك فكتب صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى الأمير كتاباً في ١٠ شعبان قال فيه:

قد تحقق عندي خلاف ما أخبرتني به سابقاً أي أنك عائد إلى مكة المكرمة والظاهر أنك مهاجم تربة والخرمة، وذلك مخالف لما أبدىتموه للعالم الإسلامي عموماً والعربي خصوصاً، واعلم رعاك الله أن أهل نجد لا يخذلون إخوانهم وأن الحياة في سبيل الدفاع عنها ليست بشيء، نعم وأن عاقبة البغي وخيمة.

خير لك إذن أن تعود إلى عشيرة وأنا مرسل إليك أحد أولادي أو اخوتي للمفاوضة فتتم الأمور على ما يرغب به الفريقان إن شاء الله.

والكتاب طويل تدرك مباحثه من جواب الأمير الذي فيه كل الخبر وهو الذي قد تضمن شيئاً عجيباً من الفصاحة ولكن لا غرابة إذا كان لديه من القوات ما غره:

من عبدالله بن أمير المؤمنين الحسين بن علي إلى حضرة أمير نجد ورئيس عشائرها عبدالعزيز بن سعود دامت كرامته، وصلني خط الجنب الموقر المؤرخ ١٠

شعبان فتلوته وفهمته فلم أجد فيه ما استغريته واستعذبتة تقول أني بينما أكتب إليك مسالماً إذا أجز الأطواب على المسلمين وأن مظهري هذا أثار ثائر الناس علينا، وأنك دامت مدتك خرجت فرعاً إلى أن يأتيك مني الجواب وإليك به وهو ينطق بلسان صاحب الشوكة والدي وحكومته:

أولاً: أظن أن صاحب الشوكة سيد الجميع يرحب بكل من يطلب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويحيي ما أحيا الكتاب والسنة ويميت ما أماته الكتاب والسنة لأن هذا دأبه ودأب أجداده منه إلى صفوة الخلق عليهم سلام الله.

ثانياً: لا أذكر أحداً منا وقع على كتاب ذكر فيه أنك أو أحد آل مقرن من الخوارج أو أنكم لستم على ملة الرسول.

ثالثاً: كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة وعتا في الأرض فساداً يستحق التأديب شرعاً شخصاً واحداً كان أو ألف شخص.

رابعاً: اعلم وتيقن أن نيتنا نخوك ونحو أهل نجد نية خير وسلام.

خامساً: أما قولك أن الناس نفروا جميعاً لحربنا إنانهم قبل رجالهم فأذكرك بقول الله ... فإن جاءونا أي عرب برفة والروقة الذين أنذرهم بنية حسنة فنحن لهم وهم لنا يا عبدالعزيز قبل أن ينزل أجدادك بنجد وإن بغوا فلكل باغ مصرع والله مع الصابرين.

سادساً: تأمرني بالرجوع إلى ديرتي من أرض هي لأبي وجدي، ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم جزيت خيراً، ولكن هل تذكر أن رجلاً من قريش ثم من بني عبد مناف ثم من بني هشام، جده رسول الله وعلي بن أبي طالب يقعقع له بالشنان، ويروع بمثل هذه الأقاويل.

سابعاً: تقول إنني لو ألتمس رجلاً في نجد لا يرجح الحياة على الموت في سبيل الله لما أجده، فكان الأوفق لهم، أذن أن يأتونا ويجاهدون الأتراك معنا عن بيت الله ومسجد رسوله، حتى ينال الشهادة منهم من كتبت له، ثم بعد ذلك تردون بمن النظر.

ثامناً: أخبرتك بكتابي بفتح المدينة المنورة بأنني متوجه إلى الوطن لتأديب العصاة، وسألتك: هل أنت على عهدي بك أم تغيرت نياتك؟ فجاءني نجاجبيك بجواب منك فيه الميل إلى التقرب والمسالمة، فرجوت خيراً وعززته بالجواب الثاني، فجاء ثاني كتبك لي ومثله لوالدي ولأخي ملؤها المودة المؤكدة باليمين، وكل ذلك محفوظ فما حملك الآن على تغيير لهجتك، أمن أجل أننا نؤدب رعايانا ونصل ما فسد في قبائلنا.

تاسعاً: إن كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت فاردد الذين أمرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور: يريد ذلك، الهجر، أخل أنت مكانك الذي وصلت إليه وانحر ديرتك ولك علي ألا أمس أحداً من أهل نجد بسوء، إني مرسل إليك كتابي هذا مع أحد نجاجبيك وهو القسماني، وأبقيت الآخر ليأتيك بخطاب صاحب الشوكة والدي والسلام.

في ٢٣ شعبان ١٣٣٧هـ

القائد العام للجيش الشرقية الهاشمية

لا بد في هذا الموضع وقد وصلنا إلى هذا الحد من التعريف بترية والخزعة اللتين أثارنا الحرب بين نجد والحجاز، فنقول: الخزعة هي على مسافة خمسين ميلاً من جبل حضن إلى الشرق وترية على مسافة خمسة وأربعين ميلاً منه إلى الجنوب، وجبل حضن هذا هو الحد الفاصل بين نجد والحجاز، فقد جاء في الحديث: «من رأى حضناً فقد أنجد» من هذه الوجهة.

إذن تكون البلدتان في نجد، ولكن أصحاب السيادة فيهما من أشرف مكة، فادعى الحسين أنهم من رعيته، وادعى ابن سعود أنهم من رعيته، كما أفاده التحديد مع الأهالي من بدو وحضر فيهم الأشرف تمذهبوا من قديم بالمذهب الوهابي، فعلى هذا هم من رعايا ابن سعود، وكلهم بأجمعهم لا يتجاوزون خمسة وعشرين ألفاً من الأنفس البشرية.

أما الخزعة ففي وادي سبيع وتعلوا عن البحر ثلاثة آلاف قدم وخمسمائة

قدم، وسكانها خمسة آلاف، ثلثاهم من العبيد المعتوقين، وثلثهم من عرب سبيع الذين طردتهم عتيبة عن سكنى جهات الحجاز فنزحت سبيع إلا بقية منهم سكنوا رنية الخرمة.

أما الأشراف في الخرمة فلا يتجاوز عددهم ثلاثمائة نفس، وأمير الخرمة هو الشريف خالد بن منصور بن لؤي رحمه الله، وهو من أقارب الملك حسين، ولكنه محب لأهل الدعوة الوهابية جداً، فلم تصف حالته مع حسين الشريف واتفق مع هذا أنه حدث خلاف بينهما في السنة المتقدمة حمل جلاله الملك حسين على حبس خالد، فاشتعل في صدر خالد زناد الانتقام، ولكنه غطاه دثار العقل إلى حين فرصة الانتقام، وذهب خالد بعد ذلك يساعد الأمير عبدالله في حصار المدينة، وهناك حدث بينه وبين الأمير عبدالله خلاف وتكررت الإساءة منهم إليه، فتكلم خالد منذراً، غير أن الأمير عبدالله غضب ولطمه بيده لطمَةً أثارت تلك المغطى، وقيل أن الذي لطمه رجل يدعى فاجر بن شليويح أحد شيوخ قبيلة الروقة، فاعتقل عبدالله المعتدي ولكنه أطلقه بعد أيام، فلم يرض خالد بهذا الجزاء وأسرّها في نفسه واستأذن الأمير عبدالله في الرحيل فأذن له، وما أصغى إلى نصيح ناصح وهو الشريف شاكر بن زيد بن فواز ألا يأذن له بالرحيل، فإن خالد في نفسه شيء لا يغسله ذلك الاقتصاص من خصمه وسوف يطول يومه بعد ذلك معهم إن لم يرضه، لكنه أجابه عبدالله ليمضي حيث شاء، وبالرغم من استخفافه بحقه فقد أمره أن يهبط إلى مكة، ويقابل الملك فتظاهر بالطاعة وغادر العيص مغيضاً محنقاً وآلى على نفسه لينتقم لنفسه وليجعلن خصومه أحدىة للناس، فخرج من رابغ إلى تربة، وأخبر كبار قومه بما لقي من إهانة بالغة، واستثار حماسهم فأجابوه أنهم معه ولو خاض بهم البحر، فأفشى إلى ابن سعود ما كان عليه الحسين، ودأب على تقوية الصلات بينه وبينه، واستنجد به عليه وطفق خالد يدأب في ضبط القبائل لابن سعود ونشر الدعوة له، وقد علم الحسين ببعض جهود خالد وأعماله فارتاب منه وبعث إليه يطلب حضوره إلى مكة، فاعتذر خالد وتعلل، وبعث إليه للمرة الثانية

والثالثة وخالء يعءذر ويءءلق المعاذير؁ وعين الحسين قاضياً لآربة فجر خالء أسباباً إلى رءه بواسطة الشيخ عبءالله سراج.

ولما اسءفءل أمر خالء بعء إليه الحسين يءلب منه أن يآآيه لأمر مهمة؁ فأبى لعلمه أنه لا يعوء إذا ذهب؁ فءنى الحسين وعزز بءالء وخالء يرفض طلبة ءءى أءابه خالء بأنه مسءقل بإمارءه وليس بآبعيته؁ فئار الحسين وءهز له قوة بعء قوة ءءمل الرشاءاء والمءافع؁ وكلها يرءها خالء مءءورة مءءولة؁ وآآر القواء في ءءمة الرابعة بلى عءءها أربعة آلاف بقاءة شاكراً؁ كان ءظها أيضاً الفشل.

أما آربة فسكانها من عرب البقوم؁ وفيها مءل ءآرمة عءء من الأشراف يملكون أرضها؁ وكلهم بءو وءضر وعبيء من آآباع ابن سعود منذ أيام سعود الأول؁ ببء أن قسماً منهم انءضموا إلى ءيش ءءاز في ءرب العظمى؁ ءم انقلبوا على الشريف ءسين لأسباب دينية ومالية؁ فألى على نفسه آاءيبهم ولم يءمكن من ذلك إلا بعء أن انءهء ءرب؁ فهذا الذي بعء الإشكال بين ابن سعود والشريف.

ومع أن آربة قرية لا يءءاوز عءء سكانها الآلاءة آلاف فإنها ذات أهمية لأنها في الطريق إلى الطائف؁ وهي باب الطائف من الوجهة النءءية وءصن الطائف من الوجهة ءءازية.

ويآبع آربة سهل شرقي إلى الشمال الشرقي من مسءنقعات البقوم؁ وعءء سكانها الآلاءة آلاف من الباءية وءول هاآين القبيلآين سبيع؁ والبقوم وقراهما آسرح وءمء قبيلة عآيبة الكبيرة.

رءعنا إلى ذكر ءيش الزاآف إلى آربة؁ فقء بالء الرواة في آقءيره؁ فقال بعضهم أنه بلى ءمسة وعشرين ألفاً؁ منهم ءمسة آلاف من النظام والباقى من البءو؁ وقال بعضهم أنه كان مؤلفاً من سبعة آلاف من النظام وثمانية آلاف من البءو؁ وقيل بمءوعه الآلاءة عشر ألفاً.

أما ءءيقة فهو عشرة آلاف؁ الآلاءة آلاف من النظام وسبعة آلاف من البءو مزوءاً بعشرين مءفعاً وءمسة وعشرين رشاشاً؁ وعلى كل ءال فإنه كان كافياً

لغرض الأمير، فقد دخل تربة بدون قتال يذكر، دخلها في ٢٤ شعبان من هذه السنة بعد يوم واحد من كتابة الكتاب إلى ابن سعود، والذي مكنه من ذلك هو أنه كان قد استخدم بعض عربان البقوم في جبل حضن ليدخلوا البلدة مدعين أنهم جاءوا يحذرون أهلها من الأمير ويستنهضونهم على محاربتة، بل قالوا للمدافعين أنهم جاءوا يجاربون معهم، فأنزلوهم في الحصون مع من تحصن فيها، فما لبثوا أن انقلبوا عليهم فاستولوا على أسباب الدفاع وصاحوا بالناس الملك للشريف، وفي تلك الساعة في صباح الرابع والعشرين من شعبان دخل الأمير بجيشه فصادف لأول الأمر بعض المقاومة، فأمر بإطلاق المدافع والرشاشات على المقاومين فتشتوا ثم فروا هارين إلى الحرة جنوبي البلد، فلما دخل الأمير ظافراً وزع جيشه في جوار تربة وحولها، وكانت ساعة لرجاله أباح فيها البلد، فنهبوا وأفسدوا فيها وتبروا ما علو تنبيرا على ما تقتضيه أهوائهم، ثم أمر بقتل بعض المشايخ واثنين من التجار التجديين وبمصادرة أموالهم.

ثم إنه كتب من مخيمه في الجهة الغربية إلى والده الحسين كتاباً جاء فيه:

إني في ثلاثين يوماً سأطوي نجداً بأجمعها وأخاطبكم من البحرين، وبث كتبه إلى رؤساء البادية في تلك النواحي، خصوصاً في رنية يخبرهم بما حل في تربة، ويهددهم بمثل ذلك إذا كانوا لا يميثونه طائعين صاغرين، ومن هذه الكتب هذا الكتاب - قيادة الجيوش العربية الشرقية:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله بن أمير المؤمنين الحسين بن عون إلى المكرم فيحان بن صامل، أما بعد فإنني أحمد الله إليكم ثم أخبرك بأننا وفقنا الله سبحانه وتعالى فأطفأنا نار الخارجة التي في تربة ومزقناها كل ممزق، وضربنا أعناق أرباب الزيف والنفاق ومن جملتهم «الطعام» و«ابن مسيب» نزيل قريتك وإن هذه الفتنة التي أثارها خالد بن منصور بلا لازم ينعاه أو حق يطلبه، وأدخلكم فيها نأمركم بتركها والإسراع بالركوب إلينا، وكف كافة سبيع أهل رنية بدو وحضر عن الاستمرار فيها، ونأمركم بجلب شيوخ الزكور «قبيلة من القبائل» معكم إلينا في

ست ليالٍ للاستئمان من سطوتنا، وإن لم تفعلوا فسأميل ميمنةً البريق المنصور عليكم مستعيناً بالله تعالى مستنجداً عظيم قدرته، ولا تكتم إنذارى هذا عن كل صغير وكبير لأنني سأسلك عنه حين لا تنفعلك الندامة... والسلام على من اتبع الهدى في ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧هـ.

القائد العام للجيش الشرقية الهاشمية الختم.

وفي كتاب إلى ماضي بن قاعد ومحمد أبرق نقيش يقول: ما خفي عليكم ما حل بتربة من ذبح الرجال وتدمير المال بعد أن طغى أهلها وبغوا، وأنتم يا أهل رنية بدو وحضر إن ما كفيتهم طوارفكم وركبتهم إلي في ست ليالٍ مع شريفكم وإلا حزمتكم حزم السلم وطردتكم طرد غرائب البل، وعاقلكم يعلم جاهلكم، ولولا مشاري بن ناصر وغازي بن محمد لكان صباحي يسبق كتابي إليكم والسلام على من اتبع الهدى.

ثم إنه استقر الأمير ذلك النهار في المخيم المنصور، وبعد إرساله كتب التهديد إلى رؤساء القبائل إذن لنجابه ابن سعود أن يعود بالجواب الذي ذكر، وكان قد علم بأن السرية التي جاءت إلى الخزعة بقيادة ابن بجاد وخالد قد مشت منها إلى مكان يدعى «القرين» فقال عبدالله لرسول ابن سعود هذا الكلام:

أخبر الخوارج ومن التف حولهم في القرين بما جرى وقل لهم ما جئنا تربة من أجل تربة والخزعة فقط، سنصوم في الخزعة إن شاء الله وسنعيد عيد الأضحى في الحساء، فركب الرسول وقت الظهر كثيراً مدهوشاً إلى أن وصل إلى القرين الذي يبعد عن تربة خمس ساعات وصله بعد صلاة العصر، فأحاط به الإخوان مستخبرين فشق جيئه حتى انسلخ من ثيابه وجعل يروي ما جرى على أهل تربة وما فاه به الشريف، فما كاد يتم كلامه حتى صاحوا صيحةً واحدة «إياك نعبد وإياك نستعين خيال التوحيد أخو من أطاع الله» وهموا بالهجوم فسكن العالم والقائد رعبهم، فقال سلطان بن بجاد بن حميد كيف نتجاوز أوامر صاحب الأمر فهو لم يأمرنا بغير الدفاع، ولكنه نسي كتاباً آخر جاء من ابن سعود وفيه ما معناه:

إذا جاءكم الخبر بمسير الشريف إلى مكة فالزموا مساكنكم إلى أن يأتيكم مني أمر آخر، وإذا علمتم بأنه تجاوز حدود تربة فإني أذنكم أن تفضوا كتابه وتقرؤه فترون فيه رأيكم، فما كانوا بحاجة إلى استماع كتاب الأمير وقد سمعوا كلماته من فم النجّاب، ولكن العالم عمل بالأمر العالي فصاحوا وهو يتلو الكتاب عليهم «إياك نعبد وإياك نستعين».

ذكر الهول في وقعة تربة

لما كان في آخر اليوم ٢٤ من شعبان زحف الإخوان في الساعة الحادية عشر مساءً، وقد كاد الواحد منهم يطير عقله غضباً وانتقاماً، وكان عددهم ألفاً وخمسمائة مقاتل، وقد استبسلوا كأنهم الأسود لهم وجبة عظيمة:

هبت هبوب الجنة أين أنت يا باغيها

ولما أن زحفوا بهذه الصفة جاء منذر من البادية إلى الأمير عبدالله يقول:

تحذر يا شريف المتدينة في الخرمة هاجمون عليكم، فغضب الأمير وأمر بقطع عنق الرجل، وفي رواية أنه أمر «دخناً» كبير عبيده بضربه فضربه حتى مات، كل ذلك استصغاراً لخصمه، ثم نام الأمير تلك الليلة مطمئن النفس خالي البال تحدّثه نفسه بالأمني والملك الواسع.

وكان الإخوان قد علموا من رسول ابن سعود كيفية توزيع جيش الأمير، فانقسموا إلى ثلاث فرق قبل أن يصلوا إلى نخيل تربة، فرقة خيالة، وفرقة خالد، وفرقة ابن بجاد.

وكان ابن الشريف قد ربط أهل المدافع والمكائن حولها بسلاسل الحديد لئلا يفروا عند نازلة وتجر بزعمه فلا يقاومه أحد.

وعندما وصلوا هكذا في منتصف ليلة ٢٥ شعبان هجموا هجمة واحدة، وكانت الخيالة قد جاءت من وراء نخيم الأمير لتقطع عليه خط الرجعة، فتقدم خالد ومعه الذين شردوا من تربة فدخلوا الباطن ليستولوا على نخيم الأمير، مشوا وسلاحهم الأبيض يلوح في ظلام شفاف، فرفع الإخوان أصواتهم بالتهليل والتكبير فاصطدموا بالسرية الأولى من الجيش الحجاز فذبحوا رجالها كلهم، وكذلك السرية الثانية ثم هجموا على السرايا المقيمة عند نخيم الأمير فتكوا بهم فتكاً هائلاً، وهجم سلطان بن بجاد برجاله وكله من أهل الغطط على الجنود النظامية وراء المتاريس والأطواب فكانت السيوف تشتغل كالمقاصل، وكان الرجل من أهل الغطط يثب على المدفع فيذبح الضابط المقيد ورائه بالحديد، ولكن هم يظنون أنهم يبطشون بالإخوان.

أما فرقة الخيالة فقد قطعت خط الرجعة خصوصاً على حرس الأمير فلم ينجو منهم غير الأمير نفسه وبعض الضباط، ونجاب ابن سعود الثاني، وفرّ عبدالله قبل أن يصل خالد ورجاله إلى سرايا المخيم فثبت بعضهم في النضال ليردوا العدو عن تعقبه وسقط من حاول الفرار صريعاً بين سنانك الخيل.

أما الذين نجوا من الذبح تلك الليلة ولم يستطيعوا الفرار فقد التجأوا إلى حصن من حصون البلد، فهجم الإخوان عليهم في اليوم التالي وجعلوا خاتمة المذبحة كأولها، فتراكمت الجثث بعضها فوق بعض، وكان من اللاجئين إلى ذلك الحصن الشريف شاكر، فكتبت له النجاة ونجا معه شاب من الأشراف اسمه عون بن هاشم سنة إذ ذاك خمس عشرة سنة، وكان يقول لمن يحدثه عن هول ذلك اليوم رأيت الدم يجري في تربه كالنهر بين النخيل فكنت بعدها قد بقيت سنتين عندما أرى المياه الجارية أظنها والله حمراء، ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل أن طحت من الشباك، ومن عجب ما رأيت أن الإخوان أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون إلى القتال، ثم لم ينج من جيش الأمير النظامي غير ستة ضباط واثني عشر جندياً، ولم ينج من البدو غير من سلموا وانضموا إلى جنود خالد وأكثرهم من عتية وعددهم لا يتجاوز الألف.

فكانت هذه الواقعة هائلة خيم فيها الموت وتطايرت الرؤوس عن الأجسام، وجرت الدماء كأنها السيل والذين قتلوا في الوقعات من جنود الشريف على طريق الضبط خمسة آلاف مقاتل ولم يفلت غير الأمير عبدالله وستة ضباط واثني عشر رجلاً، واثنين من الأشراف وهما شاكر وعون، وفرّ بقية المنهزمين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، وأدار الله دائرة السوء على الشريف وجنوده وقضت هذه الواقعة على آماله، وقتل من الإخوان أربعمائة لأنهم القوا نفوسهم على المكائن الرشاشة والأطواب، وقتل من أهل تربة والخرمة مائة فقط، ثم صارت هذه الأسلحة الثقيلة والخفيفة وجميع الأملاك والألات والأدوات التي استولى عليها عبدالله بن الحسين من الدولة الغابرة في كتابه الأول بتاريخ ربيع الثاني ملكاً لابن سعود وخسرها كلها الشريف بعد كتابه المشار إليه بأربعة أشهر واستولى عليها ابن سعود.

ومما هو جدير بالذكر أن الحسين قد جهز هذه الحملة بكل ما يملك من سلاح ومدافع ورشاشات حديثة بما كان أخذه من الحلفاء وغيرها من الأسلحة، فكانت من حسن حظ ابن سعود سلحت جيشه بأحدث الأسلحة بقدر ما أضعف من خصمه الحسين.

وكان ابن سعود قد حشد جيشاً عدده اثنا عشر ألف مقاتل، وجاء بهم قادماً من نجد فرعة لأهل الخرمة وتربة من هذا الظالم الشريف، ولم يعلم بما جرى إلا بعد الواقعة بخمسة أيام فلما زحف بهذا الجيش العرمرم التقي في الطريق بين ماء الفيصلية والخرمة بالنجباء الشارد فقص عليه الخبر، فاستمر عبدالعزيز سائراً إلى الخرمة ومنها إلى تربة فلما دنى منها رأى جثث القتلى كأنها الجبال فخنقته العبرة، وبكى لهذه المجزرة الهائلة وأمر بدفنهم، فجمع بين يديه الأثاث والألات والأسلحة النارية فاستولى عليها.

وما كاد يستقر في تربة حتى صاح الإخوان بأصواتهم إلى الطائف رخص لنا بالطائف يا الإمام، فمنعهم قائلاً: كفى الباغى جزاء بغيه.

وقد قال الشيخ حمد بن مريد قاضي قبة قصيدة طويلة يهنئ فيها صاحب الجلالة بهذا الفتح وذكر فيها كيفية ما جرى، فلنذكر شيئاً من أبياتها وهي قوله:

| | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| الحمد لله ذي الآلاء مولانا | حمداً كثيراً على ما كان أولانا |
| وأشكر الله شكراً لا نفاد له | وليس يحصى لذي الأنعام شكرانا |
| وحسبنا الله مولانا وناصرنا | على الذي رام للإسلام خذلانا |
| لقد أتى ابن حسين الوغد في خيلاً | بالكبر والفخر والإعجاب سكرانا |
| على ذوي الدين والإسلام ذا حنقٍ | بالغيض والحقد والعدوان ملائنا |
| يقود جنداً كثير العدد ذا عدد | كادت تضيق به أفواه ريعاناً |
| بدواً وحضراً وإسقاطاً ملفقه | من كل قطر وأتراكاً وسوادنا |
| جاءوا بهولٍ عظيمٍ من مدافعهم | مع المكائن تحكي ضوء نيرانا |
| قد سلسلوا عندها أصحابها حذراً | من أن يفروا إذا وقت الوغى حانا |
| جاء يريد إطفاءً لنور هدى | وينقضوا من الإسلام أركاننا |
| إذ جاء صيتان من عد الخبيث بما | يهيج من قلب ذي الإيمان أشجانا |
| وقال إخوانكم بالألمس قتلهم | وظل يسبي لأهل الدين نسوانا |
| فبادروا بالبكا حتى كأنهموا | ثكلى أعاد عليها الدهر أحزاننا |
| وما استكانوا لذلك الهول بل صبروا | واستمنحوا الله تثبيتاً وإيماننا |
| سلوا السيوف وبنوا من ثيابهموا | واستبدلوها سرّاً ويلاً وأكفاننا |
| جاؤه في حفرٍ في الأرض خندقها | أعدّ فيها دناميتاً ونيراننا |
| وخالطوهم عياناً في خنادقهم | وأثخنوهم بحمد السيف أنخاننا |
| لما رأوا فعلهم فيهم وصبرهموا | ألقوا سلاحهموا ذلاً وإذعاننا |
| وظل جند الهدى بالبيض ليحصدهم | حصاد زرع هشيم وقته حانا |
| لم ينج منهم سوى قوادهم هربوا | على جيادٍ لهم ذعراً لما كانا |
| وخلفوا خلفهم رغماً مدافعهم | مع المكائن مع بز وعقياننا |
| إذ فلَّ عبدالعزيز الشهم رايتَه | وجاد بالنفس في مرضاة مولانا |

في عصبة من بني الإسلام عاداتهم
وحارب النوم مع حلو الطعام ولم
وظل كالأسد المودى بغايته
حتى يضرج من آذاه في دمه
يوم التحام الوغى تصرع أقرانا
يشرب لذيداً ولو أن كان عطشاناً
له زئير ولم ينفعك غضباناً
ومنه يخضب أظفاراً وأسناناً

إلى آخر القصيدة وهي طويلة أثابه الله.

ونحن نسوق قصيدة جادت بها قريحة شاعر نجد الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين في هذه المناسبة فإنه قال: الحمد لله معز من أطاعه، ومذل من خالف أمره وأضاعه، يتتلي ويختبر، ثم يعيد الكرة لمن أطاعه وينتصر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة موحد بلسانه وعمله وقلبه مستقبل من عثرانه وذنبه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالعصمة، القائل: «إن من الشعر لحكمة» ﷺ وعلى آله وصحبه مصابيح الظلمة.

وبعد فإنني نظمت في معالي إمام الهدى والدين حامي حوزة الإسلام والمسلمين الناصر لهم بسيفه وسانه المؤيد في أفعال يده وأقوال لسانه إنسان عين الوجود وجوهر الوجود، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، ثم قال بعد ذلك:

عج بي على الربع حيث الرند والبان
فللمنازل في شرع الهوى سنن
وقل ذاك لمغنى قد سحين به
القاتلات بلا عقل ولا قود
لله أحرر ساجي الطرف مقبل
عبل الروادف يندى جسمه ترفاً
كأنما البدر في لألاء غرته
يهتز مثل اهتزاز الغصن رنحه
لو كان يمكن قلنا اليوم أبرزه
وإن نأى عنه أحبابٌ وجيران
يدري بها من له بالحب عرفان
ذل التصابي برسم الشجو غزلان
سلطانهن على الأملاك سلطان
عذب اللمى لؤلؤي الثغر فتان
ظامي الوشاح لطيف الروح جذلان
يا ليت يصحب ذاك الحسن إحسان
سكر الصبا فهو صاحي القد نشوان
لينظر الغاس كنه الحسن رضوان

قد كنت أحسب أن الشمل ملتئم
فاليوم لا وصل أرجوه فيطمعني
في ذمة الله جيراناً إذا ذكروا
فارقتهم أم تري أخلاف سائمة
لعل نفحة جود من مواهبه
أريش منها جناحاً حصه قدر
وفي اضطراب الفتى نجح لبغيته
فاربأ بنفسك عن دار تذل بها
طفت المعالم من شام إلى يمن
فما لقيت ولن ألقى ولو بلغت
مثل الجحا جحة الغر الذين سموا
الضاربي الكبش هبراً والقنا قصداً
والفارجي غمم اللاجي إذا صفرت
والصائنين عن الفحشا نفوسهم
خضل المواهب أمجاد خضارمة
غر مكارمهم حمر صوارمهم
لكن أورا هم زندا وأسمحهم
عبدالعزیز الذي نالت به شرفاً
مقدم في المعالي ذكره أبداً
ملك تجسد في أثناء بردته
خبیثة الله في ذا الوقت أظهرها
ودعوة وجبت للمسلمين به
حاط الرعية من بصرى إلى عدن
فجددوا الشكر للمولى وكلهم

والحبل متصل والحي خلطان
ولا يطيف بهذا القلب سلوان
هاجت لذكرهم في القلب أحزان
يسوقها واسع المعروف منان
يروي بها من صدى الأفقار عطشان
شكى تساقطه صحب وإخوان
وللمقادير إسعاداً وخذلان
لو أن حصائبها درّ ومرجان
ومن حجاز ولبتي خراسان
بي منتهى السد همت ووجدان
مجداً تقاصر عن علياه كيوان
والتاركي الليث يمشي وهو مذعان
أوطابه واقتضاه الروح ديان
والمركبها إذا الخطى أثمان
بيض الوجهه على الأيام أعوان
خضر مراتعهم للفضل تيجان
كفا وأشجعهم أن جال أقران
بنو نزار وعزت منه قحطان
كما يقدم باسم الله عنوان
غيث وليث وإعطاء وحرمان
وللمهيمن في تأخيرها شان
أما ترى عمهم أمن وإيمان
ومن تهامة حتى ارتاح جعلان
يدعو له بالبقا ما بقى إنسان

ورب مستكبر شوس خلائقه
تركته وحده يمشي وفي يده
وعازب رشده إذ حان مصرعه
أمطرته عزمات لو قذفت بها
عصائباً من بني الإسلام يقدمهم
ويل أمه لو أتاه البحر ملتطماً
لأصبح الغر لا عين ولا أثر
ومشهدك في الإسلام سوف ترى
نحرت هديك فيه المشركين ضحى
أرضيت آبائك الغر الكرام بما
نبهت ذكراً توارى منه خير علا
فجئت بالسيف والقرآن معتماً
حتى انجلي الظلم والأظلام وارتفعت
دين ودنيا وبأس في الوغى وندى
هذي المكارم لا ما روى عن هرم
أقول للعيس إذ تلوي دفاريها
ردي مياهاً من المعروف طامية
تدوم مادام للدنيا بشاشتها
ثم الصلاة على الهادي الذي خمدت
والآل والصحب ما ناحت مطوقة

صعب الشكيمة قد أعماه طغيان
بعد المهند عكاز ومحجان
بخمرة الجهل والإعجاب سكان
صم الشوامخ أضحت وهي كثنان
من جدك المعتلي بالرعب فرسان
أذية الأسد والأجام مران
أو شاعفته قبيل الصبح جنان
يوفى به لك يوم الحشر ميزان
فأنحر فنحر سواك المعز والضأن
جددت من مجدهم من بعد ما بانوا
للمارقين ضباب فيه دخان
تمضي بسيفك ما أمضاه قرآن
للدين في الأرض أعلام وأركان
تفيض من كفه بالجوهر خلجان
ولا الذي قيل عمن ضم غمدان
لإلفها ولها في الدو تحنان
نباتها التبر لا شبح وسعدان
فاسلم فانت لهذا الخلق عمران
في يوم مولده للفرس نيران
خضباً يمد بها في الدوح أغصان

ولما انهزم القائد عبدالله وفر من بين رجاله على فرسه حاسر الرأس، حافي القدمين، وصل إلى الطائف وأثرت تلك الهزيمة في نفسه، ثم ألقى العمامة عن رأسه التي هي شارة الأشراف وآلى على نفسه أن لا يضعها على رأسه بعد ذلك حتى يتم له الأخذ بالثأر من ابن سعود، غير أنه شعر بغلظته وأنه لو احتاط للأمر وأصغى إلى نصح أحد لما حل به وبجيше ما حل، وأنب نفسه.

ولما أن جرت واقعة تربة كما ذكرنا ارتج لها الحجاز ودوت بها اللاسلكيات في مشارق الأرض ومغاربها، وقام الحسين وقعد خوفاً على الحجاز، وسمع بها نجله فيصل وهو إذ ذاك ملك على سوريا فأرسل عدداً من الجنود السورية تبلغ ثلاثمائة وصلت إلى جدة بعد الواقعة، ولكن كيف يصنع الحسين بهذا العدد القليل وضافت عليه الأرض بما رحبت، وأضاف إلى هؤلاء مائتين وجعل عليهم وزير حربيته محمد القيسوني، وخاطب رئيس حكومته عبدالله سراج يطلب منه الرأي في هذه المحنة فلم يجد لديه إلى الرأي الحازم، وهو متابعة الحرب ودفع الغزاة دفعاً لا هوادة فيه، ولكن أين الجيش، أين الغزاة، وعلى أثر ذلك خاف الحسين من النجديين أن يقتحموا الحجاز، ولكنه عاد ابن سعود إلى نجد بعدما أقام خمسة عشر يوماً في تربة، ولا يعلم ما الذي حمله على العودة.

وقد حامت حول الخطة عبارات المؤرخين، فقد قيل أنه اكتفى بما نال الحسين من الخيبة والفشل، ولم يرَ في تلك الفرصة السانحة أن يتقدم إلى الحجاز وأن الساعة لم تحن، وإلا فلو تقدموا تلك الساعة إلى الحجاز لما وجدوا أقل مقاومة، لأن الجيوش الهاشمية انحلت، ويتعذر جمعها، بل إن البادئ بالعدوان هو الشريف، فإن عبدالعزيز المتصف بالإناءة والحلم اكتفى بما نال خصمه، وأمر الإخوان بالرجوع إلى نجد وهذا احتمال حسن.

ولكن الصحيح أن الشريف حسين بن علي لما بلغت به الساعة الحربية غايتها حقوق الطلب من رئيس حكومته أن يتصل بسفير بريطانيا بمجدة المستر «بولارد» يرجوه التدخل في شؤون هذه المشكلة الجديدة ويرد ابن سعود عن حدود الحجاز، فوعده بالسعي بعد أن قال له: أردنا أن نتدخل في الأمر من قبل فأبئتم، فاتصل السفير بلندن ورفع شكاية الشريف وطلبه حماية بلاده، وكان الشريف قد ذكر الإنكليز وعودها وعهودها، فجاء البلاغ من بريطانيا العظمى للسفير فكتبه وسلمه إلى محمد الطويل ناظر الجمارك ليسلمه إلى الحسين بمكة، فاستلم الشريف حسين البلاغ وبعث به إلى ابن سعود في تربة، وهذه صورته:

في ظهر ١٥ رمضان سنة ١٣٣٧هـ أمرتني حكومة جلالة الملك أن أبلغكم بأن تعودوا إلى نجد حالما يصل إلى يديكم كتابي هذا وتتركوا تربة والخزمة منطقة غير مملوكة حتى مفاوضات عقد الصلح وتحديد الحدود، وإذا أبيتم الرجوع بعد الاطلاع على هذا الكتاب فحكومة جلالة الملك تعد كل معاهدة بينكم وبينها لاغية، وتتخذ ما يلزم من التدابير ضد حركاتكم العدائية، وبالعكس تقدر عملكم إذا عدتم وتعتبر أنكم قمتم بحقوق الود والولاء وأخذتم بنصائحها الودية لأنها تعد الجميع أصدقاء لها، وهي تأسف أشد الأسف لما وقع بين أصدقائها سواء أكان النصر في جانبكم أو في جانب الحسين.

وما كاد ابن سعود يتم قراءة الخطاب الوارد عليه من السفير البريطاني إلا وهو ينادي بالرحيل في قومه، وغادر تربة والخزمة عائداً إلى نجد، ورد على السفير وسلم رسوله الرد، وبارح تربة ميمماً بلاده حشية أن يكون سبباً في تدخل الأجانب في الحرمين، ولم تكتف بريطانيا ببعث ذلك الخطاب خوفاً من بأس ابن سعود وعدم إذعانه لنصحها بعدما حازه من نصر، فبادرت بإجابة طلب الحسين وأحضرت بواخر حربية رست في ميناء جدة تحمل كمية من المعدات والطائرات، وهمت بإنزال معداتها في رصيف خاص سمي سقالة الإنكليز.

ذكر الوباء^(١) ومن توفى في هذه السنة

هذه السنة يؤرخ بها أهل نجد ويعرفونها بسنة الرحمة، لأنه وقع فيها طاعون والعياذ بالله، وهلك بسببه في قلب الجزيرة العربية ألوف من الأنفس البشرية، وكان عظيماً، وفشى المرض في الناس وقلّ من يسلم منه، وقد ذكر لنا عن شخص أصابه

(١) وكان وقوع الوباء في أوائل هذه السنة، وكان عاماً في نجد والإحساء والعراق وجميع المدن على الخليج العربي، واستمر ثلاثة أشهر والعياذ بالله، وبسببه هجرت مساجد وخلت بيوت من السكان وهملت المواشي في البراري، فلا تجد لها راعياً ولا ساقياً.

ذلك المرض فسلم، قال إني رأيت فارساً أقبل علي ويده رمح فأراد أن يطعن قلبي فأخطاه إلى الجنب الأيسر.

وكان الوباء فيما يزعمه أهل الكشف بأنه جرائم قتالة لا تدركها العيون المجردة، ولهذه الجرائم وخز خفي دونه وخز الرماح، هنا أقول فيه غير أننا نذكر ما نحن بصده: فذكر لنا أن رجلاً من أهل الديانة والفضل موطنه بلد المذنب في القصيم، رأى في بداية هذا الطاعون في منامه كأنه خارج البلد، فرأى فارسين خرجا من خلف أكمة هناك سلاحهما ولباسهما وخيلهما البياض، فخاف لذلك خوفاً شديداً وقام هارباً من سطوتهما يعلوه الفزع والاضطراب، غير أنه لم يستطع السعي لشدة الهول حتى أدركاه فسلما عليه وسكناه بقولهما لا بأس عليك قائلاً: لا نقصدك وإنما نريد أهل هذه القرية، فوالذي لا إله غيره لأن لم يتوبوا لنفعلن بهم كما فعل بقوم هود أو قوم لوط، ثم دخلا قرية المذنب فاستيقظ من رقدته، وكان له ورد من آخر الليل يصلي ما بدا له ثم يوقظ أهله ويذهب هو إلى المسجد، غير أنه هذه المرة عجز عن النهوض من منامه حتى أيقظه أهله وأقاموه، فتوضأ وذهب إلى المسجد بعدما طلع الفجر فحينما دخل المسجد وجد الناس في الصلاة إذ سقط رجل خلف الصف ثم سقط آخر من الصف، ثم فشى الوباء.

وقد حدثني ثقة قال: مرض إمام مسجدنا ومؤذنه والواعظ الذي يرشد في المسجد، فكننت أؤذن وأصلي بهم وأعظ، وقد كان يصلي في المسجد الواحد في اليوم الذي هر اثنتا عشر ساعة على ما يربو عن مائة جنازة حتى تكسرت النعوش وجعلوا عوضاً عنها أبواباً وبسطاً تحمل بها الموتى، وهلك من بعض بيوت أهل القصيم قدر من ثلاثة أرباعها، ومرض أهل بيت كلهم غير واحد كان يتولى قضاء حوائجهم ويقوم بميانته وكانوا اثني عشر من الأنفس البشرية، فكان ذلك الصحيح يتولى رعايتهم عنايةً من الله في تسخيره لهم، يتولى شؤونهم، وكان يقول إني أنا مريض مثلهم غير أنني لم أجد فرصة للنوم والمرض، ولقد كان المحسن من الناس من همه حفر الحفور والنقل إليها.

فممن توفى فيها من الأعيان تركي بين جلاله الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وكان بكره ويكنى به وموضع الأعاجب منه لما له من الصرامة والشجاعة، وترى علامات النجاة عليه رحمه الله تعالى، وتوفى أيضاً إخوان له من أنجال الملك، وسنذكر بعض الأعيان:

فمنهم أخونا وشقيقنا عبدالرحمن بن عبيد بن عبدالمحسن وهذه ترجمته:
هو الشيخ الشاب الأديب النبيه العارف الذكي ذو العلوم الربانية والمنح الألفية، العالم عبدالرحمن بن عبيد بن عبدالمحسن آل عبيد قدس الله روحه ونور مرقدته وضرجه، كان رحمة الله عليه عاقلاً ذكياً مهيباً، حفظ القرآن عن ظهر قلب وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ويحفظ المعلقات السبع وله معرفة تامة في علم الحديث والفقه واللغة، وجد واجتهد ونافس في نيل العلوم والسعي في طلبها، فأدرك ما قصر عن نياله غالب الأمثال، ونال مقام أولى النهى والفضائل، وكان قارعاً للشعر فصيحاً بليغاً منطقياً جهوري الصوت، لا يمل المطالعة والمراجعة، وله بعض المؤلفات وغالبها ردود على أهل المخالفات لأنه نشأ في زمان كثر فيه الشقاق وظهرت علامات النفاق.

وكان والدنا السعيد يعجب من كثرة اجتهاده وحلاوة منطقته، ولما رآه بهذه المثابة فرغ بآله عن الأشغال وتركه وشأنه مكفي المؤنة، فلازم الشيخ عمر بن محمد بن سليم وتخرج عليه، واستمسك بغرزه حضراً وسفراً حتى صار آية من آيات الله، وأعجب به شيخ ورأى علامات القبول لائحة عليه، وتوفى وهو مصاحب الشيخ المذكور في الأرطاوية، وكان مولعاً بتلاوة القرآن ودرس كتب الصحاح والسنن والمسانيد واللغة والعروض، وما زال يتقدم حتى فاق أهل الزمان وتقدم الإخوان ونبيغ من بين الأقران، يقول ويفعل ويتلو كتاب الله وبه يعمل، فلو سألت عنه الناس لمأأذنك ثناء، ولو سبرت حاله لرأيت جواداً لا يبارى وسباقاً في الفضائل لا يجارى، وله جراءة عظيمة وصلابة في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم.

وهذه صفته رحمه الله:

كان قوي البنية ربعة من الرجال، يميل إلى الطول، أسمر اللون على وجهه أثر الجدري، وإحدى عينيه فيها نقطة بيضاء، قوي الإرادة شجاعاً، ولقد جرى له مع الشريف حسين بن علي قصة: وهي أنه حج في رفقة الشيخ عمر بن سليم، فبينما هو راكب في بعض شوارع مكة المشرفة وقد ازدحمت الشوارع بالحجيج وافق أن نفحت ناقته صبيّاً برجلها من غير قصده ولا علمه، فما كان إلا قليل حتى أخذ وناقته صباحاً ورفعت المسألة للحسين، فلما علم أن صاحبها سعودي دعى به إليه ليسأله القصة، ولما أن جلس بين يديه وتكلم، عرف ما تحت الأديم من لسان بليغ وقلب عقول، فأعجب بكلامه وملأ عينيه، فعندها أخذ في البحث معه والمناقشة وكل إناء بالذي فيه ينضح، فسأله عن مشايخه وأساتذته فأخبره بأنهم آل سليم الذين أخذوا العلم عن آل الشيخ محمد بن عبد الوهابين فأجابه الحسين بقوله: لعنهم الله لقد أضلوكم سواء السبيل، فقال له عبدالرحمن: لا تلعنهم فإنهم على تحقيق شريعة جدك رسول الله ﷺ وإن لم نتبعهم لحسن لباسهم ولا لطيب أنسابهم، فأكرم الخلق عند الله أنقاهم، ولكننا وجدنا عندهم الشرع الحمدي فأخذناه عنهم، فقال له أخبرني يا بني عن التوسل وبغضهم للرسول؟ فقال: أما التوسل فعلى ما قرره شيخ الإسلام بن تيمية في كتاب التوسل والوسيلة ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- توسل إلى الله بأسمائه وصفاته فهذا مطلوب ومندوب إليه، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

- وتوسل بالأعمال الصالحة كما فعله أهل الغار فهذا جائز.

- وتوسل بذوات الأموات فهذا شرك وضلال.

وأما بغضهم للرسول فحاشا وكلا، إنهم لم يبغضوا الرسول، بل كانوا يرون الصلاة عليه في الصلوات الخمس والنوافل فرضة ولا تصح صلاة من

لا يصلي عليه فيها، وأنتم ترونها سنة فأصبح تعظيمهم له أعظم من تعظيمكم واحترامكم، أما دعائه وسؤاله الحاجات فغير مشروع.

ثم إنه دعى الشريف بطعان الغداء وقدم لذلك المأكولات قائلاً: اطعموا ضيفنا من غدائنا، تقدم أيها الشيخ للغداء فاطعم معنا، وكان رحمه الله قد غاب عن رفقته وتأخر عنهم، ولم يعلموا بما صدر منه ولا بغيبه، فقال: يا حضرة الأمير إن كرامة النفس فيما يلائمها ويوافقها وأنا لا يعجبني هذا الطعام، فأجابه الشريف قائلاً: وما طعامكم؟ فذكر له أن العجين يجعل أقراصاً فيلقى في الماء بعدما يغلي فيخرج من ذلك المرقوق وهو الذي يعجبني، فضحك لذلك الشريف ضحكاً شديداً وقال: هل تريد الذهاب إلى رفقتك فإنك علينا عزيز، قدم طلب ما تريده منا، فأجاب قائلاً: أريد بعيري والذهاب إلى رفقتي الذين لا يعلمون كيف حالتي، فأمر خادماً أن يذهب به إلى ناقته التي قدم له البرسيم إكراماً لصاحبها وشيعه مودعاً، فأخذ بخطامها وعاد إلى رفقته مصحوباً بالسلامة.

ومن العجب أنه لم يخبر الشيخ والزملاء إلا بعد رجوعه إلى بريدة لما جلسوا على مائدتنا في القصيم، وكان سنه يوم وفاته ستاً وعشرين سنة، وهو أكبر إخواني وله قصائد حسنة، فنذكر منه قصيدة أنشأها جواباً لقصيدة لبعض الأحباب وهي:

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| لك الحمد اللهم في كل حالة | على نعم تسموا على عد حاسب |
| ومن بعده أذكى صلاة على الذي | أقام منار الدين في كل جانب |
| كذا آله مع صحبه ثم تابع | على المنهج الأسنى على المراتب |
| وسار على قصد عن الميل معرضاً | ولم يشه عذل العداة الكواذب |
| وبعد فقد عم الفتور مع المنى | وكذا العجز والتسويق في كل جانب |
| نقضي زماناً بالمنى ثم نرتجي | ونبغي ارتقاء الذرى والمراتب |
| وما ذاك إلا كالسراب بقيعة | يراه الذي يهواه عذب المشارب |

وأسباب جلب العلم يعلم أنها
وأسباب حفظ العلم ليست خفية
فمنها لذكاء والحرص مع ذا اجتهاده
وآفاته ضحك جدال مع المرء
كما قد نهى المختار في غير موضع
وقد جاءت الآثار في حظ فعله
وليس به بأس إذا قيل قد روى
فسل ربك التوفيق والمن والهدى
ويا راكباً إن ما لقيت فبلغن
ومن بعده أبلغه عني وصية
على العلم فاحرص دائماً في اقتنائه
وأن جميع العمر في غرس كرمه
فإن تلقه فليهنك العلم إنه
فكم من حديث قد تواتر لفظه
بمدح وحفظ للعلوم مع التقى
يحن إلى الدنيا ولذات أهلها
ينافس مشتاقاً إليها وإنه
حريصاً على جمع التلاد وكنزه
يرى فعل هذا من كثافة جهله
وببغض أهل الحق والعلم دائماً
فلا تنتظر من قد سما عنك ربه
كذلك أقنع بالرزق لا تطلب المرء
ولازم تقى الرحمن في كل مشهد
وأسأل رب العرش ذا المن والهدى

بعيداً على أهل الفتور الخوالب
فمن شائها يلقي وليست غوارب
كذا نصح أستاذ وبلغه صاحب
كذلك اعتصاب للهوى والمناصب
فلا تعترض للنهي والمزح جانب
فلا سيما منهم علي بن أبي طالب
هداة عن المعصوم أزكا الأطائب
لينجيك من نار عظيم اللهائب
سلاماً على أهل النهي والمناقب
ونفسي وإخواني وكل مصاحب
فما بعده إلا الردى في العواقب
ولازم تقى الرحمن والشر جانب
حقيق بأن تفنى وتحفي النجائب
عن المصطفى والصحب يحلو الغيايب
فتباً لبعده للعلوم مجانب
يرى زهرة الدنيا على المناصب
لفي غفلة قد غره فعل ناكب
ويمنع حق الله في كل نائب
سلوكاً على نهج الهداة الأطائب
ويمدح أهل الكفر من كل خائب
وأعني به في المال لا في المراتب
فإن الغنى بالنفس لا في المطالب
ولا تكثرت بالناس في العلم دائب
سلوكاً على سير الهداة الأطائب

وعني على الشيطان والنفس والهوى
وآخر قولي وابتدائي مصلياً
مدى ما بدا نجم وما هبت الصبا
وما ضحكت أنواره وترعرعت
محمد المعصوم والصحب كلهم
وكل أمور الشر خبث المآرب
على المصطفى المبعوث للشرك عائب
وما اهتز روض من هطول السحاب
وما سبحت ورقاء في كل ثائب
هداة الورى للحق خير المطالب

وله قصائد حسنة منها قصيدة رد فيها على أعداء الشيخ صالح بن سالم آل
بنيان وذب فيها عنه، فمن معرض أبياتها قوله في الشيخ صالح منوهاً في فضله
ومبيناً عقيدته:

فقد طالما دل العباد بعلمه
وقرر توحيد الإله بحجة
وصابر ما يلقي وقام بجهده
فما زال هذا دأبه وجهاده
إلى أن قال:

بأي دليل تستبيح لعرضه
ستعلم يوم الحشر ما قلت نادماً
فربك بالمرصاد لا تستهن به
لدى كل نادٍ تحتليه بلا خجل
وتخرج مما قلت ياويل من خذل
ثكلتك فاستعتب هديت ولا تمّل

إلى آخر القصيدة التي بلغت خمسة وثمانين بيتاً، وله قد قدس الله روحه ونور
مرقده وضريحه كتاب رد فيه على بعض المنافقين وغير ذلك، وجمع كتباً كثيرة
وغالبها أوقفها على أخوته وله رسائل مثبتة في خط يده، ومات ولم يتزوج لاشتغاله
بالعلم ولأن المنية لم تمهله.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبدالله بن صالح الربدي كانت أسرته من
أكبر الأسر في مدينة بريدة، وظهر من أسرته رجال عظماء لهم شهرة ومكانة في
العالم خدموا أمتهم وقضوا واجباً يشكرون عليه، فمنهم زعيم بعث إليه صاحب
الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن في حال شدة وضيق لما أرهقته الحروب يستقرضه

قرضاً وبعث إليه برهان ليقبضها، فبعث إليه يقول هذا القرض الذي طلبه منا نحن ومالنا تحت إشارته، والرهن مردود وفي كرامة عن قبضه، فإن أظهره الله قضانا ورد علينا القرض، وإن كان غير ذلك فما كان المال بأعز منه.

وكان المترجم عالماً عارفاً مقبلاً على الله والدار الآخرة، وله همة في طلب العلم والجد والاجتهاد والصبر على ضيق المعيشة ما كان موضع الإعجاب، وكان زميلاً للشيخ عبدالرحمن، وتوفى معه في الأرطاوية لأن الشيخ عمر بن محمد بن سليم إذ ذاك فيها وهو من الملازمين له أيضاً.

ومن توفى فيها أيضاً الشيخ عبدالله بن محمد بن جربوع كان أيضاً من أسرة عظيمة في بريدة ويلقب «الدبية» تصغير دبة على وزن سمية والددة عمار بن ياسر، وكان عالماً متقناً متفنناً عارفاً، وله أكباب على طلب العلم، ومن خيرة تلامذة الشيخ عمر وزميلاه اللذين قبله، توفى في الأرطاوية صحبة الشيخ المذكور نسأل الله تعالى أن يتغمدهم برحمته ويجبر المصاب بفقدهم، وإنها لخسارة عظيمة، ورزء فادح أن يصاب الإسلام بهؤلاء وأمثالهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن توفى فيها عبدالله بن إبراهيم بن معارك، كان رحمه الله إماماً في أحد مساجد بريدة المشهورة، وزاهداً متعقفاً، وفيه رقة وخشوع عند تلاوة الذكر الحكيم، كما نقل لنا عن بعض رفقته في السفر أنه كان راكباً جالاً لحج بيت الله الحرام، ويتلوا القرآن وهو راكب فلما بلغ قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فجعل يرددّها ويبكي حتى جعلت لحيته تهتن بالدموع من خشية الله تعالى، وكان محبوباً عند الناس لأنه مؤدب ومعلم للصبيان ومتواضع، وله سجع مليح في الكلام وذا عبادة وصبر على قوارع الزمان.

وله من الأولاد عثمان وعلي، فأما عثمان فإنه جد في طلب العلم حتى نال درجة القضاء، وأما علي فكان دمث الأخلاق، طلق الحياء، خدم حكومته في المنطقة الشرقية وكان موضع الثقة والتقدير.

وممن توفي فيها من الأعيان أيضاً الشيخ عبدالله بن فداء وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد الورع التقى من نشر الله ذكره في العالمين وجعل له لسان صدق في الآخرين، ذو الأسرار الإلهية والمعارف الربانية، الموسوم بالفضل والدين وشهاب الرحمن على أعناق الكافرين عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن مُفَدَّا هل وزن مهنا ويعرف بين الناس (بابن فداء) من آل ظفير.

ولد في سنة ١٢٧١ وأخذ العلم عن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأخذ عن الشيخ محمد بن عمر بن سليم وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن حمد بن سليم وغيرهم، ورشح مرات للقضاء فرفض وكان الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن يرأسه بكتب ويكتب له بابن مفداء وطلب منه أن يقابله عدة مرات ليتفق به فقابله الشيخ عبدالله ووعظه وأهدى له نصائح وأسدى إليه مواعظ في مقابله منها قوله (يا عبدالعزيز إياك والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة كررها ثلاثاً) ثم انصرف الشيخ عنه وتركه.

أما الذين أخذوا عنه العلم فمنهم: الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، ومنهم الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف سابقاً، وأخذ عنه عبدالعزيز بن عودة السعوي، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن عبيد، والشيخ عبدالمحسن بن عبيد، وأخذ عنه سليمان بن ناصر السعوي، وأخذ عنه الشيخ محمد بن مقبل وغير هؤلاء خلق كثير؛ وألف بعض الرسائل فمن مؤلفاته «القول المتين في الرد على المحتالين في المعاملات» وقد لقي بعض المضايقات من بعض أمراء القصيم فاضطر إلى النزوح إلى بلدة عنيزة، وصبر وصابر وعلم وأرشد وله عناية بالرفق وكان عالماً بصيراً في دينه زاهداً في الدنيا معرضاً عنها مقبلاً على الله والدار الآخرة ويندر مثله في زمانه لأنه جمع بين العلم والزهد والورع وله حجة في قلوب المؤمنين مديماً على العزلة لا

يزور ولا يزار خالياً بربه وفاطره محباً لأهل الدين مبغضاً للكفار والمنافقين وكهفاً منيعاً لأهل الحق يتتابونه في الشدائد ويفزعون إليه في وجوده إذا دهمتهم المهمات والمكائد.

أما عبادته واجتهاده وزهده وورعه فشيء لا تبلغه العبارة، ولقد كانت شهرته تكفي عن ذكر ترجمته:

جاء إليه صاحب له فقال له: يا شيخ كيف أصبحت فقال لست بطيب إذا لم أخلف الصراط خلف ظهري فلست بطيب، وجاء إليه صديق يشكو الحال من كثرة الاختلاف والشقاق وقال: يا شيخ إن الناس في خبط وتقلب، فأجابه قائلاً، يا أخي قل الله اجعل هواي تبعاً لما جاء به نبيك محمد ﷺ، ودع الناس في خبطهم لهم مدبر يدبرهم، فله دره ما كان أعرفه بربه، فانظر إلى ما تحت هذا الدعاء من السر البديع.

ولما سمع بقدوم الدولة العثمانية إلى بريدة خرج إلى خب يسمى «زنقب المريدسية» فاراً بدينه ونزل عند نسيب له فيها وكان قد استصحب معه منيعة عنزاً اشتراها بنفقة طيبة فكان يشرب حليبها هناك فقدر أن انطلقت ليلة من الليالي إلى خضرة الجيران تاكل فلما علم بذلك تأثر واغتم لها ودعا بأهل البرسيم ليقوموا ما أكلته فأبوا عليه وأخبروه أنهم في حال المسرة بذلك وعلى الرحب أن تاكل منيعة الشيخ منهم لحبهم لصاحبها، فحبسها سبعة أيام واجتنب درها فيها.

ولما جاءته زوجته مرة بلوبيا من فلاحه أهلها لعشائه فسألها من ناوها إياه أمها أو أبوها وخرج عليها إذا لم يعلم به أبوها فلتجع به عنه، وهذا غريب في زمانه وبعد زمانه وشيء يعجب له من تركه المشتبهات، وإنه ليجميل بنا ذكره.

ولما أن قدمت الدولة العثمانية إلى بريدة بسعي الأمير عبدالعزيز بن متعب ابن رشيد كما قدمنا خرج إليه بعض أحبابه وأصدقاءه في خبه ذلك وجلس إليه يبكي مما دهم من المعضلات والفتن وكان الزائر من المتسبين إلى العلم وقال له

يا شيخ أنا في غاية المحنة لقد قدمت الدولة وتتابع المحن وترادفت أسباب البلاء وقد بلغت بي الحال إلى أن أتمنى الموت؛ فأجابه الشيخ قائلاً له تفريجاً لكربته وتطميناً لنفسه، يا أخي هل أنت تتصرف في الخلق والتدبير أم الله عز وجل هو المتصرف في خلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الخلق يا ولدي له مدبر وتدبير الله لنا خير من تدبيرنا آمناً بالله، فقام الرجل منشراح الصدر مطمئن البال راضياً بتدبير الله مفوضاً إليه الأمر.

فانظر يا أخي وفقني الله وإياك إلى كلام هذا العالم الموفق وإلى ما أرشده إليه حيث دله بعلمه وعقله إلى ما يستريح به من عدم تدبير نفسه وتدبير العالم وأن الله هو المدبر لا شريك له، فلو أن الإنسان رضي بأقدار الله وأقضيته لاستراح من هموم كثيرة، وهذا معنى ما ذكر عن بزرجمهر الحكيم أنه لما حبس وضيق عليه في أمر المأكل والمشرب زاره بعض أحبابه وإذا به لم يتأثر فسأله عن ثباته وصبره فقال إذا لم أصبر فكيف أصنع إنني لا أعين عدوي على نفسي بالجزع.

وكان من صفة ابن فداء أنه ناكل الجسم دائم السكينة وكان خائفاً متواضعاً كأن النار أمامه تهابه الأمة وتحبه وترجع إلى أقواله، فنسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه في جنته.

ذكر صداقه في معاملته لربه وثقته به

لما كان في زمنه شقاق ومخالفات وجهاد بالسيف والسنان والحجة واللسان اختفى في بيته فجاء إليه بعض المنافقين ليعذبوه على حين غفلة من الناس وقدموا واحداً منهم على رأسه عمامة وقد ارتدى بعباءة برقاء فاستأذن الشقي عليه متسماً بوسم أهل الديانة والفضل، وقد اختفى أصحابه خلفه ليفتكوا به فلما أن سمع الشيخ بالاستئذان الشرعي خرج فساءه خروجه جذبوه يريدون تعذيبه فأنقذه الله منهم ولم يصل إليه منهم شر وكفاه الله مؤنتهم.

ولما أن قدم عبدالعزيز بن رشيد بريدة حال كونه حاكماً في نجد تلقاه وجوه الأهالي وكبراء الناس يهرولون للسلام عليه واستقباله فلم يحضر الشيخ معهم، ولما أن فرغ الحفل سأل هل بقي أحد من الأعيان لم يفد إليه فقيل له بقي عبدالله بن فداء فجعل يبحث عنه حتى قيل أنه زاهد ولا يحب الخلطة بالناس وجعلوا يروون له عزلته وانفراده ولكنه اغتمها أعداء الله ورسوله قائلين له أنه يبغض بيت آل رشيد، وما منعه إلا الكبر والاستخفاف بحقك أيها الحاكم فبعث إليه ابن رشيد من يخبره بأنه سيأتيه بنفسه لرؤيته والسلام عليه في بيته فخجل المسلمون وخافوا عليه من سطوته، ذلك ابن رشيد الذي لا تؤمن عقوبته فخرج على حصانه بين العبيد والرجال مغيطاً محققاً لما ملئ به صدره من المسبة ولما أن وصل إلى بيته استأذن عليه فلم يسعه إلا الخروج إليه فخرج وعليه غترة قد طواها على رقبته كبيراً تخيف البدن فلما رآه ابن متعب رق لحالته مع ما به من العنف والغلظة والجبروت وكاد أن يبكي فقال ابن رشيد لما رآه على تلك الصفة «حسبنا الله عليكم يا أهل القصيم فلو أن أحداً سلم منكم لسلم هذا الشيخ» ثم سلم عليه فلم يزد في الرد على قوله الله يعافيك فتكلم ابن رشيد قائلاً ما لك يا شيخ لم تزرنا للسلام علينا، فتكلم قائلاً نحن مقتصرون لا نأتي ولا نؤتى فقلبه الأمير إلى بيته ولم يصل إليه منه شر ثم عاد ابن رشيد إلى قصره، ولما أن قرب من القصر بعث إليه خادماً بثلاثمائة ريال وقال له قل له يقول الحاكم هذه من النفقة الطيبة التي ادخرها لوالدتي فليتعاون بها على مؤونة الدنيا وأكد على الخادم أن يسلمها إياه فإن رجع بها قتله فجاء الخادم يحملها إليه، ولما أن استأذن ناوله الدراهم والوصية فأبى أن يقبلها فجعل الخادم يعالجه لقبولها فقال للخادم ردها عليه وأخبره أنا بخير ولما أبى وأصر على عدم قبولها استعان عليه الخادم بأحد إخوانه المجاورين له وأخبره أنه إذا رجع بها سيقتله فعرض عليه تلميذه أن يأخذها فأبى وقال للخادم خذها فهي لك أنا لا أريدها وقال لصاحبه اذهب أصلحك الله إلى أهلك فخجل الرجل وعاد بها الخادم يحملها إلى ابن رشيد ليخبره بعدم قبوله لها فلما أخبر سيده قال هذه المقالة «سلم منا» يعني الشيخ ابن فداء.

ويظهر أنه بعث إليه بها ليمتحنه بها، وكان معظماً تزوره الملوك ويوقف عند كلامه وآراءه وكثيراً ما يتمثل بهذين البيتين:

ومن العجائب والعجائب جمة قرب الشفا وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

ولقد خرج مرة لما نودي بالجراد ومعه رفيق له يدعى راشد بن حميد وكان مؤذناً في مسجده، قال ابن راشد فللقطنا جراداً في كيسين وأخذ كل منا كيساً صغيراً يسع صاعين فحملناهما على الرؤوس ورجعنا على أقدامنا من مسافة ساعتين لنبعث إلى الكيسين الكبيرين من يحملهما فمررنا ببئر لحسن بن مهنا أمير بريدة وكانت عظيمة سائيتها ثمانية من الجمال من هاهنا أربعة ومن هناك أربعة وفيها الخيل لها صهيل والأدباش وغير ذلك وتسمى «بالرفيعة» تقع عن البلد شرقاً على مسافة نصف فرسخ فالتفت إلي وقال يا راشد والله لو أعطوني بهذا الكيس كل هذه البئر بما فيها لما أبدلتهم فكيف بالكيس الكبير هناك يا راشد هذا مال حلال ليس فيه شبهة.

ولما كان ذات ليلة بعد صلاة العشاء الآخرة في فصل الشتاء صلى ما كتب له ثم قام يريد إغلاق المسجد فرأى غريباً في ناحية المسجد ترعد فرائضه من البرد ويتضور جوعاً فأخذ بيده وذهب به إلى بيته فأوقد النار وقدم له تماًراً فجعل يصطلي على النار ويأكل تماًراً للجوع الذي أصابه، فكلمه الشيخ فإذا هو عراقي فلما دفئ وشبع قام مولياً فقال له أين تريد هذه الليلة الشتائية فأجابه بقوله أكلت واستدفأت وسأواصل سيري إلى السيد عبدالقادر فقال له الشيخ يا عجباً تذهب إلى عبدالقادر وتذر القادر هلا عكست إن كنت رشيداً، ثم أنه اقترح رحمه الله اقتراحاً بعد هذه أن لا يسأل غريباً عن حالته لأنه أحزنه ذلك.

ولما فرغ مرة من صلاة الفجر وقام المؤذن لتفقد الجماعة دخل رجل يركض ركضاً وجلس في الصف من غير أن يصلي فحينما وصله دوره إذا به يتكلم بقوله «حاضر» وكان قد رآه أعني الشيخ، فقال يا بني إنما قد شرع التفقد مساعدة على

أداء الصلاة في الجماعة وأنت لم تصل، فقال وما أدراك بأني جنب لم أغتسل غير
أني فعلت ذلك للسلامة من التبعة وقلت في نفسي أن الله أسمح منهم في حقه
والطف، فبكى الشيخ وتأثر لمقالته، ثم نهى عن تفقد المأمومين بعد صلاة الفجر.

ولما كان بعد الوباء المذكور بشهرين توفاه الله تعالى وانتقل إلى جواره خفياً من
الدنيا متقللاً متعففاً، فيا طوبى له إذ أحشر بين يدي رب الأرباب وراحم من
خضع له وأنا، نقول هذا ولا نعلم إلا خيراً.

وكان إماماً في مسجده الكائن بشرقي بريدة وبيته إلى جانبه فما زال كذلك
حتى قدم إلى رحمة الله تعالى، وما كانت إلا ساعة قم انقضت وأعقبت الخير الدائم
والسرور والعيش الهنيئ في شامخ الغرفات مع الذين أنعم الله عليهم من أهل
الطاعات وأهل الفضائل والكرامات إن شاء الله تعالى.

وكان له من الأبناء عبدالعزيز وعبدالرحمن؛ فأما عبدالعزيز فكان ثقة عارفاً
متفناً في العلوم، وله أيضاً صلاح وزكاء وفضل، وأما عبدالرحمن فكان أيضاً رجلاً
طيباً وخلف أباه في الإمامة في مسجده ولا يزال من سلالة من يلازم على إمامة
مسجدهم ويكرم لكرامة الشيخ عبدالله.

رجعنا إلى ذكر الشريف وعداوته لأهل نجد فنقول:

بعدما نكب في وقعة تربة وخسر جيشه بأجمعه لم يزد إلا عتواً وعدواناً
ومقاومة فأوصد البيت الحرام في وجوه أهل نجد ومنعهم من الحج كأن البيت
الحرام ملكه أو ملك أبيه وجده وأخذت جريدة القبلة تنشر المقالات التي يجبرها
الحسين بقلمه في الطعن بأهل نجد وابن سعود مما كان له الأثر الأسوأ في نفوسهم
وصارت من أكبر الأسباب الدافعة لعبدالعزيز بن سعود على فتح الحجاز كما
سيأتي، ثم أن ابن سعود بعث بالتعاليم إلى رعاياه يحذرهم عن الشريف وشره بأن
لا يجلب عليه مبيع ولا يخدم عنده أحد، ولا يعان ولا يوالى وهذه صورة الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود إلى جناب
الكرام فهد بن معمر وكافة الجماعة سلمهم الله تعالى وأبقاهم آمين بعد مزيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم لا زلتم بخير وسرور أحوالنا بحمد الله جميلة بعد ذلك تفهمون أمرنا نحن وهذا الفاجر الشريف وكل مسلم يخاف الله لو رجل له عقل يدري بمقاصده الخبيثة فينا، ولما كانت الأمور فيما مضى أن القصد فيها مصالح وبيع وشراء ومنافع للناس والعرب وكنا تاركها بقايا الحاضر اليوم هذا تعين كل إنسان يواده أو يخدمه أو يبيع عليه ويشترى فهو خارج من الدين والدنيا كافر في دينه مارج في دنياه، وهؤلاء الناس الذين يذهبون إليه واحد يكتب نفسه عقيلي وآخر يبيع ويشترى، ما رائج إليه إلا مثل ما ذكرنا وذاك مستعين عليه الله بأخذ ماله وزوال نفسه إنشاء الله وأحببت أبين لكم ليثبت عندكم ذلك ويكون معلوماً فوا لله لمن راح إلى الشريف أو تفدوا عنده أو فعل شيئاً من المصالح التي تنفعه وتضر المسلمين باطناً أو ظاهراً لأن الله أظفرنا به ولو بعد حين لندين الله بقتله وكلما وجدنا مما يعز عليه لتلفنه، والواجب علي تعريفكم حتى لأجل أن من كان له علة أو قريب معه يتسبب في جلبه ومن كان عنده قريب أو رفيق يمنعه من الذهاب إن أراد الذهاب ومن جهة هؤلاء العقيلات الذين هم عنده طلبنا لهم «ابن مهوس» وأعطيناهم وجهاً وهذا الذي يقبل منهم والذي لا يقبل نأخذه ونأخذ طوارفه.

وأنت يا ابن معمر كل عقيلي عند الأشراف ويقدم فإني مؤمنه لا تعارضه وأما الإنسان الذي يتم شهر شوال وما جاء أو يسافر بعد كتابنا هذا إليهم من جميع القصيم فما وجدت من ماله خذه وألحق به محرمه ولا يستقروا عندنا في نجد ومن جاءك يعتذر أو يتوجه لهم كبيراً كان أو صغيراً في ذلك الأمر فاجعل طريقه طريقه والمنع والتحير على مكة والمدينة وجميع حاشية الشريف ولا تخشى في هذه المسألة فوا لله إني معاهدك بالله لأن خشيت فيها لأجعلنها في رقبتك، وخطي اقرأه على الناس نهار الجمعة، هذا ما لزم تعريفه - والسلام ٢٩ ن سنة ١٣٣٧ هـ.

ذكر ما جرى على تركيا من الهوان

لقد كان من المعلوم أن الترك لم يقاوموا أحداً من العرب وأمرائهم

كمقاومتهم لآل سعود منذ ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وساعده محمد بن سعود إلى عهد استيلاء الملك عبدالعزيز على الأحساء والقطيف، حاربوهم بالسلاح «بعرعر» و«دجيني» و«محمد علي باشا» وما جرى في انتدابه لابنه طوسن وابنه الثاني إبراهيم في طلعة إبراهيم باشا على نجد وأذيته لأهل هذه الدعوة المحمدية الإبراهيمية فقد عاث في نجد فساداً مما لا فائدة في ذكره هنا، وكذلك خورشيد باشا وما فعلت الترك من كونهم خلقوا لهم المشاكل وألبوا عليهم أمراء العرب من آل رشيد وغيرهم، وكذلك أيضاً حاربوهم بتشويه دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب بواسطة «زيني دحلان» وما لفقوه من أكاذيبه وترهاته حيث شن الغارة عليهم ومن نحا نحوه كجميل أفندي الزهاوي، وابن جرجيس وأمثالهما بحيث قبحوا ذكر الوهابية في العالم الإسلامي ونسبوا إليهم الفتاوى الكاذبة الباطلة والدعاوى التي اختلقوها من تلقاء أنفسهم فسلط الله عز وجل على هذه الدولة العثمانية بسبب هذه المصادمة للحنفية المحمدية أن جلبت عليها حكومة بريطانية العظمى فسامتها سوء العذاب وما زالت الإنكليز تضرم نيرانها على تركيا وتستجيش العرب لما رأوا من كمال معاداتهم لها حتى كسروهم وأذلّوهم وآخر أمرهم أن طردوهم عن جزيرة العرب وهذه عادة الله بمن عصاه وسعى في الأرض فساداً عياداً بالله.

ولما سقطت تركيا فر السلطان وحيد الدين وذلك لما انتصر الكماليون على اليونان وكان قد أفتى السلطان بكفرهم وإلحادهم وبخروجهم عن طاعته فالتجأ إلى مدرعة إنكليزية، ولما علم الشريف الحسين بفراره دعاه للإقامة بالحجاز ولا يعلم ما قصد الشريف بذلك إلا طلب الخلافة فقدم السلطان إلى الحجاز بعد هذه السنة بأربع سنين، وأقام في مكة أربعة أشهر إلا قليل وعاد منها.

والظاهر أن عودته منها لنحس الشريف، وقد كتب السلطان وهو في مكة منشوراً عظيماً باللغة التركية وترجم بالعربية ثم طبع في مطبعة الحكومة بمكة ذكر في ذلك المنشور خطته في الحرب وأنه لم يرتض خوض الدولة غمرات معامعها

وبسط فيه خيانة «مصطفى كمال» وما جرى من «رؤوف بك» واحتلال أضنة والموصل، وأنطاكية والأستانة، وأزمير؛ وهذنة؛ ومندروس عهده سيفر، وبرء نفسه من الجبانة والخيانة وما عامله به الوزراء والرؤساء من الخيانات التي آخرها أن فر خوفاً على نفسه، وقد جاء هذا المنشور في نصف كراسة حائزاً من الفصاحة والبلاغة شيئاً عجيباً؛ ولولا خشية الإطالة لأتينا به ولكن على من أحب مراجعته أن يطلبه في مواضعه.

وفيهما استنجد الشريف حسين بن علي بأمير الجبل سعود بن عبدالعزيز بن رشيد لقتال ابن سعود، وقد قدمنا أنه لما محت جيشه واقعة تربة وجرى عليه من أمر الله ما لا يطاق وكان قبلها لا يحسب لابن سعود حساباً التفت إلى خصم ابن سعود الألد ليكون وإياه يداً واحدة على ابن سعود فلا يدعه يستريح لما هناك من العداوة المستمرة، فقال لابن رشيد هذه المرة يا بني إن عدوك عدونا بل عدو العرب والإسلام، خذ السلاح والذخائر والمال فهو عندنا، وعندك شمر ففيها الأشبال والأبطال فسر لقتال ابن سعود فاستفزه.

وقد كان سعود بن رشيد هذا قد عقد مع ابن سعود بعد أن جهز عليه صاحب الجلالة عبدالعزيز نجلة سعود بحملة على الجبل في صيف هذا العام فوصل بهذه الحملة إلى وادي الشعبة جنوبي جبل أجا وأغار على عربان لابن رشيد هناك فأصاب منهم مغنماً، ولكنه لقلة المرعى للركائب في الصيف وقلة الأرزاق للجيش لم يتقدم إلى حائل.

وقد حدث في ذلك الحين حادث في نواحي الكويت شغل ابن سعود عن ابن رشيد فاكتفى بإرسال سراياه عليه للغزو والمناوشات، فبعدها عقد ابن رشيد هذا الصلح بينه وبين ابن سعود وكان صلحاً سميئاً غير أنه لما أمدد الشريف بالمال والسلاح وحسن له الباطل في زخرف القول انخدع وقبل توجيهات الشريف وذلك لقرب نظره وسوء تدابير له لصغر سنه الذي لا يتجاوز الحادية والعشرين.

ولما أن أراد قتال ابن سعود وجد تطور الأحوال وانعكاس أمره وخيبة الآمال،

وهيئات فقد فضح ظلمة الليل ضياء النهار، وزال عن قلوب أكثر شمر غطاء الأكراد ذلك بأن صاحب الجلالة قد أدخل خلال الحرب العظمى سفن التوحيد في شمر فشققها نصفين فعندما أعلن ابن رشيد العداء كتب ابن سعود إلى رؤساء تلك القبيلة الأصدقاء منهم والأعداء ينذرهم ويقول من كان معنا فليقدم إلينا، ومن كان مع ابن رشيد فليرحل إليه، فجاء الجواب سريعاً من المقدمين فيهم أنهم مقيمون على ولاءه، لا يلبون دعوة ابن رشيد.

فلما علم هذا السفية أن قبائل شمر ليست يداً واحدة معه أرسل إلى ابن سعود وفداً يقول أنه قد تسرع وأنه آسف على ما بدا منه بل أنه راغب في تجديد الولاء.

وفيها جاء رؤساء العجمان خاضعين لأمير الإحساء الندب عبدالله بن جلوي يطلبون منه التوسط بالصلح بينهم وبين ابن سعود، وقد كتبوا أيضاً إلى الإمام عبدالرحمن بن فيصل بذلك فطلب من ابنه جلالة الملك أن يعفو عنهم، وذلك لما صدق إخلاصهم وتحقق نصحتهم ففعلاً عفا عنهم وثبتوا على السمع والطاعة.

وفيها ولد الأمير ناصر بن جلالة الملك عبدالعزيز، وولد فيها أيضاً نجله سعد بن عبدالعزيز.

وفيها ولد أيضاً الأمير فهد نجل جلالة الملك عبدالعزيز وزير المعارف في زماننا هذا.^(١)

وفيها قام الإخوان البدو بتشديدات يريدون بها وجه الله تعالى غير أنهم تجاوزوا الحد، لأنه لما جمع الله شمل المسلمين بصاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن جعل الله الجنة مأواه ورياضها منقلبه ومثواه، وبنى الهجر للبدو كانوا فيها متحضرين وبشرع الله متمسكين ولنبه متبعين، جرى منهم إفراط والعياذ بالله وما زال هذا الإفراط فيهم حتى جرى منهم ما سنذكره إنشاء الله، وهذا الذي يريده الشيطان من العبد فإنه يشم قلبه فإن وجد فيه إفراطاً فإنه يأخذه بالغلو

(١) أما حال طبع التاريخ فإنه ملك المملكة.

ومجاوزة الحد، وإن شمه ووجد فيه جفاء وتفريطاً فإنه يأخذه بالرخص والتفريط، والمعصوم من عصمه الله، ولا خير للعبد من العلم إلا ما كان منجياً من ورطات الجهل، لذلك طغى البدو وتجبروا حتى ضجت الأمة منهم وقاموا يحاربون من لم يتحضر من البدو فيكفرون وينهبون ويقتلون، وحصل بسبب بناء الهجر لهم أن قام البدوي الذي في الهجرة على الذي لم يهاجر يقول له أنت مشرك والمشرک حلال الدم والمال، أنت يا أبا العقال من الكفار ونحن أهل العمائم أخو من أطاع الله، وأنت أخو من أطاع الشيطان، لذلك عقد الإمام عبدالعزيز في هذه السنة مجلساً في الرياض للنظر في هذه الأمور حضره كبراء العلماء والرؤساء وتفاوضوا في وضع خطة لهذا المهم، فاتفق العلماء على كتابة هذا الكتاب تسكيناً لتحرك البدو الذين قام كل منهم يلبس عصابة بيضاء على رأسه ثم يسطو على من سواه من البدو يغير ويسب، وهذا نص الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله بن عبد اللطيف، وحسن بن حسين؛ وسعد ابن حمد بن عتيق، وعمر بن محمد بن سليم وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري؛ وسليمان بن سحمان ومحمد بن عبد اللطيف، وعبدالله بن بليهد وعبدالرحمن بن سالم. إلى الإخوان كافة من أهل الهجر وغيرهم وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه وجعلنا وإياهم من حزبه وأوليائه آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد ذلك إنكم تفهمون ما من الله به علينا وعليكم من نعمة الإسلام وتجديد هذه الدعوة، والذي علينا وعليكم شكر الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه، ولا يخفى عليكم ما جرى من الاختلاف وكثرة الشبه وهي على ثلاثة أمور: الأول: وهو الأكثر طلب الخير والاجتهاد ووقوع الناس في أمور تخل في دينهم ودنياهم لأنهم يأتون ذلك محبة للدين بغير دليل.

الثاني: لا بد أن في بعض الإخوان المتقدمين شدة وتعصباً بغير دليل فلما تبين له الأمر وسأل طلبة العلم وتحقق عنده أن تعصبه خطأ استنكر منه إخوانه وصار بينه وبينهم اختلاف بغير سؤال ولا تبين حقيقة ما عنده.

الثالث: أتى به أناس من الذين يدعون طلب العلم من الحضرة وهم جهال يدخلون على بعض الإخوان أموراً مشتبهة يريد أحدهم الحق وهو مخطئه، وآخر يرغب في معرفة الأمور المخالفة فلما تحقق ذلك عند ولادة الأمر وعند العلماء أحبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم وولادة الأمر منهم فلما حضروا سمع الحاضر بنفسه، والغائب تبلغه بهذا الكتاب فقد سألنا الإمام عبدالعزيز بحضرتهم عن أمور هي:

الأول: هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين بأوامر الله ونواهيه أم لا.

الثاني: هل من فرق بين لابس العقال ولابس العمامة إذا كان معتقدهما واحداً أم لا.

الثالث: هل في الحضرة الأولين وفي المهاجرين الآخرين فرق أم لا.

الرابع: هل في ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين وطريقه طريقهم ومعتقده معتقدهم، وفي ذبيحة الحضرة الأولين أو المهاجرين فرق حلال أو حرام أم لا.

الخامس: هل للمهاجرين أمر أو رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا فيضربونهم أو يؤذونهم أو يهددونهم أو يلزمونهم بالهجرة أم لا، وهل لأحد أن يهجر أحداً بدوياً كان أو حضرياً بغير أمر واضح أو كفر صريح أو شيء من الأعمال التي يجب هجره عليها بغير إذن من ولي الأمر والحاكم الشرعي أجنبناه بحضور الحاضر من المسلمين أن كل هذه الأمور مخالفة للشرع، وما أمرت بها الشريعة وأن الذي يفعلها ينهى عنها ويزجر فإن تاب وأقر بخطأه فيعفى عنه، وإن استمر على أمره وعاند فيجب عليه تأديب ظاهر بين المسلمين، وأن لا يعادي ولا يصادق إلا على ما أمرت به الولاية أو حكم به حاكم الشرع والذي يفعل ما يخالف ذلك فطريقته غير طريقة المسلمين، وهذا الذي ندين الله به ونشهد الله عليه ونرجوه أن يوفقنا وإياكم للخير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم سنة ١٣٣٧هـ، ووقعوا بأسفله ختم كل نفر منهم، ثم كتب تصديقاً عليه صاحب الجلالة ما نصه.

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل، إلى الإخوان كافة، وفقنا الله وإياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ذلك تفهمون أن الله سبحانه أنعم علينا بنعمة الإسلام ومن علينا أن جعلنا من أهله ولا يخفى عليكم ما مضى على أسلافكم من الأمور التي تغضب الله وتخالف الشريعة، وحيث أن الله من عليكم بهذا الأمر فيجب عليكم أن تذكروا ذلك بالشكر، وأعظم الشكر وأكبر، هو أن تتقيدوا باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه.

ثم لا يخفى عليكم ما جرى من النزاع والاختلاف الذي يخشى علينا منهما إخفاق الأعمال والفتنة، وليس قصدنا غير تقويم الشريعة ونجاة أنفسنا من عذاب النار ولا يتم هذا إلا بالاقتصاد واتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلماء المسلمين أولهم وآخرهم، وربما يلتبس عليكم الأمر في بعض أئمة المسلمين واعتقاداتهم؛ فأحببت لذلك أن أشرح لكم العقيدة التي ذكرها المشايخ في فتواهم وهو أن معتقد المسلمين واحد حضرهم وبدوهم، وتعلمون أن أصل المعتقد كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه أصحاب محمد ﷺ ثم السلف الصالح من بعدهم، ثم أئمة المسلمين الأربعة الإمام مالك والإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام أبو حنيفة، فاعتقاد هؤلاء واحد في الأصل، وهو أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، كما هو مقرر في كتب العلماء التي يمكنكم مراجعتها والحمد لله في كل ساعة، فهم في هذا الأصل سواء قد يكون بينهم اختلاف في الفروع وكلهم ومن حذا حذوهم على حق إنشاء الله إلى يوم القيامة.

ونحن يا أهل نجد كافة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفروع، وأما في الأصل فنحن والمذكورون أعلاه على ما جاء به محمد ﷺ على أنه في آخر الأمر أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ثم بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما اندسرت أعلام الإسلام وكثرت الشبهات والبدع فلما رأى أسلافنا موافقة أقوالهم وأفعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله قبلوا ذلك وقاموا بما أظهره الله على أيديهم ونحن إنشاء الله على سبيلهم

ومعتقدهم، نرجوا الله أن يحينا على ذلك ويميتنا عليه، وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في الاعتقاد والعمدة على ما ذكروه، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر وقصده إلى هجرته وانتسابه إلى الخير، طلب ما عند الله فليعتمد على ذلك قولاً وفعلًا ولا يحيط فيه لبس وترك مخالفه، ومن أشكل عليه شيء من الأمور فليردّه إلى طالب العلم المنصوب عندكم بأمر الولاية ورضى المشايخ، ونحن نعتقد أن ليس عندكم ما يخالف ذلك إن شاء الله، وإن قصدكم رضى الله، وإنما من الشفقة عليكم أحببنا التبيين لكم بذلك إنذاراً للمخالف أو المتكلم بضده، وأن من خالف ذلك بقول أو فعل فذمتنا وذمة المسلمين بريئة منه ولا يأمن البطش بنفسه وبجلاله، هذا حقكم علينا ومن أنذر فقد أعذر.^(١)

نرجوا الله أن يوفقنا وإياكم للخير وينصر دينه ويعلي كلمته ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه. سنة ١٣٣٧ هـ. الختم السعودي.

ثم دخلت سنة ١٣٣٨ هـ

ففيها في ١٩ جمادى الأولى توج الأمير فيصل بن الحسين الشريف ملكاً دستورياً على سوريا، فغاض ذلك فرنسا وأخذوا يكيدون له، وآخر ذلك أن قامت فرنسا فأخرجت مركز فيصل وهذا بمساعدة من ذوي الأغراض وممالة من بريطانيا، فأبلغت فرنسا فيصلاً شروطاً بمحفة وضربت له موعداً ضيقاً لإخراجه وإرغامه ليعترف بها، فوقع في حيرة وآخرتها ألباته فرنسا على الخروج من سوريا في مدة ٤٨ ساعة، فبارحها والحزن يكاد يزهق نفسه لانهدام صروح الآمال التي كان يحلم بها، فاحتلت فرنسا سوريا بعد مبارحته لها وحصول حوادث يشيب لها الولدان، ولا ينسى أثرها أهل سوريا على مر الليالي والأيام والدهور والأعوام، وكان ذلك في الحجة من هذه السنة.

(١) سبب ذلك ما كان يتوقعه ابن سعود من خروج البدو عن طاعته وقتالهم للمسلمين، فقد بذل العلماء النصائح لهم ووضحوا وبينوا، وفعلوا وقع ما كان يحذرهم منهم بعد عشر سنين، عياداً بالله من الجهل ومن مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفيها ولد الأمير منصور بن جلالة الملك عبدالعزيز وزير الدفاع السابق، وكانت أمه تركية.

وفيها جدد عهد الصلح بين ابن سعود وبين ابن رشيد، ولكنه لم يدم منذ جدد عام كاملاً، وقد كانت السيادة في الجوف للأمير نوري بن شعلان، فعمل أعمالاً أثارت عليه الأهالي فحاربوه واستنجدوا عليه بابن رشيد، فانتهاز هذه الخطة وقدمها عذراً بين يدي الشريف حسين، وبعث إليه يخبره أن الباعث له على تأجيل الحملة على ابن سعود هو فتنة الجوف، كأنه يقول اضطررنا وقام مسروراً بفرصة سانحة للاستيلاء على ناحية الجوف، فأنجد أهالي الجوف حباً وكرامة، ومشى سعود ابن رشيد برجاله إلى الجوف فاصطدم هناك بقوات لابن شعلان يقودها ابنه نواف «وعودي أبو تائه» فنازلوه وغلبوه، فأرسل يستنجد شمرّاً فلم يلبه أحد خوفاً من ابن سعود، ومحافظةً على العهد الذي بينهم وبينه، لأنهم أرسلوا إليه يستشيرونه في الأمر فأجابهم أنه مصلح هو وابن رشيد فلا أمانع من أرادوا أن ينجدوه.

وكان النوري بن شعلان قد أرسل أيضاً إلى ابن سعود بكتاب قال فيه:

إني صديق لك ولابن رشيد فلست إذن مشاركاً في هذه الحرب، ولكني أنصح لك أن تتحصن في حصون الجوف وتتخذ خطة الدفاع فلا تهاجم ابن رشيد ولا تحاربه في الخارج، لأن جنوده مدربون على القتال، وقديموا العهد في الحروب، وجنودك من البادية من أهل الإبل، فلا يركن إليهم ولا هم في القتال أقران شمر، ولكنه لم يعمل ابن شعلان بنصيحته فكان من الخاسرين، لأنها وصلت نجدات شمر إلى أميرهم في الوقت الذي هجم فيه عليهم فكسروه كسرةً شنيعة، واستولوا على الجوف، غير أن سعود بن رشيد لم يعيش بعد انتصاره على ابن شعلان شهراً كاملاً، بل قتل بعد أن عاد إلى حائل.

وفي هذه المدة القصيرة كانت مناوشات بين ابن سعود وبين ابن رشيد فانتهاز هذه الفرصة سالم بن صباح بصفته عدو ابن سعود لسوء تفاهم سنذكره عن

قريب، وكتب إلى ابن رشيد يستنجده على خصم الجميع، لأنه كان يومئذ غيماً في أطراف العراق، فزحف ضاري مسرعاً بقوة من شمر ونزل الجهراء حيث كان دعيج ورجاله، غير أن الله أهلك سعود بن رشيد ولم يتم له ما أمله، ولم يحصل على طائل، وخاب ظن الشريف وما أفلح فيما علقه به، وهذه صفة قتلة على سبيل البسط:

ففي أحد أيام سنة ١٣٣٨هـ خرج الشاب أمير حائل سعود بن رشيد إلى البرية للنزعة والفرجة، وكان في صحبته عبدالله بن طلال بن رشيد، خرج للصيد والمناصلة على الأغراض، وكان مع الأمير حاشيته وعبيده يعتنون بالخليل ويجمعون الحطب، وبينما كان الأمير عبدالله بن طلال قد نصب لهما هدف، وقد وثق الأمير واطمأن تلك الساعة فلم يلازمه غير واحد من العبيد، وقد كان هناك رابع يسد الرصاصتين، رصاصة الأمير ورصاصة عبدالله إذ رفع الأمير سعود بندقيته يريد الهدف، إذا بعبدالله بن طلال خلفه ببندقيته قد صوبها في الهدف بالظاهر، فلما أطلق الأمير رصاصته على كبد الهدف إذا بعبدالله قد أطلق رصاصته في رأس الأمير فاخترقته، وبما أن الرصاصتين أطلقتا معاً كان العبد معجباً برمي سيده ولم ينتبه لما حدث إلا وقت ما خر الأمير إلى الأرض صريعاً، ففتح العبد فاه للصباح فلم يمهله عبدالله يفر أو يصيح حتى أطلق عليه الرصاصة الأخرى، قبعثرت دماغه وخر كالخشبة إلى جانب الأمير.

فلما رأى أحد العبيد الآخرين ما جرى صاح للبقية من العبيد فهجموا على عبدالله بن طلال، ثم جاء الرجال ومعه عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز ابن أخ المقتول، فلما رآه ابن طلال لم يهتم إلا به يريد قتله لأنه يحول بينه وبين ما يريد لو بقي في الحكم في حائل، فصوب إليه البندقية ليلحق بالأمير، وكان ماهراً بالرمي، غير أنه حال بينه وبينه العبيد فصاروا ردماً دونه عن الرصاص فقتل واحد منهم وأصيب عبدالله بن طلال برصاصة قضت عليه والعياذ بالله، فتلقف الإمارة عبدالله بن متعب وجلس على عرش الحكم، ولكنه مرعوب مدهوش من ضربة تأتيه غدراً، وجعلتا عيناه تذرفان من رؤية الدم المهرق حوله، وهذه ترجمته:

هو الأمير سعود بن عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله بن علي بن رشيد أصغر إخوته الذين قتلهم بنو عمهم، غير أن سعوداً هذا فربه أخواله آل سبهان في آخر سنة ١٣٢٤هـ إلى الحجاز خوفاً عليه من القتل، ولما أن كان قبل هذه السنة بعشر سنين عاد به أخواله إلى حائل وتقلد إمارتها وكان جاهلاً سفيهاً لصغر سنه، قد جعل سياسة الإمارة لجدته فاطمة بنت السبهان، فهي التي تتصرف في أمرهم وتديره من وراء الستار، وكانت شديدة الشكيمة، قصيرة النظر، تبغض أهل نجد وآل سعود، وكان على تدبير المالية العبد سعيد بن محمد، وقد كان من المقربين عنده لأنه قد رفع مقام العبيد في الديوان الرشدي خوفاً من آل سبهان، فيقرب الأمير هؤلاء العبيد المماليك لا سيما هذا المملوك الخصي السوداني، وقد حمل مفتاح الخزينة في أيام عبدالعزيز بن متعب، والعبد الثاني اسمه سليمان العنبر، وكان هو الذي يحمل سيف الحجابة الأول، ويدخل على الأمير برأي، حتى في السياسة، وكان مسموع الكلمة.

فبتدبير امرأة ورأى العبيد تضحل سحائب الهيبة تكوسف شمس السياسة لقرب نظر الفريقين، فلسوء تدابير الأمير الذي تعوزه أشياء كثيرة من شروط الإمارة لعدم معرفته وتجاربه للأشياء، ولأن المتصرف فيهم امرأة ولا يفلح قوم ولو أمرهم امرأة كما جاء في الحديث، ولاختلاف شمر وانقسامهم بعد أن كانوا يداً واحدة اضمحلت إمارة بيت آل رشيد، ويزاد على ذلك أيضاً وقعة تربة التي رنّ صداها في المشارق والمغارب، وإلا فهناك ما يجرئه على العدا وي دفعه على القتال وهو مساعدات الأتراك له، وبعدهم الشريف، أضف إلى ذلك سالم بن صباح الذي قام يؤلب على ابن سعود في هذه السنة.

ذكر سوء التفاهم بين صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود

وبين سالم بن صباح

قد أشرنا إلى ذلك في التي قبلها وذلك بأنه لما توفي مبارك بن صباح، تولى الإمارة بعده ابنه جابر، فكان حصيفاً حكيماً، ولكنه توفي في السنة الثانية من

حكمه، فتولى بعده أخوه سالم، ولكنه مفلس من السياسة والحكمة ففعل أفعالاً أغضبت ابن سعود، وما كان له حق في تلك المعاملة، كطرد التجار النجديين من بلاده ومساعدته للعجمان، أضف إلى ذلك أنه عدو لأهل هذه الدعوة الوهابية والعياذ بالله، وآخر ذلك أن فعل الفعلة التي أدت إلى محاربة النجديين للكويتيين، فركب سالم ذات يوم إلى مكان على الخليج بين جيبيل والكويت يدعى «بلبول» فيه مغاص للؤلؤ وميناء طبيعي حصين للسفن الشراعية، وعزم على أن يبني قصراً هناك وبلدة أيضاً تنافس جيبيل بالتجارة والغوص، فلما علم ابن سعود بذلك كتب إلى سالم ليمتنع من العمل فأبى، فكتب ابن سعود إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يخبره أن الشيخ سالماً فيما يقصد متجاوز حدوده وحقوقه لأن ذلك المكان من أراضي القطيف التابعة للحكومة النجدية، وقد طلب منه أن يحول دون هذا التعدي.

أما سالم بن مبارك فكان يزعم أن بلبول ضمن حدود الكويت، ولكنه أذعن على ما يظهر للوكيل البريطاني فعدل عن قصده، وكان في تلك الناحية شمالاً بغرب من بلبول ماء يدعى «قرية» هو ملك قديم لعرب مطير، فنزح إليه بعض المهاجرين من الإخوان من هذه القبيلة وأسسوا هناك هجرة لهم، فاحتج ابن صباح على هذا العمل وأرسل إليهم فرقة صغيرة مئتي رجل ومائة خيال، أكثرهم من عريدار بقيادة أحد أبناء الصباح اسمه دعيج، وكان للكويت في المراعي القريبة من تلك الناحية بضعة آلاف رأس من الجمال والغنم، وليس هناك من يستطيع حمايتها إذا اعتدى عليها، فسار دعيج برجاله حتى نزل في «حمض» قريباً من قرية، وأرسل إلى الإخوان يأمرهم بأن يخلوا ذلك المكان وإلا فسنصبحكم ونقتلكم، وكان الإخوان عندما علموا بقدوم عساكر الكويت أرسلوا إلى فيصل الدويش أمير الأرطاوية يستنجدونه، فبادر فيصل إلى نجاتهم بألفين من رجاله وزحف مسارعاً حتى وصل إلى حمض، فصبح الكويتيين هناك،

ولكنه لم يذبحهم كلهم، ففرّ دعيج وأكثر جنوده هاربين، وقد تركوا ورائهم ذلك القطيع من الإبل والغنم، فكان للإخوان غنيمة باردة، كل ذلك وابن سعود في الرياض جاهل بما حدث، فغضب لما بلغه الخبر وكتب إلى الدويش يؤنبه ويقول قد تجاوزتم أوامري التي تنحصر في الدفاع، فأجابه أن الكويتيين جاءوا إخوانهم صائلين، وقد وصلوا إلى مكان يبعد عنهم أربع ساعات فقط، ثم أمر ابن سعود أن تجمع الأموال التي استولوا عليها من إبل وغنم وسلاح حتى وأواني وتودع عند أمير الأرتاوية إلى أن يأتيهم أمر آخر بخصوصها، فعمل الإخوان بالأمر بعد أن أرسلوا إليه خمس من الغنائم، وكان الأمير سالم قد عرض المسألة على الوكيل البريطاني، فأشار عليه بالتسوية السلمية، فأرسل إلى ابن سعود رسولين هما «عبدالله السميطة» و«عبدالعزیز الحسن»، فاعتذر ابن سعود عما حدث بدون أمر منه، ثم إنه قدم إليهما خمس الغنائم الذي كان عنده قائلاً هذا أول الأداء، وإذا أركبتم رجالاً من قبلكم إلى الأرتاوية فأخبره هناك يسلم إليهم.

ثم كتب ابن سعود إلى الشيخ سالم كتاباً قال فيه: إن السبب في هذا الحادث تدخلكم فيما لا يعنكم، اعلموا أنه لا حق لكم في بلبول أو في قرية، وإنني أرى أن يقرر ذلك في عهد يعقد بيننا وبينكم فترعاه، أما ما كان لأبائكم وأجدادكم من الحقوق والواجبات على آبائي وأجدادي فإني معترف به، فلما جاءه الكتاب لم يعبأ به ولا قبل بأن ترد الغنائم إليه، بل غضب غضبةً يقتضي لتعزيزها عند العرب جيش كبير ولم يكن عنده سوى اليسير منه.

ولما أن كتب سالم إلى ابن رشيد يستنجده ويهيجه فيما مرّ وبعث ابن رشيد ضاري بن طوالة بقوة من شمر، نزل الجھراء حيث كان دعيج ورجاله فأمرهما سالم بالهجوم مرةً ثانية على قرية فقتل ابن رشيد واستمرت الحال إلى ما سنذكره في واقعة الجھراء في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

وفيهما منع الحسين بن علي الشريف أهل نجد من الحج وأغلق في وجوهم

أبواب الحجاز حتى أصبح الحج بهذه المعاملة منه كالأعيب الصبيان يقبلون محرمين فيردهم من حيث أتوا، فرفع ابن سعود طلباً حاراً إلى بريطانيا العظمى، أن تضع حداً لهذه المشاكل التي لا تزال نارها مشبوبة بينه وبين خصمه الذي طالما آذاه وأساء إليه بالتأليب عليه ومنع رعيته من حج البيت الحرام، وإذا كان قد عمل بنصائحها فرجع فوراً بعد وقعة تربة، وترك الشريف وشأنه، ومع ذلك فهي لا تزال تقف في نحرة دون الشريف، فكيف لا تمنعه من هذا الأذى أو تترك ابن سعود وشأنه في مشكلته يعالجها بنفسه، فكتب نائب مصر خطاباً إلى الحسين فيه:

إنها لا تزال بريطانيا باذلة عنايتها بمصالح العرب، وإنه مما يؤلمها الحركات العدائية بينه وبين ابن سعود، وإنه لا يجهل شروط المعاهدة الحالية بين الحكومة البريطانية وبين ابن سعود الضامنة حقوقه داخل حدود بلاده، ثم أطال بتمام الاحتفاء والتوقير للحسين، وقال في آخر الكتاب مستنكراً منه قطع علاقات الود مع ابن سعود بإرجاع رسله ورفض كتبه ثم قال:

إنني أرجوكم أعظم الرجاء أن تحتهدوا لمنع كل البواعث الجوهرية التي تؤدي إلى سوء التفاهم مع الأمير المشار إليه بشأن سياستكم نحوه، فإنه وإن كان أقل درجة من جلالكم وأضعف موارد لا ينكر أنه ذو أهمية في السياسة العربية. وحقاً أن يقال ما قصرت الإنكليز باحترام الحسين، ولكنه من قبل نفسه أتى ولو لم يقس هذه القساوة، وتوسل إلى أغراضه بالإثناء وسعة الحيلة لاستطاع أن ينال مبتغاه.

فبعد هذا الكتاب عاد إلى الملكين الهدوء والسكينة، ولكن القلوب فيها ما فيها، ولم يدم الصفاء إلا أشهراً قليلة حتى استيقظت الضغائن بالحوادث التي اندلعت نارها من جديد بين قبائل نجد والحجاز من أمر الاعتقادات، وعاد النزاع كأشد ما يكون، فاشتعل غضب الحسين ومنع أهل نجد من الحج، فتدخلت الحكومة البريطانية وبعثت خطاباً إلى ابن سعود وطلبت منه أن يمنع الحوادث، ورجت الحسين رجاءً حاراً أن يأذن بالحج لمن يرغب من أهل نجد أسوةً بالمسلمين في جميع الأقطار، ولكن الحسين أبى أن يظهر بمظهر السميع لتعاليم بريطانيا ليرى خصمه

جانب التعالي، فسكت ثم أذن بالحج بعدها بستتين، وكان قد تطلب وتصلب كقوله: يجب أن يبين عددهم، ثم نادى بأن يكون عددهم محدود لا يقبل الزيادة، ثم طلب بأن يأتوا عن طريق البحر كبقية المسلمين.

وهذا والله من المبالغة الشديدة في العناد، وهكذا أخذ يشتد في الطلبات ويقسو في لهجة كتبه إلى بريطانيا ويتهمها بمحاربة خصمه، كما أنه طفق ابن سعود يتصل بريطانيا عن طريق المندوب السامي بالعراق ويلح عليها أن تضع حداً لعناد الشريف وإصراره على رغباته غير المشروعة، لأنه لا يمكن تحديد عدد الحجاج النجديين، وما داموا قد حجوا قبل ذلك بدون أن يحدث منهم شيء من الأذى فليس من الرأي وضع العراقيل أمامهم، ولم تئأس بريطانيا من السعي بينهما في الصلح، وكرهت أن تتخطى ليصطرعا وهي ترى أن هناك شعاعاً ضئيلاً.

ولما رأى ابن سعود بكامل فكرته معاملة الشريف للإنكليز وعدم وفائه بالوعود، لذا أحب أن يكسب الخلاف الذي بينها وبينه، فالحسين طالما ألّب عليه ابن رشيد وآل صباح وغيرهم، وأراد أن يضربه ضربة لا يفيق منها، ولكن الإنكليز لم تتخل عن الشريف لأنهم لا يزالون يذكرون أيامه ومقاماته لهم، ولكن ما الحيلة وقد بلغ السيل الزبى.

ثم دخلت سنة ١٣٣٩هـ

استهلت هذه السنة وسالم بن صباح يرغي ويزيد غضباً على ابن سعود والشريف مصرّ على مقاومته، والأمير على الجبل عبدالله بن متعب.

وفيها في محرم أمر الشريف ابنه عبدالله أن يتوجه إلى معان ويتخذ منها المركز الحربي للجيش الحجازي، فتوجه عبدالله من مكة يوم الأربعاء الموافق ١٦ محرم، وذلك لما فكر الحسين في استرجاع سوريا بعد أن طرد منها ابنه فيصل أو على الأقل أن يتفق مع فرنسا، وكان قد أخبر نجله عبدالله أنه سيكون وكيلاً عن أخيه فيصل في سوريا، فوصل عبدالله معان في ١١ ربيع الأول من هذه السنة وبرفقته قوة من بدو الحجاز، فأخذ يتحدث إلى أعوانه وقادة جيشه بما ملخصه:

إننا سنأخذ سوريا من يد الغاصب، سنخلصها من يد الاستعمار، سنمنحها حريتها واستقلالها وأن لا تلقبوني إلا «نائب جلالة ملك سوريا» وسبب ذلك أنه كان طامعاً في ملك العراق، ولكن المقادير وسوء السياسة خيبت أمله.

ذكر أنجال الشريف وإمارتهم

لما دفعنا التاريخ إلى هنا فلا بد من ذكر هؤلاء الأمراء، فأحدهم علي بن الحسين ولي العهد لأبيه، وكان نحيفاً عليه آثار السكينة، دقيق العضلات، ضعيف البنية، بليداً، ولكنه يظهر من أخلاقه أنه ألطف من عبدالله، وسيأتي ذكر ملوكيته وأنه اسم لأحقيته، وفيه بعض السياسة غير أنه لم يوفق، ولما أخرج من الحجاز نزل ضيفاً عند أخيه فيصل في العراق.

عبدالله بن الحسين

كانت ولادته في مكة المكرمة في شهر ربيع الأول عام ١٢٩٩هـ، نشأ في حجر أبيه نشأة أبناء الأشراف، فتعلم القراءة والكتابة في داخل قصر والده، ورحل في صحبته إلى الأستانة وعمره ست عشرة سنة، ولما رجع والده إلى مكة أميراً رسمياً من قبل الدولة كان معه واشترك مع أخيه فيصل في قيادة حملة أبها لإخضاع الإدريسي، وقام مقام أبيه في إمارة مكة حينما سار والده إلى نجد لتأديب بعض قبائلها قبل هذه بعشر سنوات، وقد ساعد والده في إنشاء الحكومة الجديدة، وتقلد وزارة الخارجية.

وهو الذي أرسل البلاغات الرسمية إلى الدول الأوربية الشرقية بإنشاء الحكومة الهاشمية الجديدة في الحجاز، وكثيراً ما يجري الخلاف بينه وبين أبيه في السياسة، ويعارضه بقبول اقتراحات الإنكليز مراعاة لمصلحة البلاد.

ولما أن لأمه مرة والده بعد أن استدعاه من جدة إليه بمكة على موقفه وتساهله مع بريطانيا، استقال بعد يومين من استدعائه عن وزارة الخارجية أو وكالة الخارجية.

ولما أن قام في معان يتحدث بذلك الحديث، كان لوصوله وحديثه رنة هناك

عظيمة مادت لها بلاد الشام من أقصاها إلى أقصاها، وكان يتبجح ويتعظم ويتغطرس لإعجابه بنفسه، ثم إنه تولى إمارة شرق الأردن بعدما اجتمع بالمستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية يومئذ.

فيصل بن الحسين

ولد في ١٣٠٢هـ وكان مفكراً نبيهاً، بل إنه أنبه إخوته وأدهامهم وأنبلهم، ولما خرج من سوريا ذهب إلى أوروبا يجول فيها عساه أن يجد تاجاً أو يصادف ما يبدد حزنه ويسليه عما أصابه، وما هي إلا أيام قلائل حتى منحته الحكومة البريطانية تاج العراق، بينما أن عبدالله يحلم بملك العراق العتيد ويسبح في هذه الآمال إذا بالخبر يفاجئه أن أخاه فيصلاً وصل من لندن إلى القاهرة، ومنه سافر إلى الحجاز فدخل مكة لأول مرة بعد خروجه منها على رأس الجيش الشمالي، وبعدها أقام أياماً ركب باخرة خاصة أقلعت به إلى البصرة فبلغها، وكان تنويجه على العراق في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٣٩هـ، فاستشاط عبدالله غيظاً على أخيه وشقيقه فيصل، ولما سمع بقصيدة لفؤاد الخطيب وزير خارجية الحجاز يمدحه فيها على أثر اعتلاء فيصل لعرش العراق، من أبياتها قوله:

تنازل عن عرش العراق تكروماً وأفضل من عرش العراق تنازله
قام وقعد وقال للمنشد من الذي أخبر فؤاد أنني تنازلت، والله لم أتنازل ولن أتنازل، العراق لي ولن يتم لغيري أمره.

وكان ملكه في العراق بصفته يأخذ من الحكومة الإنكليزية راتباً شهرياً، غير أنه يمتاز عن أخيه عبدالله في ملكه بميزات كثيرة، فإن قيل أن الأمة العراقية انتخبته ملكاً عليها قيل نعم، ولكن أباه قد ألح على الإنكليز بالطلب لذلك، فتوجته الإنكليز ملكاً، وإن كان في العراق الرجال الأكفاء والمقتدرون لهذا المنصب والعارفون، ولكن ما يكون التدبير والسيف ورائهم ليسوقهم إلى حيث لا يريدون.

أقام فيصل في العراق وعاش آمناً مطمئناً من الزعازع، مقنعاً بما لذ وطاب من

طعام وشراب، تاركاً بريطانيا تعمل ما تريد في العراق وما تعقده من المعاهدات، وقد ضج أهل العراق وأصدر العلماء فتوى بخلع فيصل بإهماله بشأن العراق.

أما الأمير عبدالله بن الحسين فجلس على عرش إمارة شرق الأردن في هذه السنة إلى أن قتل.

زيد بن الحسين

كان أصغر أنجال الحسين بن علي، وكان جميلاً حسن الصورة، مستدير الوجه وأمه تركية، فهو أخو إخوته من الأب، ويقال أنه شجاع حتى لقب بجمرة العرب، وحضر مع والده وإخوته وقاد بعض الجيش في الحرب العامة جهة الشمال، وغزى بعض المواقع جهة المدينة والشام، وكان قائد الجيش في مكة أثناء الحرب بين الحسين وتركيا، ولازم أخاه فيصلاً في كل حركاته ولم يأت مكة من بعد النهضة إلا مرتين وله شوق إلى التعلم حتى في مدارس أوروبا، وكان يتولى النيابة عن أخيه فيصل في العراق، وله نزعة في لباسه وأكله ومشيته وأفكاره وآرائه إلى أهل أوروبا، والذي جره إلى ذلك قربه من تلك الديار وبعده عن والده الذي كان يحافظ على تقاليد بلاده، وربما زجره والده عن ذلك وأنبه ولكن لا فائدة في ردع من طمحت أفكاره إلى ما يريد أو جمع به شبابه ونعثرته على السير فيما نشأ على ما قررت فكرته له.

وفيها بعث صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابنه فيصلاً إلى لندن مع أحمد بن ثنيان، وكان فيصل بن عبدالعزيز إذ ذاك في السادسة عشرة من عمره، غير أنهما لم يقابلا هناك مقابلةً حسنة تليق بمقامهما، حتى أن «اللورد كرزون» وزير الخارجية قدم لفیصل بعض الحلول لأنه رآه غلاماً، وحادثه محادثة لا تخرج عن محادثة وزير لغلام، فأغضبت هذه المعاملة فيصلاً ورجع من لندن ناظماً، ففهم ابن سعود من هذا الأمر أن لندن تجهل قوته وحقه وتؤثر عليه خصمه الحسين الشريف وتقوي عزمه، فصارح ابن سعود فلبى بما في نفسه وأفهمه أن بريطانيا أساءت إليه كثيراً، غير أن حكومة الهند البريطانية كانت خلاف لندن في فهم ابن سعود، فهي تؤثـره وتؤيده لأنها علمت أنه رجل ألف المرتجى فهو أولى بالتقدير والاحترام.

ذكر واقعة الجهراء

وذلك لأنه لما جرت تلك الصدمة من الإخوان على الكويتيين لما جاروا عليهم، زحف ابن سعود إلى الإحساء على أثرها ليكون على قرب من تلك المقاطعة، ولما أن بلغه خبر مغزى ضاري ودعيج وتذامر بيت آل رشيد مع آل صباح على عشائر، أرسل إلى فيصل الدويش يأمره بإنجاد أهل قرية، فقام الدويش على حسب تدابير صاحب الجلالة وسار في آخر السنة الماضية، ولكن دعيجاً وضارياً اختلفاً في الطريق على القيادة، فلم يهاجما أحداً بل عادا إلى الجهراء، فتعقبهما الدويش ونزل الصبيحية، فعلم سالم بن صباح بذلك وسارع بنفسه إلى الجهراء بخمسمائة مقاتل من أهل الكويت، فزحف الدويش من الصبيحية بإخوانه وكان عددهم أربعة آلاف مقاتل فيهم خمسمائة خيال وكانت هذه الحملة لا بأس بها في القوة.

أما سالم بن صباح فبلغ جيشه نحو ثلاثة آلاف مقاتل ووزع هذه القوات كلها من الرجال والخيالة في حصون الجهراء وبساتينها، فعند ذلك جاء الإخوان من الجنوب الشرقي فأشرفوا على الجهراء، وكان ذلك في ٢٦ محرم، أشرفوا من رأس منحدر لا صخرة فيه ولا شجرة، وجاءوا على عادتهم في الصباح كالسيل المنهمر إلى البساتين تحت وابل من الرصاص، فكانت بنادق المدافعين المتحصنين تحصدتهم بالعشرات والمئات وهم يتقدمون مستبسلين مستشهدين، فكانت ملحمة كبرى وموتاً أحرر على جيوش ابن صباح.

ولما رأوا الإقدام والجراءة فرّ من نجا منهم، ودخل الإخوان الجهراء واستولوا عليها وعلى حصونها، أولئك الإخوان الذين فضلهم لا ينكر وبسالتهم لا تزال على المدى تذكر، يشهد لهم التاريخ بالمقامات الدينية والمجاهدات الإسلامية، فكان الواحد منهم يلقي نفسه بجحيم الوغى ولا يحجم، ويخوض بحار الموت ولا يهاب اللقاء والموت، فتقهقر الأمير سالم بقوة جيشه إلى قصر هناك خارج البلد شرقاً منها فتعقبه الدويش وحاصره فيه يومين كانا شبه هدنة للمفاوضات.

وكان الإخوان في جهادهم إذ ذاك ليس لهم قصد سوى أن يدين الناس وينقادوا للإسلام، وتكون كلمة الله هي العليا على حسب اجتهادهم، وما ترشدهم إليه أفهامهم، فخدعهم سالم لما قالوا له كن معنا ومنا، كن موحداً ونظف بيتك من الشرك والمنكرات، فلك ما لنا وعليك ما علينا، فراغ روغان الثعلب وأجاب الدويش وإخوانه بقوله: وهل يرفض مثل هذه النعمة إلا الأحمق، إني والله منكم خيال التوحيد أخو من أطاع الله، ولكن في بيتي ما يقتضي رجوعي إليه قبل أن أجيئكم، انتظروني في الصبيحية، فصدقه الدويش وقفل راجعاً إلى الصبيحية بعد أن قتل من رجاله خمسمائة.

ولكن بالنسبة إلى أن تدين الكويت ويدين صاحبها ليس الخمسمائة الذين بهم من رجاله بشيء، وبذلك تعلم حسن نية الإخوان وسلامة قلوبهم.

أما أهل الكويت فقتل منه ثلاثمائة مقاتل، ولما أن وصل سالم بن صباح إلى الكويت طلب من الإنكليز أن يحموا بلاده وإلا فإنه سيقبل شروط الإخوان، وبدأت المفاوضات البرقية بين الكويت وأبي شهر، ثم بين حكومة الهند ولندن، واستمرت ثلاثة أيام بينما كان الدويش وإخوانه ينتظرون توبة سالم وأصحابه، فجزع خلاها الدويش وهو ينتظر سالماً في الصبيحية يقدم إليه بطاعة أهل الكويت وإسلامهم، فأرسل وفداً من قبله إلى الأخ سالم فتمارض ولم يقابله، ثم جاء الجواب من الحكومة البريطانية ومع ثلاثة مراكب حربية، فرست في مياه الكويت وشرعت في الليل تطلق الأسهم النارية تهويلاً وترويعاً، فلما كان من الغد وصلت طائرتان من العراق فشفي سالم بن صباح من مرضه إذ ذاك وقابل وفد أخيه الدويش في مجلس رسمي حضره الوكيل البريطاني المجرمور الذي هم بمخاطبة الإخوان، فسمع جواباً أقنعه في الحال، وكان كلامه في مخاطبته لوفد الدويش أن قال:

الشيخ سالم صديق لدولة بريطانيا البهية وأنتم جئتم تحاربونه بدون أمر من ابن سعود، فقال رئيس الوفد: ما جئنا إلا بأمره، وهو أيضاً صديقكم، تالله أن هذا الجواب لمن الأجوبة المسكنة، فسكت الوكيل، وأرسل كتاباً إلى الدويش وفيه أن

حكومة بريطانيا العظمى باسطة على الكويت حمايتها وأن من يحاولون الهجوم عليها يعرضون أنفسهم لضرب الطائرات والمراكب الحربية.

من فيصل بن سلطان الدويش، إلى سالم الصباح سلمنا الله وإياه من الكذب والبهتان وأجار المسلمين يوم الفزع الأكبر من الخزي والخزلان: أما بعد فمن يوم جاءنا ابن سلمان يقول إنك عاهدته على الإسلام والمتابعة لا مجرد الدعوى والانتساب كففنا عن قصرك بعدما خرب، وأمرنا برد جيش ابن سعود على أمل أن ندرك منك المقصود، فلما علمنا أنك خدعتنا آمنا بالله وتوكلنا عليه، يروى عن عمر أنه قال: (من خدعنا بالله انخدعنا له) فنحن بيض وجوهنا، نرجو الله أن يهديك أو يسلطنا عليك إياها نعبد وإيه نستعين.

تالله إنها لحالة عجيبة من الدويش وإخوان في انخداعهم لذلك الماكر، ولكن لا عجب منهم، وقد قال الشيخ حمد بن مزيّد قصيدة في هذا الموضوع ذكر فيها ما من الله به من الفتح وهزيمة صاحب الكويت وخذلانه سالم بن صباح ومن معه من الأوباش المعتدين على يدي الأمير فيصل الدويش ومن معه من إخوانه المهاجرين حين سيرهم لحربهم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل حفظه الله وأيده، وكانت تلك منقبةً عليا لفيصل الدويش لو دام عليها وعلى جهاده وطلبه الحق، ولكنه صارم عراه الانثلام، وقد أطال ابن مزيّد بمدحيه والثناء عليه بالشجاعة والشهامة، ثم إنه بعد تلك الواقعة قام أحمد الجابر ابن أخي سالم و(كاسب بن خزعل) أمير الحمرة يفاوضان ابن سعود بالصلح، وتوفى الأمير سالم بعدها ببضعة أشهر وكانت وفاته في ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٩هـ، ثم تولى إمارة الكويت بعده أحمد الجابر وتحسنت العلاقات بينه وبين ابن سعود فكان في غنى عن وقد يصلح مع ابن سعود لكمال سياسته.

وفيها في ١٨ من رجب وفاة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رحمه الله وعفا عنه وبوآه في الجنة منزلاً ومقيلاً، وهذه ترجمته:

هو الإمام العالم العلامة الحبر السميع، علم الأعلام وهادي الآنام، البحر

الزاهر والعلم الظاهر، من افتخرت به الأواخر على الأوائل ونال من الفضائل ما قصرت عنه سورة كل مطاول، الشيخ عبدالله بن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام وكاشف الأوهام محمد بن عبدالوهاب، أعظم الله لهم الثواب وأدخلهم الجنة بغير حساب، هؤلاء الأئمة الذين تنجلي بذكرهم الغياهب ويحيوا على الركب أمامهم كل طالب، فحقيق بمناقب هؤلاء الأئمة الذين رفع الله قدرهم وشاد في العالمين ذكرهم أن يعرض عليها بالنواجد، وتأنى عليها الخناصر، وتجمل بها بطون الدفاتر، وينادي بها فوق أعالي المنابر جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

كان الشيخ عبدالله جواداً كريماً والمعياً محققاً له هبة عظيمة في الصدور ويملاً المسامع ويقنع المسترشد والسامع، وله مقامات في الإسلام وتسديد في أجوبته وتصديراته، وقد أقر له بذلك الخاص والعام وغرس الله له المحبة في صدور المؤمنين وأذل به الكفار والمنافقين، وكان في زمنه إليه المرجع في علوم الدين، فله دره من إمام تقتدي به العلماء وملجأ منيع تلوي إليه الضعفاء، وتجتو لاستفراغ منطوقه رقاب الفصحاء والبلغاء، فإن بحثته في علم التوحيد والأسماء والصفات فهو البحر الخضم الغزير، وإن طلبت إليه علوم الحلال والحرام وجدت عنده الجم الكثير، وإن سبرت أخلاقه وفضائله ومكارمه، قلت ذلك تقدير الرب الكبير، فسبحان من أحصه بالمكارم، وحلاه بالقبول والحظ الذي ليس له فيه مزاحم، منحه الله من سيله العميم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ذكر جوده وكرمه

لما كان الله تبارك وتعالى قد أحب الجود والسخاء والكرم وجبل نبيه ﷺ على ذلك، كان لأوليائه وأتباع رسله من ذلك الحظ الأوفر فأصبح هذا العالم آية من آيات الله في البذل والسخاء ينحر الجزور ويطعم طلاب العلم ويمنح الغريب والمسكين وذا الحاجة والقريب والبعيد، فحدث عن البحر ولا حرج، يبذل لله وفي طلب مرضاته، فله كم أشبع من بطون جائعة في ليال مسغبة، وكسا من عراة، وكفل من أيتام.

ولما دعا به الحاكم محمد بن رشيد ليجتمع به ويشاهده حينما رويت له أخلاقه وأفعاله فسار إليه في بلدة حائل وعند قدومه إليها جلس في أحد بيوتها فأقبل إلى ساحته الناس يهرولون شيوخاً وكهولاً وشباناً وامتلات الشوارع فجعل يدرس في بيته وأصبح ذلك البيت نادياً عظيماً للدين والشرف والأكل والشرب حتى كانت الأطعمة وأنواع التمر والألبان يسعى بها إلى بيته، ومن دخل فإنه يجلس وينبسط ويشرب ويأكل ويستمتع لكلام الله ورسوله والسلف الصالح ويا حبذا هذه الخصال الجميلة.

ولما درس في حائل ونشر علمه هناك وأتم أيام إقامته بذل له محمد بن رشيد أموالاً طائلة وإبلاً كثيرة وسار منها إلى الرياض فكان ينحر في كل منزل جزوراً ويطعمه رفقته ومن يأوي إليه، حتى لم يصل منها إلى الرياض جزوراً واحداً، وكان يدرس في بيته فإذا جلسوا فإن أواني القهوة من الشاي والبن والبخور لا تزال تدار على الحاضرين من المتعلمين والمستمعين، وما دام في التدريس فإن النار لا تزال تضطرم والأباريق تحمل كلما فرغ منها شيء، وإذا الأخرى تهيأ فلذلك كان مجلسه عامراً ينتابه القريب والبعيد وكل من يقصده فإنه يحصل على الدنيا والدين، وقد أمر طاهيه أن يذبح في كل ليلة شاة فلما رأى أنها لا تكفي جعل يذبح ذبائحتين ودائماً يحثه على الزيادة في المطعم.

ذكر تدريسه وسعة علمه

كان له مجلس في بيته فإذا جلس للتدريس فإن العلماء والجهابذة وطلاب العلم يترددون إليه ويتعلمون منه، وكان لهم كهفاً والداً ورئيساً وجعل الله في تعليمه بركة حتى أنه ليؤثر نفعه في كل من جالسه ولو مرة واحدة، وجميع الذين تعلموا منه وتخرجوا عليه وفقهم الله للعلم والدين، حتى أنه ليرى على تلامذته ومجالسيه آثار البهاء والإجلال، وهذه بحوثه ومسائله وفوائده تطلعك على ما حواه من العرفان وانطوى عليه ذلك الجنان، فكان علماء نجد ونحاريرها ترجع في العلوم إليه

وتجثوا للتعلم بين يديه، فهو شيخ المشايخ ورئيس القضاة في نجد؛ وضربت إليه أباط الإبل وقصده الطلاب من سائر الأقطار واحتاج إلى تفريغ منطوقه القاصي والداني إذا رأيته فإنك لا تستطيع أن تحد النظر إليه إجلالاً وهيبةً ومحبةً، فمن أجل هذا هابته الملوك وأذعنت له ووقره الصغير والكبير والصديق والعدو وانقلبت إليه الأمة وألفه الخاص والعام، والعالم والجاهل، وكان المتعلمون يسرون إليه من كل جهة ويذهبون إلى الرياض رجالاً وركباناً من القصيم وغيره، حتى حدثني بعض إخواننا من أهل القصيم أن منهم من سار على رجله من القصيم إلى الرياض مرات ليتعلم ويدرس.

فمن تلامذته الشيخ سليمان بن سحمان أخذ عنه وتعلم منه أخوه إبراهيم بين يديه ومنهم الشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعبد اللطيف بن إبراهيم، والشيخ عبد الملك بن إبراهيم، وأخذ عنه اخوته الشيخ محمد بن عبد اللطيف، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف، وعمر بن عبد اللطيف.

وأخذ عنه الشيخ سعد بن عتيق، وأخذ عنه الشيخ عمر بن حسن، وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن اسحق، وأخذ عنه الشيخ صالح بن سالم بن بنيان، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالله بن محمد بن فداء، وأخذ عنه أيضاً ابنه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن فداء، وكل هؤلاء أئمة علماء أقلهم يصلح للقضاء والفتيا، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان وأخوه محمد بن حمد بن مضيان، وأخذ عنه آل عتيق أنجال الشيخ حمد، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن رشيدان، وأخذ عنه أيضاً الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن عيسى صاحب أشيقر، وأخذ عنه أيضاً الأخ في الله والمحبة فيه سليمان بن علي الوهبي، وأخذ عنه أيضاً الأخ المحبة عبد الرحمن بن غيث، وأخذ عنه أيضاً صاحب الأصل والدين سليمان بن عبدالله بن حميد، وأخذ عنه أيضاً الحافظ عبد الرحمن بن عبدالعزيز بن عويد، وأخذ عنه أيضاً الشيخ الكبير العالم المحقق عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وأخذ عنه أيضاً رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين؛ وناهيك بهما من حبرين جليلين.

وأخذ عنه الأخ الفاضل صالح بن كريدس، وأخذ عنه أيضاً الزاهد عبدالله بن محمد أبا الخيل، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالله بن حسين أبا الخيل، وأخذ عنه غير هؤلاء جم غفير، وخلق كثير غير أنه لا يحضرني الآن أسماؤهم.

أما مشايخه الذين أخذ عنهم فمنهم والده الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وجده عبدالرحمن بن حسن صاحب شرح التوحيد، وأخذ المترجم عن الشيخ حمد ابن عتيق وغيرهم.

ذكر شجاعته ونباهته وصفته ومقاماته في الإسلام

لما كان في أيام الحاكم عبدالعزيز بن متعب كثرت الوشاية من المنافقين به عند الحاكم وأكثروا في مسبته فبعث إليه رسولاً ينهاه عن التدريس وقال للرسول أخبره أنا في غنا عن تدريسه، فلما بلغه رسول ابن رشيد مقالته أجاب بقوله: أخبر الحاكم إني سأدرس وأعلم وأخبره أن الأمر من ها هنا ويشير إلى السماء: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠]، وكان يوماً من الأيام جالساً في المسجد الجامع في الرياض فسمع غناء وأصواتاً من جهة الجنوب أتى بنغمتها هبوب الرياح فلما سمع ذلك وعظ الناس موعظة بليغة شفت وكفت ثم قام من فوره إلى ذلك المنكر وخرج من الباب الجنوبي فأزال المنكر في لحظة.

وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لا يهاب الملوك ولا العظماء وذا هبة ووقار وإجلال ولين جانب متودداً إلى الناس كافة على اختلاف طبقاتهم لا يغضب إلا الله ولا ينتصر لنفسه، وكان بيته لا يخلو من عشرة أنفس إلى خمسين نفساً من الغرباء الذين يفدون لطلب العلم ويطعمهم ويتفقد أحوالهم ويقوم بمصالحهم بنفسه، ولقد رحل إلى الأفلاج للأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق، وأخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن عدوان؛ والشيخ عبدالله بن حسين المخضوب، وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود، والشيخ عبدالعزيز المرشدي، فمهر في الفقه والفرائض، والحديث؛ والتفسير وظهر أمره، ونيل قدره، وبعد وصيته وصار رفيع القدر وانتهت إليه الرئاسة في العلم والرأي والكرام.

وكان لا يوفر جانبه عمن قصده قريباً كان أو بعيداً ولا يدخر شفاعته عمن اعتمده ضعيفاً أو شديداً، ويتتابه الأمراء والملوك والعلماء.

ولقد وعظ مرة في أحد الجوامع الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأغلظ في الموعظة كعادة آل عتيق في الصدع بأوامر الله تعالى لا يخشون إلا الله كائناً من كان ومن عامل الله لم يفقد شيئاً، وكان فيما ذكر في الموعظة دخول الأجانب في المملكة واختلاط الطيب بالخبث، فانبعث أناس من أهل الأغراض والمقاصد وأوقعوا في مسبته لدى صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز رفع الله درجاته في الجنات العالية فأحدث ذلك له سرعة انفعال، وذهب الملك إلى الشيخ عبدالله يدي له بعض ما صدر من المذكور وكيف يهاجم ولا يبالي عظمة السلطان، وكان قد غضب غضباً شديداً، وناهيك بالليث في ثورته، والضرغام في وثبته، فلما فرغ من كلامه تكلم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف قائلاً: يا عبدالعزيز: احلم هداك الله فمن عادتك الحلم يا أبا تركي، واعلم بأن الشيخ سعد بن عتيق إنسان العين ولا نرضى أن يناله سوء فاستعذ بالله من الشيطان يا عبدالعزيز، وإن كنت لا ترعى لنا حرمة ولا توقر العلماء فإن الله من فوق الجميع وما من يد إلا يد الله فوقها فسكن غضب الملك ونزل عن فرسه إلى الأرض وأبدى ندمه قائلاً: توكلنا على الله إئت بالقهوة يا شيخ، وجلس مطمئناً وذهب ما في نفسه، ثم أن الشيخ عبدالله دعى بالشيخ بعد ذلك وحثه على الرفق.

ولو ذهبنا نتبع مآثره ومحاسنه وفضائله لخرجنا عن المقصود، أما ولادته فقد ولد في الإحساء سنة ١٢٦٥هـ، وقدم إلى الرياض ١٢٧٢هـ، وقد قدمنا ذكر بعض تلامذته وإليك بقية منهم.

فمن أخذ عنه اسحق بن عبدالرحمن، وأخوه عبدالعزيز، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن داود، والشيخ عبدالله بن سليمان السيارى، وأخذ عنه عبدالله بن حمد الدوسري، وأخذ عنه الشيخ سالم الحناكي، والشيخ محمد الحناكي، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن عودان، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عثمان الشاوي،

وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن بشر؛ وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن سالم، وأخذ عنه عبدالله بن فيصل؛ وأخذ عنه الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى، وأخذ عنه الشيخ مبارك بن عبدالمحسن، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن زاحم؛ وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله النمر، وأخذ عنه فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن سليمان بن راشد وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن عتيق، والشيخ عبداللطيف بن عتيق؛ وأخذ عنه الشيخ سليمان بن حمدان، وأخذ عنه الشيخ محمد بن علي البيز، وأخذ عنه الشيخ فالح بن عثمان بن صغير، وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز الشثري، وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن مرشد، وأخذ عنه إبراهيم وعبدالرحمن ابنا حسين، وأخذ عنه عبدالرحمن بن الشيخ محمد وغيرهم.

ذكر ثناء العلماء عليه وميل الناس إليه

اعلم أن الشيخ المترجم كان متسماً بأخلاق ينذر مثلها ذلك بأنه مع علو مرتبته ورفعة مقامه لا يميل جلسيه حديثه ويسبق من لقيه بالسلام ويعرض نفسه لقضاء الحاجات قبل أن تعرض عليه فيبادر في قضائها بماله وجاهه؛ وإذا من الله على عبد فليفعل ما شاء من خصال الخير، قال الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى يمتدحه ويثني عليه:

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| وصح القلب عن ذكر الحمى والأخشب | وعن ندب أطلال عفت بالذنائب |
| وأقلعت عن شوق ووجد من ينب | وإن تيمت قلبي بزج الحواجب |
| وأبدلت من وصف اللواء وضياؤه | حسان الوجوه الناعمات الكواعب |
| بمدح إمام الدين والحق والهدى | إلا ذاك عبدالله فرع الأطائب |
| هو العالم التحرير والماجد الذي | سما مجده أوج النجوم الثواقب |
| هو العلم الفرد الذي سار ذكره | بكل القرى من شرقها والمغارب |
| حليف التقى والعلم والحلم والنها | حميد السجايا الشهم جم المناقب |
| شقيق الندي عفا الأزار أخو الثنا | رحيب الفنا جزل الحبا والمواهب |

كريم المحيا باسم مهلل
ضياء علوم إن دجا ليل مشكل
نصيح بليغ متقن متفنن
لقد نال من نهج البلاغة رتبة
إذا قام يوماً فوق أعواد منبر
مهيّب عليه للوقار سكينة
إليه لأخذ العلم من كل بلدة
فيلقون حبراً في العلوم مهذباً
يحل الذي أعيا ويكشف ما خفى
يجيب على الفتيا جواباً مسدداً
فيالك من شهم إذا قال لم يدع
هو النذب وضاح الجبين كأنما
أشتم عصامي من النفر الألى
مقدام من عليا تميم توارثوا

ثمّال لمعتر وكنز لراغب
وغيث سماح هاطل بالرغائب
همام له في الفضل أعلى المراتب
يقصر عنها كل ساع وراكب
خطيباً فيالله من وعظ خاطب
حياه بها الرحمن أكرم واهب
يشد رجال القوم نجب الركائب
يجلي بشمس العلم ليل الغياهب
بفكر كعضب للإصابة صائب
يزيح بها الأشكال عن فكر طالب
مقالاً لأرباب العلى والمناصب
أنامله مخلوقة من سحائب
فضائلهم لم يحصها عد حاسب
كرام المساعي عن جدود مناجب

وقال الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن عيسى صاحب أشيقر يمتدحه ويثني عليه
وعلى آباءه وأجداده:

ألا خلياني من زرود وحاجر
ومن ندب أطلال العذيب وبارق
وما حب ذات الخال مهضومة الحشا
موردة الخدين معسولة اللما
مهفهفة هيفاء يلعب لحظها
بأفضل عندي من مسامرة العلي
هو الشهم عبدالله ذو الجود والتقوى
إمام الهدى قالي الخفا شامخ الذرا

ومن قاعة الوعسا ومن شعب عامر
ومن غزل في وصف تلك الجادر
مدملجة الساقين بدر الدياجر
بديعة حسن نخجل للزواهر
بالباب أرباب النها والبصائر
ومدح كريم من كرام أكابر
شهاب سماء المجد ليث المحاجر
بعيد المدى تاج العلى والمفاخر

فصيح بليغ فيصل متبحر
فريد وحيد عالم متفنن
أديب أريب ثاقب الرأي مصقع
حليم كريم مشفق متعطف
وريث أثيل المجد ذو البذل والندى
فيالك من ندب همام سميع
نجيب ليب لو ذعي مهذب
تفرع من قوم صدور أئمة
هم القادة الشهم الأثيل فخارهم
نجوم الهدى أهل المكارم والوفاء
لقد نصرُوا دين الإله وحذروا
فكم هزموا جند الضلال ومزقوا
وكم دهموا ضدّاً بشهب علومهم
فيا ابن الرضا عبداللطيف الذي حوى
ويا أيها الخبر الذي كان دأبه
إليك من البحر الطويل قوافيا
أتت من محب للإخاء ملازم
حباك بها من خالص الود ذا النها
فلا زلت في خير وعز ورفعة
وعشت حميداً في سرور وغبطة

أمير المعالي الغرقسي المنابر
نبه نيل ماله من مناظر
فوائده تربي كلوم الضمائر
سليم طباع بل سليم سرائر
فضائلها لم يحصها حصر حاصر
حميد المساعي كلها والمآثر
تقي نقي مخلص القلب طاهر
جهابذة غر كرام العناصر
حديث علاهم في صدور الدفاتر
هداة الورى من كل باد وحاضر
من الشرك طرا واقتحام الكبائر
جموع الأعادي بالنصوص الظواهر
وذادوا عن الإسلام كل مكابر
علوماً عظاماً كالبحور الزواجر
يري نصره الإسلام أسنى الذخائر
أجل وأبهى من عقود الجواهر
حليف وفاء ليس يوماً بغادر
وإن تر تقصيراً فكن خير ساتر
وعافية من كل بؤس وضائر
تدوم على رغم الحسود المدابر

ولما أن وردت هذه القصيدة على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف كان حاضراً
في المجلس حسان السنة في وقته الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله وعفا عنه،
فأجابه على لسان الشيخ عبدالله بالجواب الوافي السيد مادحاً للناظم ومثنياً عليه.
أهاجك رسم بالديار الدوائر ببرقة فالوعسا فأكناف حاجر

فغور فحليت فسلع فبارق
ديار فتات كالمهات لحاظها
معندمة الخدين بدريّة السنا
مخضبة الكفين رخصاوتيهما
برهرهة في حسن قد وقامة
مهضة الكشحين غيداء بضّة
وتسفر عن در نضيد موشر
ويومض برقاً ثغرها إن تبسمت
ويشفي إذا تسقي لعمرى من الصدى
ويعبق من فيها أريج كأنه
ويكلم قلب المستهام كلامها
لئن أصبحت قد حازت الحسن والبها
فتى بلتع بل مصقع ليس صلقعا
وفاق بترصين القريض الذي نما
وأبدى بديعاً من عويص غويصه
فلله من ندب فصيح ومنطق
معاني مبانيه الطوامح في العلى
ويختار فيهما مطاويح ما انطوى
فيا أيها الأخ الأكيد إخواؤه
وكن باذلاً للجد في طلب الهدى
وبالعلم ينجو المرء من شرك الردي
ويرسب في قعر الخضيض مجانب
وما العلم إلا الاتباع وضده
وتقديمه شرط وقد قيل أنه

فوادى الحمى فالمنحنى فالظواهر
أحد من البيض المواضي البواتر
وداجي الدياجي من فروع الغدائر
مدلجة الساقين دعجا النواظر
كأنبوب بان مائد بالأزاهر
مهفهفة الأحشاء ملأ المآزر
كالطف أزهار الأقاح الزواهر
ولا شيء أبهى من ثغور الجآذر
رضاب ثناياها الحسان لزائر
قسمة مسك فاح من نشر تاجر
بلفظ رخيم يستي ذي البصائر
لقد حاز إبراهيم جهم المآثر
ولا بلقعا بل لودعي لسابر
وأفصح مذاً بدى مودة خائر
فشام المعالي المحكمات لناظر
فصيح حوى ما لم يهيا لشاعر
لثالى أصداف البحور الزواجر
عليه من الترصيع قسر المحاضر
تمسك بأصل الدين سامي الشعائر
من العلم إن العلم خير الذخائر
ويسمق بالتقوى لشأو المفاخر
لأسبابه اللائي سمت بالأطاهر
فذاك ابتداع من عضال الكبائر
لثالث أركان التوحيد قاهر

وتقديم آراء الرجال وخرصها
وملة إبراهيم فاسلك سبيلها
هي العروة الوثقى فكن متمسكاً
وما الدين إلا الحب والبغض والولا
ومهما ذكرت الشم ذوي الفضل والندا
فانهموا أهل لكل مديحة
فكم فتحوا بالعلم والدين والهدى
وكم شيدوا ركناً من الدين قد هوى
وكم هدموا بنيان شرك قد اعتلى
وكم كشفوا من شبهة وتصدروا
وكم سنن أحيوا وكم بدع نفوا
لقد ألدوا الإسلام بالعلم والهدى
تغمدهم رب العباد بفضله
وجوزيت من مولاك عنا وعنهم
ولا زلت مسروراً بارفة حبرة
لأن كنت قد أديت حقاً مؤكداً
وحررت درأ من نظامك مبرزا
لقد نلت حمدا يخرس النطق دونه
ولم أر تقصيراً وأنسى وإنما
ومن أجله كان الجواب مطولاً
وصل إلهي كلما ذر شارق
وما ماض برق أو تنسمت الصبا
وما لاح نجم في دجا الليل طافح
وما انبعثت تبكي هديلاً حمائم

عليه ضلال موبق في النهاير
فمهيئها المنجي لأهل البصائر
يجذر عراها من جهول مقامر
كذاك البرا من كل طاغ وكافر
أولى العلم والحلم الهداة الأكابر
تسامى بهم نحو النجوم الزواهر
قلوباً لعمري مقفلات البصائر
وأقوى ففازوا بالهنا والبشائر
وشادوا من الإسلام كل الشعائر
لحل عويص المشكلات البوادر
وكم أرشدوا نحو الهدى كل حائر
وبالسمر والبيض المواضي البواتر
وإحسانه والله أقدر قادر
بأفضل ما يجزي به كل شاكر
معافى من الأسواء ومن كل ضائر
بمدحة أشياخ كرام العناصر
أجل وأبهى من عقود الجواهر
ويقصر عن تعداده كل حاصر
سموت لشأو يستبين لسابر
ليجبر من نظمي إذا كل قاصر
وما انهلت الجون الفوادي بماطر
سحيراً على روض زهي الأزاهر
وما أم بيت الله من كل سائر
على الأيك في آصالها والبواكر

على السيد المعصوم والآل كلهم وأصحابه الغر الكرام الأطاهر

وكان العلماء والرؤساء من الملوك والأمراء يعظمونه ويقفون عند أوامره ونواهيه، ولا يستطيع أحد من الناس مجاوزتها لأنه قطب رحي الدين في وقته يرجع إليه في مهمات الأمور إذا انسدت أبوابها وحاربها فكر الأنجباب، فيجدون عنده كشفها، وله مؤلفات مفيدة، وأجوبة سديدة عباراتها عذبة المجتنى وفصاحتها قد بلغت الغاية والمنتهى تدل على سبقه ونباهته وكمال غوصه ودرايته، ويلهج بها أهل العلم والدين، ويهجم بها مرده الشياطين من الكفار والمنافقين، ولقد كان في ناحية العارض بل في نجد كلها عظيماً بموته يصاب الإسلام وأهله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولما أصابه طارق الموت والفناء، ونزل به مبيد الأمم الذي لا يفوته هارب ولا يردّه ممتنع، بكتّه محارب العلماء ودروس الفقه والتوحيد، ورزئت به الأمة ورثى بمراثي كثيرة حسنة، فمن ذلك ما رثاه به الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم بن عبداللطيف، وهي:

| | |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| على عالم الأعلام زاكي المناقب | بكيث طويلاً بالدموع السواكب |
| وحقّ لعيني أن يريق دموعها | وللأنس أن يزور عني بجانب |
| وحقّ لقلبي أن يرى متصدعاً | لخطب دهاناً بالهموم اللواذب |
| فأعظم به من فادح جلّ خطبه | ورزء دها من معضلات المصائب |
| به أظلمت أرجاء نجد جميعها | لما عمها من فادحات النوائب |
| فوا الله إن العيش عاد منغصاً | لذن غيوا بالرمس جم الرغائب |
| وأعني به الشيخ الإمام الذي له | مآثر مجدّ عاليات المراتب |
| هو الشيخ عبدالله ذو الجود والتقوى | وذو الحلم والإحسان صافي المشارب |
| إمام لدين الله كان مجدداً | شهاباً على الأعداء من كل ناكب |
| إمامٍ لعمرى كان بالعلم عاملاً | وكهفاً لأيتام وغيشاً لطالب |
| إمامٌ همّامٌ ماجدٌ ذو تورع | وبدال جودٍ في ليالٍ سواغب |

أديبٌ مهيبٌ قانتٌ ذو تبسم
حسامٌ على الكفار من كل مبطل
حليمٌ عليه للوقار مهابةٌ
تقيٌ نقيٌ صادقٌ ذو سماحةٍ
أبي وفي ماله من مماثل
تفرد في التقوى وفي العلم والحجا
يرى نصرة الإسلام حقاً وواجباً
مناقبه في الناس أضحت شهيرةً
فوائده ذاعت بشرقٍ ومغربٍ
له مجلسٌ بالعلم يزهر دائماً
ترى حوله من مبتغي الخير عصبةً
إليه أتى الطلاب من كل جهةٍ
ويلقون ما قد أملوه وزائداً
لقد كان بداراً في البسيطة ساطعاً
له همةٌ تسمو إلى المنتهى العلى
تفرع من قوم كرامٍ أعزةٍ
سعوا جهدهم في نصر سنة أحمد
جزاهم إله العرش عنا بفضله
أقول ودمع العين جارٍ بعبرةٍ
إلا ذهب الشيخ التقي أخو الندى
قضاء قضاء الله جل جلاله
وإن عاش في الدنيا عزيزاً منعماً
فلا زال رضوان الإله يحفه
ويا رب يا مولاي بؤاه منزلاً

وليس لأرباب الضلال يصاحب
وليس على أهل الهداء بعائب
وثابت رأيي في اشتداد النوائب
وذو خلقٍ زاكٍ وليس بناكب
ولا مشبه في شرقها والمغرب
وكان لعمرى ماله من مقارب
ويحمي حما السمحاء عن ثلب ثالب
وليس بمحصيها يراعٍ لكاتب
وسارت بها الركبان فوق النجائب
تشد إليه مضمرات الركائب
يحفونه من مستفيدٍ وطالب
لكي يردوا من صافيات المشارب
من العلم والتحقيق خير المكاسب
وردماً على الأعداء أهل المشاغب
فحل على هاماتها والغوارب
لهم همةٌ فوق النجوم الثواقب
وحاطوا سياج الدين من كل جانب
وفازوا من المولى بخير العواقب
على الخد مني مثل هطالٍ ساكب
وكشافٍ وهم مد لهم الغياهب
وكان قضاء الله أغلب غالب
فترجوا له الجنات أعلى المطالب
وفاز بخيراتٍ حسان كواعب
بأعلى جنان الخلد مع كل صاحب

وأسألك اللهم غفر ذنوبه
لأن كان شيخ العلم أضحي مفارقاً
وذاك إمام الدين من شاع ذكره
عنيت به عبدالعزيز الذي غدى
فلا زال في حفظٍ وعزٍ ورفعةٍ
وأبقاه ربي في أمان وغبطةٍ
وصل إلهي كل حين وساعة
وآل وأصحاب ومن كان تابعاً

وعفوك عنه يا سميعاً لطالب
ففينا أخو السمحاء غيظ المحارب
وفاق الورى من عجمها والأعارب
يحمي على دين الهدى بالقواضب
من الملك الرحمن مسدي المواهب
وبلغه ما يتبغي من مأرب
على خاتم الرسل الكرام الأطايب
على نهجهم ما أنهل ودق السحائب

ومما قال الفقير إلى الله تعالى حمد بن مزيد يرثي الشيخ عبدالله بن عبداللطيف
قدس الله روحه ونور ضريحه وتغمده برحمته إنه أرحم الراحمين:

أيا عين جودي بالدموع السواجم
ويا حزني لا تبرح الدهر نازلاً
ويا حر قلبي لا تزل متلهباً
ويا كبدي ذوبي أسأ وتصدعي
ويا فرحي مع سلوتي ومسررتي
فقد مات شمس الدين قطب رحى الهدى
إمام الهدى بدر الدجى معدن الوفا
وشيوخ الورى بل قدوة الناس كلهم
وصفوة أهل العصر طراً وخيرهم
هموا جددوا دين الهدى بعد أن عفت
وأحيوا رسوماً دائراتٍ وأطدوا
جزاهم إله الناس روحاً ورحمةً
فسار على مناهجهم وطريقهم
إلى أن توفاه الإله على الهدى

ونحي الكرى عني فلست بنائم
ويا شجوتي دومي وللقلب لازم
ويا لوعتي حلي فؤادي وداومي
ويا نفس كفي عن لذيق المطاعم
ويا طيب نفسي فارقيني وصارم
حليف العلى بحر الندى والمكارم
ومصباح دين الله بين العوالم
به يقتدى بل يهتدى للمعالم
سلالة ساداتٍ هداةٍ أكارم
مآثره في عربها والأعاجم
قواعد رشدها كل ظالم
وأسكنهم في الخلد أرحم راحم
يشد ويرفا ما وهي من دعائم
فله ربي الحمد أحكم حاكم

فوالهفأ من فادح جل أمره
فمن مثل عبدالله يرجى لمشكل
ومن مثله في العلم والحلم والتقوى
لقد كان ذا صبرٍ وصدقٍ وعفةٍ
وقد كان زيناً للهداة ومفخراً
وكان شجى في حلق كل منافق
وكان له حظٌ من العلم وافراً
وقد كان في الإتقان والضبط آيةً
يقضي بتدريس العلوم نهاره
وإن جنه داجي الدجى كان قائماً
وكان تقياً ناسكاً متورعاً
أبياً وفيأ فاق في الجود والندى
أديباً أريباً المعيا مهذباً
محباً لأهل الدين والصدق والوفا
يعز ذوي التقى ويدنيهموا ولا
وقد كان ذا عقلٍ رزين وفطنةٍ
وكان لأهل العلم كهفأ وموئلاً
يحل عويص المشكلات بفهمه
له في فنون العلم باعٌ طويلةٌ
فلله من حبرٍ إمامٍ موفقٍ
لقد عاش فينا يأمر الناس بالتقى
وجاهد في مولاه حق جهاده
ومطلوبه إظهار دين إلهه
فأكرم به بجرأ خضماً وجهبذاً

وهذ لركن الدين إحدى القواصم
ويقصد عند المعضلات العظام
وزهدٍ وكفٍ عن جميع المآثم
فليس له في عصره من مقاوم
وغيظاً وإرغاماً لكل مراغم
قذا وأذى في كل عين مخاصم
يقصر عن تحصيله كل عالم
وتقريره التوحيد بين العوالم
وتوضيحه النهج القويم لرائم
مناجي إله العرش أرحم راحم
كريمأ سليم القلب غيظ المصادم
وحل على هام السهى والنعمام
لنيل العلى مستيقظاً غير نائم
وذا نفرةٍ في كل خيرٍ وظالم
يداني لأهل الزيغ من كل آثم
يقصر عنها كل شهم وحازم
إذا أعجمتهم معضلات المخاصم
ووقاد ذهنٍ ماله من مقاوم
وفي الرأي مع بذل الجدا والمكارم
حميد المساعي ذي النهى والعزائم
وينهى الورى عن موبقات الجرائم
وما خاف في الرحمن لومة لائم
وما قصده الدنيا وجمع الدراهم
سأذكره بين الورى في الأقالم

فلست أرى أن يوجد اليوم مثله
لقد أظلمت نجمد وقل بهائها
وقد كسفت شمس الهدى بعد ضوئه
لذن غيبو شمس الهدى داخل الثرى
فما مرّ دهرٌ للورى من مصيبةٍ
بأعظم من خطب أنانا بموته
فضج أولوا الإسلام ضجةً واحد
وأضحت ربوع العلم ثكلاً بواكيا
فلو ينفع المرء البكا لوجدتني
ولو يقبل الموت الفداء لواحدٍ
لفدّيته أهلي ونفسي وعصبي
ولكن أسى الإنسان ليس بنافعٍ
فصبراً بني الإسلام صبراً لما دهى
فذا قدرٌ ولا بد كائناً
وذي سنةً في العالمين جميعهم
ولو قد قضى بالخلد ربي على امرئٍ
عسى ربنا الرحمن جل جلاله
يقدس روح الشيخ في الفوز والرضى
ويجبر صدع المسلمين وشجوههم
ويجعلهم في العلم والخير قادةً
ويحفظ نجل الشيخ أعني محمداً
ويرزقه علماً وفهماً وحكمةً
ويبقى لنا بدر الدجى علم الهدى
يلم به شعث الهداة وشملهم

بكل الورى من عربها والأعاجم
وقد أصبح الإسلام واهي القوائم
وبدر الدجى غطاءه إحدى العمائم
وواروا لشخص الخبر عالي الدعائم
ورزء فظيع قد أتى بالقواصم
فأعول كل بالبكاء والتلاوم
وسالت جفونٌ بالدموع السواجم
لفقد الإمام الخبر زين العوالم
أجود بدمعٍ مثل صوب الغمام
بخلقٍ كثيرٍ أو كثير الدراهم
ومالي وأولادي وخل مصادم
ولا مانع مما قضى أو مصادم
من المزعجات الفطعات العظام
وأمرٌ قضاه الله أحكم حاكم
قضى بالفنى ربي على كل عالم
خلّد خير الخلق صفوة آدم
إله الورى ذو الكبريا والمراحم
ويسكنه الفردوس مع كل ناعم
بإصلاح آل الشيخ أهل المكارم
كآبائهم من جددوا للمعالم
حليف المعالي ذو الوفاء الملازم
يفوق بها الأقران من كل عالم
حليف التقى سامي الذرا والدعائم
ويحميهموا من كيد باغٍ وغاشم

ويجعلهم في الدين والخير إخوة
وأعني بهذا عبدالعزيز أخا العلى
ومن جدد الدين الحنيفي والهدى
فأكرم به من ذي نهى وشهامة
إمام تحلى بالشجاعة والندى
فإقدامه آزا بإقدام عنتر
فلا زال محفوظ الجنب مؤيداً
وأزكى صلاة الله ثم سلامه
كذا الآل والأصحاب مع كل تابع
وما لاح نجم أو تالق بارق

ويعنهم من فرقة وتصادم
مبيد العدا بالمرهفات الصوارم
وأفنى جموع الزيف من كل ظالم
سلالة أمجاد هداة ضراغم
وبالبر والتقوى وصدق العزائم
وفي جوده أربا على جود حاتم
له النقص والإبرام بين العوالم
على المصطفى المختار من آل هاشم
وتابعهم ما أنهل صوب الغمام
وما أطرب الأسماع نوح الحمائم

وقال الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر الحالي في نجد يرثي علم الأعلام والهادي إلى سنة سيد الأنام الشيخ عبدالله
بن عبداللطيف بن عبدالرحمن:

على الخبر بحر العلم شمس المعالم
بكاء بدمع وكفها مترادف
فحق لذي لب يبيت مفارقاً
أحق به هم وغم وفادح
لفقد فريد العصر غوث زمانه
ورب الحجا مرد العدى باذل الندى
تقي نقي المعى وعالم
عنيت به شمس الهدى علم التقى
هو الشيخ عبدالله حجة دهرنا
تفرع من أصل أصيل مؤثل
أقام لدين الله في الخلق معلناً

وبدر الدجى فليكن كل العوالم
بعد هتون المدجنات السواجم
لذيذ الكرى مما به غير سالم
وخطب جسيم من دواه قواصم
وقطب رحي ذا الدين فرع الأكارم
بجل عويص المشكلات العظام
بنص رسول الله صفوة آدم
وحامي الحمى عن كل باغ وظالم
أقرت له بالفضل كل العوالم
هم السادة الأنجاب أهل العزائم
على أنف راض من معاد وراغم

ويعمي حمى الإسلام عن جب ساقها
يقرر توحيداً وينشر سنة
يقرب ذا التوحيد ويبعد ذا الخنا
يناضل عن ذا الدين بالعلم والهدى
وذاك بقال الله قال رسوله
يحف به قوم على كل صائح
يفيدهموا طوراً وطوراً مؤدياً
يغوص بفهم ثاقب متوقد
لسل فنون في العلوم غوامض
وقد كان للطلاب كهفاً ومعقلاً
جليلاً نبيلاً فاضلاً ذا دراية
وقد كان ذا عقل رزين مسدد
ولكنه حبر تصدى للعلی
فلله من حبر أحوذى ومسقع
أدب أريب أحوذى ومسقع
لظهر مريد الشر من كان قصده
تراه إذا ما جئته متللاً
لقد جد في نصر الشريعة جهده
لعمري لقد أعطاه ربي فضائلاً
قفا آثار آباء حشام أئمة
لقد أظدوا الإسلام بالنور والهدى
عليهم من المولى شأبيب رحمة
ولم نر في ذا الدهر رزء أصابنا
أحل جمال الدين في اللحد ربه

ولم يثنه عن ذا ملامة لائم
وينهى عن الفحشا وفعل الذمائم
ويزجر من لا يرعوي عن مآثم
ويكدح في نحر العدو المخاصم
فمنهله عذب زلالاً لطاعم
بمجلسه الأسنى لنيل المكارم
بآداب أهل العلم من كل حازم
يبحر خضم زاخر متلاطم
دلالتها تحفى على غير فاهم
وركناً شديداً في الأمور الدواهم
به يقتدي بل يهتدي كل عالم
وليس بسخاب جهول وغاشم
وحاذي لعمري للسها والنعائم
أغاض العدى من عربها والأعاجم
زهى بهي فاضل بل وقاصم
ذميماً وللنكران والفسق رائم
رحيماً رسيماً ماله من مقاوم
وإعلاء دين الله في ذي الأقالم
يقصر في تعدادها كل ناظم
أولي العلم والسبق الهداة الأكارم
وقاموا بأصل الدين عالي الدعائم
تسح كومق المعصرات الغمام
بمثل وفاة الشيخ محي العوالم
فأظلم من نجم سطيع المعالم

فآه على بدرٍ تبدى بضوئه
أرى موت هذا ثلثة لا يسدها
سقى قبره مولاي وابل رحمة
ويا رب أدخله الجنان برحمة
فصبراً بني الإسلام صبراً فلأنا
فمن كان ذا صدقٍ وليس بساخطٍ
ومن كان ذا سخطٍ كفورٍ بربنا
لأن كان رب العرش عنا أماته
إماماً همّامٌ بلتعيّ مهذبٌ
إمام الهدى عبدالعزيز أخو الندى
صفيّ وفيّ لوذعيّ وصارم
سريع إلي الهيحاء جرى على العدا
به أمن الله البلاد وأهلها
وأظهر هذا الدين من بعدما عفت
له فتكاتٍ بالعدى شاع ذكرها
يصول على الأعداء بهمةً ضيغم
وينهض للعلی إذا الحرب شمّرت
ويحمي جناب الشرع بالسيف سالكاً
هو الشهم وابن الشهم من طاب أصله
ولا غرو من هذا فلن جدوده
فيا رب ثبتنا بفضلٍ ورحمة
وأيد إمام الدين بالعز والتقى
وصل إلهي ما تألّق بارق
وما هبت النكباء وما أغسوسق الدجا

فهذ صريعاً في الجدوث المظالم
فئامٌ كثيرٌ من فحولِ أعالم
وهتان عفو من مليكٍ وراحم
ومتعه فيها بالحسان النواعم
ينال الرضى من ربنا ذي الكرائم
ويسكن للبلوي بذلٍ ملازم
فذاك له سخطٍ بذلٍ مداوم
ففيناً من الأحرار بدر الأقالم
وليث عظيمٌ ما له من مصادم
مذيق العدى كأس الردى في الملاحم
يحمي على الإسلام عند التزاحم
مبيد عداة الدين من كل غاشم
وأنقذهم من رق باغٍ وظالم
معالمه في الأرض بين العوالم
على جند عباد القبور الذمائم
بفتيان صدقٍ في اللقا والتزاحم
فيطفئها قهراً ببتّر صوارم
لهدي النبي الأبطحي ابن هشام
حليف العلى بدر النهى والعزائم
ذوو السبق في نصر الهدى والعزائم
على الملة السمحاء ذات الدعائم
وساعده بالإسعاف يا خير حاكم
وما سبحت بالغرد جون الحمام
وما أنهل ودق من خلال الغمام

على السيد المعصوم والآل بعده وأتباعهم أهل النهى والمكارم

وهذه أيضاً مرثية في الشيخ عبدالله قيلت فيه ويظهر أن قائلها سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

على الشيخ عبدالله بدر المحافل
دموعاً على الخدمين تجري بعبرة
فقد حق أن العين تهراق مائها
وأن لكبدي أن تذوب وينطوي
وللأنس أن يزور عني جانباً
فما مرنا يوم فضيغ على الوري
فأعظم به من فادح جل خطبه
ويا لك من رزء به أنبت جبلنا
ويا لك من نقص عظيم وثلمة
فهل أحد يرجى لسد انثلامه
فما أم بكر قد أظلمت أمه
بأعظم مني لوعة ومصيبة
هو العالم التحرير والجهبذ الذي
هو الناصح البذل في النصيح وسعه
إمام لعمرى عارف أهل وقته
تقي نقي حازم ذو رزانة
حليم ذكي ذو دها وسماحة
فقيه نبيه ناسك متورع
مهيّب إذا ما جئته ذو تبسم
قفا إثرهم بالصالحات ونصرهم
إليه تشد اليعملات وتمططي

نريق كصوب الغاديات الهواطل
ولوعة محزون مهاج البلابل
وتسكب دمعاً بالضحى والأصائل
فؤادي على حزب به متواصل
فلاني مصاب القلب مذكي الغلائل
كيوم وفاة الشيخ زاكي الشمائل
به الكل مفجوع مصاب المقاتل
وداهية من قاصمات الكواهل
وهد بسور الدين صافي المناهل
وفرجه هيهات ذا غير حاصل
تحن على فقدانه في المنازل
لذن قيل مات الشيخ جم الفضائل
يبين الهدى في مشكلات المسائل
وغايته كي ينتهي عن أباطل
طيب زمان ماله من مماثل
وثابت جاش في اشتداد النوازل
وذو خلق زاك وحسن شمائل
وذو نصف في أمره غير مائل
وذو شبه بالسالفين الأمائل
لدين الهدى العالي على كل طائل
ظهور الفلا من شاسعات المنازل

وصول لأرخام إن قطعت به
عفو عن الجاني عليه وجارم
وقد كان شمساً للأنام منيرة
وكان شهاباً محرقاً لذوي الردى
يرد على ذي الابتداع ابتداعه
وسيفاً على الكفار قد سل نصله
من الترك والأرفاض أخبث شيعة
وجهمية في غيرهم من طوائف
وقد كان ردماً دون كل كريهة
وقد كان قصداً للعناة ومجتداً
إذا منصف يوماً تأمل حاله
تيقن أن الشيخ قد أحرز العلا
وما قلته من زاكيات خصاله
وشهرته تكفي وأخباره التي
فيا عين سحي أدمعاً بعد أدمع
سأبكيه جهدي ما حييت بحرقه
وبيكه أصل الدين قطب رحا الهدى
ونشر له من بعد لف يبين ما
وبيكه فروع طال ما كان موضعاً
وبيكه حقاً كل صاحب سنة
وبيكه طلاب العلوم بلوعة
على مجلس يتتابه كل مبتغ
ومن حافظ تقريره بفؤاده
ومن قارئ ما يشتهي من مصنف

صفوح عن الزلات من جهل جاهل
وعن نائل من عرضه أي نائل
وكفهاً لعمري للهداة الأفاضل
وأجناد إبليس اللعين المخاتل
ويثنيه مغلولاً على غير حاصل
يفلق من هاماتهم كل طائل
وعباد أوثان من أهل الغوائل
وأحزاب سوء قد أقاموا لباطل
تنوب شجاً في حلق كل مماتل
ووالد أيتام وغيث أرامل
وبهجتة للارتياح لنائل
بأجمعها سبحان مولاي الفضائل
فو الله نزر من أقل القلائل
يسار بها في الضاعين ونازل
على وجناتي واستمري وواصل
وبيكه غيري من شريف وفاضل
ويشجو على تقريره في المحافل
أراد به الإعلام من كل فاضل
لمرجوحها من راجحات المسائل
من العلماء العاملين الأمثال
وأعينهم كالمستهل بوابل
لدين الهدى من ذي استماع رسائل
وآخر بالأقلام راو وناقل
ولا سيما الأصل المتأني لباطل

وكتب حديث للبخاري ومسلم
فكان لعمري جنة قد تزخرت
فهل عوض منها فنقطف مثلما
ويا ليت شعري إنني كنت واجداً
فهيئات هيئات انقضت وتصرفت
جزاه إله الناس عنا بجنةٍ
وأخلفه بخير في عقب وفي
وأبقاهموا دهرأ يذبون جهدهم
ووقفهم للصالحات فإنه
وأحيانا أسيانا أنجم الهدى

وغيرهما من أمهات الدلائل
وقد أدنيت منه القطوف لنائل
قطفناه منها عاجل غير آجل
كمجلسه يوماً فأروي غلائلي
لياليه بالحسنى وجم الفضائل
وأسكنه الفردوس أعلى المنازل
عشيرته والله مولي الفضائل
عن الملة السمحا برد الأباطل
قريب لداعٍ مستجيبٌ لسائل
لإرشاد غاوي بل وتعليم جاهل

ومما قال الشيخ سليمان بن سحمان بل الله ثراه بوابل الغفران ونعمه في فرادس
الجنان مرثية في الشيخ عبدالله بن عبداللطيف أتينا بما وجدنا منها:

لقد كسفت شمس العلا والمفاخر
وقد فتقت في الدين أعظم ثلثة
عنيت به شيخ الهدى معدن الندى
جمال الورى جزل القرى شامخ الذرا
هو الشيخ عبدالله من عم صيته
سليل الرضا عبدالله اللطيف الذي له
سلالة من أحيوا لدين محمد
لقد أشرقت نجد بنور ضيائهم
تغمدهم رب العباد بفضله
هموا جددوا دين الهدى بعدما عفت
فأصبح أصل الدين يزهو بنوره
وآزرهم في نصرة الدين والهدى

وقد صاب أهل الدين إحدى الفواقر
لدن غيوا في الرسم بدر المنابر
وجالي الصدا بالقاطعات الظواهر
ومفتي القرى شيخ الشيوخ الأكابر
لدى كل صقع في بعيد الجزائر
مآثر تزهو كالنجوم الزواهر
نبي الهدى أكرم بهم من أطاهر
وقاموا بنشر الدين بين العشائر
ورحمته والله أكرم غافر
بصدق وجد قاصع للمكابر
على رغم أهل الشرك من كل كافر
عصاة حق من كرام العناصر

ليوث إذا الهيجاء شب ضرامها
بآل سعود أظهر الله دينه
وقد جاهدوا في الله حق جهاده
إلى أن أعاد الله دين نبينا
فلا زال من أنبائهم نصرة له
أقول ودمع العين يهمي بعيرة
وفي القلب نار الحزن تذكي ضرامها
أرقت ومالي في الدجا من مسامر
أروم لنفسي في دجى الليل راحة
ألا ذهب الخبر المحبب في الورى
مضيّف من بقصده يلق بشاشة
به الجود طبعاً لا يفارق كفه
له السبق في غايات مجدٍ وسؤدد
وحلم عن الجاني وصدق مودة
ورأي سديد يستضاء بنوره
أبى وخذ ما شئت من لين جانب
ولكنه ليث عليه مهابة
وكم من مزايا لا يطاق عدادها
وليس بمحتاج إلى مدح نادب
ولكن لنا بعض التسلي بذكرها
وما مات إلا بانقضاء لمدة
فلا جزع مما قضى الله ربنا
ولقد فجع الناس بموته وصلى عليه في جامع الرياض جمع لا يعهد مثله
وحملت جنازته وغصت الأسواق بالناس المشيعين له ودفن بمقبرة العود وهذه مرثية
قالها فيه بعض المحبين:

بهم تقري غرثى السباع الضوامر
فقد جردوا في نصره للبواتر
بحزم وعزم في الوغى والتشاجر
على حالة يرضى لها كل شاكر
ولا زال حزب الله أهل تناصر
على الخد مني مثل تسكاب ماطر
لواهبها أورت أليم السعائر
يرى فيض دمعي والنجوم الزواهر
وكيف ونومي لا يلم بخاطر
مجدد أصل الدين غيظ المناظر
وبشراً وجوداً في الليالي العسائر
ومن طبعه حسن الوثوق بقادر
وعلم وإنصافٍ وعفة صابر
وإرشاد ذي جهل وقمع مقامر
لدى الحادثات المنصعات البوادر
لدى الصحب والإخوان أو ذي أطامر
ولا سيما عند الغواة الغوادر
وليس بمحصيها يراع لحاصر
شمائله مشهورة في العشائر
وحق بأن يرثى له كل شاعر
من الأجل المحدود في علم قاهر
وقد منح المولى مثوبة صابر
ولقد فجع الناس بموته وصلى عليه في جامع الرياض جمع لا يعهد مثله
وحملت جنازته وغصت الأسواق بالناس المشيعين له ودفن بمقبرة العود وهذه مرثية
قالها فيه بعض المحبين:

على الخبر بجر العلم نسل الأكارم
إمام همّام المعّي مهذب
على الخبر ذي التحقيق لا زلت باكياً
على الشيخ ابكوا ما حييتم وكثروا
لقد أفلت شمس العلوم وأدبرت
فأضحت ربوع العلم أقفر رسمها
لقد وجد الإسلام يوم فراقه
لقد نصر الإسلام جهراً بعلمه
وشاد منار الدين والله فأنمحت
يقرر توحيد الإله بجهده
فأها على هذي وأها لفقده
لأن مات شمس الدين علامة الورى
فيا من علا فوق الخلائق واستوى
وقام بتدبير الورى جل شأنه
وبوئه في الجنّات أكرم منزل
فيا أيها الإخوان قوموا لربكم
وأوصيكموا بالصبر أيضاً مع التقى
ودرس علوم الدين والفقه والنهى
فذي سنة الله الكريم بخلقه
فيا حاكماً بين العباد بعدله
وابق حماة الدين وانصر رواته
شموس النهى أهل التقى معدن الوفا
همو جددوا دين الإله بدأ بهم
فأضحى بذا التوحيد تزهو رياضه

سلالة أمجاد سمووا في العوالم
أبي وفي ذي علوم عظام
بدمع غزير ما حييت وساجم
فقد غاب نجم الحق حقاً لرائم
فيا لهف نفسي من خطوب القواصم
لفقدانه أعظم بها من مصادم
مصائب لا تحصي وإحدى القواصم
ولم تنسه في الله لومة لائم
دياجي الردى من كل أهل المآثم
وينشر دين الله بين العوالم
وأها على بدر القرى والأقالم
مكارمه ليست تموت لرائم
على عرشه أحصى جميع العوالم
أنله الرضى والعفو يا خير عالم
ونعمه مع حور حسان نواعم
جميعاً وضجوا بالدعاء لعالم
كذا الزهد بالدنيا وصدق العزائم
وتحقيق علم الدين عالي الدعائم
فذو العدل والإنصاف ليس بظالم
أجب لدعائي يا إله العوالم
ولا سيما التوحيد عالي الدعائم
بدور الدجا أهل العلى والعزائم
أقاموا بنشر الحق بين العوالم
وأما ظلام الشرك أبعد شائم

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| لأهل التقى والفقه أزكى المناعم | مجالسهم أضحت رياض وجنة |
| ووقفهمو للرشد يا خير قائم | فأيدهمو ربي وأصلح قلوبهم |
| إمام الهدى نجم التقى والمكارم | وأصلح إليه العالمين إمامنا |
| وبوئه في الفردوس أعلى المقائم | ووقفه للإنصاف والعدل والتقوى |
| على المصطفى المعصوم صفوة آدم | وصل إليه العالمين مسلماً |
| على أثرهم من كل حبر وعالم | كذا إله مع صحبه ثم من قفى |

إمارة عبدالله بن متعب بن رشيد وقتال أهل حائل بساحة دارهم

لما قتل عمه سعود تولى الإمارة بعده فأركب رسل السلام إلى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن يريد تجديد عهد الصلح والولاء فجعل ابن سعود يشدد في شروطه بأن قال لرسول حائل إني مجيئك في كل ما تطلبون ولكني ألفت نظركم إلى ما بدا من أمراءكم السابقين فهذه كتبهم إلى الشريف ينكثون العهد بيننا وبينهم ويرموننا بأشنع التهم يقولون إننا خوارج وإننا و إننا فعلى هذا تكون شئون شمر الداخلية إلى أهلها فلا أتدخل فيها وأما الخارجية فيهمني أمرها فقد طالما أضرت سياستها بنجد ومصالحها فلا بد إذن من تنازلكم عن إدارة الشئون الخارجية في شمر واعترافكم لي بذلك ويكون الاعتراف بذلك تحريراً لينشر بين جميع الناس ويكون معلوماً، فعاد الوفد إلى حائل يحمل شروط ابن سعود إلى أهلها وإلى أولي الأمر فيها فقبل الأهالي وأكثر المقدمين في شمر لهذه الشروط وأجمعوا على القبول لأنهم قد طالما تعبوا وملوا الحروب وأبى أولوا الأمر من آل رشيد وآل سبهان وبعض الزعماء «كعقال بن عجل، وضاري بن طوالة» ناهيك بعبيد القصر وسيدتهم فاطمة بنت سبهان فأعلنوا الحرب ولم يذعنوا لابن سعود ولا لشروطه، فعند ذلك استنفر عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل أهالي نجد وزحف إلى القصيم في شوال بجيش بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل فأقام هناك وجعل على قسم من الجيش أخاه محمداً وأمره أن يهاجم حائلاً وأن يطوقها بالحصار وولى نجله سعوداً على القسم

الآخر وأمره أن يزحف ببقية الجيش إلى شمر فيناوشهم القتال فزحفت الجيوش وأحاطت بجائل فعندها قام الأمير عبدالله وأهل حائل يستأذنون الأمير محمد بن عبدالرحمن بإرسال وفد من قبلهم إلى صاحب الجلالة عبدالعزيز فأذن بذلك فجاء الوفد إلى الملك يطلب الصلح على أساس الشروط المفروضة غير أنه وافق وقتاً ليس أمامه إلا الحرب أو التسليم فلم يقبل الملك بما كان قد عرض عليه وأجاب بأن قال اعلّموا أن الرئاسة القائمة بين عبد وإمرأة لا تدوم وكتب كتاباً إلى أهل حائل وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الكرام عبدالله آل متعب وعثمان آل عبدالكريم وكافة أهل حائل سلمهم الله تعالى آمين سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك الخط وصل الجماعة خدام وخوياً وصلوا وتفاوضنا معهم بحضرة من علماء المسلمين وأكابرهم ولا بد من أن يبلغوكم ما حصل بيننا وبينهم من الكلام شفهيّاً ولكن حقيقة الأمر أنا طلبنا منهم كما أنكم قد أمضيتموهم وكلاء أن يخاصمونا عند الحاكم الشرعي وأن اجعل وكيلاً من جهتي وهم وكلاء عنكم ويعملوا ما تحكم به الشريعة، فلما أن سمعوا ما تكلم به علماء المسلمين وأكابرهم من أنه لا يصلح ولا يرتضا أن يكون لآل رشيد إمارة على شيء من أمور المسلمين إلا أن يكون لهم حجة شرعية، فأجابوا أن ليس لنا وكالة مطلقة بموجب عزل آل رشيد عن الإمارة وإنما أتينا لأمر غير هذا وهو مجرد السمع والطاعة وإننا ندخل فيما دخل فيه المسلمون فشهدوا وأفتى الحاضرون من علماء المسلمين بأنه لا يحل ذلك لابن سعود ولا نجيّزه فأجاب الجماعة إننا لا نقيد المحاكمة على ذلك بل نراجع ابن رشيد، بقي الآن في الحاضر أنتم تفهمون أن الأمر يومئذ لله، وأن الدنيا دول فأحبينا إخباركم بما يلزم، فإن أحببتم فارجوا أن الله سبحانه أن يحقن الدماء ويوفق الجميع لاتباع هذه الشريعة، وإن أبيتم فتكون الذمة بريئة، فبموجب فتوى المشايخ ونظرنا في عواقب الأمور ومصالح المسلمين رأينا أنه ما يصلح أمر ولا يكون بيننا اتفاق إلا على شرطين.

الأول: نزع إمارة آل رشيد من الجبل.

والثاني: تسليم شوكة الحرب من جميع آلانها فإن كان الأمر ثابتاً عندكم معلوماً أنه الحقيقة وأنكم مجبيون للأخذ بما أفتى به علماء المسلمين على عدم إمارتكم وحضوركم تحت أيدينا وتسليم شوكة الحرب فأجيبونا على ذلك واطلبوا لأنفسكم غير هذين الأمرين مما تريدون، فإن كان عندكم إشكال أو أن لكم حجة شرعية تفلجون بها فيجب أن تحضر أنت يا ابن رشيد ومن ترى أنه عارف أو ناصح لكم من أهل الجبل وحكم الشرع باذلوله لكم فأبي حاكم شرعي تريدونه ندفعكم إليه وأنا معطيكم وجهي وأمان الله وعهد الله والخائن عليه ألف لعنة من الله إني لأمضين حكم الشريعة بأي حال تكون فلو تحكم الشريعة بنزع إمارتي وإمارتك يا ابن رشيد لأمثل لذلك، فإن كنتم متقادين لفتوى علماء المسلمين وتدرّون أن ليس لكم علينا حجة، وما ثم إلا تسليم الأمر وطلب الراحة فأنا معطيكم وجهي يا ابن رشيد وأمان الله وعهد الله على دمائكم وأموالكم غير شوكة الحرب من أي جنس يكون، إنكم بأنفسكم من سائر أولادي ومحرمكم من سائر محرمي أحامي عليكم وإني ما أرضى فيكم بجميع أمر تكرهونه إلا بما أرضى في ديني وأولادي فأما أنتم يا أهل حائل لكم وجهي وأمان الله على دمائكم وأموالكم وأعراضكم وعلى أنكم ما تباحثون في جميع أمر فائت إلا أن كان معاملة بينكم وبين المسلمين ففيها حكم الشرع، وأما الأمور الفائتة من قتل رجال وأخذ أموال وغير ذلك من الأمور التي بينكم وبين أهل نجد أو فيما بينكم قبل ولايتنا إنه مدفون ولا له باعث وأن جميع ما قلت لكم وأمضيت إنه تام وبنية خالصة، ولا يكون لها نقض إلا أن تنقضوا أنتم إما بخيانة تخل على المسلمين في أمر دينهم أو دنياهم أو غلول في شوكة الحرب أو غير ذلك فآمنوا بالله إن شاء الله؛ فإن كان تريدون زيادة أمان أو شيء غير ذلك فبينوه لنا وإن أبيتم قبول ما ذكرنا فلا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم قال جلالة الملك للوفد شفاهياً فإذا رفضتم ذلك ولم تعملوا بشروطي

فاعلموا بأنني زاحف بنفسي إليكم بعد ثلاثة أشهر، فقام الوفد من عنده قائلين سنعرض الأمر على صاحب الأمر فإذا قبل كان خيراً وإلا فأنت بريء الذمة.

وبعد أن عاد الوفد بالكتاب رفضت تلك الشروط ولم يعمل بها وخرج ابن طوالة غازياً بعض قبائل ابن سعود في مكان قريب من حائل على مسافة خمس ساعات منها بمسير الجمال ولكنه لم يعد من تلك الغزوة سالماً بل أخذه الله فمات ولم يحصل على طائل وحدثت بين المحاصرين والمرابطين مناوشات ومصادمات في جهة حائل، ثم أنه استدعا جلالة الملك بأخيه محمد ووحيد القيادة تحت إمرة نجله سعود فعاد محمد إلى أخيه الملك واشتد الحصار بحائل وانقطعت السبل عنها لأنه حاصرها سعود شهرين، غير أنه لم يكن النجاح في الأمر زائداً على من تقدمه، وقد لاح في حائل شبح المجاعة المخيف، هذا والأمير عبدالله بن متعب قد عزم على الدفاع حتى النفس الأخير، ولكنه رمي بطامة كبرى لم تكن في الحسبان وهي أنه قدم محمد بن طلال ابن عم الأمير وأخو قاتل عمه، وكان قدومه من الجوف بالدفاع عن قومه ووطنه فلما قدم محمد بن طلال أوجس في نفسه خيفة الأمير عبدالله لأنه لا يأمنه أن يفعل مثل أخيه توصلاً إلى الإمارة ولو في ذلك الوقت العصيب فوقع عبدالله بن متعب بين نارين نار في الخارج محيطة به ونار كامنة في جوفه لا يعلم متى يئنه لهيبتها فتلتهمه، فالمسألة الآن مسألة موت أو حياة ولا يدري أيدافع خصمه عن بلاده، أم يدافع ابن عمه الأدنى عن حياته.

وبما أن الحياة لديه أعز من الإمارة لأن سنه لا يتجاوز عشرين سنة فقد التجأ إلى الخصم لأن وجود السلامة عنده أيسر، ففر إلى سعود بن عبدالعزيز وألقى نفسه عليه فرحب به وأخذه إلى الرياض غنيمة باردة ورجع به في شهر ذي الحجة من هذه السنة فرجع سعود بن عبدالعزيز بعد حصاره لحائل بأمرها الشاب عبدالله بن متعب آل رشيد وبسمت الرياض لطلائع النصر في الحرب ولبشائر الفوز بالظفر، وكان رجوع القائد سعود بن عبدالعزيز من حائل امتثالاً لأوامر والده لأنه عاد من القصيم إلى العاصمة وأمر نجله سعوداً بالرجوع من الجبل لأنه فقد هناك بسبب القبط وقلة المرعى عدداً كبيراً من رواحله.

ذكر إمارة محمد بن طلال

لما أن تنازل عبدالله بن متعب عن الإمارة ظناً بنفسه عن القتل وخلق الجو في حائل تولى الإمارة فيها محمد بن طلال، وكان هذا الرجل شاباً شجاعاً باسلاً إلى حد التهور وفيه أشياء من خصال عبدالعزيز بن متعب الفاتك الجريء وناهيك به من أسد صائل تولى الإمارة بأعباء الدفاع وقد تنفس نوعاً ما لرحيل سعود إلى الرياض فباشر القتال وحمل على قرى حائل التي كان أهلها موالين لابن سعود حملات شعواء فهدمها وقتل أغلب رجالها صبراً عياداً بالله، ويكفيك ما أوقعه الله به من الذل والقتل بعد ذلك، فعندها أمر صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن أميره فيصل الدويش بالزحف إلى حائل وزوده بالتدابير اللازمة بأن يحاصرها إلى أن يبيثها هو بنفسه مباشرة.

كما قيل «لا يفل الحديد إلا الحديد» فزحف الدويش بألفين من رجاله ونزل على ماء ياطب القريب من حائل، فلما أقام أربعة أيام بلغه أن طلال خارج بقواته إلى الجثامية وهي على مسيرة ثلاث ساعات من المدينة فشد مسرعاً ومشى إليها فاحتلها قبل أن يصل ابن طلال إلى النيصية القرية المجاورة لها، ولما وصل النيصية عسكر فيها وكان معه ألف وخمسمائة مقاتل من الحضر وسبعمئة من البدو ومعه مدفعان وكان معسكره بالنيصية جيداً لأنها محصنة بتلال هي متاريس يصعب التغلب عليها إلا بقوة من الجيش كافية.

أما الجثامية التي عسكر فيها الدويش وإخوانه فهي في منبسط من الأرض تقل فيه المكامن ولم يتمكن من احتلال حصنها لأن ابن طلال كان يضربه بالمدافع ضرباً متواصلاً.

فلما كان بعد عيد الأضحى بيومين زحف السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن بعشرة آلاف مقاتل ومعه بضعة من المدافع، ولما أن اجتاز «بأم جريف» الواقعة بين قبة وجراب بلغه أن الدويش مشتبك مع ابن طلال في الحرب فترك في الحال جملة الجيش وراءه وخف مسرعاً، وهذا كان قبل دخول شهر محرم بيوم واحد.

وفيها عقد مؤتمر القاهرة البريطاني وتقرر أن يكون الأمير فيصل بن الملك حسين الشريف ملكاً على العراق، ولما تقرر ذلك وتوج كما قدمنا عقد مؤتمر في الرياض حضره العلماء والرؤساء وقرر أن يتخذ حاكم نجد الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ومن يخلفه بعده لقب «سلطان» فكتب عبدالعزيز كتاباً إلى المفوض السامي لدولة بريطانية العظمى في العراق يخبره بما تقرر، ويرجو أن يكون ذلك مستحسناً لدى الحكومة البريطانية، فذهب هذا الكتاب إلى المفوض وقدم من حضرة المندوب في بغداد كتاب إلى ابن سعود يخبره فيه أن قد تقرر انتخاب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق ويرجو أن يكون ذلك مستحسناً لديه فأجاب أنه يكون مسروراً بما يريده العراق والدولة البريطانية للأمير فيصل بشرط أن يكون ذلك غير محجفاً بحقوق نجد ومضراً بمصالحه، فلما كان في ٢٧ من ذي الحجة اعترفت الحكومة البريطانية لابن سعود ولمن يخلفه من ذريته بلقب «سلطان».

وفي هذه السنة بعث الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن علماء يرأسهم الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ إلى أهل اليمن، وعسير، وتهامة، وشهران، وبني شهر، وقحطان، وغامد، وزهران وغيرهم من بلاد الحجاز لينشروا التوحيد ويعظوا ويرشدوا ويبينوا للناس طريقة الرسول ﷺ وأصحابه، ويا حبذا هذا الفعل الذي يرد الخلائق عن طريق الغواية والضلال ويهديهم طريقة رسول الله ﷺ وما أحسن تلك الحالة التي ينصر الله عز وجل القائمين بها والداعين إليها، وما قام شعب بأوامر الله واجتناب نواهيه إلا زاده الله قوة ومنعة ونصرة.

وفيها وفاة الشيخ عبدالله بن راشد؛ وهو عبدالله بن محمد بن راشد بن جلعود العنزى العالم الفاضل الفقيه الفرضي، كان مقره «باية» في بلد القصب إحدى قرى الوشم، ثم أن والده انتقل إلى بلدة الروضى إحدى قرى سدير فاستوطنها ثم انتقل الشيخ بعد مدة من الروضة إلى بلد الرياض وكانت له اليد الطولى في علم الفرائض وانتفع به خلق كثير فيها، ومن أخذ عن المترجم من العلماء.

الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين، وأخذ عنه غيره من العلماء، وكان من معلوماته الفرائض، وقد سبق أقرانه في معرفتها.

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن عيسى وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم العلامة القدوة الفهامة، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبدالله بن عيسى، ولد في بلدة شقراء سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف، أخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، وعن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين، ثم بعدما أقام في مدينة الرياض لطلب العلم عاد إلى بلده ثم توجه إلى مكة المكرمة للحج وجاور بها، وكان يمارس التجارة في تلك المدة واجتمع بعلمائها والقادمين إليها وحصل بينه وبينهم مناظرات في دعاء الأموات والغائبين وسؤالهم قضاء الخوائج وتفريج الكربات فأدحض حججهم الباطلة بالأدلة القاطعة، وألف في ذلك ورد على «دحلان، والمدراسي، وغيرهما» وله أجوبة سديدة ونظم جيد وحصل له قبول فانتفع به خلق كثير منهم: الشيخ عبدالستار الهندي الدهلوي، والشيخ بكر خوقير الحنبلي، والشيخ سعد بن عتيق.

وكان معظماً عند والي مكة وأميرها الشريف عون فكان يحله ويحترمه، وجعل الله على يديه وبأسبابه هدم بعض القباب والبنائات التي على القبور في مكة المشرفة، وكان رحمه الله متواضعاً حتى كان إذا طلبه الشريف أرسل مع خادمه إليه حصاناً ليركبه فيأبى إلا إذا كانت المسافة بعيدة فإنه يركب في المواضع التي لا يمر فيها أحد فإذا قارب الأسواق نزل وذهب ماشياً على قدميه وأمر الخادم أن يذهب بالحصان.

وكان ذات يوم جالساً عند الشريف فمر ذكر أصحاب الطرق وما يفعلونه من الأذكار المبتدعة فبين الشيخ قبح فعلهم وقال: إن أفعالهم أمور مبتدعة لا أصل لها في الشرع، فإن مجرد ذلك التكرار للنظريات في قولهم «إلا الله» لا يكون ذكراً وهم ما اقتصروا على ذلك بل كرروا الضمير فقط فقالوا «هو» «هو» فعجب الشريف من كلامه، ثم قال له أفأضرب لك مثلاً لو أن خدامك وحاشيتك وقفوا ببابك وجعلوا ينادون جميعهم بصوت عال يقولون «عون» «عون» أيسرك هذا ويكون لديك حسناً، قال: لا، قال فماذا تصنع بهم قال أمر

بتأديبهم على فعلهم قال أفتأمر بتأديبهم على استهانتهم باسمك ولا تؤذيهـم على استهانتهم بذكر الله وأسمائه فمن ذلك الوقت فرق شملهم ولم يترك منهم أحداً يجتمع على شيء من ذلك.

وكان مكباً على المطالعة والتأليف وإذا مر على شيء يحتاج إلى توضيح أو تعقيب أو رد كتب عليه بخطه النير الذي لا يشتبه بغيره، وكان بينه وبين الشيخ صديق حسن القنوجي مكاتبات وأرسل إليه صديق تفسيره ليطالعه ويبدى ما عنده من ملاحظات عليه: فكتب على جملة مواضع أصلح فيها.

وبقي في مكة حتى توفي الشريف عون فرجع إلى بلده شقراء وأخذ في التعليق على نونية ابن القيم، وكان له اطلاع تام على الملل والنحل وأسماء الرجال فلم يقدر له إتمامه لاشتغاله بالقضاء في بلد الجمعة وملحقاتها من قبل الحاكم إذ ذاك محمد بن عبدالله بن رشيد؛ وكان مشكور السيرة في القضاء.

ولما استولى ابن سعود على الجمعة ولى بدلاً عنه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري وظيفة القضاء فقاسى المترجم بعد عزله وانقطاع ما كان يجري له من المكافئات حاجة شديدة، وكان في صفته أنه طويل نحيف الجسم يخضب بالحناء وعليه سكينة ووقار: هذا والله المسؤول المرجو أن يبقى لنا علماء الدين ويحفظهم بالإسلام ويحفظ الإسلام بهم لأن بهم صلاح الأمة ويكفينا ما قام به شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب والأمير الشريف محمد بن سعود وما نشر الله لهما من الذكر الجميل وما منحهما من العز والتمكين فأعزهم الله تعالى بعد الذلة وأغناهم بعد القلة: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ إِنْكَ اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ووصيتي لعلماء المسلمين وأئمتهم بتقوى الله تعالى ونصرة دينه فإن من قام لله قام الله معه ومن توكل على الله كفاه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ومهما قام أهل هذه الدعوة بما قام به سلفهم فإن الله تبارك وتعالى سينصرهم ويظفرهم بعدوهم ويعاملهم بالتوفيق.

وفيهما أو في التي قبلها توفي الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ قدس الله روحه وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الفاضل العابد الزاهد الفقيه الفهامة ذو الفضائل الكثيرة
والمناقب الشهيرة، حسن بن الشيخ حسين العالم المحبوب صاحب القصيدة العظيمة
في شرح أسماء الله الحسنى ابن الشيخ العالم علي بن الحسين ابن الشيخ محمد بن
عبد الوهاب، كان لعلّي هذا قصيدة عظيمة لما أدار الله الدائرة على أهل نجد بطلعة
من لا يفلح «إبراهيم بن محمد علي المصري» وذلك حين ما شتت علماء نجد
وحكامها فأنشأ الشيخ علي قصيدة باح بما في مكنونه نأتى بأبيات منها:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| خليلي عوجاً عن طريق العواذل | بمهجور ليلى فابكيا في المنازل |
| لعل انحذار الدمع يعقب راحة | من الوجد أو يشفي غليل البلبال |
| أرى عبرة غبراء تتبع أختها | على أثر أخرى أو تستهل بوابل |
| تهيج ذكر الأمور التي جرت | تشيب النواصي واللحى للأماثل |
| ويسقط من بطن الحوامل حملها | وتذهل أضرار النساء المطاغل |
| فبيننا نسود الناس والأمر أمرنا | وتنفذ أحكام لنا في القبائل |
| وتحقق رايات الجهاد شهيرة | بشرق وغرب يمنة والشمائل |
| تبدلت النعماء بؤساً وأصبحت | طفاة عتاة فحاء للأراذل |
| وبث عتاة الدين في الأرض بغيهم | وريعت قلوب المؤمنين الغوافل |
| وأقبل قادات الضلالة والردى | وساداتها في عسكر وجحافل |

ولد المترجم سنة ١٢٥٦هـ، في بلد الرياض ونشأ بها نشأة حسنة فأخذ العلم
عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبداللطيف، وأخذ عن الشيخ عبدالله
بن حسين المخضوب، وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن عدوان، وأخذ عن الشيخ
محمد بن محمود، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بابطين، وأخذ عن الشيخ
حمد بن فارس علم الفرائض، وأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق وبرع في فنون العلم.

وكان فاضلاً حسن السمات دائم البشر كريم النفس مشغلاً بإلقاء الدروس
المفيدة، حسن الخلق والخلق قد أكب على المطالعة حتى فاق أقرانه، فولاه محمد بن
عبدالله بن رشيد حال كونه حاكماً في بلاد نجد قضاء الأفلاج ثم نقله إلى الجمعية

وجعله على قضاء كافة قرى سدير ثم ولاه القضاء في بلد الرياض كما ولي القضاء في تلك النواحي للإمام عبدالله بن فيصل، وكان في صفته ونعته من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير نحيف الجسم منور الشبهة يخضب بشيء من الصفرة، وكان قوياً في أمر الله تعالى وله هبة وعليه سكينه ووقار، وله رسائل وأجوبة وفتاوى وله نظم رائع، وكان ينظر إليه في حل المشكلات حتى أن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لما اضطر إلى جمع العلماء المعول عليهم للمؤتمر الكبير الذي عقده في الرياض لتتظفر في الأمر الذي كاد أن يكون بسببه الفوضى بنجد وذلك بسبب الخلاف الناشئ بين الإخوان «البدو» وبين الحضرة قبل هذه السنة بستين دعاه من جملة العلماء والرؤساء كما قدمنا، وأخذ عنه من العلماء أبنائه الشيخ حسن، والشيخ عبدالله، والشيخ عمر؛ وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ إبراهيم بن عبداللطيف، والشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ عبدالله بن فيصل، والشيخ عبدالرحمن بن سالم، والشيخ إبراهيم بن ناصر، والشيخ سعد بن سعود، والشيخ إبراهيم السيارى، والشيخ حسن بن إبراهيم؛ والشيخ مبارك أبو حسين، والشيخ فالح؛ والشيخ سالم ومحمد بن حميد وخلق كثير وطال عمره ونفع الله به الخلق، وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة، وصلى عليه بعد العصر في جامع الرياض، وأم الناس في الصلاة عليه الشيخ حمد بن فارس وشيعه خلق كثير من الأعيان والعلماء ودفن في مقبرة «العود» رحمه الله.

وبذلك نختم المجلد الثاني من هذا التاريخ الحافل أثاب الله جامعته، وسدد أقواله وأفعاله إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ويليه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى ومبتدأه دخول سنة ١٢٤٠هـ.

فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| سنة ١٣٢٠هـ وما فيها من الحوادث | ٣ |
| أشياء في ذكر تمام قدرة الله في إيتاء الملك من يشاء ونزعة عمن يشاء | ٣ |
| إغارة ابن سعود على القبائل الموالية لخصمه | ٣ |
| استعداد ابن رشيد ورجوعه من الحفر | ٤ |
| رجوع الإمام عبدالرحمن بن فيصل من الكويت إلى الرياض | ٤ |
| طلب صاحب الجلالة عبدالعزيز من أبيه أن يتولى والده الملك وإبائه ذلك ... | ٤ |
| عزم ابن رشيد على الهجوم على الرياض وصدّه عن ذلك | ٥ |
| أول ملاقة حربية بين ابن سعود وبين ابن رشيد وفشل ابن رشيد | ٦ |
| سنة ١٣٢١هـ وما فيها من الحوادث | ٧ |
| عودة ابن رشيد إلى الحفر وإغارته على ما حواليه ومحاصرته للكويت | ٧ |
| استغاثة أمير الكويت بـابن سعود | ٨ |
| تقدم ابن رشيد وزحفه يريد الرياض | ٨ |
| قصيدة للشيوخ سليمان بن سحمان ذكر فيها لطف الله في رد ابن رشيد | ٩ |
| زحف القوات السعودية واستيلائها على المحمل وشقراء وغيرها | ١١ |
| نقل بقية العائلة السعودية من الكويت إلى الرياض | ١٢ |
| ملاحم بين السعوديين وابن رشيد | ١٢ |
| الاستيلاء على القصيم | ١٣ |
| التعريف باللقاب للحكام | ١٤ |
| ذكر ذهاب ابن رشيد يستغيث بالدولة العثمانية | ١٤ |
| قتل أمير ابن رشيد وهو حسين بن جراد | ١٥ |
| قصيدة للشيوخ سليمان بن سحمان في تلك الفتوحات | ١٦ |
| سنة ١٣٢٢هـ وما فيها من الحوادث | ١٧ |
| فتح عنيزة | ١٨ |

| | |
|---------|---|
| ١٩..... | فتح بريدة وحصار ابن سعود لابن ضبعان في قصرها |
| ٢٠..... | استسلام الأمير عبدالرحمن بن ضبعان |
| ٢١..... | جهاد الإمام يحيى للعثمانيين في اليمن |
| ٢٢..... | ذكر واقعة البكيرية والشنانة |
| ٢٧..... | واقعة الشنانة وما جرى لابن رشيد |
| ٢٨..... | بعث ابن سعود رسولاً إلى ابن رشيد وما قابله به |
| ٣٢..... | واقعة وادي الرمة |
| ٣٣..... | قصيدة للشيخ سليمان بن سحمان وتهنئة بالفتوحات |
| ٣٥..... | سنة ١٣٢٣ هـ وما فيها من الحوادث |
| ٣٦..... | ذكر ذبحة الحواشيش |
| ٣٧..... | وفاة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وترجمته |
| ٣٩..... | قضائه وسعة علمه وحلمه وكيفيته وصفته |
| ٤٠..... | ذكر كراماته ومكاشفاته وخوارق عاداته |
| ٤٢..... | تلامذته والآخذون عنه |
| ٤٤..... | ذكر ما جرى عليه من الأمور وثقته بالله العزيز الغفور |
| ٤٦..... | ذكر أولاد الشيخ رحمه الله |
| ٤٧..... | أبيات رثائية في الشيخ رحمه الله |
| ٤٨..... | وفاة الشيخ محمد عبده وترجمته |
| ٤٩..... | أبيات رثائية للأستاذ محمد بك حافظ إبراهيم |
| ٥٠..... | وفاة أمير مكة الشريف عون الرفيق |
| ٥٠..... | سكة الحديد بين المدينة والشام |
| ٥١..... | بعث الدولة العثمانية بقوة إلى القصيم لتعزيز موقفها |
| ٥٣..... | استنجد أمير قطر بعبدة العزيز بن سعود |
| ٥٣..... | التقلبات في القصيم |
| ٥٣..... | كبوات الشيخ مبارك وعثراته |
| ٥٤..... | ذكر أمر صالح الحسن بن مهنا |
| ٥٦..... | سنة ١٣٢٤ هـ وما فيها من الحوادث |

- ٥٧..... ذكر قتل عبدالعزيز بن متعب وترجمته
- ٦١..... قصيدة تهنته لابن سعود
- ٦٤..... إمارة متعب بن عبدالعزيز بن رشيد
- ٦٤..... قتل صالح الحسن بعد إجلائه
- ٦٥..... ذكر المفاوضات بين ابن سعود وبين مندوب الدولة
- ٦٧..... رحيل الأتراك من نجد
- ٦٨..... قصيدة في مديح صاحب الجلالة عبدالعزيز
- ٧١..... وفاة الشيخ عبدالله بن دخيل وترجمته
- ٧٣..... ولادة الملك فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن
- ٧٣..... ذكر إمارة أبي الخليل في بريدة وخيافته
- ٧٦..... قتل أمير حائل متعب بن عبدالعزيز وإمارة سلطان بن حمود بن رشيد
- ٧٧..... سنة ١٣٢٥هـ وما فيها من الحوادث
- ٧٩..... تقلبات وخيانات وزعازع
- ٨١..... واقعة الطرفية الصغرى
- ٨٢..... قصيدة لابن نفيسة في الرد على المدن التي تمردت على ابن سعود
- ٨٤..... واقعة السباخ المشهورة في ضواحي بريدة
- ٨٧..... ذكر قتل سلطان بن حمود بن رشيد أمير حائل
- ٨٨..... سنة ١٣٢٦هـ وما فيها من الحوادث
- ٨٩..... ضعف الدولة العثمانية وأسباب ذلك
- ٨٩..... خلع السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد
- ٨٩..... إمارة الشريف الحسين بن علي في مكة
- ٩١..... الفرمان الذي صدر له وتعريبه
- ٩٢..... ذكر استقبال الحسين بن علي لما قدم الحجاز
- ٩٣..... ذكر ابن سعود ودخول بريدة في ولايته للمرة الثانية
- ٩٥..... ما جرى من الحوادث
- ٩٦..... ذكر قتل داعية الضلال عبدالله بن عمرو
- ٩٦..... سنة ١٣٢٧هـ وما فيها من الحوادث

- سنة الجوع وما جرى من المسغبة ٩٨
- إمارة بريدة وقضاتها وتنصيب الشيخ ابن بشر ٩٩
- فتن آل هزان والتعريف بهم ١٠٠
- سنة ١٣٢٨ هـ وما فيها من الحوادث ١٠١
- خروج العرائف وقبح الانشقاق ومفاسده ١٠١
- الانقلاب في الدولة العثمانية وولاية محمد رشاد ١٠٢
- واقعة هدية بين ابن صباح وابن سعود والظفير ١٠٤
- إمارة سعود بن عبدالعزيز بن متعب ١٠٥
- استتجاد مبارك بن صباح بابن سعود ١٠٧
- إمامة الشيخ عمر بن محمد بن سليم في أحد مساجد بريدة وتدريسه ١٠٨
- سنة ١٣٢٩ هـ وما فيها من الحوادث ١٠٩
- صلح ابن سعود وابن رشيد في هذه السنة ١٠٩
- ذكر حرب إيطاليا للدولة العثمانية ١١٠
- انتداب الحسين لقتال الإدريسي ١١١
- خطبة الحسين بن علي التي ألقاها في أبها ١١٢
- ذكر وفاة الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف وترجمته ١١٣
- وفاة الشيخ عبدالله بن خاطر وترجمته ١٢١
- عزل ابن بشر عن القضاء في بريدة وتولية الشيخ عبدالله بن سليم ١٢٨
- ترجمة الشيخ ناصر بن سليمان بن سيف ١٣٠
- أخبار الزاهد عبدالكريم الدرويش ١٣٠
- ذكر نهاية أمر الشيخ إبراهيم بن جاسر وشيء من ذكره ١٣٣
- سنة ١٣٣٠ هـ وما فيها من الحوادث ١٣٤
- ذكر مطلب الوحدة العربية ١٣٤
- وفاة الشيخ حمد بن عبدالعزيز وترجمته ١٣٧
- وفاة الشيخ صالح بن سالم وترجمته ١٣٨
- ذكر العداء بين الشريف حسين وابن سعود ١٣٩
- أسر الأمير سعد بن عبدالرحمن ١٤١

- سعي خالد بن لؤي بالصلح بين ابن سعود وبين الشريف ١٤٢
- ذكر ما جرى من العرائف والهزازة ١٤٣
- استغاثة مبارك بن صباح بابن سعود وهو في معالجة مشكلاته ١٤٥
- نشوء الخلاف من جديد بين ابن سعود وبين الشريف ١٤٧
- سنة ١٣٣١ هـ وما فيها من الحوادث ١٤٨
- ذكر فتح الإحساء ١٥٠
- الاستيلاء على القطيف ١٥٢
- ما قيل من الشعر في تهنته ابن سعود في تلك الفتوحات ١٥٤
- ولادة الأمير خالد بن عبدالعزيز ١٦٠
- وفاة مفتي الوشم علي بن عيسى ١٦٠
- وفاة أمير قطر وشيخها قاسم بن ثاني وترجمته ١٦٠
- ما رثي به من الشعر ١٦١
- بعث بريطانيا لابن سعود تخطب وده ١٦٧
- سنة ١٣٣٢ هـ وما فيها من الحوادث ١٦٧
- ذكر عقد المعاهدة بين ابن سعود وتركيا ١٦٨
- ذكر هادمة العهد ومفرقة الوفود وهي الحرب العظمى ١٧٠
- الحرب بين ألمانيا وحفائها وبين الإنكليز وحلفائه ١٧١
- ألمانيا تعلن الحرب على روسيا وفرنسا ١٧٢
- زحف ألمانيا على البلجيك ١٧٢
- قتال روسيا في الجبهة الشرقية ١٧٣
- بلغاريا تعلن الحرب على صربيا ١٧٤
- ذكر الطراد أمدن وما جرى منه وعليه ١٧٦
- رياح شديدة تهب على البحر وطبعة السفن والمراكب البحرية ١٧٧
- سفر سعود بن عبدالعزيز ١٧٨
- ذهاب الشيخ سليمان بن سحمان إلى البحرين للعلاج وما أنشأه من النظم
في هذه المناسبة ١٧٨
- وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود وترجمته ١٨٣

- سنة ١٣٣٣هـ وما فيها من الحوادث ١٨٦
- وصول تجار المانيين من الصين إلى جدة ١٨٦
- مساعي بريطانيا وقيامها ضد تركيا ١٨٦
- مفاوضة الفريقين إنكلترا والعثمانيين للشريف ١٨٦
- النهضة العربية واتفاق الشريف مع الإنكليز ١٨٩
- البنود الخمسة التي اشترطها عليهم ١٨٩
- الكتب المتبادلة بين الإنكليز والشريف ١٩١
- ذكر واقعة جراب ١٩٣
- خيانة العجمان وانهزام ابن سعود ١٩٤
- ما قيل في ذلك من الشعر تسليةً وتهيجاً على العجمان ١٩٥
- التعريف بالعجمان ١٩٧
- قتال العجمان وقتل الأمير سعد بن عبدالرحمن ٢٠٠
- نقض ابن رشيد للعهد الذي بينه وبين ابن سعود وخيانة أمير الكويت ٢٠١
- سنة ١٣٣٤هـ وما فيها من الحوادث ٢٠٢
- وفاة أمير الكويت مبارك بن صباح وترجمته ٢٠٥
- اتفاق ابن سعود مع الإنكليز ٢٠٦
- معاهدة العقير ٢٠٧
- عقد الاتفاقية بين ابن سعود وبين إنكلترا ٢٠٨
- ذكر الخلافة وعقد الحسين مع بريطانيا ٢١٠
- تنفيذ الحسين خطته للثورة على تركيا ٢١١
- ذكر إعلان الثورة وقيام الحرب بين الشريف وتركيا ٢١٢
- تسليم جدة ومكة والطائف ٢١٣
- ذكر الحرب في المدينة والسواحل ٢١٤
- ما جرى على المدينة المنورة من الحصار والضيق ٢١٥
- ذكر الحرب في دمشق ٢١٧
- ما باح به الحسين من مسوغات الثورة ضد الأتراك ٢١٩
- قصيدة لابن نفيسة يمتدح فيها ابن جلوي ٢٢٠

- ولادة مؤلف التاريخ ٢٢١
- سنة ١٣٣٥هـ وما فيها من الحوادث ٢٢١
- الأعياد التي أقامها الشريف وألقاب الشريف التي لقب بها نفسه ٢٢٢
- ذكر توتر العلاقات بين ابن سعود وبين الشريف ٢٢٢
- آثار ظهرت في المدينة المنورة وتكشفت ٢٢٤
- الجد والاجتهاد في طلب العلم في نجد بين يدي الشيخ ابن سليم
- والشيخ ابن عبداللطيف ٢٢٥
- وفاة راشد بن سليمان بن رقية ٢٢٥
- سنة ١٣٣٦هـ وما فيها من الحوادث ٢٢٦
- رحلة فلي وسعيه بين ابن سعود وبين الشريف للتوفيق فيهما ٢٢٦
- رجوع فلي عن طريق الهند والعراق يحمل النقود في قافلته ٢٢٨
- ذكر اتفاق فلي مع ابن سعود ٢٢٩
- سكون الحرب العظمى سنة ١٣٣٦هـ ٢٣١
- ذكر البدو والهجر ٢٣٢
- أشياء من سجايا الأعراب ونحلهم ٢٣٣
- أسماء الهجر وعددها ٢٣٤
- وفاة رجل الدين والفضل علي بن مقبل وترجمته ٢٣٦
- سنة ١٣٣٧هـ وما فيها من الحوادث ٢٣٧
- ذكر واقعة تربة ٢٣٧
- زحف القائد عبدالله بن الحسين إلى تربة ٢٣٨
- كتابة ابن سعود إلى حكومة بريطانيا العظمى يخبرها بأعمال الشريف ٢٣٨
- إنذار ابن سعود لحكومة بريطانيا وتحذيره لها ٢٤٠
- تدخل بريطانيا بواسطة مندوبيها المعتمد في أن يكف الشريف ٢٤٠
- إصرار الحسين وعناده ٢٤١
- التعريف بالخرمة وعناده ٢٤٢
- هتك الأمير عبدالله لتربة وما جرى من الفساد ٢٤٤
- ذكر الهول في واقعة تربة ٢٤٧

- ٢٤٩..... زحف ابن سعود لنجدة حملته
- ٢٥١..... أبيات وقصائد في ذكر تربة ومناقب ابن سعود
- ٢٥٥..... انهزام القائد الهاشمي بعدما خسر جيشه وقواته
- ٢٥٦..... ذكر الوباء في جزيرة العرب ومن هلك فيه
- ٢٥٨..... وفاة تركي بن عبدالعزيز آل سعود
- ٢٥٨..... وفاة الشيخ عبدالرحمن بن عبيد بن عبدالمحسن وترجمته
- ٢٦٢..... وفاة الشيخ عبدالله بن صالح الربدي
- ٢٦٣..... وفاة ابن جربوع وابن معارك وشيء من ذكرهما
- ٢٦٤..... وفاة الشيخ عبدالله بن فداء وترجمته
- ٢٦٦..... ذكر صدقه في معاملته لربه وثقته به
- ٢٦٩..... الرجوع إلى ذكر الشريف حسين
- ٢٧٠..... ذكر ما جرى على تركيا من الهوان
- ٢٧٢..... استنجد الشريف حسين بأمر الجبل لقتال ابن سعود
- ٢٧٣..... رجوع العجمان عن غيهم واستسلامهم لابن سعود
- ٢٧٣..... ولادة الأمير ناصر والأمير فهد ابني صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز
- ٢٧٣..... مشاكل البدو ولما سكنوا في هجرهم ووعظهم وإرشادهم
- ٢٧٧..... سنة ١٣٣٨هـ وما فيها من الحوادث
- ٢٧٧..... تتويج الحسين ابنه فيصل ملكاً على سوريا وفشله
- ٢٧٨..... ولادة الأمير منصور بن عبدالعزيز
- ٢٧٩..... مناقشات بين ابن سعود وابن رشيد
- ٢٧٩..... قتل أمير الجبل سعود بن رشيد
- ٢٨٠..... ذكر سوء التفاهم بين ابن سعود وبين سالم بن صباح
- ٢٨٢..... منع الشريف لأهل نجد من الحج وتدخل بريطانيا لحل النزاع
- ٢٨٤..... سنة ١٣٣٩هـ وما فيها من الحوادث
- ٢٨٤..... سعي الشريف لاسترجاع سوريا من فرنسا
- ٢٨٥..... ذكر أنجال الشريف وهم علي وعبدالله وفيصل وزيد
- ٢٨٦..... بعث الأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى لندن

| | |
|----------|--|
| ٢٨٨..... | ذكر واقعة الجھراء واستيلاء القوات السعودية عليها |
| ٢٨٩..... | إمدادات بريطانيا لسالم بن صباح |
| ٢٨٩..... | وفاة أمير الكويت سالم بن صباح |
| ٢٨٩..... | إمارة أحمد الجابر في الكويت |
| ٢٩٠..... | وفاة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وترجمته |
| ٢٩١..... | ذكر جوده وكرمه |
| ٢٩٢..... | ذكر تدريسه وسعة علمه |
| ٢٩٤..... | ذكر شجاعته ونباهته وصفته ومقاماته في الإسلام |
| ٢٩٦..... | ذكر ثناء العلماء عليه وميل الناس إليه |
| ٣٠١..... | المراثي التي قيلت فيه |
| ٣١٤..... | إمارة عبدالله بن متعب بن رشيد وقاتل أهل حائل بساحة دارهم |
| ٣١٥..... | كتاب ابن سعود إلى أهل حائل وشروطه عليهم |
| ٣١٨..... | فرار أمير حائل إلى ابن سعود وإمارة محمد بن طلال |
| ٣١٨..... | زحف القوات السعودية إلى حائل |
| ٣١٩..... | مؤتمر القاهرة البريطاني واعتراف بريطانيا بسلطان نجد |
| ٣١٩..... | بعث علماء من أهل نجد لنشر التوحيد في الجهات الجنوبية |
| ٣١٩..... | وفاة الشيخ عبدالله بن راشد وترجمته |
| ٣٢٠..... | وفاة الشيخ أحمد بن عيسى وترجمته |
| ٣٢١..... | وفاة الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ وترجمته |
| ٣٢٢..... | ذكر أبيات من قصيدته المشهورة |
| ٣٢٣..... | العلماء الذين أخذوا عنه |
| ٣٢٤..... | فهرس الموضوعات |

تم الفهرس للجزء الثاني

تَذَكُّرٌ أَوَّلِيٍّ لِلنُّحُمِ الْعُرْفَانِ
بِإِسْمِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْبَرَّاءِ
وَذِكْرٌ جَوَادِثِ التَّمَانِ

تَأْلِيفُ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَسَنِ
"مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْقَصَصِ"

الجزء الثالث

مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ
بِغَزَّوَاتِ

ح مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./

إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. — الرياض، ١٤٢٧هـ

٣٢٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-٦٢١-٠١-٩٩٦٠ (ج ٣)

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم

أ- العنوان

١٤٢٧/٤٧٩٢

ديوي ٩٥٣

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٨-٦٢١-٠١-٩٩٦٠ (ج ٣)

جميع الحقوق محفوظة الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مكتبة الرشد - ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com



فروع المكتبة داخل المملكة

- ★ الرياض: فرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٣٠١
- ★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٢٥٠٦
- ★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٢٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٢٨٢٤٢٧
- ★ فرع جدة: ميدان الطائف: هاتف: ٦٧٧٦٢٣١ - فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤
- ★ فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٣٢٤١٣٥٨
- ★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
- ★ فرع الدمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٨٤١٨٤٧٣
- ★ فرع حائل: هاتف: ٥٣٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

- ★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠١٦٢٣٦٥٣
- ★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موبايل: ٠٢/٥٥٤٢٥٣ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

ثم دخلت سنة ١٣٤٠هـ

ففيها فتح حائل أو سقوط حائل بلغة العامة وذلك لأنه لما زحف السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن بعشرة آلاف من قومه لمباشرة قتال محمد بن طلال بلغه خبر اشتباك الدويش بابن طلال فخف مسرعاً بخفيف الجيش والباقي على الساقة، فوصل في ٤ محرم إلى بقعا وهي قرية من قرى حائل فالتقى هناك برسول من الدويش يحمل كتاباً ضمنه كتاب من ابن طلال، يقول فيه: «إننا جميعاً مسلمون وبيننا كتاب الله وسنة رسوله» فقبل الدويش منخدعاً لذلك، وما كأنه مر عليه خدع سالم بن صباح، وكتب إلى ابن طلال يلي الدعوة للتحكيم ويسأله أن يرسل وفده لهذه الغاية، وقد دفعت به الثقة الطائشة إلى إهمال الجانب الشمالي من معسكره فلم يستحرسه، فاغتنم ابن طلال الفرصة وأرسل ثلة من جنوده في الليل فاحتلوا ذلك المكان وأشرفوا على معسكر الدويش وشرعوا عند انبلاج الفجر يرمون الإخوان بالرصاص فأركب الدويش نجاباً آخر إلى السلطان عبدالعزيز يخبره بأنه وابن طلال مشتبكان في القتال وأنه خسر عشرة من رجاله وجرح عشرون منهم أيضاً.

فلما وصل الرسول في وقت العصر إلى مخيم السلطان وأخبره غضب لما حدث وأمر ابنه سعوداً أن يركب الخيل ويتقدمه مسرعاً، ثم وصل الرسول الثالث من جهة الدويش يخبر أن الإخوان كسروا جيش ابن طلال فأرسل السلطان عبدالعزيز إلى الدويش يأمره بأن ينزل مكانه وألا يأتي بمركبة أخرى إلى أن يصل إليه ثم بعد ذلك زحف السلطان وقصده الهجوم على ابن طلال ونيته أن يبني تلك الليلة ولكنه اضطر إلى انتظار الحملة والمدافع التي تأخر وصولها ولم يكن من المستطاع الهجوم في

النهار لأن العدو في حصون حصينة ولأن بين الحصون والمهاجرين سهل لا يحميهم فيه شيء ولأن جبل أجا وهو حصن طبيعي قريب منهم لا يلذون به ساعة الفرار فيقدم القائد العام جلالة الملك تدريجياً إلى مركز الدويش في ساعة لم ينتبه لها ابن طلال وجموعه. ومن العجائب عدم علمه بقدوم ابن سعود على قرية منه.

ذكر همة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل

فنعول لما فتح الرياض والقصيم والأحساء وسطا سطوات يشيب لهولها المولود لم تقنع نفسه بما قد حصل عليه إلا بالتوسع مهما كلف الثمن فإن من كانت همته عالية لا يرضى لنفسه بالدنايا وكيف تطيب نفسه أن يشاركه في حكم نجد أحد والله در القائل:

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| ومن تكن العلياء همة نفسه | فكل الذي يلقاه فيها محبب |
| إذا أنا لم أعط المكارم حقها | فلا عزني خال ولا ضمني أب |
| خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة | لدي يدا أغضي لها حين يغضب |
| فلمست لأمر لم يكن متوقعا | ولست على شيء مضى أتعجب |
| أسير على نهج يرى الناس غيره | لكل امريء فيما يحاول مذهب |

ولما أن كان ابن طلال معسكرا في النيصية وقد تحصن بها اجتمع ابن سعود في عصر اليوم الخامس من محرم بقواد جنوده ورؤساء قومه وشاورهم في الأمر وكيفية الهجوم ومتى يكون موعده فقررروا أن يكون الهجوم في الهزيع الثاني من الليل.

إن صاحب الجلالة قد حظي بقواد محنكين وظهر من رجاله زعماء صقلتهم التجارب من هؤلاء محمد بن هندي العتيبي وقدمنا شيئاً من شجاعته ومنهم فيحان بن قاعد بن زربا من كبار قبيلة مطير من الرخمان قتل في حرب الأحساء سنة ١٣٣٣ في الطراد وقاتله على ما يقال ناصر بن سرحان من العجمان وكان مشهوراً بالشجاعة والكرم ويمتدحه الشاعر ابن سبيل بقوله:

وين أنت يا اللي توصل الخط ملفاه فيحان شوق اللي تنقض جعوده

عوق الخصيم وستر من تذهل غطاءه لا هج من عج السبايا قعوده
ولا يسند الامروي حد شلفاه يبنى على نثر الدمي محموده
ويمتدحه بقصيدة أخرى من أبياتها قوله بعد تصويره ركاب عشر من المطايا
العمانيات لم تشق أنيابها لقوات أسداس مشملة لم يطرقتها الفحل حرائر أصل قد
رعين بالحمى عامين لا تقدر قيمتها بالاثمان ثم يقول:

وإلى نطحكم واحد للميات قولوا نخطرهن على بن زربان
ردوا سلاماً بكاغد من دوات على ذوي ناصر وخصوه فيحان
أهل بيوت بالقسا بينات يفرح بهن إلهي من بعد صلفان
أرباعهم مدهل أهل الموصفات ولا شدن إلا مستردات وبدان
أهل صحون للفضائل مواتي يرمي بهن أذنان حيل من الضان
ندوه بشر ندوه يجون سيحات ولا يفهق إلا محتري السور شعبان
الراوية تدهن من الفارغات والبيت ياكف مقدمه دثر الإيمان
ومنارة كنها نثيلة هبابة ونار ثنها مثل صبح إلى بان
مركبي دلال فجرهن ما يباتي محامسهن دايم على النار حيان
من البن يصفق به ثلاث غرازات تنشف على المبراد والكيس مليان
وإن فرغ الطبخة وإلى ذيك تأتي ولا مازح المجلس عليها بشفقان

ومن رجاله المحنكين فهد بن معمر أمير بريدة بعد عبدالله بن جلوي وكان قائداً
لا بأس به قتل في السنة التي قبل هذه رحمه الله. من قواد ابن سعود وأمراء عبد الله
ابن جلوي وسيأتي له بقية ذكر.

ومنهم الأمير منصور اللواء صاحب السمو عبد العزيز بن مساعد بن جلوي
أمير بريدة بعد ابن معمر ثم كان أميراً في منطقة حائل وكان الأمير عبد العزيز
موضع الإعجاب في الصرامة والقوة والمقدرة والسياسة والعفة والدين والأخلاق
الطيبة ومنهم صاحب السمو سعود بن عبد الله بن جلوي وسيأتي له بقية ذكر.

ومن قواده صحن بن الجعاء المشهور بالشجاعة والإقدام.

ومنهم سلطان بن بجاد بن حميد.

ومنهم فيصل الدويش.

ومنهم عبد المحسن الفرهم هذا ولا نطيل بذكر البقية الكرام فشهرتهم تغني عن ذكرهم ومن مشاهير شجعان العرب فيصل بن سقيان.

رجعنا إلى ما نحن بصدده فنقول: لما كان في منتصف الليل تقدم سلطان بن بجاد معه جنود الغطوط ثم تقد فيصل الدويش ومعه جنود مطير وتقدم عبد المحسن الفرهم ومن معه من حرب وتقدم بن نحيث ومن معه من حرب أيضا ثم تقدم بقية جنود أهل الهجر من قحطان وعتيبة وغيرهم فطوقوا النيصية التي قد تحصن فيها ابن طلال وجيشه طوقوها من كل الجهات وقطعوا خط الرجعة على المحاصرين.

أما صاحب الجلالة فقد ظل في مكانه ومعه الحضر وثبتوا في مركزهم الرئيسي ولما كان ميعاد الهجوم أطلقت نيران المدافع على النيصية وذلك من آخر الليل ثم هجم الأخوان هجمة واحدة وفتكوا بجنود ابن طلال وأبادوا صفوفه فالتحمت المعركة وكانت موتاً أحمر على ابن طلال وأهل حائل وفتك الأخوان بجيش ابن طلال فتكا هائلا وعمل السلاح الأبيض عمله الجبار في رقام وكان ذلك على الرغم مما كانت قنابل العدو تاز فوق رؤسهم ففر الأمير ابن طلال ومن قدر له الفرار إلى جبل أجا ثم إلى حائل ولاذ الآخرون بحصون النيصية فعندها ركبت المدافع السعودية على المتحصنين وجعلت تضرب بقنابلها الذين تحصنوا بها حتى أبادت معظمهم وسلم البقية وهم قليل لعبد العزيز بن عبد الرحمن وكان يقول أحد الذين سلموا للسلطان عبد العزيز وهو يخاطبه بعد التسليم طبعتمكم ماهرون يا مولانا فقال له السلطان لا بل كنا نضرب على النية والظلام ولكنه توفيق من الله.

ولما أن تقهقر ابن طلال إلى حائل أرسل الملك عبد العزيز إلى أهل مدينة حائل يقول سلموا فجاء التسليم منهم على شرط أن يؤمر عليهم ابن طلال وكان هذا موحى به منه لأنه كان لا يزال سائداً بمن ثبت معه من الجنود وحزب آل رشيد ولم

يكن لأهل حائل زعيم يوحد كلمتهم ويعززها فأنفذ ابن طلال فيهم سهام أرادته على أن المغلوب لا يشترط الشروط.

ولما بلغنا إلى هذه الغاية فلا أن نذكر حائل هذه محدودها: فنقول حائل كائنة بين جبلي أجا وسلمى لها سهل يتسع إلى الغرب ويضيق إلى الشمال فيفتح من الجهة الشمالية الشرقية طريقاً إلى النجف ويتقلص في الجهة الشرقية وفي شطر من الجنوبية هي إذاً محاطة من جهاتها الثلاث بالجبال ولا يمكن الاستيلاء عليها من غير الجهة الغربية والشرط الجنوبي الغربي يمتد منه الطريق إلى نجد فجاء مع هذا الطريق السلطان عبد العزيز ناقلاً من الجثامية بعد ما تفهقر ابن طلال إلى حائل ولما زحف صاحب الجلالة أمر بحمل المدافع والقنابل والبرود والذخيرة أمامه ثم نزل بين حائل وبين النيصية ثم قسم جيشه هناك قسمين فرقة جعلها عنده والأخرى تقدمت إلى جبل أجا فملكك مركزاً منه حصينا وهناك مركز آخر يدعى عقده غرب البلد يحسبه أهل حائل أحصن حصونهم فتقدمت الجنود وهم يضربون العربان النازلين في الجبل ضرباً هائلاً فيقتلون ويشتتون ويغنمون الغنائم فاستولوا في اليوم السابع على عقدة واستمروا زاحفين إلى حائل وهم يترسون بأكياس من الرمل حتى وصلوا إلى مكان بينها وبين جبل أجا اتخذوه خطأ أولاً للدفاع وكان الهاجرون ورائهم قد أحاطوا بالمدينة من جهتها الغربية وأحاطوا إلى الجهة الجنوبية فطوق الجيش السعودي مدينة حائل من جميع الجهات وكانوا لما طوقوها شددوا الحصار عليها فجعل أهل حائل يثنون من شدة الحصار وكانوا لما طلبوا التسليم بشرط أن يكون ابن طلال هو الأمير عليهم كان الأكثر منهم متكرهين لإمارته وذلك لظلمه وطغيانه فعند ذلك أرسلوا إلى صاحب الجلالة يقولون لا تتركنا فريسة لابن طلال وكانوا على وجل شديد في ذلك الوقت من أن يضرب حائل بالمدافع فتهدم بيوتها.

ولما أن رأى ابن طلال أن البلاد قد استهدفت للسحق والمحق وأدرك أنها لا تصل إليه الإمارة بواسطتهم وأن ابن سعود قد عزم على تنفيذ إرادته في استيلائه

على حائل كتب إلى المفوض السامي للدولة البريطانية العظمى في العراق يسأله التوسط بينه وبين ابن سعود وكان من حينما سلم الأمير عبدالله بن متعب وأخذه سعود بن عبد العزيز ورجع به إلى الرياض لأمه والده الملك وعنف عليه في كونه لم يتقدم إلى حائل فيحتلها غير أن الأمور مرهونة لأوقاتها ولقد كانت من الواجب المتحتم على أهلى حائل وأمراء حائل ألا ينازعوا ابن سعود مثلاً ذلك لأن المنطقة تابعة لآل سعود وهم أهل الحق الشرعي في ملكها لأننا علمنا من التاريخ أن والد هذه الأسرة المتغلبة عليها أمير من أمراء آل سعود قد جعله الحاكم فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود أميراً عليها مكافأة على إخلاصه له حينما أراد أن يأخذ بالثأر من قاتل أبيه ولكنه قيل والأمثال تضرب للناس.

أعلمه الرماية كل وقت فلما اشتد ساعده رمانى وبما أن حكام آل سعود من لدن وفاة الإمام فيصل إلى أن تولى عبدالعزيز هذا ضعفاء لم يستطيعوا أن يستردوا هذه الباعة التي غلبوا عليها ولانشغالهم بالمخالفات بينهم فإن آل رشيد تنفسوا الصعداء وتغلبوا على بلاد حائل وغيرها، وبولاية الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن أخذ ظلهم يتقلص حتى انحصروا في مدينة حائل.

ومن الغرائب التي تذكر أن الأمير عبدالله بن متعب الذي سلم نفسه لابن سعود خوفاً من محمد بن طلال، كان قد أرسل محمد المواجهة لوضع البائس في الشمال حيث كان الجوف في خطر الاحتلال من قبل نوري الشعلان، فأطلق محمد بن طلال من السجن ليقود جيشاً لإنقاذها ولدى عودة ابن طلال إلى حائل دبر ثورة ضد ابن متعب ففر هذا الضعيف إلى ابن سعود والتجاء إليه حيث عاش ضيفاً مكرماً إلى أن وافته المنية بعد ذلك بسبع وعشرين سنة.

ولما هيا ابن سعود مدافعه لضرب مدينة حائل وقصفها بالقنابل طلب منه بعض عقلاء المواطنين البارزين، ومنهم الزعيم إبراهيم بن سالم بن سبهان أن يترئس عن القصف حتى يتمكنوا من وضع الترتيبات لتسليم المدينة.

وبما أن المفوض السامي في العراق قد ألح عليه ابن طلال فإنه كان يقول - أعني

السريسي كوكس - أني قد عرضت الوساطة على ابن سعود غير أنه رفض ذلك، وقد بذل الأمير محمد بن طلال جهودًا جبارة لدى السلطات البريطانية والملك فيصل بن الحسين الشريف فلم يفلح وكان من حينما سلم الأمير عبدالله بن متعب وتولى الإمارة هو تابع الكتب إلى السريسي كوكس يطلب منه أن يتوسط بينه وبين ابن سعود فجعلت الأنباء تأتي من عند السريسي كوكس إلى جلالة الملك عبدالعزيز فأبى أن يقبل شيئًا إلا التسليم أو بضرب حائل.

فلما دنت مدة الحصار من الشهر الثالث كتب السلطان عبدالعزيز إلى أصدقائه في حائل وقال في كتابه قد طال الحصار وأقبل الشتاء فليعذرنا الأهالي إذا أنذرناهم لهم ثلاثة أيام ليسلموا المدينة وعائلة آل رشيد فإذا تم ذلك ولم يمثلوا فإننا إلى غرضنا مسرعون، سنمطرهم نارًا ورصاصًا فليستعدوا للموت، فجاء الجواب أن الأهالي ينفضون أيديهم من ابن طلال وبيت آل رشيد، وسيسلمون الحصون المحوطة بالبلاد لسراياه إذا جاءتهم، فعد ذلك بعث الملك عبدالعزيز ألفي مقاتل لتنفيذ الخطة المرسومة، وما كان إلا أن فتحت لهم الحصون الخارجية المشرفة على حائل، ثم أمن الناس على أرواحهم وأموالهم فخرجوا إليه أفواجًا شاكرين له ويستبشرون، أما ابن طلال فإنه لما رأى الأمر قاب قوسين أو أدنى وأن يديه تفلتا من جميع العلاقات تحصن وحاشيته في القصر وشوهد منه إقدام وبسالة عجيبة لأنه كان فارسًا شجاعًا غير أنه أتاه أمر من حيث لا يحتسب فبعث إليه السلطان يدعوه أن يستسلم ويؤمنه على حياته وهذا كعادة الجلالة والرحمة، فلم ير ابن طلال بداً من أن يسلم فسلم لجلالة الملك ابن سعود وذلك في ٢٩ من صفر.

وكانت مدة الحصار من حين ما وصل عبدالعزيز بن سعود إلى حائل إلى التسليم خمسة وخمسين يومًا أما بداية الحرب فلها أكثر من سنة قبل ذلك، فسبحان من بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

ذكر معاملة ابن سعود لأهل حائل ورأفته بهم لما انقطعت القوافل من الكويت والعراق وغيرها عن بلدة حائل وشمل أهلها الضيق والجوع والمشايخ لشدة الحصار،

وكان حقها التكيل بأهلها وشدة الوطأة عليهم لمقاومتهم ومعاداتهم ومناذتهم عشرين سنة في حرب وخيانة وأمور لا تبغي ولا تليق يعاهدون ويغدرون وتحت راية كل أمير لهم يقاتلون ما كانت إساءتهم ومعاداتهم لثمنع عنهم عفو بن سعود وتحرمهم رأفته فما قتل مجرمًا ولا نهب مالا ولم يبيع المدينة كعادة كل أمير فاتح مسلط بل دخلها وقد شمل أهلها الضيق والخرج ففرق عليهم المؤن والأرزاق لعلهم بما هم فيه من الحاجة وشدة المؤنة وجاءهم بالثياب والمال فقسمها بينهم وأجزل للناس العطاء ووزع الوفا من أكياس الأرز والوفا من الثياب حتى قال أحد الذين سلموا لمن يخبره: كنا ليلة الحصار الأخيرة على آخر رمق شبح المجاعة والموت فأمسينا ليلة التسليم الأولى كلنا شباع مكتسون مطمئنون، ثم بعد ذلك شاورهم الفاتح فيمن يكون عليهم أميرًا ومن يريدون أن يؤمروه عليهم، فأجابوا قائلين واحد من آل سعود أو كبار رجالك، فقال الفاتح لست من رأيكم فقد كنا وإياكم قوماً أعداء مدة طويلة فلا يجوز أن نحكمكم الآن مباشرة وأنا أعرفكم يا أهل حائل أنكم أهل قيل وقال وأصحاب فتن ولكني لا أخشى أن أؤمر عليكم واحداً منكم وأني أريد أن أحافظ على كرامتكم، هذا إبراهيم السبهان فهو منكم ورجل عاقل جعلته أميراً عليكم وأني واثق بالله وعادته معي جميلة فهو سبحانه وتعالى ينصفي من يغدر أو يخون.

أما إبراهيم بن سبهان فهو الذي مهد السبيل لتسليم الحصون واتفق وابن سعود على ذلك فأمره بعد ذلك على حائل وما قال الشيخ عبدالرحمن بن سلمان بن ملق هذه القصيدة يعلن بها المودة ويمتدح الملك عبدالعزيز:

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| يا صاح قم فاستمع إن كنت يقظانا | ولا تكن عند داع الخير وسنانا |
| انظر أموراً وأحوالاً تدور بنا | ما كنت تأملها لو كنت يقظاناً |
| انظر لشمس الهدى قد أشرقت وصحت | من بعد ما غربت في الأفق أزماناً |
| سادت بنا قادة يا صاح ما عدلت | صمًا عن الخير والمعروف عمياناً |
| الحمد لله لم يبق لهم أثر | فينا بمجد أمام الخير من جاننا |
| من جاءنا بجنود الله يقدمها | كاليث عند اللقاء تلقاه غرثانا |

من كان كهفًا لأهل الخير أجمعهم
من كان برًا بأيتام وأرملة
من كان في طاعة الرحمن مجتهدًا
من كان في نصرة التوحيد ذا جلد
فالحمد لله زال الظلم أجمعه
وأشرقت حائل بالعدل وافتخرت
إلى أن قال:

بشراك يا بلدة حل الإمام بها
هذا الإمام الذي نجد به افتخرت
أضحى بها الدين في عز وفي دعة
ثم هنأه بهذا الفتح وقال:

فالشكر منا جميعًا والخصوص لكم
يا ابن الأماجد يا من فاق في كرم
أنت الإمام الذي دين مودته
أرخ الستور على ما كان من زلل
هذا وختم نظامي بالصلاة على
وآله والصحاب الكائين له

من كان عن سمت أهل الجور عريانا
قد كان يوليهمو فضلًا وإحسانا
وكان فيها قرير العين جذلانا
وقمع أهل الردى والظلم مشتانا
بعدله أصبح الملهوف جذلانا
والجور زال سريعًا بعد أن كان

بشراك بشراك عصر العدل قد آنا
وشاد فيها لأهل الدين أركاننا
وصاحب الشر أضحى اليوم حزنانا

إن كان فينا ولي الأمر أولانا
أجواد طي ومن يدعى بن جدعانا
ونصحته هكذا الوغاض أشقانا
لا زلت كهفًا لأهل الدين معوانا
محمد المصطفى من نسل عدنانا
على المحجة أنصارًا وأعوانا

وقال سالم بن سالم بن صالح آل بنيان هذه القصيدة تهنته للفتاح ومدحًا له بما
من الله عليه به من فتح حائل:

فليس سوى المولى باراج وسائل
وأنعامه تترى بكل الفواضل
وكم كف عنا معضلات النوازل
يقصر عن إدراكه كل فاضل
وإعزاز دين الله بعد التضاؤل

بدأت بحمد الله مبيدي الفضائل
ولله آلاء علينا كثيرة
فكم ظلم جلى وكم فتن وقى
فلله رب الحمد والشكر والثناء
على نصر أعلام الشريعة والهدى

لك الحمد مولانا على نصر حزبنا
لك الحمد ما هب النسيم من الصبا
على الفتح والنصر الذي كان فاعتلى
فمن مبلغ عني الإمام هدية
إمام الهدى عبد العزيز أخا التقى
ليهنك هذا الفتح والعز والهناء
فسر به أهل التقى وذود الهدى
ملكك ديار القوم أقطار حائل
فلا زلت فينا واطا هامة العدى
ولا زلت منصور اللواء مؤيدا
ويا أيها الوالي الذي شاع فضله
عليك بتقوى الله والحلم والوفاء
وشكرا لمولوك الذي عز قدره
فلا زلت بالأسعاف والنصر مسعدا
ولا زلت للإسلام والدين معقلا
ولا زلت للإخوان والدين ناصرا
فدونك من نظمي الذي أنت سامع
وكل امريء يهدي على قدر وسعه
وختمي صلاة الله ثم سلامه
محمد المختار والصحب بعده

على كل طاع في البلاد وخاتل
وما أنهل ودق المعصرات الهواطل
فقرت به والله عين لآمل
إماما لأهل العصر بحر الفضائل
إمام هز برا ماله من مائل
ونيل المنى في كل مصر وحائل
وغاض لعمري كل قدم وجاهل
فلنت فخرا لم يكن للأوائل
ولا زلت محفوظا شرور النوازل
على كل باغ من رفيع وخامل
وحاز الثنا من بيت تلك القبائل
وإكرام أهل العلم أهل الفضائل
فلله رب الحمد معطي الجزائل
على خير مطلوب ونيل الفضائل
ووفقت للخير يا ابن الأفاضل
وحصنا حصينا من شرور الأسافل
فسامح قصورا إن رأيت لقائل
وهذا الذي نهدي إلى خير فاضل
على السيد المعصوم بدر الفضائل
كذا الآل والأتباع زين المحافل

وقال الشيخ محمد بن عبد الله بن عثيمين شاعر نجد الكبير مهنتاً الملك عبد
العزيز بن عبد الرحمن بما من الله به عليه من فتح حائل قال في معرض قصيدة له:

فلولا التقى والصفح عنكم لاصبحت
وإلا ففيها قد جرى أهل حائل
منازلكم يشتبو بها الربد والعفر
عليكم لكم من غيكم والهوى غجر

إلى رشدكم لكن باذانكم وقر
له العزمات الشيم والفتكة البكر
تبيح حمى من كان في خده صغر
ويحمده بعد القا الذئب والنسر
سنا البرق والرعد الهماهم والزجر
تبلج حفد في حفادسها فجر

وقدما أقام المسلمين دعاكم
هو الملك الوهاب والضيم الذي
هو الملك السامي الذي سطواته
يجيش يغيب الشمس عثير خيله
كان اشتغال البيض في جنباته
وصادق عزم أن طما ليل فتنة

ثم أطل إلى أن قال منذراً للحسين الشريف:

ألا ترعوي من قبل أن يقصم الظهر
سعود فلا طرق إفساد ولا زجر
ومن دون هاتيك المني المشرب المر
دم تمت به البيض والذته السمر
يسوق إليك الوحش من لغطها الذر
معودة أن القليل لها جزر
مدير رحاها لا كهام ولا غمر
إليه المعاني قبل أن تكمل العشر
على حين ماج الناس واسفحل الشر
ولم يك نهى عن فساد ولا أمر
بشرع وخاف الفاجر المؤمن البر
بطلعته أنواره وانتى العسر

فقل لحسين دام في القوس منزع
زجرت طيور النحس تحسب أنها
أمانى مخدوع يعلل نفسه
وضرب كأن أفواه المخاض مجاجة
ترقب لها ملمومة تملا الفضأ
تظل عليها سغب الطير عكفا
يدبرها عزما ودرأ و منفصلا
إمام الهدى عبد العزيز الذي رنت
أتانا به الله الكريم بلطفه
وشعبت الأهواء دين محمد
وولي أمور الناس من لا يسوسهم
فاسفر صبح المسلمين وأشرقت

إلى آخرها وهي طويلة جميلة.

وقال أيضاً قصيدة في ذلك وهي هذه:

وكل مديح في سواك يذم
ولا فضل إلا أنت فيه المقدم

منال العلي إلا عليك محرم
ولا مجد إلا قد حويت لجلة

ومن يعتقد غير الذي جاء نصه
الستم أقمتم ميل نهج محمد
سيأتي قتيل الطف في الحشر شاهدا
غداة كسوتم كعبة الله واعتلى
ولم يبق فيها قبة أو ذريعة
معال متى تذكر تصاغر عندها
فلا مجد إلا خشية الله والتقى
ليهنك يا عبد العزيز بن فيصل
إذا شق أمر المسلمين مضلل
دلقت له قبل الشروق بفيلق
فأسقيتهم سما زعافا يشوبه
تظل به غرث السباع نواهلا
كما قد جرى يوما على أهل حائل
وظنوا بأن الدار كالاسم حائل
فانكحتها حم الرماح فأصبحت
فكم كاعب حسناء تلطم وجهها
وكم نصحوا لو كان للنصح موضع
ولكن أبوا إلا شقاق لم يكن
وقال زعيم القوم لا بل شقيهم
فلما أتاهم زادهم مع خبالهم
وظنوا بأن الله يخلف وعده
وقد قال جندي غالب لا محالة
أطل عليهم واحد في كماله
بفتيان صدق في اللقاء أعزة

لكم في كتاب الله لا شك يأثم
وقد كاد يعفوا أو يبيد ويهرم
بهذا وحجر والمقام وزمزم
بابطحها الدين القويم المعظم
إلى الشرك ألا وهي تحى وتهدم
معالي ملوك أخرى أو تقدموا
ولا فخر إلا الشرع فيه المقدم
مغانم تدعي وهي في الأجر مغنم
فأنت له الموت الزؤام المحتم
إحم الرحى فيه المنايا تقسم
بأفواههم بالموت صاب وعلقم
وعقبانه منها وقوع وحوم
وقد صرفوا عن منهج الرشد أو عموا
نفور عن الإزاج جداء معرم
كشافاً بعيد الحمل بالشر تلتئم
وأخرى تشق الجيب بالثكل أيم
وكم عدل لو كان فيهم محلم
لهم وزر إلا حسام ولهذم
ابن طلال أرسلوا فهو أحزم
خبالاً وعقبى ما أتوه التندم
وهيهات وعد الصادق الوعد أحكم
بذاك قضائي في البرية مبرم
ولكنه في الباس جيش عرمرم
لهم نسب ما شابه قط أعجم

على ضمير بين الوجيه ولاحق
أولئك بنو الإسلام حي هلابهم
هم عرفوا حق الإله ورسله
رأوا أنه لا دين إلا بطاعة
وذاك أمير المؤمنين بن فيصل
فلما رأوا حزب الإله يقوده
تولوا سراعا والسيوف شوارع
ومن قد نجا منهم إذا سمع النداء
إليك إمام المسلمين تواهقت

إلى أن قال:

فحبكم عند المهيمن قرينة
ومن لا يراه فهو إما مغفل
وما إنس لا إنس بن سلطان فيصلا
أخ الحرب إن عاضت به الحرب لم يكن
وزير إمام المسلمين للذين له
إذا ناكث أو ماذق مرقت به
سما مشمعا فيصل نحو داره
بأمر إمام المسلمين ورأيه
وإخوانه في الله لا تنس فضلهم
قبائل فيها من رجال عتية
يسومون في الهيجا نفوساً عزيزة
وفي الحرب من حرب ليوث ضراغم

إلى آخرها وهي حسنة جميلة.

تعارض ما أبقي الجديل وشدقم
وأكرم بهم أكرم بهم حيث يمموا
وحق ولاية المسلمين وعظموا
لمن هو بالدين الخنفي قيم
أمام الهدى للمكرمات متم
إليهم ربيط الجأش في الهول مقدم
بأكتافهم والسمهري تحطم
يراع وبالأموات في الليل يحلم
بها ضمير تطوي المهامة عليهم

ونصحكم فرض علينا محتم
وإما على تكذيبه الوحي مقدم
له ما بقي مني الثناء المنم
جزوعاً ولا من مسها يتألم
نشاهد فيها معطس الفسق يرغم
عن الدين نفس للشقاوة ترام
يخوض بجاراً بعض خلجانها دم
ولا عز إلا بالإمامة يعصم
هم نصرة الإسلام والله يعلم
أسوداً إذا حمى الوطيس تقحم
ولكنها بالقتل في الله تكرم
أشداً على الباغين في الله رحم

وقال الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر تهتة للإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن
الفصل لما فتح الله على يديه بلدة حایل وولاه الله شوكتهم، وفي هذه أبيات
متكسرة فأقمنا ما تكسر من أبياتها بدون تصرف وحذفنا بعض أبياتها للمصلحة.

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| لك الحمد اللهم ياذا الفضائل | عل كل حال في الضحى والأصائل |
| لك الحمد حمداً يملأ الكون كله | بعد هتون المدجنات الهواطل |
| فلله ربي الحمد والشكر والثناء | على نعم تترى بعد الجنادل |
| فقد جاءت البشرى بعلم يسرنا | ويخزي ذوي الأضغان أهل الغوائل |
| فبشرنا أن الإمام قد احتوى | وولاه رب الناس شوكة حائل |
| ومن قبل في الرؤيا رأيت بشارة | كان الإمام فاتح سور حائل |
| لأنهم قوم عن الحق قد أبوا | وولوا سفيهاً أمرهم غير عاقل |
| فلم يفلح المأفون بل خاب سعيه | فمذ قتل الإخوان أهل الفضائل |
| على غير جرم غير توحيد ربنا | فما الله عما يعملون بغافل |
| جزاه الإله الحق ما يستحقه | وباء من المولى بخزي الأوائل |
| وأتباعه من كل قدم وجاهل | يعمهم ربي بشر العواضل |

وأطال ثم أنه أتى على العدو الآخر فقال:

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| حسين الذي قد بان للناس شره | فلم يخفي إلا على كل جاهل |
| فيا ربنا احشره ومن قد أحبه | مع آل فرعون بشر المنازل |
| فإنك يا ربي على الكل قادر | وأمرك غلاب لكل مماطل |
| فلم يفلحوا والحمد لله بل أتى | عليهم عقاب عاجل غير آجل |
| وأخرجهم للموت من لا أفادهم | وهرب مخذولاً على غير طائل |
| فخمس مئين عدة القتل فيهم | بنصية تدعى قريباً الحائل |
| فاضحوا ركاًماً في البقاع تزورهم | سباع الفلا والطير خمس الحواصل |
| على يد مأمون السريرة من غدا | حميد السجايا ما له من مماثل |
| وأعنى به عبدالعزيز أخا الندى | وغيث اليتامى عصمته للأرامل |

إمامًا همامنا المعيا مهذبًا
وإخوان صدق من ذوي الباس في اللقا
حمام إله العرش من كل بدعة
والفهم ربي على الحق والهدى
وأحيانا أشياخنا أنجم الدجى
إلى أن قال:

يحمي على دين الهدى بالبواسل
يريدون عند الله أعلى المنازل
ووفقهم للصالحات الكوامل
يذودون عن ذا الدين كل مماطل
لإرشاد حيران وتعليم جاهل

فيا راكبًا من فوق قوادا ضامر
تحمل هداك الله مني تحية
وسلم على نسل الكرام وقل له
هنيئًا لك النصر الذي شاع ذكره
فقد تمت النعمة فقابل بشكرها
وعامله بالإنصاف فيمن وليته

صبورًا على الشدات يبغي لحائل
إلى الملك الضرغام زاكي الشمائل
هنيئًا لك الإقبال يابن الأفاضل
بكل النواحي عند كل القبائل
لمولاك من يعطي الجزيل لسائل
وكن تابعًا للشرع في كل نازل

إلى آخرها وهي طويلة تضمنت المديح والدعاء للمشائخ الكرام والعلماء
العظام وقد أكثر الشعراء من القصيد والمديح لصاحب الجلالة تهنته له ودعاء له
بالتسديد، وقال أيضًا الشيخ عثمان بن أحمد هذه القصيدة في فتح حائل وقد أقمنا
بعض ما تكسر منها.

وقول شاعرنا رحمه الله ولله برزان المراد به قصر آل رشيد الذي يسكنه الحاكم
فيهم، وكان قصرًا منيعًا فسيحًا كثير الغرف محكم البناء، وقد أقيم من طين وحيطانه
ضخمة في وسط البلد، ولا تزال آثاره أطلالاً موجودة إلى الآن يسكنها اليوم، ثم أنه
استطرد الشاعر حتى أخذ يدعو للفاتح ويمتدح أصحابه وشيعته بقوله:

حماء إله العرش من كل محنة
وإخواننا أهل المودة والصفاء
وليس لهم قصد سوى نصرة الهدى
فيا أيها الغادي على ظهر جلعد
ويواه في الخلد أسنى المفاجر
حمام إله العرش من كيد فاجر
يذودون عن دين الهدى كل ماكر
عزند سنة من طيب العيس ضامر

إلى الملك السامي إلى منهج العلى
فأبلغه تسليمًا كثيرًا وقل له
ويعتر فيما نالكم من مسرة
هنيئًا لكم ذا الفتح يا أهل ودنا
فهذا هو الفتح الذي شاع ذكره
وهذا هو الفتح الذي منه زلزلت
فأصبح مسرورًا به كل مسلم
وإننا لنرجو فتح مكة بعده

له همة فوق النجوم الزواهر
عجبكموا يدعو لكم بالسرائر
ويشكر ربًا عالمًا بالضمائر
هنيئًا لأصحاب النهى والبصائر
بكل النواحي بين بدو وحاضر
أربًا وبلدان الغوات الكوافر
وأصبح مغموضًا به كل فاجر
بحول إليه للخلائق قاهر

الخ وهي طويلة نضرب عنها للاختصار.

ولما أن سلم آل رشيد نقلوا إلى الرياض؛ وكان محمد بن طلال بن نائف آخر
الذين سلموا من أهل حائل وقد نقل من جملة الذين نقلوا، ونذكر عنه قصة رأيتها
في تاريخ الريحاني: وذلك بأنه خرج مرة من بيت في الرياض بالليل وهو مختف في
ثوب امرأة فلما رآه أحد رجال السلطان قبض عليه وجاء به إلى السلطان فأمر بنقله
إلى القصر واسر مدة طويلة ثم أطلق سراحه، فلما جلس جلالة الملك عبدالعزيز
مرة في المجلس العالي بالقصر على الديوان كان عصا الشوخط بيده وإلى يمينه
ويساره رجال بيت الرشيد وعلى الدواوين والكراسي خمسون ونيف من وجهاء
الرياض وعلمائها، فأمر العبيد أن يدخلوا المجلس ومعهم ابن طلال، فأجلسه
السلطان إلى يمينه ثم قال: اعلموا يا آل رشيد أنكم عندي مثل أولادي وأنتم في
الرياض تعيشون كما أعيش أنا وأولادي لا أقل ولا أكثر، ثيابكم مثل ثيابنا
وطعامكم مثل طعامنا، وشرابكم مثل شرابنا، وخيلكم مثل خيلنا وأحسن، وليس
في القصر أو في البلاد شيء تحت يدي تريدونه إلا وهو حاصل لكم، وهل منكم
من يشك في ذلك فتكلموا، فلم ينطق منهم أحد، ثم قال خطابًا لمحمد بن طلال: يا
محمد إنه ما جر عليك الأسر غير نفسك، غير عملك السيء، كن عاقلًا حكيمًا ولا
تعر أذنك النساء إني عالم بما تعمل وبما تقول فاعقل لصالح نفسك وتجنب الطرق
التي فيها القيل والقال، والتي تؤدي إلى الفتنة كن صادقًا مخلصًا، تكرم كل الإكرام

مثل أهلك هؤلاء والله وبالله وتالله إن الضرر الذي بمسكم يا آل رشيد يحرك قلبي قبل لساني إلى مساعدتكم أنت يا محمد واحد من بيتي الآن وكل ما عندي للدفاع عن بيتي عن العيال والحريم أقدمه إذا اقتضى الأمر في الدفاع عنك في الدفاع عنكم كلكم، وهناك وقف السلطان فوق من في المجلس وأعطى يده إلى ابن طلال قائلاً أعطيك عهد الله مازلت مخلصاً لنا فصافحه ابن طلال وهو يقول: إذا حدث عن الطريق الذي أمرت به فاقطع رأسي ثم قبل عظمته في أنفه وفي جبينه، ثم صوت يهتف بالدعاء أدامك ووطد أركان ملكك، هذا هو صوت كبير بيت آل رشيد يومئذ، وهذه آخرة آل رشيد الذين سطر لهم التاريخ سطوراً من الدم حمراء ليس لهم سواها يذكر، وكان مدة حكمهم أربعاً وثلاثين سنة دانت لهم نجد من أدناها إلى أقصاها ومدة إمارتهم في حائل ما يقرب تسعين سنة.

ولما استقرت عائلة الرشيد في الرياض بقي جلالة الملك ابن سعود يعامل أفرادها معاملة أفراد آل سعود فأصبحوا في عيشة لم يروا مثلها أيام حكمهم وسيطرتهم المملوءة بالحروب والمغازي والمخاوف، واستراح أهل حائل من مكابدة الفقر والذبح والزعازع، حتى أنه نقل لنا عن شيخ طاعن السن في حائل أنه وجد أيام آل رشيد يغسل كرشاً وينظفها بيده، فسئل عن تلك الحالة؟ فقال: ذهبت أموالنا وقلت أرزاقنا لما نكابه من عسف آل رشيد، ثم دعا الله أن لا يبقى منهم رجل ولا امرأة، فانظر يا أخي إلى شدة هذه المبالغة.. نسأل الله العافية والسلامة.

ولقد حرص جلالة الملك على عقد الصلة والألفة بين بيته وبيت آل رشيد حتى تزوج من أسرتهم، وفيها وفاة عبدالكريم بن ناصر بن سليمان بن جربوع - رحمه الله تعالى - وعفى عنه، وكان من رجال الدين، وأسرة آل جربوع من شمر.

ذكر آل عائض وما جرى منهم

آل عائض هؤلاء يدعون أنهم من سلالة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأنهم نزحوا إلى عسير بعد سقوط الدولة الأموية في الشام ولكنهم لم يكونوا قبل الفتح السعودي أمراء عسير، ولما أمر سعود الكبير في تلك الجبال رجلاً يدعى

ابن مجثل كان عائض جد الأسرة من الرعاة، وهذا كان في سنة ١٢٢٨، ثم لما جاءت الجنود المصرية وجاء محمد علي بنفسه يقود الحملة على أهل عسير كان آل يزيد من المتقدمين المستبسلين في القتال، وكان عائض بطل آل يزيد فأمره ابن مجثل مكانه وكتب إلى ابن سعود يوصيه به فأثبته في الإمارة، ثم خلفه بعد وفاته ابنه محمد الفاتح الذي بسط سيادة آل عائض، فوصل إلى بيشة شرقاً وإلى حدود الحجاز شمالاً وجنوباً بغرب إلى المخافي تهامة، ولما تضعضعت في وقته حكومة آل سعود وعادت الدولة العثمانية إلى اليمن جهزت على عسير حملة بقيادة المشير رديف باشا فقتل الأمير محمد بن عائض غدرًا، وآخر من تولى هذه الوظيفة منهم هو حسن بن علي حفيد الأمير محمد الذي عينه المتصرف سليمان شفيق كمال باشا في سنة ١٣٣٠ المتقدمة، فلما شبت الحرب العظمى وجلا الترك عقب الحرب عن عسير تولى حسن هذه الإمارة استقلالاً مستبدًا وكان ظالمًا فنفرت منه القبائل خصوصًا قحطان وزهران وأرسلت وفودها شاكية إلى ابن سعود، فبعث إليهم عبدالعزيز بن عبدالرحمن ستة من علماء نجد، وكتب إلى الأمير حسن وإلى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسألة ويدعوهم للرجوع إلى ما كان عليه أجدادهم ولكن الأمير حسنًا استمر في عصيانه فأبى توسط العلماء وردهم مكابرًا، قال: إذا كان ابن سعود يتدخل في شئون قبائل عسير فسنمشي إلى بيشة النخل قلعة بيشة ونستولي عليها، فعندها أرسل الملك عبدالعزيز إليه ابن عمه عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي أمير حائل ومعه ألفان من الجنود، وأمره أن يدعو ابن عائض أولاً للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان أجداده الأولون، ولقد كان الأولى بنا ذكر هذه الأمور في مواضعها كعادتنا ولكن لأجل الضرورة جعلناها على حدة لاستغراق ما تقدم بذكر آل صباح وابن رشيد والشريف، ولكن تستفيد من ذلك ما كابده عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود من كثرة المشاق وتكبد الأخطار وصعوبة العقبات في تأسيس هذه المملكة.

ذكر التعريف بعسير وجباله

لما دفعنا التاريخ إلى تلك الناحية فلا بد من معرفتها فنقول عسير بين الحجاز واليمن في أعالي تهامة، وهناك جبالها التي قد كساها الاخضرار فتوفرت فيها الأشجار وغزرت المياه وتنوعت الثمار، ناهيك بهوائها الطيب الذي هو في الطيب والاعتدال مثل هواء الطائف.

وكانت جبالها أحصن الجبال للدفاع ورجالها من صفوة العرب في البأس والبسالة، ولكن أهل عسير أشد العرب نفرةً من الأجانب ويحبون الاستقلال، فلا يدينون لصحاب اليمن ولا لصاحب الحجاز، ولا سيما الأعراب منهم، فيوجد هناك أعراب لا يدينون حتى ولا لصاحب عسير، وكان أهل عسير قد أقبلوا في أيام آل سعود الأولين على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه، فترى مساجدهم قد خلت من الزخارف وقبورهم قد سلمت من البنايا والقباب وهم موحدون ولا يجري منهم شيء من التوسلات بمخلوق، وكانوا يدفعون الزكاة للإمام في الدرعية مثلما يدفعونها اليوم للملك عبدالعزيز، وقاعدة هذه المقاطعة هي أبها التي تعلو سبعة آلاف وثلثمائة قدم عن البحر فهي قائمة على رأسي وادي ضلاع ووادي شهران بين أكام وقمم تنتصب كالخراس حولها وهي مؤلفة من ثلاث قرى وحواليها ثمان قلاع صغيرة، تسع القلعة الواحدة عشرة رجال، وحوالي أبها بنو حفيظ وبنو دليم وبنو مالك وبنو زيد، وشمالاً منها بنو شهر، وشرقاً خميس مشيط يبعد عنها خمسة عشر ميلاً، وهو قاعدة زهران، وفي هذه الناحية وادي شعاف الذي يقطنه آل يزيد ومنهم آل عائض هؤلاء، فلما جرى من هذا الأمير حسن ما جرى من التمرد بعث إليه ابن سعود عبدالعزيز ابن مساعد، فمشى إليه ابن مساعد في شعبان من سنة ١٣٣٨، وعندما دنا من أبها في رمضان لم يحتج ابن عائض إلى دعوة السلم بل خرج إليه بجنوده.

ذكر هزيمة آل عائض

لما ركبوا مطيعة العصيان وخرجوا لقتال ابن مساعد تصادموا في مكان يدعى حجلة بين العاصمة وخميس مشيط، فكانت الواقعة شديدة جداً فجعل الله عز وجل الهزيمة على أهل عسير، ثم دخل جيش بن مساعد أبها وواصل سيره غرباً جنوب، فاستولى على السراة وغيرها من النواحي التي تتصل بحدود الإدريسي، وكان الإدريسي موالياً لابن سعود فأسر بعض آل عائض الفارين ورجع حسن وابن عمه محمد إلى ابن مساعد مستأمنين مستسلمين، فأمنهما وأرسلهما إلى الرياض فلبثا شهراً بضيافة السلطان عبدالعزيز واتفقا وإياه على أن يكونا معه كما كان أجدادهما مع أجداده، فقال لهما عبدالعزيز: ما تخلينا أبداً عنكم يا أهل عائض، وعندما سأل الترك الشريف عبدالله بن عون أن يهاجمكم وينكل بكم أرسل الشريف يستنجد عمي الإمام عبدالله فأجابه قائلاً: ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه، ثم عرض السلطان إمارة عسير على حسن بالشروط التي تقيد بها أجداده فرفضها قائلاً: قد عادينا الناس ونخشى إذا أمرتنا أن نقوموا علينا ولكننا نكون معاونين لمن يؤمرون أيدكم الله ولا تقصروا عنا من جهة الدنيا، فلم يقصر ابن سعود وقد أعطاهما خمسة وستين ألف ريال وخصهما وأهلهم بالمشاهرات المالية ثم عاد الأميران إلى بلادهما راضيين مغبوطين، فأقام محمد في أبها عند حاكمها وكانت سيرته حسنة، أما حسن فاستأذن بأن يسافر إلى حرمة بلدته ليجيء بعائلته إلى العاصمة فأذن له بذلك ولكنه عندما وصلها تمنع فيها وشرع يدس الدسائس على ابن مسعود، ثم مشى بعد فتنة آثارها بقوة من قومه على أبها فحاصر الأمير فيها عشرة أيام واضطره إلى التسليم فسلم فأسر في خميس مشيط.

فلما أن عصى حسن وضرب بعهوده مع ابن سعود عرض الحائط واستولى على أبها وأسر أميرها قام الشريف حسين بن علي بمد حباله في عسير وأرسل إلى قبائل شهران وغيرها يستحثها للانضمام إلى حسن بن عائض ويستنهضها ويمدها

بالذخائر والأموال فتفاقم الأمر وأعلن حسن العصيان واشتد الخطر على الحكومة السعودية فاستمرت هذه الحال قريباً من شهرين، وكان ابن سعود مشغولاً بفتح حائل وبعد سقوط حائل ببضعة أشهر أعني في هذه السنة جهز السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابنه فيصل بحملة على عسير مؤلفة من ستة آلاف مقاتل من جنود نجد من الإخوان وأربعة آلاف من عرب قحطان وزهران انضموا إليهم عندما دخلوا تلك الجبال فزحف الأمير فيصل في شوال من هذه السنة بعشرة آلاف مقاتل يؤم عسير، فلما أن وصل ببشة كان بنو شهر زاحفين إليها يريدون مهاجمتها فأمر فيصل بابتداء القتال فهجمت عليهم كتيبة من الجيش فقتلت مائتين منهم وشتت الباقون وكان محمد بن عائض مرابطاً بجيشه في خميس مشيط، فلما علم بدنو فيصل تقهقر إلى حجلة فتقفته سرية من الفرسان فتراجع وجنوده إلى أبها بدون قتال.

وقد سأل بعض الجلوساء الأمير فيصل هل كان في أبها عندما دخلتموها أحد من المقاومة، فقال: ما وجدنا فيها غير الكلاب والحريم، فرآه عائض وقومهم وفر معهم هارباً من استطاع الفرار؛ فأرسل الأمير فيصل يؤمن الناس بشرط أن يسلموا شوكة الحرب، فسلم فريق من الذين كانوا ثائرين وظل فريق مع الأمير حسن الذي لجأ إلى بلدته حرملة وتحصن فيها، وحرملة هذه هي في معقل من الجبال يستحيل ارتقؤها إلا من منافذ معلومة لا يعرفها غير أهلها، وكان آل عائض في محاربتهم يلجئون إليها لأنها حصنهم المنيع.

أما الأمير محمد فقد هرب إلى القنفذة ومنها إلى الحجاز ليستنجد بالشريف حسيناً فأنجده بحملة صغيرة يقودها الشريف عبدالله بن حمزة الفعر ومعها مائتان من الجنود النظامية وبعض المدافع والرشاشات بقيادة الملازم حمدي بك.

ولما أن بلغ الأمير فيصل ما آل إليه أمر آل عائض حسن ومحمد أرسل على حسن في معقله بحملة سرايا من الجيش يتلو بعضها بعضاً وبعد تذليل العقبات ومعركة دامت ست ساعات استمر الإخوان في التصعيد حتى وصلوا حرملة فلم يجدوا حسناً فيها، فهدموا قصورها وحصونها وعادوا إلى أبها، وأرسل أيضاً الأمير

فيصل قوة من الجيش إلى تهامة لمحاربة القادمين من الحجاز، ولكن تهامة شديدة الحر على الإخوان ولم يطبقوا حمايتها فلم يمنعوا فيها بل عادوا منهزمين، هزمتهم الحمى إلى الجبال فتقفى جيش الحجاز أثرهم.

أما قيادة الجيش الحجازي فغير متفق عليها بين حمدي بك، والشريف عبدالله بن حمزة، فقال أحدهما في خطه والآخر في أخرى، فمشي الشريف عبدالله بالجيش في الطريق التي حذره منها حمدي بك فكان صيداً للإخوان حيث لم يشعر إلا وهو في الشبكة بينهم فأحاطوا به ومن معه وكادوا يفنون جيشه بالرصاص والسيف، وفي آخر نفس نجا القائدان بقسم من رجالهما يسير من بقية النظام وبقية البدو ففروا ولاذوا ببارق فتعقبهم الإخوان ففروا منها منحدرين إلى تهامة متقهقرين إلى القنفذة.

وفيها في جمادى الثانية نقل يوسف بك السعدون بفرقة الهجانة إلى أبي الغار على مسيرة يوم من سوق الشيوخ غربي سكة الحديد بين البصرة والناصرية، فزاره المتصرف هناك وأمر العربان بأن لا يؤدوا الزكاة إلى ابن سعود، وذلك له سبب وهو أنه لما فر بعض أهل الجبل أو أن حصارها إلى العراق دخلوا هناك في العشائر المعادية لعشائر نجد واشتركوا في الإغارات التي تكررت، خصوصاً من عربان المنتفق والظفير فأنهم جعلوا يسطون على عشائر نجد وكان صويط على عدااء قديم هو وابن سعدون وكلاهما عدوان لابن سعود.

ومن سوء التدبير أن عين ملك العراق فيصل بن الحسين يوسف بك السعدون قائد الفرقة الهجانة على الحدود وبينه وبين ابن صويط عداوة قديمة فأهاج ذلك خاطر شيخ الظفير حمود بن صويط ورحل إلى الرياض فكتب المندوب السامي السبريسي كوكس إلى ابن سعود يسأله أن لا يستقبله لأن حكومة العراق غير راضية عنه فلاجل أن ابن سعود لم يكن راضياً على الحكومة العراقية لتعيين يوسف قائداً لهذه الهجانة وسوء قيادته التي ليست على ظاهرها رحب الملك ابن سعود بشيخ الظفير بن صويط عند ما جاءه مستغفراً وأعطاه الأمان على شرط أن ترد عربانه كل ما نهبت من أهل نجد وأن لا يشمل العفو غيرهم من المذنبين ثم

أجزل له العطاء وأرسل معه أحد رجاله وهو عبدالرحمن بن معمر للتأمين ولجمع الزكاة من أهل الظفير المسلمين فلما فعل ما فعل يوسف بك علم السلطان عبدالعزيز بأفعاله وأمر فيصل الدويش أمير الأرطاوية أن يمشي إلى الحفر ويعسكر هناك للدفاع عن عشائر نجد.

أما ابن صويط فقام ينفذ في عربانه أوامر ابن سعود فعصاه رجال من المقدمين فيهم اسمه أبوذراع وخرج إلى آل طوالة من شمر العصاة وشرع يشن الغارات وإياهم على عشائر نجد، فلما علم فيصل الدويش بذلك وهو على الحفر شد على ابن طوالة وأبي ذراع، وكان الحبيث يوسف بك السعدون قد زحف بهجائته على ابن صويط ومن معه من رجال ابن سعود فنزل ليلة ذاك النهار في مكان قريب من مناخ أبي ذراع وابن طوالة، فهجم الدويش على هذين الزعيمين ورجالها فغلبها وغنم أموالهما فبادرت هجانة يوسف إلى الدفاع عن المغلوبين فما كان إلا قليل حتى صاروا مثلهم فضربهم الدويش دفاعاً فانقلب ذلك الدفاع هجوماً لأن الإخوان المنتصرين ظلوا ماشين إلى أبي الغار فدخلوها ونهبوها ثم اتبعوا أثر جيش ابن سعدون فأدركوه في شقرة التي تبعد عشرين ميلاً من أبي الغار إلى الجنوب فضربوه ضربة ذهبت بأكثر أولئك الهجانة وشتت الباقين.

ثم خيم الإخوان في تلك الناحية بضعة أيام فضجت كربلاء والنجف بل ضج العراق بأجمعه ففعلت الحكومة البريطانية بالدويش وجنوده فعلها الأول المتقدم في الصبيحية حيث أرسلت عليهم الطائرات القاذفة المدمرة.

وترجع هذه المغامرات وخوض معامع هذه الحروب إلى شجاعة صاحب الجلالة وعظم حظه.

وكذلك أيضاً تعرف بها جراءة الدويش وتقدمه وما كتب له من النصر والظفر بكونه يغير بالجنود الحنيفية ويضرب بها المخالفين وذلك في حين سيره بأمر جلالة الملك ابن سعود وسيأتي له بقية ذكر في هذا التاريخ إن شاء الله تعالى.

ولما رعدت الطائرات المدمرة عليه وعلى جنوده توالى رسائل الأسف بين

المندوب السامي السير برسي كوكس وبين ابن سعود، ويقول في رسائله لا تؤاخذوا طائراتنا ولكن لا مبرر لهجوم الإخوان على عشائر العراق والسلطان عبدالعزيز يقول: لا تؤاخذوا الإخوان ولكن التبعة على الحكومة التي لا تستطيع أن تكبح جماح العشائر ضمن حدودها هذا جزاء الضعف والإهمال وبعد هذا الحادث عقد مؤتمر المحمرة لتسوية الخلاف بين البلدين فحضره أحمد بن ثيان من قبل السلطان عبدالعزيز ومندوبان من قبل الحكومة والمفوضية في بغداد ولكن السلطان لم يصدق على ما قرر هناك فعقد المؤتمر الثاني بعد بضعة أشهر في العقير.

ثم دخلت سنة ١٣٤١هـ

استهلت هذه السنة وحسين بن علي الشريف على مقاومته لابن سعود ولا يزال يغري عليه القبائل ويختلق له المشاكل وينصب الحبائل فمنع أهل نجد من الحج في هذه السنة وأغلق في وجوههم أبواب الحجاز وأضرم عليه نيران الأعداء من كل جانب وقد حج أهل نجد فما جرى منهم إلا الخير وعدم الحركة، ولما بعث ابن سعود إلى بريطانيا العظمى يسألها أن تضع حداً لمشاكل الشريف حققت بريطانيا الطلب على الشريف وسألته أن يأذن لأهل نجد في الحج أسوة بالمسلمين فما استجاب على الفور ليرى خصمه تعاليه، ثم أذن لأهل نجد بالحج في السنة التي خرجت.

فأقبل وفود بيت الله الحرام من النجديين تحت أمرة مساعد بن سويلم فأدوا فرائضهم في هدوء وسكون ورجعوا بخير ويأبى الله أن يحدثوا ما يفسد العلائق كما يظنه بهم العدو الذي يرى أهل نجد بعين السخط كما قيل.

فعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولما أذن بالحج بعث ابن سعود إلى ابنه علي أن الحسين يثني على أبيه ويمتدحه ولكن أين الصلح، أين الهدنة يا عباد الله ولا يقتنع الحسين بالقول ويرى الفعل نفسه تنمية بيسط ملكه على كل عربي في الأرض وخصمه عاهل الجزيرة قد احتل خير وتيما وأخذ يتوسع في الجزيرة وقد قضى على الفتن في جنوب نجد وشمالها

ومحا دولة آل رشيد وأخضع آل عائض، فوربك ما بقي إلا الحجاز وهذا مؤذن بدنو الخطر بل أغرى قبائله فأطاعه بعضهم ورجع الخرمة وتربة في ملكه، فإذا لا يطيق الحسين أعمال ابن سعود.

ولما أن منع أهل نجد من الحج في هذه السنة وتوسلت بريطانيا إليه بأن يأذن في الحج ويبرم معاهدة مع ابن سعود، فجرت مفاوضات طويلة اشترط الحسين فيها بأن لا يسمح بالحج في هذه السنة حتى يتم جلاء ابن سعود عن الجوف ورنية وبيشة وتربة والخرمة وكل بلد اغتصبها على حد زعمه، فيقال يا عجباً لذلك أفلا يرد الشام والعراق والحجاز التي أخذتها بريطانيا من الأتراك وجعلته وأبنائه فيها وبهذا تعلم سوء سياسة الحسين بن علي فإنه بعد انتهاء الحرب العظمى لوحظ أنه بصفته الوحيد المرشح للخلافة لما فيه من الصفات المؤهلة لها وأنه ناصر الحلفاء وانضم إليهم في ساعة الشدة، فلا تجد بريطانيا من المروءة أن تتخلى عنه، وأيضاً قد بسط ملكه وسلطانه على كل من العراق وسوريا بواسطة اعتلاء أبنائه على عرش الملك في تلك البلاد فأخذ يطالب بريطانيا أن تقنعه بأنه على غير حق في مطالبه، ولكنه أصر على عناده وأخذ يتهددها غير مرة بترك البلاد والتخلي عن الملك فلتعين من يستلم البلاد منه فتحيرت بريطانيا وعجزت ساستها عن فهم هذه العقلية الغربية فبينما هو يطالب باستقلال العرب أجمعين ويدعي لنفسه الزعامة عليهم ومن مصلحتها هي أن تظهره بهذا المظهر أمام العالم إذا هو يكتب لها بأنه سترك البلاد لتسلمها إلى من تختاره بدلاً عنه فكأنه بذلك يعترف بأنه عامل من عمالها، ولقد حاولت فعلاً أن تصلح سياسته معها وتحتفظ به فلم تشعر إلا به أصدر منشوراً إلى الشعب الإنجليزي باللغة الانجليزية يشكو إليه حكومته فضاقت به ذرعاً وتوترت العلاقات بينها وبينه ورأت من المصلحة أن تتركه وشأنه مع ابن سعود وتتخلى عنه دون أن تتدخل بينهما فيما بعد ذلك، ثم جرت مفاوضات طويلة في هذه السنة

بين ابن سعود وبين المندوب السامي السير برسي كوكس وعقد مؤتمر لوزان ومؤتمر العقير، اما مؤتمر العقير فانتهى إلى خمسة ايام وأما مؤتمر لوزان فاستمر بضعة أشهر.

ذكر مؤتمر العقير

وما حصل فيه وذلك بأنه لما كان في خامس ربيع الثاني من هذه السنة نصبت الخيام للمؤتمر وذلك على كتيب إلى جنوب القصر في العقير، فجعل قسم الخيام وهي البيضاء الهرمية المزركشة من الداخل بالآيات والرسوم إلى الجانب الشرقي لوفد العراق للإنجليز، والقسم الأكبر وأكثره من بيوت الشعر إلى الجانب الغربي لأهل نجد من المرافقين لعظمة السلطان عبدالعزيز، وكان سرادق عظمته مقابل سرادق الاجتماع سرادق الطعام ووراءه المطبخ، وإلى جانبه قافلة من الجمال وقد أناخت بأحمالها.

وكانت شمس العقير فاترة لا تجفف هواء العقير وهواءه رطب كثيف ثقيل لا يصلح مزاج من جاء مزاجه معكر ليصلح مجاري السياسة بينه وبين جيرانه.

وكان السلطان عبدالعزيز قد علم في الطريق من الحساء بقدوم فهد بن هزال شيخ العمارات مع المفوض السامي السير برسي كوكس فغاضه ذلك لأنه لم يجيء العقير لحل مشاكل العشائر، وقد كان فوق ذلك ناقماً على الشيخ فهد لأنه أنزل عرب شمر الذين فروا من الجبل في أثناء الحصار لحائل فكتب إليه يذكره بأنهم من رعاياه وأن عرب عنزه والعمارات منها هم أبناء عم ابن سعود وأنهم لا يودون أعداءه ولا يساعدونهم عليه بل أنت يا فهد وعشائرك من رعايانا ولك علينا حق الحماية، هذا إذا كنت من المخلصين، ولكن فهد بن هزال يفضل على ما يظهر الحماية الانجليزية، وقد جاء محتماً بالمندوب السامي ليسترضي السلطان عبدالعزيز، وكان عبدالعزيز يقول نحن دعونا السير برسي كوكس إلى العقير للنظر في أمرين، أحدهما الشريف وأولاده؛ والثاني الأتراك الطامعون الآن بالموصل، أما مسألة العمارات والظفير محلها لا يستوجب مجيئنا إلى هذا المكان، ولكن السير برسي

كوكس اغتنم هذه الفرصة ليعيد البحث في اتفاق الحمرة ويحدد الحدود بين نجد والكويت وبين العراق ونجد، فجاء ومعه فريق من السياسيين والأخصائيين وكتبة السر والخدم.

فلما كان في اليوم السابع من ربيع الأول مساء وصل اليخت الذي أقلهم من البحرين فأمر السلطان عبدالعزيز بإرسال الخيل إلى الرصيف ونزل هو وحاشيته يلاقون الوفود ويستقبلونهم، ثم عادوا بعد نصف ساعة إلى المخيم فترجلوا أمام سرادق الاجتماع الذي أنير بأنار اللوكس، وبعد أن استقروا بالمجلس اعتذر المندوب السامي عن بطئه في السفر فقبل السلطان العذر وشرع يفصح عما كان يتقد في صدره، فجاءت الكلمة الأولى قبله زعزعت المكان وهي: أنا لا أخشى إلا الرجل الذي لا شرف له ولا دين، ثم قال لا ندرى يا حضرة المندوب ما خفي المقاصد ولكننا نرجو منها الخير ومما نعلم علم اليقين أن العشائر خصوصاً عشائر العراق لا ترتاح إلى حكومة قوية بل لا تبغيها لأن الحكومة إذا كانت قوية تضربهم وتؤدبهم، أما إذا كانت ضعيفة فتسترضيهم كما هي الحال اليوم أن العشائر يا حضرة المندوب لا يفهمون إلا بالسيف، فهم إذا عاملتهم بالحسنى يتحكمون بالحكومة؛ اشهروا السيف يرتدعوا يتادبوا، أغمدوا السيف ينهبوا ويقتلوا ويتقاضوكم فوق ذلك المشاهرات.

كان السلطان عبدالعزيز يتكلم بهذه الكلمات وهو مدير ظهره لفهد بن هذال، ثم مال بوجهه إليه؛ وقال مبتسماً أليس كذلك يا فهد فإننا نعرف بعضنا، فضحك كل من كان في المجلس سوى شيخ العمارات فإنه كان محدقاً بنظره في السجادة، ثم رفع نظره إلى المندوب السامي كأنه يقول لا بارك الله في ساعة جئت فيها.

هذه أول جلسة من مؤتمر العقير وإن كانت غير رسمية ثم تبعها جلسات خصوصية بين السلطان والمندوب السامي، وجلسات عمومية حضرها رئيس وفد العراق صبيح بك نشث والوكيل السياسي الميجر مور في الكويت والشيخ فهد آل هذال، وكان الكتاب والمترجمون والأخصائيون من العرب في معرفة الآبار والطرق والمراعي يؤمون خيمة المترجم أمين الريحاني من حين إلى حين وكانت خيمة صغيرة.

ثم في ٨ ربيع الثاني اجتمع في الصباح حضرة السلطان عبدالعزيز والمندوب السامي فخرج من هذا المجلس المندوب ومعه في جيبه تقرير طويل باللغة العربية، ولما أن وصل إلى مجلسه دعى بأمين الريحاني بعد أن استقر في مجلسه قريباً من ثلاثين دقيقة ليترجم له تلك الرقعة التي فيها التقرير، فإذا هو يتعلق بقبيلتي العمارات والظفير كان قد أعدده السلطان لمندوبه في مؤتمر الحمرة وهو مكتوب في صورة السؤال والجواب إذا سألك كذا وكذا أجب كذا وكذا، وإذا ألح المندوب الإنجليزي في أمر من الأمور أسأله إذا هل يتكلم بلسان حكومته أو بلسان حكومة العراق، فإذا كان بلسان حكومة العراق فالجواب هو أننا لا نتساهل بحقوقنا، وإذا كان بلسان حكومة بريطانيا فاجاب إكراماً للحكومة بريطانيا، هذا إذا كان من الأمور الثانوية، أما إذا كان من الأمور الجوهرية فالجواب أننا لا نسلم إلا مكرهين، والحكومة البريطانية تفهم أن عاقبة الإكراه وخيمة، فلما قرأ عليه ما تقدم وترجمه كلمة كلمة لم يظهر السير برسي كوكس شيئاً من الاكتراث، وكان من هذه المحاورة قول السلطان للمترجم إذا سألك عن العمارات قل إنها من عنزة كلها من أبناء عم ابن سعود ومن رعاياه، ولقد كانت هذه المفاجآت المزعجة التي تصدر من جلالة الملك، فأجاب السير برسي كوكس عنزة العراق يعني العمارات تفضل أن تكون من رعايا العراق، أما عنزة سورية يعني الرولة فقد تفضل أن تكون من رعايا ابن سعود وله ما يشاء ولقد كانت هذه مضحكة عجيبة كأنه يقول الذي عندنا هو لنا والذي عند غيرنا من الفرنسيين هو لك يا عبدالعزيز إذا استطعت أن تستولي عليه، ثم في ربيع الثاني جلس المندوب السامي جلسة طويلة هو وعظمة السلطان، وكان المندوب قد زل زلة كبرى وذلك باستدعائه إليه عبداللطيف باشا المنديل أحد المستشارين يومئذ لابن سعود ففاوضه مفاوضة استمرت نصف ساعة وأعطاه صورة كتابين مكتوبين بقلم الرصاص باللغة الانجليزية ليسلمها إلى السلطان، فأرسل السلطان عبدالعزيز إلى أمين الريحاني يدعوه ليترجمها له، وكان ينبغي أن يكون بينهما مترجم رسمي للغة العربية واللغة الانجليزية فترجم الكتابين

والسلطان عبدالعزيز يتزحزح في مجلسه ويضرب السجادة بعصاه وصورة الكتابين هو أنه يريد مجاوبة للملك فيصل بن الحسين الذي يقول في كتابه: بناء على تعهدات الحكومة البريطانية في معاهدتي وأياها أقبل الاتفاق الذي عقد في مؤتمر الحمرة، والثاني يريد أن يكتب له جلالة الملك عبدالعزيز صورة الكتاب الذي كتبه إلى الملك فيصل ويعيده عما بان واحدة من التعهدات المذكورة في ذاك الكتاب تتعلق بالمادة الأخرى من المعاهدات وفيها أن أية دولة أجنبية يجب أن تشمل أيضاً حكومات الحجاز والشرق العربي والعراق أي أن الحكومة البريطانية تتعهد أن تحمي بلاد نجد إذا ما تعدت عليها إحدى الحكومات الثلاث، فقال السلطان عبدالعزيز وهو يتميز غيظاً ومن قال للمندوب السامي أن ابن سعود يخاف الشريف وأولاده لا والله نحن في غنى عن الحماية إذا كان المعتدي علينا من العرب، وقد ساء قول المندوب له بقلم من الرصاص على قصاصة من الورق، ماذا يجب أن يكتب للملك فيصل أو إلى الحكومة البريطانية، فلما دخل بعض رجال السلطان عليه وما كان عنده سوى المترجم في الفسقاط أوماً إلى الداخلين أن أخرجوا فخرجوا مسارعين وعاد هو إلى بقية حديثه قائلاً: لا نخاف إلا الله، فلما أن أذن المؤذن لصلاة الظهر نهض يلي الدعوة وهو يقول سنصلي سنصلي فلما كان في آخر النهار من ذلك اليوم رفض السلطان عبدالعزيز بتأناً أن يكتب الكتابين الذين اشار بكتابتهما المندوب السامي، فلما كان في اليوم ١٢ من ربيع الثاني تم الاتفاق بين من ابن سعود وبين مندوب العراق على الحدود النجدية العراقية وتقررت بقعة الحياد بين البلدين، بقعة تدعى العونية، وفي هذا التحديد تقرر أيضاً مصير العمارات والظفير الداخلتين في أرض العراق المعدودتين الآن من عشائره.

والحقيقة أن هذه التحديدات ليست من الأمور التي يعتنى بها لا سيما في مثل هذا المؤتمر الملحوظ بعين التعظيم.

ثم في ١٣ ربيع الثاني تم الاتفاق بين السلطان والمندوب السامي والوكيل

السياسي في الكويت الميجر مور على بقعة الحياذ بين البلدين لتقي عربان الكويت وعربان نجد شر التصادم وهل يدري العربان بالمعاهدات وهل يحترمونها إذا ما أجذبت الأرض وخرجوا كلهم ينشدون الحيا، يطلبون المرعى والماء، وهذا أيضاً صلح صغير، وكان السلطان قد طلب توسيع حدود الجوف مقابل تنازله عن العمارات والظفير، ويظهر أن السير برسي وعده بذلك، وفي هذا اليوم أيضاً ورد كتاب من الملك فيصل أمير العراق وهو من بشارت المؤتمر خطه فيصل بيده إلى السلطان عبدالعزيز، قال فيه: إلى أخي العزيز وأرسله مع رسوله الخاص عبدالله بن مسفر جار فهد الهذال في المخيم الأوربي، وكان مدججاً بآرق العبارات الولائية؛ وفيه ما يدل على أن جلالة الملك يرغب رغبة حقيقية في الصلح وأنه ليس بين العراق ونجد فقط، بل بين نجد والحجاز خلاف فهل ينبذ فيصل بن الحسين خطة والده ، وهل يستطيع أن يوفق بينه وبين السلطان عبدالعزيز ها هنا أساس الصلح الكبير والسلم الثابت في البلاد العربية، وكان جواب السلطان على كتاب فيصل ينبئ بالخير عسى أن يتوفقا إلى اجتماع شخصي خاص، ولا يخفى أن عبدالعزيز راغب في ذلك ولكنه في الوقت الحاضر منحرف المزاج، وقد طالت إقامته في الحساء فهو يبغي الرجوع إلى الرياض ولا بأس بذكر الحال على وجهها وهي أنه يرجح رغبة الاجتماع بدون واسطة الحكومة البريطانية وآخر ما ترجم من المؤتمرات برقية أرسلها السير برسي كوكس إلى المستر تشرشل وزير خارجية بريطانيا يقول فيها: أن ابن سعود طلب أن تكون قريات الملح في الجوف تابعة لتلك الناحية من المملكة السعودية ويشير بالقبول، بل يقول: أكدت لعظمته أن ذلك يكون مقبولاً لدى حكومة جلالة الملك نأخذ من ابن سعود لنعطي العراق ونأخذ من شرقي الأردن لنعطي ابن سعود ونأخذ من الحجاز العقبة لنعطي شرقي الأردن وعمن نأخذ لنرضي الحجاز؛ هذا ما دار في هذا المؤتمر، ثم بعد بضعة أشهر من مؤتمر العقير بل بعد أقل من ذلك عادت تلك العشائر في العراق تفسد ما أصلحه المصلحون وتثير ما سكنه المسكنون.

ذكر ما جرى من أهل العراق ومن التجأ إليهم من العشائر

لما اجتمع الفارون من حائل وقت الحصار والتجاؤوا إلى العراق كآل عبده التابعين لعجيل الياور قاموا في العراق يرحبون بإخوانهم الفارين من نجد ويشاركونهم في شن الغارات على قبائل ابن سعود، فكتب السلطان عبدالعزيز إلى المفوض السامي وإلى جلالة الملك فيصل بن الحسين يشتكي هؤلاء ويطلب من الحكومة أن تردع هؤلاء وترجع ما نهبوه من أهالي نجد ويحذرهما من عواقب الاعتداء، فكان جواب أولي الأمر هناك ما يثبت دعوى حكومة نجد وعجز حكومة العراق عن تنفيذ ما رآته واجباً عليها، وبعث الملك فيصل بن الحسين جواباً لابن سعود يقول فيه: تلقيت كتابكم المرسل مع خادمكم الأمين عبدالرحمن الرباعي، فكان أعز وأصل، أما بخصوص التفاوض فقد أجرينا اللازم وأخبرنا حامله شفهيًا بما يسهل الأمور، وقال وزير الداخلية يومئذ عبدالمحسن بك السعدون في كتاب أرسله إلى المفوض السامي قد أصدرت الأوامر إلى متصرف الموصل لكي يرسل رؤساء شمر نجد وخصوصًا أولئك الذين اشتركوا في هذه الغارات وقد وعد عجيل الياور باسترجاع الأموال المنهوبة وتعهده بقبول المسؤولية عن وقوع الغارات في المستقبل ثم كتب الوزير إلى متصرف الموصل كتابًا شديد اللهجة جاء فيه أن التأثير الذي ينجم عن هذه الغزوات يغضب ابن سعود فإن لم تتخذوا الإجراء المستعجل فأقل ما ينتظر هو حدوث غزوات جسيمة مقابلة ذلك، وبما لا يطاق احتمال له اتخاذ شمر مملكة العراق مركزًا لحركاتهم الحربية على ابن سعود فالحكومة عازمة على اتخاذ التدابير لكبح جماحهم ولطردهم إذا اقتضى الأمر.

وكان قد كتب عبدالمحسن بك إلى المفوض السامي يسأله إذا كان في وسعه مساعدة الحكومة العراقية بالطائرات والسيارات المدرعة إذا كانت القوات الموجودة لديها غير كافية ولكن عجز الحكومة العراقية لكم يكن سوى مظهر من عجز حكومة الانتداب وبعث السير برسي كوكس كتابًا إلى عظمة السلطان بعد ذلك في آخر هذه السنة يثبت ذلك، وأنه أي المفوض السامي لم يقصر في الإسراع إلى لفت نظر الحكومة العراقية إلى هذه الحركات السيئة من قبل رجال شمر المقيمين داخل

حدودها وأنه سينظر مع الحكومة العراقية في أمر إمكان وضع دوريات منظمة في أطراف العراق لأجل منع حدوث مثل هذه الأمور وأنه واثق من التمكن قبل مدة طويلة من القيام بضمانات وافية ترضي كلا الحكومتين ومن اتخاذ تدابير من شأنها أن تمنع العشائر من تكرار هذه الأعمال ولكن الدوريات لم تنظم في السنة ولا التالية هذه في لها.

وفيها في ٢١ من جمادى الأولى عاد الأمير فيصل بن عبدالعزيز بجيشه الظافر إلى الرياض من عسير بعد ما أمر في أبها بن عفيصان وأقام في أبها حامية عددها خمسمائة جندي وذلك بعد ما فر حسن ومحمد آل عائض وانكسر جيش الحجاز.

ولما أن رجع الأمير فيصل عاد الشريف حسين بن علي فجهاز حملة أخرى إلى أبها وكان مع هذه الحملة حسن بن عائض فحاصرت بن عفيصان والجنود النجديين فيها فاستنجد الأمير سعد بن عفيصان بمن حوله من أهل الصبيحة وتثليث من عرب قحطان فجاءوا لنجده مع رئيسهم بن شفلوت فزحف بن عفيصان بعد ما وصلت إليه النجدة فاشتبك مع الحملة في قتال مرير تفهقر بعده جنود الشريف ومن معهم من قبائل عسير إلى محاليل والقنفذة، وتوفي بعد ذلك الأمير سعد بن عفيصان - رحمه الله - بعد فك الحصار عن أبها بأيام قلائل، فبعث السلطان عبدالعزيز بدلاً عنه عبدالعزيز بن إبراهيم أميراً عن مقاطعة عسير؛ وكان ابن إبراهيم هذا حازماً قوياً شديد البطش ذا دهاء وحسن تصرف، يعد من أفذاذ الرجال، ففاوض حسناً فطلب منه حسن أن يصل إليه في مقره المذكور وبذل ما اطمأن له حسن وجميع أسرته، ثم جاء بهم جميعاً إلى أبها ثم رأى الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم أنه من المستحسن إبعاد حسن وذويه عن أبها إلى الرياض فأرسلهم إليها وعندما وصلوا إليها عفى عنهم السلطان عبدالعزيز وأجزل لهم العطاء وخصص لهم شيئاً من المال شهرياً وعاش حسن بعد تلك المقاومة في الرياض مدة ثم توفاه الله تعالى وتوفي بعده بمدة يسيرة ابن عمه محمد بن عائض وأخوه ناصر ومحمد بن مسلط، وبهذا تعلم شدة عداء الحسين بن علي الشريف وأنه لم يقصر في الإيذاء.

ولما أن أظفر الله ابن سعود في واقعة تربة جعل فيها أميراً من قبله عليها عبدالرحمن بن معمر مؤيداً بسرية أغلبها من عبيد بن رشيد الذي قد فروا إليه من حائل، غير أنهم ما لبثوا إلا ثلاثة أشهر حتى قتلوا ابن معمر وفروا إلى الشريف فأكرمهم وقربهم ولعله بإيعاز منه، والدليل على ما ينطوي عليه أن أهل نجد لما حجوا في هذه السنة تحت إمارة ابن سويلم كما قدمنا ليؤدوا فرائضهم بعد ما منعوا من الحج عدة سنين وكان أمير حاج أهل القصيم الهمام النبيه إبراهيم بن عبدالرحمن بن شريدة اختاره الأهالي وقدموه على من سواه، وكان موجوداً إذ ذاك زعماء من القصيم غير أنها اقتضت المصلحة تقديمه على من سواه فجاءهم لما قربوا من الحجاز مطية من الشريف حسين بن علي تحمل نجاباً يحمل الأوامر وهي الأمر لأهل نجد بأن يطووا البيارق وينكسوا السلاح ولا يكبروا، فمنعهم حتى من التكبير الذي هو شعار الإسلام عياداً بالله من ذلك.

وفي هذا الموضع نذكر نبذة في التعريف بآل شريدة فنقول هم أسرة يسكنون مدينة بريدة في القصيم، من أشهرهم زعيم بريدة محمد بن عبدالرحمن بن شريدة^(١) وأخوه منصور بن عبدالرحمن بن شريدة، وكان رجلاً من خيار عقيل الذين كانوا يسافرون إلى الشام ومصر والعراق للتجارة وكان متمسكاً بدينه ويأمر أصحابه ومن في معيته بأداء الصلاة والحفاظة عليها علناً.

ومنهم إبراهيم بن عبدالرحمن بن شريدة أمير حاج القصيم.

ومنهم يحيى بن عبدالرحمن بن شريدة ويلقب بأبي الأيتام لأنه يحنو على الفقراء والمساكين وله تمسك في العقيدة وابوهم عبدالرحمن بن يحيى بن شريدة، وكان شريدة هذا عالماً بعثه ابن سعود إلى الجوف ثم حمله عبيد بن رشيد معه إلى حائل فسكنها وتزوج بها وولد له يحيى وكان ليحيى هذا عدة أبناء وفي شريدة جد الأسرة يقول الشاعر معرضاً بأنه عالم ليس له همة في الدنيا:

(١) قتل في واقعة جراب عام ١٣٣٣هـ عن عمر يناهز السبعين.

ريح القبائل والنشاما أحب إلي من مناجي شريدة
ومن هؤلاء الأبناء عبدالله وعثمان وفهد وصالح ويحيى وحمود وسليمان
وعبدالعزیز وعلي وراشد وموسى.

وفي هذه السنة ولد الأمير بندر بن جلالة الملك عبدالعزيز.
وفيها وفاة الأمير محمد بن علي الإدريسي في نيسان وكان رجلاً سياسياً وذا
معرفة وغور بعيد وسيداً كبيراً في قومه فالله المستعان.

ثم أن تولى بعده ابنه علي بن محمد فلم يحسن التصرف وما كان له ما لأبيه من
السياسة لأن أباه محمد استطاع أن تعترف له الحلفاء بسيادته على تهامة واحتفظ
بملكه رغم تهديد الشريف حسين بن علي له من الشمال والإمام يحيى من الجنوب
اعتماداً على تحالفه مع بن سعود وتقدم شيء ترجمته في سنة ولادته وعمره ثمان
وقيل تسع وأربعون فالله المستعان.

وفيها وقع خلاف بين الحكومة المصرية وبين الشريف حسين ملك الحجاز
وذلك لأنه رد الحمل المصري لما جاء في باخرة خاصة إلى جدة ومعه كسوة الكعبة
وحنطة الجراية وحرس الحمل وبعثة طبية فلما أن منعهم من دخول مكة المكرمة
توترت العلاقات ورجع الحمل من ثغر جدة في مركبة بكل ما معه من الكسوة
والصدقات والمرتبات وذلك في آخر ذي القعدة من هذه السنة فلما رأى الشريف
ذلك أبرق إلى المدينة المنورة وأمر أميرها بأن يرسل الكسوة التي أودعتها الحكومة
التركية بها إلى ثغر رابغ على الفور ثم أرسل أحد بواخره لنقل الكسوة من رابغ إلى
جدة فنقلت في سرعة عجيبة إلى مكة ووصلت في اليوم العاشر من ذي الحجة اليوم
الذي تكسى فيه الكعبة المعظمة فكسيت بها الكعبة وقد حدث من ذلك ضجة
عظيمة في مصر وصاروا في حيرة من اجراء إحضار كسوة الكعبة في تلك السرعة
المدهشة ولم يعلموا أنها كانت حاضرة المدينة المنورة منذ بضع سنين حتى أن بعض
جرائد مصر ذكرت أنها بحثت في عموم أساكن البحر الأحمر عن معامل تصنع
كسوة الكعبة في عشرة أيام يعني من رجوع الحمل بالكسوة فاتفقوا على أنه لا

يستطاع عمل الكسوة في عشرة أيام حتى ولا في معامل أوروبا وإنما هذا عمل مدبر وكانت هذه الكسوة من الحرير الأخضر قد صنعت بالآستانة في زمن خروج الأتراك من مكة وجعلوها بالمدينة المنورة إنتظاراً للفرصة صنعتها يوم كان عزمها لفتح مكة بمناسبة تأليف جيش الصاعقة الذي كان يأمل فتح ما سقط من الأراضي الحجازية وقد نشر الشريف حيدر الذي كان ابن عمه ينتظر فتح مكة المشرفة منشوراً طويلاً وكان قد منته نفسه بغرور من الأتراك أن يسترد إمارة مكة سنة ١٣٣٦، وقد أخطأت الحكومة المصرية في استرجاع الكسوة والصدقات والأوقاف التي ليس لها تعلق بالحكومة ولا بالرضى والسخط كما قد أخطأت في استرجاع رجال المحمل بعد ما أحرموا ووالله لما يذيب القلب حزناً وأسفاً اتخاذ أعمال الحج العوبة كالأعيب الصبيان يلعب بها كل من أراد ذلك وإذا كان هناك سوء تفاهم ولم يوفق المقام لحل فلا ينبغي أن تحرم الكعبة ثوبها ولا فقراء الحرمين ما أعطاهم الله صدقة من الأجواد التي جعلت تصرف مصرفها فيا للجهالة العميا استرجاع ما ذكر لأجل التشفي من أمير مكة.

ثم دخلت سنة ١٣٤٢ هـ

في هذه السنة عمل الشريف حسين بن علي كسوة للكعبة من القيلان نسجت بالعراق وهذا إنما فعله احتياطاً لما عساه أن جاء وقت كسوة الكعبة يوم عيد الأضحى ولم يحل الخلاف الواقع بينه وبين الحكومة المصرية وامتنعت من إرسال الكسوة أن يكسوها بها لكنها جاءت الكسوة في هذه السنة وبقيت كسوة القيلان محفوظة.

وفي هذه السنة خلطت المؤتمرات وحصلت المفاوضات في شأن السلطان بن سعود والشريف الحسين وذلك لما كان يرسل صرر الذهب من الأموال لديه لمساعدة رجال ثورته وبعث إلى جلالة الملك عبد العزيز بصرر منها وبعد ما فهم ابن سعود قصده وما يبيته له من الكيد وخاب كل تدبير يدبره له الحسين ولم تفلح حملاته عليه لجأ إلى الدسائس في استفزاز ابن رشيد واستنهاض آل عائض ثم أوعز إلى إبنه في العراق وشرقي الأردن الرقيم أن يجرضا عليه القبائل الموالية لهما ويشن الغارات

على البلاد النجدية، فأقلق راحة ابن سعود من كل الجهات ولم يترك وسيلة إلا لجأ إليها هذا، وابن سعود يقابل أعماله بالسكوت والمجاملات الودية ولا تقابل مجاملات ابن سعود إلا بالرد الشنيع الازدراء فضلاً عن اضطهاد الشريف لكل من هو نجدى في بلاد الحجاز ومن يتحدث عن نجد وعن الإخوان عنده أو ذكر اسمهم فإنه يمثته أشد المقت مع نشره مسبتهم في جريدة القبلة، ولم يكتف حتى منع أهل نجد عن الحج وصدهم عن البيت الحرام الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد، كأنه ملك له ولأبيه يفتحه لمن يشاء ويصد عنه من شاء، فأين الجلالة الهاشمية وما يدعيه ما بالها لا تعمل بالكتاب والسنة.

فلما أن ضاق نطق أهل نجد عما يقاسونه من الأذى وكلت كواهلهم من حمل ما يكابدونه من الشقاء فزعوا إلى صاحب الجلالة السعودية وأبدوا بما عندهم قائلين يا الإمام ما على هذا من صبر فأذن لنا في الشريف لنغزوه في عقر داره، فجعل السلطان عبدالعزيز يسكنهم ويعددهم بحسم الأمور بالوسائل السلمية قبل الالتجاء إلى امتشاق الحسام.

ولما كان في تلك الأيام ذهب جلالة الملك الحسين بن علي الشريف إلى فلسطين وشرقي الأردن وعمان ليشرف على جميع البلاد المقدسة ويزور الأماكن التي فيها مراكز للحكومة ويوطد السيادة العربية في الشرق العربي، هذا ما زعم برأيه وحدثته أمنيته به، وهناك ألزم أنصاره أن يبايعوه بالخلافة العظمى ليجعلها حجة في إخضاع ابن سعود وغيره من أمراء العرب، ولكنه بذلك حني على نفسه فأغضب العالم الإسلامي أجمع وعجل في القضا على مملكته وعلى نفسها تحني براقش، فلما رأى ابن سعود ما صدر من الشريف لم ير أن يقدم على إعلان الحرب عليه حتى يرى العالم كافة موقف الحسين السليبي نحوه فعقد مؤتمر الكويت في هذه السنة الذي كان يشبه مؤتمر صلح الحديبية وما أشبهه به إذا كان بين الفتحين ثلاثة عشر قرناً وثلاث وتذكره وإن كان قد اعترض لقصة الشريف.

ذكر مؤتمر الكويت

لما كان في جمادى الأولى من هذه السنة عقد المؤتمر واستمرت المفاوضات إلى أربعة أشهر انتدبت بريطانيا العظمى مندوبها في الخليج العربي الكولونيل نو كس لفض الخلاف بين حكومة نجد وحكومات الحجاز والعراق وشرقي الأردن، أو بين عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود وبين الحسين وأولاده، فاشتراط عبدالعزيز مبتدئاً أن لا يتدخل وفد أية حكومة من الحكومات الثلاث في المباحث مع غيرها، فقبل هذا الشرط وعليه؟ انعقد مؤتمر الكويت ولم يرسل الحسين مندوباً عنه وأصر على أن خصمه يجلو عن تربة والخزمة قبل المفاوضات وكاد الاتفاق يتم بين نجد والعراق لولا أن الوفد العراقي خالف الشرط المبتدأ وعلق نفوذ معاهدته على الاتفاق بين نجد والحجاز.

أما وفد شرقي الأردن فكان موقفه عجيباً؟ فلم يكتف بالمطالبة بالجوف وقريات الملح بل شرط إرجاع إمارتي آل رشيد وآل عائض والتنازل عن تربة والخزمة، فكان هذا يخوض فيما لا يعنيه، ولما عقد هذا المؤتمر للبحث في مسألة حدود نجد وشرق الأردن والبحث في المواد الباقية بين نجد والعراق.

ومن جملتها قبائل شمر الملتجئين إلى هذا القطر والبحث في المشاكل التي بين نجد والحجاز، وقد قال الوكيل في كتابه إلى عظمة السلطان أن الحكومة البريطانية مستعدة أن تعرض الأمر على الملك حسين وأن غرضها من عقد هذا المؤتمر هو إزالة سوء التفاهم وحل جميع المشاكل التي بين الممالك المتجاورة.

فأول جلسة عقدت في ٧ جمادى الأولى من هذه السنة فتلتها أربع جلسات دار فيها البحث بين وفد نجد ووفد العراق، فتم الاتفاق بينهم على بضع مواد تختص بمعاقة الذين يشنون الغارات في أطراف البلاد وبكيفية المعاقة وبطريقة المراسلة بين الحكومتين فيما يختص بالعشائر وتم الاتفاق. أو كاد أن يتم لولا تدخل وفد العراق فيما لا يعنيه، أن الوفد ساعة التوقيع طلب أن يضاف إلى المعاهدة أنها لا تكون نافذة ما لم يتم الاتفاق مع الحجاز وبين الحسين، ولذلك فقد اشترط في أول الأمر

شروطاً منها: إرجاع إمارة آل رشيد وإمارة آل عائض وإمارة الجوف، وأن يرسل ابنه يزيداً بعد ذلك ينوب عنه في المؤتمر وأن يرجع ابن سعود الحرمه وتربه، وطلب أن يرسل ابن سعود ابنه عنه فأبى ذلك ابن سعود، وقدما أنه لم يحضر الحجاز وفد، فأين الحسين أين وفده لقد سار بنفسه متوجهاً إلى عمان يخاطب الخلافة في اليوم الذي جلس فيه الوفد فلما علق وفد العراق مشكلته بمشكلة الحجاز رفض الوفد النجدي المادة الشرطية، فعندها بعث رئيس المؤتمر برقية إلى حكومته، كان فيها أنه لا يكمن البت في شأن من الشئون ما لم يوفد الحجاز مندوبه، فتأخر المؤتمر إلى غرة جمادى الثانية ليتمكن الوفدان الرجوع إلى بلاديهما ليستشيرا حكومتيهما في المسائل المختلف فيها.

وكان الخلاف بين نجد وحكومة عمان هو الجوف وقريات الملح، وفي خلال هذا المؤتمر أرسل الأمير عبدالله قوة احتلت القريات لما علم بما كان من الاتفاق بين ابن سعود وبين بريطانيا العظمى، فهم عبدالعزيز بن سعود أن يجهز حملة تخرج تلك القوة منها، فلجأ الأمير إلى الحكومة البريطانية فطلبت من ابن سعود عدم المعالجة بالزحف إلى الجوف ووعدت بتسوية المسألة بالوساطة السلمية.

أما قريات الملح فهي تتألف من قريتين كبيرتين ويتبعهما ثلاث مزارع وفي أراضيها معادن ملح كثيرة، يشحن أكثر منتوجها إلى حوران وغيره، وقد استهل رئيس الوفد الأردني يخاطب بإطراء صاحب الجلالة الهاشمية والنهضة العربية والحكومة البريطانية التي ساعدت في استقلال العرب، ثم قال متجرباً أن شرقي الأردن هي من ثمار هذا الاستقلال وأن الجوف وسكاكة وما يتبعهما هي لازمة له وهي ضرورية للمواصلات بين شرقي الأردن والعراق، فيجب إذن أن تكون تحت إشراف حكومة الأمير، وقال في الجلسة الثانية أن الجوف وسكاكة وتوابعها هي من الأراضي السورية التي تبدأ حدودها من مدائن صالح وتنتهي عند أوكمال على نهر الفرات، وأن حكومة شرقي الأردن هي من سوريا فيجب أن يكون الجوف بأجمعه تحت إدارتها، فأجاب المندوب النجدي أن الجوف وسكاكة ووادي السرحان

بأجمعه تتبع التطورات في نجد بينما أن تشكيلات الأردن الإدارية لم تكن سوى أفضية تابعة للكرك والقدس ولم يكن الجوف تابعاً لها إدارياً أو سياسياً.

ثم قال رئيس الوفد: لا نوافق مطلقاً على اتصال حكومة شرقي الأردن بالعراق، ونطلب أن تكون حكومة نجد متصلة حدودها بسورية حتى تكون تجارتها آمنة، فحفظاً لكياننا الاقتصادي وحماية لروحنا التجارية نطلب أن يكون الاتصال بسوريا أساساً للاتفاق بيننا وبين شرقي الأردن؛ لقد كان ظاهر هذا الخلاف بين القطرين هو الجوف ونحوه وحقيقة الأمر أن الخلاف الحقيقي هو ما بين آل سعود والبيت الهاشمي من العداء المتأصل، وقد صرح به رئيس الوفد بعد إطرائه جلالة الملك حسين حيث قال اسمحو لي أن أصرح لحضراتكم بأنه إذا لم تتخلى حكومة نجد عن الجوف ووادي سرحان بأجمعه وعن الأراضي الحجازية التي احتلتها يعني تربة والخزمة وخيبر وغيرها، وتجعل تحديد الحدود بين الحجاز ونجد على أن يكون الحد الفاصل هو الصحراء القاحلة، فلا يمكن أن يحصل بيننا اتفاق، فتكلم رئيس المؤتمر الكولونيل نوكس قائلاً: لا يحق لوفد العراق أو وفد شرقي الأردن أن يتكلم عن الحجاز فتوقفت المفاوضات بين نجد وشرقي الأردن كما قد توقفت سابقاً بين نجد والعراق، فانفض هذا المجلس وما كانت المفاوضات التي حصلت لتغير الحال أو تلطفها فعاد وفد العراق يحمل قراراته وفيها أنه لا يمكن لحكومة العراق أن تسلم شمر نجد حالاً، وأنها غير مسئولة عن المنهوبات التي سبق تاريخها، وقد قدمت حكومة نجد لائحة بالمنهوبات التي نهبت بعد توقيع معاهدة العقير، وفيها أسماء المعتدين والمعتدى عليهم، فبلغ عدد من قتل من رعايا نجد سبعة وعشرين رجلاً، وعدد ما نهب من الإبل ٤٦٠ وقيمة ما سلب من المال ٥٠٠ ليرة و٤٠٠٠ ريال، ما عدا ٣٥٠ حملاً من الدهن، و١٠٠ حمل من البن.

وكذلك أيضاً قرر وفد العراق أن حكومته لا تقبل بمبدأ إخراج العشائر الملتجئين إليها لأن ذلك يولد ارتباكاً في الحدود العراقية مع سوريا وتركيا وإيران وأهم ما يكون مسألة العشائر، فإذا كانت حكومة العراق لا تسكن الحركات العدائية التي تقوم بها تلك العشائر الجريمة فالوفد لا يمضي معاهدة.

أما وفد شرقي الأردن فقد صمم على متطلباته ولم يتنازل عن شيء منها، وقد اقترح رئيس الوفود استفتاء الأهالي في القرى، فقبل الوفد النجدي بذلك على شرط أن يعمل بهذا المبدأ في الأماكن المتنازع عليها بين نجد والحجاز، أي في تربة والحرمة، فلم يقبل الوفد الأردني بذلك بل طلب أن يكون الجوف ووادي سرحان منطقة حياد بين القطرين فرفض الوفد النجدي وأرفض المؤتمر وتأجل أيضاً إلى شعبان ليتمكن الرئيس من مفاوضة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن.

وقد كان يأمل في سعة الوقت أن يغير الحسين الشريف رأيه فيرسل مندوبه في المؤتمر، نعم قد غير رأيه الشريف فعين نجله الأمير زيداً ممثلاً للحجاز ولكنه لم يحضر، وبينما كان وفد العراق قد عاد للمرة الثانية يستشير حكومته قادماً للمرة الثالثة إلى الكويت خرج فيصل الدويش وقد فرغ صبر عربانه غازياً في أطراف العراق، فعندها غضبت الحكومة وأمرت وفدها بالرجوع إلى بغداد فلم يعقد لذلك اجتماع ثالث.

ولما كتب بعض الأدباء إلى حضرة صاحب الجلالة عبدالعزيز ساعياً في الوفاق بين البلدين وعقد معاهدة نجدية عراقية أوسع نطاقاً مما سبقها في العقير وفي الحمرة بعث عبدالعزيز إليه بهذا الجواب: أما ما ذكرته عن اتفاق مع حكومة العراق فكنت أرغب به من صميم قلبي ولكن حكومة العراق لا تزال تعمل ضدنا في تأليف العصابات من مجرمي العشائر لمهاجمة رعايانا الآمنين وقطع الطرق على القوافل، يعلم الله أن جل مقصدي هو أن أعيش بسلام مع جيرانني وأن نتحد كلنا على مافيه خير العرب، ولكن الأشراف لا يروقه ذلك فحسبنا الله.

وبعث أيضاً جلالته الملك كتاباً من القصيم في ١٤ رمضان في هذه السنة يقول: قد جئنا القصيم بأمور لا بد منها، منها: الاستعداد للطوارئ قد عينا عبدالعزيز بن مساعد الجلولي أميراً في حائل وجعلنا المنطقة الشمالية بما فيها القصيم والجوف وخيبر تحت إمارته وزودناها بالتعليمات الكاملة والقوة الكافية والصلاحية الواسعة وبدلنا أمير الجوف، فعينا مكانه عبدالله بن محمد بن عقيل، وأصبحناه بما

يلزم من القوة. هذا جواب عظمة السلطان على مطالب سمو الأمير عبدالله وجلالة والده، وقد وعظوا بتربة لو كانوا يعقلون، بل كانت تلك التعاليم التي دبرها صاحب الجلالة عبدالعزيز هي نتيجة مؤتمر الكويت وقد قيل في كلام الحكم أعط أخاك ثمرة، فإن أبي فجمرة.

ذكر الخلافة وما استقبل به الحسين في عمان من الاحتفال

لما كان في جمادى الثانية وصل القطار الملكي إلى العاصمة عمان، وكان قد جاء ليقرب من الأقطار ليحس نبضها في هذه المسألة الكبرى مسألة الخلافة، فلما جاء شاهد جلالة في المحطة مشهداً فريداً مجيداً خفقت له قلوب السيادة، ورفرفت فوقه آمال الملك كلها في انتظاره، وكانت الوفود والجموع هناك، وفد سوريا وفلسطين ومشايخ العربان، من نواحي الشرق العربي، ورجال الحكومة من عرب وانكليز والصحافيون من مصر والقدس وبيروت والشام والجموع والجنود والأعداد من بدو وحضر في الثياب العربية، والأفرنجية والجركسية؛ فلما أطل جلالة من القطار رفع الناس أصواتهم هاتفين ليحي ملك العرب ليحي الفذ الأعظم وقد كان الاستقبال حاراً باهراً اصطفت جنود الجيش العربي على الطريق من المحطة إلى المدينة وجال العربان من فرسان وهجانه وهم يهزجون الأهازيج البدوية، ورفع تلاميذ المدارس أصواتهم بالهتاف والأنشيد وشاركت في الترحيب الطيارات الإنكليزية التي تغنم في الفضاء؛ ثم صعد الخطباء والسفراء منصة البيان، وطفقوا يخطبون وينشدون مهللين مكبرين ومهددين الإنكليز والفرنسيين بل الأوربيين أجمعين ليحي ملك العرب المنقذ الأعظم لتحبي النهضة العربية، وليسقط كل من يسعى ضدها وضده، ليسقط الإستعماريون والمستبدون، وكان جلالة يسمع الخطباء والشعراء من شرفة البيت الذي أعد له البيت القابل للأثر التاريخي الجليل الملعب الروماني المتهدم، وللزمان في ذلك هزة، بلاغة تعجز دونها الشعراء والخطباء، لقد كان يوماً عظيماً ومحفلاً رائعاً، ثم قابل جلالة الوفود فقال تكراراً: أنه لا يتنازل عن مبدء واحد من المبادئ التي هي أركان النهضة لا أننازل عن حق واحد من حقوق البلاد، لا أقبل إلا أن فلسطين لأهلها العرب أقول لأهلها العرب

لا أقبل بالتجزئة، ولا أقبل بالانتداب ولا أسكت وفي عروقي دم عربي، عن مطالبة الحكومة البريطانية بالوفاء بالعهود التي قطعتها للعرب إذا رفضت الحكومة البريطانية التعديل الذي أطلبه فإني أرفض المعاهدة كلها، أقول المعاهدة كلها، لا أوقع المعاهدة قبل أخذ رأي الأمة إني عامل دائماً في سبيل الإنفاق وأمراء العرب، إني عامل دائماً في سبيل الوحدة العربية والاستقلال التام، أقول الاستقلال التام للأقطار العربية كلها ولا فرق عندي إذا كان مركز الحكومة العربية في الحجاز أو في سوريا أو في العراق أو في نجد، ولا عجب بعد هذه التصريحات المدهشة إذا تمت المبايعة بالخلافة، فبعد المآذب والاجتماعات العامة المتعددة، وبعد الاجتماعات الخاصة وحضور رؤساء الوفود وكبار موظفي الإنكليز، نوادي بالملك حسين بن علي خليفة على المسلمين، وأمير المؤمنين، فبايعه السوريون والفلسطينيون الذين كانوا هناك ورؤساء عرب الأردن والحجازيون الذين كانوا مع جلالته وفريق من العراقيين وبعض من الهند والسند، وسيان كان ذلك عن كره أو رضى منهم فقد وصل إلى بغيته ونال أمنيته وفعل أفاعيل تقرر خلافته ورجع إلى مكة في يوم السبت ٢٣ شعبان، فأعدت الزينات واستقبله أهالي جدة ومكة استقبالاً باهراً.

ولما صنع الشريف ما ذكرنا عقد في غرة ذي القعدة اجتماع عام برئاسة الإمام عبد الرحمن بن فيصل، وذلك بمدينة الرياض عاصمة المملكة السعودية حضره العلماء ورؤساء القبائل وكان صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن قد عاد إذ ذاك إلى الرياض بعد إقامته في الأحساء أثناء مؤتمر الكويت يراقب نتائجه فلما حضرت الأمة واجتمعت إفتتح الإمام عبد الرحمن الجلسة قائلاً: (قد جاءني كتب عديدة من الإخوان^(١) وهم يريدون الحج وقد أرسلت هذه الكتب في حينها إلى ولدنا عبد العزيز وها هو أمامكم فسألوه عما يبدو لكم فتكلم عبد العزيز قائلاً: وصلني كل ما كتبتموه وأحطت علما بكل ما شكوتموه، إن لكل شيء نهاية، فلا تيأسوا وإن الأمور مرهونة لأوقاتها.

(١) هم البدو.

فتكلم سلطان بن بجاد المدعو سلطان الدين قائلا: يا للإمام نحن نبغي الحج، ولا نريد أن نصبر أكثر مما صبرنا على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتنا عليه، ليست مكة ملكا لأحد، ولا يحق لأحد أن يمنع المسلمين، أو يصد المؤمنين عن أداء فريضة الحج، نريد أن نحج يا عبد العزيز فإذا منعنا الشريف حسين، دخلنا مكة بالقوة، وإذا كنتم ترون أن من المصلحة تأجيل الحج في هذا العام، فلا بد من غزو الحجاز لنخلص البيت الحرام من أيديهم، فأجاب السلطان عبد العزيز قائلا: إن مسألة الحج من المسائل التي يرجع الفصل فيها إلى علمائنا وها هم حاضرون فليتكلموا: تكلم الشيخ الورع سعد بن عتيق - رحمه الله - أن الحج من أركان الإسلام، ومسلموا نجد والحمد لله يستطيعون أن يؤدوا هذا الركن على الوجه الأتم بالرضى أو بالقوة، ولكن من أصول الشريعة النظر إلى المصالح والمفاسد، فالأمر الذي قد يؤدي إلى ضرر أو مفسدة يدفع ويؤجل من أجله الحج، فهل هناك مفسدة أو مضرة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب إلى بيت الله، ذلك ما نريد أن نقف عليه من الواقفين على السياسة. ولقد كان السلطان عبد العزيز في الخمس السنين الماضية يجيب على هذا السؤال بالإيجاب فيمنع أهل نجد عن الحج خوف أن يحدث ما لا تحمد عقباه، وقد كان يعالج مشاكل أهل نجد مع الحجاز بالطرق السلمية السياسية.

أما في هذا الاجتماع فقد قال عظمتة مخاطبا العلماء والإخون، نحن لا نود أن نحارب من يسالنا، ولا نمتنع عن موالاة من يوالينا، ولكن شريف مكة دائما كما تعلمون يزرع جذور الشقاق بين عشائرننا، وهو الوارث من أسلافه بغضنا، ومع ذلك فقد بلغت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبين الحجاز والتي هي أحسن، وكنت كلما دنوت من الحسين تباعد، وكلما لنت له جفاني، إي ورب الكعبة، ولست أرى في تطور الأمور ما ينعش الأمل، بل أرى الأمور تزداد شدة وارتباكاً، ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا، ومصالحنا، فوقف السلطان عند هذه الكلمة، فلما سمع الإخوان كلامه، هتف الجميع يقولون: توكلنا على الله

إلى الحجاز، فنظروا من السلطان عبد العزيز إلى عدم حل مشاكل الشريف إلا بالقوة، وإجابة لطلب أهل نجد في هذا الاجتماع الذي ثاروا فيه، وطلبوا أمراً لا مفر منه، أجابهم إلى طلبهم، ومن أراد أن يطاع فليسال ما يستطيع.

أما الشريف حسين فإنه بعدما قدم إلى مكة عائداً من عمان، أضاف إلى لقبه الكبيرين لقباً ثالثاً، فأصبح يلقب نفسه أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين وملك العرب، فאלله المستعان.

سنة الغرق في القصيم

وفيهما في رمضان في العشر الأواخر منه هطلت أمطار عظيمة على القصيم كادت أن تهلك الناس، وتلف بسببها أموال وضاعت أموال أخرجتها السيول من وسط المنازل، لما دخلت البيوت وجاء الوادي المسمى بالفاجرة من مجراه مع الخبيب الكاين في بريدة يمتد من الشمال إلى الجنوب، وكان هذا الوادي لا يجري إلا بتكاثر السيول وأنهارها، وقد أدركت ذلك وأنا في الثامنة من العمر، في حال الدراسة بعد صلاة الظهر على المؤدب، ومعني لوح من خشب، كتب فيه المؤدب آيات من أول سورة المعارج، فرأيت الماء يصب من السماء كهيئة العزالي أفواة القرب، وتعرف هذه السنة بسنة الغرق، في لغة العامة تأنيث الغرق، وقد رأى رجل من الصالحين في منامه قبيل الغرق، آتيا آتاه في النوم فتكلم سائلاً: أتكون الواقعة في الأموال، أم في الأرواح؟ فسمع مجيئاً له يقول: لا بل بالأموال، فكان كما ذكر.

وفيهما في ٢٥ من رمضان ولي الأمير مبارك بن مبيريك إمارة بريدة، وكان رجلاً حليماً سكيناً.

وفيهما وفاة الشاعر النبطي محمد بن عبد الله العوني وهذه ترجمته: هو شاعر الحرب والسياسة المهيج المتقلب ولد في بريدة.

وكان أبوه بناء ولم يكن من ذوي البيوت والشهرة، ولكنه نبغ بالشعر السياسي، فطارصيته، وسارت بأشعاره الركبان.

وقد نشأ في عهد حروب وفتن وتطاحن، وذلك في عهد حروب أبناء فيصل فيما بينهم حتى أضاعوا ملك آل سعود.

وكان محمد بن رشيد قد انتهز هذه الفرصة للإستيلاء على نجد، وكان القصيم هو محور الدائرة لتلك الحروب، ففيه واقعة المليداء والبكيرية ومئات من الوقائع، شهدها كلها العوني وشارك في كثير منها بشعره الذي له وقع السيف والمدفع، وكان الشعر في تلك الحروب يمثل دور الصحافة ويمتلك عنان الدعاية فيهتم له الأمراء المتحاربون.

ولما جرت واقعة المليداء جلى العوني مع من جلى من أهل القصيم إلى الكويت، وكان العوني مولعاً بآل مهنا فكان صديقاً لعبد العزيز بن عبد الله بن مهنا، وبعد قتله وفرار أخيه محمد بن عبد الله آل أبي الخليل وأهل بيته إلى الكويت من حبس ابن رشيد، اتخذته العوني صاحبه وكان ذلك قبل وقعة الطرفية، ثم لما جرت الطرفية وجلى رؤساء أهل القصيم إلى الكويت فراراً من ابن رشيد، اجتمع رجال عقيل واقترحوا على العوني أن ينظم قصيدة يثير بها ساكنهم، ويستجيش بها همهم، ليقوموا باسترجاع وطنهم بعد ما شتوا عنه، في دمشق والكويت، فأنشأ قصيدة سماها الخلوج، وهي الناقة التي فقدت ولدها فهي لا تهدأ من الحنين.

ولما أنشأها كعادته في التهيج، وقرئت عليهم بكوا، وصفوا تجارتهم وتجهزوا على حسابهم الخاص، وجعلوا يحاربون تحت راية ابن سعود إلى أن تم استرجاع القصيم كما قدمنا وما زال العوني متردداً بين سعدون وابن رشيد، وبعد سعدون ابنه عجيبي، ثم بقي عند ابن الرشيد في حائل، يثير الفتن حتى تم فتحها فطلب الأمان من ابن سعود فأمنه ورجع إلى الرياض، غير أنه لم يكف عن التهيج وإثارة الفتن، فقبض عليه ابن سعود، وأمر بزجه في السجن في الأحساء، فقال في ذلك السجن قصيدته التي كتوبة، وبعد ذلك توفي في هذه السنة وقصائده موجودة.

ثم دخلت سنة ١٣٤٣ هـ

في افتتاح هذه السنة زحفت جيوش نجد غرباً من الجنوب والشمال، ولكن

صاحب العظمة عبد العزيز أمر أولاً بغزو الشرق العربي قبل الزحف إلى الحجاز وهذا الغرض حربي، لأنها لم تكن هذه الغزوة بدون أسباب تبررها. قد تقدم البيان فيما كان بين حكومتي نجد وشرقي الأردن من النزاع المتواصل، وحجت الحكومة الأردنية استرجاع الجوف وقرى الملح، وإذا كانت جنود ابن سعود قد احتلت تلك القرى فما الداعي إذاً إلى تجاوزها إلى الحد وإلى الغزو فيقال: الداعي أن هناك تعديات وجرائم ذكرت في مطالب نجد في مؤتمر الكويت، فقد أغار ابن سليمان بن جازي من شيوخ الحويطات على قافلة من تجار نجد في طريقهم إلى الشام، فقتلوا ثمانية من رجالها، ونهبوا ما يزيد على سبعمائة بعير، وكذا تكررت الإغارات على أهل نجد من عربان الحويطات وبني صخر الذين كان الأمير عبد الله يقربهم منه ويحجز لهم العطايا فبلغت المنهوبات ألف بعير، وأربعين فرساً من الخيل ما عدا الأحمال التي تقدر بثمانين ألف ليرة عثمانية.

ولما أن طلب السلطان عبد العزيز أن تغرم قبيلة بني صخر بمئتي ألف ليرة ضماناً لسلامة التجارة والتجار بين نجد وسوريا، لم تكثرث الحكومة الأردنية لهذا الطلب، ولم تعره اهتماماً، وذلك احتقار للخصم، وعدم مبالاة بما يوغر الصدور، فعندها عمد السلطان إلى القوة.

ذكر غزوة البلقا وما جرى للإخوان حين وصلوا أبواب عمان

لما كان في أوائل محرم زحف الإخوان من أطراف وادي سرحان وعددهم يتراوح بين الألفين والثلاثة آلاف، فالتقوا في طريقهم بثلة من جنود شرق الأردن، عددهم مع رجال الحملة خمسة وعشرون، وهم سائرون إلى القصر الأزرق، فيحملون المؤن والذخير، إلى الحامية فيه، فذبحوهم إلا واحداً وغنموا الحملة كلها، ثم تقدوا غرباً، فهجموا على الطنيب وأم العمد والقسطل ويادودة، وكادوا بعد أن اجتاز فريق منهم سكة الحديد، أن يصلوا العاصمة أولئك الإخوان^(١) وربك لا يعرفون نظاماً، ولا يخافون دولة، ولا يهابون موتاً، وما كان إلا أن أذن لهم في الغزو، فطاروا مجاهدين، فليسوا بأهمية من سطوة شريف ولا ضيع، فلما حصل

(١) قوله الإخوان إذا أطلق هذا اللفظ فالمراد به البدو المتطوعون المتدينون يعصبون رؤسهم بالعمائم الكبار فوق الشماغ ويقومون يقتلون ولا يخافون من أحد كائن من كان.

هذا الإقدام، وهذه الجراءة كان الأمير عبد الله يومئذ متغيباً، فعندها صدرت أوامر الحكومة بالدفاع، فبادر العربان وفي مقدمتهم الصخور والحويطات إلى محاربتهم، فاشتبكوا في معركة دامية، واستمروا بضع ساعات، وكان بيك باشا القائد الإنكليزي للجند النظامي قد أرسل الطيارات، والسيارات المدرعة على الإخوان، فحلقت الطيارات فوق العربان المتلاحمين، وشرعت ترميهم كلهم بالقذائف، كما أن السيارات أطلقت عليهم جزافاً مدافعها الرشاشة، كأي بولتك الإنكليزي يقولون من أين لنا أن نعرف النجدي من الأردني، والعرب في القيافة لا يفرقون بعضهم عن بعض، نعم كلهم عرب أغمض عينيك يا ابن جانبول، واضرب فكانت القنلى بين الفريقين قبل مجيء الطيارات والسيارات لنحوا من مائة رجل، فلما رعدت الطيارات والسيارات، وألقت قنابلها على المتلاحمين، انفصلت هذه الواقعة عن أربعمائة قتيل من الإخوان وعربان عمان، واختلط الحابل بالنابل، وكان بعض الأسرى من الإخوان، يحملون علباً من التنك الإنكليزي الصنع، فيها لحم مقدد، حتى قال بعض أهل المعرفة من تلك الناحية: من ينكر بعد ذلك أن الإنكليز يساعدون ابن سعود هذا لحمهم المقدد يأكله الإخوان، وكان هذا اللحم من الحملة التي غنمها الإخوان في طريقهم، نعم إنه لحم من لحم الإنكليز ومن بلاد الإنكليز، ولولا القوة الهائلة التي كانت تديرها الأيدي الإنكليزية، لانتكسح النجديون الشرق العربي، ولرفعوا العلم السعودي فوق ربي عمان.

أما الأمير عبد الله فبعدما عاد إلى عاصمته شكر الإنكليز التي لا تزال إلا تكلى بعينها الزرقاء البيت الهاشمي، وأما سيد هذا البيت الأكبر الملك حسين فقد كان في قصره بمكة متوسداً وسادة الخلافة، مطمئناً واثقاً بما تضمه الأيام، ويدبج المقالات لجريدة القبلة، نحن نشكر كمالات حكومة بريطانيا العظمى على ما أظهرته من الحمية في الشرق العربي، ولكننا مع ذلك لا نتنازل عن حق من حقوقنا، إن سورية جزء من البلاد العربية وإن فلسطين للعرب، ولا نوقع معاهدة فيها، ما ينفي هذا القول بل هذا الحق، ومن أعرف من بالبدو وبالمدينة قنبلة من مدفع تبدهم، وطيارة واحدة تشتت شملهم، والبرهان في الشرق العربي، وكان يفكر في تعزيز ملكه في الشرق الأوسط أيضاً، فعين وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيراً للحجاز في طهران.

قلت يا عجباً لأمر الشريف، ومبلغ عقله، حيث يغوص في هذه البحار العميقة، وتحذته أمنيته إلى هذه الغاية، وأغفل إرادة الله، وأمره الغالب لكل مغالب وسطوة، من لا يفوته شارد ولا هارب، فلو علم ما حبلت به الأيام والليالي من العجائب لكان له غير هذه الحالة، ومن عاش فسوف يرى.

وبينما هو كان يحلم بسيادة أعظم من السيادة العربية، بسيادة شاملة إسلامية، جالساً على فراش الملك، والخلافة والنصر رافعاً يده بزعمه على العرب بالقهر، إذا بالإخوان يدبرون الأمر، في غزوة بعقر داره وأخذ الحجاز منه، ومما هو جدير بالذكر أن الشريف لم يحسب لهم حساباً ولم يجر في خلدته ذلك.

ذكر فتح الطائف سنة ١٣٤٣هـ

لما رجع الإخوان من غزو الشمال زحفوا إلى الطائف يقودهم القائد سلطان بن مجاد بن حميد، والشريف خالد بن منصور بن لؤي أمير الخرمة، بجيش من الإخوان مؤلف من خمسة عشر راية من رايات الغطط، والخرمة، وتربة، ورنية، وعتيبة، وقحطان، وبني تميم، فانضم إليهم بعدئذ من أشراف الحجاز وعربانة، كالحرث، وبني ثقيف، عدد لا يبلغ هو والجيش أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل، وكان مركز الاجتماع في تربة، فزحف هذا الجيش بأجمعه، وما كان قد علم بزحفه أحد في مكة أو في الطائف بل لم تشعر الحكومة بهجومهم قبل أن يصلوا إلى قرية الحوية التي تبعد عن الطائف بضعة أميال.

فلما أن وصلت سراياهم الحوية في غرة صفر، استيقظت الحكومة عند ذلك، فأصدر ناظر الحربية الهاشمية أمير اللواء صبري باشا أوامره إلى جنود النظام بالدفاع، فخرجوا من الطائف وهم نحو أربعمائة ومعهم بعض المدافع الجبلية والرشاشة وقصدوا الحوية، ليصدوا الإخوان فاستعرت بينهم وبين سرايا الجيش هناك معركة دامت بضع ساعات كانت الغلبة فيها للإخوان، فتقهقر النظاميون إلى جهة الطائف، وانضم إليهم جند من البدو فربطوا معهم في الهضاب الغربية من

البلد إلى الشمال، ووقفوا ثانية لسرايا الجيش الزاحف، وشرعوا يطلقون عليهم المدافع، فاستمروا في مناوشتهم دون أن يتمكنوا من ردهم ثلاثة أيام، كما أنه انضم قسم من البدو والذين كانوا في المراكز الأمامية الإخوان وسلم الباقون. أما الجنود النظامية فبعدما ولو الأدبار، وتحصنوا في الهضاب للدفاع، لم يتمكنوا من شيء، ولم يحصلوا على طائل، وما حسبوا لهذه الجراءة حساباً، بل كانت حكومة الحسين تظن نفسها قادرة على إخضاع كل أمير عربي لسيطرتها. فلما أن وصلت أخبار الهزيمة إلى مكة، أمر الملك حسين نجله علياً بإيجاد جيش المدافع، فجاء الأمير مسرعاً بسرية من الخيالة وأخرى من الهجانة.

أما النجدة التي مشت في طريق السيل فلم تصل إلا بعد سقوط الطائف، فوصل الأمير علي يوم الخميس الموافق ٦ صفر، فدخل الطائف ليلاً، وخرج منها في عصر ذلك اليوم، ليعسكر بالهدي الذي هو على مسافة أربع ساعات من الطائف، وكان الجيش النجدي يزداد قوة وعدداً، فاضطرت الجنود النظامية أن يتقهقروا إلى مدينة الطائف في صباح يوم الجمعة، فتقدم الإخوان وصار رصاصهم قرب الظهر يسقط داخل السور، فاستولى الذعر والخوف على الأهالي، وكان الأشراف في مقدمة الهاربين فقد خرج آخر ذلك اليوم أمير الطائف الشريف شرف عدنان، ووزير الحربية وجنوده النظاميون، وسائر الأمراء والموظفين من الطائف، لأنهم رأوا كما قيل: أنه خير لسلامتها ولسهولة استردادها فلحقوا بالأمير علي.

فلما شرد الأشراف وتشتت الجيش في الساعة الثانية ليلاً من ثامنة صفر، دخل الإخوان مدينة الطائف في غسق الدجا كالسيل الجارف وهم يكبرون ويعتزون ويطلقون بنادقهم في الفضاء، ثم طفقوا يطلقونها في الأسواق وهم يطوفون في المدينة، فقتلوا عدداً من الأثرياء الذين لم يسارعوا مثل غيرهم من الأهالي إلى بيوتهم مستأمنين.

وكان قد تخلف في مدينة الطائف جماعات من عرب الحجاز من التطويق والتمور والعقوم وغيرهم، ناهيك بمن دخل مع الجيش من البدو والذين جل

قصدهم النهب والسلب، فاختلطت هذه الجموع في ظلمات الليل، وكانت ساعة هول مزعج، وشرع العربان والبدو يطوقون الأبواب ويكسرونها ويدخلون البيوت إما قهراً وإما بعد أن يؤمنوا أصحابها، ثم يعملون فيها أيدي النهب والسلب، وكانوا يقتلون في سبيل السلب من يتعرض لهم ولكنهم لم يقتلوا من النساء سوى امرأة واحدة، ولا كانوا يتعرضون لمن إلا إذا أُبَيِّنَ أن يدللهم على الكنوز والسلاح.

وكان لهذا الحادث أعني كسر البيوت والسلب ألم في نفس السلطان عبدالعزيز، وحين بلغه ذلك أمر بتأليف لجنة لتقرير الخسائر والتعويض على المنكوبين من الأهالي من الهنود والجاويين وغيرهم، ودفع عشرة آلاف ليرة من التعويضات، وأقامت اللجنة مدة من الزمان تواصل عملها، ولكن ذلك له مسوغ:

أولاً: يعلم أن الحروب لاشك عمياء، ولا بد لها من ضحايا خصوصاً، إذا دخل الهاجمون ليلاً.

ثانياً: تسبب بعض الأهالي لذلك لأنهم جعلوا يطلقون على الإخوان البنادق من شبابيك البيوت ونوافذها، فحملهم على أن دخلوا البيوت عنوة وفتكوا برجالها، وإنما ذكرنا ذلك لأن دعاة البيت الهاشمي اتخذوا حادثة الطائف آلة للتشهير بعدوهم، واخذوا يصفون فظائعها وأهوالها، حتى بالغت الدعاة بأن الوهابيين شقوا بطون النساء وأخرجوا أولادهن، وكل هذا كذب لا أصل له، ولو كان أمراء الجيش حاضرين لما وقع شيء من الضرر، وشاهد على ذلك فتح حائل فقد كانت أقرب إلى أن تخرب وتقتل رجالها، لما هناك من الضغائن القديمة فراجعه هل وقع شيء من التدمير والشراسة، بل غمرهم الفاتح بعطفه وإحسانه، وقسم عليهم الثياب والأرزاق، فقبح الله دعاة السوء ما أمقتهم وأرذلهم وأكذبهم.

ذكر أعيان المقتولين في هذه الحرب العمياء

كان منهم مفتي الشافعية الزواوي، وقد قيل أنه قتل بقنبلة من مدافع الأشراف،

وقتل أيضاً في هذه الواقعة أبناء الشيبى السادتين للكعبة حسن بن عبد القادر بن علي، وجعفر بن عبد الرحمن بن عبد الله.

أما الشيخ عبد القادر الشيبى سادن الكعبة فقد نجا من الإخوان بحيلة ظريفة وذلك أنه لما وقع بين أيديهم بكى وجعلت دموعه تساقط على الأرض، فسأله أحدهم وقد سل السيف فوق عنقه قائلاً له: ليش تبكي يا كافر؟ فأجابه الشيخ يقول أبكي والله من شدة الفرح أبكي يا إخوان لأنني قضيت حياتي كلها في الشرك بالله والكفر ولم يشأ الله أن أموت إلا مؤمناً موحداً الله أكبر لا إله إلا الله فالتحدعوا لذلك، وبكوا لبكائه ثم طفقوا يقبلونه ويهتئون بالإسلام، وبذلك تعرف حسن نيتهم وأنهم يطلبون إعلاء كلمة الله لا غير.

وبما أنه انضم إلى الجيش النجدي فريق من عرب الحجاز وأشرافه نفرة من الحسين، وابتغاء لسقوطه، كذلك كان أشراف الحرس في مقدمة الثائرين وتبع الجيش النجدي فئات من الجيش الهاشمي، فاستولى الإخوان على بلاد الطائف، فقد كان مع هذه الأمور متكتناً على أمانيه، ولم يثبت عزمه ولا حوله ذلك مقدار ذرة عن مقصده، ولما وصل الأشراف هارين ومن معهم بالأمير علي بن الحسن إلى عرفات، علم الملك حسين وغضب غضبة مضرية، وشرع يعد العدة لإعادة الكرة على الإخوان، ولاسترجاع الطائف بزعمه، وما علم أن منال الثريا دون منالها، والتدرع بالأكفان دون التدرع بثوب احتلالها، وعناق القنا دون عناقها، والأخذ بساق الأسد دون الأخذ بساقها، فهيئات وهيئات وأين الثريا من يد الملتمس والأمانى راس مال المفلس.

قام الحسين وجمع شتات الجند وجمع ما استطاع من البدو، وجرّد نهضة جديدة مؤلفة من ٥٠٠ من النظام و٩٠٠ من قبائل الحجاز المواليين من هذيل وقريش وبني سفيان و٢٠٠ من أهل مكة، ثم أمر علياً على الجميع وأمره بالرجوع إلى ساحة الحرب فمشى الأمير علي بن الحسين على رأس هذا الجيش الذي بلغ عدده ألف وثلثمائة وقصد الهدي، وكان الإخوان قد علموا بزحفه وانتبهوا لذلك فحمل منهم

ألفان على الجيش الهاشمي، واشتبكوا وإياهم في ٢٦ من شهر صفر، في معركة استمرت من نصف الليل إلى الساعة العاشرة صباحاً.

وكان القائد علي يدبر جيشه وهو في قصر يبعد عن ساحة القتال بألف وخمسمائة متر في هذا الهاتف يصله بوسطة مركز الارتباط في سفح جبل كرا بقصر جلالة والده الحسين، فكانت الأنباء تأتي وتذهب مراجعة وتكليما بالتليفون إلى الديوان الهاشمي مثل هجم المتدنية علينا فرددناهم خاسرين ومثل أعاد المتدنية الكرة فأمطرتهم مدافعنا وإبلاً من الرصاص فعادوا مدحورين.

فلما كان في الثالثة من الهجمات هجم سلطان الدين بإناس من الإخوان فضربوا الجبهة ضربة ثلثها، وكان في وسطها سرية من الفرسان من عرب عتية فتقهقر فدخل الإخوان من تلك الثلة، وأول من انهزم من بدو الحجاز هذيل وسفيان، ثم أهل مكة ثم جنود النظام، وفي هذه الساعة عند صلاة الفجر سككت بنادق الإخوان ففرح موظف الهاتف وهتف يخاطب ضابط الارتباط في الكر بسفح جبل كرا وهذا يخاطب الديوان الهاشمي بمكة انهزم المتدنية سككت بنادقهم وما علموا أنهم يصلون الفجر.

ذكر واقعة الهدى

لما فرغ الإخوان من صلاة الفجر، عادوا مستبسلين فتقهقر الأمير علي بشرذمة من الجيش إلى الكرى، وعند وصوله إلى سفح الجبل في الساعة الثامنة صباحاً من بعد نصف الليل، أمره والده الحسين بالهاتف أن يرجع إلى الهدى وأكد عليه الطاعة ولو ذبحت، قال هذا وعاد ورجاله كارين، فما كادوا يصلون إلى منتصف الطريق حتى انهال عليهم رصاص الإخوان كال مطر، وكان ضابط الارتباط في الكرى، وقد لحقهم بنجاب يقول فانقطع التليفون بيننا وبين الهدى ففقل الأمير ورجاله راجعين، وتوقفت الإخوان بعد هذا النصر في الهدى فلم يتعقبوا فلول الجيش الهاشمي ولا هاجموا مكة يومئذ اجتنابا للقتال في الحرم.

وقد قال الشيخ حمود بن حسين الشغدلي قاضي مدينة حائل في الوقت الحاضر
يهنيء الإمام الأعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بفتح الطائف له على يد
الإخوان في هذه السنة:

له الحمد مولانا إله البرية
له الحمد إذ أردى حسيناً وجنده
فما بين مقتول وما بين شارد
بأيدي ذوي التوحيد من شع ذكرهم
ومن بذلوا لله صدقاً نفوسهم
وهم جند من فاق الجنود شهامة
إمام الهدي عبد العزيز بن فيصل
فأثاره في العالمين شهيرة
أطال لنا رب العباد بقاءه
ومن بعد أن ألقى البشير مبشراً
وضبطه تلك الحصون بطائف
وشق أسماع المحبين ذكره
تبدي لنا أن نحمد الله جهرة
فهناك يا شمس البلاد وبدرها
فلا زلت تسمو إلى المعالي والعلی
ولا زال تأييد الإله قرينكم
وشكرالذي أعطى المنى وكفى الردی
فكن مولعاً في شكره متذلاً
وعنوانه والحمد لله ظاهر
ولكنما نشكر المولى عند فضله
على أننا نرجو الكريم بلطفه

كما ينبغي لله في كل حالة
وحل به من بطشه شر نقمة
وما بين ما سور بقهر وذلة
أولئك إخوان الصفا والمودة
فأعظم به بذلاً وأكرم بخصلة
وعلماً وعدلاً مع سخاء وخشية
مذيق العدى كاسات سم المنية
ويحمدها أهل النهى والبصيرة
يعيش زمائناً في حبور وغبطة
بذل الأعادي وانتصار الأحبة
على رغم أصحاب الخنا والشقاوة
وسيرته لأهل التقى في الحقيقة
مهنين للوالي بإدارك منية
بلوغ المنى من كل باغ لفتنة
تؤيد منهج التقى والهداية
ولا زلت ملحوظاً بعين العناية
هو القيد للنعماء واصل الرايدة
لسلطانه فالعز في ذا المذلّة
وتذكركم لا عن جفاء وغفلة
لا مفر شيء لا يوافي بنعمة
لام القرى تسليماً بسهولة

ويعلمو بها أمر الإله وشرعه
وتبدو بها لله يومًا رؤسنا
وتعلمو لمرضاة الإله وجوهنا
نعظم فيها البيت والحرم الذي
فلاجل ذا مال الجنود لغيرة
وما ذاك من خوف الحسين وآله
ولكنه خوف من الله وحده
ويارب فاقطع من يروم جناية
وأزكى صلاة مع سلام على الذي
كذا للال والأصحاب ما قال قائل
وتدرس من أرجائها كل بدعة
ملين للمولى بحج وعمرة
مهلين في ليك من كل وجهة
بتحريمه أي الكتاب تجلبت
فإهراضهم عن ذا لعلم وخبرة
ولا من بها من ذي جفاء وغفلة
لتحريمه أرجاء بيت بمكة
تدس على الإسلام أدنى دسيئة
به كان ختم الرسل خير البرية
لك الحمد مولانا إله البرية

ولما أن دارت الدائرة على الأمير على مرة ثانية، وفر تاركا وراءه بعض القتلى والجرحى خلفا أجود مدافعه وسلاحه بعد أن خانته جنده وأنصاره وذلك لما رأى أقدام الإخوان والنيران مستعرة نجي بمن معه من الجنود، كما فعل في وقعة الطائف، حين أراد الأهالي الخروج منه لما رأوا قرب الخطر، فمنعهم وطمانهم وأبدى أن لا يخرج كل الأهالي ويكون آخر من يخرج، ثم أنه فر كفعله الأول تاركا وراءه بعضا من قومه، وجميع الأهالي المساكين الذين لم يعلموا بخروجه إلا بعد ما رأوا الأيادي تلعب بهم والرؤوس تتساقط .

ذكر خلع الحسين بن علي

لما جرت واقعة الهدى وانهزم جيشه، جعل يظهر الشجاعة، ويضرم نيرانها، واستبسل لمن بقي من جيشه، ويمد حبال الأمل، ويظن أنه قادر على إخراج المدينة وابن سعود من الطائف بل من الحجاز متى شاء، وقد طالما قال ابن سعود من الدرجة الخامسة بين أمراء العرب؛ فقال أحد رجال الديوان لما رأى من أفعال الجنود السعودية بفتكهم في الديار الحجازية يا مولاي، ومعنى الدرجة الخامسة يا مولانا هو أن ابن سعود صاعد إلينا ولم يبق بينه وبيننا غير خمس درجات أو خمس ساعات أو خمسة أيام إنما النتيجة واحدة، فقد جاء يوم الحجاز وهو المقدمة ليوم ابن سعود .

وفي نفس الوقت نشرت الصحف برقية من مكة، أن الوهابيين استولوا على الطائف، وبقروا البطون، وقتلوا الشيوخ، وسلبوا الأموال، فاستعبد المعتمد في مصر، وكان أنذاك في حل مشكلة بين الحسين والحكومة المصرية، وهم بتكذيب الخبر لأنه لم يتلق خبرا رسميا به، ولكنه رأى أن يبرق إلى الحسين مستطلعا حقيقة الأمر، فتلقى منه برقية في ٢٧ صفر قال فيه معتمد مصر نعم هو كذلك لا تكن يا عبد الملك ممن يقعقع له بالشنان، تقدم جيشنا للهدى ستسمع ما يسرك - حسين.

ولما انهزم علي في موقعة الهدى وفر إلى بازان في أعلي مكة؛ بعث الحسين إلى معتمده برقية بتاريخ ٢٩ صفر وهذا نصها:

رحنا يا عبد الملك، تراجع جيشنا إلى بازان، قابل المندوب السامي الإنكليزي وبلغه أننا نعتبر إعتداء ابن سعود علينا هو من جانب الإنكليز، وأني سأتولى الدفاع بنفسي عن مكة ولو حول جدار الكعبة، وأحملهم مسؤولية ذلك أمام العالم الإسلامي؛ ولقد بالغ المندوب عندما قابله المعتمد بأنه لا دخل لبريطانيا في الأمر، وتنصل من كل تلك الحوادث، وأنه كان بودها أن تسوي ما بين البلدين من خلاف فأبى قبل ذلك الحسين، وليس لها الآن شأن في الموضوع، فأبلغه المعتمد ذلك فاعتبر الحسين ذلك شماتة من الإنكليز وأجاب بقوله الله المستعان، وصمم على القتال حتى النفس الأخير.

ولما رأى أهل الحجاز تصميم الحسين على مقاتلة الوهابيين في شوارع مكة حول جدار الكعبة، تملك عليهم الذعر، وأخذوا يهربون إلى جدة ومصر وسوريا ومصوع وغيرها طلبا للنجاة وفرارا من الخطر الذي أحاط بهم حتى لم يبق في مكة أحد من ذوي اليسار، وإرتفعت أجور النقل فقام أولوا الحل والعقد يفكرون في الطريقة التي يعالجون بها الموقف.

ولما كان بعد ستة أيام، كان الحسين في أثنائها يفكر أن هذا الإقدام من الوهابيين على الحجاز بإيعاز من الإنكليز لمجرد إرهابه والتأثير عليه، ليتخلص في بعض مقررات النهضة، وبغض الطرف عن وعد بلفور أيد له هذه الفكرة، توقف

الوهابيين عن استمرار الزحف إلى مكة إذا به يتلقى في ٤ ربيع الأول هذه البرقية التي أرسلها إليه الأشراف والعلماء والرؤساء بأجمعهم وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة، بما أن الشعب الحجازي بأجمعه واقع الآن في الفوضى العامة بعد فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الأرواح والأموال، وبما أن الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد، مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة، وبما أن الحجاز بلد مقدس يعني أمره جميع المسلمين لذلك قررت الأمة نهائياً تنازل الشريف وتنصيب ابنه الشريف على ملكا على الحجاز فقط مقيداً بدستور ومجلسين وطنيين على شريطة أن ينزل على رأي المسلمين وأهل الحجاز في تحقيق أمالهم ورغباتهم، فنرجو التكرم بتنفيذ هذه الرغبة لتضيفوا هذه المكرمة إلى سابق خدماتكم للإسلام والأمة مولاي، ثم وقع على هذه البرقية مائة وأربعون من الأعيان والكبراء، وأرسلت هذه البرقية بعد الظهر من اليوم المذكور، فدعا بابنه علي وأخذ رأيه في الموضوع، ثم أمر برئيس ديوانه فحضروا وأملى عليه في الحال برقية جواباً للأمة وهي هذه.

مكة ٥٤٠ نوفمبر ٥/٤/٣ الساعة ٣ ليلاً عدد ٦٨ بواسطة قائم مقام جدة إلى الهيئة الموقرة مع الممنونية والشكر هذا أساس رغبتنا التي أصرح بها منذ النهضة وإلى تاريخه، وقد صرحت قبله بوضع دقائق إني مستعد لذلك بكل ارتياح إذا عيتتم غير علي، وإني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح، الإمضاء حسين؛ بعث بهذه البرقية ولكنه لم يرض المجلس بهذا الجواب، وبينما هو كذلك إذا بجرس التيلفون يقرع وإذا بالمتحدث رئيس بلدية جدة سليمان قابل أحد الموقعين يردد طلب التنازل فكبر على الحسين أن يجرؤ على مخاطبته بهذا الأمر، وانتهره قائلاً أنت موظف من قبلي فلا تخاطبني بهذا الشأن، ووضع السماعة والدم يغلي في عروقه وإذا بالجرس يدق ثانياً يكلمه الشيخ محمد نصيف في التنازل عن العرش أيضاً فأجابه أنه من رجال حكومتي فلا أسمع لك بمخاطبتي في هذا الأمر.

وما كاد يلقي السماعة حتى دق الجرس فوضع السماعة على أذنه وقال

من؟ فأجابه المتحدث بلهجة صارمة: أنا سكرتير الحزب الوطني الحجازي، وهذا هو طاهر الدباغ. أجابه الحسين ماذا تريد؟ فأجابه الدباغ: مولاي بناء على المركز الحرج الذي وصلت إليه البلاد، قررت الأمة طلب تنازل جلالتك لسمو الأمير علي، فقاطعه الحسين أنا وابني واحد، وإذا كنت أنا قد صرت عندكم بطلاً فلا بأس، ولكني لا أفهم ما القصد من هذا أنا لا يهمني أمر الملك في أي شخص كان ولكني لا أتنازل لولدي علي أبداً، لأنني إذا كنت أنا بطل فولدي بطل، الدباغ يجيب: كلا يا مولاي لا ننسب لجلالتكم شيئاً من ذلك، وإنما نريد أن نسلك سياسة غير السياسة التي سرتم عليها عسى أن تتمكن من تخليص البلاد من مأزقها الحرج، والأمة قد اجتمعت على طلب ذلك من جلالتك، وأرجو إجابة رغبتها، أجاب الحسين: يا ابني لكم أن تفعلوا ما تشاؤون، أما أنا فلا أتنازل لولدي علي أبداً، عندكم الشريف علي أمير مكة السابق، وأخي ناصر، وعندكم خديوي مصر عباس حلمي، وعندكم الأشراف كثيرون، اختاروا أي واحد تشاؤون، وأنا مستعد للتنازل له.

أما ولدي علي فلا يمكن لأنني أنا وهو شيء واحد خيره وشره عائد لي، أجابه الدباغ: مولاي إن الأمة التي قد سهرتم على مصالحها وحرصتم على إرضائها، هي التي اختارت الأمير علي، فنرجو من جلالتك الموافقة. أجاب الحسين: لا يمكن قطعياً، انظروا غير ابني وأنا مستعد، أجابه الدباغ: يقول سأخبر الهيئة ثم نعلم جلالتك.

ولما بلغ الهيئة كانت هذه الهيئة ذاك النهار والليل في مناقشاتهما، واجتماع رأيها، وسرعة تقاريرها، وامضاء عزمها آية من أعجب ما دون في تاريخ الشرق حتى أنها أقفلت أبواب مدينة جدة أثناء هذه المفاوضات، ليبقى الأمير علي فيها ويقبل البيعة.

ثم بعد المحادثة بالهاتف، أرسلت الأمة البرقية التالية، وفيها البلاغ النهائي والتهديد «صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة الحالة حرجة جداً، وليس الوقت وقت مفاوضات، فإذا كنتم لا تتنازلون للأمير علي، فنسترحم بلسان الإنسانية أن

تتنازلوا جلالتكم، لتمكن الأمة من تشكيل حكومة مؤقتة وإذا تأخرتم عن إجابة هذا الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم».

فما صدرت هذه النكتة تحول بعد مراجعتها في الهاتف عن رأيه وفكرته الأولى لما رأى الإمضاء تحتها، الحزب الوطني الحجازي، لم يربدا من الجواب في هذه البرقية.

مكة في ٤ ربيع الأول الساعة ٤ ليلاً، لا بأس قد قبلنا التنازل بكل ارتياح إذ ليس لنا رغبة إلا في سكينه البلاد وراحتها وسعادتها، فالآن عينوا لنا مأمورين من هنا يستلمون البلاد بكل سرعة ونحن نتوجه في الحال، إذا تأخرتم ووقع حادث فأنتم المسؤولون، والأشراف عندكم كثير، أرسلوا واحدا منهم أو من سواهم، علاوة على هذا إذا قبل منكم على الأمر عينوه رأسا الحسين.

ثم أبرق إلى معتمده بمصر، يقول: أن أصحابك يعني الإنكليز لم يرضهم أن على الملك ورغبوا في تعيين ابننا علي، فلا بأس، اعتمدوا ما يأتيكم منه حسين. وما كادت الأمة تتلقى تنازله حتى بعثت إليه هذه البرقية، في ٣/٥ صاحب الشرف الأسمى الشريف حسين المعظم برقيتكم رقم ١٧ بحمد الله، ومساعي مولاي، قد تمت البيعة لجلالة لجلتكم المعظم، وقد فاوض جلالته من يلزم في استلام البلاد، وإدارة شئونها فالمنتظر من مولاي مبارحتها بكل احترام تهدئة للأحوال.

وكتب الحزب الوطني هذا الخطاب الآتي: إلى حضرت صاحب الجلالة الملك علي بن الحسين المعظم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد بناء على طلب لأمة قد تنازل جلالته والدمكم بموجب البرقية رقم ١٩ المؤرخة في ٤ ربيع الأول، وقد قررت الأمة نهائيا البيعة لجلالتكم مالكا دسورياً على الحجز فقط، وأن يكون للبلد مجلس نيابي وطني وقانون أساسي، تضعه جمعية تأسيسية، كما هو جاري في الأمم المتقدمة، وبما أن الوقت ضيق يضيق الآن دون تأسيس المجلس النيابي الوطني، فقد قررت الأمة أن تشكل هيئة لمراقبة أعمال الحكومة، وإنا نبايعكم على ذلك وعلى كتاب الله وسنة رسوله.

وقد وقع على هذا الخطاب جمع من الحاضرين، بصفتهم أعضاء الحزب الوطني الذي تقرر فيما بينهم وحمله إلى علي، وكان إذ ذاك في جدة وأكدوا لجلالته البيعة بأنفسهم، ولقد تلقى الناس خبر التنازل والبيعة بكل تحفظ، ولم يصدقوا بأنها حقيقة واقعة، وذهب الكثير منهم إلى أن هذه السياسة مدبرة من الحسين إذ أنه لا يزال في قصره محتفظا بكل مظاهر العظمة، إلا أن المهرج والمرج قد عمّ البلاد، وحتى أن من يحمل الغيظ والحقد على الحسين أرادوا أن يعتدوا على قصره، وينكلوا به، لما هناك من البغض الدفين، فخاف الحسين، وأبرق من الغد / ٥ / ٣ برقية إلى رئيس الحزب الوطني الحجازي: يقول فيها أن الفوضى الذي ذكرتموها وقعت بداعي إشهاركم رغبة التنازل وأني لا أقبل أية مسؤولية تقع إذا لم تسرعوا اليوم، في تعيين من يتولى الأمر، لأتوجه في الحال إلى الجهة التي يختارها الباري على طريق جده، وهذا ليس هربا من أي شيء تتصورونه كلا، ثم قل كلا بل لثلا تتضاعف التصورات والظنون بنا.

ثم أنه توجه الملك علي ابن الحسين إلى مكة بعد المبايعة بيوم وبقي الحزب يفعل ما شاء من النقض والإبرام، واجتمع الملك الجديد بوالده بمكة، مرات على حساب الأمة واتفقا على وضع برنامج سيسيران عليه، غير أنه ما شيع والده ولا سار معه عند ذهابه.

ولما كان بعد أربعة أيام من قدوم علي وصلت القافلة الحاملة أمتعة الحسين إلى جدة، وفيها عشرون جملا تحمل أربعين صفحة من صفائح البترول مملوءة ذهباً، وقد قدرت على التحقيق بمائة وستين ألف ليرة، وأقام الحسين أياما في جدة، أبى أن يقابل أحدا من الناس، فأثمرت هذه العزلة بلاغا أرسله إلى فخامة رئيس وكلاء الحكومة العربية الهاشمية، وفيه يحتاج على الحكومة الدستورية، ويعدد طغاوي ابن سعود، ومطامع الإمام يحيى صاحب اليمن.

وقال في بلاغه أما الحكومة الدستورية سيما في الحرمين الشريفين، فالعمل فيهما ينبذ أحكام كتاب الله وسنة رسوله، وأن العمل في البلاد المقدسة بالقوانين البشرية مما تأباه شعائر الإسلام وفرائض الدين والأخلاق الشريفة مادة ومعنى؛ ثم

قال الشريف محتجا على سلطة الحجاز بالحجاز، لو لم يكن في هذا التحديد إلا تأملنا ما في مساعي الحضرة السعودية من الاستيلاء على حائل قاعدة إمارة الرشيد والجوف مقر الشعلان، وتشبته في ضبط الكويت، وتعرضه في عسير لإمارة آل عائض بل تجاوزه على مكة المكرمة ومساعي إمام صنعاء لضم بلاد حاشد وتهامة الشوافع وحضرة الإدريسي على الحديدة وما حولها ثم قطع جواب الشرط على عادته ثم قال: وعليه بلغوا الهيئة الموقرة احتجاجي القطعي أولا: على تحديد نفوذ الحجاز، ثانيا: على ما فيه إبدال العمل بكتاب الله، ولذا فلاني أحتفظ بحقوق اعتراضى وإنكاري بالمادة والمعنى بكل ما ذكر، تحرر في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٣.

أعمال الحزب الوطني وتدابيره

كانت مهمة هذا الحزب لثلاثة أمور:

أولا: السعي بكل الوسائل لحفظ البلاد من الكارثة الساحقة المحدقة.
ثانيا: المحافظة على جعل البلاد سالمة من كل شوائب الدسائس والنفوذ الأجنبي.

ثالثا: النزول على ما يرتيه العالم الإسلامي لمصلحة البلاد والعباد وكيفية إدارة البلاد.

ثم أقسم أعضاء الهيئة الإدارية للحزب اليمني الآتي: أشهد الله وملائكته وأقسم بالله الكريم، أن أكون مخلصا للوطن، وأن أدافع عن كل فرد من أفراد الحزب كدفاعي عن نفسي، وإنني أعاهد الله على ذلك، والله على ما أقول شهيد.
أما تأسيس هذا الحزب الوطني الحجازي فإنه لما تنازل الحسين وخلق الجو من تعكيراته، اجتمعت أعيان الأمة في دار الشيخ «محمد نصيف» بجدة ل ينتخبوا حزبا يمثلهم، وهذا قبل قبول علي للملكية، فانتخب اثني عشر شخصا يرأسهم، محمد طويا ناظر الجمارك، وبعده محمد طاهر الدباغ، سليمان قابل، قاسم زينل، عبد الله رضا، محمد نصيف، صالح شطا، محمد صالح نصيف، عبد الرؤوف الصبان، محمود شلهوب، شرف بن راجح، علي سلامة، ماجد كردي، وجعلوا طاهر الدباغ سكرتيرا للحزب، وعينوا لهذه الهيئة كاتباً محمد با جبير.

وكانت الأمة قبل ذلك لما رأت امتناع الحسين وعدم قبوله أن يكون ابنه الملك، أسست الحزب ولم يدر الحزب إلا ورئيسه محمد طويل الذي كلم الحزب بالتليفون بأن الأمير عليا قبل الملك، فأجابه الحزب بأن المسألة قد تمت ولا هنا لزوم لعلي ولا خلافه، وأن الحزب يكفي لإدارة الأمور إلى حين انتهاء الحال.

فلم يرض الطويل ولم يقبل إلزامهم بالبيعة لعلي، ثم انه أقسم بقية الأفراد للهيئة الإدارية، نعاهد الحزب الحجازي الوطني معاهدة طوع وإيثار وإخلاص من طويتنا، وصدق نيتنا، طائعين غير مكرهين، ونحلف بالله وعظيم آياته أن نكون طائعين للحزب في كل ما ينفع الأمة وأن نحفظ أسرارهم، ونكون له عينا على كل أعداءه، نعادي من عاداه، ونوالي من والاه، علينا بهذا العهد عهد الله؛ إن عهد الله كان مستولا، وما أخذه الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام، وعلى من أخذ من عباده موثيق ومحكمات عهوده أن نتمسك بهذا العهد، وأن نستقيم ولا نغيل، وإن نكثنا هذا العهد أو بدلنا شرطا من شروطه معلنين أو مسرين أو محتالين أو متاولين، خذلنا الله يوم نحتاج إليه وبرأنا من حوله وقوته وألجئنا إلى حولنا وقوتنا، والله عز وجل بذلك شهيد وكفى بالله شهيدا ليلة الإثنين ٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣.

فقام رئيس الحزب محمد طويل ولبس عقالا ذهبيا (شطفه) وانتفخت أشداقه، وصعر خده يبخلق عينيه، ويرخي ويزبد على كرسية ينكت الأرض بقضيه يتهدد ويتوعد، ونشر الحزب للأمة التدابير في منشورات تحث على التعاون والتعاقد، وصدرت التدابير في منشورات يمضي عليها محمد الطويل، فلا تسأل عما كان يديره من الأعمال العجيبة، لكنها مع الأسف لم تسمن ولم تغن من جوع.

ورفع الحزب برقيات عديدة إلى العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، وصرخوا صرخة رنت لها شعاب مصر والشام والهند والسند وتركيا وإيران، ودوت إلى لندن وغيرها أخبارا بأن الحجاز بلاد مقدسة، وقد تنازل الحسين ولوالابنه عليا، فيما أن الشعب الحجازي بأجمعه الواقع الآن في فوضى العامة بعد فناء الجيش المدافع وعموم البلاد الحجازية مستهدفة لخطر كارثة ساحقة خلعوا ونصبوا.

وبعد هذا البلاغ يلقي كل مسؤولية على عاتق المسلمين إذا لم يسارعوا في إنقاذ البلاد لإيقاف جيوش الإمام ابن سعود، وعند آخر نقطة وصلت إليها، وإرسال المندوبين بكل ما يمكن من السرعة، فجاءت الجوابات من رئيس جمعية الخلافة بالهند بأنها لا ترضى الحكومة يكون على رأسها أحد أبناء الحسين، وأن الحجاز يجب أن تكون خاضعة لرأي العالم الإسلامي، وأكد شوكت علي رئيس الجمعية بأن سعى جهده لحمل بريطانيا على عدم التدخل في مشكلة الحجاز ورفع في ٣٠ ربيع الأول خطاباً وتقريرات إلى حكومة الهند، يذكر فيها أن جمعية الخلافة تضع ثقتها فيها لأنها في مركز يؤهلها لفهم مقاصد المسلمين في البلاد المقدسة أكثر من حكومة لندن، لهذا يطلب منها أن تمنعها في مسألة الحجاز.

أما مجلس فلسطين فقبل الوساطة، وكتب الرئيس أمين الحسيني برقية رفعها من المجلس الإسلامي الأعلى بالقدس إلى السلطان عبدالعزيز بن سعود متوسطاً بالسلم بينه وبين الملك الشريف، فأرسل إليه السلطان عبدالعزيز بهذا الجواب.

إلى سماحة المفتي رئيس المجلس الأعلى بالقدس يحزننا أن تكون جاءت وساطتكم في وقت متأخر، فأنا منذ سبع سنين نتوسل بجميع الوسائل لإحلال الصلح والوفاق محل الجفا والشقاق، فلم تثمر مساعيها وكنا كلما لنا للحسين تجافى، فتصرفاته المتكررة في شرقي الأردن التي تبرهن عن نواياه الأكيدة في بلادنا من عسير وغيرها، ومعاملته كافة حجاج بيت الله وعجزه عن تقرير الأمن في الحجاز مما أجبرنا أن نتخذ التدابير الفعالة لتستقر الحالة في بلاد الحرمين وليأمن مستقبل بلادنا، وإنا نرغب في وجود إدارة في الحجاز تكفل حقوق جميع المسلمين بوجه المساوات، وتضمن راحة الحجاج، وتزيل عنهم المظالم كلها.

ثم أنه رفع الحزب كتاباً عظيماً إلى سلطان نجد فيه تمام الحفاوة والوقار وهذا معناه.

إنا معشر العرب أمة واحدة شرفها الله بالإسلام، وذكرنا حرمة البلاد السعودية لما ذكرنا أنه قد وقع بينه وبين الحسين سوء تفاهم ومنازعات بأسباب

عائدة لشخص الحسين، وليس للأمة الحجازية علاقة بها لأن السلطة المطلقة بيده ولا تزر وازرة وزر أخرى، وأنه يتكلم بلسان الأمة وينسب لهم ما لا يوافقون عليه، إذ ليس بينه وبين الأمة المجاورة لهم من سكان نجد ما يوجب المقاطعة والعداوة مع وحدة الدين والمذهب أنهم هبوا إلى خلعه لما جنى تلك الجنايات، وكلفوه التنازل عن ملكه لما ظهر من امتناعه عن تلافي هذا القتال بالطرق السلمية، وبايعوا عليا بشرط أن ينزل على رأي الأمم الإسلامية، فبلسان هذه الأمة وباسم الإسلام الذي قمتم لنصرتة وأوقفتم حياتكم لرفعة شأنه وعلو مكانته نخطبكم ونرغب من شهامتكم العربية بإيقاف الجيوش عند آخر نقطة وصلت إليها، والموافقة على إرسال المندوبين من طرفنا للمفاوضة معكم فيما يجب عمله، ثم ذكروه بالله ورسوله أن يستوصي بهم خيرا، وذكروا أنهم مسلمون متقيدون بالكتاب والسنة، وبينوا اعتقادهم الذي يربطهم معه، وختموا الكتاب بهذه العبارة، هذا ونلتجأ إلى الله تعالى ثم إلى عدلكم وشهامتكم أن تأمروا بإجابة رغائب الأمة الحجازية المستعدة لقبول طلباتكم العادلة، والله على ما نقول وكيل، وإنا نحمد الله إليكم أولا وآخرا والسلام ٥/٤/٤٣ و ٧/٤/٤٣.

وقد ذكر لنا أن هذا الكتاب وقع في يد الحسين، وأنه سكت عليه فلم يصل إلى ابن سعود، في خلال ذلك كان الملك علي في مكة يعمل على تهدئة الخواطر لما وجد أهلها في أشد حالات الذعر لما كانوا يتوقعونه من القتل على يد الواهبيين فطمنهم بوعوده وأنه على تفاهم مع ابن سعود والإنكليز إلى تسوية الخلاف.

وأبرق لابن سعود برقية رفعها عن طريق البحرين وذلك طلبا للصلح وإن كان عليه بعض الهضم، وهذه صورة برقية لابن سعود.

إن أقصى رغبتني أن سود السلام في الجزيرة وأن تعود السكينة ما بين نجد والحجاز، وإنني باسط لك رأيي في السلم ومقترح عليك عقد مؤتمر فيه إتمام المفاوضات التي بدأت في مؤتمر الكويت ينتهي بحول الله إلى حل يرضي الجميع، وذلك بعد سحب الجنود التجديدين.

فكان جواب السلطان عليها بالإيجاز هي أن شروطي الأخيرة أن لا صلح ما دام أبناء الحسين يتوارثون الملك في الحجاز، وأنتم تعلمون أن الحجاز للعالم الإسلامي لا يخص به طائفة من المسلمين على طائفة.

وكان الحزب الوطني قد بلغ القناصل والوكلاء للدول الأجنبية في جدة بتنازل الحسين، ورفعوا برقياتهم إليهم برهاناً على صدقهم، وإنما فعل الحزب الوطني هذه الأفاعيل العجيبة السريعة لأن الإخوان أحاطت بهم، وبما أن الجهود قد بذلت، فنظر إلى خيبة الأمل أيقن على أنه لا طاقة له على المقاومة في مكة، لأن جيشه لا يتجاوز أربعمئة جندي، فخرج منها ليلاً على حين غفلة بما لديه من قوة، ذلك بأن شراذم من الجيش النجدي قد وصلت إلى قريب مكة في ١٥ ربيع الأول، فما بزغت الشمس يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول إلا وقد انتشرت الإشاعات في طول مكة وعرضها بأن الحسين قد ركب الباخرة، وأن ابنه الملك علي قد بارح مكة بجيشه إلى جدة ولا يعلم إذا كان ينوي البقاء فيها أم مغادرتها أيضاً، فهلعت القلوب ووقف كل رجل حيال داره، وأخذت بادية الحجاز القريبة من مكة تفد إليها، وهاجمت دور الحكومة لسلبها وكادت تسطو على البيوت لولا أن الشريف حمزة الفعر أحد أشرف مكة أخذ ينادي فيهم بأن البلاد في أمن ابن مسعود وأنه سيتوقع أشد الجزاء على كل معتد فهدأت الحال إلى حد ما.

ذكر فتح مكة الرعب الذي ألقى الله في قلوب أهلها

لما قرب الإخوان من مكة استولى على أهلها الرعب والقلق، لما كانوا يسمعون عن الإخوان من أنهم قساة غلاظ كما نشرت الحكومة الهاشمية في الجرائد، وزادهم هلعاً القادمون من الطائف حينما كانوا يرون أخبار عجيبة مخيفة فحصل لهم كالمأتم واشتد بكاؤهم، وفي كل دار استعداد للسفر إلى جدة بل قد جلا الأغنياء وأسرتهم، وأخذوا معهم أموالهم لأنهم ظنوا الإخوان سيفعلون بهم فعلهم بالطائف، حتى كان طريق جدة كالحشر أطفالاً ونساء ورجالا وصبياناً يحملون الطعام والنقود، وما غلا ثمننا وخف وزنا، حتى جاء في نقل من رآها على تلك

الحالة، قالوا وجدنا مكة كالمقبرة في الصمت الرهيب والسكون الشامل والفينا الدكاكين مغلقة.

وكان زحف الإخوان من الطائف في يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الأول، وفي هذا اليوم المبارك زحفت القوات النجدية إلى مكة من الطائف، وكانوا قد بعثوا سؤالاً إلى علماء الرياض في أن يحرموا ويدخلوا مكة منكسي البنادق فإن لاقوا من يصدهم عن البيت قاتلوه، وإن لم يلقوا أحدا دخلوا، فمنعتهم العلماء عن ذلك، بدليل عدم جواز قصد القتال في الحرم.

وكان خروج علي حين وصولهم إلى قرية الزيمة التي تبعد ست ساعات عن مكة، وقد صمموا على الحصار واستبسلوا كأنهم الأسود في شدة السورة خيال التوحيد أخو من أطاع الله.

وما أسفر صباح اليوم ١٧ الموافق ليوم الخميس إلا وقد دخل الإخوان مكة محرمين لهم زجل بالتلبية وقد نكسوا البنادق، فطافوا وسعوا واستولوا بعد حل الإحرام على البلد المقدس وهم ينادون فيه الأمان، فساد السكون بمكة بخلاف تلك الفرصة التي بين خروج علي ودخول قوات الجيش السعودي، فإن بعضاً من أوباش مكة ونزرا يسيرا من أهل الغطظ كادوا أن يجوسوا خلالها وانبعثوا يسألون أهل مكة أين بيت أبي خيشة ولكن المكين لا يعرفون من أبي خيشة فكانوا يجيبون لا نعرف و أخيراً عرفوا صاحب هذه الكنية وأنهم يريدون الحسين سموه أبا خيشة.

فلا غرابة من خشونة البدو، وأنهم أجلاف، فنهبوا ما وجدوا في بيت الحسين من علب المريات، والساعات والمفروشات وكل غال ورخيص، وباعوا بثمان بخس، ولولا أنهم كانوا في مكة منكمشين لا يستطيعون أن يقتلوا أو ينهبوا كما فعلوا بالطائف، لأن أوامر ابن سعود قاسية شديدة إلى القائدين، خالد وسلطان وبلغها الجيش ونصحاه بلزوم السكينة والهدوء، فمن أذنب وأجرم فلا يلومن إلا نفسه، لكانت لهم غير هذه الحالة، ولكنهم يرقبون القائد الأعظم لأنهم عرفوا أن عين الأسد همراء.

وأما ما حصل من خوف الأهالي وظنهم السيء فيأبى الله لصاحب الجلالة والمهابة أن يهمل أمر البوادي ويتركهم سدى، بل دخل الإخوان أم القرى حاسرين الرؤوس قد ملؤا الفجاج بالتلبية، ما بين تال لكتاب الله ومصل، وطائف وراكم، وساجد، وجعلوا يصرخون بالأمان وما جرى منهم أذى على أحد، ولو استمرت القيادة يومئذ في الزحف غربا لدخلت جدة بسرية صغيرة دون أن تلقى من الحكومة فيها أو من الأهالي أقل مقاومة ولكنها وقفت في مكة عملا بالأوامر العالية التي كانت مجهولة في جدة.

أما غالب الذين فروا من مكة إلى جدة ومن ضمنهم بعض الجنود فجعلوا ينتظرون الباخرة الأولى للفرار، ولكن الباخرة الأولى وصلت في ١٩ ربيع الأول من العقبة «رضوى» نقل كتيبة من الجنود عددهم ثلثمائة قدموا من شرقي الأردن، ومائة من عرب شمر النازحين إلى الشرق العربي بقيادة أمير اللواء تحسين باشا الفقير؛ قد جندهم الأمير عبد الله بمساعدة بعض الأنصار في فلسطين نجدة للملك علي، فأنعشت هذه النجدة آمال الملك علي فشدت أزر جنوده المنهزمين إلا أنها لم تغير في نفسية المدينة، ولا أضرمت في الأهالي شيئا من الحماسة، وما كان قولهم إلا أن قالوا الإخوان ظافرون والجنود منهزمون وعلي متأهب للرحيل فما لنا أذن غير التسليم وخير البر عاجله.

ولما رأى القناصل الذين في جدة خطورة الأمر كتبوا إلى قواد الجيش النجدي كتابا معناه انه لا دخل لهم بأحد، ومن واجباتهم احترام أشخاص رعاياهم فإذا وقع عليهم ما يسوؤهم فهي على عاتق جيشكم لأننا على الحياد.

فجاءهم الجواب من قواد الجيش النجدي ما معناه: بأنه وصل إلينا كتابكم ولا يخفاكم أنا معاصر العرب لم نقصد ملككم ولا رعاياكم، بل قصدنا محاربة من حال بيننا وبين البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمنأ، سنبدل في حمايته المال والنفس، وأهل مكة مؤمنون على دمائهم وأموالهم وجدة وأقطارها لا غرض لنا فيها وإن حصل على شيء منها تعدي فعرفونا نمنعه.

وبعث خالد بن منصور وسلطان بن ابيجاد بشخصيتهما كتابا آخر إلى القناصل
معناه: أن ليس لنا في رعاياكم قصد، بقي مسألة، وهي وجود علي بن الحسين
ومكثه الذي هو ساع بالفساد وقطع السبل، وغير ذلك، إن كان لكم قدرة على
إخراجه من جدة فأخرجوه، وإلا ميزوا رعاياكم ومن التحق بهم، عرفونا بمحلهم
ونحن به أبصر .. إلخ. الجواب مطلوب بحال السرعة، فجاءهما الجواب.

بعد الاحترام وصلنا كتابكم ولا يخفى كما أن حكوماتنا ملتزمة الحياد التام في
الحرب القائمة بين نجد والحجاز وعلى ذلك فنحن محايدون ولا يمكننا التدخل بأي
وجه كان في هذا الخصام، وقد أخذنا عليكم أمراً محكماً بأن ليس لكما نظر في
رعايانا، ونؤيد مضمون كتابنا الأول والآخر بهم والسلام، ٤ نوفمبر معتمد قنصل
جلالة ملك بريطانيا، نايب قنصل ملك هولندا، قنصل جنرال جلالة ملك إيطاليا،
وكيل قنصل جلالة شاه إيران.

ثم أنه بعث الحزب الوطني إلى خالد بن منصور المنشور الذي فيه القسم المغلظ
تاريخ ٣/٧ الذي قدمنا فبعث الجواب الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

إلى محمد الطويل واتباعه من الأعضاء المذكورين وكافة أهل جدة وسكانها،
سلام على عباد الله الصالحين، أما بعد.

فقد وصل إلينا منشوركم وما أشرتم به كان لدينا معلوم، وتعلمون أن ليس لنا
معشر المسلمين قصد إلا امتثال أمر الله تعالى وفرائضه التي أمرنا بها، ومحبة من قام
بها وإن كان عبدا حبشيا، وإن كان أبعد الأبعدين ومعاداة الكفار والمشركين؛ وإن
كانوا أقرب الأقربين، ثم ذكر آيات من آيات الولاء والبراء، فقال بعدها فمن قام
منكم بما ذكرتم فطريقه طريق المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وأما تأمينكم فقد
أتاكم كتاب الإمام وبه الكفاية وهذا زيادة تأكيد منا لخواطركم كافة لمن أتى أو بقي
فعليه ذمة المسلمين، يكون آمنا مطمئنا يكون معلوما حرر في ٣/٢٠ وبعث في طيه

خطاب جلالة الملك عبد العزيز بن سعود الذي قد وجه إلى أهل الحجاز قاطبة قبل أن يتم له الاستيلاء على مكة وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى كافة من يراه من إخواننا، أهالي مكة وجدة وتوابعها من الأشراف والأعيان والمجاورين والسكان وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد.

فإن الموجب لهذا الكتاب هو شفقتنا على المسلمين، والصلاح في أحوالهم، في أمر دينهم ودنياهم، ولم نزل نكرر على الحسين النصائح على ما يجمع شمل العرب لتكون كلمتهم واحدة، ولكن الطبع يغلب التطبع ولا يحتاج تطويل الشرح بما انطوى عليه، إن أكبر شاهد على ذلك ما رأيتموه منه، وشاهدتموه من أقواله وأفعاله في هذه البقعة المباركة التي هي مهابط الوحي، مما ينكره عقل كل مسلم، وعلاوة على ذلك ينكره كل من يحب المسلمين ولو لم يكن منهم، فالرجل ترك مزايا الانصاف وهي ما انتسب في هذا البيت الكريم؛ وأهمل حقوق هذه البقعة المباركة عليه في عدم ركوب طريقة السلف الصالح التي هي شرفه وشرف المسلمين خصوصاً وشرف العرب عموماً، ولا شك أنه من ترك ما كان عليه النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وخلفائه وأصحابه، وهو يتسمى باسم الإسلام، وبالاخص إن كان من أهل البيت الشريف وطمح إلى غيره من الزخارف التي هي أكبر شؤم على الإسلام خصوصاً وعلى العرب عموماً فهو لا خير فيه، فمنذ دخل الحجاز يجعل أكبر همه الإيقاع بنجد والتجدين، وقد تظاهر بذلك منذ أن تفرد بالحكم، وقبض على زمام الأمور فيها، وقد بلغ منه التهور أن قد منع أهل نجد قاطبة عن حج بيت الله الحرام، وهو أحد الأركان الخمسة، فهذا فضلاً عما يأتيه هو وعماله من المظالم والمعاملات القاسية تجاه حججاج بيت الله الحرام الذين يأتون من مشارق الأرض ومغاربها، وفي هذه المدة قد تركنا التدخل في أمور الحجاز لأجل احترام هذا البيت ورجاءاً للسلم والأمان، ولكن من الأسف أننا لم

نحظ منه بذلك، وفي هذه الأيام الماضية في سفره إلى الأردن بانت نواياه ومقاصده للمسلمين نحونا حينما طلب تجزئة بلادنا وتشيت شملنا، حتى لقد يثسنا من الوصول إلى حسن التفاهم معه لجمع كلمة العرب، ولا والله نعلم شيئا له من النقم علينا إلا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ولكننا والله الحمد لسنا بأسفين على شيء إذا سلم لنا شرفنا في أمر ديننا ودنيانا، فليس لنا قصد في زخارف الحسين وأتباعه لا في ملك ولا في خلافة، ولكن غاية قصدنا وما ندعوا إليه هي أن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر، ويسلم شرف العرب، فلذلك لحقتنا الغيرة الإسلامية والحمية العربية أن نفدي في أموالنا وأنفسنا فيما يقوم به دين الله، ويحمي به حرمة الشريف الذي أمر بتطهيره وتعظيمه كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وقد أرسلنا سرية من المسلمين لاحتلال الطائف لأجل القرب للتفاهم بيننا وبين إخواننا، فأحببت أن أعرض عليكم ما عندي فإن اجتمعونا فنعم المطلوب، وإن أبيت فهذا الذي يعذرنا عند الله وعند المسلمين، وأبرء إلى الله أن أتجاوز شيئا منها حرمة الشريعة خصوصا في هذا الحرم الشريف الذي قال الله فيه ﴿وَمَنْ يُدْرِ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ وحرمة هذا البيت معلومة حتى عند المشركين الأولين كما قال الشاعر:

إن الفضول تعاهدوا وتعاهدوا أن لا يقر بيطن مكة ظالم

وأما الأمر الذي عندي لكم فهو أنني أقول عليكم يا أهل مكة وأتباعها من أشراف، وأهل البلد عموما والمجاورين والملتجئين من جميع الأقطار، عهد الله وميثاقه على أموالكم ودمائكم، وأن تحترموا بحرمة هذا البيت كما حرمة الله على لساني خليله إبراهيم ومحمد عليهما أفضل الصلاة والتسليم، وأن لا نعاملكم بعمل تكرهونه، وأن لا يمضي فيكم دقيق أو جليل إلا بحكم مشروع لا في عاجل الأمر ولا في آجله، وأن نبذل جدنا وجهدنا فيما يؤمن هذا الحرم الشريف وسكانه وطرقه للوافدين إليه، الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا، وأن لا نولي عليكم من

تكرهونه، وأن لا نعاملكم معاملة الملك والجبروت، بل نعاملكم معاملة النصيح والسكينة والراحة، وأن يكون أمر هذين الحرمين شورى بين المسلمين، وأن لا يمضي فيهما أمر يضر بهما أو بشر فيهما أو بأهلها إلا ما توافق عليه المسلمين وأمضته الشريعة، وهذا الكتاب شاهد لي وعلي عند الله ثم عند جميع المسلمين، وعلى ما قلته أعلاه أيضا عهد الله وميثاقه، فهذا الذي يلزمنا، ولا بد إنشاء الله ترون ما يسر خواطركم أكثر مما ذكر، ونرجو الله أن يهدينا وإياكم لما يحب ويرضا ويصلح بنا وبكم البلاد والعباد، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، ويمنعنا وإياكم من سوء الفتن، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل أعدائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثير الختم، عبدالعزيز بن عبد الرحمن ٢٢ صفر ١٣٤٣.

الإشارة إلى الكتب المتبادلة بين الفريقين وجهود ضائعة

لما تلقى الحزب الوطني الحجازي خطاب خالد بن لؤي مشغوعا بكتاب ابن سعود، كتب الحزب إلى خالد كتابا ذكر فيه أن قد وصل إليهم كتاب ابن سعود، وأنهم تلقوا ذلك بالإكرام، وأن الأمة بايعت لعلي بن الحسين لما يعرفونه من حسن، أخلاقه وحبه للمسالمة لعموم من في جزيرة العرب، واشتروا النزول على رأي المسلمين فيما يقررونه لسعادة البلاد واستقرارها، وذلك بعدما تنازل الحسين؛ وحيث أن الإمام عبدالعزيز قد ذكر في كتابه أنه سيجعل أمر هذه البلاد المقدسة شورى بين المسلمين، فقد اتفقنا والحمد لله نحن وإياه في نقطة واحدة، ثم قالوا فنرى أنه لم يبق موجب للقتال وسفك الدماء، وأصبح الحل المطلوب من الطرفين واضحا جليا؛ وحيث أن الأمر كما ذكر نكلف سيادتكم بالموافقة على إرسال مندوبين من طرفنا إليكم يكونون في أمان الله ثم أمان الإمام عبدالعزيز بن سعود وأمانكم لعقد هدنة توقف القتال وتصون الطرفين عن سفك الدماء، إلى أن تحضر الوفود التي طلبنا حضورها من جميع الأقطار الإسلامية، وعلى الخصوص من جمعية

الخلافة بالهند، وبعد اجتماع الوفود نزل على ما تقرره وتراه هذا ما ندعوكم إليه ونكلفكم بقبوله طبقا لما جاء بكتاب الإمام عبدالعزيز بن السعود؛ ولا شك أنكم توافقون عليه والله ولي التوفيق.

السكرتير السيد طاهر الدباغ، رئيس الحزب الوطني الحجازي محمد الطويل،
الجواب عليه:

من خالد بن منصور بن لؤي إلى محمد الطويل وكافة الأعضاء، السلام على
عباد الله الصالحين؛ أما بعد:

خطابكم وصل، وفهمنا مضمونه بعده من طرف بيت الله الحرام وأتباعه، جاء
الله به عنوة للمسلمين، وطهر الله بيته من الحسين وأولاده بسبب إلحادهم في حرم
الله وتعديهم حدود الله وظلمهم في كل قطر، والذي يثني عليه ويتعلق بمحبته
ومعاونته ماله عندنا إلا القوامة بحول الله وقوته، وإن بغى علي بن الحسين الأمان
فيقبل ويواجهنا مأمونا والمجالس والمخابرة لها راع، وهو الإمام عبدالعزيز حفظه الله
ورعاه ومع وصول الخبر يستوي علم زين ومقام علي عندكم من غير مواجهة بيننا
وبينه نتيجة الفساد يكون معلوم، وصلى الله على محمد وصحبه وسلم ٢٢/٣.

من محمد الطويل وجميع الأعضاء إلى حضرة الأمير خالد بن منصور بن لؤي
قائد الجيوش، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

فقد وصل كتابكم وجميع ما به علم، وسنرسل لكم بعد باكر أربعة أشخاص
بالياباة عن جميع الأهالي الموجودين بمجدة، السلام عليكم، وإفهامكم الحقائق وأخذ
الحقائق منكم رأسا، وأما ما ذكرتموه من المحبة والتعلق بالرجل فليس عندنا من هذا
شيء لا لنا تعلق إلا بما فيه مصلحة المسلمين، والله على ما نقول وكيل، وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ٢٣/٣/١٣٤٣. الإمضاءات سليمان
قابل، صالح أبو بكر شطا، محمد شلهوب، عبدالرؤوف الصبان، عبدالله رضا.

وقد جاءهم الجواب بالقبول، هذا وكان ناجي الأصيل في لندن، يبذل كل
جهوده لحمل الحكومة البريطانية على حماية الحجاز بما لها من نفوذ قوي من ابن

سعود، فقد اعتذرت بريطانيا بأعذار باردة، فكان ناجي يعالج بأن الحسين إذا اعتزل الملك وبارح البلاد، فالحجاز ما يزال مكانه ومملكه الحاضر، علي لم يشترك في التعديلات التي قام بها أبوه وهو موافق على تلك المعاهدة إلى غير ذلك، فانتهى الأمر على أن بريطانيا لا تستطيع عمل أي شيء مع حكومة علي قبل أن ينجلي الموقف الحاضر؛ فطلبت حكومة علي من بريطانيا أن تتدخل في الصلح بين عاهل نجد وعاهل الحجاز الجديد فأبت، كما تقدم أنها بعثت إلى العالم الإسلامي تناشدهم الوساطة لحل الموضوع، ودرء الخطر الوهابي عن البلاد المقدسة.

ولما أن كان في يوم الأربعاء ٢٣/٣ توجه الوفد إلى مكة المكرمة لمفاوضة الأمير خالد مشكلات من ستة أشخاص، رئيسه الشيخ محمد أفندي نصيف في معيته عبدالرؤوف الصبان، وعلي سلامة، وسليمان عزاية، ومحمود شلهوب، وصالح شطا، وقصد الوفد مكة يحمل كل مفوضية تعود بحقن الدماء؛ ولما كان في أثناء سفره لحقه سيارة تحمل كتابا من الحزب الأساسي يفيد أن الأمة حررت بعد توجيههم مضبطة تحتوي على طلب عدم الدفاع، وأنه لا قبل لهم بالجيش النجدية، وعرضوها على رئيس الوكلاء؛ وصورتها أنه لما جاءهم الكتاب الأخير من الأمير خالد كتبوا تلك المضبطة (بناء على ما بلغ الأمة من تشييد الخنادق والمعاقل والحصون، والإستعداد للحرب، وتحضير كل ما يلزم من الجبخان وآلات الحرب، فهم يسخطون عن كل مشروع كهذا، يكون نتائجه إراقة الدماء وإزهاق الأرواح البريئة، وبالعكس قوات الجيش الهاشمي في عدم استطاعتها الثبات، وقرروا بعدم الدفاع الذي استعد له الملك علي في ٢٣/٣.

ولما قدمها رئيس الوكلاء للملك علي، أصر علي أنه لا بد من الدفاع عن البلاد، بلاد أبيه وجده وجميع الموقعين على المضبطة وغيرهم، أخلاط لا أهمية لهم بالبلاد، فبعث الحزب كتابا إلى الوفد، فيه البيان النهائي من الملك أنه لا بد من الدفاع، ولضعفهم وقوته طلبوا منه أن يكتب كتابا للأمير خالد بالموافقة على توقيف الحرب، والأخذ في أسباب التفاهم بينه وبين خالد أن يكون

مفوضاً، وإن لم يكن مفوضاً يمهّل خصمه بدون حركة حتى يقدم الإمام عبدالعزيز، وأن علياً يأمل وصول الإمداد إليه والدبابات والطائرات، فإن وافق على ذلك خاله وإلا تأخذوا في أسباب رجوعكم إلى جدة حالاً، قبل وصول كتاب الملك للأمير، والحذر من التأخير.

ولما أن وصل الوفد إلى مكة المكرمة، ووضع المسألة على بساط البحث مع الأمير خالد بن منصور، لم يدع الأمير لهم مجالاً للبحث بل تصلب وخيّرهم بين ثلاث مسائل، إما أن يقبضوا على الملك علي، وإما أن يجبروه على مبارحة الحجاز، وأما أن لا يقدرُوا لضعفهم، فلديهم خارج البلدة قوة من الجيش النجدي المرباط يساعدونهم على ما يريدون، وكان مع الوفد رجل اسمه عثمان باعثمان جاء في معيتهم موفداً وهو جاسوس من رئيس الحزب محمد طويل ليرصد حركاتهم وأعمالهم، ولا عجب من نصح الطويل وإخلاصه للبيت الهاشمي، لأنهم سبب تقدمه وغناه ورفعته، ولما أن رجع الوفد يحمل شروط خالد ليعرضها على الأمة لترى المصلحة التي تتلافى بها منفعتها وصل إلى جدة في ٢٦/٣ الموافق ليوم السبت، فاجتمعت الأمة في الثانية عشر ليلاً من ذلك اليوم، وعزموا على الهجوم على دار الملك ليجبروه على التنازل، لكن الرئيس محمداً لما علم بالهجوم الذي سيحصل على الملك علي أرسل رسولا في تلك الساعة إلى مولاه، فاستعد الملك بالحرس على بيته ورأت الأمة أن تؤجل المسألة إلى الغد؛ فلما اجتمعت الأمة قام حضرة الرئيس وسأل الأمة عن إجتماعها، فقالوا لدعوتك لنا وتقرير مصيرنا، فقام وهددهم وصاح وأرغى وأزبد، ثم قال من الآن أعد نفسي منفصلاً عن الحزب، فألغى الحزب، وصارت الأمة في وجل والأعضاء في جدال، فانحل الحزب في تلك الساعة من اليوم ٢٧ من ربيع الأول الموافق للأحد.

ثم أمر الملك علي بالقبض على بعض رجال الحزب وهم صالح شطا، وقاسم زينل، وعبدالرحمن باجنيد، وعلي سلامة؛ وسليمان عزابة، وقدمهم للمحكمة العسكرية بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم، فامثل الأمر وزير الحرية، وطلبهم

إلى الثكنة العسكرية وحاكمهم، فقضت عليهم المحكمة بسجن بعضهم، وقتل الآخرين، وذلك في ٤/٩.

ولما عرض الحكم على الملك علي أظهر لهم أنه حلیم وغفور عن الزلات، فأحضرهم وعفا عنهم ونصح لهم عن التكلم في الحكومة، وأطلق سراحهم يوم الخميس الموافق ١٦/٤ ثم أنه كتب بعدما اطلع على شروط الإخوان كتابا لخالد وهذا نصه:

المحترم الشريف خالد بن لؤي، وبعد: اطلعنا إلى عدة كتب منكم لأهالي جدة عموما وخصوصا وفيها التهديد والوعيد، وحيث أن أهالي جدة محكومين بحكام رؤساء ليس في استطاعتهم تنفيذ ما تطلبوا منهم، وليس من شيمتهم إجراء ذلك، رأينا أن نحرر لك كتابنا هذا بأنك إن كنت مفوضا من قبل حضرة الأخ السلطان عبدالعزيز في المذاكرة فيما يختص بحقن دماء المسلمين وبدفع السحق والمحق عن البلاد، فعين لنا مندوبين من طرفك ومندوبين من طرفنا عينهم ويجمعون عندك في مكة أو في بجرة، وإن كنت غير مفوض من الأخ سلطان نجد فتخبر عظمتة يفوضك أو يفوض من يراه للمذاكرة في ذلك، وتكون الحركات الحربية موقوفة من طرفك ومن طرفنا إلى أن يأتي الجواب من حضرة الأخ السلطان، وإن كنت تقول لا هذا ولا هذا فالأمر مفوض لمن بيده العزة والقدرة، وفي ذلك الوقت جاء من ابن سعود برقية إلى الحزب قبل أن ينحل، وكانت جوابا لبرقية بعثوها إليه لما أبطأ الجواب عن الكتاب الذي رفع إليه بالتودد والحنان تاريخ ٥ - ربيع الأول ظنا منهم أنه وصله، فجاء الجواب برقيا في ٢٦ ربيع الأول عن طريق البحرين، طاهر الدباغ سكرتير الحزب الوطني الحجازي بمجدة وصل تلغرافكم العمومي، أما رسالتكم الرسمية الخاصة المتعلقة بالصلح، فلم تصل لا يمكن نشر روح السلام في الجزيرة مطلقا ما دام الحسين وأولاده حكام الحجاز لا نقصد الطمع في امتلاك الحجاز والتسلط عليه، ولهذا فهي تترك للعالم الإسلامي وهذا ما نراه من البداية بتلك البلاد المقدسة، وإذا خرج الحسين وأولاده فأنتم آمنون في بلادكم، ولقد أرسلنا التعليمات اللازمة المتعلقة بذلك إلى رؤساء جيشنا - السكرتير الخصوصي لسلطان نجد عن طريق البحرين.

سفر الحسين إلى العقبة

لما كان في ليلة ١٦ ربيع الأول، نزل هو وحرمة وعبيده إلى البحر بذهبه وأمواله، ولم يجد من يمنعه أو يطالب بحقوق الأمة المسكينة التي أثقل كاهلها بالضرائب، ويجمع باسمها يرافقه للوداع أحمد السقاف رئيس ديوانه السابق وناظر الجمار كمحمد الطويل، فامتطى الباخرة التي تدعى بعدئذ «الرقمتين»، فقال معجبا به سنسافر فيه يوما من الأيام سفرة بعيدة نعم إنه سافر سفرة بعيدة إلى العقبة، وكان الذي زين له السفر قبل ذلك ابنه علي، وأنهم لا يقصدون من سفره إلا حل الموضوع إذا بارح البلاد، وأنهم اختاروا له السفر إلى العقبة لاعتبارها إحدى البلاد التابعة له، ليستطيع تزويدهم من هناك بأرائه ويمدهم بمساعداته حتى ينالوا النصر النهائي، فيرجع إذ ذاك إلى مكة مكرما معززا، وقد سعى رشدي باشا لدى الملك فؤاد ولدى رئيس الوزارة المصرية سعد باشا بأن يسمحا لعاهل الحجاز السابق أن يسكن مصر فأبيا خشية من حدوث مالا تحمد عقباه.

ولما استقر بالعقبة جعل يرسل الإمداد والذخيرة والمال إلى ابنه علي، ولقد قام الحسين بتجنيد بعض العربان من شرقي الأردن وإرسالهم إلى جدة كما أرسل طبيبه الخاص الدكتور «ثابت نعمان» لإبتياح بعض المهمات للحكومة من مصرفا كلها عليه وظل في مصر، واشترى بواسطة معتمده بمصر عبدالملك الخطيب بعض السلاح، ولكنه حجز في جمر ك السويس، كما عهدت الحكومة إلى السيد عبدالملك الخطيب بمصر في مقابلة بعض الشركات لإحضار كمية من السلاح لها من الخارج وأبرقت إلى كل من الملك فيصل في العراق والأمير عبدالله بشرق الأردن بطلب المساعدة بالمال والرجال والعتاد، وباتوا ينتظرون النتائج.

ولما انقطع كل أمل للحكومة الحجازية في التفاهم مع ابن سعود ولم تجد التوسلات شيئا، وجاءت إلى جدة بعض النجدات للملك علي رأي أن يظهر لخصمه الجلد والثبات، ويلوح له بما لديه من قوات فرما كان في ذلك ما يحمله

على تعديل خطته، فكتب هذه المرة خطابا لابن سعود فيه التهديد والوعيد، من علي بن الحسين إلى صاحب العظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود. أما بعد:

فإني على يقين من أن التسافك في الجزيرة يقطع الأرحام، وذهب بالأحلام، ويغري عدو العرب على الإستفادة من الخصام، وأنت تعلم أنه عدو شديد عنيد لا يستقيم إلى رعاية العهود ولا يطمئن إلى السكينة، فماذا أنت فاعل وقد بسطت لك الحالة كما هي من غير تشويه في حقيقتها أو لبس في مظاهرها وأن أقصى رغبتني هي أن يسود السلام في الجزيرة، وأن تعود السكينة ما بين نجد والحجاز، وإني لباسط لك رأيي في السلم، ومقترح عليك عقد مؤتمر لإزالة بواعث الخلاف وينبغي أن تعلم عظمتك أن تدخل الأجانب بين الأمم المسلمة ضار بنا وبمصلحة بلادنا وهذا التدخل لا يبعد أن يجر إلى تشاحن عظيم، وهذا أمر لا أرغب فيه ولا أوافقك عليه، وما شأن الأعاجم^(١) في بلادنا، وأنت تعلم أن لهم من مشاغلهم في بلادهم ما يضطرهم إلى التنحي عن الإهتمام بمصير الحجاز، فإذا هم جدوا في استقلال بلادهم كان ذلك أخرى لهم من كل أمر لذلك، فإني أقترح عليك عقد مؤتمر يحضره مندوبوا الطرفين للصلح، والرجوع إلى إتمام المفاوضات التي دارت في مؤتمر الكويت من قبل، وأرغب إليك جلاء التجديدين من الأراضي الحجازية المحتلة، وإلا فسردها بالسيف، فإذا لم يبلغك صوتي ويصلك نذيري فإني مضطر إلى الإطلاء بنار الحرب بلا شفقة ولا رحمة، وللتاريخ بعد ذلك حكمه الذي لا يرد في الباغي منا، وإذا كنت باغيا فلا يذكرني التاريخ بخير، وإن كنت أنت الباغي حققت عليك كلمة الله «وما الله بغافل عما يعمل الظالمون»، فتلقى ابن سعود هذا الخطاب يتبسم وعرف أن القلق قد أزعجه وفر من قلبه الثبات، وما وسعه إلا أن يرد عليه ردا قاسيا على علي بن الشريف حسين.

(١) يقصد بالأعاجم علماء الهند الذين فوض ابن سعود الأمر إلى حكمهم عند عقد المؤتمر الإسلامي، والمذكورون هم الذين طلبت وساطتهم في صلح الحكومة الحجازية من الأساس.

جدة ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٤م، إنني أحترم شخصكم احتراماً عظيماً ولكن معاملة والدكم لأهل نجد وسائر المسلمين هي التي جعلتنا نقف هذا الموقف، فإذا كنتم تحبون السلام وحقن الدماء، فاخلوها الحجاز وانتظروا حكم العالم الإسلامي، فإن اختاركم أو اختار غيركم فنحن نقبل حكمه بكل ارتياح، أما إذا بقيتم في أرض الحجاز فإن مسؤولية ما يقع من الحوادث تقع على عاتق غيرنا - عبدالعزيز.

وقد بذلت حكومة علي جهوداً جبارة لإطالة أمد الحرب استجلاباً للأمداد، ولعل الحكومات الأخرى تحل هذا النزاع، واستعدت للقتال وقامت بعمل مجيد في تنظيم خط دفاعها والمحافظة على كيانه بكل ما تملك، فنصبت الأسلاك الشائكة خارج جدة وبثت الألغام من حولها، وأخذت تنفق في هذا السبيل من جيوب أعضاء الحزب المؤسسين، ودأب محمد الطويل في هذا السبيل، فكان أعظم مساهمة حيث بذل كل ما لديه وما ادخره من مال في عهد الحسين، وبذل الملك علي كل ما لديه حتى باع حلي أهله وباع أطيانه وأطيانه عمته في مصر لسد حاجة الدولة، وحاولت الحكومة أن تحصل على قرض من بعض الدول والشركات الأجنبية، فلم تفلح لعدم وجود الضمانة الكافية لديها.

ذكر سفر صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن إلى الحجاز

لما كان في العشر الأول من ربيع الثاني، تأهب الملك عبدالعزيز بن سعود للسفر إلى الحجاز هذا وكل من في جدة يجهل مقر السلطان ومقاصده الحربية أو السلمية، وقد انتظروا ماذا يبدوا من هذا العاهل العظيم، ثم أنه أم العاصمة الرياض رؤساء القبائل والأعيان ليدعوه.

فخطب فيهم خطبة بليغة تجذب القلوب وتسحر العقول، قال فيها إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم التي أرهقت كل العباد، إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة وتأييدها، إن مكة للمسلمين كافة، وسنجتمع هناك بوفود العالم الإسلامي فتبادل وإياهم الرأي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية، وسيكون الحجاز مفتوحاً لكل من يريد عمل الخير

من الأفراد والجماعات، ثم أرسل إلى الإمام يحيى وغيره من أمراء الإسلام المستقلين هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فقد استقبلت الطريق إلى مكة غير باغ ولا آثم، فليفضل الأخ العظيم بإرسال من يمثله في مؤتمر مكة حباً لنشر السلام بين الأمم الإسلامية.

سلطان نجد/ عبدالعزيز

هذا فيما يختص بشؤون البلاد الخارجية فكان لكلامه أبلغ الأثر في قلوب العالم الإسلامي، حتى أن جريدة البلاغ التي تصدر في الأسكندرية علقت على كلمة ابن سعود البليغة قائلة بهذا المنهج، يذهب سلطان نجد إلى أم القرى مشهداً الله والناس على أنه لا يتردد في تنفيذ ما صحت نيته على تنفيذه وما انتوى عمله، فما أسمى الغاية التي ينشدها، وما أحراره بتأييد العالم الإسلامي قاطبة له في تلك المهمة الشاقة التي عهدت الظروف أدائها، وأن لهجة السلطان لتذكرنا بلهجة السلف الصالح، ثم أطال بإبلاغ وإفصاح في مدح ابن سعود، وأنهم يثقون بأقواله ويؤمنون بإخلاصه وصدق طويته.

أما شؤون اليلاد الداخلية فإنه جعل على حدود العراق ابن عمه عبد الله بن جلوي، لرد عاديته إن جاء منه شر، وناهيك به من رجل باقعه صلب العود شديد البطش، يستطيع أن يوقف كل معتد عند حده، وجعل على حدود سوريا الأمير الخطير وما أدراك ما هو إنه عبد العزيز بن مساعد، اليقظ الحزم القدير يراقب أعمال الأمير عبد الله بن حسين، ويمنع مساعداته إذا وردت لأخيه علي، وجعل ابنه سعود على العارض يدبر شؤون، وأقام والده عبد الرحمن مرجعها إلى علي، وضبط شؤون بلاده لئلا ينتهز باغ فرصة غيابه عنها فأمر خيرة رجاله وأعظمهم حنكة وشجاعة وسياسة في مواقع الخطر، فإليك أيها الغر عن الوقوع في المهالك فإن في الحياض من يزود عنها، كلا والله إن الليث مفترش على برائه للوثوب على من يقرب من الحمى وقاطنه.

ثم كتب إلى أهل بريدة وعنيزة وإلى بعض المهجر من الإخوان أن يوافوه بالويتهم وجموعهم إلى أماكن عينها، فلما كان في ١٣ / ٤ استقل موكبه من الرياض بما في ذلك من الفرسان وحاشيته المؤلفة من كتاب السر وبعض العلماء وفيهم من آل الشيخ العالم الشيخ عبد الله بن حسن قاضي جيشه إذ ذاك ورئيس القضاة اليوم وفيهم الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف أمامه، وقد رافقه في هذه الرحلة أخواه محمد وعبد الله وأبناء محمد وخالد وغيرهم من آل بيته ونفر من آل سبهان وآل رشيد وغيرهم من وجهاء نجد، ثم انضم إلى الموكب الشاعر عبد الرحمن بن نفيسه وراوييه نجد المشهور عبد الله العجيري، وكان مع عظمتهم من المستشارين السوريين الدكتور محمد حمدي، ومحمد النحاس، ويوسف ياسين، وجمال الغزي.

أما الألوية التي لحقت بالموكب السلطاني في الطريق فعددها خمسة عشر لواء، خمسة ألوية من أهل القصيم من بريدة، وعنيزة، والبكرية، والمذنب، والخبراء، وهؤلاء الحضر، وعشرة ألوية من هجر دخنة، والداهنة، ونفي، والشبيكة وغيرها.

كيفية ذلك السفر اليمون

لما كانت الطرق المعروفة بين نجد والحجاز كثيرة، أقصرها من الرياض بعد الخروج من وادي حنيفة هي الطريق الجنوبية التي تبدأ من ضربة فتمر بالركبة، مسافتها إلى مكة نحو خمسمائة ميل فإن السلطان اختار الطريق الشمالية التي تمر بالوشم وأطراف وادي السر ثم الشعراء، وهذه الطريق تزيد على الأولى نحو مائة ميل وهي مسيرة عشرين يوماً للقوافل، ومن ٢٥ إلى ٣٠ يوماً للجند، أما النجباء حامل البريد فيمكنه قطع مسافة ما بين الرياض والحجاز ونعني مكة بعشرة أيام، زد على ذلك في السرعة سير السيارات، فإنها تقطعها بيومين والمستعجلة بيوم واحد، وأعلى في السرعة الطائرة فإنها تقطعها بساعتين و٢٠ دقيقة.

فلما سار الموكب كان سيره معتدلاً لا كالقوافل ولا كالجيش، وكان يقف يوماً أو يومين على بعض الميعة القريبة من العمران، فتجيء الوفود تسلم على الإمام وتحيي معهم في بعض الأحيان الشكايات التي كان يسمعها، ويمهد لسبيل العدالة

لأصحابها فأربعة وعشرون يوما كان سير الموكب في الطريق، وكان يمشي سيرا وسرا من الثمان ساعات إلى الخمس عشرة ساعة كل يوم ويمشي حتى في البادية بنظام عسكري.

هذا ولم يكن في هذا الموكب ما يدل على الحرب ولا أثر للحرب من صفوف وغيرها سوى النظام، ما هو إلا رهط من الناس خرجوا للسياحة يحملون في حقائبهم الكتب يطالعونها في ساعات السفر من الكتب الدينية والتاريخية للمطالعة في الليل والنهار، إذا ما طال الليل ومل الحادي تكلم السلطان ينادي العجيري وقد يكون العجيري معتزلا الركب كما هي عادة رواية نجد فيكرر أحد الرجال كلمة السلطان، العجيري يا عجيري يقدم فبحث العجيري راحلته، وبعد أن يدنو من السلطان يسلم ويشرع في القراءة إذا ما سمعته تظنه يقرأ في كتاب وإنما يقرأ عن ظهر قلب لأنه لا يحمل كتابا بل كان يحفظ الأدب والشعر من كتاب الأغاني، والكامل والبيان والتبيين والكشكول، وكان له ذاكرة وخاطر سريع، وله أدب وصوت ونطق وطريقة في الإلقاء تدهش أكبر الممثلين.

ماذا ينبغي الإمام فصلا في نوادر في مكارم الأخلاق، فصلا في الشجاعة والاقدام، في البر والتقوى، وإذا ما بدا في الرواية كان كالساحر يتمشى في حدائق الأدب والشعر والتاريخ، فينقلها بأزهارها ويطيب شذاها، فتتنعش الركبان وتطرد النعاس من الأجفان، وفي ساعة الأدلاج بعد أن تمشي الحملة وأمامها العلم وإلى جانبه راكب يحمل قنديلا منيرا.

قال الراوي: نسمع الصوت ينادي العجيري فيدنوا الراوية من عظمة السلطان فيرتل طائفة من الذكر ترتيلا جميلا أنيقا تكاد تعد منه حروفه، ثم يؤذن المؤذن لصلاة الفجر وبعد الصلاة والقهوة يستأنف الموكب السير فينادي السلطان أين الشيخ؟ فيليه أحد العلماء ويشرع يتلو شيئا من القرآن، ثم بعد الضحى يدعو ثانية أو يدعو غيره من العلماء فيسلم هذا قياد راحلته إلى خادم يقودها ويتناول من حقيته السيرة النبوية أو صحيح مسلم، أو تاريخ ابن الأثير، أو كتاب الترغيب والترهيب، فيقرأ ساعة أو ساعتين بصرت عال يسمعه المتقدمون في الموكب

والمتاخرون، ويظل الموكب سائراً بنظام لا يخرج في الصورة الإجمالية عنه، تتقدمه كوكبة الفرسان وتكاد أحياناً تختفي عن الأنظار، فأحرى بها أن تدعى كوكبة الكشف؛ وبعدها علم السلطان وبعده الحملة التي فيها المؤن والأمتعة والأواني، وهي تمشي قبل الموكب السلطاني بساعة أو ساعتين فتختفي بعض الأحيان مثل كوكبة الفرسان، أما الموكب فتقدمه الإعلام ورايات الجيوش المنظمة إليه، وكلها تمشي في صف واحد، وبعدها الموكب والسلطان حيناً على رأسه، وحيناً في الوسط، فيسير أمامه أو ورائه الكبير والصغير بدون تمييز وبدون نظام.

وها هو ذا قد أناخ في مرات بلدة امرئ القيس فجاءته الوفود من الوشم وسدير مسلمة عليه وها هو إذا جالس في فسطاطه يسمع أحد الشعراء يتلو قصيدة في مديح الإمام وانتصار جيش التوحيد في الحجاز، وها هو إذا في صراحته المعتادة يقول للشاعر: أحب سماع الشعر، ولكن نوعين منه لا أحبهما، الهجو، والغلو في المديح، ولا وقت له لدينا لنقف نبكي من ذكرى الأحباء والمنازل، ولكننا نمر في بسقط اللواء؛ والعجيري يتلو علينا شيئاً من أخبارك يا بن حجر الكندي.

فإذا تم المجلس تكلم الإمام توكلنا على الله؛ اركب يا بن مطرف، اركب يا عبد الرحمن؛ وعبد الرحمن بن مطرف هو حامل راية ابن سعود فأول من يعلو فوق راحلة في الموكب ابن مطرف، قال الراوي وها نحن بعد خروجنا من بلدة امرئ القيس نشرف على أماكن نشاطها ولو في الكتب جلال القدم والذكرى.

هذه الجبال والشعاب والمياه وضح الحمى، والنير، والخفاف قد طالما زانت في غابر الزمان قوافي الشعراء وأفسدت عيش سادة العرب، هاهنا كانت تتطاحن القبائل، وها هنا كانت تندب الشعراء المنازل والأحباب، وهو ذا (ريع الريان) ذا الشعب الخصب الذي تخرج إليه من الشعر محط رحال التجار والقوافل بين الحجاز والقصيم والعارض وما دون الشعب الجبل الذي قال فيه جرير:

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

وهو الذي حن كذلك إلى أهله الشريف الرضي:

أيا جبل الريان إن تعر منهم فإني سأكسوك الدموع الجواريا

ولا نزال مسندين مصعدين من الريان إلى وادي الرشا بين جبال شهلان
والخوار فتبدو أعالي نجد في أبهى الحلل من الاخضرار، تلك البلاد التي يتغنى
الشعراء بعرارها وبطيب هوائها وبفسيح أرجائها.

حينئذا إلى أرض كأن ترابها إذا أمطرت عود مسك وعنبر
بلاد كان الاقحوان بروضه ونور الأقاحي وشي برد محبر
أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر

أما وادي الرشا فيعلو نحو ألف وأربعمائة قدم عن البحر، ونستمر مسندين
فنصل إلى ماء يدعى المصلوم، وهناك التقوا بنجاب من مكة يحمل البريد إلى
السلطان وفي البريد كتاب قناصل الدول الذي بعثوه إلى قواد الجيش النجدي بعثه
خالد وسلطان إلى عظمة السلطان فزاد إعجاب السلطان بقدرة الله التي حملت تلك
الدول على التزام جانب الحياد، هذا وقد حضرت رسل السلام في الحجاز للتوفيق
بين عظمة السلطان وبين الملك علي بن الحسين؛ وحضرت الاجتماعات
والمفاوضات، ولكن العاهل العظيم المتوقف على حضوره أمر المفاوضات لم يحضر
ولا يعلم ما قصده هل التوجه إلى مكة، أم البقاء في العاصمة مركز الحكم في
الرياض، أم كان يريد التوجه عن قريب أو بعيد ومتى يتحرك من عاصمة نجد إلى
الحجاز فما كان في جدة لا في الحكومة ولا في القناصل ولا بين التجار من يستطيع
أن يجيب عليها، وما كان في جدة شخص أو أحد يعرف شيئاً عن ابن سعود.

وقد كان ممن قدم لهذه الغاية المستر فلي فكتب عند ذلك إلى أحد قائدي
الجيش النجدي بمكة مستخبراً غير أنه لم يحظ بجواب؛ وكتب أيضاً الأديب أمين
الريحاني إلى القائدين كليهما فما جاء منهما جواب، ولا عاد الرسول مع ان سلطان
ابن بجاد قد يتبادر إلى علمه أن الريحاني يتظاهر بصداقة ابن مسعود فرأى أمين
الريحاني أن يبعث برقية إلى عبد العزيز بواسطة وكيله في البحرين، وتباحث هو

والمستر فلي في السفر إلى الرياض برأ عن طريق الطائف لعلمها يجتمعان بعظمته في العاصمة أو في الطريق وعقدا النية على ذلك، فأبرق للقصيبي في البحرين أولاً وثانياً وجاء منه الجواب برقيتين إحداهما بالعربية وهو أرسلنا برقيتك إلى الإمام والثاني باللغة الإنكليزية، قد سافر الإمام إلى الحجاز وهذه البرقية الإنكليزية أول نبأ وصل إلى جدة ينبئ بسفر السلطان، فسر به الملك علي، وسرت الحكومة والقناصل، بل سرت المدينة بأسرها، كيف لا وهو السلطان الأعظم، والرئيس الأفخم، والرجل العاقل الحكيم، فلا بد في قدوم جلالته أن تتغير الحال، ويضع حداً لتلك الفظائع التي كانت تروى أخبارها في جدة ويتفاهم وإياه الرسل.

ثم أنه بعث السلطان عبد العزيز من مكانه كتاباً إلى قناصل الدول في جدة.

بسم الله الرحمن الرحيم: السلطنة النجدية وملحقاتها في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ - ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤م من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرات الكرام قناصل الدول العظام في جدة معتمد الدول البهية البريطانية، وقنصل جنرال الدول الإيطالية، ووكيل جنرال الجمهورية الفرنسية، ونائب قنصل مملكة هولندا، ووكيل قنصل شاه إيران المحترمين، بعد إهداء ما يليق بجنابكم من الاحترام نحيط علمكم بأننا أحطنا علماً بكتابكم المؤرخ في ٤ نوفمبر المرسل إلى أمراء جيشنا خالد بن منصور، وسلطان بن بجاد، بخصوص موقف حكوماتكم إزاء الحرب الواقعة بين نجد والحجاز، ولقد كنت أود من صميم قلبي أن تحقن الدماء، وتنفض رغائب العالم الإسلامي الذي ذاق المتاعب في السنوات الثماني الأخيرة ولكن الشريف عليا بن الحسين بموقعه في جده لم يجعل لنا مجالا للوصول إلى أغراضنا الشريفة، ولذلك فإني حبا لسلامة رعاياكم ومحافظة على أرواحهم وأملاكهم وما قد يحدث لهم من الأضرار أحببنا أن نعرض عليكم ما يأتي.

أولاً: أن تخصصوا مكاناً ملائماً لرعاياكم في داخل جده أو خارجها وتجربونا بذلك المكان لترسل إليهم من رجالنا من يقوم بحفظهم ورعايتهم.

ثانياً: إذا أحببتهم أن ترسلوهم إلى مكة ليكونوا في جوار حرم الله بعيدين عن

غوائل الحرب وأخطارها فإننا نقبلهم على الرحب والسعة، وننزلهم المنزلة اللائقة بهم، وإننا نرجوكم أن ترسلوا كتابا طيه إلى أهل جدة حتى يكونوا على بينة من أمورهم، وإننا لا نعد أنفسنا مسؤولين عن شيء يقع بعد بياننا، هذا وتقبلوا في الختام تحية خالصة مني - الختم.

وهذا نص الكتاب الذي في طي كتاب التفاضل: بسم الله الرحمن الرحيم، السلطنة النجدية وملحقاتها، من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، إلى أهالي جدة كافة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فلا بد أنه بلغكم أن أغلب العالم الإسلامي قد أبدى عدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين وأولاده، وحبا لسيادة السلام وحقن الدماء، نعرض عليكم أنكم في عهد الله وأمانة على أموالكم وأنفسكم إذا سلكتم مسلك أهل مكة، وبالنظر إلى وجود الأمير علي بين أظهركم وخروجه عن الرأي الإسلامي، فإننا نعرض عليكم الخروج من البلد إلى مكان معين، أو القدوم إلى مكة سلامة لأرواحكم وأموالكم، أو الضغط على الشريف علي وإخراجه من بلادكم، فإن فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور أو موالاته فنحن معذرون أمام العالم الإسلامي، وتبعة ما قد يقع من الحوادث تكون على المسبب، والسلام الختم ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣ عدد ١١٥.

ثم أرسل الكتائب إلى القناصل وأمر ثلاثة منحايشته بأن يتقدموه إلى مكة فيطمئنون الناس، فراحوا يمشون بقدمه وسار الموكب بعد أن اجتازوا جبل النير جنوبا بغرب إل الدفينة وهي في رأس الحرة التي تعلو نحو أربعة آلاف قدم عن البحر وفيها بقية طريق معبدة غير السكة السلطانية أي سكة زبيدة القديمة، وفي هذه الحرة أعلام منصوبة تدل على الأرض الوعرة التي لا تسلك بل تحذر القوافل من أخطارها؛ وهناك بعد أن نجتاز الحرة سالمين نجد بيوتا متهدمة في وسط بساتين من الأثل ونخيل الدوم هي مران التي وصفها ياقوت بقوله إنها قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل، وقد كانت لبني هلال ولكنها اليوم للاضمحلال.

مررنا على مران ليلا فلم نعج على أهل آجام بها ونخيل.

وفي ٢٩ وصل الموكب عشيرة التي تنتهى إليها طرق نجد كلها وتعلو أربعة آلاف قدم عن البحر، فأقام السلطان فيها يوما يستقبل الوفود التي جاءت من جهات الحجاز للسلام يتقدمهم القائد سلطان بن بجاد وفيهم عدد كبير من أشرف الحجاز وعظمائه، جاءوا لاستقبال السلطان وتقديم الطاعة له.

ثم أدلج الموكب من عشيرة مصعدين إلى قرية السيل وهو الميقات فأحرموا هناك وانحدروا في وادي السيل بين جبال جرداء ملساء سمحاء، فمروا بالزيمة وأناخوا في مكان يبعد ساعتين عن الأميال، ثم تقدموا بعد الظهر مكبرين مليون، لييك اللهم لييك لا شريك لك لييك، ملأت تلك الجموع الشعاب، وتزاحمت بين الهضاب؛ وتصاعدت أصوات المليون، فتصادمت في الفضاء، فرددت صداها الجبال والوهاد.

ذكر قدوم ابن سعود إلى مكة

لما كان في مساء الخميس ٥ / ٧ وصل جلالة الملك إلى الأبطح وحط رحاله في أعالي مكة، فأناخ ذلوله واستقبله هناك الأهليون بالتهليل والترحيب، وبعد أن استراح قليلا ركب حصانا وامطى حاشيته ظهور الخيل إلى قلب مكة، فترجلوا عندما قربوا من المسعى ومشوا إلى الحرم فدخلوه من باب السلام وطافوا وصلوا وسعوا تلك الليلة، ثم عادوا إلى المخيم في المعابدة.

فلما كان من الغد في صباح الجمعة استعرض السلطان الجيش من خيالة ومشاة ثم جلس في السرداق الكبير الذي نصبته البلدية وفرشته بالطنافس، وحرقت فيه البخور، فاستقبل أولا الإخوان وكان منهم أناس كثيرون لا يعرفون الإمام فكانت المشاهدة الأولى، وقد تهافتوا عليه يصافحنوه ويقبلونه في خشمه (أنفه) وفي جبينه وهم يكون من شدة الفرح والسرور، لم جاء من أهل مكة أعيانها وتجارها يسلمون ولم يفرق الناس بينه وبين رجاله لبساطة ملبسه وعظيم تواضعه، وهكذا يكون من أراد الملك فإن الملك بيد الله يؤتیه أهل التواضع والعدل

الذين لا يهتمهم ترف أبدانهم ولا لين ملبوسهم إنما يهتمهم أمر الرعية والسهر على مصالحها ورعيتهما ولما التفوا حوله وأرادوا تقييل يديه على حسب ما عودهم الأشراف في عهدهم منعهم بعبارة قال فيها المصافحة من عادات العرب وعادة التقييل لليد جاءتنا من الأجانب هذا ما يفعله الأعاجم بملوكهم فكان لهذه الكلمات أحسن الأثر في نفوس القوم واستبشروا منها خيراً وأعجبهم ذلك كثيراً فمن قائل ياله من سلطان متواضع لا يريد أن يسلم أحد عليه، ومن قائل حقا أنه على فطرة العربي وسليقته يكره الملق ويمقت المداينة، ومن قائل أنه يشعر بالعظمة في نفسه فلا يحتاج إلى من يعظمه، ومن قائل: اليوم تذوقنا لذة الحرية وشعرنا بالخلاص من رق الاستعباد، ومن قائل يقول لقد ورمت شفاهنا من كثرة تقييل الأيدي والركب فلنهنأ بالراحة الدائمة.

ولما سمعوه يقول أن المصافحة عادتنا كما كان يصنع النبي ﷺ وأصحابه جعل يقول قائلهم أسمعتم أنه يصلي على النبي بعكس ما فهمنا من قبل أنه يكرهه عليه الصلاة والسلام، ومن قائل أنه لا يريد بنا السوء بل إنه يعلمنا كيف نحفظ بعزة العربي وكرامته والتمسك بأخلاقه وعاداته.

ولما استقر السلطان في مكانه وقف الشيخ عبدالقادر الشيبى عميد بني شيبية سادن الكعبة وعين أعيان أهل مكة فأخذ يقدم له كبار الشخصيات والأعيان؛ ثم وقف ابن سعود وبين لهم أنه لم يأتهم مقاتلا ولا ظالما وإنما جاء ليخلصهم من جور الحسين وعسفه ولييسر للمسلمين سبيل الحج إلى بيت الله الحرام، جاء ليدعو الناس إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويبسط لهم حقيقة الوهابية ليفهم الناس عنها فكرة صحيحة بعيدة عن الأغراض وأقوال الكاذبين وأبدى أسفه لما حدث في الطائف ووعد بتعويض المصابين بضیاع الأموال، فتقدم إليه الشيخ عبدالقادر الشيبى وقال هل لكم يا عظمة السلطان أن تفضلوا بتعيين موعد تجتمعون فيه بعلماء المسجد الحرام وتوضحون لهم ما خفي عليهم من حقيقة عقيدة الوهابية فقد كثر حولها الكلام ونفر منها العوام فأجابه ابن سعود لكم ذلك ووعدهم من الغد في الساعة الثامنة بدار الحكومة.

ولما كان في ظهر يوم السبت في الوقت المعلوم كان الاجتماع في الحميدية وحضر لذلك العلماء وذوا الرأي من أهل مكة والمهاجرين فحياهم السلطان وتقدم حافظ وهبه فألقى عليهم كلمة جميلة أفادت أن ابن سعود جاء ليظهر تلك البلاد المقدسة من البدع، وليجعل الأمر شورى فلا يستبد بأمر، وبابه مفتوح لنصيحة كل ناصح، ولا يكون هذا البيت الحرام ملكاً لأحد، وأن التجارب السابقة دلت على أن الحسين وآله غير صالحين لإدارة هذه البلاد ولذلك فإننا سنضحي بنفوسنا وأموالنا في تطهير البلاد المقدسة منهم؛ وهنا قام «حبيب الله الشنقطي» فقال ولينصرون الله من ينصره، وما دامت غاية السلطان عبدالعزيز نصرة الإسلام فإن الله ينصره ويؤيده.

فوقف السلطان عبدالعزيز ثم خطب فيهم خطبة دينية، حمد الله وصلى على نبيه، ثم قال إن الأمور كلها بيد الله، وأن الله قد ضرب الأمثال في القرآن ولم يترك شيئاً لتأديبنا إلا ذكره في كتابه؛ ولقد كان رسول الله ﷺ الذي من أحبه فقد أحب الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، يأخذ نفسه بآداب القرآن الذي نزل به أمين السماء جبريل على أمين الأرض محمد صلى الله عليه وسلم ولا أظن رجلاً عنده ذرة من عقل وعرف ما جاء في كتاب الله إلا قدر هذه الآداب حق قدرها، ورأى أن الخير كل الخير في اتباع الهدى الحكيم، وأنتم تعلمون أن نبينا محمداً ﷺ ما جاء إلا ليدلنا على طريق الخير ويبين لنا السبيل الأقوم، ثم قال إن أفضل البقاع بقاع فيها شرع الله، وأفضل الناس من اتبع أمر الله وعمل به، فهل تعلمون قبيلة أفضل من قريش ومع فضلهم قاتلهم الرسول لما عصوا الله ورسوله وأعرضوا عن الحق، ألم يشرف بلال الحبشي وسلمان الفارسي بالإسلام والأول عبد حبشي والآخر رجل فارسي؛ ألم يذل أبو لهب بالكفر وهو عم رسول الله ﷺ فالشرف ليس بالحسب ولا بالنسب وإنما هو بالعمل الصالح.

إن هذا البيت هو شرف الإسلام الخالد، وما عمل فيه من الأعمال الحميدة يضاعف الله أجره، وما عمل فيه من السيئات يضاعف الله وزره، إن لهذا البيت

شرفه ومقامه منذ رفع سمكه سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد عظم العرب شأنه في جاهليتهم فتحالفوا وتعاهدوا ألا يقروا ببطن مكة ظالم صيانة لهذا البيت أن يقع الظلم فيه.

إن الفضول تعاهدوا وتعاهدوا ألا يقربطن مكة ظالم
فتعالوا نتعاقد ونتحد، والله وبالله وتالله ورب هذا البيت لقد كان من أحب الأمور إلي أن يقيم الحسين شرع الله في هذا البيت المبارك، ولا يعمل لإبادتنا من الوجود، فأفد عليه مع الوافدين، أقبل يده وأساعده على كل شيء يريده، ولكن هكذا شاءت إرادة الله، ولو لم يلحق الأمر الأديان والنفوس لما أقدمنا على ما أقدمنا عليه، فقد قرر الحسين تقسيم بلادنا وتوزيعها وأصر عليه وأخذ يعمل له، وهذه جريدة القبلة أمامكم تعرفكم نياته نحونا، فإن الحسين أتى إلى هذه الديار مؤمراً من قبل الترك وأقام فيها ثم خلع طاعتهم فحنن في ديارنا لم يأمرنا غير سيوفنا واتباع ما أمر الله لا يتفعلننا غير الاخلاص في كل شيء؛ الاخلاص لله بالعبادة.

ثم قال: أنا بدمتكم وأنتم بدمتي، أنا منكم وانتم مني، هذه عقيدتنا في الكتب التي بين أيديكم، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فمردنا إليه، إننا لم نطع ابن عبد الوهاب ولا غيره إلا فيما أيده بقول من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما أحكامنا فسنسير فيها طبق اجتهاد الإمام أحمد بن حنبل.

لقد أشاع الترك عنا كثيراً وقالوا في جملة ما كذبوه علينا إننا لا نصلي على محمد وإننا نعد الصلاة عليه شركاً بالله نعوذ بالله من ذلك، أو ليست الصلاة على محمد ﷺ ركناً من أركان الصلاة لا تتم إلا بها، ويقولون إننا نكر شفاعته محمد ﷺ يوم القيامة معاذ الله أن نقول هذا، وإنما نطلب من الله أن يشفع فينا نبينا ﷺ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﷻ بل ندعو الله أن يشفع فينا الولد الصغير ونقوا اللهم اجعله فرطاً لأبويه وشفيعاً مجاباً ولا نطلب الشفاعة من الطفل.

وأما محبة الأولياء والصالحين فمن ذا الذي يبغضهم منا فإن كان هذا

مقبولاً عندكم فتعالوا نتبايع على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، فأجاب الحاضرون كلنا نبائع، كلنا نبائع، فقال السلطان: قولوا لنا بصريح القول ما عندكم فرد الحاضرون ما عندنا غير هذا، فقال السلطان: أعيدكم بالله من التقية فلا تكتمون شيئاً، فتكلم الشيخ الشنقيطي قائلاً: إنا نريد أن نجتمع بعلماء نجد فتباحث في الأصول والفروع ونقرر ما نتفق عليه، فأجابه السلطان قائلاً: جيلاً، قريباً تجتمعون، واستأنف الشنقيطي الكلام فقال: إذا أردنا المناظرة مع علماء نجد فيقتضي أن يعرف كل منا طبيعة الآخر حتى إذا أقيمت الحجة عليه أذعن بدون سخط ولا غضب، فأجابه السلطان: ما دام المرجع كتاب الله فلا سخط ولا غضب.

ولما كان في يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى، اجتمع ستة عشر عالماً من علماء الحجاز من بينهم محمد المرزوقي، وعباس مالكي، ومحمد جمال مالكي، ودرويش عجيمي، بسبعة علماء من نجد من بينهم الشيخ عبد الله بن حسن، والشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، والشيخ محمد بن عثمان الشاوي؛ والشيخ عبدالرحمن بن داود، والشيخ عبدالله بن زاحم، والشيخ مبارك بن باز؛ فتباحثوا في الأصول والفروع، وتبين أن ما يدعوا الوهابية هو الحق الذي دعى إليه جميع الأئمة، وصرحت به كتب كافة المذاهب وقرروا ما يأتي:

قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد في مسائل أصولية، من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع أو دفع ضرر، فهذا كافر يستتاب ثلاثاً، فإن تاب وإلا قتل، ومنها تحريم البناء على القبور وإسراجها وإقامة الصلاة عندها، لأن في ذلك بدعة محرمة في الشريعة، وزيارة القبور إنما هي للدعاء للميت والتذكير بالآخرة، ومنها من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراماً، في هذه المسائل تبأحنا واتفقنا فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين إخواننا أهل نجد، ثم وقعوا عليها بإمضآتهم، وهذا البيان طويل أذاعوا به بيانا للأمة لتقتنع بأن كل ما كان يذاع عن الوهابيين من اختراق

المشاكل إنما هو مجرد دعاية لا صحة له، وقد طبع في مطبعة جريدة أم القرى معه خطاب رئيس القضاء الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وكان هذا تقريراً عظيماً للمسائل الجوهرية في المذهب الحنبلي، هذه المطبعة للأتراك يطبعون فيها جريدة الحجاز الرسمية، ثم استولى عليها الحسين وشرع يطبع فيها جريدة القبلة، ثم استولى عليها ابن سعود وأصدر جريدة أم القرى، ثم أصدر ابن سعود بياناً رسمياً إلى أهل الحجاز الحاضرة والبادية وهو هذا.

يا سكان الحجاز من حضر وبدو إننا لم نقدم من ديارنا إليكم إلا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه، ودفعنا للشرور التي كان يكيدها لنا ولديارنا من استبد فيكم بالأمر قبلنا، وسنجعل الأمر شورى بين المسلمين في شأن هذه البلاد المقدسة، فلذلك أبرقنا لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام يقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لأحكام الله في هذه البلاد المطهرة، إن مصدر التشريع في الأحكام بينكم يجب أن لا يكون إلا من كتاب الله، ومما جاء عن رسول الله ﷺ، أو ما أقره علماء الإسلام عن طريق القياس أو أجمعوا عليه مما لم يكن في كتاب الله أو سنة نبيه، كل من كان من العلماء في هذه الديار من موظفي الحرم الشريف أو المطوفين ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل، إن لم نرده فلا ننقصه إلا رجلاً أقام الناس عليه الحجة أن لا يصلح لما هو قائم عليه فهو ممنوع مما كان له من قبل، وكل من له حق ثابت في بيت مال المسلمين أعطيناه حقه لا كبير عندي إلا الضعيف حتى أخذ الحق له، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى أخذ الحق منه، وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ولا أقبل فيها شفاعاً.

ولقد كان لكلام ابن سعود هذا وقع عظيم في قلوب أهل الحجاز وفتح به أغلاقاً محكمة، وملك به قلوبهم وعملوا على مناصرته لا سيما حين أقرهم في وظائفهم ولو سلم هذا البيان من ذكر جعل الأمر شورى بين سائر المسلمين كما أشار إليه في مبتداه للملك به سائر الحجاز ولكنه لا يعجب الحجازيين تدخل الأجانب في أمرهم ولكن، السلطان رأيته من وراء ذلك كله أن يرضي سائر

المسلمين ويوقفهم عند حدهم، غير أنه أدرك بثاقب رأيه أن أهل الحجاز أحبوه وتعلقوا به، غير أنهم استاءوا لذلك فأسرع إلى دعوة العلماء وذوي الرأي في البلاد وألقى عليهم خطاباً عدل، خطته الأولى فقال: يا أبناء الحجاز ويا جيرة البيت الحرام إن دياراً كدياركم تحتاج إلى اهتمام زائد في إدارة شؤونها عندنا مثل يعرفه الناس جميعاً وهو أن أهل مكة أدرى بشعابها فأنتم أعلم ببلدكم من البعيدين عنكم وما أرى لكم أحسن من أن تلقى مسؤوليات الأعمال على عواتقكم، وأطال في هذا الموضوع إلى أن قال أريد رجالاً يعملون بصدق وعلم وإخلاص، فإذا اجتمع أولئك المنتخبون وأشكل على أمر من الأمور رجعت إليهم في حله، وعملت بشؤونهم فتكون ذمتي سالمة وتكون المسؤولية عليهم وأريد الصراحة في القول، لأن ثلاثة أكرههم ولا أقبلهم، رجل كذاب يكذب علي عن تعمد، ورجل ذو هوى، ورجل متملق، هؤلاء أبغض الناس عندي، وطلب الانتخاب بسرعة.

فما كاد يتكلم بهذا الخطاب حتى قام العلماء والأعيان والتجار لتأسيس مجلس شورى تنفيذياً لإدارة السلطان، واجتمعوا في دار البلدية، وانتخبوا من الأعيان والعلماء والتجار مجلساً مؤلفاً من أربعة عشر عضواً برئاسة الشيخ عبدالقادر الشبيبي.

وفي اليوم ١٥ من جمادى الأولى أصدرت الحكومة السعودية صحيفة مكة أسمتها جريدة أم القرى وهي لسان الحكومة السعودية، ومحررها يوسف ياسين لاذقي الأصل، وعندما عرض نتيجة الانتخاب على ابن سعود أقرها، ودعا المنتخبين وأوصاهم بتقوى الله، ورغب إليهم أن يعملوا على عدم تخلف الناس عن الصلاة في الجماعة، فنادى مناد في البلاد يا معشر المسلمين سكان البلد الأمين على كل واحد منكم إذا سمع المؤذن أن يجيب داعي الله ويبادر إلى الصلاة في الحرم، ومن كان بعيداً عنه فليصل في أقرب مسجد منه.

كما أصدر السلطان أمره بتعيين حافظ وهبه محافظاً على مكة، والشریف هزاع العبدلي أميراً على بدو الحجاز، وخصص خالد بن لؤي بشؤون نجد، فهدأت الأحوال وسرت الخواطر.

ذكر الإشاعات المكذوبة على الإخوان قبل ذلك

لقد مرض رؤساء أهالي جدة مرضا حسيا ومعنويا أما الحسي فنعم مرضوا بالأمراض السارية كالملاريا وغيرها من الأمراض، وأما المعنوي فيما كانوا يسمعون من الأخبار التي شوهت بالإخوان وكذبت عليهم ما كان يحذ الكربة ويزيدها بالهول الإخوان ويا للفظاعة ويا للعار قد عاهدوا بني جابر وبعض الأشراف الذين دينوا وأمنوهم، ثم حملوا عليهم فذبحوهم كلهم الرجال منهم والنساء والأطفال قد عاهدوا الجذاعين وأمنوهم على حياتهم وأموالهم ثم ذبحوهم عن بكرة أبيهم، الإخوان يضربون أهل جاوة في الحرم، ويمنعونهم عن الصلاة وعن التدريس في الحرم، الويل لمن يرى الإخوان سكاره بيده فإنهم يشبعونه شتما وضربا، الإخوان يحجزون البيوت بمكة ويبيعونها، الإخوان يهدمون بيت المولد النبوي، وبيت السيدة فاطمة الزهراء، وضريح السيدة خديجة، الإخوان هدموا كل قبور الصحابة والأولياء وآل البيت في المعلاة، وهدموا مسجد حمزة ومسجد أبي قبيس، وهدموا وفعلوا، وما هي إلا إشاعات مكذوبة صدرت عن السنة تبهرج وتنفر الناس عن اسم الوهابية، ومن لم يراقب الله ولم يستح من خلقه فليفعل ما شاء .

ونزيد المقام توضيحا فنقول عندما دخل الإخوان مكة، جاء عربان الجذعان وبني جابر وبعض الأشراف إلى الأمير خالد بن لؤي موحدين طائعين دخلوا في دين التوحيد، ودينوا فأعطاهم خالد الأمان على أرواحهم وأموالهم وأذنتهم بالرجوع إلى منازلهم التي تبعد مرحلة ومرحلتين عن جدة إلى الشرق الجنوبي، ولكنهم بعد أن عادوا من مكة جاءوا يقدمون الطاعة للملك علي وشرع بعضهم يقطع الطريق بين جدة ومكة، فأرسلت القيادة النجدية سرية عليهم للتأديب، ولجمع السلاح فأبى الجذعان أن يسلموا سلاحهم، فنشبت بينهم وبين الإخوان معركة دامية انتهت بهزيمة الجذعان وفرارهم في السنيك إلى جدة.

أما بنو جابر فمنهم من سلموا سلاحهم ومنهم من فروا هاربين فركبوا البحر

مثل الجدعان، وجاءوا جدة بحريتهم وعيالهم فأنزلهم الملك علي خارج السور وبذل في سبيل المستطاع.

أما أهل جاوة فما ضربهم الإخوان ولا منعوهم عن الصلاة والتدريس في الحرم وليس الخبر كالعيان بل سأل بعض المشتين أهل جاوة هل ضربكم الإخوان وفعلوا وفعلوا؟ فقالوا: إنا أقمنا حفلة لتتلوا المولد النبوي، كما هي عادتنا كل سنة فنصبنا قبة الاجتماع، وعندما حضر عالمنا لتلاوة سيرة المصطفى جاء الإخوان فطردونا هدموا القبة، لا ولم يضربوا أحداً ولكنهم كانوا يشتمونا ويدعوننا، نعم التدخين ممنوع في الأسواق، ولكنني ما رأيتهم يضربون أحداً يدخن لهم يشتمون من يدخن ويدفعون جزاء ريع مجيدي، كذلك أيضاً قال بعض أهل الإنصاف التقينا ذات يوم عند السور في جدة باثنين عائدين من مكة أحدهما: ضابط تركي كان من خدم الحسين؛ والثاني كان أعرابياً فسألناهما عن فظائع الإخوان فقال الضابط: إنهم حجزوا البيوت ونهبوها وباعوها والله وهدموا المقامات كلها حتى مقام إبراهيم عليه السلام، فقاطعه الأعرابي قائلاً: لا والله الذنب ذنبنا نحن والخيانة منا، يجيء الوالد إلى خالد يقول هذا بيت الشريف، وهذا بيت عم الشريف، وهذا بيت أحد عبيد الشريف، فيحجز الإخوان هذه البيوت ويبيعونها بعد ما يخرجون منها الأثاث، والله ما مسوا غير أملاك الشريف ودور الحكومة.

أما هدمهم القبور والمقامات فأمرها واضح هذه المقامات لم تهدم والمساجد معمورة إلا مسجد أبي قبيس فهدم قسم منه، لما كان الجهال يتتابون ويجعلونه مزاراً، لا سيما وقد أسف جلالة الملك لذلك وأمر بعد ذلك بترميمه، وأما القباب والحجر على القبور، فهي الداء العضال والبدعة العمياء من الجهال فتن بها عباد القبور ووضعوا عليها البناية والستور وكبر على العامة هدم ضريح السيدة خديجة وبيت السيدة فاطمة والمولد النبوي لما قرره الأتراك ونحوهم، ولكن ما المانع من هدمها، أما قال علي لأبي الهياج الأسدي ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته، فلا يجوز تركها مع القدرة على إزالتها.

ومن المتعصبين لهذه البدع الشركية من يزعم أن هذه البنايا التي على القبور شرف للمقبورين وتعظيم لأهلها وأنها تضيء على أهل الدنيا إضاءة الكواكب، ولقد كان من المعلوم من شريعة الإسلام التي جاءت من طريق المشرع صلوات الله وسلامه عليه، أن الرسول لعن المتخذين على القبور المساجد والسرر وأمر بإزالة البنايا، وما كان ذلك تعظيماً لأهلها إنما تعظيمهم محبتهم والدعاء لهم والترضي عنهم وتنفيذ رغباتهم بعدم الغلو فيهم والاطراء؛ كما حرق أمير المؤمنين علي الذين غلو فيه.

فهلّموا بنا عباد الله نتمشى على هدي الرسول وندع كل بدعة تخالفه، ومن هذه الإشاعات الباطلة اختلاق أدعية: كقول الملك علي بن الحسين لقائد فرقة النصر تحسين باشا الفقير، جاءنا اليوم الإثبات من عمان أن حائل سقطت بيد قبائل شمر وإن سلطان الدويش قد استولى عليها بمساعدة شمر.

ولقد كان الأولى بتحسين باشا أن يكون قائد فرقة البوار لأنه قاد الحملة في سنة البكيرية على ابن سعود فخاب، وبعد عشرين سنة قاد هذه الحملة من سوريا على ابن سعود في الحجاز، فخاب أيضاً وباء بالبوار.

أعمال ابن سعود لتموين مكة

لما تم خط الدفاع الذي سواه الملك علي في جدة حال ذلك الخط دون تموين مكة من ثغرها الأقرب لها، ولقد عمل ابن سعود على احتلال الليث وراغب قبل أن يسافر من الرياض، وأصدر الأوامر إلى قواده بفتح القنفذة التي هي أول الثغور الداخلة في حوزة ابن سعود حينما مشت جيوشه إلى عسير بعيدة، والليث كان أقرب منها لذلك بادرت القيادة في الحجاز إلى احتلالها، ولكنها لما مشت السرية إلى ذلك الثغر لقيت من أشرف ذوي حسن بعض المقاومة، فاشتبكت وإياهم في معركة دامت بضع ساعات وانفصلت عن كسرة ذوي حسن، ففر منهم البعض وسلم الآخرون، وأصبحت الليث في حوزة ابن سعود.

أما إسماعيل بن مبريك وأهل رابغ فقد كان فعلهم مع ابن سعود والشريف علي كله ملقا، وسلوكا كسلوك الثعالب عصوا حكومة جدة فأرسل عليهم الشريف علي خمسين جنديا بقيادة حمدي بك فلما ظفر بهم أقسموا لعلي يمينا على الطاعة والولاء فعفا عنهم ورجعوا إلى بلدتهم.

وفي هذا الأثناء تصادم الإخوان وفريقا آخر من العربان في الطريق بين مكة ورابغ وهؤلاء العربان بطون من عرب يقطنون في تهامة الحجاز، وكانو في مواسم الحج يعتدون على الحجاج وينهبون القوافل، قاتلهم الله، وتتقاضى الحكومة فوق ذلك رواتب معلومة.

فلما دخل الجيش النجدي مكة جاء بعض هؤلاء إلى الشريف خالد بن لؤي يطالبون بما ادعوا أنه حقهم الشرعي، فقال لهم خالد إذا دينتم كنتم وكافة المسلمين سواء وإلا فعندنا الكتاب والسنة والسيف، فاستمروا عاصين، فأرسل عليهم خالد سرية من الإخوان فالتقوا بجماعة منهم في عسفان بين مكة ورابغ على طريق المدينة، فضربهم الإخوان ضربة قاصمة فرقتهم من ذلك المكان، ثم قرب الإخوان من رابغ ففرر إسماعيل بن مبريك إلى مكة أولا وثانيا، وجعل يعاهد الشريف خالد ويوحد الله، ولبت ينتظر قدوم السلطان فعين لهم السلطان رواتب على شرط أن يمنعوا التعدي على الحجاج ويحملوا الطريق من البحر إلى مكة، فهذا ما جرى من أمر أهل رابغ وإتيانهم هذا وذلك، يحلفون لهذا تارة ولهذا أخرى، حتى تبعوا الأقوى والأكرم، وعلى هذا كان غيرهم من الأشراف الحرث والقصور، فإنهم تهافتوا على السلطان عبدالعزيز عند وصوله إلى مكة، وجاءوا يشكون القلة والغلاء والشدة والضيق، فأجابهم بما اطمأنت به نفوسهم بقوله قد اتخذنا التدابير لمنع الإحتكار وإنا فتحنا لجلب الأقوات طريقا، وهو الليث وإنه ورجاله وجيوشه لا يكلفونهم من هذا القليل شيئا، لأن الأقوات تحييهم من نجد.

ثم إن أهل مكة بعثوا خطابا إلى الملك علي في جدة بتاريخ ١٨ جمادى، بعد عرضه على ابن سعود يطلبون فيه عدم منع الأرزاق الواردة عن طريق جدة وهذا نصه:

إلى حضرة صاحب السمو الأمير علي بن الحسين وفقه الله بعد السلام اللائق بالمقام لا يخفاكم أننا جيران بيت الله الحرام الذين قال الله في حقهم ﴿ أَلَدَّتْ أَلْطَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ وقال أيضا ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ فإين عملكم من توصية الله بنا وما السبب في إقدامكم على منع القوات عنا وإيصال الأضرار إلينا لأن قوة نجد وجيوشها دخلت مكة ولسنا نحن المسؤولين عن ذلك بل أنتم المسؤولون عنه عند الله وعند خلقه، أولا: لأنكم لم تعملوا على الإصلاح ذات بينكم ولا لإزالة أسباب الخلاف بينكم وبين نجد وأمامها وغيرهم حتى يكون حرم الله آمنا، ثانيا: عند دخول جيوش حكومة نجد الطائف طلبنا منكم تخليص عائلاتنا ومحارمنا وأموالنا من الطائف فأبىتم ذلك وأعطيتمونا العهد بالمحافظة ثم شردتم وتركتمونا؛ فلا أنتم حافظتم علينا ولا سمحتم لنا بالخروج حتى كان ما كان ثم لما قدمتم راجعناكم أنت والدك مراراً، فوعدتمونا بالدفاع عنا برفاقكم، ثم شردتم وتركتمونا فوضى، وإننا نخشى عليكم عقوبة ما جرى على بيت الله الحرام من الخوف والهلوع، وبعد ذلك أعلنتم أنكم ما خرجتم من مكة إلا حقنا للدماء، فسموكم تورعتم عن قتل أهل نجد، وأجتمتم المصيبة لجيران بيت الله بمنعكم الأرزاق عنهم، وحجزكم معاشهم، والآن نسأل سموكم إن كان جيران بيت الله مجرمين! فأنبئونا نستغفر الله، وإن كنا فقراء ضعفاء لاجئين إلى بيته فما السبب في التضييق علينا في أرزاقنا وأنفسنا؟ فإن كنا مجرمين من جهة الحكومة النجدية فليس لنا يد في دخولهم، ولا طاقة لنا على إخراجهم، ولكننا نرجو الله ثم سموكم أن تفعلوا أحد أمرين: إما أن تقدموا بجيوشكم وتخرجوا الحكومة النجدية حتى تفتح لنا طرق أرزاقنا، وإما أن تتركونا وتتركوا جدة محل معاشنا، ثم إنه وقع لعي هذا الكتاب ستون من أعيان أهل مكة، وعندما وصل الكتاب إلى علي الشريف ثارت ثائرتة، وكتب ردا عليه بتاريخ ١٨ جمادى الأولى، وبعثه في منشور بإحدى طائراته فألقته على مكة. (لم نمنع الأرزاق عنكم إلا مكرهين فالقواعد الحربية تقضي بذلك، ولا قصدنا إلا إخراج مراكز العدو، وعدم تموين جيوشه ولثلا يغدر بكم العدو بوضع يده عليها، ونحن

على يقين أن كتابكم الذي وصلنا لم تحرروه إلا مرغمين وعلمنا من فحواه أن العدو لم يضطركم إلى هذا إلا لضعفه وعجزه، إنني لم أترك مكة إلا لأمرين: أولهما: عدم القتال فيها حرمة لها، والثاني: حفظكم من مثل ما حصل في الطائف، وإنني عاهدت الله على الموت في سبيلكم وإنقاذكم بعون الله فاصبروا، صبر الكرام، وقريبا إن شاء الله يكون الاجتماع بكم في حرم الله على أسر حال.

وقد شكّا الأهالي إلى السلطان عبدالعزيز تضيق الإخوان على الناس، وشتّمهم خصوصا أهل الغطف يخطبون من يدخن بقولهم: يا مشركين وقد يضربون المدخن في بعض الأحيان، فطيب بالهم السلطان، ولكنه سمع من الإخوان مسوغا لذلك «يا الإمام إنهم يدخنون يشربون التتن يا عبدالعزيز ولا يصلون» فأمر السلطان بالمنع من الضرب والشتّم، ولما أن جعل السلطان خالد بن لؤي على شؤون الإخوان، جلس خالد أميرا في مكة، كما أنه جعل الشريف هزاعا على بدو الحجاز، وجعل كذلك حافظ وهبه بينه وبين أهالي مكة وجعل مقره في الحميدية، وفرغ ابن سعود من الشؤون الداخلية تفرغ للشؤون الخارجية.

ذكر المفاوضات بين ابن سعود ووسطاء الصلح

قد قدمنا أن الشريف حسينا قبيل سقوط الطائف عين وزير خارجيته فؤاد الخطيب سفيرا لدى حكومة إيران فبادر السفير الجديد إلى التاهب للسفر مسرورا بوظيفته هذه، وما سافر عن طريق البحر من جدة مصحوبا بكاتب سره وترجمانه ومرافقه كلها من عبيد وغيرها، ووصل إلى عمان في طريقه إلى بغداد فطهران حتى وصلتته دفعة واحدة أخبار الحجاز كلها فجاء بعد ذلك أمر من الحكومة الجديدة، حكومة علي ان يرجع إلى وظيفته السابقة، فحدثته نفسه أن يسعى في السلم بين نجد والحجاز سعيا موفقا، واتفق ببعض الأذكىاء وهو أمين الريحاني فتفاوضا ثم اتفقا بالأمير عبدالله في مقر بعمان، فرغب بالتوسط بين أخيه وعظمة السلطان، ووافق لذلك برقية جاءت لفؤاد الخطيب من الملك علي لذلك الموضوع فقبل

الريحاني، وظن الأمر قد تعين عليه فسافرا إلى السويس، ثم إلى جدة في اليوم الذي هو ٧ ربيع الثاني، فوجد المستر فلي رسولا قد سبق إليها.

إن فلي هو المستعرب الإنكليزي وقد يكون مندوبا من الحكومة البريطانية للتوسط بين الملكين، ولكن المعتمد الإنكليزي بجدة «المستر بولارد»، قد كذب ذلك بل حقق أنه متطوع بالصلح لا موفدا فأعجب الشريف عليا وساطة فلي، قائلا: هو صديق لابن سعود وصديق لنا وقد عرض فلي سعيه بواسطة وكيل الحكومة العربية السابق بلندن فقبلت، ثم قدم إلى جدة رسول آخر هو «طالب النقيب» الذي كان يومئذ في الأسكندرية، وطالب هذا قد مر ذكره في هذا التاريخ، ويعتبر صديقا لابن سعود، فإذا كان ابن سعود لا يقبل وساطة فلي ولا غيره، فلا بد أن يأذن بالزيارة في الأقل لمن اجتمع به مراراً في الكويت وفي البصرة، وكان ضيفه في القصيم، وتوسط بينه وبين الترك، وهو صديقه طالب النقيب وقد تدخل في عرض الصلح غير هؤلاء كالإمام يحيى، ووفد الهند، والسنوسي، وإمام مسقط، وإمام عمان، وسليمان الباروني، وحكومة إيران، وحكومة مصر، ذلك لأن حكومة علي لما يئست من تدخل بريطانيا رغم صلة الملك فيصل والأمير عبدالله بها عمدت إلى بعض الشخصيات المحبوبة لدى ابن سعود تناشدها الوساطة في الأمر؛ فلبى نداءها من العراق طالب النقيب ومن الشام الأديب الريحاني ومن شرق الأردن المستر فلي، وهؤلاء منهم من جاء مدفوعاً بدافع العاطفة فقط، ومنهم من جاء موفدا رسميا من قبل حكومته أو بإيعاز من الشريف علي لأن جلهم من أولى الشخصيات البارزة في العالم، هذا وقد تم خط الدفاع حول جدة بما فيه من الاستحكامات والتأرييس والخنادق والأسلاك الشائكة والألغام، وكان على شكل هلال طوله من البحر إلى نحو ستة أميال؛ وكان الملك علي قد استعاد شيئا من الأمل والاطمئنان بل كانت ثقته بالفوز سلماً أو حرباً تزداد يوماً مع ازدياد الجيش النظامي وقوته لأن والده وأخاه عبدالله يبذلان له المال والهمة في الدفاع عن الحجاز قد اشترى بعض الأسلحة من الخارج كطيارات ودبابات ومدافع وذخيرة،

واجتمعت لديه قوة، وبينما صاحب الجلالة والمهابة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل يجهز جنوده ويستعد لمهاجمة جدة وإنهاء الموضوع، إذا بكتاب القناصل في جدة يصل إليه.

من ممثل الدول «الموقعين أدناه» إلى حضرة صاحب العظمة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود سلطان نجد الأكرم بعد تقديم واجبات الاحترام قد وصلنا كتابكم المؤرخ في ٢٤ ربيع الثاني عدد ١١٤ وما ذكرتموه صار معلوما لدينا، أما بخصوص الاقتراحات المتعلقة بحفظ رعايانا وتأمينهم من خطر الحرب نرى من اللازم أن نذكر عظمتكم بأن احترام رعايانا مبني على حقوق دولة متبعة في أيام الحرب فبناءً عليه ندعوكم باسم حكوماتنا جميعها إلى احترام أشخاص رعايانا مع أموالهم وإلا تكونون مسؤولين بجميع ما يقع عليهم في أي وقت كان وفي أي مكان كان، أما بخصوص الكتاب المرسل باسم أهل جدة فنحن لا يمكننا تسليمه نظراً لقاعدة الحياد التي نتبعها والتي لا تسمح لنا بالتدخل في أي وجه كان فعليه نعيده إليكم، وفي الختام تقبلوا فائق الاحترام:

القائم بشئون القنصلية الفرنسية - وكيل قنصل جلاله شاه إيران.

معتمد وقنصل بريطانية العظمى - قنصل جنرال ملك إيطاليا.

وكيل قنصل هولانده.

وجاءت أيضاً كتب رجال الصلح مع كتاب القناصل من طالب؛ وفليي، والريحاني، أما كتاب ابن سعود الذي بعثه لأهل جدة بواسطة القناصل ورجع إليه فما كان بحاجة إلى القناصل في إبلاغهم، بل قد نشر رسمياً في جريدة أم القرى، ولقد تضجر ابن سعود من كتاب القناصل الذي كالتعجيز في تحميله المسؤولية يتغلغلون في وسط المدينة ويحملونه المسؤولية، كما تضجر أيضاً من كتب رجال السلم وقطب منها، غير أنه رأى من الأصلح أن يصدهم عن هذا الغرض، فهاتف الهاتف يكلم من القشلة للحارس على الباب الشرقي لخط الدفاع؛ عاد النجاش من مكة ومعه كتب إلى القناصل، وإلى طالب والريحاني وفليي، فكلّم بالهاتف رئيس

الديوان الهاشمي بالقصر، عاد النجائب فبادروا إلى القصر وأدخلهم الحاجب غرفة الملك علي الخاصة، فاستقبلهم وزير الخارجية ودخل الملك علي معه ثلاثة كتب مختومة، فوزعها عليهم وقرا كل واحد كتابه وأعادها، ثم اطلع بعضهم بعضاً على الكتب وهم ساكتون، وهذه صور الكتب التي بعثها السلطان (إلى الصديق العزيز المستر فلي) إذا كنتم حضرتم لمقابلتنا ومباحثتنا في بعض الشؤون الخاصة بنا، فعلى الرحب والسعة وسنسهل الطريق للإجتماع بكم خارج الحرم، أما إذا كنتم تنوون التدخل في مسائل الحجاز فلا أرى في البحث فائدة وأنه ليس من مصلحتي الخاصة ومصلحتك يا صديقنا، جعلكم وسيطا في هذه المسألة الإسلامية المختصة).

حضرة الأخ المحترم السيد طالب النقيب، لقد ذكرتم أنكم تودون مقابلتنا فنحن نرحب بكم ولكن يجب أن نعرف هل المقابلة شخصية ودية أم هي الوساطة، فلاني لا أرى فائدة من ذلك وإذا كان الشريف علي يود حقن الدماء فعليه أن يتخلى عن جده، أما إذا قبله العالم الإسلامي وانتخبه حاكماً فمحله غير مجهول).

وقال في كتابه إلى الريحاني ذكرتم أنكم من قبل جماعة في سوريا، وأنكم تحملون كتاباً منهم إلينا وإنني أرحب في كل حال بصديقنا العزيز أمين الريحاني، ولكن أحب أن ألفت نظركم إلى أمر هام وهو إذا كان البحث يتناول المسألة الحجازية فلا أرى فيه فائدة، لأن مشكلة الحجاز يجب أن يحلها المسلمون، وترك الأمر لهوى أنفسنا ليس مما تجيزه المصلحة الإسلامية ولا العربية، وفي كل حال إن توضيح الأمر وجلاءه قبل المقابلة.

هذه أجوبة السلطان، وهي عبارة عن أن لا سبيل للتوسط، فأما فلي فتأكد أن السلطان لا يوقف في طريقه، وجعل ينتظر أول باخرة للسفر وكتب يودع السلطان، وأما طالب فبقى فيه بقية أمل حيث لا يعدم في الأقل لو الزيارة لابن سعود في مكة بحجة أنه مسلم ومتى حصلت المواجهة فهي نصف الحجة؛ وأما الريحاني فإن السلطان قد ترك له الباب مفتوحاً، ولما طلب النقيب الزيارة ملحاً بإسراع لأنه مضطر أن يعود إلى مصر استراب لذلك بعض أصدقاء علي

وقال أن السيد طالب النقيب خصم الملك فيصل أخي علي وصديق لابن سعود فلا يستغرب أن يتفقا عليهما.

وقد كتب الريحاني كتاباً إلى السلطان، يقول إن لصديقي حسين العويني التاجر السوري في جدة علاقات تجارية في مكة المكرمة وهو يحضر للتجارة والزيارة فيتشرف بمقابلتكم إذا أذنتم وسينوب عني بما يغني عن البيان، فإذا أذنتم بقدومه مروا من يلاقيه إلى منتصف الطريق، وكتب الآخرين ثم أرسلت الكتب إلى السلطان في ١٢ / ٥؛ فما جاء لها من رد أسبوعاً كاملاً فأرسل علي إلى رجال الصلح فحضر الثلاثة عنده في مجلسه، ولما أن حضروا افتتح الكلام قائلاً: دعوتكم لأبسط الحالة واستشيركم قد جئتم أيها الأفاضل إل جدة لخير الفريقين بل لخير العرب ويسوءني والله أن تمس كرامتكم من أجل أحد منا، أنا والله مخجول، قد مر الأسبوع ولم يجتكم الجواب من ابن سعود والرجل متحرك فهو الآن يفسد القبائل علينا ورجاله منعوا عرباتنا من إرسال الفحم كالعادة إلى جدة ونحن هنا ماسكون أنفسنا، خط الدفاع يزداد منعة كل يوم وجنودنا مستعدون للحرب والطائرات كلها أصبحت صالحة للعمل لذلك قد قررنا أن نرسل غداً بلاغاً إلى أهل مكة بالطيارة ثم نرسل سرب الطائرات لرمي القنابل في الأبطح عل ذلك يوصلنا إلى نتيجة فاصلة وقد دعوتكم لأستشيركم في المسألة، فقال طالب النقيب أولاً فهل قنابلكم صالحة هل أنتم متأكدون أنها تنفجر فإذا كانت قديمة ولا تنفجر تعود بالضرر عليكم فلا يخشى العدو بعدئذ الطائرات يجب أن تجربوها قبل أن تقدموا على العمل، ثم تكلم فلي قائلاً: من رأيي يا جلالة الملك أن تنتظروا إلى أن يجيء الجواب ومثل هذا العمل الحربي قبل ذلك في الأقل لا يأتي بفائدة، كذلك أشار الريحاني بأن رمي القنابل بالأبطح يشوه سمعة الأشراف في العالم وتنشره الجرائد المعادية بالقلم العريض فاقنع علي أنه دام على فكرته أن الطائرات تخرج ابن سعود من مكة وتحمله على الفصل في الأمر فطلبوا منه تأجيل العمل ثلاثة أيام فأجاب الطلب.

والذي حمل الملك علياً على هذا الغرور كأنه آنس من جواب ابن سعود للريحاني ليناً، فلما كان في ٢٠ من جمادى الأولى صباحاً قدم النجباء يحمل الأجوبة من السلطان فيها لفلي الدعاء بالسفر الميمون بأمان الله وللأخ طالب أن مكة في حال من الاضطراب لا تجوز معها المخاطرة براحته وستصلكم وأنتم في مصر أخبارنا الطيبة إن شاء الله، وفيها للريحاني قد سمحت لصديقكم حسين العويني بالقدوم إلينا فزودوه بكل ما لديكم من الكتب والأفكار والآراء وإننا نرجوا أن يحسن نقل أفكار صديقنا أمين الريحاني وإني أشكرك على تحشمك المشاق الجسيمة في خدمة العرب وفي سبيل قضيتهم فسر ذلك جميع القادة والوزراء والملك علياً والجنود وإن كانوا لا يرغبون السلم واستبشروا فكتب الريحاني مع صديقه مذكرة خاصة من ضمنها بعض آرائه وقال في آخرها فإن كنت مصيباً فمولاي وصديقي عبدالعزيز لا يتبع غير الصواب وإن كنت مخطئاً فحي وإخلاصي يشفعان بما قد يعد نقصاً في علمي أما إذا كان فيما قدمته مزيج من الخطأ والصواب فأنا أول من يرغب في التمحيص وإني أقبل الحقيقة من السوق فكيف لا أقبلها من الملوك، أعلموني يا طويل العمر إذا كنت مخطئاً واسمحوا لي إذا كنت مصيباً، وزود ذلك بخطاب من وجهاء المسلمين في بيروت.

ولما تجهز العويني أحرم وأشفقوا عليه من البرد خصوصاً إذ كان سفره بليل وأبى أن يذهب إلا محرماً يقول لوجه الله وللقضية العربية وأعطى رفيقه الريحاني ساعة الوداع غلافاً مختوماً فقال إذا لم أرجع يا أمين فهذا الغلاف لأمي في بيروت فخيف عليه من الطوارق، وكان أديباً عربياً صريح الكلمة صادق اللهجة صلب العود، وودع الملك وركب بغلته يصحبه خادمه ورفيقاه، هذا ولم تكن الطريق آمنة فقد لقي في قهوة بحرة المهجورة حينما ألجأهم المبيت بها نصف الليل جثة أعرابي قد سال دمه على الأرض وفرغ منه فاستولى عليهم الذعر فقام ومن معه وأدجوا مسرعين فوصلوا من الغد وقت الظهر إلى المخيم السلطاني بالشهداء، وكان قد نقل من الأبطح إلى الشهداء فاجتمع مع السلطان ورجع في ظرف ثلاثة أيام ذهاباً وإياباً.

ولما أن وصل إلى جدة مساءً وجدهم ينتظرونه في ساعة اجتمع فيها الملك علي ورئيس حكومته عبدالله سراج ووزير الخارجية فؤاد الخطيب، ورئيس الديوان الهاشمي أحمد السقاف فسلم العويني وجلس على السجادة فأخرج من حقيته كتاب السلطان ودفعه إلى الريحاني فقرأه وناوله الملك علي فطالعه وسر به وجعل يقول أشهد أنني لا أحب أن تراق نقطة واحدة من دم العرب ونزع عن رأسه العقال والكوفية ويظهر من ذلك حبه للسلم، ولكن ما الحيلة وفي الرعايا الهاشمية أناس لا يرضون بالسلم، كما أن في الرعايا السعودية الإخوان وبعض الأشراف أناس يريدون تطهير الحجاز من لوث العصيان وأذية الحجاج؛ وهذا متوقف على محق الحسين وعقبه وآثارهم، وكان من وجهاء البيت الهاشمي جماعة لا تزال تغلي مراجل حقدهم للانتقام والمعاقبة غيوم لعمر الهك في سماء السلم لا يزيلها واسطة ولا صلح وقد أرسل السلطان يستدعي الرسول العويني إليه.

ذكر حرب جدة

كان الأمير علي بن الحسين قد كتب منشوراً لأهل مكة، ولما بعث السلطان ابن سعود يستدعي العويني سار في آخر يوم من جمادى الأولى إلى مكة، فقام الأمير علي يؤكد على القيادة العليا عنده أن تؤجل إرسال المنشورات الحربية حتى يصدر أمراً آخر بخصوصه وأن تحتفظ بالنسخ فلا تأذن بنشر شيء منها وأن تشدد على الطيارين بأن لا يتجاوزوا في اكتشافهم بحرة عله أن يحصل السلم، غير أن القيادة خانت وتجاوزت الأمر الملكي، فإنه في غرة جمادى الثانية بعد سفر النجباء بيوم واحد إلى صاحب الجلالة عبدالعزيز طار بعد الظهر طيارة من قوات الجيش الهاشمي فرمت بالأبطح وفي خيم السلطان بالشهداء نسخاً من المنشورات الحربية إلى الأهالي: لقد جمعنا شعثنا وأقبل إخوانكم إلينا من كل حذب وصوب حتى أصبح لدينا والحمد لله من الرجال والعتاد ما يرد كيد العدو في نحره، ولقد جهزنا

جندنا بكل الوسائل الفنية والمعدات الحربية، وها نحن على أهبة الرحيل إليكم وتطهير بلادنا من المعتصب لها ستبدأ طياراتنا بالتحليق في جوكم لتمطر العدو وابلاً من القذائف النارية كونوا على ما نعهد فيكم من الثبات والطمأنينة والشجاعة ولا تجعلوا للعدو سبيلاً إلى الفرار، واعملوا لتخليص وطنكم بكل ما أوتيتم فالوطن أغلى من كل شيء لديكم.

وأما منعنا الأرزاق فإن كان هو يعني ابن سعود وأذنا به يحترمون حرم الله وجيرانه ويعملون مثل عملي ويخرجون إلى خارج الحرم فهناك نظهر حقائقهم إن شاء الله ويرون كيف يكون الذود عن الحياض والدفاع عن الحوزة وإن لم يخرجوا ولبثوا مكانهم جامدين، فإننا سنوافيهم من بين أيديهم ومن خلفهم ومن فوقهم بالطيارات حتى تكون كلمة الله هي العليا.

فلما جرى هذا الأمر الفادح الذي يثير السواكن عاد العويني بخبره إلى جدة، وكان قد شاهد الطائرة بعد خروجه من المخيم السلطاني فلما أخبر الملك علياً اندهش لذلك، وبكل حال فإنه نخطئ من كلا الخطتين، فإن كان صدر ذلك عن أمره فقيح؛ وإن كان من غير أوامره فيعتبر عاجزاً مغلوباً، وإذا التمسنا عذراً وجعلناه جاهلاً بالأمر هو ورئيس حكومته، وما كان الوزراء عالمين فقد قرع علي الجرس الصغير على المأذبة الصغيرة أمامه فجاء أحد كتبة الديوان فقال له ناد تحسين باشا ليحضر حالاً فجاء تحسين وأقر أن الطائرة تجاوزت بحرة، ولكنه أنكر أنها رمت شيئاً من المنشورات فسأله عن السبب في تجاوز الأوامر فأجابه قائلاً: إن خلاصاً صغيراً في المحرك حمل السائق على الإسراع في السير ليقى الطائرة من السقوط إلى الأرض فطارت بحكم الاستمرار في خط مستقيم طيرة طويلة إنه كاذب، لأنه لما بدره أحد الحاضرين بقوله يا باشا لا أظن إلا أنه عن قصد أجابه جهاراً ما هو بالأمر المهم فثبت بعد ذلك أنه جرى عن قصد، واتخذ الملك علي إجراءات ضد هذا التعدي.

الحكومة السعودية وإجراء تدابيرها للحرب

لما عاين ابن سعود المنشورات استشاط غضباً وعدل عن السلم إلى الحرب، ودعى بالعويني فأبقاه عنده، ثم جمع الإخوان في ٤ جمادى الثانية وعقد مجلس بالشهداء حربي، فلما حضر الإخوان وجميع القواد في الجيش السعودي تكلم سلطان بن بجاد بن حميد، الذي يسمى سلطان الدين، فقال: يا عبدالعزيز إننا نعلم أن لا صلاح في أمر دين ولا دنيا للمسلمين عموماً، ولهذا البيت وأهله خصوصاً بوجود الحسين وأولاده في الحجاز، فإذا كان ثابتاً عندنا ونعتقد دينا فما المانع من الزحف عليهم وقتلهم، فإن كنت تخاف على أحد من رعايا الأجانب أو أحد من أهل جدة فلك منا العهد والميثاق أننا لا نغسهم بشر إلا من برز منهم لقتالنا أو بلانا بنفسه، ونحن كما تعلم نتجنب ما تأمرنا بتجنبه، والآن فلا بد لنا من أحد أمرين، الأول أن تعلمنا الطريق الذي يجب أن نسير فيه ونحن نكفيك مؤونة الأمر، الثاني إذا كنت لا توافق في الزحف لما تراه من الأمور التي أنت أعلم بها منا، فلا يجوز أن نظل بعددين عن أعداء الله هذا البعد، بل يجب علينا أن نقرب منهم ونضيق عليهم الخناق حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

أما الأمر الأول فهو مرامنا، وأما الثاني فليس إلا مرضاة لخاطرك بالإمام، لأن الله أوجب علينا طاعتك، ثم تكلم خالد بن لؤي فقال: يا عبدالعزيز إني أقول كلمة وإن كانت تغيظك، كنا نتحدث فيما بيننا ونقول: قد بدّل عبدالعزيز الشجاعة بالجبانة، وكنا قبل قدومه نتمنى قدومه، أما اليوم فصرنا نقول ليته ظل في بلده بعيداً عنا، فإن كان هناك دليل شرعي يؤخرنا عن القوم فبينه لنا حتى نتبعه وما نحن إلا خدام الشرع، وإذا كان لا قصد لك غير الشح بأنفسنا عن الموت فما من أحد يموت قبل يومه، وما نتمنى والله أن نموت إلا شهداء، فأني قتال تراه أفضل من قتال الحسين وأولاده، هذا خطابهما لجلالة الملك، وما كان فيه أعني الملك من جبانة، فأجابهما قائلاً: الرأي، الرأي، الآناة، الآناة، وهذا يعد من دهائه وبصيرته

بل شجاعته، لأن المقام ضخم جداً، فالمؤاخذه بالعجلة قبل المَعذرة من كل جهات العالم الإسلامي الذي ملأ أذنيه الحسين وأبنائه كذباً وزوراً مما يخول لذلك قبولاً. وبذلك استطاع بالرغم من كل الدعايات أن يقف كل الدول وفيها حلفاء الحسين نفسه، ويقف البلدان التي يتولى شؤونها إخوة ملك الحجاز علي بن الحسين وقفة المكتوف، فلا يسعها عونهم وهم ينظرون سقوطه شيئاً فشيئاً.

فلما كان في ٦/٧ جاء كتاب من مكة إلى الملك علي أرسله أحد أنصاره في مكة سراً، فيه أن جنود خالد نقلت من الأبطح ولا يدري أين وجهت، وأن خالداً هو عند السلطان بالشهداء، وأن السلطان يتأهب لنقل المخيم إلى بحرة، فلما قرأه الملك علي عبس واضطرب وجعل يدخله في جيبه ويخرجه ويقرأه بمسمع من رئيس الحكومة ووزير الخارجية وأمين الريحاني.

ثم قدم في آخر اليوم مساء جماعة من أهل جاوة إلى جدة، فأخبروا أنهم أتوا من مكة وأن ابن سعود بألف من جنوده وصلوا إلى حذاء، وكان الذي بعث السلطان على إعلان الحرب ثلاثة أمور:

الأول: الأشراف الذين عنده مثل شرف عدنان، والشريف باشا العبدلي، والشريف هزاع بن فتن بن منصور، اجتمعوا وقالوا للسلطان: إذاً قد ناصرناك وواليناك فإننا نخاف على أنفسنا من الملك علي إن عاد تصالح من عاديناه من أجلك اتركنا في بلادنا ينكل بنا ونحن الآن من رجالك.

الثاني: الإخوان قاموا يستبسلون ويرغون ويزيدون، خلنا عليهم يا إمام أولئك الإخوان الذين فضلهم لا ينكر يشهد لهم التاريخ بالفتوحات الإسلامية والجرأة العجيبة العربية، أولئك الأسود في العرين الذين فرائسهم الأمراء والملوك، فلا عيب فيهم في تلك الآونة سوى أن ساستها أعظمت قيودها وإذا حطمت قيودهم فيا ويل من كان أمامهم.

الثالث: المنشور الذي ألفته الطائفة على غيظه، فما كان لسطوته أن يستهان بها وما هو بالذي يوقف في طريقه أو يصبر على الضيم، وما كان العدو في محاولاته إلا أنه يقوم بحركة مذبوح.

ولما أن جاءت الأنباء بزحف ابن سعود بجيوشه، دخل تحسين باشا الفقير وعارف باشا الإدلي وزير الحربية والبحرية على الملك علي فجلسا وعليهما سيما الغضب والاضطراب فتكلم أحدهما قائلاً: علمنا أن الإخوان مشوا من بحرة وقرية يصلون إلى الرغامة وقال الآخر: يجب أن نرسل عليهم الطيارات لعنهم الله ولعن أجدادهم، ثم قالوا بعد ذلك غداً صباحاً سنرسل الطيارات كلها عليهم فتمطرهم النار والرصاص وتفنيهم إن شاء الله، ثم حصلت محاورات بينهما وبين الريحاني هما ينهضان الملك وهو يثبته حتى طلب الريحاني تأجيل المسألة إلى يوم الأحد الموافق ٩، فكتب السلطان عبدالعزيز في ٦/٧ أن الحكومة والجند وأصحابي في قلق وارتباب مما شاع هذا المساء بخصوص تقدمكم إلى جدة وهم يأبون التربص والامتناع عن الحركات العسكرية الحربية ولكني تمكنت من توقيفهم يومين آخرين أي إلى مساء الأحد، فأرجوكم إذن أن تخبروني حالما يصلكم كتابي هذا ليصلني الجواب مساء الأحد وإذا كان النجاء لا يرجع في اليوم الثاني فأرسلوا الجواب مع نجاء آخر من عندكم في كل حال أنتظر جوابكم مساء الأحد في ٩ الجاري فلا تخيؤوا أُملي، فأجابه السلطان بكتابه الآتي:

من عبدالعزيز عبدالرحمن الفيصل إلى أمين الريحاني كتابك وصل وما عرضت كان معلوماً، من خصوص كتابك السابق وهذا مضمونه تراه طي الكتاب، وأما كونه وصل إليكم أو لم يصل فلا بد أنك تتحقق عن ذلك من أصدقائك الموجودين عندك، وأما ما ذكرت في الملحق عن خمس الجنود لما بلغهم منزلنا حذاء وإغارة بعض الرايات عليهم وأنت طلبت منهم أن يتأخروا، فلا نقول إلا ما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ونقول أيضاً يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين، وأما رجاؤك أنهم يتأخرون فكما قال الشاعر:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

إن كنت تعرف الحقيقة كما نظن إنك تعرفها عن القوم وعنا وتجاهلها فتلك

مصيبة، وإن كنت لا تعرف الحال وأن القوم يتهمون عليك فالمصيبة أعظم، ولكن رجائك لتوقيفهم عن الزحف علينا لا نرى لجنابك في فضلاً وإنما نرجوك أن ترخص لهم كما نرجوك أن تبلغ الأمير أنه بلغني أنه يستحرمنا حرمة الحرم، وإننا إذا لم نخرج منه يقاتلنا فيه وليس بذلك حرج، أما نحن فقد خرجنا فالرجاء فيه أن الكريم إذا قال وفي ورجوا من الله تعالى أن ينصر جند الرحمن على جند الشيطان والسلام على من اتبع الهدى.

فلما كان في صباح السبت الموافق ٦/٨ طارت طائرة إلى وادي فاطمة، وحلقت فوق بحرة وحداء والشميسي، فعاد القائد يقول: ما رأيت ابن سعود ولا جنوده ولا أحداً من البشر أو الحيوان في الطريق، نعم قد حالت الغيوم عن رؤية الإخوان، كيف لا وقد أطلقوا عليها البنادق والرصاص في وقت رؤيتها، وما علم القائد ولا المراقب بهم، وما علموا إلا في غد لما وصل جماعة جدة قادمين من مكة، وهو أن الإخوان قد زحفوا بمائتين من الخيام معهم ثلاثة مدافع وقد خيموا قريباً من حداء وقد أرسلوا الرصاص على الطائرة، لكن بعدها في الجو حال بين الطائرتين وبين الشعور بذلك.

ثم إنه دخل تحسين باشا على الملك علي وعنده الوكيل الإنكليزي يهنيه بصحته، فكلّم تحسين للملك يقول: أستاذن بكلمة خاصة، فأجابه الملك بقوله: مهمة؟ أجاب مهمة جداً، فذهب علي يمشي وتحسين خلفه، حتى ظهرا على غرفة محاذية للمجلس، فرجعا سريعاً يقولان: جئنا نحو مائتين من الخيالة، رأيتهم القيادة خارجين من بين الجبال، وتحسين يقول: رأيتهم بعيني صاروا في السهل فعند ذلك صدر الأمر بإطلاق المدافع عليهم، وبادر كل من في القصر من صغير وكبير وشريف ووضع إلى البنادق وزنار الخرطوش، ووقف الملك علي مذعوراً ينظر ومن معه من حاشيته في شرفة القصر يراقبون السهل بالنظارات، فخاف كل من في جدة وظنوا أن الإخوان سيهاجمون خط الدفاع في هذا اليوم ٦/٩ الموافق ليوم الأحد من سنة ١٣٤٣هـ، وإذا هاجموا يخترقونه لما كانوا يعرفون من صلابتهم

وشجاعتهم فلا تنسى يوم تربة وما فعلوا بجنود الشريف يوم الطائف، وما ظهر منهم من البسالة في الوقعات التي تتلاشى دونها كل قوة.

فعند ذلك أقفلت المخازن ولجأوا أكثر الأهالي إلى بيوتهم، أما المدافع الهاشمية فكانت تطلق الطلقة تلو الأخرى على الإخوان، وما كان لها من التأثير إلا غبار تثيره القنابل إذا انفجرت وما حوالياها أحد من الإخوان، ثم خرجت الخيالة من بين الجبال فعادت اتجاه الخط إلى الجنوب، وظهرت فرقة أخرى في الشمال الشرقي من السهل هي خيالة التوحيد، نحو ثلاثمائة منهم، فجالوا في ذلك السهل ضحى عدة جولات، فأخذوا غنماً وجدوها فساقوها أمامهم وهم يتراجعون، فلما كان وقت الظهر من هذا اليوم وصل النجباء من ابن سعود يحمل ذلك الجواب الهادم لما تقدمه من الأجوبة السلطانية، فرجع السيد طالب النقيب بخفي حنين، وعاد المستر فلي مريضاً حائقاً على جدة وأهلها بعدما اجتمع بابن سعود بالقرب من جدة فلم يفلح، وقرر الريحاني السفر في ٩ رجب مبارحاً البلاد إلى مصر، ثم حصل انكشاف عن المناجزة بضعة أيام سعت في ذلك الوقت بعثة مصرية في السلم، غير أن الوقت جرى فيه فصل الخطاب من السلطان، ثم بدأت المناوشات بين الجيوش النجدية وأهل جدة، حتى جاءت القوات النجدية بالمدافع والرشاشات من مكة فوجهها الإخوان على العدو، وهذه المدافع والرشاشات هي التي تركها علي بن الحسين في الطائف والهدا فصارت غنيمة باردة للحكومة السعودية، فصارت المدافع من كلا الفريقين تضرب بشدة، وشرعت الرشاشات والبنادق فاحتل الإخوان في النصف الأخير من جمادى الثانية النزلة اليمانية مرتين، واحتلوا نزلة بني مالك والرويس واستولوا عليهما، ثم خرجت وضربها تحسين باشا بالمدافع، وحرق الإخوان قسماً منها، فأخلاها الفريقان.

ظل الإخوان مرابطين في الجهة الجنوبية أمام الجناح الأيمن، فاصطدموا مراراً بثلل من الجيش الهاشمي كانت تخرج تارة للكشف وطوراً لاحتلال آبار الماء في تلك الناحية.

وبعد أن استولى الإخوان على هذه المراكز خارج خط الدفاع تقدموا في العراء وباشروا حفر الخنادق، ثم أقاموا عندها استحکامات حصونها بأكياس من الرمل، فصاروا يحاربون الجنود النظامية بالرشاشات والبنادق معاً، ثم تقدم الإخوان وجروا الأطواب فشرعت تضرب في آخر جمادى الثانية، ولكنه لم يتفرد فريق من الطائفتين بالمفاجئات، وقد خسرت الحكومة الهاشمية في آخر نهار ٢٣/٦ خسارة فظيعة، بل إنها جسيمة، ذلك بأنها سیرت طيارة للدش والإرهاب للعدو، ولما طارت الطيارة وفيها المراقب الضابط اللاذقي والكاتب عمر شاکر يقودها القائد الروسي «تشاريكوف» واتفقوا على ضرب الإخوان ولو بقنبلة واحدة، وحينما دنوا من المعسكر وهي على قدر ألفي قدم عن الأرض انفجرت القنبلة في الطيارة فتحطمت في الجو وسقطت ومن فيها على آخر رمق وقد تلفوا وطيارتهم، وهؤلاء الثلاثة ثلّم كبير في الجيش الهاشمي، فصاروا هدفاً للمنية على حالة فظيعة.

أما الإخوان فإنهم جعلوا يهجمون غالباً في الليالي المظلمة هجمات هوجاء مستبسلين مستشهدين، وأحدثوا رعباً وذعراً في قلوب الأهالي، وكانوا مع ما يريدونه من الرعب للأهالي يسببون أسباباً عليها أن تسرف الجنود بإتلاف الذخيرة، وقد كانوا يقربون جداً من الخط، حتى أن رصاص بنادقهم يقع قرب قصر الملك، وحتى أنهم قطعوا بعض الشريط وأخذوه إلى المعسكر العام، ولولا اختلاط القناصل مع الأهالي اختلاطاً لا يستطيع ضمان سلامتهم في الهجوم لكان أدنى أقدام من الإخوان يبدد شمل معسكر أهل جدة، ولكن مراعات للحالة الراهنة رأى ابن سعود تطويق جدة ومضايقة الحكومة القائمة بها حتى تضطر إلى التسلم.

ذكر قوى الفريقين

كانت الحكومة الهاشمية بعد تنازل الحسين قد أرسلت إلى الأمير عبدالله في عمان أربعين ألف ليرة ليذللها في التجنيد وشراء العدد الحربية من أوروبا مثل الطائرات والسيارات المصفحة، فباشر الأمير عبدالله التجنيد بمساعدة بعض الزعماء بفلسطين، فجاءت فرقة المتطوعين وتلتها فرقة أخرى حتى بلغ الجند

النظامي نحو ألف جندي، هذا كان في نصف هذه السنة، ثم جاء أيضاً في شهر رجب فرقة عددها مائتان وثلاثون، ثم جاء في رمضان فرقة أخرى عددها خمسمائة، ولكن هذا الجيش كان معرضاً لعاملين مستمرين في تنقيص عدده، هما الملاريا والدنثاريا، أما المال فلم يكن للحكومة بعد أن نفذت خزينتها، غير مصدر واحد وهو الحسين في العقبة، فإنه بعث الرقمتين في شهر رجب من هذه السنة تحمل صندوقين فيهما خمسة عشر ألف ليرة، وجاءت في رمضان تحمل خمسة آلاف أخرى ثم في شوال أبحرت رضوي منا العقبة وهي تحمل لمساعدة الجيش الهاشمي عشرين ألفاً من الذهب، وفي هذه الأثناء فرضت الحكومة على التجار قرضاً قدرناه قدره اثنا عشر ألف ليرة، ثم نقل الحسين من العقبة وأبعد عن جدة والبعد جفاء، فلم يرسل بعد ذلك غير دفعة واحدة صغيرة خمسة آلاف ليرة، فأخذ العسر بعد ذلك يشتد يوماً فيوماً، وسنذكره فيما بعد إنشاء الله في موضعه، فاضطر الملك علي في صيف هذا العام أن يرهن أطيانه الخاصة في مصر لقاء قرض قيمته خمسة عشرة ألف جنيه، وكان الذي صرفه في سنة واحدة مجموعه لا يتجاوز مائتي ألف ليرة جنيه أعني على قوات الحرب، لكنه ابتلى بخيانة الوكلاء والسماصرة والاختلاس بحيث لما دفع مرة سبعة آلاف ليرة إنكليزية ثمناً لثلاث طائرات قديمة جاءته من لندن لا تساوي أكثر من ألف وخمسمائة ليرة، وكان عند الحكومة الهاشمية خمس طائرات إيطاليات قبل مجيء هذه الثلاث اللندنيات، ثم جاء للحكومة الهاشمية من ألمانيا في الصيف ست طائرات جديدة تحمل الواحدة من البنزين ما يكفيها لتطير ست ساعات، وهي مجهزة بالمدافع الرشاشة ومعها قنابلها الخاصة بها، أخيراً اجتمع لدى الملك على أربعة عشر طائرة، لكن هنا نكتة وهي أن أربعاً من الطائرات لا تصلح للعمل، وأيضاً كان الطيارون أولاً في الحرب روسيين من الحزب القيصري، وكانوا في آخرها من الألمان، فكان الطيار لا يقدم على المخاطر لأنه حريص على حياته وأيضاً كان في هذا السلاح نقص وعدم كفاءة، وما كان هناك قنابل خاصة فاصطنع لها من القذائف مالا تأثير لها كبير لأنها تنفجر قبل وقتها المعين أو

بعده ناهيك بالبنزين فلم يكن عند الحكومة دائماً الكمية الكافية منه، أما المصفحات فيه أيضاً ضعيفة تأثيرها لغلاء الثمن وقلة الفائدة، فخمس سيارات من المصفحات من اللواتي خاضت معارك الحرب العظمى جاءت وصفائحاً مفككة فظل العمال في الورشة يعملون شهراً في تشغيلها وتأليفها وتركيبها وهي لا تسير غير ساعتين سيراً متواصلاً فتحتاج إذ ذاك إلى الماء وأما سيارتان جاءتا بعد ذلك، فنعم أنهما جديدتان ومجهزتان بالرشاشات فلأجل ذلك كانت القيادة تبني آمالها العالية عليهما، أما الدبابات فثلاث جلبت من ألمانيا مستعملة ولم تجد نفعاً وقد صنعت دبابة في ورشة جدة أنشأها تحسين باشا شبه سيارة مدرعة بمحرك قديم مصفحة بالتنك، وجعل لها فوهات المدافع الرشاشة ولكن لم توجد لها مدافع رشاشة، وقد طافت هذه الدبابة في جدة ولكن الذين يسوقونها تركوها في منتصف المدينة لأنها لا تصلح للسير وأصبحت ضحكة للساخرين فجيء بجمل يجرها إلى كراج السيارات وأخيراً كانت كألاعيب الصبيان.

فيا عجباً لقواد الجيش الهاشمي، أیظنون أنهم یقاتلون أطفالاً، أما المدافع فهي اثنا عشر وعشرة رشاشات كلها صالحة للعمل، ثم جاء من ينبع ومن العقبة إمداد وقوات من مدافع صحراوية وجبلية ورشاشة فأصبح على خط الدفاع عشرون مدفعاً وثلاثون رشاشاً، وقد كان لدى الجيش الهاشمي القنابل الكشفية التي تنير المكان الذي تنفجر فيه وتكشف حركات العدو في الليل أضف إلى ذلك كله ما وضع عند أبواب خط الدفاع أمام الأسلاك الشائكة من الألغام ثم الأسلاك نفسها وقد مدت هذه الأسلاك على عمد من خشب طولها متر واحد، فكان الخط شكل الهلال طولها ستة أميال ممتداً من البحر شمالاً إلى الكندرة شرقاً بجنوب ومنها جنوباً ثم غرباً بجنوب إلى البحر، ثم حفرت وراء الشريط الخنادق وأقيمت الاستحكامات، وبين الخنادق ووراءها ربي ومكامن من استخدمت للكشف والدفاع.

وقد قسم هذا الخط إلى مراكز ستة مرتبطة كلها بواسطة الهاتف بالقيادة العامة

في القشلة، وهذه المراكز هي أبو بصيلة، والشرفية، والكندرة، والمشاط، والعقم، والطابية اليمانية، فالطابية هي جناح الجيش الأيمن وأبو بصيلة جناحه الأيسر، وهناك خارج الخط النزلة اليمانية وهي مهجورة على مسافة ميلين من جدة إلى الشرق الجنوبي وفيها حامية من البدو صغيرة مائة نفر لا غير، ونزلة بني مالك على مسافة ميلين من جدة إلى الشمال الشرقي وفيها حامية أخرى صغيرة من البدو، ثم الرويس وهي أقرب القرى إلى جدة من الشمال، فهذه قوة الجيش الهاشمي.

أما عدد الجيش النجدي فقد كانت محصورة بالمدفعية والبنادق والرشاشات، ولقد كان في خزانة الرياض مدافع كثيرة من أنواع مختلفة ولكن السلطان عبدالعزيز لم يأمر بإحضار شيء منها إلى الحجاز بل كانت المدافع التي استخدمها في هذه الحرب الذي غنمها جيشه في الطائف والهدى، وما وجد في مكة وكلها أسلحة طيبة صالحة للعمل صحراوية وجبلية لا يقل عددها عن عشرين مدفعاً كانت تظهر تدريجياً أو بقدر ما يمكن الاستعمال منها في وقت واحد، أضف إلى ذلك الرشاشات الكثيرة والذخيرة الوافرة التي وجد أكثرها في قلعة جباد بمكة.

أما الجنود فقد كانت القوة في العسكر يوم الزحف الأول أربعة آلاف والقوة الزاحفة مثلها وفيها الإخوان من أهل الغطف، وأهل ساجر، وأهل دخنة، وقحطان، والداهنة، وركبة وغيرهم وفيها من الحضر الوية من أهل القصيم وأهل العارض، ثم جاء في رمضان فيصل الدويش أمير الأرطاوية بجيش من مطير وتلاه سبيع والسهول وبعد هؤلاء وصل الأمير فيصل عائداً من نجد بنجدة كبيرة، فبلغ عدد الجيش في الجبهة وورائها نحو عشرة آلاف، أضف إلى ذلك الجنود الذين كانوا محاصرين للمدينة والسرايا التي كانت مرابطة حول ينبع والوجه والعلا بما كان مجموع العدد قد أصبح يبلغ اثني عشر ألف مقاتل ولا طيارة ولا سيارة، بل يغفرون على الخيل والمطايا، ومع هذا فقد فاق جند نجد بالبسالة والتقدم لأنهم يدافعون عن اعتقادات ووطنية بدون جعل ولا مقاضاة.

أما جند الحجاز فبالعكس لا يقبض السلاح بيد إلا واليد الأخرى فيها المرتب، زد على ذلك جهلهم بالحرب وضعف قلوبهم، وكان توزيع الجيش النجدي أن

كانت فرقة الغطف قد عسكرت في الجناح الأيمن المقابل لجناح العدو الأيسر، وأهل دخنة في الجناح الأيسر المقابل لجناح العدو الأيمن؛ وأهل ساجر عوناً للجناح الأيسر، ثم عسكر في القلب لواء قحطان من الهياثم ووراء هؤلاء كلهم سرية من الخيالة، ثم التحق بهم الجيش الذي كان في اليمن من أهل الداهنة وركبة فأصبح في الجبهة نحو أربعة آلاف مقاتل، وكان لما مشى هذا الجيش من مكة معه الأوامر بأن يحيط بجدة ويهاجم خط الدفاع، أما الهجوم بقصد اختراق خط الدفاع والدخول إلى جدة فلم يكن ليقدّم عليه الجيش بدون إذن من القيادة العليا.

أما أهالي جدة فقد كان الرعب سميهم والذعر جليسهم في تلك الليالي لأنهم جهلوا القصد الحقيقي من الغارات فظنوا أن الإخوان يحاولون اختراق الخط لذلك كانوا يسمرون كل ليلة على أنغام الرشاشات والبنادق وهم يقولون: الليلة يدخلون البلد، وما ذاك إلا لما يشاهدون من الأحوال المقلقة والإفزع المزعجة من هذه الحرب البدوية، فإذا أرسلت المدافع الهاشمية على السعوديين القنابل الكشافة أُنارت في السهل ضياءً عظيماً يهتدي بها الإخوان إلى الطريق في أبواب الأسلاك الشائكة وإلى الألغام وهناك تسمع الإخوان ينادون يا إخواننا يا أهل الشام ويا شمر ويا عرب ويا عقيلات اخرجوا من الخط وأنتم في وجه الله ووجه ابن سعود لا تحافوا والله ما نريد لكم غير الخير تعالوا فنحن إخوانكم تعالوا إلينا ونحن والله وبالله، ولكن كثيراً من أولئك الجنود كانوا يحاربون عملاً باعتقادهم أن النهضة العربية لا تقوم إلا بالبيت الهاشمي، أما الذين قد التفوا من عمان والعقبة وغيرهم فإنهم صاروا بين نارين ولم يكن لهم يومئذ أن يختاروا أصغر الشرين، ثم يأخذ كل فريق بما يفوه به من البلاغات الرسمية، كقول فريق علي تعرضت قوة من البدو على جناحنا الأيسر في الساعة الخامسة من الليل فأصلتها مدافعنا ورشاشاتنا ناراً شديدة فانهزمت من حيث أتت تاركة عدداً من القتلى بدأت مدافع العدو ساعة الفجر بالرمي العتاد فقابلتها مدافعنا قدر ساعتين وأسكتتها طارت الطيارة في الساعة الواحدة صباحاً لضرب معسكرات العدو وموضع مدافعه فألقت أربع قنابل وعادت، وكقول فريق ابن سعود: في هذه الليلة سرت طائفة من جندنا إلى

حدود العدو فأطلقت عليه النار فظن أن الإخوان يهاجمون على طول الجبهة فأخذ يوالي إطلاق المدافع والرشاشات والبنادق من جميع المراكز واستمرت كذلك ثلاث ساعات دون أن يصيب أحداً من المهاجمين، أخرجت القيادة الهاشمية ثلة لكشف مراكز الإخوان فخرجوا من مكانهم إليها وأعملوا فيها النار فسقط منها سبعة قتلى وفر الباقون، إلى غير ذلك من البلاغات ولقد كانت ليالي رجب وشعبان المظلمة تحيا بين المتحاربين كل يحرس حاشيته من الآخر أما في النهار فقد استعرت بينهما حرب المدفعية التي استغوت في بادئ أمرها أهل جدة فكانوا يسارعون إلى خارج السور ليشاهدوا قنابلها تنفجر عند الأسلاك الشائكة وفي أطراف السهل بظل الجبال.

ثم نصبت المدافع السعودية في أول شهر من سنة الحصار فجعلت قنابلها تتساقط خارج السور وداخله وقد حلقت فوق خط الدفاع تتساقط في قلب البلد فأصيب مرتين بيت الوكالة البريطانية بقنبلة خرقت جدار غرفة النوم وقنبلة دخلت مكتب الوكيل، وقد أصيب أيضاً بيت وكالة السوفييتي فتكسر العلم فوق السطح واستمرت تتقدم في تقدم المدفعية حتى وصلت إلى الطرف الغربي من المدينة إلى شاطئ البحر فزارت القنصلية الفرنسية وتفجرت في خيم الهلال الأحمر، فعندما أصيبت الوكالة البريطانية والوكالة الروسية عقد القناصل مجلساً للبحث في المسألة فقرروا أن يظلوا رغم هذه الحال على الحياد، وقد أبرق رئيس الهلال الأحمر إلى الجمعية المركزية في القاهرة يستأذن بالرحيل فلم تأذن الجمعية بذلك وكان الضرب يبدأ صباحاً فيصلي الفريقان الفجر ويتبادلان بالقنابل ساعتين أو ثلاث ساعات، ثم يستأنف العمل بعد الظهر فيستمر حتى غروب الشمس، ولما اشتدت هذه الحرب المدفعية في شهر رجب وشعبان نصب التجديون مدفعاً في الرويس فصارت قنابلهم تقع في الجبهة البحرية من المدينة وفي قلبها فجرح وقتل عدد من الناس واستولى الرعب على الأهالي فشد كثيرون منهم للرحيل وبدأت الهجرة إلى سواكن ومصوع وعدن في المراكب التجارية، ثم طفق الناس يرحلون في السنايك إلى الليث ومنها

يرجعون إلى مكة، وكانت الحكومة غير كارهة للهجرة لما فيها من التوفير للماء والزاد للجنود على أن تلك الحرب التي كان يتفرج أهل جدة عليها ثم صاروا يفرون إلى البلدان عنها ليست بشيء بالنسبة إلى ما بعدها من الموت الأحمر لأن جميع ما هم فيه مناقشات، لأن ما بين الأسلاك الشائكة وما بين سور جدة مسافة ثلث ساعة للأقدام.

ولما كان في اليوم الحادي عشر من شهر رجب دعا علي بن الحسين بالشيخ محمد نصيف واعتقل هو وأحد أعضاء الحزب وثلاثة آخرون هم سليمان عزابه، وسعيد باخشوين، وعبدالرحمن باجنيد، فأودعوا السجن ثلاثة أيام ثم أحضروا بين يدي علي فصدرت الإدارة أن ينفوا إلى العقبة فأخذوا في الساعة السادسة من ليلة ١٤ رجب ونفوا إلى العقبة، ولما وصلوا إلى الحسين ألقاهم في قبر لا منفذ فيه ولا نور ولا فراش فوجدوا من الضيق وضنك العيش ما لا يرضاه كل حر أبي وهذا لأجل تهمة في حق المذكور، وما كان قدر الشيخ محمد حسين نصيف أن يهان تلك الإهانة ويبالغ في التضيق عليه، ذلك بأنه رجل عظيم وعالم فاضل كثير الاطلاع واسع المعرفة وله مكتبة عظيمة في جدة ومن أكبر أغنياءها أيضاً، ولولا صلة علمية بينه وبين شيخ العروبة أحمد زكي باشا من أهل مصر فقام لما علم بالتضييق عليه وسعى نحو الأمير عبدالله في شرقي الأردن بهذه البرقية: «صاحب السمو الأمير عبدالله أرجو أن يتجلى حلم الرسول ويتجدد عفو المأمون بشخصكم المحبوب فتوسطون لصديقي السيد محمد حسين نصيف فقد ساءني جداً ما بلغني اليوم بنفيه من جدة إلى العقبة مع تضيق الخناق عليه والإساءة إليه من واليها فأمالني عظمة فيمن أعظم فيها وهو سيدي الأمير بقبول شفاعتي وتنازله بالتوسل بوالد الجميع لإرساله لمصر بمنزلي وأنا أتعهد بامتناعه مطلقاً عما لا يرضيكم وأنتم تعرفون صدق إخلاصي لسموكم ولبييتكم الكريم» فأطلق الشيخ وأنقذه الله من شرهم وعاد إلى جدة برفقته في يوم الأربعاء ثامن رمضان، ولولا ما ذكر لكان أفظع من هذا، ولما قدم اعتذر إليه علي بن الحسين وذكر أن ذلك مقدر قد كتب عليه وقد ثبتت براءته أيضاً.

ذكر وقعة المصفحات

لما كان في ثامن عشر شعبان في الساعة الرابعة نهراً برز القسم الأكبر من جيش الحجاز لمنازلة الإخوان وكانت القيادة الهاشمية قد أملت في هذه الهجمة أن تضرب الإخوان المرابطين فتقضي عليهم أمام جناحها الأيسر وتعود شرقاً بجنوب بعد ما أمنت مؤخرها فتزحف إلى المعسكر في الرغامة فتستولي عليه وتمشي مستمرة ظافرة إلى مكة وكانت كلمتهم: سنعيد رمضان بمكة حتى كان أحد الضباط يقول لمن يثق به من الأجانب قبيل هذه الوقعة: غداً ندعوك لزيارتنا في الطائف، ولما أن برزت هذه القوة من الجيش الحجازي وكان هذا الإقدام الذي برز به القسم الأوفر منه لمناجزة النجديين والقضاء عليهم شرع الخط قبل خروج المصفحات يطلق مدافعه الكبار والصغار على الإخوان في الرويس وبعد نصف ساعة من هذا الضرب المتواصل الشديد خرجت خمس مصفحات من بوابة الكندرة فسارت ثلاث منها تجاه نزلة بني مالك واثنين تجاه الرويس ثم مشى من مركزي الكندرة وأبي بصيلة نحو ألف من جنود النظام والبدو مقسومين إلى ثلاثة أقسام تتبعهم سرية من الخيالة.

أما الإخوان فقد كانت فرقة من أهل دخنة في الرويس وفرقة أخرى في بني مالك وكان أهل العارض والغطف في الخط الثاني، أما الجبهة الأمامية التي فيها الخنادق فكان فيها من الفريقين عدد لا يتجاوز الألفين فتقدمت القوة الاحتياطية النجدية نحو مراكز الجيش المرابط ولكنهم لم يباشروا الرمي لا هم ولا المخندقون حتى خرجت العساكر الهاشمية كلها إلى السهل وكادت المصفحات أن تصل إلى النزلة فدارت تلك الساعة رحي الحرب ودوت البنادق والرشاشات وسارت المصفحات شرقاً بشمال تاركة النزلة إلى يسارها لتمنع وصول المدد إلى الجبهة الأمامية وتصد أهل الغطف والعارض عن الهجوم فاشتبكت وإياهم في قتال عنيف ولكنها لم تتمكن من صدهم، فلو رأيت الإخوان كيف يصارعون تلك المصفحات التي تهدي عليهم الرصاص وترش من رشاشاتها في كل جانب وهم ثابتون مستشهدون ويدورون عليها كأنهم الأسود في غابها ويطلقون البنادق عليها

وعلى من فيها حتى أن عبداً من العتاريس دنا من إحداها بعد أن جال حولها كأنها فارس من الفرسان فتمسك بها وصعد إلى سطحها يدس مسدسه على من فيها، فأصيب وهو هناك برصاصة وهوى إلى الأرض، أثابه الله وأعظم له الأجر والثواب، وظل الإخوان يعاركون هذه المصفحات حتى أبطلوا رشاشاتها، فصار الجنود داخلها يطلقون الرصاص من مسدساتهم، وقد أصيب بعضهم برصاص الإخوان الذي يدخل من الكوى وجرح جراحاً بليغاً اثنان من السواق الروس، فتراجعت المصفحات وقد تمزقت وتكسرت جوانب بعضها، وسارع أهل الغطغط والعارض إلى النجدة لإخوانهم فخاضوا معركة دامت ساعتين في أشد حال، ثم ساعتين في قتال متقطع حتى انتهت الساعة الثالثة بعد الظهر برجوع الجنود الحجازية والمصفحات إلى داخل الأسلاك، ورجوع الإخوان إلى مراكزهم، أما من بقى في ساحة القتال وهم القتلى فلا يقل عددهم عن ثلاثمائة قتيل على التحقيق، أما التخمين، فإن أهل الحجاز يقولون في التقرير أن خسارة العدو بين قتيل وجريح أكثر من مائتين، وخسر جيشنا خمسة عشر قتيلاً وأصيب خمسون، والنجديون يقولون في التقرير الرسمي، قد تحقق أن خسارة العدو كانت في الأقل ثلاثمائة وعشرين قتيلاً بدليل بنداقيهم التي غنمها جيشنا وأحضرها إلى المعسكر العام، أما خسائرننا فقد كانت خمسة قتلى وخمسة جرحى فقط، وانتهت وقعة المصفحات هذه بعدم فوز أهلها، ولم ينجح لهم عمل لا بقطع المدد، ولا قابلت بسالة الإخوان وشدة بأسهم، بل قلت ذخيرتها ونفذ الماء الذي فيها، فرجعت خائبة مدحورة وقضت عليها وعلى أهلها هذه الوقعة بالعجز والضعف.

ثم بعد ذلك سكنت المتحركات وخمدت نار الحرب بين الفريقين وخف ضرب المدافع وقل الهجوم في الليل إكراماً لرمضان، فكان فيه شبه هدنة تبعها في شوال مناوشات في الليالي المظلمة، ومع أنه كان قد شاع في جدة أن المعركة الفاصلة ستكون في شوال، وقد ولى شوال والتقارير الرسمية تقول: ستكون تام على الخط، ثم استأنف القتال في الشمال.

ذكر الحرب والحصار للسواحل الحجازية

لما فتحت الجيوش النجدية موانئ لجلب الأرزاق إلى مكة صارت تأتي الأرزاق والأقوات إلى مكة بكثرة حتى انقشع الضيق، ونزلت الأرزاق إلى درجة زهيدة، اعتدى بعض عربان جهينة على قوافل تحمل أرزاقاً إلى مكة، فأرسلت القيادة النجدية حملة إلى ينبع لتأديب المعتدين، وكان إبراهيم بن رفاة كبير مشايخ جهينة قد خرج على الملك علي وعامد ابن سعود على السمع والطاعة، فأرسلت حكومة جدة إلى قائم مقام الوجه وهو «الشريف حامد» ثلة من الجنود النظامية وبعض الرشاشات لتأديب ابن رفاة وجماعته، وأرسلت الأمير شاكر إلى ينبع ليحمل على الإخوان في بدر ويستردها.

أما المدينة المنورة فقد كان صالح العذل معسكراً في الحناكية وقد التحق بجيشه لواء جاء من جهة حائل، وكان قسم من هذا الجيش أو أكثره من الحضرة بقيادة إبراهيم النشمي وكيل ابن عذل مرابطاً حول المدينة، وهو مأمور بأن يحصرها فقط ولا يدخلها بدون أمر من القيادة العليا، وكانت ترد على الحكومة الهاشمية بقرقيات في تلك الأيام: «المدينة ٢١ ذي القعدة جلالة الملك المعظم جهزنا عبدكم ولدنا مع عسكريه وبعض من حرب على النشمي فكسروه وأسروا أربعة أنفار من جماعته، أبشركم بذلك سيدي قائم مقام العلا «شحاتة» العلا ٢٧ ذي القعدة جلالة الملك المعظم صباح اليوم الجمعة هجمت على مدائن صالح ثلاثة بيارق ودامت الحرب بينهم وبين العدو إلى العصر، والحمد لله انقلب العدو خاسراً تاركاً جرحاه وقتلاه مولاي» ينبع ٢٦ ذي القعدة جلالة الملك المعظم احتلنا بدرأ وغنمنا جميع ما فيها، انهزم احمد سالم صاحب بدر ومعه أربعون بغيراً محملة.

الإمضاء شاكر

نعم إنه انهزم أحمد بن سالم صاحب بدر ومعه أربعون بغيراً، ولكن صاحب الجلالة السلطان عبدالعزيز جهز في هذا الشهر حملة إلى الشمال بقيادة ابن عمه

سعود بن عبدالعزيز العرافة والأمير خالد بن لؤي، فالتقت هذه الحملة في طريقها بأحمد بن سالم، وبعد ما قص على القيادة حوقل خالد وأمر سالماً بالرجوع، فمشى مع الحملة التي استمرت في طريقها إلى بدر، وبعدما اشتبكت في وقعة مع المدافعين رجال شاعر ضربتهم فيها ضربة كتب لها النصر، واستولت عليها ثم أعادت أحمد بن سالم إلى مركزه، ومشت إلى ينبع فعسكرت هناك تنتظر الأوامر الجديدة من القيادة العليا، وكانت قد أرسلت تلك القيادة فيصل الدويش أيضاً إلى الشمال فاحتل بجيشه العوالي حوالي المدينة بدون مقاومة، وأصبحت الجيوش السعودية محاصرة للمدينة بالضغط الشديد على أهلها ليحملوا أولي الأمر فيها على التسليم، كما قد ظلت تلك الجيوش مرابطة حول الوجه وينبع، وسعود العرافة وخالد بن لؤي معسكران في ينبع النخل، وفيصل الدويش في العوالي، وصالح بن عدل في الحناكية، هذا ولم تكن الجيوش هنالك مسلحة بغير البنادق، وإنما رجح السلطان عبدالعزيز الحصار ليتمكن جنوده من الحج، ولقد كان اهتمامه بالحج في هذين الشهرين أكثر من اهتمامه بالحرب لأنه جعل يمهّد قبل الحج بثلاثة أشهر للسهل، فأرسل في غرة شعبان نداء إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يصيح للحج ويخبرهم بأن النظام قد ساد في البلدة المطهرة واستتب الأمن فيها، وأنه يرحب بحجاج بيت الله الحرام من المسلمين كافة في موسم هذه السنة، ويتكفل بتأمين راحتهم والمحافظة على جميع حقوقهم وتسهيل سفرهم إلى مكة المكرمة من أحد الموانئ الثلاثة وهي: رابغ، والليث، ألقنفذة، فعند ذلك غمرت البواخر تنقل الأرزاق من الهندية والخليجية وإيطاليا تجيء من عدن ومصوع، والسويس، ولم تتمكن الحكومة الهاشمية التي ضربت النطاق أن تصدر شيئاً منها.

ولما بعثت الحكومة الهاشمية إحدى بواخرها وهي المسلحة الطويل وصادرت خمسة سنابيك إيطالية مشحونة من مصرع إلى الليث وجاءت بها إلى جدة، قامت إيطاليا واحتجت بواسطة قنصلها السنيور فارس على هذا العمل، وأندرت الحكومة الهاشمية بأنها تسحب قنصلها من جدة وتتخذ الطرق القانونية لحفظ

حقوقها إذا كانت لا تعيد كلما صادرت من السناييك الرافعة العلم الإيطالي، فعقد الوزراء مجلساً للنظر في الأمر وقرروا بعد البحث أن يجيبوا طلب الحكومة الإيطالية، فعد هذا الحادث نصراً سياسياً لابن سعود وهدة في جانب علي، كما أن قدوم ثلاثة آلاف من الهند حجاجاً ورجوعهم سالمين بعد الحج عن طريق رابغ هو نصر سياسي آخر، أضف إلى ذلك الحادث الذي كسر شوكة الهاشميين وهو نقل الحسين والد الأسرة إلى قبرص.

ولما قام الجيش السعودي من الجبهة في ٢٧ ذي القعدة للذهاب للحج وأخلى الجيش محلاته في ٣٠ ذي القعدة، استبشرت حكومة علي لما رأت الجنود النجدية منازحة عن القتال ظناً منها أن ذلك عجز وأملت الفوز مع ما هي فيه من العسر، وكان لم يبق في جبهة جده من النجديين غير قوة صغيرة من الخيالة والهجانة لتشرف على الرغبة.

ولما كان بعد ساعتين من إخلائه توجه جند الملك علي وحصنوا تلك المحلات لأنهم ذاقوا منها ضرباً وقتلاً، وقد روي أن تحسين وزير الحربية قال للملك علي يوم قيام الجند النجدية لو كان عندي مائتا خيال للحقتهم ومحوتهم عن آخرهم، ثم بلغ به هذا الهوس أن جمع المتطوعين اليمانيين والنظامية فأرسلهم ولبث بمركز القيادة ينتظر النتيجة فما وصلت تلك القوة نقطة الرغبة إلا وقد التف جند نجد عليهم ومحاهم عن آخرهم، ولم يسلم منهم سوى اثنين لاذا بالفرار وأسر واحد.

ذكر نقل الحسين بن علي من العقبة

لما كان الحسين في العقبة يجند الجنود ويحيش مدداً لابنه علي ويرسل إليه المال والأرزاق، رأى ابن سعود أن وجوده قريباً منه خطر عليه، فبعث صاحب الجلالة السلطان عبدالعزيز جيشاً إلى حائل لمهاجمتها، وكان الأمير عبدالله بن الحسين يكتب قبل ذلك إلى أخيه علي بأن السر في عدم رضا ابن سعود عن حكومة الحجاز، وامتناع الإنكليز عن مساعدتها ووقوفها موقف الحياد من هذه الحرب القائمة، هو أنها لم تصدق بعد بصحة ذلك التنازل من الحسين بسبب وجوده بالعقبة وإمداده

للحكومة الحجازية بالمال والرجال، وأنه لا سبيل إلى فوزها إلا بإخراج الحسين منها، حتى أدخل في روع أخيه على ذلك وحمله على أن يتوسل إليه بهذه المهمة ففعل علي وقام بدور الناصح، غير أن الحسين أصرَّ على عدم مبارحة البلاد إلا أن يخرج منها بالقوة، فلم يجد الأمير عبدالله بداً إلا أن يشير إلى بريطانيا بضرورة إخراج والده من العقبة باعتبارها من البلاد التابعة له والمشمول بالانتداب البريطاني ووجوده والده فيها قد يضر بمصالحها ويعرضها لغزو ابن سعود لها، وهذه تعد من أكبر الغش والقطيعة في حق الوالدين، فما وسع بريطانيا إلا أن تبعث إلى الحسين باخرة حربية إلى العقبة تحمل إليه البلاغ الآتي:

لما كان في يوم الخميس ٥ ذي القعدة تلقى الحسين هذا البلاغ:

إلى جلالة الملك حسين من وكيل خارجية بريطانيا العظمى تبلغت حكومة جلالة ملك بريطانيا أن سلطان نجد هياً قوة لمهاجمة العقبة وذلك لأن حكومة جلالته بها، ولأن حكومة الحجاز جعلت معان والعقبة بحالة عسكرية ضد ابن سعود، ولا يخفى أن حكومة جلالة ملك بريطانيا مسؤولة عن الأمن العام بفلسطين وشرقي الأردن مع معان التي تعد تحت انتدابها فهي تدعوكم إلى مغادرة العقبة لكي لا تكونوا سبباً لحصول مشاكل جديدة بين بريطانيا وسلطان نجد وتصر بالتحاح على وجوب مغادرتكم العقبة إذ لا يمكنها أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع، وكان هذا الإنذار شديد الوقع على الحسين وقد جاء في باخرة حربية بريطانية «تسمى فون فلاور» وكان قائد المدرعة قد طلب من الحسين الجواب النهائي فثار الحسين ثورة المهزوم الذي لا مفر له فما معنى هذه الملاحقة أينما ذهب ابن سعود، فيا لعثر الحظ وخيبة الأمل.

أجاب بريطانيا: بأنني ما زلت محافظاً على الود ومخلصاً في الولاء لحكومة جلالة ملك بريطانيا وأنه إلى أن قال وأني فاديت بكل شيء وتخلّيت عن الملك وغادرت وطني حباً في السلم وحقق الدماء وأتيت العقبة لأبرهن للعالم أجمع بأنه

لا مطمع لي سوى سعادة أقوامي وتحرير بلادتي بعد أن قمت بواجباتي ولم آل جهداً في سبيل المحافظة على حقوق العرب والسعي وراء الوحدة العربية والتمسك بنص المعاهدة وانتظار تنفيذها، ولم ينقطع الأمل من الحكومة البريطانية بشأن إنجاز وعدها والوفاء بعهدتها استناداً على شرف تقاليدها، وما أنا اليوم كما تراني مقيم في إحدى قرى الحجاز معزلاً عن العالم ومبتعداً عن كل ما من شأنه أن يوجب الشغب وسوء التفاهم، ولما كان هذا الاعتزال والابتعاد لم يخلصني من أمثال تلك الشوائب فلا شك في أنني أينما ذهبت لا يخلو الأمر من حدوث شيء مما في التبليغات الأخيرة وربما كنت أشد هولاً من موقفني الحالي إذ لا أضمن هياج الشعب العربي وقتئذٍ وحدث ما لا تحمد عقباه نحو الخليفة وغيرها، ولهذا فإنني لا أرى مندوحة من بقائي في مكاني، وإن شاءت حكومة جلالة الملك فلتبعث بي إلى عالم المريخ فإنني مستعد لإنفاذ رأيها في هذه البعثة في أول دقيقة التبليغ أو أنها إذا نسيت ورأت عظمتها لأن تبعث إحدى وسائطها الحربية لتهلكني وعائلتي وخلاص الجميع من هذه الغوائل، ولن أزال أساعد الحكومة الحجازية بمالي الخاص الذي ادخرته لمستقبلي المجهول، لأن من لا خير فيه لوطنه لا يرجى منه الخير لحلفائه وأصدقائه، ولي الشرف أيضاً بكوني ثبت على مبدئي وأخلصت في عملي وقمت بواجباتي، فما علي من غيري فيما إذا لم يف بوعده ولم يقم بإنجاز عهده، ونفذ مطامعه بقوة مدرعته وبرؤوس حربه، فهناك يكون الحكم لمن غلب، ثم احتج على بريطانيا بأمور وإن ابن سعود قد هاجم شرقي الأردن غير مرة في أواخر العام المنصرم دون أن يكون لحكومة الحجاز أو لحكومة معان أقل دخل فيها.

فماذا لم تعرفه حده لتوقفه عنده، ثم صرح بأنه لم يعترف بالانتداب على البلاد العربية من أساسه، وأنه ما زال يحتج على الحكومة البريطانية التي جعلت فلسطين وطناً قومياً لليهود - وشمال سوريا تحت الانتداب وماوى للأرمن، وأنه ليعجب من تغافل الحكومة البريطانية عما حل بالحجاز بل بالطائف من السحق

والحق في الأموال والأنفس والدمار الذي لا يمكن تلافيه إلا بعد عشرات السنين، ثم اهتمامها بمحافظه معان والعقبة الأمر الذي لا يبقى محل لإطالة البحث فيه، ثم قال ولا يمكنني مغادرة العقبة إلا بعد إبلاغي لغوه وبعدئذ أذهب إلى حيث تريد حكومة جلالة الملك بشرط أن يكون محل إقامتي ضمن البلاد العربية وأن لا أكون مسؤولاً عما عساه قد يحدث من شغب أو هياج شعب تطمع نفسه لرفع نير الاستعمار وتجديد النهضة فيما إذا مست الحاج وإلا فإنني لا أبرح العقبة ولو أدى الأمر لهلاكه ومحو عائلتي من الوجود.

وقد حاول أصدقائه وابنه عبدالله على أن يقبل الإنذار البريطاني، ولكنه ظل حتى الدقيقة الأخيرة متمسكاً برأيه حتى همس في أذنه أحد رجال شرقي الأردن أنه يجدر به أن لا يكون سبياً في نكبة شرق الأردن، كما كان سبياً في نكبة الحجاز فاذعن وانقاد، ثم أتت مدرعة على أثر ذلك اسمها «دهلي» وكانت أكبر من الأولى في يوم السبت ٧ ذي القعدة، فلما رست في مياه العقبة قبيل الظهر وبعد مضي ١٧ يوماً أبلغه قائد المدرعة البريطانية في يوم الثلاثاء ٢٤ ذي القعدة أن يستعد للسفر إلى الجهة التي اختيرت له في يوم غد وقال له مشافهة: إذا أبى وقاوم فستخذ تدابير أخرى، فطلب الحسين حيفا، أو يافا، فأبرق القائد إلى لندن فجاءه الجواب بذهابه إلى قبرص، ولما طلب إمهال يومين أجبره القائد على السفر يوم الخميس فأجاب بأنه مستعد للسفر إلى المريخ إذا أرادت بريطانيا وما دامت تريد إرساله إلى قبرص فهو لا يعارض لأن المسألة قوة، وإنما طلب إمهاله يومين ليعد فيهما عدة السفر، فلم يمكنه القائد البريطاني وأجبره على السفر في اليوم المذكور وبينما «رضوى» و«الرقمتين» تنتظران لحمله إلى جدة حسب ما طلب إذا بالقائد يلزمه بأن لا عدول عن السفر بالبارجة دهلي المخصصة لركوبه.

ولما كان في صبيحة يوم الأربعاء نزل الحسين بن علي من منزله الذي كان يقيم فيه بالعقبة ومعه حرمه التركية وبتناه منها وكاتب بسيط كان قد ثبت على خدمته وطاهية وخدمه، ورافقه اللواء جميل باشا الراوي، وعند صعوده إلى الباخرة استقبل

فيها بكل ترحاب وخصص له جناح خاص له ولعائلته، وسارت بهم الباخرة إلى قبرص، وعندما رست الباخرة في ميناء السويس صعد إليها عبدالمملك الخطيب معتمده بمصر، وأخوه عبدالحميد وحبیب لطف الله الذي أنعم عليه الحسين من قبل بلقب الإمارة واعتبره أمير هاشمياً واسكندر بك طراد وكيل إدارة أطيانه في مصر فقابلهم رجال الباخرة وحاشية الملك بكل احترام وأبلغوهم أنه آوى إلى فراشه وسيستقبلهم في صباح الغد فناموا، وفي الصباح أقلعت الباخرة وهي تسير الهوينا وتعتبر قنال السويس فاستيقظ من نومه وصلى الفجر، ثم دعا بضيوفه لمقابلته، فكان أول كلمة تكلم بها مخاطباً لهم:

مشيناها خطأ كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها

ثم وجه خطابه إلى معتمده بمصر فقال له هكذا شاء أصحابك يعني الإنكليز يا عبدالمملك وأنا أعترف أن ذنبي معهم إنما هو عدم تساهلي معهم في أمر المعاهدة التي جاء بها «ناجي الأصيل» وعدم إقرارى بوعده بلفور ولأن أضحي بالتاج خير لي من أن يسجل التاريخ تفريطي في شيء من حقوق العرب أو اعترافى بالوطن القومي لليهود في فلسطين، ولكن لا يظن أصحابك أن ما رفضته أن سيقبله عربي واحد في الوجود، ولئن يتم لهم ما يريدون وما أنا إلا ضحية بريئة ولقد كنت مخلصاً لهم عندما نصحتهم بالوفاء بتعهداتهم للعرب وتنفيذ مقررات النهضة ولكن لا يحبون الناصحين يقولون أن وجودي في العقبة هو السبب في عدم التفاهم مع ابن سعود والإنكليز وها أنا ذاهب وسأرى ما يكون.

وهنا أراد السيد عبدالمملك أن يعجم عوده: فقال له حقاً يا مولاي ما تقول ولكني أعلم أن الإنكليز كانوا يقولون لنا أن مثلنا معكم كمثلى دائن ومدين يقول المدين للدائن خذ هذا القدر الذي أستطيع دفعه لك الآن وانتظر حتى أعطيك الباقي على التراخي، فهلا ترون جلالتكم أننا لو رضينا بذلك وأتبعنا سياسة إيجابية، أما كان خيراً لنا من اتباع تلك السياسة السلبية التي سلكناهما، فأجابه الحسين لا، لا يا بني إن التساهل في الحقوق سبب لضيعاعها، أم زوال الملك فإنه لا

يؤثر في الحق شيئاً، وإني لم أتعاهد مع بريطانيا باسمي بل باسم العرب أجمعين، فماذا أقول لهم إذا أن فرطت في حقوقهم تثبيتاً لعرشي واحتفاظاً بملكي، فهل سبعة عشر عاماً مررت بهذا القنال في طريقي إلى الحجاز لأتولى الإمارة فيه، وإذا كنت قد تركته اليوم واعتزلت الحكم فإن للبيت ربّ يحميه وفي العرب والله الحمد من يستطيع أن يجاهد في سبيل تشييد ما أسست، وإكمال ما به بدأت على أنني أعرف نفسي أنني ما أخطأت في سياسيي إلا لأنني وثقت بوعود بريطانيا، وحسبت من أخلاق الأوروبيين مراعاة الشهامة وتقدير قيمة الإخلاص، ومع كلِّ فإن ذلك لم يكن مني إلا عن حسن نية.

وهنا تكلم عبدالمملك الخطيب قائلاً: لقد كانت الخلافة يا مولاي شؤماً علينا لأنها أثارت الرأي العام الإسلامي ضدنا فلم تجد بريطانيا من مصلحتها تأييدنا بعد أن اتهمت بأنها هي التي تريد ذلك، فأجابه الحسين ألا تعلم أنني لم أطلب الخلافة، وإنما العرب في شرق الأردن وسوريا هم الذين اختاروني لها، وعبدالله هو الذي ألح علي بقبولها وقال إنها تعزز مركزنا وتحمل بريطانيا على الوفاء بتعهداتها لنا والإذعان لمقررات النهضة فقبولي لها ما كان إلا لخدمة القضية العربية، وفي سبيل نجاحها، ودعا الحسين ضيوفه للغداء معه على ظهر الباخرة، ودعا معهم قائد البارجة التي أعرب عن تقدير البريطانيين لموقف الملك الحسين من الحلفاء في الحرب العامة وأنه بتنازله بقبوله السفر إلى أي جهة تعينها له بريطانيا لدليل على عظيم ثقته بها ولذلك فإنه سيكون موضع الإجلال والاحترام في أي بلد يحل فيها كما أن في نقله على هذه الباخرة التي سبق أن استقلها جلالة الملك جورج الخامس أثناء زيارته للهند لدليل على إكبار بريطانيا لجلالة الملك الحسين وفي المساء ودع المعتمد ورفاقه الحسين في مشهد أليم حيث كانت الدموع تتقاطر من عيون الجميع، ونزلوا من الباخرة وهم يرددون: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ إلى آخر الآية.

رجعنا إلى ما نحن في صدهه فنقول: كان الأمير عبدالله بعدما انتقل والده

الحسين إلى العقبة قد شعر بقرب زوال الملك الهاشمي عنه فكتب إلى أخيه علي يطلب إليه أن يتنازل له عن العقبة ومعان لما في ذلك من عدة فوائد أهمها أن يكون في مأمن من زحف ابن سعود إليها خوفاً من الإنكليز يحكم المعاهدة التي تربطها وأنه في حالة ما إذا تم النصر للحكومة الحجازية فقد تعهد بإعادتهما إلى الحكومة الحجازية ففنع علي، ووافق على ضم معان والعقبة إلى شرق الأردن على شروط منها أن لا يتم تسليمها ما دام الحسين باقياً في العقبة حرصاً على عدم إغضابه وتعهد أيضاً الأمير عبدالله في إحدى مذكراته إلى جلالة أخيه ما معناه سلموا بضم العقبة ومعان وأنا أضمن لكم من الإنكليز ثلاثمائة ألف ليرة يعقد حالاً ثم إبعاد ابن سعود عن الحجاز حتى تربة والخزمة وجعل الخط الحجازي رهن إشارتكم في كل وقت، وغير ذلك من الأرقام ولكنها في كتاب الأحلام، وما كاد الحسين يلقي عصا تسياره في قبرص حتى كتب الملك علي إلى أخيه عبدالله يستنجزه الوعود التي منها تدخل الإنكليز في حل الخلاف وإنهاء الحرب بعد إقصاء الحسين عن تلك المنطقة نهائياً ولا يخشى من عودته إلى الحكم ثانياً، فطلب الأمير عبدالله من أولياء أمره مساعدة أخيه والتوسط في أمر الصلح فقبلت بريطانيا وكتبت إلى ابن سعود غير أنها لم تحظ منه بالقبول وأجاب بأن الأمر عائد إلى العالم الإسلامي فهو صاحب الحق في أمر تقرير الحجاز فلم ترى بريطانيا مصادمة العالم الإسلامي لرضاء عاملها بشرق الأردن، وختمت هذه السنة بظلال النصر لابن سعود.

وفيها وفاة الأمير أحمد بن ثنيان رحمه الله وعفا عنه، وكان أحد رجال ابن سعود المقدميين العصريين ورسوله إلى جمال باشا التركي ومندوبه إلى لندن في صحبة الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وكان ماهراً مسدداً ووفاته في الرياض.

ثم دخلت سنة ١٣٤٤هـ

استهلّت هذه السنة والحرب قد شمرت عن ساق بين صاحب الجلالة والعظمة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل وبين الملك علي بن الحسين الشريف وقد عاد

الجيش السعودي النجدي بعد الحج إلى الرغامة وشدد الوطأة على العدو وضغطه ضغطاً شديداً بالحصار، وفيها فتح ابن سعود أبوابه للوفود، وأول من استأذنه لزيارة الحرم والحج والعمرة هم القناصل الذين يدعون الإسلام في جدة، عبدالكريم حكيم معتمد حكومة السوفييتي، ورادين برا ويرى نائب قنصل هولندا وأحمد أفندي لأرى وكيل قنصل إيران، فأذن لهم السلطان وبعد الأذن والزيارة للحرم دعاهم لزيارته في مقره بالوزيرية.

وبينما كانوا هناك يتكالمون بالصلح لعل الأمور ترتقي والحال تستقيم إذا بالإخوان قد هجموا في الليل على جناح خط الدفاع الأيسر من البحر إلى الكندرة هجمة هو جاء قبيحة وجعلت بنادقهم ورشاشاتهم تدوي دويّاً منقطعاً كل الليل حتى الفجر، وجعلت الجبال لها عواء عظيم تجيب الصدا، وهذه كعادة الإخوان إذا صالوا فإنهم لا يهابون عدداً ولا عدة، «خيال التوحيد أخو من أطاع الله» فما كان لزيارة القناصل فائدة والحرب يعجز عن كشفها الجن والإنس، فتكلم القناصل مع السلطان قائلين إننا نتكلم مع عظمتكم في هذه المسألة بصفتنا الشخصية لا بلسان حكوماتنا لأننا شرقيون يهمننا الإصلاح والاتفاق بين الشرقيين، فأجاب السلطان قائلًا: كأن القوم لم يدركوا حتى اليوم غايتنا ومرامنا، فما زال الشريف علي في جدة، فلا سبيل إلى الصلح، أما إذا أخلاها وترك المسألة للعالم الإسلامي، فنحن نقبل بما يقرره بشأن الحجاز، ثم سأل السلطان قناصل الدول المذكورين هل يأذن بقدم وزير الخارجية فؤاد الخطيب، وطلبوا أن يسمح له بالمشول بين يديه في البحث في المسألة لعله يصل إلى حل يرضي الجميع، فأجاب أنه يرحب بمن أراد القدوم عليه سواء كان فؤاداً أو غيره، فرجع القناصل إلى جدة يحملون الأذن بزيارة الخطيب، فكتب فؤاد إلى عظمته يذكر أن بعض الأصحاب أنباه بما حقق الأمل المعقود، ويطلب منه تعيين يوم للمقابلة، فأجابه السلطان بالإيجاب على شرط أن يكون الوزير مفوضاً ليوافق علي ما يملي عليه من الشروط ثقلت وطأتها أم خفت فرد الوزير فؤاد يقول أن المأمول من قدومه أولاً شرف التعرف إلى شخصكم الجليل العظيم، ثانياً: التمهيد لإيجاد صلح تسود فيه

الطمأنينة المنشودة ليكون صور الأعمال فيما يحسن التفاهم عليه، فقال عظمة السلطان في كتابه الأخير أكون مسروراً بمواجهتكم، فسر فؤاد بمثل هذا السرور لكنه خشي أن لا يقوم بكل الأعمال.

ولما قدم على ابن سعود وحصل الاتفاق رأى المندوب شخصاً خطيراً لا يقعع له بالشنان، وكان قدومه قبل دخول السنة بثلاثة أشهر فجرى بينهما من الكلام ما ملخصه، قدمت إليكم يا سيدي للتعرف بكم ولإصلاح ذات البين.

فأجابه السلطان: أما تعرفك بشخصي فإن أحب كل عربي مخلص لدينه ووطنه، وأما إصلاح ذات البين فإني أحب ذلك ولكن أين الطريق الذي يوصلنا إليه، إننا لم نجد لها لفقدان الأمان في العاجل والآجل، ومن تكون صداقتنا معه بعد الإصلاح فذكر الخطيب، بينكم وبين علي؟ أجابه ابن سعود: أليس علي ولداً للحسين وأخاً لعبدالله وفيصل؟ فتكلم الخطيب مجيباً: نعم إنه ولد الرجل وأخو الرجلين ولكنه غيرهم، وإن له لنية طيبة، أجابه ابن سعود: ولم أقل في الرجل شيئاً وأبرأ إلى الله من أن أتكلم فيه بما لا أعلمه، ولكن يكفي فيه أنه ولد الرجل وأخو الرجلين، ولست آمناً منه كما أنه ليس هناك من يضمن لي بعض ما أشرت، فتكلم الخطيب: الضامن هو أنت لأنك أنت الغالب والعادة أن الغالب هو الضامن، أجابه ابن سعود: لا أعلم ضامناً له سلطة يكفل ما أطلب وأثق به، فالدول كلها على الحياد ولا نقبل تدخلها في الأماكن المقدسة وأمر العالم الإسلامي كما ترى، فأجاب الخطيب: إن ضمنت فأنت خير ضامن ونحن تحت سيطرتك، وإن ابتغيت ضامناً غير ذلك فنحن نفكر فيه، أجابه ابن سعود: إني أقول لك بصراحة أن المسلمين من قومنا اجتمعوا وتفكروا في أمر دينهم ودنياهم فلم يجدوا للصالح مع الحسين وأولاده ما يرضيهم، فأرجوك تركه ونسيانه فإن كان أمر غير ذلك فانا مستعد، فتكلم الخطيب مجيباً ما هو ذلك الأمر، أجاب السلطان: إذا كان علي يريد شيئاً من أمور الدنيا فانا أتعهد له به في العاجل أو الآجل، ولكنني أريد أن أسألك سؤالاً عن الأمر الذي دعاك إلى رجوعك إلى جدة بعد ذهابك منها؟ وما الذي دعا

بعض السوريين والفلسطينيين إلى أن يأتوا إلى جدة لقتالنا، أقتلهم لنا قتال ديني أو حمية وطنية أم الحسين وأولاده قاموا بأمر منتظم يرون أننا أتينا لتخريبه؟ فتكلم الخطيب مجيئاً بقوله: لا أعلم شيئاً من ذلك إلا أنهم يدعون أن الحجاز مستقل ويرجون له دوام ذلك الاستقلال.

وجرت بينهما مكالمات حتى قال له ابن سعود: هل أطلعتم أو أطلع أحد على المعاهدة التي بين الحسين والحكومة الإنكليزية، فأجابه الخطيب وهو وزير الخارجية بقوله: لا، فردّ عليه ابن سعود: ألم تكن وزيراً للخارجية؟ وهل يخفى عليك شيء من ذلك؟ ومن الذي يخبينا بعدك عن هذا؟ فأجاب الخطيب: إنني وزير خاجية للإمضاء لا للفعل، وهناك وقف ابن سعود ليستمع لما يمليه الخطيب ويعجب، واستمر الخطيب يروي لابن سعود وظيفته التي يقوم بها قائلاً: وأغلب الأخبار لم أطلع عليها إلا بالسماع من الناس، ولقد أقمت سنوات في المدة الأخيرة أشغل بالأدب وهذه وظيفتي، تكلم ابن سعود يقول: نعم لدي شاهد على ما تقول فلقد وجدنا في أوراق الديوان الهاشمي كتاباً من بعض القناصل للحسين يقول له فيه: وصلنا كتابكم باسم وزارة الخارجية فمضي باسم فؤاد الخطيب، ولكن الإمضاء ليس إمضاء الشيخ فؤاد المعروف، فما حقيقة الأمر؟ أجاب الخطيب يقول: نعم لقد وقع مثل هذا، فقال ابن سعود: فإذا كانت الحجج والدولة المنظمة هذه شؤونها فلا شك أن هذا يدل على أن الأمور كلها قائمة على الباطل والتمويه، فكيف يا شيخ فؤاد تؤيد مثل هذه الحكومة، ولما احتج الخطيب أنه لم يأت للحكومة البائدة وإنما يتحدث من جهة الشريف علي، أجابه ابن سعود بقوله: من جهة علي فقد أجبتهك عنه بما يكفي عن الإعادة.

ثم إنه عاد من الوزيرية راكباً بغلته حاملاً مظلته قد امتلأ من عظمة ابن سعود وسمو خلقه وصلابة رأيه، فقامت القناصل والحكومة والجنود في جدة يتسائلون ماذا عسى أن يكون تحت تلك المظلة من الآمال؟ فناولهم الخيبة التي رجع بها وكاشف بعض من وجد من رجال الحزب الوطني في جده بأنه لا سبيل إلى بقاء

الحكومة الحجازية إلا إذا أمكن التخلص من الملك علي وقطع صلتها بالأشراف نهائياً، فنصحوا له بأن لا يتكلم بهذا حتى لا يظن أن ابن سعود قد استماله إليه ويظن به أنه يسعى لقلب نظام الحكم.

ولما سافر القناصل المسلمون للعمرة كما قدمنا قلنا زملائهم المسيحيون، فأرسل الوكيل الإنكليزي كاتبه الهندي الذي يدين بالإسلام «منشي المعروف إحسان الله» إلى مكة لأشغال تختص بالحجاج الهندود، فأقام هناك أسبوعاً، وعرج في رجوعه على المقر العالي بالوزيرية، فنزل ضيفاً على السلطان، وكانت المكاملة سرية حاصلها أن الحكومة البريطانية نقلت الحسين من العقبة فلا حاجة إلى أن يرسل ابن سعود حملة لاحتلالها إذ الهدف هو إبعاد الحسين.

وفي هذه السنة قدم ثلاثة وفود من المسلمين، ووفد من المسيحيين، ووفد الإمام ويحيى، ووفد الملك فؤاد الأول صاحب مصر، ووفد إيران، فأما وفد مصر فكان مؤلفاً من الشيخ محمد مصطفى المراغي رئيس المحكمة الشرعية العليا في مصر، ومحمد بك عبدالوهاب طلعت سكرتير الملك الخاص، وله غرض غير ما يظهر فإن الخلافة كانت تثقل يومئذ بالملك فؤاد وقلبه فأحب أن يستطلع في أمرها رأي ابن سعود، أما وفد إيران فكان مؤلفاً من سفير مصر وقنصل سوريا العام ولا غرض له سوى البحث في مسائل الطائف والمدينة، وبعد أن زار الوفد مكة وتكلم مع السلطان فيما انتدب له عاد السفير إلى مصر وسافر القنصل «حبيب الله خان» عين الملك إلى المدينة ليتم مهمته.

أما إمام صنعاء يحيى حميد الدين المتوكل على الله فقد بعث برقيتين بواسطة قنصل إيطاليا بجدة، إحداهما للسلطان عبدالعزيز والأخرى لعلي يطلب منهما إيقاف القتال واحترام الأراضي المقدسة، وأن يكون واسطة وحكماً، وكان بعثهما في ٣/٤ منها، فأجاب علي وأبى السلطان وكان جوابه: إننا دعونا المسلمين لمؤتمر للبحث في أمر الحجاز، فخرجوا حضور مندوبيكم معهم، وكان الموجب لقدم هذه الوفود إشاعات بشعة تشاع عن ابن سعود، فلثقة العالم الإسلامي به وبشاعة تلك

الإشاعات يبعثون للاطلاع ويأملون إيجاد صلح، لأن وفد إيران يتأكد من صحة ما أشيع عن ضرب القبة النبوية بالقنابل، وبعدما رحب به ابن سعود وأرسله إلى مكة في صحبة عبدالله الفضل بلغها في يوم الأربعاء ٤/٣ واتصل الوفد بكثير من الإيرانيين المجاورين حول البيت الحرام، وتبين الحقائق من أفراد الشعب، واقتنع بما باحوا به من الفارق العظيم بين العهد السعودي والعهد الهاشمي، وأنه لا صحة لما قيل من ضرب القبة النبوية بالقنابل، بل هو خبر مكذوب، فرجع مغتبطاً معرجاً على المدينة.

أما ملك مصر فؤاد الأول فقد تبودلت البرقيات بينه وبين ابن سعود وبينه وبين الشريف علي، فقد بعث البرقية لابن سعود.

١١ صفر ١٣٤٤هـ - ٣٠ أغسطس ١٩٢٥م عظمة السلطان عبدالعزيز سلطان نجد: إن الحرب القائمة حول المدينة قد أقلقّت خواطر المسلمين قاطبةً لما عساه يحدث من تأثيرها في الأماكن النبوية المقدسة التي نجلها جميعاً ونحافظ على آثارها المكرمة، ولا يخفى على عظمتكم ما لهذه الأماكن من الحرمة التي يجب أن تكون بعيدة عن كل أذى رغم ما يقتضيه أي نزاع أو خلاف، ولكن ما نعتقد في شديد غيرتكم الدينية لما يطمئن قلوبنا والمسلمين عامة على صيانة الحرم النبوي الشريف وآثار السلف الصالح بالمدينة والسلام عليكم ورحمة الله.

التوقيع فؤاد

«أجابه ابن سعود بما نصه»:

برقياً ١٦ صفر ١٣٤٤هـ - ٤ سبتمبر ١٩٢٥م حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم الملك فؤاد دامت معاليه: إنني أشكركم من صميم فؤادي على غيرتكم الدينية، وإنني أقدر ما شرحتموه في برقيتكم حق قدره أن حرم المدينة كحرم مكة نفديه بأرواحنا وكل ما نملك، وأن ديننا يحميننا عن الإتيان بأي حدث في المدينة المنورة، وسنحافظ على آثار السلف وكل ما هو في المدينة بما يهم كل مسلم المحافظة عليه، إن العدو يحاول أن يشوه وجهة جهادنا بما يفتره من الكذب والبهتان، يحاول

أن ينال بالبهتان ما عجز عنه بالسنان، ولكن الحق أبلج والله مؤيد دينه، وأخذ بناصية أهله ولو كره المبطلون، هذا وأرجو أن تقبلوا تحياتي واحتراماتي.

عبدالعزیز بن عبدالرحمن آل سعود

أما الملك علي ففرح بتلك الغيرة وانتعش بها وبعث إليه بهذه البرقية:

١٣ صفر ١٣٤٤هـ - أول سبتمبر ١٩٢٥م صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر المعظم: أهدي جلالتك المملوكية أعظم الشكر على غيرتك الإسلامية الجديرة بذاتكم العالية ومقامكم السامي فيما رغبتم فيه من تنزه البقاع المقدسة أن تكون ساحة قتال، ولا يستكثر ذلك من سليل محمد علي باشا الكبير الذي سبقت له خدمة هذه الديار المباركة في مثل هذه الكارثة نفسها مادة ومعنى، ونبراً إلى الله أن يكون أحد منا نحن أبناء الحرمين الشريفين أراد القتال أو أخذ على الاستمرار فيه سواء ذلك في مكة المشرفة أو المدينة المنورة، وسنسجل على المتسبب مسؤولية ما تهدم فيها من الآثار، وما يزال يعنيها من آذى كجعل القبة الخضراء النبوية هدفاً للرصاص وسائر قب و قبور آل البيت بالبقع، وتخريب قبة سيدنا حمزة وهدم ضريحه الشريف طبقاً للأساس الذي قام عليه التوحيد، وبهذه المناسبة نؤكد لجلالتكم إننا قائمون بالواجب الديني والوطني من بذل النفس والنفس في صيانة ما بقي من تلك الآثار وترميم ما خرب منه حتى يتم إخراج المعتدي بحول الله وقوته من الوطن المقدس كله، ونثق أن العالم الإسلامي يشد أزرنا في ذلك وفي مقدمته جلالتك المملوكية بصفتم أكبر ملوك المسلمين وأعزهم غيراً على الله والدين، أدام الله جلالتم مؤيدين بالتوفيق والنصر.

التوقيع: علي

إنَّ الشريف علي قد فضح نفسه باعتراضه على الدعوة الوهابية، فلو أنه اكتفى بمسبة خصمه لوجدنا مسوغاً وقلنا للرجل أن يقول ما شاء في عدوه المحنق عليه، إذ الهدف إنما هو التآليب عليه والتأشير وتشويه السمعة لا سيما في مثل هذه الحالة التي هي الطمع في الملك وانتزاعه من الآخر.

فأما إذا أوقع بالدعوة الوهابية التي هي الهدى المحمدي، فلا حياً ولا كرامة، وقبحه الله ومقته وأقصاه، ويكفيك ما أوقعه الله به من الهوان كيف كشف عورته بيديه وأظهر عيوبه للنظر إليه، ولما جاء وفد الملك فؤاد الذي أشرنا إليه، كان قدوم الوفد في يوم الاثنين ٣ ربيع الأول للفصل بين المتنازعين والحكم بين الفريقين مزوداً بكلام رقيق وخطاب رشيق كانت فرصة نادرة لابن سعود، فهو يحترم فؤاداً ويحمله ويقدره ويحترم مصر ويعترف لها بالزعامة والتفرد في الثقافة والحضارة ولا يستطيع أن يزور عنه مهما كانت الظروف والأحوال، غير أنه إذا كانت الوساطة بينه وبين الأشراف فلا، ذلك بأنه قد حارب للدين، وطالما كان معهم في شقاء وعناء، فوقع في حيرة أيقبل الوساطة أم كيف لا يرضى بوساطة مصر فيكون فيه بعض الجفاء! ولكنه وكل الأمر إلى أحد رجاله الممتازين وهو حافظ وهبة مصري الأصل، ومن علماء الأزهر، فقام المذكور بهمة يعالج الأمور بالحكمة والرفق والأناة، وبعد مفاوضة الوفد لحافظ وهبة اتفق بالسلطان فأرضى فؤاد ورد وساطته وقفل الوفد راجعاً في صباح الاثنين ١٠/٣، وقد قنع بنزاهة ابن سعود وبعد نظره وشرف غايته.

ولم تمض على سفر وفد مصر بضعة أيام حتى وصل إلى جدة وفد إنكليزي مؤلف من «الجنرال جلبرت كلايتون» والخواجة جورج، المفتش الأول في أدره معارف فلسطين، وتوفيق بك السويدي مندوب العراق ومستشاره، وكاتب إنكليزي هو «المستر هارفي» أحد الموظفين بحكومة فلسطين، فاستبشرت حكومة جدة ظناً منها أنه جاء لحل المشكلة بعد مبارحته الحسين للعقبة كما تقتضيه وعود الأمير عبدالله، فسهلت له أمر السفر إلى السلطان ابن سعود وأملت من ورائه خيراً، وقد بعث السلطان لاستقباله حافظ وهبة من النزلة اليمانية، فسافر إلى بحرة في ٢٢ ربيع الأول، وعند وصول الوفد إلى بحرة استقبله عظمة السلطان بما يليق به من الاحترام، فكان أول كلمة قالها المندوب: أن بريطانيا لا تزال محافظة على حيادها التام في المسألة الحجازية النجدية، ولكنه يهمها أن تتفاهم معه على بعض أمور تتعلق بالعراق وشرق الأردن المشمولتين بالانتداب البريطاني، فأعرب له السلطان عن استعداده البحث في هذه الأمور، واستمر البحث بينهم خمسة

وعشرين يوماً حضر خلالها توفيق بك السويدي الذي تخلف عن زملائه بجدة، وأسفرت النتيجة عن وضع اتفاقيتين سنذكرهما برمتيهما.

ذكر عقد الاتفاقيتين وإبرام المعاهدتين

وتسمى إحداهما اتفاقية بحرة والثانية أطلق عليها اتفاقية حداء، فأما اتفاقية بحرة فهي هذه نظراً للمعاهدة المعقودة بين حكومتي العراق ونجد ابتغاء تأمين الصلات الحسنة بينهما والمعروفة بمعاهدة المحمرة التي قد وقعت في اليوم السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٠هـ الموافق ٥ مايو سنة ١٩٢٢م ونظراً للبروتوكولين المعروفين بالبروتوكول رقم ١ والبروتوكول رقم ٢ اللذين أضيفا إلى معاهدة المحمرة المذكورة أعلاه والموقع عليهما في العقير في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الثاني المبارك سنة ١٣٤١هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٩٢٢م، ونظراً لإبرام المعاهدة والبروتوكولين المذكورين آنفاً طبقاً للعادة من قبل حكومتي العراق ونجد في المادة الأولى في معاهدة المحمرة المذكور بأن يمنع كل منهما عشائره عن التعدي على عشائر الحكومة الأخرى وأن يعاقب كل من الحكومتين من يتعدى عن العشائر التابعة للحكومة الأخرى وأن تتذاكر الحكومتان إذا حالت الظروف دون قيام إحداهما بالتأديب اللائق في إمكان اتخاذ تدابير مشتركة طبقاً للصلات الحسنة السائد بينهما ونظراً لاعتقاد حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومتين المذكورتين بأنه يحسن فهاتين الحكومتين حرصاً على الصداقة وحسن الصلات بين العراق ونجد وضع اتفاقية بخصوص بعض المسائل المعلقة بينهما.

نحن الموقعين أدناه سلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود والسر جلبرت كلايتون المندوب المفوض من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية والمخول بأن ينوب عن الحكومة العراقية في الاتفاق والتوقيع، قد اتفقنا على المواد الآتية:

المادة الأولى: تعترف كل من دولتي العراق ونجد أن الغزو من قبل العشائر القاطنة في أراضيها على أراضي الدولة الأخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه

عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها، وأن رئيس العشيرة المتعدية يعد مسؤولاً.
المادة الثانية:

أ - تؤلف محكمة خاصة بالاتفاق بين حكومتي العراق ونجد تلتزم من حين إلى آخر للنظر في تفاصيل أي تعدي يقع من وراء حدود الدولتين، وإحصاء الأضرار والخسائر وتعيين المسؤولية، ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساوي من ممثلي حكومتي العراق ونجد، وتعهد رئاستها إلى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافذة.

ب - بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الأضرار أو الخسائر الناشئة عن الغزو وإصدار المحكمة قرارها بذلك تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر، وبمعاقبة المحكوم عليه كما جاء في المادة الأولى من هذه الاتفاقية.

المادة الثالثة: لا يجوز لعشائر إحدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الأخرى إلا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم وبعد موافقة الحكومة الأخرى مع العلم أنه لا يحق لإحدى الحكومتين أن تمتنع عن إعطاء الرخصة أو الموافقة إذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المراعي عملاً بمبدأ حرية المرعى.

المادة الرابعة: تتعهد حكومتا نجد والعراق بأن تتفقا بكل ما لديهما من الوسائل غير الطرد واستعمال القوة في سبيل كل عشيرة أو فخذ من إحدى القطرين إلى الآخر إلا إذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتهم ورضاهما، وتتعهد الحكومتان بأن تمتنعا عن تقديم الهدايا أيأ كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الأخرى، وبأن تنظرا بعين السخط على كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعين للحكومة الأخرى أو تشجيعهم على الانتقال من بلادهم إلى البلاد الأخرى.

المادة الخامسة: ليس لحكومتي العراق ونجد أن يتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الدولة الأخرى في الأمور الرسمية أو السياسية.

المادة السادسة: لا يجوز لقوات العراق ونجد أن تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقب المجرمين إلا برضاء الحكومتين.

المادة السابعة: لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية أولهم رايات تدل على أنهم قواد لقوات مسلحة أن يظهروا راياتهم في أراضي الدولة الأخرى.

المادة الثامنة: إذا طلبت إحدى الحكومتين من عشائرها النازلة في أراضي الدولة الأخرى تجريدات مسلحة، فالعشائر المذكورة أحرار في تلبية دعوة حكومتهم على أن يرحلوا بعائلاتهم وأموالهم بكل سكينه.

المادة التاسعة: إذا انتقلت عشيرة من أراضي إحدى الحكومتين إلى الأراضي التابعة للحكومة الأخرى وشتت الغارات بعد انتقالها على البلاد التي كانت تقطن فيها يحق للحكومة التي تقيم العشيرة في أراضيها أن تأخذ منها ضمانات كافية حتى إذا تكرر منها مثل ذلك الاعتداء تكون هذه الضمانات عرضة للمصادرة وذلك عدى العقاب المنصوص عليه في المادة الأولى، وعدا ما قد تفرضه المحكمة المنصوص عليها في المادة الثانية من هذه الاتفاقية.

المادة العاشرة: تتعهد حكومتا العراق ونجد بأن تقوما بمذكرات ودية لعقد اتفاقية خاصة بشأن تسليم المجرمين طبقاً للعادات المرعية بين الدول المتحابة، وذلك في مدة لا تتجاوز السنة اعتباراً من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة من قبل حكومة العراق.

المادة الحادية عشرة: النص العربي هو النص الرسمي الذي يرجع إليه في تفسير مواد هذه الاتفاقية.

المادة الثانية عشرة: تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية بحرة.

وقعت هذه الاتفاقية في خيم بحرة في ١٤ من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٤هـ الموافق أول نوفمبر ١٩٢٥م.

الإمضاء

وهذه اتفاقية حذاء وهي بين نجد وشرقي الأردن

نظراً للعلاقات الودية السائدة بين الحكومة البريطانية السامية من جهة وسلطنة

نجد وملحقاتها من جهة أخرى، ونظراً لرغبتها في تعيين الحدود بين نجد وشرقي الأردن وتسوية بعض المسائل المتعلقة بذلك اختارت الحكومة البريطانية السامية «السير جلبرت كلايتون» «كي بي أي سي بي سي أم جي» وعينته مندوباً مفوضاً عنها ليعقد اتفاقية في هذا الشأن مع السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود تعاهدا على المواد الآتية:

المادة الأولى: يبتدي الحد بين نجد وشرقي الأردن في الجهة الشمالية الشرقية من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٩ شرقي ودائرة العرض ٣٢ شمالي حيث تنتهي الحدود بين العراق ونجد ويمتد على خط مستقيم إلى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٧ شرقي بدائرة العرض ٣٠/٣١ شمالي فيتبع دائرة الطول ٣٧ شرقي إلى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٢٥/٣١ شمالي ثم يمتد من هذه النقطة على خط مستقيم إلى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ شرقي بدائرة العرض ٣٠ شمالي تاركاً ما برز من أطراف وادي سرحان لنجد ثم يتبع دائرة الطول ٣٨ شرقي إلى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٣٥/٢٩ شمالي أما الخارطة التي يرجع إليها في هذه الاتفاقية فهي الخارطة المعروفة بالدولية آسيا، مقياس واحد على مليون.

المادة الثانية: تتعهد حكومة نجد بأن لا تقيم أي حصن في أي موضع كان وألا تستعملها والمنطقة في جوارها كنقطة عسكرية، أما إذا رأت حاجة في حين من الأحيان إلى اتخاذ تدابير استثنائية بجوار الحدود للمحافظة على الأمن أو لأي غرض آخر يستوجب حشد القوات العسكرية المسلحة فتتعهد بأن تخبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية بذلك في أقرب وقت وعلاوة على ذلك تتعهد بأن تمنع قواتها من التعدي على أراضي شرقي الأردن بكل ما لديها من الوسائل.

المادة الثالثة: منعاً لسوء التفاهم الذي قد يحصل في الحوادث التي تقع قرب الحدود وتوثيقاً لعرى الثقة المتبادلة بين الطرفين والتعاون الكلي بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة نجد يتفق الطرفان على القيام بمذكرات متواصلة بين المعتمد البريطاني في شرقي الأردن أو مندوبه وبين حاكم وادي سرحان.

المادة الرابعة: تتعهد حكومة نجد بصيانة جميع الحقوق التي تتمتع بها في وادي سرحان القبائل غير التابعة لنجد سواء كانت حقوق الرعي أو السكن أو الملكية أو ما يشبه ذلك من الحقوق الثابتة بشرط أن تخضع تلك القبائل ما دامت نازلة ضمن حدود نجد للقوانين الداخلية التي لا تمس هذه الحقوق وتعامل حكومة شرقي الأردن نفس المعاملة رعايا نجد المتمتعين بحقوق ثابتة في شرقي الأردن شبيهة بالحقوق المذكورة.

المادة الخامسة: تعترف كل من نجد وشرقي الأردن أن الغزو من قبل العشائر القاطنة في أراضيها على أراضي الحكومة الأخرى، اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها وأن رئيس العشيرة المتعدية يعد مسؤولاً.

المادة السادسة:

أ - تؤلف محكمة خاصة بالاتفاق بين حكومتي نجد وشرقي الأردن تلتزم من حين إلى آخر للنظر في تفاصيل أي تعد يقع من وراء الحدود ولإحصاء الأضرار والخسائر وتعيين المسؤولية ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساوي من ممثلي حكومتي نجد وشرقي الأردن وتعهد رئاستها إلى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافاذة.

ب - بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الأضرار والخسائر الناشئة عن الغزو وإصدار المحكمة قرارها بذلك، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر بمعاينة المحكوم عليه كما جاء في المادة الخامسة من هذه الاتفاقية.

المادة السابعة: لا يجوز لعشائر إحدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الأخرى إلا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم وبعد موافقة الحكومة الأخرى مع العلم أنه لا يحق لإحدى الحكومتين أن تمنع عن إعطاء الرخصة أو الموافقة إذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعى عملاً بمبدأ حرية المرعى.

المادة الثامنة: تتعهد حكومتا نجد وشرقي الأردن بأن تقفا بكل ما لديهما من الوسائل غير الطرد واستعمال القوة في سبيل انتقال كل عشيرة أو فخذ من أحد القطرين إلى الآخر إلا إذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتهم ورضاهما، وتتعهد

الحكومتان بأن تمتنع عن تقديم الهدايا أياً كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الأخرى وبأن تنظرا بعين السخط إلى كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعين للحكومة الأخرى أو تشجيعهم على الانتقال من بلادهم إلى البلاد الأخرى.

المادة التاسعة: ليس لحكومتى نجد وشرقي الأردن أن تتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الحكومة الأخرى في الأمور الرسمية أو السياسية.

المادة العاشرة: لا يجوز لحكومتى نجد وشرقي الأردن أن تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقب المجرمين إلا برضا الحكومتين.

المادة الحادية عشرة: لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية أولهم رايات تدل على أنهم قواد قوات مسلحة أن يظهروا راياتهم في أراضي الحكومة الأخرى.

المادة الثانية عشرة: على كل من حكومتى نجد وشرقي الأردن أن تمنح حرية المرور لجميع المسافرين والحجاج بشرط أن يخضع هؤلاء للقوانين الخاصة بالسفر والحج المرعية في نجد وشرقي الأردن وعلى كل من هاتين الحكومتين أن تخبر الحكومة الأخرى بأي قانون قد تسنه في هذا الخصوص.

المادة الثالثة عشرة: تتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية أن تضمن حرية المرور في كل حين للتجار من رعايا نجد لقضاء تجارتهم بين نجد وسورية ذهاباً وإياباً وأن تحصل على الإعفاء من الضرائب الجمركية وغيرها لجميع الأموال التي تجتاز منطقة الانتداب في موروها من نجد إلى سوريا أو من سوريا إلى نجد على أن يخضع التجار وقوافلهم لما قد يلزم من التفتيش الجمركي وأن يكونوا حاملين وثيقة من حكومتهم تشهد أنهم تجار مشروعين، ويشترط أن تتبع القوافل التجارية ذات الأموال الحملة طرقاً معروفة سيتفق عليها فيما بعد للدخول في منطقة الانتداب والخروج منها مع العلم أن هذه القيود لا تسري على القوافل التجارية التي تقتصر تجارتها على الإبل والحيوانات ولا على العشائر التي تنتقل بمقتضى المواد السابقة من هذه الاتفاقية.

وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بأن تحصل على غير ذلك من التسهيلات الممكنة للتجار من رعايا نجد المارين بمنطقة انتدابها.

المادة الرابعة عشرة: تبقي هذه الاتفاقية نافذة ما دامت حكومة صاحب الجلالة البريطانية مكلفة بالانتداب على شرقي الأردن.

المادة الخامسة عشرة: قد دونت هذه الاتفاقية باللغة الإنكليزية واللغة العربية ووقع كلا الطرفين المتعاقدين نسختين من النص العربي ونسختين من النص الإنكليزي ويكون للنص قيمة رسمية واحدة، ولكن إذا وقع اختلاف بين النصين في تفسير مادة من مواد هذه الاتفاقية فيرجع إلى النص الإنكليزي.

المادة السادسة عشرة: تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية حداء، وقعت هذه الاتفاقية في حداء في ١٥ من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٢٥م.

الإمضاءات

ولما أن حصل الاجتماع بين العاهل العظيم صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود وبين مندوب بريطانيا «جلبرت كلايتون» أظهر ابن سعود أمام المندوب إعجابه بالإنكليز وسعة ملكهم فأجابه قائلاً أن ما ذكرت صحيح ولكن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا في مئات السنين ولكن يحق لنا نحن الإنكليز أن نعجب بك فإنك في ثلاثين سنة قد أسست ملكاً واسعاً وإذا أطرده لك هذا الفتح وهذا التقدم فأظن أنه في نصف المدة التي أسسنا فيها ملكنا تؤسس أنت إمبراطورية مثل أو أكبر من إمبراطوريتنا وهذا ليس ببعيد إذا ساعدتكم تصرفات الزمان وأخذتم أنتم سنن التقدم فإن أسلافكم العرب قد شيدوا إمبراطورية عظيمة في مدة قصيرة جداً لم يعرف التاريخ مثلها.

ذكر تسليم المدينة المنورة

رجعنا إلى ذكر الحرب وما أصبح فيه الشريف علي، لما اشتدت الضائقة المالية به ويقومه حتى اضطّر الملك علي لبيع سيفه وملبوساته لتأمين نفقة بيته، وأخذ

رجال حكومته يتشاورون معه فيما ينبغي عمله، وتوالت البرقيات من حامية المدينة بطلب الأرزاق اللازمة للجند وإلا اضطروا إلى التسليم فضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم يجد ما يجيبهم به غير المطل والتسويق فبعث أمير المدينة «الشريف شحات» رسولاً إلى جلالة الملك عبدالعزيز في بكرة واسم الرسول «مصطفى عبدالعالي» بكتاب يعرض فيه التسليم على شرط أن يؤمن الأهليون والموظفون على أرواحهم وأموالهم ثم يسأل السلطان أن يرسل أحد أفراد العائلة السعودية لهذه الغاية فعاد السلطان إلى مكة وجهاز نجله الأمير محمداً فزحف بفرقة من الجند إلى المدينة في ٢٣ ربيع الثاني ودنا من أسوارها فلما عرض على الحكومة والأهالي ما كان قادماً من أجله أبت قيادة الحامية التسلم لأنها كانت تنتظر المدد من جده، وقد أبرقت في ٥ جمادى الأولى إلى جلالة علي الشريف تقول الذي يهمننا الأرزاق للجند وعدتمونا بإرسال الدراهم المتيسرة بالطيارة وإلى الآن لم نرى أثراً لها دبروا وأرسلوا لنا دراهم ولو بيع إحدى البواخر فترون منا ما يسركم.

وكان الأمير محمد بن عبدالعزيز يشدد الحصار على المدينة بدون قتال عملاً بأوامر والده، فلما كان في ١٣ من هذا الشهر أبرقت القيادة إلى جلالة الملك علي بجدة تقول انقضى الأمر ولم يبق في اليد حيلة، الجنود ما عندهم أرزاق إلا لثلاثة أيام إذا لم تصل الطيارة غداً الظهر فستفاوض العدو. الإماءات

عزت عبدالله عمير، عبدالمجيد حمد

فجاء الجواب أنه يستحيل إرسال الطيارة قبل عشرة أيام لعدم وجود بنزين ثم مرت الأيام الثلاثة فنفتت مؤونة الحامية ومع ذلك فقد صبر الجنود ثلاثة أيام أخرى ثم في صباح الجمعة اضطّر قائد حامية المدينة المنورة عبدالمجيد المدفعي، ورئيس ديوان الإمارة عبدالله عمير، وعزت أفندي مدير الخط الحجازي إلى مفاوضة الأمير محمد بن عبدالعزيز بكتاب طلبوا فيه ملاقاته فأرسل الأمير خيالة لاستقبالهم وقد فاضوه بالتسليم على شرط أن يعطى الجنود والضباط والأهالي الأمان ويعلن العفو العام.

ولما كان في صباح اليوم ١٩ من جمادى الأولى الموافق ليوم السبت ٥ ديسمبر ١٩٢٥م، سلمت المدينة المنورة بعد حصار دام عشرة أشهر واستراح أهلها من الحصار ودخلت تحت ولاية ابن سعود وقد استقبل أهلها الأمير محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود فدخلها وأم المسجد النبوي فصلى وسلم على قبر رسول الله ﷺ وقبري صاحبيه ثم غادر المسجد إلى دار الحكومة وبعد التحية والاستقبال وزع على أهلها ألف كيس من الأرز وألفي كيس من الدقيق بعث بها صاحب الجلالة والده إسعافاً لهم من المجاعة التي ذاقوا مرارتها وقت الحصار.

ذكر ما جرى على أهل جدة من الضيق وانحلال الحكومة الهاشمية

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال جل ذكره: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال عز من قائل: ﴿يَسْتَأْذِنُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فنقول عم أهلها ضيق وعسر وشدة وانسدت منافذها من كل الوجوه وأصبح أهل جدة قد عمهم الضنك والبؤس وازداد العسر من كل الوجوه فكانوا في شر حال قد ضرب البوار أطنابه في الجنود وأصبحوا لا مال ولا ذخيرة ولا زاد يكفي لحفظ جند ولا مال في الأسواق ولا آمال تروح القلوب، وإذا كان الحجاز على ما يعمل به كل من له دراية به مورده الحجاج فيه يعيش وبه يتحرك ويقوم فما بالك بأمة لم تروجه الحاج سنة ونصفاً وانقطعت عنها الأسباب وامتنع عنها ورود الرزق كيف تكون حالتها وكيف تعيش أمة هذه حالتها وصفتها على أن الملك عليها لم ينظر إلى هذا كله بل لبث ينهب أموال الأهالي من أرزاق ودراهم وخشب، فيوماً ترى الضرائب، ويوماً ترى طلب الأرزاق إجبارياً، وطوراً يكلف الأمة أن تشتري ما تركه أبوه من عقار وأثاث، وهكذا تتشكل الضرائب على اختلاف أنواعها حتى أفقر الأمة وجعلها في حالة يرثى لها فترى البعض من أهل الطبقة الوسطى يجول في

الشوارع طالباً ما يمسك الرmq ويسد الخلة، فكيف الفقراء الضعاف مع أن لدى وزرائه ورؤساء ديوانه المال الذي يكفيه هو وجنوده فلو أخذ منهم لما وقع عليه اللوم لأنهم لم يفتنوا إلا منه ولم يربحوا إلا باسمه.

ولما قلت المرتبات على الجند بدأ يقرض من التجار ثم لما أقرضوا ولم يوفوا ديونهم أبوا أن يقرضوا، ولما لم يجد الجند ما يسد به حاجته قاموا ينهبون كل ما يجدونه أمامهم ثم وجهوا قوتهم إلى محال الناس الخالية من السكان فكسروها وأخذوا أخشابها مما تحتويه من سقف وجدر وأرض وباعوها حتى خربوا محلات تبلغ قيمتها عشرين ألف جنيه وبعد ما نفذ ما لدى الجند ولم يروا حيلة يقدرون عليها شرعوا يشحذون فتراهم في الشوارع زرافات ووحداناً، ثم طالبوا ولاية أمورهم بمرتبهم فلم يلبوا فصاحوا وناحوا فلم يجابوا، فلما ضاقت صدورهم توجهوا بسلاحهم إلى دار الملك علي وبدءوا يطلقون الرصاص ليرهبوه وذلك بعد ما اضطر لبيع سيفه وملبوساته لتأمين نفقة بيته فخاف الملك ونزل إليهم ووعدهم لمدة أسبوع ولكنه لم يف فثار الجند من الجهة الحربية في ١٣ جمادى الأولى ودخلوا البلدة وجالوا في الأسواق يطلقون الرصاص فهاجت الأهالي وماجت فين فار ومختبئ وبين واقف يشاهد ما وصلت إليه الحالة، ثم دخلوا المسجد وأغلقوا الأبواب وأخرجوا البنادق من المنافذ فأتاهم وزير الحربية تحسين باشا الفقير فهددوه بالقتل فتوسطت قناصل الدول في المسألة وأخيراً أتى إليهم الملك علي وأرضاهم على أن يسافروا إلى بلادهم فسافروا.

فسبحان القادر الذي له الأمر كله وله الحكم كله وييده تدابير الأشياء، وهذه والله حالة يعجب لها غير أن الأمور مرهونة لأوقاتها ولو أنهم إذ وصلوا إلى تلك المشقة خرجوا وسلموا للمتغلب إذ لا محيد لهم عن ذلك لاستراحوا، غير أن الله وهو الحكيم في أمره وخلقه يرينا ذلك ويسمعنا لنعتبر ونعترف له بالوحدانية في التدبير، ﴿يُخْرِتُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، هذا والجنود النجدية قابضة في مكانها تدافع وتناضل غير وجلة ولا مشاغبة راضية بما يفعله ولاية أمرها.

ولقد كان العسر والمجاعة التي خيمت بين بيوت أهل جدة أشد عليهم من الحرب وكادت الأرزاق أن تنفد، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ثم أعلن صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن العفو العام وهو كل من كان في خدمة الحسين أو غيره هو في أمان الله إذا أراد أن يرجع إلى مكة.

وبما أن الطريق انفتحت بين أم القرى وجدة فقد أخذ يزداد عدد الفارين عن طريق الليث، وراغب إلى أم القرى ونفر الجند إلى التمرد والعصيان خصوصاً من ضباط وجنود إذا هم أحبوا الخروج إلى معسكره، وعرض فوق ذلك المساعدة المالية على من أحب منهم السفر إلى وطنه وكان لهذا البلاغ التأثير السريع المطلوب فسرحت القيادة الهاشمية عدداً كبيراً من الجنود الفلسطينيين وسافروا إلى العقبة وعاد الإخوان إلى معسكرهم في الرغامة وفي سفتح الجبال بأمر السلطان عبدالعزيز يقودهم أخوه عبدالله وابنه الأمير فيصل.

وكان صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن كثيراً ما يقول في مجالسه الحربية التي كان يحضرها أمراء الجيش والعلماء، ثلاثة أخرجتني عن الهجوم وحملتني على تفضيل الحصار على القتال وهي: الحرص على جنودي، والمحافظة على الأجانب، والفرصة المنتظرة، أضف إلى ذلك ثقته بالنتيجة المرغوبة فيما أقدم عليه كيف وقد دنت تلك الفرصة وحن وقتها، فوا أسفاً للملك علي هذه فرص النصر تنقص يوماً فيوماً والإخوان قد طوقوا بلاد جدة وجنوده يهددونه ويطالبونه بالنفقة فهل يجيء هذا اليوم بالسلم، أم بالهجوم العام هيهات لا مفر ولا محيص أين من يكشف الغمة إذ ليس في وسع أحد أن يجيب السؤال غير واحد في القيادة العامة كلها، ألا وهو السلطان عبدالعزيز فلا تسأل عن حالة علي فقد كانت حواسه في اضطراب دائم وأعصابه في هياج مستمر مما كان يسمعه ويشاهده في قصره وفي حكومته وفي جنده وفي بلده كل يوم بل كل ساعة فلم ير مهرباً والحالة هذه من ذلك العمل الأخير الذي فيه راحة باله في الأقل وصون صحته وشرفه، ففكر في هذا الأسبوع ورأى أن جميع المصائب التي حلت به وبأبيه إنما جاءت من قبل أخيه عبدالله الذي

كان يزين لأبيه محاربة ابن سعود وقومه والاستخفاف بهم وهو الذي قال بضرورة إبعاد الحسين عن العقبة وزين له إبعاده أيضاً عن البحر الأحمر وتبين له أنه لم يقصد إلا تثبيت العقبة لنفسه، ورأى أن أخاه الثاني فيصل كان يدعو إلى مسالمة ابن سعود وينقم على سياسة والده وأخيه عبدالله ويتنبأ بكل ما حصل، وقد صرح والده بحقيقة الإنكليز وأنه لا أمل في مساعدتهم له.

ولقد حنق علي على أخويه عبدالله وفيصل لعدم اهتمامهما بأمره وتقصيرهما في إمداده بالمال اللازم لبلدتين صغيرتين هما المدينة، وجدة إذ الواجب يقضي على أخويه بمساعدته ولو من مالهما الخاص إن لم يكن في خزينة الدولة ما يؤمن حربهما، وجعل يفكر ماذا يكون مصيره إذا هو سلم البلاد لخصمه وأين يقيم ومن أين ينفق على أهله إذ لا يوجد لديه من حطام الدنيا ما يمكن أن يعتمد عليه، أرسل نفسه إلى خصمه ابن سعود، إنها لكبيرة عليه فالموت أحب إليه أم يذهب إلى أبيه وهو أشبه بأسير في يد الإنكليز، أم يذهب إلى أخويه وقد ضنا عليه بالمساعدة في كل شيء، ثم دعا برجال حكومته واعترف أمامهم ببعد نظر أخيه فيصل وأنه قرر أن يبرق له يستفتيه في الموضوع فجاء الرد منه يدعو إلى تشريف العراق إلى أن تنجلي السحب وتحسن الأحوال فتلى عليهم البرقية وأخبرهم أنه لذلك قرر السفر إلى العراق، فلما كان في مساء الثلاثاء الموافق ٢٩ جمادى الأولى جاء إلى دار الاعتماد البريطاني يعرض على المعتمد البريطاني أن يتوسط في الصلح حقناً للدماء ودفعاً للعسر المستحوذ على البلد والأهالي ثم ذكر له شروط الصلح والباعث له على ذلك أنه لم ير بدأ من التسليم فقبل المعتمد البريطاني هذه المهمة وأبرق إلى حكومته في الحال يستأذنهما بالتوسط وبعد أن أخذ الرخصة من حكومته أرسل أحد موظفي دائرته واسمه «منشي إحسان الله» بكتاب إلى السلطان عبدالعزيز، وكان السلطان قد خرج في ظهر اليوم ٣٠ من جمادى الأولى من مكة قاصداً مقره الحربي في الرغامة قد امتطى سيارته وتبعته الحاشية وفصييلة من الجند، فلما كان في منتصف الطريق التقى بسيارة قادمة من جدة وهي تنشر العلم البريطاني وفيها

رجل يلوح بالعلم الأبيض فوقفت سيارة السلطان ونزل الرجل من سيارته فإذا هو رسول المعتمد يحمل هذا الكتاب وإليك نصه:
عدد ٢٥ جدة في ١٦ ديسمبر ١٩٢٥ م:

حضرة صاحب العظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود
سلطان نجد بعد الاحترام مراعاة للإنسانية ولأجل تسهيل عودة السلام والرفاهية
في الحجاز أكون مسروراً إذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلي في الرغبة غداً
يوم الخميس قبل الظهر أو بعد ذلك بأسرع ما يمكن هذا وتفضلوا بقبول وافر
التحية وعظيم الاحترام.

نائب معتمد وقنصل بريطانية العظمى - وكيل قنصل جوردن
فلما وصل السلطان إلى الرغبة أجاب بهذا الجواب: الرغبة ٣٠ جمادى
الأولى ١٣٤٤ هـ.

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى سعادة المعتمد البريطاني «المستر
جوردن» المفخم تحية وسلاماً قد تناولت كتابكم المؤرخ في ١٦ ديسمبر ١٩٢٥ م
وفهمت ما تضمنه وقد حضرنا لمقابلتكم في المحل الذي يخبركم به «المنشي إحسان
الله» هذا وتقبلوا فائق احتراماتي.

سمع بعض الأهالي عن وساطة القنصل الإنكليزي في الأمر فأبوا ذلك وذهبوا
لدار علي واحتجوا وطلبوا أن يسلمهم البلاد وهم يسلمونها لابن سعود ولا دخل
ولا وساطة لأجنبي في بلادهم فوعدهم وأخلف.

ولما كان صباح الخميس من الغد غرة جمادى الثانية في الساعة العاشرة وصل
المعتمد البريطاني إلى مقر السلطان في الرغبة موضع الاجتماع وبعد ما تشرف
بمقابلة السلطان قال بعد التحية: أن الحكومة البريطانية لا تزال مقيمة على الحياد في
قضية الحجاز ولكنه بالنظر إلى ما تجسم من حالة جدة وبالنظر لمعرفة أن عظمتكم
يفضل السلم على الحرب ويرغب في راحة المسلمين وحقن دماء الأجانب فبناءً
على طلب الملك علي وحكومته التسليم أتوسط في تقديم شروطه وهذا لغاية
إنسانية صافية، فلما أقيت الشروط بين يديه أقرها بعد التعديل في شيء منها.

اتفاقية تسليم جدة في سبعة عشر تعهداً نسجلها أمام القارئ:

- ١- بالنظر لتنازل الملك علي ومبارحته للحجاز وتسليم بلدة جدة ضمن السلطان عبدالعزيز لكل الموظفين الملكيين والحريين، والأشراف وأهالي جدة عموماً والعرب والسكان القبائل سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم.
- ٢- يتعهد الملك علي أن يسلم في الحال أسرى الحرب الموجودين بمجدة إن وجد.
- ٣- يتعهد السلطان عبدالعزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين أعلاه.
- ٤- يجب على جميع الضباط والعساكر أن يسلموا في الحال إلى السلطان عبدالعزيز جميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطيارات وخلافه وجميع المهمات الحربية.
- ٥- يتعهد الملك علي وجميع ضباطه بأن لا يخربوا أو يتصرفوا في أي شيء من الأسلحة والمهمات الحربية جميعها.
- ٦- يتعهد السلطان عبدالعزيز بأن يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة إلى أوطانهم ويتعهد بإعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم.
- ٧- يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بمجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه.
- ٨- يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يبقى جميع موظفي الحكومة الملكيين الذين يجد فيهم الكفاءة في تأدية واجباتهم بأمانة في مراكزهم.
- ٩- يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح الملك علي في أن يأخذ معه من الأمتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك سيارته وسجاجيده وحيوله.
- ١٠- يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط أن هذه الممتلكات تكون فعلاً من الورثة ولا تشمل على الأملاك الثابتة المحولة من الأوقاف بمعرفة الحسين إلى شخصه ولا على المباني التي يكون الحسين قد بناها في أثناء ملكه لما كان ملكاً على الحجاز.
- ١١- يتعهد الملك علي أن يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساءً.

١٢- جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي الطويل، ورشدي، والرقمتين، ورضوى، تصير ملكاً للسلطان عبدالعزيز ولكن السلطان يسمح إن لزم الأمر للبخرة «رقمتين» أن تستعمل لنقل الأمتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع.

١٣- يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بأن لا يبيعوا أو يخربوا أي شيء من أملاك الحكومة مثل اللنشات والسنايك وخلافه.

١٤- يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين بينع الحقوق والامتيازات المذكورة سابقاً إلا فيما يخص بتوزيع النقود.

١٥- يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح العفو للأشخاص المذكورة أسمائهم أدناه أيضاً ضمن العفو العام، وهم عبدالوهاب، ومحسن، وبكري أبناء يحيى قزاز، والشيخ محمد علي صالح بتاوي وإخوانه إبراهيم، وعبدالرحمن بتاوي أبناء محمد علي صالح بتاوي، وأبنائهم وأبناء عمهم حسن، وزين بتاوي، وأبناء محمد نور، والشيخ يوسف خشيرم، والشيخ عباس ولد يوسف خشيرم، والشيخ ياسين بسيوني، والسيد أحمد السقاف وعائلات وأموال جميع المذكورين آنفاً.

١٦- إن كان الملك علي أو رجاله في حال من الأحوال يخالفون أو يقصرون في تنفيذ أي مادة من المواد التي تقدم ذكرها فإن السلطان عبدالعزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤولاً عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية.

١٧- يتعهد الطرفان السلطان عبدالعزيز والملك علي أن يكف عن أي حركة عدائية أثناء سير هذه المفاوضات.

الخميس في ١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٢٥م.

الإمضاءات

أمضى هذه الاتفاقية السلطان في عصر اليوم المذكور وأمضاها علي مساءً في الساعة السادسة ليلاً، واعتبرت نافذة المفعول من ذلك الوقت، ثم مضى بعد هذه الاتفاقية ثلاثة أيام هائلة قد سادت الطمأنينة فيها.

ولما كان في صباح يوم الأحد الموافق ٤ جمادى الثانية ركب الشريف علي زورقاً إلى الباخرة «كورن فلاور» التي أقلت والده من العقبة إلى قبرص، وعاد المعتمد في مساء ذلك اليوم إلى الرغامة ليخبر السلطان بأن الأمير علياً في الباخرة وأنه قرر السفر إلى عدن ومنها إلى العراق، ثم إنه أحضر من الغد صباحاً «عبدالله زينل» قائم مقام جدة، وكان قد جعله علي الشريف رئيساً للحكومة المؤقتة، وأحضر أيضاً رئيس العسكرية الضابط «صادق» فخطب السلطان قائلاً: إن مهمته في التوسط قد انتهت وأنه يقدم رئيس الملكية، ورئيس العسكرية ليكونا مسؤولين أمام عظمتهم، ثم عاد الوكيل إلى جدة وظل الرئيسان عند السلطان للمذاكرة في تسليم ممتلكات الحكومة.

وقد كتب علي الشريف أشعار لقناصل الدول عن سفره وهذا نص ما كتبه، معتمد بريطانيا، معتمد السوفيت، قنصل إيطاليا، قنصل فرنسا، قنصل هولندا، قنصل إيران، قنصل مصر:

حضرة صاحب السعادة بعد التحية التكريم حباً للسلامة وصيانة الأموال والأرواح وحقناً للدماء وتقصيراً لمدة الحرب التي نال البلاد منها شقاء وخراباً وعناء رجحت الانسحاب وقررت السفر من جدة يوم الثلاثاء الموافق ٦ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ الموافق ديسمبر ١٩٢٥م، وشكلت حكومة مؤقتة أهلية لإدارة الشؤون والأمور تحت رئاسة قائم مقام جدة الشيخ «عبدالله علي رضا» مع بقاء كبار الموظفين والأهلين ولإحاطة علم سعادتكم سارعنا بتحرير ٣ جمادى الآخر ٤٤، علي ثم إنه نشر منشوراً عند سفره ذكر في هذا المنشور خطته في هذه الحرب ونحن نسوقه بحروفه، «المنشور»:

إلى جيشي الباسل وشعبي الكريم إني أحمد الله حمداً كثيراً وأشكره شكراً جزيلاً في السراء والضراء منذ تشرفت بالقدوم إلى هذه البلاد المقدسة مع جلالة والدي حرسه الله، وأنا أعتبر نفسي فرداً من أفرادها العاملين لخدمة وطني وبلادي وعندما قضت إرادته جل شأنه بتحول مركز البلاد من الحكومية إلى الحاكمية بنهضتها المعلومة التي نالت بها استقلالها التام ودخلت في صفوف الدول

المستقلة من الحقوق في الداخل والخارج بفضل جهاد أبنائها وما سفكوه فيها من الدماء الغالية كنت متنقلاً في فيافيها وصحاريها مفارقاً لأهلي وأولادي مدة بعد مدة وفرقة أشد فرقة مجاهداً كجندي يؤدي واجباته لوطنه وبلاده وعامل لطمأنيتها وراحة سكانها متبعاً كل مسلك يوصل إلى الوفاق والاتفاق والاتحاد ما استطعت يعلم كل ذوي الفنون العالية من ذوي الاختصاص في الداخل حتى جاء اليوم الذي تنازل فيه جلاله والذي عن الأمر فكلفتهموني بتولي الأمر بعده في ذلك اليوم العصيب والخطب العظيم والعدو على الأبواب وأصررت علي كل الإصرار بالقبول ورغماً عن إرادتي لعدم قبول هذا الأمر وتحمل أعبائه الثقيلة الخطيرة لما عرفته من فقدان كل الوسائل اللازمة لمثل هذا الموقف الشريف الرهيب وتكرر رفضي لتولي، قبلته مستعيناً بحوله تعالى وقوته قياماً بواجبي أمام بلادي وأهل بلادي ووطني وشعبي الكريم ومعتمداً على غيرتكم وحبكم لبلادكم وتعهدكم بمعاضدتي ومساعدتي بالمادة والمعنى ونهضت مستمداً من لدن العزة الأحدية العون والتوفيق مشمراً عن ساعدي الجدد مرتدياً برداء الثبات والصبر وأعددت للحرب عدتها وأحضرت كلما في إمكاني مما رأيتموه من جند وأسلحة وسهرت الليالي الطوال وصابرة هذا الحرب وما انتابها من العقبات داخلاً وخارجاً حتى فزتم والحمد لله وانهزم عدوكم من عموم ساحات القتال التي نازلتم فيها بفضل ثبات وجهاد جندكم الباسل الصادق الأمين وصبرتم يا أهل هذه البلاد معي على الكوارث وشاطرتموني في ويلاتها ومشاقها وشقاقها وخسائرها مما جعلني مديوناً لواجبكم إلى الممات ومسارعاً لإزالة هذه الحالة السيئة التي سببها العدو والذي لا ناقة له فيها ولا جمل.

وبعد أن حاولت قطعها بكل الوسائل السلمية ولم يرد عدوكم إلا أن يملككم ويغتصب بلادكم ويقضي على استقلالكم صممت على التجاوز على عدوكم لإخراجه من بلادكم وقطع دابر هذه الحرب التي جعلت البلاد في حالة البؤس والشقاء لكن نفذ كل ما في اليد من المال مما أملكه وأعنتهموني وجلالة

والذي به، واستهلك كلما في القدرة والمستطاع ولم نجد مساعداً على دفاعنا عن أوطاننا وبلادنا، وحرّم الله المقدس، وقبر نبيه الشريف، مما حل بها لا بالمال ولا بالعمل بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩]، إلى آخر الأمر الذي أزعجني عن إتمام واجبي أمام الله، وأمامكم وأمام جندكم الباسل وأمام بلادي العزيزة ووطني الشريف المقدس، فها أن اليوم مضطر لأن أصرح لكم بأن لهذه الاعتبارات، وحباً في رفع ما سببته هذه الحرب الضروري من الضرر والوبال على البلاد وحققنا لما تسببه لو طالت من سفك الدماء والأنفس الغالية وفتحاً للباب الذي أو صد بسببها في وجه الوفاد والقصاد رجحت الانسحاب من الحرب، ودخلت في مفاوضة تضمن السلام وتضمن الحقوق لكم جميعاً، فكونوا على معلوم، فأمركم وأرجوكم تطبيق كل ما جرى عليه القرار وتنفيذه لحفظ السكينة والحقوق العمومية والشخصية، وإنني أرجو لكم مستقبلاً حميداً وراجياً منكم الصفح عن الزلات والخطأ والهفوات، وإنني أشكركم من صميم فؤادي وخصوصاً من وقف إلى الآن بهذه البلدة التي لها الصفحة البيضاء في تاريخها المجيد، بل الأمة العربية أجمع تشكركم على ثباتكم الشريف ووقوفكم الحميد ونضالكم الحسن دون استقلال بلادكم وتمتع شعبكم وتطلبكم في قضيتكم المقدسة التي لا تنسى لكم بين دفتي التاريخ، تلك القضية التي ستبقى لكم لؤلؤة بيضاء تلمع في جبين الدهر وجوهرة نقية تضيء في تاج هذا العصر، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً، وقد شكلت حكومة مؤقتة أهلية للنظر في الأمور، يرأسها قائم مقام «الشيخ عبدالله زينل» مع بقاء جميع كبار الموظفين الأهليين.

نسأله تعالى أن يلفظ بنا وبعباده المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أنه على ما يشاء قدير وإنني أستودعكم الله وأودعكم بعينه التي لا تنام وقد قمت بواجبي والله ولي ووليكم في كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

علي بن الحسين

ثم أبحرت الباخرة «كورن فلاور» في صباح يوم الثلاثاء الموافق ٦ جمادى الثانية تقل علي بن الحسين إلى المنفى الذي اختاره لنفسه، هذه آخره الحسين وآله من الحجاز، فسبحان من لا انقضاء للملكه ولا نهاية لأبديته.

فيا عجب لتصرم الليالي والأيام ومداولتها الملوك والحكام، تالله إنها لعبرة لمن له أذن واعيه وآية يتفكر فيها من نفسه لله خاشية.

رجعنا إلى ذكر ابن سعود وما ألان الله له الصعوبات، والله الحكمة البالغة والحجة الدامغة وهو أعلم حيث يجعل رسالاته إذ هو الحكيم العليم، ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وأن الله لسميع عليم﴾، ولقد ظهرت محاسن نوايا ابن سعود وما تكنه نفسه الطيبة من مكارم الأخلاق ومعالي الشيم بحيث لو أتاه علي بن الحسين سامعاً مطيعاً يدين له بالإخلاص والوفاء لأقره على إمارته أو لجعله موضع الإكرام، كما عامل أمراء آل رشيد وعسير وغيرهم من الأعداء الذين غمرهم بمعرفه وعطفه، حتى ملك قلوبهم وستر عيوبهم.

ذكر ما جرى من التدابير بعد فتح جدة

في صباح يوم الثلاثاء الموافق ٦/٦ أرسل عظمة السلطان طليعة من جيشه إلى جدة وهم عبدالعزيز العتيبي، ويوسف ياسين، وخالد الحكيم، وحسن بك، وفقى، فاستلموا ما نصت عليه الاتفاقية ومن الغد أعني ٧ منه نقل الإمام عبدالعزيز من الرغامة إلى الكندرة، وكان قد تقدمه فريق من جند المشاة ورهط من الخيالة بقيادة أخيه عبدالله بن عبدالرحمن، وكان موضع الكندرة محلاً داخل الأسلاك الشائكة بالقرب من البلدة، فرفع العلم السعودي وأطلق مائة مدفع ومدفع تحية البلاد واستقبله الأهلون يهرعون وقناصل الدول، ثم جلس السلطان عبدالعزيز للوفود المسلمين والمهتئين في ذلك السرادق الذي أعده الأهالي بجهة الكندرة لاستقبال عظمته، وأخذ رئيس الحكومة المؤقتة «عبدالله زينل» يقدم لعظمته قناصل الدول ومندوبي الشركات الأجنبية، ثم ضباط الجند ثم أعيان المدينة، وقد تكلم قنصل إيطاليا «السنور فارس» باللغة العربية مهتأ السلطان بهذا الكلام.

نظراً لكوني كبير القناصل سنأ تقدم بالنيابة عن نفسي وبالوكالة عن رفاقي بتقديم تهنتتنا لعظمتكم بدخولكم جدة في هذه الطريقة السلمية التي حققت بها الدماء ونتمنى لعظمتكم التوفيق الدائم والسعادة، فأجابه السلطان قائلاً أنه لم يبطئ في الأعمال الحربية إلا لهذه النتائج السلمية، ثم شكر للمعتمد البريطاني مسعاه وأعرب للقناصل عن سروره بما كان من موقفهم في الانقلاب الأخير فتم سلماً كما تمناه، ثم أقام بقية يومه في الكندرة ودخل جدة في صباح الخميس الموافق ٨ من الشهر المذكور ونزل في دار الوجيه العالم الشيخ «محمد نصيف» وهرع له الأهلون أفواجاً أفواجاً لمقابلته وألقت الخطباء أمامه الخطب والأناشيد، وكان ما بين يوم إشرافه على الرغامة للحرب ويوم دخولها تحت رعايته سنة واحدة كاملة، ثم إنه باشر العمل بعد ذلك في إعادة اليسر والطمأنينة إلى الحجاز، وفاه عظمته عن رأيه نحو البلاد ودعى الناس إلى الوئام، ثم نشر هذا المنشور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«بلاغ عام»

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل السعود إلى إخواننا أهل الحجاز سلمهم الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإنني أحمد الله إليكم وحده الذي صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأهنتكم وأهني نفسي بما من الله به علينا وعليكم من هذا الفتح الذي أزال الله به الشر وحقن دماء المسلمين وحفظ أموالهم وأرجو من الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه ومتبعي هداة.

إخواني تفهمون أنني بذلت جهدي وما تحت يدي في تخليص الحجاز لراحة أهله وأمن الوافدين إليه طاعة لأمر الله قال جل من قائل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَآمَنَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ

يَا حَكَامِ يُظَلِّمِ تَذَقُّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ [الحج: ٢٥]، ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن ساد السكون والأمن في الحجاز من أقصاه إلى أقصاه بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها ضر الحياة وأتاعها ولما من الله بما من من الفتح السلمي الذي كنا ننتظره ونتوخاه أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد، وأما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي لينظر بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو، وإنني أبشركم بحول الله وقوته أن بلد الله الحرام في إقبال وخير وأمن وراحة، وإنني إن شاء الله تعالى سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة ويحلب الراحة والاطمئنان لها، لقد مضى يوم القول ووصلنا إلى يوم البدء في العمل فأوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع مرضاته والحث على طاعته فإنه من تمسك بالله كفاه ومن عاداه والعياذ بالله باء بالخيبة والخذلان، إن لكم علينا حقوقاً، ولنا عليكم حقوق، فمن حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر واحترام دمايكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة، وحقنا عليكم المناصحة، والمسلم مرآة أخيه، فمن رأى منكم منكراً في أمر دينه ودنياه فليناصحنه فيه، فإن كان في الدين فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء.

إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا للراحة والطمأنينة، وإنني أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار فإني لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره، هذا ما يتعلق بأمر اليوم الحاضر، وأما مستقبل البلد فلا بد لتقريره في مؤتمر يشترك المسلمون فينا فيه مع أهل الحجاز لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحها، وإنني أسأل الله أن يعيننا جميعاً ويوفقنا لما فيه الخير والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تحريراً بمجدة في ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤هـ

عبدالعزیز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود

لقد دعا جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لتقرير مصير الحجاز العالم

الإسلامي، وكررها مراراً ثم عززها في ١٠ ربيع الثاني من هذه السنة بكتاب خاص أرسله إلى الحكومات والشعوب الإسلامية فكانت صرخة في واد لم يلها أحد غير فريق من مسلمي الهند وجمعية الخلافة هناك، ولكن أولئك يريدون للحجاز مالا يريد أهله ولا يوافق عليه الحجازيون فما كان هذا الرأي مقبولاً لدى الشريفين ولا السعوديين، بل الحجاز للحجازيين هي كلمة الجميع.

ولما أن أحب أهل الحجاز ابن سعود ووجدوا لديه أسمى الأخلاق وأكملها وذاقوا حلاوة الحرية كان يقض مضاجعهم ما يسمعون من نشراته للعالم الإسلامي يدعوهم إلى عقد مؤتمر يقرر مصير الحجاز لذلك قام الأعيان من أهالي جدة ورؤسائها وذهبوا إلى مكة المكرمة فاتفقوا بأعيانها ورؤسائها وجرت مفاوضات اتفقوا في آخرها على بيعة ابن سعود بأن يكون ملكاً على الحجاز لكلماته الخالدة وهي: «أنا منكم وأنتم مني، أنا بدمتكم وأنتم بدمتي، وقوله: «إن أهل مكة أدرى بشعابها» فأنتم أعلم ببلادكم من البعيدين عنه وما أرى لكم أحسن من أن تلقى مسؤوليات الأعمال على عواتقكم، وخافوا من أحكام المعاهدة التي بينه وبين بريطانيا أن تمس بالحجاز وهم يريدون استقلاله عن الإنكليز، وبعدما اتفقوا بالسلطان أعربوا له عن ما تكنه ضمائرهم فقرر بأن يكون ملكاً على الحجاز وسلطان على نجد وملحقاتها، فأذاع ابن سعود ذلك وبعثه بلاغاً رسمياً ذكر فيه ما معناه بأنه قد بلغ القاصي والداني ما كان من أمر الحسين وأولاده الأمر الذي اضطرننا إلى امتشاق الحسام دفاعاً عن أرواحنا وأوطاننا ودفاعاً عن حرمة الله ومحارمه، وبعدما بذلت النفس والنفس في هذا السبيل يسر الله فتح البلاد واستتب الأمن فيها، وبعدما أذعت غير مرة للحكوم الإسلامية ونشرت كتاباً في سائر صحف العالم ومضى مدة لم أتلج جواباً من أحد جاءني أهل الحجاز جماعات ووحداً يطلبون مني أن أمنحهم حريتهم التي وعدتهم بها في تقرير مصيرهم فلم يسعني أمام طلباتهم المتكررة إلا أن أمنحهم هذه الحرية ليقرروا في شأن بلادهم ما يشتهون بعدما ظهر من العالم الإسلامي هذا الصد والإعراض وأمضى عليه.

مؤرخاً في ٢٢ جمادى الثانية من هذه السنة

ذكر البيعة والنداء لابن سعود في العالم بملك الحجاز وسلطان نجد

وملحقاتها

لما تألفت لجنة من أعيان أهل جدة عددها عشرون وسافروا إلى مكة واجتمعوا هناك ببلجنة من أهلها عددها ثلاثون، عقد أعضاء اللجنتين في ٢٢ من جمادى الثانية مجلساً قرروا فيه باجتماع الرأي مبايعة السلطان عبدالعزيز ملكاً على الحجاز واتفقوا على شروط البيعة ونصها ثم قدموها إلى عظمة السلطان ليرى رأيه فيها وطلبوا منه إذا حازت القبول أن يعين الوقت لعقد البيعة، فأجاب الطلب، ولما كان بعد صلاة الجمعة في اليوم ٢٥ من جمادى الثانية من ١٣٤٤هـ الموافق ١٠ يناير ١٩٢٦م اجتمع الناس في المكان المعد للحفلة عند باب الصفا من المسجد الحرام، وجاء عظمة السلطان في موكبه في الساعة التي بعد صلاة الجمعة، وكان المشهد عربياً صافياً - أي بسيطاً - فلم يكن هناك غير سجادة وقف عليها السلطان وكسري للخطيب الذي تقدمه المنادي قائلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ثم اعتلى الكسري الخطيب فحمد رب البيت المعظم وشكر وسبح، وبعد ذلك قال: أيها الإخوان أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بالأمن بعد الخوف وبالرخاء بعد الشدة، فقد انتشعت غمة الحروب وقد توحدت الكلمة بحول الله تعالى وقوته فتعطف علينا عظمة هذا السلطان المحبوب بقبول البيعة المشروعة الواجبة علينا وأني أتلوها على مسامعكم.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: نبأبعك يا عظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود على أن تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنة رسول ﷺ وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله، وأن يكون الحجاز للحجازيين وأن أهله هم الذين يقومون بإدارة شؤونه وأن تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم.

وفي حال تلاوة البيعة في ذلك المجمع كانت قلاع مكة لها رنين ودوي بإطلاق المدافع، فأطلقت مائة مدفع ومدفع، وكان وقتاً هائلاً باهراً والناس أثناء ذلك يتزاحمون حول تلك السجادة الواقف عليها السلطان ليتقبل البيعة، فتقدم أولاً الأشراف، ثم الوجهاء والأعيان وتلاهم المجلس الأهلي، فالمحكمة الشرعية، فالأئمة، والخطباء، فالمجلس البلدي، فأهل المدينة المنورة، فأهل جدة، فبقية خدم الحرم، فالمطوفون، والزمازمة، فمشايخ جاوة، فأهل الحرف، فمشايخ الحارات وأهل المحلات.

وقد جاءت بعدئذٍ برقيات بالمبايعة من المدينة المنورة، ومن ينبع، والوجه، وضبا، والعلاء، وكانت حكومة السوفيت الروسية أول الدول التي اعترفت بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، ثم اعترفت بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، ثم اعترفت به حكومات بريطانيا العظمى، والجمهورية الفرنسية، وهولندا، والجمهورية التركية، ثم بعد الحفلة مشى جلالة الملك المعظم إلى الكعبة البيت الحرام فطاف بها سبعاً وصلى في المقام، ثم جلس في سرادق دار الحكومة للمهنتين والخطباء، ثم تكلم الخطباء وأبدوا خطباً بديعة.

قال أحدهم: لا بد للحجاز من ملك مستقل يكون قادراً على صيانة الحجاز من الداخل والخارج، والذي يستطيع القيام بهذا الأمر هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وقال أحدهم: وما أعطاك الله هذا العطايا عبدالعزيز إلا لأنك سائر في مرضاته وقال الآخر بعد إطرائه الامة العربية في زمن السلف الصالح.

علينا أن نتمسك بذلك الحبل المتين، ليرجع للمسلمين ما كان لهم من السؤدد والعز، فيا عجباً لهذا الكلام وما فيه من الفصاحة والبلاغة، فإن في هذه الكلمات مثلاً من عقلية القوم ونزعتهم السياسة، ثم خطب صاحب الجلالة والمهابة الملك المعظم والسطلان المفخم، وألقى عليهم من درره وسحره الحلال ما كان أشد وقعاً من جاذبية الكهرباء، وبهر بخطابه الحاضرين وشقق آذان السامعين وأطلق لسان الداعيين والمهنتين فقال:

أسمع خطبائكم يقولون هذا إمام عادل وهذا كذا وكذا فاعلموا أنه ما من رجل مهما بلغ من المنازل العالية يستطيع أن يكون له أثر وأن يقوم بعمل جيد جداً إذا كان لا يخشى الله، وإنني أحذركم من اتباع الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيا وأحثكم على الصراحة والصدق في القول وعلى ترك الرياء والملق في الحديث: لم يفسد الممالك إلا الملوك وأحفادهم وخدامهم والعلماء المتملقون وأعوانهم، ومتى اتفق الأمراء والعلماء على أن يستر كل منهم على الآخر فيمنح الأمير الرواتب والعلماء يدلّسون، ضاعت حقوق الناس وفقدنا والعياذ بالله الآخرة والأولى، إلى أن قال خاتماً كلامه.

وإنني لأحمد الله الذي جمع الشمل وأمن الأوطان ولكم علي عهد الله وميثاقه أني أنصح لكم كما أنصح لنفسي وأولادي، فهتف الناس إذ ذاك قائلين: جزاك الله خيراً، جزاك الله خيراً، وفي مساء ذلك اليوم دعا جلّالته إلى قصره أعضاء المجلس الأهلي والوفد الذي قدم من جدة وبعض أهل الوجاهة في أم القرى فخطبهم بما معناه:

إننا الآن في وقت العمل وفي ساعة التأسيس ولا يستقيم الأمر إلا بحسن التدبير والصدق والنزاهة، أنتم أرباب الرأي والفكر في بلادكم فعليكم أن تقرروا شكل الحكومة، وتضعوا دستوراً لها وتحددوا العلاقات بين نجد والحجاز، وتبحثوا فيما ينبغي أن يكون موقف الحجاز تجاه الدول، ثم أمر بأن يؤلف من مندوبي مكة وجدة مجلس تأسيسي فينضم إليه مندوبون من بلدان الحجاز الأخرى للنظر فيما ذكر من المسائل وتقريرها.

وبعد أن تألف هذا المجلس انتخب بالاقتراح السري لجنة لوضع القانون الأساسي ثم عرض أسماؤها على جلالة الملك فأمر بأن يرأس اللجنة الشيخ «عبد القادر الشبيبي» حامل مفتاح بيت الله الحرام وأن يضم إليها خمسة آخرون انتخبهم جلّالته من الأشراف والتجار كذلك في هذا الشرف الجديد يصلح التعيين بالاقتراع ويكمل الحاكم الفرد ما ينقص في حكم الشورى، أما الهيئة التأسيسية

فأعضاؤها ثلاثة عشر، هم: الشيخ محمد حسين نصيف، صالح شطا، حسين با سلامة، محمد شلهوب، محمد المرزوقي، محمد سعيد أبو الخير، الشريف شرف عدنان من آل غالب، علي كني، محمد ماجد الكردي، عبدالله زينل، الرئيس المؤقت فيما ذكرنا، عبدالله الدهلوي، سليمان قابل، الشريف حسين عدنان، وهكذا أخذ ابن سعود ينظم شؤون الحجاز.

وقد قال الشيخ محمد بن عثمان الشاوي قصيدة طويلة يهنئ بها جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل بفتح مكة المشرفة تركنا لإيرادها خشية الإطالة ولعل الله يسهل لإيراد شيء من قصائده في ترجمته.

ومن توفي فيها من الأعيان رجل الدين والفضل التقى الشجاع عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن فداء كان رحمه الله تقياً ناسكاً شجاعاً مجداً في طلب العلم وخلف أباه في إمامة مسجده في شرقي بريدة وله فضائل ومحاسن وكان له أخ يدعى بعبدالعزیز بن عبدالله وله زهد وورع ونهمة عظيمة في طلب العلم وتحصيله وهمة عالية وهو الذي التحق في معية الشيخ محمد عبدالله بن سليم وابنه عمر في منفاهما إلى قرية «النبهانية» وفوق ما قيل فيه عفة وذكاء وخشية وإنابة.

أما المترجم فقد بلغ بضعاً وثلاثين سنة وله أبناء ذكور قام في تربيتهم والسعي في تهذيبهم وله إناث؛ أما عبدالعزيز فلا عقب له.

وفيها في ٤ شوال وفاة الشيخ العجاجي وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الزاهد أحد الأئمة الأعلام والعارف الحبر المقدم الذي علا ذكره في الآفاق واتفق على تقديمه أهل المعرفة والوفاء وانتشر ذكره في كل الآفاق: أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز بن سليمان بن ناصر بن سليمان آل عجاجي كان من العرب من آل كثير، وقبيلته عنزة، وله همة عالية في نيل العلم والسعي في طلبه وما مات حتى نال الإجازة من مشايخه آل سليم فجلس للتدريس في أحد مساجد بريدة والتفت عليه حلق الذكر ومهر في العلوم حتى أصبح من خيرة تلامذة آل سليم علماً ومعرفة.

ولد في سنة ١٣٠٩ هـ وتوفي في هذه السنة عن عمر بلغ ٣٥ سنة، وكان مقبولاً

عند الناس وألفه طلاب العلم وأهل الدين، وفاق الأقران، وسبق أبناء الزمان وأقر بفضلله القاضي والدان، وكان من زملاء أخينا عبدالرحمن بن عبيد ويلقب «بالحميدي» وله شهرة عظيمة، يقر له بالفضل قرناؤه وأصحابه وهذه صفته رحمه الله.

كان ربعة أبيض اللون مشرباً بحمرة كث اللحية يعلوه البهاء والنور، أخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم؛ وسيرته حسنة ومعاملته جميلة لمحاسن ولين عريكته أضف إلى ذلك عقلاً وأدباً، وكان الشيخ عمر يقدمه ويحترمه، وجمع كتباً كثيرة فكان لديه مكتبة، وكان محبوباً عند الناس يآلفونه ويعظمونه ومن أسرة كبيرة في القصيم، وأخذ عنه أخونا عبدالمحسن بن عبيد، وأخذ عنه أيضاً أخواه صالح بن عبدالعزيز وعلي، وكان مرضه شبيهاً بالسل مع ألم أثر في إصبع يده من آثار لدغة حية حتى سقط إصبعه نسال الله تعالى أن يخلفها في النشأة الآخرة خيراً منها ويرفع درجاته في الجنة، ويا لعثر الحظ أن مثل هذا يكون هدفاً للموت في سن الشبيبة وتصاب به الأمة وتخلوا منه المحارب وتندبه خلق الله «إنا لله وإنا إليه راجعون» بعثه آل سليم إماماً ومبيناً ومعلماً للأمير فيصل الدويش في الأرطاوية فذهب إليها ثم جعل قاضياً هناك.

ولما مات فجعت الأمة بموته ورثاه أهل العلم والدين؛ فمن ذلك ما رثاه به الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر لأنه صديقه الخاص وزميله، بل كان شيخاً لرائيه وهي هذه:

| | |
|------------------------------|------------------------------------|
| وأطلب رب العرش يحسن عزائيا | إلى الله أشكو وأبتهل بدعائيا |
| ورزء كبير من عظيم الدواها | فقد جاءنا خطب ملهم وفادح |
| يعزي بموت الحبيب المصافيا | أتاني كتاب من حبيب ومشفق |
| تقياً نقياً طاهر العرض زاكيا | وأعني به الشيخ «الحميدي» أخا الحجا |
| فمن مثله فينا وأين المساويا | أديباً أريباً خائفاً متواضعا |
| لقد كان كهفاً للهدى وداعيا | يجب ذوي التقى ويبغض ذا الردى |
| وبالليل في بحث الفنون مساميا | يقضي بتدريس العلوم نهارة |

لقد كان للأخوان ركناً وموثلاً
سقا قبره مولاي وابل رحمة
وأسكنه في جنة الخلد منزلاً
فوا حسرتي والوعتي وامصيتي
فموت رعاة الشرع في الدين ثلثة
على العلم فليكي ذوو الدين والهدى
فحق لعيني أن تريق دموعها
لقد قل أهل العلم في كل بلدة
وقد صار إقبال الورى واحتياهم
ويا أيها الإخوان صبراً على الذي
فذى سنة المولى الكريم بخلقه
ويا رب يا مولاي يا مالك الورى
تمتعنا بأشياخنا أنجم الهدى
فلولا هموا ما كان في العيش لذة
ولولا هموا في الأرض مادت أهلها
ولولا هموا كانت ظلاماً بأهلها
ولولا هموا ما كان في الأرض مسلم
فكم جاهل أحبوه بالعلم والهدى
جزاهم إله الناس خيراً ورحمة
ويا رب وفق للسداد إمامنا
ويا رب تبقيه على الدين والتقوى
ينفذ أحكام الشريعة في الورى
ويجمع شمل المسلمين بعدله
فإنك يا ربي على الكل قادر

وغيضاً لأهل الزيغ من كل طاغيا
وهتان عفو مع رضا متواليا
وبوآه في الفردوس ما كان عاليا
على فقد أهل العلم من كل هاديا
ونقص على كل البرية آتيا
فلا رغبة في حضرها والبوادي
على السادة الأجداد أهل المعالي
وقل بها الطلاب والجهل فاشيا
على هذه الدنيا فيا عظم ما بيا
يقدره الرحمن من كل ماضيا
قضاء من الرحمن والكل فانيا
ويا خير مرجو لكشف الدواها
يفيدون أهل الجهل من كل غاويا
ولم نعرف الحق ولا كيف نأتيا
ولكنهم كانوا لها كالرواسيا
ولكنهم مثل النجوم الدراري
فيا ويح من كان حيران ساهيا
وكم قمعوا من مشرك كان طاغيا
وأسكنهم الفردوس أعلى العاليا
إمام همم فائق الصيت عالي
على سنة المعصوم أفضل هاديا
ويحمي حمى الإسلام من كل باغيا
ويدأب في قمع الخبيث المعاديا
وأمرك قهار لكل مناويا

واستغفر الله العظيم لزلتي وذنبى وما يجني علي لسانيا
وصل على خير البرية أحمد نبي الهدى من قام لله داعيا
وآل وأصحاب ومن كان تابعا طريقهم يا رب فاقبل دعائيا
خلف الشيخ رحمه الله ابنين وبنات وكان له أخوة من أشهرهم صالح الذي
توفى بعده.

وفيها صدرت إرادة الملك عبدالعزيز بعمارة المسجد الحرام وذلك أنه أمر مدير
الأوقاف السابق «محمد سعيد» بترخيم عموم المسجد الحرام وإصلاح كل ما يقتضي
إصلاحه من ترميم عموم الخراب الواقع في جدار المسجد الحرام وأرضه وأعمدته
وإصلاح المماشي وحاشية المطاف وعموم الأبواب وطلاء مقام إبراهيم الخليل عليه
السلام بالدهان الأخضر وكذلك الأساطين النحاسية الواقعة حوالي المطاف وغير
ذلك من الإصلاحات اللازمة للمسجد الحرام وتمت هذه العمارة بكامل السرعة
لحلول موسم الحج سنة ١٣٤٤هـ، فشكر الله سعيه على هذا العمل الحسن وكم له
من أمثاله من أعمال الخير.

وفيها جرت وقعة الحمل، وهذه الحادثة في ليلة ٩ ذي الحجة ليلة الوقف بعرفة،
وكان حجاج بيت الله تعالى مكتظين بين منى وعرفات وذلك أنه لما كان في آخر ذي
القعدة وصل ركب الحمل المصري إلى جدة واستقبل فيها بكل ترحيب ثم سافر إلى
مكة المكرمة ولم يتعرض الملك ابن سعود لمنعه بل أقر ذلك جلباً للمحبة.

ولما أن سار الحمل في مساء اليوم الثامن قاصداً عرفات يحيط به حرسه في راحة
وهنا كان رجاله في أبواقهم تتراجع صداها في بطن الوادي فأنكر ذلك البدو من
أهل نجد بالسنتهم وأن تلك الساعات ساعات عبادة ونسك وفي مشعر عظيم من
المشاعر المعظمة فردهم رجال الحمل بعنف وشدة وآخر ذلك أطلق رجال الحمل
الرشاشات والبنادق فلم يشعر الناس إلا والنار تقذف والمدافع تمطر نيرانها من هنا
وهناك فعظم الخطب وبعث صاحب الجلالة ابنه فيصل وأمره أن يبادر لإطفاء هذه
الفتنة ولما تقدم سموه ما كان معه قوة تضاد تلك المهمة وجعل يكافح ويهدأ روع

رجال المحمل كذلك تقدم نجل جلالة الملك الأكبر سعود بقوة للنجدة غير أن الأمر في ظلام الليل زاد ارتباكاً وجعلت قنابل حرس المحمل تضرب يمنة ويسرة تقتل الآمنين المطمئنين هذا وما كانت قوة المحمل تزيد عدة رجالها عن أربعمائة ويقابل هؤلاء تسعون ألفاً من النجديين وقفوا مكتوفي الأيدي لأن لا يحدث قدح زناد يقضي على الحجاج كله وقد استهدفوا لأن تحصدتهم النيران ولم يبق إلا مقابلة الشر بمثله من أولئك الأقوياء أهل البأس الشديد فثار جلالة الملك عبدالعزيز في تلك الساعة الرهبة تاركاً نساء آل سعود وأطفالهم وأرخص حياته ليحمي الحجاج بنفسه يتبعه من يطيق السعي من القرابة والأسرة فأحاط به الإخوان يسألونه أمره ويخبرونه بالجرحى المضرجين بدمائهم وكان في أشد التأثير فالتفت إلى الإخوان وقال أذكركم الله وهذا الموقف، أذكركم دينكم، أذكركم هميتكم الإسلامية وشيبتكم العربية، يا رجال التوحيد إن حجاج بيت الله ضيوفنا وهم في وجوهنا فلا تمد إليه يد بسوء وفي هذا العنق دم يجري.

ولما أن سمع الإخوان كلامه انطفأت نار غضبهم وكفوا راجعين وحملوا سيوفهم يردون إخوانهم عن الإحاطة بالمحمل ومن الأمراء من تقدم يرد الإخوان حتى رجعوا إلى خيامهم ومنازلهم، ومن ضمن أولئك الأمراء حشر بن مقعد بن حميد من مشايخ الغطفط جعل يرد الجموع عن المحمل والرصاص يتساقط عليه من رجال المحمل فقتلت فرسه وكسرت يده وسقط على الأرض وأصيب غيره برصاص حرس المحمل وما كان إلا قليل حتى سكنت الفتنة ولم يوتر أحد من رجال المحمل سوى رجل أصيب بجحر في أنفه وآخر أصابته رصاصة طائشة في يده، وقد بلغ عدد الذين قتلوا من أهل نجد خمسة وعشرين بين رجل وامرأة وطفل، وقتل من إبلهم أربعون بغيراً وعاد المحمل إلى هدوء وسكينة بعد وقوفه بعرفة ومنى ثم إلى مكة المكرمة.

وبذلك تبين فضل أهل نجد وكظمهم للغيط وسعة صدورهم، ولولا ذلك الموقف الذي وقفه ابن سعود أمام المحمل بحيث ما كان لأحد أن يقف ذلك الموقف سواء لكان للأمر شأن غير هذا.

وإني لأحمل أهل مصر تبعة ما جرى وعدم احترام المشاعر المعظمة وعملهم ذلك بتسرع وعدم كرامة فليسطر التاريخ ما عملوه، أما الكسوة للكعبة المحمولة معه فقد لبستها في موسم ذلك العام.

وفيها نصب الملك عبدالعزيز فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد رئيساً في قضاة مكة، وفي رجب منها جمع الشيخ رسالة نصيحة بليغة طبعت ونشرت في جريدة أم القرى وكانت حسنة وجميلة رائعة مطلعها بعد البسملة:

الحمد لله على آلائه والشكر له على نعمائه، ثم ذكر الآيات في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن الله امتدح هذه الأمة وأخذ الميثاق على أهل العلم أن يعلموا ويبينوا وصاح بها صيحة تضعضعت لها قلوب أهل الإيمان ورجفت لها أفئدة ذوي العرفان، وحث فيها على الاجتماع وتوحيد الكلمة والنهي عن التنازع والتفرق، وبين فيها أمور المشاهد والبناء على القبور فشفى وكفى، وكانت تبلغ قدراً من نصف كراسة وعلى من أحب معرفة هذا الخبر ومقامه فليراجع مؤلفاته وختمت هذه السنة بخير والحمد لله رب العالمين.

ثم دخلت سنة ١٣٤٥هـ

ففيها طبع كتاب الفروع لابن مفلح قد حلى أسفل صحائفه بكتاب تصحيح الفروع لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المقدسي، وكان طبعه في مطبعة المنار بمصر وكان قد شق طبعه وامتد زمانه فقد شرع في طبعه ١٣٣٥هـ ولم يتم إلا في هذه السنة وذلك بواسطة الغلاء الذي حصل بتأثير الحرب العظمى التي شغلت مصانع الورق وغيره وغلي بسببها كل شيء أضف إلى ذلك كبر الكتاب وضخامته حيث جعل في ثلاث مجلدات ضخمة بلغ عدد صحائف الأول ٩٩٨، والثاني كان في ١٠٥٦ صحيفة، والثالث عدد صحائفه ٩٧٣ فجاء على أبداع ما يكون من حسن الحروف وجودة الورق، وقد طبع على نفقة الأمير الموفق عبدالله ابن الشيخ قاسم بن ثاني وجعله وفقاً لوجه الله تعالى وحرص على كتمان عمله

ليكون مدخوراً له عند الله تعالى فلاجل ذلك لم يوضع اسمه في طرة الأجزاء ولو علم الطابع لذكره كما أشار إليه، فيا لها من يد بيضاء لابن ثاني كما طبع أيضاً كتاب المقنع ولواقح الأنوار فشكر الله سعي كل مسلم محسن. وفيها عقدت معاهدة مكة المكرمة بين ملك الحجاز وسلطان نجد وبين الإدريسي وهذا نصها:

الحمد لله وحده، بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الإمام السيد الحسن بن علي الإدريسي، رغبة في توحيد الكلمة وحفظاً لكيان البلاد العربية وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود، وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن علي الإدريسي على عقد المعاهدة الآتية:

المادة الأولى: يعترف سيادة الإمام الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر ١٣٣٩هـ، المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي والتي كانت خاضعة للدراسة في ذلك التاريخ هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة.

المادة الثانية: لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة وكذلك لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة: لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة: لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى.

المادة الخامسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالي وأهل الحل والعقد التابعين لإمامته.

المادة السادسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد

عسير الداخلية والنظر في شؤون عشاثرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين.

المادة السابعة: يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة.

المادة الثامنة: يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة: تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة: دونت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقبتين.

المادة الحادية عشرة: تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة، وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٣٤٥ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٢٦ م.

تم ذلك بحضور راقم هذه الأحرف خادم الإسلام أحمد الشريف السنوسي الختم ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود.

الختم الملكي

الختم

إمام عسير الحسن بن علي الإدريسي

وفيهما عمل جلالة الملك عبدالعزيز سبيلاً للشاريين من ماء زمزم وجعله مما يلي حجرة الأغوات بشكل بديع وجعل له ثلاث فوهات نعني نوافذ مرتفعة على قد قامة الواقف إلى صدره فكان في ذلك راحة للشاريين، كما جدد أيضاً عمارة السبيل القديم وعمله بشكل بديع يماثل الذي بجواره، وقد كتب على السبيل الذي يلي حجرة الأغوات هذه الكتابة: «أنشأ هذا السبيل الإمام عبدالعزيز بن

عبدالرحمن السعود» وكتب على الذي يليه «جدد هذا السبيل الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود» وكانت هذه الكتابة بخط عربي بديع بارز قد خطت على أعلاهما وطلّي بالذهب والألوان البديعة، وتم هذا العمل في هذه السنة.

وفيها أيضاً أمر جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن خلد الله ملكه بأن يفرش شارع المسعى من الصفا والمروة فشكل لذلك هيئة بأمانة العاصمة في رئاسة أمين العاصمة السابق عبدالوهاب بن حمد نائب الحرم الذي كان قد استقر عضواً في مجلس الشورى، وفي معاونة مدير المالية محمد سرور الصبان وتشكلت الهيئة من مندوب جلالة الملك المعظم الوزير عبدالله بن سليمان آل حمدان وبعض أعضاء مجلس الشورى وأفراد من أعيان البلاد ممن لهم خبرة ودراية بفن العمارة المطلوبة وتقرر في ذلك الاجتماع بأن يكون فرش شارع المسعى بالحجر الصوان المربع وأن يبنى بالنورة ويكون الصرف ابتداء من صندوق أمانة العاصمة مؤقتاً ثم يسدد من المالية العمومية، فابتدأ العمل أولاً بهدم عموم النواتي التي على ضفتي شارع المسعى من مبتداه إلى منتهاه فلما تم إزالة تلك النواتي ابتدأ العمل بالرصيف من الحصى وعمل لذلك احتفال عظيم حضره صاحب السمو الملكي النائب العام الأمير فيصل بن جلالة الملك ووضع الحجر الأساسي بيده ثم تلا الدعاء الشيخ محمد عبدالظاهر أبو السمح خطيب المسجد الحرام وإمامه لجلالة الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن آل سعود بدوام النصر والظفر له واستمر العمل بهمة عالية وانتهى العمل في آخر ذي القعدة من هذه السنة فأصبح شارع المسعى في غاية الاستقامة وحسن المنظر وصار المتطوفون بين الصفا والمروة يؤدون نسكهم بكمال الراحة من وحل الشارع والغبار.

وكان جلالة الملك أول ملك اعتنى به لأنه ما قد فرش كذلك منذ فرض الله عز وجل الحج بل منذ سكن الحجاز ولقد كثر عدد الحجاج في موسم هذه السنة، فورد من طريق البحر ووجهته مائة وأربعون ألفاً، أما الذين قدموا من البر فكان عددهم يربون على ثلاثمائة ألف وهذا شيء يندر وقوعه في تلك الأزمان، فلذلك ضاق المسجد الحرام بالمصلين فاضطرت الحكومة السعودية إلى أن تضع المظلات

عن الشمس، ولقد قام ابن سعود بأعمال طيبة يشكره عليها أهل البسيطة ويخلد ذكرها وذلك لما جبل عليه من الإصلاح ونصرة الدين ورفع قواعد الملة المحمدية ومضادة البدع والمخالفات وإرادة الخير للإسلام وأهله ومن كان هذا شأنه فإنه جدير بالتوفيق.

فمن ذلك أنه أبطل تعدد الجماعات بالمسجد الحرام والمسجد النبوي وغير تلك البدعة التي شنت شمل المسلمين وفرقت جماعتهم في شأن تعدد الأئمة، فيا ليت شعري من أمرهم بهذا التفرق والاختلاف حتى كأنهم كانوا أهل أديان مختلفة وشرائع مؤتلفة بل بأي حجة أسست هذه المقامات التي نصبت لتفريق المجتمعين وتشيت المؤلفين وقد بين العلماء أمر هذه البدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان وشنعوا على من قام بها كما ذكره الشيخ الهمام الهندي العارف «صديق بن حسن القنوجي» وأن الذي أحدثها شر ملوك الجراكسة واسمه «فرج بن برقوق» في أوائل المائة التاسعة من الهجرة وأنكر ذلك العلماء في ذلك العصر ووضعوا فيه مؤلفات نقل ذلك عن شيخه محمد بن علي الشوكاني وقال بعده: ويا لله العجب من بدعة يحدثها من هو شر ملوك المسلمين في خير بقاع الأرض كيف لم يغضب لها من جاء من الملوك المائلين إلى الخير، لذلك قام ملك الإسلام عاهل العرب صاحب الجلالة السعودية ومظهر أعلام الشريعة النبوية وأزال تلك البدع وجمع المصلين على إمام واحد في الصلوات الخمس والتراويح واستمر الأمر إلى العصر الحاضر فكان يقوم بخطبة الجمعة والأعياد فضيلة الشيخ محمد عبدالظاهر أبو السمح مدير مدرسة دار الحديث بمكة المكرمة فهو إمام المسجد الحرام، وعين لصلاة الظهر يؤم في المسجد الحرام عضو هيئة رئاسة القضاء الشرعية الشيخ محمد نور الكتبي، وعين لمساعدة الشيخ أبي السمح في صلاة التراويح أيضاً مدير مدرسة حارة الباب الأميرية الشيخ عبدالله خياط.

ثم إنه قام صاحب الجلالة عبدالعزيز فأمر بهدم القباب التي على القبور لأنها أسست على مضادة الشريعة قبح الله من بناها، وإن الذي ساعد على بناء تلك القباب هو غفلة ملوك آل عثمان ومن قبلهم من الملوك الذين ليس لهم عناية في

الدين، فهلا قاموا بنصرة الدين وحايته والضرب على أيدي العابثين الذين يسعون ضده وينشرون المقالات في الجرائد والمجلات مسبّةً وتنقصاً له ولأهله، وكأنهم لا يسمعون، وتنقض عرى الإسلام عروةً عروة وهم معرضون، ولو نقص أحدهم رغيّف من أمور الدنيا لقام وتخبّط وأرغى وأزبد، فبعداً للقوم الظالمين.

ولما هدم ابن سعود تلك القباب المشيدة على الجهل والضلال وامتلأ أوامر الرسول ﷺ الأمر بهدمها قام بعض المنافقين والذين في قلوبهم مرض مستنكراً لذلك ومستعظماً لشأنه بقصيدة نشرها ونسبها إلى نفسه «فتى البطحاء» وأعلن المسبة والهجاء على من أزالها وأرخصى زمام لسانه يشتم ويسب من أفتى بذلك ويهجن هذا العمل الحسن، فيا ويحه إذا لقي ما كتبت يداه غداة الحشر ولم ينفعه جهله، فمن أبيات القصيدة قوله:

| | |
|---|------------------------------|
| وكم هدموا قبراً شريفاً ومشهداً | لخير نبيٍّ أو لأفضل صاحب |
| وما تلك أوثانٌ سرّرتم بكسرهما | ولكن قبورٌ قد أشيدت لذهاب |
| تذكر أهليه مواضع دفنه | وتبقى لنا ذكرى فقيدهً وغائب |
| إلى أن قــال: | تضيء على الدنيا ضياء الكواكب |

وقد ردّ على هذه القصيدة فضيلة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي بقصيدة طويلة، وناقش المعارض عن كل بيت منها، فجزاه الله خيراً، ولولا خشية الإطالة لأتينا بها، ولكننا نبدي رده على هذه الأبيات لا أقل ولا أكثر.

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| أقول لعمري إنها لعظيمةٌ | ومعضلةٌ شنعاءٌ وأدهى المصائب |
| فهيء دليلاً واضحاً نهتدي به | والأفبؤ بالخزي يا شر خائب |
| أما أمر المبعوث للناس رحمةٌ | علياً أبا الشبلين ليث الكائب |
| بأن لا يدع قبراً منيفاً وصورةٌ | فبادر بل أوصي بذاك كل صاحب |
| رواه أبو الهياج قال فقال لي | علي إلا بعدي تقوم بواجبي |
| أما في سياق الموت أعقب لعنةٌ | لأهل الكتاب الأبعدين الأجانب |
| وذا محض تحذيرٍ لنا عن فعالمهم | عليه صلاةٌ مع سلام مصاحب |

أما صحت الأخبار عنه بأنهم
بنو قبره بل صيروه كنيسة
وقولك عن تلك القباب بأنها
فتلك وربِّي وصمةٌ وعظيمةٌ
مقالة زنديقٍ كفورٍ محرفٍ
ولو قلت يا هذا وكنت مسدداً
لكان بكم أولى وأهدى طريقةً

إذا مات من صلاحهم كل دائب
فقال شرار الخلق هم عند واهب
تضيء على الدنيا ضياء الكواكب
تكاد لها تندك صم الرواسب
يبدل شرع المصطفى بالأكاذب
تضيء لنا السمحا ضياء الكواكب
وقلنا لكم أنعم بها من ثواقب

وقد زادت أبيات قصيدة الشيخ محمد بن عثمان على ثلاثمائة بيت، ولقد بعث صاحب الجلالة عبدالعزيز سؤالاً لعلماء المدينة يستفتيهم عن هذه القباب التي على القبور، وهل بنائها جائزة؟ وهل يجب هدمها؟ وهل يجوز التمسح بحجرة الرسول ﷺ والطواف بها وتقبيلها؟ وعن الترحيم في المسجد الشريف؟ وكان الذي وجه هذا السؤال فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد رئيس القضاة، فأجابوا عن هذه الأسئلة بالتحريم استدلالاً على ذلك بالأحاديث الواردة في الصحاح والسنن، واجتمعت الكلمة واتفق إخواننا أهل الحجاز على ذلك فلله الحمد، كما بعث صاحب الجلالة نبأ برقياً إلى وزارة الداخلية بمصر يطلب منها استفتاء علماء الأزهر عن هذه المسائل، وعن شرب الدخان وسماع الموسيقى؟ فأجابوا بالمنع عن ذلك، وأما الدخان فأخر كلمة تقال عنه في أجوبتهم: أنه مكروه وينبغي تركه وعدم الإصرار على تعاطيه، لأن الإصرار على الصغائر يقلبها كبائر، فهذا على القول في تركه، أما على الصحيح فإنه محرم لمفاسده الجمة التي لا يتسع لها هذا الموضع.

ولما أن حان وقت مجيء الكسوة من مصر كما هي العادة في إرسال كسوة الكعبة، منعت الحكومة المصرية من إرسال الكسوة مع عموم العوائد مثل الخنطة والصرر وما شاكل ذلك التي هي من أوقاف أصحاب الخير على أهل الحرمين منذ مئات السنين، ولم تملك الحكومة المصرية منها شيئاً سوى النظارة عليها بسبب أنها الحاكمة على البلاد، ولم تشعر الحكومة السعودية بالمنع إلا في غرة شهر ذي الحجة

من هذه السنة، فأصدر صاحب الجلالة عبدالعزيز أوامره بعمل كسوة للكعبة بغاية السرعة، فسارع رجال العمل ممن تخصصوا لهذا الأمر وفي مقدمتهم وزير المالية عبدالله بن سليمان بن حمدان وعملوا كسوة من الجوخ الأسود الفاخر مبطنة بالقلع القوي، وعمل حزام الكعبة بآلة التطريز، وكتبت الآيات عليه بالقصب الفضي المموهة بالذهب الوهاج مع ستارة الباب «البرقع» ولم يأت اليوم الموعود لكسوة الكعبة وهو يوم النحر ١٠ ذي الحجة إلى والكعبة المعظمة لابسة تلك الكسوة التي عملت في بضعة أيام.

ومما وفق الله جلالة الملك المعظم له، وكان من أكبر حسناته إقامة شعائر الدين في الحجاز، فمنها كل من يترك صلاة الجماعة عمداً يحبس من أربعة وعشرين ساعة إلى عشرة أيام ويغرم غرامة مالية رادعة له، ومنها كل من يصنع الخمر أو يبيعه أو يعد محله للشرب يحبس من ستة أشهر إلى سنتين، ويصادر محله بكل ما فيه، وإذا تكرر منه ذلك فإنه ينفى من بلد الله الحرام من سنتين إلى ثلاثة سنوات، ومنها: كل من يشرب الخمر يحل الحد الشرعي ويحبس من شهر إلى ستة أشهر ويغرم غرامة مالية رادعة، وإذا ثبت أنه مدمن على شربه فإنه ينفى من بلد الله الحرام مدة سنتين.

ومنه كل من يشرب الدخان «النق» علناً يحبس من أربعة وعشرين ساعة إلى ثلاثة أيام ويغرم غرامة مالية رادعة، والهدف هو تطهير البلاد المقدسة من انتهاك حرمت الدين، ومنها تتبع الأمور من جهة المعاملات والعادات، فما وافق الشرع يقر وما خالفه يزال، ومنها منع البذاءة اللسانية التي اعتادها بعض السوق، ومنها مراقبة المساجد والنظر في جهة الأئمة والمؤذنين، فيما أن الحجاز بلاد مقدسة وأهله يجب أن يكونوا قدوة حسنة، فإن الحكومة رأت أن تحمل أهله على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه إذا لم يفد مجرد النصح.

وفيهما في الساعة العاشرة بعد العصر من اليوم الثامن والعشرين من جمادى الآخرة وفاة الشيخ حمد بن فارس رحمة الله تعالى عليه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العلامة الفقيه الوجيه حمد بن فارس بن محمد بن رميح، أخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب صاحب الخطب، وأخذ عن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، أخذ عنه علم النحو وعلم الفقه وغيرهما، وأخذ عن جملة من الأكابر حتى اشتهر وبعد صيته، وكان نحوياً فرضياً فلكياً حيسوباً وما زال يتقدم حتى أصبح سيبويه زمانه في علم النحو ومرجعاً لطلاب العلم، وضربت إليه أكباد الإبل من أطراف نجد.

ولد في سنة ثلاث وستين ومائتين وألف، فنشأ نشأة طيبة وتهذب على يدي والده، ورباه تربية حسنة، ولزمه وتخصص عليه في علم الفرائض والحساب وغيرهما من العلوم، ثم إنه أخذ في التعليم وداوم على ذلك في مسجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بعد صلاة الصبح إلى الساعة الرابعة نهاراً لا يخل بذلك، وكان رجلاً طويلاً نحيف الجسم، مهيباً عند الخاص والعام، ويخضب بالحناء، وكان كثير الصيام قل ما تراه مفطراً، وكان ملازماً على الصف الأول في صلاة الجماعة خلف الإمام، وكان كثير الأوراد والأذكار، وتولى حفظ بيت المال للإمام عبدالله بن فيصل ثم للإمام عبدالرحمن بن فيصل ثم للملك عبدالعزيز، فقام بهذه المهمة خير قيام وأدى واجباً يشكر عليه في النزاهة والعفة والأمانة، وكان يبذل للفقراء من طلاب العلم وأهل الدين مساعدات من بيت المال ما تقوم به كفايتهم، ويتفقد أحوالهم ويعطف عليهم، وبالجملة فإنه عون في الشدائد وذخر في النوائب ويقل مثله في الإحسان والعطف، وكان قد كف بصره قبل وفاته، ويتخلية عن العمل فقداه أهل الفضل والفقراء والمحتاجون، وقد أخذ عنه العلم خلق كثير من العلماء وانتفعوا به «فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ولما توفي أسف لموته الخلاق وصلي عليه صلاة الغائب في المغارب والمشارق، وبكاه العلماء، وانتحبت عليه الأمة، وصلي عليه في جامع الرياض وأم الناس في الصلاة عليه فضيلة الشيخ محمد بن عبداللطيف، وشيعه خلق كثير من الأمراء والأعيان.

ومن أخذ عنه من العلماء الشيخ حسن بن حسين، والشيخ عبدالله بن حسن، وأخذ عنه الشيخ سليمان بن سحمان وغير هؤلاء.

ولما توفي دفن في مقبرة «العود» في مدينة الرياض، ولم يخلف من الأولاد سوى ابنه محمد، ومن مناقبه عطفه وإحسانه إلى الفقراء والمحتاجين والعلماء والمدرسين، ومن مناقبه أنه كان يجلس في مصلاه لصلاة فجر يوم الجمعة يتلو القرآن حتى يخرج الإمام لصلاة الجمعة، فإذا خرج الإمام على الناس وإذا به ختم القرآن، ووجد تحت وسادته مكتوباً في ورقة: أقول أنا حمد بن فارس بأنني لا أعلم عن ابني محمد إلا خيراً، فرحمه الله عليه، ونسأل من بيده الضر والنفع أن يسكنه الجنة ويتجاوز عنه إنه جواد كريم، شعراً:

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| هداة الورى من فقدھا خير عالم | على حمد تبكي وتندب جهرة |
| وحل بها من موجعات الدواهم | إمام به كسر أصييت محافل |
| ويكشف من شداتهم كل صارم | فمن بعده يولي ذوي الفقر رفده |
| ويسدي إلى الخلق جم المكارم | ويمنح أهل الفضل من كل مؤمن |

وفيها قام أهل الحل والعقد والضبط والربط وقرروا إعلان ملكية نجد، فصدر الأمر الملكي في ٧/٢٥ بإبدال اسم السلطنة النجدية وملحقاتها «بالمملكة وملحقاتها»، وكتب ابن سعود الحكومة البريطانية طالباً إلغاء المعاهدة القديمة وعقد معاهدة جديدة تتناسب مع حالته الحاضرة، وأكد عليها، فأجابته إلى طلبه، ذلك بأنه لما اتسعت فتوحاته وخدمته الأيام والليالي وكان فوزه الحاسم يوم حائل وتقويضه إمارة آل رشيد جعله سيد نجد، غير مدافع وصاحب الكلمة العليا فيها، فانصرف إلى تعزيز نفوذه في خارجها فاحتل جانباً من عسير بلا عناء، وحالف الأدارسة في تهامة، كما وسع حدوده من جهة الشرق، ومد نفوذه إلى الحجاز واستولى عليه، وأقام ينتظر الفرص ليضرب ضربته الكبرى ولييسط نفوذه على الجزيرة كلها ويدخلها في طاعته، وهو الحلم الجميل الذي يحلم به ويطمع أن يوفق إلى تحقيقه على أنه لا بد لنا من الاعتراف بأنه كان للصدف والحظ، وبكل حال فإن عبدالعزيز بن سعود محظوظ كما يقول عن نفسه وحسبك أنه لما بشر باحتلال

أنصاره للطائف لم يصدق الخبر، بل أعاد الكرة مستفهماً ومثبّثاً فأيدوه له، فظل على تردده حتى جاءه من مصدر وثيق فأزمع الرحيل على الفور إلى مكة ليتولى بنفسه قيادة الجيش خوفاً من الغشم.

وفي هذه الساعة ينتشر المبشرون في أنحاء المملكة يطلقون البنادق على الفضا وينادون بفتح مكة والمدينة وجدة، ولما أن طلب من بريطانيا تعديل الاتفاقية، بعثت مندوبها لذلك بين جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود وبين جلالة ملك بريطانيا، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، جلالة ملك بريطانيا وإيرلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار إمبراطور الهند، من جهة وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى، رغبةً في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين محالهما وتقويتها قد عزمنا على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم، لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة «السر جلبرت فلكنجهام كلايتون» مندوباً مفوضاً، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الأمير «فيصل بن عبدالعزيز» نجله ونائبه في الحجاز مندوباً مفوضاً عنه.

بناء على ما تقدم وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادها والتثبت من صحتها قد اتفق حضرة الأمير «فيصل بن عبدالعزيز» وحضرة «السر جلبرت كلايتون» على المواد التالية:

المادة الأولى: يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

المادة الثانية: يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر.

المادة الثالثة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين أسوةً بسائر الحجاج، ويعلن جلالته الملك بأنهم يكونون آمنين على أموالهم وأنفسهم أثناء إقامتهم في الحجاز.

المادة الرابعة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفاً والذين ليس لهم في بلاد جلالته أوصياء شرعيون، إلى المعتمد البريطاني في جدة أو من ينتدبه لهذا الغرض لإيصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين بشرط أن لا يكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطاني إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية أو النجدية.

المادة الخامسة: يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية أو البلاد المشمولة بحماية جلالته، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الأشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، على أن تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة.

المادة السادسة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على الصلات الودية والسلمية مع الكويت، والبحرين، ومشايخ قطر، والساحل العماني الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية.

المادة السابعة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقائق.

المادة الثامنة: على الفريقين المتعاقدين إبرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الإبرام بأقرب وقت وتصير المعاهدة نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الإبرام، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ، وإن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع ب ستة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة تبقى نافذة ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه إبطالها من أحد الفريقين إلى الفريق الآخر.

المادة التاسعة: تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥م يوم كان جلالة حاكماً لنجد وما كان ملحقاً بها، إذ ذاك ملغاة ابتداء من تاريخ إبرام هذه المعاهدة.

المادة العاشرة: دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية وللنصين قيمة واحدة، أما إذا وقع اختلاف في تفسير أي قسم منها فيرجع إلى النص الإنكليزي.

المادة الحادية عشرة: تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة، وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة ١٣٤٥هـ الموافق عشرين من أيار ١٩٢٧م.

جلبرت فلكنجهام كلايتون
فيصل بن عبدالعزيز السعود

ولما أن اطلع عليها صاحب الجلالة قال: بعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر، وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملةً في مجموعها مفردةً في كل مادة وفقرة منها، كما أننا نصدقها ونقبلها ونثبتها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها، ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص، وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك، وزيادةً في تثبيت صحة كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين.

حرر في اليوم الحادي والعشرون من شهر ربيع الأول ١٣٤٦هـ الموافق ١٧ من
شهر سبتمبر ١٩٢٧م.

عبدالعزیز بن عبدالرحمن آل سعود

وهذا تصديق ملك بريطانيا:

جورج بنعمة الله ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء
البحار، حامي الإيمان وإمبراطور الهند، إلى كل من يطلع على كتابنا هذا سلام.

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد
وملحقاتها معاهدة وقعت في جدة من قبل مندوبينا المفوض ومندوب جلالتهم
الحائزين للصلاحيات التامة المتقابلة، وذلك في اليوم العشرين من شهر مارس سنة
١٩٢٧م لتثبيت وتقوية العلاقات الودية وحسن التفاهم الموجود والحمد لله بين
بلدنا وهي كلمة بكلمة كما يلي، فنحن بعد أن اطلعنا وأمعنا النظر في المعاهدة
المتقدمة صدقناها وقبلناها ونثبتها ونبرمها عن أنفسنا وعن خلفائنا وورثتنا ونتعهد
ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم ونلاحظ بكمال الأمانة والإخلاص ما ورد
فيها جملة وإفراداً من الأشياء الموجودة والمبينة في المعاهدة المذكورة، وبأننا لا نسمح
لأحد بالإخلال بها أو مناقضتها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك، وزيادةً
في الاستشهاد والصحة في كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا الكبير على هذه
المستندات ووقعناها بيدنا الملكية.

ثم دخلت سنة ١٣٤٦هـ

استهلّت هذه السنة والملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود يوطد ملكه
ويرفع شأنه، وذلك لأنه لما أعطاه الله زمام الملك واستولى على البلدان، رأى أنه لا
يستطيع حكم بلاد واسعة عظيمة دون ما أن يكون لديه تلفون وراديو وتلغرافات
وسيارات تقرب البعيد وتمكن من القبض بالسرعة على كل مفسد من المعتدين،
وما كان بعمر بن الخطاب بأن يسمع سارية أن يلزم الجبل من مسافة بعيدة،

فلضرورة المواصلات تحدث إلى العلماء بمنافع تلك المخترعات وأن لكل زمان دولة ورجال، فكان ردُّ هؤلاء أن أقروا عمله وأيدوا اقتراحه، وذلك لما رأوا أنه لا ينتظم الأمر على مطلوبه إلا بذلك، فعند ذلك دخلت ألوان المدينة النافعة إلى الجزيرة وأصبح سيد الجزيرة يعمل لرفع مستوى التقدم والحضارة في مملكته، فنقل صاحب الجلالة وزارته الخارجية وأكثر دواوينه الرسمية إلى مكة لأنها أقرب إلى أوروبا والخارج من الرياض، وقسم مملكته إلى قسمين الحجاز ونجد، فترك للأمير فيصل أمر الحجاز بالنيابة، ولولي عهده سعود حكم نجد، وكان يسمى كل منهما بنائب الملك، ورأى أيضاً صاحب الجلالة أنه بحاجة إلى جند منظم يكون جديد السلاح حديث البنادق، ولم يتأخر عن ذلك صارفاً جل اهتمامه، ووجد أن الحاجة ماسة إلى سيارات تنقل له جنده من مكان إلى آخر فيما إذا حدثت ثورة وكانت الضرورة تقتضي قمعها حالاً، فاشتري مائة للنقل من ورايات الحج التي كانت وفيرة، وهذا في أول هذه السنة وآخر التي قبلها، كما أنه أعطى بعض المصريين امتيازاً بنقل الحجاج بالسيارات بين مكة وجدة، وكانت الدول قد اعترفت بأنه ملك الحجاز ونجد وملحقاتها إلا ما كان من إيطاليا، فإنها ما اعترفت إلا بعد ذلك، وما كان بحاجة إلى أن تعترف له هي أو غيرها، بل لما تم له الاستيلاء على جدة قال له أحد الذين قابلوه أنه لا بد له من الحصول على اعتراف الدول به ملكاً على الحجاز، فأجابه بهذا الجواب البليغ:

نحن في جدة، ومن لا يقبل فليتقدم ليخرجنا، ثم رأى صاحب الجلالة بعد ما سعى في تقدم بلاده أن يبعث بنجله الأمير فيصل للمرة الثانية إلى أوروبا، فركب الأمير البحر إلى لندن واستقبل هذه المرة استقبالاً يختلف عن استقباله في المرة الفائتة، فقد استقبله جورج الخامس وقلده وساماً رفيعاً وأكرمه الإنكليز كل الإكرام، وكان الفرنسيون غير الفرنسيين من الذين زار الأمير بلادهم مثل الإنكليز في إكرامه والاهتمام بزيارته، ورأى الأمير بأم عينيه وكان قد أصبح شاباً مثقفاً منافع الاختراعات الحديثة وضرورة الطائرات، فعاد إلى بلاده وأخذ يقنع والده

بضرورة عدة طائرات كما قد أقنعه بلزوم شراء مكينات لحفر الآبار وغيرها من الأمور التي تعود بكثير من الفوائد على الجزيرة وسكانها، ولضرورة الحكومة إلى المصالح اشترى صاحب الجلالة فعلاً بعض الطائرات في هذه السنة، كما أخذ ينتفع بكثير من المخترعات الغربية، ثم إنه أرسل ابن سعود بعد رجوع نجله فيصل بعض الشباب النجديين إلى لندن لدرس كيفية استعمال الراديو والتلفون اللاسلكي وغيرها، كما أنه أخذ يستعمل السيارات في قمع الثورات والقبض على اللصوص والمجرمين، مما زاد في استتباب السلام في الجزيرة واطمأن الناس فيها على أنفسهم كل الاطمئنان، وهو شيء جديد لم تره الجزيرة قبل أيام ابن سعود، بل ولا في سالف الأعوام، وجعل في مكة محطة راديو للإذاعة بقوة ستة كيلوات، وهناك مثلها في الرياض، ولدى جلالة الملك عدة سيارات كبيرة تحمل التلغراف اللاسلكي، وكل هذه المكائن والمخترعات أصبح يديرها شباب من سكان الحجاز ونجد ومن الذين أرسلتهم الحكومة النجدية الحجازية إلى لندن فتعلموا استعمال هذه المخترعات وعادوا إلى بلادهم كموظفين لدى الحكومة وبواسطة هذا يستطيع ابن سعود أن يكون في كل مكان وأن يجمع الثورة عند ظهورها.

ذكر تأسيس دار الكسوة

لما كان في شهر محرم من هذه السنة، بل في مستهلها شرعت الحكومة السعودية في تأسيس دار الكسوة للكعبة المعظمة، وكان ذلك خشيةً من مضايقة الوقت بأن تكون الحكومة ساهرة عينها خشيةً من طوارئ الحكومة المصرية في منع الكسوة كما سلف منها، فصدرت الأوامر السعودية بإنشاء هذه الدار الخصوصية لعمل الكسوة، فقام وزير المالية مبادراً لتنفيذ هذا العمل مبادراً واختط لها موضع بحارة جياد، أمام دار وزارة المالية العمومية، فكانت مساحة الأرض التي أنشئت عليها تلك الدار نحو من ١٥٠٠ متر مربع، وأخذ العمال يعملون بغاية السرعة، فتمت عمارتها في نحو ستة أشهر على دور واحد وعلى حسب المقتضى لعمل الكسوة

بغاية الإبداع والحسن، فكانت هذه الدار أول دار أسست خصيصاً لحياكة كسوة الكعبة المعظمة بمكة المكرمة في عصر جلالة الملك عبدالعزيز، ثم صدرت إرادة الملك عبدالعزيز المعظم بإحضار العمال اللازمين لحياكة الكسوة المشار إليها وعمل التطريز اللازم للحزام وستارة الباب وما يقتضي عمله للكسوة وتوابعها من بلاد الهند، فوصل العمال والأنوال من الهند في ابتداء شهر رجب من هذه السنة إلى مكة المكرمة بواسطة إسماعيل الغزنوي أحد علماء الهند ووجهائها وفضلائها مع الحرير والصباغ وكل ما يلزم لعمل الكسوة المذكورة، ثم صدر أمر صاحب السمو الملكي النائب العام لجلالة الملك المعظم، الأمير فيصل بن عبدالعزيز بإسناد إدارة معمل الكسوة الشريفة إلى الشهم عبدالرحمن مظهر المترجم بوزارة الخارجية السعودية في ذلك الوقت ورئيس مطوفي الهنود حالاً، فقام المذكور بمساعدة وزير المالية عبدالله بن سليمان بإتمام بناء دار الكسوة، ولما تم البناء قام بترتيب رؤساء العمال الواردين لعمل الكسوة كلاً بحسب وظيفته، وكان عددهم عشرين من الخدم وأربعين معلماً، فمجموعهم يكون ستين شخصاً، ولما أن كان في نهاية شهر ذي القعدة من هذه السنة تم عمل الكسوة الشريفة على غاية ما يرام من حسن الحياكة وإتقان الصنعة، وكتب على الحزام الذي في أعلاها ما نصه:

هذه الكسوة صنعت في مكة المباركة العظيمة بأمر خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية أيده الله تعالى بنصره سنة ١٣٤٦ هجرية على صاحبها أفضل التحية وأتم التسليم، فلما كان يوم النحو وهو اليوم الذي تلبس به الكعبة ثوبها الجديد كسيت بها الكعبة المعظمة لا زالت تكسى عاماً بعد عام معظمة بعز الإسلام، وظهرت عليها في غاية الحسن والجمال، وكانت محل إعجاب العموم ومفخرة خالدة لجلالة ملك المملكة العربية السعودية أدام الله رفعة وأعلى منزلته، وكان هذا بتوفيق الله له بحيث أنه صنعت بمكة المكرمة ولم يصنع قبلها في أم القرى منذ خلق الله الكعبة إلى ذلك اليوم، وقد حاز مدير معمل دار الكسوة عبدالرحمن مظهر جائزة سنية من الحكومة السعودية وشهادة تقدير على عمله ذلك.

وفيهما أيضاً تم عمل السبيل الذي يلي باب قبة زمزم بالجهة الشرقية، وهذا صنع على حساب جلالة الملك عبدالعزيز، فعمل بالحجر الرخام المرمر على شكل بديع الصنع، وله ست فوهات على قدر من صدر الرجل الربعة، وهذا هو الثالث من أسبال ماء زمزم لأننا قد قدمنا ذكر اثنين، وقد صرف جلالة الملك عبدالعزيز على إنشائهما وتجديده ما يربو على ثلاثمائة جنيه ذهب، وكتب على هذا الثالث، هذا السبيل أنشأه الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود.

وفيهما أيضاً تم تركيب الكهرباء لإضاءة المسجد الحرام، وهي التي تبرع بها أحد تجار الهند للمسجد، وهي كبيرة بقوة ثلاثين كيلو، وكان تمام التركيب في غرة ذي القعدة، وهذا المتبرع اسمه داود أتبا من أهالي رنكون.

وفيهما تم طبع مجموعة التوحيد في مطبعة المنار مبتدأة بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم بعده كشف الشبهات، ثم جملة رسائل في التوحيد، ثم كتاب الكلمات النافعة، ثم ختمت بحاشية التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وهي المسماة «بقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» وكان طبعها بنفقة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود جزاه الله خير الجزاء، وكم له من يد بيضاء تجود بمثل هذه الأعمال الطيبة، وسيأتي ذكر شيء من مطبوعاته القيمة التي من أعلاها كتاب المغني والشرح الكبير والتفسير وغيرهما.

ذكر ثورة الدويش وأتباعه من البدو المغتربين

قد أسلفنا ذكر استعمال ابن سعود للمخترعات الحديثة لتوقف المصلحة على استعمالها، ولكن أعماله تلك ليست بمرضية لدى الدويش وأتباعه، فثاروا على ابن سعود، وكان الدويش بزعمه يظن أنه يستطيع أن يضطر ابن سعود إلى البقاء في البدواة، ويظهر أعمال الدويش أنه يجب عادات البدو من النهب والغارة، وأخذوا أتباعه يحاولون العودة إلى عاداتهم القديمة لأن الطبع يغلب التطبع، كما أن بعد ابن سعود عن الرياض لما استتاب عليها نجله سعود وجعله في مكانه معيناً أثار عليه الدويش ولم يرض حضارة الحجاز وتمدن أهله، وأسخطه ترحيب ابن سعود

بالمخترعات الجديدة وعقد المعاهدات مع الأوروبيين وغير الأوروبيين لأنهم بزعمه كفار، وكل معاهدة معهم موالاة يحرمها الدين، ونقموا عليه منعهم من الحدود الشمالية والعراقية أن يقاتلوا أهلها لما مضى من المعاهدات المتقدمة، فهذان أمران. وثالثهما: أنه أدخل الأجانب على المسلمين مثل فليي وغيره.

ورابعاً: اتخاذه المكوس إلى غير ذلك، ودين الدويش لا يقبل ذلك، ولقد استطاع أن يصيد بأشراكه هذه، فأما من الإخوان فاستجاب له أمير الغطفط ومن أتبعهم من مطير وعتيبة، فأهم ذلك ابن سعود لما لهذين القائدين من الشجاعة والصرامة وأسف أن يخسرهما جيشه، وأنظم إليهما ابن لامي وابن حثلين، واستفحل الشر وتفتحت أبوابه، ولقد كان أولئك رجالاً أهل صدق في اللقاء، وثبات وجراءة، فلا ننسى ما لاقاه الشريف في وقعة تربة، والطائف، ومكة، وما جرى منهم في وقعة عمان والجهراء، حتى أزهبوا القاصي والداني فغرم ما جرى على أيديهم، وأعجبوا بأنفسهم وأخذوا يطلبون الأغراض على ابن سعود، واعتدوا على اتفاقياته، وقد انضاف إلى الحمى آلام أخرى، وهي تحرك ملك العراق وأمير شرقي الأردن نجلي الشريف حسين، إذ كانا لا يستطيعان صبراً على الملك الذي فقده والدهما، فلما أحسا بمشاكل ابن سعود في نجد، وأحاطا علماً بثورة الإخوان عليه اغتتما الفرص وأثارا قبائل الحدود، فاشتعلت النار في الجزيرة من جديد.

التعريف بالدويش

كان هذا الرجل أحد قواد البدو الذين يحرزون النصر، ويسير تحت ظل راية ابن سعود، ويسارع في النجدات، غير أنه كان معجباً بنفسه ومعجباً به أتباعه من مطير، وقد يتجاوز الأمر الذي رسم له ويتعدى طوره لفرط غشمته ونكاية ضربته، نسأل الله العافية، وما أسرَّ عبد سريرة إلا ألبسه الله ثوبها علانية، فيصل وما فيصل كان وربك يطلب الملك لنفسه سخر عمله لإدراك مطلوبه، فقد سأل مرة من يثق به هل كان في المتقدمين بدوي قد ملك.

ولما أن عمرت هجرة الأرطاوية التي هو أميرها بنى فيها مسجداً فرأى بعض الأخيار في منامه منادياً ينادي في ذلك المسجد لما وصل الحيلة قال : «حي على الضلال» وكذلك يجري منه في بعض الأحيان أمور تدل على ضلاله، ويظهر فلتات لسانه وجراءته ما يبين على أنه مغموص بالغلضة ، فقد يسخر بأحكام الشريعة، كما حكم الشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي على رجل من مطير شج رأس رجل من قبيلة حرب موضحة بخمس من الإبل، فجعل الدويش يغطرس ويستهزئ بقوله: إذاً فليشجه ثانيةً وثالثةً حتى يكون له ذود يا حرب، وكان لا يخاطب جلالة الملك عبدالعزيز إلا باسمه، ويتنقد سياسته، ولما أن جعله صاحب الجلالة محاصراً للمدينة المنورة، كان أهلها متخرجين منه كارهين له لما شاهدوه من ضغطه ويطشه وسفكه، حتى شاع أنه أطلق النار على قبة الرسول المعظم مما أثار العالم فاضطر صاحب الجلالة إلى إرساله إلى نجد تخلصاً من شره وتطميناً لسكان الحجاز وجعل مكانه نجله الأمير محمداً، ولما علم سكان المدينة بذهاب الدويش استسلموا للأمير محمد بن عبدالعزيز، وكان الدويش لم يتورع في هذه الفترة عن إثارة كل عرب الحدود من الإخوان وسواهم وغزو الحدود العراقية غير مرة يقتل وينهب ويفعل ما يشاء، وأثخن من لاقاه بالقتل والضرب والنهب حتى قتل بعض الرجال السعوديين لما ذهبوا للتجارة نحو الكويت والعراق، ولما وصل الدويش برجاله إلى حوالي البصرة لم يترك في طريقه منزلاً إلا هده ولا نخيلاً إلا حرقه ولا قرية إلا هدها، فضجت بريطانيا لذلك، وأصدر ملك العراق فيصل أوامره بإقامة الحصون على الحدود في منطقة كثيرة الآبار وفيرة الماء، وكان هذا باتفاق مع الإنكليز، وكان المهم في هذا الأمر الذي لا خطورة ظاهرة من حدوثه هو فيما إذا كانت هذه المنطقة من المناطق التي اتفق الفريقان على حيادها وتركها مرعى لمواشي القبائل وموطناً للاستسقاء من مائها الغزير.

ومن سوء الحظ أنه كان ابن لفیصل الدويش يرعى مع بعض أفراد قبيلته في هذه المنطقة، فلما رأى العملة الذين أرسلوا لإقامة الحصون فيها، بعث إلى والده

بالخبر، فزحف الدويش وسقط على العراقيين يمعن فيهم قتلاً وفتكاً، فلما هاجم بأتباعه مخفر البصية على الحدود العراقية، قامت السلطات البريطانية تنذرهم وتأمرهم بالابتعاد عنها والذهاب إلى نجد لأنهم رأوا مهاجمات الدويش هوجاء، وقامت بريطانيا تفاوض ابن سعود في مشكلاتهم ويواعدهم بكل خير وأنه عازم على الرحيل إلى نجد لحل المسائل المعلقة حلاً سلمياً وآخر ذلك بعثت بريطانيا سرباً من الطائرات وسيارات مصفحة لضرب الدويش وأصحابه ولكنها توقفت، وذلك بسبب الرمال والرياح القوية، ولأنه وأصحابه قد تعلموا الاختفاء من الطائرات حين يرونها فلا يستطيع منهم نيلاً ولا كيداً فساعة سمعوا رعوها بعثوا حادياً للابل لتتبعها الطائرات ورصدوا لها في الطريق.

ولما أن مرت الطائرات من فوقهم تريد أشباح الإبل اعملوا عليه البنادق فتحطم بعضها في الجو سقطت ولم يسلم منها إلا القليل غير أنه تمكن بعض الطائرات من السير حتى وصلت الأرطاوية وألقت القنابل والقذائف على ما مرت عليه فرجع ابن سعود مسارعاً إلى الرياض لما بلغه خبر الاضطرابات وأن الطائرات البريطانية قد لحقت بالمعتدين، وحلقت فوق البلاد النجدية السعودية نفسها لنضرب الإخوان، فلما رأى الدويش الطائرات الإنكليزية فوق البلاد السعودية اغتنمها فرصة بقوله أن ابن سعود قد باع نفسه للإنكليز، وجعل ينال بالمسبه ويقول انظروا إلى هذا الكافر يمنع الناس من غزو المدن المجاورة وهؤلاء الإنكليز الذين يمنعنا عن مهاجمتهم لا يتورعون عن مهاجمة النجديين في عقر دارهم، وإذا كان ابن سعود لا يعلن الحرب حالاً على الإنكليز فمن الواجب خلعه، فعندها بعث ابن سعود نبأ برقياً إلى بريطانيا واعمل حيلته حتى تمكن من مراجعة البصرة وطلب إيقاف الطائرات ومنعها من الهجوم، وجعل يسعى في إيقاف القبائل الجائرة، ويمرس النوايب ويعركها وأحس بالخطر لكنه لا يمكنه الاجتماع بالدويش الذي كان بعيداً بل ثائراً، فطلب جلالة الملك من العلماء أن يبذلوا النصيحة ويرشدوا ويبينوا لهؤلاء العتاة الثائرين قبح مصير الإفساد ويخوفوهم من مغبة المعاصي

والتفرق والبغي وأن يكشفوا شبهتهم التي انتقدوه لأجلها وعابوا وخرجوا عليه، فقام العلماء وألفوا الرسائل وبذلوا النصائح وحذروهم من ارتكاب تلك الفضائح، وها نحن نذكر قليلاً من كثير ونشير إشارة وجيزة، فمنها هذا الكتاب الذي نذكره بحروفه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبداللطيف، وسعد بن حمد بن عتيق، وسليمان بن سحمان، وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وعمر بن سليم، وصالح بن عبدالعزيز، وعبدالعزیز بن عبداللطيف، وعمر بن عبداللطيف، وعبدالله بن حسن، وعبدالرحمن بن عبداللطيف، ومحمد بن إبراهيم، ومحمد بن عبدالله، إلى من يراه من كافة الإخوان وفقهم الله لما يحب ويرضاه، وجعلنا وإياهم ممن اتبع هداه، آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد ذلك أشرفنا على بعض مكاتيب للإمام عبدالعزيز وفقه الله وحفظه من بعض الإخوان، ورأينا فيها بعض الكلام في مسألة الأتياال اللاسلكي وأجناسها وكأنه مشكل عليكم توقفنا العام الماضي عن الجزم بالتحليل وظننتم أن عندنا أمراً قد كتمناه عنكم، وهذا الظن ما ينبغي منكم بنايا إخوانكم، لأن الواجب عليكم أن لا تظنوا أننا نتوقف عن شيء وقد ظهر لنا حكمه مراعاة لوجه أحد من الناس، فنعوذ بالله أن نكون كذلك، وإنما توقفنا اتباعاً لأمر الله وما جاء في سنة رسول الله ﷺ وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، ونحن ما نقول ولا نعمل إن شاء الله إلا بما ظهر لنا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأقوال السلف رضي الناس أم غضبوا، وعند العلماء قاعدة مشهورة وهي أن العلماء إذا توقفوا في شيء واختلفوا فيه فلا يعاب على فاعله ولا يعاب على تاركة إلا بدليل شرعي.

فأما مسألة الأتياال وأجناسها فلا والله ونبراً إلى الله أن يكون قد ظهر لنا فيها أمر محرم من كتاب الله وسنة رسوله، ومن أقوال العلماء ومن أهل الخبرة ممن نثق به فنقول:

من تكلم في مسألة الأتتيال بتحريم أو عاب على الإمام بسببها فقد أخطأ وارتكب معصية، وخالف أمر الشريعة، هذا الذي ندين الله به وهو الحق، ونبرأ إلى الله من غير ذلك هذا الذي عندنا ومن أحسن فلتنفسه ومن أساء فعليها، نرجوا أن الله سبحانه وتعالى يلهمنا وإياكم رشدنا ويعذنا وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا والله على ما نقول وكيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ١٣٤٦هـ، ثم وقع العلماء أسماءهم في أسفله وهم المذكورون بعالیه.

وكتب أيضاً الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رسالة مطولة إلى أهل الأرطاوية، والغطغط وغيرهم من عتبية، ومطير، وقحطان وغيرهم من الإخوان، وآتى بالآيات والأحاديث الدالة على لزوم التمسك بالكتاب والسنة والجماعة والنهي عن التفرق وذكر فيها تحريم الإفتاء بدين الله بلا علم، إلى أن قال: وما انتحله هؤلاء الجهلة المغرورون الاستخفاف بولاية المسلمين والتساهل بمخالفة إمام المسلمين والخروج على طاعته والإفتيات عليه بالغزو وغيره، وهذا من الجهل والسعي في الأرض بالفساد وحث على لزوم الجماعة وعدم الفرقة، وقال: لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وقد وجدت الرسالة محررة في ٣٠ ربيع الأول من هذه السنة.

وكتب أيضاً الشيخان الجليلان محمد بن عبداللطيف والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري رسالة مفيدة ونصيحة سديدة في التحذير من نزغات الشيطان وأنه يأخذ العبد من طريق الشدة إن شم من قلبه صلابة وقوة حتى يخرج عن الصراط المستقيم أو يأخذه من طريق الجفاء إن شم من قلبه تساهلاً وكسلاً وبيناً فيها تحريم إساءة الظن بالعلماء وتحريم عدم الأخذ عنهم بحيث أن الإنسان يكون عمدته مجموعة التوحيد وهو جاهل بما وضع فيها، وتكلما بتحريم إساءة الظن بولي الأمر والخروج عليه وعدم السمع والطاعة له، وإن هذا من دين الجاهلية وأسهباً بالتعريف في حق الإمام الأعظم وأطالا، وقد رأيتها أيضاً محررة في هذه

السنة، ثم إنه عقد صاحب الجلالة مؤتمراً دعا إليه العلماء والأمرء والقواد والرؤساء وبعض الإخوان والشيوخ وغيرهم من كل ناظم عليه منتقد لسياسته، فحضر أولئك المدعوون في أحد أروقة القصر الملكي، وبلغ عدد الحاضرين ثمانمائة من الطبقات، فلم يتخلف أحد من الرؤساء غير هؤلاء الثلاثة: وهم الدويش، وسلطان بن بجاد، وابن حثلين، وهؤلاء هم رؤساء الفتنة، وهم أقوىاء كبار لهم أثر في الجزيرة، فعدم حضورهم والحالة هذه يدل على أنهم ينكرون سياسته ولا يريدون الاتفاق معه ولا الرضا بسلطانه، فعند ذلك تجلّى صاحب الجلالة عبدالعزيز أمام المؤتمر وأظهر شففته على وطنه ومحبه لبلاده ورعيته وعطفه على شعبه، فاستمرت المجادلات وطالت المناقشات، ولم يترك الحضور باباً إلا بحثوه، والإمام لا يترك انتقاداً دون ما جواب، ولا رأياً دون ما نقد ولا حجة لا يقرعها بحجة أقوى وأضخم وأخيراً وقف يخطب الحضور فقال:

إني لم أطلب منكم أن تجتمعوا اليوم في هذا المكان خشيةً منكم، فإني قد أسست هذه المملكة بقدرة الله وحده الذي عاضدني وساعدني والذي كتب لي الفوز وكتب لي التوفيق، وإن خوفي من الله وحده، هو الذي حدا بي لأن أجمع شملكم اليوم لتتباحث معاً، وقد فعلت ذلك حتى لا أقع في نقيصة الإعجاب بالنفس والكبرياء، فذابت قلوب النجدين أمام أقوال هذا الرجل العظيم الذي يهاب الله إلى هذا الحد ويخشاه إلى هذا المقدار، ولا شك بأن هذا الملك موفق في كلامه موفق في أقواله وفي أفعاله بحيث ضرب على الوتر الحساس الذي يطرب له البدوي الذي كان يريد من قائده أن يكون بأسلاً كل البسالة، واثقاً بنفسه كل الثقة، ولكن البدوي يريده أن يكون خاشعاً أمام الله كل الخشوع ورعاً كل الورع، جعل يتكلم صاحب الجلالة فسحر بكلامه مسامعهم وأدهشهم بفصاحته حتى بهر السامعين، واقتنع الجاهلين، وسكب العبرات من عيون الحاضرين، ثم قال: أيها الإخوان تعلمون عظم المنّة التي من الله بها علينا بدين الإسلام، إذ جمعنا به بعد الفرقة، وأعزنا به بعد الذلة، واذكروا قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾

[التوبة: ١٠٥]، إن شفقني عليكم وعلى ما من الله به علينا، وخوفي من تحذيره سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، كل هذا دعائي لأن أجمعكم في هذا المكان لتذكروا:

أولاً: ما أنعم الله به علينا فترى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة.

وثانياً: لأمر بدا في نفسي وهو أنني خشيت أن يكون في صدر أحد شيء يشكوه مني أو من أحد نوابي وأمرائي بإساءة كانت عليه أو بمنعه حقاً من حقوقه، فأردت أن أعرف ذلك منكم لأخرج أمام الله بمعذرة من ذلك وأكون قد أديت ما علي من واجب.

وثالثاً: لأسألكم عما في خواطركم ومالديكم من الآراء، ومما ترونه يصلحكم في أمر دينكم ودنياكم.

أيها الإخوان: إن القوة لله جميعاً وكلكم يذكر أنني يوم خرجت عليكم كنتم فرقاً وأحزاباً يقتل بعضكم بعضاً، وينهب بعضكم بعضاً، وجميع من ولاه الله أمركم من عربي أو أجنبي كانوا يدسون لكم الدسائس لتفريق كلمتكم وإضعاف قوتكم لذهاب أمركم، ويوم خرجت كنت محل الضعف وليس لي من عضد وساعد إلى الله وحده، ولا أملك من القوة إلى أربعين رجلاً تعلمونهم ولا أريد أن أقص عليكم ما من الله به علي من فتوح ولا بما فعلت من أعمال معكم كانت لخيركم، إن تاريخ ذلك منقوش في صدر كل واحد منكم وأنتم تعلمون جميعاً وكما قيل:

«السيرة تبين السرية» إنني لم أجمعكم اليوم في هذا المكان خوفاً أو رهباً من أحد منكم، فقد كنت وحدي من قبل وليس لي مساعد إلا الله فما باليت المجموع والله هو الذي نصرني وإنما جمعتكم كما قلت لكم خوفاً من ربي وخفاقة من نفسي أن يصيبها زهو أو استكبار، جمعتكم هنا في هذا المكان لأمر واحد ولا أجيز لأحد أن يتكلم في غيره، ذلك هو النظر في أمر شخصي وحدي فيجب أن تحتبوا في هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع أما الأشياء الخارجة عن هذا فسأعين لكم اجتماعات خاصة وعامة ننظر فيها، أريد منكم أن تنظروا أولاً فيمن يتولى أمركم

غيري وهؤلاء أفراد الأسرة أمامكم فاختراروا واحداً منهم ومن اتفقتم عليه فأنا أقره وأساعده وكونوا على يقين بأنني لم أقل هذا القول استخباراً لأنني والله الحمد لا أرى لأحد منكم منةً علي في مقامي هذا، بل المنة لله وحد، ولست في شيء من مواقف الضعف حتى أترك الأمر لمنازع بقوة ولا يحملني على هذا القول إلا أمران:

الأول: محبة راحتي في ديني ودنياي، والثاني إني أعوذ بالله من أن أتولى قوماً وهم لي كارهون، فإن أجبتموني إلى هذا فذلك مطلبي ولكم أمان الله فإن من يتكلم في هذا فهو آمن ولا أعاتبه لا آجلاً ولا عاجلاً فإن قبلتم طلي هذا فالحمد لله، وإن كنتم لا تزالون مصرين على ما كلمتموني به على أثر دعوتي لكم فإني أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرعي في اتباع ما تجمعون عليه مما يؤيد شرع الله، فصاح الحضور على نفس واحد وتعالَت الأصوات لا نريد بك بدلاً يا عبدالعزيز كلا لا نرضى بغيرك ملكاً ثم صمت ثم استمر في الخطبة، فإذا لم يحصل ذلك منكم فابحثوا في شخصي وأعمالي، من كان له علي أنا عبدالعزيز شكوى أو حق أو انتقاد في أمر دين أو دنيا فليبينه ولكل من أراد الكلام عهد الله وميثاقه وأمانة إنه حر في كل نقد بينه ولا مسؤولية عليه، وإني لا أبيع لإنسان من العلماء ولا من غيرهم أن يكتم شيئاً من النقد في صورة، وكل من كان عنده شيء فليبينه ولكم علي أن كل نقد تذكرونه أسمع، فما كان واقعاً أقررت به وبينت سببه وأحلت حكمه للشرع يحكم فيه، وما كان غير بين وهو عندكم من قبيل الظنون فلكم علي عهد الله وميثاقه أنني أبينه ولا أكتم عليكم منه شيئاً، وأما الذي تظنونه مما لم يقم فأنا أنقيه لكم وأحكم في كل ما تقدم شرع الله فما أثبتته، وما نفاه نفيت.

أنتم أيها الإخوان: أبدوا ما بدا لكم وتكلموا بما سمعتموه وبما يقوله الناس من نقد ولي أمركم أو من نقد موظفيه المسؤول عنهم وأنتم أيها العلماء اذكروا أن الله سيوقفكم يوم العرض وستسألون عما سألتهم عنه اليوم وعما أمنكم عليه المسلمون فأبدوا الحق في كل ما تسألون عنه ولا تبالوا بكبير ولا صغير وبينوا ما أوجب الله للرعية على الراعي وما أوجب للراعي علي الرعية في أمر الدين والدنيا

وما تجب فيه طاعة ولي الأمر، وما تجب فيه معصيته وإياكم وكتمان ما في صدوركم في أمر من الأمور التي تسألون عنها ولكل من تلکم بالحق عهد الله وميثاقه أنني لا أعاتبه أنني أكون مسروراً منه وإني أنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء والقول الذي يقع الخلاف بينكم فيه أيها العلماء فإني أعمل فيه عمل السلف الصالح إذ أقبل ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو أقول أحد العلماء الأعلام المعتمد عليهم عند أهل السنة والجماعة وإياكم أيها العلماء أن تكتموا شيئاً من الحق تبتغون بذلك مرضاة وجهي فمن كتم أمراً يعتقد أنه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة، وأظهروا الحق وبينوه وتكلموا بما عندكم، فرد العلماء بأنهم يبرءون إلى الله من كتمان ما ظهر لهم من الحق ويعلنون أنهم ما نصحوه إلا انتصح ولو رأوا في عمله ما يخالف الشرع لما سكتوا عنه وهم ما رأوا منه إلا الحرص على إقامة شعائر الدين واتباع ما أمر الله ورسوله به، ثم نهض بعض الحضور وقال لا نعرف ما ينتقد إلا الأتيال «اللاسلكي» فيقال أنه سحر ولا يخفى حكم السحر والسحرة في الإسلام.

الثاني: القصور المخافر التي تبنيها حكومة العراق على الحدود وهذا ضرر على أرواحنا وأوطاننا، فأجابه صاحب الجلالة قائلاً: ليس في الشريعة ما يمنعنا من الانتفاع بطرق المواصلات الحديثة والتمشي مع التقدم العلمي ومع هذا فإني أترك هذه الأمور للعلماء والتفت إلى العلماء فأفتى العلماء بأنهم لم يجدوا في الكتاب ولا في السنة ولا أقوال العلماء العارفين دليلاً بالتحريم وإن من يقول بالتحريم يفترى على الله الكذب ونبراً إلى الله منه، ثم أجاب ابن سعود، إن الحامل على بناء المخافر دعوى أنكم أنتم الذين بدأتم بالعدوان وذلك بقتل السرية التي أرسلها الدويش لأهل «بصية» ثم غزوات الدويش التي تبتعتها في حين أنني أنا يا ابن سعود ما قمت بذلك وأنتم يا أهل نجد ما حميتم ذمة والي أمركم وإنهم يزعمون أن الباعث على بنائها المخافة من خطرکم فصاح الإخوان وضجوا: بأننا نبرء إلى الله من الدويش وقاطعناه هو ومن معه وإنا على استعداد لمهاجمته ومجازاته، يا

عبدالعزیز إنا نبايعك على السمع والطاعة وأن نقاتل من تشاء عن يمينك وشمالك ولو دفعتنا إلى البحر لخضناه، إنا نبايعك على مقاتلة من ينازحك ومعاداة من عاداك ونقوم معك ما أقمتم فينا الشريعة.

أولئك الإخوان الذين لما عرفوا حسن قصده وما يكنه ضميره من النصح لهم والشفقة عليهم قدموا نفوسهم أمام تنفيذ إرادته وعادت ثقة الناس به واطمأن إلى إخلاصه الإخوان فذهب كل جماعة إلى قبيلتهم دعاة لابن سعود وينشرون العداوة لعدوه، فانظر إلى مكارم أخلاق ابن سعود بما أبداه إلى شعبه وإن كان ليس بفقير إليهم فإن كلامه هذا استطاع به أن يجمع حوله الشعب كله ولقد كان عرضه التنازل عليهم سبباً في تقوية نفوذه وإعلاء مكانته واشتداد التعلق به فكان بإمكانه يومئذ أن يضرب خصومه الثلاثة الضربة القاضية ولكنه تركهم يبحثون عن حتفهم.

وقد رأت الحكومة الإنكليزية أن توفد «السير جلبرت كلايتون» إلى جدة في هذه السنة يحمل النيابة عن الإنكليز، وقد تمكن ابن سعود من ضبط تلك القبائل الجائرة وإيقافها عند حدها كما أنه طلب أيضاً من بريطانيا الاضطبار ريثما يتفق بالوفد لتسوية المسائل المختلف عليها، ولما أن اتفق به الوفد البريطاني وقد أحس أنه جاءه ناقماً غاضباً وأن لندن غاضبة ناقمة لم يترك لخصمه أن يبدأ بالكلام بل تكلم هو بالشكوى من خطأ السياسة الإنكليزية وكيف أنها أخذت تهاجم أرضه بطائراتها مع أنه تربطها معه معاهدة ولاء وصداقة وقد ساعدت الظروف السياسية ابن سعود كما أنه ساعده البترول وقرب منابعه من مواطن ابن سعود والوهابيين فراجع كلايتون وانتهى الأمر بعد أخذ ورد بالاتفاق، وكان المندوب البريطاني يحمل تقريراً عظيماً في أول مجيئه وهذا معناه:

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بعد التحية لا يستقيم إتيان بدوان من رعيتمكم تقتل أهل العراق، والكويت وتفعل تلك الأفاعيل الوحشية فلا بد من عرض أمور أربعة على حضرتكم:

أولاً: هؤلاء رعييتك يلزمك أن تمنع اعتدائهم.
ثانياً: تكون عاجزاً عن إيقافهم فإن الحكومة البريطانية قادرة بنشاط على محوهم فعين لنا أمكتكم وسترسل عليهم الطائرات لتمطرهم النار والقذائف.
ثالثاً: يكون هذا عن إرادتك وتدابيرك فيعتبر غدرأً وإذا كنتم تغدرون ودين الإسلام يتحاشى عن ذلك فجزاء السيئة سيئة مثلها.
رابعاً: تقول هذا أمر مقدر وكل شيء بقدر وما مضى لا يمكن رده فمن هذه الساعة فأتوا بالخيط والمخيطة وضعوا حداً لهذا الاعتداء وقوموا بضمان ما أتلفته تلك القبائل الجائرة.

ولقد استطاع ابن سعود أن يقنع بريطانيا ويرجع مندوبيها قانعاً، أما أولئك الأعداء الثائرون فإنهم أجلاف قاموا يبحثون في عزل ابن سعود وخلفه وإذا خلعه فممن يكون في مقامه وطفقوا يسألون عن الوالي الذي يولونه بعده وانبعثوا يتفاوضون وأخذت مشاكل الدرويش، وابن حميد، وابن حثلين وأتباعهم ممن التف إليهم تتطور وتنذر بالشر والويل، فرأى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود أن لا فائدة في التريث عن النهوض في أقرب وقت لوضع حد لقطع هذه الثائرة غير أنه أشار عليه بعض الأصدقاء في القصيم وهذا المشير هو النبيه المصقع «فهد بن علي الرشودي» وكان من أهل الرأي والمعرفة والإخلاص أن يدافعهم ليتمكن من إحضار السلاح والذخيرة على مهل ولكن من أين لهم أن يندفعوا وقد وثقوا كل الثقة أنهم غالبون ليسوا بمغلوبين وأنهم قاهرون لمن سواهم من العالمين فطلب منهم صاحب الجلالة أن ينظروا في أمرهم ويفكروا في شأنهم فلعلمهم أن يتراجعوا عن تلك الفكرة.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

فمن ذلك أنه سار صاحب الجلالة عبدالعزيز بموكبه العظيم إلى بريدة عاصمة القصيم فنزل فيها بقصر الحكم ولما آنس الأهالي بقدومه على أثر تلك الزعازع تهيئوا للاستقبال وأغلقوا الدكاكين وعطلوا جميع أعمالهم وخرجوا من حينما

فرغوا من صلاة الفجر إلى ساحة البلاد وصفوا صفوفاً لا يتخلون عن مكانهم إلا أن تقام صلاة فريضة فيذهبون لأدائها ويرجعون مسارعين، ولقد شاهدت ذلك الاستقبال في حال صغر سني فما رأيت استقبالاً أعظم ولا أبهى ولا أهيب منه وما زالوا على تلك الحال المرهبة حتى قدم إلى بريدة بعد غروب الشمس على سيارته وقد أعد لها كراج في وسط البلد وقام الأهالي يرحبون ويقدمون له كل غال وثمين وقد جلس في صباح تلك الليلة في ظرف ثلاث ساعات بأربعة عشر بيتاً من بيوت أهالي بريدة يتناول القهوة العربية وبعد ذلك عزل وولى ونفذ تدابير واحتاط للأمر وجعل على إمارة بريدة «مشاري بن جلوي» وكان فاتكاً شجاعاً مهاباً يقول ويفعل ويبطش بطشاً عظيماً فهابه جميع أهالي مقاطعة القصيم وذلك لجراته وفتكه ولأن تلك المقاطعة على مقربة من البغاة وأحضر ابن سعود فيها السلاح والذخيرة وأذاع للأمة بأنها سكة جديدة للتعامل في النقود، وبذل للبغاة النقود والكسوة والعطايا الجمة ونفذ رغباتهم في الطلب، حتى أن عبدالعزيز بن فيصل الدويش جعل يطلب من جلالته بطلبات «من الطيب وعود الند» ونحو ذلك مما لا يعرف وزنه ولا كيله فمنها أنه طلب قنطاراً من العود الند وثلاث مصفحات «تنك» من العطر فتكلم أحد خزان جلالة الملك على الفور مخاطباً للملك بأن الأمير إنما أراد رطلاً من العود وثلاثين تولة من العطر فأجاب الجلف نعم يا عبدالعزيز هو كما قال لأنه لا يفرق بين المذكورات، وأخذوا تلك الجوائز وانصرفوا شائمين ناقلين.

وفاة الأمير عبدالرحمن الفيصل

وكانت وفاته يوم الجمعة ١٣/١٢ من هذه السنة وهذه ترجمته:

هو الإمام الهمام العاهل المقدام سلالة الأفاضل الكرام ذو الرأي السديد والدين والكرم والعلم والفضل عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد سعود والد جلالة الملك عبدالعزيز، وعبدالرحمن هذا أصغر أنجال الإمام فيصل تأمر على الرياض في وقت فتن ومحن بين آل سعود، ولما أن بزغ نجم آل رشيد

وجرت واقعة المليداء وتمكن ابن رشيد أخذ المترجم أولاده وأهله وذهب إلى الكويت فاستقر بها بعد شد ورحيل في الصحراء، ثم لما أظهر الله نجله عبدالعزيز موضع الإكرام والاحترام فيها لما قام بذلك النجل من البر والصلة والاحتشام فعاش بخير ومرجعاً لنجله في المشورة بعدما تنازل له نجله عن الملك ليكون هو الحاكم في نجد فأبى واختار أن يكون والداً حنوناً يكرم العلماء ويوقرهم ويقربهم وكان عفيفاً كريماً غيوراً شجاعاً قوياً وكهفأً منيعاً لأهل الدين وقد أسلفنا شيئاً من ترجمته وكان يربي أنجاله ويهذب أخلاقهم ويعلمهم العلوم الدينية ويحرص على تقدمهم وها قد حصلوا على ما كان يطلب، وقد امتدحه الشعراء بالقصيد وأثنوا عليه فمن ذلك ما قاله الشيخ سليمان بن سحمان رحمة الله عليه تهنته له بالنصر على ابن متعب لما انتهاز فرصة غياب صاحب الجلالة فسطى العدو على الرياض وثار عليه أهل الرياض بقيادة الإمام عبدالرحمن وهي هذه:

| | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| فيا نجل سادات الملوك ذوي التقى | ومن فاق في جود أطيء وفي مجد |
| عليك بشكر الله والحمد والثناء | وأظهار دين الله جهراً على عمد |
| ملكك فأسجح وأبذل العفو والندى | فبالعدل تنجو في غد نائل القصد |
| لقد كنت يا شمس البلاد مسدداً | ورأيك محمود وعقبك للحمد |
| فلا زلت وطاء على هامة العداء | لك النقض والإبرام في الحل والعقد |
| ولا زلت مسرور الفؤاد مؤيداً | وضدك في كبت وكمت وفي ضهد |

وقال أيضاً الشاعر حسين بن علي بن نفيسة يهنته لما عاد إلى الرياض بعد مبارحتها مدة طويلة ويذكره مآثره وأخلاقه السامية:

| | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| خليلي شدا اليعملات لرحلة | كرحلة بيت الله لطالب النجا |
| ولا ترفقا في السير بورك فيكما | بعقب كما حثا المطايا لتدلجا |
| إلى عابد الرحمن جرثومة الهدى | وحصن اللجا منجي الركاب على الوجه |
| وهنا إمام المسلمين بمنزل | بأرجائه المعروف والدين والرجا |
| سمام العدى إن ألم البأس في المدى | وفي الأمن للمتتاب يحظى بمارجا |

هو الغيث لو صابة سحائب جوده على البحر كان البحر غزبا مثلجا
وفي وجهه سيما التعبد دائماً مناقبه فاقته أولي الحلم والحجا
حريص على إحياء سنة أحمد حري بأن يجعل له الله محرجا
وفياً سخيّاً فاضلاً وابن فاضل يجازي الندى لا زال أجرى والهجا
فكل خصال الخير كانت به معاً منيعاً مطيعاً مرتجياً وملتجاً
سلالة من أبدى المحاسن فيصل إمام التقى عن كل عيب تخرجا

أما أنجاله فمنهم الرجل العظيم الذي افتخرت به الأواخر على الأوائل، وفاق على أقرانه بالمجد والفضائل، صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي أخضع البلدان وغلب على الأقران وأباد عجلان وأبطل عبادة الأوثان.

ومنهم صاحب السمو محمد بن عبدالرحمن الذي ما زال معاضداً لأخيه ومناصرأ له وكان فاضلاً محترماً محتشماً، ومنهم سعد وقد توفي بعد فتح الإحساء وكان مثقفاً ومنهم عبدالله بن عبدالرحمن وكان نبهاً فاضلاً مستشاراً لدى أخيه الملك، ومنهم أحمد بن عبدالرحمن وكان وديعاً حسن الخلق، ومنهم مساعد بن عبدالرحمن، ومنهم سعد بن عبدالرحمن وهو أصغرهم.

أما الإناث فمنهن «الأنور» ابنة عبدالرحمن وكانت ناسكة عاقلة ذات شأن كبير ولها مقامات في الفضل وسعة الرأي وكثيراً ما يتنخي ويعتزي جلالة الملك بأخوتها، أما أخوة المترجم فقد تقدم ذكرهم.

ومن توفي فيها من الأعيان «عبدالقادر بن بدران» وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم العلامة المحقق المفسر المحدث الأصولي الكبير الفقيه المتبحر النحوي المتفنن، عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد بن عبدالرحيم الأثري الحنبلي الدومي ثم الدمشقي المعروف لقباً بابن بدران، ولد ببلدة «دوما» من أعمال دمشق وتلقى العلوم مدة لا تزيد عن ست سنوات عن جهايزة المشايخ أشهرهم الشيخ العلامة محمد بن عثمان الحنبلي المشهور بخطيب «دوما» المتوفى بالمدينة المنورة، ثم بعد ذلك عكف

على المطالعة لنفسه حتى برع في الكتاب والسنة والأصليين والمذهب ومعرفة الخلاف وسائر العلوم العقلية والأدبية والرياضية، وكانت وفاته في ربيع الثاني من هذه السنة، وكان رحمه الله شيخاً جليلاً متقنياً لطريقة السلف الصالح مدافعاً عنها، صابراً على أذى الأعداء فيها تاركاً للتعصب، مع الدين والتقوى والعفة والصلاح زاهداً في حطام الدنيا متقللاً منها متقشفاً في ملبسه ومسكنه ومعيشته كثير التنقل بين قرى غوطة الشام لتبليغ العلم للعامة وتعليمه للطلبة الذين لا يستطيعون الرحلة، لأن أكثر أهل هذه القرى حنابلة المذهب وارتحل إليه آخرون من الفازان وغيرهما فكانوا يسألونه عن المشكلات فيحلها لهم بأجوبة مفصلة، كان فيما مضى يدرس تحت قبة النسر في الجامع الأموي التفسير، والحديث، والفقه، ثم انتقل أخيراً إلى مدرسة عبدالله باشا العظم المشرفة على القلعة الفرنساوية، وكان شافعيّاً ثم حنبليّاً، وسبب ذلك كما قال بعض الخواص كنت في أول عمري ملازماً لمذهب الإمام الشافعي رحمه الله سالكاً فيه سبيل التقليد ثم من الله عليّ فحبب إليّ الاطلاع على كتب التفسير والحديث وشروحها وأمّهات كتب المذاهب الأربعة وعلى مصنفات شيخ الإسلام وتلميذه الحافظ بن القيم وعلى كتب الحنابلة فما هو إلا أن فتح الله بصيرتي وهداني للبحث عن الحق من غير تحزب لمذهب دون مذهب فرأيت أن مذهب الحنابلة أشد تمسكاً بمنطوق الكتاب العزيز والسنة المطهرة ومفهومهما فكنت حنبليّاً من ذلك الوقت، وكان المترجم رحمه الله يلوح على كلامه علم الإخلاص ونور اليقين فكان قد وضعه بوضع المتقدمين.

ذكر مؤلفاته

ألف المؤلفات التي تشهد له بالفضل وسعة الاطلاع غير أن بعضها لم يكمل، ووجهه فيما يظهر ما أصيب به من داء الفالج في آخر عمره حتى خدرت يمينه عن

الكتابة واستعان عليها باليسرى، فمنها كتاب جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في التفسير لم يكمل، وكتاب شرح سنن النسائي لم يكمل، وشرح العمدة سماه مورد الأفهام من سلسبيل عمدة الأحكام جزءان، وشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، وشرح الأربعين حديثاً المنذرية في جزء، وشرح الشهاب القضاعي في الحديث في جزء، وشرح النونية لابن القيم في التوحيد، وشرح روضة الأصول للموفق بن قدامة في مجلدين، كتاب المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل وهو كتاب عظيم النفع جليل القدر، وحاشية على شرح المنتهى جزءان بلغ فيها إلى باب السلم، وحاشية على شرح الزاد، وحاشية على أخصر المختصرات، وتعليق على مختصر الإفادات، وكلا الكتابين للشيخ بدر الدين البلباني ودرة الغواص في حكم الزكاة بالرصاص، وحاشية على رسالة الشيخ الموفق في ذم الموسوسين، وشرحان على منظومتي الفرائض، وله كتاب طبقات الحنابلة لم يكمل وكتاب سبيل الرشاد إلى حقيقة الوعظ والإرشاد، جزءان وتهذيب تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر في ثلاثة عشر مجلداً اعتنى فيه بتخريج أحاديثه، وكتاب الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية في جزء، وإيضاح المعالم من شرح الألفية لابن الناظم جزءان، ولخص الفرائد السنية في الفوائد النحوية للشيخ أحمد المنيني الدمشقي في رسالة سماها آداب المطالعة.

وله شرح الكافي في العروض والقوافي في جزء لطيف، والعقود الدرية في الفتاوى الكونية في مجلد، والعقود المرجانية في جيد الأسئلة القازانية كبرى وصغرى في مجلد وتلخيص كتاب الدارس في المدارس للنعمي، ورسالتان في أعمال الربيعين الحبيب والمقنطر، وديوان خطب منبرية، وديوان شعر اسمه تسلية الكتيب عن ذكرى الحبيب.

هذا سوى ما كان من الفتاوى والرسائل في أصناف العلوم مما لو جمع لبلغ مجلدات وبالجملة فقد كان غرة عصره ونادرة دهره فرحمه الله رحمة واسعة وقد رثاه بعض معاصريه بأبيات وهي قوله:

نار الجوى قد سرت في الجسم بالسقم
عم الأسى وعلا السيل الربى وربا
أيحسب الغمران العمر لا نحس
يا عين جودي دماً سحا على آدم
لام العذول بالحق فقلت له
إنني كفاني من أمر دهمت به
بالله دعني أنوح هائماً وأقل
بحر العلوم بحور العلم تغبطه
لاح اسمه قمراً في اللحد منخسفاً
هو الذي تشرق الدنيا بطلعته
سقى ضريح حماء صوب مغفرة
يا نفس لا تجزي مما دهى فلکم
فاستسلمي ودعي الأقدار جارية
وأنهي صلاة بتسليم يقارنها

فالدع ما بين مسجون ومنسجم
وكدت لولا الحيا أصبو من الألم
به فيا قرب هذا الوهم للوهم
واستنزلي عبراً أدهى من الديم
إليك عني فلو أصبت لم تلم
فالحزن مني ودائي غير منجسم
وألهف نفسي لفقد البدر في الظلم
وابن الكريم فقل ما شئت من كرم
حسا ومعنى فحال القلب في ضرر
لا شمسها وأبو إسحاق ذو الشيم
من الإله مزيل الكرب والنقم
لله من فرج يشفيك من ألم
فأنت صائرة لا شك في العدم
على شفيع الورى في مجمع الأمم

ومنهم العارف الماهر المجد في طلب العلم ذا المعرفة بأصول الدين العالم علي
بن محمد الوقيصي كان رحمه الله ومن خيرة تلامذة الشيخ عمر بن محمد ابن سليم
وله شهرة ومنزلة عالية وعليه آثار السكينة ونور العلم وبهاء الطاعة وكان في
صفته ربعة من الرجال ناتى الجبهة نحيف الجسم يحب أهل الدين ويميل إليهم وله
معاملة في البيع والشراء لتأمين معيشته.

وقد توفى في هذا المجال حبران عالمان زاهدان هما عبدالله بن صالح الجوعي
ذو العلوم الدينية والفتوحات الربانية وكان حافظاً للقرآن حسن القراءة عفيفاً تقياً
متواضعاً يحب الخمول ويؤثر التقشف ويعامل الله بالطاعة ويقرب المتقين وينتمي
إليهم ويحبهم ويظهر عداوة من حاد الله ورسوله.

والحبر الثاني الزاهد العفيف الناسك «عثمان بن عبدالله بن محمد بن دخيل»

والده قاضي المذنب وكان المترجم سمحاً لين العريكة عاقلاً وديعاً وكلاهما من خيرة تلامذة الشيخ عمر بن سليم رحمة الله عليهما وقد توفاهما الله تعالى في سن الشباب وفي حال طلب العلم وعلى أحسن حالة تسر المحب الوفاة عليها وقد أصيب الدين وأهله بوفاتهم فإنا لله وإنا إليه راجعون ولي من أبيات في رثائهم:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| لهم في فنون العلم باع طويلة | بهمة منهوم لنيل الفضائل |
| وتغدوا إلى نحو العلا هم لهم | تسرح أفكاراً وتأتي بالمسائل |
| إذا قيل من للمشكلات يحلها | ويكشف خاف بالبحوث الجزائل |
| ويحمي حما التوحيد من كل غادر | جهول خبيث من عتاة الأراذل |
| بنحو وقرآن وفقه وحجة | يقررها الوحيان طبق المشاكل |
| تجدهم بما حازوا يفوقون قرنها | بعزم وإقدام صفات الأماثل |
| وإن أشكلت يوماً غموض بحوثها | وضل بها التحرير سبل الأفاضل |
| ودام على إشكاله كل غامض | وأعيا فخبها كبير المحافل |
| فيكشف كل قناع عويصها | ويجلو محياها سريعاً بعاجل |
| وتلك لعمرى للخصال حميدة | تقربها عين اللبيب وكامل |
| حياة بلا علم حياة ذميمة | كحال ذوي الجهل أهيل التغافل |
| إذا قيل قال الله قال رسوله | تجدهم صدوداً عاقهم كل شاغل |
| فسحقاً لمن قد فاته رقي رتبة | لها شمخت أعلام أهل الفضائل |

إن الحكومة السعودية قد مكن الله لها في الأرض وأصبحت في نعمة وعز وكرامة غير أنها أصيبت بهذه المحنة وهي ثورة الإخوان وما يترتب من صنيعهم لأنهم قد أخافوا الشعب وأحدثوا هذه المشاغبة وأصبح صاحب العظمة حائراً في معالجتهم ومعاملتهم وأشد شيء إنما هو شماتة الأعداء بهذا الانشقاق وما أحسن ما قيل:

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| تجاف عن العتبى فما الذنب واحد | وهب لصروف الدهر ما أنت واجد |
| إذا خانك الأدنى الذي أنت خله | فوا عجباً إن سالمتك الأبعاد |

وإذا كان عبدالعزيز يريد أن يسير بالملكة إلى الأمام بتعمير المساجد وطبع الكتب وبعث بعثات من الشبان النجديين والحجازيين إلى أوروبا ومصر لتلقى العلوم والصناعات وأسس دار الكسوة للكعبة المعظمة وغير ذلك فما يصنع بهذه الأحجار التي وقفت في الطريق وحيرت الألباب.

ولما أن رأى ابن سعود حروجة الموقف اضطر إلى امتشاق الحسام ضرورة وفي شهر شعبان قدم وافداً على صاحب الجلالة الملك المعظم يريد أن ينشد بين يديه هذه القصيدة الأستاذ الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين بمناسبة الجمعية العمومية في الرياض:

| | |
|----------------------------------|------------------------------|
| أجل إنه ربع الحبيب فسلم | وقف تنبين ضاعنا من مخيم |
| معاهد حل الحسن فيها نطاقه | وقرة عين الناعم المتنعم |
| عهدت بها بيضا أو انس كالدمى | غرائر ملهى للمحب المتيم |
| عوابث بالألباب من غير ريبة | نوافر بالأبدان عن كل مآثم |
| وقفنا جنوحاً بالربوع فواجهم | وأخر قد أدمى الأصابع بالقم |
| فقلت لصحي رفعوا العيس والطموا | بأخفافها ظهر الصعيد المركم |
| نجائب لولا أن عرفنا فحولها | لقلنا ليق خاضب الساق أصلم |
| طوينا بها حزن الفلا وسهوله | وقد خضبته من ظلاف ومنسم |
| إذا ما أدركنا كأس ذكرك بيننا | يكدن يطرن بين نسر ومرزم |
| يردن المكان الخصب والملك الذي | إليه بنوا الآمال بالقصد ترمي |
| أمام بني الدنيا الذي شهدت له | على رغمها أملاكها بالتقدم |
| هو الملك الحامي حمى الدين بالتقى | وسمر العوالي ركبت كل لهزم |
| له هزة في الجود تفني عفاته | وأخرى بها حتف الكمي المعلم |
| له سلف يعلو المنابر ذكرهم | وينحط عنه قدر كل معظم |
| هم أوضحوا للناس نهج نبهم | بمحكم آيات وشفرة مخدم |
| ليوث إذا لاقوا بدور إذا انتدوا | غيوث إذا أعطوا جبال لمحم |

وإن وعدوا أوفوا وإن قدروا عفوا
يصونون بالأموال أعراض مجدهم
وهم يرخصون الروح في حومة الوغى
أولئك أوتاد البلاد ونورها
مضوا وهم للناس في الدين قادة
فلما غشانا بعدهم ليل فتنه
أغاث إله العالمين عباده
إمام الهدى عبدالعزيز بن فيصل
همام أفادته القنا وسيوفه
هو القائد الجود العناجيج شزبا
جحافل يغشى الطير في الجو نفعها
فأمنها بالله من أرض جلق
فلا متهم يخشى ظلامه منجد
فما أعظم النعمى علينا بملكه
لك الفضل لو ترغم أنوف معاشر
يعيون بالشيء الذي يأخذونه
تنزهت عن فعل الملوك الذين هم
فلا شارباً خمراً ولا سامعاً غنى
ولا قول مأمون نخلت ولا الذي
وكلهم يدعى خليفة وقته
ولكن نصرت الحق جهداً واعتلت
فأصبحت الدنيا وريفاً ظلها
وألقت شمل المسلمين وقد غدوا
عفوت عن الجاني وأرضيت محسنا

وإن حكموهم أقسطوا في المحكم
إذا ظن بالأحوال كل مذمم
إذا كع عنها كل ليث غشمشم
صنائعهم فيها مواقع أنجم
مفاتيح للخيرات في كل موسم
به عم نهب المال والسفك للدم
بمن شاد ركن الدين بعد التثلم
سمام العدى بحر الندى والتكرم
وهماته أن يمتطي كل معظم
وكل فتى يحمي الحقيقة ضيغم
ويزعجن وحش الأرض من كل مجثم
إلى عدن مستسلماً كل مجرم
ولا منجد يخشى ظلامه منهم
ولكن بعض الناس عن رشده عمى
سروا في دجا من حالك مظلم
فوا عجباً من ظالم متظلم
دعوا أمراء المؤمنين بمحكم
إذا نقرت أوتاره للترنم
أتى بعده في عصره المتقدم
وطاعته فرض على كل مسلم
بك السنة الغراء في كل معلم
عروساً تباهي كل بكر وإيم
أيادي سبا ما بين فذ وتوأم
وعدت بإفضال على كل معدم

وقوك الردى منهم بكل مطهم
إليهم لذيقاً كل شرب مطعم
وسدت بني الدنيا بفضل التكرم
ولولاك أضحى كالريم المرم
وقبلك كانوا بين ذل ومغرم
من الخسف سوم المستهان المهضم
محلهم في أمنه مثل محرم
رشاد سوى في طاعة المتيم
بعيني فؤاد لا بعين التوهم

وفي سيفه سم يداف بعلقم
وخضبها من كل هام ولهزم
كان حواميها خضين بعندم
يهيج بدهياً تقصم الظهر صيلم
بأسماكم لا بالحديث المرجم
ولا يوم ذي قار ولا يوم ملهم
وينقلها مستأخر عن مقدم
خدود بتسويل الغرور المرجم
وإن ضرسته الحرب لم يتالم
يحش لظاها بالوشيج المقوم
لها بك فخر بين عرب وأعجم

فلو أنهم أعطوا المنى في حياتهم
فلولاك لم تحل الحياة ولم يكن
بيت بيوت المجد بالبيض والقنا
وما الجود إلا صورة أنت روحها
وطاب لأهل المكتن مقامهم
يسومونهم أعرابهم وولاتهم
فأضحوا وهم عن ذا وذاك بنجوة
فسمعاً بني الإسلام سمعاً فما لكم
أديموا عباد الله تحديق ناظر
إلى أن قال:

ففي رأيه إصلاح ما قد جهلتم
أليس الذي قد قعقع البيض بالقنا
وأنعل جرد الخيل هام عداته
دعوا الليث لا تستغضبوه فرما
فما هو إلا ما علمتم وما جرى
وقائع لا ما كان بالشعب ندها
يحدث عنها شاهذ ومبلغ
لها أخوات عنده أن تصعرت
جواد بما يحوي بخيل بعرضه
أخوها وما أوفت على العشر سنه
إليك إمام المسلمين زفتها

وقال شاعر نجد محمد بن عثيمين قبل هذه قصيدة عظيمة منوها بمناقب صاحب
الجلالة ومذكراً للدويش وقومه بسطواته، وإنه ينبغي أن يتراجعوا عن غيهم وبغيهم
لئلا يكونوا عبرة لغيرهم، ويشرح صفات عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل:

فقل للذي قد غره منه حلمه
 ألم تر أن البحر يسلك ساكناً
 فلا تخرجوه عن سجية حلمه
 ولا تستطيئوا مركب البغي إنه
 ضمنت لباغي فضله أن يناله
 وما نال هذا الملك حتى تقصدت
 وأنعل أيدي الجرد هام عداته
 وما زاده تيه الخلافة قسوة
 من القوم بسامين والوقت أكدر
 علينا لك الرحمن أوجب طاعة
 فقال أطيعوا الله ثم رسوله
 وقال رسول الله سمعاً وطاعة
 ومن مات ما في عنقه لك بيعة
 فيا معشر القراء دعوة صارخ
 أما أخذ الميثاق ربي عليكم
 فقوموا بأعباء الأمانة إنما
 وقولوا لقوم ليس فيهم روية
 إذا عقد الصلح الإمام لكافر
 وفيه لدينانا صلاح وديننا
 فذا جائز في الشرع من غير شبهة
 اليكم بني الإسلام شرقاً ومغرباً

متى كافأ الذئب الهزير ينزله
 وإن حركته الريح جاشت زلازله
 فتكثر في الساعي بذاك ثواكله
 إذا ما امتطاه المرء فالله خاذله
 ومن يطلب اللأوا تميم حلاله
 صدور عواليه وفلت مفاصله^(١)
 وزلزلت الأرض البعيد قنابله
 نعم زاد عفواً حين زاد تطاوله
 من النفع وهابين والجذب شامله
 بنصر وبرهان تلوح دلائله
 وذا الأمر يدره الذي هو عاقله
 لذي أمركم لو شط في الحكم عامله
 فميتة أهل الجهل يرويه ناقله
 بكم إن يكن فيكم حليم نائله
 بإرشادنا للأمر كيف نعامله
 بأعناقكم طوق يعانيه حامله
 ولا نظرفيما يحاذر آجله
 يرى أنه لا يستطيع يطاوله
 ودفع أذى عنا تخاف غوائله
 فياليت شعري هل يفند فاعله
 نصيحة من تهدي إليكم رسائله

(١) يقول ما نال هذا الملك بالهويثا أو إعطاء أحد هذا الملك ما ناله حتى تكسرت رماحه وتثلثت سيوفه وجعل هام أعدائه نعالاً لخيئه، فاحذروا أن تكونوا من جملة تلك النعال.

هلموا إلى داعي الهدى وتعاونوا
وقوموا فرادى ثم مثنى وفكروا
بأن إمام المسلمين ابن فيصل
فقد كان في نجد قبيل ظهوره
تهاوش هذا الناس في كل بلدة
فما بين مسلوب وما بين سالب
فأبد لكم ربي من الفقر دولة
بيمن إمام أنتم في ظلاله
به الله أعطانا حياة جديدة
على البر والتقوى فأنتم أمائله
تروا أن نصحي لا اغتشاش بداخله
هو القائم الهادي بما هو فاصله
من الهرج ما يبكي العيون تفاضله
ومن يتعد السور فالذئب أكله
وآخر مقتول وهذاك قاتله
وبالذل عزاً؟ خصماً يناضله
يدافع عنكم رأيه وذوابله
رفهنا بها من ضنك بؤس نطاولة

لا بد ونحن في ذكر الأمن الذي أشار إليه الشاعر وأنه نعمة من الله جل ثنائه
يشكر عليه الذي كان سبباً في وجوده، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «من أصبح
منكم آمناً في وطنه معافاً في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»
وبذلك نشكر الله تعالى ونسأله المزيد من فضله، ولا يعرف قدر الأمن إلا من
أرهقته المخاوف، وأنه يجب على أمة الإسلام أن يتساعدوا ويتعاضدوا ويتكاتفوا
لنشر هذه النعمة وتوطيدها قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [التوبة: ٢]، ولما جاء إليه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه
يشكون إليه ما يلاقونه من أذى قريش في أول الإسلام فقال: «والله ليظهرن الله
هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب
على غنمه» فقال بعض الصحابة في نفسه عجباً لذلك فأين دعار طيء الذين
أخافوا السبل.

ولقد جرى في أيام الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود من الأمن إن كانت
مزاود الدراهم يجعلها المسافرون أطناباً لخيامهم بالليل، وإن رجالاً من سراق
الأعراب وجدوا عزراً ضالة في نفود السر في نجد وهم جياع، قد مر عليهم يومان

أو ثلاثة طاوين من الجوع فجعلوا يتراجعون كل واحد يلح على الثاني إن ينزل من بعيره فيذبحها ليأكلوها فلم يستطيعوا ذلك خوفاً من سطوة الوالي، ولما ألحوا على أحدهم قال دعوها فإن عبدالعزيز بن محمد يرهاها وتركوها وهم في أشد الحاجة إليها، وقال تعالى ممتناً على عباده بالأمن: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَآيِدُكُمْ يَنْصُرُهُمْ وَرِزْقُكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، ثم قال شاعرنا محذراً عاقبة البغي ومنوها بمآثر صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز:

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| فيوماك يوم بالمواهب ماطر | ويوم به الأسياف يرغن بالدماء |
| فكم ناكث أهوى لسيفك ساجدا | ولم يك ذا ظهر ولا متيما |
| وان أمير المؤمنين لكافل | لباغي الهدى التعليم حتى يفهما |
| ومن لا يرد إلا الشقاق فإنه | كفيل له أن يجعل السوط مخدما |
| فلا يغتر قوم رفعت جدودهم | وأوليتهم من سيب جدواك أنعماً |
| فكم شرق بعد الزلال وغصة | تذيق العدى من جرعة الموت علقما |
| ومن ثاور الأسد الضواري جعلنه | لأشبالها تحت الأظافر مطعما |
| ومن سل سيف البغي أصبح حتفه | بشفرة ما قد سل أو سهم ما رما |
| وكم قادح ناراً فكان وقودها | إذا حسه منها شواظ تندما |

وفيها صدرت أوامر جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بإجراء عمارة عموم المسجد الحرام داخلاً وخارجاً على حسابه الخاص وعهد بتلك العمارة إلى حضرة الشيخ عبدالله الدهلوي الذي قد عمل عدة سنين في عمارة عين زبيدة وظهر من أحسن أعماله ما دفع جلالة الملك إلى أن يعهد إليه بعمارة المسجد الحرام فقام عبدالله الدهلوي بتحضير اللوازم واستعان ببعض رجال العمل من هيئة عين زبيدة وابتدأ العمل في مستهل جمادى الأولى من هذه السنة فرمم عموم فرش أروقة المسجد الحرام من جهاته الأربع مع زيادتي دار الندوة وباب إبراهيم وعموم الماشي والفرش الحجري الذي عليه المقامات الأربعة حول مدار المطاف وعموم

بلاط الأبواب وجدار المسجد الحرام داخلاً وخارجاً والدرج المصعدة لأبواب المسجد الحرام ونظف القباب باطناً وظاهراً وأصلح كل خراب وقع في أبواب المسجد الحرام الخشبية وطلّى بأنواع الأصبغة عموم عقود وجدران وأعمدة المسجد الحرام العلوية كل لون بحسب لونه الأصلي داخلاً وخارجاً ما يناسب ألوان الحجر الشمسي، من أسود، وأصفر برتقالي، وأحمر عنابي، ورمادي وكذلك مسح عموم الاسطوانات بالرخام وأزيل عنها ما كان متراكماً عليها من الغبار حتى عادت إلى لونها الأصلي البراق حيث أنه قد مضى عليها منذ عمارة السلطان عبد الحميد المتقدمة إلى هذه السنة قدراً من اثنين وثلاثين سنة، وأصلحت مظلة مقام الحنفي وغير بعض أخشابها وكسي سقفها بالمعدن الأبيض، وأصلحت مظلة مقام إبراهيم الخليل عليه السلام وكسيت أيضاً بالمعدن الأبيض ثم طليت باللون الأخضر، وأصلحت مظلة قبة زمزم لإصلاحاً جيداً وكسيت بالمعدن الأبيض وطلت بالدهان الأخضر حسب المقامات الأخرى، وطلت الأساطين النحاس الحاطة بمدار المطاف التي تعلق فيها مصابيح الكهرباء بلون أخضر وطلت رؤوسها بلون ذهبي وأصلح شاذروان الكعبة المعظمة فجبس بعض أحجاره بالجبس وملئ الفراغ الذي بين الأحجار وأحكم إحكاماً جيداً، وفرش حصاوي المسجد الحرام بالحصبة بعد أن أزال ما فيه من الأتربة المتراكمة ثم بعد الفراغ من عموم ما تقدم رخم عموم جدار المسجد الحرام داخلاً وخارجاً السفلي منه الذي كان عادة يرخم بالرخام الأبيض الناصع، وكذلك رخم منتصف الأعمدة الثخينة المبنية بالحجر الصوان الأسفل منها، وعموم أبواب المسجد، ودار الندوة، وفسحة باب إبراهيم وبطون القباب والطواجن وأضاف إلى الرخام زهرة النيل الزرقاء لزيادته رونقاً وجمالاً واستمر العمل في ذلك إلى أن دخلت السنة التي بعدها.

وختمت هذه السنة بخبط ورهب للمسلمين، لما جرى من أولئك البغاة المفسدين حتى أن أهالي المقاطعات حجوا تحت قيادة إمارات وأعلام خشية من قطعهم السبل.

ثم دخلت سنة ١٣٤٧هـ

استهلت والدويش وأتباعه قد صعب أمرهم وازداد شرهم قولاً وفعلًا، ويمرون على بلدان نجد والقرى فيقتسمونها إذا غلبوا بعد ذلك ويزعمون بأنها قصور شاذة أسست على غير تقوى فيجيبه صاحبه بقوله بشر المسلمين بهذه الغنائم غداً نأخذها منهم، لأنهم يرون أن أهل نجد كفار.

أيا عجباً لك يا فيصل الدويش ماذا عملت من السوء وفعلت من الأفعال الذميمة وسلكت من الطرق التي كانت غير مستقيمة، شققت العصا وفرقت الجماعة وعصيت إمام المسلمين وخرجت على الرعية والأجانب تقتل برها وفاجرها، هذا وأنت بزعمك تريد رضا الله نعوذ بالله من الجهل.

أما أمير الغطغط سلطان بن بجاد فما كنت أظن قصده إلا حسناً واجتهاداً وليس كل مجتهد مصيباً، وكان سلطان بن بجاد بن حميد عبداً تقياً حمله الجهل وغرور الدويش على أن انتظم في سلوكه وسلك مسلكه، ولقد حدثني بعض الأحباب من طلاب العلم الموسومين بالدين والفضل أنع ذهب إليه أثناء ثورته ليعظه وليرده عن قصده وكان ذكره يملأ المسامع قال فلما وصلت هجرته سألت عن قصره ومحلته فدللت عليه فلما دخلت إلى المجلس العام رأيت الرجال الكثيرين غارقين بالسلاح وما أرى من بينهم رئيساً وكنت لا أعرفه شخصياً قال فسلمت وجلست وكان إلى جنبي رجل قليل اللحم دقيق الأطراف عليه سمت وتواضع فسألته عن الأمير سلطان بن بجاد فأشار إلي بعض الحاضرين أنه هو، قال فعجبت من مجلسه في طرف القوم فقلت له: يا سلطان اتق الله عز وجل وخفه واحذر من عقوبته ولا تغرنك الدنيا وزخرفها واعلم أن الله لا يفوته هارب ولا يعجزه مغالب، وراقب عقوبته فإن عاقبة البغي وخيمة واعلم أنما أريق من قطرة دم في هذه الحنة بسبب ثورتكم على إمامكم سواء كان ذلك منكم أو من المسلمين فأنت المسؤول عنها بين يدي الله عز وجل لأنك السبب في ذلك، قال فما استتم كلامي حتى بدرته العبرة وذرفت دموعه على صدره وجعل يقول: «كيف أصنع إن قمنا ضربنا السقف وإن جلسنا أكلتنا النار» قال فحسنت به ظني وعلمت إنه مغرور.

ذكر تصميم صاحب الجلالة على القتال

لما رأى ابن سعود أن الشعب كله ضد الدويش ومن تبعه وأنهم لا يزالون في تماديهم وطغيانهم زحف بموكبه العظيم إلى بريدة عاصمة القصيم في هذه السنة ومعه مائتا سيارة فنزل في قصر الحكم فيها ووزع بعض البيوت التي كانت معه في بيوت من بيوت أهالي بريدة وجمع الرؤساء وخطب خطبة بليغة عدد فيها محاسنه ومقاماته في الإسلام وجعل يدعو على نفسه إن كان غاشاً للمسلمين، وأنه نصر علماء الإسلام ورفع قدرهم وأذل ضدهم وقتل طاغية من الطواغي حينما قام يسعى ضدهم ويستجيش عليهم كل هذا نصرة للدين، ثم أنه بعث صاحب الجلالة إلى العدو في مكانه حضرة الشيخين الفاضلين عبدالله بن محمد بن سليم، وعمر بن محمد بن سليم وأمرهما أن يبذلا في نصيحتهم الجد والاجتهاد فذهب الشيخان على راحلتين إلى البغاة في «الصريف» للمفاوضة وإزالة سوء التفاهم ولما شرعا في الوعظ والتحذير من البغي جعل الدويش يضرب بيده على بطن الشيخ عبدالله ويقول: «يا فلوس انطقي» أيها الإخوان إن ابن سعود كذاب ومشايخه يتكلمون بما يريدونه فانفض المجلس عن غير فائدة وعقد مجلس آخر يكون خاصاً بالليل يحضره العلماء والأمراء فجلسوا وانفض المجلس عن غير شيء، وبينما الشيخان ينتظران الجلسة الثالثة الموعود بها صباحاً إذا البغاة يشدون راحلين ونبذوا العلماء ونصائحهم خلف ظهورهم فرجع العالمان الشيخان يشكوان إلى الله حالهم.

وكان قد رأى رجل من الصالحين في تلك الآونة في منامه «كأن الأسواق مملوءة دماً» فعبّر بها معبر بأنه سيجري ملحمة بين المسلمين، وحدثني الأخ الفاضل عبدالمحسن بن عبيد قدس الله روحه قال سمعت تكبير حميدان وهو في ناحية المسجد، وحميدان هذا أعرابي جاء يتعلم القرآن والسنة ويتردد بين أهل العلم للتعلم وكان محباً لأهل الدين سمحاً ذكياً قال فلما سمعت تكبيره أتيت نحوه فسألته عن ذلك الفزع فقال رأيت في النوم بيوت الشعر تدور على الإمام

عبدالعزیز وجعل یبکی ویصف ذلك الدوران قال فدهشت لذلك، ورأى بعضهم ملائكة تطير بين السماء والأرض بعضهم على صورة الغنم، وكل هذه المنامات حوالی الوقعة.

ذكر وقعة السبلة سنة ١٣٤٧هـ

لما نزل ابن سعود القصيم وكان قد ضرب لأعوانه وأحزابه من الحضر والبدو ميعاداً ليوافوه بها وكان ذلك بعد عيد الفطر، ولما اجتمعت الجموع عباً جيشه وعزم على المسير من بريدة إلى العصاة في موضعهم في حين أن زعماء الفتنة قد جمعوا جموعهم واستعدوا لخوض غمار الحرب ضد ابن سعود حتى يقهره، وكان ولي العهد سعود بن عبدالعزيز في «النبقية» معه ثمانية آلاف من الجيوش الحضرية وعشرون ألفاً من الهجر انتظاراً لأبيه فسار صاحب الجلالة بنفسه حتى قدم على سعود ثم أنه قام البطل الغلاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن فقاد الجيش بنفسه وعسكر بالزلفي في حين أن الدويش وابن بجاد قد عسكرا بالسبلة وبين المنزلين ثلاث ساعات، هذا وما كان ابن سعود لينسى جميل أحد وماضيه بل ما زال يدخر في نفسه السمحة الطيبة ودأً لفيفل وابن بجاد ولم يقطع الرجاء ما دام يجد للصالح موضعاً فبعث إليهما بطلب منهما أن ينزلا على أمر الله ورسوله فيما أتيا من الأعمال وأخذ الرسل يروحون ويغدون بين الطرفين ثم غادر ابن سعود الزلفي إلى السبلة^(١) نفسها ونزل على مقربة من جموع العصاة وقد كان العدو تحصنوا وراء جدار حصين قد تمنعوا، وجيشهم يبلغ أربعة آلاف أو يزيد.

(١) السبلة تقع في مستوى أرض يعلوه حصباء بنية يقدر طولها شمالاً وجنوباً باثني عشر كيلو وشرقاً وغرباً بعشرة كيلو مترات ويقع في شرقها تلال فيها مزابن اتخذها البدو البغاة، ومتاريسهم عبارة عن أكوام حجارة فوق التلال نصب الملك عبدالعزيز خيامه في مستوى من الأرض يسمى «السملق» ثم مشت الجنود السعودية من الخيام إلى جهة البغاة، تحد السبلة شمالاً بكتب رمال، وجنوباً بوادي مرخ المشهور، وغرباً بجبل يدعى طويق يخترقه الطريق بينها وبين الزلفي عشرون كيلو تقع عنه شرقاً وعن يسار الذهاب إليها من الزلفي في جبل طويق مرتفع يسمى أم الذر.

أما جيش صاحب الجلالة فقد بلغ أربعين ألف مقاتل، عشرة أضعاف جيشهم.

فبينما كان في مجلسه إذ دخل عليه رسول من سلطان بن بجاد يحمل إليه كتاباً منه فلما دخل لم يسلم على ابن سعود لأنه في زعمهم مبتدع هذا الذي حمله على عدم السلام فنار ابن سعود لهذه الإهانة أنفاً على ما صدر وصاح بالرسول من أنت ألسنت «ماجد بن خثيلة» وأخذ يسرد عليه تاريخه أتدخل علي ولا تسلم اذهب من فورك إلى الذي أرسلك وأخبره أننا قادمون عليهم للهجوم غداً فإذا أرادوا أن يحقنوا دماءهم فليستسلموا بلا قيد ولا شرط والشرعية هي الحكم بيني وبينهم وهؤلاء العلماء حاضرون قم واذهب إلى رفيقك فمضى ماجد إلى سلطان بن بجاد وأخبره بجواب ابن سعود الذي صمم على الحرب أو استسلام خصومه بدون قيد ولا شرط، فرأى الدويش المخادع أن يذهب بنفسه إلى ابن سعود ليرى ما عنده ويختبر قوته فلما أن وصل إلى مخيم السلطان أخذ يتملق ابن سعود ومن معه وتظاهر بالرضا والغبطة ثم طلب إليه أن يعفو عنه وعمن معه عفواً عاماً حتى رضي بأن يعفو عن دمائهم وعن أموالهم يدع أعمالهم إلى الشرع يحكم فيها فشكره الدويش وأثنى عليه وطلب أن يبيت عنده ليبرهن على توبته وإخلاصه وعدم مشاطرته سلطاناً رأيته وعرف ابن سعود أن ذلك خدعة منه فقال له قم واذهب إلى قومك ونم عند أهلك وموعدكم شروق الشمس من غد فإن كنت صادقاً فتتح عنهم وإن لم تكن صادقاً فسترى وخامة العاقبة والله ولي الصابرين، فغادر الدويش المعسكر واعدأ بالجواب فجراً فما رآه قومه حتى استقبلوه وسألوه عما رأى فوقف أمام الجموع شاخاً متغطرشاً، وقال لما سألوه ماذا رأيت مجيباً لهم.

يا قوم رأيت حضرياً ترتعد فرائصه من الخوف وكل من معه طبايخ لا يعرفون إلا النوم على الدواشع ابشروا يا إخوان بالغنائم بالكسب فلقد وجدت لديهم حلالاً كثيراً يعني أنعاماً ورأيت عندهم أموالاً عظيمة فابشروا بالغنيمة التي لم تغنموها من قبل ابشروا بالكسب الذي لا تحلمون به غداً سنقهز هذا الطاغوت ونستولي على ماله، وانتظر ابن سعود جواب الدويش حتى الصباح حتى الشروق

فلم يأتِه جوابه بل رأى جموع الأشقياء مستعدة للقتال، أين الدويش أين الجواب تالله إنها لحالة مزعجة فعند ذلك أمر ابن سعود جنوده بالاستعداد وعبأ جيوشه ونشر راياته المنصورة فوثب هو إلى فرسه وتقلد بندقيته وشد على وسطه حزامه وتمنطق بسيفه المشهور «رقبان» الذي مزق به كل خصومه، وجمع جنوده ورتبهم ترتيباً عسكرياً فجعلهم صفاً واحداً على مسافة طولها ثلاث ساعات، وأما الخيالة فقد قسمهم قسمين قسماً جعله جناحاً أيسر تحت قيادة أخيه البطل الشجاع محمد بن عبدالرحمن وقسماً آخر جناحاً أيمن وجعله تحت قيادة ابنه الليث الباسل سعود وأشار إليهما أن لا يدخلتا المعركة إلا بأمر منه، أما هو فقد وضع نفسه في القلب وحوله أبناؤه الصناديد المغاوير وأبناء اخوته والأمراء من آل سعود والمماليك.

وكان ترتيب العصاة كذلك خط طويل عليه جنودهم وجناحان للخيالة وقد عزموا على أن لا تردد غير أنه ما ثم إلا الواقعة ثم يظفرون، ولن سواهم سيغلبون، ولن في وجوههم سيقهرون وامتلات تلك الصدور من الأمانى وهيئوا الأسلحة التي بزعمهم القواضي، فلما كان في الساعة الأولى من صباح يوم السبت الموافق ١٩ شوال برز ابن سعود على «الصوتية» أحب أفراسه إليه يختال في السير بين الصفين «ورقبان» الصمصامة يهتز في يده ثم تراجع بفرسه خطوات ثم تقدم ثم تأخر ثم صاح بها صيحة الحرب المدوية فإذا «بالصوتية» كالبرق وخلفها الأبطال آل سعود المقدمين على خيولهم العربية الكريمة يطيطون، وكان قد عزم على أن يتولى القيادة، ولما رأى أبناء الملك واخوته وأسرته أنه يريد أن يخوض المعركة بنفسه لم يقدرُوا على مصارحته ثم اجتمعوا وبكوا أمامه وإنهم سيكفونه ذلك إن شاء الله فذهب إلى ربوة وأحرم بركعتين، وهجم الجيش السعودي خلف القائد العام فالتحمت المعركة ووصلت في الدقيقة العاشرة وقد حمى الوطيس واستعرت الحرب وثبتت العصاة للوثبة الأولى ولم ينكسر صفهم التماسك ثم صاح الجيش السعودي صيحة أخرى أشد دويماً وهولاً وأعظم رعباً من الأولى وجالت قواد الجيش السعودي في الميدان فجعلت بنادق الجيش السعودي وسلاحه تفلق الهام وتطيح الرءوس وتسيل الأرواح في وقت أظلم فيه الجو وطاشت سهام العدو بين السماء

والأرض وجعلت السهام السعودية تسدد إلى العدو فما تقع إلا على لحم فما كان إلا نصف ساعة حتى صارت الهزيمة على الدويش وأتباعه فولوا الأدبار منهزمين لا يلوي أحد على أحد بعد ما كادت القوات تحصدهم حصداً، وأراد الجيش الباسل السعودي المنصور أن يلتهم العدو التهاماً وأن يتتبع الفارين فمنع صاحب الجلالة من ذلك تادباً مع الشريعة في قتال البغاة، وولى سلطان بن بجاد ناجياً بنفسه ويصبح للمنهزمين بالفرار، وتقدم «صالح بن محمد المردسي» حامل راية أهل بريدة بأمر الأمير لجيشها وقائد غزاتها حمود بن صالح بن مشيقح فنصبت الراية بين خيام العدو، وقد ظن صاحب الجلالة أن هذه الضربة قاضية على العدو.

وكان «رقبان» سيف ابن سعود لما ضرب رجلاً من العدو على عنقه نفذه السيف كلمح البصر والرأس في مكانه فظن ابن سعود أن الضربة أخطأته فرفع السيف وقبل أن يهوي به انتفض القتيل وسقط الرأس لكنه لما ضربه أخرى مرادفة بعد سقوط الرأس عن جسمه قدته نصفين وشطرت القلب شطرين، وقد أبيد معظم البغاة.

ولما فر القائدان فيصل الدويش وسلطان بن بجاد قصداً الأرطاوية ثم رأى الفارون منهم أن لا ملجأ لهم من ابن سعود بعد الله إلا إليه وهم رءوس الشر والفتنة فكتبوا إليه يطلبون العفو والأمان ويذكرونه بماضيهم الجميل وبعثوا إليه يستعطفونه ويتوسلون فأجابهم ابن سعود بأنه لا ينكر ماضيهم الجميل ولا ينسى حاضرم القبيح وذكر لهم أنه عفو كريم ولا سيما عند القدرة على أخذهم ومحو آثارهم وسيكل أمر عملهم إلى الشرع الشريف.

ولما جاءهم الجواب خافوا على أنفسهم كما قيل «أسأت لي فاستوحشت مني» فبعث الدويش وابنه النساء والأطفال إلى ابن سعود في مقره بالسبلة مستشفعين مستعطفين ولما أن وصل النساء والذرية في صباح اليوم العشرين من شوال إلى مقر ابن سعود في بكاء وعويل رق قلبه لهم ولم يتمالك نفسه من البكاء فأصدر أمره

السامي بالعفو عن الدويش وابنه^(١) واشترط عليه أن يسلم ابنه حالاً وأن يبقى هو بالأرطاوية حتى يشفي من جراحه ثم يسلم نفسه وأن لا تكون له علاقة ما بعد الآن بقبيلة مطير، فرضي الدويش واستسلم ابنه عبدالعزيز فسلم نفسه إلى ابن سعود، وظل فيصل الدويش المشخن بالجراح يعالجه طبيب ابن سعود الخاص يعنى بأمره ويسهر عليه.

أما سلطان بن بجاد فإنه لما علم بعفو ابن سعود عن زميله، وأن سيد الجزيرة قد منّ عليه استسلم هو إلى ابن سعود وبعث إليه بكتاب يستأذنه فيه بأن يسمح له بمقابلته، وليصنع به بعد ما يشاء، فأجابه ابن سعود بأن الجنود حانقون عليه ومتبرمون، ويخشى إن قدم عليه أن يناله منهم مكروه، فإن كان صادقاً في طلبه وكلامه فليمض إلى شقراء أو ليسر إلى الرياض فيسلم نفسه لحاكمها، فذهب ابن بجاد إلى شقراء وسلم نفسه، فأمر ابن سعود أن يسجن لأنه كان خطراً على الأمن العام ويخشى انتفاضه، لأنه قد طالما كابد منه ومن أمثاله نكث العهود وتمزيق المواثيق، ففي إطلاقه ومنحه الحرية تمهيد للعبث والفتنة من جديد، فرأى أن يبقيه معتقلاً اكتفاء لشربه حتى يتوب، وقد كفانا فعل زميله، ففضى في السجن بقية حياته رحمه الله تعالى، ثم مضى بعد ذلك ابن سعود إلى الحجاز للحج.

(١) سياي في الجزء الخامس في ترجمة الملك عبدالعزيز لما ذكرنا أخلاقه ومعاملته لأعدائه قصة عجيبة في معاهدة الدويش لما استجار بابن سعود وانطرح بين يديه تشفه له نساته وأطفاله، وكيف عامله الله بنقيض قصده وهي حالة مزعجة، نسأل الله العافية، فعلى من عاهد بالله وأطعاه أن يفى بالعهد لأن لا يحيق به مكروه لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَلَامٌ مَّسْئُولٌ﴾ [الإسراء: ٢٦]، ويقول ﷺ عن الله تبارك وتعالى: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه، رجل أعطى بي ثم غدر.... الخ.

ذكر انتفاض الدويش ، عياداً بالله

وقد قال بعض أدباء الشعر بيتاً جميلاً وأحسن ما قيل في إكرام اللثيم:
ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقي الذي لا قى مجير أم عام

لما سار صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل قدس الله روحه وجعل الجنة مثواه، وذهب إلى الحجاز ليشهد الحج في موسم هذه السنة، وكان قد تمكن من أعدائه لأن الله تعالى أباد خصراهم وعاملهم بنقيض قصدهم، ثار الدويش بعما شفي من جراحه الخطرة واستعاد قوته ونشاطه، كما استعاد ابنه الحرية واتصل بأبيه، ومن أعظم فساداً من الدويش وابنه، ومن أشد منهما جحوداً للجميل ونكراناً للصفح، وكان لما عفا عنهما صاحب الجلالة ومن عليهما بعد إلحاح، وهم شر الجنة، لم يستمرنا طعم العفو لأنهما فطرا على النهب والسلب، فأعاد المفسدون الكرة وظنوا أن الجو في نجد قد خلا لهم، فما ثم من بأس أن طاروا أو حلقوا وسعوا بالفساد، فغادر الشقي وابنه الأرطاوية بجنودهما وأقاما بين الكويت والإحساء وانضم إليهما «ضيدان بن حثلين» فأخذوا يشنون الغارة على الأمنيين ويقتلون ويسلبون وينهبون الأموال والأنعام حتى أمسوا وربك خطرهما على الأمن، وما أفاد فيهم النصيح والإرشاد ولا الزجر والتهديد، بل انقطع الطريق بين نجد والإحساء وبين نجد والحجاز، حتى كادت المواصلات تنقطع بين مدن المملكة العربية السعودية، وقامت عتية تغير على القوافل وتقتل الرجال والنساء والأطفال، وكذلك الدويش ومن معه، وأصبحت ثوراتهم تنذر بالويل والخراب، لذلك انتدب الأمير فهد بن عبدالله بن جلوي وخرج بنفسه ودعى بضيدان بن حثلين إليه في معسكره، ولما أن جاء إليه ولبث عنده قريباً من الزوال إلى حوالي الساعة الثالثة ليلاً خاف العجمان على رئيسهم ولم يشكوا في قتله لأنه لم يتأخر عن ميعاده الذي ضربه لهم إلا لعائق الموت، فثاروا متحمسين وتبايعوا على المود وتجردوا من ثيابهم وخرجوا عراة غير مبالين، أولئك العجمان الذين شرهم أشهر من أن يذكر وخياناتهم تذكر ولا تنكر، فأعظم بهم غدرًا وجراءة ونكايًا.

كان ضيدان بن حثلين رئيس قبيلة العجمان الثالثة الأثافي، وكان من المتآمرين ضد الملك عبدالعزيز، وكانت الرسل تتردد بينه وبين الدرويش، إلا أنه لم يحضر واقعة السبلة ولا أحد من قبيلته، وكان أمير المنطقة الشرقية عبدالله بن جلوي بن تركي يعرف دخيلة نفسه وما ينطوي عليه، فجهز ابنه فهداً في سرية ومعه «نايف أبو الكلاب» أفراد أسرة الحثلين إلى «الصرار» هجرة ضيدان بن حثلين للقبض على ضيدان لإطفاء جمره البغاة والقضاء عليهم، فسار فهد بن عبدالله في ذي القعدة من هذه السنة ونزل على بعد مسيرة أربع ساعات من الصرار، وأرسل إلى ضيدان كتاباً يقول فيه: إنه يريد الغزو على بعض القبائل المتمردة ويرغب في مقابلته لشاورته والأخذ برأيه، فكتب له ضيدان يدعوه لدخول الصرار للضيافة والمشاورة، فأبى إلا أن يأتيه بنفسه، فاستشار ضيدان بعض جلسائه فأشاروا عليه بعدم مقابلته، فأجابهم بأنني لم أدخل الفتنة ولا أحب إظهار المخالفة، وخرج من الصرار معه خمسة رجال على خيولهم، وقدموا على فهد بن عبدالله، وبعد تناول القهوة دعاهم رجل من خاصة فهد لتناول القهوة في خيمة خاصة، ولما استقروا فيها أمر فهد بتقييدهم بالحديد لإرسالهم إلى والده، وبقوا مكبلين بالحديد بقية يومهم، ولما أن كان بعد صلاة العشاء الآخرة لم يرجع ضيدان إلى بلده، فأيقن قومه بالشر وخرجوا عن بكرة أبيهم لمهاجمة فهد وفك ضيدان بالقوة، ولما قربوا من السرية أحاطوا بها وأطلقوا عليها الرصاص، وحينئذ أمر فهد بن عبدالله بقتل ضيدان ومن معه، فضربت أعناقهم والتحم الفريقان، فقام «نايف بن حثلين» والذين معه من العجمان الذين خرجوا مع فهد بن عبدالله من الإحساء حين علموا بقتل ضيدان وقتلوا فهد بن عبدالله وتحيزوا إلى قومهم وقضوا على السرية وأخذوا جميع معداتها وذخائرها وأسلحتها واقتسموها، وأنظم «نائف أبو الكلاب» إلى قبيلة للعجمان وتزعمها ثم غادروا هجرتهم الصرار، ولما انضموا إلى الدويش الذي سارع بعدما عادت إليه صحته واندمل جراحه ونقض عهده، جاءهم «ابن مشهور» في جماعته من عنزة وعقدوا الرأي على احتلال الإحساء والمدن الساحلية كالجبيل والقطيف،

وفي طريقهم ذلك قيل لهم أن أحياء من العوازم نازلون على ماء يقال له «رضي» فظمعو في أخذهم وسلب أموالهم، فساروا إليهم وصبحوهم وهم غادون لا يعلمون بما بيتوا لهم من المكر، فثارت العوازم في وجوهم مدافعين عن الأنفس والأهل والمال فأعملوا في الدويش والعجمان الرصاص والسيوف والسكاكين وعمد البيوت والحجارة، وأنزل الله عليهم النصر من السماء فقتلوا أهل الرايات وهزمهم العوازم شر هزيمة لا ينمحي عارها، لأنهم يرون أن العوازم لا يكافئونهم في الشرف والشجاعة، وما النصر إلا من عند الله.

ولما أن كان بعد مدة يسيرة لا تزيد على شهرين أعادوا الكرة على العوازم، وليستعيدوا شرفهم وسمعتهم وهيبتهن، فجمعوا فلولهم، وكانت العوازم تترقب غزوهم فاجتمعوا على ماء يدعى «نقير» وسار إليهم العجمان والدويش وابن مشهور، فالتقوا على ذلك الماء وجرت واقعة هزم فيها الدويش والعجمان وأتباعهم شر هزيمة، وقتل كثير من رجالهم وعادوا خائبين.

وفي هذه الآونة قتل الشيخ عبدالرحمن بن صعب، قتله جماعة ابن مطوي، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم القاضي أبو سليمان عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن الشيخ صعب آل تويجري وآل تويجر من عنزة يسكنون الجمعية، ثم تفرقوا إلى سائر البلدان، وفيهم كتاب وعلماء وأدباء رحمه الله تعالى وعفى عنه، ويلقب «دحيم»، كان المترجم مربوع القامة وجميل الصورة جداً، أبيض اللون مشرباً بالحمرة، حسناً حليماً محبباً إلى الناس، ولد في سنة ألف وثلاثمائة وأربع عشرة، وتوفى عن عمر يناهز الثالث والثلاثين، وكان من خيرة تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وقد لازمه في الحضر والسفر، وله همة في طلب العلم النافع السعي في تحصيله، ولديه كتب كثيرة قد استحصلها، وكان جهوري الصوت، حسن القراءة إذا أخذ في القراءة، وددت أن لا يسكت لفصاحته وجودة لفظه وتولى قضاء إحدى الجهات الحجازية، وكان قتله غيلة، نسأل الله العافية، وكان مسكنه في مدينة بريدة.

وفيهما بل في مستهلها عين الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين رئيساً للقضاة في الحجاز، فباشر مهمته بجد ونشاط، وكان قوياً متواضعاً لا يحمل التواضع على الضعف، ولا تحمله القوة على الجبروت، وكان محظياً لدى الملك عبدالعزيز يكرمه ويعظمه، وسيأتي للشيخ بقية ذكر في ترجمته في سنة وفاته.

وفيهما تم طبع تفسير الحافظ ابن كثير وتفسير البغوي وقد جعل الأول في عالي الصحيفة، والثاني بأسفلها والطبعة حسنة جميلة جداً إذ لم يطبع التفسير أن إلى الآن كمثل تلك الطباعة مفصلاً بينهما بجدول فجاء على أحسن وضع وبلغا تسع مجلدات كبار طبعاً بمطبعة المنار بمصر، وبمصر وذلك بنفقة الملك الصالح الموفق «صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود» أثابه الله تعالى الجنة.

وفيهما في نهاية ربيع الثاني تم العمل في إصلاح المسجد الحرام وعاد متقناً على رونق وبهجة وجمال وقد صرف جلاله الملك على ذلك العمل ما يربو على ألفي جنيه ذهب، وكان هذا التبرع من جلاله الملك أيده الله، ونال القائم بهذا العمل وهو الفاضل عبدالله الدهلوي من الإمام عبدالعزيز القدر اللائق بعمله لأنه قام بما يرام، كما قام أيضاً بعمارة عين الوزير بجدة بعد اندثارها نحو ستين عاماً حتى أعادها إلى كانت عليه من الجريان المطلوب.

إضاءة المسجد الحرام بالكهرباء

لما كان في ابتداء شعبان من هذه السنة أمر جلاله الملك عبدالعزيز بتجديد عموم اللمبات التي بالمسجد وزيادتها وبلغوها ألف لمبة، فعمل ذلك فعلاً في تلك السنة ولم يهل شهر رمضان حتى صار المسجد الحرام مضاءً عمومه بالكهرباء، وكانت تستعمل الماكنة الكبيرة من قبل الغروب إلى الساعة الرابعة ليلاً، ثم توقف الكبيرة وتستعمل الماكنة الصغيرة من الساعة الرابعة ليلاً إلى قبيل أذان الفجر بنصف ساعة ثم توقف الصغيرة، وتستعمل الماكنة الكبيرة إلى وقت الأسفار وعلى ذلك يكون باستمرار

العمل من ابتداء شهر المحرم إلى نهاية شهر شعبان، فإذا دخل شهر رمضان ابتدأت الإنارة بالماكنة الكبيرة تضيء الليل كله من قبل الغروب إلى الإسفار، ويستمر العمل على ذلك شهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة، فلما استمر السير على ذلك ظهر أن الماكنة الكبيرة لا تكفي قوتها بأن تضيء ألف لمبة كما ينبغي، فصدر أمر جلالة الملك ابن سعود قدس الله روحه بأن يضم على الكهرباء عدة لمبات لوكس لأجل أن تصير الإضاءة كافية لإنارة المسجد الحرام، فضم نحو ثلاثين لمبة في قوة ثلاثمائة شمعة، واستمرت الإضاءة إلى ما سنذكره بعد ذلك إن شاء الله تعالى، وبذلك نحيط علماً بجلالة هذا الملك العظيم وسعة تدابير وأعماله، فما كان ليشغل باله العمران وإصلاحات الحرمين الشريفين عن طبع كتب أهل السنة، وتكبد الخسائر على ذلك عن الجهاد والقتال وإطفاء الثورات الداخلية.

ثم دخلت سنة ١٣٤٨هـ

استهلت هذه السنة والدويش مقيم على العناد والتمرد، وقد عاد الكرة على المسلمين وظن أنه أصبح ذا شأن وأراد أن يكون كابن سعود أو أعظم منه، وحسده ونفس عليه ملكه، وبعث ابنه عبدالعزيز إلى «لينة» للنهب والسلب والإفساد، وأصبحه بكبار مطير وبرجال آخرين شجعان حتى بلغ عددهم ٧٠٩، فما رأى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن السعود صنيع عتبية وما ارتكبته من القتل والنهب جرداً حملة قوية من عتبية الموالية له وضرب بها عتبية المعادية ضربةً دوختها، وقوى الحامية في نجد والإحساء والحجاز، ثم طفق يفكر في الوسيلة التي تمكنه من المتمرد العنيد الباغي فيصل الدويش الذي لا ينفع فيه عفو ولا إحسان، ولا يعبأ بعهد ولا ميثاق مهما كان، فلم يجد إلى القوة فهي وحدها الكفيلة بأن تقضي على الفتن والشرور، لكن كيف الحال وقد صعب أمره واجتمع على رأيه بقية أذنابه وسار بانه عبدالعزيز بتلك الجموع للإفساد والتدمير.

ولما أن بلغ عبدالعزيز بن الدويش بأرذاله «لينة» لم يجدوا فيها أحداً فغادروها

إلى الحزول فوجدوا بها إبلاً وأنعاماً كثيرة فنهبوها ومضوا فرحين بغنائمهم التي ظفروا بها بدون قتال، فلما سمع صاحب السمو الملكي عبدالعزيز بن مساعد بخبرهم، وكان على «قبة» ومعه «الفرم» و«ابن نهير» خرجوا نحوهم، وكان ابن مساعد لما بلغه أمرهم لم يطق صبراً بل نهض مجدداً في السير بجنوده، وكان أحزم الثلاثة، ولما زحف الأمير ابن مساعد بما معه من الجنود يتبع آثار الجناة الذاهبين لم يجدوهم حتى وصلوا «البشوك» فاستراحوا قليلاً ثم غادروه إلى «أم أرضمة» وأقاموا بها ثلاثة أيام يستطلعون فيها أنباء الأشرار، فلم يقفوا لهم على خبر، فاضطروا إلى مبارحتها إلى لينة، فلما كان يوم السبت ٤ ربيع الثاني سار ابن مساعد بجيوشه يقطع القفار في طلب أولئك، فلما أشرف على خرق رغيب يسمى «طيارات» أبصر على البعد ولد الدويش ومن معه آيين من الحزول معه الغنائم الكثيرة يريدون ورد «أم أرضمة» فكانت عليهم حملة شديدة وطوقهم، فدام القتال خمس ساعات، ثم انتهت المعركة بقتل عبدالعزيز الدويش وجماعة ابن مشهور.

أما فرحان بن مشهور فقد كان غائباً لحسن حظه وسلم من القتل، وقتل رجال مطير وفر الأحياء منهزمين، إلا أن الجنود والفرسان السعودية طوقتهم فقبضوا على جميعهم، وكانوا مائتين من المقاتلة، فقدموا إلى المحكمة العسكرية التي يرأسها ابن مساعد، فحكم عليهم بالإعدام ذلك بأنهم بغاة جناة عاهدوا ثم نكثوا، ثم عاهدوا ثم غدروا، ثم عاهدوا ثم نقضوا وقتلوا الأبرياء، وما نفع فيهم عفو ولا صفح فأطار سيف الحق والعدالة مائتي رأس من رؤوس البغاة ليشاركوا إخوانهم في المعركة، وما نجى إلا رجلان استطاعا الفرار على فرسيهما من المعركة ومضيا إلى الدرويش، تلك وقعة «أم أرضمة» التي قتل فيها سبعمائة مقاتل من الفئة الباغية، وعادت على الدويش بالخيبة والفشل.

وقد أكثر الشعراء من القصيدة تهنته الظافر في تلك الوقعات عربياً ونبطياً، فمن ذلك قصيدة أنشأها الأديب صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين، ومنها قصيدة نبطية طويلة أنشأها ابن زيد صاحب الداخلة، ومنه قصيدة أنشأها الأخ في الله

الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر فقال: وما قال الفقير إلى الله عثمان بن أحمد بن بشر تهنة للأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي لما قتل الله على يديه ولد الدويش خبيث النية وقومه المرتدين في أم أرضمة عام ١٣٤٨هـ وقد استفصلته عنه كلمة كلمة، فذكر لي فتوى العلماء في ذلك:

| | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| يا خيرَ مرجو لكل الوسائل | لك الحمد يا مولاي العطاء |
| على كل باغٍ ناقض العهد خاتل | لك الحمد مولانا على نصر حزينا |
| مباركٌ ميمون الشمال فاضل | أتانا بشيرٌ من أمير مؤيد |
| صبورٌ جسورٌ في اللقى ذو فضائل | كريمٌ جوادٌ ذو تقى وشهامة |
| أديبٌ رحيبٌ من كرام أفاضل | وأعني به الضرغام نجل مساعد |
| وهمته العليا إلى كل طائل | يقود جنود المسلمين بعزمه |
| ذوي الزينغ والطغيان نسل الأسافل | فوفقهم ربي لحزبٍ ذوي الردى |
| أبادهم المولى بأسدٍ بواسل | فعدتهم سبع مئين مقاتل |
| عبيد عبدالعزيز ذو الحنا والدغائل | فمنهم رئيس الشر قائد جمعهم |
| سباع الفلا والطير خمص الحواصل | فاضحوا جثثاً في البقاع تزورهم |
| يريد من المولى جزيل الفضائل | فطوبى لمن ولاه ربي قتالهم |
| وعزاً وذكراً لم يكن للأوائل | فحيهم نال السعادة والمنى |
| مع الشهداء حيّ بأعلى المنازل | ومقتولهم نرجوا له الفوز والرضا |
| على كبت أهل الزينغ من كل خاتل | فله ربي الحمد والشكر والثناء |
| بطلقه مأمون السريرة فاضل | وذلك من فضل الإله وحده |
| إمامٌ همّاهُ ماله من ممائل | إمام الهدى عبدالعزيز أخي التقى |
| ثمّال اليتاما عصمةً للأرامل | إمام الهدى عبدالعزيز أخي الندى |
| ويحمي حمى السمحاء عن كل باطل | يصدق أقوالاً بصدق فعالة |
| ويا رب تكفيه سهام المقاتل | فيا رب تبقيه على الحق والهدى |
| ويا سامع النجوى مجيب المسائل | ويا رب يا مولاي يا فائق النوى |

أعذنا من الطغيان والزيف والردى وخذ بنواصينا لأسنى الفضائل
وأصلح لنا النيات فيما تقوله ونفعله يا مستجب الأرامل

تنبيه

قد قدمنا أن الدويش لما أن خذله الله تعالى وأثخن بالجراح جاء نسائه وأطفاله يشفعون له لدى ابن سعود، فرقّ له وعفى عنه وألزم طبيبه الخاص «مدحت شيخ الأرض» أن يداوي جراحه ويتعاهد صحته، كما أن الأمير سلطان بن بجاد سلم نفسه إلى ابن سعود بعد فراره من موضع الواقعة «السبلة» إلى الغطف، فأمر به ابن سعود وأناس معه أن يودعوا في السجن، ولما لبث في سجن الرياض عدة سنين نقلوا إلى سجن الإحساء ووافتهم المنية هناك فالله المستعان.

وكان صاحب الجلالة عبدالعزيز بعدما انتهت الواقعة عاد إلى شقراء، وبعدهما ألقى القبض على ابن حميد أمر ابنه سعوداً أن يذهب إلى هجرته الغطف ويأخذ جميع ما فيها من السلاح، ثم يهدم الهجرة ويبيدها، فنفذت الأوامر بسرعة ذلك جزاء بما كسبت يده، ثم إنه بعدما رجع ابن سعود من الحج سير خالد بن محمد بن عبدالرحمن الفيصل ومعه سرية من الجند إلى عتيبة لتأديب «مقعد الدهينة» ومن تبعه من عتيبة وبني عبدالله وأمر عمر بن ربيعان رئيس قبائل عتيبة الموالين لابن سعود أن يسير لمساعدة الأمير وخرج خالد بن منصور بن لؤي ومعه جند كثير من أهل الخرمة ورنية وما حولها لتأديب الخارجين كما أنه زحف محمد بن سحيمي أحد رؤساء قحطان ومعه جند كثير من أهل الحجاز لهذه الغاية فلما رأى «الدهينة» وأصحابه من عتيبة وبني عبدالله من مطير أن الأخطار قد أحاطت بهم تشتتوا وفر الدهينة وجماعة معه من العصاة فانضموا إلى الدويش وأبي الكلاب، والعجمان غير أن الله تعالى ألقى عليه الذل فكسروا وعادوا خائين كما تقدمت الإشارة إلى ما صنعه بهم العوازم.

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين الأديب الشاعر من أهالي بريدة

مهتأ الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل في واقعة السبلة التي بينه وبين
الإخوان سنة ١٣٤٧ هـ التي تقدمت:

أهذا ضحى عيد يلي ليلة القدر
لقد جاءت البشرى بأن ذوي الهدى
فكاد لها عقلي يطير مسرةً
لك الحمد يا من لا يخيب آملاً
لقد كنت أوعدت الظغاة مذلة
ولكن وعدت المستقين وإن بلوا
فصار كما أوعدهم ووعدتنا
أراد بغاةً أن يعيشوا بديننا
وأن يستريحوا ما لنا ودمائنا
فقام إمام المسلمين يؤمهم
أجبيوا الذي قال اشترت نفوسكم
فبيعوا فما وازى الشهادة رتبةً
فإن تقتلوهم تظفروا بسعادة
أجابوه في ليك فالكل بائع
لتنصر دين الله فامض لما ترى
فمن لم يمت قتلاً يموت بغيره
فقال سندعوهم إلى سبل الهدى
ونادى بهم يا قومي^(١) اتدوا ولا
وهذا كتاب الله يحكم بيننا

أم البشر أن الدين قد حف بالنصر
أبادوا العدا من ذي الخيانة والمكر
وبادرت نحو الأرض لله بالشكر
كما أنت أهل الحمد يا والي الأمر
وأن بلغوا عدا الجراد من النشر
ليجزوا بما قاسوه بالفوز والظفر
ففزنا وباءوا بالعناء مع الخسر
وأن يفسدوا في الأرض في البر والبحر
وأن يهتكوا ما للعباد من الستر
وناداهموا حياً على أمة النكر
يجنات خلد لا تبعد مدى الدهر
ومن يشق الحوراء يبذل المهر
ويشقوا أليس الجبن قاصمة الظهر
على الله لا ينبغي جزاء سوى الأجر
ولا تبتئس فيما أتت عصبة الشر
ومن لم يجاهد ذل في ربقة الأسر
عسى أن ينيوا للنصوص وللذكر
تشقوا عصا الإسلام بالبغي والدعر
وسنة هادي العالمين من الكفر

(١) تكسر الميم والياء ضرورة للوزن.

وأن تقصدوا مالاً فمدوا أيديكموا
فلم يرفعوا عن غيهم وضلالهم
فصال عليهم صولة فأبادهم
وسل بهاتيك اليمين مصمماً
وأسقاهموا كأساً من السم ناقعاً
وصاد أسود الخيل وهي عديدة
فبين قتيلٍ أو طريدٍ مشره
وكل رئيس مد عنقاً تطاولا
وأضحى صريعاً بين أظفار ضيغم
وباقهموا ظلوا يتيهوا ولو بقوا
وأجلاهوا في رغمهم عن ديارهم
فيا ساعة فيها الثكالى جيوبها
سلي الخيل عن فعل النهيك بحافظ
هزبر إذا ما قد رآته تفردت
وما نكلها يسطاعها بأعنة
فيا معشر الإسلام طراً هنيئكم
هلموا قنوتاً في بقاع سميع
جواد خضم أريحى منجد
وتابعه في كل هذا سلائل
لقاصده سهل الجناح وللعدا
حمى الدين والدنيا جميعاً عن الخنا
وأظهر دين الله حسب كتابه
وبالخلفاء الراشدين له اقتدا
وأوهب كل المذنبين نفوسهم

إلى ما تريدوا من عروض ومن تبر
فقال وأنى بعد هذا من النذر
كان لم يكونوا بالمهندة البتر
لهم تقذف الأمواج شعلاً من الجمر
فاسكنهم بعد الفضاء ظلمة القبر
وكرهم إذ أحجم الأسد عن كر
وبين كسير ليس للكسر من جبر
إلى الملك صار العنق من بعد للجزر
وإفلاذه دارت على الناب والظفر
لا لحقهم رغماً بسيدهم عمري
وما ظنهم هذا يكون إلى الحشر
تشق ولكن مفرح الذيب والنسر
تجد عضبه قدايهم الجون بالشقر
تطير إذا أنحت بأجنحة الكدر
من الروع فرت كالظليم من الذعر
بنصر يحل المغلقات من الأمر
أزاح ظلام الظلم كالليل والفجر
حسب قفا أصلاهموا منيع الفخر
فأخلاقهم بالدر إن قستها تزري
يجرع كاسات أمرٍ من الصبر
وصانهما عمن بغى بالقنا السمر
وللسنة الغراء يقفوا على الأثر
ولم يرضى خلفاً في ذراع ولا شبر
لعفو وإحسان عليهم مع القدر

وقابل بالرفق الضعيف تكرماً
فلإن تفتخر فرس علينا بقيصر
وإن قدمت روم هرقل بجليّة
ولو كان في نادي الوفاء سموئل
وما اجتمع الاثنان إلا لواحد
وقد كان معن في السخاء وحاتم
فلو أن أرباب الدرادي بكفة
وإن خضت في بحر الفصاحة لا تقل
فدونك يا عبدالعزيز لمخلص
دعاء بإخلاص الوداد فدمتم
ولا زلت محروس الجناب موفقاً
ولا زلت إن عد الملوك برفعة
ولا زال نادي المسلمين معطراً
وهاك قريضي قد أبان انتقاده
يقبل أرضاً خالعاً لنعاله
وها أنا أبدي العذر يا خير من أتت
فما أنا حسان ولا ابن ربيعة
فهذا وإنني في حوادث مشئت
وأفات دنيا ثم ضيق معيشة
سيقبل عذري كل حر وأن يكن
وما صغت هذا للقراء فلإنني
أقر بأنني كالطفلي بمدحك
فلو أن بدر التم أبعثه لكم
علمت قصوري في المديح وإنن

ولاقي بعز القهر طائفة الكبر
فخرنا به في رفعة الأنجم الزهر
يجيء سكيناً في الورود وفي الصدر
يوافي وفا الشهم ارتضى سمة الغدر
كعلم ومجد ثم حلم مع القسر
فرادى ولكن ذاك في العد لا النشر
دروا لاكتفوا عن خوضهم لجج البحر
لسحبان إلا صاحب العي والحصر
لدولتكم بالنصح في السر والظهر
ولا زالت الأقدار في حكمكم تجري
لإخماد نار البغي بالذل والقهر
كفاتحة القرآن يا زينة العصر
يدم عزه في ذكركم فائح العطر
وجاء على استحياء كخود من العذر
وحليته عقد التنصل في النحر
إليه مطي الوافدين فخذ عذري
ولكنني أبديت ما صاغه فكري
لي الذهن ثم القرن في رابع العشر
لسبع وعشرين مضت من سني عمري
فريضي لما قدمت هذياً لذي سكر
به مظهر من ودكم للهوى العذر
فمن لي بما آفي بما قلت في الشعر
قريضاً وباقي النجم في عنق الشعري
أسود قرطاساً من الشعر والنشر

بما عنده فالعفو من شيم الحر
وقد صنتها عن أن يحام حمى الخدر
وفيها فقد ترمي اللثام عن الثغر
وإن ترجعوها فالأسى لي مع الخسر
بمدد حكموا كالمسك فائحة العطر
وما ماضٍ برقي فوقه وابل القطر
وآلٍ وصحبٍ ما أضاء سنا البدر
وفي الكاف من شوال فاستفت من يدري

ولكن هذا ما أطقت ومن أتى
أتتك قصيدي مثل حسناءٍ غادةٍ
بساحتكم تلقى العصاء فريدةً
فإن تقبلوها يا سعادة حظنا
وخذ عدها سبعون بيتاً وخمسةً
وصلني إلهي كلما هبت الصبا
على أحمد المختار من نسل هاشم
ولما انتهت أرخ لشعر مهذبٍ

ومما قال الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن سوداء مهتئاً للظافر قال من أبيات القصيدة:

ولو لبسوا عماتهم بالذوائب
على وفق شرع الله رب الكواكب
وخائنهم فاردعه لو بالقواضب
على كل باغٍ خائنٍ ومشاغب
إذا لم يتب من فعله والمثالب

فلا تبن للأعراب مجداً فيطغهم
فما الدين إلا بالقلوب محله
وصادقهم أكرمه غير مبالغٍ
فلا يستقيم الملك إلا بسطوةٍ
فدو البغي والإفساد يقتل جهرةً

وقال أيضاً الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن سوداء:

على نعمة الإسلام من ذي المراحم
ذوي البغي والطغيان من كل غاشم
أولي الجهل والإفراط بين العوالم
على كل باغٍ خائنٍ ومصارم
فجرد سيف العدل لا سيف ظالم
محمد المبعوث صفوة آدم
فأعذر منهم طالباً للتحاكم

بدأت بحمد الله مرسى الدعائم
أهني إمام المسلمين بقمعه
أهني إمام المسلمين بقهره
أهني إمام المسلمين بجمله
إلى أن أبان الله كل خفيةً
دعاهم إلى حكم الإله وعبدته
فحدادوا عن التحكيم للشرع والهدى

إلى آخر القصيدة، وقال الشاعر المشهور محمد بن عبدالله بن عثيمين مهنتاً
الإمام الأفخم صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل:

| | |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| أبى الله إلا أن تكون لك العتبي | ستملك شرق الأرض بالله والغربا |
| أراد بك الأعداء ما لله دافع | كفاكهم لما رشيت به ربا |
| هم بدلو نعماك كفراً وبؤنوا | نفوسهم دار البوار فما أغبا |
| بغات تصدت للصقور سفاهة | فأضحت جزافاً في مغالبها نهبا |
| أرادوا شقاق المسلمين شقاوة | فصب الشقا ربي على أهله صبا |
| هموا أضرموا ناراً فكانوا وقودها | وهم جردوا سيفاً فكانوا به خدبا |
| دعاهم إلى الأمر الرشيد إمامهم | وقال هلموا للكتاب واللعنبي |
| وما كان من وهن ولكن تحنناً | عليهم رجا أن تمحو التوبة الذنبا |
| وما كان بالتزق العجول وإنما | يدبرهم تدبير من طب من حبا |
| فلما أبوا إلى الشقاق وأصبحوا | على شيعة الإسلام في زعمهم ألبا |
| أتاهم سليل الغاب يصرف نابه | زماجره قبل اللقا ترعب القلبا |
| له همم لا تنتهي دون قصده | ولو كان ما يبغيه في نفسه صعبا |
| بجيش يسوق الطير والوحش زجره | فلم ترى وكراً عامراً لا ولا سربا |
| وجرّ عليها كل أغلب باسل | إذا ما دعي في معرك للقنا لبا |
| فعاد غبار الجو بالنقع قائماً | تظن اشتعال البيض في ليلة شهباً |
| وأضحوا هدايا للسباع تنوشهم | تنوبهم يوماً وتعتادهم غبا |
| وراحت لطير الجو عيشي ونقري | ونادي وحوشاً في مكانها سغبا |
| فقل للبلغاة المستحلين جهرة | دماء بني الإسلام تبا لكم تبا |
| نبذتم كتاب الله حين دعيتم | إليه وقلتم بالكتابين لا نعبا |
| وقلدم أشقاكم امر دينكم | فأصبحتم عن شرعة المصطفى نكبا |
| نعم ثبت الله الذين تبوءوا | من الدين والإيمان منزلة رجا |
| هم حفظوا العهد الذي ختم به | فكانوا لأهل الدين منذ هاجروا وأصبحا |
| وهم صدقوا الله العهود وأمنوا | إمامهم صدقاً فلا لا ولا كذبا |

إمام الهدى إن العدو إذا رأى
ومن ألقاه للصداقة علة
فعاقب وعاتب كل شخص بذنبه
وقد رتب الله الحدود لتنتهي
إذا أنت جازيت المسيء بفعله
فمن سل سيف البغي فاجعله نسكه
بذا يستقيم الأمر شرعاً وحكمة
ومن تاب منهم فاعف عنه تفضلاً

له فرصة في الدهر بنزولها وثبا
يكن سلمه من بعد علتها حربا
فلولا العقوبات استخف الوري الذنبا
مخافتها عما به يغضب الربا
فلا حرج فيما أتيت ولا ذنبا
ومن شب ناراً فارمه وسط ماشبا
ويتزجر الباغي إذا هم أوهبا
فحسبهم ما قد لقوا منكم حسبا

إلى آخرها وهي جميلة، ولما أن انتهى الرجلان إلى فيصل الدويش ونعيا له ولده
وجنوده الخائبين سقط مغشياً عليه وأيقن أنه مقضى عليه لا محالة، فهذا ابنه يقتل
على يدي الأمير ابن مساعد وهؤلاء خير رجال مطير ذبحوا معه، ولم ينج منهم إلا
رجلان، أضف إلى ذلك وقعة السبلة التي أكلت أشجع شجعان قبيلته ولم يبق معه
إلى النفايات، لكنه جعل يظهر الشجاعة وقام مجتهداً على جميع الأنصار ضد ابن
سعود وذلك لأمر يريده الله به، فعياًذاً بالله من شر كل شرير قام وهو يقول: وهل
كان قتيلهم إلا قطرة من بولي وجعل يتجبر.

فلما رأى صاحب الجلالة أعمال الدويش وما ارتكبه من المخاطرات في إثارة
الفتن أهمه أمره وشدد في طلبه حتى خرج بنفسه في هذه السنة لطلبه والقبض
عليه مهما كلفه الأمر، ولن يعود بدونه ليضرب ضربته القاضية ثم زحف
صاحب الجلالة عبدالعزيز ابن السعود بجيش خميس يبلغ عشرة آلاف مقاتل،
وبينما كان في الطريق وصل إليه خبر يفيد أن محسناً الفرم ومعه من عربان العراق
ابن طواله وابن سويط هجموا على الدويش لأنهم موتورون منه ومن قومه،
فنهبوا ما استطاعوا وأشعلوا النار في خيمة الدويش نفسه ثم غادروا وهم لا
يعلمون بمسير ابن سعود فأمسى الإدبار ملازماً للدويش حتى ضاقت عليه
الأرض بما رحبت وتنكرت له المدن الكبار والصغار ثم القرى ثم أنكرته

الصحري ولم تسعه على رحبها ومناكبها وصار المسكين طريداً في الفلوات والجبال، فبعث وفداً إلى ابن سعود برئاسة «الحميدي بن مفلوح» ومعه كتاب لابن سعود بتاريخ ٩ رجب ١٣٤٨هـ معناه: أن خروجه كان مقدراً عليه ويرجو أن يعفو عنه ولا يلجئه إلى الكفر بإصراره على الانتقام منه وهو الضعيف العاجز، فأجابه ابن سعود بتاريخ ٢٨ رجب بكتاب قال فيه:

لا شك أن الأمور كلها بيد الله والإيمان بالقدر واجب، ولكن الحجة به باطلة وأنت بعثت هذا الوفد وأنت تريد منه أربعة أمور:

أولاً: الالتجاء إلى بعد أن سد الله في وجهك الطريق وأراك عجزك ومقته إياك، ولم تبق لك حيلة تستطيع أن تحتالها فلجأت.

ثانياً: عدت إلى المكر فتقول للناس بعد ذلك إذا أردت أن تمكر بي ثانية أني أفعل ما أشتهي ثم أركب لابن سعود راعي ذلول يأتيني منه بما أشتهي.

ثالثاً: تريد أن تكون صادقاً عند من طلبتهم المساعدة، فلم يدوها إليك أن قلت لهم إذا لم تعطوني مطلبي فسأمضي إلى ابن سعود وأصلحه ثم أغير عليكم وأفعل بكم ما أريد.

رابعاً: تريد بحياتك يا فيصل الدويش غيظاً للمسلمين الذين قتل بعضهم بعضاً بسببك إن عفوت عنك، كنت أحب أن لا يصليني خطابك ووفدك لأضربك الضربة القاضية، ولكن وقد جائي فلا مانع من أن أعطيك الأمان لتقوم الحجة عليك، أعطيك الأمان فإن قبلت سلمت ذمتي وإن رفضت أعان الله عليك، وإن كان لديك بقية من الشر تستطيع أن تتماذى فيها، فالله خير كافٍ وإلا فاقبل أنت ومن معك في جهي وأمان الله على دمائكم.

لكنه كان عنده والعياذ بالله بقايا من الشرور، فبعث إلى ابن سعود أنه في شك من أمانه وعفوه، ويهدده بأن الطريق لم ينسد في وجهه كما يظن، فالحكومات تخطب وده وترجو أن يكون من رعاياها فهو مستطيع أن يلتجئ إليها إن أراد، ولكنه لا يريد ويؤثره لأنه مسلم وتلك حكومات كفار، وفي الوقت نفسه عثر في

أوراق الدويش حينما فتش فيها لأنها من ضمن المنهوبات التي نهبها الفرع وأتباعه لما هجموا عليه في الوقعة التي تقدم ذكرها قريباً إن وجد من بينها مسودات من ضمنها مسودة كتاب باسم الملك فيصل ملك العراق يقول له فيه:

إنه خرج على ابن سعود كما يعلم إلا أن الطيارات التابعة لسلاح الطيران البريطاني في العراق طردته من الأراضي العراقية، فيطلب من جلالة أن يكفيه شرها ليتفرغ لابن سعود أو فليأمره بما يريد.

وعثر على مسودة أخرى بكتاب باسم السير «كلوب» المفتش الإداري للبادية الجنوبية في العراق المشهور عند العرب «بأبي حنيك» يقول فيه أنه يطلب أن يصير من رعيته وجنده وأنه تحت أمره الآن، وتاريخ المسودتين كان في ١٣ رجب من هذه السنة.

وهكذا أخذ يناق ويمكر حتى حاق به مكره ولا يحيق المكر السوء إلا بأمله.

ذكر التجاء الدويش إلى الكفار وتشديد ابن سعود في طلبه

لما أن سمع ابن سعود بأن الدويش في الأراضي العراقية ثار نائرة لذلك وبعث في تاريخ ٢٤ رجب من هذه السنة كتاب احتجاج إلى المندوب السامي في العراق بعثه عن طريق الجليل يقول له فيه:

إننا سرنا لتأديب البغاة الذين قامت عليهم قيامة الحكومة البريطانية والعراقية والكويتية لأنهم قتلوا رعاياها وعاثوا في أراضيها فساداً وهامهم اليوم ينعمون فيها ويعتصمون بها، فأين التعهدات التي تجهر بأنها لن تقبلهم ولن تجيرهم، أين التعهدات بأنها ستطردهم إن دخلوا أرضاً غير سعودية، ثم سار ابن سعود حتى نزل في شعيب الباطن الواقع أمام العرجا ولقد كان نزوله فيه في ٥ شعبان بجيشه وعساكره وهو يبعد عن ملتقى شعيب العرجا، بالباطن حيث تلتقي الحدود بين العراق والكويت ونجد بسبعة كيلو مترات، وعلم أن المخفر المسمى مخفر العبيد الذي به الحرس العراقي على بعد ثلاث كيلو مترات عن نقطة التقاء الحدود، وشاهد من شعيب الباطن الطائرات الإنكليزية تطير فوق

الحدود العرقية ورأى السيارات العسكرية التابعة لحكومة العراق على أرضها فأمر جلالة الملك على يوسف ياسين أن يكشف له خبر السيارات، ويستنشق خبر العصاة، فمضى يوسف المذكور بسيارة الملك حتى وصل مخفر العبيد والتقى فيه بحسن بك المدفعي مدير شرطة بادية الجنوب العراقية غير أن المدفعي ليس بيده الأمر كله فنقل ما حدث به إلى بغداد، فلما كان في الساعة العاشرة بعد العصر أقبلت سيارة محروسة بسيارتين مدرعتين وبها الكابتين «كلوب» فتحدث إلى مندوب ابن سعود طويلاً وقال له: إن مع الدويش نساء وأطفالاً لهذا لم تأذن الحكومة البريطانية بضربه ولكن كان نصيبه الطرد كلما جاء إلى الأراضي العراقية، ولا يمكن وضع حد لأعماله إلا بضربه، ولقد طلب الرعوية العراقية فلم أقبل ثم طلبته فجاء إلي هو وابن حثلين وأنذرتهما بمغادرة حدود العراق في يومين وإلا فلن أزهد في ضربهما، ويظهر أن الدويش عليم بقدم ابن سعود، ففر لأنني تعقبته بالدبابات فألفيته قد تجاوز الجهراء ودخل الكويت ولا يمكنني أن أتعبه فيها، وأنا موظف عراقي وبذلك لم يبق في العراق من العصاة إلا فرحان بن مشهور السجين هناك ريثما تنتهي المفاوضات بشأنه، فبعث ابن سعود برقية في ٥ شعبان إلى المندوب السامي في العراق يخبره بأن بريطانيا قد تعهدت بطرد العصاة من أراضي العراق والكويت وشرق الأردن، وهامهم في الكويت، فأما أن تطردهم الحكومة البريطانية، وأما أن تسمح للسعوديين بمطاردتهم أينما ذهبوا أو تعلن حمايتها للعصاة.

فلما أن كان من الغد ٦ شعبان ورد إليه الجواب من المندوب السامي يخبره أن الحكومة البريطانية جادة في الترتيبات اللازمة لإخراج العصاة من حدود الكويت إلا أن ابن سعود أراد الجواب القاطع في أمرهم، ثم رحل ابن سعود في ٨ شعبان من «الرقعي» لعدم وجود الماء الكافي بها للجنود الذين معه وبعث «يوسف ياسين» الرجل السياسي العظيم إلى مخفر العبيد ليرى ماجد.

ولما أن أمضى يوسف وجد برقية من رئيس المعتمدين السياسيين في خليج فارس يطلب فيها باسم الحكومة البريطانية مقابلة ابن سعود لحل مشكلة العصاة

الذين منع إخراجهم بالقوة وجود الأطفال والنساء معهم فوافق الملك ابن سعود وأخبر رئيس المعتمدين بأن منزله دون المسناة وغداً في «جو الحوار» وبعد غد في «بنية عيفان» وكان ابن سعود في طريقه يؤدب كل من صادف من العصاة وأتباعهم، ولما أن كان في ١٠ شعبان وصل «بنية عيفان» وبينما هو راكب سيارته الخاصة ومعه يوسف ياسين، والشيخ عبدالله بن حسن، والدكتور مدحت، وسائق سيارة الملك صديق الهندي أبصر سرباً من الطبائيل الخمسة فأمر السائق بأن يعدو بالسيارة خلفها وصاد أربعة منها وطار الخامس والسيارة على ساقته إلا أن الظبي المذعور مال في عدوه إلى اليمين محرفاً عن طريق السيارة المطاردة فمالت هي أيضاً فرأى ابن سعود جمعاً كثيراً ولم يحقق النظر فيه لاشتغاله بالظبي الفار حتى أصابه وصاده ثم انثنى يرقب الجمع فظنه في بادئ أمره بعض جنده غير أنه التفت إلى جانب منه فرأى نساءً وأطفالاً وأغناماً فعجب لها لأنه ليس مع جنده نساء ولا أطفال ولم يكن أحد معه غير رفيقه في السيارة الثلاثة وسائقها فارتد بها إلى الوري قليلاً فأبصر سيارة ابنه محمد قادمة إليه فاركب فيها أحد رجال مطير ليكشف له الأمر، فإن كانوا من أحزاب ابن سعود فلا خوف على المطيري لأنه رسوله وإن كانوا من العصاة فهو من جماعتهم ظاهراً ويستطيع خداعهم فلما وصلهم الرسول إذا ذلك الجمع قبيلة الصقهان أحد بطون العجمان الخارجة على ابن سعود فسالها المطيري فأجابته أنها الصقهان وبعض مطير فروا من وجه ابن سعود فطمأنهم المطيري أنه لا بأس عليهم وأخبرهم أنه يريد الصيد ثم تركهم وعاد يخبرهم فما كاد يتمم كلامه حتى تحمس نجل جلالة الملك محمد بن عبدالعزيز لقتالهم فمنعه أبوه غير أنه أصر وقاد رتلاً من السيارات المسلحة وعليها بعض آل سعود الشجعان فأسرع محمد بن عبدالعزيز إلى الصقهان فتقابلوا وتقاتلوا دقائق حتى أبيد المحاربون.

وكان جلالة الملك في المعسكر يهيئ الإمداد لنجدة ابنه محمد ثم أسرع إلى المعركة بنفسه قد امتطى سيارته فوجد ابنه محمداً راجعاً بالنساء والأطفال والغنائم وكان عمره إذ ذاك ثمانين سنة.

ولما كان في مساء ذلك اليوم قدم إلى ابن سعود أحد أمرائه وهو «تركي بن ماضي» من مخفر العبيد بكتاب ضمنه برقية من المندوب السامي ببغداد يخبر ابن سعود فيها بأن فيصل الدويش ورفيقه، نايف بن حثلين، وجاسر بن لامي، معتقلون في باخرة بريطانية فبعث إليه ابن سعود في اليوم ١١ من شهر شعبان الموافق ليوم السبت سنة ١٣٤٨هـ يطلب إليه تسليم المجرمين تنفيذاً لتعهدات الحكومة البريطانية عدم إيواء أحد منهم في أراضي العراق، والكويت وشرقي الأردن.

فتلقى ابن سعود في ١٣ شعبان خطاباً من المعتمد السياسي «الكولونيل ويكسون» يخبره أن سيقدم إليه مندوب عن الحكومة البريطانية لحل مشكلة العصاة، وتلقى أيضاً في ١٧ شعبان كتاباً من رئيس المعتمدين في الخليج العربي وكبير القناصل هناك «الكولونيل بيسكو» فحواه أن الحكومة البريطانية كلفته بأن يرأس البعثة البريطانية القادمة إليه للمفاوضة في شأن العصاة اللاجئين، وطلب ابن سعود السماح بالقدوم بالطائرات، فأجابه ابن سعود في ١٨ شعبان بقبول انتدابه و قدومه وأخبره أن الاجتماع سيكون في «خباري وضحا» إذ قرر الرحيل إليها.

ذكر تحقيق الطلب والأتيان بالدويش وصاحبيه بالرغم من كل واحد

لقد حقق ابن سعود الطلب في أمر الدويش حتى انفض من حول الدويش من العشائر وتفرقوا عنه وإن كان لا يزال يكذب بوجود ابن سعود قريباً منه، ولكن بالرغم من تكذيب الدويش تفرق أتباعه ولجأ بعضهم إلى الحدود العراقية، ومنهم من فرّ إلى نجد، ولما كان في عشرين من شعبان الموافق ليوم الاثنين نزل ابن سعود بجيشه في «خباري وضحا» استعداداً للاجتماع والمفاوضة في شأن العصاة وإزالة سوء التفاهم الذي أوجده التجاء الدويش إلى العراق.

إن «خباري وضحا» تبعد عن «بنية عفيان» بعشر ساعات كائنة في جنوبي

الكويت، وكان ابن سعود قد وثق في بريطانيا أنها لن تنكر له ولن تخلف وعده، فلما كان بعد الظهر حلقت في سماء خباري وضحا ست طائرات بريطانية ثم هبطت إلى الأرض وبرز منها رئيس المعتمدين السياسيين في الخليج العربي «الكولونيل بيسكو» والمعتمد السياسي في الكويت «الكولونيل ديكسون» وقائد الطيران في العراق «الكومند وبرنت» ومعهم المترجمون والكتاب والخدم، كما أن حافظ وهبة قد حضر في إحدى الطائرات، وما أدراك ما هو إنه مندوب ابن سعود في الكويت، وسفير المملكة العربية السعودية في إنكلترا وقد صدر الأمر إليه بأن يرافق البعثة الإنكليزية.

ولما أن جلس صاحب الجلالة السعودية كان عن يمينه رئيس الوفد، وعن يساره قائد الطيران، وعلى رؤوسهم الرجال السعوديون والبريطانيون، وبعدما استقر برجال البعثة المقام بدأت المفاوضات، أولئك كانوا عن الجهة البريطانية وحافظ وهبة ويوسف ياسين عن الجهة النجدية بإشراف الملك نفسه، فامتدت المفاوضات واستمر المؤتمر أسبوعاً كاملاً انتهى بموافقة الحكومة الإنكليزية على تسليم الدويش ورفاقه، وكان هذا يعد انتصاراً لابن سعود، ولقد شدد صاحب الجلالة وألح على بريطانيا العظمى في طلب الدويش حتى جعل يضرب السجادة بالعصا ضرباً يكاد يمزقها ويقسم بالله لأن لم يحضر الدويش وصاحبيه ليحدثن ما لا تحمد عقباه وجعل يرغب ويزيد، فلذا تم الاتفاق في ٢٧ من شعبان على أن تحمل إحدى الطائرات الإنكليزية الدويش وابن لامي وابن حثلين في ٢٨ شعبان الموافق ليوم الثلاثاء إلى نخيم ابن سعود وأن تسوق العجمان ومطيراً بالدبابات والطائرات حتى تدخلهم حدود نجد، وبعث ابن سعود سرية قوية تحت قيادة الرجل الحازم «عبدالرحمن الطيشي» ليتسلم العجمان ومطيراً، وقد قادهم المذكور إلى نخيم الملك المنصور فأمنهم.

ولما كان في الساعة الخامسة من يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ من شعبان سنة ١٣٤٨هـ الموافق ٢٨ يناير ١٩٣٠م هبطت طائرة نقل «الكولونيل ديكسون» وقائد

البارجة الحربية البريطانية ومعهما المجرمون الثلاثة رؤوس الشر والبلاء والفتنة، فيصل الدويش ونائف بن حثلين وجاسر بن لامي، فاستقبلهم حافظ وهبة باسم جلالة الملك ابن سعود وأقفلتهم السيارات إلى خيمة جلالة الملك، ولما وصلوا الخيمة بعدما اخترقوا المعسكر، كانت اللعنات من الجند تصوب إلى الدويش، غير أن مسير السيارة يمنع سماعها، فقدم حافظ وهبة إلى جلالة الملك قائد البارجة ثم ديكسون بالنيابة عن حكومة بريطانيا وقال أنهما قدما لتسليم المجرمين إليه، فشكرهما جلالة الملك وشكر بريطانيا التي برهنت على وفائها معه وصداقتها له ومصافاته ودها، ثم استأذن القائد والقنصل ديكسون ومن معهما وخرجوا منصرفين شاكرين لابن السعود، فوقف الثلاثة بين يدي ابن سعود، يتقدمهم الدويش حقيراً ذليلاً كاسفاً مطرق الرأس مغمض العينين لا يكاد يرفع رأسه حياءً وخجلاً، دافع العينين قد أرخى شماغه على وجهه والتحف بعباءته متمسكاً ذليلاً.

ولقد كان قبل ذلك إذا زار الملك في الرياض يصحبه نحو مائة وخمسين رجلاً مسلحين، ويدخل الرياض كقائد عظيم له منزلة عظمى في نفوس أهل الرياض وعلمائها وملك نجد، وإذا جلس فلا يجلس إلا بجوار ابن سعود يعتبره الملك كصديق قديم وقائد قواده العظام، واليوم يقف ذلك الموقف فما أعظم الفرق بين الحالتين.

فتكلم صاحب الجلالة قائلاً: أما تخاف رب العزة ما الذي حملك على هذه المخازي فتلعثم الدويش ولم يدري ما يقول، غير أنه استجمع قواه وصرخ باكياً صاغراً وقال: لم يبق شيء من الخزي لم أفعله وما تريد أعظم من هذا الخزي وهذا الجزء أمام سائر أهل نجد، فبدره ابن سعود قائلاً: إنك تعلم يا فيصل ما عملت من أجلك في الماضي فاعترف الدويش بقوله: نعم أعلم، فقال صاحب الجلالة مقررراً نعمه عليه: لقد كنت يا فيصل في حرب مع أهل نجد من أجلكم فاعترف وهو منتحب قائلاً صدقت يا أبا تركي، واستمر ابن سعود قائلاً: فهل هذا جزائي منكم هل كنتم تريدون الملك لقد كنتم ملوكاً في الجهات التي كنتم فيها، من منكم له

الفضل علي؟ الفضل لله وحده، من منكم لم آخذه بسيقي؟ ليس منكم إلا من قتلت أباه أو أخاه ولم أخضعكم إلا بالله ثم بالسيف قد كنت أنفذ رغائبكم فكنت أشقى لأجلكم وأواصل الليل والنهار لراحتكم وسعادتكم، ألا تخاف الله حينما تكتب «الجلوب»^(١) أنك تريد الهجرة للعراق وإنك تحب أن تكون تابعاً له فهل تظن أنك ستكون في منزلة أعلى من منزلتك التي كنت فيها.

كان ابن سعود يتكلم والدويش يبكي ويثن ويرسل الزفرات التي كاد قلبه أن يتصدع منها، ثم تكلم مجيئاً بهذا الجواب:

يعلم الله يا عبدالعزيز أنك لم تقصر معنا، وقد فعلت ما يبيض وجهك، وقد قابلنا معروفك بالإساءة، لقد فررنا من وجهك إلى الكفار فحملونا إليك في طيارة من طياراتهم ويكفي ما أشعر به من الهوان والصغار أمام الإخوان بعدما كنت عزيزاً محترماً، قاتل الله الشيطان لقد أخزانا وزين لنا سيء أعمالنا فأوصلنا إلى ما نحن فيه الآن.

وأخذ الدويش يبكي كالنساء لأول مرة في حياته وأخذ يستعطفه وكذا تكلم ابن لامي وابن حثلين يفصحان عن محبتهم الأكيدة لابن سعود أشد من محبتهم نفسيهما ويستغفران عما سلف وينويان التوبة وهما في بكاء وعويل، وحقاً، وحقاً أن يحرق الكمد والحزن أفئدتهم لأن ناصرهم هو الذي بعث بهم إلى من فروا عنه.

ثم أمر بهم ابن سعود إلى سرادق خاص لهم حول خيمته فخرجوا مطرقي الرءوس لا يرون الطريق، هذا والجنود على جانبيه يكادون التهام المجرمين لولا صدور الأمر السامي من جلالة الملك أن لا يساء إليهم فكانت الجنود لم تتمكن إلا من السخرية وتسديد اللعنات والتهكم، فأنزل العصاة في السرادق وقام عليهم حرس قوي قد أحاط بهم.

(١) هو أبو حنيك المفتش الإداري هناك.

ولما كان في اليوم الثاني من شهر رمضان نقل المجرمون الثلاثة إلى الرياض وأودعوا في السجن مصفودين بالحديد ليقضوا بقية حياتهم في السجن، فهذه آخره الدويش الذي رعب ذكره أهل الآفاق، وخرق البلدان وحطم الجموع حتى أصبح خطراً عظيماً على الأمن وتعدى طوره فصرعه بغيه، ويعتبر القبض عليه والأمن من حركاته وقتاً أشرقت فيه شمس الهناء وساد الأمن في سائر نجد بل وغيرها وأصبح المسلمون في سرور وراحة وأمن من الفوضى التي قاسوا الشر الكثير بسببه، فما ظنك به لو عرف قدر نفسه وتأدب مع إمامه وساعد في أداء الواجبات وأكرم نفسه بطاعة ولي أمره وعدم الخروج.

وكان يتحمل منه الأذى ابن سعود وله غطرسة وجفاء ترفعه عن السلام لأي مخلوق يضمه قصر جلالة الملك ما عدى العلماء طبعاً، فحدث عن كبره وتعاضمه ولا حرج، وكان كل من يعرف الدويش ويعرف أخلاقه الشخصية يجزم بأنه طالب دنيا وأن ما يظهر من الشدة والغلو مصطنع.

أما إذا استأذن الدويش للملك في الرجوع إلى الأوطان فإن القائمة التي اعتاد تقديمها للملك تبدأ من حبال الآبار ونعاله، إلى السلاح، والجواري وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود وكل قائد من قواد الإخوان يطلب هذه الطلبات ولكن قائمته تكون محلاً للرفض أو التحوير، أما قائمة الدويش فلا يدخلها أي تحوير أو تعديل، واليوم هذا يقف الدويش هذا الموقف ذليلاً أمام سائر قواد الجيش لا أحد أنزل منه درجة.

ولقد استراح ابن سعود بعد القبض وقال من اليوم سنحيا حياة جديدة فقد ربط بلاده بالتلغرافات اللاسلكية وربط مكة والرياض بالهاتف اللاسلكي وأصبح الإخوان في السمع والطاعة للملك كسائر الرعية.

وقد سئل أئمة علماء هذه الدعوة ما قولكم في الدويش والعجمان ومن تبعهم حيث خرجوا من بلدان المسلمين يدعون أنهم مقتدون «بجعفر بن أبي طالب» وأصحابه رضي الله عنهم حين خرجوا من مكة مهاجرين إلى الحبشة، فكان جواب

العلماء أن العجمان والدويش، ومن تبعهم لا شك في ضلالهم إلى أن قالوا وأما من أبى عن جهادهم يدعي أنهم اخوان له وأنهم على حق فهذا حكمه حكمهم لأنه صوب رأيهم واعتقد ما اعتقدوه لا سيما بعد علمه بما صدر منهم.

وأما الدهينة، والخضري، وولد فيصل بن حميد وأتباعهم الذين قدموا من عند ولد الشريف يدعون إلى ولايته فهؤلاء لا شك في خطرهم، والحال ما ذكر لأنهم دعاة إلى الدخول تحت ولاية الظالمين فيجب على جميع المسلمين جهادهم وقتالهم وكذلك من آواهم ونصرهم فحكمه حكمهم وحسبنا الله ونعم الوكيل - قال ذلك وأملاه الفقراء إلى الله: محمد بن عبداللطيف، وسليمان بن سحمان، وصالح بن عبدالعزيز، وعبدالعزیز بن عبداللطيف، وعمر بن عبداللطيف، ومحمد بن إبراهيم، وعبدالمالك بن إبراهيم بن عبدالمالك، وعبدالرحمن بن سالم، وعبدالعزیز الشثري، ومحمد بن عبدالله بن عبداللطيف، وأسفله إمضاءاتهم.

ولقد أمر صاحب الجلالة بتلاوة ما أفتى به العلماء في مؤتمر «الدوادمي» المعقود في أول هذه السنة بعدما اجتمع الأعيان وكبار الشخصيات عنده فأبدى وأعاد، وذكر لهم خروجه بأربعين راكباً وأمامه عبدالعزيز بن رشيد في جموعه وجنوده، ومن ورائه الترك يمدونه بالجنود والمدافع والأموال، ثم كانت حكومة الحجاز تناصره وتساعده، ومساعدتي منكم قليل وذلك القليل كان يساعدني بقلبه دون فعله فأعاني الله وقتلت الراعي وملكت الرعية، وتفهمون أننا سادتكم ملكنا بالله ثم بكلمة التوحيد والسيوف فرحمنا الصغير ووقرنا الكبير وواسيناكم بأنفسنا، وأصبحتم أعزاء بعد الذلة وأغنياء بعد الفقر، كل ذلك بأسباب الله ثم أسبابنا، فبعد أن نلتم من أسباب العز والظفر ما نلتم غرتكم أنفسكم ونفخ الشيطان في أنوفكم وظننتم أنكم صرتم فوق الناس، فأخذتم تفتاتون في الأمر على غير علم وهدي، تحرمون وتحللون.

وقد أمر في ذلك المجتمع الذي كان قبل القبض على العدو باستتصال شأفة البقية من البغاة والمسير إليهم، وقال: لا أقبل من إنسان حضر واقعة السبلة وقاتل

معنا البغاة أن يتخلف عن المسير إليهم^(١) وتقرر أيضاً في مؤتمر الشعراء المعقود فيها أيضاً لما حضر للموعد المعين في ٣٠ ربيع الثاني مالا يحصى من الرجال، ووصل إلى جلالة الملك كبار المجاهدين من القادة يهتونه بالفوز الذي ناله، قد تقرر أن جميع الذين قاموا بالعصيان من عتية وبنو عبدالله من مطير قد تم القضاء عليهم ولم يبق أحد عنده فضل قوة يستطيع أن يأتي بأي عمل منكر، وإن جميع من اشترك في الفتنة وبقي حياً يؤخذ ماله وجميع ما لديه من جيش وسلاح، وتحكم الشريعة في رقبته، وإن من كان متهماً بمالاة أهل الفساد ولم يجاهد مع المسلمين تؤخذ شوكة الحرب منه، وشوكة الحرب هي ما كان من ذلول وفرس، ويندق وإن الإمام يمنح المجاهدين الصادقين ما يؤخذ من الأشرار المفسدين ليتقوا بما يأخذون من المفسدين، وإن كل شجرة فيها أناس من أهل الفساد يرسل إليها أمير معه قوة لينظر في أمر المفسدين بما تقضي به الشريعة والمصلحة العامة، وإن كل هجرة غلب الفساد على أهلها فإنهم يطردون منها ويفرقون بين القبائل، ولا يسمح لأحد منهم بالاجتماع في مكان واحد، وإن تنفذ هذه القرارات في ظرف عشرة أيام أثناء وجود الملك في الشعراء، وإن جميع الرايات تنحدر بعد تنفيذ القرارات في الحال إلى الحدود حيث يقيم الأشقياء من العجمان والدويش.

وبذلك استطاع ابن سعود أن يطرد العصاة من العراق ويؤتي بالدويش وصاحبيه على متن طائرة بريطانية إليه.

ذكر أشياء عجيبية وأمور غريبة في عدم قبول المخترعات الحديثة

إن الإخوان من البدو عجزت أفكارهم أن تحيط علماً في تلك المخترعات، فمن ذلك أنهم ضربوا خادماً يركب «بسكليت» ويسمونه عربة الشيطان، أو حصان إبليس بدعوى أنها بدعة وأنها تسير بقوة السحر وعمل الشيطان، وكثيراً ما قطعوا أسلاك التليفونات لما مدها جلالة الملك عبدالعزيز حال حرب جدة ليكون على

(١) وتدعى هذه السنة بسنة «الدببة» لأن ابن سعود نزل فيها.

اتصال تام فيما بين مكة ومقره، فيتحمل السلطان تلك الفعال على مضض وينزل على رأيهم اتقاء الفتنة.

ومن العجائب كونهم لا يهابون الموت، بل يندفعون إليه اندفاعاً طلباً للشهادة، وأصبحت الأم حينما تودع ابنها تودعه بهذه الكلمات «الله يجمعنا وإياك في الجنة». أما الآلة اللاسلكية التي جعلت للمخابرات والتليفونات فقد كانوا لا يعرفون عنها إلا أنها أبالسة وشياطين، وليس العجب من شأنهم وجهلهم، بل كان بعض العلماء الذين قلت بضاعتهم من العلم ينكرها نهجهم، فقد ذكر حافظ وهبة ما سأذكره، قال:

أوفدني جلالة الملك للمدينة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م مع عالم من علماء نجد للتفتيش الإداري والديني، فجرى ذكر التلغراف اللاسلكي وما يتصل به من المستحدثات، فقال العالم: لا شك أن هذه الأشياء ناشئة من استخدام الجن، وقد أخبره ثقة أن التلغراف اللاسلكي لا يشتغل إلا بعد أن تذبح عنده ذبيحة ويذكر عليها اسم الشيطان، ثم أخذ يذكر لي بعض القصص عن استخدام بني آدم للشيطان، ولقد كان شرحي لنظرية التلغراف اللاسلكي وتاريخ استكشافه ليس له نصيب من إقناع الشيخ، فلم أجد أي فائدة من وراء البحث، فسكتت على مضض، وفي يوم من الأيام دعاني الشيخ لمرافقته لزيارة قبر حمزة عم الرسول ﷺ عند جبل أحد، وهو يبعد عن المدينة بالسيارة نحو نصف ساعة، فلبيت الدعوة وسرنا من المدينة بعد صلاة العصر، وفي أثناء الطريق أوقفت السيارة عند محطة التلغراف اللاسلكي، وهنا دار بين وبينه الحديث التالي:

سأل الشيخ لماذا أوقفت السيارة؟ فأجبتة لنرى التلغراف اللاسلكي فإن كان هنا لك ذبائح ودعوة لغير الله فإني سأحرقه مهما كانت النتيجة، فالدين لله لا لابن سعود، وقد يكون الملك مخدوعاً في أمر هذه التلغرافات، وتذكر له الأشياء على غير حقيقتها، فقال الشيخ: بارك الله فيك، فدخلت المحطة وبعد البحث لم يجد الشيخ أي أثر لعظام الذبائح وقرونها أو صوفها، ثم أراه العامل طريقة المخبرة، وفي دقائق تبودلت المخابرات والتحيات بينه وبين جلالة الملك في جدة.

كانت هذه الزيارة البسيطة مدعاة للشك فيما كان يعتقد من عمل الشيطان في المخبرات ولكنه ظن أنني ربما دبرت هذه المكيدة بإيعاز الملك، فزار الشيخ محطة التلغراف بضع مرات منفرداً في أوقات مختلفة بدون أن يخبر أحداً بعزمه، فكان يفاجئ العامل بالزيارة ويسأله عن كل ما يغمض عليه، وقد أخبرني الشيخ ونحن في طريقنا إلى مكة بأنه يستغفر الله ويتوب إليه عما كان يعتقد ويتهم به بعض الناس، وربما كان يقصديني في هذا الأمر، ختمت الموضوع بقولي: ما قولكم يا حضرة الشيخ في رواية أولئك الثقات، أخشى أن تكون رواياتهم لكم عن أكثر المسائل العلمية كرواياتهم عن التلغراف، فقال حسبي الله ونعم الوكيل.

وقد أخبرني جلالة الملك في شعبان ١٣٥١هـ ديسمبر ١٩٣٢م أثناء زيارتي للرياض أن المشايخ - أي رجال الدين - حضروا عنده سنة ١٣٣١هـ لما علموا بعزمه إنشاء محطات لاسلكية في الرياض وبعض المدن الكبيرة في نجد فقالوا له: يا طويل العمر: لقد غشك من أشار عليك باستعمال التلغراف وإدخاله إلى بلادنا، وإن «فلي» سيجر علينا المصائب، ونخشى أن يسلم بلادنا للإنكليز، فقال لهم الملك: لقد أخطأتم، فلم يغشنا أحد ولست والله الحمد بضعيف العقل أو قصير النظر لأخضع بخداع المخادعين، وما فلي إلا تاجر، وكان وسيطاً في هذه الصفقة، وإن بلادنا عزيزة علينا لا نسلمها لأحد إلا بالثمن الذي أسلمناها له.

إخواني المشايخ: أنتم فوق رأسي، تماسكوا بعضكم ببعض ولا تدعوني أهز رأسي فيقع بعضكم أو أكثركم وأنتم تعلمون أن من وقف على الأرض لا يمكن أن يوضع فوق رأسي مرة ثانية.

مسألتان لا أسمع فيهما كلام أحد لظهور فائدتهما لي ولبلادي، وليس هناك من دليل في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ يمنع من إحداث اللاسلكي والسيارات، وعندما وضعت الآلة اللاسلكية في الرياض واستعملت كان الناس يغري بعضهم بعضاً بأن إنشاء هذه المحطة هو الحد بين الخير والشر، وكان العلماء يرسلون من يأتمنونهم لزيارة المحطة ورؤية الشياطين والذبائح التي تقدم لهم، فلم يجدوا شيئاً.

وقد أخبرني عامل المحطة بأن المشايخ الصغار كانوا يترددون عليه من وقت لآخر لسؤاله عن موعد زيارة الشياطين، وهل الشيطان الكبير في مكة أو الرياض؟ وكم عدد أولاد الذين يساعدونه في مهمة نقل الأخبار؟ فكان يجيبهم بأن ليس للشيطان دخل في علمه، وكان بعضهم يغريه بالنقود وإنهم سيكتمون هذا السر، ولكن العالم يأخذ الأخبار ويرسلها إلى إمامهم ويخبرهم أن الموضوع صناعي محض، هذا كلامه بحروفه إلى أن قال في ذكر المستخدمات: تذكرنا هذه القصة ما حدث في نجد قبل ستين سنة، فإن أول ساعة دقاقة كسرت وعدت من عمل الشيطان.

وفاة أمير بريدة

ففيها توفي الأمير مشاري بن جلوي آل سعود رحمه الله وعفا عنه، وهو الأمير الشهير الحازم الفاتك، وهذه ترجمته:

هو مشاري بن سعود بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود آل مقرن، وكان شجاعاً مهاباً له إقدام وجراءة، قدم إلى مدينة بريدة لما كان البغاة قريباً منها، واختاره ابن سعود لإمارة القصيم ليقوي الحامية هناك، فقام بالأمر قياماً شديداً حتى هابه أهل القصيم وما يليه، وأرعد من هيئته الأشقياء، وكان فظاً غليظاً جباراً عنيداً فانتدبه الملك عبدالعزيز للإمارة، وقد باشر قبل ذلك الأعمال ومارسها، وكان عمره حين وفاته يبلغ الخمسين، ولما قدم بريدة وتولى إمارة القصيم أزعج بسطوته من كان في تلك المقاطعة، وذلك خشيةً من الطوائر، كيف لا وقد اجتمع البغاة حوالي القصيم وهموا بالهجوم على مدنه، فانتدب صاحب الجلالة ذلك الليث في برائه، ولما أن قيل أن الدويش في «القاعية» وذلك قبيل الواقعة قام وبث رجاله ليأتوا بجميع سروح الإبل من كل جهة وصاح بالنفير العام، فما كان إلا قليل حتى حشرت الإبل والركاب إلى العاصمة كأنها السيل المنهمر، ولما أراد بعث الأمة جاء الخبر الأخير بأن الدويش رحل عنها.

ولقد دعا بأربعة من سائقي سيارات جلالة الملك بدعوى أنهم ضربوا خادماً له جاء إليهم يبلغهم أوامر الأمير، وأساءوا الرد عليه، فألقى القبض عليهم وبعث أناساً يأتونه بجريد النخل الرطب، فأمرهم فضربوا ضرباً بليغاً حتى هلك بعضهم تحت السياط وسلم اثنان بعد مرض طويل.

وجاء إليه أهل القرية يشكون أميراً من أمراء القصيم بأنه بعث إلى أدبائهم خادماً أخذها كلها فاستاقها وحبسها في موضع، فسأل عن كيفية أخذها فأخبروه أنها رعت في حماه، فاقضى رأيه أخذها وقد عطشت الزروع وأشرفت على الهلاك، وقد سعوا في طلبها بكل حيلة فما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فدعا الأمير مشاري بعبد من عبيده وقال له: اذهب إليه فإن لم يخرجها فخذ المنشار واقطع به قفل الباب «المجرى» وأتبع ذلك بمشط رصاص أطلقه على موضع الغلق، ثم أخرجها وسلمها إلى أربابها، فما كان إلا بقدر ما ذهب ورجع منفذاً أو أمر سيده، وهذه صفته:

كان أربعة من الرجال يميل إلى القصر، يبدو على وجهه آثار الجدري، وكان مرضه في أنثيه سبب عجيب بل وغريب، وذلك لعضة خنفساء حوالي أنثيه فما زالت تتقرح بسرعة حتى انتفختا وهلك، وقد صلى عليه فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم في جامع بريدة وهو ثقيل من آثار السقم، غير أنه طلب منه ذلك، ودفن في المقبرة الجنوبية المعروفة «فلاجة» ثم إنه جعل جلالة الملك أميراً في بريدة بعده، تركي بن عبدالعزيز بن تركي بن زعار، فلبث في الإمارة ثمانية شهور ثم أعيد مبارك بن مبيرك.

وفيها هطلت أمطار كثيرة على سائر نجد فكثر الكلاً والعشب وأنواع الكمأة، ونزلت قيمتها إلى درجة زهيدة حتى بيعت الكمأة تسع وزنات بريال، وكثر الإقط والسمن، وظهر الجراد والدباء حتى أكل الأشجار والنخيل، وآخر ذلك دخل الدباء في بيوت الناس، وتأذى الأهالي بذلك وسقط في الآبار حتى أنتنت وجفت وامتلات المنازل والسقوف من ثيابه وجلوده عياداً بالله من ذلك.

وفيها شرع في طبع البداية والنهاية تاريخ ابن كثير، وذلك بقيام صاحب

الجلالة في هذا المشروع الخيري، وقد امتد طبعه إلى تمام عشر سنوات ولم يكمل منه سوى أربع عشرة مجلدة.

وفي هذه السنة ارتفعت منزلة الوزير عبدالله بن سلمان بن حمدان لدى جلالة الملك عبدالعزيز وذلك لقيامه بكل طلب يأتي من الملك لنفقات الحروب.

ذكر التقاء الملكين ١٣٤٨هـ

لما كان ابن سعود قرب الحدود العراقية رغبت حكومة بغداد أن تنتهز الفرصة فتعمل على تأكيد الصلات بين نجد والعراق، فوسطت المندوب السامي لذلك، فكتب هذا إلى ابن سعود في ٩ شعبان من هذه السنة يخبره عن رغبة الحكومة العراقية التي تؤيدها الحكومة البريطانية في عقد مؤتمر يجمع بين عاهلي العراق والمملكة العربية السعودية، ورجال الحكومتين والمندوب السامي نفسه في مكان محايد أو على الحدود ويخبره أن العراق مستعدة لأن يكون عقد المؤتمر في ٢٠ رمضان سنة ١٣٤٨هـ، فوافق صاحب الجلالة السعودية ثم تلقى من المندوب السامي خطاباً يخبره فيه بأنه يقترح أن يكون الاجتماع في «الرضمية» المنطقة المحايدة بين العراق ونجد، فاعتذر ابن سعود ببعد المسافة بين المكان الذي هو فيه وبين المكان الذي اقترح فيه الاجتماع، كما اعتذر بقلّة الماء في الطريق، ورأى أن يكون الاجتماع في الوفرة، المنطقة المحايدة بين الكويت ونجد، ومن السهل على الملك فيصل الوصول إليها بدون مشقة لأنه يستقل طائرة في رحلته تلك، فبعث فيصل إلى جلالة الملك عبدالعزيز يدعوه أن يكون في ضيافته «بالرضمية» فاعتذر بلطف بما اعتذر به من قبل، وقد كان كلا الملكين حريصاً على هذا الاجتماع الذي يستثمر منه الصلات وحسن الجوار ويمحق ما بالقلوب من ذكرى الحوادث القديمة، ثم لما كان في ٢٥ من شعبان ورد ابن سعود كتاب من رئيس المعتمدين بالخليج العربي يقترح فيه أن يكون الاجتماع في البحر على باخرة بريطانية خارج المياه النجدية والعراقية، فأجاب إلى ذلك لسهولة الطريق وقرب المسافة، وتقرر أن يكون

الاجتماع في ٢٠ من رمضان، وأخذ الملكان والمندوب السامي يستعدون لليوم الموعود بفارغ الصبر، لكن ابن سعود اقترح أن يعقد مؤتمر لتهيئ جو صالح للاجتماع والبحث في المسائل، فانتخب العراق وفداً برئاسة «ناجي بك آل شوكت» وزير الداخلية، وانتدب ابن سعود ثلاثة من خيرة رجاله وهم: حافظ وهبة، ويوسف ياسين، وإبراهيم بن معمر، للمفاوضة والبحث، فاجتمع المندوبون في الكويت في ١١ رمضان، إلا أن وفد العراق لم يفوض التفويض التام في البت في القضايا، فلم يكن الحل مستطاعاً، فعاد الوفد النجدي في ١٦ رمضان لمرافقة جلالة الملك ابن السعود وبقي ابن معمر في الكويت للنظر في المتخلفين من أتباع العصاة وتقرير ما يجب بشأنهم، وأمر ابن سعود بأن تقف الباخرة التي أعدتها بريطانيا لنقله إلى مكان الاجتماع في البحرين ليزودهم وكلائه آل القصبي بما تحتاج إليه من فرش وأثاث وأمتعة ومأكّل ومشرب، فلما كان في الساعة الرابعة من ٢١ من شهر رمضان، ركب ابن سعود وحاشيته زورقاً بخارياً من الجبيل إلى رأس تنورة انتظاراً للباخرة، وفي الساعة ٨ قدمت الباخرة البريطانية «بتريك ستورات» فاستقلها ابن سعود بحاشيته واستقبله قوادها استقبالاً حماسياً رائعاً، وأطلقت المدافع تحيةً للملك العظيم وسارت على اسم الله إلى المكان المعد للاجتماع، وكان من المقرر وصول الباخرتين إلى الموعد في وقت واحد إلا أن أمراً غير عادي آخر «بتريك» التي أقلت ابن سعود قليلاً، فوصلت في فجر اليوم ٢٣ من رمضان وكانت الباخرة «نرجس» المقلّة للملك فيصل «ولوين» المقلّة للمندوب السامي قد أخذتا مكانهما، وقد تسلم ابن سعود وهو بالباخرة برقية من المندوب السامي يدعوه فيها إلى تناول طعام الغداء على مائدته مع الملك فيصل بباخرته لوين، فأبرق إليه بقبول الدعوة ودعاه إلى مأدبة العشاء التي سيقيمها لعاهل العراق، وفي الوقت المحدد للاجتماع ركب ابن سعود زورقه ومعه يوسف ياسين، وحافظ وهبة، وفؤاد حمزة، وعبدالعزیز القصبي، ومدحت شيخ الأرض، وعبدالرحمن الطبيشي، حتى إذا دنا الزورق من لوين رفع عليها علم المملكة العربية السعودية، وأطلقت منها المدافع تحيةً لعاهلها، فاستقبله

على سلم الباخرة المندوب السامي وقائد الباخرة ومن معهما استقبلاً حماسياً، وإذ ملك العراق مقبل بزورقه فرفع علم العراق العربي وأطلقت المدافع تحية له، واستقبل استقبلاً فخماً ثم سعى كل من الملكين إلى الآخر وتصافحا وتعانقا ثم تبادلا ألفاظ التحية والمودة، وقدم الملك فيصل إلى الملك عبدالعزيز رجاله وهم: ناجي باشا السويدي رئيس وزراء العراق، ومحمد رستم بك صدر رئيس ديوان الملك فيصل، والكلونيل «كورنوليس» مستشار وزير الداخلية، وتحسين بك قدري مرافق الملك، وقدم الملك ابن السعود رجاله المتقدم ذكرهم، ثم دخل الملكان البهو المعد للجلوس، معهما المندوب السامي ورجال الحاشيتين، وتكلم فيصل كلمة موجزة بليغة معربة عن شكر الحكومة البريطانية وفخامة المندوب السامي على هذا السعي النبيل، حتى كان هذا الاجتماع المبارك الذي يبشر بالتآخي بين الأمم العربية، ثم تكلم صاحب الجلالة عبدالعزيز شاكراً الحكومة البريطانية والمندوب السامي وقال:

إن الواجب على العرب وأمرائهم أن يسعوا سعياً متواصلاً للاتحاد والاتفاق، ثم انبرى المندوب السامي للكلام وأعرب عن سروره وسرور الحكومة البريطانية بعقد هذا الاجتماع المنتظر من روائه كل خير للبلاد العربية، ثم رأى الجميع إخلاء المكان للملكين ليث كل منهما ذات نفسه للآخر، فكان الوقت رائقاً ذهب فيه آمال الملكين ترح طرباً وابتهاجاً لكل منهما ابتسامة يعجب لها على ظهر الباخرة لوبن، ثم استدعيا السويدي، وكورنوليس، ورستم وحافظ ويوسف وفؤاد، واستطاع الطرفان في هذا الاجتماع بت المسائل المعلقة وإرجاء ما بقي إلى مندوبي البلدين، وبعد تناول المآدب التي كانت فيها الحفلات الأنيقة الجميلة لدى المندوب، ثم لدى جلالة الملك عبدالعزيز، ثم لدى الملك فيصل، توادع الملكان وداعاً حاراً وافترقا، وفي نفس كل منهما شوق إلى الآخر وإكبار له وإعجاب به، وبقي وفد نجد ووفد العراق حتى صلاة العشاء الأخيرة يتناقشان في المسائل الهامة ثم افترقا، إلا أن الوفد السعودي كان مسروراً بموقف رئيس وزراء العراق ناجي باشا السويدي

ومعجباً بغيرته على مصالحة العرب ولطفه، ولما كان في ليلة الاثنين تناول المندوب السامي طعام العشاء لدى الملك ابن سعود وتحدثا طويلاً، فلما كان من الغد نهار الاثنين ٢٥ رمضان أقلت باخرة ابن السعود جلالته إلى مياه البحرين ليستقل الزورق إلى العقير، إلا أن الرياح حالت دون ذلك، فانتهاز ابن السعود الفرصة لزيارة شيخ البحرين عيسى بن خليفة إذ بين أمراء البحرين وآل سعود صلات ودية كبيرة، فلما مضى صاحب الجلالة عبدالعزيز يصحبه حرسه إلى البحرين استقبلته جموع كثيرة من أهلها، ولبست البحرين أبهى حللها استقبالاً للملك العربي الكبير، وسارت الجماعات تحييه وتهتف بحياته هتافاً عالياً، وبعدما التقى بالشيخ عيسى بن خليفة كان موقفاً من أجل المواقف، ومرّ بدار القصبي تكريماً لهم، ثم استقل الزورق إلى العقير.

ثم دخلت سنة ١٣٤٩هـ

استهلّت هذه السنة والدولة التركية يرأسها مصطفى كمال وقد فصلت الجمهورية الدين عن الدنيا وألغت القوانين القديمة واستبدلتها بقوانين ونظم جديدة مقتبسة من القوانين الأوروبية الحديثة، وصارت الجمهورية علمانية لا دينية، وكان يبلغ عدد سكان تلك المقاطعات أربعة عشر مليوناً، ولا يزالون في ازدياد، وكان ولي عهد السلطة العثمانية «محمد السادس وحيد الدين» لا يزال يشنع على مصطفى كمال، وذلك بعدما تغلب عليه ونازعه فغلب مصطفى حزب الخليفة محمد وصارت السلطنة بيد مصطفى، وهاهو ذا بلباسه ورسمه الجديد أوربي متلبساً بالمدنية الغربية، أوصافه:

مربوع القامة إلى الطول أقرب، عريض الكتفين، نحيف اليدين والساقين، أزرق العينين، حاد النظر، قصير الشارب، مهيب الطلعة مشرب الوجه بحمرة، له قوة إرادة وثبات عزيمة وإقدام واستقلال بالرأي، ثابت في اللقاء، صريح لا يعرف المداينة، يجهر بأرائه ولا يهاب كبيراً ولا يخاف عظيماً.

وكان على اليمن وأعمالها الإمام يحيى بن محمد حميد الدين.

وفيهما طبعت رسائل أئمة هذه الدعوة من آل الشيخ وغيرهم في مطبعة المنار بمصر لصاحبها «محمد رشيد رضا» فجاءت في ثلاث مجلدات منشورة، بلغ الجزء الأول ٧٦٣ صحيفة، وكان الثاني في جزأين أحدهما مستقلاً برسائل الشيخ الإمام عبداللطيف، وبلغت صحائف المجلدة الثالثة من المجموعة ٨٧٦ صحيفة، فها حسنهما والبهاء يلوح فيها ونور القبول يبدو عليها.

وفيهما أيضاً تم طبع كتاب الآداب الشرعية الكبرى لابن مفلح في ثلاث مجلدات كأحسن ما يكون في الورق والطبع، وذلك في مطبعة المنار أيضاً، وكلا الكتابين من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحبي آثار الملة المحمدية الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود أثابه الله.

كما أنه تم فيها طبع كتاب روضة المحبين لشمس الدين ابن القيم رحمه الله، وذلك في مطبعة الترقى بدمشق، فجاءت على أحسن وضع في ورقها وطبعها، وقد تصرف فيها المصحح بحذف بعض البحوث اليسيرة منها وهذا اجتهاد منه، وكنت أرى أنه لو تركها على وضعها لكان أحسن، لأن منزلة الإمام ابن القيم أعلى من أن يتصرف في مؤلفه من هو بالنسبة إليه كقطرة في بحر، ولعل أحمد عبيد مجتهد في ذلك وله أجر واحد، وهي أيضاً من مطبوعات الملك عبدالعزيز بن سعود.

وكذا أيضاً طبع في هذه السنة عنوان المجد في تاريخ نجد للعلامة ابن بشر رحمه الله، وكان طبعه في المطبعة السلفية بمكة المشرفة، فجاء في جزأين بمجلد واحد، وقد بلغني أنه حذف منه مواضع كثيرة لأسباب سوغت ذلك، وهذا يعد أيضاً خطأ لأن العلم أمانة وتبعة ما يثبت في الكتاب تعود إلى مؤلفه.

وفيهما وفاة الشيخ سعد بن عتيق قدس الله روحه

ونور مرقده وضريحه، وهذه ترجمته:

هو العالم البارع الحافظ الورع الزكي الصارم البتار لأعناق المنافقين والكفار، الذي لا يزال ذكره مقبولاً لنصرتة شريعة الرسول ﷺ ولم يستره التقشف

والخمول، الحبر الكبير والعلم الشهير، الشيخ ابن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وقد قدمنا ذكر نسبه في ترجمة أبيه، ولد رحمه الله ببلدة «الحلوة» القرية المعروفة في حوطة بني تميم سنة ١٢٧٩هـ، ونشأ بها وقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب، وجدّ في طلب علم الحديث، فسافر إلى بلد الهند في زمن كثرت فيه الفتن وترادفت فيه الحن وانقطعت فيه السبل، فتارةً يسير مع ركبّان الإبل وطوراً مع المشاة على الأقدام، وأخرى يقطع البحار على السفن فكابد المشاق والعذاب، واحتسب الثواب من رب الأرباب، وقد وجدت من ذكر سفره ما أثبتته عن نفسه بقوله يروي لنا قصته فقال:

ركبنا في قارب - وهي سفينة صغيرة - متوجهين إلى بلد من بلدان فارس تسمى «شارك»، وكان ركوبنا قبيل غروب الشمس يوم السبت سابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ وصاحبنا في تلك الليلة التوفيق من الله تعالى والإسعاف، فلذلك قدمنا البلد في أول تلك الليلة، فلما أصبحنا يوم الأحد اجتمعنا بالأخ علي بن سلمان وخرجنا من تلك البلاد بعد صلاة الظهر متوجهين إلى «لنية» ثمشي على أقدامنا لأن البحر في تلك الأيام مضطرب اضطراباً شديداً وبعد خروجنا من البلاد المذكورة قدمنا البلاد المسماة «باوردان» عند رجال صالحين منهم الأخ سلمان بن خميس، وإبراهيم بن ياقوت ووجدنا عندهم شيئاً من كتب التفسير وبعض كتب شيخ الإسلام وأقمنا عندهم آخر يوم الأحد، ويوم الاثنين، فلما كان يوم الثلاثاء أجمعت على المسير وتخلف الأخ علي عند أصحابه لأنه كان مريضاً وخرجت من تلك البلاد ومعني غلام أرسله معني أهل البلاد لهداية السبيل، وكان اسمه «بلال»، وأصابنا في ذلك المسير مطر بلّ ثيابنا بللاً كثيراً، ثم أخذ معني ما شاء الله، ثم رجع إلى وطنه وبقيت في تلك الطريق وحدي متوكلاً على الله معتمداً عليه، فحصل بحمد الله من الإعانة والتسديد في ذلك الطريق ما لم أظن، وقدمت «مغوة» في وقت الظهر ثم بعد الصلاة خرجت من المسجد لبعض الأغراض، فارتفعت لي السماء «ذوان»

فتوجهت إليها في الحال وصليت فيها العصر، ثم بعد السلام من الصلاة سألت رجالاً عندي عن مسألة، فكان في جوابهم ما اقتضى التعجل، فخرجت في الحال قاصداً «لنية» مستقبلاً الليل، فمشيت آخر يومي وأول ليلتي، فبينما أنا أمشي إذ رأيت ناراً فعشوت إلى ضوئها فإذا أنا برجال على شاطئ البحر ألقتهم سفينتهم وعددهم ٤٥ بعد القرب إلى ذلك المكان، فبت عندهم تلك الليلة، وكانت ليلة مطيرة وصان الله تعالى الكتب التي معي بسبب أولئك، فإني بت عندهم في مثل الخيمة وهو شراع سفينتهم أصلحوه حتى عصمنا الله به من المطر، فلما كان الصباح سرت من عندهم متوجهاً إلى لنية، فلما كان وقت العصر دخلت تلك البلاد وهي «لنجة» المذكورة، وذلك اليوم يوم الأربعاء حادي وعشرين من جمادى الأولى، وصادفنا الأخ إبراهيم بن سيف المقدم ذكره، وأقمت عنده في تلك البلاد آخر ذلك اليوم وأول الغد، ثم وصل إلى لنية المركب - أعني مركب العجم - قاصداً الهند، فركبت فيه وبقينا في ذلك المركب قبل وصوله الهند تسعة أيام لأنه - أعني المركب - وقف قريباً من «بندر عباس» يومين وقد رأينا فيما أتينا عليه من آيات الله تعالى الكبار وآثار قدرته وعجيب صنعه مما يدل أوضح دلالة وينادي أعظم نداء أنه تعالى هو الإله الحق المتفرد بالعبادة الذي لا تصلح لغيره ولا تنبغي لسواه، آمنا به وعليه توكلنا هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب، وقدمنا «البندر بمبي» مستهل جمادى الآخرة وهو الشهر السادس من شهور السنة الحرة أعني ١٣٠١هـ.

ذكر مشايخه الذين أخذ عنهم

من هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم من أهل الهند: الشيخ نذير حسين الدهلوي، وكان الشيخ إسحاق يعظمه ويقول: إنه حامل لواء أهل الحديث بلا نزاع وحلية أهل الدراية والرواية والسماع، ومنهم ابنه الفاضل شريف حسين بن نذير حسين، وأخذ أيضاً عن الشيخ العالم الفاضل صديق حسن القنوجي صاحب المؤلفات المفيدة، وكل من هؤلاء قد أجازاه وكتب له الإجازة بقلمه، وأخذ أيضاً

عن الشيخ الفاضل حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي، وأخذ أيضاً عن العلامة الشيخ محمد بشير الهندي، وأخذ عن الشيخ العلامة سلامة الله الهندي، وقد أجازوه بما روه وأخذوه وسمعه من المشايخ الكرام المحدثين الأعلام، وأقام في بلاد الهند يتعلم ويدرس ويتردد بين أولئك الأئمة الأعلام، ثم إنه سافر من الهند إلى مكة المكرمة وأقام بها ستة أشهر درس فيها على علماء مكة.

فمنهم الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى قرأ عليه شرح زاد المستقنع بكماله، وقرأ عليه أيضاً كثيراً من المؤلفات النافعة لا سيما الكتب المتعلقة بالحديث وقد أجازوه بما رواه وسمعه، وأخذ عن مشايخه الأعلام الذين من أجلهم الشيخ العالم العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ أيضاً عن جماعة من علماء مكة المشرفة منهم الشيخ حسب الله الهندي، والشيخ عبدالله الزواوي، والشيخ أحمد أبو الخير، وقد كتب في رحلته لطلب العلم كتباً كثيرة نافعة منها في الهند «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن القيم»، ومنها «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار»، ومنها بمكة المكرمة «تجريد التوحيد المفيد للمقرئ» ، ثم إنه رجع إلى وطنه الأفلاج وأقام بها مدة ثم عزم على السفر إلى الهند لأن يزداد من العلم، فسار حتى بلغ الإحساء فأصابه مرض في عينه فرجع إلى وطنه.

وقد ولاه صاحب الجلالة عبدالعزيز بن السعود قضاء بلد الأفلاج ثم نقله منها إلى الرياض فجعله قاضياً فيها حتى توفاه الله تعالى.

ذكر الذين أخذوا عنه من العلماء والأخبار

أما تلامذته الذين تخرجوا عليه وأخذوا عنه، فهم كثيرون ولكننا نذكر بعضهم إذ لا يمكن استيعابهم.

فمنهم: الشيخ العالم العلامة الذي افتخرت به الأواخر على الأوائل، ذو الأجوبة السديدة والمؤلفات المفيدة، حبر زمانه والنابع من بين أقرانه «عبدالله بن

عبدالعزیز العنقري» وناهيك به علما وشرفاً، ومنهم الشيخ المفتي الأكبر في هذا الزمان ورئيس قضاة نجد العالم «محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، ومنهم الشيخ الفاضل عمر بن حسن بن حسين آل الشيخ رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نجد، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن عتيق أخوه، وأخذ عنه أيضاً أخوه الشيخ العالم عبدالله بن حمد بن عتيق، وأخذ عنه أيضاً أخوه الشيخ الذكي إسحق بن حمد بن عتيق، وأخذ عنه الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، وأخذ عنه أيضاً الشيخ العلامة سعود بن رشود، وأخذ عنه أيضاً الشيخ فيصل بن عبدالعزيز بن مبارك، وأخذ عنه الشيخ سعد بن سعود، وغير هؤلاء خلق كثير وجم غفير.

وكان رحمه الله لا يداري ولا يداهن بل يظهر دينه ويصدق بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم ولا يبالي في نصرة الحق رضي الناس أم سخطوا، أما مؤلفاته ورسائله فكثيرة منها: حجة التحريض على النهي عن الذبح للمريض، ومنها نظم المفاتيح التي ذكرها ابن القيم في كتابه حادي الأرواح، ومنها نظم نواقض الإسلام العشرة، ومنها رسالته إلى أهل الغطف والأرطاوية ينصح ويحذر فيها من الخروج على ولي الأمر وغير ذلك، ولولا خشية الإطالة لأتينا بها إلى هذا الموضع لكن على من أحب مراجعتها فليطلبها في مجموع الرسائل النجدية.

وكان الشيخ عبدالله بن عبداللطيف يحله ويعظمه وينصر أقواله ويقر له بالفضل، بل كان عضده الأشد وخير مساعد له ومعين، ولما كان في ١٣ جمادى الأولى من هذه السنة توفاه الله تعالى ونقله إلى رحمته، نسأل الله تعالى أن يجعل الجنة مثواه، فرثاه جماعة من علماء نجد من هؤلاء الشيخ عبدالملك بن إبراهيم، والشيخ سعود بن رشود، والأخ عبدالحسن بن عبيد، ونكتفي من ذلك بما رثاه به شاعر نجد الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين حيث قال هذه القصيدة البليغة التي كفت وشت:

أهكذا البدر تخفى نوره الحفر ويفقد العلم لا عين ولا أثر

خبث مصاييح كنا نستضيء بها
واستحكمت غربة الإسلام وانكسفت
تحرم الصالحون المقتدى بهم
فلست تسمع إلا كان ثم مضى
والناس في سكرة من خمر جهلهم
نلهو بزخرف هذا العيش من سفه
وتستحث منايانا رواحلنا
إلا إلى موقف تبدو سرائرنا
فياله مصدر ما كان أعظمه
فكن أخي عابراً لا عامراً فلقد
استنزلوا بعد عزٍ عن معاقلهم
تغل أيديهم يوم القيامة إن
ونح على العلم نوح الشاكلات وقل
الصادعين بأمر الله لو سخطوا
والسالكين على نهج الرسول على
والعادلين عن الدنيا وزهرتها
لم يجعلوا سلماً للمال علمهم
فحيي أهلاً بهم أهلاً بذكرهم
أشخاصهم تحت أطباق التراب وهم
هذي المكارم لا تزويق أبنية
وابك على العلم الفرد الذي حسنت
من لم ييال بحق الله لائمه
بحر من العلم قد فاضت جداوله
فليت شعري من للمشكلات إذا

وطوحت للمغيب الأنجم الزهر
شمس العلوم التي يهدى بها البشر
وقام منهم مقام المبتدأ الخبر
ويلحق الفارط الباقي كما غبروا
والصحو في عسكر الأموات لو شعروا
لهو المنبت عوداً ماله ثمر
لموقف مالننا من ورده صدر
فيه ويظهر للعاصين ما ستروا
الناس من هوله سكرى وما سكروا
رأيت مصرع من شادوا ومن عمروا
كأنهم ما نهوا فيها ولا أمروا
بروا تفك وفي الأغلال إن فجروا
وأهف نفسي على أهل له قبروا
أهل البسيطة ما بالوا ولو كثروا
ما قررت محكم الآيات والسور
والآمرين بخير بعدما ائتمروا
بل نزهوه فلم يعلق به وضر
الطيبين ثناء أينما ذكروا
كأنهم بين أهل العلم قد نشروا
ولا الشغوف التي تكسي بها الجدر
بذكر أفعاله الأخبار والسير
ولا يحابي امرءاً في خده صعر
أضحى وقد ضمه في بطنه المدر
حارت بغامضها الأفهام والفكر

من للمدارس بالتعليم يعمرها
هذي رسوم الدين تندبه
طوتك يا سعد أيام طوت أمماً
إن كان شخصك قد واره ملحد
والأسوة المصطفى نفسي الفداء له
بني لكم حمد يا للعتيق علا
لكنه العلم يسمو من يسود به
والعلم إن كان أقوالاً بلا عمل
يا حامل العلم والقرآن إن لنا
فيسأل الله كلاً عن وظيفته
وما الجواب إذا قال العليم إذا
والكل يأتيه مغلول اليدين فمن
فجددوا نيةً لله خالصةً
وناصحوا وأنصحوا من ولي أموركم
والله يلف في الدنيا بنا وبكم
وصل ربي على المختار سيدنا
محمد خير مبعوث وشيعته

يتابها زمر من بعدها زمر
ثكلاً عليه ولكن عزها القدر
كانوا فبانوا وفي الماضيين معتبر
فعلمك الجم في الآفاق منتشر
بموته يتأسى البدو والحضر
لم ينها لكم مالاً ولا خطر
على الجهول ولو من جده مضر
فليت صاحبه بالجهل منغمر
يوماً تضم به الماضون والآخر
فليت شعري بماذا منه يعتذر
قال الرسول أو الصديق أو عمر
ناج ومن هالك قد لوح سقر
قوموا فرادى ومثنى واصبروا ومروا
فالصفو لا بد يأتي بعده كدر
ويوم يشخص من أهواله البصر
شفيعنا يوم نار الكرب تستعر
وصحبه ما بدا من أفقه قمر

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ سليمان بن سحمان صاحب الردود والشعر الحسن رحمة الله عليه

وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم الشاعر الماهر الذكي المتفنن في العلم والشعر
والنحو والفقه والأصول والفروع، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان
بن عامر، كان أصله من «تباله» التي تقع على شاطئ بيشة الشمالي، وهي وادٍ

مجاور لوادي بيشة ينصب من جهة الغرب إلى جهة الشرق، بأعلاه قصور ومزارع وأسفله مرعى للبوادي.

كان الشيخ سليمان بن سحمان قارعاً للشعر حتى أطلق عليه «حسان السنة في وقته» وله في ذلك ديوان حسن، وينقسم ديوانه إلى ثلاثة أقسام: قسم في الردّ على أعداء الشريعة الذين شرقوا بهذه الدعوة، فرد عليهم بما أدهض به حججهم وثلّ به عرشهم وألقاهم إلى قعر الحضيض، فقد ردّ على قريب من خمسين ضالاً مبتدعاً فأفاد وأجاد وبلغ في الغاية فوق ما يراد حتى كان سداً عظيماً دون حمى الدين، وسفاً مسلولاً على أعناق المبتدعين، وجاهد بحجته ولسانه العابثين والمروجين الذين هم كفار السفين، وما زال يناضل ويحامي حتى أتاه اليقين.

القسم الثاني: من قصائده من عقائد لأهل السنة في معرفة التوحيد وأقسامه وما يضاهيه من الشرك والتنديد، وأوضح معالم الدين وأشاد مناره وأبطل الزخارف والتمويهات وأجلب على ذلك بخيله ورجله، فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، لقد أحسنت يا سليمان في بيانك وأوضحت وبيّنت، وإنا لنرجوا أن يجود الزمان بمثلك.

القسم الثالث: من قصائده مجاوبات ومراسلات ومدائح لأهل الدين والعلم والفضل، وتشكي من حالة الزمان، ورثاء لأهل العلم، ومنادمة لإخوانه وأحبابه، وعلى من أحب أن يعرف قدره فليراجع ديوانه فإنه قد احتوى على العجب العجائب:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| هو النجم للساوي ضياءً وأنساً | وشهبٌ على هام الطفلة وجحد |
| ملاه قصيداً فائقات نظائراً | وعلماً وتحقيقاً يبين لمهتد |
| فردّه وأمعن في اقتناء عقائد | تنجي لعمر الله من كل مفسد |

هذا وإنا لنأمل في أحبابه أن يعيدوا طبعه ويحسنوا وضعه ويأتوا بما قد فات جامعهم من القصائد الكثيرة للمؤلف، وقد أحببت أن أنقل هنا بعض أبيات له جواباً لأبيات وردت عليه، قال بعد البسملة:

من سليمان بن سحمان إلى حضرة جناب اللوذعي الأديب، والألمعي المصقع الأريب، المحب المقدم، والأخ المكرم «ناصر بن سعود» لا زال بالعلم والآداب في صعود، وأيامه في فوز وهناء وسعود أمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فالموجب للخط هو إبلاغ السلام والتحية والاحترام ثم السؤال عن صحة أحوالكم واعتدال أوقاتكم، ونحن بحمد الله في أحسن حال وأنعم بال والخط الشريف والجواب اللائق الرائق المنيف، وصل إلينا وكان من أكبر المنن علينا، ولكني أقول:

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| أتاني على عظم الخطوب الشواغل | الوكة ذي ود نصيح مواصل |
| يذكرني عهد المحبة والإخا | وعصراً مضى بالطيبين الأفاضل |
| ويكي على نصر الهدى بعدما عفت | معالمه وأبلو لجت بالنوازل |
| ويهدي خلال الخير نصحاً لخله | على أنها تعلو يفاع المنازل |
| فأهلاً بها أهلاً وسهلاً ومرحبا | هدية مأمون سليم الدغائل |
| ولكنني لا أستطيع جوابها | وما الله عما يعملون بغافل |
| ولي كبد مكلمة لو أجمت ما | أجنته لأستعدي العداء كل جاهل |
| فأعف أخاك اليوم عن درك الذي | تؤمله مني لعظم الشواغل |
| وأبلغ لإخوان وصحب أجلة | سلاماً كصوب المعصرات الهواطل |
| عداداً وما لاحت من الأفق أنجم | وهب نسيم بالضحي والأصائل |
| ولاني وإن قصرت عن نيل سعيهم | وخلفني ذنبي وسوء التكاسل |
| أود لهم خيراً وأرجو بحبهم | لحوقاً بهم في عاليات المنازل |
| فمن طلب العلم الشريف بنية | تسامي إلى شأو العلى والفضائل |
| ونال المنى واستر بالفوز والهناء | فطوبى له إذ نال خير الوسائل |
| وصل على خير الأنام محمد | وأصحابه والآل أهل الفضائل |

ثم قال: هذا والمأمول المساحة، فإني كتبت ارتجالاً وسودتها عجالاً، ولا يسمع بها إلا من هو من أهل المحبة والصفاء، فأنا في محل وزمان ربما يخفى عليكم غايته،

وبلغ السلام المشايخ والإخوان كافة منا عموماً ومنك خصوصاً ومن لدينا الشيخ عبدالله وعياله وإخوانه يسلمون عليك والسلام.

أما مشايخه الذين أخذ عنهم فإنه أخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ أيضاً عن ابنه الشيخ العالم العلامة عبداللطيف ابن عبدالرحمن، وأخذ أيضاً عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن، وناهيك بهؤلاء فضلاً وعلماً وذكاءً، وأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق، وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس، وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وغيرهم، وجدّ واجتهد حتى علا نجم ذكره في الآفاق، ونصر دين الله من افتراء أهل الشقاق، فيا طوبى له غدا يوم التلاق.

ذكر ما جرى عليه من الامتحان وثقته بالله الواحد الديان

كان له من ذلك حظ وافر ونصيب جزيل، وذلك لأن زمانه وافق اختلاف آل سعود فيما بينهم، واختلاف الكلمة وتشتت البال ومكابدة المخاوف والأهوال، واندلع إذ ذاك فتن تغدو وتروح، وأنياب الشر هناك تبدو وتلوح، فأصبح أهل الدين مخوفين بالزلازل، ومفزعين وغذولين لا يقر لمؤمن قرار ولا يسترعن طغاة الأشرار سور ولا جدار، فقد حبس المترجم وأوذى في ذات الله ومنع وهدد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال قصيدته الميمية التي تقدم ذكرها، وأنشأ قصيدتين في شأن سجنه وأنه لا مبرر لذلك، غير أنه لا بد ولأعدائه من المحاكمة بين يدي الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ولا يظلم ربك أحداً.

فيا لعباد الله من أقوال الوشاة وأهل الخوض في أعراض العلماء الذين لحومهم مسمومة، وبراءتهم لدى الله ولدى خلقه معلومة، فلا يرتدعون ويفكرون فيما يقولون وأنهم بمراى من الله ومسمع وأن الله هو الثائر لأوليائه لا يكل نصرتهم إلى غيره، ويكفيينا حسن العاقبة له، وأن أعداءه لا يزالون في تأخر وتمزيق وانحلال.

ومنها تشتت شمل العلماء وطلاب العلم في ولاية آل رشيد، حتى تناءت بهم

البلدان وتفرقوا في كل مكان، وأنبت نظام الدين، وانتشرت دعاة الشياطين، فأنشأ في ذلك قصيدة خرجت عن حرارة الجوى، وباح بما لديه وقال الذين أمنوا بالله ورسوله: «متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب» وما زال وإخوانه وأحبابه موبورين حتى أغاث الله خلقه ونصر أوليائه، وأتى بأمرٍ من عنده ونفحةٍ من نفحات لطفه، وذلك بظهور صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود.

ومنها لما بيته للصوص المعتدون في الموضع الذي يدعى «طلحا» فنجاه الله من شر هذه المكيدة فقال في ذلك قصيدة عظيمة بعث بها إلى المشايخ الإخوان يخبرهم بما جرى عليه، ويشكر الله على ما منَّ به عليه من دفع الأذى وخلصه من ذلك الشر والبلاء، وهي موجودة بالديوان.

ومنها أن الله تعالى أخذ حبيتيه وسقط الماء في عينيه، فسار إلى دكتور النصارى في البحرين، فلم يفد فيه شيئاً، غير أن لاقى الأهوال والشدائد في ركوب البحر وأمواجه وألم العلاج، وتقدم ذكر ذلك في سنة سفره، أضف إلى ذلك قلة ذات اليد وضيق معيشته في أول نشأته، فكان في كل هذه الأمور صابراً لله محتسباً فيما عنده، فله دره ما أعرفه بربه وأصبره في حال الضراء وأشكره في حال السراء.

ولقد امتحن الله النجدين بتصدي العثمانيين لعداوتهم وتآليب العرب وأشراف الحجاز والمصريين عليهم، لئلا يعيدوا ملك العرب وسلطانهم الذي سلبوه منهم، فحاربوهم باسم الإسلام ونشروا الكتب والفتاوى في رميهم بالكفر والابتداع، فلذلك قام هذا الشيخ ورد على كل مفتر وأجلب عليهم وجاهد في الله حق جهاده.

ذكر مؤلفاته رحمه الله

كان رحمه الله آية من آيات الله تعالى في إنشاء الشعر وسبكه ووزنه والفصاحة والبلاغة. فمن ذلك رده نظماً على «زيني دحلان» لما أقذع والعياذ بالله في مسبة أهل هذه الدعوة، وأرخی لسانه في عيب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فردَّ عليه الشيخ سليمان وشفى وكفى، وكل مؤلفاته كانت في بيان الحق وإبطال الباطل.

ومنها كشف الغياهب، ردّ فيه على أحمد باشا العظمي لما سلك سبيل أهل الضلال.
ومنها الأسنّة الحداد في رد شبهات علوي الحداد.

ومنها الضياء الشارق في الرد على جميل الزهاوي في تجازفه وكفره.
ومنها تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة.
ومنها كتاب تبرئة الشيخين الجليلين من تزوير أهل الكذب والمين.

ومنها الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، وهو كتاب بناء من خمس رسائل
لأئمة هذه الدعوة من كبار علماء نجد، ثم أعقبها بقصيدة بليغة عظيمة احتوت
على نكت بديعة في العقيدة السلفية، فما رأيت أحسن من موضوعها، ويختتم
الكتاب بقصيدة ملا عمران وأرجوزة محمد بن أحمد الحفظي الحجازي اليمني، وله
كتاب في الرد على بابصيل.

ومنها كتاب الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية رد فيه على
الكسم، ومنها رده على عبد الكريم البغدادي في حل ذبائح الطب وكفار البوادي.

ومنها كشف الأوهام والالتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس.
ومنها رده على ابن عمرو، وله الجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية.
وقد رأيت رسالة من تأليفه رد فيها على منكر الساعة التي تدل على الأوقات،
وذلك لأن المعترض يدعي أنها سحر وأنها من عمل الشيطان، وكان هذا المنكر لها
يزعم أنها إذا تليت عليها الآيات القرآنية يبطل عملها آيات من القرآن وينفث
فتقف عن الدقات، فتبين أنه يملؤها ببصاقه فتقف، فإذا أزيل البصاق عن آلاتها
الدقيقة تسير.

ولما كان لكلامه أشد الوقع وأعظم التأثير على المخالفين، بعث إليه علماء أهل
الجيل يسألونه أن ينظر في اعتراض الملاحى على الشيخ صالح بن سالم، فإن كان
الحق معه فالرجوع إلى الحق أحق وأولى من التماسي في الباطل، وإن كان الحق
معه فال المطلوب منه المناصرة والمساعدة، ولما أن نظر في حالة الفريقين ورأى حمل
الملاحى عليهم وعلى شيخهم بما لا مبرر لفعله رد عليه بما شفى وكفى وبين

وفصل، وذلك لأن الشيخ صالحاً أكبر وأفضل من أن يرمى بأنه أخلد إلى الأرض
واتبع هوى الأتراك ومن لحا نحوهم مستجباً مودتهم ولاهياً بلذة العيش وطول
الأمل، وقد امتدحه العلماء وأثنوا عليه.

فمن ذلك ما قاله الشيخ صالح تشجيعاً له لما بعث المترجم قصيدة لآل فوزان
تضمن الرد على أهل الزيغ والتحذير من سلوك سبل الجحيم، فقال الشيخ صالح
بن سالم بن بنيان في مدح المترجم والثناء عليه والدعاء له لقيامه في نخور أعداء الله:

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| فالله يميزك الذي ترضى به | من جنة المأوى مع الرضوان |
| ويؤيد الإسلام دهرأ طائلاً | ببقائك فينا يا أخا العرفان |
| ويذل بالمشور والمنظوم من | إنشائك أهل الزيغ والطغيان |
| أو ما علمت بأن هذا خير ما | تلقاه في صحف لدى الميزان |
| وكذا يسرك أن رأيت موسداً | ترباً وقد أدرجت في الأكفان |
| فلقد أتى والله كل منافقٍ | بقوارع زادت على الحسبان |
| قعدوا يصدون العباد عن الذي | خلقوا له من طاعة الرحمن |
| وسعوا بهدم قواعد ما بعدها | والله للإسلام من بنيان |
| فجهادهم فرضٌ على كل امرئٍ | لا للكفاية بل على الأعيان |
| هذا ولو قد قلت مختص بكم | لندور من يسعى بهذا الشأن |
| لعذرتمونا عن ملامة لائم | لمقالتني بالزور والبهتان |
| إذ كان غيركم فإما خائفٌ | أو عاجزٌ أو من له الوصفان |
| فاجعله ديدنك الذي لا تنتهي | عن فعله ما دمت ذا إمكان |
| واقصد به وجه الإله واخلصن | متمسكاً بحقيقة التكلان |
| ودع المثبط عنك في قيد الهوى | ما زال في تخويف ذا الشيطان |
| هذا وأول قولتي وختامها | هو رفع أيدينا بكل أوان |
| أن لا تزال تذب عن دين الرسو | لوعسكر الإيمان والقرآن |

أما بقية مؤلفاته فمنها:

الجواب المنكي في الرد على الكفكي، كتاب إقامة الحجة والدليل، وإيضاح
الحجة والسبيل على ما موه به أهل الكذب والين من زنادقة البحرين.

ومنها كشف الشبهتين عن رسالة يوسف بن شبيب والقصيدتين.

ومنها الجواب المستطاب عما أورده الجاهل المرتاب المسمى بمترك الجواب
الفارق بين العمامة والعصائب.

ومنها حل الوثائق في إحكام الطلاق، نبذة في الزيارة، وإرشاد الطالب إلى أهم
المطالب، منهاج الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع.

وكان له رسائل ونصائح وأجوبة، واشتهرت مؤلفاته بين الأمة، وكان شهماً
هماماً مقدماً مجتهداً، وما زال يحمل على أعداء الشريعة حتى أدحض حججهم
وأرغم أنوفهم، وهتك أستارهم وأظهر أسرارهم وقوض أخبارهم، فهو قانع
المبتدعين، وكاشف شبهات المشبهين والمبطلين، لأنه البليغ المصقع، والعالم النحرير
البلتع، وأثنى عليه العلماء وباحوا بفضلته وتقدمه، قال الشيخ حمود بن حسين
الشغذلي:

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| هو الألمي الندب من فاض علمه | فأقواله فينا تفوق الدراري |
| هو الشهم من يسمو المعالي بعدله | فتلقاه عن داء الهوى متجايفاً |
| وذاك سليمان الذي ذاع فضله | وصار لهذا الدين والله حامياً |
| فلا زال فينا واطأ هامة العدا | ولا زال محروساً وللضد رامياً |
| فكم من أخي جهل تردى برده | وأصبح بعد العجب بالقهر عانياً |
| وكم مستفيد يطلب الرشداً جاهداً | فأبدى له شمس الهدى في الدياجيا |
| فجوزي بالإحسان والعفو والرضا | على رغم أنف المعتدي والمعاديا |

وقال أيضاً الشيخ صالح بن سالم لما رأى رداً له على بعض المعارضين مادحاً
للمترجم وكيف أنه قائم على ثغرة المرمى يزود عن حمى الشريعة وأهلها:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| تصدى له قس الزمان وحبه | سليمان من ينشي القريض بلا خجل |
| ويرمي أخا الإلحاد في ثغر نحره | ولا سيما أن فوق السهم وانتضل |

وقرر حكم الدار تقرير منصف
وأوضح حكم الترك في ذا وكفرهم
وكم من ردود واضحات فكن بها
وكم عارض رمح الضلالة يعتدي
فلا زال فينا واطأ هامة العدا
ولإخوان صدق وافقوه وأوضحوا

وقال الشيخ فوزان بن عبدالعزيز في مدحه لما ألف الصواعق المرسلة على
الرجل المسمى الكسم وأصحابه:

وانظر صواعق علم أحرقت شهباً
الجهبذ الفاضل الموهوب تكرمة
ومن حمى ملة الإسلام وانتشرت
بالظم حقاً وبالمنثور فانضحت
أعني سليمان من سارت فضائله
فانظر لحزب الردى حقاً فقد غرقوا
وكانت ولادته رحمه الله في قرية «السقا» من بلدان أبها سنة ١٢٦٨هـ، ونشأ
بها حتى راهق البلوغ، قال رحمه الله:

وأرض بها نيطت على نمائي
بلاد بني تمام حيث توطنوا
ثم انتقل منها إلى الرياض، والرجل فوق ما قيل فيه ديناً وزهداً وعلماً ومعرفة
وجهاداً لأعداء الشريعة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ونشهد الله على حبه
وندعوا له ونثني عليه ونسأل الله تعالى أن يجبر الإسلام على فقده وأمثاله.

وإنها لمصيبة عظيمة أن يهلك هذا العالم ولا نجد من يسد ثلثته، وأملنا
عظيم في رجال الدين وحماة الشريعة أن يقوموا بواجبهم لينالوا حسن الثواب
ويؤدوا واجباً.

ذكر تلامذته ووفاته

أما تلامذته والذين أخذوا العلم عنه فمنهم: الشيخ عبدالله بن العزيز العنقري، والشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد، والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ إبراهيم بن حسين وغيرهم خلق كثير وجم غفير.

كما أنه أخذ عنه سليمان بن حمدان وأكثر الأخذ عنه، وذلك لأنه بعد وفاة مشايخه تصدى للتدريس ونشر العلم، ودعى الله تعالى، وكذا أخذ عنه أبنائه أيضاً صالح وعبد العزيز وعبدالله.

ومن عجائب ما روي عنه أنها لما خرجت روحه، شموا من جسده رائحة مسك طيبة لا يعهدون مثلها، وكان زاهداً في الدنيا، لم يجد خلفه سوى مسكن صغير وأربعة عشر ريالاً، ورؤيت له منامات حسنة، ورثاه غير واحد من العلماء والأدباء، وشيع جنازته خلق كثير وجموع غفيرة، وصلي عليه في جامع الرياض الكبير، وأم الناس في الصلاة عليه الشيخ محمد بن عبداللطيف، ودفن في مقبرة العود بين قبري الشيخ عبداللطيف وابنه الشيخ عبدالله، وتأسف الناس لفقده وجعلت الأمة تلهج بالثناء والترحم عليه.

قال الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل يرثيه بهذه المراثية:

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| ما بال دمعك يهمني طول أزمان | وأنت دايم أشجانٍ وأحزان |
| والقلب منك نبا والهـم متقد | كأنه رجلٌ من فوق نيران |
| تنوح طول الدياجي من أسأ وضنا | قد طال ما أرقاك نوح ثكلان |
| كم ليلةٍ بتها ترعى النجوم بها | لم تغتمض قط منك الليل عينان |
| إذ ذاك من ذكر عهدٍ للصبا سلفت | أيامه عند أهل الرند والبان |
| أمن تذكر غزلانٍ بذي سلم | حور العيون كياقوتٍ ومرجان |
| لا والإله الذي لم تخف خافية | عليه علا إخفاءٍ وإعلان |

ما إن ذكرت ولم أذكر وما سفحت
بل من تذكر شيخ عالم علم
علامة علمت حقاً فضائله
من فاق في الفهم والتوحيد مع لغة
وفي الأحاديث والآداب مع سير
نال العلا فعلى فوق الذرا رتبا
لسانه صارم في شعره فلقد
يذكر الناس قساً في خطابه
وانظر فوائد في البستان الفها
واقراً رسائل في التوحيد أرسلها
وسل خبيراً به ينيك عنه وقل

عيناى من ذكر أطلال وجيران
حبرٌ تقي من الأحبار رباني
بحر العلوم سليمان بن سحمان
والنحو ثم تفاسير لقرآن
والنظم والنثر حقاً كل أقران
حتى سما في سما مجد وعرفان
أعاد في وقته إنشاد حسان
وفي بلاغته وضعا لسحبان
مثل الفواكه بل أحلى لدى الجاني
براً وبحراً وفي سكان بلدان
لله در سليمان بن سحمان

وقد رثاه أيضاً الأديب الفاضل حمد بن محمد بن جاسر.

أما صفة الشيخ: فإنه كان أسمر اللون، قصيراً له لحية كثيفة يعلوها الشيب،
متوقد الفهم، حازماً في الأمور، وقد قدمنا نبذة من قصائده فلا حاجة إلى الإطالة.
وقد خلف أولاداً صالحين من أشهرهم: الشيخ صالح بن سليمان،
وعبدالعزیز.

وفيهما هلك عبدالمحسن بك السعدون وزير داخلية العراق، قتل نفسه والعياذ بالله.

وفيهما صدر أمر صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل بشراء ماكنة
قوية لإضاءة المسجد الحرام، بحيث يستطيع القارئ أن يقرأ كتابه على نور المصابيح
الكهربائية في أي موضع شاء في سائر المسجد الحرام لأجل أن تضم إلى الماكنة
الأولى الكبيرة، فأحضر ماتوراً آخر كبيراً بقوة ثلاثة عشر حصاناً ونصف، ووضع
مع الماتور السابق ذكره في عين المستودع المعروف، وزيد في تعميم الإضاءة بمصابيح
الكهرباء بالمسجد الحرام، فوضع على حطيم حجر إسماعيل ستة شماعات وعمل
على شمعدان منها ثلاثة أغصان، وعلق في كل غصن مصباح كهربائي، ووضع

أيضاً ستة وعشرون اسطوانة في حصاوي المسجد الحرام صنعت بالإسمنت المسلح على قاعدة لطيفة، وعملت على شكل شجرة لطيفة ذات أربعة أغصان، وطول الاسطوانة قدر ثلاثة أمتار، وعلق على كل غصن من الأغصان الأربعة المتفرعة من كل اسطوانة مصباح كهربائي، فصارت تلك الأساطين حال إضاءتها بالكهرباء شبه الثريا، فجاءت على أحسن وضع، واستغنى بذلك عن استعمال اللوكسات.

ثم دخلت سنة ١٣٥٠هـ

استهلت هذه السنة والشيخ عمر بن محمد بن سليم قدس الله روحه ونور مرقدہ وضريحه لا يزال في جدّ ونشاط في التدريس بالمسجد المعروف في بريدة «بمسجد ناصر» فكانت أوقاته عامرة بالذكر والخلق، مترادفة في التعلم غدوة وصباحاً وظهراً ومساءً ومغرباً وعتمة، وذلك في الحديث والفقه والتوحيد والتاريخ، والنحو والفرائض وحساباتها، كما أن الشيخ العالم عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي لا تزال مجالسه عامرة، وطلاب العلم يزدهمون بركبهم لاستفراغ منطوقه، ويردون على تلك الموارد التي تروي من الصدى، وكنت إذ ذاك أتردد بينهما، أتعلم ولا أنسى لهما الفضل علي بصفتيها يعلمان بدون مقرر لروايتيها.

فأما شيخنا عمر فإنه قليل التفسير، كثير البركة في التعليم، ولا أنسى هيئته في التعليم فأكثر ولا حرج.

أما الشيخ عبدالعزيز: فإنه لا يكاد يمر به لفظه إلا يقف يفسرها، وكان ضرير البصر لذلك يكب على تعليمه عامة الناس.

هذا وقد كان القاضي في بريدة فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، ولكنه كثير التأثر بالمرض، فيستخلف أخاه الشيخ عمر ويستنييه، ولما أن كان الشيخ عبدالله لا يسأم التدريس ولا يمل، آتس من نفسه نشاطاً وصحةً في شعبان من هذه السنة فجلس للتدريس واستبشر الناس بذلك، ثم اغتنم تلك الفرصة شيخنا عمر فسافر إلى مكة المشرفة للعمرة في رمضان، واستقل سيارتين يصحبه أناس من الإخوان طلاب العلم، ولقد شيعه الأهالي من سائر القصيم وودعوه وداعاً حاراً.

هذا وقد كان أمير بريدة إذ ذاك «مبارك بن مبيريك» الورع الحليم العاقل المتعفف جزاءه الله خيراً، وكان هذا الرجل يستر العورات وينصح للأمة فأعيد في إمارة بريدة للمرة الثانية بعدما عزل عنها الأمير «تركي بن ذعار» ولما أن كان في شوال قدم الشيخ عمر إلى بريدة عائداً من الحجاز فابتهجت به وجوه الأهالي.

وفيها أنشئ في بريدة عاصمة القصيم محطة التلغراف اللاسلكي، فانزعج الناس لذلك وأحدث عند العامة تشويشاً فذهبوا إلى القاضي عبدالله بن محمد بن سليم يأخذون رأيه فطمئنهم وأمرهم بالسكينة فقاموا مقتنعين وقد ذهب كل ما يجدونه في نفوسهم، ولما جاءت به أخبار الأهلة والطلاق والأحداد عرفوا تلك المصالح التي وفرت للأمة شيئاً كثيراً فنسأل الله البصيرة في أمور ديننا ودنيانا.

ذكر ثورة الأدارسة وابن رفاة

قد بيّت أعداء الحكومة السعودية لها نية القيام بثورتين في وقت واحد حتى استوفوا شرائطهما - الأولى كانت في الشمال وهي فتنة ابن رفاة، والثانية في الجنوب وهي فتنة الأدارسة، ولكن من توفيق الله للحكومة السعودية اختلاف الثورتين في الميعاد، فنقل إلى الحكومة في شوال من هذه السنة أن أعداءها بيتوا النية على الثورة، واتخذوا سبيلاً لذلك فأخذ ابن سعود التدابير، وقضى على فتنة ابن رفاة.

كان حامد بن سالم بن رفاة من سكان الحجاز وقطن به إلى سنة ١٣٤٧هـ، ثم قام بفتنة في الوجه فضربته الحكومة السعودية ضربة فرّ على أثرها إلى الديار المصرية، واتخذ له مسكناً بالقاهرة، وظل مقيماً بها حتى غادرها للقيام بهذه الحركة، ولم يكن حامد قد نسي الضربة التي أقصته عن بلاده، ولم يعد كما كان شيخاً لقبيلة «بلي» فأضمر العداة لحكومة بلاده وأخذ يتصل بالعدو آملاً في النهوض بثورة على الحكومة طمعاً في السيادة والانتقام وأطمعهم في الكسب حتى استطاع أن يجمع بضع مئات بمساعدة «محمد بن عبدالرحيم أبي

طقيقة»، وكان هذا الغي الذي يظن أنه متى ما قام بثورته ضد ابن سعود لفته قبائل الحجاز وثار معه، فمشى بمن معه من البدو إلى النصب بين السويس والطور وأبقاهم فيه ورجع إلى القاهرة لتصفية أعماله بها.

أما الأدارة فتقريب مسألته: أنه لما مات محمد بن علي الإدريسي الذي كان وفق كل التوفيق إلى تأسيس إمارته على قواعد ثابتة، تولى ابنه علي بن محمد الذي لم يكن كآبيه في الأخلاق والصفات، بل كان ضعيفاً فاطر العزيمة بالنسبة إلى أبيه حتى احتل الإمام يحيى الحديدة، ووصل إلى ميدي فثار عليه الأدارة لثلاثين نفلة من أيديهم الملك والسلطان وأخرجوه، فلجأ إلى ابن سعود وما يزال باقياً عنده فتولى السيد الحسن الإدريسي وأراد أن يكون كأخيه محمد، ولكن لم تكن فيه مؤهلات ذاك وكفاءته فارتبك وفاوض يحيى وإيطاليا والإنكليز، فلم يتم الاتفاق إلا بينه وبين الإنكليز، فمنحهم امتيازاً من جزيرة «فراسان» بشروط مجحفة على البلاد، وتم الاتفاق مع ابن سعود بواسطة مندوبه السيد «مرغني الإدريسي» على بسط الحماية السعودية على تهامة التي يحكمها الإدريسي وذلك في ١٤/٤/١٣٤٥هـ، ومن أهم شروطها: ألا يفادض الحسن مفاوضات سياسية مع أية حكومة كانت، وألا يمنح امتيازاً اقتصادياً ولا يعلن حرباً أو يبرم صلحاً إلا بعد موافقة ابن سعود، وألا يتنازل عن جزء من أراضي مقاطعته، وقد تقدم، وفي الوقت نفسه تعهد ابن سعود بالدفاع عن ممتلكات الإدريسي، وكان أول عمل لابن سعود مفاوضة بريطانيا في شأن الامتياز، حتى استطاع إلغائه، ثم بعث بعض رجاله يعينون الحسن في إدارة البلاد، غير أنه شعر بالعجز، وتأخرت البلاد وعصت الرعية حتى اضطر في ١٧ جمادى الأولى من سنة ١٣٤٩هـ إلى أن يقول لابن سعود في برقيته التي بعثها إليه.

تقرر بموافقتنا ورضائنا إسناد إدارة بلادنا وماليتنا إلى عهدة جلالته، وقبل ابن سعود التنازل بموجب الأمر الملكي الصادر في ٢٩ جمادى الثانية من السنة المذكورة، وبذلك انتهى أمر الإدريسي وحكومته.

ولكن ابن سعود لم يرَ اعتزاله الحكم مع كرامة الأسرة الإدريسية، فجعل له

مقاماً ممتازاً في بلاده، وجعل أمراء السعوديين تحت سيادة الحسن صوناً لكرامته، وإعلاء لشأنه، وأخذ يعطيه سنوياً مائتي ألف إلى ٢٥٠ ألف ريال كنفقات إدارة عسير، إلا أن الحسن لم يرضه استقرار بلاده وهدوءه والرخاء والسلم فاغتر بدسائس الأمير «عبدالله بن الحسين الشريف» وأذنا به من أعداء ابن سعود، وبما أنه لم يحسن في عين الأمير عبدالله تصرف أخيه الملك فيصل وظل يستهجن عمله ويعجب كيف سوغ للملك فيصل إياته وشممه العربي أن يضع يده في اليد التي دكت عرش والده وأقصته عن وطنه، وأزعجه أن تطبق الأمة على حب ابن سعود، فأخذ على نفسه الانفراد وحده بمقاومة ابن سعود، وأخذ يبحث عن أنصار يستخدمهم لغاياته، وما قد حصل على أحزاب يرأسهم «حسين الدباغ»، وبعدما تألف الحزب أسندت الرئاسة إلى طاهر الدباغ وتعهد عبدالله لهم بالمال والعتاد، فنشأ عن ذلك هاتان الثورتان.

ولقد سافر إلى اليمن حسين الدباغ وحاول أن يستميل الإمام يحيى فلم يفلح، وحمل الحسن الإدريسي على أن يطلق يديه من ابن سعود ويثور عليه، فاطمأن الحسن ونقض عهوده مع ابن سعود، وأخذ يعمل في الخفاء ليوم الانقلاب المنتظر، واشترى الأسلحة سراً، ولكن الله خذله لحسن نية ابن سعود وتقواه، وما زال ابن سعود يحفظه الله ويصونه.

فلما رأى أمير جيزان ما يريه رفع إلى صاحب الجلالة بأن جنود الإمام يحيى تقدمت إلى جبل «العرو» التابع للإدريسي، وأخذت الرهائن من أهله، وأن عمال الإمام يرسلون الكتب إلى رؤساء قبائل المقاطعة يدعونهم إلى الطاعة للإمام يحيى، ونقض عهدهم مع جلالة الملك بصورة صريحة.

فأبرق جلالة الملك ابن السعود للإمام يحيى يعلمه بذلك ويستبعد أن يكون صدور ذلك عن أمره، وأن ذلك كان بأمره «فلا حول ولا قوة إلا بالله»، فأجاب الإمام: أن أهل جبل العرو هم الذين طلبوا منه احتلال بلادهم لتعليمهم الدين، وأنه إذا كان وقع من ناظرة ساقين أو غيره بعض تجوز، فحلهم جلالة الملك أوسع

من ذلك، فعندها بعث جلالة الملك إليه بجواب يقترح عليه عقد مؤتمر من مندوبين من الطرفين لحل المشكل، وبعد مفاوضات طويلة أبدى فيها كل من الطرفين حجته في جبل العرو، ولكنهم لم يحصلوا على نتيجة، وفي النهاية أبرق يحيى إلى جلالة الملك أنها قضية متروكة لجلالته، وأنه يحكم فيها بالذي يراه، فكان جواب جلالة الملك المنع البات عن أن يتنازل عن جبل العرو للإمام يحيى.

هذا وقد كان الإمام يحيى من حينما عقدت اتفاقية مكة المكرمة بين حضرة صاحب الجلالة ابن سعود، وبين الحسين الإدريسي سنة ١٣٤٥هـ لم تكن العلاقات السياسية بين يحيى وابن سعود على ما يرام، فقد خيف من نشوب حرب بينهما، ولما أوفد ابن سعود وفداً متألفاً من ثلاثة أشخاص، هم سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط، وعبد الوهاب بن محمد أبو ملح، وتركى بن محمد بن ماضي، وسافر هذا الوفد إلى صنعاء دارت بين الوفد وبين الإمام يحيى مباحث عديدة خلال سبع عشرة جلسة تجلت عن كون الأدارسة دخلاء وغاصبين، وإن مقاطعتهم في تهامة ليس للإدريسي فيها أي حق من الحقوق، وأن الإدريسي رجل دخيل مغتصب لتلك القطعة، ثم حصلت جلسات بلغت خمسة عشر جلسة على غير طائل، ثم حصلت مراجعات ووثائق عديدة بين ابن سعود وبين يحيى من لدن تلك السنة إلى هذه السنة.

هذا ولم يوفق المندوبون إلى بلوغ تسوية يمكن القول بها لتمسك اليمانيين وإصرارهم على البقاء في الأماكن التي احتلوها، وحينما تعقدت الأمور حل ابن سعود مشكلها واجتمع المندوبون من جديد ووقعوا على معاهدة في ثمان مواد صدقها الإمام يحيى وجلالة الملك، وهذا نصها:

بعد البسملة، حسب الأمر من سيادة الإمام الأعظم يحيى بن محمد حميد الدين، وجلالة الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، قد اجتمعنا من طرف الملكتين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة أدناه:

المادة الأولى: يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتوثيق عرى المحبة، وعدم إدخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر.

المادة الثانية: يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين المحدثين بعد هذه الاتفاقية، كل حكومة عند طلب حكومته له.

المادة الثالثة: يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الأخرى في بلادها في جميع الحقوق طبق الأحكام الشرعية.

المادة الرابعة: تكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا الدولة الأخرى في كل الحقوق الشرعية، فما أشكل ولم ينه الأمر ولا العمال فمرجه إلى الملك والإمام.

المادة الخامسة: على كل من الدولتين عدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً أو صغيراً مستخدماً أو غير مستخدم وإرجاعه إلى دولته حالاً.

المادة السادسة: إذا أحدث أحد من رعايا الحكومتين في بلاد الآخر فعلى المحدث أن يحاكم في المحاكم التي وقع فيها الحادث.

المادة السابعة: منع الأمراء والعمال من التداخل بالرعايا بما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين.

المادة الثامنة: إن كل من يسكن من رعايا الطرفين في بلاد الآخر بعد هذه الاتفاقية، وتطلبه حكومته، فإنه يساق إلى حكومته حالاً.

هذا ما حصل به التراضي بين المندوبين من طرف سيادة الإمام، ومندوبي جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود على أن يكون العمل بهذه الثمان المواد بعد موافقة ومصادقة الملكين المعظمين عليها وتحرر ما ذكر أعلاه من صورتين بيد كل فريق صورة بتاريخ ١٥/٨/١٣٥٠هـ.

فجاء تقرير صاحب الجلالة لذلك وأنه مسرور بذلك، ثم جاء الجواب من الإمام يحیی وأنه مقرر لذلك والمواد مرعية من قبل ومن بعد، ولكنه يطلب من صاحب الجلالة بعض المراجعة بينه وبين مندوبي صاحب الجلالة، فجاء الجواب إليه من صاحب الجلالة في ٥ شوال: أن لا بأس بذلك، ولكن لا بد من تأخير إرسال المندوبين إلى وقت الحج، وذلك لأن المندوبين الذين حضروا المفاوضات

الأولى غير نشيطين في الوقت الحاضر، واحد منهم الذي أمرناه في جيزان بدل الشويعر قدر الله عليه وانكسرت رجله، والآن الحمد لله طيب، وابن معمر، وعبدالوهاب أصابهما مرض الحمى وتكلفوا كثيراً، فإذا وافقتم على تأجيل المسألة فنحن مستعدون لإرسالهم لأي مكان تريدونه مع توسيع النطاق لهم كما طلبتم، وهذا كله راجع لأنظاركم ومنتظرون رأيكم حفظكم الله وأبقاكم.

وبهذا يتبين موقف الفريقين وأن الخلاف الآتي مصدره كان من يحمي وإلا فقد حافظ ابن سعود على الوفاء وفيها وفاة الحسين بن علي الشريف.

وفيها معاهدة ابن سعود وفرنسا، ففي ٢٩ من جمادى الآخرة من هذه السنة حضر مندوب رئيس الجمهورية الفرنسية بالنيابة عن سوريا ولبنان واسم المعتمد «فيفرة» وحضر من جهة ابن سعود نجله فيصل وزير الخارجية، فعقدت المعاهدة في جدة وبلغت ثمانين عشرة مادة.

كما عقدت معاهدة العراق مع الحكومة السعودية في ٢٠ ذي القعدة من السنة التي قبل هذه، أوفد فيصل الشريف لها «نوري السعيد» وأوفد ابن سعود نجله فيصل بالنيابة عنه، وكانت في عشر مواد، وموضع عقدها في مكة المكرمة.

وفيها تم طبع كتاب مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى اختصار للشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالقادر بن عثمان النابلسي، وكانت طباعتها في مطبعة الاعتدال ما عدا الفهارس وكلمة المصحح، وهي من مطبوعات صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود أثابه الله تعالى فجاءت على أحسن وضع وأبدع شكل، وكنت أرى أنها لو كانت على وضع المؤلف لكان أحسن، وهذه قد ذيلت بذيل وضعه الشيخ ابن رجب رحمه الله.

ثم دخلت سنة ١٣٥١هـ

استهلت هذه السنة وابن رفادة يعد العدة لثورته، ففي أوائل محرم سار إلى النصب واجتمع برفاقه، وسار منه إلى الخضر، ثم إلى درب الزلقة، ثم سلك الطريق

السامي بين البحر والجبال، حتى وصل طابة آخر نقطة في الحدود المصرية، وأرى جنود المخفر المصريين الوثائق الرسمية التي استخرجها له ولرجاله أحد أعوانه بالسويس وهو «محمد رشيد فتوح الكبير»، ونزلوا قرب العقبة ودخلها ابن رفادة وأبو طفيقة لقضاء بعض حوائجهما، ثم غادراها بمن معهما إلى الشريح، ولبثوا بها أياماً، وهي تبعد عن العقبة أربع ساعات.

هذا والأمير عبدالله بن الحسين على اتصال بهم يزودهم بالأرزاق والعتاد، ولما أثقل كاهل الأمير عبدالله بن الحسين بالديون اضطرت بريطانيا أن تتدخل في أمره وتعين له موظفاً خاصاً يقبض رواتبه ويسدد ديونه ويتولى الإنفاق عليه وعلى قصره بحسب ما تسمح ظروف ميزانيته، ولقد حدا بعبد الله بن الحسين غروره إلى أن أعلن بنواياه ضد ابن سعود فطلب من الأستاذ إحسان سامي أستاذ اللغة العربية في جامعة «عليكر» بالهند أن يبلغ ابن سعود كرهه له، وأنه يعتبره عدوه اللدود، وأنه سوف لا يترك فرصة يستطيع بها البطش بابن سعود إلا انتهزها، وقد بلغ الأستاذ المذكور الرسالة إلى ابن سعود في مقال نشره في صحيفة «المقطم» بتاريخ ١٥ ربيع الأول من هذه السنة، ولم يكتف عبدالله بن الحسين بهذا بل قد رأى من مصلحته أن يقنع الخديوي عباس بجدية الأمر لينال منه ما يريد من مال، فأخذ يذيع عن انتصارات ابن رفادة، بينما كان ابن رفادة المسكين ثائراً في عمله يعد للثورة سراً ولا يعلم عما يذيعه الأمير عبدالله وحزبه، مما أدى إلى تنبيه الأفكار إلى حركاته.

ولما كان في صباح اليوم الرابع عشر من المحرم بلغت المفوضية البريطانية حكومة ابن سعود أن «حامد بن رفادة الأعور» خرج من أراضي سيناء ومن شمال العقبة مع بدو يتراوح عددهم بين ٤٠٠ إلى ٤٥٠ ودخلوا الأراضي الحجازية، وكانت الأنباء قد وصلت الحكومة السعودية كما مر، ولما أبلغتها الحكومة البريطانية بجدة تأكد لديها الخبر واهتمت للأمر وسيرت قوة برية بالسيارات، وقوة بحرية إلى ضبا، كما أمرت قرى الهجر من شمر وعنزة أن تسير إلى الشمال، وبعثت الحكومة السعودية

سرية من حائل لمرافقة هذه القوات إلى الحدود والانتظار هناك حتى تتلقى أمراً من ابن سعود بالعمل، ونشرت الصحف بلاغاً من ابن رفاة زعم فيه أن احتل الخريبة وحاصر المويلح وأسر ضباطاً وجنوداً من خفر السواحل، وحاصر ضبا وسير قوة إلى الوجه، وأخرى إلى ينبع فانتشرت هذه الأخبار المكذوبة في البلدان العربية وروجها المغرضون والذين في قلوبهم مرض من الأعداء والمتربصين.

ذكرى القضاء على هذه الثورة وإخمادها

لما جعل أصحاب الزور والغبي ينشرون تلك الأخبار، كانت الظروف تكذبها، إذ ما زال ابن رفاة قابلاً بالشريح قرب العقبة، ثم إنها اهتمت بريطانيا العظمى بهذه الفتنة التي يساعد عليها أمير شرقي الأردن، وخشيت أن تظن الحكومة السعودية أن لها يداً فيها، فأعلنت أنها أغلقت في أوجه الثوار الأشقياء أبواب الحدود ومنعت دخول الأرزاق والأسلحة والمهمات الحربية إليهم عن طريق شرق الأردن إلى الحجاز، وبعثت دوريات إلى وادي عربة لمراقبة الحدود ووقف كل من يشتبه فيه، فأرسلت باخرة حربية إلى العقبة لمساعدة المندوب السامي بها حتى يستطيع التضييق على ابن رفاة وقطع يد من يريد عونه.

ونشر «اللفتننت جنرال» من «السير آرثر جرنيقل لوب» المندوب السامي لشرق الأردن بلاغاً رسمياً يتضمن أنه منع كل المساعدات من طريقها عمن يناوي الحكومة الحجازية، وأنه أمر القوات البريطانية باتخاذ جميع الإجراءات لمساعدة جيش ابن سعود، وأكره الأمير عبدالله بن الحسين على أن يصدر بلاغاً مثله، ولقد شدد على عبدالله بأن يمنع كل شخص من الاقتراب من الحدود، وعين الأمير بالرغم في بلاغه أسماء الأماكن، وأنذر بأن من خاطر بنفسه فسيطلق عليه البوليس النار.

ولما رأى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن أنه لا سبيل إلى هرب ابن رفاة من طريق شرق الأردن ووثق أن ليس للحجاز يد في تدابير ابن

رفادة إلا أن قبائل حرب وجهينة كتبت إلى ابن سعود ترجوه بأن يأذن لها بأن يكون لها شرف القضاء على فتنة ابن رفادة.

كما كتبت إليه قبيلة بلي التي يرأسها إبراهيم بن سليمان باشا بن رفادة تستهجن حركة ابن رفادة الأعور الثائر وتبرأ من عمله وتطلب أن تنتدب لقتاله.

كما أن أهل الحجاز أعلنوا التفافهم إلى ابن سعود وإخلاصهم له ما طمأنه إلى أنه ليس لأحد من الرعية دخل في هذه الثورة، ثم إنه ألقى القبض على أناس في الحجاز تقع عليهم التهمة في هذا التآمر وحملوا إلى الرياض، ونفي شخصان إلى خارج المملكة وهما: حسونة المغربي وعبدالله صغير.

وكان صاحب الجلالة قد بعث إلى بريطانيا العظمى ينبها عما اتصل به من تصرفات صاحب شرق الأردن، فقامت بريطانية بدورها وحالت بين الأمير عبدالله وبين تدابيره وتحزبه في الخفاء، فعندها أراد ابن سعود أن يدبر الأمر في هدوء وسكينة، وكنتم أمور التجهيز وبعث الجيش من عديد النقاط للإحداق بالأشقياء كيلا يفر منهم أحد.

وكانت القوة التي بعثها ابن سعود عظيمة مزودة بأحدث الآلات والذخائر، وأوعز إلى رجل من قبيلة جهينة «وبلي» أن يكتبوا إلى ابن رفادة بأنهم معه ويطلبوا إليه أن يتقدم إليهم استدراجاً له، فخدع المغفل ومشى من الشريح إلى الحقل إلى البدع فالخرية فشريم، وأخذ ابن رفادة ينشر في الصحف أنه استطاع أن يضم القبائل الحجازية الساخطة على ابن سعود، وأنه احتل البلدان الشمالية وأسر أمراءها السعوديين، وقتل الجنود الوهابية، وأنه سيد الموقف كله، وغير ذلك مما حسنه له الأمير عبدالله أو نشره عنه، ونشر بلاغاً آخرأ ببعض الجرائد السورية يقول فيه:

أن السعوديين زعموا أنهم قتلوه وألقوا برأسه إلى أطفال أهل ضبا واتخذوه كراً تتلفها أرجلهم، ثم علق في سوق ضبا في حين أنه حي يرزق وبلاغه شاهد على ذلك مما يكذب مزاعم السعوديين المفترين.

والواقع أن السعوديين لم يسبقوا الحوادث قط بالأخبار المخيلة، ولم يذكروا عن

ابن رفاة شيئاً مما زعم، بل كل ما ذكروا أنه اجتاز الحدود إلى الأراضي الحجازية وأن قوات سعودية سارت إليه.

هذا ما ذكرته الحكومة السعودية، ولكن الدافعين لابن رفاة أرادوا التهويل ببلاغاته المكذوبة، وبينما هو في شريم يحلم بالمجد والسيادة تكاملت القوات السعودية في ضبا وحواليها فشعر ابن رفاة ثم إنه تراجع إلى وادي تريم.

ولما بلغ ابن سعود أن ابن رفاة يريد الفرار أصدر أمره برقياً إلى قواده بأن يسرعوا في المسير خلفه ويطوقوه، وألا يتركوا أحداً منهم يسلك طريق النجاة، وأعلمهم بالخططة ليسيروا عليها، فوزع القواد والجنود في الطريق المفضية إلى حقل واليدع والخريبة وشريم ليكتمل التطويق، كما أمر ابن سعود في خطته المرسومة، وأخذت القوة الباقية في السرعة خلف الهارب المجد، وتتبع آثاره فوجده قد انتقل من وادي تريم وعرفت أنه سلك الطريق إلى جبل شار، فأخذت القوات السعودية في ألا يجلف، وباتت الليل في الصحراء وبعثت القائفين ليقصوا الأثر، فأخبروا أنه نازل بسفح جبل شار، فنهضت بالسيارات المسلحة والخيول إلى حيث نزل، فلما كان في ظهر يوم السبت ٢٩ ربيع الأول من هذه السنة أدركت ابن رفاة ومن معه وهم يستعدون للرحيل فأحذقت بهم القوات السعودية وأحاطت بهم وهاجمتهم هجوماً قاسياً عنيفاً حتى المغرب فقصت عليهم عن آخرهم، وقتل حامد بن رفاة وأبنائه فالح وحامد، وسليمان بن حمد أبو طقيقة، ومحمد بن عبدالرحيم أبو طقيقة، ومسعود الدباغ، وأحد الشرفاء، وأخذ رأس ابن رفاة إلى بلدة ضبا فلعب به الأطفال ثم علق في سوقها الكبير.

وكان المسكين لما نشر بلاغه المتقدم المختلق قد اطلع على ما يصير إليه أمره في المستقبل، فقد وقع ما تصور وصار ذلك التخييل أمراً مشهوداً، وهذا من غرائب المصادفات، فإن القواد ما كانوا يعلمون ببلاغ ابن رفاة، وقد تجلت هذه المعركة عن ثلاثمائة وخمسين قتيلاً، أما من فرّ من أصحابه فشتوا في الطريق، غير أن القوات السعودية المسكة بالطرق تقفوهم وقتلوهم عن آخرهم، ولم ينج واحد منهم وأخذت الفتنة.

وهذه الثورات الثلاثة الداخلية، أعني الدويش وثورة ابن رفاة وثورة الأدارسة لقي ابن سعود نصباً في إخمادها، وقد قضى عليها ونكل بدعاتها، ثم أمر ابن سعود رئيس تحرير جريدة أم القرى: أن يرد في ٢ ربيع الثاني من هذه السنة على مقالة الأمير عبدالله المنشورة في المقطم بقوله:

إنه إن كان الشريف عبدالله يرى نفسه العدو للودود لابن السعود فإن جلالته على العكس من ذلك يرى الشريف عبدالله صديقه الودود، لأن جميع الأعمال التي عملها الشريف عبدالله من أجل ابن سعود كان لها أحسن النتائج لتأييد ابن سعود وتقوية مركزه، فقد سبق للشريف عبدالله أن جهز الشريف شاكر والشريف حمود بقوة لاحتلال تربة والخزمة فكسرت تلك القوة وغنم ما معها، حتى تقوى أهلها على القتال في يوم تربة المشهورة، ولما انتهى الشريف عبدالله ووالده من حرب الترك جمع كل ما كسبه من الترك والألمان، وكل ما أهدها لهم الإنكليز وسار بهم مع اثني عشر ألف مقاتل ليقدمهم هدية في تربة، وكان ابن سعود أرسل إليهم يطلب التآخي والتصادق قبل المعركة، فرفض سيادته ذلك وأبى إلا تقديم تلك الهدايا بنفسه فكانت تلك المعركة، وفر سيادته وغنم ابن سعود كل تلك الذخائر والأموال وتقوى بها إلى أن أنتجت تلك المساعي احتلال الحجاز من قبل جلالته، وآخر هدايا سيادته هو ابن رفاة وأوباشه الذين أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأن ابن سعود يعترف بهذه الفضائل لسيادة الشريف عبدالله ويرجوا من الله أن يكون ما يأتي به المستقبل كما كان في الماضي وأن يديم الله بقاء سيادته لمثل هذه الهدايا والنتائج.

ثم أطلق ابن سعود سراح المبعدين في الرياض من أهل الحجاز وأعادهم إلى بلادهم، بل عين جلهم في وظائف الدولة.

أما نهاية ثورة الأدارسة: فإنه لما علم ابن سعود بأعمال الحسن الإدريسي رفع إليه برقية يحذره مغبة ذلك، وكان بعثها في ٢٨ جمادى الثانية، فأجابه الإدريسي مؤكداً إخلاصه وولائه، غير أنه ينقم من فهد بن زعير أمير المنطقة وتركي بن

ماضي مفتش المنطقة لسوء معاملتهما له، ويؤكد الولاء والإخلاص، وظل يراوغ ويعمل في الخفاء لتنفيذ ما اتفق عليه هو وأصحابه، ولما كان في ٥ رجب انقض رجال الإدريسي على ابن زعير أمير المنطقة واعتقلوه في مكان خاص واستأثر الحسن بالحكم في البلاد، ووصلت في تلك الأوانة ساعية من قبل الأمير عبدالله بن الحسين فيها بعض الأرزاق والعتاد مدداً للإدريسي، فلما اتصل الخبر بجلالة الملك ما وسعه إلا أن يجهز قوة من قبله في جيزان، فزحفت القوة ودخلتها عنوة في ١٨ رجب من هذه السنة، ففرّ مندوبا حزب الأمير عبدالله وهما علي الدباغ وعبدالعزیز اليماني، فأما علي الدباغ فإنه ألقى بنفسه في البحر فغرق، وأما الآخر فقبض عليه وزج في السجن.

وبما أن الإمام يحيى طلب من جلالة الملك ابن السعود أن يبعث الوفد المتقدم ذكرهم إلى صنعاء عزم على ذلك، لكن ظهور حوادث ابن رفاة في الشمال آخر إرسال الوفد في بداية هذا العام إلى أن تنجلي تلك الغمامة، ولكن ماذا يصنع بحركة المفسدين الذين اتخذوا بلاد اليمن مقراً لحركاتهم للقيام بفتنة أخرى في الجنوب في نفس الوقت الذي كانت فتنة الشمال فيه هائجة، وكانت «الliche» الواقعة بين ميدي والحديدة مركزاً لنشاط هؤلاء المفسدين، فكتب صاحب الجلالة ابن السعود إلى الإمام يحيى كتاباً لطيفاً يهنيه بأن الله تبارك وتعالى قد دمر أولئك المفسدين وأحاط بهم المسلمون حتى استأصلوهم عن آخرهم وطهروا منهم البلاد، ثم قال: وقد بلغنا أن أناساً منهم وصلوا إلى بلاد الأخ فأرجو قطعاً لدابر الإفساد في بلاد العرب وإنفاذاً للعهد الذي كان بيننا وبين الأخ مؤخراً بأن يأمر بإلقاء القبض على الموجودين منهم في بلاده وتسليمهم إلينا، وأن يأمر بمنع دخول الباقيين منهم إلى بلاده، إلى آخر ما في الوثيقة، فكان جواب الإمام يحيى بديعاً بسروره بما كان من إخماد الثورة المدفوعة من أعداء الإسلام، ثم أظهر ملقاً من الكلام وقال: لو قدر أن أحداً منهم وصل إلينا لكان المطلوب من الأخ أن يقول لأخيه قد أجرنا من أجرنا.

ولما ضم ابن سعود بلاد عسير إلى أملاكه امتدت حدود المملكة السعودية إلى شمال اليمن، وما زالت تمتد حدود المملكة السعودية إلى شمال، وقد اضطر يحيى في أول الأمر للقبول بالأمر الواقع فلم يحرك ساكناً لأنه في الوقت الذي استولى فيه ابن السعود على عسير كان يحيى مشغولاً بمحاصره مع الإنكليز على بعض المناطق اليمنية الجنوبية المجاورة لعدن، وقد احتلها الإنكليز بحجة أنها اختارت الحماية الإنكليزية، وأغارت أسراهم الجوية على اليمن مراراً وألقت قنابلها على صنعاء.

ولما طارت الطائرات البريطانية وألقت قنابلها على صنعاء وألقت وابلاً من القنابل على الضالع وقعدة وذمار وبريم وتعز وماوية وآب أحدثت ضرراً كبيراً، فسببت الخرائق في البلدان، وقتل نحو من ستين شخصاً، مما كان له أسوأ الأثر في النفوس، كان ذلك هو الحامل له على السكون، ولما سكنت الأمور بينه وبين الإنكليز كان أول ما يهيمه نفوذ ابن سعود الذي بلغ منطقة نجران التي كان يحيى يدعى أن قسمها الشمالي داخل في أراضيه، وأيضاً رأى أن استيلاء ابن سعود على إمارة الأحساء أبعد من استيلاء يحيى، لأن يحيى كان يعتقد أنه أولى وأقدر على ضم هذه الأرض إلى أملاكه من ابن سعود، لأن له نفوذاً قوياً على الأحساء أقوى من نفوذ ابن سعود الذي قصدها من قلب الجزيرة، فما زال يحيى بالإدريسي حتى انقلب على ابن سعود.

ولما جهز ابن سعود القوات إلى الإدريسي ورأى أن أمره قد اكتشف بعد أن احتلت جيزان هرب منها إلى صيبا وأمر أتباعه بتخريب طريق السيارات، إلا أن القوات السعودية دخلت جيزان وزحفت إلى الإمام واستولت على صيبا، ففر إلى الجنوب واضطربت في عسير ثورة خطيرة وهوجمت القوات السعودية بشدة، فبادر ابن سعود بإرسال النجيدات القوية إلى عسير وخشي أن يكون خلف الإدريسي أحد من الملوك يعينه ويشد أزره، فاستعد للحرب ولكنه أذاع أيضاً بأنه معطى الأمان للإدريسي ومن معه من الثوار والقبائل إذا أخلدوا للسكينة، وأمهلهم ستة أيام، وإلا فليأذنوا بحرب لا قبل لهم بها، ثم إنه انتدب الأمير عبدالعزيز بن مساعد البطل

العظيم، وبعث معه قوة عظيمة وجعله الحاكم العام على عسير، وأخرى مع الأمير خالد بن لؤي ولكنه توفي رحمه الله تعالى في الطريق بمرض ألم به، فأسندت أعماله إلى ابنه الأكبر سعد بن خالد، وجعل ابن سعود القيادة العليا للجيش السعودي في مقاطعة عسير إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد، وأخذت القوات السعودية بقيادة سعد تطارد الإدريسي، فاحتلت الضايا وتعشر وبلجرشي، ومضى الإدريسي إلى قبيلة المسارحة وبني شبل ثم العارضة، فطورد فاعتصم بقرية أبي حجر، وتبعد عن أبي عريش ثمانى ساعات، وعلمت القوات السعودية بوجود عبدالوهاب الإدريسي أحد الثائرين في وادي المحصم، فرحفت إليه في ١٥ رمضان من هذه السنة وأحاطت برجاله وقوته وأبادتهم ما عدى ستة من الفرسان تمكنوا من الفرار إلى عين دابي في سفح جبال فيفاء فتبعتهم، ولكنهم نجوا وصدر الأمر إلى ابن مساعد أن يتعقب العصاة ويخمد الثورة، فغادر أبها تاركاً فيها نائباً له، وسمع أن قوة إدريسية في بلحرث أخذت تتضخم، فبادرها وأبادها وأخذ البطل العظيم ابن مساعد يطارد الإدريسي ويضيق عليه الخناق ويبيد رجاله وقواته ويرهقه بالمفاجئات ويشخه جراحاً حتى كان على الحدود، ولكن ابن مساعد لم يمهله لحظة بل طارده، فاجتازها إلى الأراضي اليمانية.

ولما وصل الإدريسي إلى ميدي التجأ إلى الإمام يحيى فطلب ابن سعود من عاهل اليمن تسليم الفارين إليه إنفاذاً للمعاهدة القاضية بذلك، فرجاء يحيى أن يعفو عنهم لما التجأوا إليه بأهلهم وأتباعهم وأن يمنحهم عفواً شاملاً مطلقاً عن كل ما حدث في هذه الفتنة الشيطانية، سواء كان بين الحكومة والأدارة أو بينهم وبين الرعية، فأجاب ابن سعود بأن كل من التجأ إليه فله أمان الله على ماله ودمه وأنه قد عفا عن الإدريسي عفواً شاملاً مطلقاً من جميع ما مضى وحدث، فلما عفى عنهم وأمنهم سأل الإمام يحيى أن يأذن لهم في البقاء لديه وهو كفيل على حسن تصرفهم وعدم قيامهم بأي عمل يعرق أعمال الحكومة في حدود جلالة الملك، فرضي جلالة بهذا المطلب أيضاً زيادةً في التقرب وسعياً لحسن التفاهم، ثم تبادى الإمام في مطالبه من ابن سعود أن يعطف على العائلة الإدريسية وأن يمن عليها

بنفقات تقوم بأودها لأن الخزينة اليمنية لا تتحمل ذلك، فقدر ابن سعود له مبلغ ٢٥٠ ألف ريال شهرياً، ثم كتب يحيى يخبره أن عبدالوهاب الإدريسي سيعود إليه مع كل الفارين، ولن يبقَ مع الحسن إلا أسرته، فأجابه ابن سعود بأنه ينظر إلى الإمام يحيى نظرتة إلى أخ كريم فليعمل ما يريد.

هذا وقد أبقاهم يحيى عنده آلة يستعملها عند الحاجة، قابل إخلاص ابن سعود وإحسانه بالمطاطة والمخادعة، ولما انتهت الثورة حرص ابن سعود على حصوله ما كان مؤملاً من الاتفاق وأن يرسل وفداً لحل المشاكل، فأجابه يحيى بالقبول وأنه يؤمل من جلالتة أن يرى الوفد في صنعاء وأن يطلق له العنان لحل كافة الأمور بين الجانبين وبالأخص المسائل العائدة إلى الحدود، فلما أن ذهب هذا الوفد لتلقاه بكل مكروه وإساءة.

ذكرى ما لقيه وفد ابن سعود من الإهانة

لقد كان يحيى من دهاة الرجال ومن أكبر أمراء العرب، بل من سادات ملوكهم، غير أن فيه خصلتين مذمومتين، كان بخيلاً ومخادعاً، وهما وربك صفتان مذمومتان شرعاً وعقلاً، ولما أن سار وفد جلالة الملك ابن سعود إلى صنعاء محفوفاً بالإكرام والاحترام، ما كاد يصل الحدود اليمنية من جهة ميدي حتى شاهد معالم الزينات والفرح تعلنها الحكومة اليمنية رسمياً ابتهاجاً باحتلال نجران، غير ناظرة إلى ما في ذلك العمل من عدم اللياقة والإنصاف، وأنها لعثرة قوية في طريق الصداقة والألفة التي تعمل الحكومة السعودية لغرسها، فلما شاهدوا ذلك وهو احتلال الجنود اليمنية لنجران ما كان هذا برادهم شيئاً عما هم فيه من السعي لتحصيله.

وكان هذا الوفد مؤلفاً من: تركي بن ماضي، وخالد بك أبو الوليد القرقي، وحمد السليمان، فلم يقل أعضاء الوفد شيئاً، بل واصلوا السير غير ناظرين إلا إلى الغاية العليا التي يسعون للحصول عليها، لأنهم كانوا يسعون وراء عمل أعظم وأشرف من هذا، فلما أن قدموا صنعاء لقوا حظاً وافراً من الإساءة

المتعمدة، فإنه لم يسبق لذلك مثيل في تاريخ العلاقات السياسية الدولية، ولا في تاريخ دول الإسلام، وقد بانت الضغينة السيئة والأطماع الشعبية، وعلم الوفد على الحقيقة أن اليمن يستصغر شأن بلاده ويحتقر أمرها، ويظن بها الضعف وعدم القوة، وتحقق عند الوفد أن إمام اليمن يرمي بنظره إلى ما وراء الحدود ويطمع بالاستيلاء على نجران وعسير وتهامة، وخلاصة الأمر صريحاً أنه ينبغي العودة إلى بلاده، فمنع من ذلك وحيل دونه، فعندها أمعن الوفد في إيصال الخبر سراً إلى جلالة الملك بذلك، هذا ما كان عليه يحيى، فلما علم ابن سعود بذلك سمح يحيى لوفده بالعودة بعد طول الحجر والقهر، فعادوا في السنة الآتية وجرى ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

ففيها وفاة الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم

وكان خروج روحه في الساعة الثانية من اليوم ١١ من محرم رحمه الله وعفا عنه ووقاه عذاب الجحيم، ورفع منازلته في جنات النعيم، فلقد والله أصيب به الإسلام وفقده هداة الأنام فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهذه ترجمته:

هو العالم العابد الزاهد الأملعي العلم، الوفي الزكي، قاضي ناحية القصيم الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليم، أبو محمد، شيخنا الحبر الماهر في العلوم، كان رزيناً مصقلاً سميدعاً، حليماً عاقلاً، له سعة اطلاع وفراصة، إذا أخذ يقرر التوحيد والفقه قلت لا نظير له في الناس، وإن أخذ في الوعظ والتذكير فإنه بغيره لا يقاس، أو أخذ في التواضع والأدب، فسبحان من خلع عليه أحسن اللباس، يصيح بالخلق إلى اتباع الرسول والتمسك بسنته ودموعه تسكب كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، وكان له وجد وذوق في المعارف الإلهية حتى إنه ليكاد يحبو من مكانه حبواً إذا جعل يتكلم على معاني العقيدة السلفية لما له من الحظ الأوفر من تلك البضاعة.

وكان فقيهاً متواضعاً قوياً في أمر الله، له مقدرة على حسم مواد الشر ومعه تواضع ولين عريكة، وينزل الناس منازلهم ويعاملهم على قدر عقولهم. قال مرة لبعض إخوانه: يا فلان تغافل عن شر الناس، إذا سمعت من يفتابك فقل لنفسك مكذباً لها هذا ليس يريدني ويعنيني، وإذا رميت بجبر فقل لعل ذلك يريد الطيور فأخطأ به إليه، فإنك تستريح.

صفته وأخلاقه

كان شيخاً كث اللحية يخضب بالحناء، رزناً أبيض أصبح ممتلئ الجسم، مربوع القامة، طلق الحيا، عاقلاً، مهيباً من دون بغض محبباً من دون ضعف، عليه شعار البهاء حتى كأنه الشمس بين عينيهِ، رحيماً بالضعفاء والمساكين، فأما عقله وسمته فوا الذي خلقه ما رأيت قبله ولا بعده أعقل منه ولا أسمت منه، وإذا مشى في الأسواق والشوارع فلو أنها تدكدكت الجبال من خلفه لما التفت إليها.

وكانت ولادته حوالي ١٢٨٧هـ، فأخذ العلم عن والده الشيخ محمد بن عبدالله، والشيخ محمد بن عمر، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وجدّه واجتهد حتى نال درجة عالية في العلوم، ودرس في التوحيد والفقه والحديث.

فلما كان في صدر ولاية عبدالعزيز بن متعب بن رشيد وشرذ أهل الدين وشتت شملهم كان المترجم مبعداً من بريدة إلى البكيرية، ولما أن لبث بها عشر سنين لا يخرج إلا لزيارة والده الشيخ محمد، عين في قضاء بريدة كما أسلفنا، وكان مسدداً في قضائه وأجوبته، مسدداً في سائر أعماله، وجاء إليه أهالي القصيم لما أن أراد الملك عبدالعزيز أن يؤسس محطة اللاسلكي في بريدة مستنكرين لذلك، فلما أن كلموه في الأمر ليأخذوا رأيه فيه قال لهم برفق وحكمة: يا أولادي إياكم والشقاق، فلا خير فيه، يا أولادي إن ابن سعود ملك نسال الله أن لا يسلطه علينا، فادعوا له واسألوا الله له الهداية، فقاموا من عنده وقد طابت أنفسهم يقولون: إن الشيخ أعلم منا وأتقى منا لربه، وما كان لهم بعد مقالته التفات.

ذكر شيء من أجوبته وفوائده

اتفق في أيامه أن امرأة عجوزاً في إحدى قرى القصيم رأت في منامها آتياً أتاها وقال: توبوا إلى ربكم أيها الناس وصوموا من الغد، فلما هبت المرأة من رقدتها آخر الليل صاحت بالجيران ومن حولها من العامة والنساء، وأخبرتهم فصام بعض أهل القرية وأمتنع آخرون، وتخير أناس لم يتسحروا، فقام مطوع القرية وبعث رسولاً إلى الشيخ عبدالله يستفتيه بذلك، وكانت المسافة قدراً من ميلين، غير أن الرسول استطاع أن يجعلها ١٥ دقيقة، فلما كان بعد طلوع الشمس إذا به يستأذن على الشيخ في بيته مرعوباً مدهوشاً، فأخبره بالقصة وشكى إليه هذه الواقعة، فتبسم الشيخ ضاحكاً متعجباً وقال له: يا بني أخبر قومك بأن العبادات قد شرعت على لسان النبي محمد ﷺ ليس عجوزكم هي المشرعة، فأخبرهم أن لا يصوموا، فرجع رسول أهل القرية يسكنهم ويبشرهم وقد وافاه الفلول في منتصف الطريق فأخبرهم هو ورجعوا مطمئنين.

وكان كلامه مقبولاً عند الناس جداً لما له من النية الحسنة، وقد قرر التوحيد في حلق التدريس وذكر المكفرات للمسلم إذا صدرت منه فقال: من دعا الأموات كفر ومن لم يكفر الكافر فهو كافر، فتكلم جاهل من العامة مع من يليه من الحضور فقال إذا صار التكفير هدم جدر وإلقاء حيطان، فنقل الشيخ كلامه فعرض بذلك في التدريس من الغد وقال: إن هنا أناساً لا يقرون تكفير الكفار، وإذا لم يكفر الكفار لكفرهم فهل تكفر الجمادات، نسأل الله العافية.

وكان يعبر الرؤيا فكان إذا جاءه من يقص عليه رؤياه عبّرها إن كانت حسنة وإن رأى صاحب الرؤيا مهموماً لما رأى قال: يا سبحان الله إذا لعب الشيطان بأحدهم في منامه لم يعلم به أحد جاء يفضح نفسه.

وكان إذا أخذ يفسر العبارات في التدريس فرمما لبث نصف ساعة يذكر الأدلة وكلام العلماء على ذلك ويطيل ويسهب.

وقرأ عليه بعض الطلاب كلام الإمام ابن القيم في إساءة الظن بالله وهو الذي ذكره شيخ الإسلام وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، فأخذ في شرح العبارة وتفسيرها وأطال وأفاد وأجاد وجعلت دموعه تجري على خديه حتى رحمه من حوله ولبث أربعين دقيقة.

وقرأ عليه قارئ في فتح المجيد، فلما بلغ ذكر الشفاعة جعل يبكي ويتكلم ويأتي بالعجب العجيب حتى تقدم عن مكانه الذي هو جالس فيه، وكاد أن يصل إلى وسط الحلقة حتى خشي القارئ من أن يصل إليه.

وقرأ عليه بعض الإخوان من الطلاب بكتاب الصيب الهطال في الرد على ابن كمال، فقال رحمه الله أن الاسم مشتق من الفعل يعني الكتلاني هو مؤلف الكتاب، وكان إذا سمع الجملة تنحنح ثم شرع يتكلم.

وقرأ عليه بعض الإخوان من طلاب العلم بمسائل الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن فتكلم معرباً عن فضل المؤلف ومكانته في العلم وجعل يثني عليه ويمتدحه ويذكر ما لآل الشيخ من الفضائل والمناقب التي بنوا بها ما تهدم من قواعد الإسلام وإشادة ما اندثر منها وأطال وأسهب.

وقرأت عليه في حاشية التوحيد للشيخ عبدالرحمن فلما بلغت رواه وكيع فقال: وكيع هذا هو ابن الجراح بن وكيع عالم كبير، شكى إليه الشافعي سوء حفظه فقال له اترك المعاصي، وأنت يا ولدي إن أردت طلب العلم فاترك المعاصي، اترك المعاصي إن كنت تريد طلب العلم، فإن المعاصي تمنع من تحصيل العلم، وجعل يرددها علي ويحثني على طاعة الله ورسوله فتأثرت لذلك ووجدت لكلامه وقعاً بحيث أنني والله لأجد لكلامه موقعاً حتى أنه مثل العافية على الجسم السقيم.

ومهما كانت الأحوال والظروف فإن اللسان يعجز عن التعبير عما في الجنان من براعته ونبله ونصحه وإرشاده.

ودخل عجل في المسجد الجامع حال التدريس فالتفت إليه بعض الطلاب،
فأخذ الشيخ عصاه ونعاله وقام مولياً فلحقه التلامذة والإخوان يعتذرون، وإن
الوالد من شيمته الصفح عن عثران أبنائه فقال: فاتكم مجلسنا يومكم هذا فالتفتوا
إلى هذه البهيمة العجماء ودعوا العلم والمعلم، بقوله توبيخاً وتقريعاً.

ذكر ورعه وزهده

أما ورعه فحدث عنه ولا حرج، كان لا يمسك شيئاً في الدنيا غير كفايته، ولم
يستقطع من الملوك الأراضي ولم يجمع مالاً لنفسه غير بيته الذي يسكنه، وإذا جاءه
مرتبه وعنده شيء من بقية الأول فرق الأول.

وجاء إليه أهل هجرة من البدو يطلبون منه أن يجعل لديهم مطوعاً ديانته
حقيقة صدقاً، وجعلوا يسألونه ويلحون فقال: يا هؤلاء إن وجدتم ذلك فاطلبوا لنا
ولكم الله المستعان.

وطلب منه أهل هجرة مطوعاً عينوه، غير أنه لا يعرفه فقال: حتى نسأل عنه
شيخه الذي يعرفه، يعني به أخاه عمر.

وأناه رجل يسب وكيلاً وينال من عرضه لأمر لا يعنيه فقال له: كأنك تريد
الوكالة لنفسك وتطلبها، فاستحيا الرجل وسكت.

وقال مرة لأحد كبار التلامذة اقرأ علينا بالفروع لابن مفلح نقرر ما نعرف منها
وما لا نعرفه نكله إلى من يعرفه وهذا منه من باب الهضم لنفسه ورؤيتها بعين
الاحتقار وإلا فهو العالم الكبير والبحر الغزير.

وكان من سجيته أنه لا يقبل هدية ولا يستجيب لأحد، بل كان يأكل في بيته ويقتصد
في معيشته ويمازح إخوانه ويخفف لهم الجناح، وأوذي في ذات الله فصبر وارتفع شأنه
وعلت رتبته فما بطر ولا تكبر بل يحب طالب العلم والمستفيد ويقرب الغريب.

وكان يأتي بالنجار إذا احتاج إليه ولو لعمل بسيط كإصلاح مفتاح، ورحى
ونحو ذلك من الأمور الزهيدة، فيحضر عنده يحادثه، فإذا فرغ أطعمه وسقاه وأعطاه

أجرته كاملة، فيأسف النجار عند دفعه الأجرة فيقول: هذه أجرتك فهي حقك يا ولدي فإن لم تأخذها لم نأت بك فيما بعد، فيأخذها على مضض، وكان رحمه الله وعفا عنه متواضعاً يحمل حوائجه على رأسه.

هذا وقد خدمته الليالي والأيام وقدمه الملوك والحكام وبذلت له ما لا يجري على الأوهام، فرد ما زاد على الكفاية، وأبى عليه فضله ودينه أن يكون مكائراً، فرحمة الله عليه من إمام عبر الدنيا وما عمرها، وقل والله من كان متصفاً بصفاته من علماء زمانه.

ذكر أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وحلمه وعفوه وسعة رأيه

أما أمره ونهيه فقد كان على بصيرة يدعو إلى الله وما همه منصب ولا يراعي جانب أحد كائناً من كان، وقد ساعدته الظروف من قبل صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، فكان يرفع قدره وينفذ أوامره بسرعة، أضف إلى ذلك أن وافق زمانه في القضاء هدوء وسكينة وقلة مشاغبة، فكان يكفي أهل زمانه القليل أمراً ونهياً ولم يظهر في زمانه ما كان قد ظهر فيما بعد من كثرة الحيل وعدم الانقياد، وما ذاك إلا لحسن نيته وخوفاً من سطوة الوالي.

فمن ذلك أنه مر عليه في الدرس أثر خلق الله ألف أمة وتكفل برزق الجميع، فأخذ يتكلم على هذا الأثر ملوحاً على المسافرين إلى بلدان الكفار فقال: خلق الله عز وجل ألف أمة، ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وتكفل الله برزق الجميع إلى ابن آدم لا يرزق حتى يذهب الكفار ويكون حماراً لهم، عياداً بالله، وبكلامه هذا يشنع على الذين يذهبون إلى الكفار ويخدمونهم.

ونقل إليه بعض العامة يستعظم تكفير المسلمين، وإن فعلوا ما فعلوا، فلما جلس للتدريس والتف حواليه ما يزيد على أربعمائة ما بين متعلم ومستمع، أخذ يبين وجوب عداوة أعداء الله ويوضح تكفير الكافرين ثم قال:

غير أن أناساً أعمى الله قلوبهم لا يكفرون الكافرين، وإذا لم يكفر من

كفره الله ورسوله فمن يقع عليه التكفير الكفر هذه الاسطوانة ويضرب بيده عليها أم كفر البهائم، وهؤلاء العمي ليسوا ببيعيدين أرفع قدمك لا تطأهم، فخلج المعترض وتاب وقضى مرة على شخص، فلما كان ذات يوم لقيه في الطريق فلما حاذاه قال: أخزأك الله في الدنيا والآخرة كما خيبتني من حقي، فلحظه بعين الرحمة وقال: يا بني الله لا يخزين ولا يخزيك فذهب الرجل قد احترق من الخجل والحياء.

وبينما هو يمشي مرة وإلى جانبه أحد أحبابه مرّ من بينهما منافق ولم يسلم، وكان ذلك داعية ضلال، فلما أن ولي الرجل التفت الشيخ إلى من جانبه وقال: الله المستعان والله ما كان مثل هذا الرجل الضال له مؤلفات في ضلالته إلا كان من الله أن يتلفها الله قبله.

وأتى إليه رجل من خاصة إخوانه، وكان في هم وغم وجعل يشكو إليه، فعال قريبه وإساءته إليه ومقاطعته منه لا من قبلك، واعلم يا بني أن الله لا يضيع أحداً، فإن كان قد خرج من الاجتماع وفقدت مساعدته في النفقة فسيرزقك الله ويغنيك من سعته، فقال من عنده منشرح الصدر وكانت عاقبته حميدة.

وجاء إليه بعض إخوانه وقد عزم على الزواج، فطلب منه الوصية فقال: يا بني إذا أتيت أهلك فقل لهم هذه زوجتي قد شق علي مهرها فيجب أن تتحملوا منها ما يصدر منها، وإذا خلوت بزوجتك فأوصها بحشمة أهلك وقل هؤلاء أهلي وأقربائي ويجب عليك إكرامهم، أما إذا كنت مع أهلك على زوجتك أو كنت مع زوجتك على أهلك فإنك لا تسوسهم، ويا بني يوماً ثم يوماً والأجل قريب.

فهذه نبذة من مناقبه تدلك على فضله، وكان فوق ما قيل فيه زهداً وورعاً وتواضعاً. وكان يرضي المجانين والمرأة والطفل على قدر عقولهم، وكم كربة فرجها برأيه، ومشكلة أوضحها بالحجج والبراهين، فهو طيب القلوب، ومن فوائده تنجلي الكروب.

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فخلق كثير، فمنهم: الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز

ابن عبدان قاضي الزلفي، والأخ في الله ذو الأصل والتوحيد محمد بن صالح المطوع، وأخذ عنه الشيخ سليمان المشعلي، وأخذ عنه الحافظ فهد العيسى قاضي الشبيكة، وأخذ عنه عثمان بن حمد بن مضيان قاضي أبو عريش، وأخذ عنه محمد ابن حمد بن مضيان، وأخذ عنه خلق كثير، وسيأتي في ترجمة أخيه عمر ذكر تلامذتها، ومن أشهرهم: الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، ورجل الدين والعلم عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد.

ولما توفاه الله تعالى صلى عليه المسلمون ضحى في جامع بريدة وازدحم الرجال والنساء وأقبلوا كأنهم السيل المنهمر، وقد حضر جنازته خلق كثير، ودفن في المقبرة الجنوبية، وكان الذي تولى إمامة الناس أخوه فضيلة الشيخ عمر، وحزن لموته أهل الإسلام في المشارق والمغارب، وصلى عليه بالنية في أنحاء المملكة العربية. وقد قيل فيه مرثي كثيرة فنذكر منها قليلاً من كثير، فمنها ما رثاه به تلميذه أخونا عبدالحسن بن عبيد، وهي هذه:

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| أعبني جوداً بالدموع الهواطل | ولا تعدا وعد العذول الماطل |
| فسحاً لدمع العين بالله وابكيا | بدمع غزير عاجل غير آجل |
| على شيخنا شمس البلاد وبدرها | ونجم الهدى السامي جميل الشائل |
| هو الشيخ عبدالله نجل محمد | إمام همام فاضل وابن فاضل |
| فوا أسفا من فقدته وفراقه | فمن مثله في الخلق بين القبائل |
| لقد كان طوداً للعلوم وفاضلاً | فثلمته كبرى لدى كل عاقل |
| فتباً لعين لا تجود بدمعها | على مثل شيخ المسلمين الأماثل |
| لقد ريعت الأنام طراً بموته | وسالت جفون بالدموع الهواطل |
| وطارت قلوب المسلمين لفقده | لدى غيـبوا في القبر فرد الفضائل |
| فكلاً ترى يبكي وتهمي دموعه | لما حل فيهم من عظيم البلايل |
| وصلى عليه المسلمون جميعهم | بكل ربا نجد بكل المحافل |
| سرى نعشه فوق الأنامل مسرعاً | تؤم به الأقوام نحو الجنادل |

إلى الله نشكو ما دهمى من مصيبة
فحمداً على مر القضاء وحلواه
صبرنا وسلمنا له الأمر كله
لقد عمنا كربٌ شديدٌ ومفطعٌ
سقى قبره ربي من الروح ديمةً
والحقه بالسالفين على الهدى
لقد كان في الدنيا وحيد زمانه
مجالسه طابت فعادةً بحكمةٍ
عليها البهاء والنور كالشمس ساطعاً
يقص علينا من رقائق وعظه
يقرر توحيد العبادة معلناً
ويدعو إلى التوحيد لله مخلصاً
يدين بقال الله قال رسوله
على السنة الغراء يسير بعزيمة
وما صدّه خوفٌ من الخلق أو رجا
له همةٌ تأبى الدنية والردى
كساه إليها مولاه أجل حلةً
لقد كان بكاءً وقد كان خائفاً
مدنياً على بذل النصيحة جهده
وقد كان في الدنيا لنا خير مؤنسٍ
يقص علينا من كلام إلهنا
يرغبنا قولاً وفعلاً بجهده
ويحكي لنا جل الظرائف آثراً
إذا قرر التوحيد أطرب من له

وما مسنا من فادحات النوازل
وشكراً لمولانا على كل نازل
على كل حالٍ في الرخا والنوازل
وقدنا لنا رزء وإحدى البلابل
مع العفو والرضوان هتان هاتل
على الشرعة الغراء بأعلى المنازل
يقيم منارات الهدى بالدلائل
مؤيدةً بالله عن كل باطل
مسددةً محروسةً عن غوائل
كما الصيب الهطال يهمي بوابل
ويشرحه بين الورى في المحافل
يريد الجزاء يوم اللقا والتعامل
وقول ذوي التحقيق من كل فاضل
ولم يثنه في الله عذل العواذل
لما عندهم من تالد المال عاجل
وتنأى عن الفحشاء وقرب الرذائل
له هيئةٌ عند الملوك الأمائل
وقد كان مأمون الأذى والغوائل
على كل حالٍ في الضحى والأصائل
يرغب في الأخرى وحسن الشمائل
ومن سنة المختار أسنى الدلائل
إلى السنة الغراء ورفض الرذائل
عن العلماء العاملين الأمائل
فؤادٌ يسلم نوره كالمشاعل

له منطقٌ عذبٌ فصيحٌ مهذبٌ
وإن جاء في التزهيد أبكى بقوله
وإن مازح الإخوان تقسم أنه
وإن أم في المحراب يتلو كلام من
عرفت يقيناً فضله ومحلّه
له خلقٌ سمحٌ جميلٌ مؤيدٌ
له سطوةٌ بين الورى بلسانه
يعامل أهل الزينغ بالبعد والقلّى
وما قصده جاء ولا مدحة الورى
شمائله جمٌ فلست أعدها
كذا الحضر تلقاها بكل محلةٍ
عليه سلام الله حياً وميتاً
مع العفو والغفران والفوز والرضا
ولما قضى قلبي توجهت مالكي
يلم لشمل الدين فرعاً أصله
سمي أبي حفص فالله دره
يحل لإشكال المسائل جاهداً
لقد كان أستاذاً لنا ومعلماً
ويحمي حما السمحاء عمن أرادها
أعز به المولى لدين محمدٍ
وسدد لإخواناً لنا طاب خيمهم
وجنبهم ربي لكل مضلةٍ
وصل إلهي مع سلامٍ مضاعفٍ
بعد الحصى والرمل والقطر كله

فسبحان من قد خصه بالفضائل
وزهد في الدنيا وإيثار آجل
له أسوةٌ بالمصطفى غير مائل
تقدس عن مثل وعن كل باطل
ورتبته في الفضل بين القبائل
من الله لا يصغى إلى كل عاذل
يسدده ربي بسرد الدلائل
ويرميه شزراً بقوس المسائل
وما صده ميلٌ إلى كل باطل
بكل القرى تسمع بها والقبائل
كذا البدو ترويهما بكل المحافل
ورحمة ربي عاجلاً غير آجل
كذا الروح والريحان يوم التعامل
سميع الدعاء مُسدي جميع الفضائل
ويبقى لنا بدر القرى والقبائل
لنا يشرح الغراء بغير تكاسل
بعزمٍ وحزمٍ مبرزٍ للدلائل
يعيد دروساً بالضحى والأصائل
بنقصٍ وهضمٍ من خبيثٍ وجاهلٍ
وأعلاه في الفردوس أعلى المنازل
ووقفهم فهم الهدى والمسائل
وطهرهم من ساقطات الرذائل
على المصطفى والآل مع كل فاضل
وما شاء ربي دقها والجلائل

وقال الأديب الذكي صالح بن عبدالعزيز العثيمين راثياً المترجم بهذه القصيدة العظيمة، وهي من أعظم ما قيل فيه:

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| إلى الله في كشف الملهمات أفزع | فليس لذا أرجو سواه وأضرع |
| ففي كل يوم للعباد رزية | وفي كل عام في خيارنا يشرع |
| وأعظم بهذا الرزء وأي مصيبة | كهذا سوى أن قيل مات المشفع |
| لقد مات عبدالله نجل محمد | فتى نحوه الأعلام للرأس ترفع |
| به انكسفت شمس العلوم فبعده | فمن نحوه في العلم يرفع أصبع |
| به فقد الناس الدعاة إلى الهدى | فمن بعده داعٍ إذا قال يسمع |
| به فقدوا فوق المنابر واعظاً | إذا يبد وعظاً في الخطابة مصقع |
| به فقدوا شيخاً فقيهاً مفقهاً | سيهجر إقناعٌ ومغني ومقنع |
| به فقدوا من حين تقرأ فروعهم | تقول له تصنيفها إذ يفرع |
| به فقدوا نحواً فماضيه قد مضى | وفي قبره أضحى المضارع يضرع |
| به فقدوا شيخ الفرائض بعده | فمن ذا سهام الأنصباء يوزع |
| إذا أشكلت طرق الصواب فقله | لمسترشد الفتياء في الحق مقنع |
| به صار روض العلم وألحق مزهراً | وأرواحنا عن جهلها فيه ترنع |
| ربى في تقى فيناً وحسن عبادة | وما صده ماله وما ضم برقع |
| إذا جئته جنح الدعاء وجدته | بمحرابه باب المهيمن يقرع |
| تلاوة آيات الكتاب شعاره | فما انفك عنها غير ماحين يركع |
| يلاقى بترحيبٍ وبشرٍ ورقة | فلم تلقه إلا لذي الذل يخضع |
| وما نفسه يوماً أراد انتصارها | ولا عن ذوي الفقر اعتراه الترفع |
| ويمنع أهل الظلم أخذ مظالم | وعن ظلمهم لله قد كان يمنع |
| وعن ما أتى عن ربنا ورسوله | مشاغب أهل الزيغ قد كان يدفع |
| فأسيافه في البحث قاطعة الضبا | وجوهرها حد الصياقل يقطع |

أبان عويصات المسائل كلها
إذا يتل تفسير الكتاب فقول
تنزه عن دنيا فلم تستفزه
وما مد عيناً نحوها إذ تبرجت
لقد نال أسباب السماء بعلمه
قفا أحمداً قولاً وفعلأ فلو رأى
حوى العلم والعلياء والجود والتقى
وليداً حوى تلك الخصال جميعها
ختامً نقول إن أفاد نقولها
لقد حل في ذي العام مفقد عالم
أتيناه قصد الدرس نجني فوائداً
فقليل لنا نجم الهداية قد هوى
فللحزن للأذقان خراً جميعنا
تنهد إيكار وصاح عجائز
حيارى من الإدهاش جلّ مقالهم
إلهي قضيت الموت فادفع منية
فلما تيقنا الممات من الأسى
وقمت أنادي في الطلول وأدمعي
سأبكيه في نطقي ودمعي وأنة
أجاب ورقاء الحمامة في البكا
فلن أنس إذ حفت به جملة الورى
ترنمت في إمداحه بجاته
فلهفي إذا حولت تلك مراثياً
ولهفي على فقدان شيخ ذوي النهى

وأوضح منها ما يسن ويشرع
على كل مقبول وما رد يطلع
بزخرفها أو في خداعها يخدع
بلى إنه في الهجر للكل مولع
ينادي لمن رام الصعود إلا ارجعوا
شوافعهم ذا الشيخ لم يتشفعوا
وسار بهاتيك الفضائل مسرع
إلى يومنا من درها وهو يرضع
وإن يعزها في صدقه الكل أجمع
به الكرب للإسلام قد حل مفتح
محرة في الدرس حين يفرغ
من الأفق قوموا أيها الخلق شيوعا
وسالت لذاك الحزن في الخد أدمع
وحوقل أشياخ وأدهش رضع
إلهي بهذا الشيخ لا الخلق تفجع
ومن شوقنا في رد روحه نظم
عليه قلوب الناس كادت تقطع
تروي الثرى إذ منه واره بلقع
إذا زفرت منها تكسر أضلع
ويغلبها صوتي أسأ حين تسجع
كبدر به حف الكواكب طلع
فأطربت في إنشادها إذ أرجع
أطوف بها هل ذاك في الرزء ينفع
فقد كنت حيراناً فما ذاك أصنع

ولهفي فقد قل اصطباري فليتي
أعزي محارب العلى بإمامها
أعزي دروس الفقه بعد دروسها
تنكرت الدنيا ولكن تعرفت
وأفلامنا شقت عليه تأسفاً
بريدة فأبكي إن فخرك قد ثوى
بريدة للحزن السواد إلا البسي
به صرت في الأمصار تاجاً بمفرق
جعلتي له الأحداق موضع رجله
قفوا خبرونا هل بنا اليوم مثله
قفوا خبرونا أي شيخ مهذب
قفوا خبرونا من يشابه شيخنا
قفوا خبرونا من يمازح طفلنا
أهلنا عليها الترب آهي ولوعتي
أهالت عليه الترب في القبر راحتي
تركنا علوماً في الثرى إذ ثوى به
لقد مزج البحرين علماً كذا ندى
لئن نهبت أيدي المنون لجسمه
فهذا طريق كلنا له صائر
تسير قفول العالمين جميعهم
وإني لأرجو أن يكون مقامه
فيا ربّ حقق ظن عبدك واقبلن
والحق محباً قال ذاك بحبه
لفقدان شيخي ليتني لم أكن

يبردت غليلاً إن جزعت فأجزع
فناظرها من فقده الدم يدمع
فمقلتها من حزن فقده تهمع
بطيب ثنا أبقاه في الخلق يسطع
على فقد خد الطرس كم فيه ترصع
بلحد ولن يرجى لبدرك مطلع
فعنك بهذا أمر الملامة يرفع
فعادت تعزيك إذا التاج ينزع
فكيف سمحت أن يبطنك يوضع
وهل صار في الماضي بمثله يسمع
يقوم مقام الشيخ إن ذاك تدعوا
ومن كان من علم الهدى متضلع
سواه وجلباب الحيا متدرع
فهل فيكم مثلي فتى يتوجع
فما راحتي يدري لها اليوم موضع
وعدنا ببرق خلب حين يلمع
فلهفي ضريح ماء بحريه ييلع
فذى سنة ما الموت في ذاك مبدع
فذاك مضى قدماً وذا ذاك يتبع
لذاك وللأرواح في الخلد مجمع
بعدن إذا يبدو به يتشعشع
دعائي لذاك الشيخ فيها يمتع
فعفوك من ذنبي وإن جل أوسع
وإلا ففي لحد ثوى فيه أوضع

فيا نوم عيني لا تلم بمقلتي فعين كعيني بالكري ليس تهجع
 ويا صبر فارحل ليس قلبي فارغاً أصيب بأحزان وحاشاه يقلع
 ويا نار شوقي بالفراق تأججي وعقربه قلبي لها القلب تلسع
 ويا نفس صبراً فالتأسي لائق بموت الذي في كفه الماء ينبع
 هو المصطفى زين النبيين أحمد شفيع الوري يوم الصحائف ترفع
 عليه صلاة الله ما هبت الصبا وما هل ودق فيه رعد مقعقع
 كذا الأهل والأصحاب أيضاً وتابع مضى على خلف وللأمر طيع
 وأرخ لشهر في جبا من محرم للعام طاب القبر فيه السميع

وقد رئاه الأخ عثمان بن أحمد بن بشر، وعبدالرحمن بن عبدالكريم بن عودة بن
 عيميد، وقيل فيه شيء كثير من المديح أضربنا عن ذكرها لضيق الموضع، ولأن
 غالبها لم يتزن.

ثم إنها جاءت التعزية لأخيه وذريته وأقربائه من قبل صاحب الجلالة الملك
 عبدالعزيز، وفي ٢٥ من الشهر المذكور جاء الأمر السامي من قبله بتنصيب أخيه
 الشيخ عمر بن محمد قاضياً في القصيم، فتولى الشيخ إمامة المسجد الجامع في بريدة
 واستمر في القضاء.

أما ذرية الشيخ عبدالله فكان له من الذكور محمد فقط، وكان صالحاً ناسكاً،
 توفي وهو شاب، وله بنات.

ومن توفي فيها من الأعيان والدنا السعيد وهذه ترجمته:

هو العارف العاقل الناسك السخي الكريم أبو عبدالرحمن عبيد بن عبدالحسين
 آل عبيد، ولد رحمه الله سنة ١٢٦٧هـ فنشأ في حجر والده - جدي - وكان في قلة
 من الدنيا، ووافق ذلك حروباً ومحناً ومخاوف، وتوفي والده قبل زواجه لأن زواجه
 تأخر إلى واقعة المليداء، وكان ممن شهد الواقعة فعزم على أنه إذا رجع إلى وطنه
 سالماً ليتزوج، فتزوج وله من العمر أربعون سنة.

وكان رحمه الله حسن الكتابة، ولجودة خطه كان كاتباً للأمير حسن بن مهنا

وقد يسير في رفقة الرجل المدعو الحصان خارص الأمير حسن، ومن زملائه في الكتابة محمد بن عيدان، كان والدنا يحدثنا أنه لم يكن في زمانهما أحسن منهما خطأ، فقدّر أنه جاء أعرابي إليهما وجعل يسألهما هل يحسنان الكتابة؟ فازداد عجبهما به وكيف سولت له نفسه أن يبحث في هذا الموضوع حيث لم يدع القوس لباريها والسهم لراميها، فلما رأى الأعرابي أنهما ينكران علمه بالكتابة طلب قلماً وورقة، ولما أن رأى القلم طلب أن يتولى هو بربه بنفسه، فأخذ سكيناً وبرى القلم مرتين وقطع في الثالثة رأسه - أعني القلم - وقال: أريد أن أكتب لكما فائدة، فكتب هذه الكلمات «الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار الملك الجبار» ثم ناولهما كتابته، فإذا هي آية في الحسن والجودة، وحقرا أنفسهما واستصغراها.

وكان والدنا رحمه الله جواداً كريماً محسناً إلى الناس، شكوراً لنعم الله تعالى، ولقد أعطاه الله بسطةً في الرزق وسعة من المال في النصف الأخير من عمره، فكان يتمنى أن لو كان ذلك في حياة والده ليواسيه ويوسع عليه، وكان يأكل من كسب يده وعنده ثروة عظيمة، ويبدل الأموال في سبيل الخير والإحسان وصلة الأقارب، وله مقامات في الإحسان.

سمع مرةً وهو جالس في دكانه رجلين يختصمان فاستمع إلى كلاهما فإذا قد اشترى أحدهما ناقةً من صاحبه ولم يجد لها ثمناً، وقد تبعه صاحبها يقول: ناقتي أو ثمنها وجعل المشتري يسأله بالله أن يصبر حتى يأتيه الله برزقٍ من عنده، فإنه لا يجد في الحال الثمن، فتعلق به صاحبها وأخذ خطامها من يده، فوقف المشتري مقهوراً لأن الناقة لها موضع عنده وما لديه قيمة لها، فقام الوالد وعد قيمتها «وكانت ١٣٠ ريالاً» فرنسياً وجعلها في كيس وخرج يقول أين المشتري؟ خذ القيمة وادفعها إليه واذهب بناقتك، هذا وما كان يعرف البائع ولا المشتري غير أنه أحب أن يفرج عنه كربته ويبرد حرارة الطلب وحملته الأنفة العربية والمروءة الإنسانية إلى تلك الأريحية، وجادت يمينه أن تقرضه وهو لا يعرف شخصه، وكان يقول: يا ليتني سألت عن اسمه ومن أي جهة كان.

وكننت أظن أن الله رد عليه قرضه بعد ثلاثة أشهر، ولما دفع الرجل إلى الوالد هدية جزاءً له على إحسانه ومعروفه ردها وأبى أن يقبلها.

ولقد أسكن أخاه وأخته في أبيات حسنة وجعل ينفق عليهما، ولما ماتا قبله طلب منا أن لا نضايق الذرية في إخراجهم من البيوت ما داموا محتاجين إلى السكنى، ولما وقعت المسغبة التي قدمنا ذكرها كان إذا خرج من بيته إلى السوق يحمل على رأسه الزبلان فيها التمر والدقيق يوزعه على من مرَّ به من الواقعين على ظهر الأرض من الجوع.

وكان يخرج إلى أصحابه وغرمائه فيحمل على دابتين طعاماً وكسوةً ولحماً وقهوةً وسكرًا يكفي من يخرج إليه ضيافة ويزيد إلى عمر الأسبوع.

وأهدى له بعض أصحابه حمل بعير عشباً طيباً وجعل في أعلى الحمل جذعاً عظيماً من الحطب الغضى، وكان يعجبه الشيء الحسن، فلما ورد عليه أعجب به وجعل ذلك الجذع فرجةً لأصحابه، ثم إنه دعا برسول المهدي وكان ابنه فناوله كسوةً لجميع عائلتهم ونصف ذبيحة كبش وقهوة وسكرًا وأرزاً وعشرة رياللات فرنسية، وكان الحمل لا يساوي خمس ذلك الجزاء.

وبعث أمير بريدة إلى فلاح يأمره أن يحمل إليه جميع ما لديه من الخضرة فإن عنده مائدة ضخمة، فقام الفلاح وحمل ما لديه على حمار قوي وأمر أكبر أبنائه أن يقصد به قصر الإمارة فتقفاه ابنة وأتى به إلى الوالد يقول هذا هدية من أبي فلان فأخذه الوالد وشدَّ على الحمار ما يطيقه من الحمل أرزاقاً وكسوةً، فرجع الفتى إلى أبيه فسأله لما رأى الجزاء: قال يا بني أخزأك الله إلى من ذهبت به إليه؟ فأجابه قائلاً «عمنا عبيد» أما كنت بعثني إليه؟ فتراجع الأب عندما رأى الأرزاق بين يديه وقال: أتدري يا بني أصبت والله في صنيعك ذلك، فقال له: يا أبت إنك غاو في رأيك تريد بعثه إلى الأمير فلعله يسخطه ويستقله، وانظر الآن ما قابلك به هذا الجواد.

ودخل عليه مرة رجل أشمط عليه سيماء الصلاح وأنا حاضر عنده في وقت المساء فسأله عن اسمه فعرفه الوالد بنفسه فقال: إني كنت البارحة نائماً في سطح مسجد جامع بريدة فأتاني ملكان جلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال لي أحدهما: بشر عبيد بن عبدالحسن بالجنة فقال الملك الآخر بم نال ذلك،

فأجابه الملك الأول بقوله: «أفلا يكون عبداً شكوراً» فدعا له الوالد وذكر له أنه قد تكرر رؤية ذلك قبلها، ونسأل الله أن يمن علينا وعليك بفضلِهِ.

وكنْتُ أشاهد من أعماله وأخلاقه الطيبة ما يرجى له معه الفوز بالجنة والنجاة من النار، فقد لبث عشرين سنة لا يصلي إلا خلف الإمام في الصف الأول فلا تفوته تكبيرة الإحرام، وله عادات مستحسنة: فكان يفطر الصوام في شهر رمضان، ويطعم المعتكفين في العشر الأواخر منه، وقد يضحى بسبع ضحايا لنفسه وأقربائه، وكان مكرماً لأئجاله وأحسن تربيتهم وقدمهم لتعلم القرآن والسنة، وإذا رأى منهم مجتهداً فرغ باله وقد كفاهم مؤونة الدنيا، وزوج البالغين، وقام بحجهم فجزاه الله خيراً، وكان له ذوق في شراء الكتب الدينية وتقديمها لهم ويطالع، وكان مولعاً بتلاوة القرآن ويحب الصوت الحسن وقد يجعل جائزة لمن حفظ من أبنائه القرآن عن ظهر قلب، ويحب الشعر النبطي، ويلهج بالحكمة، وكانت وفاته في آخر رمضان من هذه السنة وخلف أبناء صالحين، فمنهم: الشيخ عبدالمحسن وسيأتي ذكر ترجمته، وأما الشيخ عبدالرحمن فقد توفى قبله ومراً شيئاً من ترجمته، ومنهم المؤرخ وغيرهم، وتوفى قبله عبدالعزيز، وكان له خمس بنات، مات عن أربع منهن، وغالب ذريته كانوا صالحين.

ومن توفى فيها من الأعيان: سادن الكعبة «عبدالقادر الشيبى»^(١) وهذه ترجمته:

(١) الشيبى نسبة إلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب: شيبه بن عثمان بن عبدالدار بن قصي القرشي العبدري الحنظلي المكي يكنى أبا عثمان وقيل أبا صفية، وأبوه عثمان بن أبي طلحة يعرف بالأوقص، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم أحد كافراً، أسلم شيبه بن عثمان يوم فتح مكة وشهد حيناً وقيل أسلم بحنين ودفع رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وإلى ابن عمه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة وقال: خذها خالدة تالدة إلى يوم القيامة يا بني أبي طلحة لا يأخذها منكم إلا ظالم، قال ابن عبدالبر: شيبه هذا هو جد بني شيبه حجة الكعبة إلى اليوم دون سائر الناس أجمعين وهو أبو صفية بنت شيبه توفى في آخر خلافة معاوية سنة ٥٩هـ وقيل بل توفى في أيام يزيد.

هو الشيخ عبدالقادر بن علي بن محمد الشبيبي، ولد سنة ١٢٧١هـ وتولى سدانة الكعبة سنة ١٣٣٥هـ كان شهماً هماماً وديعاً سموحاً له إقبال على الناس، محباً للخير وجيهاً، وقد باشر عدة وظائف منها: رئاسة مجلس الشيوخ في عهد الملك الشريف الحسين بن علي، وترأس عدة مجالس في حكومة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وكانت له منزلة عالية لدى الملك، ومكث رئيساً للسدنة ست عشرة سنة إلى أن توفى في اليوم العاشر من شهر رمضان في هذه السنة، وكانت وفاته بمكة المكرمة وعمره ثمانون سنة، ثم تولى بعده السدانة محمد بن محمد صالح بن أحمد بن محمد بن زين العابدين الشبيبي، وذلك من الغد، والمترجم هو الذي سلَّ على عنقه سيف الإخوان البدو في واقعة الطائف.

وفيها وفاة شاعر النيل أحمد شوقي، كان من أشعر الشعراء في زمانه، وله ديوان شعر. وفيها وفاة الدويش، وهو فيصل بن سلطان الدويش الشهم البطل الغاشم، كان في بادئ أمره من قواد الجيوش السعودية، وكان لا يهاب الموت ويلقي بإخوانه المهاجرين إلى التهلكة.

وكان صاحب الجلالة يسيره للغزوات، وقد يسير هو من تلقاء نفسه، نازل سالم بن صباح في واقعة الجهراء وشوهد منه إقدام غير أنه انخدع له، وكذلك أيضاً لما نازل محمد بن طلال في فتح حائل شوهد منه جراءة وشجاعة كسر لأجلها جيش ابن طلال غير أنه انخدع له أيضاً، ولكنه كثير الثقلب، شديد الإعجاب بنفسه مع ما فيه من الغشمة والنفاق، غره غلو أهله وقومه فيه لأنهم يرونه «المنجنيق» الذي يببب الأعداء ويفرق الجموع، ولقد رعب بشراسته وفتكه أهل العراق والكويت، وآخر ذلك ثار على الحكومة فأحاط الله به وصرعه بغيه، فالتجأ إلى أبي حنك في العراق بعدما خذله الله تعالى، وبعدما أكد ابن سعود على بريطانيا أن تحضره بين يديه أو تسمح له بمطارته، رأت أنه لا بد من ذلك فخدعوه وأخذوه في طائرة لبيعثوا به إلى لندن فيأمن من ابن سعود، وبينما يتطلع إلى لندن إذا به أمام نخيم ابن سعود، فاعتقل في سجن الرياض إلى أن توفى في هذه السنة بعد ثلاث سنين قضاها في السجن.

ووالله إنه لما يذيب حبة القلب أن يجد المؤرخ نفسه مضطراً بعامل الإخلاص للتاريخ الذي يوجب على الكاتب أن يسوق الحقائق في ثوبها عاريةً من الكذب فيذكر للقارئ ذلك، والله المستعان.

المملكة العربية السعودية على أثر حادثة ابن رفادة

وما صنعه المغرضون

رأى أهل الحجاز أن يقدموا طلباً إلى صاحب الجلالة أن يحول اسم ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها إلى توحيد الكلمة، وأن يحول اسم المملكة الحجازية النجدية إلى اسم المملكة العربية السعودية، وطارت البرقيات من كبراء البلاد ومن أفراد الأمة ومن البلدان والقرى والحضر والبوادي إلى الملك العظيم فأجابهم إلى ما طلبوا، وأصدر مرسوماً ملكياً برقم ٢٧١٦ أمر فيه بتحويل اسم المملكة القديم إلى هذا الاسم الرائع القوي ابتداءً من يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م، وكان إصدار الأمر قبل الابتداء بأربعة أيام، وما كاد هذا النبأ يصل إلى الأمة حتى استعدت لإقامة مهرجانات استقبالاً ليوم الخميس تعبر فيه عن سرورها بهذا اليوم التاريخي المجيد الذي نالت فيه رغبتها، وظهرت بمظهر الوحدة أمام الأمم الأخرى، وخطب الخطباء، وكتب الكاتبون، ونظم الشعراء حتى انطلقت المملكة تصيح بالهتاف والتكبير والتصفيق، وتكلم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل في صدر المهرجان بكلمة قال فيها:

لا أستطيع أن أعبر لكم عما يخالجي من السرور في هذا اليوم الذي من الله به على هذه الأمة العربية المسلمة بتوحيدها ضمن مملكة واحدة، إن جلالة الملك يشكركم على هذه الغيرة التي أبديتها والإخلاص الذي أظهرتموه، وقد تفضل جلالة مولاي نزولاً على رأي الأمة فأصدر أمره الكريم بالموافقة على رغباتكم، ثم إنها أطلقت المدافع واختالت البلاد في أجمل الحلي ابتهاجاً بيوم الوحدة، وختمت الحفلات بخطاب ألقاه الأمير سعود بن عبدالعزيز في شدة الفرح بهذا الاتحاد.

الاعتداء على الحجر الأسود

ففيها في آخر محرم جاء رجل فارسي من بلاد الأفغان فاقتلع قطعة من الحجر الأسود، وسرق أيضاً قطعة من ستارة الكعبة، وقطعة فضة من مدرج الكعبة الذي بين بئر زمزم وباب بني شيبه.

وصفة أخذه لقطعة الحجر، أنه لما أكب عليه ليقبله أخرج من جيبه بارية من المغناطيس فقطع به منه فشر به حرس المسجد وألقوا القبض عليه، ثم قتل شر قتلة والعياذ بالله، ولما كان في ٢٨ من ربيع الثاني حضر جلالة الملك عبدالعزيز من مصيفه الطائف قبل توجهه إلى الرياض فدخل المسجد الحرام وحضر معه رئيس هيئة القضاء الشرعي عبدالله بن حسن، وحضر أيضاً عبدالله بن عبدالقادر نيابةً عن أبيه قبل وفاته، وحضر بعض الأعيان، ثم أحضر مدير الشرطة العام مهدي بك تلك القطعة الذي اقتلعها ذلك الفارسي الخاسر، وأحضر المسك والعنبر مركباً كيماوياً عمله الأخصائيون، فوضع ذلك المركب موضع القطعة ثم أخذها جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود بيده ووضعها في محلها تيمناً وأثبتها الأخصائيون إثباتاً محكماً.

وفيهما في رمضان نزل غيث عظيم وهطلت أمطار غزيرة، فسالت الأودية منها سيلاً عظيماً، ومن أعظمها سيلا وادي بني حنيفة فإنه جرى جرياً لم ير مثله في أزمنا هذه ولا قريب منها بحيث فاض يميناً وشمالاً حتى دخل بلد السلمية ليلاً لأربع عشر خلت من رمضان، فانزعج أهلها وهربوا خوفاً على أنفسهم، وتلف به أموال كثيرة ومواشٍ، وغرق به سبع نسوة وشيخ كبير.

وقد قال الشاب الشيخ محمد بن عبدالعزيز آل هليل قصيدة في هذا الموضوع يرثي بها أولئك الغرقى الذين ذهبوا ضحية لذلك:

كل يزول وكل هالك فان إلا الإله وما لله من ثان
قضى وقدر تقديرأ فأتقنه سبحانه هو ذو عز وسلطان

أقول للركب لما سيروا نجياً
حثوا الركائب كي تطوى لأحزان
بعد الوصول قفوا نبكي بها زمناً
أين البلاد التي شيدت مساكنه
تلك البلاد بأمر الله فرقتها
والناس في غفلة بالليل قد هجعوا
دعوا البلاد ولا تبقوا بها أحداً
فالكل قام وذاك الخطب أزعجهم
ومات من غرق ست وواحدة
وأصبحت بمرور السيل قد خفيت
كانها قط لم تسكن مساكنها
تالله إن هذا أخي لمعتبراً
يا من أصيبوا بهدم الدار مع غرق
هذا القضاء قضاء الله في أزل
فارضوا بما قدر الجبار واحتسبوا
وبادروا بثناء الله وارتجعوا
لا تأسفن على ما فات من عرض
هذي الحياة وربى صفوها كدر
يشقى اللبيب بها ويمسي ذا عطب
إن المصاب الذي يأتي بلا عمل
وما أصاب جميع الناس من ضرر

عيساً عتاقاً مراسيلاً كظلمان
نحو البلاد التي تسقى بفرزان
نبكي بدمع من العينين هتان
أين القصور التي قامت بعمران
وادي حنيفة جاء ليلاً بطوفان
فصاح صائحهم بصوت يقظان
إن السيول أتت تجري بصوان^(١)
وسار أجمعهم شتى لكثبان
من النساء ومن يدعى ابن عمران
تلك البلاد وما أمست لسكان
كانها قط لم يبن بها بان
للعاقلين ومن ليسوا بعميان
صبراً بما قدر الرحمن إخواني
قبل الخلائق تقديراً بإنقان
إن الرضى بالقضاء حق لديان
عند المصائب في سر وإعلان
فالرب يخلفه فضلاً بإحسان
لا بد زائلة عن كل إنسان
تباً لها دار أكدار وأحزان
يوم المعاد ومن يميزى بجرمان
إلا بظلمهموا وشؤم عصيان

(١) الصوان: الحجر، أي لقوة السيل حملاً الحجارة.

نستغفر الله قد بانت جرائتنا
نحن المسيئون نحن التابعون هوى
ونحن في غفلة عما أريد بنا
ولم نراقب إله العرش في عمل
والله نسأله يحو معائبنا
وصل ربي على أزكى الورى شرفاً
والصحب والآل ثم التابعين لهم
على الإله ولم نسخط لشيطان
نحن الأولى خلطوا ذنباً بطغيان
والكل في سكرة ويمالسكران
وذا وربك منا ضعف إيمان
والله نسأله لطفاً بغفران
خير البرايا وداعيهم ببرهان
ما غرد الطير فوق الدوح والبان

ثم دخلت سنة ١٣٥٢هـ

استهلت هذه السنة والعلاقات قد توترت بين المملكة السعودية وبين اليمن،
وإذا أمعنا النظر وجدنا يحى منشأ الخلاف.

هذا وقد كان ملوك الإسلام والعرب على ممالكهم، فكان على مصر وأعمالها
الملك فؤاد الأول بن إسماعيل الحديوي، وعلى تركيا الغازي مصطفى كمال،
وعلى العراق الملك فيصل بن الحسين، وعلى الكويت شيخها أحمد الجابر بن
صباح، وعلى البحرين شيخها أحمد بن عيسى بن خليفة، وعلى جمهورية سوريا
الأمير محمد العابد، وعلى شرقي الأردن الأمير عبدالله بن الحسين، وعلى نجد
والحجاز والإحساء صاحب الجلالة وصقر الجزيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل
سعود، ولما أن كان في ٩ محرم منها بعث جلالة الملك برقية إلى الإمام يحى في شأن
وفده وهذا نصها:

أدام الله بقاء الأخ، فقد سبق أن أخبرناه باستعدادنا بإرسال المندوبين إلى ناديه،
والآن رأينا أن أحسن من نتدبهم لهذا الغرض، ولهم إلمام بالحالة بين البلدين هم
خالد أبو الوليد، وحمد السليمان، وتركى بن ماضي، وهم الآن مستعدون للسفر
من جيزان عند ورود جواب الأخ، ونرجوا أن يكون وصولهم إليكم عن طريق
الحديدة بالسيارات، ولا شك أنهم سيلقون من سيادة الأخ كل ما يسهل طريق

وصولهم إليكم، ونحن مع انتظار الجواب، فما جاء لها من جواب حتى ٢٥ محرم،
فأرسل صاحب الجلالة السعودية هذه البرقية التالية في ٢٥ محرم:

أخبرناكم بتاريخ ٩ الجاري باستعداد مندوبينا للتوجه لطرفكم وانتظرنا جواب
سيادتكم، والآن لم نتلق ذلك، والحقيقة أن لا فائدة من التأخير، حيث أن مندوبينا
المذكورين لهم أعمال بطرفنا كثيرة والمدة التي يمضونها بعيدين عن أعمالهم تضر
بها، فإذا ترون سيادتكم قدومهم الآن لحضرتكم فهم مستعدون كما أخبرناكم، فإذا
ترون تأخير قدومهم فلا بأس فبأي وقت تشاءون قدومهم مستعدون، نرجوا
الجواب، ثم جاء الجواب من يحمي في ٢٦ منه:

سبحان الله كيف يكون منا تأخير جوابنا لأخيना العزيز أو إهمال له إذاً فلا
رفعت سوطي إلى يدي، وإنا أجبناكم بتاريخ ١١ الجاري بما لفظه:
مرحباً بوفدكم المكرم وآداب مروره على الحديدة لا يجد منا إلا الإكرام فكونوا
مطمئنين ولكم الفضل بإرخاء العنان لهم ودمتم والسلام: وما كان يحسن من الأخ
السكوت وظن الإهمال، بل كان يلزم إعادة برقية على جهة السؤال أنه سبق من
حضرتكم إلينا برقية لم يصل جوابنا لتسرع بالإفادة، وأنه حدث معنا في هذا الشهر
عارض شق بنا جداً، وقد من الله تعالى بزواله والله الحمد على كل حال، وقد أمرنا
الآن بالتعقيب الشديد بعد مأموري البرق حتى نعرف من أين كان التأخر والسلام،
فأجابه جلاله الملك بما نصه:

نشكر حضرة الأخ العزيز على ما أبداه من مكارم الأخلاق التي هو أهله،
وظن أخيك في تأخيركم الجواب فإنه لم يشكل علينا، وإنما رأينا الوقت طال
فاغتنمنا الفرصة لسؤالكم عنه، وأما إجابتكم بتاريخ ١١ فإنها لم تصلنا أبداً وتحققنا
من مراكزنا اللاسلكية فعلمنا أنه لم يصلها منكم شيء إلا في ١ أو ٢٩ ذي الحجة،
أما ترحيبكم بالوفد فهذا من سجاياكم الكريمة، ونرجوا الله تعالى أن يتم ما يكون
به راحة للإسلام والمسلمين عموماً، ولكم ولنا خصوصاً، وأما المانع الذي شق بكم
فنجوا الله أن يزيل عنكم كل مكروه، وقد أسفنا لسماعنا ذلك الخبر، ونسأل الله
أن يصحبكم السلامة والعافية.

أما من جهة إرخاء العنان لمندوبينا فمعلوم لدى الأخ أننا ما أرسلناهم إلا وثوقاً بالله ثم بهم، وهم بأنفسهم حريصون على إصلاح ذات البين وتقريب ما بيننا، ونحن أطلعناهم على الذي جرى وتقرر بيننا وبينكم في السابق واللاحق، وحرصنا على حسن التفاهم، وإن شاء الله ترون منهم ما يسركم ونسمع ما يسر الجميع عن حصول الاتفاق ودوام الصلات الطيبة، وقد أمرناهم بأن يتهيئوا للسفر، وعند مسيرهم سنخبر حضرة الأخ، كما أنهم سيخبرون مأموريكم لا عدمننا بقائكم.

هذا جواب ابن سعود ونحن نحزم بصدقه ووفائه وحرصه على السلم، كما نحزم بأن خصمه بضد ذلك.

فلما كان في ١٧ ربيع الأول من هذه السنة جلس الوفد في صنعاء وذلك يوم الاثنين، وقد تألف الوفد العربي السعودي من خالد أبي الوليد وحمد السليمان، وتركي بن ماضي، وتألف الوفد اليمني من القاضي عبدالله العمري، والقاضي عبدالكريم المطهر، فانعقدت الجلسة الأولى وحصل السؤال والجواب والمحاورة الطويلة على جهة البسط، وحصلت الجلسة الثانية في يوم الأربعاء ١٩ ربيع الأول، وطال النزاع والكلام، ثم حصلت الجلسة الثالثة في يوم الاثنين الموافق ٢٤ منه، وطال النزاع عن غير شيء، وما تلخص من هذه المفاوضات إلا أن آل أمرها إلى الفشل، ثم جعل الوفد العربي السعودي يتراجع الكلام مع الإمام يحيى حتى ملّ وفد ابن سعود، ورفع حمد السليمان لما انتهى الأمر برقية جفرية إلى مكة المكرمة عدد ٥٩ تاريخ ١٤/٤/١٣٥٢هـ، الأخ عبدالله السليمان سيدي نرجوكم أن ترفعوا جلالة الملك بأنهم منعوا سحب برقياتنا إلى جلالته، وقد منعونا عن السفر ولا نعرف قصدهم نحونا، لكن نيتهم رديئة أردنا تعريفك مخترأً لثلا يشتبهوا، ثم بعث جلالة الملك برقية رأساً إلى يحيى بتاريخ ١١ ربيع الثاني فيها استفصال وبعض معاتبة على طريق الرأفة واللين من جهة منع برقيات وفده، مع أنه ليس عليهم جناية، فتكون الإهانة لأعضاء الوفد وعدم مراجعتهم شيئاً عجيباً وختمها بقوله: لم

يبق للسكوت مجال، فاقتضى أن نعرف حقيقة مقاصدكم التي نرجو أن تكون حسنة وفيها عز الإسلام والمسلمين.

والثاني: استنقاذ الوفد الذي ليس لإهانتته موجب، ولا لانقطاع أخباره موجب أيضاً عافاكم الله، فجاء الجواب من الإمام يحى بما معناه:

إن عذره هو المرض الذي بلغ به الغاية، وقد منّ الله بالعافية وبقي بقية يسأل الله زوالها، ثم ذكر أنه عند اشتداد المرض كان عبدالله العمري قد طلب حكماء من حكومة مصر، ومن حكومة العراق، فوصلوا وقد كان منهم البحث وشرعوا بالمعالجة لزوال العلة والله هو الشافي، ثم أجاب عن تأخر تلغرافات وفدكم إلى حضرتكم فذلك واقع كان قد رفع إلينا الوفد، وكان منا سؤال القاضي عبدالله العمري فأفاد: أن طائر هواء الحديدية غير صالح، وإنه قد أرسل من يصلحه وذلك صحيحاً، ثم قال في آخر كلامه:

أما منع التلغراف إليكم فهذا لا يكون قطعياً وقد توجه الوفد إلى حضرتكم أمس الخميس وحررنا إلى حضرتكم ما سترونه إن شاء الله، وقد كتبنا الآن إلى الحديدية ليكون عرض طائر هواء الحديدية على الوفد ليعرفوا الحقيقة، وكونوا من صداقتنا على يقين لا يتزلزل ما دمنا على قيد الحياة، فليس بيننا وبين حضرتكم إلا كل جميل والله الحمد والمنة والسلام عليكم.

نعم إنه قد مرض يحى وبعث إليه فؤاد ملك مصر طبيبين من أطباء الحكومة المصرية، فسارا إلى صنعاء وقاما على الوجه الأكمل، فأجابه جلالة الملك عبدالعزيز بهذا الجواب عن برقيته المتقدمة:

أخي برقيتكم وصلت وسرنا صحتكم، الحقيقة والله المطلع أن مرضكم مرض لنا لأننا نحب كل شخص من العرب يهمه أمر الإسلام والعرب، أما اعتذاركم من قبل برقيات الوفد فمقبول، وكما قيل «وكل ما يفعل المحبوب محبوب» والوفد خدامكم، والأخ أخوكم، والمصلحة عائدة للجميع، ثم تكلم بكلام لطيف في استجلاب الصداقة والمودة إلى أن قال:

وأخوكم يعطيكم أمان الله على ذلك ما زال الأمر ما يحوج للدفاع عن النفس والشرف، ثم ختم الجواب بما ابتدأ به.

ولما سار الوفد السعودي راجعاً من صنعاء في يوم الخميس الموافق حادي عشر ربيع الثاني عن تشديد منه على الإمام يحيى في طلب الأذن بالعودة لما لم يمكن للوصول إلى نتيجة مرضية للجانبين، ووصل الوفد إلى جيزان كتب الإمام يحيى إلى جلالة الملك بما حاصله أن قال:

وأخر ما كان عليه بيننا وبين الوفد المكرم في شأن الأراضي التهامية والعسيرية أن يكون إبقاؤهما على ما هي عليه الآن، وفي مسألة قتلى تنومة أن يكون تأخير الخوض فيها للمراجعة بيننا وبين حضرتكم، وفي شأن الإدريسي جعلناه بوجهنا وذمتنا أن لا نساعده على شقاق ولا نرضى له، فإن حدث منه حادث فيدنا مع يدكم عليه، ولا نراه يحدث نفسه بشقاق فقد عرف قدر نفسه وقدر أصحابه وأعوانه، وهو الآن منقطع بنفسه لا يخوض في شيء ويشكو لقلّة المخصص له من حضرتكم فبالله تفضلوا بزيادة ألف ريال شهرياً له، ولعبدالوهاب وعائلاتهم وحاشيتهم فهم ذوو تكاليف ويعتادون كثرة الإنفاق فتفضلوا بتلك الزيادة ولكم الفضل، أما مسألة يام ونجران يا حضرة الملك عافاكم الله فأنتم تعلمون أنهم جزء من اليمن ما له مفصل بل هم مصاصة قبائل اليمن، وأطال بما لا فائدة فيه، فبعث إليه ابن سعود بهذا الجواب في ١٦ ربيع الثاني من هذه السنة:

أخي تقدم إليكم قبل هذا برقية عرفناكم فيها أن بوصول الوفد إلى جيزان وإخبارهم لنا بمضمون كتابكم نراجعكم بشأنه، ثم قال بعد ذلك:

أخي تفهمون أن الملك لله ليس لأحد، وإن الأمور ليست بالورثة ولو دامت لغيرك ما اتصلت إليك، إلى أن قال:

أخي تعلمون أننا ما نعذر من جهة الله ولا من جهة الأمانة التي برقابنا، ولا من قبل الصداقة التي بيننا وبينكم حتى نقوم بالواجب، فإما أن ندرك المطلوب أو نعذر، وتعلمون أن شرفنا وشرفكم وديننا ما يسعنا إزائهم إلا القيام باللازم على

أمر واضح وبرهان بَيِّن، أرسلنا وفدنا وأعطيناه التعليمات اللازمة وحصل أمران
أحزننا أحدهما وآسفنا الآخر، أما ما أحزننا فهو اختلاف صحتكم نسأل الله العافية
لنا ولكم، وأما الذي آسفنا فهو التأخر من عدم الاتفاق، والآن فإن البنيان الذي
على غير أساس ولا ثقة ما يصلح لديننا وشرفنا، لا منا ولا منكم، ثم أظن
وأطال في ذكر الأمور التي بها صلاح الطرفين وأفصح عما في ضميره من حبه
للاتلاف وبغضه للاختلاف إلى أن قال:

وإني أعاهد الله أن لا أتعدى الخطة التي تسيرون عليها، وإن أعاملكم بالمعاملة
التي تعاملونا بها، وإني لا أبداكم بشر إلا أن يكون دفاع عن الدين والشرف،
وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم للخير.

ثم بعد ذلك تبودلت البرقيات، جاء من يحيى اثنتان وأجاب عليها ابن سعود
بخمسة وكلها تتعلق في شأن الحدود والرغبة في تسكين الثوائر، واستمرت الحال
هائجة مائجة، وسنعود إلى ذلك عن قريب، ونسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي
كلمته ويظهر الهدى ودين الحق على الدين كله.

وبذلك نختتم المجلد الثالث من تاريخنا على يد مؤلفه أثابه الله وسدد أقواله
وأفعاله، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد
وعلى آله وأصحابه أجمعين

آخر المجلد الثالث ويليه إن شاء الله المجلد الرابع وأوله بيعة ولي العهد سعود

فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| دخول سنة ١٣٤٠هـ وما فيها من الحوادث | ٣ |
| فتح حائل | ٣ |
| همة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل | ٤ |
| ذكر أناس من قواد ابن سعود وشجاعتهم | ٤ |
| التعريف بجائل | ٧ |
| دفاع الأمير محمد بن طلال واستنجاده بالإنكليز | ٧ |
| ذكر رافة ابن سعود بأهل حائل | ٩ |
| ما قيل من الشعر في تهنئة الملك عبدالعزيز في فتح حائل | ١٠ |
| وفاة عبدالكريم بن ناصر بن جربوع | ١٩ |
| ذكر آل عائض وما جرى منهم | ١٩ |
| ذكر التعريف بعسير وجبالها | ٢١ |
| هزيمة آل عائض | ٢٢ |
| سنة ١٣٤١هـ وما فيها من الحوادث | ٢٦ |
| منع الشريف لأهل نجد من الحج | ٢٧ |
| ذكر مؤتمر العقير | ٢٨ |
| ما جرى بين ابن سعود وبين مندوب الإنكليز السر كوكس | ٣٠ |
| ما جرى بين ابن سعود وبين الوكيل السياسي في الكويت الميجر مور | ٣١ |
| ذكر ما جرى من أهل العراق ومن التجأ إليهم من العشائر | ٣٣ |
| عودة الأمير فيصل بن عبدالعزيز من عسير | ٣٤ |
| التعريف بأسرة آل شريدة وذكرهم | ٣٥ |
| وقوع الخلاف بين مصر وبين الشريف حسين | ٣٦ |
| سنة ١٣٤٢هـ وما فيها من الحوادث | ٣٧ |
| مفاوضات في نجد ضد الحسين الشريف | ٣٨ |
| ذكر مؤتمر الكويت | ٣٩ |
| تصميم الحسين الشريف وأنجاله على الخلاف | ٤٢ |
| ذكر الخلافة واستقبال الحسين في عمان | ٤٣ |

| | |
|---------|---|
| ٤٤..... | الاحتفالات في الشام لقدم الشريف حسين |
| ٤٤..... | اجتماعات في الرياض ومفاوضات في شأن الشريف |
| ٤٦..... | سنة الغرق في القصيم |
| ٤٦..... | وفاة الشاعر النبطي محمد العوني وترجمته |
| ٤٧..... | سنة ١٣٤٣هـ وما فيها من الحوادث |
| ٤٨..... | ذكر غزوة البلقاء وما جرى للإخوان هناك |
| ٤٩..... | ذكر فتح الطائف |
| ٥٢..... | ذكر أعيان المقتولين في هذه الحرب العمياء |
| ٥٣..... | دفاع الحسين الشريف وعجزه |
| ٥٤..... | ذكر واقعة الهدى |
| ٥٦..... | ذكر خلع الحسين الشريف وقيام الأمة ضده |
| ٦٣..... | أعمال الحزب الوطني وتدبيره |
| ٦٣..... | مجاوبات بين الحكومة الجديدة وبين ابن سعود |
| ٦٦..... | ذكر فتح مكة المشرفة |
| ٧٢..... | الإشارة إلى الكتب المتبادلة بين الفريقين وجهود ضائعة |
| ٧٦..... | قبض الملك علي على بعض رجال الحزب ومحاكمتهم |
| ٧٧..... | سفر الحسين إلى العقبة |
| ٧٨..... | رسالة الملك علي إلى صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز |
| ٧٩..... | ذكر سفر ابن سعود إلى الحجاز |
| ٨١..... | تدابير الملك عبدالعزيز لما أراد السفر إلى تلك الجهات |
| ٨١..... | كيفية رحلته الملكية |
| ٨٧..... | ذكر قدوم ابن سعود إلى مكة |
| ٨٨..... | استقبال أهل مكة لعظمة السلطان عبدالعزيز |
| ٩١..... | اجتماع العلماء النجديين والحجازيين للبحث في المسائل الدينية |
| ٩٢..... | استجلاب ابن سعود محبة أهل الحجاز له وإعجابهم بشخصيته |
| ٩٣..... | صدور جريدة أم القرى محررها يوسف ياسين |
| ٩٤..... | ذكر الإشاعات المكذوبة على الإخوان أصحاب ابن السعود |
| ٩٥..... | كشف تلك الأكاذيب وإيضاحها |
| ٩٦..... | أعمال ابن سعود لتموين مكة |

- مطالبة أهالي مكة للملك علي في منع الأرزاق عنهم..... ٩٨
- ذكر المفاوضات بين ابن سعود ووسطاء الصلح..... ٩٩
- استعداد الملك علي للقتال..... ١٠١
- ذكر حرب جدة سنة ١٣٤٣هـ..... ١٠٥
- الحكومة السعودية وإجراء تدابيرها للحرب..... ١٠٧
- ذكر قوى الفريقين..... ١١٢
- قوة الجبهة السعودية ووسائلها..... ١١٧
- اعتقال عالم من العلماء السعوديين وإهانته..... ١١٨
- ذكر وقعة المصفحات وردها مدحورة مخذولة..... ١١٩
- ذكر الحصار والحرب للسواحل الحجازية..... ١٢١
- مصادرة الحكومة الحجازية في جدة سنايك إيطالية وردها..... ١٢٢
- تنفس جنود الملك علي الصعداء بذهاب السعوديين للحج..... ١٢٣
- ذكر نقل الحسين بن علي من العقبة وأسبابه..... ١٢٣
- إجباره على الذهاب إلى قبرص وعدم المبالاة به..... ١٢٨
- وفاة الأمير أحمد بن ثنيان..... ١٢٩
- سنة ١٣٤٤هـ وما فيها من الحوادث..... ١٢٩
- تشديد القتال والضغط على الملك علي وجنوده..... ١٣٠
- طلب القناصل من الملك ابن سعود أن يقبل وساطة فؤاد الخطيب..... ١٣٢
- خوف بريطانيا من سطوة ابن سعود..... ١٣٣
- طلب الحكومات الإسلامية إيقاف القتال من بين الفريقين..... ١٣٤
- ذكر عقد الاتفاقيتين بين ابن سعود وبين العراق..... ١٣٧
- اتفاقية حداء بين نجد وشرقي الأردن..... ١٣٩
- ذكر تسليم المدينة المنورة ١٩ جمادى الأولى..... ١٤٣
- ذكر ما جرى على أهل جدة من الضيق وتحلل الحكومة الهاشمية..... ١٤٥
- عزم الملك علي على التخلي عن الملك والذهاب إلى العراق..... ١٤٨
- اتفاقية تسليم جدة..... ١٥٠
- تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة عبدالله علي زينل..... ١٥٤
- منشور علي بن الحسين في خطته الحربية الماضية..... ١٥٤
- ذهاب علي بن الحسين إلى المنفى الذي اختاره لنفسه..... ١٥٥

| | |
|----------|---|
| ١٥٥..... | ذكر ما جرى من التدابير بعد فتح جدة..... |
| ١٥٦..... | بلاغ عام نشره الملك عبدالعزيز..... |
| ١٥٨..... | دعوة ابن سعود للعرب لتقرير مصير الحجاز..... |
| ١٥٩..... | ذكر البيعة والتداء لابن سعود بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها..... |
| ١٦٢..... | وفاة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن فداء وترجمته..... |
| ١٦٢..... | وفاة الشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي وترجمته..... |
| ١٦٥..... | عمارة المسجد الحرام وترخيمه..... |
| ١٦٥..... | واقعة الحمل وما حصل بأسبابها..... |
| ١٦٧..... | توظيف الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد رئيساً للقضاة في الحجاز..... |
| ١٦٧..... | سنة ١٣٤٥هـ وما فيها من الحوادث..... |
| ١٦٧..... | ففيها طبعت حكومة قطر الفروع لابن مفلح..... |
| ١٦٨..... | عقد اتفاقية مكة بين ابن سعود وبين الإدريسي..... |
| ١٦٩..... | إنشاء سبيل من ماء زمزم..... |
| ١٧٠..... | فرش شارع المسعى..... |
| ١٧١..... | الإصلاحات التي قام بها الملك عبدالعزيز..... |
| ١٧٣..... | بعث ابن سعود استفتاءات لعلماء المدينة ومصر..... |
| ١٧٣..... | منع مصر لإرسال كسوة الكعبة وما يتبعها من الأوقاف..... |
| ١٧٤..... | وفاة الشيخ حمد بن فارس وترجمته..... |
| ١٧٦..... | تقرير اسم المملكة لقبية بملك نجد بدل سلطان نجد..... |
| ١٧٧..... | عقد اتفاقية جدة بين السعودية وبريطانيا..... |
| ١٨٠..... | سنة ١٣٤٦هـ وما فيها من الحوادث..... |
| ١٨٢..... | تنظيم الملك عبدالعزيز وسيره بمملكته إلى الأمام..... |
| ١٨٢..... | ذكر تأسيس دار الكسوة..... |
| ١٨٤..... | إنشاء سبيل ماء من زمزم..... |
| ١٨٤..... | تركيب مائدة كهرباء لإضاءة المسجد الحرام..... |
| ١٨٤..... | طبع مجموعة التوحيد في مصر..... |
| ١٨٤..... | ذكر ثورة الدويش وأتباعه من البدو المغتربين..... |
| ١٨٦..... | التعريف بالدويش..... |
| ١٨٧..... | تصرفات الدويش السيئة..... |

| | |
|---|-----|
| بذل العلماء النصائح والإرشادات ضد هذا الانشقاق..... | ١٨٩ |
| عقد مؤتمر حضرة العلماء والزعماء والأمراء للنظر في هذه المشكلة | ١٩٠ |
| خطبة الملك عبدالعزيز بين هذه الجموع | ١٩٠ |
| قدوم وفد من بريطانيا لطلب ابن سعود إيقاف اعتداءات الدويش عليها..... | ١٩٤ |
| ذكر ما جرى فيها من الحوادث | ١٩٥ |
| سير ابن سعود إلى بريدة عاصمة القصيم | ١٩٦ |
| وفاة الإمام عبدالرحمن بن فيصل وترجمته | ١٩٦ |
| وفاة عبدالقادر بن بدران العالم الفاضل وترجمته | ١٩٨ |
| ذكر مؤلفاته | ١٩٩ |
| وفاة علي محمد الوقيصي | ٢٠١ |
| وفاة عبدالله بن صالح الجوعي | ٢٠١ |
| وفاة عثمان بن عبدالله بن دخيل | ٢٠١ |
| اضطرار ابن سعود إلى امتشاق الحسام | ٢٠٣ |
| نعمة الأمن وما فيها من المصالح | ٢٠٧ |
| عمارة المسجد الحرام وترميماته | ٢٠٨ |
| سنة ١٣٤٧هـ وما فيها من الحوادث | ٢١٠ |
| جنايات البدو المتدنية التي ارتكبوها | ٢١٠ |
| التعريف بسلطان بن بجاد أمير الغطف | ٢١٠ |
| ذكر تصميم صاحب الجلالة على القتال | ٢١١ |
| عناد البدو الخارجين وعدم انقيادهم | ٢١١ |
| مقدمات واقعة السبلة | ٢١١ |
| ذكر واقعة السبلة سنة ١٣٤٧هـ وعدد جيش الفريقين | ٢١٢ |
| مكر الدويش وخداعه | ٢١٣ |
| ترتيب الصفين واحتياط العدو | ٢١٤ |
| نشوب القتال | ٢١٤ |
| انهزام العدو وخذلانه | ٢١٥ |
| استسلام رئيسي الفتنة وعفو ابن سعود عن الدويش | ٢١٦ |
| ذكر انتفاض الدويش وردته | ٢١٧ |
| عودة الشر من جديد | ٢١٨ |

| | |
|----------|---|
| ٢١٨..... | قتل ضيدان بن حثلين رئيس العجمان..... |
| ٢١٨..... | قتل الأمير الشهم فهد بن عبدالله بن جلوي..... |
| ٢١٩..... | واقعة بين الدويش وأتباعه وبين العوازم وهزيمة الدرويش..... |
| ٢١٩..... | قتل الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ صعب وترجمته..... |
| ٢٢٠..... | تعيين الشيخ عبدالله بن حسن رئيساً للقضاة..... |
| ٢٢٠..... | طباعة تفسير ابن كثير والبعوي..... |
| ٢٢٠..... | انتهاء العمل من عمارة المسجد الحرام..... |
| ٢٢٠..... | إضاءة المسجد الحرام بالكهرباء..... |
| ٢٢١..... | سنة ١٣٤٨هـ وما فيها من الحوادث..... |
| ٢٢١..... | قيام الدويش بالافساد وبعثه ابنه عبدالعزيز للنهب والسلب..... |
| ٢٢٢..... | واقعة أم أرضمة وقتل عبدالعزيز بن فيصل الدويش..... |
| ٢٢٣..... | ما قيل من الشعر والتهاني لابن سعود..... |
| ٢٣٢..... | خداع الدويش ونفاقه والتجائه إلى المشركين..... |
| ٢٣٢..... | تشديد ابن سعود في طلبه..... |
| ٢٣٥..... | ذكر تحقيق الطلب والإتيان بالدويش وصاحبيه بالرغم من كل أمة..... |
| ٢٣٦..... | اعتقال الدويش وصاحبيه وزجهم في السجن..... |
| ٢٣٩..... | فتوى العلماء في كفر الدرويش وأتباعه الذين التجأوا إلى الكفار..... |
| ٢٤٠..... | مؤتمر الدوادمي..... |
| ٢٤١..... | استنكار الأمة للمستحدثات وعدم فهمهم حقيقتها..... |
| ٢٤٤..... | وفاة الأمير مشاري ابن سعود بن جلوي وترجمته..... |
| ٢٤٥..... | طبع البداية والنهاية للحافظ ابن كثير..... |
| ٢٤٦..... | ذكر التقاء الملكين..... |
| ٢٤٩..... | زيارة ابن سعود للبحرين..... |
| ٢٤٩..... | سنة ١٣٤٩هـ وما فيها من الحوادث..... |
| ٢٤٩..... | شيء من ذكر مصطفى كمال..... |
| ٢٥٠..... | طبع رسائل أئمة الدعوة الوهابية المحمدية..... |
| ٢٥٠..... | كتب تم طبعها في هذه السنة..... |
| ٢٥٠..... | وفاة الشيخ سعد بن عتيق وترجمته..... |
| ٢٥١..... | قصة سفره إلى بلاد الهند..... |

- ٢٥٢..... ذكر مشايخه الذين أخذ عنهم في الهند
- ٢٥٣..... رجوعه من الهند إلى مكة وأخذه عن علمائها
- ٢٥٣..... ذكر الكتب التي كتبها في الهند ومكة
- ٢٥٣..... ذكر الذين أخذوا عنه من العلماء والأخبار
- ٢٥٤..... قوته في دين الله وشجاعته
- ٢٥٤..... الكتب التي ألفها
- ٢٥٤..... تاريخ وفاته رحمه الله
- ٢٥٤..... بيان بعض العلماء الذين رثوه
- ٢٥٤..... قصيدة لشاعر نجد محمد بن عبدالله بن عثيمين يرثاه بها
- ٢٥٦..... وفاة الشيخ سليمان بن سحمان
- ٢٥٧..... بيان الأقسام التي كان عليها شعره
- ٢٥٧..... أبيات شعرية في مدح ديوانه
- ٢٥٨..... بعثه رسالة وقصيدة إلى أحد أصدقائه
- ٢٥٩..... مشايخه الذين أخذ عنهم
- ٢٥٩..... ذكر ما جرى عليه من الامتحان
- ٢٦٠..... ذكر مؤلفاته رحمه الله
- ٢٦١..... بعث أهل الجبل إليه يطلبون منه النظر في مشكلة الملاحي وابن سالم
- ٢٦٢..... قصيدة للشيخ صالح السالم يثني بها عليه
- ٢٦٢..... بقية مؤلفاته
- ٢٦٣..... قصيدة للشيخ حمود بن حسين الشغدلي يثني بها عليه
- ٢٦٣..... قصيدة للشيخ صالح السالم أيضاً مادحاً له فيها لزياده عن الشريعة
- ٢٦٤..... قصيدة أيضاً للشيخ فوزان بن عبدالعزيز يمدحه بها
- ٢٦٤..... بيان البلدة والسنة التي ولد فيها وأبياته الشعرية في ذلك
- ٢٦٥..... ذكر تلامذته ووفاته رحمه الله
- ٢٦٥..... قصة عجيبة رويت عنه لم خرجت روحه
- ٢٦٥..... قصيدة للشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل
- ٢٦٦..... صفته رحمه الله
- ٢٦٦..... أولاده الذين خلفهم
- ٢٦٦..... هلاك عبدالمحسن بك السعدون

| | |
|--|-----|
| أمر صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود بشراء ماكينة قوية | |
| لإضاءة المسجد الحرام..... | ٢٦٦ |
| دخول سنة ١٣٥٠هـ..... | ٢٦٧ |
| ذكر لمحّة عن تدريس الشيخ عمر بن سليم والشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي .. | ٢٦٧ |
| معاودة الشيخ عبدالله بن سليم للتدريس..... | ٢٦٧ |
| ذكر لمحّة عن أحد أمراء بريدة السابقين وهو مبارك بن مبيريك..... | ٢٦٨ |
| إنشاء محطة التلغراف اللاسلكي في بريدة..... | ٢٦٨ |
| ذكر ثورة الأدارسة وابن رفاة والتعريف بهما..... | ٢٦٨ |
| تدخل عبدالله بن الحسين الشريف في الثورة..... | ٢٧٠ |
| زحف جنود الإمام يحيى إلى بلاد الأدارسة والبرقيات المتبادلة بينه وبين ابن سعود .. | ٢٧٠ |
| إرسال ابن سعود وفداً إلى الإمام يحيى وعقد المعاهدة..... | ٢٧١ |
| ما حصل بعد ذلك..... | ٢٧١ |
| وفاة الحسين بن علي الشريف..... | ٢٧٣ |
| عقد معاهدة بين ابن سعود وفرنسا..... | ٢٧٣ |
| عقد معاهدة بين العراق وابن سعود..... | ٢٧٣ |
| طباعة بعض الكتب..... | ٢٧٣ |
| دخول سنة ١٣٥١هـ..... | ٢٧٣ |
| استعداد ابن رفاة لثورة من جديد وإعانة عبدالله بن الحسين له..... | ٢٧٣ |
| تأليب عبدالله بن الحسين أناساً بالهند وغيرها على ابن سعود .. | ٢٧٤ |
| دخول ابن رفاة في الأراضي الحجازية الشمالية..... | ٢٧٤ |
| ذكر القضاء على هذه الثورة وإخمادها..... | ٢٧٥ |
| رد ابن سعود على مقالة عبدالله بن الحسين الشريف..... | ٢٧٨ |
| إطلاق سراح المبعدين..... | ٢٧٨ |
| نهاية ثورة الأدارسة .. | ٢٧٨ |
| كتابة ابن سعود للإمام يحيى بشأن الأدارسة..... | ٢٧٩ |
| تأثر الإمام يحيى من انتصارات ابن سعود .. | ٢٨٠ |
| سير القوات السعودية إلى بلاد الأدارسة ومطاردتها للإدريسي..... | ٢٨٠ |
| لجوء الإدريسي إلى الإمام يحيى..... | ٢٨١ |
| طلب الإمام يحيى من ابن سعود أن يرسل وفداً للمفاوضة..... | ٢٨٢ |

| | |
|----------|---|
| ٢٨٢..... | ذكر ما لقيه وفد ابن سعود من الإهانة |
| ٢٨٣..... | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ٢٨٣..... | وفاة الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم رحمه الله وترجمته |
| ٢٨٧..... | ذكر ورعه وزهده |
| ٢٩٠..... | ما قيل فيه من المراثي |
| ٢٩٣..... | قصيدة للأديب صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين يرثاه بها |
| | صدور الأمر من جلالة الملك عبدالعزيز بتنصيب الشيخ عمر بن سليم |
| ٢٩٦..... | قاضياً في القصيم |
| ٢٩٦..... | وفاة والدنا عبيد بن عبدالمحسن رحمه الله وترجمته |
| ٢٩٩..... | وفاة سادن الكعبة عبدالقادر الشيبني وترجمته |
| ٣٠٠..... | وفاة شاعر النيل أحمد شوقي |
| ٣٠٠..... | وفاة الدويش فيصل وذكر نبذة من شجاعته |
| ٣٠١..... | المملكة السعودية على أثر حادثة ابن رفاة وما صنعه المغرضون |
| ٣٠١..... | تقديم الطلب إلى صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بتحويل اسم المملكة |
| ٣٠١..... | الكلمة التي ألقاها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بهذه المناسبة |
| ٣٠٢..... | الاعتداء على الحجر الأسود |
| ٣٠٢..... | هطول أمطار غزيرة وجريان وادي حنيفة |
| ٣٠٢..... | قصيدة للشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل يرثا أناساً هلكوا بهذا الوادي |
| ٣٠٤..... | دخول سنة ١٣٥٢هـ |
| ٣٠٤..... | استمرار توتر العلاقات بين المملكة السعودية واليمن |
| ٣٠٤..... | استمرار الملوك على ممالكهم |
| ٣٠٥..... | برقيات متبادلة بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز والمناقشات بينهما |
| ٣١٠..... | الفهرس |

تَذَكُّرُكُمْ أَوْلِيَّ الدِّعْوَةِ الْعَرَفَانِ
بِاسْمِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْوَحِيدِ
وَذَكَرَ حَوَادِثَ التَّهْمَانِ

تأليف
فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبد المحسن
"مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْقَصْرِ"

المجلد الرابع

مَكْتَبَةُ الرِّشْدِ
بِالْمَدِينَةِ

ح مكتبة الرشيد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./

إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. — الرياض، ١٤٢٧هـ

٣٩٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٦٢٢-٠١-٩٩٦٠ (ج ٤)

أ- العنوان

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم

١٤٢٧/٤٧٩٢

ديوي ٩٥٣

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٦-٦٢٢-٠١-٩٩٦٠ (ج ٤)

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الرشيد - ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com



فروع المكتبة داخل المملكة

- ★ الرياض: فرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٣٠١
- ★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائفة: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
- ★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٢٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٢٨٢٤٢٧
- ★ فرع جدة: ميدان الطائفة: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ - فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤
- ★ فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٣٢٤١٣٥٨
- ★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
- ★ فرع الدمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٨٤١٨٤٧٣
- ★ فرع حائل: هاتف: ٥٢٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

- ★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١١٦٢٢٦٥٣
- ★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موبايل: ٠٣/٥٥٤٢٥٣ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

ذكر بيعة ولي العهد سعود بن عبدالعزيز سنة ١٣٥٢هـ

لما رأى بعض أقطاب الحكومة السعودية أن الأفضل لمصلحة حكومتهم أخذ البيعة بولاية العهد للأمير سعود أكبر أنجال جلالة الملك ونائبه في الرياض، دفعاً للقليل والقال، وحذراً من أن يكون مجال للعبث والفساد والتناحر من أجل العرش، فكروا في هذه الخطوة العائدة بسبيل السلام والأمن وتثبيت قواعد الحكم، وقد لاقت هذه الفكرة قبولاً وارتياحاً، فأقرها مجلس الشورى للحكومة، ورفعها إلى عتبة صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبد الرحمن، فأقرها وكان هذا عن مجلس الوكلاء والشورى ورئاسة القضاء والمحاكم؛ وكان قرارها التاريخي في يوم الخميس الموافق ١٦ محرم من هذه السنة ١١ مايو ١٩٣٣م، وهذا نصها:

لما كان حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود، النجل الأكبر لحضرة صاحب الجلالة قد تحلى بكافة الأوصاف الشرعية الواجب توفرها فيمن يخلف ولي الأمر أمد الله في عمره، وقد اشتهرت عدالته وصفاته الممتازة بين الجميع، فإننا عملاً بالمأثور من المبايعات نبايعه ولياً لعهد المملكة العربية السعودية، ونبايعه على السمع والطاعة على كتاب الله وسنة رسوله، ونسأل الله له الهداية والتوفيق، ونضرع إليه تعالى أن يمد في عمره وعمر والده الملك العادل الموفق خلد الله ملكه، وقد أخذنا هذه البيعة على أنفسنا لسموه وعلقناها بأعناقنا، ونشهد الله على ذلك وهو خير الشاهدين.

وقد وقّع عليها رئيس مجلس الوكلاء؛ ومجلس الشورى، وقاضي القضاة، وأعضاء مجلس الوكلاء؛ ومجلس الشورى، ولما اجتمعت الكلمة وأجمعت الحكومة علي بيعة سعود بعث إليهم الأنبا يقول فيها أني أتقدم إلى شعب مملكتنا العربية السعودية بالشكر لها لاجتماع كلمتها على مبايعتي بولاية العهد، وإنني أعاهد الله

على أنني سأقوم بما أوجبه علي من العدل والنصح لهم ولولايتهم ظاهراً وباطناً، وأقيمت الحفلات في مدن المملكة العربية السعودية إعلاناً للبيعة، وأطاروا برفيات بذلك إلى الملك وإلى ولي عهده، وابتهجت البلاد ابتهاجاً بهذا الحدث المجيد الذي أثبت الأمن في الحاضر والمستقبل، وقطع كل ما كان يخشى وقوعه في المستقبل.

مواعظ جلالة الملك لابنه سعود ولي عهده

لما تمت البيعة لسعود أرسل جلالة الملك إليه هذه البرقية الآتية:
الرياض - الابن سعود: لقد احطت علماً بما ذكرت؛ أما من قبل ولاية العهد فأرجو من الله أن يوفقك للخير؛ تفهم أننا نحن والناس جميعاً ما نعر أحداً ولا نذل أحداً، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى؛ ومن التجأ إليه نجا، ومن اعتز بغيره عياداً بالله وقع وهلك، موقفك اليوم غير موقفك بالأمس، ينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولاً: نية صالحة، وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله، وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك؛ تعبد إلى الله في الرخاء تجده في الشدة، وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر، وصدق في العزيمة، ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلى الصدق والعمل الخفي الذي بين المرء وربه.

ثانياً: عليك أن تجتهد وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سراً وعلانية، والعدل في المحب والمبغض، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً؛ وينبغي أن لا تأخذك في الله لومة لائم.

ثالثاً: عليك أن تنظر في أمور المسلمين عامة، وفي أمر أسرتك خاصة، اجعل كبيرهم والدأ ومتوسطهم أخاً وصغيرهم ولدأ، وهن نفسك لرضاهم، وامح زلتهم، وأقل عشرته، وانصح لهم، واقض لوازمهم بقدر إمكانك، فإذا فهمت وصيتي هذه ولازمت الصدق والإخلاص في العمل فابشر بالخير.

أوصيك بعلماء المسلمين خيراً، احرص على توقيهم ومجالستهم وأخذ نصائحهم، واحرص على تعلم العلم لأن الناس ليسو بشيء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة العقيدة، احفظ الله يحفظك، هذه مقدمة نصيحتي إليك والباقي يصلك إن شاء الله في غير هذا، سيابعتك الناس في الحجاز يوم الاثنين، وسيقبل البيعة عنك أخوك فيصل، وسيصل إليك هو وأفراد الأسرة لتبلغك بيعة أهل الحجاز، وليبايعوك عن أنفسهم، وأرجو من الله أن يوفقك للخير.

الإمضاء عبدالعزيز

فأجابه سعود بهذه البرقية:

جلالة مولاي الملك المعظم أيده الله: جواباً على برقية مولاي عدد ٢٧٥ المؤرخة ١٨ منه، فإن جميع ما ذكره مولاي لخادمه هو عين الصواب، وإنه لا قوام لديننا ودنيانا إلا بالله ثم به، من اتبعه نجا بنفسه ونجا من ولاء الله عليه، وإنني إن شاء الله سأجتهد وأعتمد ما ذكره مولاي من النصائح الدينية والدنيوية، وأرجو إن كان الله يعلم مني ذلك أن يوفقني لرضاه ثم لرضا جلالته، وأن يوفقني لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين وولائهم، وإن كان يعلم مني ضد ذلك فأسأله تعالى أن يكفي المسلمين شرّي، وأن يرد كيدي وكيد كل كائد على المسلمين إلى نحره، وسأبذل الاجتهاد إن شاء الله في سبيل كلمة التوحيد وتقويم الشريعة المحمدية، والنصح للإسلام والمسلمين ظاهراً وباطناً، والنصح لولائهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة ذلك على كائن من كان، أرجو من الله أن يعيننا على ذلك ويمنحنا التوفيق والسداد، إن النية التي ينطوي عليها خادمكم إن شاء الله هي:

أولاً: إعلاء شأن كلمة التوحيد، وتأييد الشريعة الإسلامية، والنصح لولاية المسلمين، وإنزال الناس منازلهم خصوصاً أسرتنا كبيرهم وصغيرهم، كما تفضل به مولاي، كبيرهم أب وأوسطهم أخ وصغيرهم ولد، والعدل بين الرعية، وإنني أعاهد الله على ذلك، وإنني ما ألبس ثوب عافية دونها، وسأكون إن شاء

الله مقيلاً لعثرتهم، حليماً على جاهلهم، وهذا إن شاء الله هو العمدة في الدين والدنيا.

ثانياً: سأخذ الصدق إن شاء الله والإخلاص والجدّ في العمل، وسأوقّر علماء المسلمين وأجالسهم وأخذ نصائحهم وأحضهم على تعلم العلم والتعليم، هذه العقيدة والتوفيق بيد الله تعالى.

ثالثاً: إن ما ذكره مولاي عن موقفي أمس وموقفي اليوم وإن الأمر لا يصلح إلا بالعمل الصالح والخالص لوجه الله، وعبادة الله وحده، والتضرع إليه في الخلوات، والالتجاء إليه وحده فهذا الذي فيه النجاة، إلى أن قال: وإنني لا علم بأن الله لم يظهركم إلا بسبب كلمة التوحيد والعقيدة الصالحة التي بين الإنسان وربه، وأرجو من الله أن يوفقنا لذلك، وإن شاء الله إن صلاحك سيصلحنا، وإن نيتك الطيبة إن شاء الله تعمننا، والأمور التي أوصيتني بها أضعها نصب عيني، وسأبذل جهدي إن شاء الله بما يعود منه المصلحة لديننا والتوفيق بيد الله، وأرجو من مولاي الدعاء لخادمه بالبيت الشريف، وأرجو من الله أن يديم لكافة المسلمين بقاءكم، ولا يرينا فيكم ما نكره، والله يا طويل العمر إنني يوم قرأت برقيتكم ما قدرت على إتمامها لتردد عبرتي وضيق صدري، والله أسأل أن يطيل عمركم ويمزكم عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء، أوصيت فأبلغت وستظل وصيتك في قلبي راسخة إن شاء الله ما حييت؛ أرجو أن يمد الله لنا في حياتك، ذكر مولاي أن البيعة تكون يوم الاثنين في الحجاز وأن الأخ فيصل والعائلة سيقدّمون إلينا بالبيعة فحياهم الله، والذي يراه مولاي هو المبارك إن شاء الله، وإنني أنتظر ما سيتفضل به على مولاي بعد هذا، وأرجو من الله لا يخلينا منك، وأن يمتعنا وجميع المسلمين بحياتك.

الإمضاء الابن سعود

ثم إنه بعث إليه جلالة الملك المعظم بخطاب مفصل ينصحه فيه بتقوى الله، والعمل بمكرم الأخلاق، والسعي بالعرب والمسلمين في طرق الخير والفلاح، وينصحه أيضاً بالحزم في أموره، والعدل في أحكامه، والبر بالعلماء، وحفظ العهود

والمواثيق، والنظر في مصالح المسلمين وولايتهم في السلم والحرب والصلح، والنظر في المعاملة الداخلية والخارجية، وأن يعرف الحكومات وموقفها ونياتها وسياستها، وينصحه بالحذر والتأني في تلقي ما ينقل من الأخبار عن الأفراد والدول، وأخذه بالعقل والأناة، والبعد عن حكم الهوى.

فأجابه صاحب السمو ولي العهد بأنه سامع مطيع، وأخذ بنصائحه الثمينة، ويدعو الله أن يوفقه للعمل الصالح.

ولما انتهت البيعة من مكة التي أخذها بالنيابة عنه أخوه فيصل توجه بوفد الحجاز إلى الرياض، فأقيمت فيها يوم ١٦ محرم ١٣٥٢هـ حفلة إعلان البيعة.

وفي الساعة الثانية عشر من صباح ذلك اليوم اجتمع في القصر الملكي الأمراء آل سعود والمشايخ والعلماء وأقطاب المملكة، وتصدّر هذا الحفل العظيم الأمير محمد بن عبدالرحمن أخو جلالة الملك، وبجانبه الأمير سعود بن عبدالعزيز بن عم الملك وزوج أخته، ثم أمراء آل سعود الأكبر فالأكبر، ثم الأمراء من آل رشيد، وجلس على اليسار المشايخ والعلماء ووفد مجلس الشورى، وتليت برقية الملك وكتابه الملكي اللذان أرسلهما إلى ولي العهد مع وفد البيعة.

ثم وقف الشيخ الكبير محمد بن عبداللطيف آل الشيخ ووعظ الناس وشكر الملك ونصح الأمة باتباع الدين، ثم وقف محمد بن عبدالرحمن، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ألقى كلمة بليغة أثنى فيها على أخيه الملك وامتدح فعاله في السابق واللاحق ودعا له بالتأييد والنصر وطول العمر، ثم عدد خدماته ومآثره التي أخرجها هذا العمل المبارك العظيم، وهو إعلان البيعة بولاية العرش للأمير سعود، ورجا أن يكون وراء ذلك الخير كل الخير لـ آل سعود وأهل نجد والمملكة العربية السعودية، ثم مدّ لإخوته عبدالله وسعود وأحمد ومساعد وسعد ثم الأمراء فيصل ومحمد وخالد وآل الشيخ أجمع، وآل الرشيد، وفي مقدمتهم عبدالله بن متعب، وبعد أن تمت المبايعة شكر ولي العهد أصحاب السمو الأمراء وأعمامه وإخوته وأبناء عمومته، وخصّ أباه الملك بالدعاء وختم خطابه بقوله إنني لا أدخر وسعاً

في خدمة هذه الأمة العربية الإسلامية والسير بها في طريق الفلاح والرشاد على ما كان عليه السلف الصالح، وإنني أشكر الشعب الحجازي لما أبداه من الحب والإخلاص والثقة، وأرجو الوفد أن يبلغ عني شكري، ثم دعا له الحاضرون والغائبون بالنصر والتمكين.

ذكر وفاة ملك العراق

لما كان في الساعة الثانية عشرة تزيد خمس دقائق من ليلة الجمعة ١٩ جمادة ١٣٥٢هـ فاضت روحه، وكان في فندق بلغي من برن سويسرا حيث كان يستشفى على أثر نوبة قلبية لم تمهله؛ فلما كان في صباح الغد قصد رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني وياسين باشا الهاشمي وزير المالية ومعهما وزير الدفاع ووزير المعارف وغيرهم إلى قصر الحريم فقابلوا نجله غازي، وهذه ترجمة الملك المتوفى:

هو فيصل بن الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي بن بركات بن محمد بن بركات بن حسين بن علي بن عجلان بن رشيد بن أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة، أول الأمراء في مكة، بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد الثائر بن موسى بن عبدالله بن محمد الثائر بن يونس بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وتقدم ذكر ولادته والتعريف بوالدته، كان فيصل بن الحسين والحق يقال أدهى إخوته وأنبليهم، بل إنه كان أدهى من أبيه وأخيه عبدالله، وكان يمتاز بالبر لأهله والصلة، ولا يزال يعامل شقيقه الملك علياً لما حل عنده ضيفاً في العراق نفس المعاملة التي كان يعامله بها حينما كان في الحجاز، فلا يتقدم عليه، ولما زار والده الحسين في قبرص جلس متأدباً بين يديه، كما كان يجلس وهو فتى، وكان رزيناً منذ صغره واسع الصدر، جم النشاط، طويل القامة منتصبها، حنطي اللون، أشهل

العينين براقهما جذاب الملامح، طويل الوجه، ذا لحية صغيرة، وخطها الشيب، ويغلب عليه التواضع، وتزينه المهابة والوقار، يفضل اللين على الشدة، ويحرص على استمالة خصومه، ويأبى أخذهم بالقسوة، ويميل إلى الصبر، ويحب الأسفار وكثرة الحركة والتجول، أضف إلى ذلك جوداً وكرماً؛ وقد سافر لزيارة أوربا ثماني مرات، وزار أنقرة وحل ضيفاً على الغازي مصطفى كمال، وزار فلسطين ومصر وشرقي الأردن، وكان لما بلغ ست سنين أرسله والده إلى قرية رحاب ليتطبع بطابع البداوة، وينشأ على الكر والفر ويركب الخيل والإبل، فلبث ست سنين ثم بعث إلى مكة، وجيء له بمعلمين، غير أنه لم يطل مقامه فيها بل غادرها إلى الأستانة في رفقة والده بعد إقامته سنتين، ولما تولى والده إمارة مكة عاد إلى الحجاز وظهرت رجولته ومواهبه فأدناه والده وولاه قيادة السرايا، وكان موفقاً وشجاعاً فأحبته العرب، والعرب تحب الشجاعة، وقد مرّ بقية ترجمته في كتابنا هذا.

ولما توفاه الله تعالى وقابل رجال الدولة المتقدم ذكرهم نجله الأمير غازي وجدوه يذرف منه الدمع سخياً فعزوه، ثم طلبوا إليه أن يقسم اليمين الدستوري «وهذه اليمين يقسمها الملك أمام مجلس النواب والأعيان للمحافظة على الدستور واستقلال البلاد والإخلاص للوطن» وبعدها أقسمها أعلن رئيس الوزراء تنويجه ملكاً على العراق وأطلقت حيثئذ المدافع مائة طلقة وطلقة إيداناً بجلوس الملك الجديد، ثم أذيع البلاغ الرسمي الآتي:

جرى تحليف سمو ولي العهد في الساعة ١٠ من هذا اليوم ١٩ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ و ٨ سبتمبر أيلول ١٩٣٣م، وفقاً للمادة الحادية والعشرين من القانون الأساسي الدستوري، وأصبح متوجاً ملكاً على العراق باسم الملك غازي الأول بن الملك فيصل الأول، وكانت ولادة غازي في مكة المكرمة حينما كان والده يقود حملة أبها لتأديب السيد محمد بن علي الإدريسي في عسير فسمي غازي تيمناً بغزو أبيه.

ذكر الاضطرابات والمشاغبات بين الحكومة اليمنية والحكومة السعودية

لقد كان من المعلوم أن الإمام يحيى له أطماع سولت له ضم مستعمرات ليست له، كما أنه أخطأ في إيوائه الأدارسة، وقد بعث إليه ابن سعود جواباً على برقيات خمس برقيات، قال في الخامسة منها ما نصه:

ذكر الأخ من قبل مسألة الإدريسي يطمنا أنه لا يعمل شيئاً ضدنا، أخي نحن ما اشتكيننا عليكم من الإدريسي خوفاً من سنانة وعنانة، وهو بحمد الله وقوته أصغر وأقل من ذلك، وقد أخرجه الله من بلاده وقبائله بغدره وكذبه وذلك بثلاثمائة من جنود المسلمين إلى أن تكاملت جنود المسلمين وأجرى الله ما أجرى، ولكن راجعناكم بشأنه لأن المعاهدة التي بيننا وبينكم تنص نصاً صريحاً على وجوب تسليم الإدريسي وأجناسه، وقد تركنا المطالبة به لأمرين:

الأول: إكراماً لكم وإجلالاً.

والثاني: مخافة أن يقع شقاق بيننا وبينكم، ونرى أن المصلحة واحدة، أما الآن فقد تبين أن بقاءه في ذلك الطرف مشكل، فالعدو يحسب بقاءه في ذلك لمقاصد تحريك الفتنة، والصديق يرى أن ذلك ينافي الصداقة بيننا وبينكم، على أن الإدريسي لم يقصر هذه الأيام في حركاته وإفساداته، فقد أرسل لبعض الأوباش من العبادل بعض دراهم وأشاع بينهم أن مندوبه أحمد الأهدل وصل إليكم وأنكم أجبتموه بوصول الأهدل لناديكم، وأن المراجعة تكون بينكم وبينه، وأنكم أجبتموه بتشجيع الناس على الفتنة، وكذلك إذناً به من مثيري الفتنة لم ينقطعوا بين مصوع واللحية والحديدة باسم التجارة، ويتصلون به ثم ينشرون في الصحف ما اطلعتم عليه من أكاذيبه وافتراءاته، فماذا تريدون أن يكون موقفنا إزاء هذا؟ هل نقف ونترك الحبل على الغارب، وهذا غير ممكن، أو نجزم أمرنا، فإذا جزمنا أمرنا فكافينا صاحب الفعل الجميل بجميله، وصاحب الشر بشره، انتقض ما قد اجتهدنا فيه نحن،

وأنتم من حب السكون والعفو، وأنه لا بد أن نجازي كل من ييدي منه أي بادرة شر بنا يجب أن تقتل النفوس وتؤخذ الأموال، فهل يرى الأخ أن هذه طريقة حسنة يؤخذ خاطر الإدريسي لأجله وتقتل النفوس، وأنتم تحضوننا أيضاً على ذلك، ليس من الصواب ولا الإنصاف، وإني لا أكتم الأخ وأعرفه بالصراحة أننا عملنا الحزم والاستعداد للطوارئ في المقاطعة إن شاء الله، وأصدرنا الأوامر أن كل من ظهر منه نقض للعهد بعد العفو أن يعامل كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣]، فإن كان الأخ يرى هذا فنحن قد عملناه ويعذرنا فيما نحجيه، وإن كان يرى الأخ غير هذا وهو المأمول فيه فيجب إبعاد المفسد حتى يستريح المسلم الذي يجب العافية ويأس صاحب الفساد، وهذا ظننا بالأخ، وهذا ما نرى أن العهد والصدقة التي بيننا تقضي به، وقد أحببنا إعلام الأخ بهذا لنعلم رأيه في قطع دابر المفسد، وأن نكون معذورين عند الله ثم عند خلقه بما نحجيه على الجاني.

ولما بلغ ذلك يحى أجاب بثلاث برقيات يظهر فيها الجميل، وقال في أثناء الثانية منها:

ليس المانع لنا عما أشرتم إليه إلا نفورنا عن تجزئة اليمن، ومثل هذا المانع منذ عشرين سنة لإكمال معاهدة بيننا وبين الحكومة البريطانية لإرادتها تقرير الحدود في تلك الأراضي الجنوبية، ولا نساعد إلى ذلك، ثم قال كلاماً ما معناه أنه يتأخر الخوض في تلك الأراضي الجنوبية، ويتأخر البت وتكون المراجعة في مدة المعاهدة، هذا وقد وافقنا على أن تبقى الحالة بيننا وبين حضرتكم كما هي عليه لأننا غير متربصين أمر غير غلط الجفر.. الخ.

ثم إنها ظهرت جيوش الإمام يحى في نجران وأخذت شكلاً جديداً معيناً من إحراق القرى والاعتداء على الأهالي والتوغل في أطراف البلاد، وإعمال السيف والنار في الأبرياء والأمينين.

وكذلك حدثت مراسلات عديدة من اليمن إلى بعض رجال القبائل في حدود

المملكة العربية السعودية من جهة تهامة وعسير للتحريض على الفتنة، والحض على الالتحاق باليمن، وثبت مع ذلك أيضاً وصول بعض الجواسيس والدعاة إلى بعض القبائل لتحريضها على القيام بأعمال الفساد.

فلما أضرم يحيى نار الفتنة والحركة واندلعت نيرانها تنذر بالشر والويل، عند ذلك أصدر جلالة الملك عبدالعزيز أوامره إلى بعض القوات من جنده بالتوجه إلى الحدود، والمراقبة على مقربة منها، واتخاذ التدابير اللازمة للدفاع عن البلاد عن وقوع مفاجئات أو مباغيات غير منتظرة من وراء الحدود، وعيّن صاحب الجلالة ابن أخيه فيصل بن سعد بن عبدالرحمن وجعله قائداً عاماً للجنود السعوديين، وكان قائداً حريصاً قوياً وثاباً، واسع الحيلة، بارع القيادة، منصور اللواء، يخوض المعارك والحروب بنفسه، ولا يقنع بالدون، فيري الأعداء بطولته وشجاعته التي تذوب أمامها الشجعان المغاوير، ويهزمون أمام هجماته وصدماته، ولا يطيقون الصبر اتجاه سيفه الذي يفلق الهام ويطيح الرؤوس، وقد أبلى في الحرب اليمانية هذه بلاءً حسناً، وكان تحت قيادته ٧٠٠٠ مقاتل، فعسكر فيصل بن سعد بخميس مشيط، ومكث ستة أشهر، فقام هذا الجيش العرمرم بواجب المحافظة على الحدود، كل هذا لأجل الطمأنينة للرعايا ومنعاً عن اصطدام يقع بين القوات من جهة أخرى، ولما أن وصل الوفد العربي السعودي إلى الرياض قادماً من صنعاء، وهذا في أواخر جمادى الثانية من هذه السنة أذاعوا ما حصل بينهم وبين الإمام يحيى ومندوبيه، وباحوا بما كانوا عليه من الدسائس السيئة والمأطلة القبيحة، وبلغوها على الحقيقة، وكان من كلام الوفد لصاحب الجلالة:

قد رأينا الإمام يحيى غير صافي النية من جهة جلالتهكم بصورة غير مأمولة من ملك عربي مسلم نحو بلاد عربية إسلامية مجاورة له، إلى أن قال الوفد: وقد أدهشنا وأيم الحق هذا الشعور العدائي الذي لم نكن نتوقعه من مسلم عربي، وقد عجزنا عن ذلك العداء الكامن بالرغم من أنه من الممكن حمله على محمل العقيدة الزيدية من جهة، والطموح والحسد الشخصي لجلالتكم من جهة أخرى، إن الإمام يحيى

يكرهنا ويخافنا، ولكنه يحترز من محاربتنا ومجاهبتنا وجهاً لوجه، وآخر قولهم أن قالوا أنه يعمل على إفساد القبائل والأهالي التابعين لنا، ويستعمل من أجل ذلك الغرض وسائل عديدة، منها بعض اللاجئين إليه من رعايانا، ومنها دعاة المذهب الزيدي الذين لهم صلات مع أشخاص في بلادنا، ثم إذا اعتقد أن الفرصة سانحة أجهز على قطعة من أملاكنا سواء بالحرب أو بالدسائس أو بالتظاهر بتحكيم جلالتك، كما حصل له في مسألة العرو والماطلة والمراوغة والتسويق من الوسائل الفعالة التي يلجأ إليها، غير أن غايته القصوى مرتكزة على انتظار فرصة الفتن الداخلية والاشتباك مع أحد الدول للوصول إلى ما يتمناه من أغراض لا حققها الله، فهذا كلام الوفد بحروفه، ولا ريب أنه كلام يثير السواكن ويبعث الهمم إلى الأخذ بالحزم كل الحزم، لا سيما وقد كان في أول الكلام المَعذرة حيث قالوا أن جميع مجهوداتنا معه ضاعت سدى، فكنا كمن حاور عجمان أو نادى صخرة صماء، فهل ترى مع هذا الكلام الذي هو أشد وقعاً من السهام على سويداء القلب، أن يحجم ملك عظيم أزعجت هيئته سكن المعمورة عن بث القوات وما لديه لحفظ ملكه، وقمع كل من يريد السوء من شريف أو ضيع.

ذكر ما جرى بعد ذلك

لما اتخذ ابن سعود التدابير ضد حركات الإمام يحيى العدائية فزع يحيى وخاف خوفاً شديداً، وبعث إلى ابن سعود جواباً برقياً في ٢٠ رجب لما سمع بوصول القوات إلى منطقة الحدود، فقال بلغ إلينا تحشيدكم الجنود إلى الحدود ولم نعرف سبباً لذلك، فلم يكن منا غير المحافظة على الصداقة كما أوضحناه لحضرتكم مكرراً، وكل ما يبلغ إليكم مما يخالف ذلك وهو محض الافتراء، فاحذروا الانخداع لمن يريد طمس الإسلام وهلاك الجميع، فلا خير في الشقاق لنا ولكم، والغالب نحن أو أنتم خاسر خاسر والسلام.

ولا ريب أن هذا يعتبر من الإمام يحيى خوفاً من سطوة ابن سعود وما لديه من الفتك والتدمير.

ولم أن جاء هذا الاستفصال من يحى كان الجواب من ابن سعود أن نعم والباحث لذلك أنه حديث عدة أمر للربية، فأينا الواجب يقضي بالاستعداد لها، في كلام طويل، وذكر أنه لا بد من ثلاثة أمور:

الأول: الاعتراف بالحدود، والثاني: إعادة الأدارسة، والثالث: مسألة نجران، فإن تم الاتفاق بيننا وبين حضرتكم فذاك ونتفق بعده المعاهدة وإلا فلا، ثم تراجع الكلام بينهما، وقال ابن سعود في جوابه:

يعلم الأخ أنه لنا عدة سنوات ونحن وهو نتبادل إرسال الرسل لحل المشاكل، ولم تغن الوفود شيئاً، وتعلمون أن المسألة متعلقة بشخصكم وبشخصنا، ولا يمكن أن تحل عاجلاً وآجلاً إلا بما نتفق عليه بيننا بأشخاصنا إن شاء الله، وتطويل الأمر ليس منه أي فائدة بل بالعكس فإن التطويل يزيد في تعقيد الأمور ويزيد في المشاكل، والذي نقترحه ونراه الأصح، ولا نرى سبيلاً لحل المشكل بدونه، وهو البت في المواد الثلاث التي عرفناكم بها، فلا يستقيم الأمر إلا بذلك، فإن وافق الأخ على ذلك وأعطانا عليه الجواب الذي نثق بالله ثم به، فتقديم الوفد منا أو منكم سهل لتسوية الأحوال في أي مكان يكون، ثم إنها ما زالت المراجعات مستمرة بين الطرفين وكلها برفق ولين، وطلب يحى من ابن سعود أن يتفضل في منع رؤساء أجناده عن تجاوز الحدود التي فيها محطاتهم وهم فيها، وقال تفضلوا أكدوا على أمير جيزان ليترك التجاوز والتهديد لأهل المخالف، فإنهم غاية من الخوف وهم على وشك النفور، وأطال في الكلام، فأجابه ابن سعود بجواب حسن لائق أكد فيه ثلاثة الأمور المطلوبة منه، وأنه لا يليق إعادة الجنود عن رباطاتهم بعد حشدهم وجميع قواتهم خوفاً من التقلب بعدما يرجعون، وذكر أن جميع رعاياه وأهل أطرافه لا يحبون الفتن، وقال بعد كلام: والحقيقة أنه كما قال رسول الله ﷺ «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» ثم حصلت مراجعات أقر بها يحى من كون مسألة الأدارسة والحدود قد انحلتا، فشكره جلالة الملك

وطلب منه أن تنحل الثالثة، وهذا كان في ٢ رمضان من هذه السنة، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك.

يحيى يبرم بيد وينقض بالأخرى

بينما يحيى يفاوض ابن سعود في السلم، وأنه تم تحديد الحدود إذا جنوده وسعاته يتقدمون في الجبال ويحتلونها، وهذه أنباء أمراء ابن سعود يراجعونه بما صدر من يحيى، فبعث أمير عسير تهامة حمد الشويعر ببرقية بتاريخ ٢٨ شعبان تني بخيانة يحيى، وهذا نصها:

أنتم اتخذتم الإمام يحيى على صلاح، ونحن نكثر عليكم الكلام أول وثاني، وفي هذا اليوم وصلنا رجالنا الذين أرسلناهم للكشف على حالة بني مالك، فوجدوا آل خالد وآل سلمة محاصرين ربعا، وقد رهنت القبيلتان المذكورتان عند ولد الإمام يحيى عشرة أنفار وأعطاهم عشرة صناديق مؤونة حربية وأوعدهم بعسكر، وهذا محقق.

وأيضاً وردنا كتاب من أمير بني مالك بواسطة أمير فيفاء يؤكد ما ذكر ويطلب منا الفزعة التامة بسرعة، وأنتم منعمونا عن أدنى حركة، ونحن اعتمدنا أمركم لا فزعنا لربعا ولا أدخلنا من كان يبيثنا من رعايا الإمام يحيى، أوقفتمونا وخليتم الإمام يلعب بالحدود، وهذا الأمر ما غرنا أخبرناكم يوم فيصل في تربة، ونحن ننحاكم على مسك الحدود لأن الجبال وخيمة، فإذا دخل فيها الشر قعد يحيى كما ذكرنا لكم هذه الحقيقة، واليوم يجب أن تفتنوا للحال إن كانت مراجعة يحيى لكم صحيحة، فهذا أول ما تخبرونه فقد أوقفنا وأياديه تشتغل بالحرب.

وأيضاً ذكر أمير بني مالك أنه وصل عند السادة التابعين ليحيى المحاددين المفسدين من بني مالك ريثة ولا بينهم وبين الريثة المذكورة سوى رمية البندق، وغرض الإمام يحيى من تحريض الجبال لكي توقع بهم فيكونون أعداء لنا من جهة، ومن جهة ثانية يريد أن يشغلنا بهم عن نفسه، فنرجو أمركم لنا بالذي ترونه. فلما أن ورد هذا الكلام أسمع ابن سعود بعث جوابه من الغد إلى أمير عسير

ما ذكرتم كله صحيح، ونحن ليس لنا مقصد ما إلا كما عرفناكم سابقاً ولاحقاً وهو أننا ما نحب حرب يحبى ولا غيره، وقد كتبنا ليحيى برقية جواب برقيته التي وردتنا اليوم، وكتبنا له برقية بخصوص حادث بني مالك، ولا بد أن القوة التي نزلت من أبها أنها عندكم قريب، ونحن الآن ننتظر برقية يحى وأنت أعمل الحزم وأخبرنا برأيك في جميع الحالات كلها حتى نكون على بينة وبصيرة.

ثم جاءت برقية من حمد الشويعر أمير عسير أيضاً إلى جلالة الملك في ٢٩ شعبان، وهي هذه تقدم لجلالتكم أمس الماضي ما يكفي عن أخبار بني مالك.

وبتاريخه وردنا كتاب من أمير بني مالك يذكر أن المفسدين آل خالد وآل سلمة والظلمة مضايقيه بالمركز، وأنه وصل العبادل جنود الإمام يحى عددهم ألف، وما يتنافر، فلما رأينا الحالة أرسلنا موتريين إلى بلغازي وحرصناهم على المفزع، وأيضاً لأمير بلغازي لإيصالها لربعنا، وبحول الله إن العدو معثور، وأحبينا إشعاركم.

ثم بعث أيضاً تعزيزاً لذلك إلى جلالة الملك: نحن ما منعنا عن بعض الأسباب إلا ملاحظة لخطركم، وإن شاء الله إن العاقبة لكم، روحنا موتريين كما عرفناكم، وبها رجال معهم مؤونة إلى بلغازي وأهل فيفاء يأمرهم عليهم بالمفزع ويحزمونهم على المرحلة، وأخبرناهم إن رأوا منهم صدقاً وقومة فيعطون أمير بلغازي ويصلبونه ويمشونه مع بلغازي ليوصلوه لربعنا، فإن رأوا تراخي وعدم ثقة بهم يراجعوننا حتى نروح من عندنا قوة ونحن نبذل الأسباب لمباشرة المسألة الله يقسم ما كان الأصلح.

ثم إنه بعث إليه الملك عبدالعزيز الجواب عاجلاً في غرة رمضان وهذا نصه:

أمير عسير بارك الله فيكم، ما ورائكم حسوفة، لكن تذكر من طرف العبادل ووصول عسكر من يحى عددهم ألف ومائتان فهذا تعجبنا منه كثيراً.

أولاً: إن الخبر وردكم من بني مالك، وأنت ذاكر لنا أنك أرسلتم لجهة العبادل قوة وضبطتموهم، وأيضاً أنهم طلبوا منكم الأمان، إلى أن قال: وإنا قد عرفناكم أن جميع الحدود تجعلون فيها رجالاً طيبين عليهم عمدة وسيارات ودواب طيبة

يواصلونكم الأخبار بالدقة بارك الله فيكم، أما الأخبار التي تحيثكم من الناس من الخارج بأنكم تخبروننا بها أو تجعلونها على بالكم فهذا واجب سواء من جاسوس أو من مخبر، وأما العمل الذي يعمل به ويعتمدون عليه الناس والعلم الذي يؤخذ ويكون مدار عمل فهذا يجب أن يكون من طوارفكم ورجالكم الذين يعتمدونهم، المقصود أن العمدة على ما يصلكم من طوارفكم والعمدة على ما عرفناكم به سابقاً بأن تكونوا مستعدين حاضرين، وأنتم راقبوا قبائل يحى من طرف ما ذكرتم، أخيراً فالعمدة عليه ومنتظرون أخباركم السارة إن شاء الله.

ثم بعث جلالة الملك برقية أيضاً إلى أمير عسير حمد الشويعر يحرضه فيها على الاستعداد التام والحزم في الأمور، وهذا نصها:

٩ رمضان تعريفكم لنا من جهة وصول جند يحيى لآل خالد أهمني كثيراً وأقلق فكري، ليس خوفاً من خطرهم فهم بحول الله معثورين إن شاء الله، لكن قلقي لثلاثة أسباب:

الأول: أنني ما ظننت أن هذا يصير أبداً.

الثاني: أن كثيراً من الأخبار التي تحيى في مثل هذه الأمور مالها صحة.

الثالث: بعد ورود برقيتكم هذه وردتنا برقية من فيصل بن سعد بوصول خبر إليه من جابر يبغى هذه المسألة، فأنت ما فيك شك ولا حصل منك تقصير، عليك أن تبلغنا بجميع ما يبلغك، وهذا هو الواجب فيصل حرصناه يرسل من يجيب لنا حقيقة الخبر، ويرسل إنساناً بصيراً عند ابن طاسان حتى يعطينا حقيقة الخبر ويسعى في الإصلاح إذا حصل المقصود بارك الله فيك، رأيي أنه إن كان ما فيه مانع تراه فشد وانزل أبو عريش واجعل قوة على الساحل ومعها سيارات وأنت تروا في المسألة لأننا بين طريقين إن كان هذا الأمر قد فعله بحي فنحن قد لزمنا الأمر، ولا بد من الهجوم عليه، ذلك إذا كان حقيقة قد أرسل جنود لبني مالك، لكن أنت اعصب نفسك وأحضر قوتك بلا تعد على الحدود حتى تتضح المسألة تماماً، وتعرف كيفيتنا بالضبط سواء كانت كذباً أو حقيقة، لأنه إن هجمنا على يحيى

بموجب كذب ابن طاسان فهذا يكون خطأ منا ونكتاً للعهود والمواثيق التي بيننا وبينه، ويكون ابتداء الأمر اعتداء منا عليه وفتح شر ما للمسلمين منه صالح، ونحن ما خلصت مراجعتنا معه، فإن كان يحى فعل المسألة حقيقة فيجب الاستعداد ويكون هجوم المسلمين عليه مرة واحدة في يوم واحد، أنت اجمع عزمك وحزمك مرة واحدة بالسياسة والتروي، لا نخلينا نفع في خطر إما هجوم على غرور أو ترك الحزم، وكلامي هذا ما هو شك في همتك وحزمك، لكن تعرف أن هذا الأمر يهمني، ومن النقص على المسلمين إذا كان حقيقة ولم نفعل، وإذا صار غير حقيقي وفعلناه يكون نقصاً أيضاً فيما أنك باذل نفسك دون المسلمين اهتم للمسألة بالتحقيق وتدبر برقياتي هذا جيداً والله يوفقك للخير.

ثم جاء الجواب من حمد الشويعر برقياً إلى ابن سعود بتاريخ ١١ رمضان، وهو هذا: تذكر أنك تكدرت وأقلق فكرك ما ذكرناه لكم من وصول جند الإمام يحى لآل خالد فهذا إن شاء الله مما يعينكم على عدوكم، لأن قصدك الصلاح، وأبشرك أن العاقبة لجلالتكم إن شاء الله، أما الخبر فهذا من ابن طاسان وقد تحققنا من جهات كثيرة ونحن آخذون بالحزم ومنتظرون أمركم بالحركة.

وهذا جواب الملك لحمد الشويعر في اليوم المؤرخ: ما ذكرتم كان معلوماً وأنا ممنون من أخبارك، ولاني يوم أكثر عليك الكلام فلهيء معلوم أنني واثق منك إلى حد النهاية أنك تفدي بما عندك وتحت يدك العزيزة المسلمين، ولا كلفت عليك في هذا الموقف إلا أبغيك لمثل هذا الموسم، وأثق بالله ثم بك، وإن شاء الله إنك موفق فأنت إن شاء الله تجعل عملك في ثلاثة أمور:

أولاً: الوثوق بالله والحزم في الأمور كلها.

ثانياً: مراعاة العدو وحركاته.

ثالثاً: تثبيت كل علم يبيحك لا من جهة العدو ولا من جهة الرعية، وأما المنازل ومصالحتها والأمر الذي يصدر العدو وفيه مصلحة فالرأي رأيك ويرى الحاضر مالا يرى الغائب، وأنت أدري بالمصلحة، وإن شاء الله أخبارك ما تنقطع عنا يومياً،

صار شيء أو ما صار شيء أخبارك ترفعها يومياً، وبالله ثم بكم كفاية هذه
الجاوبات بين الملك وبين أمراءه.

وكان عبدالعزيز بن سعود يجاوب أيضاً الإمام يحيى بجميع ما بلغه من أمور
الخلاف التي تصدر على موظفيه ويعيده بالله من الشقاق فيجاوبه يحيى باللفظ
واللين وأنه كذلك.

ثم إنه في يوم ١٦ من رمضان جاءت برقية من حمد الشويعر يذكر لجلالة الملك
أن في الساعة السادسة ليلاً جاءه كتاب من أمير صامطة، ومن شيخ بني شبيل
تحملها سيارة يذكرون له فيها أنه وصلهم نذير باجتماع جنود الإمام يحيى برئاسة
ابن الوزير ومحمد بن سعد، وعبدالوهاب الإدريسي، وأنهم قد تواعدوا لمهاجمة
صامطة يوم الأربعاء، وأنه قد قبض أمير صامطة على كتاب من حسن الإدريسي
بختمه تاريخه ٨ رمضان إلى محمد بن أحمد ساوي وهذا نصه:

من الحسن بن علي بن إدريس إلى الشهم الكامل العاقل أخينا محمد بن أحمد
ساوي عافاه الله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: حال يصلكم هذا خذوا
حذركم من السعودي لا يقبض عليكم، واتفقوا مع قبائلكم ومن تعرفونه من جميع
أهل الجهة، فالفرج تحقق طبق المطلوب سريعاً انتظروا قريباً.

وهذا جواب ابن سعود لحمد الشويعر على الفور: لم تصلنا برقيتكم إلا في
الساعة الثالثة ليلاً، أخبرنا أي ساعة دفعتموها لمركز اللاسلكي، أنت أخبرتنا بهذا
الخبر ولكن لم نخبرنا ماذا ستعمل أنت، الآن مالك إلا النجدة، أجمع جموعك وانخر
صامطة، تحقق الخبر ودبر تدبير الحرب واضبط نفسك عن التعدي، وانظر في الأمر
إن كان الأمر حقيقة فما دون الخلق إلا اليدان، استعن بالله وأخبرنا بجميع
حركاتك، فإن كان الأمر ماله حقيقة فأنت صرّ في المكان الذي ترى النزول فيه.

ثم جاء خبر برقي أيضاً من حمد الشويعر أمير عسير تهامة إلى جلالة الملك في ١٧
رمضان فيه أنه جاءه كتاب من أمير العارضة يذكر أنه وصل جبل العبادل أربعمئة نفر
من جند يحيى زيادة عن الذين أتوا من قبل، وأن قصدهم في هذين اليومين مهاجمة

صامطة والموسم، حتى إذا مشينا إليهم قطعوا خط الرجعة علينا من القوات التي رتبوها في الجبال كما أخبرناكم سابقاً، ولذلك نتظر أمركم في الحركة التي ترونها. فجاءه الجواب برقية على الفور من صاحب الجلالة إلى حمد الشويعر علمنا برقيتكم وكل عدو إن شاء الله معثور ولا يتأسف غير فاعل السوء، ولا بد اطلعت على برقيتنا إلى يحيى وأنت خذ بالحزم والعزم ولا تفر همتك، وليس عليك قاصر الجند الذي عندك من نجد ومن عسير كثير والله الحمد، والجند متواصل من الرياض إلى فيصل، أوله عند فيصل والثاني في بيشة والثالث يمشي من الرياض، وتعرف أن الأمور كلها بالله ثم بالحزم والعزم والهمة القوية، وأنتم أجمعوا جموعكم على الحدود واضبطوا نفوسكم عن التعدي إلا أن هاجمكم أحد فلا حول ولا قوة إلا بالله، لا تهاجموا أحداً حتى ييدأكم بالهجوم، وأبشر بأن الله خاذل كل عدو.

وهذه أيضاً برقية من ابن سلطان في أبو عريش إلى جلالة الملك جاءت في ٢٣ رمضان وردنا خط من أمير العارضة سعيدان بن محمد يفيد أن أهل سلا والمعين مع جند الإمام يحيى هاجوهم في العارضة، ويطلب الإمداد منا وقد أرسلنا خبراً إلى حمد الشويعر في صامطة وسنمدهم بما يلزم، أحببنا إخباركم بذلك والعدو إن شاء الله معثور.

فجاءه الجواب من جلالة الملك إلى ابن سلطان في ٢٣ رمضان: تراجعوا مع الشويعر بما يلزم، وقد أمرنا بزيادة الجند الذي عندكم، ومشى إليكم حالاً قوة من البحر، وقوة ستصلكم قريباً من أبها، اعملوا الحزم وانظروا في اللازم بغير اعتداء.

وهذا نبأ أيضاً من حمد الشويعر إلى جلالة الملك بتاريخ ٢٥ رمضان: لقد أخبرنا جلالته بما وقع وقدرة الله على سعيدان في العارضة، كذلك وردنا خط من علي أم يحيى راعي فيفاء يذكر أنه وصل بني مالك أحد عمال يحيى بالعزي ومعه جند ليحيى، أحببنا إعلامكم بذلك، وهذا قليل من كثير مما ورد من أمراء صاحب الجلالة السعودية في تلك الجهات من اعتداءات يحيى وجنوده على المملكة العربية السعودية.

ذكر تقدم الجيوش السعودية في الحرب اليمنية

لما كان يحى يجهز الجنود التي عاثت في الفساد، ويراجع ابن سعود بالسلم ويتودد، وكثرت الشكايات من الأمراء السعوديين، جهز ابن سعود الجنود وبعث البعث وأصدر أمره السامي لابنه فيصل أن يتقدم على رأس ثمانمائة سيارة، وجهز ولي العهد سعود بن عبدالعزيز بجيوش هائلة كقطع الليل المظلم، أضف إلى ذلك ما كان مع الأمير فيصل بن سعد من الجنود، وما لدى الأمير حمد الشويعر، فزحفت تلك الجيوش نحو الجيش اليمني وأخذت في الوقت نفسه تتقدم حتى احتلت جيوش الأمير فيصل بن عبدالعزيز تهامة ولحية والحديدة على البحر الأحمر.

وكتب صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى يحى يصارحه في هذه المرة أنه لا يترك من يستطيع حمل السلاح في ناحية القصيم إلا جهزه وقال ليس ذلك بإرجاف ولكن لما فطرت عليه من الصراحة، وقد كان في الجيش السعودي حماسة وشهامة، ولديهم القوات الهائلة، أما الإمام يحى فقد كان لديه قوة عسكرية لابأس بها، ومدافع قد اشتراها من أحد المصانع الإيطالية، وكان جيشه يقدر فيما قيل بخمسة وثلاثين ألف مقاتل مجهزاً تجهيزاً جيداً، ومدرباً على أيدي ضباط من الترك قد تخرجوا من الكلية العسكرية في الأستانة وظلوا في اليمن بعد انهيار الإمبراطورية التركية مفضلين الحياة فيها، ولكن هذا الجيش الحسن ليس بشيء بجانب الجيوش السعودية، ولما جاءت الجنود السعودية وزحفت القوات الإسلامية التي لا قبل ليحى بها طوقت اليمن واحتلت نجران وتهامة وميدي والحديدة وغيرها، وانهارت في الحال كل التدابير التي اتخذها يحى، وأضحت الجنود السعودية قد طوقت اليمن من الشمال والغرب، وجعلت اليمن تتوقع ماذا يحل بها، هذا ولي العهد أقبل من تلك بمجموعة، وهذا فيصل جاء من الجهة الأخرى، وهذه عشرة آلاف مقاتل قد وقفوا على الحدود يدافعون مستعدين بالسلاح الكامل، وهذه سرية قدرها أربعمائة في سيارات، وسرية مثلها، وسرية هاجمت

وبددت ما أمامها، وسرية قدرها مائتان في زورق من الزوارق البخارية، فقام يحيى بجواب جلالة الملك ويسأله إيقاف تلك الجنود، فتحصلت المجاوبات بقدر من ثمانية عشر برقية نشر يحيى فيها كمال الصلة والمحبة والمواخات، ويجاوبه ابن سعود بأنه على حرص عظيم على السلم وحقن الدماء، ويعاهد الله على ذلك سرّاً وجهاراً، ولكنه لا يمكن سلم ولا معاهدة ولا صلح وأنت تسوق الجند من جهات، وكتب الإدريسي توعد الفتنة وتحرض الناس عليها، فإن كان لحضرتكم رغبة في الصلح والسلم فاعملوا عمله أو يرفع الجند منا ومنكم لاماكنه وتتم المراجعة بيننا وبينكم في الحال الذي يصلح للجميع.

وفي معرض كلام صاحب الجلالة أن قال ولإني أدخلكم على الله ثم أدخلكم عليه ثم أحملكم مسؤولية الحرب أمام الله ثم أمام العالم عن الوقوع في هذا الشر الذي ما نؤمله من حضرتكم، وقد سبق أن تركنا جميع ما يقال ونحن نرى الحقيقة ونكذبها وثوقاً بالله ثم بوعودكم وعهودكم فإن كان المقصد من هذه الحركات نشوب الحرب فقد بلغ الأمر منتهاه، وإن كان القصد السلم فطريق السلم كما عرفناكم والله يحفظكم.

فأجاب يحيى بجواب يدل على ضعفه، وكان من جوابه أن قال: وقد انحلت العقدتان الإدارية والمعاهدة المشتملة على الحدود، والله الحمد، ولم يبق إلا إفادة الأخ من ترك بلاد يام في الحياذ.

إلى أن قال: وإذا كان الأخ يسعى للسلم ورفع الأحقاد فنحن نهول إليه هرولة، وتفضلوا بسرعة الإفادة لحل هذه المادة الثالثة .. إلخ.

وكان الباعث له على هذا الجواب ما رآه من سطوة القواد السعوديين، ولما جهز الملك عبدالعزيز نجله وولي عهده وأمره بالتقدم إلى الحدود اليمنية لاسترجاع البلدان التي احتلها الجيش اليمني أكد عليه بعد الاسترجاع أن يقف انتظاراً لأمره الأخير، وكان هو القائد العام للجيش السعودي التي سارت من نجد إلى عسير، أما فيصل بن عبدالعزيز فهو القائد العام للجيش والقوات السعودية التي زحفت من

الحجاز، وناهيك به من عبقرى قد صقلته التجارب، وكان جيشه مزوداً بالسلح الكافى من بطاريات ومدافع جبلىة ورشاشات وسيارات مصفحة، وكذا أخذ القائد العظمى فىصل بن سعد يتقدم، كما أن ابن أخى جلالة الملك خالد بن محمد أخذ فى قيادته يتقدم إلى نجران.

ثم إن جلالة الملك أجاب يحى لما بعث إليه بالبرقية الأخيرة بالشكر له على حبه للسلم، ولكن كيف يمكن السلم وماذا نقول إذا كان أصحابكم يسىرون جنداً من رزاح على أطراف العبادل، فهذا يعتبر أن الكلام ضاع وأنكم قد أعلنتم الحرب وبدأتم به، وهذا الذى كان يحذرنا الناس منه، وكانوا يؤكدون لنا أنكم عازمون عليه، وأن الكلام الذى بيننا وبينكم مخادعة، ولكن ديننا وشيمتنا أبت علينا أن نقبل ذلك، وإنما قبلنا عهدكم ورضينا بالله رباً، وجاء الفعل الأخير مصداقاً لما قاله الناس، ولم يبقَ فى اليد حيلة فإن كان الأخ صادقاً فى قوله فلمنع جميع الحركات، وليباعد الجند إلى آخر درجة من الحدود، فإن كانت المراجعة ستكون وجندكم يمشى والإدرسى يكتب ويحرك كما رأينا كتبه لأهل المقاطعة فهذا أمر لا يرضاه الله، ولا تقبله النفوس الطيبة، فإن كان الأمر على ما قلتم فالواجب يقضى بالتباعد عن الحدود، وإن كان المقصد إغفالنا وأنتم عازمون على ما عزمتم عليه فلا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل، يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين.

ثم جاء الجواب من الإمام يحى فيه إجابة طلبات جلالة الملك، وأنه سيكتب حالاً، بل كتب إلى ولده سيف الإسلام ومنعه عن كل حركة، ويطلب من جلالة الملك أن يبين وقتاً لاجتماع المندوبين بميدى أو غيره، ويطلب من جلالة الملك العفو العام وأنه سيكون إن شاء الله توقيع المعاهدة بينهما ونشرها فى الجرائد، ثم قال وسبحان الله ما أحلى نشرها لدن ذوى الديانة الإسلامية، وأكثر سرورهم واستغرابهم وتعجبهم لذلك، وأطال بلين الخطاب وغاية التلطف، وجعل يراجع ابن سعود فى إيقاف العساكر والجنود السعودية وأن أهل كذا ضربتهم المدافع

وحصل على العساكر قتل، وجاءنا من ولدنا سيف الإسلام كذا فأجابه ابن سعود بكل جميل وقال: في البرقية المؤرخة في ٢٧ رمضان بأن ولي العهد سعوداً قد سار على السيارات قبل وصول برقيتكم الأخيرة بثلاث أيام، وكان قد تجهز الابن فيصل من الحجاز ليسير على الساحل ببعض القوى التي عنده، وإننا تمكنا من تدارك سير الابن فيصل من الحجاز نظراً للمواصلات البرقية بيننا وبينه، وأرجعناه إلى محله، وأما سعود فنظراً لعدم وجود المواصلات البرقية بيننا وبينه لم نتمكن من إرجاعه إذ يكون اليوم تقريباً في بيشة، ثم إنها ما زالت المراجعات والمفاوضات بين ابن سعود وبين يحيى آخر رمضان وطيلة شوال، وكلها تعرب عن كامل المحبة والولاء.

ولما أن كان في ٢ ذي القعدة وصل المندوبون المرسلون من قبل يحيى إلى أبها برئاسة عبدالله بن الوزير، وهذه وصية جلالة الملك لوفده لما بعثوا نبأ إليه يخبرونه في ٢ ذي القعدة علمنا باجتماعكم، ونرجو أن يقسم الله ما فيه الخير، وما دام هناك سبيلاً للسلم فلا تدخروا جميع جهودكم في سبيل الوصول إليه مما لم يتعد الأمر الحد، ويكون هناك ما ضرره أكبر من نفعه، وبالله ثم بكم الكفاية وجميع ما عندي أبلغتكم به من قبل، أسأل الله أن يوفقكم للخير، وكان وفد ابن سعود يرأسه فؤاد بك حمزة ثم جلس المندوبون للمفاوضات، وجرى من ابن الوزير المندوب من قبل يحيى تعاظم وحدة وذكر أن الإمام يحيى قد اشترى كذا وكذا من المدافع والرشاشات، وأنه وأنه وتحامق ابن الوزير، وجرى منه فظاظة الأولى بنا تركها واستمرت المفاوضات حتى تاريخ ٢٤ من ذي الحجة.

وفي هذه المدة التي اتفق فيها مندوبو الطرفين لتسكين الحرب والنظر في حل المشكلات جعلت تتقدم جنود يحيى وتعيث فساداً، وكنت أظن أن اختلافه لبعث هذه الوفود ليسكن سورة ابن سعود وجيوشه، وجاءت البرقيات من أمراء الجيوش السعودية تفيد بما ارتكبه جند يحيى، فجاءت برقية من ابن سلطان في أبو عريش إلى جلالة الملك بما نصحه بتاريخ ٧ ذي القعدة وردنا كتاب من راعي فيفاء يفيد أن

المشايخ وعلى أم يحيى جاءهم طلب من ولد يحيى السيف لمقابلته في صعدة، وأن عمال يحيى في فيفاء قد أخذوا زكاة الحبوب والمواشي وضربوا الجزية على أهلها من ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وجعلوا على كل نفر ربع ريال، وأما شيوخ بلغازي فهم الآن عند ناظرة فيفاء المنصوب من قبل يحيى.

وجاء من حمد الشويعر أيضاً في صامطة ما نصه إلى جلالة الملك بتاريخ ٧ ذي القعدة وردتنا الأخبار من فيفاء أن أهلها في أشد ضيق من يحيى وجنده لأنه أنزل عندهم ثلاثة آلاف من الجند، وجعل في كل بيت من بيوتهم أربعة أنفار، وأهل البيوت مكلفون بمصرف الجند من طعامهم وشرابهم ولوازمهم، وقد أخذوا على كل رأس من البقر نصف ريال، وريالاً على كل رأس من الإبل، وعلى كل نفس من النفوس من النفوس من ذكر وأنثى، وكبير وصغير ربع ريال، وقد طلبوا المشايخ إلى صعدة ليَجبروهم على أن يكتبوا على أنهم لا يريدون ولايتكم، وقد كتبنا كتاباً لهم ما يلزم فأحببنا إحاطة جلالته بذلك.

فبعث جلالة الملك جواباً ليحيى قال فيه: ولذلك وقعت في حيرة من أمرين، إذا راجعنا برقياتكم ووعودكم فيها ومواثيقكم استراح خاطري ورجوت، وإن رأيت الأفعال التي فعلت تأسفت وأمرت بالاستعداد والحزم، والأفعال التي فعلت في أطرافنا لا تخفى عليكم ولا أحب أن أقول أنكم علمتم بما فعل ورأيتم أننا بقينا مكتوفي الأيدي حياً للسلم الذي هو عادتي، وحياً بالصدقة معكم، ورجاء وفائكم بعهدكم، فالأمر أخي وصل حده من جميع الجهات وحل الأمر وتركه بأيديكم، وأقسم لكم برب السموات والأرض أولاً: أن الحوادث التي جرت في أطرافنا كتمتها على جماعتي، وأعز ما عندي من إخوتي مخافة أنهم إذا اطلعوا .. إلخ.

وقال أيضاً في مجابته ليحيى في تاريخ ١٧ ذي الحجة: أخي إن هذا موجب للأسف وقد صار الشك يقيناً وأيد سوء القصد، وأنكم تريدون أعمالكم السابقة، فلا ابن الوزير ولا غيره من كبير أو صغير، لا يمكن أن يحل المشكل

دون أن ينفذ الطلب الذي طلبناه، وهو فرض علينا إدراكه، ولا يمكننا تركه، فإذا كنتم تحبون الإنصاف والصلح والسلم، وحقن الدماء فلا يكون إلا به، ونحن لم نطلب شططاً، ولم نطلب إلا حقاً تجاوزتم عليه، إن العهود التي بيننا وبينكم نكثت دخلتم حدود بلادنا، واستوليتم عليها، ونقضتم العهد الأول الذي كان بيننا وبينكم أيام قدم إليكم ابن دليم وابن ماضي، ونقضتم معاهدة عرو الذي عاهدتمونا عليها، ثم نقضتم العهد الذي بيننا وبينكم في تحديد الحدود، وعمل المعاهدة لمدة عشرين سنة، ولم يكن لهذه العهود من جواب إلا استيلائكم على فيفاء وبني مالك والعبادل، وتقديم الإدريسي يشتغل بالفساد، وقد أشرفنا على كتاب منه بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٣٥٢هـ لمحمد بن حمود صاحب الحسينية وغيره يمثهم فيه على الفتنة ويهدهم ويوعدهم، إن مطلبنا الذي طلبناه منكم يقره كل منصف يخاف الله تعالى، ثم ذكر مطالبه وهي سحب جنده عن بلاده لأنهم دخلوا عليها بعد العهد، وأن يطلقوا الرهائن ولا يتدخلوا بشؤون بلادنا، وقد أعطيناكم الأمان الذي طلبتموه لهم، وعفونا عنهم ولم نعاتبهم على ما فات منهم، ثانياً: طلبنا منكم الإنصاف في نجران، أما أن يكون محايداً بيننا وبينكم، وأن يكون ما بجنوبه لكم وما بشماله لنا مثل بدر وهواده وحبونة وما بينهما، فإن كنتم لا توافقون على حياده، فاقترحنا أن يكون أيديكم من أهل نجران لكم هم وبلدانهم، ومن كان تحت أيدينا من أهل نجران هم وبلادهم لنا، إلى أن قال أما إيقاف العمل بغير شيء ظاهر واضح غير قابل للتأويل، مستعجل فوق العادة ليس بالإمكان لأن الأمر قد فرط، وباب السلم مفتوح إذا عزمتم على إتمام ما كان تقرر بيننا، وقد مضى علينا عدة أشهر والعدوان يتماذى علينا، ولم تجدنا جميع المراجعات فائدة، فلم يكن لنا مندوحة عن الدفاع الذي أمرنا به، أما ابن الوزير فهو تحت أمركم إن أردتم قدومه إلينا يقدم، وهو ولد كريم بين جماعته ورفاقه وأمره إليكم، أما المراجعة بالتعليل والتطويل، فلا فائدة ولا نجاح لها، والمسؤولية أمام الله، ثم أمام الرعية، ثم أمام

الناس، على من تسبب ومأطل عافاكم الله، ثم جاء الجواب من يحيى في ١٩ ذي الحجة بكلام ظاهره الخديعة والملق، وأظهر أنه قادم متعهداً بعقد المعاهدة عشرين سنة، وإبقاء الحدود كما هي عليه الآن، ورفع الأدارسة كما انتهت المراجعة، وإطلاق رهائن الجبال، وإرجاع الجبال إلى حضرة صاحب الجلالة كل هذا يلتزم به، ثم أخذ يسب المكارمة لولاهم لما كان كذا، ولولاهم لكان كذا وأطال، إلى أن قال وحسب إفادتكم العلية كتبنا للسيد عبدالله بن الوزير ورفقته وصولهم إلينا، وإذا رأيتم وصوله إلى حضرتهكم لإكمال المعاهدة وإمضاءها فهو الأولى والسلام عليكم.

ولما رأى ابن سعود أعمال يحيى التي كان يدبرها وأن جنوده جادون في تقدمهم غير أنه يسكن خصمه بالخديعة والمكر، عندها أصدر أوامره إلى قواده، واضطر إلى ذلك للدفاع عن مملكته فتقدمت الجيوش السعودية وجعلت توالي الزحف إلى الإمام، فيصل بن سعد تقدم إلى باقم وأطرافها، والأمير خالد بن محمد تقدم إلى نجران وصعدة، والأمير حمد الشويعر تقدم إلى حرض، وأمر نجله فيصل بن عبدالعزيز أن يتقدم ويتولى القيادة، وتقدم سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز زاحفاً بنجدة من نجد وقوة احتياطية لأخيه سعود، ونشرت جريدة أم القرى في يوم السبت الموافق ٨ ذي الحجة مقالة ألقاها جلالة الملك ابن سعود في المأدبة الكبرى التي أقيمت في القصر الملكي بين فيه خطته في هذه الحرب اليمانية، وأنه امتشق الحسام فيها ضرورة، ولولا خشية الإطالة لأتينا به، وهو تفسير لأعمال يحيى التي تقدم ذكرها، وقال في آخره.

فكان جوابه ملقاً وتلمصاً ووعوداً، وآخر الأمر أبرق لي بأنه لا يفعل معي إلا ما يفعله الأخ مع أخيه والصديق مع صديقه، وهكذا سلسلة حوادث له معي أخجل من ذكرها إذ لا يعملها إنسان عنده مروءة، ولا يقبل بها رجل ذو شرف وشيمة، لم أترك وسيلة للصالح والسلام إلا فعلتها، ولكني ما رأيت غير المحاولة، لذلك أمرت ولي العهد ليتقدم بجنوده إلى الإمام فيستخلص البلاد التي

غدر بها يحيى، ويدافع عن بلادنا وكياننا وشرفنا، وأبرقت ليحيى بأننا لا نريد إلا السلم، ولا نريد الحرب، وأن باب السلم لا يزال مفتوحاً متى أراد أن يمنح له وأن ينسحب من بلادنا، ولا يتدخل بشؤوننا، وهذا التدبير لم ألجأ إليه إلا مضطراً، وبعد أن أعيتني جميع الوسائل، ولا أعذر أمام الله ولا أمام خلقه إذا لم أقم بواجب الدفاع عن مملكتي وبلادتي، لنا أكثر من عشرة أشهر ونحن نقابل يحيى ونجاده، وانتشر خير ذلك في سائر الأنحاء فلم يظهر من المسلمين ملوكهم وأمرائهم وأحزابهم من يتقدم لإصلاح ذات البين أو يطلع على حقيقة ما بيننا ويعلم من الصادق ومن الكاذب، ولم يردنا غير برقيات التمني التي لا تنتج شيئاً، هذا آخر كلامه، ومن أراد الاطلاع على المقالة فليراجعها في جريدة أم القرى.

رجوع وفد يحيى

لما امتدت المفاوضات شهرين إلا ثمانية أيام ولم تسفر عن شيء ولم يظهر نتيجة، ولاحظ الوفد السعودي محاولة اليمن التنصل من شروط المعاهدة تارةً بزعم أن الإمام يحيى لم يوقع عليها بالذات، وأخرى بأنها لم يقصد بها تحديد الحدود أو الاعتراف بالوضع الحاضر في الحجاز، أضف إلى ذلك سوء نوايا الإمام يحيى بتجهيزه في هذه الفترة على الحدود، لم يكن لهذا الاجتماع فائدة فسافر وفد يحيى في ٢٤ ذي الحجة عن أمر يحيى وطلبوا السفر عن طريق طهران، وحيث أن خط الحرب ممتد على طول خط الجبهة لم يرَ صاحب الجلالة حفظاً لكرامة الوفد وصيانة لحياته أن يسمح لهم عن ذلك الطريق، فاقترح عليهم أن يكون سفرهم إلى الساحل وأن يركبوا إلى موانئ الإمام يحيى.

فبعث ابن الوزير برقية إلى جلالة الملك بواسطة فؤاد حمزة ما معناه أنكم استحسنتم أن تكون خطة عودتنا إلى اليمن من جهة القنفذة والبحر، وهذه خطة صعبة بعيدة، ومعنا جملة خيل وذلول يتعذر ركوبها في البحر، ومن البعيد أن لا يكون في وسع مقدرتكم خطة عودتنا هي خطة سفرنا أولاً فلم يكن قبلنا إلا جندكم الذين هم تحت أمركم ونهيكم إقداماً وإحجاماً، وسمو الأمير سعود

والأمراء من آل فيصل ومحال أن لا يكون في مقدرة الجميع بلاغ ما تريدون من عودتنا بأحسن حال، فترجوكم الإسراع بأوامركم الكافية والطريقة واضحة، وأصحابكم معنا، والأمر جلي ليس فيه خفاء عند أحد، مع أن لنا أغراضنا في الاتفاق بسمو الأمير سعود كما سيعرض عليكم إن شاء الله، وليس لنا إرادة إلا في كل خير للجميع والسلام عليكم ورحمة الله.

فأجاب الملك عبدالعزيز وفد الإمام يحيى بكل جميل، ولا يخفى ما فيه من الفصاحة التي تسحر العقول، بل هذا لعمر إلهك السحر الحلال وذلك بتاريخ ٢٤ منه.

إن الباعث على ذلك والقصد هي المحافظة على راحتكم ومنع المشقة عليكم في الحالة الراهنة، ولا تخفى عليكم خطة الحرب، وطريقكم الذي تريدون السير معه هو محل المعارك الحربية، ولو كان المقصد الخوف عليكم من جندنا فالجند الحمد لله تحت السمع والطاعة وتحت قيادة أبنائنا كما ذكرتم، ولا خطر عليكم منهم ولكن الذي نخافه هو أن يكون في الجبال أحد من الهاربين أو أناس أعطوا الأمان في الطريق، ونخشى أن يقع عليكم أي حادث منهم يكدركم ويكدرنا، وأنتم تعرفون أن لكم علينا حقوقاً كثيرة منها أنكم ضيوف أعزاء علينا، ومنها نسبكم لسيادة الأخ الإمام يحيى، والله المطلع أننا لا نزال نجعله ونجل من انتسب إليه، ونأسف كثيراً لما وقع مما لم يكن يخطر لنا على بال، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، ومنها أن لشرفكم ومقامكم منزلة عالية عندنا وأنا نحافظ على شرفكم ومقامكم وراحتكم، كما نحافظ على شرفنا وراحتنا، ومن أجل ذلك أمرنا فؤاد أن يراجع الولد سعود وإن كان يجد طريقاً سلمياً فتؤمن به راحتكم أن يبذل في ذلك جهده، وكونوا مطمئنين الخاطر أننا سنعمل كل ما يمكن لما يحفظ راحتكم، فإن أردتم طريقة أخرى فإننا مستعدون لأن نخطر لكم أحد الزوارق البخارية التي عندنا، أو نعد مركباً خاصاً ينقلكم من إحدى الموانئ، فنحن مستعدون لذلك، أما ما معكم من الدواب فنحن نتعهد بإيصالها إلى المحل التي

تريدون، ولا شك أن درايتكم ومعرفتكم بالأمور تجعلكم لا تشكون في أن كل ما قدمته لكم هو الحرص على راحتكم وشرفكم شفقة مني على ذلك، أما رغبتكم في مقابلة ولدنا سعود فإن كان هناك مصلحة أو أمر جديد فيمكن تعيين وقت لمقابلتكم، ونحن ممنون من كل أمر فيه راحة وإصلاح للجميع، وقد أمرنا فؤاد أن يتراجع مع الولد سعود، وأن يراجعكم في كل ما يؤمن راحتكم ويحفظ المصلحة في ذلك والسلام.

ولما أن تقدمت القوات السعودية وجعلت توالي الزحف على اليمن ما كان إلا القليل، بل لم يمضِ إلا بضعة أيام حتى استولت على كثير من البلاد اليمانية، وقام يحيى وأبرق إلى جميع الدول الإسلامية يناشدهم الوساطة لإيقاف الحرب، وحل الخلاف، فبادر المؤتمر الإسلامي بانتداب وفد من قبله لحل هذا الخلاف، وانتصر ابن سعود وخدمته الأيام، وقلبت لأعدائه ظهر المحن فعزوا بأنفسهم، وتداعوا بقواتهم، وكان جيش الأمير فيصل بن عبدالعزيز الذي زحف به من الحجاز يقدر عدده بستة عشر ألف مقاتل مجهزاً بأقصى ما يستطيع من القوات المستحدثة، وقدمنا عدة جيش الأمير فيصل بن سعد البالغ سبعة آلاف مقاتل مرابطاً على الحدود واستعداداً للطوارئ، كما أصدر صاحب الجلالة أوامره على نجله سعود بالزحف في ٦ ذي الحجة يقود خمسة آلاف مقاتل، وتقدم الأمير محمد بن عبدالعزيز بقوة احتياطية لمساعدة أخيه سعود، وصدرت الأوامر على الأمير خالد بن محمد ابن أخي جلالة الملك أن يزحف بجيش وينضم إلى ولي العهد سعود.

وما زالت الجنود تتوافد على القائدين حتى بلغ جيش ولي العهد ستة وثلاثين ألفاً، أما جيش فيصل بن عبدالعزيز فقد بلغ أربعة وثلاثين ألفاً فبذلك بلغ مجموع الجيش سبعين ألف مقاتل.

ولما أن وصل سعود إلى بلاد وادعة، أمر على ابن عمه فيصل بن سعد المرابط في خميس مشيط أن يتقدم بقسم من الجند إلى باقم فتقدم وحاصرها وشدد الحصار

عليها، وكان فيها قوة من الجيش اليمني وأصدر أمره أيضاً إلى ابن عمه خالد بن محمد أن يسير بقسم آخر من الجند إلى بلد نفعة، وناهيك به من قائد محنك استولى على بعض البلدان وحاز انتصاراً عظيماً.

ولما زحف إلى بلد نفعة وفيها قوة من قبل يحيى احتلها بعد أن سلمت الجنود اليمنية فأمّنهم على أرواحهم، وتقدم الأمير محمد بن عبدالعزيز بقوة فاحتل بقواته مدناً وقرى، ثم أخذت القوات السعودية في تقدمها إلى نجران، وأخرجت الجنود اليمانية منها واحتلتها واستولت على نجران استيلاء تاماً، وأصدر صاحب الجلالة أو أمره على حمد الشويعر أن يتقدم بقوات إلى حرض، وذلك عن طريق تهامة، كما صدرت الأوامر على صاحب السمو فيصل بن عبدالعزيز أن يتقدم بالجنود النظامية وغيرها، فزحف بالبطاريات والمدافع والرشاشات على تهامة عن طريق الساحل، وأن يتولى القيادة في تهامة فتقدم ووالى زحفه حتى استولى على كثير من بلدان الساحل التابعة ليحيى، وهجم على ميدي وأسر كثيراً من جنود اليمن، وفيها عامل الإمام يحيى على ميدي عبدالله عرشي، وبعد ما احتلها تقدم فاحتل الحديدية، وسنذكر صفة احتلالها في السنة التالية لهذه إن شاء الله تعالى، وبهذا يتحقق معنى كلام الملك الذي باح به في ١٦ محرم من السنة المتقدمة، حيث يقول: «إني والله أحب السلم وأسعى إليه، فإذا ما بليت صبرت حتى إذا لم يبق في القوس منزع، وحان وقت الدفاع عن الدين والوطن فعلت:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها
وهنا لا يكون إلا إحدى الحسينين، إما السعادة، وإما الشهادة، وكلاهما نعمة من الله، ونحن نقابل أيهما بصدر رحبة ووجوه باشة وهذه سنة رسول الله وأصحابه من بعده رضوان الله عليهم، والناس معنا ثلاث، إما محب ومساعد، وإما لا محب ولا مساعد، وإما معاند فقط.

فأما الأول: فله ما لنا وعليه ما علينا.

وأما الثاني: فنسعى جهدنا في إفهامه الطريق الذي نسير عليه، فإذا اتبعنا فالحمد

لله وإذا أبى فالأمر لله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وأما الثالث: فهذا ليس له قصد إلا الفساد في الأرض وهذا جزاءه ما جاء في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، ويذكر المؤرخ فليبي في تاريخ نجد أنه استغرق احتلال الحديدة ومنطقة تهامة الواقعة شمالاً ثلاثة أسابيع، وكان ثلاثة أسابيع أخرى كافية لإضافة اليمن إلى الممتلكات الوهابية، غير أنها صدرت الأوامر على فيصل تلك الأوامر بينما أمر سعود بأن يبقى في المكان الذي اتفق عليه سابقاً كي يكون حداً بين السعودية واليمن، وذكر أنه في أثناء ذلك سارعت السفن الحربية الإنكليزية والإيطالية والفرنسية إلى الحديدة متحلة أعذاراً مختلفة، إلا أنها لم تكن تهدف إلى تهنئة القائد الوهابي المنتصر على فوزه، أو جعل مهام السلطة المحتلة أسهل من ذي قبل، وربما كان لهذا الاهتمام المفاجئ باليمن من جانب الدول الكبرى أثر كبير في منع الملك من انتهاج سياسة صريحة، غير أنه أصرَّ على أن يستمر احتلال قواته للمناطق التي استولت عليها إلى أن تجري مفاوضات أخرى في الطائف تحت حمايته وإشرافه، فأعلنت الهدنة للتمكن من البدء في هذه المحادثات، وسعود إلى آخر القصة عن قريب، وإنه لمن العجب العجاب انتصار الجيوش السعودية في تلك الجبال الصعبة المرتقا المجهولة الطرق، ولقد كان ولي العهد سعود يقود جيش الصحراء المتمركز في أبها ونجران، وكان بطيئاً بسبب طبيعة البلاد الوعرة وضرورة السير مع قوافل التموين التي كانت سيارات نقلها تدلي بالحبال من فوق الصخور العالية في أكثر من مناسبة، ولقد ثارت عاصفة رملية استمرت ثلاثة أيام متوالية، وكان من جرائها أن تعطلت المواصلات اللاسلكية بين القائدين، وكانت هذه الغضبة من الملك ابن سعود لما نفذ صبره من عناد جاره، وأرسل إليه الإنذار النهائي، وبما أن أراضي اليمن خوفة

ومعلوءة بالثوار فإن بعضها لا تخلو من الحمى لا سيما الذين لم يعتادوا طقسها،
وطال لبثهم فيها من السعوديين.

وما أنشد الأديب محمد بن الحسين بن أحمد بن الطيب يذكر بلاد الغربية:
إذا اغترب الحر الكريم بدت له ثلاث خصال كلهن صعب
تفرق أحباب وبذل لهيبة وإن مات لم تشقق عليه ثياب
وفيها وقع الوزير عبدالله بن سليمان بن حمدان عن الحكومة السعودية اتفاقية
التنقيب عن الذهب في المملكة العربية السعودية والمعادن، وعن الشركة
«ولوديهملت» وذلك بعد أخذ ورد ومساومات، ومن ضمن ذلك منجم المهدي،
ولكن هذا نفذ إنتاجه بعد عشرين عاماً، بعد أن ساهم مساهمة متواضعة في
واردات الدولة إذ عاد عليها بريح صافي بلغ العشرة ملايين من الدولارات، وفيها
عثر العمال بينما هم يحفرون أساس القسم الشمالي لمدرسة العلوم الشرعية في
المدينة المنورة الواقعة بقرب باب النساء بعد عمق أربعة أمتار على مصباح زيت
قديم، ووجدوا هناك بركة صغيرة ومجري مياه وقطعاً من قلل الماء.

ونحن نوردها هنا كلمات خالدة عن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن حينما قام
خطيباً في المادبة الملكية التي أقيمت لتكريم وفود بيت الله مساء يوم الجمعة ٥ ذي
الحجة من السنة التي قبل هذه حيث يقول أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ونشره بين
الأقوام، أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك
بكتاب الله وسنة رسوله، وما جاء عن الخلفاء الراشدين.

أنا مسلم وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن
تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي
وأسرتي ضحية في سبيل ذلك، أنا عربي وأحب عز قومي والتألف بينهم، وتوحيد
كلمتهم، وأبذل في ذلك مجهوداتي، أنا مسالم ومدافع، أنا مسالم للناس وأحب
النصيحة قبل كل شيء، لأن الدين النصيحة لله وللرسول ولأئمة المسلمين
وعامتهم، أنا مدافع لأنني ما حاولت في وقت من الأوقات أن أعتدي على إخواني

وأبناء قومي، وكنت في كل وقت أقابل ما يصدر إلي منهم من إساءة أو خطيئة
بصدر رحب على أمل أن يرجعوا إلى الصواب، ولكنني إذا رأيت تمادياً في الغي
والإساءة اضطر حيثئذ للدفاع، أنا عربي ومن خيار الأسر العربية ولست متطفلاً
على الرياسة والملك، فإن آبائي وأجدادي معروفون منذ القدم بالرياسة والملك،
ولست ممن يتكلمون على سواعد الغير في النهوض والقيام، وإنما اتكالي على الله
ثم على سواعدنا يتكئ الآخرون ويستندون إلى آخر كلمة.

وفيها وفاة الشيخ عبدالله بن احمد العجيري تغمده الله برحمته وأسكنه بفضله
فردوس جنته، وكان يسمى «راوية نجد» لما قام به من جمال الصوت وحسن الإلقاء،
كما اشتهر بقوة الحافظة العجيبة، وبسعة اطلاعه على آداب العرب وأخبارها
وعلمومها وآثارها، حتى نشرت جريدة أم القرى ترجمة له وسمته «أديب نجد» وكان
يختصه الملك عبدالعزيز للسفر في معيته لما لديه من العلوم والأخبار، ولقد رثاه
الشيخ الأديب محمد بن عبدالله بن عثيمين بمراثية بديعة، وذكر فيها شيئاً من صفات
المرجم، ذلك لما كان بينهما من تقارب السن ورابطة الحوار، وتماثل الفضل، ولأنه
من خلصاء الشاعر ورواة شعره، وأعز أصدقائه، فقد عاش خدنين تجمعهما أواصر
العلم والآدب:

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| هو الموت ما منه ملاذ ومهرب | متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب |
| نشاهد ذا عين اليقين حقيقة | عليه مضى طفل وكهل وأشيب |
| ولكن على الران القلوب كأننا | بما قد علمناه يقيناً نكذب |
| نؤمل آمالاً ونرجو نتائجها | وعلى الردى مما نرجيه أقرب |
| ونبني القصور المشمخرات في الهوى | وفي علمنا أنا نموت وتخرّب |
| ونسعى لجمع المال حلاً ومائماً | وبالرغم يحويه البعيد وأقرب |
| نحاسب عنه داخلاً ثم وخارجاً | وفيم صرفناه ومن أين يكسب |
| ويسعد فيه وارث متعفف | تقيّ ويشقى فيه آخر يلعب |
| وأول ما تبدو ندامة مسرف | إذا اشتد فيه الكرب والروح تجذب |

ويشفق من وضع الكتاب ويمتني
ويشهد منا كل عضو بفعله
إذا قيل أنتم قد علمتم فما الذي
وماذا كسبتم في شباب وصحة
فيا ليت شعري ما نقول وما الذي
إلى الله نشكو قسوة في قلوبنا
ولله كم غاد حبيب ورائح
أخ أو حميم أو تقى مهذب
نهيل عليه الترب حتى كأنه
سقى جدثاً وأرى ابن أحمد وابل
وأنزله الغفران والفوز والرضى
فقد كان في صدر المجالس بهجة
فطوراً تراه منذراً ومحذراً
وطوراً بآلاء الإله مذكراً
ولم يشتغل عن ذا بيع ولا شرا
فلو كان يفدى بالنفوس وما غلا
ولكن إذا تم المدى نفذ القضاء
أخ كان لي نعم المعين على التقى
فطوراً بأخبار الرسول وصحه
على ذا مضى عمري كذاك وعمره
وما الحال إلا مثل ما قال من مضى
لكل اجتماع من خليلين فرقة
ومن بعد ذا حشر ونشر وموقف
إذا فر كل من أبيه وأمه

لو أن رد للدنيا وهيات تطلب
وليس على الجبار يخفى المغيب
عملتم وكل في الكتاب مرتب
وفي عمر أنفاسكم فيه تحسب
نجيب به والأمر إذ ذاك أصعب
وفي كل يوم واعظ الموت يندب
نشيعه للقبر والدمع يسكب
يواصل في نصح العباد ويدأب
عدو وفي الأحشاء ناراً تلهب
من العفور رجاس العشيات صيب
يطاف عليه بالرحيق ويشرب
به تحديق الأبصار والقلب يرهب
عواقب ما تجني الذنوب وتجلب
وطوراً إلى دار النعيم يرغب
نعم في ابتناء الحمد للبذل يطرب
لطبنا نفوساً بالذي كان يطلب
وما لامرء عما قضى الله مهرب
به تنجلي عني الهموم وتذهب
وطوراً بآداب تلذ وتعذب
صفيين لا نجفوا ولا نتعذب
وبالجملة الأمثال للناس تضرب
ولو بينهم قد طاب عيش ومشرب
ويوم به يكسى المذلة مذنب
كذا الأم لم تنظر إليه ولا الأب

وكم ظالم يدمي من العض كفه
إذا اقتسموا أعماله غمماؤه
وصك له صك إلى النار بعدما
وكم قائل واحسرتا ليت أننا
فما نحن في دار المنى غير أننا
فحثوا مطايا الارتحال وشمّروا
فما أقرب الآتي وأبعد ما مضى
وصل لإلهي ما همى الودق أو شدا
على سيد السادات والآل كلهم

مقالته يا ويلتى أين أذهب
وقيل له هذا بما كنت تكسب
يحمل من أوزارهم ويعذب
نرد إلى الدنيا نيب ونرهب
شغفنا بدنيا تضمحل وتذهب
إلى الله والدار التي ليس تخرب
وهذا غراب البين في الدار ينعب
على الأيك سجاع الحمام المطرب
وأصحابه ما لاح في الأفق كوكب

وفي هذه السنة مرض الشيخ العالم العلامة محمد بن عثمان الشاوي، وهو مقيم في مكة المشرفة، فألجأته الأحوال إلى أن يدرس مضطجعا إجابة لطلب تلامذته وأحبابه، وكان مرضه في فخذه بداء السرطان، فقال في ذلك قصيدة عظيمة شكى إلى ربه حالته ويسأله كشف ضره، ولما قال هذه القصيدة سعى الملك عبدالعزيز في علاجه وبذل جهوداً جبارة لعلاجها في المملكة العربية السعودية وخارجها، غير أن الله لم يأذن جزاءه الله خيراً، وهذه القصيدة المشار إليها:

أسير الخطايا عند بابك يقرع
مقرراً بأثقال الذنوب ومكثراً
فإنك ذو الإحسان والجود والعطا
فكم من قبيح قد سترت عن الورى
ومن ذا الذي يرجى سواك ويتقى
فيا من هو القدوس لا ربّ غيره
ويا من على العرش استوى فوق خلقه
بأسمائك الحسنى وأوصافك العلى
أعني على الموت المريعة كأسه

يخاف ويرجو الفضل فالفضل أوسع
ويرجوك في غفرانها فهو يطمع
لك المجد والإفضال والمن أجمع
وكم من نعيم تترى علينا وتتبع
وأنت إله الخلق ما شئت تصنع
تباركت أنت الله للخلق مرجع
تباركت تعطي من تشاء وتمنع
توسل عبداً بائساً يتضرع
إذا الروح من بين الجوانح تنزع

وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما
وثبت جنائي للسؤال وحجتي
ومن هول يوم الحشر والكرب نجني
ويا سيدي لا تخزني في صحيفتي
وهب لي كتابي باليمين وثقلن
ويا رب خلصني من النار إنها
أجرني أجرني يا إلهي فليس لي
ويا سيدي هب لي من الخلد منزلاً
وإنك تعطي الجزل فضلاً وتغفر الـ
وهب لي شفاء منك ربي وسيدي
فأنت الذي ترجى لكشف ملامة
فقد أعييت الأسباب وانقطع الرجا
إليك إلهي قد رفعت شكائتي
ففرج لنا خطباً عظيماً ومعضلاً
وماذا على ربي عزيز وفضله
فكم منح أعطى وكم محن كفى
وأزكى صلاة الله ثم سلامه
محمد المختار من نسل هاشم

ولقد كانت هذه القصيدة عظيمة تدل على عظمة منشئها وما لديه من العلم
والمعرفة، وقوة الإيمان، ورسوخ العقيدة، ولا ننسى مآثر صاحب الجلالة عبدالعزيز
بن عبدالرحمن وما بذله من الأعمال الطيبة التي سيجازيه الله عليها.

وفيها صدرت إرادة الملك عبدالعزيز بإحضار ساعة عظيمة ضخمة، فركبت
على قاعدة فوق دار الحكومة المسماة بالحميدية، وكان ارتفاعها خمسة عشر متراً
عن سطح دار الحكومة، كما أنه يبلغ ارتفاعها عن سطح أرض الشارع الفاصل

بين دار الحكومة وبين المسجد الحرام أكثر من خمسة وعشرين متراً، وصارت بهذا الارتفاع تضاهي منائر المسجد الحرام، وهي ذات وجهتين إحداها مائلة على المسجد الحرام وشارع المسعى، والأخرى مائلة على محلة أجياد، ويسمع صوت دقات جرسها كل من كان في المسجد الحرام، وشارع المسعى وسكان المدارس التي حول المسجد الحرام وما جاوره، وتضاء مئنتها ليلاً بالكهرباء، وقد شدت قاعدتها بالآجر والنورة والحديد وأحكمت إحكاماً متقناً، ولا شك أن هذه الساعة أول ساعة وجدت بالحجاز بهذه الصفة ضخامة وضبطاً وقوة وبهاء، وأصبحت هذه الساعة هي الوحيدة للمسجد الحرام يعتمد عليها في التوقيت، ولما أن أحضرها وزير المالية عبدالله بن سليمان عهد إلى أمين العاصمة إذ ذاك عباس قطان بوضعها في الموضع المذكور.

وفيهما جمع العلماء رسالة نصيحة في الحث على طلب العلم، جاءت بعد البسملة: من عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وعمر بن محمد بن سليم، وصالح بن عبدالعزيز، ومحمد بن إبراهيم آل عبداللطيف، إلى كافة المنتسبين لطلب العلم من أهل نجد، وفقهم الله تعالى وهداهم وتولانا وإياهم، ثم ذكروا الآداب التي ينبغي لطالب العلم أن يتأدب بها، وحثوا على التشمير في الطلب والجد والاجتهاد، وكان تحرير كتابتها في ١٧ ذي القعدة من هذه السنة ثم إنه سجل عليها جلالة الملك وصدق في أسفلها بأن ما كتب المشايخ هو الحق ونصح، وأبلغ وألزم من كان أهلاً لطلب العلم أن يطلبه، وأكد في ذلك وختمها بتاريخ ما تقدم، فجزى الله من أعان الإسلام وأهله ولو بشرط كلمة، وسدد إمام المسلمين ومشايخ الإسلام الأئمة الأعلام، وكان لهذه النصيحة أعظم الوقع في القلوب، وفعلاً قد بادر العلماء إلى القيام على الطلاب، ولكنها قد غلبت الفترة والكسل على أكثر النفوس فأوثر في الدنيا على الآخرة، فما كأنها تبصر ولا تسمع وأصبح الخلق في نقص في أمور دينهم، ووقع الوهن وضعفت العزائم والهمم، وحلت مصيبة عمت فأعمت، وعظمت فأصمت، وأصيب المسلمون بنقص العلماء، وكثرة السفهاء وزهد أبناء

العلماء ببضاعة آبائهم، وقلّ العلماء، وعدم الاعتناء من المرسومين في هذا الرسم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهذا أمر قضاه الله وقدره، ومن سبر حالة طالب العلم في زمننا هذا فإنه لا بد أن يصده عن الطلب حقيقة، أما جمع الدنيا والسعي في نيل حظامها والانهماك في تحصيلها من كل الجهات فتشغله عما هو في صدده، وأما أن يختطفه الموت فتصاب به الأمة ولا يخلفه غيره، فبذلك انتزع العلم بموت العلماء وزهد بنو الزمان بتلك البضاعة والسير في طريق الإضاعة، وإذا رأيت حالتنا فإنها تؤسف، فقيرنا لا يرحم، وغنينا لا يعطف، وكبيرنا لا يتواضع، وصغيرنا لا يتأدب، ونسيت الحقوق، وأهملت التقاليد الطيبة، وعشقت التقاليد الأجنبية، فعياداً بالله من السوء.

وفي هذه السنة تعين أحمد سالم الجوهري مديراً لمعمل كسوة الكعبة المعظمة، فقام بأحسن القيام بها، وكسيت الكعبة في هذه السنة بكسوة في غاية الجمال والإتقان على نفقة الحكومة السعودية، فازداد سرور الجميع بذلك، وحج بالناس جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وحج من أعيان أهل نجد الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف، والشيخ عمر بن محمد بن سليم قاضي بريدة، وفيها حجتنا للفرض، والله الحمد والمنة.

ثم دخلت سنة ١٣٥٣هـ

استهلّت هذه السنة بانتصار سيد الجزيرة، ففي ٢ محرم الموافق للثلاثين قدم الوفد الموفد من جميع الدول الإسلامية بأسباب مناشدة بحجى للوساطة في إيقاف الحرب بينه وبين ابن سعود، فبادر المؤتمر الإسلامي بانتداب وفد مكون من صاحب السماحة أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين، وصاحب الدولة هاشم بك الأتاسي رئيس الوزارة السورية سابقاً، ومحمد علي علويه باشا وزير الأوقاف المصرية سابقاً، والأمير شكيب أرسلان، يرافق الجميع الأستاذ علي أفندي رشيد سكرتيراً للوفد، ولما أن قدم هذا الوفد إلى جدة في اليوم

المذكور استقبل من قبل الحكومة السعودية استقبالا فائقا، ووردت برقية في نفس الوقت من الإمام يحيى إلى صاحب الجلالة الملك يطلب فيها إيقاف القتال وأنه على استعداد لقبول شروطه، فوافق جلالة الملك على ذلك بشروط أهمها إخلاء نجران، وتخليه الجبال، وفك الرهائن السجناء، وتسليمه الأدارسة، فتلكأ يحيى، ومضت جنود ابن سعود في تقدمها حتى استولت بقيادة الأمير فيصل على مدينة الحديدة، كما استولت على بلدة الطائف الواقعة جنوب الحديدة التي تعد مرفأ للزرائيق، وكذلك استولت على بيت الفقيه، والزيدية، والقطعية، وقدمت له قبائل الزرائيق الطاعة، فلم يسع الإمام يحيى إلا أن يرضخ في النهاية.

صفة سقوط الحديدة

كان الإمام يحيى عندما بدت المناقشات بينه وبين جلالة الملك عبدالعزيز في قضية عسير أرسل إلى الحديدة نجله الأصغر حسينا ليرابط هناك مع كتائبه، وكان الأمير عليها من قبله رجلا يدعى سليم بك، كان لديه معرفة وجديراً بالرجولة، فلما شاء الله الذي لا يرد قضاءه أن تسقط الحديدة، أقبل في إحدى الليالي إلى الحديدة رسول سري يحمل نبأ وفاة الإمام يحيى في صنعاء فانضاف إلى ذلك أن الأمطار قد بللت السلك التلفوني فانقطعت المخابرات بين الحديدة والعاصمة، فأخذ الأمير سليم بك ينصح لحسين بن الإمام يحيى بأن يمشي في كتائبه في الحال إلى صنعاء، فأخذ الشاب نصيحته على القبول لأنه لا يخالف رأيه.

وأيضاً إنه قد سئم حسين الإقامة بمدينة الحديدة، فاغتنم هذه الفرصة وغادر الحديدة حذراً عما سيتوقع من الاقتحام على ملكهم والاستيلاء على الأموال.

ثم فرّ الأمير سليم بك بعدما حمل المال، فالتقى في الطريق بزميله أمير ميدي، وكان عبداً محرراً، وقد صنع كصنعه، فرّ بالمال معه، فمضيا إلى كمران، وهي جزيرة إنكليزية، وقد أملا أن يستقبلا فيها استقبالا حسناً، فتم لهما ذلك، وتمكنا بسهولة من الذهاب إلى عدن على مركب إنكليزي صغير، فلما وصلا إلى عدن اعتقلهما المقيم الإنكليزي فانترع منهما المال وأودعهما السجن.

ثم إن الأمير فيصل بن عبدالعزيز احتل الحديدة بعدما أخلاها جيش الإمام إخلاء تام قبيل احتلاله بعشرين يوماً، فدخلها فيصل بنفسه من الغد يوم السبت ٢١ محرم، وأقام فيها آلة اللاسلكي للاتصال بالمملكة العربية السعودية، وكان قد استصحبها كما استصحب آلات أخرى لذلك، وأنشأ فيها مركز للشرطة والمالية والأوقاف، وموضعاً للمعارف تمهيداً لجعلها سعودية، بل قد أرسل مدير ماليته لترتيب شؤونها المالية، وأصدر أمره بالاحتفاظ بجميع الموظفين اليمنيين مع زيادة رواتبهم، فكان الفرح والجدل لا يوصف، فلما أدرك الإمام يحيى خطورة الموقف وعبث المقاومة والقتال أقر مطالب جلالة الملك التي اشترطها حيث أدخل الجبال، وفك الرهائن، وأمر بتسليم الأدارسة، فعندها أمر ابن سعود جيوشه بالاحتفاظ بالأماكن التي احتلتها، وتوقيف القتال في جميع الجهات.

وأرسل الإمام وفده إلى الطائف للدخول في مفاوضات الصلح، وكان ابتداءه في التنفيذ في أوائل صفر، وفي ٢٤ منه سلم عائلات الأدارسة وحاشيتها إلى الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وكانت نحواً من ثلاثمائة شخص وعلى رأسهم الحسن الإدريسي، وعبدالعزيز الإدريسي، فأكرم الأمير وفادتهم وجرى إخلاء معظم الجبال.

ذكر عقد الاتفاقية وانتصار ابن سعود

فنعول كانت إيطاليا أرادت أن تبحث لها عن منفذ في بلاد العرب، راحت تسلك سياسة نفوذ في اليمن، فتلقاها الإمام يحيى في أول الأمر بكثير من التحفظ، وكان قبل أن يتعاقد مع الإيطاليين حاول أن يفاوض الحاكم الفرنسي في جيبوتي بعقد علاقات تجارية وشراء ذخائر للحرب، والاستعانة بالمهندسين الفرنسيين، وأرباب الصنائع الفرنسية، على أن مسيو باشون للساك الحاكم الفرنسي في جيبوتي رفض أن يعقد مع الإمام يحيى علاقات كهذه جاهلاً ما وراءها من الفوائد، لأنها صحت عزيمة يحيى على فتح ذراعيه للإيطاليين، ومنذ ذلك الحين أخذ هؤلاء

يبدلون جميع المساعي لإرضاء رغائب اليمنيين، حتى لم يجد الإمام يحيى بداً من مكافأتهم على الخدم التي أدوها إلى بلاده، فوعدهم بمقاطعة عسير، وكان وعده هذا سبباً لما وقع بينه وبين المملكة العربية السعودية، وأيضاً ما حدث بعد ذلك وما جعل الحرب واقعة حتماً فهو اتفاق يحيى والأدارة حكام عسير على مساعدتهم للرجوع إلى إمارتهم، والآن فإن إيطاليا قد خسرت بعد الحرب والمعاهدة نفوذهم في اليمن بعدما أنفقوا الملايين لبسط هذا النفوذ، وبعدما هلت إيطاليا واستبشرت بعقد المعاهدة بينها وبين الإمام يحيى، ومنحوا عاقدها السنيور غاسباريني الرتب والأوسمة، مضى بعد عقدها نحو ثماني سنين لم ينالوا من يحيى مثلاً، وها قد فقدوا آخر أمل مقاطعة عسير، فانتصار ابن سعود على اليمن قد قضى على آمال إيطاليا في عسير وغير عسير، وكان يحيى قد لجأ إلى إيطاليا لما طوقت بلاده القوات السعودية، وخسر غالبها فجاءت الإمدادات من قبلها مالاً ورجالاً، غير أنها لم تفلح، وذلك لأن الحكومة قابلت إيطاليا بإيقاف تلك الإمدادات وأرشدتها إلى حسن التفاهم بأنها إن كانت الحرب بين العرب فلا دخول لأجنبي فيها، وإن كانت إيطاليا تريد أن تتدخل بما لا يعنيه فلا بد من اتخاذ تدابير أخرى والسعي لدى الحلفاء بمضاداتها، فوقفت إيطاليا مكتوفة اليدين، وما كان بوسعها أن تسعى لما يضر بأمرها، وقد انتصر القائد العظيم فيصل بن عبدالعزيز الانتصار المؤزر في هذه الحرب حتى دوى ذكره بين الخافقين وطرد الجيوش اليمنية من الأراضي السعودية التي احتلتها، واحتل بلداناً وقرى كثيرة في حرب أدهشت اليمنيين، بل أدهشت العالم فخسروا المال والرجال والعتاد، كما خسروا المدن والقرى.

وكان الأمير محمد بن عبدالعزيز في خميس مشيط بما تحت يده من الجنود، ولما أن التقى ابن الوزير بجلالة الملك عبدالعزيز شوهده من عاهل الجزيرة شجاعة تتلاشى دونها الأبطال، وترجف لها أفئدة الصناديد من الرجال.

ولما أن كلم ابن الوزير مندوب يحيى وجعل يعدد طلباته، أجاب ابن الوزير بأن جميعها منفذة، وطلب من صاحب الجلالة أن يرد على يحيى مدينة الحديدة

والتلغراف الذي فيها فأجابه بقوله هي له، وأرد عليه أيضاً ميدي، وبذلك ظهر للعالم عدل ابن سعود، وعجبوا من سماحته ورحابة صدره ومحافظته على كل رعاياه على السواء، وأصبح الناس الذين يكرهون الوهابيين ويعدونهم قساة عتاه قد أبدلوا رأيهم، بعدما شاهدوا من أفعال جلالة الملك تلك الأفعال، فإن انتصاراته قد أثارت العواطف في سوريا والعراق وشرقي الأردن، ولا يبعد أن تجتمع هذه الجماعات العربية في أمرها على طلب حكمه وتفضيله على سواه، بل حصلت الجامعة العربية بعد ذلك وأصبح ابن سعود خطراً داهماً قوياً، ولقد كان بإمكانه أن يكتسح مواطن يحيى وأمصاره وانتهت الحال إلى عقد معاهدة شديدة قوية، ولكنها عاسفة فهو المنتصر وهو الفاتح، وباستطاعته أن يفعل ما يشاء وإن يقرر ما يريد.

ومما لا ريب فيه أن الله تعالى نصره بحسن نيته وعفوه وحلمه على من جهل عليه، وبذلك ظهر ابن سعود سياسي بارع شذبتة الأيام وصقلته الصعاب والحوادث، وعلمته التجارب، وقد أظهر حقاً أنه قوي وأنه عادل، وأظهر أنه سريع البطش، صادق العفو، وأنه يستطيع ساعة الظفر وعند الثورة أنه يعتدل في موقفه، وأن يقنع بما يعتبر أنه ممكن وأنه ليس فوق الطاقة ولا فوق الإمكان، كما قد ظهر للعالم أجمع ما كان من أمر تعدي على جلالته في مسألة الحدود.

معاهدة الطائف

لما كان في ٦ صفر وقعت معاهدة الطائف بين ابن سعود وبين يحيى، فقام بالنيابة عن ابن سعود نجله خالد بن عبدالعزيز، وعن يحيى بالنيابة عنه عبدالله بن الوزير، وقد فوض الملكان لمدوبيهما المذكورين الصلاحية التامة والتفويض المطلق، وسميت هذه المعاهدة معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية، وهذا نص ما تيسر منها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده، نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، بما أنه عقدت بيننا وبين حضرة

صاحب الجلالة الملك الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك المملكة اليمنية معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية لإنهاء حالة الحرب الواقعة لسوء الحظ بيننا وبين جلالته، ولتأسيس علاقات الصداقة الإسلامية بين بلدينا وقعتها مندوب مفوض من قبلنا، ومندوب مفوض من قبل جلالته، وكلاهما حائزان على صلاحية تامة متقابلة، وذلك في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف، وهي مدرجة مع عهد التحكيم والكتب الملحقة بها فيما يلي معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية بين المملكة العربية السعودية وبين من جهة المملكة اليمنية، حضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة، وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة أخرى، رغبةً منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما، ورغبةً في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها، وحفظ كرامتها واستقلالها، ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة، وحباً في تثبيت الحدود بين بلديهما، وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما، وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلديهما وشعبيهما، ورغبةً في أن يكون عضداً واحداً أمام الملومات المفاجئة وبنيناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما، وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما: عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبدالعزيز نجل جلالته، ونائب رئيس مجلس الوكلاء، وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن السيد عبدالله بن أحمد الوزير، وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الأنفي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق.

وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للأصول، قرر باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية:

«انتهاء حالة الحرب»

المادة الأولى: تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة، وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة، وأخوة إسلامية عربية دائمة لا يمكن الإخلال بها جميعها أو بعضها، ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما، وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات، ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصداقة في الوفاق والاتفاقات سرّاً وعلناً، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضاء الخالق، وعز قومهما ودينهما، وتبادل احترام الاستقلال والحدود.

المادة الثانية: يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر بالاستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً، وبملكيته عليها فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى، ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً، وبالملكية على مملكة اليمن، ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حمد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تاماً مطلقاً، وبملكيته على المملكة العربية السعودية، ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية الميمنة في صلب هذه المعاهدة، إن جلالة الإمام الملك عبدالعزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو استقلال أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة وغيرهما، كما أن جلالة الإمام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو استقلال أو غيرهما في البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاد يام.

«صلات المتعاقدين»

المادة الثالثة: يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين، وبما لا ضرر فيه على أيهما على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث، ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله.

«خط الحدود»

المادة الرابعة: خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفسير الكافي فيما يلي، ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما، يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نفعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة، وبين حدود يام، ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعيبة بن فادة، ثم ينحرف من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عد أيام من همدان بن زائد وابلي وغيره وبين يام، فكلما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية، وكلما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية، فما هو من جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحررض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العمادي وجميع بلاد وجبال رازخ، ومنه مع عرو آل مشيخ، وجميع بلاد وجبال بني جماعة، وسحار الشام يباد وما يليها ومحل مريصفة من سحار الشام وعموم سحار، ونقمة ووعار وعموم وائلة، وكذا الفرع مع عقبة نهوكة وعموم من عدا يام، ووادة ظهران من همدان بن زيد

هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة، وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة اليمين، فهو من المملكة اليمانية، وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوية والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفاء وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وتزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة، وكلما هو تحت عقبة نهوكة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق، هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة، وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢هـ، كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية.

التحكيم في الحدود وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبدالعزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية، وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائل في نجران هم من وائلة، ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم وائلة عن التمتع بالصلوات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به، ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية الخ.

«عدم تحصين الحدود»

المادة الخامسة: نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين فإنهما يتعهدان تعهداً متقابلاً بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة كيلو مترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود.

«سحب الجنود»

المادة السادسة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الأهليين والجنود عن كل ضرر.

«منع الغزو والعدوان»

المادة السابعة: يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق الخ. ثم كانت المادة الثامنة: في حل المشاكل سلمياً الخ.

ثم كانت المادة التاسعة: في التحالف في دفاع الهجوم: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأي عمل عدواني، أو شروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر، كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر الخ، ثم ضبطت هذه المادة وأحكمت إحكاماً تاماً، وعلى قياس ذلك بقية المواد التي بلغت عقد العشرين، ولولا الإطالة لأتينا بها كلها.

وفيها بعث حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود إلى رؤساء العلماء، وهم: الشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ يطلب منهم قضية ومرشدين وأئمة مساجد لبلدان اليمن التي استقرت يده عليها، فقام العلماء وألقوا أناساً فضلاء من أهل العلم وطلابه، وهؤلاء هم:

الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان، والشيخ عبدالرحمن بن عقيل صاحب عنيزة، وعبدالله بن عودة آل سعوي، وإبراهيم العمود، وعبدالله بن محمد بن عامر، وصالح بن سليمان بن حميدة، وعلي بن عبدالرحمن بن عطية، وعبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل، وعبدالرحمن بن طرباق، فذهب هؤلاء وغيرهم كابن سلطان، وابن طاسان للحج، وبعد الحج بعثوا إلى مقر أعمالهم.

وكان قد شجعهم جلالة الملك لما أن استلموا مرتباتهم، وأخبرهم أن القليل من علمهم كثير لأنهم سيقدمون على أمم جهال فاستقر كل منهم ببلدة، واستمروا في أعمالهم، فكان على قضاء أبو عريش الشيخ عثمان، وعلى جيزان الشيخ ابن عقيل، وعلى قضاء صبيا الشيخ ابن عودة وهكذا، وجعلوا يعلمون ويرشدون وينهون عن الشرك بالله والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، ويوضحون إخلاص العبادة لله وتوحيده، فكان لدعوتهم أثر عظيم يذكر، وأبانوا لأولئك الناس الذين طال عليهم الأمد واندurst فيهم معالم الشريعة لضعف الداعي وقلة الاعتناء بتقاليد الملة، فأصبحوا مبصرين وعن غيهم مرتدعين، وجعلوا يغرسون فيهم بذور الحق، ويدأبون في محق الباطل.

وما أحسن الغاية التي يقصدونها، والخطوة التي يسلكونها، والضالة التي ينشدونها، نسأل الله تعالى أن يظهر دينه وينصر حربه، ويرشد الجاهلين، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، هذا وإنني ألفت نظر القارئ إلى ما لهؤلاء الأئمة الأجداد والسادة الكرام الذين هم كانوا ذخراً في الأزمان والأحوال والأنكاد، وهم آل سعود الذين طهر الله بهم الأرض من المصائب، ورفع بهم أعلام الهدى، حتى نالت أعلى المراتب، وجدوا في نصرة الدين، وبذلوا مهجهم في الجهاد لكبح المشركين، نسأل الله تعالى أن يمجيزهم عن الإسلام والمسلمين خيراً، وأذكرك بالله أيها المسلم ما قام به محمد بن سعود ونجده وحفيده، وما سار به على نهجهم الإمام تركي بن عبدالله ونجده فيصل، وسار على نهجهم أمير المؤمنين وخليفة المهتدين أبو تركي عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي ذكرنا بعدله وهدايته ودينه وتوفيقه وآثار آبائه وأجداده، وإنها لمفخرة عالية لهذه المملكة وأهلها أن يقوم من بين ظهرانهم أولئك الأئمة الذين رفع الله قدرهم وأشاد في العالمين ذكرهم، أولئك الأسود الغطارفة الذين بنوا في الدنيا فخراً لا ينسى، ونسأل الله تعالى أن يوفق أبناءهم ويهديهم لمكارم الأخلاق والتأسي بأبائهم وأجدادهم.

هذا ويعلم الله أنني لست متأكلاً ولا مستجبلاً لعطاء، بل كنت أقرّ بالفضل

لأهله واضح المديح لمن يستحقه، وإنني لأشكر الملك الراحل عبدالعزيز على ما اتصف به من الفضائل والمكارم، والله در الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين، حيث يقول في مريثة الإمام عبدالرحمن بن الإمام فيصل بن تركي تغمده الله برحمته وأسكنه مجبوحة جنته، وإن كان الأولى بها أن تذكر في ترجمته ذلك بأنه إمام المسلمين وقدوة الموحدين، وسلالة الأجداد الأكرمين:

| | |
|---------------------------------|----------------------------|
| تعز وإنني والمصائب جليل | فخل الجموع الجامدات تسيل |
| رزئنا زمام الفضل والدين والتقوى | نعم نجله الميمون منه بدليل |
| بدور علا هذا هوى لمغييه | وذا في سماء المكرمات يحول |
| فيالك بدرأ أطلع الشمس بعده | وثجاج مزن أعقبته سيول |
| دعا عابد الرحمن للفوز ربه | وجنات عدن ظلهن ظليل |
| مضى طاهر الأعراض والشيم التي | بجسم العوالي غرة وحجول |
| مضى كافل الأيتام في كل شتوة | إذا عم أقطار البلاد محول |
| مضى هضبة الدنيا التي يلتجي بها | طريد جنابات جفاه قيبيل |
| ترجع فيه المكرمات حينها | كما رددت رجع الحنين عجول |
| فلا ذخّر بعد اليوم للدمع والأسى | وإن كان لا يشفى بذاك غليل |
| فلله كم عين تحلب دمعها | وكم زفرة إثر البكاء وعويل |
| فلو كان يفدى بالنفوس ولو غلت | فداه همّام أشوس ونبيل |
| ولو كان من خصم تنمردونه | رجالاً بأيديهم قنا ونصول |
| إذا ما اعتلوا قب الأباطل لم يكن | لهم أوبة أو يستباح قتيل |
| ولكن قضاء مبرمّ يستوي به | ملك عزيز في الورى وذليل |
| نؤمل في الدنيا بقاء وصحة | وهذا محال لو صحون عقول |
| وفي سيد الكونين للناس أسوة | مصاب به كل الأنعام ثكول |
| هو المرء في الدنيا غريب مسافر | ولا بد من بعد الرحيل نزول |
| سقى جدثاً وارى المكارم والعل | من العفو رجاس السحاب همول |

ملث إذا ما راث حنت عشاره
 إمام الهدى صبراً عزاء وحسبة
 فإن يك طود الفضل زعزعه الردى
 ففبك ولا نعدمك من كل فائت
 فانت الذي مهدت ذا الملك بعدما
 وعادت بك الأيام غضاً شبابها
 وما مات من كنت الخليفة بعده
 ولولاك أقرن المعالي ولم يكن
 فلا زلت في عز أنيق مسلماً
 وأزكى صلاة الله ثم سلامه
 على سيد السادات نفسي فداؤه
 وحل عراه أزيب وقبول
 فعاقبة الصبر الجميل جميل
 وأضحى له تحت الرجام مقيل
 لنا خلفاً للمعضلات حول
 تلاشى وجثت من قواه أصول
 وقد مسها بعد العتي قحول
 له بك عمراً آخراً ستطول
 لها بعده في الغابرين سبيل
 وغال الذي يبغي الردى لك غول
 يدومان ما ساق الغدو أصيل
 إمام إلى طرق النجاة دليل

ذكر الاعتداء على ابن سعود بأيدي يمانية

قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الاحزاب: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠].

الحمد لله ناصر عبده ومؤيد حزبه، ومهلك الظالمين بحكمته وعدله، لقد شاء الله وهو الحكم العدل أن يخذل أعداءه في كل موقف من مواقف خزيهم، وأن يحصص الحق ويعلي كلمته، شاءت قدرته أن يذيق الذين أجمعوا أمرهم عشاء هتك حرمة الله في أيام الله أمام بيت الله، شاءت قدرته أن يذيقهم جزاء فعلتهم موتاً زوأمًا، وكأساً علقماً مصاباً.

ففي صباح اليوم العاشر من ذي الحجة يوم عيد الأضحى في الساعة الواحدة عربية سنة ١٣٥٣هـ، غادر جلالة الملك عبدالعزيز منى إلى مكة ليطوف بالبيت طواف الإفاضة قبل أن تتم الساعة الواحدة بدقائق، وقبل أن تشرق الشمس من

غلباًها، وكانت مكة هادئة صامتة، فكل من فيها قد اندفعوا إلى منى وعرفات، فعل كل حاج من مكة وغيرها، ولما أن وصل إلى المسجد الحرام يوم الجمعة وعيد بيوم الخلائق، فيه خشع منكسر الرؤوس قد استوى ملكهم وعبيدهم في اللباس والتواضع، شرع جلالة الملك في الطواف معه ولي عهده سعود ورجال حاشيتهما وحرسهما الخاص، وثلة من الشرطة بقيادة مفوض شرطة الحرم، وكان الحرس والشرطة تواكب جلالة الملك وولي عهده من الأمام واليمين والخلف والبيت على اليسار، ولا يفصل بين الملك ونجليه أحد من الحرس، فعندما انتهى الشوط الرابع أكب الملك على الحجر الأسود يقبله، ثم تقدم في الشوط الخامس، ولما أن حاذى باب الكعبة إذا برجل يخرج من فجوة حجر إسماعيل الشامية منضياً خنجره وهو يصيح بصوت مرتفع صياحاً منكراً بكلام غير مفهوم تماماً، فقابل لدى خروجه أفراد الشرطة الذين يسرون في مقدمة الموكب الملكي فمسك به أحدهم قاصداً رده، ولكن المجرم عاجله بطعنة من خنجره فوقع الشرطي الشجاع أحمد بن موسى العسيري على الأرض ودمه يقطر، فأمسك بالمجرم شرطي آخر هو مجدوع بن شيباب، ولكنه أصيب أيضاً بطعنة من خنجر المجرم، فمال إلى جانب رفيقه، وفي هذه اللحظة شوهد رفيق المجرم الأول يتقدم من خلف الموكب، والظاهر أنه خرج من الفجوة الأخرى لحجر إسماعيل، وجاء من جهة الركن اليماني إلى قرب الحجر الأسود، فاستعد رجال الحرس الملكي بينادقهم، إلا أن جلالة الملك أصدر أمره المطاع في تلك الساعة الرهيبة الحرجة، بأن لا يستعمل الحرس البنادق والرصاص إلا حين الضرورة القصوى، فلما تبين أن المجرم الأول قد طعن شرطين باسليين، وأن المجرم الثاني على وشك أن يصل إلى سمو ولي العهد، تقدم عبيد الله البرقاوي أحد الحارسين الخصوصيين لجلالة الملك فأطلق بندقيته على المجرم الأول قبل أن يتمكن من ارتكاب جنایات أخرى فخر صريعاً عند مدخل حجر إسماعيل.

أما المجرم الثاني فإنه تقدم مشهراً خنجره، وكاد أن يطعن سعوداً طعنة نجلاء، وإذا قد بدره الحارس لسموه برمية من بندقيته فأردته قتيلاً في الوقت الذي لامس

خنجره أسفل الكتف اليسرى للأمير سعود، فلم تحدث لقوة المبادرة سوى خدش بسيط والله الحمد.

وحينما رأى المجرم الثالث ما حل برفيقه، وكان قد خرج من مخرج المجرم الثاني، واستدار من جهة الركن اليماني، أطلق رجله للريح قاصداً النجاة بنفسه فصرعه رصاص الشرطة والحرس الملكي فسقط على الأرض وهو ينازع، وظل على قيد الحياة ما يقرب من ساعة، تمكن المحققون في أثنائها من معرفة اسمه، وهو علي، ولم يمكن أن يعرف عن الجناة ساعة الحادثة ما يدل على شأنهم إلا أن ملابسهم وخنجرهم تدل على أنهم من الزيود اليمانيين، وتتراوح أعمارهم بين ٣٥ و٤٥ سنة.

ثم إن جلالة الملك وولي عهده أتما مناسكهما وعادا إلى منى في خير وعافية، وجلسا للوفود والمهتئين، وفي هذه الأثناء قام مدير الأمن العام مهدي بك مدير العسكر وأخطر بالأمر في منى، وحضر على رأس قوة كافية من الشرطة، وشرع في إجراء التحريات والتحقيقات لمعرفة شخصية الجناة والتحقيق عن الأسباب الدافعة لهم على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء وسط بيت الله الحرام، وبقرب الكعبة الشريفة في ذلك اليوم العظيم المبارك، وبث عيونه وأرصاده بين حجاج اليمن الذين ثبت أن الجناة منهم، وما كاد الشعب السعودي يعلم أن الجناة من الزيود اليمانيين حتى اشتد غضبه على الجناة المفسدين لولا أن تدارك ابن سعود الأمر بحكمته وأصدر أمره الكريم إلى قواد جنده بالاهتمام بصيانة أرواح الحجاج من الاعتداء، واتخاذ كافة التدابير التي تقضي على كل من يحدث أي تشويش على الحجاج، فكف الناس احتراماً للأمر وطاعة له على مضض، إلا أن السخط بلغ منهم مبلغاً لا حد له وثار الحجاج المصريون يهتفون بحياة الملك ونجله، وتنادوا بالانتقام من المعتدين، لأن الجناة الزيدية ارتكبوا أشنع الجرائم في أقدس مكان، وأرادوا الانتقام على زعيم العرب، وعلى ولي العهد المحبوب، وشاركهم كل الحجاج، فشكرهم جلالة الملك على شعورهم النبيل.

ولما أن قام مدير الأمن العام مهدي بك في إجراء التحريات والتحقيقات، توصل قبل كل شيء إلى معرفة ثلاثة من الزيود كانوا يقيمون دون سائر جماعتهم الزيود عند امرأة في جبل أبي قبيس، فهاجم دار المرأة وسئلت عن نزلاتها فقالت إنهم متغيبون من يوم الواقعة، ولم يحضروا بعد، فقامت القوة وفتشت غرفتهم التي كانوا فيها فعثر على ملابسهم وفيها جوازات باسم ثلاثة أشخاص وهم هؤلاء: النقيب «علي بن علي حزام الحاضري»: مستخدم في الجيش اليماني المتوكلي ورقم جوازه ٩٨ تاريخ ١ شوال ١٣٥٣هـ وهو صادر من مأمور الجوازات ومصدق عليه من عامل صنعاء، و«صالح بن علي الحاضري»: شقيق الأول جوازه رقم ٣٤ بتاريخ شوال ١٣٥٣هـ وحرقة المذكور مزارع، والجواز صادر من مأمور الجوازات ومصدق عليه من عامل صنعاء، و«مسعد بن علي مسعد»: من حجر برقم ٦٣ تاريخ ٥ ذي القعدة ١٣٥٣هـ والجواز صادر من أمير الحج اليماني السيد محمد فخان وصاحبه عسكري في الجيش اليماني المتوكلي.

ولذا عرضت جثث القتلى على المرأة التي كانوا في دارها فعرفت أحدهم اسمه صالحاً، وميزت ملابس الاثنين الآخرين نظراً لتغير الوجه في الاثنين المذكورين، وذكرت: أن أخت مطوف الشوافع أسكتهم عندها، ولدى التحقيق مع هذه صادقت على أقوال الأولى، وقد أجرى مدير الشرطة العام التحقيق من جهة أخرى مع شيخ اليمانيين بجدة، فاعترف بأنه أعطى ورقة التصريح للسفر من جدة باسم مبخوت، وذلك بواسطة أخيه علي بن علي مبخوت الفران بجدة، وقد استجلب هذا وحقق معه وعرضت عليه جثث القتلى وصورهم الفوتوغرافية، فعرفهم واحداً واحداً، وذكر أن أحدهم مبخوت بن مبخوت الحاضري هو شقيقه بينما الاثنين الآخران هما صالح بن علي وعلي بن الحاضري، وكلاهما شقيقان، وشهد هذا الفران بأنه اجتمع مع أخيه بجدة وبات أخوه عنده ثم حضر معه إلى مكة وبات مع أخيه والاثنين الآخرين من الجناة في جبل أبي قبيس وهو ذهب إلى عرفات، أما الثلاثة فإنهم تأخروا في مكة ولم يحجوا، ولم يجتمع بهم إلا يوم العيد في الطواف،

وبعد الطواف ذهب هو إلى مقام إبراهيم بينما الثلاثة ذهبوا ومكثوا في داخل حجر إسماعيل، وقد عفى جلالة الملك عن الفران وأطلق سراحه.

ولما سأل الصحفيون جلالة الملك عن هذا الحادث المشؤوم وأثره في نفسه أجاب بقوله: إن الذين أقدموا على هذا العمل قوم ليس فيهم دين يمنعهم، وأنا شخص ليس يهمني إلا إقامة كلمة التوحيد والمحافظة على ما بيدي، والحافظ هو الله، ولما وقع وقدر الله من فضله وعنايته النجاة لم يكن همي غير المحافظة على الحجاج، ومنع تسرب أخبار الحادث إلى خارج الحرم، فأمرت بإغلاق أبواب الحرم ومنع سفك الدماء، وأتممت الطواف وخرجنا عائدين إلى منى.

وقد سأله الصحفيون هل كان يظن بأحد مثل يحيى أو ابنه أحمد؟ فأجاب بأنه لا يأخذ بالإشاعات وأقوال الناس، ثم قال: والله إن هذا الحادث الذي وقع في الحرم وقر في نفسي وأنا في عرفات وكأني أشعر به، ولكن قلت في نفسي إن سيكفيني الله هذا الشر، وكنت أحدث نفسي كيف يمكن القبض على الجاني إذا تغلغل بين الناس، وبعد أن نزلت من عرفات كان الله قد أنساني ذلك الذي وقر في نفسي، ونحن مالنا في شيء من أعمالنا إلا الاعتماد على الله.

ولما سئل عن تأثر أهل مصر من هذا الحادث شكر لهم ثم قال: إنا لنشكر الله سبحانه وتعالى على ما أولانا من نعمائه، ثم نشكر وفود بيت الله الحرام والشعب على هذه العواطف النبيلة التي تجلت بمناسبة الحادث، إن الله قد جعل هذا البيت آمناً للناس، والحجاج هم ضيوف الله وإخواننا، فمن واجبنا أن نعنى براحتهم لئتمكنوا من أداء مناسكهم، وقد من الله علينا بأن ساد الهدوء في جميع أنحاء المملكة، وقد لعب الشيطان في رؤوس بعض الناس فحاولوا تعكير صفو الأمن وتعطيل شعائر الله في بيت الله، ولكن الله عز وجل الحافظ لدينه قد رد كيدهم في نحورهم فأبطل دسائسهم ووقى المسلمين فتنهم، وسيلقى المجرمون جزاء ما صنعت أيديهم إن شاء الله تعالى، الناس يبلوننا والله يعيننا عليهم، أنا لا يهمني شخصي ولا أسرتي ولا أولادي، أنا

لا يهمني إلا نصرة الدين الحنيف، وأن يجعل الله كلمته هي العليا وأن يؤيد المسلمين ويعززهم في الدنيا والآخرة.

أما أولئك الذين في قلوبهم مرض فسيكفيناه الله شر ما صنعوا هداانا الله وإياكم إلى السبيل القويم.

وقد دوت أسلاك البرق بنجر ذلك الحادث واشتغلت الصحف على اختلافها وتغاير أجناسها ولغاتها، وتباين مبادئها باستنكار الفعلة نداء لواجب الضمير، نداء لواجب الحق لا أقل ولا أكثر، فانهالت مئات البرقيات على الديوان الملكي بالتهتة على سلامة جلالة الملك المعظم من تلك المكيدة المدبرة، وباح الشعراء والخطباء بالقصيد والخطب والنشيد، وأحسن ما قيل في الموضوع ما ألقاه الشاعر الزركلي في قصيدة، من أبياتها:

| | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| ضل الجناة سبيل النيل من ملك | لولا ما صين بيت الله والحرم |
| عبد العزيز الإمام الحق تكلؤه | عين من الله لا جند ولا جشم |
| البغي والكيد مدا حوله شركاً | فكان في شرك الجانين حتفهم |
| سلت يد البغي نصلاً دون طعته | جبريل يرغي وميكائيل يحتدم |
| وقى سعود فتى الفتيان خير أب | فرد لها طعنة نجلاء تخترم |
| وقال بابنك إن كان الفداء فدا | هذي يدي وزنادي القزم لا الضرم |
| تناول الفاتك الجياش يرفعه | كالصخر بالزبد الهدار مصطدم |
| لولا الإناءة ولولا الحلم لانعقدت | سحابة النقع وانهلت دماً ديم |

وقال الشاعر الفصيح أحمد بن إبراهيم الغزاوي شاعر جلالة الملك:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| أبى الله إلا أن يتم ضيائه | ويرفع للدين الحنيف لواءه |
| ويحفظ في عبد العزيز وشبهه | على رغم كيد الخائنين بناءه |
| فإن عظمت يوم الإفاضة كربة | وخف لها التوحيد يحمي ذمائه |

وروع فيه المسلمون جميعهم
فقد لطف الله العزيز بعبده
وكمل حج المؤمنين وصانهم
وراحوا وقد نجى الإله وليه
وقد وعد الله المطيع بنصره
ودافع عنه بالكتاب ولم يزل
وأقسم لو أن الأخشب زلزلت
لما كان من تأثيره في قلوبنا
فقرت بما استلهمت أركان بيته
ولو أننا نهوي إلى الله سجداً
فقد سلمت فيك الجزيرة كلها
وكم حادث يبدو لأول وهلة

بثالثة كادت⁽¹⁾ تريق دماءه
وأنفذ في قلب العدو قضاءه
من الشر واستبقى عليهم هناءه
يطيلون بالشكر العميم نداءه
وخوَّله أجر التقى وحباءه
يحقق للإسلام فيه رجاءه
وماد ثبير أو شهدنا انكفاءه
كرجفة غاو قد فريت حشاءه
وقد كاد يعدو للقصاص وراءه
مدى الدهر شكراً لم نؤد ثناءه
ودين الهدى منذ استجبت دعاءه
كريبهاً ويمجد الله فيك صفاءه

إلى آخرها، ولا يمكن استقصاء بقية القصائد، فلو أتينا بها لضاق
الوسع، ولا بدع ولا غرو إذ يجري ذلك الاستنكار، ويجري من سكان
الجزيرة كمال السرور والهناء بسلامة زعيم العرب وباعث مجدها والساعي
في رفعة شأنها.

ذكر تنصل اليمن من الحادث

أما الإمام يحيى فقد أبرق يهنئ بالسلامة مستنكراً هذا الحادث، ساخطاً على
مرتكبيه، مستنزلاً اللعنة على الباغين الملاحدين بظلم في الحرم الشريف، وتبرأ من
هذا الحادث بكل ما يطيق من البراءة براءة الذئب من دم ولد يعقوب، وأقسم بالله
أنه من حين بلغ بالحادث من جلالته لم يستقر له قرار، وجعل ينفض يديه على حد

(1) قوله بثالثة إشارة إلى حادثة أبي لؤلؤة وابن ملجم الخاسرين، الأول قاتل عمر، والثاني قاتل علي.

تعبيره أن قلبه يتقطع أسأ وكمدأ، وأبرق إلى ابن الوزير الذي كان بمكة حاجاً في هذه السنة يأمره أن يضع نفسه تحت تصرف أخيه الملك ابن سعود، ويمثل أوامره ويجد في البحث حتى يصل إلى الحقيقة، وقامت حكومة اليمن لما علمت بأن المعتدين باسم يمانية، فألفت لجنة خاصة بتحقيقات واسعة النطاق، وأفادت بأن علي بن علي الحاضري كان ضابطاً صغيراً في الجيش المتوكلي، وقد استأذن تلك السنة لأداء فريضة الحج، أما صالح بن علي الحاضري فقد كان متغيباً في خارج القطر ثم عاد في تلك السنة وحث أخاه التقدم على الحج، كما أن مبخوت بن مبخوت كان مستخدماً في الجيش المتوكلي وقد سافر إلى الحج بدون رخصة، فبعد هارباً وتقع التهمة على صالح بن علي بصفته متغيباً زمناً طويلاً، ثم عاد وشوق الاثنين إلى الحج، كما أن محمد راغب وزير خارجية اليمن بعث بريقة إلى وكيل وزير خارجية المملكة العربية السعودية يقسم فيها بالله ثلاثاً بالبراءة التامة من الحادث والجهل به، كذلك بعث عبدالله بن يحيى جواباً يقسم فيه بالله أن أباه وأخوته يبرؤون إلى الله من هذا الحادث الذي لا يقدم عليه إلا من فقد إنسانيته.

ومهما كانت الأحوال فإن المجرمين كانوا من أهل اليمن، بل ومن رجال الجيش، ويتطرق إلى الأوهام أنه بتدبير سيف الإسلام أحمد بن يحيى، كذا يذكره بأنه على اتصال برجال حزب الأحرار الحجازي، أو يكون بتدبير حسين الدباغ الذي بعثه أمير الأردن عبدالله بن الحسين إلى اليمن يسعى بالفساد.

وفيها في ابتداء المحرم سافر مهندس الكهرباء إسماعيل الذبيح لاستلام ماكينة كهرباء أهداها رجل من أهل الهند اسم سر محمد خان نواب بهادر رئيس أعظم بهيكم، أهداها للمسجد الحرام بأدواتها، وكانت ماكينة عظيمة تحتوي على قوة اثنين وخمسين حصاناً، ولها دينامو قوة ٢٢٠ فولت ٣٤ كيلوات تضيء ألف لمبة، فسافر المهندس من مكة إلى الهند وأقام بالهند بضعة أشهر لأجل أن يقف على تركيب أدواتها، وقدم بها في أوائل شهر ذي القعدة من هذه السنة يصحبها ما أهدها أهل الفضل من الهنود من أهالي كانفور، ولكنو، وكراتشي للمسجد الحرام من أسلاك

ولمبات وثریات، وثمانية كشافات كهرباء قوة كل لمبة ألف وخمسمائة شمعة، ولا شك أن هذا عمل طيب، نسأل الله القبول والإثابة.

ثم دخلت سنة ١٣٥٤هـ

ففيها استقر القضاء والمرشدون والأئمة الذين بعثهم ابن سعود إلى جيزان وأبها ونجران وصبيا وصامطة وأبو عريش وفراسان ومحليل وبارق وفيفاء والبرك وغيرها، وقاموا ينشرون دعوتهم إلى الله عز وجل، وينهون عن المنكر الذي وجدوا أهالي تلك المقاطعات عليه من السحر وعبادة الأوثان والسلخ الذي اعتادوه، وكانوا إذا كسف القمر أشعلوا نيراناً عظيمة ظناً منهم بأن القمر يضل منازلهم فيضيئون له، وكانت النساء سافرات الوجوه مع الرجال، مختلطات ومتمزجات، فحصل بسبب هذه الخلطة مفاسد كثيرة حتى قام الدعاة بإبطال ذلك.

أما السلخ المذكور فكانوا قد اعتادوا من خرافاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان أنه إذا أوشك المراهق على البلوغ رفع على دكة أو موضع عالٍ لختانه، وسلخ ذكره إلى سترته وما حوالي ذلك بزعمهم لأن لا يثبت الشعر على ذلك الموضع، عادة سلكوها وطريقة ضلوا فيها ما أنزل الله بها من سلطان، فإذا رفع ذلك المختون ودعي إليه الختان الذي أعد عدته للسلخ حضر أقرباؤه وعصبته وذو رحمه، فيقوم المسلوخ وقت السلخ قد انتضى سيفه، وكذا سائر أقربائه، ويؤتى بزوجه التي سيعقد له عليها فتجلس أمامه، تقوم الأسرة تشجعه على الصبر وعدم الاستكانة لذلك، ومن عاداتهم أنه لو يجبن أو يبكي أو يتأثر لهذا العمل فإن زوجته لا تقبل زواجه، وقد دأب جلالة الملك الراحل في إزالة هذه البدع حتى قضى عليها، فأخر عمل عمله ضد هذا السلخ أن قطع أيادي من لم ينزجر عن السلخ حتى ارتدعوا عن ذلك، فعياً بالله من الجهل وغرور الشيطان، إن الشريعة المحمدية جاءت بمشروعية الختان، وهو أن تؤخذ جلدة الحشفة لا غير، والواجب علينا أن ننقيد بالسنة ونحافظ عليها، وأن لا نلتفت إلى ما اخترعه الأغيار، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ذكر إمارة عبدالله بن فيصل في بريدة ١٣٥٤هـ

لما كان في هذه السنة عزل جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن عن إمارة بريدة مبارك بن مبيريك، وجعل مكانه عبدالله بن فيصل بن فرحان من آل سعود، وكان شاباً عاقلاً، ولما أن قدم بسيارته إلى المدينة ذهب مبادراً بالسلام على القاضي عمر بن محمد بن سليم في بيته، وسعى إلى الملأ من الأهالي في بيوتهم، وكان قدومه في منتصف السنة يصحبه أهله، وفي صحبته أخوه الأمير فهد بن فيصل، وكان رجلاً حازماً مؤازراً لأخيه، وقد قام لذلك الأمر الأمير الكبير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي أمير ناحية الجبل يؤطد المسألة، واستقر الأمير عبدالله في إمارة بريدة، وكان في مبتدأ الإمارة له تدابير حسنة، وسياسة جميلة، ولبث في الإمارة اثنتي عشرة سنة.

وفيها في ٩ رجب وفاة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي قدس الله روحه ونور مرقدته وضريحه، وهذه ترجمته:

هو العالم العلامة الفاضل الزكي البارع في العلم والمعرفة، محمد بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن سليمان البقمي الأزدي من أزد شنوءة، وقد اشتهر بلقبه، ولد في بلدة البكيرية سنة ١٣١٣هـ، ونشأ فيها، وفي السنة الثالثة من عمره أصابه الجدري فذهب بصره بسببه، وقرأ القرآن وحفظه وله من العمر ١٤ سنة على يد الشيخ محمد بن علي بن محمود، ثم تلقى مبادئ العلوم على يد الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم في البكيرية، ثم إنه رحل إلى الرياض لطلب العلم، فأخذ عن علماء وقته في الرياض عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ عبدالله بن راشد، وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس، وعن الشيخ محمد بن عبداللطيف وغيرهم من آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ عبدالله بن سليمان آل بليهد.

أما الذين أخذوا عنه العلم فمنهم: الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل، وأخذ عنه

الشيخ إبراهيم بن راشد الحديثي، وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن سبيل، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن المقوشي، وأخذ عنه الشيخ محمد بن صالح الخزيم، وأخذ عنه أيضاً الشيخ سليمان بن صالح الخزيم، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الخضير، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن سليمان السديس، والشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز الخضير، وهؤلاء من أبناء وطنه، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل، وأخذ عنه عدد كثير، وكان رحمه الله عالماً ورعاً حسن السيرة، دمث الأخلاق، سخياً كريماً ومشهوراً بعلم الأدب، وله في علم العروض اليد الطولى، وله قصائد مشهور، فمنها قصيدته في فتح مكة المشرفة، وتهنئة الفاتح قال في معرض أبياتها:

وقد مرضت من فعل طاغٍ وناكب
معندمة الخدين أجمل كاعب
لأجلك يابن الأمجدين الأطائب
وطهر حماها من جميع المعائب
تنل من إله العرش أسنى المطالب
فقير الأيادي شكر مسدى المواهب

فأم القرى تدعوك قد مسها الضنا
أتك تجر الذيل هيفاً مليحةً
وقد عزفت عن كل بعلٍ وخاطبٍ
فهبي لها مهراً من البر والتقوى
وحكم بها شرع الإله ودينه
فكن شاكرًا لله جل جلاله

إلى أن قال:

على المنهج المختار ختم الأطائب
تقدس عن ندي مقول لكاذب
إلى أن يكون الدين خالي الشوائب
وندعو لحج البيت لا فعل كاذب
سنسقيه كأساً من سموم العقارب
إلى أن يرى للدين أول لاحب
وكل النواحي عجمها والأعارب
لبيض وفرسانٍ وجرد شوارب

فإننا بحمد الله لا رب غيره
فلا ندع غير الله جل جلاله
وندعو إلى التوحيد سرّاً وجهرةً
ونأمر بالتقوى وننهى عن الردى
ومن صد عن ذا أو تمرد واعتدى
ونلقمه صخراً ونشدخ رأسه
وقل للعدى في كل قطرٍ وجانبٍ
أنبيوا وإلا فاستعدوا واجمعوا

جنود تريكهم في ضيا الشمس ظلمةً
إذا ما غزوا بالجيش خلق فوقهم
ترى البيض فيها كالنجوم الثواقب
عصائب طير تهدي بعصائب

إلى آخرها، ومنها قصيدة في الرد على فتى البطحاء، وتقدم نزر يسير منها، وهي طويلة، وقد قدمنا له أيضاً، وقد تولى القضاء وله من العمر ٢٣ سنة في هجرة سنم المشهورة للعصمة من أعمال العرض، ونقل إلى قضاء الغطفط، وقد حضر عدداً من الفتوحات للحجاز ثم جعل مدرساً في المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة مع التدريس في تلك الجهات، وكان من أشهر رجال العلم والدين والأدب والأخلاق الطيبة، ثم تولى القضاء في تربة ثم نقل إلى قضاء شقراء، وبها توفي وله من العمر أربعون سنة، وقد خلف ستة بنين، واهتم لوفاته صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بعد جهود بذلها لعلاجها، وقد رثاه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل بهذه القصيدة:

نرضى بما قدر الرحمن مولانا
والحمد لله حمد الصابرين على
إلا فأناله ماضٍ تصرفه
قضى وقدر أن الموت دائرة
فأين عادّ وكسرى وابن ذي يزن
لم يمنع الموت عنهم حاجبون ولم
بل أين صفوة خلق الله قاطبة
تجرع الكل كأس الموت وانتقلوا
فتلك موعظةً لأنفسٍ فجعت
على تقيٍ نقى عالم علم
هو الذي حمدت في الناس سيرته
أكرم به من فتى ما كان أكرمه
ساع إلى الذكر والخيرات متبعاً

وما يكون وما من أمره كان
أقدار ذي العرش تسليماً وإيماناً
فينا لعمري إلا إليه رجعاناً
كؤوسه في الورى لم تبق إنساناً
ومن يؤأزرهم ومن لهم عانا
يبقُ البلى لهم صياحاً وإيوانا
وأرجح الناس عند الله ميزانا
عن هذه الدار شيباناً وشباناً
أضحت وقد لقيت همأً وأحزاناً
شيخٌ ذكيٌ حييٌ حاز عرفانا
محمد شيخنا الشاوي ابن عثمانا
جوداً ومجداً وأخلاقاً وإيماناً
داع إلى الله إسراراً وإعلاناً

لكل ذي ثقة صفت مودته
وواصل مع بر الوالدين ولم
من الدعاة الأولى للدين قد نصرُوا
نالوا من الفقه والتوحيد مع أدبٍ
ففاق في الفقه والتوحيد مع أدب
فذكره يغني عن عدي مناقبه
يا لهف نفسي ويا حزناء يا أسفي
قد كان لي والدًا بالنصح ينصح لي
فعيني رؤيته وسمعي نغمته
فما حمام على أيك مرزوءة
يدلكن بالأرض أكباداً مليعة
يندبن فرحاً من الأفراخ ذا زغبٍ
تخطفته من العقبان جارحة
يوماً بأحزن مني حين غيبه
فالله يسقي ضريحاً حله ديماً
يا رب أبق لنا أشياخ ملتناً
أعلام حق نجوم المجد ثاقبة
تنفع بهم طالباً للعلم مجتهداً
ثم الصلاة على الهادي بسنته
والتابعين لهم ما قال قائلنا

ما شابها كدرٌ أو شائنٌ شأننا
يضمّر لإخوانه حقداً وأضغانا
وهدموا من بناء الشرك أوثاننا
كانوا وربّي لهذا الدين أركان
والحفظ والفهم للمعلوم أقراننا
كفى بذلك عما قلت برهاناً
على فتى فاضلٍ أضحى وقد بانا
حانٍ على رقيق القلب حنانا
وكفني راحتته يبكين فقداننا
مرجعات بطول الدهر أشجانا
يسبلن دمعاً كسفح المزن هتاننا
لا يستطيع مع الأطيّار طيراننا
وما به قصدت رحماً وإحساننا
لحدّ وسُرْبِلَ بعد النزع أكفاننا
من سحب عفو ويرضى عن رضواننا
للدين والعلم والإسلام أزماننا
أفق الهداية من أنوارهم زاننا
وتهدي ذا حيرة وترم شيطاننا
والصحب والآل من بدينه داننا
نرضى بما قدر الرحمن مولانا

ومن توفي فيها من الأعيان أيضاً الشيخ النقي الأديب الفاضل محمد بن
عبدالله آل خنين رحمه الله تعالى وعفا عنه، وكان تقياً ورعاً زاهداً، وقد طلبت من
أخيه لأمه الشيخ الفاضل راشد بن صالح بن خنين أن يجود علينا بترجمة أخيه
عبدالله، فبعث إلي بهذه الترجمة التي سأجعلها على سبك تأليفنا:

هو الشيخ الورع الزاهد التقى الفاهم النبيه محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن خنين العائذي القحطاني من عبيدة قحطان، ولد في بلد الدلم من الخرج في العام الثامن والعشرين بعد الثلاثمائة والألف تقريباً، وقرأ القرآن في باكورة عمره، وحفظه عن ظهر قلب، ولما أن كان عمره نحو تسع سنوات توفي والده، فبقي المترجم في حضانة أمه، وبعد مضي فترة من الزمن تزوجت والدته بصالح بن خنين، فوهب الله لها منه راشد بن صالح، وكانت قارئة للقرآن كثيرة الخوف من الله تعالى، مع ما جلبت عليه من السخاء وجودة الرأي فأحسنت تربية ابنها محمد وتوجيهه، وكانت تجود بما تقدر عليه من الإحسان إلى المعلم، وتحرضه على ملاحظة ابنها وتشجيعه، وتحذره من ضربه، وتشتري عليه أن يكون ابنها بجانبه ليهاب ويحنت العيب، فكان من حسن تلك التربية أن نشأ الابن على حالة جميلة، وهكذا كانت حالتها في تربيتها لابنها راشد، فبقي المترجم بعد حفظه القرآن يتذاكر مع بعض طلبة العلم في وطنه، حتى عين الشيخ العلامة الفقيه عبدالرحمن بن عبدالله بن سالم قاضياً بالدلم، فدرس عليه في التوحيد، والفقه والحديث، ولازمه كثيراً حتى نبغ من بين أقرانه، وكان شيخه المذكور يحله ويقدره لما يرى من أكابره على الطلب وعظمة اجتهاده، ولما يتخايله فيه من الذكاء وحسن السلوك، ثم إنه غادر بلده إلى الرياض فدرس بها على شيخنا علامة المملكة العربية السعودية ومفتيها ورئيس قضاتها الشيخ محمد بن إبراهيم، فقرأ عليه في التوحيد والعقائد والفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، والنحو، وكان من زملائه حال دراسته عليه جماعة من المشايخ من بينهم الشيخ الفاضل عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالله بن حميد، والشيخ عبدالله بن يوسف، والشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش وغيرهم.

وكان المترجم رحمه الله موضع الثقة والتقدير عند شيخه وزملائه لذكائه وتواضعه وحسن خلقه، ولما أن كان في أثناء عام ١٣٥٣هـ عين قاضياً لبلد الحريق، فعظم عليه ذلك واشتد خوفه وقلقه، وطال بكاؤه، وذلك لورعه وخوفه، وحاول الخلاص واجتهد في طلب العافية من القضاة، فأصرّ ولاية أمره على إلزامه بهذه

الرتبة، وإن كان لها كارهاً عفى الله عنهم، فسافر مكرهاً وقدم على أهله في الدلم البلد المعروف في الخرج، لأنه لم يتمكن من المخالفة، وأقام بين أقاربه وعجبيه محفواً بالإكرام والاحتشام، وجعل يواصل الإرشاد والوعظ بالمسجد الأوسط بالدلم، وكان كثيراً ما يقول: «اللهم رد بي خيراً» ولما كان في شهر ذي القعدة من تلك السنة عزم على الذهاب إلى بلد الحريق مكرهاً وهو بغاية الخوف، وواعد الجمالة وأعد الأثاث للنقل، وفي صبيحة يوم الجمعة الموافق لليوم الأول من شهر محرم ١٣٥٤، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة، وقد خرج مع جنازته الجم الغفير، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته، وكان يقول لوالدته وهو في مرضه ابنك هذا الضعيف سيولى على الآلاف من الرجال والنساء والصبيان، وهذا عما دل على ورعه وشدة تخوفه من تولي القضاء، وخطر منصبه وإنني لأرجو أن يكون ممن قال الله فيهم: ولمن خاف مقام ربه جنتان، هذا وقد كانت حالته تحزن وتبعث الأسى والترحم، قال الشيخ راشد: وكنت حال وفاته صغير السن ولكني عند كتابتي لهذه الترجمة أثارت ذكرياته رحمه الله شيئاً في نفسي فقلت هذه الأبيات الآتية:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| كل الخلائق للفناء مصيرهم | والكل يجزي في المعاد بكسبه |
| ما في الحياة غلڈ لو كان ذا | ما مات أفضل ناصح ومنبه |
| إنني أعزي النفس في فقد الذي | جمع الزهادة والتقى أكرم به |
| طلب العلوم فناها بتفوق | وقلى المناصب خشية من ربه |
| برح الرياض مفارقاً أقرانه | والخوف يسكن في قرارة قلبه |
| علم الكريم بصدقه فأجابه | ومضى محمد راغباً في قربه |
| رحم الإله محمداً وأثابه | بالأمن من غضب الإله وحربه |
| يا رب وامن بالثبات على الهدى | واسلك بنا نهج النبي وصحبه |

وعندما تم لابن سعود القضاء على جميع الثورات رغب أنصار ابن سعود وعلى رأسهم إبراهيم بن معمر الوزير المفوض للملكة العربية السعودية في بغداد أن ينضم تحت لواء ابن سعود الذين شردوا من الحجاز كطاهر الدباغ،

وعبدالرؤوف الصبان، ومحمد عبدالله صادق، وعبدالحמיד الخطيب، ومحمد الطويل، وعبدالوهاب قزاز، وعبدالقادر غزاوي، فأصدر صاحب الجلالة مرسوماً ملكياً رقم ١٩/١/٢٣ :

نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بعد الاعتماد على الله:

نظراً لرغبتنا في أن يكون جميع أبناء شعبنا متكاتفين متعاضدين على ما فيه خدمة وطنهم وأمتهم، ونظراً لزوال الأسباب التي أوجبت في السابق وضع بعض القيود والتوقيعات ضد أبناء هذه البلاد من رعايانا المقيمين في الخارج من منعهم من العودة إلى البلاد والإقامة فيها، فإننا نأمر بما يأتي:

المادة الأولى: تلغى التدابير المتخذة ضد بعض رعايانا الممنوعين من دخول البلاد والإقامة فيها والعودة إليها، ويسمح لمن أراد العودة منهم بالدخول والإقامة إذا قام بالشروط الموضوعة لذلك.

المادة الثانية: على من أراد أن يشملته العفو الممنوح بالمادة الأولى أن يراجع الحكومة بذلك رأساً أو بواسطة ممثليها في الخارج لأجل إتمام المعاملة اللازمة لذلك.

المادة الثالثة: على وزيرى الداخلية والخارجية إنفاذ مفعول أمرنا هذا.

صدر في اليوم ٧ من شهر شوال سنة ١٣٥٣هـ

فبادر بالعودة إلى الحجاز كل من الشيخ محمد الطويل، وعبدالوهاب قزاز، وعبدالقادر غزاوي، فشمّل ابن سعود رئيس الحزب محمد الطويل بعطفه وأكرم مثواه وعينه ناظراً لعموم الجمارك، وأقطعه أراضى زراعية واسعة، وعين الثاني رئيساً لنقابة السيارات، وإنما أصدر جلالة الملك عبدالعزيز مرسوماً ملكياً فيه العفو عنهم، والسماح لهم بدخول المملكة إظهاراً لحلمه ولتمام دهائه، وغوره في السياسة إغاظه للأعداء، ولعل أن يكونوا كولي حميم، وكان قدومهم في هذه السنة فقدّموا وذهبوا إلى الرياض لمقابلة الملك، وكانوا على وجل شديد خشية أن ينكل بهم،

فاكرمهم غاية الإكرام وجعلهم في الوظائف الضخمة قائلاً لهم: عفوت عنكم عن الماضي، فعاهدوا على الإخلاص، وقاموا في الدعاء والمديح والثناء على جلالته، وجعلوا يخطبون أمامه ويعتذرون بكل ما يستطيعونه، وصدقوا معه وأخلصوا وسعدوا.

وفيها تم تركيب الماكينة المتقدمة ذكرها، وذلك في آخر شعبان، فأضيء بها المسجد الحرام في ابتداء شهر رمضان، وأصبح مدار المطاف من قوة نورها كأن الشمس لم تغب عنه، ووضعت الثريات الكهربائية أمام أبواب المسجد الحرام، وأمام المقامات، ووضع في مقابلة الحجر الأسود كشافة كهربائية بقوة ألف وخمسمائة شمعة، وقد ضبط النور الذي في عموم الأروقة والأبواب والمقامات والثريات وإدارة المطاف فبلغ تقدير إضاءته خمساً وثلاثين ألف شمعة، أما اللمبات فإنها تبلغ ألفاً وثلاثمائة لمبة على اختلاف حجمها وتفاوت قوتها، وزادت الإضاءة في المسجد الحرام قريباً من عشرين ضعفاً عما هي عليه زمن الدولة العثمانية، بل عما هي عليه من مدة عشرين سنة من حين ركب الكهرباء واللوكس.

ذكر عمارة المسجد الحرام ١٣٥٤هـ

فيها صدر أمر صاحب الجلالة السعودية الملك عبدالعزيز بإحضار عمال يصلحون جميع ما يلزم للمسجد الحرام من عمارة وإصلاح وتجديد كل ما يلزم تجديده من أبواب وطبواب وغير ذلك، وعهد بهذا الأمر إلى نجله فيصل، وكان ذلك في ١٢ شعبان، فأصلحت الأرض وفرش ما حوالي المطاف بالحجر الصوان والمماشي، ورصفت رصفاً جيداً متقناً، وأصلحت الحساوي وأرضية الأروقة، ورصفت وأزيل كلما كان قد خرب فيما قبل ذلك، ثم نقض جميع ما أسبخ من جص جدر المسجد الحرام، فأصلح وجصصت بالإسمنت والنورة لكي تمنع تسرب الرطوبة إلى الجدر المذكورة، وأصلح العقد الموالي لباب الصفا إصلاحاً تاماً، ورخم عموم المسجد الحرام من داخله وخارج الأبواب، وبيت زمزم، ورمت الشقوق

الواقعة في بعض قباب المسجد الحرام، وصبغت الأساطين والأبواب، وداخل الأروقة بالصبغ الأسود والأصفر والأحمر العنابي، وأساطين النحاس التي حوالي المطاف صبغت باللون الأخضر، ورأس كل اسطوانة منها ووسطها بلون الذهبي، وكذلك المقامات الأربعة جددت صباغها على حسب ما هي عليه سابقاً، وكذلك أصلح باب بني شية ونقشه بالأصبغة المناسبة، وكذلك له صبغ واجهة عموم أبواب المسجد الحرام، وباب بئر زمزم باللون المناسب لها، ثم أصلحت أبواب المسجد الحرام بالخشب القوي وإزالة ما بها كان من العطب والخراب، وكذلك أزيلت الأتربة الواقعة في حساوي المسجد الحرام، ونظفت وفرشت بالحصباء النقية، فبلغ ما أنفق على هذا العمل الصالح «١٢٤٨٣» ريالاً عربياً سعودياً، تفضل بنصف المبلغ المذكور صاحب الجلالة من بذله، والنصف الآخر من أوقاف الحرمين، ولقد كان الأولى أن يكون من مديرية الأوقاف صرف جميع ما يلزم، هذا هو ما جرت به العادة القديمة، ولكن لما حبست الأوقاف التي ترد من أهل الخير وكرماء المسلمين والأجواد الفضلاء المحتسين من الملوك والسلاطين، وأهل الإحسان في مشارق الأرض ومغاربها، وجارت عليها الأيدي الغاصبة، وحبس ذلك الربيع، وأكل وانقطع وروده أصبحت إدارة الأوقاف عاجزة عن القيام بهذه العمارة، واستمر العمل من ١٥ شعبان إلى ٢٤ شوال، فكان على غاية من السرعة، ولا يزال الإصلاح دائماً والله الحمد والعمل جارياً بهمة ونشاط على الدوام، نسأل الله تعالى أن يعمرها بطاعته.

وفيها شرع في عمارة مسجدين في جنوبي بريدة قام بعمارة أحدهما قاضي المقاطعة الشيخ عمر بن محمد بن سليم متبرعاً به من نفقته الخاصة، وقام بعمارة المسجد الثاني الواقع عنه غرباً رجل من آل بطين كان محباً للخير، ويعدّ من ذوي الثروة، وجعل هذا لمسجده ثلاثة بيوت: بيتاً للإمام، والثاني للمؤذن، والثالث لإصلاح بئر المسجد وحنفيات الوضوء، فجزى الله المحسنين خيراً، وكانا متجاورين وعمارتهما معاً.

وفاة الأمير عبدالله بن جلوي أمير الأحساء رحمه الله وعفا عنه

وهذه ترجمته:

هو الأمير الكبير العظيم الخطير، والعلم السامي الشهير الشجاع المقدام، والباسل الهمام، الذي رجفت هيئته القلوب، وكشف بصارمه غياهب الخطوب، أبو فهد عبدالله بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود آل مقرن، ولد في سنة ١٢٨٧هـ، وكان أحد النقباء الذين اختارهم صاحب الجلالة عبدالعزيز في أول ظهوره، فسطى المترجم حينما هجم على الرياض، وشوهد من الأمير عبدالله جراءة وبسالة تضحل دونها شجاعة الأبطال، وكان هو الذي أمسك عجلان، فأصبح موضع الثقة من ابن سعود بصفته ابن عمه وعضده الأشد في أول أمره، ويعده للنواب لما له من الصرامة والفتك الشديد، وكان يحصد الرؤوس حصداً تضرب به الأمثال، حتى أخاف المفسدين وأرعب المجرمين، وأمن المسافرين، أضف إلى ذلك عدلاً وإنصافاً، وقوة في الدين، وحباً لأهل الفضل، وناهيك بهذه الأوصاف التي يندر مثلها في سائر العالمين، ولما دخلت بريدة في ولاية ابن سعود للمرة الثانية وأخذ عنها تجربة لما كان أمراء آل مهنا عليه من الخلاف، وكثرة التمرد، جعل عليها عبدالله بن جلوي لما يعرفه عنه من المقدرة والصلاحية التي تؤهله لعلو المناصب، ولما أن قدمها وجد الأهالي يعانون التعب والمشقة لحفظ أموالهم، فمنع النظارة وأعلن للأمة أن من سرق له شيء فليأتي إليه، فهابته الأمة وسكنت المتحركات، وأمنت السبل.

ولما استولى صاحب الجلالة على مقاطعة الأحساء والقطيف، ورأى أهل تلك النواحي عتاة قساة نقله من إمارة مقاطعة القصيم وجعله في الإحساء، ورماهم بهذا الأسد في برائه، وقد خلد في إمارة القصيم آثاراً لا تنسى إلى آخر الدهر، فمن ذلك: أن رجلاً سبَّ عنده أهالي القصيم ليتزلف بذلك لديه، فلما قام من عنده بعث إليه رسولاً وقال له: إن الأمير يقسم بالله لأن عاد إلى تلك المسبة

لأقتلنه، وهو على وسادته في بيته، وكان رحمه الله له يد شديدة يضرب بها المثل في طول الجزيرة وعرضها، فلا يذكر اسمه أمام البدوي إلا ويضطرب قلبه خوفاً ووجلاً، وهذا لعمر الله الأمر الذي يستقيم به الملك وترتدع الظلمة، وتهدأ الأحوال، وتستريح به البررة، وتصفد منه الفجرة، فمن يدخن يؤدب، ومن لا يصلي ييسط على الأرض ويضرب بالرطب من عسيب النخل، ومن يختلس أو ينهب فإنه يقطع، وأوامره تنفذ بسرعة ودون محاباة ولا تردد، وقد كان استتباب الأمن في الجزيرة أول مظهر هذا العدل الشديد القوي، فقد يسير المسافر وحده ومعه الأموال على الجمال لا يعرض له في طريقه أحد، ولا يسأله عن شأنه بدوي، بل كان المسافر يمشي وحده بأحمال الذهب والفضة ولا يخشى إلا الله، وقد كان منذ أعوام خلت لا يستطيع أحد أن يسير إلا في عصبة من الرجال ومعهم الحديد والسلاح، ثم لا يوفقون إلى السلامة، وما لم يكن هنا سطوة تخشى على البعد، وتجتنب لأجلها أسباب الريبة، والوقوع في المظالم، فلا بد من وقوع النهب والسلب والقتل، فحيا الله رجال العمل والإخلاص والعدل، الذين يدأبون في سبيل راحة الشعب وأمنه الذين يسعون في بناء مجد أمتهم ويسهرون لمصالحها وإشادة عزها، وما تقدم شعب إلا برجال من أبنائه يؤمنون الخائف، ويردعون الظالم، ويعدلون في القضية، ويحكمون بالسوية، ويتفقدون أحوال الرعية، فلا تحفظ الدماء والأموال والأعراض، وتصلح البلاد ويسود فيها الأمن والطمأنينة إلا بإقامة الحدود وقطع الأكف الأثيمة، وسد أفواه الذين لا يعرفون ما يدخلون فيها ولا ما يخرجون منها، فبذلك يكف عن العدوان وقتل النفوس البريئة وإثكال الأهالي وترميل النساء وإيتام الأطفال، وينقطع دابر الفساد وانتشار الفوضى، وإحداث القلاقل والاضطرابات.

ذكر شيء من صرامته وبطشه بالمجرمين

لما كانت أمراء بني أمية فيها الشجعان وأهل الصرامة والقوة والمقدرة «كزياد بن

أبيه» وابنه عبيدالله، والحجاج، وموسى بن نصير، والبطال، فلا ننسى ما لهذا الأمير من الشجاعة والجرأة والأخذ على أيدي العتاه والمفسدين، وإليك بعضها:

جاء ذات يوم إلى قصر جلالة الملك في الرياض بضعة رجال من بني مرة يطلبون عيشاً وكسوة، فكان لهم ما ييغون ثم ارتحلوا فمروا في طريقهم ببعض الأباغر ترعى فساقتها أمامهم نهياً وقهراً لأهلها، فشكى أهالي الأباغر إلى جلالة الملك عبدالعزيز، فبعث بنجاب يحمل الخبر إلى أمير الحساء عبدالله بن جلوي، فما وصل إليه الخبر حتى تحركت أسباب السعي في إحضارهم والبحث عن الأشياء اللصوص، فما هو إلى أربعة وعشرون ساعة حتى جاءوا بهم والأباغر المسروقة ومثلوا أمام عبدالله بن جلوي، فكان سؤال وجواب، ثم أمر بهم إلى الساحة، وساحة الإعدام شيء هائل فظيع يركعون فيها المذنب على ركبتيه ثم يرقص أمامه معاون الجلاد ليلهي عن السيف المرفوع فوق رأسه، ثم يكزه السيف وكزة سريعة يتحرك معها الرأس إلى الأمام فيتقلص عصب الرقبة فيضربها السيف إذ ذاك ضربة واحدة يطيح معها الرأس إلى الأرض، وفي ذلك اليوم لمع سيف الأمن لمعات ثمان في ساحة الهفوف فوقعت على الأرض ثمانية رؤوس من بني مرة.

وأتي إليه لص فأخبره أنه رأى كيس أرز قد سقط في موضع كذا، فقال له وما أدراك بأنه أرز؟ قال: حسسته بإبهام رجلي، فأمر به فقطعت رجله التي مسه بها. وسقط حمل بعير على الأرض وتعلقت الحبال به فما قدر أحد الدنو منه خشية أن يسرق فتكون التبعة عليه، وهلك البعير لما لم يكن صاحبه موجوداً.

وذهب العمال مرة لخرص الثمار وتزكية المواشي، فلما قربوا من بعض القبائل قام رجل من القبيلة وركب فرسه وجعل يتهدد ويتوعد العمال أن لا يزكوا، فأحجم العمال وكفوا خشية أن يكون ذلك عن ممالة من القبيلة كلها، فقام إلى العمال قبيلة الرجل وهم العجمان قائلين: اتركوه وجهه وزكوا الأموال فإنه رجل جاهل مسكين، ووقف العجمان يطالبون بالتزكية وليس من العدل أن تؤاخذ بجريمته، فقام العمال بشأنهم وزكوا الأموال ورجعوا يخبرون أمير الإحساء بما صدر

من الرجل الفارس، فبعث بالخال إليه وأتي به مقيداً بالحديد، وجاء العجمان على أثره ليشفعوا له، فأبى إلا أخذ فرسه منه، ولما سلبها بعث الرجل أسباباً يستجلبها، وكثرت الشفعاء لدى الأمير فتناوله إياه، وبعدما أخذ بلجامها مغنماً السلامة بعث معه برجل من رجاله وأوعز إليه بأن يشق بطنها ويقتلها.

وجاء إليه فلاح يشكو جمالاً بأنه أرسل بعيره وأكل ثمرة إحدى نخله، فدعى به إليه فأنكر ذلك، فقال: سنشق بطن البعير فإن كان البسر فيه فقد خسرت، وإن لم يكن كذلك فسيقوم صاحبك بغرامته، ففعل ووجد ذلك صحيحاً، وكان ثمرة ذلك أن أصبحت القوافل عن حديث هذا البطش الشديد والعدل السريع، تسير ثمانمائة ميل شرقاً وغرباً وثمانمائة ميل جنوباً وشمالاً في ملك ابن سعود ثم لا يتعرض لها أحد بخير ولا شر، ولقد كان المترجم من أشهر أمراء ابن سعود وأكبرهم همة، وأشدهم تعصباً للعدل، يجلس في كرسي القضاء والنظر في الجرائم وحده فلا تجلس معه الرحمة ولا المحابة، فيأمر بالقطع والنطع ولا ييالي، وكان اسمه يرعب المجرمين وذكره يثير الخوف في قلوب العالمين:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| فمن مثل عهد الله في الناس كلهم | له سطوة بين الورى في المشاغب |
| وكان لعمري آية في زمانه | وذا همة تسمو لعالي المناقب |
| له في التقى حظ وفي الحزم سورة | تظل لها صرعى رقاب الأجانب |
| وأهل الحمى تحشى بوادى بطشه | فكلاً ترى من حادثات النوائب |
| يقضي زماناً في المعيشة جاهداً | وليس له هم بفعل المعائب |
| يراقب ليشأ حامياً لعرينه | ثقيلاً على أهل الخنا ذا مخالب |
| له شيمة تأبى الدنيا وهمة | تسامى بها فوق النجوم الثواقب |
| فحدث عن الشهم الهمام فإنه | بذكر العلا أوصافه بالعجائب |
| لقد أمن الله البلاد بعدله | وسيفاً على الفجار عطب المضارب |
| أبى الله أن يرضى عزيز بخطه | تحوله غير العلا في المطالب |
| لأن كنت يا عبدالإله معظماً | بذكر سرى بين الورى والسياسب |

فقد كنت فخراً للعروبة كلها وردماً عظيماً هابه كل خائب
تغمذك الرحمن منه برحمة وعفو وغفران من الله ساكب
ونرجوا لك المن الجزيل برأفة تقيك من المولى شديد اللهائب

ثم دخلت سنة ١٣٥٥هـ

ففيها تمت عمارة مسجد الشيخ عمر بن سليم وعمارة مسجد أبي بطين جزاهما الله خيراً، وأخذت مدينة بريدة تمتد من جهاتها الأربع وتسير قدماً تريد أن تشق الطريق لسائر مدن القصيم، وأخذ حزب الأحرار القادمون إلى وطنهم يعرضون آراءهم ويمهدون سبيل تقدم المملكة لدى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ويعملون له بإخلاص، وأصبحوا بعدما كانوا الأعداء الألداء أبناءً كراماً تحت خدمة مليكهم، فعين صاحب الجلالة طاهر الدباغ مديراً للمعارف وأسند إليه إدارتها العامة، وأسند مديرية إحصاء النفوس العامة في المملكة إلى محمد عبدالله صادق، وعين عبدالرؤوف الصبان عضواً في مجلس الشورى، فبث أمير الأردن بكتاب إلى عبدالحميد الخطيب مستنكراً رجوع طاهر وأصحابه إلى الحجاز، وكيف جرى منهم ذلك، فأجابه الخطيب أن نعم وقد انحل حزب الأحرار وانضم إلى مليكه ابن سعود، لأنه عرف كيف يستميل خصومه، بينما أنكم لم تستطيعوا الاحتفاظ بأصدقائكم.

وفيها في يوم الثلاثاء ٧ صفر ولى أهل مصر الملك فاروق بن الملك فؤاد بن عظيم مصر الخديوي إسماعيل، وذلك في موافقة ٢٨ إبريل عام ١٩٣٦م، وتولى سلطاته الملكية في ٢١ جمادى الأولى من السنة القادمة الموافق ٢٩ يولية ١٣٣٧هـ، فخلف والده فؤاد الأول على عرش مصر، وهللت مصر لذلك واستبشرت بصفته إذ ذاك فخر شباب مصر ومثل مجدها الطارف والتلبد، وصفوة أخيار ملوكها الغر الميامين، ولد فاروق الأول بسراي عابدين بمصر يوم الأربعاء ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨هـ، وجعل الشعراء المصريون يمتدحونه ويهنئونه:

خشعت لفيض جلالك الأبصار
وتوسمت مصر العلا في طلعة
ملك تغار النيرات إذا بدا
ودت لو اشتملت بفضل ردايه
شتان بين النيرات ومن به
تهدى العيون بضوئهن؟ وضؤه
من حسنه اختلس الأصيل جماله
أنعم بما أوتيت واهناً شاكراً
لا زلت بالنصر المبين متوجاً

وقال أحمد الهاشمي في تلك المناسبة:

سبح وغرد يا حمام الوادي
فاروق قد ملك القلوب بأسرها
ملك عليه من الجلالة شارة
ملك عظيم قد توطد عرشه
فالشعب بين مكبر ومهلل
قل للمليك وقد تسامى نجمه
لا زلت مرفوع العماد مؤيداً

وأرفع تهانينا لشبل فؤاد
وله على كل الأنام أيادي
برعاية الله الحفيظ الهادي
بسيوف آباء له أجواد
يدعوا بطول حياته وينادي
بين الكواكب بالسناء البادي
بالنصر والإقبال والإسعاد

إلى غير ذلك من التهاني كعادة الناس في المديح إذا أقبلت وعادتهم الذم إذا أدبرت، فالله المستعان.

وفيها لا تزال الحرب طاحنة بين إيطاليا والحبشة، وذلك لأنه لما أعلن «موسليني» إيطاليا الحرب على الحبشة نتيجة اشتباك دموي جرى بين القوات الحبشية وكتيبة من قوات الصومال الإيطالية على مقربة من قرية والوال، وقتل في هذه المعركة عشرات من الجند الإيطاليين على الرغم من أنهما عقدتا معاهدة قبل هذا الاشتباك بسبع سنين تعهدتا فيها بإقامة صلح دائم وصداقة أبدية بينهما.

ولما أعلنت إيطاليا الحرب على الحبشة استصرخ النجاشي «هياسلاسي» عصبه الأمم في حسم الخلاف، ومد الغوث لبلاده، ولكنه لما كان في سنة ١٩٣٥م زحفت إيطاليا على الحبشة وكانت نتيجة القتال أمراً مفروغاً منه، وتركت الدول الكبرى الحبشة تصارع بمفردها غريمها القوي، وهي تكاد تكون عزلاء، ومع أن الإيطاليين لم يحرزوا انتصارات حاسمة في الأشهر الثلاثة الأولى من القتال، إلا أنه ما وافى شهر مارس سنة ١٩٣٦م حتى كان الإيطاليون قد قضوا على كل مقاومة حربية جديّة من جانب الحبشة، ولاذ في أول مايو الإمبراطور هياسلاسي بالفرار إلى انكلترا، وبهروبه انهارت كل مقاومة منظمة، وعمت البلاد الفوضى، واحتلت الجنود الإيطالية أديس أبابا، وفي التاسع من مايو سنة ١٩٣٦م الموافق ليوم السبت ١٨ صفر من هذه السنة نودي بعمانوئيل ملك إيطاليا إمبراطوراً على الحبشة وهذا بعد حرب طاحنة امتدت حوالي ثمانية أشهر، ولقد أيدّ هتلر زميله الإيطالي تأييداً قوياً خلال هذه المغامرة الاستعمارية، وجاءت الحرب الأهلية الإسبانية في هذا السنة فقربت بين هتلر ورئيس إيطاليا وحددت صفوفهما وأصدر الفوهرر هتلر أمره في ٧ من مارس سنة ١٩٣٦م باحتلال منطقة الرين وإعادة تحصينها، وأخذ يفكر بعين طامحة إلى ضم النمسا إليه، فلما رأت بريطانيا أعمال هتلر عادت إلى توثيق تحالفها مع فرنسا، ورصدت في هذه الأيام أربع مائة مليون جنيه للتسلح على أن يزداد هذا المبلغ إلى ألف مليون وخمسمائة مليون جنيه، ذلك لأن الدول أخذت تستعد لوقوع حرب عالمية ثانية، ورأت تحت الرماد وميض جمر يوشك أن يكون لها ضرام.

وفيها انفجرت ثورة في فلسطين ضد اليهود والانجليز الذين مكنوا اليهود من اتخاذ فلسطين وطناً قومياً لهم، وحدد أهل فلسطين أهدافهم في ثلاثة أمور:

إلغاء وعد بلفور، ورفض الانتداب البريطاني، واستقلال فلسطين، واستمرت هذه الثورة ثلاث سنين فلم تتوقف إلا عند نشوب الحرب العظمى الثانية، لأن الحكومة الانكليزية لجأت إلى تهدئة الأمور وعقد مؤتمر سمي مؤتمر المائدة المستديرة في لندن يخدرون به أعصاب الفلسطينيين.

عمارة قصر المربع في الرياض

لما استراح صاحب الجلالة من إخماد الثورات الداخلية والخارجية رأى - أيده الله - أن يجمع العائلة الملكية في قصر، فأنشأ المربع في شمال مدينة الرياض، وكان ذلك القصر عظيماً وساحته واسعة جداً، وجعل لكل نجل من أنجاله قصرأً مستقلاً، فأصبح المربع يعتبر كمدينة جميلة تحتوي على جوامع ومساكن، وكانت عمارته بالحجارة والطين غير أن تطريزه ممتاز، وقد أحضر لذلك المهندسون والعمال بحيث لا يقل عدد المشتغلين فيه عن تسعمائة عامل، وبعدما فرغ العمل سكنه صاحب الجلالة وأنجاله وحاشيته، وكان المربع إذ ذاك له أبهة ورونق زاهر، وختمت هذه السنة بخير والحمد لله رب العالمين.

ثم دخلت سنة ١٣٥٦هـ

استهلّت هذه السنة والعالم في مشاكل متعددة، فهذه فلسطين قد انفجرت بالثورات والدول الكبرى تتكهن وقوع حروب طاحنة لما رأت مطامع رئيس ألمانيا تتضخم.

وفيها أنشأت مدارس حكومية في عواصم المملكة العربية السعودية، وأنشئ في مدينة بريدة مدرسة تأسست فيها إذ ذاك.

وفيها كثرت فتن اليهود في فلسطين ومدوا أيديهم على المسجد الأقصى، بل وضعوا عليه الشعار اليهودي، فقام العرب من أهالي فلسطين يحاولون كشف هذه المهمة العظيمة ويصادمون تلك التدابير التي سلبتهم عزهم وفخرهم، وأذاقتهم مرارة الحياة، وأوصلتهم نيراناً حامية، وبعثوا يصرخون للعالم الإسلامي ويضجون مما هم فيه من الضغط، واستغاثوا بكل من في الوجود ممن تظله راية الرسول محمد ﷺ يطلبون النجدة والمحامات على بيضة الإسلام أن ترض؛ ونشروا في صحفهم مقالات يطالبون بها المسلمين أن يساعدوهم على هذا الفادح الكارث، وصوروا المسجد الأقصى قد وضع عليه الشعار اليهودي.

أيا أمة الهادي أما تنظرون إلى ما حل بأولى القبلتين، ودهى إخوانكم من الهوان والشين ذلك الهول الذي بلغ القلوب والحناجر، وسكب الدموع من المحاجر، فهل من ناصر لله ولرسوله ولكتابه والمسلمين، أما كان المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحوى والسهر، وأعظموا الأمر وأكبروا الهول، ويحق لهم ذلك، فلما أسمعوا جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود ضاق بذلك ذرعاً ولم يجد مندوحة عن الإجابة، وبعث يستشير شعبه ليقف أمام هذا التيار الجارف، ويحمد نيران تلك الفتن المتأججة، وأن يضرب بيد من حديد على أيدي هؤلاء المتمردين على النواميس السماوية، ودعاة السوء والرذيلة الذين يغرسون بذور الكفر والشرك والخبث، ويشقون الطريق أمام الاستعمار والمستعمرين، ولما أن قدم الأمر للشيخ عمر بن سليم بأن يجتمع بأهل العلم والدين والرأي من الملأ والمشايخ وطلاب العلم، عقد لذلك مجلس للمفاوضة في هذا الموضوع والمقصود منه هو أنه هل تجب مساعدة أهل فلسطين والانخراط في صفهم ضد أعداء الله ورسوله اليهود الصهيونيين مدافعين عن الأوطان والإخوان في الدين والعروبة، أم يتركون وشأنهم لأن البلاد ليست سعودية، وكان من بين هؤلاء الحاضرين رئيس البلد فهد بن علي الرشودي وأخوه إبراهيم بن علي، والرجل العظيم الشأن عبدالعزيز بن حمود بن مشيقح، وأمير المقاطعة عبدالله بن فيصل، والشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، والشيخ محمد بن عبدالله بن حسين، والشيخ عبدالعزيز الصالح بن سليم، والشيخ عبدالله بن رشيد خطيب الجامع، وعبدالله بن عيسى، وابن جربوع، ومحمد الربدي بن عبدالله، وغير هؤلاء، وتبادلت الآراء والأنظار وكثر الجدال والمناقشات بين من يقول بالمنصرة وضدها، وارتفعت الأصوات وعلت الصيحات، وآخر ذلك حصل الاتفاق على أنه إذا أمر الوالي على الرعية بنصرة المسجد الأقصى وحفظه وحفظ حماه لأنه ثالث المسجدين وأولى القبلتين فإنهم يقدمون في نصرته أنفسهم وأموالهم

طاعة لولي الأمر وامتنالاً لأمر الله تعالى، فوقع على هذا الانفاق المذكورون ورفع الجواب إلى عتبة صاحب الجلالة والمهابة الملك عبدالعزيز، فكان له أحسن الوقع والقبول.

ونسأل من بيده أزمة الأمور أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل أعداءه الكافرين. وفيها أيضاً ولد مولود في صنعاء نشأ نشأة عجيبة في خلقه وخلقه واسمه محمد ابن عبدالله، فذهبت الظنون حائمة هناك أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان، فالله أعلم، وقد انقطع خبره بعد ذلك.

وفيها قدم على نجد عالم من أهل فارس يقص في المساجد، فاغترت به العامة ومشوا خلفه ووطأوا عقبه، وقد يحضر لقصصه ألف شخص أو يزيدون، وكان يدعى محمد بن عبدالعزيز الفارسي، إذا أخذ في الوعظ بدأ بخطبة من مختصر التبصرة، ثم يأخذ في الوعظ والقصص الإسرائيلية، ويخرج عن المقصود ويطيل.

وختمت هذه السنة والموظفون في وظائفهم، فكان على رئاسة القضاء في الحجاز الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، وعلى قضاء حائل وما يليها الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وعلى قضاء الرياض عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن بشر، وعلى قضاء البكيرية الشيخ محمد بن مقبل، وقد نقل الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العمري من المدينة المنورة إلى بلد الإحساء، وكان على قضاء بريدة فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وعلى قضاء عنيزة الشيخ عبدالله بن مانع، وهكذا الأمراء.

ثم دخلت سنة ١٣٥٧هـ

ففيها طبعت مطبعة أم القرى كتاب أهوال القبور، وكتاب التخويف من النار، كلاهما للحافظ ابن رجب، وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، وتاريخ ابن لعبون، وقد خدمها بالتعليق عليها الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، كما تفضل بترتيب مجموع الرسائل والمسائل لعلماء نجد وجعله أجزاء الأول في التوحيد، والثاني في

الفقه، والثالث في جملة رسائل لأمة الدعوة، وكان طبعه في مطبعة أم القرى، فجزاه الله خيراً على هذا العمل الصالح الذي سما به على الأقران، وفاق أبناء الزمان.

وفيهما خرج صاحب الجلالة والمهابة زعيم العرب وإمام المسلمين وأمير المؤمنين عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل من العاصمة الرياض بموكبه العظيم يصحبه من أنجاله ثلاثون، ومعه جنود عظيمة مسلحون بالسلاح الكافي، وأشاع أنه تجرد لنصرة أهل فلسطين، فبعث نبأ إلى أمير مقاطعة القصيم، وكان الوكيل على تصريف المالية فيها هو محمد بن مرشد، وحقق الأمر على صاحب المالية بأن يسهل طريق السيارات، ويقوم بإصلاح الخط لأن الطريق فيها رمال عظيمة، وتحتاج إلى عمل كثير، فلضيق الوقت وعدم الآلات المستحدثة لم يتمكن المصلحون من إكمالها على الوجه المطلوب، فحصل لذلك تغريز شديد وقدم مقدمة السيارات في وقت الغروب، ولم تتكامل البقية إلا بعد منتصف الليل، ولما بلغ التغيرة الموضع المعروف في شمال البلد من بريدة نصب خيامه فيها فوق تلك الرمال الحمراء، وكان معه من الخيام خمسة آلاف، ومعه من الجنود ثلاثون ألفاً، ومن السيارات ما يزيد عن ألفي سيارة على اختلاف أنواعها، فأقام في بريدة أياماً ثم زحف بتلك الجنود إلى حائل، ولما أن أراد السير وقوضت الخيام صفت السيارات وهيات وجلس في وقت الصباح يقسم العطايا والمنح ويدبر تدابيرها، وكانت سيارات النقل على حداثتها كذلك سيارات الركوب والتلغرافات والبترول والماء وغيرها، وكانت الجنود واقفة تنتظر الأوامر إذ سار في خلال ذلك سيارتان من سيارات أنجاله تقلهما، فسلكت الطريق الأسير فأمر بأن يردا وأمر بإحضار العصي فجيء بالسائقين فضربا ضرباً شديداً حتى غشي عليهما، وأمر بنجليه الصغيرين أن يبقيا في بريدة تأديباً لهما.

ولما سار إلى حائل كانت رعود السيارات في جو تلك الصحراء كهيئة الرعد القاصف، وبعد أن وصل إلى حائل ولبت فيها أياماً قلائل رجع بعد ذلك إلى الرياض نائلاً مطلوبه ومدركاً مقصوده، وكان رجوعه عن غير طريق بريدة.

وفي هذه السنة بدئ في استخراج البترول في المملكة العربية السعودية بواسطة شركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكو».

وفيهما وقع برد مخشرم له شعب على مدينة بريدة مساء، وكانت سحابه قد أقبلت من الجهة الجنوبية، فجعلت تنساق بإذن الله تعالى إلى جهة الشمال حتى توسطت الجو، فسمع لها وجبة عظيمة، ثم إنها ألفت وابلأ من البرد على قدر بيض الدجاج، غير أن الله وقى بفضل الشمار عن ضرره.

وفيهما رجع الفارسي المشار إليه في السنة المتقدمة، وقد كان سافر فأعاد الكرة على القصيم واستمر في قصصه، غير أنه شوش على العامة في العقيدة، وكان ضرره أكبر فبادرت الحكومة إلى سحبه من القصيم نزولاً لرأي الأمة، فغادر القصيم إلى فارس.

ثم دخلت سنة ١٣٥٨هـ

ففي تلك الآونة جرت ثورة في الكويت وذلك بممالة الأهالي يريدون بها خلع حاكم الكويت أحمد بن جابر بن صباح، فسعوا ضده لتنظيم حكومة جديدة، واغتموا فرصة غيابه للنزهة والفرجة ففتحوا الخزائن وعينوا أميراً وسنوا نظاماً جديداً، فلما أن علم أمير الكويت بما جرى وأن الأمر قد قضى بليل فزع إلى ابن سعود يطلب منه المناصرة على ما دهمه، وكان يخشى أن يأتي إمداد من العراق لمساعدة الثائرين، لأنه قد لا يؤمن أن يكون ثم مؤاطة، فقام جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لمساعدة ابن صباح الذي قد تحسن ما بينه وبينه من الجوار، وقد طالما تربى قديماً بساحتهم فساق قوة كافية سدّ بها طريق العراق، وأخذ يدأب في قمع الثائرين ضد ابن صباح، ولما قدم بعض المدافع والرشاشات والمصفحات ورأى الأهالي سلاح ابن سعود لم يجدوا بداً من التسليم، فسكنت الثائرات ودخل الأمير أحمد بن جابر بن صباح البلد ظافر وفتاحاً، ومما هو جدير بالذكر بأن الأمير المشار إليه لم ينكل بأولئك الثائرين، بل عفى عنهم وانطفأت الفتنة بحول الله تعالى وتوفيقه.

ذكر وفاة الشيخ العبادي ١٣٥٨هـ رحمة الله عليه

ففيها في عاشر صفر وقت طلوع الفجر منه، وذلك بكرة يوم الجمعة توفى الشيخ وهذه ترجمته:

هو العالم العلامة اللوذعي الماهر في العلوم والواثق بالله الحي القيوم، شيخنا الشيخ أبو إبراهيم عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالعزيز العبادي رحمه الله وعفا عنه، ولد حوالي سنة ١٣١٤هـ وكان والده كاتباً فنشأ على العفة والعبادة والزهد والورع، وكان قليل ذات اليد وأمه ابنة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، فأخواله آل سليم، وكان ذا عقيدة سلفية يحب أهل الدين ويميل إليهم، ويبغض أهل الشر ويعيبهم، وكان شجاعاً حازماً له محفوظات كثيرة، وذوق في العلوم، وإدراك ونهمة وهمة عالية تتضاءل عندها همم ذوي الهمم، ولأزم الشيخ عمر بن محمد بن سليم فأخذ عنه وتعلم له وجعل يدأب في طلب العلم حتى بلغ رتبة تقتصر عنها سورة كل مطاول وتتلاشى دونها وثبة كل عمائل، وناهيك به من خبر يقل مثله بين أهل هذا الزمان، وتجتثوا على الركب بين يديه الأقران، وكان صبوراً على حلو الزمان ومره، وله محبة في القلوب، وقبول لدى الخاص والعام، وله مؤهلات بلغته إلى رتب عالية بلغ بها إلى أن كان في النيابة في قضاء بريدة، إذا تغيب القاضي عنها، ولولا حرارة المزاج لقلت فريد زمانه ووحيد وقته، فנסأل الله الكريم المنان ذا الجود والإحسان الذي غمر خلقه بلطفه، وتفضل عليهم بجوده وعطفه أن يتغمده بغفرانه ويسكنه فسيح جنانه، ويؤمنه من نيرانه.

ذكر مشايخه الذين أخذ عنهم وتدرّساته

رحمة الله عليك يا أبا إبراهيم، لقد كنت متأسياً بالسلف و متمسكاً بأخلاقهم في الصبر والاحتساب ومكابدة مرارة العيش ومعرفة الدنيا وزوالها والآخرة وبقاءها، فلم تأخذك العزة ولم يلهك زخرف الدنيا وزينتها، طلبت العلم بدون مساعدة في المرتب، وعلمت إخوانك وما طمحت نفسك إلى وظيفة، بل كنت تطلب العلم لله وتعلمه الناس رجاء مثوبته.

أما مشايخه فإنه أخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وأخذ عن غيره من العلماء، وأخذ أيضاً عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأكثر الأخذ عنه،

وتخرج عليه وشرب من عذب زلالهما، وجدَّ واجتهد حتى برع في علم التوحيد والأصول والفروع، وكان لا يحقر أحداً أن يأخذ منه الفائدة، ولو شئت لقلت إنه كان إذا سألته عن مسألة وأنس مني إماماً بها يخرج مقامي في المصادر التي عثرت عليها فيها، وكثيراً ما يبعث السؤال للعلماء كالشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، ويأخذ رأي العلماء في المشاكل ولا يتكبر ولا يتجبر.

ولما بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة جلس للتدريس بإجازة من شيخه عمر بن محمد فجعل يعلم في تجويد القرآن ويدرس فيه على طريقة التجويد والضبط، ويعلم في بقية العلوم فازدحم على مجلسه خلق كثير وجم غفير، وجثت التلامذة والأقران والشيخ أمامه على الركب يقتبسون من فوائده، ويستفرغون منطوقه، وكان لا يسأم التدريس ولا يملّ، مكرماً للإخوان، ويجب الكتب ويجمعها ويجعل لكل كتاب غلافاً من القماش، ولا يزال يقلب كتبه ويكثر لمسها ويحشمها ولا يثق على كتبه شريفاً ولا وضيعاً، وقد هيا لها دواليب من الخشب، وكانت مجالسه عامرة بالتدريس ليلاً ونهاراً يتتابها الأهالي والأجانب وهذه كفيته:

جلس للتدريس في بداية الأمر في المسجد الجامع في بريدة بعد صلاة العصر في تجويد القرآن، فكل تلميذ يقرأ ورقة، وغالب التلاميذ يدرسون في القرآن حفظاً، فإذا فرغت حلقة أهل القرآن شرع أناس يدرسون في كتب الحنابلة وغيرهم، ثم جلس بعد ذلك في مسجد آل مشيقح للتدريس، فكان إذا صلى الغداة تحلقت عليه حلقة لأخذ علم النحو ثم حلقة أخرى في علم قسمة الموارث، فإذا ما طلعت الشمس قام يتوضأ ويتناول شراب القهوة في بيته، وكان قد طلب منه الفاضل الجواد عبدالعزيز بن حمود بن مشيقح والد الأسرة أن يشرف محله وبيته كل صباح لتناول القهوة في بيته لبعد بيت الشيخ عن المسجد المذكور، ولما لهذا الجواد الكريم من أريحية يده البيضاء التي لا تزال إذ ذاك تفيض على أهل العلم بالإكرام والاحتشام، ولما منحه الله من توفير العلماء وأهل الدين والفضل، غير أن الشيخ يفضل الذهاب إلى بيته لقضاء الحاجة والوضوء، وقد لا يبعد أن هذا الجواد الكريم

يبعث إلى بيت الشيخ معونة ومساعدة على مؤونة الدنيا فجزاه الله خيراً على أعماله الطيبة، فإذا كان بعد طلوع الشمس وانتشارها عاد إلى المسجد ثم يجلس يدرس في سائر فنون العلم إلى قريب زوال الشمس، ثم يعود إلى بيته، فإذا ما صلى الظهر في المسجد المذكور جلس للتدريس إلى أذان العصر، وأشهد لرايته مرة أذن مؤذن صلاة العصر، وقد بقي ثلاثة من التلامذة لم يقرأوا، فإذا صلى العصر جلس في المسجد الجامع يدرس إلى أن توارى في الحجاب، وقد تغرب الشمس وقد بقي بقية لم يصل إليهم الدور، ولما كثر الطلاب وبلغ عدد الذين يدرسون في القرآن خمسة وثلاثين جعل لكل تلميذ صحيفة، وكان يتقيد بآخر الصفحات من المصحف العثماني الذي رتب الجزء منه عشر ورقات.

أما الكتب التي يدرس بها عليه فإليك بعضها:

درسنا عليه كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين، وكتاب حادي الأرواح في صفة الجنة، وكشاف القناع عن متن الإقناع، والروضة الندية لصديق بن حسن القنوجي، ويدرس عليه في المغني لابن قدامة، والشرح الكبير، وشرح المنتهى والمقنع، والفروع والصحاح، والمسانيد، والشروح، والسنن، والمختصرات، ومدارج السالكين، وزاد المستنقع وشروحه، ودليل الطالب وشروحه، وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشرح الطحاوية وغيرها، ويظيل ويفسر الكلام ويشعب ويسهب ويبحر ويعدل ويلهج بذكر الخلاف.

ولما علم الله صدق نيته رزقه كتباً كثيرة وحصل على شيء عجيب منها، وأصبحت ترد عليه من مصر والحجاز، والشام وغيرها، ثم بعدما يصلي المغرب يذهب إلى بيته يتناول العشاء الآخرة، قام للصلاة في المسجد الجامع ثم ينتقل ما شاء الله ويوتر وينام، فهذه حالته إلى أن لف بأكفانه، وبكاه كل جيرانه وفقدته أثناء زمانه، وكان فيه مؤهلات للقضاء والفتيا، وله سعة وقدرة في استخراج مسائل العلم، هذه صفته:

كان مربوع القامة، ضرير البصر عيناه نائتان، أبيض اللون، أسود الشعر، في

لسانه لثة، فكان إذا تكلم جعل يستعين بيده على الكلام ويومئ بها مضمومة الأصابع، شجاعاً متواضعاً متقشفاً، دائم البشر وطلاقة الوجه، وله غيرة وقت الحاجة، وكان ذا معرفة بالتوحيد، عفيفاً متقللاً من الدنيا، سمح العريكة، لين الجانب مع ما من الله به عليه من الصبر على قوارع الدهر والفقر والحاجة، ومات ولم يولد له أولاد، وكان يلهج بالدعاء في خلواته لربه بأن يهب له ذرية طيبة، والله غالب على أمره وحكيم في أفعاله، ولا ريب أن مصيبتة ثلم كبير في أهل الإسلام.

ذكر تلامذته والأخذين عنه

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فلا يمكن استيعابهم لكثرتهم، ومنهم من هو أسن منه، ومن هؤلاء من تعلم قبله ومعه، ولكن قد قال العلي العظيم: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الجمعة: ٤]، وأنا أذكرهم على حسب معرفتي لهم، فممن أخذ عنه: عبدالله بن رشيد الفرج خطيب جامع بريدة ذو الفضل والزهد والورع، وكان فوق ما يقال عنه، ومن أخذ عنه الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محكمة بريدة في الوقت الحاضر، وأخذ عنه سليمان بن عبيد، وأخذ عنه صالح بن عبدالرحمن السكيكي مدرس العلوم الدينية في معهد بريدة العلمي، وأخذ عنه صالح بن إبراهيم البليهي مدرس العلوم الدينية في المعهد نفسه أيضاً، وأخذ عنه ودرس عليه الشيخ محمد بن صالح بن سليم قاضي الخبر في المقاطعة الشرقية، وأخذ عنه سليمان بن حمود بن عبيدان، وكان شاباً قوياً في معلوماته، غير أنه اختطفته المنية في شبابه رحمه الله، وأخذ عنه علي بن إبراهيم بن صالح المشيقح، وأخذ عنه صالح بن إبراهيم الرسيني، وأخذ عنه صالح بن محمد التويجري قاضي تبوك، وأخذ عنه إبراهيم بن عبدالعزيز الجبيلي، وكل هؤلاء أهل للقضاء والفتيا، وأخذ عنه الشاب الناسك الورع محمد بن عبدالله سليم بن خال المترجم، وأخذ عنه محمد بن موسى الحمود، وأخذ عنه علي بن مرشد، وأخذ عنه علي بن عبدالرحمن بن غضية قاضي الأسياح، وأخذ عنه نصيان الحمد، وأخذ عنه عبدالله بن محمد العجاجي، وأخذ عنه عثمان بن عبدالله بن معارك، وكان قد نال درجة القضاء في إحدى الجهات الشمالية، وأخذ عنه حمود

وصالح ومحمد أنجال عبدالعزيز بن حمود بن مشيقح، وأخذ عنه عبدالله بن صالح بن حسين، وأخذ عنه فهد بن عبدالعزيز بن سعيد مدير مدرسة رياض الخبراء، وأخذ عنه عبدالعزيز بن عبدالله بن غصن وهو الذي كان يختصه لما بين العشائين في مراجعات المسائل من مصادرها، وأخذ عنه محمد بن عبدالرحمن بن فداء، وأخذ عنه حميدان بن عبدالعزيز بن حميدان، وأخذ عنه ربييه محمد بن سليمان بن عبدالرحمن بن سليم، وأخذ عنه غانم بن سدلان، وأخذ عنه محمد بن عبيد بن سلمى، وأخذ عنه محمد بن ناصر الهلالي، وأخذ عنه سليمان بن عتيق، وأخذ عنه سليمان بن عبدالله بن مشيقح، وأخذ عنه صالح بن محمد بن غانم، وأخذ عنه سعد ابن مرزوق العديم، وأخذنا عنه وتعلمنا منه وانتفعنا بعلومه وتقريراته، وجلسنا في حياته للتدريس في فني النحو والفرائض بإجازته وكان يختصني لأسراره ويقدمني على سائر الطلاب في الأوقات التي كنت أدرس فيها عليه، ويستشيرني في بعض أموره كقوله لي مرة:

إنني أكثر من حفظ متون الفقه الموجزة كالعمدة والمختصر، وأخصر المختصرات، ودليل الطالب، أفلا أكتفي بحفظ الإقناع وأترك ما سواه من المختصرات، وناولني مرة كتاباً وقال لي: انظر فيه فإن كان يصلح لي فأحبكه⁽¹⁾ وإلا فشأنك به، وكان يناصحني كثيراً فرأى مرة معي جريدة أم القرى فسألني عنها؟ فأخبرته أنني أخذتها لأرى صفة الواقعة على الملك في المسجد الحرام لا غير، فنهاني عن النظر في الجرائد لأنه لا طائل تحيها، وأشار علي أن لا أعتني بالجرائد فإنها تصد في الغالب عن العلم الشرعي الحمدي، وتضيع الوقت في غير فائدة، وصدق والله في مقالته فإن الوقت من ذهب، فكيف يضيع في الجرائد والمقالات والمجون والمضحكات، فلو عمر الإنسان وقته في تلاوة القرآن ومراجعة الصحاح والسنن والمسانيد والتواريخ التي سلمت من الكذب لكان خيراً له، وأهدى سبيلاً، وإننا لنرى غالب المفتونين بالنظر في الصحف والمجلات والجرائد قد اشتغلوا بها عما هو أهم منها، والله ولي التوفيق لا رب غيره ولا إله سواه.

(1) أحبكه يعني جلده جلدأ وقماشاً.

ذكر محفوظاته وسعة علمه

كان قد حفظ القرآن عن ظهر قلب، وحفظ مختصر المقنع، والعمدة، وألفية ابن مالك في النحو والصرف، وملحة الإعراب، ومتن الأجرومية والبيقونية والجزرية، ومفردات الذهب، وإذا أخذ يلهج في قراءتها بقوة وشجاعة ونهمة في الحفظ، وجد واجتهاد فإنه لا يوجد له مثل، وأقسم بالله ما رأيت قبله ولا بعده إلى موضع هذه الكلمات مثله في الاجتهاد فكان آية من آيات الله في الجد والاجتهاد، وحدث عن البحر ولا حرج، ذلك بأنه عشق طلب العلم فكان لا يشبع من العلم لفرط نهمته فيه، وشدة رغبته في تلك البضاعة، والله حكمة في وفاته فإنها من قبض العلم الذي أخبر به الرسول ﷺ .

وأما في الإفتاء وبيان الحلال والحرام فقد خسرته أمة الإسلام، فكان إذا ذهب إلى بيته أو جلس فيه فإنه لا يكاد يستريح من كثرة السؤال، ولا تزال النساء ببابه يسألنه عن الحيض والنفاس والصلاة والنجاسة والطهارة، ومن عادته حب الكتب وخدمتها وتقليبها، ولا يثق أحداً عليها، فكان إذا ناول من يراجع له المسائل يجعل يده أسفل الكتاب، ولا يعير شيئاً من كتبه ولو أدى الأمر إلى أكبر ضرر، ولقد طلبته إعارة كتاب أسبوعاً فأبى، فتوسلت إليه بكل حق فأبى وأقسم بالله بعدما طلبته يومين أن لا يعيره ولا ساعتين، وكان يحب البحث ومعرفة الخلاف، ولما سمع عبارة البهوتي في شرح مختصر المقنع وهي قوله: «فلم أتعرض للخلاف طلباً للاختصار» قال: يا ليتني تعرض، ولبت مرة يفسر الترجمة التي في كتاب التوحيد قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [سبا: ٢٣]، فأطال حتى أتم ثلاثين دقيقة وقيل له إن من التلاميذ من لا يلم بالإطالة في التفسير فلو اختصرت له، فقال: إني أفسر لأفيد نفسي والحاضرين، وقرأ عليه طالب علم في القرآن الكريم، وكان الطالب هذا موسوماً بالصلاح فلا يتمالك من البكاء في القراءة فتخرج لكثرة وقوفه، ولما

علم بما أوقفه وجعله لا يستمر كان يراعيه ويأخذ له إناة حتى يخلص وهو يسأل الله الذي رزقه الخشوع أن يمن على من لا يخشع، ومن العجب أن كل من قرأ عليه وأخذ عنه أو غالبهم فإنهم أهل صلاح، وتمسك في الدين، ولهم علم ومعرفة لبركة مساعيه وحسن نيته، وإذا من الله على عبد فليفعل ما شاء من خصال الخير.

ذكر مقدمات وفاته

رأى بعض الصالحين قبيل وفاته قمراً مبدراً توسط السماء ثم غاب فإذا خلفه قمر آخر ضعيف النور، فقصت عليه الرؤيا قبل مرضه فقال: الحمد لله إذا لم يفقد النور، ورأى بعض الصالحين مصباحاً مضيئاً في المسجد الذي كان يدرس فيه، فبينما الناس يمشون في ضيائه إذا انكسرت زجاجته وانطفأ فكان الناس بعده في ظلمة، فأولت بوفاته رحمه الله، ومن رأى سبقه وتقدمه ونهمته في التدريس وغربتة تيقن أن ذلك لا يطابق حالة الزمان، والله المستعان، وكان مرضه خمسة عشر يوماً انحبس فيها عن الخروج، وفي ثالث الأيام علم أن بدنه في انحطاط، وجوفه متالم لأن ألمه في جوفه، وفي اليوم الثامن اصفر وجهه وأكثر لزوم الفراش وجعل يقول: الحمد لله الذي له تمام الإرادة، وكل خلقه فقراء إليه، وفي الثاني عشر جعل يسأل الله حسن الاختيار له، فلما كان في مساء الخميس الموافق ٩ صفر قال لمن حوله بفصاحة ونشاط: إني لا أعلم ما يجري علي ولكن إذا أراد الله الوفاة فلا يغسلني غير فلان لصديق له من أحبابه وخاصته ألا وهو الأخ عبدالمحسن بن عبيد، فلما كان السحر من يوم الجمعة ١٠ صفر توفى بداء الغاشية وانتقل إلى رحمة الله مخفياً من الدنيا واستراح من همومها وغمومها، وفجعت به الخليفة وبكته مجالس الذكر، وشقت عليه أقلام الشعراء في المراثي، وصلي عليه في المسجد الجامع في بريدة، ودفن في المقبرة الجنوبية فلاجة، وحضر جنازته خلائق كثيرة، ومما قيل فيه من المراثي ما رثاه به الأخ عبدالمحسن بن عبيد الفاضل المشهور:

إلى الله رب العرش أشكو مصيبي
إلى الله أشكو لا إلى الناس حالي
مصائب دهي قلبي فهيج عبرتي
فجعت به فالله يبرد لوعتي
فأها على عبدالعزيز وفقده
وأها على تلك المجالس والبها
رزئنا به طراً فيا عظم فادح
فثلمته كبرى لدى كل عاقل
فمن مثله فينا وأبن نظيره
حريصاً على نفع الورى واهتدائهم
يعيد دروساً زانها الله بالبها
صبوراً على حلو الزمان ومره
لقد كان يحنو للفقير برقة
يقرب به طوراً وطوراً يحثه
به الغرباء تهتف من كل جانب
قضى عمره درساً وتعليم جاهل
مدبماً على بحث الغوامض جهده
لقد كان في علم الفرائض آية
يفكك تركيباتها وحسابها
إذا خاض في أبوابها وعلومها
له همة في النحو ليست لغيره
له البحث والتقدير للعلم والهدى
ينافس في كسب العلوم وحفظها
فكم من سؤال حله بجوابه

وما حل فينا من عظيم المصائب
فهب لي اضطراباً منك يا خير واهب
سأبكيه دهري بالدموع السواكب
وينعشني بالصبر أسنى المراتب
وأها على فقد العلى والمراتب
فمن مثله في الشرق بل في المغرب
فأعظم به صدعاً عظيم النوائب
مصيبته عظمى من أعلى المصائب
مدبماً على التعليم أسنى المراتب
عزيزاً عليه الميل نحو المعائب
على عدد الساعات ليس براغب
شكوراً لفضل الله مسدي المواهب
إذا عام في التطلاب صافي المشارب
على السعي في نيل العلى والمكاسب
يشجعهم للفقه في كل واجب
ونصحاً وإرشاراً لدى كل صاحب
بفكر وفهم مستنير وثاقب
فسبحان من قد خصه بالمواهب
له نظر في فقهها والغرائب
وإحكامها يوماً أتى بالعجائب
له نهمة يدري بها كل طالب
الذ وأشهى من وصال الحبايب
بعيداً عن الفحشا وقرب المعائب
بفهم دقيق جيد غير عازب

مجالسه كانت علوماً وحكمةً
 فهمته في العلم يدري بها الورى
 لقد كان منهوماً وقد كان مولعاً
 وكان عفيفاً قانعاً متواضعاً
 ولا رفعةً بين الورى ورياسة
 له همةٌ تسعى إلى طلب العلى
 مشايخه قومٌ هداةٌ أجلّةُ
 يوالون في الرحمن من كان غلصاً
 يحبون في ذات الإله ذوي الهدى
 ويدعونهم بالقول والفعل جهدهم
 سجيّتهم بث النصائح بينهم
 وهم زينة الدنيا مصابيح ليلها
 عليهم سلام الله يترى مضاعفاً
 ويا معشر الإخوان إن وصيتي
 عليكم بإخلاص المقاصد جهدكم
 ولا تبعدوا عن شيخنا ودروسه
 وأوصيكم بالصبر وادعوا لشيخكم
 عسى رحمة المولى تعم لذاته
 عسى جنة الفردوس تجمعنا به
 عسى دارنا يوم المعاد وداره
 وصل وسلم دائماً بتضاعفٍ
 صلاةً وتسليماً يفوق لعدنا

وفقهاً وتحقيقاً لذيد المشارب
 فسل منصفاً ينبيك عن ذي المناقب
 وقد كان مشغولاً بنيل المآرب
 فما همّه تطلاب نيل المناصب
 يريد بها الدنيا ونيل المكاسب
 ومذهبه والله خير المذاهب
 لقد خصهم ربي بخير المواهب
 يعادون أهل الزيف من كل ناكب
 ويهدونهم عن مقحّمات المعاطب
 إلى الله رب العرش من كل جانب
 فهم قدوة الساري نجوم الغياهب
 مشارقها طراً كذا والمغارب
 بعد هتون الغيث بين السحاب
 إليكم بتقوى الله أعلى المطالب
 عليكم بدرس العلم أسنى المراتب
 فمشربه والله عذب المشارب
 فربي سميعٌ يستجيب لطالب
 فهبه الرضا والعفو يا خير واهب
 ويأجرنا فيما دها من مصائب
 بدار البقا والخلد أعلى المطالب
 على المصطفى والآل مع كل صاحب
 يفوق لعد القطر من ذي السحاب

وهذه مرثية في المتوفى قدس الله روحه أنشأها الحب في الله الأخ نصيان بن حمد
 آل نصيان، وهي حسنة قوية، قال رحمه الله:

أعينيَ جوداً بالدموع السواكب
على شيخنا عبدالعزيز لفقده
ففي موته منا القلوب تصدعت
لقد كان ذا علم وكان مسدداً
وقد كان شيخاً في العلوم جميعها
إلى مسلك التوحيد قد صار آيةً
فصار لنيل العلم مرقىً وسلاماً
وصار إماماً حاذقاً متفناً
إلى الله نشكو ما دهانا بموته
عليه توكلنا بتسليم أمرنا
فلا نلتجى إلا إليه ولا لنا
لقد هالنا يوم دهتنا خطوبه
فيا ثلماً هدت من العلم جانباً
ويا فرجة التدريس من بعد أنه
لفقد إمام كان يدي دروسها
نعتة خطوب الموت من بين أهله
فكم قبله جته المنية بغتةً
وكم قد دهتنا قبله من رزيةٍ
لقد خمدت تلك الدروس لفقده
فنبكي عليه لوعةً في قلوبنا
لقد جدد الأحزان من بعد سلبها
وقد أوجعتنا فرجة الحبر شيخنا
لعشرٍ خلت في طلعة الفجر موته
بشهر صفر في جمعةٍ من صباحها

على من دهانا موته بالمصائب
تبدت كلوم القلب من كل جانب
وحارت دموع العين بين الجوانب
بنحو وقرآن وإرشاد طالب
بهيمته يسمو لأعلى المراتب
بهطال وبلى العلم مثل السحاب
بتسهيل حل المشكلات الغرائب
له القدم الطولى بحل الغرائب
فلا غيره يرجى لجبر المصائب
مددنا يداً نحو السماء بالمطالب
سوى ربنا المعبود جزل المواهب
بموت جليل القدر سامي المناقب
ويا لوعة الإخوان من كل صاحب
محافله محفوفةً بالمكاتب
ويهدي مغبها إلى كل راغب
ومن بين جيران ومن بين صاحب
فعضت عليه في حداد القواضب
نسينا بذكرى موته كل صاعب
وسفت عليها الريح رمل الكئاب
وفي القلب حرّاً شاعل بالملاهب
وأجرى دموع العين فوق الحواجب
وناهت رزاياها بهد الجوانب
سينيك عن تحريرها خط كاتب
على نعشٍ نحو المقابر ذاهب

ثمان سنين بعد خمسين قد تلت
وعجل في التجهيز من كان غاسلا
ليكي على التحقيق من كان باكيا
فقد جاء في الأخبار عن سيد الوري
فيا ربنا يا ملتجانا وجبرنا
وأسكنه جنات النعيم تكرماً
وأنهله من حوض النبي محمد
وافرغ علينا الصبر يا خير من دعي
وابق لنا بحر العلوم إمامنا
وشيخ لنا يحكي المهمات كلها
سمي ابن خطابٍ عفيفٌ وذو تقى
ومن معدن بالعلم قد طاب أصله
وإخواننا من كان للعلم طالباً
ومن كان في الإسلام ييدي ودادنا
وصل على المبعوث من آل هاشم
بعد الحصى والرمل والحب والنوى
وما غردت طيراً بأغصان دوحه
وما أم بيت الله من كل ناسك
وأصحابه والتابعين على الهدى

ثلاث مئين بعد ألف لحاسب
وسجاه ثوباً بعد شد العصائب
لأن ذويه ذاهب بعد ذاهب
بأن ذهاب العلم موت الأطائب
أغث قبره من مدك بالمواهب
ونور له في القبر يا خير واهب
بكأسٍ روي سائغ للمشارب
لجبر قلوب هدمت بالمصائب
يزيل الصدى جالي ظلام الغياهب
ولم يثنه في الله شوب الشوائب
وحامي حمى السمحاء عن كل ناكب
من آل سليم من كرام أطائب
ومن قرر التوحيد أعلى المذاهب
على القرب أو في شرقها والمغارب
محمد المختار من نسل غالب
وما هل في الغبراء وبل السحائب
وما وقع العصفور فوق الذوائب
على نجب تطوي قفار السباب
وأنصار دين الله من كل صاحب

وهذه مرثية قتلها في المترجم وبعثت بها إلى بعض أصدقائنا بهذه المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فإنه لما كان في
١٠ صفر سنة ١٣٥٨هـ توفي الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي غفر الله لنا
وله، فوجل المسلمون لوفاته ومصابه، لما أن أودعوه قبره وأهالوا ترابه وعظمت
لفراقه الأحزان، وهاجب له الهموم والأشجان، فإننا لله وإنا إليه راجعون، فلما أن

رأيت مصيبيته تجدد بفراقه والقلب قد زادت شجونه لشدة احتراقه، أبدت هذه الأبيات وإن كنت لست من أهل هذا الشأن ولا ممن يسابق في الميدان، ولكن لعظم ما جرى وما حل بأهل الإسلام ودهى:

| | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| ورزء كبير من عظيم المصائب | إلى الله أشكو طارقات النوائب |
| فحقّ على خل دهي بالمعاطب | وما قد عرى أهل الديانة والتقى |
| ويكي طويلاً بالدموع السواكب | يريق دموع العين سحاً ودائماً |
| شمائله تسمو لعالي المراتب | لموت إمام قام لله داعياً |
| وخطب دهي بالمزعجات اللواذب | فأعظم بهذا الرزء أي مصيبة |
| وسارت بها الركبان فوق النجائب | تنادي بها السكان في كل مشهد |
| تهون على أربابها في الأقارب | لموتك يا عبدالعزيز مصائب |
| وجسمك أضحى في تخوم السباب | لأن كنت يا عبدالعزيز فجعتنا |
| عليه رباح تعتلي بالكثائب | وربعك أمسى دائراً ومعطلاً |
| فمن مثله في شرقها والمغرب | فوا أسفاً من فقدته وفراقه |
| يحل عويص المشكلات النوادب | إماماً لشرع الله يبيدي مفسراً |
| فوائده يهدى بها كل طالب | يدين بقال الله قال رسوله |
| مديماً عليها في الضيا والغياب | يقضي بتدريس العلوم نهاره |
| ولم يكثر يوماً بكل مشاغب | يقرر توحيد الإله بجهده |
| تحيط به الطلاب من كل جانب | لقد كان حبراً للأنام ومفتياً |
| فمورده عذب زلال لشارب | يبين لهم حقاً ويردي لباطل |
| ويرجم أعداء الهدى بالثواقب | يعامل أهل الخير بالود والصفاء |
| لتقرير مسنون وتبيان واجب | وفي سنة المعصوم أضحى موضحاً |
| وفي النحو والقرآن قد جاء بالعجائب | كما فاق في علم الفرائض غيره |
| ويجلو ظلاماً من عضال الغياهب | فمن مثله في الخلق يؤتى لمشكل |
| يعيد ويبيدي غامضات المصاعب | وفي كل فن فكره متجول |

فسبحان ربي يمنح العلم من يشاء
فوا حر قلبي من فقيد مفارق
مجالسه قد عطلت عرصاتها
أرى ثلمته والله ليس يسده
فيا ثلمة عادت علينا بحسرة
فيا رب يا مولاي يا خير منجد
وبوءه في الجنات ارفع غبطة
لأن كان رب العرش عنا أماته
فحمداً لمولانا على كل حالة
وما من بقاء يرتجى لمؤمل
وأعني به الخبر الهمام الذي له
هو الشيخ ذو العرفان نجل محمد
جزاه إله الخلق عنا بفضل
وأرغم أهل الزيغ من كل ملحد
وصل إلهي كلما هب ناسم
على المصطفى بل سيد الرسل كلهم
بعد هتون القطر من وابل السماء

مواهبه ليست ترى في التلاعب
إلى عسكر الأموات أضحي بذهاب
وقد أفلت أنوار تلك الكواكب
فنام كثير قد سعوا في المراتب
وعمت مصاباً عجمها والأعارب
أنله الرضا والعفو يا ذا المواهب
تقر له عينٌ بعالي المراتب
سقته المنايا من كؤوس المصاب
مقاديره فينا تصيب لهارب
وفينا من الأجبار عالي المناقب
مناقب مجد ساميات المراتب
تفرع من غر كرام أطائب
فقد كان أستاذاً أتى بالرغائب
وكشف أستاراً لغمض المذاهب
وما ماض برق من خلال السحائب
وآل وأصحاب سمووا في المناقب
وما حج بيت الله من كل راكب

وهذه مرثية أنشأها الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر في المترجم وقد أقمنا ما
تكسر من أبياتها من غير تصرف لطلب الناظم منا لذلك:

إلى الله أشكو لوعتي ومصيبي
فهذه علامات الدبور بوقتنا
فقد حل مصداق ما قال ربنا
كذلك ما قد قاله سيد الورى
كمثل الفتى عبدالعزيز أخى الحجا

على فقد أهل العلم من كل ماجد
إذا مات منهم واحد بعد واحد
ففي الوعد قد جاء بنقص الأماجد
بموت رعاة الدين أهل التعاقد
تقيٌ نقيٌ طيب العرض زاهد

يقطع ساعات النهار بدرسه
إذا خاض في علم الأصول رأيته
يقرر توحيد العبادة جهرةً
وإن خاض في علم الفرائض خلته
وإن خاض في علم الفروع وجدته
ويحكي خلافاً قاله كل عالم
وأما علوم النحو فهو مسدد
فيارب تنفعه بما قد منحته
ويارب بوءه من الخلد منزلاً

ويديهِ جهراً في زوايا المساجد
بصيراً خبيراً مرشداً كل وارد
ويذله لكل باغ وقاصد
ففيها عليمٌ قد حوى كل شارد
خبيراً بأقوال الهداة الأماجد
ويسرده عن واحد بعد واحد
يعيد ويدي مظهراً للفوائد
يكون له يوم اللقاء خير شاهد
مع السابقين الأطييين الأماجد

ثم أخذ يدعو للمشايخ، فلولا هم لأظلمت البسيطة، ولولا هم لمادت بأهلها
الخ، وهي تبلغ واحداً وثلاثين بيتاً، تركناها خشية الإطالة.

وقال الأخ المحب عمر الوسيدي مرثية في الفقيد جعل لها مقدمة، ثم أتى بها،
وهذا نص القصيدة المشار إليها:

أنا كتابٌ من صديقٍ وصادقٍ
فلما قرأت الكتاب وجدته
خررت صريعاً باكياً عظم ما بدا
هو الشيخ عبدالعزيز وحبرنا
سلالة إبراهيم^(١) العبادي ونجله
وقد كان رده في القضاء لشيخنا
له مجلسٌ من رونق الحسن والبهـا
وفيه من الأحكام در نفيسة

قريبٍ وصاف بالوداد المقارب
يعزي بموت من دهى بالمصائب
ونيران حزني أوقدت باللهائب
إمام الهدى نسل الكرام الأطائب
فقد جاد نفعاً في الورى كل طالب
وتدريس سكان بها وأجانب
يلوح ويزهو زانه كل طالب
كروضة مربع زهت بالجوانب

(١) فيه زيادة سبب خفيف

فكل بها وقت الصباح وفي المساء
أحاط بها أمر المليك فأصبحت
فأها على تلك الرياض قد أقفرت
فيا عين جودي من الدمع هاتفاً
على عالم حبرٍ لدى القبر قد ثوى
سوى ما مضى من صالح السعي خالصاً
سقى قبره الرحمن وابل رحمة
وبوَاه ربي من الخلد منزلاً
ولو كان يجديننا كثير من البكا
فما نفع الخنسا بكاء لصخرها
ولو كان نفديه بمالٍ وأنفسٍ
ولكن حكم الله لا بد نافذ
فما كان للمرء يقيناً يصيه
فأعظم به خطباً ورزءً ومحنةً
فأحسن ربي جميعاً عزاكمو
وهذا اقترابٌ للزمان خطوبه
تموت خيار الناس تبقى شرارها
وقد أخبر المعصوم عن قبض علمنا
وموت عليم في الخليقة ثلثة
كذا قيل في المنقول موت قبيلةٍ
فيا معشر الإخوان جدوا وشمروا

يروح ويغدو زانها كل راغب
معطلةً تبكي على فقد طالب
رياح بها تسفوا على كل جانب
وسحي دموعاً كالسحاب السواكب
وحيداً وخال من جليس مصاحب
بريثاً من الأشرار خالي الشوائب
وهتان عفواً من جزيل المواهب
ووصل حسان ناعمات كواعب
بكينا عليه من دم القلب رائب
ولا ثاكلاً مجروحاً بالمصائب
وجاه أتيناً بالعجيب العجائب
وأمره غلاب على كل غالب
وما أخطأ الإنسان ليس بصائب
وليلٍ بهيم مدلهم الغياهب
مع الغفر للميت وجبر المصائب
كذلك نظام مثلت بالتقارب
وهذا قريب من ظهور العجائب
بموت الرواة والهداة الأطائب
وليس لها سداً يطاق لطالبٍ
لأيسر من قبض الفقيه وطالب
إلى طلب العلى وخير المكاسب

(1) لو قال .. وقد قيل لو بالصين فاسعوا بجهدكم، ولسلم من الانكسار.

هو العلم قال الله قال رسوله
ولا تؤثروا يوماً على العلم شهوةً
أكبوا عليه باجتهادٍ ورغبةٍ
ولا تقتدوا بي بالبطالة والردى
فأهاً على عمرٍ مضى لي سهلاً
فيا رب وفقني تدارك ما مضى
وقد قيل لو بالصين فاطلبوه^(١) بجهدكم
وللعالم فضل على كل عابد
فمن في السماء والأرض تدعوا جميعها
وحيتان بحرٍ والسباع جميعها
وعالم صدقٍ يستضاء بنوره
على ذلك الشيطان يحرق نوره

وأهل الهدى من كل آل وصاحب
ولا لذة مطعوناً والمشارب
وبحثٍ طويلٍ عن مباحٍ وواجب
فإن اقتداء بالردى غير صائب
وأهاً على التفريط يا وريح كاذب
من العمر والتفريط تباً للخائب
وسيروا له باليعملات النجائب
كبدر تمام مضلةً للكواكب
بغفران ذنوبٍ للهداة الأطائب
كذا غلبةً في الجحر تدعو لطالب
أشد وأقوى من له ألف راهب
جميع العتاة من رجيم وكاذب

ثم أخذ يمتدح الشيخ عمر بن محمد بن سليم ويدعو له بالبقاء، ويذكر مآثره
وما له من المقامات بين أهل الإسلام التي فاق بها من سواه فقال:

فيا فائق الحب ويا فائق النوى
تفضل علينا بامتنان بشيخنا
وشمس تضيء للأنام منيرةً
وحان بنا من حادث الدهر محنةً
أزال لها بالعلم نوراً وحكمةً
فسيرته في المسلمين جميلةً
أدام لنا منه علوماً كثيرةً
ومد له في العمر طولاً وفسحةً
يكون لنا كهفاً منيعاً عن العدى
فضجوا جميعاً بالدعاء برغبةً

ويا خير مسؤول برغبة طالب
وفاروقنا بدر الدجى والغياب
إذا ما غشى ديجورها كل ثاقب
وأظلمت أرجاء لنا بالنوائب
بتيان مسنون وحضر وواجب
وأفعاله محمودةً في العواقب
وصالح نسل عاقباً بعد عاقب
على عمل يرضي جزيل المواهب
نلوذ به عند اشتداد النوائب
وتأمين بعض يستجاب لطالب

كذلك صلوا على خاتم الورى
 وأزكى صلاة الله جل ثناؤه
 محمد المبعوث للناس رحمةً
 وأصحابه والآل ما هبت الصبا
 ومن مرثية قالها فيه تلميذه محمد بن صالح بن سليم مادحاً للمترجم ومنوهاً
 بفضله:

فتى قد سما مجداً وقد فاق نهمةً
 لقد كان ذا علم وبالفقه حاذقاً
 يعيد دروساً مرةً بعد مرةً
 إذا قرر التوحيد يوماً رأيتُه
 وما ضره غمد ولكن مصيبةً
 إلى الله نشكو جميع بلائنا
 وقد جاء عن المعصوم نصٌّ مصرحٌ
 فليس ذهاب العلم نفس انتزاعه
 وذى سنة من ربنا قد قضى بها
 فكم متعب في الدين والعلم نفسه
 يموت وكم مفني لعمر سبهلاً
 فيا ربنا يا من إليه ابتهالنا
 ويا منقذاً ذا النون من وسط لجةٍ
 ويا راحماً أيوب من بعد ضره
 وأسكنه من أعلى الجنان محلةً
 فيا أيها الأخوان جدوا بجهدكم
 أقيموا على نيل العلوم نهاركم

الخ وهي حسنة، وقد قلت فيه قصائد رثي بها غير ما تقدم تركنا إيرادها

لضيق الموضع، ولأن غالبيتها لم يتزن، ومهما كانت الأحوال فإن مصيبته عظيمة وموته خطب جسيم، ولا نزيد على ذلك.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

صالح بن محمد الصقعي، كان مؤدباً للصبيان ومعلماً للقرآن والكتابة، وهو مؤدبنا ومدرسنا، وتعلم منه خلائق كثيرون في الحساب والكتابة وفاقوا بجودة القلم وضبط القرآن وحفظه، وجعل الله في تعليمه بركة، فكل من درس عليه فإنه ينال ذكرى حسنة، ومن لم يطلب العلم منهم فلا بد أن يتفوق على بني جنسه في القراءة والكتابة، وكانت مدرسته تحتوي على أربعمئة طالب.

وصفة تدريسه أنه يكتب للأولاد حروف الهجاء في ألواح من الخشب، فإذا حذق الصبي الهجاء فإنه يعطى جزء عم فيشرع في الفاتحة، ثم الناس ثم الفلق ثم الإخلاص ويصعد كذلك، فإذا اجتمع الأولاد صباحاً فإنهم يأخذون جميعاً الدراسة، وبعد ساعتين يقرأ عليه اثنا عشر طالباً، وكلما قرأ واحد فإنه يقيم معه خمسة يقرأون عليه، ومن قرأ فإنه يأتي إلى المؤدب فيجعل معه خمسة وهكذا حتى تتم الدراسة في حوالي أربع ساعات، فإذا كان بعد الظهر حضر الأولاد يمرون ما درسوا صباحاً ويخرجون قبيل العصر بدقائق ثم يأمر من كان من الدرجة الثالثة أن يكتبوا لأهل الهجاء في ألواحهم، ويحضر كبار الطلاب بعد صلاة العصر في دكاكين في السوق لتعلم الكتابة والحساب، وقد وافق في زمنه حظاً وافراً وقبولاً عند الناس فكان في بلدة بريدة محترماً وموقراً، وكان له صوت حسن ويمتاز ببره بوالدته، وقد امتد مرضه زمناً يقرب من ثلاثة أشهر فآله المستعان.

أما والده فهو إمام مسجد عودة الرديني زمن آل رشيد، وهو محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله الصقعي يحسن جودة الخط، وله قلم جيد في الكتابة، وقد نسخ كتباً كثيرة ومصاحف بيده لخلو زمنه من المطابع، وكان جهوري الصوت، حسن التلاوة، يصلي إماماً في مسجده المشار إليه في ليالي رمضان، فيحضر للصلاة خلفه خلق كثير وجم غفير من الرجال والنساء، حتى ربما امتلأ المسجد.

ومن توفي فيها عبدالله بن صالح بن هزاع، كان تلميذاً للأول ومؤدباً للصبيان، قليل الشر قد اشتغل بصلاح نفسه، وكان شاباً رزيناً نشأ على العفاف والبر والصلة، فرحمة الله عليه، وكان سنه حين توفي خمساً وعشرين سنة.

ومن توفي فيها نصيان بن حمد آل نصيان، كان طالب علم، وتلميذاً للشيخ عبدالعزيز العبادي، وله فهم عظيم وجودة حفظ، حتى أنه ليحفظ عن ظهر قلبه كلما رآه، وله يد في الشعر، وقد قدمنا له قصيدة رثى بها شيخه عبدالعزيز، وكان يبيع ويشترى ويأكل من كسبه، ومحب أهل الدين ويألفهم ويألفونه، وهذه صفته:

كان شاباً طوالاً متوقد الذهن، واعياً سكيناً، وسنه حين وفاته ست وعشرون سنة، ومن العجائب ويجدر بنا ذكره أن صالحاً الصقعي خرج يحمل حجراً على عاتقه ليعلم به قبر ابن هزاع، فقال له الذي يحفر القبور، إذ ذاك علي بن عبدالعزيز الحوطي: يا مطوع إنك جعلت لقبر تلميذك حجراً واحداً فلو جعلت حجرين كعادة الناس، فأجابه بقوله: سأخرج بآخر في الجمعة المقبلة، فمرض ومات ولم يخرج إلى المقبرة إلا محمولاً بنعشه، ففي ذلك عبرة لمن يخشى.

ومن توفي فيها براك بن منصور بن براك كان رحمه الله طالب علم ضرير البصر، وقد امتد مرضه بقروح كانت في صدره رحمه الله وعفى عنه، وكان محباً لأهل الدين يميل إليهم ويحبهم، وتوفي أيضاً أناس كثيرون من الأخيار في ذلك الوقت.

ومن توفي فيها من الأعيان أيضاً وفاتنا أن نقدمه على غيره، صاحب السمو الملكي الأمير الباسل خالد بن محمد بن عبدالرحمن بن سعود، وهذه ترجمته:

هو خالد بن أخي جلالة الملك محمد بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن مقرن، الأمير ابن الأمير الشجاع الباسل؛ كان مقدماً موثقاً عند عمه الملك عبدالعزيز، لا يزال خادماً لعمه سامعاً مطيعاً متأدباً مع أبيه

وعمه، وله قوة نفس وشجاعة، والشبل من الأسود، وقد اختلف في سبب وفاته فقيل أنه طرد ضبياً وساق مفره سيارته فانقلبت به سيارته، وقيل كانت وفاته حينما قفل من الحج في اصطدام سيارته ولا ريب أنه توفى بجادث سيارته انقلاباً أو اصطداماً، فالله المستعان، وكان موضع الإعجاب من والده الأمير محمد بن عبدالرحمن أديباً مقدماً ومحترماً.

ذكر وفاة ملك العراق

ففيها توفى ملك العراق الشاب النبيل غازي بن فيصل الشريف رحمة الله على أموات المسلمين، وهذه ترجمته:

هو غازي بن فيصل بن الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون الشريف الهاشمي القرشي، ولد سنة ١٣٢٩هـ وأبوه يقود الحملة إلى أبها لتأديب الأدرسي فسمي غازي تيمناً بغزو أبيه، ونشأ في حجر والدته تحت رعاية جده الحسين بن علي لغياب والده زمن طفولته عن مكة يعالج الأحداث التي تتالت على بلاد العرب من إعلان الحرب العظمى إلى إعلان الثورة العربية، وما حصل في خلال ذلك وبعده، وقد تولى الشيخ ياسين البسيوني إمام الملك حسين الخاص، إقرائه القرآن وتعليمه الكتابة والقراءة، ثم جيء له بحسن العلوي ليعلمه قواعد اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي، ثم إنه سافر بعد ذلك إلى بغداد فكان تحت إشراف والده مباشرة، واختار له أساتذة ومعلمين يؤدّبونه، فنشأ نشوياً طيباً ونبت نباتاً حسناً، وأعده والده لهذا المنصب الخطير وهياه لهذا العمل الكبير.

ولما مات والده وله من العمر اثنان وعشرون سنة توج ملكاً على العراق، وكان قد درس في اللغة الإنكليزية وركب إلى انكلترا، واستقبل في كل مصر وبلد استقبلاً فخماً، ودخل المدرسة الحربية في بغداد كل ذلك في حياة والده، ولقد أصدر والده تعليمات خاصة إلى مدير المدرسة بأن لا يميزه في معاملة ولا يفرق بينه وبين زملائه، وكان في صفته وأخلاقه أشهل العينين، جذاب الملامح، قوي البنية،

مفتول العضد ممشوق القامة، منتصبها، كثير التواضع، جم الحياء، وكان أهل العراق يعظمونه لما يرجونه له في النهضة والاستقبال، ولما مات غازي في هذه السنة عين ابنه فيصل الثاني تحت وصاية ابن عمه عبدالإله بن علي بن الحسين.

وفيها توفي رئيس جمهورية تركيا مصطفى كما باشا، وقد قدمنا في سنة ولادته نشاته ودراسته، وذلك في حوادث ١٢٩٨هـ، ونذكر هنا شيئاً من أخلاقه وجرائته وأعماله، كان يمتاز بقوة الإرادة، وثبات العزيمة، والإقدام، والاستقلال بالرأي، وهو قليل الكلام إلا إذا كان الموضوع يهمه، فيتدفق تدفقاً، وينقلب إلى محام بارع، وخطيب لسن، وقد روي عن والدته أنها جاءت على أثر اجتماعه مع إخوانه الضباط في بيته يعتقدون آراء ضد السلطان عبدالحميد قبيل إعلان الدستور، فقالت له: بعد أن تبينت الغاية من الاجتماع: يا ولدي أريد أن تبين لي هل تحاول أنت وإخوانك أن تشقوا عصا الطاعة على السلطان، وله قوة سبعة أولياء، ولما أفهمها الغاية الحقيقية قالت له يجب التماس الحيلة يا بني، وتوفيت والدته قرية العين بما بلغه من مجد ورفعة، وكان مصطفى صريحاً لا يعرف المداينة، وله حظ في تقلباته وانتصاراته.

فمنها أن عصابة تألفت لاغتياله فرصدت له الطريق في بعض تنقلاته وأطلقت النار على رجل تظنه المترجم فأردت الرجل قتيلاً فأرادوا مصطفى وأراد الله سواه، ولم تقدر العصابة عليه، وذلك قبل وفاته بسبع سنين، فاتخذ البوليس بعد ذلك قوة الاحتياطات الشديدة للمحافظة على حياته، ولقد ضاد مصطفى كمال للسلطات وحيد الدين محمد وقام بتركيا فسطى سطوات تشيب الوليد، وما زال يضرب اليونان حتى كان آخر أمره أن نصب المدافع العظيمة على حصون أفيون، وكانت محكمة حيث ظن اليونان أنها لن تنال، فلما صبت المدافع نيرانها الحامية على الحصون احتل المدينة ودخلها وحمل اليونان خسائر بلغت عشرين ألف قتيل وواحد وستين ألف أسيراً، ومن ضمنهم القائد العام، وكبير من الضباط، وخسر اليونان المدافع كلها، وكان يبلغ عددها سبعمائة مدفع، وجميع الطيارات، ومائة وستين ألف بندقية، وكمية عظيمة من الذخائر والمعدات.

وكان في مدة رئاسته لجمهورية تركيا لا يتجاسر أحد على معارضته ولا يرتفع في وجهه صوت، ولقد قام بتركيا بعناية فائقة بترقية اقتصاديات بلاده وتعزيز الصناعات، فأنشأ ٤ معامل للسكر، و٣٢ معملًا لنسيج الحرير والجوخ، و٨ معامل للكبريت، و١٩ للكحول، و٨٠ للتجارة، كل ذلك من دون أن يستقرض قرشاً واحداً أو يهيب امتيازاً لأجنبي.

وبالجملة فإنه عمر الدنيا وأعرض عن الدين، فلا حول ولا قوة إلا بالله والله المستعان، وفي هذه السنة غشت الآفاق ظلمة بدون رياح، بل أقبلت الظلمة من الجنوبي الغربي فكانت الدنيا كأنها فحمة في السواد، واستمرت كذلك عشرين دقيقة فوقفت الدواب عن السير وما استطاع أحد السير لأن الإنسان لا يبصر صاحبه إلى جنبه، وكان ذلك في ابتداء الساعة الثانية ليلاً من إحدى ليالي ربيع الأول في فصل الربيع، ثم تجلت الظلمة والله على كل شيء قدير.

وفيها عادت القضاة والأئمة المبعوثون إلى اليمن من نجد بعدما لبثوا هناك أربع سنين، وبما أنهم طلبوا من الحكومة الرجوع إلى أهاليهم لطول الغياب واختلاف الهوى الذي أملهم، فإن الحكومة سمحت لهم بالإياب وبعثت بأناس غيرهم، فمن هؤلاء الشيخ محمد بن عبدالله التويجري، ومنهم الشيخ عبدالله بن يوسف، وعبدالعزیز العريفي فمسكوا أعمالهم.

ذكر الحرب العالمية الثانية سنة ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م

كانت ألمانيا قبل هذه السنة بإحدى وعشرين سنة مهزومة ذليلة وذلك لأنه بعدما انتهت الحرب العالمية الأولى وعقدت معاهدة فرساي وميثاق عصبة الأمم، وعادت هذه الدولة مغلوبة ولم تحل مشاكلها بل زادت عليها مشاكل جديدة مثل التعويضات، وديون الحرب، ونزع السلاح، والأمن الاجتماعي، والأزمة الاقتصادية، والبطالة المنتشرة على نطاق واسع، ولما كانت بهذه المثابة وافق أن الرئيس هندنبرغ قد بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة، فعين هتلراً مستشاراً وذلك في ٣٠ يناير ١٩٣٣م، وكان هذا المنصب هو أعلى منصب تنفيذي في ألمانيا، ويمثل

منصب رئيس الوزراء، وقام فرق الصاعقة يلبسون لباساً بنياً، واستولوا بالرعب وحلوا البرلمان، واستولى هتلر ووزرائه على كل السلطات في ألمانيا، وكانوا يستطيعون أن يسنوا أي قانون ويعملوا ما يريدون، وكانت ألمانيا عبارة عن جمهوريات يضمها اتحاد فدرالي فأنهوا الاتحاد وركزوا كل السلطات في برلين وعينوا دكتاتوريين في كل مكان، وكل واحد من هؤلاء مسؤول أمام الدكتاتور الذي فوقه وهكذا، وكان هتلر بالطبع هو الدكتاتور الأعلى.

ولما مات رئيس ألمانيا هيندنبورغ في أغسطس ١٩٣٤ هـ تسلم هتلر مركزه وقتل زعماء من جملتهم الجنرال شليشر الذي كان في يوم من الأيام مستشاراً، ولما قتل هتلر خصومه في ألمانيا وجمع بين الرئاسة والمستشارية وأصبحت جميع القوات مركزة بين يديه أصبح يدعى بلغو هرر أو قائد الشعب الألماني، فانتشر العاطلون الشقاء بين السكان، كما أنشئت معسكرات للعمل الإجباري، وأرسل إليها العمال، وخفت البطالة غير أن الحالة الاقتصادية لم تتحسن، وبدأت ألمانيا تتسلح سرياً مما أثار مخاوف الدول الأخرى، ولم يحدث في العالم أحداث توازي نحو قوة ألمانيا النازية وزيادة تأثيرها في ظل هتلر، فهتلر اليوم يسيطر على أوروبا، وكانت الدول الكبرى تنحني له اليوم وترتعد فرائضها لتهديداته، ولقد انتصرت ألمانيا لما خلق منها هتلر دون أن يكلفها أي انتصار عسكري أو أية حرب، وأصبحت دولة منتصرة قوية، وماتت معاهدة فرساي ودفنت.

ولما كان في مايو ١٩٣٥ م أعلن هتلر بصورة عنيفة إلغاء الفقرات الخاصة بعدم التسلح، كما أعلن الخدمة العسكرية الإجبارية، ثم أخذ ينفذ أكبر مشروع للتسلح، ولم تفعل عصبة الأمم أي شيء اتجه هذه الأعمال، فلقد كان الخوف يسيطر على أعضائها وخصوصاً فرنسا، ولذلك فقد تفاوضت مع الاتحاد السوفيتي لعقد تحالف بينهما، ولقد قامت فرق الصاعقة بالعنف والإرهاب والتعذيب والضرب، وأشد حملاتهم على الشيوعيين، واستأصلوا جميع اليهود في الوظائف والأعمال وطردها ألوفاً من الزعماء والأطباء والمرضات من اليهود، وأحلوا مكانهم ألمانين،

وحدثت حماسة وكان الذين يؤيدون ذلك ٥٢ في المائة و٤٨ مخوفون، وآخر ذلك خضع البقية وإن كانوا مرغمين، فأصبح الألمان يستطيعون التنفس بحرية مرة أخرى، ويشعرون أن الإهانة التي لحقتهم قد غسلت، وقد أحدث طرد اليهود واضطهادهم هزة عنيفة في أوروبا وأمريكا بصفة أن المطرودين رجالاً اشتهروا في جميع أنحاء العالم بالعلم والطب والمحامات والكتابة والموسيقى، ومنهم من يعتبر ألمانيا وطناً لهم، وتسابق العالم إلى الترحيب بهم، وقد أعلنت اليهود العالمية المنتشرة في جميع أنحاء العالم مقاطعتهم للبضائع الألمانية والمواد والمنتجات، وكل عمل يعود على مساعدة ألمانيا، وذلك بمجلس عقد في نيويورك، وقد ساعدت خطابات هتلر النازية وتهديده بإعادة تسليح ألمانيا على إخافة أوروبا، وتكتلت دول أوروبا لما خشيت قوة ألمانيا، وبدأت كفرنسا تتودد إلى الاتحاد السوفيتي كبولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا ورومانيا، وطفقت يتقرب بعضها من بعض، وذلك لما استفادته من معاهدة فرساي التي قام هتلر بنقضها.

ولما أن احتلت ألمانيا حوض السار في يناير ١٩٢٥م على أثر الاستفتاء الذي أجري هناك، ونقض هتلر شروط عدم التسليح وغير ذلك خافت فرنسا وفزعت، أما إنكلترا فقد قبلت هذه الأعمال ولم تكتف بذلك، بل زادت عليها بأن وقعت معاهدة سرية بحرية مع ألمانيا تعتبر هذه المعاهدة بمجد ذاتها نقضاً لمعاهدة فرساي، وهكذا نرى أن إنكلترا تجاهلت معاهدة الصلح، ومن العجب أنها عملت كل ذلك دون أن تستشير حليفها فرنسا في الوقت الذي كانت فيه ألمانيا تتسلح بشكل أفرع كل أوروبا، وكان هتلر يعتمد على مناصرة إيطاليا، وكان عداؤه لروسيا مع تصريح صرح به أن من أكبر الكوارث أن تتخلى إنكلترا عن استعمارها للهند، مما يحسن الصلات بينه وبين إنكلترا ويجذبها نحوه، ولكن ماذا تصنع إنكلترا وقد أفرعها الإرهاب في ألمانيا، ومما قال هتلر في خطاب له في نورمبرج عام ١٩٣٧م:

إذا أردت مهاجمة خصمي فإنني لا ألجأ للمفاوضة وإضاعة الوقت، وقضاء عدة أشهر فيهما ولكنني أعمل ما علمته دائماً أخرج في جنح الظلام وأنقض عليه

كالبرق الخاطف، وكان لما أن زحف هتلر على النمسا وضمها إليه وأعلن اتحادها مع ألمانيا وذلك في مارس ١٩٣٨م، لم تنبس هذه المرة عصابة الأمم بينت شفة، وبدأ النازيون في النمسا في شن حملة إرهابية عنيفة استمرت مشكلة الألمان تشغل بال أوروبا عدة أشهر، وقد صرح تشمبر لن رئيس الوزارة البريطانية بأن إنكلترا لن تتدخل لإنقاذ النمسا، ولما ضمت ألمانيا النمسا اعتقد كثير من الناس أن دور غزوهم لتشيكوسلوفاكيا آن أوانه ولا سيما وقد ذهلت أوروبا عندما رأت انتصار ألمانيا في النمسا.

وكانت تشيكوسلوفاكيا أكثر بلاد أوروبا ذهولاً إذ أنها أصبحت الآن محاطة من ثلاث جهات بألمانيا النازية، وكان مركز هذه الدولة من الناحية الدولية قوياً جداً، فقد كانت دولة صناعية متقدمة وتملك جيشاً قوياً مدرباً، وترتبط بمحالفات مع فرنسا والاتحاد السوفيتي، كما كان المفروض في إنكلترا أن تقف إلى جانبها في حالة دخولها في نزاع مسلح، ولما كانت هذه الدولة الوحيدة الباقية في وسط أوروبا موضع عطف الديمقراطيين في جميع أنحاء العالم بما فيهم أمريكا، وأصبح كيان الدولة نفسها في خطر لما ظهر واضحاً أن هدف هتلر هو القضاء عليها لأنها كانت بمثابة شوكة في ظهره، فإن السياسة الإنكليزية قد شجعت هتلر في عدوانه عليها متظاهراً أنها إنما تسعى إلى إيجاد حل سلمي، لذلك أرسلت الحكومة البريطانية اللورد نسمان كوسيط، ولكنه في الواقع كان يضغط بصورة مستمرة على الحكومة التشيكية لقبول طلبات ألمانيا، وأخيراً قبل التشيكيون اقتراحاته برغم ضررها الكبير لهم، ولكنهم ما كادوا يقبلونها حتى طلبت ألمانيا منهم طلبات جديدة، ولم يكتفوا بذلك بل أعلنوا التعبئة العامة، وعندئذ ذهب المستر تشمبر لن بنفسه وقابل هتلر في بر ختسجادن، وهناك قبل إنذاره الذي طلب به تسليم مساحات واسعة من تشيكوسلوفاكيا بأن تقبل إنذار هتلر وشروطه وإلا تحلياً عنها كلياً؛ ولما سمع الشعب التشيكي بهذه الخيانة أصيب بصدمة عنيفة أذهلته، وأضطرت الحكومة أن تقبل الإنذار والحزن

والأسى يملآن كل نفس عندها، ذهب تشمبر لن مرة أخرى وقابل هتلر في جودسبرج على نهر الراين فوجد أن الدكتاتور يريد الآن أكثر مما أخذ فلم يستطع تشمبر الموافقة على ذلك فعلم أنه اقترب شبح الحرب وظلل سماء أوروبا في أواخر سبتمبر ١٩٣٨م، وأخذ الناس يتسابقون لاقتناء الكمادات الواقية من الغازات السامة وحفر الخنادق في المنتزهات والجنائن خوفاً من الغارات الجوية، وثم ذهب المستر تشمبر لن مرة أخرى إلى ميونخ وقابل هتلر وحضر الاجتماع أيضاً المسي دلادينيه والسنينور موسولينى زعيم إيطاليا، ولم تدع روسيا كما أن تشيكوسلوفاكيا لم تدع ولم تستشر، وإن كان الخبر أو الشر راجعاً عليها، وقبلت جميع طلبات هتلر في هذا الاجتماع، وقد هدد الغوهر المجتمعين بأن عدم قبولها سيثير الحرب، ووقعت الدول الأربع اتفاق ميونخ في ٢٩ سبتمبر، ولا يخفى أن ذلك فعلته الدول الأربع وإن كان فيه العار والشنار عليها تسكيناً كهذنة أخذت فيها تعد نفسها لحرب طاحنة.

التعريف بهتلر

لما أن كان هذا الرجل هو المثير للحرب العالمية الثانية أحببنا التعريف به إذ كان جباراً متعظماً، ولضخامة الحرب فلا غرابة إذا عرفنا بمثيرها:

هتلر كان رجلاً عظيماً، ومن أخلاق ألمانيا وعاداتهم أنهم عرفوا بعلو الهمة والنشاط وقوة الإقدام، وغاية التبصر والتأني، والرسوخ والفتنة والشجاعة والبسالة، ودقة السياسة، ولولا فقرهم بالنسبة إلى أمم أوروبا لدانت لسطوتهم بقية الأمم، وكان هتلر يؤثر القسوة والوحشة ويأخذ بالأمثال التي ينتج عنها ذلك، كان في أول أمره صعلوكاً، فتشبث بالعمل بالإجرة وكان لا يزال محتقراً لأنه من غير بيت حاكم، ولم يكن مواطناً ألمانياً إلا قبل تسلمه الحكم بسنة أو ستين، بل كان ألمانياً نمساوياً، وقد اشترك في ثورة فاشلة ضد الجمهورية الألمانية وحكم عليه بالسجن، ولكن الحكم قد خفف عنه ثم آلف حزبه المسمى الحزب الوطني

الإشتراكي، وكان يؤيده في مبدأ أمره طبقة من ألمانيا، وكان جندياً في صف ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، فنال وساماً بدائياً، وله من العمر إذ ذاك عشرون سنة، ثم بعد ذلك قام يتطلب المجد فانضم إلى ستة أنفار ثم زاد أتباعه إلى مائة واحد عشر، ثم إلى مائتين، ثم إنه ما زال يخدع الناس حتى أصبح أتباعه في خمسة آلاف، ثم بلغوا إلى مائة ألف، فلما عظم شأنه وعلا ذكره استجاب له أتباعه الذين وعدهم بالقيام بألمانيا والتقدم بها إلى الأمام وإنقاذها من رق الضرائب، وكان أسباب حبسه يرجع إلى ما تقدم من اشتراكه في الثورة، وكان ذلك وله من العمر ثلاثون سنة إلى خمس وثلاثين، وما زال يخطف الخطب الرائعة حتى استمال قلوب العالم بها، ولخطبه وقع في النفوس لما له من الفصاحة وجودة اللفظ، وقوة الإرادة، حتى صوته له سبعة ملايين ولم ير أعظم من نفسه، كما في كلامه المشهور.

إن أُمِّي مثلاً كانت تبدو تافهة في مجتمع نساتنا المثقفات فيه قد عاشت لزوجها وأولادها، وهذا كان عالمها الوحيد، ولكنها وهبت ألمانيا ابناً.

وذكر مرة أن الرئيس هند نبرغ انتقد شبيبة يقولون له استيقظ استيقظ وهو ليس بنائم في الحقيقة، ففهم من ذلك الكلام أنهم يوجهون ذلك إلى ألمانيا، استيقظي يا ألمانيا لا يوجهون الكلام إلى شخصه.

فلما تولى هتلر الرئاسة قام بألمانيا خلال هذه السنوات الخمس وأخرجها من قالب الذل إلى درجة شخصت لها العالم بأبصارها، هتلر وما هتلر، كان عاملاً يطلي الجدران بالأصباغ في بلاده النمسا، ثم صار عريفاً في الجيش الألماني، واشترك في الحرب العالمية الأولى، ولما أن جرح وأصيب في المائدة وسرحته فرنسا من الأسر بعد الحرب راح يشتغل بالرسم في ميونخ، وما زال يتطلب المجد حتى أصبح ذلك الرجل العظيم الذي دوخ العالم، وبهرت شهرته الدنيا بأسرها، وقد كان يولي فلسطين العربية أهمية كبرى في منهجه الخاص المرسوم لتحطيم اليهود العالمية والقضاء على النفوذ البريطاني المنتشر في الشرق الأوسط والعربي قضاء لا رجعة فيه، لذلك طمع به ملوك العرب وأوفد ابن سعود إليه وفداً برئاسة خالد أبي

الوليد للمفاوضة في شأن تسليم المملكة العربية السعودية بأحدث الأسلحة الألمانية التي طبقت شهرتها الخافقين، كما قد طلب منه الملك غازي تسليم العراق بأسلحة حربية حديثة، كان أخطرها المدافع المضادة للطائرات التي أهداها هتلر إلى الجيش العراقي سنة ١٩٣٩م.

ولما أن قدم وفد ابن سعود على هتلر سأل هتلر رئيس إذاعته يونس بحري عن خالد هذا بعدما أبدى إعجابه بالملك ابن سعود وأنه رجل عصامي خلق في الصحراء مملكة ووحيد القبائل والإمارات، وإنه رجل يستحق كل الاحترام، ولما أن أراد هتلر العظيم زعيم ألمانيا أن ينفذ خطته أمر الغوهر في ليلة ٢٠ نوفمبر الموافق تشرين الثاني جيشه بالزحف على بولندا، فاخترق الجيش الألماني الممر الكوريديور الكاين بين ألمانيا وبولندا، واحتل مدينة وميناء دانزيك في حرب خاطفة صاعقة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً بدون أن يعلن الحرب عليها، بل زحف فجأة وبدون سابق إنذار، وراحت القوات الجوية الحربية تقصف المدن والحصون الحربية البولندية تمهيداً لتمكين الجيش الذي أطبق على قوات المارشال بلسوديسكي البولندي من كل حذب وصوب من تنفيذ الخطة التي رسمها هتلر ورؤساء أركان حربه بصورة محكمة، وقد استمات الجيش البولندي القوي في سبيل الدفاع عن مواقعه، غير أن السلاح الألماني الآلي الفتاك اكتسح ما يعترض في سبيله من معازل حربية وحصون، وطحن الجيش البولندي الصامد في وجه ألمانيا طحناً، فكانت الدبابات تمر على جثث ألوف المؤلفة من القتل.

وفي ١٨ يوماً انتهت معركة بولندا بدون قيد أو شرط أو تسليم، وأخذت هذه الضربة كل مقاومة في أرجاء البلاد الشاسعة، ولما أن جرى ذلك كان قد عزم هتلر على إزالة بولندا من عالم الوجود ومسح اسمها من على الخارطة الأوروبية مهما كلف الثمن، ثم إنه اقتسمها هو وروسيا بعد ذلك، وفي فجر اليوم السابع عشر من سبتمبر دخل الروس شرق بولندا، وما انصرم الشهر

حتى كان الصليب المقوف فوق نصف بولندا الغربي، والمطرقة والمنجل فوق نصفها الشرقي، وكانت الأساطيل الجوية الألمانية قد حولت مدن بولندا إلى ركام وأنقاض، ولما اقتسمها ظن هتلر وزعماءه أن ذلك يضمن عدم قيام ستالين بعمل ضد ألمانيا إلى الأبد، وما عملوا أنه كان يفاوض بريطانيا لعقد معاهدة دفاع مشترك مع الحلفاء لخبثه ومكره، وكانت حملة هتلر على بولندا قضت على جيوش المارشال بلسوديسكي واقتيد الكولونيل بيك وزير خارجية بولندا أسيراً، ولعبت قوات غورينغ اللوفتوافا الدور الرئيسي في تصديع الجبهة البولندية، ولقد أثارت تلك العاصفة اهتمام العالم عامة وخبراء الطيران الدوليين خاصة، فقد قضت طائرات الرانخ على السلاح الجوي البولندي، وشلت حركته بسرعة متناهية بالرغم من قوته ومثانة أسلحته، فكانت التجربة قاسية للأسلحة الجوية البريطانية الفرنسية لأن أسلحة القوات الجوية البولندية كانت من منشأ بريطاني فرنسي أضف إلى ذلك كثرة عدد أهل بولندا، فقد قيل أنهم كانوا ثلاثين مليوناً من البشر.

وفي هذه السنة قامت بريطانيا ولجأت إلى تسكين ثورات عرب فلسطين التي ظلت تتلاحق وذلك تهدئه للأحوال، وعقدت مؤتمراً سمي مؤتمر المائدة المستديرة في لندن اشترك فيه زعماء عرب فلسطين ومندوبون عن الدول العربية، واشترك فيه اليهود أيضاً لكن هذا المؤتمر مني بالفشل وإنما كان هذا من بريطانيا تخديراً لأعصاب العرب في فلسطين حتى تضع الحرب أوزارها فيحكمون فيها بما يشاءون.

ثم دخلت سنة ١٣٥٩هـ

استهلّت هذه السنة ورحى الحرب العالمية الثانية طاحنة، وكانت بريطانيا لما رأت رئيس وزرائها تشمبر لن يميل إلى السلام، ويرجو هتلر باسم حكومته وباسم الإنسانية المعذبة أن يحفظ أوروبا والعالم من شرور الحرب، اتهمته بالضعف وجعلت

مكانه تشرشل فلم تطل المدة بعد احتلال بولندا أكثر من سبعة أشهر حتى زحفت قوات الرايخ الثالث إلى الغرب حتى وقفت مرابطة على طول خط الدفاع الغربي الممتد من بحر الشمال إلى حدود سويسرا، وأخذوا يبدون تدمراً صريحاً من جراء حالتهم المفجعة.

وفي صباح يوم ١٠ مارس ١٩٤٠م أطلق هتلر رصاصة الانطلاق فانقضت الطائرات الألمانية الشتوكا على المعازل والحصون الهولندية والبلجيكية والفرنسية واحتلت جيوش الرايخ الدانمارك بدون أن تلقى مقاومة، بل اكتفى ملك الدانمارك بتسجيل احتجاجه على خرق ألمانيا حياد الدانمارك، وكان الجنرال رومل يوقد القوات الألمانية، والجنرال غودريان يقود الدبابات التي اشتهرت في خلال الحرب الأخيرة بقوتها ومتانتها ومناعة دروعها الواقية، وراحت قوات الرايخ المسلحة لا تخرج من نصر إلا لتدخل في نصر جديد، واحتل الجنرال غودريان خط ما جينوا إذ وصل إليه من خلفه بطريق بلجيكا من حصن ليج فقيردان، وسيدان، وانتهت هذه الحملة بتسليم فرنسا في ١٧ حزيران، وتم الاتفاق بين هتلر والمرشال بيتان على اقتسام فرنسا، فيحتل الجيش الألماني شمال فرنسا بما فيها باريس، ويبقى القسم الجنوبي من فرنسا تحت إدارة بيتان، على أن تكون عاصمته مدينة فيشي الشهيرة بمياهها المعدنية الصالحة لمعالجة الأمراض على اختلافها، ووقعت بينهما الهدنة على ذلك.

إن هتلر لعجيبة تصرفاته، فكيف يقر رئيس فرنسا ولم يحتلها بعد أن ألقت السلاح واستسلمت، كما أنه لم يحتل المغرب العربي بل أعطى هتلر المارشال بيتان القسم الأكبر من فرنسا واحتفظ لنفسه بالقسم الأقل، وسمح لبيتان بأن يستمر في حكم المغرب العربي، والاحتفاظ بالمستعمرات الفرنسية وبالبلاد الواقعة تحت الانتداب كسوريا ولبنان وتقومها، وأقوى احتمال قيل في ذلك هو أن هتلر يعرف بيتان من قديم ويفظ شجاعته في الحرب العالمية الأولى وظفره وانتصاراته، ولا ينسى له يداً تقدمت في الحرب الأولى إلى هتلر لما سقط هتلر جريحاً في المعركة في

مثانته واقتيد إلى المستشفى العسكرية بمدينة ليل، فأجريت له عملية جراحية في المثانة ثم أطلق سراحه بعد الأسر، فصارت هذه عقدة لن ينساها أبد الدهر يعظم بيتان ويحترمه حتى حانت فرصة المكافأة، فإراه شيخاً أشيب مطأطأ رأسه أمامه فيتفضل عليه ويسلمه عصا المارشالية، هذا الذي حمل هتلر على أن يفرط في مقدرات جيشه هذا التفريط، فلم يتم احتلال فرنسا، وترك الباب مفتوحاً، وهذا يعد من أخطائه الفاحشة، وقد أتاحت له فرص ينبغي له أن ينتهزها كما أهمل الاستيلاء على جبل طارق بإقواله وإسبانيا، واعتبروا إحجامه خطأ عسكرياً يضاف إلى سلسلة الأخطاء التي ارتكبها أثناء الحرب، وكان واثقاً كل الثقة بأن النصر صائر إليه، وبما أن فرنسا العظيمة التي تقف في مصاف الدول الكبرى قد ألقت السلاح أمامه وسقطت تحت قوات هتلر وذلك لما قام سلاح ألمانيا الجوي محلقاً في جو فرنسا ونزل جنود المظلات في أسطحها لم ترى بداً من أن تسلم أمام قوات ألمانيا فإنه عزم على أن إنكلترا لن تستطيع الوقوف في وجهه وأمام قواته، وقد خاطب تشرشل في ١٩ تموز عام ١٩٤٠م يقول:

على المستر تشرشل أن يصدقني حين أقول له أنني أتوقع انهيار إمبراطورية عظيمة لم يكن بودي أن أعمل على تهديها وتمزيقها وإني لوائق من أنه إذا طال هذا النزاع بيننا فإن أحد الفريقين سوف ينهار حتماً والمستر تشرشل يعتقد أن هذا الفريق هو ألمانيا، وأما أنا فأعتقد أنه سيكون إنكلترا، ولهذا أجد من واجبي في هذه اللحظة وأمام ضميري أن أتقدم بالنصيحة إلى بريطانيا العظمى لتدرس الموقف في ضوء الحكمة والعقل، وأعتقد أن من حقي أن أتقدم بهذه الدعوة لأنني لست المغلوب في هذه المعركة، ولا أرى سبباً لدوام هذه الحرب وامتدادها، وإني لحزين جداً حين أفكر بالضحايا الكثيرة التي تسقط فيها، ولهذا أريد من كل قلبي أن أضع لكل هذه الأمور حداً رحمةً بشعبي وبالشعوب الأخرى، وكان جواب تشرشل على هذه الدعوة التصميم على المضي في الحرب إلى النهاية.

وكان المستر ونستون تشرشل رئيس الوزراء في الحكومة البريطانية جهازاً عنيداً

وقاسياً صلباً وخطيباً بارعاً، فأثار بقوته واندفاعه وصلابته ووقوفه متحدياً القوات الألمانية، وروح المقاومة في الشعب الإنكليزي، وبذلك تمكن من الثبات والدفاع المستميت لما بدأ الألمان في إرسال غارات جوية هائلة على إنكلترا تمطر أهلها موتاً ودماراً في هجمات مروعة لما رفض تشرشل عروض هتلر واستعد غورينغ المارشال للطيران الألماني، فوجه ضرباته الشديدة وغاراته الجوية الساحقة على السلاح الجوي البريطاني وعلى المراكز العسكرية في الجزر الإنكليزية، وبدأت المعارك بهجمات قام بها سلاح الجو الألماني ف ضرب موانئ لندن والمطارات الإنكليزية، ثم بدأ الهجوم على لندن نفسها ثم على المدن الصناعية الإنكليزية، وبذلك أصبحت معركة بريطانيا أعظم معركة جوية في تاريخ العالم، وكان غرض الهجوم الألماني الجوي الأول تدمير المطارات الإنكليزية والقضاء على أكبر عدد ممكن من الطائرات والطيارين، وقد ابتدأت المعركة في آب من ١٩٤٠م وامتدت إلى أواخر شهر تشرين الثاني، وكان هجوم الألمان شديداً في شهر آب، وتتابع موجاتهم واحدة تلو الأخرى، فلما اعتقدوا في أوائل شهر أيلول أن قد تم لهم ما أرادوه وقضوا على المطارات أو أكثرها توجهوا إلى لندن لضربها ظناً منهم أنه لم يبق هناك قوة جوية كافية لحمايتها.

ولما كان في سابع شهر أيلول هاجمت ٣٧٥ طائرة ألمانية مدينة لندن في وضح النهار وألقت عليها القنابل المتفجرة والمحركة دون هوادة ولا رحمة فدهشت لندن لجسامة الخطب وهول الهجوم، وقامت بريطانيا في هذه المعركة التي قلبت مصائر الحرب رأساً على عقب وحاربت حرب المستميت، وقابلت السلاح الجوي الألماني بما تستطيعه من طيارها وطيارين الأميركيين والكنديين والإيرلنديين واستعملت المدافع المضادة للطائرات حتى تمكنت من إسقاط كمية من الطائرات المحلقة فوق جوها يقدرها بعض الناس بمائة وخمس وثمانين طائرة بينما كانت سيارات الإطفاء تعمل ليلاً ونهاراً لإطفاء الحرائق التي كانت تنشب في العاصمة من جراء هذه الغارات الألمانية فعدل الألمان من الغارات النهارية إلى الغارات الليلية وهذه وإن

كانت لا تأتي بالغاية المطلوبة منها تماماً وهي إصابة الأهداف المقررة، إلا أنها لا تقل عن الغارات النهارية خسائر في الأرواح والممتلكات، وأحلت ببريطانيا خسائر من القتلى تقدر بعشرات الألوف من المنازل ودمرت ما مرت عليه، وتركت مئات الألوف جرحى، وكانت معارك البحر في تدمير بريطانيا كمعارك الجو هولاً وتدميراً، وبالرغم من هذه الخسائر العظيمة التي أصيبت بها الدولة البريطانية فإنها جمعت أعصابها وكانت تعمل ليلاً ونهاراً لإصلاح ما أفسده العدو في مطاراتهم ومراكزهم العسكرية مع مضايقة هجمات العدو هذه، وجعلت تؤكد أنها لم تضعف وأن هجمات العدو قد دربتها على المقاومة والثبات أبداً، وتابع الألمان هجومهم حتى انقطعت المواصلات بين بريطانيا والقارة الأوروبية بسبب استيلاء الألمان على فرنسا وسيطرتهم على أكثر أوروبا.

وبما أن الأسطول الفرنسي قد شارك الأسطول البريطاني في حماية البحار أول الحرب فإن الأسطول الفرنسي انسحب من المعركة بعد سقوط فرنسا وأصبح الأسطول البريطاني يكابد وحده تلك المهمات الصعبة الشديدة، وتمكنت قوات هتلر من إصابة عدد كبير من سفن الحلفاء، كما أصابت بعض السفن الحربية الكبيرة كحاملة الطائرات كوارجس والمدرعة رويال أوك وأغرقتها الغواصات الألمانية، أضف إلى ذلك أن إيطاليا قد انضمت إلى ألمانيا ودخلت في الحرب وكان لديها أسطول لا يستهان به، فأصبح الإنكليز مستهدفة للقصف الجوي وللحصار البحري الذي فرضه الألمان حول جزرها، ولقد حاولت بلغاريا الوقوف على الحياد في هذه الحرب، ولكن الضغط الألماني كان شديداً عليها فاضطرت آخر الأمر إلى الاستسلام، وعقدت معاهدة صداقة مع المحور بحضور هتلر نفسه، وبعد إمضاء معاهدة الاتفاق والتعاون التي صدرت بين المحور وبلغاريا سارت الدبابات الألمانية في شوارع صوفيا تأييداً وتأكيذاً للإعلان أن الجيش الألماني قد أصبح في داخل بلغاريا.

ولما كان في ٢٧ من شهر أيلول ١٩٤٠م عقدت اليابان مع دولتي المحور وإيطاليا ميثاق صداقة ومساعدة لمدة عشرة أعوام، وقد نص هذا الاتفاق على أن

يساعد هذا التاريخ، وكان الغرض منه تحذير الولايات المتحدة من الانضمام إلى صفوف الحلفاء، وقد هاجم الإنكليز بعض السفن الحربية الألمانية فتمكنوا من بعضها وأغرقوا طراد ألمانيا، ولكن بعدما أغرقت الألمان طرداً كبيراً إنكليزياً يسمى هود، وعطبت غيره، ولكن الخسائر التي حلت بالإنكليز أضعاف أضعاف الخسائر التي تلحق بالألمان، لأن الألمان لم يكونوا يعتمدون على البحر في نقل ما يحتاجونه، بينما كان كل اعتماد الإنكليز على البحر في كل شيء، وسنعود عن قريب، ولما كونت حكومة فرنسية في فيشي خاضعة لألمانيا وتحت انتدابها ارتاحت نفوس السوريين الذين استمرت ثوراتهم تقض مضجع فرنسا.

ثم إنه ألف بعض الضباط ورجال السياسة الفرنسية حكومة فرنسا الحرة برئاسة الجنرال ديغول، لكن الإدارة الفرنسية في سوريا تبعت حكومة فيشي فانتشر عملاء المحور الألمان في المنطقة وسيطروا على مطاراتها واتخذوها قاعدة لألمانيا في الشرق فبادرت إنكلترا إلى العمل متعاونة مع قوات فرنسا الحرة وزحف الجنرال ويلسن الإنكليزي والجنرال كاترو الفرنسي على سوريا بعد هذه السنة بل في السنة التي بعدها واستولوا عليها من قوات حكومة فيشي وأعلن الجنرال كاترو استقلال كل من سوريا ولبنان، فاعترفت بهذا الاستقلال إنكلترا والدول العربية رغم وجود جيش الاحتلال الفرنسي في البلاد.

ذكر ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق

فنقول انتشرت الدعاية الألمانية ضد بريطانيا في صفوف الجيش العراقي حتى قام بعض الضباط بانقلاب عسكري في هذه السنة بعدما مهدت الثورة في التي قبلها، وذلك بتشجيع هتلر للعراقيين، وكان بعض ساسة العراق الذين كان يقودهم الحاج أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني يعملون مع ضباط الجيش العراقي الأربعة الثائرين ضد بريطانيا للقيام بثورة في العراق وجعل أمين الحسيني يرسله إلى برلين وأنقرة وروما للاتفاق مع ألمانيا وإيطاليا على إرسال الأسلحة اللازمة لتجهيز الجيش العراقي، وجعله قادراً بأسلحته المحورية على مقارعة بريطانيا

وطردها من العراق، وإذا سمحت الظروف من الجزيرة العربية لذلك قرر الحاج أمين الحسيني وهو ببغداد الاتصال بروسيا لكي تسمح للضباط الثائرين أن يحصلوا على السلاح الألماني المرسل منها عبر روسيا، فالفقاس في إيران فالعراق بطريق راوندوز العراقية، وقرر الزعيم رشيد عالي الواقع تحت سيطرة المفتي وتأثيره المباشر، وقد ارتكب الكيلاني حسب إرشاد المفتي الحاج أمين وتوجهه خطأ كلفه وكلف العراق ثمناً غالياً وطلب من أخيه كامل الكيلاني بصفته سفير العراق في أنقرة أن يقابل السفير الروسي ويخبره بأن الحكومة العراقية التي هو رئيسها يومئذ قررت إعادة العلاقات الدبلوماسية بين العراق وروسيا وتبادل السفراء بين البلدين، فوافقت بدون تردد في الوقت التي تعمل فيه سراً للتحالف مع بريطانيا وحلفائها، وبعدما وافق ستالين ما طلب بالسماح بمرور السلاح الألماني إلى العراق عبر روسيا.

أما ملك العراق فيصل الثاني بن غازي الذي كان له من العمر إذ ذاك خمس سنين فقد قرر فر لذلك الانقلاب، وفر الوصي عبدالإله بن علي بن الحسين خال الملك وولي عهده، وفر بعض السياسيين إلى خارج البلاد واحتفى بعضهم بالمعسكرات البريطانية، ثم إنه كون رشيد عالي الكيلاني حكومة وطنية تحت نفوذ الضباط وأعلن خلع الوصي، واختير مكانه وصي آخر من الأشراف، وحاول رشيد عالي الاحتفاظ بصداقة بريطانيا لكنها رفضت الاعتراف بحكومته فتأزمت الأمور بينهما، ووجهت الحكومة العراقية قوات من الجيش للاستيلاء على مطار الحبانية أكبر قاعدة جوية بريطانية في العراق، فقامت القوات الإنكليزية وتأهبت للقتال ووصلتها إمدادات من الهند ومن شرق الأردن، وبعدما كانت حكومة رشيد تنتظر إمداداً من ألمانيا تأخر وصول الإمدادات فاصطدمت بها القوات البريطانية في الفلوجة فهزمت الكيلاني وجنوده واحتلت بغداد فسقطت حكومة رشيد عالي، وفرّ الحاج أمين الحسيني وفرّ على أثره رشيد الكيلاني هارباً إلى ألمانيا، وبعد القضاء على الثورة عاد الوصي عبدالإله وفصل إلى العرش وحكم بإعدام كثير من

الضباط الثائرين، وشكلت حكومة موالية للإنكليز، وإنما اختير هذا الصبي ملكاً على العراق بوصاية خاله إجابةً لرغبة الإنكليز التي سخطت أعمال والده غازي، حيث عارض المشروعات البريطانية وانتهج سياسة تحريرية فقتل في حجة اصطدام سيارته، وهكذا تصنع السيارات بمن يخالف تعاليم بريطانيا، وبعد ذلك قطعت حكومة العراق علاقتها مع ألمانيا وألقت القبض على الرعايا الألمانين الموجودين في العراق وسلمتهم إلى الحكومة البريطانية فألقتهم حيث أقاموا في معتقلات الأسر طول مدة الحرب.

ولما قدم المفتي والكيلاني إلى ألمانيا في الربع الأخير من سنة ١٩٤١م قدم أولاً المفتي وبعد أربعين يوماً قدم الكيلاني مع أركان حربه جزمي سليمان وحكمت سامي ونجدت الشواف، فحلوا ضيوفاً لدى المفتي الحاج أمين الحسيني، غير أن رشيد عالي لم يلق إكرامية بينما هو في ضيافته، قال يونس بحري جئت أزوره وكنت أنتظر أن أرى الكيلاني مرحاً كعادته عندما كان رئيساً للديوان الملكي ببغداد في هاتيك الأيام التي كنا فيها تحت راية الملك غازي نقارع الاستعمار، فرأيت هذه المرة أمامي رجلاً قد أنهكت الأيام قواه، لقد كان يبكي وهو يقطع شعور رأسه بكلتا يديه، ثم التفت إلي وهو يقول: لقد سجنني، لقد مضى علي عشرون يوماً وأنا على هذه الحالة، لقد منعتني من الاتصال بأحد يا أخ يونس، أرجوك أن تنقذني أريد حريتي وإلا أعيدوني إلى بغداد وسلموني للحكومة، وهناك دعوهم يشنقوني، إنني أفضل الموت على مثل هذه الحياة، ثم إنها أذيعت في ألمانيا أنباء مجيئه إلى برلين وأكرم مثواه، ولقد حافظ صاحب الجلالة الملك العظيم عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في هذه الحرب العالمية على الحياد والمودة كما فعل في الحرب العالمية الأولى، فكان هذا من حسن حظ البريطانيين لأنه لو كان ابن سعود قد انضم قبل الحرب إلى المحور الذي لم يدخر جهداً لحمله على ذلك لكان من العسير أو من المستحيل إخراج الإيطاليين من الحبشة وأرتيريا، ولو أن ابن سعود تردد لكان من المحتمل أن تقضي الثورة التي قام بها

الكيلاني في العراق إلى نتائج أخرى مختلفة جداً، ولكنها تحولت فصارت تمهيداً لدخول العراق في الحرب إلى جانب الأمم المتحدة وصار ابن سعود بجانب عظيم من شكر الولايات المتحدة والإنكليز له وشكر رعاياه الذين ينتظرون منه في مقابلة السلطة التي يتولاها أن يكون ركيناً حصيفاً لا خلل في تدبيره وأن يجنو أهم ثمار عقله وحكمته.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها في ١٥ رجب توفي الشيخ الماهر عبدالله بن سليمان بن بليهد قاضي حایل رحمه الله، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ أبو عبدالرحمن عبدالله بن سليمان آل بليهد، كانت قبيلته من بني خالد يتسلسل نسبه إلى مضر بن نزار، أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وعن الشيخ الإمام عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، وعن الشيخ عبدالله بن محمد بن فداء، وجميع بين العلم والشجاعة والعقل والذكاء والبصيرة، وجدّ واجتهد حتى بلغ شأو المفاخر، وأصبح موضع الإعجاب من أمته وحكومته، ألف مناسكه التي صدق عليها قول القائل في مدحها من أبيات فيها:

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| قد أوضح الدين الحنفي نهجها | لأئمة سادوا بنيل سماكها |
| وتمسكوا بأدلة كالشمس في | إشراقها فالسعد في إمساكها |
| تسعى إليك هدية من خادم | للعلم كي يحظى بجسن دراكها |
| فأرشد بها غاوي الطريق فإنها | شمس تنير وأنت من أفلاكها |

وآلف أيضاً رسالة نصيحة لأهل مكة وغيرها صاح بها صيحة في دعوة الناس إلى التوحيد لله بلغت الأفاق، وكانت مختصرة تبلغ نصف كراسة، وله رسالة في هذا النمط وله غير ذلك.

ذكر الوظائف التي نالها

جلس للتدريس في مدينة بريدة وأخذ عنه جهابذة من العلماء، فمن أخذ عنه الأخ الفاضل عبدالمحسن بن عبيد، وأخذ عنه أيضاً الشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي، وأخذ عنه من أهل حائل الشيخ حمود بن حسين الشغذلي، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن ملق وغيرهم، وتولى وظيفة التدريس أيضاً في البدائع المعروفة في القصيم، وكان يؤم في مسجد هناك، وتولى أيضاً التدريس في البكيرية، وشغل وظيفة الإمامة في أحد مساجدها وكان ذلك قد وافق زمن اختلاف ومحن من ولاية آل رشيد فيعلم ويرشد وقد يذهب إلى الفوارة الهجرة المشهورة، فلما أن دخلت أم القرى تحت ولاية ابن سعود جعله الملك رئيساً للقضاة هناك لما قام به من المؤهلات، وسعة الرأي، وكمال العقل، فكان في رئاسة القضاء معظماً ومحترماً، وقام بدين الله أتم القيام وحرق كتباً كثيرة في بعض مكاتب مكة موجودة بعد عهد الأتراك قد تداولتها الأيدي من كتب الضلال، وانتصر لدين الله ورسوله انتصاراً لم ينله في زمنه سواه، وانتصر لأهل الحق وقام بتوقييرهم، ثم إنه نقل منها وجعل على قضاء حائل فكان لدى الأمير الشهم فيها عبدالعزيز بن مساعد رئيساً للقضاة في الجبل، وكان يحب النزهة والفرجة لأمرض تختلف على بدنه في حالة إقامته، فلكثرة ذهابه وإيابه وأسفاره قلّ تدريس آخر عمره، وكان مقيماً لدعائم الملة الحنيفية، ومحبباً إلى أهل الملة المحمدية كهفاً للإخوان، وغيظاً لأهل الضلال والطغيان، فله ما أحسن حاله وما أنعم باله، وما أقل أمثاله، أضف إلى ذلك سخاء وكرماً وجوداً، فحدث عنه في الفضل ولا حرج، وإن عميت أعين الخفاش في وسط النهار فللشمس أعين تراها وماذا على البدر من نباح الكلاب وعواها، وقد كان بعض الأعراب المتدينين ينالون من عرضه لركوبه السيارات في أول ظهورها وتعاطيه الأخبار في آلة اللاسلكي ويروونه متساعحاً في أمور الدين، ومترخصاً وهذه صفته:

كان قصير القامة، قليل اللحم، يخضب لحيته بالحناء بعدما علاها الشيب، ويظهر من وجهه البشر ويبرق بالسرور والطلاقة، ليس بالعبوس ولا المقطب، وكان أصله من القرائن ثم انتقل بعض أسرته إلى القرعاء القرية التابعة لبريدة، وكنت أظن أن نقله من الحجاز لأن الجو لم يوافق له هناك.

ذكر أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ومقاماته في الإسلام

كان الشيخ عبدالله بن بليهد من أعظم المقرين عند الملك عبدالعزيز، وكثير المناصحة له، إذ هو المقدم على رأس المجتمعات العظيمة، ولما كان في بعض الأيام دعى صاحب الجلالة بالعلماء واستوفدهم إليه في الرياض، وجعل يشكو زهد الناس في العلم وطلبه وأنه لا يطلب العلم إلا متعطل الأسباب كأعمى وقاصر في أمور الدنيا، فأجابه الشيخ عبدالله بقوله: نعم يا طويل العمر وما بال أهل العلم لا يكون عددهم قليل وهم لا يجدون الكفاية في أمر معيشتهم، فلو كان لديهم كفاية لفرغوا أوقاتهم للطلب، وأكبوا على الدراسة، وحصلوا على معلومات كثيرة، فلما أصبح طالب العلم فقيراً لا يجد ما يسد به حوائجه وحقيقاً لدى الناس ضيق المعيشة، لا يجد ما يتفقه على نفسه ولا على أهله، فإن أعطيتموه شيئاً من بيت المسلمين فإن حقه نذر يسير، وإن حضر فإنه في آخر المجالس لا يلتفت إليه ولا يراعى ولا يقرب، كانت بضاعة العلم كاسدة بين الناس ولا يصبر على مكابدة مرارته إلا أفذاذ الرجال، فإذا أحببتم العلم وأردتم أن ترفعوا مستواه فأسسوا مدارس ومعاهد وشجعوا الطلاب بالمكافآت الشهرية، وأكرموا العلماء وقدرتهم وارفَعوا من شأنهم، وجعل يحث على رفعة العلم والعلماء وإكرام العلم، وطلب من صاحب الجلالة تأسيس مدرسة كبرى لطلاب العلم في بريدة تكون داراً للحديث والعلوم الدينية، وأن يصرف لأهلها كفاية من المطعم والمشرب والملبوسات، وأن يكون الشيخ عمر بن سليم إماماً في مسجد وسط البلد وأشياء طلبها، فبادر الملك إلى ذلك وأسست هذه المدرسة حوالي سنة ١٣٤٥هـ ولكنها لم تنتظم والقصد من هذه المدرسة أن تكون مأوى

لكل غريب وفقير من طلاب العلم، ويا ليتها انتظمت وأصبحت يتردد إليها كل غريب وفقير، ولكنها ويا للأسف تأخرت وأملنا عظيم بحكومتنا أن تقوم بإكرام أهل الدين وفتح ملاجئ وبيوت للعجزة، وإنشاء مستشفيات وإصلاح طرق وغير ذلك مما يعود نفعه على البلاد.

وكان جلالة الملك عبدالعزيز يصبر على ما ينال جانبه ويتحمل العنف من المشايخ إذا ما بدت غيرتهم لله ولدينه، وذلك لما منحه الله من الخصال الجميلة والمكارم، وكنت أظن أن الله جلت قدرته إنما مكن له في الأرض وبسط ملكه وأعلى شأنه لإكرامه العلماء والعفو عن زلاتهم وأخذ نصائحهم، وكان المترجم يغلظ في النصيحة، حتى قال مرة: يا عبدالعزيز إن بيت المال للعلماء والقضاة والمفتيين والأئمة والمؤذنين ليس بيت مال المسلمين خاصاً لجنودكم، وسمع جلالة الملك سيارة لحديدها وأخشابها قعقة في مسيرها فجعل ينظر إليها من النافذة استنكاراً لصوتها وإلى جانبه الشيخ عبدالله، فسأل الملك عن هذه السيارة بعض من حواليه؟ فأجابه الشيخ قائلاً: هذه سيارة المشايخ التي تبعثونها إليهم إذا أرتم حضورهم.

وكان الشيخ يجذب للعامة ركوب السيارات والانتفاع بهذه المخترعات الحديثة، ويبين أنه لا مانع من ذلك ولا ينبغي للإنسان أن يتجاهل ويكون غيباً، فإن الإنسان عدو ما جهل.

أما كرمه وجوده فقد جعل موضعاً للضيافة، وحدثني من رأى بذله وجوده أنه كان في ضيافته ثلاثة أيام ولقي هناك أنواعاً من الأطعمة والأشربة كاللحم والأرز والخبز واللبن والشاي والبن، قال ثم استأذنته بالرحيل وودعته فسألني عن الإقامة في حائل وهل كان لي أهل؟ فلما تبين له أنني أريد الإقامة ولا أهل لي في البلد طلب أن أتردد شهراً كاملاً، وقال يا بين إن الشيء خارج لك أو لغيرك وهذه عادتنا فلا نتكلف للضيوف، وكان لديه سيارات ويحمل من استحملة، وكم له من يد بيضاء تجود بنفع المحتاج وكسوة العاري وإطعام الجائع، ومن فوائده أنه وعظ مرة فقال في موعظته:

ما أحرص الشيطان على حرمان ابن آدم من الأجر، إني رأيت مرة رجلاً صلى مع الجماعة، فساعة سلم الإمام قام ليخرج مسرعاً، فلما خرجت قدمه الأولى وقف يفكر إلى أين يذهب، ولبت كذلك بين السوق والمسجد فعجبت كيف أقامه الشيطان من موضعه ذلك الذي ما دام فيه فإنه في صلاة وفوت عليه الثواب والحسنات، فيا له من حبر أديب شهدت له بالفضل محارب العلا، وعرفه بالمكارم أهل الخبرة والنهى، فيا ليت شعري من مثل هذا الشيخ ومن يباريه في الفضل أدباً وعلماً وديناً وعقلاً، وأنى لنا مثله، ولكنه من رجال كانوا فبانوا، وقد امتدحه الأدباء والأفاضل وترغوا بمدحهم نظماً ونثراً في حياته وبعد وفاته، قال بعض المدنيين في قصيدة يمتدحه:

| | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| إمامٌ له في المشكلات إذا دجت | مقال لدى التحقيق يسفر عن فجر |
| يحدد من تلك العلوم رسيها | ويحيي به ميت الفؤاد مدى الدهر |
| فلا غرو أن عاد الحجاز به سناً | وجر ذيول الفخر تيهاً على مصر |
| هو الشهم عبدالله آل بليهد | مؤيد دين الحق بالعز والنصر |
| فمن ذا يضاهيه سمواً ورفعةً | وفضلاً ومجداً وهو أوحده في العصر |
| وماذا يقول الواصفون وفضله | تجلى فحلى فائق النظم والنثر |
| إذا رام شخصٌ مادحٌ حصر وصفه | فقولوا له قصر فقد جل عن حصر |

ولما مات رثاه العلماء والأدباء بمراثي كثيرة حسان، وباحوا بما عندهم ونحن نسوق بعضاً من كل، فمن ذلك ما قلناه فيه لما فجعنا بموته، بل الله ثراه بوابل العفو والغفران وأسكنه عاليات الجنان يمتع في جوار سيد ولد عدنان ويطوف عليه بالأباريق والأكواب فيها الولدان:

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| على الخبر بحر العلم فرد الفضائل | وبدر الدجى فالبيك كل القبائل |
| على عالم التوحيد لا زلت باكياً | بدمع غزيرٍ ساكب بل وهاطل |
| عنيت به ذا الحزم بل كامل الحجا | يعز علينا فقد في القبائل |
| فأعظم بهذا الرزء أي مصيبة | كفقدٍ لعبد الله زين المحافل |

هو الخبر ذو التحقيق نجل بليهد
حبيب رحيب بالوداد ومكرم
فيا أسفا من فقد ذي الجود والندى
لقد كان ذا قلب سليم سرائر
يحب ذوي الإيمان من كل مخلص
يحمي على الإسلام من كيد مارق
له غيرة الله تحمي محارماً
له في علوم الشرع باع طويلة
وفي كل الفنون أمسى محققاً
يبين أحكام الشريعة جاهداً
وكم بدع أردى بشهب علومه
إذا جثته بالليل تلقاه خاضعاً
وفي كل آناء النهار بعلمه
إمام لعمر الله يسطو بحجة
وإن جثته في الجود تبغي لنيله
له خلق زاك يميل إلى العلى
إذا جاءه من مبتغي الفضل عاجز
يجود ببذل المال لله وحده
وما همه جمع الحطام لوارث
به تشهد الوفاة إن كنت سائلاً
فيأتيك بالأخبار من قاطن الحمى
له نهمة في الجود والعلم والنهى
ودع أحقاً في غيه وضلاله
وخنزير طبع بالسواقط مولعاً

سليل سليمان كريم الشمائل
لأهل العلوم الطيبين الأفاضل
ومروي الصدى من غامضات المسائل
سؤول لمولانا جزل الفضائل
ويغض أهل الزيغ من كل جاهل
ويدمغ يافوخاً لأهل الأباطل
لدين الهدى إن رame كل خاتل
يقصر عنها خطو كل ممائل
بفهم منير واقد في المسائل
بتقرير مندوب وحظر لباطل
وقطع أعراقاً لها بالمعاول
ملحاً على المولى وليس بكاسل
يبصر حيراناً ويهدي لجاهل
ويجلي داجي مظلمات المشاكل
فسبحان من يعطي جزيل الفضائل
ويبذل مما عنده غير باخل
يجد عنده كشف الهموم النوازل
سجيته بذل النداء في القبائل
وتحصيل مشرباتها والمأكول
فسل ساكناً في طيها وأهل حائل
وضيف ثوى والمحصنات الأرامل
فسل منصفاً عماله من فضائل
ومن كان شريراً كثير الغوائل
فهتمه كسب القذا في المزابل

فنشكوا إلى الله الخطوب جميعها
وقد جاءنا عن سيد الرسل أحمد
بأن ذهاب العلم موت رعاته
فمن مثل عبدالله في الناس كلهم
يغوص بفهم حاضر متوقد
تغمده رب العباد بعفوه
فيا من هو العالي على كل خلقه
ويا قاهراً فوق العباد بقدرة
أغث قبره بالمن منك تفضلاً
لأن كان أمسى رهيناً بقبره
ونسأل رب العرش يحسن عزاءنا
ويبقى لنا حبر البلاد وشيخها
فيا رب متعنا به وعلومه
وصلّ إلهي ما تائق بارق
وما أم بيت الله من كل سائر
على أحمد الهادي إلى خير شرعة

فيا محنة الإسلام من كل عاطل
نبي أتى بالمعجزات الدلائل
وبعدهم تبقى شرار الرذائل
خبير بصير ماهر في المسائل
لحل عويص المشكلات النوازل
وإحسانه والله أقدر فاعل
تمد الأيادي نحوه في المسائل
تباركت خلاقاً تجيب لسائل
ونعمه في الجنات مع كل نازل
فخرجوا له العقبى بدار الأفاضل
ويجبر مكسوراً دهي بالمهاول
فتى من سليم عالماً بالدلائل
وتكفيه شر الطارقات النوازل
وما اهتزت الأزهار في صبح هاطل
وما هل في الغبرا رذاذ الزواجل
وآل وأصحاب كرام فاضل

وقال أيضاً الشاعر الحجازي أحمد بن إبراهيم الغزاوي يرثي الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وكان يعرف عن أخلاقه وشهامته حينما كان الشيخ قاضياً في مكة:

في مثلك الصبر عند الله يحتسب
يا ويح كل فؤاد أنت موقظه
ويا رزية هذا النعي في ملأ
ترمض عبراته حزناً على جدث
ما للجفون أراها فيك دامية

والعلم يرفع والأشجان تصطخب
أمسى بفقدك في أعماقه يجب
كأنما الدمع من أعماقه عيب
فيه السماحة والأخلاق والأدب
كأنما هي بالأحشاء تنسكب

هيهات أودى الردى في غير ما لجب
حبرٌ من الصفوة الأولى علقت به
هوى به الموت في لجي غمرته
في ذمة الله ما ألقى به وله
ما كان إلا جناحاً ثابتاً وبدأ
تبلو الشريعة فيه حاذقاً فطناً
يجيش كال موج أو كالبحر منطقته
في قلبه من ضحى الإسلام ألوية
وفي سويدائه التوحيد مدرع
إذا انبرى في مجال من مواقفه
عجبت للحد هل في اللحد متسع
بشد ما ضاقت الدنيا به أبداً
ما لي وللندب فيمن خطبه جلل
لا غلك اليوم إلا زفرة ورضا
وما قضى من له في ربه أمل
فإن ذكره في الأصال باقية
فضاعف الله أجر المؤتسين به
وعوض الدين عنه خير ما طلعت

بشمخٍ من الأطواد ينشعب
فما فتت أعاني فيه ما يجب
فأين لا أين ذاك المدرة الذرب
من رحمة الله ما نرجو ونرتقب
تشد أزر الهدى والوعد مقترب
من الذين لهم في شملها دأب
ولا تباريه في آفاقه السحب
خفاقة وهي في غاراته خطب
حسن اليقين غير أنه لهب
حسبت سحبان تجشو حوله الركب
حتى انزوى فيه رضوى فهو محتجب
فكيف وأراه شبرٌ وهو منقلب
ومن عليه حدود الله تنتحب
بما قضى الله فيه ثم تحتسب
ولا قضى من له في دينه نصب
والموت حق وما من دونه هرب
في جنة الخلد وليعظم به السبب
عليه شمس الضحى أو غارت الحقب

وقيل فيه مرثي كثيرة رثاه بها الشعراء والأدباء وأطالوا، فمن الذين رثوه
الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر، ورثاه أيضاً الأخ في الله والمحب فيه عمر الوسيدي
وغيرهم، ولا نطيل بذكرها.

ولما مات أحصي ما عليه من الديون فإذا هي كثيرة جداً فتولى قضائها جلاله
الملك عبدالعزيز بن سعود، وصلي عليه في الآفاق بالنية، وله أنجال كرام ليس فيهم
من يسد ثلثة والده، ثم إنه جعل الملك عبدالعزيز مكانه في قضاء حائل وما يليها
فضيلة الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش، وكان رزينا صالحاً وذا شخصية بارزة.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبدالعزيز بن بشر، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم القاضي العارف المتفنن في العلوم عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل بشر من بني زيد من شقراء، وكان فيه صلاحية للقضاء ومؤهلات للأعمال، فجعله ابن سعود قاضياً في بريدة لما دخلت في ولايته للمرة الثانية، وكان القاضي قبله إبراهيم بن حمد بن جاسر، فلما قدم الشيخ المترجم تولى القضاء وأخذ يدرس في العلوم الدينية، ومما نقل عنه أنه لما قدم إلى ضواحي البلد مساء استضافه رجل من أهالي الصويرة القرية المجاورة للبلد إلى جهة الشرق، فلبى طلبه وقال: سندخل البلد صباحاً ونسلم في آخر النهار من تبعات المسؤولية، ومعنى هذه الكلمة كل واقعة من القضايا تحل ويسلم القاضي منها تعد غنيمة، وكان سخيّاً كريماً مبدلاً، واتخذ كاتباً من أهالي بريدة وهو عبدالله بن ناصر بن سليمان بن سيف نجل الشيخ ناصر ابن سليمان، ووافق قدومه المسغبة التي جرت على نجد، فألف رسالة مختصرة فصيحة للمسلمين في هذا الموضوع فاستمر في القضاء ثلاث سنين، ثم إنه لعدم معرفته بالناس وتمييزه لطبقاتهم اختلط لديه الحابل بالنابل وسعى بعض أهل الأغراض فتوترت العلاقات بينه وبين بعض العلماء، فساءت الحال إلى أن نقل من القصيم إلى الإحساء فتولى القضاء هناك وقام بهذه الوظيفة قياماً حسناً، ولبت في الإحساء مدة طويلة، ثم إنه نقل إلى قضاء الرياض، ثم إنه أسنّ وهرم فكان من المعمرين لأن ولادته حوالي سنة ١٢٧٣هـ، وقد رأيت له تقريراً لتضعيف إمام المرأة للرجال في صلاة النافلة وهذه المسألة التي قال بضعفها من مفردات الإمام أحمد، وقد انتقد الشيخ عبدالعزيز بعض العلماء بشأن هذه المسألة، ولما مات صلى عليه المسلمون في سائر الأقطار بالنية، وكان الذي خلفه على قضاء الإحساء الشيخ سليمان العمري، أما القاضي بعده في الرياض فقد جعلت الحكومة بعده الشيخ ابن زاحم والشيخ عبدالله بن حميد.

وفيها أمر الشيخ القاضي عمر بن محمد سليم بنقض بناية المسجد الجامع في مدينة بريدة وإعادة بنيته لأن المسجد قد تضعضع بعض بنائه لكثرة ما يتردد عليه

من السيول على مر السنين، فشرع في هدمه وأضيف له سعة من جهة الشمال، وقام الشيخ بأعباء العمل، وكان قد شاور الأعيان من الأهالي فوافقوه على ذلك، غير أن الشيخ هو الذي باشر المهمة بنفسه وبعث بالأخبار إلى جلالة الملك، فبعث الملك أيداه الله ورفع قدره مساعدة على العمل، وهذه المساعدة قدرها خمسة عشر ألف ريال فرنسي، وتقدر بخمسة وأربعين ألف ريال سعودي، وكم لهذا الملك من الأعمال الطيبة والمسارة إلى كل مشروع ديني، ولما أن هدم إلى اسه عدل الشيخ جهته وأقيمت العمد كأحسن ما يكون في القوة والحسن، وجعل محل السقف الخشبي عقوداً من الحصى وكان الشروع في العمل في ١٥ جمادى الأولى، ثم إنه جلب إليه مهندسين وأكثر من العمال في بنائه فاستقام من طين وأحكم بنائه إحكاماً مبرماً، وقام الشيخ أكمل القيام فكان يباشر وضع العمد والجدر ويرشد المهندسين إلى إكمال العمل، وقد وزع الأهالي وقت ينائه في أربعة مساجد من بريدة، وكان انتهاء العمل في ٩ شعبان إذ امتد وقت العمارة ثلاثة أشهر إلا قليلاً، وتعتبر هذه المدة قصيرة لكبر المسجد ولأنه أصبح يسع خمسة آلاف من المصلين، وتعد هذه الخطة حسنة خالدة في تاريخ الشيخ المذكور والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وقد قام أهالي عنيزة فعمّروا مسجد الجامع في مدينتهم وأنقنوا صنعتهم، وقد امتاز علمهم الخيري بأن غالب النفقة كانت من الأهالي وفقهم الله وأكثر القائمين بالأعمال الدينية.

وفيها طلب أهالي مكة من جلالة الملك عبدالعزيز أن يسنّ بهم سنته في أهل نجد بأن يجعل عندهم من ينظر في مشكلات القضاء، وشكوا إليه ما يقاسونه من ضياع أموالهم في طول المراجعات والتردد إلى المحاكم، فأتقنهم بالشيخ العالم العاقل محمد بن عبدالعزيز بن مانع صاحب شرح عقيدة السفاريني، وكان عالماً حسن الخلق ذا بصيرة وسياسة وتجربة في الأمور، أشمط اللون، قصير القامة، فجلس المذكور في مكة على كرسي العدالة، وطلبت منه الحكومة رجالاً من المنتسبين إلى العلم في نجد يكونون مرشدين يعظون في مساجد مكة المشرفة ويدرسون في كتب

الحنابلة على الشيخ المذكور، ويكون يضاف إليهم من الأعمال كونهم أعضاء في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هناك بشرط أن يكون أولئك المذكورون من تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ومن تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، فذهب المذكورون إلى مقر أعمالهم التي طلبوا إليها، ولما أن وصلوا في هذه السنة إلى أم القرى أخذوا في الدراسة على الشيخ محمد وانبعثوا يرشدون في مساجد مكة وما يليها، كان يذهب المرشد إلى أحد المساجد فيصلي مأموماً ثم يأخذ بعد الصلاة في الموعظة والإرشاد، ويا حبذا هذا العمل الخيري، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يقوم به الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع والأعضاء الذين معه فكانوا في قوة وعزيمة ونشاط، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، ومن الأعضاء من لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد كان يجلس الرئيس محمد بن مانع وإلى جانبيه الأعضاء من الحجازيين والنجديين فيؤتى بالمجرم فيوقف أمام الهيئة يسوقه العسكري، فيقرر على جنايته هذا شتم، وهذا لم يشهد الجماعة، وهذا يشتكي جاره، وذلك مؤذن يشكو زميله يقول أقام للصلاة ولم يؤذن، وهذا شرب مسكراً، وذا عثر على أنه يفتح الراديو في الملهى إلى غير ذلك، فيعزر العاصي بما يستحق ويردع المعتدي، وكثيراً ما يجري الخلاف في كثير من المسائل، هذا وقد جعل لكل شخص مرتب شهري يصرف له من الأرز والسمن والتمر واللبن والسكر والشاي والنفقة والسكنى والكسوة.

وفيهما نزل غيث عظيم على مكة المشرفة حتى سقط منها مائة وأربعون بيتاً، وخرّب لذلك بعض مجاري عين زبيدة، ودخل السيل في المسجد الحرام حتى كان على قدر قامة الإنسان، وبلغ حوالي باب الكعبة المعظمة، وخرّب أسلاك الكهرباء بعدما دخل إلى أعمدتها فاضطرت الحكومة السعودية إلى وضع اسطوانات من حديد يجعل من بينها ألواح خشبية في أبواب المسجد الحرام للوقاية من دخول السيل فيه، لكن الله دافع عن الأنفس البشرية، كذلك قامت الحكومة بإنشاء سد في أعالي مكة ليصرف الوادي عن البلد.

وفيهما حصل تمرد من شرار في مكة يريدون زعزعة نظام الحكم بحسب ما يتصورون، وكان القائمون بهذا الأمر بعض أحفاد الشريف عون الرفيق أمير مكة في العهد العثماني، وهم الشريف حسن والشريف عبد الحميد طلبا من الملك في العام الماضي الحضور إلى الحجاز لإدارة شؤون أملاكهما الخاصة فيها، فأذن لهم جلالة الملك بذلك وأكرم مثواهم فحضرُوا إلى الحجاز بهذه الدعوى، وأخذوا يعملون للقيام بثورة داخلية، وأخذوا يتصلون برجال البادية ويوزعون الأموال على بعض زعماء القبائل بواسطة عامل من عمالهم يقال له عابد الديب، ثبت في النتيجة أنه هو الذي كان يحرضهم على ذلك ويسول لهم إمكان نجاحهم في مهمتهم دون أن يعلم المفتون أن حب المليك قد تغلغل في كل قلب من قلوب الشعب، ولذلك قام زعماء القبائل المشار إليهم يطلعون سمو الأمير فيصل نائب الملك ويخبرونه بالخفاء بجميع حركات الثائرين وسكناتهم وما يقبضونه من أموال في هذا السبيل، حتى حان وقت موعد التنفيذات الموهومة، فعند ذلك عاجلهم جلالة الملك فأمر بالقبض على كل من الشريف عبد الحميد والشريف حسن، وعابد الديب وبعض من كان له بهم صلة وأودعهم في مكان خاص بدار الأيتام بمكة المكرمة، وشرع مدير الأمن العام مهدي بك الصلح في إجراء التحقيق معهم حتى ثبتت إدانة عابد الديب باعتباره اليد المباشرة في الأمر فحكم عليه بإعدامه، وبعدما أراد الملك إعدام الشريف عبد الحميد وسجن الشريف حسن سجنًا مؤبدًا لكونه لم يعارض في الأمر قضت إرادته بأن يمثل بين يديه، ولما جيء بهما أنبئتهما على فعلهما ثم عفى عنهما، وأمر لهما بجوائز وصرفهما إلى مصر، وحج بالناس في هذه السنة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ومن حج فيها من الأعيان الشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وقاضي جيزان محمد بن عبدالله التويجري، وكان قد تأثر هذا بمرض أصابه، ويظهر لي أنه شبيه بالسل، لأنه مات على أثره رحمه الله.

وفيهما حجتنا الثانية على ظهور الإبل، ولم يحج من الإبل إلا قليل لأن الأمة قد

استبدلت بها السيارات لتوفر الراحة والطمأنينة فيها، وكانت المسافة التي قطعت بها الطريق من القصيم إلى مكة عشرين يوماً، وتمر في سيرها على ذات عرق، الميقات المعلوم، وقد رأينا من أسباب الأمن والصحة شيئاً عجيباً لأن الطريق مطمئنة والسبل آمنة، وقد ضبطت ضبطاً لا مزيد عليه ورجعنا بالسيارات.

تغيير السكة

لما كان في هذه السنة صدر الأمر السامي بتعطيل السكة القديمة المتعامل بها، وكانت قطعاً من النحاس مضروبة في قسطنطينية، وأبدلت بقروش من النيكل سعودية، وكان ذلك برغبة من جلالة الملك جعل الأولى بنكاً يقبضها ويبدلها بمجديدة، كل ذلك مراعاة للشعب لأن لا تكسد الأولى لدى أفراد الأمة، ولقد كان صاحب الجلالة يعالج في ذلك من قد يم غير أنه استطاع بحكمته أن يبدلها عن رغبة الشعب وطمأننته إليها، أما الريال العربي فلم ينصرف مفعوله إلا في السنة التي بعدها، وكانت العاقبة إلى خير.

ثم دخلت سنة ١٣٦٠هـ

استهلّت هذه السنة والأمور هائجة مائجة بين ألمانيا وحلفائها، وبين الحلفاء، وأصبحت الحرب العالمية الثانية تنذر بشرها وويلاتها، وقد انتصرت الجيوش الألمانية واحتلت الدانمارك وهولندا وبلجيكا، وطردت قوات التحالف من نارفيك، واصلت النرويج وطردت القوات البريطانية من فرنسا، والبلجيك وأكرهتها على الفرار من دنكرك بشمال فرنسا بعدما ألقت فرنسا سلاحها وسلمت إلى هتلر، وتقدم الكابتن برين يخترق بغواصته البحرية الحواجز والأسلاك المكهربة في موانئ سكايافلو، وفرث أوف نورث بشمال بريطانيا، وينسف البوارج والدوارع البريطانية في عقر دارها، ويعود إلى قواعده في ميناء كييل سالماً، وكذلك الجنرال غالاند قائد أسراب الشوكا الألمانية ينقض في كل يوم على بريطانيا فيدمر ويخرب ويضرب مدينة كونتري من أعلى وجه الأرض

حتى مسحها وأزالتها من عالم الوجود، وتقدم المارشال رومل يسحق الجيش البريطاني الثامن سحقاً ويطرده من الصحراء الغربية ويقف عند العلمين على بعد سبعين كيلو متراً من القاهرة والاسكندرية، وكان النصر إذ ذاك حليف ألمانيا إذ كانت قد أعدت لهذه الحرب الضروس عدتها سراً من سنين خلت في غفلة الدول جميعها ورصدت لها مجهودات أبنائها عمالاً وصناعاً ومخترعين ومحاربين، وظل هتلر الطاغية في أوجه تنشر أنباء انتصاراته في جو مشبع بالرغبة والذعر، وتروي الأخبار عن عجائب آلاته الميكانيكية التي لم يسمع بمثلها، حتى غزت هذه الأخبار القرى واقتحمت كل مملكة، وسولت له نفسه أن يسيطر على العالم، فلم يبق إلا الاستسلام له أو رد كيده.

ذكر جهود بذلتها بريطانيا أمام تلك الأحوال الساحقة

لما كادت بريطانيا بعد أن جابهت عدوها الظافر الشديد المراس تكون عزلاء من السلاح قبضت الأقدار لها أن يمسك بزمام أمورها في أحلك ساعات الشدائد بطل صنديد وهو تشرشل، فأعلن أن بلاده ستقاتل هتلر حتى تنتصر أو تموت كريمة في ساحة الهيجاء، فاشتعلت مصانع بريطانيا الحربية ليلاً ونهاراً لإنتاج ما كانوا في أمس الحاجة إليه من عتاد الحرب، وجندوا على الفور جيشاً كبيراً، وكان هتلر قد ظهر بمظهر المنتصر وأعطى بريطانيا فرصة للتسليم قبل أن يقضي عليها نهائياً، وكان قد توسع في فتوحاته فزادت مساحة ألمانيا من ١٨٠,٩٧٦ ميل مربع إلى ٣٢٣,٣٦٠ ميل مربع بالإضافة إلى ٢٩٠,٠٠٠ ميل مربع من الأراضي المحتلة غير الملحقة، وكان تحت تصرف هتلر أربعون ألف طائرة و١٨٠ غواصة، ولما رأت بريطانيا خطورة الموقف بعثت تستصرخ الولايات المتحدة، ولقد تشجع موسوليني فجرد حملة كبيرة مكونة من ٣٠٠ ألف جندي بقيادة المارشال جراداني عبرت حدود مصر في سبتمبر ١٩٤٠م، وواصلت زحفها جنوب وادي النيل، ولكن الجنرال ويغل قائد القوات البريطانية أوقف زحف الإيطاليين عند سيدي براني.

وفي ٩ ديسمبر ١٩٤٠م بدأ هجوماً مضاداً جرف أمامه الجيش الإيطالي الجرار، ووقع في قبضته نحو ١٥٠ ألف أسير، وأنزلوا بالجيش الإيطالي في أفريقيا هزائم منكرة وسقطت أديس أبابا فعاد إليها الإمبراطور هيلاسلاسي، وكان بريطانيا قد أوقعت بالأسطول الفرنسي خشية انضمامه إلى قوات المحور، ولما اطمأنت من خطره تمكنت من السيطرة حيثنذ على البحر الأبيض المتوسط إلى انتهاء الحرب، ثم قامت تهاجم الأسطول الإيطالي، وقام سلاح الجو البريطاني يطر الأسطولات الإيطالية وإبلاً من القنابل والقذائف النارية فعطب وأغرق، وذلك في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني ١٩٤٠م.

ولما كان في ٢٩ من شهر مارس ١٩٤١ التقى الأسطول الإنكليزي ليلاً ببعض السفن من الأسطول الإيطالي فأصلاها ناراً حامية وتمكن من إغراق بعضها، وبذلك تمكن الإنكليز من إضعاف الأسطول الإيطالي بحيث فقد القدرة على الهجوم، ولكن هذا لم يجعل الأسطول الإنكليزي في مأمن من غارات العدو، فقد كانت إيطاليا تملك عدداً كبيراً من الغواصات تقلق الأسطول الإنكليزي، كما أنها تملك عدداً محترماً من الطائرات فكانت المواصلات الإنكليزية في البحر المتوسط مهددة بمهمات إيطالية.

ولثقة هتلر بقوة أسطول إيطاليا البحري وما لها من الغواصات واستطاعة سلاح الطيران الجوي الإيطالي اعتقد أنه سيغلق البحر، وقد يجوز هذا لولا وجود مالطة التي كانت تقاوم وتضرب قلاعها بالمدافع رغم الهجمات الجوية التي تعرضت لها، وربما أن الإغارات الجوية عليها بلغت ثلاثة آلاف غارة، فإنها لم تسقط ولم تسكت قلاعها.

وكان الواجب على هتلر أن يسكت قلاعها ويدكها ومراكزها العسكرية والجوية، وبما أن إيطاليا فشلت في تقدمها لغزو اليونان بحيث اضطرت بريطانيا إلى نجدها واستقرت جيوشهم في كريت، فقد جعلت المصادر البريطانية تقول أن من واجب هتلر احتلال هذه الجزيرة لتأمين الأرض التي استولى عليها من الهجمات الجوية القريبة، وإذا لم يتمكن المحور من الاستيلاء على مالطة الضعيفة فكيف

يستطيع احتلال كريت التي تعج بالجنود، واليت كانت السفن الإنكليزية تحميها من جميع الجهات، واعتبرت الإنكليز في ذلك الوقت أن الاستيلاء على الجزيرة من المستحيلات، ثم تقدمت إيطاليا وبدأ هجومها في شمالي أفريقيا، ذلك بأنه قد انضم أكثر دول البلقان إلى المحور، بل راح بعضها يحارب معه، وكانت إيطاليا تملك في ليبيا وأفريقيا ما يقارب نصف مليون جندي، بينما لم يكن بمقدور الإنكليز أن يضعوا أمامهم أكثر من مئة ألف جندي، وتعرضت المواصلات الإنكليزية لأشد الأخطار وأقصاها.

وكانت الخطة الإيطالية لغزو مصر تقوم على أن تبدأ الحملة في جبهتين، الأولى من طرابلس الغرب والثانية من الحبشة بقيادة الدوق أوف أوستا، وأما الحملة الأفريقية من طرابلس الغرب فكانت بقيادة المارشال غرازياني، وتم لهم بعض ما يريدون لولا أن حملة الإنكليز بقيادة الجنرال ويغل في ٩ كانون الأول ١٩٤٠م على مواقع الإيطاليين فارتدوا من حيث أتوا، وسقطت البردية وطبرق ودرنة وبنغازي في أيدي الإنكليز، وأسر من جنود إيطاليا ١٣٠ ألف إيطالي، ولما أخذت الإنكليز تهاجم بمدافعها الثقيلة البردية لتدمير مراكزها العسكرية واستحكاماتها شوهدت الأراضي التي حولها من ضرب القنابل والانفجارات النارية، وقد قام الطراد الإيطالي يدافع عن طبرق بواسطة مدافعه البعيدة المدى والمدافع الأخرى المضادة للطائرات، غير أنه أصيب ببعض القنابل البريطانية من الجو فاشتعلت فيه النار وأصيب بالعطب.

موقف أمريكا

لما نشبت الحرب أقر الرئيس روزفلت قانون الحياد الأميركي الذي حظر فيه تصدير الأسلحة على اختلاف أنواعها إلى جميع الدول المتحاربة ودون استثناء، وكان هذا القانون بالتأكيد ضربة شديدة لإنكلترا وفرنسا، ولكن موقف الحكومة الأمريكية ما لبث أن تبدل بعد شهرين من إعلان الحرب، وبعد أن رجحت ألمانيا

ال الجولة الأولى وهذا لأن أميركا كما هو معلوم ومشهور منحازة بعواطفها إلى جانب الحلفاء، وقد قدمت لهم مساعدات عظيمة من اقتصادية وحربية ومالية، وتعمل جاهدة لتقوية سلاحها وتعزيز دفاعها، كأنما هي تتوقع الحرب بين لحظة وأخرى مما يقطع بأن السياسة الأميركية أخذت تسير باطراد نحو المشاركة في الحرب إلى جانب إنكلترا، فأخذ الرئيس روزفلت بحض الكونغرس على تعديل أحكام هذا القانون، فأقر الكونغرس قانوناً سمح فيه للدولة المتحاربة أن تبتاع نقداً من الأميركيين ما تحتاجه من الأسلحة، ولما وقفت إنكلترا ومستعمراتها تحارب بمفردها القوة الألمانية الظافرة تعاطف اهتمام أميركا بمصير بريطانيا وخشيت أن يتمكن الألمان من إبادةتها وسحقها، فأعلن الرئيس الأميركي في خطاب ألقاه: بأننا سنمد أعداء العدوان بجميع الموارد المادية التي تملكها أمتنا، كما أعلن أن قيامه ذلك يحول دون انتقال مستعمرات فرنسا وهولندا بعد استسلام هاتين الدولتين في أميركا الجنوبية إلى قبضة الألمان، وبعد قيام الحرب بسنة تم الاتفاق بين الولايات المتحدة وإنكلترا على أن تقرض الأولى الثانية خمسين مدمرة أميركية مقابل تأجير بريطانيا إلى الولايات المتحدة عدداً من القواعد البحرية والجوية في جزر الهند الغربية وجزيرة نيوفوند لاند لمدة تسعة وتسعين سنة، وآخر ذلك أن اعتمد المستر روزفلت قانون الإعارة والتأجير الذي جعل من الولايات المتحدة مصنعاً لتزويد الحلفاء بكل ما يحتاجونه، وسنعود عن قريب.

أما ما كان من أمر هتلر فإنه تقدم بمهمات وملاً رعبه كل قلب وكل بيت، وتوهم المتوهمون لفرط ما ظفر به من انتصارات أنه متصل بالسماء قبهم الله أنى يؤفكون، وقد ظل علمه المعقوص خفاقاً في جميع ميادين القتال التي امتدت جبهاتها إلى أميال بعيدة من شرق أوروبا إلى غربها، كما ظلت جيوشه ومدرعاته تجوب جميع الميادين في البر والبحر والجو تكتسح الممالك وتدمر وتقصف بسرعة عجيبة حتى وصلت إلى اليونان بعدما دمرت في طريقها ما تقدم ذكره، واحتلت جميعها احتلالاً عسكرياً صارماً بعد أن دكت حصونها ونسفت قلاعها وأزالت خطوط دفاعها من الوجود.

وكانت اليونان إذ ذاك مشتبكة في حرب مع إيطاليا حلفاء ألمانيا، وكان المظنون أن تكون إيطاليا هي الغالبة لوفرة جيوشها وكثرة عتادها واعتمادها على مساندة حليفها الجبارة، وبما أن إيطاليا هي البادئة بالعدوان فإن اليونان ردتها على أعقابها على رغم ما يظهره الدتشي زعيم إيطاليا من الجعجعة الجوفاء، حتى أنه كان يخطب مزهواً فخوراً بكثرة جيوشه وهو واقف على ظهر المدفع يهدد ويرغي ويزيد ويسمي البحر الأبيض الذي يقف عليه بحرنا.

ولما أن وصلت جيوش الألمان في الزحف إلى الحدود اليونانية لم ترَ أن تسلم حليفها إيطاليا الخسف، بل عزمت على أن تقيمها من كبوتها وتنهضها من عثرتها وترد إليها شرفها واعتبارها بالاستيلاء على اليونان وضمها إلى قائمة الدول التي سقطت تحت عجلات مدرعاتها.

فكر هتلر ورجاله في أيسر طريق إلى بلوغ تلك الغاية فاتجهت أنظارهم إلى جزيرة كريت القائمة في الجنوب الشرقي من البحر الأبيض، وكانت مملوكة لليونان، وباستيلائهم على هذه الجزيرة يضربون عصفورين بحجر واحد إذ يجعلون منها أيضاً قاعدة حربية لغزو الجزر البريطانية وتهديد قوافل الإنكليز أعدائهم الألداء حين تمر في البحر محملة بالمؤن والذخائر ويقطعون الطريق على أسطولهم الحربي والتجاري، وفطنت إنكلترا إلى الأهداف التي ترمي إليها ألمانيا من سعيها في الاستيلاء على هذه الجزيرة، فوقفت بجانب حليفها اليونان تساندها وتساعدوها وتمدها بجيوشها لصد الغزاة عنا بأي ثمن إذ لم يفتها أن غزو كريت مقدمة لغزو موعدة الجزر البريطانية.

ولما كانت ألمانيا لا تملك الأسطول البحري القوي الذي يمهد لها غزو جزيرة كريت عن طريق البحر، وكان الأسطول الإنكليزي الضخم غول البحر يحول ويصول شمالاً ويميناً طول الجزيرة فلا يمكنها من بلوغ ما تريد، فقد تركت البحر للإنكليز يحولون فيه ويصولون بأسطولهم وأعدت لغزو الجزيرة خطة جهنمية لم يسمع بمثلها في التاريخ من قديم الزمان وحديثه، ففي ذات صباح كان أهل الجزيرة

ماضين إلى أعمالهم آمنين مطمئنين في حراسة الأسطول الإنكليزي الرهيب فما راعهم إلا أن سمعوا من فوقهم دويّاً كقصف الرعد يصم الآذان ويبعث الفزع في القلوب تنهد له الجبال الرواسي وتشيب منه النواصي، فتطلعوا إلى السماء مذعورين مأخوذِينَ لينظروا ما دهاهم، فإذا السماء تمور موراً وإذا جو الجزيرة كله ملئ بالطائرات، وما هي إلا لحظات قصار حتى هبط عليهم جنود المظلات ألوفاً مؤلفة بأسلحتهم المختلفة فملؤا آفاق الأرض وسدوا منافذ الطرق، ونظر أهل الجزيرة فإذا أرضهم وديارهم تموج بالعجلات والدبابات والسيارات والمراكب المختلفة التي تحمل الذخائر والمؤن والعتاد، ولم يمضِ على هذا الجيش العجيب غير دقائق معدودات حتى صارت الجزيرة في قبضته، وسرت الجنود كالجراد المنتشر يملأون الطرق يتجولون يطلقون المدافع فتنبعث نيرانها ذات اليمين وذات الشمال حتى غدت الجزيرة الآمنة المطمئنة كبركان منفجر، واستولوا على المطارات، وبما أن سرباً من طائرات الإنكليز شرعت تضرب الغزاة فقد قابلته ألمانيا في معركة رهيبة فوق الجزيرة وجعلت قاذفات القنابل تتهاوت ساقطة محرقة فوق الأرض أو غائصة في أعماق البحر.

ولما قام أهل الجزيرة يكافحون مستميتين ضربتها ألمانيا ضرباً مزعجاً حتى طفئت الأسماك على ظهر البحر وأصلتهم نيراناً حامية، وامتد اللهب وأظلم الجو ثم نشر الألمان عيونهم وأرصادهم وبثوا طابورهم الخامس وأقلام استعلاماتهم في كل مكان حتى لم يبقَ شبر واحد من الأرض بعيداً عن أعينهم الراصدة.

ولما أن استسلمت فرنسا في ١٧ حزيران ١٩٤٠م دخلها هتلر على رأس جيشه الظافر المنتصر ووقف تحت قوس النصر الحافل بأسماء مواقع انتصاراته يستعرض جيشه الألماني المنتصر الظافر الذي تدفقت أفواجه وفرقه من شارع الجيش الكبير على ما سوى ذلك من الشوارع إلى مختلف الشكنات والمواقع التي أعدت لإيواء جيوش الرائنخ، واحتلت القوات الألمانية بذلك الهجوم الخاطف على الجبهة الغربية في مدة لا تزيد على ٣٥ يوماً خصص منها ١٧ يوماً لاحتلال فرنسا.

ولما أن سحقت ألمانيا فرنسا التفت هتلر إلى بريطانيا التي أصبحت وحدها

عدوة الرايخ الألماني الثالث رقم ١، وبما أن روسيا لم تكن في نظر هتلر بقضها وقضيضها وبجيوشها ومعداتها سوى قصة يمكن أن تطوى صفحاتها في أيام معدودات، ولكن هتلر كان يعلم علم اليقين أن بريطانيا وحده هي القادرة على تغيير وجه الحرب فأمريكا لم تدخل الحرب بعد، واليابان تراقب التطورات عن كئيب، وستالين يقف وقفة الحائر المرتجف الذي لا يعرف كيف يتحرك وما هي الخطوة التي ينبغي له أن يخطوها وفي أي اتجاه.

وكانت بريطانيا تشعر في قرارة نفسها بأن الوقوف وجهاً لوجه أمام قوات المحور المنتصرة ليس من الأمور الهينة وقد رأت الضرب المدوخ وأن تلك الجيوش الألمانية بعدما تذوقوا النصر وطعم المكاسب والمغانم صاروا يندفعون بكل قواهم نحو غزو جديد.

ضرب لندن وفتح الجبهة على هتلر

إن هتلر كان يحترم بريطانيا ويحاول جاهداً استمالة ساستها إليه، غير أن بعض زعماء الألمان مثل غوبلز يكره بريطانيا ومثله من الزعماء غورينغ، ولما قامت القيادة الألمانية بوضع خطة لغزو بريطانيا وإعداد أساطيل بحرية ضخمة نزلت الجيوش الألمانية على سواحل بريطانيا الشرقية والجنوبية وجاء الجنرال فون برا وخينش رئيس أركان حرب القوات المسلحة العامة يستشير الزعيم في تحديد موعد الإنزال صرخ هتلر بوجهه قائلاً: دعونا من هذه المهزلة أنا لا أريد سحق بريطانيا، ومن أجل هذا أمر هتلر يوم انسحاب الجيش البريطاني من دنكرك بأن لا تتعدى جيوشه حدود دنكرك إلى أن تنتهي عملية الانسحاب، غير أن غوبلز وغورينغ لم يتفقا على شيء في حياتهما كاتفاقهما على مهاجمة بريطانيا بقوة وعنف زائدين فما أمر هتلر بإلغاء عملية الإنزال ببريطانيا إلا قام غورينغ مصمماً على الهجوم عليها، وراحت طائرات الرائيخ تصلي لندن وأمهاات المدن البريطانية نيراناً حامية بلا هوادة أولين، وكان الضعف والقلق يسودان إذاعاتها وصحفها إلى درجة أنها ما كانت لتحسن التعبير حتى في الدفاع عن نفسها، فضلاً عن الرد على الإذاعات الصاخبة منها.

ولما شرع غورينغ بقصف لندن وأمها المدن البريطانية وبدأ بمعركة بريطانيا يسحق قواها المادية والمعنوية أعلن للملا بأن معركة بريطانيا قد بدأت، وراح الدكتور غوبلز يذيع بأن ألمانيا قد كسبت الجولة الأولى في بريطانيا وأن بريطانيا تتردد حائرة بين الفناء الأبدي أو التسليم، ولقد فعل اللوفتوافا مفعوله الشديد الأثر في لندن والمدن البريطانية التي أغار عليها ودمرها وصيرها ركاماً، وانتظرت الأمة بعد ذلك بأن اللوفتوافا سيحرق لندن ويكره بريطانيا على التسليم وهي صاغرة، ولقد حدى بغورينغ جنونه إلى أن ألقى خطاباً من تلقاء نفسه بأنه يعطي ضماناً للشعب الألماني بأنه لا تستطيع أي طائرة من طائرات العدو والحلفاء أن تطير على أرض الرايخ وهو موجود على قيد الحياة.

ولما أن أهدى الإمام يحيى إلى هتلر كمية من القهوة اليمنية قهوة المخا لعلمه بأن هتلر يحب ارتشاف جرعاتها لتوحي إليه ما توحي من أفكار صاعقية، صادرتها مدمرة بريطانية في البحر الأحمر وأذاع راديو لندن بذلك متهمكاً فتأثر هتلر من هذا الحادث البسيط وبلغ من تأثره أن أمر المارشال غورينغ بأن يزيد في قصف بريطانيا، فمسحت قنابلها بعض مدنها وإزالتها من على وجه الأرض، وأضعف الإمام يحيى الهدية بأن بعث إلى هتلر خمسة آلاف طن من القهوة، وبما أن بريطانيا لم تتوقف مع روسيا فيما قيل، بل قد طرد ستالين وفدها وتحسنت الحال فيما بينه وبين ألمانيا فإنه اليوم يخاف ألمانيا على شعبه، فإذا كانت بريطانيا تقف أمام عدو واحد في الجبهة الغربية وهي كفار مختبئ في جحر ذي منفذين يقف على باب منفذ واحد قط ضخمة في حين أن المنفذ الثاني مفتوح يستطيع الفأر أن يفر منه، فهكذا بريطانيا يمكنها الفرار إلى كندا والولايات المتحدة، فإن ستالين كذب حائر يقف بين صيادين ماهرين لذلك جعل يفاوض بريطانيا، ورأى قبل أن يستحقد هتلر أن يوعز إلى سفيره في أنقرة ليتصل بالسفير البريطاني فيها، فما كان رد بريطانيا عليه إلا مرضياً سريعاً وأنه لم يحدث بين الدولتين روسيا وبريطانيا ما يستحق الذكر، ولا يمكن أن يكون حائلاً دون استئناف المفاوضات، ولما شعر فون بابن صراحة منذ شهر أيلول

١٩٤٠م بأن السفارة الروسية في أنقرة على اتصال دائم مستمر بالسفارة البريطانية أبرق إلى زعيمه هتلر يخبره بالحقيقة ويحذره من مغبة هذه الاتصالات ونتائجها الوخيمة على ألمانيا، فما على هتلر إلا أن يعيى ألمانيا لمواجهة الخطر الأكبر لهذه الجبهة الشرقية، وهذا الذي يريده تشرشل في فتح هذه الجبهة لتستعيد بريطانيا قوتها بعد أن تستجم من هول هذه الحرب، وسنعود عن قريب إن شاء الله.

وفيها خرج صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود ملك المملكة العربية السعودية بموكبه وجنوده من عاصمة المملكة الرياض وسار يريد مقاطعة القصيم، وكان في صحبته نجله وولي عهده سعود وبقية الأنجال المحترمين، وقبل سيره أصلحت الطريق الرملية لسياراته وقدم الفراشون والخدم ينصبون الخيام في الموضع الكائن في بريدة المعروف بالتغيرة يبعد عن البلد بقدر كيلو ونصف كيلو، فقدمها في موكبه العظيم يحيط به نظام عسكري، وهذا لأول مرة يقدم عاصمة القصيم بالنظام العسكري، وأضيء نعيمه الزاهر بالكهرباء فاستقبله الأهالي استقبالاً عظيماً على حسب ما لديهم من الاستقبال، وهرعت الأمة للسلام عليه والترحيب بقدمه، وكنت فيمن قدم عليه بجملة من التلامذة وطلاب العلم، فقام لأداء السلام كعادته في التواضع، وبعدما أديرت القهوة العربية أخذ يتكلم ويلقي علينا من جواهره فقال:

يا إخواني سبحان من يغير ولا يتغير، وإن الدنيا مآلها إلى الفناء والزوال، ويكفيننا عبرة سكان هذه البقاع الخاوية - ويشير إلى جهة الغرب يريد الشماس الموضع المعروف شمالي البلد الذي كان موضع السكنى في الأزمنة الغابرة - يا إخواني كأنه لم يسكن، إخواني: إن العز في طاعة الله تعالى، أما الدنيا فإنها تمضي على ما كانت حلاوة ومرارة، نحن لا نخشى من الناس وإنما نخشى من أنفسنا، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وهذه الدنيا وإن حذرنا منها فكلنا لا ننتهي عن الركون إليها كما قيل «الدنيا دواهي وكل عنها ناهي وهو غير متناهي» انتهى، فأحببت أن أشجعه على القيام بأوامر الله وإن كان لم يقصر، رفع الله منزلته

في جنات النعيم وجزاه عن الإسلام وأهله خيراً، فقلت له: إن إمام هذه الدعوة محمد بن عبد الوهاب قال لجدكم محمد بن سعود: إن قمتم بهذا الأمر فلا يقاومكم أحد إلا إن كانت هذه العنز تقاوم هذا الجبل، فأعجبه ذلك وتأثر قليلاً: نخشى عدم القيام بهذا الأمر، غير أننا نسأل الله المعونة.

وبعدما تمتعنا برؤية واغتنمنا فرصة مشاهدته قمنا مودعين، فأقام في بريدة أياماً ثم ارتحل منها وخلف ضيافة في بريدة بمرتب عشرة أكياس أرز وأربع صفائح سمن وبعير كل يوم فأصبح فقراء أهل القصيم يترددون إلى الضيافة كل يوم، منهم المتناول بيده والحامل بآنيته، ونفع الله الفقراء بهذا المضيف، وقد فرق نقوداً كثيرة.

ثم إنها عطلت السكة الأولى المتعامل بها وهي الريال الفرنسي وأبدلت بالريال العربي، وجعل لذلك بنك يقبض ويبدل وكان الريال العربي بقدر خمسي الريال الفرنسي، وله نصف وربع كلها من الفضة، أما القرش فكذلك من النيكل.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

فمنهم قاضي عينة الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع رحمه الله وعفا عنه، كان شيخاً كبيراً فاضلاً ناسكاً ورعاً سكيناً، فمن روعه أنه كان إذا جلس للقضاء قد يحضر الكتاب للمراجعة ويطيب أنفاس المتخاصمين ويحرص على الإصلاح، وقد يرضي أحد الخصمين بشيء من ماله، وكان في صفته أنه يخضب لحيته بالحناء، ومربوع القامة، وبعد وفاته لبثت عينة أياماً بلا قاضي.

ومن توفى فيها أيضاً الشيخ حسين باسلامة الحضرمي مؤلف كتاب حياة سيد العرب، وتاريخ النهضة، وتاريخ المسجد الحرام، وتاريخ الكعبة المعظمة، وله غير ذلك، وهذه ترجمته:

هو حسين بن عبدالله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامة آل باداس الكندي الحضرمي المكي، تقدم ذكر ولادته، وتوفى عن عمر ناهز إحدى وستين

سنة، أخذ القرآن والتجويد والكتابة والإملاء والخط والحساب عن الشيخ فرج بن عبدالله سوداني، والشيخ علي المنصوري، والشيخ سليمان بن محمد فرج الغزاوي، وأكمل دراسته على الشيخ محمد الفارسي، والشيخ يوسف اليماني، وتعلم من الشيخ محمد عبيدالله أفندي علم التاريخ والجغرافيا، واتصل بالشيخ محمد شعيب المغربي فأخذ عنه علم مصطلح الحديث والتفسير والحديث وأصول الفقه، ثم بعد ذلك شرع في التأليف، فمنها ما ذكرنا ومنها الجوهر اللماع، والناسخ والمنسوخ من القرآن، وآلف كتاباً في وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير، وكتاباً في تحريم المتعة، وكتاباً في معنى كرامة الأولياء، ونال عدة وظائف منها سكرتير مجلس الشيوخ في عهد الحسين بن علي الشريف ١٣٣٥هـ، وانتخب عضواً في المجلس التأسيسي الذي وضع للنظام الأساسي لحكومة جلالة الملك عبدالعزيز ١٣٤٤هـ، ثم انتخب عضواً في المجلس الاستشاري، بعدها بسنة ثم كان عضواً في مجلس الشورى، ثم عين عضواً في لجنة الحج في بدء تأسيسها، ثم كان عضواً في مجلس الشورى، وانتخب عضواً في مجلس المعارف وذلك في سنة ١٣٥٠هـ، ثم انتخب عضواً في هيئة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين، وذلك في سنة ١٣٥٤هـ، وقد استمر في هذه المجالس الثلاثة يشغل وظيفتها.

وفيها حدث سعال عظيم في الصبيان الصغار وهلك بسببه عدد كثير، فنسأل الله تعالى أن يجبر المصاب ويجعلهم شفعا لوالديهم.

وفيها وقع خسف عظيم في فلسطين هلك بسببه أموال تقدر بسبعمائة طن، وسقط مائة وأربعون بيتاً، واختلف بسببه من الأنفس البشرية مائة ألف وثلاثون ألفاً، وتشققت الأرض، وجعل يفور منها دخان الكبريت.

وفيها في ليلة ١٥ ذي الحجة كثر الجراد جداً في القصيم وخرج الناس لطلبه، وكثر أذاه.

وحج بالناس في تلك السنة نائب جلالة الملك ونجده فيصل بن عبدالعزيز، وقد عني جلالة الملك بأمر الحجاج، فكان يبعث البرقيات تترى إلى سمو الأمير فيصل للسؤال عن الحجاج وراحتهم في كل مكان نزله، وذلك لشدة اهتمامه بشأنهم.

وفيهما زحف الجنرال الإنكليزي ويلسن والجنرال كاترو الفرنسي على سوريا فاستولوا عليها وذلك بعدما رأت انكلترا أن تبادر إلى ذلك متعاونة مع قوات فرنسا الحرة، وأعلن كاترو استقلال كل من سوريا ولبنان، فاعترفت انكلترا بهذا الاستقلال، واعترفت الدول العربية بذلك رغم وجود جيش الاحتلال الفرنسي في البلاد.

ثم دخلت سنة ١٣٦١هـ

في أوائل شهر ربيع الأول استسقى المسلمون وسألوا الله الغيث، فلما كان في ٢٥ منه نزل غيث عظيم وهطلت أمطار على القصيم، فجرت الأودية حتى تجرفت من السيول، وامتألت المحاجر وجرى وادي الفاجرة بعدما مرّ عليه عشرون سنة لم يجر، فلم يشعر الأهالي من سكان تلك المواضع إلا بها قد زخرت كالبحر، فانقطعت السابلة من الجهة الشرقية والشمالية عن العاصمة، ودمرت الفاجرة كلما مرت عليه من البيوت والمساكن الكائنة بالخبيب، فعميت آثارها وكان يوضع في تلك المواضع أخشاب كبيرة كثيرة للبيع، فبعدما سقطت البيوت كانت الأخشاب المنصوبة والموضوعة هناك بما فيه من جريد النخل وغيره غطاء من جوانب الوادي، واختلط الحابل بالنابل وامتد الوادي كالبحر تجري به السفن، ولما أن بلغت الفاجرة إلى السادة الحارة المعلومة في بريدة وأشفى أهلها على الهلاك تحيط بالماء كثبان الرمال من الغرب والشرق، والبيوت من الجنوب أوقفها الله اللطيف بعباده، وانقطع جريها من الشمال، وبعث الله رجلاً من مطلع سهيل فتوقفت، وهكذا يصنع كل وادي يجري فإنه يدمر ما في طريقه، ونأمل من الأهالي إجراء ما يلزم نحو هذه الفادحة بأن يتخذوا سداً لتصريف هذه السيول الجارفة أو إجراءها بالأنابيب من منتهاها إلى جهة الشرق لتمشى إلى العيون.

ولولا قيام أمير بريدة إذ ذاك وترحيله السكان عن البيوت لكان الأمر أشد من ذلك، وما يجدر بنا ذكره أن أناساً اتفقوا في موضع قبل مجيء ذلك الوادي بخمسة

أيام ودار الحديث بشأن الفاجرة فيما بينهم، فمن قائل: تمنعها السواقي، ومن قائل: تمنعها الحفر التي في طريقها فلا تأتي، حتى أقسم من بينهم رجل جريء بأن لا تجري في الخبيب بعدما جرت من قديم، فما كان سوى خمسة أيام حتى صنع الله ذلك الأمر والله على كل شيء قدير.

وكان القاضي فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم قد سافر إلى الرياض بدعوة من الملك عبدالعزيز لبعض الأمور الهامة فلم يشعر أمام جلالة الملك إلا وهو يحدث الملك بهذه الحادثة التي لم يعلم بها لكونها بعد سفره، وأخبره بأنها هدمت المستشفى في بريدة مبشراً له بهطول الأمطار هناك، وإن المستشفى لا يظن به أمام السيول، وذلك المستشفى المشار إليه كان عبارة عن موضعين في الخبيب يفصل بينهما الشارع العمومي قد جلبت الحكومة إليه أطباء ماهرين في السنة الماضية من ضمنهم محمد علي الطباع، كان جراحاً له في القصيم أحسن الأثر في أعماله، وآخر يدعى الشواف يعالج في البصر ويلتحق بهما مساعدون وفراشون وخدم، وقد أعيد بعد ذلك المستشفى وأبعد عن مواقع الخطر، غير أنه فقد أولئك المهرة وخلفهم أناس أقل منهم.

وفيها جعل الملك عبدالعزيز في قضاء عينة محمد بن عبدالله بن حسين أبا الخيل، فسار إلى البلد وباشر مهمته فيها، وكان يروم معالي الأمور ويريد من الأمة بها القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير أنه لما لم تساعده الظروف استقال من وظيفته وحصلت له العافية، ثم إنه جعل جلالة الملك على قضاء عينة فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عودان من أهالي الجنوب، ولما أن قدمها استطاع بسياسته ولين عريكته أن يتحجب إلى الأهالي ويسودهم بعقله وعلمه، واستمر في القضاء، وقد أكمل المسجد الجامع في عينة وتمت العمارة في هذه السنة.

وفيها بعث الملك عبد العزيز مساعدات للمزارعين على طريق القرض ذهباً وقمحاً لكل كيس من القمح ثلاثون ريالاً، فانتعش المزارعون فجعلت هيئة

للتقسيم، وكان قدومها في مبدأ شهر شوال، ورجعت السيارات الضخمة التي حملت المساعدات المذكورة في ١٩ منه تحمل كمية من الحجاج بأجر زهيد، فسبحان من منح ذلك الملك التوفيق، ولقد كانت الأسعار إذ ذاك مناسبة في الرخص بحيث كان كيس الأرز من الفورة الطيبة لا تزيد قيمته عن ستة وثلاثين ريالاً، أضف إلى ذلك بقية الأسعار، وهذا غريب في وقت الحرب العظمى التي لا تزال طاحنة رحاها، وحج بالمسلمين في هذه السنة جلالة الملك عبدالعزيز، ومن حج فيها من الأعيان أخواه سعود بن عبدالرحمن، وأحمد بن عبدالرحمن، ونجل الملك محمد بن عبدالعزيز، وسعود بن عبدالله آل سعود، وعبدالعزیز بن فيصل آل سعود، ومحمد بن سعود، وفيصل بن تركي، وفيصل بن عبدالله، ومحمد بن تركي وغيرهم.

ومن حج فيها من الأعيان: الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وهذه آخر حجة حجها رحمه الله على ظهور التجائب هو ورفقته.

تنبيه

قد أشرنا فيما تقدم إلى انضمام اليابان إلى المحور وذلك منها تحذيراً للولايات المتحدة من الانضمام إلى الحلفاء، ولما رأت تصميم روزفلت على مد الحلفاء أرسلت اليابان وفداً رسمياً للمفاوضات وإزالة أسباب الاحتكاك بين الدولتين، وبينما كانت المفاوضات دائرة بين الفريقين انقضت قاذفات القنابل اليابانية على حاملات الطائرات في صباح ٧ ديسمبر ١٩٤١م دون إنذار، وأمطرت بالقنابل الأسطول الأمريكي الراسي ساعته بقاعدته البحرية الكبرى في بيرل هاربر بجزر هاواي، فحطمت أكثر قطعه، وبذلك قضت اليابان بضربة واحدة على التفوق البحري الأمريكي في ذلك المحيط وقامت كتابتها تبهر على جناح السرعة من مستعمرة الهند الصينية الفرنسية وتنزل دون مقاومة في شمال شرق الملايو وفي سيام، فأعلنت الولايات المتحدة الحرب فوراً على اليابان، وذلك في الحادي عشر من كانون الأول ١٩٤١م، فأعلن هتلر في اليوم نفسه الحرب على أمريكا، كما أن

إيطاليا أعلنت الحرب عليها، وبذلك أصبح القتال يعم قارات العالم كلها ما عدا أمريكا الجنوبية، وتقدم اليابان حتى أصبحت جيوشهم تطرق أبواب الهند، وطرد اليابان القوات الأمريكية بعد نضال عنيف من جزر الفلبين واستسلمت قواتها للعدو الظافر، ولكن القوات الأمريكية بعد سقوط أول قبلة على ميناء بيرل هاربور جندت جميع إمكانياتها للحرب فبدأت معامل الصناعات تعمل لمدة ٢٤ ساعة كل يوم، ووجه روزفلت إلى الكونغرس الأمريكي في كانون الثاني للكشف عن منهج التسليح الذي لم يجهله العالم، فانتجت معامل أمريكا ستين ألف طائرة وخمسة وأربعين ألف دبابة وعشرين ألف مدفع مضادة للطائرات، وجندت خمسة وعشرين مليون مقاتل في هذه السنة المذكورة، ولسان روزفلت الحالي يقول:

ألا لا يجهلن أحداً علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ذكر من توفى فيها من الأعيان

فمنهم الأمير أخو جلالة الملك عبدالعزيز وهو محمد بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي الهمام المقدام وابن السادة الكرام، كان شجاعاً فاضلاً، ومن باشروا الفتوحات مع أخيه الملك، بل هو أحد النقباء الذين سطوا على عجلان وذويه وجرعوهم كؤوس الحمام، كان أسن من الملك ومأمون التقلبات، تقياً ناسكاً مهيباً، يسير بأوامر صاحب الجلالة أخيه، بل كان عوناً له في مهمات الأمور وعضده الأشد، وحضر معه جميع حروبه، وعاش عزيزاً ومات عظيماً، ولما توفى صلى عليه المسلمون في سائر الأقطار بالنية، وكتب الملك كتاباً إلى سائر الرعية بأن من كان له دين على أخيه أو حق قديم أو حديث فليتقدم بحجته لقبض ماله عليه، وكان له من الأولاد خالد، وقد توفى قبله كما تقدم، وله فهد بن محمد، وكان فهد صائداً ماهراً، ومن أنبل آل سعود، وهذه صفة المترجم:

كان ضخماً طويلاً عليه آثار النجابة والمكارم والشجاعة والعظمة والتقدير.

ومن توفى فيها من الأعيان أيضاً نائب الحرم الشريف ومدير الأوقاف العام،

ورئيس لجنة الصدقات في مكة المشرفة عبدالوهاب، وكانت وفاته يوم عيد الأضحى، فالله المستعان.

ذكر الحرب مع روسيا

قد أشرنا فيما تقدم أن ستالين زعيم روسيا قد جس نبض تشرشل في حماة هذه الحرب الجوية الطاحنة بغية استئناف المفاوضات معه، وكان تشرشل قد ضاق ذرعاً بالغارات الجوية الألمانية، فلقد أصيب البرلمان والمتحف بأضرار بالغة .. لندن تحترق وزالت مدينة كوفنتري من عالم الوجود، والمستقبل لا يبشر بخير، حتى أن تشرشل نقل الماغنا كارتاً نص الدستور البريطاني إلى كندا، ولما أن انتهت معركة الجبهة الغربية بانتصار ألماني ساحق، وخرج هتلر من هذه المعارك ظافراً منتصراً أدهش ذلك ستالين الذي لم يعقد مع هتلر معاهدة الدفاع المشترك إلا ليورطه في معارك طاحنة مع الدول الغربية تكون وسيلة لإضعاف قوى ألمانيا العسكرية، وتوزيع الجيش الألماني على جبهات متعددة طويلة الخطوط، فهتلر ظهر بهذا المظهر يقول لبريطانيا: هلمي بنا إلى كلمة سواء بيننا، فإما صلح وسلام دائم، وإما حرب وخراب دائم، كان ستالين يحترق غيظاً وحنقاً على هتلر في تلك الانتصارات الصاعقية الخاطفة وقلب ظهر الجن، وما كان هتلر ليتجاهل بأن ستالين إمام المذهب الشيوعي أفسق وأكذب سياسي عرفه العالم في التاريخ الحديث، ولكنه لما رأى رفض تشرشل مفاوضة النازيين ساير ستالين وعامله معاملة ظاهرة ينوي تنفيذها وإن كان رفيقه بضدها، وكان الذي اكتشف نوايا ستالين بأنه يسعى لعقد تحالف مع بريطانيا وحلفائها هو الحاج أمين الحسيني، ورشيد عالي الكيلاني، لذلك قرر هتلر المهجوم على روسيا وتعبئة الجيش الألماني وحشده ضد ستالين، وأصدر أمره الرسمي رقم ٢٠ بتاريخ ١٠ كانون الأول ١٩٤٠م إلى قادة جيوش الرايخ بلزوم الاستعداد للهجوم على روسيا الشيوعية الخائنة، وعقد الزعيم هتلر مؤتمراً دعا إليه قادة الجيوش الألمانية وعلى رأسهم الجنرال فون براوخيتش رئيس أركان

الحرب العامة في قصر المستشارية يوم ٢ شباط ١٩٤١م، ولما عرض عليهم مشروعه الجبار ساد الصمت قاعة الاجتماع، ولم يتجرأ قائد ألماني على أن ينبس ببنت شفة، واتجهت الأنظار إلى الجنرال فون براوخيتش الذي كان يخط بقلم الرصاص الذي بيده عبارة غيرت مجرى التاريخ، فالتفت إليه هتلر وهو يصيح بصوت عالي وبعصبية ظاهرة: ماذا تقول يا جنرال؟ فقام فون براوخيتش رئيس أركان الحرب العامة الألمانية وأدى التحية العسكرية لهتلر ثم تقدم إلى منصة الزعيم والأبصار شاخصة إليه، والجمع ساكت كأن على رأسه الطير، وقدم إلى هتلر الورقة التي كتب عليها بقلمه الرصاص، وهنا انفجرت مراجل غيظ الزعيم هتلر وهباً من مقعده ساخطاً ناقماً وهو يصيح لقد صدق ظني فيكم يا أيها الجنرالات، إنكم تخونوني في وقت الحاجة إليكم، أنا لا أقبل استقالتك يا جنرال فون براوخيتش، إن استقالتك طعنة نجلاء في صدر جيوش الرايخ، طعنة لا يستطيع ستالين أن يركز مثلها في صدر جيشي لا أقبل .. أفهمت لا أقبل، وصمم على الاستقالة، ولما لم يفد الكلام شيئاً وأبدى الجنرال عذره عيّن هتلر مكانه الجنرال كايتل، وفي الخفاء تقرر الهجوم على روسيا في ٢ شباط ١٩٤١م، ولا يلام هتلر فإن هؤلاء الحمر يأترون منذ عدة أشهر بهتلر للهجوم عليه، فأراد هتلر أن يتغدى بستالين قبل أن يتعشا به، وأعتقد أنه على أثر انتصاراته الصاعقية الخاطفة في الجبهة الغربية قد كانت الجبهة الشرقية الروسية مفتوحة أمامه.

ذكر نصيحة قواد الجيوش الألمانية لهتلر ورفضه ذلك

لقد كانت الجيوش الألمانية موزعة تحت قيادة الجنرالات الهتلرية في الغرب والشرق ينفذون الخطة التي رسمها لهم ويتعاونون تعاوناً تاماً يدعو إلى التقدير والإعجاب، ولما أصدر أمره بالزحف على روسيا صار الرأي العام السديد عندهم بأن الحرب مع روسيا ستكون حرباً خاسرة، واجتمع القادة وعلى رأسهم الفيلد مارشال فون روندشتيت، والفيلد مارشال فون براوخيتش، والجنرال هالدر،

والجنرال كوسترينغ الذي كان ملحقاً عسكرياً لألمانيا في موسكو، وعرف روسيا جيداً، وارتبط مع ستالين بصداقة شخصية وأجمعوا على الوقوف ضد الهجوم على روسيا منذ البداية، وقدموا نصيحة خالصة لهتلر بأنه إذا كان مصمماً تصميماً جدياً للهجوم على روسيا الشيوعية فإن عليه قبل كل شيء أن يعقد صلحاً عاجلاً مع بريطانيا، وبناء على ما تقدم فإنه وقف هتلر أمام أعضاء الراجشتاغ النازي يلقي خطابه المشهور الذي عرض فيه لأول مرة بعد تسليم فرنسا على بريطانيا الصلح حقناً للدماء في الغرب، وكان يعتقد بأن في استطاعته أن يصنع ميونخ جديدة يحمل فيها بريطانيا على التسليم بمطالبه وعقد صلح معها، ولكن المستر تشرشل الذي تسلم الحكم في بريطانيا بعد حكومة سلفه تشرملن قد تعلم الدرس الكافي من محاولة ميونخ، وأصرّ على مواصلة القتال، ولقد صرح الفيلد مارشال فون روندشتيت بأن الحرب مع روسيا هي فكرة جنونية، وإذا كان هتلر لا يتجنب هذه الحرب فلماراتها وقسوتها تكون بضعة أشهر لا تكفي لقهر روسيا، فعلياً أن نستعد لحرب طويلة، وأن نسير نحو أهدافنا خطوة خطوة، وإن صيفاً واحداً لا يكفي لكسب النصر، وفي ذلك الحين زار برلين الرحالة الأسوجي الشهير سفن هيدين وكان من أكبر الشخصيات الأوربية التي تعطف على ألمانيا، فروى أنه التقى في ستوكهلم بتاجر إنكليزي كبير استنكر الحرب بين ألمانيا وإنكلترا وطلب هذا التاجر إلى سفن هيدين أن يدبر له زيارة خفية إلى برلين لكي يقابل هتلر ويقول له: اركب إلى لندن وقابل وزرائنا وقل لهم هائئذا، إن الاستمرار على القتال فيما بيننا هو ضرب من الجنون لا يفيد منه إلا روسيا عدوتنا وعدوتكم لكي تسحقنا فيما بعد الواحد تلو الآخر، هلموا فلنضع يدنا بأيديكم ولتعاون بإخلاص من جديد، وهنا سأله سفن هيدين حسناً ولكن ماذا يحدث إذا اعتقل الإنكليز هتلر حتى نهاية الحرب؟ فأجابه الإنكليزي أبداً إن الإنكليز سيتأثرون بشجاعة هتلر ويتفقون معه، فلما أن سمعها هيس اغتربها وبدأت الفكرة تجول في دماغه ليطير إلى الإنكليز فمنعه هتلر، وكاد بالرغم من ذلك أن يسافر على أثر زيارة مولوتوف وزير خارجية

ستالين لبلين، ولما أن صعد هيس الطائرة في كانون الأول ١٩٤٠م أصيبت بعطب بعد قليل فعاد بها إلى المطار وأوعز بتعديل بعض أجهزتها، ولما بدأ التوتر يشتد بين ألمانيا وروسيا اعتقد أن ساعة الصفر قد اقتربت، فطار نهائياً في ١١ أيار ١٩٤١م وحلق نحو اسكتلندا ليهبط هناك بالمظلة قرب قصر دوق هاملتون وهو يتخيل أنه سيجتمع بأركان الحرب ويعقد الصلح على أهون سبب، ولما نزل منكسر الساق بالمظلة وعرض الصلح اعتقله الإنكليز وسجن، ولما علم هتلر بسفره جعل يهز قبضتيه بعدما آيس من إدراكه قبل نزوله هناك، واستمر هياجه هذا المعنوه .. هذا المعنوه لن يستطيع في هذه الحركة أن يتوصل إلى اتفاق مع إنكلترا.

ولا ريب أن استقالة رئيس أركان حربه الذي لم يخسر معركة واحدة في خلال سنتين قد أثرت تأثيراً شديداً في نفسية هتلر، فلقد تخلّى عنه القائد الفحل وأصرّ هتلر على الهجوم على روسيا لما قام به ستالين من التآمر ضد الرايخ لفتح جبهة ثانية في الشرق لغزو ألمانيا غزواً مفاجئاً وطعنها من الورااء شأن الجبار الغادر الرعديد، لذلك قام هتلر يدرس مع أركان حربه خطة هجوم على روسيا في قاعة الخرائط، ولا نهمل حزمه وسياسته فإنه أراد أن يسكن روسيا حتى يسيطر على الغرب ثم يلتفت إلى الشرق، وكان نجاحه باهراً، ولما ضايقته خيانة ستالين ولم يتوفق لعقد الصلح مع بريطانيا التي أصرّت على مواصلة القتال بالرغم عن ضعفها المهلك إذ ذاك وقوة هتلر المخيفة، أدار هتلر سفينة الرايخ الثالث نحو الشرق وسلطها على رمال روسيا وحوّلها وثلوجها، وحشد خمسة ملايين من فلول الجيوش الألمانية ووضعها أمام الجيوش الشيوعية التي كان عدد جنودها سبعة ملايين، وهم ليس كالجنود الألمانية الذين أهلكت قواهم حروب الغرب، فأربعة وعشرين شهراً في المعارك الغربية هدّت حيل الجيوش وأنهكت قواها، فكيف يراد منها أن تكلل جهودها في الجبهة الروسية، كان السلاح الجوي الألماني في حالة إرهاق بعد أن دوّخ الغرب فيحتاج لوقت طويل للراحة وإعادة التنظيم.

ولقد قام هتلر يشجع قواده ويعدّهم بالنصر تارةً ويتهدّد ويتوعد أخرى، وقد

يرغي ويزيد، حتى قال لغوبلز: إنني سأنتزع النصر انتزاعاً في روسيا وأسحق ستالين والحزب الشيوعي وأدخلك موسكو لتذيع أنباء النصر الألماني الأكبر، ولكنني سأهدم الكرملين وأزيل أثره من عالم الوجود، أفهمت .. غير أن غوبلز كغيره من زعماء الألمان ييدي الهلع والخوف من الحملة على روسيا، بل كان يعتبر الرايخ منذ الآن فصاعداً في خطر، ومن كلام رئيس أركان الحرب الجنرال فون براوخيتش لما سأله هتلر عن أسباب استقالته لما استقال أن حشرج وأطلق حسرة من فمه كحشرجة المحتضر وقال:

يا زعيمى يقول بسمارك إن من يهاجم روسيا مصيره الزوال، إن أماننا مثل نابليون وجيشه الكبير، فأجابه هتلر: ومن بسمارك، إن العهد الذي أوصى فيه بسمارك قد تبدل اليوم، فلقد مضت على وصيته نصف قرن وتبدل وجه روسيا.

ضرب روسيا وانتصار الزعيم هتلر

نشير إلى جيش الفريقين فنقول:

يقدر جيش روسيا في تلك الجبهة بـ ١٦٠ فرقة للمشاة و٣٠ فرقة فرسان و٣٥ فرقة آلية ودبابات، وإن قسماً من هذه القوات يرباط في جبهة الشرق الأقصى أمام اليابان ويقول التقرير بأن مجموع الجنود الروس الذين يمكن سوقهم إلى صفوف القتال يقدر باثني عشر مليون جندي، وأن قوة الدبابات والسيارات الآلية تفوق عدد دبابات الرايخ ولكنها تقل عنها فنياً وحربياً.

أما الأجهزة الحربية الأخرى قيل عنها بأنها جيدة غير أن القوات الجوية والقوات البحرية الروسية لم تكن بذات أهمية، ونشير إلى أن المعلومات عن الحالة الداخلية لها كانت ناقصة فلا يمكن الوصول إليها، والمجاهدون في هذه الجبهة سبعة ملايين، أما الجبهة الألمانية فمجموعة جيوش الجنوب بقيادة الفيلد مارشال فون روندشتيت وهي تتألف من جيش الدبابات الأول الذي يقوده الجنرال فون كلايست يدخل في ذلك الجيش الحادي عشر المرباط والجيش الهنغاري والجيش

الألماني السابع عشر المرباط في شمال جبال الكاربات بقيادة الجنرال فون شتو ليناخل والجيش الألماني السادس إلى غير ذلك.

أما جيش الوسط بقيادة الفيلد مارشال فون بوك وكان مجموعة تعتبر من أقوى وأنظم الجيوش الألمانية المزعجة، غير أن القيادة الشيوعية لم تجرؤ على القيام بمثل الكبرى المؤدية إلى موسكو، وكان مجموع جنودها يتألف من ٣٠ فرقة للمشاة و١٥ فرقة للقوات الآلية وللدبابات وللفرسان، وكان يقف أمام هذه القوات المخيفة المارشال الروسي الشيوعي تيموشنكو بقواته التي تزيد على القوات النازية من الناحية العددية، أما مجموعة الجيوش الشمالية فيقودها الفيلد مارشال ريترفون ليب يساعده قادة الجيش الألمانين السادس عشر والثامن عشر بقيادة الجنرالين بوخ وبوشلر، وكذلك الجيش الآلي الرابع بقيادة الجنرال هوبنر، وكانت مواقع هذه الجيوش الألمانية تمتد من ميناء ميميل على بحر سوالكي، وكان المفروض على هذه الجيوش احتلال مدينة لينينغراد والتقدم منها نحو الجنوب.

القوة البحرية

إن كل مجموعة من الجيوش الثلاثة الآتية الذكر كانت لها قوة جوية خاصة، وكانت هذه القوات الجوية مؤلفة من الأسطول الجوي الرابع بقيادة الجنرال لوهر وهو ملحق بمجموعة الجيوش الجنوبية والأسطول الجوي الثاني وهو الأقوى في هذه القوات الجوية بقيادة الفيلد مارشال كيسلرينغ لمساندة مجموعة جيوش الوسط، ومجموعة جيوش الجنوب المتقدمة تتألف من ٢٥ فرقة للمشاة، ومن ٤ فرق آلية و٤ فرق للدبابات، ومن ٤ فرق للمشاة الجبليين القناصة.

ولما وقعت الواقعة كانت شديدة الوطأة على روسيا، فلقد انهارت خطوط الدفاع الروسية في ساعات معدودة وتغلغلت قوات الرايخ الألماني داخل أوكرانيا بسرعة البرق الخاطف، وكانت الدلائل كلها تشير إلى أن الرايخ الثالث بقواته الفتاكة كان ينتقل من نصر إلى نصر على طول خطوط القتال، وأصبح هتلر نفسه

شديد الاعتقاد بأن النصر النهائي حليفه، كما أصبح في متناول يده، وبأن روسيا لن تقوى على المقاومة أكثر من شهر أو شهرين.

وكانت النتيجة في واقعة فياسما اقتياد ٦٥٠ ألف أسير من روسيا واغتنام خمسة آلاف مدفع و١٢٠٠ دبابة، وأمر هتلر على المارشال فون بوك أن يعد فرق الهندسة لتقوم بتخريب الكرملين ساعة دخول الجيش الألماني إليها ظافراً، واعتقد الجيش بعد هذه الكارثة أن الجيش الأحمر في طريق الإبادة والفناء، وبأن أبواب موسكو قد انفتحت لاستقبال جيوش هتلر، وألقى الله الرعب في قلوب الجنود الروسية وبقوا واجمين بدون حراك في انتظار التسليم، فالأسر ولكن أنى وهيهات وأمر الله واقع لا محالة.

ولما أن انتقلت القيادة العامة من مدينة إلى مدينة وتقدمت حتى لم يكن بينها وبين موسكو عاصمة روسيا سوى مائة ميل وذلك بتاريخ ٢ أيلول ١٩٤١م، ولم يبق أمام قوات الرايخ الثالث إلا عدد هزيل من مواقع الدفاع وجعل الجيش الألماني يعني نفسه وهو على أبواب موسكو بقضاء عطلة عيد الميلاد وعيد رأس السنة بين الأهل والأصحاب في برلين إذا بعدوين أحاطا بجيش ألمانيا هما تساقط الثلوج وإمداد بريطانيا لحليفها الروس، هذا وقد كانت الجيوش الألمانية في حالة يرثى لها من شدة التعب والنصب واستمرار قراع الكتائب والجحافل، وصار لسان الحال فيهم يردد قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم يهن فلول من قراع الكتائب

ولما احتلت جيوش هتلر روسيا الأوربية وشبه جزيرة القريم، وثلاثة أرباع القفقاس اتجهت الحركات الاستقلالية التي كانت تعمل سراً في تركستان المسلمة، وفي أيبيل أورال وشبه جزيرة القريم نحو الزعيم هتلر يعلقون آمالهم بعد الله عليه، ذلك لما قاسوه من جبروت ستالين ومظالم الشيوعية وتنكيلها بأربعين مليوناً من المسلمين، ورأوا هتلر كمنقذ هبط عليهم من السماء ليساعدهم على التحرر والتخلص من كابوس الاستعمار الشيوعي، ووصلت برلين عدة وفود لمفاوضة

حكومة الرايخ الثالث وهم يتعهدون بمساعدة ألمانيا بكل ما يملكون لسحق روسيا، ورفعوا وثيقة إلى هتلر يشكون إليه فيها الشيوعية وما ارتكبه من الأفعال الوحشية ضد الإسلام وأهله من حرمان العلماء والأئمة والمؤذنين حقهم، وإغلاق المساجد وغير ذلك من الضغط الشديد، ولسوء حظ هتلر رفض مفاوضة الوفود ووضع في أذنيه وقرأ عن سماع شكاياتهم، ولو أن هتلر بادر في إبادة روسيا لنجح ولكنه أضاع ستة أسابيع تمكن فيها ستالين من إقامة جيوشه خطوط دفاع عميقة وسط الأدغال والأحراش المحيطة بموسكو من جهتها الغربية، وحشر الألوف المؤلفة من العمال لذلك بعدما نقل السفارات والمفوضيات الأجنبية منها إلى مكان ما في الشرق، وأصرّ هو على البقاء في موسكو وصمم على الدفاع عنها حتى النفس الأخير، هذا والجنود الألمانية محاصرة لموسكو فلم يكن بينها وبين العاصمة أكثر من طلقة مدفع، وفي هذه المحنة ظهرت في ميادين القتال لأول مرة الأسلحة المرسلة من بريطانيا وحليقاتها إلى روسيا، وجاءت معونة بريطانيا وحليقاتها إلى ستالين المنهزم المغلوب وأنقذته وجيوشه من الفناء المحتم وتساقط الثلوج، وأصبح جيش الألمان يلتحف السماء ويمشي على الأرض ودرجة برودتها ٣٠ تحت الصفر في الأحوال والأمطار والزمهرير لأن شتاء روسيا قاتل.

ولما هجم الشتاء بقره وبيرده وثلوجه وصقيعه على الجيوش الألمانية وصارت تغطس إلى الأذقان في الوحول والمياه والمستنقعات المجمدة ما كان هتلر يحلم إلا بنصر عاجل شامل في خلال بضعة أسابيع، ولم يكن قد أعد عدته لتجهيز جيوشه بملابس الشتاء، فلقد كان ينقص جيشه الغازي الملابس الدافئة والغذاء الدافئ الذي لم يستحضر سلفاً لهذه المعارك الدائرة على خط قتال يبلغ طوله ثلاثة آلاف كيلومتر، وبما أن قادة الجيش الألماني كانوا قد فكروا في إعداد ملابس شتوية وتهيئة أكثر من عشرة ملايين ملابس للجنود وذلك في حين الزحف فإن هتلر لم يوافق لظنه أنه يكسب الحرب والانتصار في حرب صاعقية خاطفة، كما تم له في الغرب، وما كان في حسبانته أن يعود عشرات

الألوف من جنوده قد بترت أيديهم وأرجلهم من البرد الذي جمد أطرافهم، فلم يفدها الطب الحديث بعلاج ولم ينفعها إلا البتر، وإن الواجب أن تعباً السكك الحديدية والطائرات لتغذية وتجهيز الجيوش النازية، فقد تعبت الحيوانات التي تجر عربات نقل الذخائر بين الأوحال والثلوج، فجيوش المشاة التي قطعت أراضي روسيا من واشو على نهر الفيستولا في بولندا إلى نهر نافا المتاخم لموسكو قد مشت هذه الطريق الوعرة الجرداء المهلكة سيراً على الأقدام تتبعها المؤن والذخائر المنقولة على ظهور الخيل التي هدت الأبعاد الشاسعة حيلها وأفناها طول المدى وقلة العلف وندرته قد صارت في حالة يرثى لها، فقد تساوى الإنسان والحيوان، وفي مساء ٢١ كانون الثاني أذاعت ألمانيا بياناً للدكتور غوبلز يحث فيه الشعب الألماني والشعوب الصديقة بجمع الملابس الشتوية لجنود ألمانيا المرابطين، فهبّ الشعب الألماني وتبرع بمائة مليون كسوة للجيش الألماني المرباط في روسيا.

معركة موسكو

لما جاءت الإمدادات من بريطانيا لموسكو عن طريق الإعارة والتأجير أحدثت الأسلحة البريطانية من الدبابات والمدافع الثقيلة خوفاً سيئاً لدى جيوش الرايخ الألماني، فلقد شعرت القوات الألمانية بأنها عارية وغير قادرة على الدفاع أمام هذه الأسلحة الجديدة، ففي مدينة فيريا اجتاحت الدبابات البريطانية خطوط الدفاع الألمانية وهي لا تلوي على شيء، ولم تستطع القوات الألمانية التحرش بها، وبقيت القوات الألمانية التي كانت تتوَّج لدخول موسكو مذهولة وعاجزة عن أن تتقدم خطوة، وبالرغم من ذلك فإن الفيلد مارشال فون كلوغة أمر قواته الآلية بالتقدم نحو موسكو فاحتلت مدينة كلين الواقعة على بعد ٥٠ ميلاً من موسكو، ووصلت طلائع قواته موسكو، بل أقامت لها جسراً على قناة موسكو فافولفا في شمال موسكو العاصمة، وصارت قوات هتلر تشاهد أسوار موسكو القيصرية القديمة

وجدران الكرملين العالية من ضاحية أوسرتيكوي، غير أنه صدر أمره بعد ذلك بوقف القتال علماً منه بأن مواصلة القتال في ظروف ثلجية قاسية ليس من المصلحة، هذا وقد احتلت بريطانيا وروسيا بلاد إيران عقب حركة مارس العراقية ١٩٤١م، تلك الحركة التي كلفت العراق غالياً من الرجال والأموال وحطمت قوى الجيش العراقي كما أسلفنا، وشرعوا في الحال بإنشاء سكة حديدية من البصرة إلى أذربيجان عبر إيران لإمداد الجيوش الشيوعية بالأجهزة والإمدادات الحربية الثقيلة خاصة، ثم بعد أن رأى بأن هجوم كانون الأول المتقدم على الجيوش الهتلرية لم يؤد إلى النتيجة المطلوبة، ولم يسحق قوات هتلر بل فشل ستالين وعاد أدراجه وهو يحمل إلى الكرملين خفي حنين، قامت قيادة روسيا وراحت تطالب الحلفاء بريطانيا وأمريكا بفتح جبهة ثانية على هتلر، فأخذت إمدادات الحلفاء في خريف عام ١٩٤٢م طوفاناً هائلاً توقف لها الزحف الياباني على أبواب الهند وحدث مثل هذا في ميدان شمال أفريقيا، فقد توقف زحف رومل عند العلمين وأنزل الأمريكيون والبريطانيون قوات كبيرة هناك، ولما أن تراجع القائد الألماني المارشال فون كلوغة قام المارشال الروسي جوكوف بعد تراجعه بثلاثة أيام وهجم على جيوش هتلر وقادها من معركة ستالينغراد، وكان هجومه عنيفاً إلى درجة بعيدة، حتى أنه حطم أجزاء الجبهة النازية المرابطة في العراق أمام موسكو.

ومن العجائب أن هتلر أهمل تقوية الجبهة، فبالنظر إلى هذه الحالة القاسية التي لا تبشر بخير قرر المارشال فون كلوغة بعد اجتماع عقده مع رؤساء أركان حربه أن يأمر الجيش النازي الرابع بالانسحاب، غير أن هتلر أصدر أمراً جديداً إلى قيادة الجيش النازي الرابع بالهاتف اللاسلكي يقول فيه:

إن على الجيش الرابع أن لا يتراجع شبراً واحداً إلى الوراء مهما كلف الثمن، وبما أنها هبطت درجة الحرارة إلى ٤٢ تحت الصفر فإن جيوش ستالين كان حظها في أوحال الشتاء وثلوجه ومصائبه لم يكن بأقل من حظ جيوش هتلر في التعاسة والنكبة، فلقد كانت الكفة متوازية، غير أن الشيوعيين يتحملون برد بلادهم

ويعرفون شعابهم، وما زالت تلك المعارك متطاحنة، فلا المارشال جوكوف قد استطاع أن يسحق القوات النازية ويحلوها عن حصار موسكو، ولا المارشال فون كلوغة قد تمكن من احتلال العاصمة الشيوعية موسكو، هذا وما كان الشعب الألماني ليعلم حقيقة الحال، غير أن الزعيم هتلر قد عجت إذاعته بنصر ألمانيا، واستمرت الحال إلى مساء ٢١ من تشرين الأول ١٩٤٢م.

فهذا ما يتعلق ببعض المقصود، ونرجع إلى بقية أخبار السنة.

ففي آخرها نقل الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش من قضاء حائل إلى مكة المكرمة وشفع بالشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع يشاركه النظر في مسائل القضايا الشرعية في الحجاز، فكانا متعاضدين في العمل الذي يباشره ابن مانع وخلفه في قضاء حائل الشيخ حمود بن حسين الشغذلي، فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٦٢هـ

ففيها أعيدت في سوريا الحياة النيابية وشكلت حكومة وطنية وانتخب الرئيس شكري القوتلي رئيس للجمهورية، فاستمرت الحال حتى انتهت الحرب.

وفيهما توالى الغارات التي شنها السلاح الجوي البريطاني على برلين وعلى أمهات المدن الألمانية، وهي أول غارة شنيعة من نوعها خربت زهاء خمسة آلاف عمارة، وكانت تحاول في أول الأمر شل أيدي العمال عن العمل لأن جلّ مصانع الأسلحة والذخيرة كانت قد نقلت إلى سراديب شيدت خصيصاً تحت الأرض، وبقيت حتى نهاية الحرب سالمة، وجعل هتلر يتظاهر بأنه لا يعبأ بذلك وأنه سيتخذ وسائل من السلاح الحديث ما يبطل تلك الغارات.

هذا وقد انصبغت الثلوج فوق أرض روسيا الحمراء بالدماء من الفريقين، ولما أنزلت الحلفاء قواتها في فرنسا وتغلب الجنرال مونغمري قائد الجيش البريطاني الثامن في طرابلس ليبيا على الفيلد مارشال رومل وأكرهه على أن يتراجع بجيشه إلى تونس العربية، أمر هتلر بتخريب باريس وإحراقها يوم أن أبلغ الحاكم

العسكري والمدني بلزوم انسحاب القوات الألمانية المسلحة منها والتراجع أمام جيوش الحلفاء بقيادة الجنرال إيزنهاور المتقدمة ببطء نحو باريس، فسارع الرجال إلى وضع الألغام والمفرقات والقنابل المؤقتة تحت جميع مداخل باريس والشككات والجسور، وفي كل مكان هناك، وأراد هتلر أن يحق جيوش الحلفاء في قلب باريس ويخربها ويدفنهم فيها، غير أن هذا الأمر لم ينفذ وأزيلت الألغام ورفعت القنابل والمفرقات قبل ست ساعات من دخول جيش الحلفاء.

وفيها اشتدت المؤونة وغلّت الأسعار جداً، وتناهت الأطعمة في الغلاء حتى بلغت قيمة صاع الأرز عشرة ريالات، وبيع البعير بـ ٧٧٠ ريال بعدما كانت القيمة ٣٠٠ ريال، وصاع البر بثلاثة ريالات بعدما كان بريال ونصف، وهكذا البقر والغنم، وانتهت الثياب والقماش بالغلاء وانسدت أبواب البحور، لأن البواخر والسفن على خطر من العطب، ومن الأسعار ما زادت قيمته أربعة أضعاف، وقد بعث صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود مساعدات للفلاحين والمزارعين، كما قد بعث سيارات يحج فيها الفقراء، وهذا الغلاء واشتداد المؤونة إنما وقع بسبب شؤم الذنوب والمعاصي، نستغفر الله ونتوب إليه.

ذكر وفاة قاضي بريدة الشيخ عمر بن سليم

رفع الله منازلته في جنات النعيم ووقاه بمنه حر الجحيم، ففي شهر محرم ابتداء مرضه وكان شبيهاً بالسل، فما زال جسمه في انحطاط حتى توفاه الله في يوم ١٦ ذي الحجة، وهذه ترجمته:

هو الشيخ القاضي الإمام العالم العلامة أبو عبدالله عمر بن محمد بن عبدالله بن سليم، وتقدم ذكر نسبه، الخبر النبيل والألمعي الجليل، الإمام البلتع، والجهنذ الكبير الذي اتفق على تقديمه الخاص والعام، العظيم السميدع المقدام، الماهر في العلوم والناخب في المنثور منها والمنظوم، شيخنا وأستاذنا فأعظم بمصابه على أهل الإسلام لأنه ركن عظيم آل إلى الانهدام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]، وقد أحببت أن أرتب ترجمته في عشرة أبواب.

الباب الأول: في ولادته ونشأته

ولد رحمه الله عام ١٢٩٨هـ، فتربى في كنف والده الكبير الشيخ محمد، وكان محباً لديه فنشأ على العفاف والذكاء وحسن الأخلاق والطهارة والعبادة، فتعلم القرآن حتى مهر فيه، وحفظه عن ظهر قلب، وأخذ في الدراسة على والده الشيخ محمد بن عبدالله، وشرب من ذلك الزلال حتى نبغ من بين الأقران وفاق أهل الزمان، فلما رأى والده مؤهلاته وصلاحه قدمه إماماً في صلاة التراويح وعمره إذ ذاك ١٨ سنة، ثم إنه اتفق أن كان في وقته فتن ومحن من بعض الحكام، فذهب به والده إلى النبهانية فكان في صحبته، وتفرد بالأخذ عنه حتى برع في العلوم نحواً وصرفاً وفقهاً وحديثاً وأدباً، وتعلم في علم المواريث حتى كان آية من آيات الله تعالى، ولما أن أعاد الله الكرة للمسلمين وظهر نجم آل سعود بعبدالعزیز بن عبدالرحمن بن فيصل جزاه الله عن الإسلام خيراً رجع به والده إلى بريدة فكان فيها على قصر ذات يد وفقر وحاجة، وما كان له هم في جميع الدنيا أن همه إلا طلب العلم والجد والاجتهاد في تحصيل مسائله، هذا وألسنة أعدائه متلوثة في حسبته حسداً ونفورا والله حكمة بالغة في تسلط الأعداء على أولياء الله وحزبه، وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، وقد بعث به والده إلى الشيخ العظيم عبدالله بن عبداللطيف في بلد الرياض ليأخذ عنه، ولما أن جلس للتعلم من الشيخ عبدالله أعجب به ورأى ذكاءه وكمال عقله ونبله ومعرفته، ف قضى له بالإجازة وشهد له بالبراعة والتقدم فرجع إلى وطنه بريدة محفوظاً بعناية الله وأصبح موضع الإعجاب على رغم حاسديه، ولقد كفانا ما جرى في قديم الدهر على الرسل وأتباعهم كما جرى على إمام المتقين وسيد ولد آدم من قریش، ولا ريب أن كل صاحب نعمة محسود.

الباب الثاني: في ذكر الوظائف التي نالها

تقدم أنه إمام المسلمين في المسجد الجامع وهو شاب من بينهم قدمه فضله وعلمه، ولما كان له من العمر ٢٩ سنة جعل إماماً في مسجد عودة الرديني في بريدة فاجتمع عليه خلائق كثيرون من طلاب العلم وجثوا بين يديه من كل جانب وازدحموا بين يديه بالركب حلقاً حلقاً حتى أصبح ذلك المسجد لا نظير له في العالم، وكان له نبأ عظيم، وتخرج على يديه أناس كثيرون، وكان لتعليمه أثر عجيب لأنه نشأ عن نية طيبة، ثم إنه نال القضاء في هجرة دخنة، وأفاد وضح الحق هناك، فلما تأسست الأرطاوية سنة ١٣٣٠هـ بعثه إليها جلالة الملك المعظم فكان على قضاءها وقد تهذب عنده رجال لهم مؤهلات وذوق وتقدم، وهؤلاء من أهل بريدة سنذكرهم عن قريب، ولما جرى على قلب الجزيرة العربية الوباء المشهور بسنة الرحمة عند العامة كان الشيخ فيها فاختار الله للشهادة ثلاثة من أعظم تلامذته وهم النقباء الذين تشهد لهم بالفضل محاريب العلى ومنابر الفخر، ثم إنه نقل من الأرطاوية إلى مسجد في قلب بريدة وذلك بإيعاز من الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد لأسباب ترجحها السياسة هناك، ونقضي بأن يكون هذا الركن العظيم إماماً للمسجد ومدرساً فيه، وكان هذا المسجد يقال له مسجد ناصر بن سليمان بن سيف، ولما تعين مدرساً فيه أقبل الناس إليه مهطعين وأصبح ذلك المسجد مأوى لكل طالب ومستفيد، فسبحان من يحيي العظام بعد موتها، وكان روضة من يرتع فيه أهل الإيمان والذوق والمعرفة والدين، وتضرب له أكباد الإبل من كل جهة، وتأتيه الطلاب زرافات ووحداناً، فامتألت حجر المسجد من الأجانب والأهالي، وكان لا يزال عامراً بالتدريس كل وقت من ليل أو نهار حتى كان عدد الحلق ثمان حلق للذكر وغالبهم علماء أجلاء، وجلسوا يتعلمون عليه، ورأينا من الإقبال والرغبة مالا يخطر على الأوهام، وقد درسنا عليه فيه أربع سنين وشاهدنا من الأكباب على التدريس مالا تبلغه العبارة، فإيا لذلك الوقت والزمان ما أحلاه وما

أعظم الأنس، وما أحسن ذلك الاجتماع، فاستمر على تلك الحالة دهرًا طويلاً، وينوب عن أخيه في القضاء بعض الأحيان إذا مرض ويقوم بصلاة الجمعة والأعياد في حال تخلف أخيه، فلما توفى الشيخ عبدالله أخو المترجم ولي الشيخ قضاء مقاطعة القصيم، وكان جلوسه في العاصمة بريدة كرئيس قضاة تلك المنطقة، وتولى إمامة المسجد الجامع والخطب والأعياد والاستسقاء، وقد ينوب عنه تلميذه عبدالله بن رشيد في الجمعة والأعياد، واستمر في تدريساته فكان قاضياً وإماماً ومدرساً وخطيباً، أضف إلى ذلك أنه غني كبير وله ثروة عظيمة.

الباب الثالث: في مجالسه وتدريساته وما ناله من العجب العجائب

جلس للتدريس وهو في سن الشباب، بل في عترته فالتف عليه الإخوان وصار غرة الزمان وأتته الطلاب من كل مكان، الأجانب والسكان، وانتفع بعلمه القاص والدان، فكان مفيداً للمتعلمين ومرشاً للمستمعين، وشجا في حلوق المنافقين، وكانت الدروس التي يقوم بها كلها نافعة في غاية النفع، فكان إذا صلى الغداة جلس يقرأ ورده قليلاً ثم يلقي درس النحو والقواعد إلى طلوع الشمس، وغالب ما يدرس به في الآجرومية، وقطر الندى وبل الصدى، وملحة الأعراب، وألفية ابن مالك، ثم إنه يذهب إلى بيته للاستراحة والوضوء ثم يرجع إلى المسجد فيصللي تحية المسجد ويجلس في ناحيته الشرقية، فهناك الأمة مجتمعون لانتظاره والتلاميذ متحلقون، والمستمعون محدقون، وكان يجب أن يستفتح في تلاوة القرآن ثم يشرع الطلاب في العلوم الدينية حديثاً وفقهاً وتوحيداً وأصولاً وفروعاً وآداباً، ويحضر مجلسه من القراء والمستمعين ما يربو عدده عن ألف مسلم، وقل ما شئت من الازدهار والرغبة والإكباب على الطلب، وكانت الكتب التي يدرسون بها مثل المغني والشرح الكبير، والآداب الشرعية الكبرى، وصحيح البخاري ومسلم، والسنن والمسانيد، والمقنع ومختصره وشرحه، والعمدة في الفقه، ومدارج السالكين، والتواريخ على

رأسها البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، وفتح الباري والمنتقى، والتوحيد لابن خزيمة، ومن المختصرات دليل الطلاب، وعمدة الأحكام، وشرح التوحيد، وكتب الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وأنجاله وأحفاده، وهناك تجد التلاميذ يزدهمون مطرقي الرؤوس بين يديه، وترى المستمعين حوالي مجلسه كأن على رؤوسهم الطير لما له من الهيبة العظيمة، فإذا انتهى التدريس ذهب إلى بيته لتناول الغداء، ثم يجلس للقضاء إلى قريب من وقت الظهر، ثم يجلس بعد صلاة الظهر للتدريس إلى قدر ساعتين، ثم يجلس يدرس بعد صلاة العصر، وكان هذا التدريس يجعله لمتن الورقات في الفقه، وأصول الفقه، وبعد ذلك يأخذ التلاميذ في الدراسة عليه، في بلوغ المرام في الحديث حفظاً، وقد يدرس في هذا الوقت في مصطلح علوم الحديث، ثم يقوم للقضاء فيجلس للفصل بين الناس في الدماء، والأموال، والحدود، فإذا فرغ من صلاة المغرب وسنتها جلس في فن الموارث والفرائض وقسمة التركات، وكان الذين يدرسون بعد المغرب ثلاثين تلميذاً، وإذا وصل إلى المناسخات والرد، وذوي الأرحام والختنى، والقسمة فقد تستمر الدراسة إلى حوالي الساعة الثانية ليلاً، فما شئت خذه من حساب وتصحيح وقسمة إذا جلس مستقبل القبلة، وقد يكون جلوسه في ذلك الوقت مستقبل الجنوب، فإذا فرغ الأذان يقوم إلى المحراب للصلاة ويقرأ عليه قبلها ثلاثة من التلاميذ الفضلاء في التفسير والتاريخ، فإذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة وسنتها يذهب إلى بيت عبدالعزيز بن مشيق وأولاده فيجد الأنوار قد أعدت والقهوة العربية تدار على القارئ والمستمعين، فيدرس عليه هناك خمسة عشر تلميذاً، وبعد ذلك يقوم ذاهباً إلى بيته، فهذه دروسه على الدوام، وقد يجعل مجلساً وقت الضحى في بيته زيادة على ما تقدم، وكان لتعليمه أثر عظيم، وفيه بركة شاملة وإن كان لا يكثر التفسير، ومن العجائب بركة جعلها الله في وقته وقوة في جسمة، ومثابة عظيمة على الدراسة.

الباب الرابع : في مشايخه وتلامذته الأخذين عنه

أما مشايخه فإنه أخذ العلم عن والده الشيخ محمد بن عبدالله، وناهيك به من إمام تفرد به وشرب من عذب زلاله ونعم المورد، قال شيخنا عمر فيما قصه علينا: كنت مع والدي في النبهانية أيام عبدالعزيز متعب، وكنا إذا أردنا الدراسة نخرج إلى البرية حذراً من عيون ابن رشيد، لأنه منعنا من القراءة والدراسة، فلما أن كان ذات يوم من الأيام إذا بالبواب غريب يستأذن استئذاناً شريعياً ففتحنا فإذا به الشيخ عبدالله بن فداء جاء فاراً بدينه يريد الاجتماع بالوالد، وأخذ أيضاً شيخنا عمر عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ عبدالعزيز بن بشر في حال إقامته في قضاء بريدة، وكان جلوسه للدراسة على الأخير مجاملةً لتحسن الحالة وتهذا الأمور.

أما تلامذته والآخذون عنه فخلق كثير وجم غفير ملأوا القرى والأمصار، وقد حدثني الأخ المحب في الله الورع الصادق الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي عن تلامذة المترجم يقول: إن الله تعالى كسا تلامذة الشيخ عمر بن سليم البهاء، وجعل عليهم سيما الهية عند الناس.

فممن أخذ عن الشيخ الفاضل الرزين سليمان بن عبدالله المشعلي نال قضاء الفوارة، ثم نقل منها إلى قضاء الشبيكية، ثم جعل قاضياً في بلد المذنب، ثم نقل إلى قضاء البكيرية، وقد ينوب عن المترجم في قضاء بريدة، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي، وكان عالماً قاضياً ومفتياً، وأخذ عنه الشيخ الشاب أخونا عبدالرحمن بن عبيد، وكان فيه مؤهلات وقوة ملكة وإدراك وتقدم، وأخذ عنه العالم الجليل عبدالله بن محمد بن جربوع، وأخذ عنه الحبر العالم عبدالله بن صالح الربدي، وهؤلاء الأربعة على الدوام في معيته حتى توفاهم الله، وأخذ عنه الشيخ الكبير والورع الشهير عثمان بن أحمد بن بشر شيخ الأجفر والأسياح، وأخذ عنه الماهر في الطلب والساعي إلى أعلى الرتب الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن

صعب، وقد نال درجة القضاء وأخذ عنه الفاضل التقي الملازم له في المدخل والمخرج عبدالله بن رشيد بن فرج خطيب جامع بريدة، وأخذ عنه صالح بن عبدالعزيز العجاجي وكان فاضلاً، وأخذ عنه العالم الناصح عمر بن صالح الأسدي، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدان قاضي أبها، ثم كان على قضاء الزلفي،⁽¹⁾ وأخذ عنه الحافظ فهد بن عيسى، وأخذ عنه محمد بن صالح المطوع إمام مسجد في بريدة وواعظ ومرشد، وأخذ عنه الفصيح الأديب صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين الشاعر المشهور، وأخذ عنه شيخ أبي عريش وقاضي تلك الجهة الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان، وكان ذا فضل وعقل، وأخذ عنه أخونا عبدالمحسن بن عبيد، وكان من أفاضل تلامذته، ويأتي له بقية ذكر، وأخذ عنه محمد بن حمد بن مضيان، وأخذ عنه سليمان بن عبدالله بن حميد، وأخذ عنه ابنه الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد قاضي البرك، ثم كان في قضاء جيزان، ثم كان في قضاء الأسياح، وأخذ عنه الشيخ سليمان بن محمد بن جربوع قاضي العظيم، ثم كان قاضياً في الأرطاوية، وأخذ عنه الزاهد الصابر على الفقر في نيل الأرباح عبدالرحمن بن عبدالله بن بداح، وأخذ عنه الشيخ الموصوف بالخير عبدالله بن سليمان بن نقيز مطوع هجرة «النعي» بالتصغير، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن دخيل قاضي لينة، وأخذ عنه الفاضل المجد في الطلب أخوه عثمان بن عبدالله بن دخيل، وأخذ عنه المطوع الناسك ذو الأصل والفصل عبدالعزيز بن عثمان بن مضيان مطوع السباخ في بريدة، وتخرج عليه الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالله التويجري قاضي جيزان، وأخذ عنه الشيخ صالح بن أحمد الخريصي قاضي الأسياح قبل ثم كان على قضاء الخرج، ثم كان رئيس محكمة بريدة، وأخذ عنه الشيخ صالح بن عبدالرحمن السكيّتي، وأخذ عنه علي بن إبراهيم

(1) هذا في حال وضع التاريخ ثم إنه نقل بعد ذلك إلى قضاء عنيزة، ولا يزال يزاول مهمة القضاء فيها.

بن مشيقح وكان فاضلاً وقد نال درجة مساعد في محكمة بريدة، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن محمد بن عامر، وأخذ عنه الفاضل تلميذه علي بن محمد الخراز شيخ إحدى الهجر، وأخذ عنه القنوع بالقليل الأخ محمد بن عقيل، وأخذ عنه المطوع عبدالرحمن بن عبدالله بن فداء، وأخذ عنه علي بن عبدالعزيز العجاجي كان ملازماً له في الإقامة والسفر، وقد نال وظيفة في الأمر بالمعروف سابقاً، وأخذ عنه الشيخ ابن عم المترجم عبدالعزيز بن صالح بن سليم، وكان عالماً لا بأس به في العلم، وقد نال عدة وظائف، وأخذ عنه الشيخ محمد بن صالح بن سليم أحد أعضاء المحكمة الشرعية في المدينة المنورة، ثم كان قاضياً في الخبر من أعمال الظهران،^(١) وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن مضيان قاضي الشبكية، وأخذ عنه العاقل الفاضل الرحمن صالح بن محمد بن مقبل، وأخذ عنه علي بن عبدالرحمن بن غضبة مطوع الفوارة، وكان ذا أصل وسلامة صدر، وأخذ عنه آل مشيقح عبدالله بن عبدالعزيز، وحمود بن عبدالعزيز، وصالح بن عبدالعزيز، ومحمد بن عبدالعزيز آل حمود بن مشيقح، وأخذ عنه التقي الناسك إبراهيم بن صالح بن مشيقح، وأخذ عنه غانم بن سدلان، وأخذ عنه عبدالله العجلاني، ومحمد العجلاني، وأخذ عنه عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد، وكان ذا أصل عظيم، وأخذ عنه عبدالرحمن بن صالح القرعاوي، وأخذ عنه عبدالله بن سعد الشبرمي ومحمد بن سعد الشبرمي.

واعلم وفقني الله وإياك أني سقت هؤلاء التلاميذ على قد سبقهم في السنين والملازمة له في بادئ أمره، ولم أسقهم على قدر درجاتهم في العلم والمعرفة، وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن فوزان قاضي جيزان، وأخذ عنه سليمان بن حمود بن عبيدان، وأخذ عنه الشيخ سليمان بن عبيد بن سلمى رئيس المحكمة الشرعية في الرياض، وقد كان قبل ذلك قاضياً في المقاطعة الشرقية، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن عودة آل سعوي قاضي

(١) ثم جعل عضواً في هيئة التمييز.

جيزان سابقاً، ثم كان قاضياً في الدمام، وأخذ عنه الشيخ علي بن سليمان الضالع، وأخذ عنه حمد بن عقيل، وأخذ عنه صالح بن عبدالعزيز بن مقبل وإخوته عبدالرحمن وسليمان، وأخذ عنه محمد بن رشيد آل ربيش، وأخذ عنه علي بن صالح بن مرشد، وأخذ عنه الشيخ صالح بن سليمان بن حميد، وكان لودعياً، وتولى وظيفة في البلاد اليمنية، وقد توفاه الله تعالى، وأخذ عنه عثمان بن محمد العجلاني، وأخذ عنه محمد بن صالح بن خليفة، وأخذ عنه صالح بن إبراهيم الرسيني، وأخذ عنه عبدالله بن صالح بن حسين، وأخذ عنه إبراهيم بن عبدالعزيز الجبيلي قاضي رياض الخبراء، وأخذ عنه الزاهد ابن أخيه محمد بن عبدالله بن سليم، وكان شاباً وقد توفاه الله، وأخذ عنه عبدالله بن محمد العجاجي، وأخذ عنه سعد بن مرزوق العديم، وتخرج عليه الشيخ محمد بن عبدالرحمن البليهي، كان قد تولى القضاء في نجران، ثم كان قاضياً في أعمال تبوك، وأخذ عنه الشيخ صالح بن محمد التويجري قاضي تبوك، وأخذ عنه عبدالرحمن بن عبدالله بن طرباق، كان قد تولى بعض أعمال القضاء، وأخذ عنه محمد بن راشد وعلي بن راشد آل رقية، وأخذ عنه عقلا بن موسى، وأخذ عنه سليمان بن عبدالله بن مشيقح، وأخذ عنه سبطه صالح بن سليمان العمري، وأخذ عنه حميدان بن عبدالعزيز، وأخذ عنه محمد بن عبدالرحمن بن فداء، وأخذ عنه عبدالكريم بن فداء، وأخذ عنه عبدالله بن معتق، وأخذ عنه محمد بن رويسان، وأخذ عنه قاضي البكيرية عبدالعزيز بن عبدالله بن سبيل، وأخذ عنه عبدالله بن محمد بن مسفر، وأخذ عنه علي بن محمد السكاكر، وعبدالله بن محمد السكاكر، وأخذ عنه الشقاوي، وابن سعدون، وابن غنيم وغير هؤلاء خلق كثير وجم غفير، وغالب من أخذ عنه أهل للقضاء والتدريس.

ومن أخذ عنه أيضاً الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، ومحمد بن موسى الحمود، وعبدالله بن عقيل قاضي الحناكية، وقد هلك غالب الذين التموا واجتمعوا وأدركوا سبق من رؤساء التلامذة اقتطفهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، لأن

العلماء أصبحوا غرضاً للموت، وهذا أكبر دليل على أسباب نزع العلم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولو أنني أتيت بكل من جلس إليه وقرأ عليه من العامة لضاق الموسع.

الباب الخامس: في سعة علمه وورعه في قضائه وفتياه

أما علمه واطلاعه على نصوص الوحيين فهو البحر الخضم الذي لا ساحل له، وكان لا يحتاج إلى مراجعة كتبه ولا تفتيشها في القضاء والفتيا بل علمه في صدره لا في قمطره، وقد شاهدت من تقاريره وتفسيره للجمل ما يفيد ويسكت كل متكلم ويقف عندها كل مستفيد، وكان يحب الاختصار ويحب جواباً مختصراً ويفيد فائدة حسنة، ولا يثاره للاختصار كان قليل الكلام، ويا ليت شيخنا ألف مؤلفات تفيد الأمة وتقتبس منها العلماء فلا تموت بموته، وكان فقيهاً أصولياً محدثاً لغوياً فرضياً نحوياً، وذا معرفة بعلم التوحيد، ويحامي على دين الله وشرعه على قدر طاقته، ولا يتسامح بشيء، ويجب ذكر الخلاف الذي بين العلماء في مسائل العلم، وقد سألته مرةً عمن صلى وعليه نجاسة لم يعلم بها إلا بعد الصلاة؟ فأجابني بالروایتين، وكان إذا أفتى بمسألة فإنه يأتي بأدلتها حتى كأن لم يكن بالباب غيرها، ويجب الإصلاح بين الناس، ويتحرى العدل في القضاء، ويرحم الفقير، ويلطف فيمن لا يحسن أن يخاصم، وربما أقام وكيلاً عمن لا يحسن إقامة الحجة إذا رأى خصمه جديلاً، وتقنع الأنفس بقضائه، أضف إلى ذلك أنه كان بصيراً في أمر دينه، ضليعاً قوياً لا يقعقع له بالشنان، وإذا وقع عليه وقف لأحد أوصية فإنه يحتفظ بذلك ويبرئ ذمته عن المشتبهات، فيا ليت شعري من يقوم بهذه الخصال، وأنى وهيات كلا فلا والله لا يسد مقامه فئة من الناس، وله غيرة وطنية وحمية عربية تأبى له أن يضام موظفوه الذين أقامهم في الأعمال.

الباب السادس: في عبادته ونسكه وتلاوته

لما كان هذا الخبر التحرير قد أعطاه الله حظاً وافراً من العلم كان متقيداً

بالعمل به ويعبد ربه، وله معه معاملة، وإذا من الله على عبد فليفعل ما شاء من خصال الخير، فأما تلاوته للقرآن فإنه كان يتلوه قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وما كان في زمنه مثله في التلاوة، وكثيراً ما يسمع أوائل النهار في أوقات العبادة يتلوه من أوله وفي آخره قد ختمه، ثم شرع في أوائله، ولقد سهل الله عليه التلاوة والحفظ فكان لا يريد حفظ شيء إلا ويحصل عليه، وقد عجب أصحابه ورفقته من محبته للتلاوة، فكان إذا خرج إلى قرية أوجب من الخبواب أو سافر فإنه يرتب رفقته في دراسة القرآن حال السير، فإذا قربهم المكان فلا يمكنهم من كثرة الكلام بل يشغلهم بالقراءة، ولقد كان له حظ من قيام الليل ويجب الخلوة بربه في حنادس الظلام، ويعامل الله بالعبادة والطاعة، ويكثر الصلاة بالنهار، وإذا أصيب بمصيبة فإنه يستعين عليها بكثرة الصلاة، وقد ترك التدريس بين العشائين إذا أصيب بمصيبة ويفزع إلى الصلاة من المغرب إلى العشاء، وكثيراً ما يفعل ذلك إذا مات له مولود.

وكان مولعاً بالحج والعمرة، ويكثر الطواف حتى يمل من يطوف معه فقد يشرع في الطواف من صلاة الغداة إلى ارتفاع الشمس، وقد يجمع أربعة وعشرين أسبوعاً في وقت واحد، ويداوم على الاعتكاف في العشر الآواخر من رمضان، وإذا اعتكف فإنه يفرّ عن مخالطة الناس بحيث لا يجالسه أحد ولا يكلم أحداً، ويقول لمن يثق به إن بطن الأرض خير من ظهرها في هذا الزمان، وكثيراً ما يقول إذا رأى التغيرات متأسفاً الله المستعان، وبكل حال فإنه يعتبر أعظم العباد في زمانه، وقد يبكي في أوقات الدراسة ويخضب لحيته بالدموع على خفية من الناس، ولا يحب الطنطنة، ولا ينافق، وأكثر جلوسه مستقبل القبلة، ويجب الطهارة والوضوء، وهذا والله نادر في الناس أن يكون عالم متصفاً بهذه الصفات، فما أقل جنسه في الخلق، بل ما أقله وإنني لأعجب لوقته بحيث يتسع لأعماله غير أن الله تعالى بارك له في أوقاته.

الباب السابع: في سجاياه وكيفيته وهيبته

اعلم أن شيخنا أشهر من أن يذكر، وفضله أعظم مما يقال فيه وأكبر، وأخلاقه السامية تشهد بها الخلائق ولا تنكر، وذلك لرفعة قدره وعلو مكانته وشهرته التي هي كنار على علم، فكان عاقلاً عَقْلاً طبيعياً مراقباً لله، منصفاً مدارياً، يؤثر السكون وعدم التشويش، وله غوص طويل على غامض الأمور، وله نظر في العواقب، فقلما يصدر أمر إلا وقد عرف غايته ومنتهاه، فلا جل هذا أصبحت تدابيره حسنة ومحمودة العواقب كما قيل فيه:

فسيرته في المسلمين جميلة وأفعاله محمودة في العواقب
فلا تكاد ترى من موظفيه وأفعاله إلا مطابقاً لما جعل له، وله فراسة عظيمة ورأي ثاقب.

وكان يتواضع من غير ذل، وله عزة نفس من غير تكبر، فأما هيئته فأمر عظيم حتى أنه والذي خلقه لتهابه الأمة أعظم من هيبة الملوك والأمراء، ولا يستطيع أحد أن يجد النظر إليه بل تهابه الملوك والأمراء والنظرء، ويهابه القريب والبعيد، وإذا جلس للتدريس فإن التلامذة قد أنصتوا كأن على رؤوسهم الطير، ولا ترى في مجلسه من يلتفت بمنة أو يسرة، وإذا قضى بين الخصمين قاما راضيين مقتنعين، ويستطيع أن لا يكون للخصومة لغط ولا أصوات في مجلس الخصومة، وكنت في حال التدريس عند رؤيته أرى من الهيبة له شيئاً عجيباً، وقد وعدني مرة أن يتفضل علي ويمنحني كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح، فكنت لا أطيق سؤاله عنها حتى بعث إليّ يستحثني على أن ألقاه لأقبضها لثلا يسبقني عليها أحد، فسألت أهل بيته وأقربائه عما ألقىه من هيئته فجعلوا يروون شيئاً عجيباً من هيئته وأنهم أعظم هيبة له من بعيد الناس، ولعلي أكون أجراً منهم عليه، وهذه صفته:

كان ربعة من الرجال، رزيناً، حاد المزاج، قليل اللحم، مستقيم الخلقة، عليه البهاء العظيم، وسمت العلماء، وقد كساه الله عز وجل ثوباً من الوقار والسكينة، طويل الأنف مستقيمة، وفيه غنة يميل لونه إلى الصفرة، يؤثر الكسوة

الجميلة ولا يصل إلى سره أحد، هذا وفيه انقباض وقلة عشرة في الغالب، والله يغفر له، ولولا الإخلاص للتاريخ والالتزام بالصدق لما ذكرت ذلك، ولكن لا بد لشخص يقوم في مقامه أن يكون مرأً في بعض الأحيان لثلاً يجترئ الجهال عليه، لأنه لا خير في حلم لا يكون له بوادٍ من القوة تحمي الحمى عن جراءة اللثام، وناهيك بقوته وشجاعته، فقد كان شجاعاً مقدماً فيصلاً يوقف كل معتد عند حده، ولا يصغي إلى الغيبة والقييل والقال، ويبغض المنام ولا يحب أن يذكر عنده أحد بسوء، فإذا أخذ من حوله بالقييل والقال قطع كلامه وقال هات ثمرة الكلام ودع مالا يعنيك، وكثيراً ما يقول أنت بالشاهد، وكان يأكل تحت يده أيادي كثيرة، ويحتشم أقرباؤه لحشمته، ويكرمون لكرامته، وإذا دعي إلى مأدبة أو تكرمة خاصة به فلا والله لا يهيا للملوك ولا الأمراء مثلها، ومن عادته أن يستجيب لدعوة أهالي الخبواب وقت الثمار في القبط للزهوة والفسحة والنظر المباشر في المشاكل، فكان إذا واعدهم يتهياون ويرتقبون لمجيء الشيخ، ويعدون المجالس والفرش والخيرات والأنعام، فإذا كان بكرة النهار خرجت الأمة من النخل والمساكن يستقبلونه الشيوخ قبل الشباب والكهول، وقد تخرج المخدرات من بيوتهن والعوتق من خدورهن فرحةً بقدوم القادم، ويتطلعن من السطوح والأبواب والنوافذ، فلا إله إلا الله لا ترى إلا غبرةً تثور وأولئك الشيوخ يتوكان على العصي، والطيب والبخور يستقبل به، ومن الفقراء من يبكي ويمسكون بأشلائه يا شيخ إذا لم نحصل على جلوسكم في بيوتنا فلا نحرم من أن تتوضأ من الماء أو تمر مع السوق، فتشبع الفقراء بسببه وتخصب أرضهم ذلك اليوم، وقد يستمسك به المسلمون فلا يدعونه يرجع أسبوعاً كاملاً محبةً وطلباً للشرف في حله بين أظهرهم.

الباب الثامن: في جوده ومكارم أخلاقه

كان سخياً كريماً جواداً مبذالاً، فلذلك ترى بيته كأنه قصر حاكم، إذا خرج من المسجد مع طلوع الشمس ففي معيته جماعة من المسلمين فيدخل الديوان في بيته

فيجد القهوة والشاي والحليب قد هيء فيجلس بهم هناك ويتناولون الشراب بغبطة وكرامة، وفي وقت الضحى إذا رجع إلى بيته للغداء فقد حدثني من يصاحبه من رفقته أنهم يجدون الأرز والخبز واللبن والبطيخ والفواكه من عنب وتمر، قد هيئ لكل من يدخل فإنه يلقي من الأطعمة شيئاً كثيراً، وكان بيته مرادفاً للمسجد الجامع إلى جهة الشرق، فسيحاً واسع الأرجاء ينتابه القريب والبعيد ذلك لما أولاه الله من النعم الكثيرة والعقارات العظيمة، ولقد كان أقرباؤه وذوو رحمه وأنسابه لا يزالون يتقبلون في نعمه محتشمين لديه مكرمين لأنه مكرم لأقربائه وصول لرحمه، وكان من عادته دعوة أناس معينين لطعام العشاء في ليالي رمضان من دخول الشهر إلى خروجه يأكلون في بيته، وله غرماء يستدينون منه، فكان يواضعهم ويلطف بهم ويسر عليهم ويتجاوز عنهم.

وكان رحيماً بالناس يعود المرضى ويشهد الجنائز، وله رفقة يلازمونه في الغداء والعشاء، وقد يلبث أحدهم شهرين وثلاثة أشهر لا يأكل من طعام أهله لأنهم قد اكتفوا بما يجدونه بأسباب الشيخ.

ولقد حضرت معهم مرة إذ وافيته بالوادي المسمى ألودي المعروف، وقد خرج معه اثنا عشر رجلاً من الأحباب والطلاب، ولما رأيته أظهر بشاشة وأخذ بيدي، وكنت لا أحب متابعته في الموائد فأجلستني إلى جانب خمسة من أصحابه، ونزل في الغدير يغتسل، وبعد فراغه أقبل إلينا ونحن في انتظاره فأمرهم أن يغتسلوا وذهب بي إلى مقر خيامهم حوالي الجبل فوقف هناك وصلى ما كتب له من النوافل، وذلك في وقت الضحى، ولما فرغنا من الصلاة طلب مني أن أكون معهم فاعتذرت بأن لي رفقة لا يزالون في انتظاري، غير أن طاعته ألزم علي فجلست معه وكنت وإياه في حديث وحسن عشرة ويقلب طرفه في السماء ويريني السحاب والرباب ويمزحني بمزحة أجد لها لذة، وما كان عليه سوى نعلين وثلاثة أثواب بيض وشماع، فكان من كلامي له أن قلت له: يا شيخ قد توفى العبادي وأهل العلم لا يزالون ينقصون فإننا لله وإننا إليه راجعون، فأجاب بقوله: يا إبراهيم الله المستعان، وجعل يسألني عن أهل بيتنا واستقامتهم وهل لي من ذرية فذكرت له إذ ذاك أن

هنا ابنأ وأصيب بالداء المعروف بأم الصبيان، وقدم إلى ربه فأجاب بأن الجيرة بما اختاره الله، وسألته عن أم الصبيان فأجاب بأنه يكثر معها صياح الطفل.

وقد رأيت لديهم في ذلك المخيم خيراً ونعمة، ومن أبرز من وجدت رفقة عبد الله بن رشيد، وإبراهيم البليهي، ومن عادته أنه قليل الأكل فترى ما حواله من الطعام يتساقط على الخوان ويرده بيده، ويلبث جالساً ليتمكن الأضياف من الأكل.

وخرج مع جنازة مؤذنه محمد بن عضيف فلما دفن جعل ابنه يبكي بكاءً شديداً في حال التعزية، فتناول يده برفق وقال له: يا بني اصبر واحتسب فقد قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]، فكان كلامه أعظم الوقع، ثم إنه جعله مؤذناً بعد أبيه، وكثيراً ما يصدر أموراً يعجب لها الناس ويرونها غير موافقة فتكون عاقبتها حميدة، وكثيراً ما يتفرس فتقع فراسته خيراً أو شراً، فلقد توفى مرة صبي فشاع بين الناس أن فلاناً مات، الرجل مغموص بالنفاق، ودعي لجنازة ذلك الرجل فقال للرسول: ليس هذا بفلان، ولا يموت فلان بين أظهر المسلمين فوقع كما أخبر كانت الجنازة صبيّاً ومات فلان بين ظهرائي الكفار بعد الإشاعة بشهرين، ولو تتبععت فراسته لخرجنا عن المطلوب.

الباب التاسع: في المحن التي جرت عليه

قال الله تعالى: ﴿ وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنَسَوْا إِلَيْنَا رُبْعَهُمْ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [٢] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]، اعلم أن الدنيا لما كانت دار عمر وليست بدار مقر وقنطرة عبور لا موضع حبور قضى الله على أهلها بالهموم والغموم والحن والمصائب والأحزان لتزعجهم عن

الركون إليها ذلك بأنها خيانة فكل من حلت له فلا بد أن تذيبه العلاقم، ويكفيك شاهد الحال من موت قريب وتسلط عدو وأمراض وهموم وغموم، والله تمام الحكمة، ولا بد لكل أحد من محن ولا يخلو شخص من شجن والابتلاء والامتحان عادة الله في خلقه ولا سيما أهل الدين والعلم، فأول ذلك ما جرى عليه من آل رشيد لما أجلى إلى النبهانية، وبعد عودته إلى وطنه ابتلي بمنافسة من بعض المعاصرين سبب ذلك سعي ذوي الأغراض من المفسدين، وما ذاك إلا لما قام به من الفضل والعلم، فبغى له الأعداء الغوائل واختلقوا له المشاكل فلا يجدون ما يتوصلون إليه إلا بالتحرش والمسبة لدى الرؤساء، وآخرة ذلك كانت العقابة له، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

ومن ذلك أنه رأى الناس في عادة سيئة تخالف الشريعة وهي عدم تزويج بعضهم من بعض بدعوى قبيلي وضده، ولا تزال هذه العادة القبيحة جارية في نجد، فأراد رحمة الله عليه أن يبحث تلك البدعة ويقضي عليها، وبذل أسباباً لذلك رحمة للأمة وكشفاً لهذه العادة التي ما أنزل الله بها من سلطان، غير أن جهوده فشلت وما زال أهل الخير يجاهدون في هذا السبيل، غير أن الأمور لا تزال على وضعها وأملنا عظيم في الأمة الإسلامية أن يدعوا هذه العادة ترغيباً لهم في المساواة والدين والوضع الديني والعربي لأن دينهم واحد وقبلتهم واحدة.

ومن ذلك أنه جرى بين رجلين منتسبين إلى الدين والخير نزاع في شأن سكنى بلدان الشرك أحدهما يحرم الإقامة في البلد المذكور لتأويلات ومسوغات جزاه الله خيراً، وأكثر في المسلمين الرجال المتمسكين بأهداب الشريعة، والآخر يرى خلاف ذلك، وكان هذا الأخير قد تعاظم وتكلم على صاحبه بما يجرح العواطف وسيء المجتمع، ولم يرع له حرمة فأصلح بينهما الحاضرون وسكنت المتحركات برهة من الزمن، فلما كان بعد ذلك انبعث من جديد مقصوده المشاغبة وإثارة الفتن والمحن، وقام ليسوى ثورة بدعوى نصرة الدين وأهله، وهكذا يدرك المغرضون أهدافهم

التي يرمون إليها ويدخلون السم في الشهد ليفسدوا في الأرض ويحدثوا الشغب والمشاكل، فاستجاش أهل الدين والفضل وطلبوا من الشيخ رحمه الله النظر في شأن هذا المعارض وأخرجوا موقف الشيخ، ورفعوا أصواتهم لأول مرة بين يديه وشوش الحاضرون جو الصفاء ونيتهم طيبة ومغزاهم حسن، فمن قائل يردع هذا المعارض، ومن قائل بنفيه، غير أن الشيخ له رأي من وراء ذلك كله، فطمأنهم ووعدهم بخير، وتحمل تلك المشاق التي لا ينبغي مواجهته بها، وكان المقام يقتضي عدم التشويش وأن لا يغتروا بأقوال المخادعين وتأثر لهذه الجراءة، ومن كلامه لأولئك الحاضرين أن قال:

يا أولادي ألا تعلمون أن هذا المعارض لا يؤبه له، ومن عادتنا ردع الأشرار تارة بعدم المبالاة بهم، وتارة بردعهم سراً، وتارة بالإرشاد والنصيحة إذا كان بالقوس منزع وأنكم تعلمون أننا موضع الثقة منكم، ثم إنه بعث إلى أمير البلد وأصدر أوامره بأن يؤخذ عليه التعهد وأن لا يعود إلى مثلها، وأغلظ عليه بالتوبيخ، وأدى واجباً يشكر عليه نحو هذا المعارض، وقد يعامله بعض من تحت تصرفه بما يكره، ولو شاء لعاقبه أشد العقوبة لأنه قوي وله تمام القدرة عليه، لكنه يجعلها في نفسه ولا يبيدها لأحد، ويصبر على ما ناله في ذات الله، وأنه يجب على الأمة توقيف العلماء وتنفيذ إرادتهم والخضوع لأوامرهم، وترك الاعتراض عليهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فتبين بهذا وجوب طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية الله ورسوله، وأن الشريعة محكمة بين الأمة ينفذها العلماء الموقعون عن رب العالمين، قال بعض العلماء في شأن القضاة وعلو درجتهم وأنه ينبغي مراعاة تلك الوظيفة:

ويا قاضياً لم ير عاقبة القضاء وأن محيط العلم راء وسامع

أحلك مولاك الجليل عليه
لفصل القضاء إن هم إليك تنازعوا
وقال الإمام أحمد بن علي بن مشرف في فضل العلم والعلماء:
فجالس رواة العلم واسمع كلامهم
فكم كلم منهم به يبرأ الكلم
وإن أمروا فاسمع لهم وأطع فهم
أولو الأمر لا من شأنه الفتك والظلم
هذا وإن المترجم قد منح تمام التنفيذ، غير أن الأمور التي قد كتبت على العبد
لا بد أن تصيبه.

الباب العاشر: في مرضه ووفاته وما رثي به

قد أشرنا إلى أنه ابتداء مرضه في مستهل هذه السنة، وسبب هذا المرض ما يتردد في
جأشه من الأشجان، وكان لا يجب الانتقام لنفسه، فضعف لذلك جسمه وتكسف باله
لما يقاسيه من الهموم والغموم، ونكد الزمان، وكثرة الفتن والمحن، وكان لا يشتكي إلى
على ربه وفطره وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً، فتهدم لذلك جسمه وانحلت قواه،
وقد أشار عليه بعض أحبابه أن يتخلى عن بعض الإرهاقات كثرة التدريس وأن
يتخلى عن القضاء ويستريح بقية عمره فرفض فأشاروا عليه بأن يذهب للعلاج قبل أن
يجيده المرض ويقضي عليه فرفض، وقد رأته لآخر مرة وهو جالس مستقبل القبلة
مصفر اللون نحيف البدن عليه ثياب نظيفة فسألته عن صحته فذكر لي أنه بحاجة إلى
العافية ويسأل الله كشف ضره، وكان قد أثر المرض في صوته فسألت الله له أمامه أن
يكفيه ما أهمه، فبكى لذلك رحمه الله تعالى وبكى أمامه وسألت الله له أخرى أن لا
يريه ما يكره، فجعل يرفع يديه ويؤمن على دعائي، وكان يوضع له قليل من العسل
فيتحساه إذا عجز ريقه أن يستطلق، وقد خرج لصلاة عيد الفطر راكباً لعجزه عن المشي،
واستمر في ضعفه.

ذكر المنامات والمرائي

رأى بعضهم في منامه الشمس قد طلعت، فلما توسطت السماء انكسفت
وأظلم الكون، وذلك قبيل وفاته بشهر، ورأى بعضهم قمراً مبدراً طلع من الشرق

فلما توسط السماء غاب عن الأبصار فطلع من خلفه نجم، قال الرائي فحمدت الله وأنا نائم إذ طلع هذا الكوكب ولم نعدم الإضاءة قطعاً، ورأى بعضهم كأن باب بيته نزع وجعل مكانه بويب صغير قدره ذراع بذراع، فلما كان في ليلة هلال الحجة رأى هو إنساناً أتاه في منامه فناوله ستة عشر كأساً وقال له: هذه وتستريح فلما استيقظ ذكر الله واستعاذ به من الشيطان وقال لمن حوله من أهله هكذا رأيت فأحصوا هذه الأيام.

وكان يستصحب حقاً فيه غسل ويستعين بذلك على ريقه لمرارة ويبوسة، قال بعضهم دخلت عليه وقد تضاعفت بنيته وكلت قواه وذلك قبل وفاته بيوم وهو يتلمظ شفتيه بلسان ويقول: إيهما الحمد لله حسبنا الله ونعم الوكيل على من آذانا، ولم يصل منا إلا الخير، وهذا والله منظر مزعج، فيا ليت شعري ماذا يصنع الأحباب ومن يتولى غرسه بعد الذهاب، ومن يطيق ألم الفراق، وهذا شيخ المسلمين في كرب السياق، فلما أصبح تنظف ولبس ثياباً جدداً وذلك بكرة الاثنين الموافق ١٦ ذي الحجة، وجعل يقول وهو على تلك الصفة: هل أذن المؤذن ما باله أبطأ، ويتقلب ثم يقول أقرأ سم بالله كأنه جالس للتدريس في الحلقة ثم يغشى عليه فإذا أفاق أخذ يتكلم بما سبق، ثم جعل يتكلم بكلمة التوحيد حتى خرجت روحه في الساعة السادسة من اليوم المذكور.

وقد بعث أمير بريدة قبل ذلك نبأ برقياً في ١٤ من الشهر قبل وفاته بيومين لجلالة الملك يخبره بمرض الشيخ ابن سليم، وقد كان الملك لم يعلم بما آل إليه فقام من فوره وبعث بدكتور ماهر إليه يدعى عفيف المحمصاني، ركب سيارة فوردي جديدة وسار مسارعاً إلى القصيم فلم يصل إلى بريدة إلا بعد وفاته بساعات، وكان قد أوصى أن يغسله تلميذه الأخ عبدالمحسن بن عبيد، فغسل وكفن وصلى عليه المسلمون بعد صلاة العصر في المسجد الجامع، فامتلاً المسجد بالرجال والنساء وامتلات الأزقة والشوارع وازدحمت رجالاً ونساءً وأطفالاً ويكون ويندبون، وعلت الأصوات بالنشيج والجشع، ولا والله لم يصابوا بمثل هذه المصيبة في أهلهم ولا

أولادهم، ودوى ذكر وفاته في أقطار الأرض وصلي عليه في سائر أقطارها بالنية وبلغت شامها ويمنها، فيا لها مصيبة عظيمة وفادحة جسيمة، بلغت القلوب الحناجر وسكبت الدموع من الحاجر، ولا شك أن ثلمته كبرى بين العالمين، ورزء عظيم أصيب به أهل العلم والدين فأصبح أهل مقاطعة القصيم كأنهم غنم بلا راعٍ، وضافت عليهم الأرض بما رحبت.

وقد رثاه العلماء والأدباء في سائر نجد، واليمن وغيرها، ولما بلغتنا وفاته ونحن في مكة المشرفة أتينا بما يأتي:

الحمد لله الملك المجيد الفعال لما يريد، المؤمل لكشف كل صعب شديد، الباقي ملكه فلا يفنى ولا يبيد، و الصلاة والسلام على المبعوث إلى كافة الأحرار والعبيد، المؤيد بدرع العصمة لا بدرع الحديد، وعلى آله وأصحابه ذوي المفاخر والبأس الشديد، والدعوة إلى الله بالإيمان والتوحيد.

أما بعد: فإنه لما كان في موسم الحج سنة ١٣٦٢هـ أتاننا نعي شيخنا وأستاذنا الشيخ عمر بن محمد بن سليم غفر الله له وأسكنه فسيح جنته فانبعثت بنا دواعي الهموم والغموم، وكادت الأرواح تبلغ الخلقوم وذلك لكبر ثلمته بين العالمين، وعظم مصيبته بين المسلمين، وهل ذلك إلا من النقص على أهل الإسلام ونزع العلم من بين الأنام، ولما فجعنا بهذا الرزء أصابنا من الهم والكآبة ما الله به عليم، فقللت هذه المراثية تسلياً للنفس وتعزية للإخوان، وأسأل الله تعالى أن يرفع منازلهم في الجنان ويسكن روعه يوم نصب الميزان:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| بكيناً عويلاً بالدموع الهوامع | لخطبٍ دهاناً بالهموم القواطع |
| غداة أتاناً من قصيم مخبرٌ | ويني بأخبارِ تغم لسامع |
| أتاناً بأخبارٍ عظيمٍ خطوبها | بهـد ونقص للعلـى والمنافع |
| فيا صاحبي حقق كلاماً سمعته | رويداً فلا تعجل بنقل المذائع |
| لعل إله العرش يخلف ظنهم | فما زال مناناً لطيفاً بخاضع |
| فما هذه الدنيا بدار إقامةٍ | فتباً لها كم آذنت بالفجائع |

فلو أنها تصفو لصافت ملوكها
 ولكنها غدارة في فعالها
 فما نالنا في ذا الزمان مصيبة
 غداة سمعنا بانهدام لعرشنا
 وذاك لعمر الله موت محقق
 لأشتات علم طالما حار أهله
 هو العلم المشهور في كل محفل
 تسلسل من قوم هداة أجلة
 عنيت به حبر البلاد وبدرها
 وذا عمر قل لي هو ابن محمد
 إمام همّهم ألمعي محقق
 حبيب منيب بالعبادة ناسك
 خبير بأصناف العلوم جميعها
 فمن لعلوم الشرع يشرح أصلها
 ومن لبحوث بعده من مجاهد
 فمن لعلوم الأصل يشفي لسقمنا
 ومن لفنون الإرث يقسم بيننا
 فيا لوعتي من فقدته وفراقه
 ويا حزني من بعده في ضريحه
 ويا جزعي من نزع شيخ مذهب
 ترى حوله الطلاب من كل جهة
 فيعطيه من كل فن لطالب
 ولما فجعنا بالممات لخبرنا
 ترانا بهم باهتين لرزئه

وأجبارها أهل النها والمرافع
 كما غرغر في سراب البلاقع
 ورزء دها من معضلات القوارع
 وكسر لأهل الحق من كل سامع
 حكيم بصير عامل بل وجامع
 فأبدى غباً معضلات البدائع
 حليف العلى والفضل للشر قانع
 ذوي العلم والتحقيق أهل التواضع
 فتى من سليم فائقاً في المجمع
 تقي نقي علمه خير نافع
 جرى على قمع الردى والمخادع
 مجالسه يسعى لها كل رافع
 مفيد لطلاب العلوم التوابع
 ويحمي حما الإسلام من كل قاطع
 يقوم بنصر الحق من كل خادع
 ويهدي لخيران جهول وضائع
 ومن لعلوم النحو يكفي لسامع
 وثلمته في الخلق بين المجمع
 فمن مثله فينا لبذل المنافع
 يعيد ويدي ديننا غير نازع
 يؤمونه بالكتب كل مسارع
 كما هل قطر بانصباب الهوامع
 وفقد نبیه القدر نافي المطامع
 وعبرتنا تجري كحد اللوامع

وكل يكي بانكسار خواطر
وقاض لإقليم هداة قطينه
يحق لنا نرمي على الأرض خشعاً
فلو كانت الأموال تفدي لشيخنا
ولكن حكم الله لا بد نافذ
قضاء قضاه الله جلا جلاله
صبرنا لحكم الله من غير سخطه
فقد جاء عن خير الهداة محمد
وهذا هو التصديق حقاً فإنه
فيا أيها الإخوان صبراً فإنه
وقوموا جميعاً بالسؤال لربكم
فاحسن مولاي الجليل عزائمكم
ووفقكم ربي طريقة شيخكم
لأن كان حبر الناس أمسى مفارقاً
وكانوا بلا راع يلم لشملمهم
فدى عادة الدنيا بخل وصاحب
فيا فارح الهم الشديد كروبه
ويا سامع النجوى قريباً لمن دعا
تفضل بنصر عاجل غير آجل
وصل إلهي كل حين وساعة
محمد الهادي إلى خير شرعة
وآل وأصحاب هداة أجلة

لدى عمهم فقد الحبيب الممانع
فأضحى طلولا طامسات بلاقع
وننفي لذيد النوم عند المضاجع
لجدنا بها في فكه بالتسارع
وما قدر الرحمن لا بد واقع
وما أمره إلا على رغم جازع
وكل إلى مولاه لا بد راجع
بنقص لأهل العلم من كل نافع
صحيح أتى بالنص خذه وراجع
مضى لطريق كلنا فيه واقع
يلم لشمم الدين عند الفجائع
كذا جبر المصاب من كل رائع
يجد وتشمير وكسب المنافع
سقاء الردى كأساً مريز الجارح
وخلفهم حقاً كاغنام رواتع
وكم آذنت أهلاً بتشتيت المجامع
ويا منجي الغرقا رؤوفاً بخاضع
مجيب دعاء من سؤول وطائع
ومن بإسعاف على كل ضارع
على خير مبعوث كذا خير شارع
نبي أتى حقاً بخير الشرائع
ينادون بالإخلاص فوق المجامع

وقال الشيخ حمد بن مزيد قاضي قبة يرثي المترجم:

على العالم النحرير شمس المعالم نريق دموعاً مثل صوب الغمام

فما قد دهانا ساعةً بمصيبةٍ
يمثل مصابٍ قد دهانا بروعةٍ
وغم وأحزانٍ وغمٍ وكربةٍ
لذن قيل مات الشيخ قطب رحا الهدى
وأعني به بدر الدجى علم الهدى
هو ابن سليم واسمه عمر لقد
لقد أظلمت أرض القصيم بموته
فأعظم به من فادحٍ جلُّ أمره
فيالك من رزءٍ فظيعٍ ومزعجٍ
فمن مثله يرجى لحل مشاكل
ومن مثله في بذل علمٍ وحكمةٍ
لقد كان ذا عقلٍ وعلمٍ وعفةٍ
فلله من حبرٍ جليلٍ وضيغمٍ
حليمٍ رحيمٍ المعني مهذبٍ
تقيٍ نقى ناسكٍ متروّعٍ
غيورٍ لدين الله سيفٍ مهندٍ
وقد كان عدلاً في قضاياه منصفاً
ويقضي بعلمٍ لا بجهلٍ وغر هوى
ونهمته في العلم مذ شَب يافعاً
له في فنون العلم باعٌ طويلةٌ
يحل عويص المشكلات بفقهه
يقضي بتدريس العلوم نهاره
فوا لهفي واحر قلبي ومهجتي
مجالسه للعلم عادت خواليها

ورزءٍ فظيعٍ مزعجٍ للعوالم
وشدةٍ لوعاتٍ أتت بالعظام
وبؤسٍ وتنكيدٍ لحلو المطاعم
حليف التقى سامي الذرى والدعائم
وذا الفضل والإحسان وافي المكارم
سمى ذكره فوق السُّهى والنعائم
وعمُّ الدجا في نجدها والتهائم
وهذا لركن الدين للقلب كالم
وخطبٍ مهولٍ قاطع الظهر قاصم
إذا أعجزتنا مشكلات المخاصم
وإرشاد طلابٍ ونصحٍ لعالم
وقلب سليمٍ من جميع المآثم
هزبر على الأعداء غيظ المراغم
فصيحٍ نصيحٍ صادق القول حازم
عفيفٍ نظيفٍ من جميع اللوائم
على الضد لا يخشى ملامة لائم
وفي الحكم بين الناس أحسن حاكم
وليس بطياشٍ عجولٍ وغاشم
وما همه الدنيا وجمع الدراهم
يقصر عن إدراكها كل عالم
ووقاد ذهنٍ للغوامض فاهم
ويحيى الليالي قائماً غير نائم
على فقد بدر الدين زين العوالم
وأمت قفاراً دارسات المعالم

كأن لم تكن يوماً رياضاً أنيقة
 وإن وفاة الشيخ ثلم بديننا
 فقل للذي يقلبه أو مبغض له
 فما مبغض للشيخ غير منافق
 فصبراً بني الإسلام صبراً لما دهمي
 فإن إله الناس منفذ أمره
 ولو كتب الله الخلود على امرؤ
 ولكن موت المرء حق محتم
 سلوا الله أن يوليه عفواً ورحمةً
 ويخلفه فينا بخير وعصمة
 ويبقى لنا أعلام دين محمد
 ويحيي بهم ما مات من هدي أحمد
 ويجعلهم في الدين والخير قادة
 وأمر بمعروف ونهي عن الردى
 ويبقى لنا بدر الدجا سامي الذرى
 ويجعله للدين والشرع نصرة
 ويحيي به الإسلام ممن يرومه
 فأكرم به من ذي تقى وشهامة
 رحيم حلیم عادل متفضل
 لأهل الهدى ذي رحمة وتواضع
 فلا زال إسعاد الإله يمهده
 ويبقى ولي العهد نصراً لديننا
 يشد به أزر الإمام مساعداً
 لقد كان ذا عقل ورأي وسؤدد

زهت بزهور مطربات نواعم
 وهدم عظيم ماله من ملائم
 هلموا فسدوا منه لو ثقب خاتم
 خبيث الطوايا فاسد القلب آثم
 من العضلات المفظعات العظام
 على كل راض بالقضاء وراغم
 لخلد خير الخلق صفوة هاشم
 وذو العرش رب الناس أحكم حاكم
 ويحضى بفوز خالد فيه حاتم
 من الفتن الدهيا وسوء الخواتم
 مشايخنا الأخيار من كل عالم
 ويمحو بهم سبل الردى والمآثم
 تحت على التقوى وترك المحارم
 وإرشاد جهال وردع المخاصم
 إمام الهدى بجر الندى والمكارم
 ويردي به الأعداء من كل ظالم
 بسوء وشرب من جميع العوالم
 وليث هزبر في الحروب وحازم
 سجيته التقوى وهجر المآثم
 شديد على أهل الردى والجرائم
 وأعدائه في كبت وذلل ملازم
 وقمعاً لأهل الزيغ من كل ظالم
 له في شؤون المسلمين اللوازم
 لوالده بر مطيع وخادم

فطلعته ميمونة خير طلعة
فلا زال بالتوفيق والنصر مسعداً
وأزكى صلاة الله ثم سلامه
كذا آله والصحب مع تابعيهمو
بعد نبات الأرض والرمل والحصا
وما هبت النكبا وما ذرّ شارق

ومسعاها في كسب العلا والمكارم
وعزاً وتمكيناً من الله دائم
على السيد المختار من نسل آدم
وتابعهم من عربها والأعاجم
وما أنهل من بيل السحاب السواجم
وما أطرب الأسماع نوح الحمائم

وقال السيد أحمد بن عبدالفتاح ساكن ناحية اليمن:

ما للمدامع كالطوفان تنحدر
ماذا الذي طم فاستكت مسامعنا
وزلزلت عنده الأقطار واضطربت
هل هذه نفخة في الصور راجفة
ماذا التحير والأحوال قارعة
بل هذه صدمة الأقدار وأسفاً
بموت حافظ هذا العصر ناشره
حبر العلوم كما دلت مرافقه
فذا يعز على العلياء فرقتة
شهم تجافى عن الدنيا وزخرفها
دار الكرامة والإجلال حيث بها
فيها تطوف به الأكواب داهقة
فيها يشاهد مالا أعين نظرت
حيث المواهب تعطى لا حساب بها
مع الأولى وحدوا الرحمن واجتهدوا
راضوا النفوس فخلناهم ملائكة
الله أكبر إذ نادى مودعه

والناس سكرى وأيم الله ما سكروا
وطاش من هوله الباب والفكر
منه الأقاليم يا للناس فاعتبروا
أضحت تصيح لها الموتى فتتشر
من الحوادث يعمى عندها الخبر
تكاد تفقد عين العلم والأثر
كذلك الموت لا يبقى ولا يذر
وجهبذا نخبته لأعصر الآخر
فقد يطيب لها مع مثله السمر
واختار داراً إليها ضمه السفر
حور الجنان إلى لقياءه تبتدر
إذ يحتسبها ولا لغو ولا سكر
بين الحقائق يجري تحتها الزهر
حيث الصفا ولا هم ولا كدر
وقطعوا الليل بالتسبيح وابتكروا
عند المناجات إلا أنهم بشر
في رحمة الله والغفران يا عمر

فاض الدموع وفاض الشعر فاستبقا
من غير سبك لأن الفكر مندهش
وقد قلبت نظام الشعر آونة
دع عنك ذكرى الذي قد كان أسكتني
وابك الفنون وقد مات ابن مجدتها
من للعويص إذا دجا دياجره
من للتلاميذ كالوراد من ظمئ
ظلوا حيارى غداة النعي فاجأهم
مات الذي غرست يمينه غرسهم
من للمواعظ يملئها مرتلة
وحسبنا الله هل يدري مشيعه
وإنما الآية الكبرى لمعتبر
وتهبط الشمس للبيدا فتسكنها
أين الذي يصدر الفتوى مكللة
أودى وغادر أذهاناً مشتتة
لأن تغيب منه في الثرى جسد
لم تتحد يعرب إلى عليه أسا
فكل فرد من التبريج فيه حوى
يا أهل نجد وقيتم كل كارثة
إن المصاب ولو جلست فوادحه
واستشعروا الصبر وارتادوا العلوم ولا
وامشوا على سنن الأسلاف حيث مشوا
وجبذوا فكر الطلاب واستبقوا
بشوا النصائح واصلوا كل مبتدع

وصرت أنظم حين الدمع ينتشر
أما يحق لها أن تدهش الفكر
من محدثات أمور كلها عبر
في مثل موقفنا لا تذكر الفجر
وزال عن طالبيها السمع والبصر
ولم يكن في علم منه يتتشر
لفيض بحر به الأمواج تزدهر
وبيتوا القول هل يقضي لهم وطر
فمن يعذبه حتى يطلع الثمر
من كل معنى لديه يخشع الحجر
من غيبوه ومن في الثرب قد قبروا
إن تحوي بجرأ عجاجاً هذه الحفر
ويختفي اليوم في أطباقها القمر
من الأدلة بالبرهان تزدهر
من هول مصرعه قد حفها الخطر
فما تغيب منه الذكر والأثر
ولم يضمهم في ذاك مؤتمر
قلباً ترامى به الأحزان والضجر
ونلتهم أجر من عند البلا صبروا
يهون في مصرع المختار فادكروا
تألوا اقتراباً إلى نهج الأولى غبروا
مع الدليل وقد فازوا وقد ظفروا
ونابذوا خطة العصري وانتهروا
صواعقاً من سماء الشرع تنفجر

وثابروا وأنشروا الدعوى تؤيدها
عبدالعزیز أطال الله مدته
من أتعب النفس في تكمیل راحتنا
براً بأمته سهل الحجاب لهم
من وطد الأمن والدنيا مروعة
لا هم أيده بالنصر المبين على
واشدد بأنجاله من أزره وهم
وأسبل شآبيب رضوانٍ ومغفرة
من مات في صفر من صدر عام وقل

من المليك سيوف الهند والسمر
في نصرة الحق إن الحق منتصر
حتى يلذ له في نومنا السهر
رمز التواضع ما في خده صعر
من المخاوف والهيجاء تستعر
أعداء دينك من يحدوهم البطر
أهل المعالي ونعم القادة الغرر
على الفقيد وعفو منك ينهمر
أمسيت دارك عليين يا عمر

كذا ذكر الناظم في تاريخه، والصحيح ما ذكرنا ولعله لم يبلغه خبر وفاته إلا في
صدر العام، ومن رثاه الفاضل الشيخ عبدالحسن بن عبيد بهذه القصيدة:

أشكو إلى الله علام الخفيات
موت التقى الإمام قدوتنا
محقق العصر مفتي الوقت عالمنا
محي العلوم وقاضي عصره عمر
مفتي البلاد وحيد العصر فاضله
العالم الفاضل ابن الشيخ عالمنا
مصيبة الشيخ ليس كالمصيبات
نجم هوى في الثرى فالله يجبرنا
رزة ثقیل على الإسلام قاطبة
خطب جسيم على نجد وساكنها
ريعت له من ذوي التوحيد أفئدة
فيا لعين بهطل الدمع قد بخلت
يا عين فابكي على شيخي ولا تهني

مصيبة عظمت لا كالمصيبات
الماهر البطل العالم الرات
فقيه نجد بإطلاق البريات
ذو العقل والدين مع حسن السجيات
أخو المعارف فينا والسعادات
علامة الوقت مأمون السريرات
لكن على ذي التقى من كل قنات
على مصاب ثوى من بين أموات
والمسلمين كذا كل البريات
أعظم به من خطوب المايجريات
فكم دموع جرت تتلو لعبرات
متى تهل مع العبرات قطرات
واهمي من الدمع كرات عديدات

فالحمد لله لا نشكو إلى أحدٍ
حمداً كثيراً كما يرضاه فاطرنا
صبرٌ جميلٌ وتسليمٌ لِمَا لَكُنَا
فقد عرّتنا أمورٌ أنت تعلمها
فاجبر عزانا بلطفٍ منك يا أملي
واخلف لنا فاضلاً يحیی مجالسه
موفقاً مخلصاً اللهُ همتَه
إذا تذكّرت أحوالاً لعالمنا
كم سنة شادها يوماً بهمتَه
كم من نصائح سارت في الوری غرراً
الله أكبر من ذا يحصى مناقبه
كانت مجالسه بالعلم عامرةً
من كل قطرٍ تراهم حوله زمراً
لو كان يقبل منا الموت فديته
بالنفس والمال والأهلين كلهم
لكنه الموت لا يبقى على أحدٍ
لا يسأم الدرس لا حضراً ولا سَفْراً
من للمجالس بعد الشيخ يعمرها
من للتصانيف والأجزاء يحللها
من للفرائض يبدي من غوامضها
من يصطبر صبره للعلم محتسباً
من مثله في علوم الشرق نقصده
الحمد لله حمداً دائماً وكفى
يا رب نورٍ ضريحاً كان ساكنه

سوى العلیم بأسرار الخفيات
على القضاء كذا كل الذي يأت
يا رب لطفاً لدى كل المهمات
يا عالم السر مع كل الجليات
والمسلمين كذا كل البريات
يحيي من السنة الغراء لميتات
نصح الخلائق مع تصحيح نيات
فاضت دموعي على خدي بعبرات
كم حجة صدرت منه وآيات
بين الملاء أرباب الولايات
مع عد أحواله الغر السنيات
يؤمها معشر القراء كرات
يا لهف نفسي عليه بين أموات
كنا افتدينا أبا حفص بما نأت
طراً جميعاً كذا كل القربات
كل البرية تفنى بالمنيات
في كل حينٍ يحيي وساعات
كأن مجلسه روضات جنات
والمشكلات لدى هذي البريات
من ذا يفيد لأرباب السؤالات
يدعو إلى الله علام الخفيات
إذا ادلهمت خطوب الماكرات
حمداً كثيراً على كل الذي يأتي
وحفه بالرضا مع محوزلات

واخلفه في آله والمسلمين معاً
آنس لوحدثه وارحم لغربته
يا ربّ صلّ وسلم على المختار سيدنا
والآل والصحب ما هب النسيم وما

يا رب فاسمع دعائي مع شكاياتي
واجعل ملاحدته روضات جنات
محمد المصطفى من ذي البريات
كر الجديدان مع كل القرابات

وقال الشاعر الأديب صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين راثياً الفقيه الشيخ عمر
بن محمد بن سليم قدس الله روحه:

مصائبٌ عظيمٌ حق فيه التلهف
ولا بدع أن استبدل الدمع في دم
فيا عين فابكي واحذري من تكاسل
ويا موت زر لا خير لي بعد في البقا
إذا أنت أسرعت ارتحال خيارنا
فمني على الدنيا السلام جميعها
لقد حلّ في ذا العام مفقد عالم
لقد حلّ في ذا العام مفقد عالم
فقدنا بهذا العام نجل محمد
فقدنا بهذا العام بدر هداية
فلو أن فيك الموت يقبل فديةً
فيا عمر أفديك روحي ومهجتي
فأنت الذي في العلم مدت أنامل
فحقاً وجوه الفقه زال جمالها
وحقاً فما الفقه بقى مفرع
وحقاً طريق المذهب الآن هابه
وحقاً عويصات المسائل أبقيت

وصارت به عيناى بالدمع تذرف
فما ناظر يكي الدم الآن مسرف
وخلّ الهوينا إن صبري ليضعف
إذا ارتحل الأخيار لم نتخلف
وأبقت قوماً ليس في الخير تعرف
ولست على أبنائها أتأسف
بمفقده شمس من العلم تكسف
به حل في أطراف أرض تخوف
هو ابن سليم الزاهد المتصوف
فيا عمر من ذاك بعدك يخلف
لكنت بهذا الأمر للروح أصرف
فأفعالك الحسنى بنا لا تكيف
إليك فعادت بعد مد تكفكف
وعن جسمها طوى القميص المفوف
وأسماع طلاب له لا تكشف
جسورٌ بما أبداه أحمد يكلف
كأي صفات بالتلاوة تتحف

وحقاً بكى المغني وكافي وغاية
وحقاً فمغني النحو أصبح مشكلاً
وحقاً فجار الله^(١) دق اعتزاله
وحقاً فلن ينهى مراد نهاية
فأسيافه في البحث قاطعة الضبا
يقوم بإيضاح المسائل جاهداً
وأقلامه فيه الأوابد لم تزل
له قدم في الفقه سابقة الخطى
فكم كان يحيي فيه ليلاً كأنما
أبان الخفايا بل إذا لبيان
مثقفة ألفاظه عذبة الجنا
طوى الموت حقاً حنبلي زمانه
طوى الموت من في العلم أصبح ساعياً
قفوا خبرونا من يقوم مقامه
قفوا خبرونا من يوقف طالباً
قفوا خبرونا من إذا ولي القضا
ومن ذا تطيب النفس يوماً بقوله
هو الجبل الراسي تهدم ركنه
حوى من مواريث النبوة إرثه
وفي موته الأعلام عادت إلى الثرى

وإقناعهم شرحاً أراد المصنف
وكل غريب فيه ليس يعرف
وما دس في كشافه ليس يكشف
عليه غريب فهمه ستوقف
بها امتاز ما قد صححوا والمزيف
وأشتاتها بعد افتراق يؤلف
بتقييد علم من مداده تغرف
كما في كمال الدين والعقل يوصف
يصيد بفخ الفهم درأ ويكتف
أردت اختباراً سحر بابل يردف
فما غير ذاك اللفظ قيل المثقف
طوى الموت حقاً من هو المتعفف
بعزم صحيح مقدماً لا يسوف
ومن ذا بمحراب الهداية يعكف
على غامض الآيات لا يتكلف
فميزانه القسطاس ليس يطفف
سواه ومن ذا بعده قيل منصف
قفوا نبكه يا أمة المصطفى قفوا
وصارت به أعلام علم ترفرف
ورد به الأعلام ما منه خلفوا

(١) يعني أن الزخشري محمود المسمى جار الله دس في تفسيره المسمى الكشاف أموراً من الاعتزال وهي دقيقة لا يعرفها إلا ذو المعرفة من العلماء يشير بأن نقاد العقائد قليلون ومن يعرف الاعتزال بعد الشيخ عمر بن محمد بن سليم.

تنكر هذا العصر لكن فإنه
وقد لبست نجد ثياب حدادها
لأن مهد التمهيد مضجعه له
سأبكيه بالدرين دمعي ومنطقي
أجاوب ورقاء الحمام بشجوها
سأنشد قبراً حل فيه رثاءه
فلهفي لا مداحي عليه تحولت
ولكن فما بعد النبي محمد
فما نحن إلا ركب موت إلى البلا
فهذا سبيل العالمين جميعهم
فيا رب روي الروح في صوب رحمة
وروحه بالريحان والروح والرضا
وأرخ فقيه العصر حين رثائه

بطيب ثنا أبقاه فينا معرف
على زوج فضل لا عن الحق ينكف
فكوكب ما أبقى من العلم مشرف
بسلك تأين عليه تؤلف
وأغلبها في لوعتي حين أهتف
وأعصي عذولاً شاء عن ذاك يصدف
رثاء بها تلك المدامع تنطف
رجاء بقا والخلد لا يتشوف
صروف الليالي للمنية تقذف
فذا لا حق هذا وهذاك يسلف
فقد كان في الدنيا بها يتعطف
والحق به في الحشر من فيه يشف
قضى عالم الدنيا لمولاي يأزف

وهذه قصيدة رثائية للشاب الفاضل وابن الأكرمين الأفاضل عبدالعزيز بن
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قالها في المترجم:

الدمع من عيني ذو هملان
والجسم أصبح مستدقاً ناحلاً
والليل طال وبدلت نعماؤنا
عمر الذي عمر المجالس بالتقى
رب المعارف والحقائق والعلی
ورث المكارم كابراً عن كابر
يتقشفون على كثافة قدرهم
من للمجالس في بريدة بعده
يا رب فارحه واسق ضريحه

والقلب مملوء بذی الأحزان
والنوم حارب مقلتي وجفاني
بؤساً لفقد العالم الرباني
والدرس والتحقيق والعرفان
والحلم والإرشاد والإحسان
بنو سليم هم أولو الإتيقان
يتواضعون وهم عظيمو الشأن
من للعلوم وسنة العدنان
صوباً من الرضوان والغفران

مولاي ابق لنا إمام الدين ذا التحق..
قمر الدجا رب العلى زين الملا
شيخ المشايخ سيد العلماء في
هو والدين والحق يشهد أنني
يا رب فاحفظه ومتعنا به
وامنن علي ببره ورضائه
وأفرض علينا منه علماً نافعاً
وكذلك ابق لنا مشايخنا فهم
واغرس لهذا الدين غرساً واحمه
ثم الصلاة على الحبيب شفيعنا
ماسحٌ ودقٌ أو تغنى منشداً

.....يق ناصر شرعة الرحمن
بحر العلوم وترجمان قرآن
هذا الزمان بلى وكل زمان
فيما أقول مقصر ببيان
يا دائم المعروف والإحسان
وكذلك أولادي كذا إخوان
يا سيدي يا منزل الفرقان
فيما البدور تضيء للعميان
من كيد كل ملدٍ شيطان
والآل والأصحاب والأعوان
الدمع من عيني ذو هملان

وهذه مريثة الشيخ الأديب محمد بن عبدالعزيز بن هليل للشيخ عمر بن محمد
ابن سليم، وهي حسنة جميلة من البسيط:

رضا وصبراً وحمداً ليس منحصرأ
سبحانه وتعالى لا مرداً لما
إناله وإليه أمر مرجعنا
مصارع الموت للألباب واعظة
لكننا غلبت والله غفلتنا
فاليوم ظلت وقد جلت مصيبتنا
على إمام همام عالم علم
في خدمة الدين والتوحيد مجتهداً
محارب عصب الأشرار قامعهم
مجاهد ناسك إلى الناسك ذي
حققٍ فاضلٍ بالعلم ذي عملٍ

على قضاء مليكٍ للورى فطرا
أراده لجميع الخلق قد قهرا
وكل شيءٍ فمنه محكم قدرا
في كل حينٍ ترينا الهول والعبرا
نستغفر الله ربي خير من غفرا
سحائب الدمع منا تقذف العبرا
حبرٍ تقي قضى وقد قضى العمرا
عن حسن قصدٍ وقلبٍ بالتقى عمرا
وللمساجد بالأذكار قد عمرا
شوق متابعها حجا كذا عمرا
موفق السعي أعني شيخنا عمرا

ابن سليم الذي لله قد سلمت
الناشر العلم بالتعليم محتسباً
إليه تضرب أكباد المطي لأخ....
القائم الليل للرحمن نافلةً
ينهى عن المنكر والآثام يأمر بالم
ف نور الله قبراً حله كرمأ
وفقد أهل التقى والعلم سادتنا
فنحن في زمنٍ زادت مصائبه
فالعلم يرفع والجهل المضطربا
ورفعه بممات الحاملين له
عن النبي عليه الله خالقنا
والآل والصحب أهل الصدق أجمعهم

له العقيدة في الإسلام واشتهرا
ملازماً حضرا لذاك أو سفرا
...ذ العلم عنه تجوب السهل والوعرا
مرتلاً خاشعاً لربه السورا
معروف من بعدما بفعله ائتمرا
وجاده صيب الرضوان منهمرا
رزيه تورث النقصان والضررا
والخير أصبح من تحت الثرى قبراً
بحر له ظلّ فيه المرء منغمرا
قد جاء ذلك فيما قد روى خبراً
صلي وسلم ما نجم بدا وسرا
والتابعين ومن للدين قد نصرا

وقال السيد علي السنوسي قاضي جيزان السابق هذه المراثية البديعة في شيخنا
المترجم، وهي من بحر الطويل:

أحقاً توفى في ربا النجد عالم
نعم عمر الفاروق ابن محمد
فكم أمم قد أصرع الموت قبله
وآثارهم ما بين شرق ومغرب
فكيف بقاء الفرع والأصل ذاهب
ونعلم أن الموت حق وإنما
ويغتر في غصن الشباب أخو الهوى
ولا يرعوي فيما يرى من مصارع
فلا أسف أن مات يوماً فإنه
ولكن يموت العلم في موت أهله

وضمته أقطار الثرى والمعالم
توفى فما حيّ سوى الحق دائم
فلم تغن عنهم دورهم والعواصم
لنا عبرة منها حصيد وقائم
بما قد مضى من أعصر فهو أدهم
لنا أمل في فسحة العمر هائم
وينسى لما تجنى عليه الجرائم
لأقرانه حتى يفاجيه هاجم
كما عاش في الدنيا تعيش البهائم
ويقبض حتى يعوز الناس عالم

وما موت فاروق الزمان بعلمه
ولما أتاني نعيه رجفت بي
وأوجب لي فيه المصاب لدهشة
فلا تعجبوا أن غاب فكري
وصرت إذا ما رحت أرثيه حائراً
وانفض كفي من تشوش فكرتي
وتبت يدا موت رمته فأقصدت
بكى النجد من حزنٍ عليه وأغلقت
وقد لبست ثوب الحداد تفجعاً
فمن للفتاوى بعده من محررٍ
ويوردها في الحال دون توقفٍ
قضى العمر في نشر العلوم وحكمةٍ
وإن رام إظهار الخمول ليتقي
يفوح عبير المسك وهو مختم
وكان وقوراً بالجلال إذا اجتنبى
ويطرق كل رأسه في تأدب
وكان على سمت الصلاح شعاره
وقد فقدت في موته كوكب الهدى
وجاوز أهل العلم والفضل والتقى
وقد كان يقضي حيث يمضي محرراً
ويقضي على ما عنده غير باحث
ويوحي إليه القلب ما يستمده
وغالطنا هذا الزمان الذي به
فلم نرَ فرقاً بين قاضٍ وغيره

سوى فزعٍ ترتج منه العواصم
الأرض وانسدت بقلبي المناسم
عرتني إنكلماتها وأنا واجم
بمن شط عني في ربي النجد حائم
من المدمع السيال والطرف ساجم
أفي يقظةٍ لم أدر أم أنا حالم
على أنه ابن العلا وهو خادم
على موته أسواقه والمحاكم
عليه السماء والأرض والجوقا تم
لأقلامه فيها تسوح مراسم
على رقةٍ تغتار منها النسائم
بديعية تهوى حلاها المباسم
به حاسداً تأبى عليه الشكائم
ويسري برياه الدجى وهو كاتم
لفصل القضاء لم يرفع الصوت ظالم
بدون انقباضٍ حوله وهو باسم
بقلبٍ خوى فيه التقى والقوادم
عريب النقا يوم القضا والأعاجم
إلى رتبةٍ قد أعجزت من يزاحم
لأحكامه لا يعتريه التساؤم
بتفتيشه كتباً كمن هو واهم
لسانٌ فصيحٌ كلما سل صارم
تساوى أخو الجهل ومن هو عالم
وقد كثرت فوق الرؤوس القمام

بتوفيق رب العرش بالحق قائم
لكثرة من في صرحه اليوم هادم
وقد نهضت بالنابغين العواصم
وأنعامه فيمن تضم التهائم
أجاز به من للنبيين خاتم
قواعدها دين الهدى والدعائم
على نعم خطت ثراها المكارم

ولولا إمام الحق عاهل يعرب
لأصبح علم في الحضيض وأهله
وبث رجال العلم في كل بلدة
ولا سيما جازان مركز عدله
وكافأه الرحمن عنا بمثل ما
وأيدته في دولة عربية
وأنجاله والرافلين بظله

ومن مرثية الشيخ عمر بن صالح الوسيدي في شيخنا المترجم نذكر أبياتاً:

تقضت سريعاً آذنت التناقل
كسلك نظام فاضلاً بعد فاضل
وفاضلنا قد صار تحت الجنادل
سمي أبي حفص كثير الفضائل
تقياً نقياً ناسكاً غير كاسل
يقررها في الناس بين المحافل
علوم الحديث عالم بالدلائل
خبير بتسديقها والجلائل
وكم سنة أحيأ بها موت جاهل
بليل نهار في الضحى والأصائل
فكم باحث فيها وتال وسائل
وأقبرت منا رياض المسائل
رياح جنوب والصبأ والمقابل
تفتت كبدي بل وهاجت بلايل
لديغ بسم من أفاع قوائل

فلا خير في الدنيا وهذه حالها
وهذا زمان قد أبيد خياره
ومفضول هذا الناس أصبح فاضلاً
هو الشيخ من سمي بفاروق وقتنا
سلالة آل من سليم أطاهر
تبحر في فن العلوم جميعها
أصولاً وفقهاً والفرائض بعدها
كذلك نحو والحساب وغيره
فكم بدعة شنعاً أزال ظلامها
مجالسه معمورة كل لحظة
ويتتابها الطلاب من كل جهة
فوا لهف نفسي من رسوم قد انمحت
سقتها رياحاً للشمال وبعدها
فواحر قلبي ويا عظم حسرتي
أقلب جسمي في الفراش كأنني

فكيف يطيب العيش من بعد شيخنا وكيف لنا نستمتعن بالحلائل
فيا عين جودي من الدمع واسكي دموعاً غزاراً كالسحاب الهواطل
وبعد الدموع بالدماء فبادري وبعد الدما نفسٌ تفيض بعاجل
كذاك السماء تبكي على كل مؤمنٍ برفع أعمال من صعود ونازل

وقد أصلحنا ما تكسر من هذه الأبيات وحذفنا أول القصيدة وآخرها لعدم الاستقامة، ولما كان بعد وفاة الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن سليم جاء إلى الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ أحد تلامذته يحمل إليه نبأ وفاة قاضي بريدة الشيخ عمر بن محمد، فاسترجع الشيخ محمد، وبعد قليل قال له ذلك التلميذ: وأيضاً توفي فلان لكاتب من كتاب الدوائر، فتنفس الشيخ محمد الصعداء وأمر أحد بنيه أن يكتب هذه الأبيات رثاء للشيخ عمر رحمه الله تعالى:

إن المصيبة حقاً فقدنا عمراً أعظم بميتته رزء بنا كبراً
قطب القصيم وما دون القصيم وما خلف القصيم وما جرى القصيم جراً
عليه دار الهدى والحق بيته كان الحياة وكان السمع والبصراً
ارزقه يا ربنا عفواً ومغفرةً واجبر مصيبتنا يا خير من جبراً

وقد رثاه الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر وغيره بمراثي كثيرة تركناها لأن غالبها لم يتزن، ونكتفي بما تقدم، ودفن في المقبرة الجنوبية، وقد خلف أموالاً كثيرة من أراضي وضيعات ونحوها.

ولما توفي الشيخ عمر وانتقل إلى رحمة الله اجتمع الأعيان والرؤساء وطفقوا يبحثون في مسألة قضاء بريدة ومن يكون خلفاً للشيخ، ومن يصلح لذلك، ومن لا يصلح، حتى وقع السهم على الشيخ محمد بن مقبل قاضي البكيرية بصفته عالماً عاقلاً ذا أصل ودين وبصيرة، وذا تجربة، غير أنه كان كبير السن ويشق عليه تحمل أعباء المسألة، ورفعوا إلى صاحب الجلالة يطلبون تنصيبه وأنهم يرتضونه، فبعث إليه الملك عبدالعزيز أمراً بأن يقوم بقضاء بريدة، وأعلمهم بذلك فذهب الأعيان إليه مباشرة يستحثونه على القدوم فاعتذر بكبر السن ورقة العظم، وبكى أمامهم

بعدم الاستطاعة، فصار قضاء بريدة نيابةً إلى أن يوجد قاضٍ لها، وحصل بسبب ذلك اختلاف بين من يقول هذا وذاك حتى وقع الاختيار على الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، فهو الذي يقوم بالقضاء والتدريس ويسد مقام ابن سليم، وبما أن الشيخ عبدالعزيز كان في قضاء الخرج فقد أجابهم الملك بأنه في عمل كبير هناك، وعرض جلالته بالشيخ عبدالله بن محمد بن حميد مشيراً بأن يكون خلفاً من القاضي الراحل، وجرى ما سنذكره فيما بعد.

ومن توفى فيها من الأعيان: سليمان بن محمد بن عمر آل سليم ابن عم شيخنا، وكان رجلاً طوالاً نبهاً فطيناً وله خبرة بالأمر الدينية والدنيوية، وذا شهامة وقوة ذاكرة.

ومن توفى فيها أيضاً: عبدالله بن عبدالعزيز بن صعب، كان حفيد الشيخ صعب، وأخاً للشيخ عبدالرحمن آل صعب آل تويجري، والمذكور محبوب عند الناس، وتال لكتاب الله، وكان من سكان بريدة، وقد يسكن في السباخ النخيل الذي يبلغ بعده في التقدير عن البلد بكيلوين، وفيه مكارم أخلاق ورجولة، وكان موته بدء الغاشية في جوفه، المرض المعروف، ودفن إلى جانب الشيخ عمر.

وختمت هذه السنة بهطول أمطار على سائر نواحي المملكة العربية السعودية، وحج بالناس صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ولما قدم مكة استقبل استقبالاً عظيماً وأطلقت المدافع التحية، وأطلقت الألسن في مدحه والثناء عليه نظماً ونثراً، وتبارى الشعراء بالقصيد، ومن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع جريدة أم القرى.

وفي هذه السنة ابتداء بإطلاق مدفعين للإعلام بطلوع الفجر وزوال الشمس، وكان لذلك أحسن الوضع في مزدلفة ومنى تيسير للناس لأن بعض الحجاج من يرمي قبل الزوال ويصلي قبل طلوع الفجر، فمراعاة للأمة أحدثت الحكومة هذا المشروع.

وفي هذه السنة حج أناس من العجم إيرانيين رفضة فكان منهم من لا

يتابع الإمام في الصلاة ولا يقتدي به حتى صدر الأمر من الحكومة بالإنكار عليهم من كل من رآهم، وجرى منهم مفاصد حتى شوهد منهم من يلقي النجاسات في صحن المطاف، وقد عثر في ١٢ ذي الحجة على رجل من الإيرانيين وهو متلبس بأقذر الجرائم وأقبحها وهي حمل القاذورات من العذرة يلقيها في المطاف حول الكعبة بقصد إيذاء الطائفين وإهانة هذا المكان المقدس، فلما ثبت ذلك وتحقق أمر صدر الحكم الشرعي بقتله، فقتل في اليوم ١٤ من ذي الحجة جزاءً له على فعله الذميم.

وقد شاهدنا من أمر هؤلاء العجم ما هو من أكبر المنكرات، فرأينا مجتمعاً في الخطيم للوداع كانوا يدعون بدعاء منكر حتى جعلوا يشركون بالله الشرك الأكبر، ويأتون بمنكر من القول وزور، وفعلًا أنكرت الحكومة عليهم بجلب عساكر طردتهم وشتت مجتمعهم، وأنه ليتعين على ولي الأمر منعهم من المسجد الحرام.

وفيهما ظهر بمكة رجل ادعى أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان، واتخذ وزيراً له يدعي أنه الخضر، فاستجاب إلى تدجيلهما جمع من الغوغاء وهيا سبعاً وعشرين راية، واتخذ ذلك المهدي شعاراً لأتباعه ثلاثمائة سبحة، فقبضت الحكومة عليهما وزجت المشعوذ بالسجن، وكان شيخاً هرمًا متقوس الظهر، وانتهت المسألة بأن كان ضحكةً لكل ساخر.

ثم دخلت سنة ١٣٦٣هـ

استهلت هذه السنة وأهالي بريدة في طلب قاضي ومدرس يكونان خلفاً من الماضي، فاتصلت الأمة برقياً بجلالة الملك وطلبوا أن يكون الشيخ محمد بن عبدالله بن حسين قاضياً في العاصمة فاتخذت الحكومة له بيتاً في وسط البلد، وباشر القضاء في اليوم ١٨ من ربيع الثاني، وبعث الملك عبدالعزيز فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد ابن حميد مدرساً لتلامذة الشيخ ابن سليم فقدم الشيخ عبدالله لأول مرة بلدة بريدة في يوم الجمعة ٢٠ ربيع الثاني، ومن هذه السنة وباشر التدريس، فكان الخطيب في المسجد الجامع عبدالله بن رشيد، كان خطيباً وإماماً، والشيخ محمد قاضياً، والشيخ

عبدالله بن حميد مدرساً، وعزل الشيخ محمد بن مقبل عن قضاء البكيرية وجعل مكانه الشيخ عبدالعزيز بن سبيل، وكان شاباً عاقلاً حسن الخلق، وقد تخرج على الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي ساكن عنيزة.

وفيها قدم أصحاب السمو الملكي الأمير فيصل والأمير خالد، والأمير منصور ابن عبدالعزيز من أمريكا، وكان عودة الثالث من فلسطين ومصر للعلاج هناك، وكان سفر أصحاب السمو في السنة التي قبلها، فأقيمت حفلة في الزاهر احتفاءً بالقادمين، وتقدم الشعراء والخطباء معبرين عن شعورهم القوي بهذه المناسبة، ونذكر قصيدة نظمها وألقاها الأستاذ حسين فطاني، وقد امتازت بحسنها وقوة إلقائها:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| سل الجوهل يدري علام ترقصت | سحائبه تيهام بمن كان مسعدا |
| سل الشعر عن أفئانه وفنونه | وعن كل معنى كان فيه محدا |
| وسائل بلاد العرب عن لطفة بها | وعن سيفها البتار كيف تجردا |
| وسائل عقاب الطير كيف سموه | وكيف يود النجم لو كان مقعدا |
| وسائل أميركا كيف منه تودعت | وسائل جميل الذكر كيف تخلدا |
| وسائل أميركا عن معاهد علمها | بمن حل ضيفاً في رباهها فأسعدا |
| وسل لندا عنه عشية غارة | يراقب طياريهها مترصدا |
| كأنني بذاك البرج مذحل شخصه | به راح حصناً لم تنله بد العدا |
| لأن كان فيها للحروب مشاعل | ففيصل يوم الروع قد كان أجلدا |
| لقد شهد التاميز فيك بطولة | وفذاً نبيلاً في الوفادة مفردا |
| وفي المغرب الأقصى نزلت مكرماً | فأحييت ذكر العرب عزاً ومحتدا |
| ومصر رأت فيك العظيم وإنها | لقطر شقيق بالوداد تقيدا |
| فما قبله الإسلام إلا بمكة | هنا شع نور الحق فالعالم اهتدا |
| إذا اتحد الإسلام عاد ضياؤه | فلإني عهدت العود أجلى وأحمدا |
| وما تسعد الأوطان إلا بنهضة | تشق لها بين الحضارات منفدا |

وما تنهض الأوطان إلا إذا ارتدت
وما تنهض الأوطان إن لم يكن لها
وما تنهض الأوطان إن لم يكن لها
وما تنهض الأوطان إلا بما جد
فما فيصل فينا سوى الأمل الذي
وما فيصل فينا سوى المنهل الذي
وما فيصل فينا سوى النور زاهياً
لئن كان في الأمريكيتين شواهد
وإن كان فيها للحديد مصانع
وإن كان فيها للزهور معارض
وإن كان فيها للحسان ملاعب
ومن باتت العلياء تخطب وده
ومن ناب عن شعب لإظهار فضله
إذا قيل من للمجد يرفع شأوه
وإن قيل من يهدي السيوف سائلة
على الرحب يا شمس السياسة والحجى
على الرحب ملئ القلب والسمع نوركم
بعثت مع الأنسام أسمى تحية
وجئت على متن الهواء مخلقاً
فلله ما أبهى مطيتك التي
وقد بسطت منه الجناح وأرسلت
وكانت قلوب الشعب في نظراتهم
ورفت بنود البشر وازدهر الحمى
وأبرعت لحني ليس يدرك شأوه

من العلم والأخلاق درعاً مسرداً
مدارس تحمي حرثها أن يبددا
مصانع تحمي مجدها أن يهددا
إذا ما ادلهم الخطب كان المسددا
يراح له في الحادثات ويغتدا
عرفناه عذباً مذ قصدناه موردا
بيت لظلم الحالكات مبددا
فإن له في المجد حصناً مشيدا
فإن صنيعاً منه ما زال أجودا
فما هو إلا الزهر بلله النداء
فإن له من نفسه الطهر والهدا
حقيق بأن يسلو سواها فيقتدا
حقيق بأن تغدو النفوس له فدا
تلفتت الدنيا ومدت له اليدا
أجابت سمي السيف فيصل سيدا
على الرحب يا من حل فينا مجدا
وملئ عيون في غيابك سهدا
بنت من عظيم الود صرحاً ممردا
كطيف من الآمال قد لاح مسعدا
تهادت بأكناف الفضاء تأودا
حنيا هو البشرى بمن قد تفردا
تحاول أن ترقى السماء تصعدا
وراحت وفوت البيت نحوك قصدا
وحسي من الإخلاص أنني لك الفدا

لأن خنفتني في الوداع عواطفي
فدع كل صوت غير صوتي فلاني
نظمت قلوب الشعب عقداً منظداً
جميل بأن تهفو القلوب لمجدكم
فما خالد أن قيل من هو خالد
إذا قيل من تهوى السيوف يمينه
وإن قيل من يعتاد للعز منصبا
أميران في الدنيا الجديدة أشرقا
فحدث عن الإجلال ما شئت معلناً
وبين بلاد الإنكليز حفاوة
وفي غرب إفريقيا وشمالها
لقد عدتما والشوق ملئ ربوعنا
أعدا لنا من خير ما قد شهدتما
وإن بلاد العرب ظمأى لنهضة
فسيرا بها نحو العلاء بهمة
ويا ثالث البدرين أحسب بعودة
ويا قائد الجيش المظفر إنه
أست الذي أمسى بمجد حسامه
فبالأمس أرض الشام كانت بفضلكم
وكم هو خلاب وكم هو رائع
جميل بأن يبدو مع العلم نوركم
فما أنتموا إلا سلالة عاهل
قد اعتاد أن يسمو بأمة يعرب
له من كتاب الله أوضح منهج

فلاني بليياك المشوق مغردا
أنا الطائر المحكي والآخر الصدا
بجبك ما أسماء عقداً منضدا
وتهتز وجداً حينما خالد بدا
سوى الفضل والأخلاق والنبل والندا
تنادت به الأيام لا زلت أوحدا
أجابت أرى في خالد من تعودا
وسيفان من غمد العروبة جردا
وحدث عن الإكبار ما شئت منشدا
بضيفين كانا للمحامد متدى
وداد قديم بالوصال تأكيدا
فأضحى نشيد اليمن فيها مرددا
فإن من الإصلاح أن تتعهدا
يحدث عنها كل من راح أو غدا
وكونا لها قلباً وكونا لها يدا
أفاضت علينا من بهائك عسجدا
غدا كأسمك المنصور والمتأبدا
طريق العلاء والمجد سهلاً معبدا
تنادي ومصر خلدت ذلك الندا
بأن نجتلي شمساً وبدراً وفرقدا
فما هو إلا العيد حتى تجردا
بيت له عرش القلوب ممهدا
لكل امرء من دهره ما تعودا
وأمسى بتوفيق الإله مزودا

إذا رفعت رايات عزٍ وسؤددٍ فلإن له في الشرق عزاً وسؤودا
 وإن أنشدت فينا أهازيج مجده تردد في الكون الفسيح لها صدا
 أعز إلهي عرشه وحاكموا من الكيد والتفريق والشر والعدا
 وأبقى جميع المسلمين بعزةٍ وخص إلهي بالصلاة محمداً
 وفي هذه السنة وقع في الناس سعال شديد، ومن أبلغ ما كانوا يصنعونه ضده
 من العلاج أخذ كاسات من الهوى الذي تزعم الدكاترة أنه داخل الأحشاء، لذلك
 توضع كهيئة المحاجم في الظهر وتمتص ذلك الهوى.

ولما أن كان في شعبان من هذه السنة كثرت الشكايات ضد القاضي محمد بن
 عبدالله بن حسين، فجاء الأمر من قبل جلالة الملك عبدالعزيز بعزله وإقامة الشيخ
 عبدالله بن محمد بن حميد قاضياً في بريدة، فلما صدر الأمر السامي بذلك باشر
 القضاء وذهب في شهر رمضان ليأتي بأهله إلى بريدة، وقد أتاب في غيابه أحد
 المنتسبين للعلم، فلما كان في شهر ذي القعدة قدم بأهله وأولاده وأسكنته الحكومة
 بيتاً فسيحاً في وسط بريدة، وكان ضرير البصر، وسنه إذ ذاك لا يتجاوز خمساً
 وثلاثين سنة.

ذكر سفر الشيخ ابن مانع للعلاج

ففي العشر الأواخر من رمضان اشتد بالشيخ محمد بن عبدالعزيز بن
 مانع ألم البواسير وانضاف إلى حصر البول، فأمر صاحب الجلالة بأن تباشر
 الصحبة الكبرى بمكة المشرفة علاج الشيخ المذكور وبذل كلما في وسعها،
 وتابع البرقيات، وبعدما أجري الكشف عليه قرر الدكاترة أن علاجه في
 مصر، فأمر صاحب الجلالة ببعثه إليها، فسار على متن طائرة للعلاج هناك،
 وأوصى صاحب الجلالة بالمبادرة إليه، وهناك دخل المستشفى وبرء بتوفيق
 الله تعالى.

وفيها نقل الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش من مكة المشرفة إلى قضاء الرياض

فباشر عمله، ونقل الشيخ ابن زاحم، والشيخ الذي يدعى محمد الخيال إلى القضاء في المدينة المنورة.

وفيها عين الشيخ عبدالله بن عودة السعوي قاضياً في جيزان فسارع إلى مباشرة عمله هناك.

وزارة الدفاع

في هذه السنة عين الأمير منصور بن جلالة الملك وزير للدفاع ومفتشاً للأمر العسكـرية، وألغيت وكالة الدفاع ونشر البلاغ الرسمي الصادر بنص الإرادة الملكية، ولما كان في غاية ذي القعدة وغرة ذي الحجة هطلت أمطار غزيرة على مكة، وفي اليوم الثاني هطلت أمطار والناس في صلاة الجمعة، ووافق لذلك ظلمة وعظم وقع المطر حتى تشوش المصلون وازدحموا ازدحاماً شديداً فلم يسمع التكبير، واختلط الحابل بالنابل وتقدموا من جهة الإمام وهم لا يشعرون، وحج بالمسلمين صاحب السمو الملكي النائب العام فيصل بن الملك، لأن الملك لم يحج هذا العام، ومن حج من الأعيان الشيخ العالم العلامة عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وقد شاهدته في الطواف فرأيته شيخاً كبيراً متهدم الأركان، ناكل الجسم، وبصره ضعيف، وحج أيضاً الشيخ الفاضل محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والشيخ ابن زاحم، والشيخ محمد الخيال، وحج من الأعيان أيضاً أمير جيزان خالد السديري، وأمير الحدود الشمالية عبدالعزيز السديري، ومن حج فيها الشيخ عبدالله بن علي القصيمي النجدي ساكن مصر، وكان لم يظهر رده عن الإسلام في هذه السنة، نسأل الله العافية، وحججنا في هذه السنة حجتنا الخامسة، وقد رأينا في هذه السنة عجائب وكلها في الحج وسفره.

فمنها أننا لما بلغنا إلى عشيرة ونزلنا تحت تلك الأشجار المظلة حوالي الآبار، ووافق نزولنا وقت الهاجرة في ساعة كنا بحاجة إلى الراحة والنوم فإلى لمشاق السفر، ولأن الأمة في حاجة إلى الهدوء والسعي لمرمة الجهاز إذا بصوت

امرأة تستغيث استغاثة احتراق وتصرخ بويلها وثبورها، وهناك خصومة تسمع الأصوات ولا نرى إلا الأشجار لكثرتها في ذلك الموضع، ولما أن أنصتنا مستمعين إلى صوت المرأة إذا بها تقول بأعلى صوتها: يا معشر المسلمين، ويا حجاج بيت الله، ألا تنصرون مظلوماً، ألا تأخذون حق الضعيف، وتردد ذلك بصوت شجي يقلق الراحة ويبعث على النجدة، فرأى أصحابنا عدم الدخول في شأنهم وتركهم لأنهم في موضع الشياطين الذي يهون عليهم القتل والسلب، غير أن تلك الاستغاثة تستجيش وتحرك الساكنات، فلا يقر القرار لصاحب أنفة أن يسمعها إلا يقوم للنجدة وحل النزاع:

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| إليكم عباد الله صرخة صارخ | يرن صداها في تخوم السياسب |
| تجاوبها الأحجار والأرض والسما | بكاء حزين قد دهى بالمصائب |
| أما فيكمو من يرتجي لمرزء | حريق فؤاد من هموم نواكب |
| فيا ويح مقهور بقتل حبيبه | وعيناه في مرأى قريب لنادب |
| أحجاج بيت الله فكوا لمسلم | أحاط به أعدائه فعل خائب |
| على رأسه الأعداء تفري أيمه | بعضب يمان دامغ في المضارب |
| وقد حيل بيني أن أنال فكاكه | فيا ويل مقهور غاضه كل غالب |
| فإن لم تحيوا غوثنا وتسارعوا | فعما قريب موته بالمعاطب |

فطلبت من أصحابنا النظر في المسألة، غير أنني لم أتمالك أن قمت من بينهم وسمحت بعدم المساعدة منهم، ولما رأوا تصميمي لم يسعهم إلى أن يمشوا أمامي نحو الصباح، ولما أن قربنا منهم إذا محفل لا يقل عدده عن أربعين رجلاً من بينهم شاب قائم على رأسه صاحبه وهو شاب مثله وقد علاه بالخنجر يطعنه في ظهره وكاهله وكتفه الأيسر، وقد وطى برجله اليسرى على صفحة عنقه، وكانت أم المغلوب على قدر ثلاثة أمتار وقد شد أحد الحاضرين يديها إلى ظهرها وأمسكها عن ابنها فكانت على هذه الصفة وحظها الصباح، وأولئك الحاضرون يتفكهون على تلك الدماء التي تجري كالمرازيب، فعجبت لتلك القسوة وتقدم أصحابنا إليهم، فقام الخبيث قد انتضى خنجره يتهدد ويتوعد فلم يتقدم أحد، وأحجم القوم لهذا المنظر

البشع وخشية من الفوضى فلم أعبا بتهديداته، فلما رأى ذلك فرّ عن صاحبه وفرّ الحاضرون، جاءت الأم إلى ولدها فوقعت عليه كطائر قد رمي فوق، ولما رمت بنفسها عليه جعلت تقبله وتمسح عنه الدم والتزمته تبكي وتقول: يا عبدالله بسم الله عليك ثم أقامته بعصديه حتى اعتدل قائماً، غير أن ظهره قد أصيب بعشرين طعنة من خنجر المعتدي، وكان الدم يجري على عقبه، وولت به إلى مركز التفتيش الذي لا يتجاوز قدراً من مسافة كيلو متر، وبينما هي تهدئه إذ جاء إعرابي جلف غليظ عليه ثوب وسخ له أردان وقد أعطي بسطة في الطول يحمل قناة^(١) كأنها رأس بعير، فأراد أن يحول بينها وبين المركز، وله وثبة كوثة الأسد، وجعل يقول لنا يا حجاج إنهم أبناؤنا يتخاصمون ويصطلحون هذا والمرأة تستعيز وتقول لنا احجزوه فإنهم يريدون القضاء على ابني، فبتوفيق الله تمكنا من رده عن المرأة وابنها وعاد خاسئاً حيث لا ندري أين ذهب.

ومن عجيب ما رأيت أننا لما نزلنا من الريع إلى الميقات السيل انكسرت الستة أي أضلاع الحديد التي تكون مؤخر السيارة حوالي الكفريات، فأقمنا لذلك آخر النهار ١٧ ذي القعدة، فصلينا المغرب وقد اشترينا شاة للذبح فضاعت بين تلك الجبال في وقت الصلاة فذهب بعض الرفقة وضربوا بمنّة ويسرة لطلبها حتى اهتدوا إلى خيمة أعراب بين تلك الحجارة فسألوهم عنها وألقوا التبعة عليهم، وأنشوا راجعين، وبينما تشد الرحل للسير إذا بأعرابي جاء بالشاة من مسافة ثلاثة كيلو مترات يقودها بجبل في رقبتها وسلمها إلينا.

تالله إنها لغريبة عجيبة، فمنذ عشرين سنة والحجاج كانوا صيداً للحرامية ولا يدري الإنسان متى يختطف بعيره، متى يختطف رحله وتنهب الأواني والقدور وهي فوق ظهور الإبل، وهذه السنة يؤتى بعنز من أقاصي جبال الحجاز تقاد بالليل

(١) القناة معروفة عند العامة من أهالي نجد، وهي عصا غليظة، أحد طرفيها مستدير كالكرة وهي تكون من خشب، تسمى باللغة العربية الدبوس فتقول الأمة إذا وصفت قويا مسلطا: فلان دبوس معلق.

ويخبط صاحبها الهوام والحجارة خوفاً من سطوة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل فيؤتى بالضالة التي ألجأها المبيت إلى بعض البيوت فيا للعجب العجاب، إنها لنكتة يجب علينا أن نحلي بها تاريخنا.

عجيبه ثالثة

حج في هذه السنة رجل من أهل حلب أشمط كان طوله قدراً من ذراع ونصف ذراع، وجهه وجه رجل، وقدر جلوسه كابن أربع سنين، ومن مرفقه إلى أنامله قدر من تسع أصابع، أما قدر وركيه وساقيه فثلثا ذراع، وكان أبيض اللون، سميناً، قارئاً للقرآن، فصيحاً عربياً، ولما أن ورد إلى المملكة العربية السعودية للحج مانعت الحكومة من دخوله خشية أن يكون من ياجوج وماجوج، وبعد سؤال وجواب وبحث ومراجعات سمح له بالدخول، ولقد افتتن به الناس ينظرون إلى خلقته ويعجبون من رؤيته، فسبحان الخالق لما يشاء والقادر العظيم، كذلك رأينا رجلاً أسمر اللون مقعداً وله في ذراعه يدان والذراع الأخرى فيها يد ليس فيها سوى إصبعين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ومن توفي فيها من الأعيان الزاهد العابد: علي بن منديل، كان حلو النصائح كثير التسبيح والحمد والتهليل والتكبير، فتراه يمشي على تلك العصاء الضخمة الغليظة رجلاه مسترخيتان، فإذا لقي أحداً من الناس قال له: قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يغرس لك بها شجرة في الجنة، ثم يذهب إلى النساء اللواتي ينقلن الماء العذب للبيوت في مجامعهن على الآبار فيقف ويتكلم قائلاً: لا تكثرن الكلام بغير ذكر الله، أكثرن التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير يغرس لكن شجر في الجنة، وإذا رأى من يحب حمله السلام إلى والدته وأن يبلغها ذلك، وما زال يلهج بالموت وذكره والرحيل إلى الآخرة حتى مات ونقل إليها، وكان فقيراً ومحبوياً لدى الناس، تسمع موعظته وإن كان أمياً، وذلك لأنه كهل طلق الحيا.

مرء عليه ذات يوم غني من الزكرت قد لبس عقلاً وكسوة فاخرة من الصوف وفوق ذلك بشت من الوبر الطيب، وقد ثنى عطفه فلم يسلم على زاهدنا، فوقف على العصا فقال: رويدك يا مسكين ترفق اقصد في مشيك فإنك مخلوق من طين وخرجت من موضع البول مرتين، وقد حملت البهائم الصوف الذي على ظهرك فلم تتكبر وتطغى، فاستحيا منه الغني ووقف يعتذر.

وكان يجب الأذان للصلوات الخمس فيؤذن ويقيم ويعظ وينصح، وقد سلم المسلمون من شره، فيا طوبى له إذا لقي رب الأرباب وفاز بما عنده من الثواب، نقول ذلك ولا نعلم إلا خيراً فالله المستعان.

وفي هذه السنة لا تزال الحرب مستمرة بين ألمانيا والحلفاء، وقد تراجعت ألمانيا بعدما وصلت إلى أبواب العلمين وظهرت انتصارات الحلفاء، وتغلبت القوات البريطانية بعدما كان الجميع في اضطراب مستمر والله على كل شيء قدير، وأمره بين الكاف والنون، وما لا ريب فيه أن ألمانيا لا تطيق حرب أوروبا بأجمعها إذا انضمت أمريكا إليها، أضف إلى ذلك أن هتلر أضاع الفرصة متمتعاً في حفلات صاخبة مزهواً بنشوة النصر مع الأنسات والحريم الهتلري، وترك ستالين يعد عدته وينظم صفوفه بالاتفاق مع الحلفاء الذين أخذوا يغدقون عليه الأجهزة والمعدات الحربية الثقيلة والخفيفة..

هذا وقد استقر الحاج أمين الحسيني في برلين، وبعده قدم رشيد عالي الكيلاني، وكان قدومهما من العراق، ولقد ثارت ثائرة هتلر على مجموع القادة الألمان في الجبهة الشرقية لتفريطهم في واجباتهم العسكرية، ولم ينتزعوا له النصر النهائي في الجبهة الشرقية الشيوعية قبل حلول الشتاء، ثم قرر قراراً لا رجعة فيه ولا يقبل نقضاً ولا إبراماً، فقبض بيده على أعنة القيادة وانتزع السلطات من أيدي قادة الجيوش برمتها، حتى أن قائد جيش لو أراد نقل سرية من مكان إلى مكان ما يجب أن يستأذن برقياً القائد الأعلى، ولقد كان ينبغي أن يكون القائد هو الذي ينفذ الخطط المرسومة من القيادة العليا، غير أنه يجب أن يكون مطلق الحرية في التصرف يرى الحاضر مالا يرى الغائب.

هتلر والتطورات

كانت أسلحة ألمانيا وحليفتها اليابان قوية، فمنها الغواصات المدمرة للأسطولات البحرية لا سيما العتاد الألماني فإنه جيد، وجانب منه يدل على طول العناية وإتقان الصنعة، حتى أن مهمات المحور أكثر من ستمائة ألف صنف كلها حربية، ومنها الصواريخ التي تطلق على مسافة ٧٨٠٠ ياردة فتسقط كيفما اتفق وتحدث رجة عنيفة، وكانت الألمان تخترع في مدة قليلة مدمرات هائلة، فمن ذلك الصواريخ الصارخة، فقد تسنى لهم استخراج طراز أقوى من البازوكا، وكان هذا السلاح مدمراً هائلاً يستعملونه في محاربة دبابات الحلفاء على أن الشر الذي يخرج من مؤخرة الصاروخ شديد جداً بحيث أن حياة الجندي الذي يطلقه تتوقف على ثوب يلبسه، ثم شرعوا يطلقون الصواريخ من الطائرات، وإذا سقط في يد البريطانيين إحدى دبابات الألمان الجديدة فإنهم يغتمونها لفحص طرازها، وقد تعقبت الطائرات الألمانية ضباطاً بريطانيين في مصلحة الاستخبارات سقطوا على دبابة جديدة من دباباتهم الجديدة وجعلت الطائرات تمطر الضباط والدبابات قذائف لتدمير الدبابات قبل أن يتمكنوا من معرفة أسرارها، وإن هندسة الطائرات الألمانية والطائرات اليابانية أيضاً في تحسن لا في تأخر، وقد ألقت القوات الألمانية الغاماً على مدن أعدائها فأحدثت خراباً لم يعهد له مثيل من قبل.

وقد كانت مقادير المواد المتفجرة كبيرة، وكانت تنفجر حين تمس جسماً ما فتحدث دويّاً راعداً من فورها، وكانت مدافع الألمان من عيار ٨٨ تضرب الطرق وتدمر ما أمامها، وكذلك الطرديد المائي الحديث، فقد ظن أنه سيقضي على السفن التي تسير على سطح البحر إذ تمضي طوائف الطرايد الموجهة باللاسلكي باحثة في الماء عن السفن المعادية فتدمرها وتقابلها الحلفاء بمثلها، غير أن قوات ألمانيا متفوقة في الصناعة، وبالرغم من ذلك كله فإن قوات الحلفاء تقدمت، ففي خلال ثلاث ليال من ليلة ٢٥ تموز ١٩٤٣م أغارت في كل ليلة ٧٠٠ طائرة من طائرات الحلفاء على ميناء ومدينة همبورغ فدكتها دكاً وقلبت عاليها سافلها، واستحالت برلين إلى بحر لجب من الدخان وامتلاّت الملاجئ بجثث الموتى الذين تعفنت أجسامهم.

وصارت الشوارع جداول وأنهار من دخان قذر لم تفد معه الأفئدة الواقية من الغازات السامة.

إن هتلر والحق يقال رجل عظيم يوازي ستالين أو يفوق عليه في الذكاء والحدیعة، ولكنه لم يكن سياسياً واقعياً، بل يعتمد على استعمال العنف والقوة لتحقيق مطامعه وأهدافه وغاياته التوسعية، وقد نسي أن ألمانيا بكل كفاءاتها ونبوغ قادتها وفيضان مصانعها الحربية ليست إلا رقعة صغيرة من هذه الكرة الأرضية التي تعج بالدول ذات الكفاءات والإمكانات التي تؤلف بمجموعها كتلة ضخمة تقف ألمانيا أمامها خاشعة وهي حسيرة.

ولقد كان عليه عندما زار وزير خارجية روسيا برلين وعرض على هتلر عدداً غير يسير من القضية التي كان على هتلر الموافقة عليها وهي تتعلق بسياسة ألمانيا في بلاد البلقان وفي المضائق بتركيا، كان عليه أن يرضخ له لأنه رأى المخاوف تتضخم وما لا يدرك كله لا يترك كله، لأن ستالين لم يتم استعداداته لمواجهة الخطر الألماني إلا بعد أن أعلن هتلر الحرب على أمريكا، ولكنه أبى ولو نزلت السماء على الأرض، كما أن قادة جيشه أجمعوا على الوقوف ضد الهجوم على روسيا منذ البداية وقدموا له نصيحة إن كان ولا بد فعليه أن يعقد قبل كل شيء صلحاً عاجلاً مع بريطانيا، ولسوء الحظ لم تقبل بريطانيا.

وبما أن قوات الحلفاء من دبابات ومصفحات وقاذفات أمريكية دمرت وأعطبت في خطوط المواصلات، وقامت الغارات الجوية بغارات عنيفة على ثمانين مركزاً للخطوط الحديدية في شمال غرب أوروبا، وألقت ما يزيد على ستة وستين ألف طن في خلال اثنتين وعشرين ألف رحلة من رحلاتها الجوية على خطوط الدفاع الألمانية، فإن هتلر ينتظر من مصانعه السرية التي كان يعمل فيها فطاحل العلماء وأساطنة المخترعين أن ينتهي صنع السلاح السري المنتظر الذي سيغير به وجه التاريخ، ألم يقذف بريطانيا بسلاح ١/٧، وأتبعه بسلاح ٢/٧، ويفكر في إيجاد حل لهذه المشكلة.

ثم دخلت سنة ١٣٦٤هـ

استهلت هذه السنة والأبطال تتقارع وجو أوربا قد قامت قيامته بالضرب والحرب، ولقد ابتدأت اقتصاديات ألمانيا في الهبوط حيث قلّ إنتاج البنزين الذي هو وقود الطائرات والبتروجين بمقدار ٩٠ بالمائة، وبعده بقليل قلت حمولة العربات بمقدار ٧٥ في المائة نتيجة الهجمات على وسائل النقل الألمانية، كما قلّ إنتاج الصلب بمقدار ٨٠ في المائة، وتقدمت الدبابات على مراكز الألمان منطلقة شاقة طريقها خلال إحدى الغابات في جبهة الإلزاس مطلقة نيرانها الحامية على تلك المراكز، ودبابات أخرى زاحفة وخلفها المشاة على أتم أهبة، هذا وهتلر يظهر التجلد، غير أنه تخلى عن نظريته وتحول عن تفكيره وذلك لعوامل شتى ومنها: محاولة ٢٠ تموز ١٩٤٤م: حاول بعض العسكريين اغتياله، ومنها انهيار صحته وجهازه العصبي، ومنها أن أنصاره بدأوا ينفضون أيديهم من حوله.

ومنها أخيراً اقتناعه بأنه خسر الحرب، فقال لبعض أخصائه بعدما دعاه إليه في بروسيا وسهر الليلة إلى الصباح هذا الكلام:

عندما تتخلى العناية عن الإنسان وتنهار معنوياته لا يبقى أمامه إلا أن يتواري، وقد لازمه ذلك الرجل ثلاثة أسابيع قال: كان يشكو ألماً في معدته، وكلما شعر بالآلام يناشد طبيبه أن يسعفه بعقار مخدر، واتفق ذات ليلة أن تعذر إيجاد المخدر واشتدت وطأة الألم على الغوهر هتلر، فقام إلى دولا ب صغير مثلث الجدار وأخرج مسدساً يريد الانتحار، غير أن ذلك الرجل الملازم له أدرك ما يجول في رأسه فاخطف المسدس من يده فقال هتلر وهو يتهالك على سريره: لم يبق للحياة معنى، وقد أشار عليه الأطباء ونصحوا له بالاستجمام وناشده كبار معاونيه أن يكل العبء إليهم بعض الوقت، ولكنه ضرب بالنصائح والمناشدات عرض الأفق، وكان يقول لزوجته إيفا برون كلما توسلت إليه أن يرفق بنفسه: دعك من هذا الهذر إن ألمانيا لتنهار دفعة واحدة يوم أبتعد أنا عن الدقة، واقترحت عليه زوجته ذات يوم قضاء أسبوعين في جبال بافاريا.

وكانت الجيوش الحليفة أتمت تحرير فرنسا والبلجيك وراح الجيش يدق أبواب بروسيا الشرقية، فبدأ عليه قبول الاقتراح وقام ألبرت زولر الذي لازمه في آخر وقته، وقامت زوجته الغوهر لإعداد الحقائق وعرض الأوراق، فضحك هتلر ضحكة عصبية كادت تفصم أوصاله وجعل يتمتم كمن يخاطب نفسه، لماذا يريدون مني أن أستجم في بافاريا، إنهم يظنون بجياتي وقد فاتهم أني سئمت تكاليف الحياة، وكرر هذه العبارة ثلاث مرات، ثم أبلغ زوجته أنه لن ينتقل إلى الجبال البافارية.

وفي ذلك التاريخ قدم وزير التسليح الحربي في ألمانيا الهر ألبرت شبير تقريراً بأن الاقتصاد الألماني معرض للانهايار ما بين ثلاثة إلى أربعة أسابيع، ورغم ذلك فقد استمر الضرب الاستراتيجي إلى ١٦ إبريل فوق ألمانيا محققاً النصر.

إعلان الحكومة السعودية الحرب على ألمانيا

طلبت الحلفاء من عاهل الجزيرة العربية أن يعلن الحرب على ألمانيا، وألحت بريطانيا وأكدت الطلب، فتزولاً تحت إرادة الحلفاء أعلنت الحكومة ذلك بصورة رسمية، وعرضت بلادها للحرب بوقت لا تملك فيه مدفعاً مضاداً للطائرات، ولا طائرة مقاتلة تدفع عنها صولة من يعتدي عليها، كل ذلك كان مروءة ووفاء للصدقة التقليدية التي تربطها بها، وأنني لأعجب لهذه الدولة الخائبة بريطانيا بصفتها لا تقدر الأعمال، وتعرف الذي حق حقه، فإن من واجبها نحو جيرانها المحافظين على الولاء والصدقة وحسن الصلاة ألا تحدث ما يجرح العواطف ويثير الضغائن كما في واحة البريمي في إجراء المفاجئات هناك.

وكان إعلان الحكومة السعودية الحرب في ٣/١٥ الموافق لأول مارس ١٩٤٥م بلاغ رسمي: إن الحكومة العربية السعودية أصبحت ابتداء من أول مارس سنة ١٩٤٥م في حالة حرب مع دولتي ألمانيا واليابان، وذلك باستثناء الأماكن المقدسة فهي لا تزال على حيادها لا تحارب ولا تحارب، ولقد تأثر هتلر لذلك منتقداً الحكومة السعودية بذلك.

زيارة ملك مصر فاروق للمملكة السعودية

لما كان في أوائل صفر من هذه السنة استقل ملك مصر فاروق الأول على ظهر فخر البحار اليخت في البحر متجهاً إلى الميناء، وكان قد تهيأ لذلك صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية، وسار إلى سفح رضوى الجبل المشهور يعد العدة لاستقبال ضيفه العظيم، فنصبت السرداقات الرحبية والخيام الكبيرة المزخرفة على صفين متقابلين، وزينت بمصابيح الكهرباء، وفرشت بالبط المنقوشة الجميلة، وزودت بكل ما يحتاجه إليه الملوك من وسائل الراحة والرفاهية والمسرات بما يليق بمقامهم الرفيع، وكان أحد الصفين جعل للضيف العظيم والآخر للملك عبدالعزيز، فلما كان في الساعة الخامسة من يوم الأربعاء ٢/١٠ قدم الضيف ومعه الطوافة فوزية، فاستقبله الملك عبدالعزيز وفي معيته أخوته الأمراء عبدالله ومساعد وسعد، وأبنائه فيصل ومحمد ومنصور وسعد وفهد وبندر وغيرهم، وحفيده عبدالله الفيصل، ويوسف ياسين، وحافظ وهبة، كما أن مع الملك فاروق سبعة من أعيان حكومته، وقد حصل استقبال عظيم ودي تعانق فيه الملكان في حين أن فخر البحار أطلق إحدى وعشرين طلقة كتحية، فأطلق الميناء السعودي جواباً لها مائة طلقة، ولما ركب فاروق في معية جلالته الملك في السيارة السعودية كانا بين صفوف الجند المتراسة لأداء التحية، وبعد الجلوس في السرادق الفخم المعد لهما وتناول القهوة العربية وكؤوس المرطبات، وتناول المآدب، سار فاروق من الغد إلى المدينة المنورة مودعاً لجلالة الملك عبدالعزيز يريد السلام على الرسول ﷺ وصاحبيه، وقد رافقه فيصل ومحمد وسعد وفهد وعبدالله ويوسف ياسين، فبات بين ينبع والمدينة.

وفي صباح الجمعة دخل المدينة فاستقبل فيها استقبالاً حماسياً رائعاً، واحتفى به أهل بلد الرسول ﷺ فأقام فيها يوم الجمعة وليلة السبت، وبذل

أموالاً عظيمة ثم عاد من المدينة إلى سرادق جلالة الملك بعدما ودع فيها وداعاً حاراً، فوصل إلى المخيم عصراً وبعد الأكل والشرب وكمال اللذة جلسا في سرادق جلالة الملك، ولبثا إلى منتصف الليل، فكانت ليلة من أروع الليالي وأجلها في تاريخ الأمة العربية.

ولما كان في صباح يوم الأحد الموافق ٢/١٤ تلاقى العاهلان بسرادق الملك فاروق، وكان يوماً تاريخياً مشهوداً خرج الناس والجنود في الميدان العام يتطلعون إليهما، فقدم عاهل المملكة العربية السعودية إلى فاروق سيفاً عربياً وخنجرأ مرصعين بالجواهر والأحجار الكريمة تخليداً لذكرى هذا الاجتماع، كما أن فاروق قدم إلى ابن سعود قلادة محمد علي الكبير رمزاً على الصداقة المتينة التي تربط الأسرتين المالكتين برباط الود الوثيق، ثم تبودل العلمان المصري والسعودي باحتفال عسكري رائع اشترك فيه جيش البحرية المصرية والجيش السعودي، وأقيمت مناورة عجيبة من قبل الجيش العربي السعودي اشترك فيها الأمراء السعوديون وهزجوا بنشيد حماسي حيوا به عاهل مصر، وانتهى هذا الاحتفال في الساعة السادسة والنصف، ثم سار فاروق يشيعه جلالة الملك والأعيان إلى الميناء فتودع الملكان وتعانقا وأكدوا الحرص على الوفاء والصداقة والمحبة والولاء بينهما وبين بلديهما، وامتنى فاروق ظهر اليخت وغادر الميناء في الساعة العاشرة والنصف من يوم الأحد إلى مصر.

ذكر الاتفاق بين الأقطاب الثلاثة وسفر ابن سعود إلى مصر

فنقول ركب عاهل الجزيرة ابن سعود البحر في هذه السنة للمرة الثانية للاجتماع بقطبي الديمقراطية فرانكلين روزفلت رئيس أمريكا والمستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية وبغيرهما من الملوك والرؤساء، ولو لم تكن هناك مباحثات مهمة، ولو لم تكن لهؤلاء منزلة سامية في نفس ابن سعود لما قام بهذه الرحلة من الرياض، وقد كانت تبعد عن مكة بألف كيلو متر، إلى الفيوم التي تبعد بأكثر من ألفي ميل

من مكة، ولما حرص على الاجتماع بركوب البحر وقطع مئات الأميال براً وبحراً إنه حرص على الاجتماع بقطي الديمقراطية ليعرفهما حقيقة العرب والمسلمين إذ ليس هناك من هو أحق بتمثيل العرب من جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود، إن ابن سعود بينه وبين بريطانيا معاهدات صداقة وولاء لا يمكن بحال من الأحوال أن يستدبر بعض ما فيها أو يتنكر لها عند المحن والشدائد، فقد ضل وفيأ لها في رخائها وشدائدها لذلك فإنه وقف في هذه الحرب الكبرى الثانية في الحياذ ولم يدخل في الحرب إلا لإرضائها.

أما علاقته بأمريكا الديمقراطية فهي صداقة لما استمنحت لبض شركاتها امتيازاً في أرضه وحافظت على العهود والمواثيق، وتقربت منه وتزلفت طلباً لمودته الغالية، استقبلها بترحاب وسرور وبسط لها جناحه وأخذت الصداقة كل يوم تنمو لأن كلا الفريقين ينميها بالإخلاص والمزاورة وتبادل النفع والتجارة، ولقد جاء كثير من أقطاب بريطانيا إلى بلاد ابن سعود وزاروه في دياره فأعجبوا به أيما إعجاب وصادقوه، بل زراه خال ملك الإنكليز وزوجته وذها يشران العالم بعظمته وعبقريته وكرمه ونبله وأصاله طبعه ومثانة أخلاقه وصدق زعامته ومؤهلاته.

وقد كثرت الكتب المؤلفة باللغة الإنكليزية الدالة على حفاوة البريطانيين بهذا الملك العظيم الذي يشترك في تقديره المسلم وغير المسلم، والعربي وغير العربي، والشرقي وغير الشرقي، ثم جاء كثير من الأمريكيين إلى المملكة السعودية فقابلوه في الرياض وغيره وأعجبوا بشخصيته إعجاباً لا حد له سمواً وحيوية ونبوغاً وعبقريّة وعظمةً وخلائق لا يوهبها إلا الزعماء الذين يخلقون لنقل الأمم من حال إلى حال.

وقد حرص الحلفاء في هذه الحرب على الأخص أن يبرهنوا لابن سعود على إخلاصهم له وحبهم إياه وتقديرهم له، ولقد بعث هو نجليه فيصلاً وخالداً إلى أمريكا وبريطانيا لزيارة قطبي الديمقراطية الكبيرين روزفلت وتشرشل، فاستقبلا هناك استقبالاً عظيماً فخماً في السنتين اللتين قبل هذه، كما قد زار الملك فاروق

ابن سعود في مملكته للاجتماع به، وإن ابن سعود ليجل مصر ويقدر ملوكها ويعنى بأمرها، حتى قال في مجلسه الحافل بوفود بيت الله الحرام في أوائل هذه الحرب للأستاذ الكبير محمد لطفي جمعة ما معناه:

حينما زحف المحور بقواته المدرعة الميكانيكية وانتهى إلى العلمين وضرب مصر بالطائرات كان كأنما ضرب بلاده.

ولقد وضع الرئيس روزفلت مدمرة أمريكية لتقتل ابن سعود، فأمر بأن تزود بكل ما يحتاج إليه ملك في رحلة خطيرة كهذه الرحلة، واصطحب جلالة الملك معه طاهيه وساقيه وما يحتاج إليه، كما اصطحب معه حرسه الخاص، وبعد أو زودت المدمرة بكل ما تحتاج استقبلها جلالة الملك، وما يعلم أحد بمقصوده غير ابنه سعود وفيصل، حتى أن حاشيته ما كانت لتعلم شيئاً عن الرحلة، ولا عن الاتجاه، ولا عن الغرض حتى اختفت اليايسة عن الأنظار، هنا لك علم رجال الحاشية فدهشوا لذلك كثيراً، وكان عدد من معه في الرحلة ثمانية وأربعون رجلاً، منهم شقيقه الأمير عبدالله، وابناه محمد ومنصور، ووزير المالية عبدالله بن سليمان، وحافظ وهبة وزير المملكة المفوض في لندن، ويوسف ياسين نائب وزير الخارجية، وعبدالله بلخير مترجم جلالته، وبعض أركان حربه، كما كان معه بعض الفنانين من رجال المواصلات اللاسلكية مهمتهم الاتصال بمكة المكرمة كل نصف ساعة خلال الرحلة كلها، وكان يرافق جلالته الكولونيل دليم أدي وزير الولايات المتحدة المفوض بالمملكة السعودية الذي تولى الترجمة الرسمية في الاجتماع.

ولما أن استقل جلالة الملك المدمرة آثر أن يقيم على ظهرها استمتاعاً بمنظر البحر الجميل وهوائه الرخي الرقاق، فنصب له عند برج المدفعية الأمامي خيمة مزينة بالنقوش والزخارف، ودعا الملك في مساء اليوم الأول جميع ضباط المدمرة وبجارتها لتناول العشاء، ولعلها أول جلسة يجلسها هؤلاء الأمريكيون لتناول الطعام، جلسة عربية، وفي اليوم الثاني شاهد جلالته قوة المدمرة الهجومية عندما أطلقت مدافعها المضادة للطائرات، وقذفت قنابل الأعماق الخاصة

لمقاومة الغواصات، وكان منظراً عجيباً بحيث يذوب كل آلات الفتك والتدمير في هذا الخضم.

ولقد اعجب السعوديون بالبحارة الأمريكان وهم في ملابسهم الزرق البحرية، كما أعجب أبناء الدنيا الجديدة بالعرب وهم يرفلون في ثيابهم الفضفاضة الرحيبة المزخرفة، يروحون ويغدون في خفة ونشاط، والكل في سرور بهذه الفرصة التي أتاحت لهم هذا الاجتماع.

وفي صباح الخميس الموافق ٢/٣/١٣٦٤هـ فبراير ١٩٤٥م، كانت المدمرة في البحيرات المرة حيث ينتظر الرئيس روزفلت في الطائرة الأمريكية كونيري استقبلاً لضيفه العظيم، وكان الرئيس على سطح الطائرة يرقب المدمرة حينما تهادت بالملك العظيم فتبادل بحارة السفينة التحيات والنداءات البحرية بالبوق، وأخذت المدمرة مرساها اتجاه كونيري، ومد بينهما جسر عبره الملك، فاستقبله البحارة وكبار الضباط ورؤساء أركان الحرب المرافقين للرئيس استقبلاً حماسياً رائعاً، ثم سعى إلى جلالته الرئيس وصافحه وحياه واحتفى به احتفاءً جداً، وتبادلا عبارات التحية والمودة، وأعجب روزفلت بابن سعود إعجاباً لا حد له، فلقد ملأته شخصية الزعيم العربي الأكبر، وقد طابقت ما سمع عنه، بل زاد عظماً في رؤيته ثم قال له: كنت أود أن أجتمع بك قبل هذا.

ولما تناولوا طعام الغداء وفرغاً بدأ حديثهما في جو يسوده الود والتقدير والإعجاب، واستعرضا فيه ما بين المملكة السعودية والولايات المتحدة من روابط كثيرة يحرص عليها الطرفان ويبدلان الجهد في سبيل المصالح المشتركة بينهما، وتنمية الصلات الودية، وقال روزفلت: يجب أن يتاح لرؤساء العالم فرصة تبادل الآراء لكي يزداد تفاهمهم وتقدير كل منهم لمشاكل الآخر، ثم تناول الملك والرئيس شؤوناً أخرى إقليمية وعالمية.

وكان جلالة الملك أيده الله كثير الاهتمام بقضية فلسطين، فأبان للرئيس وجهة نظره، كما دلّ على عدالتها وصحتها ما أقنعه، فوعد بأن ينظر في ذلك، ثم تناول بالبحث شؤوناً عربية هامة لها شأنها.

وكان الملك المعظم صريحاً كعادته في مخاطبة الرئيس، ومن الكلمات الخالدة التي قالها أنه قال: لا أريد كتابات بل أريد أن تعطى الكلمة من عبدالعزيز لروزفلت، ومن روزفلت لعبدالعزیز وهذا حق، فكلمة من عبدالعزيز فوق الكتابات والمعاهدات لأنه رجل شريف، ثم أبدى الرئيس روزفلت لجلالة الملك رغبته في تقديم طائرة أمريكية هدية تذكارية لهذا الاجتماع التاريخي، فقبل جلالته الهدية، ثم بعد ذلك سار جلالة الملك إلى ضفاف النيل فسلک الطريق براً إلى الفيوم حيث نزل بفندقها الشهير أويرج دولاك القائم على بحيرة قارون المتربع في مكان جميل هادئ يعطره أرج الورد والرياحين ويلفه النسيم، إنه لموضع حسن يسحر الأبواب فشرفه ابن سعود كما شرفه أقطاب العروبة، وكان قد أحيط بقوات بريطانية تحرسه ليلاً ونهاراً وقد أبعد عنه كل أحد، فما بقي غير المدير أبقى للاستعانة به عند الضرورة، فكان الناس بعد ذلك يغدون ويروحون دهشين ولا يعلمون ما سيجري من مباحثات خطيرة في سبيل العروبة، وفي سبيل الإسلام، وقد زود ذلك الفندق بكل ما يلزم للملك العظيم ومرافقيه من رجال الحاشية، كما أعد نظام واسع للتلغراف حتى يتسنى لجلالته أن يتصل بمملكته المترامية الأطراف، فكان يستقبل كل يوم عديداً من المرات التقارير ويصدر الأوامر إلى رجال دولته، كما لو كان في مكة والرياض.

ولما قدم الأوبرج ٣/٣/١٣٦٤هـ وقت العصر من يوم الجمعة ما كان يشرفه حتى أسرع إليه فاروق ومعه الرئيس شكري القوتلي فاستقبلهما ابن سعود استقبالاً رائعاً وعانقهما وأبدى ما يضمن لهما من المحبة، وقضوا بضع ساعات في تناول الحديث والبحث في الشؤون العربية الهامة، وقد طاب الحديث بين هؤلاء الأقطاب الثلاثة، ولقد طال الحديث في الموضوعات حتى تأخروا عن مأدبة العشاء التي أقامها الرئيس شكري مساء الجمعة بدار المفوضية السورية لخطورة الموضوعات التي تناولوها وانهماكهم في الحديث، ثم غادر فاروق والرئيس مودعين جلالة الملك عبدالعزيز خير وداع.

ولما كان في صباح غد يوم السبت ٣/٤ ، ١٧ فبراير ١٩٤٥م ركب المستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية ممتطياً سيارة مرتدياً بدلة الكولونيل الأول بفرقة الهوسار الرابعة يصحبه المستر أنطوني أيدن وزير الخارجية البريطانية، واللورد موران طبيب رئيس الوزارة البريطانية الخاص وهيئة مكتبه التي رافقته في مؤتمر القرم ووجهتهم الفيوم، ولما أن وصلوا لأوبرج استقبلهم جلالة الملك ابن سعود ومن معه من كبار دولته الذين تقدم ذكرهم استقبلاً رائعاً وتبادلوا عبارات التحية والولاء، وكانت البسمات تتألق على ثغورهم، وقد كان صاحب الجلالة عبدالعزيز مرتدياً في هذه المقابلة ثيابه العربية عليها دثاره الرسمي الأحمر الموشح بالذهب ويشع على رأسه عقاب مقصب جميل، فبادل الفريقان النظر، ودنى كل منهما إلى صاحبه، وأعجب تشرشل ومن معه بعظمة ابن سعود الملك العربي المسلم الكبير إعجاباً لا حد له، ودار بينهم الحديث الودي، ثم اختلى الملك ورئيس وزراء بريطانيا وقد تولى مترجم جلالة الملك مهمة الترجمة بينهما ومكثا أكثر من ساعة يتباحثان في مسائل شتى أهمها ما يتعلق بالعرب ومستقبلهم ثم غادرا غرفة الاجتماع وكل منهم مسرور من هذه المقابلة الودية، وبينما كان في المحادثة مدت أخونة الغداء في ردهة الفندق المستطيلة الملونة باللونين الأزرق والأحمر المشرفة على بحيرة قارون الهادئة الصافية، ولما خرجا جلسا على المائدة وحضر جمع من الجانب البريطاني على المائدة من بينهم أيدن وموران والمستر جوردن الوزير البريطاني المفوض سابقاً في جدة، والقائد العام لقوات الشرق الأوسط، والوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط، والسفير البريطاني بالقاهرة، والمستشار الشرقي بالسفارة البريطانية بالقاهرة، ووكيل وزارة الخارجية، وقائد القوات الجوية في الشرق الأوسط، والوزير الإنكليزي المفوض في جدة، والمستر لسي روان السكرتير الخاص لرئيس الوزارة، وسكرتير مكتب وزير الدولة، والبريجادر كلايتون، والمajor راندولف بن تشرشل، وبعد تناول الأطعمة خرج الملك والرئيس واجتمعا بالحاشية من الطرفين في الأوبرج، وتبادلوا الهدايا التذكارية الثمينة.

ولقد بهت تشرشل من ضخامة أمر ابن سعود وتكلم قائلاً له: إنني سأعتر بهذا دائماً لا لقيمته، لكنه تذكّار لهذا الاجتماع، وقام مدهوشاً ليأتي بهديته له، فجاء مقبلاً ومعه صندوقان من العطر الشذي المستحضر من أحسن الخلاصات العطرية، وبكل صندوق ست زجاجات وقدمهما هدية إلى الملك ابن سعود فتقبلهما منه شاكراً، وكانت هدية ابن سعود لتشرشل سيفاً عربياً وخنجرأ فآخرين مطعمين بالذهب، مرصعين بالأحجار الكريمة، منقوشين بنقوش فنية جميلة، وقدم له ملابس عربية ممتازة وعباءة ثمينة جداً في حقبة من الجلد، وأهدى ابن سعود أيضاً للمستتر أيدن سيفاً كالسيف الذي أهدها لتشرشل، وقدم إلى صحبه مجموعات كثيرة من الملابس العربية.

وختمت الجلسة بين ملك العرب وبين تشرشل بالود والوصفا والوداع الحار.

وقد قلنا أبياتاً بمناسبة تلك السفارة التي في وقت لم تضع الحرب فيها أوزارها:

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| فيما غخيراً أبشر وأنعم بعودة | يعود بها من سعيه وهو غام |
| لعلك تحظى بالسعادة والهناء | لتكشف هما للقلوب يلانم |
| وكيف يطيب النوم من كل ذاهل | وكيف يطيق الصبر حيران هائم |
| إذا كان فخر العرب عنا مباعداً | وما علمنا في حاله كيف قادم |
| فيا حافظاً ذا النون في بطن حوته | ومخرجه مما حوته الظلائم |
| تفضل علينا بالإياب لعاهل | بما شاء من آماله وهو سالم |
| تقر لنا عينٌ تسح بذرفها | أحاط بها من قارعات عظام |
| فمن مثلنا يا صاح في فقد عاهل | لمفقده أمسى ينوح الحمائم |
| أليس الذي أمسى لأمة يعرب | زعيماً عظيماً سده متراكم |
| يدافع عنها جهده غير وائى | بتقديم نفس مقدماً وهو حازم |
| فسائل لأمریکا وسائل للنندن | سينيبك عن أخباره من أعظم |
| فتى همه يجلي عن العرب نكبة | إذا سامها سوء العذاب الأظالم |
| هلموا بنا يا قوم ندعو لربنا | يغيث به البلدان إن رام هاضم |

ومن نتائج هذا الاجتماع إعلان ابن سعود الحرب على ألمانيا كما تقدم، وكان

من المصادفات الغريبة أن الله عز وجل ألقى الذلة على ألمانيا ورفع يده عنها من حينما أعلن ابن سعود الحرب عليها، ثم إنه بعث ابن سعود بكتاب إلى روزفلت رئيس الولايات المتحدة في ٣/٢٦ من هذه السنة يناشده بحق العرب في فلسطين، وأن يوضع حد لأعمال اليهود هناك، والكتاب طويل فصل فيه صاحب الجلالة تاريخ فلسطين، فأجاب عليه الرئيس بكتاب طيب اللهجة قال فيه:

تذكرون جلالتم أن في مناسبات سابقة أبلغتكم موقف الحكومة الأمريكية اتجاه فلسطين، وأوضحت رغبتنا بأن لا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الأساسي في تلك البلاد بدون استشارة تامة مع كل من العرب واليهود، ولا شك أن جلالتم تذكرون أيضاً أن خلال المحادثات الأخيرة أكدت لكم إنني سوف لا أتخذ أي عمل بصفتي رئيساً للفرع التنفيذي لهذه الحكومة يبرهن أنه عدائي للشعب العربي، وإنه لما يسرني أن أجدد لجلالتم التأكيدات التي تلقيتموها جلالتم سابقاً بخصوص موقف حكومتي، وموقفي كرئيس للسلطة التنفيذية فيما يتعلق بقضية فلسطين، وإن علمكم بأن سياسة هذه الحكومة في هذا الخصوص غير متغيرة، وقد كتب هذا الكتاب بتاريخ ٥ أبريل ١٩٤٥م قبل وفاته بأسبوع.

وفاة رئيس أمريكا روزفلت

لقد فوجئ العالم بهزة كان لها وقعٌ عظيم في سائر القلوب، وهي وفاة الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وافته المنية على حين بغتة في وقت كان العالم ينتظر نتيجة هذا التطاحن العالمي، وإن المتوفى غني عن التعريف بشخصيته التي لعبت دورها الهام في تغيير وجهة التاريخ في هذا النزاع القائم، أضف إلى ذلك صداقة تأسست بينه وبين عاهل الجزيرة الملك عبدالعزيز بن سعود، وكان من النتائج الباهرة في تاريخ الأمة العربية ذلك الاجتماع العظيم الذي كان بين جلالة الملك وبين الرئيس في مياه الإسماعيلية

حيث تجلى فيه ما انطوت عليه روح الفقيد من حب العدل والإنصاف، وإن مساعيه كانت ولا تزال لنصرة العدل في سائر الأقطار والمواطن ليعيش الناس كلهم في سلام ووثام، ولذلك كان لنعيه أثر عظيم، وقد أبرق حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم برقية لعائلة الفقيد يعزيهم بها، كما أبرق الملك الرئيس الجديد هاري ترومان يعزي الولايات المتحدة بهذا الفقيد الذي كان فقيداً للعالم، وكان تحديد وصول الطائرة المهداة منه للملك عبدالعزيز إلى مطار جدة يوم السبت ٥/٢ قبل الخبر المفاجئ، ولكن ذلك النبأ المؤسف لم يغير البرنامج، فقد تمت في اليوم المذكور تنفيذاً لرغبة الفقيد، وقد قدم قبلها في طائرة خاصة أربعة أمريكيان للاشتراك في تقديم الطائرة، ولما كان في الساعة التاسع والنصف من يوم السبت قدمت لنائب الملك ونجله منصور بن عبدالعزيز فأبدى قبول الملك لها، وأنها ذكرى خالدة، وقد قامت صباح الجمعة برحلة إلى المخيم الملكي لتعرض على جلالة الملك، وهي من نوع دوجلاس ذات مقاعد وثيرة ومجهزة بأحدث الوسائط الفنية للراحة، وقد كانت هذه الطائرة كما ذكر سمو الأمير منصور في خطابه ذات أهمية خاصة لأنها رمز لذلك الاجتماع التاريخي الذي بين جلالة الملك والرئيس روزفلت.

الجامعة العربية ١٣٦٤ هجري

إن الجامعة العربية مطلوبة لأن العرب لا يحسن بهم التنازع والتخاذل، بل ينبغي لهم التعاضد والاعتصام بمجبل الله جميعاً، وقد فكر ابن سعود بها في الحرب العظمى الماضية وبعث بها إلى حكام العرب كيحيى وابن صباح وابن رشيد يطلب أن يتحدون في ذلك الوقت العصيب، لكنهم أعرضوا، ففكرت الأمة في هذه السنة بجعل جامعة عربية اشترك فيها مصر والمملكة العربية السعودية والعراق وسوريا وشرق الأردن ولبنان واليمن.

وكان اجتماع رضوى ثم اجتماع أم القرى بين الزعيم شكري القوتلي رئيس

جمهورية سوريا والملك ابن سعود، ثم سافر فخامة الرئيس شكري إلى العراق واجتماعه بالوصي على عرشه الأمير عبدالإله أعظم إبرام لميثاق الجامعة العربية، وقد أنابت كل دولة عنها مفوضين والقصد من هذه الجامعة هو تثبيت العلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية، وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها وتوجيهاً لجهودها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبةً وصلاح أحوالها، وتأمين مستقبلها، وتحقيق أمانها وآمالها، فاتفقت هذه الدول على عقد اتفاقية وميثاق لهذه الغاية وإباحة الدخول لكل دولة عربية مستقلة، وقد تألف هذا الميثاق من عشرين مادة وحرر في ٨ ربيع الثاني ١٣٦٤هـ - ٢٢ مارس ١٩٤٥م، وكان باللغة العربية في القاهرة بصفتها المقر الدائم لجامعة الدول العربية.

وقد ألحق بذلك مشكلة فلسطين وأن يوضع حل لذلك، ثم إنها اتفقت الدول الموقعة على هذا الميثاق على تعيين عبدالرحمن عزام بك أميناً عاماً لجامعة الدول العربية لمدة سنتين، وقد أقيم احتفال بقصر الزعفران بمصر واحتشدت الأمة لهذا المهرجان، وألقيت خطب من كل مندوب، وأعلى ما قيل خطاب ألقاه يوسف ياسين، فقد قوبل بالتصفيق والاستحسان.

ذكر سكون الحرب وسقوط ألمانيا وتسليم اليابان

ولما كان في شهر فبراير الموافق لآخر صفر وأول ربيع الأول حققت الحلفاء الضرب على ألمانيا وانطلقت عليها القنابل من الجو كوقع المطر، وتقدم المارشال الجوي السيرار ثرتريدر الذي عين أخيراً لتنسيق التعاون بين قوات الحلفاء الجوية البريطانية والأمريكية والروسية في المرحلة الأخيرة من الهجوم، فلو رأيت تلك القنابل تنقض على برلين وبلاد ألمانيا وثغورها فرجت درسدن ولينرج، وميونخ، وهمبرج، وشتن، وغيرها، ولما صبت عليها القنابل كان في مبتدأ كانون الثاني قد قام عديد من حكام المناطق المحتلة ينتحرون مؤثرين هذه النهاية على تسليم أنفسهم للأعداء، وكان هتلر يتلقى أنباء الانتحارات وهو على فراش المرض فيعلق على

كل منها بكلمتين اثنتين: حسناً فعل .. ولكنه انفجر باكياً عندما أبلغه غورنغ أن غوليتز فيينا صرع امرأته وأولاده الأربعة قبل أن ينتحر، ثم التفت إلى زوجته إيفابرون وقال لها همساً إنها نهاية شعرية، وأثرت حالة هتلر الصحية في حالته النفسية فأضحى سويدائي المزاج ولكنه لم يفقد الأمل بإنقاذ ألمانيا حتى عندما شرع الحمر في دق أبواب المدن الصغيرة القائمة إلى الشرق من برلين، بيد أنه في مساء ٣ كانون الثاني يقول لفون ريبنتروب أن الدبلوماسية الألمانية لم تنجح في بذور بذور الشقاق في صفوف الحلفاء، وهامهم الغربيون يتدفقون على ألمانيا محاولين بلوغ برلين قبل حلفائهم الروس.

وقد اقترح الجنرال زيللر هذا الصباح اللجوء إلى الغارات السامة وحرب الجراثيم، ولكنني رفضت لأن هذه الأسلحة الفتاكة لن تؤخر القضاء المحتوم. أما الأسطولات البحرية فقد تقدم أسطول الولايات المتحدة في المحيط الهادي، وقام بهجوم ناجح على اليابان في جزر مارشال وجزائر جلبرت وأوقع خسائر باليابان، كما هاجمت طائرات الولايات المتحدة بقذائفها الأرضية اليابانية فانسحب الأسطول الياباني بعد أن خسر ١٥ بارجة غرقت في بحر المرجان، ولقد ألفت قاذفات الحلفاء على الجسور والموانئ والمصانع القنوات والسكك الحديدية في ألمانيا وفرنسا دون هودة مليونين وسبعمائة ألف طن من القنابل والمتفجرات خلال غزواتها وغاراتها الهائلة الفتاكة، وتتابع هزائم الألمان، وقد استسلم من قوات المحور في بعض الأماكن مائتا ألف وخمسون ألف يعدون من صفوة الفرق الألمانية والإيطالية، واستقال موسوليني من رئاسة الحكومة، فأمر ملك إيطاليا فكتور عمانوئيل بالقبض عليه ثم غيب في السجن، وقامت الوزارة الجديدة في إيطاليا تفاوض الحلفاء سراً لعقد هدنة، وبمقتضاها استسلم الإيطاليون دون قيد، وسلموا أسطولهم البحري والجوي إلى الحلفاء، وقد قامت سرية من جنود المظلات الألمانية فأنقذت موسوليني، فقبض عليه مع نفر من أنصاره وأجريت له محاكمة صورية وحكم عليه بالإعدام مع بعض رفاقه، وعلقت جثثهم في بعض ميادين ميلانو، هذا وما كان يدور في الخلد أن يتقدم الألمان على مدينة عظيمة وهي ستالينغراد

فیدخلوها ویلتقوا بالروس فتجری حرب عصابات فی الشوارع والبیوت، ویتماسک الفريقان ویقابل الغریمان فی وحشیة وبسالة نادریتین، حتی كانت هذه المدینة مقبرة هائلة للجنود الألمان إذ کلفتهم من الأرواح نحو ملیون مقاتل، فلقد تضاربت الأقران بالحدید والفؤوس والخناجر وسائر السلاح الأبيض، حتی لم یتمکنوا من النار وتواثبوا وتصارعوا، وجرت معركة لم یجر مثلها فی التاريخ القدیم ولا الحدیث، ولما جرى علی ألمانيا من أمر الله ما لا یطاق وأکرهاوا علی الارتداد انهارت قوتها دفعة واحدة.

ضربة قاضية وسلاح فتاك

لما بدأت الطائرات الأمريكية تشن غارتها علی اليابان وتوقف اليابان عن محاولات إيقاف الإنزال الأمريكي فی تلك الجزر كان علی الرغم من هذه الانتصارات السریعة التي أحرزها الحلفاء أن قام الرئیس ترومان وشعر بأن الحرب مع اليابانیین قد تطول وتکلف غالياً، فعند ذلك أمر باستخدام القنبلة الذرية التي كانت قد توصلت إلى صنعها، فرمت القاصفات الأمريكية أول قنبلة علی مدينة هیروشیما فی ٦ آب ١٩٤٥م فدمرت هذه القنبلة ثلاثة أرباع المدینة، وسببت وفاة ٧٨١٥٠ من السكان، وأدت نتائجها إلى کوارث وخیمة، وجرحت مائة وعشرين ألفاً من الشيوخ والنساء والأطفال، وكان تدميرها الذي دمرت من المدینة أربعة أمیال مربعة، وفی الثامن من أغسطس أعلنت روسيا الحرب علی اليابان وشرعت فی غزو منشوريا.

وفی ٩ آب أسقط الأمريكيون قنبلة ذرية أخرى علی ناجازاکی فأنزلت بها خسائر مروعة فی الأرواح والأملاك مماثلة لما حدث فی هیروشیما، فتأكد اليابان أن المقاومة عديمة الجدوى، وطلبت فتح باب المفاوضات لعقد الهدنة، وقبلوا شروط الحلفاء ووقعوا علی وثيقة استسلام فی ٢ أيلول ١٩٤٥م، ولما وصلت الحال بهتلر رئیس ألمانيا إلى أن يتحرر أمر أحد ملازمیه الذین لا يتخلون عنه بمغادرة برلین قبیل

سقوطها بثلاثة أيام، ومع أنه كان يعلم أن الروس أقموا تطويق العاصمة، فما تمت لهجته وهو يخاطبه عن ذلك اليأس الذي يدفع فريسته إلى الانتحار، وكان قد اختار زوجته النهاية التي اختارها من قبل غوليتريانا، وكان ذلك الملازم يروي إلزام هتلر له بمبارحة برلين فعجز عن الخروج لأنها قد حصرت، قال: وكانت برلين شعلة من نار وهبت فيها الحرائق ملتهبة وغادرت القصر عند الفجر لأجلاً إلى سرداب، فالتقت الجنود يحتلون السرداب فقضيت نهاري في ملجأ، ولما أرخى الليل سدوله على العاصمة تسلفت عائداً إلى قصر المستشارية وجعلت أتطلع الأخبار عن التطورات الأخيرة، وكل من التقت به الجنود فإني أرى قد على وجوههم الوجوم، ولم أجري على مقابلة هتلر، ولما هممت بالصعود من الطابق الأعلى اعترض سبيلي جنديان من رجال الحرس الخاص فأخبراني أن القصر يحترق لأن القنابل الروسية الناسفة والحارقة قد أشعلت النار فيه.

أما أخرة هتلر فقد نقل لنا عن مرافقيه وسائق سيارته أنه قتل زوجته برصاصة وانتحر بعدها، وذلك لأنه أفهمها الحقيقة فقتلها وأتبعها نفسه، وقد قيل أنه أمر أحد الأطباء بحقنها سماً ففعل الطبيب ذلك نزولاً على رغبته، قال الضابط فرانز بوهلو يروي قصته أنه استدعاه في ساعة مبكرة من الصباح أول أيار ١٩٤٥م، وقال له أنه قرر الانتحار بعد أن أفلت من يده زمام النصر، وأفهمه بحضور إيفابرون أنه سيطلق النار عليها برصاصة واحدة ثم ينتحر بدوره، فخرج الضابط لينقل ما سمع إلى معاوني الغوهرر عليهم يتداركون الأمر، وقبل أن يبلغ الخبر الهام إلى أقربهم منه دوى طلق ناري فثان فثالث، فهرع الضابط والطبيب بوهارت وكانا على بضعة أمتار من حجرة الغوهرر إليها فوجدا هتلر وزوجته إيفابرون جثتين هامدتين وقد امتزجت دماؤهما، وكان قد أوصى قبل هلاكه الضابط بأن تنقل الجثتان ملفوفتين بالعلم الألماني إلى فناء القصر وتحرقان في حفرة قليلة العمق، وفعلاً جرى ذلك في وقت انهار به الطابق الثاني كله، وملأت

الأنقاض الفناء المذكور، ثم إنها سلمت ألمانيا في الأسبوع الأول من أيار وقام خليفة هتلر الأميرال دونتز ينفذ اتفاق التسليم.

أما زعماء الألمان مثل هيس الذي طار إلى بريطانيا ليسعى بالصلح بينهما وبين هتلر فاعتقلته وكذا شبير، وفون شيراخ، وفونك ونحوهم فقد أُلقت الحلفاء القبض عليهم وحبسوا في أشيندو يعذبون بأنواع الإهانات وعلى رأسهم الأميرال دونتز ورئيس الدولة الألمانية ومستشارها، والقائد الأعلى للقوات المسلحة يبدو وهو يحمل على ظهره كيس السماد أثناء العمل في الحديقة.

أما بقية الزعماء فقد انتحروا، ففي ٣٠ نيسان من ١٩٤٥م حرق غوبلز نفسه وزوجته ماجدة وأطفاله السبعة في قصر المستشارية، وهذا اليوم هو يوم العبوس القمطير الذي قرر فيه هتلر استحالة كسب النصر واعترف وهو موقن بالنصر حتى اللحظة الأخيرة بأنه قد خسر الحرب نهائياً فالله المستعان، وإنها لتكسبنا الأيام تذكر تمام قدرة الله تعالى وأنه المتصرف في خلقه على وفق مراده.

جهود ضائعة ويأبى الله إلا ما أراد

لقد كان هتلر قطعة من حديد لا ييالي بأحد ولا يوقف في طريقه، ومن جبروته أمره عندما بلغه أن قواته انسحبت من فرنسا بأن تحشى الألغام في باريس بالقنابل المؤقتة والمفرقات، فإذا دخلها جيش الحلفاء نسفتها عليهم فتخرب باريس وتكون قبراً لجيوش الحلفاء، غير أنه خانته الحاكم العسكري الألماني والحاكم المدني سفيره وأزالوها وأنقذوا باريس.

ومن عجائب الطرق التي تتفرع من برلين شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً يكون مجموع طولها سبعة آلاف كيلو متر، وإقامة سور على سواحل الأطلسي لحفظ أوروبا من قوات الحلفاء، وقد استخدم لهذا العمل الجبار أكثر من ثلاثة ملايين عامل ومهندس وخبير، وقد أمر هتلر منظمة فريتزرت بتشديد خطوط

دفاع أخرى استنزفت من ألمانيا قوى لو صرفتها على الجبهة الشرقية لكان لها الحظ الأوفر في الانتصار.

فمن ذلك خط دفاعي يمتد من حدود إسبانيا إلى حدود إيطاليا على شواطئ البحر الأبيض المتوسط بفرنسا، وأمر ببناء خط غوستاف وخط غويتك، وخط هتلر في إيطاليا، وخطوط أخرى، وقد تطلب هذا العمل الشاق لتحقيقه عشرة آلاف سيارة للنقل، وكانت المبالغ التي تدفع خزانة الدولة للعمال هناك ولعائلاتهم في ألمانيا وفي أوروبا ضخمة تستنزف قواها، ولكن مطابع النقد الورقي الألماني مستعدة في طبع الملايين من الماركات لسد حاجة الناس وتسديد طلبات الجميع.

وكان امتداد الجبهات الحربية والأبعاد الشاسعة الطويلة لطرق المواصلات التي تحتاجها القوات الألمانية المسلحة للتموين وتجديد العتاد والمؤن الحربية يتطلب وجود ملايين من العمال للسهر على إبقاء هذه الطرق صالحة للعمل، ففي انتصار ألمانيا تكون هذه الطرق تنشئ لها وسائل الراحة والاطمئنان، أما في التراجع والانكسار فلقد كانت تقطع على العدو سبيل اللحاق بالقوات النازية بنسف الجسور وتخريب الطرق.

ولقد قاست ألمانيا خطراً من خيانة بعض العمال الذين سخروا كالعبيد للعمل في مختلف الجبهات من الأجانب الأوربيين، فقد كانوا يقومون بضد ما أمروا به من تصليح الخطوط فجعلوا يقومون بأعمال التخريب والتدمير في كل مناسبة، وهذه خطة مرة أثيمة ومنشأها من الأسرى الروس الحمر الذين جيء بهم من الجبهات الشرقية واختلطوا بالعمال الأوربيين، وبالرغم من التنكيل بهم فإنهم مستمرين سرّاً في العناد، ويدعون إلى الخيانة حتى شاركهم البولنديون والفرنسيون من العمال بعدما عملوا في خلال سنتين كاملتين بكل طاعة ونظام قبل انضمام الأسرى من الروس، وهذه نكبة في حق ألمانيا.

ولما أن تقهقر الألمان في الجبهة الغربية أغرقوا أثناء تقهقرهم الأراضي حتى

غدت كالبهار وتراكمت على الأرض طبقات من الوحل، حتى كادت دبابات الحلفاء ومصفحاتهم تغوص فيها، ودمروا السدود.

أما ما كان هتلر يمني به نفسه ويشجع ألمانيا حال كون طائرات الحلفاء تصب على برلين القنابل آناء الليل والنهار وهي تتهدم وتحترق وتأتيها القنابل الذرية، فهو السلاح السري الجديد الذي سيبدل وجه الدنيا ويغير مجرى التاريخ، غير أنها سلمت قبل انتهائه.

وكان يقول أن الجو لا يمكن حفظه أمام التطورات الفنية، ولكن وسائل الدفاع التي ستتخذها على ضوء العلم الحديث ستكفيها مؤونة هذه الغارات الجوية النافهة، وقد أبرم أمره على ضرب الحلفاء بها غير أن الظروف لم تساعد على إكمالها.

ولما سلمت ألمانيا وسكنت الحرب اهتزت أسلاك البرق في العشر الأواخر من جمادى الأولى من هذه السنة وخفقت الأفئدة، وطربت النفوس فرحة بانتهاء الحرب في أوروبا.

ولقد كانت الأمم واجمة خلال هذه الست سنوات لما قاست من ويلات الحرب ومصائبها، وفي هذا اليوم تقف مستبشرة بمستقبل زاهر، فقد آن للعالم أن يعود إلى حياة السلم والطمأنينة بعد أن قضى فترة هذه الحرب الضروس وهو يئن تحت وطأة كابوسها وأهوالها المريعة.

ذكر ما جرى بعد سكون الحرب

لما انتهت الحرب حاولت فرنسا ربط سوريا ببلبنان بمعاهدة تنال بها امتيازات عسكرية فرفضتها الحكومتان السورية واللبنانية، وأضربت المدن في الدولتين فضربتها القوات الفرنسية بالمدافع حتى تدخلت بريطانيا وأرغمت القوات الفرنسية إلى العودة إلى ثكناتها، ثم رفعت لبنان شكوى إلى مجلس الأمن كما فعلت سوريا، فاضطرت فرنسا إلى الجلاء واحتفلت دمشق

باستقلالها، ثم نالت لبنان استقلالها، وذلك بعد جهاد شريف في جمادى من هذه السنة رغم المدافع التي صوبها المجرمون إلى قلب العمران والأمين من السكان في دمشق وحماة وحمص.

ولما أن عقد مؤتمر الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو في ١٣ جمادى الأولى ١٣٦٤هـ ودعي له مندوبو الحكومات للاشتراك في السلام والطمأنينة، لم تمضِ سنة حتى بدأ الخصام بين أقطابها، هذا يبغى مغنماً يروي به غلة دولته وإشباع نهمها، وذاك يحاول إحباط مساعي غيره في احتكار النفوذ في الجامعة، وغير ذلك من الأغراض.

ومن أعظم المشكلات مهمة فلسطين التي هي من أهم ما يشغل أفكار المسلمين والعرب، ولقد تكلم عنها صاحب الجلالة المعظم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابن سعود على رؤوس الأشهاد في نحو من خمسمائة من أعيان حجاج بيت الله الحرام بدعوة عقدت لذلك، وباح بما عنده وقبول من الحاضرين بالانتباه والتقدير وحسن الإصغاء، ومن كلامه أنه قال:

إن مسألة فلسطين هي أهم ما يشغل أفكار المسلمين والعرب في هذه الأيام، وهي المسألة التي يجب أن تكون موضع عناية الجميع ومدار اهتمامهم، ومع أنني لا أحب كثرة الكلام وأفضل على الدعاية للعمل الصامت المثمر فإنني أقول بصراحة أن السكوت عن قضية فلسطين لا يوافق المصلحة، وقد سبق لي أن تكلمت مع أركان الحكومة البريطانية، كما تحدثت مطولاً مع الرئيس روزفلت، وذكرت بكل صراحة الحيف الذي أصاب به إخواننا عرب فلسطين والإعنات والقهر الذين أخضعوا لهما، وطلبت وطالبت من الرئيس الراحل إنصاف عرب فلسطين إن لم يكن بالمساعدات الفعلية فعلى الأقل بالوقوف على الحياد وعدم مساعدة اليهود عليهم إلى آخر كلامه الطويل البليغ الذي يدل على عظمته، كيف وقد وقع ما كان يتوقعه.

وفيها كثر الجراد في نجد وكثر الدباء، فقام لذلك أهالي القصيم يكافحونه بالقتل والزبي، وجعل أهل بريدة يخرجون كل يوم لضواحي القصيم ألفاً وخمسمائة من الرجال لذلك.

وفيهما في غرة جمادى الثانية انتخبت الحكومة السعودية نشأ من أبناء نجد وبعثتهم إلى دار التوحيد في الطائف ليتعلموا العلم ويدرسوا هناك، وجلب إلى تلك المدرسة أساتذة من مصر وسوريا، وشروط هؤلاء النشء أن تكون سنوهم بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة، وأن يكونوا متاهلين للدراسة، فبادرت الأمة لتلبية الطلب خاضعين لأوامر الحكومة.

وفيهما عينت الحكومة فضيلة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مديراً للمعارف في الحكومة السعودية، وأسندت إليه إدارتها في ٢٧ ذي الحجة، وكان الشيخ محمد من تلامذة الشيخ العالم محمد بن عبدالله بن سليم، ويمتاز مدير المعارف على غالب أقرانه بالعقل والمداورة، فعدل المنهج الابتدائي والثانوي بزيادة المواد الدينية وزيادة شعب للتخصص في العلوم الدينية والعربية والاجتماعية، وطلب مدرسين من مصر ونهض بالمعارف.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

ففيها في ١٧ ذي القعدة توفى الشيخ عبدالمحسن بن عبيد أخونا وشقيقنا قدس الله روحه ونور ضريحه، وهذه ترجمته:

هو الحبر الذكي العالم الموفق الصابر على حلو الزمان ومره، الزاهد التقى المتقشف صاحب الورع، والخمول والزاهد في الدنيا، والمقبل على الآخرة، العاقل السليم الصدر عبدالمحسن بن عبيد بن عبدالمحسن بن عبيد، ولد رحمه الله عام ١٣١٩هـ، فنشأ بين والديه في عيش طيب رخي، وعافية في دينه ودنياه، فتعلم القراءة على معلم يدعى علي بن عبدالعزيز الحوطي، ودرس على المعلم المؤدب عبدالله بن إبراهيم بن معارك، وكان هذا المؤدب إماماً في أحد مساجد بريدة، ثم أخذ المترجم يطلب العلم من الشيوخ الإمامين عبدالله بن محمد بن سليم، وعمر بن محمد بن سليم، وقد أحبت ذكر ترجمته في خمسة أبواب:

الباب الأول: في نشأته وطلبه للعلم

نشأ رحمه الله على طهارة وعفاف، وتقى وصلاح، فكان في معية أخيه وشقيقه الشيخ عبدالرحمن، لأن أخاه أسن منه، فكان يدرس عليه ويتعلم منه ويستخلفه على مكتبته إذا سافر، وقد أوقف عليه كتباً نفيسة، وكان يألف المسجد ويتخلى في حجرة فيه يطالع كتبه ويكتب، وقد حببت إليه الخلوة والتردد إلى المسجد، وبعدما حفظ القرآن لزم الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وأخذ عن الشيخ عمر بن سليم، وأكثر الأخذ عنه، ثم أخذ أيضاً عن الشيخ عبدالله بن محمد بن فداء، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، ومما درس به على الشيخ عمر بن سليم كتاب بلوغ المرام، فكان يقرأ حديثين ثم يطبق الكتاب، وقد يستزيده الشيخ فلا يتجاوزهما، ثم إنه حج فريضة في أواخر ولاية الشريف الحسين بن علي، فلما تم له من العمر خمس وعشرون سنة تزوج بامرأة فأقامت عنده مدة غير طويلة فطلقها، ثم تزوج بعدها بثيب وذلك في ٤ شوال ١٣٤٩هـ، وكل هذه الأعمال بسعي والدنا وأسبابه فإنه قد كفاه مؤونة الدنيا وفرغ باله لطلب العلم جزاه الله خيراً، فلهذه هذه الخطة التي سيجازيه الله عليها الإثابة، ثم إنه حج في ١٣٥١هـ وكان مكباً على طلب العلم منافساً في نيله بحب العزلة، وأولع في جمع الكتب فرحمة الله عليه رحمة واسعة.

الباب الثاني: في عبادته وورعه وصبره

كان يكثر تلاوة القرآن وله حظ من قيام الليل فكان يقوم من آخر الليل عند طلوع الفجر الأول ويتطهر ويصلي ما كتب له على الدوام، ويلزم الجمع والجماعة، وغالب صلواته يكون يلي الإمام في مقدمة الصفوف ولا سيما صلاة الفجر والمغرب والعشاء، فإنه لا يكاد يتخلى عن محاذاة الإمام في الصف، وكان يعجبه أن يكون مأموماً، ويجب الخمول والتقشف.

وقد عرض عليه الشيخ وظيفة الإمامة فرفض أيضاً، وجرى له مع الشيخ محاورة

في مسألة جعله قاضياً في شقراء حتى جعل يبكي أمام الشيخ ويسأله العافية، فبكى الشيخ لبكائه وعذره، ثم إنه عرض عليه آخر وظيفة هي أن يكون إماماً في مسجد كبير من مساجد بريدة ويتولى أعمال مدرسة علمية كانت حوالية فأبى ورفض.

وكان يتواضع للإخوان وطلاب العلم ويخفض جناحه لهم، ويصبر على ما يناله من الأذى فيجلس معهم ويحدثهم ويؤنسهم بما تتم به العشرة، ولا يمل مع ذلك حديثه وإن طال، ويكلم الناس على قدر عقولهم ومراتبهم، فيتحدث مع اللثيم وأهل البطش بما يلائمهم ويوافق لهم ليدفع شرهم، ويتحدث مع خاصته من طلاب العلم والدين والأحباب والأصدقاء، ويميل إليهم ويألفهم ويألفونه، ويكلم الأعيان والكبراء بكلام يليق بهم، ويحرص على المداراة مهما أمكنه، فلأجل ذلك لا يرى له كبير أمر بالمعروف ولا نهى عن منكر إلا عند الضرورة.

وكثيراً ما يشكو إلى سراً ما يقاسيه من بعض من يوافقهم للسلامة من شرهم ويحثني على المداراة كثيراً.

الباب الثالث في طريقة تعليمه ومحبة الناس له وصفته

كان أسمر اللون طوالاً، شثن اليدين والرجلين، يحب التقشف ويعيب حب الجاه والرياسة والملابس الحسنة، قوي البنية، قليل اللحم، له لحية حسنة بعارضين، تعلوه السكينة وبهاء العلم والحياء، كبير الجبهة، ولم يكن له اشتغال في الدنيا، غير أنه ينسكب بيده فيصل إليه من ذلك نزر يسير من طريق الكتابة والنسخ بيده وإصلاح الكتب والمجلدات بالتجليد، ويباشر الأعمال الشاقة بنفسه ولا يرى لنفسه قدراً، وكان حليماً في غالب أموره، وذا سمت حسن وعقل رزين.

وقد خط كتباً كثيرة بيده، فمنها كتاب الهداية لأبي الخطاب، والرعاية الصغرى، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، وكتاب التنقيح، وكتاب المحرر في الفقه، وشرح الطحاوية، وقواعد ابن رجب وغيرها.

وكان شكوراً لنعم الله تعالى وذلك لما من الله عليه من القناعة فإنه يرى نفسه

بنعمة لم تحصل لأحد ولا للملوك، وقد يكون في بعض الأيام بأعلى كرامة، وفي بعضها بأدنى مهونة فلا يتأثر لذلك بل يصبر على حلول الزمان ومره، ولست أقول أنه كامل الصفات، بل كل بني آدم خطأ، غير أننا إذا سبرنا حالة أبناء الزمان فإنه من خيارهم، قد عافاه الله من أكل أموال الناس ظلماً ومن أذية المسلمين، بل كان محسناً إلى الفقراء ومكرماً لرفقته، فقل أن يصاحب أحداً فتقلب صحبته عداوة، وكان في طريقته للتعليم والإفادة أنه لا يجلس للتعليم فيتخلق عليه الطلاب، إنما كان يأتيه المتعلم فيجلس إلى جانبه ويمر عليه القطعة التي يريد أخذها من التوحيد، أو الفقه، أو الحديث وغيرهما فيفيده عن إعرابها ويوضحها ويبين له الغوامض من ألفاظها، وقل أن يوجد أحد من أقرانه أو أقل منه سناً إلا ويستفيد منه برفق ولين، ويتواضع لمن يتعلم منه.

وكان ينتابه الأصحاب والطلاب من كل قادم ومقيم فيجتمعون به ويظهر لهم الود والمحبة، وقد جعل الله له قبولاً ومحبة في قلوب الناس وذلك لما قر في نفسه من التواضع وسعة الرأي بعد النظر، ولولا ما قام به من كراهته للرئاسة لكان له شأن غير هذا، بل كان ورعاً همه إصلاح دينه ونفسه وتهذيبها، وكان ذا أصل عظيم وبصيرة في دينه، وله يد طويلة في علم الرجال والعروض.

الباب الرابع: في علمه ومؤلفاته

أما علمه ومعرفته فكان عالماً بالتوحيد والفقه والحديث والرجال والنحو، ومن أشهر مؤلفاته رسالته المطبوعة بمصر المسماة الهداية والإرشاد إلى طريق الهدى والرشاد في هذا الزمان الذي عم فيه الفساد وضل فيه أكثر العباد وحرموا فيه السداد، وهي مفيدة تقع في ٤٠ صفحة.

ومنها تهذيب مناقب الإمام أحمد بن حنبل تأليف ابن الجوزي، وقد شطر ميمية الشيخ سليمان بن سحمان، وخمس أبيات ابن رجب في وداع رمضان، ومنها قصيدة في غربة الدين دالية تورده من أبياتها البعض وهي قوله:

إلى الله نشكو الحال لا رب غيره
ونسأله التوفيق للرشد والهدى
عسى وعسى أن ينصر الله دينه
وبعد فقد عم البلى وتوفرت
فهذا زمان الصبر طويلى لعاملٍ
زمانٌ به الأحوال حالت بكلها
فلا آمر بالعرف يوماً وناهياً
ترى الأمر بالمعروف أقفر رسمه
خلت من شفيق قام لله داعياً
يقرر آيات الكتاب بعزمه
فقد طالما ربع الشريعة مقفراً
تبدلت الأحوال من بعد حسنها
مع الفحش في الأقوال والسوء والبغاء
وكلٌ قد استغنى بعبادات أصله
وظن الذي يهوى صواباً وسنةً
إذا قيل قال الله قال رسوله
وما همه أمر المعاد وهوله
ينافس في الدنيا لأبناء جنسه
وأعرض عن يوم التغابن عامداً

ونفزع في رفع الأكف ونعتمد
وتبصرةً نحذوا عليها ونستند
كذا المصطفى الهادي إلى الحق والرشد
أمور الردى بين الملا بلا فند
على السنة الغراء مقيماً قد اعتمد
فلست ترى إلا الخيانة والنكد
عن المنكر المشؤوم في أغلب البدد
كذا المنكر استعلا جهاراً وقد وجد
إلى السنة المثلى مُجداً قد اجتهد
ويشرح للغراء سليماً من اللدد
فسوق الهدى والخير والله قد كسد
فلست ترى إلا النميمة والحققد
شمائلهم بث الفساد مع الحسد
يرى أنها أحرى الطرائق والرشد
تراه لما يهوى مكباً على عمد
تغيظ من سوء الطوية والحققد
فيا ويل عبدٌ للهداية قد فقد
يعوم بتيار البطالة قد مرد
وضيع أمر الله يا بشما قصد

.. الخ وهي حسنة، وله قصيدة من هذا النمط لامية تحت على الجد والاجتهاد
والتشمير وترك التكاسل في طلب العلم نذكر بعضاً منها:

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| تقضت ليالينا وضاعت حياتنا | بلا عمل يجدي على غير طائل |
| فوا أسفاً للعمر يمضي سهلاً | فيا ضيعة الأعمار في غير حاصل |
| فأهاً على التفريط في زمن الصبا | وأهاً على فوت العلى والفضائل |

ويا حسرتا كيف اطمأنت نفوسنا
 فذا الغبن كل الغبن يا قوم فاعلموا
 فيا معشر الإخوان يا زينة الورى
 ويا عصابة الإسلام هبوا توكّلوا
 ولا تدنسوا العلم الشريف بريّة
 إلى أن قال:

أما آن أن نصغي إلى طلب العلى
 نسرح أفكاراً لنا وفهومنا
 ولا سيما التوحيد أزكى علومنا
 ونعمر أطلالاً لقول مليكنّا
 ونعمر أطلال العلا والمسائل
 ونبحث في علم الهدى بالمخاfl
 وننهض في كسب العلى والفضائل
 كذا شرعة المختار بين القبائل

.. الخ وهي حسنة ولولا خشية الإطالة لأتينا بها، ومنها قصيدة تائية نظمها
 تسليّة لبعض إخوانه في الله لما أصيب بموت أقربائه، وقد قدمنا جملة من قصائده في
 رثاء العلماء، ومنها قصيدة في ماء القويطير، وله تعليقات على بعض المسائل، ولقد
 أهمل أهل القصيم ذكر عظمائهم وعلمائهم وشعرائهم فلم يدونوا شيئاً من ذلك،
 ويعتبر هذا من التفريط.

الباب الخامس: في مرضه ووفاته

كان أول مرضه رحمة الله عليه في محرم من هذه السنة، وهو قلة هضم وهزال،
 فما زال جسمه ينهدم وتنحل قواه فصام شهر رمضان، غير أنه كان يصلي جالساً،
 ولما كان في منتصفه أصابه فهاق شديد أعقبه نفث دم كثير، وكان يذهب ويحيى فلم
 يلزم الفراش، وصلى صلاة عيد الفطر في المصلى، هذا وقد نقص بدنه وانحلّت
 قواه فاتخذ عصاً يتوكأ عليها ويستعين بها على المشي، فلما كان في غرة ذي القعدة
 ضعفت بنيته وشق عليه السعي إلى المسجد، وفي خامس ذي القعدة لزم البيت
 ويستطيع الصعود والنزول، ثم إنه جعل يستعد للموت ويوصي بماله وما عليه، أما

وصيته وحفر قبره واستعداده للآخرة فكان من قديم، ثم إنه جلس للزوار من أحبائه في الديوان، وفي عاشر ذي القعدة اشتد به الألم وعجز عن النزول والصعود فلزم الفرش في غرفة، وكان في خلال ذلك مديماً على تلاوة القرآن وعبادة ربه، حريصاً على الطهارة والنظافة، ولازمه بعض إخواني فكان يدعو له من يتفقد أضلاعه خشية أن يكون مرضه بذات الجنب فكواه بعض أهل المعرفة على جنبه فلم يفد شيئاً، ثم دعي إليه آخر فكواه في بطنه ولم يفد شيئاً، وكان يتجلد ويظهر القوة، غير أن كية الأخير أحدث له ألماً شديداً فاشتد أنيه لذلك، وكان لا يعرف بعده عواده، لكنه مع ما يقاسيه يلهج بحمد ربه ويثني عليه ويكثر الاستغفار والتوبة، فلما كان في ليلة سابع عشر ذي القعدة حصل له ضجر شديد وانكشف باله، وفي صباحها وجه إلى القبلة وبدت به علامات الموت وسكراته، نسأل الله تعالى أن يثبتنا على قوله الثابت في الحياة وفي الآخرة، ولقد شدد عليه في النزاع، وما كان ليتخلى من التسبيح والذكر حتى في أضيق الحالات، وكان ينطق خفوتاً بصوت ضعيف:

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| يريد لأخذ الزاد في وقت مهلة | دقائق تحصى وهن قلائل |
| على ذكر رب الخلق قد مات محركاً | شفاهاً له كيما تجاب المسائل |
| وما الدهر إلا هكذا فانتبه له | منايا تجيء كالطارقات تنازل |

فلما كان في الساعة الرابعة انتقل إلى رحمة مولاه وخرج من الدنيا مقلداً متقللاً مخفياً منها، فرحمة الله تعالى عليه، ونسأل الله له الغفران، ثم إنه جهز وصلى عليه في المسجد الجامع في بريدة بعد صلاة الظهر، وحزن عليه المسلمون وبكوا لذلك وانتحبوا، وحمل إلى ضريحه في المقبرة الجنوبية ووضع في قبره الذي اختار أن يكون إلى جانب قبر والده، وكان لم يخلف عقباً لأنه كان عقيماً.

ولقد أصيب به المسلمون وحزن لفراقه المؤمنون وراثه بعض الأدباء، وهذه قلتها لما فدحنا بمصيبته ورزئنا بفقدته قدس الله روحه وأسكنه الجنة بفضلته ورحمته:

تبارك مولانا فيقضيه ويحكم له الخلق والتدبير والله أرحم

تفرد في تصريف كل مكنون
رضينا به رباً مليكاً مدبراً
فما قدم الرحمن ليس مؤخراً
فيا نفس صبراً، فاستريحي من الهوى
لقد كتب الله الفناء على الورى
فهذا مضى قدماً وذا فهو لاحق
ويبقى إليه الحق جل جلاله
فلو كان حي في الحياة مخلداً
لكنها الأجال تأتي ببغته
ولو كان من ريب المنية مدفع
ويفديه بالغالي بما قد حوى له
فما طرقتنا دهرنا من مصيبة
ترانا بحزن باهتين بلوعة
لسبع من الأيام من بعد عشرها
لأربع ساعات مضت من نهارها
وفي رابع الستين من ضبط هجرة
بأعظم منها نكبة ومصيبة
ومذ سار نعشه إلى نحو جامع
ومنه إلى نحو القبور مشيعاً
على ابن عبيد واسمه عبد محسن
لقد كان ذا قلب قنوع برزقه
يكابد آلاماً ويثني لربه
تدرع جلباب الخمول بمرة
له في كمال العقل حظ ومسمت

فمن ذاك له عما قضى الله مهزم
لأملاكه والرب بالخلق أعلم
وما أخرج الرحمن ليس يقدم
فإن إله الخلق ليس هو يظلم
ألا كل حي حبله متصرم
وكل لكأس الموت لا بد يطعم
جليل تعالى وجهه ومكرم
لكان رسول الله حياً ينعم
وما ليست الأسباب منها تسلم
لكان محب عن حبيب يكلم
بمال وجاه إذ لديه يسلم
عليها دموع العين في الخد تسجم
ونار الأسى في حرها تتضرم
بذي قعدة من أشهر قد تحرم
بيوم الثلاثا بعد ألف محكم
ثلاث مئين قد تعد وترقم
فأسبل كل دمعته يتسجم
فإن قلوب الناس يذبها التألم
تريق دموع العين سحاً منظم
فتى من كرام فضله ليس يبههم
صبوراً على الشدات إذ حل مؤلم
بخير وللشكوى عن الخلق يكتم
فما نفسه يوماً عراها التقدم
وليس بطياش يصول ويشتم

بل إنه مذ شب في العلم مولعٌ
ينافس في جمع العلوم ونسخها
يلاقي لمن لاقى ببشرٍ وعشرة
لأن كان في الدنيا على الحالة التي
مكباً على درس الكتاب مرتلاً
ومن زهرة الدنيا مقل مقلل
فترجوا له الزلفى من الله والرضا
ولما فرغنا حين وقت رحيله
سكبنا دموعاً من جفان عيوننا
فيا ربنا أبدله خيراً من أهله
فها هو ذا عبدٌ نزل بفنائكم
وأحسن عزانا ربنا بمصابنا
فأنت الذي ترجى لكشف ملمةٍ
وصل إلهي كل ما ذر شارقٌ
وما سبح الأطيّار واهتزت الربا
على أحمد خير الأنام شفاعاً

بفهم منيرٍ حاضر ليس يسأم
فهتمته تسمو وتسعى وتغنم
ويغضي حياء عن جفاء ويحلم
تسر لذي ود من الناس يفهم
نهاراً وليلاً في الدجى يترنم
على حذرٍ منها بأخراه مغرم
بدار الجزاء والأمن يعلى ويكرم
لأنجاز تجهيزٍ ونسعى نقدم
ونرفع طرفاً للإله متم
وداراً بدار الخلد فيها ينعم
ومن شأنكم إكرام ضيفٍ يقدم
وجبرٍ لمكسورٍ تغيث وترحم
وأنت الذي في بابك ترحم
على أفق دهرأ وما غاب أنجم
بويل وما قد طاف بالبيت محرم
وآلٍ وأصحاب مضوا وتقدموا

وفيها في شهر شعبان وكانت الشمس في برج السرطان هطلت سيول على
القصيم في شدة القيظ وصلاح الثمرة، فأحدث ذلك للناس عجباً لأنه نادر الوقوع
في تلك المقاطعة، فلم يعهد مثله منذ زمن طويل، وتذكر الناس قول الرسول ﷺ :
«إذا كان المطر قيظاً والولد غيظاً والمال فيضاً فانتظروا الساعة».

وفيها وفاة الشيخ عبدالعزيز بن مقرن رحمة الله عليه، وهذه ترجمته:

هو الحبر الذكي العارف الموفق الصابر المحتسب مصائبه جنب ثواب الله عز
وجل، الشيخ الزاهد عبدالعزيز بن مقرن من بلدة حريملا المشهورة، ولد في سنة
ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين هجرية، فنشأ في طلب العلم وحب إليه قراءة

الذكر الحكيم ودراسة أحاديث الرسول ﷺ من الأمهات، وجعل ينتقل في طلب العلم ويسعى في نيله لدى العلماء، حتى كان من خيرة تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فجعل من ضمن الأعضاء الذين ضموا إلى الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع يرشدون في مساجد الحجاز ويعظون فيها، مضافاً إلى ذلك أنهم أعضاء في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم إنه جعل إماماً في مسجد الأبطح الذي يقع أمام قصر جلالة الملك في مكة المشرفة، وكان ذلك المسجد يمتاز إذ ذاك في حسن العمارة وقوة البناء بالإسمنت المسلح.

وكان المترجم نابغة في العلم والمعرفة وله ذوق عظيم، يحب البحث في مسائل العلم، وله حظ في الديانة والصلاح، أضف إلى ذلك أنه صبور على أنواع البلايا في بدنه حتى مات في هذه السنة وانتقل إلى رحمة الله، وكان يفوق على زملائه بالعلم، بل كان من خيرهم وأفضلهم.

وفي آخر هذه السنة توفي العابد الزاهد محمد النجدي رحمه الله تعالى وعفا عنه، وهذه ترجمته:

هو العارف الفاضل التقى الذكي محمد بن إبراهيم بن سليمان بن سعود النجدي، من عنزة المصاليخ والأصل بقرية القرعاء من قرى بريدة، ولد رحمه الله في سنة الف وثلاثمائة وأربع عشرة، أخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، ونشأ يتيماً في حضانة أخيه سليمان، وكان مقبلاً على الله والدار الآخرة، حليماً سكيناً يألف المسجد، وقد جعل له حجرة فيه يأوي إليها، ولا يمل دراسة الكتب والنظر في مسائل العلم وفنونه، وقد سلم من الكبر والإعجاب، بل كان غنياً شكوراً، وكان دائم الخوف والخشوع، فلا يتأثر في الأفراح ولا في الهموم والغموم، وقد ملك لسانه عن القيل والقال وأعرض عن الممدوح والمذموم، وأقبل على خدمة الواحد الحي القيوم، واعتزل الخلائق وقطع من الناس العلائق، فإذا دخل العشر الأواخر من رمضان اعتكف ولم يتكلم إلا في تلاوة القرآن والذكر، ويؤم في مسجد أهل حارته وأسرتة، فإذا أقبل موسم الحج ركب ناقته وذهب يؤم الكعبة البيت الحرام، فكان على هذه الحالة حجباً واعتكافاً وعبادة وذكرًا وصلاة.

وكان له أخوة ولديهم ثروة عظيمة، فكان يجمع زكاتها ويقسمها على فقراء طلاب العلم، وموضعه في حارة السادة من بريدة لأن لهم هناك البيوت والنخيل، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويرحم الضعيف والفقير، ويزوره المحبون للخير فيش لهم ويذهب بهم إلى بيته لتناول القهوة والرطب وما يستطيعه.

ويحب الوحدة والعزلة فإذا جتته تجده إما راکعاً أو ساجداً أو متوضئاً أو تالياً للقرآن أو مطالعاً أو مفتشاً في كتب أهل السنة، وقد حج سبعاً وعشرين حجة، وله سمت وحياء، وهذه صفته:

كان قصير القامة، نحيف البدن، أسمر اللون، عاقلاً وقوراً يظهر البشر، ويعلوه بهاء الطاعة ونور العبادة، كث اللحية أشمط، وكان يكثر صيام النفل، وكان مرضه بالسل، ولبت مريضاً أربعة أشهر، وأصيب بيلغم شديد ثم مات على حالة حسنة، وحزن لفراقه أهل الدين، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

وبالجملة فإنه يعد من زهاد أهل هذا الزمان وخيرة خلق الرحمن، وقد يبحث إخوانه في أمور الدنيا والأخذ والإعطاء فلا يشاطرهم بكلمة تتعلق في أمور الدنيا.

فنسأل من بيده الضر والنفع والرفع والوصل والقطع أن يتغمده بفضله ورحمته ويسكنه بمجوح جنته.

ومما قلت في مناسبة وفيات جرت في هذه السنين قصيدة أنشدتها في هذه السنة، وذلك لما توفي أناس من إخواننا وخاصة أحبابنا، فعظمت لذلك الأشجان وهاجت لفراقهم الأحزان، وتتابع المصائب آخذاً بعضها ببعض، فإننا لله وإننا إليه راجعون، اللهم أجرننا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها، وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ من تقارب الزمان وظهور الفتن وانتزاع العلم وذهاب الصالحين وكثرة الأشرار والجاهلين، فلما رأيت هذه المصائب العظام وذهاب الصالحين كسلك النظام أبديت ما ترى من هذا القريض الذي باح به اللسان وعجز عن كظمه الجنان، نسأل الله أن يجبر كسر المنكسرين ويجمعنا وأحبابنا في دار المقربين:

على فقد للأحباب أهل المكارم
بكيت على الأصحاب جهداً بعبرة
يحق لعيني أن تهيل دموعها
ففي كل يوم قد رزئنا بفادح
كذاك صروف الدهر إن كنت صابراً
إلى الله نشكوها مصائب جمّة
وما المرء في الحياة إلا معذب
لقد نالنا في ذا الزمان مصائب
على فقد أحباب لنا طاب ذكرهم
بهم طاب أوقات الزمان وأهله
فلو كان آخذاً بالأأيادي وبالقوى
وقمنا سراعاً كي ندافع دونهم
وقلنا لمن بالسوء قد كان قاصداً
تأخر فدون القوم إن كنت رائماً
ودونك عنهم أنفساً يفتدوا بها
ووالله إن كنا نجود بنصرهم
جدير بنا إذ كان حقاً ودادهم
فلما رأينا الأمر قد جاء من السما
وليس لأمرٍ قد قضاه مليكنا
صبرنا بتسليم لأمر الهنا
فقمنا بإنجازٍ وجمع لفائق
فاعجل في تغسيل من كان راحلاً
فيا فرقة هل يرتجي منك أوبة
فيا من هو القهار لا رب غيره

بكيت طويلاً بالدموع السواجم
وبجت بما عندي فليست بكاتم
بهم وغم من حلول العظام
فراق حبيب من قريب وعالم
ولاً ستسلون سلو البهائم
وحزناً طويلاً للقلوب ملازم
يكابد أنكاداً ويرمي بالدواهم
ورزء كبير من دواء قواصم
بفعل جميل مع صفات كرائم
تعزى بهم أهل النهى والمكارم
لكننا نحامي دونهم كالضياغم
بضربٍ وحربٍ شاهر للصوارم
لكي يرعوي أهل الشقا والجرائم
دفاعٌ شديدٌ من عظيم الملاحم
ونفديهمو في جاهنا والدراهم
ونهرع في إبقائهم في العوالم
خلاصة أحباب سموا في المكارم
بأمرٍ إليه قاهرٍ بل وحاكم
دفاعٌ بأسبابٍ وكتب تمائم
رضينا به والله أرحم راحم
نحث لغسالٍ بتجهيزٍ قادم
وسرنا بهم نحو العرى والهشائم
ويجمعنا ربّ بدار الأكارم
تباركت مولانا جزيل المكارم

ويا من هو الجبار جل جلاله
تفضل علينا بالرضاء تفضلاً
إليك إلهي نشتكي لمصابنا
إلى الله نشكو ما دهانا وغمنا
لموت خيار الخلق من كل جهنم
كذلك بقاء الشر ينمو وأهله
وهذا أو أن غربة الدين قد فشت
وكيف وقد جاءت ثقات بنقلهم
برفع علوم الشرع في موت أهلها
وذي سنة الله الحكيم بخلقه
فكل ابن أنثى لا محالة راحل
وكل وإن طال الثواء مصيره
على الخلق طرا قد قضى الله وحده
فكن عابراً بل لا تكن عامراً لها
فمن ذاقها يوماً من الدهر صفوة
فما هي إلا كالسراب بقيعة
فلا تغترر بالمال لو زاد كثرة
ولا تثقن فيها بكل جملة
ولو كان شخص في الحياة مخلداً
ولكنها الأجال تأتي بيغثة
سيمضي على هذا الخلائق كلهم
عليهم سلام الله ما هبت الصبا
فيا قاهراً فوق العباد بقهره
ويا غامراً كل العباد بفضله

له الأخذ والإعطاء وكشف العظام
مع الجبر للمكسور يا ذا المراحم
فأنت الذي ترجى لكشف الدواهم
بدمع غزير ساكب بل وساجم
هداة تقاة من خيار العوالم
فاظلمت الأقطار من كل ظالم
فعادت خراباً طامسات المعالم
عن السيد المعصوم صفوة آدم
ونقص لأهل العلم من كل حازم
قضاء قضاء الله في نسل آدم
ولو عاش في الدنيا فليس بدائم
إلى مصرع الهلكى وطحن الرمايم
بموت وضع القدر مع كل حازم
فما هي إلا مثل أحلام نائم
سقته سريعاً من كؤوس العلاقم
يغر بها الجهال شبه البهائم
ولا تحش بطناً من كثير المطاعم
وأكب على علم الثقة الأكارم
لكان رسول الله صفوة آدم
وليس يردها كثير العزائم
كما قد مضى الأخيار من كل عالم
وما أطرب الأسماع صوت الحمائم
على عرشه استوى معيد العوالم
ويا حاكماً قهراً على كل حاكم

ويا ناصراً من كيدهم لخليله
 يريدون في النار الخليل بكيدهم
 وقد ضجت الأملاك لله بالدعا
 فقلت لها كوني فعادت بلحظة
 ويا عائداً على سليمان ملكه
 وسخرت ريحاً منك تجري بأمره
 ويا كاشفاً ضرراً لأيوب موجعاً
 ومن بعد ذا عافيته من بلائه
 ويا منجياً ذا النون من كرب غمه
 عليه طباق البحر في وسط لجة
 ويا مظهراً من كان للكون سيداً
 وأيدته بالمعجزات التي بها
 بأسمائك الحسنى وأوصافك العلى
 إلى بابك الأعلى رفعت حاجتي
 تعطف بجمع للحبائب رحمة
 إلهي وأحسن في الجنان لحظنا
 ولا تخزنا يوم القيام لحشرنا
 وذلك يوم ليس يجدي عشائر
 فيا ويح من كانت عذاباً حياته
 ويا رب متعنا بكل موفقٍ
 أولئك أهل العلم من كل جهبذٍ
 فإنهموا للساكنين أئمة
 فكم جاهلٍ قد حار في طرق الردى
 وكم سننٍ أحيوا وكم بدعٍ نفوا

وقد شد مكتوفاً إلى حر جاحم
 فريداً وحيداً هاضه كل ظالم
 وليس له وجهٌ يميل لناقم
 سلاماً ويرداً لا تفيده لطاعم
 وقد كان مسلوباً على فقد وخاتم
 رخاءٍ ولطفاً من جزيل المكارم
 وعاد فقيراً بعد طول السقائم
 وعدت بمفقودٍ وخير مكارم
 وفي بطن حوتٍ تحت يم ملاطم
 فجدت بإخراج له فعل راحم
 سلالة عبد الله صفوة آدم
 أقرت جميع الخلق عرب وعاجم
 بلطفك يا ذخرأ لكشف الدواهم
 وكل إلى المولى فقير المظالم
 بدار نعيم مع خيار النواعم
 ننعم فيها باجتناء المطاعم
 يوم به يشقى إذا كل ظالم
 به يذهل الأولاد هول العظام
 بداريها يجزي العتاة الأجرام
 حكيمٍ عليم من هداة العوالم
 هداة الورى أهل النهى والمكارم
 بهم يهتدي بل تقتدي ذو العوالم
 فجدوا بإنقاذٍ له عن مآثم
 وكم سارعوا جهداً لنفع العوالم

لقد خصهم ربي بكل مزية
وصلّ إلهي ما تألّق بارق
على المصطفى المبعوث للناس رحمة
محمد الهادي إلى خير نحلة
وآل وأصحاب هداة أجلة
وسلم تسليمأ كثيراً مضاعفاً
وأعلاهمو فوق السها والنعمائم
وما سحت الأمطار من جون الغمام
نبي الهدى والأبطحي ابن هاشم
وما حي الردى المعصوم من كل ظالم
ومتبع يقفواهموا في العزائم
يفوق لعد الرمل مع قطر ساجم

وكان لنا أخ في الله يدعى صالح بن إبراهيم الرسيني من تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ومن تلامذة الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، أصيب بوفاة والدته ثم والده ثم بأخيه، وبعد ذلك أصيب بوفاة زوجته وأولاده، فعزّيته بهذه القصيدة في هذه السنة، وتوفى بعدها بخمس سنين:

رسالة ذي ود شفيقٍ مناصح
يسليه عما قد دهى من مصائب
وكم من مصيبة تمر على الفتى
يطير لهول البين ناس ثوابها
فيكشفها ربي ويأتي بضدها
فكن صابراً مهما دهتك مصيبة
إذا كنت مفجوعاً بفقد أحبة
فحمداً لمولانا وشكراً على القضاء
يمن علينا بالرضاء بحكمة
وكلّ سيمضي ذاهباً خلف ذاهب
وهذا بأجالٍ تتم جميعها
إذا جاءت الآجال ليس تأخر
فلا يأمّن الدنيا من الناس عاقل
وكل اجتماع عن قريبٍ مفرق

لمن كان ذا رزءٍ عظيم البلائل
يحث على التقوى وترك الرذائل
يكاد لها قلب الفتى من زلازل
لما قد دهى من مزعجات القلاقل
تعالى إله ليس عنا بغافل
صبوراً على الشدات عند النوازل
من الأقربا أهل الوفا والتعامل
ونسأل مولانا جزيل الفضائل
وبالصبر للمقدور من كل نازل
وكلّ إلى الأجداث لا شك راحل
قضاها حكيمٌ ملكه غير زائل
كما هو في التنزيل تبأ لجاهل
ولا بسد يوماً للنعيم بزائل
وكل جديدٍ عن قريبٍ بسامل

كذا هذه الدنيا تقلب بأهلها
 تغر أخا جهل بصفو نعيمها
 وذى سنة الله الحكيم بخلقه
 وكم قد رأينا من جهول وغاشم
 فصادته أشراك المنيات بغتة
 وفارق أهلاً من قريبٍ ومعشر
 فإن كنت ترجو أن تعيش محبراً
 فكن راضياً فيما قضى الله وحده
 صبوراً على كرب الزمان ومره
 وحباً وأبغض وآل من كان مؤمناً
 ولازم على التقوى لتحمد غبها
 به يسعد الأخيار من كل متقى
 وخذ أهبةً للموت قبل نزوله
 وصلّ إلهي مع سلام مضاعفٍ
 محمد المختار من آل هاشم
 بعد نزول القطر من وابل السما

وفيها كسفت الشمس والقمر في شهر واحد، وهذا نادر الوقوع، وحج بالناس
 في هذه السنة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود، وأيضاً حج فيها
 أناس من الأعيان.

وفي ١٤ من شوال فاجأ الملك فاروق الأول صاحب مصر بزيارة ملكية
 للمملكة العربية السعودية عن طريق البحر الأحمر، فاستقبل في جدة ثم إنه أدى
 صلاة الجمعة في المسجد الحنفي بجدة وذلك في ١٥ من شوال، ثم عاد بعد ذلك
 راجعاً إلى مصر.

وفيها في ١٧ من جمادى الأولى أعني ١٣٦٤هـ وفاة الزعيم في بريدة إبراهيم

بن علي الرشودي، وسيأتي ذكر نسبه وقبيلته في وفاة أخيه عن عمر بلغ الحادية والسبعين، وكان إبراهيم رجلاً سخياً جواداً كريماً، وله قوة نفس وصراحة بحيث لا يراعي أحداً، وله إلمام بمسائل العلم لأنه أخذ عن الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وأخذ عن عبدالله بن عمرو آل رشيد، ودرس بالأزهر في مصر وفي الجامع الأموي بدمشق، وكان شجاعاً، وحضر بعض الوقعات مجاهداً في سنة السباخ، وفي واقعة جراب وغير ذلك، ولديه ثروة لأنه من ذوي اليسار، وكان يميل إلى عدد الزوجات، ويلبس فاخر الكسوة ويستصحب دائماً العصا لا ليتوكأ عليها لكنه ليستعين بها في الكلام، وربما جعلها على عاتقيه ممسكاً بيديه على طرفيها، وقد مات عن عدة أولاد ذكور بحيث بلغوا سبعة عشر ذكراً، وله إناث تزوجن برجال أشراف، ومن أشهر أنجاله يوسف بن إبراهيم الذي لا يزال في مهمة الجمارك في شمالي المملكة.

وبالجملة فإن المترجم رجل قوي شجاع لا يوقف في طريقه، وكان مناصراً لابن سعود يقاتل تحت رايته، وكان في صفته ربع القامة، أبيض مشرباً بحمرة، ولا يصبغ لحيته بل لا تزال مشرقاً بياضها.

ثم دخلت سنة ١٣٦٥هـ

ففيها في الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ من يوم الخميس الموافق ٧ صفر ١٠ يناير ١٩٤٦م قدم جلالة الملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية إلى مصر في ضيافة الملك فاروق فرسى اليخت الملكي المحروسة مقلداً عاهل العرب الأكبر عبدالعزيز بن سعود في ميناء بور توفيق، فاستقبله على ظهر اليخت عاهل مصر الملك فاروق ومعه أصحاب المقام الرفيع والدولة ورئيس الديوان الملكي أحمد حسنين، ورئيس الوزارة محمود فهمي النقراشي باشا، والوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بالقاهرة، وكبار موظفي المفوضية، وحيوا جلالة الملك ابن سعود تحية حارة وتعانق الملكان ثم قصدا سراحد الاحتفال يحف بهما الوزراء والعظماء

ورجال الحاشيتين، وفي الساعة الحادية عشرة تزيد خمس دقائق أطلقت طابئة السويس واحداً وعشرين مدفعاً إيداناً بتحريك القطار الملكي الذي أخذ يتهادى في سيره بين صفوف من الجماعات لأعداد لها تحمي الملكين وهما يردان التحية بخير منها، والتهنئات تدوي في كل مكان، وكانت هذه الزيارة رداً لزيارة فاروق في آخر السنة المتقدمة.

ذكر الاستقبال العظيم لابن سعود

لما أوفد الملك فاروق بدعوة رسمية يجتّه الملكي المحروسة بحرس البيخت المذكور الطوافة الأميرة فوزية والطوافة فاروق سار ابن سعود في عصر يوم الاثنين ٤ صفر الموافق ٧ يناير، فرسى في اليوم المذكور واستقبل في مصر استقبالاً عظيماً، إن الأقلام لا تستطيع مهما كانت بالبلاغة أن تعبر عن زينة مصر وابتهاجها واستعدادها لاستقبال ضيفها ابن سعود، ولقد بالغ الكتاب ووصفوا هذه الزينة فما وصلوا إلى حدها لأنها لم تشهد مصر منذ نشأت إلى عصر التاريخ مثل هذا الاستقبال، وقد استوى الكبير والصغير في الاستعداد العظيم لابن سعود قبيل دخوله، فلقد كان هناك آلاف الأعلام السعودية تحفّق وكذا الزينات تسعى إلى الشوارع والبيوت والمحال التجارية سعياً استعدادياً، وبدت القاهرة كأنها في عرس لم يشهد التاريخ مثله، ولقد كانت شرفات البيوت ملأى بالرجال والنساء والأطفال، وازدحمت الشوارع بالناس وكان الهتاف الجهيد يتصاعد إلى السماء، ومشى الموكب الملكي من المحطة إلى قصر عابدين العامر، وكانت مصر كلها تهتف أهلوها وضيوفها حتى بحت الأصوات ودميت الأكف من التصفيق، ولبت ابن سعود في مصر أكثر من أسبوع في ضيافة الملك فاروق مسروراً غاية السرور، وزار المؤسسات العلمية والصناعية والمستشفيات، فزار جامعة فؤاد الأول والبرلمان والجامع الأزهر، والجامعة العربية، وسلاح المدفعية الملكي، وحديقة الحيوانات والقناطر الخيرية،

والحمة الكبرى، وإصلاحية الأحداث، وزار الاسكندرية، كما أن جلالة استعرض الجيش المصري الباسل وأبدى إعجابه بكل ما رأى وسمع، ولقد أحصى ما أنفق فاروق لمأدبة جلالة الملك ابن سعود فبلغ مليونين بالنقود السعودية، وقد قام الملك ابن سعود وفرق أموالاً طائلة في مصر، وتبرع بما بلغ مجموعه أربعة ملايين، ثم إنه خطب الخطيب في مصر خطبة الجمعة بمجد الملكين فيها بجامع الأزهر، وألقيت في الإذاعة، ولما كان يوم الثلاثاء الموافق ١٩ صفر غادر ابن سعود القاهرة راجعاً إلى بلاده المتعطشة إليه، وقد استعدت لاستقباله خير استعداد، وعلى أثر مغادرة ابن سعود البلاد المصرية أذاع الملك فاروق المعظم الكلمة الآتية إلى الشعب المصري:

شعبي الكريم في الوقت الذي يغادر فيه أخي صاحب الجلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود مملكتكم عائداً في رعاية الله إلى مملكته، يطيب لي أن أوجه شكري لكم فقد أكرمتوني في ضيفي، بل ضيفكم استقبلتموه بقلوبكم وأحطتموه بحبكم، ثم أطال في أن زيارته للمملكة العربية السعودية ما كان بها غريباً، فكأنه لم يفارق وطنه ولم يفارق شعبه، وإن جلالة الملك ابن سعود في حال زيارته لمصر كان بين وطنه وأهله، وإن أيام المجد تتشابه به إلى أن قال:

شعبي الحبوب ليس أطيب عندي من أكرر شكري لكم فقد أكرمتكم في شخص الملك عبدالعزيز شخصي، أكرمتكم مصر والعروبة والإسلام.

ولما وصل ابن سعود إلى ميناء جدة في صبيحة يوم الجمعة ٢٢ صفر وأشرقَت النفوس برؤيا محياه أقيمت الزينات ثم أذاع نداء أعرب فيه عما قام به أهل مصر من الإكرام والاحتفاء، وقال: ليس البيان بمسعف في وصف ما لاقيت في مملكة أخي الفاروق، ولكن اعتزازي أنني كنت أشعر أن جيش مصر العربي هو جيشكم وجيشكم هو جيش مصر، وحضارة مصر هي حضارتكم وحضارتكم هي حضارة مصر، والجيشان والحضارتان جند العرب وركن من أركان حضارتهما، ولقد أكثر الشعر من القصيد لهذه المناسبات.

وفي هذه السنة ولدة امرأة ببيروت خمسة أطفال، ثلاثة ذكور وبنيتين، وتسمى هذه المرأة زكية زهران، وعاش المواليد يتمتعون بصحة جيدة.

وفيهما توفى عالم في مكة يسمى عيسى رواس، كان مدرساً في مدرسة الفلاح بمكة، ثم رأى أن يكسب رزقه بعمل يده، فكان يعمل أول النهار ثم يدرس بالمسجد الحرام آخر النهار وأوائل الليل رحمة الله على أموات المسلمين.

وفيهما في شهر صفر في آخر الأربعمائة وأول نوء النعائم اشتد البرد جداً ونزل في غرة جمادى الأولى برد عظيم الحجم فأصيب به ركاب ونيت في الموضع المعروف بالمستوي فقتلهم كلهم وخذوا جميعاً، ولم يسلم إلا راعي لغنم هناك على البعد منهم، وفي ١٥ من الشهر المذكور نزل من السماء مطر عظيم على الحناكية وما يليها فغرق فيه أموال كثيرة وأدباش، حتى بلغ ارتفاع الماء على الأرض إلى رؤوس النخل.

وفيهما في ١٥ رجب خسف القمر خسوفاً عظيماً وانطمس قدراً من أربع ساعات وذلك في أول الليل.

وفيهما أصيبت ثمرة النخل بنقص وفساد حتى لم يتحصل منها إلا على نصف ثمن ثمرة العادة، نستغفر الله ونتوب إليه من الذنوب والمعاصي، وغلت الأسعار واشتدت المؤونة جداً، وقد رأت امرأة من الصالحات في شهر شوال في منامها ملكين جلس أحدهما عند رأسها والآخر عند رجلها فأسمعها هذا الكلام «تاب تاب نزع البركة من التراب، تاب تاب نزع الحيا من الشباب، تاب تاب نزع الرحمة من بين الأقارب، تاب تاب هجر الكتاب».

ذكر عجائب من الحوادث غير ما تقدم

ففيهما في ليلة ٢٤ من ذي الحجة جرى على أهل قصر في روضة مهنا أنه خرج امرأتان إلى نحو الجابية للوضوء فسمعتا خشخشة في الماء فذعرتا لذلك، وبينما المرأتان تنظران تلك الخشخشة إذ رجمتا بالحجارة والعظام ففرتا إلى القصر، واستمر

الرمي حتى تأذى سكان القصر من وقع الحجارة والعظام، وبعدما فتشوا وجد الرمي الذي أصابهم من طريق الجن، ولما كان في الليلة المقبلة اشتد الرمي والقذف حتى امتلأ القصر من العظام والحجارة، وكادت أن تقع قرون البثر، فخرج الرجال وصاحوا بمن حواليتهم من أهل القصور الأخرى وفزعوا بالسلاح والحديد، فكانوا يرجون ولا يرون أيد عاملة بل تأتيهم القذف من حيث لا يعلمون، فلما كان في الليلة ٢٦ قام غالب أهل القرية فزعين بسلاحهم فشرع الرمي على العادة، غير أنه قليل ثم إنه زال بعد ذلك.

وفيها في شعبان ورمضان خرج كلب في هجرته - قبة - وآذى كل من مرّ عليه بالعض، وكان من الناس من يسلم من العضة إذا عالج نفسه، ومنهم من يتلف، ومن تلف رجل ذهب إلى موضع ذلك الكلب يحمل البندقية ليقتله، فجلس أمام جحره وجعل ينادي الكلب، كأنه يخاطبه، ولما أقبل إليه الكلب بادره بطلقة من البندقية فحبسها الله تعالى، ثم وثب عليه الكلب فعضه على يده فكلب، وجعل الناس يشيرون عليه أن يعالج العضة فأبى وصمم على ترك العلاج مسلماً أمره إلى الله تعالى، فلبث أربعين يوماً لم ينكر نفسه شيئاً، فلما كان من الغد جعل يشكو الماء في يده ويصرخ ويشكو الظمأ، فلما شرب من الماء مات في الحال.

وفي قرية في الأناضول عثر اثنان من سكانها في شهر شوال على مغارة للذئاب وقتلا ثلاثة من الذئاب المولودة حديثاً، ولكن الأم هاجتهما بعد قليل فتمكننا من صدها ودخلت الذئبة القرية بعد بضعة أيام فهاجمت صبيّاً في الثالثة عشرة من عمره فمزقته تمزيقاً، وأعادت الكرة مرة ثانية وثالثة ورابعة، وكانت في كل مرة تفرس واحداً من صبيان القرية، وقد طلب السكان مساعدة البوليس على إنقاذ قريرتهم من هذا العدو المنتقم.

وفيها أنشئ في عنيزة محطة لاسلكي، ومحطة أخرى في شقراء، ومحطة أخرى في الأفلاج، ورابعة في السليل.

وفيها ظهر إعلان من هتلر بأنه سيظهر استعمال الطاقة الذرية في طور بينات

الغاز، ثم قال: ويلوح أننا على وشك النهوض بالبحرية نهوضاً كاملاً سيكون أتم وأعظم مما قمنا به في نصف القرن الأخير، وهذا إنما هو في استخدام الطاقة الذرية في دفع السفن القوية التي تبلغ طول كل منها حوالي ألف قدم، وقد أصبح هذا يلوح لنا في الأفق أ.هـ. وهذا غريب.

وفيهما توفى الأمير البطل عبدالعزيز بن إبراهيم بن معمر أمير المدينة سابقاً رحمة الله عليه، وكان في حال إمارته على المدينة مهابةً مسدداً فلذلك كانت المدينة المنورة حال إمارته عليها في غاية ما يرام من تأديب الجناة وتأمين السبل وحسن القيام بالأعمال، ثم إنه نقل منها وجعل عضواً في مجلس الشورى بمكة المكرمة، فاستمر في عمله إلى أن مات.

وفيهما بعث ابن سعود رسالة ملكية إلى أميركا مقدمة إلى الرئيس ترومان رئيس الولايات المتحدة، وكانت عن طريق وزير الملك ابن سعود المفوض في واشنطن، وهي بشأن قضية فلسطين قال:

يا صاحب الفخامة إن الصداقة التي تربط بلادي ببلاد الولايات المتحدة والصداقة التي تأسست بيني وبين الرئيس روزفلت، والصداقة التي تجددت بيني وبين فخامتكم تجعلني شديد الحرص في المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها، والعمل على تقويتها بكل الوسائل الممكنة، ولذلك تجددوني فخامتكم،، الخ، وأكرر في كل مناسبة أشعر فيها بما يخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادي ومع سائر البلاد العربية، لكي أزيل ما يمكن أن يعرقل الصفاء، ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم عن حقيقة الموقف في فلسطين والحق الطبيعي للعرب فيها، وإن ذلك يرجع إلى آلاف السنين، وإن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية اعتدت في أول الأمر باسم الإنسانية، ثم أخذت تظهر عنوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان، مما ليس يخفى على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة، أضف إلى ذلك أطماعهم التي بيتوها ليس لفلسطين وحدها بل لسائر البلاد العربية المجاورة، ومنها أماكن في البلاد المقدسة.

لقد دهشت للإذاعات الأخيرة التي نسبت تصريحاً لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود في فلسطين وتأييد هجرتهم إليها بما يؤثر على الوضعية الحاضرة خلافاً للتعهدات السابقة، ولقد زاد في دهشتي أن التصريح الذي نسب أخيراً لفخامتكم يتناقض مع البيان الذي طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية في جدة، ثم إنه أطال ابن سعود بالموضوع وشجع اترومان لحل هذه المشكلة، وناشده بحق العدل الذي جاهدت الولايات المتحدة لأجله كل عدوان غاشم، ولقد أوفدت أمريكا وبريطانيا إلى ابن سعود لجنة لحل هذا الموضوع، وسنذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفيها وفاة الشيخ القاضي في الحجاز المرزوقي، وذلك في شهر صفر، وكان فيما ينسب عن فضيلته أنه قام بالقضاء زهاء نصف قرن فكان مثلاً في العدل والإنصاف، وامتاز بعلو كعبه في الفقه الإسلامي، وطول باعه في المسائل الققهية واشتغاله بهذه الشؤون، ووافق له جو صالح لنمو مواهبه، ويعد من خيرة العلماء الحجازيين، وأن موته خسارة وفراغ كبير، فرحمة الله على علماء الإسلام، ونشكو إلى الله ما نلاقه من موت العلماء واندثار الشمل، وقلة الرغبة في العلوم الدينية، أليس من الخسران إن نزع العلماء من القبائل وفشو الجهل وقلة الاعتناء بهذه البضاعة.

وفيها اغتيال ملك سيام وقد ألقى البوليس القبض على عدد من المدنيين السياميين للتحقيق معهم في تهمة الاغتيال.

وفيها وصل فجأة إلى مصر وحل في قصر عابدين مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، وكان وصوله في ٢٠/٤ من هذه السنة، فتشرف بالسلام على ملك مصر فاروق.

وفيها عين الرجل المثقف عبدالله البراهيم الفضل قنصلاً عاماً للمملكة العربية السعودية في مصر، وصدرت الموافقة الملوكية بتعيينه في رابع شعبان من هذه السنة. وحج بالناس ابن سعود ملك العرب العظيم، وكان عن طريق الجو، وحج

غالب البيوت السعودية بالطائرات، وكثرت الطائرات في هذه السنة وبلغ عدد الحجاج ربع مليون، وقد جرى تنظيم وتيسير وإدارة حسنة للحج، وأكثر الشعراء من المديح لصاحب الجلالة، ونورد هنا قصيدة ألقاها الشاعر عبدالحادي الطويل هذا نصها تحية لعاهل الجزيرة:

يرف كما رفت نجوم زواهر
فلم يبقَ في صقع من الأرض حائر
يضوي صبحُ مشرق الوجه سائر
على الأفق أنوار وولت دياجر
وسارت بأنحاء الحجاز البشائر
وفي كفه سيفٌ من الحق باتر
وأفواهم أعواده والمنابر
ولم تجتمع إلا لديه المآثر
ولا انعقدت إلا عليه الخناصر
وتغشاها بالحب العميق الخواطر
فتخشع من فرط الجلال النواظر
كما اهتز غصن في الحمائل ناظر
كما نفحت بالطيبات الأزاهر
وعادت به أعجاده والمفاخر
وقد عز فيه المسلمون الأواخر
ودرع الأماني والمنايا دوائر
فبعد العزيز الحصن ممن نحذر
وربأ لبها والنقع للنجم ثائر
وربته في ميدانها وهو كابر
وتزهى به الجرد المذاكي الضوامر

سنا مستمد من سنا الله باهر
أفاض الهدى في الخافقين رفيه
وضوء أرجاء الجزيرة مثلما
إذا ما طویل العمر لاح تألقت
وهلل نجديٌ وكبر منهم
ملكٌ له نصر اللواء على السها
قلوب بني الإسلام طراً سريرةً
ولم تقف العليا إلا ببابه
وما تجلت قط العروبة مثله
يحف به الإخلاص من كل جانبٍ
ويدو فتسري في النفوس مهابةً
ويهتز للمعروف والخير والندا
وبين شعوب الضاد ينفع ذكره
به نيطت الآمال في الشرق والمنى
يذكرني عصر الرشيد زمانه
حسام بني عدنان والأمر حارب
وإن جدٍ جدٌ أو أملت ملمةً
أخو الحرب إما كشرت عن نيوها
غدته صغيراً ناشئاً بلبانها
تتبه به البيض الصوارم في الوغى

ويأتي إليه النصر من عند ربه
أمولاي جاد الدهر وافترت المنى
لقد سنحت لي فرصة ذهبية
وقد ملكتي من جلالك روعة
أسائل نفسي أين أنت وعند من
أفي زمن المأمون أم أنا حالم
وما هذه الدنيا قد بلغتها
بلى نحن في صحو لدى خير عاهل
أياديه قد فاقت على كل مسلم
هو البحر إلا أن للبحر ساحلاً
سأثني عليه بالعشيات والضحى
بنفسي وأهلي من هداني جبينه
فطرت وفي صدري من الشوق علة
وأقبلت للبيت الحرام ملياً
حنانينك ربي إنني جئت تائباً
فجد لي بغفران كريم ورحمة
تباركت هادي العالمين للكعبة
بها طاف إبراهيم من قبل وابنه
عليهم سلام الله ما ذر شارق
أمولاي حياك الإله تحية
دعا باسمك الداعي إلى المجد والعلا
وأنت الذي أحيا تعاليم دينه
أقمت حدوداً طالما قد تعطلت
ودستورك الذكر الحكيم وإنه

فيرجع من ساح الوغى وهو ضافر
وجاءك يسعى من بني مصر شاعر
فها أنا للقصر المشيد أبادر
فهل أنت لي يا ذا الجلالة عاذر
نزلت ومن هذا الكريم الموازر
وفي أي قصرٍ يا ترى أنا حاضر
وتلك الأمانى الباسمات النواظر
بجانبه الطائي في الجود مادر
وآلؤه غرّ جسام غوامر
وما لعطايا ذلك البحر آخر
إذا ما أقلتني لمصر البواخر
إلى حيث قامت للإله الشعائر
يضيق بها القلب الجريء المغامر
وظفت به والقلب جذلان شاكراً
ومالي سواك اليوم للذنب غافر
تقر بها عيني ويهدأ خاطر
ثراها ثرياً بل حصاها جواهر
كما طاف من بعد النبي المهاجر
وغنى على أفنائه اللدن طائر
كما حيت الروض الغيوث البواكر
وسار على ضوء الهدى منك سائر
وقام بشرع الله فينا يماهر
وتعطيها ما فيه إلا الفواقر
لطبّ به تشفى النفوس الجواهر

فليت بلاد الشرق سارت بهديه
وما دهي الإسلام إلا بتركه
خطوب كبار في فلسطين والحمى
وما نبه الآمال بعد هجوعها
بها الأمم اللاتي امتلأن حماساً
وأنا لأبناء الغطارفة الأولى
همو ملكوا الدنيا وساسوا أمورها
رخاء وأمنٌ مستتب مؤطد
فمن شاطئ الأطلنطي للصين دولةٌ
أكاسرة الفرس أنضوا تحت حكمها
أمولاي جدد ما عفى من رسومها
أمولاي ما للشرق غيرك يرتجي
أمولاي إن الأمر جاوز حده
أمولاي حطم للأسود قيودها
دعى الله أن يرعاك حجاج بيته
وقالت بلاد الشرق أمين كلها
وعش حرماً للمكرمات يؤمه
ولا زال للبيت السعودي آله
وللملك الفاروق مناتحية

لينجاب ديجور وينهض عاثر
ولا غزيت أمصاره والخواضر
ولم تنجو منها تونس والجزائر
كجامعة فيها تجلى التظافر
وفيها من العرب الليوث الكواسر
نباهي بهم طول المدى ونفاخر
فلا الأمن مفقود ولا الحكم جائر
وعدل كما تهوى الرعية وافر
لها في ربوع الأرض تسري الأوامر
وألقت إليها بالزمم القياصر
فليس لها إلاك للغرب قاهر
إذا ما دعى داعيه أين التناصر
وطول احتمال الذل والأسر ضائر
وذد عن حياض الدين فالله ناصر
وزوار روض المصطفى والعشائر
قدم أنت والعرب الكرام الأكابر
عضات الندى والملهمون العباقر
فهم للعدالي والمعالي ذخائر
على البعد تزجيها إليه الخواطر

ثم دخلت سنة ١٣٦٦هـ

استهلّت هذه السنة وقد استمر صدور جريدة البلاد السعودية، ومجلة المنهل
وجريدة المدينة المنورة بعدما اختفت السنين المتقدمة.

هذا وقد كانت القضاة والأمراء في وظائفهم، فكان في رئاسة القضاء بالحجاز

فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، وعلى قضاء حائل الشيخ حمود بن حسين الشغدلي، وعلى قضاء بريدة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وعلى قضاء عنيزة الشيخ عبدالرحمن بن عودان، وعلى قضاء مدينة الرياض الشيخ بن سليمان، وعلى قضاء المجمعة الشيخ ابن السوداء، وعلى قضاء الدوادمي الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل، وعلى قضاء الإحساء الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العمري، وعلى قضاء الخرج الشيخ الزاهد عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعلى قضاء البكيرية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن سبيل، وعلى قضاء جيزان الشيخ عبدالله بن عودة السعوي، وعلى قضاء البرك الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد، وعلى قضاء الزلفي الشيخ سليمان بن عبيد، ثم نقل إلى قضاء الجمعة، وهكذا قضاة عسير، وكذا قضاة الهجر.

أما الأمراء فكان على الإحساء وما يليها الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي، وقد جعل مقر عمله في مقاطعة الظهران الشرقية، واختير لذلك لما له من الصرامة والقوة، وكان على إمارة جبل طيء ما يليه الأمير عبدالعزيز بن مساعد، وناهيك به، وكان على بريدة عاصمة القصيم الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان، وعلى عنيزة عبدالله بن خالد بن سليم، وعلى إمارة مكة ونيابتها الأمير فيصل بن عبدالعزيز نجل جلالة الملك، وعلى المدينة المنورة السديري، وهكذا.

وفيها أمر ابن سعود بتأسيس مطار في مدينة بريدة في القصيم، وبعث لهذا العمل ضابط الحرس الخاص محمد الذيب، فشرع العمال في تعبيد صحن المطار ومسحه، وجعل لذلك وكيل وعمال وعلى رأسهم أمير المقاطعة والضابط يرشدانهم ويبينان الخطة المرسومة، وكان ذلك في غرة ربيع الأول، ولما كان بعد شهر أعني في غرة ربيع الثاني شحنت السيارات النقلية بالأرزاق والأطعمة وقامت من الحجاز والرياض متماسكة إلى بريدة عاصمة القصيم، واستمرت في النقل من غرة الشهر إلى ١٥ منه حتى بلغ عدة ما ورد من الأرز والدقيق والسكر واللبن والشاي والهيل قريباً من ستين ألف كيس، ولا يعلم أحد حقيقة الأمر، غير

أن تلك الأرزاق وما يتبعها من المعدات الحربية التي قدمت بعد ذلك مع الجنود تنبيء بأمر مهم شخصت الأبصار لها وقامت العاصمة تستعد باحتفالاتها لقدم الملك، ولما أن كان في ١٢ من الشهر قدمت الدبابات والمصفحات ونصب على كتب الرمل الحمراء في الموضع المسمى الثغيرة ما يقرب من ألفي خيمة، وامتد بناء الخيام حتى بلغت مساحة الأرض التي نصبت فيها مع الخيام الأخرى التي نصبت بعد ذلك ما يزيد عن تسعمائة ألف متر مربع، ثم قدمت السيارات النقلية وسيارات الركوب بعد ذلك، ولما أن كان في صباح ١٧ ربيع الثاني خرج أهالي القصيم إلى المطار للاستقبال، ففي تمام الساعة الثانية عربية صباحاً أقلت الطائرات عاهل الجزيرة من الرياض وعدتها ثمان طائرات من بينها الطائرة الخاصة الملكية يصحبه أنجاله والحرس الخاص، ثم إنها هبطت في الثالثة تزيد خمس عشرة دقيقة، ولما هبطت الطائرات في القصيم كانت ساعة مشهودة استعد فيها أهالي القصيم باحتفالهم البديع فملئوا الصحاري، وجلس صاحب الجلالة في موضع الاستقبال حتى قرت العيون بالسلام عليه ورؤيته، ثم إنه سار إلى موضعه في المخيم المنصور.

ذكر الاستعراض وما جرى من استبسال أهل القصيم وشجاعتهم

إن أهل القصيم والحق يقال كانوا رجالاً أهل دين وسمت، وفيهم نخوة عربية دينية، فلذلك كان صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود يختصهم بالثقة والحشمة والشيمة، أضف إلى ذلك أن لهم سوابق في الشجاعة والتقدم، وطالما صفوا تحت راية ابن سعود وجاهدوا عدوه كما في وقعات مرت بنا بهذا التاريخ، فهم يتمسكون بشرفهم ويخدمون مليكهم، ويتعدون من الشقاق ولو أدى ذلك إلى اجتثاث أصلهم، فما أقواهم في الدين، وما أشجعهم في اللقاء، وكلا الخصلتين محمودتان عند الله وأطائب خلقه، فلقد قاموا بقيادة أمير بريدة باستعراض أمام جلالة الملك يهزجون بالأناشيد ويضربون الدفوف ليلة ١٨ ربيع الأول، ثم لما كان

من الصباح تآهبوا مستبسلين وكل شخص قد استعد بسيفه أو بندقيته، فكانوا صفين أمام قصر الحكم في بريدة، وبعدما استكمل عددهم مشوا من ذلك الموضع ووقفوا صفين في بطن الخبيب بطول أربع كيلو، فقامت الدفوف لها لجة عظيمة يسمع قرعها من مسافة بعيدة، وقامت فرقة السلاح الأبيض تتمايل خلف العلم السعودي، وقامت كعاب البنادق يسمع لها قعقة، واستمر الاستعراض ست ساعات من الزمن، ثم أطلقت البنادق في الفضاء، وهذا وصاحب الجلالة الملك المعظم يشاهد ذلك، ثم إنه كمل الاستعراض، ولما أن كان من الغد أعيد الاستعراض للمرة الثانية، وقامت فرق المتطوعين تعرض على صاحب الجلالة وقد استبسل أهالي القصيم وفدوا إمامهم الملك العظيم والقائد المحنك بما عز عليهم من الأنفس والأموال، وإنهم يسرون تحت رايته الخفاقة، ولو خاص بهم البحر الخضم، ولو أمامهم النار لوقعوا فيها.

أولئك رجال القصيم الذين فضلهم لا ينكر، يشهد لهم بالتقدم في المعارك والفتوحات الإسلامية التاريخ والوقعات التي دوخت كل مكاييد تقف أمام جلالة الملك ابن سعود، أو يريد الإسلام بسوء، ثم إنها أطلقت البنادق في الفضاء، وانتهى الاستعراض في الساعة السادسة نهاراً تزيد ثلاثين دقيقة.

وكان عدد الذين شهدوا الاستعراض واشتركوا فيه من أهل القصيم ستين ألف مقاتل من الرجال الشجعان.

ولقد أعجب الملك بهذه الشجاعة وسره ما أبداه الأهالي من الحمس والتقدم، فياله من استعراض يذيب القلوب ويشحذ الهمم، ويشير السواكن، ثم إنه نقل المطار إلى موضع العودة الذي لا يزيد مسافته عن البلد بكيولون.

وكان الموكب عظيماً طنبت فيه خيام ابن سعود، وصفت السيارات والمدروعات والمصفحات والمدافع والرشاشات والمكائن النارية، ومدت أسلاك الكهرباء المنيرة موزعاً على ذلك الموضع، ونظمت العساكر والجنود ونصبت القدور، وجلبت الأدباش.

وكان خيام النساء والجواري والوصائف على اتحاد في موضعها وما يتبع كل نجل من الخدم والأولاد والأثاث على اتحاد، وسيارات البترول واللاسلكي على اتحاد، وسيارات الركوب كذلك، وسيارات النقل كذلك، ويحف بالموضع من أقاصي أرجائه الجيش النظامي، وبالرغم من وجود صاحب الجلالة الملك المعظم فإن الفواكه قد بلغت غاية في الغلاء، حتى بلغت وزنة الطمطا أربعة عشر ريالاً، وانتهت قيمة الحطب إلى قدر عظيم في الغلاء حتى بيع الحطب الذي يقدر بحمل بعير بثلاثين ريالاً بعد أن كانت القيمة أربعة ريالات، ولولا ما اتخذته مديرية مالية بريدة من جلب الأسباب قبل ذلك في شحن السيارات والسعي في نيله لكان الأمر أعجب وكان يأتي إلى ذلك المخيم يوماً أربعمئة حمل من الحطب، وقد بلغت قيمة الحطب الذي استهلكه المخيم العظيم مائتي ألف وثلاثين ألف ريال في شهر واحد، وبما أن الفواكه ترد من مصر والشام وغيرها عن طريق الطائرات يوماً فإنها لا تزال في الغلاء، أما بقية الأسعار فإنها تحسنت قيمتها.

ثم إنه قسم الملك ابن سعود على أهل بريدة ألف كيس من البر والدقيق، ومائة ألف وخمسين ألف من النقود، وعلى بقية قرى القصيم مائة ألف من النقود، هذا الذي كان في الظاهر، وأما ما كان سراً فإنه لا يحصى، ولما كان في ٢٩/٤ سار على سبعين من السيارات لزيارة عنيزة يصحبه بعض أنجاله، فأقام فيها يوماً واحداً ورجع آخر النهار، وفي يوم الاثنين الموافق ٢ جمادى الأولى سافر إلى بلاد حائل على ظهر ثلاث طائرات، وقد سار أمامه بعض الثقليات والمصفحات إليها فقدمها وأقام فيها يومين، ثم إنه رجع مسروراً وقد خرج الأهالي من بريدة لاستقباله في المطار لما رجع إليها، ولما نزل من الطائرة الملكية وقف للناس وهم يزدحمون للسلام عليه ويتسّم عجباً من محبتهم له، ثم إنه أقام في بريدة إلى ١٧ جمادى الأولى الموافق ليوم الثلاثاء، ولقد سر سروراً بشجاعة أهل القصيم، وما يكونون في أنفسهم من النصيح له والمحبة، وزاد إعجابه بهم.

ذكر عودة جلالته إلى الرياض

لما كان في ١٧/٥ تحرك الموكب من بريدة للسفر إلى الرياض فقوضت الخيام، وجمعت السيارات، وتأهبت الجنود للسير، وقد كان في ليلة ١٦ من الشهر أن سار بعض النساء من البيت المالك على بعض الطائرات، ولما أن كان في يومها طار أربع طائرات تقل بقية الأميرات وخدمهن، ثم سارت النقلات في ذلك اليوم، وبات الموكب على أهبة الرحيل، وفي صباح اليوم ١٧ الموافق الثلاثاء طارت طائرتان بما بقي من الأسرة وخرجت الأمة تتقدمها الأعيان والرؤساء لوداع جلالته، فجلسوا أمامه على تلك الكراسي الجميلة في ذلك السرادق العظيم، وجعل يلقي على الأرض عليهم من كلامه ما هو أحلى من الشهد، بحيث سر ضمائرهم وأطلق ألسنتهم بالثناء والشكر له، ومن كلامه حفظه الله قوله:

إن الأمر في الحقيقة يرجع إلى النية والقلب، فإن كان قلبك ينكر المنكر ويكرهه ويقشعر عندما يسخط الله فذلك عنوان الخير، وإن كان قلبك يميل مع كل شيء فلست بشيء، إني قلت لرئيس من رؤساء الكفر نحن أيها المسلمون خير منكم فأجاب يستفهم عن ذلك، فقلت له: لو أننا سمعنا أحداً يسب نبينا قتلناه وإنكم تسمعون اليهود تشتم عيسى وتقذف مريم ولا تغارون لذلك، إني لما قدمت مصر أذنت وصليت بمن معي، فتعجبت أهل مصر من ذلك يقولون هذا الملك ابن سعود يؤذن، فقلت نعم إني أؤذن وأشهد أن لا إله إلا الله، وكانت عمتي غفر الله لها تقول: الله يا عبدالعزيز، إنك أذنت فقلت لها نعم والحمد لله، فأجابه أحد العلماء الحاضرين على الفور بقوله: هذه عمرية يا طويل العمر، ثم إنه أخذ يذم طريقة الكفر ونحل الكفار وما هم عليه من سفالة الأخلاق ورذالة الأمور، مستهجناً لهم وعذراً من سلوك طرائفهم، لأنهم كانوا على غير هدى، وحقاً فإنهم كانوا عن سبيل الله معرضين، وللشيطان متبعين، وعن الفضائح متجردين، وذكر الملوك ثم

ذكر أن الرئيس روزفلت قد كان حسن المعاملة معه، وقال: إنه وعدني مكائن وقوات، غير أن الله لم يتم ذلك بل هلك الرئيس قبل أن ينفذ إرادته. ثم تكلم عن الطائرات وصيانتها، وأن فيها توفيراً وراحة، وأنه يريد أن يجعل شركة فيها، وقال: لو شئنا لأتينا بمائة طائرة، وإنما نأتي بما تدعو الحاجة إليه.

ثم تكلم في أمر عبدالله بن علي القصيمي الذي سكن مصر وأظهر زيفه فيها بكتابة الأغلال، وكان قد قطع مرتبه الذي جعله له وتبرأ منه ومن عمله، فتكلم بعض العلماء بشأن هذا الرجل وأنه قليل العقل بحيث أنه يمتدح نفسه ويطربها، فأشار الملك بأن عقله صحيح غير أن دينه فاسد خبيث.

وبعد ذلك قام واقفاً وودع الحاضرين وهم يبكون لفراقه، وأعرب عما في ضميره وبما يكنه لهم من المحبة يقبلون يده وجبينه، ثم سار بعد ذلك بالسيارات إلى المطار وقد هيمى له أربع طائرات أقلته إلى الرياض.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها جعل على إمارة الرياض الأمير سلطان بن عبدالعزيز نجل جلالة الملك بدلاً عن النجل الثاني ناصر بن جلالة الملك.

وفيهما في شهر شعبان عزل أمير بريدة عبدالله بن فيصل وجعل مكانه الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد، فرحل الأول بأهله إلى الرياض، وقدم الأمير الشاب عبدالله بن عبدالعزيز، وكان قد قدم الأمير العظيم عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي في ٢٥ شعبان ليؤطد إمارة نجله في القصيم، فكان مبتدأ إمارة عبدالله في غرة شهر رمضان مباشرة وعمره إذ ذاك لا يتجاوز ١٨ سنة، ولما أن قدم بطائرة من الرياض مزوداً من قبل جلالة الملك بما يلزم من العلوم والآداب التي تعود مصلحتها على الجميع، فرح به الأهالي ورجوا خيراً لما يأملون به من الذكاء والحزم والنشاط والشهامة، وكان عند حسن ظنهم به، والشبل ولد الأسد، ومن أشبه أباه فما ظلم.

وفيها عزل ابن سعود قاضي البكيرية الشيخ عبدالعزيز بن سبيل وجعل مكانه الشيخ سليمان بن عبدالله المشعلي، وكان شيخاً رزيناً ومن خيرة تلامذة آل سليم، فباشروا عمله هناك.

وكذلك أيضاً نقل قاضي دخنة وهو الشيخ محمد بن صالح بن سليم. وفيها أيضاً نقل الشيخ سليمان بن عبيد من قضاء الزلفي إلى قضاء بلدة المجمعة، وذلك لطلب من الأهالي له.

ذكر ردة عبدالله بن علي القصيمي الصعيدي

نسأل الله العافية والسلامة

كان هذا الرجل من أهالي خب من خبوب القصيم، ثم إنه نشأ في مصر واكتسب من العلوم حتى كان ينافح عن دين الله، وله ردود على أهل الضلال الذين نابذوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وضادوها، حتى هتك أستارهم، وله فصاحة في الأقوال وقوة في الإنشاء، يعرف ذلك من كتبه، غير أنه كان معجباً بنفسه، فعن له بعد ذلك أن يتوسع في العقيدة ويأتي بأمور يظهر منها علامات النفاق والخبث، ولو ثبت على ما كان عليه في أول أمره في كتبه التي ألفها في نصرة الدين - كالفصل الحاسم، والبروق النجدية، والصراع بين الإسلام والوثنية - لكان خيراً له، وقد يستنشق من مؤلفاته الأخير رائحة النفاق، فلما كان في هذه السنة أظهر كتابه الأغلال الذي تعرى به من دين الإسلام، وخلع ريقته من عنقه، وسمى شرائع الإسلام أغلالاً غلت المسلمين عن التقدم وحسن طريقة الكفر، وزاغ عن الهدى، ورمى الإسلام بالقصور والتأخر، وشن عليهم الغارة، وفضل طريقة الكفر والشرك على طريقة المسلمين، فقام لذلك أهل التوحيد والدين وصاحوا به من أقطار الأرض وكفروه وضللوه وبدعوه وفسقوه، وأجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم وهتكوا ستره، وصاحوا بناديته.

فيا عجباً له أيظن أنه ليس في الحياض من يذود عنها، وإن همى الإسلام خال

من المدافعين والمرابطين كلا والله إن أسد العربين مفترشة برائتها لحق كل ثعلب سوء من المبطلين، فله الحمد على ذلك، ولكن ويا للأسف عن هذا الفارس بينما هو في صف المسلمين يدافع عنهم وإذا به يصول عليهم ويكون في نحورهم فإنها لخسارة ونقص فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها كثرت الحصبة في الأطفال ومات بسببها خلق كثير وجم غفير.

وفيها حدث في مصر وباء يدعى الكوليرا، وكان يصيب الأمعاء، ووافق ذلك في موسم الحج فمنع بقية الحاج المصري خشية انتشار الوباء، وحج بالناس ولي العهد إذ ذاك سعود بن عبدالعزيز، ولما أن كان في ١٣ ذي الحجة شرع في تركيب باب جديد للكعبة المشرفة، وتم عمل التركيب في ١٦ منه، وكان ذكراً خالداً لجلالة الملك عبدالعزيز وقد باشر وضعه سعود بن عبدالعزيز بالنيابة عن والده الملك، ذلك لأن بابها الأول بسبب تقادم عهده أخذ في التضعع والاختلال لأنه قد ركب عليها سنة ١٠٤٥هـ في يوم الخميس الموافق ٢٠ رمضان، وكان الذي ركبه السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان والي مصر، وقد عين لذلك الأمير رضوان بك المعماري، وأضاف إليه يوسف المعماري مهندس العمارة سابقاً، فوصلاً إلى مكة في موسم السنة التي قبلها، ثم لما كان في ١٧ ربيع الأول من سنة ١٠٤٥هـ وصل إلى الكعبة المشرفة وفتح آل الشبي بابها، فعلقوه وركبوا غيره عوضاً عنه باباً من خشب، لم يكن عليه شيء من الحلية، وإنما عليه ثوب قطني أبيض، وبعدما ركب الباب المذكور في اليوم المذكور من السنة المذكورة أرسل الباب القديم إلى السلطان مراد، وقد حصل احتفال لذلك، فلما تضعع هذا الباب وبلغ مسامع جلالة الملك أصدر أمره العالي بأن يصنع على حسابه الخاص باب جديد للكعبة المشرفة بدل القديم على أحسن ما يكون، فصنع هذا الباب الجديد فعلاً بصورة بديعة جداً لم يسبق لها مثيل في تاريخ الكعبة المشرفة.

وقد صنع هذا الباب بصفائح من خالص الفضة محلاة بكتابات آيات من القرآن بأحرف ونقوش من خالص الذهب، كما أن حلقتي الباب العظيمتين صنعتا

من خالص الذهب صنعة بديعة لم يسبق لها مثيل، وقد كسيت بتلك الصفائح الفضية والأحرف والنقوش الذهبية ألواح من طيب العود الذي هو أزكى أنواع الطيب، وأقيم لذلك احتفال رسمي عظيم حضره صاحب السمو الملكي ولي العهد إذ ذاك سعود، بل وضعه بيده تيمناً وحضره وزير الدفاع منصور بن جلالة الملك عبدالعزيز ووكيل نائب جلالة الملك على مكة عبدالله بن فيصل حفيد الملك، وحضره العلماء على رأسهم رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، وحضره الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف العام، وأمراء المقاطعات، وسدنة الكعبة، ووزير المالية، ووزير الخارجية، ومدير الأمن العام، ومدير الأوقاف، وموظفوا المسجد الحرام وخدمه وأعوانه، وكبار الموظفين والرؤساء وغيرهم، والحفل عظيم باهر، وقد خطب ولي العهد سعود خطبة حينما قدم لتركيبه في ذلك المساء، وبعدما فرغ القارئ من تلاوة آيات من القرآن الحكيم، وخطب الخطباء البلغاء خطباً جميلة في مآثر صاحب الجلالة ومناقبه ومقاماته في الإسلام التي قامها جزاء الله الجنة، تقدم بالنيابة عنه نجله سعود فركب حلقة باب الكعبة الذهبية في الباب بعد أن رفع عنه الستار، وفتح باب الكعبة بيده.

هذا والمدعوون والحاضرون يهللون ويكبرون قد احتشدوا أمام الكعبة، فدخل سعود الكعبة المشرفة خلفه الجماهير من الكبراء، ومكث في جوف الكعبة مدة يدعو الله بدعوات مباركات خص بالكثير منها المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ونحن نسوق خطبة ولي العهد بنصها قال:

شعبي العزيز ووفود بيت الله الحرام: أحبيكم بتحية الإسلام والحمد لله الذي شرفنا بخدمة بيته، وشرفني بوضع هذا الباب لهذا البيت العتيق، فهذا فضل من الله من به علينا، وتلك مآثرة من مآثر جلالة الملك والدي العظيم حفظه الله وأبقاه، وإنني أسأل الله في هذا الموقف العظيم أن يجعل عملنا كله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبل منا ومنكم، وأن يرفع الكرب عن شقيقتنا

مصر وعن سائر بلاد المسلمين، وأن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكانت جميع الخطب تذاع بمكبر الصوت «المكرفون» في ساعة كانت السماء تمطر رذاذاً، وذلك من حينما دخل ولي العهد سعود في المسجد الحرام إلى أن رجع إلى قصره العام، فسر الحاضرون بذلك رجاء أن يكون الله قد اطلع عليهم.

وقد قال الشاعر الفصيح شاعر جلالة الملك أحمد بن إبراهيم الغزاوي هذه الأبيات بمناسبة هذا الباب للكعبة، وبعثها برقية لجلالة الملك عبدالعزيز في الرياض:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| عبدالعزیز حباک الله ماثرة | تجديدک الباب بعد الرکن تنشيه |
| شدا بحبک بیت الله وانطلقت | وفوده لك بالإخلاص تزجيہ |
| سبکتہ يهر الأبصار رونقه | برهان صدق بفضل الله تسديه |
| وناب عنک السعود اليوم يرفعه | مع الخشوع وأدى فرضه فيه |
| وحولہ حنفاء الأرض قاطبة | قد أكبروا لك ما تبني وتعليه |
| وقد دعوا لك بالتوفيق وابتهلوا | ورتلوا الشکر حقاً في مثانيه |
| قد خصک الله بالبر الذي احتجزت | عنه الملوك وفيك الله يفضيه |
| فاسمع لتاريخه قد جاء منسجماً | أسعد بها قربة نادت بمهديه |

وقد أكثر الخطباء والشعراء من الخطب والقصائد في ذكر مآثر الملك ابن السعود وولي عهده المعظم وآل بيته نظماً ونثراً، وحصل الشعراء على قدر عظيم من ذلك بحيث أنه ما قد قيل في ملك من ملوك الدنيا من أولها إلى وقتنا هذا ما قيل في مديح الملك عبدالعزيز، ولو ذكرنا البعض لضاق الموسع.

ذكر فرقة الإطفاء واستعراضها

لما كانت الحرائق وقودها الأموال والأنفس البشرية فإن جلالة الملك

عبدالعزيز طلب شيئاً من المخترعات الحديثة ضد الحرائق، فتنفيذاً لرغبات جلالتة الذي ما زال حريصاً على سلامة شعبه ووقايته من كل سوء ومكروه، استقدم وزير المالية عبدالله بن سليمان من أميركا قطعاً متعددة من سيارات الإطفاء الحديثة بكامل أدواتها الحديثة لتستخدمها الأمة في سرعة إخماد الحرائق والإنقاذ منها.

وهذه القطع هي من أحدث ما اخترعته أمريكا، ولا توجد حتى ذلك الوقت في الشرق الأوسط كله، لأنها لعزتها لم تسمح بها أمريكا لغير حكومتنا، ولهذا قام لها استعراض لما قدمت في هذه السنة في ذي الحجة إلى مكة المشرفة، فاخترقت شارع مكة العام من جرول إلى المعابدة مارة بجميع المحلات بشكلها البديع ونظامها الدقيق المتقن فكان لها أحسن وقع في نفوس الجماهير المحتشدة على جانبي الطريق من الأهالي والحجاج، ودهشوا لهذا المنظر الرائع الذي لم يشهدوا مثله، فكانوا يصفقون لهذا المنظر.

الاستعراض العسكري

لما كان في ١٥/١٢ أقبلت كتائب الجيش العربي السعودي وقوات الشرطة، فقوات أهل الجهاد، وكان ذلك في الساعة الرابعة من يوم الأربعاء المذكور يتقدمها وزير الدفاع صاحب السمو الملكي منصور بن عبدالعزيز طيب الله ثراه وأحسن في اللجنة منقلبه ومثواه.

وكان ترتيبها في الاستعراض بهذه الصفة، المشاة فالمدرعات فالمصفحات فالمدفعية فالرشاشات فسيارات الإطفاء، وقد كان النظارة يصفقون ويهتفون حماساً وإعجاباً برجال الجيش العربي السعودي، وقد اطلع سعود المعظم من شرفة القصر، ثم تقدمت أفواج الشرطة فالخيلة، وكانت تتكون من المشاة فالخيلة فسيارات الجيب تحمل رجال التفتيش والمرور، وبعد انتهاء العرض العسكري بدأت العرضة العربية يتقدمها أصحاب السمو الملكي أحفاد جلالة الملك: عبدالله الفيصل، وفيصل بن تركي، والأمير مساعد بن سعود، والأمير محمد بن سعود، والأمير عبدالله بن سعود، وكانت أهازيجهم

الحماسية تشق عنان الفضاء، ورقصاتهم الحربية تدهش المشاهدين وتثير شعور العزة والعظمة في النفوس، وكان في طليعة المشرفين صاحباً السمو الملكي وزير الدفاع منصور بن عبدالعزيز، وعبدالله الفيصل، وانطلقت الصيحات من الحناجر تحالط أزيز طلقات البنادق وهتافات الجماهير وتصفيقهم، وقد ازداد الحماس عندما وصلت الراية المظفرة أمام صاحب السمو الملكي سعود المعظم، وقد أذيعت الحفلة الرائعة بتمامها بواسطة مكبرات الصوت.

وقد كان العرض مسوقاً حمل الشباب على التفكير في طلب الانخراط في سلك العسكرية، وقد قيل في هذه المناسبة خطب وقصائد نورد منها قصيدة الشاعر حسان جلالة الملك أحمد بن إبراهيم الغزاوي، وكان له قصائد جمّة تدل على فضله وأدبه، والمذكور عضو في مجلس الشورى، وهذه القصيدة ألّفها في الحفلة الكبرى بمنى بين يدي ولي العهد المعظم سعود بن الملك عبدالعزيز:

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| العيد أنت وفيك العيد يأتلف | والوفد يهتف والنعماء تكتنف |
| والخيف تبدو به في كل مطلع | مواكب لك بالتبريك تختلف |
| بفيضها الحب والإخلاص لا ملق | فيه ولا رهبةً تخشى ولا جنف |
| من كل أبلج وضاح خلائقه | كهالة البدر لم يعلق به كلف |
| كانهم وضحى الإسلام يغمرهم | على جوانبك الأملاك إذ وقفوا |
| قلوبهم بجلال الله خافقة | وما لهم غير ما يرضى به هدف |
| تجمعوا من أقاصي الأرض واقتحموا | عرض البحار و متن الجو واعتسفوا |
| وأخلصوا في سبيل الله والتمسوا | منه النجاة وعاذوا فيه وانصرفوا |
| يا حبذا الحج من أفياء وارفة | ومن مناسك فيها العز والشرف |
| وحبذا الأمن مضروباً سرادقه | به استقر الهدى واستعصم السلف |
| وحبذا موكبٌ يحدوا السعود به | ويستضيء به التاريخ والصحف |

* * *

يا ابن المفدى لعمر الله ما انطلقوا
 بذلت من أجلهم ما ليس يجحده
 وذدت عنهم ذئاباً طالما افترست
 ولم تزل في الدجى ترعى مضاجعهم
 إليك إلا وهم في شخصك الدنف
 إلا الذي هو سوء الكيل والحشف
 أحشائهم واحتوتهم أيما ثقفوا
 وفي بطون الصحاري حين تتقف

وهبت منك قلباً رق وازدحمت
 بكل محبة فيها لهم سكن
 من خشية الله في أعماقه الغرف
 وكل مرقبة منه لهم ترف

سلوا المشاعر كم من محرم هتكت
 وكم منيب شهيد قد قضى ظمأ
 وحوله الماء إلا أنه اللعف
 دماً حراماً له الأركان ترتجف
 أستاره وملب بات يختطب
 وحوله الماء إلا أنه اللعف
 دماً حراماً له الأركان ترتجف

همو الوحوش وهل للوحش من سبب
 قامت عليهم حدود الله فانقرضوا
 وأصبحت رجبات الوحي طاهرة
 إلا البرائن في أشداقها الجيف
 وما همو غير ما يطوي به الصلف
 من الجناة وما اغتالوا وما اقترفوا

فلا غرابة والأمثال يضربها
 بذلت فيها من الأموال أكرمها
 والخير عندك أغلى ما ظفرت به
 بك الثقة ومن بالفضل يعترف
 من دون من وأغرت غيرك الطرف
 والبر بالناس فيه يحسن السرف

مواهب الله في كفيك هامية
 وأنت في المجد دنيا نستظل بها
 ومن حياض أبيك الشعب يغترف
 وبين برديك دين الله يعتكف

هذا لوائك تمشي تحته فرق
فيه الصوارم كالغابات مطبقة
بخاضوا وراءك نيران الوغى زمراً
يستعذبون مناياهم كأنهموا
من الأسود تراءى وهي تزدلف
على الذي بضمير السوء ينخسف
ومزقوا الظلم أشلاء وما ضعفوا
لا يخرجون من الدنيا إذا تلفوا

يا عصابة الخير في الإسلام قاطبة
مرحى لكم يوم عيد النحر نشهده
وقد لجأنا إلى الرحمن نسأله
أن يحفظ النيل في مهوى كنانته
وأن يبدلهم منه برحمته
هذا الدعاء لهم من كل ذي شفة
ويا ضيوفاً لهم أحشاؤنا كنف
كأنه رفرف للخلد أو طنّف
تضرعاً ودموع العين تنذر
من الوباء ومما فيه قد رسفوا
خيراً ويكلاهمو طراً بما هتفوا
ورحمة الله عمت كل من وقفوا

فاهن بحجك يا مولاي مغتبطاً
وليحي عاهلنا المحبوب ما خفقت
وانعم فما أنت إلى الغال متسقا
وللمكاشح منك السيف والأسف
راياته الخضِر أو كرت بنا الزلف
والنصر مؤتلقاً والعدل ينتصف

وقال الشاعر حسين عرب في قصيدة له تتعلق في مشكلات الأمة:

يا فالق الصبح المنير وخالق الكون الكبير
ومجمع الأشتات من أقصى العوالم في شفير
رحماك بالدنيا يروعها بلاء مستطير
لييك قد عبث فيها ولم يرع الضمير

في مصر مغتصب ييث الشر فيها والبلاء
في القدس محتقب من الصهيون يصليها الفناء
في الهند أو في المغرب الأقصى بحور من دماء

ليبك واحفظ دينك السامي واخز الأشقياء

سبحانك اللهم يا حامي البيت الأمين
يا مسبل الرحمات تغسل من خطايا المذنبين
إياك نعبد مخلصين ولا بغيرك نستعين
ليبك سبحنا بجمدك فاهدنا نهج اليقين

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها وفاة الشيخ عثمان بن مضيان، وهذه ترجمته:

هو العاقل البصير العالم المقبل على ربه، المعرض عن سواه، رجل الخير والدين والصلاح، الموسوم في وسم أهل الحق والنجاح عثمان بن حمد آل مضيان، وله ذوق في العلوم الدينية، وبصيرة نافذة في تمييز الطيب من الخبيث، سكيناً عاقلاً متقشفاً، ضعيف البنية، وقد تعلم وتخرج على الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وابن عمه محمد بن عمر بن سليم، وكان إماماً في القرية الواقعة شرقي بريدة المعروفة بوهطان، ولبت على تلك الصفة دهرأ طويلاً، ثم إنه سكن بريدة وبضاعته العلم.

وقد كان في نشأته كابد محناً من ولاية آل رشيد وأمرائهم، لأنه كان موالياً لأهل الدين والعدل، فصبر وما استكان، ثم إن الحكومة جعلته قاضياً في أبي عريش سنة ١٣٥٣هـ، فاستمر في قضاء تلك الجهة بسياسة وتسديد مبيضاً وجه صحيفته، وموضع التقدير هناك، ثم إنه طلب من الحكومة إعفاءه من قضاء تلك الجهة بصفة جوها لم يلائم صحته، فعاد إلى وطنه القصيم سنة ١٣٥٨هـ واستقر في الموضع المسمى السباخ مؤثراً للراحة، ثم إنه حج سنة ١٣٥٩هـ، وبعد الحج جعل في وظيفة القضاء في موضع يدعى محائل في عسير، فاستمر في القضاء حتى مات في حال غربته.

ومما جرى في حال قضاءه في أبي عريش أن بعض الأئمة الذين كانوا في معيته في أبي عريش أنكر على بعض الجامع التي تكون في أوقات الزواج هناك من اختلاط الرجال والنساء، وأزال المنكر بيده، فوافق أن ضرب امرأة بالعصا فقام أقرباؤها وبعثوا بشكاية إلى الحكومة بشأن ذلك الرجل، فبعثت الحكومة هيئة للنظر في هذه المشكلة، وقد أعظم الخصماء الأمر بأن المرأة ألقت جنينها الذي في بطنها، وبعدها وضعت الهيئة سؤالاً وجواباً وقدمته للمحاكمة أمام القاضي عثمان المذكور أخذ المعاملة فضيلته ومزقها وأجاب الهيئة بأنه إذا كانت الحكومة قد ارتضيت هذا الإمام ووثقت به يسد هذا المقام، فما فائدة الاعتراض عليه، فالحل النزاع وقنعت الهيئة.

وقد أخذ المترجم عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ الزاهد عبدالله بن محمد بن فدا ولازمه، وكنت أظن أنه تولى وظيفة في بلد نفي، وذلك في الفترة التي بين ٣٧ و ٤٥ من الهجرة النبوية.

أما ولادته فإنها حوالي سنة ١٢٩١هـ فيكون له من العمر خمس وسبعون سنة رحمه الله وعفا عنه، ويعد من خيرة أهل زمانه، ورعاً وزهداً وعفةً ودينياً وعلماً، وكان له أخلاق وحسن معاشرة، وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب، ولا يمل جلسيه مجادلتة، أضف إلى ذلك تواضعاً ولين عريكة، فالله المستعان.

ومن توفي فيها الشاب الناسك رشيد بن عبدالله الحميضي، كان شاباً نشأ في طاعة الله وقلبه معلق بالمساجد، وما زال يدأب في طلب العلم، وله إكباب على المطالعة في الكتب الدينية ويعتكف العشر الأواخر من رمضان، وله صلاح وعبادة وحظ من قيام الليل وصيام النهار وزهد وزكاة وعفة، وقد سلم المسلمون من شره، وقد قال ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وقد مات ولم يتزوج، وكان عمره إذ ذاك إحدى وثلاثون سنة، نسأل الله تعالى أن يزوجه الحور الحسان وأن يجعله من جيرانه في أعالي الجنان، وقد كان فقيراً محتسباً متعففاً صابراً خاشعاً.

وفيهما توفي الأمير شكيب أرسلان المؤرخ صاحب التعليق والحفاوة بتاريخ
حاضر العالم الإسلامي، قالت إحدى الألسن:

شاء الله ولا راد لمشيئته أن يخبو نور طالما شع في ميادين الأدب والعلم
والتاريخ، فأضاء سبل السالكين، وإن يخفت صوت دوى في منابر الدفاع عن
العروبة فأصاخ له العالمان الشرقي والغربي، وأن يكبو سيف طالما نزل
كالصاعقة في الذود عن حمى الأمة العربية الإسلامية، وذلك بانتقال صاحب
العطوفة أمير البيان شكيب أرسلان إلى الدار الآخرة بعد جهاد ٨٠ عاماً قضى
الكثير منها في الكتابة والتأليف والذود عن حمى العروبة، وخدمة قضيتها، فرحمة
الله على أموات المسلمين.

وفيهما أي سنة ١٣٦٦هـ وفاة الشيخ الفاضل عبدالرحمن بن عبداللطيف رحمة
الله تعالى عليه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالرحمن بن عبداللطيف عبدالرحمن بن
عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد في مدينة
الرياض ١٢٨٨هـ، وتربى في بيت والده الشيخ عبداللطيف، وبعد وفاة والده تولاه
أخوه عبدالعزيز بن عبداللطيف، وفي أول سن التميز أدخله مدرسة تحفيظ القرآن
المعروفة باسم مدرسة ابن مفيريج، ودرس القرآن الكريم وحفظه عن ظهر قلب،
ودرس مبادئ العلوم الدينية على أخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، ثم إنه أخذ
في الدراسة على أخيه الشيخ عبدالله في الكتب المطولة كأعلام الموقعين عن رب
العالمين، وإغاثة اللهفان، وأقسام القرآن لابن القيم رحمه الله، ودرس عليه في
الأصل، والفقه وأمر الكتب، ودرس في عمدة الفقه، وتفقه ودرس في الفقه على
الشيخ محمد بن محمود، والشيخ عبدالله الخرجي، والشيخ حمد بن فارس، أخذ عن
الأخير علم النحو والفقه، وجدّ واجتهد ثم إنه عين قاضياً في الهجرة المعروفة في
السراة، وهي بلدة ساجر عند الروقة، ولبث فيها أربع سنوات قاضياً ومدرساً
وخطيباً، ويشهد معهم عدة غزوات بأمر من ولي الأمر، بحيث لا يمكن أن يغيروا

على أحد حتى يتحققوا خروجه عن طاعة ولي الأمر فيما يجب عليهم، كمنع زكاة أو نقض عهد، أو اعتداء بغير حق.

ثم إنه وفد على الإمام في الرياض وصادف ذلك مرض أخيه الشيخ عبدالله سنة ١٣٣٩هـ، فتولى الخطابة عنه، ثم إنه توفي الشيخ عبدالله رحمه الله تعالى، وصدر الأمر بأن يكون خلفاً للشيخ عبدالله في التدريس في بيت الشيخ والخطابة في الجامع مستمر مدة نصف سنة، فآلح أهل ساجر على الملك عبدالعزيز بإعادته إليهم، فأعادهم إليهم واستمر بعد عودته إليهم ثلاث سنوات، وطلب الإقالة من القضاء عندهم، ثم إنه رجع إلى الرياض عام ١٣٤٢هـ، وعين في آخر السنة المذكورة في عروى لدى سلطان بن حميد.

ولما زحف ابن سعود إلى مكة المكرمة ليثبت جيشه الزاحف إليها، كان الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف من جملة رفاقه، ثم إنه أقام بعد ذلك في عروى خمس سنوات قاضياً ومدرساً وخطيباً، حتى جرت واقعة السبلة بحيث لم يشهد أهل عروء واقعة السبلة من أجل أنه قام القيام اللائق به من بيان حقوق ولي أمر المسلمين، فكفهم عن الخروج وكانوا على بصيرة في أمر دينهم، وبعد وفاة سلطان بن حميد بن محمد بن هندي كان الأمير بعده جهجاه بن بجاد أخو سلطان بن بجاد أمير الغطف، فاقتضت الأمور أن طلب الإقالة من عروى، وكانت السنون الماضية حافلة بأعماله ونصحه لإمام المسلمين وللمسلمين، والجهاد في سبيل الله، وقد شهد عدة مشاهد منها حصار حائل، ومنها حصار جدة، ومنها فتح البلد المعروف بالحجاز باسم بالجرشي، وسبق أن شهد واقعة البكيرية المشهورة، وشهد عدة غزوات.

وأصيب بجراح، وبعد إعفائه من عروى عين قاضياً في الخرج وجميع قرأه، ومقره في الدلم، وذلك عام ١٣٥٠هـ، وتخلل بين إعفائه من عروى وتولية قضاء الخرج فترة استقر فيها في الرياض، وعين إماماً لمسجد الحلة المعروف في الرياض، ومدرساً، ثم إنه استمر في قضاء الدلم حتى عام ١٣٥٧هـ فطلب الإقالة واستقر في الرياض مدرساً في مسجد الوسيط، وخطيباً للجامع الكبير، حتى توفاه الله تعالى عن عمر يناهز الثامنة والسبعين.

وكان رحمه الله كريماً عفيفاً شجاعاً سخياً، يرق للفقير ولا يصل أحداً منه أذى، وكل من عرفه يثني عليه ويدعو له ويذكره بخير، فאלله المستعان.

وفيها صدرت الإرادة الملكية الكريمة بتعيين الأمير لاي علي بك جميل مديراً للأمن العام خلفاً للسابق مهدي بك الذي يدعونه بالمصلح، وكان مهدي قد عهد إليه صاحب الجلالة بإدارة الأمن العام، فسهر على صيانتة حتى صار مضرب الأمثال وملاً رعبه قلوب المجرمين في المدن والبادي، وحتى لم تكذ تراود المجرمين نفوسهم بالإقدام على أي أمر يخالف الشرع أو يسيء الدولة، ولقد قام بوظيفته تلك بخير قيام، ولما أن كان في ذلك الوقت انخرفت صحته وطلب من صاحب الجلالة الاعتزال عن العمل حسب إرشادات الأطباء، فأمر جلالة الملك باستمرار رواتبه ومخصصاته كما هي، ولقب بوزير دولة إنعاماً عليه بهذه الرتبة، وتقديراً لأعماله السابقة، وخلفه في هذه السنة علي بك جميل.

وفي هذه الآونة عين جلالة الملك عبدالرؤوف الصبان مديراً للأوقاف العامة، وأميناً للعاصمة بدلاً عن الأمين السابق عباس قطان.

ذكر الإصلاحات التي عملتها الحكومة السعودية في تلك الآونة

فمنها تجديد باب الكعبة لما تضعضع، ومنها جعل مضلات للمسجد الحرام تقي عن حر الشمس، ومنها جعل سقف للمسعى جاء على أحسن الطرق الفنية، بحيث أنه يقي عن الشمس ولا يستر ضياء النهار، فما وضع على شكل قط أحسن منه، وقد أنفق لذلك قدر عظيم من النفقة.

ومنها ترصيف درجات باب السلام بدرج حسن مذل، ومنها ما قامت به من سحب الماء لمدينة جدة، وكل ذلك يعد من حسنات الملك.

وفيها أسست الإذاعة السعودية وركب المكرفون، وكل هذه الأشياء وقعت في هذه السنة.

وفيها عقدت اتفاقية خط الأنابيب عبر البلاد العربية بين الوزير عبدالله بن

سليمان بن حمدان من جهة الحكومة السعودية وبين المستر وليم ج لنهان المندوب في الشرق الأوسط لشركة خط الأنابيب عبر البلاد العربية السعودية في ولاية ديلاوير في الولايات المتحدة الأمريكية، والكائن مكتبها الرئيسي بشارع وست تنت ١٠٠ بمدينة ولنجتون، وقعت في تسع وعشرين مادة، وكانت في جدة، والاتفاقية برمتها نشرتها جريدة أم القرى رسمياً رقم ٦٩/٤٥٨٩ بتاريخ ١٣٦٦/٨/٢٢هـ الموافق ١١ من يوليو ١٩٤٧م.

وفي هذه السنة عرضت مشكلة فلسطين على هيئة الأمم، وذلك في جمادى الآخرة ورجب، وتألقت لجنة محايدة لحلها فأوحت بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام: دولة عربية وأخرى يهودية تمنحان الاستقلال بعد وصاية مدتها عامان، والثالثة منطقة دولية تشمل القدس والأماكن الدينية المقدسة، وفاز قرار التقسيم هذا بأغلبية الأصوات في هيئة الأمم وذلك بتأييد ٣٣ دولة، ومعارضة ١٣ دولة، وامتناع الباقين عن التصويت، وبذلك تقرر الموافقة على التقسيم بأغلبية ثلثي الأعضاء.

وقد جرى على مسلمي أهل الهند أشد العذاب وأندح الظلم، ودار عليهم دور خطير في تاريخهم وحياتهم، وقتل منهم عشرات الألوف ومئات الألوف، فمنهم أصبحوا لا مأوى لهم، وهم يهاجرون إلى باكستان، وقد استولى الأعداء على أموالهم وأراضيهم، ولم يتركوا وسيلة لأذيتهم والبطش بهم والفتك بهم إلا أتوا بها، فلهذا قاموا يصرخون في المجامع العظام لا سيما في الحرم الشريف أمام بيت الله بمناسبة اجتماع المسلمين فيه وقت الموسم، وبالأخص حجاج بيت الله الحرام، وقاموا يعرضون ما يقاسونه على المسلمين مستمدين منهم الدعاء والنصرة على أعدائهم، مشكلات ومصائب أمامها عقبات صعبة لا يعيدها ويحلها إلا القوة، ولكن أين القوة، أين المكافئة، أين المعاضدة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونسأله تعالى المعونة والنصرة على كل مكائد.

ثم دخلت سنة ١٣٦٧هـ

استهلت هذه السنة والعمال يكدحون في عملهم العظيم الذي كانوا يديرونه

في بذل الجهود لسحب الماء من عيون وادي فاطمة إلى جدة، وذلك أن صاحب الجلالة السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لما رأى ما يكابده أهل جدة ووفود بيت الله الحرام من قلة الماء العذب الذي لا يتحصل إلا من الكنداسة، وهي الآلة الفنية الحديثة فيما يستقطر من قصبها المصفية للماء العذب من مياه البحر المالحة، أو ما يستنقع ويجمع من مياه الأمطار في الصهاريج، فكانت جدة محرومة من ماء معين يشرب منه سكانها، فعاشت هذه المدينة تلك السنوات كلها تقاسي آلام الحرمان من مادة الحياة التي لا حياة للناس بأمر الله إلا بها، ولا استقرار لهم إلا بتوفيرها ووجودها، فقد صدرت أوامر صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بأن يشتري المقادير الكافية لشرب مدينة جدة من عيون وادي فاطمة، وأن يسحب هذا الماء منه على بعد خمسة وستين كيلو متر من تلك المسافة إلى داخل جدة ليستقي منه سكان البلاد والحجاج والزوار كل ذلك على حسابه وعلى نفقته الخاصة.

وإن هذا لشيء عجاب ومزية خصه الله بها، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، فسبحان من منحه هذا التوفيق، وقد تولى ذلك الأمر الوزير المسدد عبدالله بن سليمان تنفيذاً لرغبة صاحب الجلالة بما لديه من نشاط وهمة بكل ما تدعو إليه من جهود.

ولما كان في يوم الثلاثاء خامس محرم من هذه السنة وصل الماء إلى مدينة جدة وقد احتفل به الأهالي والمجاورون، وحصل لهم فرحة كبرى لنجاح هذا المشروع الخيري تحت رعاية صاحب السمو الملكي ولي العهد سعود، وقام أهل جدة يهتزون طرباً في محفل عظيم حضر فيه الأعيان وتبارى الشعراء والخطباء بما يضيق عنه الموسع، وسجلوها وثيقة تاريخية ودعوا لصاحب الجلالة أن يطيل الله عمره وأن يجزل له الثواب الأوفى والجزاء الحسن، وأن يتولى مكافئته عن المسلمين بالجنة أمين الله أمين.

وكان المحفل والمهرجان العظيم له ضجة في الشوارع والأزقة والممرات في جدة وشقوا جيوبهم يدعون من صميم الأفئدة بالأدعية المتوالية لجلالة الملك ولولي

عهده والأسرة السعودية المالكة، وأنهم لا يستطيعون مقابلة هذه المنة العظيمة من جلالته إلا بالدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يتولى مكافأته، ثم إنه رفع كبراء الحجاز برقية لجلالة الملك المعظم في الرياض يشكرون له هذا الصنيع ويدعون له، وقد وقع عليها من الأعيان والضباط والوزراء والقواد والكبراء ما يزيد عددهم عن مائتين، وكان بعض منابع تلك المياه المسحوبة ما يبعد عن جدة ثمانين كيلو، وبلغ الماء غاية في الرخص بحيث كانت الزفة بقرشين دارجين، وقد بلغ مجموع المصاريف لهذا المشروع ستة ملايين ريال عربي، وبهذا يكثر عمران جدة وتقبل الأمة إلى سكنائها.

ذكر مشكلة فلسطين

هذه المشكلة أعجزت الجامعة العربية، وإن الذي زادها ارتباكاً هو أن فلسطين جزء من المملكة العثمانية، وعندما انتزع الإنكليز في ١٣٣٦هـ الشام من الأتراك كانوا قد سبق أن وعدوا العرب بتكوين دولة عربية تضم الأجزاء العربية الخاضعة لتركيا، وفي الوقت ذاته وعد بلفور وزير خارجية إنكلترا اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، فكان هذا الوعد أساساً لمشكلة فلسطين القائمة إلى اليوم، فبعد انتداب بريطانيا لإدارة فلسطين عمل الإنكليز على تهويدها، وسلوكوا لذلك طريقتين: تشجيع هجرة اليهود من جميع أنحاء العالم إليها، وتشجيع انتقال الأراضي من يد العرب أصحابها الأصليين إلى أيدي اليهود، فانفجرت عرب فلسطين في ثورة قوية ضد الإنكليز والصهيونية من ١٣٣٨هـ، وجعلوا أهدافهم ثلاثة أمور هي: أولاً إلغاء وعد بلفور، وثانياً رفض الانتداب البريطاني، وثالثاً استقلال فلسطين، ثم إنها ظلت الثورات تتابع، وأخطرها الثورة التي استمرت ثلاث سنوات قبل الحرب العالمية الثانية.

وقد أشرنا إلى أن بريطانيا سكنت الثورة هذه ومنت العرب، وخدرت أغصابهم، ولما سكنت الحرب هذه أصبح للعرب شأن مرتفع واستقل كثير من

دولهم، غير أنهم غلبوا على أمرهم في فلسطين، وما زال صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز يدأب في نصرة أهالي فلسطين، تارةً يخاطب رئيس الولايات المتحدة روزفلت، ورئيس الوزارة البريطانية تشرشل، وتارةً يبعث الرسائل إلى أمريكا وبريطانيا يناشدهم بحقوق العرب ويكرر ذكر أعمال اليهود المعتدين بالقوة والجبروت والطغيان، وآخر ذلك بعث الدولتان إليه وفداً لجنته مؤلفة من الرئيس السير جون سنجلتون، وعضوين هما أين ميجر مانتجهم بولور والمستر باكستون، ولما وصلت اللجنة إلى الرياض وحصلت المقابلة، قدم الملك عبدالعزيز إليها مذكرة أعربت عن قضية فلسطين الحاضر، وكيف أبدى لرؤساء أمريكا وبريطانيا ضرورة حلها، ثم باح بما لديه من الاستنكار لهجرة اليهود إلى فلسطين.

فيا للعدالة النكراء، إن الأراضي الواسعة الخالية في الكرة الأرضية مثل استراليا، ونيوزلندا، والأمريكيتين وغيرها من المستعمرات والممتلكات التي يمكنها أن تؤوي وتسع أضعاف أضعاف مقدار يهود العالم، ولكن لكون مالكي هذه الأراضي أقوى ويسندهم حق القوة لا يكلفون بأيوائهم ولا يلامون إذا كلفوا على رفضهم لمثل هذا الطلب الأماني الذي يعد فضيلة ووطنية، ثم إنه أدلى بصفته صديقاً لبريطانيا وصديقاً لأمريكا بأن لا يخرجوا مقامه على أن يكون عدواً لهما، وحقق الطلب وأطال جداً بينه وبين اللجنة سؤال وجواب، وذكر خطته في الحرب العالمية وأنه أيد سياسة بريطانيا وسياسة حلفائها، وأنه منذ أوجده الله وقام يسعى لاستعادة ملك آبائه وأجداده، كان صديقاً لبريطانيا وقد رأى منها ما سره، ورأت منه ما سرها، ثم عرض في كلامه بأن الوزير البريطاني المفوض بجدة زاره بعد انتهاء الحرب بمدة وجيزة وقال له: إن حكومة بريطانيا ترى أن حركات اليهود الحاضرة ربما أن تكون من حظ العرب لأنه كلما ازدادت حركاتهم انكشفت نياتهم ورجاه أن يبذل جهده لدى العرب لالتزام الهدوء، وأقنعه بأن هذا هو خير لمصلحتهم، فلم يدخر ابن سعود وسعاً في هذا السبيل إلى أن وصلت الحال إلى الموقف الذي كانت المشاكل فيه ثم قال:

لقد وقعت الآن في مشكل خطير أمام شعبي وجماعتي وأمام العرب والمسلمين، فإذا كانت بريطانيا تريد أن تعدل عن الحق الواضح وأن تذهب مواعيدها أدراج الرياح، فليس أمامي إلا أن أقول للمسلمين دونكم ونفسي اقتلونني أو أنزلوني عن الملك لأنني مستحق لذلك، وأنا الذي جنيت عليكم وثبّطت عزمكم.

وأطال بذلك جهوداً جبارة، ورد على جميع أسئلتهم، ودحض حججهم، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين والعرب جميعاً خيراً.

ذكر صيحة العرب وارتجاف الشرق الأوسط لأهل فلسطين

لما كان في يوم الأحد ١٧ محرم ١٣٦٧هـ الموافق ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧م أذاعت المحطات اللاسلكية قرار هيئة الأمم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين فأعلن ممثلوا الدول العربية على منبر الجلسة سخطهم على القرار واحتفاظهم بحقوقهم ومضيه في خطتهم واحتجاجهم على أنواع الأغراء المختلفة للحصول على تلك الأغلبية، وصرح رئيس وفد المملكة العربية السعودية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل إمام الأمة بأن قرار الأغلبية بدد جميع آمال العرب فيها، وأن بلاده غير ملزمة به، ثم قال:

هناك أمر واحد لا سبيل إلى فهمه أو تسويغه ذلك هو تدخل حكومة الولايات المتحدة في مسألة فلسطين وتأيدها الصهيونيين، كما أنه لا يمكن فهم الصمت الذي تلوذ به إزاء اعتداء الصهيونيين وأساليبهم الإرهابية، فإذا كانت البواعيث الإنسانية هي التي تدفع الولايات المتحدة إلى هذه السياسة فلم لا تفتح أبوابها للاجئين البؤساء وهي أغنى وأوسع رحاباً من فلسطين التي اكتظت وابتليت بأولئك المعتدين الغرباء، وماذا سيكون موقف حكومة الولايات المتحدة وشعبها إذا جاء برلمان إحدى الدول الأجنبية وأقر قانوناً بفتح الأبواب أمام الهجرة اليهودية للاجئين منهم وغير اللاجئين، لا شيء إلا لأن الولايات المتحدة رغبة في إمكانها أن تستوعب الملايين، ألا تنهض الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي في هذه

الحالة، وينددان بمثل هذا التدخل، وما خطب ميثاق الأطلنطي وميثاق هيئة الأمم المتحدة أن المداد الذي كتبت به هذه المواد لم يجف بعد.

إننا نرى مندوب الولايات المتحدة يحاول إثارة العالم كله من أجل المسألة اليونانية، فما ظنه بفلسطين هل نسي مبادئ الميثاق أم أنه ينكر تلك المبادئ، إني لأعجب لشعب يمنع الهجرة إلى بلده ولكنه يفرضها على بلد غيره، وقد جاء نبأ هذه الخطة من ليك سكينيس وعارض ذلك التقسيم مندوبوا العرب منكرين، وأنهم سيقومون بواجب الدفاع عن فلسطين من برائن اليهود، تالله ما كانت فلسطين باللقمة السائغة في حلوق الأكلين، إنها حسك وقتاد ونار مصهورة تهري الأفواه وتقطع الأمعاء، أتحسب اليهود واليونان ومن يشابههم ويساعدهم ويعاضدهم إنها في مقام هوان، وإنه ليس في الحياض من يذود عنها ولا في الحمى من هو في ثغرة المرمى، إن زحزحة الجبال الراسيات لأهون من زحزحة العرب عن موقفهم الرائع الذي اتخذوه لأنفسهم منذ أن دخل النزاع في طوره الأخير، حتى أوشك أن يكون صراعاً.

إن فلسطين العزيزة تغلي غليان الرجل لأن النيران تحتوشها من كل جانب، فلا تدعوها أيها العرب تحترق.

يا للعدالة النكراء فلسطين العربية منذ عشرات القرون تقطع أوصالها ويمزق أديمها ويشتت أهلها إرضاء لشذاذ آفاق وحثالات أمم، ومحترفي إجرام، اللهم إن هذا بهتان عظيم، هل أفلس المنطق إلى حد الثرثرة والإبهات، هل مسحت الحقائق إلى حد الخيلات، أين شجاعة العرب المعهودة، تالله إن العرب ليسوا بالجنباء، فكيف وهم على ما هم عليه من الوحدة العربية.

ولما جرى قرار التقسيم تكلم مندوب سوريا بأن سيقوم من سوريا مائة وخمسون ألفاً من الرجال، ثم تكلم مندوب اليمن بأن سيقوم من اليمن مائة ألف مقاتل، وتكلم مندوب لبنان بأن سيقوم من لبنان تسعة آلاف مقاتل، ثم سافر أولئك المنتدبون إلى القاهرة لتأسيس الحرب وللمراودة في أعمال الحرب، غير أن فيصلاً تأخر في أمريكا، وقد عزم ملوك العرب على أن يأخذوا بالحزم،

فذكروا أنه سينوب عن الأمير فيصل في التمثيل يوسف ياسين، وسيعقد مجلس بعد الظهر من يوم الثلاثاء ١/٢٦.

وباشر الزحف متطوعو لبنان على الحدود الفلسطينية حيث رابطوا هناك بقيادة فوزي القاوجي، وقد قابل الحاج أمين الحسيني القائد المغربي المعروف طارق الإفريقي في لبنان وعرض نفسه للتطوع كما تقدم عدد كبير من أهل برقة وطرابلس يريدون الدفاع عن فلسطين، وقد قرعت الطبول في العراق وسوريا ولبنان وقراها استنفاراً للحرب، فتهافت المتطوعة على مكاتب التجنيد من كل حدب وصوب، وبلغ عدد المتطوعين من رجال العشائر في العراق ما يزيد على المليونين، هذا ولا تزال الاضطرابات مستمرة في فلسطين، وقد امتدت النيران على مسافة بالغة من تل أبيب إلى يافا ليلة ٢٤ محرم، ولم يستطع رجال المطافئ إخمادها بسبب طلقات الرصاص المصوبة من الجانبين، وقد أجريت مظاهرات عامة في القاهرة وذلك في الاجتماع الخطير الذي أقيم في الأزهر عقب صلاة الجمعة، وتعاقب فيه الخطباء وكان أبرزهم فضيلة الشيخ حسن البنا المرشد العام لجمعية الإخوان المسلمين، واللواء صالح باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين، ولما كان من الغد قام مائة ألف من أهل مصر معه ألوية وطبول يصرخون بعالي أصواتهم التي ملأت الفضاء يقولون لتسقط أمريكا، لتسقط روسيا، وزحفوا مستعدين للسفر حالاً إلى فلسطين للانضمام إلى إخوانهم العرب هناك.

ذكر سطوة العاهل الضرغام والضيغم المقدام ملك المملكة

العربية السعودية عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود

لما قام العرب يرغون ويزبدون حميةً لأهل فلسطين كانوا في مراقبة شديدة لسطوة هذا الأسد في غابه، وهل يقوم بالمناصرة التي يقتضيها مقامه الأسنى لما توجهه الوحدة العربية، أو يكون عنده سياسة لم تحط بها آراؤهم، وبينما تظهر البلاد

بكامل سخطها على قرار التقسيم الجائر وقيامها قومة رجل واحد للدفاع عن فلسطين، فترى الجزيرة العربية تتحضر للوثوب لنصرة عرب فلسطين، إذ بليثها الغضنفر الذي عودّ الناس أن يسبق لهم بالقول والفعل، فيثب وثبة الأسد للدفاع عن عرينه، فأصدر تعليمات إلى الأمير فيصل نجله وسائر أنجاله بمغادرة نيويورك خلافاً للترتيب الذي كان مقرراً للأمير فيصل في زيارة واشنطن، ثم إنه استدعا جلالته وزير أمريكا المفوض في جدة إلى الرياض على عجل وأفضى إليه ببعض تصريحات عاد على أثرها إلى جدة، ثم إنه رفع مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية لجلالته هذه الرقعة:

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المفدى أمدّه الله بنصره:

قياماً بواجب التضحية في سبيل الله ومشاطرة للشعور العام الذي تبديه كافة الشعوب والأقطار العربية، واقتداء بسيرة جلالتكم الرائعة في البطولة، والإقدام واستنكاراً لما يذيعه المغرضون وذوو الأهواء، والذين في قلوبهم مرض من جهة ما يبيت لمصير فلسطين الشقيقة، وتفادياً من الأخطار التي تحيق بالشرق العربي فيها لو فتحت أبوابها لشذاذ الآفاق ومتشردي اليهود لا نرى بدأً من أن نتقدم إلى جلالتكم بطلب الترخيص بالإسراع إلى نجدة ثاني القبلتين وثالث الحرمين، وأن مجلس الشورى ليبادر بهذا الالتماس إباءً للضميم، ورغبةً في الكفاح، وطلباً لإحدى الحسينين، وشعاره الذي يتمسك به مع كل من تظله راياتكم المظفرة ولوائكم الخفاق، «مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين»، ومهما كانت الظروف والأحوال فإننا وكافة أفراد الشعب رهن إشارة جلالتكم، وإننا لنضرع إلى الله أمام بيته الحرام أن يأخذ بيدكم إلى ما فيه إنقاذ الأراضي المقدسة وطمأنينة العرب، وعز المسلمين، والأمر لله ثم لجلالتكم فيما ترونه في ذلك، أدام الله توفيقكم، مولاي.

عن مجلس الشورى - صالح شطا

الجواب الملكي:

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى جناب المكرم السيد صالح شطا وإخوانه أعضاء مجلس الشورى حفظكم الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد تلقينا كتابكم المؤرخ في ٢٥/١٢/١٣٦٦ هـ والمتضمن قرار مجلس الشورى بشأن قضية فلسطين، فنحن نشكركم على ذلك ونقدر غيرتكم ومساعدتكم الطيبة، ونحن كما تعهدون لم ندخر جهداً في هذا السبيل، نسأل الله أن يقدر ما فيه الخير والسلام.

عبدالعزیز

ولقد هاج الشعب وماج وقصد نوابه أعضاء مجلس الشورى القصر الملكي في مكة، حيث قابلوا صاحب السمو الملكي ولي العهد سعود وعرضوا استعداد الأمة لبذل النفس والنفيس تحت اللواء السعودي لإنقاذ فلسطين، فألقى سعود هذه الكلمة:

إننا مهتمون بقضية فلسطين أكثر من كل أحد، ونحن جادون في إنقاذها بحكمة بالغة، وهمة نادرة، وقد تعودنا العمل بصمت، وأن تكون أعمالنا أكثر من أقوالنا، كما تشهد بذلك سيرتنا متأسين في هذه الخطبة بالسلف الصالح، وبمقتضى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، وأؤكد لكم أننا لا نود أن نكلف أحداً من سكان هذه البلاد المقدسة بشيء، وإننا مستعدون لإنقاذ فلسطين بأموالنا وأنفسنا متكئين على الله الذي نستمد العون منه وحده.

الجهاد بالنفس والمال لإنقاذ فلسطين

لقد عقد مجلس في دار الوزير عبدالله بن سليمان مساء يوم السبت ٢٣ محرم، دعي إليه الوجهاء والأعيان من الحجاز بعد صلاة المغرب، فخطب الوزير بتوفيق ولي العهد، وأنه لم يكلف الناس خصوصاً البلاد المقدسة، ثم شرع في الموضوع نفسه مشنعاً على اليهود، وأنهم لا يريدون فلسطين وحدها وإنما يريدون البلاد

العربية جميعها، وذكر أنهم يرمون بخطوتهم هذه إلى المواطن التي نزحوا إليها قبل الإسلام للتوطن، ثم أخرجهم الرسول الأعظم ﷺ، حتى جاء عمر فلم يبق منهم أحداً، إنهم يريدون إخراج العرب من مواطنهم، وسيضحون في سبيل ذلك.

ثم تكلم بعده بعض الخطباء، ثم إنه وقف محمد شطا مدير الإذاعة السعودية التي تأسست في السنة التي قبل هذه فخطب خطبةً بليغة استجاش بها الهمم، وأثار الحمية حتى سكبت الدموع من المحاجر، وباحت بما تكنه الضمائر فقال:

لقد جاءكم خبر فلسطين، لقد أتاكم نبأ ذلك الوطن الحزين، وقد زحف اليهود عليه من الأرض والسماء وساموا أهله أنواع البغي والاعتداء، ذلك الوطن الجريح وفلسطين الدامية التي صدر عليها بالأمس حكم الفئة الباغية بأن يقطعوا أوصالها ويفرقوا أجزاءها، ويمنحوا اليهود منها المروج الخضراء والجنان الفيحاء، ويتركوا للعرب القفار الصماء والجبال الجرداء، ناصروا أذل الأمم وأحط الشعوب، واقاموا لليهود دولة، وقد ضرب الله عليهم المسكنة والذلة فامتهنوا العرب في ديارهم، والمسلمين في أرضهم وأوطانهم، فواذلاه يا أبناء العرب، واذلاه يا فوارس محمد بن عبدالله، واذلاه يا حماة الدين، واذلاه يا أنصار العروبة وقادة المسلمين.

هذه صرخات فلسطين، وهذه أنات العرب المفجوعين فجعوا في أوطانهم، وفجعوا في دينهم وإيمانهم، فجعوا في نساءهم وأعراضهم.

واني لكأني أنظر الساعة إلى المرأة العربية وقد سقط أبنائها مضرجين بدمائهم في سبيل الشرف، يحاول اليهود الفتك بعرضها فتناضل وتدافع وتجاهد وتكافح ثم تسقط صريخة الشرف شهيدة الكرامة.

واني لكأني أنظر الساعة إلى القوافل من العوائل العربية يسوقها العلوج والأولاد يخرجونهم من ديارهم وأراضيهم ليحتلوها ويطردهونهم من مواطن آبائهم وأجدادهم، ليغتصبوها وليسلبوهم موارث أجدادهم ليمتهنوها، فيا لهول الفاجعة، ويا لفداحة النكبة، ويا لعظم المصيبة، وأطال ثم إنه جعل يصرخ ويصيح فيقول:

اين الشهامة العربية، أين النجدة الإسلامية، أين الغيرة والحمية، حتى أبكى

السامعين واستجاش الحاضرين، فتأثروا من كلامه، ثم إنه قام شاعر جلالة الملك وعضو مجلس الشعب الأستاذ أحمد بن إبراهيم الغزاوي فألقى قصيدة مهيجة، وكان هو الذي أخذه أول الموقف فأعلن تبرعه بألفي ريال، ثم إنه قام حسن شربتلي فأعلن تبرعه بمائتي ألف ريال باسمه، وخمسة وعشرين ألف ريال باسم عائلته، وأعلن صدقه الكعكي تبرعه بمائتين وخمسين ألفاً من الفضة، وتألفت لجان في الرياض والإحساء وغيرها، فبلغت التبرعات في أول وهلة مليونين وثلاثمائة ألف وواحد وتسعين ألفاً تزيد مئات، حتى تبرع النساء بجليهن، وهكذا اندفعت التبرعات سيلاً، وأسرعت اللجنة العليا بتحويل أول دفعة إلى مجلس جامعة الدول العربية، وذلك في أوائل ربيع الأول من هذه السنة، ودفعت اللجنة أخرى في أواخر جمادى الأولى.

ولقد نشرت جرائد البلاد العربية وصحفها فظائع اليهود، وخرجوا عليهم وأعلنوا طردهم، وأصدرت رئاسة القضاء في المملكة العربية السعودية فتوى شرعية بتاريخ ٢٧ محرم بوجوب الجهاد على جميع المسلمين ضد اليهود المعتدين.

وكثرت التبرعات بالسيارات والأرزاق، وأخذ المتطوعون من كافة أنحاء المملكة والممالك العربية الأخرى يسارعون للسفر إلى فلسطين، وقد ذهب أولئك المجاهدون الأبطال وانضموا إلى فرقة اليرموك فكونوا الأغلبية الساحقة فيها بنسبة ٨٠ في المائة، وقامت هذه الفرقة بواجبها الديني ببطولة فائقة أقضت مضجع اليهود وأفسدت خططهم، حتى تمركزوا في أهم المراكز المنيعه وسيطروا على أغلب المواقع الإستراتيجية بمهارة وشجاعة نادرة.

ولما كان في ٦ رجب صدر بلاغ في مكة المكرمة رسمي رقم ١٢٠ ينص على تأييد جلالة الملك التام لجميع ما اتخذ من قرارات للدفاع عن فلسطين متضامناً والاحتفاظ بعروبيتها ووحدتها واستقلالها، وإقرار الأمن والسلام في ربوعها، وإن جلالته قرر اشتراك المملكة العربية السعودية مع شقيقاتها في الدفاع عسكرياً عن فلسطين متضامناً مع الدول العربية إلى أن تظفر فلسطين بحقوقها وعروبته بحول الله مهما طال الأمل.

وكانت بريطانيا قد أعلنت في ٥ رجب أنها ستسحب من فلسطين فنشطت المنظمات اليهودية في فلسطين، ولما أن قال الخطيب الأول في مجلس العموم البريطاني أنه لا يمكن أن نعرض أبناءنا للاغتيال والقتل على حساب الغير انتقد حكومة العمال، واستفسر عن سبب بقاء الجنود الإنكليز في فلسطين، وطالب بسحب الجنود البريطانيين حالاً عن فلسطين، فانتهى الانتداب البريطاني على فلسطين وانسحب الجيش البريطاني منها في يوم السبت ٧ رجب، ولما أعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين أعلن اليهود من تل أبيب قيام دولتهم إسرائيل، ومن العجائب مبادرة أمريكا بالاعتراف بها فإنه لم يمضِ على إعلان اليهود بقيام دولة إسرائيل ست عشرة دقيقة حتى اعترفت بها.

ولقد تعصب رئيس أمريكا ترومان اليهودي لليهود ولم يرع للعرب حقاً.

ولما تدفقت الجيوش العربية على فلسطين اشترط صاحب الجلالة عبدالعزيز ابن السعود ملك المملكة العربية السعودية أن لا يحارب جيشه إلا إلى جانب مصر وعن طريق مصر لا عن طريق شرق الأردن، وذلك لتوتر العلاقات بينه وبين الشريف عبدالله بن الحسين، فأرسلت بعض وحدات الجيش النظامي من المملكة العربية السعودية بمعدات الخفيفة بالطائرات بقيادة العقيد سعيد بك الكردي، ووكيل القائد عبدالله بن نامي، مع هيئة أركان الحرب إلى مصر، ولحقت بها السرايا الثقيلة بالبواخر إلى ميناء السويس، وساهمت بألف طن من المحروقات، ثم تحرك الجميع مع الجيش المصري إلى ميدان القتال في فلسطين، وهناك أطبقت جيوش الدول العربية باليهود وأحاطوا بهم من كل جانب، حتى أشرفوا على مدينة تل أبيب، وتقدمت فرق المتطوعين وأبلوا بلاءً حسناً، واستشهد في ميدان الشرف كثير من زهرة رجال العرب، وفي مقدمتهم القائد العظيم عبدالقادر الحسيني، وبالرغم من ذلك فإن العرب أشرفوا في الجبهة الداخلية على القدس، واحتل بعضهم طولكرم قريباً من الساحل، وأصبحت نهاية اليهود وشيكة، فقامت أمريكا وحملت مجلس الأمن على إصدار قرار بوقف القتال لمدة شهر، وقرر أنصار اليهود انتداب

لجنة للوساطة بين الطرفين برئاسة الكونت برنادوت، فقام بمهمته وطار إلى مصر وبيروت وبغداد وعمان وتل أبيب وحيفا، واقترح عقد هدنة، كما مرّ ابتداءً من ٤ شعبان ١٣٦٧هـ، على أن تظل فلسطين على وضعها الحالي حتى يتم وضع حل نهائي لمشكلتها، وفي خلال هذا الشهر تسلح اليهود بالعتاد الحربي الحديث، بينما العرب ينتظرون حلاً لهذه المشكلة، وكان العرب لم يغفلوا هذه الخيانة بل تشاوروا عند وقف القتال في الأمر، وأظهر الملك عبدالله رغبته في قبول الهدنة، وإن قائد جيشه مضطر إلى قبولها، فرأت الدول العربية أن الانشقاق ليس من مصلحة العرب، وجرى ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

ذكر زيارة الملك عبدالله للمملكة العربية السعودية

لما عقدت الهدنة سعى ملك مصر فاروق الأول لإزالة ما بين الملكين من جفاء دفين، وعمل لأن يمهّد السبل لزيارة الملك عبدالله لصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وعرض على الملك عبدالله أن يتناسى الأمر الذي جرى ويؤمن بأن إرادة الله لا تغالب، وأن المصلحة أن يضع يده إلى يد جلالته الملك عبدالعزيز للعمل لخير العرب وتمام وحدتهم، فبادر جلالته الملك عبدالعزيز بإيفاد فؤاد حمزة إلى شرق الأردن لتقديم دعوة رسمية للملك عبدالله من قبل عاهل الجزيرة العربية، فقبلها وتحدد لتلك الزيارة يوم معين، ووضعت الحكومة لذلك برنامجاً حافلاً، ولبست الرياض ثوباً فاخراً من الزينات، واستعدت الحكومة باستقبال رائع فيه أبهة وفخامة، ثم أمر صاحب الجلالة عبدالعزيز بإرسال طائرتين من الطائرات الملكية الخاصة في صباح يوم الخميس ١٧ شعبان إلى المفرق في شرق الأردن لنقل جلالته الملك عبدالله من عاصمة ملكه إلى مطار الظهران، ولما كان قبيل ظهر يوم السبت ١٩ شعبان هبط الضيف في مطار الظهران واستقبل هناك، وأمضى بقية يومه فيه، حيث أقام لجلالته صاحب السمو أمير المقاطعة الشرقية سعود بن جلوي مآدبة، وفي مساء الأحد ٢٠ من الشهر المذكور سافر إلى الرياض فأطلقت المدفعية ٢١

مدفعاً تحية، واستقبل استقبالاً يليق بأكبر الملوك، وأقيم مأدبة عشاء كبرى تكريماً للضيف الكريم، وأعد له قصر خاص.

وقد تبادل الملكان أرق العبارات وأجمل العواطف، وكل واحد صرح للآخر أنها فرصة جاد بها الدهر، وأقسم له ابن سعود أنه ما مرّ على الرياض وعلى آل سعود ليلة أعظم من هذه الليلة، وأكد أنه صادق، وأظهر الملك عبدالله سروره الكامل بهذا الاجتماع وشدة اغتباطه بزيارة أخيه.

ثم إنه ذهب إليه الملك عبدالعزيز في قصره صباح الاثنين ٢١ شعبان واختلجا ودرسا ما يهم العرب من الشؤون، وأصدر الملكان بياناً رسمياً بتوقيعهما أنهما متفقان بصورة خاصة في أفكارهم وآراءهم وأهدافهم، ورجا العرب من هذا الاتفاق كل خير، ويأملون من ورائه كل معاضدة وسرور إذ هي فرصة سانحة، وظل الملك عبدالله مقيماً في ضيافة ابن سعود حتى صبيحة يوم الأربعاء ٢٣ شعبان، ثم إنه رجع على الطائرات السعودية إلى العراق بغداد مودعاً بكل حفاوة، وقدم له جلالة الملك عبدالعزيز هدية مكونة من اثني عشر رأساً من الخيل الأصائل، وأربع سيارات فخمة من ماركات متنوعة.

ولقد كانت آخرة عبدالله بن الحسين سيئة، وجرى منه غير ما يتوقع.

رجعنا إلى ما نحن بصددته فنقول:

لما مضى شهر من وقف القتال استؤنف القتال في غرة رمضان، وقد رجحت كفة اليهود في الطيران والمدركات والمدافع، وهكذا تريد أمريكا في هذه الهدنة، ولقد صرح بذلك وسيط هيئة الأمم المتحدة الكونت برنادوت حيث قال في مجلس الأمن:

إن العرب لم يستفيدوا من الهدنة التي دامت أربعة أسابيع، بينما استفاد اليهود منها لتحسين مركزهم الدفاعي، فقد قاموا بتهريب بعض الأسلحة وإدخال ٢٧ ألف مهاجر يهودي ممن هم في سن الجنديّة.

ولما أن عادت الحرب ثانياً بين اليهود والعرب صار لليهود طائرات يوجهونها إلى مصر وسوريا ولبنان، ويعملون على تقتيل العرب وإقصائهم من أماكنهم،

وتركهم مشردين في الآفاق محاولين بذلك التأثير على الدول العربية وإرغامها على الاعتراف بها، غير أن الدولة العربية لم تعبأ بكل ذلك، بل استمرت في تقدمها، مما حمل هيئة الأمم على أن تطلب بشدة من العرب إيقاف الحرب والدخول في مفاوضات مع دولة إسرائيل التي اعترفوا بها، واختيار مكاناً للمفاوضة من جديد في سبيل حل مشكلة فلسطين حلاً سلمياً:

أولاً: قرار هدنة دائمة بين الطرفين وإلا فإن الدول سوف تحرم تصدير السلاح إلى الدول العربية بتاتاً.

ولما أن فرضت هذه الهدنة الثانية لم يحترمها اليهود واغتالوا الوسيط الدولي الكونت برنادوت، وزحفوا صوب غزة فعزلوا قوة مصرية في الفلوجة، وجرى ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ذكر قتل الإمام يحيى

لما كان في آخر ربيع الأول من هذه السنة فشى بين الناس موت الإمام يحيى موتاً طبيعياً وذلك يوم السبت ٢٨ منه، وكان ذلك كذباً، والذي حمل القائلين هو أن من عادته استعراض الجيش بعد الصلاة، ولما لم يمر في هذه المرة استعراض أشيع بموته، فلما فشى الخبر علم به يحيى وبجث عن شأن ذلك، فأخبر بصريح الأمر ما كانت الحكومة الجديدة تبنيه لليمن، فخاف عبدالله بن الوزير الذي كان قد عزم على تنويجه بعد الإمام يحيى، وخاف أتباعه وذووه، فقدر أن الإمام استقل سيارته الخاصة وبرفقته رئيس وزرائه عبدالله العمري وثلاثة من حفدته لابنه الحسن وحفيد لابنه المحسن، ومعهم جندي ومرافق، وسائق السيارة، يقصد الإشراف على مزارعه التي تبعد عشرين ميلاً جنوبي صنعاء، فطلب الأخوة الثلاثة أبناء الأمير حسن من جدهم النزول إلى الأرض لانتظاره في موضع يدعى الوادي، يبعد على قدر من عشرة أميال منها، فنزلوا واستمر الإمام ذاهباً إلى مزارعه ليعود إليهم بعد ساعة، ولكنها انقضت ثلاث

ساعات دون أن يعود، وهنا مرّ بهم أحد الرعاة فأخبر الأكبر منهم أنه رأى الإمام مقتولاً هو ورئيس وزرائه وحفيده الذي معه ومرافقه وسائق السيارة على بعد سبعة عشر ميلاً من صنعاء، فأسرعوا بإرسال النبا بذلك إلى صنعاء، واستقلوا سيارة أخرى من سيارات الإمام إلى مكان الحادث، وهناك وجدوا سيارة الإمام مصابة بأكثر من مائة طلقة، وزجاج السيارة محطماً من جميع الجهات، ووجدوا أن الطلقات صوبت على السيارة من أمامها، ورأوا يجي مصاباً بأكثر من خمسين رصاصة، وقد انكفاً على وجهه وسقط فوق جثته حفيده، كما رأوا رئيس الوزراء مشوه الوجه مقتولاً بفعل الرصاص، وكذلك شاهدوا المرافق وسائق السيارة مقتولين، وكان عدد كبير من رجال القبائل قد التف حول السيارة، وقد قدموا على صوت طلقات الرصاص.

وقال بعضهم إنه شاهد سيارة تعدو بسرعة بعد سماعه أصوات الطلقات، ويرجح أن القتل حدث بواسطة مدفع رشاش سريع كان في السيارة، وكان ذلك الاغتيال في ٧ ربيع الثاني الموافق ١٧ فبراير، ولم يكذ الخبر يصل إلى صنعاء حتى ماج الناس وعمّ الاضطراب، وقام الجماهير وفكروا سريعاً في الهجوم على قصر السعادة الذي فيه مستودع النقود ومقر العائلة الحاكمة، وسارع سيوف الإسلام الأمراء محسن والحسين ويحيى إلى القصر وهو مقر خزانة أموال الإمام، وهنا كان مدير الأمن العام وهو ضابط عراقي يدعى جمال بك جميل، وقد جمع جنوده وسار بهم إلى القصر لحفظه عن هجوم الجماهير، فما كان من أبناء الإمام إلا أن أمروا الضابط بفك الحصار والعودة مع جنوده من حيث أتوا، وكان يعززهم في هذا حرس القصر، ولكن الضابط رفض وأفهمهم أنه إنما جاء للمحافظة على حياتهم وعلى محتويات القصر خشية الفوضى، فأصرّ الأمراء على أمرهم وأمروا الحرس بإطلاق النار على الضابط وجنوده، فجرت معركة لم تدم طويلاً قتل فيها الأميران الحسن ومحسن، ثم قام زعيم الحكومة الجديدة عبدالله الوزير ينظم شؤونهم، وجدد تعيين مدير الأمن العام مستشرفاً

التأييد له من سائر الحكومات، ولما كان من الغد ٨ ربيع الثاني الموافق ليوم الأربعاء أذاع راديو صنعاء نعي الإمام يحيى وتنصيب عبدالله الوزير إماماً لليمن، وكان في زعمه أن الأمة قد اجتمعت على ذلك قبل وفاة الإمام يحيى لصالحيته للوطن، ولكن أنى وهيهات ومن سل سيف البغي قتل به قضاءً وحكمة.

ذكر آمال عبدالله بن الوزير وقتله

لما تولى المذكور اعتصم أحمد بن يحيى بالحجة وأبى أن يسمع لابن الوزير أو يتقاد، فبعث عبدالله بن الوزير إنذاراً لأحمد جاء فيه:

نرى من واجبتنا أن نعد العدة لملاقاته، فإن انقاد للحق الذي نحاوله كما أوجب الله سبحانه وتعالى وترك العناد الذي يغريه به الشيطان، ودخل فيما دخل فيه المسلمون فذلك فضل من الله ورحمة له يستوجب به منا كل ما يليق بمثله من تعزيز وتكريم، وإن اختار العناد فالواجب علينا يقضي بأن نقاومه أشد المقاومة.

فكان الجواب أن جاء المسافرون من الحجة إلى صنعاء يروون جمع الأنصار، وأن الأمير أحمد يعد عدته ويثيرهم مستنفرأ فيهم روح الانتقام، ويريد أخذ الثأر وقتل قاتل أبيه الشيخ الطاعن في السن، ويقولون أنه ليس بمستبعد إطلاقاً أن يعمد إلى مهاجمة صنعاء نفسها.

هذا وقد كان أحمد رجلاً في الخامسة والخمسين من العمر، كريماً بعكس أبيه، يوصف بأنه حميد الأخلاق، عادل، ولكنه عاطفي جداً لا يقف في طريقه شيء فهو لا بد أن يحصل على ما أراده ولو كلفه هذا كل غالٍ من الثمن، وبما أنه أرسل الإمام الجديد إنذاراً إلى الأمير أحمد في حجة بأنه إذا لم يستسلم لقوات العهد الجديد ويعلن ولاءه له فإن هذه القوات ستعلن عليه حرباً لا هوادة فيها حتى الموت، فإن الإمام الجديد أيضاً بعث إلى ناحية عدن يريد إرسال طائرات إنكليزية لتحلق فوق أنحاء اليمن فتلقي منشورات من قبله على اليمن، وفعلاً قد جاءت مدمرة وأطلقت مدافعها وعادت مبحرة إلى

عدن، أيضاً بعث ابن الوزير إلى دول الجامعة العربية يريد السلاح والذخيرة وأهمها الطائرات والدبابات والسيارات المصفحة مستعيناً في هذا أنه يريد تأديب البدو الطامعين في أموال الإمام يحيى، ويريد منهم أيضاً الحصول على اعترافهم له رسمياً، لكنه لم يحصل منهم على شيء.

وقد أكد وفده وكتبه على جلالة الملك ابن سعود نشكو سوء حالة اليمن وتمرد الأمير أحمد في الإغارة على صنعاء ونهب ما فيها من أموال وسلاح، وأن الحكومة اليمنية الآن تطلب مساعدة جلالتكم والجامعة العربية بإرسال الطائرات القاذفة والدبابات لإرهاب هؤلاء اللصوص، وقد حاول الفضيل الورتلاني أحد أعضاء الوفد أن يطعن في الجامعة العربية، فهبَّ جلالة الملك غاضباً وقال له: بل أنت اللص، أنت وزملاؤك الذين قتلتم الإمام يحيى ولم تراعوا سنه التسعين ولا جهاده في سبيل استقلال اليمن وحمايتها من الأجنبي أربعين سنة، فما وجد الوفد أذناً صاغية، بل وجد الملك السعودي غضب عن استنكاره لخطه ابن الوزير، وظلَّ على الحياد في نزاع أحمد وابن الوزير.

ولما أن كان في ١٨ ربيع الثاني بدأ الأمير أحمد يهاجم صنعاء بعدما أبرق إلى ذوي القدر في مصر بواسطة المندوب ينذر أن لا تقوم أية طائرة إلى صنعاء لأن القبائل كلها والجيش نائر معنا يقول في مناطق لا تبعد عن صنعاء بأكثر من كيلو مترين، هذا وقد كان راديو صنعاء يواصل إذاعته أن الأمن استتب في العاصمة وما حولها، كما أن الجيوش التابعة لابن الوزير، لكنها كانت خاطئة.

أما أحمد فبعث في ٢٥ من الجاري إلى جلالة الملك عبدالعزيز في الرياض يرجوه أن لا يقدم وفد الجامعة العربية إلى اليمن، بل يظل في جدة حتى تحتل قواته صنعاء، ثم إنها تخرجت الحالة في صنعاء، واشتد الضغط لها من قوات أحمد حتى خيف على المدرسين المصريين في اليمن.

ولما قدمت طائرتان حريتان إلى صنعاء لنقل هؤلاء المدرسين تعذر الوصول إلى الأرض والهبوط في صنعاء للأخطار، وشوهدت القبائل المغيرة تحيط بأسوار المدينة لأن أبوابها كانت مغلقة، فعادت الطائرتان إلى جدة وأبرقتا بذلك إلى رئيس الوزراء في مصر تنتظر تعليماته.

وما زال ابن الوزير يستغيث بالجامعة العربية حتى سألها وقف القبائل بإرسال طائرات تفرق شملهم وتنقذ عشرات الآلاف من سكان صنعاء، فما استجاب له أحد وسقطت صنعاء في يد قوات الإمام أحمد، ونودي به ملكاً وإماماً لليمن، ولقب بالناصر لدين الله، وكان ذلك في ٤ جمادى الأولى الموافق ليوم الأحد ١٤ مارس ١٩٤٩م، وبعد ٢٩ يوماً من ذلك أعدم عبدالله بن الوزير، وحسين الكبسي بالسيف، وانتهت الثورة، وهذه ترجمة الإمام يحيى:

هو الإمام يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين بن القاسم بن محمد، ويتصل نسبه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وجعل اللجنة مقر أبي الشبلين ومشواه، كان المترجم ماهراً وذا دهاء وعلم، ولد في صنعاء في شهر ربيع الأول ١٢٨٦هـ وكان تمام سبعة وثمانين إماماً من الزيود، ربع القامة، أسمر اللون، عالي الجبين، مستدير الوجه، وتقدم ذكر صفاته في سنة ولايته، وكان في تعلمه ودراسته أنه أخذ فنون العلم والأدب عن والده المنصور، وعن القاضي العلامة محمد بن عبد الملك الأنسي، والقاضي العلامة النحوي أحمد بن رزق السياني، والشيخ العلامة محمد بن أحمد العراسي وغيرهم، وقضى أيام صباه في صنعاء مكباً على العلم والدراسة لا يزاول غيرها، وظل هذا شأنه حتى بلغ العشرين من عمره، ثم إنه غادرها مع والده في شوال ١٣٠٧هـ إلى جبل الأهنوم فانصرف إلى طلب العلم مواصلاً الاجتماع إلى حملته وأقطابه، حتى ذاع صيته وفضله، ثم إنه بويع بالإمام بعد وفاة أبيه ١٣٢٢هـ، وله قصائد حسنة، فمنها مرثيته في ابنه محمد الذي توفى غريقاً، ومن قصيدة له يدعو إلى نصرة الشريعة والدين ويحث قومه على ذلك، وهي طويلة نذكر منها:

فلت سيوفي عند حومات الوغى وكبت جيادي عند أن جد السرا
وعدمت أرمامي بمشتجر القنا وجبت عن غزوي عدوي مبكرا

وخلعت ثوب الحزم خلعة عاجز
 إن لم أكن للظالمين مقارعاً
 وعلى فعل المستطاع منادياً
 قوموا معي ننفي الضلال ونثبت الإيب
 قوموا معي نبني حصوناً للهدى
 إلى آخرها وهي جميلة، ولولا خشية الإطالة لأتينا بها وبيعض قصائده،
 فرحمة الله على أموات المسلمين، ونسأل الله تعالى أن يرفع أهل طاعته في
 درجات الآخرة، ولما أن تولى الإمام يحيى كانت عاصمة اليمن صنعاء، ثم إنه
 اتخذ الإمام أحمد بن يحيى مدينة تعز وهي كبيرة تقع في جنوب اليمن، وكان
 اتخذها لها عاصمة في هذه السنة.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

فمنهم هؤلاء محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وعثمان بن أحمد بن بشر، وفهد
 بن علي الرشودي، ومحمد بن عبدالله بن سليم، وسنذكر لكل واحد ترجمة.
 فأما محمد بن عبداللطيف فهو الشيخ الإمام العالم العلامة، أبو عبدالرحمن
 محمد ابن الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام
 وكاشف الأوهام، ومجدد دين الله بعدما اندرس بين الأنام محمد بن
 عبدالوهاب، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وغفر لهم ورحمهم
 وجبر المسلمين بما أصيب به من فقدهم، وكان المترجم عالماً كبيراً، وبدرأً منيراً،
 سلفياً له خطوة سابقة في علم التوحيد، فله دره من كريم تضرب الأمثال
 بكرمه وجوده وسخائه وبذله، فكان يبذل الأموال ويضيف وينفع طلاب العلم
 والمحتاجين، فكان ممتازاً بالتواضع وسلامة الصدر ولين الجانب، ولما أن توفى
 الله أخاه عبدالله كان جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن يحترمه ويوقره
 ويصدره في المجالس.

ولما أن عازمت الحكومة على طبع رسائل أئمة هذه الدعوة للمرة الأولى جعل الملك أمر ذلك إليه فقام بالتعهد لها، وجرى بينه وبين مدير المطبعة وصاحبها محمد رشيد رضا صاحب مصر مجاوبات في شأنها، وأخذ عليه أن لا يتصرف بشيء من ألفاظها وكلماتها تعهدات، وقد برزت الرسائل المطبوعة بمطبعة المنار على أحسن ما يرام والله الحمد، وكل ذلك بمساعي صاحب الجلالة عبدالعزيز، وكم له من يد بيضاء، ومن أراد أن ينظر إلى مناقبه ويعرف فضائله فليراجع العقيدة التي جمعها وبعثها إلى رؤساء القبائل من أهل اليمن وعسير وتهامة وشهران وبني شهر وقحطان وغامد وزهران، وكافة أهل الحجاز، وذلك سنة ١٣٣٩هـ بأمر من جلالة الملك ابن السعود، وكان لها أحسن وقع، فلذلك جعلها الشيخ سليمان من جملة رسائل الهدية السنوية، وكم لهذا العالم من رسالة أشاد بها التوحيد وهدم الشرك فجزاه الله عن المسلمين خيراً، ولما مات رثاه الشعراء والأدباء، وهذه مراثية أنشأها الأديب ابن أخيه عبدالله بن الشيخ عمر بن الشيخ عبداللطيف آل الشيخ لما توفاه الله في ٦/٤، وقد أثبتنا ما وجدناه منها، نسأل الله تعالى أن يرفع درجاته في دار الآخرة:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| على الشيخ فليكي محباً مولعاً | بكاء حزين قلبه يتصدع |
| وينشر دمعاً من عيون غريقة | فإن قلصت ماء فبالدم تدمع |
| وميتة خير الخلق للناس كلهم | عزاء به يسلو المصاب المفجع |
| فقد رحل الخبر الفقيه الذي به | قواعد دين الله تتلى وترفع |
| له همة تسمو إلى هامة العلى | تقلدها مذ كان في الحجر يرضع |
| إمام همأم المعني مهذب | فقيه نية حافظ متضلع |
| مجالسه بالعلم أضحت منيرة | بها أمهات الدين تقرأ وتسمع |
| مرابعه تبكيه من بعدما غدت | معطلة أرجاؤها ترجع |
| ويكيه أهل الدين إذ كان دأبه | مجداً على تبينه فهو يصدع |

وَحَقُّهَا تَبْكِيهِ إِذْ كَانَ قَائِمًا
أَصُولًا وَتَوْحِيدًا وَفَهْمًا وَكَلِمًا
فَتَلَكَ جَمَادَاتُ غَدَوْنَ بِفَقْدِهِ
فِيَا لَيْتَنِي أَرَوَيْتَ قَلْبِي بِمَجْلِسِ
فَهْيَهَاتِ هِيَهَاتِ انْقَضَتْ وَتَصَرَّمَتْ
فَاهَا عَلَى الْعِلْمِ الشَّرِيفِ فَإِنَّهُ
وَمَا مِثْلُهُ فِي الْجُودِ إِلَّا كَحَاتِمِ
وَصُولٍ لَا رَحَامَ وَإِنْ قَطَعْتَ لَهُ
فِيَا حَيِّ يَا قِيَوْمَ يَا سَامِعَ الدَّعَا
أَنَّهُ الرِّضَا وَأَحْسَنَ جَمِيعًا لَنَا الْعِزَا
وَابْقِ لَنَا شَيْخَ الْهُدَى عِلْمَ الْوَرَى
وَأَعْنِي بِهِ الْحَبْرَ التَّقِيَّ مُحَمَّدًا
وَيَا أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ لِلشَّيْخِ إِنِّي
فَمَنْ فَاتَهُ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ فَإِنَّمَا
وَيَارَبِّ ثَبِّتْنَا جَمِيعًا وَكُنْ لَنَا
وَصَلِّ لِإِلَهِي كُلِّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ
وَأَلِّ كِرَامٍ ثُمَّ صَحْبٍ وَمَنْ عَلَى

بَغْرَسِ عُلُومِ الدِّينِ أَيْضًا وَيَجْمَعُ
رَأَى حَسَنًا مِنْهَا لَهَا يَتَّبِعُ
يَرْجِعُنْ أَصْوَاتًا لَهَا تَتَنَوِّعُ
فَاَحْفَظْ مِنْهُ الْجَمَّ إِذْ لَا أَضْيَعُ
لِيَالِيهِ بِالْإِحْسَانِ فَاللَّهُ يَجْمَعُ
يَتِيمًا غَدَا مِنْ بَعْدَمَا كَانَ يَرْفَعُ
جَمِيعَ خِصَالِ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ مُودِعُ
عَفْوٍ حَلِيمٍ ذُو تَقَى مُتَخَشِّعُ
وَيَا مَنْ لَهُ كُلُّ الْخَلَائِقِ تَفْزَعُ
وَأَسْكَنَهُ جَنَاتٍ بِهَا يَتَمَتَّعُ
يَقْرُرُ هَذَا الْأَصْلَ لَا يَتَضَعُّعُ
سَلَالَةً مِنَ الدِّينِ شَادُوا وَيَرْفَعُوا
أَوْصِيَكُمْ بِالْعِلْمِ فِيهِ تَوَلَّعُوا
بِضَاعَتِهِ الْمَزْجَاةَ دَوْمًا يَخْدَعُ
مَعِينًا عَلَى فَهْمِ الَّذِي هُوَ أَنْفَعُ
عَلَى الْمُصْطَفَى مِنَ الْخَلَائِقِ يَشْفَعُ
طَرِيقَتَهُمْ يَقْفُوا وَلِلرَّسْلِ يَتَّبِعُ

عثمان بن أحمد بن بشر

هو الشيخ الإمام العالم الزاهد السلفي أبو أحمد، عثمان بن أحمد بن عثمان بن بشر النجدي الحنبلي، من رؤساء قبيلة بني زيد، أصله من أهل بلدة شقراء، كان المترجم متسمًا بصفات أهل العلم والديانة، يعلوه البهاء وتزينه السكينة والوقار، وقد خالط الأعراب للإرشاد والبيان، وقد يعتم بعامة كعادة بعض المتنسكين وأهل الديانة، ولأنه كثير الأسفار، ثم إنه تركها قطعاً قبل وفاته بسبع سنين.

أما مشائخه الذي أخذ عنهم فإنه أخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وذلك في بلدة حائل حين كان ابن بليهد فيها، وجثا بين يدي علماء هذه الدعوة، وأخذ عن الشيخ الإمام محمد بن عمر بن سليم، ولم يكثر، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليم، وأخذ عن أخيه الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وجداً واجتهد وزاحم العلماء، اتصف بصفة المتقين.

وكان مولعاً في رثاء أهل العلم، وله قصائد، منها مرثيته في الشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي، ومنها مرثية أنشأها في الشيخ عبدالعزيز العبادي، وقصيدة واقعة البلقا، وقصيدة في تهنئة الملك عبدالعزيز بفتح حائل، وقصيدة في الموضوع هذا، وقصيدة في تهنئة الأمير عبدالعزيز بن مساعد لما نصره الله على ابن الدرويش وأصحابه فأبادهم الله في أم رضة، ومرثية في الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، ومرثية في الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ومرثية في الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد.

وكان يلهج بذكر أهل الدين ومحبتهم ويظهر البشاشة، ويتواضع من غير ضعف، وله سمت حسن ووقار وعزة نفس. وكان عاقلاً حليماً قليل الغضب، وله شيمة، ويألف الناس ويألفونه يخضب لحيته بالحناء وهذه صفته:

كان طوالاً ضخماً تام الخلقة، كث اللحية قد اتخذ بعدما كبر أسناناً من العظم، نظيف الملابس، طيب الرائحة، يحب أهل الدين ويميل إليهم، ويبغض أهل الشر ويمقتهم ولا يداري في قصائده بل يشنع على المنافقين ويسبهم وينال منهم، وتلك خصال جميلة محمودة، وقد قدمنا شيئاً من قصائده.

وكان معاشراً لعلماء هذه الدعوة ومحباً لآل سعود، ولا يزال يتقلب في وظائفهم، وقد نال وظيفتين شريفتين في زمن طويل وشغلها وهما قضاء الأسياح، وقضاء الأجفر، ونال مقام الثقة من حكومته وأمته.

أما ولادته فقد ولد سنة ١٢٩٤هـ، ونشأ نشأةً حسنة مكباً على الدراسة والطلب، ولما كان في تلك الوظائف كان يقضي بعض أوقاته في الأسياح ، وبعضها في الأجفر، وقد يأتي لزيارة بريدة ويجلس فيها لأنه قد تزوج بها، وله فيها أولاد ومسكن، وتوفى في هذه السنة عن ٧٣ سنة رحمه الله وعفا عنه، ولقد كان يظهر لنا الوداد والمحبة والبشر، ويضع ثقته الكاملة بنا، فأحببنا أن نرثاه بهذه المراثية، ووفاته كانت في اليوم ١٩ من ذي الحجة من هذه السنة:

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| على الشيخ عثمان الدموع تصيب | لمفقده أضحى ذوو العلم تندب |
| حبيب منيب للمكارم جامع | وللعلم والخيرات يسعى ويدأب |
| يميل له أهل الديانة والتقى | وما زال سباقاً به المثل تضرب |
| يدين بقال الله قال رسوله | وما قرر الأصحاب يوماً وهذبوا |
| وما كان في الدين الحنيف مداهاً | لأهل الردى كلا بل الحق يطلب |
| لقد كان منهوماً بطاعة ربه | سؤلاً له نحو العبادة يذهب |
| يناجي لمولاه الجليل برغبة | ويشفق من تعذيبه بل ويرهب |
| قضى عمره في طاعة الله وحده | وما همه دنيا تزيد وتكسب |
| وقد كان مأمون السريرة والأذى | أديباً أريباً للعلی يترقب |
| فمن بعده تهوى النفوس لرشداه | ويهدي لخيران شقيقاً يقرب |
| لأن كنت يا عثمان خير بقية | لأهل الهدى حتماً مضيت محب |
| فأنا لمأساك الميرير غدت بنا | همومٌ وأحزانٌ بها ننتقلب |
| عليك من الرحمن أوفى تحية | وروح وريحانٍ يحف ويسكب |

وكان قد خلف بعده عقباً من الذكور أربعة وواحدة من الإناث، فقدس الله روحه.

فهد بن علي الرشودي

وهذه ترجمته: هو أبو علي فهد بن علي بن عبدالله بن علي بن فهد بن عبدالله آل رشودي، كان من قبيلة عتيبة، وأصله من قرية الشقة المعروفة شمالي مدينة بريدة من القصيم، ولد سنة ١٢٨٣هـ، وكان رجلاً شريفاً رفيع

القدر، ومن العرب المشاهير، ثم سكن مدينة بريدة وارتفع شأنه وعلا أمره، وما زال يتقدم ويتفوق حتى أصبح رئيس أعضاء أهل الضبط والربط في القصيم، وله مقامات عظيمة في الحروب التي جرت بين آل سعود وآل رشيد لا سيما في واقعة البكيرية والشنانة، وفي جراب، فإنه رسول ابن سعود إلى ابن رشيد في واقعة الشنانة، بعثه ابن سعود حسب الثقة به إلى ابن رشيد لأنه كان موالياً لآل سعود، ولما أن اتصل عبدالعزيز بن متعب بن رشيد ووجده حانقاً على أهل نجد ويريد أن ينزل بهم بأسه وعقابه لما كان متصفاً به من الجبروت والعنف، رجع المترجم إلى ابن سعود يحمل تهديداته وتقريعاته، وباح بما عنده أمام صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وأمام أهل نجد وذمرهم وحذرهم من الكيد الذي يبيته ابن رشيد لهم إن ظفر بهم، فلقونه وتنفيذ إرادته تباع قوم ابن سعود على الموت، وصدقوا اللقاء والحملة على ابن رشيد حتى هزمه الله وطرده.

وأشار على أهل القصيم بمشورة في واقعة جراب عجيبة عادت عليهم بتمام الراحة لهم.

وكان صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن سعود يثق به ويأخذ من آرائه، ويختصه بأشياء يكتمها عن غالب الناس، وقد أخذ بيده مرة وهو يطوف بالكعبة المشرفة، فكان عن يمينه في ساعة لم يكن في الطواف سواه والحرس أمام الملك، وخلفه وعن يمينه وشماله، فوجهت الأبصار إلى هذا الرجل الذي يطوف في معية الملك بينما أن الخلائق قد كشفت عن صحن المطاف، ولقد شخصت الأبصار لرجل نحيف الجسم متقشف يطوف في معية الملك عبدالعزيز، وكثر سؤال المصريين والشاميين عن هذا الرجل ومن أي جهة كان، ولقد حظي عنده حتى كان لا يرد له طلباً، بل ينفذ أوامره بكل سرعة، وما هي طلباته؟ فما كان يطلب نقوداً ولا يطلب اقتطاعات الأراضي إنما يشفع لمسجون أو يشفع لجاهل لم يتقيد بأوامر الحكومة، فيطبق عليه النظام وتنقطع أسباب نجاته فيطلب الصفح عنه.

ولقد جرى على أناس من عقيل ذهبوا في التجارة بدون تقيد مع الشروط التي وضعتها الحكومة ليخضع لها كل مسافر، فكان جزاء أولئك أن حبسوا في السجن وصودرت أموالهم جزاء بما كسبت أيديهم، ولما أن حج هذا الرجل العظيم وأراد الإياب إلى وطنه فزعت الأمة إليه يطلبونه السعي في خلاصهم، فما كان منه إلا أنه لما ودع جلالة الملك وأمر له بسيارة وكرامة عرض عليه الملك أن ينظر في شأن هؤلاء المجرمين، وهل يجوز الصفح عنهم، فتكلم فهد على الفور قائلاً:

يا طويل العمر إن تجاركم وشعبكم بمنزلة الأقدام التي تحمل الجسم، فإن استقامت استقام وإن ضعفت فإنها لا تحمله، ولعل هذه تردعهم وأمثالهم ويكفيهم الشيء القليل من العقوبة، فأصدر جلالة الملك الأوامر بالعفو عنهم، ورد أموالهم إليهم.

ولما نودي بالجهاد لنصرة أهل فلسطين قام بالنيابة عن أهل القصيم ورفع خطاباً لجلالة الملك بأن الرجال والأموال تحت إشارتكم، وأن الطريق إلى فلسطين تمر على القصيم، فإذا قدم غزاة جنوبي المملكة فهم على أتم أهبة، فسر بذلك جلالته كثيراً وشكر لأهل مقاطعة القصيم ذلك.

ولقد اتخذ موضعاً يقع شرقي بريدة قريباً منها واختاره سعة للبلد فلا يوهب ولا يبني فيه، وطلب تأييد الملك لذلك فحقق رغبته وأن لا تمتد إليه يد، بل يكون كما رسم، وما زال يدافع عنه حتى توفاه الله تعالى فبطل ذلك الاختصاص، ورأت الحكومة الحاضرة أيدها الله تعالى أن يكون في ذلك الموضع المشار إليه مستشفى كبير يضم عدداً غير قليل من المجالس والغرف والمستودعات والأسرة، يشغله أطباء ماهرون، كما أنشئ فيه أيضاً مدرستان كبيرتان إحداهما المدرسة الصناعية، والثانية المدرسة الثانوية، ومعهد المعلمين وإدارة التعليم، وكل هذه المواضع قد بني بالإسمنت المسلح على أحدث طراز.

وكان المترجم عاقلاً رزيناً، قوي الإرادة، شديد الرأي، عظيماً لا يقعقع له بالشنان، وله غور بعيد، وجميع آرائه سديدة، وقلما تنسد أبواب الرشد

في مهمات الأمور إلا ويوجد لديه ما يكشفها، أضف إلى ذلك تواضعاً وخفض جناح لأهل الفضل، وأدباً ومعرفة، وقد اجتمعت الكلمة في أيامه وقلت المشاغبات.

ومن مناقبه أن طبع كتباً عدة الصابرين للحافظ ابن القيم رحمه الله بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٠هـ على نفقته الخاصة، ووزعها وقفاً على المسلمين جزاء الله خيراً.

كان يختصني فيسأل عن مسائل الدين والعبادات، ويأتي بمسائل تدل على عظمة الرجل وأنه فوق ما قيل فيه، ولما أن توفي الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي المتقدم ذكره جاء بعد ذلك المترجم يسأل من للمشكاة بعد يفتي الناس ويرشدهم، لأن القاضي مشغول بعمله، ومن جهة أخرى فإن ضعفاء الناس من النساء والضعفة لا يجدون مثله مفيداً ومعلماً ومبيناً، فأجبت أنه أمثال الشيخ عبدالعزيز في الناس قليل، فجعل يسترجع ويقول: من للحيض يرشدهن ويفتيهن؟ ومن ومن.

كان رحمه الله ذا ثروة عظيمة، ولديه أموال كثيرة، وبيته يقع في وسط البلد، وما كان فخوراً ولا متكبراً، وهذه صفته:

كان طوالاً، قليل اللحم، قوي البدن، لأنه يؤثر المشي، أبيض اللون مشرباً بحمرة، دائم التفكير، شعر لحيته أبيض، ولا يحب خضبها بالحناء، ولا يضع العصا عن يده، وأمره نافذ على الشريف والوضيع، فقد كانت الإمارة تخضع له، وقد قلنا فيه مراثية، بل الله ثراه بوابل الغفران، ورفع منازل في الجنان، وقد خرجت من كبد حرى وفؤاد موجوع، وقلب بآلم الفراق ملسوع، وذلك لما فجعت الخليفة برزئه، وعمت الأقطار مصيبتة فجادت القرية بهذه القصيدة لما قام بهذا الشخص العظيم من المصالح العامة لسائر المسلمين.

ولقد تفضل بعض الأدباء نحوي بإلقاء سؤال عن المترجم هل يستحق هذا المديح ولم يكن ملكاً ولا قاضياً ولا مفتياً، بل قصاره أنه رجل يصلح بين الناس

إذا اختلفوا، ويجمع شملهم إذا تفرقوا، ويعدل بينهم بالقسط؟ فأجبت أنه فوق ما قيل فيه، وفعلاً وافق بعد مضي زمان لما لم يكن هنا من يقوم مقامه، فنسأل الله تعالى أن يجبر المسلمين ويحسن عزاءهم على فقد رجال أكفاء أصيبت بهم الأمة، وعظمت لفراقهم الغمة، وما كل إنسان يعوضك غيره:

| | |
|---|---|
| على الشهم ذي العرفان من كان ينفع تسح دموعاً من قصيم محافل وحق لها تبكي وتندب دائماً تريق دموعاً وكفها مترادف فما فهد فينا سوى الأمل الذي وما فهد فينا سوى الكهف إن غدا وما فهد في الناس إلا مدافعاً فمن بعده يرعى الضعفاء ويحمهم إلى من له تأتي العناية وتشكي إلى من له يؤتى لكشف ملمة إذا ما ادلهم الخطب فرج رأيه فمن مثله في الناس يرجى لنفعه فكم كربته لله فرج جاهه بمال وجاه يفتدي كل من يرى لقد كان ذا عقل رزين مسدداً برأي سديد ليس يوماً بطائش أروني أخا عدل يقوم مقامه ومن ذا الذي يقضي الحوائج جاهداً فأهاً على نجم تبدى بضوئه فهيهات لا ننساه في كل نازل | ومن كان يجلي للخطوب ويدفع لفرقه أمست من البين تجزع على فقد حر في علاها مولع وتبكيه أقطار كثير وأربع يراح له في النائبات وينفع إليه ذوو الحاجات يقضي ويشفع فمطلبه يحصل وما رد يجمع إذا ما دهتهم معضلات وضيعوا وتقصده فيما عراها لينفعوا وكارثة تبدو وخرق يرقع بأمر ونهي في المطالب يسمع لقد قل أهل النبل حقاً ونزعوا يكاد لها القلب الرصين يقطع مضاماً ومغلوباً له ظل يفزع وكان لعمرى في البراعة مصقع فأنى لنا ركن سواه سميدع ومن ذا الذي أمسى به الشمل يجمع ومن هابه أهل الشقاء وقرعوا عسى الله بالجيران يرفو ويرقع قفوا نبكه حزناً عليه ونهمع |
|---|---|

ستبكيه نجد في الصباح وفي المساء
 بريدة تبكي عزها وفخارها
 لأن كان أمسى في الضريح مقامه
 فما كان فينا ظله وبقاؤه
 لقد كان والي المسلمين يخصه
 ونقض وإبرام وحل مشاكل
 لقد كان فخراً للبلاد وأهلها
 وقد أصبحت تنعاه في فقد ذاته
 أبوها فلا ننساه في كل شدة
 عليه سلام الله ما حنُّ راعد
 ولا زال غفران الإله لروحه
 وأزكى صلاة الله ثم سلامه
 محمد الهادي وآل وصحبه

وكانت وفاته في ٣ ذي القعدة ظهراً، فصلياً عليه بعد العصر في جامع بريدة
 ودفن في المقبرة الجنوبية المعروفة باسم فلاجة، وأصيبت الأمة به وبكاه المسلمون.

محمد بن عبد الله بن سليم

هذا هو حفيد والد الأسرة الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، وكان المترجم
 توفي شاباً رحمه الله عليه، وهذه ترجمته:

هو الزاهد الورع المجتهد في طلب العلم، العفيف الناسك، الذكي الفاضل،
 وسلالة الأكرمين الأفاضل محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الله بن
 سليم، ولد في آخر سنة ١٣٣٩هـ، فنشأ في حجر والده الشيخ القاضي عبد الله بن
 محمد، وأنبته الله نباتاً حسناً، وكانت أمه أعرابية، ولما تم له سبع سنين أدخله والده
 على المؤدب صالح بن محمد الصقعي فقرأ القرآن وتعلم الكتابة، ثم إنه لازم والده

حتى مات، ثم لازم عمه الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأخذ عنه وأخذ أيضاً عن الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، وكان عاقلاً سكيناً أديباً ليس بفظ ولا غليظ، وجعلت العيون ترمقه، ورجي أن يكون خلفاً بعد آبائه وأجداده، ذلك لما قام به من آداب أهل العلم والدين ورحمة الضعفاء والمساكين، والعمل بما علم، ثم إنه ولي إمامة مسجد عمه الشيخ عمر المعروف بمسجد ناصر في قلب بريدة، وتزوج غير مرة، وحج عدة مرات، وكان عمه الشيخ عمر يقدره ويحله، وقد مرض مرة بألم البواسير، فسعى جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود في جلب العلاج له وأدخل المستشفى فعاياه الله من علته.

ومما يجدر بنا ذكره أنه لما أراد أن يحج حجته الثانية حرص على أن يمتطي بعيراً وقال: إني حججت الفرض ووافق حجي بأنني لم تبرأ ذمتي بأداء الفرض على الوجه المطلوب، فلما أن كان في غرة ربيع الأول أصيب بمرض شديد، ثم إنه مات في ٦ الشهر المذكور، فآله المستعان، وقد صلى عليه المسلمون بعد صلاة العصر من ذلك اليوم وحزنوا وبكوا، وكان له من العمر ٢٦ وأشهر رحمة الله عليه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها في محرم نقل قاضي الدمام عبدالله بن محمد عامر إلى قضاء الموية القرية المعروفة في طريق مكة من جهة الشرق، ونقل قاضي جيزان عبدالله بن عودة السعوي إلى قضاء الدمام المذكور، ويقع في المقاطعة الشرقية، وكان قد قدم مندوب الباكستان مالك فيروز نون خان من الشرق الأوسط إلى جدة في طيارة وقابل ولي العهد سعود، وأعرب عن رئيس دولة الباكستان أنه يطلب من جلالة الملك المعظم أن يؤيد قضية فلسطين خاصة وقضايا المسلمين عامة، فهذه من رئيس دولة الباكستان محمد علي جناح نخوة حسنة، لا سيما وقد حصل على مسلمي أهل الهند أشد العذاب وأفدح الظلم، ودار عليهم دور خطير في تاريخهم وحياتهم، وقتل منهم عشرات الألوف، ومئات الألوف منهم أصبحوا لا مأوى لهم، وهم يهاجرون إلى الباكستان، وقد استولى الأعداء على أموالهم

وأراضيهم، ولم يتركوا وسيلة لأذيتهم والبطش بهم والفتك بهم إلى أتوا بها، فمن أجل هذا قاموا يصرخون في الحرم المكي الشريف بمناسبة اجتماع المسلمين فيه بالموسم، وبالأخص حجاج بيت الله الحرام، ويشكون ما يقاسونه مستمدين من المسلمين الدعاء والنصرة لهم على أعدائهم.

وفيها وقع في شمال إيران زلزال عنيف هدم كثيراً من الدور، وأسفر عن قتل مائتي شخص وجرح كثيرين، وكانت الخسائر فادحة في تلك الجهة.

ثم دخلت سنة ١٣٦٨هـ

استهلت هذه السنة والعالم العربي وغيره في حروب وزعازع، لا سيما مشكلة فلسطين فإنها قد بلغت الذروة في الصعوبة، وأصبحت تنذر بشر مستطير يوشك أن يصطلي بنارها الصغير والكبير، وتالله إنه لأحسن للمظلوم أن يدرع ويقاوم بالصبر والجلد، ويشمر عن ساق الجلد والعزم والحزم حتى يأذن الله عز وجل بنصر من عنده، أو أمر من نفحاته، فإنها لحالة عجيبة ونكتة غريبة أن تقوم أمة ضرب الله عليها الذلة والمسكنة وتوعدها بإطفاء نارها، وذلك لأنهم كانوا أقل من ذكرهم فتطرد العرب عن بلدانهم وتسومهم سوء العذاب بالقتل والأسر والنهب والتشريد، وأنواع العبث، فيا ليت شعري أين العرب؟ أين القوة؟ أين الشجاعة؟ أين العدل؟

وكان الأمير فيصل بن عبدالعزيز نجل الملك لما خطب وأبان لإبطال تقسيم فلسطين الذي صوت له الكثير وضح أن المصوتين بالتقسيم مرشيون، وأن العرب لا تقرّ التقسيم، أجاب بعض المغرضين بقوله: إذا لم ترضَ العرب ولا تقرّ ذلك فكيف تصنع؟ فتكلم الأمير فيصل بصفته منتدباً من قبل الحكومة السعودية وجعل يرغب ويزايد يقول:

سوف نقوم بواجب الوحدة لأخذ حق العرب ممن ظلمهم، سيقوم العرب قياماً يعرف به واجب حقهم، إن العرب أصبحوا أحراراً فيما يعملون، ومن حقهم

أن ينظروا إلى مصالحهم ويدافعوا عن حقوقهم بما يختارون من الوسائل معتمدين على الله ثم على أنفسهم، متمثلين بقول شاعرهم:

وإنما رجل الدنيا وواحد
من لا يعول في الدنيا على أحد
وقد علمتهم الحوادث أن حقوق الشعوب في نظر الدول القوية حبر على ورق، وأن الحكمة للقوة وحدها في كل زمان ومكان:

متى تجمع الرأي الصحيح وصارماً
وأنفاً حياً تجتنبك المظالم
وستبقى فلسطين عربية على رغم الصهيونية، ثم تكلم كل مندوب عربي بتقرير كلام فيصل.

ومما قال بعض الشعراء هذه القصيدة وقد عزاها بعضهم إلى الأستاذ فؤاد شاكر في دار الوزارة، وقد نالت الاستحسان واستعيد أكثر أبياتها:

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| ذر الدمع واذرف سائل القلب بالدم | فلا مآثم فيما مضى مثل مآثم |
| وأقبل على سيل الحوادث عابساً | غضبوا بزار الغاضب المتجهم |
| فأين إياة الضيم من كل سيد | يصول على الظلام صولة ضيغم |
| وأين رعاة الحق من كل صيد | يذود عن الأوطان جور التحكم |
| لقد آن للموتور أن يدفع الأذى | ويدفع ظلام الحقوق بميسم |
| لقد آن أن يردي الضلال بعزيمة | وأن لا يطأ الباغي بشع ومنسم |
| أبى الحق أن نمشي الغداة أذلة | نسام هواناً من بغى ومجرم |
| يعز على العليا أن يفقد الحمى | كرامته أو أن يذل ويرتم |
| سخياً على رغم اليهود أعزة | ونسحق بالأقدام ذل التقسم |
| ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه | يكن كيهود الأرض ذلة مغنم |
| طغت بفلسطين الهموم مبيدة | فمادت بقايا ركنها المتهمم |
| طغت بفلسطين الرزايا وإنها | لها الله كالبيت العتيق المحرم |
| رماها بغاة السوء والشر والأذى | بكل غوي فاجر متآثم |
| رويداً بغاة الظلم فالدهر قلب | وما ظالم إلا سيلى بأظلم |
| لقد طال ليل الظالمين وعسفهم | ويا رب ليل للمظالم أسحم |

تجشم فيه العرب كل رزية
وناءوا بأعباء جسام تصرمت
وسيموا من الخسف المبرح جاماً
فإما رضاء بالذي فيه حتفهم
فإما هوان للبلاد وأهلها
فأي هوان من مهين محقر
حمى القدس يمسي مستباحاً مهشماً
وروعتموا فيه الكليم نبيكم
وأغضبتوا فيه النبي محمداً
لقد طال صبر المسلمين وأنه
فما لكم إلا الحديد مسوماً

عليه دوي المرعد المتهزم
وأواجه الحمراء تصخب بالدم
وما هو عنها بالحديث المرجم

فإن شئتموا فالجو غضبان مرعداً
وإن شئتموا فالبحر ناراً وشعلة
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتموا

إليكم خذوها فهي من نصح مسلم
مظللة الأفياء للمتسهم
جموع رفاق في المدائن حوم
ففيه لشذاذ الورى ألف مجثم
لبؤم بعجز الثاكل المتأيم
بأوجهكم دنيا الفضاء المخيم
تليق بكم والله صدر جهنم
لأنفسكم فالسيف خير محكم
سيرى من جاء الضلوع المكنم

رويداً يهود الأرض مني نصيحة
مشت بفجاج الأرض منكم بسرعة
وماجت بكم في كل صقع وبقعة
فولوا إلى الضرب السحيق جموعكم
فدونكم إن كان فيكم رجولة
فإن ضاقت الأمريكتان وأوصدت
فإن لكم والرأي عندي مكانة
فإن لم يكن هذا ولا ذاك فاحذروا
ودونكموا فالسيف جذلاً مصلت

هلموا بني الإسلام فالأمر حازبٌ ولا بد من حزم الجريء المقدم
هو الجدل إن اليوم يوم وثوبكم فإن الجهاد اليوم للمتقدم
فدونكم هبوا لنصرة دينكم بحزم فمن يغفل عن الحزم يندم
وجودوا لها بالمال والنفس طيبة وما هو إلا بذل نفسٍ ودرهم
وسيروا ففي عبدالعزيز لواؤكم وقائلكم في الحادث المستهجم

وقد أكثر الشعراء من القصيد في فضائح اليهود، ولو أتينا بكل ما قيل لضاق
الموسع، كما أن صحف البلاد العربية شنت على اليهود وباحت بمسبتهم، ودوت
الإذاعات في سائر الأقطار العربية وغيرها بشأن قضية فلسطين.

وبالرغم من ذلك كله فإن اليهود حصلوا على مطلوبهم ونالوا أمانهم، وباء
العرب بالفشل، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك لأمر:
- منها قيام بريطانيا وأمريكا إلى جانب اليهود، فأصبح العرب يجاهدون أمريكا
وبريطانيا.

- ومنها تخاذل العرب وعدم وقوفهم صفاً واحداً في نحر العدو، فإنه شوهد من
بعض ملوك العرب أكبر خيانة وأبلغ طعنة وقعت في نحورهم، ولا نصرح بذلك.
- ومنها أن الملك عبدالله بن الحسين ظهر خائناً للعرب، وتكشفت نواياه عن
أمر لم تكن في الحسبان، وذلك بأن ثبت أنه كان على اتصال باليهود طول مدة
الحرب في فلسطين، وذلك بخمس وثائق كتبها بخطه عثر عليها المنقبون، بينما كان
يدعي أنه القائد الأعلى للجيش العربية إذا به يرسل الوفود إلى إسرائيل يعترف
بها وبمحكومتها وبوزير خارجيتها.

ولقد بذلت العراق كل جهد لحمل الحكومة الأردنية على تغيير سياستها،
ولكن مساعيها في ذلك لم تنجح، ولقد استدعت شخصية كبيرة في عمان وزير
العراق المفوض هناك وأبلغته رسالة إلى حكومته تتضمن عدم الموافقة على أن
يهب الجيش العراقي لإسداء العون للجيش المصري، وإذا لم يلب هذا الطلب
فإن الجيش العربي الأردني على استعداد تام لقطع خطوط مواصلات الجيش
العراقي والالتحام معه.

ولقد اجتمع مجلس الوزراء العراقي لبحث القضية حتى صوت عدد بضرورة إنقاذ جيش مصر وإن أدى ذلك إلى اصطدام الجيش العراقي بالأردني.

ومن قائل بضرورة الاتصال بالمسؤولين في الأردن لحملهم على إعادة النظر في الأمر، فصمم الأردن على عدم المساعدة وقرر عبدالله بن الحسين خطة اليهود لماله من المطامع الأشعبية، وقرر عزل سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني عن مقامه في فلسطين، وحرّم نجله طلال بن عبدالله ولاية العهد بعده. ومما جرى من اليهود عليهم لعائن الله أن هجموا على قرية من قرى فلسطين فقتلوا أهلها أجمعين، النساء والرجال والأطفال، ونكب أهالي فلسطين وأجلوا عن بلادهم، وقد طلبت الجامعة العربية مليوني جنيه لإعانة اللاجئين العرب، ونصف مليون لشراء خيام وملاجئ لهم، وشرّد أهالي فلسطين إلى البلاد العربية يسألون ويشحدون، وقد استمرت الحالة بين أخذ ورد في إعادة اللاجئين إلى ديارهم.

ولما أن سافر الأمير فيصل من الحجاز لحضور اجتماع هيئة الأمم المتحدة في آخر السنة المتقدمة والنظر في قضية فلسطين ظل هناك يناضل ويدافع مع زملائه ممثلي الدول العربية، وما زالوا يدافعون عن حقوق فلسطين أمام تلك الهيئة حتى يسوا من عدالتها.

وفي خلال شهر صفر من هذه السنة فوجئ العرب بأمور دبّرت في أريحا وهي إلحاق قسم بشرق الأردن، وصدر تصريح مشترك من وزارة الخارجية الأمريكية والبريطانية متضامين على السعي في إقرار السلم بفلسطين، وانهما يرتقبان المحادثة الجارية في ردوس، وقد رجع الأمير فيصل المعظم إلى جدة في يوم الأحد ٣ ربيع الأول من هذه السنة يعرض على الملك نتيجة مسعاه في هيئة الأمم المتحدة ويبين للأمة حقيقة الموقف، وقد خطب خطبةً بلغها ألوف المستقبليين لسموه في مكة إبان أن الأمر يومئذٍ لله، وقال في معرض كلامه:

لكن الذين نحاربهم الآن ليسوا اليهود، إنما هم دول الاستعمار الغاشمة التي تتجاذب مطامعها بلاد العالم لتخضع الضعيف لنفوذها واستغلال، وأكبر دليل على ذلك أن أمريكا التي لم تتفق مع روسيا في أية مسألة قد اتفقت معها في فلسطين، وأطال موضعاً سياسات الدول في هذه القضية، وبذلك تعلم سوء تصرفات عبدالله بن الحسين الشريف وخيانتة للجامعة العربية، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

ذكر ما جرى بعد الجهاد في فلسطين

أعلنت وزارة الدفاع السعودية لعموم عوائل الضباط، وضباط الصف والجنود الذين استشهدوا في فلسطين، ونشرت أسمائهم سابقاً في الصحف المحلية في العام الماضي بلزوم مراجعتهم المحاكم الشرعية في الجهات المقيمين فيها حالياً، وإثبات وراثتهم الشرعية لكل من له مورث من هؤلاء الشهداء وإرسال صورة من صك الوراثة بعد إرفاقه بمعرض رسمي يرسل بعنوان هذه الوزارة لإحالة لوزارة المالية إنفاذاً للإرادة الملكية التي تفضل بها جلالة الملك المعظم، وأمر باستمرار صرف رواتب هؤلاء الشهداء لعوائلهم شهرياً، ثم إنها قامت ملوك العرب الذين باتوا بلا مأوى بعدما أخذت اليهود أوطانهم ومساكنهم فأمسوا ضائعين مشردين، الأرض فراشهم والسماء غطائهم، أضف إلى ذلك إهانة المسجد الأقصى الذي هو أولى القبلتين، حيث كان هدفاً لقنابل مدافع اليهود، فأصبح بنائه متصدعاً.

فيا أمة الإسلام، ويا جيش محمد بن عبدالله ﷺ أين شجاعتكم؟ أين صرامتكم؟ أين هميتكم؟ أين أنفتكم؟ أما كان آباؤكم الأقدمون أولئك الضراغم الذين أخافوا فارس والروم ودانت لهم الأمم الأخرى.

ولقد فشلت هيئة الأمم المتحدة في حل قضية فلسطين، وترتب على قيام دولة إسرائيل تشريد سبعمائة ألف وسبعة وخمسين ألفاً من عرب فلسطين وجلائهم عن بلادهم.

وفيها في آخر الحميم الأول نزل غيث عظيم على نجد، وكان شدة وقعه

على القصيم، حتى أشفى بعض المحلات على الهلاك، وتوالى هطول الأمطار وكثر الكلاً والعشب، وأخذت الأرض زخرفها بحيث أنه لم يمر في هذه السنين الأخيرة مثله، وقد حرث الناس ووقفوا من البعل بحيث أن ثلاثين صاعاً بلغت ألف صاع، وامتلات الأمكنة من الأعشاب، فله الحمد والشكر لا نحصي ثناء عليه.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

ففيها في ١١ ربيع الأول توفى الشيخ إبراهيم بن محمد الوهبي التميمي من أهل شقراء، رحمة الله تعالى عليه، وكان رجلاً طيباً، اشتهر بين قومه بالعبادة والورع، وكان مع ذلك غيوراً محباً لدعوة التوحيد، مخلصاً لمولاه، مدافعاً عن هذا الدين الحنيف.

وكانت وفاته بمكة المشرفة عن عمر يناهز السبعين عاماً قضاها في خدمة الله ومرضاته، فرحمة الله عليه، فنعزي أهل الدين بوفاته، وقد وافق موته ليلة الاثنين، وانتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية.

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن سليم، وهذه ترجمته:

هو الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن الشيخ الإمام محمد بن عبد الله بن سليم حفيد عالم مقاطعة القصيم وعلامة تلك المقاطعة، وقد تقدم ذكر نسبه في ترجمة جده رحمه الله.

وكانت وفاته في ٢٩ جمادى الآخرة، وكان رجلاً طيباً ذكياً سكيناً أريباً عاقلاً، ذا دين وورع وأصل في علم التوحيد، وله قوة إدراك وسعة اطلاع على غامض المسائل، يحب الخمول والتقشف، وقد حج في صحبة عمه الشيخ عمر بن محمد بن سليم فأصيب بنكبة من الحرامية الذين يقطعون الطريق في جبال الحجاز زمن ولاية حسين الشريف على مكة المكرمة، وكان قد اختصه الشيخ

عمه عمر بأن جعله ككاتب صكوك في آخر عمره، فعاش بخير وتولى مهمة وظيفتين هما: إمامة مسجد في بريدة، ووظيفة التدريس في المدرسة الفيصلية ببريدة، فقام بالإمامة في مسجد ابن عمه الشيخ محمد بن عمر بن سليم، وأخذ يعلم أبناء وطنه في علوم الفقه والتوحيد والحديث، وكان قد حصل عليهما في سنة وفاته، ثم إنه أصيب بذات الجنب وتوفاه الله تعالى في هذه السنة عن عمر يناهز الخمسين، فرحمة الله عليه، وقد قضى عمره في طاعة الله ورسوله، وطلب العلم والعبادة والصبر على ما يصيبه، فخرجوا له الغفران.

محمد بن عبد الله آل ربيدي

كان هذا الرجل من الزعماء، ومن أكبر قبائل أهل القصيم، وكان وصولاً لرحمه مكرماً لأقربائه، ولا يزال بيته يعيش فيه فقراء قرابته لأنه غني وذو ثروة، أضف إلى ذلك محبته لأهل الدين والانتماء إليهم ونصرتهم، وإكرامهم فجزاه الله خيراً.

إبراهيم الحبيب بفتح الحاء وكسر الباء

كان مولعاً بالأذان للصلوات الخمس، ومحباً لأهل الدين، وينتمي إليهم، وكثيراً ما يلهج بعلماء هذه الدعوة الوهابية، ويثني عليهم ويذكر ما من الله به عليهم من التوفيق ومناصرة الدين، وقد شاب في آخر عمره وفقد بصره، غير أنه لا يزال في آذانه وعبادته حتى أتاه اليقين.

وختمت هذه السنة بحروب وزعازع بين الدول الأجنبية، فاستعملت الدبابات في فرنسا لإخراج العمال المضربين من المناجم، وحاولت أمريكا حل مشكلة ألمانيا ومطالبة روسيا والدول الغربية بالجلاء، حتى تكون ألمانيا تحكم نفسها بنفسها، أضف إلى ذلك مشكلة إسبانيا وما عليه اليهود من إحراقهم قرية صلحاء وقتلهم سكانها لرفضهم تسليم أسلحتهم، وإطلاقهم النار على المواقع المصرية، وقد كثرت واردات أمريكا إلى المملكة العربية السعودية من مصنوعات ومكائن، وحفارات للمياه، وجعل آبار ارتوازية.

وجادت عاطفة صاحب الجلالة عبدالعزيز بن السعود على أهل بريدة بأن جعل عمالاً ينقبون عن الماء في موضعين من البلد: أحدهما يقع غربي قصر الحكم في وسط بريدة، والثاني يقع في مجرى وادي الخبيب الجنوبي المعروف بالصقعاء، وقد استمر العمل بالمكائن الارتوازية، غير أنه لم ينجح إلا بعد أربع سنين، وكانت واردات أمريكا من القماش والحبوب وأنواع السيارات تفوق بكثير على ما سواها، هذا وقد عجت الإذاعة السعودية في مدينة جدة بالإذاعة والأخبار تذيع الأخبار وتنشر شيئاً من الأدب والتفسير وتلاوة القرآن.

ولما حجبنا في هذه السنة رأينا من نشر الأمن وبذل الجهود في راحة الحجاج شيئاً عجيباً، وبلغ عدد الحجاج الذين وقفوا بعرفات أربعمائة ألف وخمسين ألفاً، وحج بالناس في هذه السنة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن سعود.

هذا وقد تغلبت روسيا في هذه السنة على الصين وبسطت حماية ملكها عليه، وتفوقت في الصناعات، وظهرت مظهراً عجيباً في التقدم، وجعلت تتقرب إلى المسلمين لتزيل الأثر الذي علق في نفوسهم من مناصرة الصهيونيين وميلهم إلى المناصرة للعدوان الصهيوني.

أما بريطانيا فإنه لما كان قبل هذه السنة بعشرين عاماً بدئ في استخراج البترول بواسطة الشركة الأمريكية، واتخذت مدينة الظهران قاعدة رئيسية لحقله، وبما أن كمية استخراجه جعلت تزداد يوماً عن يوم مما يبشر بمستقبل زاهر وحصول على مال منه وفير، كما مدت أنابيب من أبيق إلى ميناء صيداء بلبنان قبل هذه السنة بستين تسهلاً للنقل، حتى بلغ طول هذه الأنابيب سبعمائة واثنين وخمسين ميلاً، فإن بريطانيا لا تزال تتجرع مرارة فوات هذه الشركة، وكيف أنها لا تحل مكان أمريكا، ولقد كانت تبيت عرقلة المساعي لنجاح هذه الشركة بإزالة جهودها، غير أن الحكومة السعودية لا تزال متيقظة لدسائسها، وساهرة على شعبها، وسنلوح لذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى عند ذكر معادن المملكة وحاصلاتها.

ثم دخلت سنة ١٣٦٩هـ

ففيها كمل خمسون عاماً من ولاية صاحب الجلالة والمهابة الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، وذلك في ٤ شوال منها، فهبّ الشعب من أقصاه إلى أقصاه وقامت البلاد معلنةً سرورها وابتهاجها بمضي خمسين عاماً على فتح الرياض وتأسيس هذه المملكة السلفية العظمى التي بها علا دين الإسلام ونصر، وقضى بها على البدع والخرافات وعبادة الأوثان والتمسح بحجر الأولياء والصالحين، وناهيك بهذه النهضة التي قام بها، فلو أنها توفرت في زمن الأمويين والعباسيين للهجت بها الألسن وملئت بها التواريخ.

إن عبدالعزيز بن عبدالرحمن رجل عظيم أشرب منذ نعومة أظفاره بما جرى عليه السلف الصالح من توطيد دين الإسلام، وإخلاص العبادة لله وحده، ونصرة الدين وأهله، فمن أجل ذلك أعانه الله تعالى وأيده ونصره، وأعزه، ولينصرن الله من ينصره، ومكن له في الأرض ومن كان مع الله كان الله معه، ففتحت له كنوز الأرض، وجمع شتات العرب، ونشر الأمن في ربوع الجزيرة، وأمن الله به بعد الذلة، وكثر به بعد القلة، وبينما كانت الأمة تهيم الاحتفالات وتعد المهرجانات لإقامة عيد ذهبي إذا بصاحب الجلالة ينشر أوامره برفض ذلك العيد نزولاً على حكم الإسلام بأنه لا يشرع أعياداً إلا ما شرعه الله ورسوله، كعيد الفطر والأضحى، غير أنه تمكن بعض الجهات من توزيع الصدقات، وتعالى الأصوات بالحمد والثناء لله الذي منّ على المسلمين بهذا الملك الذي فضائله كنار على علم، فإجابةً للطلب ونزولاً تحت الرغبة ثنت الأمة عزمها واتخذت الدعاء له والثناء عليه عوضاً عن العيد، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، ويكفي شرفاً له قوله في بعض خطبه: يقولون أننا وهابية، والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا، نتبع كتاب الله وسنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله، ولقد صدق القائل:

فليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبينى وبين العالمين خراب
ونحن جميعاً مقصرون في أمور ديننا، ولكن الله غفور رحيم.
وفي حديث قدسي ما معناه: «يا عبادي لو لم تذنّبوا وتستغفروا لخلقت عباداً
يذنّبون فيستغفرون فأغفر لكم».

أما عن فلسطين فنحن لا نقصر عنها إن شاء الله، وها نحن مجاهدون في سبيلها
بحول الله، وأنا لا أحب أن أقول عملت ولا أن أقول سأعمل، بل ولا أحب
الأقوال مطلقاً، ولكن متى صلحت النية فالعمل حاصل إن شاء الله، وها هي ذي
الجامعة العربية سنوالياً تأييدها بكل ما نستطيع، وقد اتفقت فيها كلمة العرب،
والذي أرجوه أن يكون العرب جميعاً يداً واحدة، وأن لا يشذ منهم أحد، وإلا فقد
صح فينا قول القائل:

تجافى عن العتبي فما الذنب واحدٌ وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فوا عجباً إن سالتك إلا باعدُ

ولا زلت أوصي المسلمين بالاتحاد والتعااض إلى آخر كلامه الذي ألفاه في عيد
الأضحى سنة ١٣٦٥هـ، أما في البلاد الأخرى فقد أقيم ذلك العيد الذهبي لجلالة
الملك ابن السعود واتسعت الاحتفالات والموائد، ووزع على سبعمائة مدعو في
الباكستان من الأعيان والكبراء رسالة موجزة عن سيرة الملك ابن السعود مطبوعة
بثلاث لغات هي: العربية والأوردية والإنكليزية.

وفي هذه السنة فتح القصيم عدة مدارس، ففتح في روضة الربيعية، وفي
قرية القصيبة، وفي البدائع، وعيون الجواء، وفي المذنب، والشماسية، والرياض
الخبراء، الرس، وقصر ابن عقيل قبل ذلك، كما فتح في مدينة بريدة مدرستان
زيادة على الأولى.

أما عنيزة ففيها إذ ذاك أربع مدارس، وكلها لا تتجاوز الابتدائيات إلا ما كان
من عنيزة، فقد نشأ فيها معهد، ولا تزال تلك المقاطعة في ازدياد ونشاط.

وفيها زاد جلالة الملك عبدالعزيز في رواتب الموظفين، فبلغ راتب القاضي إلى
ألف ريال وأقلهم من له خمسمائة ريال شهرياً، وجعل للمتطوعين في هجر البدو

رواتب شهرية بقدر مائتين ريال، وقد رخصت الأسعار فاكن صاع البر في ريال ونصف بعدما كان في أربعة ريالات، وصاع الذرة في ريال بعدما كان في ريالين ونصف، كذلك الأرز فقد نزلت قيمته إلى ثلاث ريالات، كما أن السكر والشاي وسائر الأشياء قد نزلت قيمتها وسهل تناولها.

وفيها في برج الدلو وقع برد شديد جمدت له المياه، وصعب أمره على الخلق، حتى جاءت الأنباء على التحقيق من أهل الخبرة والمعرفة والرصد أنه لم يأت في هذه السنين المتأخرة قبل هذه السنة منذ خمس وعشرين سنة مثله، ونزل على ناحية الشمال في محادة المملكة السعودية ثلج كثير هلك لأجله أمم كثيرة، فسبحان من غلبت قدرته قدرة كل مقدور، هذا وقد توالى الصدقات من الحكومة للشعب براً وذرة وتمراً وغير ذلك.

هذا وقد كان أهل الوظائف في رتبهم، فكان على وزارة المالية عبدالله بن سليمان بن حمدان، وقد نال تمام الثقة لدى جلالة الملك عبدالعزيز، ويعتبر رجلاً عظيماً نبياً ماهراً، أضف إلى ذلك أنه حظي في مقامه ذلك، وكان على إمارة المقاطعة الشرقية صاحب السمو سعود بن عبدالله بن جلوي، وكان ندباً حازماً قد سلّ السيف على عنق كل معتد، حتى أصبحت تلك المقاطعة تتمتع بالأمن والطمأنينة، ومن أعظم الأمراء الذين في معيته تركي بن عبدالله بن عطيشان، وكان من أهالي بريدة في القصيم، وكان على إمارة المقاطعة الشمالية صاحب السمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد، وكان رئيساً على عدة إمارات في تلك المقاطعة، وكان الأمير فيصل بن جلالة الملك هو النائب العام على مكة المشرفة وما يليها، وكان على إمارة مقاطعة القصيم صاحب السمو عبدالله بن الأمير عبدالعزيز بن مساعد، وهكذا. أما القضاة والعلماء فكان في رئاسة القضاء في الحجاز والمنطقة الغربية فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ.

وأما فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فكان في الرياض ينتابه الأهالي والغرباء ويترددون إليه لاستفراغ منطوقه، وكان وفقه الله فوق ما يقال عنه علماً وأدباً وصبراً.

وكان في قضاء الخرج وتلك النواحي الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن آل باز النجدي.

وكان في قضاء بريدة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.

وكان في مدينة عنيزة من بلاد القصيم فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، وكان حليماً وقوراً عفيفاً سكيناً، فيه مكارم أخلاق، وله قوة ملكة في التفسير والتأليف، وقد طبع من مؤلفاته عدد كثير، وهي موجودة فجزى الله من أغان الإسلام وأهله ولو بشرط كلمة، وإن عالماً كمثل الشيخ عبدالرحمن في حكمته ودمائة أخلاقه لقليل.

أما القاضي في عنيزة إذ ذاك فكان فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عودان.

وفيهما، بل في مستهلها افتتحت كلية الشريعة في مكة المشرفة، وكان موضعها في شارع القشاشية قريباً من دار الأرقم، وقريباً من منزل حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وإن تأسيسها ليبشر بخير لأنها تضم الناجحين من المعاهد وغيرها، فأقبل إليها الطلاب، وعلقت الآمال على طلابها.

وفيهما انتهى طبع مصحف مكة المكرمة، وكان هذا المصحف قد قام بطبعه شركة من الحجاز، وقام بهذه الفكرة بعض الأدباء، ففوض الأستاذ محمد طاهر الكردي الخطاط، وجرى الاتفاق معه على كتابته، فأكمل نسخه بهمة عالية، وصححته لجنة مؤلفة من بعض أفاضل العلماء بمكة، وبعث به إلى مشيخة القراء بمصر، ثم إنه جلبت له مطبعة كبيرة حديثة من أمريكا فبوشر طبعه في السنة التي قبلها وانتهى في هذه السنة، ولقد سرت الأمة كثيراً بمصحف مكة المكرمة، وبأنه صدر من هذه البلاد المقدسة التي أنزل فيها القرآن لأول مرة، واعتبرت هذه الوثبة التي وثبتها البلاد بهذا المشروع مظهراً رائعاً من مظاهر انبعاث المجد لهذه المملكة.

وفيهما في موسم الحج عشية عرفة والساعة في الحادية عشرة تزيد ثلاثين دقيقة أصاب الحجاج وهم وقوف في عرفات مطر ممزوج بحجارة - أعني برداً - واتفق أنه كان معه ريح شديدة جداً، فتأذى المسلمون بذلك بعدما رجهم البرد

وعصفت العاصفة، فلم يتمكنوا من ضبط الخيام لتقيهم ذلك، غير أن الله تعالى لطف بالحجاج بأن أقلعت سريعاً، وكان البرد يقدر بعضه بمثل بيض الدجاج.

ومما شوهده من العجائب أن أعرايياً جعل يتمرغ في الأرض ويقول: إلهي ما هكذا تصنع بحجاج بيتك وزوارك، فرحمه من حوله والله أرحم الراحمين.

وفيها في يوم الاثنين ٧ رجب افتتح الملك عبدالله البرلمان الأردني، واستصدر منه قراراً يقضي بضم القسم العربي من فلسطين إلى شرق الأردن تحت تاج الملك عبدالله بن الحسين، وصرح بأن قرار الجامعة العربية الذي صدر في إبريل سنة ١٩٤٨م وقضى بانسحاب الجيوش العربية من فلسطين وتسليم البلاد لسكانها الأصليين أصبح لاغياً.

ولما أن قسمت القدس بين الأردن وإسرائيل وأدركت الحكومات العربية خطر قيام دولة إسرائيل في المنطقة، عملت على التكتل والاتحاد لمواجهة هذا الخطر، فعقدت ميثاق الضمان الجماعي لتقوية أواصر التعاون الحربي والاقتصادي فيما بينها، وقد أصيب أهالي فلسطين من أعمال اليهود الوحشية، وشدة النكاية بهم، ومعاملتهم بأنواع البطش والتعذيب، بحيث لم يرحموا صغيراً، ولم يوقروا كبيراً، ولم يرحموا فيهم إلا ولا ذمة، مع أن اليهود أقل من ذكرهم وأحقر من ذلك خسة وذلة مع ما توعدهم الله تعالى به من اللعن وإلقاء العداوة فيما بينهم، والبغضاء إلى يوم القيامة، غير أن الأمور مرهونة لأوقاتها، ولا شك أن هذا الهوان لأهالي فلسطين وإجلالهم عن أوطانهم، وقتلهم وتعذيبهم بأنواع العذاب كله بشؤم الذنوب والمعاصي، كما قص الله علينا في كتابه معاملة مختصر لبني إسرائيل لما أفسدوا في الأرض وعلوا علواً كبيراً، فأقبل مجنوده حتى نزل بساحتهم وحاصرهم، فنزلوا على حكمه، فحكم فيهم بحكم الجاهلية، وبطش بهم بطشاً عظيماً، فقتل منهم الثلث، وسبى الثلث، وترك الزمنى والشيوخ والعجائز، ثم وطأهم بالخيول وهدم بيت المقدس وساق الصبيان، وأوقف النساء في الأسواس حاسرات، وقتل المقاتلة، وخرب

الحصون، وهدم المساجد، وحرق التوراة، ثم انصرف راجعاً، وحمل الأموال التي كانت في الشام، وساق السبايا، فبلغ عدة صبيانهم الذين سبوا من أبناء الأحبار والملوك تسعين ألف غلام، وقذف الكناسات في بيت المقدس، وذبح فيه الخنازير، ونظر بعض أنبياء بني إسرائيل إلى ما يصنع بهم بختنصر من العجائب وأنواع التعديات فقال مخاطباً ربه تبارك وتعالى بما كسبت أيدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا.

وقال بختنصر لدانيال ما الذي سلطني على قومك قال عظم خطيئتك، وظلم قومي أنفسهم، فهذا مما يخيف الأمة في هذا الزمان، ويبعث الخوف والقلق، وإنني لأنصح وأحذر المسلمين من عقوبات الذنوب والمعاصي فإن الله عز وجل يغار فيجب على المسلمين أن لا ينهمكوا في تقليد الأمم الأخرى ويقلعوا عما هم عليه، لأن غالب المنتسبين إلى الإسلام اليوم في أقطار الأرض إلا من شاء الله حدث فيهم الانحلال وخف عليهم أمر دينهم، ولم يتقيدوا بتعاليم الشريعة بحيث سلب ذلك وقارهم وجعلهم ضحكة للأجانب فلا حول ولا قوة إلا بالله، ومن عاش فسوف يرى.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

فمنهم الأمير محمد الرعوجي، وهذه ترجمته:

هو الهمام التقي الأمير الجواد السخي الكريم، أمير الأسياح، البطل الشجاع، ذو المناقب العلية والفضائل الجليلة، أبو زيد محمد بن رعوجي بن زيد ابن محمد بن فهيد بن فهيد بن راشد بن صالح بن ناصر بن قراض بن سعود بن محمد بن جلهم بن روق، ينتهي نسبه إلى المساعدة من عتيبة، كان يجتمع نسب آل فهيد هؤلاء ونسب آل فوزان في راشد بن صالح، وسمي فهيد باسم أبيه لأن أباه توفى وهو حمل، فسمي باسم أبيه، فيكون فوزان وفهيد أخوين، أما والد الأسرة محمد بن فهيد فهو أمير الأسياح إذ ذاك، وكان له عماليك وخيل،

ومشهوراً بالكرم والجود، فلقد وفد عليه مرة ألف راكب، فقام بضيافتهم وإكرامهم وزودهم بالطعام عند رحيلهم، وله أربعة بنين: زيد وهو الأمير بعده، وعلي، وعبدالعزیز، وعبدالمحسن، فذرية زيد الرعوجي فهد وفيصل.

وأما فهد بن زيد فذريته نائف وتركي وراشد.

وأما فيصل بن زيد فله ابن يدعى حمد بن فيصل، وأما علي بن محمد فأرث بداحاً ومنديلاً.

وأما عبدالمحسن فأرث ناصراً وعبدالله وفهيد ومحمد.

وكان لنائف بن فهد راشد النائف ومنديل ومحمد وفهد وعبدالله.

وكان لتركي بن فهد أيضاً ابنان فهد وراشد، وكان لراشد هذا ابن يدعى محمد الراشد.

أما عبدالعزیز بن محمد الفهيد فله ابن يدعى حمد، ولحمد هذا أبناء يسكنون البرقاء.

وأما منديل العلي فله من البنين مشاري وفهيد ومحمد.

وكان لمنديل بن نائف ابن يسمى صالح بن منديل، وكان رجلاً طيباً مشهوراً بالرجولة، وفيه مكارم أخلاق وتقدم، كما أنه كان لفهد بن نائف ابنان عبدالعزیز وتركي، وكان لراشد بن نائف أولاد منهم عبدالله وتركي وفهد ونائف، وكان لحمد ابن نائف ابن يسمى عبدالعزیز، أما الذين تولوا الإمارة منهم: فعبدالمحسن بن محمد، وعلي بن محمد، ومنديل بن علي، وحمد بن عبدالعزیز، وناائف، وتركي بن فهد بن زيد، وكان تركي مشهوراً بالكرم والجود، حتى قال فيه الشاعر:

تركي كريم وبجاجة ندى حكام نجد ما يلاذونه^(١)

ذكره هوى مصر هو والحسا والباب عيالا يصكونه^(٢)

رجعنا إلى ذكر الأمير محمد الروعجي فنقول: كان له أخ يدعى ناصر، وكان

(١) يلاذونه: أي لا يماثلونه في الكرم.

(٢) عيالا: يعني أبى، ويصكونه: يغلقونه.

محمد فوق ما قيل عنه كرمًا وجوداً ورجولةً، ولقد زارني في صحبة الشيخ عثمان ابن أحمد بن بشر، وكان إذ ذاك قاضياً في بلاد الأسياح، وجاء بالأمير للسلام علي وعمري يومئذٍ لا يتجاوز الحادي والعشرين، فرأيت الرجل من أفذاذ الرجال، ومن خيرة أهل زمانه، وكان عاقلاً شريفاً.

ولد المترجم في سنة ١٣٠١هـ ونشأ على العفاف والسخاء، يطعم الطعام، ويتصدق على الفقراء، ويحنو على ابن السبيل، ويساعد المحتاجين، ويحب أهل الدين، ويميل إليهم، ويمقت الشر وأهله، فأما عطفه على الفقراء والمحتاجين فحدث ولا حرج، وكان محترماً في قومه وعشيرته.

ونورد قصة تدل على عطفه وإحسانه، وماله من الأيادي الجميلة، فإنه لما كان في المسغبة التي وقعت في سنة ١٣٢٧هـ ركب حصانه في إحدى الليالي من آخر الليل لحماية زرع من السرقة فوجد أربعة من الرجال قد دخلوا في الزرع وأكلوا ما حوالىهم من السنبل لما هم فيه من شدة الجوع، فلما رأى حياضاً في وسط الزرع خالية من النبات أقبل عليها يهتدي بنور القمر، فوجد أولئك البؤساء، فحجلوا لما رأوا الأمير وقالوا هذا الرعوجي فكيف نصنع؟ ووجوا وسكنت حركاتهم خوفاً منه، فلما رآهم بهذه الصفة رق لحالتهم وسكن روعهم وتكلم قائلاً: يا أولادي خذوا لأولادكم فأنتم مني في حلّ، خذوا وأكثروا، اللهم ارفع ما أنزلت بالمسلمين وارحم ضعفهم، لا بأس عليكم يا أولادي، فترع كل واحد منهم ثوباً من ثيابه وملأه سنبلًا وذهبوا يحملونه على رؤوسهم إلى أهاليهم، وكثيراً ما يمنح الضيف إذا ارتحل عدل بر لأولاده، وله مناقب كثيرة.

ولما مات خلفه في الإمارة ابنه زيد بن محمد.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان رجل الدين والعلم والفضل الشيخ محمد ابن مقبل رحمة الله تعالى عليه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الزاهد، ذو الصدق والمعرفة، الرزين الأملعي، محمد بن مقبل ابن علي آل مقبل.

كان المترجم ابن أخيه الشيخ سليمان بن علي بن مقبل قاضي بريدة منذ مائة

سنة في أيام عبدالعزيز بن محمد بن عليان، ولد المترجم سنة ١٢٨١هـ، فيكون له من العمر سنة وفاته ٨٨ سنة قضاها في طاعة الله وعبادته، فنشأ في طلب العلم، وجدّ واجتهد، وكان يتردد إلى قرية المريدسية المشهورة في القصيم من قرى بريدة للأخذ عن الشيخ الزاهد عبدالله بن حسين حيث يعلم فيها بصفته يدرس، وتخرج عليه طلاب كثيرون، فكان الشيخ محمد يعمل في فلاحته ويأكل من كسب يده، فإذا ذرى زرعه في البصر والمنسي في فصل الربيع فإنه ينحدر مسافراً من البصر إلى الريدسية لطلب العلم، وكان يصحبه زميل له يدعى رشيد آل إبراهيم بن محميد، فيأخذون في الدراسة لدى الشيخ المذكور، فأما المترجم فإنه لا يرجع إلا إذا بيس التمر في رؤوس النخل وقت الصرام إذا حلت الشمس في برج الميزان.

وأما رشيد بن إبراهيم فإنه يرجع في آخر نهار الخميس ليؤم جماعة أهل البصر في صلاة الجمعة، ثم يعود من آخر النهار.

أما مشايخ المترجم: فإنه أخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن سليمان العريني، وكان عالماً من علماء القرية، غير أنه خامل الذكر، وأخذ عن الشيخ الزاهد الورع عبدالله بن محمد فدا، وذلك في حال إقامته في المريدسية أيام آل رشيد، وناهيك به علماً وعبادةً وزهادةً، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن حسين آل أبي الخليل، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان من زملائه صالح اللهمي وعبدالعزیز بن عودة السعوي، وسليمان بن ناصر السعوي، وأخذ عن المترجم خلائق كثيرون:

فمنهم الشيخ عبدالعزيز بن سبيل، وآل حديشي، وأخذ عنه ابنه صالح بن محمد ابن مقبل، ودرّس في البكيرية بعدما توظف في قضائها، ودرّس في البصر، وتولى الخطابة فيها، وتخرج عليه طلاب كثيرون، وكان يحب عدم الشهرة، ولا يحب الجاه والرئاسة.

ولما توفي قاضي مقاطعة القصيم الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن سليم، رغب الأهالي وذوو الحل والعقد في أن يكون خلفاً عنه، وساروا إليه من

بريدة يطلبون منه أن يجيبهم إلى ما رغبوا، فرفض وأبى ذلك، فرفعوا إلى صاحب الجلالة الملك خطاباً يطلبون منه أن يتولى قضاء المقاطعة، فبكى واعتذر بكبر سنه، ففاز بالعافية، ولما أن ولاه ابن سعود قضاء البكيرية سنة ١٣٤٧هـ أمر وكيل مالية بريدة أن ينفذ له ثمانمائة صاع بر وألفي وزنة تمر، وألف ريال سنوياً، فأبى أن يقبلها وقال لوكيل المالية: ابقها في المالية حتى أحتاج إليها، أما اليوم فإنني بغنى عنها، وأبى أن يقبلها، وحج فعلم الملك عبدالعزيز بقدمه، فبعث إليه بكسوة وأمره أن يأتي إليه للسلام عليه، فرد الكسوة وجاء صباحاً للسلام على جلالته، فقال له: نفرش لك بيتاً ونؤثته، فأبى واعتذر بأنه هناك بيت وكل ما يشتهي، فهو عنده، فطلب منه الملك أن يبعث إليه بناقة ليشرب لبنها فقبل، غير أنه لم يتناوله بل كان يشربه أصحابه.

وكان إذا سمع تلاوة القرآن أمر القارئ أن يتدبره، وصلى فقراً بأصحابه في العشاء الآخرة سورة عم والنازعات فسقط مغشياً عليه رحمه الله.

ومن توفى أيضاً فيها من الأعيان صالح شطا رئيس مجلس الشورى في النيابة، كانت ولادته سنة ١٣٠٢هـ، ودرس بالمسجد الحرام، وله رحلات متفرقة بين الأقطار، عاد في أعقابها إلى بلاده، ونفي في عهد الحكم السابق، ثم عاد حين تسلسل في وظائف حكومية عالية، منها: إدارة المعارف، وآخرها رئاسة مجلس الشورى بالنيابة، وله عديد نافع من المحاضرات والتهميشات والمقالات الروائع، وكان صريحاً ومثال التضحية والإخلاص والنشاط، ويعتبره أهل الحجاز من أجلة العلماء، لذلك يلقبونه السيد صالح، ويعتبرونه علماً من أعلام البلاد، حتى قالت إحدى الصحف: أنه كان ملئ السمع والبصر روحاً ونشاطاً وتفكيراً وحيوية، مما جعله محل التقدير الخاص والعام، ومحل رضا الملك عبدالعزيز وآل بيته، وإعجاب الشعب على اختلاف طبقاته.

ذلك لأنه كان يعمل على ما يحقق للعروبة عزها، وللإسلام قوته، وكان أوفر ما يكون نشاطاً وصفاء ذهن في سنواته الأخيرة، بل حتى يومه الأخير.

وقد روى عنه أنه لما كان في يوم الاثنين ٢٨ صفر كان على عادته يصرف أعمال المجلس ويدير جلساته، وظل حاله هكذا طول يومه، حتى إنه كان يستعد للنزول إلى جدة في ليلة الثلاثاء لإذاعة حديثه من محطة الإذاعة اللاسلكية، ولكن الموت الذي هو غاية كل مخلوق عاجله بعد أن أدى صلاة المغرب، فأصيب بسكتة قلبية، وشيعت جنازته في الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم الثلاثاء آخر صفر، وكان خروج روحه قبل أن تتم الساعة الواحدة بدقائق من الليلة المذكورة، فرحمة الله على أموات المسلمين، وإنه ليؤلمنا كثيراً أن نفقد رجال الدين ورجال الأعمال الذين كانوا مثلاً في الإخلاص والعلم والمعرفة، فتصاب الأمة بمصيبتهم، وينهدّ ركن من أركان الشعب بموته، نسأل الله تعالى أن يسدد الأحياء ويرزقهم العلم والمعرفة والبصيرة.

ومن توفى فيها أمير الكويت أحمد الجابر بن مبارك بن صباح، وكان موته طبيعياً، وهذه ترجمته:

هو الأمير شيخ الكويت وحاكمها أحمد بن جابر بن مبارك آل صباح، ولد في الكويت في رأس القرن، وكان كاتباً قارئاً متواضعاً يعالج الأمور باللين والحكمة، بعيداً عن العنف وسفك الدماء، يميل إلى الاقتصاد، ولديه ثروة، وكان متادباً واسع الاطلاع، ربعة القامة، حنطي اللون، ممتلئ الجسم، كث الشعر، بهي المنظر، جذاب الملامح، يلبس الملابس العربية ويضع العقال على رأسه، ويتدثر بالعباءة، ويتمنطق بخنجر في وسطه، ويضاف إلى ذلك أنه كان يرقب سير الحركة الأدبية والعلمية والسياسية في الشرق العربي عن كثب، ويقرأ الكتب والصحف معجباً بالمدينة الأوربية، ميالاً إليها.

ولما حج للمرة الأولى في ١٣٣٦هـ أكرم الحسين وفادته ودعته الحكومة الإنكليزية على أثر ختام الحرب العظمى، وهو ولي العهد، فسافر إلى زيارة عاصمتها لندن، وبلغها في شهر صفر ١٣٣٨هـ وأهدى إلى ملك الإنكليز حصاناً عربياً، وسيفاً وخنجرأ مذهيين، فقبل الإمبراطور هديته شاكرأ، كما سافر إلى مسقط والرياض وغيرها، ولما نعي له وفاة عمه سالم في شهر رجب ١٣٣٩هـ وهو في نجد

عاد إلى الكويت وتقلد زمامها، وكان هو التاسع من آل صباح الذين تتابعوا على إمارة الكويت، فأولهم الشيخ عبدالله بن صباح وهو مؤسس البيت، ثم ابنه جابر فصباح، فعبدالله، فحمد، فمبارك، فسالم، وأصلهم كانوا من ربيعة، ولقد كانت الحكومة في زمن جدهم الأعلى صباح عبارة عن بيوت صغيرة حقيرة لبني خالد، وما زالت في زيادة حتى عظم قدرها، ومن خصاله التي يحمد عليها أنه قد حافظ في كل مساء على أن يوافيه أحد شيوخ الدين فيتلو دراساً في الفقه أو الحديث والعلوم الإسلامية، فيستمع إليه مع من يكون هناك من ضيوفه وزواره حتى أذان العشاء الأخيرة، ويسكن قصر دسمان الذي يقع على ثلاثة كيلوات من الكويت، وقد أثّر بكل الوسائل الجالبة للراحة، وجهزه بالأثاث الفاخر الحديث، وقد أنير بالكهرباء القوي.

وكان صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ملك المملكة العربية السعودية يعجب بأخلاقه، وقال له مرة حينما التقيا: أنا سيف مسلول بيدك، فاضرب به كما تشاء.

سليمان بن علي الوهيب

كان قد ناهز التسعين من عمره وقضى جزءاً كثيراً من عمره في طاعة الله وحده، ولازم وظيفة الأذان في أحد مساجد بريدة ثلاثين سنة، وكان ذا أصل عظيم في التوحيد، محباً لأهل الدين، وقد جدّ في طلب العلم، بيد أنه لم يحصل على كثير منه، وقد لازم الشيخ عمر بن محمد بن سليم وخدمه قدرأ من عشرين سنة، وكان مكباً على دراسة القرآن، فما كان يتخلى عن التلاوة ويعتكف في العشر الأواخر من رمضان على الدوام، ومن عادته أنه كان يلبس عمامة ليلة إحدى وعشرين منه، ثم يكب على المصحف، فيعجب كل من يراه من كثرة اجتهاده، وسيلقى ما قدمه موفوراً له، وكانت وفاته في ٧ جمادى الأولى، فرحمة الله عليه، ونسأله أن يتغمده برحمته ويسكنه بمجوح جنته، وكان عابداً مجتهداً.

ومن غرائب ما وجدت منه: أنه يتوكل على ربه في أمر معيشتة، ويلهج بقول

بعض السلف الصالح: والله ما أبالي لو كانت الحبة بدرهم، وقول بعض السلف أيضاً عن أمر المعيشة، وأن الله تعالى هو الرزاق لخلقه منه الثمن والمثمن.

وفيها وفاة رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بريدة رجل الدين والخير عبدالعزيز بن علي بن مقبل، وذلك في ١١/٢٠ من هذه السنة، وكان قوياً مهاباً جداً.

وفيها في شوال وقعت حريقه في جدة وكادت أن تهلك ما مرت عليه في البلد لولا عناية الله جلّت عظمته، فسخر أطفائها على أيدي أناس من الأمريكين، واستعملوا أشياء لإطفائها، وفي الشهر أيضاً نزل على مكة المشرفة خريف كاد أن يغرق أهلها.

وفيها حصل انقلاب في سوريا واستعملت لذلك الأسلحة، وقتل بعض الزعماء. وفيها قدم ملك الأفغان لزيارة رسمية للمملكة العربية السعودية، واستقبل استقبالاً يليق بفخامته، وعاد بعد الزيارة إلى وطنه، ويؤمل من هذه الزيارة عقد الأخوة بين ملوك الإسلام والعرب للنظر في أمور السياسة.

ثم دخلت سنة ١٣٧٠هـ

استهلت هذه السنة وعمال الشركة يدأبون في التنقيب عن المعادن في المملكة العربية السعودية من ذهب وفضة، وسائر المعادن والبترو، وحصلت على قدر عظيم من ذلك وأصبح الظهران وما يله من البلدان كالدمام والخبر ورحيمة وغيرها قد امتدت عمارتها وغمرتها الخلائق من كل حذب وجهة، فملأوا تلك الأراضي التي كان مستقبلها لا يزال في ازدهار وتقدم ونشاط، وذلك لما قام بتلك المقاطعة من المصالح الدنيوية، حتى رتعت مجلل الثقافة والرقي، وإن بلاداً يستخرج منها البترول بأنواعه بكثرة لجديرة بالتقدم، ولقد استطاع وزير المالية عبدالله بن سليمان بن حمدان خلال العشر سنوات أن يفيد المملكة امتيازات شركة أرامكو، فجنى بها من الأموال ما لم تكن تنتظره، وأنفق معظمها، ولا يزال على المشاريع العمرانية والاجتماعية والصحية، على

إعداد الجيش القوي محققاً في ذلك النهضة الأولى في جزيرة العرب، تلك النهضة التي أسسها جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود سيد الجزيرة عندما اكتشف البترول لأول مرة في الظهران تقدمت لاستثماره شركات بريطانية وأمريكية، فقال ابن سليمان، إن من يعطي شروطاً أفضل يمنح له الامتياز، وتقدمت بهذه الشروط أمريكا فمنحت الامتياز، وعندما تفجرت تلك الثروة من الأرض فأحالت التراب ذهباً طلب الوزير عبدالله بن سليمان إلى الشركات الأمريكية تعديل شروط الامتياز، فعدها أولاً وثانياً حتى بلغت ميزانية الدولة لهذا العام سبعمائة وسبعة وخمسين مليوناً.

ذكر وفاة وزير الدفاع منصور بن جلالة الملك عبدالعزيز

ففي اليوم ٢٤/٧ توفي الوزير، وهذه ترجمته:

هو الأمير الكبير والعلم الشهير صاحب السمو الملكي منصور بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، الشاب الأديب المثقف الأملعي، طيب الذكر، القائد العظيم، الماهر في القيادة.

ولد رحمه الله في سنة ١٣٣٨هـ، وكانت أمه تركية، وقد أعجب به والده وأولع به لما يتفرسه به من المؤهلات، ولقد صدقت فراسة والده به، وكان عند حسن الظن، فظهر مظهراً رائعاً في البطولة والسياسة وحسن التدبير، وله ذوق طيب في الآداب، وكان ذكياً إلى حد بعيد، حتى أنه ليدرك الأمر الصعب البعيد بالبداهة في لمح البصر مالا يدركه غيره، كريم النفس، وكان يشبه أباه الملك في وثاقة التركيب وقوة البنيان، وارتفاع الذرى، وكان قائداً حربياً مولعاً بالفنون العسكرية والمخترعات الحديثة، طموحاً وثاباً حتى وصل إلى غاية بلغت به أن أسند إليه أبوه وزارة الدفاع لتمام كفاءته في إصلاحها، والسير بها إلى الأمام والتقدم، فهو خبير بآلات الحرب الحديثة من دبابات وطائرات ومدافع، وأسلحة، حتى أن القادة البريطانيين وعلى رأسهم القائد الشهير أوكنلك

أعجب بعبقريته وكفاءته ومؤهلاته الحربية والعسكرية حينما زار الصحراء العربية في هذه الحرب.

وما زال يدرب من وكل إليه أمرهم من النود تدريباً فنياً جيداً حتى أصبح الجندي السعودي، له شأن عظيم لا يفقد شيئاً من أمور البطولة والشجاعة، وإن وجود قائد كمنصور على وزارة الدفاع بهذه البراعة ليؤذن بتقدم الجيش السعودية وقوته، وإنه يبلغ مبلغاً طيباً، ولا ريب عند أهل المعرفة أن وفاته هبة عظيمة في جانب هذه المملكة، ولقد حزن عليه والده وبكاه، وتأثر لموته، وأصيب به المسلمون، وخسرته الحكومة، فإننا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولقد أسس مساجد، وطبع كتباً على نفقته، وقام بمشاريع عظيمة، غير أن المنية لم تمهله يعمل ولا يكمل، فيا للفادحة الكارثة، ويا للرزء الكبير، ولقد أمر صاحب الجلالة الملك بتنفيذ جميع ما أسسه إكراماً له، ومساعدة لأعماله الخيرية التي قام بها، وما زال يتقدم بالجيش حتى أصيب في هذه السنة بمرض مخوف، فبعث به والده الملك إلى باريس للمعالجة، ولما قدمها لم يفد فيه العلاج شيئاً، بل اشتد ألمه، وبعد ذلك خرجت روحه هناك، وكان قد أوصى والده بوصيتين حينما أراد الذهاب وأحس بأن المرض قد أجاء، وخشي أن لا يرجع أوصاه بأولاده، ثم أوصاه أن يهتم بقوة الجيش وإعداد السلاح، وقال إن الحكومة هي الجيش، فبقوته تقوى الحكومة، ولما توفاه الله تعالى هناك دعى والده بجثمانه إلى المملكة ليأنس بقربه للزيارة، فأتى به وجهاز وصلي عليه ثم دفن في الطائف.

ولقد حرصت حال وضع ترجمته على إثبات قصيدة رثائية لهذا القائد العظيم فلم أجد شيئاً، ولولا ضيق الوقت لأتينا بمرثاة تعدد شيئاً من مناقبه وأخلاقه.

ونبرز هنا كلمته التي ألقاها في استقبال القوى السعودية المجاهدة في فلسطين بعد أن أدت واجب الجهاد في تلك الأرض المقدسة، ثم قدمت في الشهر الخامس من السنة المتقدمة، فوافاها في ميناء جدة على رأس كثير من

رجال الجيش وأعيان البلاد، ورؤساء الدوائر والوجهاء، وأساتذة المدارس،
ورجال الكشافة، وعمد المحلات، وهي هذه:

أبناء وطني العزيز، حضرات الضباط والجنود، أيها المجاهدون الأكرمون،
إنه ليملأ قلبي سروراً حين أحبيكم جميعاً وأحيي فيكم روح الشجاعة وروح
التفاني لحماية الوطن، والذود عنه، عن هذه القلوب من أبناء الوطن التي
احتشدت لتحي المجاهدين في سبيل الله لتوحي إلي وإلى هذا الجيش الذي
أتشرف بإدارة أمره بروح الاعتزاز والفخر، وتبعث في نفوسنا روحاً وثابة
للعمل في تنظيم قواتنا وإعداد عدتنا للدفاع عن هذا الوطن المقدس، إن الجيش
هو سياج الوطن وهو بعد الله حامي حماه، والجيش ليس إلا مظهراً من مظاهر
الأمّة، وهو عنوان مجدها وفخارها التي لا يكون الجيش مفاخراً لنفسه إلا إذا
رأى الأمّة بشبابها وكهولها وشيوخها تمدد بأكبادها وقلوبها، لقد انبثقت قوة
الإسلام من هذه البلاد المقدسة، ففتحت المدن والأمصار وشباب اليوم هم
نسل آباء الصديق الذين خلقوا لهذه الأمّة ذلك التراث العظيم من المجد
والفخار، ولا ينقصنا للوصول إلى ما وصلوا إليه إلا صديق العزيمة للسير على
الطريق الذي ساروا عليه.

أبناء وطني، أمامنا مستقبل حافل بالأحداث، ومن لا يكون ذنباً أكلته
الذئاب، وإنني أنتهز هذه الفرصة السعيدة فادعو جميع من يستطيع من أبناء
وطني الإنخراط في سلك الجندية لحفظ كيان البلاد والدفاع عن السلام، ولنا من
على أنفسنا في أوطاننا، نحن لا نريد العدوان على أحد، ولم نكن يوماً والله
الحمد من المعتدين، إنني أنتهز هذه الفرصة لأشيد بالمساعدات العظيمة التي
لقيها جند مولاي الملك عبدالعزيز من عطف ورعاية حباها به جلالة الفاروق
ملك مصر، وكذلك المساعدات العظيمة التي لقيها من حكومة مصر وشعبها،
وإن الصلات التي توثقت بيننا وبين مصر حكومة وشعباً واشترك فيها الدم
القاني في سبيل غاية واحدة في السراء والضراء كالبنين المرصوص تعمل لخير

الإسلام والعرب، ولنصرة مبادئ الجامعة العربية، وفي الختام أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير لأمتنا، ولتقوية جيشنا المحبوب في ظل قائدنا الأعلى جلالة الملك عبدالعزيز ومعاذة سمو ولي عهده، وأن يديم نصره وتأييده لرفع كلمة الإسلام والمسلمين والعرب.

ولما زار المترجم منصور بن عبدالعزيز القوات السعودية المجاهدة المرابطة بالسويس أنشأ هذه الأبيات تحيةً له الأستاذ محمد سعيد بابصيل عضو البعثة السعودية بمعهد مصر للطيران:

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| العيد في رؤياك أكرم وافد | يا قلب فاهناً بالأمير الوافد |
| سعدت بلقىاه العيون وطالما | سعت القلوب إليه سعي مجاهد |
| منصور قد زرعت يداك أمانياً | للناشئين فكنت أكرم حاصد |
| فلکم أياذ حملت بمفاخر | غرّ وأخرى طوقت بمحامد |
| أنت الذي بعث البعوث فكنت في | إيفادها للمجد أصدق رائد |
| منصور فعل محنك ومسود | لخطي موفقة ورأي سائد |
| قدت النفوس بحكمة وروية | لا بدع ذلك فعل أعظم قائد |
| لهفي عليك وفي يمينك راية | تدعو لخير مناهل ومقاصد |
| لهفي عليك وفي اعتزامك صرخة | دوت بأقدس جامع ومعابد |
| تهفو إليك قلوبنا وعيوننا | والله في الحاليين أعظم شاهد |
| فلو النجوم الزهر تسعى بيننا | لنظمتها لعلاك خير فلائد |
| سلمت يداك وعدت فينا سالماً | روحي فداك على المدى وقصائدي |

وقال الأستاذ محمد فدا عضو البعثة السعودية:

| | |
|----------------------|----------------------|
| منصور اسمك في الوغى | لحن يـردده الجنود |
| منصور اسمك نشوة | تسري فتضطرم الجهود |
| لك في البطولة آية | يفنى الزمان ولا تبيد |
| ما أنت بالرجل الغليظ | ولا بذی الطبع العنيد |

أوتيت قدرة طارق ومؤهلات ابن الوليد
عش للعروبة حامياً للدين والوطن الجيد

ومن كلام الأمير منصور الذي حفظ عنه وخلد ذكره قوله:

أمنيتي في الحياة أن أخدم مليكي وبلادي وأمتي خدمة حقّة، وأن أعمل في سبيل
عزة الإسلام ومجد العروبة، وأسير على نهج والدي، وأنهض بالجيش السعودي.
ولما أن توفاه الله وانتقل إلى رحمته جعل الأمير مشعل بن عبدالعزيز وزيراً
مكانه في الدفاع، وزوده والده الملك بوصايا، وحثه على أن يسير بالجيش على خطة
منصور حتى كأنه لم يمّت.

وفيها وفاة خطيب المسجد الحرام الشيخ أبي السمح محمد عبدالظاهر في عهد
جلالة الملك عبدالعزيز، وكان أبو السمح شيخاً فاضلاً، ذا علم ودين، وله بعض
مؤلفات تدل على تمسكه بالدين والميل إلى السنة، وكان مصرياً، وقد تولى إمامة
مسجد أبي هاشم بالرمل، فكان فيه إماماً وخطيباً وذلك في الإسكندرية، ومن
أبياته الحسنة قوله في قصيدة البائية التي بينت من عقيدته وما يدين الله به:

فيا داعياً غير الإله وعاكفاً على القبر تشكو ما عراك وتندب
أليس إله العرش للبعد كافياً كفيلاً بما يرجوه منه ويرغب
أليس هو الرب اللطيف بخلقه فمن غيره للخلق أدنى وأقرب
ومن مثله حيّ سميع لمن دعى قديرٌ على إعطاء ما منه يطلب
إلى أن قال:

وحب رسول الله أرجى وسيلة وأعظم قربى للذي يتقرب
ويشفع يوم الحشر في الناس كلهم كما صح في الأخبار يروي ويكتب
فيسجد تحت العرش لله داعياً بكل خضوع يقتضيه التأدب
فبإذن رب الخلق في الفصل والقضا وسبق إلى النار الغواة فكبكبوا
وقام على الحوض الشريف نبينا وطار إليه الناس عطشاً ليشربوا
وكان قد تولى إدارة دار الحديث في مكة المشرفة، وقد رأته غير مرة في

مكة المشرفة زادها الله تشريفاً، وجالسته وحادثته، فكان رجلاً عاقلاً أديباً، ذا بشاشةٍ وتواضع، رزيناً له لحية كثة بيضاء قد أعفاها، ممتلئ الجسم، بهي المنظر، وقد يجلس على كرسي في الحرم الشريف للوعظ، ولكلامه وخطبته وقراءته وقعٌ عظيم في النفوس، وتطمئن إليها، فنسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه في جنته، وقد حظي لدى جلالة الملك عبدالعزيز واختصه لهذه الوظيفة، فقام بها خير قيام.

ذكر مصرع الملك عبدالله

كان لقتل الملك عبدالله أسباب، وذلك بأنه دعى لديه رئيس الوزارة اللبنانية رياض الصلح، وكان الملك عبدالله لما مرَّ ببيروت في طريق عودته من تركيا، لم يكن رياض الصلح في استقباله، فقبل له أن رياض الصلح وهو خارج الوزارة لم يشأ أن يفرض نفسه على استقبال رسمي يقام للملك عبدالله، فقال: إني أريد أن أراه لأمر هام، وكان رياض الصلح يستجم في برمانا، ولما علم الملك عبدالله أنه خارج بيروت طلب إبلاغه بضرورة الذهاب إليه في عمان، واتصل رياض الصلح تليفونياً بالملك عبدالله في قصر الرغدان يشكر له اهتمامه بالسؤال عنه، وقال له الملك عبدالله: إني أريدك في أمر هام، فتعال عندي غداً، واعتذر رياض الصلح بأنه لا يستطيع، وضرب الملك موعداً آخر، ثم ضرب الملك موعداً ثالثاً يحل في ليلة القدر، وقال لرياض الصلح في التليفون: أريدك أن تقضي معي ليلة القدر، واعتذر رياض بك وقال للملك: هل يأذن لي سيدنا في أن أجيء في العيد بدلاً من ليلة القدر؟ ووافق الملك عبدالله، ولما أن كان في يوم العيد اتصل رياض الصلح بقصر رغدان يعتذر للملك عبدالله ويرجو منه تأجيل مواعده مع جلالتة أسبوعاً.

ولما أن أراد السفر على مضض قال لمن حوله: الواقع أنني لا أعلم لماذا يريدني الملك، ولكنني خجلت من إلحاحه، ومع أنني غير مستريح إلى هذه

السفرة فإني سأذهب، ولما أن قدم على الملك عبدالله كان أول عبارة قالها الملك له:

والله ما كرهتك قط برغم كل ما مرّ بيننا من خلافات ومن تباعد في بعض وجهات النظر، وعلق الملك على صدر رياض الصلح أرقى وسام أردني وقال له: أمنيّتي أن تحمل هذا الوشاح في جميع الحفلات التي تحضرها، وقال رياض بك: سيزين هذا الوشاح صدري طوال عمري يا صاحب الجلالة، فرد عليه الملك بقوله: بل إن صدرك هو الذي سيزين الوشاح يا رياض بك.

ولما أن كان في ساعة الوداع قال له الملك عبدالله: بالله يا رياض بك ابق معي لنصلي الجمعة معاً في المسجد الأقصى، فأجابه شكراً يا سيدنا، لا بد أن أعود اليوم إلى بيروت، لقد ارتبطت بحضور جلسة مجلس النواب يوم الأربعاء لأتكلّم في مسألة هامة، ولما افترقا من الوداع اتجه رياض الصلح إلى فندق فيلاديفيا، ثم إلى طريق مطار عمان حيث كان الموت يتربص له، وبينما هو يسير بسيارته على مهل وفي رفقة سيارة أخرى تحرّسه، ومعه بعض رفقته إذ تقدّمت فجأة سيارة خضراء قد أطلقت أبواقها، فأعطّاها سائق السيارة الطريق، ومشت بين السيارتين في وقت تحقّق الريب منها مرافقوا سيارة رياض وهموا بصدها، ولو أثر ذلك تصادماً لكنها أطلقت الرصاص على سيارة رياض الصلح، واستمرت في سيرها، أما سيارة الرئيس فقد وقفت وأقبل عليه أحد الذين معه يكلمه فإذا به لا يجيب، وإذا بالرصاصية الثانية قد أصابت رفيقه.

أما هو فإنه أصيب بالرصاصية الأولى ودخلت في قبله فلم يتحرك من مكانه، ولما نزل بعض حراسه مهرولاً من السيارة الثانية وجد جليسه ملقى على أرض السيارة يتلوى، ورياض الصلح جالساً ووجهه ملوث بالدم، وعيناه مغمضتان نصف إغماضة، فأخذه على صدره يصيح للسائق أسرع به إلى المستشفى، ولم يكّد يكمل كلامه حتى سال دم أسود من فم رياض الصلح، ثم تدلّى لسانه من فمه وشرع بقية حراسه يطاردون القتاتلين.

وكان قتله في تمام الساعة الرابعة والربع من يوم الاثنين ظهراً الموافق ١٣ شوال من هذه السنة، ولما جرى ذلك ذهب أحد رفقته يخبر الملك عبدالله بن الحسين في قصر الرغدان، ولما وقف أمامه وأخبره بما دبر من الكيد له نهض واقفاً يسأل ماذا جرى؟ فأجابه بقوله أطلقوا الرصاص على رياض الصلح، فتكلم مذهولاً من هم؟ وصاح وهو يخطب يديه ويشد شعر لحيته هاتوا السيارة، أريد أن أذهب، وصاح بياوره ها الفرد؟ هات المسدس؟ ثم أخذ ينادي بعصية وبدون وعي: يا حرس؟ يا حرس؟ هاتوا السلاح واتبعوني، وجعل يقول وهو يشد شعر لحيته ويضرب كفاً بكف: ظلموك يا رياض، ظلموك يا رياض، ثم ركب الملك سيارته وخرج يبحث بنفسه عن المستشفى الذي نقل إليه جثمان رياض بك، ثم علم أخيراً أنه المستشفى الإيطالي، وتقدم الأطباء من الملك يعزونه، وكان التأثير قد بلغ به مبلغاً شديداً، فصاح في الأطباء وهم يعزونه: ضعوه في سيارتي، فوضع فيها وانطلق عبدالله بن الحسين عائداً بجيشه، ثم جلس بجوارها في صالون القصر يصلي ويبتهل.

ثم قام بياشر التحقيق سائلاً رئيس الديوان الملكي فرحان الشبيلات أنه يجب أن يتضح الحق، وجعل يقول: كان الرجل عزيزاً علي، وكان ضيفي، وجعل يقول: لقد ألححت عليه أن يبقى هنا ليصلي معي الجمعة في المسجد الأقصى، ولو أنه قبل رجائي ما قتلوه، ولقد قبض على قاتلين فأصيبا بالرصاص وقتلا وحصل الثالث على الفرار وشد في طلبه، حتى قام ألف جندي يحاصرونه.

ثورة في بيروت

لما قتل رياض الصلح كانت المظاهرات فيها لا تزال هائلة تهدر كالأعاصير صائحة، وكان الشعور في لبنان جاعاً ضد الملك عبدالله، وكان هناك من يمضي به الجموح إلى حد القول بأن رياض الصلح دعي إلى عمان لكي يقتل، فقد كان من المستحيل التخلص منه وهو في بيروت، على أن بعض

المعتدلين في بيروت يقولون أن عبدالله بن الحسين بريء من دم رياض الصلح، بل كان ضحية الذين دبروا المؤامرة، وأنهم هؤلاء المجهولين هم الذين ألقوا في ذهن جلالته فكرة دعوة رياض الصلح إلى عمان، ولكن هنا من يقول: لماذا دعا الملك عبدالله رياض الصلح إلى عمان؟ ولماذا ألح عليه في الدعوة، وصمم على أن يذهب إليه رياض الصلح؟

ولما أن أحسَّ الملك عبدالله أن الكثيرين في بيروت ينظرون إليه برية سأل رئيس الوزارة سمير الرفاعي على أثر عودته من بيروت، هل يتهمونه بأنه دبر مقتله؟ ففهم أن الذين يوجهون هذا الاتهام قلة، ولا يعتد برأيهم، ولكن هناك كثيرون يقولون أنه حدث تقصير في حراسة رياض الصلح في عمان، وخصوصاً وقد كان من المعروف أن الحزب السوري القومي قد رتب أن يقتل رياض الصلح ثأراً لإعدام أنطون سعادة، ذلك بأن أرملته ظنت أن رياض الصلح هو المسؤول عن إعدام زوجها المذكور، وأقسمت أن تثار له، وكانت هي إحدى الأيادي التي حركت المؤامرة لقتل رياض.

فتبين الملك عبدالله أن الشعور في لبنان ضده قد ازداد جهوحاً، وأن الجماهير الثائرة تطالبه برياض الصلح تطالبه بأن يرده لها سليماً على الأقل كما دعاه إليه سليماً، وقد اتصل مسؤول رسمي في الحكومة اللبنانية بقصر الرغدان وقال: لقد علمنا أن جلالة الملك عبدالله يريد أن يرسل ابنه الأمير نايف في صحبة جثة رياض الصلح، ونحن ننصح أن لا يجيء الأمير إلى بيروت لأن الرأي العام هائج.

وأصدر الملك عبدالله أمره إلى ابنه نايف بأن يبقى في عمان، وحدث بعد ذلك أن رافقت جثمان رياض الصلح إلى بيروت بعثة شرف، ولكن المسؤولين اللبنانيين نصحوا البعثة بأن تعود على الفور، وإن لا تبقى في بيروت ولا دقيقة واحدة، وعادت البعثة.

ثم اتصل الملك عبدالله مرة أخرى ببيروت يقول: ثقوا أن المصاب الوحيد في هذا الحادث هو أنا، لأنه بالإضافة إلى إثاري لرياض الصلح فقد خرَّ صريعاً في

سيارتي الخاصة، وفي بلدي، وفي ضيافتي، وهذا أمر ماس بشرفي، ولقد وقفت عليه الصلح كبرى بنات رياض الصلح في المسجد أثناء الصلاة على والدها بعدما أبدت أسفاً شديداً، وجزعاً مهلكاً فقالت: لي كلمة واحد:

لقد أعطاكم أبي الاستقلال، فأعطوه الثأر، فهاجت بيروت وارتفع هدير الآلاف المؤلفة أمام المسجد الذي أقيمت فيه الصلاة: يا عبدالله وين رياض ... يا عبدالله وين رياض ...، ثم أقسمت عليه الصلح ابنة رياض الصلح لتثأرن لوالدها حتى جعل يقسم أهل المعرفة أنه سيقتل الملك عبدالله قبل أسبوع.

ولما وقع سؤال لبعض أولئك المشنعين، هل تتهم الملك؟ قال: لا أعلم ولكن رياض الصلح ذهب في ضيافته، وفي ضيافته قتل، وجعل لبنان كله يتوقع قتل الملك عبدالله قبل مقتله بأربعة أيام، يا عبدالله وين رياض ... يا عبدالله وين رياض.

صفة قتل الشريف عبدالله

لما دخل الملك عبدالله ليؤدي فريضة الجمعة في المسجد الأقصى في ١٦ شوال قبل الأذان بعشرة دقائق، امتدت يد من وراء باب البهو الثاني وأفرغت رصاص مسدسها في صدره، فسقط الملك عبدالله على الأرض يجود بنفسه، ويده لا تزال على قلبه، فكان مضرجاً بدمائه، ودوى صوت الرصاص في المسجد وصاح الحراس قائلين: اقتلوه اقتلوه، وتتابع الرصاص وسقط القاتل دون أن يفتح فمه، وحدث هرج ومرج، وتقدم الوزراء والحراس يصيحون: طبيب .. طبيب .. وبينما هم كذلك إذ بأحدهم ينادي: مات عبدالله، وأجهش الوزراء ورجال الحرس بالبكاء، واجتمع مجلس الوزراء فوراً، وأصدر بلاغاً رسمياً بتعيين الأمير نايف بن عبدالله وصياً على العرش لعدم وجود ولي العهد طلال، في صفته خارج المملكة في حال استشفاء تحت عناية الأطباء مدة مؤقتة.

وقد نكست الأعلام هناك أسبوعاً لموته، وأعلن الحداد العام مدة ثلاثة أشهر، ونقل جثمانه في طائرة خاصة من القدس إلى عمان، وكان قاتله شاباً من أهل

فلسطين يدعى مصطفى شكري في الحادية والعشرين من عمره، ويقال أن له شركاء، وقد دفن الملك في المدافن الملكية الخاصة في عمان، ولما أن علم الأمير طلال بوفاة والده الملك عبدالله حاول أن يسافر فوراً إلى عمان ليتولى الملك، ولكن أطباء منعوه من هذه المحاولة، ونصحوه بالانتظار، وليست هذه أول مرة يحاول فيها الأمير طلال العودة إلى عمان، فقد سافر فعلاً من لندن إلى عمان فجأة، ثم أعاده الملك عبدالله إلى سويسرا بعد أيام من وصوله إلى بلاده.

والمعروف هنا أن الحكومة البريطانية كانت على اتفاق مع الملك عبدالله بأن لا يتولى الأمير طلال العرش بسبب حالته العصبية، وقد غضب الأمير طلال من أن حكومة شرق الأردن لم تعلنه ملكاً كما تجري التقاليد، وأنها أصرت على تسميته ولي العهد حتى بعد وفاة والده، غير أن المحيطين به ينادونه بعد ذلك بصاحب الجلالة، ثم إنه عاد إلى عمان وتولى الملك بعد أبيه، وهذه ترجمة عبدالله:

هو الملك عبدالله بن الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون الشريف، وقد تقدم غالبها في سنة تسع وثلاثين.

أما الوصي عبدالإله فقد أذيع في لندن بأنه سيقطع إجازته في لندن ويعود حالاً إلى بغداد، ثم إلى عمان ليشارك في تشييع جنازة الملك عبدالله، وسترسل وزارة الخارجية وقصر بكنجهام تعازيها الليلة إلى عائلة الملك الراحل وتدرس وزارة الخارجية البريطانية الآن، فيما إذا كانت سترسل مندوباً خاصاً للاشتراك في تشييع جنازة ذلك الرجل الذي حكم شرق الأردن مدة ثمان وعشرين سنة، وزار بريطانيا للمرة الأولى في سنة ٣٧ ليشارك في حفلات التتويج، والثانية في سنة ١٩٤٩م الميلاديتين كضيف على الحكومة البريطانية، وقال الدكتور رالف بونش الوسيط السابق في فلسطين: لقد هزني الألم فقد كنت أعرفه جيداً، وكنت أقدره وأحترمه جداً، ولقد كان جلالته شخصية فريدة في عصره، كما كان فيلسوفاً وشاعراً وسياسياً واقعياً.

صلى الحادى فى فرنسا

أثار اغتيال الملك عبدالله اهتمام الدوائر الدبلوماسية الفرنسية، وقال متحدث

رسمي بلسان وزارة الخارجية الفرنسية أن فرنسا قد استنكرت هذا الاعتداء الدامي استنكاراً بالغاً، كما أنها ترى أن هذا الحادث يعتبر إنذاراً خطيراً بازدياد حالة التوتر وعدم الاستقرار في دول الشرق الأوسط، وخاصةً لأنه جاء في أعقاب حادث اغتيال رياض الصلح في عمان، هذا وقد نكّس فوزي الملقى العلم فوق المفوضية بعد أن تلقى برقية من الأمير نايف جاء فيها:

أبلغكم بمزيد من الأسف نبأ الكارثة التي حلت بنا باستشهاد جلالة الملك الراحل، ووصف الملقى باشا حادث الاغتيال فقال: إنه سوف تعقبه نتائج خطيرة، وأن الموقف الداخلي في شرق الأردن قد يتعقد بسبب ذلك الحادث، وذكر أن جلالة الملك الراحل كان قد أوصى بإجراء انتخابات عامة في ٢٩ أغسطس، وقال أن هذه الانتخابات قد تؤجل لبضعة أشهر ريثما تهدأ الحالة، وقال الملقى باشا: أن الأمير طلال هو الوريث الدستوري للعرش، ومن بعده ابنه الأمير حسين البالغ من العمر ١٤ عاماً وهو طالب بكلية فيكتوريا بالإسكندرية، وأن العرش لا يؤول لأحد غيرهما.

ولقد أنعم الملك عبدالله قبل وفاته بوسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى على الأمير حسين نجل الأمير طلال، أما الحكومة المصرية فإنها تستنكر هذه الجرائم، فأدلى رفعت النحاس باشا بمناسبة مصرع الملك عبدالله بالتصريح التالي:

تلقت الحكومة المصرية بمتة الألم هذا النبأ الفاجع، وهي تشاطر الأسرة الهاشمية، والحكومة الأردنية حزنهما على الملك الراحل وتستنكر أشد الاستنكار، هذه الجرائم السياسة التي هي أسوأ ما تبتلى به الشعوب هدى الله أمة العرب سواء السبيل، وجنبها كل مكروه، كما أن السفارة المصرية في واشنطن أذاعت بياناً رسمياً جاء فيه:

لا شك أن حادث اغتيال الملك عبدالله مؤسف ومؤلم، ولا شك أنه يدل على أن منطقة الشرق قد أصبحت حساسة، وأنه ينبغي معالجة مشاكلها بعناية تامة، وقد أبدى دبلوماسيو الأمم المتحدة قلقهم الشديد خشية أن يؤدي اغتيال الملك عبدالله إلى إنهاء الهدنة الفلسطينية.

وقال متحدث بلسان وزارة الخارجية الأمريكية أن السلطات الأمريكية المختصة تدرس بعناية تامة حادث اغتيال الملك عبدالله، وأثر ذلك في الموقف السياسي الدقيق في دول الشرق الأوسط.

أما المحاولات السابقة لاغتياله فقد حدثت فيما مضى عدة محاولات عديدة لاغتياله، ففي عام ١٩٤١م أشيع أن الأمير طلال ولي العهد أطلق الرصاص على والده وأصابه بجراح بالغة، ولكن الملك عبدالله كذب هذه الأنباء.

وفي أبريل عام ١٩٤٩م حكم بإعدام على ثلاثة من الفلسطينيين وأردني واحد لتآمرهم على قتل الملك، وذلك بوضعهم الألغام في الطريق الذي كان معروفاً أنه سيمر منه، كما حكم بالسجن المؤبد على رجلين سوريين وآخرين فلسطينيين، وكانت الدوائر الرسمية بالحكومة البريطانية تتهم اتهاماً قوياً الحاج أمين الحسيني بأنه هو المسؤول عن اغتيال الملك عبدالله، ويأنه يحاول القضاء على الوحدة العربية، وأمين الحسيني هو المفتي الأعلى رئيس مجلس الأمة الفلسطينية العربية. أما صفات عبدالله الجسمانية:

فكان ربعة يميل إلى السمنة، أبيض اللون مشرب بحمرة، مليح الطلعة، ذو وجه باسم، وكثير الشبه بوالده، غير أنه كان أبلغ في السياسة من أبيه، وكان سخياً، بلغت به الحالة إلى أنه كان يستدين وينفق إذا لم يجد ما يهبه لزواره وقاصديه، فاضطرت الحكومة الإنكليزية على التدخل لما كثرت ديونه، فأرصدت له راتباً من راتبه معلوماً في أول الشهر.

أما الباقي من راتبه السنوي فإنه أرصد لقضاء دينه، وقد تزوج سنة ١٣٢٠هـ بالشريفة مصباح كريمة عمه ناصر باشا، فولدت له الأمير طلال وبتناً، وتزوج بشركسية فولدت له الأمير نايف وابنتين، وهو فصيح في الخطابة، فإنه لما جاءه المعزون بعد نعي أخيه فيصل خطب فيهم فقال:

إن المصاب هو مصاب العرب، أما نحن فذو مصابين، مصاب خاص، ومصاب عام، وأنتم تعرفون المرحوم، فلا حاجة إلى من يعرفكم عليه، ندعو الله أن يعوض

الإسلام والعرب عن فيصل، وقد ما كان الله للجميع، فليأخذ الله بيدنا ويصبرنا على هذا المصاب الجليل.

وخطب أيضاً فقال: لا حي يدوم إلا وجهه الكريم، لقد استرد الله فيصلاً، وإن هذا الاسترداد ليصعب على القلوب والعرب أحوج ما يكونون إليه، ولكننا نحن آل زيد دائماً مصابون والله لا ينساكم، ولكم برسول الله أسوة حسنة، بارك الله فيكم، واستيمونا وعزيمونا جزاكم الله خيراً عن كل عين دمعت، وعن كل قلب رجف، استغفروا للمرحوم، أرجو الله أن لا يسيثكم بعزير.

ولما أن توج الملك طلال بن عبدالله كان محباً للعرب، وله ميل إليهم، فجلس على العرش بعد والده في هذه السنة.

وفيها وفاة رجل الدين والخير صالح بن فوزان الملقب العويذة، وهذه ترجمته: هو صالح بن إبراهيم بن صالح بن فوزان بن راشد بن صالح بن ناصر، ويجمع نسب آل فوزان، ونسب آل فهيد في راشد بن صالح بن ناصر المتقدم ذكره. أما فوزان والد الأسرة فكان له ابنان صالح وعلي، فأبناء صالح هم فوزان ومحمد وعبدالله وسليمان وإبراهيم والد المترجم ومحمد وعبدالعزير ومحمد وعبدالكريم وناصر وابنتان.

أما آل علي فأربعة: بنين فوزان بن علي، ومحمد وإبراهيم وعبدالله. أما ما كان عن المترجم: فإن وفاته في شهر ذي القعدة من هذه السنة، وكان ذا أصل عظيم، ولازم خاله الشيخ عبدالله بن محمد بن فداء العالم المشهور بالزهد، فقد أخذ عنه واستمسك بغرزه، وناهيك به من إمام زاهد، وقد قدمنا من ذكر ترجمته.

رحل المترجم إلى مدينة الرياض للأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، فتعلم بين يديه وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان لهؤلاء العلماء في عقيدته الصالحة أحسن تأثير، وكان يلهج بعقيدة السلف الصالح، ومولعاً بذكر الصالحين، يحن إليهم، ويكي عن ذكرهم، ويحث على التمسك بهدي الصالحين، وبكل حال فإنه من أولياء الله الذين ترجى لهم النجاة.

وفيهما في شعبان هطلت أمطار غزيرة على ملهم فمحتها، وكثر السيل حتى لم يبق فيها ساكن، غير أن الله تعالى لطف بسكانها في أرواحهم، فلم يهلك من الأهالي سوى امرأة واحدة، وهذا شيء عجيب، حتى جاء في بعض الأخبار أنه لم يبقَ لها أثر، والله على كل شيء قدير، وقد بعثت الحكومة مساعدات لأهلها من الأطعمة والخيام شيئاً كثيراً.

وفيهما في ٩ شوال هبت رياح سموم حار يكاد أن تحرق ما مرت عليه من الحرث وغيره، وذلك في ٢٠ من برج السرطان، واشتد الحر جداً حتى كاد الناس ألا ينامون من الحر، وهذا في نجد، ثم إنه اشتد الحر في مكة المكرمة في موسم الحج، وهلك بسببه خلائق كثيرة، وذلك من شدة ضربة الشمس.

ثم دخلت سنة ١٣٧١هـ

ففيهما في أواخر شهر رمضان صدر أمر ملكي إلى مأموري البرق والبريد بأن ترفع كل شكاية من أي شخص كان ينصها بدون تحريف، ولا يجوز تأخيرها ولا إخبار المشتكى منه سواء كان أميراً أو وزيراً أو أدنى أو أكبر، وذلك بخمس مواد جاء في الخامسة منها:

إنه ينبغي على كل أمير في سائر أنحاء المملكة أن يعلن هذا البيان لسائر الرعية، بسائر طرق النشر، حتى لا تكون ظلامة لمنظلم إلا رفعت إلى أعتاب جلالة الملك ليتسنى إنصاف المظلوم من الظالم، وليمكن كل أحد بسائر أنواع البيانات على اختلاف أنواعها في الصحف والجوامع، وأكد الملك أن بلداً ليس فيها صحف تقرأ هذه الإعلانات على رؤوس الأمة حتى يتبين للعموم أن باب الحكومة مفتوح لكل ذي ظلامة، وأنه سيلقى المظلوم نصره، وسيلقى الظالم ما يستحقه من العقوبة، وبهذا تبرأ ذمة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن أمام الله بشأن الراعي والرعية:

تالله إنها للفتة سامية، وخطة قام بها لم يوفق لها كثير من الملوك، فجزاه الله خير الجزاء، فبذلك يستطيع كل مظلوم أن يتصل بالملك ويرفع له شكواه، ولا يمكن لظالم أن يتمكن من الظلم.

إلغاء رسوم الحجاج

ففيها دعى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود ملك المملكة العربية السعودية بنجله وولي عهده سعود، فأخذ القلم بيده وهو يناوله الدواة، فكتب إلغاء رسوم الحجاج التي تؤخذ منهم، ووقعها، وذلك رافةً بحجاج الآفاق الذين يردون إلى المملكة من سائر الجهات.

ولما سئل الوزير عبدالله بن سليمان بأن هذا الأمر من صاحب الجلالة، أحدث أثر طيباً في الأوساط كافة، فما هي الأسباب التي حملته على هذا الإلغاء، أجاب أن هذه الرسوم لم تكن من وضع الحكومة العربية السعودية، بل كانت من وضع الخومات السابقة، وقد كان من أعز أمانى صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم إلغاء تلك الرسوم، وإنما كانت قلة الواردات وضرورة الصرف على تأمين الحجاج في أرواحهم وأموالهم، والعمل على تسهيل سبل الحج من الضرورات التي أبقت على تلك الرسوم، فلما أذن الله وهو العليم بنوايا جلالته، وسهل أمر الموارد بادر جلالته بتحقيق هذه الأمنية التي كانت تختلج في نفسه، فكانت لجلالته هذه المفخرة العظمى حفظه الله تعالى وأبقاه.

أما مقدار هذه الرسوم عن العام الواحد فهي تعادل خمسة وعشرين مليوناً من الريالات، وقد نشرت إحدى الجرائد المصرية وهي المصري في عددها الصادر في ٣/٨/١٣٧١هـ ما يلي:

صدر أمر جلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود بإلغاء الرسوم التي تؤخذ على الحج باسم رسوم الحج اعتباراً من هذا العام، ومن أخذت منه في هذه السنة ترد إليه، أما ما يتعلق بالخدمات الخاصة بالحجاج من أجور المطوفين وتنقلاتهم ومنازلهم وما يتبع ذلك، فتجري حسب العادة هذه السنة وفي المستقبل يرتب الأمر بين الحاج وأهل الخدمات حسبما يسير الاتفاق عليه، ونرجوا أن يكون في هذا ما ييسر أداء هذا الركن من أركان الإسلام، وقالت

أيضاً لا شك أن هذه خطوة كبرى نحو تيسير الحج لكل من يسعده الله عز وجل بزيارة بيته الكريم، وإننا بالنيابة عن جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها نحيي في عاهل الجزيرة تلك الروح النبيلة داعين راجين منه سبحانه وتعالى أن يتقبل الدعوات الصالحات التي ستطلق بها السنة الفقراء من المسلمين شاكرة للعاهل الكبير تلك الخطوة المباركة.

ذكر الاحتفالات الرائعة بزيارة الملك الهاشمي طلال بن عبد الله بن

الحسين الشريف ملك الأردن للمملكة العربية السعودية

لما أن كان في أوائل هذه السنة صدر البلاغ الرسمي رقم ١٥٣ شهر صفر بأن المملكة العربية السعودية تتشرف بهذه الزيارة الخاصة، وذلك لأنه لما تولى الملك طلال عرش الملك لم يرَ بدأً من زيارة هذه المملكة لما يكنه في نفسه من حب العرب وملوكهم وممالكهم، وهذه الزيارة لتأدية مناسك العمرة، وزيارة مسجد الرسول ﷺ، ثم بعد ذلك يزور الرياض، وذلك في يوم الخميس الموافق ١٥ صفر ١٣٧١هـ، فاستقبل في تلك المدن استقبالاً رائعاً يليق بمقام أكبر ملك يكون، وكانت الأعلام الأردنية وهي ترفرف معانقة الأعلام السعودية، تشير إلى الألفة والمودة، كما لبست البلاد بأجمعها حلة قشبية من الزينة، ونصبت أقواس النصر في ساحة المطار وأمام القصر الملكي العامر.

وركب صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبد الرحمن ملك المملكة العربية السعودية إلى مطار الرياض لاستقبال ضيفه، يتقدمه الدراجات النارية فسيارات الجيب، وتتبعه سيارات الحاشية، والحرس الملكي، فلما كان في الساعة الخامسة والنصف من اليوم المذكور هبطت الطائرة الملكية تقل العائلة المالكة ومن فيها من الحاشية، وبعدها بقليل هبطت الطائرة الملكية التي تقل جلالة الملك الضيف ونجليه الأميرين محمد والحسين.

وقد أقيمت المآدب العظيمة في قصر المربع، ثم في الناصرية، وقد أقام الضيف

أيضاً مائدة في قصره وأقام في الرياض بقية يوم الخميس والجمعة والسبت، وطار من الرياض في صباح يوم الأحد الموافق ٢/١٨ بعدما ودع فيها وداعاً حاراً، وأطلقت المدفعية للوداع إحدى وعشرين طلقة، ثم قصد المدينة ومنها إلى الأردن، وقد أهدى إليه صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز ساعته الخاصة أخرجها من جيبه قائلاً للملك طلال أن هذه الساعة تمتاز بعدم التقديم والتأخير، وهي من صنع سويسرا، وإنها هدية متواضعة تذكّر الصاحب للصاحب، فقبلها الملك طلال شاكرًا لجلالة الملك ومقدرًا لهديته الثمينة.

وكان الملك طلال في أثناء مخاطباته لجلالة الملك يقول: أنت يا صاحب الجلالة بمثابة الوالد من الولد، وقد قال الملك طلال لمراسل وكالة الأنباء الغربية: لا أستطيع أن أشكر لوالدي الملك عبدالعزيز وسمو ولي عهده ما لقيته منهما من حفاوة بالغة، ولكن سادعو الله لهما عقب زيارتي للروضة الشريفة والسلام على رسول الله ﷺ، وكذلك أذاعت محطة الإذاعة السعودية كلمة عنه أعربت عن شكره لوالده عبدالعزيز بما شمله به بمحبته الأبوية، وأفاض عليه من معين خلقه الصافي، وشكر لآل بيته ولكل فرد من أفراد شعبه، وبإحسان تلك الزيارة، وبالتمام والفرح والسرور بذلك لو دام، ولكنه خلع بعد يسير من هذه الزيارة وكانت أيام ذلك الملك قليلة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي هذه السنة قتل وكيل القنصل البريطاني وذلك مساء سادس عشر صفر الموافق ١٦ نوفمبر، وهذا هو المستر أوزمان، وكان قاتله من الشخصيات البارزة، فما يتعلق بين القاتل والمقتول ولا دخل له في السياسة، وقد أُلقي القبض على القاتل وزج في السجن إتماماً للوفاء بالعهد، وهذا من كمال الإنصاف.

سكة الحديد السعودية

لما كان في ١٩/١ من هذه السنة احتفلت الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية لوصول سكة الحديد إليها من الدمام، وكان ذلك في يوم السبت

الموافق للعدد المذكور، وقد بدأت هذه السكة تعمل بين الدمام والرياض، فسجل وصول الخط إلى هذه العاصمة الرياض نصراً عظيماً جديداً للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن عاهل المملكة العربية السعودية الذي ما فتئ طول حكمه المديد يجد دون كلل أو ملل في سبيل رقي بلاده وتحضيرها.

إن إقرار النظام وتوفير الخدمات الطبية، وإنشاء المدارس، وإقامة شبكات للمواصلات بالراديو، وتشجيع الزراعة، وإيجاد قوة الطيران، ونشر السيارات على نطاق واسع، وإعداد المشاريع للطرق وإنشائها ليس هذه كلها سوى جزء يسير من الأعمال العظيمة التي قام بها صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، وها هو الآن تفضل بإنشاء سكة حديد الحكومة السعودية.

وكان لما بدأ يفكر منذ سنوات خلت في مشروع سكة الحديد قال له الكثيرون: إن هذا لمشروع سابق لأوانه، أو غير عملي، لكنه عمل برأيه ولم يكن لأولئك الذين أرادوا أن يثبطوه عن عزمه أثر عليه، فسار إلى الأمام يدفعه الأمل بالمستقبل والثقة بالله تعالى.

إن سكة الحديد تتألف من أساسات سكة الحديد، وهي الخطوط الفولاذية المتوازية التي تقطع أراضي مستوية سبخة فيها من مستنقعات ورمال متقلبة، وتسير فوق السهول والمنحدرات والدهناء المتماوجة، ثم الأربطة المقاطعة المثبتة تحت الخطوط، والتي تستطيع احتمال أثقال هائلة، وأخيراً أرضية الخط التي رصفت خصيصاً بحيث تكون دعامة مستوية، وتسير القطارات فوق أرضية السكة، وعلى الأربطة والخطوط، تدفع القطارات التي تسير بقوة الزيت المحترق، والتي تبلغ قوة جر كل منها ألف حصان، فتجر هذه القطارات أنواعاً شتى من عربات الشحن الركاب التي حلت الآن إلى حد كبير محل الجمال وسيارات الشحن في النقل للمسافات الطويلة.

إن سيارات الشحن والجمال لا تستطيعان تحمل إلا ما خف من الشحنات نسبياً فأصبحت حمولة عربية صهريج واحدة تبلغ تسعة آلاف وخمسمائة جالون

من الزيت والبنزين، وهذه الكمية كافية لتسيير حوالي خمسمائة سيارة مسافة ثمانمائة كيلو متر.

إن سكة حديد الحكومة السعودية مشروع عظيم من جميع النواحي، فهي تبدأ من ميناء الدمام على الخليج العربي، وتسير مسافة ٥٥٦ كيلو متر عبر جزء شاسع من النصف الشرقي لبلادنا، إنها تسير من الدمام إلى حقول الزيت في الجنوب والغرب، ثم تمتد إلى مدينة الهفوف التي تعتبر من أكبر مدنها ازدحاماً بالسكان، ومن الهفوف يسير الخط جنوباً إلى عين حرض، وهي حقل آخر للزيت، ومنطقة غنية بثروتها الزراعية الكامنة، ومن عين حرض تعبر اتجاهها إلى الغرب، وبعد أن تقطع رمال الدهناء تصل إلى الخرج حيث يزرع أكثر من ثلاثمائة فدان بالفواكه والخضراوات والحبوب والعلف لاستهلاكها في الرياض، وأخيراً بعد أن تقطع سكة الحديد أرضاً وعرة تحيط بها صخور منحدره تصل إلى الرياض عاصمة البلاد، وعندما تنتهي سكة الحديد تكون تكاليفها قد بلغت ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ ريال سعودي، وإن من أكبر نعم الله علينا بعد نعم كثيرة هي أن نقطع على متن هذا القطار سبعمائة وثلاثة وأربعين كيلو من الرياض إلى الظهران بظرف سبع ساعات من الزمن.

ذكر خلع الملك فاروق الأول

ففيها قام الجيش المصري بقلب نظام الحكم، فأبعد الملك فاروق عن مصر لاتهامه بالخيانة، ثم ألغيت الملكية وأعلنت الجمهورية في العام القادم، وقد طالب رجال الثوار الإنكليز بالجللاء عن قناة السويس حتى يتمكنوا من عقد اتفاقية بينهم وبين الإنكليز في آخر شهر ذي القعدة بعد هذه السنة بستين بموجبها جللاء الجيوش الأجنبية عن قاعدة قناة السويس، وجرى ما سنذكره فيما بعد، ومن عاش فسوف يرى، فبينما الملك فاروق في لهوته وغفلته وتمسكه بالملك واثقاً بما تزينه له نفسه من الغرور والتمادي إذا بمحمد نجيب قائد عام القوات المسلحة يثور بالحركة العسكرية، فطوق القصر الملكي بالقوات والجيش، وقام زعماء الأحزاب السياسية

وغيرها من الهيئات في مصر مؤيدين تلك الحركة التي قام بها الجيش المصري بقيادة المذكور بالتساند مع وزارة رفعت علي ماهر باشا.

كما أيدها زعماء الأحزاب السودانية في مئآت البرقيات التي أرسلوها إلى اللواء محمد نجيب بك.

ولما أن طوق الجيش قصر الملك فاروق أرغم على التنازل ومبارحة البلاد، وأندر بالخطر فما كان بوسعه إلا أن تنازل عن الملك، وذلك في ظهر يوم الأحد الموافق ٤ ذي القعدة من سنة ١٣٧١هـ الموافق ٢٦ يولية سنة ١٩٥٢م.

وتعد هذه من أعظم الحوادث التي تمخضت عنها مصر، وكان لها صداها العميق في جميع الأوساط والمحافل السياسية في العالم شرقاً وغرباً، وتناقلته أسلاك البرق ومحطات الإذاعات في العالم باهتمام بالغ.

وهذا نص الوثيقة الرسمية التي تنازل فيها الملك فاروق عن عرشه لولي عهده: نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان، لما كنا نتطلب الخير دائماً لأمتنا وسعادتها ورفيها، ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة، ونزولاً على إرادة الشعب قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد، وأصدرنا أمراً بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

ثم إنه في عشية اليوم المذكور غادر الأراضي المصرية على الباخرة المحروسة قاصداً إلى المياه الإيطالية مصطحباً معه نجله المذكور أحمد فؤاد الذي نودي به ملكاً على مصر والسودان، وقد أجريت له مراسم التوديع المعتادة في مثل هذه الحالة وفقاً للتقاليد الدستورية هذا وما كان بوسعه إلا أن يتنازل لما صوبت المدافع إلى قصره، بل طوقت جميع أسلحة الجيش برية وبحرية وجوية القصور الملكية، وأرغم أن يبارح مصر بظرف ساعات معدودة.

ومن العجائب أنه كان على غير انتظار، بل كان في جو من الهدوء قبل ذلك، فما شعر إلا بتلك المظاهرات الرائعة بنظام تام، وبسرعة لا تضارعها إلا سرعة تحركات الجيوش في ميادين القتال بهدوء لا تراق فيه نقطة دم واحدة.

أما الوحشة والنظر في مصيره فإنه قد أنذره بعض ملوك العرب بخيانة مصر قبل ذلك له، وإنها تبيت له مالا يرضى من الأعمال، وقد أخرج وزوجته حاملاً ابنه فؤاد بيده اليمنى على صدره بحالة محزنة، ورؤية تسيء كل من رآها، وآخر رسم أخذ له وهو يمشي في كابري، وجاء في آخر الأنباء أنه وصل إلى ميناء نابولي الإيطالي، وأنه حجزت له ولأفراد أسرته الملكية الغرف الكافية في فندق هناك، وأن الحكومة الإيطالية وافقت على أن يقيم بصفته الشخصية في إيطاليا، وفي أبناء إيطاليا أنه سيرحها بعد بضعة أيام، وقد تضاربت الأنباء في الجهة التي يقصدها فيما بعد، وقد صرح في منفاه بأنه رجل فقير قد يضطر إلى البحث عن عمل عن طريق الإعلانات الصغيرة في الصحف، غير أنه أقام مأدبة عشاء لستمائة شخص.

ولما أن تنازل فاروق عن العرش وبارح مصر، قام رفعت علي ماهر باشا بصفته رئيس مجلس الوزراء فأصدر هذا البيان للأمة المصرية:

بناء على ما تقدم في الوقت الذي نزل فيه الملك فاروق الأول عن العرش لولي عهد مصر وغادر البلاد المصرية، ينادي مجلس الوزراء بمحضرة صاحب الجلالة أحمد فؤاد الثاني ملكاً لمصر والسودان، ويدعو الله أن تنعم البلاد في عهده بما تصبو إليه من رقي ومجد وسعادة، كما أصدر مجلس الوزراء المصري بياناً للأمة المصرية أن مجلس الوزراء قد تولى منذ اليوم سلطات الملك الدستورية باسم الأمة وتحت المسؤولية إلى أن يحين الوقت الذي يجب عليه فيه أن يسلم مقاليدها إلى مجلس الوصاية، وكان الملك فاروق قد كتب قبل أن يغادر الأراضي المصرية أسماء الأوصياء في ظرفين: أحدهما أودع في خزانة الديوان الملكي، والثاني برئاسة مجلس الوزراء، فتألفت هيئة وصاية على العرش من ثلاثة، ثم اكتفى بوصي واحد، وهؤلاء الثلاثة هم الأمير عبد المنعم، وبهي الدين بركات، ورشاد مهنّا.

ذكر البرنامج الذي تمشى عليه الرئيس علي ماهر

هو جيش قوي مستعد، تعديل النظام الحربي، القضاء على الاستعمار، القضاء

على الإقطاع، فتكون أراضي الوطن للمصريين، التزام سياسة عربية، وقام الرئيس بتنفيذ ذلك والعمل بما تقتضيه هذه المواد.

أما الرئيس اللواء محمد نجيب فقد قام بتحبب إلى الناس ويمازح أطفالهم، ويتواضع لضعفائهم، وجعل يلقي خطبه الرائعة في آلاف الجموع المحتشدة، ويستوقفه الفلاحون فيقف في موكبه العظيم يخاطبهم ويستمع لخطبهم، وقد خرج مرةً وسط عشرين ألف نسمة يرشدهم إلى النظام ويطلبهم باحترام النظام، ولا يفوتنا في هذا المقام ذكر قتال المصريين للإنكليز، وذلك في شهر ربيع الأول والثاني من هذه السنة، وقد انتصرت الإنكليز على مصر وحصرت رجال البوليس المصري، وقد شددت بريطانيا الوطأة على مصر، وقد اضطرت وزارة مصطفى النحاس تحت ضغط الرأي العام إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦م، فهاجمت معسكرات الإنكليز، وحمل الفدائيون على المعسكرات الإنكليزية في منطقة القناة ونسفوا منشأتهم بالقنابل والمتفجرات، وعطلوا مواصلاتهم، وعطلوا عنهم التموين، وترك العمال المصريون العمل بالمعسكرات البريطانية فاشتد الأمر على الإنكليز حتى انتقموا من الفدائيين والعمال ورجال البوليس المصري انتقاماً شديداً، وخرّبوا المزارع المحيطة بمعسكراتهم، وأزالوا بعض القرى إزالة تامة، واعتدوا على المسالين من الأهالي، فتعقدت الأمور أمام الحكومة وتزعزعت مكائنها، واضطرب الأمن، وأحرقت بعض الأحياء التجارية والمصارف الأجنبية في القاهرة، وذلك قبل خلع فاروق بسبعة شهور، فعزل فاروق مصطفى النحاس بدعوى أنه لم يقم بما يجب من أعمال الحرب، وكان عزله في غرة جمادى الأولى وخلفه وزارة الهلالي.

وفيها في ليلة ١٠/٥ من هذه السنة توفى ملك الإنكليز، ووفاته فجأة بأن ذهب إلى فراشه فنام ولم ينتبه بعد رقدته.

وفيها في ٢٦ رجب نزل غيث على نجد بوقت جذب وقحط، سقطت البادية في تلك السنة من الهزل والضعف حتى أقامهم الله بذلك الربيع، فله الحمد.

ولما كان في الساعة الحادية عشرة من ثالث شعبان مساء هبت رياح شديدة

وأظلم الجو وامتدت الظلمة والرياح الحاصبة قدراً من ثلاث ساعات، ثم إن الله تعالى كشفها عن المسلمين.

وفيها جعل ابن سعود في قضاء أبها فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدان من أهالي بريدة، ونقل قاضي جيزان عبدالله بن سليمان بن حميد من تلك الناحية إلى بعض القرى المجاورة لحائل.

وفيها عثر المنقبون في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية على مناجم غنية بالحديد والكبريت، وتستخدم الحكومة الوسائط اللازمة لاستثمار هذين المعدنين.

وفيها أعلنت مصادر الوطنيين في تونس أن جلالة الباي قد قرر أن يعارض علانية مشروع ما سمي الإصلاحات الفرنسية التي تريد فرنسا أن تفرضها على تونس، وذكرت هذه المصادر أن جلالته قد أرسل برقية احتجاج إلى الرئيس منسان أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية على الطريقة التي عولجت بها مسألة الإصلاحات .. الخ.

وفيه هذه السنة بل في شهر رمضان جمع الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل باز رسالة نصيحة، وهي ثمينة تحث على القيام بأوامر الله تعالى وترك نواهيه، وتدل بمفهومها على حسن طوية هذا العالم جزاه الله خيراً، وهي طويلة نشرتها إحدى الصحف السعودية.

ثم دخلت سنة ١٣٧٢هـ

ففي ٢/١٧ سقط ترومان رئيس الولايات المتحدة ونودي بإيزنهاور رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

وفيها صدر البلاغ الرسمي رقم ١٦٤ بتمديد معاهدة الطائف بين صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وبين ملك اليمن أحمد بن يحيى لمدة عشرين سنة أخرى، لأن المعاهدة المذكورة كانت على وشك الانتهاء باعتبارها بتاريخ ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ،

فبذلك أصبح البلدان يستقبلان هذا الحادث من تأييد المودة بين البلدين بكل سرور وهناء.

ذكر جبل ظلم

كان منجم ظلم هذا واقعاً في صحراء واسعة وسط سهل منبسط يبعد عن مكة بحوالي ٤٤٧ كيلو متر، ويبعد عن جدة حوالي ٤٢٠ كيلو متر، ويبعد عن الموية جنوباً بحوالي ٦٥ كيلو متر، ويرتفع عن سطح البحر بما يقرب من ألف متر، وقد بدأت الأعمال فيه منذ ثلاثة أعوام ونصف، وكانت مقتصرة على الإنشاءات والاستعدادات، ولكن عملية الحفر لم تبدأ فيه إلا قبل بضعة شهور، وكان لما كان عمقه مائة قدم ومعدل ما يستخرج منه في اليوم من المواد الخام ٧٥ طناً، وكل طن من هذه المواد يستخلص منه نصف أوقية ذهب خالص، ويزداد ما يستخرج منه حتى بلغ عمقه ثلاثمائة قدم، وكان يقوم بالعمل به في هذه السنة ٥٤٠ عاملاً.

وقد أقيم احتفال عظيم في يوم الجمعة ٢٧/٦/١٣٧٢هـ برئاسة وزير الدولة حمد السليمان وحضر لذلك الأعيان والكبراء، وكان رؤساء المدعوين قدموا إلى المنجم بطائرة ثم أقلتهم السيارات، ولما أن هبطوا إلى قاع المنجم شد الجميع حينئذٍ ما كانوا يصبون إليه شهدوا نفقاً طويلاً على شكل سرداب ورأوا الجبل من جميع جوانبه في تخوم الأرض أحمر اللون براقاً، إنه لذهب ولكنه ذهب بين أحضان التراب، وشهدوا الماء ينهمل من هذا الجبل كأنه رذاذ كما شهدوا العمال السعوديين يتولون مهمة الحفر في هذا الجبل، وشهدوا قضباناً حديدية ممتدة على أرض المنجم، تسير عليها عربة حديدية يملأها العمال من ذلك التراب الخام الذهبي، ثم يصعد بها أصنصير إلى سطح الأرض حيث تأخذ طريقها إلى المطاحن، ثم صعد الجميع إلى سطح الأرض عند فوهة المنجم ليشاهدوا عملية الطحن في مطاحن الحديد تديرها مكائن ضخمة، وشاهدوا بعد ذلك صهر الذهب في بواتق كثيرة في مكان أعد للصهر يبعد عن المنجم بضعة أمتار، وعملية الصهر هذه في البواتق هي

التي تخلص الذهب لكنه ذهب مخلوط بالفضة والحديد، ويقوم بهذه العملية سعوديون أيضاً.

وألقيت في هذا الاحتفال خطاب من بينها خطبة المستر بترز رئيس الخبراء الأمريكيين لمنجم ظلم، ألقاها ارتجالاً وشكر فيها معالي وزير المالية ونائبه، وتحدث فيها عن المنجم ومتوجاته، ترجمها إلى اللغة العربية الأستاذ عبدالله الطريقي، وقد أذيعت الخطابات من محطة الإذاعة السعودية ونشرتها الجرائد، وكان يشرف على أعمال هذا المعدن ثمانية خبراء أجانب، وبعد تركيز الذهب وصهره في ظلم يشحن إلى جدة لإجراء عملية تصفيته النهائية في المخبر السعودي الذي أنشأته الحكومة العربية السعودية بمجدة، ومنجم ظلم هذا ملك خالص للحكومة العربية السعودية، تتولى استثماره بنفسها مباشرة، وستولى بنفسها في القريب العاجل إنشاء الله استخراج ما في المناجم المتعددة المحيطة بهذا المنجم.

في ذمة الله، تنعي بريدة فقيدها العظيم

ففي الساعة الخامسة والنصف من ليلة الخميس سادس عشر ربيع الثاني من هذه السنة توفي عبدالعزيز بن مشيقح رحمة الله عليه، وهذه ترجمته:

هو أبو عبدالله بن حمود بن مشيقح بن عبدالله آل مشيقح كانت أسرة آل مشيقح قديماً من أهالي وشيقر، ثم إنهم انتقلوا من مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم، وذلك سنة ٩٠٠ هجرية، ثم بعد ذلك انتقلوا إلى مدينة بريدة في القرن الحادي عشر الهجري تقريباً.

ولادته ونشأته

أما ولادة المترجم فقد ولد في مدينة بريدة عاصمة القصيم في زمننا هذا، وذلك في سنة ١٢٨٠هـ، وتوفي والده وله من العمر تسع سنين، أعني سنة ١٢٨٩هـ فنشأ في التجارة سنة ١٣٠٠هـ، وأخذ يطلب العلم ويدرس على خاله الشيخ الفاضل محمد بن عمر بن سليم علامة القصيم، ذي الفضائل

الجلية والمواهب الربانية، وما زال المترجم يجده في طلب العلم حتى أصبح منتظماً في سلك أهل الدين، ومنتصياً إليهم، ومحباً لهم، ومقدراً ذلك لمكارم أخلاقه وعلو همته ونبل معرفته، وكم لهذا الرجل العظيم من مآثر في الإسلام ودفاع عن الوطن، وجهاد في تقدمه، ونجاحه بما كان به موضع الإعجاب من بين سائر البلدان، وإن بلاداً يقوم بها رجال الدين والبصيرة والعلم والمعرفة لجديرة بالنجاح والتقدم والرفي وبلوغ شأو العلى والمفاخر.

ذكر شيء من مقاماته التي بذل مهجته فيها لصالح الأمة

لقد قام ابن مشيق هذا وزميله الرجل العظيم فهد بن علي الرشودي بأمر هامة، وكان له رأي ومعرفة وتجربة، وله جاه عند الملوك والأمراء فيسمع له ويطاع، ويتمشى على ضوء آرائه وأفكاره، وبلغت به همته أن كان من أكبر الزعماء في القصيم.

فمن ذلك لما كان قبيل واقعة السبلة المتقدمة بين صاحب الجلالة وبين البغاة من البدو أصحاب الدويش وابن حميد أبدى حكماً وآراء جميلة، فإنه خرج هو وفهد بن علي واتفقا بصاحب الجلالة فطلباً أن تكون الواقعة مؤجلة بعدما عزم صاحب الجلالة على القتال سنة ١٣٤٦هـ فأجلت إلى السنة القادمة، وطلباً أن يكون ميدان القتال حوالي القصيم وذلك لإمداده بالمياه، وخشية أن يقطع عليه العدو خط الرجعة، فنزولاً على الرغبة وافق على هذا الرأي، وبذلاً مهجماً لطلبه فكان لا ينساها لهما، وجعل الله في ذلك النصرة وحسن العاقبة، وكان الملك الراحل يستأنس بآرائه ويميل إليها لنصحه ومعرفته، ولقد قام على أنجاله فهدبهم وثقفهم ورباهم أحسن تربية كانوا بها طلاب علم يسعون في الطلب ويدأبون في نيل الفضائل والعلم، وأبان لهم ما ينبغي لطلاب العلم أن يتصفوا به حتى كانوا هبة من الله تعالى أقر بها عينه.

وقد قام في عمران مسجده الكبير الواقع غربي بريدة واستجلب إليه طلاب العلم، حتى مرّ عليه طور وله كضيض من الزحام، فامتلاً بطلاب العلم وطلب من

الشيخ عبدالعزيز العبادي أن يدرس فيه ويعلم، فأحاطت بهذا الشيخ طلاب العلم من كل جهة وقصدوه من كل جانب، وكنت أظن أنه يبذل لفقراء الطلبة مساعدات مالية ويشجعهم ويحثهم ويبذل نفسه ونفيسه في ذلك.

ولقد طلب من الشيخ القاضي عمر بن محمد بن سليم أن يدرس في بيته بعد العشاء الآخرة فكان يجلس إلى جانب الشيخ يستمع التدريس، ولا تزال القهوة العربية والشاي يدار على جميع الحاضرين من الطلاب والمستمعين، وبذلك أمسى بيته العامر الكبير مأوى لطلاب العلم والمستمعين.

وكان يقدر العلماء ويوقرهم ويؤيدهم ويقيم المآدب الكبار على الدوام للعلماء والكبراء، فقلّ من زائر يقدم بريدة إلا ويدعوه إلى بيته وكرامته، وله عادات حسنة يقوم بها ويجمع الأخيار ويأنس برؤيتهم، ويطمأن إلى حديثهم، فبذلك كان سخياً جواداً مبدلاً، ويختص أهل العلم والدين ويقدم مجالسهم ويقربهم، ويميل إليهم بتواضع ولين عريكة وخفض جناح، وإذا من الله على عبدٍ فليفعل ما شاء من خصال الخير.

وكان المترجم تاجراً كبيراً وحصل على شيء عظيم من البيوت والأراضي والدكاكين، وساعدته الظروف والأحوال في زمنه فكان له جاه ومنزلة عند الخاص والعام.

ومما عرف عنه أنه يدقق في إحصاء أمواله، فإذا كان في شهر رمضان أخرج زكوات كثيرة، ويعتبر بيته في القصيم من أكبر بيت، فإنه قد امتلأ بأولاده وبناته وأبنائهم وأبناء أبنائهم، حتى روي لنا أنه أخرج عن بيته في صدقة الفطر ستين فطيرة، ويرى على أبنائه وأحفاده آثار النعيم والبهجة، وقد ثقل في آخر عمره لأنه عاش اثنتين وتسعين سنة، فكان يحمل في عربة أهداها له جلالة الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وكانت جميلة تدف من خلفها، وهذه مما أهداها لجلالته رئيس الولايات المتحدة روزفلت.

ومما يؤثر عن المترجم أنه ذكر لجميع أنجاله وأحفاده أن من كان مشغلاً منهم

بطلب العلم فإنه مكفي المؤونة، ولا عليه إن كان فارغاً من جميع أشغال الدنيا، وقد زوج جميع البالغين وجعلهم يترددون زرافات كل سنة لحج بيت الله الحرام، وأكرم جميع أسرته وسد خلتهم، وسيرهم لحج بيت الله الحرام، وقد يتناول بالمساعدات المالية والتجهيز للحج من يراه بحاجة إلى ذلك.

فنسأل الله تعالى أن يرفع درجاته في دار الآخرة وأن يصب عليه من الغفران سحباً ماطرة، وأن يجعله من وجوه ناضرة إلى ربها ناظرة، ولي من أبيات رثائية قلتها في بعض الأحباب لما فجعت بموته، وما أولي بمناسبتها في هذا الموضع لأن هذا الرجل الهمام يجدر بنا أن ننوه بذكره ونخلد مآثره التي قل من يتصف بها من أهل الإسلام ويجاريه فيها غالب الأنام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم:

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| رايتك في الدنيا مقيماً وواثقاً | تروح وتغدو ناسياً كل نازل |
| أنعم درأً أذنت برحيلها | وتصرخ في ويلاتها بالزلازل |
| أما قد تراها في شتات وخدعة | تغر ذوبها بالخداع الأباطل |
| تذيق محباً من حلاوة شهدها | وفي طيتها سم لها كالحبائل |
| ألم ترها ترقي ذوي الحب رتبة | فترميهموا من شاهقات المنازل |
| لك الله ما طابت فترضى بموطن | وقلبك مشغوف على غير حاصل |
| تجر الدواهي والبلايا خطوبها | ويسأماها أهل النها والفضائل |
| بنفسي وأهلي من حبيب مفارق | أديب نجيب ماهر في المسائل |
| دهينا به وأسواتا كيف أننا | نكينا به رغماً على كل عامل |
| فلو أن فيه الموت يقبل فدية | لكننا بها نسعى سريعاً بعاجل |
| وقمنا سراعاً كي ندافع دونه | بجاء وأموال كذا كل طائل |
| فما قد دهانا مثلها من مصيبة | ولا قد عرى من مزعجات الزلازل |
| فيا للمنايا كم أبادت لثله | فخر صريعاً في العرا والجنادل |
| ويا ما أمر البين والله إنه | فراق حبيب قد دهى بالعواضل |

وقائلة مالي أراك مفجعاً
 وإذا فكرة تصبو إلى كل فائت
 فقلت ذريني قد عراني كوارث
 دعيني فلا والله ما بعد هذه
 أينسى شفيق نافع غير ضائر
 له في الندى رسم يطول على الورى
 ومنها:

على مثله يبكي محباً وواثق
 أعلل نفسي بالتلاقي وقربه
 أقول لها كفي عن اليبين إنه
 وذى من تقادير الإله مصيبة
 فحمداً لمولانا وشكراً على القضاء
 ونسأل رب العرش يجبر كسرنا
 كفى الله شر الطارقات النوازل
 وأوهمها لكنها في التغافل
 مضى لطريق كلنا فيه داخل
 قضاها حكيم ملكه غير زائل
 ونرجوا له الزلفى بدار الأفاضل
 ويفرغ صبراً عاجلاً غير آجل
 مات المترجم عن سبعة بنين، ولكل ابن نسل كثير، وعن بنتين، ومن أشهر
 أبنائه عبدالله وحمود وغالب أبنائه وأحفاده وأسباطه تلامذة لآل سليم، وقد مر ذكر
 بعضهم ولا نطيل هنا لأننا نؤثر الاختصار.

ولما مات صلى عليه المسلمون وحمل إلى المقبرة الجنوبية في بريدة فلاجة، ولا يزال قبره
 يزار ويتردد إليه كل جمعة، وأصيبت به الأمة وفقده أهل الإسلام، واتفق على تعظيمه والدعاء
 له الخاص والعام، فنسأل الله تعالى أن يجبر المصاب بفقده ويرفع منازلته في دار كرامته.
 وفي هذه السنة نشأ خلاف عظيم ونزاع طويل في شأن واحة البريمي وذلك
 بدعوى أنها مشمولة بالحماية البريطانية وهي تدين أولاً بالسمع والطاعة لآل
 سعود حكام نجد، وبالنظر لأن الحكومة السعودية تستند في ملكية هذه المنطقة إلى
 التاريخ، والواقع لأنها تدين من قبل لآل سعود فقد ظلت هذه المنطقة تحت حكم
 آل سعود أيام سلطانهم.

وقد غاب آل سعود عن قلب الجزيرة العربية إحدى عشرة سنة ثم عاد جلاله الملك وبسط سلطانه ونفذه على تلك الأماكن منذ أكثر من اثنتين وخمسين سنة من غير منازع، إلى أن قامت السلطات البريطانية بأعمالها العدوانية في تلك المنطقة.

ولما أن اعتدت بريطانيا في الخليج العربي على بعض المناطق في الجنوب الشرقي من المملكة العربية السعودية بدعوى الدفاع عن مطالب لسلطان مسقط، عقدت اتفاقية في الرياض سميت اتفاقية التوقف في المنطقة المختلف عليها، ووقع السفير البريطاني بمكة مع سمو وزير خارجية المملكة العربية السعودية على هذه الاتفاقية، وقد التزم بموجبها الجانبان السعودي والبريطاني التزامات خاصة، غير أن السلطات البريطانية لم تراعي تلك الاتفاقية، وبدأت سلسلة من الاعتداءات المتكررة بأن وصل البريمي الضابط السياسي البريطاني ٢٣ صفر ١٣٧٢هـ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٥٢م ومعه سيارتان وعشرة جنود مسلحين، ووصل البريمي أيضاً الضابط السياسي في ١ ربيع أول من هذه السنة ومعه ثلاثون جندياً، وبقي خمس ساعات يحاول فيها أخذ صقر بن سلطان بعدما قدم الضابط المذكور قبل ذلك وأخذ صقر بن سلطان بالقوة، ولكنه هرب.

واستمرت الاعتداءات من بريطانيا بسيارات مسلحة وأعاد طائراتها التحليق المنخفض فوق المنطقة، واستعملت بريطانيا القوات المسلحة ضد القبائل الآمنة، واستدعت قوات من بعض البلدان العربية المجاورة لتستخدمها الحكومة البريطانية في احتلال مناطق جديدة، وللقبض على الأهليين وسجنهم وتقييدهم بالأغلال، واعترفهم بأن ذلك إجراءات لازمة.

كل ذلك لإرهاب الأهليين والتأثير عليه، ولإرغامهم بالقوة على الخضوع للسلطات البريطانية.

وبالرغم من قرارات المادة الثانية والثالثة من مواد اتفاقية التوقف فإن الحكومة البريطانية لا تزال في غيها، وآخر شيء قامت تصادر جميع الأرزاق الواردة على إمارة البريمي، واتخذت كل الوسائل لفرض حصار شديد، وأخرجت سيارات

مسلحة إلى تلك المناطق تصادر ما مرت عليه من إبل وتمر وغير ذلك.
فبذلك اضطرت الحكومة السعودية لتوسيط حكومة الولايات المتحدة في الأمر طبقاً للمادة ٣٣ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وأعلنت هذه المعلومات للرأي العام في العالم، واستمر الخلاف وطال النزاع، وسنخرج على هذه المسألة عن قريب.

ظهور آثار البترول بين المملكة السعودية والكويت

في هذه السنة وردت أنباء بأنه نتيجة للحفريات التي قامت بها الشركتان المختصتان بالمنطقة المحايدة بين المملكة العربية السعودية والكويت ظهرت آثار البترول فيها على عمق يتجاوز ثلاثة آلاف وثلاثمائة قدم، وتستمر الحفريات في مختلف بقاع المنطقة المنوه عنه، وتقع على ساحل الخليج بين الكويت والمملكة العربية السعودية، وهي مشتركة بينهما، وهذا يعتبر من أكبر الغنى لهاتين الحكومتين إذ كانتا بذلك أعظم الممالك متوجاً.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها هبت رياح تقدر سرعتها بمائة وأربعين كيلو متراً في الساعة، أصابت إيطاليا وجزيرتي سردينيا وصقلية بخسائر، وأدت الأمطار والثلوج والفيضانات إلى وقوع ضحايا عديدة وخسائر مادية كبيرة.

وفي مدينة مودينا قطع التيار الكهربائي بسبب الأضرار التي أحدثتها العاصفة على شبكة توزيع الكهرباء، وبلغت كثافة الثلوج في الشوارع ثلاثين سنتماً، وقد سدت معظم المنافذ في جبال الابنين، ووقعت عدة حوادث سيارات بسبب الثلوج مما أدى إلى إصابة نحو ١٥ شخصاً.

وفي صقلية انقلب عدد من أعمدة التلغراف بالقرب من سراقسطة بفعل الرياح العنيفة، وفي سردينيا تساقطت الثلوج بوفرة وقطعت المواصلات مع شبه الجزيرة الإيطالية من جهة، كما قطعت بين بعض الأجزاء الداخلية من جهة

أخرى، ووقعت فيضانات تغرق الأراض، وفي منطقة جروسيو فاضت مياه نهر أمبروني وأغرقت آلاف الهكتارات من الأراضي، وفاضت مياه البحر حتى اكتسحت الساحل.

وفي ليلة ٢٩ صفر فشت ظلمة شديدة في القصيم حتى كان الإنسان لا يبصر شيئاً، وكان وقتها رعود وبروق وصواعق، حتى توقفت الأمة عن السير.

ولما أن كان في النصف الأخير من محرم دعى جلالة الملك بأناس من العلماء إلى مكة المشرفة، ومن هؤلاء العلماء الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ الفاضل عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ، ومنهم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد يساعده الشيخ الفاضل ناصر الوهبي، جعل الآخرين كهيئة تمييز للنظر في الأحكام التي طالما قام أهلها يتظلمون أمام صاحب الجلالة.

كما أن آل الشيخ جلبوا هناك لتعزيز جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضيف إليهم أعضاء وعلى رأسهم فضيلة الشيخ علي بن فراج، فلبث الشيخان عبدالله وناصر يزاولان تلك الأعمال ثمانية شهور ويتنقلان في مكة والمدينة وجدة والطائف، ومن في صحبتهما من الأعضاء الملتحقين بهما.

ولما أن كان في جمادى الثانية في برج الحوت هطلت أمطار غزيرة على القصيم، وتوالى وقعها بعد جذب وقحط، ولحصوله حوالي فصل الربيع فإن الأرض اهتزت لذلك وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، وأخرجت الأرض أنواع الكلاء حتى جمع الناس من العشب شيئاً لم يعهد مثله في هذه الأزمان القريبة.

ولقد رأيت بعض رياض البطين في حال ازدهارها بالأعشاب، ومن ذلك روضة سليمان في البطين المشهورة لدى العامة، قد بنيت فيها الخيام ويتدفق فيها الماء النازل من السماء، والأمة إذ ذاك تحصد أنواع الأعشاب، فكان الجالس فيها يواريه العشب، ومن الناس من يستحصل في ضحوة واحدة حمل ستة حمر، وهذا شيء نادر الوقوع، فسبحان القادر على كل شيء:

رياض سليمان تفوق بحسنها كساها إله العرش ثوب الأزاهر

على خدها قل لي من الحسن برقع
تترف أطيار بها طال سجعها
وينعش قلب المستهام هواؤها
بها عصبه قد كابدوا في اقتطافهم
ويتتابها قوم يريدون نزهة
فإن كنت تبغي فرجة عج بظللها
وإن شئت رعياً للمواشي فإنها
فسبحان ربي من جليل معظم
وجدنا بها من عصبه الناس أمة
فقلنا لهم يا قوم نحن أعزة
نرحب في أضيافنا بل وندعهم
ونهرع في إكرام من كان قاصداً

يرق لها قلب الفتى في المناظر
ترجع ألحاناً لها بالتواتر
ولا شيء أحلى من ثغور الأزاهر
لأنواع نبت الأرض هل من مثابر
وأخذه أجمام تريح لصابر
ففيها لعمرى من عجيب المقادر
لتكسب من أعشابها كل حاضر
تدل لنا أنعامه في التذاكر
ينادون بالخيرات هل من مبادر
كرام نفوس أولعت بالمفاخر
إلى كل ما ييدي به كل خاطر
ونرغب في التقوى على قدر قادر

وفيهما وفاة الأخ في الله فهد بن عيسى رحمة الله تعالى عليه، وهذه ترجمته:

هو الحافظ المتعفف النزيه، ذو الأصل العظيم والإكباب على طلب العلم، ولد في سنة ١٣٢٠هـ فنشأ في الزهد وقلة ذات يد من الدنيا، بل كان فقيراً محتسباً، وأخذ في تعلم القرآن ودراسته حتى حفظه عن ظهر قلب، وكان تالياً لكتاب الله، وحسن الصوت، خفف الله عليه تلاوة القرآن وسهلها، فكان يدارس في القرآن ويلهج فيه، وفي حال حفظه آلى على نفسه أن يحفظ كل ليلة ورقة من كتاب الله، فكان لا يتعشى حتى يحفظ تلك الورقة عن ظهر قلب.

وربما جاءت والدته بطعام العشاء إليه فيأبى أن يتناول شيئاً حتى يحفظ الورقة، ولقد بلغت الساعة في السابعة ليلاً بالعربي وهو لم يتعش والدته عنده بالطعام فيأبى ويقول سلي الله أن يلهمني حفظها فلا أكل حتى أنال ذلك ولو طلع الفجر، ثم إنه لزم الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأكثر الأخذ عنه والتردد على حلق الذكر بين يديه، ولحسن رعاية الشيخ عمر كان يقدر له جهوده.

وكان المترجم صبوراً على المحن والشدائد، وابتلاه الله فصبر لأنه كان ممتحناً بأنواع المصائب، ويرجى أن يكون له ثواب الصابرين، ولقد جرى له أن توفي أقرباؤه من زوجة وابن وأم مع ما يكابده من الحاجة، وكان رأى رسول الله ﷺ مرة في المنام فقال: يا رسول الله ادع الله لي، فرفع الرسول ﷺ يديه ودعا له، ثم قال مع بلوى تصيبك، ولقد كان يجري بينه وبين أحبائه وزملائه مجاوبات حسنة، من ذلك أنه بعث إليه الشيخ عبدالمحسن بن عبيد يسليه ويخفف عنه بقصيدة طويلة من أبياتها قوله:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| إليك إله العرش أشكو بلائاً | أناخت بقلبي فاستبدت بفكرتي |
| ففرجَ الهى كربتي بتفضلٍ | وكن بي رؤوفاً يا مليكي وبغيقي |
| فقد جلَّ بي ما قد علمت وماله | سواك إله العرش فاكشف لغمي |
| وإلا فجد بالصبر يا منتهى المنى | واجزل ثوابي واغفرن لزلتي |
| أنخت ركابي عند بابك سيدي | فكن راحماً فقري وذلي وعبرتي |
| ويسر إلهي كل صعبٍ قضيته | ويسر حسابي يوم حشري وبعثتي |
| إلى أن قال: | |

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| ففي كل حينٍ يطرق القلب فادح | من الغم فافرج يا إلهي لكربتي |
| فلا والدأ أرجو سواك ولا أخاً | ولا عمي الأدنى وخالي وعترتي |
| إلهي وخلاقي وسولي ومالكي | تعطف بفضلٍ منك بادي البرية |

فأجابه الشيخ فهد بن عيسى رحمه الله بقصيدة يقول فيها:

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| وقفت على نظمٍ لبعضٍ أحبتي | بصيرٍ بأحوالٍ لدنيا وخبرة |
| يخاطب به من كان لله عاصياً | على علمه لا عن غرورٍ وغفلة |
| وينهاه بل يزجره عن كل حالةٍ | يخالف فيها الفعل قولاً بلفظه |
| وينصحه بالرفق مع لين جانب | وهذا لعمري فعل أهل المودة |
| ويخبر أن الصبر أجل للفتى | إذا وقع المقدور فينا بعسرة |
| كما جاءنا نص بذاك مبشراً | بما عوض الله المصاب بنكبة |

إذا كان عن صبرٍ جميلٍ وعن رضا
له الحمد إذ كل الأمور جميعها
ولولا الرجا كادت تطير قلوبنا
بما قدر الباري علينا بحكمة
يحيط بها علماً وحكماً وقدرةً
من الحزن إذ لا نستطيع الرزية
النخ وهي حسنة جميلة.

وللمترجم قصائد حسنة من ذلك أنه طلب من أخيه في الله عبدالمحسن بن عبيد
أن ينظم قول الشافعي رحمه الله: «صحبت الصوفية مدة ودهراً طويلاً فما استفدت
منهم إلا كلمتين: الوقت سيفٌ قاطع فإن قطعته وإلا قطعك، ونفسك إن لم تشغلها
بالحق شغلتك بالباطل»، فقال عبدالمحسن:

فوقتكَ سيفٌ قاطعٌ إن قطعته
وبالحق إن لم تشغل النفس جاهداً
كذا قاله الخبر ابن إدريس ناقلاً
بجدرٍ وتشميرٍ وإلا سيقطعك
فبالباطل الأردى سريعاً ستشغلك
عن السادة العباد قادة من سلك
فأجابه المترجم مديلاً عليهن بهذه الأبيات:

فقال صحبت القوم دهرأً ومدةً
هما كلمتا حقٍ لمن كان قامعاً
فمن جاهد النفس استقامت وبادرت
ومن لم يجاهدها فسوف يلومها
رجوعاً وقد فات الرجوع وأحضرت
فأحصاه رب العرش حين نسيته
فغفرانه والحلم قد وسع الورى
فوحده بالأفعال جل جلاله
وقل ناطقاً بالحق لا متردداً
بكل الذي نأتي من الخوف والرجا
فأنواعها أعني العبادة كلها
فمعبودنا فردٌ فنفرده بها
فلم أستفد منهم سوى ما ذكرت لك
هواه الذي يورده مورد من هلك
وسارت به حقاً إلى طاعة الملك
إذ اللوم لا يجدي وهيئات لو ملك
صحائف املأها قديماً على الملك
وكان شهيداً عالماً حين أمهلك
ولولاهما زال السماء مع الفلك
كما أنه الخلاق والرب قد ملك
ولا معرضاً أو مبغضاً لا شريك لك
كذا الحب مع أنواع ما يستحق لك
سنبذها من غير ندرٍ يكون لك
وأنواعها هذي طريقة من سلك

إلى آخر القصيدة وهي حسنة.

وله قصيدة ذيل بها بيتين أحدهما لابن رجب والآخر للأخ عبدالمحسن:

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| سبيك في الدنيا سبيل مسافر | ولا بد من زاد لكل مسافر |
| فما الزاد إلا طاعة الله وحده | ولا بد يوماً من حلول المقابر |

قال المترجم:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| فإن كنت ذا عقلٍ سليم من الردى | فقم فاغتنم أيام عمرك صابر |
| على هذه الدنيا وسوء فعالها | بأهل التقى والحزم أهل التناصر |
| تهين أخا علم وترفع جاهلاً | كذا فعلها بالصادقين السرائر |
| وذا سنة الله الحكيم بخلقه | بدل على هذا وذا فعل قادر |
| فيعطي بفضلٍ منه من يستحقه | ويمنع أقواماً وربك قاهر |

إلى آخر القصيدة، وهي حسنة لولا خشية الإطالة لأتينا بها:

وكان رحمه الله ظريفاً، مليح المذاكرة، وله مناقشة في بعض المسائل، ويجب البحث في العلم.

أما نسبه فهو فهد بن عيسى بن عبدالكريم آل عيسى من بني زيد ويرجعون إلى عبدة قحطان، وكانت وفاته في عشرين من شهر رجب على أثر انقلاب سيارة بينما هو موظف في قرية الشبيكية للإقامة والوعظ والإرشاد فيها، وكان قبل ذلك في قرية القرعاء.

وفي هذه السنة في ١٤ جمادى الثانية الموافق ٢٨ شباط ١٩٥٣ توفي ستالين روسيا، وهو الرجل السياسي الماهر الذي وقف في وجه قوات المحور حتى قضى عليها، وكان سبب وفاته أنه كان كلما تقدمت به السن ازداد شكا وقلقاً من زوجته روزا، حتى كان عام ١٩٥٢م إذ وصل بينهما الأمر إلى الخصام، ولذلك تأمرت عليه مع ١٦ طبيباً من أطباء الكرملين اليهود والتفقوا مع العازار أخي روزا بأن يدسوا السم لستالين، فلما عرف ذلك اعتقلهم، ولما أراد قتلهم تأمر عليه اليهود في مجلس السوفيات الأعلى بمساعدة المارشال جولوف فاحتلوا الكرملين وقتلوا ستالين، وأعلنوا أن ستالين قد

أصيب بنوبة نزيف في العمود الفقري أودت بحياته، وكان رجلاً حازماً ويشرف على سائر الأعمال بنفسه.

وفي هذه السنة أمرت الحكومة أيدها الله تعالى بأناس من العلماء لسد وظائف القضاء، ومن هؤلاء مؤلف هذا التاريخ لقضاء تيماء، ومنهم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدان لقضاء أبها، ومنهم الشيخ صالح بن أحمد الخريصي لقضاء الدلم في الخرج، أما بلدة السيح في الخرج فلا يزال على وظيفة القضاء فيها فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن عبدالرحمن الشعبي، وهذه نبذة من سيرته ونسبه:

ولد الشيخ عبدالعزيز في بلدة منفوحة القديمة جنوبي الرياض سنة ١٣١٤هـ، ذلك لأن آباه وأجداده قد انتقلوا من ملكهم الفويته - بالفاء والواو والياء التحتية والتاء بعدها تاء التانيث - وهي معكال المعروف بالرياض إلى بني عمهم أهل منفوحة، وذلك في زمن الإمام عبدالله بن فيصل.

نشأته ودراسته

نشأ الشيخ عبدالعزيز يتيماً في كفالة والدته، لأن والده انتقل مع الإمام عبدالرحمن الفيصل إلى الكويت في أيام محمد بن عبدالله بن رشيد فتوفى هناك، والشيخ صبي، فأخذ يتعلم القرآن من الشيخ سعد بن عنبر معلم أهل البلدة في وقته حتى حفظه عن ظهر قلب، وتلقى علم التجويد عن الشيوخ الحفاظ ومراجعة الكتب، وكان معرضاً عن الدنيا ومقبلاً على الدراسة والعلم، ثم إنه رحل إلى الإحساء لتلقي العلم من عالمها الشيخ عيسى بن عكاس، فدرس عليه في كتاب التوحيد لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبعد مضي عامين رجع إلى مسقط رأسه فتزوج عام ١٣٣٧هـ من آل سيف من بني هاجر القبيلة المعروفة في صياح من بلد الرياض.

وجعل يواصل دراسته على علماء وطنه، فأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن سالم

من قبيلة آل عيد الدواسر، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن حميد علم الفرائض، وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، درس عليه في بلوغ المرام في الحديث، وأخذ عن علامة نجد ومفتي المملكة السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، درس عليه في زاد المستقنع، والبلوغ، وألفية ابن مالك، ومتقى الأخبار، والعقيدة الواسطية، ولمعة الاعتقاد، والحموية، وكان مع ذلك أديباً وذا حافظه للشعر، وقارعاً للشعر، فمن شعره قوله في حق عبدالله بن علي الصعيدي من بحر الرجز:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| قال ابن سعدي ناصراً للحق | بهمة ونية وصدق |
| رداً على مؤلف الأغلال | مبيناً ما فيه من ضلال |
| محذراً مما به قد ارتكب | وما على الإسلام فيه قد جلب |
| وهو الصعيدي الذي قد اشتهر | في مصر أو هناك أمره ظهر |
| وكان هذا الشخص من قد أتى | في سالف الأيام بعض الحكمة |
| وكان في الفروع والأصول | وعلمي المعقول والمنقول |
| يعدُّ من فحول أهل العلم | في الحذق والفهامة والفهم |
| فرجع على قفاه القهقرا | ونزل من الثريا للثراء |
| نعوذ بالله من الخذلان | والخور بعد الكور والحرمان |

ومن شعره قوله لما عافاه الله من القضاء:

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| الحمد لله الذي عافاني | من القضاء وشهره كفاني |
| أراح منه بدني وقلبي | وعرض من مسبةٍ وثلبى |
| فله الحمد أولاً وآخرأ | وله الشكر باطنأ وظاهرأ |
| وأسأله الصفح عن زلاتي | والعفو عن ذنبي وعن عثراتي |
| فإنه الغفار للذنوب | وإنه الستار للعيوب |
| ربِّ فأحيني على الإسلام | وثبت يا رب عليه أقدامي |

واختتم لي يا رب بصالح العمل
وعافني من الخطايا والزلل
إلى أن قال:

فنحن في زمان خيره ذهب
لم يبق في الإسلام غير الاسم
فريضة الصلاة فيه ضيعت
وشرب الدخان فيه جهراً
في كل مجلسٍ ونادٍ يشربه
ولا من القران غير الرسم
والمنكرات والملاهي أعلنت
من غير إنكارٍ وغير نكرا
وكل شارعٍ وسوقٍ يجلب

إلى أن قال:

وهو حرام دون شك عندي
ومن يبعه أو يشربه
فإنه يسمى بالسفيه
وشربه فموجب للحد
أو يتعاطا للتجارة فيه
عند ذوي الألباب والتنبيه

وله أبيات حسنة غيرها جميلة، ولقد قضى خمساً وعشرين سنة في طلب العلم،
وكان يمشي على رجليه من منفوحة الرياض خمس كيلوات صباحاً ومساءً، وكانت
دراسته على الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن سالم في الفرائض، والبخاري
والترمذي والنسائي، وتفسير ابن كثير والبغوي، ومختصر الشرح للشيخ محمد.

أما الوظائف التي نالها، فإنه عين إماماً لجامع المنفوحة في سنة ١٣٤٠هـ، وفي
١٣٤٥هـ عين عضواً في هيئة الأمر بالمعروف في منفوحة، وفي عام ١٣٥٦هـ عين
خطيباً في الجامع المذكور، ومرشداً في منفوحة ومفتياً.

ولما أن كان في هذه الوظائف لم يمنعه ذلك عن الاتصال بالرياض يومياً، وإنا
لنقدر للشيخ مجهوداته ونمذحه ونثني عليه، ونسأل الله له الإثابة ذلك بأنه رجل
طيب متواضع، دمث الأخلاق، واجتماعي.

ولما أن كان في سنة ١٣٦٥م عين قاضياً في الخرج في السيح فاستمر يزاول مهنة
القضاء أربع عشرة سنة تقريباً، ثم إن الحكومة أيدها الله رأت العطف عليه بإحالة

إلى التقاعد، وذلك في شهر شعبان سنة ١٣٧٩ الآتية، وبعد ذلك استمر في التدريس في الخرج والإمامة في الجامع، والخطابة فيه، فكان مستمراً في هذا العمل، وكان ينتهي نسبه إلى الشعبي من شعب همدان القبيلة اليمنية المشهورة، ومن آل شعبي سليمان الشعبي الذي هاجر من منفوحة إلى الدرعية في زمن إمام الدعوة في فتن دهام بن دواس بن عبدالله بن شعلان الذي تغلب على الرياض وتصدى لعداوة أهل التوحيد، واشتهر بالظلم والجبروت، فهاجر سليمان هذا وأناس من رؤساء أهل منفوحة.

وكان من ظلم دهام بن دواس أنه غضب يوماً على امرأة فأمر أن يخاط فمها، ومنها أنه غضب يوماً على رجل مسجون فك بأسنانه قيد الحديد، فأمر بضرب أسنانه بالحديد حتى تساقطت والعياذ بالله.

وفيها تم العمل من العين الجديدة العزيزية بضمها إلى عين زبيدة لمكة المكرمة، وذلك لأن الحكومة السعودية أيدها الله تعالى لما رأت كثرة الحجاج الواردين إلى مكة المشرفة، ومن جهة أخرى كثرة السكان بمكة اشترت عيناً في طريق المضيق إحدى القرى القريبة من الشرائع في طريق الطائف، وأمرت بجلب مائها إلى مكة لتوفير الماء بها، وقد شرع المهندسون منذ رمضان من سنة سبعين هجرية بنوا لأجلاها خزانين كبيرين للتصفية عند مصدرها، وفي أواخر السنة المتقدمة وصلت العين المذكورة إلى محلة المعابدة وضمت إدراتها إلى إدارة عين زبيدة، وفي هذه تم العمل وأصبحت مكة المكرمة تتمتع بوفرة المياه العزيزية، واتسعت العينان لكفاية الحجاج والعمار والسكان، فجزى الله المحسنين خيراً، وإنها لحسنة خالدة لصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وبعدما كان يطلق على عين مكة اسم عين زبيدة أصبح يطلق عين زبيدة والعزيزية.

وفيها في رمضان وقيل في التي قبلها وفاة رجل الدين والصلاح حمد بن سعد بن راشد بن حمد الشبرمي قدس الله روحه، ويأتي بقية نسبه في ترجمة أخيه عبدالله، وهذه ترجمته:

نشأ في حضانة والديه، ثم إنه تعلم القرآن وجدّ ونافس في طلب العلم، فكان يذهب هو وصاحبه محمد بن عبدالله التويجري إمام قرية القصيبة العالم المشهور الذي تولى قضاء جيزان يذهبان إلى بريدة للأخذ عن آل سليم الشيخين عبدالله بن محمد بن سليم وأخيه الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأكثر من الأخذ عن الشيخ عمر، وكان هو الذي يتولى الخطابة في القرية المذكورة والإمامة فيها، ثم إنه ترك ذلك لزميله محمد التويجري، وكان فلاحاً في القصيبة ويأكل من كسب يده، ويؤم في أحد مساجدها، وله حارة في جنوبي القرية يرجع إليه فيها، ولا يزال الناس يعظمونه لمكانته في الهدى والمعرفة والإصلاح بين المتخاصمين، وكان موضع الثقة من العلماء والقضاة، ومن أهل الولاء والبراء الذين يحبون في الله ويعادون فيه.

وكانت ولادته عام ١٢٩١هـ، ويعتبر من خيرة أهل زمانه في الدين والصلاح والإقبال على الله تعالى والاتكال عليه، وقد يؤتى إليه بالمصابين بالأرواح الشريرة فيعالجهم بتلاوة القرآن والأوراد فيعافيه الله تبارك وتعالى، وكان يمقت أهل الأذى والظلم ويعيبهم وله إخوان من بينهم المطوع المشهور عبدالله بن سعد وإبراهيم وعبد العزيز.

وفي هذه السنة عزز جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأقيم هيئة رسمية إداريون وأعضاء يدأبون في القيام بالمعروف والنهي عن المنكر فيها بمجد ونشاط، وأمرهم نافذ على الصغير والكبير.

وكان رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز فضيلة الشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ، والمساعد له الشيخ علي بن فراج من أهالي الهلالية القرية الكبيرة في القصيم، وكان له تقدم وشجاعة وقوة في دين الله تعالى، كما أن الشيخ عبدالملك يمتاز بالبصيرة والعلم والمعرفة، وطول التأني، وفيه مكارم، وله حكمة وحسن معاملة.

وفيها تقدم الشيخ عبدالله بن عودة آل سعوي بطلب العافية من قضاء الدمام لطول مكثه في القضاء، ولضعف جسمه، فلبت الحكومة طلبه وأحالوه على التقاعد، ثم إنه جعل مكانه في قضاء الدمام الشيخ إبراهيم العمود.

ذكر الأبار الأرتوازية في منطقة القصيم

ففي ١٤ شوال من هذه السنة انفجرت عين في قرية عين الزرقاء المعروفة بالشمال الغربي عن بريدة، وكانت هذه العين أول عين عذبة انفجرت في القصيم فأقبل الناس إليها زرافات ووحداً لتناول الماء منها، وحدث من ذلك فرح واستبشار في الأهالي لوجود البحور العذبة عندهم، هذا وقد زعم بعض الخبراء قبل ذلك أنه لا يوجد في القصيم مياه عذبة، وبذلك تبين كذب هؤلاء الخبراء وغشهم، ثم إنه انفجر بعد ذلك في القصيم عيون عظيمة، وسيمر بنا ذكرها.

جمهورية مصر

لما كان في ١٠/٤ من هذه السنة الموافق ١٨ يونية ١٩٥٣م ألغى نظام الملك وأعلنت الجمهورية فيها، وأسندت رئاستها إلى محمد نجيب زعيم الثورة، وإن محمد نجيب هذا يعتبر متواضعاً لشعبه وفيه عدل، وقد اصطحب الإنصاف.

ولما حج في هذه السنة شوهده منه عبادة وبكاء، وعندما كان يخرج من خيمته في عرفات ظهراً كان بعض مرافقيه يحاولون أن يحموه من حرارة الشمس بالمظلة غير أنه كان يأبى عليهم دائماً أن يحموه عن الشمس مع أن مكبرات الصوت تحذر الحجاج من التعرض للشمس وإصراره على الإباء هو أنه يرى من بين الحجاج من لا يحمل مظلة فلماذا يحمل هو مظلة، وكان رفقته لم يستطيعوا أن يجاروه في ذلك فوقفوا حوله يرددون ابتهالاته والمظلات فوق رؤوسهم، ومما نسب عنه الإكثار من تلاوة القرآن، فقد كان يتلو في المصحف وهو مستلقي على فراشه.

ولما سئل وهو في مكة المكرمة لأداء الحج بأنه قد اشتهرت إشاعات منذ أعلن اعتزامه على الحج أن الغرض إنما هو عقد معاهدة مالية مع الحكومة السعودية لتدعيم الخزينة المصرية؟ أجاب بعدما أبدى ابتسامته على شفثيه:

إلى هذا الحد يريدون أن يشوهوا سمعة مصر المالية، وهل ميزانيتنا أقل شأنًا من القطر الشقيق.

إن الذي حدث هو أنني تلقيت دعوة من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود لزيارة الحجاز، كما تلقيت دعوات أخرى لزيارة بعض الأقطار الشقيقة، ولما كان الملك عبدالعزيز فينا جميعاً بمثابة الوالد فقد رأيت أن أبدأ بتلبية دعوته الكريمة في موسم الحج فأحج وأزوره في وقت معاً.

ونظراً لأنني أكره الرسميات فقد اعتذرت عن أن تكون هذه الزيارة رسمية، ولكنهم مع ذلك قد استقبلونا واحتفوا بنا احتفاء يفوق كل المظاهر الرسمية، وتصدق بصدقات على الفقراء الذين في طريقه بسيره إلى المساجد، حتى ذكر أنه لما فرغ ما معه من النقود في أثناء زيارته لمسجد قباء بالمدينة المنورة أسف لذلك أسفاً وسأل من حوله عن نقود، فتقدم بعض رفقته وقدم له كل ما كان معه، فلما كان من الغد وفاه حقه شاكراً له، وبعدما طلب منه الرفيق أن يرجع ردها حتى يعود من الزارة أبى ذلك وصلى في كل مسجد ركعين.

ولما كان بعض المساجد في أماكن مرتفعة في المدينة وأحس أن بعض مرافقيه يجدون صعوبة في الصعود إليها جعل يشجعهم ويقول كل شيء بثوابه وهذه فرص لا ينبغي أن تفوت، وهذا النبي ﷺ كان يصلي هنا.

ولما عاد من البلاد السعودية تلقى ٢٢٦٩٢ برقية تهنئة و٦٢٧١٨ رسالة، ومن بين هذه البرقيات والرسائل ورد من خارج القطر ٤٩١٨ برقية و٩٣١٤ رسالة، وقد نشر منشوراً إلى حجاج بيت الله الحرام، وبالجمللة فإنها جعلت تلهج به السنة المصريين ويهتف باسمه كبيرهم وصغيرهم، حتى جعلت الأطفال تدعوه باباً نجيب.

حادث مفرع في مصر

لما كان في آخر ليلة من ليالي هذه السنة تقدم أربعة من الأشقياء الذين اصطحبوا للسرقة ونهب الأموال بمسدساتهم والناس نائمون والدنيا سكون إلى موضع، وقد شهروا المسدسات في وجوه كل من في الحانة، وصاح واحد منهم

أرفعوا الأيدي وأخرجوا النقاد وبدت من أحد المظلومين وهو أحمد علي حسين الجرسون حركة فهموا منها أنه يحاول الاستغاثة، فسارع أحد المجرمين يفرغ رصاص مسدسه في قلب الرجل، وتتابع طلقات الرصاص بعد ذلك.

وكان الطريق خالياً من المارة، وكان أحد الأشقياء يراقب الطريق، وقد أعدو سيارة تاكسي قد قتلوا صاحبها وزوجه وأحد الزبائن، وقد رأهم منادي السيارات، ثم تجمع الناس ولجأ المعتدون إلى استعمال الرصاص مرة أخرى، غير أنه ألقي القبض عليهم بعد جهد ومشقة، وقد تلف من اعتدائهم ضحايا من بينهم الرجل المذكور تاركاً وراءه زوجته وأولاده الثمانية بدون عائل، وأصيب منادي السيارات وترك أولاده يذرفون الدمع، ولا يجيدون القوت، والأمة المصرية تطالب الحكومة بأن تهتم بهذه المشاكل، ووضع حد لهذا اللين والرافة بالمجرمين، ولو أنهم عرفوا تماماً أن حبل المشنقة هو المصير المحتوم للمعتدين لما أقدموا على فعلتهم هذه، لأن العقاب يردع ويخيف، فإذا لم يكن هناك خوف فلا ارتداع ولا خوف، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾، فلا بد من وسيلة ما لإيقاف هذا التيار.

ولقد اغتيل أحمد ماهر في مصر وهو في البرلمان سابقاً يدافع عن فكرة دخول مصر الحرب ضد المحور حتى يضمن لمصر مقعد في مؤتمر الصلح.

واغتيل أيضاً محمود فهمي النقراشي الرئيس الثاني لحزب السعديين قتل بقنبلة يدوية وهو يدخل وزارة الداخلية بعد أسبوع من حل جمعية الإخوان المسلمين، وكان النقراشي هذا مثلاً للنزاهة فيما ذكر عنه، وأول من صرخ في وجه الملك فاروق ومنعه من ارتياد الملاهي العامة.

وكان أول من قال للإنكليز في مجلس الأمن أخرجوا من بلادنا، وأول من وصفهم بالقراصنة، وأول من عارض دخول الجيش المصري معركة فلسطين، لأن الجيش لم يكن مستعداً، ولقد سمعت أو ذكر لي أن أحد فحول شعراء مصر رثاه بمرثية عظيمة، ولما أن ألقاها ابنه في الإذاعة وسمعها ذلك الشاعر انتحب ومات.

زيارة حاكم باكستان

إن باكستان فيما ذكر عنها بلاد أسسها مسلموا الهند ليكونوا فيها أحراراً في إقامة شعائر الدين الإسلامي، حتى نقل مؤسسها القائد الأعظم محمد علي جناح، إننا لم نؤسس باكستان لمسلمي الهند فحسب بل لتكون مقراً للدعوة الإسلامية، وينسب إليهم شدة التمسك بالدين، ويا حبذا هذه الخصلة.

وإن الهدف الأساسي الذي من أجله أنشئت باكستان هو إتاحة الفرصة لمائة مليون من البشر حتى يعبدوا الله في حرمه ويحققوا العدالة فيما بينهم، كما جاء بها الإسلام وعاصمتها كراتشي، وإن المرأة متمسكة بتعاليم دينها محافظة على تقاليدها، متصفة بالأخلاق الفاضلة، وقد نالت قسطاً وافراً من التعليم والتهذيب، وتمت الخلاعة، وتنكر تقاليد الأوربيات في أزيائهن وتبرجهن، وأكثر نساء الباكستان يحافظن على الحجاب الشرعي.

ولما توفى القائد الأعظم محمد علي جناح أسف جلالة الملك عبدالعزيز لوفاته جداً وأمر أن تقام على روحه صلاة الغائب في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، رحمة الله على أموات المسلمين.

ثم إن باكستان قد انتدبت قبل هذه السنة بأربع سنين وفداً من قبلها لزيارة المملكة العربية السعودية برئاسة صاحب المعالي الخوaja وزير الداخلية، فكان موضع تقدير جلالة الملك ورجال حكومته.

ولما أن كان في هذه السنة في يوم الأربعاء ١٨/٦ الموافق ٤/٣/١٩٥٣م قدم حاكم الباكستان صاحب الفخامة السيد غلام محمد بزيارة رسمية إلى المملكة العربية السعودية.

وكان قدومه في الرياض، فأطلقت المدفعية لقدمه إحدى وعشرين، واستقبل استقبالاً باهراً، ورتب السير كهذا الدراجات النارية، وسيارات الجيب، والسيارات الملكية الخاصة، وسيارات أصحاب السمو الأمراء، وسيارات رجال الحاشية والحكومة.

وينبغي أن يكون السير بطيئاً ويرفع العلم الباكستاني إلى جانب العلم السعودي، ثم بعد ذلك أقلته الطائرة إلى جدة وأطلقت المدفعية ٢١ مدفعاً، ثم توجه إلى مكة المكرمة، وكانت أقواس النصر قد رفعت من مسافة طويلة، ثم إلى المدينة المنورة، وقد زار منى وعرفات بعدما أدى العمرة، وقد أطلقت المدفعية في المدينة لقدمه واحداً وعشرين مدفعاً، ثم زار المسجد النبوي، وبعد ذلك استقل الطائرة إلى جدة، ثم منها إلى بلاده، وقد لقي في كل موضع حفاوة وإكراماً عظيماً، وكان عمره إذ ذاك ثمانياً وخمسين سنة.

أما نشأته وأعماله فإنه تلقى تعليمه في مدارس وجامعات مختلفة، وآخر ذلك قضى مدة قصيرة في ولاية بهوپال ١٩٣٢ - ١٩٣٤ م.

ثم عين وكيلاً لمدير الحسابات العام بمديرية البرق والبريد بحكومة الهند، ثم عين في منصب هام بوزارة التموين عند بدء الحرب العالمية الثانية، ثم ارتقى إلى منصب السكرتارية، فعين سكرتيراً ملحقاً، وقد قدرته الحكومة وعرفت لخدماته العظيمة حق معرفتها وقدرتها حق قدرها فمنحه لقب بطل الإمبراطورية الهندية، ثم منحته لقب الفروسية فيما بعد.

ثم تولى منصب وزارة المالية، ثم تولى شركة تاتا المشهورة، وهي شركة تجارية ذات مصالح جسيمة، ثم عين وزيراً لمالية باكستان في عام ١٩٤٧ م، فكان أول وزير مالية فيها، ثم عين وزيراً للشؤون الاقتصادية والمالية وهي الوزارة التي أسست لتنظيم شؤون باكستان الاقتصادية، ثم إنه اختير بعد ذلك حاكماً عاماً للباكستان في أكتوبر ١٩٥١ م الموافق لحرم ١٣٧١ هـ بعد أن اعتزل هذا المنصب سلفه الحاكم العام خواجه، وكان غلام محمد هذا هو الساعد الأيمن لمحمد بن علي جناح مؤسس دولة الباكستان، وكان أديباً ويعرف اللغات ويجيد الأوردية إجادة عظيمة إلى جانب إجادته الإنكليزية والفارسية، وله إلمام بالعربية، وكانت زيارته للمملكة السعودية قد استغرقت أسبوعاً كاملاً.

وفي هذه السنة نشرت إحدى الجرائد السعودية نشرة في جمادى الثانية لبعض

الأدباء مستنكراً كثرة التسول من بعض الحجاج الذين يقدمون من بلادهم خالي الحقائق، وقال إنه يجب على الحكومات الأجنبية ألا تسمح لأحد بالخروج من بلاده ما لم يحمل ما يكفيه من النقود، وعلق على ذلك بأن إلغاء الرسوم عن الحجاج سيجعلنا أمام مشكلة كبرى هي مشكلة إقدام كل من هبّ ودبّ على الخروج إلى الحج بمجرد قدرته على دفع أجرة الركوب فقط، فأمام هذه المشكلة يجب أن يذاع وينشر بالصحف المحلية والأجنبية ويطلب من الحكومات الأجنبية ألا تسمح لأحد بالخروج من بلادها ما لم يحمل من النقود ما يؤمن سفرته، وتالله إنها لفكرة صالحة.

وفيهما قام رئيس جمهورية مصر محمد نجيب يطالب بالجلء عن قناة السويس، وأنه يجب على القوات البريطانية الجلء عن القناة بلا قيد ولا شرط، وقدم مذكرة تهديدية إلى السفير البريطاني، ولم يتم بعد تحديد موعد لفتح باب المفاوضات، ولكن الجانب المصري مشغول باختيار الفريق الذي يمثلها فيها، وتقول الصحف المصرية إنه سينضم إلى اللواء محمد نجيب ووزير الخارجية في وفد المفاوضات المصري البكباشي جمال عبدالناصر الرجل الثاني في مجلس الثورة، والصاغ صلاح سالم الذي قام بدور هام في مفاوضات السودان، وكانت بعض الصحف البريطانية أيضاً تؤيد الجلء إلى حد ما، غير أن غالب صحفها تعارض أشد المعارضة.

وفيهما صدر أمر الحكومة السعودية برقم ١٠٩ في ٢٤ محرم بإلغاء نظام المرافعات السابق وإبداله بتعليمات إدارية من شأنها تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية رغبةً من الحكومة في تنفيذ الأحكام الشرعية حسبما يأمر به الشرع بدون تغيير أو تأخير أو تبديل، ونشرت هذه التعليمات بـ ٩٦ مادة، ومن أراد مراجعتها فإنه يجدها في العدد ١٤٣٥ من جريدة أم القرى، وفي ٣ صفر من هذه السنة صدر التعامل بالجنه الذهبي السعودي بسعر أربعين ريالاً.

المشروع الزراعي وتربية الدواجن

نشير هنا إشارة فنقول: بما أنه مرّ على آثار نجد فتن وحروب قضت على

الحرث والنسل حتى قيّض الله سيد الجزيرة وعاملها عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل، فأبدل من خوف البلاد أمناً، ونشر في ربوع شعبه العلم، وبث فيه الإقبال على العمل والكد، فعمّ الإصلاح طول البلاد وعرضها.

وكان من ذلك هذا المشروع الزراعي الضخم بالخرج الذي بوشر في تأسيسه وتوجيهه منذ أربع عشرة سنة، وكان القائمون به إذ ذاك عراقيين وسعوديين وفلسطينيين ومصريين، وقد استخرجت الحكومة وادخرت من الثار مبالغ لا بأس بها ورغبة في زيادة أرقام المحصول في هذا المشروع، ومسايرة للتطورات الجديدة في فنون الزراعة رأت حكومة جلالة الملك المعظم عبدالعزيز أن تستوفد بعد التأسيس بخمس سنوات من الولايات المتحدة بعثة للزراعة لتعليم السعوديين وإرشادهم إلى ما يجهلون من النواحي الفنية للزراعة الحديثة، فوصلت هذه البعثة وهي مكونة من ثلاثة خبراء: رئيس وهو روجرز دايفد وكواس، مدير مزارع السهباء، ومدير مزارع السيح مستر أمرك، وبعد مدة وجيزة من وصولهم أمنوا جميع وسائل الحراثة، ومن ثم شرعوا في توسيع نطاق الزراعة من الحبوب والخضراوات والعلف، علاوة على المغروسات الثابتة من الأشجار والنخيل والأثل، وإنه لحق إذا قيل أنهم عملوا عملاً يذكرون به نظراً لما أسسوه، وما قاموا به من تعمير وإصلاح إنتاجه ظاهر، وحينما انتهت مدتهم وتسلم العلم بعدهم بعثة ثالثة برئاسة سام تي لوقن الذي كان محافظاً على عمله، محبوباً من العمال والمزارعين والموظفين، وبعدما استقال باشر العمل خلفه الرئيس فرنك بروك شير الذي عرف عنه الحزم والجد والإخلاص في العمل، وبتوفيق الله ثم اهتمامه أنتجت المزارع هناك إنتاجاً كثيراً، ويمتاز هذا الرئيس الأخير أنه أفسح المجال لبعض السعوديين ممن عرفهم ودربهم على شؤون الإدارة والعمل قبل توليه الرئاسة العامة للمزارع، وجعلهم يقومون بالأعمال إبدالاً عن أناس أمريكيين، وقد كثر المتوج، وتقوم الزراعة جميعها على الآلات الحديثة من حراثات وبذارات وحصادات وذراعات وسمادات، وغير ذلك من آلات أخرى أحضرها.

أما عن الري فيجري الماء لمزارع السيح والسهباء التي تقدر بثلاثة آلاف وخمسمائة فدان بواسطة قناة رئيسية، تبدأ من مصب عند الضلع مارة بمزارع السيح للسهباء، وطولها خمسة وعشرون كيلو متراً وعرضها عشرون قدماً، وعمقها خمسة عشر، وقد ركب على حافة العين أربع مضخات قوة كل واحدة ٤٥٠ حصاناً، وسعة أنبوبها ٣٠ بوصة، وتدفع كل واحدة في الدقيقة خمسة عشر ألف جالون، وهي مستمرة ليلاً ونهاراً بدون توقف سوى واحدة للمناوبة ولتأمين الماء وغزارته من جهة، واتساع الأراضي وصلاحها للزراعة من جهة أخرى، وتوفر الآلات الحديثة ووجودها للعمل في المشروع، وإن بعض الرياض هناك لتمتاز بجودة التربة وطيب المناخ، ولا يزال هذا الرئيس منذ تولي العمل في العام الماضي يدأب في تقدم الزراعة في هذه السنة.

أما تربية الدواجن، فإنه لما كان من المعتاد أنها لا تنمو وتنتج إنتاجاً مثمراً ما لم تكن مقرونة بالزراعة، وقد جعلها الغربيون جزء من مقومات الزراعة، ومن أسباب نهوضها ونجاحها، فاعتنوا بها اعتناءهم بالحرثة، وهياؤها جميع الوسائل الحديثة التي تكفل لها التربية والنمو.

لذلك أمرت الحكومة مسaireً للتطور الحديث في كل المشروعات التي تشجع على النهوض بالشعب بتربية الدواجن والأبقار، واسند ولي العهد سعود الأمر إلى الرئيس سام تي لوقن بإدخال مشروع جديد على الزراعة، وهو تربية الدواجن والأبقار، فنفذ الفكرة حسب رغبته، ووسد أمرها إلى شاب نشيط خبير بتربية الدواجن والأبقار وهو معاونه حينذاك جين كب، فقام بهذا العمل خير قيام، وابتدأ بتحويل أرض مزرعة بين حقول البرسيم والنخيل والأشجار الأخرى السهباء لتكون مرتعاً ومرعى للدواجن، وقد عمر بها مساكن عديدة للدجاج والأوز والبط والدجاج الرومي والأرانب، وشيدا بروجاً للحمام، وبنى مستودعات للأغذية، وأمكنة للتفريخ، ومحلات خاصة بالفراخ الصغيرة الحديثة العهد بالتفقيس، وأخرى بالفراخ التي بدأ ينمو الريش عليها وتدلف للسعي، وقد روعي في جميع مساكن

الدواجن والأبقار جميع الأسباب الصحية في تأمين التهوية والتدفئة والنور الطبيعي، والتنوير الاصطناعي ليلاً ونهاراً، وقد غطيت جميع المنافذ بأسلاك لا تمكن نفوذ الحشرات، ووضعت داخل مستودعات التفريخ عدة مكائن من نوع إن كريبور، وتسع الحضانة الواحدة ألف بيضة، ويمكث بها البيض من ٢١ إلى ٢٧ يوماً، وقد أحضر البيض من الولايات المتحدة بالطائرة، وهو من أرقى أنواع البيض هناك، وبعد أن تم تفقيسه خلال السنة الماضية وضعت كل مائتي فرخة في حجرة طولها ٤٠ قدماً، وعرضها ٢٠ قدماً، وأمام كل حجرة مظلة، وأمام كل مظلة قطعة أرض مزروعة طولها ٤٠٠ قدم، وعرضها ١٠٠ قدم، وقد بلغ في هذه السنة إنتاج الدجاج الذي كمل نموه وبدأ أكثره يعطي البيض تسعة آلاف دجاجة، عدا الفراخ الصغيرة، ومما يلفت النظر ويزيد عجباً أن هذا المشروع السريع الإنتاج لم يمضِ عليه سوى عام ونصف العام.

هذا ويصدر من الإنتاج يومياً للقصور الملكية بالرياض بمعدل تسعمائة بيضة وثلاثين دجاجة، وتختلف الدجاج في النوع والوزن، حتى أن بعضها ليلبغ اثني عشر رطلاً وبعضه ستة أرطال.

أما الدجاج الرومي فبلغ الموجود منه في هذه السنة بالسهباء تحت إشراف مستر جين كب مائتين وخمسين، والتفريخ من نوعه مستمر وتزن الواحدة خمسة وعشرين رطلاً، ويزن البط ستة أرطال، وهي والأرانب والحمام حديثة العهد بالتربية، ويتكون غذاء الصغيرة من حبوب الحنطة والشعير والذرة المجروشة مضافاً إليها الحليب المجفف وصفار البيض المجفف، والبرسيم، ويعطى لكبار الدجاج غذاء يتكون من جريش الفاصولياء واللوبياء والأرز والبطاطس والبسكويت والبيض المجفف وعظام البحر واللحم المجفف والبرسيم مضافاً إليها مواد أخرى تحتوي على فيتامينات، وللعناية والشراب صنعت على هيئة أحواض مستطيلة من معدن الزنك، وعرض الحوض قدم واحد، وطوله ستة أقدام، وقد وضع على كل حوض غطاء من الأسلاك يمكن رأس الدجاجة

وحده من تناول الغذاء من خلال الأسلاك، أما أواني الشرب فقد وضعت بطريقة صحية صناعية تحفظ الماء من التلوث.

وهكذا أيضاً فقد وصلت في مبتدأ هذه السنة بقر أمريكية عدتها تسع وخمسون بقرة من الولايات المتحدة، وقد أعد لها الخبير المختص مباني خاصة وسط المزارع مستقلة بمستودعات العلف، وقد أعد لها أرضاً واسعة مرتعاً لها، وبنى فيها مباني حديثة بها أقسام خاصة جهزت بالآلات الخاصة بالحلب، وصنع الألبان وتعبئتها على الطريقة الحديثة، وكل شيء على حدة من الحليب ومشتقاته، والبقرة ثلاثة أنواع:

نوعان للحليب، ونوع خاص للحوم، ويسمى النوع الأول براون وهو سويسري، ويسمى الثاني جرسى، ويسمى الثالث سانتاجر ترودى، ويمتاز نوع براون بضخامة الجسم وجمال الشكل، ويزن ألفاً ومائة رطل، ويحلب من سبعة إلى ثمانية جالونات، ويزن النوع الثاني جرسى ثمانمائة وخمسين رطلاً ويحلب من خمسة إلى ستة جالونات في اليوم، ويمتاز عن نوع براون بزيادة المواد الدهنية، أما النوع الثالث فهو وحشي الشكل وغير صالح للحلب، ولكنه مخصص للذبح، ويزن ألفاً وثلاثمائة رطل، وقد خصص لبقرة الذبح مزرعة محاطة بمجدار بلغ كيلو طولاً وعرضاً ليتناسل فيها، وقد رأيتها ووقفت عليها في زيارتنا للخروج في السنة التي بعد هذه، فجلنا في تلك المنشأة الحديثة والمعدات الحسنة، ومن أعجب ما رأيت ذلك الماء الذي تخرجه تلك المضخات بقوة خارقة، وإنها لفرصة سنحت لنا هناك لتمتع بتلك المرائي الحسنة.

وحج بالناس في هذه السنة ولي العهد سعود بن عبدالعزيز لأن جلالة الملك بعد قدومه إلى الحجاز اختار أن يقيم في الحوية فتأخر عن الحج وقد ثقل، فاختر أن يلبث هناك، فאלله المستعان وعليه التكلان.

ثم إنه نشر هذه النشرة رقم ٤٩٠٠/٢/٥ بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٣٧٢هـ، نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ملك المملكة العربية

السعودية بعد الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، ونظراً لاقتضاء المصلحة فقد أسندنا بموجب أمرنا هذا للابن سعود ولي عهد مملكتنا العربية السعودية القيادة العليا العامة، وبذلك تكون سائر القوات المسلحة في مملكتنا من قوات الدفاع والحرس والأمن العام، وأهل الجهاد والمجاهدين، كل هذه القوات تابعة له، تسير بموجب أوامره، والتعليمات التي يسنها لها، وليس لأي من هذه القوات القيام بأي حركات حربية إلا طبقاً للأوامر التي يصدرها لها، ونسأل الله له التوفيق والنجاح، كما نسأله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته.

عبدالعزير

وفيها خلع ملك الأردن طلال بن عبدالله الشريف، وأسباب خلعه أنه كان محبوباً من العشائر البدوية في الأردن، ومن العرب، لأنه يميل إلى التحرر من نفوذ الإنكليز والتخلص من سيطرتهم خاصة فيما يتعلق بالجيش، فلما وصل إلى العرش بعد مقتل أبيه حاول تنفيذ سياسته العربية، فعارض كثيراً من المشروعات الإنكليزية، وخالف أمورهم السياسية، وتقرب إلى جيرانه من الدول العربية، فقام بسلسلة من الزيارات للملوك والرؤساء فيها، وأحست بريطانيا بخطر هذه السياسة على مركزها ونفوذها في الأردن، فعملت على التخلص منه بوسائل عدة حتى أرغمته على التنازل عن العرش لابنه وولي عهده الملك حسين، وأبعدته عن الأردن إلى تركيا بحجة العلاج، ولا يزال فيها إلى الآن.

ثم إنه تولى بعده ابنه حسين بن طلال في هذه السنة، وجلس على العرش فانتهج سياسة عربية ووطد صلاته بالدول العربية، ثم قام بزيارات كثيرة لها، ومن هذه الزيارات زيارته للمملكة العربية السعودية في شهر ذي القعدة من هذه السنة حيث التقى بصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل.

وهذه نبذة من ذكر طلال المذكور: ولد في عام ١٩١٠م في مكة المكرمة، وتلقى علومه الأولى مع أبناء عمومته وهما غازي بن فيصل وعبدالإله بن علي

بن الحسين، ثم انتقل إلى شرق الأردن مع والده عبدالله لما أسندت الإمارة هناك إليه، فواصل إتمام دراسته الثانوية، ثم التحق بكلية هارو العسكرية بإنكلترا، وتخرج فيها سنة ١٩٣٠م بعد دراسة دامت ثلاث سنوات، ثم التحق بفرقة المدفعية بالمدرسة الحربية في العراق، واشتغل بعدها ضابط بالجيش العراقي برتبة ملازم ثاني، وكان ذلك سنة ١٩٣٢م، ثم أيد الثورة التي نشبت في الأردن سنة ١٩٣٦م مطالبةً بإباحة دخول الثوار الفلسطينيين إلى شرق الأردن، وكان الإنكليز قد صدوهم عن الدخول وهذه بتزعم الثورة إذا لم بلغ القرار الإنكليزي فأجيب مطلبه.

وفي سنة ١٩٣٥م تزوج من ابنة خاله الشريف جميل ناصر وهي الأميرة زين التي تلقت علومها في القاهرة عندما كان والدها من نزلائها، واقتصر حفل الزفاف على أعضاء البيت الهاشمي.

أما أولاده فهم أربعة أكبرهم الملك حسين الذي في السابعة عشرة من عمره، وتلقى علومه في كلية فكتوريا بالإسكندرية، ومحمد وعلي، وطفلة صغيرة، وكان طلال يهوى الرماية والفروسية واقتناء الخيول الأصيلة، وله دراية واسعة بأنساب الخيل، ويهتم بالحركة الرياضية في الأردن، ويحضر كثيراً مباريات كرة القدم، وقد يرتدي الملابس المدنية فهو عسكري بطبعه، ولذا يرتدي في أغلب الأوقات سترة عسكرية تحمل رتبة اللواء، ويرتدي في بعض الأحيان زيه العربي، وكان سنه حينما تولى الملك اثنتين وأربعين سنة.

وفيها وفاة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان قاضياً في بلدة الرياض، ولا تأخذه في الله لومة لائم. وفي هذه السنة عقدت اتفاقية السودان مع الحكومة البريطانية وذلك في ٢٦ جمادى الأولى جاء من ضمن شروطها أنه عند نهاية فترة الانتقال التي تتمتع فيها السودان تنسحب القوات المصرية والبريطانية، وتقرر السودان مصيرها إما بالانضمام إلى مصر، أو الاستقلال التام، وقد أجريت الانتخابات فيما بعد ذلك.

وبذلك نختم الجزء الرابع من تاريخنا ونسأل الله تعالى أن يسدد أقوالنا وأعمالنا وينصر دينه ويعلي كلمته، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وذلك بقلم مؤلفه أثابه الله تعالى.

وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً
كثيراً إلى يوم الدين

تم الجزء الرابع بتوفيق الله ومنتته

ويليه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى.

فهرس الجزء الرابع من تذكرة أولي النهى والعرفان

- ٣..... بيعة ولي العهد سعود بن عبدالعزيز سنة ١٣٥٢هـ.....
- ٤..... مواظظ جلالة الملك لابنه سعود.....
- ٨..... وفاة ملك العراق فيصل بن الحسين.....
- ١٠..... الاضطرابات والمشاغبات بين الحكومة اليمنية والحكومة السعودية.....
- ١٣..... ذكر ما جرى بعد ذلك.....
- ١٥..... يحى يبرم بيد وينقض بالأخرى.....
- ٢١..... تقدم الجيوش السعودية في الحرب اليمنية.....
- ٢٨..... رجوع وفد يحى لما لم تسفر المفاوضات عن شيء.....
- ٣٤..... وفاة الشيخ عبدالله بن أحمد العجيرى وترجمته.....
- ٣٦..... مرض الشيخ محمد بن عثمان الشاوي.....
- ٣٧..... تركيب ساعة ضخمة للحرم المكي.....
- ٣٨..... بث نصيحة من العلماء في الحث على طلب العلم.....
- ٣٩..... تعيين مدير لمعمل كسوة الكعبة المعظمة.....
- ٣٩..... حج أناس من الأعيان في هذه السنة.....
- ٣٩..... سنة ١٣٥٣هـ وما فيها من الحوادث.....
- ٤٠..... صفة سقوط الحديد.....
- ٤١..... ذكر عقد الاتفاقية وانتصار ابن سعود.....
- ٤٣..... معاهدة الطائف.....
- ٤٩..... بعث أناس من القضاة والعلماء والمرشدين إلى اليمن.....
- ٥٠..... مآثر الحكومة السعودية وذكر قصيدة في فضل ملوكها.....
- ٥١..... الاعتداء على ابن سعود بأيدي يمنية.....
- ٥٦..... التهاني بسلامة الملك عبدالعزيز من ذلك الحادث.....

| | |
|----|---|
| ٥٧ | تنصل اليمن من الحادث..... |
| ٥٨ | إهداء مأكنة للحرم المكي..... |
| ٥٩ | سنة ١٩٥٤ هـ..... |
| ٦٠ | إمارة عبدالله بن فيصل الفرحان على بريدة..... |
| ٦٠ | وفاة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي وترجمته..... |
| ٦٣ | وفاة الشيخ محمد بن عبدالله بن خنين وترجمته..... |
| ٦٦ | منح المشردين عن المملكة بالرجوع والعفو عنهم..... |
| ٦٧ | عمارة المسجد الحرام في هذه السنة..... |
| ٦٨ | عمارة مسجدين في مدينة بريدة..... |
| ٦٩ | وفاة الأمير عبدالله بن جلوي وترجمته..... |
| ٧٣ | سنة ١٣٥٥ هـ وما فيها من الحوادث..... |
| ٧٣ | تولي فاروق الأول عرش الملك في مصر..... |
| ٧٤ | الحرب بين إيطاليا والحبشة..... |
| ٧٥ | ثورة فلسطين ضد اليهود والإنكليز..... |
| ٧٦ | عمارة قصر المربع في الرياض..... |
| ٧٦ | سنة ١٣٥٦ هـ وما فيها من الحوادث..... |
| ٧٦ | إنشاء مدارس حكومية في المملكة..... |
| ٧٦ | اعتداء اليهود في فلسطين وما نجم عن ذلك..... |
| ٧٨ | ولادة مولود في صنعاء..... |
| ٧٨ | قدوم عالم من العلماء قاص في المساجد..... |
| ٧٨ | سنة ١٣٥٧ هـ وما فيها من الحوادث..... |
| ٧٩ | مسير صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز من الرياض إلى القصيم..... |
| ٧٩ | استخراج البترول في المملكة العربية السعودية..... |
| ٨٠ | وقوع برد بفتح الرء مخشرم..... |

- سنة ١٣٥٨هـ وما فيها من الحوادث ٨٠
- ثورة في الكويت ضد أحمد الجابر ٨٠
- وفاة الشيخ عبدالعزيز العبادي وترجمته ٨٠
- مقدمات وفاة العبادي وما قيل فيه من المراثي ٨٧
- ذكر من توفى فيها من الأعيان ٩٨
- ترجمة المؤدب صالح بن محمد الصقبي ٩٨
- وفاة عبدالله بن صالح الهزاع ونصيان بن حمد وبراك بن منصور ٩٩
- وفاة الأمير خالد بن سعود وترجمته ٩٩
- وفاة ملك العراق وترجمته وهو غازي بن فيصل ١٠٠
- وفاة رئيس جمهورية تركيا مصطفى كمال وترجمته ١٠١
- فشو ظلمة بدون رياح ١٠٢
- عودة القضاة والأئمة والمرشدين من اليمن ١٠٢
- ذكر الحرب العالمية الثانية سنة ١٣٥٨هـ ١٠٢
- التعريف بألمانيا ١٠٣
- وفاة رئيس ألمانيا واستلام هتلر مركزه ١٠٣
- زحف هتلر على النمسا وضمها إليه ١٠٤
- التعريف بهتلر رئيس ألمانيا ١٠٦
- زحف القوات الألمانية على بولندا والاستيلاء عليها ١٠٨
- سنة ١٣٥٩ وما فيها من الحوادث ١٠٩
- تولي تشرشل رئاسة الوزارة في الحكومة البريطانية ١١٠
- زحف ألمانيا لاحتلال الحصون الهولندية والبلجيكية والفرنسية ١١١
- إخضاع فرنسا واستسلامها ١١١
- غارات الطائرات الألمانية على لندن وضرب موانئ لندن ١١٣
- صمود تشرشل لهذه الهجمات ووصفه بالعناد والجبروت ١١٣

- انضمام اليابان إلى دولتي المحور وإيطاليا..... ١١٣
- ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق..... ١١٤
- فرار ملك العراق فيصل بن غازي والوصي..... ١١٦
- وفاة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد وترجمته..... ١١٧
- وفاة الشيخ عبدالعزيز بن بشر وترجمته..... ١٢٥
- بناية المسجد الجامع في بريدة..... ١٢٥
- عمارة المسجد الجامع في عنيزة..... ١٢٦
- تولية الشيخ محمد بن مانع تمييز القضايا في مكة المشرفة..... ١٢٦
- بعث الحكومة رجالاً للوعظ والإرشاد في مكة..... ١٢٧
- هطول أمطار على مكة المشرفة وسقوط منازل فيها..... ١٢٧
- انقلاب من شرار في مكة المشرفة والقضاء على ذلك..... ١٢٨
- مرض الشيخ محمد بن عبدالله التويجري..... ١٢٨
- تغيير السكة المتعامل بها بقروش..... ١٢٩
- سنة ١٣٦٠هـ وما فيها من الحوادث..... ١٢٩
- انتصار الألمان وتقدمهم..... ١٣٠
- جهود بذاتها بريطانيا لما رأت توسعات الألمان..... ١٣٠
- موقف أمريكا في الحرب العالمية الثانية..... ١٣٢
- غزو ألمانيا جزيرة كريت..... ١٣٤
- ضرب لندن وفتح الجبهة على هتلر..... ١٣٦
- زيارة الملك عبدالعزيز مقاطعة القصيم سنة ١٣٦٠هـ..... ١٣٨
- إبدال الريال الفرنسي بالريال..... ١٣٩
- ذكر من توفي فيها من الأعيان..... ١٣٩
- وفاة الشيخ عبدالله بن مانع وترجمته..... ١٣٩
- وفاة الشيخ حسين باسلامة وترجمته..... ١٣٩

- ١٤٠ حدوث سعال في الصبيان
- ١٤٠ خسف في فلسطين
- ١٤١ الاستيلاء على سوريا
- ١٤١ سنة ١٣٦١ هـ وما فيها من الحوادث
- ١٤١ هطول أمطار على القصيم
- ١٤٢ انهدام مستشفى بريدة والبيوت الكائنة بالحبيب
- ١٤٢ تولية الشيخ محمد بن حسين قضاء عنيزة
- ١٤٢ بعث الحكومات مساعدات للمزارعين
- ١٤٣ الإشارة إلى قصف اليابان للقوات الأمريكية
- ١٤٤ إعلان أمريكا الحرب على اليابان
- ١٤٤ وفاة صاحب السمو الأمير محمد بن عبدالرحمن الفيصل وترجمته
- ١٤٤ وفاة مدير الأوقاف ورئيس لجنة الصدقات
- ١٤٥ ذكر الحرب بين ألمانيا وروسيا
- ١٤٦ نصيحة قواد الجيوش الألمانية للرئيس بأخذ الحيطة للحرب
- ١٤٨ خسارة الألمان باستقالة رئيس أركان الحرب
- ١٤٩ ضرب روسيا وانتصارات هتلر
- ١٥٠ إشارة إلى ذكر قوات الجيشين
- ١٥٢ صمود ستالين لهجمات الألمان ودفاعه
- ١٥٣ معركة موسكو واستعدادات روسيا للقتال
- ١٥٥ نقل الشيخ عبدالله بن دهيش من قضاء حائل وضمه إلى الشيخ محمد بن مانع
- ١٥٥ سنة ١٣٦٢ هـ وما فيها من الحوادث
- ١٥٥ الإغارات البريطانية على المدن الألمانية
- ١٥٦ اشتداد المؤنة وغلاء الأسعار
- ١٥٦ وفاة الشيخ عمر بن محمد بن سليم وترجمته

- ما جرى بعد وفاته رحمه الله ١٩٢
- وفاة سليمان بن الشيخ محمد بن عمر بن سليم ١٩٢
- وفاة عبدالله بن صعب ١٩٢
- ابتداء إطلاق المدافع في منى ومزدلفة ١٩٢
- منكرات تقع من بعض الأعاجم ١٩٣
- ظهور رجل في مكة يدعي أنه المهدي ١٩٣
- سنة ١٣٦٣هـ وما فيها من الحوادث ١٩٣
- تولي الشيخ محمد بن حسين القضاء في بريدة ١٩٣
- تولي الشيخ عبدالعزيز بن سبيل قضاء البكيرية ١٩٤
- عودة الأمير فيصل وأخويه خالد ومنصور إلى المملكة ١٩٤
- حدوث سعال شديد ومعالجته ١٩٧
- عزل الشيخ محمد بن حسين عن القضاء وإبداله بالشيخ عبدالله بن محمد بن حميد ١٩٧
- سفر الشيخ محمد بن مانع للعلاج ١٩٧
- نقل قضاة من مواضع إلى أخرى ١٩٧
- تأسيس وزارة الدفاع في المملكة العربية السعودية ١٩٨
- عجائب في التاريخ ١٩٨
- وفاة الزاهد علي المنديل رحمه الله عليه ٢٠١
- العود إلى بقية الحرب العالمية ٢٠٢
- هتلر والتطورات ٢٠٣
- تراجع الألمان بعد تقدمهم وإصابتهم بمعاطف ٢٠٤
- سنة ١٣٦٤هـ وما فيها من الحوادث ٢٠٥
- إعلان الحكومة السعودية الحرب على الألمان ٢٠٦
- زيارة ملك مصر للمملكة العربية السعودية ٢٠٧
- الاتفاق بين الأقطاب الثلاثة وزيارة ابن سعود لمصر ٢٠٨

- ٢١١ ما جرى بين ابن سعود والرئيس روزفلت
- ٢١٣ إعجاب تشرشل بالملك عبدالعزيز
- ٢١٥ وفاة رئيس أمريكا بعد تقديمه طائرة هدية لابن سعود
- ٢١٦ الجامعة العربية
- ٢١٧ سكون الحرب العالمية الثانية
- ٢١٩ إصابة اليابان وقصفها
- ٢١٩ ضربة قاضية وسلاح فتاك
- ٢٢٠ آخرة هتلر
- ٢٢١ جهود ضائعة
- ٢٢٣ ذكر ما جرى بعد سكون الحرب
- ٢٢٤ ظهور الجراد في نجد وانتشار الدبا
- ٢٢٥ انتخاب نشء من شباب نجد للدراسة في دار التوحيد
- ٢٢٥ تعيين الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مديراً للمعارف
- ٢٢٥ ذكر من توفى فيها من الأعيان
- ٢٢٥ وفاة الشيخ عبدالحسن بن عبيد وترجمته
- ٢٣٣ وفاة الشيخ عبدالعزيز بن مقرن صاحب حريملا
- ٢٣٣ هطول أمطار على القصيم في برج السرطان
- ٢٣٤ وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم النجدي المابد الزاهد
- ٢٣٦ قصيدة طنانة في مناسبة وفيات هذه السنة
- ٢٣٩ قصيدة أخرى تتعلق في الأخ في الله صالح بن إبراهيم الرسيني
- ٢٤٠ كسوف الشمس والقمر في شهر واحد
- ٢٤٠ زيارة ملك مصر للمملكة العربية السعودية
- ٢٤١ وفاة إبراهيم بن علي الرشودي
- ٢٤١ سنة ١٣٦٥ هـ وما فيها من الحوادث

- ٢٤١ زيارة الملك عبدالعزيز لمصر سنة ١٣٦٥ هـ
- ٢٤٢ الاستقبال العظيم لابن سعود هناك
- ٢٤٤ ولادة امرأة خمسة أطفال وذلك في بيروت
- ٢٤٤ وفاة عالم في مكة المكرمة
- ٢٤٤ هطول أمطار وبرد عظيم الحجم
- ٢٤٤ خسوف القمر خسوفاً عظيماً قدرأ من أربع ساعات
- ٢٤٤ عجائب من الحوادث
- ٢٤٥ إنشاء محطة لاسلكي في عنيزة وأخرى في شقراء وفي الأفلاج والسليل
- ٢٤٥ ظهور إعلان هتلر
- ٢٤٦ وفاة الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم أمير المدينة سابقاً
- ٢٤٦ رسالة الملك عبدالعزيز إلى ترومان فيما يتعلق بشأن فلسطين
- ٢٤٧ وفاة الشيخ المرزوقي في الحجاز
- ٢٤٧ اغتيال ملك سيام
- ٢٤٧ تعيين عبدالله بن إبراهيم الفضل قنصلاً للمملكة في مصر
- ٢٤٧ حج الملك عبدالعزيز وما قيل في ذلك من القصائد
- ٢٥٠ سنة ١٣٦٦ هـ وما فيها من الحوادث
- ٢٥١ تأسيس مطار في مدينة بريدة
- ٢٥٢ قدوم الملك عبدالعزيز إلى القصيم مستصحباً الدبابات والطائرات
- ٢٥٢ ذكر الاستعراض في مدينة بريدة وبسالة أهل القصيم
- ٢٥٥ عودة جلالتة إلى الرياض
- ٢٥٦ إمارة ناصر بن جلالة الملك في الرياض
- ٢٥٦ إمارة عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد في بريدة
- ٢٥٧ نقل قضاة وتولية قضاة
- ٢٥٧ ردة عبدالله بن علي الصعدي عن الإسلام

- ٢٥٨..... ظهور الحصباء في نجد
- ٢٥٨..... حدوث وباء الكوليرا في مصر
- ٢٥٨..... تركيب باب جديد للكعبة المعظمة
- ٢٦٠..... استقدام فرق الإطفاء إلى المملكة العربية السعودية
- ٢٦١..... استعراض عسكري
- ٢٦٥..... وفاة أناس من الأعيان: عثمان بن مضيان - شبيب أرسلان - رشيد الحميضي ...
- ٢٦٧..... وفاة الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف وترجمته
- ٢٦٩..... تعيين الأمير لاي علي جميل مديراً للأمن العام
- ٢٦٩..... عقد اتفاقية خط الأنابيب
- ٢٧٠..... عرض مشكلة فلسطين على هيئة الأمم
- ٢٧٠..... ما جرى على مسلمي أهل الهند من العذاب
- ٢٧٠..... سنة ١٣٦٧هـ وما فيها من الحوادث
- ٢٧١..... سحب المياه من وادي فاطمة إلى جدة وما جرى من الاحتفالات
- ٢٧٢..... ذكر مشكلة فلسطين وما بذله ابن سعود من الجهود نحوها
- ٢٧٤..... ذكر صيحة العرب وارتجاف الشرق الأوسط
- ٢٧٦..... سطوة العاهل ملك المملكة العربية السعودية
- ٢٧٧..... رفع مذكرة لجلالته من مجلس الشورى لأخذ رأيه في ذلك
- ٢٧٨..... الجهاد بالنفس والمال لإنقاذ فلسطين
- ٢٨١..... تعصب أمريكا وانتصارها لليهود
- ٢٨٢..... زيارة الملك عبدالله للمملكة العربية السعودية وإظهار الحفاوة لقدمه
- ٢٨٣..... فشل العرب عن القتال لخيانة تكشف هناك
- ٢٨٤..... ذكر قتل يحيى إمام اليمن غيلة
- ٢٨٦..... آمال عبدالله بن الوزير وقتله
- ٢٨٦..... ولاية الإمام أحمد بن يحيى على اليمن

| | |
|-----|--|
| ٢٨٨ | ترجمة الإمام يحيى |
| ٢٨٩ | وفاة الشيخ محمد بن عبداللطيف وترجمته |
| ٢٩١ | وفاة الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر وترجمته |
| ٢٩٣ | وفاة الشهم الوديع فهد بن علي الرشودي وترجمته |
| ٢٩٨ | وفاة الشاب محمد بن عبدالله بن سليم |
| ٣٠٠ | وقوع زلزال في شمال إيران |
| ٣٠٠ | سنة ١٣٦٨هـ وما فيها من الحوادث |
| ٣٠٣ | تغلب اليهو على فلسطين والعياذ بالله وأسباب ذلك |
| ٣٠٥ | ذكر ما جرى بعد الجهاد في فلسطين |
| ٣٠٥ | هطول أمطار في الربيع على سائر نجد |
| ٣٠٦ | ذكر من توفى فيها من الأعيان |
| ٣٠٩ | سنة ١٣٦٩هـ فيها كمل الملك عبدالعزيز خمسون عاماً من ولايته |
| ٣٠٩ | وذكر شيء من صفاته |
| ٣١٤ | ذكر من توفى فيها من الأعيان |
| ٣٢١ | سنة ١٣٧٠هـ وفيها وفاة وزير الدفاع منصور بن عبدالعزيز وترجمته |
| ٣٢٧ | ذكر مصرع الملك عبدالله |
| ٣٢٩ | ثورة بيروت |
| ٣٣١ | صفة قتل الشريف عبدالله |
| ٣٣٣ | صدى الحادث في فرنسا |
| ٣٣٥ | وفاة صالح بن فوزان العويذة |
| ٣٣٦ | سنة ١٣٧١هـ صدور أمر الملك عبدالعزيز بإيصال كل شكاية إليه |
| ٣٣٧ | إلغاء رسوم الحجاج |
| ٣٣٨ | الاحتفال بزيارة الملك طلال بن عبدالله للمملكة |
| ٣٣٩ | الاحتفال بوصول سكة الحديد إلى الرياض |

- خلع الملك فاروق الأول وذكر شيء من واقعه ٣٤١
- ذكر البرنامج الذي تمشى عليه الرئيس علي ماهر والرئيس محمد نجيب ٣٤٣
- سنة ١٣٧٢هـ سقوط ترومان وتعيين إيزنهاور ٣٤٥
- ذكر جبل ظلم ٣٤٦
- بدء الخلاف بشأن واحة البريمي ٣٥١
- ظهور آثار البترول بين المملكة والكويت ٣٥٣
- ذكر الرياح العاتية ٣٥٣
- هطول أمطار على القصيم ٣٥٤
- وفاة فهد بن عيسى وترجمته ٣٥٥
- وفاة ستالين ٣٥٨
- سيرة الشيخ عبدالعزيز الشيعي وشيء من شعره وأعماله ٣٥٩
- ذكر شيء من سيرة دهام بن دواس ٣٦٢
- وفاة حمد بن سعد الشبرمي وترجمته ٣٦٢
- ذكر الآبار الأرتوازية في القصيم ٣٦٤
- إسناد جمهورية مصر إلى محمد نجيب وذكر شيء من سيرته في الحج ٣٦٤
- حادث مفزع في مصر ٣٦٥
- زيارة حاكم باكستان للمملكة وذكر تأسيس باكستان ٣٦٧
- مطالبة المصريين بجلاء القوات البريطانية عن السويس ٣٦٩
- ذكر المشروع الزراعي في الخرج ٣٦٩
- خلع ملك الأردن طلال بن عبدالله الشريف ٣٧٤
- تولية حسين بن طلال ٣٧٤
- وفاة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الشيخ ٣٧٥
- اتفاق السودان مع بريطانيا بسحب قواتها والقوات المصرية ٣٧٥

«تم الفهرس»

تَذْكِرَةُ أَوَّلِي الْإِسْلَامِ الْعُرَفَاءِ
بِإِسْلَامِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْيَزِيدِ
وَذَكَرَ حَوَادِثَ التَّمَانِ

تأليف
فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبد المحسن
"مِنْ سُلَامَاءِ أَهْلِ الْقَصَصِ"

الجزء الخامس

مَكْتَبَةُ الرِّشْدِ
سَائِرُوت

٢ مكآبة الرشء؁ ١٤٢٧هـ

فهرسة مكآبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن؁ إبراهيم عبفء

آذكرة أولف النهف والعرفان بأفام الواحد الءفان وذكرف ءوافآ الزمان./

إبراهفم عبفء آل عبد المحسن. — الرفاض؁ ١٤٢٧هـ

٣٧٦ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

رءمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مءوءة)

٤-٦٢٣-٠١-٩٩٦٠ (ء ٥)

أ- العفوان

١- الآرفف الإسلامف ٢- الآرافم

١٤٢٧/٤٧٩٢

ءفوف ٩٥٣

رءمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مءوءة) رقم الإفءاع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٤-٦٢٣-٠١-٩٩٦٠ (ء ٥)

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ءمفع ءقوق محفوظة

مكآبة الرشء - نأشرون

الملكة العرفة السوءفة - الرفاض

شارع الأمرف عبء الله بن عبء الرحمن (طرفف المءاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرفاض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

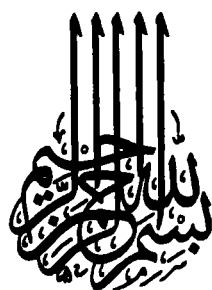


فروع المكآبة داخل الملكة

- ★ الرفاض: فرع طرفف الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٢٠١
- ★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٢٥٠٦
- ★ فرع المءفنة النورة: شارع أبف ذرف الففارف: هاتف: ٨٢٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٢٨٢٤٢٧
- ★ فرع ءة: مفءان الطائف: هاتف: ٦٧٧٦٢٣١ - فاكس: ٦٧٧٦٢٥٤
- ★ فرع القصفم: برفءة - طرفف المءفنة: هاتف: ٢٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٢٢٤١٢٥٨
- ★ فرع أبهاف: شارع الملك ففصفل: تلفاكس: ٢٢١٧٣٠٧
- ★ فرع الءمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٨٤١٨٤٧٣
- ★ فرع ءائل: هاتف: ٥٢٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكآبنا بالفارء

- ★ القاف: مءفنة نصفر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبافل: ٠١٠٦٢٢٦٥٢
- ★ بففروت: بنرف ءسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موبافل: ٠٢/٥٥٤٢٥٢ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه نتوكل

ثم دخلت سنة ١٣٧٣ هـ

استهلّت هذه السنة والمملكة العربية السعودية قد بلغت في الأمن والطمأنينة والثروة العظيمة الذروة العليا وتعيش في رغدها تحت ظلّ العاهل الملك عبد العزيز وهنا مشكلات في العالم العربي فهذه واحة البريمي تريد بريطانيا الاستيلاء عليها بدعوى أنّها من ممتلكاتها فلا يزال صدى الاعتداءات البريطانية في العالمين العربي والإسلامي متردداً وقد نشرت الأهرام عن الأستاذ الشقيري تحدّثه عن موقف عاهل الجزيرة وولي عهده والأمير فيصل من العدوان البريطاني على البريمي النهاية للستار الحديدي البريطاني في جزيرة العرب ما نصه: «اهتزت البلاد العربية للأنباء الدامية التي تحدث عنها بلاغ المملكة العربية السعودية بشأن اعتداءات الإنجليز على واحة البريمي السعودية، وقد اهتمت الدوائر العربية لهذا النبأ اهتماماً بالغاً وبادر مندوب الأهرام لأداء واجبه بإطلاع الرأي العام العربي على حقيقة الموقف إذ قضية البريمي. وقد رأى مندوب الأهرام أن يستطلع رأي الأستاذ أحمد الشقيري الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية في هذه القضية العربية الجديدة وموقف العالم العربي فقال: «سعودية في الصميم» واحة البريمي أرض عربية في الصميم وهي سعودية في الصميم تقع في الجهة الشرقية من المملكة العربية السعودية. وللبيت السعودي فيها تاريخ حافل بالوقائع والحوادث ولا شأن للإنجليز فيها إلا أن يكون بحر المانش قد انتقل إلى الخليج الفارسي بقدرة قادر وسحر ساحر، ويومئذ تبدّل الأرض غير

الأرض والتاريخ غير التاريخ «السخرية الفاضحة»: وتكلم الأستاذ الشقيري عن حوادث العدوان فقال: هذا عدوان صارخ أثير وإجرام دولي عريق يثير في النفس الإنسانية كل معاني النعمة والاستنكار وإنه لمما يدعو إلى الأسف الساحر أن تقع تلك الحوادث البربرية في هذه الآونة وفي الجانب الآخر من العالم الجديد يتعاقد ساسة العالم على منبر الأمم المتحدة ينادون بالحق والسلام ويدعون إلى الإخاء والمساواة بل لعله مما يحمل على السخرية الفاضحة أن يقوم رئيس الوفد البريطاني في الأمم المتحدة فيتحدث عن هيئة القانون وسلطان الأخلاق ورفعة الفضائل الإنسانية والقيم الروحية على حين يداهم الجنود البريطانيون واحة البريمي فيمعنون في أهلها بأبشع ألوان التقتيل والترويع لا فرق بين طفل راضع ولا شيخ راكع. ثم ذكر ما قد ارتكبه في الفضائح بأنهم يعيشون فساداً في واحة البريمي فأفشوا في ربوعها القلق والفرع وضربوا حولها سوراً من الحصار فمنعوا عن أهلها المؤمن وأسباب العيش. وأطال إلى أن قال: وفي ربيع هذا العام تشرفت بزيارة الديار المقدسة وكان أن مثلت بين يدي جلالة الملك عبد العزيز فأخذ يتحدث عن البريمي وما يدور حولها من فظائع وكان حديث جلالته في الحلم والحزم وغاية في الثقة والشجاعة ولقد راعني جلالته حينما قال في جملة ما قال: «أنا أرضى باستفتاء سكان البريمي فإن أرادوني فأنا لهم وهم لي وإن أرادوا غيري فقد قضى الأمر الذي فيه تستفتيان» ولما أن وقع هذا الاستنكار لظلم بريطانيا لأهل البريمي وكيف أنذر قائد القوات البريطانية المرابطة في المنطقة المذكورة بوجوب إخلاء قريتهم في خلال ساعتين وهي قرية حاسمة. وبعد انقضاء ساعتين من وقت الإنذار صبت نيرانها في ١/١٩ من هذه السنة على القرية المذكورة وحاولت بعض الجهات المسؤولة أن تنفي صحة ذلك أمام العالم العربي والإسلامي فعلق المصدر الرسمي السعودي تأكيد ذلك وأن صحته أكيدة ويضاف إلى ذلك أعمال أخرى بلغت

في الفضاءة أوجها من إلقاء الطائرات قنابلها على القرى الآمنة وإطلاق المدافع والرشاشات وقتل الأبرياء والضعفاء وتعذيبهم وارتكاب وسائل الإرهاب ومصادرة الأرزاق. وهكذا أخذت المسألة يتطور أشكالها وسيأتي بقية ذكرها إن شاء الله تعالى. ولما إن كان في مبتدأ هذه السنة قامت إسرائيل بعدوان صارخ على منطقة العوجة المجردة من السلاح وكانت هذه المنطقة واقعة على حدود مصر فأقامت استحكامات وأسلأكاً شائكة بهذه المنطقة وقد وصل مراقب الأمم المتحدة في تلك المنطقة إلى القاهرة ليقدم تقريره عن الحالة فيها فبادرت الحكومة السعودية بتأييد مصر إزاء هذا الاعتداء وأن وفدها الدائم لدى الأمم المتحدة سيكون إلى جانب الوفد المصري في القضية ويؤيده كل التأييد.

وفيها في آخر محرم قدم بطريق الجو من الرياض إلى الطائف سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد أمير منطقة حائل للسلام على صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ثم طار الأمير من الطائف بعدما تشرف برؤيته إلى جدة للسلام على ولي العهد وهذه آخر لقيا بينه وبين الملك عبد العزيز.

ذكر مرض عاهل الجزيرة وفقيد العروبة

كان قد أصيب في تلك الحروب التي خاضها برصاصة في إحدى ركبتيه فكان في آخر حياته يتألم من القيام بعد الجلوس ويتألم كذلك من الجلوس إذا نهض غير أنه كان يتجلد وربما عمل له تدليكات ويرتاح إلى بعض العيون الساخنة، وقد أهدى له روزفلت الرئيس الأمريكي عربة فكان يركبها وتدف من خلفها وهي وإن كانت مريحة غير أنه فقد رياضة المشي والحركة ثم أنه أصيب قبل وفاته بمرض قلبي وكان إذ ذاك في الحجاز يتردد بين الحوية والطائف ألزمه مرضه الأخير الفراش شهراً ودعي له طبيب ماهر فقرر الطبيب أن لا يكون على جسمه شيء من المعادن حتى ولا خاتمه كأنه رأى

بعلمه أن ذلك يؤثر على جوهر القلب، ولما نزع منه الخاتم ضحك رحمه الله وقال: هذا لأول مرة ينزع الخاتم. فتأثر الطبيب لذلك وقد بذلوا أسباباً لشفائه ولكنه لم يغن ذلك من شيء.

مصاب أليم والبقاء لله وحده

مات الملك عبد العزيز مات ملك البلاد أحقية أن ذلك الرجل العظيم قد مات ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، في ذمة الله الحي الباقي عند الظهر من يوم الإثنين الموافق ٢ ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ أذاع الديوان الملكي العالي البلاغ الآتي:

بلاغ رقم (١):

«كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. سبحان الحي الذي لا يموت. ننعى إلى العالمين العربي والإسلامي والأسى يحز في نفوسنا وفاة حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية. فقد توفاه الله في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين من صباح يوم الإثنين ٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٩٥٣م على أثر مرض ألزمه الفراش مدة شهر. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته. وألهم الأمة الصبر والسلوان. و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وهذا المرض هو تصلب في الشرايين فاشتد به المرض وهو في مدينة الطائف وفاضت روحه ووافاه أجله المحتوم. رحمة الله عليك يا أبا تركي فقد كنت أباً رحيماً لكل فرد من أفراد شعبك، أكرمت العلماء ورحمت الفقراء والضعفاء وكنت شقيقاً على رعيتك تحوطها برعايتك وتسهر لمصالحها وتنصف المظلوم من الظالم وتمنع الظلم وتطيع ربك وتصل رحمك وتعطف على الملتجئين إليك.

الأمة الإسلامية تنعي فقيدها الأعظم

البقاء لله وحده وكل شيء هالك إلا وجهه. لقد مات صاحب الجلالة الملك العربي عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأصيبت الأمة بفقده الملك الذي نشر التوحيد وأعزه وهدم الأوثان والقباب والذي شهرته كنار على علم، هذا البطل الهمام الذي افتخرت به الأواخر على الأوائل وصدق عليه قول الشاعر:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
مات عبد العزيز الرجل الذي قاد السفينة بأتمته في خضم الأحداث حتى
ألقت مراسها على ساحل السلامة وبر الأمان. مات عبد العزيز فتصاعدت
في صمت الليل الرهيب آهات الأيامى وشهقات الثكالى وزفرات المنكوبين.
مات عبد العزيز فانتشرت على خد الزمن دمة الإسلام على حاميه وشقت
العروبة جيبها على راعيها وسيدها وابن بجدها. أجل مات ملك كانت
حياته تاريخاً يشع بالنور وتكتظ جنباته بالفضيلة والكرم والقداء. مات الرجل
الذي أشاد بحنكته وأصالة رأيه أساطين السياسة فامتدحه روزفلت وتشرشل
في لقائهم التاريخي الشهير. مات عبد العزيز الذي قال عنه رئيس دورة هيئة
الأمم المتحدة ساعة نعيه: إن جلالة الملك عبد العزيز من أعظم الرجال
المكافحين عن مبادئ هيئة الأمم فمن كعبد العزيز ملك ظلت حياته حتى
آخر لحظة ملكاً لغيره فأقام بحدّ السيف مملكة واسعة الأرجاء رحية العيش
مرهوبة الجانب آمنة السّرْب. مات عبد العزيز الرجل الذي أنس أعداؤه
ضغينتهم فاشتري قلوبهم بالحب واستقرّ في أعماق نفوسهم بما كان يوليهم
إيَّاه من عطف ورعاية وكرم. مات عبد العزيز الرجل الذي كان موته فاجعة
تتقاصر دونها الفواجع ونكبة دونها كل النكبات وخسارة لا توازيها خسارة.
رحمك الله يا عبد العزيز وأسبغ عليك من عفوه ورضاه قدر ما رقأت من
دموع وشبعت من بطون وقدر ما قمت الليل عابداً متهجداً وقدر ما كنت

عفيفاً ظاهراً كريماً. فبالله قولوا لي من ذا الذي نكست الأعلام لموته
ولبست البلدان ثياب الحداد على فقده، ومن ذا الذي توقفت الإذاعات في
الكرة الأرضية عن الأغاني والدعارة لفاجعة مصابة وأبدلت الأفراح بالأحزان
وبلغ مصابه القاصي والدان وبكته المساكن والسكان.

بلاغ رقم (٢):

على إثر وفاة حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن
الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية تغمده الله برحمته والتفاف
أفراد الأسرة المالكة الكريمة حول جثمانه الطاهر خرجوا من عنده وبايعوا
حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز المعظم ملكاً على
البلاد العربية السعودية على طاعة الله ورسوله والسمع والطاعة، فنودي
بحضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل
آل سعود ملكاً للمملكة العربية السعودية. وعلى إثر ذلك أعلن حضرة
صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ولاية عهده لأخيه حضرة
صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز ولياً للعهد كما بايع سموه
على إثر ذلك أفراد الأسرة المالكة».

الصلاة على صاحب الجلالة الملك الراحل

لما كان من آخر النهار انتقلت الجماهير الكثيرة من أهل الرياض ومن
سكن فيه إلى المطار لاستقبال جثمان الفقيد. وقد تجلت اللوعة والحسرة
بصورة تفوق التعبير على تلك الوجوه الموتورة وكانت دموعهم تخالط
دعواتهم وقد تساوى في ذلك الشيخ والمرأة والشاب والطفل يقدمون
عزاءهم إلى صاحب السمو الملكي أمير الرياض نايف بن عبد العزيز وكان
من جملة الذين خرجوا لاستقبال الجثمان الطاهر في المطار فضيلة الشيخ
محمد بن إبراهيم آل الشيخ والعلماء والوجهاء فأقبلوا يعزون الأمير نايف بن

عبد العزيز ويواسونه وأقبلت الأمة يعززون الشيخ والعلماء ثم أقبل يعزي بعضهم بعضاً. ولما كانت الساعة في الحادية عشرة والنصف هبطت طائفة ملكية تقل جثمان الملك عبد العزيز يرافقه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل وإخوانه فأقبل الأمير نايف وفضيلة الشيخ محمد والعلماء والأعيان يعززون فيصلاً وأصواتهم تختلط بالبكاء على فقيد العروبة والإسلام ثم إنّه وضع الجثمان في السيارة يرافقه الأمير فيصل وإخوانه إلى مسجد العيد الذي غصّ بالجماهير الغفيرة من رجال ونساء وبعد ما فرغوا من صلاة المغرب صلّى المسلمون وجميع الحاضرين على صاحب الجلالة يؤمهم الشيخ محمد بن إبراهيم. ولمّا فرغوا من الصلاة تصاعدت الدعوات وأجهشوا بالبكاء والدعاء للراحل والتوفيق لخليفته سعود وصرخت الأيامي وسمع لُجبة شديدة في المصلى وخارجه جزعاً على فقد والدهم البار الحنون. ثم نقل الجثمان الطاهر على السيارة يرافقه سمو الأمير فيصل وإخوانه الأمراء إلى المقبرة. وقد كانت السيارة تمشي الهويناء من شدة الزحام الذين انطلقوا حول السيارة يواكبون الجثمان إلى مقره الأخير فدفن حيث دفن آباؤه وأجداده. وقد تولّى إنزاله إلى القبر صاحب السمو الملكي الأمير فيصل وإخوانه الأمراء. وبعدما تمّ الدفن تصاعدت الدعوات من كل حذب وصوب لجلالة الفقيد. نسأل الله تعالى أن يسبل عليه الرحمة والرضوان والعفو والغفران والفضل والامتنان. وهذه ترجمته: هو الإمام العالم العادل الهمام البطل الرئيس السياسي الأسد في برائه، الرجل العظيم الذي اتفقت الأمة بأسرها على عظمته وكبر شأنه، الذي افتخرت به العرب على من سواها بل افتخرت به الأواخر على الأوائل وأقرت له بالتقدم كل ملوك العالم، أبو تركي عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن. وتقدم ذكر نسبه وولادته وشيء من صفاته في سنة ولادته وفتحه الرياض، وكان أكبر زعماء العرب

والمسلمين وأعظم شخصية إسلامية في هذه الأزمنة الأخيرة.

قال شاعر نجد محمد بن عبدالله بن عثيمين:

عبد العزيز الذي نالت به شرفاً بنو نزار وعزت منه قحطان
مقدم في المعالي ذكره أبداً كما يقدم باسم الله عنوان
ملك تجسد في أثناء برده غيث وليث وإعطاء وحرمان
خبئة الله في ذا الوقت أخرجها وللمهيمن في تأخيرها شان
ودعوة وجبت للمسلمين به أما ترى عمهم أمن وإيمان
حاط الرعية من بصرى إلى عدن ومن تهامة حتى ارتاح جعلان

وكان بطلاً من أبطال التاريخ وعظيماً من عظماء العالم. ولد في الرياض
ببيت أبيه فنشأ على الدين والتقوى والاعتصام بالله وحده وترعرع في ظل
أبويه وهو لا يرى إلا ما تعمر به النفس من الإيمان المتين والتوحيد الخالص
وامتلاً قلبه بالإيمان، فملك عليه حسه، وامتلك مشاعر نفسه لذلك كان
عفيفاً وتولاه الله برعايته وكلاءته، فما قارف ريبة قط بل كان نزيهاً تقياً ذلك
الإيمان هو الذي أخرجته الجزيرة العربية بطلاً من أبطالها وفارساً من فرسانها
ومصلحاً من مصلحيها ودعاتها.

طاعته وعبادته

لازم الطاعة لربه في كل ما أمر فأقام الصلوات الخمس في جماعة ولم
يعرف أنه تخلف عن الجماعة في وقت من الأوقات. وأقام أركان الإسلام
كما أمر الله وكان له مع ذلك خلوات مع ربه في دجى الليل ووقت السحر
والنَّاس نيام يقف الوقت الطويل بين يدي ربه قائماً يطلب هدايته وراكعاً
يعظم ربه ويقدسه وساجداً خاضعاً متذللاً بين يدي ربه يستغفره. وسر
عظمته وسر توفيقه، جاء من هذا الخضوع لله والاعتماد عليه، ومن كان

مع الله كان الله معه ومن وجد الله فما فقد شيئاً. واصطحب الطاعة واتخذ القرآن نديماً حتى لقد عظمت فيه هذه الخصال في أيام ملكه حتى جعل نفسه تحب القرآن وتلاوته واعتاد أن يتلو القرآن في الصباح والمساء مما يملأ قلبه إيماناً وأكب على الأوراد وكان يلهج بترتيل كتاب الله والأوراد أضف إلى ذلك أنه يستمع كل يوم مرتين أو أكثر إلى قارئ يقرأ قسماً من تفسير ابن كثير وبعضاً من كتب الحديث وكتب الوعظ وآداب القرآن يفقه بها نفسه ويتعظ بها كل من حوله من زائر أو حارس أو خدم. ولقد تقيد بتعاليم الإسلام فأقام الحدود وألزم الناس القيام بما أمر الله به. وإذا تتبعت سيرته وجدت القائد له فيما يورد ويصدر وينوي ويعيد هو الإسلام ومبادئ القرآن مبادئ ثلاثة حب الله وخوف الله ورجاء الله وثقة به يعرف ذلك منه كل من رافقه أو عاش معه أو سمع خطبه في المجالس والمجتمعات، ولو أردنا أن نستقصي أمر هذا البطل لضاق بنا نطاق هذا المقال ولكننا نجتزئ ليدرك القارئ السر في هذا النجاح الذي أحرزه عبد العزيز بين أفذاذ أبطال العالم.

تجرده ونهضته

لما أنتقل به والده وهو صبي إلى الكويت من جملة عائلته كانت نفسه توحى إليه بمعالي الأمور فكان يلبس العقال بغية من والده ثم يأخذ محجاناً بيده ويجلس بين صحبه وخدمه فيأخذ يضرب الأرض بشدة حتى يطير التراب من شدة الضرب كأنه ينتقم ثم يقول: أترون صاحب هذا المحجان سيملك نجداً. ولما أن أراد أن ينهض لم يكن لديه مال قد ادخره من أبويه ليسترجع به ملك آبائه وأجداده ولا قوة من رجال ولا عدة من عدد الحرب وكل ما ورثه من آبائه وما استعده إلا شيئاً واحداً لا ثاني له هو إيمانه وثقته بربه واعتماده عليه. فلقى أباه على انفراد في مكان خال خارج المدينة واستوقفه. فقال والده: ما تريد؟ فقال أريد الحديث معك، وألقى عباة

على الأرض . وقال : إجلس يا عبد الرحمن . فعلم والده أنَّ هنا بادرة . جلس الإمام عبد الرحمن الفيصل فقال عبد العزيز : أنت بين خطتين ، إمَّا أن تأمر أحد عبيدك بانتزاع رأسي فأستريح من هذه الحياة ، وإمَّا أن تنهض إلى مبارك بن صباح فلا تخرج من منزله إلاَّ بوعد في تسهيل خروجي للقتال في بطن نجد . فشقَّ ذلك على والده شفقة عليه لأنَّ الظروف لا تساعد على طلبه وذهب إلى أم الفتى يستعرض عليها ما وقد في قلب عبد العزيز فتوسطت أمه إلى أبيه لما ترى من نزعة الفتى وهي بين عاملين : حب الابن والإشفاق عليه من تلك المغامرة لأنَّه يريد أن يزج نفسه في المعارك والنزول على طلبه لفتح الباب له على مصراعيه . فوافق الوالد على مضض لما رأى من تصميم عبد العزيز وسعى إلى مبارك يسأله تسهيل الأمر له ثم قال : يا عبد العزيز ترى أنَّ ليس لي قصد في الوقوف في سبيلك إلاَّ كما ترى من حالتنا ، وبكى وذرفت عيناه بالعبرة ودعا له بالعزَّ والظفر فأعطاه مبارك بن صباح أربعين ذلواً وثلاثين بندقاً ومائتي ريال وبعض الزاد . فخرج من الكويت بعدما استأذن أباه ليسمح له بهذا الخروج ، فما كان يهاب موتاً ولا حلو الحياة ولا مرها إنَّما يهمه أن يرفض والده طلبه وهو لقاء الأعداء ومنازلة الخصوم ، ذلك لما يكنه من الحب والاحترام والطاعة لأبيه . ولما سمح له ودعا له غامر ولاقى من الانتصارات عذبتها ومن الانكسارات آلامها ، فما اغترَّ بانتصار ولا هان لانسكار وكان إيمانه بربه يخلق في نفسه من الضعف قوة وإقداماً . وأمام الشدائد والمحن ثباتاً ينبهر له عقل الحكيم . كان في الكويت لا يملك غير قوت يومه الذي يتناوله في بيت أبيه وآل رشيد لهم الحكم والسيطرة على نجد صنديدهم عبد العزيز بن متعب قد ملك نجداً بطولها وعرضها والدولة العثمانية بسلطانها تكتنف الجزيرة العربية من أطرافها والحكومة البريطانية وطريق الهند وأمراء العرب . فالدنيا كلها مقفلة بين عدو عنيد ورقيب عتيد ومشفق حاسد وهازيء ومستهتر حتى كان

يتحدث إلى رؤساء أهل القصيم لما فتحه وهو الذي لا يخشى إلا الله عز وجل. قال: لما أردت الخروج من الكويت فللت الراية وتحتها أربعون رجلاً لا أملك غيرهم فسمعت رجلاً من أهالي الكويت أعرفه يقول: من هذا الذي قام برايته فحقه والله أن تكسر ويضرب بها أو كلاماً أقبح منها فبكيت وسألت الله النصره كان يرى العقبات والصعاب أمامه ويبصر وهو الرجل العظيم الذي لا ترق لمخيلته الأوهام والأحلام ولكن التي يمتلكها لا يرى لها حداً تقف عنده ولا يرى لها مقاوماً يستطيع ردها والتغلب عليها تلك القوة التي بها عمر قلبه والثقة بربه التي اكتسبها.

غزواته وجهاده

كان قد تعلم تجشم المشاق وحارب الراحة ومن طلب المفاخر تحمل الأخطار. ولما أن خرج من الكويت لفتح الرياض وله من العمر إحدى وعشرون سنة بأولئك الأربعين الأشاوس وأصحروا واجتازوا المفاوز إلى الغرض في أواسط نجد بعد قطع ما يقرب من ستمائة كيلومتر أو يزيد ما كان يهيمهم العدو الذي كانت كل تلك الأراضي محكومة له وكان عدوه ذا بأس شديد فصبح المترجم بعد السير والسرى فريقاً من قبائل قحطان الموالية لخصمه ابن رشيد وأخذهم وعاد فائزاً ثم أعاد الكرة ولا نطيل هنا فمن أراد الاطلاع على بطولة هذا العبقري فليراجع المعارك المتقدمة التي شهدتها أو دبرها ولقد خاض بضعاً وثمانين غزوة بنفسه وهذا غير ما دبر من معارك أرسل عليها قادة من أبنائه وإخوته وقادته. وكان إنساناً وأي إنسان أنشأ مملكة عظيمة مترامية الأطراف بجهاده وعزيمته الصادقة وبنى مجدداً تالداً للأمة السعودية خاصة وللأمة العربية والإسلامية عامة. وكان لما زحف من الكويت لفتح الرياض اجتمع عليه عدد من العجمان وآل مرة والسهول وسبيع فلما تذوقوا المغانم قبل فتح الرياض استيقظ النائم وعمل ما عمل لمقاومته كما مرّ فشر من التفّ حوله أن القضية ليست قضية غزوات تجر

لهم المغنم ففرّ من فرّ منهم ممن رغب الراحة ولم يبقّ معه سوى الأربعين الذين كانوا معه أولاً. وكانت سيرته الحربية سيرة مملوءة بالعبر تتجلى فيها الأمور الآتية:

أولاً: إعداد أقصى ما يمكن عداه من قوة.

ثانياً: الحذر وبث العيون والإرصاد، وقد كان في هذا الأمر ولا يزال صاحب القوس المعلى وهو الذي ساعده على تفهم الأمور وتداركها في وقتها.

ثالثاً: لا يقدم على المعركة إلا وهو مضطر لها وترى أثر هذا فيه قبل المعارك الفاصلة إذ كان يسعى مع خصمه لاجتناب المعركة وإحلال السلام فإذا لم يجد مركباً غير الأسنة تقدم غير هباب ولا وجل.

حلمه وعفوه

أمّا حلمه وعفوه فإنّه قد امتاز بمزية فريدة في عصره ولم يورد التاريخ لها مثيلاً إلا ما كان في صدر الإسلام. وكان بعدما يفوز بالنصر يلقي العدو من جلالته من الرعاية والكرم ما لا يلقي الصديق الصدوق وجميع الذين حاربوه وقتلوه بعد أن ظفر بهم يعيشون معه كما يعيش معه أقرب المقربين إليه لأنّ جلالته وقد خاض معركة الحياة كان عليه أن يواجه من الأصدقاء والخصوم عدداً غير قليل وأنّه ليس أعظم بالسرور إذا قدر له أن يظفر بخصمه ثم يعفو عنه وهذا ناشئ من أمرين أحدهما أنّه جبل على عدم الحقد في نفسه لأحد ما والثاني عملاً بقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وكان يقول عاهدوني على الإخلاص لله والعمل على سعادة المسلمين، وأمّا شخصي فدعوه جانباً فيعفو عمن قدر عليه ويقول: من خدعنا بالله انخدعنا له وحسابه على الله والله من ورائه محيط. ولقد أساء إليه بيت آل رشيد فغفا عنهم بعد القدرة وأسكنهم في القصور الشامخة

في الرياض وأجرى عليهم المال الكثير وذلك بعد ما استسلموا له وجعل بعض آل أبي الخيل أمراء فانقلبوا أعداء وذلك في وقت التقلبات فعفا عن زعيمهم محمد بن عبدالله بعد القدرة عليه وأطلق سراحه يذهب إلى العراق بعدما خيره في البقاء محتشماً كغيره وعفا عن الهزازند بعدما استسلموا وكانوا قد شقوا عصي الجماعة وكذلك آل عايض وعفا أولاً عن الدويش بعدما استسلم إليه فلما نكث مرة أخرى بعد العفو ورأى أنه لم يفد فيه العفو أخذه أخذاً صارماً^(١) ولمّا تولى الحجاز كان فيه أناس لا يزالون على الولاء للبيت الهاشمي فشرّدوا إلى مصر وغيرها وأخذوا يعملون على مناواة حكومة ابن سعود بمساعدة بعض الأعداء والاتصال به فلم يكثرث بهؤلاء ولم يبال بأمرهم وآخر ذلك أصدر عفوه العام عن جميع من أراد العودة إلى المملكة من أبنائها فرجعوا مستسلمين تائبين وألقوا نفوسهم بين يديه فغمرهم بعطفه

(١) وقد ذكر لنا من حضر الواقعة وهو الأخ حمد بن عبد المحسن وكان ثقة بأنّه لما جرح الدويش في واقعة السبلة واستجار بابن سعود يتقدمه نساؤه وأطفاله يشفعون له لدى الملك عبد العزيز ذهب إليه صاحب الجلالة في خيمته وفي الخيمة نساؤه وأطفاله من بينهم ابنه عبد العزيز وكان في صحبة الملك ستة من رجاله الملازمين له وأحدهم الراوي فوقف الملك لأصحابه وقال: إنّ أمامك نساء وأطفالاً فقالوا له: لا بدّ من دخولنا معك مهما كلف الأمر فأمرهم أن يجلسوا خارج الخيمة والجريح في نعشه فدخل عليه بنفسه وقال لا بأس عليك يا أبا عبد العزيز حسبنا الله ونعم الوكيل والله إنّّه ليس بودي أنّ الأمور جرت على هذا الوضع فتكلم الدويش قائلاً: يا أبا تركي أنا مولّي (ذاهب) عن الحياة وتاركها ولكن والله ليس بودي إلاّ أن أعيش فأوالي من واليت وأعادي من عاديت وأريد أن أعاهدك يا عبد العزيز فقال له صاحب الجلالة: لا تعاهدني فإني أخشى أن تنكث فيحيط بك العهد فقال: بلى أعاهدك بالله الذي رفع السموات السبع وبسط الأرضين السبع بأنّي صديق صديقك وعدو عدوك ولو كان ابني عبد العزيز هذا فنهاء ابن سعود عن ذلك العهد ثم استمرّ فقال: فإن كنت كاذباً أو مخادعاً فإني أسأل الله الطالب الغالب الذي لا مفر منه أن خنته أو بدلت أن يلقيني بين يديك أذل من إبليس عشية يوم عرفة فسمح عنه ابن سعود وأمر طبيبه الخاص أن يعالجه ثم قال: يا طويل العمر لا بعير ولا خيمة ولا زاد ولا مزاد ولا سلاح فأمر له ابن سعود بذلك كله ولما نكث والعياذ بالله ترى كيف أنّ الله سبحانه وتعالى ألقاه بين يدي ابن سعود كما دعى أذل من إبليس عشية يوم عرفة وفي ذلك عبرة لمن يخشى.

وإحسانه وجعلهم في الوظائف الكبار وقال لهم: على ما تخسركم بلادكم وأمتكم كونوا متكاتفين ومتعاضدين فملكهم ملكاً عظيماً بهذه الرأفة وهذا العطف وقاموا بالنصح والإخلاص والدعاء والمدح لجلالته .

حزمه ومقدرته

كان يشرف بنفسه على كافة شؤون رعيته فكان رئيس ديوانه يعرض عليه كل صباح ومساء خلاصة القضايا وعرائض الناس ، فلا يجرو أحد على ظلم أحد خوفاً من وصول الخبر إلى مسامعه وكان إذا تبين الخطأ فإنه يعاقب عقاباً أليماً وكثيراً ما يجيئه البدوي فيقول له: يا عبد العزيز اتقي الله وتراني في ذمتك فيبكي ويأمر بانتداب لجنة للتحقيق في أمر ظلامته . ولقد جعل مجلس الشورى الذي كان اسمه أول ما أقامه المجلس الاستشاري مرجعه إليه والقول الفصل فيه لجلالته وكان مهمة هذا المجلس أن يكون إلى جانب نجله فيصل ينظر في جميع شؤون الدولة صغيرها وكبيرها ويبيد رأيه فيما يجب اتباعه نحوها ثم سنّ لهذا المجلس نظام خاص وقد نصّ في هذا النظام أن للمجلس الحق في أن يلفت نظر الحكومة إلى أي خطأ وقع في تطبيق القوانين والأنظمة وأنه إذا عرضت الحكومة مشروعاً على المجلس فرفضه أو عدل فيه تعديلاً لم توافق عليه الحكومة فللنائب العام أن يعيد المشروع إلى المجلس مع ملاحظات كافية لإقناعه بوجهة نظر الحكومة فإن أصرّ المجلس على الرفض أو التعديل السابق فالمرجع إلى الملك وحده وأنّ للمجلس الحق في مراجعة جلالة الملك للتصديق على قراراته السابقة إذا مضت عليها مدة أشهر دون حصول الموافقة وقد أضيف إلى اختصاص المجلس بعد ذلك حق تمييز الصكوك التجارية وترقية الموظفين وتأديبهم والنظر في جميع ما تحيله إليه الحكومة من المعاملات الخاصة والشؤون الفردية الأمر الذي أثقل كاهل أعضائه حتى صار العمل فيه يومياً . هذا من ناحية الأمور الإدارية، أمّا المعاملات والظلمات فمرجعها جميعاً إلى الشرع

الشريف يحكم فيه القضاة بكتاب الله وسنة رسوله وفق ما هو معتمد في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وكان لا يتساهل قط في الحدود فإذا علم بحادث قتل فإنه لا يهناً له بال حتى يقيم حدَّ الله ويأخذ حق المقتول من القاتل وإذا حدث أمر لا يرضى الله استفتى العلماء فيه ونفذ في الفاعل له ما يفتي به العلماء فيقطع يد السارق ويحد من يتعاطى المسكرات فانتشرت مهابته في كل مكان ورفرفت ألوية الأمن في قلب الصحراء وأثبت للعالم مزية العمل بكتاب الله . ولقد أبلغ رجل في مكة المكرمة جلالة بأن ابنه قد اختفى ولم يعلم مقره فأمر بإجراء تحريات شديدة عنه وأخذ مدير الأمن العام يجدُّ في البحث حتى أوصله التحقيق إلى اكتشاف جثته وثبت أن ثلاثة من أصدقائه قد اشتركوا في قتله فأمر بإعدامهم في الحال شنقاً وأن تسير جنازة القتيل من تحت جثمانهم فكان ذلك وكان منه أعظم رادع لارتكاب مثل هذا الحادث . وثبت أن جماعة من كبار الأشرقياء جلسوا في طريق جدة وهددوا الحجاج بالقتل إذا لم يدفعوا إليهم أتاوة فأمر بإحضارهم وشكل لهم محكمة خاصة لمحاكمتهم حتى ثبتت إدانتهم فصدر الحكم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف لأنهم ممن يعيشون في الأرض فساداً ونفذ الحكم فيهم بمكة المكرمة . واتصل بعلمه أن رجلاً من كبار قبيلة شمر كان مغترأ بنفسه يزعم أن لا سلطة للملك عليه وأنه يجاهر بهذا أمام الناس فأرسل إليه جلالة الملك يستدعيه ففرَّ إلى العراق وقد عمل جلالة الملك على إحضاره فأحضر رغم أنفه . ولما أن مثل أمام جلالته قال : رأيت أني قدرت عليك وأحضرتك بين يدي قال : نعم . قال : ومن يمنعك مني الآن؟ قال : لا أحد ، قال : لقد عفوت عنك وأنت مخير في أن تظل في مقرك أو تعود إلى العراق . فقال : بل لا أفارق ساحتك ولا أترك حماك . فأمر له بجائزة وأجرى عليه وافر النعم . وأمثال ذلك يطول ذكره .

شفقته على الرعية

أما شفقته وعطفه على الرعية فإنه قام بأمور لا يشاركه فيها أحد في الأزمان المتأخرة نسأل الله المنان أن يتولى جزاءه على ذلك بخير ما جوزي محسن على إحسانه . فمن مثله في ذلك عطفاً وديناً وحلماً وحزماً وصرامةً وتواضعاً فإنه لآية من آيات الله وعبرة لمن اعتبر . قال الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين في فتح حائل :

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| تدارككم حلم الإمام وعفوه | وقد بلغ السيل الزبى وطما البحر |
| فأصبحتمو عنه بنجوة منعم | عليكم فهل يلقي لديكم له شكر |
| فلا تكفروها نعمة مقرنية | فإن كفرت كانت هي الغل والأصر |
| فكم حول النعماء قوماً تربصوا | فأرداهم خبث الطوية والغدر |
| فلولا التقى والصفح عنكم لأصبحت | منازلكم يشتم بها الربد والعفر |

وقال في فتح مكة المكرمة والمدينة المنورة :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| سفر الزمان بغرة المستبشر | وكسى شباباً بعد ذاك المكبر |
| وتأرجت أرجاؤه بشذائه | حتى لخلنا الترب شيب بعنبر |
| وتألفت في طيبة سرج الهدى | ما بين روضة سيدي والمنبر |
| وتألفت من قبل ذاك بمكة | إذ قدست من كل رجس مفتر |
| وتجددت من جدة أعلامه | وتقشعت منها رسوم المنكر |
| وجرت ينابيع الهدى في ينبع | هذى السعادة يا لها من مفخر |
| بفتوح مؤتمر الإله لدينه | ملك تسلسل من كريم العنصر |
| ليت الذي سكن الثرى ممن مضى | من أهل بدر والبقيع المنور |
| نظروا صنيعك في المدينة والتي | يهوى إليها كل أشعث أغبر |
| كي يشهدوا أنّ الفضائل قسمت | بالفضل بين مقدم ومؤخر |
| ويسرهم إحيائك الشرع الذي | قد كان قبلك مثل روح مغرغر |

قال بعض حجابيه عنه : قام جلالة الملك للتهجد في بعض الليالي فلما توضأ وأراد أن يكبر إذا بأنين مريض سمعه على البعد فسأل عنه فقبل مسكين خارج سور المربع أصابه حصر البول فألقى بنفسه هناك يئن لما يقاسيه من شدة الألم . فقال للحاجب : إحمله في سيارة وأذهب به إلى المستشفى ولا تبرح مكانك حتى يعالج . قال الحاجب فقامت مبادراً أقول في نفسي : إنا لله وإنا إليه راجعون أذهب به فلعلي لا أدخل الرياض إلا بشدة لأن الأبواب مغلقة أو قد لا تفتح لنا بليل ثم إذا دخلنا فمن يوقظ الأطباء في هذه الساعة وما عساهم يقومون إلا بالنهار ثم إنني التزمت المريض وحملته معي في السيارة قال فما وصلت السيارة الدروازة إلا وقد سبق الأمر العالي بفتحها فدخلنا من دون استئذان ولما قربنا من المستشفى إذا أنوار المصابيح والكهرباء في تلك الساعة من منتصف الليل وهذا خلاف العادة فساعة وصلنا إذا بهم يحملون المريض ويباشرونه في الحال تنفيذاً للخطة المرسومة لهم من قبل الهاتف ونحن في الطريق وباشره الأطباء مباشرة حارة فما لبث أن قام كأنما نشط من عقال فأخذته ورجعت به إلى موضعه ثم دخلت وصعدت إلى جلالة الملك فوجدته واضعاً يده على خده جالساً فبدرني بقوله : ما صنع المريض قلت شفاه الله تعالى فبدرته العبرة وقال : الحمد لله الذي عافاه وسر لذلك كثيراً . وخرج مرة لصلاة الاستسقاء وكان يستصحب أكياس الذهب والفضة والنقود إذا خرج ليقسمها على الفقراء فتراه في ذهابه يمشي موكبه مطمئناً وينثر بيديه المال يحثوه حثوا فلما كان في أثناء سيره مرَّ شيخ كبير يريد أن يراه أمام سيارته الخاصة فلم تمهله المقادير أن يجتاز ولم يملك السائق السيارة فحطمت ساق الرجل الهرم وألقته على الأرض فأوقف الملك سيارته ونزل إلى الأرض منكسف البال وألقى بنفسه على الشيخ الهرم المصاب يبكي ودموعه تسكب على وجه الشيخ قد التزمه يبكي ويقول : بسم الله عليك يا أبي يصغرها كعادة أهل نجد

ثم صاح مبادراً بالأطباء فما كان إلا لحظة حتى أقبلوا كالسيل المنهمر وجعلوا يضمّدون الساق ويبذلون وسعهم في العلاج . أمّا المصاب فنسي ألمه وقبض على عنق الملك يدعو له ويقبله ويبكي لبكائه منادياً بأعلى صوته قد سمحت يا طويل العمر . ولمّا أن رجع من صلاة الاستسقاء أمر له بصرة ذهب تقدر بمائة وخمسين جنيهاً ذهباً وأن يشتري له بيت يسكنه وعائلته ونفذ له أمراً بسيارة يركبها . فعاش في أرغد عيش . ومرّ في بعض الأيام وكان قد خرج من الرياض يريد المربع بجّمّال أعرج يمشي خلف بعير على ظهره حمل من الحطب وكان يوماً شديداً البرد . فوقف يسأله ويعجب لحالته يا عبدالله ما الذي أخرجك في هذا اليوم الشاتي فهلا جلست في بيتك هذا اليوم فربما يأتي الله برزق فأجاب الجّمّال يا طويل العمر أخرجتني الحاجة فوالله إنّ طعام العائلة والبعير لمن ما على ظهره من الحطب ولو وجدنا كفاية يومنا لما خرجت في هذا البرد الشديد فناوله صرة يظنها ريات ولمّا ولّى الجّمّال مدبراً أخبره السائق أنّها صرة الجنيّات لا الريالات الفضية وأنّها ثلثمائة جنيه ذهبي فنادى الجّمّال فأقبل إليه كاسف البال ظناً منه أنّه يستردها فقال له ابن سعود: أردت أن أهبك ريات وما نويت إلاّ هذا ولكن الله عزّ وجلّ هو الذي وهبك هذا الذهب . إنّني أخطأت فأعطيتك صرة الذهب وبها ثلثمائة جنيه ذهبي فخذها واشكر الله وحده واعلم أنّ هذه القطعة الصغيرة تساوي أربعين ريالاً من الفضة وذلك لأنّ هذا الفقير لا يعرف قدر الذهب ثم قال: أشير عليك يا ولدي بالعقار وأعمل ولا تكسل . فاشترى بها نخلاً وزرع وأصبح ذلك الصعلوك غنياً وما يزال الرجل موجوداً . ولمّا كان بعد منتصف القرن الرابع عشر أسس الموضع المعروف بالمربع وكان موضعاً اختار سكناه لتكون الحاشية كلها فيه فكان العمال الذين في بنيته تسعمائة من الرعية . فقال الوزير له: إنّ هذا القدر من العمال كثير . فقال: إنّني لمّا عزمت على ذلك المشروع كان من نيتي أن يتعلق

هؤلاء العمال في طلب الرزق وكان المربع مشهوراً بالعاصمة وقد أودع فيه من الغرف والرفعة والزينات ما لا تبلغه العبارة ويحتوي على جوامع ومساجد وتجد سيارات الأجرة في مواقفها ينادي أربابها في الركوب إلى حلة القصصات إلى المربع إلى دخنه إلى الدرعية وغير ذلك . وكان إذا سار من جهة إلى أخرى فإنه يحيط به من العساكر والجموع في موكبه شيء عظيم وكل موكبه غارق بالقوة والحديد فلا يستطيع أحد الدنو منه غير أنه إذا رأى الفقراء لا يتمالك من القرب منهم لا سيما إذا سمع مظلوماً فإنه لا يتجاوز مكانه حتى يكشف مظلّمته فتجد المظلوم يتحين لمروره فيقف في الطريق فكان الملك لا يهاب قوياً ولا شديداً كما يهاب المظلوم حتى ينصفه ويباشر مسأله بنفسه . ولقد رأيت مرة في مكة المكرمة في موسم الحج سنة ألف ١٣٦٣ رجلاً أقبل من مكة يمشي حتى إذا ما توسط من قصر السقاف قصر جلالة الملك في المعابدة وظنّ أنه يسمع صوته وقف وصاح ينادي بأعلى صوته مظلوم وجعل يبكي وينادي بأعلى الصوت . وكانت تلك الرحبة قد رشت بالماء ولا يقربها سوى الحرس أو الأمراء وفيها بعض السيارات الحكومية . فلما تكلم بكلامه المتقدم اندفعت إليه الجنود كأنهم السيل المنهمر لأنّ لا يحدث تشويشاً على الملك ، غير أنه تمكن من الصياح بصفته رجلاً قوياً وكان حجازياً ليس على رأسه سوى قلنسوة . فنزل صاحب الجلالة إليه بنفسه على السيارة وكان لمبادرته بالنزول لم يتمكن الحرس من اللحاق به سوى قدر من خمسين حارساً ، فأمر بأن يحضر المظلوم بين يديه بباب القصر فأركبه وصعد به إلى المجلس ثم سأله عن ظلامته فادعى بأنّه دعس ابنه وضاع الذي دعسه ولم يؤخذ حقه وجعل يبكي ويسترحم ويلوذ بعدله عن الظلم . فسأله منذ كم أصيب ابنه فأجاب بأن مضى شهر وهو يطالب بدمه ولم يصل إلى الحقيقة . فما كان إلا قليلاً حتى أحضر بين يديه المسؤولين عن أعمال مكة فأجلسهم أمامه وجعل يتهددهم ويتوعدهم حتى

ظهر أنَّ صاحب السيارة أحد أمراء البيت السعودي فأمر بأن يحضر بين يديه ولمَّا أن حضر نزع عباءته الوبر وأجلسه مع خصمه أمامه وقال له: إنَّ أول ما نأخذ الحق من أبناءنا فلما رأى هذا المُتظلم عدله وإنصافه وأنَّه لا يحابي جعل يبكي لهذا العدل والإنصاف وقنع وطابت نفسه. فقال له: لا تبك فلك عليَّ أحد ثلاثة أمور أتريد الشرع أحلتكما عليه فهو مبذول أم تريد أن أكون أنا الحكم بينكما أو تغفو عن صاحبك فمن عفا وأصلح فأجره على الله تكلم يا بني فالحق لك فعجز المتظلم عن الكلام غير أنَّه زحف حتى وصل إلى قدمي الملك فجعل يقبلهما ويبكي ويقول: يا طويل العمر قد عفوت وسمحت فإذا كان الداعس نجلكم فأنا وابني أولادكم غير أنَّه جعل يردد عليه كلمة العفو وهو يجيب بقد عفوت قد عفوت وكنت أظن فيما يظهر لي أنَّه لم يعلم أنَّ صاحبه من البيت المالك، فلما تبلغ جميع الحاضرين عفوه قال له: جزاك الله خيراً ورضاؤك حاصل. فأمر له بجاريتين وغلام وثلاثين ألف ريال بينما كانت الدية إذ ذاك أقل منها بكثير وسيارة من مركوبات الأمراء تساوي ستة عشر ألف ريال وأربعة مشالح من الوبر الطيب وكسوة فاخرة. فانظر إلى توفيق هذا الملك العادل المنصف، ولقد كان في ذلك عبرة ولقد بعث إلى كل المقاطعات في المملكة لما أن وقعت الحرب العظمى الثانية ودخلت إيطاليا الحرب قرضاً من البر والذهب والإبل مساعدة للفلاحين وذلك على توالي سني الحرب وآخر ذلك عفا عن استرجاعها مراعاة للرعية.

ولمَّا لاح للنَّاس شبح الموت نتيجة امتناع المسلمين عن الحج بسبب الحروب التي سببتها الحرب العالمية، وخشية توقف سير السفن في البحر الأحمر وأخذ كل واحد يعمل لإدخار الأرزاق في بيته ولسان حال كل فرد منهم يقول نفسي نفسي. قام وجمع الزعماء وطمأنهم على حياتهم قائلاً: لا تخافوا سنشاطركم ما لدينا من مال وأرزاق ثم أجرى مبرة ملكية من الخبز

في سائر المدن والقرى، ويتألف اللجان لذلك في مختلف البلاد وتقرر رغيفاً واحداً لكل فرد من أفراد الشعب. إذا كان ممن لا عمل له أو إن عمله لا يسد حاجته ولا حاجة عياله حتى بلغ ما يوزع عليهم في جميع أنحاء المدن ربع مليون رغيف يومياً زنة كل رغيف خمس أواق وبلغ ما كان ينفق في مكة المكرمة من عيش المبرة يومياً ١٢٥ ألف قرص. ولم يقف به الأمر عند هذا الحد حتى أمر بأن تخصص لكل فرد من أفراد رجال البادية ونسائها كل شهر ثلاث كيلات من الأرز ونصف ريال مضافاً إليها كسوة كاملة في الصيف وأخرى في الشتاء ترسل إليهم في قراهم بواسطة السيارات ويوزعها رجال أمناء من قبله. ولقد كنت حاضراً في مكة المكرمة لأداء الحج عام إحدى وستين بعد الألف وثلاثمائة فشاغ للأمة أن صاحب الجلالة سيحج مبكراً أو يقدم إلى مكة فأقبلت جموع من البادية وبنوا بيوت من الشعر في الأبطح من مكة على طريقه وكانت تلك البيوت على صفة مدينة مستقلة ذلك لما قام بالمسلمين من خوف الجوع والعري. ولما أن وصل إلى عشيرة كانت سيارات الكسوة للفقراء تبلغ ثماني عشرة سيارة من سيارات النقل محملة بها وفرحت الأمة بقدومه وكنت أسمع من يقول على جهة التعظيم أنه سيقدم على ألفي سيارة فأطلقت قلاع مكة من منتصف نهار اليوم ١٥ من ذي القعدة إلى منتصف الليل مائة طلقة مدفع وطلقة. ولما أن قدم الموكب قبل غروب الشمس بثلاثين دقيقة ورأى كثرة المجتمعين أمر بأن يشتغل على نفقة الحكومة ثلاثمائة مائدة خياطة زيادة على ما جاء به وكانت ساعة للخلائق ينظرون إلى تلك العظمة، وكان النائب قد صف الجنود من قصر السقاف إلى الكعبة المشرفة صفين ولقد حاولت امرأة من أهالي مكة أن تنظر إلى الملك فلم تستطع لكثرة الزحام فانصرفت مرخية الجلباب على وجهها تقول بأعلى صوتها: هذا الملك ابن سعود اللهم اجعل عدوه في قبضته فعجبت لذلك وذكرت قوله ﷺ: «خيار أئمتكم الذين

تدعون لهم ويدعون لكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم» .

ذكر عدله وإنصافه

أمّا عدله وإنصافه فإنّه موضع الإعجاب وتضرب الأمثال في عدله فلقد كان ينصف من نفسه ويعاقب أولاده وأهل بيته إذا اعتدى منهم أحد أشد العقوبة ولقد ضرب أحد أنجاله ضرباً مبرحاً، وأمر به إلى القلعة يسجن فيها على انفراد فسجن ومكث في السجن مدة حتى أطلقه برجاء ولي العهد وهذا بسبب أنّ النجل ضرب بدوياً فشكاه البدوي على أبيه وهو لا يعرفه فأحضر أبناءه ليتبين ضاربه فلما تبين غضب عليه غضباً شديداً وقال له : أضربتة فصمت الابن ولم يرد جواباً وعرف أنّ إنكاره واعترافه سيان وليس أحدهما بمنجيّه عن العقاب فصمت ثم نظر ابن سعود إلى المعتدى عليه وسأله بمّ ضربك فأجاب البدوي قائلاً : بالعصا يا طويل العمر، فقال له : قم فاضربه واقتص منه فاستجمع هذا الأعرابي باكياً لعدل هذا الإمام وقال : لا أستطيع ، فقال : قم هداك الله قم يا رجل لا تخف إنّ العدل سوى بينك وبينه بل أنت أعظم منه لأنّ الحق لك وهو أصغر منك لأنّ الحق عليه . فأجاب الأعرابي إنّي متنازل عن حقي ويكفيني هذا العدل فلما تنازل المظلوم عن حقه ظنّ الابن أنّه سيسلم من العقاب فنظر ابن سعود إلى من بالمجلس نظرة ارتاعوا لها وصاح بابنه أتظن أنّ انتسابك إليّ يمحو عنك العقاب أو يخولك الاعتداء قد بقي الحق العام ثم أدبه تأديباً بليغاً . وتفقد مرة بعد صلاة الجمعة ابناً له فلم يجده في المسجد ووجده في البيت فسأله عن سبب تأخره عن الصلاة فأجاب بأنّه تأخر عن غير قصد فجاء ولم يدركها ورجع فأمر بسجنه وسجن خدمه جزاء لهم على هذا التأخر وليأتوا مبادرين إلى الجمعة . وقد عثر مرة على أناس كانوا في لهو ولعب ويجتمعون في موضع بلا مراعاة لحضور الصلوات فضربوا ضرباً مبرحاً وأزال تلك الحديقة التي كانوا يجلسون فيها ولقد وقفت على قصره ذات يوم امرأة مسنة تشكو إليه أمر قضية لها في

ميراث وقالت: ليس لي من يدافع عن حقوقي فنادها وأخذ ما بيدها من الأوراق وقال: أنا وكيلك وأدافع عن حقوقك فنظر في الحجج التي بيدها وأرسل بالقضية للمحكمة الشرعية وأخذ يسأل كل يوم عن تلك القضية حتى قررت المحكمة الشرعية في شأنها وأبلغ المرأة الحكم وأمر بإنفاذه.

فرحمة الله عليك من إمام عادل وليسجل التاريخ ما شاء من هذا العجب العجائب. ونمى إلى مسامعه أن تلاعباً حصل في كتابة عقد من العقود في المحكمة الشرعية الكبرى بمكة وصدق عليه فما كان منه إلا أن بعث خدمه إلى المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة وأحضر ما هو في متداول أيدي القضاة من دفاتر وحقق أمامه موضوع التلاعب حتى كان على يقين من ذلك فأمر بعزل جميع موظفي المحكمة واستبدلهم بآخرين ولم يكتف بذلك بل عزل معهم رئيس القضاة إذاك سماحة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد كذا قيل^(١) وكان الشيخ موضع التقدير من جلالة الملك ولكنه لما كان لا يطلع على التلاعب لم يراع شيئاً أمام الله وأمام خلقه وكان يوظف في الوظائف الكبار من يرى فيه المؤهلات سواء كان كبيراً أو صغيراً ويضع في كل أمر من يسده وهو إلى جانب هذا يجمع ذوي الحل والعقد من سائر البلدان في المملكة ولا سيما كبار العلماء لكل مناسبة ويأخذ رأيهم ويدعوهم إلى التناصح ويبعث اللجان ويؤلفها وينتدب الهيئات إلى عموم الجهات للنظر والتحقيق في الشكايات التي ترفع إليه حتى يتضح الأمر جلياً وينفق من مال الدولة الشيء الكثير في هذا السبيل ويختار لهذه المهام من يثق به من ذوي الخبرة والنزاهة ويوصيهم بتقوى الله وتحري الحقائق والأخذ بيد المظلوم وحدثني طالب علم من الذين يدرسون سابقاً على فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم بأنها تأخرت مكافئاتهم الشهرية فبعثوا بكتاب إليه وطلبوا من جلالة

(١) ذكر ذلك عبد الحميد الخطيب في تاريخه «الإمام العادل».

الأمر على من يلزم بصرفها ولكنهم احتاروا فيمن يوصله إليه لصعوبة ذلك فقدروا أن أحدهم أخذ الكتاب وفكر في أن يجعله ملفوفاً بحصاة تثقله ويرميه في سيارته ولكن الكتاب وقع في جبهة الملك لما رمى في السيارة فكشفه ودعي بصاحبه ولكن فأين صاحبه لقد فرَّ إلى مسافة بعيدة حينما رآه وقع في وجه الملك خوفاً وخجلاً، فأحضر بين يديه وأمره أن يراجعوا شلهوب لصرفها سريعاً بعد ما تبسم ضاحكاً من تصرفه ولم يغضب بل علم مقصده. ولما كان في بعض الأيام جرى من محكمة الطائف في آخر رمضان عدم اهتمام بإنجاز المعاملات في القضاء ونجم عن عدم هذا الاهتمام بقاء بعض المتداعين في السجن حتى يتم شهر رمضان، فبساعة وصل الخبر إلى مسامعه أصدر أمره الصارم بحجز القاضي وجميع رجال المحكمة في دار المحكمة ليلاً ونهاراً حتى ينجزوا الفصل فيما لديهم من قضايا وترتب على ذلك أن انكبَّ القاضي ومن معه على نظر القضايا أواخر شهر رمضان وأيام عيد الفطر وما بعده حتى أنجزوا ما لديهم من القضايا وفصلوا فيها. وكان لا يبالي في الحق أحداً وكثيراً ما يلهج بهذه الآية ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٥١).

كرمه وجوده

أمَّا كرمه وجوده فحدث عن البحر ولا حرج فوالله الذي لا رب غيره لو كان في عصرنا هذا من يولع بتسجيل حوادث الكرم والجود والحلم والعفو والعدل كما كان في العصور السابقة لخفيت أسماء أجواد العرب المتقدمين ولزاحم الملوك كهارون الرشيد والمأمون وسيف الدولة ولظهر ابن سعود عليهم. كيف لا وهو يعطي كل من قصده غنياً كان أو فقيراً ولما كانت النفوس قد جبلت على حب المال لأنه قوام الحياة وكان كل جواد لا بد أن يمسك كما قيل:

ولو سئل النَّاسُ التراب لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا فكان المترجم له لا يمسك قليلاً ولا كثيراً وبذلك ملك القلوب وأحبته الأمة حباً جمّاً وكان يقول وما أغنت عن عبد الحميد كنوزه فمن ذلك أن خمسة من الأعراب وفدوا على قصره في الرياض وكان البدوي قنعاً بما يناله فأمر لكل واحد بنصف كيس أرز وقلة تمر وعباءة وخمسين ريالاً فلما قبضها الأعراب ركبوا إبلهم وساروا راجعين إلى أهاليهم وقد عجزت الألسن أن تعبر عن المديح والثناء فلما كانوا في الدرعية جعلوا يتحدثون في شأنه فقال أحدهم لأصحابه أترون هذا ملكاً بفتح اللام وبالغوا في الإطراء والمديح وكان من بين الذين يتقلبون بفضل به بقية آل رشيد وآل مهنا وهم الذين كانوا قبل ذلك أعداء فلما حلوا في ضيافته منّ عليهم بالإكرام وغمرهم بالجود فتجد الفرد من هؤلاء يسكن القصور العالية ويركب مراكب الملوك كأنجال الملك ولكل فرد خدم واحتشام وجعل لهم المرتبات من ألوف النقود شهرياً وأكياس الأرز والقهوة والسكر والهيل ومصفحات العسل والسمن ومشالح الوبر وغير ذلك. وأكرم العلماء ورفع من أقدارهم وقرر لهم رواتب وأرزاقاً تجري عليهم كل ذلك شهرياً. وأكرم آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأجزل لهم العطاء وأكرم عشيرته ورفع من أقدارهم وأجزل لهم المرتبات ووصل قرابته وذوي رحمه وأوسع لهم في النفقات فكان بذلك موضع التقدير والإجلال. وكان هؤلاء في الحشمة كالملوك بل كان خدمهم كالملوك، وكان يحرص على نفع الضعفاء والمساكين ويعطف عليهم فكان إذا رأى أعمى داعبه لأن يكون مطوعاً لإحدى البنات أو القصور حتى كان أمة من هؤلاء يتلون القرآن في تلك القصور ويتمتعون بالنعم والكرامة ويؤمنون النساء في صلاة التراويح في شهر رمضان. ولا يزالون محترمين تجري عليهم النفقات ويلبسون الكسوة الفاخرة ويركبون السيارات الفاخرة ويتقلبون في تلك النعمة والحبرة. وطبع على نفقته الألوف من كتب أهل

السنة والجماعة وجعلها وقفاً تبذل مجاناً لطلاب العلم، ونذكر شيئاً منها فمن ذلك تفسير الحافظ ابن كثير وتفسير الإمام الحسين بن مسعود البغوي، جعل الأول في أعالي الصفحات والثاني أسفل مفصلاً بينهما بحاجز، فبلغت تسع مجلدات وظهر التفسيران في رونق حسن حتى أنهما لم يطبعوا قبل ولا بعد بأحسن من تلك الطباعة وكان طبعهما بمطبعة المنار، وطبع المغني وكتاب الشرح الكبير للمقنع طباعة حسنة كان الأول في أعالي الصفحات والثاني أسفل مفصلاً بينهما بفصل، فظهرت الطباعة كأحسن ما يكون وهما من أكبر كتب الفقه وكان يعد طبعهما إذ ذاك معجزة للإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن لقلة المادة بين أيدي الناس حتى قال الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مطبعة المنار التي طبعتهما في مديح الملك عبد العزيز لولاه لما أقدمنا على طبعهما ولم يقدم غيرنا وقال: لا يسعنا إلا أن نعود في هذه الخاتمة إلى الثناء على مسدي هذا الخير العظيم إلى الأمة الإسلامية بالأمر بطبعه والإنفاق عليه من ماله الخاص به إمام السنة ومحبي عدل الخلفاء وعلوم الأئمة مؤسس المملكتين وخدام الحرمين الشريفين عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وعاهل العرب في كل غور ونجد أعزه الله تعالى وأعزَّ به العرب والإسلام ونفع به الأنام. وذكر أنه هو السبب في وجود الكتاب. وذكر في المقدمة قوله ما زلت أفكر في السعي لطبعه إلى أن هداني الله تعالى إلى تبليغ أمنيته هذه إلى السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إمام نجد وملحقاتها. وذكر صاحب المطبعة أنه شرع في طبع الكتابين وغيرهما من مطبوعات صاحب الجلالة والمطبعة غير مستعدة لإنجاز مطبوعات كبيرة كثيرة وطبع المترجم له الآداب الشرعية الكبرى لابن مفلح وطبع مجموع الرسائل والمسائل لأئمة هذه الدعوة الإسلامية الذين قاموا بالحق وبه يعدلون آل الشيخ ومن اقتفى أثرهم وقد بلغت مجلدات المغني والشرح الكبير اثني عشر مجلداً كلها

ضخمة كما أنَّ الآداب الشرعية كانت في ثلاثة مجلدات. ومن مطبوعاته أجزل الله له الأجر والثواب شرح الطحاوية توحيد الإمام ابن خزيمة مختصر طبقات الحنابلة لأبي يعلى وروضة المحبين لابن قيم الجوزية مجموعة التوحيد مجموعة الحديث مجموع المتون في كتب كثيرة البداية والنهاية للحافظ ابن كثير وغيرها. ونحيل القارئ إلى مواضع ذكرها هناك من هذا التاريخ.

ولقد كانت الأعراب تفد عليه كل يوم ينزل على القصر الملكي عدد منها فينزلون في دور الضيافة وبعد أن يقضي القادمون أيام الضيافة وهي ثلاثة في الغالب يرفع وكيل بيت المال إلى الملك كشفاً بأسمائهم ليأمر لهم بإعطياتهم فيكتب إلى جانب اسم كل واحد منهم المبلغ الذي يعطى له مراعيًا حالته ومقامه، فهذا يأخذ ٥٠ ريالاً، وهذا ١٠٠ مائة ريالاً، وهذا خمسمائة ريال، وهذا يأمر له بعشر نياق، وذاك بخمسة أكياس أرز. ومن تقاليده أن يمنح كل زائر كسوة عدا الطعام، والعطاء والكسوة عبارة عن عباءة وبدلة كاملة وغترة صوف. وتختلف الجوائز على حسب الوفود، فما يعطى للأمير أو لشيخ القبيلة لا يعطى للزائر العادي فيعطى بعض الأمراء سيارات وألوفاً. ومن أعجب ما نذكره أنه بعث إلى شيخ قبيلة من قبائله لما كانت الأرض مجدبة وجهته بعيدة أن لا يقدم هذه السنة مراعاة لحالته، بل تأتية كسوته وشرهته في جهته فأمر بسيارة خمس طن وملاها نقوداً وسكراً وقهوة وشاي وهيل وأرزاً وبعثها إليه ووهبها له. ويمنح كبار الضيوف وعظمائهم السيوف المذهبة أو الخناجر المطعمة أو الساعات الثمينة، كل بمرتبه ودرجته، ولا يغادر قصره زائر من دون هدية وقد يغتنم البدو فرصة خروجه من مكان إلى مكان فيلحقون به فيدنو أحدهم منه ويهمس في أذنه من وراء أنه في حاجة إلى مال ليتزوج فيقول: لمن يكون وراءه من رجاله أعطوه جهازاً (الجهاز في لغة نجد المهر الكافي للزواج). ثم يأتي غيره ويهمس في أذنه يا طويل

العمر (وهي كلمة دعاء في نجد) أريد بشتاً ويأتي آخر يقول أريد ناقة فيعطى كل سائل ما سأل. وكان في وقت الشرهات يفد على قصره من العلماء والأمراء والرؤساء وأصحاب العوائد ما يزيد عن خمسمائة ألف. أمّا البيوت التي تصرف لها الرواتب الشهرية من الأشراف والسادة والأئمة والخطباء السابقين فتقدر بثلاثة آلاف بيت، هذا عدى ما يصرف في حنادس الظلم سراً على الأرامل وذوي الحاجات وما يوزع على العموم في سائر البلدان. وكان الموزع يسير في منتصف الليالي المظلمة فيطرق البيت سراً فيدخل يده في الكوة ويعطيهم ما لا يعلمه إلا الله ويوصي أهل البيت أن لا يوحوا بمصدر تلك الصدقات، ولقد جاء إليه رجل من أهل مسقط فقدم لجلالته نوقاً عمانية أصيلة فأمر له بشرهة قدرها عشرة آلاف ريال وقيد اسمه ضمن ضيوف ذلك اليوم فكان يعطى كل سنة عشرة آلاف ريال. فقدر أن رجلاً شابه اسم هذا الرجل مرة من السنين فأعطي العشر الآلاف، فأخذها وانصرف. وفي صبيحة اليوم الثاني جاء صاحب النوق وسلم على جلالته فقال له المغفور له: هل أعطيت شرهتك؟ فقال: لا. فغضب وسأل عن سبب ذلك. فقال أمين المال: إنّه دفع المبلغ وأخذ إيصالاً من صاحبه. ولدى البحث عن صحة ذلك. ظهر لهم تشابه الاسم وأرسلوا خلف البدوي وأحضروه فلما حضر وفهم بما حصل خشي أن يسترجع منه المبلغ الذي أعطي له غلطاً لتشابه الاسم، ولكنهم لم يفعلوا بل جاؤوا به إلى الملك. فقال له جلالته: كم أخذت؟ قال: عشرة آلاف. فقال له الملك: هي لك من عند الله. فخرج من مجلسه يحمد الله ويدعو للملك. وأمر لصاحب النوق بمثلها أيضاً. واستوقفته امرأة عجوز مرة في الطريق وقالت: يا عبد العزيز أسأل الله أن يعطيك في آخرتك كما أعطاك في دنياك. فسر لهذه الدعوات أعظم السرور وأمر أن يعطى لها كل ما كان لديه في السيارة فإذا بها عشرة أكياس، كل كيس فيه خمسمائة ريال، الجميع خمسة آلاف ريال.

فلما أعطيت لها عجزت عن حملها فأمر لها بذلول تحمل عليها هذا المبلغ وأمر لها بخادم يوصلها إلى منزلها في قلب الصحراء .

وترفع له كل يوم مئآت الطلبات من كثير من طبقات الشعب فلا يخيب طالباً، فمنهم من يعطه أرضاً، ومنهم من يبني له داراً، ومنهم من ييسر له سبيل الزواج، ومنهم من يرسله إلى خارج المملكة للعلاج إذا استعصى شفاؤه . ولقد بعث بعالم من العلماء إلى مصر وكان قد أصيب بداء عجزت عن كشفه الأطباء فأجريت له هناك عملية وأخذ عليه أن لا يقرب النساء شهرين فقدّر أنّه بعد وصوله أنس من نفسه العافية ولم يلتزم بالحمية فانتقض عليه جرحه فجعل الملك يأسى على حالته ويقول: لو أنني توليت حميته . وكان يبعث من يريد التزود في طلب أنواع العلوم إلى الخارج ويخصص لهم مرتبات ولقد كان موضع ضيافة ثليم في الرياض أعدت فيه الأطعمة للفقراء والمسافرين ورجال البادية ويتنابه ألوف من الوافدين وكان من أوانيه قدر يسع عشرة أكياس من الأرز وكان يصعد إليه بسلالم من حديد وإذا أرادوا غسل هذا القدر فإنّه ينزل إليه بدرج وكنت قد تحدثت إلى صاحب الضيافة عن صحة هذا الخبر فقال: صحيح وإنّه يوجد في المربع قدر آخر يسع خمسة جمال تلقى فيه جميعاً وجعل يروي عن الخبز الذي يخبز يومياً على نفقة الحكومة في الرياض أنّه بلغ ستة وتسعين كيساً من الدقيق وكان له مكارم يضايق بها أجواد العرب الأقدمين وإذا سألت كل من له صلة بديوان جلالته ففي كل يوم يرون العجائب من أنواع الحاجات والطلبات ومختلف الرغبات . ومما يروى عنه أنّ رجلاً شكى إليه مضايقة الغرماء له وإنّ عليه مائة جنيه ذهباً وطلب من جلالته المساعدة لسدادها فأمر أن يحقق عن مقدار الدين فثبت أنّه كما ذكر فكتب الملك بخطه على الطلب بإعطائه مائة جنيه ولكنه تغلب عليه الكرم فكتبت يميناه ثلاثة أصفار بدلاً من صفرين يعني ألف جنيه ولما وصل الأمر إلى شلهوب مدير مال الخاصة الملكية لاحظ ذلك

فذهب إلى جلالته مستفسراً فقال: ليس القلم بأكرم مني فاصرفوا له ما قسمه الله له فأعطى الرجل الألف جنيه فأخذها وانصرف داعياً.

أخلاقه وبراعته

أمّا أخلاقه فإنّي أقول ينذر أن يوجد مثله في الملوك والعظماء فكان تغلب عليه الوداعة والمرونة مع شدة وقسوة عند الحاجة فهو يعرف كيف يضع السيف كما يعرف كيف يضع الندى وهو متسامح مع خصومة وأعدائه واسع الصدر وكريم اليد فإذا جاؤوه تائبين أو نادمين عفا عنهم ورحب بهم وأجزل لهم العطايا وأنزلهم أحسن المنازل، ويكون انتقامه شديداً ممن ينتقض عليه أو يحاربه بعد أن دخل في طاعته، وله بوارد عند الغضب تذوب لها مهج الرجال وتلاشى عندها سورة الأبطال، ولكنه سريعاً ما يفي إذا زال الغضب ويتوسط العلماء والأقرباء بطلب العفو عن الجاني فيقبل الشفاعة ويعفو ولا يخيب رجاءهم. ومن عجائب ما وجدته في بعض التواريخ عنه أنّه بينما هو ذاهب إلى مكة حاجاً على عادته كل سنة انفجرت عجلة في سيارته (الباكار) فجلس جلالته على الرمل ريثما تصلح فمرّ به راع على جمل وسأل عن الملك هل مرّ فسأله ابن سعود وقد رأى أنّ البدوي لم يعرفه عن الباعث له على استفساره فقال الرجل: إني سمعت أنّه في طريقه إلى مكة فقلت عسى أن يجود عليّ بشيء من المال فأحج أنا أيضاً ففتح الملك كيساً فيه نقود ذهبية يحتفظ به لمثل هذا الطارئ ونفحه بحفنة فحرق الرجل فيها ثم نظر إلى الملك وقال: شكراً لك يا عبد العزيز لم أعرف وجهك ولكن جودك عرفني بك. تالله أنّها لغريبة في تاريخ الملوك والله در القائل حيث يقول:

هو العون بعد الله في رفع نازل وكشف كروب أو قضاء حوائج

تكاد ترى فيه المروءة والندى له حسنان دونها رمل عالج

فأضعف الله لك الأجر يا أبا تركي وأكثر من أمثالك وإنَّه لواجب على التاريخ أن ينشر هذه الفضيلة ويسطر ما شاء من تلك المناقب ويشنف الأسماع بتلك الأخبار . وكان من مزاياه الحميدة اعترافه بأنَّه لم يتعلم العلوم ولم يرزق حظ الإحاطة بها وهو يكرر ذلك دائماً في معظم المناسبات ويقول: (حنا) أي نحن ما تعلمنا فيجب على الذين تعلموا أن يساعدونا ويرشدونا .

هذا وقد كان عالماً واسع الاطلاع غير أنَّه لا يحب تزويق الكلام وتشقيق العبارات بل كانت سليقته ولهجته لهجة العلماء الصادقين السلفيين وخطبه في المواسم والمناسبات كثيرة موجودة يستشهد بالآيات والأحاديث . ومن عادته أنَّه يخطب جالساً ويشير بسبابة يده اليمنى أو بقضيب صغير يحمله في يده على أداء ما في فكرته، ويرسل الكلام إرسالاً من دون أن يتقيد بأساليب البلغاء أو بقواعد اللغة بل يخطب بلهجة أهل نجد، وتغلب على خطبه النزعة الدينية وكثيراً ما يستشهد بآيات قرآنية وأحاديث نبويَّة في خلالها . ولقد تغلب على الفصحاء وحيرت سياسته جميع السياسيين وخضعوا لهيئته وأقروا له بالتقدم ونظروا إليه بعين التعظيم والاحترام والإعجاب .

سطوته وشجاعته

قد تمَّ له بفضل سياسة الحزم والعزم والشدة التي يسير عليها في إدارة بلاده وأقطاره الواسعة إقرار الأمن على منوال غير معروف في أعظم البلاد رقياً وحضارة فاطمأنَّ النَّاس على أرواحهم وأموالهم في غدوهم ورواحهم حتى أصبحت المرأة تسير على قدميها وحدها بين القرى والضواحي تحمل على رأسها الأشياء الثمينة فلا يتعرض لها بر ولا فاجر حتى لقد ندر وقوع الحوادث العادية . والباعث لذلك هو يقظته الزائدة وأخذه المجرمين بالشدة والبطش الشديد بقطاع الطريق والعابثين بالأمن العام فلا يرحمهم ولا يشفق

عليهم ولا تنفع عنده فيهم شفاعة . ولم يخلد إلى الدعة والسكينة منذ ما أصبح قادراً على تقلد الحسام وامتطاء الجواد بل واصل الحرب والقتال مدة أربع وثلاثين سنة تمّ له فيها وفي خلالها إنشاء هذه المملكة الطويلة العريضة من الشام إلى اليمن ومن البحر الأحمر إلى الخليج العربي . وقد قاتل على كل شبر أرض منها كما يقول عن نفسه ولم يشرق نجمه ويتألق إلا بعد الحرب العظمى ، ولم يتلأأ كوكب مجده إلا بعد الانتصارين العظيمين الذين أدركهما في وقت يكاد يكون واحداً . فقد قضى في تربة على جيش الحسين الشريف فأصبح بذلك يملك أكبر قوة عسكرية في شمال الجزيرة ، كما أنّ فوزه الحاسم يوم فتح حایل وتقويضه إمارة آل رشيد جعله سيد نجد غير مدافع وصاحب الكلمة العليا فيها فانصرف إلى ضم الحجاز وإلى تعزيز نفوذه في خارج نجد فاحتلّ منطقة عسير بلا عناء ووسع حدوده من جهة الشرق وأقام ينتظر الفرص ليضرب ضربته الكبرى وليبسط نفوذه على الجزيرة كلها ويدخلها في طاعته وهو الحلم الذي يحلم به ويطمع أن يوفق إلى تحقيقه على أنّه كان ذا حظ ، فهو محظوظ كما يقول عن نفسه ، وشاهد هذا فتح الطائف وبعض الفتوحات التي سهلها الله العلي الكبير بدون كبير أمر يذكر غير أنّها ترجع لإظهاره القوة وصدق العزيمة وكان بابه مفتوحاً للضيف والمظلوم وكيسه مفتوحاً للبذل والعطاء . كما أنّ سيفه مسلول للتأديب .

وقد ساد قومه بهذه المزايا الثلاث : العدل والكرم والشجاعة ، ونال ما لم ينله غيره من آل سعود .

ولقد سطا في استرجاع الملك من آل رشيد سطوات يشيب من هولها الوليد ، وألقى نفسه في المعاطف ، فكان لا يهاب أحداً ولو أنّ النار في وجهه لألقى نفسه فيها ولكن بحسن تدبير وسياسة مجندل عجلان . وكان يتحدث عن فتح الرياض وما جرى في تلك الساعة من الأحوال قال : لم

يكن معي في تلك اللحظة غير بندقي ومعه سيفه فردّ لي السيف وهو يرمي إليّ به ووجه السيف ما هو طيب فغطيت وجهي وهجمت بالبندق ولكنها لم تقض عليه بل ثارت وسمعت طيحة السيف في الأرض ومن تدبر هجومه على عجلان ورجاله رأى العجب العجائب ولاحق الصنديد عبد العزيز بن متعب حتى ألقاه مضرراً بدمائه على وجه الأرض بعد هول شديد وما زال يشن الغارة على الشريف وأبنائه حتى طردهم عن الحجاز وحلّ مكانهم.

وكان طويل القامة ضخم الجثة واسع الفم إذا تكلم وهو غاضب ظننت أنّ الجمل يهدر ويندر في نجد أنّه يوجد من يذنيه في الطول فكأنّه المفرد العلم إذا وقف بينهم ويرى في جسمه كثير من الجروح التي أصيب بها في المعارك وإحدى أصابعه مشلولة.

ولقد نزل على حدود العراق لما فرّ منه الدويش وابن حثلين وابن لامي والتجأوا إلى حكومتها وجعل يتهدد ويتوعد المسؤولين ويحتج حتى حملتهم الحكومة الإنجليزية بطائرة وألقتهم بين يديه.

ولمّا أن تولى الحجاز كانت السبل هناك غير آمنة وقوي الأعراب ينهب الضعيف وحجاج بيت الله غير مطمئنين من نهب الحرامية وقطاع الطريق. فاستطاع بشدة سطوته وضروب سياسته أن يضرب على أيدي العابثين ويكف أيدي قطاع الطريق حتى أصبح السائر بين تلك الجبال كأنّما يسير بصحن بيته.

ومن النكت أنّه سجن جماعة من قبل قاضي تحقيق بغير حق بل كان سجنهم ظلماً فقدّموا لصاحب الجلالة شكوى فبعث هيئة تدرس الموضوع جيداً. وبعد ما تبين ظلم الأمر بسجنهم أمر بأن يخرجوا من السجن ويسجن الأمر مدة توازي مدتهم.

وقام ثلاثة من الأشقياء بسيارتهم فنهبوا صبيّاً وفروا به إلى البر ليفعلوا به

الفاحشة . فما كان إلا قليل حتى قامت الدوريات وأحاطت بهم ، فما هي إلا دقائق حتى أُلقي القبض عليهم وصدر الأمر بإعدامهم .

ونقل إليه أن أناساً أفطروا في شهر رمضان فأمر بالقبض عليهم وكانوا قد خرجوا إلى البرية لأن لا يطلع على إفطارهم أحد ، ثم أمر بأن يطاف بهم في أسواق الرياض على الحالة التي وجدوا فيها ، فجيء بهم وكان أحدهم يحمل طستاً ، والآخر يحمل إبريقاً وأكواباً ، والثالث يحمل القدر على رأسه . ولما أن طيف بهم على هذه الصفة الشنيعة التي تنبئ عن انتهاكهم لحرمة شهر رمضان أمر بضربهم بالخشب في الصفاة وتعذيبهم بأبلغ العقوبات حتى نجم عن ذلك أن كان كل شخص على العموم يطيق الصيام فإنه لا يفطر ، كائناً من كان ، اللهم إلا مريضاً أو مسافراً .

وكان إذا غضب فإنه لا يوقف في طريقه ، وإذا اعترى فإن الحاضرين والسامعين ومن بلغه الأمر يشتغل كل بنفسه في التفكير في أعماله وذنوبه .

لباسه وسجيته

كان لباسه عربياً فيضع الكوفية والعقال الذهبي (الشطفة) على رأسه ويلبس قميصاً أبيض طويلاً فوق جسمه وتحت السراويل الواسعة ويضع فوقه ثوباً وفوق الثوب عباءة ، ويكون الثوب من الجوخ في الشتاء ، ومن القماش الأبيض في الصيف . وألبسته غالباً تنسج وتخاط في دمشق وترسل إليه وليس فيها ما يفضله أو يميزه على أحد عماله أو رجاله الآخرين ويلبس الشرابات وفوقها الخف على طريقة أهل الحجاز ونجد ، وقد ينزعه عند ركوبه الخيل ، وشعاره البساطة التامة في كل شيء ، ويحب المباشطة على المائدة خلال تناول الطعام ، وطعامه اليومي المعتاد هو الأرز واللحم المسلوق واللبن الرائب ولبن الإبل والخبز ويأكل الفواكه إذا وجدت ويحب القهوة العربية ويجلس إلى مائدته التي مدت على الأرض وحوله ضيوف

ويأكل بيده إذا كانوا من أهل نجد والحجاز، أمّا إذا كانوا أجنب أو هناك رجال راسميون فيأكل بالملعقة ويجلس إلى موائد نظمت على الطراز الحديث.

أمّا في الأسفار والحروب والغزوات فإنّه يحارب الراحة وتتمر به ليال لا ينام في خلالها إلّا غراراً على ظهور الإبل أو الخيل مواصلاً سرى الليل بسير النهار لا يأكل إلّا قليلاً ولا يشرب إلّا نادراً.

وقد اضطر في بعض غزواته إلى شق بطون النياق لاستخراج ما فيها من ماء وشربه لندرة الماء. وكثيراً ما قضى الأيام والليالي طاوياً لعدم وجود ما يأكله.

ولقد أكرم جميع الذين ساهموا معه في استعادة الملك لما فتح الله عليه وحرص على مكافأتهم وحشمتهم وأفسح لهم المجال. وكثيراً ما يستعرض ماضيه ويذكر أصدقاءه القدماء ويتحدث بنعمة الله عليه.

وكان له تهجد من آخر الليل. فإذا صلّى ما كتب له وقرأ ما تيسر من القرآن وأوتر إذا قد حضر وقت الفريضة فيصلي الغداة ثم يظل في ورده وقراءته لأنّه كان له حضر من الورد فيقرأ في ورد الشيخ سليمان بن سحمان. ثم أنّه ألف ورده المشهور بالورد المصفى المختار من كلام الله تعالى وكلام سيد الأبرار ويتحصن به. وقد طبع عدة مرات ووزع بكثرة فيلبث حتى قرب طلوع الشمس فينام وبعد ما يستيقظ يتناول القهوة ويجرع كميات من لبن الإبل ثم يخرج إلى الديوان فينظر في الشؤون المعروضة عليه ويوافيه عامل اللاسلكي كل صباح بتقارير عماله وأمراءه وكل حاكم مدينة عندهم يسمى أميراً يتصل به عن طريق البرق فيوافيه بجميع ما جرى من آخر نهار أمس في منطقته فلا يكاد يفوته شيء مما يقع بل يطلع على كل ما جرى حتى أنّ المملكة تكون بين يديه كأنّها دكان بقالة، ويبلغه عماله

أخبار الشد والرحيل من السياح حتى أنه لا يستطيع أحد أن ينتقل إلا بإذن منه فينقل إليه من فتنة بين قبائل الشمال إلى سيارة تعطلت في الوحل في الطريق الفلاني ثم يأتيه المترجمون للأخبار الخارجية كما سمعوها فيعرضونها عليه حتى أنه ليتبلغ السياسة لمعرفة بالحرب أعظم مما يتبلغها معظم الموظفين في تلك المملكة وكان يتسقط أخبار الحكومات والبلاد المجاورة ولديه مصلحة استخبارات منظمة تنقل إليه جميع ما يحدث بالضبط والتفصيل، فلا يكاد يفوته شيء ويأتيه عماله بتقارير سرية يوافونه بها، وله عناية عظيمة بالصحف على اختلاف أنواعها وقد يأتيه مترجموه للأخبار الخارجية عند وقوعها بشيء لا تبلغه العبارة في التدقيق.

ومن عاداته في رحلاته أن يقف اثنان من رجاله ويبد كل واحد منهما بندقية على سيارته هذا من اليمين وذاك من الشمال خوف وقوع حادث مفاجيء وتكون إلى جانبه في السيارة بندقية خاصة به، ويضع سائق سيارته الخاصة بندقية في جانبه. وكان يمازح جلساء ورجال خاصته ويحدثهم أحاديث طلية، لا أثر فيها للكلفة، ويعاملهم معاملة الصديق للصديق والند للند ويحبونه حباً عظيماً. فلقد كان محبوباً جداً وموضع التقدير، على أنه لا يتأخر عند الحاجة من تأديب بعض من يذنب منهم بيده، وهو مشهور بالإفاضة في الحديث فإذا بدأ بموضوع لا يتركه قبل أن يلزم به من جميع نواحيه ولا يدع زيادة لمستزيد، فإذا قاطعه جليسه أو محدثه مستدركاً على شيء أو مبدئاً رأياً لاح له أو فكرة مرت بخاطره قال له: إسمع أنا أعلمك أي أخبرك أو إسمع، اسمع الله يهديك أو ما تسمع الله يسلمك ويردد هذه الجمل كثيراً في محادثاته اليومية.

فقد عرفت أيها القارئ أنه معظم ومحبوب ومن الناس من يكون معظماً غير محبوب ومنهم من يكون محبوباً غير معظم وأن أكمل الصفات محبة يصحبها التعظيم.

ذكر حالاته الزوجية

كان يتقيد بالشريعة المطهرة في أمور زواجه فلا ينكح امرأة حتى تتم عدة الزوجة الرابعة، وكثيراً ما يصاهر القبائل لمودتهم واستجلاب محبتهم، فقل مدينة في نجد لم يتزوج فيها تقريباً إليهم واستمالة لهم، وإذا طلق امرأة فإن كانت حاملاً أو ذات أولاد فإنها تبقى بإكرام وعناية ولها من المرتبات ما للزوجات الأخرى من المأكل والملبس. وأمّا التي لم تلد ولم تحمل فترجع إلى أهلها مع جهازها ولباسها وما يكون الملك أجرى لها مدة وجودها في قصره، ومن مطلقاته من لا تتزوج بغيره ومنهن من يتزوجن بعد انقضاء المدة الشرعية ولا بأس في ذلك. وفي القصر الملكي عدا النساء الحرائر طائفة من الجوارى السود والإماء وهناك طائفة من السراي الكرجيات عددهن غير قليل وهن قد حملن إلى نجد في زمن الحرب العظمى الأولى فاشترهن وتسراهن وهو يستمتع بهن. وقد اشتهرن بالجمال ومن بينهن ثنتان ولدن له أولاداً وكانت الباقيّة منهن محترمة ومكرمة تعنى بملابسه الخاصة وتسهر على ترتيبها.

فكانت والدته بكره تركي المتوفى في عام ١٣٣٧ هـ وابنه سعود وأختهما الشقيقة هي وضحا ابنة محمد بن برغش آل عريعر، وصاهر الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف فكانت ابنة الشيخ طرفة بنت عبدالله والدته الملك فيصل وأخته نورة، وصاهر آل جلوى، وصاهر ابن شعلان فكانت حفيدة نوري الشعلان نؤف الشعلانية والدته ثامر وممدوح ومشهور، وصاهر العجمان، وصاهر آل السديري وأنجبت نساء آل السديري فأنجبت له حصّة ابنة أحمد السديري فهد بن عبد العزيز وسعد الأول وسلطان وعبد الرحمن وتركى الثاني ونايف وسلمان وأحمد. كما أنّ الجوهرة ابنة سعد السديري أنجبت له سعد الثاني ومساعد وعبد المحسن. كما صاهر المترجم العاصي بن شريم الشمري فأنجبت له عبدالله بن عبد العزيز وأخواته. كما أنّ هيا ابنة سعد السديري

أنجبت له بدر بن عبد العزيز وعبد الإله وعبد المجيد وأخوات لهم شقيقات. فأماً سعود فهو ولي العهد بعد أبيه. وأماً فيصل فتولّى الملك بعد أخيه. وأماً خالد فقد تولّى الملك بعد أخيه. وأماً فهد فقد تولّى الملك بعد وفاة أخيه. ومن الأنجال محمد بن عبد العزيز شقيق الملك خالد والدتهما الجوهرة بنت مساعد بن جلوي بن تركي، ولهما أخت شقيقة هي العنود. فأماً عن المتوفين رحمة الله عليهم فتأتي ترجمتهم.

وأماً عن الأحياء فنذكر طرفاً عن حياتهم.

ذكرى أنجال الملك عبد العزيز

تقدم ذكر الملوك ومن أنجاله محمد وتقدم ذكر ولادته وكان شجاعاً بل يعد من شجعان العرب الأشاوس، وشجاعته مشهورة فلقد كانت الشجعان يضطربون خوفاً إذا علموا به، ولا يطيق الإخلاق إلى الراحة والدعة إن دعى للحرب داعي، أضف إلى ذلك سخاء وكرماً. وله مواقف في الحروب. وقد سافر مع أخيه سعود لحضور حفلة تتويج ملك بريطانيا، كما سافر مع أخيه فيصل في رحلته إلى أمريكا لحضور مؤتمر فرانسيكو.

وأماً ناصر بن عبد العزيز فقد جعله والده أميراً في الرياض وهي ليست بالأمر الهين اليسير، بل من أشق الأعمال وأعظمها لما يجب على القائم بهذا المنصب الخطير أن يكون له إلمام بشؤون الدولة وأمور الشرع والنظام، ولا يلحقه عجز ولا ضعف ولا رعونة.

وأماً سلطان بن عبد العزيز فقد تولّى إمارة الرياض بعد أخيه ناصر، وكان رزيناً نزيهاً وله فضل وإحسان في مساعدة المنكوبين والمرضى. وقد وسد إليه ثلاثة أشياء: وزارة الدفاع، وكان نائب جلالة الملك الثاني والمفتش العام.

أماً منصور بن عبد العزيز فقد تقدمت ترجمته في سنة وفاته. وكان وزير

الدفاع قبل ذلك، ومشعل بن عبد العزيز، وكان شاباً أديباً محنكاً ولاء والده وزارة الدفاع بعد أخيه منصور، فقام بأعباء هذه الوظيفة ست سنوات قياماً أسفر عن كفاءته ومؤهلاته. غير أنه طلب الإقالة منها.

ومن الأنجال سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض وهو ذو شجاعة وتقدم، ومنهم متعب بن عبد العزيز، وكان فتى نجيباً وتقدم في خدمة بلاده بهمة ونشاط فأصبح نائباً في مكة المكرمة. قام بالإمارة خير قيام بعد حفيد المترجم عبدالله بن فيصل، وبأشر مهمته بجدة وصدق وكان أهلاً لذلك.

ومن أبناء جلاله الملك تركي بن عبد العزيز البطل الهمام وكان سباقاً إلى الخيرات وفتى نجيباً قضى له جوده وكرمه أن يتولى منصباً حساساً في خدمة المملكة.

ومن الأنجال عبد الله بن عبد العزيز رئيس الحرس الوطني والنائب الأول لجلالة الملك وولي العهد. وكان عند حسن الظن.

وأما نايف بن عبد العزيز فكان وزير الداخلية وفيه مؤهلات ورجولة ومعرفة قضت له أن يكون بهذه المنزلة مع علم بالرجال وتقدير لأهل الفضل والعلم والقبض على العابثين بأيديهم من حديد.

أما أحمد بن عبد العزيز فكان نائباً عن أمير مكة ثم كان وكيلاً لوزارة الداخلية، وسطام بن عبد العزيز الذي كان وكيلاً لأمير الرياض.

وأما بدر بن عبد العزيز فكان نائباً عن رئيس الحرس الوطني. ومنهم بندر بن عبد العزيز كان نبيل الخلق سمحاً طيباً ذكياً عربياً متحمساً يحب رقى العرب وأن يكونوا متمسكين بسيرة السلف ويحب القراءة وكان متواضعاً كريم الأخلاق.

وأما سعد بن عبد العزيز فكان فاضلاً متعلماً ذا أخلاق فاضلة. وأما مساعد بن عبد العزيز فله ميل إلى الأدب وقرض الشعر. أما عبد المحسن بن

عبد العزيز فقد كان أمير المدينة المنورة وقام فيها خير قيام . ومنهم فواز بن عبد العزيز تولّى إمارة الرياض في عهد الملك سعود ثمّ كان أميراً في مكة المكرمة .

ومنهم طلال بن عبد العزيز عين سفيراً في باريس ثم كان وزيراً للمالية فترة في زمن الملك سعود .

ومنهم نواف بن عبد العزيز تولّى إمارة القصور والحرس الملكي ورئاسة الديوان الملكي فترة في زمن الملك سعود ثم أعيد إليها في عهد الملك فيصل ثم كان المستشار الخاص للملك فيصل .

ومنهم عبد الرحمن ومشاري وثامر وممدوح ومشهور وهذلول وعبد الإله وعبد المجيد ومقرن وماجد وحمود .

وكل من أنجاله فإنّهم مهذبون ومثقفون ورجال^(١) وكل منهم فإنّه ينمي نمواً حسناً فترى أجسامهم أكبر من السن التي هم فيها كأبيهم البادن المهيب، فمن كان في العاشرة كمن في الخامسة عشرة، ومن في الخامسة عشرة كمن في العشرين، ومن في العشرين يخيل لرأيه كأنّه في الثلاثين . ولقد رأيت نوافاً وماجداً في مكة المكرمة وعمر الأول لا يتجاوز السابعة، والثاني لا يتجاوز سنه أربع سنين في القصور الملكية فوجدت لدى كل واحد منهما رجلاً كريماً مؤدبين يسمون الخويا غارقين بالسلاح ولا يقل رجال أحدهما عن ستين رجلاً ووجدت على رأس الرجال الأمير أديباً مهذباً بالرغم من صغر أسنانهم، ولديهم تواضع وحسن أخلاق كما أنّ الخويا الذين في معيتهم أعمارهم بين العشرين والأربعين لديهم تواضع وأدب وتقدير للعلماء . وكانوا يسألون عن مسائل الحج بأدب وتقدير وإنزال الناس

(١) كان ذكر الأنجال هكذا في وقت وضع التاريخ والّا فقد ترفع بعضهم إلى مناصب سامية ولا ريب أنّ هذا التوفيق عائد إلى حسن نية والدهم غفر له .

في منازلهم. ولا ريب أنَّ هذا بتوجيه من رائدهم الأعلى جلالة الملك عبد العزيز.

وقد صاهر الملك عبد العزيز قبيلة الرشيد غير مرة. وذلك لاستجلاب المحبة والمودة. نسأل الله تعالى أن يوفق بنيه ويهديهم ويرزقهم اقتفاء طريقة والدهم، كما نسأله التوفيق والهداية لسائر المسلمين.

ذكر قواته وذخائره

لما كان لا قوام للأمة إلا بالسلاح القوي تدافع به الأعداء وتخيف به البغاة والظلمة، فإنَّ المسلمين يجب عليهم اتخاذ القوة والسلاح الذي يتناسب مع كل جيل ويستعد به من بنادق ومدافع وآلة نسف ونقل في البر والبحر والجو وطائرات وغواصات ودبابات يأمر القرآن بها في عموم قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، فهذه القوة يجب اتخاذها وإرصادها لمن حارب الله ورسوله. وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا وتلك المعدات وإن عظمت وكبر شأنها فلا بدَّ لها من سواعد تحملها تارة وتدفعها أخرى وأدمغة تخرعها وقلوب لا ترهبها ونفوس ترى الموت وشرف الحرية خيراً من الحياة في ذلَّ العبودية للدول الأخرى.

فعلى المسلمين متى ما أرادوا الرقي وعز الدين والتقدم تربية الجنود والأبطال المخلصين وتكوين فرق الشجعان البواسل لتغذية الروح العسكرية وبناء المدارس الحربية والإتيان بالأساتذة الخبراء وجلب التلاميذ بمختلف وسائل الترغيب إليها.

لذلك رأى عبد العزيز بن عبد الرحمن بثاقب نظره لما أناله الله الملك وفتح له كنوز الأرض من الذهب الأسود والذهب الأصفر فأغناه عمَّا سواه أن يعهد بهذا الأمر إلى أحد أنجاله وهو منصور بن عبد العزيز فقام بتدريب فني للجنود حتى أصبح الجندي السعودي له شأن عظيم.

ولما اختطفه أيدي المنون وخسرته الحكومة بسبب مرض مخوف وبعد وفاته عهد الملك بهذا الأمر إلى أخيه الوزير مشعل بن عبد العزيز فعينه وزيراً للحربية فلبس اللباس العسكري حتى حبه إلى نفوس الناس لأنَّ العرب في اللباس العسكري في البلاد السعودية لم يألفوا التعاليم العسكرية ولم يتعودوا لباسها فأخذ وزير الدفاع يعني بالتعليم العسكري وأسس مدارس عسكرية في البلاد واستقدم بعثة من كبار ضباط الإنجليز لتعليم الجند التمارين العسكرية وطريقة استعمال الأسلحة الحديثة كما استقدم بعثة أخرى من أمريكا لتعليم الجند استعمال المصفحات وأحدث المخترعات من سلاح وعتاد وأنواع الطائرات.

وكان من نتائج هذه الروح المتقدمة في شخصية وزير الدفاع، وحسن إرشادات جلالة والده العظيم الحريص على تقدم شعبه في جميع الشؤون الحيوية، وخصوصاً منها الشؤون العسكرية أن صدرت إرادة جلالة الملك المغفور له المطاعة بابتعاث البعثات إلى لندن وأمريكا.

وقامت وزارة الدفاع تشجع الطلبة للالتحاق بالمدارس العسكرية بتخصيص الرواتب والإعاشات وذلك ببذل رواتب وإعاشات تبذل للطلّاب ١٥٠ ريالاً و٤٠ ريالاً إعاشة. ومتى تخرج الطالب من المدرسة يتخرج برتبة ملازم ثانٍ وتعطيه الحكومة راتباً شهرياً قدره ٢٥٣ ريالاً و٤٠ ريالاً إعاشة.

ثم أن الحكومة جعلت لمساعد الطيار ٦٠٠ ريال وإعاشة ٤٠ ريالاً وللقائد ٩٠٠ ريال و٤٠ إعاشة ما عدا نفقات السفر للخارج والداخل بموجب نظام الطيران. أمّا درجة المساعد الثانية فله ٧٠٠ والأولى ٨٠٠، وهذا ما عدا الإعاشة. وما زالت الرواتب في علو وارتفاع بعد ذلك.

وما مات حتى كان عنده أكبر قوة عسكرية. فلقد تقرر عند العالم أجمع

ما أصبح لديه من القوة والسلاح فعنده قوة هائلة من العدد والعدة فعنده البنادق (البندقيات) على اختلاف أنواعها وأشكالها فمنها أمهات خمس القصار الألمانية والبلجيكا والشرفاء والشوزن امهات خمس والسلاح الأبيض من السيوف والخناجر وغيرها.

وكان قد أهدى إلى روزفلت رئيس أمريكا في اجتماعه به سيفين مرصعين قيل إن أحدهما يقدر بمبلغ مائة ألف دولار وهدايا تذكارية كساوي أربع مكونة كل منها من بيشت وعقال وغترة وخنجر ذهب وساعة جيب ذهبية أرسلت إلى الرئيس على طائرة قامت من القاهرة ضحى الاثنين ٦ ربيع الأول ١٣٦٤هـ أي بعد مغادرة الرئيس. كما أهدى الرئيس الملك كرسيه الخاص الذي كان جالساً عليه تعبيراً عن امتنانه وطائرة فخمة تقدم ذكرها.

كما أن لدى جلالة الملك المسدسات على اختلاف أنواعها وعنده الرشاشات النارية والبطاريات والسيارات المصفحة والمدافع الجبلية ومدافع الهاون والمدافع المضادة للطائرات، ولديه الطائرات الحربية والنفائة وغير ذلك من الأسلحة الكافية. وعنده الجيش المزود بالرجال الذين يتفانون في سبيله ويحبونه حباً جماً.

فكان رجال شعبه يسرون تحت إرشاداته ولو قذفهم في جحيم النار، ويستطيع أن يجند ثمانمائة ألف مقاتل لا يقفون دون ما يريد، ولديه الدبابات، ولديه المدرعات.

ولديه علاوة على ذلك المال والكنوز.

فأما البندقيات والمسدسات والسيوف فإنه قد توفر من كل أنواعها عشرات الملايين كما أن المدافع والدبابات والرشاشات والطائرات المجهزة بالقنابل الكافية لتعتبر من أحدث أنواع الأسلحة وأحسنها مزوداً هذا الجيش بأقصى ما استطاع ومدرباً تدريباً أصبح موضع الإعجاب.

وناهيك به من سلاح قوي لا بأس به أضف إلى ذلك ما استوردته الحكومة بعد ذلك من المدافع الضخمة بعيدة المدى وأنواع الأسلحة.

وما كنت أظن من قام بهذه المهمات قد استكمل القوة. ولقد جدّ في طلب أنواع الفنون الحربية والنظام السياسي والعسكري والاستعداد بالقادة المحنكين الذين أثبتت لهم التجارب حكمة وتقدماً ببراعة فاقوا بها سائر الأمم. وأملنا عظيم في حكوماتنا أن يجدوا ويجتهدوا بصناعة الأسلحة وتعلم الرمي والركوب بما يناسب الزمان وأخذ الحذر والحيلة ما أمكن من الأعداء بالتحرز وبذل المستطاع بالاستعداد من قوة عقلية وسياسية وحسية ومعنوية، ولا يخفى أنّه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقي من شرورها إلاّ بالوقوف على مقاصدهم ودرس أحوالهم وسياستهم وخصوصاً السياسة الموجهة منهم على المسلمين، فإنّ السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع وعدم الوفاء واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستعباد لأنّ جهل المسلمين بها نقص كبير وضرر خطير. ولقد وفق الله هذا الملك بلفت النظر إلى ذلك. وفي الحقيقة عنده سلاح أعظم من كل سلاح وأنكى في نحر العدو وأمضى وقعاً وقمعاً للمفسدين. فإن قيل وما هذا السلاح الذي غلب على الديناميت الناسف والدخان الخانق والقنابل المدمرة والطائرات القاذفة وما ترميه من القنابل والقذائف النارية وتمطر به الأعداء من النيران المحرقة المهلكة وما الذي غلب على المفترقات والرشاشات والمدافع الثقيلة ومدافع الهاون وما إلى ذلك من الأهوال التي حدثت وستحدث كالقنابل الذرية والهيدروجينية قيل كان عنده معاملة الله في حنادس الظلم انطراحه بين يديه ومعرفته به بحيث يسر الله له الأمور وفتح له مغاليقها كما قال تعالى لموسى لما بعثه إلى فرعون أنا أسرع شيء إلى نصره أوليائي أيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يغازيني أن يعجزني أو يظن الذي يبارزني أن يستغني كيف وأنا الثائر لأولياي في الدنيا والآخرة.

ولهذا لما قيل لبعض العلماء: لو أنَّ النَّاس كلهم مثل بشر الحافي يصومون ويصلون فمن للغور يسدها ومن للأعداء يصدها فقال: والله لو كان النَّاس مثل بشر الحافي لكبروا تكبيرة تسقط لها أسوار قسطنطينية.

نعم لدينا والحمد لله قوة حسية وقوة معنوية وقوة مادية. نعم كان عند إمامنا الملك عبد العزيز قدس الله روحه نصره الشريعة وتحكيمها والتحاكم إليها يظهر أعلامها ويحمي حماها ويؤيد حماتها وينعم عليهم بأنواع الكرامات.

أمَّا نصب القضاة والمفتين والعلماء والمدرسين وأجرى لهم المخصصات والمرتبات وقام بمساعدة هيئات الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلو سألت في أقصى مشارق الأرض ومغاربها وبحث في تركيا وإيران والعراق والحبش والسودان وبلاد الصعيد والشام واليمن والهند والسند والصين بل طفت في روسيا وآسيا الكبرى والصغرى وأوروبا وأفريقيا وأستراليا والأمريكتين وما في خلال ذلك من المحيط الهادي والأطلنطي والمحيط الأطلسي والمحيط الهندي وغيرها عن الدين الذي لم تشبه التغييرات من دستور وغيره وطلبت حكومة تتقيد بالأديان السماوية ولا تخاف أحداً في تمسكها لدلوك على الحكومة العربية السعودية وقالوا: إنَّ أردت ذلك فاطلبه لدى الملك السعودي.

فمرحبا بهذه الحكومة وغفر الله لهذا الملك المسلم العربي الذي لا يوجد شرع الله الحقيقي إلا في حماه مع أننا نعتقد أنَّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحججه وبياناته ولكن أنى وكيف وهيهات وكلا أفمن يخشى من كثرة الأعداء الذين هم محققون عليه لا يستطيع أن يرفع لسانه ويعرب عما في حنانه مما كآته بين أولئك الأعداء والأغيار إلا كالشاة بين جماعة الذئاب فتجد المسكين إن تكلم فإنه يرتقب كل ساعة ماذا يحل به وإن سكت فإنه

يتردد الحزن والكمد في صدره كمن هو آمن مطمئن منصور بالمساعدة
القولية والفعلية .

فلا إله إلا الله ماذا أصبح به أهل الإسلام من العزة والتمكين والنصرة
والقوة والشرف الدنيوي والأخروي ولكنه مع الأسف كيف لا يتحد
المسلمون ويتقاصدون ويتكاتفون حتى يكونوا كاليد الواحدة على الأعداء .
وسنذكر بقية لذلك في غير هذا الموضع .

ولمّا مات وفجعت الخليقة بوفاة كانوا لا يملكون إلاّ ذرف الدموع
وانتحاب الصدور وأعلنت سائر الدول الإسلامية العالمية بما في ذلك أمريكا
وغيرها الحداد عليه ونكست الأعلام لموته وتوقفت الحركة في مشارق
الأرض ومغاربها لذلك .

فمما قيل في رثائه ما باح به الشاعر الأستاذ خالد الفرج صاحب دمشق
وهي هذه القصيدة : -

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| أمم البسيطة نكست أعلامها | مثل القلوب إذا شكت آلامها |
| حزناً وإكباراً لذكرى راحل | ملاً البلاد جنوبها وشامها |
| وتساءلت شمس الشروق وقد رأت | سحب الأسى : ما إذا أثار قتامها |
| ولم الجزيرة والبسيطة كلها | سوداء لم أسطع أنير ظلامها |
| وتساءلت كل البروق بلهفة | ما للإذاعة أسكتت أنغامها |
| قالوا قضى عبد العزيز وبياله | هول يهدّ من الأمور جسامها |
| رجل قضى فبكى الوجود لفقده | ثكلت به دنيا الكرام إمامها |
| وتساوت الأديان في تأبينه | فترى النصارى شاركت إسلامها |
| رجل على التاريخ سجل اسمه | بتحلة قد صغرت أعلامها |
| بطل العروبة والعروبة شهمها | سيان أعلن حربها وسلامها |
| قصص البطولة قد حوتها سيرة | عبد العزيز بساعديه أقامها |

لا ألف ليلة حام حول عجيبها
 شقت سواعده الطريق إلى العلا
 كالنور يبدأ نقطة في موضع
 نال المعالي بالفعال وحازها
 فرد وهمته جموع أسست
 يا للخسارة للحمام فكيف لم
 يا للخسارة للجزيرة والمنى
 عبد العزيز مضى وخلف بعده
 أسد الجزيرة وابنها وسعودها
 أسعود ما مات الذي أنت ابنه
 فيك العزاء لأمة قد علقت
 حيث الوقائع حققت أحلامها
 حتى تبوء في العلا مقامها
 وينير بعد وراءها وأمامها
 إرثاً فكان عريقها وعصامها
 أساً فكان مليكها وإمامها
 يرهب حماه بضربه أرقامها
 لو لم يخلف ليثها ضرغامها
 للمكرمات سعودها وهمامها
 حامي حماها دائماً وذمامها
 كالشمس تبدل للورى أيامها
 آمالها بك ترتجى إتمامها

ومما قلت في رثاء المترجم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل لما
 نكبت به الخليفة وفدحت بوفاته العالم وهذه خرجت من حرارة الجوى
 ومنزلته في الجنات ويسيل على ضريحه وابل الغفران والرحمات وأن يجبر
 كسر المسلمين ويلطف بالحال فمصيبته كبرى وثلمته عظمت فإننا لله وإننا إليه
 راجعون.

لمن طلل به الإلف يندب
 يثير هموماً ساكنات إلى الفضا
 على فقد أحباب له طال نعيه
 يهدم أركان الجسوم فراقهم
 أمن فقد ليل والرباب وزينب
 وتنسى مصاباً معضلات خطوبه
 مصاب به أهل البسيطة روعوا
 مصاب به قد أرجفت كل أرضنا
 بذرف دموع العين يهمل ويسكب
 تكاد لهم صُمت الجبال تكبكب
 غراماً بهم كيما يرقوا ويقربوا
 وما فرقة الأحباب إلا تعذب
 تحن طويلاً نحوهم ثم تندب
 فكل مصاب دونه ليس ينسب
 وطاشت عقول في الأنام وأرعبوا
 مشارقها رنت جميعاً ومغرب

مصاب به أرواحنا قد تزلزلت
لقد مات كهف الخائفين وحصنهم
لقد مات ذخر اللاجئين وأنسهم
لقد مات من في ظله أمن خائف
لقد مات من في كفه عدل منصف
لقد مات من قد هابه كل عابث
لقد مات طود العلم والفضل والنهي
لقد مات ليث في المعارك يتقى
ويقات به أهل المدائن والقرى
سهام الرزايا قد أجادت بزخرها
ودين الهدى أضحى مريضاً مدتفاً
على فقدته يبكي ظهيراً مساعداً
فيا عين جودي بالبكاء وبالأسى
وأسعف دموع العين يا صاح جاهداً
وناد بأعلى الصوت إن كنت صارخاً
لموت أبي تركي تراق مدامع
فأهاً على عبد العزيز الذي به
هو الليث في اللقاء إذا الحرب شمرت
فمن مثله في الناس يخشى ويرتجى
فخذ منه ما أملتته وهو مقبل
حبيب إذا سألته متعطف
له راية تردى الأعادي إلى الورى
يصول بعزم باسل متوقد
لقد كان ذا قلب سؤل لربه

فيا هل ترى مثل المصاب وأصعب
إذا عظمت أهوالهم ثم خيبوا
إذا أزمّت غير السنين وأجدبوا
ثمال اليتامى عيشهم حين يسغبوا
وبر وإحسان إذا الناس جنبوا
وخافته قطاع الطريق وتببوا
وحامي حمى السمحا وعاهل يعرب
يلوذ به المسكين يخشاه مذب
وفيه لعمرى للرعية مخصب
وحر لظاها في الجوانب يلهب
حزيناً كئيباً ضره متصعب
وحق له يبكي دواماً ويندب
وسجي دموعاً وكفها يتحلب
بذرف دماء فوقها تتسكب
سلام على الدنيا إذا كان يذهب
ويعلو نحيب حره يتلهب
بناء الهدى سيم خسفاً وينكب
وقد هابها شوس الرجال وأرعبوا
هو العارض الهطال يرجى ويرهب
وإياك واليوم الذي فيه يغضب
شديد إذا عاديته يترقب
ووثبة ضرغام إذا البأس ينشب
بعضب يمان للجماجم يسلب
مطيعاً منيباً قانتاً يتقرب

له في الدجى ورد إذا الليل قد سجدى
ويحثو صنوف المال حثوا بكفه
فما حاتم يعطى عطاءه جوده
فيعطى جزيل المال لله وحده
وكم جمع الأيتام في عقرداره
بلين مقال يجبر الضعف رفقه
فدع ذكر من بانوا إلى ذكر جوده
يشن على الأعداء غارات محنق
أبي سياسي قدير وضيغم
بهمة منهوم يخوض لظى الوغى
هو البطل الغلاب والعاهل الذي
سياسته أعيت جميع مقدم
له وثبات بالأعادي شهيرة
وسائل بلاد العرب عن سطوة بها
وسائل هذيلاً في الجبال إذا رَعَوْا
به آمن الله البلاد وأهلها
ولما ذاعت الأخبار أذكار موته
رثيناه جبراً للقلوب لما بها
عليه من الرحمن أزكى تحية
لأن كان رب العرش عنّا أماته
أولئك قوم أشبهوا بفعالهم
لقد أشبهت أفعالهم وخصالهم
وقد سرّت الأخبار عنهم بما أتوا
ومن شابه الآباء يوماً فإئنه

وما صده جاه عريض ومنصب
إلى جوده تسعى الأنام وتطلب
ولا ابن لجدعان الذي كان ينسب
يريد به أمناً إذا الوزن ينصب
وأطعمهم من نيله إذ يقربوا
حريصاً على إطعامهم يتحجب
لقد كان إلى أعلى المكارم ينسب
بصدق لقاء في المعارك يعطب
هزبر أبو شبليين يسطو ويغلب
بيوم به أهل الشجاعة يغلبوا
أقرت له بالسبق عجم وأعرب
برأي سديد ماهر ليس يغلب
فسل كل من يروي ومن كان يكتب
وعن سيفه البتار كيف يقلّب
وكفوا أكف البغي رغماً وخيبوا
ولولاه ما ساروا بها وتقلبوا
وقام بنا ناعيه يشدو ويندب
من الحزن والأشجان تغلي وتلهب
وعفو وغفران يجود ويسكب
ففينا من الأنجال شهم مهذب
مليكاً وبالسبق القديم تهذبوا
سجايا حووها من أب يتعصبوا
وسادوا به حيث الإمامة يرقبو
بحق بلا ظلم أصيل منجب

وصلّ إلهي عدّ ما أنت خالق
على أحمد خير الأنام ومن له
وأصحابه مع آله ثم من قفى
وقال الشاعر الحجازي محمد صالح جمال يرثي المترجم ويهنئ خليفته
الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه:

راع العروبة في الجزيرة مصرع
لأعز مفقود وأعظم راحل
ودها المصاب الشرق في الرجل الذي
فجفون من فيه عليه لتدمع
ومضى الذي لم يخل من أثاره
رب الأيادي البيض ليس لعدّها
كم سجل التاريخ في صفحاته
شمس وقد أفلت ولكن خلّفت
نور من الرحمن جلّ جلاله
تالله ما عبد العزيز قد انقضى
أخليفة الملك الفقيد عزّاؤنا
ما أنت إلاّ مصلح ما تأتلى
عش للعروبة موثلاً وأسلم لها
إذ تتبع السلف العظيم وتقتدي

إذ مات سيدها الهمام الأورع
أودى فكل نادب متفجع
قد كان في الجلي إليه يفرع
وقلوبهم كادت أسى تتصدع
بلد ولا جدواه منها موضع
حصر وأعمال أجل وأبدع
ذكرى له بأريجها تتضوع
سعد السعود لضوئها يتتبع
بدا لآل سعود دهرًا يسطع
وسعود يبني المكرمات ويرفع
ورجاؤنا وإليك إذا نتطلع
في الخير جهداً مؤثراً ما ينفع
خلفاً كريماً خيره متوقع
بفعاله متحرياً ما يصنع

وقال محمد علي قطب من سكان مكة المشرفة هذه المراثية التي كانت
دمعة حارة على فقيد العروبة والإسلام جلالة الملك عبد العزيز بن
عبد الرحمن آل سعود:

فجع الحجاز وناحت البلدان فتقوضت من نفسي الأركان

وطغت على أرض العروبة لوعة
نقل الأثير إليه من عبر الفضاء
ما دار في خلد البرية كلها
والمجد والشرف الرفيع على المدى
عبد العزيز لأن غزتك منية
فالفضل باق في النفوس على المدى
فلکم أسرت بوجود كفك أنفساً
ولکم أفضت على الفقير نوائلاً
فغدا الفقير بفضل جودك هائلاً
ولکم جهول ليس يعرف ما التقى
فبدا بفضلک للفضيلة داعياً
ولکم أقمت مساجداً ومدارساً
ولکم عمرت منازلًا وملاجئاً
فيقيم من أود ويروى من ظمأ
عبد العزيز لأنت أعظم فارس
ليث الكريهة كنت لا تخشى العدا
وتضيء في أفق الحوادث كوكبا
فتجنبت هول الحوادث أمة
الناس في حرب ضروس ساعر
وملاء شعبك غبطة وسعادة
الشعب من وله يردد هاتفاً
بالدمع يعرب عن جواه فهل ترى
مات الملك فمن ترى من بعده
لا غرو إن ناح الجميع صباية

طاشت لهول بلائها الأذهان
موت الملك فصمت الآذان
أن الفخار يموت والإحسان
يطويهما خطب ولا حد ثان
لا يستطيع دفاعها الإنسان
يشدو به التاريخ والأزمان
ملتاعة يقسو بها الحرمان
يحدو بك الإيمان والتحنان
بالشكر تلفح قلبه الولهان
والدين قد أضحى له عرفان
يدعو لها قلب له ولسان
فيها الصلاة تقام والفرقان
يأوي إليها البائس الجوعان
ودموعه من شكره إعلان
ركب الجواد وضمه الميدان
شهد الخصوم بذاك والأعوان
وضياء يذكي نوره الإيمان
واستسلمت لسدادك الأذهان
تصليهمو الآلام والنيران
تذكو بما تحظى به وتعان
باسم الملك تنوءه الأحزان
يجدي البكاء والمدمع الهتان
يرجي لدفع الخطب وهو عوان
وبكى الوليد علاك والشبان

فقدوا بموتك محسناً بل والدأ
أسعود أنت وحي العروبة كلها
فاهناً بملك قد أقام بناء
واحكم بما فرض الإله وسر بنا
وليغمر الله الفقيد برحمة
ويثبكم من أجره وثوابه
ولتحى موفور السعادة هانئاً
وليحى آل سعود ما شع السنا

وهذه أبيات بعثها عن طريق البرق الشيخ فيصل بن مبارك عضو مجلس
الشورى إلى جلالة الملك سعود يرثى بها الفقيد العظيم:

أبكيه - يا دنيا - الرياسة والسياسة
ما أن شهدت مفاخراً ومفاوضاً
كمليكننا وزعيمنا وإمامنا
إن غاب عنا ذلك البدر المنير
أوراح عنا ذلك البر الرحيم

وقال حسان زمانه وشاعر جلالة الملك أحمد إبراهيم الغزاوي يرثى
الفقيد بهذه القصيدة ويذكر هول الفاجعة والحادث الأليم:

فدح الخطب واستطار المصاب
وكأن القلوب توقد ناراً
ما يقول النعاة ويحي أرجم
إنه الحق هكذا الموت فيه
مات عبد العزيز رحماك ربي
مات عبد العزيز إذ هو طود

وبكى الشعب حسرة والشعاب
وكأن العيون مهل تذاب
زلزل الأرض أين مني الصواب
تتساوى الفروق والأنساب
أتغيض البحور وهي عباب
تفتديه شوامخ وهضاب

ما رأت مثله العصور عظيماً
عاهل وطأ الجزيرة مجدداً
طأطأت دونه العروش وألقت
واستقرّ التوحيد فيه هزبراً
أنجز وعد الله فيه حتى
يقف النصر والعتاد يقين
فإذا الصعب في يديه ذلول
وإذا الدين للهداة منال
وإذا العرب دولة ذات بأس
وإذا الناقمون من كل قبل
وإذا البأس والشقاء نعيم
وإذا الأرض بالكنوز تنزي
وإذا البید بالحدائق زهر
جمع الله في هواه شتاتاً
وبه استمسك البناء وزانت
أين أمضي وكيف لي بالمعاني
إنّهُ للغرور، كل يراع
لكأنّني أحس قلبي صلداً
إنّ خير البيان عندي صمت
فاقوي عليه إذ هو جهر
إلى أن قال :

عبقرياً ولا تهادي الركاب
لبسته البلاد والأحقاب
بعصاها الخطوب والأسباب
تتهادي بسيفه الأنصاب
أسلمته زمامها الآراب
واقضى الدهر ما طواه التراب
وإذا الجذب في ذراه اختصاب
وإذا العلم في ضحاه قباب
وهي من قبله لقي ويباب
وقبيل بشدقه أنياب
وإذا الشاء والذئاب صحاب
وإذا المال والثراء وطاب
وإذا الغيد عفة وحجاب
وأباة ولم يعزه العقاب
شرعة الحق وازدهى المحراب
وسعت كل ما أحاط الكتاب
فيه يكبو ويعجز الإطناب
أو جهاداً طغى فيه الضباب
هو في معرض الرثاء العجاب
فيه ألقى وبالشواط أذاب

بل معد بأسرها الانتحاب
كل طرف وتقصر الاحساب
لهب وافر وحزن صلاب

ما مصابي كواحد من معد
بالعظيم العظيم يرتد عنه
بالذي فيه كل عين وقلب

بالإمام الملك بابن سعود
 إيه يا عبرة تحور اختنافاً
 صاعق لم يذر ولم يبق ماء
 آه آه الله ما قضى وإليه
 أمة كالغمام تبكي فقيداً
 بوغتت بالمنون لم ينج منها
 جهد الدمع في العيون وذابت
 إلى آخرها وهي طويلة أبان فيها الغزاوي ما فدحت به الأمة وما أصيبت
 بوفاته وكانت مبكية بتعداد مناقب الراحل العظيم.

وهذه مرثية قوية أنشأها الأديب عبدالله بن محمد بن خميس بالفقيد
 الراحل تغمده الله برحمته وكان الأولى بنا تقديمها وهي من بحر الكامل :

لا غرو وإن تلقى أخاك حزيناً
 اليوم تستمري الدموع وإنها
 فاجهش بدمعك ما استطعت وهاته
 ليس الدموع وإن علون مكانة
 لله أفئدة تذب وأنفس
 صعقت بهول لو يصاب بمثله
 لولا اليقين بأن كلا راحل
 والمصطفى للناس أكبر قدوة
 لأبى الأولى عرفوا الحياة سعيدة
 أن يشهدوا عبد العزيز وقد قضى
 هل مثله بعد الخلافة قد أتى
 إن كان في شرع الطبيعة فلتة

فاليوم - حتماً - يكثر - الباكونا
 أدنى سبيلاً للعزا يأسونا
 حران يلتذع الحدود ثخيناً
 يا عز من مهج القلوب يقينا
 ثكلى على المصاب طويلاً
 رضوى لا مسى في التراب دفينا
 وإلى سبيل واحد يغدونا
 يهدى بها الماضون والباقونا
 لم تمتزج بالحادثات سنينا
 ولأقسموا ألا يموت يمينا
 أو مثله هل قد رأى الراؤونا
 تأتي بأمر لم يكن مضموننا

فهو الذي أعيا الزمان قرينه
لو كان حي قد بكى حياله
من قبل أن يعلو المناكب نعشه
سل عنه أرجاء الجزيرة إذ أتى
في كل صقع من حماها ناعق
في حيرة حاقت بها وضراعة
فأراد أن تحيا حياة حرة
وانصاع يبعثها بعزم ثابت
فتأمنت أرجاؤها وتفجرت
وسرى بها نور الحضارة واغتدت
من ذا يظن بأنها في فترة
تغدو بابها حلة عرفت بها
آثاره كالشمس في راد الضحى
والله لو كان الفداء شريعة
لكنه لبي نداء مليكه
في مقعد لا تعتريه حوادث
ولأن مضى بيد القضاء فإنه
ما دام أبقى صورة من شخصه
في ماجد عرف الأنام به الحجا
ملاً الإله به الجزيرة غبطة

وبمثله كان الزمان ضنينا
خوف الممات لأكثرنا
ولأسبلوا الدمع السخين هتونا
وقد احتذت شرع الضراعم دينا
ولكل نهج قادة يدعوننا
أودت بمجد رجالها الماضينا
يشدو بخالد مجدها الشادونا
مع قلة الأنصار والأهلينا
باليمن من ماء الحياة عيونا
تبنى وتنشي قوة وفنونا
لما يجاوز عدها الخمسينا
أمم سرى فيها الرقي قرونا
فبأيها يتحدث الراوونا
لفدته أرواح لنا وبنونا
كيما يلاقي الصفوة الماضينا
كلا ولا يخشى ذووه منونا
ما زال حياً في القلوب مصونا
عدلاً تسر به البلاد ودينا
منذ اصطفاه لنا الفقيد أمينا
وحباه نصراً خالداً ومبينا

وهذه مرثية لعلني حسن غسال ألقاها بين يدي الملك سعود بن عبد العزيز
في القصر الملكي العامر بمكة المكرمة فنالت الإعجاب :

دهى الأرض زرع فادح الوقع أوحد
وباح اليتامى والأيامي واعولوا
غداة نعى الناعي وعز التجلد
وفاضت عيون باكيات وأكبد

سرى نعيه في الأرض حتى اقضها
نعاه ضحى الاثنين لا كان من ضحى
فلم يبق من لم يحترق لوفاته
سل الجود كم أعطى وصدق واثقى
سل العفو كم قد صير الخصم مخلصاً
وكم قد عفى وهو القدير على الأذى
وكم من صفات فيه كانت كريمة
عليه من الرحمن رحماته التي
وقد أطنب في المديح ولما أن ذكر صفات الراحل أخذ في مديح اللاحق
فقال :

وإنك أنت اليوم عاهل أمة
تعهدتها بالصالحات ومن يكن
لها منك عطف سابغ وتعهد
وما الملك إلا العطف والعفو والتقى
وكم أسر العطف القوب وكم عنا
فسر نحو ما تصبو وأنت موفق
يمينك في مسعاك فيصلك الذي
ولدت مع الملك العظيم سعوته
يباريك مثلاً الحب فاستكمل الذي

تناهت ولاء منك والله يشهد
لامته يوماً يذهب التودد
ومنها لك الحب الوطيد المؤكد
بذلك أوصانا النبي محمد
له كل جبار فغيظ المهند
وشعبك للحب المقيم يجدد
هو اليوم في دنيا السياسة سيد
وإنك أنت اليوم فيه المقلد
بناه العصامي الفقيد المخلد

مقدمة

وقال الأستاذ المعروف ضياء الدين رجب عضو مجلس الشورى هذه
المرثية الرائعة التي جادت بها قريحته :

لا ينطوي المجديا صمصامة العرب ولا يقيم الهدى في غمرة الحقب

صنعتها أمل التاريخ ناطقة
سبابة ركزت في الشهب رايتها
ست وسبعون قد أودعتها حقباً
موصولة بالمعاني الغر واصله
توحدت هدفاً واستنجزت أملاً
هذي ظلال المنى في الخلد وارفه
وذي جموع الأسى أورثتها حرقاً
تلفتوا ولهول الرزء جلجلة
واستنطقوا مجدك الغالي فطمأنهم
شاموا محياك طلقاً في طليعته
تنوروك فما أقصتك قاصية
هذا سعودك هذا سر مُنجِّبه
ورثته يقظة الراعي وحكمته
وفي العدالة والرحمن ما جمعت
فكان ما شئت آمالاً وتوصية
والفيصل العضب قد كانت ولايته
نجم السياسة لا زيف ولا ملق
فيا سعود عزاء العرب قاطبة
ومن يفز برضاء الله يكلؤه
فطيب الله مثواه ومرقده

وهذا آخر ما أردنا إيراده من القصائد التي رثي بها وقد تركنا غالبها خشية الإطالة. ونرجع إلى ما نحن في صدهه فنقول: لما كان في عصر يوم وفاة الراحل العظيم استقبل صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز بالقصر الملكي بالطائف وفوداً كثيرة من مختلف الطبقات لتقديم تعازيها لوفاة

الرجل ورفع تهانيتها لجلالة الملك الجديد ومبايعته على السمع والطاعة .

وفي صباح يوم الثلاثاء ٣ ربيع الأول حضر إلى القصر الملكي العامر بالطائف قواد الجيش وضباطه وموظفوه وعلى رأسهم حضرة صاحب السمو الملكي الأمير وزير الدفاع والطيران حيث تشرفوا بمقابلة جلالته وأقسموا له يمين الولاء والإخلاص والطاعة . وهذا نص اليمين التي أقسم بها مشعل «أقسم بالله العظيم أن أخلص في جميع أعمالي لجلالة الملك سعود ملك المملكة العربية وأن أكون مطيعاً في إنفاذ أوامر جلالته وصادقاً وأميناً في واجباتي الرسمية . والله على ما أقول وكيل» .

فأجابه جلالة الملك بهذا الجواب الموجه إليه وإلى ضباط الجيش : «إنّ ثقتي بالله ثم بك يا مشعل . وأنا لا أعتبرك أخاً بل وابتاً من أبنائي . وكل ما يهمني هو أن أرى جيشنا العزيز بفضل مجهوداتك الموفقة ومجهودات هؤلاء الضباط ورجال الجيش السعودي الباسل على أحسن ما أرجوه في حياتي . سيروا على بركة الله . وسأدلل لكم بحول الله جميع الصعاب التي تصادفكم . والله ولي التوفيق» .

ولمّا كان في وقت شروق الشمس من يوم الأربعاء ٤ / ٣ / كان مطار جدة غاصاً بجموع المستقبلين الذين قدموا لاستقبال حضرة صاحب الجلالة الملك الجديد وكان في مقدمة المستقبلين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن فيصل وسمو ولي عهد اليمن وكبار رجالات الدولة وكبار الشخصيات العربية والأجنبية وجماهير غفيرة من رجال الشعب . ثم إنّه امتطى ومن معه الطائرات من مدينة الطائف وحلقت في الساعة الرابعة ونصف في سماء جدة الطائرات الملكية تقل حضرة صاحب الجلالة وصاحب السمو الملكي ولي العهد وأصحاب السمو الأمراء . وقوبل بالهتاف المدوي بحياة جلالته من الجماهير المحتشدة .

ولمّا أن نزل من الطائرة تشرف المستقبلون بالسلام عليه ثم استقلّ سيارته المكشوفة بين ترحيب وهتاف من الجميع من مطار جدة إلى قصره الملكي الذي كان زاخراً بالأمة الذين قدموا للسلام والتعزية والتهنئة له بتوليّه عرش المملكة. ولما كان في عصر ذلك اليوم قدم سماحة المفتي فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ على رأس وفد من الرياض يتقدم الوفد أصحاب الفضيلة العلماء للسلام على الملك سعود وتقديم مسنون التعزية له في فقيد البلاد وتهنئة جلالته بتقلده شرف إمامة المسلمين. وبعدما حصلت المقابلة في وقت كان المجلس فيه غاصاً بحضرات أصحاب السمو الملكي أمراء البيت المالک والعلماء ورؤساء القبائل والوزراء وكبار موظفي الدولة وقواد الجيش والأمن العام تكلم الشيخ محمد بن إبراهيم موجهاً الكلام إلى صاحب الجلالة فقال: بايعتك بيعة قبول ورضاء على أن أسمع لك وأطيع على دين الله ورسوله من حماية حوزة الدين وتحكيم الشرع المطهر وإقامة العدل وإنصاف المظلوم والقيام بحقوق الأمانة. والله على ما أقول وكيل.

ثم تلاه إخوته وأنجاله ثم بقية العلماء من بينهم الشيخ محمد بن الشيخ حمد بن فارس.

ثم تلاهم الجميع على مثل بيعة المفتي الأكبر.

وقد تقبل البيعة جلالته بالتقدير وعلق عليها بأنّه يستعين بالله وحده في تحمل هذا العبأ الكبير لخدمة أمته وشعبه في دينهم ودنياهم وأنّه يتشرف برعاية هذين الحرمين ورعاية الشعب السعودي في كل أنحاء هذا الوطن الشاسع. ووالى عليهم قوله: «بأنني أرجو وآمل من الله تعالى المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور أن يوفقني لإحقاق الحق وإزهاق الباطل» إلى آخر كلامه.

فأقام في جدة حتى عصر الخميس ٣/٥ وقد كانت غاصة بالأمم على

اختلاف طبقاتها . ولما أن كان في الساعة العاشرة والنصف تحرك ركابه على السيارة الملكية الخاصة في موكب مهيب من جدة ميمماً مكة المكرمة تحف بسيارته دراجات الحرس النارية وسيارات الحرس العسكرية يرافقه ولي العهد وأمراء البيت الملك ويتبعهم رجال الديوان الملكي والحاشية الكريمة على رتل طويل من السيارات .

وقد ودع في جدة بحفاوة فخمة .

هذا وقد كانت الجماهير الحاشدة على جانبي الطريق من قصر جلالته بجدة إلى مكة المكرمة تحييه وتهتف بحياته . وكان قد وفد إلى القصر العالي بمكة في الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الجمعة ٦ ربيع الأول رئيس القضاة فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ وفي معيته معاونوه وأعضاء رئاسة القضاء ورئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة والقضاة الشرعيون للسلام عليه مؤكدين لجلالته البيعة المسنونة .

فاستقبلهم بالترحيب والإكرام وحادثهم بما هو معهود فيه من اللطف والبشر .

أمّا ما كان من دخوله مكة المكرمة تلك الليلة فإن أهالي مكة لما علموا بمسيره من جدة أفلوا دكاكينهم وأبطلوا حركة الأعمال واندفعوا بجموعهم الحاشدة كالسيل المتدفق إلى ظاهر مكة المكرمة فاحتشدوا على جوانب الطريق التي يمر فيها إلى المسجد الحرام ومنه إلى القصر الملكي العامر بأعلى مكة بحيث لم يبق موضع شبر في جوانب هذا الطريق خالياً من الجماهير .

ولمّا أن دخل مكة بين ذلك التصفيق المدوي في الفضا مصحوباً بالهتاف الذي يشق عنان السماء أدت الجنود المصطفة هناك التحية العسكرية وعزفت الموسيقى العسكرية وأطلقت مدفعية مكة إحدى وعشرين طلقة وكان حينئذ

سرب من الطائرات السعودية تحلق في سماء مكة احتفاء بمقدم جلالته الميمون وكان دخوله للمسجد الحرام وقت الغروب فطاف بالكعبة وأم جماهير المصلين فقرأ في الركعة الأولى بسورة والضحى وفي الثانية بسورة الإنشراح.

بيعة أهل مكة

ففي صباح يوم الجمعة ٣/٦ أقبلت الخلائق إلى القصر الملكي حيث جلس جلالته في الصالة بعيون مترقبة ونفوس متلهفة وقلوب يغمرها الشوق والحب والولاء فقدم رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين آل الشيخ لجلالته وثيقة المبايعة على كتاب الله وسنة رسوله والسمع والطاعة في العسر واليسر والسراء والضراء.

وبعد أن اطلع عليها تقدم أحد أبناء الشيخ فتلاها على الجميع ثم قام رئيس القضاة فصافح جلالته مؤكداً له البيعة الشرعية التي بويع بها في عام ١٣٥٢ ومؤكداً لجلالته بأن الإمامة منعقدة وثابتة شرعاً لجلالته من ذلك الحين وجعلت العلماء والمشائخ يندفعون يقدمهم على الترسل عبد العزيز بن رئيس القضاة. وهذا نص وثيقة المبايعة:

«الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد. فيا إمام المسلمين ملكنا المعظم سعود بن عبد العزيز آل سعود حيث أن والدكم الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود المتوفى في يوم الاثنين الموافق ٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢هـ رحمه الله قد عهد بالإمامة من بعده إليكم وأخذت لكم البيعة في عام ١٣٥٢هـ فإن إمامتكم بذلك منعقدة وثابتة شرعاً وإننا بمناسبة وفاة والدكم الإمام الملك عبد العزيز رحمه الله وتوليكم إمامة المسلمين من بعده نجدد ونؤكد بيعتكم التي في أعناقنا على العمل بكتاب الله وسنة رسوله

وإقامة العدل في كل شيء وتحكيم الشريعة الإسلامية . ولكم علينا السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره . ونسأل الله لكم الإعانة والتوفيق فيما حملتم من أمور المسلمين وأن يحقق على أيديكم ما ترجوه الأمة الإسلامية من مجد وتمكين» . وقد وقع عليها الرئيس وجميع من تحت يده من القضاة والأعضاء وكان في وقت البيعة واقفاً يستقبلهم . ولقد كان أمراء البيت والوزراء وكبار رجال الحاشية والقصر يحاولون تنظيم هذه الجموع في صفوف ولكن اندفاع الشعب إلى صدر الصالة حيث يقف جلالته اندفاعاً وقف بكل واحد منهم بحيث زالت الفوارق من النفوس وتوحد الاتجاه من الجموع الذي يمثل الشعب السعودي تمثيلاً صادقاً .

فأمرأ البيت المالك والوزراء وكبار رجال الدولة وأصحاب الأعمال والمتاجر والموظفون وأرباب الحرف ورجال العشائر والعربان والصناع والعمال والطوائف والأطفال والطلبة والضباط والجنود كلها في صفوف متلاحقة متراسة متتالية متتابعة شيوخاً وشباباً وأطفالاً تسير متجهة صوب قائدها وراعيها تقبل يديه وتعلن له البيعة صادقة الولاء مخلصه الحب . ولما أن حان وقت صلاة الجمعة أذن لرئيس القضاة وأصحاب الفضيلة والأمة بالانصراف مؤكداً لهم أن الكبير منهم والد والأوسط أخ والصغير ابن وحملهم نصيحته في الدين والدنيا جعلها أمانة في أعناقهم . ولما أن صلى جلالته في المسجد الحرام صلاة الجمعة نودي بعدها بالصلاة على الغائب الصلاة على روح الفقيد الراحل العظيم فارفعت الأكف مبتهلة إلى الله العلي الكبير أن يتغمده برحمته وغفرانه وأن يمتع الملك المفدى بالصحة والعافية وأن يحرسه بالرعاية الصمدية .

ثم أنه توجه راجعاً إلى قصره بمكة حيث تعطل السير من الجموع التي عطلت حركة المرور . وكان الموكب الملكي يسير في بطء من كثرة الجماهير التي ازدحمت في جوانب الطريق تهتف بحياته الغالية .

وبعد ذلك رجع إلى جدة وقد انهالت الجموع مصطفة من طبقات الشعب من مدخل القصر الملكي في جدة حتى الكيلومتر الرابع والعشرين. فترجل بعدما أوقف موكبه الميمون مصافحاً كبار الشعب والدولة.

ولمّا كان في ضحى يوم السبت ٣/٧ قدم لمبايعته عدد كبير من العلماء من أهل الرياض وعلى رأسهم حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عمر بن حسن بن حسين رئيس هيئات الأمر بالمعروف في نجد فتلى الشيخ وثيقة البيعة ثم بايع الجميع ومن بين هؤلاء الشيخ عبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ والشيخ عبدالله بن الشيخ عمر بن عبد اللطيف وغيرهم.

بيعة أهل القصيم

لمّا كان في يوم الأربعاء الموافق ٣/١١ - ١٨ نوفمبر تقدمت الأعيان والوجهاء من العلماء والأمراء والوجهاء وكل مسؤول من الموظفين وأرباب الدوائر وأهل الحل والعقد وعلى رأسهم صاحب السمو أمير مقاطعة القصيم عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد إلى بيت القاضي الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في وسط العاصمة بريدة حتى كان عدد الحاضرين من الرؤساء لا يقل عن ألف وجيه. وهؤلاء الذين يمثلون العاصمة وضواحيها فوقعوا وثيقة المعاهدة والمبايعة وهي أنّه كان قد تقدم في سنة ١٣٥٢ هـ «لكم علينا مبايعة وإننا نؤكدّها اليوم ونبايعك أيها الملك على طاعة الله ورسوله وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره. ونرجو لكم التوفيق».

ثم إنهم صافحوا يد وكيل نائبه على مقاطعة القصيم. وهكذا صنع سائر المقاطعات في المبايعة للملك الجديد. وقد ازدهرت البلاد وفرحت الأمة به سائلين الله أن يكون خير خلف من خير سلف وعلقوا آمالهم بعد الله عليه.

الوفود والتعازي

بعث إيزنهاور رئيس الولايات المتحدة برسالة إلى الملك سعود يعزیه ويهنئه بمناسبة اعتلائه العرش . وقال في معرض فحواها : « شعوري المفعم بالخسارة الفادحة أعبر عن عميق مشاركتي للعائلة المالكة والشعب العربي السعودي بوفاة والدهم المجيد وحاكمهم الملك عبد العزيز آل سعود وإن إدارته المحكمة وحكمته البالغة جعلته عزيزاً في قلوب الناس وأكسبته شهرة عالمية . . . الخ » .

وبعث ملك اليمن وإمامها أحمد بن يحيى برسالة مع نجله محمد على رأس وفد يعزي بوفاة والد الجميع ويهنئ الملك الجديد ، وهي جميلة جداً لولا الإطالة لأتينا بها . ووفدت مصر وفداً مكوناً من البكباشي جمال عبد الناصر نائب رئيس الجمهورية المصرية والصاغ كمال الدين حسين وسليمان حافظ معلنين شعور الأمة المصرية في مشاطرتها الأمة العربية السعودية أسفها وحاملين تهانيها وأملها الصادق في جلالة الملك سعود .

وتلقى جلالة الملك رسالة من الملكة إليزابيث الثانية ملكة المملكة المتحدة البريطانية تعزي بالراحل وتهنيء الملك الجديد .

ووردت برقيات من ملك العراق وملك المملكة الهاشمية الأردنية وبرقيات من سوريا ومن لبنان كما ردّدت جميع صحف العالم وإذاعاته صدى الحادث الأليم بوفاة فقيد العروبة والإسلام بما لم يسبق له نظير .

ولا يزال سيل البرقيات يرد تباعاً من اليوم الأول لوفاة فقيد العروبة والإسلام فقد وردت ألوف البرقيات بالتعزية والتهنئة من سائر أنحاء العالم .

ورفع مجلس الشورى وسائر الهيئات الحكومية وكافة الوزراء والأمراء والموظفين والأهلين على اختلاف طبقاتهم وشيوخ القبائل وغيرهم برقيات التهاني والبيعة لجلالته .

أمر ملكي كريم

صدر الأمر الملكي الكريم الآتي بتثبيت الوزراء والأمراء والمديرين وجميع موظفي الدولة في مراكزهم وإبقاء ما كان قد أجره جلاله الملك عبد العزيز رحمه الله من عادات ورواتب ومساعدات وقواعد وصدقات . وهذا نص الأمر الملكي : «في هذه الأيام الأولى من اضطلاعنا بأعباء الحكم نعلن ثقتنا وتثبيتنا لجميع الوزراء والقضاة والأمراء والمدراء وجميع موظفي الدولة الذين قاموا بخدمة والدنا وفقيدنا العظيم، فأحسنوا العمل وبذلوا الجهد وأخلصوا النية ونحن بما عزمنا عليه من اقتفاء ما رسمه لنا الراحل العظيم في إدارة الحكم والعمل بما أمرنا به وأنشأنا عليه من اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والنهوض بالبلاد إلى ما تصبو إليه من مجد ورفاهية مما يتفق وشريعتنا السمحاء وبما عزمنا على القيام به من مشاريع عمرانية وأعمال نافعة ونشر العلم وبناء قوى الجيش نرجو أن نجد في كل منهم الخادم الأمين لبلاده والعامل المخلص لأمته والمجاهد المجد في الذب عن مملكته ومليكه المستमित في سبيل دينه مؤكدين أنهم سيجدون منا الأب الشفوق بهم المقدر لمجهودهم آملين أن نجد فيهم الأبناء البررة بآمتهم وبلادهم ومليكهم على أننا سنقوم بكل ما فرضه علينا الواجب لبلادنا والبر بآمتنا من مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته حتى نضع الحق في نصابه معتبرين القوي ضعيفاً حتى نأخذ الحق منه والضعيف قوياً حتى نأخذ الحق له ، وقد عزمنا أيضاً على أن نثبت ما أجره بائي مجد هذه الأمة ومؤسس كيانها من عادات ورواتب ومساعدات وقواعد وصدقات للرجال والنساء والأيتام والأرامل في طول البلاد وعرضها في داخلها وخارجها آملين لجميع أفراد هذه الأمة الكريمة أن يعمل كل من ناحيته وبقدر استطاعته على مساعدتنا في النهوض بأعباء الحكم مستمدين العون والتوفيق من الله ، وهو ولينا وعليه اعتمادنا وفيه رجائنا وهو نعم المولى ونعم النصير .

مرسوم ملكي

«بعون الله نحن سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بمناسبة انتقال والدنا الملك عبد العزيز آل سعود تغمده الله برحمته للدار الآخرة أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى - يعفى عن جميع المساجين الذين صدرت أحكام بسجنهم ويطلق سراحهم في الحال باستثناء من يلي :

أ - الذين حكموا أحكاماً شرعية في جرائم القتل .

ب - الذين حكموا أحكاماً شرعية بسبب ارتكابهم الجرائم الأخلاقية .

ج - الذين سجنوا بسبب عدم أدائهم حق الغير .

المادة الثانية - تقوم الحكومة بدفع الدية عن المسجونين بسبب عجزهم عن دفعها من خزينة الدولة .

المادة الثالثة - تلغى الغرامات المستحقة للحكومة عن المسجونين بسبب عجزهم عن دفعها .

المادة الرابعة - يعفى عن المبعدين السياسيين على أن يقدموا كفالات حسن السلوك .

المادة الخامسة - تتألف في كل إمارة لجنة خاصة من القاضي والأمير وثلاثة من الوجهاء ينتخبانهم على أن تعمل في الحال للتحقيق والتثبت في صحة تطبيق هذا المرسوم بالسرعة الممكنة .

المادة السادسة - على وزير الداخلية تنفيذ أمرنا» .

سعود

وكان الملك سعود لما دخل مكة ورأى سكانها في استقباله داخل البلدة

وخارجها مبتهجين بطلعته لم يتمالك أن ألقى عليهم كلمة عبر بها عن شكره لهم وما يغمره من النصيح لهم والتقدير لعواطفهم .

مرسوم ملكي

أصدر الملك سعود مرسوماً ملكياً بتعيين محمد سرور الصبان مستشاراً للملك ووزيراً للدولة وعضواً في مجلس الوزراء وذلك برقم ٦ وتاريخ ٧/٣/١٣٧٣هـ تقديراً لخدماته التي كان بها موضع الثقة من حكومته . ولما أن بايعت الأمة العربية السعودية على العموم صاحب الجلالة الملك سعود الأول كتب منشوراً يشكرهم فيه على تأكيد ولائهم وتجديد بيعتهم وقال في آخره : «وها نحن نعاهدكم على اتباع سيرة والدنا العظيم متمسكين بسياسته الرشيدة في إدارة دفة الحكم متبعين في ذلك كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإقامة شعائر وشرائع الإسلام وحماية دينكم ومحارمكم ودمائكم وأموالكم ونعاهد الله أن نبذل كل رخيص وغال لما فيه عز الدين وصلاح الإسلام والمسلمين ومراعاة حقوقهم ومصلحتهم التي قللنا الله حمايتها ونرجو لنا ولكم التوفيق وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل أعداء دينه ، وسأتمسك بشريعة الإسلام الغراء فأدفع عنها بلساني وأكافح دونها بلساني جاعلاً رضوانه عز وجل غاية حياتي وإسعاد شعبي وأسمى أمانى وسأعمل جهدي لإحقاق الحق وإقامة العدل بين أفرادكم بدون تفريق كما سأولي عنايتي لتقوية الجيش ونشر العلم واستثمار ثروات البلاد وبسط وسائل الرغد والسعة للجميع وسأسعى بكل قواي لتوثيق عرى الإخاء بين العرب والمسلمين محتفظاً بصداقة الدول الأجنبية التي أولاهنا فقيدنا العظيم صداقته متعاوناً مع كل من أخلص لنا وبادلنا النفع بالنفع حتى تتوفر لأمتنا المكانة اللائقة بها بين الأمم . . . الخ» .

في ٢٠ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ

سعود

وفاة عالم كبير

ففيها وفاة الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقري رحمة الله عليه . وهذه ترجمته : هو الشيخ الإمام العلامة العلم الشهير والبحر الغزير والحبر النحرير أبو عبد العزيز عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن ناصر العنقري . كانت أسرته من العناقر التي تنتمي إلى بطن يسمى أنف الناقة من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وأصل هذه التسمية أن جده جعفر بن قريع بن بطن بن سعد بن زيد مناة نحر والده جزوراً فقسم بين نسائه فبعث جعفر أمه إلى أبيه يطلبون نصيبهم من الجزور ولم يبق إلا رأسها وعنقها فقال شألك به فأدخل جعفر يده في أنفها وجعل يجرها فلقب به وكانوا يغضبون من هذا اللقب فقدر أن الحطيئة استضافهم فضيفوه فامتدحهم الحطيئة بقصيدة منها هذا البيت الذي لقب اللقب إلى الفخر : -

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا
كانت ولادته رحمة الله عليه في مطلع عام ألف ومائتين وتسعين من الهجرة ببلدة ثرمدا إحدى بلاد الوشم وكان عبد العزيز والد المترجم يكدح لكسب قوته وقوت عائلته ولم تدم حياة والده فقد توفي ولم يبلغ المترجم السنة الأولى من عمره فانتقل إلى كفالة أحد أعمامه وتربى لدى من ذكر . ولما أن بلغ السابعة من العمر فقد بصره فأصبح ضريب البصر يتقلب في ضيق من العيش ويكابد قساوة الحياة وهو صابر محتسب فيا لهذه الحالة الراهنة التي كان الشيخ فيها وكانت ثرمدا كغيرها إذ ذاك من القرى محرومة من رجال العلم بل كان الشخص يكتفي بأن يحفظ ابنه القرآن الكريم في مدرسة البلدة وقد يتعلم الكتابة فحفظ الشيخ عبدالله القرآن الكريم وهو في الثانية عشرة من عمره وجعلت نفسه تميل إلى طلب العلم والجد والاجتهاد ، فسئم الحياة في بلدته واضطراً إلى مبارحتها لطلب العلم فسافر

إلى الرياض وهو في سن العشرين من عمره يريد الأخذ عن علمائها وكانت الرياض إذ ذاك زاخرة بالعلماء.

ذكر صبره واحتسابه

لَمَّا عزم على السفر كان لا يملك من أهبة السفر شيئاً ولم تكن أسرته لتساعده على نفقات الغربة أو تشجعه على السفر للطلب فما كان إذ ذاك سيارة ولا طيارة إن هي إلا ركوب على الإبل أو الحمير يركب تارة ويمشي أخرى على القدمين حافياً أو ناعلاً ذلك أَنَّ الأمة إذ ذاك في حالة فقر وقلة من الرغد أضف إلى ذلك محناً وإحناً تترادف وتزداد يوماً فيوماً، وبالرغم من ذلك فَإِنَّهُ تلقى تلك العقبات بفارغ الصبر ويمم شطر الرياض محط أنظار طلاب العلم لازدحامها بعدد وفير من العلماء، فقدمها وواصل دراسته وأخذ يتصل بالعلماء ويتنقل بين حلقات الدروس ويستغل الوقت ما أمكنه ذلك وكانت أحاديثه التي يرويها لمن يحدثه عن حياته التي عاشها من قسوة وخشونة عيش وكلفة ومشقة تكفي لأن تَفْتَّ من عزمه لولا أَنَّهُ عقد العزم على أن ينذر نفسه للدرس والتحصيل مثال ذلك أَنَّهُ حدثني بعض الثقات أَنَّ خمسة من طلاب العلم قرموا على اللحم فاشتروا (قصابه) وهي عبارة عن رأس الكبش وكرشه والأكارع جمعوا من بينهم القيمة التي تقدر إذ ذاك بريال واقترحوا بأن يخرجوا بها إلى الفلاة لئلا يستنشقها الجيران فيشاركوهم فيها وكانوا كلهم عمياً، فسعوا وجمعوا لها حطباً ولما اكتمل الحطب كانت الوليمة لم تنضج فذهبوا يمنة ويسرة لطلب الحطب، فأضاعوا موضع قدرهم وما زالوا يلتمسونه حتى وقعت إحدى أيديهم عليه فتنادوا إليه ولما أن أرادوا أن يضرموه الثَّار أسفل القدر إذا بصوت أغنام أقبلت من بعيد إليهم، فخافوا أن يزاحمهم الراعي وأكلوها وهي نيئة لم تنضج: فخذ أيها القارئ ما شئت من ضيق هذا العيش وقساوة الحياة. اللَّهُمَّ فشكراً لك حتى ترضى وشكراً إذا رضيت.

ذكر مشائخه وتلامذته

أمّا مشائخه الذين أخذ عنهم فمنهم الشيخ المعروف بالعلم والدين إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب والشيخ الجليل عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن والشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود والشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ حمد بن فارس . وناهيك بهؤلاء الأئمة الأعلام الذين فضلهم أشهر من أن يذكر ومقامهم في الدين ونصرته لا ينكر جزاهم الله عن الإسلام خيراً فلقد دأبوا وأدوا واجباً من نصرة الدين وهداية المسلمين ما يشكرون عليه . ودأبوا في قمع البدع وصاحوا بالتشريع على أهلها وخدموا الشريعة المطهرة وعقدوا على عرى الإسلام بالخصاير وعضوا عليها بالنواجذ . وأخذ المترجم عن الشيخ العالم الرباني إبراهيم بن عبد اللطيف قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه ، وأخذ عن الشيخ العالم حسن بن حسين آل الشيخ وهؤلاء أخذوا عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن وعن ابنه الشيخ عبد اللطيف ، كما أخذ الشيخ عن بعض علماء الأزهر حينما كان بمصر ، كما أخذ الشيخ إسحاق عن بعض علماء الهند فمنهم حسين بن محمد ونذير حسين ومحمد بشير ، كما أخذ الشيخ ابن محمود عن الشيخ عبدالله أبابطين مفتي الديار النجدية . وقد منّ الله علينا بذكر تراجم مشائخه هؤلاء الأخيار الأذكياء وذلك بوفيات الأعيان في هذا التاريخ . ونال المترجم شهادة مشائخه له بالتقدم والمعرفة . وقد تلقى الشيخ عبدالله عن هؤلاء علوم التفسير والفقه والحديث والأصول والتوحيد وعلوم البلاغة واللغة والنحو بخاصة عن الشيخ حمد بن فارس والبلاغة خاصة عن الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن . وقد روى بالإجازة المطلقة مع الأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق والإجازة في سنة ١٣٣٦هـ كما روى بالإجازة المطلقة عن الشيخ عبد الستار الصديقي الحنفي وأمضى في مدينة الرياض قريباً من ثماني عشرة سنة يواصل دراسته وقد يزور وطنه في

فترات متباعدة .

أمّا تلامذته والآخذون عنه فخلق كثير وجمع غفير فمنهم الشيخ الألمي عبد العزيز بن صالح رئيس المحاكم الشرعية في المدينة المنورة ومنهم الشيخ محمد الخيال ومنهم الشيخ عبدالله بن مزاحم ومنهم الشيخ سليمان بن حمدان ومنهم الشيخ محمد التويجري ، وهذان توليا القضاء ولكنهما اعتزلا عنه ، وأخذ عنه الشيخ حمود التويجري صاحب المؤلفات في الرد على أهل البدع وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله التويجري وأخذ عنه الشيخ حمد بن مزيد وأخذ عنه الشيخ ناصر بن جعوان وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز الثميري وكانا قاضيين بعسير وقد توفاهما الله ، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالله بن إبراهيم الصانع وكان يعمل لدى فضيلة الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم وأخذ عنه الشيخ الزاهد عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وكان يفد إلى المجمع ويقتضي فيها فترات طويلة يدرس على المغفور له وأخذ عنه الشيخ علي بن زيد وقد توفي وكان قاضياً بالأرطاوية وأخذ عنه الشيخ عثمان بن ركبان وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن دهش وأخذ عنه الشيخ حمد بن إبراهيم الحقييل وأخذ عنه نجله الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله وأخذ عنه الشيخ عثمان بن عبدالله بن عتيق تولّى قضاء المستعجلة بالطائف وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن ربيعة كان رئيساً لمحكمة الدوادمي وأخذ عنه عثمان بن إبراهيم الحقييل وكان شيخاً فاضلاً تولّى رئاسة المحكمة الكبرى في المنطقة الشرقية بل رئاسة المحاكم هناك . وأخذ عنه غير أولئك ممن لا يحضرني الآن ذكرهم وجدوا واجتهدوا ونافسوا في طلب العلم .

ذكر الوظائف التي نالها

لمّا كان في عام ألف وثلثمائة وإحدى وعشرين توفي إمام مسجد ثرمدا وهو حمد بن شعيل ، فانتدبوه إماماً بدله لما يعرفون من صلاحه وصلاحيته

ثم جلس مدرساً في المسجد فانتفع به المسلمون ثم جعلوه في مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقام بأعمال أهل البلد من عقود الأنكحة وكتابة الوثائق في البيع والشراء والإيجارات . ولما أن تولّى صاحب الجلالة عبد العزيز على بلد المجمع عينه قاضياً فيها ثم أضيف إليه البلدان المجاورة لها فكان هو القاضي على منطقة سدير وما يليها فتولّى تلك الأعمال بنزاهة وتسديد وتوفيق من الملك المجيد وأحبوه ووقفوا عند فصله بالأعمال ورضوا بأقضيته وتصديراته . وفي عام الأربعين بعثه الملك عبد العزيز إلى فيصل الدويش لما تجمعت الأعراب من أتباعه على قتال أمير الكويت وجنوده وكان في معية الشيخ فضيلة الشيخ محمد بن عبد اللطيف لإقناع الدويش وإلانة شكيمته بأن بين ابن سعود وابن صباح علاقات تقتضي عدم اعتداء أحدهما على الآخر . فأفلح سعى الشيخين وكف الدويش عن اعتداءاته كما كلفه صاحب الجلالة بالذهاب إلى الدويش وأتباعه ومناصحتهم لما شقوا عصا الطاعة وفارقوا الجماعة في عام ست وأربعين . فقام الشيخ وعاضده جمع من العلماء يبذلون النصيحة ويوجهون أولئك الأعراف الذين سولت لهم أنفسهم ارتكاب تلك الجرائم ، غير أن الشر قد استفحل ولا يفل الحديد إلا الحديد ، ولكنها لم تنجح المهمة ولا حول ولا قوة إلا بالله . وثقة الملك عبد العزيز به وبعثه لهذه المهام يدل على مكانة الشيخ وعلو كعبه ذلك لما يتوسمه فيه صاحب الجلالة الذي هو جُذيلها المحكك وعُذيقها المرجّب في معرفة الرجال ووضع الأمور في مواضعها ، ويكفيه شرفاً أن وسدت إليه هذه الأمور من رجل باقعة يزن الرجال ويعرف ما يقومون به ويتحلون به من أخلاق وسياسة وعقول راجحة . ولقد قام الشيخ بأمور هامة في سبل السلم والحرب والصلح وخدم أمته وحكومته وإنه لمما يبعث الأحزان ويستجيش الأشجان ويسكب العبرات على الوجنات أن تصاب الأمة بمثل هؤلاء الأركان الذين يقل وجودهم في

العالمين ولا يبقى بعد ذهابهم وخلو الأماكن منهم من يحافظ على طريقتهم ويتمسك بآثارهم في ثباتهم وصدق عزيمتهم وجمع صفات الرجولة من سياسة إلى ذكاء وفطنة وحب للخير وعطف على الناس . وكان لما أن رجع من الرياض يحمل نبراس العلم ومشعل الطريقة المحمدية عينه الإمام عبد الرحمن الفيصل قاضياً في منطقة سدير وملحقاتها وتمّ ذلك بمشاورة بين الإمام وبين مشائخ عبدالله العنقري الذين توسموا فيه الذكاء وعرفوا قدره بما أصبح به موضع العناية من مشائخه . وكان لم يرغب في العمل على وجه العموم وإنما كان يود لو يمضي حياته في التحصيل بعيداً عن العمل ومشاكله . ولكنه تحت الإلحاح من مشائخه ومن الإمام رحمه الله تقبل ذلك وهناك استمرّ قاضياً مدة ست وثلاثين عاماً يتنقل بين المجمععة وبين قرى سدير المختلفة . هذا ولم يكن القضاء ليشغله عن التعليم والعلم فقد كرس أوقات فراغه للتدريس في المسجد أو في بيته لعدد كبير من الراغبين . هذا وقد كان عدد كبير من تلامذته يشغلون مناصب قضائية وبعضهم رغب عن العمل بعدما قضى واجباً عظيماً في الفتيا والقضاء .

وبالرغم من كثرة أعماله فإنه كان في أثناء توليه القضاء ينتدب لبعض الأعمال المتعلقة بشؤون الإرشاد والقضاء والفصل بين المتنازعين كما انتدبه الملك عبد العزيز إلى الأرطاوية ليقوم بدرجة الموجه والمرشد، وقد يقيم في الانتداب الشهر والشهرين لبيت في المشاكل المعلقة .

مكانته في العلم

أمّا مكانته في العلم فقد حلّ ذروة السنام بحيث كانت النفوس تقنع بفتاويه ولهذا كانت رسائله مضمومة إلى رسائل أئمة الدعوة كما نجدها منشورة في مجموع الرسائل والمسائل النجدية . فمن أحب أن ينظر إلى سبقه ومكانته في العلم والدين فليراجعها ويسرح أفكاره فيها فإنّها تفصح عن

قدر هذا العالم وما من الله به عليه من الدراية وقوة الملكة . ولقد كانت النصائح والرسائل الموجهة إلى الأمة باسم العلماء من أئمة هذه الدعوة الإسلامية من علمائها المتأخرين مفتوحة باسمه في جملة أسمائهم إذ يعتبر أنه من أعظم أئمة هذه الدعوة كما مرّ بنا في هذا التاريخ وكفى بها شرفاً، وكان لديه مكتبة حافلة بالمخطوطات والكتب النادرة واستطاع أن يبذل جهوداً جبارة في إبراز كتاب المغنى لابن قدامة بحيث سعى في استحصال بقية أجزائه من البلاد الأخرى ومن سائر المملكة حتى حصل على نسخة كاملة وسعى في طبعه مع الشرح الكبير لدى جلالة الملك عبد العزيز، فطبعاً معاً، وقد أشرنا إلى طبعهما فيما سبق فكان له اليد الطولى في نشره ورأيت له رسالة جمعها نصيحة للأمة بمناسبة صلاة الاستسقاء بيّن فيها الأشياء التي تمنع نزول المطر من السماء كمنع الزكاة والاستخفاف بالصلاة والشحناء، وبين فيها مضار التتن الذي ابتلى الله الأمة به وكيف أقدم الجهال على تناوله وهو محرم ويلتحق بالخمير . وقد نصح وأبلغ في تحريم المسكرات وكان حريصاً على نفع الأمة وبذل الفوائد لطلابها الذين نفعهم الله به وعلى إيصال العلم إليهم وعلى استفادتهم من الوقت، ويحذّرهم من الكسل والتشاغل عن العلم ويلهج دائماً بهذه الكلمة «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك»، فهي نصيحته الدائمة . وقد ظهرت هذه التوجيهات على تلامذته وزرع زرعاً فأخرج شطأه واجتنت ثمراته، فنجد غالب تلامذته مجدين ومجتهدين كالشيخ عبد الرحمن بن قاسم والشيخ حمود التويجري والشيخ عثمان الحقييل وغيرهم . ومن مؤلفاته حاشيته على الروض المربع شرح زاد المستقنع، وقد طبعت مرات وبرزت في ثلاثة أجزاء وكانت جوهرة الزمان أتى فيها بالعجب العجائب . وقد رأيت يطوف بالبيت الحرام في آخر حجة حجها قدس الله روحه، وقد بلغ من الكبر عتياً وأرهقته الشيخوخة . فرأيت فاضلاً سكيناً يعلوه الوقار وقد نحل جسمه وضعفت بنيته

ومع ذلك فإنه يؤدي العبادة كشاب قوي قد ابيض شعر لحيته وما كان يصنع بالحناء ولا بغيره . كان طويل القامة فيه احداداب وعليه هيبة العلماء وسيماء الأتقياء .

ذكر أخلاقه وشمائله

كان حليماً إلى حد كبير وقوراً متواضعاً ومع كثرة الأشغال والمشاكل القضائية وإثارتها فإنه لم يشاهد في يوم ما قد استبدَّ به الغضب أو تملكه وكانت معاملته لأفراد أسرته مثلاً في العطف والرفق والحنان والتربية الحسنة والبعد عن القسوة في التربية، وكان وقوراً يميل إلى الاعتصام بالصمت حينما لا يكون ثم داع للكلام، وكثيراً ما تراه في بعض المجالس وهو يتلو القرآن أو يذكر الله . وهذا ما طبع مجاله بالطابع الجدي وكان متصفاً بالأناة والورع ويكثر من التهجد وتلاوة القرآن الحكيم ليلاً ومن النوافل نهاراً وخصوصاً بعد أن تقدمت به السن . وبالرغم من ضعفه وسنه المتقدمة فإنه لم يخل بشيء من عبادته أو تهجده، وكان رحمه الله لا يميل إلى الانتقام أو الأخذ لنفسه ممن يرتكب في حقه خطأ ولا يتأدب معه بل كان في الغالب يكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى . وهذه خصلة كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٢٥) . ومن الناس من إذا هضم حقه فإنه يقوم بما لديه من القدرة ويدأب في إرداء خصمه والإجلاب عليه بخيله ورجله ولو كلف ذلك مهما كان من الثمن . وقد طهر الله أخلاق المترجم من ذلك لما له من الفضل والرفعة التي لا تسمح له بهذه الدناءة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وفي عام ألف وثلثمائة وستين تخلى عن القضاء وذلك لكبر سنه فكان ذلك حافزاً له على الانقطاع عن العمل والتفرغ للتعليم والعبادة وألف في تلك الفترة حاشيته التي علقها على الروض المربع . وكان يعتزم إصدار تاريخ لنجد في الفترة الوسطى والأخيرة، وبينما هو يجمع المراجع ويسجل

الخطوط الأولى إذا وافاه أجله المحتوم على أثر مرض استمرّ قريباً من أربعة أشهر، وتوفاه الله تعالى في ثاني صفر من هذه السنة. فرحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

فيا من هو القدوس لا رب غيره تباركت أنت الله للخلق مفزع
أنله الرضا والعفو فضلاً ورحمة فأنت الذي المعروف ليس يضيع
لديه بلى يبقى ذخيرة عامل وأنت الذي بالفضل تجزي وتنفع

وفيه وفاة الشيخ سعود بن رشود رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو العالم الفاضل الشجاع المجاهد في سبيل الله الشيخ سعود بن محمد بن عبد العزيز بن راشد بن رشود بن سعيد من قبيلة سبيع. ولد في مدينة الإفلاج مسكن أسرته وذويه وكان ذلك في عام ١٣٢٢ هـ. كان أبوه مزارعاً من كبار المزارعين في الإفلاج. أدخله والده عند معلم يدعى سعد بن سعود آل مفلح وبعدما أدرك الكتابة والقراءة ومبادئ من الحساب فرغه والده للتعليم لما رأى من حرصه، فأخذ عن علماء بلده ثم سافر إلى مدينة الرياض للأخذ عن المشائخ فيها فأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وعن الشيخ حمد بن فارس وكان نبيهاً ذكياً رآه الملك عبد العزيز لما مرّ بوالده محمد بن عبد العزيز في بيته فتوسم فيه النجابة، وطلب من والده أن يفرغه لطلب العلم فنفذ والده رغبة الملك، وما زال المترجم يدأب في تحصيل العلم فأخذ عن مشائخ، سوى من ذكرنا، وهم الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم وأطال في التعلم والدراسة حتى نبغ من بين أقرانه. ولمّا أن بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين عينه الملك عبد العزيز قاضياً بوادي الدواسر وذلك بعدما شاور في شأنه شيخه محمد بن إبراهيم. وبعدها بسبع سنين نقل من وادي الدواسر إلى قضاء مدينة المجمعة أي عام ١٣٦٤ هـ فكان قاضياً لإقليم سدير، ثم أمر الملك بأن يوافيه في الرياض ثم أخذه في معيته إلى روضة خريم لإنهاء القضايا التي

لا تزال معلقة وحل المشاكل هناك . وبعدها أنهى القضايا أعجب الملك به
لحسن حله للأحكام التي كانت معقدة وأمره بالبقاء في مدينة الرياض للقضاء
بين البوادي في الدماء والأموال ثم عينه رئيساً لمحكمة الرياض بدلاً من
الشيخ إبراهيم بن سليمان بن مبارك الذي نقل إلى محكمة وادي الدواسر .
فاستمر فيها طيلة حياته رحمه الله وكان في جميع تقلباته موضع الإعجاب
وكان قارعاً للشعر حسن العقيدة مضافاً إلى ذلك أنه شجاع، فكان مع
تحصيله للعلم شجاعاً مقداماً غزى في صحبة جلالة الملك عبد العزيز قتال
جده وغزى في قتال اليمن عام ١٣٥٢هـ . وظهرت في هذه الغزوة منه
شجاعة تجلت عن إقدامه وبسالته بحيث إنه لما قتل حامل الراية تلقفها
وأخذها بيمينه ورفعها وتقدم بقوة وشجاعة فائقة أمام الغزاة حتى انهزم
العدو . وقد استمر رئيساً لمحكمة الرياض سبع سنين تقريباً إلى أن مرض
مرضاً مخوفاً في منتصف عام ١٣٧٣هـ فنقل إلى المستشفى اللبناني بجدة
ووفاه أجله المحتوم في سابع عشر شوال من هذه السنة فنقل إلى المسجد
الحرام للصلاة عليه ودفن في مقابر العدل رحمة الله عليه . والله در الشيخ
حسين بن علي بن نفيسه حيث يقول في رثائه للشيخ إبراهيم بن
عبد اللطيف :

أولو العلم صاروا للحوادث عرضة وما ذاك إلا شوم ذنب تعظما
إذا مات عالم مات عالم وأصبح نور الحق بالجهل مسهما
على مثله نبكي جهاراً وخفية ونبكي على بنيان علم تهدما

اشتراك مديرية المعارف السعودية في مؤتمر وزراء معارف الدول العربية

ففي سادس عشر من ربيع الأول من هذه السنة الموافق ليوم الإثنين سافر
في وقت الفجر بطريق الجو الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير
المعارف إذ ذاك ليمثل حكومة جلالة الملك المعظم في مؤتمر وزراء

معارف الدول العربية فساهم فضيلته في مناقشات المسائل المعروضة في ذلك المؤتمر كما اشترك أيضاً في قرارات هذا المؤتمر التي يرجى أن تؤدي إلى خير النتائج. ومما كان في هذه القرارات ترقية الثقافة والنهوض بشؤون التربية والتعليم إلى مستوى أعلى في جميع أقطار الدول العربية. وقد استقبل هناك بحفاوة فائقة من رجال المعارف. إنَّ الشيخ محمد بن مانع قد قضى عشر سنوات في الإدارة العامة للمعارف السعودية وقد نهض بالتعليم إلى مستوى عال، ولكن الزمان يتطلب رقياً في التعليم لذلك رأت الحكومة بثاقب علمها أن تجعلها وزارة بعدما كانت إدارة.

تأسيس المعهد العلمي ببريدة

ففي ٢٤/٣ من هذه السنة فتح معهد بريدة العلمي لذلك قدم إلى بريدة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ بأساتذة من مصر وغيرها للتعليم في المعهد وكانت الحكومة قد اتخذت داراً لتكون معهداً في بريدة وأخذت في البحث عن موضع يكون فيه المعهد وتقام له بناية من الأسمنت المسلح. وهذا لأول مرة تقام المساكن من الأسمنت. فلضيق الوقت عن تمكن بناية مدارس ومعاهد في القصيم في العهد الزاهر استؤجر له موضع، وفي ٢٦/٣ تم فتح معهد بريدة العلمي فأقبلت الطلاب من كل جهة وصوب للدخول فيه.

وفي ١١/٥ من هذه السنة الموافق ليوم السبت ابتدئ بصرف رواتب شهرية لأئمة المساجد ومؤذنيها في المملكة جعل للإمام ١٢٥ ريالاً وللمؤذن ٧٥ ريالاً وألغى ما كان يصرف قبل ذلك من البر والتمر سنوياً. فقد كان راتب الإمام ستين وزنة من التمر تصرف في وقت الموسم في جذاذ النخل وثلاثين صاعاً من البر تصرف في وقت حصاد الزروع وتصفيتهما.

كما أنه يصرف مثلها للمؤذن، وكان هذا العمل متأسساً منذ زمن قديم. فلما أوسع الله على الحكومة صرفت بدل البر والتمر سنوياً نقوداً شهرية

وصرفت ربع الزكوات من البر والتمر في وقت تحصيلها موزعة على سائر البيوت من المستحقين لها. فجزى الله المحسنين خيراً. ثم أنها أخذت الرواتب فيما بعد تتحسن شيئاً فشيئاً.

المساواة في المراعي

أصدر الديوان الملكي أن جلالة الملك أمر بإلغاء المراعي والحمى التي كانت تحجز لرعي حيوانات ومواشي الحكومة وجعلها منذ الآن مباحة لعموم الرعايا رأفة بأصحاب الحيوانات ومساواة بين الحكومة والرعية. هذا ولا تزال مدينة جدة غاصة بالوفود من جميع أقطار العالم حتى مساء الثلاثاء ٣/١٧ حيث ودع الجميع ورجع الوفود وذلك باعتراف جلالته السفر إلى الرياض بطريق المدينة. وقد وجه إلى شعبه كلمة سامية في حفل التوديع. ولما أن قدم المدينة في ٣/١٨ استقبل فيها استقبالاً فاخراً واغتصت المدينة المنورة بعشرات الألوف من الوافدين وكانوا قبل ذلك قد أوفدوا وفداً للمبايعة والسمع والطاعة وهكذا كان في شدة وترحاله في كل عاصمة ومدينة من مدن المملكة قد اتجهت الخلائق إليه مظهرين الغبطة والسرور.

عدوان اليهود وفسادهم

اجتازت الليلة الثامنة من ربيع الثاني دورية يهودية خط الهدنة قرب قرية سلفيت في منطقة نابلس وتوغلت حتى حدود قرية الزاوية العربية وأطلقت نيران أسلحتها الأتوماتيكية على القرية كما قذفت بعض القنابل اليدوية. وقد رد رجال الحرس الوطني على النَّار بالمثل واستمرَّ تبادل إطلاق النَّار نحو ساعة. ويُعدّ هذا الاعتداء على الأردن من اليهود أعظم واقع يكون في مجلس الأمن الدولي. وهكذا أصبحت سوريا ولبنان والأردن تصرخ جميعها وتحتج من اعتداء إسرائيل بمحاولتها تهويد منطقة نهر الأردن وتطالب بأن يقف مجلس الأمن الدولي أمام أعمال إسرائيل. ولمَّا نظر مجلس الأمن

الدولي في شكوى الدول العربية جميعها من اعتداء إسرائيل على قرية قبية الأردنية وقتل نحو ستين عربياً من أهلها ونسف عدد كبير من منازلها ومتاجرها وما تبع ذلك من تيتيم للأطفال وترميل للنساء واستلاب للأموال وخراب للديار جاء قضاء المجلس الذي ينتظر منه الفرج قراراً يتضمن توجيه اللوم العنيف إلى إسرائيل على اعتدائها المذكور ولا شيء بعد ذلك من مطالباتها بتعويض المجنى عليهم، فأموالهم وأرواحهم وديارهم حلال لإسرائيل أو تُعدّ أشياء توافه لا تستحق الاهتمام بتعويض أو مواساة.

جمال عبد الناصر يعبر عن العرب

وقف نائب رئيس وزراء مصر مساء ثامن ربيع الثاني أي من غد ليلة الحادث يُلقي خطاباً في نادي فلسطين استهله بقوله: إننا السبب في ضياع فلسطين، وقادتنا هم العامل الرئيسي لفقدائها، ولم نفعل شيئاً غير الخطب والاجتماعات، كنا نقول سنرمي اليهود في البحر ولكننا لم نفعل، ثم قيل عن إسرائيل أنّها دولة مزعومة، ولكننا لم نفعل لها شيئاً أيضاً. وأكد أن بريطانيا والعالم الحر هم المسؤولون عن ضياع فلسطين. وقال: إذا كنا لا نخيف الغير فلا فائدة من وجودنا فيجب إذن أن نشهد أنفسنا بأن عندنا القوة المادية وأن مصالح الغرب في بلادنا كبيرة وأهمها البترول الذي يستخدمه الجيش الأوربي. فنحن نعرف إذن كيف نستخدم هذه القوة كلها في الوقت المناسب. وقال في ختام خطابه: إنا دفعنا لبريطانيا ثمن طائرات ودبابات منذ ثلاث سنوات ولكنها لم تسلم إلينا حتى اليوم، ولم تكتف بريطانيا بهذا بل منعت بلجيكا عن توريد الأسلحة لنا وبلغ جملة ما دفعنا نحو عشرة ملايين من الجنيهات ثمن أسلحة لم نتسلمها.

هذا خطاب جمال الذي ألقاه، وسنرى ما صنعه سيادته نحو إسرائيل لما تولى الرئاسة.

تبرعات الملك لتعمير قرية قبية المنكوبة

تبرع الملك سعود بن عبد العزيز في هذه السنة لتعمير قرية قبية بمبلغ عشرة آلاف جنيه إسترليني لهذه القرية التي هدمها اليهود في اعتداءهم الوحشي عليها، وذلك بتحويل الحكومة إلى الوزير المفوض في عمان بهذا المبلغ المذكور ليسلم ذلك إلى الجهة المختصة في الحكومة الأردنية الهاشمية. وتبرع أيضاً لتقوية الحرس الوطني الأردني. كما قرر مجلس الجامعة العربية في دورته الأخيرة التبرع بمبلغ ٧٧٥٠٠ جنيه إسترليني.

تتويج ملك العراق

في شعبان من هذه السنة تمّ تتويج فيصل الثاني بن غازي بن فيصل بن الحسين بن علي الشريف الهاشمي ملكاً على العراق، وكان شاباً أديباً ويشد أزره عبد الإله بن علي بن الحسين الشريف. ولمّا أن كان في هذه السنة أصيب العراق بالفيضان بأن فاضت المياه فسببت خسائر فيها وحلّ بهم كارثة من جراء ذلك فسارع الملك سعود إلى التبرع لها بمبلغ مليون ريال ونصف مليون مواساة للمنكوبين في العراق. وبما أنّ ذلك الفيضان يقلق ملوك العرب فقد أبرق الملك المعظم إلى ملك العراق بالموضوع، فبعث الثاني برقية جواباً له يشكر عطفه ويقدر اهتمامه بذلك.

وفود وفد على الملك

وفد أهل الأحساء للسلام على صاحب الجلالة سعود فوافوه بحدائق الناصرية وكان هذا الوفد يمثل حاضرة الأحساء وباديته يقدمون ولاءهم وطاعتهم وبياعونه، كما استقبل الملك وفوداً عديدة من بوادي نجد قدموا للسلام والتعزية والبيعة، وكان ذلك في يوم الأربعاء ٢٤/٣. وبعد عصر هذا اليوم استقبل جلالته وفد أهالي بريدة من القصيم قدموا للسلام والتعزية والتهناني. وقد عبر خطيبهم عما يكنه الجميع من الإخلاص والولاء والطاعة.

وقد دعاهم جلالته لتناول طعام العشاء في مساء هذا اليوم بالقصر الملكي العامر حيث لقي الجميع خلال ذلك كل الإكرام والعطف والتقدير من جلالته . ولا يزال القصر مقصداً للوافدين من شتى أنحاء الجزيرة العربية .

زيارة حاكم باكستان

لما كان في يوم الخميس ٢٥/٣ قدم غلام محمد حاكم الباكستان في طائرة خاصة إلى مطار الرياض وقد استقبل استقبالاً يليق به وكان قدومه لعقد الأخوة والمحبة وأبدى حزنه العميق وتأثره للخسارة الفادحة التي عمت، وهي وفاة صاحب الجلالة عبد العزيز التي لم يعوضها سوى تولي جلالة الملك سعود لعرش هذه البلاد، وبعدما أقيم له أنواع الاحتفالات والمسرات وانتهت الزيارة عاد إلى بلاده شاكراً بعد تبادل البرقيات بينه وبين صاحب الجلالة الملك سعود سدد الله خطا الجميع .

افتتاح محطة الكهرباء في مكة المكرمة والمسجد الحرام

كان الملك سعود قد تحرك موكباً في يوم الإثنين ١١/٢ من هذه السنة بعدما تشرف بتوديع والده في الطائف ليؤدي صلاة الاستسقاء في المسجد الحرام صباح يوم الخميس ثم إنّه غادر قصره في الساعة العاشرة من آخر ذلك اليوم ميمماً التنعيم هناك ليفتح إضاءة مكة المكرمة والمسجد الحرام بمحطة توليد الكهرباء التي أسستها الشركة السعودية برئاسة إبراهيم الجفالي . وكان قد دعى لهذه الحفلة الأمراء والوزراء ورؤساء الدوائر وكبار الموظفين والعلماء والتجار والأعيان والوجهاء من مكة وجدة والطائف وغيرها من أنحاء هذه المملكة ليشهدوا افتتاحها . وكان قد افتتحها الملك سعود في ولاية عهده بيده . وبعد أداء صلاة المغرب تصدر سموه مائدة العشاء الفخمة التي أعدت هناك وتناولها معه جميع الحاضرين ، وهي من أفخم الموائد . وقد ألقى الشاعر نائب رئيس مجلس الشورى أحمد بن إبراهيم الغزاوي

قصيدة رائعة مناسبة للمقام . وقد أبدى سعود اغتباطه وسروره .

مجلة الرياض

ففي يوم الخميس ٨/٥ ابتدئ بإعداد مجلة الرياض وكانت من أجمل المجلات في العالم تخرج في ٤٢ صفحة تقريباً ويديرها الأستاذ أحمد عبيد . وكانت تطبع في جدة وتصدر شهرياً ، وكذلك أصبحت جريدة البلاد السعودية تصدر يومياً .

مؤسسة النقد العربي السعودي

وهذه هي الورق المتعامل بها بدلاً عن الريال الفضي . وكانت فئة العشرة قد جرى إصدارها في نهاية رمضان ، أمّا فئة الخمسة فصدرت في نهاية شوال ، وكذلك صدرت فئة الريال الواحد فكانت هي السكة المتعامل بها .

سياحة الملك وجولته

لمّا أن انقضت أيام البيعة رأى جلالة الملك سعود أن يتجول في المملكة ليتفقد الشعب ويواسى الفقراء والمحتاجين بالصدقات والعطف عليهم بعدما تلقى جلالته التعازي والتهاني التي وردته من بلاد زنجبار وكندا وغيرها من سائر بلاد العالم . فسار موكبه العظيم من الرياض مؤثراً أن تكون رحلته على السيارات . فزار حائل والجوف والقصيم وشقرا والمجمعة وما في خلال تلك البلدان ، فقد انتهى إلى الداهنة والغايط والقراين وأثيثا وثرمدا ومرات والبره وثادج والحريق والقصب ومنفوحة وما في طريق هذه البلدان . كما أنّه مرّ سدوس والحوطة وكان ذلك في شهر جمادى الثانية وما يليه . ولبست نجد ثياب الزينة لعاهلها العظيم وازدادت كل مدينة أو قرية بألوان الزينة وأقواس النصر وكان إذا قدم على أية مدينة أو قرية فإنّه يجد أهلها متأهبين للاستقبال بكل ما في وسعهم من الإكرام والاحتفال ودق الطبول والتصفيق

والهتاف باسمه، فيستقبل الأهالي على اختلاف طبقاتهم ويحيب دعوة الوجهاء ويمنح الفقراء الكسوة والنقود ويبذل لكل تكربة أضعاف ما تستحقه، فكان لذلك أثر عظيم في ازدهام الخلائق حواليه. ونحن نذكر زيارته لمقاطعة القصيم فنقول:

احتفال أهل القصيم

لما كان في ٦/١ من هذه السنة هرع الأهالي في مدينة بريدة للاستعداد لزيارة جلالة الملك لأنهم ما كانوا ليعلموا بزيارته حتى قامت عاصمة القصيم مدينة بريدة وقراها ومدنها وضواحيها تستعد بالزيينات وجُلب لذلك النجارون والخياطون لإعداد أقواس النصر، وعمل في كل مدخل وطريق دروازة جميلة مكسوة بستارات من القماش الأخضر الفاخر وأعمدة مزدانة وما إلى ذلك. فكان يوماً مشهوداً هو وما بعده من الأيام لعب فيه العمال دوراً في العمل، ومنهم المتبرع بعمل يده، ومنهم المشارك بتوجيهاته. وكان المهندسون والخياطون يدأبون هناك بعملهم الجاد. واستمروا كذلك عشرة أيام يعملون بعمل متواصل. وكان الزعماء يشرفون على العمل وقد غلقت الدكاكين وعطلت غالب الأعمال من أهل البيع والشراء. وكان موضع الاستقبال حوالى البطين شمالاً في روضة فسيحة الأرجاء. فلما كان في صباح الأحد الموافق ٦/١١ جمادى الثانية خرجت طلاب المدارس بأجمعها كل مدرسة تحمل لافتتها، وانضاف إلى مدارس العاصمة بعض مدارس/ مدن القصيم كالبكيرية والبدايع الثلاث والهلالية والمذنب ومدارس/ القرى كالقصيعة واللسيب وخضيراء والسباخ فيحان والقرعاء وغيرها واصطفت الخلائق صفين في موضع الاستقبال الذي يبلغ طوله ستة كيلوات وعرضه كذلك وكان الطلاب ممتازين عن الآباء ويقدر الحاضرون في عددهم بمائة ألف ما بين كبير وصغير من رجال وطلاب وقد شارك في الحضور في أماكن بعيدة عن الرجال النساء ليشهدن الفرحة. أمّا الصبيان

فقد كانوا متحمسين في ذلك الاحتفال يهزجون بأناشيدهم وعلى رأس المستقبلين أمير المقاطعة عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد وقد أحضر رجال الأمن الذين لا يقل عددهم عن أربعمئة وخمسين جندياً من بينهم فرقة الموسيقى تصدح أبواقها وقد ركبت سماعات الميكرفون وبينما الأمة شاخصة أبصارها إلى جهة الشمال إذا بالموسيقى تعزف لما تبدت طلائع سيارات جلالته فاستقبلت الأمة موكبه السامي بالحفاوة والتكريم رافعين أصواتهم بالهتاف والتصفيق يعيش جلالة الملك فكان مشهداً رائعاً تجلت فيه مظاهر الحب والإجلال واتسم بالنظام وحسن التنسيق وكان في مقدمة المستقبلين فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي المدينة إذ ذاك ورئيس علماء المنطقة وفي صحبته كبار العلماء والوجهاء والزعماء من كل بلد، وكان أمراء القصيم من كل مدينة وقرية قد حضروا لذلك ويقدم الأمة للتعريف بالشخصيات الشهم المواطن عبدالله بن سليمان بن عيسى ثم تقدمت الأمة للسلام على جلالته والتمتع برؤيته ولما أخذ جلالته مكانه بين جموع المستقبلين تقدم الخطباء أمام جلالته يلقون الخطب والقصائد والكلمات المعبرة عن التعظيم والإجلال والمحبة ثم أديرت القهوة والشاي ومكث طويلاً بين أولئك الجموع على الرغم من طول الرحلة وشهد ومن معه في ذلك اليوم جهداً ملموساً تطالع فيه مدى الإخلاص ومدى الفرحة التي غمرت أبناء المنطقة ثم انتقل بعد ذلك إلى مائدة الغداء الخاصة بألوان الحلوى والفاكهة والنعيم والبهجة وغادر جلالته حفظه الله ذلك الموضع بعد ما لبث فيه من قدومه في الساعة السادسة إلى أن كانت الساعة في الثامنة غروبى وسار موكبه إلى البلد ليتناول القهوة في بيوت المشائخ والعلماء وكان الطريق من ذلك الموضع المعد للاستقبال يبلغ طوله إلى البلد أحد عشر كيلو وتلامذة المدارس قد اصطفوا من جانبيه ينشدون أبيات الحماسة ويهزجون بالأناشيد فنصب له مخيم كبير حوالى الشماس وأقيم فيه أنواع

الأبهة والعظمة ولبت في بريدة ثلاثة أيام يتردد في مواضع الاحتفالات يمينة ويسرة ثم إنّه سار إلى عنيزة في ٦/١٤ حيث أقام أمير عنيزة عبدالله بن سليم حفلة عشاء كبرى على شرف حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم دعى إليها أهالي البلدة إحتفاءً بقدوم جلالته ببساتين الجهيمية وقد تقدم بين يديه الخطباء وأهل الطبول وقام الأهالي بملاصهم العربية يستعرضون فرحين وبعد ذلك سار الموكب حتى انتهى إلى البدائع ثم إلى الرس ثم إلى البكيرية وقد أقام أهالي الرس سرادقاً كبيراً.

ورفعت الأعلام وألوان الزينة وأقواس النصر حيث كان جموعهم يستقبلونه بالهتاف والتصفيق. أما البكيرية فقد شهدت يوماً خالداً في حياتها استقبلت فيه عاهلها العظيم ورأت فيه كثيراً من أبنائها الذين تفرقوا منذ سنوات في مختلف أنحاء المملكة فاستمع إلى خطبائهم وتناول القهوة والشاي كما زار قصر بن عقيل وقد شهد في هذه الرحلة خصوبة مقاطعة القصيم ومزارعها الحافلة وما زال موضع التقدير في حله وترحاله وكانت العاصمة بريدة هي مركز الدائرة فإنّه يعود إليها في كل ليلة من الليالي. هذا وقد رفعت الأعلام من أعالي القصور والشوارع والسيارات وكان يتفقد أحوال أهل المدن ويفيض على الخطباء والشعراء ويمنح الفقراء والمساكين ويكافئ المحسن على إحسانه ولما أن بلغ الزرقاء في بريدة وكانت شمال غربي البلد ورأى تدفق المياه العذبة وعد الأهالي بأن يحتفر آباراً ارتوازية ويسحب المياه في الأنابيب إلى البيوت وفعلاً جرى ذلك ولله الحمد. ولما أن سار من القصيم إذا بمدينة شقرا ترحب بعاهلها العظيم فوصل إليها في الساعة الخامسة من صباح الأحد ٦/١٨ وهكذا كانت جولته.

العناية بشؤون الدين

لَمَّا كان في بداية شهر شعبان من هذه السنة أمر صاحب الجلالة بتوجيهات لهيئات العلم أن تتجول في مختلف أنحاء البلاد لتتفقد شؤون الدين والتعليم وعمارة المساجد فقام فضيلة الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ بجولة في شمال المملكة للإشراف على ذلك بعد أن انتهى من جولته للمناطق الشرقية والمناطق الجنوبية الشرقية حيث رتب هيئات من أهل الدين والاستقامة في كل بلدة وقرية لأجل المحافظة على أمور الدين والسير بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله كما أن فضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم يقوم بجولة مماثلة في عسير والحجاز بعد عودته من جيزان وتهامه وبذلك يصبح ترتيبات هيئات الأمر بالمعروف قد نفذت إلى جميع أنحاء البلاد وأحصيت جميع المساجد وأمر بترميم ما يحتاج منها إلى ترميم وذلك لجعل مساعدات مالية للأئمة والمؤذنين فأجرى ذلك طبقاً لمنهاج جلالة الملك سعود القاضي بإقامة شعائر الدين وعزز جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل المدن والقرى وهذا منه تمشياً على طريقة آبائه وأجداده فيما تعاقدوا عليه مع إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التمسك بعقيدة السلف الصالح . فנסأل الله المنان ذا الجود والإحسان أن ينصر الدين وأهله وأن يقيم له من يرفع مناره ويعمر آثاره وأن ينصر من قام به ويعز أهل طاعته ويا حبذا هذه الخصال التي يبلغ بها الإنسان أوج العلا والمكارم والنهي . وفي ٦/٢٥ من هذه السنة أسند الملك رئاسة بلدية الرياض إلى فهد بن فيصل فقام بأمانة عاصمة المملكة بجدة ونشاط وفيها أنشأت مظلة أمام بئر زمزم في المسجد الحرام وجدد فرش صحن المطاف والمماشي بالرخام الحسن والبلاط . وفيها كثر الجراد والدباء في نجد ففرغت الأمة إلى الخروج في البراري لإبادته في الفضاء والقضاء عليه لئلا يتمكن من أكل الزروع والثمار وكان يخرج من مدينة فريدة في كل يوم ما لا يقل عدده عن سبع سيارات كبار تحمل الرجال .

تحويل مديرية المعارف إلى وزارة

لمّا تضخمت حالة التعليم في المملكة وفتحت المدارس الكبار والمتوسطات والثانويات رأت الحكومة أن تحول هذه المديرية إلى وزارة فعين سمو الأمير فهد بن عبد العزيز وزيراً للمعارف فقام الوزير بجد ونشاط وتدرجت ميزانية المعارف في الزيادة من تسعة عشر مليوناً إلى أكثر من ثمانين مليوناً من الريالات في السنة لتوسيع الناحية العلمية حتى بلغت المدارس الابتدائية في المملكة حوالي سبعمائة مدرسة وأنشئت المدارس الثانوية في جميع المدن الكبرى. ولمّا كانت كلية الشريعة في مكة المكرمة قد آن أن تخرج شطأها وتنشر طلابها لتستفيد منهم المملكة هؤلاء هم الذين كلفتهم الحكومة بالدراسة في دار التوحيد في الطائف لينتشر العلم وكان من هؤلاء المدراء والقضاة والمدرسون. وقد تأسس بعد ذلك في الرياض جامعة الملك سعود وأنشأ مدارس للمعلمين ومدارس مهنية في مختلف البلاد ودراسات صيفية في الطائف ومدارس ليلية في كثير من المدن وشجع الطلاب في المدارس الكبار بالمكافآت الشهرية فأصبح العلم في نهضة عظيمة.

حوادث وأخبار

ففيها جرت فيضانات بإيران ونكب أهالي طهران وضواحيها فتبرع الملك سعود بعشرة آلاف دولار للمنكوبين فرفع محمد رضا شاه بهلوي برقية للملك سعود بالموضوع يعبر عن شكره لذلك وكان الملك سعود قد رفع إليه برقية تعبر عن تأثره بذلك ولمّا أن شكر ملك إيران لجلالة الملك سعود لجبره لقلوب أولئك المصابين وبدعو له بالتأييد دعاه لزيارة إيران.

وفيهما وجدت طفلة بايطاليا كانت لا تنقطع عن الأكل إلا في ساعات النوم وكانت لما بلغت من العمر سنة واحدة جعلت تلتهم كل ما تجده

أمامها فعيّج والدها وحملها إلى المستشفى حيث فحصها الأطباء واتضح أن مصرانها طويل إلى درجة غير مألوفة وأن جسمها يفرز الطعام بدون أن تهضمه المعدة وقرروا أن لا فائدة من علاجها وأنه يجب على أبيها أن يقدم إليها كميات الطعام التي تتطلبها حالتها وكانت تجلس وأمامها الأطباق وفي ملعقة بيدها تلتهم ما أمامها فهذا طبق يؤكل وآخر ينتظر الالتهام. ولمّا تمّ لها من العمر خمس سنوات أرسل والدها إلى السنيور أبنودي رئيس الجمهورية الإيطالية خطاباً يطلب فيه أن يعين له مرتباً شهرياً ليتمكن من تقديم الطعام اللازم لابنته وكانت اسمها لوشيانا . والله على كل شيء قدير .

وفيهما في محرم انسابت حية في فم رجل نائم في الهند فلما أن وصلت أمعاءه أخذ بذنبها بعدما استيقظ وجذبها فلم تخرج بل نفث سمها في جوفه فقام الرجل والعياذ بالله مرعوباً ثم هلك . وما أكثر الإصابات بهذه الثعابين وذوات السموم فتهلك المصاب أو تكاد تسبب أضراراً خطيرة لإصابتها مفاجأة وكانت هذه الحيات موجودة بكثرة وبينها وبين بني آدم عداوة عظيمة ويخشى منها في البراري والمواضع المهجورة مما أصبحت الأمة في خوف منها . وإنا لنأمل من الجهات المسؤولة اتخاذ ما يلزم من الإجراءات حول هذه المؤذيات بطبعها وقد تكون في البيوت فيكون طريقة قتلها على الوجه المشروع أن تنذر ثلاثة أيام بمغادرة البيت . فإن لم ترحل قتلت لأن ذوات البيوت قد تكون من جنان البيوت وساكنيها فوجب إنذارها .

زيارة الملك للبحرين وباكستان

لمّا كان في ٧ شعبان الموافق ١٠ أبريل توجه في هذه السنة إلى الظهران في زيارة رسمية لأمرير البحرين في طريقه لزيارة باكستان وقد كان في توديع جلالته بالمطار أصحاب السمو الأمراء من بيت آل سعود وفي مقدمتهم صاحب السمو الملكي ولي العهد . فودعت الرياض في الساعة الثالثة

والنصف عربي من صبيحة يوم السبت صاحب الجلالة الملك وداعاً حاراً فامتطى جلالته الطائرة الملكية الخاصة العقاب يرافقه بعض أفراد بيته الكريم وحاشيته وكبار موظفي الديوان قاصداً إلى الظهران وكان وصوله بعد ذلك إلى البحرين في الساعة الثامنة عربي والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح يوم الأحد ٨ شعبان فحيته حامية المطار بإطلاق إحدى وعشرين طلقة كما كانت أسراب من الطائرات الحربية تواكب الطائرة الملكية عند قدومها إلى تلك البلاد كما أطلقت باخرة القيادة البحرية الأمريكية المعقودة للأميرال بجه إحدى وعشرين طلقة تحية لضيف البحرين ولقد ألقى أمير البحرين خطاباً عبر فيه عن بعض ما يخالج نفوس آل خليفة من بهجة وسرور ويغمر أفئدتهم من غبطة وسعادة وأطال وقد زار صاحب الجلالة المدرسة الثانوية بالمنامة وتجول في الصفوف وهو يستمع إلى المدرسين وهم يلقون على شباب تلك البلاد ورجال مستقبلها الدروس كما أنه تناول القهوة عند الوجيه السعودي الوزير المفوض عبد الرحمن القصيبي واجتمع في اليوم الثاني بالمقيم السياسي البريطاني في الخليج ومعه المعتمد البريطاني حيث كانت زيارة الملك العظيم السعودي حدثاً عظيماً في تاريخ تلك البلاد وأن الجميع هناك يذكرون بالاعتزاز والفخر والغبطة أن بلادهم لم يسبق لها نظير هذا الاحتفال الذي أقيم لحامي الحرمين الشريفين .

ولقد بلغت الحال بأنه لا توجد دار واحدة من دور هذه الجزر العربية لم ترفع العلم السعودي على شرفاتها ولا يوجد بها محل تجاري واحد لم تزين مدخله الأعلام والأنوار . ولما أن وصل إلى الباكستان استقبل فيها استقبلاً باهراً وتلقى فيها ألعاباً ضخمة جعلت الجماهير تهتف بهتاف مدوي بأنه أمير المؤمنين وخادم البيت الحرام وحامي الحرمين الشريفين وأمير العرب وكانت اللوحات التي زينت بها الشوارع في كل مكان تحمل مثل هذا التكريم وكانت الصحف الباكستانية عن بكرة أبيها تلقب جلالته بمثل ذلك وآخر

ذلك تقدم فخامة الحاكم العام للباكستان السيد غلام محمد فأعلن بالمذيع منحه درجة الدكتوراه وألقى خطاباً باللغة الإنجليزية عدّد فيه مآثر جلالة الملك على العلم والعلماء وذكر فيه بإسهاب المدارس والمعاهد التي أقامها جلالته في المدن والقرى على البلاد السعودية وعطفه على العلم وأهله وطبعه الكتب السلفية المفيدة وبعثه العلماء والدعاة والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر إلى مختلف البلدان والقرى وآخر شيء جاء في التكريم والإعظام أن قام رئيس البلدية بعد ما عدد مآثره أن أعلن أن هيئة أمانة العاصمة تمنح جلالته حرية هذه المدينة ثم قدم إلى جلالته صندوقاً من الذهب المبطن بالمخمل الأزرق يحتوي على مفتاح العاصمة الباكستانية كراتشي رمزاً لتقديرهم لجلالته واحتفائهم به وإكبارهم له فقبلها جلالته بالشكر والتقدير وعبر جلالته عن ذلك في خطاب ملكي كان رداً على خطاب أمين العاصمة ثمّ وجه جلالته رسالة عظيمة أخوية طويلة قامت محطات الإذاعة في كراتشي تذيعها وقد أطلقت قلعة كراتشي القائمة على مدخل الميناء البحري تحية الوداع لضيفها إحدى وعشرين طلقة وكانت المكبرات المقامة على شرفاتها وعلى جوانب الميناء تهتف كلها (شاه عرب ونده باد) أي اللّهُمَّ إحفظ ملك العرب ثم رجع ولماً أن كان في ليلة ٢٧ رمضان إذا به يؤدي عمرته ويطوف ويسعى ويتهجّد بالبلد الحرام وكان يحيط به العلماء والأمراء وفي مقدمتهم سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وحجّ بالمسلمين جلالة الملك سعود بن عبد العزيز.

وممن حجّ في هذه السنة من الأعيان جمال عبد الناصر وحجّ من الأعيان حاكم الباكستان غلام محمد فإنّه قد أدى مناسك الحج واستقبله خادم الحرمين بكلّ ترحيب كما قد حجّ محمد علي رئيس وزراء الباكستان وقد غادرا البلاد السعودية في ١٣/١٢ راجعين إلى باكستان شاكرين للملك سعود جهوده المبذولة. وقد تبادلوا البرقيات بالشكر والثناء. هذا وما زالت

الوفود من عظماء المسلمين والعرب تتوافد على الملك سعود في الحجاز أيام الحج ترفع آيات التهاني والتبريك من الكويت والبحرين وتركيا والهند وبورما وسيلان وأندونيسيا والملايو والصين الوطنية وتونس والجزائر والسنغال والحبشة وأرتريا وعدن وحضرموت وزعماء العرب ومشائخ القبائل .

أمّا عن زيارات الملك سعود في هذه السنة فقد زار بلاد مصر بدعوة رسمية من قبل الرئيس إذ ذاك محمد نجيب ولمّا أن قدمها قام الرئيس محمد نجيب بكل ما يلزم من إكرام وإجلال نحو ضيف مصر العظيم وما زال الملك سعود يتجول في مصر ويتأمل الآثار هناك وإلى جانبه اللواء محمد نجيب وقد جددت به مصر ذبول افتخارها ولمّا أن كان في آخر أيام الزيارة توجه الرئيس اللواء محمد نجيب إلى قصر الطاهرة الذي قد نزل فيه الضيف الكبير فقدم لضيفه هداياه وهي عبارة عن شمعدانين نادريين من الفضة الخالصة يرجع تاريخهما في الصنع إلى ثلاثة قرون مضت ويعدان من أروع التحف الفضية التاريخية وفازتين كبيرتين من الفضة مزينتين بنقوش ذهبية جميلة وسبحة من الكهرمان النقي ذي لون بني وقال : إنّه يرجو أن يتقبل جلّالته هذه الهدية على تواضعها رمزاً للأخوة والصداقة بين البلدين ، فتقبلهما الملك سعود شاكراً ممتناً ثم قدم الرئيس للأمرء ولرجال الحاشية المرافقين لجلّالته هدايا مختلفة .

إعانة الملك للفقراء لأداء الحج

بعث الملك سعود سيارات لسائر أقطار المملكة ممن لا يستطيعون السبيل إلى الحج حتى بلغ عدد الحجاج الذين حجوا في سيارات التبرع قدراً من أربعة آلاف حاج بميانتهم وتكليفاتهم من مأكل ومشرب ونفقة وغيرها وجعل لكل فرقة من فرق هذه السيارات وكلاء يقومون بما يلزم نحو الركاب

وهذا لأول مرة تجهز الحكومة حجاجاً يحجون على نفقتها .

ولمّا كان في ١٧/١٢ من هذه السنة الموافق للإثنين أقيم في مدينة جدة استعراض رائع للجيش وكان يرأس هذا الاستعراض القائد الأعلى للجيش العربي السعودي الملك بنفسه بلباس رسمي عسكري ونحن نذكر ذلك الاستعراض على حسب الرواية فنقول وبالله التوفيق .

ذكر استعراض الجيش السعودي

لمّا كان في غسق الليل من اليوم المذكور إذا بالأمة تنتظر نور السماء لمشاهدة الجيش السعودي وقد بدا يتدفق جموع الأمة من هنا وهناك لمشاهدة فرق الجيش تتبدى كوكباً فكوكباً وكان الميدان المعد لذلك في شرق خزام بمدينة جدة وكان قد أعد للمدعوين من الأمراء والعلماء والسفراء وممثلي الدول العربية والإسلامية ورؤساء البعثات سرادق فخم كبير يسع لأكثر من ثلاثة آلاف من المدعوين ليشاهدوا الاعتزاز في رحاب السياسة وأروقة الفهم والإدراك أنّ الجيش سند وعماد ودرع ترس ووقاء هو الذخر في ميدان النضال ، وهو الجبروت في لغة الحروب . فكانت الموسيقى ترن في القلوب وتعصف بالعقول ليس فيها حنان وتلهب الشجاعة وتبعث الحركات الحربية بينما وزير الدفاع والطيران مشعل بن عبد العزيز الذي هو كأسمه يقوم بتوجيه الاستعراض والإشراف عليه إذا بالملك يتبدى على الجموع المحتشدة في تمام الساعة الحادية عشرة إلّا ربّاً من صباح اليوم المذكور ثم ابتدأ العرض .

وفي الساعة الحادية عشرة فاشترأبت الأعناق وازدحمت المناكب وشخصت العيون والتهبت الأكف وكان الملك يرد على هذه التحايا في فرحة وتواضع وقد أخذ الطبيب التونسي أحد ضباط الجيش يذيع على جموع الشعب الغفيرة تحركات العرض خطوة خطوة في إلقاء جميل

على النحو الآتي: بينما تطلق المدفعية تحاياها بإحدى وعشرين طلقة.

أولاً: الفرق الموسيقية الثلاث وتأخذ مكانها في وسط الميدان حيث يستمر عرضها على نغمات مختلفة طويلة ساعات العرض المتواصل ثم مجموعة الأعلام يحملها الجنود البواسل وفي خطوهم معنى التضامن والإخاء وتتبعها تلامذة المدارس مدرسة العسكرية مدرسة الطيران مدارس الجيش للأسلحة المختلفة وكذلك وحدة من وحدات الحرس الملكي يشعرون بمعنى التفاني والإخلاص نحو قائدهم الأعلى ثم ثلاثي سلاح المشاة يحملون بنادقهم وفي خطوهم الأنفة والصمود.

ثانياً: الطائرات سرب يتلوه سرب تقارب تباعد ارتفاع وانقضاض أزيز ووعيد قصف وهلاك.

ثالثاً: البوليس الحربي بدراجاته يعطيك معنى من معاني الرقابة والحذر ثم الأسلحة المساعدة للمشاة إنها من طراز جميل ممتاز. أمّا سلاح الإشارة فهذه التلفونات الخاصة بالميدان وآلات اللاسلكي الضخمة أنها تعبر عن دقة الاستعداد لمستلزمات الصراع والتقدم والكفاح. أمّا فوج الاستطلاع فكله يقظة وانتباه ثم عرضت المدرعات الثقيلة التي هي أجمل كل شيء وأجمل ما فيها فخامتها إلى جانب ما تحمله من ذكريات خالدة لشهداء فلسطين أولئك الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الإسلام والعروبة ضد الطغيان وتحمل أسماء الدول العربية الشقيقة واسم منصور الأول مؤسس الجيش العربي السعودي وزملائه أمراء البيت المالكة الذين أدوا من خدماتهم ما جعلهم في سجل الخالدين. أمّا المدفعية فهي سلاح الصمود في الميدان تدك في قسوة لا ترحم ولا تلين إنها الفناء للعدو والوفاء للعرين. ثم عرضت سرية النقل والتموين تلاحق الجوعان والعطشان وهو في جهاده قدما كما أن الوحدات الصحية ترى في العرض تجبر الكسير وتضمّد الجروح وتواسي

المألوم وتريح المكدود، ثم أسلحة الصيانة في ختام هذا العرض ورش ضخمة هائلة وجرارات سريعة متكاثرة وونشات وسيارات إسعاف. إنه سلاح كامل العدة والعدد وله مكانة مرموقة.

ثم يأتي دور أهل الرياض فيتقدمون في الميدان ويقول المذيع عنهم: تتقدم فرقة أهل الرياض الذين قال الله فيهم وأمثالهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ هؤلاء أخذوا طبولهم يقرعون والسيوف مسلولة في ميامنهم كأنها شعل النار يبلون واجب الوطن ويسعون في سبيل إنهاضه، ويدخل فيهم أهل القصيم يتقدمهم صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود قائد حرس الخويا فشقت الحناجر بالهتاف وتقدم العرض الثاني سمو الأمير عبدالله الفيصل وزير الداخلية، فالتهبت الأكف بالتصفيق وهكذا جعلت الأمة تصفق ساعة في حماس بالغ ومعنوية كبيرة ثم أنه تقدم الإخوان وجاء دور أهل الجهاد بملابسهم البيضاء وعمائمهم التقليدية الجميلة فينما الجوه هادىء إذا بالمذيع يقول عنهم: تتقدم فرقة الإخوان الذين فضلهم لا ينكر يشهد لهم التاريخ بالفتوحات الإسلامية والمقامات الدينية فتقدموا في ثيابهم الناصعة البراقة يحملون أمهات خمس القصار وقد شدوا على أوساطهم الحزم الخرطوشية مملوؤة بأمشاط الفشق وهؤلاء الجيش الأبيض يبلغ عددهم ثمانية عشرة ألفاً أنهم الجيش الغاشم الذين لا يوقف في طريقهم وكان لرؤيتهم روعة عظيمة فسمع لهم لجه تنهّد لها الجبال كان الفوج الأول يتلو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. أمّا الفوج الثاني فينادي: خيال التوحيد أخو من أطاع الله، والفوج الثالث ينادي: هبت هبوب الجنة أين أنت يا باغيها. ولقد أحدث اعتزاؤهم هزة عظيمة وكانوا على استعداد تام فوري للبذل والتضحية والفداء وكان المجاهد منهم يرفع البندقية برؤوس أصابع يده اليمنى في وسطها فتكون دوارة. وقد أحدث استعراضهم هزة عظيمة في القلوب أولئك البدو الذين رعبت هيبتهم جميع

الأمة ذلك لما أوتوا من الشجاعة وقوة البأس الشديد. وبعد استعراض الجيش الأبيض كمل للاستعراض ثلاث ساعات وربع والأمة كأنها في ميدان جهاد ونضال ثم نهض القائد الأعلى فودع كما استقبل بالحفاوة الرائعة والتهاف المتواصل والتصفيق الحاد بين الموسيقى التي صدحت بالسلام الملكي والمدفعية التي أطلقت تحاياها بإحدى وعشرين طلقة. وبذلك ختم الاستعراض.

ثم دخلت سنة ١٣٧٤ هـ

استهلّت هذه السنة والعمال يكدحون في عمارة المسجد النبويّ في المدينة المنورة وكان قد أتى بالمهندسين وأرباب الخبرة لهذا العمل المهم وكان المشروع في العمل عن أمر صاحب الجلالة الملك الراحل عبد العزيز بل الله ثراه بوابل الغفران ورفع درجاته في أعالي الجنان. وقد شاهدت العمال في جدهم واجتهادهم ورأيت آلات البناء من الرافعات والناقلات والهدم تقلب الحجارة وتصرفها بنشاط قوي وكانت الأسطوانة يحفر لها حتى يصلوا إلى الماء في قعر الأرض ثم تصب القاعدة الضخمة وإنه ليعد ذلك حسنة كبرى في صحيفة هذه الحكومة. وقد اشترت الحكومة البيوت والدكاكين المجاورة للمسجد من الجهة الشمالية بقيمة باهظة قيمتها خمسة وعشرون مليوناً من الريالات وتقدر هذه الزيادة التي ألحقت بالمسجد بـ ١٢٢٧١ متراً مربعاً وهذه التوسعة وضع لها الحجر الأساسي صاحب الجلالة الملك سعود ويوجد كتابه هناك إلى الجهة الغربية بني بذلك محفورة بالحجر الرخامي. أمّا عن الجهة الجنوبية والشرقية فلم يتعرضوا لها لأنّها تحتوي على المحاريب والحجرة الشريفة ولا تزال العمارة مستمرة. كما اشترت الحكومة البيوت والدكاكين المجاورة للمسجد من الجهة الغربية أيضاً. وسيأتي بقية ذكر لذلك.

وفيهما قام عبدالله بن يحيى أخو ملك اليمن فدبر انقلاباً ضد الإمام أحمد بن يحيى ليغتصب به عرش اليمن غير أنَّ الإمام أحمد بن يحيى استطاع بما لديه من السياسة والحزم أن يقضي على هذا الانقلاب وأعدم مدبره ونكل بجميع الذين قاموا به وناهيك به من رجل لا يوقف في طريقه لما له من سعة الحيلة وقوة الإرادة. وكان لما أن زاره في اليمن صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز في آخر العام الماضي بدعوة رسمية استقبله استقبالاً ضخماً وحصل اجتماع تاريخي بينهما فيما يرفع شأن البلدين في الأمور التجارية والزراعية والصناعية وفيما يسهل سبيل التعاون بين أفراد الشعبين الشقيقين في جميع مرافق الحياة وتاريخي عائلي. ولمَّا أن جلسا جميعاً وقف على الخلف أمراء البلدين وحولهما الأسرة المالكة هذا والقبائل اليمنية واقفة قد مدت أيديها فيها الخناجر تعلن فرحتها بقدوم الملك سعود. وبعد تبادل الهدايا بين الملكين جعل يعبر كل منهما عن ما يكنه للآخر.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم: الشيخ العالم القاضي عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن عودان من بني زيد من الغيهب. ولد في سنة ١٣١٤هـ وتوفي في هذه السنة فيكون عمره إحدى وستين سنة وكانت ولادته في مدينة شقراء من الوشم وقد أصيب بالجذري وهو صغير فكف بصره أخذ عن الشيخ حمد بن فارس وعن الشيخ العالم الجليل عبدالله بن عبد اللطيف وعن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وعن الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود، أخذ عنه علم الفرائض وكان رجلاً مدارياً سهل الجنب طلق المحيا رزينا سياسياً يداعب إخوانه الذين يثق بهم ويثقون به ويمازحهم وكان مع ذلك سخياً كريماً جواداً متحياً إلى الناس. تولَّى القضاء في عسيلة إحدى قرى السر ثم نقل منها إلى بلدة شقراء عاصمة بلدان الوشم وجلس فيها للتدريس فأخذ عنه رجال من العلماء منهم رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين الشيخ محمد بن سليمان البصري
وعبد المجيد حسن وعبدالله بن حمد بن خربوش . ثم نقل إلى قضاء عنيزة
في القصيم فاستمر فيها قاضياً من عام ١٣٦١هـ بعدما عزل عنها الشيخ ابن
حسين إلى عام ١٣٦٩هـ . وكان موضع الإعجاب ثم أنه نقل منها بسبب
خلاف بينه وبين بعض المدرسين المصريين فعين مدرساً في معهد الرياض
ثم نقل إلى القضاء في محكمة الرياض فاستمر في القضاء حتى مرض وتوفي
في هذه السنة رحمة الله عليه .

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ ابن سوداء وهذه ترجمته : هو الشيخ
العالم القاضي عبد العزيز بن عبدالله بن مسلم بإسكان السين ويلقبونه بابن
سوداء . أخذ العلم عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين وكان له ديوان شعر في ذكر
الفتوحات التي جرت على يدي الملك عبد العزيز تهنئة له وشكراً لله ، فكان
قارضاً للشعر ويعتبر من المحققين وكان من أهالي حريملا . وقد تولى قضاء
قرية المسهورة ثم تولى قضاء الأوطاية ثم تولى قضاء المجمعة وبكل حال
فإنه يعد من رجال العلم والفضل والصلاح المنتمين إلى هذه الدعوة النجدية
وديوانه موجود لكنه حتى الآن لم يطبع رحمه الله وعفا عنه بمنه وكرمه .

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ ابن زاحم وهذه ترجمته : هو الشيخ
العالم الفاضل القاضي عبدالله بن عبد الوهاب بن زاحم . وقد أملى على
العلماء نسبه فقال : العالم العامل الكريم الحلیم الشيخ عبدالله بن
عبد الوهاب بن عثمان به محمد بن عبد الوهاب بن زاحم . ولد رحمه الله
في قرية القصب من أعمال الوشم سنة ألف وثلثمائة على رأس القرن ونشأ
بها وتعلم القرآن ثم رحل إلى بلدة أشيقر وكان من قبيلة البقوم المعروفة
بتربه . ولما أن رحل إلى أشيقر أخذ عن عالمها المؤرخ إبراهيم بن صالح بن
عيسى ثم ذهب إلى الرياض فأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف علم

التوحيد والعقائد والحديث وغيرها وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود فقيه نجد، أخذ عنه علم الفقه وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس علم النحو وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقري ولازمه ملازمة في المجمعمة وكان محل ثقته . ولما أن كان في عام ١٣٣٦هـ جعله الملك قاضياً في هجرة الداهنة وبعد مضي زمن طويل يقدر بعشرين عاماً نال به موضع الإعجاب في الانتداب في مهام الأمور نقل إلى قضاء مدينة الرياض ثم نقل إلى قضاء المدينة المنورة فكان رئيساً لمحكمتها وكان ينشر العلم في كل بلد حله ويلقى الدروس وظهر له تلامذة كثيرون منهم الشيخ ابن أخيه عبدالله بن محمد بن زاحم، والشيخ عبدالله بن إبراهيم بن فنتوخ عميد كلية الشريعة في مدينة الرياض ومنهم محمد بن إبراهيم وعبد الرحمن بن إبراهيم بن فنتوخ وما زال المترجم موضع التقدير من حكومته وأمه لما كان عليه من حسن الخلق والإخلاص والقيام بالعمل حتى وافاه أجله المحتوم في شهر رجب من هذه السنة رحمة الله عليه .

وفيها وفاة الشيخ عمر الوسيدي . وهذه ترجمته : هو الشيخ العارف البصير اللوذعي العارف المنتمي إلى أهل الدين والعقيدة السلفية عمر بن صالح بن علي بن حامد الوسيدي من بني تميم . ولد في سنة ١٣٠٣ هـ فتعلم القرآن والكتابة عند كتاب لأنه لا يوجد إذ ذاك مدارس حكومية . ولما ترعرع في الأخذ بقراءة القرآن أخذ يطلب العلم من الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأكثر الأخذ عنه في وقت كان طلاب العلم يعيشون في فقر مدقع وما كان هناك مكافآت للطلاب وقد أخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم ولكن لترادف المحن وكثرة الأحن لم يتمكن من كثرة الأخذ عنه وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ

محمد بن عبد اللطيف وكان يظهر دينه صريحاً فلا تأخذه في الله لومة لائم مع حدة في طبعه ويظهر موالاة المؤمنين وعداوة المنافقين . ثم أنه بعثه الشيخ عمر بن سليم إماماً وخطيباً ومرشداً في قرية القرعاء فكان يدرس طلاب العلم فيها وله إقدام في الوعظ ويغشى الناس في مجالسهم بالمواعظ والتذكر ثم أنه طلب النقلة إلى الشقة السفلى المعروفة بالسفيلي فقام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل يدرس فيها بجهد ونشاط صباحاً وظهراً وبعد صلاة المغرب والعشاء، وبذل نفسه في هذا السبيل وهناك أخذ عنه جمع غفير من سكان الشقة وكان قارعاً للشعر وقد قدمنا جملة من شعره . وله قصيدة لامية دعا فيها العلماء إلى الجهد والاجتهاد وهي هذه جواباً لقصيدة للشيخ عبد المحسن بن عبيد وردت على الأخ فهد بن عيسى فتناولها من يد الشيخ فهد بن عيسى ونظم ذلك فقال :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد فإنني لما قدمت زائراً للإخوان أهل القرعاء قدم على فهد بن عيسى من عبد المحسن بن عبيد منظومة مفيدة رائعة عقلاً وشرعاً فلما تأملها وجدتها تحث على طلب العلم والعمل والاجتهاد ناهية عن الكسل والغفلة والرقاد وذكرتي ما مضى لي من رغبة الطلب فضقت بذلك ذرعاً وهيجتني فضاقت مني المسالك فأبديت وبحت بما هنالك وإن كنت لست أهلاً لذلك فيا سامعها إن رأيت صواباً فاستبشر بذلك تربح إن رأيت زلة فاسترها فإن المؤمن يستر وينصح ولا تتصف بالمنافق الذي يهتك ويفضح وهذا بعض ما تيسر في عام ١٣٥٩هـ^(١) :

(١) يشير بذلك إلى كلام الإمام مالك لما جلس الشافعي بين يديه للتعلم رحمهما الله تعالى وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وقود فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه، فقال له الإمام مالك: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية وتحت ذلك سر بديع في كون المعاصي سبباً لحرمان العبد من العلم، وقصته مع وكيع مشهورة.

حضرت قريضاً من شفيق موفق
ويرثى علوماً قد تدارس رسمها
قصيدة أهداها خليل لخله
فأكرم به خلا وأنعم به أخوا
فأكرم مثواها قبولاً ومرحباً
فهيج أشجاني ويحت بضامري
وأوقدت نيران الأسى وتجمعت
عنيت به أخوا الندى عبد محسن
وذكرني بحثاً وصدقاً ورغبة
وأحبار صدق في القبور تفرقوا
يؤمهم الطلاب من كل بلدة
فوا حر قلبي ويا عظم حسرتي
فما أولاً أدركت فيه مسرة
وذلك أسباب الردى قد توفرت
فرانت على تلك القلوب بأسرها
وهذا العمري من قبيل نفوسنا
وقد يطفئ الإنسان بالذنب نوره
ولو يعمل الإنسان بالذي كان عالماً
فنسأل الله الكريم بفضله
ويمنحنا فهماً وعلماً وحكمة
مع العمل الزاكي لوجه مليكنا
فإن الذي بالعلم لله عامل
كما صرح فيه كتاب إلھنا
كما أن من لم يعمل به قد أهانه

يحث على كسب العلا والفضائل
وأقفرت أطلال لها بالتكاسل
فهد بن عيسى زاكى الأصل فاضل
يؤدي حقوق الخل ليس بغافل
وأحسن منها للقري والتعامل
وأظهر مكنون الحشا والبلابل
على همومي بالضنا والشواغل
فتى من عبيد من كرام أمائل
ودرس علوم بالضحي والأصائل
يحلون مناخاً في عويص المسائل
أحب إليهم من قريب ونازل
على ما مضى من سالف العمر أول
ولا آخرأ أقنيتة في الفضائل
وذلك أسباب الذنوب القوائل
وقطعت أعراقاً لها بالمعاول
كم هو معلوم لدى كل عاقل
فيا نعم محمول ويا بئس حامل
لأورثه الباري جزيل الفضائل
يمن علينا بالهدى والفضائل
كذاك اجتهداً في فنون المسائل
خلي من الإشراك يا ويل فاعل
يبوء في الجنات أعلى المنازل
وسنة من قد جاءنا بالدلائل
مع عابد الأوثان أخبت نازل

نعوذ بالباري عما يخالف قولنا
ونستغفر أيضاً من ذنوب وزلة
فيا سامع النجوى ويا قابل الدعا
تفضل علينا بالقبول وبالرضا
ويا رب متعنا بفاروق وقتنا
تقياً نقياً ناسكاً متورعاً
يقرر توحيد العبادة جهرة
فلا يستمن إن طال درس بمجلس
كذا عابد لله نجل بليهد
فكم أدحض يوماً لصاحب بدعة
فيرميه منكوساً على أم رأسه
كذلك أشياخ لنا طاب ذكركم
وأبقاهم وربى حماة لدينه
واصلح إلهي والياً قد أقمته
وقاه إله العرش من ردى الظلم للورى
فلا زال مصحوباً بعز وغبطة
ونصر لدين الله ما دام مسعداً
فيا سامعاً نظمي زففت خريدة
أتت من قريب من سفيلاء شقة
فأحسن إليها بالقبول ووصلها
فإن كريم الناس يستر ما رأى
وأختم نظمي بالصلاة مسلماً
محمد الهادي إلى خير شرعه
وأصحابه والآل ما هبت الصبا

من الفعل أو قول فبعداً لقائل
وما عمدنا والجهل يا خير قابل
ويا خير مسؤول برغبة سائل
مع الأمن من أهوال يوم الزلازل
سلالة من سليم عالماً غير جاهل
حريصاً على الطاعات ليس بكاسل
ويشره في الناس بين القبائل
حريصاً عليه بالضحى والأصائل
سلالة أمجاد كرام أفاضل
إذا جاءه مدل بشبهة باطل
بحجته مصحوبة بالدلائل
عموماً حماهم من عظيم المهاول
يذبون عن السمحاء كل باطل
على المنهج الأسناء عذب المناهل
وأعوان سوء تستشار بباطل
وعدل وإحسان بكل القبائل
لأهل الهدى والدين قمعاً لباطل
وخودة حسن في ثياب مرافل
تريد لها كفواً كريم الشمائل
وستر لها من ساقطات الرذائل
من العيب والنقص بحسن التغافل
على خاتم الرسل الكرام الأفاضل
وأفضل مبعوث وأصدق قائل
وما انهل ودق من سحب هواطل

وله أيضاً قصيدة من هذا النمط تحت على الجد والاجتهاد وجهها نصيحة
للمشاخ والطلاب خصّ فيها وعمّ فقال في عام ١٣٥٨ هـ/ ٧/٨ :

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| يا خير مأمول لكل النوائل | لك الحمد اللهم يا ذا الفضائل |
| صلاة وتسليماً على خير فاضل | ومن بعد حمد الله والشكر والثناء |
| خلاصة إخواني هداة القبائل | ويا راكباً بلغ سلامي أحبتي |
| عموماً وتخصيصاً بكل المحافل | وقل رافعاً بالصوت وقل لهم |
| وصية مولانا لنا والأوائل | عليكم بتقوى الله ربي فإنها |
| ولا تنظروا قول العذول وغافل | فيا معشر الإخوان راعوا نصيحتي |
| وعلماً على حسب الورى والأمائل | ويا سليمان المشعلي نلت مفخراً |
| يزيد مع الإنفاق منه لبازل | فكن فيه منهوماً مفيداً مباحثاً |
| جباناً إذا دارت فنون المسائل | ولا تستمن البحث فيه ولا تكن |
| لك خبرة في قاطعات الدلائل | فمن فعلك الأحجام طبعاً وإنما |
| من المذهب المشهود عند الأفاضل | ومعرفة راجح من مرجوحها |
| لما فات في باقي الليالي القلائل | خف الله وانهز فرصة متداركاً |
| لقد فقت أقراناً لك في الفضائل | ويا صاحبي قل للحميدي مطوع |
| على نهج الهداة الأفاضل | فلازم على أصل سلكت ومنهجاً |
| ولا تخف في الله لومة جاهل | خصوصاً على التوحيد فاصدع مجاهراً |
| فصبراً على قول العذول وغافل | ولا بدّ من عرض ينال مع الأذى |
| نجاة عن الخسران يوم المهاول | ففي سورة العصر دليل مصرح |
| برفق ولين يستجيبوا لقائل | وراع حقوق الناس طراً وقل لهم |
| على جلب إصلاح لنا والفضائل | ففي شرعنا درء الفساد مقدم |
| هو ابن رشيد عاقل كل عاقل | ويا عابد الله قطب أحبتي |
| مع الحلم مقروناً صفات الكوامل | سل الله منهما من لطيف وحكمة |
| هو أثقل ميزان من القسط عادل | وداوم على حسن لخلق رزقته |

ويا ضالع ثم العجاجي وعمه
فهبوا سراعاً من سني النوم والكرى
تنالوا بدءاً عزاً وجاهاً ورفعاً
ولا تؤثر وصلاً لبيض كواعب
لعلّ إله العرش يلطف بالورى
ويا عابداً للمحسن انهض برغبة
فقد خصكم ربي بخير فضيلة
عليكم لزوم مجلس الشيخ جهدكم
تزدادون علماً مع نزول سكينة
ملائكة تأتي تحف بمجلس
وذكر لكم عند الإله وليكننا
ويا صاحبي عبد العزيز بن صالح
تيقّض فلا تترك دروساً نفيسة
فتشمر مجدداً سالكاً نحو منهج
فقد شيدوا ديناً تناثر نظمه
وقل للحميدي والحميد بن صالح
فقد نلتما من واحد جلّ ذكره
وجداً وتشميراً كذاك وطاعة
فلا تطفئوا نوراً بشيء من الجفا
تكونوا هداة للأنام عن العمى
كذا ابن عبيد في البدائع موطناً
وقل للخريص والسكيتي وثالث
عنيت به عبد العزيز بن صالح
كذا ابن رشيد والفتى بن غضية

علي حليف للعلی والفضائل
بجد وتشمير وعزم لفاعل
وأجراً عظيماً من جزيل الفضائل
ولا لذة مشروبنا والمأكّل
ويظهر منكم فاضلاً بعد فاضل
وإخوتك ما لكم من مماثل
وفهم منير حاضر غير ذاهل
دواماً عليه بالضحى والأصائل
ورحمة تغشى لطالب العلم أمل
بأجنحة ما بين سبع كوامل
فيا حبذا ذكر الإله لفاعل
تنبه هداك الله تباً لكاسل
مكررة يشتاقيها كل عاقل
لجد وأعمام لك في الفضائل
وقد جددوا من ثوبه كل شامل
حفيدي لحبر سابق في الفضائل
نباهة فكر في اكتساب الفضائل
فمن بيت علم أنتما في القبائل
وشائب محظور قبيح الفعائل
وقادة صدق عند فقد الدلائل
وأما جسمه يسعى لكسب المسائل
يبش بمن يلقاه عند التقابل
سلالة فوزان صافي المناهل
صديق شفيق صادق في التخالل

كذا ابن حسين مع علي بن مرشد سكاكر لا تنسأهم في الفضائل
إلى أن قال متذكر حالة الأجواد الذين عاش بين أظهرهم:

كمثل همام جاد نسل مشيقح وأبناؤه جادوا على نهج فاعل
خصوصاً مع الطلاب جادوا بمآلهم وجاه لم يحتاجهم في النوازل
وقد عمروا بعض المساجد طاعة صلاة وتدريساً وبذلاً لفاعل

وهي طويلة بلغت أبياتها ثلاثة وسبعين بيتاً وله قصيدة بائية في آداب
العلم وما ينبغي للطلاب أن يتأدب به وذكر فيها آفات العلم . وقد جابوب
عليها زميله الشيخ عبد الرحمن بن عبيد بن عبد المحسن ذكرنا قصيدة
الشيخ عبد الرحمن في سنة وفاته، فمن أبيات قصيدة المترجم قوله في
مطلعها:

| | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| يقول الذي قد ضيع الوقت بالمنى | وينبغي ارتقاء للذرى والمراتب |
| وينبغي اقتناء للعلوم سفاهة | وأئى يقتنيها بالوعود الكواذب |
| كمثل الذي خال سراياً بقيعة | ويحسبه المغرور عذب المشارب |
| تفكر في نفس له وصنيعها | رأى إذا فيها كثير العجائب |
| من الجهل والتفريط أيضاً مع الجفا | ومن قلة التوفيق آت مقارب |
| فليس من ربي أتاني مظالم | ولكن من نفسي أتت بالمصائب |
| فواهاً على قلب عليل مصفح | أحاطت به الآفات من كل جانب |
| فآفة العلم الجدال مع المراء | وأيضاً انتصار للهوى والتغالب |
| وقال وقيل لا يفيد حصولها | سوى كثرة البغضا وقل التحاب |
| وقلة آداب وضحك مجاوز | لما قاله المختار أركى الأطائب |
| وأيضاً نهى عنه حديث مصحح | ومن بعده نهى علي بن طالب |
| وحث على كسب العلوم وصونها | من الشوب بالضحك الكثير المعائب |
| فإذا تعلمتم وأيضاً كضتموا | ففيه اعملوا حتماً على كل طالب |

فإن الذي بالعلم ليس بعالم فأعماله فعل اليهود الأخايب
وأيضاً نهى عن كثرة الضحك والمرا فأسبابه مذمومة في العواقب
وهذا خلاف الهدي هدي محمد فما كان في صدق فقله وذاعب
إلى أن قال مبشراً للمتقين ومنذراً للغافلين :

فدو العلم بين أمرين إما لجنة وحر حسان ناعمات كواعب
وأما إلى نار شديد سعيها وحر اللظى أيضاً وخبث المشارب
فيا أيها المغرور تلعب دائماً وأيضاً عن العصيان لست بتائب
تري أنك يا مغرور تعمل صالحاً ترى غب ذا عند غفور محاسب
إلى آخرها وهي حسنة ثم أنه انتقل في آخر حياته إلى مدينة الرياض فكان
يحضر مجالس الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ويلازمه لتذكر أحوال
العلماء الماضين وكان قد تولى إذاك إمامة مسجد من مساجد الرياض
رحمه الله .

وممن توفي فيها أيضاً الشيخ خالد الفرج مؤلف أحسن القصص وهو
تاريخ وجيز بناه من قصيدة رائية شرح كل جملة منها بشرح من الكلام الشر
في حياة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن كان خالد الفرج من آل طراد من
فخذ الناديل من قبيلة الدواسر ووالدته من أسرة آل ثنيان الغانم ولد في
١٣١٦ هـ ونشأ في الأدب فهو خالد بن محمد الفرج الدوسري شاعر طويل
النفس ، وهو الذي فسر ديوان حميدان الشويعر وديوان ابن ربيعة وديوان ابن
لعبون وديوان ابن سبيل صاحب نفى كما أنه باشر طبعها وطبع دواوين
آل قاضي والعوني وصحح هذه الدواوين وعلق عليها وقال عن نفسه : قد
كنت قمت بطبع ديوان عبدالله بن محمد الفرج سنة ١٣٣٩ هـ فنفذت طبعته
وفي نيتي إعادة طبعه إلى أن قال : وفي أوائل هذا العام ويريد به (٧١) صدر
ديوان الشيخ محمد بن بليهد أحد أدباء نجد المعروفين ثم ذكر أنه في عام
١٣٧٠ كان بحضرة وزير المالية عبدالله بن سليمان الحمدان فجرى ذكر لهذا

الوضع فرغب إليه المذكور أن يجمع شيئاً من ذلك ويذيله بما يحل غوامضه فقام بطبع هذه الدواوين وقد أتى في ضبط الكلمات العامة بما يدل على براعته في الأدب وما لديه من ذوق وولع في هذه البضاعة .

وتوفي في هذه السنة أيضاً الدكتور الماهر في علاج البصر محمد بن علي الشواف وقد فاق كثيراً من الذين يعالجون في المملكة السعودية، وقد أشرنا إلى مجيئه إلى بريدة عاصمة القصيم في سنة ١٣٦١هـ وكان يقوم بجهد واجتهاد ولا سيما إذا كان في عيادته لما يرجوه . فرحمة الله على أموات المسلمين .

ذكر شيء من التعريف بجمال عبد الناصر وأخباره

كان هذا الرجل لا تغادر الابتسامة الرقيقة شفتيه، وكانت ولادته في ١٥ يناير ١٩١٨ ميلادي في مدينة الإسكندرية . أمّا والده فقد كان من أسبوط من بلد اسمها بني مرّ، وكان موظفاً بمصلحة البريد . وفي ذلك الوقت لم تكن هناك مدارس روضة إنمّا كانت هناك كتاتيب ومدارس أولية، وكان يقول عن نفسه : (إنّ آخر مدرسة أولية التحقت بها كانت في الخطاطية ١٩٢٦م) . وكان والده وكيل بوسطة الخطاطية . وعندما نقل والده إلى مصر بدأ جمال دراسته الابتدائية في مدرسة النحاسين ف قضى فيها عاماً ثم أنّه نقل إلى مدرسة العطارين، ثم عاد مرة أخرى إلى النحاسين حيث نال شهادة إتمام الدراسة الابتدائية . وبعد الابتدائية نقل إلى مدرسة حلوان الثانوية بالقسم الداخلي ومكث فيها عاماً واحداً وبعد ذلك نقل إلى مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية ونال البكالوريا من مدرسة النهضة عام ١٩٣٦م ثم التحق بكلية الحقوق بالجامعة المصرية في نفس العام وما لبث إلا قليلاً حتى غادرها إلى الكلية الحربية في مارس ١٩٣٧م على إثر إعلان الكلية عن دفعة في منتصف العام .

وممّا ذكره عن نفسه في قصة حياته أنّه قدم في أول العام الدراسي طلباً إلى الكلية الحربية فلم يقبل نظراً للعدد المحدود الذي كان يقبل ثم تخرج في أول يوليو ١٩٣٨م والتحق بالكتيبة الخامسة، وعندما أعلن طلب ضباط يسافرون إلى السودان طلب نقله وألحق بالكتيبة الثالثة في ديسمبر ١٩٣٩م. وهناك قابل صديقه وزميله عبد الحكيم عامر ومن يومها صارا صديقين وكان لهذه الصداقة دور كبير في حياتهما معاً. وقد مكث جمال في السودان حتى مايو ١٩٤١م ثم انتقل مدرساً بعد ذلك بالكلية الحربية عام ١٩٤٢م، ثم بمدرسة الأسلحة الصغيرة حتى نهاية ١٩٤٢م. وفي نفس الوقت كان يدرس بكلية أركان الحرب فنجح في الدفعة التاسعة والتحق بالكلية وهناك التقى أيضاً بعبد الحكيم عامر ثم أنّه تخرج في كلية أركان حرب يوم ١٢ مايو ١٩٤٨م والتحق بالكتيبة السادسة في فلسطين. وبقي في هذه الكتيبة حتى انتهت حرب فلسطين وبعد ذلك عادت الكتيبة إلى القاهرة وانتقل هو إلى مدرسة الشؤون الإدارية. ولقد كان قائماً بأركان حرب الكتيبة فاحتلت في وسط أرض اليهود. وفي ١١ يوليو أصيب في إحدى المواقع خلف المستعمرة ونقل إلى المستشفى وكانت إصابته عبارة عن جرح غير نافذ بأعلى الصدر من الجهة اليسرى. ولكنه ما لبث أن عاد إلى الميدان واشترك في معركة عراق المنشية بجوار الفالوجا في سبتمبر. ولمّا عاد من فلسطين انتقل مدرساً بكلية أركان حرب وظلّ في هذه الكلية حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م. وكان قد تزوج عام ١٩٣٣ ولديه خمسة أولاد هدى ومنى وخالد وعبد الحكيم كذا قال عن نفسه، وله نفس وهمة تمنيه الصعود إلى المعالي. ولما سئل ما هو مثلك الأعلى قال: العمل يجب أن نعمل حتى نتحقق أهدافنا بأية وسيلة ممكنة أو غير ممكنة، وأنّه يحب أن تكون لكل دولة سيادتها على نفسها كاملة وإن وجود أي عسكري أجنبي في دولة ينقص من سيادتها. ولمّا أن قامت مصر تغلي مراجلها لمعاملة الإنكليز لها من

معاهدة ١٩٣٦م وطالبوا بتعديلها، وقام أناس فأمسكوا عن الطعام والشراب أربعة عشر يوماً جزعاً وعزموا على أن لا يذوقوا طعاماً ولا شرباً إلى أن تلغى تلك المعاهدة حتى بدا الضعف الشديد على أجسامهم رجالاً ونساء، قام رجال الثورة بثورتهم ضد الملك فاروق، كان من بين الثائرين جمال عبد الناصر. فاخترأوا رجلاً يكون مثلاً في النزاهة بعد ما خلعوا الملك فاروق وأعلنوها جمهورية، فوقع اختيارهم على الرئيس محمد نجيب وكان من هؤلاء من يريدون توطيد الجمهورية ويريدون لها جمال عبد الناصر بعد ذلك وإنما أقاموا أولاً محمد نجيب لما يعرفه عنه الشعب المصري في النزاهة والدين ومحبة الشعب له. ولمّا أن أرادوا إبداله جرى في الشعب ارتباك وقام الإخوان المسلمون لا يعدلون بنجيب سواء وذلك في ٢٦ ذي القعدة من السنة المتقدمة الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٤م.

جلاء الإنجليز عن مصر

ما زال أهالي مصر منذ زمن طويل بحكوماتهم يطالبون بتعديل معاهدة ١٩٣٦م المتقدمة وهذه المعاهدة تقتضي بقاء الإنجليز في منطقة القناة واستمرار قيام الحكم الثنائي في السودان وتركزت المطالب في جلاء الإنجليز عن وادي النيل وفي وحدة مصر والسودان. وتفاوض الطرفان فلم يتوصلا إلى حل واضطرت مصر إلى رفع النزاع لمجلس الأمن وكان ذلك بعد انضمام مصر إلى هيئة الأمم المتحدة. وقد حاولوا قبل ذلك إلغاء المعاهدة واضطرت وزارة مصطفى النحاس تحت ضغط الرأي العام إلى إلغاء هذه المعاهدة في أكتوبر ١٩٥١م، وهاجم الفدائيون معسكرات الإنجليز في منطقة القناة فنسفوا منشآتهم بالقنابل والمتفجرات وعطلوا مواصلاتهم وقطعوا عنهم التموين، وترك العمال المصريون العمل بالمعسكرات البريطانية فاشتد الأمر على الإنجليز وانتقموا من الفدائيين والعمال ورجال البوليس المصري انتقاماً شديداً وخربوا المزارع المحيطة

بمعسكراتهم وأزالوا بعض القرى إزالة تامة وتعقدت الأمور واضطرب الأمن. ولمّا أن رفعت مصر في هذه السنة لمجلس الأمن لم يصل فيه إلى حل إيجابي أو يتخذ المجلس فيه قراراً مراعاة لنفوذ الإنجليز فيه. وما زال المصريون كذلك حتى فاوض قادة الثورة بريطانيا للجلاء عن مصر في وقت عبأوا فيه قوى الشعب ضد الاستعمار فترددت المفاوضات بين قطع ووصل وسارت بجانبها حركة القناة بين الفدائيين من رجال الحرس الوطني وكتائب التحرير ومنظمات الشباب وبين الإنجليز. فأدركت بريطانيا روح البعث الجديد وسلمت بمطالب مصر فعقدت اتفاقية الجلاء في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م فغادر ميناء بورسعيد في هذه السنة ٥٠٠ جندي بريطاني تنفيذاً لهذه الاتفاقية وذلك في آخر صفر من هذه السنة ولكن بريطانيا جعلت تتربص بمصر الدوائر.

وفيها قام الوزير عبدالله بن سليمان بن حمدان بتقديم استقالته من وزارة المالية محتجاً بكبر سنه وطلب الراحة فقبلت الحكومة استقالته وأجرت له مرتباته لخدمته الدولة والقيام بواجبه واحتفظت بكرامته ثم أنّه جعل مكانه وزيراً في المالية والاقتصاد محمد سرور الصبان ونودي به وزير المالية والاقتصاد الوطني.

جولة وكيل وزير المعارف الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ

في هذه السنة بعثت الحكومة وكيل وزارة المعارف ليتجول ويتفقد شؤون المدارس في المملكة فقام بجولة تفقدية في نجد والحجاز وغيرهما.

وفيها هطلت أمطار غزيرة على سائر بلدان نجد وذلك في الموسمي واستمرّ نزول الأمطار قريباً من شهرين. وجرى وادي الرمة جرياً عظيماً لم يعهد مثله في هذه الأزمان الأخيرة بحيث دمر ما مرّ عليه من العمران

واستمرَّ يجري عشرين يوماً حتى بلغ في الغاية إن كان مثل البحر . ولمَّا كان في ليلة ٥/٦ هطلت أمطار غزيرة على مدينة الرياض وضواحيها من الساعة الرابعة ليلاً بالتوقيت الغربي حتى الصباح وسال وادي حنيفة فالأودية الأخرى ، كما وردت أنباء أخرى عن هطول أمطار غزيرة على القرى القريبة ونزل على الحوطة في ٥/٨ سيل عظيم ديمة استمرت سبع ساعات من النهار وجرى شعب الحوطة كما أنَّه نزل في يوم الأحد المذكور ٥/٨ مطر على شعيب ملهم إلى علاوى بوصبا فجرت على أثر ذلك الأودية كلها كذلك هطلت أمطار على جنوب المجمعمة مشت لها الأودية واستمرَّ نزول الأمطار يميناً وشمالاً حتى جرى شعيب الكلب وعمت الأمطار والسيول جميع نخيل صرمة وهطلت أمطار غزيرة على أشيقر وشقراء والقرعة وجرى السيل المنهمر من شمال قليب القران في شقراء .

وجاء من ظهران اليمن أخبار تفيد بأنَّه في الثامن من جمادى الأولى هطلت على ظهران اليمن وضواحيه أمطار غزيرة سالت منها الأودية والشعاب والمزارع وأنَّ السحاب واسع وما زال متراكماً على الجهات هناك وكذلك على أبها ونجران هطلت في ١١ منه أمطار عليها وعلى ضواحيها وقد استمرَّ على أبها من ٥/٨ إلى اليوم المذكور وقد وصلت سيارة من تثليت إلى نجران يعبر ركابها عن كثرة السيول والأمطار وأن السيل تثليت إلى مركز الحصينية الذي يبعد عن نجران ستين كيلو .

سياحة الملك

في هذه السنة قام الملك سعود بجولة كالعام الماضي لزيارة جميع المدن والقرى والقبائل المحيطة بالدوادمي والموصلة إليه كالقويعية والشعراء وخف ومرات وذلك في جمادى الأولى بوقت كانت الأمطار تهطل والأودية تجري وقد أقيمت له المسرات والاحتفالات لجلالته ، وكان يكافئ على تلك

الكرامات ويعطى الجوائز ويمنح الفقراء والمساكين أنواع الملابس والنقود ولقد تيمنت الأمة بطلعته واستبشرت بهطول الأمطار واستمرّ نزول الأمطار واشتدّ وقعها على القصيم حتى بلغت الحال في أواخر رجب إلى أن تهدمت البيوت وجعلت رؤوس الحيطان تنهار لذلك وبعثت الحكومة هيئة تفقدية لتعويض المنكوبين من جراء السيول.

وفيها فتح في مدينة بريدة أربع مدارس زيادة على الثلاث الأولى وهي الفيصلية والمنصورية والعزيزية فكان فيها سبع مدارس ابتدائية كما أنه أسس في مدينة بريدة مدرستان ليليتان لمحو الأمية. وفي آخر هذه السنة فتح معهد المعلمين في بريدة ونقل لإدارته عبدالله بن إبراهيم بن سليم من المدرسة التذكارية في الرياض.

أمّا عن معتمد المعارف في القصيم فهو صالح بن سليمان العمري سبط الشيخ عمر بن محمد بن سليم. ولي هذه الوظيفة منذ عام ١٣٦٩هـ، ثم أنّها جعلت المعتمدية إدارة فسميت إدارة التعليم ونقل العمري إلى الرياض وجعل مكانه عبد العزيز بن محمد بن عبدالله التويجري، وكان شاباً من متخرجي كلية الشريعة في مكة المكرمة فباشر عمله في القصيم في هذه السنة. أمّا عن الأول فجعل في إدارة الرعاية الاجتماعية هناك.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها سطا وحش على أطراف العلا شمالي المملكة في إحدى الليالي فاختطف مولوداً وقام الإسعاف لإدراك المولود في الحال ففرّ الوحش وألقى بالمولود ولما كان بعد ليلتين اختطف الوحش نفسه ابنة صغيرة لأحد أهل البادية الفلاحين القاطنين بأطراف العلا وفوراً استنجد والد الإبنة بالقائد (المري) ليقص الأثر في الصحراء ويتحقق عن الحادث فاتضح له أنّها ذئبة ولها جملة أولاد وقد وصفها المري تماماً لوالد الإبنة الأعرابي وكانت الذئبة

في بادئ الأمر تأكل الأغنام أمّا الإبنة فقد افترستها على بعد بضعة كيلومترات من مكان اختطافها وأكلتها بعد ما مزقت ثيابها ولم تبق منها إلاّ عظماً صغيراً عثر عليه القائد أمّا أهل البنت فقد عمهم الحزن والأسى وشاركهم أهل البادية والعلا وقد قعد والد البنت لهذه الذئبة كل مرصد وبعد أسبوع تمكن من قتلها بواسطة فخ نصب لها في طريقها فاستراح الناس من هذه الآفة المفترسة ولكنهم خائفون من أولادها لأنهم لا بدّ أن يحتذوا حذو أمهم لا سيما وقد عرفوا الطريق . هذا وقد توجد حول العلا ذئاب ودخلها كلاب تدور طول الليالي في الشوارع وتؤدي المارة .

وفيها انتحر مفوض شرطة رأس تنورة وهو فوزي العسيري البالغ رتبة رئيس بأن سدّد رصاصة من مسدسه إلى قلبه فخر صريعاً في الحال، وكان يقال عنه أنّه كان مولعاً بمشاهدة الأفلام الأمريكية التي تشجع على الانتحار في الأزمات النفسية الحرجة ويبلغ من العمر ٤٠ سنة ولديه زوجتان وأطفال ثلاثة . فالله المستعان . وهذا من الابتلاء نسأل الله العافية وإلّا فيحرم على الإنسان قتل نفسه لأنّ الله تعالى حرم ذلك بقوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُونًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ . والحكمة في ذلك أن نفسه ملك لله ليست ملكاً له ، ومن ابتلاه الله بشيء من المضايقات فيجب عليه أن لا يفعل ذلك والصبر واجب وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد . وفي الحديث الصحيح عن جندب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله ﷺ : «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحزّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات» . قال الله عزّ وجلّ : عبدي بادرني بنفسه فحرمت عليه الجنة ولا يصلي الإمام الأعظم على قاتل نفسه كما لا يصلى على الغالي من الغنيمة .

وفيها جعل في جامع بريدة ميكروفون مكبر الصوت وكان ذلك في ٨/٢٠ كما أنّه أضيء بالكهرباء قبل ذلك في آخر رجب وهذا بجعل ماطور خاص .

وفيهما تبرع الملك سعود لكل من حفظ القرآن عن ظهر قلب بألفي ريال ممن أتى ببينة من قبل القاضي صرفت له . وهذا للتشجيع والعناية بالقرآن الحكيم .

وفيهما جرت محاولة في الهند لاغتيال زعيم الهند جواهر لال نهرو غير أنه سلم وقد كان لذلك أثر سيء واستنكار في قلوب جميع المواطنين في دلهي وغيرها الذين يقدرّون في ذلك الإنسان روحه السلمية وأفكاره التقدمية .

وفيهما سافر سمو الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي أمير المقاطعة الشرقية برحلة قصيرة إلى قطر وقد عاد بالسلامة وقد رفع الأستاذ سعود الدغثير إلى منصب وكيل وزارة المالية في المنطقة الشرقية .

أما ما كان عن مشكلة البريمي فلا يزال الخلاف مستمراً فيها ولم تتوفق لحل فيها غير أن الحكومة السعودية والحكومة البريطانية اقترحتا على إحالة النزاع حول الحدود بين المملكة العربية السعودية ومشايخه أبو ظبي وعلى السيادة في منطقة البريمي إلى التحكيم فاختر من الجانب البريطاني السير ديدربولارد ومن الجانب السعودي الأستاذ يوسف ياسين كعضوين في هيئة التحكيم وانتهت المباحثات بين المندوبين المذكورين إلى اختيار الدكتور شارلز ديقرش البلجيكي رئيساً محايداً للهيئة كما اختير الدكتور محمود حسن الباكستاني وغيرهم . غير أن الأمور لا تزال في تعقيد وسنعود عن قريب .

وفيهما قام الملك سعود بزيارة لإيران فسار في آخر ذي الحجة يوم ١٩ الجاري من مطار جدة بعدما ودع هناك من الأهالي والأجانب ، وقد ازدحم المطار بجماهير غفيرة وأدت ثلة من الجيش والشرطة التحية حيث عزفت الموسيقى السلام الملكي ثم تتابع بين يدي جلالته كبار المودعين وفي مقدمتهم الأمير محمد البدر ولي عهد اليمن ورئيس مجلس الوزراء ورجال

الدولة والأعيان والوجهاء وكان في معيته وزير إيران فمرّ في طريقه بالظهران بحيث درجت الطائرة الملكية في الساعة الثالثة والرابع صباحاً وبعدما تناول طعام الغداء والعشاء لدى أمير المقاطعة الشرقية سعود بن جلوي، وفي الساعة الحادية عشر من صباح ١٢/٢٠ تحركت الطائرة الملكية الخاصة من مطار الظهران بعد وداع حافل اشتركت فيه جميع الهيئات الرسمية والأهلية والأجنبية إلى طهران (بالطاء المهملة) وعند الحدود الإيرانية استقبل بشرف من الطائرات الإيرانية وكانت من سلاح الطيران ترافق الطائرات الملكية عبر الأراضي الإيرانية حتى هبطت الطائرة الملكية في مطار مهرآباد بطهران فكان المطار غاصاً بجموع المستقبلين وعلى رأسهم ملك إيران الشاه وصاحب السمو الأمير عبد الرضا شقيقه ورئيس مجلس الوزراء وسائر الوجهاء والأعيان وبعدما تمت الزيارة رجع إلى مملكته مغتبطاً بالسرور.

حلف نوري السعيد

كانت معاهدة سنة ١٩٤٨ م لم تحقق الآمال لذلك رفض الوصي عبد الإله ومجلس الوزراء التصديق عليها وظلت معاهدة ١٩٣٠م قائمة حتى ألغيت في هذه السنة عندما عقد حلف بغداد بين العراق وكل من تركيا وبريطانيا وباكستان. وقد قام نوري السعيد في بغداد بحلف يضرب بمصالح العرب فقامت العرب ضده وأجلبوا على نوري مندريس وصاحوا به من أقطار الأرض. ولقد جرّ عليه هذا الحلف شراً كبيراً وإن حلفه هذا ليؤيد إسرائيل ويعترف لها وذلك لأنّه أوحى به إليه الاستعمار الغربي وكان من نتيجته أن اعتدت اليهود على غزة اعتداءً أثيماً.

ثم دخلت سنة ١٣٧٥ هـ استهلّت هذه السنة والمهندسون يدأبون في سحب مواشير المياه العذبة في مدينة بريدة لإدخال دورات المياه في بيوتها وذلك بأنّه أمر الملك سعود بحفر بئر ارتوازية تكون في الغاف الموضع

الكائن في الغرب عن المدينة. ولمّا أن تمّ سحب الماء من البئر المذكورة في السنة المتقدمة قام مدير فرع الزراعة بالقصيم عبد المحسن بن محمد بن سيف مع المهندس أبى العز فهمي المنتدب من قبل وزارة الزراعة بمد الأنابيب من العين العزيزية التي كان جلالة الملك قد أمر بمدّها لتزويد بريدة بالماء العذب. وكان قد وصلت المياه العذبة إلى أمّدية في مواضع الوضوء في جوار المساجد وإلى الشوارع الكبار، والآن يقوم الأهالي بإدخالها في البيوت على العموم وإنشاء دورات مائية لتباري مدينة بريدة كبار المدن الأخرى. وقد تمّ قبل ذلك مد أنابيب مماثلة من عين العجيبة إلى الحارات الغربية والجنوبية من مدينة بريدة ولقد توصلت الأحوال ببعض الأهالي إلى أن كان يجعل الماسورة في الوجار بين الدلال والأباريق فيفر البازات ويصب الماء في تلك الأواني. ولقد تحدث أهل الخبرة والتنقيب عن هذه المياه لما كثر التساؤل عنها هل هي مستديمة أعواماً طويلة أم عمرها قصير تنتهي بعد سنوات قليلة فكانت بعد الفحص عنها أنّها مياه مستديمة بكميات وافرة وذلك لتوالي الحفر منذ سنين فلم يؤثر بعضها على البعض شيئاً وبذلك أصبحت مدينة بريدة التي تعلو عن سطح البحر بمقدار خمسمائة وستين متراً تكون مخزناً لمياه غزيرة وقد أيقن المهندسون الفرنسيون إنّ بجوف الجزيرة مياهاً مخزونة غزيرة وتكوين الأرض الجيولوجي يدل على أنّ منبعها غزير إذ باختراق الأرض للوصول إلى الماء النابع يتخلل المنطقة خمس طبقات صخرية سمك كل منها يتراوح ما بين نصف متر ومتر ونصف وأن بين كل طبقة وأخرى حوالي عشرة أمتار أو خمسة عشر متراً مواد رملية وطينية ومعظم المهندسين الأمريكيين يرجحون أنّها آتية من الجهة الشمالية مثل جبال الأورال أو جبال دجلة والفرات أو أنهار الأردن وطبرية كما قرر الخبراء أنّه يستغل من هذا الماء توليد الكهرباء وأن تلك الطاقة الكهربائية يمكن استغلالها في إمارة القصيم كله وإنشاء بعض الصناعات التي تحتاج

إلى الكهرباء ولكن وبالأسف إنها ثروة ضائعة فلا يلتفت النظر إليها ولم
تعرفها الحكومة اهتماماً.

ذكر ما جرى في مشكلة البريمي

إنَّ الحكومة السعودية حرصت كل الحرص على حل مشكلة البريمي
وكانت قد جعلت قبل ذلك في منطقة البريمي الأمير تركي بن عبدالله بن
عطيشان على رأس قوة بسيطة هناك وما زالت الحكومة الإنجليزية تطالب
بسحب تركي بن عطيشان بصفته يستجلب القبائل هناك ويخطب ودهم
للحكومة السعودية وأنه بسحب تركي بن عطيشان من منطقة البريمي إلى
أرض سعودية غير متنازع عليها يحصل التفاهم والوصول إلى المقصود
والحصول على النتيجة إذ وجود تركي بن عطيشان هناك يحول بزعمهم بين
الحل لهذا النزاع فإجابة للطلب ونزولاً تحت الرغبة رأت الحكومة السعودية
أن تسحب الأمير تركي وجماعته وأرسلت بدلاً عنهم الأمير عبدالله بن نامي
فاتفق مع قائد الفرقة البوليسية الإنجليزية على أن يكون مقر إقامتها قريباً من
سفح جبل حفيت على بعد خمسة كيلومترات من أقرب قرية وكان يصحب
الأمير عبدالله بن نامي أربعة عشر رجلاً من قومه . وكانت بريطانيا تود أن
توالي أعمالها العدوانية داخلها غير أنَّ اتفاقية التحكيم تحول بينها وبين ما
تريد وكان تشن غاراتها العدوانية بين فترة وأخرى حول حدود الواحة فكم
دمرت من القرى وكم أزهقت من الأرواح وكم أيتمت أطفالاً وأرملت نساء .
ولمَّا أن جلست الهيئة المتقدم ذكرها في بتس ٢٢ يناير ١٩٥٥م ثم
استؤنفت في جنيف بتاريخ سبتمبر ١٩٥٥م ورأت المحكمة أن تصد قرارها
في صالح الحكومة السعودية أوعزت بريطانيا إلى مندوبها ديدر بولارد
بالانسحاب خوفاً من صدور الحكم ضدها فشلت حركة المحكمة وبينما
الحكومة السعودية تنتظر حلاً لهذا النزاع إذا بريطانيا تقوم بهجوم على القوة
البوليسية السعودية في البريمي وهذه تعتبر أكبر زلة وخطيئة من بريطانيا

الجائرة الخائنة المعتدية والعياذ بالله .

اعتداء أثيم

لَمَّا كانت الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء الموافق ٩ ربيع الأول ١٣٧٥ هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٩٥٥ م وذلك قبل صلاة الصبح بساعة تقريباً استيقظ بعض من بالمركز على سماع جلبة عظيمة تخترق سكون ذلك الليل الرهيب وإذا بخمس وأربعين سيارة قد أحاطت بالمركز على هيئة دائرة وبضع طائرات تحلق على بعد منخفض فوق المركز فاعتقلوا خمسة خارج مضاجعهم بعد أن أشبعوهم ضرباً بأعقاب البنادق حتى كادوا أن يفقدوا الوعي فاشتبك الأمير عبدالله بن نامي مع قائد القوة الميجر سميت فأصيب الأمير عبدالله برصاصة في فخذه اليسرى أمّا البقية فقد أُلقي القبض عليهم وهم نيام وأقلتهم طائرة إلى مطار الشارقة ثم نقلوا إلى ميناء دبي بالسيارات فوضعوا في سفينة حربية وضعوا فوق سطحها المكشوف الحديدي تحت وطأة الحر الشديد والشمس المحرقة داخل دائرة من الرشاشات لا يبلغ قطرها مترين وخلف كل رشاش جلس صاحبه من الإنجليز ينظر إليهم شرراً كأنَّ أولئك الضعفاء يحاولون الاستيلاء على لندن وبقوا طوال ذلك اليوم في الميناء في حالة محزنة وفي المساء أبحرت السفينة حيث قطعت الطريق إلى البحرين في ست وعشرين ساعة ومن البحرين نقلوا بطائرة أرسلتها الحكومة السعودية فوصلوا إلى مطار الظهران يوم الجمعة ١١/٣/ ١٣٧٥ هـ ولمَّا أن جرى ذلك الأمر الشنيع ثار الشعب السعودي ليسعى كتلة واحدة لتخليص ذلك الجزء من المملكة وقدم أهالي المدن والقرى والهجر أنفسهم لغزو بريطانيا في عقر دارهم ورفعوا ألوف البرقيات لصاحب الجلالة سعود بن عبد العزيز أنَّهم تحت أدنى إشارته . ولقد تدفقت البرقيات من الرياض وبريدة وحائل وعنيزة وسائر مقاطعة القصيم وغيرها وتقدم من بني عطية أربعون ألفاً من تلامذة القرعاوي في اليمن عشرة آلاف مدربون من بين ستين

ألفاً وتقدم أهالي الحوطة ورجال بني تميم وأهل رفحا وقبائل مطير وأهل تبوك وأهالي الأسياح وكل مدينة وقرية ولا نطيل فكلها قدمت رجالها حتى بلغ عدد الذين ضحوا بحياتهم إن دعوا تسعمائة ألف . ونحن نسوق برقيتين من البرقيات كنموذج لبقيتها: (جلالة الملك سعود المعظم نقل إلى أسماعنا الاعتداء البريطاني الغاشم على واحة البريمي السعودية وحيث يا مولاي أن ذلك أثر في نفوسنا أبلغ الأثر فإننا نتقدم لجلالتكم بأنفسنا وجماعتنا ونرجو صدور أمركم الكريم بالجهاد في سبيل الله ولا لذة لحياتنا والإنكليز في أوطان العرب أيدكم الله ونصركم).

وقالت القبيلة الأخرى في برقيتها: (نقدم أنفسنا للجهاد في سبيل الله تحت لواء جلالتم لل دفاع عن وطننا المقدس نسترحم يا مولاي قبولنا حيث أننا منتظرون الإشارة من جلالتم للتقدم إلى جهة القتال أدامكم الله).

جواب الملك للشعب

إنَّ الملك لم يسمح بالجهاد بل أجاب الشعب بعدما جعل يعدد المراحل في الإصلاح والعمل الدائم الذي تسير فيه المشاريع ثم أنه أبان عن عدوان الإنكليز الغادر في احتلال منطقة البريمي بشكل مفاجئ وبدون سابق إنذار ثم قال: ولا نعلم لذلك سبباً فقد كنا أوفياء بعهودنا حينما عقدنا اتفاقية التحكيم معهم ولكنهم نقضوا لاتفاقية التحكيم بأنفسهم في مناسبات عدة من ضغط واستعمال القوة وإرهاب الأهلين بشتى وسائل الإرهاب لكن أعيتهم الحيل للوصول لأغراضهم وأهدافهم ولم نعلم سبباً موجباً لأن ينقض الإنكليز عهودهم ومواثيقهم، ولم أجد تعليلاً لهذا إلا أنهم ضاقوا ذرعاً بنا فلم يتمكنوا أن يجعلونا متكأ لهم في أغراضهم الاستعمارية وأغراضهم الحربية التي لا تتفق مع مصالح بلادنا ولا مصالح المسلمين والعرب، فقد دعونا للدخول في أحلافهم ودعونا أن نسير في ركابهم فأبينا إلا أن نكون

في ركاب المصالح العربية والإسلامية غير عابئين إلا بما يمليه علينا صالح ديننا وبلادنا وعروبتنا فبيتوا هذا العدوان لنا انتقاماً منا ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٨﴾ هذا ولا يفوتنا أن نشير هنا بصورة وجيزة لما قمنا به مع الإنكليز في وقت نشوب الحرب العالمية إذ فتحنا لهم بلادنا لمساعدتهم وقمنا بتأييدهم بكل ما كان في إمكاننا وقد عرضنا بلادنا للانتقام إذ كنا لا نملك أي مدفع مضاد للطائرات أو طائرة مقاتلة تدفع عنا صولة من يعتدي علينا كل ذلك كان مروءة منا ووفاء للصدقة التقليدية التي تربطنا بهم وكان جزاؤنا من هذه الصدقة وهذا الوفاء انتهاك حرمة بلادنا والاعتداء على كياننا في الوقت الذي يدعون فيه محبتهم للسلام وتأييد ميثاق هيئة الأمم ومجلس الأمن. وإننا لنهيب بالشعب البريطاني بأن يعي ما قلناه ويتساءل عن الحقيقة وما تنسبه حكومته إلينا من اتهام باطل وما قامت به ضدنا من أعمال ثم يوازن بين الاثنين كما أننا نزلنا على رغبتها بقبول التحكيم بعدما كنا نصر على الاستفتاء كل ذلك رغبة منا للوصول إلى حل شريف ودي معها ولا زلنا نبغي التحكيم إذا أعيدت الأمور إلى ما كانت عليه بالبريمي قبل الحادث الغادر. شعبي العزيز لقد أبهج قلبي ما لقيت من حماس وغيره واستعداد للتضحية أمام هذا الاعتداء الغاشم وإننا لعاملون بحول الله وقوته لإرجاع حقوقنا كاملة غير منقوصة مستنفذين الوسائل السلمية للوصول لأهدافنا وسنعمل في كل مجال لرد العدوان عن بلادنا بكل ما نستطيع من جهد وقوة هذا وإن تلك الاعتداءات التي ما زال اليهود يقومون بها على البلاد العربية المتاخمة لفلسطين قد أثارت اهتمامنا وشدت عزمنا على المضي في الاستعداد لكل عون يتطلبه الموقف إذا حزب الأمر وأرجو الله أن يمن علينا وعليكم بهديه وتوفيقه وأن يجمع كلمتنا مع إخواننا العرب والمسلمين لما فيه عزنا جميعاً ولما فيه دفع العدوان عنا جميعاً والسلام عليكم ورحمة الله.

وفيها أنشأت الحكومة السعودية فئة الريال الواحد ورقاً وقد صنع على

ألواح فولاذية محفورة باليد وذلك بمناسبة حلول موسم الحج رأت الحكومة ذلك تيسيراً للحجاج .

وفيها قام وزير الدفاع مشعل بن عبد العزيز فوجه دعوة إلى وجهاء الأمة في جميع أنحاء المملكة من مكة والمدينة وجدة والطائف وجازان وبريدة وعنيزة والرس وحail والجوف والإحساء والدمام والخبر والظهران والقطيف وشقراء والمجمعة ونجران وأبها وغيرها من المدن لافتتاح الكلية الحربية في مدينة الرياض ودعيت وفود من البلاد العربية من علية القوم وأشرافهم . وفي عصر يوم الخميس الموافق ٧ / ٥ / ١٣٧٥ هـ جرى الاحتفال بافتتاح هذه الكلية برئاسة صاحب الجلالة الملك سعود القائد الأعلى للقوات المسلحة وقد بلغ عدد المدعوين من وجهاء الأمة العربية وأعيان البلاد من الأمراء والوزراء والعلماء والقواد والضباط ورؤساء القبائل ما يزيد عن ألفي مدعو وأربى الحاضرون الآخرون على عشرات الآلاف وقد لبست مباني الكلية حلة جميلة وأحيط ما حولها بمعالم الزينة وقام رجال الكلية ورؤساء الجيش وضباطه بتنظيم الاحتفال وعلى رأسهم سمو وزير الدفاع . وفي الساعة العاشرة وصل حضرة صاحب الجلالة إلى مبنى الكلية وبعد الاستقبال تقدم وقص الشريط مؤذناً بافتتاح الكلية ثم تقدم جلالته إلى ساحتها حيث أدى لجلالته طلبة الكلية السلام الملكي ثم تقدم وأزاح الستار عن اللوحة التذكارية التي سجل فوقها تاريخ إنشاء هذه الكلية ثم رفع جلالته العلم فوق الكلية وبعد الخطب تفضل فسلم علم الكلية لسمو وزير الدفاع والطيران وفي خلال ذلك كانت التهتافات تشق عنان السماء والتصفيق يدوي في جميع أرجاء ذلك المكان الفسيح . وبعد أن استعرض جلالته طلبة الكلية زار أقسام الكلية الآتية :

١ - نادي الطلبة ومكتبهم .

- ٢ - مضجعاً من مضاجع نومهم .
- ٣ - البهو التذكاري حيث أراح الستار عن صورة البطل خالد الذكر (عبد العزيز رحمه الله) .
- ٤ - غرفة نضد الرمل للهجوم الليلي .
- ٥ - غرفة الإشارة .
- ٦ - القسم الإعدادي في درس اللغة العبرية .
- ٧ - غرفة هندسة الميدان .
- ٨ - معمل الكيمياء .

وبعد صلاة المغرب تناول الحضور طعام العشاء في داخل الكلية وعلى رأسه الملك . ثم تقدم جلالته إلى بهو النشاط الاجتماعي حيث ألقى مدير الكلية القائد زين العابدين قصيدة ثم شاهد الحضور تمثيل (مسرحية الانتقام) . وبعدما انتهى الحفل انطلقت الصواريخ النارية في سماء الكلية عند مغادرة الملك مبناها في طريقه إلى قصره ومن أبيات القصيدة التي ألقاها القائد مدير الكلية :

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| نحن ماضون للعروبة نحميها | ونفني كتائب الاحتلال |
| نحن ماضون للبريمي بعزم | ينزع الصخر من قلوب الجبال |
| ما البريمي رخيصة حين تدهى | إنما لمسها عزيز المنال |
| ما البريمي غنيمة لدخيل | أو مقاماً لغادر محتال |
| إنما أرضها مرابض أسد | ليست الغاب مسرحاً للسعال |
| إنما أرضها العزيزة قدس | دون تدنيسها مرير القتال |
| ليس سهلاً تسليمها العدو | هل يجود الإنسان بالأوصال |
| إنما أمة أبوها معد | كبرت أن تدين بالأذلال |

أمّا ما كان من البريمي فإنّ الإنكليز قد استولوا عليه ورفعوا العلم الإنكليزي على بيوت المشايخ ومراكز إدارتهم عدداً من الأيام . وقد قام غالب الأهالي هناك يفرون من تلك المنطقة وقد حاول الإنكليز أن يسكنوهم بتوزيع خمسين روبية على كل شخص يبقى في تلك المنطقة ولمّا أن رأوا كثرة المهاجرين منه لاجئين إلى الديار العربية فرضت الإنكليز على كل من يخرج عشرة روبيات وآخر من وصل في تلك الأيام إلى المملكة العربية السعودية من هؤلاء المنكوبين الشيخ عبد العزيز بن سلطان أحد مشايخ أبو شامي ومعه ست وأربعون عائلة وكانوا يبالغون في أذى الإنكليز لهم حتى أنّهم اضطروهم إلى أن يكنسوا البيوت التي استولوا عليها وينظفوها لاتخاذها لهم مساكن ثم طرأ للإنكليز أن أنزلوا أعلامهم ووضعوا بدل الأعلام الإنكليزية أعلام سلطان مسقط وشيخ أبو ظبي وتارة يجلبون قوة كبرى وأخرى يسحبونها كفعل المرتبك .

ذكر استنكار العالم لسياسة بريطانيا

لمّا أن استولت بريطانيا على منطقة البريمي بالقوة وفعلوا تلك الأفعال التي لا تكاد تصدر من ذي شيمة إنسانية وقام أهالي تلك المنطقة بما في ذلك منطقة عمان مصممين على الدفاع عن بلادهم بكل ما لديهم من قوّة وجعلوا يصلون الإنكليز نيراناً حامية وحملوهم خسارة فادحة .

ولقد قام أهالي الرستاك وضنك فاشتبكوا مع الإنكليز في قتال عنيف تمكنوا على أثره من رد البريطانيين على أعقابهم منهزمين وقتلوا مائة شخص من الإنكليز كل هذا من أسباب العسف والسياسة العمياء التي قامت بها بريطانيا . وما زال الأهالي يدافعون الظلم عن أنفسهم وأوطانهم حتى قامت الطائرات البريطانية مستمرة في نقل الجرحى إلى الشارقة طيلة ذلك اليوم غير أنّ بريطانيا فاجأت أهل ضنك بقوة كبيرة لا قبل لأهلها فاحتلوها ونكلوا

بأهلها وهكذا فعل الظالم المستبد وقد صمم شيخها سيف بن عامر على الدفاع عن بلاده بكل ما يملك من قوة فقامت الصحف الهندية وبورما وسيلان تستنكر هذا الاعتداء على السعوديين وجعلت حكومة الهند تدرس قضية البريمي كما أنَّ جميع الصحافة الباكستانية على اختلاف أحزابها وميولها تهاجم السياسة البريطانية الاستعمارية الجديدة في جزيرة العرب على أثر احتلال القوات الإنكليزية لواحة البريمي وقد أحدثت هذه الحوادث هزة عنيفة في جميع الأوساط الشعبية في هذه البلاد وبعثت جمعيات كثيرة برقيات التأييد لجلالة الملك سعود مستنكرة هذه الحملة الاستعمارية الجديدة في جزيرة العرب وبذلك ساءت العلاقات بين الحكومة السعودية وبين الإنجليز.

تحمس أهالي المنطقة الشرقية

ففيها قام الملك سعود برحلة تفقدية للمنطقة الشرقية وذلك في ٤/٦ من هذه السنة وقد استقلَّ القطار في هذه المرة ولمَّا أن وصل إلى الخرج توقف القطار لدى بلدة الخرج حيث احتشدت جموع الأهالي لتحيته وقد احتفلت الأمة باستقباله في الخرج والإحساء وبقيق والدمام. ولمَّا أن استقر في الدمام إذا قد احتشدت الجموع عن بكرة أبيها قد رفعوا أقواس النصر وألقوا الخطب وتحمسوا فلم يبقَ إلاَّ مقابلة الشر بالشر فأخذ صاحب الجلالة بالحكمة وضبط النفس وأن لا يعاملوا الإنجليز بمثل معاملتهم، كما قيل:

إذا جاريت في خلق دنيئاً فأنت ومن تجاريه سواء
رأيت الحر يجتنب المخازي ويحميه من الغدر الوفاء

فقام وألقى خطاباً جاء فيه: (أما عن اعتداء البريطانيين على هذا الجزء من بلادتي العزيزة وبلادكم أنتم قبل كل شيء فإنني سأبذل كل ما في وسعي وكل جهودي السياسية السلمية متفادياً كل وطأة بل كل قطرة من دم أي فرد

من أفراد شعبي فإن تحققت الأمنية وجلا البريطانيون من بلادي فهو الأمل بالصدق مع صديقه وإن ظلوا على ما هم عليه فإنني أول جندي سيذهب إلى هذه المنطقة ولا أبخل بنفسي دون نفوسكم فأنتم مني وأنا منكم وآمالي آمالكم وآلامي آلامكم . . . الخ . ولقد تحمست تلك المنطقة حتى قدم أهل الخبر دبابة عند باب قصر الإمارة وكانت ضخمة مرفوعة المدفع مضاءة بأنوار النيون وقد كتب عليها إلى البريمي من الخبر وعلى جوانبها العلم السعودي الخفاق ففقد جلالته هذه الدبابة العظيمة بين هتاف قوي من الأهالي وأبدى سروره بهذه الهدية الرائعة التي تدل على ما وراءها من روح أبية .

ذكر المدارس والمعاهد ومراحل التعليم

لقد بلغ عدد المدارس التي تمّ بناء دور صالحة لها أو شرع في بنائها هذه السنة في المنطقة الشرقية من البلاد السعودية أوفر نصيب فكان عددها ٥٧ مدرسة بينما عدد المدارس في هذه الجهة لا يتجاوز أربعين مدرسة وشيدت هذه المدارس على طراز مدرسي جميل تملكها الدولة وأن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى أعداد دور من هذا القبيل ولقد حظيت هذه الناحية من بلادنا بأمور كثيرة لم تحظ بها بقية النواحي منها ما هيأ الله فيها من منابع الثروة التي كان لها أكبر الأثر في نشاط الحركة العمرانية نشاطاً امتازت به على ما سواها من أجزاء المملكة الأخرى فكان حظ التعليم من هذا النشاط مناسباً لما يبذل في الإصلاح العمراني الأخرى ومنها أن الله هيأ لهذه المنطقة من الرجال الذين يتولون إدارة شؤونها العامة من أدرك أن العلم من أولى ما يجب أن يعنى به أولاً فحظي بالعون والتأييد وكانت المعارف حينما تتلقى من معتمدها في تلك الجهة المشار إليها طلباً لبناء مدرسة أو إصلاحها تطلب من وزارة المالية ذلك فتكل الأمر وزارة المالية إلى رئيس أموال الإحساء وهو في ذلك العهد صالح إسلام ثم خليفة

عبدالله بن عدوان فكانا يبادران بالإسراع بتحقيق رغبة المعارف مبادرة مبعثها حب الخير والإصلاح العام ومن تلك المدارس اثنتان وعشرون مدرسة شرع في إنشائها في خلال هذه السنة والتي قبلها من قبل هيئة المشاريع العمرانية التي أمر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم بتعيينها لتقوم على إنشاء المشروعات العمرانية الإصلاحية التي تحت إشراف سمو الأمير سعود بن جلوي ووفق إرشادات صاحب الجلالة وتوجيهاته وكان لسعود بن جلوي اليد الطولى في تقرير إنشاء هذه المدارس بعد صاحب الجلالة. يضاف إلى ذلك عشر مدارس قامت شركة الزيت العربية الأمريكية ببنائها في المدن التي يكثر فيها عمال الشركة.

فتح مدارس بالقصيم

ففي هذه السنة توالى فتح المدارس في مقاطعة القصيم فكان في هذه المقاطعة ما لا يقل عن خمس وسبعين مدرسة وكان في خلال ثلاث سنين أن فتح في النبهانية وصبيح والقوعي ووثال والعيون المعروفة بالجوى والأسياح وروضة الربيعي والشماسية والغماس واللسيب وخضيرا وحويلان الشحية والهلالية والقرعاء والشقة وضراس وخب الحلوة والقويح والبصر والشنانة، كما قد فتح قبل ذلك في القصيعة والمريديسية وخب روضان والعريمضي والمذنب والرس وقصر بن عقيل والبدائع ورياض الخبراء والخبراء والبكيرية وغيرها. وبما أن هذه المنطقة المترامية الأطراف الواسعة الأرجاء كثيرة المدن والقرى منذ عشرين سنة لا يوجد فيها سوى مدرسة واحدة أميرية، فإنها تضم ثلاث مدارس ثانوية في بريدة وعنيزة والرس، وتضم عدداً من المعاهد العلمية ومعاهد إعداد المعلمين النهارية والليلية ومدارس مكافحة الأمية التي تكتظ بكبار السن مما هو أكبر دليل على انتشار الوعي الثقافي. وبما أن موضع معتمدية القصيم كان ضيق الأرجاء يتولى أعماله كاتب فرد فقد نقل إلى موضع فسيح وأضيف إليه كتاب وموظفون.

أمّا حائل فإنّه يوجد فيها تسع مدارس ابتدائية ومعهد لإعداد المعلمين ومدرسة ثانوية ويوجد مؤسسات مدرسية أخرى في القرى حولها. ولا شك أنّ منطقة تعليمية مثل تلك المنطقة لحرية بجعل معتمد خاص بها. ومن العجائب أنّه في هذه السنة لم يكن لها معتمد خاص وكان لطلاب المدارس فيها نشاط ملموس في نواحي شتى. وحرصاً من إدارة التعليم بالقصيم على تهيئة مساكن صحية لمدارس العاصمة بريدة في العام القادم بعد هذه السنة فقد تعاقدت حالياً مع بعض المواطنين على عمارة المدرسة الفيصلية والخالدية والمنصورية ومدرسة العجيبة والعريزية. وأقامت مدينة عنيزة ناديا في ١٠/٤ دعت إليه خمسمائة من الأعيان، وحضره ألوف على رأسهم الأمير خالد بن عبد العزيز السليم والشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ومدراء المدارس والمعاهد. وقد ظهر ذلك الاحتفال في ثوب قشيب كما أنّه أقيم في تلك الليلة المتقدمة احتفال في نادي الإحساء وألقيت به خطب ومقالات مشبعة بروح الحماسة والتأثر من عدوان الإنكليز على الأراضي السعودية وكثر في هذه السنة مباريات الطلاب في الألعاب الرياضية.

ومن أبدع شيء ما قامت به إدارة التعليم في القصيم في شهر جمادى الأولى من هذه السنة بحيث أقامت مباراة رياضية بين منتخب المدرسة الثانوية وفريق المدرسة المنصورية وقد دعت الجماهير للحضور وعلى رأسهم أمير منطقة القصيم سمو الأمير عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد وقد ابتدأت المباراة بعد عصر يوم الجمعة وانتهت قبيل الغروب وأسفرت عن تعادل الفريقين وقد امتلأت ساحة المباراة بالمتفرجين وقد سلم أفراد الفريقين على الأمير عبدالله بن عبد العزيز فأهدى كل واحد من المتبارين ساعة يدوية ثمينة وهذا لأول مرة تقام المباريات في مدينة بريدة.

وفيها قامت قبيلة الريث بعناد للحكومة وسبب ذلك أنّ رجلاً من القبيلة قتل نفساً معصومة بغير حق فقامت إمارة جيزان تريد القبض على القاتل

لتحكم الشريعة فيه، فأبّت القبيلة وحالت بين الأمن وبين ذاك وتمردت ثم اعتصمت في حصنها المنيع جبل القهر الأشم وكان هذا الجبل لا يطاق الوصول إلى من اعتصم به لصعوبته ولأنّه حصن حصين فسير لهم الملك سعود القوات وجند لهم الجنود حتى ضيقت المسالك والطرق وباتوا قاب قوسين أو أدنى من الجبل المنيع ولما أن أحاطت بهم الدبابات والرشاشات بجريمتهم السيئة، وهي أنّهم لما أبوا أن يسلموا القاتل وعصوا وتمردوا صمم جلالة الملك على أن لا يذهب دم القتل هدرًا وتظهر هذه القبيلة عصيانها فعند ذلك رأى صاحب الجلالة قبل ضربهم بالمدافع والطائرات القاذفة المدمرة أن يرسل إليهم الرسل تبصرهم بالعواقب وتدعوهم إلى الطاعة وتعرض عليهم الأمان فعند ذلك فآؤوا إلى الحق والصواب وأعلنوا الاستسلام والطاعة والامتثال وكتبوا وثيقة أعلنوا فيها استسلامهم ونزولهم عند شروط جلالته التي هي تسليم القاتل وتسليم السلاح والعتاد وتحكيم الشرع وكانت الرسل التي أنذرتهم العقوبة قاضي جيزان والشيخ عبدالله القرعاوي ومدير التعليم في جيزان وأمراء المقاطعات تركي بن ماضي وسلمان بن جبرين وكبار قبائل عسير وتهامة ورؤساء القوات المرابطة من الجيش والإخوان المجاهدين. فعاد رئيس قبيلة الريث إلى قومه وهو مداوي بن مشاهر يحمل وثيقة التسليم وبينما يظن الناس أنّ المسألة قد انتهت وأنّ المياه عادت إلى مجاريها إذا بهم يعلنون العصيان ويتمردون ونكثوا إيمانهم من بعد عهدهم ظناً منهم أنّ ذلك العفو من الحكومة عجز، وقاموا من جديد بإطلاق النّار فعاودتهم الرسل فلم تفلح فعند ذلك رأت الحكومة أنّه لا بدّ من الحزم والشدة فأمر الملك بزحف القوات المرابطة لاحتلال الجبل وإعطاء سكانه المكابرين درساً لن ينسوه فما هي إلاّ ساعتان من الصباح ثم رفع العلم السعودي على قمة جبل القهر يعلن لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ولمّا أن أوقعت بهم القوات السعودية بطشاً شديداً خضعوا

راغمين وسلموا السلاح وكانت الضربة قاسية جداً قتلت رجالهم وسلبت أموالهم وتركهم أذلة بعد أن كانوا شامخين . وناهيك بالطائرات لما كشفت حصنهم من الجو وأمطرتهم وابلاً من النيران المحرقة ولم يفدهم جبلهم المنيع شيئاً.

وفيهما تمّ بناء المكتبة السعودية في بريدة وكانت نفقتها مبدولة من جلالة الملك سعود بتوجيه من فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد فجاءت بنائها على الطراز الحديث من الأسمنت المسلح وتبرع لها جلالة الملك بعشرة آلاف كتاب مضافة إلى الكتب التي فيها وكانت المكتبة قد أقيمت قبل ذلك في نفس المسجد الجامع الكبير في شرقيه وتبرع لها الأجواد بكتب ولا سيما مكتبة الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي فقد ضمت إليها وكان موقع بنائها الحديثة شرقاً عن الجامع الكبير بينها وبينه الشارع وقد أقيمت من طابقين كان أسفلهما دكاكين على جهة الشارع الشمالي والشارع الغربي وقاعة واسعة . أمّا الطابق الثاني فيحتوي على صالتين كبيرتين حسنتين وعريش أمام الشرقية . وقد تولّى إدارتها الشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي بمرتب ضئيل ثمّ تولّى إدارتها الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي ويجتمع فيها الطلاب ولما أن نقلت إلى الموضع الجديد كان نقلها من أكبر الإصلاحات في البلدة غير أنّها لم تنتظم في فتح وموظفين يقومون بأعمالها إلى أن ضمت إلى وزارة المعارف وقد ركب فيها مولد موتور كهربائي خاص قبل انتشار الكهرباء بالبلد وزودت بدورة المياه والحمامات الحديثة التي تكفل راحة الزائرين والمطالعين .

وفيهما شرع المقاولان فهمي أبو العز وسليمان بن فوزان العثمان ببنائة المعهد العلمي في شرقي مدينة بريدة وكان واسعاً وبنائته بالأسمنت المسلح . وتعتبر هذه البناية للمكتبة ابتداء بالبنائة الحجرية .

وفيهما فتح المدرسة الثانوية بمدينة بريدة وكان موضعها بحارة الخبيب قد عمر هذه المدرسة آل راشد الأسرة الكاثنة في بريدة. وفي هذه السنة اشترت إدارة التعليم في بريدة من معرض الراشد سيارتين حافلتين أوتوبيس لرحلات طلاب المدارس إلى الصحراء والتمريضات الرياضية.

وفيهما صدر أمر صاحب الجلالة الملك سعود بإسناد منصب وزارة الزراعة إلى خالد السديري خلفاً للوزير السابق عبد العزيز السديري الذي توفاه الله وهو مضطلع بأعباء هذه المنصب الخطير على خير ما كانت الآمال معقودة عليه ونسأل الله التوفيق إنه جواد كريم.

حفل يقام بمدينة الرس من أعمال القصيم

ففيهما خرج الأهالي لاستقبال وزير الدفاع مشعل بن عبد العزيز وكان قدومه لفتح المدرسة العسكرية بالرس حيث أقيم هناك مهرجان ثقافي واحتفال وحضر لذلك وجهاء القصيم وعلى رأسهم وكيل الإمارة محمد بن صغير وخالد بن سليم وعبدالله بن سليم والأمراء ثم أنه تبارى الخطباء بالخطب وبعد انتهاء الحفل تكرم الوزير فأهدى إلى كل من في المدرسة ساعة أو قلماً ولقد حضر وجهاء العاصمة (بريدة) لاستقبال القائد وزير الدفاع وتقدير الدعوة لزيارة بريدة وإعادة فتح المدرسة العسكرية فيها وكان أن سبق أن أغلقت لوقوعها في وسط المدينة فلقوا من سموه كل عطف وترحيب ووعدهم بعمل ما يلزم نحو إعادة فتح المدرسة العسكرية في بريدة ونحن نشير إلى مهمة وهي إنما تنهض البلاد بأهلها فقد كان في الرس حمد المالك الرجل المواطن وقد حضر مدير التعليم في مقاطعة القصيم ومدير الثانوية ببريدة ومدير مطار بريدة ومدير مكتب التفتيش فيها وقد أقام للوزير أمير الرس وأمر المطار فيها حفلي شاي ثم التمس منه أهالي الرس توسيع المطار فيها وتأسيس مستشفى عسكري فوعد بذلك ثم أنه غادر الرس إلى

مدينة الخبراء لمشاهدة بناية المدرسة العسكرية التي يزعم فتحها قريباً وقد أقام له الوجيه صالح الميمان حفلة شاي فخمة فيها ثم غادرها إلى عنيزة حيث استقبله فيها رجال التربية والتعليم ثم زار المدرسة العسكرية وشاهد التمثيليات واستمع إلى الخطب والقصائد وشجع الجهات المسؤولة هناك .

ذكر الاحتفال لإكمال عمارة مسجد المصطفى في المدينة المنورة صلوات الله وسلامه عليه

قد أسلفنا عن قريب إشارة إلى عمارته وفي هذه السنة تمت العمارة ففي ٣/٢ من هذه السنة استقبلت المدينة المنورة في صباح الأربعاء من اليوم المذكور صاحب الجلالة حامي الحرمين الشريفين وقد خرج طلبة المدارس الحكومية والأهلية يأخذون أماكنهم من الشوارع واصطف جنود الشرطة على طول الطريق أمّا قوات الإخوان المجاهدين فقد احتشدوا صفّاً واحداً متماسكاً قوياً من أول مدخل المدينة المنورة إلى المسجد النبوي الشريف بكامل قوتهم وأسلحتهم وقد حضر وفد مجلس الشورى ووزير المالية والاقتصاد محمد سرور الصبان وحضر أيضاً لذلك كثير من الأعيان والوجهاء دعوا من البلاد الأخرى، وكان يوم الاحتفال بانتهاء العمارة ٣/٥ الموافق ليوم السبت وممن حضر من العلماء المفتي ورئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ورئيس المحاكم الشرعية في المدينة المنورة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح وكذلك فقد دعي لهذا الاحتفال شيخ الجامع الأزهر في مصر ودعي مفتي كل دولة من دول أعضاء الجامعة العربية الدينية . ولما كان هذا العمل الجليل ممّا يبهج نفوس المسلمين ويثلج صدورهم فقد حضروا لهذه الدعوة وقاموا بالدعاء لصاحب الجلالة بالتأييد والتوفيق ولا ريب أنّ هذه المكرمة السامية الجديدة والمفخرة الكريمة سيضيفها التاريخ إلى مكرّمات الدولة السعودية العديدة ولقد كانت هذه العمارة الحسنة الجميلة من أبدع ما كان في التاريخ ولها روعة فإنّ

عمارة الحكومة السعودية قد امتازت بالقوة وسعة الفضاء وإقامة تلك الأعمدة التي تفوق بحسن المنظر وقوة التركيب فقد أُقيمت من أس كان على الماء وارتفعت حتى أُقيم عليها السقف الجميل والسطح الحسن وجعل في أعلى كل عمود أربعة وجوه من لمبات الكهرباء وجعل مضافاً إلى ذلك في المسجد أقلام من اللمبات المثلجة حتى كان نوره في الليل أحسن منه في النهار وبالجملّة فما رأيت أحسن منه عمارة في سائر المساجد ولحسنه ترتاح فيه النفوس ولا تمل الجلوس فيه وكانت تقدر قيمة تكاليفه بخمسين مليوناً من الريالات وأصبحت تلك العمارة تفخر على عمارة الدولة العثمانية بكثير ولقد جعل حوالي المسجد إلى الجهة الغربية مراحيض وحمامات كافية بعيدة عن المسجد ووسع ما حواليه من الشوارع، وفرش بالبلاط المرخم ولا سيما الجهة الغربية حتى كان المسجد وما يليه قرة للعيون ومسلماً للقلب المحزون وذلك لأنّ الحكومة اشترت تلك البيوت وهدمتها للتوسعة.

النهضة الثقافية في نجد

لمّا دفعنا التاريخ إلى هذا التقدم فلا بدّ وأن نشير إلى ما قامت به الحكومة السعودية من النهوض الزراعي والنهوض الديني والنهوض العسكري والنهوض الثقافي وأن حكومة تقوم بهذه النهضة الشريفة لبشر مستقبلها بقوة وتقدم ونشاط وتشجيع لكل فرد من أفراد الشعب ليلقى عنه رداء الكسل ويسير إلى الإمام والتقدم ومساهمة الدول الأخرى وأنها لبارقة أمل كريمة يلوح من ورائها صرح المجد الإسلامي التالد يعود مأوى للمسلمين على أصوات تلك اليقظة التي تدق أجراسها يد قوية هي يد جلالة الملك سعود بن عبد العزيز وإخوانه قادة الأمة الإسلامية أدام الله توفيقهم وتسديدهم وأيدهم بروح منه يؤذن بالخير والرشد والسعادة ونصر الأمة العربية إن شاء الله تعالى. فأما عن النهضة الدينية فهي قوام السعادة ونور الحياة إذ لا حياة إلّا بها ولا تقدم ولا رقي إلّا بسلوك طريقها وهي الاعتصام

بالكتاب والسنة وتحكيمها والتحاكم إليها قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا
 فَأَجَبْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي يَهْدِي فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ
 مِنْهَا﴾. وما تقدم شعب وما نهضت أمة إلا بالقيام بدين الله جلت عظمته
 والثبات على النواميس السماوية. إن الإسلام دين ودنيا فلا راحة للنفس ولا
 طمأنينة لها حتى تؤمن قوتها وإن الدين لا يتنافى عن طلب المعيشة والسعي
 في مصالح الحياة. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا
 يقعدن أحدكم عن جانب طلب الرزق ويقول: اللَّهُمَّ ارزقني وقد علم أن
 السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وإنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض).
 وحث الرسول ﷺ على السعي في طلب الرزق فعن أنس رضي الله عنه: أن
 رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله فقال: أما في بيتك شيء. قال: بلى
 جلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء. قال: إئتني
 بهما فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: من يشتري مني هذين؟
 قال: رجل أنا أخذهما بدرهم. قال رسول الله ﷺ: من يزيد على درهم
 مرتين أو ثلاثاً: قال رجل: أنا أخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه. فأخذ
 الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك
 واشتر بالآخر قدوماً فإتني به فأتاه فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم
 قال: اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً ففعل، فجاء وقد
 أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً. فقال له
 رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم
 القيامة». رواه أبو داود والنسائي والترمذي. فصلوات الله وسلامه عليك يا
 نبي الرحمة ويا رسول الهدى، علمتنا كيف نعيش أنه لا وجود للقدوم إلا
 بصانع وحداد ولا وجود للعود إلا بسقي ولا وجود للثوب إلا بنسيج ولا
 وجود للطعام إلا بزراعة فإن لم يسع بنو آدم للإنسان بوجودها فمن أين.

فأما عن النهضة الدينية فقد قدمنا شيئاً عن إقامة هيئات للأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر ومكافأة حفاظ القرآن بالألوف من النقود وتشجيع الأئمة والمؤذنين . وها قد بذلت الحكومة جهداً في طباعة كتب السنة كمجموعة التوحيد ومجموعة الحديث وكتاب الإنصاف للمرداوي الذي فاق بكثرة صفحاته باهظة نفقاته واستجلبت كتاب كشف القناع وطبع عدة مرات . كما قد طبع مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وشرح السنة للبغوي ، وتحفة الأشراف للمزّي وجامع الأصول وشرعت في استجلاب مسند الإمام أحمد وتفسير ابن جرير الطبري وتفسير الحافظ ابن كثير والبغوي وطبع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأنجاله وأهل بيته ، وقامت الوكلاء توزع هذه الكتب بالميئات والألوف مبدولة للعلماء والطلاب . فإنَّ جلالة الملك أسس نهضة ثقافية لتعليم النشء ما يعود عليهم وعلى بلادهم بالمصلحة العامة بعدما خفت صوتها زمناً لا يقل عن خمسمائة سنة فعادت نجد زمننا هذا لنتمتع بالحضارة والرقى بعدما كان لا يوجد فيها سيارة ولا طائرة وأورد تذكرة للمعتبر بأيام الله أنَّه قدم سيارة إلى بريدة في سنة ١٣٤٤هـ فشخصت إليها الأبصار وعطلت الأمة أعمالها وخرجوا لرؤيتها والتفكر عليها . ومن أعجب ما رأيت أنَّ تلك السيارة التي قدمت إلى بريدة في السنة المذكورة لما علم الأهالي بأنَّها ستقوم من بريدة ظهراً مسافرة بعد لبثها خمسة عشر يوماً في كراج أعدَّ لها كانت فيه مزاراً لرؤيتها من خلف الأبواب فعطلت المدارس الأهلية وخرج الآباء والأبناء لرؤيتها لما برزت أمام قصر الحكم في بريدة فكانت ترى كنجم يلوح على البعد وأحدثت انزعاجاً بصفتهم لم يعرفوها ولم يعتادوا رؤيتها . ولقد كانت الأمة محيطة بها فكان المتخلف عن الحضور في وقت بروزها يحول بينه وبينها ما لا يقل عن مائتي متر مملوءة بالرجال والصبيان وكنت أذكر أنَّ أهالي نجد في ذلك الزمان وقبله كانوا يذهبون مسافرين إلى مصر والشام والعراق والكويت يطلبون الرزق في تلك الأعصار ويؤلفون رعايا الإبل والغنم من نجد لبيعها

على تلك الأمصار وهم العقيلات .

وفي هذه الأزمنة الأخيرة انعكس الأمر وتغيرت الأحوال والله على كل شيء قدير . فأصبح أهل مصر والشام واليمن يسافرون من أمصارهم وديارهم إلى نجد يطلبون الرزق والمعيشة فيها تاركين أهاليهم وأولادهم يسترزقون الله في المملكة السعودية ، هذا بوظيفة التعليم في المدارس والمعاهد ، وآخر في البناء والتعمير ، وذاك بخبز في أفران نجد ، والعاطلون من أهل الشام واليمن يشحذون في المساجد والأسواق وجلبت إليها الإبل من تلك الجهات والأغنام والأدهان وشحنت الطائرات والسيارات بعلب المربيات وأنواع الفواكه من مصر والشام ولبنان والأردن وبيروت ، وإنها لنكتة غريبة عجيبة أن يؤتى بالعوائل من مصر والعراق والشام تاركين نيلها وفراتها ودجلة إلى نجد يسكنون فيها ويؤثرونها موطناً ومقراً . ولولا أن الحكومة قامت برد هذا التيار الجارف لامتلئت المدن السعودية من أولئك الأجانب ، غير أن الحكومة مانعت من تلك الهجرة ولا تزال ترحل من لا مصلحة فيها عائدة للشعب فسبحان القادر على كل شيء لا رب غيره ولا إله سواه وقدرة الله صالحة والدنيا دول فاعتبروا يا أولي الأبصار .

وفيها قام أمين مدينة الرياض فهد بن فيصل بن فرحان بأعباء منصبه فقفز بمدينة الرياض قفزة في ميادين الإصلاح والتنظيم فأحال أزقتها الضيقة إلى شوارع واسعة منسقة وإنشاء الميادين الفسيحة والحدائق الغناء وشاد داراً فخمة لأمانة مدينة الرياض وأنشأ منتزهاً من أجمل المنتزهات في منطقة سباق الخيل وجمع أهل البادية في مكان خصصه لهم مزوداً بالماء العذب والمراكز الاجتماعية وأماكن العبادة .

ومن هذه المشاريع الضخمة التي تمت في عهده وصول مياه الجائر المكان الذي يبعد ٣٨ كيلو عن الرياض وكان لنبا وصول ماء الجائر إلى

الخزان الرئيسي الواقع في محلة الشميسي من مدينة الرياض طلائع البشائر وهو من المشروعات الإصلاحية العظيمة التي أولاها صاحب الجلالة كبير عنايته واهتمامه لا سيما وقد احتفل بوصول المياه العذبة بحضور صاحب الجلالة احتفالاً جميلاً وقام سمو الأمير فهد بن فيصل أمين مدينة الرياض فغرس الأشجار ونظم الحدائق حتى قيل إنَّه غرس في هذه السنة الموسمية ما يقارب من ثلاثين ألف شجرة وكان موظفو الزراعة في البلدية يشتغلون ليلاً ونهاراً في تنسيق الحدائق وتنظيمها. ومن الأعمال التي تمت سفلتة الشوارع الرئيسية بعد تعبيدها، وكانت هذه الشوارع قد فتحت حديثاً وأصلح مجرى السيل العظيم الذي يخترق شارع الملك سعود وأخذ أمين العاصمة يدرس هو وموظفوه إنشاء ثلاثة خزانات للمياه كل واحد منها لثلاثة ملايين جالون من المياه. وهذه المشاريع تعتبر من أبدع ما يكون لأنَّها بعد عامين من إسناد الرئاسة إليه. وكانت مدينة الرياض قبل ذلك محاطة بسور حولها ليس بها شارع واحد على طريقة منظمة وكل ما كان بها إنَّما هي أزقة ضيقة تضطر السيارة للرجوع مرات حتى تفسح الطريق للسيارة الآتية أمامها ولم يكن داخل المدينة سوى ميدان واحد يسمى ساحة دخنة تباع فيه الماشية والتمور.

وفيها قام الأمير محمد بن سعود الكبير بإمداد بلدة السيح في الخرج بالماء العذب بإجرائه في الأنابيب من بئر يملكها تبعد عن البلدة بما يقارب عشرة كيلوات وقد وصل الماء إليها ووزع في أحيائها جزاءه الله خيراً. وقد أقيم لذلك احتفال حضره الوجهاء والأعيان تحت رعاية صاحب الجلالة الملك سعود.

عمارة المسجد الحرام سنة ١٣٧٥ هـ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. لما فرغت عمارة المسجد النبوي كما قدمنا أخذت الحكومة السعودية في بناية مسجد مكة المكرمة ففي ٢٣ شعبان من هذه السنة وضع الحجر الأساسي لبنانية المسجد الحرام وتولى العمل شركة بن لادن وذلك بآئه لما فرغ العمال والمهندسون من عمارة حرم المدينة ومسجد رسول الله ﷺ أمر الملك سعود بأن تصرف جميع المعدات إلى المسجد الحرام وعمارته فقامت الشركة بمهاتها وأهوالها وجراراتها وآلات الهدم للتوسعة وما إلى ذلك مما تطيقه القدرة البشرية وكان المشروع ضخماً جداً غير أنه يتلشى كل أمر صعب بتوفيق الله ثم قوة العزيمة وصدق النية وحسن العقيدة. فأخذت الحكومة جميع ما حوالي المسجد شراء وتقويماً بحيث تطلب المشروع إلى مئات الملايين. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وإنها لحسنة خالدة في تاريخ المملكة العربية السعودية. وقد جعل لذلك المشروع موازنة وقدرت النفقات وقيم البيوت والمساكن التي هُدمت وأخذت آلات الهدم في مسحها وإزالتها بخمسمائة مليون ريال وثلاثة عشر مليوناً. غير أن العمارة لا تزال تتضخم جداً، ويقول ذوو التقدير والمعرفة بآئه يحتاج ضعفها. وكان أول شيء بداية المسعى وما يليه بحيث أقيم له سطح على وضعه مساوياً لسطح المسجد الأسفل. وسنأتي بشيء عن العمارة بعد انتهائها.

وفيها في محرم وصل معتمد المعارف عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبدالله التويجري والده قاضي جيزان السابق وقد قام برفقة المعتمد الجديد الأستاذ عبد الرحيم صدقي المفتش بوزارة المعارف ليستلم من ذاك ويسلم هذا.

وفيهما وصل إلى بريدة فرقة الإطفاء بقيادة الشاب الضابط علي أسعد للعمل في مدينة بريدة وأدت هذه المدينة شكرها لوزير الداخلية لهذا العمل والاهتمام والرعاية وقد بحت أصوات الشباب والمدنيين في طلب تأسيس بلدية في مدينة بريدة سوى أن بعض الأهالي يرجحون ضدها.

وفيهما في العشر الأولى من شهر رمضان قدم الإمام أحمد بن يحيى ملك اليمن والمملكة المتوكلية كما قدم لزيارة المملكة أيضاً رئيس مجلس الوزراء في مصر جمال عبد الناصر وذلك في ١٠ رمضان وقد استقبلا من جهة الملك في مطار جدة استقبلاً رائعاً تجلت فيه أواصر الأخوة والمحبة.

ومما يجمل بنا ذكره صدور نصيحتين لسماحة المفتي المحقق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وكانتا ثمينتين كانتا موضع التقدير.

وفيهما نقل قاضي عنيزة الشيخ عبدالله بن عقيل إلى وظيفة عضو في دار الإفتاء في الرياض ونقل الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع قاضي الجمعية إلى وظيفة قاضي في عنيزة وقد وصل كل منهما إلى مقر عمله الجديد وباشروا عمله.

وفيهما فتح مدرسة الخبراء العسكرية وأقام أمر المدرسة محمد بن عمرو حفلة عشاء فخمة فيها دعى إليها عدداً من الوجهاء ورجال البلاد وعلى رأسهم الأمير وصالح بن ميمان وأمر مدرسة الرس العسكرية وبعض المدرسين هناك. هذا وأن فتح المدارس لمستمر، ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن هذه النهضة لا يوجد مثلها في كثير من البلاد المجاورة التي تقدمتنا في مضمار الحضارة والعلوم. وليس هذا ببدع أو غريب من فعل حكومة مصلحة يوجه دفة سيرها نحو التقدم للحياة الصالحة ملك جعل غايته العظمى إسعاد شعبه وإحلال أمتة المكان اللائق بها في مصاف أمم العالم الحية.

وفيها أمر الملك سعود بن عبد العزيز بهدم قصر الحكم القديم في مدينة بريدة وهو الذي بناه حسن بن مهنا وذلك بعدما أقيم بدلاً عنه قصر جديد إلى جهة الشرق على بعد أربعمائة متر تقريباً، ولما أن هدم القصر جعل موضعه توسعة لبيع الخضار وما إلى ذلك من اللحوم بحيث أقامت بلدية مدينة بريدة من موضعه بعد ذلك دكاكين لهذا الغرض وكان ذلك القصر من الآثار القديمة وفيه بروج قوية على حسب البناية القديمة وأدركت في أوائل عمري في أعلى المقصورة الشرقية الجنوبية خشبة عالية معقوفة يعلق فيها سراج مادته من الشمع، وقد قدمنا شيئاً من ذكره في حوادث ١٣٠٤هـ.

وفيها جرت زيارات متبادلة بين مصر والحكومة السعودية والهند والأردن. فقد زار الملك سعود مصر في ٧/٢٣ واجتمع الأقطاب الثلاثة فيها سعود بن عبد العزيز وجمال عبد الناصر والرئيس شكري القوتلي وكان قد تقدم قبل ذلك بسبعة عشر يوماً زيارة وزير الدفاع مشعل بن عبد العزيز لمصر وكان قد زار المملكة العربية السعودية عبد الحكيم عامر وذلك في ٥/٧. كما أن الملك سعود قد زار الهند في ٤/١٠ من هذه السنة وزار الملك حسين بن طلال الهاشمي المملكة العربية السعودية وزار وزير المعارف إذ ذاك الأمير فهد بن عبد العزيز الجامعة السورية والمنشآت العلمية في دمشق.

إسناد الرئاسة إلى جمال عبد الناصر

لما أن كان في يوم الاثنين ١٦ ذي القعدة من هذه السنة الموافق ٢٥ يونيه ١٩٥٦م. أسفرت النتائج قبل ظهر ذلك اليوم بانتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية المصرية بأغلبية ٩,١٠,٩٩ فحاز ٥٤٩٦٩٦٥ من مجموع ٥٥٠٨٢٩١ والموافقة على الدستور بنسبة ٨,١٠,٩٩ المصري وقد تهافت جموع الشعب المصري من جميع الطبقات والهيئات على دار

رئاسة مجلس الوزراء لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر فبعثت إليه الملوك والرؤساء برقيات التهاني وهلت مصر قائلة اليوم يعلم أهل الشرق والغرب أنَّ المصريين أحرار يختارون فيحسنون الاختيار، وإذا كان جمال قائد ثورة مصر ومحرره من الاحتلال والاستبداد والإقطاع فإنَّ الشعب المصري يحتفظ له بالوفاء والإخلاص لأنَّه زعيم الشعب وكان أهل مصر قد أعجبوا به ورأوا أنَّه سينيلهم استقلالاً تاماً ويحررهم من قيود التبعية لأحد كائناً من كان وأنَّه سيعيد لهم مجد السابقين وعز الغابرين وعاونوه على نهضته بكل ما استطاعوا.

المهرجانات الكبرى بعيد الجلاء

كانت بريطانيا العظمى قد جعلت من جنودها ثمانين ألفاً في مصر يهددون الهدوء والاستقرار في البلاد ويعيشون في الأرض فساداً وفي آخر هذه السنة تقوم الحركة المصرية بإزالة هذه الجنود مع قواتها البرية والبحرية والجوية وكانت الأيام التي تخللتها رئاسة جمال أعني ١٨/١١ وما بعده حافلة بأعياد ومهرجانات الجلاء جلاء آخر جندي بريطاني عن أرض الكنانة بعد أن جثم على صدرها نيفاً وسبعين عاماً يسلب حريتها ويحد من سلطاتها ويقيّد نفوذها وإنَّ هذا ليدل على تأييد الشعب المصري لجمال عبد الناصر تأييداً مطلقاً وصحبه رجال الثورة الذين يعملون على تطهير بلادهم من ظلم البريطانيين. ولقد أُقيم مهرجان شعبي عظيم في ميدان الجمهورية حضره ما ينوف على مائة ألف شخص ووقف جمال عبد الناصر في هذا الحشد العظيم ثلاث ساعات كاملة يخطب فيه ويقارن بين الماضي والحاضر ويبين مراحل جهاد رجال الثورة الإصلاحية ولقد شهدت مصر مؤتمراً شعبياً لم تشهد مثله قط وحضر الألوף من المدعويين من البلاد العربية وجميع أنحاء الدنيا. وقد جلس وزير خارجية روسيا شيلوف إلى جانب قائد القوات البريطانية روبرتسون ولكل نظرته الخاصة إلى هذه المهرجانات والحفلات.

وقد استمرَّ العرض أربع ساعات كاملة وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وقائد القوات البرية والبحرية والجوية واقفون على أقدامهم فوق منصة خاصة يحيون رجال العرض العسكري . وقد مرت أمام الجماهير المحتشدة القوات البحرية والبرية والبراشوت ومرت الأسلحة الميكانيكية الخفيفة والثقيلة وشاهد النَّاس لأول مرة الأسلحة التشكيلة الجديدة، شاهدوا الدبابات الضخمة دبابات ستالين التي دكت الأرض دكا بجنزير عجالاتها وستدك حصون العدو بفوهاة مدافعها وكان الملك سعود قد بعث ابنه فهذاً منتدباً عن الحكومة السعودية لحضور هذا الاحتفال .

وفيها في أوائل شهر شوال قدم على المملكة العربية السعودية حاكم قطر علي بن عبدالله بن ثاني ضيفاً فرحبت به الرياض لأنَّ الصلات القوية المتينة التي تربط بين سكان هذه المملكة وبين الضيف صلات قامت على أسس قوية من الود والإخاء وأن بمقدمه ذلك لتذكر أعمال جده قاسم بن ثاني وما قام به من إيقاف الأموال العظيمة ونشر العلم والكتب التي طبعوها وغيرها من الأعمال الخيرية .

وفيها فتح شارع جديد خلف الصفا من أجياد إلى سوق الليل وقد تكلف فتحه لهدم بيوت ودكاكين وأحواش ذلك لما لفتحه من المصالح التي تمنع اصطدام السعاة بين الصفا والمروة بالسيارات ويجعل الحجاج مستريحين . وكان هذا الشارع حوالي الصفا يدخل المسعى من جهة الجنوب الشرقي إلى الجهة الغربية الشمالية فيينا أنَّ السعاة متوجهون إلى الصفا إذا بالحرر الأهلية تهز أجراسها والإبل الحجازية مقطورة تمنع مواصلة السعي وتوقف السعاة فينتظرونها حتى تخلص ولا سيما السيارات التي أوجدت وكان من الأعيان من يسعى بين الصفا والمروة ممتطياً السيارة وهذا للضرورة . وقد شاهدت تلك مراراً في حجاتي الأولى فتفضلت الحكومة بصرف هذا الشارع إلى جهة الجنوب وأصبح السعاة في راحة من قطع الطريق إلى الصفا، وإنَّها

لحسنه خالدة نظمها الله في أيام الملك سعود فسمى باسمه وقام أهل العربات الصغيرة يحملون العجزة في قلب شارع المسعى بممرات جعلت لذلك، وتعتبر هذه اللفتة من أعظم الحسنات. كما أصدر جلالة الملك إرادته إلى محمد بن لادن بإنشاء سبعة عشر مركزاً للشرطة وسبعة مراكز للإسعاف على طول طريق المدينة المنورة للإشراف على راحة الحجاج والزوار وتنظيم حركة المرور والعمل على تفادي الحوادث. وقد باشرت هذه المراكز والدوريات أعمالها منذ صباح يوم الأربعاء الموافق ١١/١١/١٣٧٥.

إصلاح أخلاقي

نشرت الإذاعة السعودية حديثاً عن المجلات الخليعة التي تحمل بين صفحاتها صور النساء العاريات وشبه العاريات على هيات توقظ الغرائز الجنسية في نفوس الشباب بأن إطالة النظر إليها على شكل فاضح ومهيج للغاية من صورة الضم والتقيل والاحتضان يسبب الفوضى الجنسية بين من يشاهدونها من الشبان والشابات. فيجب على من يهتمهم مستقبل أبنائهم وبناتهم أن لا يسمحوا بدخول هذه المجلات المصورة اللعينة إلى بيوتهم ثم أنها منعت الحكومة من دخول بعض المجلات إلى المملكة كما منعت صدور صحيفة تصدر منها بصفتها مملوءة بالتصاوير.

وحجَّ بالناس صاحب الجلالة سعود بن عبد العزيز وقد وجه خطاباً عظيماً يوم عرفة إلى جميع أهل الموقف يدعوهم إلى التمسك بالدين والتكاتف والتعاقد. وقد نشر ووزع ووضع في صفحات الجرائد.

ومن أعيان الحجاج في هذه السنة محمد علي رئيس وزراء باكستان وكان رجلاً معروفاً بالكفاءة، وقد قاد الأمة قيادة رشيدة ناجحة لمَّا تولى منصبه ذلك حتى اعترف له بذلك رئيس الجمهورية الباكستانية بقوله: «إنَّ الشعب

لن ينسى صدق بلائه وجميل أياديه».

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ سليمان العمري رحمه الله وعفا عنه .
وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الورع القاضي الناسك أبو عبد الرحمن سليمان بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن مبارك العمري . ولد في رأس القرن الرابع عشر ولمّا بلغ من العمر ثمان سنين تقريباً توفي والده عبد الرحمن قتيلاً في واقعة الميلاد عام ١٣٠٨هـ وهي الواقعة المشؤومة على أهل القصيم فشبّ الفتى وأخذ في الدراسة حتى تعلم القرآن وحفظه ثم أنّه أخذ في الدراسة في البلد الذي ولد فيه وهو عنيزة على الشيخ صالح بن عثمان القاضي ثم نرح إلى مدينة بريدة فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم ثم ذهب إلى الرياض للأخذ عن علمائها فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخذ عن غيره من علماء الرياض وكانت إذ ذاك كاظة بالعلماء وكان له مجالس مع الطلاب والزملاء وبحث ومذاكرة . أمّا جده فهو الشيخ محمد بن عمر العمري تولى القضاء في مدينة الخبراء من أعمال القصيم . أمّا عن المترجم فقد لازم علماء هذه الدعوة وممن أخذ عنه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق فهو من مشائخ المترجم وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف وسلمان بن سحمان ثم أنّه رجع إلى القصيم وتولى إمامة مسجد القاع في عنيزة وجلس فيه للطلاب فالتفّ عليه حلقة كبيرة وكان فيها موضع الثقة في عقود الأنكحة ووثائق البيع والشراء وداعية إلى الله عزّ وجلّ يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر . ولمّا استولى الملك عبد العزيز على الحجاز بعثه في جملة من العلماء إلى المدينة المنورة وذلك في عام ١٣٤٥هـ فكان زملاؤه يعظون ويرشدون في المسجد النبوي ، أمّا هو فكان قاضياً فيها وإماماً في المسجد النبوي .

وقام بهذه الأعمال مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في

الله لومة لائم ولتدريسه قبول عند الأمة ثم أنه نقل إلى قضاء بلدة حريملاء فباشر عمله بجد ونشاط وتدريس غير أن هذه الفترة ليست طويلة بحيث كانت بقدر سنة ونصف سنة ثم أنه نقل إلى قضاء الإحساء وذلك في عام ١٣٥٩هـ بدلاً عن الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش وذلك لأن الشيخ ابن دهيش ولاء الملك عبد العزيز قضاء مدينة حائل لما توفي قاضيها في السنة المذكورة. فباشر المترجم القضاء في الإحساء وكان معظماً لدى أمير تلك المنطقة سعود بن عبدالله بن جلوي كما كان موضع التقدير من أمير المدينة قبل ذلك عبد العزيز بن إبراهيم وما زال يزاول وظيفة القضاء في الإحساء حتى أسن وكبر وأرهقته الشيخوخة فطلب الإحالة على المعاش والإعفاء من القضاء والاستراحة، وتفرغ للعبادة والتلاوة والأذكار حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة وقد رأيته عام ١٣٥٠هـ في مدينة بريدة يمشي عن يمين الشيخ عمر بن محمد بن سليم لما قدم الثاني من أداء مناسك العمرة تلك السنة في شوال منها فكان واسع الجبين أبيض الوجه كان وجهه قنديلاً من النور مربوع القامة يتخلل لحيته خيوط قليلة من الشيب فسلمت عليهما. فأما هو فإني قبلت جبهته وأما شيخنا عمر فلم أستطع تقبيله إجلالاً ولعظم هيئته في القلوب. وكان على العمري آثار العلم من الخشية والطمأنينة والبهاء وما يلبسه الله أوليائه من شعار الحسن والمحبة ومن سجيته أنها لا تلين قناته مداراة لأحد في الحق كائناً من كان. فعرفت الملوك والأمراء قدره وخضعوا لأحكامه وقد رأيت له كتاباً في وظائف شهر رمضان بلغت صفحات طبعته الأخيرة ٢٣٨ كما رأيت له رسائل في التوسل وما يجوز منها وما لا يجوز ورداً على من خالف سنة التراويح. أمّا تلامذته فخلق كثير أخذ عنه رجل الوطن حسن العبدالله بن نعيم من مدينة عنيزة. كنت جلست معه صحبة الشيخ محمد بن عبدالله بن حسين على مائدة الغداء التي أعدها للشيخ وذلك في عام ١٣٦١هـ فكان رجلاً طيباً متمسكاً بدينه. ومنهم الشيخ

محمد بن عبد العزيز المطوع والشيخ عبدالله بن عبد العزيز المطوع . وأخذ عنه الشيخ ناصر محمد الوهبي . وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز العلي الغفيلي . وأخذ عنه عبدالله بن حمد الخربوش وكان من المشائخ المحترمين وأخذ عنه الشيخ عبدالله محمد المطرودي . وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي في آخرين .

جهاد الجزائر لفرنسا

هذا ولا تزال نيران الحرب مستمرة الوقود بين الجزائر وفرنسا . وقد انتصرت الجزائر في هذه السنة انتصاراً عظيماً وأحرزوا تفوقاً رد فرنسا خاسئة حسيرة . ولقد قامت فرنسا بقوتها تحصد سكان مراكش وتونس والجزائر ومع ذلك فإنّ الأهالي ثابتون يدافعون ولا يهابون مهات فرنسا ومفرقاتها ولا يخشون دمدمة قاذفات القنابل الضخمة ولا لعلعة المدافع الثقيلة وهي تسد منافذ الأفق بدخانها الكثيف المتصاعد . وهكذا فعل المدافع عن نفسه وماله وأهله . ولقد قام الملك سعود بن عبد العزيز بصفته أكبر ملوك العرب والمسلمين فأمر مستشاره خالد أبو الوليد باستقدام القائم بأعمال الحكومة الفرنسية إلى دار وزارة الخارجية وإبلاغه أن حكومته بصفته محافظة على حسن العلاقات بينها وبين فرنسا والتي تود بكل ما في وسعها استمرارها وتوثيقها ليؤسفها جد الأسف ما تراه واقعاً في المغرب الأقصى من الأعمال التي تقوم بها فرنسا نحو إخواننا المسلمين المغاربة من تقتيل وتشريد وتحريق والتي أقل ما يقال فيها أنّه لا يقبل الضمير الإنساني في هذا العصر الحديث تلك الأفعال وأنّ العالم العربي خاصة والإسلامي عامة ليشجب هذه القسوة العاتية ويأمل من الحكومة الفرنسية ورجالها أن تُغير موقفها ويكفوا عن ذلك ويعيدوا النظر فيما يجب عمله من إعطاء الناس حقوقها الطبيعية التي هي حق لها لا يغصبه المعتدي . وجلالة الملك المعظم يأمل أن تضع الحكومة الفرنسية حداً لهذه الأعمال حتى لا تتسع الهوة بين العالم

العربي وفرنسا. كذلك استقدم مستشار الملك المذكور بأمر صاحب الجلالة السفير الأمريكي وأبلغه مثل ذلك لكي يرفعه إلى حكومتيهما راجياً من الحكومة الأمريكية أن تستعمل نفوذها باسم الإنسانية والحرية حسب ما هو معلوم لدينا من تقاليدها وتاريخها المجيد لكي تمنع هذا التدخل الصارخ من ميثاق الأطلنطي وتنصح فرنسا بأن تكف عن أعمالها القاسية التي يشمئز منها الضمير الإنساني وأن تعترف لإخواننا المغاربة بحقوقهم واستقلالهم.

مشاكل متنوعة وأمراض أعيت كل طبيب فأين عدالة مجلس الأمن وأين نتائج ميثاق الأمم المتحدة تسمع الشكايات على اختلافها والأعضاء لا يتوجعون ولا يشعرون بسوء الأحوال وكأنهم ما يسمعون وكلما خرجوا من مصيبة نزلت بهم أخرى وكلما حاولوا أن يحلوا مشكلة ظهرت مشاكل أخرى لأنهم متفرون وبالعدل لا يوصفون.

مفاسد حلف نوري السعيد

قد أشرنا فيما تقدم إلى ما تقدم به رئيس وزراء العراق وسنزيد المقام إيضاحاً بأنه نتج عن ذلك الحلف أن امتلأت السجون في العراق بالأحرار الوطنيين وعذبوا تعذيباً بليغاً وأن سياسة نوري السعيد التي أحدثت العداوة والبغضاء بينه وبين العرب وعزل العراق حكومة وشعباً عن إخوانه في العروبة كانت طعنة نجلاء في القضية العربية من الخلف. وأكبر ما نجم عن هذا الرجل إضاعة قضية فلسطين وذهابها على يديه بمساعيه ضد العرب واتفاقه مع الآخرين. ولقد أهمل جانب العرب ورماهم عن قوس العداوة وأكثر السب والثلب، وآخر شيء منعه المفوضية السعودية في العراق من توزيع النشرة الإخبارية للمملكة العربية التي تصدرها المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر وتوزعها في جميع أنحاء العالم بواسطة السفارات وذلك سخطاً من اتفاقية الدفاع المشترك بين رؤساء العرب الثلاثة سعود وجمال

وأحمد بن يحيى الواقعة في مدينة جدة بتاريخ ١١/٩/ ١٣٧٥ هـ الموافق ٢١ من أبريل ١٩٥٦ م واليوم قبله . وكان هذا الاجتماع أسفر عن عقد اتفاقية دفاع مشترك ثلاثي . وقد حرص الجميع على تمكين أواصر الإخاء والتعاون فيما بين دولهم وتوحيد الجبهة العربية . وكان من نتائج حلف نوري السعيد أن جرّ عليه وعلى الملك فيصل الثاني والوصي عبد الإله ما سنذكره بعد ذلك إن شاء الله تعالى . وهناك أمور أخرى وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وفي هذه السنة طرد ملك الأردن الحسين مندوب بريطانيا المستر كلوب أبو حنيك المعروف بهذا اللقب عند العرب ولمّا أن طرد قام الملك سعود بعدة مخابرات مع الرئيس جمال عبد الناصر ورئيس جمهورية سوريا للتعاون مع ملك الأردن وحكومته فتمّ الاتفاق بين هذه الدول الثلاث على تقديم معونة مالية للأردن يكون بحالة من القوة والمنعة بحيث يستطيع المساهمة في دفع العدوان عنه ضد إسرائيل وتكون هذه المعونة تحل محل المعونة البريطانية للجيش الأردني والحرس الوطني . وسيأتي في التي بعدها صفة ما جرى في طرد كلوب وتفصيله .

الفيضان في الهند وباكستان

لقد حدث فيضان في تلك الجهات فأحدثت تلك الفيضانات على الأهالي كوارث تضرّر منها جزء في بلدانهم ، وإنّها الفادحة عظمى ونكبة نكبوا بها وأمر الله واقع لا محالة . وقد عطف الملك سعود على تلك الجهات وبعث ببرقيتين للحكومتين يعبر عن تأثره لذلك فكان الجواب منهما يفيض بالشكر والدعوات المباركة . وكان قد نشأ خلاف بين حكومتي باكستان وأفغانستان ، فتوسط الملك سعود بينهما وزال الخلاف وانشلت حركته وعادت المياه إلى مجاريها بين الحكومتين . وقدمت وزارة الخارجية الباكستانية بواسطة السفير السعودي في كراتشي الشكر العميق لجلالة العاهل السعودي على توسطه في حل الخلاف السابق كما أرسل الملك محمد ظاهر

شاه ملك أفغانستان تقدير مجهودات جلالة الملك سعود التي بذلها في إتاحة الطريقة الودية بينه وبين باكستان الدالة على أنه صديق مخلص وفِيّ . وفيها افتتاح مدينة الملك سعود وكان لها شأن عظيم لكثرة الذين التحقوا بها .

ثم دخلت سنة ١٣٧٦ هـ

استهلت هذه السنة وبريطانيا تغلي مراجلها على العرب فهذه مصر طردت الجنود البريطانيين وعيدت عيد الجلاء وتحررت وأصبحت تسيطر على نفسها وهذا الأردن طرد في السنة المتقدمة أبا فراس المستر كلوب (أبو حنيك) وكان لما جاء تميلر ليحمل الأردن على توقيع حلف بغداد وثارت ثائرة كلوب الذي كان صاحب الفكرة التي جاء تميلر لتحقيقها وأمر ضباطه بإطلاق الرصاص على جماهير الشعب الثائر فرفضوا وزجّ العشرات منهم في السجون ووقع في حيرة لأنّ خططه وبرامجه تقضي بتسليم جزء كبير من الضفة الغربية لليهود حتى قام بإشاعات هجوم الربيع الذي ما زال ملك الأردن ينتظره والذي حار أهل الأردن وحارت معهم له وكالات الأنباء في العالم في معرفة المصدر الذي استقى منه الملك الحسين معلوماته . وبعد ذلك وردت رسالة الرؤساء لبلديات مدن جنين وطول كرم وقلقيلية بتوقيع ضابط حر يخطرهم فيها بأنّ تسليم مدنها قد تمّ الاتفاق عليه في السابع عشر من آذار وعليهم الاهتمام بأمن مدنها ومناطقهم وشك الرؤساء الثلاثة في إخبار هذا الضابط وظنوها أوهام مهوس . ثم حدث ما حدث في الأردن من مظاهرات ومصادمات يوم جاء تميلر ليحمل الأردن على ما تقدم . ولكن الملك حسين لم يوافق على خطط كلوب وأمره أن يدافع عن البلاد شبراً شبراً . ولمّا لم يوافق لآراء كلوب أخذ يجهر في مجالسه وأحاديثه بانتقاد ملك البلاد وينعته بنعوت مختلفة واتفق مع رجاله على اعتقال الحسين وإجباره على توقيع حلف بغداد ووضع لذلك خطة تقضي بالقيام بغارة وهمية على مدينة عمان وخلالها يستطيع أن ينفذ برنامجه المقرر . فقام

الملك ودبر خطة معاكسة لطرده أبي حنيك واحتال بأن يبلغ أبا حنيك استعداداه لتوقيع الحلف وأنه بانتظاره في القصر الملكي لتوقيع الحلف المذكور فطار الجنرال فرحاً وسار بلا حرس ولمّا أن دخل على الملك دخول الظافر وقدم الأوراق لتوقيعها، وبينما هو في غطرسته إذ قام الضباط بالمسدسات مصوبة إلى رأسه ثم إنّ الملك قدم له كتاباً يقضي بطرده من الجيش العربي وخروجه من البلاد في الصباح الباكر. وهذا مما يدل على نباهة العرب وسعة آرائهم ووفور حيلهم. فالتفت يمناً ويسرة فلم ير غير المسدسات مصوبة إلى رأسه، ومن هؤلاء الضباط ضابط يعلق عليه آماله فرآه أعظم أصحابه حماسة فوق الكتاب القاضي بطرده وخروجه من البلاد في الصباح الباكر ثم أنّه أخرج إلى بيته تحت حراسة قوية. أما أصحابه من الإنكليز فقد كانوا في مدينة الزرقاء يعبون من الخمر التي أسكرت عقولهم تلك الليلة وقد طلب من الحرس واستعطفهم أن يسمحوا له بالذهاب إلى الزرقاء لحضور حفلة وعد بحضورها وأكد. غير أنّهم لم يصغوا إلى توسلاتهم وفي تلك الليلة ذهب الملك إلى وزرائه المجتمعين وطلب منهم التوقيع على طرد كلوب ليصبح قانونياً. فتردد الوزراء وظنوا أنّ الملك مازح ولكنه خيرهم في حزم بين التوقيع على أمر الطرد أو على الاستقالة حالاً ولم يسمح لواحد منهم بالخروج من قاعة الاجتماع إلّا بعد البت في الأمر. وهنا ظهرت لهم الحقيقة فوقعوا الأمر ولمّا أن كان من الصباح أخرج هذا الصنم إلى مطار عمان تحت الحراسة الشديدة بصحبته غود فري وأم داود. ولم تغن عنه أمواله الطائلة التي أنفقها ولا دسائسه التي أحكم تدبيرها. وهذه الشجاعة وهذا الفلاح نتائج تحالف العرب وتكاتفهم وإن أولئك الرجال استطاعوا أن يباروا أجدادهم الذين حاربوا أجداده الصليبيين.

ذكر قناة السويس وما نال مصر بشأنها

قد قدمنا في حوادث ١٢٨٦ هـ شيئاً من ذكرها أو مشكلتها في هذه الأزمة لتتطور، ولمّا كان في يوم الخميس ١/٩ من هذه السنة عقد مؤتمر لندن وانتهى في يوم الخميس ١/٢٥ / ١٣٧٦ هـ وكان قد حضره مندوبو اثنتين وعشرين دولة. وقد عقد لبحث موضوع تأميم شركة قناة السويس وقد أرادت بريطانيا أن يقرر هذا المؤتمر بأن مصر في تأميمها شركة القناة ارتكبت جرماً عظيماً نحو العالم أجمع يجب أن تحل عليها بسببه أعظم العقوبات التي اتخذت بريطانيا كل الوسائل لتنفيذها وعملت ذلك فأمرت بإرسال قطع من أسطولها البري والجوي والبحري إلى البحر الأبيض المتوسط وأوعزت إلى رعاياها في مصر بأن يغادروها خوفاً عليهم وأمرت هي ومن سار خلفها من دول الاستعمار بحصار مصر اقتصادياً وكأنّها تريد بذلك كسر مصر وإرغامها بالقوة والقهر على التخلي عن حقها في قناتها خانعة ذليلة وكانت بريطانيا وفرنسا ومن جرى هاتين الدولتين يرون أنّ من شعوب الشرق من لا يستحق أن يعيش سوى عيشة العبودية والاستعمار. وقد ضربت بريطانيا بجمعية الأمم وعهودها ومواثيقها عرض الحائط وتجاهلت هذه الجمعية فعقدت هذا المؤتمر بدون الرجوع إليها ودعت إليه من أرادت من الدول وطرحت على المؤتمرين قرارات منتهية للموافقة عليها. ولمّا قدمت للمؤتمرين بلسان المستر دلس قراراً جائراً هو أن قناة السويس وإن كانت حقاً لمصر لا يشاركها فيه أحد إلا أنّ للدول الأخرى الحق بأن تكون هيئة دولية تتولى شؤون القناة. لماذا هذا الرأي المخذول لأنّ هذه القناة ممر مائي له أهمية عظيمة. وبما أنّ مندوب الهند لم يوافق قياماً بالعدل كما أنّ مندوب الاتحاد السوفييتي ديمتري شيلوف قد وجه إلى المؤتمر ضربة قاضية حينما وصفه بأنّه غير قانوني وأنّه ليس من حقه معالجة هذه القضية ومصر صاحبة الشأن غير ممثلة فيه. وآخر شيء فشل هذا

المؤتمر لأن من بين المؤتمرين المستعمرين وأذئابهم فطاحل رجال ذوو ضمائر حيّة يسعون ليسود العالم روح العدل وتغلبت حكمتهم على صولة الباطل ولجأته فإن (إيدن) رئيس وزراء بريطانيا لا يزال مصمماً على عناده ولم يتخذ من حكمة تشرشل وسياسته ما يزره عن هواه. ولقد قام الشعب البريطاني يصيح في وجه (إيدن) منذراً له عن الحرب العالمية كما وجه نواب الإنجليز إليه صيحاتهم: استقل يا إيدن، إن تشرشل العجوز وإن كان ينظر إلى العرب بعين السخرية والاستهزاء وطالما لعب بها في سهولة ويسر لأنه عرفها بأنها لم تعرف صديقها من عدوها ولا نفعها من ضررها فإنه لم يقدم على أعمال (إيدن) محقاً أن يقال: استقل يا إيدن، وأما سمعت ما يقوله نهرو عن مشروعك الأحق وما يقترحه رئيس وزراء سيلان. وها أنت ترى كيف طار رئيس وزراء دولة عن كرسي الرئاسة حينما خالف رغبات شعب مسلم ولم يحسن التعبير عن شعوره وأفكاره. وقد عزمت روسيا على أن تبعث المتطوعين إلى مصر وقام العرب جميعاً ليقفوا وراء المصريين والحق يقال: «إن إرغام مصر على ترك حقها لطريق يقود إلى الهاوية».

اجتماعات ومفاوضات

إن العرب إذا صدقوا الحملة فإنهم نقمة على عدوهم غير أن الذي فكّ قواهم وأذهب ريحهم وأوجد الفشل فيهم تخاذلهم وتنازعهم ولقد أحسن القائل حيث يقول:

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| لو كنت من مازن لم تستبح إبلي | بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا |
| إذن لقام بنصري معشر خشن | عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا |
| لا يسألون أخاهم حين يندبهم | في النائبات على ما قال برهانا |
| لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد | ليسوا من الشر في شيء وإن هانا |
| يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة | ومن إساءة أهل السوء إحسانا |

زيارة الشاب ملك العراق

ففي ٢/١٥ وصل إلى ميناء الدمام اليخت الملكي (الملكة عالية) يقل ملك العراق فيصل الثاني ابن غازي بن فيصل بدعوة من الملك سعود. وكان الملك سعود قد غادر الرياض قبل ذلك بيومين إلى الدمام وما أن وصلها الضيف حتى استقبله رجال الدولة وأعيانها، كان من أبرز المستقبليين بعد جلالة الملك وأخيه فيصل ولي العهد يوسف ياسين وجمال الحسيني ومحمد بن دغثير فأطلقت المدافع لذلك وقام أمير المنطقة الشرقية سعود بن جلوي وبقية أصحاب السمو الملكي والأمراء والوجهاء والأعيان يستقبلون مهنئين. وبعدما ألقى القصاصد والخطب المعبرة عن آمال العروبة والذهاب والإياب وتناول المآدب عاد إلى بلاده.

زيارة البانديت جواهر لال نهرو

ففي ٢/١٩ قدم إلى الظهران زائراً رئيس وزراء الهند البانديت جواهر لال نهرو وكان من عظماء العالم وثم توجه من الظهران إلى الرياض. وقد استقبل في الظهران والرياض استقبلاً عظيماً فخماً، وقد وضع لذلك برنامج رسمي مرتباً من ٢٤ فقرة وقد طار إلى جدة وبعد ذلك رجع إلى الظهران وودع بمثل ما استقبل به وكان لبثه في المملكة العربية السعودية لمّا قدمها على متن طائرة هندية من يوم الاثنين ٢/١٩ الموافق ٢٤/٩/١٩٥٦م إلى يوم الخميس ٢/٢٢ وأنّ هذا الاجتماع بين هذين الملكين ليشر بخير لتبادل وجهات النظر فيما يخصّ خير البلدين كما أنّ اجتماع الملك سعود بهذا الرجل العظيم الباقعة نهرو وتبادلتهما الحديث ليفيد من لا تزال مخالب الاستعمار قابضة عليه من العرب. وإذا كان هؤلاء المستعمرون قد تركوا الصين وشأنها وأطلقوا سراح أسراهم من الهنود وفكوا حبل المشنقة عن رقاب ثمانين مليوناً من أهل أندونيسية مختارين بزعمهم بل إنّهم مكرهون

في الحقيقة فلم لا يتركوا بلاد العرب ولم لا يكفون عن عدائهم سبحانه الله ما أعظم شأنه .

غدر اليهود وأمور تحاك في الباطن

في هذه الآونة غدرت اليهود في ميدان قليلية : غير أن الملك حسين صمد هو وجيشه وحرسه أمام هذا العدوان اليهودي الغادر فأبرق الملك سعود للملك حسين يشكره والشعب الأردني على ذلك النضال وقد أعلن رئيس الديوان الملكي الأردني بهجت التلهوني عن زيارة الملك سعود للأردن في خامس نوفمبر . فمن العجائب أنه في هذه اللحظات الحرجة في تاريخ الأردن بل في هذه الأيام التي تحاك فيها المؤامرات ضد الأردن وضد استقلاله وببيت أهله كل ليلة على جناح الخوف يتوقعون في كل لحظة أن يدهمهم العدو الغادر بدباباته وطائراته بل في هذه الأيام التي يشيع فيها قوافل الشهداء يعتزم صاحب الجلالة على زيارة الأردن فلسان حاله يقول : إننا معكم فلا تبتئسوا إننا إلى جانبكم ولا تهنوا فإننا نضع كل ما نملك إلى جانبكم فلا تشعروا بحاجة أبداً ونقف بأجسادنا مع أجسادكم سوراً منيعاً دون بيوتكم وأهلكم وأقول وكنت المؤرخ إنني أرى أنها لو وضعت الأمور عن تخطيط وحكمة وتمهل من حكومة مصر لما وقع الأمر على ما جرى على مصر ولكن الأمور وقعت عن غير تخطيط وبينما بريطانيا بخداعها تذيع بنصر الأردن وقام مذياع إسرائيل يذيع بأن ابن غوريون رئيس وزرائها يشكر أمريكا وفرنسا ويقول : إن بريطانيا لا تستحق الشكر بل تستحق اللؤم لإرسالها الأسلحة لأعدائنا يريد الأردن إذاً في خلال ذلك يذيع مذياع موسكو أن بريطانيا وشريكها فرنسا هما اللتان دفعتا إسرائيل للاعتداء على الأردن وسر ذلك إظهار مصر أمام العرب بمظهر العاجز عن مساعدة الأردن وبذلك تبين خزي بريطانيا بإظهار روسيا لهذه الحقائق فإن قلم المخابرات الروسي يحصى على الإنكليز أنفاسهم ، والدليل على ذلك أنها لما صممت

مصر على المحافظة على القناة لجأت بريطانيا وفرنسا إلى الضغط عليها لترغمها على إلغاء قرار التأميم واتخذتا من قبرص قاعدة للعمليات العسكرية المشتركة ومن إسرائيل ذريعة لإعلان الحرب عليها فأوعزوا إلى إسرائيل بشن هجوم على القوات المصرية في سيناء في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ م.

ذكر ضرب مصر سنة ١٩٥٦ ميلادي

لما أن أوعزت بريطانيا وفرنسا إلى إسرائيل بشن هجوم على مصر وجهتا لذر الرماد على العيون إنذاراً مشتركاً في ٣٠ أكتوبر إلى كل من مصر وإسرائيل طلبتا فيه وقف القتال والانسحاب عشرة أميال بعيداً عن قناة السويس واحتلال بورسعيد والإسماعيلية والسويس فإذا لم توافق مصر على تنفيذ هذا الإنذار فإنَّ القوات الإنجليزية الفرنسية تنفذه بالقوة فرفضت مصر الإنذار فعند ذلك ضربتها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بالقنابل المدمرة ضرباً قاسياً بعنف لا رحمة فيه ولا شفقة وكان ذلك في يوم الأربعاء ٢٦ ربيع الأول الموافق ٣١ أكتوبر وأنزلوا بأسهم في مصر وضربوا المطار العالمي في ٢٧ الجاري وكان الضرب من حنق وغيظ وقد حاولوا تطويق الجيش المصري بسيناء ثم أنه جاء الإنذار للأهالي أن يبتعدوا عن مراكز الإذاعة في القاهرة وأسكندرية وبورسعيد واحتلت القوات البريطانية الفرنسية غزة والعريش فتجهزت القوات من سوريا لنصرة مصر وأمدت الحكومة السعودية مصر بعشرة ملايين دولار ولقد أنزلت الطائرات القنابل الثقيلة ولم ترقب فيهم إلا ذلة والعياذ بالله ولم يبق إلا القنابل الذرية. وبكل حال فإنَّ مصر وقفت متحيرة غير أنَّ الرئيس جمال عبد الناصر جعل يدبر الحيلة ورأى إخلاء سيناء والانسحاب العام ليفسد على الحلفاء خططهم وهاجمت الأسطولات سواحل مصر من ناحية السويس فكبدتها البحرية المصرية خسائر فادحة وكذلك أغرقت طراداً فرنسياً في البحر الأبيض لكن جنود المظلات الفرنسيين والإنجليز بمعاوضة الأسطولات والطابور الخامس

استطاعوا السيطرة على بورسعيد وتعطلت الملاحة في القناة، وكان هذا الغزو يسمى (العدوان الثلاثي على مصر) في ٣١ أكتوبر ١٩٥٦م الموافق ٢٦/٣/ ١٣٧٦هـ. ولمّا أن جرى هذا الأمر الفظيع تدخلت هيئة الأمم المتحدة واتخذت قراراً في ٢/ ١١/ ١٩٥٦م بوقف القتال فوراً. لكن العدو لم يكتثر ولم يوقف القتال. ولمّا لم تخضع بريطانيا وفرنسا وعجت إذاعة روسيا بالإذارات نصرة لمصر وأكدت أن تقف الحركة قبل أن ترسل الصواريخ على لندن وعلى باريس وقالت حكومة السوفييتي أن بإمكانها أن تقضي على أمهات المدن البريطانية والفرنسية والعواصم بالصواريخ فلا حاجة إلى استعمال السلاح الثقيل عليها. وكان الإنذار الروسي على الدولتين أعظم من نزول الصاعقة، فأصابهم الهلع والذعر وأوقفنا إطلاق النار. أولئك الروس الذين لا يستهان بأمرهم، فتقهقرت فرنسا وبريطانيا ووقفنا على الفور مكتوفتي اليدين فتوقف القتال في ٤/ ١١/ ١٩٥٦م الموافق ليوم الأحد ١/ ٤/ ١٣٧٦هـ وكان الإنذار ليلة ذلك اليوم. فانسحبت قوات العدو مدحورة وخرجت مصر من هذه الحرب مرفوعة الرأس وانتصرت مصر على قوى الاستعمار والصهيونية. وأقول صراحة لولا أنّ الله تعالى أغاث مصر بفزعة روسيا فأنذرت كلاً من بريطانيا وفرنسا وتهددت بأنّها سترسل الصواريخ على العواصم فتسحقها إذا لم تكف عن عدوانهما لكانت مصر خراباً يباباً. أمّا الفظائع التي ارتكبوها في أربعة أيام فقد أمطروا المدن والقرى المصرية ببوابل من مدافعهم الرشاشة وقاذفات القنابل وغيرها من كل وسيلة من وسائل الحرق والتدمير والإبادة ولقد كانوا لا يتورعون من ارتكاب أفظع الجرائم واستعمال كل وسيلة من وسائل الحرق والتدمير ولم يميزوا بين المقاتلين والمدنيين العزل وفعلوا أفعالاً وحشية تتحاشى عنها أفعال الوحوش فقطعوا مياه الشرب عن المدن الآمنة ودكوا المستشفيات والسجون والمدارس والمساجد ولم يعبأوا بأي وسيلة

مهما كانت . ولقد قامت مصر تطالب لدى هيئة الأمم المتحدة وتقدم شكاواها للنظر فيما حلّ بالأراضي المصرية من التدمير والنسف والأعمال التي تناقض الأديان والأخلاق والإنسانية بحيث إنّ ذلك الإفساد لا يلتئم إلّا بعد سنين . وقد أصدر صاحب الجلالة الملك سعود أمره بتحويل مبلغ مليونين من الريالات العربية أي مقدار مئتي ألف جنيه مصري لإدارة الهلال الأحمر في مصر لإنفاقها لإسعاف ومداواة الجرحى الذين أصيبوا من ضرب القنابل على الأراضي المصرية ، وكانت الضربة شديدة جداً هدمت المساكن وعطلت المصالح وأرملت النساء وأيتمت الأطفال . وقد افتتح مكتب قبول المتطوعين في مدينة الرياض فتوافدت عليه جموع غفيرة من أبناء الشعب السعودي تحذوهم جميعاً الرغبة الصادقة الأكيدة في رد كيد المعتدين والذود عن الوطن الغالي ، وحينما كان الضباط والموظفون المختصون يسجلون طلبات التطوع فوجئوا بأنّ بين المتطوعين أصحاب السمو الملكي الأمراء فهد بن عبد العزيز وزير المعارف إذ ذاك والأمير سلطان بن عبد العزيز وزير المواصلات إذ ذاك وسلمان أمير الرياض وتركيب بن عبد العزيز وسطام بن عبد العزيز وأحمد بن عبد العزيز وخالد بن عبد العزيز وبدر بن سعود وفيصل بن سعود وبندر بن سعود وخالد بن سعود . وقد بلغ عدد الذين سجلوا أسماءهم في خلال أربع وعشرين ساعة أربعمئة متطوع ، ولا يزال الإقبال على مكاتب التطوع مستمراً كل ذلك دفاعاً عن المليك والوطن .

قطع العلاقات السياسية مع بريطانيا وفرنسا

قالت المديرية العامة هذا البلاغ : بناء على الاعتداء المسلح الواقع من حكومتي بريطانيا وفرنسا على الشقيقة مصر في حالة كونها المعتدى عليها من إسرائيل وبناء على عدم قبول الدولتين المذكورتين قرار هيئة الأمم المتحدة لتوقيف إطلاق الثّار وإصرارهما بالاعتداء بدون مبرر فإنّ حكومة صاحب الجلالة قررت قطع علاقاتها السياسية مع الحكومتين المذكورتين

اعتباراً من تاريخ تبليغه: ثم أذاعت المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر البيان الآتي: بالنظر للاعتداء الصارخ الذي قامت به إنجلترا وفرنسا على الشقيقة مصر بدون مبرر على الاطلاع في حالة كونها ضحية للاعتداء الإسرائيلي فإنَّ الحكومة العربية السعودية أصدرت أوامرها إلى الجهات المختصة بمنع شحن وتموين جميع السفن الإنجليزية والفرنسية وأيضاً الأخرى التي تتجه بحمولتها إلى هذين البلدين من جميع منتجات البترول السعودي. كذلك أذاعت الإذاعة السعودية بلاغاً رسمياً من وزارة الدفاع السعودي أنَّه تحرك الجيش السعودي إلى الأردن وهو الآن على وشك الدخول إلى الحدود الأردنية.

إمارة محمد بن بتال في القصيم

لمَّا كان في يوم الخميس ١٣٧٦/٣/٢٠ هـ قدم الأمير محمد بن عبدالله بن بتال المطيري أميراً في منطقة القصيم ونقل صاحب السمو الأمير عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد إلى إمارة الحدود الشمالية. وقد صدر الأمر الملكي بتعيينه هناك بعد إلغاء محافظة خط الأنابيب وربط المراكز التي كانت مرتبطة بهذه الحدود به. وكان عبدالله بن عبد العزيز هو أمير بريدة قبل ذلك فقد قضى عشر سنين فيها فرحل إلى عرعر بعدما أدى واجباً في أعماله، وقد اشتهر بالعدل والإنصاف فلا يطمع القوي بالتزلف إليه ولا الضعيف يخاف من حيفه هكذا وصفه بعض المواطنين فهو الأمير الأمين في نفسه والنزيه في أخلاقه ومعاملته وقد سجل له التاريخ صحيفة بيضاء ولأخلاقه الكريمة وأفعاله الحميدة فلا يحمل الحقد ولا يستطيع الواشي أن يوحى بكلمة نحوه تستثيره. وبكل حال فإنَّ مدينة بريدة قد خسرتة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها بعثت الحكومة إلى منطقة الظفير هيئة مكونة من ثلاثة أعضاء

للتفتيش على مدارس القرعاوي هناك وقد سبق في عام ١٣٧٢هـ مثل ذلك والباعث لهذا التفتيش هو أنه قد وشى به بعض الحساد المغرضين بإدعاء أن غالب هذه المدارس التي يزعمها ولا أساس لها وقد شوش عليه أعداؤه وحاولوا إبطال غالب هذه المدارس بشتى الحيل فرأت الحكومة أن تبعث إليها هيئة للكشف عنها والوقوف على حقيقتها: إنَّ الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي والحق يقال رجل طيب ومن المخلصين الناصحين لله ولرسوله ولحكومته وشعبه، وقد صبر على نشر دعوة الحق وصابر الأعداء محتسباً لله تعالى فقد كان في بلدته عزيزة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعلم ويرشد ثم سافر إلى الرياض لطلب العلم فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم رحل إلى الهند لطلب العلم وأقام مدة هناك ثم قدر الله له أن يذهب إلى مقاطعة جيزان جنوب المملكة العربية السعودية فقام هناك يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأسس مدارس في صامطة والجرادية وبذل ما يملكه من المال في هذا السبيل ثم فرق من هذه المدارس المعلمين على بقية القرى التابعة لجيزان وجعلهم أئمة للمساجد ومعلمين في العقيدة ومرشدين بالأسواق ومجامع الناس.

وكانت الحكومة تسمع عن هذه المدارس وترسل المساعدات المالية متوالية إليها ولمَّا اتسعت المدارس وتحقق الملك سعود حفظه الله من معلوماتهم وكان إذ ذاك ولي عهد صرف لهم رواتب شهرية من مصروفه الخاص تسلم بيد الشيخ القرعاوي يوزعها على المعلمين والمتعلمين على حسب درجاتهم وحاجاتهم ويصرف منها على الطلبة الغرباء المحتاجين ويجهز المدارس بالأدوات المدرسية من دفاتر وأقلام وقد وافق عمله قبولاً من الأهالي ولمَّا أن تولى سعود وتوسع في نشر العلم ومساعدة المعلمين والمرشدين وبذل في ذلك المال الكثير فتح القرعاوي معهداً علمياً بصامطة فرعاً لمعهد الرياض وفتح المدارس في القرى والبوادي من نجران إلى

الطائف ومن الموسم إلى جدة ما يزيد عن ألفي مدرسة ونشر المال على المعلمين والمتعلمين وبنى المدارس والمساجد واشترى الكتب والمصاحف وطبع بعض الرسائل النافعة على نفقته لتوزيعها عليهم وعين في كل جهة وكيلاً يراقب سير هذه المدارس ويوزع عليهم الرواتب وقد كان يشتري السيارات للمراقبين المتجولين وكان قبل ذلك يشرف بنفسه ممتطياً الحمر . وقد حدثني الأخ الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله بن طرباق وكان تولى الإرشاد هناك في ضمن الذين بعثتهم الحكومة ثم تولى القضاء في إحدى مدن تلك الجهات قال : كان الشيخ يتجول على مدارسه ويتفقدوها ويشرف عليها ممتطياً الحمر ولا يمل الصعود والنزول في تلك الجبال حتى تكسرت حوافر الحمر ودبرت ظهورها أي أصابها دبر من كثرة الذهاب والإياب ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . وسيجد هذه الدعوة في ميزان حسناته . وجميع هذه المصروفات باشتراك مندوب من وزارة المالية وكان من ثمرة هذه النهضة أن قام عدد من المتعلمين بمؤازرة القرعاوي ومنهم من تولى القضاء والوعظ والإرشاد ومنهم أئمة مساجد ومنهم رؤساء هيئات وكتاب محاكم . فقام أناس ضده يقولون : لا يمكن تصور هذا وكيف يزيد المعلمون عن ثلاثة آلاف والمتعلمون عن ستين ألفاً وأن هذا ليس بمعقول . وكثر القيل والقال وهذا البلاء قديم وجوده وهو الوقيعة وتشويه السمعة فرأت الحكومة بعث هيئة للكشف عن هذه الحقائق والنظر في تلك المشاكل وأقول أنا بصفتي أحسن الظن بالشيخ القرعاوي وأقدر أعماله وأنظر إليها بعين الاحترام والتشجيع : أنه يستحق الشكر على أعماله التي قام بها وألوم الذين قاموا ضده وذلك نظراً إلى ما يتطلبه الموقف من النفقات والأجور والخسائر ، وكنت أظن أن الهيئة بررت موقفه وظهرت فضائله والعاقبة للمتقين . وستأتي ترجمته في سنة وفاته إن شاء الله تعالى .

أمطار تجتاح القصيم وتهدم البيوت

لَمَّا كان في ١٢/٥ الموافق ٢٢ من برج القوس من هذه السنة هطلت أمطار على القصيم واستمرت طيلة ذلك اليوم ومن الغد وبعد الغد وهكذا خمسة أيام لم يتوقف نزول الماء حتى انماعت روس الحيطان وجعلت تنهار من كثرة نزول مياه الأمطار، فلقد مضى على الأمة خمسة أيام متوالية والأهالي في القصيم ينتظرون بفارغ الصبر أن يمسك الله السماء عنهم وبما أن بريدة وضواحيها لا تزال مهددة من خطر السيول نتيجة ١٢٠ ساعة لم تتوقف الديمة عنها وكانت سائر القصيم كذلك غير أن شدة وقعة كانت على بريدة وضواحيها. كان مما يعجب له خوف أوقعه الله في القلوب من سكنى البيوت حيث كانوا يتوقعون أنها ستنطبق عليهم. وفي يوم الأربعاء ١٧ جمادى الأولى هطلت أمطار وسيول زيادة عما هم فيه من الديمة المتواصلة فتعطلت الدراسة منذ ذلك اليوم ولم يستطع البشر الجلوس داخل المنازل لشدة خريز السقوف وهذا مما يدل على قدرة الخالق وضعف المخلوق. وإذا كانت البلاد قد أُقيمت من لبن وطين ومرَّ عليها سنون لم تنزل عليها تلك الأمطار واعتادوا نزول الماء على قدر والآن لم يتوقف المطر ستة أيام عن الانهمار عليها فكيف تكون حالتهم. ولَمَّا كان في ١٨/٥ خرجت الأمة إلى البراري خوفاً من سقوط البيوت وأصبحوا مهددين بالأخطار. هذا ولا تزال السماء منطلقة الوكاء تصب المياه صباً وكان قد انخاط الجو وأظلمت الدنيا لفقدتهم ضياء الشمس وكان القوي من يملك بساطاً يرفعه بأعواد فيجلس وعائلته تحته. وفي ليلة ١٩ ليلة الجمعة أقبلت سحب متراكمة وجعل البرق يخرج من خلالها زيادة على ما هم فيه وقعقت الصواعق ولمعت البروق وجعلت البيوت تتساقط يسمع لها دوي عظيم كصوت المدافع ولَمَّا أن اشتدت الضربة ووقعت الكربة وضافت الحيلة فتح المسلمون أبواب البيوت وفروا هاربين إلى الصحراء لا يلوي أحد على أحد

وذهلوا أموالهم ونسوا أولادهم وهنالك لا ترى أحداً يلتفت إلى أحد،
وعجت الخليقة إلى ربها وفاطرها فلا تسمع بإذن من الصراخ والبكاء
والضجة واختلط الحابل بالنابل وقام ضعفاء الناس متشوشين فصعدوا إلى
رؤوس المنائر وجعلوا يكبرون وينادون بالأذان في منتصف الليل وسمعت
ضجة عظيمة للخلائق هذا يؤذن وذاك يصرخ والآخر يئن ويصيح من البلل
وشدة البرد ونزلوا في الفضاء والتجأوا إلى شجر الإثل الذي لا يغني عنهم
شيئاً يهطل عليهم الماء من فوقهم ويفيض من تحتهم، والقليل منهم التجأوا
إلى ظل خيام صارت أشبه شيء بزرائب الحيوانات من كثرة من ينطوي
تحت سقوفها. وكنت لمّا ذهبت إلى مسجدي لصلاة الفجر وجدت القوم
صفوفاً في رحبة المسجد تهطل الأمطار عليهم فلما استفهمت منهم أجابوا
بأنّ العوائل من النساء والأطفال في الخلوة والمصابيح لا تغني شيئاً من
الخرير ولمّا خرجت الأمة إلى الصحاري افترشوا الغبراء فكان غالبهم
الأرض فراشهم والسماء غطاؤهم بعد التقلب على الآرائك الأثيرة وأصبحوا
جوعاً بعد التلذذ بصنوف المأكولات وأصبحت منازلهم أطلالاً بعدما كانت
قصوراً شامخة وانقطعت بهم السبل فلا السيارات تصلهم ولا الطائرات تهبط
عليهم. هذا وقد تهدمت مساكنهم على أموالهم وأثاثهم وأرزاقهم وأصبحوا
معدمين إلّا من رحمة الله ربهم ثم عطف حكومتهم وبني جنسهم ممن لم
يصابوا بمثل مصيبتهم وقد اختطوا مساجد في الفضاء بعدما تهدمت بعض
المساجد وبقيتها لا تكنهم سقوفها بعد ما كانت عامرة. وسقط المسجد
الجامع في بريدة فوزع الأهالي في صلاة الجمعة في ثمانية مساجد لأنّه لم
يبقَ من الجامع إلّا أكواخ قليلة، واستمرّ هطول الأمطار إلى اليوم ٢٧/٥ ثم
أعقب ذلك ظلٌ وغيوم. هذا وما كان الناس يستطيعون دخول البيوت إلّا
لأخذ الطعام ثم يعودون وهجرت البيوت والمساكن وظلت خاوية على
عروشها. ولقد حاول البريد الجوي الهبوط في مطار بريدة فلم يستطع إلى

ذلك سبيلاً وانقطع البريد . وقد بعثت الحكومة بعض الخيام والمأكولات إلى المنكوبين في غرة جمادى الثانية ومن ضمنها خيمتان عظيمتان تكن المصلين في الجامع الكبير أوقات الصلوات فضربتا في رحبة المسجد لما لم يبقَ منه ما يكن صفين وذلك في ٦/٨ . فكانوا يصلون فيهما نهاراً وفي الليل لا يستطيعون الجلوس فيهما لشدة البرد القارس واستمرت السحب متلاحمة قد انخاط الجو كقطعة من حديد ويتوقف المطر ثم يعود . فلا إله إلا الله لو رأيت ساحة البلاد وقد نضدت بالخيام والبسط والحصير واستمرَّ المطر والظل إلى ٦/١٨ ولمّا كان في ٦/٢١ الموافق ليوم الثلاثاء اشتدَّ البرد وتراكم السحاب ثم نزل في غده جليد وبرد بسكون الرء لم يعهد مثله ثم في ٧/٤ تراكمت الغيوم وهطلت أمطار واشتدَّ البرد ثلاثة أيام فشهران سوى يومين لم ترَ الشمس فيها هذا والفقير لا يدري إلى أين يذهب بل كانت الأرض فراش الفقراء والسما غطاءهم وتقدر البيوت التي سقطت من هذه السيول في العاصمة بريدة نفسها بثلاث آلاف بيت هذا سوى ما كان بسيطاً من جدار وشيء يسير . ومن العجائب أن الله تعالى وقى النفوس البشرية . فمن النَّاس من إذا دخل بيته وأخذ ما يصلحه من بلغة الطعام والشراب ثم خرج سقط البيت لأنَّ الضربة كانت في الأموال . وقد جرى وادي الرمة وكان جريه عظيماً وكان لا يجري إلا إذا عظم هطول الأمطار كما أنَّ وادي الفاجرة الذي كان مجراه في قلب الخبيب جرى ومنع الداخلات والخارجات من السيارات . وقد كثر نزول الأمطار في سائر الجهات . وكانت غالب مدن القصيم قد نكبت بخسائر من هذه السيول كعنيزة والرس والكيرية وغيرها . كما هطلت أمطار على الزلقي من تاريخ نزول الأمطار على القصيم ٥/١٢ إلى تاريخ ٦/٢ فتتج عنها ما لم يرَ مثله منذ عشرات السنين من أضرار بالغة في المباني والأموال فقد انهار كثير من البيوت والدكاكين وغيرهما كما أنَّه هطل في يوم الأحد الموافق ٥/٢٨ صيب من الأمطار على الغاط وضواحيها

سالت على أثر ذلك جميع الأودية وقبله في ١٤/٥ استمرت الأمطار لمدة ثمانية أيام وحصل بعض الأضرار على المزارع والسدود. أمّا البيوت فقد خرج الكثير من أهالي البلدة عن مساكنهم نظراً لما حصل من سقوط الكثير من المنازل ولهذا كان من دعاء الخطباء في صلاة الاستسقاء: اللّهُمَّ سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق. وقد بعثت الحكومة من الخيام والطعام لمنكوبي السيول الذين أصبحوا بلا مأوى ولا طعام كما بعثت لجنة لتقويم الخسائر التي نجمت عن تلك الكوارث.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم شيخنا سليمان المشعلي وهذه ترجمته: هو العالم الكبير والفاضل الشهير والألمعي الجليل الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن علي المشعل وكان أهل نجد يسمونه المشعلي ويقال إنّ المشعل من قبيلة كبيرة وأبوه عبدالله كان ذا أملاك بخب الخلوة من ضواحي بريدة ولديه ثروة وكان وجيهاً. كما أنّ له في عيزة أملاكاً وقد طال عمره حتى بلغ المائة أو زيادة عليها وفي آخر عمره تلاشت ثروته وكثرت ديونه. وكان المترجم أصغر أولاده فمرض بالجدري وفقد بصره وكان مما يهتم والده حالة ابنه الصغير الذي أصبح فاقد البصر فكان يوصي إخوته به. ولمّا بلغ المترجم الثامنة من عمره توفي والده وكانت والدته من آل جمعة وله إخوة أشقاء أكبرهم محمد حنى عليه لأنّه كان في حضانة أمه وحنو أخيه.

نشأته: نشأ رحمه الله يتيماً فقيراً أعمى وكان فطناً نبياً مفكراً يعجب كل من شاهده أو جلس معه من نباهته. وفي يوم من الأيام قال لأمه: أدعي الله لي فقد عزمت على طلب العلم فشمّر وجد واجتهد وجعل يختلف إلى أئمة المساجد في خب الخلوة ويتعلم حتى حفظ القرآن وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ثم سافر إلى بلد المذنب للطلب فأخذ في طلب العلم على الشيخ

عبدالله بن محمد بن دخيل وبقي مدة هو والشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع هناك في بلد المذنب وكانت إذ ذاك آهلة بالعلم وطلابه ذلك لما قام به الشيخ عبدالله بن دخيل من التعليم والتشجيع لطلابه بحيث حصلت نهضة على يديه في بلد المذنب وأقبل الطلاب إليه من كل جهة وصوب وبذلت الولايم وحصل للطلاب ما يساعدهم في بذل القوت . وهناك كانت محبة لله وزيارات من مدينة حائل حتى بلد المذنب . حدثني بذلك المترجم والشيخ عثمان بن حمد بن مضان وأخوه رجل الدين والخير محمد بن حمد بن مضان . وقد سبق في ترجمة الشيخ عبدالله بن دخيل ما فيه كفاية . ثم رحل المترجم إلى الرياض ماشياً على قدميه هو وبعض إخوانه يحملون متاعهم على حمار فأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف وعن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف ، وأخذ عن الشيخ سعد بن عتيق كما أخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وعن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم ، وعن الشيخ عمر بن محمد بن سليم . أمّا ولادته فكانت في سنة ١٣٠٠هـ في خب الخلوة المذكور الكائن حوالي الدعيصة يقع غربي مدينة بريدة على مسافة ٧ كيلو . أمّا المشعل الذي ينسبون إليه فإنه من أهالي حرمة بلد في سدير .

ذكر الوظائف التي نالها

كانت أول وظيفة قام بها أن جعل في عام ١٣٣٦هـ قاضياً في المستعجلة بمدينة الرياض فشغل هذه الوظيفة ثم طلب من المشائخ إعفائه عن القضاء بين مشائخه ثم كان قاضياً في نفي ثم نقل منها إلى دخنة ثم إلى الفوارة ثم إلى الشبيكية ثم إلى قضاء المذنب ثم إلى قضاء البكيرية . وكان في هذه الوظائف موضع الثقة والتقدير وكنت لمّا تولى القضاء في البكيرية وأراد الذهاب إليها بناء على ما أسمعته منه من أنه يحب سكناها ولو لم يتولّ وظيفة فيها . فقلت له : لقد حلمت وقرت الآن عينك فيها فأوصيك بنشر العلم فيها ولا تأل أن تكثّر التعليم هناك فقال : الله المستعان وأنّ فلاناً

القاضي يقول: لو وجدت من يتعلم مني بأجرة لبذلتها. وكان يخلفه في قضاء بريدة جلالة الملك إذ غاب القاضي.

أخلاقه وشمائله

كان صموتاً قليل الكلام محباً للعزلة قليل الضحك لا يكذب وإن كان مازحاً. ويقدر أهل العلم وله أدب ومعرفة بفنون الشعر والحكم وأقوال العلماء والتاريخ ومعرفة الرجال والجرح والتعديل، ولا يحب الشهرة وعلى جانب من العبادة وكان ذا سميت عظيم حتى يخيل إلى من رآه أنه يسكت على أمر عظيم من الدهاء والمعرفة. ولهذا قال في مدحه الشيخ عمر الوسيدي من قصيدة مرّ بنا ذكرها:

ويا سليمان المشعلي نلت مفخراً وعلماً على حسب الورى والأماثل
فلا تسأمن البحث فيه ولا تكن جباناً إذا دارت فنون المسائل
فمن فعلك الأحجام طيعاً وإنما لك خبرة في قاطعات الدلائل

وقد نفعته تلك الرزانة بحيث كان عاقلاً يعالج المشاكل بحكمة. وبما أن القاضي عمر بن محمد بن سليم يستنبيه في القضاء فقد كان الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد يستنبيه أيضاً إذا كان موجوداً وكان جبلاً عظيماً في القضاء لرزانته وقلة كلامه فيوقف عند توجيهاته. وفي صفته كان قصير القامة أقل من الربعة ممتلىء الجسم قد لوحته الشمس إلى السمرة وكان معظماً ومحترماً ومهاباً ولا يحب المزح. كثير التفكير. ومن كلماته الخالدة قوله: إنَّ العالم في هذا الزمن كالحلثيت إن احتاج النَّاسُ إليه طلبوه وسعوا في تحصيله وإن استغنوا عنه لم يعبأوا به. ثمَّ أنَّها تداركت عليه أمراض في آخر عمره لأنَّه يغلب عليه السعال المخاطي البلغمي وأقعده الأمراض وكبر سنه فلما كان ذات ليلة قال لابنه عبدالله: إنِّي موصيك بوصية وقد أشهدت عليها عبدالله بن رشيد الفرج وفلاناً لرجل سماه ولعلي ألقى الله في هذه الليلة.

وتوفي من آخر الليل ٩ رجب رحمه الله وعفا عنه . وكان يكثّر البكاء في آخر عمره ويذكر الرعيل الأول والسلف الصالح حتى لحق بهم وتوفاه الله على حالة طيبة . خلف ابنين أحدهما عبدالله كان رجلاً طيباً وذا أخلاق كريمة تولّى إدارة مدرسة المذنب ثمّ إدارة مدرسة أحمد بن حنبل في بريدة ثم كان مفتشاً في إدارة التعليم بالقصيم وغيرها ، وله ابن يسمى أحمد وهما جامعيان .

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ عبد الرحمن بن سعدي عالم عنيزة وفقهها

وهذه ترجمته : هو الشيخ العالم العلامة الفقيه المفسر عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي من قبيلة بني تميم . ولد في بلدة عنيزة في القصيم ١٢ محرم عام ١٣٠٧هـ وتوفيت والدته وله أربع سنين وتوفي والده وله سبع سنين فنشأ يتيماً تقلبه العناية الربانية وكانت أمه من آل عثيمين . وبعد وفاة أمه عطف عليه زوجة والده وكانت نشأته حينه تعلم القرآن وحفظه وله من العمر إحدى عشرة سنة ثم أخذ يطلب العلم واشتغل في الدراسة فأخذ عن علماء بلده وعمن قدم إليها من العلماء . وممن أخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر كان أول من أخذ عنه المترجم ومن أكبر مشائخه ويصفه الشيخ عبد الرحمن بحفظ الحديث والورع ومحبة الفقراء ومواساتهم . وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الكريم بن شعل قرأ عليه في الفقه وعلوم العربية وغيرها وأخذ عن الشيخ صالح العثمان القاضي قاضي عنيزة قرأ عليه في التوحيد والتفسير والفقه وأصوله وفروعه وعلوم العربية وأكثر الأخذ عنه ولازمه ملازمة تامة حتى توفي رحمه الله ، وأخذ عن الشيخ صعب التويجري ، وأخذ عن الشيخ علي السناني وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عايض ، وأخذ عن الشيخ علي الناصر بن وادي قرأ عليه في الحديث والأمهات الست وغيرها وأجازه في ذلك ، وأخذ عن الشيخ

محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف في المملكة السعودية سابقاً . وأخذ عن الشيخ محمد الشنقيطي نزيل الحجاز قديماً ثم الزبير . أمّا تلامذته والآخذون عنه فخلق كثير وجم غفير . وإليك ذكر من نعرفه منهم الشيخ محمد بن منصور بن زامل . الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ، الشيخ محمد الصالح بن عثيمين . وكان هذا هو الذي خلفه بإمامة الجامع الكبير ، الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العقيل ، الشيخ عبد المحسن الخريديلي ، الشيخ محمد العبد الرحمن العبدلي ، الشيخ إبراهيم المحمد العمود ، الشيخ محمد الناصر الحناكي ، الشيخ عبد الرحمن بن عقيل ، الشيخ عبدالله بن عبد العزيز المطوع ، الشيخ محمد بن سليمان البسام ، محمد بن عبدالله بن مانع ، الشيخ محمد الصالح الفضيلي ، الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام ، عبدالله بن محمد العوهلي ، حمد بن محمد البسام ، عبدالله بن حسن بن بريكان ، الشيخ عبد العزيز بن محمد بن سلمان ، حمد المحمد المرزوقي ، محمد بن عثمان القاضي ، الشيخ الوجيه عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل السليم ، الشيخ علي الحمد الصالحي ، الشيخ محمد الصالح بن خزيم ، الشيخ عبد العزيز بن سبيل ، الشيخ عبد الرحمن المحمد المقوشي ، الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح البسام ، عبدالله الزامل العفيسان ، الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام ، وغير هؤلاء ، وكان لتعليمه قبول في عناية ويعظمونه ويحترمونه لمكانته العالية في العلم ويميل تلامذته إلى دروسه ولا يملّونها بل يتلذذون في مجالسه ومن طريقته في التدريس . إنّه يتشاور مع تلامذته في اختيار الأنفع من كتب الدراسة ويرجح ما عليه رغبة أكثره وقد يعمل المناظرات بين تلامذته لشحذ أفكارهم ولديه معرفة بالفقه وأصوله وفروعه .

أخلاقه وتواضعه

كان الشيخ عبد الرحمن على جانب عظيم من مكارم الأخلاق متواضعاً اجتماعياً دمث الأخلاق متحبباً إلى الكبير والصغير ويتكلم مع كل فرد بما يناسبه ويبحث معه في المواضيع النافعة له دنيا وأخرى . وكان ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء يساعدهم بالمساعدات المالية على قدر استطاعته ويستعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم الإحسان . هذا هو عبد الرحمن الناصر بن سعدي العالم المشهور في الأخلاق الحسنة والفضائل الجملة . زرته مرة في عنيزة وكنت إذ ذاك أسعى في طلب مطبوعات مقبل الذكر التي جادت بها أريحته وجعلها وقفاً على المسلمين فاتخذت الشيخ عبد الرحمن وسيلة إلى عبد الرحمن المقبل الذكر فذهبت أنا وصاحبي عبد الرحمن بن عبدالله بن وائل إمام الطرنية وكان رحمه الله من جملة الدارسين عليّ من كبراء السن يكبرني بخمس وعشرين سنة ولخفة روحه ومحبته اتخذته صاحباً . امتطينا حمارين وسرنا إلى عنيزة في إحدى ليالي العشر الأولى من شهر رجب عام ١٣٦١هـ فبتنا في النفود الكائن بين قرية الخضر والوادي ومن آخر الليل ركبنا الحمر تحمل قربة ماء وشيئاً من أواني الطبخ ، وفي الصباح قدمنا عنيزة فطفقنا نسأل عن بيت الشيخ ابن سعدي حتى وصلنا إلى بيت متواضع من الطين ولمّا أن طرّقنا الباب نزل إلينا مع الدرج شيخ قصير القامة أبيض اللون ممتلىء الجسم يعلوه الوقار لأنّ القهوة أو المجلس في الطابق الثاني فسلمنا عليه وأبدى بشاشة وترحيباً وجعل يقول: كتب الله خطاكم تفضلوا فبدرته بقولي: استعد لما أتيناك له فقال: لا يمكن أن نتكلم بحاجتنا حتى نشرب القهوة ونستأنس بكم . فعجبت لهذه الأخلاق وقد أقسم أن لا نتكلم حتى نفرغ من القهوة ثم نتكلم بالموضوع وكان يعمل القهوة بنفسه ويردد هذه الكلمات «وأفوض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد» ثم يرجع إلى كلامه كتب الله خطاكم . وجعل في قهوة البن شيئاً من الحبة

السوداء الشونيز لأنني كنت أظن أنه ينتفع بها لو صاية الرسول عليه الصلاة والسلام بها. ولمّا أن فرغنا أخبرناه بخبرنا فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي إلى الابن الكريم عبد الرحمن المقبل الذكير. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الواصل إليكم فلان قد جاء لهذا الموضوع وأنه لم يخرج من باب بريدة الجنوبي أبداً إلا لهذه الحاجة أرجو قضاء حاجته وإتحافه بمطلوبه. ثم قال الغداء هنا بعد الظهر كتب الله خطاكم. فاعتذرنا بموعد سابق وخرجنا من عنده شاكرين داعين وطال تعجبي لهذه الأخلاق التي يبخل الزمان بمثلها وكان لم يسمح عن دعوته حتى أقسمنا له أنّ الركاب عند المغرب. ولمّا جئنا إلى بيت الذكير وجدنا رجلاً بشوشاً فناولته الخطاب فقرأه ثم أقسم بالله لو أنّ صاحب هذا الخطاب بعث إليّ وهو في بريدة ولم يجعل ابن سعدي واسطة ولم يسعّ بنفسه لبعثتها له وهو جالس. ودعانا إلى طعام الغداء فاعتذرنا شاكرين ومقدرين وكان قد جعل خادماً يعد القهوة العربية ويصب من الدلال للزوار وناولني ما تيسر من الكتب الموجودة ولا ريب أن المترجم له قد تمخضت عنه مدينة عنيزة وافتخرت به على ما سواها.

مؤلفات الشيخ

كان يشتغل في كتب الشيخين الإمامين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى وكان حنبلياً، ثم بعد ذلك صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي بل يأخذ بالراجح من حيث الدليل تقليداً لهذين الإمامين. وله يد طولى في التفسير. وقد ألف تفسيراً في ثمانية أجزاء طبع مراراً وذلك لأنّ له ذوقاً في تفسير القرآن ويستطرد ويبين من معاني القرآن وفوائده ويستنبط منه الفوائد البديعة وله فصاحة وجزالة في اللفظ. وقد تكلم في مسألة يأجوج ومأجوج بكلام حمل عليه أعداؤه بسببه حملات شعواء وأنه خالف الجمهور ورفع أمره إلى والي الأمر واستقدم إلى الرياض للتحقيق معه وجرى معه البحث وخافت

الأمة عليه لكنه رجع محترماً. ومن مؤلفاته: الرياض الناضرة، ومختصر في الفقه سماه منهج السالكين، ومختصر في أصول الفقه، وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني، تنزيه الدين ورجاله، مما افتراه الصعيدي في أغلاله توضيح الكافية الشافية جعله كشرح لطيف لنونية ابن القيم وهو مختصر يقرب للأذهان معرفتها القواعد الحسان لتفسير القرآن، ديوان الخطب العصرية وخطب أخرى سماها الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والدرة المختصرة في محاسن الإسلام. وكتاب سماه القواعد والأصول الجامعة ورسالة لطيفة سماها الوسائل المفيدة في الحياة السعيدة، الفتاوى السعدية مجلد كبير على أبواب الفقه، بهجة قلوب الأبرار وشرح جوامع الأخبار وله مؤلفات أخرى وإنه لي شكر على انتصاره للإسلام والذب عنه في غالب كتبه وإبراز محاسنه. وقد عرض عليه قضاء عيزة عدة مرات فلم يقبل بل كان يؤم في المسجد الجامع فيها ويدرس فيه ولا ريب أن عيزة خسرت لأنها فقدت عالمها الكبير. ولمّا كان في يوم الخميس ٢٣ جمادى الآخرة من هذه السنة اختطفته يد المنون على إثر ضغط وتصلب الشرايين كان يعاوده هذا المرض حتى قضى عليه. وقد جاءت طائفة تلك الليلة لإسعافه لما أغمي عليه من أول الليل ولكنها لم تتمكن من الهبوط لتعكر الجو فرجفت القلوب عليه حزناً وأسى وصلّى عليه في سائر الآفاق رحمه الله وعفا عنه وقد رثي بمراثي حسنة.

وممن توفي فيها من الأعيان فؤاد الخطيب الشاعر العربي وكانت وفاته في منتصف شهر رمضان من هذه السنة وهذه ترجمته: هو الأديب الشاعر، ولد المترجم في سنة ١٣٠٢هـ وعاش في ربوع وطنه وعندما بدأت الحركات التحريرية التي تهدف إلى تحرير الأمة العربية من النير الأجنبي كان من أول المسارعين إلى الانضمام إليها فكان عضواً في جمعية المنتدى العربي ثم حكم عليه بالإعدام ففرّ إلى مصر فالسودان حيث اشتغل فيه

بالتدريس ثم لما قام الشريف الحسين بالثورة ضد الحكم التركي اتصل به فعينه وزيراً للخارجية ثم رافق الأمير فيصل بن الحسين حينما دخل دمشق وتولى في حكومته وزارة الخارجية وصار فيما بعد مستشاراً للأمير عبدالله في شرق الأردن. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى استقال من وظيفته وعاد إلى لبنان. وفي سنة ١٣٤٩هـ وفد على الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن لما سمع من وفائه وكرمه فلقى من عطفه وبره ما هو أهل له وعينه وزيراً مفوضاً في الأفغان. ولقي من عطف الملك سعود وتقديره الشيء الكثير. وقد توفي المترجم وهو سفير للمملكة العربية السعودية في بلاد الأفغان عن عمر بلغ ٧٤. ومن آثاره: ديوان شعر مطبوع في مجلد لطيف يسمى (ديوان الخطيب) وديوان شعر مخطوط يقع في مجلدين وغير ذلك.

دور الأيتام

في هذه السنة قامت الحكومة السعودية بفتح دور لليتامى تحت رئاسة المفتي العام فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فكان يبعث وكيله لفتحها في المدن فمن ذلك فتح دارين لليتامى في ضرما وفي الدلم فبذلك كان في عاصمة الخرج ما يربي أبناءهم العاجزين، كما أن الثانية في إقليم بطين العارض تفيد العجزة هناك وكذلك استمر أيضاً الفتح لهذه المدارس التي كانت دوراً لليتامى في بريدة والمجمعة وعنيزة وحائل وتبوك والجوف والقريات والزلفي وشقراء والدوادمي وينبع. أمّا عن مكة والمدينة المنورة والرياض فقد فتح فيها قبل ذلك وظهرت النتيجة في مكة المشرفة بما يسر الحكومة ويعود على أولئك اليتامى ونحوهم بالخير والنجاح نسأل الله تعالى أن يجعل العاقبة إلى خير.

وفيها في ربيع الثاني قدم إلى المملكة العربية السعودية رئيس جمهورية باكستان الجنرال إسكندر ميرزا زائراً لها فازدحم مطار الرياض بجماهير

كثيرة وأقيمت أقواس النصر واستقبله صاحب الجلالة الملك سعود وجماهير الشعب المحتشدة وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي ولي العهد فيصل .

وفيها في ٦/٢٧ قدم الملك سعود إلى واشنطن للاجتماع بالرئيس إيزنهاور . وبعدها أتمّ الزيارة ذهب لزيارة مدريد عاصمة إسبانيا للاجتماع بسلطان مراكش محمد بن يوسف والجنرال فرانكو وذلك في ١٠/٧ . وزار أيضاً الملك سعود القاهرة للاجتماع بالرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين وصبري العسلي وذلك في ١٧/٦ . وكان قد سار قبل ذلك في ١٠/٤ إلى بيروت للاجتماع برؤساء الدول العربية شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية وكميل شمعون رئيس جمهورية لبنان والملك الحسين الشريف وولي عهد اليمن محمد البدر وعبد الفتاح محمد المغربي رئيس مجلس السيادة بالسودان ومصطفى بن حكيم رئيس وزراء ليبيا وعبد الحميد غالب سفير مصر في بيروت . ثم زار الملك سعود مراكش في ١٧/٧ للاجتماع بالسلطان محمد بن يوسف سلطان مراكش كذلك زار الملك سعود في ٢١/٧ تونس للاجتماع بباي تونس محمد الأمين . ومن الغد زار أيضاً طرابلس الغرب للاجتماع بملكها إدريس السنوسي . وفي ٢٤/٧ زار الملك سعود القاهرة للاجتماع بالأقطاب الثلاثة شكري القوتلي وجمال عبد الناصر وحسين ملك الأردن . كما أنّ الأمير فيصل ولي العهد زار تونس في ١٧/٨ للاشتراك في الاحتفال بالعيد الأول لاستقلال تونس .

وفيها في ١٠/٨/١٣٧٦ هـ قدم ملك العجم محمد رضا شاه بهلوي صاحب إيران إلى الرياض زائراً .

وفيها فجر في بريدة وضواحيها آبار إرتوازية وكثرت المياه فيها فمن ذلك عين جديدة نبعت في حارة الخبيب تدفق منها ماء غزير يماثل في الكمية ما تنتجه العين العزيزية ومنها عين أخرى نبعت في واحة الصبيحية قرب مدينة

بريدة من جهة الشمال وكثرت هذه الآبار في خب البريدي والجربية
والزرقاء . ولا تزال الأيادي مشغلة في آلات الحفر .

أمّا ما كان عن عنيزة فإنه قام الوزير السابق عبدالله بن سليمان بسحب
أنابيب في المدينة باستعمال ماكينة هناك في أنهم حتى الآن لم يتوصلوا إلى
استخراج الماء نابعاً وهناك في منطقة الرس لم يتوصلوا أيضاً إلى الينابيع
العذبة وأملنا عظيم بأن يفتح الله لهم تلك الطبقة .

وفيها في ٣/١٤ صدر مرسوم ملكي بإعفاء أكثر المواد الضرورية من
الرسوم مع تعديلات في تعرفه الرسوم الجمركية وقد جاء ذلك في ثلاث
مواد .

وفيها وفاة السفير السعودي في مصر وليبيا عبدالله بن إبراهيم الفضل
وذلك في أواسط شهر رمضان من هذه السنة وكانت وفاته في مدينة لوزان
بسويسرا حيث كان يتعالج هناك من داء لم ينفع فيه طب الأطباء . وقد نقل
جثمانه بطائرة من المدينة المذكورة إلى القاهرة ثم إلى جدة ومن جدة
بالسيارات إلى مكة المكرمة حيث صلى عليه في المسجد الحرام وشيع إلى
مثواه الأخير في موكب رسمي مهيب مشى فيه جمهور غفير من كبار رجال
الدولة والوجهاء والأعيان يتقدمهم الأمير عبدالله بن فيصل ولما أن وراه
المشييعون حدث لهم حزن عميق وتأثروا لشدة الأسى وتقدموا يعززون
إبراهيم السلیمان وبقية آل الفضل ويترحمون عليه ذلك لما يعرفونه عنه من
مكانة سامية ومحبة فائقة في قلوب جميع من عرفة في حياته ومما يؤثر عنه
النزاهة واللطف واللباقة . وقد اشتهر طيلة مدته التي قضاها في الإخلاص
لمليكه وكانت مدة خدمته للحكومة تزيد على إحدى وثلاثين عاماً تقلب
خلالها في عدة مناصب رحمه الله وعفا عنه .

ممن توفي فيها من الأعيان الشيخ فيصل بن مبارك

وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم العلامة الزاهد الورع قاضي الجوف فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد بن مبارك بن عبد الرحمن بن حسن بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن بن راشد، ينتهي نسبه إلى العمارات من قبيلة عنزة. ولد في حريملاء من بلدان نجد سنة ١٣١٣هـ وتوفي في ذي القعدة من هذه السنة قدس الله روحه ونور ضريحه. وكان له معرفة وبصيرة انتقل مع أسرته إلى الرياض سنة ١٣٢٠هـ وتعلم القرآن على الشيخ عبد العزيز الخيال. وقد استشهد والده رحمه الله في واقعة البكيرية المشهورة بين ابن سعود وابن رشيد وهو طفل، فكفله عمه محمد.

مشائخه وتلقيه للعلم

أخذ في الدراسة بكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثلاثة الأصول وكتاب التوحيد وآداب المشي إلى الصلاة وكشف الشبهات ومفيد المستفيد ورسائل أئمة هذه الدعوة التي تدل بمفهومها على أن المتشبه بها من أهل العقيدة السلفية درس بها على الشيخ جده لأمه ناصر بن محمد بن ناصر وعلى عمه الشيخ محمد بن فيصل بعدما أتم حفظ كتاب الله تعالى وذلك بعدما رجع إلى مسقط رأسه حريملاء وله من العمر ثماني عشرة سنة، وأخذ عن قاضي تلك المنطقة الشيخ عبدالله بن حمد الحجازي، ويوصف عبدالله بالعلم والمعرفة، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن فيصل بن سلطان رحمه الله. ثم سافر إلى الرياض مرة أخرى فقرأ التوحيد والعقيدة الواسطية والطحاوية على رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ ونهل من ينبوعه وأخذ علم النحو عن الشيخ حمد بن فارس وأخذ عن الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأوصاه الشيخ بلزوم صحيح البخاري ومسلم وأجازه في التفسير وتدریس الأمهات الست

كما أوصاه بلزوم مذهب الإمام أحمد فهو حنبلي المذهب وله المكان اللامع في الأخلاق الفاضلة، وأخذ عن الشيخ علي بن داود وقد غزا مع جلاله الملك عبد العزيز في واقعة جراب، وفي هذه السنة أخذ عن الشيخ النمر وسافر إلى الإحساء فأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن بشر وسافر إلى قطر فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ثم سافر إلى الرياض وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. وإن أخذه عن هؤلاء العلماء الفطاحل الذين حازوا قصب السبق لأكبر دليل على توفيق الله له وعنايته به وجده واجتهاده في تحصيل العلوم من مظانها وعلو مكانته في العلم.

أمّا الوظائف التي نالها فقد انتدبه الملك عبد العزيز هو وعبدالله بن راشد وابن جار الله إلى تهامة بالحجاز مرشدين ثم جعل قاضياً في تثليث ثم نقل منها إلى أبها قاعدة عسير وانتفع في صحبة الشيخ عبدالله بن راشد وأكثر الأخذ عنه ولا سيما في الفرائض ثم نقل من أبها إلى بيشة ثم نقل منها إلى تربة ثم نقل منها إلى الخرمة ثم أعيد إلى أبها ومنها نقل إلى القنفذة ثم نقل منها إلى قرية ومنها نقل إلى ضرما ثم نقل إلى الجوف مقر عمله. وكان يحب مواساة الفقراء من جيبه وأديباً وعفيفاً ونزيهاً ومحجوباً وذو لسان ناطق وفكر ثاقب ومجالسه بحوث علمية واجتماعية ولا يحب الهزل مع تواضع ويكلم الكبير والصغير والغني والفقير بما يناسبه وقليل الاهتمام في حطام الدنيا.

مكانته في العلم ومؤلفاته

أمام مؤلفاته فمنها (بستان الأخبار مختصر نيل الأوطار) يقع في مجلدتين، وشرح عمدة الأحكام مطولاً ثم اختصره في جزئين ثم اختصرها فكانت في مجلد. مختصر الكلام في شرح بلوغ المرام وهو شرح وجيز

مفيد شرح الأربعين النووية سماه «محاسن الدين على متن الأربعين»، مفتاح العربية على متن الأجرومية، مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد، غذاء القلوب ومفرج الكروب، الدلائل القاطعة في المواريث الواقعة، كلمات السداد على متن الزاد، السبيكة الذهبية على متن الرحبية. القول في الكرة الجسمة الموافق للفطر السليمة. كتاب المرقع المشبع من الروض المربع في أربع مجلدات. مختصر فتح الباري على صحيح البخاري، سماه لذة القارىء يقع في ثمانية مجلدات. وله مؤلفات لم تنشر وما زال في جده واجتهاده وأخذ عنه طلاب كثيرون وفي آخر عمره اقتصر في بيته وانزوى لمرض أصابه حتى أتاه اليقين رحمة الله عليه. وقد قيل إن وفاته في السنة التي بعدها والصحيح ما أثبتناه.

وفي هذه السنة بعثت الحكومة رجالاً من جيش الجهاد إلى بريدة وغيرها كهيئة المرابطين وذلك لمصلحة رأتها الحكومة في ذلك فنزلت هذه القوات في بيوت في حارة الخبيب.

وقد بدىء في هذه السنة بتصدير زيت السقانية إلى الخارج فقد حملت الباخرة في صباح الأحد خامس شوال في خزاناتها ١٢٦٠٠٠ برميل من هذا الزيت الخام الحلو متوجهة به إلى اليابان، وقد أقيم لهذا احتفال رسمي حضره سمو الأمير عبد المحسن بن جلوي نائباً عن سمو الأمير سعود بن جلوي وفي معية النائب الأمراء والوجهاء والأعيان ورؤساء العمال هناك. ولا تزال العمال في التنقيب وقد فاق عدد آبار الزيت التي استعملت في الإنتاج في الكثرة.

وفي غرة شهر ذي الحجة من هذه السنة تفشى مرض كهيئة الحمى يصيب الكبار والصغار وقضى على كثير من الأطفال وكان يلبث المريض بهذا المرض ثلاثة أيام فبين سالم وعاطب. وحجَّ بالمسلمين في هذه السنة

صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز وكانت التنظيمات في أحسن ما يكون، وذلك لما أقيم في السنة المتقدمة أميال في منى لمعرفة الشوارع فيها مرقمة وبينها قطع تهدي الحجاج وترشدتهم إلى خيامهم وأمكنتهم فكان لذلك أثر طيب. وما زالت الحكومة جادة في إنشاء المستشفيات في منازل الحجاج ومواضع إقامتهم في مكة والمشاعر المعظمة. وفي هذه السنة تقدمت الرياضة البدنية وقررتها وزارة المعارف في مدارس نجد وأصبحت تعتبر في المنهج درساً كبقية الدروس وأكَّب طلاب المدارس الحكومية عليها بصفتها لديهم تقوي العضلات وتشد العزم وتشرح الصدور وتروح عن النفوس وتبعث النشاط ولذا أقيمت المباريات والملاعب في الفضاء لذلك ونسأل الله أن يجعل العاقبة إلى خير. وبكل حال فإنها لا تزال في تقدم ونهوض.

ثم دخلت سنة ١٣٧٧ هـ استهلّت هذه السنة والجزائر في مناضلتها لفرنسا ولا تزال تجاهد في سبيل طلب حريتها رغم ما كان يسعى الفرنسيون له، فإن فرنسا سعت كل السعي وبكل الوسائل لجعل الجزائر وطناً فرنسياً غير أنّ الأهالي في الجزائر لا يزالون دائبين في التخلص من فرنسا وهبوا عن بكرة أبيهم مجاهدين في هذه الثورة التي لا تزال نيرانها متأججة وما زالوا يجاهدون حتى النفس الأخير، وهذه هي الجزائر المجاهدة ومن مدنها وهران وعنابة وأم العسكر وهذه المدينة أعني أم العسكر هي التي لعبت دوراً هاماً في ميدان البطولة والتضحية وهي بلدة المجاهد العربي الكبير عبد القادر الجزائري الذي خلد له التاريخ صفحات كلها جهاد وبطولة ويتألف شعب الجزائر من ثلاثة أقاليم: إقليم التل في الشمال وإقليم الهضاب العالية في الوسط والصحراء في الجنوب ومساحة الجزائر بما يتبعها من الصحاري ٨٩٠ ألف كيلومتر مربع تقريباً وعدد شعب الجزائر لا يقل عن سبعة ملايين عربي وفيها ما يقرب من ٩٠٠ ألف نسمة من الأوروبيين والمستعمرين ولقد

كانوا يواجهون في هذه السنة والتي قبلها اعتداءات الفرنسيين بثبات وصمود لا تزعزعه قاذفات الصواريخ المحرقة ولا المدمرات الهدامة ولا نيران المدافع إذا كان الجزائري يقع على الأرض شهيداً وما زال أهل الجزائر صامدين أمام دولة كبرى عريقة في الجلال خبيرة في القتال والحرب وليس لديها ذرة من رحمة ولا هودة ولا عطف بل كانت وحشاً كاسرة تقتل الشيخ الهرم في متعبده انتقاماً والعجوز الفانية والطفل في مهده وتستبيح كل المحارم وليس لديها ذرة من خلق ولا خردلة من شفقة ولا جناح بعوضة من إنسانية.

وفي أخريات رجب اشتدت الوطأة على الجزائر من ضرب فرنسا وقاسى الأهالي تقتيلاً وتدميراً وإرهاباً وتعذيباً وتشريداً ولكنهم مع ذلك مستميتون في سبيل الدفاع والنضال ثابتون ثبات الرواسي الشوامخ وقد حملوا السلاح عن بكرة أبيهم رجالاً ونساء. حتى جاء عن مواطن جزائري لصديق له في المملكة العربية السعودية رسالة يصف فيه الفظائع التي فعلتها فرنسا قال فيها: لا يخفى عليكم حالتنا اليوم في الوطن الجزائري أن جسدي كله مطعون بخناجر الاستعمار الغاشم الفرنسي ولم يسلم منه أحد من الأسرة ونعرفكم باستشهاد الأخ الأستاذ أحمد رضا وسبب إعدامه أنه وجهت إليه تهمة المستعمرين باغتيال مدير شرطة قسطنطينية هو وثلاثة وخمسون شخصاً معه كلهم أعدمهم الفرنسيون عن بكرة أبيهم كما أعرفكم بابنه مصطفى إنهم أعدموه أيضاً ومعه تسعة من الأسرة. أمّا الأسرة فكل من يستطع حمل السلاح صعد به إلى الجبل مع جيش التحرير وبعضهم في السجون وما بقي في البلد إلا النساء وحدهن. ومما قال الشاعر اللبناني وديع ديب يصف حالة بعض البؤساء ويبوح بذكر الآلام المجتمعة وتحسسه بها، وبذلك تتجلى إنسانية هذا الشاعر في وصفه لبائع البسكوت:

يا بائع البسكوت ما طعمه هلا كفاك العيش يا بائع

لمن تنادي الحلو يا مشتري وأنت موهون القوى جائع
يا طفل من ألقاك في عالم لا وازع فـيـه ولا رادع
غنيه من تخمة يشتكي وجاره في فاقة راتع
يا جائعاً والزاد في كفه شبيه شعب خانه الطالع
بالله لا تعتب على موطن ما فيه إلا الشارد الضائع

ولمّا أن نكبت الجزائر هذه النكبة ورأت العرب أنّ أرض الجزائر العربية
أرض خصبة حوت من كنوز المعادن ووفير الغلال والمحصولات ما يسيل
له لعاب المستعمرين ولا سيما فرنسا فإنّها غزتها أولاً سلمياً فلما سنحت لها
الفرصة لابتلاعها لم تتوان عن ذلك القصد، وإنّ أهلها في كفاحهم المرير.
عند ذلك قام العرب والمسلمون لمعونة الجزائر ومساعدتها في جمع
الأموال وبعثها إليهم على عجل لتسد حاجاتهم الهائلة في كفاحهم المرير
إلى الغذاء والكساء إلى المأوى وإلى البندقية والطلقة وإلى المدفع بل وإلى
الطائرة النفاثة والدبابة الخفيفة والثقيلة والمصفحة والفرس والناقة وكل ما
يمت إلى ميدان الجهاد البطولي بسبب حتى تتقوى معنوياتهم ويستطيعوا دفع
هذا التيار الجارف.

التضحية بالأموال

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
لما كانت مساعدة المسلمين مطلوبة وذلك لأنّه لو تساند الإخوان في
المبادىء لهان كل عسير وتمّ كل مراد. وفي الأمثال (ما تعاونت عليه
الرجال خف) لأنّ ديننا يريد ممّا أن نكون أشداء على الكفار رحماء بيننا وأنّ
ديننا يأمرنا بمكارم الأخلاق والحنو على الضعيف ولكننا بالعكس، فأين
البصيرة يا مسلمون وأين المعرفة يا مؤمنون؟ ومن ضعف نصيره وقلّ ظهيره
وخذله إخوانه وأسلمه للنائبات خلائه وأعوانه يبس عوده وذهب معدوده

ومحدوده وعضه الزمان بنابه، لذلك فإنه قد هب المسلمون للتعاون مع شعب الجزائر فكان يوم ١٥ / من شعبان يوماً لمساعدة الجزائر واجتمعت الأمة وصعد الخطباء فوق المنصات ينادون بالتبرع لشعب الجزائر المنكوب وقد رأيت بعد صلاة العصر من ذلك اليوم رجلاً منطبقاً يستغيث على المنصة ويبكي يقول: أيها المسلمون انظروا إلى فعال فرنسا بأهل الجزائر أمّا فيكم من فزعة أمّا فيكم من فزعة. واستغرق في الاستغاثة حتى جعل مما يجده في صدره يقول: إيتوني برشاش لإعدام فرنسا أيها المسلمون لا يحقرن أحدكم من المعروف شيئاً إن شعب الجزائر بحاجة إلى دينار، إلى درهم، إلى قميص إلى كساء، إلى سكين. فانفعل الحاضرون وقام الرجل يقدم أحسن ما يملك، وتقدم المرأة أقراطها وأساورها، ويقدم الطفل ما في حصالته من دراهم، ويقدم الغني ما تجود به نفسه. وهكذا جعل الشيوخ والشباب يتدافعون ويتسابقون إلى لجان جمع التبرعات ولقد كان منظراً مؤثراً لأنّ تلاميذ المدارس على حداثة سنهم يسارعون إلى إخراج ما في جيوبهم. كما أنّ الآباء يحملون أطفالهم ليضعوا بين أيدي المتطوعين ما ادّخروه لهذا اليوم المجيد. واستمرّ إلقاء المحاضرات زهاء ساعتين من الزمن في كل مدينة. وكان للرياض وبريدة يوم مشهود وكل مدينة أو قرية فإنّها هبت عن بكرة أبيها لمد يد المساعدة والعون للمجاهدين في الجزائر. وقد ساهمت جميع الطبقات وقامت فرق الكشفة ببذل جهود في ذلك حيث قاموا بملابسهم الكشفية بجولات عديدة على المدارس وعلى مختلف المحلات لتبصير المواطنين.

وفيها قام رجال من أبناء الوطن وأهل المعرفة في بريدة لبث الزراعة في رياض البطين الواقع عند مدينة بريدة شمالاً من هؤلاء آل راشد التجار في الدغمانيات وغيرهم ومنها ما كان في رياض النقيب الواقع عن مدينة بريدة في الشمال الشرقي على مسافة ١٨ كيلومتر وكان من هؤلاء محمد بن

عبدالله الخضيرى من الخضران أهل حوطة بنى تميم وينتمون إلى آل عنبر من آل حسين من تميم .

وإليك نسب الأسرة: محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن سلب سليمان بن مانع الخضيرى يجتمعون مع الأسرة الكائنة فى البكيرية فى جدهم حمد بن محمد المذكور، ويجتمعون مع الأسرة الكائنة فى الحوطة فى مانع الخضيرى لأنه جدهم الأعلى، وكانت ذريته آل عبد المحسن وآل حمد وآل سليمان .

وقد انتقل آل سليمان إلى الشقة بعد السطوة التى جرت فى الحوطة وكان يسكن مدينة الزبير من أعمال العراق عدد لا يقلون عن خمسة عشر من بنى العنبر كما أنه يسكن فى الحوطة الجنوبية عدد لا يقلون عن خمسة وعشرين أمّا الخضارى فى القرائن والوشم فليسوا من هذه الأسرة بل كانوا خوالد الأصل وكان من أسرة العنبر من آل أبى حسين أناس قد استوطنوا مدينة بريدة وقرية الدعيسة والحر والوطاة والطرفية من أعمال بريدة ومن هذه الأسرة السكيكري الذين منهم محمد بن علي السكاكر المشهور بالدين والزهد . وفى القصيم أسرة يدعون آل سكاكر منهم آل طعيس ومنشأهم من قرية خضيراء حوالى بريدة إلى الشرق الجنوبي . ومن العجائب مرور آلاف السنين على البطين وهو صحارى محرومة من الماء والسكان لا يوجد فيه سوى الوحوش والسباع والهوام ولا مقام فيه لأحد وكان الحطابون والجمالون ومن يذهب لطلب رعى المواشى والكلاء فإنهم يحملون الماء ويدخرونه فى البراميل ونحوها لتأمين أرواحهم من العطش هناك . فما كان إلاّ عشية أو ضحاها حتى أصبح مروجاً وأنهاراً، وصدق الهادي الذي لا ينطق عن الهوى حيث يقول : لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً^(١) والله على كل شيء

(١) أخرجه مسلم .

قدير ولقد أصبحت تلك الفياض والرياض في البطين مياهاً عذبة متدفقة تجري على وجه الأرض ذلك لقوة العيون المتفجرة فيها . وهناك تجد العمال والمزارعين يواصلون العمل ليلاً ونهاراً فهؤلاء يحصدون ، وهؤلاء يقطفون ، وأولئك يجمعون ، وأولئك يشحنون السيارات قد جدوا في التحميل من البطيخ والجزر والبطاطس والطماطم والخس وغير ذلك من منتوجات الأرض من البصل والقثاء والعنب والرمال والقمح والذرة . فلقد أنتجت إحدى المزارع من القمح في وقت الحصاد سبعة عشر مليوناً من الكيلوغرام ١٧٠٠٠٠٠٠ وهذا شيء نادر الوقوع حتى أنها لتصدر تلك الفياض يومياً ما لا يقل عن حمولة مائة سيارة مرسيدس من الشاحنات إلى سائر الجهات من نجد وغيرها مثل الكويت والحجاز ودمشق وقطر وبيعت منتوجات القصيم في لبنان وبيروت وغيرها . وحدثني مزارع أنه باع من الطماطم في مزرعته بسبعين ألف ريال وساقية واحدة من إحدى العيون بيع بصلها بثلاثين ألفاً .

عيون تنبع في القصيم

في العشر الأولى من رمضان نبعت عينان إحداهما في رياض البطين بأمر من جلالة الملك والأخرى في الجهة الشمالية من بريدة للتاجرين محمد العلي الصانع وصالح العلي الصانع . كما قد نبعت قبل ذلك عين في وهطان المعروف ببريدة من عمق ١٨٠٠ قدم وكانت وفيرة الماء حتى كان يزيد إنتاج الواحدة عن مليون جالون في الأربع والعشرين ساعة وبذلك تكون قرية وهطان قبلة للزراعة بعد ما كان ماؤها القديم ملحاً أجاجاً . أن وهطان المذكور قرية تقع في الشرق الجنوبي عن مدينة بريدة على مسافة ثلاثة كيلوات فيما مضى ولكنها في الأعوام الأخيرة تكاد تتصل ببريدة لزحف العاصمة من كل جهة وهي روضة محيطة بالآبار والمزارع وتمتد شمالاً وجنوباً بين كثيبين من الرمل غرباً وشرقاً وتقدر مسافة طولها جنوباً وشمالاً بميلين وكانت في غابر الأزمان قوية الحراثة وفيها النخيل الكثير فكانت

الواجهة فيها مظلمة وقد يصطاد فريق الصيف من الطيور بالأيدي بين تلك الواحات المترامية وفيها أشجار العنب والتين ثم إنها ما والت في انحطاط لتغير الماء فيها بالملوحة والنضوب. وفي هذه الأزمنة لا ترى فيها غير قليل من النخيل الطوال وشيئاً من شجر الأثل القديم وكان من الأسر هناك آل نعيمشي وآل مضيان وآل بديوي وآل حجيلاني وآل حفير وآل فوزان في أناس آخرين وآل حميد وقد هلك معظمهم وفرّ بقيتهم لما رأوا من البوار والفقر هناك. ويروي لنا التاريخ أنّ تلك القرية مشهورة بالغنّى إذ ذاك أعني في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري، فإنّه أصبح بالتقير لجهاد عساكر الأتراك الذين جرهم على القصيم الأمير عبد العزيز بن متعب بن رشيد وزحف غزو أهالي العكيرشة القرية الأخرى المجاورة لوهطان من الجهة الشمالية قالوا للأمير بريدة إذ ذاك صالح بن مهنا زودنا فلسنا كأهالي وهطان الذين لا يأكلون إلاّ تمرّاً عبارة أنّه لم يحصل لهم من المأكولات ولا تمر النخل لأنّ من يحصل له قوت من التمر فيعد من الأغنياء وكانت قرية وهطان تحتوي على سبعة مساجد أحدها الجامع الذي تقام فيه صلاة الجمعة وقد امتلأت بالمصلين ومنذ واقعة السباخ التي تقدم ذكرها فإنّها أخذت بالانحطاط وإنّ ظهور الماء العذب فيها ليبشر بالخير إمّا للزراعة أو لسقيا القاطنين فيها. أمّا عن العكيرشة فكانت في موضع استراتيجي وكانت منذ خمسين عاماً مأهولة بالسكان وذات مزارع ومساجد كثيرة وفيها أمة من النّاس من بين تلك الأسر آل عثيمين وآل حسين وآل الدغيري وآل دخيل وآل عياف وآل القعير وآل الربيش وآل حميد وآل سيف وآل مرزوق في أناس آخرين ولهم ميل في العقيدة والمحبة إلى أهل الدين وكان من الأعيان فيها عبدالله بن إبراهيم الباحث عالماً مشهوراً بالعبادة والزهد، ومن العلماء العاملين. وكانت بقية الآثار والأطلال فيها تدل على قوتها ففيها المساجد والقصور المتهدمة وكانت في متسع من الأرض وأرضها للزراعة ثم أنّها

أخذت في الانحطاط عام ١٣٣٠هـ لتغير المياه إلى الملوحة وجلى أهلها الذين كانوا ساكنين فيها وما زالت في تأخر حتى لم يبق فيها ساكن ولا مساكن ولا ديار ولا نافخ نار ولا ترى فيها إلا البوم والثعالب وأصبحت تلك النخيل خاوية على عروشها وبثراً معطلة وآثار قصر مشيد. قال الله تعالى في ذكر تقلب الأيام: ﴿فَكَأَيُّ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِثَّرِ مَعْطَلَةً وَقَصَّرَ مَشِيدٌ ۝٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝٤٦﴾ وتفرق أهلها بعد مرور الجوع والفقر عليهم وهجرت وأصبحت مساجدهم وقصورهم جائمة خاوية على أصولها. ويحدثنا التاريخ عن بئر الحاكم حسن بن مهنا الواقعة في شريقها وكيف كانت أثراً بعد عين ولقد خرجت صحبة والدي قدس الله روحه في عام ١٣٤٦هـ وعمرى يناهز الحادية عشرة وكان قد دعي إلى وليمة الغداء في خب القبر المعروف لدى علي عبد الرحمن بن سلمى فكنا نسير على أقدامنا ولما نزلنا على العكيرشة من موضع يسمى الجادول نظرت إلى تلك الخربات والأطلال الدامرة وجذوع النخل الخاوية هناك فنفج ثعلب من بين تلك الخربات فضحك الوالد رحمه الله متعجباً وقال لي: انظر أملاك الدغارا وكيف كانت بعض القصور مأوى للثعالب فأخذنا بذات اليمين إلى أن وصلنا مزرعة من بقية مزارع وهطان كان صاحبها قد طلب من الوالد المرور عليه فيها لأنه في طريق من كنا ذهبنا لدعوته فجلسنا لديه للراحة وتناول شراب القهوة ورؤية تلك الآثار. وفي عام ١٣٨٠ هجرية دبت فيها روح الحياة وأقبل عليها الناس يقيمونها قصوراً ومساكن بعدما كانت مزارع مهجورة وذلك لما زحفت الجهة الشرقية من العاصمة إليها واتصلت بها المساكن بعدما كان ما بينها وبين المدينة قرابة كيلوين. وكانت المحكمة الشرعية بمدينة بريدة قد وسدت إليّ الأمر بتوزيعها على الورثة المستحقين لها لكوني

عالمًا بقسمة المواريث فقامت بتوفيق من الله تعالى ثم جعلت أوقاف آبائهم وأجدادهم على حلتها في الجهة الغربية وأقيم لها وكيل يصبرها لمدة خمسين سنة قطعاً قطعاً جعل على كل متر ريالاً وقسمت أملاكاً كثيرة بالمترو والستمترو وعرف كل وارث حقه فأقيم فيها بيوت ومساجد ومدارس ولا سيما موضع إحدى المدارس فإنه اشترته الحكومة بمبلغ سبعة ملايين وأقيم فيها مسكن كبير جداً لكلية الشريعة واللغة العربية استأجرته الحكومة بمبلغ مليونين وستمائة ألف ريال. أمّا عن الأوقاف التي كانت عليها بعد سبع سنين فيما مضى لا تزيد عن مائة ريال وخمسين ريالاً فإنّها بعد القسمة والتأجير والتعمير أصبح ريعها أو غلتها ثلاثين ألف ريال تقتسمها الأسرة فيما بينهم بعد نواب الموصين وأصبحت أراضي العكيرشة حارات كالفاضلية والفاخرية والرفيعة والرفيعة بالتصغير والقوارة وما إلى ذلك بحيث أقيمت فيها بعض القصور التي تضاهي في العظمة قصور مدينة جدة.

رجعنا إلى ذكر المياه والعيون العذبة التي نبعت في القصيم فقد نبعت عين أيضاً في واحة التغيرة شمالي بريدة وكان ظهورها من عمق ٥٠٠ قدم وكانت مساوية لعين وهطان في كثرة الماء وأنهما لتعدان من أعظم ما ظهر من العيون قبل ذلك كما ظهرت عيون أخرى منها واحدة في حارة السادة من بريدة والثانية في شمال بريدة. وهاتان العينان تمدان المدينة بالماء بالإضافة إلى العيون المتقدمة. وفي أوائل شهر ربيع الثاني نبعت عين في واحات السباخ فيحان القريب من مدينة بريدة، وهذه العين ظهرت لأول مرة في السباخ المعروف وكانت على نفقة الملك سعود ليتزود السكان من مائها العذب الزلال. ونحن نشير هنا إشارة لطيفة عن التغيرة الموضع الواقع عن مدينة بريدة إلى جهة الشمال عن طريق الوادي فنقول عنها كانت صحراء قاحلة تبعد عن نفس المدينة بكيلوين ونصف كيلو وذلك في عام ألف وثلاثمائة وست وخمسين هجرية ولكنها ما زالت المدينة تزحف شمالاً حتى

تجاوزتها بسبع كيلوات فأصبحت من جملة حاراتها ولما أن اشتراها الرجلان المواطنان إبراهيم بن محمد البليهي وصالح عبد الكريم بن طويان بثمان بخس وجدوا فيها آثاراً من الفخار وكان أول من احتفر منها بئراً غادية محمد بن محمد السديري ابن أمير بريدة بعد محمد بن عبدالله أبا الخيل فقام بقية آل أبي عليان وهم آل أبو حشرم يدعون ملكيتها وانتهت المشكلة بتعويضهم عنها بسبعين ريالاً نقدها لهم محمد السديري فاشترىها منه بأربعمائة وخمسين ريالاً فكانت صبية إبراهيم منها الشرقية وإلى جانبها من جهة الجنوب كثيب من الرمال . كان جلالة الملك عبد العزيز ينزل فيه بخيمه إذا قدم إلى مدينة بريدة لتنظافته وعلوه وحسن موقعه . وقد احتجز لمجيئه مدة ثم وزعته الإمارة على جملة من المواطنين ولما أن من الله على المسلمين بتلك المياه المتدفقة بدون رافعات احتفر المذكوران آباراً ارتوازية كغيرهم وتدفقت المياه هناك وغرسوا أنواع النخيل والأشجار والبساتين وكانت الأرض قابلة للحراثة والزراعة ولما أن حرثوها وجدوا فيها جملة من الآثار وأواني الفخار والبرم التي كانت آثار الطبخ فيها وقد حدثني إبراهيم البليهي أنه وجد مهراساً من الحجارة وأواني مكسرة من الفخار ووجد بكثرة أحجاراً تقوم عليها أرجل الأبواب مما يسميه العامة دَوَاسَاتِ الأبواب وهناك أحجار للدق وأحجار خضر غريبة لسن الأقواس والسكاكين . وسيأتي بقية لذكر التغير بعد خمس سنين في ترجمة المذكور إن شاء الله تعالى . وقد نبعت عين جديدة في وادي الرمة بين بريدة وعنيزة وتدفق ماؤها هناك وجميع هذه العيون قد حفرت بواسطة الحفارات الارتوازية الدريل التابعة لشركة مشروع الري الزراعي ببريدة .

وفيها عملت الحكومة السعودية فئة الأربعة قروش وهي عملة معدنية منقوش عليها اسم حضرة صاحب الجلالة الملك سعود .

وفيها في ٧ جمادى الأولى واليوم الذي بعده هطلت أمطار على شمالي

المملكة وجنوبها مشيت منها الأودية واستمرت ديمه على القصيم في ليلة ٥/٨ سبع ساعات وخرج المسلمون للبلع في رياض القصيم .

وفيها قام الملك سعود بزيارة للقصيم فقدم بريدة في يوم الأربعاء الموافق ٢٦ من جمادى الأولى وقام أهالي مدينة بريدة باحتفال عظيم في المطار والشماس ودعي لذلك الأعيان من كل مدينة وقرية . ولما أن هبطت الطائرة المقلّة لجلالته ولرفقته وخدمه فتح باب الطائرة وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة تحية لقدمه وقامت الموسيقى العسكرية تعزف لإبداء التحية وبعدما تقدم الأهالي على اختلاف الطبقات للسلام عليه والتحية جلس في ذلك السرادق المعدّ له فألقيت الخطب والقصائد وكان ذلك يوماً مشهوداً تزينت فيه البلاد واجتمع أهالي القصيم بأبهة عظيمة ثم نهض للمجلس العظيم الذي هياه له الأهالي في الشماس فألقيت هناك خطب وقصائد وجلس على المائدة الفخمة هناك ثم إنّه قام إلى مخيمه ولما أن كان في وقت صلاة العصر دخل مدينة بريدة وجلس في دار القاضي الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد ومنها زار المكتبة الكبرى العلمية وبعض الأعيان ثم ظهر لاحتفال هيئة التعليم في ربعة وهطان وشاهد المباريات الرياضية في وقت كانت الأمة مزدحمة في ذلك الملعب ثم ذهب إلى عين آل راشد هناك ليرى تدفق المياه فصلّى المغرب وشاهد تدفق المياه من عين وهطان ثم أنّه سار بموكبه إلى تناول طعام العشاء في قصر الأمير محمد بن بتال .

ولما أن كان من الغد الموافق ليوم الخميس ذهب إلى المعهد العلمي وجلس فيه ريثما سمع الخطب والكلمات . ومما يجمل بنا ذكره أنّ الجزائريين في بريدة أقاموا له احتفالاً في شارعهم وعطلوا أعمالهم ثلاثة أيام حتى لم يذبح للبيع شيء في ظرف يومين لاشتغالهم بهذا الاحتفال فسار من المعهد العلمي إلى حفل الجزائريين وجلس في بيتهم لتناول الطيب والقهوة وقدموا له عشرين من النياق فقبلها شاكرًا ثم أنّه ذهب

لزيارة بعض الأعيان والعلماء وأجاب دعوة الوجهاء فجلس في بيوتهم. هذا ولا تزال السيارات المسلحة تراقبه وتسايره وما زال كذلك إلى وقت الغداء فذهب إلى مخيمه للراحة، وفي آخر النهار ذهب إلى دعوة الوجهية التاجر صالح بن طويان في التغيرة وشاهد تدفق المياه هناك ثم زار بقية الأعيان في بريدة ورجع إلى مخيمه لتناول العشاء ثم أنه صلى صلاة الجمعة في جامع بريدة وسار في الساعة الثانية صباحاً من يوم السبت إلى عنيزة فلبث فيها إلى وقت العصر ثم سار منها قبل الأذان إلى بريدة فودع الأمة في بريدة وسار على السيارات إلى البطين.

عمارة المسجد الجامع ببريدة

لَمَّا كان في رابع من ربيع الأول من هذه السنة شرع العمال بعد صدور الأمر من صاحب الجلالة في نقض عمارة جامع بريدة وهذه لأن هذه العمارة التي قام بها الشيخ عمر بن محمد بن سليم قدس الله روحه منذ ثماني عشرة سنة عمارة لا بأس بها وأدى فضيلته في كونه إذ ذاك القاضي والمشرف على الأعمال جهوداً يشكر عليها سوى أن السقف لم يتقن البناءون الذين يعملون تحت إشراف المهندسين محمد العبيدي وابن حامد وضبعة وحيثما اختل بعض السقف تداعى بقيته. ولَمَّا كان في السنة المتقدمة واشتد وقع السيول على مدينة بريدة سقط غالب المسجد ولم يبق منه سوى أكواخ قليلة كالأطلال لذلك قام الملك سعود بن عبد العزيز برجاء من الشيخ عبدالله بن حميد وأمر بعمارته وإعادة من الأسمنت المسلح بعدما قدرت تكاليفه بمليون وثلاثين ألف ريال وأضيف إلى بقعة المسجد بيوت آل ربدي اشترتها الحكومة بثلاثمائة ألف ريال إلى جهة الشمال وذلك لتوسعته من الجهة الشرقية ليكون شرقيه مساوياً لغربيه وقد انتدب لعمارته المقاولان فهمي أبو العز المصري وسليمان بن فوزان العثمان فشرع المذكوران في جد واجتهاد وجلبوا له العمال والمهندسين الفنيين ليقوم

المسجد على طراز البناية الحديثة وجزى الله المحسنين خيراً قال الله تعالى :
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ .

ذكر تنازل الشيخ ابن حميد عن قضاء بريدة

لَمَّا كَانَ فِي ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٣٧٧ هـ تَنَازَلَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَمِيدٍ عَنِ الْقَضَاءِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا رَأَى تَصْمِيمَ أُولَى الْأَمْرِ عَلَى جَعْلِ مُحَاكِمٍ فِي نَجْدٍ وَمِنْ ضَمْنِهَا الْقَصِيمَ رَأَى أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَعْوَقُ سِيرَ الْقَضَايَا وَيُؤَخِّرُ الْبَتَ فِيهَا وَيَحْمِلُ الْأُمَّةَ عَلَى تَأْخِرِ الْقَضَايَا وَالْمَعَامَلَاتِ وَهَنَاطَ ظُرُوفٍ أُخْرَى فَجَعَلَتِ الْحُكُومَةُ رَئِيسَ الْمُحْكَمَةِ الشَّيْخَ صَالِحَ بْنِ أَحْمَدَ الْخَرِيسِيَّ فَتَلَقَّاهَا فَضِيلَتُهُ وَشَغَلَ هَذِهِ الْوُظُفَةَ . إِنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ حَمِيدٍ قَدْ زَاوَلَ الْقَضَاءَ فِي مَدِينَةِ الرِّيَاضِ وَفِي الْمَجْمَعَةِ ثَمَّ أَتَى بِهِ لِقَضَاءِ الْقَصِيمِ لِاخْتِيَارِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ رَأَاهُ رَزِينًا وَقَوِيًّا ذَا أَنْفَةِ وَأَمَانَةٍ فَرَأَى أَنَّهُ لَا يَسُدُّ تَنْمَةَ الشَّيْخِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلِيمٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ سِوَاهُ فِي الْقَضَاءِ وَالتَّدْرِيسِ وَفَعَلًا كَانَ عِنْدَ حَسَنِ الظَّنِّ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَقْدَرَتِهِ لِأَنَّهُ يَقْنَعُ الْخَصْمِينَ بِحُكْمَتِهِ وَيَنْزِلُ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ فَقَدْ أَدَّى هَذِهِ الْوُظُفَةَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا فِي الْقَصِيمِ وَكَانَ مَوْضِعَ الثِّقَةِ مَضَافًا إِلَى ذَلِكَ التَّدْرِيسِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ وَفِي بَيْتِهِ كَمَا أَنَّهُ الْمُفْتَى إِذْ ذَاكَ وَظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ تَلَامُذَةٌ كَثِيرُونَ . وَقَدْ سَاعَدَتْهُ الظُّرُوفُ بِمُسَانَدَةِ الدَّوْلَةِ لَهُ بِأَنَّ كَانَ إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ فَكَانَتِ الْإِمَارَةُ تَخْضَعُ لِأَوَامِرِهِ وَكَذَلِكَ هَيَأَتِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُمُورَ الْمَسَاجِدِ وَالْفَتَا وَقَضَى وَاجِبًا ثَمَّ أَنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي إِمَامَةِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَالْخُطَابَةِ فِيهِ وَفِي التَّدْرِيسِ وَأَمْرَ الْمَكْتَبَةِ الْعِلْمِيَّةِ فَلَيْسَ لَهُ مَنَازِعٌ حَتَّى غَايَةَ إِحْدَى وَعَشْرِينَ سَنَةً مِنْ مَجِئِهِ إِلَى الْقَصِيمِ بِحَيْثُ نَقَلَ إِلَى الْإِشْرَافِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ وَسَيَّاتِي بَقِيَّةُ ذِكْرِهِ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ .

ذكر زيارة ملك العراق وما جرى بعدها

لَمَّا كَانَ فِي مَتَنَصَفِ هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ مَلِكُ الْعِرَاقِ فَيَصِلُ الثَّانِي وَوَلِي عَهْدِهِ عَبْدُ الْإِلَهِ إِلَى الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ وَحَلَّ ضَيْفِي شَرَفٍ عَلَى حَضْرَةِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ الْمَلِكِ سَعُودٍ فَأَقَامَا فِي الرِّيَاضِ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ بَعْدَهَا قَدِمَا إِلَى مَطَارِ الظَّهْرَانِ وَقَدْ اسْتَقْبَلَا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ بِالْحَفَافَةِ وَالْإِكْرَامِ وَقَدْ أَدَّتْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْجَيْشِ التَّحِيَّةَ الْعَسْكَرِيَّةَ وَأَطْلَقَتْ الْمَدْفَعِيَّةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ طَلْقَةً تَحِيَّةً لِلْقَادِمِ. وَقَامَ الْمَلِكُ فَيَصِلُ أَثْنَاءَ زِيَارَتِهِ بِالتَّجُولِ وَالزِّيَارَةِ لِلدَّمَامِ وَكَانَ قَدْ رَافَقَهُ فِي تَجَوُّلَاتِهِ فِي الْمَنْطَقَةِ الشَّرْقِيَّةِ صَاحِبُ السَّمُو الْمَلِكِي سَعُودُ بْنُ جَلُوى وَبَعْدَمَا فَرَّغَ مِنْ تِلْكَ الزِّيَارَةِ عَادَ هُوَ وَوَلِي عَهْدِهِ وَحَاشِيَتُهُمَا إِلَى الْعِرَاقِ. وَلَمَّا أَنْ كَانَ بَعْدَ هَذِهِ الزِّيَارَةِ بِأَقْلٍ مِنْ شَهْرٍ قَامَ اتِّحَادٌ عَرَبِيٌّ بَيْنَ الْمَمْلَكَةِ الْعِرَاقِيَّةِ وَالْمَمْلَكَةِ الْهَاشِمِيَّةِ الْأُرْدُنِيَّةِ يُوْحِدُ جَيْشَهُمَا وَسِيَاسَتَهُمَا الْخَارِجِيَّةَ وَالثَّقَافِيَّةَ وَالْاِقْتِصَادِيَّةَ أَسْنَدَتْ رِئَاسَتَهُ إِلَى الْمَلِكِ فَيَصِلُ الثَّانِي مَلِكُ الْعِرَاقِ وَوَكَّالَتِهِ إِلَى الْمَلِكِ حُسَيْنِ بْنِ طَلَالٍ مَلِكِ الْمَمْلَكَةِ الْأُرْدُنِيَّةِ الْهَاشِمِيَّةِ. وَهَذَا رَدٌّ عَلَى قِيَامِ الْجُمْهُورِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ بَيْنَ مِصْرَ وَسُورِيَا وَاتِّحَادِهِمَا مَعَ الْيَمَنِ وَجَرَى مِنْ نَتَائِجِ ذَلِكَ شَرٌّ عَلَى بَقِيَّةِ الْبَيْتِ الْهَاشِمِيِّ وَإِلَيْكَ ذَلِكَ.

ذكر مصرع الملك فيصل بن غازي ١٣٧٧ هـ

وَقَتْلُ وَلِيِّ عَهْدِهِ وَنُورِيِّ السَّعِيدِ وَإِعْلَانُ الْعِرَاقِ جُمْهُورِيَّةً

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لَمَّا أَنَّ قَامَ الْمَلِكُ وَوَلِي عَهْدِهِ وَنُورِيُّ السَّعِيدُ بِهَذِهِ السِّيَاسَةِ جَعَلَتْ الْأُمَّةُ الْعِرَاقِيَّةُ تَبِيتَ الْغَدْرَ بِهِمْ ثُمَّ أَنَّ ضَبَاطَ الْجَيْشِ قَامُوا ضِدَّ هَذِهِ السِّيَاسَةِ وَاشْتَرَكُوا مَعَ الْأُمَّةِ فِي الْقَضَاءِ عَلَى مَبْرَمِيهَا لِأَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا يُوَالُونَ الْإِنْجِلِيزَ وَلَا تَرْضَى الْأُمَّةُ

العراقية إلا بالتخلص من الإنجليز أليس مصر قد ثار وطرد الإنجليز أليس الإنجليز لا يزالون مستعمرين للعراق فنجحت هذه الثورة العراقية السرية وغيرت مجرى التاريخ. فبينما فيصل بن غازي وولي عهده عبد الإله بن علي بن الحسين ونوري السعيد يغزلون سياستهم إذا بالامة تثور وتنفذ إرادتها في البيت الهاشمي ففي ٢٧ ذي الحجة الموافق ليوم الاثنين نقل عبد الإله وطبق به في الأسواق وأخذ الملك فيصل الثاني فصفد بالحديد وجعل يناشدهم بالله إذا ما كرهوا سياسته وملكه ورئاسته أن يخلوا سبيله يذهب إلى مشيئة الله له كما فعل بفاروق ملك مصر وجعل يطالب ويؤكد حتى أنه ألقى المصحف بينه وبينهم وسألهم بآياته ومعجزاته أن لا يمسه بسوء غير أن ذلك لم يغن عنه شيئاً بل قتلوه ولم يرعوا له إلا ولا ذمة أولئك أهل العراق والذين قتلوا سلفه الحسين بن علي ولم يرهبوا في تلك الثورة أحداً ثم أنهم طلبوا نوري السعيد ونسفوا قصره فأدركوه من الغد ١٢/٢٧ الموافق ١٥ يونيه في بيت قد اختفي فيه ولبس ثياب امرأة وكان قد دلهم عليه صبي فطوقوا ذلك البيت ولمّا رأى حروجة الموقف جعل يطلق عليهم النار وآخر ذلك أن قتل في ذلك اليوم وجر في الأسواق.

وما أغنى عنه ماله الذي جمعه شيئاً ثم أنها أعلنت الجمهورية في العراق وحدثت فظائع فيه وكثر القتل والهرج والفتن والزلازل والمحن. ولقد كان عبد الكريم قاسم رئيس الجمهورية يقوم بالعسف والبطش حتى دوخ كل من تسول له نفسه المعارضة وقضى على كل حركة. وتعتبر ثورة الجيش العراقي من أعجب ما روى التاريخ فإنّ هذا الإقدام وهذه الثورة لم يسبق لها نظير حتى ذكر رجال المعرفة أنها قد فرغ منها وأبرم أمرها منذ زمن طويل.

فالله المستعان.

ذكر أشياء عن المملكة العربية السعودية

كان الملك سعود قد استهلَّ حكمه بإنشاء مجلس للوزراء وأسند رئاسته إلى ولي عهده سمو الأمير فيصل وحول المديریات العامة إلى وزارات وعین لها وزراء. ويتكون مجلس الوزراء من رئيس المجلس ونائبه والوزراء والمستشارين ومن مندوبين عن الأمانة العامة والمراقبة العامة وديوان المظالم والخبراء الفنيين. أمَّا النهضة التعليمية فتقدم شيء عنها وذلك لتواجه التوسع التعليمي ولرفع مستوى التعليم الديني في المملكة أمر جلالتة بتأسيس المعاهد العلمية في المدن الرئيسية وكلیتی الشريعة واللغة العربية في الرياض برئاسة سماحة المفتي الأكبر. وقد بلغت تلك المعاهد وكلياتها رغم حداثتها مستوى علمياً رفيعاً جذب إليها الطلاب من مختلف الأقطار الإسلامية.

أمَّا النهضة العمرانية فإنَّها أوسع نهضة عمرانية في العالم، ومن أعظم ذلك توسعة المسجد النبوي التي جاءت آية في الروعة والبهاء والجمال وتشهد بالمجهود وكثرة النفقات التي بذلت فيها وكذلك توسعة المسجد الحرام وعمارته التي يجري العمل فيها وكان بهذه التوسعة يتسع لنصف مليون مصل وتقدر تكاليفه بألف مليون ريال وقد أزالَت الحكومة في هذه السنة المقامات الثلاثة التي هي مقام الحنفي ومقام المالكي ومقام الحنبلي توسعة للطائفتين حوالي الكعبة المعظمة وذلك لأنَّ صحن المطاف أصبح يضيق بالطائفتين ويكابدون من الضيق مشقة فرأت الحكومة إزالتها لقربها من البيت باستفتاء أهل العلم الشرعي ولأنَّ أصل وضعها على غير قاعدة شرعية وكذلك أرادت الحكومة نقل مقام إبراهيم عليه السلام عن موضعه الذي كان يزدحم الطائفون حواليه ويكون مسامتاً لموضعه إلى جهة الشرق وجعلت لذلك حجرة من أحسن ما يكون في القوة والمناعة غير أنَّه ثنى عزمها خشية عدم إجماع العلماء على ذلك فترك على وضعه وأن نقله عن مكانه قليلاً لمصالح عامة لا تخفى لأنَّ النَّاس أبناء زمانهم والحكم يدور مع العلة فإذا

كان عدد الحجاج فيما مضى لا يتجاوز ثلثمائة ألف إلا نادراً فإنه بلغ في هذه السنين الأخيرة ما ينوف على مليونين وهلم جرأ في الكثرة لتأمين السبل وتسهيل طرقه . وذكر الخوارزمي في حديث عن النبي ﷺ أنه قال : «يأتي على الناس زمان يحج أغنياء الناس للنزهة وأوساطهم للتجارة وقراؤهم للرياء والسمعة وفقراؤهم للمسألة» . ومهما كانت الأحوال فقد انسدت الطرق وضاعت المشاعر بحجاج بيت الله الحرام رغم الإرشادات والتوجيهات وطلباً من الحكومة ممن تكرر حجه أن يسمح بمكانه لمن لم يحجوا أمّا عن مقام إبراهيم ومشكلته لما أزيل المنبر الذي عمله السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان العثماني وكان من الحجر الرخام المرمر البراق الناصع البياض ويلي مقام إبراهيم الخليل من الجهة الشمالية وارتفاعه اثنا عشر متراً مقاماً من ثلاث عشرة درجة وكان آية في الجمال مطلاة قبته بالذهب وقد مضى عليه أربعمائة سنة وعشر سنين فكان المقام معترضاً للطائفين وقد شاهدت بعيني راسي في حجتي عام ١٣٧٨ هـ أي بعد هذه السنة إنني كنت فيها مفرداً . وفي صباح اليوم ١٣ من ذي الحجة خرجنا إلى التنعيم للإتيان بالعمرة ولما أن دخلنا في الطواف بالبيت ضحى كانت لتلك الساعة حرجة لكثرة من يطوف بالبيت فكانت الأمة منتشرة فإذا ما أقبلوا على المقام ازدحموا وفي أثناء الطواف لما ازدحم الحجاج في تلك البقعة بين المقام والباب سقط عشرون هناك فكانوا عرضة لأن سقط معظم الطائفين فكانت واقعة فمن المسلمين من انجرحت قدماء وساقاه ومنهم من هلك وأشهد بالله لرأيت امرأة انشقت بطنها وطار فرثها فلوث ما حوله من جدار الكعبة والمنبر المذكور ومن شرد هارباً فإنه فقد ثياب إحرامه بحيث قام بعض الطائفين عراة ومنهم من خسر بزرته ومنهم من خسر ردائه وقد أفتى سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم وفتاحل من العلماء بوجوب نقل المقام عن موضعه سوى أن بعض العلماء كان لديه معارضة وممن

عارضوا فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وفضيلة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان وألف في الموضوع كتاباً بلغ ١٨٩ صفحة كما ردّ عليه الشيخ محمد بن إبراهيم بمؤلف بلغ ٩٣ صفحة وألف سماحة المفتي الشيخ محمد الجواب المستقيم في جوار نقل مقام إبراهيم في ٤٩ صفحة وسيأتي للمقام وذكره بقية.

وفي هذه السنة لوحظ أنّ خزانة المالية مهددة بالتدهور لكثرة النفقات للتقدم على غير تخطيط نظامي. فقد أرهقت الصندوق كثرة النفقات الباهظة فاضطرت الجهات المسؤولة إلى النظر في الموضوع.

أمّا عن مدينة الرياض فقد انقلبت خلال خمس سنوات من حالتها الأولى إلى مدينة عصرية حديثة تزينها قصور الناصرية العظيمة الوضع الغربية الشكل وقصور الأمراء وقصور الضيافة والفنادق الضخمة ودور الوزارات والعمائر الضخمة والمساجد الواسعة المزودة بأكمليات العمارة الحديثة والمراوح والمصابيح الكهربائية ومكبرات الصوت وتشققها الشوارع الواسعة المشجرة المرصوفة تتوسطها المنتزهات النظرة ذات النافورات الجميلة وتضيئها الكهرباء وتمدها المياه المستنبطة في الحائر والتي تصلها عن طريق الأنابيب حتى أنّ من رآها منذ خمس سنوات ثم رآها بعدها لا يكاد يصدق أنّها هي ولا تزال في اتساع وتحسن وكذلك الحال في جدة ومكة وأمّهات المدن السعودية.

أمّا النهضة الصحية فقد زادت موازنتها عن خمسين مليوناً من الريالات وبذلك تمكنت الوزارة من تعميم المستشفيات والمستوصفات فأصبح عدد المستشفيات الحكومية الكبيرة خمسة عشر مستشفى عدا سبعة عسكرية وسبعة خاصة ونحو خمسين مستوصفاً وأنشأت مستشفيات صغيرة متنقلة لعلاج البدو في الصحراء وأسس المحجر الصحي الكبير بجدة لاستقبال

الحجاج والمحافظة على نظافة الحج وأسست كذلك مستشفيات أخرى واستعانت بالأطباء والفنيين من مصر والشام وألمانيا وتكفلت الحكومة بالإنفاق على المستشفيات والمرضى فالعلاج كله بالمجان .

أما النهضة في المواصلات فإنَّ العبء الذي ألقاه اتساع المملكة وطبيعتها الصحراوية الرملية على عاتق وزارة المواصلات عبء ثقیل لكنها رغم ذلك نهضت به خير نهوض وقامت بمشروعات هامة ربطت البلاد ربطاً محكماً ومن أهمها تعبيد الطرق ورصفها بالحجارة والأسفلت كطريق المدينة الذي يمتد منها إلى جدة ثم إلى مكة ويتشعب في منى ومزدلفة وعرفات وطريق الرياض والخرج حتى بلغت الطرق التي تمَّ تعبيدها إلى هذه السنة ألفي كيلومتر وتقدم شيء عن سكة الحديد السعودية . وهنا مشروعات لطرق مكة إلى الطائف ومن الطائف إلى أبها وتعمل وزارة المواصلات في هذه السنة على تنفيذ مشروعين عظيمين : مشروع الخط الحديدي بين الرياض والبحر الأحمر ماراً بالوشم والقصيم والمدينة وينبع وجدة ومكة وإعادة تسيير خط الحجاز القديم بين دمشق والمدينة المنورة .

أما المواصلات بالشبكة اللاسلكية فقد توسعت فيها وزارة المواصلات حتى زادت في عهد الملك سعود على سبعين مركزاً وكذلك مصلحة البرق والبريد التي اتسعت أعمالها وزادت أعباؤها بإقبال الناس عليها إقبالاً عظيماً وذلك لأنَّ من أهم عوامل ربط أجزاء المملكة بعضها ببعض وبالعاصمة وبالعالم الخارجي هو الشبكة اللاسلكية .

أما النهضة الزراعية وإيجاد الوحدات الزراعية فكذلك في سبيل التقدم ولما أن كان في ٦ رمضان ٢٦ مارس أصدر جلالته مرسوماً ملكياً خول فيه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء السلطات الكاملة لسياسة الدولة الداخلية والخارجية والمالية والإشراف على

تنفيذها وهذا نصه :

«بعد الاتكال على الله : نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بعد الرجوع إلى نظام مجلس الوزراء ونظراً للخطوات التي سارت عليها حكومتنا الفتية لحد الآن ورغبة منّا في تقوية جهاز الدولة وتركيز المسؤوليات على ضوء التجارب التي مرت بها حكومتنا في دور هذا الإنشاء نأمر بما هو آت : أولاً: يمنح رئيس وزرائنا السلطات الكاملة لرسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية والمالية والإشراف على تنفيذها. ثانياً: يعاد النظر في نظام مجلس الوزراء وما يجب تعديله من الأنظمة القائمة. ثالثاً: على رئيس وزرائنا تنفيذ إرادتنا هذه وبالله التوفيق. التوقيع الملكي الكريم» .

سعود

ولمّا أن جرى ذلك وجه فيصل كلمة تقدم فيها بالشكر بالجزيل لحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم على ثقته الغالية التي أولاها إياه وطلب من جميع موظفي الدولة ومن أبناء الشعب معاونته في هذا الأمر الخطير بما يرضي الله سبحانه وتعالى ثم ما يؤمن الغاية التي يرتجئها حضرة صاحب الجلالة من موظفي دولته وأبناء شعبه وطلب من كل فرد من موظفي الدولة أن يحاسب نفسه فمن كان محسناً فليزد في إحسانه ومن كان مسيئاً فليقلع عن إساءته وطلب من أبناء شعبه معاونته في هذه المهمة كل بحسب استطاعته بإبداء الآراء والنصائح .

ثم إنّ جلالة الملك سعود وجه نصيحة عامة إلى أمراء الأقاليم والقضاة ورؤساء الهيئات حثهم فيها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي السفهاء وذكر أنّه قد عزز الهيئات الأمرة بالمعروف وناصرها .

وقال في نصيحته : ولا أعلم أنّهم رفعوا لنا شيئاً في ذلك وقصرنا وقد

فشت في النَّاس أمور كثيرة تسخط الله سبحانه وتسبب حلول النقم فيجب على الجميع إنكارها والأخذ على أيدي أهلها خوفاً عليهم وعلى المسلمين قياماً بما أوجب الله على عباده .

ومن هذه الأمور التهاون بالصلاة والتخلف عنها في المساجد وهي عمود الدين ، فالواجب الاهتمام بها وحث النَّاس على المحافظة عليها وتأديب من تخلف عنها ومنها حلق اللحية وتقصيرها مع ورود النهي الصريح في ذلك عن النبي ﷺ حيث قال : «قصوا الشوارب ووفروا اللحية . خالفوا المشركين» .

ومنها فتح الراديو على الأغاني والموسيقى المفسدة للقلوب والأخلاق الصادة عن ذكر الله وعن الصلاة . ومنها إغراض الكثير من النَّاس عن تلاوة القرآن وتدبر معانيه والعمل به . . . إلخ ومنها تبرج النساء وخروجهن بالزينة وسفور بعضهن ، وهذا من أقبح المنكرات وأعظم أسباب الفساد والهلاك فيجب إنكار هذه المنكرات وغيرها وإزالتها بصدق وجزم وبصيرة والتعاون التام على ذلك من جميع أفراد الشعب عملاً بقوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصاً بالهيئات الرسمية بل هو واجب على كل مسلم ومسلمة ولا عذر لأحد في ذلك ولكن الواجب على الهيئات والعلماء والقضاة والأمراء من ذلك أكبر من غيرهم لأنَّ لهم من القدرة ما ليس كغيرهم وبالجمله فالذي أوصيكم به ونفسي تقوى الله تعالى وطاعته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرتهم والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى على هدى وبصيرة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَدِّ لَهُمُ الْبَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كما أوصيكم بالأخذ على أيدي السفهاء وإزالة جميع المنكرات والحذر من غضب الله وحلول عقابه لأنَّ النَّاس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه كما

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ... إلخ.

وفيها في رجب فرغ من عمارة مستشفى بريدة الحجري فجاء في حسن التنسيق وجمال الوضع آية في هذه الآونة على الطراز الحديث وكان في سعته وموقعه كأحسن ما يكون ولما أن كان في ٢٨ من هذا الشهر قام المهندسون الكهربائيون يركبون الآلات الكهربائية من مكيفات ومراوح ولمبات وأجهزة وغيرها مما يحتاجه المستشفى وكانت المعدات والتأثيثات قد قدمت في أربع وعشرين سيارة ثم أتى إليه بمدير ودكاترة وممرضات وخدم وأدوية وأسرة وكراسي وكان في بداية افتتاحه يحتوي على ٩٥ موطعاً وعلى ١٢٠ سريراً.

ذكر الأفعال الوحشية التي تعامل بها الجزائر من فرنسا

إنَّ الله تعالى ابتلى الجزائر بغزو فرنسا التي ما زالت تستدين من الدول الأخرى وتغزو الجزائر حتى كانت تصب القنابل عليها بدون رحمة ولا اعتبار للسن أو الجنس . فلقد قام أولئك الجنود المتعطشون للدماء لتنفيذ التعليمات فذبخوا قبيلة من الجزائر واستأصلوا أفرادها على حين غرة وعادوا يحملون جماجم الشهداء على رؤوس الأسنة فعل من فقد إنسانيته حتى جاء من ركن وثيق أنَّ عدد القتلى من شهداء الجزائر في حرب التحرير بلغ الآن نحو ثلاثمائة ألف شهيد بالإضافة إلى ١٢٥ ألف مجاهد يعيشون الآن في السجون . وإذا كانت فرنسا التي يدعونها بأمر الحرية ويصفونها ببلد النور ويصفونها بأنها غمرت العالم بثقافتها ومدنيتها تعامل الجزائر هذه المعاملة القاسية فأى مدينة وأى حرية يرتجى منها . إنَّها لشريعة الغاب والمخلب والافتراس . ولقد أحسن الشيخ محمد العمري المولود ١٢٨٢ والمتوفى

١٣٦٥ هـ يذم فرنسا وأن الله تعالى أذلها في الحرب العالمية الأولى ذلك لأن فرنسا هي أصل من أصول إدواء المسلمين . لقد استعمرت بلادهم الجزائر التي ولد فيها منذ مائة عام ووقعت فريسة لبرائن هذا الاستعمار الفرنسي الطاغى ، فهاجر إلى بلد الرسول ﷺ شاباً تاركاً وراءه وطنه الحبيب والنعيم والأهلين واللذات والأقارب . فلا يزال جرحه لا ينكأ . فلما جاءت هزيمة فرنسا أم الاستعمار الشرس البغيض هلل الشاعر لما هزمت وكان الذي هزمها وأنزلها من عرش كبريائها إلى قعر الحضيض هم الألمان . فقد قال هذه القصيدة التي جاءت في ضياعة قوية وبيان حي مؤنباً لفرنسا وشاتماً لها مبيناً ضعفها لما لحقها الخزي والهزيمة النكرى والعار والشنار بحيث كان ذلك برداً وسلاماً على قلوب أهل المشرق العربي والإسلامي والعالم وأن هزيمة فرنسا الضخمة بمؤازرة الطيران التي كانت مطمح أنظار دول الحلفاء وإنكلترا ومن شابههما لم يغن شيئاً إزاء بأس الألمان فجللت فرنسا برداء الخزي والهزيمة والعار . ويذكرنا ذلك ما جرى عليها لما غزاها هتلر في الحرب العالمية الثانية وسقطت تحت عجلات دباباته وتحت وطأة طائراته لما صبَّ عليها القنابل من الجو فما كان منها إلا أن سلمت واستسلمت وخضعت لسطوته لما خصص لاحتلالها ١٧ يوماً . فاستولى عليها وكانوا بين يديه أذل من الحمير . قال محمد العمري :

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| ذوقي فرنسا وبال الخزي والعار | وجري بؤس أخذ الملك والشار |
| وابكي على روسيا حزناً لما لقيت | فقد أصيبت على رغم بمقدار |
| واستصرخي إنكلترا إن كانت تسمعه | فقد أحاطها سيل من النار |
| يا ويل بلجيكا مما دسست لها | أهكذا تفعل الجارات بالجار |
| فطأطي رأس عز حشوه صلف | لتوسع الصقع فيه كف جبار |
| يا من رأى دولاً تطغي بما حشدت | من جحفل يملأ الآفاق جرار |
| ظنت بما أنفقت أن لا يعادلها | خلق وإن لها صرف القضا الجار |

وإنَّها تملك الدنيا بسطوتها
فجاءها من قضاء الله ما عجزت
أساد برلين عاثت في ممالككم
وكنتم في الوغاء رأت سبعاً
لم تغن عنكم أساطين ولا فتن
ولا سلاح يفوق الحصر تحمله
أضحت مدافع باريس محطمة
أضحت خزائن باريس مجمعة
وبعد ما فرغ من السخرية بفرنسا المهزومة وكال لها من السخرية
والشتمات ما يقابل هزيمتها أخذ يمتدح الألمان ويثني على قيصرها الذي
سامها الهوان مخاطباً له إذ يقول مستنهضاً له ومشجعاً:

يا أيها الملك المرحوب سطوته
ويلهم صاحب ذي الحرب التي اضطربت
لم تبق قيد ذراع غير محترق
غليوم تغلي على غيظ مراجله
حكم سيوفك لا شلت أناملها
شفيت غل صدور المسلمين بما
فأله أيد دين المسلمين بكم
ففي الحرب والسلم مبدي سطوة الباري
منها البسيطة من هول وإنذار
منها ولا طود عز غير منهار
ويل لهم منه في قهر وأضرار
فيهم فإنهم عار على العار
فعلت لا تبق منهم أي ديار
فشكرنا لك في جهر وإسرار
إن هذا الشاعر موتور من أفعال فرنسا فأصبح يمتدح الألمان وقيصرها
بصفتهم أدلوا فرنسا ودكوا حصونها ودمروها . ولذلك أفرط في مديح غليوم
ووصفه بأوصاف لا يستحقها فالله المستعان .

القمر الصناعي

في هذه السنة اخترعت روسيا قمراً صناعياً يضاھون به القمر الدوار في السماء بزعمهم وكان إطلاقه في ليلة الجمعة ٢ ربيع الثاني ١٣٧٧ھ - ٢٥ أكتوبر ١٩٥٧م. وهذا من آيات الله حيث تجد أناساً في غاية المهارة والذكاء في المخترعات وعلوم الكيمياء والطبيعة ونظام الكون ومع ذلك لم ينتفعوا بعقولهم في أظهر الأشياء ولم يهتدوا بها إلى أجل المعارف وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته ومعرفة دينه ورسوله وعبوديته الظاهرة والباطنة التي علومهم كلها من أولها إلى آخرها لا نسبة لها بوجه من الوجوه. قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ (٧) فمن تكبر على الله ورسوله وتاه بعقله وكل إلى نفسه وعقله فلم ينتفع إلا بأمور ضئيلة دنيوية. وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٨٢).

ولله حكمة في إجراء هذه المستحدثات على يد أعدائه الدهرية الذين حاربوا الأديان السماوية وتمسكوا بقوانين اخترعوها من تلقاء أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان ولما ترقّت معارف النَّاس في العلوم الطبيعية والكيمائية فوصلوا إلى علم الكهرباء واستخدامها من المواد الأرضية والمائية والنارية وغيرها من المواد المتنوعة والمخترعات الباهرة وحققوا علمها وفرعوا أعمالها ونتائجها بعدما اتقنوا أصولها وفرعوا أعمالها ونتائجها تارة بعد تارة ونجحت أنشأوا السيارات والطائرات والراديو واستخدموا الكهرباء للإضاءة ودفع السفن البرية والفضائية وتبليغ الأصوات وإيصالها إلى المواضع البعيدة الشاسعة في أسرع من لمح البصر فمن العجائب اختراع الكهرباء تارة تستخدم للطبخ وتارة لتجميد الماء وتثليجه وتبريده وتارة لتسخينه وتارة لتبريد الجو وتارة لتدفئة الأمكنة والمواضع وتسخينها وتارة للتغسيل وأخرى لتسجيل الكلام وغير ذلك من تكبير الأصوات والمصالح

التي لم يتوصل إليها المتقدمون في غابر الزمان بل لم تنزل حقيقة الكهرباء ونتائجها الباهرة وأعمالها العجيبة في طي الخفاء والكتمان حتى ظهر المتأخرون على هذا العلم العظيم والكنز الثمين وإن هذه المخترعات الناشئة عن الكهرباء يخبر بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وتظل الأفكار حائرة بها كقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يطير الحديد». وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل فخره ونعله ويخبره عصاه بما فعل أهله». وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله»^(١). ويقول الله جلّ ذكره: ﴿وَأَيُّ لَٰهُمۡ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلْأَلْكَ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمۡ مِنۡ مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

وأخبر عن تقارب البلدان في آخر الزمان وغير ذلك في أمور الغيب وقد تقاربت البلدان ووقع ما أخبر به الهادي الذي لا ينطق عن الهوى وذلك بواسطة التلغراف اللاسلكي وجهاز الراديو والتلفون الهوائي وأصبح من في مشارق الأرض يكلم من في مغاربها، ولا غرابة أن يعلم الناس بخروج الدجال إذا خرج في ساعة واحدة كما ثبت في الحديث الشريف وقد استبعد المتقدمون علم الناس بخروج الدجال في ساعة واحدة وها قد توفرت المخابرات ووسائل الإعلام وتقاربت البلدان بهذه الطائرات والسيارات واستعملت الآلة المسجلة بهذه الأشرطة حتى تمكن الرجل من أن يخبره مسجلة ما فعل أهله.

ويروي لنا التاريخ عن رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي لما زار موسكو وجلس مع رئيس وزراء روسيا خروتشوف جرى في محادثتهما أن قال رئيس وزراء روسيا: إنكم يا معشر العرب لم تعلموا ولم تظهر لديكم علوم وسأريك شيئاً عن معلوماتنا فكشف له عن بلاد سوريا حتى رآها بين

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢١٨١.

يديه كأنها في مرآة فمرت سيارة في أحد شوارعها فدهست صبياً ثم فرت فقال له اضبط الدقيقة والساعة من اليوم والشهر فأخذها.

فلما رجع الرئيس إلى بلده سأل عن الحوادث فذكروا له أن منها صبياً أصيب بحادث سيارة وفرَّ صاحبها ولم يتوصلوا إلى معرفته فسألهم عن وقت الحادث وأخرج الورقة من جيبه فيها رقم السيارة بعد مجيئه فوجدوها وألقوا القبض عليها وعلى صاحبها بعد تعذر الوصول إلى معرفتها في بلدها.

وكذلك التنقيب عن البترول واستخراجه من بطون الأرض فلم تتوصل إليه العقول البشرية إلا بعد مضي مئات الألوف من السنين أمّا عن القمر الصناعي ومركبة الفضاء فلا تنكر أن يكون دواراً باستعماله في الكهرباء فيكون كهينة الطائرة تسير في الجو غير أنّه لا ركاب فيه وتوصلت العقول البشرية إلى جعله على هذه الصفة ولا مانع من ذلك. أمّا وزنه فقد قيل عن طريق الضبط بأنّه ١٨٤,٣ رطلاً ويدور على ارتفاع نحو ٥٥٩ ميلاً من الأرض ويقول الخبراء: بأنّه على بعد ٦٥ درجة من خط الاستواء وهذا بزعمهم يجعله فوق كل المعمورة تقريباً.

استطردت بعض الصحف في صفة إطلاقه بأنّه لا يرى فوق أمريكا إلا في وضح النهار أو في ظلام الليل، وفي كلا الوقتين تكون رؤيته متعذرة ففي النهار بسبب وهج الشمس الذي يحول دون الرؤية على مثل هذا الارتفاع الكبير الذي يدور فيه القمر وهو أكثر من ٥٠٠ ميل وفي الليل لا يمكن رؤيته أيضاً بسبب وقوعه في ظل الأرض والوقت المناسب لرؤيته هو عند الفجر فقط أو عند الغسق. أمّا سرعته فنحو ١٨ ألف ميل في الساعة ويدور حول الأرض كما يقولون كل ٩٦,٢ دقيقة وكان من الناس من يقول: الفضل في ذلك للخبراء الألمانين الذين كانوا قد استعملتهم روسيا لديها لأنّ خبراء الألمان بعد الحرب الأخيرة كانوا قسمين قسماً لدى الأمريكيين وقسماً لدى

روسيا غير أن روسيا تقول: إنَّ معظم الخبراء الألمان الذين كانوا في روسيا قد عادوا إلى الآن إلى وطنهم ألمانيا ومن بقي منهم في روسيا فلا يعد وعمله القيام بالتدريس وأنَّ العلم في روسيا قد نضج واستوى وأصبح في روسيا جيل من العلماء الأفذاذ وقد قامت أمريكا تملأ الدنيا ضجيجاً ودعاية عن أبحاثها الجبارة لغزو الفضاء وأطلقت كذلك قمراً صناعياً ويقدر أن دوراته على ارتفاع ٣٠٠ ميل فوق الأرض وأنه بهذا الارتفاع عرضه لثلاث يدوم إلا قليلاً لاستهدافه للخطر بصفته لم يرتفع مثل القمر الروسي ولقد اهتزت أسلاك البرق تنشر ذلك الحدث الكبير إلى آذان الناس في كل مكان وتقبل الناس الخبر بين مصدقين ومكذبين وبكل حال فإنَّ ذلك واقعة تلبلت لها الأفكار لأنَّ الدول الكبرى قد ركبها الغرور فأصبحت تنادي بأنها تمتلك من الأسلحة ما يجعل سلاح الدول الأخرى كلَّ شيء عندها وهذا محفوف بالخطر الأكيد.

ولقد تأهبت الدول جميعها لتوحيد حركة القمر الصناعي وقياس سرعته وغير ذلك ثم أنَّها تكاثرت الأقمار الصناعية بعد ذلك ولقد طلب مني الشيخ سليمان بن عبدالله المشعلي الذي تقدمت ترجمته رحمة الله عليه في عام ١٣٧٢هـ أي قبل وفاته بأربع سنوات أن أتتبع كلام العلماء الموثوق بهم على حديث: «لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه»... إلخ، وقد تقدم عن قريب ورجاني رجاء أن أنظر في كلام العلماء على شرحه والحديث رواه الترمذي وهل يصدق هذا التكليم على أشرطة التسجيلات التي حدثت أخيراً.

وبما أنَّ الحديث رواه أيضاً الإمام أحمد والحاكم في مستدركه ورواية أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: «آيات تكون قبل الساعة والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده». وفي رواية: «وتخبره فخذ به أحدث أهله من بعده».

وقد وافق الذهبي على أنه شرط مسلم فلم أجد عالماً شفى غليلاً ولا أروى غليلاً بل قال: الذين لم يترووا من القواعد إنها تكلم حقيقة ولا مانع من ذلك.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري بينما راع في غنمه عدى الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري فقال الناس: سبحان الله، فقال النبي ﷺ: «إني أؤمن به» وأبو بكر وعمر وحديث الرجل الذي ركب البقرة فالتفت إليه وقالت: لم أخلق لهذا خلقت للحرثاء فإذا ثبت كلام البهائم. في قديم الزمان فوقوعه في آخر الزمان وأشراط الساعة لا يستغرب ولكن الذي يغلب على الظن ويفهم من مقاصد الرسول ﷺ في المغيبات وما حدث وما سيحدث أن آلة التسجيل في هذا الزمان منطبقة عليها ولا ينافي كلام الشجر والحجر في آخر الزمان.

كما ورد في الحديث الصحيح الذي اتفق عليه الشيخان: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فتقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الفرقد فإنه من شجر اليهود» والفرقد نوع من شجر الشوك معروف ببيت المقدس وتلك الجهات وتأول بعض المتأخرين تكليم السباع للإنس ما تشير به الكلاب المعلمة لاستكشاف أهل الجرائم وما تقوم به السباع المعلمة وإنها تخاطب ففهم. وتؤمر وتنهى هذا الذي انتهى إليه علمنا في هذه المسألة.

عمارة الكعبة عام ١٣٧٧ هـ

في غرة رجب من هذه السنة لوحظ أن هناك تشققات في سقف الكعبة المعظمة العلوي وتصعداً في جدرانها فبادرت الحكومة السعودية بتجديد السقفين وترميم التصدع وما تفكك من حجارتها. وأتاب صاحب الجلالة

لهذا العمل أخاه فيصل بن عبد العزيز فقام الأمير فيصل يعاونه جمع غفير من رجالات الشعب والإسلام فأصلح سقفها وأتقن العمل إتقاناً عظيماً وكان الانتهاء من العمل في ١٢ شعبان ١٣٧٧ هـ وكانت ذكرى تاريخية وذلك يوم الأحد وقد حصل احتفال كبير في الساعة الثالثة صباحاً بالتوقيت العربي ودعي له سفراء الدول العربية والإسلامية بحيث حضر لذلك سبعة عشر قنصلاً ودعي هيئات من العلماء والقضاة وحضرات أصحاب السمو الأمراء والوزراء والمستشارون وجمع كبير من أعيان البلاد وعناصر إسلامية أخرى من شتى بقاع الأرض.

وفيها في ليلة ٢/٣ حدثت سرقة في بريدة وتأذى الأهالي من ذلك حتى غاية ٦/٢٠ فزالت ببذل الأسباب وبذلك نذكر قول الرسول ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في وطنه معافاً في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» وفي كلام الحكمة نعمتان مجحودتان الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان ولا يعرف قدر الأمان إلا من هددته المخاوف فيجب على الحكام والأمراء ومن وكل إليه أمر من الأمور أن يقوموا بما أوجب الله عليهم فإن الله تعالى سائلهم عن ذلك ولا بد وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ قال: لولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضاً ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم.

وفيها في شوال قدم أمير البحرين سلمان بن حمد الخليفة حاكم البحرين إلى الرياض لزيارة أخوية استجابة لدعوة الملك سعود فقضى في الرياض ثلاثة أيام كان فيها موضع الحفاوة والتكريم.

ولمّا أن عاد إلى البحرين زار الظهران وتوقف لزيارة سمو الأمير سعود بن جلوي بمطار الظهران حيث كان في استقباله جمهور غفير من رجال

الحكومة ووجهاء البلاد وأعيانها يتقدمهم سعود بن جلوي فأقام له صاحب السمو حفلة عشاء في مدينة الدمام دعى إليها حاشية الأمير والوجهاء والأعيان في المنطقة الشرقية.

الوحدة بين مصر وسوريا

هذه الوحدة هي التي أشرنا إليها فيما سبق وأسبابها لما رفضت مصر وسوريا مشروع إيزنهاور الذي حاولت أمريكا فرضه على الدول العربية بحجة ملء الفراغ في الشرق الأوسط وقضت الحكومتان عليه عقدت وحدة اتفقت أهداف الدولتين لها وتوحدت الأغراض حتى أطلقت الوحدة للشعبين في دولة واحدة سميت الجمهورية العربية المتحدة. وأعلن ذلك في القاهرة بتاريخ ١ فبراير ١٩٥٨م الموافق ١٢ رجب من هذه السنة وأجرى الاستفتاء على دستورهما المؤقت وعلى رئيسها في ٢١ فبراير في كل من مصر وسوريا فكانت الموافقة على الدستور وعلى انتخاب الرئيس جمال عبد الناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة إجماعاً. واختار رئيس الجمهورية له نواباً من صفوة المصريين والسوريين وأنشأ مجلسين تنفيذيين في كل من الإقليمين ليساعدها في الحكم. والذي حدى بسوريا على ذلك هو خشيتها من أمريكا التي قامت تدفع تركيا لغزوها.

وفيها هطل أمطار على جنوبي المملكة العربية السعودية وشمالها مشت منها الأودية وذلك في ٥/٧ ومن الغد هطلت أمطار على القصيم ديمة استمرت سبع ساعات وأكثر الناس من البعل في الصحراء. وحجّ بالناس في هذه السنة الملك سعود بن عبد العزيز وكانت الأحوال هادئة والله الحمد والمنة والفضل.

ثم دخلت سنة ١٣٧٨ هـ استهلّت هذه السنة وأمراء المملكة السعودية في وظائفهم فكان الأمير في مكة المكرمة عبدالله بن فيصل، وفي بريدة

محمد بن بتال، وفي الحدود الشمالية عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد، وعلى حائل وما يليها عبد العزيز بن مساعد بن جلوي، وعلى المقاطعة الشرقية سعود بن عبدالله بن جلوي، ووزير الدفاع إذ ذاك هو صاحب السمو الملكي فهد بن جلالة الملك سعود وعلى المدينة المنورة عبدالله السديري، وعلى جده عبد الرحمن السديري.

وهكذا ثم إنَّه عزل أمير بريدة وجعل مكانه في إمارة القصيم سعود بن هذلول فقدم إليها في الساعة الثانية غربي تزيّد خمس عشرة دقيقة صباحاً يوم السبت الموافق ٢٩ صفر. وكان سمو الأمير سعود بن هذلول بن ناصر بن سعود رجلاً عاقلاً أديباً وقد مارس الأعمال فباشّر عمله وكان مؤرخاً وله التاريخ المسمى تاريخ ملوك آل سعود كان قبل ذلك أميراً في تبوك والحدود الشمالية الغربية ثم نقل إلى إمارة ينبع وما يليها ثم استقال وصار في معية الملك سعود ثم عين أميراً في مقاطعة القصيم في هذه السنة وعمره ثلاث وخمسون سنة.

وفيها جعلت الحكومة في إمارة مكة المكرمة سمو الأمير متعب بن عبد العزيز أخا الملك بدلاً من الأمير عبد بن فيصل.

وفيها نبعت عيون في ضواحي مدينة بريدة تشتعل ناراً منها عين حوالي النقيب وأخرى حوالي أسفل الجبل الممتد هناك موضع يدعى المزيريرة كانت في السابق ملكاً لابن حمزة تبعد شمالاً عن المدينة بعشرة كيلومتر وقد بلغ الحفر عند حدوث الظاهرة ١٣٤٠ قدماً وكان قطر المأسورة ١٢ بوصة. ومن عجائبها أنَّ الماء عندما يصل إلى الإناء يكون في بياض شديد ثم لا يلبث إلا قليلاً حتى يتبخّر وإذ أولع عود من الكبريت وألقى في مصبها فإنَّ الماء يتولع ناراً وبعدما ركبت القسامات والهوية في العين انقطع الهواء وصعب إشعال النَّار في الظاهرة ولكنه أمكن إشعال النَّار عن طريق الهوية

عندما يكون الهواء ساكناً فتشتعل النَّار ويرتفع لهيبها إلى ثلاثين متراً مع الماء. وهذا من آيات الله أن يجتمع الماء والنَّار بالرغم من كثرة البعثات الجيولوجية فإنه لم يظهر البيان الحقيقي عن بحثها وتنقيتها لتطمئن القلوب غير أنَّ هذه التجربة تؤكد على أنَّ أرض القصيم لا بدَّ أن تنطوي على شيء فهذه عيون تشتعل ناراً لما فيها من المادة الغازية وعيون أخرى أكثر من خمس كبريتية وكذلك يوجد جزء من أحجار بريدة تشع نوراً وفي تحت جزء من الأرض جبل من طين إذا وضعت قطعة منه على النَّار أحدثت صوت فرقة الأمر الذي جعل النَّاس يفكرون في أنَّ هذا الطين لا بدَّ أن يكون فيه مادة بارودية.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففي شهري جمادى الأولى والثانية انتشرت الحصبة في نجد وكثرت الإصابة بها وكانت الأمة في قديم الدهر إذا انتشرت فإنَّهم يضادونها بالحمية وأشياء أخرى فما تلبث أن تفتك بالصبيان فما بين ناج وما بين هالك وتكون ضحاياها كثيرة غير أنَّ الأطباء استطاعوا بتوفيق من الله لهم أن يضادوها بإبر البنسلين ونحوها فيقل خطرها وقد نشرت إحدى الجرائد السعودية كلاماً لبعض الدكاترة في الحصبة لا يخلو من فائدة وقرر هذا الطبيب أنَّ الحصبة يبدأ موسمها في منتصف الشتاء وينتهي في أواخره وإنني لأعجب لهؤلاء الأطباء الذين كانوا في أنحاء المعمورة بحيث مع تقدم الطب في هذا الزمان لم يجدوا لها تلقيحاً كما وضعوا للجدرى فإنَّ النَّاس قد وجدوا راحة في استعمال التلقيح ضد الجدرى. وفيها قام بعض المنتسبين إلى الخير بالإنكار على بعض رجال الجهاد المرابطين في بريدة شربهم الدخان وتجولهم في مواضع من البلد فحصل من هؤلاء سوء تفاهم أي إلى المضاربة فيما بينهم فرفع الفريقان شكايتهم إلى الحكومة فبعثت الحكومة هيئة من ديوان المظالم للتحقيق في المشكلة التي تطورت وكان ذلك في آخر شهر محرم فاستمرَّ

التحقيق إلى ٢٤ صفر بحيث قضت اللجنة بتأديب المعتدين من أهل الجهاد وتقويم ما جنوا على الخصم من الشجاج فنفذت الأوامر وانكفّ النزاع وسكن كل متحرك ونظير ذلك ما جرى في السنة التي قبلها من قيام بعض آل سليم أمراء عنيزة على الأمير خالد وإطلاق الثّار عليه لضغائن قبل ذلك فبعثت الحكومة قوة يسيرة للنظر في الموضوع وانحسم الخلاف لسلامة الأمير وهدأت الأحوال كأن لم تكن وذلك بفضل ما استعملته الحكومة من السياسة نحو هذا الخلاف .

وفيهما في آخر النهار من يوم الأحد ٥ شوال هبت رياح شديدة كموج البحر بظلمة شديدة أقبلت من الغرب فأظلم الجو جداً حتى أضيئت المصابيح واستعملت أنوار السيارات لتوقفها عن المسير ثم كانت صفرة شديدة واستمرت أربعين دقيقة من الساعة العاشرة مساءً بالتوقيت العربي إلى تمام الدقائق المذكورة ثم انفصلت عن مطر شديد صبت منه المزاريب بقوة ثم تجلت .

وفيهما في ليلة الأربعاء ٢٩ شوال هبت رياح كادت أن تدك البيوت في القصيم واستمرت من الساعة السادسة ليلاً إلى تمام الثامنة وثلاثين دقيقة .

وفيهما في ٢٠ شعبان حصل برد شديد ورياح وغبرة ونزل جليد على رياض البطين شمالاً وذلك في ٩ الحوت والله على كل شيء قدير .

وفيهما في يوم الأحد ٣ جمادى الثانية هطلت أمطار على القصيم واستمر الغيث وفي ٦ الجاري هطلت أمطار على سائر بلدان نجد والقرى .

وفيهما في ١٠ رمضان وما يليه نشأت فوضى في العراق وكثر القتل والهرج وألصقت بالعراق أمور شوّهت سمعته جداً وشنّ عليه الأعداء الغارة واختلقوا له المشاكل وبغوا له الغوائل فإن كان ما قيل فيه صحيحاً فإنهم مستهدفون لعقوبة الله وبطشه وأن الله لا يهمل خلقه وإن كان كذباً فلعنة الله

على من افترأها وكنت أظن أن الكاذبين يختلقون مثل ذلك .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

لقد توفي في هذه السنة فطاحل من العلماء والرجال فمنهم صاحب السمو الأمير سعود بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل آل سعود . وهذا هو الذي يسمى سعود الكبير قدس الله روحه ونور مرقدته وضريحه . وكانت وفاته في مساء يوم الثلاثاء ١٦ / ٨ / ١٣٧٨ هـ على إثر سكتة قلبية عن عمر تجاوز ٨٥ سنة وقد أحدثت وفاته أثراً عميقاً من الأسى في نفوس أهل هذه البلاد لما عرف به من حب الخير ومكارم الأخلاق والعطف على المحتاجين والتمسك بالشيم العربي . كان رحمه الله صاحب دين وعبادة . متواضعاً على رفعة قدره . رأته في بريدة أوائل جمادى الثانية من سنة ١٣٧٦ هـ في وقت كانت الأمطار قد غمرت المدينة فاستوقفني وجعل يسأل عن المشائخ وكان راكباً في سيارته سائراً إلى قصر الحكم في بريدة للاتصال بالأمير محمد بن بتال فسألته لأنني لم أكن أعرفه قبل ذلك فقال : من المنتسبين إلى آل سعود من السموه يعني من الأسرة . فقال أحد رفقته لما أجلسني الأمير إلى جانبه في السيارة لأنني كنت ذاهباً إذ ذاك إلى الأمير محمد . قال هذا سعود الكبير فعرفته ، وكان شيخاً قليل اللحم قد لوحته الشمس وذلك لأنه كان مشهوراً بسعود العرافة فعجبت لمكارم أخلاقه وكان لما أن توفي في هذه المناسبة وافق أن جلالة الملك سعود كان غائباً عن الرياض فما أن وصل النبأ إليه حتى أمر أن تؤخر جنازته وقام مبادراً فتوجه ليلاً بالطائرة الخاصة فوصل في الساعة الثالثة إلأربعاً من صباح يوم الأربعاء ونزل مبادراً إلى المسجد الجامع الكبير في الرياض وذهب إلى المسجد الجامع على رأس أفراد الأسرة المالكة فصلى المسلمون على الفقيد وشيعت جنازته إلى مقرها الأخير والخلائق يسمع لهم نحيب وقد تلقى جلالة الملك ونجل الفقيد محمد بن سعود الكبير وإخوانه التعازي من أفراد الأسرة المالكة ورجال

الدين وأعيان ووجهاء الرياض وغيرهم من سائر المملكة .

وفاة رئيس القضاة

ففي الأسبوع الأول من شهر رجب سابع ٧ فقدت البلاد عالماً جليلاً وركناً كبيراً من أحفاد مجدد الدعوة الإسلامية في الجزيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهو الشيخ عبدالله بن حسن وهذه ترجمته : هو الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالله بن حسن بن حسين بن علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعفا عنه . ولد رحمه الله في أواخر سنة ١٢٨٦ هـ فنشأ نشأة طيبة وأنبته الله نباتاً حسناً تحت رعاية والده الشيخ حسن بن حسين . ولما أن ختم القرآن وأتقنه أخذ يطلب العلم ويتعلم من والده ثم سمت به همته إلى حلق المشائخ فأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن وأخذ عن الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود وكان هذا العالم مشهوراً بعلم الفرائض وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود وجد واجتهد فنبغ من بين الأقران وكان الملك عبد العزيز معجباً به لما يراه من نجابته وعقله فكان يستصحب الملك في أسفاره وينتدبه لمهام الأمور ثم كان رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية فكان مصدر الهيبة والحب والتعظيم ذا رجولة وغيره أضف إلى ذلك عقلاً رزيناً وكان يحمل بجانب هذا علماً وافراً ونفساً زكية طاهرة بعيدة عن الزخارف وسفاسف الأمور . ولما أن تولى رئاسة القضاء أضيف إليه رئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هناك والإشراف العام على المسجد الحرام وتعيين القضاة والأئمة والمؤذنين ومراقبة الكتب الواردة وكان له سمت العلماء ومهابة العظماء وطهارة الزهاد وعاش زمناً طويلاً يقارب من قرن . لما أن قدم مع جلالة الملك عبد العزيز إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤٣ هـ تقلد عدة وظائف دينية هامة وكان قبل ذلك إماماً في مسجد

الإمام عبد الرحمن الفيصل في الرياض ثم كان إماماً وخطيباً في المسجد الحرام وحضر قتال جدة في معية جلالة الملك وآخر الوظائف رئاسة القضاة أسندها إليه لما استولى على الحجاز بعد فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد تولاهما ثلاثين سنة أو تزيد ولقد كان عالماً وداعية إلى الحق وصلباً في دين الله إذا اقتنع بعدالة قضية من القضايا لم يستطع أحد كائناً من كان أن يحوله أو يحول دونه ودون تنفيذها وكان في أحكامه لا يتأثر باتجاه أحد أو رأييه مهما كانت مكانة أحد من الناس، وكان ذا جاه عظيم ويسمع كلامه ويخضع لأوامره ونواهيته ولقد شغل هذا المركز الكبير الخطير فكان موضع الإعجاب وصفة الأب الحنون والرئيس المنصف والحاكم العادل الذي لا تميل به الغرائز البشرية عن مناهج الحق والعدالة ولا تنطوي عليه مواطن الحيف والهوى. ولقد كان محبوباً ومرهوباً ولم يكن له أعداء بالرغم من وقته وهيبته وعاش عزيزاً كريماً مهاباً ومات عزيزاً كريماً مهاباً لم يستطع أحد أن سجل عليه طيلة حياته المديدة موقفاً واحداً من المواقف التي تعيب العلماء أو تنال من مكانتهم في النفوس وكان محظوظاً لدى آل سعود لما قام به من حسن السياسة ودماثة الخلق وطيب السريرة، أضف إلى حسن تدبيره أنه قوي وذو صلابة في الحق والغيرة على الحرمات والتمسك بالمثل العليا وثبات على المبدأ مهما بلغت قوة التيارات التي تتقاذف حوله وما كان في قسوته في بعض المواقف وصرامته في بعض الأحكام ليكون مكروهاً والسر في ذلك حسن نيته. وقد رأيته مرة جاء لتفقد واعظ في المسجد الحرام لم يؤذن له في الوعظ وسألني عن أي موضع كان يجلس فيه وقال: إن وجدته فأخبرني عن موضعه. فكان ربعة من الرجال قد لوحته الشمس عليه أثار الهيبة والتعظيم وحدثني الرجل الزكي المحب في الله عبد العزيز بن إبراهيم الحسين أنه اشترى بقرة له ولرفقته في الحج ضحى يوم عرفة ليذبحوها هدياً من الغد فوسمها في الرقبة وواعد الراعي أن يأتيه بها صباح الغد يوم العيد

سوى أن الأيادي قد اختلفت فيها. ولمّا أن حضر لأخذ البقرة وجدها ولم يجد صاحبها فلما أن أراد أن يأخذها ويذهب بها امتنع الذي كانت بيده وذكر أنّه اشتراها ف وقعت خصومة واشتكى إلى بعض الدوائر فكانوا يماطلونه يوماً بعد يوم فذهب إلى الشيخ عبدالله وانطرح بين يديه وقال: هذه صبيحة رابع يواعدوني وقد انقضى زمن الذبح ونحن فقراء بعت بالأمس عباءة لإحدى النساء وأكلنا ثمنها فكيف نصنع اليوم فبكى لحالته وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل ثم ناوله عشرين ريالاً فضة تناولها من عن يمينه من أسفل قطيفة كان جالساً في بيته عليها وقال: كلوها في هذا اليوم ودعى بأحد أنجاله كنت أظنه عبد العزيز ثم قال:

خذ بيد هذا الشايب ولا تفارقه حتى يسلم بقرته كائناً من كان... قال: فذهبنا من موضع إلى موضع ومن دائرة إلى أخرى وكان النجل يقول للمسؤولين عن أمر عبدالله بن حسن يسلم بقرته فما زال به من موضع إلى موضع حتى استلمها قال فقال لي آخرهم: أشكر فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن فلولا قيامه معك لم تحصل عليها إلّا بعد شهر كاملاً قال فذبحنها عن أمر الشيخ وطفنا طواف الوداع وسرنا مسافرين. وكانت مجالسة ندوة حافلة يجتمع فيها علماء المسلمين من المشرق والمغرب لا سيما في مواسم الحج ويختلف إليه العرب والعجم للتعارف والتفاهم معه في المسائل الدينية والأحكام الشرعية التي تختلف وجهة أنظارهم فيها أو التحقيق في الأقوال التي ينسبها دعاة السوء إلى أهل نجد، فيستمع إليهم وإلى أقوالهم بكل هدوء ويجيبهم بما يقنعهم ويزيل عنهم الشكوك والأوهام ويزودهم بالكتب التي تشرح عقائد السلف الصالح وتوضحها. ومن جاء مسترشداً أو مستوضحاً فإنّه لا يخرج من عنده إلّا مقتنعاً مطمئناً على بصيرة وعلم. فرحمة الله عليه وجبر الله الإسلام بفقده. أمّا تلامذته الذين أخذوا عنه فجم غفير فمنهم أخوه عمر بن حسن رئيس هيئات الحسبة في نجد وعالم كبير

وعلم شهير والشيخ محمد بن عثمان الشاوي وعبد العزيز الشثري المعروف أبو حبيب والشيخ عبد الرحمن بن عقلا والشيخ فالح بن عثمان والشيخ عبد الظاهر أبو السمع إمام وخطيب المسجد الحرام والشيخ علي بن زيد والشيخ صالح بن سليمان بن سيف قاضي المضيق والمؤرخ الأديب عبد الغفور عطار والشيخ محمد بن داود والشيخ سليمان أباطة والشيخ سليمان بن عبدالله المشعلي وأبناءؤه الثلاثة الشيخ محمد بن عبدالله بن حسن والشيخ عبد العزيز بن عبدالله والشيخ حسن بن عبدالله والشيخ علي بن محمد الهندي ومحمود شويل وأناس كثيرون.

وممن توفي فيها من الأعيان عبدالله الرشيد، وهذه ترجمته: هو الشيخ الزاهد الورع الزكي الطاهر العالم المتعفف أبو صالح عبدالله بن رشيد الفرج بن إبراهيم بن زايد القفاري نسبه إلى قفار ولد في عام ١٣٠٨هـ وتوفي في يوم الخميس الموافق ٢١ محرم من هذه السنة نشأ في عبادة الله لأن والده مؤذن المسجد الجامع الكبير في بريدة وشرب من زلال ينابيع الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم فأثرت هذه البركة في المترجم. وبعد ما حذق في معرفة القرآن أخذ يطلب العلم، فأخذ عن الشيخ المذكور وأخذ عن الشيخ عبدالله بن فداء وأخذ عن الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد. ثم لازم الشيخين الإمامين عبدالله بن محمد بن سليم والشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأكثر الأخذ عنهما ولازم الشيخ عمر بن محمد واستمسك بغرزه في الحضر والسفر وأحبته مشائخه وقدموه في المجالس وذلك لأنه كان ولياً لله محترماً، ذلك لما قام بهذا العبد الصالح من سلامة الصدر والأمانة والصبر على حلو الزمان ومره وكان يدرس عليه في الكتب الكبار السامية كالمغني، والشرح الكبير، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير وتفسير القرآن له، وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي وكان خطيب المسجد الجامع في بريدة، ولديه كتب كثيرة، غير أنه لم يتولّ وظيفة في القضاء ولا غيره لورعه

وزهده ويحجم كثيراً عن الفتوى ولا يتجرأ عليها لورعه مع عذل مشائخه له في الأحجام لأنه في درجة الفتيا والقضاء ويؤم في المسجد الجامع بالنيابة عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم ويستخلفه الشيخ عمر لذلك وكان ملازماً للاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان وإذا أخذ في الخطبة أو القراءة فإنه يبكي ويُبكي من حوله وبكل حال فإنه من قوم كانوا فبانوا وختم به الزهاد وقل أمثاله في العباد وأحبه الخاص والعام وقبله جميع أهل الإسلام فكان يتمتع بعقل وسمت عظيم . فأشهد بالله ما رأيت له عدواً وذلك بأنه لم يؤذ أحداً ولم يرزأ مسلماً ولم يعب صاحباً ولم يتكبر على أحد وربما ضمنني وإياه مجلس فكان يقدمني ويحترمني كأستاذ له مع صغر سني فكنت بالنسبة إليه كحفيد له فسبحان من منّ عليه بفضله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ وقد توفي بكره صالح في ريعان الشباب وأعاضه الله بآخرين .

ذكر أخلاقه الزاهرة وصفاته الباهرة

رحمة الله عليك يا أبا صالح كنت مؤمناً تقياً وولياً لله زكياً متواضعاً لإخوانك مرضياً لأهل زمانك لا فظاً غليظاً ولا مازحاً ولا متهمكماً لا تغضب ولا تخرج ولا تحقد بل كنت حسن السريرة صبوراً على الفقر شكوراً لله في السراء تحب أهل الدين وتميل إليهم وتبغض في الله أهل معصيته وتشرف بك المجالس ويحبك القريب والبعيد ولا يملكك المجلس .

كان المترجم رحمة الله عليه حليماً وقوراً إذا رأيته ذكرت الرسول عليه الصلاة والسلام وذكرت الصحابة والتابعين لهم بإحسان وذكرت السلف الصالح ورق قلبك لرؤيته وكان نظيفاً حبيباً كريماً ليناً سمحاً طلق المحيا مربوع القامة يميل إلى الطول أبيض أزهر له لحية كثة جميلاً محبوباً كأن الشمس تشرق من وجهه يتعفف في لباسه ويحب البياض من الثياب

والمشلع وعلى الدوام يلبس شماغاً ولباسه دائماً نظيف ولا يطلع على سره أحد وكان إذا جلس فإنه يقدم أهل الفضل على نفسه في المجلس ويتواضع ثم يأخذ في تذكر مشائخه وإخوانه الماضين ويترحم عليهم ويدعو لهم بشفقة ولهجة طهرها الله من النفاق والقلق فإذا ذكرهم فإنه يُبكي من حوله ولكلامه وقع في القلوب وقبول في النفوس ولا يحب القصص مثال ذلك أن يقول: كان الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم عالماً رحمة الله عليه وألحقنا الله بآثاره كان يقول لأولاده كذا ويرشدهم ويبين لهم طريق الحق ويعظمه آل سعود ثم ينتحب ويقول الله المستعان قال النبي ﷺ: «يذهب الصالحون الأول فالأول سبحانه الله العظيم». يا أخي أن الحالة لتؤسف وأن الشيخ عمر كان محتسباً في كثرة تدريساته وأنَّ عبد العزيز العبادي غفر الله له كان صابراً محتسباً وأظهر الله من تعليمه فائدة وأنه يا أخي ينبغي مساعدة أهل الدين ويشير بذلك لطلاب العلم إذ ذاك فإنَّهم كانوا في فقر مدقع وينبغي يا أخي لطالب العلم أن يجتهد ويجعل له نية طيبة لأنه يسعى في طلب وراثته الرسل والله يا أخي إننا نحب طالب العلم ونفرح بمجلسه ونرحب به إذا جاء إلينا للمطالعة أو يريد إعارة كتاب هذا الذي نقدر عليه ويا ليت أننا نملك شيئاً للمساعدة ولكلامه ذوق بحيث لا يجهر في الكلام ولا يكلف السامع ولا يمل مجلسه ولقد يرجى له أن يكون ممن قال فيهم النبي ﷺ في وصف أهل الجنة: «ورجل رخيماً رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال»، ونذكره عند قوله ﷺ: «خيار عباد الله الذين إذا رأوا ذكر الله»، ونذكره عند قوله ﷺ: «أعبط أوليائي عندي المؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضاً في النَّاس يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك ثم نقر بيديه فقال: عجلت منيته. قلت بواكيه قل تراثه ولما قيل يا رسول الله أي النَّاس أفضل قال: كل مخموم القلب صادق اللسان قالوا: صدوق

اللسان نعرفه فما مخموم القلب قال: هو النقي التقي لا إثم عليه ولابغي ولا غل ولا حسد وبالجمله فإنّه من الرجال الذين يدافع الله بهم العذاب عن أهل الأرض». ولمّا وقعت النكبة على أهل بريدة من جراء السيول التي ألقت البيوت على وجه الأرض مهدمة وتركتها خراباً يباباً حتى أنّ المسلمين من قام يهدم أعالي بيته لعله أن يخف الحمل على الأساس واشتدت الكربة وعظمت الفادحة جعلت أتذكر أولياء الله الأحياء الذين يطفئون غضب الرب ويرحم الله بهم العباد والبلاد فلم أر على وجه البسيطة ممن كنت أعرفهم سوى ثلاثة رجال هو أحدهم^(١) ومن الغرباء الذين قال فيهم الرسول ﷺ: «طوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد النَّاس» وفي رواية: «يصلحون ما أفسد النَّاس» وفي رواية: «يصلحون ما أفسد النَّاس من سنتي» وكان يأكل من كسب يده لأنّه كان خطاطاً ونسخ كتباً بيده كثيرة وكان موضع الثقة في العقود والوثائق ونفع النَّاس وقد تأتية مساعدات قليلة على مونة الدنيا من بيت مال المسلمين ونزر يسير من الأجواد وبكل حال فإنّه يظهر نعمة الله عليه ولا يطلب الدنيا من أحد وقد لبث في طلب العلم ما يقرب من أربعين سنة قضاها في الدراسة والمراجعة.

ولم تأخذه عزة النفس عن أن يأخذ العلم من أحد العلماء كائناً من كان

(١) فسر بعض العلماء قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ أنّه يدخل في ذلك دفع الله العذاب على العصاة بأهل الطاعة وورد في بعض الآثار يقول الله عزّ وجلّ: إذا أردت إنزال عذاب بأهل الأرض نظرت إلى المشائين على أقدامهم إلى الجمعات والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرين بالإسجاد فاصرف العذاب عن الناس ورأى بعض السلف فريقاً من ملائكة نزلت فقال بعضهم لبعض: أخسفوا بهذه القرية فقال بعضهم: كيف نخسف بها وفلان فيها قائم يصلي، ورأى بعض المتقدمين في منامه منشداً يقول:

لولا الذين لهم ورد يصلوننا وآخرون لهم سرد يصوموننا
لكدت أرضكم من تحتكم سحراً لأنكم قوم سوء ما تطيعوننا

وآخر من أخذ عنه من المدرسين هو الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وقد جلس لتدريس تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم بعد وفاته حتى قدم الشيخ عبدالله بن حميد لذلك ولمّا أن كان قبل وفاته بسنة حدث فيه ضعف وفقد كثيراً من قوته وعزمه واستمرّ ضعفه ثم أنّه أغمي عليه في وسط النهار من آخر أيامه وهو جالس يتحدث مع بعض أحبابه وتوفاه الله ظهر يوم الخميس المذكور عن عمر يناهز الحادية والسبعين رحمة الله عليه وكان قد خلف أربعة بنين وله أخ تولى وظيفة الأذان في المسجد الجامع بعد أبيه وهو محمد بن رشيد كان جهوري الصوت وشجاعاً مقداماً ولمّا أن توفي المترجم تأخر تجهيزه لصلاة المغرب ونودي في الأسواق بوفاته واجتمعت الأمة من كل صوب وحذب وصلى عليه جمع لم يعهد مثله بحيث أنّهم لما خرجوا به إلى المقبرة صلى عليه المسلمون الذين لم يحضروا الصلاة عليه في المسجد الجامع الكبير فلم يتمكن المصلون من متابعة الإمام في التكبير حتى كان هناك سبعة منبهين وضجّ المسلمون وانتحبوا وبكوا عليه وترحموا وكان موضع قبره في المقبرة الجنوبية في بريدة فالله المستعان.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ محمد حامد فقي رئيس جمعية أنصار السنة في مصر كان الشيخ محمد حامد ناصراً للسنة مجاهداً في سبيل العقيدة السلفية مدافعاً عنها باليد واللسان والجنان وقد بدأ حياته بذلك . وأنّه ليشكر على ذلك وإذا كان منتسباً للسنة وناصرها لها ومعادياً لأعدائها ونجد في كلامه في مقدمة المنتقى وشرح التوحيد والبلوغ ما يدل على قوة تمسكه بالسنة وعييه على أهل البدع، فما بال أعدائه من الحساد وأبناء جنسه ينالون من عرضه ويذمونّه ويشوهون سمعته ولقد كانت مقدمته التي وضعها أمام شرح التوحيد آية في توحيد الله والثناء عليه ووصفه بما وصف به نفسه ووصفه به ورسوله ونعته الرسول محمداً ﷺ بما يليق به . ثم قال : أما بعد فإنّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر قد قام

بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيل نصره الدين الخالص صادقاً مخلصاً صابراً محتسباً وصمداً لشیاطین الجن والإنس یرد عن الإسلام کیدهم ویبطل بساطع حججه وثابت عزمه وصادق قوله أباطیلهم ویقضي تشهب حقه المؤسر علی الكتاب والسنة علی دجلهم وضلالهم ویظهر بشموس أدلته زیوف غیهم وزخارف غرورهم وظلمات بدعهم وفساد أكاذیبهم وهم یقابلون کل ذلك من شیخ الإسلام بکل ما استطاعوا من سماجة وصفاقة ویقابلونه بکل ما یملکونه من عصبية وجمود علی ما یغلغل فی قلوبهم المنتنة من إرث عن الآباء والأجداد والشیوخ الذین اتخذوهم من دون الله أرباباً یجمعون له جموعهم ویجلبون علیه بخیلهم ورجلهم وأباطیلهم ومخترعات کتبهم التي ضاهوا أصدق الحدیث وخیر الهدی ویرسلون من ألسنتهم وأقلامهم وأیدیهم حمم الغیظ الذی یأکل قلوبهم ویحرصون الحرص کله علی إطفاء نور الله الذی أشعله شیخ الإسلام لیهدي به الضال یرد به الحائر . . . إلخ . وأطال ثم إنّه امتدح آل سعود بما قاموا به من مساعدته وبذل الجهد فی نصره دعوته وبذلهم سواعدهم تحمل السیوف لإعلاء کلمة الله حتی أظهر الله التوحید ونشر العلم علی ألویة الجیوش السعودیة المظفرة وكتب الله النصر لشیخ الإسلام ولقد امتدح المترجم شیخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة وانتصر له وصاح ینادی أعوانه وذكر ما منّ الله به علیه من المقامات الدینیة .

وأشاد بذکره حتی أخرش والبنیة من لا یكون فی صفه وساق له ترجمة حافلة فی مقدمة اقتضاء الصراط المستقیم وذكر أنّه خرج فی زمان أطفئت فیہ أنوار الرسالة فقام بجهد واجتهاد ولنصرة دین الله ورسوله وما زال هذا شأنه حتی أتاه الله الإمامة لیهدي الناس بأمر ربه إلی صراطه المستقیم . ولكنّ الناس تلقوه بمثل ما تلقى سلفهم رسل الله لأنّ دعوته هی دعوة رسول الله إلی توحید عبادة الواحد وإلی تخلص الإنسان من ذل عبادته

للإنسان وإلى رفع الإنسان إلى درجات الكمال بتخليصه من أغلال ظلم الإنسان وهوى الإنسان إلى أن قال: فصبر شيخ الإسلام وجاهد ونزل الميدان متسلحاً بقوة الحجّة وذخائر كنوز الكتاب والسنة وفصاحة اللسان وثبات الجنان وشجاعة القلب وصدق العزيمة وقوة الإرادة وإخلاص القصد لوجه ربه. ثم ذكر نبذة مما جرى من أعداء الشريعة عليه إلى أن قال: أمّا بعد فهذا كتاب اقتضاء الصراط المستقيم قبله من أقوى ما ألقى شيخ الإسلام على حزب الشيطان من قنابل الحق والهدى ثم أطال بذكر فضله إلى أن قال فيها: أيها الناصح لنفسه الحريص على نجاتها من غضب الله ولعنته في الدنيا والآخرة اقرأ كتاب اقتضاء الصراط المستقيم واحرص على قراءته بتدبر وفهم وعقل سليم لتعرف ما عمّ مجتمعك من شرور البدع والأهواء والشهوات فتفنيها عن نفسك وتأنى عنها بجانبك وتنجي بعد ذلك إلى الركن الوثيق والحصن الحصين... إلخ. وكذلك أيضاً امتدح الإمام ابن القيم رحمة الله عليه وبما أنّ هذين الإمامين هما الميزان لمعرفة صلاح العباد من فسادهم فلا يحبهما إلاّ مؤمن ولا يبغضهما إلاّ منافق فإننا نشكر المترجم على مسلكه ذلك وقد لقي في سبيل الدفاع عن السُّنة وانتصاره لها أذىً ومحناً فصبر واحتسب وظلّ في كفاحه مستمراً وأنشأ مجلة الهدى النبوي فكان لها أثرها الفعال بين المنتسبين إلى الدين في مصر والسودان وغيرهما من البلاد الإسلامية كما أنّه أقام في المملكة السعودية مدة من الزمن وأسهم عملياً في رفع مستوى الثقافة الدينية فيها بإصدار مجلة دينية أدبية اجتماعية كما أنّها تهتم بنشر أخبار الحركة العلمية والأدبية في البلاد وكذلك اضطلع بهمة التدريس في المعهد العلمي الإسلامي والوعظ والإرشاد في الحرم الشريف زمناً طويلاً.

وزود المكتبة العربية الإسلامية البعيدة عن شوائب البدع والخرافات بكتب قيمة نادرة قديمة وتصحيحها وإعادة طبعها ونشرها في العالم العربي

الإسلامي ولقد حضرت وعظه وإرشاده في المسجد الحرام أوقات الموسم غير مرة فلم أنتقده بشيء بل كان سلفي العقيدة مجتهداً غير أنه والله يغفر له يتعاضم ويرى نفسه بالمكان الأسمى أضف إلى ذلك أنني رأيت له كلاماً ذم به الشيخ الإمام العالم العلامة محمد منير آغا الدمشقي وسماه متعنناً أو متطفلاً على العلماء وما حق محمد منير أن يسمى متعنناً أليس الذي قد وقف نفسه لله تعالى وأشاد مباني السنة ونشر مؤلفات أهلها وعلق عليها تعليقات يشكر عليها وفسر مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتصر لها فهذه مأخذه بسيطة عليها ولكننا نقيم له عذراً بأنه كغيره من العلماء الذين يحسد بعضهم بعضاً وبما أننا لا نسمع بالمترجم فكذلك لا نسمع تنقصه لغيره قال ابن عباس رضي الله عنهما استعملوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغاوراً من التيوس في زربها رحمة الله على أموات المسلمين.

وممن توفي فيها من الأعيان فوزان العثمان من الشخصيات البارزة في مدينة بريدة وهو فوزان بن عثمان بن فوزان بن صالح بن عبد العزيز بن سابق بن صالح بن فوزان من قبيلة الوداعين من الدواسر كان عاقلاً ممتليء الجسم أبيض اللون شهد الطرية والبكيرية وجراب في صفوف المسلمين وكان في تجارة عقيل إلى الشام والعراق ومصر ومن رجالهم الذين يتقيدون بالصلوات الخمس وكان صاحب الجلالة الملك عبد العزيز يقدر له مواقفه ويواسيه. ومن أنجال المترجم سليمان بن فوزان الذي سبق ذكره في المقاولات للمعهد العلمي بريدة والمسجد الجامع الكبير والمستشفى المركزي فيها والمكتبة العلمية. وكانت وفاة المترجم في آخر ذي الحجة من هذه السنة رحمة الله عليه.

إن عقيلات المشهورين في تجارة الإبل وغيرها يسافرون على ظهور الإبل مستصحبين المواشي من الإبل والخيول كل بحسبه ويتخذون ما يتطلبه

السفر من قرب الماء والأحواض والمحال والحبال والخيام والأعمدة والفرش وأواني الطبخ وما إلى ذلك من الخدم كل على حسب قدرته .

فقد قيل إنَّ محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام بلغت إبله التي ذهب بها مرة إلى الشام ستمائة رعية وكان زعيم العقيلات أو من زعمائهم ولكن الله سبحانه قدر على هذا التاجر بأن أصبح غنياً وأمسى فقيراً في لحظة ذلك بأنَّها كسدت السكة المتعامل بها وهي أكثر ثروته فكان لا شيء ويروي لنا التاريخ أنَّ رجلاً اسمه ابن رومي من أكبر تجار اللؤلؤ بين الكويت والبحرين وقطر وما إلى ذلك يبيع ويشترى فقدر أنَّهم لما توسطوا في اللجة وحن وقت الغداء قدموا طعام الغداء الذي كان مؤلفاً من أنواع القشاء والبطيخ وما إلى ذلك فوضع صرة عظيمة من اللؤلؤ أمامه ولمَّا أن فرغوا من الطعام وقام لتغسيل يديه ورجع إذا بالخادم قد احتمل الخوان لم يظنها فيه ولم يعلم بها وقد اختفت من بين القشور وألقى جميع الفضلات في اللجة فسأل الخادم عن الفضلات فأفاد بأنَّه رماها في البحر فأسرها في نفسه ولما أن قربوا من الساحل قال لرفقته الذين كانوا في السفينة معه ما ينبغي أن نكون فريسة للأمة فتكسد بضاعتنا بيعوا علي أو اشتروا مني فلمعرفتهم بغناه باعوا عليه جميع ما لديهم وأخبرهم أنَّ الوفاء بعد التصفية ولمَّا أن نزلوا في البحرين نفقت البضاعة لأنَّها لم توجد إلَّا عنده وباع بأسعار باهظة جداً حتى أعاد الله له الكرة وجعل أصحابه يعجبون من حظه ويقولون : إنَّ الأموال تتبع الأموال وحسدوه فوفاهم حقوقهم بعدما أخبرهم بنكبته وكيف أنَّه جلس يتغدى من أغنى الخلق ثم رجع لا يملك من مال الله شيئاً . وكثيراً ما يجري على العقيلات مخاوف ومهالك فقد سار أناس من عقيل في زمن أسفارهم إلى مصر والشام والعراق فلما أن كانوا في الصمان وكانت إذ ذاك مهلكة ومقطعة لا ماء فيها ذهبوا لبعض حوائجهم وخلفوا أحد الرفقة وهو إبراهيم بن عمير الحجيلان في رحلهم ليحفظه وجعلوا بين يديه إبريقاً من

الماء لأنَّ الصَّمَّان مضمومة في لغة العامة فمرَّ به راكب بعير يحمل ماء كثيراً فاعترض له إبراهيم وسأله قليلاً من الماء في إناء كان يحمله وقال له: انظر لحالتي في هذه الأرض المهلكة فردَّ عليه رداً قاسياً وأبى أن ينعشه بشيء من الماء فقال: أحسن إليَّ فقد ذهب رفقتي ولا أعلم متى يرجعون فلم يعره اهتماماً بل ذهب وتركه فرجع إلى رحله مكسوف البال ولَمَّا أن وصل وجد كلباً قد خلفه واحتفر حفرة يتمرغ في الثرى من شدة العطش فعلم ما أصابه ورق لحالته وصب له من الإبريق رحمة له وثقة بالله بأنَّه لا يضيعه فقدر أن غمامة ساقها الله عزَّ وجلَّ إلى المخيم فصبت ماءها بقدر منزلهم وجعل يغترف من الماء حتى ملأ جميع ما بين يديه من الأوعية ثم نشفت الأرض. أمَّا عن صاحب الجمل فقد عثر جملة بعد ذهابه ورجع إلى إبراهيم يقول: اشتروا الجمل فقد عثر وانكسرت بعض قوائمه فقال: إليك عني فلا رغبة لنا بالجمل وإنَّك معاقب بتركك رحمتي بهذه الأرض المهلكة فلما أيس الأعرابي من حياة الجمل تركه مسيئاً وذهب لعلمه أنَّه سيهلك ولَمَّا أن رجع الرفقة من آخر الليل وجدوا الجمل بآخر رمق فنحروه وأكلوه وفي ذلك عبرة لمن كان له قلب وأنَّ المسلم ينبغي له مساعدة أخيه إذا احتاج إليه ونظراً إلى أنَّ الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

رجعنا إلى ما نحن في صده، فممن توفي فيها أيضاً من الأعيان الشيخ طاهر الدباغ وكانت وفاته في رجب وظاهر هذا هو الذي جعل يكلم الحسين الشريف بالتليفون ويتحدث معه بشأن تنازله بينا أنَّ الحسين يضرب أخماساً بأسداس بين مصدق ومكذب وكان طاهر مناصراً للبيت الهاشمي في أيام الحسين بن علي ولَمَّا أن أرادوا خلع الحسين وتولية ابنه علي وتأسس الحزب الوطني الحجازي كان طاهر هو سكرتير الحزب ولَمَّا أدار الله دوائر السوء على الحسين وأولاده ونزحوا عن الحجاز فرَّ طاهر وبعض الشخصيات الكبرى إلى الخارج إلى مصر وبورتسودان ومصوع وذلك لما

سلم علي بن الحسن لابن سعود فأقام مبعداً إلى ١٣٥٤هـ ولما أن استصدر الوزير المفوض في بغداد إبراهيم بن معمر من صاحب الجلالة الملك عبد العزيز عفواً عاماً لطاهر وأصحابه لم يرَ الملك عبد العزيز بذلك بأساً فأصدر في ١٣٥٣هـ مرسوماً ملكياً برقم ١٩/١/٢٣ بالعفو عن جميع المبعدين وإلغاء التدابير المتخذة ضد بعض الممنوعين من دخول البلاد والإقامة بها أو العودة إليها فهاب جميع المبعدين خوفاً من أن ينكل بهم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن غير أن طاهر الدباغ ومحمد عبدالله صادق رجعا ليلقيا بأيديهما إلى ابن سعود وينظرهما باعتابه وذلك بعد ما نشر في الصحف المصرية حلّ حزب الأحرار الحجازي وإنما خافوا قياساً على ما طبع عليه أمراء الحجاز من التنكيل بالمجرم ولكن رئيس الحزب طاهر الدباغ استعذ بأن يضحى بنفسه فيكون هو أول المسافرين ولما أن قدما على صاحب الجلالة تلقاهما بالعفو والترحيب وهكذا الرجال يعفون عند القدرة فخطب طاهر خطبة بليغة بين يدي صاحب الجلالة وعاهد على السمع والطاعة وأعرب بها عما قضاه الله وقدره عليه من الغواية وإن الخجل بلغ به إلى حد بعيد وأن الحيرة وسوء التدبير قضت بذلك وأنه تاب ونزع وقال في خطبته: إن هذا الخادم المخلص المائل الآن بين يدي جلالتكم والخجل أخذ منه كل مأخذ ليعترف في كثير من الأسف بأنه كان بعيداً عن معرفة ما خصّ الله به جلالتكم من مزايا سامية وأخلاق عالية وسجايا علوية وشمائل مصطفوية جعلتكم أحق الناس طراً بتبوء هذا العرش العربي العزيز على الأمة العربية. وأطال إلى أن قال: فإذا أخطأنا محجة الصواب فيما مضى فوالله لنتمسكن بها إن شاء الله بعد إذ هدانا الله إليها تمسك من يعتقد أن في الخروج عنها خسران الدنيا والآخرة وأنا منذ وفقنا الله للعودة إلى أحضان الحق قد عرضنا عهدنا بالسمع والطاعة والإخلاص خطياً لا عتاب جلالتك السامية بواسطة خادم جلالتك المخلص القائم بأعمال مفوضية

جلالتكم ببغداد. واسمحوا لي يا صاحب الجلالة بأن أعيد هذا العهد بين يدي جلالتكم تقريراً لغرض ديني محتتم وواجب وطني لازم فأقول لكم علي يا صاحب الجلالة عهد الله وميثاقه على السمع والطاعة في السر والعلن فيما أحببت وكرهت وعليّ أن أكون مخلصاً لجلالتكم ولأولياء عهودكم ولهذا البيت السعودي الكريم إخلاصاً تاماً ظاهراً وباطناً في السراء والضراء في كل الأحوال أوالي من واليتم وأعادي من عاديتم وأسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم والله على ما أقول وكيل وهو حسبي وكفى بالله شهيداً إلى آخرها، والخطبة عجيبة غريبة. أمّا ما كان من خطبة الشيخ عبد الرؤوف الصبان بين يدي جلالة الملك فإنه باح بما لديه من الاعتراف بخطيئه وأعرب عن صفات الملك عبد العزيز وقال في معرضها: إني يا مولاي الخادم المقر بذنبه والمعترف بإثمه والمذعن لأمر مولاه وها أنا بين يدي جلالتكم فإن عاقبتكم فبعدلكم وإن عفوتهم فبفضلكم وجلالتكم على كلتا الحالتين محمود العمل مشكور الفضل، وهي طويلة عظيمة لولا خشية الإطالة لأتينا بها. وقال فيها: وإنا لنود يا مولاي لو كشف لكم عمّا جعله الله في قلوبنا لجلالتكم من حب صادق وإخلاص تام وإجلال وإكبار لما خصكم الله به من مواهب عظيمة وأخلاق رضية كريمة حتى ننال الشرف الأعظم بنيل ثقتكم ورضاكم وهما غاية أمنيّتنا ومنتهى ما نرجوه. إلى أن قال: والله على ما نقول وكيل، وأتى بشيء عظيم من الترحم والاستعطاف على ما تستطيعه الطاقة البشرية والله در القائل:

رايتك محض الحلم في محض قدرة ولو شئت كان الحلم منك المهتدا
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
وقد بعث الأمير عبدالله من شرق الأردن إلى وكيل حزب الأحرار
عبد الحميد الخطيب يستنكر هذا وهل رجوع طاهر على علم منه وأن ذلك

يجرح عواطف الهاشميين فبعث عبد الحميد للأمير يقول: نعم سافر لأن ابن سعود عرف كيف يستميل خصومه بينما إنكم لم تستطيعوا الاحتفاظ بأصدقائكم. ولما أن قدم طاهر الدباغ ومحمد عبدالله صادق ووقفوا أمام حضرته مستغفرين ونادمين قال لهما: عفوت عنكما عن الماضي وإنني أريد منكما أن تعاهداني على الإخلاص للدين والوطن وأما شخصي فدعوه جانباً. وبعد المعاهدة قال: لا شك إن المعارف هي أساس نهضة الأمة وهي قلب الدولة النابض ولذلك فقد أمرت بإسناد مديرية المعارف العامة في المملكة العربية إليك ليعلم الناس إنا وضعناك في قلوبنا ثم أسند أيضاً مديرية إحصاء النفوس العامة في المملكة العربية إلى محمد عبدالله صادق. ولمّا أن تولى المترجم إدارة المعارف أدارها إدارة حسنة وفي إدارته تأسست أول مدرسة ثانوية باسم تحضير البعثات ومهمتها إعداد شباب البلاد المتعلم للتعليم الجامعي وقد نمت هذه الدوحة وأثمرت وأنتجت جيلاً من الشباب المتعلم الذي شغل أعلى المناصب وأهم المراكز في الدولة وكان قد عُيّن بعد ذلك عضواً في مجلس الشورى فشغل هذه الوظيفة. وما زال من أعيان الحجاز حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة.

وممن توفي فيها من الأعيان الأستاذ رشدي ملحس وكانت وفاته في يوم الأربعاء ١٢ رجب وكان وزيراً مفوضاً ومدير الشعبة السياسية ويسمى رشدي بك ملحس كان أديباً بحاثاً بدأ حياته في هذه المملكة العربية السعودية كمدير ورئيس تحرير في جريدة أم القرى وكان مولعاً بالأبحاث التاريخية فنشر في جريدة أم القرى أبحاثاً تاريخية عن تاريخ هذه البلاد وحقق كتاب تاريخ مكة للأزرقي وأعاد طبعه ونشره بين الناس بعد أن كان الكتاب نادراً لا يحصل عليه إلا عند من يقتني المخطوطات النادرة وكانت مدته التي قضاها في جريدة أم القرى معبرة عن نشاطه وبعد أن انتقل إلى الشعبة السياسية بديوان الملك انصرف بكليته للأعمال الرسمية والشؤون السياسية

وبالرغم من انهماكه في الأعمال السياسية كان على صلة تامة بالمطبوعات الحديثة لا سيما ما يتعلق بالتاريخ . فالله المستعان .

وممن توفي فيها من الأعيان الدكتور عبد الوهاب عزام ذكر عنه أنه كان شخصية علمية راقية في العلم العربي والإسلامي وأنها حزنّت عليه الأمة العربية عامة لأعماله التي قام بها في حقول الإسلام والعروبة والسياسة لكونه من القلائل الذين جمعوا بين ثقافة الشرق والغرب وإتقانه اللغات الغربية والشرقية والفارسية والأردية ويوصف بأنه كأول مدير لأول جامعة في البلاد السعودية إلى غير ذلك مما عرف عنه من الثقافة والوعي فالله المستعان .

وفيهما في آخر يوم من محرم سافر رئيس مجلس الوزراء وولي العهد فيصل بن عبد العزيز إلى القاهرة فوصلها واستقبل استقبالاً حافلاً فاجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر وأمل المسلمون من هذه الزيارة كل خير كما أن العرب في شتى الأقطار ليعلقون على هذه الرحلة بعد الله أكبر آمالهم لخير بلادهم .

وفيهما في يوم الاثنين ١٥ ذي الحجة نبعت عين في جنوبي مدينة بريدة وكان ظهورها والحفر في ١٤٠٠ دراع وكانت قوة الماء باهرة ونفقة هذه البئر مساهمة من بين القائمين والمشاركين فيها وهم أهل المحلة لسقيا بيوتهم وقد ساعدهم على ذلك بعض الأجواد من خارج المقاطعة . والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . وتكلفت مصروفات هذه البئر وشبكاتها التي مدت إلى البيوت بتسعين ألفاً من الريالات كما أنها نبعت عين في واحة النخيل الجنوبية الغربية التي تتصل في موضع السباخ وكانت آية في قوتها وكثرة مياهها العذبة المتدفقة رغم أنها انفجرت من مبلغ ١٢٠٠ ذراع فلله الحمد على ذلك لا نحصي ثناء عليه .

وفيهما وقع حوادث مؤسفة منها أن الملك حسين بن طلال كان متوجهاً

من الأردن بطائرته الخاصة إلى سويسرا لقضاء ثلاثة أسابيع في أوروبا للاستجمام وقد توغلت طائرته قليلاً عرضاً في الأراضي السورية وهناك قامت بعض من طائرات الميج للجمهورية العربية المتحدة بالهجوم على طائرته مما اضطرها للعودة إلى الأردن. ولمّا أن وصل إلى عمان أذاع بياناً حاراً يستنكر منه هذه المحاولة التي فهم منها كثيراً أنّه سيتخذ إجراءات حاسمة لرد اعتباره واعتبار مملكته ثم دعى إلى البرلمان للاجتماع حالاً والنظر في هذا الموضوع الخطير. أمّا راديو القاهرة فقد أذاع مكذباً هذا النبأ زاعماً أن طائرات الجمهورية العربية المتحدة كانت تقصد فقط إبعاد طائرته من سمائها حيث ولجتها من غير استئذانها ولا ريب أنّ هذا النبأ يؤسف لصدوره بين ملوك العرب ورؤسائها.

وفيها عثر على أناس يقطعون السبيل ويأخذون أخاوة على الحجاج وغيرهم وكانوا يلبسون ثياباً رسمية فألقت الحكومة القبض عليهم وحوكموا ثم أعدموا وهكذا يصنع بمن فقد الإنسانية وعصى الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين.

ومن الأمور المؤسفة ذهاب رجال خدموا الدولة بإخلاص وصدق ورجال دين وعلم خسرتهم الدولة وخسرتهم البلاد في هذه السنة وأصبحوا هدفاً للموت مضافاً إلى ذلك استمرار الأذى والتقتيل والتشريد على أهل الجزائر الذين كانوا فريسة لمخالب فرنسا في هذه السنة والتي قبلها ولكن أهل الجزائر لا يزالون صامدين ولنصر الله منتظرين يدافعون عن النفس والأهل والوطن.

أمّا ما يتعلق بالإصلاح والعطف فقد سار الملك سعود لزيارة المقاطعة الشرقية في ربيع الثاني ولمّا أن وصل تفقد أهل تلك الجهة وأصدر عفواً شمل المسجونين بتلك المنطقة في قضايا الحقوق الشخصية والديات حيث

أمر جلالتة بدفع المبالغ المطالبين بها من حسابه الخاص وأطلق سراحهم ولمّا أن رجع إلى الرياض توافدت الجموع عليه وفي الساعة الثانية من صباح ٥/٢١ استقبل جلالتة كبار المهنيين يتقدمهم رجال الدين وعلى رأسهم مفتي الديار السعودية صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم وأخوه عبد اللطيف وكان الحديث بينه وبين الشيخ محمد حول الجولة الملكية وكان يفيض بجميع ملاحظاته القيمة وفيما لاحظ أنه رجال الدين بحاجة إلى المزيد من المرشدين وذكر أنّ كل شيء إلى زوال وما دما والحمد لله في نعمة جزيلة يجب علينا أن نشكر الله عليها وأن نحافظ على ديننا ونتمسك به لتدوم علينا . وبعد ما أديرت القهوة غادروا المكان فتلقاهم فوج آخر من الوافدين للسلام من بينهم وفد علماء الإحساء برئاسة فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم المبارك فتشرفوا بلقاء الملك وألقى الرئيس كلمة تضمنت التماس الفلاحين من أهالي الإحساء العفو عن القرض الملكي الذي منح لهم ١٣٧٤ فما كان من العاهل السعودي إلّا أن تفضل وأمر بإعفائهم من دفعه وقد شمل هذا العفو كل فلاح سبق أن اقترض في المملكة ويقدر هذا القرض بسبعة ملايين ريال وبعد ذلك تقدم عدد كبير من رجال القبائل للتشرف بالسلام على جلالتة ومن بينهم ماجد بن فهد أمير الشيتين وسجدي الهضل أمير الدعاجين ثم تلا هؤلاء جماهير الشعب الذين اصطفوا على جانبي الطريق يرحبون ويهتفون بحياته وقد رفع المزارعون برقيات الشكر له على هذه المنحة التي ساعدتهم على الزراعة وشجعتهم على المثابرة عليها .

سد وادي حنيفة

ففيها قامت وزارة الزراعة بإنشاء سد وادي حنيفة وتخزين مياه السيول ويقع السد في وادي حنيفة غرب الرياض بمسافة ١٢ كيلو تقريباً عند تقابل وادي وبير بوادي حنيفة وقد كان ذلك السد محكماً ويتكون من خرسانة عادية بمؤنة الأسمنت والبطحاء يعلوها ديش بمؤنة الأسمنت أيضاً ويعلوها

طبقة من الخرسانة المسلحة ويمتد الفرش أمام السد ٢٩,٥ متر ويمتد الفرش خلف السد ٤٣٠,٠٠ متراً والطول كله شاملاً أساس الفيض ٧٨ كما أنَّ العرض ١٥٦ متراً وأنها لخطوة تشكر عليها وزارة الزراعة تحت أمر صاحب الجلالة الملك سعود أيده الله .

نشاط الحركة الزراعية

قد أشرنا فيما تقدم إلى نشاط الزراعة ونتكلم الآن عنها فنقول: لما كانت الأمة تعيش من أربع مواد في الغذاء وهي اللبن واللحم والماء ونوابت الأرض وها قد توفر الماء وأنبعته القدرة الإلهية من أسفل أطباق الأرض حتى ملأ الصحاري وكثرت المستنقعات لذلك بادرت الأمة إلى استثمار هذه الثروة ولكن ويا للأسف أنَّ هذه المياه لم تجد من يستغلها فأصبحت ثروة ضائعة بين الأمة لا يوجد من يهتدي إلى تصريفها سبيلاً. ولَمَّا إن كان في صباح اليوم ٢٠ من ٤ في هذه السنة قام وكيل وزارة الزراعة المعروف بالشواء بجولة تفقدية لمنطقتي القصيم وحائل وقد رافقه فريد طه خبير الإرشاد الزراعي والمهندس الزراعي منير العجمي والمهندس الزراعي الشربيني وأنور زعلوك رئيس تحرير مجلة الزراعة، وما أن وصلوا إلى بريدة حتى اجتمعوا بأمير القصيم وأعيان البلاد ثم بمدير الوحدة الزراعية بالقصيم ثم توجه وكيل الوزارة لتفقد مزرعة الوزارة بالقصيم وكانت قد تأسست هذه المزرعة قبل هذه السنة بثلاث سنين غير أنَّها لا تزال متأخرة وتقع في أرض حكومية تجاوز مدينة بريدة من الجهة الغربية وتمتد شمالاً وجنوباً ويحدها من الغرب والشرق كثبان من الرمال وتدعى أرضها الموطا وللوزارة أهداف عديدة في إنشاء المزارع النموذجية في المملكة منها إجراء التجارب الزراعية العملية على أنواع الأشجار لمعرفة أجودها، ومنها إرشاد المزارعين ليأخذوا من ذلك درساً ومنها إجراء التجارب باستعمال الأدوية الزراعية المختلفة لمكافحة الأمراض والحشرات التي تصيب الزروع على اختلاف أنواعها إلى

غير ذلك وأن مساحة الأرض التي أمكن إصلاحها واستثمارها وريها بالمياه المذكورة حوالي عشرة أفدنة ٤٠٠٠٠ متر مربع زرعت فيها أنواع الخضار كالطماطم المعروف بالبندورة والباذنجان والفلفل والباميا والبطيخ الحبيب والخيار وغير ذلك. ولقد حفر فيها بئر إرتوازية أخرى في زاوية الأرض الشمالية الغربية لعمق ٢١٦٠ قدماً وتفجرت المياه ساخنة نوعاً وكبريتية ووزعت الزراعة من المساعدات نوعاً ما وقد تفقد الوكيل مزارع البدائع والرس والخبراء ورياض الخبراء والهلالية والدغمانية حيث مزارع آل الراشد التي حازت كثيراً من الإعجاب بحيث أنها أنتجت من الحبيب وحده ما مقداره ١٠٠,٠٠٠ ريال في هذه السنة. ولقد قام آل الراشد بالقصيم بمشاريع زراعية واهتموا بذلك واستطاعوا أن يثبتوا مادياً وعلمياً لمّا رأوا أن استثمار الأموال في الزراعة يحقق أكبر الفوائد والأرباح وقد خصصوا جهازاً كاملاً يتكون من ٨ حفارات لأعماق ٢٣٥٠ قدماً و٢ حفارة لأعماق ٥٠٠٠ قدم وتعمل هذه الحفارات العشر بين الخبراء إلى بريدة وثلاثين تراكتور للحراثة وإقامة العقوم و٤ حصادات كبيرة و٦ آلات تسوية وأراضيهم الزراعية في بريدة والبطين ولا تزال توسع تلك المعدات. إنَّ القصيم والحق يقال بلاد متفرقة واسعة الأرجاء مترامية الأطراف مجهولة القدر لم تعرها المواصلات في هذه السنة اهتماماً لكنها بعد ذلك لفتت النظر إليها لذلك شق في تلك الآونة على طريق سكان هذه المنطقة المواصلات لحيلولة الرمال بين بلدانها ولمّا أن كان في هذه السنة طلبت الأمة من الحكومة منع الاستقطاعات وأن لا تكون تلك الرياض في البطين غنيمة قوم دون قوم بعدما رأت إقبال الأعيان على الرياض المجاورة لبريدة ورغبوا في أن تكون رياض البطين تباع على الأقوياء وترصد قيمتها لإصلاح الطرق وتوسعة الشوارع وتعبيد الطرق وإحاطة المقابر فأسس مكتب لبيع أراضي البطين في هذه السنة وبيع بعض مما تبقى منها وشرعوا في إحاطة المقابر وتوسعة بعض الشوارع وتعبيد

الطرق والعقبات التي لا تسلكها السيارات إلا بنصب ومشقة وقامت سيارات البريد بين العاصمة والبلدان الأخرى من القصيم تتردد وتجيء وتذهب إلى الأسياح وعيون الجوى وعنيزة والبدائع والمذنب والرس والبكيرية والشحية والهلالية والنبهانية والقوعي والشماسية وروضة الربيعي ووثال والشقة والقرعا وغير ذلك كالمريديسية والقصيعة واللسيب وحويلان وفيحان أو السباخ وخضيراء وإنها لخطوة متقدمة ونهضة عالية أن تكون بلدان القصيم مرتبطة بعضها ببعض لجلب الأطعمة ونقل الخضروات والذهب والإياب سريعاً^(١) وإذا كان غويمض والطعميات والمتنيات ورياض البطين قد امتلئت بالحبوب من قمح وذرة ودخان وغير ذلك فإن حملها إلى العاصمة يشق على أهلها لصعوبة الطرق ومشقتها ولا سيما في أوقات الأمطار والسيول إذ البطيخ والقثاء واليقطين يكون هدفاً للخراب والتمزق ولقد حظي القصيم بميل الأسرة المالكة إليه وحفر آبار إرتوازية في الباطن والبطين وغيرها ولقد كان لسمو الأمير محمد بن سعود الكبير بئر إرتوازية في الباطن تسقي مزارع عظيمة هناك حيث تتدفق المياه العذبة يمنة ويسرة ولسمو الأمير متعب بئر هناك تقع في شرقي الباطن وتسقي زراعة عظيمة له هناك قد ضمت شيئاً عجيباً من البرسيم والحجرب وشيئاً كثيراً من الأشجار على اختلاف أنواعها كما أن لسمو الأمير مشعل آباراً في رياض القصيم مستقبلها زاهر كما قد احتفر الأمير فهد بن فيصل بن فرحان في البطين آباراً إرتوازية وقد رأيت بئراً إرتوازياً في روضة أم زهر في البطين للأمير محمد بن عبدالله بن بتال جاءت على أحسن ما يرام في المنتوجات حتى لقد حدثني المزارع فيها عن آيات عجيبة ظهرت في تلك الروضة من البطيخ والعنب والرمان والقثاء والطماطم والبادنجان والدباء وغير ذلك ونحن نشير لرحلة ساقها الأديب عثمان شوقي

(١) لقد قامت الحكومة أيدها الله بسفلتة الطرق عاماً بعد عام حتى سهل الله عز وجل للأمة المواصلات واتصلت مدن المملكة ببعضها بعض.

الصحفي في زيارته للقصيم بحيث امتدح المواطنين السعوديين وأنه لم يرَ مثل مالهم ونحلهم وأخلاقهم الكريمة وعواطفهم فقال في يوم السبت الموافق ٤/٤ يعني من هذه السنة ٧٨ تسنى لي أن أقوم في رحلة صحفية إلى بريدة رحلة خاصة إلى العين التي ظهرت فيها بعض البوادر التي تدل على أن في جوفها شيئاً من البترول أو ما يشبه البترول فامتطيت السيارة الخاصة إلى هناك لهذا الغرض فمكثنا يوماً وبعض يوم وقد كان بودنا أن نمكث أسبوعاً بعد أن رأينا بريدة وما تستحقه من طول الرحلة ولكن ظروفنا الخاصة حالت دون ذلك فعدت أدراجي إلى الرياض مسرعاً ولكن بعد أن جلت فيها بعض الشيء وأخذت عنها فكرة وصورة موجزة عن واقعها ولذا سنكتب عنها بقدر إلى أن تتاح لنا الفرصة مرة أخرى لزيارتها وزيارة أكبر جزء ممكن عن منطقة القصيم العظيم وقد رأيت الأستاذ عثمان شوقي وزارني وجلس معي وكان سوداني الأصل والوطن لكنه يفيض أدباً وبشاشة وعقلاً قال عن بريدة لما قدمها ورأى فيها ما يعجبه .

بريدة جنة فيحاء ولكنها مجهولة

ليست بريدة بحديثة العهد فيما نعتقد فإنها على أقل تقدير يرجع تاريخها إلى العهد القديم وإن لم يأت ذكرها في معجم البلدان والكتب التاريخية وربما جاءت هناك باسم آخر كما ذكرت بعض البلدان الأخرى القريبة منها . ويرجع بعض المطلعين على أن تاريخها يرجع إلى القرن العاشر ثم قال : تبلغ مساحة القصيم ٩٠٠٠٠ كيلومتر مربع كما يبلغ عدد سكانه برمته اليوم مليوناً بالتقريب أو يزيدون أو ينقصون قليلاً منهم مائة ألف يقطنون العاصمة بريدة التي كانت ولم تنزل منذ عهد مرموقة المكانة في عالم الاقتصاد والتجارة والصناعة في أسواق الحبوب وصناعة النحاس والأحذية وإنتاج التمور وبيع الإبل والأغنام . ولهذه المناسبة فإنني أذكر أن كثيراً من إخواننا السعوديين من أبناء القصيم ومنذ عهد طويل كانوا يزورون السودان زيارات

تجارية كثيرة لشراء الإبل من هناك وتصديره إلى المملكة بل يكادون أن يكونوا هم وحدهم من أبناء هذه البلاد الذين يزورون ذاك القطر العربي الشقيق المجهول من كثير من المواطنين على الرغم من الجيرة القريبة والقريبة جداً لهذه البلاد ولذا فلا بدع إذا كان كثير منهم يعلم شيئاً عن السودان على الرغم من جهل الآخرين له ثم ذكر اتصاله بالأمير سعود بن هذلول أمير منطقة القصيم وذكر من أخلاقه الأمر الذي جعله يؤمن كثيراً بأن شعب القصيم بأسره وأهل بريدة خاصة من ألمع نجوم شعب هذا البلد الكريم إلى أن قال: والماء في كل زمان ومكان من أهم العناصر التي تعني بها الحكومات والمسائل التي يهتم لها وبها حياة سائر الناس وقصة الماء في المملكة العربية السعودية من أكبر القصص التي تعني السلطات الحكومية والجماعات والأفراد خاص عنايتها فانشغلت بها الأذهان ولا زالت منشغلة بها في كثير من المدن والقرى. ومنذ عهد ليس بالبعيد قرر بعض الخبراء الذين استقدمتهم السلطات الحكومية أن ليس بأرض بريدة الماء الذي يكفي حاجتها أكثر مما كان عليه فخاب أمل أهلها وحزنوا كثيراً لهذه النتيجة وهم الذين يتطلعون إلى حياة أفضل وأوسع في مجال التطوير العمراني والزراعي. وما هي إلا أعوام قصيرة حتى انبثقت أرض بريدة وتفجرت منها المياه الغزيرة دافقة أدهشت الناس جميعاً وخاصة عندما يتذكرون تقرير أولئك الخبراء القاطع بأن ليس ببريدة الماء الكافي لسد حاجتها المطلوبة وعلى العكس من ذلك حدثني أحد أعيان بريدة البارزين في أن لديه تقريراً خطياً من أحد المهندسين الجيولوجيين البريطانيين اجتمع به منذ عشرة أعوام تقريباً يشير إلى أن بريدة تنهض على نهر جار من الماء تحت الأرض وقد صدق عزم هذا المهندس بل كان أقل من الحقيقة التي شاهدها بعيني وإني وإن لم أعرف شيئاً عن علم طبقات الأرض إلا أنني أكاد أجزم أن أرض بريدة تقوم على سطح إحدى المحيطات العذبة الحلوة هناك ببريدة لأن أكثر

من يأتي عين - أي بئر - كلها حلوة ذكرني بالنيل الذي لم أذق ماءه منذ ثمانية أعوام ونصف حتى عادني الحنين إلى السودان ومنابع النيل العظيم ومرتع الأهل والأحباب شاهدت تلك العيون والماء يندفع من مواسيرها من غير أي قوة دافعة مواسير كان كل قطر لها ستة بوصات والماء ينساب من فوهاتنا في قوة هائلة على امتداد الأرض يبلغ مداه الأدنى خمسة عشر متراً ومداه مرتفعاً إلى السماء إلى خمسة وثلاثين متراً ويقيني لو كانت هناك قوة دافعة كالكهرباء مثلاً لما فعلت واستطاعت أن تنقل مثل هذه الطبيعة الخارقة للعادة ولا أشك أبداً أن هذه القوة المائية الطبيعية إذا اجتمعت في صعيد واحد ولدت قوة كهربائية عظيمة يحسدها مشروع السد العالي المزمع بناؤه بمصر . ومن هذا الماء النмир ومن هذه العيون الدافقة قامت مزارع ومشاريع زراعية كبيرة ورياض وبساتين لم تحلم بها بريدة من قبل وسوف يأتي الحديث عن هذه المزارع ومن هذه العيون تسعة عيون فقط يشرب منها سكان بريدة خمسة منها حكومية وأربعة أهلية فلم يخل أي بيت هناك من ماسورة ماء وبثمن بخس جداً ٣٠ ريال فقط في السنة من العيون الأهلية ثم قال : وكانت هناك حوالى خمس عيون معدنية كبريتية كشفت عليها السلطات الحكومية الصحية وتأكدت من أنها كبريتية . وهنا تذكرت حلوان الحمامات بمصر وتذكرت حماماتها المعدنية التي يؤمها عدد كبير من المصابين ببعض الأمراض الجلدية للاستحمام فيها من أجل الشفاء . والحالة هذه فإن بريدة اليوم هي أعظم من حلوان مصر بعيونها الكبريتية هذه ولكنها لم تجد العناية بهذه الناحية والدعاية لها فقد تكون المدينة الأولى لا في الشرق فحسب بل المدينة الأولى في العالم الغنية بالمياه الكبريتية القاضية على الأمراض الجسدية . . . إلخ . هذا ما ذكره الصحفي عثمان شوقي السوداني ولا تظن أيها المنصف أن في كلامه مجازفة فهي المدينة المجهولة المحسودة وأراك إذا تجولت فيها ورأيت تلك الدوائر والمؤسسات والشركات والأمم من

الشام واليمن والهند والسند والفيليبين والكوريين والمصريين والعراقيين يطلبون الرزق فيها ويخدمون ويبنون تصدقني وأنها أصبحت الآن موضع الإعجاب. والله در الحافظ ابن القيم رحمه الله حيث يقول في بعض المناسبات والأمثال تضرب للناس:

فيا محنة الحسناء تهدي إلى امرئ ضرير وعنين من الوجد خاليا
فقل للعيون الرمد إياك أن تري سنا الشمس فاستغشي ظلام اللياليا
خفافيش أعشاها النهار بضوئه ولاءمها قطع من الليل باديا
وقال أبو الأسود الدؤلي الذي وضع علم النحو بأمر الإمام علي بن أبي طالب له رضي الله عنه من قصيدة عظيمة:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم
وترى اللبيب محسداً لم يحترم شتم الرجال وعرضه مشتموم
وكذلك كل من عظمت عليه نعمة حساده سيف عليه صروم
ومن تأمل قصائد الشاعر العوني ولا سيما الخلوج فإنه يتبين له عظمة المدينة وقد قدمنا في دياجة التاريخ شيئاً من ذكرها وتطورها.

رجعنا إلى ما نحن في صدده.

وفيها عين عبد المحسن الحمد التويجري مديراً لفرع الزراعة في القصيم بدلاً عن عبد المحسن بن محمد بن سيف نظراً إلى ما لعل العناية في الزراعة تتحسن بمنطقة القصيم.

وفيها أعيد فتح المدرسة العسكرية في بريدة وافتتح باب القبول للطلاب حتى في السنة الخامسة الدراسية والسادسة وللطلاب مكافأة مقدارها مائة ريال مع الإعاشة والملابس في القسم الابتدائي ومائتا ريال عدا الإعاشة والملبس للقسم المتوسط وكان رئيس المدرسة الأستاذ حسن مستور من أهالي مقاطعة عسير وفيه مؤهلات وقد اتسم بالأخلاق الفاضلة رأيته لما

زرت المدرسة وفي صحبتي الشيخ علي بن سليمان الضالع وأحد المشائخ ممتطين سيارتي الهيئة والمحكمة للوعظ والإرشاد والتوجيه فكان مستوى طلبة المدرسة العسكرية حسناً في الأدب والتقدير لما صفهم على الكراسي وجلسوا منصتين وشاكرين، فعجبت لأدبهم ونجابتهم ولا ريب أن الفضل للمربي والمشرف على أعمال المدرسة كما أننا إذ ذاك نذهب إلى المستشفى المركزي للاجتماع بالأطباء والممرضين والمراقبين والبوابين بتكليف من المحكمة الشرعية للتوجيه الديني والوعظ والإرشاد وقد وافقنا قبولاً وامثالاً وذلك للخضوع لهذه المواد الثلاث المحافظة على الصلاة في الجماعة في مسجد المستشفى وعدم دخول النساء في المستشفى إلاً بذوي محرم وعدم شرب الدخان جهرة، وجزى الله حكومتنا خيراً في كمال المساعدة والتنفيذ.

هذا ولا تزال الأمة في سبيل النشاط والنهضة المدنية الثقافية وقد دبت الحياة في الشعب السعودي وأقبل الأفراد يلتمسون الأعمال الهندسية من تلحيم في الأوكسجين وتصليح السيارات والمكائن وتصريف الحديد والقيام بالأعمال المهمة من النجارة الحديثة والصناعة وفتحت المعامل الحرة لصناعة الشبابيك والأبواب والديكور وأصبحت المدن والقرى تطالب وزارة الصحة ووزارة المعارف ووزارة الزراعة ووزارة المواصلات بحقوقها.

وحج بالناس في هذه السنة الملك سعود.

استدراك:

ذكرنا عودة طاهر الدباغ ومحمد عبدالله صادق وعبد الرؤوف الصبان وكيف نالوا العفو والثقة من جلالة الملك عبد العزيز فقد عاد أيضاً في تلك السنة المتقدمة كل من محمد الطويل رئيس الحزب الوطني الحجازي فشملة جلالة الملك بعطفه وأكرم مثواه وعينه ناظراً لعموم جمارك الإحصاء وأقطعه أراضى زراعية واسعة وعاد أيضاً عبد الوهاب قزاز وعبد القادر غزاوي من

سجناء الطائف فشملمها الملك برعايته وعين عبد القادر رئيساً لنقابة السيارات ثم عضواً في مجلس الشورى كما أن عبد الرؤوف الصبان نال من جلال الملك كل عطف وتقدير وعينه عضواً في مجلس الشورى وكان لما قال صاحب الجلالة لطاهر الدباغ ومحمد عبدالله صادق: عفوت عنكم عن الماضي وإنني أريد منكم أن تعاهدوني على الإخلاص للدين والوطن، وأما شخصي فدعوه جانباً أجابه إننا نعاهدكم على الإخلاص لجلالتكم قبل كل شيء لأن الإخلاص لكم هو إخلاص للدين والوطن فسر بذلك جلالته ولا غرو أن تكون أعتاب الملك وأهل بيته مهوى أفئدة المؤمنين ومحط آمال طلاب المنعة من الموحدين كما ذكر هذه العبارة طاهر الدباغ في خطبته.

بيان عن حج الماضي والحاضر

إن الله تعالى سهل الحج في آخر الأمر بل أن الله تعالى سهل السفر ويسر طريقه وأنا أتكلم عن حاجتنا للفرض عام ١٣٥٢هـ ذلك بأننا لما أن عزمنا على الحج في تلك السنة أخذنا في الاستعداد منذ ٨ / ١١ إلى أن امتطينا الإبل في ١٥ / ١١ ثمانية أيام ونحن نعد العدة بخرز القرب وإصلاح الهوادج وكسيها بالسائر وإصلاح ما ينبغي حمله للمسافر من زاد ومزود وحبال ودلاء وخيام ورحل وإبل وغير ذلك ولا تزال الأمة منشغلة في السفر تسهر ليلها وتستعد في الهاون ومدقته وأواني الطعام والقهوة من أباريق ودلال حتى ظهر اليوم المذكور فسرنا والرفقة جميعهم أحد عشر نسمة أمّا رفقة السابلة الآخرين الذين يجمعنا وإياهم الطريق فمجموعهم سبعة عشر مؤلفين من خمس خبر ولما أن سرنا على بركة الله شيعنا بعض الأحباب إلى جهة الغرب مولين وجوهنا شطر الكعبة نزلنا في موضع يعرف بالمدوية ولما أن أقمنا في ذلك القاع آخر اليوم بتنا فيه وكنت أذكر أن بعض الرفقة نسي بعض الحاجيات فرجع أحدهم إلى المدينة ليأتي بها وبعد ما بتنا في ذلك الموضع سرنا من الغد حتى انتهينا مساءً إلى قرية البدائع فنزلنا حواليتها ونحن

مطمئنون بوجود الماء وشراء علف للإبل التي كانت تحملنا إذ لا يشق في الأسفار كقلة الماء فهو الذي قد تجري المنازعات في تحصيله وربما حصل من بعض الأعراب أذى لدى الآبار ومصانع طريق مكة وقد كانت السابلة من الحجاج كذلك يسيرون وتختلف الأمة باليسر والعسر والركوب والمشى كل على حسب مقدرته. فمن الخلائق من يكون راكباً على الكور ورحله خرج مزركش ومزين بذبذب وميركة وخطام جميل ومنهم من هو أقل من ذلك حتى قد يكون الفقير يسير إلى مكة راجلاً فلا يحصل على الركوب بل يسير مع الأمة راجلاً. وقد نبه الله على ذلك بقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ١٧﴾ ومثلاً من يحتطب ومثلاً من يستقي الماء وآخرون يصلحون الطعام والقهوة ويحزمون العرى ويعلقون على الإبل. ولما أن كان في غداة ١٦ سرنا متوجهين إلى وجهتنا كان الحجاج هناك تسمع منهم إذا مشوا صياحاً وقطعوا مسافة ثلاث ساعات أو أقل أو أكثر ينادون ضحوا يرددون هذه الكلمة فينزلون إلى الأرض والمطايا واقفة على ظهورها الحمول ويتناولون ما تيسر من القهوة وشيئاً من الأكل القليل ثم يواصلون السير. فوصلنا إلى الحجناوي وهذه ثالث مرحلة فنزلنا هناك حوالى مزرعة، هذا والحجاج في أتم أهبة لتكبد المشاق. وقد وافق هذا الوقت من الفصول آخر الشتاء وشدة البرد في أوائل برج الحوت، ثم سرنا من ذلك الموضع إلى شعيب الأرتاوي بعدما مررنا بالقشيعين وعبيل المرو، ثم سرنا من ذلك الموضع حتى جزنا بجبل كير والمرة فوصلنا إلى الشبيكية وكانت هجرة ضعيفة لما قدمنا إليها كانت إبل السانية هزيلة فأبدلها بإبل أخرى وذلك كمساعدة ليشرب الناس وإبلهم ونجتاز في تلك الطريق باللعاة وطفخة وضرية وكانت هجرة للبادية ويوجد فيها إذ ذاك شيء قليل من بيع الأغراض في دكان أو دكانتين فتجد الحجاج إذا مروا بها يتغنمون تفقد زادهم ليأخذوا زيادة أو يؤدعوا عند المطوع فيها ما كان مثقلاً

لهم فيأخذوه في الرجعة لأنّها آخر موضع يوجد فيه جلب الطعام والشراب لأنّ ما بينها وبين مكة المكرمة إذ ذاك صحارى لا يوجد فيها شيء من الموجودات وهناك نمر بعريق الدسم وهو عبارة عن كشب من الرمال ثم الغثمة . أمّا الشعب فإنّها آبار بعيدة القعر بين جبال حجارتها سود ثم إذا سرنا فإنّا نمر بالخال ثم الدفينة وكانت إذ ذاك آباراً لا قاطن فيها . وها قد مرّ علينا عشرة أيام من حين خروجنا من بريدة وبعدها قباء وكانت آباراً في قطع من الصحاري يمتاز ماؤها بكثرة ، وإذا تجاوزناها فإنّا نصعد مع الحرة وكانت طريقاً ضيقاً صعب المرتقى قد يصعد في جزء منها بدرج . وإذا ما وصلها الحجاج فإنّهم يعانون منها شدة ومشقة فإنّها بحجارتها العظمية تكاد أن تحطم قوائم الإبل وكم قد هلك فيها من جمل وحفيت منها من مطية وسقط من راكب وخاف من شجاع فإذا ما جاوزها الناس فإنّهم يقفون يستريحون كأنما خرجوا من بحر لجي وبما أنّ هذه الحرة هي مجمع الطرق إلى مكة فإنّ الحجاج يأخذون في حفر الوسوم في روضة هناك ليعلم من يمر من أقربائهم بأنّهم حجوا حتى يطلبوهم في مكة المكرمة ويرى آثار تنقية للطريق نوعاً ما قد قامت بها زبيدة زوج أمير المؤمنين هارون الرشيد وآثار جوابي من أعمالها أيضاً وآثار أعلام قد امتدت من العراق إلى ذلك الموضع يسميها المسافرون المنقى وهذه الآثار موجودة حوالي الوجه أيضاً ومركز بدى التي خلف مدائن صالح إلى جهة الشمال وتدل رؤيتها على عظم أسباب قامت بها زبيدة ثم انتهت بإجراء العين المنسوبة إليها لسقيا أهل مكة فندعو لها بالغفران ونترحم عليها . وهكذا نسير مع المنقى إلى موضع يسمى أم الصلابيخ ثم إلى مران المشهور بكثرة مياهه الغزيرة وفيه أشجار نخيل تنبت الدوم بكثرة . وفي سبيل الله ما يلاقي الحاج من الكلفة والمشقة تارة راكباً على الكور ويمل الركوب لطول السفر وربما انزعجت الراحلة فسارت على غير نظام حتى يخشى الراكب من السقوط على الأرض وهذا إذا ما

درهمت الراحلة ففي الصعود تسير ببطء وفي النزول تسير سيراً همجياً وتارة يمشي المسافر فيتعب جسمه وتتقرح قدماه من نسف الحجارة وصدمها وتتعرض للشوك والأذى ولا يضيع لدى الله عمل عامل. كيف وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام لعائشة في أمر الحج: «إنَّ لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك». وهذه عادة الله التي أجراها في الحج قبل وجود السيارات وقد وافق لذلك جذب وقحط ويبست الأشجار فغالب زاد الإبل من قوت الحجاج الذي تحمله على ظهورها ومن مورد مران يستعد الحجاج لركبه ويأخذون أهبة من الماء لاستقبال ركبة التي لا يوجد فيها ماء إذ هي فلات من الأرض وقد تكون مرحلتين فإذا بدت جبال ذات عرق - الظريبة -.

فقد تمَّ للمسافر ستة عشر يوماً. وإن ركبة لمرتفعة جداً كان الأمة من مبتدأ السير يصعدون وقد ذكر بعض الجغرافيين أنَّها أعلى بقعة في الأرض ثم نأخذ في النزول إلى الميقات ذات عرق المذكورة وهي التي وقتها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل العراق فإذا ما أحرم المسلمون منها كما قال العراقي في قصيدته:

ونادى مناد للحجيج ليرحموا فلم يبق إلا من أجاب ولباه
وجردت القمصان والكل أحرما ولا لبس لا طيب جميعاً هجرناه

فمن الميقات نسير إلى عين الليمون أو المضيق وهناك عقبة يجتازها ثم إلى البرود وإلى العدل ثم نصل مكة المشرفة فعشرون يوماً والحاج في شد ورحيل. أمَّا ما كان عن ركبة فهي أرض مستوية واسعة جداً وخالية من الجبال لا ترى فيها إلا شجر الطلح والسلم وفيها نوع من الشجر المذموم في القرآن وهو الضريع وشجر العشر والله الحكمة في جعل مكة من بين تلك الجبال والمضايق ولو شاء لكانت في ذلك المتسع. ولكن الحكمة قضت أن لا يكون الحج في موضع زراعة وموضع رفاهية بل موضع عبادة وزهادة بحيث يكون من قضى نسكه فإنَّه لا يقيم بل يرحل ويترك الموضع

للآخرين . وكان عدد الحجاج قليلاً بحيث لا يتجاوز ثلاثمائة ألف من سائر المعمورة وبذلك يتمكن الحاج من تقبيل الحجر الأسود ومسح الركن اليماني ، وأن الحج إذ ذاك لترق فيه القلوب وتذرف العيون ويوجد هناك تحنف وطمأنينة وذلة بين يدي الله عز وجل . وإذا كان آخر يوم عرفة في الوقوف أمام جبل الرحمة فإنك ترى عشرات الألوف من المطايا مشاهدة للجبل تحمل الحجاج الخاشعين فوق ظهورها . أمّا في هذه الأزمان فقد يعزم الإنسان على الحج صباحاً فما يكون من شأنه في الليلة المقبلة إلا وقد وصل إلى مكة المكرمة ولا أعبر عن الطائرات التي تقطع المسافة في ساعتين من الوقت .

هذه نبذة عن حجتنا في هذه السنة فقد التفّ حولي من الرفقة أربعون رجلاً للحج فاستأجرنا سيارة من ذوات النقل تصميم الشام من صاحبها سليمان الحبيب وكان أديباً عاقلاً صموتاً فكانت أجرة الراكب إلى مكة المشرفة خمسة عشر ريالاً ما عدا التندة فقد أخذتها بـ ٤٥ ريالاً . وكان من الرفقة الأخ عبد الكريم بن عبد الرحمن الفداء وابن حماد أمير ضيده ومحمد بن سليمان بن بليهد ومحمد بن عامر وسليمان بن إبراهيم بن شريدة وعبدالله بن إبراهيم الدوسري في أناس آخرين . فسرنا في آخر نهار يوم الخميس الموافق ١٢/٥ وكان عزمنا للحج ضحى ذلك اليوم فكان من الرفقة الذين فاتني ذكرهم من يحمل زاده خبزاً قد هياه أهله ومنهم شببة يحملون زمزمية شاي وشيئاً من البسكوت . فجاء أحد الرفقة وهو الرجل المثقف عبد العزيز بن سليمان بن سلامة يشتكي من الشببة أنهم يدخنون ولا يحافظون على الصلوات مع الجماعة فبحسن توجيه ووعظ انقادوا وتركوا الدخان وأصبحوا كأحسن الرفقة جزاهم الله خيراً فكانوا يسابقون إلى أن يكونوا خلف الإمام . فبتنا ليلة الجمعة في الماء المعروف بالأشعرية وفي الصبح جزنا نشق البيد حتى بلغنا قرية عفيف وسط النهار فصلينا بها الظهر

والعصر جمع تقديم ولمّا أن كان في الساعة التاسعة غروبي سرنا حتى بلغنا الدفينة الموضع المعروف وقت الغروب ومنها إلى المويه حتى أَلجأنا المبيت إلى ركة . ولمّا أن صبحنا في ذلك الموضع سرنا بعدما تناولنا ما تيسر من قهوة البن والشاي وما يضاف إليها من وجبة الإفطار في سَكينة وهدوء سرنا متوجهين إلى الميقات السيل الكبير حيث نمر بعشيرة ذات الطلح الحسن الكثير ونزلنا مع الربيع وكان ذلك قبل تعبيد الخط وسفلتته فلبثنا في الميقات أربع ساعات من وسط النهار ثم أحرم الحجاج وسرنا تقبل الله من الجميع فنزلنا في مكة المشرفة في محلة جرول ليطوف الحجاج ويسعوا ويكملوا العمرة . ثم سرنا إلى الأبطح وكان صاحب السيارة قد تعاقد مع إحدى العائلات للذهاب إلى منى وعرفات فنزلنا آسفين واستأجرنا سيارة لرجل سوداني اسمه محمد بن عثمان وله رفيق يدعى محمد خير الله يساعده وكنت لم أر مثل الرجلين في صلاحهما وشيئتهما فكنا في حشمة وراحة . ووافق أن نزلنا في منى بجوار سمو الأمير مشعل بن عبد العزيز فأكرم مثنوانا وقدم لنا خيمة فاخرة كبيرة جلسنا فيها وقام خدمه بإكرامنا أنّه كان لدينا خيام لكنه رأى أن يتحفنا بها جزاه الله خيراً . وبعد نزولنا من عرفات ومزدلفة رأينا دعوته إلى مجلسنا وتشريفنا فأجاب مشكوراً وطلب مني أن أصلي به وبرفقته كجملته رفقتنا حيث خصص للصلاة سرادق في الوسط . وبعد انقضاء الحج سلمنا تلك الخيمة شاكرين وتمت مناسك الحج من وقوف ورمي وحلق ونحر وطواف وسعي . وبعد انقضاء الحج سرنا إلى المدينة المنورة ورجعنا بخير والله الحمد بحيث لم تستكمل أيام الحج والزيارة سوى أقل من اثني عشر يوماً وإذا أردنا أن نقارن بين حج الماضي والحاضر فإننا نجد بونا بعيداً ومما يجمل بنا ذكره توفر الأمن والراحة في مكة والمدينة وسائر الطرق وهناك قد سفلت الطريق بين مكة وجدة وبين جدة والمدينة وهناك قهاو أعدت في الطريق ليستريح الحجاج والمسافرون فيها وكانت أجرة الركوب

للحج وإلى المدينة ذهاباً وإياباً خمسة وأربعين ريالاً غير أننا في الوقت الحاضر نكابد المشقة في مكة وشعابها من كثرة الحجاج الذين يقدمون من مشارق الأرض ومغاربها فكان الحاج لا يصل إلى الحجر الأسود للتقبيل أو الاستلام إلاً بكلفة ومشقة. أمّا رمي الجمار ولا سيما يوم العيد عند جمرة العقبة فحدث عن المشقة ولا حرج. وإذا كان عدد الحجاج فيما مضى لا يتجاوزون ثلثمائة ألف فكيف به إذا تجاوز سبعمائة ألف في هذه السنة ولا يزال العدد في زيادة والله ولي التوفيق.

ثم دخلت سنة ١٣٧٩ هـ استهلت هذه السنة والعالم على العموم يتقلب في مشاكل جمّة. فهذه الجزائر تصلّيها فرنسا نيرانها المتوالية والأهالي ثابتون في جهادهم وديارهم رغم ما يصب عليهم من القنابل المدمرة وما تعاملهم به هذه الدولة الخاسرة من المعاملة القاسية وإنّي لأعجب لمجلس الأمن الذي كان تأسيسه لإزالة المشاكل كيف لم تحظ الجزائر المظلومة منه بلفتة نظر وما كان باستطاعة العرب في مددهم إلاً بالتبرعات المالية ومن ملوك العرب من قطع علاقاته السياسية مع فرنسا.

هذا ولا تزال مشكلة فلسطين تتطور وأهلها يقاسون أنواع الأذى من اليهود وأصبحوا ما بين شريد وسجين، كما أنّ مشكلة البريمي السعودي لا تزال في تعقيد ولم توفق لحل صريح. أمّا ما كان من أمريكا وروسيا فلا تزال هاتان الدولتان في اختلاف عنيف - أنّ روسيا وإن كانت تظهر في مظهر الغالب المتعاضم فإنّها لا تريد الحرب الشاملة التي قد تفقدها ما كسبته من توسع وازدياد إلى اليوم بل تنادي بالسلم لأحبابه. وهذا هو الذي جعل زعيم الكرملين يكون هو البادئ في زيارة إيزنهاور. أمّا أمريكا التي خرجت من عزلتها واشتبكت مصالحها بمصالح العالم كله فهي تنظر إلى التوسع الروسي على أنّه ابتلع أسواقاً عظيمة وحصل على موارد لا تنضب في آسيا وأوروبا وحرّمها من موارد الصين وإمكانياتها. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ

أعمال روسيا أصبحت خطراً على مصالح أمريكا وتلاحقها وتهدها في كل مكان . أمّا بريطانيا وفرنسا فقد وقعتا بالنتيجة بين توسعين أحدهما روسي والثاني أمريكي ، وبكل حال فإنّ أمريكا مع عظمتها لا تستطيع مهاجمة روسيا واستئصال النظام الشيوعي كما استئصلت النازية من ألمانيا وذلك لتفوق الاتحاد السوفياتي بالعنصر البشري وتوزيع قواته توزيعاً طبيعياً متماسكاً من الداخل باتجاه أوروبا والشرق الأوسط والأقصى وكذلك أيضاً خوف الشعب الأمريكي من احتمال ضرب المدن الكبرى ومراكز الصناعة الهامة المحتشدة على الساحل الشرقي للولايات المتحدة بالقنابل الذرية والصواريخ الموجهة وذلك لعدم تكامل الأسباب السياسية والعسكرية لدى أمريكا التي تستطيع بها أن تفصل الصين الشعبية ودول شرقي أوروبا عن روسيا فلذلك خافت كلتا الدولتين من حرب طاحنة سلاحها الصواريخ والقنابل الهيدروجينية التي تكاد أن تقضي على غالب سكان المعمورة فبذلك يتعين إيراد قول الشاعر :

ولا بدّ من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع
وفي هذه السنة يقسم خروتشوف زعيم روسيا فيقول : أقسم بإله أمريكا ويقول : إنّ كان لها إله أنّها لحكيمة وذلك لما رأى ضبطها النفس وحكمتها في تجنب العنف الذي بدأ من روسيا والذي نتيجته يوم شره مستطير .

وفي هذه السنة في أوائل جمادى الآخرة تمّ عقد اتفاقية اقتصادية بين الولايات المتحدة وبين حكومة ألمانيا الغربية على ٥٠ ألف طن من البترول تصدرها أمريكا إلى ألمانيا .

وفيها في ١٢ من هذا الشهر قامت جمعية عمومية بعقد شركة الغاز الأهلية بالدمام وقد طلب بعض من الأعضاء المساهمين إدماج هذه الشركة في شركة الغاز والتصنيع السعودية المحدودة بالرياض فوافقت الجمعية العمومية على ذلك .

شركة كهرباء بريدة وضواحيها

تأسست هذه الشركة من قبل آل راشد الأثرياء وقد فتح باب الاكتتاب بعد أن تمت الإجراءات من قبل الحكومة السعودية ولما أن كان في مفتتح هذا العام قدم ثلاثة مهندسين للقيام بمسح البلد ووضع خريطة لها ولشوارعها والضواحي التي بالقرب منها ومدى احتياطاتها من الطاقة الكهربائية، فاستمر أولئك المهندسون يدرسون الموضوع أربعين يوماً وبعد ذلك سافروا إلى هولندا لأنَّ الشركة الهندسية كانت هولندية تدعى شركة إتيم وهناك وضعوا مواصفات المشروع بعد الدراسات الضافية التي أجروها في بريدة بتاريخ ٢٨ محرم من هذه السنة، ولمَّا درست الشركة الاستشارية جميع العروض أوصت بالاتفاق مع الشركة الهولندية لصناعة الكهرباء التي قدمت أنسب وأفضل عطاء وتمَّ ذلك في ٨/١٢/ ١٣٧٩ هـ. ولا تزال هذه الشركة تولي هذه المهمة اهتماماً. وقد اتخذ لذلك أرض واسعة في الجهة الشرقية من بريدة وفي مكان مناسب لتقام عليها منشآت الشركة وذلك بجعل ثلاث فلل كبيرة لسكنى المهندسين. كما تمَّ حفر بئر إرتوازية بالأرض المذكورة لإمداد المساكن والمنشآت بالمياه العذبة الغزيرة وسورت الأرض جميعها بالحجر والأسمنت وامتدَّ العمل من مضي أربعة أشهر من السنة التي قبل هذه ولا تزال الأيدي تشتغل في تكميلها في طرف ثلاث سنين. وسيأتي لذلك بقية إن شاء الله تعالى.

وفي ربيع الثاني افتتحت المدرسة الصناعية ببريدة وبدأت تستقبل أفواج الطلاب الذين هرعوا جماعات للالتحاق بها. غير أنَّ وزارة المعارف حددت العدد إلى ٤٥ طالباً بينما تقدم من العدد ما يبلغ مائة طالب. وقد افتتح عدة مدارس صناعية بالمملكة السعودية وشوهد نشاط وتقدم في العمل.

هذا ولا يزال تدفق المياه العذبة في مقاطعة القصيم من الآبار الإرتوازية.

ومما يجدر ذكره انفجار عين إرتوازية في قرية الشقة المعروفة شمالي بريدة بسعي رجل مواطن من أهل الخير تبرع بنفقتها وجعلها وقفاً على المسلمين جزاه الله خيراً. ولقد انتفع أهالي تلك الجهات بها بعد ما كانوا محرومين من المياه العذبة.

وفيها افتتح مستشفى مدينة عنيزة وذلك في ٢٩ من ربيع الثاني. وقد وافق افتتاحه تشجيعاً من الأهالي وتعاوناً وقبولاً وذلك لما قام به أهالي عنيزة من التكاثر والتعاقد والتساند والبشاشة ودماثة الأخلاق وإظهار الحسن، وقديماً ما قيل:

إنَّ المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
وفيها في ٢٤/٤ الموافق ليوم الإثنين فرغ من عمارة المسجد الجامع في بريدة فجاء آية في الحسن والجمال وقوة التركيب وكان له منظر جميل وكانت عمارته قد امتدت في سنتين ويعتبر حسنة خالدة في ميزان صاحب الجلالة الملك سعود... ولمّا أن فرغ من عمارته أضيء بالكهرباء وجعل فيه ميكرفون مكبر الصوت لسماع الخطب والتكبير. كما أقيم في شرقيه الشمالي منارة بديعة في الحسن والقوة وفرش وجعل له موظفون يقومون بتنظيفه وتهئية الفرش وتعاهدا والقيام بدورة المياه وبما يتطلبه الوضع. فجزى الله المحسنين خيراً. وقد أقيم في أسفل المسجد دكاكين كثيرة تستغل ويصرف محصولها على مصالح المسجد. وكان ذلك عن إشراف الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد. وقد قدمنا شيئاً من ذكر هذه العمارة وقدرها.

زيارة ملك الحبشة

ففي يوم السبت الموافق ١٠ رجب قدم إلى الرياض ضيف زائر هو الإمبراطور هिला سيلاسي إمبراطور الحبشة في زيارة رسمية وقد احتفلت به المملكة العربية السعودية بصفته العاهل الوطني المكافح وكانت ولادته في

هرر ٢٣ يوليو ١٨٩٢م وأعلن إمبراطوراً في عام ١٩٣٠م وتخلف بعد ذلك فترات غادر فيها أديس أبابا بعد غزو إيطاليا للحبشة ١٩٣٥م، ثم أعيد تنصيبه في أديس أبابا عام ١٩٤١م. وقد حصل على عدد ضخم من الأوسمة والنياشين من دول كثيرة وعليه مآخذ سنذكرها في سنة وفاته.

هذا ولا تزال العمارة مستمرة في الحرم الشريف فقد قامت الحكومة السعودية في عمارة المسجد الحرام كما قدمنا وكانت هذه العمارة تبين من خلال العمل أنها أعظم عمارة كانت للمسجد منذ خلق الله الدنيا. وكان العمال الذين يكدحون في العمل ثلاثة آلاف عامل وخمسمائة مهندس فني وهدم لذلك بيوت كثيرة ودكاكين غير قليلة وستصبح مساحة المطاف ١٠٠٠٠ متر مربع ويكون عرض المسعى عشرين متراً.

وفيها قدم الملك محمد الخامس ملك المغرب إلى مدينة الرياض عاصمة المملكة بدعوة رسمية لزيارة المملكة وذلك في ٢٠ رجب الموافق ليوم الثلاثاء. فهبت الرياض تحيي هذا القادم الكريم، وكان على رأس المستقبلين صاحب الجلالة الملك. ولمّا قضى يومين في الرياض سار إلى أم القرى ليعتمر ويطوف بالبيت. وإن هذا الملك محمداً ليمتدح بكونه أرغم الاستعمار على أن يحني له الرأس وأن يحمل عصاه ويرحل.

ذكر زيارة الملك سعود للقصيم في هذه السنة

ففي ٢٥/٤ الموافق للثلاثاء قدم الملك سعود إلى مدينة بريدة. فهبّ أهالي القصيم واستقبل استقبالاً فخماً وخرجت الأمة عن بكرة أبيها للاستقبال. وبعدما زار الهيئات الرسمية وتناول إكراميات الأهالي وفرق النقود، لبث بها حتى صلّى بالناس صلاة الجمعة في الجامع الكبير، ثم سار إلى عنيزة ثم إلى الرس والبكيرية والهلالية. ثم رجع يوم الإثنين ٥/١ إلى بريدة فلبث بها آخر ذلك اليوم، ثم سار بالطائرات إلى مدينة حائل ثم إلى

شقرء، ثم سار في يوم الخميس والساعة في العاشرة تزيد ٣٠ دقيقة إلى الرياض فقدمها بعد العصر. وكان لما أن نزلت ست طائرات في صحن مطار بريدة القريب على مسافة ثلاثة كيلومترات في الجهة الشرقية الشمالية من مدينة بريدة وهو مطارها الفسيح القريب الجميل، كان بوجود ثمانين ألفاً من المستقبلين فيه وما يزيد على خمسة آلاف سيارة وما بين ذلك من الخيام والسرادق والكراسي وما إلى ذلك لم يضق على الطائرات بالنزول والصعود. ثم أنه نقل المطار عن مكانه لقربه من البلد إلى جهة المليداء ليكون عالمياً بين مدن القصيم وكان مسافة ما بينه وبين المدن تتراوح ما بين عشرين كيلو فما فوق.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها تكالبت الثعالب والكلاب وأصابها السعار فكانت تصول على من أمامها من نوع الإنسان والحيوان والبهائم، وأحدث ذلك نوعاً من الأذى. وقد ينهش الثعلب ستة أشخاص في لحظة، وإذا لم يجد حيواناً فإنه يعض على أصل شجرة أو شيئاً من الإجمام ثم يهلك الثعلب. أمّا عن المصاب فإذا لم يعالج فإنه بعد مضي أربعين يوماً يهلك وقد استمرت الحالة كذلك آخر هذه السنة وستة أشهر من السنة التي بعدها. ولا ريب أن هذا من عقوبات الله التي يعاقب الله بها خلقه. وذكر العلماء العارفون أن هذا السعار داء يصيب الكلاب والثعالب وتقول العرب: عضه المقلوث لأنهم يسمون الكلب المصاب أو الثعلب المقلوث وتقول العرب: كلب كلب. ولما اشتكى الأنصار إلى رسول الله ﷺ جملهم الذي كانوا يسيرون عليه ويسقون وقالوا: إنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل. فقال لأصحابه: «قوموا بنا إليه فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته فمشى النبي ﷺ نحوه فقالت الأنصار: يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلب الكلب وإننا نخاف عليك صولته، فقال: ليس عليّ منه بأس فلما نظر الجمل إلى

الرسول أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه فأخذ بناصرته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل». وفي الحديث عنه ﷺ إنه قال: «سيخرج من أمتي قوم تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» وهذا العارض يصيب الكلاب كالجنون وهو مرض سوداني علامته أن تحمر عيناه وتسترخي أذناه ويندلع لسانه ويكثر لعبه وسيلان أنفه كأنه سكران ويطأطئ رأسه ويتحدب ظهره ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه فإذا عقر إنساناً عرض له أمراض رديئة ويمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشاً وإذا استحكمت هذه العلة فقعد للبول خرج منه على هيئة الكلاب الصغار ويرى وجهه في المرأة صورة كلب وربما إذا تمَّ له أربعون يوماً يطلب الماء فإذا شرب نبج ومات. وكانت الأعراب يتعالجون لذلك بدم البرزاني وهم طائفة من الأعراب يزعمون أنَّ دم أحد هذه القبيلة علاج لعضة الكلب الكلب. وقد طالبت الأمة بإبادة تلك الفئة المسعورة وإيجاد علاج لهذه الكارثة.

وفيها كسدت الأراضي وأصبح الذين يتاجرون في المساهمات وكانت رأس ماليهم بتدهور شديد جداً ونقص كبير وأرادت الجهات المسؤولة أن تسعى لتحسين الموضوع فلم توفق المسألة لحل. والله على كل شيء قدير. وهذا في الرياض وعم ذلك لجميع الذين ساهموا.

وفيها ولدت امرأة من أهل مطرية بالجمهورية العربية المتحدة أربع بنات توائم واسمها مبروكة كانت دعت الله أن يهبها بنتاً فاستجاب الله دعاءها ووهب لها أربع توائم والله على كل شيء قدير.

وفيها عازمت الحكومة على فتح مدارس للبنات وصدر الأمر الملكي بما نصه - الحمد لله وحده وبعد فقد صحت عزميتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية من

قرآن وعقائد وفقه وغير ذلك من العلوم التي تتمشى مع عقائدنا الدينية كإدارة المنزل وتربية الأولاد وتأديبهم مما لا يخشى منه عاجلاً أو آجلاً أي تغيير على معتقداتنا لتكون هذه المدارس في منأى عن كل شبهة عن المؤثرات التي تؤثر على النشء في أخلاقهم وصحة عقيدتهم وتقاليدهم وقد أمرنا بتشكيل هيئة من كبار العلماء الذين يتحلون بالغيرة على الدين لتسرف على تنشئة المسلمين في تنظيم هذه المدارس ووضع برامجها بمراقبة حسن سيرها بما أنشئت له وتكون هذه الهيئة مربوطة بوالدهم حضرة صاحب السماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم .

وفيها وفاة الشيخ عبدالله بن عودة رحمه الله تعالى وهذه ترجمته : هو العالم الزاهد ذو العقيدة والمعرفة الشيخ عبدالله بن عودة بن عبدالله بن علي بن سليمان آل سعوي يرجع نسبه إلى قبيلة عنزة وكان منشأه من قرية المريدسية من أعمال بريدة . ولد سنة ١٣٠٨هـ وفي السابعة من عمره أدخل مدرسة أهلية للدراسة وتعلم القرآن فأخذ يتعلم حتى ختم القرآن ثم تعلم مبادئ الكتابة والحساب على حسب سير الدراسة إذ ذاك . ولما حفظ القرآن وكان قد بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة أخذ يطلب العلم من المشائخ فأخذ عن الشيخ عيسى الملاحي وأخذ عن الشيخ عبدالله بن حسين أبا الخيل وأخذ عن الشيخ عبدالله بن فداء العالم الزاهد وجعل يتردد إلى مدينة بريدة فأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وعن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وكان ورعاً ناسكاً وعليه السكينة والوقار وله سمت حسن . وفي عام ١٣٤٦هـ عين إماماً وواعظاً ومرشداً في قرى بني مالك ولما أن كان في ١٣٥٣هـ وطلبت الحكومة من الشيخ عمر بن محمد بن سليم قضاة وأئمة وواعظاً إلى جهة عسير وجيزان كان من ضمن الداهيين فكان قاضياً في نصيباء ثم نقل إلى قضاء جيزان فكان رئيساً لمحاكمها هناك ثم أنه نقل إلى الدمام في المنطقة الشرقية فكان رئيساً للمحاكم هناك واستمر على

سيرته وكان مسدداً في أفضيته ويحرص على الصلح ليرضي الخصمين وكان متأنياً ومعه خوف من الله تعالى مديماً على ذكره وصولاً لرحمة ويجب الإصلاح بين الناس متحريراً للعدل والإنصاف إلى أن شعر بالشيخوخة فتقدم بطلب إحالته إلى المعاش فأجابت الحكومة طلبه وعاد إلى وطنه بريدة. كان له حظ في الوظائف التي نالها ومع مزاولة هذه الأعمال فإنه لم يشاغب أحداً ولم يتقدم خصم بشكاية ضده متظلماً بل كان موضع الإعجاب من حكومته وأمه. وأسرة الشيخ عبدالله مشهورة في القصيم وكان للشيخ عبدالله أخ يدعى عبد العزيز بن عودة له تمسك في الديانة ومحبة لأولياء الله من أهل الدين والفضل وثبات في العقيدة السلفية وكان فلاحاً يأكل من كسب يده ويصل الفقراء ويواسيهم بماله. وفي بعض السنين أصيبت الأمة بسنة وجذب فقام وقسم مزرعته من البر والشعير نصفين بحبل فقال هذا الشطر لي ولمن أمونه والشطر الثاني لله عز وجل ثم وزعه على الفقراء والمساكين وكان في زمنه عالم كبير السن متعطل الأسباب ذو عائلة فكان يقوم بنصف مؤنته على الدوام وكان يبش بزواره من أهل الخير والصلاح ويقدم لهم ما تيسر من الموجود لديه في وقت كان قليل التمر واللبن والقهوة والبر أكبر ضيافة. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وكان يزار ولا يزور أحد لأنه معتزل عن الناس إذا رأيته وجدته متقشفاً في لباسه وقد تصدعت يده ورجلاه من مكابدة الأعمال مع تقدمه في السن ثم يذهب وقت العبادة إلى المسجد فيكون واقفاً أو راکعاً أو ساجداً بين يدي الله وللبيت حظ من عبادته لله تطوعاً ولبت ثمانى عشرة سنة لم يقدم مدينة بريدة. لما توفرت فيها المصنوعات المستحدثة لا لتحريمها ولكن للسلامة من المشتبهات وقد قدمنا أنه من زملاء محمد بن مقبل وصالح الهميمي وسليمان بن ناصر السعوي. ومن أسرة المترجم رجال متمسكون بالديانة يوالون في الله أهل طاعته ويعادون أهل معصيته وينتمون إلى الفضل والصلاح من أشهرهم

الشيخ سليمان الناصر السعوي . كان محباً لأهل الدين وموالياً للمؤمنين ومقبولاً لدى أهل زمانه وهو إمام القرية ويأتي ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى . أمّا سبب وفاة المترجم فإنه أصيب بمرض مخوف فرأت الحكومة أيدها الله بعزه وتوفيقه أن تبعثه إلى مصر للعلاج ولكنه وافاه أجله المحتوم فيها فتوفي في يوم الاثنين سادس ذي القعدة من هذه السنة عن عمر يناهز ٧٢ سنة ودفن فيها . ومن صفاته أنه غر كريم دمث الأخلاق متواضع طلق المحيا ومما جرى بينه وبين واضح التاريخ من الاتصال أنني زرت قريته منذ سبع وعشرين سنة لقبض كمية من التمر من إنسان يتعامل مع الوالد فوافيت المترجم وحصلت بيني وبينه ألفة ومحبة فكان يتواضع لي في المجلس وإن كنت إذ ذاك صغيراً ويخدمني وإن كان هو الأحق بالخدمة وينصح لي ويبشر بالاجتماع ووافيته حينما أراد السفر للحج عام ١٣٥٣هـ لما ابتعثته الحكومة لقضاء صبياء ضمن الذين بعثوا في تلك السنة فرأيته في حال استقامة وصلاح ووافيته لما رجع من تلك الجهات وكان لبيباً وغراً كريماً لا يحمل الحقد ، ووافيته مرة في الحرم الشريف بمكة لدى مجلس علوي المالكي بعد المغرب في إحدى ليالي ذي القعدة من عام ١٣٦١هـ وجلسنا نستمع لتدريس الشيخ وهو يتكلم في حالة الأغنياء حيث يقول : إن صدقوا في المعاملات وسلموا من الرياء فقد قال عليه الصلاة والسلام : «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين ، وإن كذبوا وغشوا فيصدق عليهم حديث أن التجار هم الفجار» . قالوا يا رسول الله : أليس قد أحل الله البيع . قال : «بلى ، ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون» . وذكر الجمع بين الحديثين بما فسراه من الأمر .

وفي الحرم وافيته عام ١٣٦٢ هـ مساء بعد المغرب من اليوم الذي توفي فيه الشيخ عمر بن محمد بن سليم فأخبرني بوفاته وأنه تأثر لذلك وقال : إني بكيت كثيراً لهذا النبأ وكان يزورني في بيتي ويوصيني بأولاده خيراً

لأنهم إذ ذاك يدرسون عليّ وكان في صفته متواضعاً غير متزمت ولا متعظم
نحيفاً ولا يمل مجلسه .

وممن توفي فيها من الأعيان عبدالله الراشد الحميد وكانت وفاته على إثر
سكتة قلبية من غير ما مرض في شهر ذي الحجة من هذه السنة فأحدث
ذلك رنة أسف في قلوب أحبائه وذويه وكان من أسرة الراشد الأثرياء وأخاً
لإبراهيم وعبد العزيز وسليمان أبناء راشد المشهورين الذين تقدم نشاطهم في
الزراعة والمشاريع . ويمتاز عبدالله بالكرم والسخاء ولقد رثاه بعض الشعراء
النبطيين بمرثية باح فيها بما في مكنونه وأظهر أسفه الشديد لفقده ودعا له
وأثنى عليه وعزى قرابته ونفسه بموته وكانت وفاته عن عمر يناهز السادسة
والأربعين . نسأل الله تعالى أن يغفر له ويحسن عزاء المصاب . فمن أبيات
القصيدة قول الشاعر وهو علي بن حمد الصفراني :

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| مرحوم يا من كل الأعيان تبكيك | وكل القصيم اهتز من شد فراقك |
| مرحوم يا شيخ إلى حل طارقك | تبكى عيوني والحشا فيه تكاك |
| مرحوم يا من لا تعد حسانيك | وكل الخصال الطيبة ما تعداك |
| عبدالله الراشد عسى الله يجازيك | بالجنة الخضراء مقرك وسكناك |
| أنت الشهيد وربنا ما يخليك | عساك بالجنة مقرك ومثواك |
| في جنة الفردوس والخور تتليك | هذا جزاك وما عملته بدنياك |
| لو مت في قبرك فلا مات طارقك | يحيون ذكرك من مشوا مثل ممشاك |

وفيهما ارتفعت مهوور النساء إلى حد عظيم وطالب أهل الأدب والعلم
بوضع حد لهذا الأمر ونشرت المقالات في الصحف والمجلات والجرائد
ونادى الخطباء على رؤوس المنابر بالتزام أوامر الشريعة . غير أنّها لم تجد
أذنًا صاغية وطال النقاش حول هذه المهمة التي لا تزال متطلبات المهور في
ازدياد وبما أن تكاليف الزواج منذ خمسة وعشرين عاماً لا تتجاوز مائة
وخمسين ريالاً فقد بلغت في هذه السنة اثني عشر ألفاً من الريالات ولا تزال

في ارتفاع . وقام العلماء يفكرون في درس هذا الموضوع مما اضطر صاحب السماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم إلى وضع نشرة عظيمة أصدرها في النهي عن ذلك وغلظ وذكر أنه ينبغي جعل رقابة على من تجاوز الحد وأن لولي الأمر أن يضع حداً وسيأتي ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى . وإنه لمما يؤسف ويندي له الجبين أن تكون المسألة تتطور إلى هذا الوضع وتقف الأمة هذا الموقف أمام تلك المشاكل التي ﴿مَّا أُنزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ . أما قال الرسول المشرع ﷺ : «لو أن رجلاً أعطى امرأة صداقاً ملء يديه طعاماً كانت له حلالاً» . أما قال لمن قال له : تزوجت امرأة على أربع أواق مُنْكَراً عليه تزوجه بهذا المهر «كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل ما عندنا ما نعطيك» . ولما جاءت المرأة الواهبة إلى صفوة الخلق تهب نفسها له رغبة في صهره الشريف وكان إذ ذاك لم يكن له بها حاجة فقام رجل من الصحابة وطلب من الرسول أن يزوجه إياها . قال له الهادي صلوات الله وسلامه عليه : «هل عندك من شيء تصدقها» . فقال : ما عندي إلا إزارى هذا فقال : «إزارك إن أعطيتها إياه جلست ولا إزار لك فالتمس شيئاً» . فقال : «فالتمس ولو خاتماً من حديد» . فالتمس فلم يجد شيئاً . فقال له رسول الله ﷺ : «زوجتكها بما معك من القرآن» . وفي رواية «هل معك من القرآن شيء» . قال : نعم سورة كذا أو سورة كذا لسور سماها . فقال : «قم فعلمها عشرين آية» . وإن بسبب غلاء المهور يكثر الفساد وتفسد الأخلاق وتذهب المروءات ويقل الحياء والشيمة من جانب الرجال والنساء وعلى من سن هذه البدعة ما يستحقه . ومن العجائب تجميد هذه المعضلة فلا الأولياء يزوجون ولا الأمة من ذلك يضجون ولا يوجد حل لهذه الأزمة . كيف وقد قال الهادي عليه الصلاة والسلام : «إذا أتاكم من ترضونه دينه وخلقه فزوجوه ، إن لا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير» . وأملنا عظيم بأهل العقد والحل أن يلفتوا النظر إلى

ذلك . ولكن الذي يفت العزم ما أخرجه عبد الرزاق أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تغالوا في مهور النساء فقالت امرأة: ليس ذلك لك يا عمر إنَّ الله يقول: ﴿وَأْتَيْتُمَ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَاراً مِنْ ذَهَبٍ﴾ . وكانت هذه قراءة ابن مسعود . فقال عمر: امرأة خاصمت عمر فخصمته . وفي رواية أنَّه قال: امرأة أصابت ورجل أخطأ . فهذا هو الذي حمل الجهات المسؤولة وأهل الحل والعقد من عدم الإلزام بذلك .

وفيها في رمضان ابتدئ بإطلاق مدفعين للإفطار والإمساك في عاصمة القصيم وقامت المدن الأخرى إذا لم يكن هناك مدافع فإنَّهم يجعلون ألغاماً في الجبال تطلق وقت الحاجة للإعلام بالإفطار والإمساك .

وفيها قام الأدباء من أهالي القصيم يطالبون الحكومة بجعل بلديات في مدنها وقسم مرور وغير ذلك مما تطلبه البلاد ويساؤون بقية مدن المملكة ، ذلك لما دبَّ في نفوسهم من معرفة المصالح العائدة عليهم في بلدانهم ومعيشتهم ، وأنَّ اليوم ليس كالأمس . ونشرت جريدة القصيم في العدد ٢٤ ما يأتي - إنَّ مدينة بريدة تلك المدينة التي تعد من أكبر مدن القصيم والتي تزخر بالسكان الذين يقدرون بمائة وعشرين ألف نسمة^(١) وذلك كما جاء بإجابة سمو أمير القصيم سعود بن هذلول على سؤال سكرتير هذه الصحيفة الفتية والمنشور بالعدد الثالث من هذه الجريدة ، ومع ذلك فإنَّه لا يوجد فيها بلدية تقوم برعاية شؤونها ومراقبة الجزارين وبائعي الفواكه إلى آخر المقال . كما أنَّ من المثقفين من يطالب بإيجاد مدارس للبنات فيها . ولا ريب في أنَّ الحكومة قد فتحت أبوابها لكل من يقترح اقتراحاً وجيهاً لا سيما إذا كان يعود على مصلحة البلاد فإنَّ الحكومة تؤيد ذلك غير أنَّه يوجد في البلاد من لا يحبذ هذه الفكرة وسنعود عن قريب .

(١) هذا في حال وضع التاريخ وإلا فقد تضاعفت الكمية بحيث تزيد الآن عن مائتي ألف .

وفيهما في يوم الجمعة الموافق ٥/٢٦ وفاة الشيخ محمد الذيب قاضي بلدة رحيمة ومدير المدرسة الأولى بالزلفي سابقاً وذلك على إثر سكتة قلبية أصابته . وكان لموته رنة حزن وأسى في القلوب لما ذكر عنه من الأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة رحمه الله وعفا عنه .

هذا ولا يزال مستشفى بريدة فاتحاً أبوابه لكل المراجعين والمرضى وكان يوجد فيه ثلاث حكيمات وخمس ممرضات وتسعة ممرضين منهم ثلاث سعوديون ومساعد فني للأشعة ومساعد فني للمختبر كما يوجد فيه ثمانية عشر موظفاً إدارياً وستة وخمسون خادماً منهم خمس خادمات اختصاصهم لقسم النساء وأناس مناوبون وكانت معداته من أحدث ما يوجد في العالم كما يوجد هناك بعض الأجهزة والمعدات الأخرى احتياطية في المستودع ويعمل فيه ستة أطباء اختصاصهم كما سيأتي: طبيب جراح للرجال وطبيبة جراحة للنساء وطبيب أطفال وطبيب باطني وطبيب عام وطبيب أسنان بالإضافة إلى صيدلي قانوني يعاونه اثنان من مساعدي الصيدلة وطبيب ألماني أخصائي بأمراض العيون من بينهم الطبيبة الدكتورة الألمانية جي توياولترز . وقد قرر الأطباء أن جو بريدة وطقسها جيد جداً حيث هو معتدل صيفاً وشتاءً وهواؤها عليل حتى في أيام شدة الحر وخصوصاً بالليل وحالتها الصحية بوجه عام جيدة . أمّا مساحة المستشفى من الشمال إلى الجنوب فتبلغ خمسمائة متر ومن الغرب إلى الشرق قريباً من ذلك هذا وإن الأمة لتعلق آمالها بالله ثم بحكومتهم في استجلاب الأطباء الماهرين المخلصين الذين يسهرون لمصلحة الأمة وإيجاد ممرضين نزيهة أكفهم وأخلاقهم . وما ذاك على الله بعزيز . ومما يندى له الجبين ويجرح العواطف أن يؤتى بالمريض المدنف إلى بعض المستشفيات فلا يجد مباشرة ولا رأفة ولا رحمة ولا عطفاً . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم دخلت سنة ١٣٨٠ هـ استهلّت هذه السنة والرئيس في أمريكا كندي

ويوصف بالقوة والشهامة والسياسة المتفوقة كما أنَّ رئيس الجمهورية السوفييتية هو خروتشوف وكان عظيماً في تلك الجهات وصاعقة في إذاعته وخطبه. وقد زار أمريكا ويعتبر هذا الاجتماع الأول بين الرئيسين كما أنَّ الرئيس في السودان هو إبراهيم عبود. أمَّا رئيس الجمهورية العراقية فهو عبد الكريم قاسم، ورئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر. أمَّا عن الهند فكان الرئيس في الوزراء جواهر لال نهرو. ويقدرّون شخصيته هناك لما فيه من المؤهلات. وكان على المملكة اليمنية الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين، وعلى أفغانستان الملك محمد ظاهر شاه، وفي الباكستان رئيساً على جمهوريتها الرئيس محمد أيوب خان، وعلى حكم الكويت الأمير عبدالله السالم بن صباح. هذا ولا تزال الحرب بين أهل الجزائر وفرنسا. وقد صمدت الجزائر وثبتت لتحقيق استقلالها ونضالها لا يزال مستمراً رغم ما تصليها فرنسا من التقتيل والأعمال الوحشية وكانت المعركة دامية مستمرة. وقد عينت العرب أسبوعاً للتبرع كل سنة للجزائر المظلومة واستمرت الدفعات للجزائر تقوية لها ومساندة من العرب.

وفيها في اليوم التاسع من ربيع الثاني توفي (فليبي) رحمة الله على أموات المسلمين وهذه ترجمته: هو هادي سانت جون فليبي ولد في جزيرة سيلان في ٣ من شهر أبريل ١٨٨٥م الموافق لسنة ١٣٠٠هـ، وكان أبوه إذ ذاك يعمل مزارعاً للشاي وعندما كبر قليلاً أدخله والده كلية دستمنستر بلندن وكلية ترينتي التابعة لجامعة أوكسفورد. وفي أوكسفورد تخصص في دراسة اللغات وفي عام ١٩٠٧م تخرج بشهادة بكالوريوس علوم. وفي نفس العام اجتاز اختبار الجامعة المدنية ثم سافر إلى الهند وتقلب فيها بعدة وظائف حتى وصل إلى منصب مساعد تفتيش مركز ثم إلى سكرتارية مقاطعة البنجاب. وبعد ذلك بعام عين عضواً بسكرتارية لجنة الامتحانات بكلكتا في الهند ثم نقلته حكومة بلاده إلى العراق حيث عين ضابطاً سياسياً في القوات

البريطانية في الشرق الأوسط . وكان مركز علمه البصرة وهناك وصلت بداية صلته بالعالم العربي وتنقل في عدة مناصب منها منصب مساعد خاص لكبير الضباط السياسيين السير برسي كوكس . ولَمَّا أن كان في عام ١٩١٧ ميلادي وقد أتى إلى المملكة العربية السعودية لأول مرة ضمن وفد بريطاني مرسل إلى الرياض وقابل جلالة الملك عبد العزيز . وأعجب بشخصية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن وبطولته وشجاعته ومن هناك سافر المستشرق فليبي إلى جدة ومكث فيها بعض الوقت . وفي أثناء بقاءه هناك اختلف مع حكومته في السياسة التي كانت تريد اتباعها في الشرق الأوسط فترك جدة وعاد إلى الرياض عن طريق مصر وفلسطين . وبعد ذلك رجع إلى العراق ليقدم تقريراً عن مهمته التي أوفد من أجلها ، ولنتيجة خلافه مع حكومته في سياستها في الشرق الأوسط استقال من وظيفته وعاد إلى إنجلترا بعد أن قضى أحد عشر عاماً بعيداً عنها . وهناك انتدبته الحكومة البريطانية ليرافق الوفد الدبلوماسي السعودي برئاسة صاحب السمو الملكي إذ ذاك الأمير فيصل إلى إنجلترا وألقى أثناء إقامته بإنجلترا عدة محاضرات بالجمعية الجغرافية وعمل على إنجاز خرائط كان قد أعدها أثناء تنقلاته في المملكة . وفي عام ١٩٢٠م رجع إلى الشرق الأوسط واشترك في مؤتمر العقير الذي عقد بين الملك عبد العزيز والسير برسي كوكس . وفي السنة التالية عمل مستشاراً لوزارة الداخلية في حكومة العراق الانتقالية كما عمل أربع سنوات في منصب كبير ممثلي بريطانيا في شرق الأردن وتقدم إلى جدة أثناء حصارها مع السيد طالب كوسيط للصلح بين الملك عبد العزيز وبين الشريف علي . ولم تنجح الوساطة كما قدمنا . وقد قيل إنَّه مستشار غير رسمي للملك عبد العزيز . والصحيح أنَّه لم يكن كذلك بل كان صديقاً للملك عبد العزيز . وقد استقال من منصبه لخلافاته المستمرة مع حكومته حول سياستها في الشرق الأوسط ثم عاد مرة أخرى إلى إنجلترا وبعد أن

قضى عاماً هناك عاد إلى جدة كمواطن إنجليزي وذلك عام ١٩٢٦م وعاد بصفته مواطناً عادياً يعمل في التجارة وقام بشركات وجعل يؤلف تاريخاً للإمامه بالمملكة العربية السعودية. ولمّا أن كان في عام ١٩٣٠م أسلم وسمّى نفسه عبدالله وقام في ظرف عشر سنوات بعدة رحلات استكشافية في المملكة العربية السعودية منها عبوره الربع الخالي. وقد ألف المستشرق عبدالله عن المملكة العربية السعودية حوالي اثني عشر مجلداً منها قلب الجزيرة، ومنها: جزيرة العرب في عهد الوهابيين، وجزيرة العرب والربع الخالي وبنات سبا وحاج في الجزيرة العربية وأيام العرب. وفيه سرد قصة حياته وتجاربه منذ طفولته وأعماله وتجولاته واكتشافاته في صحراء الجزيرة وأخيراً تخليه عن العمل مع الحكومة البريطانية. ومن مؤلفاته: مرتفعات الجزيرة العربية ومنها يوبيل الجزيرة العربية ومنها المملكة العربية السعودية ومنها أرض مدين ومنها أرض الأنبياء ومدائن صالح. ولا ريب أنّه سياسي ماهر ومن أعيان القرن الرابع عشر. فالله المستعان.

وفيها شرع المهندسون في تركيب مكائن شركة الكهرباء لبريدة وضواحيها ولا يزال العمل مستمراً لإنهاء المشروع. وكان هذا العمل جباراً بالنسبة إلى تأخر مقاطعة القصيم عن سائر المملكة. وأمّا بالنسبة إلى التطوّر الحديث فلم تتقدم المملكة إلّا في تلك الآونة كانت قبل ذلك أي منذ خمس عشرة سنة من هذه السنة، تضاء شوارع مكة المكرمة بالفوانيس. ولم تدخل الدورات المائية في كثير من بيوتها. كما أنّ بئر زمزم يستخرج ماؤها بالدلاء. وكانت مكائن الكهرباء في بريدة لما وضعت متقنة التصميم جداً. وكانت الشبكة الكهربائية يركبها مهندس ألماني. هذا وقد كانت الأمة بحاجة إلى الكهرباء لتطور الحياة وكانوا قبل ذلك بقليل يستخدمون مواير صغيرة. كما قامت شركة الغاز بإيجاده في المملكة العربية السعودية لتوفير الراحة للأهالي. فكان لذلك أحسن وقع. وبما أنّ العمال والمهندسين شرعوا في

مد الشبكة الكهربائية في مدينة بريدة ورفعت الخزانات الكهربائية على خط ٢٢٠ وخطت المدينة خطوات متقدمة. فقد شرع العمال الآخرون أيضاً في مد شبكة خطوط التليفونات السلكية لربط جهات ما يلي بريدة إليها كعنيزة والرس والبكيرية والخبراء ورياض الخبراء والبدائع وغيرها. وبهذا يسهل الاتصال بين أجزاء تلك المنطقة. وبما أن الأمة قامت بتركيب أسطوانات الغاز وأجهزته المختلفة وبدأت الشركة بالتوزيع فإن حوادث الانفجارات قليلة والله الحمد.

وفيها تفضلت الحكومة بتجهيز أناس من الجنود لقتل الثعالب المسعورة وجعلت الحكومة ماثية لمن قتل ثعلباً وإن من جاء إلى أمير بلدة من البلدان أو أمير قرية برأس ثعلب فله مكافأة. ولقد ضحت الأمة من أذى الثعالب وأصبحت تهدد حياة الإنسان وقد ظهرت نتائجه عندما بدأت بالهجوم على الفلاحين ومن استهدف لها وقد كان أحد المواطنين نائماً بإحدى المزارع في قرية البدائع بقرب مسكنه وإذا به يفاجأ وهو نائم بالثعلب يعضه فأدخل المستشفى وأصيب آخرون في مدينة الرس ماتوا نتيجة ذلك.

وفيها وفاة الشيخ ابن تركي، وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الزاهد محمد بن علي محمد بن منصور بن عبدالله بن تركي بن حميدان من قبيلة بني خالد. ولد المترجم عام ١٢٩٩م في مدينة عنيزة ببلده وبلد عشيرته وأخذ في أول نشأته في الدراسة واشتغل في التجارة مع أخيه إبراهيم وذلك لأنه لم يكن لأهل نجد إذ ذاك ما يساعد على الدراسة من تأمين للمعيشة فكان ذلك حافزاً له على طلب الرزق لأنه انشغل بها في سن مبكرة قبل بلوغه. ولما تم له من العمر ما يقارب الأربعين قام برحلات إلى الشرق فزار الهند وما يضمه من المدن ومر في سفره هذا عائداً على الخليج وذلك لأنه مولع في الأسفار والتعرف في الأمصار وذهب إلى فلسطين ومصر وألقى دروساً هناك، فأعجب به من رآه كما ذهب إلى سوريا ولبنان وما

حواليها من القرى والبلدان وقام بتجولات كثيرة في الإحساء والقطيف وما إلى ذلك من مدن الخليج. وقد أخذ العلم عن علماء مكة وأخذ عن علماء عنيزة. وكان له بحث ومناقشة في العلوم مع الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ومع الشيخ صالح بن عثمان القاضي في عنيزة وغيرهما ويقدرونه لما يرون من حرصه واجتهاده وكان يحب كثرة المناقشة والجدل وله إلمام في الفقه والتفسير في الحديث وسائر العلوم العربية وله استشهادات بأبيات الشعراء والأدباء المتقدمين. ونال قضاء المدينة المنورة ووظيفة مساعد قاض في مكة المكرمة. وبما أنه كان صريحاً في القول ولا تأخذه لومة لائم ولا يداري فإنه لم يساعده الزمان بل تخلى عن الوظائف. وقد طلب للتدريس في معهد الرياض العلمي وكان إذ ذاك يدرس في مدرسة العلوم الشرعية. فاعتذر لأنه أبدى أن بقاءه في المدينة المنورة مدرساً في المدرسة المذكورة أكبر نفعاً وأجدي مصلحة وكان يحرص على إطابة مطعمه وطلب أن يكون زرقه من المالية من مصلحة البريد ويصل إليه مساعدات من أجواد الأمة داخل المملكة وخارجها ويفرق كثيراً منها على الفقراء والمحتاجين. وقد رأيت له ترجمة بقلم الشيخ فيصل بن محمد بن مبارك لما توفي فقال: مات العالم الزاهد طيب الله ثراه أيها المتوفى الحبيب وأسكنك فسيح جناته. حقاً لقد مات الشيخ محمد العلي التركي وواروه في التراب. إنها سنة الله في خلقه، ﴿وَلَنَ نَّجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. حقاً لقد مات الشيخ بعد عمر مديد وسعيد قضاه في خدمة العلم وأهله. نعم مات بعد عمر مديد سعيد لم تلطخه المشاحنات على هذه الدنيا الفانية ولم ينخدع ببريق المناصب الرفيعة والرواتب الضخمة والمراكب الفارهة والقصور الأنيقة والعقار الفني بالدخل الثري. كل هذه وأكثر منها أتت إليه منقادة، فركلها برجله الطاهرة، مفضلاً عيش القناعة، متلذذاً بما ملأ الله به جوفه من جواهر العلوم النافعة متخذاً الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر

بطريقته المعهودة والمحبة إلى النفوس حتى نفوس مرتكبي الخطيئة، كان يرسلها إشارات عامة في دروسه العامة فكم معروف قام، وكم منكر زال بتلك الإشارات الحكيمة. رحمه الله رحمة الأبرار. حقاً لقد مات الشيخ العالم العامل الورع الزاهد ذو اليد البيضاء التي ترفعت عن أكل الحرام أو المشتبه كما ترفع قلبه الكبير ونفسه الزكية عن الحقد والحسد وصغرت في عينيه الدنيا بما فيها. حقاً لقد مات العالم القدوة في الأعمال قبل الأقوال. حقاً لقد مات الشيخ محمد العلي التركي الذي يفخر الطالب بالانتساب إليه ولو لم يجلس معه إلا مجلساً واحداً. مات الشيخ الذي يرى فيه طلابه أباً ودوداً ويраهم أبناء بررة. نعم غيب الشيخ محمد العلي رحمه الله في الثرى وغيب مع كنوز العلم. وإن موته خسارة لا تقدر كما قيل:

إذا مات ذو علم وتقوى فقد ثلّمت من الإسلام ثلّمه
مات الشيخ الذي لا يجابي ولا يخدع. كان رحمه الله صريحاً في أمره صريحاً في نهيه صريحاً في نصحه شجاعاً في ذلك كله. نعم إنك لتعجب إذا رأيته أمامك في أظمار وعباءة عمرها عشرون سنة ودريهمات حمر في جيبه يقات بها قوت الزاهدين. نعم تعجب عندما ترى ذلك الجسد النحيل الذي لا يزن أكثر من ستين رطلاً في تلك الأظمار البالية كيف يضم بين جنبه ذلك البحر العباب من العلم وذلك القلب الكبير والصدر الرحب الذي لا يضيق بالسائلين وما أكثرهم، فلا يخرج من بيته معتمداً المسجد ولا غيره إلا ترى هذا عن يمينه وهذا من شماله يتناوبه السائلون في شتى الأسئلة حتى مشاكل دنياهم فيصدرون عن معين لا ينضب وهكذا حاله في المسجد ما أن يلتفت من صلاته إلا هذا قائم من عنده وهذا جالس لديه فلست تراه إلا مصلياً أو تالياً كتاب الله أو ذاكراً حزبه أو مجيباً على سؤال. وهذه ثروته ولم يخلف رحمه الله ديناراً ولا درهماً ولا عقاراً ولا شيئاً يقتنى، وإنما خلف الذكر الحسن الذي ستتناقله الأجيال ويبقى ما بقي ذكر أهل الخير.

وصفت جنازته في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بأنها أضخم جنازة عرفت في العصور الأخيرة. اللهم وفقنا تكثر من المصلين علينا والحاملين لنا إذا متنا واحرسنا من فتنة الدنيا وغرورها. إن هذا الذي خرجت المدينة بأسرها مع جنازته لم يكن ثرياً ولا أميراً ولا وزيراً ولا قاضياً ولا موظفاً مرموقاً بل كان رجلاً فقيراً معدماً وصالحاً إذا ذكر الصالحون أو العباد والزهاد والأدباء والعلماء الصرحاء:

فلو كان الفداء يرد ميتاً فديتك بالطريف وبالتلاد
ولو كان البكاء يفيد شيئاً بكاك الأكثرون من العباد
ولكن البكاء يزيد نحواً يسر الشامقين من الأعادي

هكذا وجدت بقلم واضح هذه الترجمة فيصل المبارك وإني لأثني على من قامت به هذه الصفات التي هي الزهد والورع والتقشف وخفض الجناح والإحسان إلى من قصده للسؤال والاسترشاد ولم يكن مشاحناً ولا حقوداً. فالله المستعان. وقد رأيت مرة في سباح بريدة النخيل المسمى فيحان لأنه كان يزور القصيم في كل سنة إذا ما أينعت الثمار في الصيف ويوضع له بالليل فوق تلك الرمال العذبة مجلس حافل ويخرج إليه بالليل والنهار أناس يفرحون به ويحبون الاجتماع به فيكون موطوء العقب لأنه لا يقل عدد الذين يمشون خلفه إذا زار تلك المنطقة عن مائة وخمسين رجلاً فكان نحيف الجسم قصير القامة محدودباً أصفر الوجه، وذلك في عام ١٣٥٦هـ. والصحيح أنه أقل مما رفعه إليه في الدرجة بعض أحبابه وأفرطوا في مديحه وغلوا فيه وأرفع درجة عما تنقصه بعض المتفرضين لأنه كان والله يغفر له معانداً ولا يبالي في مجالسة أحد من الخلق سواء كانوا صالحين أو طالحين، ولكل جواد عشرة. ومن جهة أخرى فقد كان يضرب في الأرض كثيراً ويسافر إلى الأمصار ويجلس بها ويجتمع بعلماء غير محققين، وعليه مآخذ، كان يلبس العقال فوق رأسه لأنه لا يداري ولا يبالي بأحد ومدارات

الناس أمر مطلوب وأيضاً كان اتصاله بآل سليم ضعيفاً بل معدوماً مضافاً إلى ما تقدم من الأشياء الأخيرة التي ذكرناها .

وفيها ارتفع مستوى الماء في الأرض المنخفضة في مدينة بريدة وتقدم الأهالي بطلب الإغاثة من الحكومة عن خطر يهددهم منذ زمن بين الحين والآخر بسبب تكاثر المياه التي غمرت الكثير من المنخفضات . فأمر جلالة الملك بإرسال لجنة تتكون من وزير الصحة ووزير الزراعة يرافقهما خبراء فنيون وذلك لوضع حد لتسرب المياه التي أخذت كل عام تزداد وتهدد المدينة وليس هذا بالأمر الهين إذا كان بيوت المدينة من الطين والتبن فإنه إذا ارتفع منسوب الماء إلى سطح الأرض فسيأتي على البيوت من قواعدها . وبعدها قدم أولئك أعضاء الوفد أخذوا يدرسون الوضع ولكنه لم ينته بصورة قطعية وسيأتي بقية ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها في اليوم الخامس من شهر ربيع الثاني هبطت طائرة خاصة تقل هيئة نظر منتدبة من قبل مصلحة الطيران للبحث عن موضع مناسب لأن يكون مطاراً للقصيم بالجملة وقررت الهيئة بعد التفكير وقضاء مهمتها أن يكون في المليداء وعادت لعرض المهمة على الجهات المختصة .

وفيها غارت المياه بمنطقة سدير ونضب أكثر الآبار فأصبح السكان يكابدون مصاعب الحياة ومتاعب جمّة ويعيشون ظروفاً قاسية جداً مما أدى إلى عطش الزروع وموت الخضروات وهلاك النخيل والأشجار . والله على كل شيء قدير . ووصلت الحالة بهم إلى أن عدت في تلك المنطقة بعض النخيل أو أكثرها وأصبح لها منظر مؤلم ومُحزن .

وفيها في الساعة الثالثة عربي تزيد ثلاثين دقيقة من ليلة الأحد سادس ربيع الأول انقض كوكب فاستضاء له الجو حتى كان له أثر عظيم ولبث عشر دقائق ثم وقع على الأرض فسمع له وجنة عظيمة جداً لما وقع غير أننا لم

نصل إلى أي جهة وقع وكانت رؤية مخيفة لمّا رمى به من الجهة الشرقية فطاف إلى الغربية.

وفيهما أمر جلالة الملك سعود بطبع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لجعلها في مجموعة لتسهيل مراجعتها وندب لذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم فقام الشيخ بأعباء هذه المهمة وساعده ابنه محمد بن عبد الرحمن. ولَمَّا أن منَّ الله بإحياء هذا التراث كان من المتبادر إلى تأليفها وجمع شواردها لتكون مرتبة على ترتيب الفقهاء. إن فتاوي شيخ الإسلام يوجد منها أجزاء طبعها مقبل الذكر من ضمن مطبوعاته بمطبعة كردستان العلمية. كما أنَّه طبع منها أجزاء العالم محمد رشيد رضا ولقد سار الشيخ ابن قاسم إلى بيروت ودمشق والعراق ومصر وباريس وغيرها يتطلب من سائر مكاتب العالم فرتبها وطبعت بمطابع الرياض وقد تكلفت الطباعة فيها لعدد خمسة آلاف نسخة كل نسخة أربعة وثلاثون مجلداً والخامس والثلاثون، وبعده مجلدان للفهارس طبعت بمطبعة الحكومة فبلغ مجموعها سبعة وثلاثين مجلداً بلغت قيمة طبع الأربعة والثلاثين مليون ريال. وساهم جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز بطباعة الثلاثة الأخيرة. «والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً». فظهرت المجموعة كأحسن ما يكون في الحرف والورق وتقدم قبلها طباعة كتاب الإنصاف الذي بلغ اثني عشر مجلداً ووزعت على طلاب العلم، وإنَّها لحسنات خالدة لمن قام بها وبذل النفقات في طباعتها. ولا ننسى ما نشره آل ثاني حكام قطر جزاهم الله خيراً فقد جادوا بطباعة مجموعة التوحيد ومجموعة الحديث وغاية المنتهى وشرحها وكتاب المقنع والكافي لابن قدامة وتاريخ العصامي والفروع لابن مفلح ومشكاة المصابيح وتفسير ابن الجوزي وطباعة كتب أخرى كثيرة جليلة. وهذا بتوجيه من الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع. فيا أيها المحسنون ليهنكم ما بذلتموه في سبل الخيرات وأبشروا بالخلف من الله وحسن ثوابه،

وإننا لنرجو من أهل الثروة والجدة إنشاء الملاجىء وفتح أبواب التبرعات في سبيل الخير من عمارات المساجد وإعانة تدريس القرآن وتشجيع لطبع الكتب الشرعية والإحسان إلى العجزة البائسين والضعفاء المستحقين: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ وجاهدوا يا ذوي الأموال في سبيل الله ببناء المدارس والمساجد والمستشفيات وكفالة الأيتام وتشغيل العاطلين. وعلى ذوي الأموال أن ينفقوا في سبيل الله ولا يلقوا بأيديهم إلى التهلكة التي سببها الجبن والبخل وأن يساهموا في المشاريع الخيرية والأعمال الجليلة ويواسوا الفقراء والضعفاء ويقضوا حوائج الناس ويعينوا الملهوف وينصروا المظلوم ويحسنوا. إن الله يحب المحسنين. فكم من عجوز وشيخ كبير وطفل صغير ومقعد وضرير ومريض لا يفارق فراشه تظنه بمظهره ومنظره من الأغنياء المياسير ويده فارغة وبطنه جائع وليس في محصوله غير ما يجمع من كراء البيت الذي لو تأخر عن دفعه لكانت الفرصة السانحة لإخراجه من بيته وحمله لفراشه وأثائه على ظهره. وهؤلاء هم الذين تكون عليهم الصدقة وتمد إليهم يد المساعدة وإن الله ليدفع بالصدقة على مثل هؤلاء البلاء عن صاحبها. وقال ﷺ: «باكروا بالصدقة فإنَّ البلاء لا يتخطاها وكم من فقير متعفف يحسبه الجاهل بحالته غنياً من التعفف». ويروي لنا التاريخ أنَّ خالد بن عقبة باع داره بسبب دين كان عليه على عبدالله بن عامر وكانت داراً في السوق بتسعين ألفاً وأمر أهله بالرحيل فلما كان الليل وجعل أهل خالد ينقلون متاعهم ويبكون قال لأهله: ما لهؤلاء قالوا: يبكون على دارهم. فقال يا غلام: أتعلمهم أنَّ الدار والمال لهم جميعاً. وكان لعبدالله بن المبارك جار يهودي فأراد أن يبيع داره فقبل له بكم تبيع قال: بألفين. فقبل له: إنَّها لا تساوي إلا ألفاً. قال: صدقتم، ولكن ألف للدار وألف لجوار عبدالله.

فأخبر ابن المبارك فدعاه وسأله. قال: عليَّ دين فأعطاه ثمن الدار وقال:

لا تتبعها. فرحمة الله على ابن عامر وعلى ابن المبارك، وما أحسن ما قالتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يا ويح لبيد حيث يقول:
ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر
قالت: فكيف لو أدرك زماننا هذا.

وممن توفي فيها من الأعيان ملك المغرب محمد الخامس، وكانت وفاته ليلة الخميس ١٢ رمضان على إثر عملية أجريت له. وكان موصوفاً بالمواقف الصلبة في وجه الاستعمار والمستعمرين بحيث تحمل بسببها الطرد والتشريد عن وطن ومواطنيه. فلا حول ولا قوة إلا بالله ورحمة الله على أموات المسلمين. وكان قد عاد إلى العرش بعد ما سطر له التاريخ صحيفة من الفخر والشهامة. وإنها لمصيبة عظيمة أن تفقد البلدان رجالها ورؤساءها المخلصين.

وفيها أعلنت الحكومة السعودية القرار رقم ٣٨٩ بتاريخ ٨/١٥ بمنع أعمال الحفر لأبيار إرتوازية حتى تنظر في شأن المياه لما أصبحت المياه لغزارتها تهدد بالأخطار المحيطة في مدينة بريدة ورحبت من جميع الأهالي وأرباب الحفارات التعاون مع مجلس الوزارة حول هذا الطلب.
وفيها تولى عرش إمارة قطر الحاكم أحمد بن علي بن عبدالله بن ثاني. فتنازل له والده عن العرش ليأخذ راحته فباشر الحاكم الجديد عمله.

وفيها في سادس عشر من شوال قام صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بزيارة للكويت بدعوة من أميرها عبدالله السالم بن صباح فكانت هذه الزيارة رمزاً للصداقة ودليلاً على حسن الصلات إذ كان مسقط رأس الملك سعود وفرصة سانحة لتقوية روابط الإخاء والود بين البلدين وأنه لا يوجد بينهما فوارق وأظهرت الحكومة والشعب فرحتهم وغبطتهم بهذا الاجتماع. نسأل الله تعالى أن يوفق العرب

والمسلمين للصداقة والتضامن والمحبة وأن يجعل المسلمين يداً واحدة على من سواهم.

وفيها عازمت الحكومة السعودية على فتح مدارس للبنات في بقية المدن السعودية ومن ضمنها مدينة بريدة وتقدم آل الراشد إلى مدير عام مدارس البنات بخطاب ضمنوه تقديم أحد بيوتهم فيها وتأثيثه ليكون مقراً لمدرسة البنات المزمع افتتاحها. فشكر المدير لهم ذلك وهياؤوا البيت المذكور الذي كان موقعه في قلب مدينة بريدة، ويعرف ببيت راشد الحميد.

وفيها نبعت في شمالي بريدة عين إرتوازية جديدة فوارة في موضع مزرعة سمو الأمير سعود بن هذلول. وتعتبر من أقوى الآبار الإرتوازية.

وفي هذه السنة قررت الاشتراكية في مصر عن أمر الرئيس جمال عبد الناصر واستمرّ موضوعها هناك.

وفي هذه السنة اعترفت إيران بدولة إسرائيل وشق ذلك على العرب وعقد اجتماع في ١١ صفر الموافق ٤ أغسطس بمبنى الجامع الأزهر في مصر يضم علماء المسلمين للبحث في موقف الإسلام نحو ذلك استنكاراً لاعتراف إيران بها بصفة أنّ العرب لم يرتضوا اتخاذ فلسطين موطناً لليهود وأن يتخذ مهاجراً لهم. وقد طال النقاش ونشر في الصحف والجرائد تركنا إيراده لأنه موجود.

بيان عن الصهاينة ومشكلة الشرق الأوسط

فنقول: إنّ مقام اليهود في فلسطين ليهدد أمن العرب ويبيث الأحزان والهموم والغموم ذلك بأنّها أمة مغتصبة وجبلت على البغي والكيد لأهل الإسلام. قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنِ سَبِيلٌ﴾. وقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا

نَكَرْتُ. كَلِمَةُ صَهِيونَ اسْمٌ لِلْيَهُودِ لِأَنَّهَا نَسَبَةٌ إِلَى جَبَلِ صَهِيونَ الْمُشْرِفِ عَلَى مَدِينَةِ الْقُدْسِ ، وَنَسَبَتُهُمْ إِلَى الصَّهْيُونِيَّةِ فِكْرَةٌ لَهَا اتِّجَاهٌ دِينِي وَاتِّجَاهٌ سِيَاسِي هَدَفُهَا الْمُبَاشِرُ هُوَ الْاِسْتِيلَاءُ عَلَى فِلَسْطِينَ وَإِعَادَةُ بِنَاءِ مَعْبَدِهِمُ الدِّينِي الْمُسَمَّى هَيْكَلِ سَلِيمَانَ وَمُمَارَسَةُ الْعِبَادَةِ فِيهِ وَإِقَامَةُ عَرْشِ دَاوُدَ فِي الْقُدْسِ ثَانِيَةً . وَأَمَّا الْهَدَفُ الْآخَرُ فَهُوَ الْكَيْدُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْعَمَلُ عَلَى هَدْمِ كَيَانِ دِينِ الْإِسْلَامِ ، فَقَدْ مَزَقُوا الْمَصَاحِفَ الَّتِي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا أَيْدِيهِمْ وَهَدَمُوا مَنَابِرَ الْخُطْبِ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي هِيَ بِيُوتُ اللَّهِ وَقَدْ أُذِنَ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَجَرَى مِنْهُمْ أَذِيَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ كَمَا فِي قِصَّةِ بَنِي قَيْنِقَاعَ لَمَّا رَاوَدَ الْيَهُودِي الصَّائِغُ امْرَأَةً مُسْلِمَةً عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا فَأَبَتْ فَعَمِدَ إِلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوَاتِهَا فَصَاحَتْ فَضَحِكُوا مِنْهَا فَوُثِبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ ، فَحَشَدَتِ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ وَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّجَاؤُا إِلَى حِصُونِهِمْ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا لُبَابَةَ وَسَارَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ . فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ الْحِصَارِ ١٥ لَيْلَةً حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ بِأَنْ لَهُ أَمْوَالُهُمْ وَلَهُمُ النِّسَاءُ وَالذَّرِيَّةُ ، وَشَفَعَ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سَلُولَ بَعْدَمَا أَمَرَ الرَّسُولُ بِتَكْتِفِهِمْ . . . وَأَلَحَّ فَقَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « خَلَوْهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَعَنَهُ مَعَهُمْ » . فَأَجْلَاهُمْ وَلَحَقُوا بِأَذْرَعَاتٍ . وَكَمَا وَقَعَ عَنْ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ لَمَّا أَرَادُوا الْكَيْدَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَمَا خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لِيَسْتَعِينَهُمْ فِي دِيَةِ قَتِيلَيْنِ مِنْهُمْ وَقَعَ الْقَتْلُ عَلَيْهِمَا مِنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ خَطَأً . فَكَلِمَتُهُ كَلَاماً لَيْناً حُلُوءاً وَهُمْ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَخَلَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَقُولُونَ : إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوهُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَالِ ، وَكَانَ حَوَالِي جَانِبِ جِدَارٍ مِنْ بِيُوتِهِمْ ، فَعَزَمَ أَحَدُهُمْ عَلَى أَنْ يُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً مِنْ فَوْقِ السُّطْحِ ، فَجَاءَ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ وَقَامَ كَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَةً فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ فَحَاصَرَهُمْ وَتَحَصَّنُوا ﴿ وَظَنُّوا ﴾

أَنَّهُمْ مَانَعَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴿١﴾. فوق الصلح بعدما خضعوا لحكم رسول الله بأن يجليهم ويكف عن دمائهم وأن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وقاموا يهدمون بيوتهم حسداً للمسلمين ويحملون أبوابها وأخشابها إلى الشام. وكذلك ما وقع من يهود بني قريظة لما انضموا إلى الأحزاب ونكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وحاربوا الله ورسوله فحاصرهم ﷺ بعدما انفك الأحزاب وهزمهم الله حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ بأن تقتل معاملتهم وتُسبى ذراريهم وتغنم أموالهم. فأبادهم ﷺ بالسيف ودفنوا بأخاديد حُدثَ لهم في المدينة. وهكذا ما زالوا مشردين ومطرودين ولكنهم لا يزالون يسعون في الأرض بالفساد ويكيدون للإسلام. وقد دخلوا فلسطين حينما كانت يسكنها الكنعانيون مع يوشع بن نون بعد أن عصوا نبي الله موسى ﷺ. ثم جاءهم عهد داود عليه الصلاة والسلام الذي انتصر على جالوت وجنوده الكنعانيين، وتلاه عهد نبي الله سليمان بن داود فأظهر القوة عليهم باستمرار. فهذه العادة في معاملة اليهود منذ أن وجدوا قوم لا يجدي معهم غير القوة وبها وحدها يمكن السيطرة عليهم.

وبعد وفاته دب الخلاف بينهم كما ذكره الله عنهم بقوله: ﴿وَالْفَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾. ولما زادوا في عصيانهم سخر الله عليهم الدول المجاورة كالآشوريين والكلدانيين وغيرهم فقصوا عليهم وشتتوا شملهم. وبعد زوال اليهود استولى الفرس على فلسطين ثم اليونان والرومان الذين طردوا بقيتهم من فلسطين وشتتوهم لسوء أعمالهم وخبث نواياهم. ولما جاء الإسلام وفتح الله الشام على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة الراشد استسلمت اليهود ووضعت عليهم الجزية وسمح المسلمون لهم بأن يعيشوا في فلسطين رعايا مواطنين في ظل السيادة الإسلامية. وهكذا

حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . ولقد كان الروس يقتلون اليهود نساء ورجالاً وأطفالاً وكانوا يشنقون الرجل وإلى جانبه رجل آخر ويشنقون بينهما كلباً مبالغة في الاحتقار . ويروي لنا التاريخ ما صنعه بهم رئيس الحكومة الألمانية لما جمع ثلاثة ملايين من اليهود وصهرهم بأفران الغازات السامة حتى أعدم جزءاً منهم كبيراً . ومن خبثهم ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان أنهم في العشر الأول من الشهر الأول في كل سنة يقولون في صلاتهم : (انتبه كم تنام يا رب استيقظ من رقدتك) . فكيف تجرؤوا على الله عز وجل هذه الجرأة ويزعمون بأن الله ندم على خلق البشر الذين في الأرض لما رأى فساد قوم نوح ويقولون : إنه بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة وأنه عضَّ على أنامله حتى جرى الدم ولم يقبلوا التوراة ولم يخضعوا لأوامر الله استكباراً وعتواً حتى أمر الله عز وجل جبريل فقلع جبلاً من أصله ثم رفعه فوق رؤوسهم وقيل لهم : إن لم تقبلوها ألقيناها عليكم . وهذا مذكور في القرآن . وقد أتينا بكتابنا الدرر البهية في يوم السبت من شأنهم ما فيه كفاية . ولقد أكرمهم الخليفة العثماني عبد الحميد بن عبد المجيد لما وفدوا إلى الحكومة العثمانية ونزلوا بضيافته مطرودين من روسيا وغيرها وذلك بعدما قامت روسيا تسومهم سوء العذاب وأعملوا فيهم أشنع القتلات رجالاً ونساءً وأطفالاً . وفي سنة ١٧٦٧ ميلادي حرقوهم بالنار وأعدموا بالحرق ألفاً دون أن يرحموا صغيراً أو كبيراً ولقوا هناك الفضائع . وبهذا يتضح بطلان مزاعم ادعاءات اليهود في أحقيتهم بامتلاك فلسطين بل عاشوا مطرودين مشتين . ذلك بأنهم لا يرتبطون بأي مجتمع يعيشون فيه بل كانوا دعاة فتن وأهل دسائس ومؤامرات جبلوا عليها وعاشوا طوال حياتهم بلا وطن ، وتكرههم الشعوب وتنبذهم أينما حلوا . وقد انضموا إلى بريطانيا وحليفاتها خلال الحرب العالمية الأولى وقدموا لهم جميع إمكاناتهم المادية والعلمية والرشا مقابل تأسيس وطن قومي في فلسطين فوعدهم بلفور بإنشاء

وطن لهم في فلسطين وأخذت بريطانيا تنفذ مخططاتها لتحقيق وعد بلفور وعينت هربرت صموئيل اليهودي المتعصب كأول مندوب سامي بريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠م فقام بإرغام الفلاحين العرب على بيع أراضيهم وأملاكهم لليهود، وبشتى الوسائل شجع اليهود من جميع أنحاء العالم للهجرة إلى فلسطين وعين عدداً كبيراً من اليهود في المناصب الكبرى وبذلك كان بين الرماد وبيض جمر، وما أحسن ما قاله القائل :

أرى بين الرماد وبيض جمر فيوشك أن يكون لها ضرام
فإنَّ النَّارَ بالعيدان تذكى وإنَّ الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري أيَقَاط أمية أم نيام

ولمّا أن نزلوا في الدولة العثمانية جاؤوا إلى السلطان عبد الحميد بكل وسيلة واستعانوا بوزراء بريطانيا بأن يجعل لليهود موطناً في فلسطين ولكنه رفض طلبهم واستعانوا أيضاً بسفيري بريطانيا وأمريكا على إقناع السلطان لتغيير موقفه ولكنه رفض وآخر ذلك أن منع في عام ١٨٩٣م من إقامة مملكة لليهود في فلسطين وكان لدهاء السلطان عبد الحميد لم ينخدع لتعطفات رجال بريطانيا واليهود وأصدر أوامر جديدة بمنع اليهود من شراء الأراضي في فلسطين، وحينما قال أحدهم: إنَّ عبيدك اليهود يا صاحب الجلالة مدينون لكم ولأجدادكم العظام وللشعب التركي المجيد بحسن الضيافة والمعاملة التي يلقونها، ولن ينسى التاريخ ما لقيه الشعب اليهودي من العطف والرعاية التي رأوها وهم يدعون لكم بطول العمر، لم يكثر ولم يعبأ بنفاقهم. وآخر ذلك أن قال أحدهم لما قال السلطان: هل لكم شكاية من معاملة غير عادلة كانت في مملكتنا، أجابه بخشوع ورهبة: استغفر الله يا صاحب الجلالة إن رعاياكم اليهود يتمتعون بكل طمأنينة وامتنان ولا يوجد لهم أي شكاية وكل ما هنالك أننا نسترحم منكم ولو قطعة

أرض رمزية تكون لهم مركزاً ويحجون إليه في ظل دولتكم وليقيموا فيه بالصلاة والدعاء والشكر لسدتكم، وآخر ذلك أن قالوا للسلطان: إننا نعرض على جلالتك بأن تقدروا أن تحسبوا ما تستنسبون من ثمن للأراضي التي تعود ملكيتها إلى جلالتك يشرط أن يدفع اليهود بدلها نقداً مع الزيادة مهما بلغ وارتفع الثمن من ملايين الليرات الذهبية. فثار الدم وغلا في عروق السلطان وصاح بالمتفاوضين: هل وصل بكم الأمر لتعرضا عليّ ثمناً لقطعة أرض عزيزة من الوطن. ولما أيسوا من مراودته ولم يخضع لمنحهم شيئاً ولم ينخدع لأطماعهم عدلوا إلى اللجوء إلى اغتياله والقيام بالمؤامرات ضده عليه. وهذا عندما فشلوا في محاولاتهم وسعوا بمؤازرة من استجاب لهم إلى خلع السلطان عبد الحميد. وفعلاً جرى خلعه بمؤامراتهم، وكانوا قد ألقوا قبلة قبل ذلك في عربته للقضاء عليه، وذلك بعد ظهر يوم الجمعة ٢١ تموز عام ١٩٠٥م ولكنه قد توقف يتحدث مع أحد العلماء ويبادله بعض الحديث، فتأخر عن الوقت الذي انفجرت القبلة فيه وسلم. ولمّا لم يصلوا إلى غرضهم لفقوا حكايات وقصصاً يستميلون بها الناس وألصقوها به واستعانوا عليه بحزب الاتحاد والترقي حتى خلع وأبعد عن العرش بأن أوفد البرلمان العثماني في ١٤ نيسان ١٩٠٩م هيئة لإبلاغه قرار الخلع. فأجاب عبد الحميد: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْقَزِيرِ الْعَلِيمِ﴾. وكان قد علم بتمرد بعض الجيش وأخبره الصدر الأعظم وسأله مقاومة المتمردين، ولكنه رفض. ولقد جدّ اليهود واجتهدوا في أذية المسلمين وبالغوا بالعداوة. وهكذا فعل مستعمر خسيس عداوته في الدين كما قيل:

كل العداوة قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين
فيا أمة الإسلام ويا أمناء العرب ويا فوارس محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه أمّا فيكم من غيرة على وطن استلب من أربابه وتحكم فيه عدو الإسلام أين شجاعتكم. أين شهامتكم. أين دفاع الأسود عن عرينها؟ أمّا

كنتم أبناء التباع . أما كنتم أمة العروبة؟ أما كنتم فوارس العرب المغاوير
أبناء خالد بن الوليد وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم وموسى بن نصير؟
إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، ﴿١٢٩﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾ . ويا أيها الرجال البواسل يجب عليكم أن تفتكوا
بالمستعمرين وتطردوهم عن أراضكم شر طردة وتستردوا كل ما أخذوه ثم
عودوا عليهم فكدكوا عروشهم واحتلوا وأقيموا فيها شرائع الله وعدالة دين
الإسلام . فلن يخرج هؤلاء المستعمرون إلا بحرب ضروس . ولن تقيموا
دولة القرآن إلا بغزو طويل مرير . فكيف يكون وعد بلفور مسوغاً لأخذ
فلسطين واستلابه من العرب فيكون ذلك الوطن السليب ملكاً لإسرائيل
نتيجة صك من إنجلترا قام به وزير خارجيتها بتصرف رجل أجنبي في أرض
عربية . إِنَّ هَذَا لِيدْعُو إِلَى الدَّهْشَةِ عَلَى أَنْ بَرِيطَانِيَا لَتَنْظُرَ بَعِينَ الرُّضَا إِلَى
إِنْشَاءِ وَطَنِ قَوْمِي لِلْيَهُودِ فِي فَلسطِينَ الْعَرَبِيَّةِ . أما كان اليهود يعرفون باليهود؟
فمن سماهم إسرائيل؟ أما كان أسطول بريطانيا يجول مياه العالم يرسو حيث
شاء ، فكل ميناء له مرسى ، وكل بلد له تابع ، وكل أمة له مستعبدة . واليوم
هذا تحطم تاج الأسد البريطاني وتنف الزمان لبدته فتحررت الهند وعظمت
الصين فصارت دولة عظمى ولم تعد بريطانيا بقادرة على شن الحرب عليها
وتثأبت إفريقيا بعد طول سبات فصارت تطارد بريطانيا . كما أنَّ مصر قامت
بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر وأجلوا جيوش إنجلترا . وقامت العراق
وتحررت منها . وتنفست الأردن الصعداء بعد طرد اجلوب والاستعمار عن
ديارها . وهكذا تغير وجه الكون وحار الأسد البريطاني . وإذا كانت بقايا
فلسطين مهددة من إسرائيل في اعتداءاتها على الأهالي بسفك الدماء وإخافة
الآمنين وملئت السجون منهم فما هو المانع من إيقاف إسرائيل على حدها
ولم لا يحل مجلس الأمن هذه المشكلة طيلة هذه الأزمان وآخر ذلك أخذ
اليهود يذيقون العرب من سكان الأراضي المحتلة صنوف التعذيب والتنكيل

ليحملوهم على الهجرة من بلادهم التي عاشوا بها وهي مسقط رؤوسهم وبلاد آبائهم وأجدادهم . وقد سبق في سنتي ١٣٦٧ و ١٣٦٨ هـ ما يشفى عن مطامع اليهود وخيانتهم والحرب التي بينهم وبين العرب ، وسيأتي على ممر السنين ما حصل منهم والعياذ بالله من الأذى وسوء المعاملة للعرب بتأييد أمريكا وبريطانيا لها .

الحرب بين الجزائر وفرنسا

أما ما كان من الحروب بين فرنسا والجزائر فقد استمرت ست سنوات ذهب ضحيتها ما يزيد على مليون من أهل الجزائر واعتقل في السجون والتعذيب بأقصى معاملة ما يزيد على مليونين . هذا إلى العدد الكبير من المشردين واللاجئين في تونس والمغرب وغيرهما ذلك بأن فرنسا المزود جيشها بأنواع الأسلحة الحديثة الفتاكة والمعدات الرهيبة لم تكتف بهذه المعدات القوية الرهيبة وإنما جاؤوا بمساندة الأوروبيين المسلحين واستطاعت الجزائر أن تحارب هذه الجنود المتظافرة التي هي عبارة عن حلف الأطلسي بكامله بطائراته ودباباته وجنوده ومساعداته المختلفة ، ذلك الحلف المشؤوم الذي يناصر فرنسا الباغية ويضع تحت تصرفاتها قواته الضخمة لتتكلم بالأحرار المجاهدين وليمعن في حرب الإبادة التي تشنها في الجزائر . ومع هذا فلم يهنوا ولم يستكينوا وإنما ناضلوا بقوة إيمان وثبات جنان دفاعاً عن حقوق مسلوبة وصموداً أمام النساء أن تنتهك والذرائع أن تعدم لم يتخاذلوا ولم يتقاعسوا وقد رأوا من الوحشية وصنوف العذاب والتعذيب ما لا يصدق العقل . ولقد كانت الطائرات تصب عليهم القنابل كما فعلت بالسنين التي قبل هذه ، فيقتلون النساء والأطفال والشيوخ بلا حساب ، ويدكون القرى بكاملها . ولكنه خاب وفشل أمام صرختهم القوية السفاح ديجول وثبت أولئك الأسود الكاسرة الذين أدخلوا الرعب في قلوب الفرنسيين حتى في قلب عاصمتهم باريس الآمنة بتضحياتهم في سبيل الدفاع

عن بلادهم وتطهير أرضهم من الدخلاء والأنذال وامتشقوا الحسام وثبتوا في الحروب وكانوا يلاقون صنوفاً من العذاب على أيدي زبانية ديجول ولم يكونوا أمام خصم شريف يرعى للعهود والمواثيق حرمة بل كان غادراً. فلقد مضى على كفاح الجزائريين سنون طوال، وكان من الواجب أن يعطف عليهم من ليس في قلبه رحمة ولا إنسانية، وإنما خشية من العار، ومع هذا فإن هيئة الأمم المتحدة لم تتخذ إزاء هذه المشكلات أي قرار من شأنه رد الحق إلى صاحبه وإعادة الجزائر عربية حرة. ولم تتحرك الأمم المتحدة وتضع حداً للدماء في الجزائر. فأين الحرية التي تزعم أنها تسعى لها؟ وأين الاسم الذي سموا به أنفسهم. هذا وقد قال العلي العظيم، الإله الملك الحكيم في محكم كتابه العزيز ومبرم كلامه البليغ الوجيز: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٢٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمُغُ وَبِيعَ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾. نعم أخرجوا من ديارهم وأوذوا وقتلوا وشردوا وسجنوا، ولم يكن أمام العدو الباغي من يذود عن أولئك الضعفاء المغلوبين الذين تغلب عليهم عدو لئيم منتقم كأنه جاء إلى فلسطين ليأخذ بالثأر لأصحابه الهالكين الذين أخرجتهم شجاعة رسول الله ﷺ وشجاعة أصحابه من المدينة المنورة لسوء فعالهم وقبح نواياهم فكأنهم بفعالهم بأهالي فلسطين في القرن الرابع عشر منتقمون. وإن الله على نصر أولئك الضعفاء لقدير. وهذا إظهار القوة والمنعة والغلبة من جانب الله عز وجل لمن كان معه والتجأ إليه. فهو القادر على نصره المغلوبين وفيه البشارة بأنه وإن ضعف عدد المؤمنين وعددهم وقوي عدد الكافرين وعددهم فإنه ركن المؤمنين والثائر لهم والمنتقم من عدوهم. فعليهم بذل الأسباب ومنه النصر. وقد يتأخر النصر لتبذل الأمة ما في طاقتها من قوة وما تملكه من

منعة لتعلم أنَّ النصر إنَّما يأتي من قبل الله عزَّ وجلَّ. وقد يتأخر النصر لحكمة يريد بها الله سبحانه وتعالى لتقوى صلة المؤمنين بربهم وليعرفوا أنَّه لا يجيب المضطر إلاَّ هو ولا يدفع البلوى سواه. وقد يتأخر النصر لكون الجهاد قد لا يكون دينياً بل يكون وطنياً أو يكون عن حمية أو يكون إظهاراً للشجاعة أمام العدو. ولهذا لما سُئِلَ ﷺ عن الرجل يقاتل حمية أو يقاتل شجاعة أو يقاتل ليرى مَكَانَهُ أيها في سبيل الله. فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». وقد تكون الأمور مرهونة لأوقاتها حتى تظل الحيلة ويعلم المغلوبون أنَّه لا نصر حتى يأذن الله به وإنَّ الله لقوي عزيز. فمن قوته وعزته تعالى ما قابل به قوم حبيب النجار مؤمن آل ياسين من العقوبة لما قتلوه شر قتلة حينما قال: إني آمنت بربكم فاسمعون بحيث ما كانوا بحاجة إلى أن ينزل الله عليهم جنداً من السماء أو ترسل عليهم حجارة من السماء أو جبال تدكهم وتهلكهم أو بحار تغرقهم. ما كان إلاَّ أن بعث الله ملكاً صاح بهم صيحة فتقطعت قلوبهم في صدورهم وأصبحوا خامدين. وقد يكون الانهزام بسبب الإعجاب بالكثرة والاتكال عليها لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وهذا شيء معلوم.

وفيها في مساء السبت الموافق ٤/٣ وصل إلى مطار الرياض رئيس جمهورية غينيا أحمد سيكوتوري بناء على الدعوة الموجهة إليه وكان في استقباله صاحب الجلالة الملك سعود وأصحاب السمو الأمراء ومعالي الوزراء والأعيان.

وفيها في حادي وعشرين رجب جلبت أسرة الراشد خبراء لمشروع الدغمانيات في البطين وهذه الدغمانية أو الدغمانيات عبارة عن رياض وفياض في البطين استولت عليها عن طريق المنحة. وتقدر مساحتها بدائرة مساحتها ٢٣ كيلومتر أراضي زراعية غرسوا فيها الأشجار والنخيل والخضر وما إلى ذلك ممَّا سخروا له الملايين في سبيل إحيائه وإظهارها بمظهر لم

يسبق له نظير في نجد بل في الشرق الأوسط، وعمدوا إلى السعي بالطريقة الحديثة وهي المطر الصناعي ويرجى إن تمّ ذلك أن يكون له موقع عظيم، وقد كثر السقي في هذا وأمثاله في فياض البطين وغيرها مما أوجد أنواع البطيخ والقثاء والبقول وغيرها كالباذنجان والبطاطس واليقطين بأنواعه والكوسة وأشياء في القصيم لم يكونوا يعرفونها فيما قبل. وقد رأيت في إحدى مزارع عنيزة مزرعة سليمان بن حمد بن حويس مملوءة بالأترج والحمضيات التي هي البرتقال الحسن وكانت قناطر ممتدة مملوءة بهذا النعيم الكبير. وقد يجد المار بها والجالس فيها من صاحبها الترحيب والبشاشة والخلق الحسن. أمّا عن آل راشد فلهم فضل كبير في الصبر على ما ينالهم من مضايقات أهل النزهة والفرجة ويُشكرون على ذلك. كما أن شركة الكهرباء هم الأصل في تأسيسها وقد قامت مزارع البطين والباطن من أعمال بريدة تصدر شحنات البطيخ والبرسيم واليقطين العسلي والبصل إلى الحجاز والرياض والظهران والكويت وغيرها وبيع بصل القصيم في بيروت والشام وغيرها. وكان البطيخ أعني الحجب يباع بقيمة زهيدة. وختمت هذه السنة بمشاكل كثيرة في العالم ولا سيما الكنفو فإن فيها مجازر بشرية.

ثم دخلت سنة ١٣٨١ هـ

ففيها أعلن الكويت استقلاله عن بريطانيا وأنّ الكويت بلد حرة عربية وذلك ليحصل على الاستقلال من سيطرة النفوذ البريطاني واستطاع الكويت الحصول على أعز متطلباته وهو الاستقلال بدون سفك قطرة دم. ولما شاع هذا النبأ قام زعيم العراق عبد الكريم قاسم يظهر نواياه من أن الكويت جزء من العراق وسيضمه إليه وأن ضم الكويت إلى العراق أمر لازم. ويا حبذا لو حصل ذلك للعراق فإنّها غنيمة باردة ولكن دون الحياض من يذود عنها. فلقد صاح العرب بعبد الكريم قاسم وأجلبوا عليه وأنها بادرة سوء تدبر من العراق. وقام الملك سعود بن عبد العزيز ببعث قوات إلى الكويت فوصلت

طلّاع القوات السعودية إلى إمارة الكويت لحمايتها كما بعثت الحكومات العربية قواتها إلى الكويت لتحل مكان القوات البريطانية المرابطة هناك عند جلّائها. ولما كان في غاية محرم من هذه السنة جرت محاولة لاغتيال ديجول في باريس، لكنها فشلت بسبب عدم تكامل انفجار القنبلة تحت سيارته وكتبت له النجاة. هذا ولا يزال الوفد الكويتي يطوف بالبلاد العربية ليعرض وجهة نظر بلاده على المسؤولين العرب. وقد أيدت الدول العربية التي زارها استقلال الكويت. أمّا عن الجزائر فقد شنوا حملات عديدة على البوليس الفرنسي في العاصمة الفرنسية وألحقوا عدة إصابات به. ويعتبر هذا نصراً مؤزراً للجزائر.

وقف الحرب في الجزائر

لما أبت أن تلين قناة أهل الجزائر للاستسلام لفرنسا، بل استمروا مناضلين ومكافحين معتمدين على الله عزّ وجلّ، ثم على الحق لأنّ الحق يعلو ولا يعلو عليه بصفتها مظلومة معتدى عليها لم تجد الأمم المسؤولة إلّا أن تؤيد موقفها فتقرر وقف إطلاق النّار فيها وإعلان اتفاقية استقلالها. فتوقف القتال واستقلت الجزائر في هذه السنة بعد جهاد طويل مرير. وكان الملك سعود قد تبرع لها في هذه السنة بمبلغ مليون جنيه إسترليني مساعدة لها. وكان قد دعى الرئيس أبو رقية مستر همر شولد سكرتير الأمم المتحدة لزيارة تونس للاطلاع عن كثب على وحشية الفرنسيين للتباحث معه حول الأزمة القائمة بين تونس وفرنسا التي نشبت على أثر مطالبة تونس لفرنسا بإجلاء قواتها عن قاعدة بنزرت. وكان صاحب الجلالة الملك سعود من أول المسارعين إلى إبلاغ الحكومة التونسية تأييد المملكة العربية السعودية في كفاحها ضد الاحتلال الفرنسي. وقد طلب الملك سعود إلى وزير الدفاع السعودي ورئيس أركان حرب الجيش السعودي أن يكونا على استعداد في تأهب دائم نصراً للموقف الحرج بين تونس وفرنسا.

استقلال الجزائر

في كلام الحكمة: من عرف الحق عَزَّ عليه أن يكون مهزوماً. لما كان في شهر شوال من هذه السنة في الساعة الثانية عشرة تزيد ثلاثين دقيقة ليلة ١٥ من الشهر المذكور نالت الجزائر استقلالها بعد حرب استمرت سبع سنوات وخمسة أشهر. وكان ابتداء الثورة في ٤ نوفمبر عام ١٩٥٤م الموافق ٩/٣/ ١٣٧٤هـ. كتب لها ذلك النضال صحيفة من المجد في وجه التاريخ. قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَيْدُفَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ وقالت الحكماء: إياك والسامة فتقذفك الرجال خلف أعقابها. وقد أثنى الله على الصابرين وبشرهم وحث على الصبر وأخبر أنه مع الصابرين.

وفيها تأسست رابطة العالم الإسلامي وذلك في اليوم الرابع عشر من شهر ذي الحجة واتخذ مقرها في مكة المكرمة وجعل لها مجلس مؤلف من كبار العلماء ورجال التفكير الإسلامي وأمين عام، وذلك لتوحيد صفوف المسلمين ضد كل من أراد الإسلام وأهله بسوء.

وفيها في يوم الأربعاء ٢٢ شوال صباحاً نزل الشيخ عبدالله السالم حاكم الكويت في مطار الرياض زائراً المملكة السعودية فكان في استقباله صاحب الجلالة وولي العهد وأصحاب السمو الأمراء ومعالى الوزراء وكبار رجال الدولة.

وفيها في غرة ربيع الأول تأسست بلدية مدينة بريدة برئاسة الرجل الطيب عبدالله بن حمود البراك. كان معروفاً بالأمانة والإخلاص والنزاهة. ولقد باشر مهمته بجد ونشاط وجعل يواصل أعماله الإصلاحية في المدينة ويلقي نظرتة على الشارع الرئيسي في الخبيب تمهيداً لإجراء التعديلات عليه بحيث يكون متناسباً مع أوضاع البلد الحالية.

وفيهما قام آل الراشد متبرعين بإصلاح مطار مؤقت لبريدة يبعد عنها شمالاً بخمس كيلومترات لأنّ المطار الأول أصبح قريباً من البلد، كذا يقول الموجهون. ووافقت مصلحة الطيران على ذلك فشرع في تمهيد الأخير وتعبيده وذلك في يوم السبت ٣/١٨ من هذه السنة. وبعدما تمّ إصلاحه كان البريد الجوي ينزل فيه.

تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة

كانت الدولة العثمانية قد فكرت في جعل كلية علمية إسلامية في المدينة لشباب الحجاز وغيرهم ووفدت لذلك وفداً لارتياح موضع لها وأرادوا الشروع في العمل. غير أنّ خلع السلطان عبد الحميد ووقوع الحرب العالمية الأولى ثم الحرب بينها وبين الشريف حال بينها وبين هذه الخطوة وأدخرها الله للحكومة السعودية. فقد دارت المشاورات بين الملك سعود بن عبد العزيز وبين سماحة المفتي فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم حول إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وتبرع جلالته ببعض قصوره في المدينة لهذا الغرض. والجدير بالذكر أنّ جلالة الملك المعظم قد أمر بافتتاح هذه الجامعة على حسابه الخاص وهي الآن تستقبل عدداً كبيراً من الطلاب وما زالت تتطور حتى اتسعت رقعتها وزاد في بنائها الملوك بعد سعود واتسعت حتى لقد حدثني بعض الموظفين فيها أنّها بلغت مساحتها سبعة ملايين متر مربع وأنّ صالة الطعام اتسعت لثلاثة آلاف طالب. وإليك النشرة التي تتعلق بميزانيتها حالة التأسيس: بعونه تعالى نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية تقديراً منا لما لنشر العلوم الإسلامية من أثر نافع في تثبيت دعائم الدين والنهوض بالأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ورغبة في إبلاغ الرسالة الإسلامية من حيث أننا استهديننا لهذه الغاية ما زلنا عاملين على تشجيع التعليم ونشر المعارف، وحرصاً منا على السير على هدي القرآن وسنة رسول الله وسيرة السلف الصالح وابتغاء

مرضاة الله وثوابه، أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى : إنشاء جامعة إسلامية بالمدينة المنورة تسمى الجامعة الإسلامية .

المادة الثانية : تعتمد الجامعة الإسلامية في مواردها على الأموال التي تقرر لها من خاصتنا الملكية .

المادة الثالثة : تقرر ميزانية الجامعة الإسلامية في العام الدراسي ٨١ - ٨٢ بمبلغ ثلاثة ملايين ريال سعودي تؤدي من خاصتنا الملكية .

المادة الرابعة : يكون القبول للطلاب السعوديين وغير السعوديين بالجامعة الإسلامية وسير الدراسة ومناهج العلوم التي تدرس فيها حسب الشروط والأوضاع الواردة في النظام الأساسي للجامعة الإسلامية ولوائحها .

المادة الخامسة : يعمل بأمرنا هذا من تاريخ صدور ونشره في الجريدة الرسمية . التوقيع الملكي الكريم : سعود .

جرت تعديلات وزارية حسب الأمر الملكي يعين فيصل بن تركي بن عبد العزيز وزيراً للداخلية، ويضم إلى نجل الملك محمد بن سعود وزير الدفاع مهام وزارة المالية والاقتصاد الوطني بالنيابة لحين صدور أمر آخر، ويعهد إلى ناصر المنقور بوزارة العمل والعمال والشؤون الاجتماعية إلى جانب عمله، ويعين عبدالله السعد وزيراً للمواصلات، ويعين إبراهيم السويل وزيراً للخارجية، ويعين بدر بن سعود نجل الملك أميراً لمنطقة الرياض . وذلك بتاريخ ٤/١ .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

الشيخ عبدالله الخليلي وهذه ترجمته: هو الشيخ عبدالله بن صالح بن عبد الرحمن بن منصور الخليلي قيل إن قبيلة المترجم ينتمون إلى الأكراد وهي عشيرة في البكيرية. فخاله الشيخ محمد الخليلي وابن خاله الشيخ عبدالله بن محمد الخليلي إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة. ولد المترجم رحمه الله في مدينة البكيرية عام ١٣٠٠ فتعلم في مسقط رأسه على مقرئ فيها كتاب الله عز وجل ومبادئ الكتابة. وأخذ يتعلم على خاله محمد ثم أنه سار إلى مدينة حائل فأخذ عن علمائها ومن أخذ عنه الشيخ عبدالله بن مسلم التميمي، وهو وإن كان عالماً ويصفه بعض العلماء بالعلم والمعرفة أعني شيخه ابن مسلم هذا فإن بعض العلماء يصفه بمنافرتة لعلماء نجد وميوله إلى آل رشيد لأنه كان قاضياً في حائل ومخلصاً لهم. وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن صالح المرشدي نزيل حائل وجد واجتهد حتى أدرك وجلس في مسجد العليا بحائل للتدريس ونشر العلم وكان مرحاً دمث الأخلاق حسن العقيدة والسلوك حنبلي المذهب. ولمّا أن راوده الملك عبد العزيز على القضاء لأول مرة أبدى اعتذاراً لدين كان عليه فقال له: يا الخليلي إني إنّما وظفتك رافة بك، وإلاّ فإنني أجد سواك. أليس شيخك ابن مسلم. فانقاد ونال من حكومته كمال الثقة فقد جعل قاضياً في المدينة المنورة ثم نقل إلى قضاء الجوف ثم نقل إلى قضاء الطائف. وكان إلى جانب القضاء يدرس في مسجد الهادي بالطائف. ولمّا أن أسست دار التوحيد عُين مدرساً فيها ثم كان مدرساً في المعهد العلمي، وآخر وظيفة نالها قضاء حائل. وكان قد اعتذر لكبر سنه ثم خضع لأوامر حكومته وبقي في القضاء حتى مرض في مدينة حائل فسافر إلى المنطقة الشرقية للعلاج، وتوفاه الله في الخامس والعشرين من شعبان رحمة الله عليه. وله مؤلفات منها تكملة الرحبية في الردّ وذوي الأرحام والقسمة ومنها مؤلف في

الفرائض مطبوع كما أنَّ له معرفة بعلم الفلك . أمَّا تلامذته الذين أخذوا عنه فخلق كثير وجم غفير نذكر بعضاً من كل : فمنهم عبد الكريم الخياط ، وعلي بن محمد بن هندي ، وعبد الرحمن بن محمد بن شعلان إمام المسجد الحرام وقاضي المستعجلة ، وسليمان بن عطية ، وعبد العزيز بن محمد العريفي صديق أخينا عبد المحسن وقاضي بارق ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن مسند ، وعثمان بن إبراهيم الحقيقل ، ومحمد الصالح المرشد ، وعبد الرحمن بن محمد الدخيل ، وصالح الناصر المفتي بالإذاعة ، وصالح بن عبد الرحمن العدل ، وعبد العزيز بن عبدالله بن عبدان ، وعبدالله بن جبير ، وعبدالله بن خزيم ، وعبدالله بن عبد الرحمن بن شلاش ، وسليمان بن عبد الرحمن بن شلاش ، وعبدالله بن عبد الرحمن البسام ، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله بن عبد اللطيف ، وحمد بن محمد الشاري ، وأناس كثيرون . أمَّا عن صفته فكان طويل القامة ، نحيف الجسم ، قمحي اللون ، نحيف الجسم ، قمحي اللون ، حلو المناقشة ، جم التواضع ، ولديه فكاهات مع الأحباب ، ولديه علم غزير ومعرفة بأحكام الشريعة ولا سيما الفقه وله تمسك بالدين ومعرفة بعلم العروض فكان قارعاً للشعر . وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ ابن حسين ، وهذه ترجمته : هو الشيخ العالم الفقيه الزاهد المتعفف أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن حسين بن صالح بن حسين بن عبدالله بن إبراهيم آل أبالخيل من المصاليخ من قبيلة عنزة . ولد عام ١٣٠٨هـ في قرية المريدسية من قرى بريدة في القصيم فعاش في أحضان والديه ، فأبوه عبدالله الحسين عالم مشهور في القرية المذكورة . ولَمَّا أن تَمَّ له من العمر عشر سنين أدخله عند مؤدب القرية حتى حذق القراءة والكتابة ثم أنه لازم والده الشيخ عبدالله بن حسين وأخذ عنه مبادئ العلوم وجدَّ واجتهد وأخذ عن الشيخ عيسى بن محمد الملاحي وكانت هناك فتن وزعاع ومحن وحروب حالت دون استمراره في مواصلة

الدراسة . ولما هدأت الأحوال وأمن الله عزَّ وجلَّ أهل نجد بولاية الملك عبد العزيز لم يلبث والده أن توفي فانتقل المترجم إلى مدينة بريدة حيث أخذ يطلب العلم ويدرس القرآن على الشيخ عمر بن محمد بن سليم ، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم ولازمهما في تعلم التوحيد والفقه والحديث واللغة والنحو والفرائض وغيرها من سائر العلوم ، وما زال يدأب في الطلب حتى بلغ الغاية القصوى في ذلك . وكان الشيخ عمر يستخلفه في القضاء في حال غيابه . أمَّا الوظائف التي نالها فقد جعل في هجرة تسفي وجعل في قرية الجعلة إماماً وخطيباً ومرشداً ويحل مشاكلها . ولما أن توفي قاضي عنيزة عبدالله بن محمد بن نافع سنة ١٣٦٠هـ ولاه الملك عبد العزيز قضاء عنيزة ولكنه لم تدل إقامته فيها لخلاف حصل بينهم ، فقد أعفي من قضائها في منتصف شعبان من العام المقبل بحيث رجع إلى بريدة . والباعث لذلك أنه أراد أن يقيم جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمر بتفقد الجماعات في صلاة الفجر وسلك طريقة الحزم من دون حكمة فتوترت العلاقات وكثرت الشكايات ضده . وبعدما قدمت لجنة من الرياض للنظر في الموضوع طلب الإعفاء من تلك الوظيفة ، وذلك لأنه كان صريحاً قوياً . وقد أسف لفراقه رجال من الأهالي . ثم أنه لما توفي الشيخ القاضي عمر بن محمد بن سليم طلب كبراء مدينة بريدة من الملك عبد العزيز أن يولى قضاء القصيم فجاءت الموافقة على ذلك وياشر مهمته في ١٨/٤ عام ١٣٦٣هـ وشغل هذه الوظيفة واستمرَّ إلى شهر رمضان من السنة المذكورة أي أربعة أشهر و١٥ يوماً تقريباً حيث عزل عن القضاء وجعل مكانه الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد . فاختار لنفسه العافية وأن يكون معتزلاً ليقضي بقية حياته في إمامة مسجده بجوار بيته . وكان صريحاً في الحق لا يخشى ملامة لائم مع قوة وقلة مداراة وذا هيبة لأنَّ له شخصية بارزة . وقد لا تكفي القوة وحدها في بعض الأحيان لإدراك المقصود . وكانت هذه الخصال هي السبب

الذي جعله لا يستمر في قضاء المدينتين بريدة وعنيزة وكان قليل الغضب
سمح الخلق مقلداً من الدنيا من يجالسه لا يمل حديثه وكرماً يتفقد الضعفاء
من جيرانه وأقربائه ويتعهد الفقراء والمساكين ويحب الوحدة والجلوس في
المسجد والتفرغ للعبادة ويحج كل عام . وكان لما ترك القضاء في عنيزة
وانسحب من دون تعزيز لموقفه رأى ولي الأمر من ذلك أنه بخلاف ما يظن
فيه من الدهاء والمعرفة فلم يوافق على جعله قاضياً في العاصمة إلا إجابة
للأهالي الذين طلبوا ذلك . وفعلاً كثرت الشكايات والمخالفات ضده . ولما
أعفي من قضاء بريدة أجرى له الملك عبد العزيز مساعدة شهرية لتأمين
معيشته وإكراماً له واحتفاظاً بكرامته . ثم أنه أخذ يؤلف حاشية وزوائد لزاد
المستقنع وجعل من ذلك كتاباً ضخماً خدمة للعلم وطلاب العلم . ولما أن
أوشك أن يتمه عرض عليه بعض الأجواد أن يطبعه على نفقته وألح عليه
آخرون ، غير أنه أحب أن يطبع الكتاب من حاله الخاص وقام بجمع لطبعه
نفقات منذ مدة طويلة ودفع النفقة كلها قبل وفاته وأمر أن يكون الكتاب وقفاً
لوجه الله تعالى وأن يوزع على طلاب العلم وقد بدى بطبع الكتاب قبل
وفاته لشهر وأقر الله عينه بذلك لأنه عمل صالح . وفي الحديث عن
النبي ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو
علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» . وقد جمع شوارد في كتابه هذا
المسمى الزوائد وبذل جهوداً يشكر عليها وأبرزه على وضعه ذلك ولكل
إنسان نظر وذوق ، وقد أعيد طبعه ولكنه لم يجد عناية وخدمة بحيث لو كان
في ثلاث مجلدات بالحرف الكبير لكان أحسن . وجزى الله من أعاد طبعه .
وقد ذكر المؤلف أنه فرغ من حاشية الزاد في ١٣٧٢ هـ ومن حاشية الزوائد في
١٣٧٣ هـ . وكانت وفاة المترجم في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان من هذه
السنة في مدينة بريدة فصلّى عليه المسلمون في الجامع الكبير ودفن فيها .
وأبدى المسلمون أسفهم الشديد لذلك . وقد خلف من الذرية بعد مماته

ذكراً واحداً وهو عبدالله وأربع بنات. رحمة الله على الشيخ محمد الحسين وغفر له وتغمده بمغفرته.

وممن توفي فيها من الأعيان الأجانب السكرتير العام للأمم المتحدة. داج همر شولد. كانت وفاته في شهر ربيع الثاني في عشره الأولى وتصف آلامه مصرعه بأنه كارثة قابلها العالم بصفته رجلاً محباً للسلام وموسوماً بالعدل بالحزن والأسى. ويذكرون له مواقف في العدل وخدمة قضية السلام وأن من خدماته التي لا تنسى وأبرزها موقفه الرائع العظيم في الحرب الثلاثي العدواني على قناة السويس في سنة ١٣٧٦هـ حينما قدم استقالته من منصبه إذا لم ينفذ وقت إطلاق النّار على مصر في ذلك القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة يومذاك، هذا إلى جانب مواقفه الكثيرة من قضايا السلام. وقد حامت الظنون حول مقتله لأنّ قتله فيما يزعم أهل الآراء خسارة لقضية السلام بصفته الأمين العام للأمم المتحدة ومن أين يكون مثله لمقامه.

وفيها سقط بيت في حارة الخبيب من بريدة في آخر الليل على أهله فكانوا ضحية لهذا الحادث وماتوا كلهم سوى صبي كتبت له النجاة وكان الذين هلكوا تحت أنقاض البيت أربعة وذلك في ليلة ٢٢/٧ الموافق للجمعة منتصف الليل يصلّى على جنائزهم جميعاً في جامع بريدة الكبير بعد صلاة الجمعة. إنّنا لله وإنا إليه راجعون.

إضاءة مدينة بريدة بالكهرباء

في هذه السنة بعدما أصدرت شركة كهرباء بريدة في مستهلها بعض التعليمات الخاصة بتسليك المنازل موضحة الوسائل التي يجب على المواطنين اتباعها في تسليك منازلهم وتجنبهم أخطار الكهرباء وذلك لقوة خط ٢٢٠ وتمهيداً لإيصال التيار الكهربائي إلى المنازل نظراً للانتهاك من تركيب المكائن الخاصة بالشركات وقرب العمل في انتهاء الشبكة. فكانت

الأمة جادة كل في تسليك منزله وكانت فرصة للعمال الأجانب الذين انتهزوا هذه الفرصة. أمّا الذين يجلبون المعدات من أسلاك وقسامات وأكواع وطبلونات وأفياش وطفائيات فهي فرصة أيضاً. وجلبت إلى القصيم لأول مرة أنواع الثريات والنجفات والمكيفات والثلاجات، وقام المهندسون يدأبون في مواصلة الأعمال. ولمّا أن كان في أوائل شهر ذي القعدة عام ١٣٨١هـ لمعت أنوار الكهرباء في مدينة بريدة واستصبح الناس بها في الأسواق والشوارع والبيوت ورؤوس المنائر واستخدمت مكبرات الصوت للخطب والأذان. وقد لعب تجار الكهرباء وذوو التوريدات دوراً في ذلك وأصبحت المدينة تتمتع بضياء في الليل كضياء النهار واستوت المساجد والبيوت في هذه المصلحة كما استخدمت المراوح والبرادات والغسالات والدفءات ومكبرات الصوت في النوادي والاحتفالات وجلبت الديموات لرفع الماء من الآبار ومن أسفل إلى علو، وخطت مدينة بريدة بذلك خطوات تقدمية. وبهذا تصبح مكائن الخياطة لا تحركها الجوارح بل يحركها التيار الكهربائي كما كان صالحاً لتشغيل المذياع وغيره فتكون الأفياش قابلة لأن تخرج البرودة والحرارة وتشغيل كل آلة تتصل بها من مخض الألبان وطحن البن والبهارات وأصبحت الكهرباء من ضروريات الحياة بحيث إذا انطفأت الكهرباء فإنّها تتوقف المصالح. وقد سبق استخدام الكهرباء بمدينة الرياض والمنطقة الشرقية والحجاز في مكة المكرمة والمدينة المنورة وانتشر في سائر الجزيرة لوقت قريب. فقد رأيت في عام ١٣٥٢هـ في مكة المكرمة رحي يدور بها حمار قد حزمت عيناه بخرقه وهو يحرك تلك الرحي لطحن القمح وإخراج الدقيق لأنّه لم يكن إذ ذاك فيها، وهي المتقدمة في الحضارة، شيء من هذه المستحدثات. فما كان إلاّ عشية أو ضحاها حتى جلبت هذه المستحدثات التي وفرت للأمة راحتها. والله على كل شيء قدير وكانت السيارات قبل ذلك الوقت بسبع سنين لا يركبها إلاّ الملوك والأمراء

والمعظمون فقد حدثني الثقة الأخ عبد العزيز بن محمد بن مضيان أنه في حال كونهم وعاظاً ومرشدين في المسجد النبوي عام ١٣٤٥هـ ينهون عن الحلف بالأمانة وينهون عن التوسل بالنبي أو ندائه كما هي حالة الحجازيين قبل ولاية الملك عبد العزيز إذا أراد شيوخهم النهوض للقيام يقول: يا رسول الله أن يقول بالنبي فكانوا ينهونهم عن ذلك ويبينون أن الإستغاثة تكون بالله والحلف به أو بأسمائه وصفاته. قال: فقال لي أحدهم لله دركم يا أهل نجد حلفكم بالله واستغاثتكم به فوالله وبالله وتالله ليدخلن فساقكم الجنة على أثنيّلات بكرامتهم عند الله عزّ وجلّ. وبما أن الكهرباء والماء قد توفروا في القصيم فهم يطالبون بوضع مصلحة التليفونات ومد خطوط تربط المدن بعضها ببعض. ونسأل الله تعالى أن يقوي جانب الدين ويرشد المسلمين لما فيه قوة الإسلام. وما تقدمت أمة إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ. ولو أخذ الناس بتعاليم الدين وثبتوا على مبادئهم وتركوا تعشق آراء الغربيين والمنحرفين عن الشريعة المحمدية لأفلحوا ونجحوا وقهروا عدوهم وأصلح الله شأنهم. وأملنا عظيم في ملوك الإسلام أن ينشروا دعاية للإسلام وتحبذ نهجه ويسيروا في أممهم على ما كان عليه سلفهم الصالح.

وفيها في أواخر السنة تمّ تركيب الخطوط التليفونية ووضع السنترال في مدينة بريدة وأصبحوا يتخاطبون بها في الدوائر والمحطات والبيوت وغيرها ولا تزال الأمة تطلب التوسع في مصلحة التليفون. وقد أوجدت في هذه السنة أنواع المسجلات والمستحدثات الحديثة.

هذا ولا تزال العمادة مستمرة في المسجد الحرام زاده الله تشريفاً وتكريماً وقد أتى المقاول محمد بن عوض بن لادن بجميع ما يتطلبه الموقف من مهندسين وعمال واستقدم لذلك معدات تقوم بعمل جبار لإكمال الخطة التي رسمت له، ولا يزال العمل قائماً على قدم وساق وصرفت مبالغ لأصحاب

العقارات التي هدمت لتوسعة المسجد الحرام بما كانت مساحة التوسعة ٧٥٠٠٠ متر مربع ليتسع الحرم لحوالي نصف مليون من المصلين . ولقد أحس الناس من تلك الآونة بالراحة أثناء أدائهم للشعائر الإسلامية في تلك المواضع المقدسة ولا سيما المسعى الذي كان داخل الحرم مقاماً من طابقيين ويفتوى العلماء كان الحجاج والعمار يسعون في الطابق الأعلى مع الأسفل وبلغت التعويضات التي دفعت لأصحاب الأملاك هناك ما يزيد على مائتي مليون ريال سعودي . وسيأتي لذلك بقية .

أما عن الإصلاحات الأخرى في هذه السنة والتي قبلها فمنها مستشفيات متنقلة وعددها أربعة بلغت قيمتها مليون وثمانين ألف ريال وذلك للبادية والقرى النائية وبلغت تكاليف هذه المستشفيات المتنقلة سنوياً أربعمئة ألف ريال . أما الابتعاث إلى الخارج فقد نفذت سياسة جديدة في العام الماضي من ابتعاث الطلبة إلى دول مختلفة فتوجهت بعثات علمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وألمانيا وسويسرا والجمهورية العربية حتى بلغ مجموع الطلاب السعوديين في الخارج حتى يوم ٢٠/٤ من العام الماضي ١٠٦٧ طالباً .

وفيها شرع في عمارة ثلاثة مساجد في القصيم أقيمت من الأسمنت المسلح .

وفيها جرت محاولة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر ولكنها فشلت وذلك لأنه قام ستة من الضباط المصريين أثناء إبحار جمال والرئيس تيتو على ظهر اليخت لتنفيذ هذه الخطة . وقد أُلقي القبض على الضباط الستة وأعدموا فوراً رمياً بالرصاص . وقد تقدم هذه المحاولة محاولتان في العام الماضي لكنهما أيضاً فشلتا، إحداهما في اليوم ٢٦ يوليو وهو يوم ذكرى الثورة المصرية . وقد أعدم زعيم هذه المحاولة طارق مسعود والثانية بعد

انفصال سوريا عن مصر، وأعدم الثائرون وعددهم خمسة عشر ضابطاً.

وفيها عاد الملك سعود بن عبد العزيز من سفره للعلاج. وكان قدومه في يوم الأربعاء ١٠/٢ فهرعت جموع الشعب واستقبل استقبالاً حافلاً وأقبلت إليه في جدة عن طريق الجو أصحاب السمو الأمراء كما أنه استقبل في مكة والرياض ولما أن كان في اليوم التاسع من شوال أصدر جلالته خطاباً إلى ولي عهده فيصل بن عبد العزيز برقم ٤٢: من سعود بن عبد العزيز إلى حضرة صاحب السمو الأخ المكرم فيصل بن عبد العزيز السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإننا نحمد الله الذي أعادنا إلى هذا الوطن بالصحة والعافية بعد أن قمتم عنا بالنيابة مقاماً محموداً أنتم جديرون به، ثم إننا رغبة منا في التعاون على ما فيه مصلحة الدولة، ونظراً لما نعهده فيكم من إخلاص ودراية وحكمة، وبالنظر لما تقتضيه المصلحة العامة، فأمر بما هو آت: أولاً: يشكل مجلس الوزراء برئاسة برئاستنا. ثانياً: أن يكون سموكم نائباً عنا في مجلس الوزراء وشؤون الدولة في حضورنا وغيابنا. والله ولي التوفيق. التوقيع سعود؟

وصدر أمر ملكي أيضاً رقم ٤٣ تاريخ ٩ شوال من هذه السنة بآئه بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة بعد الاطلاع على المادة ١١ من نظام مجلس الوزراء الصادر بالمرسوم رقم ٢٨ تاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣٧٧هـ، أمرنا بما هو آت... أولاً: يشكل مجلس الوزراء برئاسة برئاستنا على الوجه الآتي. ثم قال: يكون فيصل نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للخارجية، ومساعد بن عبد الرحمن وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني، وفيصل بن تركي وزيراً للداخلية، ومحمد بن سعود وزيراً للدفاع، وأحمد جمجوم وزيراً للتجارة والصناعة وأحمد يمانى وزيراً للبترول والثروة المعدنية، ومحمد المرشد الزغبى وزيراً للمواصلات، ومحمد الحمد الشبيلي وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية، وحسن بن عبد الله بن الشيخ وزيراً للمعارف وعبد الرحمن بن الشيخ وزيراً للزراعة، وحامد هرساني وزيراً للصحة، وحسين عرب وزيراً

لشؤون الحج والأوقاف ثم قال ثانياً: يلغي أمرنا هذا جميع ما يتعارض معه من أوامر سابقة ويعمل به من تاريخ صدوره. التوقيع الملكي سعود.

ثم أصدر أمراً ملكياً رقم ٤٥ تاريخ ١١ شوال منها بتعيين عبد الرحمن أبا الخيل وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.

وفيات الأعيان ذكر من توفي فيها فمنهم الأمير محمد بن سعود بن عبد الرحمن آل سعود بعد ظهر يوم الأحد الموافق ١٠/٢٠ ويوصف بالصلاح وحب الخير وقد شيعه العلماء والأمرء والأعيان إلى المسجد للصلاة عليه وإلى مثواه الأخير رحمه الله وعفا عنه.

وفاة علم في الحكومة لما كان في صباح يوم الخميس الموافق ١٥ ذي القعدة توفي يوسف ياسين رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته: هو العالم الأديب الحي النبيل ذو المعرفة والنباهة والإخلاص للحكومة السعودية يوسف ياسين اللاذقي السوري من أهالي سوريا سكرتير جلالة الملك الخاص ورئيس الشعبة السياسية الذي يسعى في عقد الاتفاقيات بين المملكة السعودية وسائر الدول. فقد عقد وأبرم أربعاً وستين اتفاقية مع الدول والحكومات ما كان به موضع الثقة والتقدير من جلالة الملك عبد العزيز. وناهيك به ناهية وعلماً وسياسة. وكان الشيخ يوسف قد عرف بالإخلاص للدولة السعودية وله جولات في السياسة والأدب تذكرها له المحافل الدولية وجريدة أم القرى حيث قام بإدارتها والإشراف عليها في أول عهد الملك عبد العزيز بالحجاز وقد سجل له التاريخ خدمة عظيمة لهذه البلاد أكثر من أربعين عاماً لم يعرف خسارة كبرى في حق المملكة، أضف إلى ذلك أنه نزيه العرض مخلص لدين الإسلام مع أنه كان متفانياً في حب الملك الراحل عبد العزيز وعقبه وكان رفيق الملك عبد العزيز في أسفاره ومهامه كما في طلب الدويش لما فرّ إلى الإنكليز للاحتماء بها. وقد وضع مقدمة لفتاوى

شيخ الإسلام ابن تيمية في طبعتها الأخيرة، ورأيت له كتاباً أدبياً عن المرحلة الملكية من الرياض إلى مكة المكرمة في فتحها ونزول الملك منزلاً منزلاً وشده ورحيله بموكبه الكريم. أمّا عن حياته فهو يوسف ياسين بن محمد ياسين كانت ولادته في موطن آبائه وأجداده وعشيرته في اللاذقية من أعمال سوريا. أخذ في الدراسة بمدرسة ابتدائية ولما بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة وذلك في عام ١٣٢٢هـ دخل في دراسة دينية على عالم أزهرى قدم إلى وطنه من مصر فتعلم منه القرآن والتجويد والنحو والصرف ثم أنه ذهب إلى مصر والتحق في مصر بدار الدعوة والإرشاد التي كان المشرف على إدارتها العلامة محمد رشيد رضا. ولما أن وقعت الحرب العالمية الأولى وأغلقت هذه الدار رجع إلى سوريا حيث درس في الجامع الأموي ثم التحق بمدرسة صلاح الدين الأيوبي ثم اشترك في الثورة على الأتراك لتخليص بلاد الشام من حكمها والتفّ مع الحسين ثم ذهب إلى ابنه عبدالله في شرق الأردن وبعد ذلك التحق بجلالة الملك عبد العزيز وذلك في أوائل سنة ١٣٤٣هـ وظلّ في خدمته ونال منه الثقة وجد وجاهد وعمل في الحقل السياسي منذ أن خدم في الدولة السعودية وشارك الملك في جهاده وشارك رجال الملك في جهادهم وعمل أعمالاً يشكر عليها في تقدم البلاد ونهضتها. وما زال في نشاطه ودهائه وإخلاصه حتى ثقل في هذه السن فتوفاه الله تعالى بمدينة الدمام على إثر نوبة قلبية فنقل جثمانه إلى الرياض وصلى عليه جمع من العلماء والأوامر يتقدمهم سمو الأمير فيصل ولي العهد المعظم إذ ذاك وحضر جنازته جمع كثير من الأعيان وكان وزيراً مفوضاً في حكومة جلالة الملك ومستشاراً معظماً أكثر الله رجال الإخلاص وغفر له. ثم أنه صدر أمر ملكي بتعيين إبراهيم السويل مستشاراً خاصاً لجلالة الملك المعظم ورئيساً للشعبة السياسية بالديوان الملكي وذلك برقم ٥١ تاريخ ٢٤ ذي القعدة من هذه السنة؟.

وفاة رجل من الرجال والرجال قليل

ففيها في ليلة الجمعة يوافق ٢٨ ربيع الأول توفي إبراهيم البليهي
رحمة الله تعالى عليه. وهذه ترجمته: هو الأديب الحافظ النبيه أبو صالح
إبراهيم بن محمد بن مانع بن محمد بن عبدالله البليهي من قبيلة الدواسر
نسبة إلى دوسر من الفخذ المشهور بالوداعين وينتهي نسب دوسر إلى
قحطان على ما ذكره كثير من علماء النسب. وهذا الفخذ نزلوا قديماً في
بلد الشماس شمال بريدة منفصلاً عنها قديماً. أمّا في هذا الزمان فقد
اتصلت به بريدة وكان هذا الموضع له شهرة عظيمة بحيث يقول
شاعرهم:

لي ديرة عنها الموازين قبله شر فيها المرقب ومجرى الفواجر
ياما دخلنا غبة الموت دونها ويا ما ضربنا بالسيوف البواتر

ويبالغ بعض الرواة عن قوة بلد الشماس وقد يجري بينهم وبين
أهالي بريدة قتال وذلك لأنّ أهالي بريدة في بعض القتال كمنوا في
المقطر لأهل الشماس في يوم عيد الأضحى وقتلوا من أهل الشماس
عدة رجال من مشاهيرهم ويقول الشاعر الدريبي أمير بريدة يفتخر على
أهل الشماس:

حنا ضحايانا مهنا وكديان وأنتم ضحياكم كباش سمان
ويقول أيضاً:

ضحية المقطر مهنا وكديان وعثمان الشيخ الشجاع العقيدة

والمراد بكديان جد البليهي بحيث نقول عبدالله بن بليهي بن كادي بن
شماس بن فطاي الودعاني الدوسري وعثمان هو أمير الشماس وبقياء مرقب
الشماس الذي ظلّ قائماً ما يقرب من مائتي سنة تدل على قوة أهله وأنّ فيهم
عبرة بحيث لم يبق من آثار بلد الشماس بقية كأنّهم ما أكلوا فيه ولا شربوا.

وقد قدمنا عن الفواجر واحدها فاجرة^(١) وهي وادي يجري إذا ما كثرت الأمطار كما في عام ١٣٦١هـ. أمّا عن الشماس فيقول ابن غنام في حوادث ١١٩٦هـ إنهم قاموا على أميرهم علي بن حوشان وقتلوه وقتل أهل الخبراء إمامهم في الصلاة منصور أبالخيل يوم الجمعة وهو ذاهب للصلاة، قطعوا منه الوريد وهو للصلاة مريد، وقتل أهل الجناح رجلاً من أهل الدين مكفوف البصر وصلبوه بعصبة رجله وفيه رمق من الحياة ويقول ابن عيسى في مقتطفاته: إنّ الرجل الذي قتله أهل الجناح يقال له البكري وعلقوه بعصبة رجله في خشبة وأن حجيلان بن حمد خرج بأهل بريدة إلى بلدة الشماس فقاتل من وجده فيها وهرب أهلها ولما أن هرب آل بليهي من حملة الهاربين انتقلوا منه إلى الشماسية. رجعنا إلى ذكر المترجم فنقول: ولد سنة ١٣٠١هـ في بلد الشماسية التابعة لمدينة بريدة ثم إنّ والده طلق زوجته والدة المترجم فتزوجها بعده عبد العزيز بن حنيشل من أهالي مدينة بريدة فكان المترجم مع والدته ونشأ نشأة طيبة فتعلم القرآن الكريم والكتابة في إحدى مدارس بريدة الأهلية وذلك في زمن قصير لما له من الذكاء والفطنة والفهم المتوقد ونال حظاً جسيماً من تقدير بني جنسه له ثم أخذ يتعلم في الأصول الثلاثة وكتاب التوحيد ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه على علماء القصيم الأجلاء محمد بن عبد الله بن سليم وعبد الله بن فداء وعبد الله بن محمد بن سليم وعمر بن محمد بن سليم، ونهل من معين هؤلاء المشائخ العلماء، وأخذ عن الشيخ ناصر بن سليمان بن سيف. وقد راوده الأمير صالح الحسن بن مهنا على أن يكون له كاتباً لأنّ خطه كان جميلاً فلم يوافق. ولما أن توفي زوج والدته ابن حنيشل

(١) الفاجرة مشتقة من الانفجار لا من الفجور، وهي واد يأتي من جهة الشمال فإذا ما جاوز الشمال اتسع متجهاً إلى الجنوب فيهبط إلى شارع الخبيب ويحتاج إلى عناية وتعريف لتكون الأمة في مأمن منه.

المذكور رجع إلى مسقط رأسه قرية الشماسية فأقام فيها يمارس البيع والشراء، وقد يتولى أعمال الزراعة والحراثة والفلاحة ويزاول أعمالها لأن أسرته إذ ذاك فيها. ولما أن كان في سنة ١٣٣٨هـ انتقل بعائلته إلى مدينة بريدة لأنه قد تزوج إذ ذاك وولد له أولاد، فعمر بيتاً في جنوبي بريدة وسكنه وفتح دكاناً للبيع والشراء يسترزق الله ويستمطر سحائب كرمه، ثم أنه ترك ذلك وانتقل إلى الحراثة والمساقاة فسكن في مزرعة في صباح بريدة المسمى فيحان وكانت هذه المزرعة من أكبر ضيعة إذ ذاك في فيحان، وتعرف بمزرعة عيسى فكان فيها ما شاء الله ثم أنه عن له بعد ذلك أن يمارس التجارة في السفر والضرب في الأرض لطلب الرزق فترك الزراعة وجعل يسافر بالتجول من بريدة إلى الرياض والإحساء وإلى الخليج العربي، وذلك في عام ١٣٤٦هـ. واستمر على ذلك أربع سنوات ويصحبه نجله صالح بن إبراهيم. ولما أن كان في سنة ١٣٥٠هـ انتدبه الملك عبد العزيز لخرص نخيل الإحساء فكان يزاوّل هذا العمل بتمام المقدرة والعلم والمعرفة ثم أنه ترك ذلك ورأى أن يعمل في الحراثة والفلاحة لأنه يؤثر ذلك وله حظ من الزراعة والفلاحة ولما في ذلك العلم الخيري من صدقات وإحسان يجود بها الضمير وقد لا يجود لأن بعضها يخرج بالغلبة ويثيب الله صاحبه وتصل إلى كل ذي كبد رطبة من البشر والطيور والبهائم. ولما منحه الله تعالى من سخاوة النفس ورحابة الصدر في وقت كانت الأمة بحاجة إلى ذلك ففلح النخل المسمى بالشقيري ملكاً كان لمنصور بن رميح على ضفة مدينة بريدة الغربية. وبصفته كذلك فإنه أصبح مأوى لطلاب العلم وأهل الفضل يتتابونه للوضوء والاغتسال والزيارة والذكرى لأحاديث الرسول وسيرة السلف الصالح. وكان الشيخ عمر بن محمد بن سليم يخرج مساء في تلك الآونة فيتوضأ ويغتسل من تلك المياه وكان الفلاح إبراهيم بشوشاً بكل من يراه في النخل ثم أنه رأى أن يغرس غراساً وأشجاراً عملاً بقوله ﷺ: «من نصب

شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل». فمن توفيق الله له أن اشترى موضعاً في التغير من محمد السديري وهو نصف ملك العدوان بقيمة زهيدة ستين ريالاً وذلك لما سمع برغبتهم قبل ذلك في حفر بئر إرتوازية ليأتوا بمعدات من بعض الجهات الخارجية، ولعله أن يكون ذلك من أسبابه هو وكانت التغير المعروفة ببريدة إذ ذاك صحراء قاحلة تقع في الجهة الشمالية على مسافة نصف ساعة للرجال وفي سبيل الذين يذهبون إلى شعيب الودي للنزهة أوقات الأمطار، فاختفر بها بئراً عام ١٣٥٦هـ وعزم على حرثها وسكنها وكان يقول: كنت أخجل من أن يراني الناس في ذلك الموضع الذي لا أنيس فيه ولا ساكن وكانت مأوى للوحوش والسباع حتى انتقده بعض أهل الآراء والمعرفة قائلاً: (يا إبراهيم إنك لما خرجت من الشقيري قالت الأمة: لقد خلق هذا العقاب فعلى أي فريسة يقع فلم نشعر إلا بك تهبط على صعيد تسكنه الوحوش). وقال لي مرة: أنها بلغت بي الحال حينما تبدى أناس يريدون شعيب الودي وكنا نحفر البئر إن ألقينا فيها الزناويل والفؤوس والمساحي واختفين بها حتى جاوزونا ثم خرجت وأولادي من البئر نعمل فعجب الله له وحقق أمنيته وسدد رميته وقارنه السعود فيها وأصبحت منظراً رائعاً تهتز نخيلها وأشجارها وتكفي الرياح زروعها «واهتزت وربت وأنبت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير». وبنى فيها القصور وحدث ولا حرج، وكانوا يبذرون فيها أنواع البذور فتأتي آية في الصلاح والنمو وفجرت فيها الأنهار وكانت الأرض قابلة لكل ما يودع فيها من القمح والبطيخ والقثاء والرمان والذرة والدخن وغير ذلك، ولا سيما النخل وسائر الفواكه. وقامت الأمة يتسابقون إلى مثل ما عمل، وهؤلاء كآل رواف وصالح بن عبد الكريم بن طويان. وما زالت العاصمة تزحف إليها حتى أصبحت إحدى حاراتها، وكانت عائلته لا تزال

مجدة في خدمته وطلب مرضاته ثم أنه بعث إليه جلالة الملك عبد العزيز ليكون مراقباً على إحدى فرق العمال الذين يقبضون الزكاة من قبائل عتيبة، فسافر ليكون مراقباً لهذه المهمة واستوعب هذا السفر قريباً من ثلاثة شهور ثم جعله أمير بريدة عبدالله بن فيصل بن فرحان مخططاً لشوارع الخييب لما أقطعه أهالي بريدة بيوتاً وذلك في سنة ١٣٦١هـ.

ولما أسند إليه هذه المهمة خطط شوارعه على أحسن وضع وجعلها معتدلة واسعة على حسب ذلك الوقت ومنظمة تفوق على سائر شوارع المدينة وقد كان الشيخ عمر بن محمد بن سليم قدس الله روحه، وهو القاضي في القصيم، ينتدبه لمهام الأمور وقد يتولى الفصل بنفسه بين المتخاصمين إذا كان للصلح موضع وإلا فيأتي بالقضية إليه لحكم الشرع. وبقي رئيساً في هيئة الأراضي حتى توفاه الله تعالى. وكان ينتدبه أمراء عاصمة القصيم في صدقات جلالة الملك وولي عهده لتقسم النقود والأرز والدقيق على القرى وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين. وبذلك كان موضع الثقة لصرفها على الوجه المطلوب. وله إلمام ومعرفة بالتاريخ وأنساب العرب والقبائل وشعوبها وقبائلها ويحفظ كثيراً من أشعار العرب. وقد كتب نبذة في التاريخ والوقعات لأنه يحب البطولة والشجاعة وهو من شجعان الرجال وذوي الرأي والمعرفة. وهذا الموضوع في الوقائع التي شاهدها غير أنه لم يواصل ذلك العمل وتوقف عنه حوالي عام الوباء الذي يدعى بسنة الرحمة ١٣٣٧هـ لكثرة أشغاله وطلب معيشة. وما زال موضع الإعجاب والثقة من أمته وحكومته لما كان متصفاً به من الرجولة والتواضع وعزة النفس والشجاعة والمروءة وقوة العزيمة والنزاهة والعقل. وهذه صفته: كان ربعة من الرجال مهيباً قوي البنية قليل اللحم إذا رأيته في نشاطه تظنه ابن عشرين، شثن اليدين والرجلين، أبيض قد لوحته الشمس، ولم يفرش طريقه بالرياحين، بل كان صابراً على صدمات الأحجار وملاقات الأهوال، ذا لحية

حسنة، عليه صفات الرجل العربي، ولا يتخلى دائماً عن لبس المشلح، ومقديماً لدى الملوك والحكام والقضاة، وكان ذا محبة لأهل الدين والفضل والخير والصلاح، ويقدر العلماء، ويوالي في الله، ويعادي فيه، وله معرفة بالعقيدة وبصيرة في دينه ودنياه، ويبغض أهل البغي والزيف والضلال ولا يألفهم مع حنو على الفقراء والضعفاء. وبالجملية فإنه يعتبر من خيرة أهل زمانه رجولةً ودينًا وكرمًا ومعرفةً وبصيرةً. ويعتمد عليه في المهمات وحل المشكلات، ويقوم بقضاء الحاجات وتفريغ الأزمات على حسب المقدرة البشرية ويقرض المحتاجين، وينظر المعسرين، ثم أنه مرض في آخر عمره مرضاً أورثه ضعفاً في قواه وهو لا يزال يثني على ربه ويديم الشكر له ويلهج بذكره وتلاوة كتابه. ثم إنه توفي في اليوم المذكور والتاريخ المتقدم عن عمر يناهز الحادية والثمانين رحمه الله برحمته الواسعة. وكان قد أوصى أن يدفن في مقبرة له قد أوقفها في التغيرة وقد خلف ثلاثة بنين صالحاً ومحمداً وعبدالله. فأما صالح فهو عالم فقيه وله محاضرات يلقيها بين الأمة في المجامع والجوامع ومواعظ وإرشادات. وأما محمد وعبدالله فرجلان صالحان متمسكان بدينهما.

وفيها وجهت وزارة المواصلات إلى أعيان العواصم والمدن في المملكة دعواتها لحضور حفل افتتاح ميناء الدمام الجديد الذي أقيم على شرف حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز. ولما أن قدم هناك وفد مدينة بريدة تقدموا إلى الملك ببعض الطلبات التي تهم منطقة القصيم منها إنجاز خط الرياض إلى القصيم الذي سبق أن أمر جلالتة بتعبيده وسفلتته، ومنها تشكيل لجنة لدراسة مهام مشاريع المنطقة وغير ذلك.

سفر الملك سعود لأوروبا

كان الملك قد عاد إلى مملكته ليحج بالمسلمين بالرغم من أن الأطباء نصحوا له باستمرار الراحة استكمالاً للعلاج، ثم أنه بعدما تمّ الموسم سافر إلى أوروبا لتوفر الحمامات الخاصة التي نصح الأطباء بها هناك فغادر مطار جدة في تمام الساعة الثانية والنصف عربي من صباح ١٢/٢٨ من هذه السنة إلى أوروبا لإكمال العلاج.

وفي موسم الحج أقيمت مناشير كثيرة بين الحجاج من أهالي مصر وغيرها ووزعت بين الأمة إظهاراً لما يكنه جمال عبد الناصر وبيطنه من الكيد للإسلام وأهله وبياناً لما كان يتعاطاه من الأعمال المضادة لدين الإسلام. وأذاعت بعض الصحف العربية بأنه يخشى من انقلاب في مصر لما كان عليه رئيسها من الاستبداد وكثرة الناقمين عليه. وقد انضاف إلى ذلك أنه صد باخرة مصرية عن الحج بعدما أحرّموا ولبسوا ثياب الإحرام ولما رجعوا محصرين إلى السويس أبوا أن ينزلوا عن الباخرة وجعلوا يناشدونه أن يعودوا. فبعثت الحكومة السعودية طائرات لنقلهم وإعادتهم إلى مكة للحج.

ثم دخلت سنة ١٣٨٢ هـ

استهلّت هذه السنة بتحسّن العلاقات بين الحكومتين السعودية والحكومة السورية. وعلمت الأمة على التحقيق ما يقوم به الرئيس جمال عبد الناصر من الأعمال السرية ضد العرب وما يسعى به في إذاعاته من التحريش وما يعملّه من تقتيل الأبرياء وبذله مئآت الملايين في دعاياته. وقد نشرت إحدى الصحف مقالاً بعنوان: (الاشتراكية كفر بالله) للشيخ محمد بن صالح بن سليم رئيس هيئة التمييز في مكة المكرمة وتوابعها. وهذا المقال طويل أطنب فيه وساق فيه الأثر عن عمر وابن يثرب الضمري. قال: (شهدت خطبة رسول الله ﷺ بمنى فكان فيما خطب به أن قال: «ولا يحل لامرئ

من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه». قال: لما سمعت ذلك قلت: يا رسول الله أرأيت لو لقيت غنم ابن زعمي فأخذت منها شاة فاجتزرتها هل عليّ في ذلك شيء. قال: «إن لقيت نعجة تحمل شفرة وزناداً فلا تمسها». والمعنى إن وجدتها معها آلة الذبح والنار بحيث لا تتكلف لذبحها ولا لشيها فلا تأخذها ولا تمسها. وهذا مبالغة في عدم جواز أخذها. قلت: ويستفاد منه المبالغة في اجتناب ما ليس لك ولهذا ورد في الحديث الآخر: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة». فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله فقال: «وإن كان قضيباً من أراك». رواه مسلم. ولما خطب ﷺ يوم النحر في حجة الوداع بمشهد عظيم من الله ومن خلقه قال: «أي شهر هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس ذا الحجة؟ قالوا: بلى. قال: فأبي بلد هذا. قالوا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس البلدة قالوا: بلى. قال: فأبي يوم هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قالوا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا. وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم. ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا فليبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه. ثم قال: ألا هل بلغت ألا هل بلغت»، أما قال مدبر الأزمان ومصرف الأكوان في محكم آيات القرآن: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. وقال في الآية الأخرى: ﴿لَنْحَنُ قَسَمًا يَبِينُ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِيًّا﴾. فقل للذين غيروا نظم السماء وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله: لقد اتبعتم أهواءكم وضللتهم إذاً وما أنتم من المهتدين. فراجعوا دينكم وتمسكوا بشريعة نبيكم

عليه الصلاة والسلام. وفي قوله تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾. وقال: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾. فهل قال: وإلا وضعنا عليكم الاشتراكية؟.

حادثة

في ليلة الثلاثاء من شهر محرم توافق ليلة ثالث الشهر المذكور الموافقة لرباع عشر من برج الجوزاء من هذه السنة، وفي الليلة التي بعدها ليلة الأربعاء هبت رياح شديدة بسموم محرق في منتصف الليلتين وكانت تلك الموجات العنيفة عجيبة بحيث تحدث الشيوخ أنهم لم يشاهدوا مثل تلك الموجات منذ ثمانين سنة. وذكر الذين شاهدوا تلك الحادثة في الليلتين أنهم رأوا ضوءاً في الأفق من آثار تلك الإعصارات النارية، غير أن الله سبحانه وتعالى لطف بالمسلمين فلم يحصل من جراء ذلك هلاك أو شيء من الوفيات في تلك الليلتين على أحد من المخلوقين. كما أنها لم تهلك شيئاً من الأشجار أو من أكوام الزروع التي في البيار. فله الحمد. وكانت تلك الرؤية في بريدة.

خسف حوالي بلدة المذنب

لما كان في يوم الأربعاء ٢٧/٤ من هذه السنة سمعت وجبة عظيمة اهتزت لها الأرض ثم ثار غبار على أثرها يشاهد على البعد فخرج أهالي المذنب وما حواليه لذلك وكان موضعه في جنوبي البلد إلى منتهى المزارع في الجهة الشرقية في الجبل. ولما أن خرجت الأمة ليشاهدوا الواقعة إذا بموضعه كالبرر يخسف بخسف منحني ولا يرى له منتهى قعر بل يُلقى فيه الحجارة ولا تبلغ قعره بحيث لا يسمع لها منتهى. وقد شاهدته رؤية فوجدته مظلماً بانحناء لا يتوصل إلى قعره وكان قد خرج القاضي والأعيان لمشاهدة تلك الحادثة التي أفزعت السكان.

ثورة في سوريا

بتاريخ ١٠/١٤ وذلك بأنه لما انفصلت عن مصر وأنقذت نفسها لم تأمن الدسائس والكيد لها ولكنها فشلت وقد كثرت الثورات في آخر القرن الرابع عشر الهجري. ولا ريب أن ذلك من أسباب النقص والعقوبات التي نهى عنها الشارع صلوات الله وسلامه عليه. وسنأتي عن قريب بثورة اليمن وانقلاب الحكم فيه بعد وفاة عاهله.

ثورة العراق

ففيها في ليلة ٩/١٤ قتل رئيس جمهورية العراق عبد الكريم قاسم قام عليه أعداؤه بهجوم عنيف وأعدم بالرصاص ثم أنه تولى بعده الرئاسة عبد السلام محمد عارف واتخذ وضعاً جديداً. نسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين لما فيه صلاحهم ويكفيهم شر شرارهم. وقد نجم عن ذلك إزهاق أنفس كثيرة في العراق ما بين ٩/١٤ إلى ٢٩ منه حتى قيل: إن الذين قتلوا في هذه الأيام تسعة وخمسون ألفاً.

هزة في إيران

وقع في شمالي إيران زلزال عظيم دمر أكثر من خمسين قرية وعلم أن الوفيات بسبب هذا الزلزال قد بلغت خمسة آلاف وأن الإصابات أربعة آلاف ولم تحصر بعد جميع الوفيات والإصابات التي زادت عن هذا القدر بسبب انقطاع المواصلات بين مكان الزلزال والعاصمة الإيرانية لأنها انقطعت. والله على كل شيء قدير.

البقاء لله وكل شيء هالك إلا وجهه

هلك إمام اليمن. ففيها في اليوم ٢٠ الموافق ليوم الأربعاء من شهر ربيع الثاني توفي أحمد بن يحيى. وهذه ترجمته: هو الملك البطل الهمام

الشجاع الذي لا يوقف في طريقه صرامة وسياسة وبصيرة في أمور الملك وأمر المعرفة أحمد الناصر لدين الله ابن الإمام يحيى حميد الدين بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين بن القاسم بن محمد. تولّى زمام الحكم لما اغتيل والده فقام بهجمات عنيفة بصفته رجلاً عاطفياً لا يقف أحد في طريقه وقضى بالإعدام على قاتل أبيه وقلب عرشه المزعوم وكان الخصم قد استعدّ بجميع ما في مقدوره غير أن أحمد لا يقع له بالشنان ولا يروع بشيء من الأهوال فشنّ عليه حرباً ضروساً وأضرّمها ناراً وسياسة على ابن الوزير حتى أظلمها ليلاً في سادسة النهار، وما زال يضرب بالقنابل ويثير قتام الحرب حتى سلمت صنعاء واستسلم الجاني، ذلك بما لديه من كمال المقدرة وعلو الكعب. وترجع على عرش تحت الحكم وأخضع كل مزاعم وأذل كل مراغم. ولقد استعان خصمه ابن الوزير بكل عربي غير أنهم خذلوه وهكذا فرس الباغي عثور ولم يفلح ولم ينجح وتجلت الغمامة بأن كان المترجم استطاع أن يقضي على جميع حركاته وقد قال الشاعر العربي:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| كذبتهم وبیت الله لا تأخذونها | مراغمة ما دام للسيف قائم |
| متى تجمع القلب الذكي وصارماً | وأنفأ همياً تجتنبك المظالم |
| تحالف أقوام علي ليسلموا | وجروا علي الحرب إذ أنا سالم |
| أفي اليوم أدعى للهوادة بعد ما | أجيل على الحي المذاكي الصلادم |
| وكننت إذا قوم غزوني غزوتهم | فهل أنا في ذايال همدان ظالم |
| فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقتا | وتضرب بالبيض الحفاف الجماجم |
| ولا أمن حتى تغشم الحرب جهرة | عبيدة يوماً والحروب غواشم |
| امستبطىء عمرو بن نعمان غارقي | وما يشبه اليقظان من هو نائم |
| وكيف ينام الليل من جلّ ماله | حسام كلون الملح أبيض صارم |

ولد المترجم في عام ١٣١٤ هـ وهو بكر أبيه والقائد العام للجيش

اليمني وولي عهده. وتولى الإمامة سنة ١٣٦٧هـ وكانت العاصمة قبل ذلك صنعاء فاتخذت العاصمة تعز. وما زال قائداً عظيماً طوال سنوات حكمه متقدماً بأتمته وبلاده. ولما قام أخوه عبدالله بانقلاب عسكري ضده ليغتصب به عرش اليمن استطاع أحمد القضاء على ذلك الانقلاب وينكل بجميع الذين قاموا به. ولقد فجعت الأمة العربية والإسلامية بوفاته لأنه أحد قادتها وزعمائها وذلك لما أذاع راديو صنعاء بمزيد من الأسى وفاة هذا القائد العظيم. واستقبل العالمان العربي والإسلامي نبأ هذه الفاجعة بكثير من الأسى والحزن. فلقد كان من الزعماء الذين قدموا للأمة العربية والإسلامية جهودهم الكبرى وأعمالهم البناءة في سبيل الرفعة للعرب والمسلمين. وقد قيل إن سبب وفاته أنه أطلق عليه الرصاص في العام الماضي بأيدي بعض القواد الذين يفسدون في الأرض فتأثر من رصاصة لم تخرج من بين لحمه وعصبه إلا بشدة. وبينما الأمة في الوقت الذي نعي فيه خبر وفاته إذا هي تتطلع إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المنصور بالله أمير المؤمنين محمد البدر ابن الإمام أحمد داعين الله تعالى أن يجعله خير خلف لخير سلف وانهاالت برقيات التعازي إلى حضرة صاحب الجلالة الملك الجديد وإلى أفراد العائلة الملكية اليمنية وإلى الشعب اليمني. وبعث الملك سعود ببرقية إلى جلالتة: «حضرة صاحب الجلالة الأخ الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين محمد ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أحمد. كان لوفاة المغفور له جلالة والدكم الإمام أحمد وقع أليم في نفوسنا ولدى شعبنا وحكومتنا. فنبادر بالإعراب ولجلالتكم والشعب اليمني الشقيق عن مشاعر تعازينا الحارة راجين للمغفور له الملك الراحل الرحمة والرضوان ولجلالتكم طول العمر والصبر والسلوان. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». التوقيع الملكي الكريم: سعود

فأجاب عليها رداً متبادلاً: «من أمير المؤمنين محمد ابن أمير المؤمنين

الناصر لدين الله أحمد إلى حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية. . . أرجو الله أن تكونوا مع الأسرة الكريمة في خير. أحيط بجلالتكم والأسرة ما قد وصل إليّ بما قضاه الله سبحانه وتعالى من وفاة والدنا صاحب الجلالة الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين في الساعة الثالثة من ليلة الأربعاء العشرين من ربيع الثاني. وإنني، في الوقت الذي أنقل إلى جلالتكم وأنتم الأب والأخ والساعد، أعزيكم وأعزي جميع أسرتم الكريمة بوفاة والدنا وأحيطكم أنّ علماء البلاد ومشائخها ورؤساءها وأبناء البيت المال قد أجمعوا على اختياري خليفة وإماماً لليمن. وإنني أسأل الله أن يأخذ بيدي لما فيه صالح اليمن والمسلمين أجمعين منتظراً لكرم عونكم كما كانت الحال وكما يجب منكم دائماً. والله نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم». وبعث الملك سعود إليه ببرقية قال فيها: «تلقيت برقية جلالتكم المعبرة عن مشاعرهم الأخوية وقد بعثت لجلالتكم برقية لما بلغني الخبر تعزية ومواساة في فقيد الجميع تغمده الله برحمته. يا صاحب الجلالة إننا وأسرتنا نشارككم في السراء والضراء والصدق والمساندة وسالكون معكم إن شاء الله. فلزام علينا كإخوة وجيران أن نبذل كل عون ومساندة لجلالتكم ولبلادكم الشقيقة. هذا وأرجو الله أن يوفقكم لما فيه خير بلادكم وأمتكم ويمنحكم البطانة الصالحة. كما سرتني وأثلج صدري ما نقله إلينا جلالة الأخ من التفاف أسرتم وعلماء البلاد ومشائخها ورؤساء البيت المال حول جلالتكم وإجماعهم على اختياركم خليفة وإماماً لليمن. فنهني أنفسنا وجلالتكم حفظكم الله وأبقاكم». التوقيع الملكي الكريم: سعود.

وبعث الملك سعود أيضاً ببرقية ثالثة من هذا البيان والشعور مهنئاً له بذلك. ثم أذاع راديو صنعاء أن جلالة الملك محمد البدر ملك المملكة المتوكلية قد قبل الليلة استقالة مجلس الوزراء ثم كلف المجلس بالاستمرار

في الحكم دون إجراء أي تعديل . ثم وصل إلى صنعاء بعد ثلاثة أيام الوفد السعودي لتقديم التعازي، يرأس الوفد الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز وعضوية حسين فطاني ممثلاً لوزارة الخارجية والشريف محمد الحارثي ممثلاً لمجلس الشورى . وستقوم البعثة بتقديم تهاني حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم لجلالة العاهل اليمني بمناسبة توليه عرش اليمن الشقيق . ثم أنه أصدر جلالته مرسوماً ملكياً بإلغاء نظام الرهائن كما أصدر مرسوماً ملكياً بزيادة رواتب الضباط والجنود بالجيش والبوليس ثم أعلن جلالته أن أبواب اليمن مفتوحة أمام كل يمني يقيم في الخارج كلاجئ أو مغترب للمشاركة في بناء اليمن، كما أمر جلالته بإطلاق سراح المساجين المحكوم عليهم لأسباب مختلفة . ولما أن استبشرت الأمة بذلك بحيث لم يكن إلا أن غاب نجم الناصر لدين الله وتولى المنصور بالله ما كانت إلا ومضة خفيفة أعقبها الظلام فقد ثار عليه الثوار بقيادة السلال وأطاحوا به وبحكومته . وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم الشيخ ناصر الوهبي قدس الله روحه ونور مرقدته وضريحه . وهذه ترجمته : هو الشيخ العالم الفاضل القاضي ناصر ابن الشيخ محمد بن ناصر بن حسن الوهبي . ولد عام ١٣٢٤هـ فنشأ في تربية والده حيث تعلم القرآن الحكيم عند كُتَّاب في بلدته التي ولد فيها، وهي الخبراء من أعمال بريدة في القصيم . وأخذ في الدراسة على والده الذي كان يدرس في جامع الخبراء حيث كان فيه إماماً أخذ عنه علم التوحيد في ثلاثة الأصول وكتاب التوحيد وآداب المشي إلى الصلاة وكشف الشبهات وغيرها من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث كان والده مثلاً في العقيدة ومحباً لطريقة السلف الصالح وأخذ عنه علم الفقه والفرائض والحديث وغيرها من كتب الحنابلة . وكان الشيخ ناصر نبياً وذكياً وله نهمة في تحصيل العلم حيث

كان متوقد الفهم، وأخذ عن الشيخ العالم العلامة عبدالله بن سليمان بن بليهد حينما كان يدرس في تلك الجهات ولازمه ملازمة وأكثر الأخذ عنه، وأخذ عن آل سليم عبدالله وعمر الشيخين الإمامين الجليلين. ثم أنه ذهب إلى المدينة المنورة فأخذ عن الشيخ سليمان بن عبد الرحمن العمري وعن غيره من علماء المدينة، كما قد أخذ عن علماء مكة المكرمة. وقد تقلب في عدة وظائف في ضبيا وأم لج وتبوك ويتولى الوعظ والخطابة فيها والتدريس. ثم أنه جعل في قضاء مدينة الطائف، ثم كان عضواً في رئاسة القضاء بمكة، ثم إلى عضوية ديوان المظالم في الرياض، ثم كان نائباً للرئيس. وقد لبث في القضاء ما يزيد عن عشرين عاماً كان موضع العفة والعدل، ويصفه زميله الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل بالعقل والمقدرة والثبات. وقد رأته عام ألف وثلاثمائة واثنين وسبعين هجرية حينما استقدمتني الحكومة لقضاء تيماء في مكة المكرمة. وكانت الحكومة قد انتدبته لصحبة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد للنظر في مشكلات القضايا بمكة والمدينة وجدة والبت في مشكلاتها، فكان لبثهم وما يلحقهما من الكتاب ثلاثة شهور بمكة وشهرين في جدة وشهرين في المدينة. ولكمال الثقة كلفت الرجلين بهذه المهمة فكان المترجم في صفته إذ ذاك أشمط الشعر مربع القامة نحيف البدن حنطي اللون يعلوه تلويح الشمس، عليه آثار الزهد والتقشف ويوقف المتخاصمين عند حد العدالة بهيبة وحسن تدبير. وقد كشفت مشكلات متعقدة هناك ببركة إنصاف الحكومة وإيصال الحقوق إلى أهلها^(١).

(١) كانت وفاته في ليلة الخميس الموافق ٢٥ من جمادى الآخرة من السنة المذكورة على أثر نوبة حادة نقل على أثرها إلى المستشفى وكان يزور أحد المشايخ في بيته رحمه الله وعفا عنه.

وممن توفي فيها من الأعيان في مدينة بريدة

الهمام عبدالله بن علي بن مقبل العلي . كان والده الرجل الصالح الورع ذا الديانة والمروءة . أمّا عن المترجم فقد ولد ١٣١٠ هـ وكان شجاعاً شهماً كريماً ذا عبادة وصلاح وله معرفة ومقدرة فتوسد إليه الحكومة بعض المهمات من عمارات المساجد والنظر في حل المشكلات وله همة في معالي الأمور ويطرف عن سفاسفها . كما أنّه رجل وجيه لدى الأمراء والعلماء وله خبرة بالزراعة والفلاحة ولديه في قرية قضيباء عيون جارية وغراس . وقد اختطفته المنية وهو في نشاطه وصحته بحزم وعزم وعمره يناهز الاثنين والسبعين رحمه الله وعفا عنه . وكان ثالث أخويه الذين هم عبد العزيز كان رئيساً لهيئة الحسبة أيام الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وأيام الشيخ عمر بن محمد بن سليم معروفاً كان بنصرة الحق ودفع الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوة ولا تأخذه في الله لومة لائم . وثالثهم رجل الدين والبصيرة ويدعى في الفهم والمعرفة بهذا اللقب أبي حنيفة لما لديه من المعرفة والرواية ، وهو سليمان بن علي بن مقبل لا يزال في نشاطه بالخير والدعوة إلى الله حياً مستقيماً . ونرجو له التوفيق . أمّا عن عبد العزيز فتقدم ذكر وفاته .

وممن توفي فيها من الأعيان الأمير سعود بن ناصر آل سعود على إثر مرض ألزمه الفراش عن عمر يناهز الثمانين عاماً قضاه في الجهاد في سبيل الله والعبادة . وكان أحد النقباء الأربعين الذين اختارهم الملك عبد العزيز لاحتلال الرياض في قتال عجلان والهجوم عليه في قصره . وكان المترجم صالحاً تقياً مشهوداً له بالخير . وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة رحمه الله وعفا عنه وغفر له .

تنبيه

قد ذكرنا فيما تقدم وفيات الأعيان إمام اليمن وناصر الوهبي، ونذكر بقيتهم: فممن توفي فيها من الأعيان أبو الأيتام يحيى بن عبد الرحمن بن شريدة رحمه الله وعفا عنه وهو يحيى بن عبد الرحمن بن يحيى بن شريدة كان من أسرة كبيرة في مدينة بريدة وله إخوة مشهورون في القصيم ومن كبراء عقيل الذين يتاجرون ببيع الإبل والخيول ويسافرون بها إلى العراق والشام ومصر. ويطلق عليهم لقب العقيلات. وقد تقدم ذكر آل شريدة منذ إحدى وأربعين سنة. كان المترجم يعطف على الفقراء ويحنو عليهم ويواسي المحتاجين. فقد كان يختلف إلى بيته ذوو الحاجة والفاقة فيجدون ما يصلحهم وكان ذا عبادة وصلاح وكرم وإحسان. وقد كان لوفاته رنة أسف بين المواطنين لما كان له ولإخوانه محمد الزعيم الكبير ومنصور وإبراهيم وفهد من السابقة الطيبة مع الحكومة السعودية في الإخلاص والولاء. وأصيبت به مدينة بريدة، وكانت وفاته في يوم الجمعة ٧/١٠ من هذه السنة عن عمر يناهز الثمانين عاماً قضاها في الديانة والرجولة والنزاهة. أسبل الله على قبره شآبيب المغفرة والرحمة والرضوان ورفع درجاته في فسيح الجنان. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

وممن توفي فيها من الأعيان أحمد بن عبد العزيز الغصن. ففيها في أوائل شهر جمادى الأولى انتقل إلى جوار ربه الرجل الطيب ذو الرجولة والصلاح وحسن السيرة أحمد المذكور، وهو من أهالي مدينة بريدة. ثم انتقل إلى مدينة الرياض فكان في خدمة الدولة تبع الأعمال التي ضمت إلى عبد الرحمن الطبيشي. وقد قضى ثلاثين عاماً في خدمة الدولة كان فيها موضع الثقة والتقدير من المسؤولين لأنه كان من خيرة بني جنسه صلاحاً وعفة. وكانت وفاته في بيروت عائداً من ألمانيا حيث أجريت له هناك الفحوص الطبية، وذلك عن علة مرض السكر. وعندما أدرك رحمه الله

قرب أجله حرص على العودة إلى الوطن لتكون وفاته قرب أولاده وذويه وليدفن في مقابر المسلمين. ولما أن توفي نقل جثمانه إلى دمشق، وكانت وفاته عن عمر يناهز الثالثة والخمسين. وكان عاقلاً محبباً إلى الناس لقضائه الحوائج وتسهيله الطرق لقضاء ما يستطيع التوصل إليه. تغمده الله برحمته وعفى عنه.

وممن توفي فيها عبد العزيز العبدلي مدير عام ديوان إمارة مكة المكرمة. وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبد العزيز بن عقيل من علماء عنيزة رحمه الله وغفر عنه. وهذه ترجمته: هو عبد العزيز بن عقيل بن عبدالله بن عقيل. كان جدهم قد نزح من شقراء إلى عنيزة فسكنوها واتخذوها وطناً. ولد المترجم عام ١٢٩٨هـ ودرس القرآن وتعلمه على معلم في عنيزة هو ابن دامغ، ثم أخذ العلم عن المشائخ. وممن أخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وأخذ عن الشيخ ابن عائض، وأخذ عن الشيخ صالح بن عثمان القاضي، أخذ عنهم في الأصول والفروع وكان أديباً يقول الشعر العربي والنبطي ويتعاطى بالبيع والشراء. وقد تولى وظيفة في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد رأته في عام ١٣٥٨هـ بعد وفاة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي فكان في صفته مربوع القامة كث اللحية، يحب المناقشة والبحث. وقد تجرد للعبادة والزهادة في آخر عمره وأصيب بأمراض في آخر عمره فذهب إلى الرياض للعلاج وتوفي فيه وصلى عليه جمع كثير من العلماء وطلاب العلم في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم تغمده الله برحمته^(١) وكان له أنجال منهم الشيخ عبدالله بن عبد العزيز. كان

(١) كان لعبد العزيز أخ فائنا أن نضع له ترجمة وهو الشيخ عبد الرحمن بن عقيل قاضي جيزان في عام ١٣٥٤هـ وقد تقدم له ذكر كانت وفاته ١٣٧٣هـ وقد استمر في جيزان قاضياً خمس سنين.

تولى قضاء مدينة عنيزة فترة من الزمن ثم كان عضواً في دار الإفتاء في الرياض وبعدها تولى عضوية في المجلس الأعلى للقضاء . وكان رجلاً طيباً ومن أصدقائنا المحبين . أمّا عن بقيتهم فهم عليل توفي في حياة أبيه وحمد وسليمان . كما أنّ له ابناً آخر يسمى عليل . ومعرفتي بالشيخ عبدالله منذ زمن طويل .

وممن توفي فيها علي بن عبدالله الحصين . كان من الشباب المندفعين في مدينة بريدة ولد عام ١٣٥١هـ وكان نبياً فدخل المدرسة الفيصلية بمدينة بريدة عام ١٣٥٩هـ ، وهي أول مدرسة حكومية فيها تأسست سنة ١٣٥٦هـ . فأخذ في الدراسة الابتدائية ومديرها إذ ذاك الأستاذ عبدالله بن إبراهيم بن سليم . وبعد نجاحه من الابتدائي كان مدرساً فيها وانتسب إلى المعهد العلمي فنال الشهادة الثانوية ثم انتسب في كلية الشريعة فنال شهادتها . وكان يتعلم من الشيخ الفاضل عبدالله بن محمد بن حميد قاضي مدينة بريدة فمن الذين يدرسون عليه ويلازم الشيخ ويقدر له اجتهاده وذكاءه . ثم أنّه كان مساعداً لمدير التعليم في القصيم . ثم جعل في إدارة شركة الكهرباء في بريدة غير أنّ لبثه فيها قليل بحيث اخترمته المنية : كانت وفاته بحادث سيارة انقلبت بطريق الدريعة خامس خمسة كان هو ضحيتهم لأنّه خرج رأسه من الباب فقدرت له المنية . وكانت وفاته في ٦/٢ من هذه السنة رحمه الله وعفا عنه . وقد رثاه زميله عبد العزيز بن محمد النقيدان فقال : «دمعة على راحل» اختطفته يد المنون شاباً في رونق عمره ، له باع في المجال الأدبي وأياديه في الحلبة الاجتماعية . ذلك هو الأستاذ علي الحصين من طليعة شباب بريدة الناضج فإليه وإلى روحه الشهيدة هذه العبرات :

قلب يئن ومقلة تتألم وأسى به فيض الدموع يترجم
والنفس بادية الشحوب كئيبه حيرى مصدعة القوى تتألم

أزرت بها الأحداث في جريانها
دنيا كما شاهدت في أكنافها
من كان بالأمس القريب منعماً
تأتيه من هم الزمان قذيفة
سكر بدنياه يخالجه الروى
فإذا مقاييس الحياة معادة
حقاً هي الآجال حد مرهف
فإذا أقول وفي فؤادي عبرة
ولقد فقدت خليل أعظم موطن
رجل النضال لما سيسعد موطني
رجل مساعيه تحدث خبرها
أنا إن أجود بعبرتي لفقيدنا
ما كان ذلك غير فيض تأسف
هذا العزاء أزفه من مهجتي
من مهبط الوحي المقدس راجياً
وعلى ضريحك مزنة هطالة

تنأى بما يؤذي النرس ويؤلم
عبراً تساق غرائباً تتكلم
خضلاً بدنياه يتيه ويبسم
ما كان فيها من بعيد يحلم
نحو الحياة وما به يتنعم
والمرء رهن للقضاء يتحكم
مهما تعمّر أو رحيلك يقدم
والعين بالدمع المقرح تسجم
نفسى إليه من القديم تهمهم
ليظل في عليائه يترنم
للقاطنين فكيف بي أتلعثم
والنفس حراء واللهيب نخيم
مرأ أكابده لروحي ملجم
ثراً لمجتمعى عقوداً تنظم
عفو الإله على ثراك نخيم
يندى بها الغفران فيها يلسم

ثورة السلال في اليمن

قد قدمنا إطلاق البدر سراح المساجين المحكوم عليهم لأسباب مختلفة.
وفي كلام الحكمة: (اتق شر من تحسن إليه)، هذه الكلمة من كلام الحكمة
ولكننا وبنا للأسف نصف الحكمة ولا نتصف بها. والله در أبي الطيب
أحمد بن الحسين حيث يقول:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ولمّا أن أصدر جلالة الملك اليمن عفوه عن المساجين كان من جملة من

أطلق سراحه عبدالله السلال لأنّه من المساجين السياسيين ومن رؤساء الفتنة .
ففي الفترة القصيرة التي تقلد فيها الإمام البدر مقاليد الملك قام وأعوانه من
قواد الجيش الذين بايعوا الإمام محمد البدر على الطاعة والولاء فسووا
انقلاباً واستولوا على الحكم وأعلنوا قتل جلالته وأعدموا جمع من طالته
أيديهم من إخوانه وأفراد أسرته ووزراء وكبار موظفيه وغيرهم من رجالات
اليمن .

من هو عبدالله السلال؟

كان من مواليد صنعاء وكان والده منادياً يصيح في الأسواق عن
الحيوانات التي يفقدها أربابها عند وصولهم إلى صنعاء يحملون منتوجاتهم
الزراعية، ثم عمل فحماً في الأعوام الأخيرة من عمره، وكان الابن يساعد
أباه في أعماله في حداة سنه ليدرّ عليه ما يكفيه لميانة عائلته . وقد شمله
الإمام يحيى بعطفه وألحقه بمدرسة الأيتام المعروفة في اليمن باسم مكتب
الأيتام، وفيه تعلم عبدالله القراءة والكتابة . وفي عام ١٣٥٦هـ أوفد الإمام
يحيى بعثة للدراسة في العراق من خريجي مكتب الأيتام كان من أفرادها .
وفي بغداد التحق بالمعهد العسكري وبعد رجوعه ألحق بإحدى كتائب
الجيش وكان لما قام ابن الوزير بثورته عام ١٣٦٧هـ ضد الإمام يحيى وقتل
فيها أثبت التحقيق اشتراكه بها بصفة معنوية فاعتقل وزج في سجن حجة
حتى عمل الأمير محمد البدر على إطلاق سراحه عام ١٣٧٥هـ وأحاطه
بعطفه وعينه في مفرزة حرسه الخاص . وتدرج السلال بفضل مساعدة الأمير
البدر حتى أصبح مديراً لميناء الحديد التي أعدت فيها سرّاً سنة ١٩٦١م
مؤامرة لاغتيال الإمام أحمد بالاشتراك مع عبدالله السلال . وقد جرى تنفيذها
ليلاً في المستشفى عندما كان الإمام يقوم بزيارة المرضى وأصيب بجراح
خطيرة . ولما شكل الإمام أحمد لجنة للتحقيق مع المتهمين أكد أحد
المتهمين للجنة بصراحة وهو يشير إلى السلال . فأنكر ذلك السلال ولكن

نفيه لم يبرر ساحته فأوقف يوماً واحداً ثم أخلي سبيله . وكان الأمير البدر إذ ذاك غائباً وبعد ما قدم ووجد والده الإمام بحالة خطيرة وعاده وخرج أعاد السلال إلى حرسه الخاص من جديد . ولما أن تولى محمد البدر عينه رئيساً للحرس الملكي ورئيساً لأركان القوات المسلحة ورفعته إلى أعلى المراتب .

صفة الانقلاب

لما كان بعد وفاة الإمام أحمد بثمانية أيام ليلة ٢٦ أيلول سبتمبر ١٩٦٢ م . الموافق لليلة الأربعاء ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٢ هـ في ساعة متأخرة من تلك الليلة وهي الحادية عشرة قبل منتصف الليل لما انفض مجلس الوزراء وأخذ الإمام محمد البدر طريقه نحو الخروج إذا بأحد الضباط يحاول إطلاق النار من خلفه عليه فشعر به وعاد إلى غرفته . ولم يهتم بالأمر حينما قيل له : إنَّ هذا الضابط مشتبّه في أمره . ثم أمر بالتحقيق في تصرفه ، ثم أنّه أتاه بعد نصف ساعة أحد الحراس وقال : إنّه يسمع أصوات دبابات تتحرك . ولم تلبث أنوار المدينة أن أطفئت وعند منتصف الليل أخذت الدبابات في القصف بالقصر الملكي .

هذا صورة ما جرى ومن العجائب أنّ والد الإمام البدر قد حذره من السلال وأن لا يخرج من سجنه وتشدد عليه الرقابة . وذلك لما يعرفه عنه من الكيد والمكر . غير أنّه لا يغني حذر من قدر . ولما سئل البدر بعد قيام هذه الفتنة عما إذا كان قد شك يوماً في تصرفاته السيئة أجاب بأنّه كانت تبلغه أخبار عنه غير أنّه كان يتجاهلها ، فسئل ما هو السبب في ذلك ؟ فأجاب أنّه كان يظن أنّه وفي أمين وأنّه كان الوحيد الذي يقف إلى جانب السلال ويدافع عنه في أيام والده .

ذكر تطويق القصر

لما أخذت الدبابات في قصف القصر الملكي أخذت ضدها مقاومة الإمام البدر واستمرت طوال الليل وجزءاً كبيراً من نهار اليوم التالي وكانت ست دبابات تقصف القصر وتقف وراءها عشرون دبابة أخرى . وفي عصر اليوم أخرجت من الناحية الجنوبية مدافع الميدان والمدافع المضادة للطائرات وأخذت تطلق قذائفها على القصر ، وكانت قوات الإمام تقاومها بالمدفع الرشاش ثم أنه انتقل من الدور الأعلى في القصر إلى الذي يليه بعد أن هدمته قذائف المتمردين . فلما اشتدَّ القصف وكاد القصر أن يتهدم على من فيه من السكان وهاجموا دار البشائر التي يقيم فيها الإمام الجديد محاولين قتله . وبالرغم من أن داره لم تكن مصممة بطريقة تسمح للدفاع عنها فإنَّ الإمام وحراسه دافعوا مدة ١٢ ساعة إلى أن نفذت الذخيرة وأدرك البدر أنَّ لا جدوى من الاستمرار في المقاومة فقرر الخروج من القصر بعد أن أخلاه من أهله وأولاده وخرج بملابس عادية متنقلاً إلى البيوت الملاصقة للقصر ، وهناك أخذته امرأة من الشعب لا يعرفها فأدخلته في منزلها وأعطته ملابس وغيرت ملابسه ، وخرج إلى الشارع ثم تسلل بالليل من صنعاء مع خمسة من الرجال وما أن بارح أسوار المدينة سائراً عبر الجبال في اتجاه بلدة حجة الواقعة نحو ٧٠ كيلومتراً من العاصمة حتى التفَّ حوله أربعمئة مقاتل، ثم زادوا في اليوم التالي ١٥٠٠ مقاتل وجعل يتنقل من مكان لآخر وأتباعه يزدادون في كل لحظة، وكلما مرَّ بقبيلة من القبائل تبعه رجالها ونساؤها وأطفالها . ولما تكاثرت القوى بين يديه أوجد مكاناً لقيادته . أمّا عن السلال والمتآمرين معه فكانوا ينتظرون الإمدادات من مصر وما أحسن ما قاله بعضهم :

أعلمه الرماية كل وقت فلما اشتدَّ ساعده رماني
أعلمه القوافي كل يوم فلما قال قافية هجاني

أعلمه المروءة كل يوم فلما طر شاربه جفاني

هذه معاملة عبدالله السلال للإمام البدر الذي قد غمره بعطفه ودافع عنه في جميع تورطاته ومؤامراته وتخليصه من براثن والده الإمام أحمد. وقد كان لهذه المؤامرات أسرار تحاك من قديم للإمامة في اليمن وما يبنت لها من الغدر كما قام زميل السلال وهو الدكتور عبد الرحمن البيضاني يوالي نشاطه بنشر العداء ضد الإمام أحمد. وهذا الرجل ليس في أصله يمنياً، إنما كان يحمل هذا الاسم، بل كان مصرياً وأمه مصرية عطف عليه شيخ يماني بالأزهر يدرس الطلبة اليمنيين وأسماء بهذا الاسم، وأنهى دراساته الثانوية وحصل على شهادة البكالوريا. ولما حصلت الثورة على الإمام يحيى التي أودت بقتله وانتصر ابنه أحمد اغتنمها فرصة وقام بهذه المناسبة يمتدح أحمد وسجل كلمة في محطة الشرق الأدنى البريطانية أشاد فيها بمناقب الإمام أحمد سمعها وكافأه عليها. ثم حضر بين يديه وجثى أمامه يقول: يا صاحب الجلالة إنني بدون أب ولا معين سواكم وحدكم. فأشفق عليه وأعاده إلى القاهرة ليعمل ملحقاً في المفوضية اليمنية وقدر له راتباً قدره ٣٠ جنيهاً مصرياً. ولما أن كان في عام ١٣٧٩هـ عندما كان الإمام أحمد يتعالج في روما اكتشف أن للبيضاني علاقة بالمخابرات المصرية فاستدعاه وحقق معه واستطاع البيضاني بلباقة ومهارة أن ينفي التهمة الموجهة إليه ويحصل على ثقة الإمام الذي اكتفى بنقله إلى المفوضية اليمنية بالخرطوم. ولما كان في أوائل ١٣٨٠هـ استدعاه الإمام أحمد وعينه مديراً لمكتب مكافحة الجراد بالحديدة. ولكنه تمارض فأذن له بالسفر إلى القاهرة للعلاج ومنها ذهب إلى ألمانيا حيث أعلن عداءه للإمام. وبعد أن حصل على شهادة الدكتوراه من ألمانيا عاد إلى القاهرة وانكبَّ على الكتابة في مجلة روز اليوسف وإذاعة صوت العرب ضد الإمامة والإمام وظلَّ يواصل نشاطه العدائي حتى إعلان الانقلاب في اليمن. فأرسله عبد الناصر على الفور ليعمل مع السلال. وقد

تولى عدة مناصب منها منصب نائب رئيس حكومة السلال ولكنه وقع بينه وبينه نزاع أدى إلى إبعاده إلى القاهرة حيث وضع تحت الحراسة بعض الوقت.

محمد البدر حي يرزق

كانت ضحايا اليومين الأولين ٤٦ زعيماً وطنياً هذا بالإضافة إلى ٥٠٠ قتيل صرعوا في المدن الرئيسية. وقام جمال عبد الناصر ينشر في إذاعة القاهرة وصنعاء بأن الإمام قد قتل ودفن جسده تحت الأنقاض، غير أن المراسلين الأجانب الذين تدفقوا على صنعاء لم يصدقوا بموت الإمام ولكنهم كانوا مقتنعين أن طبيعة الانقلاب كانت ناصرية. ولما أن أشيع خبر وفاته انتخب الشعب اليمني الأمير حسن ينظم المقاومة. وقد جرى انتخابه إماماً بقرار من العلماء خلفاً للبدر اللذي كان يظن أنه قد مات. ولكن الإمام البدر تمكن من الوصول إلى مركز اليرق في المحاشية يرافقه جماعة من رجال القبائل المخلصين له فأرسل برقية على الفور إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية لإعلامها بأنه لا يزال على قيد الحياة، وعن الاعتداء الناصري على اليمن. وكانت هذه البرقية بعد ثلاثة أسابيع من الحادث فتنازل الأمير الحسن وألغى القرار الذي اتخذته الأمة لما علم بوجوده وأبرق له مؤيداً له. ودام ينظم المقاومة على الثائرين. ولتأخر بلاغ الإمام البدر ببرقيته فقد تمكن جمال عبد الناصر من أن يبلغ سفيرى روسيا وأمريكا ويخدعهما قبل إقدامه على المغامرة وإرساله القوات المصرية إلى اليمن فقال للسفير الروسي: إن الثورة في اليمن لتحرير الشعب من الإقطاع والرجعية. الواجب يدعونا لمساندتها تلبية لنداء إخواننا اليمنيين. ومن الضروري إرسال قواتنا لحمايتها من الاستعمار المتربص لها والرجعية التي سنحاول خنقها. إن هدفنا هو تحطيم قواعد الاستعمار والإقطاع وتحرير العامل والفلاح. فاقتنع السفير الروسي بصحة أقواله

ومزاعمه. وقال للسفير الأمريكي: إنكم تعلمون أكثر من غيركم أن اليمن في حالة بؤس وفقر وتأخر خطير لا مثيل له في أي قطر عربي أو آسيوي، وهذا النوع من التأخر شكّل خطراً على الشعب اليمني ويدفعه نحو الشيوعية. هدفنا مساعدة الثورة التي على نجاحها يتوقف إنقاذ الشعب اليمني من الفقر وحكم الإقطاع. لقد مات الإمام البدر تحت أنقاض قصره وتألّفت حكومة شعبية برئاسة الزعيم عبدالله السلال. خلال أيام تستقر الأوضاع، طمئنوا حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وبلغوا الرئيس كينيدي عن الوضع الذي شرحته لكم والهدف الذي نتوخاه من مساعدتنا لحكومة الثورة، ألا وهو استتباب الأمن والسلام في هذا البلد العربي الشقيق. وقال أيضاً للسفير الأمريكي: إنّ اعتراف أمريكا بالسلال لا يتطلب منها جهوداً ولا أموالاً تنفقها وهي باعترافها تؤدي خدمة سامية وتنهى مشكلة تكلفنا أموالاً وأرواحاً. وبعد اعترافها سنسحب قواتنا من اليمن. وطلب اعتراف الدولتين روسيا وأمريكا بحكومة السلال فاعترفت روسيا والدول الشيوعية بذلك. واجتمع بسفير أمريكا وقال: أخشى أن يتحول الصراع في اليمن إلى حرب دولية ويكفي لإنهاء الصراع ومنع امتداد لهيبه أن تعترف أمريكا بحكومة عبدالله السلال، فاعترفت بذلك. أمّا بقية الدول فمنهم من وافق خشية من أبواق القاهرة كعبد الكريم قاسم ومنهم من امتنع. وبعد مضي ٤٨ ساعة من وقوع الانقلاب أي في ليلة ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢م أقلت البواخر من بور سعيد والسويس إلى الحديدة حاملة المصفحات والدبابات التي كتب على بعضها أسماء مدينة الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة. ومن هذه الأسماء يفهم أنّ الطريق إلى قلب الجزيرة العربية كان مرسوماً على حسب تلك المزاعم، وكان يظن أنّ طريق المغامرات مفروشة بالورود سهلة العبور أيامها معدودة لا تتجاوز الأسبوع ومكاسبها عظيمة تعوض عليه ما خسر في سوريا وتفتح أمامه

أبواب الجزيرة العربية ليسيطر عليها والانطلاق منها إلى سهول دجلة والفرات. ولمّا رأت أمريكا سوء نواياه ذكرته ما أبداه أمامها أولاً وأثّه سيسحب قواته من اليمن بعد اعتراف أمريكا بالسلال، وقامت بدور الوسيط لإحلال السلام، فأرسل الرئيس كينيدي المستر بانكر إلى القاهرة يلح على عبد الناصر بوجوب سحب قواته من اليمن حيث وجودها فيه يهدد أمن المنطقة ويؤخر كل حركة إصلاحية وعمرانية فيها. فتظاهر بالقبول وهو بخلاف ذلك. ولمّا أن قدمت الدبابات والمصفحات والطائرات والقوات إلى اليمن التي كانت ٢٥٠٠٠ جندي تدعمهم الطائرات الحربية و١٧٠ دبابة و٣٠٠ مصفحة و٢٠٠٠ سيارة لوري و٥٠٠ سيارة جيب أحدثت تفتيلاً وتخريباً وتشريداً. وبعد وساطة أمريكا بعث أضعاف هذه القوات فثار شعب اليمن لما رأى تلك المشاهد الرهيبة وجثث الضحايا البريئة وأخذ يبحث عن وسيلة المقاومة للقوات المصرية التي تدفقت على بلاده وأخذت تصب حمم نيران مدافعها وطائراتها على المدن والقرى الأهلة بالسكان وجرت بسالة من الشعب اليمني ضد الغزاة. ولولا دعم سلاح الطيران والغارات الجوية التي تشن على المجاهدين دون انقطاع لكانت القوات المصرية قد انتهت أمرها واستسلم من بقي منها على قيد الحياة^(١) واستمرت الأحوال هائجة مائجة بحيث امتد القتال بين الفريقين.

وفيها شبّ حريق في الساعة السادسة والرابع من ظهر يوم الخميس ٢٤/٢ في خيام وأكوخ كانت مجالس وملاجئ للبيع في الموضع الكائن في الناحية الغربية الجنوبية من الفسحة التي جعلت متسعاً بعد ما هدم قصر مدينة بريدة القديم وكانت النار ملتهبة فظيعة في زمجرتها والرياح تصفر في لهيبها

(١) أخذ ذلك عن كتاب الصراع الدامي في اليمن للدكتور إبراهيم الشريقي ببعض المعنى.

فهبَّ رجال المطافىء إلى ذلك المكان مرتدين حُلل الكفاح والعمل وجأؤوا ليدفعوا هذا الخطر المحدق وليقضوا على ألسنة النَّار المندلعة في ذلك الفضاء وقد اشترك الكهول والشباب وجعلوا يزاولون العمل بأيديهم في ذلك الوقت الملتهب بالحرارة من وهج الشمس ولفحات اللهب وكان من بين المقدمين في هذه الأرتال والزرافات أمير القصيم كما أنَّ رئيس المطافىء حمود التركي كان متقدماً في هذا الميدان، وكما أنَّ مدير المطافىء محمد عمر قام بأسمى خدمة حيال هذا الموضوع وقد التهم هذا الحريق جميع ما في تلك الحوانيت من البضائع على اختلاف أنواعها وأحالتها إلى ذرات من الرماد. غير أنَّ الله تعالى وقى أهلها من الهلاك ودافع عنهم فكانت كومة من الرماد هي وما فيها لأنَّها قد أقيمت من الخيام والعشش وأصبحوا فقراء ينتظرون عطف الله عزَّ وجلَّ ثم عطف أمتهم لبل ظمأهم ومواساتهم في هذه الكارثة المحزنة.

وفيها منع الرئيس المصري ريع الأوقاف الذي كان يرد سنوياً من أوقاف الحرمين: ف تبرع الملك سعود بن عبد العزيز من جيبه الخاص بمائة ألف ريال لتوزع على فقراء الحرمين ستون ألفاً لفقراء مكة وأربعون ألفاً لفقراء المدينة المنورة. ولقد بين أكرم الحوراني نوايا عبد الناصر حينما سافر إلى روسيا وما جرى بينه وبين الرئيس خروتشوف وذلك في نيسان عام ١٩٥٨ ميلادي في زيارته لروسيا. وأطال الحوراني وأطنب والحق أنَّ جمال عبد الناصر له تفكيرات وتمنيه نفسه بأحلام لا يتصورها عاقل. ولو قنع برئاسة مصر وتخلّى عما تمنيه به نفسه من السيطرة على سوريا ونحوها لكان به أجدر وأحسن.

وفيها أقيمت احتفالات في المدن والممالك بمناسبة استقلال الجزائر وذلك في أوائل شهر صفر من هذه السنة، وحضر الأمراء والوجهاء وخرج طلاب المدارس وألقيت الخطب والقصائد بهذه المناسبة وشهدت المدن

والعواصم تلك الاحتفالات بعد ما شاهدت يوم التبرع شاكرين الله على نصرة الجزائر وثمره جهادهم بأموالهم.

وفيهما في شهر محرم غادر الملك سعود بن عبد العزيز بلدة مونت كيني بإيطاليا بعد ما تقدمت صحته بعد الحمامات التي أجراها فيها وتوجه إلى فيينا بالنمسا حسب إرشاد الأطباء لإجراء الفحوص الطبية اللازمة لجلالته. وقد باشر الأطباء الفحص عليه في يوم الخميس ٢٦ محرم. ولمّا أن كان في أوائل ربيع الأول قدم إلى المملكة في مدينة الطائف راجعاً إلى بلاده بعد مغادرتها للعلاج فأطلقت المدفعية لقدمه ٢١ طلقة واستقبل استقبالاً رائعاً وأقيمت أقواس النصر والأعلام السعودية والاحتفالات لذلك.

وفيهما طلب سمو الأمير فيصل بن تركي وزير الداخلية في المملكة السعودية من مصلحة البلديات الاهتمام بتنفيذ المشاريع الجديدة قبل نهاية السنة المالية الحالية. ومن هذه المشاريع الجديدة إنشاء مسالخ فنية على أحدث طراز مجهزة بالماء والوسائل الصحية. ولمّا كان في ١٨ / ٥ من هذه السنة أمر جلالة الملك سعود بتشكيل هيئة الوزارة: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر ملكي كريم رقم ١٧ التاريخ ١٨ / ٥ / ١٣٨٢ هـ. بعون الله تعالى نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، بعد الاطلاع على نظام مجلس الوزراء الصادر بمرسومنا رقم ٣٨ وتاريخ ٢٢ شوال ١٣٧٧ هـ وعلى أمرنا رقم ٤٣ الصادر بتاريخ ٩ شوال ١٣٨١ هـ القاضي بتشكيل هيئة الوزارة. ونظراً لما اقتضته المصلحة وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء أمرنا بما هو آت:

المادة الأولى: إقالة الوزراء من مناصبهم.

المادة الثانية: يعمل بهذا الأمر الملكي الكريم: سعود».

خطاب ملكي كريم الرقم ١٨ التاريخ ١٨ / ٥ / ١٣٨٢ هـ: «بسم الله

الرحمن الرحيم . بعون الله تعالى من سعود بن عبد العزيز آل سعود إلى
حضرة صاحب السمو الملكي الأخ فيصل بن عبد العزيز آل سعود سلمه الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، ونظراً لما اقتضته المصلحة قد
أصدرنا أمرنا الملكي رقم ١٧ وتاريخ ١٨ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ بإقالة
الوزراء من مناصبهم . ونظراً لما نعهد فيكم من أصالة رأي وحكمة ودراية
وإخلاص ، ولما اقتضه المصلحة العامة فقد اقتضت إرادتنا الملكية إسناد
منصب رئيس الوزراء إليكم . وقد وجهنا هذا الأمر الملكي إليكم لتقوموا
باختيار الوزراء الذين ترشحونهم للتعاون معكم وتعرضوا ذلك علينا لصدور
أمرنا بذلك . وخالص الرجاء أن يوفقنا الله وإياكم لتحقيق أهداف أمتنا
وشعبنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . التوقيع الملكي الكريم :
سعود» .

جلالته يشكر مجلس الوزراء السابق

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فَوَجَّه إلى أعضاء مجلس
الوزراء السابق كتاباً يشكر فيه جلالته المجلس على ما قام به من أعمال
مفيدة وما تجلى من أعضائه من إخلاص يستحق التقدير كما طلب جلالته
من الوزراء السابقين البقاء في تسيير أعمال وزاراتهم ريثما تشكل الوزارة
الجديدة . ولما أن كان في صباح الإثنين ٧ رجب غادر مطار الظهران إلى
سويسرا للعلاج ، فاجتمعت الأمراء وأصحاب السمو من إخوانه لوداعه
والسلام عليه . فوصل إلى جنيف واستقبل هناك وقد ألقى كلمة وجهها إلى
شعبه وقد سجلت وأذيعت بصوته . ولما أن كان في شعبان ورمضان صدرت
مراسم ملكية عن تدابير نائب الملك وولي عهده بتعيين الأمير مشعل بن
عبد العزيز أميراً في مكة المكرمة وتعيين الأمير عبدالله بن عبد العزيز أميراً
للحرس الوطني وتعيين الأمير سلمان بن عبد العزيز أميراً في العاصمة
الرياض بدلاً عن بدر بن سعود وتعيين صاحب السمو الأمير فهد بن

عبد العزيز وزيراً للداخلية وتعيين إبراهيم العنقري وكيلاً لوزارة الداخلية . وكانت مباشرة الأمير سلمان في ٩/١١ . وفق الله الجميع وحفظهم وسددهم .

وفيها صدرت ميزانية عام ١٣٨٢ و ١٣٨٣ هـ ألفين وأربعمائة واثنين وخمسين مليوناً ومائتي ألف ريال وصدق عليها الملك . وفي هذه السنة استطاعت حكومة جلالة الملك سعود نتيجة لسياستها المالية الرشيدة أن تسدد في نهاية العام المالي جميع ما عليها من ديون خارجية وداخلية . وكان دين الحكومة في نهاية عام ١٣٧٧ هـ بعد تعديله بسعر الصرف الجديد يبلغ ١٧٨٦٣٩ مليون ريال وذلك بسبب الارتجال في استعجال نهضتها العمرانية دون تخطيط واتباع سياسة غير سليمة . فبذلت منذ خمس سنوات جهود لإنقاذ البلاد من الهاوية التي كادت أن تتدهور فيها من النواحي الاقتصادية وأُعيدت الثقة بالعملة السعودية .

تعبيد جبل كراء

لما عازمت الحكومة على تعبيد طريق يصل مكة بالطائف . رأت أن يكون الطريق من جبل كراء وشقه وتعبيده . وبما أن الطائف مدينة مرتفعة لا يمكن جعل الجبل نفقاً للعبور فإنَّ الهيئة جعلته يصعد في منحنيات وواجه ذلك صعوبة ومشاقاً بحيث يمر بالهدى والجبل ، وإن كان أصعب الطرق في التعبيد فإنَّ ذلك العمل الجبار في النسف والحفر والشق والردم وإقامة الجسور لا يزال مستمراً في تقدمه بهذه السنة . وبما أن تعبیده آية من المتاعب فإنه أصبح مريحاً في الصعود والهبوط وذلك لطول الجبل وارتفاعه ، ولم تكن السيارات على اختلاف أنواعها تلاقي كلفة ومشقة بالنسبة إلى منظر جبل كراء الذي بلغ غاية في الارتفاع .

تعبيد طريق الرياض

كان هذا الطريق يمر بسدير فالوشم الذي قاعدته شقراء وتقع على مرآة ماراً بالسر فالمذنب فعنيزة فبريدة . ففي أواخر شوال من هذه السنة عازمت وزارة المواصلات على سفلة أربعة آلاف كيلومتر من طرق المملكة ومن ذلك هذا الطريق الذي يبلغ طوله ٤٤٠ كيلومتر، وسيمر هذا الطريق بالمذنب الذي يبلغ سكانه حوالي ثلاثة عشر ألف نسمة لحاجة هذا البلد إلى خط يربطه بالمدن الكبار . وإذا كان المذنب في هذه السنة فيه مدارس ومعهد للمعلمين لأنّه مؤلف من أربع بلدان في كل منها جامع ومدرسة، وقد نبعت فيه آبار لفور مائها، وأراضيه على العموم قابلة للزراعة، فإنّه يستحق الاهتمام . وقد ذكرنا أشياء عن تقدمها في العلم وما حظيت به في سابق الزمان ما أغنى عن إعادته .

دبرت مؤامرة ومحاولة في سوريا لاغتيال رئيس جمهوريتها الدكتور ناظم القدسي . وقد نشرته الصحف يوم الاثنين ٢٧/٣ بأخبار محزنة . وكان المتآمرون قد أقدموا على اغتيال الرئيس ونسف بعض الأمكنة في سوريا على أهلها المزدحمين فيها وعلى كبار ضباط الجيش السوري . وذكرت صحف سوريا أنّ السفير المصري أفهمهم أنّ شبكة أخرى ستتولى اغتيال بعض السياسيين وكبار ضباط سوريا لقاء خمسين ألف ليرة سورية لكل واحد منهم . وقد أحبطت سلطات الأمن السورية هذه المؤامرات وألقت القبض على المجرمين . وقد كثرت المؤامرات والدسائس من حينما انفصلت سوريا عن مصر . ولمّا أن استمرت المعارك العنيفة بين القوات المصرية الغازية لليمن وبين الأهالي بقيادة محمد البدر وقامت الطائرات المصرية توالي قصف المدن والقرى اليمنية بقنابل النابالم المحرم استعمالها دولياً وارتكبت الحكومة المصرية تلك الأخطاء نشرت الحكومة السعودية ما يلي :

بيان من رئيس مجلس الوزراء في السعودية:

«لَمَّا ارتكبت الحكومة المصرية تلك الأخطاء وما تعرضت له البلاد من الدعايات الظالمة والإذاعات الباطلة منذ أكثر من عام وإنَّ الدليل على تناقضها معاملتها لليمن بينما تهنيء جلالة الإمام البدر بتسلمه الملك لم تلبث إلا بضعة أيام حتى قامت ضده مع أعدائه بدون مبرر، فأرسلت ضده القوات المسلحة والطائرات والدبابات والسفن الحربية وقامت تعمل تقتيلاً وتخريباً في أبناء اليمن وممتلكاتها مدعية أنَّ الحكومة السعودية بعثت قوات عسكرية لتأييد حكومة اليمن الشرعية. وبمَّا أنَّ السعودية كذبت هذا الادعاء جملة وتفصيلاً واستمرت الحكومة المصرية في غيها وتخريبها في اليمن، وزادت على ذلك أن تواطأت مع الثوار على التهديد والعدوان ضد السعودية، آخر ذلك قصف مدينة نجران وما حولها من القرى التي تبعد عن الحدود اليمنية بحوالي مائة كيلومتر. فإنَّ الحكومة السعودية قررت بتاريخ ١٣٨٢ / ٨ / ٧ هـ اتخاذ كافة التدابير والوسائل اللازمة بالنهوض بأعباء الدفاع عن مقدساتها وحرمانها وكيانها ورد كل اعتداء يقع على السكان والممتلكات التابعة لها. . . إلخ. في كلام طويل، واضطرت لشن هذا العدوان المسلح على بعض القرى والمواقع السعودية من الجو والبحر إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة القاهرة. ثم أنَّها قامت الحكومة السعودية وبعثت إلى الحدود الجنوبية قوات مسلحة وزودتها بجميع ما يلزم من المدافع والدبابات والمصفحات والقنابل والطائرات والرشاشات مما يجعل البلاد في أمن، وأصدرت لقوادها الأوامر بضبط النفس وعدم الاعتداء».

ولمَّا أن شفي الملك سعود من الأمراض التي سافر من أجلها إلى سويسرا نصح له الطبيب الخاص وأوصاه مع الأساتذة المختصين والأطباء الآخرين أن يتم مدة الاستجمام في مصح الأستاذ دالين بباريس قبل العودة إلى بلاده وللتأكد من مفعول التغذية والأطعمة التي وضعت لجلالته هناك.

ولمّا أن أزمع على السير قدم أمامه الأثاث لأول مرة يصحبه محمد بن مسفر ومحمد الدامر وعبد العزيز بن ونيان. ولمّا أن أقلت الطائرة الملكية تحطمت في الجو وهلك ما فيها من الرجال والأثاث وذهبوا ضحية هذا الحادث. وقد حامت حول وقوع هذا الحادث الظنون والشكوك، فمن قائل يقول: إنّها اصطدمت بالجبال ومن قائل يقول: إنّها انفجرت فيها قنبلة وضعها بعض المغرضين في طيات الأثاث. فإلله أعلم وبه المستعان. ولمّا قدرت له النجاة بعث ببرقيات التعازي إلى أهالي المفقودين في معيته ثم أنّها انهالت البرقيات إليه من الشعب السعودي بمناسبة هذا الحادث وكلها تفيض بالغبطة والفرح والاستبشار بسلامته، وكان يتلقاها جلالته.

قدوم الملك سعود

لمّا أن سمع الشعب بقدوم الملك بدأت وفود المواطنين من البلدان القريبة من الرياض تصل إليها وتأخذ طريقها إلى المطار. وفي الساعة العاشرة من بعد عصر يوم السبت ١٢/٤ / ١٣٨٢هـ وصل الرياض فاستقبله أصحاب السمو الملكي الأمراء يتقدمهم عمه سمو الأمير عبدالله بن عبد الرحمن. ثم أنّه سافر إلى قيينا ظهر الإثنين الموافق ١٩ ذي الحجة للعلاج من قرحة الأمعاء حسب إرشادات الأطباء له. فودعه الأمراء ورجال الدولة.

وفاة أمير عفيف

ففيها وفاة الأمير سويلم بن ناصر بن شعلان رحمه الله. ولد المترجم عام ١٢٩٨هـ في مدينة حائل وتربى في نعومة أظفاره في أحضان والديه، وبعد وفاة والده تربى في بيت سالم السبهان، وبعد ذلك اشترك في آخر غزوات محمد عبدالله بن رشيد واشترك في غزوات عبد العزيز بن متعب ثم انتقل إلى الحجاز واشترك في حرب الأتراك ضد الأشراف ثم انتقل إلى

الشام واشترك في الحرب العالمية الأولى مع الأتراك ضد الحلفاء ثم عاد إلى نجد وانضمَّ إلى جيش ابن رشيد وبعد أن وضعت الحرب أوزارها في نجد على يدي المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن وسقطت حائل تحت قبضة ابن سعود فولّي عليها سمو الأمير عبد العزيز مساعد اختار سويلم الشعلان أميراً على خيبر وبقي فيها مدة ثلاث عشرة سنة ثم انتقل إلى مكة المكرمة وانضمَّ إلى خدمة النائب فيها فيصل بن عبد العزيز، وبينما كان في خدمته رأى أن راتبه ضئيل بالنسبة إلى أنّه ذو عائلة فلا يكفيه وعائلته، فقدر أنّ الأمير فيصل كان قد أمر ببناء قصره في الحوية فقال لابنه: يا بني إنّ راتبنا لدى الحكومة لا يكفينا فإذهب بنا في وقت الفراغ لنعمل مع العمال في قصر الحوية ونأخذ أجرة كغيرنا من العمال لنعول هذه الصبية عندنا. فكان يذهب هو وابنه إلى ذلك القصر فيعملان ويأخذان الأجرة. فقدر أنّ الأمير فيصل خرج عند الانتهاء من العمارة ليرى ذلك القصر ويتفقدّه قبل الفراغ من عمارته فساعة دخوله ذلك القصر صادف لأول وهلة الأمير سويلم وفي يديه الطين الرطب يحمله. فوقف يقول بعد أسف: إلى هذه الدرجة يا سويلم. فتكلم يقول: أطال الله عمرك لي الشرف بذلك ويعلم الله أنّ الحاجة الجأت إلى ما رأيت. فرق له صاحب الجلالة وهو الذي يقدر الرجال ويعرف مواقفهم. وكان سويلم يعمل في وقت الفراغ خفية ثم يأتي بعد ذلك فيغتسل ويتنظف ويتطيب ويأتي للخدمة بين يدي فيصل. وكان في صفته أسود اللون نحيف الجسم طوالاً يميل إلى السمرة نبس بالأسود تجتأ أديباً شريف النفس له مؤهلات. فجهزه الأمير فيصل إلى الخاصرة من بلاد الشياطين ليكون أميراً فيها فلبث في إمارتها عشر سنوات كان فيها موضع الثقة والأمانة والمحبة من حكومته وأتمته. وكان ينحر الإبل في المناسبات وفي غيرها ويدعو جميع أهل البلد، وكان إلى ذلك يتعاطى الطب العربي وخصوصاً الكي والفصد والحمية مجاناً وبرأفة ورحمة. فمن

استعصى به المرض فقد يجد لديه من لطف الله فرجاً ويعطف على الأيتام والأرامل فكان يربي الأرامل في قصره ويتفقدهم. قال راوي الحديث: وقد شاهدت الأيتام متحلقيين على الطعام وهو من بينهم يأكل معهم، ورأيتهم يخيطن ثياب من يرى منهم متمزق الثياب، وكان يقوم من آخر الليل يسخن الماء في الأواني في الشتاء لِيَحْدِمَهُ ورجاله إذا قاموا لصلاة الفجر، ويهيئ لهم القهوة بنفسه مباشرة وتواضعاً. وبكل حال فإن هذه صفات غريبة عجيبة فليسطر التاريخ ما شاء من المفاخر والمكارم.

صفاته الخلقية

كان تقياً ذكياً نزيهاً كريماً قوياً شجاعاً سلس الحديث، راوية لجميع الوقعات التي شاهدها وخاض غمارها، ويحفظ ما قيل من الشعر في هذه الوقعات، ولا يمل حديثه، فقد تأتي رجال البادية وشيوخها إلى مجالسه يتلقون الأخبار عنه وقد يأخذ في رواية بعض الحوادث من الصباح حتى يقوم رجاله لأداء صلاة الظهر، وكل إنسان من الجالسين لا يفارق مجلسه حتى يفرغ من الحديث. وأتى برجل قد انتفخ بطنه مبشوماً يحمله أهله إليه فذهب وجاء بقطعة حلتيت فأذابها وسقاه إياها، وقال: إذا تحركت أمعاؤه فأخبروني. فلم يفده ذلك من شيء فدعى بقطعة أخرى من الحلتيت وأذابها وسقاه إياها ثم أمر أن يذهب به للبراز فما كان إلا أن خرج منه جميع الفضلات وعادت إليه صحته. وأتى برجل أصيب بعرق النساء وعجز الأطباء عن علاجه وكان محمولاً بنعش فأخذ حزاماً في بطن أحد الأعراب الذين في معيته وكان مجموعة من السيور مضافاً طويلاً فأقام الرجل إلى عمود وشد على فخذه من أصلها إلى العرقوب ثم فصد ما تحت الكعب فخرج منه دم أسود وشفى من مرضه وكان ذلك المريض قد فصل من العمل لما أقعده مرضه فقام كأنما نشط من عقاب فطلب منه الأمير سويلم أن يستقر عنده فأبى وقال: والله لا أبرح حتى آتي الذين قضوا بعدم صلاحيتي للعمل حتى يروا

عجزهم في الطب وكمال قدرة الله . وكان قاضي الخاصرة يقول عن الأمير : الحمد لله الذي وفقني لأمر تقي طبيب ومحسن وقاضٍ ومصلح وكريم . وكان قد جعل أكياس الأرز والسكر والهيل وصناديق الدهن وصناديق الشاي في الدهليز أمام رجاله وخدمه يتناولون ويأكلون ويشربون من غير مراقبة ومن جاء ضيفاً أو زائراً فإنه يتناول الطعام والشراب ويجد ترحيباً وانسائاً . فكان الأمير لا يمسك شيئاً مما أتاه الله . ولما أن لبث في إمارة الخاصرة تلك المدة نقل إلى أكبر منها وهي إمارة عفيف حيث لبث فيه مدة أربع سنين وتوفي وهو على رأس العمل في هذه السنة . وكان إلى ذلك نزيهاً متعافياً نظيف الملابس كثير التطيب يشم منه دائماً رائحة الطيب على البعد وله معاملة مع الله في صلاة الليل . وإنها لبادرة حسنة أن يكون من رجالنا وبني أوطاننا نحن العرب المسلمين من تشنف الأسماع بذكرهم ويسمر في أخبارهم .

وقد ذكرنا في هذه السنة ما حصل فيها من المؤامرات والثورات . ومما قال بعض الأدباء تبصرة وذكرى وتذكيراً وتأسفاً ، وهذا القائل يدعى حسن بن حامد المحضار وهي تفيض بالنعي للفضائل والديانة والأخلاق وكيف وصلت الأحوال إلى هذا الوضع :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| درني لأمزج دمها بدمائي | فلعل في ذرف الدموع شفائي |
| إنني تأملت الحياة فلم أجد | إلا عناء أخذاً بعناء |
| فسامتها حدثاً وعفت شؤونها | في حين يجدر عيشها بولائي |
| ماذا رأيت رأيت كل كريمة | شنعاء من حقد ومن بغضاء |
| ورأيتهم متنهمين لأكل لحـ | م الناس أمواتاً بدون حياء |
| ورأيتهم أرخو العنان شقاوة | لنفوسهم في الظلم والفحشاء |
| ورأيتهم طرحوا الفضائل والنهي | ورضوا بكل رذيلة وعناء |
| ورأيتهم نبذوا الكتاب وحكمة | سعيًا مع الشيطان والأهواء |
| وأشد ما أذى الفؤاد وغازفه | قوم بلوا بالضعف والخيلاء |

ومع البلادة يحسبون بأنهم
والله لم نرم الرام متمماً
فهي الكفيل لنا بكل سعادة
وهو المحيط وكل نهر جاري
فإذا قرأت الذكر أي سكية
ذكر يذكرك بالجنان وأهلها
يا أيها الإخوان فاتعظوا وعوا
خلد الرجال وقد مضوا وعصورهم
يا غربة الدين الحنيف وغربة
أين البطولة والفحولة والحجى
أين الديانة والأمانة والوفا
أين الزهادة والعبادة والتقوى
أين الأئمة والأئمة والهدى
فلقد تناولت الرعاع سفاهة
يا ويلهم ظنوا بأن نباحهم
من يبلغ الأنذال أن هواءهم
أو أن تعرض للنصيحة فاضل
قالوا مضى عهد الحرافة وانقضى
ودع القديم واطوين بساطه
أو ما ترى الصاروخ يأخذ شكله
هذا وعندك من غريب صنيعهم
يا أيها الفطن النجيب كفاية
وإليك من حكم الكلام نصائحاً
لا يدهشك صنعهم فمآلهم

إن حدثوا فبحكمة الحكماء
ما لم نقم بالشرعة السمحاء
ستكون في الأخرى أو الدنيا
لم يجر إلا بفضل هذا الماء
تلقى أو أي سعادة السعداء
ونعيمها ورياضها الفيحاء
حتى متى في غفلة كالشاء
عنكم ومتم مودة الأحياء
الساجيار والأبرار والفصحاء
في قيمة الأعمال والآراء
وصنائع الأجداد والآباء
وفضائل الأجداد والعلماء
أم أن هذا الدهر للغوغاء
لتنال من أهل المقام الناء
سيغادر الدنيا إلى الجوراء
عبث وإن صنيعهم كهباء
قامت على قيامة الجهلاء
فتخل عن عقليه القدماء
واعلم بأن العصر عصر قضاء
رمز الدمار ولعنة الأمناء
كم من أمور حار فيها الرائي
بعض الذي قد كان من إملائي
أودعن ضمن خريدة عصماء
شر المآل وخيبة الأرجاء

إلى آخرها وهي طويلة حسنة لولا خشية الإطالة لأتينا بها . والله المستعان . وعليه التكلان .

ثم دخلت سنة ١٣٨٣ هـ

استهلت هذه السنة والعالم في مشاكل عجزت الأمة عن حلها ، فهذه كوبا نشبت لأجلها المشكلات والخلافات بين أمريكا وروسيا وأصبحت كلتا الدولتين تهدد الأخرى وما زالت روسيا تنذر وتحذر حتى دوت صيحات العالم خوفاً وهلعاً من اندلاع نار الحرب التي سببتها مشكلة كوبا المزودة بالصواريخ مما جعل أمريكا تفرض حصاراً محكماً عليها وأنذرت بأن كل سفينة محملة بالأسلحة سوف تغرق ، وهبت روسيا لما رأت حليفها بهذا الموقف لنجدتها مما جعل هاتين الدولتين العظميين تتسابقان في ميدان القوة الصاروخية . وهذه اليهود تفعل ما تشاء في فلسطين وتحكم ما تريد ولا وازع ولا رادع لأفعالها ضد العرب . أمّا عن الحرب اليمنية التي ثارت في السنة المتقدمة وذهب ضحيتها خلق كثير من اليمنيين والمصريين وعمّ بسببها الدمار وقتل الأطفال والعجزة فقد نصح المشير عبد الحكيم عامر رئيسه جمال بإنقاذ الجيش المصري من الكارثة المحتمومة بنصيحة تتضمن ست مواد :

أولاً: صعوبة المواصلات في جهات القتال لأنّ الملكيين في المناطق الجبلية فلا تصلها القوات الآلية .

ثانياً: الحرب في اليمن لا يمكن أن تنتهي بسهولة ولأنّ قوات البدر تزداد قوة وتسليحاً .

ثالثاً: ثبت بصورة قطعية عدم جدوى استخدام سلاح الطيران إذ أنّ القوات الملكية تلجأ إلى المغاور والكهوف لحماية نفسها من قنابل الطائرات وصواريخها .

رابعاً: فداحة النفقات التي تكبدتها القوات المصرية في اليمن بحيث تقدر بمليون جنيه في تأمين المحروقات ومضاعفة الرواتب للجنود المحاربين .

خامساً: برودة الطقس وهطول الثلوج والأمطار بغزارة لأنَّ الجنود المصريين لم يعتادوا طقس ذلك .

سادساً: ازدياد نقمة اليمنيين الثوريين وغيرهم بسبب الغارات الانتقامية التي تشنها القوات المصرية على القرى ورجال القبائل العزل مما جعل اليمنيين أصبحوا يمقتونها وإن كانوا قبل ذلك يعطفون على الثورة نتيجة الأعمال الوحشية التي ترتكبها القوات المصرية من الدمار الرهيب . فقد تعرضت أغلب المدن والقسم الأكبر من القرى في الشمال والغرب والشرق إلى قصف من الجو من الحرب التي لا تزال دائرة رحاها ودمرت مائة وخمس عشرة قرية منها بلدة شهارة معقل الزيدية وأربعة آلاف منزل وأُتلفت مساحات كبيرة من المزروعات . ويقدر عدد القنابل التي ألقتها الطائرات الحربية المصرية المؤلفة من عشرة أسراب وكل سرب من ست طائرات إلى عشر طائرات روسية جبارة بخمس وثلاثين ألف قنبلة خلال المرحلة الأولى وأحد عشر ألف قنبلة في المرحلة الثانية وسبعة آلاف قنبلة خلال المرحلة الثالثة من شتى القنابل المدمرة والمحركة . أمَّا الخسائر المادية في الممتلكات التي تهدمت والمزروعات التي تلفت فتقدر بمائة مليون دولار . ومع ذلك فإنَّ قوات الإمام صامدة وأوقعت خسائر في الطائرات بحيث أسقطوا أربعين طائرة مصرية بنيران مدافعهم وساعدهم على تدمير الطائرات رداءة الجو وأخطاء الطيارين بحيث كان ملاحو الطائرات لا يهتدون إلى الملكيين لأنَّ لهم مكامن في الجبال . وكان من تلك القنابل التي تصب عليهم من الجو كيماوية قنابل الغازات السامة . ومع ذلك فقد أوقع الملكيون بالجيش المصري خسائر فادحة في الأرواح والقوات الآلية فدمروا ٢٨ مصفحة وثلاثاً وأربعين دبابة وغنمت اثنين وأربعين رشاشاً و٥ مدافع

و١٧٠ بندقية و٤ سيارات كما استولت على ٦٠ رشاشاً وأربعة مدافع هاون وبازوكا ودمرت ٢١ مصفحة وتسع دبابات واثنيتين وثلاثين سيارة وطائرتين وقتلت ألفاً وثلاثمائة وخمسة وعشرين قتيلاً في ظرف ستة شهور . وما زالت توقع بالقوات المصرية حتى اضطرّ المصريون إلى أنّهم لا يخرجون في الليل وكان من الملكيين من ينضم في النهار إلى المصريين كأنّهم معهم وفي الليل ينقلبون عليهم فيقتلونهم .

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

فيها في يوم الأربعاء ٨/٩ اشتدّ البرد برياح شمالية واستمرّ الوضع ثلاثة أيام حتى تجمدت المياه وفي يوم الجمعة ١١ من الشهر المذكور استمرّ جمود الماء إلى الظهر من ذلك اليوم وهذا شيء نادر الوقوع فقد كانت البرك كالحجارة ، وهذا في القصيم . ولمّا أن كان في اليوم المذكور نزلت درجة الحرارة إلى خمس تحت الصفر ولمّا أن كان يوم الثلاثاء ٨/٢٢ نزل ثلج ارتفع فوق سطح الأرض قريباً من ثلاث ستمتر ولم يعهد مثل هذا الثلج منذ زمن طويل . وفي ليلة الأحد ٩/٥ من هذه السنة هبت رياح شديدة باردة فنزلت لها درجة الحرارة إلى ٦ درجات تحت الصفر فتجمدت المياه وتوقفت بعض مواسير المياه عن الدفع للبيوت فكان من النّاس من يوقد النّار أسفل البزابير لتذوب الجمود ، وفي بعض الأماكن الباردة استمرّ جمود الماء ثلاثة أيام لم يذب حتى كان الماء يهراق على الأرض ساخناً فيتجمد في الحال . وقد هلك بعض المسافرين من شدة البرد فقد تصبح حمولة بعض السيارات خاوية على ظهورها ولحق بعض السيارات أضرار من تجمد الماء في الأديرات وعدم جريانه وهذا البرد عام في جميع الجهات . نسأله تعالى أن يلفظ في الحال . ولا ريب أنّ مثل هذه النواذر من النقص وأتعاب الحياة .

حادثة من الحوادث

ففي شهر شوال من هذه السنة اعتدى قط على بيت أحد الموظفين في الوادي بين بريدة وعنيزة فصار يعبث بشراب أهل البيت وطعامهم ولم يجد صاحب البيت طريقة يتخلص من هذا القط إلا قتلته .

فكان في صفة قتله أن صبَّ الأطفال عليه كازاً وأحرقوه وبعد إحراقه اشتعلت نار في جهات من البيت وقام أصحاب البيت بإطفائها ثم كانت تشتعل من جديد وهكذا، ولا يعلمون عن مصدر النار . وبعد ذلك صاروا يجدون أوساخاً في بيوتهم مما نكد عليهم معيشتهم ونغص حياتهم فانتقلوا من دارهم إلى دار أخرى فلم يتوقف ذلك الأذى بل استمرَّ على هذا الوضع فتفرقوا على أقاربهم فلحقهم الأذى ولم يجدوا بداً من الانتقال إلى الرياض . هكذا نشرتها جريدة القصيم في عددها ٢١٥ . ويقرب من ذلك حادثة وقعت قبل هذه السنة بثمان سنين في بريدة وذلك أنَّ صبيّاً رأى قطاً في بيت أهله يريد وقت العشاء ما يسد رمقه فخاتله الصبي من خلفه بقضيب فيه نار فكواه من خلف رأسه ففر القط . ولما كان في منتصف الليل في السابعة بالتوقيت الغربي إذا بالصبي يصرخ من بين أهله وهو يقول : جاءني ناس بشهاب فكووني من خلف رأسي فكشفوا عن مؤخر رأسه فوجدوا آثار الكي ظاهراً فيه . هذه قصة متفق عليها ولها نظائر كثيرة . ولا ريب أنَّ هذا الأمر بين ، إمّا أن يكون هذا القط من الجن متصوراً في صورة قط ليقصص له ممن ناله بسوء أو تكون هذه عقوبة من الله للتعذيب بالنار لأنَّه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلاَّ رب النار كما أرشد الشارع إلى ذلك . وفي رواية للبخاري : (وإنَّ النار لا يعذب بها إلاَّ الله) . ولحديث : « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة » . فالطريقة الشرعية هي أن القط إذا حصل منه أذى يقتل . ولكنني أفضل أن ينذر قبل القتل .

تكذيب خبر

في شهر رمضان من هذه السنة ظهرت نشرة من رؤيا منسوبة إلى الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف بعنوان: هذه وصية من المدينة المنورة عن الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف قال فيها: كنت ساهراً ليلة الجمعة أتلو القرآن الكريم وبعد تلاوة أسماء الله الحسنى. فلما فرغت من ذلك تهيأت للنوم فأخذتني سنة من النوم فرأيت الطلعة البهية رسول الله ﷺ جالساً وهو الذي ظهرت له الآيات القرآنية والأحكام الشرعية رحمة للعالمين سيدنا ونبيّنا رسول الله ﷺ، فقال: يا شيخ أحمد، فقلت: لبيك يا رسول الله ويا أكرم خلق الله. فقال: أنا خجلان من أفعال النَّاس القبيحة ولا أقدر أن أقابل ربي ولا الملائكة وأفف على قدم لأنّه مات من الجمعة إلى الجمعة مائة وستون ألفاً على غير دين الإسلام فنعوذ بالله من شر ذلك، وصار غنيهم لا يرحم فقيرهم، وأصبح كل شخص لا يسأل إلا عن نفسه، وقد ارتكبوا المعاصي والكبائر والزنا والخطأ الكبير والبطران وكثرة المعاصي، وكثر الرجس وشربوا الخمر وتركوا الصلاة ومنعوا الزكاة. بهذه الوصية رحمة لأجل أن يطيعوا الآن شدة الغضب، فأخبرهم يا شيخ أحمد قبل أن ينزل بهم العذاب من ربهم العزيز الجبار وتغلق أبواب الرحمة، فنعوذ بالله من شر هذا العرض، هذا لأنهم عن طريق الحق ضالون، وبالله تعالى يكفرون، وللدين الحنيف تاركون، ولآيات الله ينكرون، وبأديانهم الناطقة يجحدون، وإن الساعة قد قربت، وعن قريب تخرج النساء بغير إذن أزواجهن وتظهر علامة في السماء مثل بيضة الدجاجة، ومن علامات القيامة تغيب الشمس ثلاثة أيام، وبعد ذلك تشرق الشمس من المغرب وتغرب من المشرق، وتغلق أبواب التوبة، ويرفع القرآن العظيم من صدور الرجال، ويظهر المسيح الدجال تخافه النساء والرجال ويعود الإسلام كما كان قبل. أخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية وعرفهم أنّها منقولة من لوح القدرة،

ومن يكتبها ويرسلها من بلدة إلى بلدة، ومن محل إلى محل كتب الله له قصراً في الجنة، ومن لا يكتبها ولا يرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة، ومن لا يكتب ولا يقرأ أن يقدم للكاتب ثلاثة دراهم إن كان فقيراً أو غنياً والله يكتب له ولوالديه الرحمة والبركة، ومن لا يكتبها من عباد الله بعد قراءتها اسودَّ وجهه في الدنيا والآخرة. قال الشيخ أحمد: والله العظيم هذه صحيحة وإن كذبت خرجت من الدنيا على غير دين الإسلام، ومن صدق بها ينجو من النار، ومن كذب بها كفر، وصلى الله على سيدنا محمد النور البهي للأمة وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

هذا نصها بحروفها، وكانت هذه النشرة قد ظهرت لأول مرة في عام ١٣٤٧ هـ وتداولتها الأيدي، وذكر فيها بأنه يخرج في سنة ١٣٥٧ هـ علامة في السماء كبيضة الدجاجة، وفي سنة ١٣٦٠ هـ تخسف النجوم، وفي سنة ١٣٦٦ هـ تقوم الساعة، ولم يقع شيء مما ذكره. وظهرت هذه النشرة في عام ١٣٧٥ هـ، وظهرت في هذه السنة لثالث مرة، لكل مرة تظهر مطبوعة بآلة الطباعة ويظهر من طيات كلماتها وسطورها أنه لا أصل لها بل هي خرافة. وقد ردَّ عليها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز لما ظهرت هذه المرة وبين أنها محض أكاذيب ملفقة وشنع على صاحبها، وقال: نشهد الله سبحانه ومن حضرنا من الملائكة ومن اطلع على هذه الكتابة من المسلمين شهادة نلقى الله بها أنها كذب وافتراء على رسول الله ﷺ، أخزى الله من كذبها وعامله بما يستحق وذكر أن في هذه الوصية أموراً كلها تدل على بطلانها وكذبها ولو أقسم مفتريها ألف قسم أو أكثر على صحتها، ولو دعا على نفسه بأعظم العذاب وأشد النكال على أنه صادق لم يكن صادقاً ولم تكن صحيحة بل هي والله ثم والله من أعظم الكذب وأقبح الباطل. هذا ما ردَّ به الشيخ عبد العزيز على صاحبها.

وفيهما من الغرائب عشر على حوت هائل الحجم على بعد مسافة سبع

كيلومترات جنوب الجبيل من نوع سمك العنبر وقد قدر طوله اثنين وأربعين قدماً وعرضه اثني عشر قدماً وزنته حوالي خمسة وثلاثين طناً. وقد تواترت الأخبار عن المسافرين تفيد أنَّهم عثروا على نفس هذا الحوت عائماً حول شاطئ الجبيل، ولطوله وغرابة شكله هرع عموم سكان الجبيل لرؤية هذه الخلقة، وكان أصحاب السيارات ينقلون الناس من الخبر والدمام ورأس تنور لمشاهدة هذا الحوت العظيم. والله على كل شيء قدير. ويذكرنا هذا حوت أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الذي أقامت سريرته شهراً وكانوا ثلاثمائة يأكلون من لحمه وذلك لما رفع لهم كهيئة الكتيب الضخم، وكانوا يغترفون من وقب عينيه بالقلال الدهن وجلس ثلاثة عشر رجلاً في عينيه.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم: إبراهيم بن طاسان رحمة الله عليه على أثر مرض استدعى سفره إلى بيروت ثم إلى لندن، وقد توفي بعد رجوعه في جدة بعد أن تأكد من عدم فائدة العلاج. والله در القائل:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل عزيمة لا تنفع

وكان لموته أسف ورنه أسى في المجتمع لما له من خدمات وإخلاص لهذه الدولة ومليكها ولا سيما بين عارفه ومقدري فضله. وقد أبلى بلاء حسناً في جهاد اليهود في فلسطين بحيث كان قائد القوات السعودية وشوهدت منه شجاعة وتقدم وبسالة خدم بها شعبه وأمته، وله منظر يفيض حماسة وتقدماً وأبدى في معركة فلسطين شجاعة وبطولة سجلها له التاريخ. نسأل الله تعالى أن يشيبه على جهاده. وقد بعث الملك سعود برقية إلى أبنائه صالح بن إبراهيم الطاسان وإخوانه معرباً عن تعازيه وبوفاة والدهم إبراهيم ما نصها: (جدة: بلغنا وفاة والدكم إبراهيم الطاسان فتأثرنا كثيراً لما نعرفه عنه من رجولة ومحبة وإخلاص وتفاني للعمل سائلين الله تعالى أن يتغمده

برحمته وأن يلهمكم جميعاً جميل الصبر وحسن العزاء وسنكون عوضكم فيه
إن شاء الله).

خدمات الفقيد

التحق رحمه الله بالسلك العسكري منذ نحو أربعين عاماً وكان مخلصاً
لحكومته ووطنه محبوباً من جميع رؤسائه ومروسيه حتى نال إعجاب جلالة
الملك الراحل وجلالة الملك سعود وكان موضع ثقتهم وتقديرهما، وآخر
أعماله في السلك العسكري أن بلغ رتبة فريق. وقد كان رئيساً لأركان حرب
الجيش ثم نقل إلى وظيفة مستشار عسكري لجلالة الملك المعظم. ووفاته
المنية وهو على رأس العمل وكان مع اضطلاعه بالقيام بالعمل العسكري
يشرف على الطيران المدني والعسكري والخطوط السعودية إلى أن نقل من
السلك العسكري. وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة عن عمر
يناهز الخامسة والستين. فالله المستعان.

وممن توفي فيه من الأعيان العابد الزاهد عبد المحسن بن عبد الله
القشعمي وذلك في ١٧ صفر من هذه السنة عن عمر يناهز ٨٣ سنة. وكان
متعففاً وذا ورع وتقى وزهد، وله نهمة في المتابعة بين الحج والعمرة ومحباً
لأهل الدين ويميل إليهم وذا بصيرة في الناس يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه
ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكان من أهالي بلدة الزلفي، وقد يوجد
في بلدة الزلفي أفذاذ من الرجال أهل الدين والصدق والفضل والمعرفة
كالشيخ محمد بن عمر المطوع وكان رجلاً مشهوراً بالعبادة والزهد ومعرفة
الحلال والحرام والإقبال على الله والدار الآخرة معرضاً عن الدنيا وله تردد
على المقابر للسلام والتفكير في أحوال الموتى ويعظ ويرشد. وقد وضع الله
له قبولاً في تلك الجهة ومعظماً فيها يحبه الناس ويقدرُون مواقفه. ولتمام
ورعه لم يتولَّ القضاء وإن كان فيه مؤهلات. ومن علماء الزلفي القاضي

الشيخ فالح بن عثمان، ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن سعد. أمّا عن الشيخ محمد بن عمر فكانت وفاته بعد هذه السنة بست سنوات.

وممن توفي فيها رجل الدين والخير علي بن عبد العزيز العجاجي عفا الله عنه وتغمده برحمته. وهو علي بن عبد العزيز بن سليمان بن ناصر بن سليمان آل عجاجي من آل كثير وموطنه في بريدة. ولد في عام ١٣٢٢هـ ونشأ نشأة حسنة من بين والده وأخيه الشيخ محمد وكان مرسوماً بالعلم وطاعة الله ورسوله وكان ملازماً لطلب العلم. أخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وعن الشيخ عمر بن محمد بن سليم. وكان ملازماً خاله في الحضر والسفر وموضع سره وثقته. كما أنّ له حظاً في صحبة المشايخ فكان ملازماً للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد لما قدم إلى بريدة وموضع سره. أخذ عن أخيه الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم ويتولى بعض شؤونه ويختصه الشيخ في ذهابه وإيابه ويتولى القراءة في مجالسه الخاصة وفي القراءة عليه بين المصلين قبيل صلاة العشاء الآخرة وفي المجالس الخاصة ضمن أناس يختصهم الشيخ عمر، وكان سريع ذرف الدمعة من خشية الله تعالى. وقل أن يجلس الشيخ عمر مجلساً إلاّ ويحضره. ولمّا أن توفي رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولاه الشيخ عمر تلك الوظيفة وقام بها خير قيام. وبعد أن شغل هذه الوظيفة في آخر حياة الشيخ عمر وصدر أمر تولى الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وملازمته حيث زاولها ١٤ سنة التحق بالمعهد العلمي في بريدة فكان مراقباً فيه وشغل هذه الوظيفة قرابة أربع سنين وكان قد خلفه في رئاسة الحسبة الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد فكان بعده. ثم أنّ المترجم ولي إدارة دار التربية الاجتماعية ببريدة وكان عاقلاً مدارياً وذا أصل في العقيدة وما زال في صحبة العلماء في حلهم ورحيلهم حتى نال هذه الوظيفة فاقنع بها مؤثراً

لوطنه وقانعا بما قسم الله له بجعله في هذه الوظيفة . ولبت فيها ست سنوات ثم أنه أصيب بمرض مخوف وما زال يلهج بالذكر والاستغفار طيلة مرضه حتى توفاه الله تعالى في ٥/٢٤ من هذه السنة عن عمر يناهز الحادية والستين . وقد شيع جنازته جمع كثير من الأهالي حتى ضاق بهم الجامع الكبير بمدينة بريدة وشيعوه إلى مثواه الأخير ولم يخلف عقباً .

وممن توفي فيها من الأعيان أحمد العلي العييري . كان رجلاً من أثرياء بريدة وفيه رجولة ودين ومحبة لأهل الدين حسن المعاملة ، طيب العشرة ، محسناً إلى الفقراء والمساكين وذا عقل ومعرفة ، مرضياً عنه من سائر طبقات الناس وأتاه الله مالاً وأولاداً ، وكان شكور النعم لله . وكانت وفاته عن عمر يناهز الثمانين عاماً وقد شهد جنازته جموع كثيرة وأثنى عليه المسلمون يوم وفاته تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته .

وممن توفي فيها إبراهيم بن صالح بن محمد بن عبدالله بن سليم كان ابن أخ شيخنا عمر رحمه الله وعفا عنه وفيه دين وبصيرة ، يحب في الله ويبغض فيه ولديه صلاح وكان ذا ثروة . وقد أمضى فترة في التدريس بإحدى المدارس الحكومية يدرس فيها العلوم الدينية . كانت وفاته في أواخر شعبان من هذه السنة عن عمر يناهز الخامسة والخمسين .

وفيها أعتق الأمير عبد الرحمن بن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن خمسة عشر مملوكاً ويعتبر هذا من فرد واحد كثيراً والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . وكان قد رفض التعويض عنهم ، بل جعل عتقهم قرينة إلى الله تعالى فلتنه هذه الحسنات . قال ﷺ : «أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار» . وفي الحديث الآخر : «أيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار» .

وفيها فتحت أول مدرسة للبنات في بريدة وذلك في ٦/١٥ من هذه السنة

وكان فتحها عن طلب من بعض الأهالي للحكومة بهذا الصدد وهنا معارضة من البعض لأنّ المعارضين يرون عدم ذلك وأنه وسيلة إلى اختلاط النساء بالرجال والفتيات بالبنين كما جرى في بعض الأمصار. قال بعض العلماء: لتعلم أيها الرجل المحافظ على الحفاظ أنّ الأمة إذا تركت تقاليدها أو تجاهلت حالة الأجانب في أمورهم وجرت معهم في اتباع المشيء من عاداتهم لم يمض عليها قليل من الزمن إلا وهي أثر بعد عين وانمحت معالمها أو ضاعت مدنيّتها. أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّه قال: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهنّ يوماً يجتمعن فيه فوعظهنّ وأمرهنّ فكان فيما قال لهنّ: «ما منكنّ امرأة تقدم ثلاثاً من ولدها إلّا كانوا لها حجاباً من النَّار. فقالت امرأة: واثنين. قال: واثنين». فلو أنّ السفور كان مباحاً وكذلك الاختلاط بالرجال كما يزعمه بعض النَّاس في هذه الأيام لدعاهن رسول الله ﷺ إلى حضور مجالس الرجال. ولما خصص لهنّ يوماً خاصاً بهنّ حرصاً على كرامتهنّ ومنعاً من الافتتان بهنّ. وهو القائل ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضّر على الرجال من النساء». وهذا أبو العلاء المعري يوصي بالنساء فيقول:

علموهن الغزل والنسيج والرد ن وخلصوا كتابة وقراءة
فصلاة الفتاة بالحمد والإخلا ص تجزي عن يونس وبراءة

فما أعظم الفارق بيننا إذ يدعو البعض منّا إلى إخراج المرأة واختلاطها بالرجال ومزاحمتهم في كل الميادين وبين تلكم الأمة المجيدة الغيرة على أعراضها الحريصة على كرامتها، تلكم الأمة التي اختارها المولى عزّ وجلّ فجعلها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم وصفها بهذه الصفات ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، وبعث إليها أشرف الأنبياء والمرسلين، تلكم الأمة التي يقول شاعرها:

وحلت بيوتي في بقاء ممنع تحال به داعي الحمولة طائرا

خداراً على أن تنال مقادتي ولا نسوتي حين يمتن حرائرا
لا شك أن أمة يقول شاعرها لذلك مبيناً مبلغ الغيرة على العرض
والحفاظ عليه لجديرة أن تكون سناء الدعوة لنبي أتى بمكارم الأخلاق
وأفاضل الشيم والخصال. وقد أفتى الإمام أبو حنيفة وهو الذي يحتج دعاة
السفور والاختلاط واشتراك المرأة في الأعمال العامة زوراً وبهتاناً بما في
مذهبه من سماحة أفتى رضي الله عنه بأنه إذا وقفت المرأة بين الرجال بطلت
صلاة من على يمينها ومن على شمالها ومن هو خلفها. وكان الذين يرون
التعليم للبنات يحتجون بأن الوقت قابل للعلم وإذا كان يؤتى بالنساء
الأجنبيات لعلاج نساء الأهالي ويصرف لهن الرواتب الطائلة فكون المصلحة
للأهالي إذا أصبحوا قديراً أحسن، فتكون ثروة البلاد لأهلها لا ينبغي صرفها
للأجانب. ومن جهة أخرى فإن الشباب الذين أصبحوا مثقفين يتطلبون
فتيات مثقفات لأننا قد رأينا منهم من يأتي بزوجة من سوريا ومصر وغيرها.
ومن جهة ثالثة فإن المعلمين الأجانب المنتدبين قد يأتوا بعوائلهم فيجد
الذكور من العوائل المدارس والمعاهد والكليات مفتوحة الأبواب للطلاب،
أمّا الفتيات من عوائلهم فإنها تكون محرومة من التعلم لعدم وجود المدارس
للبنات في السعودية. فرأت الحكومة أيدها الله تعالى فتح مدارس للبنات لا
يمنع منها من أرادها ولا يدعى إليها من يابها ونفذت هذه الفكرة بالقوة.
ولما أن فتحت المدارس جعلت الحكومة سيارات الأتوبيس لنقل الفتيات
من البيوت إلى المدارس وأمرت بالاحتفاظ والصيانة واشترطت على السائق
أن تكون زوجته إلى جانبه، وبعد الفراغ من الدراسة ترجع بهنّ الأتوبيسات
بالحفظ والصيانة والتستر يوزعن على بيوتهن، ولا يمكن أحد من الاتصال
بالمدرسة ولو كان ولي فتاة، ولا يدخل المدرسة إلا محض الإناث. وكان
البوابون محافظين على أعمالهم أشد المحافظة واستمرّ فتح المدارس
بنشاط، وأقبلت الأمة عليها سواء من المستجلبين لها أو الممانعين، وكانت

العاقبة والحمد لله إلى خير . فالله الله أيها المسلمون في أوطانكم ودينكم وأعراضكم . إنَّ الأمر لكم في النهاية فاختاروا لأنفسكم ما يليق بشرفكم وعزتكم وكونوا رجالاً كما يريد لكم الله ورسوله ، واحفظوا أمانة الله التي ائتمنكم عليها ، وأحسنوا رعاية أبنائكم وبناتكم وأهليكم ، وتفكروا في قوله تعالى خطاباً للنساء : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ ﴾ .

وفيهما في أواخر ربيع الأول وصل إلى مطار القصيم بالمليدء معدات الشركة التي رست عليها المناقصة ثم إنَّها أخذت العمال في المشروع الذي بلغت تكاليفه ستة ملايين ريال . وقد وضع هناك ليكون متوسطاً بين مدن القصيم والقرى ويبعد عن بعضها بمسافة ٤٠ كيلو . ولكنه خفف من بعده سفلته طرقه .

وفيهما في يوم الأربعاء الموافق ٢/١١ من هذه السنة قدم القائد سعيد حبيب مدير شرطة بريدة ، وبعده في ٢/١٥ أي بعده بأربعة أيام قدم رجال الشرطة ويبلغ عددهم خمسين جندياً .

وفيهما عمل تخطيط لشارع الخبيب في مدينة بريدة على أساس ثلاثين متراً وهُذَّ التوسعة مواضع سكنية من الجهة الشرقية والغربية وبذلك يكون هو الشارع الرئيسي الذي يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب ، وبلغ عدد التعويضات لذلك مليونين من الريالات وكان شارع الخبيب قبل هذه السنة بخمسة وعشرين عاماً صحراء واسعة . وبهذا يعلم تقدم البلد بسرعة فائقة ، وكان الشروع في العمل في غرة جمادى الثانية من هذه السنة .

وفيهما أقام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ حفلة غداء بمناسبة سكنه بيته الذي أقامه من الأسمنت المسلح دعا إليها العلماء وطلاب العلم وذلك في آخر ربيع الثاني ، وكان البيت ممتازاً . نسأل الله حسن التوفيق .

ولمّا أن كان في ٢٨ من هذا الشهر الموافق ليوم الاثنين بعد الظهر قدم الملك سعود إلى مطار الرياض عائداً من سفر العلاج وقد غصّ المطار بالجموع الغفيرة من المستقبلين من الأمراء والوزراء وضباط الجيش وعلى رأسهم ولي العهد فيصل بن عبد العزيز وعمه عبدالله بن عبد الرحمن وأصحاب السمو وأصحاب الفضيلة العلماء . وما أن أطلت طلعتته من باب الطائرة حتى دوى المطار بالهتاف والتصفيق الحار من جموع المستقبلين وأطلقت لذلك حامية مطار الرياض إحدى وعشرين طلقة تحية لجلالته . وبعد أن ترجل جلالته من الطائرة أدى رجال الحرس الملكي التحية الملكية ثم صدحت الموسيقى بالسلام الملكي . وبعد أن تفضل جلالته برد التحية أخذ يشق طريقه بين جموع المستقبلين .

وفيهما قام العمال بالحرم المكي الشريف بتسقيف بئر زمزم ليتمكن مرور الطائفين من فوقها على أن يؤخذ الماء من تحت السقف مع الدرج ، وهذا لأجل توسعة المطاف حوالي الكعبة المشرفة وما يستدعيه من مرور الأفواج هناك . ويستخرج ماء زمزم بواسطة موتور كهربائي ، وكان الباعث لهدم المقامات الأربعة وإزالة بناية زمزم كثرة الحجاج والطائفين بحيث أصبحت المشاعر تضيق بالحجاج ، وبذلت الحكومة أسباباً لجلب راحتهم . هذا ولا تزال المشاريع مستمرة في المملكة السعودية فستة مطارات في ست من المدن في القصيم والوجه ويشة وسكاكا وجيزان وخميس مشيط مع توسعة مطار جدة والرياض والقريات والهفوف تكاليفها زادت على أكثر من ستة وأربعين مليوناً من الريالات . وطرح في المناقصة فعلاً مشروع التليفون الأتوماتيكي للمدن الهامة في المملكة وتقدر تكاليفه بمائة مليون وثلاثة ملايين ونصف .

وفيهما في الساعة الثالثة من صباح الأربعاء ٨/١٦ وصل وزير الدفاع سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز إلى مدينة أبها ضمن جولته التفقدية فاستقبله

هناك الأمير تركي بن ماضي أمير المقاطعة ورجال الدين ورؤساء الإدارات وشيوخ القبائل وطلبة المدارس وجموع الشعب الغفيرة وأقيم حفل كبير لهذه الغاية تعاقب فيه الخطباء والشعراء بكلمات الترحيب والإعراب عن الولاء للحكومة.

وفيها أسس مصنع الكبريت في مدينة الرياض وكان المؤسس له مواطن اسمه محمد عمر باسودان وكان يعمل فيه خمسون عاملاً سعودياً وعشرة عمال من العرب من غير المملكة. ويعتبر هذا المصنع أنه الوحيد الأول من نوعه. ويقول مدير المصنع: إنه يكفي لسد حاجة المملكة من الكبريت وكانت تدار مكائنه ومحركاته على الكهرباء ويقع في طريق الخرج بالرياض.

وفيها افتتح وزير الدفاع سلطان بن عبد العزيز مطار خميس مشيط في حفل كبير أقامه الأهالي تكريماً لسموه بهذه المناسبة. ولا يزال هذا الوزير الجديد نشيطاً يوالي أعماله التقدمية، وفقه الله تعالى وسدد خطواته.

وإذا نظرنا إلى ما تقوم به فرق الإطفاء من الإسعافات وبذل الجهد في هذا السبيل فإن الحكومة عينها ساهرة لمصلحة الأمة وإن فرق الإطفاء لتشكر على أداء واجبها نحو الموتورين بالحريق ذلك لأنهم قد ألقوا السمع للاستغاثة فساعة ما يبلغهم الطلب إذا بهم يجوبون الشوارع مسارعين بكل مقدوراتهم لإنقاذ الهلكى وإطفاء الحريق يلقون أنفسهم لإخماد النيران بشبابهم المعدة لذلك ويتفانون في هذا السبيل، وأكثر ولا حرج من تعداد حسنات هذه الفرق وما تقوم به.

وفيها تم تشييد سوق الجزارين وسوق الخضار المقامين في بعض موضع قصر الحكم القديم في بريدة ونقل إلى ذلك الموضع اللحوم وجالبو الخضروات، كما اعترمت الأمة على إيجاد الإسعافات العاجلة الضرورية

وإنشاء فرع لجمعية الهلال الأحمر السعودي في مقاطعة القصيم لتوفير الإسعافات العاجلة الضرورية الطبية والاجتماعية تفادياً للنكبات عند نزول الحوادث وغير ذلك من مساعدات إنسانية واجتماعية. وإنها لخطوة تقدمية موفقة وأكثر الله أمثال هذه المشاريع العائدة على بني الإنسان بالراحة وقضاء الحاجات. هذا ونشير لكثرة الحركة في المدن السعودية في طلب الرزق ومثابرة الأعمال في المصانع من تصليح السيارات وإنشاء الأبواب الحديدية والمتاجر الأخرى وأنواع السمكرة وفتح الحفيزات ودكاكين البقالات ومحطات الوقود والبيع والشراء. ومن لم يكن من الأهالي يساهم في ذلك فإنه يتقلب في خدمة الدولة. ونأمل من الجهات المسؤولة تشغيل العاطلين لأن الكسل نتيجه الفقر والخيبة. وقد أحسن القائل:

كان التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوجها مهرا
فراشاً وطيثاً ثم قال لها انكحي فإنكما لا بد أن تلدا الفقرا

زيارة الملك لمصر لحضور مؤتمر القمة العربي

وذلك بعد ظهر الاثنين ٨/٢٨ يرافقه وزير الدفاع والطيران سلطان بن عبد العزيز ورئيس الديوان الملكي منصور بن سعود وعمر السقاف وكيل وزارة الخارجية واللواء عبدالله المطلق رئيس الأركان وغيرهم. فاستقبله الرئيس جمال وعبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية وعزفت الموسيقى وأطلقت حامية مطار القاهرة إحدى وعشرين طلقة. وقد لقي كل حفاوة وتقدير من قبل الجماهير الغفيرة هناك. فلبث في مصر خمسة أيام وعاد إلى الرياض في الساعة العاشرة والنصف من يوم السبت ٩/٤ فاستقبلته الأمراء إخوته وأبناءؤه على رأسهم ولي العهد فيصل ومن بينهم قادة وضباط الجيش، كما أنه ودع في مصر من قبل الرئيس جمال وعبد الخالق حسونة وكبار رجال الدولة في الجمهورية العربية المتحدة.

إسناد الأمر إلى ولي العهد

كانت مشكلة كثرة أسفار الملك سعود وتأخر صحبته مما يعيق الأعمال ويعرقل حركة الإصلاح التي تأخذ مجراها السريع فقد اجتمع العلماء في الرياض في أوائل ذي القعدة من هذه السنة على أثر مخالافات جرت من الملك لأن له رأياً قد لا يتوافق مع ولي العهد وكان من نتيجة هذا الاجتماع أن أصدر مجلس الوزراء قراراً برقم ١١/١٧/٧/٥٣ بشأن منح فيصل بن عبد العزيز السلطات التنظيمية بمقتضى المادتين ١٩ و ٢٠ من نظام مجلس الوزراء الذي يملك حق إعداد الأنظمة وتنظيمها . وبعد استعراض الأوضاع الراهنة وما تقتضي به الضرورة من وضع حد لكل ما ينقص نعمة الاستقرار التي تستمتع بها البلاد أو يعرقل حركة الإصلاح التي تأخذ مجراها السريع واستناداً على الفتوى الشرعية الصادرة بتاريخ ١٦/ ١١/ ١٣٨٣ هـ من اثني عشر عالماً من فقهاء هذه الأمة والتي جاء بها : (أنه نظراً لحالة جلالة الملك الصحية وظروفه الشرعية الراهنة ، ونظراً لأن جلالته غير قادر على القيام بمهام أمور الدولة فقد صدر قرارهم متمشين على ما تقتضيه النصوص الشرعية المرعية للمصالح العامة بأن يقوم سمو الأمير فيصل ولي العهد بتصريف جميع شؤون الدولة الداخلية والخارجية في حضور الملك وغيابه بدون الرجوع إلى الملك في ذلك) .

وبعد أن أطلع المجلس على القرار الذي اتخذته أعضاء الأسرة المالكة والذي أجمع فيه رأي الحاضرين منهم على وجوب قيام صاحب السمو الملكي ولي العهد بجميع الصلاحيات التي نصت الأنظمة على أن يمارسها جلالة الملك ، وبناء على الأمر الملكي الصادر برقم وتاريخ ٩ شوال ١٣٨١ هـ والذي أصبح بمقتضاه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل نائباً عن جلالة الملك في شؤون الدولة في حالة غيابه وحضوره وقرر مجلس الوزراء بناء على ما تقدم أمرين أحدهما أنه مع بقاء صاحب الجلالة سعود بن عبد العزيز ملكاً للبلاد تناط جميع المسؤوليات والصلاحيات التنظيمية

والإدارية والقضائية التي يتمتع بها جلالته طبقاً لأحكام الشريعة الغراء والأنظمة المرعية في البلاد بصاحب السمو الملكي فيصل بن عبد العزيز، ويعتبر المسؤول الوحيد عن القيام بجميع المسؤوليات والصلاحيات.

ثانياً: كافة الأحكام الشرعية والنظامية التي تنيط صلاحيات بصاحب الجلالة الملك بوصفه رئيساً للدولة وقائداً أعلى للقوات المسلحة تعتبر بحكم هذا القرار مناعة بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل نائب جلالة الملك، ويعتبر هذا بمثابة تعديل للأحكام في كافة الأنظمة وعلى وجه الخصوص المواد - ٨ و ١١ و ٢٣ و ٢٧ و ٤٤ من نظام مجلس الوزراء، وصدق على ذلك القرار فيصل برقم ٥٣ في ١١/١٧ / ١٣٨٣ هـ ثم عمم ذلك لجميع الإدارات في ٢٣/١٢ / ١٣٨٣ هـ. وبهذا القرار الذي ذكر تولى فيصل منذ ذلك التاريخ جميع سلطات الدولة الداخلية والخارجية بصفته نائب الملك الدائم في حضوره وغيابه وولي العهد ورئيس مجلس الوزراء أي وصياً على العرش. ويبقى لسعود اسم الملك ومخصصاته واستمرت هذه الحالة بضعة أشهر.

ثم دخلت سنة ١٣٨٤ هـ

استهلّت هذه السنة والأمراء والرؤساء على ما نبينه: فكان رئيس مجلس الوزراء في المملكة السعودية والمتصرف في شؤون الدولة داخليتها وخارجيتها سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز وأمير منطقة حائل الأمير عبد العزيز بن مساعد وأمير عرعر والحدود الشمالية نجله عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد وأمير المقاطعة الشرقية سعود بن عبدالله بن جلوي وأمير مكة مشعل بن عبد العزيز ووزير الداخلية فهد بن عبد العزيز ووزير الدفاع والطيران سلطان بن عبد العزيز وأمير الرياض سلمان بن عبد العزيز وأمير الحرس الوطني عبدالله بن عبد العزيز، وهكذا...

وفيهما في اليوم الخامس عشر بعد العصر من شهر محرم هبت رياح

شديدة فثار لها غبره وقتره وأظلم الجو جداً فكان ذلك الوقت شديد الظلمة واستمرت الظلمة من الساعة العاشرة تزيد ٤٥ دقيقة عربي كقطع الليل المظلم فأضيئت أنوار السيارات لما عجزت عن المسير لشدة الظلمة وجرى شيء لم يعهد مثله في آخر هذا الزمان بحيث أمست الأمة في وقت العصر كالساعة الثانية من الليل البهيم . وكان ذلك في سادس برج الجوراء ثالث البطين ابتدأت هذه الظلمة بصفرة ثم تحولت إلى ظلمة شديدة وما زالت كذلك حتى تجلت الساعة الثانية من الليل أي قدراً من ثلاث ساعات وربع . وقد ذكر الأشياخ أنهم لم يعهدوا مثلها في أعمارهم التي مرت .

وفيها وفاة زعيم الهند حضرة صاحب الدولة البانديت جواهر لال نهرو رئيس وزراء الجمهورية الهندية . كانت ولادته ١٨٨٩م ولد من أبوين مشهورين بالكرم بمدينة الله آباد وتعلم بكلية هارو وجامعة كمبردج وانضم بعد مذبحة ارمتزار ١٩١٩م إلى الوطنيين في النضال لنيل استقلال بلاده وتلمذ لغاندي وانضم إلى حركته الوطنية . ترأس على المؤتمر الوطني الهندي مداراً عدة خص على تصنيع الهند بالطرق الحديثة . قضى معظم الفترة الواقعة من ١٩٣٠ - ١٩٣٦م في السجون لقيامه بحملات للعصيان المدني وسجن مرة أخرى في الحرب العالمية الثانية لمعارضته في تقديم أية مساعدة لبريطانيا . وألف في السجن عدة كتب منها : لمحات من تاريخ العالم ، وسيرة ذاتية بعنوان : نحو الحرية وكشف الهند ، وهي ضخمة تدل على تفوقه في الآداب والمعرفة وعلو الكعب وعين رئيساً للوزارة الهندية فشغلها حتى مات . ولما أن مات قاموا على جثمانه كعادة أهل الهند بعظمائهم ورؤسائهم فأحرقوه بالنار ثم طحنوه وحملوا ذلك الرماد بطائرة فذروه في الجو ليصل إلى كل موضع في البر والبحر جزء منه ، وهي عادة سيئة في إقليم الهند ، وربما فعلت زوجة الهالك ذلك الفعل القبيح كما ذكره الرحالة ابن بطوطة في رحلته . قال : (وإحراق المرأة بعد زوجها أمر

مستحب عندهم ولكنه غير واجب، ولكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك). ثم روى صفة ما رأى من ثلاث نسوة توفي أزواجهنَّ بأنهنَّ أقمن قبل ذلك بثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب كأنهنَّ يودعن الدنيا وتأتي إليهنَّ النساء من كل جهة، وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت واحدة منهنَّ بفرس فركبته وهي متزينة متعطرة وفي يدها جوزة نارجيل تلعب بها وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها وبين يديها الأبطال والأبواق والأنفار. وكان كل امرئ يقول لها: إبليغي السلام إلى ابني أو أخي أو أمي أو صاحبي، وهي تقول: نعم وتضحك إليهم إلى أن قال ابن بطوطة: وكان هناك حوالي خمسة عشر رجلاً في أيديهم حزم الحطب الرقيق ومعهم نحو عشرة رجال معهم قطع كبيرة من الخشب وأهل الأبطال والأبواق وقوفاً ينتظرون مجيء المرأة وقد حجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بأيديهم لئلا ترتعب المرأة من رؤية اللهب. رأيت إحدى أولئك النسوة لما وصلت إلى تلك الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف وقالت لهم وهي تضحك: (أبالنار تخوفونني ثم جمعت يديها على رأسها صلاة للنار ورمت نفسها فيها وعندئذ ضربت الأبطال والأنفار والأبواق ورمى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها لئلا تتحرك وارتفعت الأصوات وكثر الضجيج. ولما رأيت ذلك كدت أن أسقط عن فرسي لو لم يتداركني أصحابي بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت).

وفيها في ليلة ٢٣ من رمضان وفاة تشرشل رئيس وزراء الحكومة البريطانية عن عمر يناهز تسعين عاماً وكانت وفاته بمنزله بلندن. فهو تشرشل وينستون تولي الرئاسة بعد تشمبرلن وكانت ولادته عام ١٨٧٤م في بلينهايم بإنكلترا، وكان من رجالات السياسة الإنكليزية ومن أعظم السياسيين. تولي أعلى المناصب السياسية والإدارية وترأس حزب المحافظين في البرلمان البريطاني وكان في طليعة الذين دبروا شؤون الحرب

العالمية الثانية. ولمّا بدأت المعركة في الجبهة الغربية وتولّى رئاسة الوزارة الإنكليزية أعلن للعالم أنّه لن يهادن هتلر ولن يسالمة وسيظل يحاربه حتى النهاية. والمعتقد أنّه لولا ظهور تشرشل لكان بالإمكان التفاهم مع إنكلترا، ومع انهيار كل القوى حوله ووقوفه وحده بعد زوال فرنسا، فإنّه ظلّ على عناده وكان جباراً عنيداً وقاسياً عتياً. وبالرغم من تقدمه في السن فإنّه سياسي عظيم حتى سمى السياسي العجوز وقام بما استطاعه من الدفاع واتهم رئيس الوزراء السابق بالضعف وأنّه لا يحب على إنكلترا الصبر على الضيم أمام عدو لا يوثق بكلامه ولا يؤمن جانبه.

وفيها في يوم السبت الموافق ١٠ رجب في الساعة السادسة عربي قدم وزير الدفاع سلطان بن عبد العزيز على متن طائرة فنزل في مطار القصيم العالمي الجديد الذي أقيم في المليداء فافتتحه. وقد اجتمعت الأمة وأقيمت الخيام هناك وجرى احتفال رائع ألقى فيه الخطب والقصائد فكادت الأيدي تندمي من التصفيق وحضر الاحتفال جم غفير من العلماء والأمراء ورؤساء الدوائر من سائر مقاطعة القصيم وسائر الأمة وكان يوماً مشهوداً. وقد قدّمنا أنّه متوسط في قلب القصيم فكان ما بينه وبين عنيزة ٤٠ كيلومتراً ومسافة ما بينه وبين الرس ٦٥ كيلومتر وبينه وبين البكيرية ٢٢ كيلو وبينه وبين بريدة مسافة ٣٠ كيلو. أمّا عن خدمات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية فإنّه لمّا افتتح مكتب العمل ببريدة قبل هذه السنة بستين فقد بلغت الأسلاف والمساعدات مبلغاً عالياً.

وفي هذه السنة قامت وزارة المواصلات بإنشاء طرق تربط مدن القصيم بعضها ببعض ولا سيما الكبرى الواقعة بين بريدة وعنيزة في وادي أبي علي حيث أقيم على وضع بديع لأول مرة من فوق ذلك الوادي بحيث وفر مصلحة مرموقة للناظرين وفيها إنشاء البنك الزراعي في القصيم وذلك للقيام بتوفير مختلف المتطلبات اللازمة للمزارعين كتوفير المكائن والطلبات وأجهزة الري وغير ذلك من الآليات الزراعية كالحراثات والحصادات مما

يوفر الراحة للمزارعين .

ولاية الملك فيصل بن عبد العزيز

لَمَّا كان في الساعة الرابعة وثلاثين دقيقة بالتوقيت العربي من صباح يوم الاثنين ٦/٢٧ من هذه السنة ٢ نوفمبر ١٩٦٤م أصدر مجلس الوزراء ومجلس الشورى برئاسة سمو الأمير خالد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء القرار الآتي :

أولاً: مبايعة فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكاً شرعياً على المملكة العربية السعودية وإماماً للمسلمين .

ثانياً: يطلب من حضرته قبول البيعة فنودي بحضرة صاحب الجلالة فيصل بن عبد العزيز ملكاً على المملكة العربية السعودية وأقبلت الوفود من جميع نواحي المملكة تباعه على طاعة الله ورسوله وعلى السمع والطاعة وانهالت برقيات التهاني من كل حذب ومن جميع أقطار العالم وفدت على المملكة وفود عديدة من مختلف الأقطار لتهنئة جلالة بتولية شؤون الإمامة وكان يتقبل ذلك وقام بمهمته أتم قيام . ثم استشار جلالة أخاه محمد بن عبد العزيز مع أفراد الأسرة في ولاية العهد فتنازل عنها الأمير محمد لأخيه خالد بن عبد العزيز فأعلن بالأمير خالد ولياً للعهد، نسأل الله لهم التوفيق . ثم انهالت برقيات التهاني من رؤساء الحكومات وكبار الشخصيات على جلالة لما هزها ارتقاؤه عرش المملكة السعودية ترحب أصدق ترحيب وتعبر عن سرورها الكبير، وشاركت دول الغرب وحكوماته وشعوبه العرب والمسلمين، وبادر ملوك العرب ورؤساؤها لترجم عن عواطفهم وتعبر عن مشاعرهم، فأبرق ملك اليونان وملك بلجيكا وملك إيران وملك الأردن وملك ليبيا وإمام اليمن محمد البدر وملك المغرب وإمبراطور إثيوبيا وحاكم الكويت وشاه الأفغان وشيخ البحرين وشيخ قطر وشيخ دبي وإمبراطور

اليابان وحاكم الشارقة وسلطان لحج وسلطان حضرموت ورئيس جمهورية الهند وشيخ أبو ظبي وأمير بيجان ورئيس الولايات المتحدة جونسون ورئيس جمهورية أندونيسيا ورئيس جمهورية باكستان ورئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية ورئيس الاتحاد السوفياتي ورئيس جمهورية ألمانيا الديمقراطية ورئيس جمهورية فرنسا ورئيس جمهورية الصين ورئيس الاتحاد السويسري ورئيس جمهورية النمسا الإتحادية ورئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال ورئيس الجمهورية الديمقراطية الشعبية الجزائرية ورئيس جمهورية العراق محمد عارف ورئيس جمهورية السودان ورئيس جمهورية لبنان ورئيس جمهورية سوريا محمد أمين الحافظ ورئيس جمهورية تونس ورئيس جمهورية الصومال ورئيس المجلس الأعلى لاتحاد الجنوب العربي ورئيس جمهورية النيجر ورئيس جمهورية غينيا ورئيس جمهورية موريتانيا ورئيس وزراء إيران ورئيس وزراء تركيا ورئيس منظمة تحرير فلسطين أحمد الشقيري والرئيس شكري القوتلي والرئيس ناظم القدسي ورئيس وزراء أفغانستان والمستر ديفيد روكفلر وشيخ الإسلام في تايلاند وشيخ الإسلام في يوغسلافيا ورئيس خارجية إيران ونائب رئيس جمهورية أندونيسيا ورئيس حكومة ليبيا والسيد علي الميرغني ورئيس وزراء عدن. ولم يكتف الكثيرون من الملوك والرؤساء والأمراء بإرسال البرقيات نحو جلالته حتى جاء معظمهم بالذات وأرسل آخرون وفوداً من كبار رجال دولتهم وبإيعاد جميع أفراد الأسرة من بينهم أنجال الملك السابق وتقدم أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب المعالي الوزراء كما تقدم الجيش السعودي بإيعاد جلالته في المقدمة عصر يوم الخميس أول رجب ١٣٨٤ هـ يتقدمه الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران ومعه الفريق عبدالله المطلق رئيس هيئة أركان الجيش واللواء أحمد الشميمري رئيس هيئة إدارة الجيش واللواء محمد المطلق قائد قاعدة الطيران. وهذا نص القسم: (نقسم بالله العظيم أن

نكون مخلصين وموالين لحضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز نصادق من يصادقه ونعادي من يعاديه ونكون مسلماً لمن يسالمة وحرباً لمن يحاربه وإننا نبايعه على كتاب الله وسنة رسوله . والله خير الشاهدين). كما أنه بايع الملك السابق سعود بن عبد العزيز حرصاً على وحدة الكلمة وجمع الشمل بما نصه: (من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جانب الأخ جلاله الملك فيصل بن عبد العزيز سلمه الله . بناء على ما أقرته الأسرة والعلماء بتنصيبكم ملكاً على البلاد فإننا نبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله ملكاً على البلاد راجياً لكم التوفيق وللشعب السعودي الرفاهية والازدهار والتقدم والسلام). وغادر البلاد على الفور إلى النمسا للتداوي والاستشفاء حفظه الله وشفاه^(١) ثم أنها أقيمت الحفلات في الرياض بهذه المناسبة ، وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والمنطقة الشرقية وقد طلب أن لا يتكلفوا بمهرجانات ولا زينات بل تكون الحفلات بسيطة وعادية وخالية من كل تكليف وتصنع لا حاجة إليهما . وألقى جلالته خطاباً رائعاً حث على التعاون والتكاتف كما ألقى أمامه الخطب الثمينة التي تعبر عن الإخلاص والبيعة وأسمى الفرحة والسرور بتبوءه عرش المملكة داعين له بالتوفيق والإعانة والتسديد . فكان الملك فيصل بذلك هو الإمام الأعظم الذي اجتمعت الأمة على اختياره وكفى بها شرفاً .

نرجع إلى الحرب في اليمن فنقول: اعتصم الإمام محمد البدر بالجبال هو وأتباعه وأوقعوا خسائر بالجيش المصرية فقد بلغ عدد القتلى إلى شهر رجب من هذه السنة ٤٥٦ ضابطاً و١٤٣٥٩ جندياً و١٠٢٨ صف ضباط . أمّا عن الخسائر المادية في خلال سنة وأربعة شهور فمائة وتسعة وثمانون مصفحة و٩٥ دبابة و٥١٤ سيارات متنوعة و٦٩ مدافع متنوعة و٣٠ طائرة

(١) لقد ضربنا صفحاً عن الخلافات التي جرت بين الأخوين قبل البيعة ترجيحاً للمصلحة كما قد تقتضيه الظروف ونشكر الله العليّ القدير على توفيقه واجتماع الكلمة وحسن العاقبة .

و٢٧٤٦ رشاشات و٤٨٧٣ بندقية و٥٠٠٠ صندوق ذخيرة. وغنم الملكيون ٣١٦٢ بندقية و١٦٥٩ رشاشات و٧٨ مدافع و٧١ سيارة و٢٠٠٠ صندوق ذخيرة ووقع جملة عظيمة من الجيوش المصرية أسرى في أيدي الملكيين من هؤلاء من كتيبة المصفحات والدبابات التي دمرتها القوات الملكية وأغلبهم ضباط استسلموا وآخرون من كتائب المظلات استسلموا وآخرون من كتائب القوات المصرية.

ودمرت القوات الملكية مجموعة كبرى من السيارات وحطمت مصفحات ودبابات روسية ولا تزال رحي الحرب دائرة مثال ذلك أنه جاء مائتان من الملكيين إلى البدر فأمرهم أن ينظموا إلى أحد القواد فلما أن كانوا في معيته أعطاهم تعليمات بأن يكونوا في كهف من الجبال وأن لا يحدثوا أي حركة حتى يشير إليهم فكانوا ينتظرون الأوامر، فبينما هم كذلك إذ أقبلت طائرة مصرية فتطلعت هل ترى من أحد ثم هبطت قليلاً فأنزلت برميلاً مملوءاً ماء ثم أنزلت كيساً مملوءاً خبزاً ثم هبط ستون جندياً مصرياً. قال فنحن ننتظر الأوامر وكان القائد الذي أمرنا بالانضمام إليه أمامنا مختفياً خلف حجر. فجاءت طائرة أخرى وصنعت كصنع الأولى وهبط جنود المظلات ستون أيضاً وأقبلوا على الماء والخبز الذي نزل معهم فعبأ القائد رشاشه من دون أن يلتفت إلينا فحصدهم جميعاً وكانوا مائة وعشرين جندياً. ولقد شنت الطائرات المصرية الروسية هجوماً على المدن والقرى اليمانية وأسقطت القنابل الشديدة الانفجار وقنابل النابالم المحرقة والقنابل الكيماوية والغازات السامة وكانت الطائرات تلقي قنابل تبدو وكأنها قنابل صغيرة بأنابيب معدنية فإذا ما مرّ رعاة الغنم والإبل وجدوها على الأرض والتقطوها ليتفحصوها فتنفجر بين أيديهم فتقطعها وتهشم أجسامهم شر تهشيم. وقد أعلن جمال عبد الناصر في الخطبة التي خطبها في اجتماع المؤتمر الوطني لمنظمة فلسطين يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٦٥م بأن الجيش المصري الذي يقاتل في

اليمن يبلغ خمسين ألف جندي . ونحن نسوق كلامه حرفاً حرفاً عن جريدة الأهرام الصادرة يوم ١ يونيو عام ١٩٦٥م رقم ٢٨٦٦٢ (إحنا النهارده عندنا ٥٠ ألف جندي في اليمن يعني إذا كنت أقول إنني سأهاجم إسرائيل أول حاجة أعملها أجيب الخمسين ألف اللي في اليمن قبل ما أقول إنني سأهاجم إسرائيل . . . إلخ) على أن بعض المصادر تؤكد أن عدد جنوده في اليمن بلغ سبعين ألفاً ولو أن سعادته صرف تلك القوات إلى اليهود الذين احتلوا فلسطين لقلنا أنعم بك من مجاهد ولكن في الآية الثامنة من سورة فاطر وفي الآية ١٠٣ و ١٠٤ من سورة الكهف ما فيه كفاية .

حادثة غريبة

في أحد أيام شوال من هذه السنة جرى نقاش في مكة المكرمة بين رجلين أحدهما يملك سيارة اسمه (محمد باوزير) والرجل الآخر سائق في سيارة الأول فترافعا إلى ضابط المنطقة الخامسة في مكة فأقسم مالك السيارة أمام الضابط إن كان قد ظلمه أن لا يخرج الله من هذه المنطقة سالماً فلم يفرغ من ترديد كلماته حتى خرَّ ميتاً على وجه الأرض ، فحركوه فإذا هو جثة هامدة . والله على كل شيء قدير .

وفيها فتح طريق ينفصل من خط الرياض الجنوبي فيتجه إلى الغرب شاقاً مدينة عنيزة يمر بالبدائع والرس حتى يتصل بطريق المدينة المنورة بطول ١٢٩ كيلومتراً .

وفيها افتتح كلية البترول والمعادن في الظهران ، وتقدم الملك فيصل يقص الشريط .

وفيها في شهر رجب الموافق لشهر تشرين الثاني من عام ١٩٦٤ م انتخب الرئيس جونسون رئيساً لجمهورية الولايات المتحدة وجرى لذلك احتفال في العاصمة الأمريكية ونودي به رئيساً . هذا ولا تزال إسرائيل تشن الغارات

السيئة ضد العرب فقد قامت تبدأ التحرش العسكري بالعرب في أوائل ذي القعدة وجعلت قواتها تضرب سوريا وقامت باعتهاء جديد على حدود شبه جزيرة سينا واخترقت طائراتها حرمة الأجواء العربية ولكن الطائرات العربية صدتها وأجبرتها على الفرار.

هزات أرضية

تعرضت الأراضي التركية لثمان وأربعين هزة أرضية في ظرف تسع ساعات أصيب منها عدة منازل ودمرت أربعة بيوت أخرى وذلك في مستهل شهر ذي القعدة. وتقع هذه الزلازل في غرب تركيا وكانت هذه الزلازل تخيف أولياء الله تعالى حتى قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما تزلزلت الأرض في أيامه: (أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة إلا على شيء أحدثتموه. ثم قال: والذي نفسي بيده لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً). وتقول عائشة لما سئلت عن الزلزلة: (إذا استباحوا الزنا وشربوا الخمر وضربوا بالمعازف غار الله عز وجل في سمائه فقال للأرض: تزلزلي بهم. فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم). وقد أصبحت هذه الزلازل عادة في بني الزمان فلا يتأثرون منها.

وفي هذه السنة في ١٠ / ٧ تم تأسيس معهد الصم والبكم بالرياض عاصمة المملكة السعودية وحجّ بالمسلمين الإمام فيصل بن عبد العزيز. وبذلك نختم المجلد الخامس من تاريخنا (تذكرة أولي النهى والعرفان). والحمد لله أولاً وأخيراً.

وصلّى الله على محمد نبينا وسيدنا وعلى آله وصحبه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

تم الجزء الخامس بتوفيق الله ومنته

ويليه الجزء السادس إن شاء الله تعالى أوله دخول سنة ١٣٨٥ هـ.

سائلين الله حسن التوفيق

فهرس الجزء الخامس من تذكرة أولي النهى والعرفان

| | |
|----|--|
| ٥ | ثم دخلت سنة ١٣٧٣ هـ |
| ٧ | ذكر مرض عاهل الجزيرة وفقيد العروبة |
| ٨ | مصاب أليم والبقاء لله وحده |
| ٩ | الأمة الإسلامية تنعي فقيدها الأعظم |
| ١٠ | الصلاة على صاحب الجلالة الملك الراحل |
| ٢٦ | ذكر عدله وإنصافه |
| ٢٨ | كرمه وجوده |
| ٣٤ | أخلاقه وبراعته |
| ٣٥ | سطوته وشجاعته |
| ٣٨ | لباسه وسجيته |
| ٤١ | ذكر حالاته الزوجية |
| ٤٢ | ذكرى أنجال الملك عبد العزيز |
| ٤٥ | ذكر قواته وذخائره |
| ٦٠ | مقدمة |
| ٦٥ | بيعة أهل مكة |
| ٦٧ | بيعة أهل القصيم |
| ٦٨ | الوفود والتعازي |

| | | |
|----|-------|---|
| ٦٩ | | أمر ملكي كريم |
| ٧٠ | | مرسوم ملكي |
| ٧١ | | مرسوم ملكي |
| ٧٢ | | وفاة عالم كبير |
| ٧٣ | | ذكر صبره واحتسابه |
| ٧٤ | | ذكر مشائخه وتلامذته |
| ٧٥ | | ذكر الوظائف التي نالها |
| ٧٧ | | مكانته في العلم |
| ٧٩ | | ذكر أخلاقه وشمائله |
| | | اشتراك مديرية المعارف السعودية في مؤتمر وزراء معارف الدول |
| ٨١ | | العربية |
| ٨٢ | | تأسيس المعهد العلمي ببريدة |
| ٨٣ | | المساواة في المراعي |
| ٨٣ | | عدوان اليهود وفسادهم |
| ٨٤ | | جمال عبد الناصر يعبر عن العرب |
| ٨٥ | | تبرعات الملك لتعمير قرية قبية المنكوبة |
| ٨٥ | | تتويج ملك العراق |
| ٨٥ | | وفود تفد على الملك |
| ٨٦ | | زيارة حاكم باكستان |
| ٨٦ | | افتتاح محطة الكهرباء في مكة المكرمة والمسجد الحرام |

| | |
|-----|---|
| ٨٧ | مجلة الرياض |
| ٨٧ | مؤسسة النقد العربي السعودي |
| ٨٧ | سياحة الملك وجولته |
| ٨٨ | احتفال أهل القصيم |
| ٩١ | العناية بشؤون الدين |
| ٩٢ | تحويل مديرية المعارف إلى وزارة |
| ٩٢ | حوادث وأخبار |
| ٩٣ | زيارة الملك للبحرين وباكستان |
| ٩٦ | إعانة الملك للفقراء لأداء الحج |
| ٩٧ | ذكر استعراض الجيش السعودي |
| ١٠٠ | ثم دخلت سنة ١٣٧٤ هـ |
| ١٠١ | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ١١١ | ذكر شيء من التعريف بجمال عبد الناصر وأخباره |
| ١١٣ | جلاء الإنجليز عن مصر |
| | جولة وكيل وزير المعارف الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل |
| ١١٤ | الشيخ |
| ١١٥ | سياحة الملك |
| ١١٦ | ذكر ما جرى فيها من الحوادث |
| ١١٩ | حلف نوري السعيد |
| ١٢١ | ذكر ما جرى في مشكلة البريمي |

- ١٢٢ اعتداء أثيم
- ١٢٣ جواب الملك للشعب
- ١٢٧ ذكر استنكار العالم لسياسة بريطانيا
- ١٢٨ تحمس أهالي المنطقة الشرقية
- ١٢٩ ذكر المدارس والمعاهد ومراحل التعليم
- ١٣٠ فتح مدارس بالقصيم
- ١٣٤ حفل يقام بمدينة الرس من أعمال القصيم
- ذكر الاحتفال لإكمال عمارة مسجد المصطفى في المدينة المنورة
- ١٣٥ صلوات الله وسلامه عليه
- ١٣٦ النهضة الثقافية في نجد
- ١٤١ عمارة المسجد الحرام سنة ١٣٧٥ هـ
- ١٤٣ إسناد الرئاسة إلى جمال عبد الناصر
- ١٤٤ المهرجانات الكبرى بعيد الجلاء
- ١٤٦ إصلاح أخلاقي
- ١٤٩ جهاد الجزائر لفرنسا
- ١٥٠ مفاصد حلف نوري السعيد
- ١٥١ الفيضان في الهند وباكستان
- ١٥٢ ثم دخلت سنة ١٣٧٦ هـ
- ١٥٤ ذكر قناة السويس وما نال مصر بشأنها
- ١٥٥ اجتماعات ومفاوضات

- ١٥٦ زيارة الشاب ملك العراق
- ١٥٦ زيارة البانديت جواهر لال نهرو
- ١٥٧ غدر اليهود وأمور تحاك في الباطن
- ١٥٨ ذكر ضرب مصر سنة ١٩٥٦ ميلادي
- ١٦٠ قطع العلاقات السياسية مع بريطانيا وفرنسا
- ١٦١ إمارة محمد بن بتال في القصيم
- ١٦٤ أمطار تجتاح القصيم وتهدم البيوت
- ١٦٧ ذكر من توفي فيها من الأعيان
- ١٦٨ ذكر الوظائف التي نالها
- ١٦٩ أخلاقه وشمائله
- وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبد الرحمن بن سعدي عالم
- ١٧٠ عزيزة وفقهها
- ١٧٢ أخلاقه وتواضعه
- ١٧٣ مؤلفات الشيخ
- ١٧٥ دور الأيتام
- ١٧٨ ممن توفي فيها من الأعيان الشيخ فيصل بن مبارك
- ١٧٨ مشائخه وتلقيه للعلم
- ١٧٩ مكانته في العلم ومؤلفاته
- ١٨٣ التضحية بالأموال
- ١٨٦ عيون تنبع في القصيم

- ١٩٢ عمارة المسجد الجامع ببريدة
- ١٩٣ ذكر تنازل الشيخ ابن حميد عن قضاء ببريدة
- ١٩٤ ذكر زيارة ملك العراق وما جرى بعدها
- ذكر مصرع الملك فيصل بن غازي ١٣٧٧ هـ وقتل ولي عهده
- ١٩٤ ونوري السعيد وإعلان العراق جمهورية
- ١٩٦ ذكر أشياء عن المملكة العربية السعودية
- ٢٠٢ ذكر الأفعال الوحشية التي تعامل بها الجزائر من فرنسا
- ٢٠٥ القمر الصناعي
- ٢٠٩ عمارة الكعبة عام ١٣٧٧ هـ
- ٢١١ الوحدة بين مصر وسوريا
- ٢١٣ ذكر ما جرى فيها من الحوادث
- ٢١٥ ذكر من توفي فيها من الأعيان
- ٢١٦ وفاة رئيس القضاة
- ٢٢٠ ذكر أخلاقه الزاهرة وصفاته الباهرة
- ٢٣٤ سد وادي حنيفة
- ٢٣٥ نشاط الحركة الزراعية
- ٢٣٨ ببريدة جنة فيحاء ولكنها مجهولة
- ٢٤٣ بيان عن حج الماضي والحاضر
- ٢٥١ شركة كهرباء ببريدة وضواحيها
- ٢٥٢ زيارة ملك الحبشة

- ٢٥٣ ذكر زيارة الملك سعود للقصيم في هذه السنة
- ٢٥٤ ذكر ما جرى فيها من الحوادث
- ٢٧٤ بيان عن الصهاينة ومشكلة الشرق الأوسط
- ٢٨١ الحرب بين الجزائر وفرنسا
- ٢٨٤ ثم دخلت سنة ١٣٨١ هـ
- ٢٨٥ وقف الحرب في الجزائر
- ٢٨٦ استقلال الجزائر
- ٢٨٧ تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة
- ٢٨٩ ذكر من توفي فيها من الأعيان
- ٢٩٣ إضاءة مدينة بريدة بالكهرباء
- ٣٠٠ وفاة رجل من الرجال والرجال قليل
- ٣٠٦ سفر الملك سعود لأوروبا
- ٣٠٦ ثم دخلت سنة ١٣٨٢ هـ
- ٣٠٨ حادثة
- ٣٠٨ خسف حوالي بلدة المذنب
- ٣٠٩ ثورة في سوريا
- ٣٠٩ ثورة العراق
- ٣٠٩ هزة في إيران
- ٣٠٩ البقاء لله وكل شيء هالك إلا وجهه
- ٣١٣ ذكر من توفي فيها من الأعيان

| | |
|-----|---|
| ٣١٥ | وممن توفي فيها من الأعيان في مدينة بريدة |
| ٣١٦ | تنبيه |
| ٣١٩ | ثورة السلال في اليمن |
| ٣٢٠ | من هو عبدالله السلال؟ |
| ٣٢١ | صفة الانقلاب |
| ٣٢٢ | ذكر تطويق القصر |
| ٣٢٤ | محمد البدر حيّ يرزق |
| ٣٢٩ | جلالته يشكر مجلس الوزراء السابق |
| ٣٣٠ | تعبيد جبل كراء |
| ٣٣١ | تعبيد طريق الرياض |
| ٣٣٣ | قدوم الملك سعود |
| ٣٣٣ | وفاة أمير عفيف |
| ٣٣٥ | صفاته الخلقية |
| ٣٣٨ | ثم دخلت سنة ١٣٨٣ هـ |
| ٣٤٠ | ذكر ما جرى فيها من الحوادث |
| ٣٤١ | حادثة من الحوادث |
| ٣٤٢ | تكذيب خبر |
| ٣٤٤ | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ٣٤٥ | خدمات الفقيد |
| ٣٥٣ | زيارة الملك لمصر لحضور مؤتمر القمة العربي |

- ٣٥٤ إسناد الأمر إلى ولي العهد
- ٣٥٥ ثم دخلت سنة ١٣٨٤ هـ
- ٣٥٩ ولاية الملك فيصل بن عبد العزيز
- ٣٦٣ حادثة غريبة
- ٣٦٤ هزات أرضية

تَذَكُّرٌ أَوَّلِيٍّ لِلنُّحُمِ وَالْعُرْفَانِ
بِإِسْمِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْيَّامِ
وَذِكْرُ حَوَادِثِ الثَّمَانِ

تأليف
فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبد المحسن
"مَنْ سَلَّمَ أَهْلَ الْقَصْرِ"

الجزء السادس

مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ
سَائِرُوت

ح) مكتبة الرشيد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./

إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. — الرياض، ١٤٢٧هـ

٣٦٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٢-٦٢٤-٠١-٩٩٦٠ (ج ٦)

أ- العنوان

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم

١٤٢٧/٤٧٩٢

ديوي ٩٥٣

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٢-٦٢٤-٠١-٩٩٦٠ (ج ٦)

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الرشيد - ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

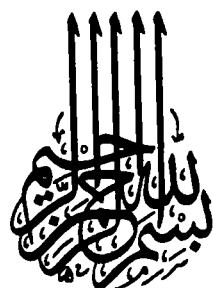


فروع المكتبة داخل المملكة

- ★ الرياض: فرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٣٠١
- ★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٢٥٠٦
- ★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٢٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٢٨٢٤٢٧
- ★ فرع جدة: ميدان الطائف: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ - فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤
- ★ فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة: هاتف: ٢٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٢٢٤١٢٥٨
- ★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
- ★ فرع الدمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٨٤١٨٤٧٣
- ★ فرع حائل: هاتف: ٥٢٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

- ★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠٦٢٢٦٥٣
- ★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موبايل: ٠٣/٥٥٤٢٥٣ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه نتوكل

ثم دخلت سنة (١٣٨٥هـ)

استهلت هذه السنة والفقراء والمساكن في المملكة العربية السعودية يعيشون بحالة تضمن كفايتهم في القوات فقد قامت الحكومة أيدها الله بتأسيس وزارة العدل والشؤون الاجتماعية وذلك الضمان الاجتماعي فأنشأت هذه الوزارة ثلاثة مكاتب رئيسية وخمسة وعشرين مكتباً فرعياً موزعة في المدن والقرى وصرفت الدولة عشرين مليوناً من الريالات لمكاتب الضمان الاجتماعي وكان الوزير عبد الرحمن أبا الخيل يشرح الخطة ويبين ما وسد إليه من هذا المبلغ العظيم وأنه زيد في هذه المكاتب ثلاثة أخرى وذلك لعام ٨٤ و ٨٥ وهذه خطة تشكر الحكومة عليها فجزى الله إمام المسلمين خيراً. وكانت الحرب في فيتنام لا تزال مستمرة وشنت أمريكا عليها، حرباً جوية جبارة لا تزال تصب القنابل عليها فقامت طائرات الميج السوفيتية الصنع واشتركت في المعارك الأخيرة ضد الطائرات الأميركية المغيرة على فيتنام يقودها طيارون من فيتنام الشمالية وقد خسرت فيتنام في أسبوع واحد ألفاً ومئتين ما بين قتل وجريح وأربعمئة فقدوا ولا تزال الحروب تنذر بشرها وولاياتها والحالة في فيتنام قد أصبحت تتطور وقامت المانيا الغربية ترسل قواتها إلى فيتنام لشد أزرها ضد أمريكا فبذلك اشتدت المعارك وأصبح جو فيتنام بحالة خطرة.

أخطار تهديد بني الإنسان

لما كانت روسيا وأمريكا هما الدولتان الوحيدتان في العالم وكل منهما ينتزع العز والشرف فقد أذاع رئيس أمريكا جونسون بأنه إذا تبادلت أمريكا وروسيا

الهجوم الذري فإن الضربة الأولى ستكون كل من الدولتين مائة مليون قتيل ذلك لما كان من قوة التدمير وما يستصل إليه الحال من الأخطار الشديدة أما عن إسرائيل فإنها لا تزال تشن غاراتها على العرب باستمرار. ثم إنها تأزمت الأمور في فيتنام وحشدت الصين مائتي ألف جندي صيني وقوات جوية ضخمة على حدود فيتنام الشمالية ونقلت أمريكا مزيداً من الصواريخ لتعزيز قواتها الجوية الضاربة على حدود فيتنام حتى بلغ عدد القتلى من فيتنام الشمالية سبعة وعشرين ألفاً، ومن فيتنام الجنوبية أحد عشر ألفاً وجرى صدام بين أمريكا والصين.

وفيهما ولدت امرأة نيوزلندية خمسة توائم ذكر وأربع إناث وذلك في اليوم الأخير من شهر ربيع الأول الموافق ليوم الأربعاء في مستشفى أوكلاند النسائي وكان سنهما ٢٦ سنة وكانت صحتها وأطفالها حسنة.

وفيهما أصيبت مدينة يابانية والمناطق القريبة منها بزلزال عنيف وقد سجلت الأجهزة الحساسة الخاصة بالزلازل ألف هزة ولم يشعر السكان إلا بأربع وسبعين هزة. هذا وقد ذكر علماء المعرفة هناك أنه يخشى وقوع انفجار بركان في جزيرة (هيروشيما) اليابانية عن قريب فيها كما أنها أصيبت المناطق الشمالية من اليونان بهزتين أرضيتين يوم الاثنين ٢٧/٨ فآدى ذلك إلى انتشار جو من الفرع في القرى والمدن هناك فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيهما وفاة المدير العام للمعارف السعودية سابقاً الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع غفر الله له وهذه ترجمته: هو الشيخ العارف العالم الهمام النبيل والفاضل الجليل محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مانع الوهبي التميمي كان والد المترجم قاضي بلدة عنيزة وسبط الشيخ الإمام عبد الله بن عبد الرحمن آل بطين ولما توفي في ٢٧ من جمادي الأولى سنة سبع وثلاثمائة وألف وقد قدمنا حدثه في القضاء، رثاه أحد تلامذته بمرثية بدعية أفصحت عن علمه وفضله وزهده وبراعته في المعرفة وكان موصوفاً بالتقى والصلاح والتف إليه

طلاب كثيرون مع ما لديه من النباهة والتقدم ومكارم الأخلاق وكان حنبلي المذهب وهذه المروية:

لذيذ الكرى ناء عن العين شاسع
كحال عليل أو سليم من الورى
لئن قيل بحر العلم والجود قد ثوى
حليف التقى عبد العزيز بن مانع
إمام عليم متقن ومحقق
إذا سمع الخبر اللبيب كلامه
فدا لها تنهل فيها المدامع
تناوله سم على القلب ناقع
تضمنه لحد ويبد بلاقع
إمام الهدى في المكرمات يسارع
أخو ثقة في النقل والقول بارع
يحيره علم بدا منه واسع

ومنها:

قضاياها بالحق المبين جميعها
لديه استوى فيها وضيع ورافع

ومنها:

أقرت له الأحبار بالعلم والتقوى
إذا الحكم أعياء كل قاضٍ وعالم
وجدت له فصلاً لدى الشيخ قاطعاً
فكل لما يحكم مطيع وسامع
وعارضهم في أمرهم منه واقع
يضيء له نور من الحق ساطع

كما قد رثاه الشيخ إبراهيم بن محمد بن ضويان شارح الدليل بمروية مبكية، أما عن المترجم ابنه محمد فقد ولد عام (١٣٠٠هـ) ببلدة عنيزة من أعمال القصيم كان عمه وجده ممن تولوا القضاء في نجد فهو من بيت مشهود بالعلم والفضل وأدخله والده عند مقرئ ولكنه ما لبث بعد ذلك إلا أياماً قلائل حتى توفي فكان الابن يتيماً لكنه كان مشغولاً بطلب العلم ومحبة الكتب فأخذ عن علماء بلده ولما رأت والدته ابنة رشيد الشيلبي شغفه الزايد في طلب العلم رأت أن يذهب إلى الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم فيأخذ عنه فلازمه وأخذ عنده كما أخذ عن الشيخ صالح بن عثمان القاضي وأخذ عن الشيخ الإمام عبد الله بن محمد بن دخيل قاضي المذنب وشيخ المذنب والمدرس فيه وأخذ عن غير هؤلاء من علماء القصيم

ثم ذهب إلى العراق وأخذ عن العلماء هناك ومن أشهرهم الشيخ محمود شكري الألوسي والشيخ علي بن نعمان الألوسي وعن علماء الشام ومصر ودرس في الأزهر فأخذ عن الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ حسن البنا والشيخ محمد شلتوت وغيرهم. وقد مكث في العراق عدة أعوام يتلقى منها العلم وأقام فترة في الأزهر لذلك، ثم استقدمه إلى البحرين مقبل الذكر حيث بقي فيها أربع سنوات يعظ في المساجد ويدرس فيها واشتهر في منطقة الخليج بسعة الاطلاع وحُسن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فاستدعاه الشيخ حاكم قطر عبد الله بن قاسم آل ثاني إلى قطر في سنة (١٣٣٤هـ) فأقام فيها ٢٤ عاماً قاضياً ومفتياً وتزوج في قطر وأنجب أولاده الثلاثة عبد العزيز المفتش بوزارة المعارف السعودية سابقاً، وعبد الرحمن وكيل دار التوحيد سابقاً، وأحمد مدير البعثات العلمية بمصر وقد أنشأ المترجم أول مدرسة علمية في قطر حوالي (١٣٣٦هـ) واستمرت سبعة عشر عاماً وأخرجت جيلاً من العلماء والمثقفين في البلاد وخصوصاً في ساحل عُمان فتتلمذ على يديه عدة من المشايخ في قطر ومن تلامذته الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود والشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والشيخ عبد الله بن تركي والحاج قاسم درويش فخرو والشيخ محمد حسن الجابر وابنه الشيخ حسن محمد والأستاذ أحمد بن يوسف الجابر وعبد الله بن صالح الغزالي ومبارك ابن نصر ومبارك بن نضار ومحمد بن عبد الله بن حسن الشيخ وعبد العزيز بن عبد الله ابن حسن آل الشيخ، وأخذ عنه ابنه عبد العزيز بن محمد وأخذ عنه ابنه الثاني أحمد بن محمد بن مانع وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي عالم عنيزة وأخذ عنه الشيخ ناصر بن حمد بن راشد الرئيس العام لمدارس البنات وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد رئيس هيئة التمييز في نجد والمنطقة الشرقية والحدود الشمالية وأخذ عنه الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر الإحسائي صاحب التاريخ تحفة المستفيد وأخذ عنه الشيخ علي ابن محمد الهندي وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن شعلان إمام المسجد الحرام وقاضي المستعجلة وأخذ عنه غير هؤلاء خلق كثير وجم غفير.

ذكر الوظائف التي نالها

قد قضى زماناً طويلاً في قطر والتفت الأمة عليه هناك وبذل مجهوداً في التعليم وانتفع به أهل الخليج وكان موضع الثقة والتقدير هناك ويخضعون لتوجيهاته لأنه كان مسدداً ومحترماً لديهم ولما أن كان في سنة (١٣٥٨هـ) ذهب لزيارة المملكة العربية السعودية وتعرف على الملك عبد العزيز فاستبقاه عنده وجعله هيئة تميز للقضايا الشرعية مضافاً إلى ذلك أن كان مدرساً في الحرم المكي الشريف ورئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورئيساً للوعاظ الذين استقدمهم جلالة الملك للحجاز فهذه أربع وظائف تقلدها فقام بها أحسن قيام مع العلم والبصيرة وأن البصيرة من الفرائض وكان موضع الإعجاب. ولما أن كان في سنة (١٣٦٤هـ) فتحت دار التوحيد وجعل له الإشراف عليها فكان يتفقد سير الدراسة والمدرسين فيها، وفي ٢٧ ذي الحجة أسندت إليه إدارة المعارف العمومية وبأشر هذه المهمة بجد ونشاط في آخر السنة المذكورة وقام بتنظيمها مدة طويلة كان فيها مثال الدأب والاجتهاد وقد أدخل تعديلات كثيرة على نظام التعليم، منها: استقدام العلماء الأزهرين من مصر لأول مرة، ومنها: أنه افتتح مدارس نظامية عديدة في مناطق نائية من المملكة ووضع نظاماً حسناً للتفتيش والمراقبة، ومنها: تحسين دار التوحيد وقام بها خير قيام ولما أن فتحت كلية الشريعة في مكة المكرمة التي تعتبر أول تعليم جامعي في المملكة وأسند إليه الإشراف عليها قام يجلب إلى ذلك أفاضل العلماء من المدرسين ويتأكد من استقامتهم وحسن عقائدهم وقد لا يكتفى بمجرد الشهادات في التوظيف بل يتأكد من صلاحيات المدرسين واتجاهاتهم ويبحث ويناقش ومن أحسن أفعاله وما اهتدى إليه بتوفيق من الله عز وجل له أن جعل مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب مقررات في المدارس لبث العقيدة وتوجيه النشئ إلى ذلك وأنها لخطة يشكر عليها وتدل على حسن معتقد الرجل. وكان يقول لي مرة أريد نهضة علمية ويكرر هذه اللفظة نعم أنه نهض بالمعارف لما هو عليه من حسن النية والعقيدة نهضة علمية وقد تخرج من دار التوحيد وكلية الشريعة رجال خدموا أمتهم وكان منهم من هو مثلاً في العلم والأدب ومن

أحسن الغراس فإنه يجتني الثمار الطيبة وكان في كل ذلك يتمتع بتأييد الملك عبد العزيز وإعجابه بأعماله ولما أن توفي الملك عبد العزيز أنزله الملك سعود نفس المنزلة التي كانت له عند أبيه لأنه جمع بين رئاسة التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي والعالى ولما أن خطا التعليم تلك الخطوات التقدمية وجعلت هذه الإدارة وزارة عين لها أديب من أنجال الملك عبد العزيز ألا وهو سمو الأمير إذ ذاك فهد بن عبد العزيز، عين الشيخ مستشاراً للمعارف واستمر كذلك حتى سنة (١٣٧٧هـ) حيث طلبه سمو الشيخ علي بن عبد الله بن ثاني حاكم قطر من الملك سعود فأصبح مرافقه ومستشاره الديني ومن أجل أعماله في هذه الفترة الاشتغال بتحقيق عدد من الكتب النادرة للطبع قام بن ثاني بطبعها ونشرها ولا زال بعضها تحت الطبع وتعتبر من مفاخر قطر أن تزيد في جملتها على ستين كتاباً تقع في مائة ألف وخمسين ألف مجلد توزع كلها في سبيل الله وله عدة مؤلفات دينية وأدبية وتاريخية وكان واسع الإلمام بالمؤلفات الشريفة القديمة دائم المطالعة والبحث حريصاً على انتهاز فرص العمر حريصاً على حضور الصلاة في المسجد جماعة إلى آخر وقت من حياته ولما أقعده المرض كان يؤتى به متوكئاً على عصا وقد سقط أحياناً بين الصفيين من الإعياء بعد أن جاوز أربعاً وثمانين سنة ولكنه ظل دائماً متمتعاً بذاكرته القوية وقد توفي على إثر عملية جراحية في لبنان نقل إلى قطر وذلك في ١٢ رجب من هذه السنة فصلي عليه في مدينة قطر وحضر جنازته جم غفير وخلق كثير من الأعيان والعلماء وسائر الأمة وحزنوا عليه ودفن هناك رحمه الله رحمة الأبرار. وكان في صفته أنه قصير القامة، قمحي اللون، ذكي أديب حسن الخلق، متوقد الذهن، له شعر أشمط خفيف الشعر، وكان ذا رأي راجح وكان يرى الأمور من خلف الستار. وله عدة مؤلفات وتنف في التاريخ تدل على فضله وسبقه وقد أثنى عليه الشيخ العالم سيف الله على أعناق المبتدعين وسهمه الصائب أفئدة المارقين سلمان بن سحيمان حينما لاحظ عليه مواضع من كتابه الكواكب الدرية بحيث أن المترجم طلب منه ذلك فقال من سليمان ابن سحيمان إلى جناب عالي الجناب الأخ المكرم الأحشم الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع سلمه الله تعالى وهدهاه وحفظه وتولاه

وجعله من حزيه وأوليائه الذين يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه آمين سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وأزكى وأطيب تحياته:

أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وهو للحمد أهل وهو على
كل شيء قدير على ما أولاه من نعمه وصرف عنا نقمه والخط الشريف وصل
وصلك الله إلى خيري الدنيا والأخرى، إلى أن قال وقد اجتمعنا بك في البحرين ولم
نسمع منك إلا ما يسرنا من حسن العقيدة ومحبة هذه الدعوة وأهلها والسعي في
نشر ما ذكره وألفه شيخ الإسلام وقدوة العلماء الأعلام الشيخ محمد بن عبد
الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب، فلا نقبل بعد ذلك إلا ما تحققناه وبيان لنا
كالشمس في نحر الظهيرة والقول السديد والكواكب الدرية وصلت إلينا إلى آخر
كلامه، ثم أبان له ألفاظاً ذكرها السفاريني رحمه الله في عقيدته التي اختصر المترجم
شرحها وكان قد لاحظ عليها العلماء المحققون مثل التعبير عن الصلاة بالرحمة
والكلام على الجوهر والعرض والجسم والتعبير عن كلام الله بأنه قديم ووضح
بأنه قديم النوع حادث الآحاد وأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته إذا شاء وبين أشياء
غير واضحة في لوامع الأنوار البهية للشيخ محمد السفاريني رحمه الله على الجميع
ومن مؤلفات المترجم تعليقه على متن الدليل وهو حاشية حسنة، ومنها شرح
شواهد قطر الندى وبل الصداء، ومنها تحديق النظر في أخبار المهدي المنتظر، ومنها
كشف الغطا عما في أعلام الورى من الخطا وإرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم
والآداب وإقامة البرهان وآداب البحث والمناظرة ومن أحسن تعليقاته بيانه عن
صاحب السحب الوابلة وهو تعليق في مبدأ بيان الحججة للشيخ عبد الرحمن بن
حسن رحمه الله وله مقدمات على الكتب وضعها حسن جميل وقد صلى عليه
صلاة الغائب في الحرمين الشريفين وفي سائر أقطار العالم الإسلامية وبكته الأمة
وترحموا عليه وأثنوا عليه في حياته وبعد وفاته قال المؤرخ محمد بن عبد الله بن عبد
القادر الاحسائي يمتدح المترجم:

بمراك ترتاح القلوب وتطرب وكل امرئ يولي الجميل محبب

تحييك أبناء البلاد بأسرها وتنشر أشعار المديح وتخطب
نهضت بأعباء المعارف والعلا ونلت من التوفيق ما كنت ترغب
فتحت بأفضال المليك مدارساً تزيل ظلام الجهل عنا وتذهب
فيا أيها الحبر الذي نال رتبة يقصر عن إدراكها المتطلب
فبوركت مفتاحاً لكل فضيلة وخير به الأمثال للناس تضرب

ولما أن قرر دراسة كشف الشبهات للصف السادس الابتدائي وعلق عليه
حواشي لحل مشكلاته كتب الأديب الأستاذ حسين فطاني هذه الأبيات في طرة
الكتاب تقرظاً وإشادة في حق المؤلف والمترجم..

أي علم أرى وأي كتاب قد أبان التوحيد للطلاب
(ابن عبد الوهاب) وضح فيه قوة الحق في قوى الجواب
وأزال الشبهات حتى توارت من عظيم البرهان خلف الحجاب
وتولى تحقيق ذلك حبر قد سما بالعلوم والآداب
ذلك الفاضل ابن مانع أكرم بتقني موفق للصواب
زان منه عقوده بحواش فشهدنا في (الكشف) فصل الخطاب

ولما أن قرر دراسة كتاب آداب المشي إلى الصلاة للصف الخامس والسادس
الابتدائي جعل له مقدمة أشاد فيها بفضائل إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد
الوهاب وماله من الفضل على المسلمين وبين ما لهذا الكتاب من الفوائد والنكت
التي دفعته إلى جعله مقررأ في الفقه وقد قرظ في طرة الكتاب شاعر البعثات علي
حسن غسال فقال:

هذا كتاب الأدب القويم ومنهج السعادة العظيم
يريك سبل المشي للصلاة بأدب الحديث والآيات
صححه محمد بن مانع فجاء للطلاب خير جامع
فاقرأه تلمس فيه كل حكم وكل قول ساطع منسجم

وقوله حققه وصححه أي تولى إبرازه على وضع المؤلف له خالياً من الأغلاط المطبعية وأغلاط النسخ لأن تصحيح الكتاب أمر مهم.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان وزير المالية السابق بن سليمان بن حمدان ولد عام (١٣٠٣هـ) فنشأ نشأة صبي من بيت غيور مشهور في الأمة ولم يسبق لذلك البيت تقدم في مهام الأمور ثم إنه بعد ما تعلم مبادئ من العلوم ذهب إلى البحرين واشتغل بالتجارة والبيع والشراء وتقدم في التجارة شيئاً ما وكان ذا دهاء ومعرفة ثم إنه بمناسبة كون أخيه محمد بن سليمان كاتباً في ديوان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن طلبه الملك لأن يكون كاتباً في الديوان فالتحق إذ ذاك في الديوان الملكي وبأشر عمله بمجد ونشاط وهمة وإخلاص فأعجب به صاحب الجلالة كعادة الملوك في تقدير الأعمال وقدمه وفوض إليه بعض مهام الأمور لصلاحته ومقدرته وكانت والدته أخت محمد بن سليمان الرشيد فأخواله الرشيد وسكان عنيزة ولما أن أنشئت وكالة المالية في عام (١٣٤٧هـ) أسندت إليه رئاستها وقامت هذه الوكالة بعملها خير قيام في حينها دون الاستعانة بأحد من الخارج، ونظراً للاستقرار الذي حصل بعد تأسيس الحكومة وتطورات العامة فقد عدلت وكالة المالية في سنة (١٣٥١هـ) وحولت إلى وزارة المالية وعين وزيراً إذ ذاك الوقت للمالية وجعل أخاه حمد السليمان وكيلاً للوزارة ووضع للوزارة من التشكيلات ما اقتضته مهام الأمور والأعمال إذ ذاك ثم أخذت مهام الوزارة وأعباؤها تكبر وتنمو واستمرت الوزارة في مسيرة التطور ومواجهة حاجات البلاد وما يقتضيه سير العمل وكان يتقلب في الأعمال وله من القوة والنشاط والجلد الحظ الأوفر ونهض بمهام الأمور وأعمال ينوء ببعضها وزراء مجتمعون وكان مخلصاً للملك عبد العزيز متفانياً في الولاء له ولأنجاله حتى كان موضع الثقة من جلالته وقام بتوجيه همته إلى الزراعة فعمل على زرع مساحة كبيرة من الأرض في جهة الخرج وغيرها من منطقة الإحساء واستقدم المهندسين وأهل الخبرة الأخصائيين من الأمريكان والعراقيين والمصريين وأمر بإعفاء الآلات الزراعية من الرسوم الجمركية وقام

بمشاريع، منها: أنه سوى المشروع لإدخال الماء في بيوت أهالي عنيزة وإنشاء زراعة عظيمة في مساحة أرض واسعة في الزغبيية وغير ذلك وكان يتقلب في أعمال الوزارة وهو في سن الشيخوخة وله من القوة والنشاط والجلد الحظ الأوفر ولما أن تقدمت به السن طلب الاستقالة من العمل ولزم الزغبيية حوالي عنيزة حتى توفاه الله تعالى بعد ظهر يوم الأربعاء ١٧/٧ من هذه السنة عن عمر يناهز الثالثة والثمانين فآله المستعان.

وفاة رئيس الجمهورية العراقية

ففي مساء يوم الأربعاء الموافق ٢٣/١٢ من هذه السنة امتطى الرئيس عبدالسلام عارف رئيس جمهورية العراق طائرته يصحبه طائرتان من قرية قرناء يريد البصرة فلما حلقت الطائرات بالجو واستمرت بالسير أصيبت بعاصفة رملية شديدة وكانت طائرة الرئيس هي المقدمة في السير وكان من المفروض أن تكون هي الوسطى فلما جرت هذه العاصفة تمكنت الطائرة الأخيرة من الرجوع اتبعها الطائرة التي تليها فما وصلنا إلى الأرض إلا بعد كلفة ومشقة أما طائرة الرئيس فإنها تغيبت في العاصفة ولما أذاع الخبر ركاب الطائرتين قامت الجهة المسؤولة في صحن المطار وأوقدت النيران والأنوار العظيمة حتى كأن الشمس لم تغب لعل الطائرة تهتدي إلى المطار ولما لم يحصلوا على نتيجة أبرق المطار الذي طار منه إلى البصرة هل عندهم خبر من تلك الطائرة التي غابت في العاصفة فجاءهم الجواب بأنهم لم يتوصلوا إلى خبر ولم يجدوا لها من أثر بل هم في انتظار الرئيس لتناول المائدة التي أعدت له وقام موظفو مطار البصرة فأشعلوا النيران والأنوار للطائرة إذا كانت في الجو لعلها تهتدي إليه سبيلاً واستمر ذلك إلى الصباح غير أنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة، فلما أن كان من الصباح ٢٤/١٢ طار من العراق عشر طائرات للكشف والوصول إلى الحقيقة فتمكنت إحدى الطائرات أن رأت جثمان الطائرة التي تحمل الرئيس ورفقته الذين هم عشرة من بينهم وزير الداخلية ووزير الصناعة ووكيل وزير الصناعة ومدير مصلحة الكهرباء فنزلت الطائرة إلى الأرض

وحصل لذلك الحادث أسف شديد ووجدوا وقد أصيبوا بجراحات خطيرة وهلكوا عن آخرهم، وقد تحطمت الطائرة لهذا السقوط فحملوا إلى بغداد من الغد يوم الخميس ومنع التجول في العراق حتى يتم انتخاب رئيس للجمهورية ونكست الأعلام في بغداد وفي سائر الممالك العربية ووقع الحداد في العراق شهراً كاملاً وفي مصر أسبوعاً وفي إيران خمسة أيام وجاءت وفود الدول العربية إلى العراق للاشتراك في تشييع جثمانه ظهر يوم السبت الموافق ٢٦ / ١٢ / ١٣٨٥ هـ أما رفقته العشرة فقد شيعوا قبله بيوم أعني يوم الجمعة ودفنوا وكان سن الرئيس حين وفاته خمساً وأربعين سنة ويحمدونه في سيرته بأنه رجل مسالم ثم أنه ولي الرئاسة بعده أخوه عبد الرحمن محمد عارف في يوم الأحد ٢٧ / ١٢ وصفت الأمة العراقية له وجعلوه خير خلف لهم من خير سلف وتوالت برقيات التهاني من داخل العراق وخارجه يهنئونه بهذه الرئاسة.

وفيها في شهر رمضان وفاة العابد الزاهد المعروف بالجد والاجتهاد سليمان بن طلق ابن علي بن طلق من قبيلة حرب الفخذ غرابي ولد عام (١٣٠٨ هـ) بقرية صبيح في القصيم ونشأ في أوقات محن وقلة ذات يد عيشة البداوة ولكنه مع ذلك أخذ فن القراءة على مقرئ حتى ختم القرآن وأخذ في الدراسة على الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم مع قوة في الدين وكان ملازماً على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان ويخفي أعماله عن الناس في العبادة وأصيب بالشلل في آخر عمره لمدة خمس عشرة سنة ومات صائماً وهو يغرغر رحمه الله.

هذا ولا تزال الجماعة الخيرية في بيوت الله المساجد باذلة المجهود في تعليم القرآن وكان تأسيس هذه المهمة في بريدة وما يليها في السنة التي قبل هذه بستين وكان أول مؤسس لها هو الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد قاضي البرك، وسميت الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن يتبرع لها الأجواد صدقة من أموالهم لأن المدرسين الذين تولوا ذلك أو غالبهم كانوا من الهنود ويجعل لهم مرتبات شهرية إعانة لهم وقد يبذل للطلاب الذين يدرسون تشجيعات ومكافآت، ولقد قام المحسن

الكبير ببذل مكافآت للطلاب في مكة والمدينة المنورة أعني به حسن عباس الشربتلي لكل طالب مائتان وخمسون ريالاً وأثبتها في حياته وبعد وفاته في وصيته وما زالت تتضخم هذه الجماعة الخيرية حتى كان لها فروع في سائر مدن القصيم وساعد الشيخ عبد الله بن سليمان المذكور الأخ عبد الله الحمد العجاجي وكانت الجماعة تتلقى إيراداتها المالية من مصدرين هما ما تبذله جامعة الإمام محمد بن سعود وما يبذله المحسنون الذين يتسابقون إلى الخير ومن أهداف الجماعة ربط المسلم بكتاب الله علماً وعملاً وإحياء دور الإسلام في المسجد وتشجيع أبناء المسلمين على تلاوة كتاب الله وحفظه.

وفي هذه السنة تقدمت كلية الهندسة بالرياض وسارت بخطوات ثابتة نحو التقدم وذلك بأنها لما تأسست في السنة الثانية والثمانين بأربعة عشر طالباً بلغ عدد تلامذتها في هذه السنة مائة وخمسين طالباً وبلغت تكاليفها ١٩,٤٠٠,٠٠٠ ريال منها أربعة ملايين وثلاثة أرباع مليون تكاليف بنائها ومختبراتها والباقي تكاليف المعدات العلمية وغيرها.

وفيهما في ٢٥/٤ الموافق ليوم الأحد قدم زائر للملكة رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر فاستقبله الملك فيصل لدى وصوله إلى ميناء جدة، ثم تكونت لجنة السلام في اليمن يرأس الجانب السعودي عبد الله السديري وكيل الداخلية وأشاد الجانب المصري بما عرفه ولمسه من المساعي الحثيثة التي يبذلها الجانب السعودي وذلك لبذل نقاط خلال أسبوع ثم تعرض على الحكومتين السعودية والمصرية في سبيل تنفيذ اتفاقية جدة.

وفيهما زار الملك فيصل بن عبد العزيز بلاد الإحساء وأقيم له هناك احتفال رائع وأشاد بشأن الزراعة وأنه قرر لهذا المشروع في الإحساء مائة مليون ريال وكانت هذه الزيارة في أوائل شهر شوال من هذه السنة في اليوم الرابع منه. وفي هذه السنة رسم تخطيط لمكة المكرمة وقام أمين العاصمة عبد الله عريف بذلك وبلغت مشروعاتها ٢٣ مشروعاً.

وفيها في ٢٣ ربيع الأول قامت الحكومة بمشروع ضخيم لتطوير التعليم الصناعي وذلك باعتماد تسعة ملايين ريال لميزانية المعهد الملكي المهني وتكملة ورش المدارس الصناعية وتزويدها بأحدث المعدات واهتمت وزارة المعارف لذلك بتكوين القوى البشرية التي ستسخر المعدات والآلات لمباشرتها فثمانية وعشرون حرفة من بينها صناعة السجاد وصيانة المعدات وصياغة الذهب وسمكرة السيارات وغير ذلك مما يوفر للأمة مصلحتها وقامت الوزارة بابتعاث المدرسين القدرء حتى بلغ عدد المدرسين الصناعيين المبتعثين ثمانين مدرساً.

وفيها عقدت اتفاقية تقسم المنطقة المحايدة السعودية الكويتية وقد وقعها نيابة عن المملكة الكويتية جابر الأحمد وعن المملكة السعودية أحمد زكي يماني ثم نص المرسوم الملكي رقم ٣ تاريخ ١٢/٣/١٣٨٥ هـ بتوقيعها الإمضاء - فيصل - كما أنه تم توقيع اتفاقية الحدود بين المملكة السعودية وقطر وذلك لتعيين الحدود البرية والبحرية بين المملكة السعودية وقطر وقد وقع الاتفاقية نيابة عن حكومة قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني نائب الحاكم وولي العهد كما وقعها عن حكومة المملكة العربية السعودية أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية.

وفيها ارتفع مستوى المياه في مدينة بريدة في القصيم فسقطت بيوت في منخفض المدينة الغربي وانهارت فكانت نتيجة هذا الفيضان أن عادت بعض المنخفضات أطلالاً محزنة وقد بحثت الحكومة عن الموضوع لما تكررت استغاثات الأهالي وأقامت لجنة للنظر في الخسائر التي نجمت من جراء هذا الفيضان وجعلت تفكر في حل أزمة تلك الفيضانات التي سببت تلك الأضرار وعمل لذلك خزانات أرضية بصفة جبارة هندسية تأخذ من بطن الأرض وتلقيه إلى الفضاء بعيداً عن البلد تقدر قيمة أربعة من الخزانات بعشرين مليوناً من الريالات، هذا وقد امتدت عمارة مدينة بريدة شمالاً وغرباً وجنوباً وشرقاً إلى مدى بعيد.

وفيها وقع حريق في مدينة الرياض في حلة القصمان وارتفعت ألسنة اللهب إلى حوالي عشرين متراً والتهمت النيران ثلاثة متاجر وسقط أحد المنازل بينما انفجرت

أحدى المكائن المملوءة بالبززين فهب الجيران من نومهم لهذا الانفجار وكان ذلك في الساعة السادسة ليلاً بالتوقيت الغروبي من ليلة الثلاثاء ٦ / ٤ حتى الساعة الثانية عشرة صباحاً وقد قامت المطافي وبعثت ثلاث فرق فقامت بجهد عظيم في إخماد النيران الملتهبة ولم تقع خسائر في الأرواح.

وفيها في ٣ / ٧ وفاة الأخ في الإسلام رجل الدين والفضل عبد الله بن سعد بن راشد بن حمد الشبرمي رحمه الله وعفا عنه وكان من الشبارمة أهل سميراء وآبأوه يسكنون في بلدة القصيعة من قرى بريدة في القصيم ويتسبون إلى محمد بن محمد بن علوي بن وهيب ولد في (١٣٠٩هـ) فنشأ في طلب القراءة وأخذ عن مدرس في بلده ثم أنه أخذ في الدراسة على الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وعلى الشيخ عمر بن محمد بن سليم وعلى العالم محمد بن صالح المطوع وأخذ عن مؤلف هذا التاريخ وكان صاحب دين ومعرفة محباً لأولياء الله ومن رجال الفضل والدين والإنصاف والشهامة وكثيراً ما يتدب لحل المشاكل والإصلاح بين المتنازعين وقلمه سائر في كتابة الوثائق والعقود ويرجع إليه فيها في وطنه ولما أن أنشئت المدرسة الحكومية في قرية القصيعة كان من ضمن المدرسين فيها في العلوم الدينية ويؤم في أحد مساجدها وله مكانة حسنة بين أمته مرموقة وكانت وفاته عن سكتة قلبية بينما كان قد تأهب للسفر إلى الرياض للزيارة؛ فتوفي وهو جالس في انتظار السيارة للركوب رحمه الله وعفا عنه عن عمر يناهز السادسة والسبعين.

وفيها وفاة الرجل النزيه العاقل الرزين حجيلان بن عمير بن حجيلان بن عمير الشايع من أهالي بريدة وكانت أسرته من وادي الدواسر وقد ارتحل جده الثالث من الوادي إلى الزلفي وكان قد طمع في إمارة العتبان هناك فاشترى الإمارة منه بصاع نقود من المشاخص وهي العملة المتعامل بها إذ ذاك ثم إنه ارتحل إلى النبقية الواقعة شرقاً عن مدينة بريدة على مسافة خمسين كيلو، وبعدما استوطنها بمدة طويلة هربت له ناقتان واتجهتا إلى مدينة بريدة فأدركها في الموضع المعروف بغربي المدينة البوطة قد رتعتا حواليه وكانت ملكاً لمال الربدي الأسرة الكبرى في

بريدة فقال للربدي لعلك تهربي قطعة أرض زراعية فأكون لك جاراً، فقال له الربدي: لك من هذا الحد وجنوباً، فأعطاه إحدى الناقتين وارتحل من النبقية بأسرته إلى بريدة فأحيا ذلك الموضع وسكنه وكان هنا فاصل بين تلك النخيل وبين المدينة غير أنه باتساع المدينة قد أصبحت ملتصقة بها وكان المترجم حجيلان له أخوة من العقيلات الأثرياء يذهبون للبيع والشراء إلى الشام والعراق ومصر ويضربون في الأرض لطلب الرزق من أبرزهم صالح ابن عمير بن حجيلان كان شجاعاً وذا شخصية بارزة وفيهم عبد الرحمن وسليمان وكانوا أناساً صالحين ولد المترجم (١٣٠٩هـ) وتوفي في صباح يوم الجمعة الموافق ٧/١٩ من هذه السنة.

وفي هذه السنة وقع حريق في فرنسا واندلعت النيران تدمر ٢٥ ألف فدان فاجتاحت أربع قرى وقد وجد البوليس اثنين من الضحايا شيخاً وزوجته محترقين قرب منزلهما، وقد اشترك في الإنقاذ حوالي ألف شخص من رجال الإطفاء ولم يتمكنوا من السيطرة على النيران إلا بعد يوم وليلة وكان ذلك يوم الاثنين ٤/٥ وكان سبب ذلك ناراً شبت في الغابات.

إعادة السلام بين الهند وباكستان

في أواخر رمضان أي في اليوم ٢٠ منه توقفت الحرب بين الرئيسين أيوب خان وشاستري الزعيمين العظميين للهند وباكستان واتفقت الحكومتان على أن تسحب كل دولة قواتها من أراضي الدولة الأخرى في موعد لا يتجاوز الخامس والعشرين من شهر فبراير الموافق يوم الجمعة ٥ ذي القعدة من هذه السنة ووافق الزعيمان الباكستاني والهندي على عودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين بلديهما ووقع البيان المشترك الرئيسان.

إذاعة جديدة

بقوة ١٠٠ كيلو للمنطقة الشرقية في أواخر ربيع الأول من هذه السنة قام مجلس الوزراء باعتماد ٣,٢٥٠,٠٠٠ ثلاثة ملايين ومائتي ألف وخمسين ألف ريال لتنفيذ هذا المشروع في أقرب وقت ممكن وقامت شركة ألمانية عالمية ببناء المرسلات

الجديدة، كما أن العمل في الإذاعة الكبيرة في مدينة الرياض ذات ١٢٠٠ كيلو تتقدم بسرعة وأملنا عظيم في حكومتنا الرشيدة أيدها الله في أن تغمر أوقات الإذاعة بقراءة القرآن وتدبر آياته وتفسيرها للأمة بالبيان الأوفى ليفهموه على الحقيقة وذلك يكون عن علماء مضطلعين بالنصوص والإكثار من ذكر الخلفاء الراشدين في فتوحاتهم وجهادهم وتقديمهم وبذل نفوسهم في إعلاء كلمة الله تعالى ولمن جاء بعدهم من الملوك المجاهدين كهارون الرشيد وقبلة الوليد بن عبد الملك وكذا بعدهم صلاح الدين الأيوبي ونحو ذلك من مواعظ وإرشادات تعود على الأمة بالإصلاح والنفع الديني والدنيوي إذ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

وفي هذه السنة ألغيت «الوزنة» المستعملة في نجد وهي تساوي نصف الصاع النبوي وجعلت الحكومة محلها الكيلو غرام فاعتمدت الأمة الوزن بذلك.

وفيها وفاة رشيد عالي الكيلاني الذي قام بثورته في العراق خلال الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤١م) ففشلت وفر إلى ألمانيا مستجيراً بها عن الحكومة البريطانية ولما أوشكت الحرب على الانتهاء وسقوط دولة ألمانيا دعي به هتلر وقال له يا رشيد إن ألمانيا على وشك السقوط والانهيار والتسليم وقد أخبرني قائد القوات بأنها لا تلبث زيادة على أربعين يوماً لعدم الوقود لدينا فانجُ بنفسك فقال إلى أين أذهب فقال له لا أعلم أحداً بعد الله تلجأ إليه غير ابن سعود وإنني أستطيع أن ألقيك في باريس فلما وصلها سار بجواز مزور إلى بيروت فدمشق حتى قدم الرياض فألقى نفسه بين يدي الملك عبد العزيز يستجير به فقبله وبقي إلى أن توفي عن عمر بلغ ٧٦^(١).

(١) كان لما قدم على الملك عبد العزيز في الرياض صلى معه الفجر وأخبره بخبره فتأثر الملك لقدومه لعلمه أنه مطلوب وما زال يسعى لدى الحكومة العراقية والحكومة البريطانية ووسط في الموضوع فاروق ملك مصر حتى لانت الحكومة البريطانية، إكراماً لابن سعود وكانت عائلته بالقاهرة ولما نجحت ثورة عبد الكريم قاسم ذهب إلى بغداد وكاد أن يعدم لكنه سلم وذهب بعائلته إلى بيروت ومات بها.

ثم دخلت سنة (١٣٨٦هـ)

استهلت هذه السنة والحرب في اليمن طاحنة بين الأهالي والجيش الغازي المصري وقد قامت السلطات المصرية ضد الأهالي الأحرار بأساليب التعذيب وقد غصت السجون باليمنيين لمعارضتهم الاستعمار المصري وقامت الصحف العربية السعودية بنشراتها تطالب هيئة الصليب الأحمر الدولية باسم حكومتها باتخاذ إجراءات تجاه هذه الأعمال التي لا تقرها الشرائع السماوية ولا القوانين الدولية والتي ذهب ضحيتها أكثر من مائة شخص في غارتين من بين رجل وامرأة وطفل من السكان الآمنين عدا مئات الأشخاص الذين أصيبوا بأعراض تسمم بالغاز السام ولا يزالون قيد المعالجة وبالرغم من هذه الشكايات والضجة إلى مجلس الأمن فإن الطائرات المصرية لا تزال تواصل غاراتها وتلقي قنابلها المتفجرة بالغازات السامة التي لولا هذه الهجمات بالطائرات لاستولى الإماميون على جميع تلك القوات المصرية كما استولوا ودمروا غالب تلك المصفحات والدبابات والسيارات والمدافع الثقيلة ولقد بعث الوزير اليمني إلى سكرتير الأمم المتحدة شكواه لوضع حد لهذه الغارات التي مر عليها اثنان وخمسون شهراً وإيقاف هذه الإبادة الوحشية التي يمارسها أهل اليمن ويكابدونها ويزاولونها وقد تقدم أن أمريكا اتخذت لطلب الرئيس المصري اعترافها بحكومة عبد الله السلال ليسحب قواته من اليمن ثم كان بخلاف ذلك ولما أن طالبته بسحب قواته بعد اعترافها بحكومة السلال أجابها لا يمكن انسحاب القوات المصرية قبل أن نضمن للحكومة الجديدة البقاء وتقوية مركزها الدولي ولا غرابة أن تعمل أمريكا ضد هذه الخدعة كما جرى على مصر فيما بعد ذلك ولقد حاولت أمريكا في هذه الآونة وجوب سحب قواته من اليمن وألحت عليه لما فهمت أنه جعلها تبقي وفقاً للخطة المرسومة.

وفيها أصدر صاحب الفضيلة سماحة المفتي للبلاد السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فتوى عظيمة ورسالة طويلة بشأن غلاء المهور وساق الأدلة من

الكتاب والسُّنة في النهي عن ذلك وأطنب وأطال وذكر كلام العلماء في ذلك؛ ثم قال الذي نرى حمل الرعية على العمل به في هذا الصدد يتلخص فيما يلي:

أولاً: المدن الكبرى يكون الحد الأعلى للصدقات فيها أربعة آلاف ريال الخ..

ثانياً: بالنسبة لغير من ذكر يرى أن يكتب لكل قاضي بلدة وأميرها أن يلزمهم بتخفيض المهور ويتفقون على ما يتناسب مع حالتهم وذكر أنه يلزم الجميع بمنع استعمال آلات اللهو والطرب والأغاني ما عدا الدف فيكون استعماله بصفة لا تخالف الشرع، إلى أن قال المادة الخامسة: يلاحظ القضاء على ما من شأنه الإسراف والبذخ والتطاول من تلك التكاليف التي كان لها السبب الأعظم في المغالات في المهور كالإسراف في الولائم والأثاث كغرف النوم والألبسة والعقود الثمينة ويكتفى بوليمة واحدة لا إسراف فيها سواء كانت عند الزوج أو عند أهل الزوجة إلخ المادة السابعة يجعل رقابة في كل بلد لعقوبة من يخالف ذلك بتغريمه غرامة مالية ومصادرة الزيادة، المادة الثامنة: إذا امتنع ولي المرأة من تزويجها بالكفء الذي رضىته بدافع الطمع والرغبة منه في الزيادة فلولي الأمر التدخل في الموضوع بالموجه الشرعي والرسالة طويلة ولكنه مع الأسف لم يجز الزام بذلك لأن الحكومة أيدها الله اكتفت بالوعظ والإرشاد ولم تحمل الشعب على التخفيض بالقوة كما تقدمت الإشارة إليه.

وفيها أصدرت المعارف السعودية أمراً بصرف ثلاثين ألف دولار لكلية التربية بالرياض المقرر افتتاحها في العام الدراسي.

شباب سعوديون يتخرجون من الجامعات الأمريكية

في هذه السنة عاد إلى المملكة العربية السعودية مائة وستة وثلاثون خريجاً من أبناء هذه المملكة تخرجوا من أكبر الجامعات في أمريكا ونالوا أعلى درجات علمية من عام (١٩٥٥م) إلى عام (١٩٦٥م) فاشتغل ستة عشر منهم بوزارة الخارجية

واثنا عشر أعضاء في كليات جامعة الرياض وستة عشر في وزارة البترول والثروة المعدنية وهكذا سدت بهم جهات في الوظائف الحكومية.

وفيهما في أوائل ذي القعدة قدم الملك حسين عاهل الأردن زائراً المملكة العربية السعودية فقبل جلالته بكل ترحاب وهب الشعب السعودي لاستقبال الضيف الكبير في مدن المملكة التي زارها كالرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة وفائدة هذه الزيارة التشديد في الدعوة إلى عقد مؤتمرات القمة العربية وتوثيقاً لوحدة النضال دفاعاً عن القضايا العربية ومقدسات الإسلام وإيماناً بضرورة اللقاءات العربية على مستوى الذروة وجدواها في مجابهة الأخطار التي تهدد كيان الأمة العربية، ولما أن كان في يوم الأربعاء ٦ ذي القعدة قام رجال القبائل اليمنية بهجوم على مقر القيادة المصرية في اليمن والسفارة الروسية هناك في صنعاء وقاموا بأسلحتهم الخفيفة ومدافع البازوكا فهذموا البنائين اللتين تحتلها القيادة المصرية والسفارة السوفياتية وأصيب ستة لاقوا حتفهم نتيجة هذا الهجوم وهذا مقابل ما في أواخر شهر شوال من هذه السنة شنت القوات المصرية غارات جوية على مدينتي نجران وجيزان السعوديتين وبلغ الممثل للملكة العربية السعودية هيئة الأمم المتحدة مذكرة تشير إلى الحق الدولي الذي تتمتع به المملكة في اتخاذ التدابير التي تراها ضرورية لحماية مصالحها ثم إنها أصدرت المملكة السعودية قراراً بإلغاء تراخيص العمل الممنوحة للمصريين العاملين في المملكة بنك مصر وبنك القاهرة.

وقد تقدم قبل ذلك إغارة شنيعة على اليمن ففي يوم الخميس الواقع في ٢٤ رمضان أغارت عشر طائرات مصرية على منطقة كتاف في شمال اليمن وألقت بقنابلها المحرقة والمتفجرة المحتوية على الغازات السامة المحرمة دولياً على تلك المنطقة فأودت بحياة مائة وعشرين شخصاً من بينهم نساء وأطفال وأصيب آخرون مما أدى إلى مقتل مائتين وخمسين شخصاً فأبادت قرية يسكنها الملكيون فصارت تلك القرية التي يسيطر عليها الملكيون بلدة الموت وقد أرسل الملكيون عدداً من مشوحي الغارات السامة إلى مستشفيات المملكة السعودية وبعث اليمنيون صراخاً إلى العالم

الإسلامي لإيقاف هذه الأعمال الآثمة الوحشية التي تريد بها مصر القضاء والإبادة دونما رحمة أو شفقة وبعثت المملكة المتوكلية رجاءها للصليب الأحمر الدولي والمنظمات الإنسانية في العالم إرسال مندوبين عنها لمشاهدة تلك الأعمال الوحشية وقرر الملكيون إرسال عدد من المشوهين إلى العواصم العالمية ليشهدوا ما ارتكبته السلطات المصرية من أنواع البطش والإبادة.

إن الحكومة المصرية قد اعتدت على أهل اليمن الأمنين وحولت تلك المناظر الآمنة إلى مجازر تقشع منها الجلود وتشمئز منها القلوب وتدخلت فيما ليس يعنيها ولكن الله تعالى وهو أحكم الحاكمين عاقبها بإسرائيل وهم اليهود بحيث غزوها في السنة القادمة وسيمر بك أيها المعتبر تصديق قول الشاعر وأن من الشعر لحكمة.

وما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سيجزى بظالم

حادثة غريبة

لما كان قبل مغيب الشمس يوم الجمعة ١٥ ذي القعدة انقض طائر على سيارة تسير في مدينة يقودها سعودي يدعى إبراهيم الديخي وكان هذا الطائر ضخماً جداً بحيث كان أكبر من السيارة وذلك في موضع قريب من مطار الرياض فلما رآه السائق طائراً رهيباً كاسراً يقترب من سيارته ورآه أكبر منها لامتداد جناحيه الكبيرين وقد حام هذا الطائر فوق المنطقة بسرعة عجيبة غريبة ثم أنه انقض على السيارة فعند ذلك نزل قائد السيارة إلى الأرض ويده سلاحه وبينما كان الطائر يحوم بسرعة عظيمة اصطدم بالحواجز الحديدية التي تفصل منطقة المطار عن الشارع العام فأصيب بجروح وكسور ولم تمكنه من متابعة الطيران وهبط على الأرض يزمجز ويعربد وهنا قام صاحب السيارة واستغاث بالركاب المرافقين له فقيدوه بالحبال ونقلوه إلى الرياض وكان يقدر طوله لما مد جناحيه بسبعة أذرع ونصف ذراع وقد نشرته الصحف للناظرين. وقريب من هذا أنه خرج جماعة للصيد في إحدى رياض البطين التي تبعد حوالي ٧٥ كيلو شمالاً عن مدينة بريدة فرفع لأحدهم طيور كبار

كهيفة الغنم فلحق بأحدها يريد صيده لكنه بعدما أطلق البندقية الشوزن لم تحسبه فاستخدم لذلك أم خمس القصيرة فأصاب الطائر وإذا هو الطائر المسمى البجع وكان عظيم الجسم يقدر طول منقاره باثنين وخمسين سنتماً ودائرة حوصلته باثنين وسبعين سنتماً وكان آية من آيات الله في ضخامته.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

في هذه السنة فجعت الأمة لوفاة رجال من ذوي المقدرة والشخصيات البارزة ونحن نذكرهم فنقول: صحيفة طويت من صفحات العالم.

ففي الرابع من شهر شوال من هذه السنة وفاة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى وعفى عنه وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الفاضل التقى المتواضع المحسن إلى خلق الله بعلمه وقلمه وجاهه الذي بكته أمة الإسلام وأبناء الشعب لقضائه الحاجات عبد اللطيف بن إبراهيم بن الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ المدير العام للمعاهد والكليات، ولد رحمة الله عليه في سنة (١٣١٥هـ) فنشأ في طلب العلم وتعليم مبادئ علم الشريعة المطهرة والدين الحنيف على علماء نجد ثم تلقى العلم عن الشيخ عمه عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ محمد بن فارس والشيخ سعد بن عتيق كما أخذ علم الفرائض عن الشيخ عبد الله بن راشد بن جنعود العنزي وبرع في علم الفرائض وزامل الشيخ أخاه محمد بن إبراهيم وكان يحضر له الدروس وله معرفة بالعروض وله قصائد مشهورة وهو إلى ذلك كان ذكياً سمح الأخلاق رضي النفس وقد تولى في عهد المغفور له الملك عبد العزيز إدارة معهد الإمام الدعوة فكان مرجعاً لأهل الرياض في الإصلاح بينهم لثقة الناس بإخلاصه وأمانته ثم أسندت إليه إدارة المعاهد والكليات فأدارها بحكمته نعم طويت تلك الصفحة الناصعة وانظمت تلك الحروف البارزة وانطفأت تلك الشمعة المنيرة فإنا لله وإنا إليه راجعون، هذا الشيخ الذي عرفه طلاب العلم ورواد المعرفة يوم كان طلب العلم حلقات في المساجد ثم امتدت هذه الحلقة الصغيرة

التي كانت تضم عشرات طلاب العلم بامتداد همة الشيخ عبد اللطيف حتى شملت أنحاء المملكة وظهرت آثارها في هذه النهضة العلمية التي تمثلت فيما أنتجته هذه المعاهد من شباب كان لهم أحسن الأثر في إدارة دفة الشؤون العامة عليمًا وإدراياً وقضائياً سيذكرك الناس يا عبد اللطيف كذاكرهم آباءهم لأنك الأب والموجه لهؤلاء فكم كربة لله كشفتها وكم مشكلة أزلتها وكم محنة فرجتها ولا غرابة فأنت سليل محمد بن عبد الوهاب الذي هز الدنيا في عصره ودعوته إلى توحيد رب العزة وما زالت صيحته تدوي في كل قطر وستظل تدوي لأنها دعوة الحق، لقد كان الشيخ عبد اللطيف واحداً من أحفاد إمام الدعوة الذين ضحوا بكل شيء في سبيل نشر العلم وكل الناس يعرفون مجالسه العلمية بعد صلاة الفجر وبعد صلاة الظهر وبعد صلاة المغرب كل يوم ما عدا أيام الجمع وليس هذا فحسب بل إنه يعقد في بيته المجالس العلمية للإفتاء والتعليم وتوثيق العقود لا يقصد من وراءه سوى المثوبة من الله تعالى ولم تشغله أعماله الرسمية عن قضاء حاجات الناس كل هذا مع تواضع وحلم وصبر وتحمل فهو لا يثار لنفسه ولا ينتقم من أحد، هذا شيء ملموس لكل أحد وإنه ليشكر على أعماله تلك التي سيلقاها موفورة له عند الله تعالى فنسأل الله أن يجبر المصاب بفقدته ويحسن العزاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكانت وفاته عن عمر تجاوز السبعين رحمة الله عليك يا عبد اللطيف فُجِعت بك الأمة ليلة رابع شوال ففقدت عالماً وأي عالم كان يحنو على الضعفاء والمحتاجين وبيته بمثابة النادي العام لسائر الأمة من قادة الجميع ولا يتعالى ولا يتعظم على أحد يؤمونه في كل وقت من ساعات الليل والنهار لقضاء حاجاتهم في كتابة عقود أنكحتهم ومبايعاتهم العقارية وفي استفتائه عن كيفية وتقسيم الموارث المعقدة فهو من أعظم البارعين في علم الفرائض وقسمة الموارث في هذا العصر ومهما كانت الأحوال والظروف فإن الأمة أصيبت به وبكاه رجال العلم وخلق حفه منابر الفضل ولا نطيل بذكره فشهرته أعظم من ذكره ولما خرجت روحه في تمام الساعة الثالثة والرابع من ليلة السبت الموافق ١٠/٤

وفقدت مدينة الرياض علماً من أعلامها هرعت الأمة للصلاة عليه وتشيع جثمانه إلى مقره الأخير وحملوه على الأكتاف من الجامع الكبير إلى المقبرة وقد قيل أنها لم تحصل هذه الضجة خلف جنازة أحد في الرياض منذ ثلاث عشرة سنة إلا ما كان في تشيع جنازة الملك عبد العزيز ولما أن أقام صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز صلاة الجنازة على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم كان لهذا النبأ سمع في ملايين الخلق من هذه المملكة وما أحسن ما قيل:

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا فرس يموت ولا بعير
 بلى إن الرزية فقد حر يموت بموته بشر كثير
 وفيها في يوم الأحد ١٧ ذي القعدة وفاة الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن عبد اللطيف أخي المفتي العام وأخي الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم المتقدم رحمه الله وعفى عنه كان أسن أخوته وذا دين وعلم ومعرفة وله يد طولى في علم التاريخ وبين وفاته ووفاة أخيه عبد اللطيف شهر وثلاثة عشر يوماً فالله المستعان.

قتل عالم من العلماء

قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ إن الإخوان المسلمين في مصر جماعة من المسلمين تأخوا في الله حول شريعة الله ممثلة في كتابه العزيز والذكر الحكيم والقرآن المجيد وسنة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ يعملون لإقامة حدود الله في الأرض والحكم بشريعة الله فيها تمهيداً لإعادة مجد الإسلام وتحرير أوطان المسلمين من كل مستبد غاصب وكان «حسن البنا» أحد أولئك الذين لا يدرك الوصف ذكراهم وقد قتله كبار رجال وزارة الداخلية وسعت ممثلة في رئيس وزرائها إلى قبره وقد سعى الشهيد وحده إلى قبره منذ أربع سنوات وليس في جنازته إلا فئة من الجنود يمنعون الناس عن جنازته التي لم يمض فيها إلا والده وولده والآن يقتل عالم عظيم مفسر للقرآن وهو «سيد قطب» بعد تعذيبه في السجن بأنواع التعذيبات التي تقشعر منها الأبدان وتنكرها

الأديان ويضج لها الثقلان ويتأثر لها الإنس والجان تلك الجريمة الشنيعة التي لا يقرها أبيّ له إنسانية وخوف من الله عز وجل ففي شهر جمادي الأولى ٨/٢٩ أغسطس أصدر عبد الناصر من موسكو حيث كان في زيارة لأسباده الروس أمراً إلى لزيانته بمصر بتنفيذ حكم الإعدام شنقاً بالكاتب الإسلامي الكبير الشهيد سيد قطب الرجل العابد المجاهد الصابر فقدم العالم الشهيد السيد قطب وزينب الغزالي قد أحاط بهما الحراس من كل جانب يستمعان إلى الحكم الصادر عليهما بإعدام قطب وبالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة بالنسبة لزينب الغزالي وقد ضجت الأمة لذلك.

الأوساط الإسلامية تناشد الرئيس جمال عبد الناصر

وجه عدد من الشخصيات السياسية والجامعية في المغرب وغيره نداءً إلى عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية لإلغاء أحكام الإعدام التي صدرت في مطلع الأسبوع الأول من جمادي الأولى بحق سيّد قطب وستة أعضاء آخرين من جماعة الإخوان المسلمين ومن بين هذه الشخصيات التي قامت بالوجهة علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي والدكتور عبد الكريم الخطيب أحد زعماء الحركة الشعبية وزعماء في باكستان يطلبون تخفيف حكم الإعدام الذي صدر بحق سيد قطب وزملائه وتلقى الحبيب بورقيبة الرئيس التونسي برقية من اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا ناشده فيها الاتحاد التوسط لإنقاذ الإخوان المسلمين السبعة ويضم الاتحاد خمسة وعشرين طالباً ولقد تعالت صيحات المسلمين في كل مكان طالين من السلطات المصرية الحاكمة العفو عنه أو التخفيف على الأقل فلم تجد تلك الصيحات آذاناً صاغية فضلاً عن أن تكون واعية، قال الأستاذ علال من أهل فاس لقد مضى القضاء وحق الأمر فحكم بالإعدام على الداعية الإسلامي الكبير المجاهد الشهيد سيد قطب وعلى ثلة من رفاقه إن ذلك مصير الدعاة إلى الخير ذلك ما يترقبه المجاهدون الذين يقولون الحق ولو كان مرأاً لقد اتهم سيد قطب وصحبه بالتآمر على الدولة وعلى قتل رئيسها ونحن لا نعلم من سيد

قطب إلا الدعوة بالحسنى والصدق في القول ثم قال لقد مات سيد قطب شهيداً وليس شأننا أن نبكي الشهداء ولا أن نتألم لما يصيب المناضلين فمن عرف ما قصد هان عليه ما وجد وأن ما نعلمه عن سيد قطب هو الدين المتين والعلم الواسع والنضال المستميت لا شيء لا لدنيا يصيبها أو جاء يتبوأه أو عدو ينتقم منه ولكن لينجح القرآن ويسمو بنو الإنسان، ثم قال: كان سيد قطب مجاهداً نزيهاً حريصاً على الخير عامر القلب بالله طاهر النفس زكي الضمير يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه وكان إلى جانب ذلك عالماً كبيراً وناقداً مقتدراً ومفسراً، لكتاب الله، أصدر كتاباً في النقد الأدبي وأخذ يتطور فاتصل بالقرآن وأصدر كتابيه العظيمين التصوير الفني في القرآن ومشاهد يوم القيامة في القرآن وأخذ يعدد ما له من المكارم والفضائل إلى أن قال: كما لقطب كتب كثيرة منها معالم في الطريق وقد حللت المجلة القوات المسلحة في مصر في عددها ٤٤٦ الصادرة في أول شهر تشرين الثاني سنة (١٩٦٥م) هذا الكتاب وذلك أثناء المحاكمة لسيد قطب وكان تحليلاً موضوعياً للكتاب واعتبرته قيادة جديدة للبشرية، ثم قال لقد وفى آل قطب بما يجب عليهم نحو ربهم ونحو وطنهم الإسلامي والعربي.

إعدام الشهيد

قالت بعض الصحف الإسلامية.. في فجر يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى من سنة ألف وثلاثمائة وست وثمانين هجرية نفذ حكم الإعدام بالسيد قطب في إحدى الثكنات العسكرية المصرية شنقاً ثم إنها أخذت في ذكرى استشهاده ذلك بأن قتله أدمى قلوب أهل الإسلام وأنكرته صلحاء الأنام ثم بعد شدة الأسف بما وقع من تلك الخسارة نقول وهي تحسرج هذه نفحة وجدان وعبق إيمان وتحملهما ومضة إخلاص يرسلها قلب مؤمن ويعبر عن معانيها البليلة تكلم الأستاذ الكبير أحمد عبيد «رحمة الله تغشاك وسلامه عليك يوم يلقاك وفي الشهداء والخالدين زمرك في يوم الخلود كيف لمثلي أن ينعاك وأنت أكبر من النعي وأنى لي أن أرثيك وأنت أعظم من الرثا أفى الكلمات ما يفى بحقق أفى التفجع ما ينهض لك في كلمة

وداع أم أنها خفقات قلب تتلمذ على قلبك الطاهر وفجيعة نفس التقت بنفسك الزكية في ظلال القرآن بأرجل والرجال قليل أنت أكبر من أن تكون أرضاً تطأك الرجال إنما أنت سماء في دنياهم، فاشرأبت عنقك في السماء وهكذا أنت علو في الحياة وعلو في الممات، إيه سيد قطب أيها الأستاذ الكبير أيها العالم والمعلم العظيم من أرضك المسلمة العربية من أرض آبائك وأجدادك ومن وطن نبيك وبيت ربك من أرض الإسلام من أرض القداسات والنور من الأرض الذي سقط عليها أول شهيد في الإسلام من الأرض التي هي سماء في دنيا العالمين تتهادى إلى روحك بأجنحة نورانية ملائكة ربك تتلقاك تبلغك نحية الشهداء وترفعك عند ربك في ظلال عرشه يا من كتبت ظلال القرآن، أيها الشهيد لقد كتبت بدمك كلمة الحق في حياتك وستخلد كلمة الحق شعلة تضيء بدمك بعد مماتك فالعدالة الاجتماعية في ندائك نبراس يضيء وصيحة الإصلاح في كتابك معالم في الطريق، كنت رائداً لا تكذب أهلك ولكن أهلك قتلوك، وكنت هاتفاً لا تخدع وطنك ولكن أبناء وطنك سلموك، وكنت تريد لهم الحياة فأرسلوك للموت، وكنت تريد لهم الخلود فلم يستطيعوا أن يحولوا بينك وبين الخلود، إن يدك التي حملت القلم والكتاب لا تحمل الغدر ولا تطعن في الظلام، وإن قلبك الذي امتلأ بحب الله والوطن لا يخون عهد الله ولا يغدر بيعة الوطن الحبيب هذه هي عقيدتنا فيمن آمن بالقدر والوطن، وقال: كلمة الحق تحت سماء استقبلت منه أول صرخة من صرخاته في الحياة إلى أن قال: كنت في الدنيا شهيداً تمشي على قدمين وأنت الآن شهيداً تخلق بجناحين وعقيدة للمؤمنين في قلبك وكتاب العدالة في بدنك وستسمع الدنيا لك فيعطيك الناس يوماً ما. إلى أن قال: أيها الشهيد لقد تعلمت وعلمت واهتديت وهديت وأعطيت القدوة من نفسك معلماً كبيراً وارتفعت لم تبخل على شعبك في حياتك وكنت كريماً عليهم في مماتك تعلمهم ما هي العقيدة وما هو الدين وما هي المبادئ وأين المنهج القويم» وأطال وأطنب بما يبكي ويبعث الأشجان.

مولده وحياته

ولد سيد قطب في قرية صغيرة في صعيد مصر تابعة لمديرية أسيوط وذلك في سنة (١٣٢٤هـ) و(١٩٠٦م) ودرس العلوم الأولية بها وحفظ القرآن صغيراً وانتقل إلى القاهرة والتحق بدار العلوم سنة (١٩٢٩م) وتخرج منها سنة (١٩٣٣م) وعين مدرساً ثم ابتعث من قبل وزارة المعارف المصرية إلى أمريكا للدراسة وذلك عام (١٩٤٧م) وأصدر بها مجلة الفجر الجديد وفي عام (١٩٥٢م) عاد من أمريكا وكان ذهابه إليها نقطة تحول في حياته إذ ترك العمل الوظيفي واستبسل في الدعوة وجرّد قلمه في الكتابة عن الإسلام وذلك لما رأى من انهيار الغربية وإخفاقها في تربية الوجدان تربية حية وفي عام (١٩٥٣م) انتدب إلى دمشق ليمثل مصر في مؤتمر الدراسات الاجتماعية والقرنية محاضرة بعنوان (التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي) ونشر في كتابه دراسات إسلامية. وفي ١/٣/١٩٥٥م انتخب عضواً في مكتب الإرشاد لجماعة المسلمين وعين بعده رئيساً لقسم نشر الدعوة وفي ١٣/٧/١٩٥٥م صدر الحكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة وفي أوائل عام (١٩٦٤م) فرج عنه وفي عام (١٩٦٤م) خصصت مدارس الأقصى بعمان ميدالية للفكر الإسلامي باسم سيد قطب وفي عام (١٩٦٥م) أعيد إلى السجن وفي أغسطس آب سنة (١٩٦٥م) أصدر الحكم عليه بالإعدام ثم أعدم فارتفعت إلى السماء روح الشهيد مفكر القرن العشرين وعالم الدين والأدب والسياسة والاجتماع فأقيمت صلاة الغائب عليه في أكثر البلاد الإسلامية وفي المساجد الثلاثة يوم الجمعة ١٧ جمادى الأولى سنة (١٣٨٦هـ).

أما عن نسبه فهو سيد بن الحاج قطب إبراهيم، هاجر جده السادس عبيد الله إلى مصر من الهند وإذا كان الخصوم قد استطاعوا أن يقدموا وأن يصلوا إلى جسد الشهيد فيصلبونه وإلى دمه فيريقونه فإنهم لم يصلوا ولن يصلوا ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن ينالوا من صدى دعوته في النفوس وأثرها في القلوب وشهرته في العلم والغيب على أعداء الحق وما زالت السلطات المصرية تواصل آثاره حتى

حذرت الأمة من كتابه معالم في الطريق وقامت أجهزة الإعلام في القاهرة تتوعد من يتهم بقراءة هذا الكتاب بإنزال العقوبة به وأقل عقوبة زجه في السجن مع الأشغال الشاقة لمدة سبع سنوات كما هو منشور في الأهرام في تلك المناسبات ويصف العلماء كتابه المسمى معالم في الطريق بأنه الكتاب الذي تتجلى فيه عظمة مؤلفه ونال الإعجاب من العلماء والأدباء بل فاخرت به مصر في معرض الكتاب العربي ولا يزال نبراساً لكل ناشد للخير وطالب عزة الأمة الإسلامية فالله المستعان.

تعذيب الإخوان المسلمين

لقد امتلأت السجون بالإخوان المسلمين وأمر الرئيس بإعدام ستة من أكبر وأعظم مفكري وعلماء مصر قبل ذلك بعشر سنين بعد ما لاقوا أسوأ أنواع التعذيب وأمر ببقية السجناء أن تعلق التهم عليهم وأمر بإفنائهم بإطلاق الرصاص عليهم أثناء خروجهم لقطع الأحجار التي كلفوا بقطعها بدعوى أنهم كانوا يحاولون الهرب من معتقلهم، وقد انكشفت الخطة ورفض المعتقلون الخروج في اليوم الذي حدد فيه فئاؤهم فما كان من الزبانية إلا أن صوبوا رصاص مدافعهم الرشاشة إلى صدور الشهداء حتى أفنؤهم جميعاً في نفس الوقت الذي كان أهل المسجونين خارجاً للسماح لهم بالزيارة ووقعت المجزرة، أما البقية الباقية من الإخوان المسلمين الذين امتلأت بهم السجون الأخرى فقد عذبوا بأنواع التعذيبات التي تمارس يومياً ما يسمى بطابور الصباح ومدته ثماني ساعات فبعض السجناء يعلقون بأرجلهم ويقوم الزبانية بملاصمتهم في رؤوسهم ويستخدمون الأسياخ المحماة بالنار لحرق أجزاء مختلفة من أجسامهم وخلع الأظافر ولسع الأماكن الحساسة جداً بسجائر الإرهابيين ثم هناك من آلات يستخدمونها لضغط الرأس وآلامها لا تطاق وممارسة الأعمال اللاأخلاقية مع السجناء فعياداً بالله من هذا التسفل. أما في الليل فزج بالمسجونين في زنانات صغيرة جداً مملوءة بالبق ومفروشة بالمياه القذرة ويحشر عدد كبير منهم حتى لا يستطيع أحدهم حتى مجرد الجلوس ويجبرون المسجونين على

شرب بولهم وإعطائهم الطعام العفن وعدم السماح لهم بارتياح دور المياه إلا مرة واحدة في الأسبوع حتى تضعف قواهم البدنية، ومما قال الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني المتوفى سنة (١١٨٢هـ) في التحذير من الظلم وكيف طاب لهم التنزه في الحدائق والمنتزهات وإخوانهم في السجون:

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| فيا عصابة ضلت عن الحق والهدى | ومالت إلى أفعال طاغ وفاجر |
| بأي ملوك الأرض كان اقتداؤكم | فما لكم في فعلكم من مناظر |
| أنافستم الحجاج في قبح فعله | ففعلكم في الجور فعل مفاخر |
| ويا وزراء السوء يا شر فرقة | وأخبث أعوان لنياه وأمر |
| إلى أي حين في الضلالة أنتم | جهلتم بأن الله أقدر قادر |
| فما يفعل الدجال مثل صنيعكم | فلا تتشمتوا من بعد هذا بكافر |
| إذا كان هذا حال قاض وعالم | وحال وزير أو أمير مظاهر |
| ولم تنتهوا عن غيكم فترقبوا | صواعق قهار وسطوة قادر |
| فما الله عما تعملون بغافل | ولكنه يملئ لطاغ وفاجر |
| وقد أرسل الآيات منه مخوفاً | ولكن غفلتم عن سماع الزواجر |
| رماكم بقحط ما سمعنا مثله | وحبس سحاب بالإغاثة ماطر |

نوع آخر من التعذيب

كان يؤتى بالبعض منهم في أثناء طابور الصباح ويصفونهم في ساحة أمام زملائهم السجناء ويطلقون عليهم الكلاب المتوحشة التي سبق تجويعها لأيام عديدة لكي تنهش من لحوم المسجونين بينما يشاهد هذا المنظر المزعج الفجرة من حكام القاهرة وزبائنتهم، أما الأقوياء الذين صمدوا لكل أنواع هذا التعذيب فكان يؤتى لهم بالمومسات القذرات العاريات ليقمن بأعمال تنافى والأخلاق وينهالون عليهم بالشتائم والإهانات والتهكم على الله سبحانه وتعالى وعلى الرسول الكريم ﷺ والصحابة الكرام بنكات وعبارات يقشع لها البدن فعياً بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، أما الذين فشلت كل أنواع التعذيب فيهم فيرسلونهم إلى

أماكن بعيدة جداً في الصحراء الغربية حيث لا ماء ولا طعام لكي يموتوا جوعاً وعطشاً^(١) قالت النشرة لهذه الأوضاع ولقد شاء الله لي أن أقابل بعض هؤلاء والذين أفرج عنهم في عام (١٩٦٣م) فرأيت آثار التعذيب الوحشي على أجسامهم فأحدهم وهو مدرس لغة عربية بإحدى المدارس الثانوية رأيت أثر الكسر في أذنه من جراء وضع السيخ المحمي من الحديد فيها وآثار أخرى على ظهره من أثر الكي بالحديد المحمي وآخر رأيتته وقد تشوه ظهره من آثار نهش الكلاب وآخرون كثيرون عذبوهم وأصيبوا بعاهاات مستديمة هذا بعض مما روته الرواة الذين شاهدوا تلك المخازي ونحن نذكر قصة عن رئيس زبانية عبد الناصر وهو حمزة البسيوني أنه لما دفع إليه أحد الإخوان المسلمين للتعذيب فأمر برفعه بقدر متر عن الأرض وأوقد النار لشيئه، قال المعذب: يا الله يا رب، يستغيث بالله، فقال المجرم استهتاراً بالله وتحدياً له: أقسم بحياته لو أن الرب نزل من فوق سبع سماوات لسجنته في زنزانه ١٤.

وفي رواية أنه قال: أقسم بشرفي وحياتي لو أن الله نزل من فوق سبع سماوات لسجنته سجنًا اضطرارياً فقدّر أنه انقلبت به سيارته فدخل الحديد في رقبته وذهبوا به إلى مستشفيات مصر لكنها رفضت علاجه فهلك ثم غسلوه وكفنوه وذهبوا به إلى أحد المساجد للصلاة عليه فلما حمل نعشه وأرادوا أن يدخلوه في المسجد امتنع المسجد من قبوله وعجزوا عن الدخول به في المسجد فوضعوه في الشارع للصلاة عليه هذه قصة أقسم رواتها بالله العظيم أنها معلومة مشهودة. أما خارج السجون فكان يرسل باستمرار بعملاء مدربين من النساء والرجال لأهالي المسجونين لإقناعهم وإرغامهم بالتخلي عن ذويهم وتوجيه الإهانات لهم وللزوجات بطلب الطلاق من أزواجهن، وللأسف قد نجحوا إلى حد ما ولكن بعضاً من الأسر عرفت مكرهم ورفضت ألعابهم مما حدى بعبد الناصر إلى أن يأمر بالاستيلاء على كل ما لدى هذه الأسر وطردهم من مساكنهم وتركهم بدون مأوى وطعام وعدم مد يد

(١) نشرت ذلك جريدة القدوة عن إحدى المرزوات وهي إصلاح سهيل.

المساعدة لهم وفرض عقوبات إرهابية على كل من تسول له نفسه بمدهم بأي معونة، هذا بعض من كل وسنعود إلى المقصود^(١).

وممن توفي فيها من أعيان أهالي بريدة إبراهيم السليمان الجربوع رحمه الله تعالى وعفا عنه وهذه ترجمته هو الشيخ البارع في الرجولة والدهاء والمعرفة والكرم والنبيل والفضل رئيس العقيلات وأحد أعضاء أهل الضبط والربط في عاصمة القصيم إبراهيم بن سليمان بن عبد الله بن عبد الكريم بن سليمان بن محمد بن علي بن جربوع من قبيلة شمر من سنجارة من فخذ المختار رئيس الفخذ الحايق ولد في سنة (١٣١٠هـ) بمدينة بريدة فنشأ في رعاية والده وكان والده محباً للعلم وأهله فأدخله والده مدرسة الشيخ ناصر السليمان بن سيف وكانت المدارس إذ ذاك أهلة بالطلاب وكلها أهلية في تعليم حروف الهجاء بالألواح الخشبية ثم يتنقلون بالتدريج إلى السور القصار من القرآن الحكيم حتى تتصلب معلوماتهم فيعلمون الاستفتاح والتشهد والسير في تعلم القولين وهناك يجدون بعض المبادئ في الخط والحساب ثم تعلم من كتاب في بريدة عراقي كان يعلم إذ ذاك الصبيان وبعدما حفظ القرآن وتعلم الخط والحساب وبلغ الخامسة عشرة من العمر اشتغل بالتجارة في المواشي وجلبها من أنحاء المملكة إلى سوريا وفلسطين ومصر والعراق ودام على ذلك مشغلاً بالمواشي ويحجب أقطار المملكة لهذا الغرض مما أورثه معرفة الطريق والهداية في ظلمات البر والبحر فكان خريئاً ماهراً في الدلالة يتساوى عنده السير بالليل أو النهار ولقد كان المترجم مشهوراً من بين العقيلات في أسفارهم يختارونه ليسير في مقدمة القوافل لمعرفته بالطرق ومتاهات الصحاري ولما كان ذات مرة يسرون في الحماد قادمين من الشام إلى القصيم ثار الجدل بين الذي كان أميراً

(١) اعلم أن سبب ذكر هذا الابتلاء والامتحان ليتذكر الإنسان نعم الله سبحانه وتعالى وليوطن نفسه على نوائب الدهر ويعرضها على الحديث الشريف «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون الأمثل فالأمثل» نسأل الله تعالى أن لا يبتلينا وأن لا يمتحننا إنه جواد كريم.

للقافلة وبين بعض الرفقة المدعو عبد العزيز بن حماد الذي كان من كبراء العقيلات هذا يقول الطريق يمينا وإبراهيم يقول يساراً حتى حصل النزاع بينهما فعند ذلك أمر المترجم بنزول القافلة إلى الأرض للراحة ولما أن نزلوا جعل يقلب القربة ثم وجه كلامه إلى المعارض يقول الطريق يسار فوافق عبد العزيز لكنه بغير اقتناع، ولما أن سارت القافلة ليلاً طويلاً مسافة غير قصيرة وطلع الفجر قال: إن أمامكم قوز وهي جبال مجتمعة وستكون موضع راحتنا بعد هذا السري نزلونا يئنة منها ولما أن نزلوا بالقرب منها وظهرت أشعة الشمس نادى بأعلى صوته أحد الرفقة قائلاً يا إبراهيم النودلي اذهب إلى ذلك الموضع لجبل من تلك الجبال فستجد فيه شداداً أي رحلاً وزمزية سقطت فيه العام الماضي بسبب جفول حصل على الإبل فذهب وجاء بها فتأكد الرفقة واطمأنوا إلى كلامه وكان إلى ذلك مقدماً شجاعاً له مواقف مشهورة فيما يضطره إليه الزمان ومقدماً في أصحابه فلإذا سافرت قوافل تجارية للبلدان المجاورة في المواشي وهو فيهم فهو الأمير لأنه مهيب ومحبوب وأديب ولما أن تلاشت تجارة المواشي في البلدان المذكورة ترك الأسفار وجلس في مدينة بريدة موقراً معزراً لدى الملوك والعلماء والوجهاء محترماً ووجيهاً لدى ولاة الأمور مقبول الشفاعة مقدماً ومعظماً أضف إلى ذلك أنه في عداد أهل الدين محافظاً على الصلوات مع الجماعة وما زال في حالاته التقدمية حتى وافاه الأجل في ١٧ ربيع الأول من هذه السنة.

ولقد حضرت إحدى دعواته لوليمة العشاء حينما وجه إلي دعوة فلما أن قال تفضلوا على الميسور قام يعتذر بقوله لقد كان من المعلوم بأن كل واحد منكم أحسن منا طعاماً وإنما أجبتم جبراً لخاطرنا فأسأل الله أن يثيبكم ويكتب خطواتكم فعجبت لهذا الأدب وحسن التواضع وكان له أخوة من بينهم عبد الله بن سليمان عليه آثار الصلاح وكان مرض المترجم بالضغط وخلف سبعة أبناء فالله المستعان.

ومن توفي فيها الزاهد العابد والعالم الفاضل أبو حماد عبد الله بن حماد الرسي من القبلان في بلدة الرس ولد في عام (١٣٠٨هـ) فنشأ في عبادة الله

متعففاً صالحاً صبوراً على حلو الزمان ومره، وكان قليل ذات اليد لكنه متكّل على الله عز وجل ومفوض أمره إليه ويتمتع بحسن الخلق ورحابة النفس حتى لكأنه غني.

ومما جرى من خوارقه أن زوجته جاءت إليه من آخر النهار وهو يقرأ في مدارج السالكين للحافظ ابن القيم فشكت إليه أنهم لا يجدون قوتاً للأولاد تلك الليلة وكان مكباً على المطالعة لابساً نظارتيه فقال لها يأتيك رزقك واستمر في المطالعة ولم يلتفت إليها فلما أن أوشكت الشمس من الغروب رجعت إليه تقول يا أبا حماد التفت يمنة أو يسرة للصبية أما أنا وأنت فنصبر على الجوع فرد عليها برفق ولين يقول: يأتيك رزقك. يكرر هذه اللفظة ولا يزيد عليها ثم إنه قام للصلاة مع الجماعة ولما أن رجع من صلاة المغرب وجد صينية مملوءة من الأرز والجريش وعليها اللحم وأنواع الخضار وقد أهديت إليهم ذلك بأن رجلاً لديه ضيوف وقد أعد لهم طعاماً كثيراً فلم يأت إلا بعضهم وكان قد كفاهم صينية ففكر في الثاني وقال لزوجه اذهبي به إلى بيت الرسي فعسى أن يكونوا بحاجة إليه فذهبت به إليهم ولما رآه زاهدنا قال لزوجه قلت لك يأتيك رزقك فأكلوه هنيئاً مريئاً وحقق الله ظنه فيه وهذا من صدق اليقين وقوة التوكل. وركب ذات يوم في سيارة لزيارة أقرباء له في الرياض فكان سائق السيارة ممن ابتلاهم الله بتناول التتن ولديه وقاحة لأن بعض المبطلين به كالجعل الذي يدهده الخرز بأنفه لا يأنف من ذلك ويظن الناس مثله فنصح به بأن لا يجاهر به قائلاً يا أخي إنه مضر ولا تعجبنا رائحته فلم ينته ثم أنه امتص سيجارته ونفخ بالدخان في وجهه علاوة على رده للنصيحة فبكى لهذه الإهانة ورفع طرفه إلى السماء ودعا عليه بأنه يخصه الله بعقوبة من بين الركاب فقدر أنها توقفت السيارة عن السير فنزل ورفع الكبوت لتفقد المكيئة فثارت النار في وجهه وصار مشوهاً بحرق حاجبيه وشعر عينيه وأهدابها، وما حصل على وجهه فذهب إلى المترجم يريه كيف صنع الله به ويسأله أن يسمح عنه ويعاهده أن لا يعود.

وهذه صفته: كان قصير القامة أبيض اللون ممتلئ الجسم شبن اليدين والرجلين قد تأثرت عيناه من كثرة المطالعة والبكاء من خشية الله باحمرار عليه آثار الصالحين وشعار المتقين وبما أنه هادئ الطبع وفقير فإنه لا يؤبه له ويصدق عليه وصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصف الدنيا بقوله: «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له» رواه أحمد والبيهقي وقوله: «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماء إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع» رواه البخاري.

أما مشائخه الذين أخذ العلم منهم فقد لازم الشيخ عبد الله بن حسين أبا الخليل وأخذ عنه وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن دخیل وأخذ عن الشيخ محمد بن مقبل وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد ابن سليم وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي وكان من جملة أحببنا وزملائنا مع أنه يكبرني بستة وعشرين سنة وبينني وبينه صداقة فكنا نخرج إلى قرية المريدسية وخبّ البريدي وغيرها لزيارة الأخوان هناك كآل سعوي وآل خضيري وآل سويد وغيرهم ممن يحبنا في ذات الله ونحبه وتحصل قراءة وتذكير ونجد هناك قبولاً وأخواناً لنا في الله ويحمل دائماً كتبه للوعظ والإرشاد والإفادة وقد تولى وظائف في الإمامة والخطابة في بعض الهجر وآخر وظيفة نالها إن كان في هجرة وثيلان من أعمال السر إماماً ومرشداً وفتياً ومدرساً في المساجد وكان رحب الصدر حليماً فلا يغضب ولا يحقد ويتعلم منه صغار طلاب العلم ويتحمل ما يناله من الأذى وقد أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن فدا العالم الزاهد حينما كان الشيخ في المريدسية وقد أوزي في الله وصبر ثم أنه أسن ولزم بيته ويتردد إلى مجالس الذكر حتى توفي في هذه السنة عن عمر يناهز التاسعة والسبعين رحمه الله وعفا عنه.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد

اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وهو نجل رئيس القضاة في المملكة ولد رحمه الله عام (١٢٩٧هـ) وتوفي في هذه السنة عن عمر يناهز التسعين كان المترجم من مشاهير العلماء من آل الشيخ وله مكارم أخلاق ورجولة وسخاء وكرم حاتمي فكان بيته مأوى للضيوف من الأعيان والعلماء فقد فتح بابه لكل زائر من أعيان أهل الدين وفقرائهم بتواضع وحسن خلق وقد اشتهر بالكرم والجود وهو خال الملك فيصل بن عبد العزيز وكان ذا جاه ومعظماً ومحترماً وله مقامات مع الملك عبد العزيز وشارك في الغزوات معه لا سيما في غزوة البكيرية وقد يجعله الملك مستشاراً لديه ويأخذ من رأيه ويرسله في جباية الزكوات لأن أمرها لدى الملك عبد العزيز مهم بحيث يخشى على المزارعين من الظلم فينتدبه لذلك وكان وجيهاً لدى الملوك أخذ العلم عن والده الشيخ عبد الله وعن عمه محمد بن عبد اللطيف وعن عمه عمر بن عبد اللطيف وعن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وكان أديباً بارعاً في التاريخ. ومن كرمه أنه يبذل معونة عظيمة لمن سألته فقد أتى إليه محتاج فذهب وطرق على جاره وقال: هل من أرز ونقود؟ فقال: نعم فيه مائتا ريال وكيس أرز أخذنا منه شيئاً قليلاً فأخذه وناولته ويبذل معونة لحجاج بيت الله الحرام وله شوق عظيم في الحج والعمرة وقد يجاور في مكة المكرمة ويبذل نفقات على الفقراء والمحتاجين قل أن يباريه فيها أحد ثم أنه فقد بصره وضعف بدنه وأرهقته الشيخوخة حتى توفي في هذه السنة رحمه الله وعفا عنه ولم يتول شيئاً من الوظائف لعزة نفسه وكانت وفاته في ٢٣ من شهر شعبان وخلف أبناء ثلاثة عبد العزيز وتوفي بعده وعبد الله من خريجي كلية الشريعة وعبد الرحمن.

رکن ینهد فی شرقي المملكة

ففيها في صباح يوم السبت الموافق ١٢ / ٧ وفاة أمير المنطقة الشرقية سعود بن جلوي وهذه ترجمته: هو الأمير الخطير والعلم الشهير أبو عبد العزيز سعود بن عبد الله بن جلوي بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن مقرن البطل الشجاع الذي رجفت لهيبته أهالي المنطقة وما جاورها فكان شديد البطش ومضرب الأمثال

في القوة والمقدرة والهيبة ولد في (١٣١٩هـ) وتولى إمارة الإحساء بعد وفاة والده عبد الله بن جلوي فقام بأعباء هذا المنصب خير قيام وخلف أباه في الحزم والشجاعة وكان جباراً قوياً وقاسياً لا يلين أضف إلى ذلك أنه رجل في الدين محافظ على تقاليد آبائه وأجداده و متمسك بتعاليم الإسلام فلا يترك الصلاة جماعة ويكرم لحيته ويأخذ من شاربه هذا هو سعود بن جلوي الذي تضرب الأمثال بسطوته وتأمينه للسبل ولما أن نزلت شركة التنقيب في الظهران وكثر العمال هناك وتقدمت الحركة في المعادن انتدبه صاحب الجلالة الملك عبد العزيز لتلك الجهة ذلك بأنه لما اختلطت أنواع البشر من أحمر وأسود وكثر النهب والخيانة هناك استجاشه وحرك سواكنه وجرده فيها صارماً فقدم إليها ولما أن قدم تلك الجهة أعطى سكانها مهلة ثلاثة أيام لرد المنهوبات إلى أربابها فمن وجد عنده شيء من مال الغير بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه ونادى المنادي بأن من سرق منه شيء فالمسؤول عنه سعود بن جلوي فألقيت السرقات والمنهوبات في الشوارع ليلاً تحت الظلام لا يعلم من ألقاها وما زال يبطش بالجرمين والمفسدين حتى أصبحت تلك المقاطعة مضرب الأمثال في الأمن والطمأنينة وكان قاسياً على المعتدين ولا يقبل فيهم شفاعاة بل يأخذهم أخذاً صارماً ويبطش بهم بطشاً عظيماً.

ولقد دهس سائق من الأمريكيين عربياً ولم يعبأ به قائلاً عربي بدله عربي وهذا وإن كان ليس متعمداً ولكنه ينبغي له غير هذا الجواب فنقل إلى صاحب السمو سعود بن جلوي كلامه وأنه يقول ندفع الدية فأمر بالسائق وأحضر بين يديه وأحضر أناساً من الأمريكيين هناك فبسط عرضاً أمام الدركتور ثم أنه أمر أن يجعل طولاً وأمر بالدركتور يمشي عليه بالجنزير. حتى تمزق قطعاً بين أضلاع الجنزير وأمر بأناس ضربوا خادماً له ذهب للنظر في شأنهم من قبله فجيء بهم مصفدين بالحديد قد انتفخت أيديهم من ضيق الأغلال فأمر بهم إلى السجن فهمس بأذنه أحد رجاله قائلاً لو أمرت بجل الأغلال في هذه الليلة عن أيديهم فقال دعهم وشأنهم يسلمون أو يهلكون وما زال يزاول مشكلة الحوادث حتى هابه أهل شرقي المملكة وإذا

تحقق جناية الجاني فإنه لا يرحمه فبذلك كان ذكره يفزع من يسمعه ولا يزال نصب أعين أهل تلك المقاطعة.

رفع إليه صبي قد فر به قهراً ثلاثة من الأشقياء إلى القلاة وفعلوا به الفاحشة فدعي بأهل القافة من مرة وأعطاهم مهلة ساعات معلومة ليأتوا بهم فما كان إلا أن لجأ أولئك إلى معرض من معارض السيارات وكان أولئك الأشقياء لما دخلوه بسيارتهم خلعوا كفرااتها ولفوا عليها ورقاً وجعلوها في موضع غير معلوم وركبوا في السيارة كفراات أخرى وأخذ أهل القافة يفتشون بحيث لم تخرج السيارة بكفرااتها الأولى حتى وقعوا على تلك الملفوفة وأحضروا صاحب المعرض وأخرجوا موقفه بأن يخبرهم بأهل تلك السيارة فأقر بأنهم جاءوا بالسيارة في الساعة السابعة ليلاً عربياً وخلعوا وركبوا من غير ذلك النوع فاتبعوا آثارهم حتى قبضوا عليهم فأتي بهم إلى الأمير سعود بن جلوي وبعد ثبوت إجرامهم أمر بهم من الغد فكان يحمل الرجل اثنان من العبيد أحدهما من عند رأسه والآخر من رجليه فيرفعانه جواً ثم يهوى إلى الأرض مرات حتى تفككت أوصالهم وتمزقت أجسادهم وكان العبد (خسارة) هو الجلاد بمساعدة بعض العبيد وما زال يبطش ويقطع ويقتل ويسجن ويعذب حتى استطاع من شدة بطشه أن يكون كل فرد في المقاطعة الشرقية لا يهमे إلا عمله ولا يلتفت ولا يقوم ولا يجلس إلا فيما يعنيه.

وجاء إليه متظلم بأنه اشتكى إلى رئيس دائرة هناك يريد منه إخراج حقه من صاحبه وأن ذلك المسؤول طلب منه رشوة قدرها كذا وكذا فغضب الأمير سعود وأمر بطرده فقال يا سعود بن جلوي إن وجهك لنور وبهاء فليس بوجه غضب والله لو كنت مؤسراً بدفع ما طلب لما أخبرتك ولأصلحت شأني بدفع ذلك استجلاباً لمالي ثم بكى أمامه فقال له تعالى إليّ وخلع الأمير ساعته الثمينة وقال له اذهب إليه وقل له إني لا أملك سواها وهي لك هدية وأخبرني هل يأخذها؟ فذهب ورجع يقول أخذها فلما كان بعد صلاة المغرب بعث بأناس إلى بيت الرجل المشكو يفتشون فوجدوا الساعة في يد إحدى بناته وأخبروا الأمير فقال اتنوني بها

فلما جاءوا بها أحضره بعد صلاة العشاء الآخرة أمام الناس ثم قام يتهده ويتوعده بما جرى منه من هذه اللأمة والدناءة وكيف توصلت به نفسه إلى هذا التسفل ثم أنه عاقبه بين المسلمين عقاباً شديداً وطرده عن العمل.

ولما كان في بعض الأيام قدم ملك من الملوك إلى تلك المنطقة فأقيم له احتفال عظيم رائع غير أن بعض الشباب المندفعين من خلف المستقبلين جعلوا يتكلمون بالفاظ نابية وكلمات ساخرة في حق ذلك الملك بما يجرح العواطف ويسيء الوضع وكان الأمير غائباً عن المنطقة فقدر أنه حضر في اللحظات التي كان أولئك الأشقياء يستهترون كعادة من فقد إنسانيته وقل حياؤه فطلب من الملك سعود بن عبد العزيز أن يسمح له بتأديبهم فأمر بأن يلقي القبض عليهم وكان عددهم يتجاوز التسعين وعاقبهم بعقوبة تستحيل عندها العادة بحيث كانوا نكالا للأمة وجيء بهم أفراداً من غيابات السجون فكان في حر الظهيرة ينقل اثنان بقي كل واحد منهم ويسحب على ملتهب الإسفلت عل فمه حتى سقطت أسنانهم وتآكلت أفواههم جزاء لهم على صنيعهم ذلك وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وهكذا يرتدع من فقد إنسانيته وسولت له نفسه السوء. كل هذا وأمثاله يعامل به المعتدين.

ولما كان ذات مرة جاء إليه أقوام من الرافضة يطلبون بقعة ليتخذوها مسجداً فنزل الأمر من قبله على رئيس البلديات بمنحهم خمسة عشر متراً بطول ثلاثين فقاموا وضموا إليها أضعافها وأخذوا بعمارته بصفة تقدمية بحيث واصلوا الليل مع النهار بما أحدث بهم سوء الظن وكانت أنوار اللوكس تضيء طوال الليل في تلك البناية فرأى رجل من الصالحين الأمير عبد الله بن جلوي في القيام متأسفاً على هذه البناية وحمله رسالة إلى ابنه سعود قائلاً قل له أن هؤلاء يبنون كنيسة لا مسجداً فليدمرها إن استطاع رأى ذلك الرجل هذه الرؤيا بالليل وبعد صلاة الفجر وفي القيلولة فعلم أنه لا بد من تبليغ هذه الرسالة وطلب الاتصال بصاحب السمو الأمير سعود، فلما أن بلغه ذلك النبأ بعث بالحال للكشف عليها فلما وجدها بهذا الوصف وقد تجاوزوا ما منحوا فتح البرق على الملك وأخبره بالواقع ثم أنه دعي

من فوره بخمسة دركتورات وساق خلقها اثني عشر رشاشاً وأن تهد وتساوى بالأرض وأعطى قواد الرشاشات النارية تعليمات بأن إذا حصل معارضة ولم تخضع العمال والمتآمرون فيها بأن تطلق فوهات الرشاشات وقذائفها عليهم فما كان إلا لحظة حتى أزالوها عن الوجود وركب أربابها إلى صاحب الجلالة يشكون فغرزت سيارتهم وطردها من الرياض خائين.

ولما أن كان ذات يوم جاءت إليه أعرابية تشكو أن رجلاً قهرها وغلبها على نفسها وفعل بها الفاحشة وقالت يا سعود بن جلوي كأنني بك تقول ائتني بشهود فهذه علامة فارقة بأن عضضت على ثديه يا ولد عبد الله فقال كان عندي من المعلوم أنه لم يفعل ذلك إلا لما عزم على مغادرة الظهران وسيمر بمركز التفتيش فاذهبوا بها وأجلسوها بعد العصر في المركز واعرضوا عليها كل مسافر ففعلوا وبينما هم في طلبه إذ قالت هذا وأشارت إليه وأخبرتهم بالعلامة الفارقة فجئ به مصفداً مغلولاً فلما مثل بين يدي الأمير كان بعد سؤال وجواب أن أقر بفعله الشنيع وكان سموه قد طلب من الملك عبد العزيز لما أن كلفه بهذه المهمة أن لا يتعرض أحد لأحكامه فأمر سموه بجذع نخلة أن يقام بين أربعة شوارع فصلب فيه وجعل في كل يد ورجل مسمار غليظ يثبت بها في الجذع وجعل مسماراً خامساً في حلقه ولبث ثلاثة أيام في هذا الوضع فكان الأعراب إذا مروا به يقولون لا أعادك الله من شهوة وفي رواية أنه أمر بقطع ذكره وأن يجعل في فمه هذا ولا ننسى معاملة سيد الكون محمد بن عبد الله ﷺ للعربانيين الذين استوبوا المدينة فأمر لهم بإبل من إبل الصدقة أن يشربوا من أبوالها وألبانها خارج المدينة فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا النعم التي أمر لهم بها فجاء الخبر في أول النهار فبعث ﷺ رجلاً في أثرهم فلما ارتفع النهار جيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وتركوا في الحرة يستسقون فلا يسقون.

وإنها لذكرى خالدة للأمير سعود بن عبد الله بن جلوي في الثبات وقوة الإرادة والصرامة وقد خلدت له صحيفة في الحزم والشجاعة لا تنسى إلى آخر

الدهر. ولقد اشتهر الأمير الراحل بحبه الشديد للإصلاح ورفع مستوى المنطقة بإرشادات توحىها إليه مؤهلاته وتجاربه كما كان رحمه الله مثلاً يحتذى في إقامة العدل وإحقاق الحق والوقوف في وجه الباطل ونصرة المظلوم فحيا الله رجال العمل والإخلاص نسأل الله تعالى أن يجبر الأمة بفقد رجالها المخلصين الذين يدأبون في سير الأعمال وتقدم الشعوب وبكل حال فإننا خسرنا رجلاً عظيماً جاهد المعاصي والشرك والضلال وأطر السفهاء على الحق أطراً وأخاف المعتدين وقمع المفسدين وأخبره في الحزم والمقدرة وكف الفساد كثيرة جداً لا تتسع لها هذه الأوراق فنسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته وأن يتجاوز عن زلته وأن المجتهد إذا أصاب له أجران وإن أخطأ فله أجر واحد وما يرتدع الذين فطروا على النهب والسلب والعبث بالأمن وإخافة المواطنين إلا بأن يقبض عليهم بأيديهم من حديد ويوطئوا بأرجل شتة المناسم ويؤخذوا بالعذاب وما أحسن ما قاله أبو الطيب المتنبي في الشجاعة والمقدرة والرجولة:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| على قدر أهل العزم تأتي العزائم | وتأتي على قدر الكرام المكارم |
| وتعظم في عين الصغير صغارها | وتصغر في عين العظيم العظائم |
| يكلف سيف الدولة الجيش همه | وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم |
| ويطلب عند الناس ما عند نفسه | وذلك ما لا تدعيه الضراغم |
| يفدي أتم الطير عمر سلاحه | تسود الملا أحداثها والقشاعم |
| وما ضرها خلق بغير مخالب | وقد خلقت أسيافه والقوائم |
| هل الحدث الحمراء تعرف لونها | وتعلم أي الساقين الغمام |
| سقتها الغمام الغر قبل نزوله | فلما دنا منها سقتها الجماعم |
| بناها فأعلى والقنا تفرع القنا | وموج المتايا حولها متلاطم |
| وكان بها مثل الجنون فأصبحت | ومن جثث القتلى عليها تمائم |
| طريدة دهر ساقها فرددتها | على الدين بالخطى والدهور راغم |
| تعبت الليالي كل شيء أخذته | وهن لما يأخذن منك غوارم |

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعا
وكيف ترجى الروم والروس هدمها
وقد حاكموها والمنايا حواكم
أتوك يجرون الحديد كأنهم
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم
خيس بشرق الأرض والغرب زحفه
تجمع فيه كل لسن وأمة
فلله وقت ذرب الغش ناده
تقطع مالا يقطع الدرع والقنا
وقفت وما في الموت شك لواقف
تمربك الأبطال كلمى هزيمة
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
ضمت جناحيهم على القلب ضمة
بضرب إلى الهامات والنصر غائب
حقرت الردينيات حتى طرحتها
ومن طلب الفتح الجليل فأغما
نشرتهم فوق الأحيدب نشرة
تدوس بك الخيل الوكور على الذرا

مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
وذا الطعن أساس لها ودعائم
فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
سروا ببياد ما لهن قوادم
ثيابهم من مثلها والعمائم
وفي أذن الجوزاء منه زمائم
فبما تفهم الحداث إلا التراجم
فلم يبق إلا صارم أو ضيالم
وفر من الأبطال من لا يصادم
كانك في جفن الردى وهو نائم
ووجهك وضاح وثغرك باسم
إلى قول قوم أنت بالغيب عالم
تموت الخوافي تحتها والقوادم
وصار إلى اللبات والنصر قادم
وحتى كان السيف للرمح شاتم
مفاتيحه البيض الخفاف والصوارم
كما نثرت فوق العروس الدراهم
وقد كثرت حول الوكور المطاعم

تشيع جنازته

لما خرجت روحه في الساعة الأولى من صباح اليوم المذكور نعتة جرائد المملكة
وصحفها وكان لوفاته صدى بعث الحزن والأسى لأنه كان رحمه الله في مقدمة
الرجال العاملين الذين كرسوا جهودهم ووقتهم لبناء هذا البلد فيما عُرف عنه من
إخلاص وصدق وتفان لخدمة دينه وبلده وأتاب صاحب الجلالة الملك فيصل أخاه
وولي عهده خالد بن عبد العزيز بالمشاركة في تشيع جثمانه كما شارك عدد كبير

من أصحاب السمو الأمراء وكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين ومواطنين من أبناء المنطقة الشرقية وتوافد إلى المنطقة الشرقية عدد كبير من حكام إمارات الخليج العربي وأعيانها من هؤلاء خليفة بن حمد نائب حاكم قطر والشيخ خليفة بن سلمان مندوباً عن سمو حاكم البحرين كما وصل إلى الدمام الشيخ راشد بن سلمان مندوباً عن سمو حاكم البحرين كما وصل إلى الدمام الشيخ راشد بن مكتوم حاكم دبي ومن أعيان المواطنين الأمير محمد بن عبد العزيز والأمير فهد بن عبد العزيز والأمير متعب بن عبد العزيز والأمير فيصل بن سعد والأمير عبد المحسن بن جلوي والأمير محمد بن فهد وجماهير كثيرة من سكان المنطقة الشرقية وكان تشييع جنازته عصر يوم السبت عن عمر يناهز السابعة والستين عاماً رحمه الله وأسكنه فسيح جنته.

ومن توفي فيها من الأعيان في بريدة إبراهيم بن علي الضبيعي كان من أهل الهيئات البارزة وعضواً في هيئة النظر في الأراضي ومعروفاً بالعدل والإنصاف يرجع الناس إلى رأيه وله تقدم في حل المشكلات لسعة رأيه ورزانة عقله وحرصه على الإصلاح وكان وقوراً محبوباً عند الناس تحبه الأمة وتقدره وهو صهرنا إذ كان زوج إحدى الأخوات ومن أسرة كبيرة في مدينة بريدة ويعتبر رجلاً من الرجال ويتمتع بأدب ويتكسب ويأكل من عمل يده بحيث كان من أهل البيع والشراء ويتعاطى بالتجارة وكانت وفاته في ليلة ٢٥ شوال في الساعة العاشرة والربع بالتوقيت الغروبي رحمه الله وعفا عنه عن عمر يناهز الخامسة والسبعين فالله المستعان.

وهذه صفته كان ربعة من الرجال مملوء عقلاً من إبهام رجله إلى مفرق رأسه حسن الخلق لا يجد الغضب إليه سبيلاً ولما أن عقد له على الأخت وكان حوالي الدخول عليها أتى إلى الوالد وقال له يا عم كم أتى من أعداد الجنب والرفقة فقال له إن فنا جيلي سبعة فإن جئت بشامن فسيرجع وهذا مبالغة في ترك البذخ والإسراف رحمه الله عليهما وفعلاً جاء بأولئك ولما أن طرقتوا الباب وفتح لهم

الوالد إذا معهم زيادة رجل واحد فقال يا عم إن الزائد على العدد فلان فإن شئت فأدخله أو يرجع فضحك الوالد وقال إن فلاناً كقطط مكة لا تأكل الحمام بل يدخل وكنت أثبت بذلك لقياس ما بين ذلك وهذا الزمن الذي حدثت فيه تلك التكاليف.

وممن توفي فيها الأخ في الله والمحب فيه الشاب صالح بن سليمان آل سعوي رحمه الله وعفا عنه كان مولعاً بطلب العلم وله ميل إلى محبة أهل الدين وتظهر عليه آثار البشاشة والرفق واللين وكان من جملة الذين درسوا علينا وقد افتتح مدرسة للصبيان في جنوبي مدينة بريدة لتعليم القرآن الحكيم وإذا أكمل التلميذ القرآن فإنه يزف وهذه الزفة يعملها غالب أولياء الطالب بحيث أنه إذا ختم القرآن يقوم والده بوليمة للطلاب فيحضرون كالعادة بملابسهم الجميلة ويكون المزفوف مهيباً له حصان يركبه أو صندوق يحمله أربعة من الطلاب على رؤوسهم فيتقدمهم يتلو دعاء الختم والطلاب يؤمنون بضجة فإذا ما طافوا به في جميع أسواق المدينة أو غالبها ذهبوا به إلى بيت أهله الذي أعدت فيه المائدة التي أقيمت من أرز وتمر وقد يكون فيها لحم على حسب المقدرة ولا يتأخر أحد من طلاب المدرسة وعلى رأسهم المعلم وقد ينذر أولياء الصبي بذلك فتكون واجبة كما أنه يقدم للطلاب الشاي والحلويات إن تيسرت ثم يقدم ولي الصبي مبلغاً من المال للمؤدب وهذه من التقاليد العربية وقد انتهت بانتهاء المدارس الأهلية وكان محبوباً عند الناس وحسن الصوت عند تلاوة القرآن وقراءته بسبل السلام للأمير الصنعاني ولد في بلدة المريدسية وانتقل إلى مدينة بريدة بعد ما بلغ رشده وكانت وفاته في آخر نهار ١١/٢٨ من هذه السنة عن عمر يناهز الخامسة والأربعين فآله المستعان.

وفيهما في يوم السبت الموافق ثاني جماد الثانية تم توقيع اتفاقية توريد الآلات وتركيبها وتشيد الأعمال المدنية لمشروع مياه الرياض بين وزارة الزراعة والمياه ويمثلها حسن الشادي وشركة يلينين ويمثلها مديرها العام المستر توتو ماكينن وكان عقدها في مدينة جدة وتنص هذه الاتفاقية على استيراد تركيب المعدات الخاصة

بالمرشحات ووحدات الترسيب ومحطات الضخ والمعدات الكهربائية ومعدات قياس كميات المواد الكيماوية اللازمة لتنفيذ المياه والمتعلقة بمشروع تنقية مياه الرياض كما تنص على القيام بالأعمال المدنية المتعلقة بإنشاء معامل تنقية المياه ومحطات الضخ وتقدر تكاليفه بحوالي خمسة وعشرين مليوناً من الريالات.

وفيها أسس المصنع السعودي الحديث للمفروشات وكان يحتوي على مائتي عامل ودوام العمل فيه ثماني ساعات على فترتين ومنتجاته الكراسي بأنواعها والدواليب وغرف النوم والماصات وغير ذلك ومنتجاته تستهلك داخل المملكة ولدى أهله فكرة لتصدير المنتجات للخليج وسير العمل فيه ماشٍ وكان ما يتطلبه إذ ذاك من الخارج ٩٠٪ و ١٠ من الداخل وهو لصاحبه محمد عبد الرحمن عويمر وشركائه هذا ولا يزال معمل البلاستيك يخرج منتجاته الجميلة ثم سائر أنواع الأواني وكان سيره يقدم وكل المعملين فيهما نشاط ولدى أصحابهما خبرة ومعرفة.

وفيها فتح المعهد العالي للقضاء بمدينة الرياض وذلك في يوم السبت ٦/٩ من هذه السنة الموافق ٢٧ سبتمبر (١٩٦٦هـ).

وفيها يوم الأربعاء ٨ جمادى الأولى عقد معاهدة صداقة وتعاون بين المملكة العربية السعودية وتونس.

وفيها قتل في أندونيسيا مائة ألف شيوعي وخمسون ألفاً وأربعمائة في أعقاب محاولة الانقلاب الشيوعية الفاشلة.

وفيها قامت الحكومة السعودية بإعادة تنظيم شبكة مياه المدينة المنورة وجعل سمو الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز يوالي اهتمامه بمتابعة تنفيذ المشروع وقد اعتمد لهذه المرحلة مبلغ ٦١٥, ٤٣٧, ٢ وأنشئ خزان كبير فيها وبهذا تتمتع مدينة الرسول بالرفاهية.

وفي هذه السنة قام مؤلف إنكليزي يدعى في كتابه انتقاص الإسلام ورسوله، سمي كتابه (البطل الشاعر) نشره في الهند يتهم على الإسلام والقرآن وخاتم النبيين وأصبح هذا الكتاب يدرس في إحدى الجامعات الهندية للطلاب المسلمين وغير المسلمين مما كان له موجة استياء عنيفة لدى المسلمين في الهند مما دفعهم إلى رفع مذكرة احتجاج موجهة لرئيسة الوزراء فعيّزاً بالله من قلة الدين وعدم المبالاة.

وفيها انتهى عمل الخط الذي بين أبها وجيزان بسفلة وبما أنه ربط بين أبها وجيزان والمدن والقرى الواقعة فيما بينهما فإن الأهالي هناك رفعوا إلى صاحب الجلالة فيصل بن عبد العزيز وولي عهده خالد بن عبد العزيز بركات الشكر والدعاء كما أنه تم سفلة الطريق بين الحجاز والرياض ويقترب بهذا خط القصيم فهذا الطريق من الطائف إلى نجد غير أنه قام بعض المواطنين بعد الشكر والدعاء بأن يكون هذا الطريق يتشعب منه شعبة إلى الميقات السيل بصفة وادي الحرم ضيقاً عن حجاج نجد والكويت والعراق وما إلى ذلك وحقاً إن وادي الحرم لضيق جداً وبما أن الله تعالى سهل الحج وأسبابه بما دفع الخليفة إلى أداء هذه الفريضة فإنه لا يسع الأمة سوى طريق السيل الكبير فيما أن هذه الحكومة أيدها الله تعالى قامت بأعمال جبارة لراحة حجاج بيت الله الحرام عامة ولراحة الشعب السعودي الذي كان جزء منه يمر مع هذا الطريق الضيق الذي كاد أن يفوته الحج بسبب ضيقه فإنه ينبغي لفت النظر إلى ذلك. هذا وقد وقعت التبشير بأن حكومة جلالة الملك ستولي هذا الموضوع اهتماماً.

وفيها كثرت الزيارات بين عاهل المملكة السعودية وبين ملوك الدول ورؤسائها فقد قام الملك فيصل بزيارة لأمريكا والحيب بورقية وإيران وغيرها كما قدم لزيارة المملكة وتبادل المحبة ملوك ورؤساء من هؤلاء الرئيس ديوري هاماني ورئيس جمهورية النيجر وغيره ولقد لقي الملك فيصل بن عبد العزيز في زيارته تركيا كل ترحيب وتكريم لا سيما في احتفال مدينة استانبول حيث التقى برئيس الوزارة والرئيس التركي جودت بينوناي فلقى كل حفاوة وتعظيم.

وفي هذه السنة والتي قبلها كثرت الإصلاحات في مدينتي بريدة وعنيزة من أعمال القصيم فأضيئت الشوارع الرئيسية بالكهرباء ووسعت فيهما الشوارع وقام قلم المرور في كليتهما بالتنظيمات كما أن البلديات في بريدة وعنيزة والرس قامت بدورها بأعمالها الموسودة إليها وقامت المدن الأخرى في القصيم كالبيكرية والبدائع ورياض الخبراء بالإضاءة ليلاً وبالتحسينات العامة فمن المشاريع التي قامت في مدينة بريدة هدم شارع الخبيب فيها وأنارته في الستين المتقدمين وكذلك توسعة شارع الملك فيصل في بريدة وإنارته وإنشاء أربع حدائق في بريدة وتسويرها وإنارة شارع الصالحية وشارع المستشفى وشوارع أخرى.

وفي هذه السنة نزع ملكية شارع الصناعة في بريدة ودراسة تصريف المياه الفيضانية إلى غير ذلك.

عواصف شديدة ورياح مزعجة تهب على الشرق الأوسط

في آخر هذه السنة في ١٥ ذي الحجة هبت رياح عاصفة شديدة فأغلق مطار عُمان والقدس لشدة الضربة لمدة ثلاث ساعات بعد ظهر يوم الأحد ١٥/١٢ وانقطع الاتصال التلفوني بين الأردن وسوريا والعراق بسببها واجتاحت المناطق الشمالية من مصر عاصفة قوية وقد أغلق ميناء الاسكندرية بعد أن بلغ ارتفاع الأمواج ستة أمتار ووصلت مياه البحر إلى الشوارع الرئيسية في المدينة وقالت مصادر دائرة الطيران الأردنية أن عدداً من الطائرات التي كان من المقرر هبوطها في المطار قد جرى تحويلها إلى بيروت، بينما تأخرت عدة طائرات عن موعد إقلاعها المقرر لها لهذا السبب.

عقوبات للمفسدين وتنكيل بالمخربين والمعتدين

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۝٢٥﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣﴾

في آخر هذه السنة قامت عصابة من المفسدين في الأرض يفجرون القنابل في مدينة الرياض بعثهم لهذا التخريب رئيس الجمهورية المصرية يدفنون القنابل بالبيوت والمساجد ويفجرونها مما أحدث الخوف والقلق في نفوس الأهالي الأمنين ولما أن جرى هذا الإفساد قامت الحكومة بالبحث والنقاش عن هؤلاء المجرمين حتى ألفت القبض عليهم ثم إنها قدمتهم أمام المحكمة الشرعية في الرياض لترى رأيها فيهم وهذه العصابة هم الذين قاموا بتفجير القنابل في مدينة الرياض هذا بعدما أصدرت وزارة الداخلية بياناً بتاريخ ٢٨/٩/١٣٨٦هـ عن إلقاء القبض على هؤلاء اليمنيين الذين دربهم حكام مصر في القاهرة وتعز ودفعوا بهم إلى داخل المملكة العربية السعودية لإعمال التخريب ثم أصدرت بيان آخر بتاريخ ٢٤/١١/١٣٨٦هـ أوضحت فيه حقيقة هؤلاء المفسدين ومن الذي بعثهم ليعيشوا في المملكة فساداً ودفعهم لهذه الأعمال التخريبية واستمع المواطنون إلى اعترافاتهم الخطيرة وما فعلوه ولما أن قدموا إلى المحكمة الكبرى أمام أصحاب الفضيلة القضاة الشيخ صالح بن محمد لخيران رئيس المحكمة الكبرى والشيخ محمد البدر مساعد رئيس المحكمة والشيخ عبد الرحمن بن عتبو القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض اعترفوا جميعاً بما قاموا به من تخريب اعترافات كاملة واضحة صريحة فصدر الحكم الشرعي بموجب الصك الصادر من المحكمة الكبرى بالرياض برقم

١/٩٥ تاريخ ١٢/١/١٣٨٦هـ بقتلهم والتشهير بجميع وسائل التشهير بقتلهم وهؤلاء هم عبده ناجي البدع ومحمد صالح البيضاني وناجي عبد الرحمن الغزالي وصالح أحمد حسن الجعفري ومحمد مصلح أتم البدوي الملقب دنيش وحزام أحمد الشجاع ومحمد علي حسن القماري ومحمد خالد البارع وعبد الله بن أحمد علي الحضوري وعبد الكريم بن محمد الربيعي ومحمد ناجي صالح البارع وحسين صالح أبو غوالة رئيس عصابة التخريب بنجران وحسين حسن قدرى ومحمد عبد الله عريض وعلي جار الله اليماني وأحمد محمد الحريسي وأحمد صالح الخيامي الملقب أبي حسن وبعد أن استمع القضاة إلى اعترافاتهم الصريحة بقدمهم من أجل نفس المنشآت وقتل الأنفس وأنه لولا القبض عليهم لنفذوا ما قصدوا أنهم عازمون على التنفيذ والعودة إلى بلادهم وقد أيدت أحكام التنفيذ لعقوبتهم من صاحب السماحة مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بموجب خطاب سماعته رقم ٧٧٧١/٨٧/١ وتاريخ ٣/١٢/١٣٨٦هـ وجرى تنفيذها بإعدام من صدر الحكم بإعدامه هذا اليوم الموافق ٦/١٢/١٣٨٦هـ في ساحة العدل وأمام قصر الحكم بمدينة الرياض فأعدموا بالسيف أمام عشرات الألوف من المسلمين وحصل التشهير بقتلهم ففي ذلك اليوم لمع سيف الأمن لمعات سبع عشرة مرة أطاحت سبعة عشر رأساً أما البقية من المخربين والمفسدين فقضي عليهم بالسجن ست سنوات ومنهم من سيقدمون للمحكمة الشرعية لتقرير ما تراه بشأنهم. ومن العجائب أن رئيس عصابة التخريب المدعو عبده ناجي البدع كان آخر كلمة قالها أنتم ما قتلتمونا الذي قتلنا عبد الناصر إثمنا في رقبته وجعل يشتمه وكانت الحكومة السعودية لا تزال تذكر أياديها على جمال وإحسانها إليه وذلك لما ضرب المعتدون إذاعته وآخر سوها عن البث فقام يستجدي منها المعونة والمساعدة وكذلك لما أوت طائراته في مطاراتها وتحملت المخاطرة والنتائج المترتبة على هذا الإيواء إلى غير ذلك من كمال إحسانها إليه فكانت المكافئة منه على هذا الإيواء إلى غير ذلك من كمال إحسانها إليه فكانت المكافئة منه على هذا المعروف والإحسان بعثه عصابة للتخريب والإفساد في عواصمها وبلدانها.

ثم دخلت سنة (١٣٨٧هـ)

استهلّت هذه السنة والعهل السعودي فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية الذي كان سرطان العدو وريحانة الصديق يكابد تدابير المملكة ويحميها من شامها إلى يمنها ومن البحر الأحمر إلى خليج العرب برأي سديد وحنكة ذي تجارب ولقد أحسن الشاعر حيث يقول في الرأي والسياسة:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتماعاً لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكاني
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

وكانت حيله في مخاتلة الأعداء والقضاء عليهم مضرب الأمثال ربما أن مراجل الفتن في هذه السنة تغلي وأما وجهها تلتطم فإنه لم يصده ذلك عن أن يسير بالمملكة قدماً وتتمشى المشاريع بنشاط كما قدمنا ولقد قام بكل ما لديه من الاستطاعة في تأمين الشعب وفتح معاهد النور للعميان وإيجاد الضمان الاجتماعي والإصلاحات العظيمة والدفاع عن المملكة والشعب سالكاً طريقة آبائه وأجداده الغر الميامين في تحكيم الشريعة والتحاكم إليها وكان باقعة في الدهاء والمقدرة والسياسة ويكفيك أنه أديب ناقد عبقرى واستعمل ضروباً من الحزم والسياسة في مصادمة اعتداءات المعتدين على نجران ما حير به العقول وذهب المعتدون ما بين قتيل وأسير وشريد يجرون ذيل الهزيمة والفشل وهكذا يكون الرجال الأبطال الذين جمعوا صفات الولاية ومؤهلاتها من سياسة وذكاء وفطنة وحزم ومقدرة.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففي يوم الاثنين ٨ محرم سقطت ثلوج في حوالي الموضع المعروف بالنقرة بطريقة المدينة المنورة بينها وبين القصيم وكان سقوطه أمراً عجيباً بحيث نزل وجعل يبني بناية متراكمة حتى بلغ ارتفاعه قريباً من خمسة أمتار وقتل نساء ثلاثاً وأولادها

وثلاثة رجال وثمانى رعايا من القتم وامتد على مساحة أرض لا تقل - ن خمس كيلوات ولبث خمسة أيام لم يذب والله على كل شيء قدير ولا قوة إلا بالله.

حرب بين العرب وإسرائيل

لما كان في يوم الاثنين ٢٧ / ٢ الموافق ٥ يونيو حزيران (١٩٦٧هـ) ثارت الحرب بين العرب وإسرائيل وسبب ذلك أنه لما هزم العرب منذ عشرين سنة في الحرب المتقدمة بينهم وبين اليهود إسرائيل كانوا منذ انهزامهم في سنة (١٣٦٨هـ) يعدون العدة والكيد لليهود ولما أن حقق جمال عبد الناصر جلاء اليهود من غزة وأغلق خليج العقبة علمت العرب بحقيقة الأمر وما سينجم عن ذلك من البلاء والحروب فرابطوا في الجبهة وهذه الدول هي السعودية والعراق والأردن ومصر وسوريا، ولما أن كان في اليوم المذكور أطارت اليهود أربعمئة طائرة فضربت مصر والجبهة المرابطة حوالي تل أبيب فنشبت الحرب واشتبكت العرب مع إسرائيل بحرب دامية وكانت الحالة حرجة جداً وأصيبت مصر بأن شنت عليها اليهود غاراتها الجوية وضربت في مصر سبعة عشر مطاراً ودمرتها تدميراً واستولت على سبعمئة وخمسين دبابة مصرية منها مائة دبابة صالحة للعمل وقتلت خمسة عشر ألفاً وجرح سبعة آلاف وأسرت ثلاثة آلاف من الجنود المصرية وأسباب ذلك سوء التدابير من مصر لعدم التخطيط لخوض هذه الحرب فإن مثل هذا القتال يحتاج إلى تخطيط وهنا أمور سياسية تعمل في الخفاء من وراء الستار هذه هي حرب يونيو خامس حزيران التي عادت على العرب بالفشل والنكسة التي خسروا من أجلها صحراء سيناء والضفة الغربية والمسجد الأقصى، وقد أصيب الأردن بقصف الطائرات الإسرائيلية لأنه أصيب بغارتين إسرائيلية يوم الاثنين ٢٧ / ٢ / ١٣٨٧هـ، فاستولت على جزء كبير منه وهو القدس وضربت الصخرة وجعلت تهدد وتوعد.

ولما كان في يوم الجمعة ثاني ربيع الأول ضربت إسرائيل قناة السويس وأصيبت مصر بضربة ساحقة ماحقة من غارات اليهود عليها وتعطلت الملاحة في

القناة وأصبحت العرب بحالة يرثى لها وقد يحسن الاستشهاد في حق الرئيس جمال عبد الناصر وضربه لليمن وتقتيل أهاليه بأبيات قيلت في أبي مسلم الخراساني والأمثال تضرب للناس:

زعمت أن الدين لا يقتضي فاستوف بالكيل أبا مجرم
سقيت كأساً كنت تشربها أمر في الخلق من العلقم

ذنوب تحيط بأهلها وعقوبات عاجلة

لما قتل العالم «سيد قطب» في العام الماضي وهو يفسر القرآن وقتل إخوانه المسلمون بعد ما عذبوا بأنواع التعذيب ولم ترع تلك الأيادي التي عذبتهم سطوة خالقي ولا مخلوق فقتل الأبرياء في اليمن بعد ما أودوا في عقر دارهم وهتكت محارمهم فقد قتل من أهل اليمن مائتان وخمسون ألفاً وهلك ثلاثون ألفاً من الجيش المصري على حساب الحرب التي شنها الرئيس المصري بلا ناقة له فيها ولا جمل لم يمر بعد قتل العالم قطب تسعة أشهر ونصف شهر حتى أنزل الله على مصر بأسه ولما نزل بمصر من أمر الله ما لا يطاق أرغم الرئيس جمال على التنازل عن العرش فقرر تنازله عن الرئاسة وذلك في الساعة السابعة مساءً بالزوال الموافق للساعة الواحدة ليلاً يوافق مساء يوم الجمعة ٣/٢ ويذكر أنه قد تنازل صباحاً وسجل ذلك فلم يذع إلا في هذا الوقت وقد قيل أنه أراد الفرار إلى مكان غير معلوم هذا وقد تحاذل بعض العرب مثل الأردن والعراق وسوريا لهذا النبأ وضعف شأن هذا الجهاد لأنه هو الذي قام بأعباء هذه الحرب وهو سببها ومن أسباب تنازله فشله بأن خسر هذه الحرب واستقالة عبد الحكيم عامر أكبر مسؤول بعد الرئيس وقائد القوات المصرية غير أن الله تعالى لم يقدر ذلك فقد تعلقت به العراق وبعض الموالين له فراجع الرئاسة تحت الضغط ذلك بأنهم قالوا لا تتخلى وأنت السبب فيما أصيبت به مصر فإما نجاحاً أو تهلك في هذا السبيل وكان ذلك يوم السبت الموافق ثالث ربيع الأول (١٣٨٧هـ) ولما تقدمت إسرائيل لم تجد أمامها أحداً واستهدفت سوريا لأنها توحدت في الجبهة أمام اليهود وأصيب العرب بضربات شديدة لا

يصلحها إلا وقت طويل وكان السبب في ضعف بقية العرب وفشلهم لما رأوا بأنهم يقاتلون أمريكا وفرنسا لتوفر إمداداتها لليهود بالطائرات التي بلغ عدتها حوالي ألف طائرة وقد تمكن العرب من أن يسقطوا منها مائة وخمسة وسبعين طائرة في هذه الحرب ولما أن انتصرت اليهود جعلت تهدد العرب بتهديدات عنيفة واتخذت من إذاعات القاهرة وأنبائها سخرية بمصر ورئيسها فاضطر مجلس الأمن إلى التدخل في وقف القتال فتوقف إطلاق النار بعدما أصيب العرب وقد طلب مجلس الأمن العرب وإسرائيل إيقاف إطلاق النار ستة أيام ريثما يسعى لحل الوضع في هذه الظروف فتوقف إطلاق النار من بين الفريقين في يوم السبت المذكور ولما أن نكبت الأردن هذه النكبة وخسرت جزءاً من ممتلكاتها ولجأ مائة ألف شريد تحت الحضائر والخيام بعد الأسيرة والمبارك قامت الأمة العربية لما أزعجها ذلك العدوان الصهيوني بجمع التبرعات فتبرع كل موظف في السعودية بربع راتبه الشهري للأردن واللاجئين هناك؟

تراجع العرب إلى جبهة القتال

لما انهزم العرب في حرب يونيو من هذه السنة بعدما أبدوا بسالة وشجاعة بحيث أن مدفعاً من مدافع الهاون في جيش السعودية لما أطلق شال عمارة إسرائيلية أمامه وزحفت ستة أمتار ثم سقطت وشوهد من العرب إقدام وحاسة وبسالة غير أن الله تعالى قضى في آخر الأمر بالانهزام فإنه ما كاد أن تضع الأمة السلاح حتى تراجع العرب إلى الجبهة وتبرعت السعودية للأردن بمائة وعشرين مليوناً وذلك إجابة لنداء عاهل السعودية حينما وجه النداء لشعبه بذلك، ذلك بأنه لما هاجمت إسرائيل بمساندة أذنانها وشتتها حرباً على الدول العربية في عقر دارها وحطمت المطارات والسلاح الجوي بحيث شلت الحركة الإيجابية لذلك السلاح وأمطرت عليه وإبلاً من قنابلها المحرقة بحيث دمرتها تدميراً فلا ينسى العرب خيانة روسيا بحيث كانوا ينتظرون نصرتها فإذا هي تقف وقفة المتفرج على هذه الحرب وقد أشارت بعض الصحف إلى التعاون الخفي بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات

المتحدة والدليل على ذلك أنه بينما كان العرب في أصعب المواقف أمام إسرائيل إذا بقطع الأسطول الروسية كانت تتجول في شرق البحر الأبيض المتوسط تحيي من حين لآخر قطع الأسطول السادس الأمريكي التي تقابلها في طريقها تحية أخوية ولا ريب أن هذه خيانة واضحة وأنهم اشتركوا في مؤامرة واحدة مع الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل ضد العرب وكانت العرب لما تراجعت إلى الجبهة صمدوا لإسرائيل يريدون أن يغسلوا ما جرى في وجوههم من تلك المخازي وانضمت العراق إلى الأردن وبعثت السعودية إلى الجبهة في الأردن سبعة وثلاثين ألف مقاتل بمدافعها ورشاشاتها وقواتها وقام العاهل الأردني حسين بن طلال بالدفاع لما رأى عشرات الألوف من اللاجئين يبحثون عن عمل مشرف ولقمة عيش يقتاتون منها يترقبون وينتظرون بلهفة كبيرة اليوم الحاسم لاسترجاع أراضيهم وأموالهم من أيدي المعتدين وكان يتقدم الصفوف مدافعاً بشجاعة نادرة شهد له بها الأعداء قبل الأصدقاء ليرد المعتدين على أعقابهم ولن يكون الحسين في هذه المرة وحده، بل سيكون إلى جانبه خمسمائة مليون مسلم في مختلف أقطار الدنيا واستفادت العرب بالتجارب أنه لا فائدة بالقول إنما الفائدة كما قيل:

إن الشجاعة في الكلام كثيرة وأظن شجعان القلوب قليل

إن الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن وهو الماهر العظيم السياسي كان كثيراً ما يقول منذ عشرين عاماً إنني أقترح ألا تدخل الجيوش العربية النظامية الميدان بل يمد الفلسطينيون بالمال والسلاح ليحرروا أوطانهم ويهزموا عدوهم وذلك لأن الجيوش النظامية تكون مقيدة بأوامر دولية أما الفدائي الفلسطيني فلن تستطيع أن تقيدته بأوامر ما دام يسعى لتحرير وطنه وأرضه وها قد عادت الأحداث لتثبت سداد ذلك الرأي وها هم الفدائيون يسجلون صفحات البطولة سطور الكرامة لأمة الإسلام وهذه هي الطريقة في استرجاع فلسطين أما كون العدو يعبئ نفسه بهدوء وبدون ضجيج ويزيد إمكانياته العسكرية وغيرها والعرب منشغلون في زيارة بعض الدول التي تزعم مساندتها للدول العربية واستقبال الزوار منها

والتطيل لهم وإثارة الضجيج حولهم بدون جدوى ولم يظهر بل ولن يظهر لتلك الزيارات أي نتائج فإن هذا يحدث الأسف الشديد.

المرابطة في الجبهة

لما زحفت الجيوش العربية كان من بينها سبعة وثلاثون ألف مجاهد سعودي مستعدة لخوض المعركة مزودة بالتجهيزات الكاملة من آليات ودبابات ومدفعية ثقيلة وسواها يساندها سلاح جوي قوي وعدة وحدات من أسلحة وصواريخ الهوك وكانت تلك القوات مزودة تزويداً تاماً بالسلاح والذخيرة فرابطت في أرض الأردن كما زحفت القوات الكويتية فرابطت في مصر كما أن القوات السودانية ترابط في مصر وستظل في جبهة القتال لمواجهة أي طوارئ وأبدت حكومة الهند قلقها للموقف في الشرق الأوسط وقالت أن تأمين السلام لن يتم إلا بانسحاب القوات الإسرائيلية إلى المواقع التي كانت ترابط فيها قبل يوم خامس يونيو ثم قدمت إسبانيا شحنة مكونة من ٥٠٠ طن دقيق و ٥٠٠ طن بطاطس إلى اللاجئين الفلسطينيين كما بعثت طرود أقمشة وبطانيات من دول العرب وتدفقت التبرعات ثم إنها نشبت الحرب من جديد بين العرب وإسرائيل وأسبابها أن إسرائيل انتهكت قرار وقف إطلاق النار فتقدمت في آخر اليوم ٢٤ من ربيع الأول إلى شرق قناة السويس واشتبكت مع القوات المصرية واستمرت المناوشات وجرت مذابح ومجازر وتقدم الفدائيون الفلسطينيون يفتكون بإسرائيل وعجز مجلس الأمن عن حل الموضوع وذلك بالرغم من قرار جديد تبنته تسع عشر دولة على ضرورة سحب القوات المعتدية أما المناوشات بين الأردن وإسرائيل فإنها لا تزال مستمرة لأن اليهود تأتي بهجمات عنيفة وتطلق نيران أسلحتها على الدوام مستخدمة الأسلحة الثقيلة والخفيفة والمتوسطة ومدافع المورتر على القوات الأردنية فترد القوات الأردنية عليها بالمثل وقد تقوم الطائرات الإسرائيلية بقصف جوي فوق المناطق القريبة منها واستمر الوضع على ذلك.

أعمال الأسد الجريح

قام الملك الحسين بن طلال الشجاع الباسل بعدما أصيبت إحدى يديه بزيارات لعدد من عواصم الدول العربية والإسلامية يستبسلها ويستنهضها وثبت في المناضلة ولما أن كان في يوم الخميس ١٢/٢٢ صباحاً زحفت إسرائيل وتقدمت بدباباتها وطائراتها ورشاشاتها على الأردن وحصلت مناوشات عنيفة بعدما أطلقت نيرانها على الجيوش الأردنية المربطة هناك لكنها ردت القوات العربية عليها بالمثل ورجعت خائبة بعدما أسقط منها خمس طائرات ودمر لها خمسون ما بين مدرعة وآلية وأصيبت بمائتين ما بين قتيل وجريح وكان الفدائيون العرب أثاروا لغماً برئيس وزراء إسرائيل فأصيب بجراحات بليغة وتساقطت الحجارة عليه وانخسفت به الأرض فأدرك وهو بأخر رمق، ثم أنها تقدمت إسرائيل بعد ظهر يوم الأحد ١٢/٢٥ برشاشاتها ومدافعها غير أنها أصيبت بنكبة أيضاً فقد أصيب منها نقطة كاملة وخمسة قتلوا ورجح البعض وقد قدمت الأردن احتجاجها لمجلس الأمن ضد هذا العدوان الغاشم وطالبت بوضع حد لهذا الاعتداء وطلبت من ملوك العرب ورؤسائها المساعدات وعقد مجتمع لذلك ولقد خسرت الأردن الضفة الغربية بما فيها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة ومقام النبي داود واستولت اليهود على شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان كما طردت قبل ذلك مليون فلسطيني إلى البلاد العربية وفي هذه الحرب طردت نصف مليون من الفلسطينيين عن بلادهم وهدمت أكثر من واحد وعشرين ألف مسكن في الضفة الغربية وغزة ليعيش أهلها في الصحراء والمخيمات ولا تظن أيها المسلم أن العدو غلب ولكن الصديق تخلى عن النصرة ويعرف أرباب السلوك والمعرفة هذه النكتة.

ونصيحتي للمسلمين خاصة وللغرب عامة أن يقوموا إلى الله سبحانه وتعالى ويحاسبوا أنفسهم ويرجعوا إلى ربهم فيا أيها المسلم اجعل موعظة الفاروق على بالك وهو القائد الأعظم وكيف وصى أميره على الجيش في غزوة القادسية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بهذه الوصايا لما أقبلت الفرس تريد اجتثاث الإسلام وإبادة أهله

فصمد عمر رضي الله عنه وقال لسعد بن أبي وقاص لما شيعه وجعل يجهز الجيوش لمقابلة مائتي ألف من الفرس قال له يا سعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحبه فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه فإنه الأمر، هذه عظتي إياك أن تركنها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين ولما أراد فراقه قال له إنك ستقدم على أمر شديد فالصبر الصبر على ما أصابك ونابك تجمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين في طاعته واجتناب معصيته وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة وإنما عصيان من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة وللقلوب حقائق ينشئها الله إن شاء، منها السر ومنها العلانية فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس ومن محبة الناس فلا تزهد في التحجب فإن النبيين قد سألوا محبتهم وأن الله إذا أحب عبداً حببه وإذا أبغض عبداً أبغضه فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس، ثم قال له: مر الجيش أن يبدروهم بالضرب والشدة ولا يهولنك كثرة عددهم وعددهم فإنهم قوم خدعة مكره وإن صبرتم وأحسنتم ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم وأمره أن يحاسب نفسه ويعظ جيشه وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فإن النصر يأتي من الله على قدر النية والأجر على قدر الحسبة وسلوا الله العافية وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قال: اكتب إلي بجميع أحوالكم وتفصيلها وكيف تنزلون، وأين يكون منكم عدوكم واجعلني بكتبك إلي كأنني أنظر إليكم واجعلني من أمركم على الجلية وخف الله وأرجه ولا تدل بشيء واعلم أن الله قد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له فاحذر أن يصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم وجعل عمر يدعو لسعد خاصة وله وللمسلمين عامة ثم سار سعد وزحف بالجيوش الإسلامية إلى القادسية.

أما ما كان عن الرئيس المصري فقد قام يعد العدة ويتهم بعض قواده بأنهم هم أسباب الهزيمة وقامت ليبيا تستنكر ضم القدس لإسرائيل، وقام خطباء المساجد في ليبيا باتخاذ الإجراءات نحو الصهيونية ودعا علماء الدين في ليبيا العالم الإسلامي والعربي إلى الوقوف بوجه المخططات الصهيونية، وقام عشرة آلاف إندونيسي يتطوعون لتحرير المسجد الأقصى، وقامت سوريا تحتج على إسرائيل بأعمالها الوحشية ذلك بأن الإسرائيليين ركلوا شيخاً مسناً يبلغ المائة من العمر بدون رحمة لعجزه وأنها دمرت بانياس وجيباتا الزيت وكفار خريب والنخيلة عن بكرة أبيها بعد إيقاف إطلاق النار بين سوريا وإسرائيل وأن سكان القرى والمدن التي دمرت سلبوا من مالهم وأخذت بطاقتهم الشخصية وجردت نساؤهم من حليهن كما تعرضن لأعمال مشينة وأن عدداً من العرب حرموا من الطعام لإرغامهم على ترك ديارهم من المنطقة المحتلة كما أرغم بعضهم على التوقيع على بيانات يعلنون فيها عن تفضيلهم مغادرة أراضيهم وبيوتهم.

قتل المشير عبد الحكيم عامر

لما عزل الرئيس جمال عبد الناصر المشير عبد الحكيم عامر واعتقل أناساً آخرين بتهمة النكسة العسكرية وقعت مؤامرة ضد الرئيس من المشير ووزير الداخلية وأناس آخرين ونحن نذكر ما روته جريدة نداء الجنوب تاريخ ٢١/٦/٨٧ هـ قالت: نقلاً عن صحيفتين بريطانيتين هما الديلي تلغراف والديلي إكسبرس في صفة قتله يستفاد من أعضاء حاشية المشير عبد الحكيم عامر أن اثنين من كبار ضباط الجيش الذين قاما باستجواب المشير بعد اعتقاله قالوا له أنه إذا ابتلع خمساً من الحبوب السامة كانا قد أحضرهما معهما فستقام له جنازة ومراسيم تشييع تليق ببطل ثورة كما وعدها بأنه بعد وفاته ستبقى الفيلا التي يسكن فيها والمزرعة التي يملكها بأيدي أرملته بعد وفاته، كما ستقرر الدولة رواتب شهرية لعائلته، وخرج المشير آخذاً الأقراص الخمسة من الضابطين الكبيرين مغادراً تلك الغرفة التي تحدثوا فيها بنوي ابتلاعها لإنهاء حياته غير أنه لم يبتلع كل الأقراص السامة الخمسة وإنما ابتلع واحداً

بعد أن طلب من أفراد عائلته أن يتصلوا بالرئيس جمال ويبلغوه بما حدث له ثم عاد إلى الغرفة التي كان الضابطان يجلسان فيها وجرى عراك في الغرفة بينه وبين الضابطين انتهى بأن غاب المشير عن وعيه وتمدد على الأرض وعندما شاهدت النساء والأطفال عبد الحكيم ممدأ على الأرض فاقدأ الوعي أخذوا في الصراخ والعيول فسمع أفراد الأسرة الذين يقفون على باب منزله هذا الصراخ فسارعوا بالدخول إلى المنزل، عندها حدث قتال بين الحرس المذكور وبين القوة التي رافقت الضابطين الكبيرين، وفي الحال استدعت عائلة المشير سيارة إسعاف فنقل المشير في الحال إلى مستشفى المعادي حيث أعطي أدوية مضادة للسم بعد أن أجريت له عملية غسل للمعدة فأفاق ونجى من الموت غير أنه بدلاً من أن يسمح له بالبقاء في المستشفى إلى أن يستعيد كامل صحته أو يسمح له بالعودة إلى منزله نقل قسراً إلى منزل خاص في الجيزة حيث أجبر من جديد في غداة اليوم الثاني أي مساء يوم الخميس ١٠/٦ على تناول كمية من سم (الإيكونيتمن) كانت كافية لإنهاء حياته وكان تناوله ذلك في حمام المنزل المذكور حيث مزقت أحشاءه وأمعائه وانتهت حياته وعندما بلغت عائلة المشير نبأ وفاته جرت مناوشات بين حرسه الخاص وبين الجنود الذين ظلوا مرابطين حول منزله، ثم جرى دفنه في الظلام وبسرعة دونما أية مراسيم تشييع أو غيره وقام لنجده البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة عندما بلغه نبأ وفاة أبيه يصرخ بألم ومرارة وتوجع يقول: عبد الناصر قتل أبي، ومن العجائب أنه لم يحصل تشييع لجنازته ولم تسمح السلطات المصرية بإقامة أية مراسيم تليق به كقائد للجيش ونائب أول لرئيس الجمهورية وأحد رجال الثورة الذي يلي عبد الناصر في المنزلة مباشرة، هذا وهو القائد العام للقوات المسلحة والنائب الأول للرئيس والمسؤول الأول عن إدارة دفعة معارك الإبادة الرهيبة في اليمن والله في خلقه شؤون ولا يظلم ربك أحداً.

ونحن نسوق شيئاً من جواهر كلمات لابن الجوزي ثمينة مفيدة، قال رحمه الله عليه:

فصل، العاقل من يحفظ جانب الله عز وجل وإن غضب الخلق وكل من يحفظ جانب المخلوقين ويضيع حق الخالق يقلب الله قلب الذي قصد أن ترضيه فيسخطه عليه، ثم ذكر كلاماً للخليفة المأمون حيث قال لبعض أصحابه: لا تعص الله بطاعتي فيسلطني عليك. ولما بالغ طاهر بن الحسين فيما فعل بالأمين وفتك به وصلب رأسه وإن كان ذلك عن إرادة المأمون ولكنه بقي أثر ذلك في قلبه فكان لا يقدر أن يراه، ولقد دخل عليه يوماً فبكى المأمون فقال له طاهر: لم تبك لا أبكى الله عينك فلقد دانت لك البلاد، فقال: أبكي لأمر ذكره ذل وسره حزن ولن يخلو أحد من شجن، ثم ساق رحمه الله تمام القصة بأسلوب بديع وكيف أضمر لطاهر بن الحسين طوية سيئة حتى قضى عليه، وخذ القصة من صيد الخاطر وراجع آيات الصنعاني في المقدمة في السنة التي قبل هذه.

ذكر الأهوال والأحداث المريعة التي جرت من اليهود

لما استولت اليهود على الضفة الغربية من الأردن قامت تواصل أعمالها الإجرامية ضد الأهالي فجعلت تنسف العديد من البيوت وتعتقل المئات من السكان وجرى على أهل فلسطين مأس تقلق وترزعج، فهذا رب عائلة نزح عن الضفة الغربية وحمل معه بعض أطفاله بينما ترك الباقي في عهدة والدتهم وما أن حط في عمان وتفقد أسرته حتى اتضح له أن اثنين من الأطفال قد ضاعا في الطريق، وهذه امرأة لما فجعت بذهاب وطنها الحبيب حملت طفلتها على يدها وفرت تريد النجاة وعند وصولها اتضح أنها حملت وسادة بدلاً من الطفلة، وذو عائلة تعرض وهو في الطريق إلى القصف الجوي ففقد ثلاثة من أطفاله بينما أصيبت زوجته بجروح تدمي القلب وآخر هرب بأسرته من جحيم القصف والتدمير فاضطر إلى وضع أطفاله داخل كيس واستمر في مسيره إلى الضياع حتى وصل إلى الجسر فأوقفه اليهود سائلين عن حملته وما أن وضع الكيس على الأرض وأشار إلى أنه يحمل أطفال وفتح الكيس لينظروا حتى أعدموهم خنقاً

وكانوا ثلاثة وما لبث رب العائلة بعد رؤيتهم صرعى على وجه الأرض حتى هام على وجهه مجنوناً قد سلب عقله، وقد حدثنا من رأى تلك الأهوال والمخازي التي تبعث الأحزان وتثير الأشجان وتقشعر لها الأبدان قال: وصلنا إلى مدينة عمّان فرأيت آثار الغارات الجوية الإسرائيلية الرهيبة على المنطقة، وظهر أن المنطقة تعرضت لقصف شديد جوي وكان مدرج المطار قد تعرض أيضاً لإحدى قنابل النابالم الجهنمية فتحول إلى كتلة من السواد وبدا منظره كئيباً ومن الأهالي من وجع ومنهم من يخاطب بلغة الملتاع والملهوف ومنهم من يهذي ويتحدث بلوعة المفجوع والمصاب ومن الناس من يقلب كفيه ويقول كيف وقع الأمر كذلك. قال: ورأيت الناس سيكون ورأيتهم في وجوم وفي وضع كربه وفي حالة من الإعياء شديدة وأسى، سكان الضفة الغربية من الأردن بحالة كربة يرثى لها قد شتت شملهم وانتهبت أراضيهم وأملاكهم وهتكت محارمهم وجرى عليهم من أمر الله ما لا يطاق وجر الدهر عليهم من حوادثه ما لا تبلغه العبادة وأصيبت مصر بذهاب جزء كبير من أراضيها ولولا أن الأمم المتحدة أصدرت أوامرها بكف القتال ووقفه لاستولت اليهود على القاهرة نفسها فعند ذلك قام الرئيس الذي سولت نفسه الاستيلاء على بلاد العرب وأن يسط يده على نيلها وفراتها ويمنها ونجدها يستجدي من ملوك العرب أن يحموه ويحموا بلاده وإلا فإنه سيستسلم لإسرائيل.

ذكر ما جرى بعد نكسة حزيران

لما جرت نكسة ٥ حزيران أشاع جمال عبد الناصر للوك ورؤساء العرب في مؤتمر القمة الرابع بأنه لا بد من أمرين إما أن تسير مصر في طريق الاستسلام أو يعيشوا في طريق النضال الطويل والمرير، ثم علق أمام رؤساء العرب طريق النضال يحتاج إلى الدعم المالي لفناء القوات العسكرية لأن مصر أصبحت محرومة من مائة وسبعين مليون جنيه إسترليني هي عماد الجيش المصري وعماد ميزانيته بعد إضاعة مائة وعشرة ملايين جنيه من دخل قناة السويس وأربعين مليون جنيه من السياحة

وعشرين مليون جنيه من أبار بترول سيناء، ولكي تصمد مصر فهي بحاجة إلى خمسة وتسعين مليون جنيه إسترليني سنوياً، أما إذا استمرت الحال على ما هي عليه فإما أن نجوع أو نسلم بالواقع ونحن قادرون على أن نصبر ستة أشهر فقط إذا استمرت الحال هكذا وعندها تكلم الملك حسين قال: إن كلام الرئيس عبد الناصر لا يعبر عن الحال في مصر وحدها بل يعبر عن واقع الحال في الأردن أيضاً، ونحن الآن بدون مساعدات ولكي نتمكن من الصمود نحن بحاجة إلى ٤٠ مليون جنيه إسترليني سنوياً، وختم كلامه قائلاً: الأردن لا يستطيع أن يصمد أكثر من شهرين إذا بقيت الحالة على ما غدت عليه، ولما لم يكن الاستسلام مقبولاً أو سائغاً أصلاً في ذهن أحد من ملوك العرب ورؤسائها فقد اتجه تفكيرهم فيما هو المطلوب للصمود وحسم الملك فيصل النقاش عندما قال: القضية أصبحت واضحة لا بد من توفير مائة وخمسة وثلاثين مليون جنيه إسترليني إلى أن يزول آثار العدوان هو الذي طلبه الأخوان الملك حسين والرئيس عبد الناصر، فساد صمت في جو المؤتمر دام بضع دقائق قطعه الملك فيصل مجدداً بإعلانه أن المملكة العربية السعودية تتعهد بدفع ثلث المبلغ اعتباراً من السنة الحالية وكل سنة إلى أن تزول آثار العدوان ولما شرع مؤتمر القمة بمناقشة ما أعلنه الملك فيصل قال رئيس الوزراء السودانية المدعو بالسيد محجوب اقترح أن تدفع المملكة العربية السعودية خمسين مليون جنيه سنوياً وأن تدفع الكويت خمسة وخمسين مليوناً على أن تدفع ليبيا الباقي وقدره ثلاثون مليون جنيه إسترليني لدعم الصمود العربي وبقي فيصل من عام (١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ) يدفع التزامات الصمود لكل من مصر والأردن بل فعل أكثر من ذلك أن قدم للأردن خمسة عشر مليون جنيه اشترى بها أسلحة ثقيلة من بريطانيا لتقوية جيشه وأمد الجيش الأردني بالعديد من أسلحة الجيش السعودي بالإضافة إلى تحمل المملكة العربية السعودية نفقات مرابطة لواء عسكري سعودي مدرع مقابل إسرائيل على امتداد ١٦٠ كيلو متر من الجهة الأردنية في الضفة الشرقية منذ عام (١٩٦٧م) ويمد الفيصل منطقة فتح بالعون وارتفع رقم التزام

الصمود الذي تدفعه المملكة إلى مصر من خمسين مليون جنيه إلى ٧٥ مليون جنيه استرليني لما خفضت قيمة الجنيه الإسترليني بالنسبة للدولار الأمريكي وبذلك غدت المملكة تقدم أكبر حصة عربية لدعم صمود مصر؛ لأن الكويت وليبيا بقيتا على تعهدهما بدفع حصصهما لم ترع حق هذا التخفيض وتم عقد مؤتمر في الخرطوم بين الملك فيصل والرئيس جمال على أن تسحب مصر قواتها من اليمن فانسحبت القوات المصرية من اليمن قبل نهاية عام (١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ) وكان عددها يناهز سبعين ألفاً بين ضابط وجندي بعد سنوات ست قضتها في خوض معارك فوق تراب اليمن أريقَت فيها الدماء الكثيرة بين المصريين واليمنيين ثم أن الرئيس جمال عبد الناصر منذ عام (١٩٦٧م) كرس جهوده للمشاكل الناشئة عن الحرب فأعاد تكوين وبناء القوات المسلحة بمساعدة الروس استعداداً لاحتمال وقوع حرب أخرى ولكنه في نفس الوقت التزم السعي إلى حل سلمي سياسي إذا كان هذا ممكناً وظل يكابد شتى المشاكل الناشئة عنه نظراً لأن الفدائيين الفلسطينيين ومؤيديهم يعارضون أي حل من هذا النوع ومع أنه تورط في حرب طويلة شاقة لم تحرز نصراً فإنه مع ذلك قد أصبح زعيماً بارزاً حتى الوفاة.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم الشيخ محمد بن فارس رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو الشيخ الزاهد الورع ذو الأخلاق الطيبة محمد بن الشيخ أحمد بن فارس بن محمد بن رميح ولد عام (١٣١٥هـ) توفي في يوم الأحد الموافق ١٦/ ٤ من هذه السنة عن عمر يناهز الثالثة والسبعين أخذ من الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ ابن راشد، وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وكان رحمه الله قد اشتغل مع والده الشيخ حمد في بيت المال للملك عبد العزيز كمساعد له فترة من الزمن لأن الملك قد جعل والده إذ ذاك ثقة

به ولأنه يكون أحنى على الفقراء والمساكين ورغم اشتغال المترجم بذلك فإنه لم يمنعه ذلك عن طلب العلم ومزاومة الطلاب في حلق الذكر وكان وجيهاً لدى الملك عبد العزيز وكثيراً ما يقبل شفاعته ويحترمه وكان ذا أخلاق زكية ومناقب عالية يحب أهل الدين والصلاح ويميل إليهم ويؤثر عدم الخلطة ولقد اجتمعت به قبل وفاته بثلاث سنين لأسأله عن شيء من التاريخ في بيته الكائن في الرياض فوجده مربوع القامة رزين العقل متواضعاً قد تأثرت قواه ونحل جسمه فأطلعني على تاريخ عظيم يظهر لي أنه من وضع الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى مؤرخ نجد وكان مجلداً خطياً كبير الحجم عظيم النفع لم أره عند أحد سواه ولكنه لم يحرص على أن يطلع عليه كل أحد وحدد لي أن أطلع عليه ثلاثة أيام لا أقل ولا أكثر فتناولته مع الشكر وكنت أجلس في المسجد الذي إلى جانبه وأنقل من دُرره مغتنماً الوقت القصير ورددته على شرطه جزاه الله خيراً، وقد استفدتُ منه وقد حدثني الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي عن وجود هذا التاريخ أو هدايني إليه حتى من الله بالاطلاع عليه بعد ما أقسم بالله على عدم استطاعته على أن يسلمه بيدي فشكر الله المترجم وأسبل عليه من وابل كرامته.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ أبو حبيب رحمه الله وتجاوز عنه وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم العامل السلفي عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم الشثري أبو ناصر من قبيلة بني تميم، ولد رحمه الله في حوطة بني تميم (١٣٠٣هـ) وتلقى العلم عن عدة مشايخ فمن أخذ عنه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود وأخذ عن الشيخ عبد الله بن حسن واشترك في عدة غزوات مع الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود كان فيها المجاهد بسيفه ولسانه ثم أن ولي القضاء لدى قحطان في الرين عام (١٣٣٦هـ) فكان إلى جانب عمله في القضاء مرشداً لهم ومدرساً لحلقة من الطلاب تضم مجموعة كبيرة من الطلبة وكان قوياً في دين الله في أمره ونهيه وله إقدام وشهامة

توقعه في أمور صعبة ولا تأخذه في الله لومة لائم ولديه نشاط في الدعوة إلى الله تعالى، وقد مكث في الرين لدى قبيلة قحطان ستاً وثلاثين سنة قاضياً ومصلحاً ومرشداً ومفتياً ولطول المدة التي مكثها بين البادية فإنه تأثر بأخلاقهم في التقشف وخشونة العيش والكلام والهيئة واللباس سوى أنه كان لا يعتم بالعمامة وفيه جراءة وقلة مداراة وعدم تودة غالباً والله يغفر له لأنها عنصر أهل الحوطة الذين تفوقوا بالشدة لذلك فإنه يظهر دينه في مخاطباته للملوك والأمراء والأمة ولا يداري أحداً كائناً من كان مع قوة وشجاعة عديمة النظير وكانت الأمراء والرؤساء لما يعرفون من حسن نيته يتحملون منه ويغتفرون ما قد يصدر منه لغيرته الدينية وفي عام (١٣٧٢هـ) نقل إلى الرياض للتدريس وذلك لرغبته منه لأنها كلت قواه فجعل مدرساً في معهد إمام الدعوة وفي المساجد بعد الظهر والعصر والمغرب وقام بطبع كتب نفيسة منها الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ومختصر شعب الإيمان، وألف رسائل مختصرة وطبعها على حسابه الخاص في معرفة ثلاثة الأصول والتوحيد وأبدى عذره في تأليفها، ولقد وافيته مرة بمنى في أحد أيام التشريق فبينما هو جالس إذ دخل عليه أمير من أمراء البادية وكان شاباً ضخماً فسلم عليه ثم جلس أمامه يقلب سبحته وكان إلى جانب ذلك متكبراً فاغتنفه الشيخ وأخذ بالسبحة ورمى بها خارج الخيمة في الشارع بشدة وقال بعدما انتهره والله إن أباك رجل طيب كأنه لا يرضى له بالسبحة فخرج الرجل وسكت وبينما هو نائم بعد صلاة الظهر في الحرم المكي الشريف في الجهة الجنوبية في يوم شديد الحر من شهر رمضان المبارك إذ أقبل أفراد الشرطة ينبهون النوم في أروقة المسجد الحرام فاستوى جالساً وقال لم توقظون هؤلاء الصوام فإنه لا بأس في النوم في المساجد فقد أقره رسول الله ﷺ ورخص فيه فأجاب الجندي بأن الضابط بعثه لذلك فقال له إن كنت لا تعرف إلا الضابط فإني أعرف إمام المسلمين سعود بن عبد العزيز وأعرف ولي عهده ثم ألقى بوسادته الكبيرة على الأرض ونام هو ومن

حوالي الجهة الجنوبية فلم يتعرض لتلك الجهة أحد للتشويش فكان المسلمون يتابون الجهة الجنوبية وكان محسناً إلى الفقراء والمساكين ويواسيهم ويصلهم، كما أنه يصل القرابة ويحن على الفقراء، ولديه كرم ومن خصائصه أنه يعد التمر صباحاً واللبن فمن جاء إليه فإنه يتناول التمر ويصب له اللبن ويقول خذ صبحك وقد ظل يوالي وعظه وإرشاده بنشاط وقوة عزيمة ووفق في زمان كانت الظروف تساعد لأن حكومتنا لا تزال جادة في نصرة الدين وأهله وتشد من عزمهم رغم تيارات الأهواء واندفاع النفوس إلى ما يلائمها إلا من شاء الله ويلوم من يأمره باللين والرفق ويرى أن ذلك من المداينة في دين الله وكثيراً ما يتصل برئيس الهيئات العام عمر بن حسن آل الشيخ ويرفع إليه أمور الخنا إذا لم يستطع بنفسه إزالتها، كما أن هيئة الحسبة كانوا يجلبونه ويشدون أزره وابتدرون لأمره وقد تخرج على يديه طلاب كثيرون منهم الشيخ عبد الرحمن بن فريان وعبد الله بن جبرين وعبد الرحمن بن مقرن. وكان إلى ذلك ينشر الدعوة إلى الله تعالى ويحث على الاستقامة وكان يديم الحج والعمرة ولما أن كان في أواخر شعبان من هذه السنة ذهب لأداء العمرة في شهر رمضان كعادته وكان ذهابه على أثر مرض ألمَّ به لأن الشيخوخة قد أرهقته ولما أن قدم إلى مكة المشرفة اشتدت عليه وطأة المرض فعاد إلى الرياض فلما أن علم الملك فيصل رحمه الله بمرض أمر بسفره للعلاج في لندن ولما أن سار للعلاج لم تمهله المنية وفاضت روحه إلى بارئها رحمه الله وعفا عنه وقد حدثني نجله ناصر بن عبد العزيز فإنه لما كان في غمرات الموت وسكراته قال له أعطني الملك فيصل لأكلمه قال فناولته التلفون غير أنني حبست الحرارة فقال: يا فيصل اتق الله في الرعاية وأحسن إلى من استرعاك الله عليهم ثم تشهد وقضى نحبه، لما أن توفي نقل جثمانه بطائرة لأنه أوصى بأن يدفن في مقابر المسلمين ولتسهيل زيارته في بلده الرياض وكان له عقب حسن وكان إلى جانبه في المرض الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع من أهالي عنيزة، دفن هناك في لندن لأنه أوصى أن يدفن في البلد التي يموت

فيها إن كان فيها مقابر للمسلمين فدفن كما سيأتي وأما المترجم فإنه حسب وصيته ورغبته نفذت وحمل جثمانه بطائرة إلى الرياض حيث دفن فيها عن عمر يناهز الثالثة والثمانين وكانت وفاته ليلة ١٧ من رمضان المبارك الموافق للثلاثين من هذه السنة وصلى عليه في الرياض جمع غفير على رأسهم جلالة الملك فيصل وأقيمت عليه صلاة الغائب في مدن وقرى المملكة رحمه الله. ولما بلغت وصيته الملك فيصل بكى وترحم عليه وقال: ذهب الصادقون وقد رثاه العالم الأديب الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل بهذه القصيدة:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| فيض الدموع على الخدين مسكوب | يهمي غزيراً كما تهمي الشآبيب |
| والقلب من لاذع الأشجان متقد | والطرف عنه لذيذ النوم محبوب |
| لفادح الخطب أنباء مروعة | لها إلى الأرض تشريق وتغريب |
| رحيل أهل التقى والعلم فاجعة | ورزء به عالم الدنيا منكوب |
| أئمة جاهدوا في الله واجتهدوا | حقاً وما صدهم وهن وتأنيب |
| كواكب في سما العرفان ثاقبة | تهدي الورى وظلام الشر غريب |
| أنس مجالسهم يلقي مجالسهم | خير الفوائد إن الخير مرغوب |
| منهم أديب أريب عالم علم | في راسخ المجد والأخلاق محسوب |
| الشيخ عبد العزيز الفذ ذو ورع | نعم التقى بخير الذكر مصحوب |
| أبو حبيب حبيب في سجيته | محقق فاضل في الله محبوب |
| مناصح ناصح في المسلمين له | لدى المحافل ترغيب وترهيب |
| من الأولى عمرو الأوقات فازدهرت | فالوقت حفظ وأعمال وترتيب |
| لله يدعو وذا في الدين مفترض | على البصيرة والإخلاص مطلوب |
| لحكمة الوعظ والتذكير أسلوب | كم حسن وعظ به تجدي الأساليب |
| سليم قلب كما دلت شمائله | منها الصراحة والوجدان والطيب |
| سمح كريم متى يزره زائره | يلقّ النداء ومكاناً فيه ترحيب |

بمثله عمرت مساجد فزهت بالله قلب قوي العزم متكل
على الإله سعيد الحظ موهوب صافي العقيدة فالوحيان منهجه
نور ورشد وفرقان وتهذيب جادت ثرى حل في أحضانه وثرى
من رحمة الراحم المولى شأيب والموت حق ومحتوم له أجل
وكل شيء بحكم الله مكتوب والكل فان سوى الرحمن خالقنا
فأمره غالب والخلق مغلوب جبر المصاب وحسن في العزاء به
إليه يلجأ ملهوف ومكروب ناه آه نوح والخليل كذا
نادى الكلیم وذو النون وأيوب وكل داع دعاه واستغاث به
يرجو ويخشى وهول الخطب مرهوب وخاتم الأنبياء عند الإله له
أعلى المقام وما بالحق تكذيب صلى عليه وكل الأنبياء ومن
لهديه اتبعوا ما انهل مسكوب

إن هذا العالم قد تأثر لوفاة المترجم فجادت قريحته بهذه الأبيات التي أبدت
الأسف الشديد لوفاته لما كان يعلم عنه من مقامات قامها الله وفي طلب مرضاته.

أما عن صفاته الخلقية فكان طوالاً، قليل اللحم قوياً كريماً مبدلاً، يحرص على
إطعام كل من قصده ولو كان من التمر واللبن، فكان يصب في تلك الأواني من
اللبن ويناول بيده قائلاً خذ صبحك، وله قوة عزيمة وقلة مداراة غالباً والله يغفر
له ومع هذا فكان له قبول بين الأمة، فكان علماء آل الشيخ كثيراً ما يتدبونه لحل
مشاكل البادية والقرى والوعظ والإرشاد ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا
يداري أحداً كائناً من كان مع تفقد المتخلفين عن حضور الصلوات في الجماعة،
ويكثر المشي على قدميه كعادة العربي وله لحية كثة وله هبة في القلوب بتأييد من
حكومتنا التي لا تزال جادة في تأييد القائمين بشريعة سيد المرسلين وله إقدام
وشجاعة فكان يذهب إلى الجماع السيئة ويشتت أهلها ويقطب في وجوههم
ويناصح الملوك ويحثهم على القيام بما أوجب الله عليهم ولا يداهن في دينه.

وفيهما في ٧/١٨ أعني رجب وفاة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع من أهالي عنيزة، وكان قد سافر إلى لندن لما اشتدّ به مرض الضغط وأتعبه فتوفي هناك ودفن لأنه أوصى أن يدفن في بلده الذي مات فيه إن كان هناك مقابر للمسلمين وقد تولى عدة وظائف في القضاء في عنيزة وغيرها وقد تولى التدريس في المساجد وفي المدرسة العزيزية بعنيزة وصلى عليه في سائر المملكة. أخذ الشيخ العلم عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وعن الشيخ عبد الله بن محمد بن مانع وعن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي وغيرهم، وتخرج عليه عدة من التلاميذ وكان موصوفاً بالدين ومعرفة العقيدة رحمة الله عليه.

وفيهما وفاة شاعر لبنان بشارة الخوري، وهو: بشارة بن عبد الله الخوري ولد في (١٨٨٥م) في بيروت وهو أصلاً من بلدة أهج في بلاد جبيل جاء والداه إلى بيروت وكان طبيباً على مذهب ابن سينا فسكن في محلة الرملة وبدأ المترجم دروسه في مدرسة مطرانية الروم الأرثوذكس ثم أكملها في مدرسة الحكمة، بويع أميراً للشعراء سنة (١٩٦١م) في مهرجان كبير اشتركت فيه وفود عن البلاد العربية ومارس الصحافة وقال الشعر فأنشأ سنة (١٩٠٨م) جريدة البرق وبقي يحررها سنوات عدة وكانوا يسمونه الأخطل الصغير، ثم ذهب إلى بغداد للاشتراك في حفلة تأبين الملك فيصل بن الحسين حيث ألقى قصيدة مشهورة أغضبت سلطات الانتداب فعتلت جريدة البرق وفي عهد جريدة البرق انتدب الخوري نقيباً للصحفيين وكانت مكاتب ملتقى لكبار أدباء العربية وشعرائها وكانت جريدة البرق صوت لبنان المناضل يلتف حولها رجالاته من سياسيين وأدباء يعقدون فيها مجالسهم فيراقبون مصائر البلاد ويحاسبون حكامها حساباً عسيراً وكان أهل لبنان يعظمونه ويترحمون عليه بعد وفاته ويصفونه بأنه أديب ولا يعرف الجمالة أو التصنع، ولما توفي قالت إحدى صحف لبنان فيه مات أمير الشعراء الأخطل انطفأت جذوة الحياة فيمن أوقد طيلة حياته ويوقد بعد مماته جذوة الحياة في النفوس الطامحة سكت القلب الذي حرك القلوب وترك فيها.. الخ أما عن الحقيقة فهو ملحد زنديق نصراني وهو الذي يقول:

فقد مزقت هذي المذاهب شملنا وقد حطمتنا بين ناب ومنسم
بلادك غريبة قدمها على كل ملة ومن أجلها أفطر ومن أجلها صُم
سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

كائنة غريبة

وضعت امرأة في مدينة المكسيك في ١١ مارس (١٩٦٧م) الموافق لآخر يوم من شهر ذي القعدة من السنة المتقدمة ثمانية توائم دفعة واحدة أربعة ذكور وأربع إناث وقد أشرف الدكتور على وضعها فعاشوا إلى منتصف الليل لأن الولادة بعد غروب الشمس ثم مات أربعة وفي اليوم التالي توفي بقيتهم ولا تزال الأم تتمتع في صحة حسنة غير أنها شديدة الحزن على فقد أولادها وبناتها الثمانية.

وفيها في ٦ شعبان الموافق ليوم الأربعاء هطلت أمطار على القصيم واستمر نزولها ديمة وقد يتقطع نزول المطر ثم يعود واستمرت على ذلك إلى يوم السبت ١٦ شعبان ثم أنها نزلت أمطار وبعد الظهر من ذلك اليوم وبرقت البروق ورعدت الرعود وهطلت أمطار غزيرة خرج لأجلها غالب أهالي قرى القصيم ومدنه إلى الصحراء ثم اشتد نزول الأمطار من صلاة العصر من اليوم المذكور إلى الليل واكتظت الشوارع وامتألت المسائل ورجع الماء إلى الشوارع ودخلت الفاجرة وهي واد يخترق مدينة بريدة في شارع الخبيب فكان كالبحر الخضم ودخلت المياه في بناية البلدية في شارع الخبيب فنقلت البلدية أثاثها من البناية بعدما كادت المياه أن تفرق الماصات وأجمتها إجماعاً فاضطروا إلى الرحيل وهكذا عمارات تكون في وادٍ قد سدت مجاريه ونبت الكلاً والعشب الكثير بحيث امتألت المنازل والمواضع من نقل الأعشاب إليها وكان ذلك في سائر نجد بحيث لم يعهد العشب من زمن بعيد مثل ذلك واستفادت الأمة من بيع العشب وكنزه للأغنام والمواشي.

ذكر الحرب الأهلية في نيجيريا

كان وقوع هذه الحرب في أوائل هذه السنة ذلك بأن نيجيريا كانت أهم مستعمرة بريطانية في أفريقيا الغربية، وقد حصلت على استقلالها في أول تشرين الأول عام (١٩٦٠م) وفي عام (١٩٦٣م) تعب النيجيريون من بقائهم تابعين لمملكة بريطانيا فأقاموا نظاماً جمهورياً ولكنه لم يعيش إلا ثلاث سنوات إذ أنه بينما كان مؤتمر الكومنولث منعقد في لاغوس عاصمة نيجيريا في ١١ كانون الأول (١٩٦٦م) للنظر في الإجراءات الواجب اتخاذها لمعاقبة روسيا القيصرية ومع انقلاب عسكري في نيجيريا قتل فيه رئيسا وزارتي المقاطعتين الشمالية والشرقية أما رئيس الوزراء الاتحادي أبو بكر تافاوا بليوا فقد اختطف ثم قتل ولما حصل ذلك جرى ما يأتي.

ذكر ما حصل من القتل والتشريد

لما أن وقعت هذه الحرب الأهلية المشؤومة التي خيم فيها الجوع والفقر أصبح أهل بيافرا بسببها بحالة يرثى، فكانت الأطفال تمشي عراة فلا يجدون ما يسترون به سوءاتهم، وكم من فتاة أمض بها الجوع حتى كان ساقاها لا يستطيعان حملها من الجوع والإملاق، وقد سقط ثمانون ألفاً من أهل بيافرا قتلى على وجه الأرض من جراء ذلك الصراع المرير الدامي، وفرّ مئات الألوف إلى منطقتهم الأصلية خوفاً من الانتقام، وبعد ستة أشهر فقط أعلنها قائدها دولة مستقلة باسم بيافرا أما عدد سكان بيافرا فإنه يبلغ حوالي سبعة ملايين، ومن العجائب التي تستحق الذكر أنه قد ضرب عليها الحصار حال الحرب وتركوا يموتون جوعاً أطفالاً ونساءً وشيوخاً وصمد الشعب البيافري العنيد وهو يرى كل يوم أطفاله يموتون جوعاً وبالغين منه يأكلون الجرذان ومع ذلك يرفض إلقاء السلاح والإقرار بالهزيمة حتى كتب لهم النصر من الله تعالى، وفي آخر يوم من جمادي الثانية الموافق ليوم الأربعاء ينادى بجمهورية بيافرا.

وفيها وفاة صاحب المقاولات الضخمة محمد بن عوض بن لادن، وذلك في يوم السبت ٢٨ / ٥ سقطت به الطائرة من الجو بسبب اصطدامها بجبل فهلك، فالله المستعان، وكان له قوة نفس وهمة عالية ومن مغامراته العظمى تصدره لعمارة المسجد الحرام هذه العمارة الضخمة التي نالت الإعجاب، ومن حسناته طبعه لأضواء البيان في تفسير القرآن على نفقته الخاصة وهو مؤلف الشنقيطي وجعله وقفاً لوجه الله تعالى.

تلفزيون القصيم

في أواخر السنة الماضية وابتداء هذه السنة لا تزال الحكومة السعودية توالي اهتمامها في تركيب التلفزيون في عاصمة القصيم بريدة، وقد بلغت تكاليفه إلى غاية عظيمة بعد تخطيط موضعه في الصحراء الواقعة شمالاً عن مدينة بريدة، وهذا التلفزيون يخرج الصورة أمام مشاهده مع الصوت فالله المستعان.

ذكر مقام إبراهيم عليه السلام

في هذه السنة رأت الحكومة أيدها الله تعالى أن تزيل القبة عن مقام إبراهيم وتبقي الصخرة على وضعها القديم ثم تكسي الصخرة زجاجاً، وذلك لأجل توسعة صحن المطاف للطائفين وكانت الحكومة تفكر بهذه التوسعة من قديم غير أنها تريد أمراً تطمئن إليه الأمة، فرأت ذلك بعد مضي عشرين عاماً من هذا التفكير وقد أنيط هذا العمل بمكتب مشروع توسعة المسجد الحرام فابتدأ في العمل في يوم السبت الموافق حادي عشر رجب من هذه السنة بأن أحاطوا بمقصورة المقام بالأخشاب من جميع الجهات وجعلوا فيها باباً ليتمكن العمال من الاشتغال بدون تشويش ووجدوا داخل المقام قطعة من الخشب الساج طولها ٢٧ سنتماً وعرضها ١٦ سنتماً وسمكها اثنان من السنتمتر مكتوباً فيها حفرأ بالحديد ما يأتي (سلطان عبد العزيز خان حضر تلري زمان سلطنلري أماره مكة المكرمة الشريف عبد الله باشا تلري حقي باشازاده أحمد عزة باشا حصرتلري جدد مهندس عبد العزيز

نضارة معماري محمد صدقي كاملي معرفتر خليل إبراهيم معلمي رصاص مصري محمد بن إبراهيم سنة ١٢٨١هـ) وكانت هذه القطعة من الساج من أقوى الساج ومر عليها مائة وست سنوات لم يدخلها السوس ولم يأكلها التراب وهذه الكتابة باللغة العربية والتركية فأزيلت المقصورة في ١٢ رجب وأزيلت الأتربة والأحجار في ١٣ رجب ووجد المقام مركباً على قاعدة من الحجر المربع طوله خمسون ستمتراً وعرضه كذلك قد ضبط هذا الحجر بأربعة أسافين من الحجارة الضخمة تثبتاً له، فلم يمس العمال هذا الحجر بسوء ولم يزل عن مكانه وهذا الحجر ينزل عن أرض المطاف بنصف متر ولم يحركوا حجر المقام بل كل شيء قديم بقي على ما هو عليه، ورأى الحاضرون أنه من وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويظهر أن القطعة الخشبية من وضع السلطان عبد العزيز لما دفع فيه المقام في تلك السنة نحواً من ذراع ونصف ولما أن كان في يوم الثلاثاء ١٤ رجب رفعوا الغطاء الداخلي الذي كان موضوعاً فوق المقام وهو صندوق خشبي عليه ستارة من الحرير ثم عملوا حول المقام قاعدة من الرخام تحيط به وهي على شكل سداسي تقريباً طوله مائة وستون ستمتراً ولما كان من الغد قام العمال يشتغلون بتكميل تركيب القاعدة الرخامية الجديدة المذكورة والرخام لونه أسود مأخوذ من جبال تبعد عن مكة المشرفة بنحو مائة كيلو متر ولما كان في اليوم السادس عشر وضعوا قاعدة نحاسية مدورة مثقوبة من وسطها رنتها ستمائة كيلو والثقب على قدر ما يظهر المقام فقط وقطر الثقب أربعون ستمتراً، وفوق هذه القاعدة النحاسية وضعوا الغطاء الزجاجي على نفس المقام ثم ركبوا عليه المقصورة الجديدة وطولها متر واحد وستون ستمتراً وعرضها متر واحد وعشر ستمترات وارتفاعها إلى الهلال ثلاثة أمتار وامتد العمل إلى منتصف ليلة الجمعة لتثبيت المقصورة بالأرض وقد صنع الغطاء البلوري في فرنسا واستغرقت صناعته هناك ستة آلاف ساعة وكلف أكثر من نصف مليون ريال ويبلغ وزن الغطاء ١٧٥٠ كيلوغرام وسمكه عشرون ستمتراً من كل الجهات وأقيم احتفال رائع في آخر يوم السبت ١٨ رجب برفع الستارة عن مقام إبراهيم في آخر يوم

السبت ١٨ رجب يرفع الستارة عن مقام إبراهيم عليه السلام بحضور الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وبحضور الأمراء والعلماء والوزراء وأعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلام كما أنه أزيل باب بني شيبه لتوسعة المطاف وجعل مكانه رخام أسود إشارة إلى موضعه.

وفيها تبرع الأمير عبد الله بن فيصل بساعة لمكة المكرمة تقدر قيمتها بأربعين ألف ريال ومائتين وخمسين ريالاً وتقدر قيمة تكاليف برج الساعة بمبلغ تسعة وخمسين ألف ريال ومائة ريال وعشرة ريالات، وهذه الساعة ناطقة ونوعها (هوام إتش) تشغيلها مربع مركبة على قياسها 100×100 سم تضاء في الليل ست ساعات أوتوماتيكياً وأرقامها باللغة العربية ويمكنها أن تشغل قوتها عدة ساعات أخرى مركبة بجوارها ويسمع صوتها لمسافة ٢٠٠٠ متر وبالإمكان تخفيف الصوت ورفعها، يوجد لهذه الساعة جهاز معدني قوته ٤٠ وات وأربعة مكبرات للصوت مع أجهزة الدق وغطاء الميناء هو برواز حديد مربع يحتوي على وجه بلاستيك ٢ ملم مغطى بزجاج بلوري ٦ ملم أيضاً مع لمبات فلورنس علماً بأن العقارب الخاصة بهذه الساعة بها مادة تمنع تسرب المياه إلى داخلها عند هطول الأمطار وهذه الساعة تعمل على الكهرباء قوة ٢٢٠ وارتفاعها من القاعدة حتى نهاية البرج ١٨ متراً عدا القاعدة، وقد قام بوضع الخرائط والمواصفات الخاصة بها مكتب الخدمات العامة بمجدة الذي يتولى إدارته المهندس السعودي الأستاذ محمد سعيد فارسي، وقد وضعت هذه الساعة الناطقة برقع الحجون وبلغت تكاليفها مائة ألف ريال تقريباً بما في ذلك العمال وإكمال عملها.

نافورة الريع

ففي هذه السنة انتهى العمال من مخططات نافورة الريع التي سبق أن تبرع بها الفقيه محمد بن لادن المتقدم ذكره وقد وضع لها المخطط اللازم وتسلمت أمانة العاصمة فعلاً هذه النافورة وبوشر العمل يوم ١٠/٢٣ في ترسيته بعد أن وضعت

لها كافة الرسومات، هذا وقد أشرف على عملية الترسية المهندس خالد غزاوي وكيل الشؤون الفنية بالأمانة وبعض من المهندسين وفيها صدر أمر ملكي برقم ٦٨٠ / ١ وتاريخ ١١ / ٧ / ١٣٨٧ هـ بتعيين الأمير سظام بن عبد العزيز وكيلاً للأمير الرياض وكان سنه إذ ذاك ثمانياً وعشرين سنة وقد تلقى هذا النبأ بالفخر لثقة الملك به ويسأل الله أن يوفقه لخدمة وطنه والقيام بما ألقى على عاتقه.

وفيها هبت رياح بسموم محرق وحصل قتر حتى غابت الشمس في وسط النهار واشتد الحر حتى بلغت الدرجة ٤٤ في القصيم وذلك في ٩ / ٤ واشتدت وطأة الحر في جنوب إيران من بلاد فارس العجم حتى بلغت ٥٢ وذاب الإسفلت من حر الشمس حينما بلغت الدرجة إلى ذلك وبلغت موجة الحر إلى أن هلك عدة أشخاص ومرض مئات غيرهم هناك بينما هرب كثيرون من المنطقة وهبت عاصفة رملية شديدة زادت من متاعب سكان الأهواز وقد تحول الإسفلت إلى سائل في الشوارع كما أنه في ١٦ من الشهر نفسه جرت هزات وزلازل أرضية في تركيا وكان ذلك في يوم الأحد الموافق لليوم المذكور وفي تلك الآونة أي في ١٩ / ١٠ من السنة المتقدمة قتل كندي رئيس الولايات المتحدة، وقد حامت الآراء حول قتله كما أفادت ذلك جريدة عكاظ.

ثم دخلت سنة (١٣٨٨ هـ)

استهلّت هذه السنة والمهندسون يواصلون العمل في تركيب تلفزيون القصيم ويعملون التجارب والتمارين لذلك وقد فتحت معارض لبيع أجهزته وأقبل عليه أربابه متسابقين متدافعين ومندفعين، ولما أن كان في مساء يوم الأحد ١٨ ربيع الأول أقيم احتفال عظيم في مطار القصيم حضر فيه الأعيان من مدينة بريدة وغيرها بما في ذلك من رئيس المحاكم في القصيم والأعيان وأعضاء المحاكم وأمير المقاطعة سعود بن هذلول وسائر أمراء مدن القصيم وأعيانها فلما كان في تمام الساعة العاشرة بالغروبي من اليوم المذكور وهبطت الطائرة تقل وزير الداخلية

سمو الأمير فهد بن عبد العزيز يصحبه وزير الإعلام جميل حجيلان ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن العنقري ووكيل وزير الإعلام عبد الرحمن الشيباني وأناس من الأعيان وكان الوكيل قد تقدمهم بيومين، وذلك لفتح التلفزيون ولما أن نزل وزير الداخلية من سلم الطائرة إذا بالأمّة قد اجتمعت وأعدت لذلك احتفالها، وقد نصبت الخيام في المطار باسم أمير مقاطعة القصيم وبلدية مدينة بريدة فألقى رئيس المحاكم الشرعية خطبة وتبارى الخطباء في إلقاء الخطب ثم أنه سار وزير الإعلام في الساعة العاشرة والنصف يهيم الشريط ويفسح المجال لوزير الداخلية فسار على إثره يحف به الحرس والخدم والأعيان إلى محطة التلفزيون ولقد كانت السيارات قد امتدت على طول الخط من المطار إلى المحطة في منظر رائع ورونق جميع جداً وقد زاد جمع الأمّة هناك فقص الشريط وأعجب سموه بما استقبل به من الحفاوة والإكرام، وكانت ساعة لأهل القصيم شاهدت فيها تلك الأبهة والازدهار والبذخ والفرح ثم أنه تناول طعام العشاء بعد المغرب لدى الأمير سعود بن هذلول واتصل ببعض الشخصيات في بريدة ثم أنه غادر مدينة بريدة في الساعة الثامنة ليلاً غروبياً.

مكة المكرمة تستهدف لأمطار غزيرة

لما أن كان في ظهر يوم الخميس ١٣ محرم من هذه السنة هطلت أمطار على أم القرى لم تعرفها منذ أكثر من ٢٥ عاماً وبلغ ارتفاع السيل مترين إلا ربع متر تقريباً وفوجئت أم القرى ووادي إبراهيم في الساعة التاسعة إلا ربعاً من عصر يوم الخميس بسيل عارم استمر تدفقه من ذلك الحين حتى الساعة الحادية عشرة بقوة شديدة، هدأت بعد ذلك هذه في الساعة الواحدة والنصف مساءً وعلم أن مصدر السيل كان من بلاد رهجان وضواحي نعمان وشداد والكر وعرفات والشرايع والزيماء وسوله والعاودية وشهدت هذه الأخرى أمطار غزيرة وسيولاً منذ يوم الثلاثاء ١١ محرم حتى يوم الخميس ومن جهة أخرى فإنها وقعت حوادث مؤلمة من جرّاء ذلك السيل الذي جرف أشخاصاً وأمتعة وأرزاقاً وصناديق مرطبات كما

داهم السيل المحلات التجارية والدكاكين وكان مرور السيل في الأحياء والشوارع التالية: الششه، الروضة، المعابدة، الملاوي، الخانسة، الخريق، المعلاه، الفزة، القشاشية حتى أبواب المسجد الحرام داهمها السيل ومن جراء هذا السيل وقعت حوادث غرق استشهد فيها عدد من المواطنين وجرف السيل أكثر من ثلاثين سيارة متنوعة معظمها من السيارات الصغار.

ذكر ضحايا ذلك السيل

اعلم أيها الموفق، أن الخلائق بحاجة إلى لطف الله تعالى وأنهم لا غنى لهم عن لطفه طرفة عين كيف لا وقد خلق الإنسان ضعيفاً اللهم الطف بنا في قضائك وعافنا من بلائك فإنه بتأخر الأمطار وقتلتها يحدث القحط والجذب ونشاف المياه وغورها وبكثرتها يحدث الغرق والهدم كما ترى ونحن نتكلم عما جرى فنقول لما نزلت السيول وهطلت تلك الأمطار قامت معدات ابن لادن لما خفت حدة السيل بإخراج السيارات التي جرفها السيل إلى كبرى باب الصفا، كما قامت فرق الإنقاذ بمديرية الدفاع المدني بواجبها حتى ساعة متأخرة من الليل واشتركت أجهزة أمانة العاصمة ومعدات في عمليات الإنقاذ وقام المواطنون يشتركون في عمليات تنظيف المسجد الحرام من بقايا السيول ولقد كان أرباب السيارات القاطنون في عمائر الجفالي والأوقاف بشارع الفزة يشاهدونها والسيل يحملها فما استطاعوا إلى إنقاذها سبيلاً بل وجموا وتجرفت الطرق بين مكة وجدة حتى انقطعت المواصلات بالسيارات وتوقفت طوال ليلة الجمعة وعادت سيارات تريد مكة إلى جدة وبقيت أخرى معطلة في الطريق وكانت السيول قد جرفت الطريق عند الكيلو العاشر من السكة وما بعده لما تدفقت من الجبال والوديان الحبيطة بمكة وسارعت فرقة مصلحة الطرق وأمانة العاصمة بإصلاح الطريق وإزالة أكوام التراب والحجارة التي جرفتها السيول إلى الإسفلت وكان قد وقع عدة حوادث انقلاب في السيارات الكبار وفقد خمسة أشخاص بكوبري الصفا لم يعرف مصيرهم وحمل السيل مواطناً يدعى عواض سلطان كان موظفاً بمشروع إدارة الحرم فألقاه إلى كبري الصفا ولطف الله

به بأن بقي معلقاً بطرف سيخ داخل الكوبري أكثر من ربع ساعة تمكن المنقذون له بعدها بسحبه بالحبال إلى خارج الكوبري، وقد أدخل مستشفى أجياد لإسعافه وانهار منزل في دحلة الجن بشعب عامر وحدث حريق في محلة ريع الرسام بيجرول سببه التماس الكهرباء، ووقع حريق آخر في الفلق بسبب انفجار بوتوجاز وفجع شباب مكة المكرمة باستشهاد الشاب عبد الله حمزة من موظفي وزارة الخارجية وقد جرفه السيل بينما كان يحاول سحب سيارته فشييع جثمانه صباح الجمعة في موكب حزين، أما مدير شركة كهرباء مكة المكرمة فقد أصيب في طريقه من مكة والطائف بين عرفات والكراذ داهمته السيول هو وعائلته فسقطت سيارته في جرف غير أنه أنقذ هو وعائلته، وانفجر سد المعابدة وتدفقت مياه السيول إلى مكة وقد اتفق المسنون بمكة على أنهم لم يشاهدوا مثل هذا السيل منذ ٢٥ عاماً وتقدم إنسان يريد محاولة إنقاذ سيارته الواقفة أمام بيته فحمله السيل وعثر بعد ذلك على جثته في المسفلة وحمل السيل سيارة مواصلات سمع منها المنبه وقد جرفها السيل إلى كبري الصفا وسيارة تحمل أربع نساء وثلاثة رجال جرفها السيل إلى الكبري ومواطنان كانا يقومان بعمليات إنقاذ جرفها السيل إلى كبري الصفا فماتا وجرف السيل إلى الكبري ثلاث سيارات فولكس واجن دفعة واحدة وسيارة جيب وحدثني صاحب سيارة ونيت قال: أن السيل حمل سيارتي فلم أحصل منها على شيء في الكبري سوى المكيكة والشاصي عرفتهما باللوحه وتم إنقاذ عائله كانت تركب سيارة في شارع الحجون وأنقذت طفلة وطفل واجتاحت السيول شارع الجودرية واجتاحت سدريع اللصوص وسببت فيه خسائر وحملت السيول حيضات أجياد وميضات السوق الصغير وكانت السيول قد عمت بكثرة فهطلت على القواره وضواحيها وعلى جبال تهامة والليث وضواحيها وعلى تربة وضواحيها فسال على أثرها وادي تربة سيلاً كثيراً كما هطلت الأمطار على الحرة وعلى عرعر وثادق والسليل والحوطة والأفلاج وضواحيها وجرت الأودية والشعاب.

وفيها بعد ظهر يوم الأربعاء ١٢ محرم الموافق ١٠ إبريل (١٩٦٨م) تم توقيع

على اتفاقيتين ملحقتين للاتفاقيات المتعلقة بمنح المؤسسة العامة للبترول والمعادن بترولين الرخصة والامتياز للكشف والتنقيب عن البترول في الربع الخالي في المملكة العربية السعودية والتي جرى التوقيع عليها في العشرين من شهر رمضان الماضي (١٣٨٧هـ) الموافق ٢١ ديسمبر (١٩٦٧م) قام بالنيابة عن المملكة أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية والدكتور عبد الهادي ظاهر محافظ المؤسسة ووقع الثانية أحمد زكي بالنيابة والدكتور أنطونيو سالم عن شركة (اجيب) الإيطالية وتحصل على ٩١٧٠ كيلو متر مربع والاتفاقية طويلة فتكون مساحة الأرض بما ذكر مضافة إلى المساحة المشمولة بالاتفاقيات الأولى البالغة ٤٧٥, ٨٦ كيلو متر مربع.

وفيها جرت مظاهرات بالإسكندرية أغلقت لها الجامعات المصرية بل قفلت لها جميع الجامعات والمعاهد العليا في مصر إلى أجل غير مسمى وكان لك في يوم الأحد ٤ رمضان وكان قد تقدم هذه المظاهرة مظاهرة في يوم الخميس غرة رمضان من هذه السنة في المنصورة وقد أطلق رجال البوليس عبارات نارية في الهواء لتفرقة الطلبة المتظاهرين في الإسكندرية فقام الطلاب بعد أن تفرقوا بمظاهرة جلوس في الحرم الجامعي بالإسكندرية وقد خشي من وقوع اشتباكات بين الطلبة ورجال البوليس.

طعنة في الصميم

المسجد الأقصى وأولى القبلتين تعمل اليهود على تحويل بعضه كنيسة وآخرة ذلك تحرقه بالنار، ما زالت اليهود تتحدى شعور العرب والآن يقع المسجد الأقصى فريسة لليهود يضعون فيه القمامة ويحولون بعضه كنيسة وآخرة ذلك تحرقه بالنار فأين أسود الحمى وأين أبة الضيم وأين ملوك الإسلام والعرب وأين فوارس محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وأين أهل الغيرة الذين يغارون على ذلك الملك السليب، أما أبناء القدس فإنهم عازمون على الكفاح حتى النهاية وأبوا أن يخنعوا ويستسلموا لليهود وفي كل يوم يقدمون على مذبح الفداء ضحايا جديدة

حتى يتم لهم النصر على عدوهم، وقد مضت سلطات الاحتلال في طريقها لإسكان اليهود بدلاً من العرب مطبقين كل الأعمال الوحشية لطرد أهل القدس واحتلال اليهود بدلاً عنهم. هذا وقد شرعت القوات الإسرائيلية في خامس ربيع الثاني بفتح نيرانها على القوات الأردنية واستمر إطلاق النار حوالي خمسين دقيقة ولا تزال اليهود تشن غاراتها على الأردن وتوالي اعتداءاتها وبقصف القرى والمدن فهدمت المساجد والمدارس ومنازل السكان، فقد شنت في شهر واحد على الأردن واحداً وخمسين اعتداءً داخل الأراضي الأردنية وقامت قوات إسرائيلية تهاجم وتحرق خيام بعض العشائر في سيناء بدعوى أنهم وفروا المأوى لرجال المقاومة العرب واعتقلت إسرائيل العشرات من أهالي سيناء.

احتلال اليهود مطار لبنان

لما كان في ١٠/١٠ من هذه السنة هاجمت اليهود المطار وحرقوا فيه ١٣ طائرة من هذه الطائرات طائرة من طراز بنج سعودية وكان ذلك ليلة الأحد من اليوم المذكور وذلك انتقاماً منها لما رأت نشاط الفدائيين ومغامراتهم في الإيقاع باليهود، وقام الفدائي يلقي نفسه في المعاطب ويحرق ويقتل وينسف ولا يهاب الموت ونسف الفدائيون هوائيات إذاعة اليهود فوق جبل المكبر في الجزء الجنوبي من مدينة القدس وألحقوا أضراراً بقاعدة هذا العمود وقامت قوات العاصفة في القدس توجه ضرباتها دوماً إلى أهداف العدو وقامت إحدى مجموعاتها بتوقيت كميات من المتفجرات وفي صباح اليوم الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني في تمام الساعة والنصف انفجرت تلك المواد مدمرة عدداً كبيراً من منازل المنطقة ومحلاتها فأصيب من جراء ذلك الانفجار أكثر من ١٢٠ ما بين قتيل وجريح وقامت القوات العاصفة بعدة ألغام انفجرت ثلاثة منها ونتج عن ذلك تدمير ناقلتين للجنود تدميراً تاماً وقتل وجرح عدد كبير وقامت وحدة الصواريخ التابعة لها بقصف آليات للعدو ودبابات ومدفعية فأصابت الصواريخ أهدافها وشوهت النيران مشتعلة في

المنطقة وهكذا تكررت المهاجمات الفدائية وانفجر لغم هز مدينة القدس أدى إلى مقتل اثني عشر يهودياً وأصيب سبعون بإصابات خطيرة ولما جرى ذلك جن جنون اليهود وشدت إرهابها على القدس وحضروا التجول على مدينة القدس واعتقلوا أكثر من ١٥٠ عربياً وكان رجال بوليس اليهود قد اعتقلوا فور وقوع الانفجار ٥٠٠ من مواطني القدس المحتلة وكان أشكول رئيس وزراء إسرائيل قد قطع إجازته فور سماعه نبأ الانفجار وأسرع إلى القدس ولما قامت اليهود بتعسفاتها يهاجمون المصلين يوم الجمعة بالمسجد الأقصى قامت القدس تقاوم المهاجمين بالزيت الحار والماء المغلي تصبها صباً فوق رؤوس عدة آلاف من اليهود، وكانت اليهود قد تجمعوا أمام أبواب المسجد الأقصى يرشقون المصلين بالحجارة فهل بعد هذا من أذى، يقوم أعداء الله وأعداء الإسلام يقذفون المصلين صلاة الجمعة وهم في نفس العبادة، وكانت الخسائر التي نجمت عن هذا الانفجار وأصيبت بها المباني تقدر بأكثر من نصف مليون ولما أن جرى من اليهود احتلال مطار لبنان وتحويل ما فيه من الطائرات استنكرت الأمة ذلك العدوان وبعث إسماعيل الأزهرى رئيس مجلس السادة السوداني يستنكر ذلك العدوان وهاجمت صحيفة ديلي نيوز السيلانية، هذا الاعتداء وكانت تعطف على إسرائيل لكنها هذه المرة جعلت تقول أن هذا عمل إرهابي تخريبي وأصدرت وزارة الخارجية السيلانية بياناً حول العدوان وأنه يقلل من إمكانيات التوصل إلى سلام في المنطقة ونددت حكومة الصومال بهذا الاعتداء الغادر وذلك في بيان أصدرته وزارة الخارجية الصومالية كذلك أعلنت يوغسلافيا واستنكرته فرنسا قائلة أنه لن يستتب الأمن والسلام في الشرق الأوسط ما لم ينسحب الإسرائيليون من الأراضي العربية. وقام الرئيس اللبناني المدعو شارل الحلو بمذكرات إلى كل من فرنسا والولايات المتحدة محتج على إسرائيل وطالب بتعويض لبنان على خسائره في العدوان الغادر وعاد مجلس الأمن الدولي إلى الاجتماع فجر يوم ١١ شوال لمواصلة بحث العدوان الإسرائيلي على مطار لبنان ومع هذه المعمة والصراخ والعيول فإن هذه الاحتجاجات ذهبت أدراج

الرياح غير أنه أعلن رئيس لجنة الدفاع في مجلس النواب اللبناني عدنان الحكيم
بوجوب تغيير جهاز الدفاع في لبنان والحصول على أحدث أجهزة الدفاع لإقامة
شيكات دفاعية مزودة بالصواريخ المضادة للطائرات لصدد أي عدوان مفاجئ.

خلع رئيس الجمهورية العراقية

كان الرئيس عبد الرحمن محمد عارف قد أمر مصلحة المنتجات النفطية العراقية
بأن أربعة ملايين جالون غاز تم تصديرها إلى تركيا من أصل ٢٣ مليون جالون غاز
جرى الاتفاق على أن تصدرها العراق إلى تركيا وأضافت المصلحة تقول أن ٤٥
مليون جالون من الديزل ستصدر إلى تركيا أيضاً بمقتضى اتفاق آخر عقد بين
العراق وتركيا كما سيتم تصدير ٤٨٩٠ مليون طن من الإسفلت فعل ذلك
لتحسين الصلات بين الحكومتين ولما أن كان في صباح اليوم الحادي والعشرين من
ربيع الثاني من هذه السنة (١٣٨٨هـ) الموافق ١٧ يوليو تموز (١٩٦٨م) ثار الجيش
العراقي وخلع الرئيس لجمهورية العراق عبد الرحمن محمد عارف وجرى تسفيره في
اليوم المذكور وأقيم بدلاً عنه أحمد حسن البكر.

وفيها ١١/٢/١٨ من برج الثور هطلت أمطار على القصيم وكان قد تقدمها
أمطار ابتدأت في ٢/٥ واستمر تكاثف السحب في آخر النهار وبحيث كان ما بعد
الزوال وقتاً لنشوء السحب وارتكامها تم تهطل الأمطار من آخر النهار واستمرت
الحال حتى حلت الشمس في برج الجوزاء واستمر ذلك إلى ٥ الجوزاء وفي آخر نهار
السبت ٢٨ صفر في الحادية عشرة أي قبل الغروب بساعة صعقت صواعق برعد
شديد جداً كاد أن يذهل العقول وشوهدت صاعقة نزلت حوالي قرية الخضضر
الخب الواقع في الجنوبي الغربي عن مدينة بريدة ومعها هب عظيم شديد كاد أن
يؤثر على كهرباء بريدة بحيث ولعت النجفات ثم انطفأت وكادت البروق وشدة
الرعد والصواعق أن تؤثر على التيارات الكهربائية لعظم اللهبات الناشئة والعياذ
بالله.

ولما أن كان في برج السرطان من هذه السنة كثرت متوججات البطيخ جداً للغاية بحيث امتلأت سوق مدينة بريدة كلها بما في ذلك موضع المبيع الأول ورخص السعر جداً بحيث كان عشرون حبة صالحة للأكل بريال وكان يصدر من بريدة يومياً إلى سائر البلاد المجاورة ما لا يقل عن حمولة أربعين سيارة موسيدس ما كان عن البصل والكوسة والطماطم فأمر لا تبلغه العبارة بحيث كانت الشحنات منها تملأ الآفاق وقد بلغت تلك المتوججات إلى الكويت والبحرين ولبنان والأردن بل بيع بصل القصيم في لبنان وسوريا وأما إلى ذلك والله على كل شيء قدير.

وفيها في صباح يوم عرفة ٩ ذي الحجة قام الفدائيون في فلسطين فأطلقوا الصواريخ على مسكن اشكول رئيس الوزراء في دولة إسرائيل فأصيب بجروح خطيرة وبعد الذهاب به إلى المستشفى لقي حتفه في اليوم نفسه وقد أصيبت به إسرائيل وأعلنت الحداد عليه هاجرة زينة العيد وأخذت تذيع خصاله الحمودة لديهم وما له من المقامات في دولته والتضحيات وبكل حال فإن هلاكه هدة عظيمة في جانب إسرائيل.

وفيها وقعت قيصيرة في أحد أسواق مدينة بريدة وكان ذلك في الساعة الرابعة نهراً بالتوقيت الغربي من اليوم ١٩ الموافق للثلاثا من شهر شوال بوقت الذهاب والحجىء والمرور حينما كانت الأمة جالسة أسفلها تبيع وتشتري ولما أن سقطت بما فيها من الدكاكين وكانت الأموال تحت أنقاضها وقد سارع الدفاع المدني بإسعافاته وما لديه من القوة مستخدماً جميع إمكاناته لإنقاذ الأمة من تلك الورطة كما سارع رجال الأمن لحفظ الأموال فلم يفقد من جراء ذلك الهدم خيط ولا غيظ ومما هو جدير بالذكر أن الله تعالى وقى الأنفس البشرية وذلك بواسطة حمال سارع بالإنذار لما رآها تصدعت لتهوي إلى الأرض ولقد تأثر الجهاز الكهربائي من الالتماس وشوهد منه أنوار عظيمة وتعرف بقيصيرة بن عيدان حوالي القشلة.

وفيها في ١٢/٧ وفاة الملك السابق سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله وعفا عنه وقد تقدم من ترجمته ما أغنى عن إعادته وكانت وفاته

في خارج المملكة بعيداً عن البلاد العربية فأمر الملك فيصل بن عبد العزيز أن يؤتى بجثمانه إلى مقابر آبائه وأجداده فغسل وكفن وصلي عليه في الحرم الشريف في مكة المكرمة ثم نقل جثمانه بطائرة إلى مدينة الرياض فدفن مشيعاً في جانب أبيه فالله المستعان وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون، وقد خلف أولاداً كثيرين وأموالاً طائلة.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ محمد بن ناصر الوهبي إمام جامع رياض الخبراء وهو محمد بن ناصر بن حسن الوهبي ولد في بلدة الخبراء عام (١٢٩٩هـ) وأخذ عن علماء بلده منهم الشيخ محمد بن عمر العمري ثم ذهب إلى مدينة بريدة فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم كما أخذ عن ابنه الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم في حال إقامته في البكيرية وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد وجدّ ونافس فكان في عداد العلماء العاملين ومن جملة الأتقياء الصالحين وكان لم يتول القضاء بعدما عرض عليه بل كان زاهداً متعففاً ومدرساً أخذ عنه علماء أفاضل منهم ابنه ناصر الذي تقدمت ترجمته وكان عالماً فاضلاً وأخذ عنه حمد الناصر المقبل وأخذ عنه إمام أحد مساجد رياض الخبراء محمد بن علي الوهبي وأخذ عنه عبد الرحمن بن صالح الغماس المدرس في إحدى مدارس رياض الخبراء وإمام قرية الغماس وأخذ عنه فهد بن عبد العزيز السعيد وأخذ عنه ناصر محمد الحزيم وأناس آخرون. وقد قيل أنه لبث في الإمامة ستين سنة تقريباً ويقوم بعقد الأنكحة والإصلاح بين الناس والإفتاء والتدريس وكتاب الوثائق بين الناس.

ومن توفي فيها من الأعيان محمد أبو بكر با خشب وكانت وفاته في ليلة الخميس ٥ ذي القعدة حيث وافته المنية وهو في منزله في حالة حيوية ونشاط وقد حزنّت عليه الأمة ونعته جامعة الملك عبد العزيز في جدة فقالت فقدت جامعة الملك عبد العزيز الأهلية بمجدة عضواً من أبرز أعضاء هيئتها التأسيسية وأبعدهم أثراً في حياتها ونعني به سعادة الشيخ محمد أبو بكر باخشب الذي كان في طليعة المؤمنين

بفكرتها والعاملين على دعمها سواء بذلك المبلغ الكبير الذي قدمه لها وقدره مليون ريال ويجهد هذه الشخصي في متابعة خطواتها وملاحقتها وتقول عنه إحدى الجرائد السعودية كان لوفاته رنة أسف واسعة هذا وقد تم دفن جثمان المترجم في مكة المكرمة بعد ظهر يوم الخميس حيث شيع من المسجد الحرام إلى في موكب مهيب اشترك فيه عدد كبير من المواطنين الخ.

ومن توفي فيها من رجال الدين والصّلاح والفضل عبد العزيز بن حسين وهذه ترجمته: هو العابد البصير في العقيدة عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن حسين رحمه الله وعفا عنه ولد في قرية العكيرشة التي كانت إذ ذاك ضاحية من ضواحي مدينة بريدة في عام (١٢٩٨هـ) ونشأ في رعاية والديه حيث كانا يزاوِلان الحراثة والزراعة ولا نشغاله في طلب المعيشة وخدمة والديه كان لم يتمكن في الدراسة من تحصيل العلم غير أنه كان من أصل طيب يوالون في الله ويعادون الله فكان من أهل البصيرة والنقد والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان محباً لأهل الدين مبغضاً للمنافقين والكافرين والظالمين فلذلك كان يلهج بذكر الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم وآل سليم ويختصه الشيخ عمر بن محمد بن سليم لأسراره ويقدره ويعرف له فضله كما أن والده المترجم من ذوات الدين والبصيرة فقد أقامت وليمة مكونة من جزور وما إليها لما رجع أولياء الله معززين من قبل الأمير سعد الحازمي لما أحضر لديه أناساً من المشائخ وطلاب العلم بأمر من ابن رشيد بسبب الوشاية بهم فوبخهم الأمير أفراداً وكانت الأمة قد خافت عليهم وترقبوا ماذا يحله بهم وآخر شيء تراجع الأمير عن رأيه وقلبه إلى أهاليهم بخير واعتذر إليهم بأنه مأمور وكان المترجم صبوراً على حلو الزمان ومرّه وله ذاكرة وحفظ ويحب الخلطة بالعلماء الأفاضل ومديماً على الحج والعمرة في رمضان المعظم سريع الدفعة عند الموعظة وتذكر العلماء وكانت أسرته متأصلة من بلد وشيقر من قبيلة النواصير ويتنمون إلى بني تميم وما زال يزاوِل مهنة الزراعة ويسعى في اكتساب المعيشة في مزارع آبائه شرقي مدينة بريدة وفي أراضي النقع حتى عجز وكل عن العمل وعجزت قواه

وأسن وأرهقته الشيخوخة فاستراح في نفس مدينة بريدة ملازماً للصلاة مع الجماعة خلف الإمام ويتردد إلى حلق الذكر حتى أتاه اليقين وانتقل إلى رحمة أرحم الراحمين وكانت وفاته في اليوم الثاني من شهر رجب عن عمر يناهز التسعين فالله المستعان، أما عن قصة أولياء الله التي أشرنا إليها هنا فقد تمت في حوادث (١٣١٩هـ) فلتراجع مبسوطه هناك.

وفاة عالم ديني

ففي هذه السنة وفاة الشيخ سليمان الناصر السعدي وهذه ترجمته: هو العالم العامل ذو المناقب والفضائل الزاهد الورع المتعفف شيخ قرية المريدسية ومفتيها وإمام الجامع الخطيب المتمسك بدين الله والصابر على الكروب والشدائد أبو محمد سليمان بن ناصر بن علي السعدي قبيلته عنزة فهو من أحد أفخاذها كان رحمه الله إماماً واعظاً وخطيباً وموضع الثقة من القضاة والأمراء وصاحب إصلاح وإخلاص ونية قام بأهل قريته وما حوالها فأدخل في قلوبهم نور التوحيد ومعرفته والثبات عليه ومنعهم من الانحراف في الرذائل وكان لدعوته أثر في النفوس وكان محبوباً عند الخلائق ومرموقاً في أعينهم خلا منافقاً أو زنديقاً أو عدواً للشرعية وإذا أخذ في الخطبة فإنه يبكي ويبكي من حوله وقد قدمنا إشارة عن صلاحه ودينه وتوفيقه وكان يدرس ويعظ ويرشد وانتفع به في العقيدة والصلاح خلائق كثيرون وقد ناهز السادسة والثمانين من عمره وهو في وعظه وإرشاده وأسباب مرضه أن أصهاره دعوه لزيارتهم فامتطى حماراً وسار في صحبته أحد أحفاده غير أنه أسرع به حماره فتعثر الحمار وسقط على الأرض فتأثر بعد رجوعه بيوم بأن أصيب بعطش شديد وغثيان ثم أنه حج بعد ذلك غير أنه لا يزال يشكو لزوجة ريقه ويبوسة في فمه وكان قد أحب أن لا يتداوى ثقة بالله وتفويضاً لأمره إليه لعلمه أنه وإن تداوى فما قدر فسيكون كما صنع ذلك الصديق أبو بكر رضي الله عنه شعراً:

قل للذي صنع الدواء بكفه أترد مقدوراً عليك قد جرا

مات المداوى والمداوي والذي صنع الدواء بكفه ومن اشترى ولما قيل لأبي بكر الصديق حينما مرض وعاده الناس ألا ندعو لك الطبيب فقال قد رأي قالوا فأى شيء قال لك فقال إنه قال إنني فعال لما أريد. وقيل للربيع بن خثيم لو تداويت وكان قد أصيب بفالج فقال لقد عرفت أن الدواء حق ولكني ذكرت عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً كانت لهم أطباء فما بقي المداوي ولا المداوى، ولما أن كان المترجم في يوم الأربعاء ١٨ جمادى الثانية توضأ وذهب إلى المسجد صباحاً وبعد رجوعه من التدريس في المسجد في الساعة الخامسة قبل الظهر بساعة وافا ضيوفاً من خب العريمضي جاءوا لزيارته فأخذ في الوعظ والإرشاد حتى كل لسانه عن النطق وشق عليه الكلام فطلب من أبنائه أن يذهبوا به إلى الجابية ليتوضأ ويغتسل فلم يتمكن من ذلك لضعفه ثم أنهم ساعدوه على الغسل والوضوء وطلب منهم أن يذهبوا به المسجد وجعل يهذو بالصلاة والتدريس ويلهج بذكر الله واستغفاره ولما ذهبوا به عجز عن وصول المسجد فرجعوا به إلى البيت وشق عليه الكلام بحيث لم يفهموا كلامه إلا بشدة وذهل عن صلاة الظهر ثم أنه أمسك على لسانه ولم يكلم أحداً من أحبابه وإخوانه وذلك من عصر يوم الأربعاء المذكور حتى توفاه الله تعالى في الساعة السادسة قبل صلاة الجمعة من اليوم ٢٠ من جمادى الثانية فتأخر تجهيزه وصلى عليه المسلمون بعد صلاة العصر من يوم الجمعة وحضر للصلاة عليه خلائق خرجوا من مدينة بريدة ونزلوا من القرى والضواحي الغربية والشمالية والجنوبية وبكوه وترحموا عليه وأصيب به المسلمون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

أخلاقه وشمائله

كان ربعة من الرجال أو أقل، متقشفاً في لباسه متواضعاً في جلوسه وهيئته كعادة العربي الذي لا يهمله لباسه وترفه إنما يهمله دينه وأخلاقه متواضعاً اجتماعياً يجيب الدعوة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويدارى ويأكل من كسب يده فكان رزقه في الحراثة والزراعة على قدر استطاعته يصعد إلى فرع النخلة وينزل من

ثمرها حتى تصدعت يداه ورجلاه في طلب المعيشة ليستغني عن الناس وكان عليه عباءة بيضاء لا تساوي عشرين درهماً قد لبسها ومر عليها عشر سنين وليس ذلك عن قلة ولكنه متواضع ويصدع بالحق لا تأخذه لومة لائم وإذا أخذ في الخطبة والوعظ والإرشاد فإنها تكاد تفصم أوصاله مما يجده من فشو المخالفات والإكباب على الدنيا وذهاب الصالحين بصوت عالٍ جميل وترتيل وتحنقه العبرة ويحشر صدره غير أنه يتمالك فلا يظهر منه ما يجرح العواطف ويسيء السمعة وذلك لسعة عقله وحسن معالجته للمشاكل فلا يؤذى بموعظته على جهة التخصيص بل كان لا يوجه أحداً بما يكره وهذه حالة النبي الأعظم في خطبه صلوات الله وسلامه عليه فإنه كان يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وما بال أقوام يفعلون كذا» ولا يعنيه خشية أن يحصل لهم خجل واستحياء بين الناس وهذه هي الضالة المنشودة والغاية المطلوبة نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لحسن الإرشاد والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا عكس ما كان يفعله العابد الزاهد أخونا في الله عبد الله بن محمد أبا الخيل فإنه زميل للمترجم ويجمعهما بلد واحد وكان عبد الله يغضب غضباً شديداً ويحمل في موعظته وإرشاده على المسافرين إلى مصر والشام والعراق حملة شعواء وعبرة جافة جداً وهو وإن كان مصيباً في ذلك ويقوم بعمل يشكر عليه غير أن المتحرفين قد لا يفيد فيهم العنف وقصة الحسن والحسين مع الشيخ الكبير الذي لا يحسن الوضوء معروفة ونصيحة الرسول عليه الصلاة والسلام وتوجيهه للرجل الذي أسلم وقال إنني لا أترك الزنا مشهورة بحيث قبل إسلامه وبعدما لبث بين له الرسول مفاصد الزنا فعاهد الله على ترك الزنا وكذلك قصة صلة بن أشيم وعبد الله بن محمد بن عائشة معلومة ولما توفي الشيخ سليمان بن ناصر طلب مني أحد أنجاله أن أرثاه فكتبت هذه مراثية أنشأها الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عبيد العبد المحسن في الأخ في الله والمحِب فيه سليمان بن ناصر بن سليمان السعوي قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه:

على علم أمسى رهين المقابر نريق دموعاً من جفون المهاجر

وحق لذي لب يديم بكاءه
 وحق على الإخوان يبكوا ويندبوا
 يريق دموعاً وكفها مترادف
 فما حل في ذا العام قط مصيبة
 لعشرين يوماً ثانياً لجمادها
 ثمان تلاها من ثمانين حجة
 فأعظم بها هداً أصيبت معالم
 إمام به أهل الفضائل قد قضوا
 وأعني به من كان لله مخلصاً
 أباً ناصر لقد قضى اليوم نجبه
 أباً ناصر أمسى رهيناً للحدّه
 أباً ناصر هل كان إلا بقية
 يدين بقال الله قال رسوله
 على هذه الدنيا فليس بعاشق
 بلى إنه مُدْشَب في العلم مولعاً
 يحب ذوي الإيمان طبعاً وفطرة
 وكان لأهل الدين كهناً ومعقلاً
 له في الولا باع وفي الكره مثله
 وينشر للتوحيد في الخلق معلنأ
 وما صده عن ذاك لومة لائم
 بقية قوم عاهدوا الله وحده
 ينادون بالتوحيد جهراً بنيه
 وكان لعمري آية في ثباته
 يجادل في الحق المبين تبصراً

وحق على الأحباب سكب المواطر
 وحق على قلب دهلي بالفواقر
 لخطب دهلي من معضلات الزواجر
 ورزء كفقْد للسليم السرائر
 لست من الساعات في حر هاجر
 ثلاث مئین بعد ألف لسابر
 هناك تعزى أمة من معاشر
 واشفوا على الفقدان يا عظم باتر
 تقيأ نقيأ صابراً ذا بصائر
 هلموا بنا يا قوم نبكي للمفاخر
 وساروا به نحو القبور الدوائر
 لقوم على عهد وفوا بالتناصر
 وأقوال أهل الحق من كل صابر
 وما همه جمع وحب التكاثر
 بوعظ وإرشاد وكشف لضائر
 ويبغض من لا يرعوي عن جرائر
 وثقلاً على الأعداء أهل التنافر
 لقوم تولوا عن طريق المفاخر
 يصيح به فوق الربا والمنابر
 ولا خاف مخلوقاً عظيم البوادر
 على نصرة الإسلام أعلى المفاخر
 ولم يشنهم عن دينهم كل زاجر
 على الحق والإيمان غير مقامر
 ويرشد حيراناً بحكمة سابر

ويفتح في حسن الدعاية جهده
 يخالط خلق الله ليس بمعجب
 ويصبر فيما قد دهم من جهولهم
 على حسن أخلاق ولين عريكة
 وقد كان في الأهوال خير مساعد
 لأن كان في الدنيا على خير حالة
 صبوراً على أقدار من جل ذكره
 فترجو له الزلفى من الله والرضا
 فيا من له كل الخلائق قد عنت
 ويا من هو الجبار جل جلاله
 أنله الرضا والعفر فضلاً ورحمة
 ألسنت الذي ربيته وخلقته
 يخافك دوماً في الحياة وأنه
 وصل إلهي كلما هل ماطر
 وما انبعثت تبكي على الأيك طيرها
 على أحمد أعلى الأنام وظيفه
 وآل وأصحاب ومن كان قابضاً
 قلوباً لعمري مقفلات البصائر
 بأرائه فعل الغواة الأخاسر
 يريد من المولى جزيل المأثر
 أديب أريب ليس يوماً بطائر
 وكان أخاً في الله خير مناصر
 بعيداً من الأهواء وليس بغادر
 ويثني على المولى مديباً وشاكر
 بدار العلى والله أقدر قادر
 على عرشه استوى عليم السرائر
 له الأخذ والإعطاء وجبر الأكاسر
 ومن بإحسان لضيف مجاور
 وأنعمت في أوقاته في التذاكر
 ليرجوك في ذا الوقت يا خير جابر
 وما اهتزت الأغصان في كل زاهر
 وما حج بيت الله من كل سائر
 وأفضل مخلوق شفى البصائر
 على إثرهم في دينه بالخصائر

وفاة أمير القصيم سابقاً

ففيها في شهر ذي الحجة توفي الأمير مبارك بن مبيريك رحمه الله وعفا عنه
 وهذه ترجمته: هو الأمير العاقل البصير المحبوب الذي أعماله مشتقة من اسمه مبارك
 بن ناصر بن عبد الله بن مبيريك أبو صالح الذي شهرته تغني عن ذكره وكان فيه
 مؤهلات قضت له أن أوسد إليه الأعمال فقد انتدبه الملك عبد العزيز لزيارة تركيا
 صحبه صالح العدل سنة (١٣٢٤هـ) وفي صحبتها محمد بن دافع من أهالي عنيزة

ومحمد بن حمدان مدير مالية بريدة وقد أشرنا إلى ذلك في تلك السنة ولد الأمير مبارك عام (١٢٩٩هـ)، وكان عاقلاً رزيناً مدارياً، له سمت عظيم ثم ولاه الملك عبد العزيز إمارة القصيم وكان في قصر الحكم في بريدة وكيلاً بالنيابة لما نقل الأمير عبد العزيز بن مساعد إلى إمارة حائل، وذلك في عام (١٣٤٠هـ) فقام بهذه الوظيفة خير قيام ولبت في الإمارة فيها موضع الإعجاب إلى عام (١٣٤٦هـ) حيث أنها لما تطورت مشكلة الدويش وابن بجاد ومن تبعهما من البادية فجعلت الحكومة في إمارة القصيم الأمير مشاري بن جلوي لأنها مركز الدائرة ولأن تلك المنطقة كانت مهددة من أولئك الأتقياء ولما زالت تلك السحابة وتوفي الأمير مشاري رحمه الله وولي بعده تركي بن عبد العزيز بن زعار لم يلبث في الإمارة إلا يسيراً بحيث أعيد الأمير مبارك إلى الإمارة فيها وذلك في آخر سنة (١٣٤٨هـ) فباشروا عمله فيها وكان حليماً عاقلاً فاستمر في الإمارة ست سنين لم يشاغب ولم يحدث في إمارته تشويش ثم نقل وجعل مكانه الأمير عبد الله بن فيصل بن فرحان وذلك في سنة (١٣٥٤هـ).

وكان المترجم أسمر اللون طوالاً عليه آثار السيادة والرجولة لا يضحك ولا يمزح ولا يغضب ومرضياً للجميع ويذكر بالحلم والصفح مع هبة ووقار رأته في سنة (١٣٤٦هـ) وقد خرج لاستقبال صاحب الجلالة لما قدم لمهمة الغزو فكان ممتطياً الفرس ميمماً روضة الربيعية عليه زبون من الكشمير فوق القميص والشال الصوفي المزركش وأرخى السراويل الذي خرجت أكمامه من أسفل والعقال على رأسه ورأته قبل وفاته بستين إلى جانب فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز في بيت الشيخ بالرياض فسلم علي لما عرفه بي فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز.

عفوّه وتجاوزّه

خرج مرة في الساعة الرابعة ليلاً من دعوة أحد الأعيان ومعه أحد رجاله فرأى أحماً في الماقفة في بريدة في طريقه إلى القصر كان أصحابها قد هربوها وهي من البن والهيل فلما رأوا الأمير وجلوا وسقط في أيديهم ووجهوا عن الكلام فوقف

عليها وجعل ينكتها بالعصا ويقول هذا كرمع (قرض) فزال الخوف عنهم وقالوا نعم يا طويل العمر فهمس الخادم بأذنه يقول إنها قهوة وهيل فقال اسكت فمن سألك وذهب كأن لم يرها فهنيئاً لك يا أبا صالح وأمن الله خوفك وهكذا الرجال يعفون مع القدرة.

ومن عطفه ورأفته التي سيجازيه الله عليها أنه نزل عليه أوامر من جلالة الملك بأن يقبض على رجل يدعى جميعان قدم إلى قرية من قرى القصيم فيسجنه ويصادر أمواله ذلك بأنها تكررت تهريباته ومخالفاته فسأل عن بيته وأمر الخدم والرجال أن يقبضوا عليه في وقت صلاة الفجر ثم ركب الفرس على خفية بعد صلاة العشاء الآخرة حتى طرق الباب عليه في قريته وقال له انج بنفسك أتعرفني قال نعم وأشكرك فأخبره بأنها نزلت عليه الأوامر من سيده ولا يسعه إلا تنفيذها وأرشدته بأن يوزع البضاعة عند معارفه ويخرجها من بيته في ليلته ويفر إلى جهة غير معلومة فقام الرجل من فوره يسعى في خلاص نفسه لأنه إن وجد فإنه سيعاقب بما يستحقه من التأديب في نفسه وماله ونجى تحت ظلام الليل، ولما أن جرى التفتيش امتثالاً للأوامر في الوقت المعين كتب المحضر بأنه ليس موجوداً ولم يكن في بيته شيء هذا شيء من رحمته وعطفه ونزل عليه أمر من أحد أمراء البيت المالِك بأن البندقية الموجودة بيد فلان قد سرقت من أحد رجالنا فاقبضها وكان هذا الرجل الموجودة بيده يدعى عبد الله بن علي الحمادي من أطايب الرجال فدعى به وقال يا ولدي هكذا جرى وإن فيصل بن عبد العزيز أقوى مني ومنك فأجاب بأنه لم يسرقها وإنما اشتراها بجر ماله من أعرابي بحضرة شهود فقال نعم، ولكن ما هو اسم ابنك فأجاب بقوله اسمه صالح فقال يا أبا صالح أخبرتك بأن فلان ضلع حديد إن سقط علينا أهلكنا وإن سقطنا عليه هلكنا ولا بد من حضورها وسنعوضك بعض الشيء ونبعث لسمو الأمير يعوضك البقية إن شاء الله فقبضها ودفعها مرضياً لصاحبها فكان الرجل يمتدح الأمير ويثني عليه بحسن تصرفه، وقد أنجب أولاداً فهمم صالح النجل الأكبر وكان رصيناً عاقلاً ويجعله والده بالوكالة عنه إذا غاب وكان موظفاً

في مالية بريدة وعبد الله وعبد العزيز وناصر وسعد وقد توفي الأخير في حياة والده وله أسباط من بناته منهم مدير المعهد الزراعي في القصيم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالعزيز بن مشيقح كان شاباً أديباً ومن أسباطه بعض أبناء سليمان بن علي بن حجي صاحب الأدب والرجولة في مدينة بريدة وكان مزارعاً في الجهات القريبة من بريدة وكان عمر المتوفى يناهز التسعين فالله المستعان.

وفيها وفاة الأديب المصري حبيب جامالي وقد أقيم له مأتم هناك كبير اشترك فيه جمهور كبير وكان مشغلاً بالصحافة وكاتباً ومحرراً في مجلة المقطف ثم انتقل إلى مجلة الهلال ثم شمل نشاطه الأدبي والصحفي جميع صحف دار الهلال كالاثنين والمصور وحواء وإيجاج وكانت وفاته عن عمر يناهز السبعين قضى منها أكثر من نصف قرن يعمل في الصحافة المصرية.

أخبار عن وزير الدولة شلهوب

ننقل ما أثبتته الريحاني وغيره من المؤرخين بالمعنى كان شلهوب واسمه أبو صالح محمد بن صالح بن شلهوب وزير الدولة ثلاثاً وأربعين سنة ولا يزال حتى هذه السنة يتقلب بالمرح والسرور مع تقدمه في السن فهو يهزأ بروح الشباب مرح ضاحك روحه شابة بل وأكثر من ذلك يجمع أبنائه ليحدثهم عن ذكرياته الحلوة ويضحك مع الجميع صغيراً وكبيراً وكان طويل القامة هذه صفته يقول: (بعد منتصف الليل نشعل الشمعدان ونعد السجادة والمصحف للملك عبد العزيز) ويقول عن حياته مع الملك: (ملأت المزاود بالحصا والجبخان للتخلص مما نحن فيه) ما هو شلهوب كان يجلس على الكرسي الكنب وعليه شماغ وعقال وبشت وقد أرخى وجهه وضم فمه مرور السنين وتقدم السن غير أنه في حديثه ملتفتاً متشجعاً كأنه الصقر فيقول جميع الأشياء في المالية مرتبطة في وهذه كلها من مهماتي في الدولة الشابة آنذاك الأمر يتحول رأساً من الملك عبد العزيز إلي ويقول عنه المؤرخ أمين الريحاني هو وزير المالية ووزير التموين عند السلطان عبد العزيز، وما الوزارة

هناك غير صدى الإرادة السلطانية وآلة من آلات أحكامها إلا أن الشلهوب هو علم الشيوخ فيه عذاب وفيه خلاص وفيه إخلاص ولا ريب فيه مهماته متعددة تشمل الكبيرة والصغيرة من المدفع إلى عود الكبريت فهو يتولى أمر التوزيع العام الشامل يوزع الخطب ويوزع السمن ويوزع المال طريقته في الإدارة أولية يدوية وحساباته قروية قال لا فض فوه الذي يجيء نقيده والذي يروح نقيده والنتيجة لا شيء وليس في طريقته محابة وتفضيل طوف بي ذات يوم في مخازنه فدهشت لما في ذمته من الأموال وفي ذاكرته من الأشياء هذا مخزن السلاح والذخيرة، وهذا بيت التموين وهذه الخوابي صنع الهند للسمن، وهذا التمن^(١) الأرز مئآت من الأكياس مرصوفة بعضها فوق بعض ثم أدخلني غرفة كبيرة ذكرني بمخازن الرهون بلندن ونيويورك كل ما فيها مهمل مجهول ومكسد بعضه فوق بعض سألت شلهوب عنها فقال غنمناها في إحدى المواقع ولا أدري ما فيها هذا هو الشلهوب رجل الدولة كل شيء في الدولة يصرفها بعد أمر السلطان عبد العزيز ويواصل الأستاذ الريحاني يقول: مثل يوسف في مصر ادفع يا شلهوب وزع يا شلهوب رأيت العربان والإخوان ينتظرون في الرواق وشلهوب جالس وراء منضدته يعد الروبيات وإخوانه في المخازن حوله يوزعون الثياب وكنت أرى كل يوم عند غروب الشمس صفاً طويلاً من العبيد ساسة الخيل كل يحمل وعاء ينتظر عند باب من أبواب شلهوب ليملاه شعيراً، إن لشلهوب منازل كثيرة ومهمات متعددة هو مثل يوسف في مصر الفراعنة ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾، ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكَ ﴿٥٥﴾ إلى آخر كلامه. نعم إنه رجل الدولة وأدى واجباً يشكر عليه، حدثني أحد الإخوان من أهل الرياض وكان ثقة رزيناً قال: دخلت مع الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ على شلهوب للزيارة في بيته فجلس يتحدث معنا وجعل يقص علينا أياماً مضت بينه وبين الملك عبد العزيز حيث كان ينفذ أوامر الملك،

(١) التمن بكسر التاء المثناة وتشديد الميم المفتوحة نوع من الأرز رديء يأكلونه.

قال كنت أختال إذا لم يكن في الخزائن شيء وأستسلف من التجار فدعى بي مرة وقال يا شلهوب هذا ابن عائض قدم من الجنوب وهو من الأعيان ولا أقل من مائتي جنيه ذهباً فاعتذرت بأنها غير موجودة يا طويل العمر، فقال يا شلهوب التفت يمينه ويسرة لعل الله أن يأتي برزق من هنا أو هناك، قال: فأخذت صندوقاً من الخشب وملأته حصاً وذهبت به إلى غني في الرياض وقلت له نريد مائتي جنيه وهذه خمسة آلاف من الجنيهات في هذا الصندوق إننا نخشى فتحه فكل نجل من الأنجال والأقرباء يستشرف لحقه فتذهب جميعاً فترجو سلفة مايتين وترهن الصندوق فناولنيها وأدخل الصندوق في مخزنه وبعد مضي ثلاثة شهور جئته بها وأخذت الصندوق وما علم بما فيه، ولقد دخلت عليه مرة بعد العصر وقد أرخى الشماع على وجهه وهو يتلو القرآن من المصحف ويكي فسألته عن ذلك البكاء فقال يا شلهوب إن الوالدة سألتني خرجية قليلة وليست عندي فالتفت يمينه ويسرة يا شلهوب فعملت حيلة حتى حصلت عليها كما أن المكافآت التي تصرف لطلاب العلم يتولى صرفها وقد يتأخر الصرف فيقفون للملك ويشكون عليه فيأمرهم أن يراجعوا شلهوب.

وفيها في سابع ذي القعدة أصدر الملك فيصل بن عبد العزيز أمره السامي بتشكيل لجنة ثلاثية لدراسة أوضاع السيول في المنطقة الغربية والجنوبية فقامت اللجنة تباًشر مهمتها في جدة ومكة لأنها هطلت يوم الأربعاء الموافق ٤ ذي القعدة من هذه السنة أمطار وسيول جارفة لم تشهد لها مثيلاً منذ ثلاثين عاماً استمر هطول الأمطار أكثر من ثلاث ساعات ونصف متواصلة داهمت السيول جميع الشوارع والطرق وغمرت بالمياه وقد شلت حركة السير في الشوارع وانصرف الطلاب وموظفو المصالح والمؤسسات والدوائر إلى منازلهم وخلت الشوارع من المارة بعدما كانت مياه السيول تتدفق بغزارة من شرقي مدينة جدة وقد تهدمت بعض الدور القديمة وارتفع منسوب مياه السيول في الشوارع فجأة مما تعذر معه السير ولا تزال مياه السيول راكدة في بعض المناطق وقام أمير مكة المكرمة مشعل بن عبد العزيز حفظه الله بالإشراف شخصياً على أعمال الإنقاذ في شوارع مكة والطريق إلى جدة

وأمر بتجديد كافة الإمكانات لشطف المياه من المسجد الحرام وبذل رئيس البلديات جهوداً في ذلك وكان يتصل بالرياض هاتفياً لمتابعة الأوضاع وقد وقعت عدة حوادث من جراء هذه السيول بحيث انهار عدد من المنازل القديمة وتقلبت سيارات ولم يفتح الطريق بين مكة وجدة إلا بعد جهد شديد لأن الرمال والحجارة قد غطت خط الإسفلت وخلفت هذه السيول بعدها حفراً ومطبات في شوارع جدة.

وفيها في وقت العصر من يوم العشرين من شعبان وصل إمبراطور إيران الشاهنشاه محمد رضا بهلوي إلى المملكة العربية السعودية زائراً وكانت زيارة أريا مهر لتوطيد الصلات وتبادل الرأي والمحبة لما سيكون في صالح قضية العرب وقد استقبل استقبالاً عظيماً في جدة وأطلقت له المدفعية إحدى وعشرين طلقة.

وفي ٨/٢ قام وزير المعارف ووزير الصحة بالنيابة حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ بزيارة لمنطقة القصيم لتفقد سير الدراسة وتفقد مستشفى بريدة فأقيم فيه احتفال رائع في بريدة وأقام له أمير منطقة القصيم سعود بن هذلول حفل عشاء تكريمي كما أقامت مدارس القصيم حفلات أخرى وقد اشتملت زيارته على مدينة بريدة وعنيزة والرسطور البكيرية وقد قام بجولات تفقدية وفي يوم الجمعة ٨/٢٤ سار إلى منطقة الأفلاج إلى منطقة السليل وإلى وادي الدواسر.

مصائب تنزل بالعالم

إن العالم البشري يكابد آلاماً من المصائب في هذه الآونة فمن هذه المصائب التي لم توفق لحل ما أصبح به أهل فلسطين في وضعهم ذلك من هذه الجازر الدموية بينها وبين اليهود ولحقت الأضرار بالقدس والأردن ومصر والعراق وسوريا وتكلفت الجهات الأخرى بالنفقات ليقفوا أمام هذا التيار الجارف بالشر والويلات ولا ننسى المأساة التي جرت في لبنان فوالله لو كانت هذه الدماء تهراق من الكلاب والخنازير أو من أحسن الحيوانات مثلاً لكان من يستطيع وضع حد لها ولا يقوم بذلك قد عدم الرحمة والإنسانية وكذلك حرب فيتنام وما سببت من

الأضرار الوحشية بحيث استمرت طوال هذه السنين والطائرات تضرب وتدمر وتفسد وتخرب وضحايا هذه الحرب قد تجاوزت العد والحسبان وقد تهدمت الأماكن وتخربت الطرق وأصبح أهل تلك المناطق في حالة يرثى لها وكان نصيب مجلس الأمن أن يقف موقف المتفرج فلا وساطة ولا صلح ولا قدرة لإيقاف المعتدي فما فائدة هذا المجلس الذي هو اسم لا حقيقة ولا يدير الأمور بنفسه إنما تدمره الأيدي العاملة لهواها ومصالحها وكذلك ما جرى في نيجيريا من الحرب المشؤومة التي تركت غالب الأهالي عراة جوعاً لا يجدون ما يسدون به رمقهم ولا ما يسترون به عوراتهم حتى هلكت أطفالهم جوعاً وأكلوا الجردان والجيف ولم يزلوا صامدين حتى كتب لهم النصر واستقلت بيافرا وهذا من عقوبات الله الدنيوية بحيث سلط الله بعضهم على بعض فأصبحوا يتاجرون وكان بأسهم بينهم، وكذلك ما جرى على اليمن من العذاب والتخريب والتقتيل والعبث بالأهالي المدنيين الآمنين فعياً بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، هذا ولا ننسى ما جرى بين الجزائريين وبين فرنسا من تلك الحروب التي تركت الذراري أرامل والوالدين ثكلاً واستمرت الحال بضع سنين حتى كتب لهم النصر بعد جهاد مرير وواصلوا القتال لإحدى الحسينين الشهادة أو الظفر كما قيل:

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كهـنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وفي هيروشيما يقيمون المآتم في كل سنة عند ذكرى الضربة الساحقة الماحقة التي سببتها القنبلة الذرية في مدينتهم لما رمتها بها أمريكا بتدبير (ترومان) بحيث أهلك ٧٨١٥٠ قتيلاً وجرح وشوهت مائة ألف وعشرين ألفاً وذلك في ٦ آب (١٩٤٥م/ ١٣٦٤هـ) وكذلك الحرب في كوريا وما جرى من الشيوعيين بحيث تجلت عن قتل اثنين وعشرين ألف أمريكي وماتين وتسعة وجرح واحد وتسعين ألف جريح وسبعائة وثلاثة وفقده عشرة آلاف وثمانمائة وخمسة عشر وبلغت خسائر الشيوعيين مليون وستمائة وتسعة وخمسين ألفاً وكذلك ما جرى في مصر

وسوريا من تقتيل العلماء والتشهير بالأولياء وما يعامل به الإخوان المسلمون هناك وهنا في هذه السنة تقع تلك الفظائع بأهالي فلسطين وما جاورها.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها ولدت امرأة طفلة لها رأسان وأربع أيدي كان هذا الرأس الزائد في يمين صدر البنت بعينين وأنف وأذنين وهو من قفاه إلى الأرض ووجهه إلى جهة الفوق على صفة الوجه الأصلي والله على كل شيء قدير وهذه أغرب ظاهرة ولادة تشهدا المملكة حدثت هذه الولادة في مدينة الرياض في شهر رجب وسميت المولودة سعاد وهي حية ترزق لها رأسان ملتصقان بالصدر برقتين وأحد الرأسين كامل النمو واضح المعالم ذو عينين واسعتين وأنف عادي، وأما الوجه الآخر فيبدو فيه التشويه وهو مواجه للرأس الآخر ولا يلتصق به أما الأعضاء فللطفلة رجلان اثنتان، وكما قدمنا.

فيها حدثت هزات أرضية في إيران واستمرت الزلازل حتى ذكر الإحصائيون هناك أنه بلغ عدد القتلى اثني عشر ألفاً وعدد الجرحى ثمانية آلاف جريح وبلغ عدد المشردين سبعين ألفاً ولا يزال الزلازل حتى يوم الخميس ١٩ جمادى الثانية ابتداءً من ١٣ الشهر المذكور تهز الأرض في منطقة خراسان وأصيبت قريتا فردوس وطفس بحيث لم يبق في تلك المنطقة بناء واحد يخشى سقوطه لأن عامة الأبنية قد زالت من الوجود، وقام شاه إيران (أريا مهر) وزوجته بجولة تفقدية وقضيا الليل هناك يشرفان على أعمال الإنقاذ ويتفقدان الأسر المصابة ويصدران الأوامر والتوجيهات اللازمة من أجل إغاثة الجرحى والمشردين كما أن دولة رئيس الوزراء ووزير البلاط الدكتور علم وعدداً آخر من الوزراء شوهدوا هناك للتفقد وأقامت جمعية الأسد والشمس الأحمرين مستوصفات سيارة لإغاثة الجرحى ومستشفين صحراويين وتستمر طائرات الجيش في إلقاء سيل من الأطعمة والأدوية من الجو فوق القرى المنكوبة وأعلنت الوزارة تقرير جمع التبرعات والمساعدات وتبرعت الملكة الوالدة بمليون ريال وخصصت الحكومة مبلغ مالي مليون ريال لإعادة تعمير

المناطق المصابة وتجديد بنائها كذلك تبرع جميع أفراد الجيش من ضباط وجنود بيوم من رواتبهم وكانت قرية تدعى سربايان قد قتل جميع سكانها تقريباً ويبلغ عددهم ١٥٠٠ وقد ارتفعت صرخات الأمم ونداءات تفتت الأكباد مطالبة بإعادة المنازل المهدامة وألقت نساء باكيات أنفسهن عند أقدام الشاه فوعد بالقيام بما يرام وواصلت الطائرات عملية إسقاط العقاقير الطبية والخيام والأغذية فوق المناطق المنكوبة طوال ساعات اليوم الرابع والعشرين وبدأت مواد الإغاثة والأموال تتدفق على إيران المنكوبة من مختلف أنحاء العالم.

ذكر شيء من إصلاحات الملك فيصل

تقدم تكوين لجنة ثلاثية لإصلاح ما جرفته السيول وخربته وما نجم عن تلك الفادحة في الحجاز.

وفيها عازمت الحكومة السعودية على تشييد مستشفى أوتوماتيكي في العاصمة الرياض وبلغت تكليف هذا المستشفى خمسة ملايين وخمسمائة ألف جنيه إسترليني ويمتاز هذا المستشفى بأحدث الأجهزة للمعالجة بالأكسجين التي جاءت نتائج برنامج فيكرز للأبحاث وأجهزة المعالجة وتساند المرضى على البقاء على قيد الحياة بعد العمليات الجراحية الكبرى، وستقوم مجموعة شركات فيكرز الطبية البريطانية بتصميم هذا المستشفى الأوتوماتيكي وبنائه، هذا وقد أقيم مشروع مياه الرياض وتقدر تكاليفه بحوالي تسعين مليون ريال أن مدينة الرياض قد أخذت في التطور ولضخامة السير فيها جعلت جسور وكباري للزحمة فيها وكانت مترامية الأطراف متسعة الأرجاء حتى حدثني من سافر إلى الغرب أنها تعتبر ثاني مدينة بعد لندن ومن نظر في تلك الحارات فيها ومواضع النزهة والحدائق وسعة الشوارع وما تحتوي عليه من الأشجار والنخيل وما أقيم فيها من المساجد والجوامع والمدارس والمعاهد والكليات والثانويات والمستشفيات والمستوصفات والفنادق والقصور الملكية والوزارات والسفارات فإنه يعلم علم اليقين أنها الوحيدة في الشرق الأوسط والجزيرة.

ثم دخلت سنة (١٣٨٩هـ)

استهلت هذه السنة والعرب في اشتباكاتهما مع إسرائيل وقد لحقت خسائر بالأردن واستهدفت عمان لضربات إسرائيل كما قد أصيبت سوريا ومصر بغارات مقلقة وقد طرد ستة وخمسون ألف سوري عن أراضيهم التي استولت عليها اليهود خلال عدوانها الأخير على سوريا، ولجأ إلى الضفة الشرقية من اللاجئين مائتا ألف أردني وخمسة آلاف لجأوا في لبنان لحقهم تسعة آلاف فمايتان وسبعون ألفاً من العرب أصبحوا مشردين بلا مأوى السماء غطاؤهم والأرض فراشهم، واستعملت اليهود في سيناء قنابل النابالم فاحترق منها تسعون جندياً وقد بعث إلى أناس من المتدربين للدراسة في عمان بمدرسة الشوبك الزراعية الثانوية يروون ما أصبحوا فيه من الأهوال وأحاط بهم من الأخطار قالوا إننا ندرس بوادي اليباس وعلى الخط الأول من إطلاق النار لقد لبشنا في هذا المكان مدة شهور وفي آخرها كثرت الاشتباكات عندنا وكنا معرضين للخطر حيث أنه ردم القرى المجاورة لنا يمينا وشمالاً ولم يبق إلا مكاننا بالضبط وخلال هذه الاعتداءات كنا نعيش في الجبال والخنادق والملاجئ حيث أنه في آخر الوقت استمرت طائرات العدو تقصف منطقتنا بالضبط حيث أننا مررت نوقن باليأس من الحياة وذلك من القنابل والمدافع واستمرت هذه الحالة لمدة أكثر من أسبوعين والدراسة عطلت أسباب عدم حضور المدرسين من هذه المخاوف والطلاب يعيشون في الجبال والمغارات وبعض منهم هاجروا إلى المدن وأصبحنا مشتتين هذا كله حصل في عشر ذي الحجة وعند قرب العيد بيومين سمعنا بوقوع أخطار على مكاننا بالضبط وكل المزارعين وأهل الأملاك هاجروا فهاجرنا مثلهم إلى المدن نقضي أيام العيد وفي ليلة عيد الأضحى استمر العدو بالقصف على مكاننا باليباس ونتيجة ذلك قتل ستة أشخاص وجرح كثيرون من جيراننا اجمل البيوت. وفي صباح العيد كانت تقربة ودفن أموات ولا نستطيع بالليل الجلوس في البيت لا بد نكون في خندق أو مغارة في الجبال أو نختبئ

بأي طريقة كانت هذا ولا تزال الطائرات فوق رؤوسنا تدور وقد وصلت بنا الأحوال إلى شكل ما أحد يتصوره ولكن والحمد لله مقسوم لنا بقية حياة مهما كانت الأخطار وبعد هذا بأيام سمعنا وأخبرنا أن فيه تحشدات وكنا نشاهدها أمامنا على بعد خمس كيلو غرباً ثم استمر يصف قصف الطائرات اليهودية فقال إنها تقدمت أربع طائرات يهودية فاستمرت تقصف إحدى المدن التي حولينا حتى كانت الأرض كأنما أصيبت بالزلازل هدموا العمائر وحطموا الآلات والسيارات كلها فكنت لا تعرف حظائم العمائر من حظائم السيارات ونحن قد ساد علينا القلق والخوف الشديد وبعد عدة مرات نوقن باليأس من الحياة واستمرت هذه الأحوال هائجة مائجة.

عدوان صارخ أثيم

المسجد الأقصى يحرق بالنار لما كان في يوم الخميس الموافق ٦/٨ من هذه السنة عمل اليهود عملاً لا تستك له أسماع المؤمنين وتنكره فطر العالمين ذلك بأن اليهود حرقوا المسجد الأقصى وقع الحريق في جهته الجنوبية الشرقية وتجرؤوا هذه الجراءة العظمى ولما جرت تلك الجريمة الشنعاء اهتز لها العالم الإسلامي وشارك رجال الدين المسيحي العرب والإسلام في استنكار الحادث وصاحوا بأنه حادث جلل وعقدت على الفور اجتماعات طارئة في معظم العواصم العربية والأجنبية لدراسة نتائج الحادث وبكل حال فإن الله تعالى وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة لم ينتقم من أعداء الله وأعداء رسله ولم يأذن بنصر للعرب حتى كتابة هذه الأحرف، وهذا النصر ليس بمجرد الإذاعات والأقوال فقط إنما النصر هو سحق اليهود وطردهم وقتلهم حيثما وجدوا وأخذهم وحصرهم ولا بد إن شاء الله من أن ينصر الله المسلمين والعرب وكان ذلك اليوم يوافق ٢١ أغسطس (١٩٦٩م). قال الأستاذ غازي فتحي محمد سليم أحد المتدربين للتدريس في السعودية من فلسطين هذه القصيدة وأهداها إليّ يشكو زمانه وما توصلت الأحوال إليه:

كيف السبيل إلى السعادة والربى
 كيف السبيل إلى النعيم وأرضنا
 كيف السبيل إلى سعادتنا ولم
 تنقض مضجع جيشه وجنوده
 والكهل يشكو صارخاً ومولوداً
 والأم تذهل عن صغار رضع
 فتعموم أرض بالدماء وترتوي
 والجنند تقتل بكرة وعشية
 يا مسجد الأقصى وأول قبلة
 حرم الخليل أتتك جند محمد
 وغدت زحوف المسلمين منارها
 ويظلها التوحيد ليس يضرها
 الله أكبر صيحة جبارة
 الله أكبر نمل الدنيا بها
 وتزلزلت أركان صهيون لها
 يكفيك إسرائيل منا نومة
 هذي جحافلنا بمعترك الوغا

عائت بها الأنذال والجنباء
 تاهت بها الكفار والسفهاء
 تشمل عدوي غارة شهواء
 وتفتر رعباً غادة غذراء
 يبغي فراراً ليس منه نجاء
 لم يجدها يوم الفرار عناء
 من غلة الصادي بها الآباء
 وحريمهم خدم لنا وإماء
 جابت حماك رجالنا البسلاء
 جاءوك شعثاً ما بهم خيلاء
 دين وبر والوفاء وفاء
 أسطولهم وعنادهم وفضاء
 إن أطلقت خرت لها سيئات
 رعباً تخثر لهُولها الجوزاء
 وتصدعت جنباتهِ الركناء
 طالت وطال جحيمها وشقاء
 ضجت بها أرض وضج سماء

وقال مسلم غيور من موظفي المعهد العلمي بريدة:

أتطفئ نور الله نفخة كافر
 إذا جلجلت الله أكبر في الوغا
 هناك التقى الجمعان جمع يقوده
 وجمع عليه من هداه مهابة
 وشمر خير الخلق عن ساعد النداء
 وجبريل في الأفق القريب يكبر

تعالى الذي بالكبرياء تفردا
 تجادلت الأصوات غرد لك النداء
 غرور أبي جهل كهر تأسدا
 وحاديهِ بالآيات في الصبر قد حدا
 وهز على رأس الطغاة المهندا
 ليلقى الونا والرعب في أنفُس العدا

وسرعان ما فرت قريش يجمعها وعانت أبا جهل هناك ممددا
منكسة الرايات مغلولة العرى جريحة كبر قد طفى فتبددا
ولما أن جرى من اليهود ذلك الإجرام وهو تحريق المسجد الأقصى قام العرب
وفقدوا وبعثوا صرخاتهم إلى العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها ورن
صداء هذه الجريمة وطلبوا إنقاذ ثالث المسجدين وأولى القبلتين وطالبوا بحقوق
المسلمين ومقدساتهم وحقوق الإسلام وطار صدى هذه الفعلة الذميمة والجريمة
الشنيعة واهتم لذلك العاهل السعودي ملك المملكة العربية السعودية فيصل بن
عبد العزيز ووجه نداء دعا فيه إلى الجهاد المقدس ثم توالى النداءات والتصريحات
من كافة أرجاء الوطن الإسلامي الكبير من باكستان والصومال وتونس وتركيا
وماليزيا وكشمير وموريتانيا وسيلان وقطر والكويت وقد لى نداء الملك فيصل بن
عبد العزيز سائر دول الإسلام وانهالت برقيات التأييد وهذه برقية من وزير الدفاع
سلطان بن عبد العزيز (حضرة صاحب الجلالة مولاي القائد الأعلى للقوات
المسلحة الملك فيصل بن عبد العزيز المعظم يتشرف الخادم بأن يرفع إلى علم
جلالتكم بأنه ما أن سمعت قوات جلالتمكم المسلحة للنداء الذي أعلنتموه بشرف
الجهاد في سبيل الله بغية تخليص المقدسات في فلسطين المحتلة وحمايتها منبغي
الظالمين المعتدين حتى انهالت علينا مئات البرقيات من رئيس أركان حرب الجيش
وجميع قادة المناطق والأسلحة المختلفة في كافة أنحاء المملكة العربية السعودية وقد
هبوا جميعاً لتلبية النداء وتأييد الدعوة التي تمثلون فيها لأمر الله وتنصرون فيها دين
الله وتعلنون بها كلمة الحق ولواء التوحيد وهم بهذا إنما يعبرون لقائدهم وللمليكهم
عن شعور إسلامي صادق وعقيدة راسخة متينة في ولاء وإخلاص لتتاج المفدى
وللوطن العزيز أعز الله الإسلام ونصر المسلمين وحفظ جلالتمكم وأيدكم بالنصر
والتوفيق مولاي المعظم. سلطان بن عبد العزيز).

فأجابه الملك شاكراً لهذا الاستعداد وقال في الجواب أبلغوا الجيش العربي أن
يكونوا دوماً على أهبة الاستعداد ليوم الجهاد بعد أن طال الانتظار وبعد المصير
الإمضاء فيصل.

أما ما كان عن إسرائيل أو اليهود فإنها زعمت بأنها لم تقدم على حريق المسجد الأقصى وأنه لا يمكن أن يصدق بهذا إنسان في رأسه قليل من عقل وإنما جرى الاحتراق بقضية التماس كهربائي ثم عدلت عن هذا وزعمت أن شاباً مسيحياً أستراليا خجولاً يحمل الإنجيل معه ويقرأه طوال الليل وآناء النهار من أتباع كنيسة الله وهم جماعة بروتستانتية متطرفة هو الذي قام بهذا العمل الإجرامي وأن هذا الشاب قضى بضعة أشهر في إسرائيل ويعمل في إحدى المستعمرات بالقرب من تل أبيب! أما عن الحسين بن طلال ملك الأردن فكما قيل:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت يوماً به الحرب شمرا
كليث هزبر كان يحمي ذماره رمته المنايا قصدها فتقطرا
وكان قد تقدم من اليهود في مستهل هذه السنة أعمال سيئة ففي ١٣ محرم
أصيبت العرب بمحن منها واعتقل ١٢٠٠ ما بين شاب وفتاة في القدس ضمن حملة
إرهابية شنتها سلطات الاحتلال وكذلك اعتقلت أربعين طالبة وفتاة ومن ضمن
هؤلاء فتاة توفيت في إحدى السجون نتيجة التعذيب الذي تعرضت له على أيدي
جنود الاحتلال، وكذلك اعتقلت سلطات الاحتلال أكثر من سبع عشر فتاة وشاباً
من عائلة واحدة من ضمنهم شاب في العشرين من عمره وقد سئمت السلطات
من تعذيبه وعدم اعترافه بالتهمة الموجهة إليه فأخذه إلى منزله وبدأ جنود الاحتلال
بضربه أمام والدته العجوز وقد حاول الشاب القفز من نافذة المنزل فأطلق عليه
الجنود النار وأصابوه بجروح مختلفة. هذه بعض من كل من قساوة اليهود وشدة
عداوتهم للإسلام وأهله مما يدمي القلوب ويثير الأشجان ويبعث الأحزان ومما
أنشده أحد المتورين من هذه الأعمال في وقت عيد الفطر وأيامه:

في العيد يرقص كل قلب ناعم إلا قلوباً بالعراء دوامي
اتخذت من الغبراء متفرشاً لها وتسربت بالعري والأسقام
تشكو ولكن لا يحس شكاتها غير المليك الواحد العلام
تتعاقب المحن الشداد عليهم كتعاقب الأيام والأعوام

قد أثرت تلك المآسي فيهم شرقوا بدمعهم من الآلام
هم يأكلون الجوع من أملاقهم ويجرعون الذل كأس حمام
نثروا كما ينثر النجوم وشردوا سيقوا إلى البأساء سوق سوام
كم صعدوا من حسرة ملتاعة قد أضرمت في القلوب أي ضرام
البرد يلسعهم ويلذع جسمهم يثير فيهم كامن الأسقام
يا مسلمون تفكروا إخوانكم يتجرعون مرارة الأيام
وتفقدوا أحزانهم وشقاءهم كي تكرموا فيهم أبا الأيتام

أعمال الفدائيين

لما استولت اليهود على فلسطين بالقوة والقهر قام فدائيون كانوا موتورين من أفعال اليهود الذين سلبوهم أراضيهم وأموالهم وساموهم سوء العذاب فجعلوا ينتقمون من اليهود وكانت العرب تدهم بالقوات والذخائر وتشجعهم ليسترجعوا أوطانهم فكان للفدائيين صولات ومغامرات للانتقام من اليهود ولا سيما إذا قامت الإذاعات العربية تحمسهم وتستجيشهم فيلقون بأنفسهم ويغامروا وكان لهم هبة وأخافوا العدو..

نحن للدنيا دمء خزنـت في جفون عينها لم تحجب
فإذا ما صاح يوماً أمـتي جاوب الجرح بماء سكـب
أنت فينا يا فلسطين هوى رغم أنف الظلام المغـصب
وإذا العلياء أضيناها لظما نعصر الجرح يناديها اشـربي
قد يموت الموت قد تفنى الدنا حقنا في أرضنا لا يـخـتـبي

فقد قام الفدائيون بتنفيذ مائة عملية وعشر عمليات ناجحة داخل الأرض المحتلة وقتلوا وجرحوا حوالي ستمائة من جنود العدو ودمروا ثمانياً وثمانين ما بين دبابة وسيارة وكاسحة ألغام وعشرين محطة كهربائية مائية ومصنعين كبيرين ودمروا المبنى الرئيسي في مطار اللد وأشعلوا النار فيه ودمروا خمسة أبراج مراقبة ونسفوا

السكك الحديدية وجسوراً دمروها في ستة مناطق ودمروا أربعة عشر مدفعاً ثقيلاً ومتوسطاً وعشرة منشآت عسكرية ودمروا عدداً كبيراً من المنشآت المدنية في عدة مستعمرات ومدن العدو ودمروا عدة منشآت بترولية بين خزانات وأنابيب وقتلوا وجرحوا آخرين وكان الفدائي يقذف نفسه في المهالك مما أحدث القلق والفرع في إسرائيل وملوا من تلك الحالة الراهنة وقامت مائة ألف وأربعون ألف عائلة في إسرائيل تطلب الهجرة من فلسطين لتعيش بسلام وأمن وعزموا على مغادرة منازلهم الأخيرة واللجوء إلى تل أبيب ذلك لأن أعضاء حركة التحرير الفلسطينية فتحت شددت الوطأة بهجومها العنيف على حركة اليهود فقد توقف عدد كبير من مصانعها عن العمل بالنسف والتدمير وتخريب الآلات وأمسى الكثير من اليهود يفضلون سهراتهم في بيوتهم ومنازلهم لأن دور السينما والملاهي تعاني أزمة عمل عنيفة حتى أن الشوارع أصبحت خالية من جموع المشاة والمتنزهين في أيام العطل وساعات الراحة حيث أن جميع الإسرائيليين أصبحوا يعيشون في حالات عصبية مرهقة ولكن اليهود اقترحوا تعد ذلك بأن قابلوا تلك الأعمال بأن أخذوا الأدنى بالأقصى وقبضوا على بعض المدنيين الأمنيين بجرائم غيرهم وكانوا يقبضون على الفلسطينيين بأعمال الفدائيين ولاحقوا أهالي فلسطين ملاحقة بكل وسيلة وبكل جهة كانوا، وهدموا مساكنهم وحملوهم على الرحيل من فلسطين ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا لبنان وهاجموا حكومات المغرب بدعوى أن الفلسطينيين يلجؤون إليهم وحدثت زعازع واشتد أذاهم على أهل فلسطين معتقدين أن وجودهم يهدد أمن إسرائيل وسيأتي لذلك بقية إن شاء الله تعالى.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها في الساعة الحادية عشر غروبي من يوم الاثنين مساء ٢/١٨ هبت رياح شديدة في منطقة القصيم واقلعت بعض الحيطان وأخذت برجل قوي كان إذ ذاك في سطح بيته فألقته إلى بعد مسافة نصف كيلو واقلعت أخرى فألقته في أقاصي

الخبيب من موضعها حوالي خزان الماء أمام محطة التلغراف وكادت لقوتها أن تقلب بعض السيارات ويحدثنا الذين شاهدوها عن أمر عظيم.

إمارة فهد بن محمد بن عبد الرحمن

ففي هذه السنة اقتضت الإرادة الملكية بتعيين صاحب السمو فهد بن محمد بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أميراً على سائر مقاطعات القصيم فقدم بريدة في الساعة الثانية نهاراً من يوم الأربعاء ١٣/٧/١٣٨٩ هـ وقام الأعيان يهرعون للسلام عليه والترحيب فلقوا من سموه حفاوة وتقديراً وقرر أوقاتاً للاجتماع بالعلماء والأعيان وعزل الأمير السابق سعود بن هذلول فرحل إلى الرياض بعدما أدى واجباً وسمعة طيبة وقام الأمير الجديد بزيارات وتفقدات للإمارات وطلب تأييداً لها.

وفيهما في اليوم الرابع والعشرين الموافق للخميس من جمادي الأولى شهدت مدينة بريدة مهرجاناً كبيراً اشتركت فيه أندية منطقة القصيم كلها وهذا هو السباق في السياكل وعلى الأقدام والإبل ورصدت جوائز للفائزين وقد غصت قاعة السياق بالحاضرين وامتلات ساحة السباق في الموضع الكائن مطاراً في السابق المعروف بالعودة حوالي التغيرة وكان من أبرز السباق الذي جرى سباق الجيش الذي كان له أبهة وتم وفق شروط من بينها موافقة المتسابقين على المسافة المحددة لهذا السباق وقدرها خمسة كيلوات وثلاثمائة متر مع ضرورة إحضار موافقة أولياء أمور المتسابقين لمن أعمارهم دون السابعة والعشرين وأن يقوم المتسابق بإحضار الجمل الذي سوف يمتطيه في السباق على أن إدارة المركز لن تكون مسؤولة عما ينجم له أو لراحلته من حوادث، وشوهدت الإبل في السباق يظهر عليها البهاء والحسن والهيبة لما أشرقت على الحاضرين قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) ولما انطلقت من الميدان بعلامة جعلت هناك وهي طلقات نارية من المسافة التي ذكرنا جعل المذياع ينادي بأعلى صوته قد شرعت الإبل في

السباق فرجاء عدم التصفيق من الحاضرين رجاء عدم التصفيق لأن لا يجفل الإبل وتشرد فيتأذى ركابها وذلك لأنه إذا ند البعير فيكون من الصعب وقوفه وجعل يتعالى صوته ويبكي ووقفت الأمة على الأقدام لترى سباق الإبل حتى تهافتت ولها روعة عظيمة وكان السباق ناجحاً للغاية.

وفيها انتهى العمل من الخط الذي أقيم مسفلتاً يربط الخبراء بالبدايع الذي يتفرع من خط المدينة إلى بريدة ويمتد جنوباً حتى يتصل بخط عنيزة والرس وكان قد واجه صعوبات بحيث يمر بوادي الرمة فاضطرت المواصلات إلى إقامة كوبري يقدر طوله شمالاً وجنوباً بمسافة كيلوين وكان ذلك الكوبري في وضعه وتركيبه وهندسته بديع المنظر بحيث بلغت تكاليفه إلى عدة ملايين وأن حكومتنا أيدها الله تعالى لا تزال جادة في خدمة الشعب والسعي في راحة المواطنين.

وفيها عاشر ربيع الأول من هذه السنة انتهى العمل من سفلة طريق القصيم إلى المدينة المنورة وقد بلغت تكاليفه مائة مليون وثلاثين مليون وسبعمائة ألف وأربعة وثلاثين ألفاً وأربعمائة وتسعة وثلاثين ريالاً وكان بدأ العمل في أول مراحلها في الرابع عشر من ذي الحجة عام (١٣٨٤هـ) وبلغ طوله سبعمائة وأربعة وعشرين كيلومتراً وهو يربط بين الرياض بطريق يتفرع من خط الحجاز بالقرب من الدوادمي وبين عنيزة بريدة الرس عقلة الصقور النقرة الحناكية المدينة المنورة.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

في ذمة الله تنعى المملكة السعودية رجلاً من دعاة الخير وهو عبد الله بن محمد القرعاوي ذلك الرجل الداعية إلى دين الله وشرعية رسوله وقام بأعمال في جنوبي المملكة يدعو سكان تلك الجهات إلى توحيد الله ولقد بث دعوة في عسير وما يلي تلك الجهات وفتح مدارس ونشر دعوته هناك فظهر له تلامذة كثيرون ومن هؤلاء الشاب العالم الأديب حافظ بن أحمد حكيمي وكان لدعوته تأثير عظيم. وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم المعلم الموفق الداعي إلى الله تعالى عبد الله بن محمد بن حمد

بن محمد ابن عثمان بن علي بن محمد بن نجيد، ولد في ١١ ذي الحجة (١٣١٥هـ) كان محمد ابن نجيد في عنيزة بالجناح ثم باع أملاكه بعنيزة واشترى بدها أملاكاً في القرعا وجاور أهلها وكان يسمى فيها ابن نجيد وكذلك أولاده وأولاد أولاده ثم أنه انتقل حمد بن محمد جد المترجم إلى عنيزة وكان لا يعرف إلا بابن نجد وذلك في مكاتباته وأسانيده فلما بنى بيوته في عنيزة وغرس نخله المشهور بالقرعاوية لقب بالقرعاوي لقباً بلفظ النسب ولكن في المكاتبات والأسانيد كان يكتب (ابن نجيد) فلما وقعت حرب عنيزة قلع الأشجار والنخل وباع الأرض والبئر وانتقل إلى جنوب بريدة وغرس نخله المشهور الآن بالفيضة. قال المترجم وهي ملكنا حتى الآن وبقيت بيوته وأولاده في عنيزة وهناك فروع لآل نجيد غيرهم كثيرون في عنيزة وبريدة والبكيرية والخبراء والبدايع وفي بغداد والشام لأن أجداد المترجم كانوا دائماً يسافرون إلى بغداد وإلى الشام وحلب جمالين يحملون البضائع من هناك ولم يشتهر أحد منهم بالقرعاوي إلا جد المترجم حمد الحمد لما ذكرنا آنفاً وفي عنيزة حمد العلي القرعاوي وإخوانه صالح وعبد الله وذريتهم أهل بيت كل واحد منهم يطلق عليه لقب القرعاوي، وهم منتقلون من القرعاء ولكنهم ليسوا من آل نجيد بل يرجعون إلى آل المطوع وأولئك آل نجيد وكان حمد جد المؤلف أولاً فلاحاً بالقرعاء ثم جمالاً ببغداد ثم في حلب ثم فلاحاً بعنيزة ثم فلاحاً بالجنوب ثم توفي في شهر رمضان سنة (١٣١٥هـ) بعد أن مرض بالفالج وبقي على فراش المرض أربع سنين.

وفي تلك السنة أيضاً توفي والد المترجم محمد بن حمد ولما أن كان بعد وفاة والده بشهرين تقريباً ولد المترجم في ١١ ذي الحجة (١٣١٥هـ) فنشأ اليتيم في عنيزة مسقط رأسه وقام بتربيته والدته وعمه عبد العزيز بن حمد وتأيت والدته عن الزواج لرعايته فأدخل على مقرئ في عنيزة ثم أنه أخذ في طلب العلم وكان دائم الحركة خفيف الروح نشيطاً وتبدو في ملامحه إمارات الرضا والغبطة ويقول طلب العلم من المهد إلى اللحد ويتحدث أنه مع شيبته لا يستنكف من تلقي دروس الحساب والخط مع صغار التلاميذ في مدرسة الأستاذ إبراهيم حلواني في مكة المشرفة.

وهذه صفته كان متواضعاً بشوشاً ربعة أصفر اللون مستطيل الوجه أقنى الأنف ناتئ الجبهة أزج الحواجب أقرنها غير واسع العينين وقد رأيته في العقد السابع من العمر وقد وخطه الشيب في عارضيه ولحيته أخذ العلم عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ وأخذ عن الشيخ عبد الله بن مانع في عنيزة وأخذ عن الشيخ صالح بن عثمان القاضي وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ صالح بن عثمان القاضي وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وذهب إلى الهند وهو كبير السن لاستكمال الدراسة ورحل إلى الأحساء فأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن بشر وذهب إلى الجمعة فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد العزيز القنقري وكان في رحلته إلى الهند وإقامته هناك قد بلغه مرض والدته فرجع لذلك لأنها طلبت حضوره ولكنها توفيت قبل وصوله فرجع إلى الهند للمرة الثانية ليأخذ عن علماء الحديث هناك ثم رجع وكرر الدراسة على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وعرض عليه في سنة (١٣٥٧هـ) إدارة مدرسة الجمعة ثم عرض عليه إدارة مدرسة بريدة وعرض عليه أن يكون مدرساً في عنيزة وفي دار الحديث بمكة وأن يكون إماماً في أحد مساجدها فأبى وعزفت نفسه عن الوظائف أياً كانت أهلية أو حكومية وفضل أن يكون داعية إلى الله وإلى سبيله وأصبح كذلك بصفة لا يشاركه فيها أحد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده وله هبة عند من يراه متخلفاً عن الصلاة أو امرأة متبرجة ويقول إني أستطيع أن أغير المنكر بيدي وله مكانة عند الناس ولما أن كان في اليوم العشرين من شهر صفر سنة (١٣٥٨هـ) توجه إلى جيزان وأخذ منه بضاعة وتوجه إلى سامطة فنزل دكاناً فيها وجعل يبيع ويعلم فيه وكان ذلك الدكان أول مدرسة فتحها ثم استمر في فتح المدارس في تلك الجهات في سامطة والجرادية وسائر أبها وبيشة وفيفا والدرب وجيزان وصبيا ولما أن كان في سنة (١٣٥٩هـ) ذهب إلى مكة فاستحصل كتباً كثيرة في الحديث والتفسير والتوحيد والأحكام ثم توجه بها إلى جيزان وذلك في ١٨ صفر وذهب إلى سامطة فبنى مدرسة في بيت

ناصر خلوفه وهي من الخشب والجريد والحبال والحشيش واتخذ للكتب خزانة ولما أن قدم خالد بن أحمد السديري أميراً على جيزان قدم على القرعاوي طلاب علم وطلب منه أهل مخلاف أن يتجول في جهاتهم لنشر الدعوة فذهب وكبار تلامذته يعظون ويرشدون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكان هو الوجه للدعوة بيني لتلامذته طريقة التيسر والرفق واللين والبصيرة والبعد عن العنف والشدة والتعسير والتنفير وهذا ما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل لما بعثهما إلى اليمن بأن قال لهما «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا» ولما تجول هو وتلامذته أزالوا هناك أموراً من البدع المخالفة للشرع من تعظيم القبور والأشجار والأحجار وفر أناس من الدجالين والسحرة وأهل التنجيم والكهانة والتزوير والخط والشعوذة وأكثر هؤلاء أو كلهم من خارج المملكة السعودية وكان لجولته أثر عظيم بحيث أن الناس كأنهم راقدون فانتبهوا، قال رحمه الله وكان أمير سامطة يومئذ (سند الحماد) وكان مساعداً للدعوة ومحبا لها من كل وجه.

وفي هذه السنة وفد إلى سامطة طلبة علم من غامد وزهران ورجال المع وأتى إلى القرعاوي محمد بن أحمد الحكمي أخو حافظ بن أحمد برسالة من أخيه يطلب كتاباً في التوحيد ويعتذر عن عدم القدوم لاشتغاله في خدمة أبويه في رعي الغنم ويطلب من المترجم أن يزور تلامذته للقرية التي هو ساكن فيها فذهب الشيخ وإخوانه إليها وجعل يلقي الدروس ويتعلم منه حافظ أحمد تارة يذهب إليه القرعاوي وتارة يذهب هو إليهم في قرية الجاضع ومرض الشيخ بالجرادية مرضاً شديداً وقد عرض عليه الأمير خالد السديري قضاء سامطة واعتذر وعرض عليه قضاء المسارحة فأبى وكان الشيخ يبني مساجد ومدارس هناك لما أن كان في سنة (١٣٦٠هـ) تفرغ حافظ حكمي وطلب العلم بإذن من والديه لأن الشيخ استأجر راعياً للغنم بدلاً عن حافظ وبنى الشيخ مدرسة سامطة مرة أخرى بدلاً عن البناية الضعيفة وجعل فيها ستين مدرساً من كبار الطلبة واجتمع فيها تلامذة كثيرون

فاختتن كثيراً من الأطفال وفيهم حافظ وقد أومل الشيخ وليمة لختانه وقال للأولاد كل من اختتن وترك اللعب واللهو واختلاط الرجال بالنساء والإسراف بالنفقات الفارغة فإني مستعد له بإقامة وليمة وكان لهذه الدعاية والختان الذي جرى في المدرسة أمر عظيم ترك العادات القبيحة السيئة وأقبل الناس من كل جهة يدخلون أولادهم المدرسة يقرؤون ويتعلمون ويختتنون ومن كان من الطلبة محتاجاً يجد المأكل والمشرب والملبس وما زال يفتح المدارس ويبني المساجد ولما أن كان في هذه السنة تأخر بإذن الله خريف تهامة فأوجب الحال انتقال أهل تهامة لتتبع مساقط الأمطار في الوديان وكان الطلبة مع أهلهم وفي انتقالهم يثون الدعوة فيما يتنقلون إليه من البلاد فكان لذلك أثر عظيم في تلك الجهات وكان بعضهم يفتح مدرسة ويعلم فيها وبعضهم يبني مسجداً ويؤذن فيه ويدعو الناس للصلاة ولما رأى الأمير خالد السديري أثر تلك الدعوة المباركة تسبب عند الحكومة لجملة من الطلبة بثلاثمائة ريال إكرامية توزع عليهم شهرياً وهذا من عام مساعداته التي يشكر عليها ولما أن كان في سنة (١٣٦٢هـ) تزوج الشيخ عبد الله من بيت محمد بن عثمان وكثر في هذه السنة الوافدون على الشيخ من الليث وتهامة وعسير وبيشه وبعث الملك السابق سعود بن عبد العزيز حال كونه ولي العهد بإعانة كبيرة للقرعاوي في السنة التي بعدها واستمر دفعها كل سنة ثم أشار الشيخ على حافظ حكيمي أن ينشئ نظماً في التوحيد على موجب ما قرأه من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، ولما كان في سنة (١٣٦٤هـ) حج الأمير خالد وجاء بعده لإمارة جيزان محمد بن محمد السديري وسلك خطة الأمير خالد بمساعدة الدعوة وطلب أمراء مقاطعة جيزان وقضاتها ومشائخ القبائل من الشيخ عبد الله القرعاوي أن يبعث إليهم معلمين يفتحون المدارس وهم يساعدونهم على نشر الدعوة ففتح مدارس كثيرة جداً وكان لمحبته نشر الدعوة لا يتوقف عن فتح المدارس إذا طلبوا منه وفي تلك الآونة أشار على الشيخ الشاب حافظ أحمد الحكيمي أن ينشئ نظماً في الفقه والآداب ونظماً في ذم الدخان والقات

وأشباهها وفعلاً قام بذلك غفر الله له وطبعت ولما أن بلغ أسمع جلالة الملك عبد العزيز خبر نهضة القرعاوي وما فتحه من المدارس أرسل هيئة تكشف حقيقة الأمر ولما أن قدمت الهيئة في سنة (١٣٦٥هـ) أعجبت بتلك المدارس ورأوا من ثمراتها ما يسر الخاطر ووفقت بأن رجعوا يروون لجلالته ما شاهدوا وأخبروه بالوضع فأمر بأن يقرر للمعلمين والمتعلمين رواتب شهرية وقد كان الباعث لذلك هو أن أهل الأهواء يغزلون لإطفاء هذه الدعوة وإلغاء المدارس غير أنها خسرت في هذه المرة صفقتهم وخاب أملهم كما أشرنا إلى ذلك لطيفة فيما تقدم غير أنهم لا يزالون في ملاحظتها حتى أطفأوا تلك الشعلة فضمت المدارس إلى المعارف ولكنها لا تزال آثارها باقية والحمد لله وكان الشيخ إذ ذاك يتجول على تلك المدارس ويراقب سيرها ممتطياً الحمر حتى دبرت من كثرة سيرها في تلك الجبار وكان الأمير تركي السديري هناك يساعد القرعاوي وتلامذته مساعدة واسعة بحيث أمر صاحب دكان لديه أدوات المدارس بأن يسلم القرعاوي كل ما يريده على حسابه بدون حصر ولا قيد فكان لنهضته أمر عظيم في جهات أبها هذا وقد تعرضت دعوته عقبات وبعث أناس ضده يدعون أن هذه المدارس في صرفيتها غير معقولة وكانت الحكومة تبعث للكشف عن حقيقتها غير أن الله ينصره ويظفره بكل مرة ولكن الهيئة الأخيرة لم تفلح وغلبت على أمرها وكانت وفاة المترجم في ٢٣ جمادى الأولى الموافق ليوم الأربعاء من هذه السنة غفر الله له وتغمده برحمته والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ومن توفي فيها من الأعيان الرجل الهمام عبد الله بن سليمان بن عيسى البطل الشجاع كانت وفاته في آخر ليلة الأربعاء ٧/١٩ كان من بني زيد أهل شقراء ويلتحقون بقحطان وكان عبد الله قد اشترك في غزوات الحسين بن علي الشريف ولبث في خدمته مدة من الزمن ويروي لنا قصته في ليلة هجوم الإخوان بقيادة سلطان بن عباد بن حميد وأمير الخرمة خالد بن لوي علي عبد الله بن الحسين الشريف في قرية. قال: أنه جاءنا نذير وهي امرأة دخلت على قائد الجيش عبد الله في المجلس العام بين العشائين فقالت له تحذر يا شريف فقد أقبلت السلاطين إليك

سلطان بن بجاد وسلطان أب العوالي وجعلت تعدد السلاطين قال فكانت لفظاتها في الكلام أعظم علينا من قنابل المدافع وألقى الله الرعب في قلب القائد عبد الله بن الحسين ولكنه أظهر التجلد ثم أن المترجم بعدما فتح الله مكة لآل سعود ووضعت الحرب الحجازية أوزارها سكن في مكة فانضم إذ ذاك إلى الأمير فيصل بن عبد العزيز حال كونه نائباً هناك وهو لصرامته ينازع ابن سليمان الشرف حينما كان الأخير وزيراً في المالية فقضت الظروف بأن يكون ابن عيسى مزارعاً لنفع قومه وأمه ومنحته الحكومة ماكنة مائة فقدم إلى مدينة بريدة موطنه سابقاً وذلك لمحبه لوطنه فكانت لأول مرة يستخدمها الفلاح في بريدة ونزل في السياج المعروف وذلك في سنة (١٣٥٠هـ) ثم أنه انتقل بعد ذلك إلى موضع أوسع وهو المعروف بالنقع وكان أمير بريدة عبد الله بن فيصل صديقاً له فبذل جهوداً في الزراعة وحصل على شيء كثير ثم إن الحكومة جعلته في فرع الزراعة في القصيم ثم رأت أن تجعله في قيادة النظام كمدير أمن في المنطقة الشرقية الظهران تحت إمارة سعود بن جلوي فسار ولبث هناك ما شاء الله ثم رأى أن يتعاطى في الأعمال الحرة مفضلاً لها على الوظائف وطلب من حكومته السماح له وأن تمنحه أرضاً واسعة في وطنه بريدة فحصل على أراضٍ في الباطن في الموضع الجنوبي الشرقي عن مدينة بريدة واتخذها منزلاً وضيعة عظيمة تفيض على العاصمة بأنواع البرسيم والبطيخ والقثاء وكان في كل أعماله وتنقلاته عزيزاً شريفاً وجيهاً ومهاباً ومعظماً لماله من الهيبة وحسن التدابير وكان صريحاً وسياسياً لا يوقف في طرقة ومعه عزة نفس فلا يصبر على الضيم كما أنه جهوري الصوت مصقع لا يخلو من الجبروت وما زال يعمل في الحراثة ويستخدم الآلات لذلك حتى كان لديه أكبر ضيعة ثم أنه تجاوز الثمانين من العمر وكلت قواه وضعفت بنيته ولأثار نكبة جرت عليه حدث منها شجاج في الرأس وكسر في إحدى يديه ثم أصيب بمرض ألزمه الفراش حتى توفي في هذه السنة. وكان في صفته مربوع القامة قوي الإرادة شديد البأس ولا يتأثر لشيء من الأمور ولا يهاب أحداً ولا تلين قناته لمخلوق كائناً من كان رحمه الله وعفا عنه.

وفيها في آخر شهر ذي القعدة وفاة الوجيه عبد العزيز بن علي بن منصور
الرجيفي رحمه الله تعالى كان من قبيلة سبيع من بني ثور ومن رجال الوطن في مدينة
بريدة الذين لهم شرف خدمة بلادهم فهو أحد رجال هيئة الأراضي حيث يتمتع
بالعقل الرزين والقلب الواعي وله غور بعيد ومعرفة وذو تجارب أتاه الله عقاراً
وسعة في الرزق ويحب الفلاحة ولم يك ذا فخفة إنما كان مقتصداً وثابتاً في الدين
وملازماً للصلوات الخمس مع الجماعة وما زال في نشاطه وذاكرته مولعاً بالحج
والعمرة حتى هرم وکلت قواه قبل وفاته بخمس سنين وتوفي عن عمر يناهز المائة
عام وقد يشيع جثمانه إلى قبره المشائخ والعلماء فالله المستعان. وقد كان من أحبابنا
ولديه خبرة بالأمور حتى كان يراها من وراء الحجاب نسأل الله أن يتغمده برحمته.

ومن توفي فيها من الأعيان للشيخ عبد الرحمن الخاقان كان قد تعلم القرآن
الكريم ثم أخذ في الدراسة على أيدي مشائخ نجد فأخذ عن الشيخ سعود بن رشود
قاضي وادي الدواسر سابقاً ثم التحق بمدينة الرياض مواصلاً دراسته العلمية على
يد رئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وبعد ذلك انتقل إلى مكة
المكرمة مواصلاً دراسته العلمية فأخذ عن الشيخ عبد الله بن حسن رئيس القضاة
هناك ثم عين المترجم رئيساً للهيئة الدينية بعسير ثم رئيساً لهيئة الوعظ والإرشاد
بعسير أيضاً ثم قام بتدريس العلوم الدينية في المدرسة الثانوية بأبها ثم عين مفتشاً
للعلوم الدينية في وزارة المعارف بمنطقة الطائف ثم عين أميناً للمكتبات بوزارة
المعارف بمنطقة الطائف إلى أن وافته المنية عن عمر يناهز اثنتين وخمسين سنة لأن
ولادته في سنة (١٣٣٧هـ) في وادي الدواسر في بلدة الدم وكان موصوفاً بحب
المجد وأهله وحب الصدق وأهله وكان يعيش مع الحقيقة لا مع الخيال ويجب فعل
الخير والعمل به ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في المنزل وفي الدكان وفي الشارع
وفي المسجد لا يهمه إلا الإصلاح ما استطاع وله عدة رسائل وكراريس مخطوطة في
الفقه والأدب، وله كتاب ضخيم أسماه (تاريخ ما أهمله التاريخ) وكان عنده قدرة
ومعرفة بعلم الأنساب العربية وخلف ابنين وأربع بنات تركهم على التربية

الإسلامية وعلمهم الأمانة وحسن الأخلاق واعلم أنني كمؤرخ وجدت هذه الترجمة له في إحدى الجرائد السعودية فأثبتها وإلا فليس لدي إحاطة بترجمته.

اعتداء أثيم

لما كان في أواخر شهر رمضان قامت حكومة عدن باعتداء على مركز الوديعنة تريد احتلاله والاستيلاء عليه وأخذت الحامية فيه على حين غرة ودون سابق إنذار فقام السلاح الجوي الملكي السعودي يوم الأربعاء الموافق لليوم الرابع والعشرين من رمضان ثالث ديسمبر (١٩٦٩م) بثلاث غارات جوية على مواقع القوات المعتدية وكان من نتائج هذه الغارات تدمير إحدى وعشرين سيارة نقل محملة بالمؤن والذخائر وسيارة مصفحة وصهريج الوقود وثلاثة مدافع من عيار ٢٥ رطلاً وقد عادت جميع الطائرات إلى قواعدھا سالمة واتخذ الملك فيصل إجراءات جبارة لاسترداد ما سولت لحكومة عدن نفسها من الاستيلاء على تلك الأراضي فاستردها ونكل بحكومة عدن وضربها ضربة قاضية وإنها لخسارة عظيمة جسيمة على العرب في هذه التصرفات السيئة من حكومة عدن بينما تكون العرب في وقت أحوج ما يكونون فيه إلى الالتفاف والاجتماع في مواجهة العدو المشترك وإذا بالأيدي العابثة تعمل في الخفاء لتمزيق الصف العربي وتغتتم فرصة المفاجأة على غرة وغفلة ولكنه يكفي العدو ما أصابه.

المبنى الكبير للجامعة الإسلامية

في هذه السنة لا يزال العمال والمهندسون يكدحون في مواصلة الأعمال في بناية الجامعة المذكورة ولا نبالغ في هذه البناية إذا كان مباني مهاجع النوم مخصصة لأربعة آلاف طالب وبالقرب منها يوجد مطعم يضم أربع قاعات تتسع لألفي طالب وإلى الجهة الجنوبية من مباني المهاجع تمتد الأماكن المخصصة للملاعب المختلفة وبينها مستشفى يتسع لمائة سرير وهناك مباني سكنية وغير ذلك من المباني بحيث بلغت تكاليف المباني التي أنجزت لغاية جمادى الأولى من هذه السنة أربعة

ملايين وخمسمائة ألف ريال وتقدر المبالغ المختصة لإنجاز بقية المباني بحوالي ستة ملايين وأقيمت بين المباني بصورة عامة فسحات كي تغرس الأشجار وكي يساعد ظل هذه الأشجار في تعديل جو الغرف والمكاتب والفصول ولقد روعي في تصميم المباني بصورة عامة أن يكون توجيهها صحياً ومفيداً وغطيت بعض الفتحات بعاكسات حرارة الشمس بحيث يدخل من بينها ضوء الشمس دون أشعتها وأشياء أخرى تفوق الذكر ولا تزال الجامعة الإسلامية تتوسع ولا يستغرب بهذا إذ كانت في المدينة المنورة تعتبر إحدى قلاع التعليم الديني في المملكة السعودية.

مصاب عظيم وركن ينهد في عاصمة المملكة السعودية

ففي الساعة الرابعة تماماً في التوقيت الغروبي من صباح اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان الموافق ليوم الأربعاء (١٣٨٩هـ) ثالث ديسمبر كانون الأول (١٩٦٩م) اختلست أيدي المتون روح الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو العالم العلامة رئيس القضاة ومفتي الديار السعودية الشيخ النبيل والخبر الجليل محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ولد في مدينة الرياض ١٧/١ من عام (١٣١١هـ) بمنزل قرب منزل الشيخ حمد بن فارس في دخنه وكان من بيت أصيل أبائهم وأجداده على الطريقة المثلى فنشأ في العبادة والتقوى ولم يرض لنفسه سوى الاقتفاء بآثار أولئك السلف الكرام فأخذ في الدراسة واجتهد في طلب العلم وتلقيه من أهل ذلك البيت وغيرهم من أئمة العلماء إلى أن نبغ وبزغ ونال المنى وبذل النفس في إعلاء كلمة الله ورفع شأنها وإدحاض كل ما يشار حولها من شكوك وشبهات، نبكيك لا نبكي عليك نبكيك يا فقيد الإسلام ولا نبكي عليك نبكيك لأننا خسرنا بوفاتك وانتقالك إلى الدار الآخرة عالماً عظيماً هو من أئمة العلماء ومصلحاً من أخلص المرشدين لقد كنت مصباحاً نستضيء بعلمه في هذا العصر الذي تكاثرت فيه المذاهب الهدامة وتفشى الإلحاد كتفشي النار في الهشيم

فلقد انطفأ ذلك السراج وفجعت الأمة بوفاتك وتركت أعمالك التي لا زلت تتعاهدها في أمة الإسلام فلقد كانت وفاتك خسارة عظمية لأن افتقار الأئمة ورجال العلم والرجال قليل خسارة لا تصل إلى مستواها أية خسارة أخرى لقد غيب في لحده علم من أعلام الإسلام الذين كرسوا حياتهم لخدمة دينهم ونشره فلتبك الأمة الإسلامية فقيداً الذي وافته المنية وهو يكافح البدع وينصر الإسلام قرابة نصف قرن وقد بذل مهجته في سبيل العلم ونشره والذيادة عن حمى الإسلام وكان مرضه رحمه الله متساهلاً فيه أولاً ولكنه قضى عليه.

دروسه وتدريساته

درس القرآن على أحد القراء وهو عبد الرحمن بن مفيريج فأكملة قراءة وحفظه غيباً عن ظهر قلب وهو ابن تسع سنين كأحسن ما يكون في الحفظ والتجويد ودرس على أبيه إبراهيم بن عبد اللطيف في كتب التوحيد والفقه ومنذ ذلك الحين وبوادر الذكاء وعلامات العبقرية تبدو واضحة على تصرفاته وعند بلوغه السابعة عشرة من عمره فقد بصره على إثر رمد أصابه فلم يفت ذلك من عزمه بل واصل الدراسة فأخذ عن عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق أخذ عن هؤلاء علم التوحيد والفقه والنحو والحديث والأصول وأخذ عن الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود العتزي علم الفرائض وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود وأخذ عن غيرهم من علماء العصر في شتى العلوم كما أنه حاز على إجازات من كثير من علماء نجد ومن مشائخ الأقطار الأخرى كالهند ومنهم الشيخ حسين بن محسن الأنصاري والشيخ عبد الستار الهندي الدهلوي اتصل به في حج عام (١٣٤٨هـ) وأجازه في رواية الحديث عنه وكذلك أجازه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق كإجازة علماء الهند له وأجازه الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري أجازه تضمين لإجازة الشيخ سعد بن عتيق وأجازه كذلك الشيخ محمد بن عبد القادر الزلالي العراقي، وكان يذهب في حياة عمه عبد الله بعد صلاة الفجر إلى بيت الشيخ ليحضر مجالس

الدروس والتحصيل ويقضي بقية النهار في مراجعة ما أخذ سلك هذه الطريقة مع زملائه إلى أن توفي عمه وهذا يدل على شغفه بالعلم حيث كان رئيس تلامذة عمه عبد الله ولما أن مرض الشيخ عبد الله مرضه الأخير أشار على صاحب الجلالة الملك عبد العزيز به وأنه يتوسم فيه مؤهلات العلم والعقل والإدراك وسعة الرأي فولاه الملك عبد العزيز أمانة المسجد المشهور في دخنه والتدريس في أغلب أوقات يومه ثم أسندت إليه بعد وفاة عمه وظيفة الإفتاء لعموم نجد اختاره الملك عبد العزيز لذلك ثم عينه قاضياً للفظط عام (١٣٤٥هـ) أبان سطوة الإخوان وجبروتهم لما غلوا في الدين وتجاوزوا الحد فمكث عندهم شهوراً يبين لهم الحق وينهاهم عن الجهل والغلو حتى ألان شكيمتهم ثم بعد ذلك رجع إلى الرياض.

مقامات المترجم في الإسلام

كان قلعة يهابها كل مبطل وأخذت بيده هذه الحكومة وفقها الله تعالى ومنحته ما يريد لينهض بهذه البلاد ويهتم بأمورها الدينية والإصلاحية وما أكثر المجالات التي أشرف عليها ووجهها وقامت في عهده في القضاء والإفتاء ورابطة العالم الإسلامي والجامعة الإسلامية والمؤتمرات التي لا تحصى انعقدت برئاسته وإشرافه وهذه الوظائف التي كان يشغلها:

- (١) رئاسة القضاء. (٢) رئاسة دار الإفتاء. (٣) رئاسة الكليات والمعاهد العلمية. (٤) رئاسة الجامعة الإسلامية. (٥) رئاسة دور الأيتام والتي ضمت إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية. (٦) الإشراف على رئاسة تعليم البنات. (٧) رئاسة المعهد العالي للقضاء. (٨) رئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي. (٩) رئاسة المكتبة السعودية. (١٠) رئاسة المعهد الإسلامي في نيجيريا. (١١) رئاسة المجلس العالي للقضاء. (١٢) رئاسة معهد إمام الدعوة العلمي. (١٣) خطيب الجامع الكبير. (١٤) إمام مسجد دخنة الكبير من مدة خمسين سنة. (١٥) الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا. (١٦) رئيس مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية والتي تصدر عنها الآن جريدة الدعوة. (١٧) بدء

الإعداد لإنشاء مجلس هيئة كبار العلماء والذي اعتمد في ميزانية هذا العام ٨٩-٩٠ غير أن المنية وافته قبل أن يباشر المجلس أعماله. (١٨) الإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذنين. (١٩) تعيين الوعاظ والمرشدين. (٢٠) إمامة العيدين والاستسقاء فهذه عشرون وظيفة كان تقلدها ولعمري لقد كانت الجبال تنوء عن حملها لو حملتها بجمعها هذا الذي تصدر منه الأهلة والصيام والإفطار والحج والأعياد وفتح المعاهد والكليات والتوظيفات والأمور الدينية فهو المسؤول الوحيد عنها وخدمته الليالي والأيام وخضعت الدولة لتوجهاته الشرعية وقلدته الأمة أمور دينها وناهيك به من يقظ فهم يباشر الأمور بنفسه ويسهر لكشف المشكلات ويزيل المظالم ويوقف كل معتد عند حده وكان لما رجع من قضاء الفطط إلى الرياض جعل يدرس تدريسات من صلاة الفجر إلى أن يوتر وينام ليلاً في جميع فنون العلم توحيداً وفقهاً وأصولاً وحديثاً ونحواً وفرائض وغيرها قد جعل للطلاب ما يناسبهم فكبارهم في الأمهات والكتب الكبار والفقيه ابن مالك ونحوها ومتوسطوهم بأقل من ذلك وصغارهم على ما تتحمله أفكارهم ويتدئ الطلاب في بداية الأمر بكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كالثلاثة الأصول والتوحيد وكشف الشبهات وآداب المشي إلى الصلاة ومفيد المستفيد وما تحتوي عليه مجموعة التوحيد ومجموعة الحديث والأجرومية وقطر الندى حتى تتقوى معلوماتهم فأقبل إليه الطلاب من كل حذب وصوب وتخرج عليه علماء أفاضل ولما أنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية أسندت إليه رأستها وكان ذلك في سنة (١٣٧٣هـ) ولما أنشئت رئاسة القضاء في نجد وملحقاتها والمنطقة الشرقية والشمالية وذلك في سنة (١٣٧٦هـ) أسندت رئاستها إليه وبعد وفاة الشيخ عبد الله بن حسن ضمت رئاسة القضاء في الحجاز إليه وألقي على كاهله أعباء جسام تنوء بها العصبية من أولي القوة فنهض بها بحزم المؤمن وصبر المجاهد وروية الحكيم وبذل للمهام التي نيظت به نفسه فدانت له ومنحها وعيه وأولاهها نصحه فسارت رشيدة شديدة لا تنحرف ولا تنحرف ولا تنحاز هذا وقد كان يمتاز لقوة عقله وسعة براعته أنه لم يكن إذناً سامعة فتستفزه

أهل الوشاية والتدجيلات بل يتبين ويتثبت ويتحرى وما أصيب الإسلام وأهله في هذا الزمان بل وكل زمان إلا من العجلة والتسرع بأخذ الأقوال من غير تثبت ولقد أدبنا الله تعالى بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيْهِمْ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ وكان يعرف للناس أقدارهم وينزلهم في منازلهم فلا يرفع من لا يستحق الرفعة مهما كانت الملابسات ولا يضع من لا يستحق الوضع مهما كانت المؤثرات فأدرك بذلك درجة عالية من الحكمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وكان أخواله هم آل هلالى لأن جده لأمه هو عبد العزيز الهلالى أمير عرقه آنذاك وأحد أخواله هو محمد بن عبد العزيز الهلالى من أدياء عصره وشعراء زمانه وقد تولى إمارة عرقه بعد والده.

تلامذة الشيخ محمد

أما تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم الذين أخذوا عنه فخلق كثير وجم غفير فنذكر بعضاً من كل فمهمهم الشيخ الزاهد العلامة الورع عبد الرحمن بن قاسم، وستاتي ترجمته، ومنهم الشيخ محمد بن عبد الله بن خنين العابد الورع، وقد تقدم ذكره في سنة وفاته، ومنهم الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان العالم المجتهد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، ومنهم العالم العلامة الذي نشر العلم في جنوبي المملكة وهو الشيخ عبد الله بن يوسف بن وابل قاضي الحلوة ثم كان في قضاء أبها ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نائبه في الجامعة الإسلامية وقد تولى عدة مناصب ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد قاضي الجمعة وبعدها في بريدة وتولى الإشراف على الحرمين ومنهم الشيخ عبد الله بن عمر دهيش قاضي حائل ثم كان عضواً في هيئة التمييز ثم كان رئيساً للمحكمة الشرعية بمكة المكرمة ومنهم الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمى رئيس محاكم مكة وهو المشرف العام على الحرمين الشريفين، ومنهم العالم الداعية إلى دين الله الذي نشر الدعوة وسعى في هداية جنوبي المملكة وإزالة البدع عنها الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي

وتقدمت قريباً ترجمته وأخذ عنه الشيخ راشد بن صالح بن خنين النائب عن المترجم في رئاسة القضاء وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل تولى عدة وظائف في القضاء وآخرها التحقيق في ديوان المظالم وأخذ عنه الشيخ سعود بن محمد بن رشود وأخذ عنه الشيخ محمد بن حمد بن فارس وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن فارس وأخذ عنه الشيخ صالح بن جارد وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن هويل وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن مقرن من أهل القرن وأخذ عنه عبد الرحمن بن مقرن وأخذ عنه الشيخ حمود بن عبد الله التويجري الذي تصدى لرد البدع وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عباد مؤلف دواء القلوب وأخذ عنه أخوه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم وأخذ عنه أخوه الشيخ عبد الملك بن إبراهيم وأخذ عنه الشيخ فالح بن مهدي وأخذ عنه الشيخ محمد بن مسلم بن عثيمين وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن مقرن آل سعود وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن عبد العزيز بن سحمان وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن ابن فريان وأخذ عنه فهد بن حمين العتيبي وأخذ عنه الشيخ علي بن دخيل وأخذ عنه محفوظ بن معيذر وأخذ عنه عبد العزيز السحبياني وأخذ عنه محمد بن صالح السحبياني وأخذ عنه صالح بن مرشد وأخذ عنه حمد بن راشد وأخذ عنه راشد بن فهد التويجري وأخذ عنه ابنه الشيخ عبد العزيز بن محمد والشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ وأخذ عنه الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان وأخذ عنه الشيخ صالح بن علي بن غصون رئيس محاكم الإحساء وأخذ العلم عنه الشيخ عبد العزيز بن ناصر الشعبي قاضي السبع في الخرج وأخذ عنه الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري وأخذ عنه الأديب الرحالة الشيخ حمد الجاسر وأخذ عنه عبد العزيز بن ناصر بن رشيد وأخذ عنه صالح بن محمد بن لحيدان وكان هذا يعتبر من العلماء بحيث أنه نال وظيفة في المجلس الأعلى للقضاء وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن البليهي وأخذ عنه الشيخ علي بن فايز الدغيري وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم وأخذ عنه الشيخ زيد بن فياض وأخذ عنه عبد العزيز بن محمد بن صالح بن

شلهوب وأخذ عنه الشيخ محمد بن مهيزع وأخذ عنه الشيخ ناصر الحناكي وأخذ عنه الشيخ سعد بن محمد بن فيصل آل مبارك وأخذ عنه خلق كثير ممن لا يحضرني ذكرهم كأحفاد حمد بن عتيق وما زال يعلم ويرشد ويوجه ويرأس ويفصل في المنازعات ويدعو إلى الله حتى ألم به مرضه الأخير الذي وافته فيه المنية عن عمر يناهز التاسعة والسبعين ولا ريب أنه شمس انكسفت ومشكاة انطفأت نعم انطفأت مشكاة طالما كانت تنير للأمة طريق حياتها وذلك بأنه المعى سريع البديهة طويل الباع في علوم الشريعة والأدب ويحقق الكتب وينشرها ويحل للناس ما استعصى على العلماء والقضاة وغيرهم زرتهم مرة وكنت لا أزال إذا وصلت إلى الرياض أسلم عليه فدخل عليه رجل من أهل حوطة بني تميم وجلس أمامه على كرسي إلى جانب الماصة فقال يا شيخ إن القاضي فلان ظلمني وأنست منه تحدياً فتكلم الشيخ بصوت جهوري وانتهره قائلاً إن فلاناً ليس بطاغوت يظلمك إنما هو قاضٍ فقال اسمع مني يا ابن إبراهيم أنا لا أعرف القاضي بل أعرفك أنت فاحذر من تعلقي بك يوم القيامة فبكى الشيخ وقال كفانا الله شرك يرددها ثم قال: راجعني في دار الإفتاء بعد العصر، وكان إذ ذاك في كتب رئاسة القضاء وكان مع ما أوتي من العلم وما نتجت مجالسه من العلماء الذين سدت بهم الآفاق وملاً الأقطار أديباً ومحباً للشعر وله قصائد في المناسبات كقصيدته في مراسلاته لأخيه عبداللطيف لما سافر إلى المدينة المنورة وما وراءها وانقطعت أخباره فقال في ذلك قصيدة. وكرثائه لعمه الشيخ عبد الله ورثائه للشيخ عمر بن محمد بن سليم وتقدمت. ولما توفاه الله تعالى جرى للمسلمين رنة أسف عليه وخسرتة البلاد السعودية وخرجت الأمة كلها لما هزتها وفاته لتشيع جثمانه على أكتافهم يتقدم الجمع صاحب الجلالة الملك فيصل والعلماء والأعيان والوزراء وكان الذي تولى الإمامة في الصلاة عليه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز وأقبل الناس يعزي بعضهم بعضاً وانهاالت القصائد والكلمات الرثائية في الصحف والمجلات والجرائد فمما قيل فيه قصيدتنا الرثائية التي باحت بفضله ومناقبه:

الأقل لأهل البين حين يروعوا
وكفوا عن الخطب الجليل فقد دهى
سهام المنيا قد أصابت وأقصدت
هو الدهر لا يبقى على واثق به
فلو كان من ريب المنية مهرب
ولكنها الآجال تأتي ببغية
مضى عالم الدنيا وحيد زمانه
مضى هضبة الدنيا وزينة أهلها
مضى طاهر الأخلاق زينة وقته
لقد مات حبر العلم والفضل والتقى
بنشر الهدى نحو الخليفة جاهداً
سلالة إبراهيم الذي شهدت له
فمن للفتاوى بعده ولمشكل
ومن للخفايا إذ تنسد مسالك
إلى من له يؤتى لكشف ظلامه
ترعرع في جل الفضائل وانتهى
مآثره كالشمس ليست خفية
فقدنا علوماً حينما ضل نعيه
ففي كل جفن حرقه ومدامع
وفي كل قلب أنه من فراقه
فقل لحمام الأيك مالك نائح
وغصنك مياد وجوك ساكن
ألا تذكر المفجوع في الخلق مثلنا
فجعنا بحبر قد أقام معاهداً

تسلوا ففي هذا يسلى المروع
مصاب عظيم أمره ليس يدفع
وهدت بناء في العروبة ينفع
له عثرة بالمرء عظمى تضعضع
لكان محب عن حبيب يدافع
وليس لأمر قدر الله مدفع
سلالة أمجاد تقى سميع
حصين رزين ماهر بل ومصقع
فيا لك من بدر هوى ليس يطلع
وحامي حمى السمحا الذي هو مولع
وينهى عن الفحشا مديماً ويردع
وفود وأضياف ودور ومربع
يبين المخبا كاشفاً إذ يفرع
ومن للقضايا إذ يضيق الموسع
إلى من له تأتي العناية وتفزع
إلى غاية عنها الخلائق ترجع
وليس يواربها لثام وبرقع
وقام بنا الناعي يصيخ ويسمع
وفي كل ناد ضجة إذ يودع
فكاد لها غماً تكسر أضلع
والفك موجود وعشك مبدع
وفرخك محفوظ ففيما التوجع
فنحن إلى الأحزان أولى وأسرع
ودور علوم جامعات توزع

ودوراً لأيتام تضم خلائقاً
يحث على إحياء سنة أحمد
وقد بذل المجهود في نصرة الهدى
على هذه الدنيا العفا بعد فقده
أينسى عظيم القدر بدر زمانه
بكاه رجال العلم في كل محفل
بكته بقاع الأرض وقت رحيله
فيا أسفاً يمضي ويترك غرسه
فلهفي على أرباعه إذ تعطلت
لقد كان طوداً في البسيطة قد هوى
رعى الله آل الشيخ فينا لأنهم
ولا زال من أبنائهم خلف لهم
أولئك أنجال الهداة ونسلهم
أعزيكمو في الشيخ أعني محمداً
سقى الله قبراً ضمه وإبل الرضا
وأزكى صلاة من جليل وقاهر
بيوم عظيم شأنه متأزم
وآل رسول الله والصحب كلهم

لقد كان يرعى لليتامى وينفع
ويدعو البرايا ناهضاً بل ويجمع
ويردي بحق كل من كان يخدع
فمن بعد هذا يرتجي بل وينفع
خبير بصير المعني ومصقع
وكل على فقدانته متوجع
وحل بها كرب عظيم ومفزع
مضاعاً بلا راع يفيد وينفع
ويا أسفاً فيما دها إذ تضيع
فأهاً على بدر يواريه بلقع
نجوم هدى أمسوا رعاة ومرجع
يذودون عن دين الهدى ويدافعوا
سلالة من أبدى الهدى فهو أرفع
ومثلكموا لا يعتريه تضعضع
وأسكنه الفردوس فيها يمتنع
على من له كل الخلائق تفزع
وتأبى أولو العزم الهداة ليشفعوا
وأتباعهم ما ناح في الطير سجع

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سحمان يرثي الفقيد:

بعثت نظامي والتعازي بعبرة
لفقد إمام جاء في العلم رتبة
وأعني به شيخ المشائخ كلهم
إمام حوى علماً وبث علومه
فلله كم من مستفيد أفاده

تفيض دموع العين سحاً كوابل
يقصر عنها كل حافر وناعل
رئيس قضاة والفتاوى لسائل
لطلاب علم في الضحى والأصائل
علوماً جليات وأبهى مسائل

لفقدان حبر عالم ومعلم وداع لأهدى منهج للأوائل
لقد عمنا حزن مريع ولوعة لفقد إمام العلم بدر المحافل
فيا شيخنا نلت المزيد ورفعته لدى الله في دار الرضا والفضائل
ولو كان لي في الشعر باع طويلة لحبرت تأبيناً للزين الشمائل
يعبر عما في الضمير من الأسى وأحزان قلب من فريد الأمائل

وقال الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق في رثاء الفقيه:

الصبر أجل والرضا لك أفضل فالكل يفنى عاجل ومؤجل
ما لابن آدم غير ما كتبت له أيدي القضاء حقيقة لا تجهل
العين تبكي والفؤاد هوى به نحو الكآبة رزء دهرٍ أخطل
موت الإمام سليل مجد شامخ صرح المكارم حبر جيل أول
حمدت مساعي جهده وجهاده علم يلوذ به الكتيب الأعزل
ما ماتت النفس النفيسة بعدها في جثة المفقود حين تزل
بل قد تعدد خطبها وكأنها روح الملا متسربل ومجندل
طابت نفوس أحبتي وأخليتي أن يجعلوه بشق أرض ينزل
لكنه في روضة ورياضها فوق التصور لا يرى المتأمل
أرجوالة لا بالتقول خائضاً في عالم الغيب الرهيب محمل
لكن عنوان السعادة لائح فوق الجبين يجيب لما يسأل
خمسون عاماً قد تحمل عبثها بعد المجاهد عمه لا يغفل
طوراً يدرس في الحديث وفقهه وعلى العقيدة جاد مستبسل
بحر تلاطم موجه وتدفتت خلجانة عبر الجزيرة تعمل

إلى أن قال:

لسنا من القوم الغواية دأبهم شق الجيوب ولطم خد يفعل
لكننا نرضى ونسلم أمرنا لله ربي ما يشاء سيفعل

ثم الترحم للفقيد مع الدعا بسنن عليها حافي ومنعل
ولنا العزاء بنائب هو نجله في مجلس الإفتاء لا يتعجل

وقد رثاه ابنه عبد العزيز وابنه إبراهيم بشعر ورثاه حسن بن عبد الله بن حسن
ورثاه راشد بن صالح بن خنين وقال الدكتور محمد كامل الفقي يرثي المترجم بهذه
القصيدة من بحر البسيط:

دهى الجزيرة خطب ليس يحتمل
الراحلون قرون والردى شعب
والناس إن فقدوا بالموت رائدهم
من للشرعية والأخلاق يحرسها
والهفتاء على الدنيا وبهجتها
لا تحسبوا الناس أحياء أرايتمو
في كل بيت نجيب من فجيئته
والناس لو انصفوا ما انفصل مأثمهم
من رد كيداً عن البيضاء واعتصمت
من ناصر السنة الغراء محتملاً
أكبرت يومك والدنيا مشيعه
في موكب تزحم الأملاك ساحته
يا صاحب الحزم لم يعرض له وهن
كنت الشجاع الذي في الله غضبته
قهرت أعداء الله فانخذلوا
أنشأت للعلم دوراً في مخاملها
من كل ماضٍ لنشر الحق ومضته
كواكب تفضح الأهواء طلعتها
إن الرفاق أجدوا البين وارتحلوا

فلتنفطر مهج ولتتهمر مقل
وأقبح الموت ما ماتت به الملل
ساد على حلك ضلت به السبل
أو يستطيب لها أن لجت العلل
وهن يراع لها من فقده أجل
سيان إن غيوا أو غيب الرجل
وبالمقابر في ترحاله شغل
بكاؤهم لمعين الرشد لو فعلوا
به فمنه لها ردؤ ومتكلموا
فلم يجد عن سناها القول والعمل
بذاك الضيا وقد عامت بك الأصل
للناس دمع وللأملاك ممقتل
وثاقب الرأي يخزى دونه الجزل
وكل جرح بما داويت يندمل
لهفي عليك فهل يضحو لهم أمل
يرى الجحافل لا هانوا أو تخذلوا
وكل قاضٍ بثوب الطهر مشتمل
لله ما قطعوا لله ما فعلوا
يا ليتنا إثرهم نمضي ونرحل

ماذا بدنياك إلا أنها خدع وفي حياتك إلا أنها علل
والذكر عمر مديد للعظام ولا تفنى وفاز بدار الخلد من عملوا

هذه القصيدة من بحر البسيط وهي متكلفة ولكن لشدة الهول.

ورثاه الشيخ الأديب العالم محمد بن عبد العزيز بن هليل بهذه القصيدة:

| | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| على شيخنا الحبر الجليل محمد | حفيد إمام المسلمين محمد |
| محقق توحيد الإله بدعوة | تجلت بنهج مستنير محمد |
| على شيخنا الشيخ الأديب أخي الوفا | حميد السجايا ذي التقى والتعبد |
| هو العالم النحرير نبراس عصره | وصرح العلى والدين فخر الموحد |
| فتى الشيخ إبراهيم من ذاع صيته | بعلم وأخلاق ومجد وسؤدد |
| تحدّر فيض الدمع ينهل ساكباً | على كل خد بالدموع محدد |
| وأجج للأشجان والحزن والأسى | لهيب إلتياح في الحسنات متوقد |
| مصاب عظيم في المصائب فادح | على عالم الإسلام أدنى وأبعد |
| وخطب به أضحى الجميع مفجعاً | بجال كئيب في الدياجي مسهد |
| رحيل إمام المعني مهذب | أخي ثقة صافي العقيدة مقتد |
| وبجر خضم في العلوم محقق | بأصل وفرع بالدليل المؤيد |
| تلقى فنون العلم عن كل جهيد | ثقة دعاة الخير من كل مهتد |
| هو العالم الرباني ربى بعلمه | لأفواج طلاب كثيري التعدد |
| مجالسه أنس الجليس معاهد | للنشر الهدى والخير أفود معهد |
| ترى حلق الطلاب للعلم حوله | لأجل التلقي من صحيح ومسند |
| فمن وارد البحر الفرات وصادر | تروى فاروي في الورى الظامي الصد |
| هو الشامخ الطود الأشم فلم تكن | عواصف قد هبت لطود مؤطد |
| ثبات وصبر واستقامة موقف | بغير تحلل واتجاه مفند |
| وفصل وعدل في القضاء وفطنة | وصائب حكم دون أي تردد |
| عفاف وإنصاف وحزم وهيبة | وحكمة رأي في الأمور مسدد |

بكل اتزان لائق وسماحة
وعطف وجود في المكارم والعلی
ورجحان عقل مع عمیق تفکر
وترتیل آیات الكتاب تدبرا
وحب جهاد في سبیل إلهه
مع الأدب الراقي بخبر فنونه
وأمر بمعروف ودحر لمنکر

إلى أن قال بعدما ذكر فضل السجایا الحسنة والأخلاق الطيبة:

فلله عزم الصالحين ودأبهم
قضى شيخنا عمراً مديداً متمعاً
قضى ومضى والكل لله راجع
فمن لعويص المشكلات وحلها
ومن للمهمات الثقال وحلها
وفقدان أهل العلم أعظم نكبة
فهم في سماء العلم والحق والهدى
رحيل ابن إبراهيم رزء وإنه
سقى وإبل الغفران والصفو والرضا
وأنزله الفردوس أعلى جنانه

إلى آخرها وهي مطولة وما أحسن ما قيل:

سيذكرني قومي إذا ما تركتهم
محوت بذكرى في الورى ذكر من مضى
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
وسدت فما زيد يقال ولا عمرو

وقد رثي بمراثي كثيرة ذكرت في الجرائد والمجلات ونعتذر عن عدم ذكر بقيتها
وآخر كلمة نقولها عنه بأنه سد منيع وحصن يلوذ به العلماء عند الشدائد فيدافع

عن كل مغلوب بجأه العريض ولا تلين قناته أو ينثني عزمه خصوصاً إذا ما وقع عالم غيور في أزمة فتخضع الحكومة لوجهاته وتقف عند أوامره ونواهيه فأه ثم آه على فقده وجبر الله المصاب بموته وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

وفيها وفاة محب الدين الخطيب وذلك في شهر ذي القعدة من هذه السنة وكانت وفاته بالقاهرة عن عمر أربى على تسعين عاماً وكان أديباً بل هو صحفي عربي كبير أحد رواد الصحافة الإسلامية العربية في ربوع العالم العربي وكان سياسياً اجتماعياً اقتصادياً وأصدر في هذا السبيل مجلة الفتح الأسبوعية ومجلة الزهراء الشهرية وأصدر الموسوعة وغيرها ومن مؤلفاته مع الرعيل الأول وكان قد عين مديراً لجريدة القبلة بمكة المكرمة في أول عهد الملك حسين الشريف وكان له إسهام في تكوين بذور الأدب الحديث في هذه البلاد وقد عكف مؤخراً في دار الفتح التي أنشأها في النيل بالقاهرة يطبع ذخائر الكتب الإسلامية والعربية ويحققها ويؤلفها ولديه مكتبة كبيرة خاصة وكان أسلوبه سهلاً ممتعاً.

ومن توفي فيها أيضاً نجل أمين الرابطة الإسلامية محمد سرور وهو حسن بن فهد وكانت وفاته في صبيحة يوم الأحد الموافق ٢ ذي الحجة وقد دفن بالمعلاة بمكة المكرمة وقد شيع جنازته جمع غفير من المواطنين.

ومن توفي فيها أيضاً من الأعيان في بيروت رئيس مطافئها محمد الكردي ويذكر أنه هناك من الرجال القلائل في صلاحه واستقامته وتقواه وأخلاقه ومقدرته الفنية في عالم الإطفاء وله كتاب مطبوع في هذا الموضوع.

وفيها فتح معهد النور في مدينة بريدة وهذا المعهد وضع للعميان يتعلمون فيه القراءة والكتابة بسيرة هندسية يلمسون أحرفاً بأناملهم فيتمشون عليها.

وفيها تم افتتاح المعهد الفني بمدينة الظهران وكان أرقى المعاهد العسكرية في العالم وقد تكلف إنشاء المعهد مائة مليون ريال ويدرس فيه أكثر من ألف ومائة طالب وفيه أكثر من مائتي مدرس والهدف من إنشاء المعهد الفني بالظهران هو

إعداد فنيين من جميع تخصصات ويقبل في هذا المعهد حملة شهادة الكفاءة المتوسطة حيث يدرسون لمدة ثلاثين شهراً يتخرجون بعدها برتبة وكلاء فنيين ثم يمارسون التدريب العملي لمدة ستة أشهر في إحدى القواعد الجوية ثم يقودون إلى المعهد ليكملوا دورة متقدمة لمدة تسعة شهور وكان افتتاحه تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران حيث تخرجت في يوم الافتتاح الدفعة الأولى من طلبة المعهد.

وفيهما وفاة علوي شطا وذلك في ٢٠ من شهر رمضان وهو علوي بن حسين شطا أحد أعيان مكة المكرمة ومن رجالات العلم فيها وكانت وفاته على أثر مرض لأزمة من مدة قالت مجلة رابطة العالم الإسلامي قد عرفه الجميع مثلاً للأخلاق العالية والسجايا الكريمة وقد شغل عدة مناصب معظمها في ميدان التربية والتعليم وكان والده السيد حسين شطا يرحمه الله من كبار علماء هذه البلاد ممن قاموا بالتدريس في الحرم المكي الشريف في الجيل السابق زمناً طويلاً وقد عرف أصدقاء السيد علوي شغفه بالقراءة وما تحتويه مكتبته الحافلة من أمهات الكتب في سائر العلوم والفنون وقد تفرغ لها في الأعوام الأخيرة وكان لا يعلم عن كتاب جديد وخاصة في العلوم الإسلامية إلا بادر باقتنائه وقراءته.

تنبيه

قد أشرنا إلى أن صاحب الجلالة الملك المعظم عاهل المملكة العربية السعودية قد تأثر من أعمال اليهود في تحريق المسجد الأقصى ووجه نداءً إلى العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها دعاهم فيه إلى الجهاد لإنقاذ ثالث المسجدين وأولى القبلتين ذلك بأن اليهود يريدون إعادة هيكلة سليمان بن داود عليه السلام الذي بناه في القرن العاشر قبل الميلاد والذي دمره ملك بابل وحولّه إلى أكوام من التراب ولم يبق منه حجراً على حجر فسولت لليهود أنفسهم عليهم من الله ما يستحقونه لما كانوا يضمرونه من الكيد بالمسلمين أن يهدموا المسجد الأقصى ويجعلوا مكانه

هيكل سيلمان، الله أكبر مئات الألوف من المؤمنين عبر القرون الماضية تقصده للصلاة وهي تعيش في جو ممتع وصلاة فيه بخمسائة صلاة ويقول سيد البشر «صلاة في المسجد الأقصى بخمسائة صلاة» ويقول «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» هو أحدها واليوم يصبح في قبضة اليهود ويحرق منبره في النار فإنه لا يحتاج إلى ترميم وإنما يحتاجه تحريره من أيدي هؤلاء اللصوص المغتصبين ولقد استجاب للنداء الذي وجهه الملك فيصل ملوك ورؤساء الدول الإسلامية ولبوا دعوة النداء لإنقاذ المسجد الأقصى من براثن اليهود ونسأل الله تعالى أن يحقق الأماني ولا سيما الباكستان. وعقد اجتماع إسلامي كبير في مدينة كلكتا بالهند يطالبون بشدة الأمم المتحدة بضرورة إرغام إسرائيل على الانسحاب من المقدسات الإسلامية وتلقى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بريقيات تجاوباً مع دعوة الجهاد.

وقد نشرت الصحف ما جرى على أحمد آباد من التحريق ونهب الأموال وأن هذه المدينة تحولت إلى ركام من الخراب وكومة من الرماد وأن النار أكلت عدة من حارات المسلمين فلم تذر فيها أثر من العمارات والمنازل وذهب ضحية ذلك أكثر من ألف نسمة عدى المنكوبين والجرحى وسيأتي تفاصيل ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة (١٣٩٠هـ)

ففيها وقعت مأساة عظيمة وحالة محزنة وهي أنه اشتبك الفدائيون من أهل فلسطين مع الأردن بقتال عنيف جداً وهذا على إثر اعتداءات الفلسطينيين على الأردنيين سخطاً على الملك حسين، وقاموا بإزعاجات وتهديدات وتخريبات اضطرها الملك حسين لما كل كاهل حكومته عن حملها وحتى توصلت الأحوال بالفلسطينيين إلى أن قطعوا المياه عن الأردن فقد نشرت الإذاعة أن العطش بلغ بأهل الأردن أن شرب بعضهم بوله فغضبت الحكومة الأردنية لهذا التصرف

ووجهت القوات النارية على خيم الفلسطينيين وأوقعت بهم إيقاعاً شديداً سقط عشرات الألوف من الفلسطينيين صرعى على وجه الأرض فقد قيل أن الذين ذهبوا ضحية ذلك أربعة وعشرون ألف فلسطيني كانت ساعة لليهود يتفرجون فيها على العرب يقتل بعضهم بعضاً ولا ريب أن ذلك يبعث الحزن والأسى وكان الذي حدى بحكومة الأردن أعمال اللاجئين حوالها بحيث أنهم قاموا بهدم بنايات وتقتيل رجال الأردن وغير ذلك من الفساد رغم أن الحسين قد آواهم وواساهم من تبرعات العرب والمسلمين فقام زعماء العرب ورؤساؤها وتدخلوا في الموضوع لحل ذلك النزاع واجتمعوا في مصر فتوقف القتال بين الأردن وفلسطين، وقرر زعماء العرب انسحاب الفلسطينيين عن الأردن وانفصلت الحالة عن أمر محزن وكان ذلك في منتصف النهار يوم الاثنين ٢٨/٧ من هذه السنة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها في ٢١ محرم وقعت هزات وزلازل في تركيا وهلك بسببها في أول وهلة ألف شخص غربي البلاد وتضرر السكان من ذلك.

ذكر وفاة الزعيم جمال عبد الناصر

لما انحسم النزاع بين الفدائيين والأردن وودع زعماء العرب بعضهم بعضاً وساروا من مصر ذهب الرئيس جمال ممتطياً سيارته يكابد شتى المشاكل ففي (١٩٥٨م) تمت الوحدة بين سوريا ومصر في إطار الجمهورية العربية التي كان جمال عبد الناصر يطلبها ولكن التجربة أثبتت أنها أصعب مما كان متوقفاً ولم تكن ثورة العراق (١٩٥٨م) عاملاً مساعداً بل عائقاً وفي (١٩٦١م) كان على الرئيس جمال عبد الناصر أن يعترف بانشقاق سوريا عن مصر وأعقت هذه نكسة أخرى عندما أيدت مصر الثورة اليمنية (١٩٦٢م) ولم تحرز نصراً سريعاً بل تورطت في حرب طويلة شاقة، ومع كل هذا كان الرئيس جمال قد أصبح زعيماً بارزاً على المسرح العالمي عن طريق ارتباطه مع الرئيس تيتو والباندت نهرو في حركة عدم الانحياز

فظلت مكانته عالية لدى الذين يعظمونه حتى جاءت الضربات القاصمة التي أصابت مصر والعالم العربي في حرب الأيام الستة عام (١٩٦٧م) وأدرك الرئيس جمال عبد الناصر أن شعبه كان ينتظر نتيجة غير هذه للحرب فقدم استقالته من الرئاسة ولكنه عاد فسحب استقالته تحت تأثير الضغط الشعبي ومنذ عام (١٩٦٧م) كرس كل جهوده للمشاكل الناشئة عن الحرب فأعاد تكوين وبناء القوات المسلحة بمساعدة الروس استعداداً لاحتمال وقوع حرب أخرى، ولكنه في نفس الوقت التزم بالسعي إلى حل سياسي إذا كان هذا ممكناً وظل على موقفه هذا وهو يواجه شتى المشاكل الناشئة عنه نظراً لأن الفدائيين الفلسطينيين ومؤيديهم يعارضون أي حل من هذا النوع ولما أن ودّع زعماء العرب القادمين إلى مصر لحل هذا النزاع بين الفدائيين والأردنيين وسار ممتطياً سيارته أصيب بنزيف شديد في الأنف أعقبه ضعف شديد وبعدما وصل إلى قصره دعي له الأطباء وبعد إجراء الفحص رأت الأطباء أن أحد الشرايين للقلب قد أصيب بسدد، وحينما أرادوا أن يعملوا له عملية توفي قبل العملية وكانت وفاته في وقت صلاة العصر من يوم الاثنين ٧/٢٨ من هذه السنة فقامت إذاعات مصر تظهر الحداد وأخذت في تلاوة القرآن وهجرت جميع برامجها فأذيعت وفاته في الساعة الرابعة ليلاً وقامت غالب حكومات العرب وغير العرب تعلن الحداد عليه فقد أعلنت مصر الحداد لأربعين يوماً هاجرة الزينات والحفلات وأغلقت الدوائر وعظمت الأمة ثلاثة أيام حتى يشيع جثمانه يوم الخميس وأعلن الحداد عليه في الكويت أربعين يوماً وكذا في السودان وسوريا ولبنان هذا وما أن سمع العالم العربي نبأ وفاة الفقيه العربي الكبير كذا تعبر عنه إنجلترا حتى أخذت الأنباء تتوالى عن وقع هذا التبا في النفوس وأذاعت القاهرة أنها مدينة حزينة اليوم وفي حداد عميق على وفاة الرئيس جمال عبد الناصر واحتشد آلاف المصريين حول الأسوار العالية للقصر الجمهوري بالقبة حيث يسجى جثمان الرئيس الراحل بأن تصدق أنباء وفاة زعيمه وقام الأهالي بصرخون بأصوات عالية (خذونا إليه خذونا إليه) وصار آلاف السكان بالقاهرة يهتفون بالأسواق (لا إله إلا

الله عبد الناصر حبيب الله) (عبد الناصر حبيب الله) وقاموا بمسكون صور زعيمهم المتوفى وقد استدعيت قوات ودبابات للسيطرة على الجماهير العربية الذين قاموا بصرخون بأصوات عالية (خذونا إليه خذونا إليه) وقد أغمي على ٢٥٠ شخصاً وذكر أن امرأة توفيت بالسكتة القلبية إثر سماعها نبأ وفاة الزعيم الراحل وفي لبنان اجتاحت الأهالي موجة من الحزن العميق هجروا مساكنهم وخرجوا إلى الشوارع قد احمرت أعينهم من شدة البكاء وحملت سيارات الإسعاف عدداً من الأشخاص إلى المستشفى لما أغمي عليها وأطلقت العيارات النارية بشدة هناك وعجت إذاعة بيروت بتلاوة القرآن وأعلن الحداد الرسمي في لبنان لمدة أسبوع وجاءت الأنباء من النواحي إلى نائب الرئيس أنور السادات يعزونه بوفاته ويقول سليمان فرنجية بتعزيتة (الخطب جلل والمصاب كبير)، (لقد سقط في ساحة الشرف في سبيل القضايا العربية التي وقف حياته لها ولفظ آخر أنفاسه في خدمتها) وأقفلت أسواق بيروت وأشعلت حرائق في الشوارع وارتفع دخان أسود لهذه الحرائق بينما رفعت الأعلام السوداء وصور الراحل وكانت لعلعة رصاص الأسلحة الأوتوماتيكية لا تزال تسمع صباح ذلك اليوم في مختلف العاصمة اللبنانية وقام غالب الأهالي في سوريا وطاف آلاف في شوارع دمشق وهم يهتفون (ناصر حي.. ناصر حي) وعلقت لافتات فوق المحلات في دمشق مكتوباً فيها تتوقف عن العمل لمدة ثلاثة أيام وأعلن الحداد الرسمي لمدة أربعين يوماً وامتألت السفارة العربية المتحدة بكبار المسؤولين وامتألت شرفات السفارة بنساء الجالية المصرية وعضوات من الاتحاد النسائي السوري وكنّ يلوحن بمناديل سوداء ويبكين بحرارة، وكذلك القدس حصل فيها مظاهرات لم يستطع رجال البوليس تفرقتها إلا بمخراطيم الماء لتفرقة المتظاهرين، وفي قطاع غزة فتحت القوات الإسرائيلية النار على المتظاهرين وكان المتظاهرون يقذفون بالحجارة حداداً على الرئيس جمال وقام الرئيس نور الدين الأتاسي يرافقه الفريق الجوي حافظ الأسد والوزراء لتقديم التعازي ولما أن كان في يوم الخميس غرة شعبان قدمت الرؤساء والممثلون إلى مصر لتشييع جنازة الرئيس

وكان ذلك في الساعة الخامسة غروبى فلم يصل إلى قبره إلا في تمام الساعة الثامنة ظهراً وكادوا يهلكون من شدة الزحام وقامت نساء مصر يشددن شعروهن ويلطمن وجوههن من شدة الجزع واختل النظام وقام المصريون يصرخون تارة بالتأين عليه وتارة بتلاوة القرآن عجز المذيع عن أن يعبر من شدة البكاء وبحت الأصوات في مصر ينادون أيها الأخوة المواطنون المشهد أكبر منا جميعاً وجعلوا يهتفون باسمه وينادونه جمال عبد الناصر تبكيه القلوب وداعاً يا جمال وداعاً يا أغنى الرجال وداعاً يا أعز الرجال وداعاً يا منيل الأمال وداعاً يا من غرست فينا العزة يا من غرست فينا الكرامة من لنا من بعدك يا جمال يا جمال إلى أين؟ مصر تناديك الأمة العربية كلها تنادي إلى غير ذلك من الجزع وأنواع الهذيان والحزن وهذه مبالغة لم يجرؤ عليها أحد في وفاة الأنبياء والرسل فقد مات سيد الرسل وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين محمد بن عبد الله ﷺ وما جرى ذلك التأين عليه، وقد توفي عن عمر يناهز الثانية والخمسين خلفاً لابنين وبنتين خالد وعبد الحكيم ومنى وهدى وعن زوجة فالله المستعان، وآخر شيء نقوله عنه أنه لا لعدو قهر ولا لصديق نصر ولا لشعب عمر وسيجازه الله الذي لا يظلم النقيير ولا القطمير بأعماله التي فعلها وأبشع جريمة تدخله بحرب اليمن وإزهاق عشرات الآلاف من البشر بسببه وتعذيبه للمسلمين في مصر وقتله العلماء الشرعيين كسيد قطب وحسن البناء وغيرهم وانتهت حياته المملوءة بالدماء مضافاً إلى ذلك إذاعاته السرية في مسبة ملوك العرب وبثه الجواسيس والمباحثين حتى كان القريب يتجسس على قريبه والوالد على ولده وعكسه والأخ على أخيه وبعثه المخربين وتسليطه زبانيته على خلق الله قالت صحيفة البعث الإسلامي في عددها الرابع المجلد الخامس عشر رمضان (١٣٩٠هـ) ما نصه قضى من حياته أكثر من خمس عشرة في سياسة ملؤها بلبلة واضطراب وتأيد وإنكار وتغيير وإرهاب فكانت حياة أزعجت كثيراً وأراحت قليلاً لقد مات والقدس الحزينة الواجبة تحت رحمة اليهود وسيناء وشرم الشيخ والصفة الغربية والجلولان تحت حكمهم والمدن المصرية المدمرة المهدمة

تشهد بقصفهم ونيرانهم مات بعد أن ضيق على الشاب المغترب حياته في أوروبا وأمريكا حتى عز عليه أن يواجه الجمهور الساخر الشامت في أيام النكبة وبعدها مات بعد هزيمته فأصبح كذا وكذا وصار يحلف باسمه ويعكف لصورته فما ظنك به إذ لو كان منتصراً حقاً ترى ما تكون ألقابه إذا استرد سيناء مثلاً فالحمد لله الذي أنقذ مصر الحبيبة من الشرك السافر الجلي ومن عادة الصور والتماثيل والضرائح والقبور وأطال في التهكمات والسخرية^(١) ونعود إلى التاريخ فنقول لما توفي خلفه في الرئاسة أنور السادات وكان حكيماً مسالماً في بداية أمره محمود السيرة.

وفيهما عينت الحكومة السعودية أيدها الله لإمارة عسير وتلك المنطقة الأمير فهد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ففرحت الأهالي واستبشروا فقد أذيع هذا الخبر وصدر الأمر الملكي بتعيينه وتوجه عدد من كبار موظفي الدولة وحشد من المواطنين وأبناء منطقة عسير المقيمين بالرياض مهتين سموه بالثقة الملكية التي أولاه إياها جلالة الملك فيصل وترجو له التوفيق. هذا ولا يزال تبادل إطلاق النار بين الأردن وإسرائيل تغير إسرائيل على الأردن وترد عليها الأردن بالمثل كما أن الطائرات الإسرائيلية تشن غاراتها على مواقع القوات المصرية فقد أغارت أربع وعشرون طائرة على مناطق السويس وبور توفيق والقنطرة والحرش.

وفيهما في أوائل محرم يوم الجمعة ١٢ منه قام وزير المعارف السعودية حسن بن عبد الله آل الشيخ بزيارة رسمية للباكستان بصحبة عدد من الأعيان من بين أعضاء هذا الوفد عميد كلية الطب وعبد الوهاب أحمد عبد الواسع وكيل وزارة المعارف وكان الوزير حسن بن عبد الله إذ ذاك وزير الصحة بالنيابة واستغرقت الزيارة أسبوعاً كاملاً.

وفيهما في يوم الأحد ٢ ربيع الثاني قام صاحب الجلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز بزيارة رسمية لماليزيا فاستقبل هناك بكل حفاوة وأطلقت المدفعية

(١) قد أسلفنا في سنة ١٣٧٤ نشأته ودراسته وأخلاقه كما مر فليراجع.

لقدومه إحدى وعشرين طلقة ونصبت هناك أقواس النصر وسار موكبه عبر شوارعها المحتشدة بال جماهير على امتداد الشوارع التي تعلوها عبارات الترحيب بجلالته بين طلبة المدارس والمعاهد والكليات والجامعات وكانت ساعة مشهودة وقد عزفت الموسيقى مرات للسلام والترحيب وكان قد عهد لولي العهد خالد بن عبد العزيز بتصرف أمور الدولة فترة غيابه وقد شملت هذه الزيارة بعد ماليزيا كلا من أفغانستان وإندونيسيا والجزائر وفق الله المسلمين للتعاون والتعاقد والتكاتف، وكانت مساعي فيصل هادفة لنشر الإسلام في سائر جهات الأرض وقد نجحت.

رياح تجتاح باكستان

ولا حول ولا قوة إلا بالله عصفت إعصارات على باكستان الشرقية وكان ضحيتها خمسة عشر ألفاً وتسعمائة وثلاثة وأربعون شخصاً ألفتهم صرعى على وجه الأرض وهذا الإعصار الرهيب يعتبر أسوأ كارثة تعرضت لها الباكستان وقد صاحب هذا الإعصار موجة عالية اجتاحت جزيرة هاني حتى ذكرت الأنباء أن نصف سكان الجزيرة قد هلكوا وذكر الهلال الأحمر في باكستان الشرقية أن نصف مليون شخص هم الآن في حاجة للنعون لإبقائهم على قيد الحياة فقامت الأمة من سائر الأقاليم تجمع لهم المساعدات من البسة وحليب وتبرعات نقدية لشراء أطعمة وملابس وبادرت سويسرا بطائرة محملة بمواد الإغاثة من الصليب الأحمر.

أن الباكستان الشرقية استهدفت لقوارع الزمان فقد أصيبت أيضاً في ٢٢ جمادى الأولى من هذه السنة بهزة أرضية دامت عشر ثوان كما أنه أصيب أربع عشرة مقاطعة من ١٩ مقاطعة منها بالفيضانات ويقدر عدد الذين تضرروا بالفيضانات بما يقرب من نصف مليون وآخر ذلك الحرب التي وقعت بينها وبين الهند بعد ذلك وسيأتي ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفيهما وفاة مفتي الجمهورية التونسية الشيخ الفاضل محمد بن عاشور عضو المجلس التأسيسي للرابطة وكان ذلك في يوم الاثنين ثالث صفر من هذه السنة وقد وافاه الأجل المحتوم بمدينة تونس ونعته رابطة العالم الإسلام في مكة المكرمة إلى الأمة الإسلامية رحمة الله على أموات المسلمين.

وفيهما في أواخر ربيع الأول توفي الوجيه علي بن فهد بن علي الرشودي أحد أعضاء رجال المجتمع في مدينة بريدة في القصيم قدس الله روحه ونور مرقدته وضريحه، هو نجل رئيس مدينة بريدة وعظيمها المقدم في رجال الضبط والربط فهد بن علي الرشودي زعيم بريدة وضواحيها وكان علي بن فهد من خيرة أبناء والده وهو الذي خلفه في الزعامة. ولد المترجم في عام ثمان بعد الألف وثلاثمائة ولديه ثروة ورثها من والده وفيه مكارم الأخلاق من عقل وكرم وسماحة وثقة وأمانة محبوباً محترماً وذا عطف على الفقراء والمساكين وفيه رجولة وسداد في الرأي وكانت وفاته على إثر جلطة في الدماغ أودت به إلى الوفاة وكان له أخوة من بينهم أخوه عبد العزيز الفهد الذي خلفه في الزعامة ويمتاز المترجم بعزة النفس ومكارم وتقدير لأهل الفضل رحمة الله تعالى عليه.

ومن توفي فيها من الأعيان في مدينة دمشق الشيخ صبحي القضماني وكان موصوفاً بأنه من الرعيل الأول ومن المجاهدين الصناديد الذين قارعوا الاستعمار الفرنسي وكان موته مبكياً مواطنيه وذويه وعارفيه لأنه قضى أول حياته في الجهاد وآخرها في تلاوة القرآن والعكوف على العبادة والاشتغال بذكر الله والكف عن الناس وله من البنين بشير بن صبحي وكان يسكن في مدينة الرياض وقد غص منزل نجله الدكتور بشير بالمعزين والمواسين رحمة الله على أموات المسلمين!!

وفيهما ولدت مولودة بإحدى الممالك الأخرى ليس لها رقبة وعيناها جاحظتان وفهما ترك مكانه الأصلي داخل الرأس وخرج لسيتر على الجبهة والله على كل شيء قدير.

فصل المعاهد العلمية

في هذه السنة قررت الرئاسة العامة للكلديات والمعاهد العلمية بالملكة السعودية فصل الدراسة بالمعاهد العلمية إلى مرحلتين متوسطة وثانوية مدة كل منهما ثلاث سنين ابتداءً من حال إقرار هذا المشروع الذي وضعت مناهجه اللجنة الفرعية للتعليم وهذا المنهج يشمل المعاهد العلمية ودار التوحيد والجامعة الإسلامية بالمدينة وسيكون منهجاً مماثلاً لمنهج وزارة المعارف وقد صدرت موافقة جلالة الملك على تفويض الشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بالتوقيع على الشهادات الدراسية العالية والثانوية خلفاً لوالده رحمه الله.

كشف طبي

في هذه السنة والتي قبلها توصل أهل الفحص من الأطباء إلى أن الطيور الرحالة تنقل مكروب مرض خطير يصيب الرجال من صفات هذا المرض أنه حمى مصحوبة بصداغ شديد متناوب تارة في هذا الجانب من الرأس وتارة في الجانب الآخر في فترات لا تزيد عن عشر إلى خمس عشرة دقيقة وكذلك دوخة وغثيان وإسهال شديد ثم جاءت التقارير المفزعة تشير إلى ارتفاع نسبة الوفيات بين المصابين وهذه ملاحظة دقيقة بأن هذا النوع من المرض انتقل من الهند إلى روسيا بواسطة هذه الطيور الرحالة وما أحسن التحرز والوقاية وبذل الأسباب ضد هذه الأمراض التي تنتشر بإذن الله بواسطة العدوى فقد قيل درهم وقاية خير من ألف درهم علاج.

رحلتنا إلى قطر عام (١٣٩٠هـ)

لما كان في ٦/٩ كنت في مدينة الرياض لقضاء بعض الحاجات وزيارة الأقارب فعرض عليّ المحب محمد بن منصور بن إبراهيم الصانع أن نقوم برحلة إلى قطر وضمن لي الخدمة التامة وقد كنت أفكر في الموضوع قبل ذلك لرؤية مدينة قطر

والتجول فيها فأمرته أن يأخذ سيارة تاكسي مريحة وقمنا في الساعة الثالثة صباحاً بالتوقيت الغربي من يوم الثلاثاء الموافق لليوم المذكور ١٢ يوليو تموز (١٩٧٠م) بعد الاستعداد للسفر فسرنا متوجهين إلى الإحساء إذ الطريق يخترقها ولما أن قدمناها بعد صلاة الظهر طفقنا نسأل عن بيت الشيخ صالح بن عبد الرحمن القرعاوي قاضي مستعجلة القضاء في الإحساء وهذا بعدما وجدنا المحكمة الشرعية مغلقة الأبواب لانتهاؤ الدوام أن صالحاً القرعاوي من مدينة بريدة وتجمعنا به أواصر المحبة لأنه كان من تلامذتنا الأجلاء وما أن وصلنا إلى بيته حتى ألفيانه مستريحاً بعد العمل فاستقبلنا مرحباً بنا وأبدى بشاشة وترحيباً لسان مقالته تلك اللحظة:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل فأجلسنا في الديوان من بيته المفروش بالزلز والفرش وعلى جنبات المجلس كراسي الكنب وأخذ الهاتف يكلم أصحاب الفضيلة العلماء من بينهم الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الخضيرى وطلب حضورهم بعد صلاة العصر فأزلنا وعشاء السفر وما نالنا من بعض النصب ولما أن أخذنا راحتنا قمنا بعد الطمأنينة والنوم والراحة لأداء صلاة العصر وتناول القهوة والشاي وما تيسر من الطعام وبعد ذلك دخل أصحاب الفضيلة العلماء وبعدما اطمأن بنا المجلس قمنا لتأخذ فكرة عن مدينة الإحساء فذهبنا إلى مشروع المياه فيها وكان ذلك المشروع ضخماً قامت به الحكومة أيدها الله فوقفنا على الخزان العظيم وذلك العمل الجبار الذي مدت إليه الأنابيب من المضخات الضخمة وانطلقت منه الأنابيب للسقي والري ورأينا مجهوداً عظيماً أتيج لأهل تلك المنطقة ثم ذهبنا إلى السوق المملوء بالخضراوات والفواكه ويذكر عن الإحساء أن البيع والشراء يكون متنقلاً في أسواقها في كل سوق له يوم معلوم وذهبنا إلى الغارة في جبل القارة وهي عبارة عن ساروت يمتد في ذلك الجبل الشاهق الرفيع وكان ذلك الغار الملتوي في ذلك الجبل له منحنيات في أسفله ويعتبر من أعظم ما في المملكة العربية السعودية من الملاجئ والأكناف

والكهوف ينتابه الأهالي للفرجة والنزهة ويتجولون هناك في مغاراته لسعته ولما فيه من المواضع الباردة بين جنبي ذلك الجبل المنشق الذي لطول منحياته لا يكاد يبصر الإنسان فيه إلا بنور في سادسة النهار وذلك لطول الجبل الذي يبلغ ارتفاعه قريباً من سبعين متراً وكان من أعجب ما رأيته فيه كثرة العوائل الذين لسعته لا يرى بعضهم بعضاً وتجدهم في تعب من الصغار لأن لا يضيعوا أو يتواصون بالذراري لكثرة منحياته وفجاجة!! إن مدينة الإحساء برية واسعة الأرجاء وفي تلك المنطقة عيون كثيرة عظيمة منها عين نجم التي هدم قبتها الإمام فيصل بن تركي وكان ينتابها من بلي بوجع المفاصل والروماتيزم فيغتسلون فيها وقد تكون علاجاً لما في مائها من الحرارة والمادة المفيدة الكبرى وكان من الجهال من يعتقد الشفاء فيها وإنما الشفاء من الله جل ذكره، وللشيخ أحمد بن علي بن مشرف قصيدة في ذم ذلك وامتدح الإمام فيصلاً بهدم قبتها بقوله من قصيدة أخرى:

إذ قام يحمي من الدين جانبه وما أصاخ لأهل الزور والمين
لكن أطاع هداة المسلمين بما أفتوا وسل حساماً ذا غرارين
فقام يعدو بلال وهو معتجر لحرب من لامه فيها ببردين
وسار في عصبة للهدم عامدة بآله الهدم والتخريب والحين
فغادروها كبنيان الذين بنوا على شفا جرف للشك والرين

ومنها عين أم سبعة سميت بذلك لأن ماءها يجري في سبعة أنهار من منبعها وقد دفنت الرمال واحداً منها وماؤها في غاية الصفا والعذوبة وهي غزيرة الماء وهناك عيون أخرى كثيرة كعين الحدود ويقدر الخبراء الماء الخارج منها في الدقيقة الواحدة بثلاثين ألف جالون، ومن أعجب ما رأيت في الإحساء مسجد جواثي بضم الجيم وفتح الواو بعدها ثاء مثلثة يمد ويقصر مدينة لعبد القيس بهجر كثيرة الزروع والنخيل، قال أبو تمام:

زالت بعينيك الحمول كأنها نخل موافر من نخل جواثي

وكان هذا المسجد أول مسجد أديت فيه صلاة الجمعة بعد مسجد رسول الله ﷺ ولما وفدت على رسول الله ﷺ وفود العرب كان من بينها وفد من الجزء الشرقي من الجزيرة من الإحساء من عبد القيس برئاسة المنذر بن عائذ سنة سبع من الهجرة فأعلنوا إسلامهم وبعد عودتهم إلى بلدهم بنوا ذلك المسجد فكان أول مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد الرسول والحديث في صحيح البخاري وبذلك يفخر بنو عبد القيس فيقول شاعرهم:

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا والمنبران وفصل القول في الخطب أيام لا مسجد للناس تعرفه إلا بطيبة والمحجوج ذو الحجب

ولم يزل موضع هذه المدينة موجوداً وهي شرقي قرية الكلاية بمسافة مسيرة ساعة ونصف على الأقدام تقريباً وكان هذا المسجد فيه بقية آثار من البناء القديم وهي رؤوس عقود كانت على مرتفع في المسجد ويظهر أن بنائها من النورة والطين فعبارة لم يبق من المسجد سوى أطلال وفوهة العين وقد تراكت في الموضع الرمال حتى أخفت معالم القرية وهذه البقية من آثار المسجد محاطة بجدار من الطابوق تضمن شزيمة من جداره الغربي وخمس أساطين من رواقه الثاني والثالث في الجهة الجنوبية وقد غطت الرمال كثيراً من الباقي من آثاره وفي الشمال الغربي من المسجد بمسافة سبعين خطوة تقريباً يوجد آثار قبة مدورة الشكل طول محيطها خمس وثلاثون خطوة يزورها بعض أهالي القرى المجاورة يعتقدون أنها قبر أما العين ففي الشرقية من المسجد وتبعد عنه بقدر ٢٢٠ خطوة وقد بقيت فوهتها مملوءة بالماء يردها الصادر والوارد لتلك الجهات وقد صلينا فيها صلاة المغرب، وبعدها قمنا نقبل الطرف في بقية تلك الآثار وكانت العقود المتبقية أطلالاً وهناك بناية جديدة حديثة حوالي تلك العقود التي تركت كآثار ويشاهد هناك مبخر من الطين وحديثي عن قرى الإحساء وعيونه طويل لا تتسع له هذه الأوراق وغالب أهالي تلك القرى إنما هم شيعة وكان يباع في سوق الخميس الذي يعتبر كما قفة بريدة أنواع

الخضروات من بطيخ وقثاء وخوخ وبخارى وعنب وتفتح وبرتقال وغيرها وفيه حركة هادئة مع كثرة البائعين والمشتريين. ولما أن رجعنا من مسجد جواثي ذهبنا لأداء صلاة العشاء الآخرة في الجامع الكبير بالإحساء وألقينا على الحاضرين موعظة عامة تتضمن الحث على الصلوات الخمس في الجماعة والتزام بقية أركان الإسلام وشعائره وما ينبغي للمسلم أن يتخلق به وكان ذلك بمكبر الصوت فوافقت قبولاً وسرنا بعد ذلك إلى مأدبة الشيخ القرعاوي في بيته الذي يرد عليه الجيران والأحبة وما أن صلينا صلاة الصبح وأخذنا وقتاً يتسع لزيارة فضيلة الشيخ صالح بن علي أبو غصون رئيس محاكم الإحساء حتى ذهبنا إليه في بيته فوجدناه يريد الذهاب إلى مقر عمله فما كان منه إلا أن قام يحيننا بأجل تحية وأحر ترحيب أن الشيخ أبا غصون رجل قوي ومحبوب في الإحساء ويصفونه بالعدل والإنصاف ورحمة الضعيف ومواساة المحتاج وفيه محاسن أخلاق ومكارم وتواضع كان ضرير البصر بصير البصيرة صريحاً لا يملق في الحديث قد بلغ الستين من العمر دعانا بتأكيد لمائدته ظهراً وكنت أذكر أنه تقدم منه قبل هذه السنة دعوة لما مررنا بالإحساء قبل هذه السنة نريد الظهران فلم يقدر الله ذلك وقمنا بعد الجلوس مع فضيلة الرئيس لرؤية مشروع الري في الإحساء الذي تقدر تكاليفه بأربعمائة مليون منها تعويضات الهد وإزالة النخيل التي مر بها ١٥٨٠٠٠٠٠٠٠ وتكاليف العمل والمعدات وما إلى ذلك مائتان واثنان وأربعون مليوناً وحضرنا مجلس الشيخ صالح القرعاوي فإذا هو يباشر أعماله القضائية بنشاط يهابه المبطل وربما قفز من الكرسي حتى يعلو الخاصة فأعجبني قوته لإيقاف المعتدي وذلك لما يجده من التحمس وبعد صلاة الظهر ذهبنا لدعوة الرئيس وتمتعنا برؤيته وحديثه وكان لبقاً دمث الأخلاق طلق الحيا مرحاً فأخبرته أننا نريد بلاد قطر ونريد خطاباً منك كتعريف بنا لحاكم قطر فإننا لم نشعره فتوجهنا وإن كان قد تقدم منه دعوة غير معينة فأصبحنا الشيخ أبو غصون بكتاب واقترح أن يزودنا بمعلومات ظريفة بأن إذا قدمنا بلاد آل ثاني لا نطلب مبارحتها إلا برخصة من الحكومة القطرية ليكون الوقت واسعاً لأخذ

معلومات عن البلاد وأن تكون مغادرتنا لها على حسب رغبة الحكومة وكنت أقدر له ذلك الاقتراح الوجيه ثم إننا بعد مبادلة الحديث مع فضيلة الرئيس سرنا منه لمواصله المسير إلى قطر وقلت لصاحبنا محمد بن منصور اذهب بنا إلى الاستيشن واطلب لنا سيارة مريحة ولكننا وبالأأسف لم نغادر الحسا إلا بعد مضي وقت لقله المسافرين وكان سيرنا قبل الغروب بساعة واحدة رغم حرصنا على الوصول مبكرين وكانت المسافة بين الإحسا وقطر تبلغ ٢٧٣ كيلو مع الخط المسفلت هناك وقد سرنا ١٧٤ كيلومتر لم نر ساكناً ولا مسكناً سوى عمال يقدرون بعشرة في تصليح ما تكلم عن الخط، وكنا نسير على درجة ١١٠ كيلو ثم نزلنا لأداء صلاة العشائين جمع تقديم تناول ماء الوضوء من جالون ماء أعده السائق لمثل ذلك وبعد الأذان والإقامتين سرنا مواصلين سفرنا ولم نجد هناك عيناً تطرف حتى تبدت لنا سلوى مركز الحكومة السعودية في الحدود الجنوبية الشرقية وكانت الساعة تشير إلى الواحدة بعد الغروب، إن سلوى كانت موضعاً فيه بنايات قليلة وتضاء إذ ذاك بأنوار ضعيفة يسير الذاهب بين تلك البنايات وأبواب بين مواصير فتمر بمركز عن يمين الذاهب تجري فيه عرض الجوازات فجلسنا بقدر ما يؤدي المرابطون مهمتهم وبعد مسير السيارة بكيلو نقف بمركز أبو سمرة لحكومة قطر فعرضنا الجوازات قاموا بالتوثيق ضد الكوليرا والتفتيش على الداخل فقلنا لهم يا قوم إننا قوم أشرف ولسنا بعادين ودونكم السيارة والحقائب وفعلاً اعتذروا وقدموا لنا احتراماً وكان في ذلك المركز مسجد حجري حسن البناء ويضاء ذلك المركز على العموم بالأنوار الكهربائية لقرية من مدينة قطر ووجدنا في المسجد خادماً يتعاهده ويقوم بنظافته وكان الخادم شيخاً قد بيضت شعره الليالي حسن اللحية والهيئة قد سكن في حجرة في المسجد فيها سرير وأدوات لقهوته وقد نصب كرسيّاً ورفع فوقه مصحفاً فكان إذا فرغ من العمل والقيام بنظافة المسجد يعود إلى تلاوته من ذلك المصحف الكبير المكشوف وكان باسم الوجه يعلو أسارير وجهه نور وبهاء فقام صاحبنا محمد يعانقه ويكي لحالته ويهنئه بهذه الصفات ذلك لما قام بمحمد من الرقة وكان لديه إبريق

قد نصبه على اسطوانة الغاز فيه حليب ودعانا إلى مكرمه فكنا نتناول من ذلك الحليب حسب رغبته وبكل حال فحالته غريبة عجيبة نسأل الله له التوفيق. وغادرنا ذلك الموضع إلى قطر بحيث قدمناها في الساعة الثالثة ليلاً بالتوقيت الغروبي.

التعريف بقطر

كان موضعه يقع على الساحل الشرقي من شبه جزيرة العرب في رأس من الأرض محاذياً لشاطئ العقير وهو من المدن الواقعة على ضفة الخليج العربي استولى عليه البرتغاليون في سنة (٩٢٢هـ) وبعدها بإحدى وعشرين سنة جهز السلطان سليمان ابن سليم القالوني أسطولاً بقيادة سليمان باشا وزير مصر لمحاربة البرتغاليين فسار في سبعين سفينة مسلحة بالمدافع الضخمة ومعه عشرون ألفاً فطرده البرتغاليين منها ومن غيرها مما استولوا عليه كما جهزت الدولة العثمانية جيوشاً فتحت الإحساء واستولت على تلك الجهات فتم للدولة العثمانية الاستيلاء على جميع جزيرة العرب في السنة المذكورة ولكنه قام بنو خالد بمحاربة فاستولوا على الإحساء والقطيف وما جاورها وذلك بعد مائة وسبع عشرة سنة وبعد ولاية الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بعث إليها قوة لفتح قطر وبعد قتال شديد سقط فيه خلائق كثيرون أكثرهم من آل أبي رميح استولت القوات السعودية عليها وكان ذلك في سنة (١٢٠٨هـ) ولما أن جرى على الدرعية ما جرى بقتال إبراهيم باشا كانت قطر تحت نفوذ الخليفة ولكنه قام الإمام فيصل بن تركي بعد ما أعاد الله الكرة للمسلمين فزحف إلى قطر ونزل القادة ثم والى زحفه حتى نزل الماء المعروف بطريق سلوى وكان حاكم البحرين إذ ذاك علي بن خليفة قد نزل على قصر البدع ومعه قوة من رجاله وفي القصر كثير من الأطعمة والذخير والمدافع الضخمة فأصدر الإمام فيصل أوامره على ابنه عبد الله أن يحاصر القصر فحاصره واشتد الحصار فهرب لذلك علي بن خليفة وركب ومن معه سفنهم وفروا إلى البحرين فاستولى عبد الله بن فيصل على القصر وما فيه ولما علم أهل قطر بما جرى طلبوا

الأمان من الإمام فيصل فأمّنهم وبايعوه على السمع والطاعة وكان رئيس قطر إذ ذاك محمد بن ثاني وبعد وفاة الإمام فيصل استولت الدولة العثمانية على الإحساء كما قدمنا ثم بعثت قوة من الجنود فاستولت على قطر وأصبحت تابعة لتصرفية الإحساء وكان يقيم في قطر عدد من الجنود النظامية في ثكنتها الموجودة في الدوحة ويرسل إليها كل سنتين ونصف حاكم شرعي وقد استمر استيلاء الدولة العثمانية على قطر كهذا المنوال حتى سنة عشر بعد ألف وثلاثمائة وذلك لأنه لما توفي الشيخ محمد بن ثاني في سنة (١٢٩٥هـ) وخلفه ابنه قاسم بن ثاني كان له تجارة عظيمة في اللؤلؤ وله مرتب من الدولة سنوياً وكان مسموع الكلمة بين قبائله وعشائره كان بالإضافة إلى أنه يدين بالسمع والطاعة للدولة العثمانية متصلباً في دينه مواظباً على طاعة الله ورسوله ويصرف أكثر وارداته على الجوامع والخطباء والأئمة والمدرسين فأرادت الدولة أن تتخلص منه فأرسلت إلى قطر مأموراً اسمه محمد حافظ فأخذ يدبر في قطر ويتحين الفرص لأخذ الشيخ قاسم أسيراً وقد علم قاسم بما يبيت له الباشا فأخذ يحتاط لنفسه فرأت الدولة أخذه بالقوة فأرسلت سفناً حربية تحمل جنوداً شاهانية وأرسلت إلى حاكم الكويت محمد بن صباح وإلى خلف النقيب تطلب مساندة سفنها بجنود من عندها فأرسل محمد بن صباح جيشاً بقيادة أخيه مبارك بن صباح واشتبكت مع هذه القوات الشاهانية مع الشيخ قاسم ولحسن حظه كان الجيش الكويتي والإحسائي في سلوى التي تبعد عن موضع المعركة بمسيرة أربع ساعات بسير السيارة ولما أن دارت المعركة من وقت الصباح الباكر من يوم السادس من رمضان سنة عشر بعد ألف وثلاثمائة إلى غروب الشمس أسفرت عن انتصار قاسم بن ثاني فقتل من الجنود الشاهانية خمسمائة وأسر خمسمائة واستسلم محمد باشا وبقية الجنود للشيخ قاسم فغفى عنهم وبعد مدة أرسل السلطان عبد الحميد للشيخ قاسم ببرقية يأمره فيها بالإخلاء إلى السكون وعزل محمد باشا عن قطر أما الجيش الكويتي فحينما بلغته الهزيمة رجع أدراجه إلى الكويت وكان في أصله لا يجب الاشتباك مع قاسم وإنما سار ليظهر الطاعة للدولة العثمانية وقد

وقعت اشتباكات قبل ذلك أعني في (١٢٨١هـ) بين قاسم وبين محمد بن خليفة حاكم البحرين كان آخرها انتصار القطريين على ابن خليفة وبعد وفاة الشيخ قاسم تولى الرئاسة في قطر ابنه عبد الله ولما أن توفي عبد الله بن قاسم في سنة (١٣٧٦هـ) خامس وعشرين رمضان خلفه في الرئاسة والحكم ابنه علي بن عبد الله وكان ذا كرم وإحسان ثم أنه تولى بعده ابنه أحمد بن علي وكان لآل ثاني همة عالية في طبع الكتب الدينية النفيسة الثمينة وينافسون في المكارم والفضائل.

أما عن القضاء في قطر فأسبق من عرف بتقلد القضاء فيه هو الشيخ محمد بن حمدان وكان ذلك من عام (١٢٨٥هـ) إلى عام (١٣١٠هـ) وأسباب عزله أنه في حال الحروب الواقعة في سنة عشر من القرن الرابع عشر بين قاسم والعثمانيين نقم عليه شيء من ميوله إليهم فعزله قاسم عن القضاء فانتقل بأهله إلى دارين بالمملكة العربية السعودية وتوفي بها، ثم أنه تولى القضاء بعده الشيخ عبد الله بن أحمد بن درهم وهو من أهل الحوطة في نجد وكان قد درس وأخذ العلوم الشرعية عن علماء أهل الرياض ثم انتقل إلى قطر واستوطنها فعينه الحاكم قاسم بن ثاني قاضياً في قطر فكان يقضي بين الناس في بيته وفي المسجد وفي السوق كما هي حالة القضاة السابقين وقبل أن تظهر هذه المحاكم ثم أنه أسن وبلغ الشيخوخة فأقيل عن منصبه وفي عام (١٣٣٢هـ) تولى القضاء في قطر فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع وكان قد دعاه إليها الحاكم بعد الله بن قاسم من البحرين فقلده أمانة القضاء فيها وبنى له المحل المسمى المحكمة على نفقة بعض المحسنين وهي الكائنة في شارع القاضي بفريق الجسر بالدوحة فكان يجلس فيها للتدريس والقضاء ونال درجة الإعجاب من قومه وذوي الفضل هناك وبما أن الشيخ محمد بن عبد العزيز قضت له الظروف برحيله إلى السعودية لينال مقاماً أكبر مما هو فيه وذلك في (١٣٥٨هـ) فإنه حج الحاكم في قطر عبد الله بن قاسم بعدها بسنة فطلب ابنه حمد بالنيابة عن أبيه من صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن ملك المملكة العربية السعودية أن يبعث إليهم قاضياً في قطر فبعث الملك عبد العزيز إليها أحد الرجال الذين

يدرسون على الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع وتحت إدارته في مكة المكرمة وهو عبد الله بن زيد بن محمود رأيته في مكة ضمن الذين يدرسون على الشيخ في مكة المشرفة عام (١٣٥٩هـ).

وهذا شيء من ذكره والتعريف بنسبه هو عبد الله بن زيد بن محمود بن راشد بن إبراهيم آل محمود يجتمع نسبه بنسب الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم فقيه نجد لإبراهيم وآل محمود وآل غامد أهل الشيخ في الأفلاج هما قبيلة واحدة من الأشراف وأولاد الحسن بن علي وكان محمود هذا قد خلف ابنين هما إبراهيم بن محمود وزيد بن محمود من ذرية إبراهيم الشيخ عبد الله هذا ويتفرع من ذريته أعني إبراهيم نسل كثيرون ومن آل زيد بن محمود بن يوسف بن إبراهيم بن سعد بن زيد بن عبيد بن زيد بن محمود وخلائق آخرون منهم الساكنون في الزلفى ولد الشيخ عبد الله بن زيد في حوطة بني تميم في ذي الحجة من (١٣٢٩هـ) فنشأ بين أبويه حتى ختم القرآن وحفظه عن ظهر قلب فكان يؤم الناس في رمضان وهو في الخامسة عشرة ثم أخذ يطلب العلم فابتدأ في القراءة على الشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري أبو حبيب وأخذ عن الشيخ عبد الملك بن إبراهيم قاضي بلد الحوطة سابقاً، ثم سافر إلى قطر فأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع فلزمه ثلاث سنين وحفظ متوناً من الفقه والنحو ثم ذهب إلى الرياض في رجب سنة (١٣٥٨هـ) فلزم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ولما أن طلبت الحكومة من الشيخ محمد ومن الشيخ عمر بن محمد بن سليم أن يعينا لها ثمانية أشخاص من الطلاب المتقدمين العارفين ليكونوا على حسب الطلب عند الحاجة كان من جملتهم لدى الشيخ محمد بن مانع في مكة المكرمة وكان قد حج حاكم قطر عبد الله بن قاسم بن ثاني وقد طلبوا قاضياً فأشار الشيخ محمد بن مانع عليهم بالشيخ عبد الله بن زيد وقال لهم وإن كان صغير السن فسترون منه ما يسركم وما طلبوه من الملك عبد العزيز كان جوابه لهم أن قال والله لو طعتم ابن سعود لأرسلته إليكم وأصدر الأمر إلى الشيخ عبد الله بن حسن بصفة رئيس القضاة بأن يكف الشيخ عبد الله بن

زيد بالسفر مع آل ثاني إلى قطر فسار في ١٣ من شهر ذي الحجة سنة (١٣٥٩هـ) وتقلد أمانة القضاء فيها فكان يمارس أعمال القضاء ثم أنه عين الشيخ حسن بن محمد الجابر مساعداً ولكنه لصدور الأمر من فضيلة حاكم قطر الشيخ علي بن عبد الله بن قاسم عليه باستصحابه معه في أسفاره وملازمته له في البلد للصلاة به والقراءة في الكتب اشتغل بذلك لكثرة ملازمته فعين الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري عمدة قاضياً في منطقة الخور يتولى القضاء في المستعجلة ولما توفي الشيخ إبراهيم الأنصاري عين بدله إبراهيم بن يوسف على أنه لم يكن للقضاة قبل ذلك سجلات ولا كتاب تحفظ للناس سائر ما أصدره من الأقضية والأحكام وإنما غاية القضاء عندهم هو أن يخبر القاضي للخصوم شفهاً بوجه الحكم فإن احتاج إلى تسجيل كتبه في رق ثم ناوله المحق بدون أن يحتفل بتخليده عنده. وفي عام (١٣٧٠هـ) اكتشف شركة إنكليزية في قطر حقلاً من الزيت وبوجود النفط زاد نمو قطر وازدهارها وثروتها وكان أهلها قبل ذلك يعيشون من استخراج اللؤلؤ من البحار فاتسع لذلك العمران وتكاثر بها السكان وأصبحت قطر غنية ورجع إليها أهلها الذين أجلاهم الفقر عنها مسرورين بها فنشأت بها القرى والمناطق الكثيرة فلأجل هذا الحق بدائرة المحكمة الشرعية أشياء كثيرة من الأعمال الكبيرة الموجبة للتوسع في إدارة المحكمة وبناء على ما تقدم فإنها اقتضت ضرورة الحال مسابقة لهذا التطور أن أنشئت رئاسة المحاكم الشرعية في ١ / ١ / ١٣٧٨ هـ وأسند رئاستها إلى فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود وصارت هي المرجع الوحيد لسائر الأقضية والأحكام الصادرة من المحاكم الشرعية أما نسب آل ثاني فينتهي إلى تميم بن مر بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولما أن كان من المتبادر فعله الاجتماع برئيس المحاكم الشرعية وأصبح ذلك كواجب علينا فقد زرنا فضيلته في المحكمة الشرعية وكان نشيطاً في تأدية عمله وما وسد إليه من الأمور يباكر في الذهاب إليها سابقاً جميع الموظفين حتى لقد أخبرنا أن لديه مفتاحاً لأنه قد يأتي قبل البواب فيجلس مع طلوع الشمس ولا يزال جالساً فيها إلى وقت الزوال

ثم يقوم لصلاة الظهر وبعدها يجلس للناس من بعد صلاة العصر إلى قرب غروب الشمس إضافة إلى ذلك أنه يفتح باب المحكمة على مصراعيه بدون حاجب ولا شرطي فيتصل به كل من له حاجة من بدوي وحضري وقروي وكبير وصغير وذكر وأنثى فينظر في شئون الأمة ويجلس الخصوم على كراسي بالقرب منه مباشرة وقد جعل للنساء غرفة فلا يختلطن بالرجال تتصل بقاعة المحكمة بواسطة شبك بحيث يخاطب المرأة القاضي بمشكلتها بدون أن تزاحم الرجال وكنت جالسة إلى جانبه وإذا امرأة تطل من الشباك في النافذة من خلفنا لعرض مشكلتها ولا يترك حقاً وارداً إلى المحكمة إلا وينهي موضوعه مهما كلف الثمن فكانت الأعمال تجري يومياً فلا يترك شيئاً تفد إليهم إلا أن تتطلب القضية زيادة بينة فيضطر لذلك يقول نريد راحة المسلمين من كثرة التردد وراحة أنفسنا لأن الأعمال إذا تراكت صعب حلها وقد دعانا لضيافته مرات وطلب منا أن نسكن في إحدى جهات المحكمة وأن يجعل لدينا خادماً يقوم بالحشمة والخدمة غير أن صاحبنا رأى أن لا نكلفه بذلك وأخبرنا أننا بالفندق وجلسنا مع فضيلته أمام قصره بعد العصر وكان قد أعد كراسي يجلس عليها هو وأنجاله والزائرون فيتحدث معهم إلى قريب من غروب الشمس فيقوم ممتطياً السيارة ليصلي بالناس في المسجد القريب منه أما الجمع والأعياد فكان هو الخطيب والإمام فيها ولما أن كان يوم الجمعة ١٢/٦ أدينا صلاة الجمعة في الجامع الكبير الذي يؤم فيه فضيلته وألقينا بعد الصلاة موعظة على الحاضرين تحت على التمسك بشعائر الدين وتعاليمه وطلب منا أن نتناول مأدبة العشاء في بيته وسار بنا من الغد في سيارته إلى الريان للسلام على النائب ولي العهد خليفة بن حمد آل ثاني وذلك في قصره الفخم المؤثث على الطراز الحديث وكان موضع الاستقبال بقدر طوله بعشرين متراً وعرضه عشرة فكان الخدم في استقباله فإذا ما جلس الحاكم أو نائبه جعل يسلم الحاضرون بعضهم على البعض ويؤدون لفظة كيف أنت وكيف حالك إلى الإمامة يعني كيف وكان النائب يمثل مقامه وتتخيل فيه الذكاء والمقدرة والدهاء وقد وقع ما نتوخاه به فقد غلب على العرش بعد ذلك وكان الحاكم إذ

ذاك غائباً للمصيف في لبنان وأهدينا للنائب أجزاء من تاريخنا وبعدها أديرت القهوة العربية أبدينا له رغبتنا في التجول بقطر وضواحيها وذكرنا له بأننا لم نخطب بشيء من الكتب الكبار بدعوى أن مدير المكتبة فيما يذكرون غائب فأجاب ألم يقيم بن محمود باللائم بصفته رئيس المحاكم فأقمنا له عذراً بأنه لم يقصر بواجبنا فيما يقدر عليه ولكن ما نريده لا يتم بدون مساعدة الحكومة فقام من فوره وأخذ الهاتف يؤكد على المسؤولين عن المكتبة بأنه إذا قُدِّرَ جدلاً أن المدير غائب فيجب تكسير الخزائن إذا لم توجد المفاتيح ونسلم ما نطلبه من الكتب وأصدر أوامر بالقيام بما يلزم فحونا من ضيافة وخدمة وركوب وإكرام وكلف أحد الرجال أن يوصلنا إلى الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري فقمنا شاكرين ووصى ذلك الخادم أن تنفذ الأوامر بسرعة فأركبنا الخادم بسيارة جيب واعتذر بأنه لم يحصل في تلك الساعة إلا عليها وما أن وصلنا إلى الشيخ الأنصاري حتى جاء ذلك الخادم بسيارة كذلك ممتازة مريحة بمكيفاتها يقودها سائقها وأخبرنا أن السائق والسيارة على حسابنا وتحت رغبتنا هذا وإنا لنشكر للحاكم خليفة بن حمد بما قام به من الحشمة والكرامة ولا سيما المسؤولين في الفندق حيث قدموا لنا ما نتطلبه سواء كان حاضراً أو غائباً حينما علموا أننا في ضيافة الحكومة ونزلت عليهم التدابير بذلك فكانوا يباشرون بجمرة واعتذار وجعل ذلك السائق الماهر يتردد على الفندق صباحاً ومساءً وعند أي طلب ولما أن كان في صباح الأحد الموافق ١٤ / ٦ سرنا إلى الريان القديم والجديد لنرى القرى المجاورة للعاصمة وضواحيها وهي هذه العرافة المريح المريحة الخريطات الحيسة أم صلال محمد أم صلال على أم قرن الخور سميسة الذخيرة الوعب المشرب الغشامية الغويرة الفادية عذبه الرويس عين سنان المدينة الجديدة أبا الظلوف الماجدة الغويرية النعمان راس عشيرة الزبارة الكرعانة روضة راشد الخرسعة الوكرة الحرارة ترينه روضة عشام النصراتية العوينة دخان ركرت الشيحانية العظورية الصنع الحميلية أم باب البصير مسيعيد مصنع الاسمنت ميناء دخان وهي قرى متفاوتة ومنها ما هو إطلال وهناك آبار قديمة واسعة قد ركب في

بعضها مضخات لسحب الماء وفيها نخيل ومزارع ولكن الزراعة هناك ضعيفة وتحد قطر من شمال بالخليج العربي، وجنوباً بالسبخات المتاخمة للربع الخالي، وشرقاً بالخليج وأبو ظبي، وغرباً عبر الإحساء وعاصمتها الدوحة. أما عن أسواقها مملوءة بالبضائع من الأقمشة وغيرها ونمر بمبيع الخضراوات والفواكه التي يوجد فيها عروق الزنجبيل الرطب وغصون التبغ الملعون فإنه موجود هناك بكثرة من أعجب ما رأيت في قطر، وأعجيني هدوء البلاد من الهيشات والخصومات فإنك لا تسمع اللغو فيها ولا كثرة المنازعات، وأعجيني فيها عدم اختلاط النساء بالرجال فلو قلت إنني لم أر امرأة تسير مع الرجال لكنت صادقة، وأعجيني نظافة البلد من الغبار والأوساخ والذباب، وكان النظام مستقيماً بدون أذى من الشرطة على المواطنين، وكذلك المساجد فقد كانت مفروشة وغالبها بالزلز الشمين وركبت فيها المراوح الكهربائية والمكيفات وجعلت فيها ساعات الحائط وإذا أذن للصلاة فإنها تمتلئ المساجد بالمصلين ولديهم خصلة طيبة هي أنهم كانوا بعد الصلوات الخمس لا يبارحون المساجد سريعاً بل يتمهلون فمنهم من يتلو القرآن وآخر يستمع وآخر يفيد صاحبه وآخر يستفيد فلا يغلق المسجد إلا بعد ٤٠ دقيقة من فراغ الصلاة وكان سكان قطر أخلاطاً من بني هاجر وبني مرة وقحطان وفيه أخلاط من اليمن وإيران وسكانه يقدرون بالنصف من أولئك.

ومن وجدت فيه من الرجال البارزين والأعيان الشيخ (قاسم بن درويش فخرو) كان من رجال الدين والعلم المتمسكين في عقائدهم وقد طبع شيئاً من المطبوعات الثمينة وأتاه الله بسطة في المال والجسم وله شخصية بارزة فتركيبه من أعظم الرجال ويعتبر أكبر تاجر هناك جلسنا معه وتحدثنا بحديث ذكر فيه صلته بالشيخ علي بن عبد الله بن قاسم آل ثاني وأنه من خاصة الشيخ تجمعهما أواصر الصداقة والأخوة وله صلة قوية به وجعل يحدثنا عن علماء قطر ويثني على الشيخ محمد بن مانع وكان في حديثه ومنطقه من أفذاذ الرجال وأهدى لنا شيئاً من مطبوعاته الثمينة وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع قلت له نريد

أن نكتب عن حياتكم وتبدي شيئاً مما كنتم فيه من الفضل والصلاح والرجولة ومكارم الأخلاق فذكر أنه لا يرغب في ذلك وقال ما كنت أرى أنني أهل لأن يكتب عني وكان عربياً أديباً وأصله من بلاد إيران.

ومن الرجال البارزين والأعيان الذين وجدتهم هناك فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري العالم الديني والحاسب الفلكي صاحب التقويم السنوي وهذا نسبه: هو الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم الأنصاري من الخزرج من سلسلة سعد بن عبادة كذا يقول عن نفسه وكان من العلماء المحترمين وهو مدير الشؤون الدينية هناك زرناء في مكتبه وكان عليه عمامة فوق الشماغ وذا أخلاق طيبة وعشرة متمعة وأدب وتواضع ورجولة يصدق عليه أخلاق العلماء وله تمسك بالعقيدة السلفية وهو الذي تولى بأمر من الحكومة صرف الكتب التي طلبناها وكان عمره إذ ذاك يقدر بـ ٦٣ سنة. ومن العلماء هناك أحمد بن حجر آل أبوطامي الابن علي القبيلة الشهيرة بقطر وبيدارين من المملكة العربية السعودية رحل أبوه حجر إلى فارس في السنين التي جرت فيها المساغب والحروب في نجد وما يليها فولد الشيخ أحمد هناك أي بفارس وتعلم العلم لدى العلماء الموجودين في فارس ثم رحل إلى الإحساء فتعلم فيه ودرس على علماء الإحساء ثم استوطن رأس الخيمة من بلد الإمارات وتولى القضاء فيها سنين عديدة. وفي شهر ربيع الأول من عام (١٣٧٨هـ) وقع التعاقد الخارجي معه من جهة عبد الله بن زيد ليشغل منصب مساعد ثم رقي إلى منصب قاضي ومما ينسب عنه أنه كان فقيهاً ورعاً عارفاً بفنون المذاهب ويعرف اللسان الأعجمي ولديه في محكمته مترجم باللغة الهندية وكانت محكمته تقيم كاتباً خطاطاً وكاتباً بالآلة فيعتبر قاضياً للمستعجلة هناك.

وقد اتفق بنا ضمن الذين تقدموا للسلام علينا رجل من رجال قطر يدعى مبارك بن عبد العزيز الدليمي أسمر اللون وفوق رأسه العقال وطلب بنا الجلوس في حفيزه وأهدى إلينا ديوان ابن مقرب وديوان ابن النحاس وبكل حال فإن بلاد

قطر تطلب المجد وتنافس في المفاخر. أما الكتب التي قام بها آل ثاني وطبعوها على نفقتهم توزع مجاناً فمنها الفروع لابن مفلح، وتصحيح الفروع، ومشكات المصابيح، والمقنع لابن قدامة، والكافي له أيضاً، وتاريخ العصامي، وغاية المنتهى، وشرح الغاية ستة مجلدات، وتفسير ابن الجوزي، ومختصر الأغاني لابن منظور، ومجموع المنقور، ولوائح الأنوار البهية للسفاريني، وقصيدة ابن عبد القوي، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح أربعة أجزاء، وثلاثيات مسند الإمام أحمد جزءان ضخمان، ومجموعة التوحيد، ومجموعة الحديث، ودواوين وغير ذلك مما بلغ عدده تسعين كتاباً وكلها نفائس ومدير المكتبات هو عبد البديع صقر ومما يذكر أن الحاكم علي بن عبد الله بن ثاني قام بغالب هذه المطبوعات جزاءه الله خيراً وقد تبرع مرة لإحدى المكاتب الدينية في البلاد الإسلامية بثمانين ألف جزء من الكتب الدينية والأدبية في البلاد نقلته عن مصدر وثيق. وفي صباح اليوم ١٦ من ٦ ذهبنا لوداع النائب إذ ذاك خليفة بن حمد وأخبرناه بأننا عازمون على السفر بعد صلاة العصر فبعث معنا خادماً أديباً كان يتعهدنا ويتردد علينا ويعتبر من خيرة الرجال أدباً وعقلاً ورجولة يتفقد شأننا وما نحتاج للسفر ويعرض علينا عن رغبتنا في السير براً وجواً وجاء في الساعة الثامنة بالغروبي بعد الظهر فما كان من وسيلة تتعلق بالسفر زاد أو مزاد إلا فعلها ولما أن ودعنا فضيلة الشيخ عبد الله بن محمود أرفقنا بكتابين فيهما التوصية لمركز أبي سمرة وسلوى بتسهيل سفرنا ووجدنا بالمركزين احتراماً وتقديراً وسرنا من قطر حتى قدمنا الإحساء في الساعة الواحدة ليلاً بعد الغروب تزيد ١٥ دقيقة وواصلنا السير إلى الرياض يتخلل ذلك إقامة بين الإحساء والرياض للنوم فقدمنا الأخيرة صباح اليوم ١٧ من جمادي الآخرة شاكرين الله على التوفيق.

وفيها أطلقت العيارات النارية على السلطان سعيد بن تيمور فذهب على متن طائرة من طائرات سلاح الجو البريطاني يريد العلاج بلندن بعدما تنازل عن الحكم لابنه قابوس وكان سعيد بن تيمور قد حكم مسقط وعمان تسعاً وثلاثين سنة وقد

أعلن قابوس أنه أصبح الحاكم خلفاً لوالده ووعد بإنشاء حكومة عصرية تعمل على تأمين مستقبل أفضل للبلاد بحيث تصبح البلاد قوية عظيمة ويقول لكي نكون قادرين على أن نتبأ مكانتنا اللائقة بنا، وقال أنه يقوم بالاتصال للحصول على الاعتراف الدبلوماسي من الدول الأجنبية وأن العلاقات التي سيقمها مع جميع الدول هي علاقات طيبة وخاصة مع الدول المجاورة سيتشاور معها حول مستقبل المنطقة، وقد جاءت التقارير من أبي ظي تفيد بأن كل شيء هادئ وأن قوات السلطان الجديد تتولى الإشراف على شؤون البلاد.

الاعتراف بالجمهورية اليمنية

في هذه السنة اعترفت الدول العربية بجمهورية اليمن فأصبحت اليمن جمهورية وقدم في يوم الثلاثاء الموافق ١٧ من جمادى الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم إلى مطار جدة على متن طائرة خاصة وفد من اليمن لحسن التفاهم بين الجمهورية اليمنية والمملكة العربية السعودية وما ينبغي اتخاذه نحو طريقة التعاون المستمر بين البلدين وحيث أن الجانب الجمهوري سار قدماً في الخطوات التي اتفق عليها بين الأخوة اليمنيين في جدة فإن المملكة العربية السعودية تعلن اعترافها بالجمهورية العربية اليمنية وتتمنى لها توفيق ونجاح ورحبت اليمن بالأمير محمد السديري سفيراً للمملكة العربية السعودية في صنعاء كما رحبت المملكة السعودية بإسماعيل الجرافي سفيراً للجمهورية العربية اليمنية وقدم كل من السفيرين أوراق اعتمادهم وهكذا تعترف الحكومات العربية الأخرى.

بناء برج الرياض الحديث

لما كانت عاصمة المملكة العربية السعودية مدينة الرياض تشكو من قلة المياه الكافية للسكان بحيث اتسعت الرياض فكان طولها شمالاً وجنوباً مسافة ثلاثين كيلومتراً وغصت المدينة بالسكان فإن الحكومة أيدها الله رأت إنشاء خزان عظيم في مدينة الرياض وكان في تصميمه آية في هذا الزمان بحيث لم يوجد له مثيل في

الشرق الأوسط وقامت شركة عالمية ذات خبرة في تشغيل وصيانة وإدارة المشروع لمدة خمس سنوات وهذه الشركة ألمانية اسمها (ديكرهوف) باستشارة (فاتن سويديه) فأول ما يطالع القادم إلى الرياض هو برج المياه الشاهق الفريد في تصميمه وشكله المفلطح كالقطر والذي أقيم في الحديقة المجاورة لمجلس الوزراء وكان يبلغ ارتفاعه ٦١ متراً يتكون البرج من خزانين أولهما رئيسي يستوعب ١٢ ألف متر مكعب من المياه ويصل المستوى الأعلى فيه إلى ارتفاع ٥١ متراً فوق سطح الأرض وثانيهما يعلو الخزان الأول ويشغل عندما تصل متطلبات الاستهلاك اليومي للمياه في المدينة ذروتها وهو يتسع لمقدار عظيم وعلى من أحب معرفة تصميمه ووضعه مراجعة نظامه وقد كمل وتم بناؤه في شهر شعبان الموافق أكتوبر من عام (١٩٧١م) من السنة التي بعد هذه وتم تشغيله وبلغت تكاليفه أحد عشر مليوناً وكان في نوعه آية في حسن المنظر وقوة التركيب ونوع التصميم قال الأديب الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل أبياتاً في ذلك البرج وتشيده:

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| برج مشيد لعذب الماء خزان | يروي الرياض هنيئاً وهو ملاك |
| يمد مما أمدته مصادره | رياً زلالاً عليه امتد سكان |
| سقى الديار جميعاً ربنا كرمأ | بصيب نافع والله منان |
| برج منيف عجيب شاهق علم | علاق من فريد النوع إيوان |
| راسي الأساس بعمق الأرض راسخة | له القواعد صم الصخر صوان |
| رصت به زبر من فوقها زبر | صبت عليه من الإسمنت أطنان |
| عليه أفرغ في التشييد خالصة | فاشتد منه قوي الرصف بنيان |
| به تنوء من الفولاذ ثابتة | من الحديد شديد البأس عمدان |
| صلد كقمة عالي الطود ممتنع | عالي الصدى عند وقع الصوت رنان |
| يكسوه مثل موشى البرد لائحة | عليه من أبرع الألوان ألوان |
| كزرعة الفطر أو كزهرة برزت | قامت على ساقها والساق ريان |
| كمرصد مرقب للبعد قمته | بل فرجة نزهة للنفس سلوان |

فيه المصاعد طوع الكهرباء به
 تر للرعطة الأبصار منذ بدا
 حول المربع محفوف بمنتزه
 يرجع الطير في أغصانها نغمأ
 نوافر الماء في الأصال تمطرها
 تحكي النوافير أسراب الجراد إذا
 إن المشاريع في شتى تنوعها
 وللعلم والفكر والاتقان موهبة
 عناية الله ترعى شأن مملكة
 أسدى عليها ومنها الله أنعمه
 فالله يحمي الحمى في عز قادته
 من حيث ترتفع الأعلام خافقة
 ويحفظ الفيصل المقدام عاهلنا
 للعدل والعلم والإسلام مبتهجاً
 والحمد والشكر للرحمن نسأله
 ثم الصلاة مع التسليم ما انهمرت
 على النبي الأمين المصطفى وعلى
 كسرعة الريح تسخير له شان
 بلوح أبلق لم تحجبه عمران
 به الحداثق أزهار وأفنان
 تشجي النفوس لها بالسجع الحان
 وفي الغدو عليها السكب هتان
 تشتد جائله والأرض ريسان
 خير عميم به تعتز أوطان
 وكل شيء له في الفن فنان
 فالخط يمين وإقبال وإمكان
 فالفيض غيث وأسماء وإحسان
 حمى له في عريق المجد أركان
 بالنصر غربة أمن وإيمان
 مؤيداً وهو عالي الخط يقظان
 عمراً سعيداً به تمتد أزمان
 خير المزيدي به الأحوال تزدان
 سحب وسبح للرحمن أكوان
 سحب وآل ومن في البر أعوان

مجازر وأهوال تصيب العالم

لقد مر بنا ما أصيبت به اليمن الشمالية من التقتيل والتدمير بالقنابل المختلفة
 والغازات السامة واستمر الحرب والضرب نتيجة قتل الأبرياء وهتك الأعراض
 ثماني سنوات ولو أن ما جرى من التقتيل والتعذيب كان في أعداء العرب
 والوقوف في وجوههم لكان هو الأولى. ونعود إلى ذكر المجازر الرهيبة في مدينة أحمد
 آباد بولاية كجرات في شهر سبتمبر الموافق لأوائل شهر رجب من السنة الماضية

قالت مجلة رابطة العالم الإسلام في ما نصه: (اجتازت مدينة أحمد آباد بولاية كجرات اضطرابات كبيرة وبالأصح مجازر رهيبة ضحيتها مئات كثيرة من النفوس الأبرياء وأغلبهم من المسلمين ونهبت فيها الأموال وسرقت المتاجر والمنازل وانتهكت الحرمات واستمر كل ذلك إلى مدة ثلاثة أيام عملت في خلالها الأيدي الآثمة ما تقشعر الجلود من مجرد سماعه فضلاً عن المشاهدة فقد جاء في التقارير التي صدرت إلى الآن ما يفيد بأن الطائفين الإرهابيين إنما كانوا يخرجون الناس من بيوتهم قسراً ويشدونهم بالحبال ثم يرمونهم في النيران الملتهبة وهم أحياء حتى كانوا يتحولون إلى رماد وكل ذلك على مرأى البوليس ومسمع منه وقد جاء في بعض التقارير أن عدد الضحايا أكثر من ألف نسمة عدا المنكوبين والجرحى فقد يفوقون الحصر وأن مدينة أحمد آباد الجميلة تحولت عدة مناطقها إلى ركام من الخراب وكومة من الرماد وأن النار أكلت عدة من حارات المسلمين فلم تذر فيها أثراً من العمارات والمنازل وكذلك كثير من المصانع والمعامل أتت عليها النار والخراب وتحطمت الصناعة في هذه المدينة الصناعية التي كان للمسلمين منها سهم كبير إلى أن قال نقلاً عن إحدى الجرائد وقد كانت تبدو بعض المناطق أنها لم تأكلها النار فقط بل كان طوفاناً عظيماً مرت بها كذلك ولم نجد سوى جدران منهارة عديدة في المنطقة الكبيرة الواسعة التي كانت على مقربة المصلى العام وكان يسكنها الناس ولم يبق فيها سوى كومة من رماد السقوف الحديدية المنحرفة ولكن التدمير والإبادة في الضواحي كان عاماً شاملاً وهي منطقة العمال وطبقة الفقراء ورجال الوظائف الصغيرة، أما منازل الطبقة المتوسطة فقد أحرق كل صف منها ورأينا هناك مخلفات الأثاث والأدوات التي حرقت وأضيعت وقد أخبرني دليلي أن طائفة من المفسدين أحرقت عدداً كبيراً من الناس الأحياء في نفس هذا المكان لقد كانت مناظر التدمير والتحريق تخلع القلوب في المناطق التي عمت فيه الاضطرابات ولكن الذي زاد هذه المناظر هولاً هو أن المنازل لم تحرق إلا وفق خطة دقيقة وتصميم سابق وعلى كثير من الشوارع ولا سيما المناطق المنفصلة عن المراكز

الرئيسية حيث السكان والمنازل مختلطة ويسكنها الهندوس والمسلمون كأنها اختيرت قبل حدوث القلاقل وقد رأينا بضائع ومصنوعات كثيرة أحرقت على الشوارع وكل ذلك يدل على أن هذه الإجراءات لم تكن نتيجة خطة مرتجلة بل وقعت تحت خطة مرسومة من قبل، وقد أخبرني الذين شهدوا الحوادث بأم عينهم أن أسطولاً من السيارات المحملة بالبتروول كانت تساعد الإرهابيين لإشعال النيران في المتاجر والمنازل والأثاث ثم قال ويقول المراسل أن الأمور التي أدت إلى العنف إنما تشير إلى أسباب عدة منها أن زعيم جات سانج بكراج مدهوك الذي هو معروف بمواقفه المعادية ضد الأقلية المسلمة في هذه البلاد كان وجّه إنذاراً إلى مسلمي كجرات قبل الحادث بيومين ضد العدوان الباكستاني المؤكد على هذه الولاية وكان يرمي المسلمين بالغدر والخيانة ويبيدي استيائه على احتجاج المسلمين في الهند ضد الحريق في المسجد الأقصى ويستنكر اهتمامهم بما يحدث مع المقدسات في خارج البلاد.

أما عن إسرائيل ومهاجتها للعرب في فلسطين وسوريا ولبنان وتوسعها في سينا وتحرشها بمصر فقد قدمت لبنان شكايتها إلى مجلس الأمن الدولي تطالب بأن خمسين ألف مواطن لبناني يشكلون نصف سكان جنوب لبنان قد نزحوا عن منازلهم في أعقاب الهجمات الإسرائيلية على مدنها وقراها وقامت الجهات العليا في العرب تدعو السفير الإسرائيلي في لندن إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي في شهر نوفمبر عام (١٩٦٧م) الذي يدعو إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية التي احتلتها في عدوان يونيو (١٩٦٧م) ولكنها مصممة على ما هي عليه وكانوا أعني الإسرائيليين تعمل أيديهم تقتيلاً وتعذيباً في لبنان وفلسطين مما لو كان ذلك في الكلاب والقطط لعد ذلك إسرافاً.

جريمة شنيعة هزت عاصمة المملكة العربية السعودية وهي أنه قام شاب في الأربعين من عمره فدخل على أمه صباح اليوم الرابع من شهر شعبان وكان في أصله مشوشاً بل كان مجنوناً وكان ذلك قبل انتشار الأمة لأعمالها فسأل أمه عن

أحد اخوته بينما كان يشهر مسدساً بيده فما استتم كلام والدته حتى ارتطمت رصاصتان بجبين أمه الحنون في رأسها فسقطت الأم صريعة وفر الجاني بمسدسه فوقف على صاحب دكان يدعى أبو راشد في شارع المرقب وطلب من صاحب الدكان أن يقرأ ورقة بيضاء معه لا كتابة فيها ولا أثر للكتابة فيها وألزمه أن يقرأ ما تحويه الورقة ثم أشهر مسدسه الذي عبأه سبع طلقات كان يريد القضاء على حياة صاحب الدكان بإحداها فوجه فوهة المسدس إليه في وقت مجموعة من المواطنين حوالي صاحب الدكان لينظروا تلك الورقة التي ناولها إياها فكان من الصدف أن جندياً كان خارج العمل فاختطف المسدس من يد الجاني لأنه كان يرقب حركاته الغريبة المخيفة وأمسك به وطرحه على الأرض وقيده بغترته وتمكن تماماً من السيطرة عليه وأبلغت المنطقة فرقة النجدة حيث تمت إجراءات التحقيق ولقد تلقت شرطة النجدة بالرياض إخبارية بوجود جريمة قتل وأن القاتل هرب والمطلوب إلقاء القبض على الجاني ولما ألقى الجندي المدعو فالح بن راشد بن سكران الحربي القبض عليه أخذه إلى المنطقة الرابعة حيث يعمل الجندي وأبلغت المنطقة فرقة النجدة حيث تمت إجراءات التحقيق من قبل الفرقة ومن ثم سلم إلى المنطقة السابعة لتتولى بقية التحقيق وكان الحادث في حي المنتزه خلف وزارة الدفاع والطيران على شارع المطار حيث فوجئ سكان الحي والمواطنون الذين في طريقهم إلى أعمالهم بالصراخ والعويل بسبب ذلك الشاب الذي فعل ما وصم جبين التاريخ الإسلامي بهذه المكافأة التي كافأ بها أمه التي حملته وهنا على وهن وفصاله في عامين ثم أخرجته إلى العالم ليصير إنساناً تفخر به وكانت مستعدة للتضحية بكل شيء في سبيل حياته كان موتها على يديه نعم إنه منذ زمان بعيد وهو مصاب الأعصاب ومرفوع عنه القلم ولكن كيف لا يلقي القبض على يديه ويحال بينه وبين السلاح فلا حول ولا قوة إلا الله.

وفيها استكملت جميع أعمال مشروع الهاتف الآلي، وانتهى العمل من تأسيس السنترالات ومد الشبكات الهاتفية وقد اتسع المشروع في المرحلة الأولى إلى عشرة

آلاف خط وتقرر أن يباشر في خلال شهر بتنفيذ المرحلة الثانية للمشروع وتتسع المرحلة الثانية لستة آلاف خط حيث يتسع المشروع بكامله إلى ستة عشر ألف خط وهذا في مكة المكرمة وكذلك قام هذا المشروع يتقدم في مدينة الرياض ثم يعمم في سائر المملكة.

وفيها تأسست وزارة العدل برئاسة الشيخ محمد بن حركان ونقلت من جعلها رئاسة القضاء إلى وزارة عدل وكان الشيخ محمد بن حركان رجلاً متزناً وكهلاً عاقلاً يتخلل لحيته خيوط من الشيب ونسأل الله تعالى أن يحسن عاقبته ويجعلها إلى خير.

وفيها فرغ من خط الإسفلت الذي يربط الرياض بسدير فالقصيم وكان هذا الخط يمتد من الرياض ماراً بدراب فصرمى فمرات فشقراء ثم ينفصل عن خط الحجاز إلى جهة الشمال ماراً بالسيح فجفيفة فخف فقيضة خف فالعطاوي ثم الأرطاوي الرقاصي فعسيله ثم مشرفة ماراً بساجر فسمجان فالسكران ثم الجفن ثم خريسان ثم الفيضة ثم عين بن قنور ثم وثيلان ثم العمار ثم المربع ثم المذنب فعنيزة حتى يصل إلى بريدة ثم يذهب إلى جهة الشمال فيأخذ باليسار مغرباً ماراً بالشقة السفلى ثم بالمطار بالمليداء ثم البكيرية ثم الخبراء فرياض الخبراء ثم القرين وهو قصور متفرقة في متسع من الأرض ثم بعده الدليمية عن يمين الذهاب إلى المدينة المنورة ثم ثادج ثم عطا وعطي وهناك البتراء ونشاهد الفوارة على بعد إلى اليمين وهناك قرى كثيرة يمر بها ثم يمر مخترقاً لعقله الصقور ثم النقرة فعرجا ثم الحناكية التي ذكر بعضهم أنها الربذة ثم الصويدرة ثم المدينة المنورة، أما عن الخط من المدينة إلى جدة فقد تقدم سفلته قبل ذلك وإنها لنعمة عظيمة من الله في تسهيل الطرق لتقارب البلدان لو أن المسافرين اجتنبوا السرعة والتزموا بالنظام.

وفي هذه السنة يعلن الصليب الأحمر عن وجود ٣٢٠٠ سجين عربي في سجون

إسرائيل مضافاً إلى ذلك ٧٩ أسيراً عربياً لديها وذلك في غرة محرم من هذه السنة وإذا كانت اليهود تحتجز من تشاء بجرمة وبغير جرمة من أهالي فلسطين فلا غرابة إذا امتلأت سجونها منهم.

وفيها في شعبان أجريت عملية جراحية للملك فيصل بن عبد العزيز وقد نجحت وبعد نجاحها انهالت البرقيات من القاهرة وقطر والكويت ومن أمين الحسيني ومعظم الرؤساء تعبر عن سرورهم وفرحتهم بنجاح العملية فلله الشكر على ذلك، هذا ونشير إلى أن علم الطب قد تقدم في هذه السنين الأخيرة بحيث تمكن بعض الأطباء من زرع قلب صناعي وهذا لأول مرة في التاريخ قلب صناعي ينبض في جسم بشري وأفادت الأنباء الواردة من (هيوستن) أن القلب الصناعي المصنوع من البلاستيك الذي زرع في صدر رجل يبلغ من العمر ٤٧ عاماً يعمل بانتظام وكان فريق من الأطباء برئاسة الدكتور (دينتون كولي) قد أجرى عملية زرع هذا القلب الصناعي في عملية استغرقت ثلاث ساعات في مستشفى (سانت لوك) بمدينة هيوستن الأمريكية وقد كان شخص في حالة مرضية فأزال الأطباء قلبه المريض منذ عشر سنوات كان فيها بحالة خطيرة ووضعوا مكانه القلب الصناعي. وقال الدكتور الذي أجرى ثماني عشرة عملية زرع قلب أي أكثر من أي جراح في العالم أن القلب صنع بطريقة لكي يعمل بطريقة مستمرة إلى ما لا نهاية إلا أنه أكد بأن استخدام هذا القلب سيكون فقط حتى يصير بالإمكان إيجاد متبرع بقلبه مكان القلب الصناعي. وقد صرح الجراح كولي بأن القلب الصناعي يكلف خمسة آلاف دولار وأن جهاز القوة والضغط يكلف عشرين ألف دولار وقد جرى بحث من بعض العلماء الذين سئلوا عن قلب كافر هل يجوز تركيبه على مسلم وإذا كان القلب هو الملك على الجوارح فهل يجوز شرعاً جعل قلب كافر لمسلم فأجاب بالجواز وأنه لا مانع من ذلك لأنه مضغ لحم وبوضعه على مسلم يصلح على أصول ذلك المسلم.

فائدة عظيمة النفع

على العاقل الحريص على صحته أن يرفق بنفسه فهو الوصية التي أوصى بها الحارث بن كلدة طبيب العرب ملك الفرس كسرى لما وفد إليه وقال له الملك أعطنا من فوائدك يا طبيب فقال له ارفق بنفسك في كلام غزير النفع كثير الفائدة فالرفق بالنفس اجتناب الغضب الذي هو غليان دم القلب للانتقام ولهذا أوصى النبي ﷺ من قال له أوصني فقال: «لا تغضب» فرددها يقول أوصني ويقول له لا تغضب ثم ردها ويقول له لا تغضب فالرفق بالنفس اجتناب الغضب وما يدعو إليه وما يحصل الطلاق بين الزوجين وينتج الشقاق ويحصل النزاع بالمضاربة والقذف وإزعاج الأطفال بين الجيران إلا نتيجة الغضب، وقد يصبح أهل الحارة بسبب الغضب خصوماً وأعداء وأحزاباً وقد يكون الغضب عوناً لزوجته على النشوز ولأبنائه على العقوق ولجيرانه على الإساءة وللناس كافة على هجره ومجانبته وقد يغضب الأحق على ولده وزوجته فيطردها ويبدد شمل الأسرة ويجعل البيت جحيماً أو بركاناً ثائراً كل هذا نتيجة الغضب. والرفق بالنفس قلة التفكير فيما لا يعني وآفة القلب الهم والحزن وقد نبه الله على ذلك بقوله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ فكما أن الهم الشديد قد يقتل فالفرح الشديد قد يقتل وينبغي للإنسان أن يلهم نفسه بالسرور والانبساط فإن ذلك يقوي الحرارة الغريزية وينشرها في سائر البدن ومما قيل في ترويح القلب والتخفيف من آتاع النفس:

افد طبعك المكدود بالجد راحة يحجم وعلله بشيء من المرح
ولكن إذا أعطيته المرح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وقد نشرت جريدة الجزيرة السعودية في عددها ٣١٥ من هذه السنة من إحدى الصحف أن جمال عبد الناصر كان مريضاً بالسكري مع التهابات جدران شرايين القلب جعلاه عرضة لكثير من الالتهابات البسيطة وأنه كان يعاني من أمراض

التنفس وبعد نوبة المرض التي أصابته في سبتمبر (١٩٦٩م) بشكل خطير قال له طبيبه أن حياة العمل ١٩ ساعة في اليوم الواحد قد انتهت فإما أن يختصر سنوات عمره أو أن يختصر ساعات العمل إلى أربع أو خمس ساعات في اليوم مع احتمال العيش لمدة أطول ولم يكن الاختيار سهلاً فحاول عبد الناصر أن يجعل من نفسه ما يشبه رئيس مجلس إدارة ومنذ أن بدأت تراوده الظنون بأن الإسرائيليين يريدون إسقاطه ويبدو أن الهدف الوحيد من الغارات الإسرائيلية في التعمق فوق الأراضي المصرية كان لجعله يبدو أحمق فأحاط نفسه بمعاونين يتميزون بالولاء أكثر مما يتميزون بالمقدرة.

وفي هذه السنة حج عالم اليمن أو عالم الجنوب العربي الشيخ محمد بن سالم البيحاني وكان لم يحج بعدها سوى مرة واحدة ثم توفى الله تعالى ذلك العالم الذي تفتخر به بلاده وسيأتي ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى.

وفيها قرر الدكتاتور تيتو التخلي عن الحكم في يوغسلافيا وكان قد بلغ من العمر تسعاً وسبعين سنة وكان صديق جمال عبد الناصر الخاص وكان لم يحضر تشييع الرئيس جمال لقبره وذلك لعدم ضبطه توقيت مصر.

تخريج أناس من تحفيظ القرآن

في نهاية هذه السنة تخرج سبعة عشر طالباً من معهد القرآن الحكيم في مكة المكرمة وقد عينتهم جماعة تحفيظ القرآن أساتذة مساعدين في مدارسها بمكة المكرمة وقد استطاعوا أن يؤدوا واجبهم الدراسي على أحسن وجه وبكل حال فلإن هذه الجمعية التي بذلت لجماعة تحفيظ القرآن وافقت تشجيعاً وانهاًل سيل من التبرعات لهؤلاء الذين قاموا بهذا المشروع وعلى رأس المتبرعين الملك فيصل بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين وأخوته الكرام متعب وأحمد ونواف وعبد الله بن فيصل وسلطان بن عبد العزيز وأحمد بن عبد الرحمن وغيرهم من الأجواد وكان رئيس جماعة تحفيظ القرآن هو الشيخ علوي عباس المالكي المدرس في المسجد الحرام ولا

ريب أن جماعة تحفظ القرآن وجدوا تشجيعاً من الأمة وقد كانت أريحية يمين صاحب الجلالة فيصل بن عبد العزيز قد جادت في السنة القادمة بأربعين ألف ريال كما أن رابطة العالم الإسلام قد تبرعت بمبلغ مائة ألف وثلاثين ألفاً وما زالت التبرعات تترى حتى بلغ مجموع ما ورد سبعمائة ألف وسبعة آلاف وأربعمائة وستة ريالات وأربعاً وتسعين هلة هذا لمكة المكرمة ما خلى واحداً وعشرين ألفاً منها لمدارس الرياض من وزارة المعارف فجزى الله المحسنين خيراً، وقد تقدمت الإشارة إلى تأسيس هذه المدارس ومن قام بها فليراجع هناك فإننا أتينا بالمقصود.

وفيهما نشرت وزارة الإعلام هذا البيان بعونه تعالى تم بتوجيه كريم من صاحب الجلالة الملك المعظم ستباش وكالة الأنباء السعودية نشاطها بإذن الله تعالى اعتباراً من يوم السبت ٢٥ ذي القعدة (١٣٩٠هـ) الموافق ٢٣ يناير (١٩٧١م) وستبدأ هذا النشاط بتغطية أبناء حج هذا العام على النطاقين الداخلي والخارجي.. الخ

ثم دخلت سنة (١٣٩١هـ)

استهلت هذه السنة والأوضاع على ما كانت عليه ولا أمل هناك في حل مشكل الشرق الأوسط وقد قام الرئيس الجديد في مصر أنور السادات يطالب إسرائيل بالانسحاب عما استولت عليه بتقدمها العدواني في أراضي مصر فإن لم يفد حسن التفاهم فإنه سيلجأ بضرورة استخدام القوة فهي الكفيل بالنجاح وقام يتهدد وكانت إسرائيل تمنيه بالتريث ووقف إطلاق النار حتى تتوفر طرق الحل السلمية وفعلاً فإن الرئيس المصري يميل إلى حسن التفاهم إذا حصل ذلك.

وفيهما هطلت أمطار غزيرة على القصيم واستمر نزولها من الساعة الرابعة صباحاً بالغروبي من اليوم الثلاثين من محرم إلى نهاية الساعة ١٠ من آخر اليوم الأول من صفر فكان استمرار المطر ٣١ ساعة لم يتوقف المطر وأصيبت عنيزة بغرق في آخر ٢/٤ في الساعة العاشرة بعد العصر والدقيقة في العشرين وكذلك المذنب وكان ذلك المطر ممزوجاً ببرد دقيق وقد ينزل المطر بدون برد وقد ينزل البرد من

دون مطر وجرت الأودية شيئاً عظيماً ولا سيما وادي الرمة فقد جرى شيئاً عظيماً واستمر جريانه خمسة عشر يوماً وغرق فيه نفوس كثيرة من البشر وغيرهم وخرجت الأمة من كل فج وصوب رجالاً ونساءً وأطفالاً فكان فرجة ونزهة بحيث كان الوادي كلجة بحر ولولا ذلك الجسر المنصوب في وادي أبي علي لانقطعت السابلة عن العاصمة بريدة فلا ترى على ضفتيه إلا خلائق من الأهالي والأجانب وكان يلتهم ما مر عليه من الزروع والأشجار والبهائم والأثاث فسبحان الله ما أعظم شأنه.

جراد في أفريقيا يلتهم ما مر عليه

ففي ٢٨ مارس الموافق غرة شهر صفر أصيبت مزارع جنوب أفريقيا بنكبة تعتبر أسوأ ما شهدته هذه الدولة العنصرية في تاريخها وذلك بهجوم شنته أسراب من الجراد وقد أتت أسراب الجراد على كل شيء في طريقها من المحاصيل إلى ستائر نوافذ المنازل في الأقاليم الأربعة ثم تحركت الأسراب الهائلة إلى بوستوانا المجاورة وإلى مقاطعة جنوب غرب أفريقيا وذلك كان الهجوم يتم على جبهة اتساعها ١٠٠,٠٠٠ ميل مربع وفي كثير من الأحيان كانت قطارات السكة الحديدية تتوقف عن السير بسبب كثافة الجراد الزاحف وفي كثير من المنازل أتى الجراد على كل شيء حتى أنه عرى الأسرّة من فرشها والنوافذ من ستائرها وقرض الملابس وكانت النساء يحتمين بأية طريقة من الجراد حتى لا يعريهن أثناء زحفه وأكل الجراد ما مر عليه وأعلن بعض الخبراء أن طاعون الجراد الجديد قد أفلت من الزمام ومن الصعب جداً كبحه وأن شتاء النصف الجنوبي من الكرة هو الكفيل بالقضاء على الزحف وتقوم عدة طائرات بالرش من الصباح حتى مغيب الشمس للقضاء على تجمعات الجراد الكثيفة وتساندها على الأرض سيارات ضخمة تحمل أجهزة الرش ووراءها آلاف العمال في معركة ضد الدمار، هذا ما نشرته إحدى الجرائد وهي الرياض في عددها ١٧٧٨ ولا يعرف عظمة هذا الجند المسلط إلا من رآه بحيث يملأ

ظهر الأرض حزونها وسهولها ويفسد ما مر عليه وقد يدخل البيوت فيحدث
أضراراً عظيمة كلهيب النار على الأشجار والملابس ويسقط في الآبار فتكون
متجيفة.

وفيها تم بناء برج الرياض الذي تقدم ذكره وذلك في شهر شعبان الموافق
أكتوبر من (١٩٧١م).

شعب يتعرض للإبادة

لما كان في هذه السّنة جرى على مسلمي الفلبين تقتيل وإبادة كما جرى على
مدينة أحمد آباد وأبشع وأعظم مما جرى وحصل على أهل فلسطين ذلك بأن
فلسطين محاطة بالأقطار العربية وأولئك يقطنون في جزيرة بعيدة معزولة وسط
الحيط الهادي ويكون مصيرهم الهلاك الجماعي إن لم تهتم بهم الدول الإسلامية
والعربية، ومهما كثر الحديث عما يجري لمسلمي الفلبين من إبادة عقائدية وتصفية
جسدية فإن القصة البشعة التي تدور فصولها فوق جثث المؤمنين والمؤمنات هناك لا
تزال وراء ستار بسبب خطة الكتمان المتعمدة لإخفاء الحقائق والوقائع عن العالم
الإسلامي وعن العالم كله، ولقد وردت من المصادر الوثيقة أن المنظمات الإرهابية
المسيحية بالفلبين تعمل الآن على محاربة المسلمين تقوم بعمليات القتل والإرهاب
ضد مسلمي الفلبين وذلك بتشجيع من القسيسين والرهبان المسيحيين وبمساعدة
الحكومة الفلبينية والجيش الفلبيني وبإمداد حكومة جولد مائير اليهودية بالمال
والسلاح والذخيرة وأكبر هذه المنظمات الإرهابية المنظمة التي تطلق على نفسها
عصابة ليلاجاس أي جماعة النيران، والتي قيل في بعض الصحف أن الرئيس
فرديناند ماركوس رئيس جمهورية الفلبين هو الذي أسسها لتنفيذ مخططه وأهم
الجرائم التي ترتكبها أفراد العصابات المسيحية ضد المسلمين أنهم يطردون المسلمين
من أراضيهم.

ذكر ما جرى على المسلمين هناك من الخزي والتعذيب والهلاك والدمار

لقد قامت تلك العصابات الشريرة بأذية المسلمين وتعذيبهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ دين الإسلام يلاحق ملاحقة في كل مكان ويعذب أهله فلا حول ولا قوة إلا بالله قال الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله وغفر له:

كفى حزناً للدين أن حُماته إذا خذلوه قل لنا كيف ينصر
متى ينصر الإسلام مما أصابه إذا كان من يرجى يخاف ويحذر
وقال حافظ إبراهيم بك متأثراً من رزايا زمانه:

لقد كنت أخشى عادي الموت قبله فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
تباركت هذا الدين دين محمد أيترك في الدنيا بغير حُمة

لقد قام أولئك الظلمة من اليهود والنصارى ومن يعاضدهم على أهل الإسلام في الفلبين يحرقون بيوتهم ومساجدهم ومزارعهم ويهتمون بإحراق القرآن الكريم ويقتلون أئمة المساجد ويهتكون أعراض النساء قبل قتلهن ويمثلون بالشهداء المسلمين وذلك بقطع ثدي النساء وقطع رؤوس الأطفال وآذان الرجال وقد جعل لكل من أحضر أذناً أو ثدياً أو رأس طفل جائزة مالية من زعماء المنظمات السرية قدرها يتراوح من ١٠٠ إلى ١٠٠٠ بيسو من عملة الفلبين. وقامت عصابات معروفة باسم الفئران بقطع آذان ضحاياها من المسلمين للحصول على مكافأة وصلت إلى ٨٠ فرنكاً للأذن الواحدة وخصصت جوائز تتراوح من عشر جنيهات إلى مائة جنيه ثمناً للأذن الواحدة وقتل سبعون مسلماً فلبينياً في مذبة رهية في قرية صغيرة بجزيرة من الجزر الجنوبية التي يسكنها أغلبية المسلمين وكانوا قد التجأوا إلى مسجد في انتظار عقد الصلح فاقتمحت عليهم مجموعة من المسلحين المجهولين فأخذت تطلق الرصاص على الرجال والنساء والأطفال فقتل سبعون وأصيب عدد كبير آخر ومن الملاحظ هنا أن هؤلاء المسلمين الذين استشهدوا لم

يدفنوا في المقابر المعروفة لتعذر نقل أجسامهم المفتة من المسجد إلى المقابر بل جعل المسجد مدفناً لهم اضطرارياً كما يلاحظ هنا أن ثلاثة أطفال ماتوا وهم يمسون ثدي أمهاتهم وهم راضعون وهذا مما يؤسف له ويثير الأشجان ويفتت الأكباد إنه لدليل واضح على عدم إنسانية هؤلاء الإرهابيين، ومما يذيب القلوب ويخلع الأفئدة أن تغير عصابة أيلاجاس على المسلمين في بلدية الأمادا في منطقة كوتا باتوا في ١٢/٣ من هذه السنة وترتكب أبشع الجرائم التي ارتكبت ضد المسلمين وذلك أن هؤلاء المسلمين كانوا في أثناء احتفالهم بمولد النبي ﷺ كعادة الذين يعظمون المولد فقتلوا جميع من في المولد وهم ثمانية وتسعون مسلماً ما عدا خمسة أولاد تمكنوا من الفرار فلجأوا إلى ثكنة الجنود لطلب النجدة من الجيش الفلبيني فوجدوا أن قائد الثكنة مسلم فاتجه القائد المسلم إلى مكان الحادث وأخذ معه خمسة جنود وكانوا مسيحيين وبينما هم يمشون أخذ الجنود الخمسة يطلقون الرصاص على ثلاثة من الأولاد الخمسة فاستشهدوا في الحال وبقي صبي وصبية ثم أطلق القائد المسلم الرصاص على الجنود الخمسة فماتوا كلهم وهرب القائد وانضم إلى المسلمين المجاهدين وتلخص النتائج التي أسفرت عنها المذابح التي تعرض لها مسلمو الفلبين إلى ما يأتي:

١. أحرق أكثر من ستة آلاف من بيوت المسلمين كما أحرق أكثر من ستين مسجداً.
٢. أن ضحايا المسلمين أكثر من ثلاثة آلاف شخص كانوا رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً.
٣. لقد هاجر أكثر من خمسين ألف أسرة من أراضيهم وهم الآن بين الموت والحياة لمعاناتهم الجوع والآلام.
٤. المهاجرون من المسلمين لم يستطيعوا أن يحصدوا مزارعهم لطردهم من أراضيهم وإنما حصدها الجيش الفلبيني وأفراد العصابات المسيحية.
٥. استولى المسيحيون على ١٢ بلدية من أراضي المسلمين وقد قام أولئك المعذبون

يناشدون زعماء الدول العربية والإسلامية الوقوف إلى جانبهم ومدّهم بالعون المادي والمعنوي ولا ريب أن الاكتفاء بالنداء إلى وقف إطلاق النار بينهم وبين العدو ليس كافياً في تسوية النزاع لأن العدو استولى على ١٢ بلدية من قرى المسلمين وأراضيهم وأحرقوا ألفاً من بيوتهم ومساجدهم وقتلوا أكثر من ثلاثة آلاف مسلم وآخر شيء إن نقلت وكالة الأنباء إنذاراً وجهه قائد الجيش الفلبيني إلى المسلمين بأنهم ما لم يسلموا أنفسهم قبل يوم الأحد القادم فإنهم سيتعرضون لهجوم مدمر من قوات البوليس التي يزيد عددها على عشرين ألف جندي، وكان هذا الإنذار قد ورد في صحيفة مانيلّا تايمز بتاريخ ١٠/٨/١٩٧١م أي الموافق ليوم الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة عام ١٣٩١ هـ.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

وفاة الشيخ العالم محمد نصيف وترجمته هو الشيخ محمد حسين نصيف العالم العاقل الأديب المحبوب الورع الزكي الكريم التقى الذي طيب الله ذكره وجعل له قبولاً بين الأمة ولد في أوائل شهر رمضان المبارك في مدينة جدة عام (١٣٠٢هـ) ولما ترعرع اشتغل بالعلم منذ نعومة أظفاره حتى صار عالماً علماً رصيناً وصار العلم شغله الشاغل فلا تراه إلا دارساً محققاً معلقاً فقهاً وحديثاً وتفسيراً وتاريخاً لقد ضرب في أكثر العلوم بسهم صائب، وقل أن يزار فلا يوجد يقرأ كتاباً وله غرام عظيم بالكتب فلا يظهر في عالم الطبقات كتاب إلا ويحصل عليه مهما كان ثمنه ولديه مكتبة عظيمة حافلة وقد طبع فهرست الأحاديث النبوية في خمس مجلدات ولما سئل عنه قال إنني اشتريته وأراهم أصوله بأربعة آلاف ريال ثم بعد ذلك طبعه بالأوفست وبيع بحوالي ٥٠٠.

أما عن نسب المترجم فهو محمد بن حسين بن عمر بن عبدالله نصيف وكان رحمه الله رجلاً عملاقاً من عمالقة الرجال كريماً وجوداً وأخلاقاً وعلماً وفهماً وذكاءً وذاكرةً وكان إلى جانب ذلك متحدثاً لبقاً فيسحر سامعه ويضرب بوفائه المثل

فما كان يتعارف به أحد ويستطيع أن ينفك من وثاق صداقته وله مقام كبير لدى آل سعود لإخلاصه وله ذكر طيب داخل البلاد وخارجها وكان بيته مفتوحاً للزائرين من الوزراء والعلماء والأعيان ولهذا البيت مكانة عظيمة عند حكام الحجاز وهو من أكبر أعيان مدينة جدة بل من أكبر أعان الحجاز ومدارسه ومذاكرة ومراجعة في مكتبته الكبرى وكانوا يراجعونه في المشكلات العلمية فيجدون لديه كشفها ولما تقدمت به السن كان يقول للمراجع قم لهذه الخزانة ويشير إلى إحدى خزانات الكتب وخذ الكتاب الفلاني فالمسألة فيه فإذا أتى بالكتاب أخذه وأخرج لهم المسألة ثم يعلق عليها بما يعرفه نتيجة دراساته الدائمة وقل أن يوجد عالم أو طالب علم باحث ومحقق إلا ويعرفه ويعرف داره وجعل الله له شهرة بين الأمة.

وفاءه وكرمه

كان مما امتاز به عن بني جنسه أنه إذا غاب عنه مجالسه يسأل عنه ويزوره وكان يزور إخوانه وهو في مرضه الأخير وقد كان ينبغي أن يزار ولا يزور. قال عنه أحد أصحابه أنه زارني في لندن لما ذهب للعلاج فيها ولما تقدمت به السن وأحس بالضعف العام صار يتقوى على الضعف والمرض بالصبر ولم يتغير نظامه في مجلسه واستقباله للضيوف فقد كان يطرق أبواب الصحة ويبحث عنها في عقاير الأطباء وفي الابتهالات والدعاء لله سبحانه وتعالى فلا يوجد معه عند الاجتماع به حتى في أيامه الأخيرة غم أو قلق أو ضجر فلا يوجد إلا باسماء متحدثاً ليدخل السرور على جلسائه بمزاحه اللطيف ونكاته التي يقتضيها مقام الحديث فلم يضعف أبداً رغم حملات الضعف عليه وكان مصلياً صائماً ورعاً يخشى الله ويراقبه ويقول زواره أنا إذا زرناه نجده إما يتوضأ أو يصلي أو قد انتهى من الصلاة أو بيده كتاب يقرأ ولقد جرى عليه نكبة من الأشراف بسبب تهمة موجهة إليه بأنه يميل إلى آل سعود لأنه متصف بسمات وصفات أهل الدين والإيمان فرماه الأعداء بقوس العداوة وما زالوا يقذفون عليه حتى اعتقله علي بن الحسين الشريف وثلاثة معه ونفاهم إلى والده في العقبة فآلقاهم الحسين هناك في قبو مظلم لا فراش فيه ولا نور ولقي إهانة

غير أن الله كتب له النجاة وقد قدمنا القصة في حرب جدة فرجع محفوظاً بعناية الله نائلاً السلامة فاعتذر إليه الملك علي بن الحسين بأنه قيل فيه وقيل وخرج بريئاً وما كان حقه الإهانة بل الواجب التبين والتثبت وبشس مطية الرجل زعموا ولكن أعداء الله لا يزهدون في أذية أوليائه ولقد حرصت على رؤيته في أيام هذه الحياة لأنني أحب الأتقياء والأوفياء غير أن الله لم يقدر ذلك وكان معظماً محترماً وله مقالات مفيدة في الصحافة السعودية وفي صفحات العالم الإسلام والعربي وعنى بنشر مفيد الكتب وتوزيعها مجاناً على طلاب العلم ابتغاء ثواب الله وله اطلاع واسع على شتى العلوم والتواريخ والحقيقة أن مدينة جدة فقدت بموته ابناً باراً من أبناء هذه البلاد ولما أن ذهب إلى لندن للعلاج وأمضى فيها فترة أسبوع قال بعض أصحابه كنت دائم الاتصال به في لندن وكنت أزوره في المستشفى فقد دخله لإجراء فحوصات عامة وقال لصديقه قبل خروجه بيوم أن الأطباء حللوا الدم والبول وأخذوا أشعة لصدره وظهره وقاموا بعملية كشف بالناظور وقالوا أن كل شيء على ما يرام وكان يشتكي من ألم في ركبتيه عند المشي وقال أن الأطباء أعطوني علاجاً لهما وتحسنت كثيراً وأعطوني علاجاً استعمله في جدة إذا لزم الأمر. قال: وآخر يوم سافر بعده كنا نتغدى سوية في أحد المطاعم وعند خروجنا من المطعم كانت خادمة من النساء تعمل في المطعم فهرولت المرأة ومسكت بيده لتساعده على السير فقال لحفيده الدكتور محمد نصيف قل لها أنني أريد عروساً وهو يضحك فطفح السرور على وجه الخادمة لما رآته يتبدى الراحة وسارت تساعده على السير حتى خرج من باب المطعم إلى السيارة وذلك تعظيماً لهذه الأخلاق الفاضلة مريض يعاني الثقل والمشاق وهو يمازح رفيقته ومن حواليه ليدخل السرور عليه ولما اشتدت آلام ركبتيه عند المشي وأثناء الصلاة عمل متكئين خشبيين أحدهما على اليمين والثاني على الشمال ويدخل بينهما في الصلاة ويتكى عليهما عند القيام والقعود فإذا حانت الصلاة فإنه يصلي على ذينك المتكئين ثم أنه ذهب لبيروت وأمضى أسبوعاً للاستجمام وعاد إلى جده فتوجه إلى الهدى والراحة والاستجمام

وعندما شعر بالآلام في القلب صباح يوم الخميس نقل إلى مستشفى الملك بالطائف فوافته المنية هناك صباح ٦/٨ عن عمر يناهز التسعين بعد هذا الألم الذي ألم به مؤخراً واختاره الله إلى جواره وقد اشترك في تشييع جثمان الفقيد سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز، وسمو الأمير فواز بن عبد العزيز موفدين من جلالة الملك المعظم وعدد كبير من وجهاء مدينة جدة وأعيانها وصلي عليه بعد صلاة العصر من اليوم الثامن المذكور في مسجد المعمار ثم نقل إلى قبره حيث دفن في مقبرة الأسد وقد خلف حفدة وأبناء فضلاء وبنات أما ابنه حسين وابنه عمر عضو مجلس الشورى فقد توفيا في حياته واحتسبهما عند الله تعالى.

وممن توفي فيها

من الأعيان الشيخ علوي عباس المالكي وذلك في يوم الأربعاء ٢/٢٥ من هذه السنة قالت إحدى المصادر في مكة المكرمة ما نصه شيعت مكة المكرمة عصر يوم الأربعاء ١٣٩١/٢/٢٥ هـ علماً من أعلامها وابناً من أبنائها البررة هو فضيلة العالم الفقيه المحدث السيد علوي عباس المالكي الذي وافته المنية في الهزيع الأخير من ليلة الأربعاء إثر نوبة قلبية حادة لم تمهله كثيراً، ولقد شهدت أم القرى يوم تشييعه مركباً مهيباً سار فيه الألوف من أبناء البلد الأمين كان الفقيد رحمه الله من العلماء البارزين الذين بذلوا جهودهم أكثر من ربع قرن لنشر العلم والدعوة إلى الله حتى آخر يوم من حياته الحافلة بالأعمال الصالحة وفضيلته ولد في عام (١٣٢٧هـ) في مكة المكرمة ونشأ في أحضان والده السيد حسن مالكي المعروف الآن بمدرسة الحفاظ حيث حفظ القرآن الكريم ثم التحق بمدرسة الفلاح حيث تلقى على يد أساتذتها علومه الدينية والأدبية وتخرج منها عام (١٣٤٦هـ) وفي عام (١٣٤٧هـ) عين مدرساً بمدرسة الفلاح وأجيز للتدريس بالمسجد الحرام حيث كانت حلقة إلى آخر يوم من حياته مقصداً لطلاب العلم والمعرفة من كل أنحاء العالم الإسلامي وهو إلى جانب ذلك مأذون شرعي كوالده رحمه الله وكان عضواً

في عدة هيئات علمية وثقافية كان فيها مثال الرجل الحصيف كما كان عضواً في الهيئة العليا لتوسعة المسجد الحرام هكذا ذكر هذا المصدر وكان أهل مكة يعظمونه فقد وقفت في إحدى ليالي العشر الآخر من ذي القعدة عام (١٣٦٢هـ) على مدرس في الركن الشرقي الشمالي بالرحبة من المسجد الحرام جالساً على الأرض في صحبتي فضيلة الشيخ عبد الله بن عودة السعوي فقد قال لي نذهب ننظر في كلام هذا المدرس فرأيت المستمعين متحلقين حواليه وذلك العدد لا يقل عن سبعمائة مستمع وكان فصيحاً بليغاً يلقي الكلام بقوة ومن حواليه مستمعون فسألت سقاء واقفاً يحمل مصفحتين بين خشبتين عن هذا الشيخ فأجاب بعد أسفه الشديد وما تعرفه فقلت لو عرفته لم أسأل عنه فلإني أفتى وأقنعه بعد ما بكى وذرفت عيناه بالدموع فأجاب بقوله هذا السيد علوي هذا ما في الحجاز ولا في نجد ولا في اليمن أعلم منه وجعل يطربه ويبالغ في مدحه فعجبت من أهل الحجاز أو من سقاء جاهل كيف يعظمون علماءهم ويحترمونها، أما مؤلفاته فهي حاشية فيض الخير على شرح منظومة أصول التفسير، فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب، المواعظ الدينية وهي عبارة عن محاضرات دينية، العقد المنظم في أقسام الوحي المعظم، رسالة المنهل اللطيف في أحكام الحديث الضعيف، نيل المرام تعليق على عمدة الأحكام، شرح بلوغ المرام، ديوان لم يطبع.

وممن توفي فيها من الأعيان

وزير المالية والاقتصاد بعد عبد الله بن سليمان محمد سرور الصبان كانت وفاته في اليوم ٢ من شهر ذي الحجة من هذه السنة بمصر ثم نقل جثمانه من القاهرة إلى مكة المكرمة حيث عاش فيها ودفن في ١٢/٣ أي من الغد رحمه الله وعفا عنه. ولد سنة (١٣١٦هـ) بالقنفذة وكان أسمر اللون جداً شجاعاً مقداماً يلبس العقال الأسود فوق غترة الصوف المزركشة الثمينة طوالاً سبط الكفين ومن رجالات المملكة السعودية. أما الوظائف التي نالها فقد عين موظفاً في بلدية مكة في عهد

الحسين بن علي ثم انتقل إلى الأعمال الحرة ثم عين بوزارة المالية السعودية ثم رقي إلى مدير عام فوكيل وزارة ثم عين مستشاراً عاماً بوزارة المالية ثم عين بعد الوزير ابن سليمان وزيراً في المالية والاقتصاد الوطني عام (١٣٧٤هـ) ومن حسناته الخالدة مكتبته بمكة المكرمة، وله كتاب المعرض وهو معرض لأراء طائفة اختارها من الأدباء والمعاصرين وله اليد الطولى في طباعة مصحف مكة فكان قد عهد إلى الأستاذ طاهر الكردي المكي الخطاط بكتابة المصحف الشريف فلما أن أتم كتابته عهد إلى لجنة علمية شكلها بأن تراجع المصحف المخطوط وبعدما تمت المراجعة عهد إلى المطبعة العربية بمكة وكان هو مؤسسها بأن تقوم بطبع هذا المصحف على الانتهاء، وقد كانت المصاحف تطبع في القسطنطينية ثم مصر وسوريا وغيرها فهو أول من قام بطبعها في هذه البلاد السعودية، وطبع تهذيب الصحاح أجمل طبعة وأصحها وأسس بموافقة الملك المغفور له عبد العزيز جمعية الإسعاف الوطني بمكة المكرمة، وطبع ديوان فؤاد الخطيب طبعة مشكلة جامعة وذلك في سنة (١٣٧٨هـ) وطال مكث كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للمؤرخ الفاسي بين المخطوطات وهو كتاب ضخمة ويحتاج إلى نفقة عظيمة فما زال يوالي مجهوداً في نشر أجزاء الكتاب حتى كمل في ثماني مجلدات وكان لما أسس جمعية الإسعاف لم يكتف بذلك بل تجاوزها إلى مهمة إسعاف فكرية وروحية فأقام بها نادياً يتبارى فيه العلماء والأدباء المحاضرون حتى أصدر كتاباً يحمل اسم المجموعة الأولى (١٣٥٧هـ) محاضرات الإسعاف حتى قال فيه عبيد مدني:

قم والتمس معنى التاج الصافي واستوح مغزاه من الإسعاف
فيه شفاء للمريض ومادة للمستفيض ومنه للعافي
من يأتيه من قاصد أو لاجئ يلق الرحاب فسيحة الأكفاف

وقالت عنه جماعة مشروع تحفيظ القرآن الكريم لقد رزئت الجماعة بوفاته رزءاً عظيماً فقد كانت هذه الجماعة منذ نشأتها مشمولة بعنايته وموضع اهتمامه وكان له فضل كبير في استمرار المساعدة الشهرية التي تتلقاها الجماعة من رابطة العالم

الإسلامي والتي قررها المجلس التأسيسي للرابطة هذه المساعدة التي هي أول مساعدة تتلقاها الجماعة والتي استطاعت الجماعة بواسطتها أن تثبت أقدامها وأن تقيم هذا المشروع الخيري على دعائم ثابتة وعلى أسس متينة نعم قد قدمنا في السنة الماضية ما تبرعت به رابطة العالم الإسلامي لهذه الجماعة بحيث بذلت مائة ألف وثلثين ألفاً إذ كان محمد سرور الصبان هو الأمين العام للرابطة إذ ذاك. وبعد وفاته تولى الشيخ محمد صالح قزاز أمانة الرابطة وسيأتي ذكر فضله عن قريب بعد أسطر ولقد أثنى الحجازيون على الفقيد الصبان وشنفوا الأسماع بذكره ومن حسناته أنه سرقت راحلة أحد الحجاج بما عليها لما أنأخها أمام باب الوداع ليقتضي طواف الوداع فلما ذهب إليها لم يجد غير عقالها فجاء ذلك الموتور إلى أحد الرؤساء يشكو الحال وينزل به حاجته وفاقته باكياً حزيناً ولكن ذلك الرئيس لم يسق الله له على يديه فرجاً ولا نصيباً وكان المترجم إلى جانبه فخرج المسكين باكياً مكسوف الحال فلحقه محمد سرور ووجده منطرحاً خلف الباب فسأله عن صحّة فادحتّه فأقسم بالله العلي العظيم أنه صادق ولا يملك من مال الله شيئاً غيرها فذهب به إلى أمين الصندوق والصرف وأمره أن يصرف له راتبه لشهر ذي الحجة فخذ ما شئت أيها القارئ من جبر قلب هذا المفجوع براحلته وماله وإنا لنثني على أصحاب المكارم والإحسان ونخلد أذكّارهم ونعترف بعاطفتهم حتى قال عنه نواد شاكراً في تاريخه ليس بحاجة إلى تعريف لأنه في هذه الناحية يكاد يكون أبرز أنداده على الإطلاق وأطال في مدحه والثناء عليه.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ عبد الله بن محمد بن سعد بن عامر رحمه الله وعفا عنه كانت ولادته في مدينة بريدة عام (١٣٢٤هـ) فنشأ في أحضان والديه إذ كان أخواله آل هزاع ودخل على مقرئ في كتابه فأخذ في الدراسة وتعلم القرآن وكان من جملة تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم والدارسين عليه في حالة حاجة إذ لم يكن للطلاب مكافآت

ولما قام بعض الأجواد بعمارة مسجد ريشة عام (١٣٤٩هـ) جعل إماماً فيه واستمر يزاول هذه الوظيفة ثلاث سنوات ثم أن الحكومة بعثته في جملة القضاة والأئمة والمرشدين إلى جهة عسير وما يليها عام (١٣٥٣هـ) فذهب على مضض لأنه كان مولعاً ببلده ورفقته وكان صهراً وصديقاً للأخ الشيخ عبد المحسن بن عبيد ومن خاصة أحبابه وأصدقائه وكنت أذكر أنه لم حج الأخ الشقيق عام (١٣٤١هـ) لم يطق فراقه وجاء إلى والدنا يسأل عن وقت مجيئه وبكى فأقسم والدنا لو علمت بجملة فراقه كذلك لجعلتك له مرافقاً، ولما أن ذهب في جملة الداهيين إلى جهة اليمن كان إماماً في أبي عريش وواعظاً ومرشداً إذ كان القاضي في جهته الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان واستمر يزاول هذه الوظيفة في عام (١٣٥٨هـ) حيث طلب من كانوا هناك من المبعوثين الرجوع إلى الوطن؛ لأن الطقس لم يوافق لصحتهم وشغل وظيفة إمامة مسجده في بريدة ثم إن الحكومة اختارت أناساً للدراسة على الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع في المسجد الحرام وللوعظ والإرشاد في مكة المكرمة فذهب من جملتهم أضف إلى ذلك أن كانوا أعضاء في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما رأى أن عمله كان شاسعاً عن نجد رحل بأهله وأولاده إلى مكة واستوطنوها ثم أنه بعث للقضاء في الدمام وزاولها ثلاث سنين ثم نقل إلى قضاء الموية وبعد تعيينه طلب الإقالة من قضاء الموية واقتضت الإرادة لما جعل الشيخ ابن مانع مديراً عاماً للمعارف وعين فضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم رئيساً عاماً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنطقة الغربية أن يكون المترجم في الجهة الجنوبية رئيس هيئة الأمر بالمعروف هناك ثم نقل من هذه الوظيفة إلى أن يكون مفتشاً في رئاسة الهيئات بمكة المكرمة ولما تقدمت به السن أحيل على التقاعد قبل وفاته بسنة وكان كريم النفس طيب الأخلاق ثابتاً على دينه ومبادئه لا تغيره النقالات يداري ويعاشر ويتحمل في نفسه المشاق وله حظ من تلاوة القرآن وترتيله ولا يزال ناسكاً متمسكاً بتعاليم الشريعة ولما اشتعل شعره بالبياض لم يكن ليغيره أو يزيله فكان شديد بياض الشعر كث اللحية

ويعلموه البهاء متسماً بجلية العلماء ثم أنه أصيب قبل وفاته بثمانية شهور يتأثر في وجع إحدى رجليه وأجريت له فحوص طبية تبين منها أنه لا يخلو من مرض السكر ففعلاً استعمل الحمية واستمر في تقلباته وذهابه وإيابه غير أن صحته متأخرة ثم أصيب بمرض قلبي على إثر ذلك وفي يوم الاثنين الموافق ١٦ ذي القعدة من هذه السنة وهو آخر أيامه كان يشكو من قلبه رغم ترده إلى المستشفيات فطلب من أهله وقت الظهيرة أن يحضروا ملابسه وقال إني أريد أن أغتسل وأنظف وأغير ملابسي لتكون رائحتي طيبة إذا غسلوني فقد كنت أظن أنني أبيت هذه الليلة في قبري، ولما أن كان قبل الغروب بساعة من آخر النهار طلب حضور الطبيب وذهب إلى الحمام ثم خرج ودعا بابنه محمد الذي يلازمه وقد ذهب ليأتي بالطبيب وطلب ألا يأتي به وطلب حضور صهره زوج ابنته إليه ليراه ويجمع به ولما خرج من الحمام جعل يتردد في أين يجلس في السطح أو المجلس لأن لا يصيبه لفح الريح بعد الاغتسال ثم عُشي عليه وقد جاء أهله إليه بالقهوة حسب طلبه غير أنها خرجت روحه مع غروب الشمس ليلة الثلاثاء ١٧ / ١١ رحمة الله عليه فغسلوه وكفنوه وصلى عليه المسلمون وقد رؤيت له منامات حسنة وكان سبطه سعد بن محمد يتلو هذه الآية بمناسبة وفاته ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَأَدْخِلِي فِي عِندِي (٢٩) وَأَدْخِلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ ولما قص على أهله صفة وفاته قلت هذه المرثية في الفقيه تغمدته الله برحمته:

| | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| أتيت بأخبار أبانت نهاية | لأنفاس خل قد دهى بالطوارق |
| وفي حفيظ بالوداد وثابت | على دينه قد كان خير مسابق |
| سلالة أنجاء ومن نسل عامر | هو الصهر عبد الله ليس بماذق |
| لقد عاش في الدنيا عزيزاً ومكرماً | نقيته التقوى وحسن الخلائق |
| وقد كان ذا صبر جميل وثابتاً | وما كان يبدي دائماً للخلائق |
| ولكن نفس المرء تبلى وتنجلي | طوايا تحبها عن صديق وصادق |
| ينادي بأعلى الصوت جهراً لنجله | ملازمة في خدمة فعل صادق |

محمد المذكور بالخير والندى
 لقد كان برأ في القرابة واصلاً
 ألا أيها النجل ائتني بمعالج
 فقد كنت مكروباً ولا زلت خائفاً
 وقام كحيران يضيق به الفضا
 فما كان إلا ساعة ثم ناله
 لست من الأيام من بعد عشرها
 لإحدى وتسعين تلتها مائتها
 فأف لذي الدنيا وإن ظلالها
 وأعظم بموت للحبيب وفرقة
 فمن مثل عبد الله في الأنس والبها
 بقية أفذاذ لعمرى ومعشر
 لقد عاش في التقوى ومد شب يافعاً
 حفيظاً على العهد القديم وثابتاً
 فأهون بهذا الدهر خلا وصاحباً
 وليس بمأمون على الصحب والوفا
 فسبحان ربي من جليل وقاهر
 يعاملنا ربي بفقد خيارنا
 على هذه الدنيا العفا بعد موته
 وكم أبقت الأيام خباً ومعشراً
 فصبراً بني الإسلام صبراً على البلا
 وكل سيمضي ذاهباً بعد ذاهب
 وصل على المبعوث للناس رحمة
 وآل وأصحاب على السير اقتفوا

شمائله كسب العلى في الحقائق
 وذا حشمة أمسى بها ذا تفاوق
 وسارع إلى جلب الطيب وسابق
 وفي علم مولى الخلق أمسى بطارق
 يردد أنفاساً دهت باللواحق
 سهام القضا المحتوم في جنح غاسق
 بذى قعدة أمسى رهين الخنادق
 ثلاثمئين بعد ألف مطابق
 سريع انقلاص ليس يوماً برائق
 ورزء دهاناً بالحبيب المفارق
 محاسنه فاقت كثير الخلائق
 سجيتهم بذل الندى والتصادق
 وكهلاً إلى غير النهى غير تائق
 على مبدئ قد لا يميل لمارق
 لقد كان سلاباً لخل مرافق
 سجيته سلب الصديق المصادق
 يعيد ويدي قاهر للخلائق
 ويبقى شرار الخلق من كل مارق
 فكم سلبت أيدي الردى كل فائق
 وكم قد رأينا من عجيب الشقاشق
 فذو العرش جبار لطيف برامق
 وغايتهم ذا لاحق بعد سابق
 بعد النجوم الغاربات الشوارق
 وأتباعهم من كل هادٍ وسابق

وهذه أبيات للشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل جواباً عليها:

| | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| رثاء من الشيخ الأديب مؤثر | مثير به احتاج الأسى والتأثر |
| هو الشهم إبراهيم ذو النبل والإخا | أبوه عبيد العابد المتبصر |
| عبيد بن عبد المحسن الصالح الذي | محاسنه في الناس تروى وتذكر |
| جزى الله إبراهيم خيراً فإنه | لذو العلم والتوفيق والله أقدر |
| ففقّه وتاريخ مع الوعظ والرثا | علوم وآداب تصان وتنشر |
| رثى الراحل الصهر الأديب أخا الوفا | أبا عامر ما المرء عمرأ يعمر |
| فلم يجعل الله الخلود لكائن | من البشر الفاني تعالى المدبر |
| وما هذه الدنيا جميعاً بأسرها | لكل الورى إلا امر ومعر |
| وكل ملاقٍ في المنية مصرعاً | ألا كل شيء بالقضاء مقدر |
| فما أبهج الحظ السعيد بفوزه | وما أتعس المحروم والحظ أخسر |
| معاذاً إلهي من شقاء وفتنة | وغل وإعجاب هو الداء يحذر |
| مضى الشيخ عبد الله نجل محمد | حميد خصال والحامد مفخر |
| ولم ننس أيام الوفى ونبله | ولطف سجايا لم يشبها التكدر |
| وبرأ وآداباً وحسن عقيدة | وترتيل قرآن بصوت يحبر |
| تغمده المولى بعفو ورحمة | بإحسانه والله ذو المن يغفر |
| لنا وله والمسلمين جميعهم | وحمداً لرب الكون والله أكبر |

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبد الله بن مشيق، وهذه ترجمته: هو أحد زعماء مدينة بريدة عبد الله بن عبد العزيز بن حمود بن مشيق بن عبد الله آل مشيق، ولد في مدينة بريدة سنة (١٣١٠هـ) ونشأ في بيت والده نشأة حسنة فأدخله والده إحدى المدارس الأهلية عند مؤدّب يتعلم القرآن والكتابة وله من العمر ثمان سنوات وكان ذكياً حفظ القرآن الكريم وحسن خطه ولازم والده منذ صغره في البيت والمسجد وعند سماع القراءة في مجالس الذكر في المساجد واشتغل بجانب والده في التجارة وحينما بلغ عمره العشرين أخذ في طلب العلم على الشيخ

عمر بن محمد بن سليم وأخذ عنه تفسير القرآن وعلم التوحيد والفقه والفرائض والنحو والتاريخ كما أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم ودرس عليه في الصحاح والسنن وكان مولعاً باستماع القراءة في البيت والمسجد في الكتب الدينية والتاريخ وغيرها طيلة حياته وعنده قوة ذاكرة واختير إماماً لمسجدهم الذي كان يدعى مسجد عيسى في غربي مدينة بريدة وذلك في عام (١٣٤٠هـ) وبصفتهم الذين أقاموا عمارته مرتين كان يعرف بمسجد الشيخ واستمر في إمامته إحدى وخمسين سنة تقريباً حتى توفاه الله تعالى ولما أن كان صوته جهورياً صدق عليه اسم البلبل المغرد ذلك لما كان حسن الصوت جهورياً مرتلاً محبراً فهو وحيد زمانه في علو الصوت ولا سيما ليالي الختم في شهر رمضان فإن المسجد يمتلئ بالمصلين رجالاً ونساءً ويختصونه لقراءة الكتب الواردة من الملك عبد العزيز في وقت الحروب لتوجيه الشعب وإبلاغه الأوامر الرسمية فكان صوته يسمع من مسافة بعيدة وقد تأثر بحب العلم والعلماء وحب الخير وأهله ومناصرة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فكان يؤيدهم ويساعدهم ويقف في صفهم ويتمتع بالأخلاق الفاضلة والسيرة الحميدة مع أدب وسعة رأي، باسم الوجه مقنعاً بجديته سريع البديهة محترم الشخصية باراً بوالديه ولاسيما لما أسن والده فإنه يجلس بين يديه متواضعاً متقيداً بتوجيهاته خاضعاً لأوامره وكان موفقاً لحل المشاكل وإنهاء الخصومات إذا وجهت إليه وفيه سياسة حتى أنه يسحر السامع في كلامه وكان وجيهاً عند الأمراء والحكام والقضاة وترجع الأمة إلى رأيه ومشورته ويستأنسون برأيه ويقربون مجلسه لما يعرفون من نصحه وإخلاصه وكان إلى ذلك صاحب عبادة وله حظ من قيام الليل ومحسناً إلى الفقراء والمساكين ويعطف على المستضعفين ويصل رحمه ويؤثر على نفسه في أمر أسرته مما جعلهم يميلون إليه ويقدرونه ويحترمونه ويربي أبناء الأسرة ويأمرهم بالصلاة ويوقضهم لها ليلاً ونهاراً مع كثرتهم وسعة بيتهم وتعدد محلاتهم وله أخوة كانوا يسيرون على تعليماته في خدمة مسجدهم وبذل الطعام والشراب فيه للمحتاجين والمصلين ولما أن كان في آخر

السنة التي توفي فيها أحس بمرض قلبي فقام الأطباء في ليلة الجمعة ٢٩ من شوال من هذه السنة لعلاجي في مستشفيات بريدة غير أن كان مرضه يشتد ويزداد فبعث إليه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز بطائرة لحمله إلى الرياض وعلاجه فيها فاستمر بمستشفى الرياض حتى توفاه الله تعالى في الساعة الخامسة والنصف بالغروبي من ليلة الثلاثاء الموافق ٢٥ من ذي القعدة فنقل جثمانه إلى مدينة بريدة لتسهيل زيارته على كل من أهله ومحبيه وصلي عليه بعد صلاة الظهر بالجامع الكبير في بريدة وشيعه إلى قبره خلق كثير وجم غفير رحمه الله وعفا عنه وكان لدى هذه الأسرة وهم أبناء عبد العزيز بن حمود بن مشيق عبد الله وصالح وحمود وإخوانهم ثروة عظيمة وإذا كان في دخول شعبان ألزمهم باعث الإيمان على أن يقوموا بإحصاء المال وإخراج زكاته حسب إرشادات والد الأسرة فيفرون الزكاة على الفقراء ويتفقدون طالب العلم لذلك امتدحهم عمر الوسيدي بأبيات من قصيدة تقدمت وقال في معرض المديح والثناء:

جزاهم إله العرش عنا بفضلـه وضاعف من مبدولهم كل حاصل
يكون ظلالاً يوم يفصل بالقضا وقاية حر الشمس يوم الزلازل

ذكر شيء من نباهة المترجم وسياسته

كان حبراً من الأحبار عاقلاً وداهية من دهاة الرجال ونحيراً مقولاً فصيحاً سياسياً ويدرك بذوقه وسياسته ما يقصر عنه بنو جنسه فكان من الأسرة البعيدين من تفوته صلاة الفجر مع الجماعة فأسف لإخوانه ووالداه لذلك وجعلوا يقلبون النظر في أطره على الصلاة مع الجماعة فأحضر عبد الله الرجل وقال له إننا نريد من يتفقد الجماعة في العدد وقد فكرنا فلم نجد سواك ففرح بذلك الرجل وتلقى ذلك العمل برحابة صدر وسرور فرحاً بهذه الثقة فكان أول من يدخل المسجد ويأتي قبل الأذان يوقد السرج ويهيئ موضع الصلاة حتى كان أعظم المبادرين للصلاة ومن سياسته أنه يذهب إلى المدينين لهم بنفسه فيدرك ما تيسر من دون

غضب ولا تشويش وذلك لأنه قد يدرك الإنسان بالرفق ما لا يدركه بالعنف ويسلمه لأمين صندوق مالتهم قائلاً هذا من فلان وهذا من فلان فيوضع الواصل بالدفاتر تماماً وقد تتأزم الأمور في مدينة بريدة فيكون لديه الحل السريع في كشف النزاع وإزالة سوء التفاهم وإرضاء المتنازعين وبكل حال فإنه قد خسرت الأمة وفقدت رجلاً من رجالها.

ومن توفي فيها من الأعيان محمد بن راشد بن سليمان بن رقية يعرفون بهذا اللقب وإلا فهم آل سبيهن من آل شيحة. ولد المترجم في سنة (١٣١٧هـ) وكان والده راشد من أعيان بريدة له إلمام ومعرفة بالتجارة رباه في بيت فدرس في إحدى المدارس الأهلية حتى حفظ القرآن وتعلم الخط ومبادئ في الحساب وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم حتى حصل على مبادئ من العلم الشريف ومما درس عليه المنتقى لمجد الدين ابن تيمية رحمه الله وكان ممن يلازمون الشيخ عمر في إقامته وأسفاره ومن جملة رفقة الشيخ المذكور لأنه كان لبقاً ذكياً يحسن الأدب وفيه ذكاء ومعرفة بالأمور ومن يتعاطون بالتجارة وكان هو المقدم من بين أخوته الذين كان لديهم ثروة مالية بعد أبيهم راشد بن سليمان وفي صفته كان طويل القامة نحيف البدن أبيض اللون مهيب الطلعة موقراً لدى أسرته وله ميل إلى العقيدة السلفية ولا يبدو عليه أثر السرور ولا الغضب ولا الضحك ولا يحب الهزل ولا المزاح وإذا تكلم فإنه يشبع المقام ولا يدع لصاحبه مقالاً لا سيما إذا تكلم عن غضب فإن له بوادٍ وشجاعة ومن عادته أنه يقيم في فصل الصيف بنخيلهم الكائن بقرية خضيرا وفي الشتاء يقيم بيته الكائن في بريدة بجوار مسجد الشيخ ناصر بن سليمان بن سيف وقد صاهر الشيخ القاضي عبد الله بن محمد بن حميد لما كان في قضاء القصيم. كانت ٥ وفاته في يوم الاثنين الموافق ١١/٢٤ من هذه السنة رحمه الله وعفا عنه فمن المصادفات وفاة ثلاثة من الأحبة والأعيان في شهر واحد.

وفيها في يوم الأربعاء ١٣ شوال افتتح الملك فيصل مشروع الري والصرف

بمدينة الإحساء التي قدمنا ذكرها وكان بعض المواطنين مولعين بما فيها من العيون
قال محمد ابن عبد الله بن عبد القادر المؤرخ يصف عين أم سبعة في قصيدة:

رعى الله يوماً قد طوينا نهاره بكثبان رمل زيتها الجداول
تجود عليها دائماً أم سبعة بماء كبلور جلته الصياقل
يزيد على برد الشتاء توقداً كأن بذاك الماء تغلي المراجل
كأن جموع النخل في عرصاتها صفوف العذارى حملتها القلائل
إذا روجت ريح الشمال رؤسها تميل كما مال الحب المواصل
فيا حبذا برد النسيم بظلها ويا حبذا ذاك النقا والمنازل
بأعوان صدق زينوا كل محفل فما منهمو إلا سخي وفاضل

وقد تقدمت إشارة لطيفة عن الإحساء.

وفيهما جرت انقلابات وثورات في السودان والمغرب.

وفيهما في عاشر شوال اغتيل رئيس الوزارة الأردنية في مصر بالقاهرة بأن تقدم
ثلاثة رجال مسلحون فأطلقوا عليه النار فقتل الرئيس وصفي التل. وقالت المصادر
أن أولئك الثلاثة ينتمون إلى منظمة تدعى منظمة فلسطين السوداء وكان إطلاق
النار عليه بينما كان يهم بدخول الفندق وأن وصفي التل كان يرأس وفد الأردن
إحدى وخمسين عاماً وكان قتله غيلة في الساعة الواحدة تزيد ٤٥ دقيقة من بعد
ظهر ذلك اليوم بتوقيت القاهرة وكان إطلاق النار من داخل الفندق حيث انتشرت
قطع الزجاج المحطم للبواب الأمامي للفندق على أرض المدخل المسفلت وشوهدت
عدة ثقوب في الباب ناتجة عن رصاص من أسلحة أتوماتيكية وقد وجه الملك
حسين بن طلال ملك الأردن كلمة عزاء إلى الشعب الأردني نعى فيها الرئيس
وأعلن الحداد عليه أربعين يوماً. وأعلن الحداد لمدة أسبوع وتعطيل جميع الوزارات
والمؤسسات الرسمية والمدارس الحكومية والخاصة يومي الاثنين والثلاثاء وبعث
الرئيس المصري أنور السادات برسالة إلى جلالة الملك حسين بن طلال ملك

الأردن يعرب عن أسفه الشديد وأسف الشعب المصري لهذه الجريمة التي وقعت على الأرض المصرية ضد رئيس وزراء الأردن.

وفيها نشأت خلافات بين الهند وباكستان وتطورت المشاكل وذلك بتدخل الهند فيما لا يعنيتها وكان قد حدث أن فرقة انفصالية قامت ضد حكومة باكستان الشرقية على رأسها مجيب الرحمن فقامت الهند تؤيد الانفصاليين وتمدهم بأموال ضخمة وسلاح وترسلهم للقيام بالتخريب في باكستان وعلاوة على ذلك حشدت الهند العديد من فرقها العسكرية على طول الحدود الباكستانية الشرقية وقامت هذه القوات تواصل قصف الأراضي الباكستانية باستمرار وكان ابتداء ذلك في شعبان من هذه السنة.

شر عظيم وبلاء مستطير تعانيه باكستان

استمر القتال أواخر شعبان ورمضان في وضع خطير للغاية وقامت القوات الهندية بقصف بعض مناطق حدود باكستان الشرقية وإرسالها الدبابات في عدة قطاعات الحدود واستمر القتال بهذا الوضع الشديد بين الفريقين بالدبابات والطائرات وقتل مئات بين الفريقين وجرح آخرين ودمرت باكستان ما يزيد عن ثمانى عشرة دبابة كما قتلت ١٣٠ هندياً وجرحت حوالي ٥٠٠ جندي وبكل حال فإن باكستان ما استطاعت صد هجمات العدو ولم تتوقف القوات الهندية من الغارات على باكستان واعترفت (أنديرا غاندي) أن القوات الباكستانية تعززها الدبابات والمدفعية ولما أن كان في ١٦ شوال بدأت حرب شاملة غير معلنة رسمياً بين الهند وباكستان وقد أغارت الطائرات في البلدين على مطارات كل منهما واندفعت قواتها البرية في سعي للسيطرة على الأراضي في الجانب الآخر وأعلنت باكستان أنها أسقطت إحدى ثلاثين طائرة هندية وأنها حققت مكاسب استراتيجية برية في كشمير والبنجاب الهندية وقد انفجرت طائرتان هندية في الجو ودار قتال عنيف في غرب باكستان وقد أنزلت باكستان مظليين شمال غربي

البنجاب ثم إنه اشتدت الحرب وقامت الطائرات الهندية فبدأت هجومها بعد منتصف الليل بوقت قصير وأيقظت أصوات صفارات الإنذار ضد الغارات الجوية والنيران الشديدة للمدافع المضادة للطائرات التي كانت تطلق من المطار سكان دكا وأضيئت السماء بواسطة القنابل المضيفة وواصل الهنود هجومهم إلى ما بعد شروق الشمس مرسلين أربع طلعات أخرى من طائرات الميج ٢١ أس وكان الجو صافياً والشمس تلمع على مقدمة الطائرات الهندية النفثة عندما بدأت بالهبوط إلى ارتفاع منخفض فوق الفندق في اتجاه المطار وفي انطلاقها بسرعة قوية على ارتفاع ١٠٠٠ قدم قامت بهجمات متكررة على المطار ومقر القيادة العسكرية بالصواريخ والقنابل كما أرسل السلاح الجوي الباكستاني طائرات تصد ذلك الهجوم وقد قامت القاذفات الهندية وحلقت على ارتفاع عالٍ في اليوم الحادي والعشرين من شوال فأوقعت إصابات في دار للأيتام تؤوي ٤٠٠ طفل ومائة مسؤول وقد سقطت أربع قنابل داخل مبنى دار الأيتام الإسلامية وأخذ عمال الإنقاذ الذين هزهم الحادث الوحشي يزيلون بأيديهم الأنقاض وقد انتشلوا ١٧ جثة من جثث القتلى الأبرياء. أما الأطفال الذين كانوا يعيشون هناك فهم ثلاثمائة صبي ومائة فتاة تتراوح أعمارهم ما بين السابعة والسادسة عشرة لذلك كان يعيش في المبنى الأطباء ورجال الدين وغيرهم وقد أحدثت الانفجارات فجوات يزيد حجم الواحدة عن عشرين قدماً عمقاً وعشرين قدماً عرضاً وشوهت الجثث وهي منتشرة في الأرواح وقد توجه مراسل هيئة الإذاعة البريطانية بنفسه إلى مقر دار الأيتام فوجدها كومة من الأنقاض ولقد قام ملك المغرب الحسن الثاني يناشد جميع رؤساء الدول الإسلامية بإقناع الهند وباكستان بحل خلافتهما بالطرق السلمية وفي أسرع وقت ممكن وأذاع الرباط أن من واجب الدول الإسلامية أن تتعاون فيما بينها لإيجاد تسوية سلمية للمشكلة الهندية الباكستانية عن طريق الأمم المتحدة كما أن الحكومة الجزائرية طالبت بإيجاد تسوية للنزاع الهندي الباكستاني بحيث تحترم وحدة باكستان وسلامة أراضيها وناشد الزعماء المسلمون في الأردن كافة الدول والأمم

المتحدة والجامعة العربية لإيقاف العدوان الهندي على باكستان والخيولة دون اندلاع حرب شاملة بين البلدين وحث هؤلاء الزعماء زعماء البلدين على الاحتكام إلى المنطق والعقل بدل الالتجاء إلى القوة وسفك الدماء لحل المشاكل القائمة بينهما. ومن جهة أخرى أعلنت باكستان أنها تجري مشاورات مع الدول الكبرى والصديقة لعرض نزاعها مع الهند على مجلس الأمن الدولي وبعثت الحكومة الباكستانية شكوى إلى الاتحاد السوفيتي بشأن استمرار شحن الأسلحة السوفيتية للهند وبعث الرئيس نيكسون برسائل إلى كل من الهند وباكستان والاتحاد السوفيتي يطلب منهم بذل كل ما يستطيعونه لمنع نشوب حرب واسعة النطاق في شبه القارة الهندية وقرر التدخل شخصياً في الأزمة والنظر في الخطوات الأخرى التي قد تقرر الولايات المتحدة القيام بها ومما قيل:

فإن النار بالعيدان تذكى وإن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام

التهديد بحرب عالمية

لما اعتدت الهند على باكستان اعتداء صارخاً دوى في كل أصقاع الدنيا أن الهند تحاول إقامة دولة شيوعية لا دينية في باكستان الشرقية المسلمة التي تبلغ حوالي ستين مليون مسلم وذلك بتأييد من موسكو ولا تريد الهند وقف إطلاق النار ولا العودة لحدودها بل تريد تحقيق هدفها العدواني. أعلن ذو الفقار علي بهوتو نائب رئيس وزراء باكستان ووزير الخارجية في طهران بأن النزاع الهندي الباكستاني سوف يتحول إلى حرب عالمية إلا إذا اتخذت جميع الشعوب الخطوات الضرورية لإزاءه وكان بهوتو قد توقف في طهران وهو في طريقه إلى نيويورك لحضور مناقشة مجلس الأمن الدولي حول الحرب لإطلاع السلطات الإيرانية حول الأمور الدائرة في بلاده. وقال أن الحرب سوف تستمر إلى آخر قطرة دم حتى ولو زالت باكستان من الوجود، هذا وقد عجزت الأمم المتحدة عن إيقاف الغزو الهندي، فقد نشرت

في واشنطن واثائق سرية للبيت الأبيض الأميركي جاء فيها أن المسؤولين الأمريكيين لم يكن لديهم أمل في أن تستطيع الأمم المتحدة وقف الحرب الهندية الباكستانية وكان ترتيب الجبهات هي أربع فرق هندية وثمان فرق هندية وأربع عشرة فرقة هندية وتسعمائة ألف وثمانين جندي، أما الباكستان فكانت ثلاث فرق وثمانين فرق وأربع عشرة فرقة وثلاثمائة ألف واثنتين وتسعين ألف جندي وكانت الهند تقوم في غالب الأيام بمائة غارة على الباكستان وقد صمدت الباكستان ووقفت تجاهد حتى قال بعض الأدباء في أحد أعداد جريدة المدينة من أيام شوال ليتنا نحن العرب نياس من مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة ووساطات يارنج ويوثانت ولا نستجدي الحلول السلمية من أعدائنا أجباء إسرائيل وحلفائها ومباركي قيامها وبقائها واعتدائها علينا ونقتدي بباكستان المؤمنة المجاهدة المدافعة عن عقيدتها وأرضها وشعبها وحربتها واستقلالها فنثبت ونصبر ولا نطلب الهدنة ولا نقبل وقف إطلاق النار حتى تتحرر أرضنا من أرجاس العدوان اليهودي اللئيم.

موقف المملكة العربية السعودية

لما قامت الهند بهذا العدوان الأثيم أصدر الديوان العالي ما يلي: (إن العدوان الغادر الذي تشنه الهند ضد باكستان يخالف بشكل فاضح جميع المواثيق الدولية والقيم الإنسانية التي ينبغي أن يتحلى بها المجتمع البشري وإن المملكة العربية السعودية لتستنكر بشدة هذا العدوان الصارخ وتهيب بجميع دول العالم أن توقف الهند عن الاستمرار في هذا العدوان الذي ليس له من مبرر إلا رغبة الهند في تفتيت وحدة باكستان والنيل من العقيدة الإسلامية التي تدين بها ثم إنه بعث صاحب الجلالة الملك فيصل إلى نائب رئيس وزراء الباكستان ووزير الخارجية: (بسم الله الرحمن الرحيم حضرة صاحب الفخامة الرئيس ذو الفقار علي بهوتو رئيس جمهورية الباكستان أبعث بخالص تمنياتي لفخامتكم بالصحة والتوفيق راجياً من الله العليّ القدير أن يمدكم بنصره وتأييده في هذا الظرف العصيب الذي تمر به الشقيقة الإسلامية الكبرى الباكستان بعد أن تألبت عليها قوى الشر والعدوان لتفتيت

وحدثها والنيل من عقيدتها الإسلامية الراسخة في نفوس أبنائها وإننا لنؤيد موقفكم وسنكون دوماً إلى جانبكم للحفاظ على وحدة الباكستان وسلامة أراضيها من عبث العابثين وكيد الكائدين وفقكم الله ورعاكم وأخذ بيدكم بنصرة دينه وإعلاء كلمته إنه سميع مجيب). التوقيع فيصل، وكانت الهند تقوم في غالب الإغارات بأعمال العنف فقد ضربت الباكستان بقنابل النابالم فأصيب عدد من الأشخاص بجروح وحروق واستهدفوا المدنيين الباكستانيين وهاجمت مدرسة للتدريب وجرح بعض الطباخين في مطعم الطيارين السعوديين وقتلت أحد رجال السلاح الجوي السعودي الذي كانت تحت التدريب. وبالرغم من صمود الباكستان فإنها باءت بالهزيمة وخسرت بنجلادش التي تزعمها مجيب الرحمن وحصل القتال بينه وبين الرئيس السابق محمد يحيى خان وقسمت الباكستان إلى شطرين وكانت فائدة هذه الهزيمة للباكستان هو الاستفادة لإيقاف الهزيمة على امتدادها وسريانها إلى باقي الجسم الواهن وتوقف إطلاق النار بين الفريقين على الاعتراف بدولة بنجلادش وإطلاق سراح مجيب الرحمن وانسحاب الهند وهذه الهزيمة كهزيمة العالم الإسلامي والعربي في عام (١٩٦٧م) فلا حول ولا قوة إلا بالله. وبكل حال فإن الهند إذا كانت خمسمائة مليون أو تزيد فإنها تتغلب على الباكستان البالغ عددها ٦٠ مليوناً إذا لم يكن هناك عدل وإنصاف ولم يقيم مجلس الأمن بما ينبغي من إيقاف كل معتد عند حده.

ضرب فيتنام

لما أن كان في ١٠ ذي القعدة من هذه السنة قامت الغارات الجوية الأمريكية بألف غارة على فيتنام الشمالية واستمرت هذه الغارات خمسة أيام وقد قامت الطائرات الأمريكية التي بلغ عددها ثلاثمائة وخمسين طائرة بضرب قواعد طائرات الميج والصواريخ التي تطلق من الأرض للجو وبطاريات المدافع وقواعد الرادارات الخاصة بالدفاع الجوي وخزانات الوقود ومستودعات التموين بين المنطقة المنزوعة السلاح وخط العرض ٢٠ وقعت معظم الغارات على بعد ١٢٨ كيلومتراً من

هانوي وهذا يعتبر أعنف هجوم جرى على فيتنام الشمالية منذ ما يزيد على ثلاث سنوات فقامت موسكو تعرب رسمياً عن استنكار القصف الأميركي ووصفتها بأنها شبيهة بأعمال القراصنة واختتمت الحكومة السوفياتية بيانها بالوعد بمد المساعدة لفيتنام.

المعهد الفني في الظهران

قد قدمنا الجولة التي قام بها الملك فيصل في الإحساء ثم أنه واصل جولته إلى الظهران وقام بزيارة في اليوم ١٦ من شوال في الساعة العاشرة صباحاً لمعهد سلاح الطيران الملكي السعودي في قاعدة الظهران الجوية وكان يرافقه وزير الدفاع والطيران سمو الأمير سلطان وعدد من الأمراء السعوديين وفي بداية هذه الزيارة شاهد جلالته أسراباً من طائرات سلاح الطيران الملكي السعودي في قاعدة الظهران الجوية وأشاد بالكفاءات السعودية المدربة والمؤهلة تأهيلاً علمياً كبيراً للذود عن حياض الوطن وإعلاء كلمة الله والمساهمة في أداء الواجب المطلوب وبعد ذلك توجه الملك إلى مبنى المعهد الفني حيث كان في استقباله الأمير تركي نائب وزير الدفاع والطيران والزعيم طيار أسعد زهير قائد سلاح الطيران والزعيم طيار أكرم خوجة قائد قاعدة الظهران الجوية ووكيل القائد طيار علي أحمد الغامدي قائد المعهد وكبار القادة والضباط.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

فيها جرت محاولة اغتيال ياسر عرفات لما عاد من تفقد القواعد الفدائية في الجولان المحتلة على الحدود السورية وكان معه في سيارته عدد من قادة الفدائيين عندما تعرضت السيارة فجأة لوابل من النيران من كمين لعناصر غير معلومة وقد قتل السائق في الحال وكتبت النجاة لياسر عرفات وقد قيل أن المهاجمين قد يكونون أردنيين أو أعضاء في المجموعات الفدائية المنشقة وقد اعتقل عدد منهم بواسطة

السلطات السورية وأنه يجري استجوابهم وذكرت إحدى التقارير أن الدلائل تشير أن الرجال المسلحين هم من الفدائيين الساخطين على الحالة العامة في الحركة.

وفيها انفجرت قنبلة في حقيبة ملابس أحد المسؤولين الأردنيين قبل وضعها على طائرة أردنية كانت متجهة إلى عمان عبر القاهرة وقد تأخرت الطائرة لأسباب فنية مما أنقذها من تلك الكارثة وقد جرى التحقيق بأنه لا يعرف كيف وصلت القنبلة إلى داخل حقيبته وفي أمثال هذه الأعمال السيئة تتجلى عدم إنسانية نفوس جبلت على الخبث والإفساد للمجتمع وإلا فكيف في هذه الأحوال الحرجة المخيفة في الجو يتسبب لإهلاك نفوس بريئة ولكن أعداء الفضيلة فطروا على الفساد.

وفيها حرقت السفارة البريطانية في دبلن إيرلندا وذلك بأن حاصر المتظاهرون الجمهوريون السفارة البريطانية ليلة ١٥ ذي الحجة وأشعلوا فيها النيران بإلقاء القنابل البترولية.

وفيها حصلت فيضانات بأفغانستان قتلت تسعة أشخاص وهدمت خمسمائة منزل وأغرقت حوالي ستمائة ألف رأس من المواشي في إقليم فرح بأفغانستان وقد اجتاحت الفيضانات ذلك الإقليم في يناير الموافق لذي الحجة من هذه السنة ويبعد الإقليم حوالي ثمانمائة كيلومتراً إلى الجنوبي الغربي من العاصمة كابول.

وفيها في ٢٢ يناير الموافق ٧ ذي الحجة قتل في السودان ستة عشر متمرداً في هجوم على معسكرهم في إقليم النيل الأعلى واستولى الجيش السوداني على كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة وبعض الوثائق الهامة، وقال اللواء محمد عبد القادر في بيان آخر أن مجموعة أخرى من ١٦ متمرداً قد استسلمت وأنه قد صدر العفو عنها.

وفيها وفاة الشاعر الكبير حمزة شحاتة كان شاعراً ورائداً من رواد الأدب القلائل ومن طلائع الأدباء والشعراء وقد وافاه الأجل بالقاهرة ونقل جثمانه إلى

المملكة العربية السعودية ليشيع إلى قبره في مكة المكرمة وكان دفنه في يوم ١٤/١٢ من هذه السنة.

وفيها وفاة إبراهيم إسلام عن عمر يناهز الخامسة والستين عاماً وقد خدم أمته في وظائف كثيرة كان آخر أعماله مديراً للمالية ثم وكيلاً مساعداً للوزارة في عهد عبد الله ابن سليمان بن حمدان.

وفيها في ١٤ شوال أعلنت ست إمارات في الخليج العربي ارتباطها في اتحاد الإمارات العربية، وانتخب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي أول رئيس للاتحاد وهذه الإمارات هي أبو ظبي ودبي والشارقة والفجيرة وعجمان وأم القوين وتبلغ مساحتها ثمانية وستين ألف كيلومتراً مربعاً وأربعمئة وثمانين كيلومتراً مربعاً ولم ينضم إلى الاتحاد إمارة رأس الخيمة وطلبوا الانضمام إلى الجامعة العربية والأمم المتحدة.

وفيها دعا رئيس هيئة الإشراف الديني على المسجد الحرام فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد زينب الغزالي إلى إلقاء دروس إسلامية يومية على النساء في المسجد الحرام فبدأت دروسها الإسلامية للنساء في الحرم المكي نشرت ذلك جريدة المدينة في عددها ٢٣٧٢.

إنشاء الهاتف الآلي

لما كان للهاتف الآلي مكانة في راحة الأمة إذ كان الهاتف في بداية أمره يعرف بالتلفون ولم يتوصل الأفكار إلى هذه الغاية ليكون الاتصال مباشرة بدون واسطة بين المتخاطبين فشأت القدرة الإلهية أن تتوفر هذه المصلحة ابتداءً في كل من الرياض ومكة والمدينة والمنطقة الشرقية وقد بلغت تكاليف مشروع الهاتف بالمملكة السعودية حتى وضع هذا الحوادث لهذه السنة ثلاثمئة مليون وثمانية وخمسين مليوناً وأربعمئة ألف وثلاثمئة وأربعين ألف ريال وسيوضع الهاتف الآلي في سائر المدن الأخرى وتم الاستغناء عن العادية وأنها لخطوة تخطوها هذه المملكة من ضمن

المشاريع التي خدمت الأمة وبكل حال فإن الصناعة تقدمت تقدماً غريباً وقد طلب مني أحد موظفي جريدة الندوة في مكة المكرمة أن يطلعني على أعمال المطابع فيها وما وجدته في الطابق الثاني أرصاداً جوية تحتطف الكلام وتثبت في سجلات لنشر الأخبار فماكنة تلتقط اللغات الأجنبية وأخرى تثبت الكلمات العربية فطال عجبي لذلك فأخبروني أن الجامعة الأمريكية تحتوي على أربعة وعشرين ألف طالب وأن أوراق الامتحان تلقى في أماكن معدة لها فيخرجها الكمبيوتر مع جهة أخرى مصححة. وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٩ شوال من هذه السنة الموافق ٦ كانون الأول ديسمبر (١٩٧١م) فتح بجامعة الرياض معرض للصخور القمرية التي رجع بها رواد الفضاء بمركبة أبولو ١٥ واستمر لمدة أربعة أيام واستدعي لمشاهدة العرض مجمعات من الموظفين والطلبة كما ستتاح الفرصة للنساء في صباح كل يوم في عرض خاص بهن ويتم خلالها مناقشة مختلف جوانب غزو الفضاء من قبل الدكتور وليام جرنبود أحد علماء تحليل الصخور القمرية والذي قدم خصيصاً لهذا الغرض والدكتور محمد عبده يماني أحد الدكاترة السعوديين المتخصصين في العلوم وأحد أسرة التدريس بجامعة الرياض والقصد من ذلك إطلاع الأمة على نوع أحجار أحجار القمر الذي أخذه رواد الفضاء من القمر ونزلوا به إلى الأرض هذا ما جرى لأول مرة ونشرته إحدى الجرائد السعودية ونشرت الأفلام صور لرئيس الولايات المتحدة نيكسون وهو واضع التلفون بين أذنه وفمه يكلم من الأرض من في سطح القمر بعدما هبطوا من مركبة الفضاء على سطح القمر وهذا يعتبر من غرائب هذا الزمان لأن العقول لا تصدق بذلك.

النظر إلى الماضي والحاضر

إذا نظرنا إلى حالة الفلاح من لدن نزول آدم إلى الأرض من ذلك الوقت الذي تخلله عاد وشمود وعفاريت سليمان بن داود عليه السلام، فإننا نجد آثارهم يحتفرون الآبار العظيمة في سعتها وقد ينحتونها أو ينضدونها بالحجارة العظام لاستخراج

الماء إلى ظهر الأرض إلى حال وضع التاريخ ويأتون بالبكرات المعمولة من الخشب الثمين على ما تقتضيه إرادة النجارين من كبرها وضخامتها وما تكلف من القيم الباهظة ويكون من أسفل هذه بكرات أخرى يطلق عليها الدراج مصنوعة أيضاً من الخشب الغليظ لا تتكلف هندسة إنما غرضها أن تكون قطعة من الخشب قطر دائرتها ٧٠ سنتمراً وطولها كذلك في كلا طرفيها محور من حديد ويكون للبئر أربعة قرون يمد عليها أخشاب تحمل البكرات مرتفعة وهنا أعمدة بين البكرات ليستنى للغرب أن يخرج من بينها ولا تتحمل واجهة المبخت الذي طوله ذهاباً وإياباً بقدر قعر القلب عن أربعة دلاء كل غرب من جلود الإبل قد يتكلف كمة وقته وخرازته بقيمة باهظة فيكون في أعلاه الرشا في البكرة العالية وفي أسفله الكم وهو السريح للدراجة السفلى ويؤتى بالجمال القوية للساقية ثم يؤتى بالعامل الذي يسوق الجمال مقبلة ومدبرة يسوقها برفق إذا هي نزعت الماء وتارة بعنف إذا هي رجعت إلى البئر وحوالي البئر قد وكلوا من يحزم لقمات البرسيم والتبن ليقف الجمل ريثما يمتلئ الغرب وهكذا ويكون العامل محترماً يطعمونه مما يأكلون ويسقونه مما يشربون خشية أن ينتقم منهم بأذى يصيب الجمال فتهلك وبينما هم في برهة من الزمن إذا بالأخطار تهدد باندفاع الرمال من أسفل البئر فتدفن الماء فيأتون لذلك بجذوع النخل أو بأخشاب غلاظ وتجعل كدائرة على أسفلها أو مربعة إن كان الوضع كذلك ثم يؤتى بأشجار الأشنان على ظهور الحمر من البر فتوضع فيما بين تلك الجذوع لتحفظ الرمال أن تنهد ويأخذون في احتفار قاعة البئر وقد تفور البئر من كثرة ما ينهد من أسفلها فتسقط وتأخذ مساحة من الأرض فتصبح هاوية ويخسرون ما وضعوا فيها من الأحجار ولا يتخلص من تلك الهاوية إلا بردمها ودفنها ولقد خرجت مرة في صحبة والدنا رحمه الله وعمري إذ ذاك لا يتجاوز العاشرة لزيارة مدين لنا وقبض دين السلم من التمور فركبنا حمراً وسرنا إلى تلك القرية التي أظنها القصيعة على مسافة ميلين غرباً، وكنا نسير بين تلك المرتفعات والمنخفضات من الرمال إذ كان الصعود مشقة والهبوط مشقة غمر بأشجار الإثل في

كل مهبط ومنخفض ومرتفع تمثل غابات عظيمة تتقي بها الذئاب والكلاب
والثعالب حتى تبدت لنا أعلام القرية حيث نمر بجب القصباء ولما أن وصلنا إلى
صاحبنا فيها إذ هو بمنظر عجيب وحالة يشرى لها قد اسودت ثيابه من أوساخ
الحيوانات حافي القدمين قد تصدعتا من البرد والشوك ومن صدمات الحجارة
وفوق رأسه قلنسوة من وبر الإبل والله لو غسلت يوماً كاملاً بالصابون والماء لما
ذهبت أوساخها، فرحب بنا وذهب بنا إلى مجلس القهوة ولما أن دخلنا ذلك المجلس
وجدنا حيطانه وسقفه قد اسودت من طول ما تلاقيه من دخان كرب النخل
واختاء البقر والإبل فجلسنا وكنت ألاحظ حبلين مربوطين كانا بأذنيه أظن أنه يشد
بهما القلنسوة على رأسه لثقلها فقدم لنا رطباً شهياً أمام القهوة وحوالينا هناك
حجر منحوت كالإناء الكبير مربعاً يسع مائة وسبعين لترأ من الماء قد وضع في
المجلس فكنا ناكل ونلقي النوى في ذلك الإناء ويقول نخمر للبهائم فتأكله فلا يضع
شيء جزاكم الله خيراً من النوى فعجبت لتلك الحالة هذا وأنا في جهد عظيم مما
أعانيه من عاقبة الركوب على الحمار بحيث أن قدمي والساقين قد تأثرت من حالة
الركوب الأمر الذي عاد بالمشقة لا بالنزهة والفرجة وكانت الأرض يسعى فيها
أنواع القراد الذي ثبت به المواشي قال الأعشى ميمون بن قيس الشاعر الجاهلي
أبو بصير:

ذريني لك الويلات أتى الغوانيا متى كنت زراعاً أسوق السوانيا
سأوصي بصيراً إن دنوت من البلى وكل امرئ يوماً سيصبح فانيا
بأن لا تدان الود من متباعد ولا تنأ إن أمسى بقربك راضيا
وإن بشر يوماً أحال بوجهه عليك فحل عنه وإن كان دانيا

وقوله بصيراً يريد ابنه لأنه كان أبا بصير والمقصود أن السواني متعارف بها في
قديم الزمان، وقوله لا تدان الود إلى آخره فيه من الحكم أن من تباعد عنك لا
ينبغي لك أن تطلب وده بل تدعه وقربه كما قال الشافعي رحمه الله:

إذا المرء لم يرعاك إلا تكلفاً فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه ولا كل من قد صافيته لك قد صفا

ثم إننا خرجنا إلى النخيل والجذاد فتقدم رجل من الحاضرين وكان شاباً نشيطاً
وبين يديه الكراي (راقول) آلة يجعلها الجداد من فوق ظهره وطرفه الآخر في جذع
النخلة ثم يمسك بطرفيه بيديه ويقفز قفزات فإذا هو بفرع النخلة سواء قصيرة أو
طويلة فإذا قطع القنو بالمنجل جعله في محجان بطرف جبل معه ثم يديه إلى أسفل
فكانوا يتلقونه بأيديهم ويجعلون القنوات في الزنايل لفرطه من الشماريخ وهناك
أمم يحضرون لذلك وللأكل فنجد الفقير يفرط الشماريخ ويدعو بهذه الكلمات لا
جعلك الله تهملين أي تتركين بلا سقي خطاباً للنخلة ثم إنه أتى الفلاح إلينا بجبات
من القثاء وألقاها بين أيدينا وإذا غالبها قد نقت ولم يكن فيها شيء سالماً فسئل عن
ذلك فأجاب بأن الثعالب تمر بها ليلاً فتفسدها فرفعت يدي ولم أتناول منها شيئاً
فتكلم قائلاً مالك يا ابن عمي لا تأكل فلم أستطع أن أقول لا تقبله نفسي بعد
الثعالب فقال كلوا يا جماعة فهذا لا يقبل سؤر الثعالب ووالله لو وجدنا الثعالب
لأكلناها فلا إله إلا الله ماذا يعانیه الفلاح من المشاق والأتعاب في هذا الزمان تتغير
الأحوال إلى وضع تلك الأتعاب والمشاق ويأتي الله عز وجل بهذه المكائن المائية التي
وفرت للناس تمام راحتهم وتفجرت الأرض عيوناً بمخاريق أخرجت الماء عذباً فرائاً
وقد يخرج بطبيعته بإذن الله من دون دوافع فيخرج الله به زرعاً وأشجاراً تأكل منها
أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون وقد قدمنا شيئاً عن المواصلات وتقارب البلدان
وصدق الله تبارك وتعالى حيث يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ
وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ۝ ٧٠ ﴾ .

وفيها في يوم الاثنين الموافق ٢٥ محرم احتفل رسمياً بتمام سد جيزان وقام
بافتتاحه سمو الأمير فهد بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير

الداخلية الذي ضبط المملكة من البحر إلى البحر ومن حدود اليمن إلى حدود الشام وحضر لذلك وزير الزراعة والمياه حسن المشاري.

وفيها في الساعة الواحدة بعد غروب الشمس من ليلة الجمعة تزيد خمسين دقيقة الموافق ٦/١٥ خسف القمر خسوفاً ثقيلاً وانطمس بظل الأرض بحيث كاد أن لا يرى له أثر مع الصحو ولم ينجل إلا بعد صلاة الكسوف بكثير.

وفي آخر هذه السنة تم هدم شارع الملك عبد العزيز في مدينة بريدة للتوسعة وأثير بالكهرباء كما أنه تم هدم شارع المياه الكائن بين المدينة المذكورة وبين الشقيري وأضيء بالكهرباء.

وفاة عالم من العلماء

تندب كلية الشريعة في مدينة الرياض عالماً من علمائها ومدرساً من مدرسيها وهو فالح بن مهدي قدس الله روحه أصيب بمرض مخوف في أيام الحج من العشر الأولى من ذي الحجة وتوفاه الله تعالى في ١٢/٢٣ من هذه السنة وهذه ترجمته: هو فالح بن مهدي بن سعد بن مهدي بن مبارك المهدي ولد في ليلى حاضرة إقليم الأفلاج عام (١٣٥٢هـ) وكان من قبيلة الدواسر وكان جده سعد في قرية الهدار يكابد هموم الحياة وضيق العيش فانتقل بأسرته إلى ليلى قاعدة الأفلاج فقررت بها أعينهم واطمأنت قلوبهم ورضيت نفوسهم بما نالوا فيها من رغد العيش وطيب المقام عن طريق الكدح والعمل ولما أن ولد المترجم نشأ كغيره من الأطفال يقضي أوائل النهار في تعلم القرآن الكريم لدى أستاذه الأول عبد العزيز بن يحيى بن سليمان البواردي ويقضي أواخر النهار في مرح الطفولة وألعابها ولما بلغ من العمر عشر سنين أي في عام (١٣٦٢هـ) أصيب برمد فقد منه البصر فحزنت الأسرة لذلك كثيراً غير أن حزنها تضائل عندما رآته يسير في قراءة القرآن بمجد ونشاط فختمه عن ظهر قلب خلال سنوات قليلة ولم يثبط من عزيمته وهمة أن كف بصره بل دفعه ذلك إلى أن يهجر مسقط رأسه إلى الرياض ليدرس على مشائخها فدرس

على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم النحو وثلاثة الأصول والفرائض ثم أخذ في الدراسة على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية بكتب منها كتاب التوحيد وكشف الشبهات والعقيدة الواسطية ولمعة الاعتقاد وبلوغ المرام وقطر الندى كما درس في فترات على كل من الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ والشيخ سعود بن رشود والشيخ إبراهيم بن سليمان في علم التوحيد والنحو ثم إنه التحق بمعهد الرياض العلمي لما فتح فيها عام (١٣٧١هـ) فالتحق في السنة الثانية الثانوية ودخل صفوف الدراسة النظامية فسار فيها فكان في طليعة أقرانه على أيدي صفوة من علماء الفقه والتوحيد واللغة والتفسير والحديث حتى أنهى دراسته العالية وكلية الشريعة وذلك في عام (١٣٧٧هـ) حيث ودع دنيا الدراسة إلى دنيا العمل فعين مدرساً في المعهد العلمي بالرياض ومكث فيه حتى عام (١٣٨١هـ) حيث دفع للتدريس في كلية الشريعة بالرياض ولا يزال فيها حتى توفاه الله تعالى.

أخلاقه وصفاته

كان أسمر اللون قصير القامة نحيف البدن ضريب البصر وكان إلى ذلك مجداً ومجتهداً ولم يكن من المترفين ممن فرش طريقهم بالورود بل كان عصامياً حافظاً طموحاً متقدماً بين أقرانه وزملائه دمث الأخلاق متواضعاً سمحاً ليناً متفهماً مع من يسأله بلين عريكة وخفض جناح ويحب العلم وطلابه وهذه أبيات نظمها ووجهها إلى أبنائه مهدي وسعد ومبارك يحثهم فيها على طلب العلم والتحلي بمكارم الأخلاق والتأدب بالآداب الشرعية والعمل وحفظ الوقت:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| تعلم بني العلم واتعب لنيله | وزاحم ذوي التحصيل عند التعلم |
| ولا ترضين بالجهل ما عشت صاحباً | ذوو الجهل أشباه لموتى ونوم |
| فبادر لأخذ العلم عن كل فاضل | حريص على الطاعات خاشي التآلم |
| وصاحب من الطلاب برأ مهذباً | وباعد من الشرير واحذره تسلم |
| وكن عاملاً بالعلم فالعلم خشية | لذي العرش والتقوى أساس التفهم |

وكن عارفاً حق المعلم ناطقاً بحسن سؤال منصتاً للتكلم
وكن حافظاً للوقت واعلم بأنه ثمين على الإنسان فاشغله تغنم
أمهدي وسعد والمبارك فاسمعوا ولا تعدلوا عن نهج أهل التعلم
سألت إله العرش ربي وخالقي جزيل العطايا راحماً ذا ترحم
يهبكم بني العلم والزهد والتقوى وصل إله العالمين وسلم
على المصطفى الهادي إلى خير شريعة وأصحابه أهل التقى والتقدم

وكان للمترجم شرح واف على كتاب التدمرية جلى فيه غموضها وبين عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيها وكتابه نفيس خدم فيه العقيدة السلفية جزاه الله خيراً وغفر له.

تنبيه

قد ذكرنا فيما تقدم وفاة علوي عباس، وبما أنه رئيس جماعة تحفيظ القرآن فقد اختارت الجماعة لها رئيساً جديداً وهو الشيخ حسن بن محمد المشاط فقبل هذه الرئاسة ورفعت الجماعة إلى أعتاب جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز برقم ١٠٢٥ تاريخ ٥/١٩ من هذه السنة ما نصه (إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز أمد الله في حياته ووفقه لما يحب ويرضى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإن جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة تتشرف بأن ترفع إلى مقام جلالته أنه بناء على وفاة رئيسها (السيد علوي مالكي) رحمه الله فقد اختارت فضيلة الشيخ حسن المشاط المدرس بالمسجد الحرام رئيساً لها وقد قبل فضيلته هذا الاختيار وإننا إذ نعرض هذا الموضوع لجلالتكم نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يحفظ لنا جلالته ذخراً للإسلام والمسلمين وأن يديم عليكم توفيقه ونعمه الوافرة وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته ووقع عليه الأعضاء كما أن الجماعة اختارت الشيخ محمد بن سبيل أحد أئمة وخطباء المسجد الحرام ونائب الرئيس العام للإشراف الديني بأن يكون عضواً في هذه الجماعة كما اختارت أيضاً

للعضوية محمد بن علوي المالكي متطوعاً بالقبول ومن جملة هؤلاء الأعضاء رجل كريم السمائل والأخلاق وهو محمد صالح القزاز زرتة لما قدمت مكة المكرمة لأداء العمرة في ٧/٣ من هذه السنة في مكتبه الذي كان مزيناً بالآيات القرآنية وسمعت تلاوة القرآن لا تفتر لأنه محب إليه سماع القرآن ولا يتخلّى ذلك المكتب الواسع عن التلاوة وكان ذلك المكتب مرادفاً للمسجد الحرام إلى الجهة الجنوبية. أما عن الشيخ محمد صالح القزاز فإنه يعمل إذ ذاك أميناً للرابطة الإسلامية وكان متسماً بسمات أهل الدين ويعلمه الخشوع ومكارم الأخلاق ورحابة الصدر وقد استقبلنا استقبالاً يدل على شعوره وفضله ويعتبر من رجالات الحجاز الذين لهم خدمة في أعمال الدولة وأهدى إلي الموسوعة القرآنية البالغ عددها ستة جلود ضخمة تأليف إبراهيم الأبياري كما أنه قدم إلي مذكرة تتضمن البيان عن توسعة المسجد الحرام وعن ذلك المشروع العظيم وقدم إلي تقرير جماعة تحفيظ القرآن محلى بأول سورة العلق وأول سورة الرحمن في رسم مصحف فتناولتها شاكراً وإنا لنثني على رجال الأعمال الطيبين المخلصين ونسأل الله أن يكثر من أمثالهم).

وفيهما تقدم الأمير فهد بن سعد بن عبد الرحمن بطلب نقل من إمارة عسير إلى إمارة حائل كان الطقس والمناخ لم يلائم صحته فنقل وصدر القرار بتعيين صاحب السمو الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أميراً في منطقة عسير فذهب الأمير الشاب إلى تلك الجهة وباشر أعماله فيها واستبشر الأهالي بهذا الأمير، أما عن الأمير فهد بن سعد فقد عاجلته المنية في ٧/٥ من السنة القادمة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة (١٣٩٢هـ)

ففيهما خلع الحاكم في بلاد قطر أحمد بن علي بن عبد الله آل ثاني وجعل مكانه ولي عهده خليفة بن حمد آل ثاني وذلك في يوم الثلاثاء صباح ٨ محرم من هذه السنة الموافق ٢٢ فبراير شباط عام (١٩٧٢م) فصفت الأمة هناك واستبشروا به

وكان الحاكم الجديد محبوباً لديهم لما كان متصفاً به من الكفاءة والمقدرة واعتبر حاكماً لقطر التي نالت استقلالها في ١٧ رجب من السنة الماضية.

وفيها وفاة الشيخ محمد بن سالم البيحاني رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو الشيخ العلامة الفاضل محمد بن سالم بن حسين الكراذي البيحاني نسبة إلى بيحان اسم لمخلاف بجنوب اليمن ولد في مدينة القصاب بحصن هادي سنة (١٣٢٦هـ) من سلالة عربية وأسرّة عريقة وتلقى علومه الدينية في حجر أبيه العالم الفقيه الفلكي الناسك، ثم هاجر إلى حضرموت مع صنوه الشيخ عبد الله بن سالم البيحاني وتلقى العلوم هناك على أستاذه الكبير الشيخ عبد الله بن عمر الشاطري العلوي وعدة مشايخ هناك، وكان مكفوف البصر لكنه ساعده على الحفظ فقد بصره ويقول فيه الشاعر:

يقولون الضرير فقلت كلا بلى والله أبصر من بصير
سواد العين قَدْماً زار قلبي ليجتمعاً على فهم الأمور

ثم رجع من حضرموت إلى بلده مشعباً بالروح الدينية عالماً مطلعاً محدثاً بارعاً ومكث في بلده نحو ستين تقريباً ثم رحل إلى بلد الشيخ عثمان عدن وتاهل فيها وصادف هناك عالماً جليلاً هو الشيخ أحمد محمد العبادي وأخذ عنه معلومات كثيرة، وقد كان هذا العالم المذكور يتوسم في الشيخ البيحاني خلال دراسته عليه الذكاء والتقدم على بني جنسه وأنه سيصبح عالم عدن الأوحـد ثم ذهب إلى مصر والتحق بالأزهر وكان إذ ذاك زاخراً بالعلم والعلماء فجد واجتهد حتى تخرج منه حاملاً شهادتين أهلية وعالمية ثم رجع إلى عدن وقد تركت تلك الدراسات أثرها العميق في نفسه فألف الكتب الدينية ونظم الشعر وحبر المقالات والمحاضرات ذات الطابع الممتاز ولم يكن الشيخ محمد بن سالم البيحاني عالماً دينياً فحسب بل كان إلى جانب ذلك أديباً شاعراً مخنكاً وناثراً مقولاً وصالحاً لأن يكون عضواً عاملاً في شتى ميادين الحياة يشهد له بذلك مؤلفاته التي منها كتاب إصلاح المجتمع، وديوان خطب

منبرية عظيمة نحث على الاستقامة وتنهى عن سفاسف الأمور بعبارة العالم الناصح الفصيح البليغ وهي تنادي بفضله ونباهته وأنه رجل اجتماعي سياسي وقد سلك فيها عبارة حرة وأشعة الأنوار قصيدة في المرأة في الإسلام، وله ديوان شعر وغير ذلك من المقالات التي تنشر له في الصحف والمجلات والمحاضرات التي تلقى في المساجد والنوادي وقد اجتاز على غيره في تلك الجهة بالحلم والورع وصلابة الرأي والصراحة في القول والتريث والثبات على المبدأ وقد انتشر صيته في الآفاق وعم سماع شهرته الأطباق وكان يحج ويوالي بين الحج والعمرة وتعدد له حلقات المحاضرات والدروس في المسجد الحرام فيفيد السامعين ويغذي الطالبين ويحث على كل فضيلة وينهى عن كل رذيلة وما زال على هذا الوضع حتى توفاه الله عن عمر يناهز السادسة والستين، هذه الترجمة بعث بها إلي أحد مترجميه وهو سليمان عثمان زين اليمني المكي وقال عنه أحد مترجميه كان ضخيم الجسم معتدل القامة تجلس إليه فيتحدث إليك حديثاً له حلاوة وطلاوة فتمنى مجالسته على الدوام وله كتاب سماه استاذ المرأة فيه توجيهات للمرأة ونصائح للنساء وأقول عنه أنه كان مع سعة علمه له عثرات بسيطة والله يغفر له ولكنها تختفي بجانب علمه وفضله فمن المأخذ عليه أنه لا يرى تحريم القات ومنها قوله ما أشد حاجتنا إلى العلماء بالدين الصحيح الذين لا يجرمون إلا ما حرّمه الله ولا يخلون إلا ما أحله الله يغشون بالخير في مجالسهم وعاداتهم عليهم في مطاعمهم ومشاربهم وملابسهم وعاداتهم إلا بما تظهر فائدته وتحمد عاقبته لا يجعلون الكفر وترك الإسلام في الأكل بالشوكة والملعقة والجلوس على المنضدة ولبس السراويل القصيرة. نعم وصحيح ما قاله لكنه تعدى إلى غير ذلك فقال: والسترة والبنطلون والتالو وحلق اللحية وما إلى ذلك من أمور لا طاعة ولا معصية فيها وإنما هي من العادات والتقاليد القومية التي يحسن الاحتفاظ بها ويعتز بها ذووها. هذا كلامه بجوفه وفي آخره أخطاء فكيف يباح حلق اللحية والشارع أمر بإكرامها والاحتفاظ بها وأخبر أن حلقها موافقة للمجوس كما أن الملابس الإفرنجية نهى عنها الرسول لأنها مشابهة لهم ويقول الله

عز وجل في وحيه الذي أنزله على بعض أنبيائه: قل لقومك لا تلبسوا ملابس أعدائي. فهذه الملابس التي ذكرها هي ملابس الإفرنج بالذات كما أنني رأيت له كلاماً في مسبة الوهابيين، ومن هم الوهابيون؟ أ يكون المقتدون بشريعة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه يرمون بالألقاب السيئة وتشوه سمعتهم! كما أنني رأيت له كلاماً في مسح الحجر الأسود، وأنه يؤخذ منه جواز التبرك بالأحجار وقد نبهته على ذلك برسالة فلعله رجع عن رأيه فهذه بعض أشياء انتقده بها أئمة الجرح والتعديل وإنا لنشكره على ما بذله في خطبه من النصيحة والإرشاد وهداية الخلق جزاه الله خيراً ونسأل الله أن يغفر له ويتجاوز عنه.

رحلتنا إلى الجهة الشمالية الغربية

في هذه السنة قمنا من مدينة بريدة برحلة نحو تبوك ومدائن صالح ومدين بلاد شعيب بصحبتنا بعض الرفقة قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١١) وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْعَثُ لَهَا مَعْظَلَةٌ وَاقَصِرَ مَشِيدٍ﴾ (١٥).

لقد قمنا في الساعة العاشرة تزيد ٤٥ دقيقة من شروق الشمس يوم الجمعة ثاني رجب (١٣٩٢هـ) الموافق ١١ أغسطس آب (١٩٧٢م) نسير في طريق المدينة المنورة ولما أن كنا محاذين لقرية الحناكية أدركتنا صلاة الجمعة هناك فملنا إلى اليمين لنذكر صلاة الجمعة، فعنّا لنا أن نتجاوز إلى النخيل لزيارة بعض الأحبة هناك، وكانت الطريق إذ ذاك غير معبدة وكانوا أهل بادية على فطهرهم وقد هاجر إليهم بعض من أهالي القصيم لأن الموضع قابل للزراعة ولمن كان يحب العزلة والوحدة فبتنا في ذلك الموضع واجتمعنا بالأمير وبعض الأحبة فوجدنا لديهم شوقاً ومحبة جزاهم الله خيراً ومن الغد سرنا إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وبعد الصلاة في مسجد الرسول وزيارته وزيارة صاحبيه رضوان الله عليهما سرنا إلى جهة تبوك حيث كانت المسافة من نفس المدينة إليها ستمائة وأربعة

وثمانين كيلومتراً، وبعد قطع ١٥٤ كيلو بلغنا الصلصلة وكانت قرية في واد تحتوي على آبار قليلة ومبانٍ صغيرة وساكنوها من قبيلة هيثم، ثم بعدها قرية شريف بقدر تسعة كيلوات ثم الجرة فيها شجر الإثل ومساكن قليلة مترامية الأطراف وهناك الشمد وتبعد عن الصلصلة بـ ٣٠ كيلو ويوجد في ذلك الوادي شجر الدوم، وما زلنا نواصل السير حتى قدمنا خير وكانت بلاداً في حرة تكسوها الحجارة السوداء وفيها منخفضات تحيط بها آكام صخرية وخير من أخصب واحات الجزيرة وتقع في مجتمع أودية تنحدر من سلسلة جبال فتسرب مياه هذه الأودية في وهدة منخفضة من الأرض بحيث تكون ينابيع جارية وتبعد عن مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام بقدر من ١٨٣ كيلواً وبعد تجاوزها بـ ٣١ كيلو نصل إلى مفرق الطريق إلى العلا يساراً فانتهينا إلى وادي عشاش مارين بقهاوى عشاش وبنائاته اليسيرة بحيث يبعد عن خير بـ ٤٩ كيلو لما أن تجاوزنا ذلك بقدر من ١١٣ قريباً من تيماء إذا قد أرهقنا السير فزلنا بالبعد من قهوة هناك لا تزال أنوارها مضيئة وكانت الساعة تشير إلى الثالثة ليلاً بالغروبي وكانت الشقة بعيدة ولا نسمع سوى صوت كلب ينبج فيها وكان نباحه يتردد في ذلك الفضاء فبتنا في ذلك الموضع بخير ليلة من الرفقة من نام للتعب ومنهم من جعل يصلح لنا طعام العشاء ولما أن كان من آخر الليل فرعنا للصلاة ومواصلة السير حتى قدمنا تيماء وكانت المسافة بينها وبين منزلنا ٧٤ كيلو متراً وإذا هي آثار السموال القديم وبلدة عبد الكريم بن رمان الحديث وكان وصولنا إليها في الساعة الحادية عشرة تزيد ٥٠ دقيقة صباحاً فطفقنا نسأل عن هداج تيماء أو بئر السموال وبينما نحن نسير في أحد شوارعها الضيقة إذا بشاب من الأهالي لا يتجاوز عمره العشرين عاماً فاستقبلنا ورحب بنا ودعانا إلى تكرمته في بيته غير أننا اعتذرنا إليه وإنا على جناح السفر فقبل عذرنا على مضض بعد ما غلبناه على إرادته جزاءه الله خيراً فقلنا تفضل علينا بالهداية إلى بئر هداج ولما أن رأى أن لا فائدة في الإلحاح لإجابة دعوته قال انطلقوا إليها فसार ونحن نتبعه حتى وقفنا عليها كانت هداج تيماء بئراً مشهورة تضرب الأمثال بسعتها فيبالغ

الرواة بأنه قد كان يستقي منها تسعة وتسعون بعيراً كل بعير له غرب كبير ولا ينزح ماءها ويقول الشاعر عبد الله بن ربيعة يمتدح بندر بن سعدون الذي تولى إمارة المتفق بعد وفاة أخيه عيسى سنة (١٢٥٩هـ):

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| بالله يا ركب تقلل هميما | عوجوا رقاب الهجن يا ركب لمقيم |
| لابن الكرام الهاشمي الكريم | يا ركب روحوا بالتحية وتسليم |
| سلام من طي الخوافي سليما | ما خاشره ونوع الريا والتواهم |
| إلى قيل من هو قلت هداج تيمما | عد قراح الملتجي للدواهم |
| يا ناشدي ما هو خفي لا تعيما | مفهوم أبو فرحان من غير تفهم |
| بندر إلى لز الحقب للبريما | حامي جوانب دار من شا عن الضيم |
| هذا الفحل واجد فحول الحرما | الفحل الي يلحج برايه معاقم |
| إلى تغشم لا تظنه غشما | مخلف طنون أهل الفكر بالبراهم |

وكانت على صفة مثلث الشكل أحد الزوايا مقوس وهي وإن كانت عظيمة الوضع واسعة الشكل لكنها أقل من سمعتها وقد سررنا كثيراً برؤية بئر المسموئل، وشرح الدليل لنا شيئاً من شأنها وذكر أن جميع أهالي تيمما يسقون منها كما مر وركب عليها تسعة وتسعون غرباً كانت منضودة بالحجارة وتقدر إحدى جهاتها بعشر أمتار والجهة الأخرى كذلك، أما الجهة الثالثة فمقوسة بقدر خمسة عشر متراً وتعتبر هي البئر الوحيدة في الجزيرة العربية وكان هذا دأبهم إلى أن زارها الملك سعود وتبرع لها بأربع مضخات ركبت عليها.

تيمما والحديث عنها

بما أن تيمما بلدة قديمة فيوجد فيها آثار كثيرة عجيبة تتبعها فلي وبذل في سبيل تلك الكتابات والآثار والأحجار فيها مادة كثيرة فنقول عنها أنها تقع في منخفض من الأرض ويحيط بها سور هي بين تلال مرتفعة وأشهر أسرها آل رمان وآل سلامة وآل خلف بن عمر. وتعتبر تيمما من أقدم مدن المملكة العربية السعودية

وهي وإن كانت ذات أهمية عظيمة فإن سكانها لا يتجاوزون في العدد عن أربعة آلاف نسمة وأكثر أهلها يعيشون عيشة البادية ولكنها فشت فيها الحضارة غيرها من المدن السعودية وكان فيها في هذه السنة قهاو وأمكنة لبيع محروقات السيارات وبعض مطاعم يعمل فيها أناس من اليمنيين. وقد ذكر علماء التاريخ أنه تولى إمارتها من آل رمان رمان بن هتيمي (١٢٨١هـ) وبعده عبد العزيز بن رمان (١٢٩٨هـ) وبعد ذلك تولى إمارتها عبد الكريم بن علي بن رمان (١٣٢٩هـ) وذكر أن صلة هذه الأسرة بحكام حائل حسنة حتى كان عام (١٣٣٥هـ) حينما قتل عبد الكريم بن رمان شخصاً يدعى ناصر بن عتيق وكان ممثلاً للأمير ابن رشيد قتله مع جميع حرسه واستقل بإمارة البلد ويقول فليبي عن عبد الكريم أنه خير من حكم الراحات خلال النصف الأول من هذه القرن مع أنه دمر الضاحية الغربية والقسم الأكبر من الضاحية الشرقية في تيماء، وبهذا دمر الأهمية الاقتصادية للمنطقة التي يحكمها وذلك ليؤمن منطقة مفتوحة أمامه ليرى غزاته وهم على بعد ليحافظ على استقلال منطقته في حالة تعرضها لغزو خارجي وكان لما أن تولى عبد الكريم بن رمان بنى قصره في سنة (١٣٣٨هـ)، وكان ذلك القصر قد أعد على الطريقة المألوفة قديماً في المدن الكبيرة كالرياض وغيرها من مدن نجد حيث بني بجوانب الجدران مقاعد من الطين مرتفعة عن الأرض وكان الأمير عبد الكريم شديداً صعب الشكيمة ولم يخضع لإمارة قط، قدم إليه أعرابي وجعل يخاطبه باسمه ويومئ بيده فاعتقله الأمير بالسيف وجب يمينه التي يشير بها له، وله سطوة عظيمة ويبدو أنه كان كثير الشك في جيرانه فلم يأمنهم ولم يغب عن باله اهتمام ابن سعود بمنطقته وكان الملك عبد العزيز عاقلاً فلم يشأ أن يضم هذه المنطقة بالقوة في حين أنه يدرك أنها ستتنضم إلى مملكته آجلاً أو عاجلاً ولعله كان يظن أن وضع تيماء لا بد وأن ينتهي بوفاة عبد الكريم الذي كان بالرغم من طغيانه وظلمه ما يزال يعتبر من أبطال الصحراء ومما لا شك فيه أنه كان شخصية من شخصيات أبطال الصحراء وقد حكم تيماء فترة تقدر بأربعين عاماً تقريباً وبما أنه أسن ويشاهد

أتباعه في أواخر أعوامه والتطورات التي جرت في المناطق وهم غافلون طيلة أيامه الماضية غير عالمين بها فأخذوا يشعرون بالقنوط لحياتهم المزرية التي يعيشونها نتيجة تعسف الأمير عبد الكريم.

صفة قتل أمير تيماء

بينما كان عبد الكريم خارجاً من المسجد الذي في قصره وكان هذا المسجد صغيراً بالنسبة إلا أنه تقام فيه صلاة الجمعة كان خروجه وقت يلاقي حتفه بعد صلاة الجمعة إذ فاجأه ابن عم له يدعى فارس بن عبيد الله بن ثويني بن رمان وكان من جملة الناقمين عليه فأطلق عليه النار وأرداه قتيلاً ولكنه قام على فارس عبيد القصر فقتلوه شر قتلة ومزقوا جثته شر ممزق ففي مسجد هذه القلعة لقي الحاكم الأخير من أسرة آل رمان مصرعه وذلك في اليوم السادس من شهر أكتوبر تشرين الأول عام (١٩٥٠م) الموافق يوم الجمعة ٢٣/١٢/١٣٦٩ هـ، ولما أن جاءت الأنباء البرقية إلى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز باغتيال أمير تيماء أصدر أوامره بإعدام القاتل على الفور ولكن القاتل كما ذكرنا لقي حتفه وقتل شر قتلة وكان من الطبيعي أن يخلف عبد الكريم ابنه الأكبر عبد العزيز إلا أنه بالنظر للاضطرابات التي اجتاحت المنطقة فقد أصدر الملك عبد العزيز بن سعود أوامره إلى خالد بن أحمد السديري أمير تبوك أن يتوجه بقوة كافية إلى تيماء في الحال وذلك ليتأكد من أن النظام قد استتب هناك وبما أن الظروف يقتضي برأي من يقول أن برجس بن محمد بن ثويني بن رمان بن عم القاتل هو الذي يتولى زمام السلطة في تيماء وذلك بعد وقوع الكارثة فإنه هو الذي سلم منطقة تيماء إلى حكومة ابن سعود لدى وصول خالد السديري. هذا وقد دعي برجس المذكور مع أبنائه الثلاثة وشقيقه وحفيده وابن أخيه عبد الكريم الإقامة بالرياض كضيوف على الملك أما الابنان الصغيران للمرحوم عبد الكريم، فقد أقاما في مدائن صالح حيث سمح لهما بالبقاء هناك وسمح لأخ القاتل سعود بن عبيد الله بالبقاء في تيماء ولما أن قدم

الأمير خالد إلى تيماء أشرف على تهدئة الأحوال فيها وكان ذلك في التاسع من شهر أكتوبر تشرين الأول ثم أنه شق في وسطها شارعاً تصل منه السيارات إلى القصر ورتب شئون الحكم فيها حتى بعث الأمير عبد العزيز بن مساعد أمير حائل أحد رجاله وهو الأمير عبد الله بن إبراهيم الشنيفي فتولى إمارة تيماء في أوائل سنة (١٣٧٠هـ) ولما أن كان في سنة (١٣٨٤هـ) تولى الإمارة بعد المذكور في تيماء الأمير سليمان بن يوسف الشنيفي واستمر في إمارتها. ومن العجائب أن الأمير عبد الكريم قد دمر الضاحية الغربية وتركها خراباً يباباً لما يرى من أن في وجودها هناك تهديداً لسلامته ثم أنه عاد على الضاحية الشرقية وأصابها ما أصاب أختها بعد خمس سنوات ودمر هذه الضواحي عمداً حتى لا يمكن أن يختبئ فيها غاز طامع أو يختفي أية جموع يقوم بها ابن سعود لغزو المنطقة بقصد احتلال الواحات وفعل تلك الأفاعيل ليؤطد مقامه ودمر هذا الطاغية آباراً ونخيلاً ولم يقدر المسؤولية عندما أقدم على تلك الأفعال خشية من عدو بعيد فأقدم على اغتياله في عقر داره ابن عمه وما أغنى حذر من قدر. أما عن الناحية الدينية والإدارية والتعليمية ففيها جامع كبير أنشئ حديثاً على الطراز الحديث ومساجد أخرى سوى مسجدتها الأثري. وفيها محكمة شرعية راودتني الحكومة أيدها الله أن أتولى رئاستها عام (١٣٧٢هـ) لكنني رفضت الذهاب إليها لبعد المسافة بينها وبين الوطن وقد امتدت المعالجة في هذا الشأن قرابة خمسة شهور وأخيراً ساحتني الحكومة جزاها الله خيراً لما رأت أن لا رغبة لي فيها. وفيها إدارة شرطة وإمارة عامة واطلعت على مدرستين ابتدائيتين فيها إحداهما للأولاد والأخرى للبنات ويبالغ بعض الرواة من جهة إقبال الأولاد على التعليم وارتفاع منسوب التلاميذ. أما عن الناحية الصحية فإن مناخها جيد جداً وصحي وجوها قابل للزراعة وموضعها الاستراتيجي قابل للسكنى وبكل حال فإنها مدينة قابلة للتقدم لو وافقت عناية ولكن أهلها يعيشون على الطريقة البدائية بحيث كانت الحديقة الصغير يشترك فيها أفراد كثيرون ويسقيها على العموم بئر هداج المتقدم ذكرها. أما عن قصر السمائل فهو كائن في موضع

مرتفع من الأرض يقع في غربي المدينة وقد بقي منه بقية آثار الحيطان العامة من الحجر وهو واسع جداً محاطة بقدر المدينة العظيمة وكان مساحة عرض الحائط ثلاثة أذرع بقدر ١٥٠ ستيتر وأطلاله تدل على القوة والعظمة وهذا القصر هو حصن الأبلق الذي تضرب الأمثال بمنعته فتقول الأمة تمرد مارد وعز الأبلق وكان لهذا الحصن شهرة عظيمة وهي الذي كان يسكنه السمائل وكان فوق تل مطل على تيماء ولا يستطيع أحد إذ ذاك الدنو منه وقد تهدم على ممر السنين ويظهر لي أن مبانيه الداخلية مقامة من الطين فأثار اللين بادية آثارها وفي هذا الحصن يقول الأعشى:

كن كالسمائل إذ سار الهمام له في جحفل كسواد الليل جرار
جار بن حيا لمن نالته ذمته أوفى وأمنع من جار ابن عمار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار

والأبلق الذي ذكره هو حصن السمائل بناه أبوه عادياً بن رفاعه بن ثعلبة بن حيا ابن عاديا بن رفاعه بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عمرو بن مزريقاء اليهودي والدليل على أن داخله من لبن وصف صاحب معجم البلدان له بأن فيه آثاراً مبنية من لبن فرويتنا لهذا القصر العظيم دليل على أنه يضم غرفاً ومباني وذكر أن أول من بناه عادياً أبو السمائل، فأما السمائل فهو المعروف صاحب الحماسة والفخر المتوفى في سنة ٦٢ قبل الهجرة وتضرب الأمثال بوفائه وذلك لأنه لما أراد امرؤ القيس الشاعر الذهاب إلى قيصر ملك الروم أودع عند السمائل دروعاً فلما مات امرؤ القيس غزاه الحارث بن ظالم أو الحارث بن أبي شمر الغساني بقوة وطلب منه تسليم الدروع وكانت مائة درع مزخرفة فتحرز منه السمائل فأخذ الحارث ابنه وكان قد خرج للصيد وهدده بقتل ابنه إن لم يسلم الدروع وقال بعدما صاح بالسمائل فأشرف عليه هذا ابنك بين يدي فإن دفعت إلي الدروع وإلا ذبحت ابنك فقال أجلني فأجله فجمع أهل بيته وشاورهم فأشاروا كلهم بدفع الدروع وكان الحارث قد ادعى أن امرؤ القيس ابن عمه ومن عشيرته وهو أحق بميراثه فلما

أصبح أشرف على الحارث وقال ليس إلى دفع الدروع من سبيل فاصنع ما أنت صانع فقتل الحارث الابن الشاب والأب مشرف ينظر إليه ثم انصرف بالخفية فوافى السموأل بالدروع الموسم ودفعها إلى ورثة امرئ القيس وقد امتدحه الأعشى وذكر قصة ذبح ولده وهو ينظر إليه في القصيدة الرائية التي تقدم بعضها قال السموأل بن عاديا يفتخر بقومه وما لديهم من الفخر والحماسة:

| | |
|---------------------------------|----------------------------|
| إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه | فكل رداء يرتديه جميل |
| وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها | فليس إلى حسن الثناء سبيل |
| تعيّرنا إنا قليل عديدنا | فقلت لها إن الكرام قليل |
| وما قل من كانت بقايا مثلنا | شباب تسامى للعلى وكهول |
| وما ضرنا أنا قليل وجارنا | عزيز وجار الأكثرين ذليل |
| لنا جبل يحتله من نجيده | منيع يرد الطرف وهو كليل |
| رسى أصله تحت الثرى وسمى به | إلى النجم فرع لا ينال طويل |
| هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره | يعز على من رامه ويطول |
| إذا سيد منا خلى قام سيد | قؤل لما قال الكرام فعول |
| وأسيافنا في كل شرق ومغرب | بها من قراع الدارعين فلول |
| سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم | فليس سواء عالم وجهول |

وفي هذا الموضوع قال الشاعر الأعشى مشيراً إلى سليمان بن داود:

| | |
|-------------------------------|--------------------------|
| أرى عادياً لم يدفع الموت ماله | وفرد بتيماء اليهودي أبلق |
| أقام ذراه بن داود حقبة | له أزج سام وطى موثق |
| براري كيادات السماء ودونه | بلاط ودارات وكلس وفندق |
| له درمك في رأسه ومشارف | ومسك وريحان وراح تصفق |
| وحوار كأمثال الدمى ومناصف | وقدر وطباخ وصاع وديسق |
| فذاك ولم يعجز من الموت ربه | ولكن أتاه الموت لا يتأبق |

وحدثني عن تيماء وتاريخها القديم طويل لا تتسع له هذه الأوراق، ولما أن سرنا من تيماء إلى جهة الشمال كان الخط مسفلتاً كما بينها وبين المدينة المنورة لأن الحكومة أيدها الله رأت أن يمر بها الطريق لتستفيد حياة ونشاطاً وكان مسيرنا بعد مغادرتها في أرض واسعة الأرجاء فيها حزوم وأودية صغار إذا قد تبرأت القليية وبينها وبين تيماء ١٢٨ كيلومتراً كان أميرها سابقاً هو عبد العزيز بن عبد الله بن وائل التويجري من أهالي بلدة الطرفية في القصيم، وكان فيه رجولة وآداب وذو همة عالية وكرم لذلك كان أمير تبوك يختصه ونقله إليه ليقوم بمهام الأمور هناك وكان من أسرة كريمة فأخوه محمد بن عبد الله بن وائل من رجالات القصيم وفيه شهامة وله عقل راجح وميل إلى الدين والعقيدة، ومن إخوانه عبد الرحمن بن عبد الله بن وائل إمام قرية الطرفية ومن رجال الفضل والدين، أما عن إمارة القليية فوكالة يقوم بها الوكيل وإمام القرية عبد الله بن محمد بن عريض بالعين المهملة المضمومة من أهالي مدينة بريدة وفيه أخلاق وكرم دعانا في رجوعنا إلى ضيافته فوجدنا لديه كفاءة ومقدرة إضافة إلى ذلك دين وعبادة مع ما كان يتعاطاه من الأعمال المنوطة به، والقليية تحتوي على مركز للشرطة ومحطة تلغراف لاسلكي وعلى مستوصف ومدرسة ابتدائية وفي الجبال الغربية منها يوجد آثار كتابات بالعبرانية ويسقيها على العموم بئر ارتوازية انفجرت من قعر ٢٠٠٠ قدم وأدخلت دورة المياه في البيوت وحوالي القليية مركز فجر يقع إلى الجهة الشرقية بمسافة ٧٠ كيلو وإلى جهة الغرب مركز الأخضر بمسافة ٩٠ كيلو، وفي هذه الجهة الغربية الجنوبية مركز المعظم بمسافة ١٠٠ كيلو وعشرة كيلوات وإلى جهتها الشرقية الشمالية مركز الجبعاوية بمسافة ١٢٠ كيلو وكل مركز فإنه قد ملئ بجنود ودوريات لإحلال الأمن وراحة المواطنين وكلها يسودها الأمن والطمأنينة وذلك بفضل عناية أمير العاصمة تبوك سليمان بن تركي السديري بعد عناية الله ولما أن سرنا منها مسافة ١٣٥ كيلومترا في تلك الفيافي إذ بان لنا أعلام مدينة تبوك التي تبعد عن القليية بـ ١٣٦ كيلومتراً قدما إليها والساعة تشير إلى الساعة الرابعة عربي من

ضحى اليوم الثالث من شهر رجب المحرم عام (١٣٩٢هـ) وفي هذه المناسبة جادت القريحة بهذه القصيدة تبين شيئاً عن تلك الرحلة:

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| ففي صبح يوم السبت عجنا بموضع | به خاتم الرسل الكرام الأطاهر |
| محمد المبعوث للناس رحمة | عليه صلاة من عظيم وغافر |
| وأزكى سلام إذ يحف مباركاً | يعم ضريحاً حله خير طاهر |
| نزلنا به وقت الضحى في مسيرنا | فأكرم بدار حلها ذو المفاهر |
| بثالث أيام لشهر محرم | أصم له فضل أتى في المخابر |
| تزيد على تسعين مثني لهجرة | ثلاث مئين بعد ألف لساظر |
| فاصغ لما أبدي كفيت نوائباً | وقاك إله الخلق من كل ضائر |
| ومن بعد ذا سرنا إلى نحو وجهة | نريد تبوكاً نبتغي للمآثر |
| وفي خيبر عجنا لرؤية موقع | سمعنا به يروى قديماً لآخر |
| ففيها جرى من سيد الخلق وقعة | رواها رجال من ثقات أقدار |
| يقولون سارت أمة الحق جهرة | لفتح حصون شادها كل كافر |
| وفيها عتاة من خلائق ربنا | دهتهم جنود خصمهم غير ضائر |
| أولئك أصحاب النبي وحزبه | فأكرم بهم قوماً حظوا بالمفاخر |
| فسبحان ربي من عظيم مهيمن | أعاد وأبدى قاهراً كل قاهر |
| وفي بعض ضرب الأرض للناس عبرة | ليطلعنا ربي على فعل غابر |
| وأثار أقوام تولوا وأعرضوا | فعاقبهم ربي بسطوة قاهر |
| أولئك عاد مع ثمود ومن مضوا | وأمة لوط إذ سعوا في المناكر |
| كذا مدين إذ أمطروا وابل الردى | فصب عليهم جامحاً ذا سعائر |
| فأما ثمود قد مررنا بدارهم | فقد عمهم ربي بصيحة قاهر |
| وكم من أناس قد أيدوا بظلمهم | فأمسوا وقد باءوا بإحدى الفواقر |
| عياداً بربي من أليم عقابه | وصولة عز من عظيم المقادر |
| وكنت أنادي صحبنا أن تمهلوا | لكي نر من أطلال تلك المآثر |

ومن بعد ذا سرنا على الدرب غدوة
مررنا بتيما إذ سمعنا بذكرها
وفيهما لعمري من مرائي سموئل
وجدنا كريماً من شباب مثقف
فقلنا له رفقا فمثلك محسن
أولئك قوم قد أتوا لمهمة
نريد لهداج إذا قد دللتنا
فأبدى سروراً باللقاء تفضلاً
فقلنا له يا قوم نحن أعزة
نحب ذوي الإيمان طبعاً وفطرة
فسار إمام القوم يشرح درسها
يقول انظروا فعل القرون التي مضت
وقفنا بها وقتاً نقلب طرفنا
وفيهما رسوم من جسور تبيقت
وقصر عظيم قد أشيد مشرف
ألا أيها الصاحب الكرام ألا اصبروا
ونرجع من أخبارها نرتوي لها
وسرنا نشق البيد نحو مرامنا
نسير وما زلنا نتابع سيرنا
فقام أمير القوم يبدي كرامة
سليمان من يدعى السديري مقدم
فقد قام في بذل الجهود بسيرنا
رجالاً وأموالاً تحف بقوة
فأكرم به شهماً وأنعم به أخاً

على مركب هائل كس في صبح باكر
قديماً وقد كانت بلاد مآثر
وبئر عظيم شادها فعل قادر
يسير أمام الركب ليس بغادر
تفضل علينا يا كريم العناصر
ورؤية أوطان ورصد مآثر
ومن أين مأناها يا كريم العشائر
يقول هلموا مبدياً للبشائر
شمائلنا بذل الندى في المحاضر
ونهج من لا يرعوي عن مناكر
وينبأ بأخبار تفيده لسابر
وما قد أشادوا من حصون الدساكر
مضخاتها قد أبدلت عن أباعر
وفيهما عديد من بقايا القناطر
وكم قد رأينا من رسوم دوائر
نشاهد آثاراً لتأتي بالمصادر
فليس سماع كالوقوف بناظر
نؤم دياراً صاعبات القناطر
إلى أن قدمنا موطناً ذا مفاخر
وهيا من مطلوبنا كل حاضر
هو ابن لركي ماهر وابن ماهر
وتسهيل مطلوب وخدمة سائر
لنا أمننا بين الربى والقناطر
أديب أريب ماله من مناظر

لقد بذل المجهود في سد ثغره وأمن أوطاننا بحكمة قادر
فهذا قليل من كثير تركته وحسي لقد جئنا بعشر العشائر

ولما أن قدمنا العاصمة تبوك طفقنا نسأل عن بيت رئيس المحاكم هناك الشيخ
صالح بن محمد بن عبد الله التويجري أن الشيخ صالح كان من زملائنا في الدراسة
على الشيخ عمر بن محمد بن سليم وفي الدراسة على الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم
العبادي، وما أن علم بقدمونا حتى جاء يحيينا لأنه كان في إجازة تلك الأيام وأعد
لنا مائدة دعا إليها الأعيان وعلى رأسهم سعادة الأمير سليمان بن تركي السديري
ووجدنا لديه ضيوفاً من قرابته وكان الأمير سليمان شاباً نشيطاً يستقبل الأعمال
الشاقة ويحلها بسعة صدر ورحابة جاش لا يتأثر لشيء من الأعمال وما يرد إليه
من مهام الأمور ودعانا إلى مأدبة العشاء في قصره وأطلعنا على أشياء من الأواني
القديمة التي يدخرها الرجل العربي ويحافظ على تقاليد أمته فكان لديه متحف يضم
عموداً من الحجر الأخضر الذي تدق به القهوة والبهارات في مهراس من الحجارة
المهندسة وبكرة من آلات السانية ودلو كبير وهو الغرب ولما أن علم بأننا سنلقي
موعظة تناول الهاتف ودعى إلى المسجد رؤساء الدوائر من بينهم مدير الأمن في
المنطقة (الزعيم توفيق خالد علندا) وكانت مائدة الأمير حافلة تدل على كرمه وبعد
مضي ثلاث ساعات من الليل ذهبنا إلى بستان الشيخ صالح فاستقبلنا الحارس
وكان يميناً يعمل في البستان ويحمل سراجاً لتقلبه بين الأشجار في ظلمة الليل
فوضعه أمامنا وجعل أصحابنا يناولونه فناجين القهوة وأكواب الشاي ويتحدث
معنا وأهدينا له بعض الإرشادات والبيان عن التبغ والقات ومفاسدها وقد أنسنا
منه قبولاً ويعتذر عما كان عليه بعض اليمنيين من الجهل لعدم وجود تعليم لديهم.
أما عن القات فإنه لا يزال يمتدحه ويقول إنه يقوي العروق وينعش النفس وغير
ذلك من مقتضيات ما يوحى إليه عقله وهواه، وكنت أعجب من إخلاصه في سقي
البستان طوال الليل وقد يرسل صوته في الفضاء على ألحان اليمانيين ولغتهم ولو
قلت أنه ما نام ساعة من الليل لكنت صادقاً وكان في معيته اثنان من العمال لكنه

عجيب في شأنه ولغته وحديثه وسهره على عمله وبعد ما أصبحنا قام في معيتنا عبد العزيز التويجري أميراً القليبه سابقاً ليطلعنا على الآثار في مدينة تبوك، فمن الآثار هناك قلعة السكر وكانت بنائها ترجع إلى سنة (١٠٦٤هـ) جددها وعمرها السلطان محمد خان العثماني وقد وضعت حماية على السكر يسكنها إذ ذاك الجنود التركية الموجودون في تبوك وتقع الآن في وسط البلد وعين السكر تقع في غربيها وكان عرض حائطها متر ونصف متر إلا قدراً من عشر سانتم مداراً عليها مربعاً وفي هذه العين يذكرون أنه صلى الله عليه وسلم وضع أصابعه فيها فكان الماء يفور من بين أصابعه وذكر العلماء عن هذا الفوران أنه لم يخرج من نفس أصابعه وإنما كان يخرج من بينها. ومن الآثار القديمة فيها المسجد الأثري ويعرف لدى العامة بمسجد أبي خيشة ولا أعرف معنى هذه التسمية، وكانت بنيته محكمة من مباني تركيا وقد أقيم على قواعد حجرية يذكر أنه صَلَّى فيها رسول الله ﷺ ويقع هذا المسجد حوالي العين وللمسجد عريش قد وضع عليه كتابة تركية في أربعة أسطر معها تاريخها سنة (١٣٢٥هـ).

محتويات تبوك

إن مدينة تبوك قد حظيت في الزمن الحديث ونالت درجة عالية في التقدم البنائي والزراعي والتجاري ما أصبحت بها تفاخر البلدان الكبرى في السعودية وكانت بذات أهمية فكان بها مركز هام للدفاع وهو المدينة العسكرية ويقدر طولها باثني عشر كيلومتراً وعرضها بعشر كيلومترات فيها قسم المخارط ٣ عادية، (١) مخرطة كرنك، (١) أس ندل مقشطة مطاحة وقسم الكهرباء خاص ومخرط تجليخ رأس البسر تدل قسم النجارة قسم الخردات، قسم السمكرة، قسم المراتب، قسم الأسلحة، وفيها عمال مخلصون فنيون منهم عبد الرحيم بديوي والملازم عبد الله السالم الشهري وأحمد حنفاوي حجازي وتحتوي على رجال المظلات والأسلحة والصواريخ والمدافع وكنا نتجول في تلك الفلل فيها ونرى ما يسرنا من النشاط أو ما أعد في المدينة من قوة باهرة وقد أعدت الفلل لرجال الأمن منها الكبار والصغار

فيها الثلجات والبرادات والغسالات وما تحتاجه كل فلة من التطريز والخدمة وممن وجدناه من العمال في المدينة محبوب حسن سوداني عليه ثياب العمل فيها آثار الزيوت وأوساخ الحديد وقد تلقانا بصدر رحب وجعل يشرح لنا أعماله التي يقوم بها ويقول إنها تربطنا بكم أوامر الأخوة الإسلامية، وفي تبوك إدارة الجمارك والمالية ورئاسة المحاكم ومكتب العمل والعمال والشئون الاجتماعية والزكاة والدخل والصحافة والنشر والمباحث والاستخبارات والبرق والبريد وفيها التعليم بأنواعه من مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية والمعهد العلمي ومعهد إعداد المعلمين ومدارس البنات ابتدائية ومتوسطة للبنات ومعهد للبنات وتحتوي مدينة تبوك على مستشفيات وفرع أوقاف وفرع للزراعة والهلل الأحمر والجوازات ومصلحة الأشغال العامة وفرع لوزارة الأعمال والإشراف على قلم المطبوعات ورئاسة ليهئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، زرنا هذه الرئاسة وجلسنا مع الرئيس وأناس من الأعضاء وكانوا يستقبلوننا بصدر رحبة وممن زرنا من الأعيان الشيخ محمد الغرييض بضم العين المعجمة وتشديد الياء وإخوانه وكانوا من قبيلة الحميدات وجدناه في معرضهم الكائن بتبوك وكان من أكبر المعارض هناك ويحتوي على مواد البناء بأنواعها على وجه العموم وفيه ثلاثة مكاتب ويرأسه أحمد الغرييض فقد كان يعتبر من رجال الوطن هناك لما قام به من أدب ورجولة وكان يستقبل الزوار بصدر رحب، وفي ذلك المعرض شيخ بلدة تبوك عناد بن غرييض كان من الأشخاص البارزين، ومن أعظم رجال الوطن ومررنا بسوق الخضار فوجدناه مملوء بالخضراوات والفواكه الشهية وكانت أسواق تبوك غاصة بجميع البضائع ولا سيما سوق البيع والشراء والأخذ والإعطاء هذا ونحن ممتطين سيارة الأمير عبد العزيز بن عبد الله التويجري يقودها بنفسه.

رحلتنا إلى الحجر

أما ما كان عن ديار ثمود فقد طلبنا من الأمير سليمان أن يسهل لنا الطريق بالمسير إليها ورؤيتها فقام بإعداد سيارة ورجال لخدمتنا وما تدعو الحاجة إليه إذ

كان الطريق إلى مدائن صالح والعلى والوجه وضبا ومدين يتطلب عناية لما في تلك الجهات والمفاوز وسلوكها من المشقة وقد يوجد فيها وحوش من النمر والذئاب وغيرها من الحيوانات المفترسة وأصبحنا باثنين من الخوفا وهما خالد بن عماش بن سليمان الفقير العنزي وهو رئيس أحد المراكز هناك والآخر هو محمد بن ناصر نصر الله الحويطي رجل آتاه الله بسطة في الجسم والمعرفة فقام الرجلان بسلاحهما يحملان البنادق والمسدسات مزودين بالحزم ولا ننساها لصاحبنا محمد ناصر فقد كان جعفنأ بالحديد للحراسة والخدمة وما تدعو الضرورة إليه، أما خالد فهو الوكيل المقدم في تلك الرحلة وكنا قد قمنا بدراسة الموضوع قبل المسير وكان خالد يعد من أفذاذ الرجال في الصيد وكان خريئاً ماهراً في الدلالة يحمل أم خمس القصيرة ومسدسين، أما ما كان عن السائق فهو المدعو سعد خالد الزيايدي من أهالي الطائف ويمتاز بحسن القيادة ولا يتجاوز التسعين في سيره، وكان قد قام بمهمته في شأن السيارة التي أتحفنا بها أمير تبوك تويوتا ٧٢ مزودة بالماء الكافي والوقود والمحروقات وما تحمله على ظهرها من الأطعمة والأشربة وزاد السفر شكر الله للأمير ﷺ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﷻ، ولما أن سرنا من تبوك سلكنا طريق الإسفلت حتى أخذنا عنه إلى الحجر مع خط غير معبد إذ ذاك والجأنا المبيت إلى أرض فلاة والساعة تشير إلى السادسة والنصف بعد منتصف الليل حيث سمعنا نباح كلب فاستأنس الرفقة بصوته بحيث كنا على مسافة كيلو ونصف وبعد شروق الشمس قام الرفقة لإعداد طعام الإفطار ومواصلة السير بين تلك الجبال في أرض رملية كأن تلك الجبال قد هندست بمر الزمان يميل لونها إلى الصفرة غمر بالجهراء ثم عروة ثم بواء وكانت السيارة تسير في طرق ضيقة لا يكاد يهتدي بها إلا الدليل الماهر ويقول خالد هذه قيعان الصنيع وهذا السريط وهذه المزيلقات حتى وصلنا إلى طرق بين جبلين يسمى المضيق يزعمون أن ممر ناقة صالح معه ويقدر عرضه بتسعين متراً وحافته يمنة ويسرة قد تملستا من جنبي الناقة التي تملؤه إذا مرت وما أشبه ذلك بخرافة يذكرون أن ذلك الطريق هو الذي عقرت فيه الناقة ﷻ إِذْ أُنبِئَتْ

أَشَقَّهَا ﴿١٢﴾ وقصة الناقة وعقرها مذكورة في كتب التفاسير والتواريخ مما لا تتسع له هذه العجالة. وقد أفردنا هذه الرحلة بكتابة مطولة ووضعنا رسوماً لبيوت أمة نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام في تلك الجبال والدموس بحيث كانوا ينحتون الصخر ويجعلونها بيوتاً حاذقين ومتجبرين، وكانت تلك البيوت آية تدل على قوة القوم وما مكن الله لهم بحيث ينحتون الصخر وينقشون الحجارة وهنا تصاوير منقوشة لم تتغير على مر الدهور والأزمان، أما ما كان من بيوت المدر ففي بطن ذلك الوادي قد سقطت أكواماً على عمر السنين وعلى أثر أمطار غزيرة هطلت في هذه السنة المذكور في فصل الشتاء اجترفت بعض الآثار فخرجت أواني من الفخار على ظهر الأرض يشاهد منها آثار البوم والرحى، أما عن أبار ثمود فلا تزال موجودة منحوتة كبيوتهم استخدمها العصريون بعدما اندفنت وجعلها أربابها الحاضرون لسقي نخيلهم ودوابهم وأشجارهم، وكل واحد من المزارعين يزعم أن بثره هي بثر الناقة التي أقر الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه في الاستقاء منها، ونهاهم عن أن يشربوا من سائر بلاد الحجر ولا يتوضؤوا منها للصلاة وما كان من عجيب عجنوه فيعلفوه الإبل وكان ﷺ لما مر بمدائن صالح قال لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم مثل ما أصابهم، وفي رواية أنه قال فإن لم تبكوا فبأكوا وقد حامت أفكار العلماء ودارت الآراء حوالي هذه المشكلة ولا سيما في هذه الأزمان التي سكنها أناس وأزالوا الأتربة عن الآبار وغرسوا النخيل والأعناب وسائر الأشجار وكانت الأرض قابلة للزراعة ولكن هنا معوق وهو ما ذكرناه والحديث رواه البخاري ومسلم وقد تكلم ابن حجر والنووي شارحا الصحيحين وأجادا وأفادا كل منهما على قدرته وكان من العلماء من يشدد في الموضوع وآخرون تسامحوا في هذا الشأن وقد كونت الحكومة الإسلامية الشرعية السعودية لجنة من العلماء للنظر في ذلك والبت فيه وذكر لي فضيلة الشيخ رئيس المحاكم هناك صالح التويجري أنه أحد أعضاء اللجنة ولا أدري على أي وضع انتهت المشكلة بجواب قطعي، وقد

لاحظت بعيني رأسي أن ساكني تلك المنطقة أشباحهم ليست جميلة المنظر والجبال موحشة جداً ولا سيما بالليل فقد شاهدت البعوض تلسع بشدة كأنما وكلت بالليل بالأذى، أما عن بعض الرفقة الذين خرجوا من البيت وناموا في الفضا فقد شاهدوا وحشة شديدة. وقال القسطلاني في شرحه للحديث من صحيح البخاري عن هذا الحديث وفي الحديث كراهة الاستقاء من آبار ثمود، وهل هي للتحريم أو للتنزيه وعلى الأول هل يمنع صحته التطهير بذلك الماء والظاهر أنه لا يمنع وذكر أنه رواه النسائي في التفسير وقد أشبع الكلام وأسهب في الموضوع الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره فذكر عن طائفة من العلماء أنها لا تجوز الصلاة ولا تصح الطهارة بمائها واستدلوا بحديث علي المرفوع أن حبيبه ﷺ نهاه عن الصلاة في خسف بابل لأنها أرض ملعونة قالوا والنهي يقتضي الفساد واحتجوا لعدم الطهارة بمائها بأن النبي ﷺ منع من استعماله في الأكل والشرب وهما ليسا بقبريه، فدل ذلك على منع الطهارة به من باب أولى ثم رجح الشنقيطي أن من مر عليهما ينبغي له أن يسرع في سيره حتى يخرج منها كفعله ﷺ وفعل صهره وابن عمه وأبي سبطيه رضي الله عنهم جميعاً وأنه لا يدخل إلا باكياً للحديث الصحيح، فلو نزل فيها وصلى فالظاهر صحة صلاته إذ لم يقم دليل صحيح بدلالة واضحة على بطلانها إلى آخر كلامه. فإذا كان ينبغي لمن مر بها أن يسرع وأن يكون باكياً فما حكم ساكنيها والمتقلين في حرائثها والبناء فيها ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رفع الله مقامه في دار الآخرة في مسائل أحد أبواب التوحيد الثانية أن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة وقد ألف الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود رئيس المحاكم الشرعية القطرية كتاباً في هذا الموضوع أسماه . . . (١).

وبما أن السكان هناك قد تخرجوا لهذا الخلاف فقد طلبوا من الحكومة ألبت في الموضوع فإما أن يتركوا بأملأهم التي توارثوها أباً عن جد ولا مانع من بقائهم

(١) بياض في الأصل.

فيها، وأما إن كانت ممنوعة شرعاً فإنهم يبعثون رجاءهم بأن تقوم خسائريهم التي بذلوها ويرحلون عنها، وكنت وأنا واقف في تلك الجهات أنكر في الموضوع بعدما أبدى السكان لي هذه المسألة فرأيت سائلاً الله التسديد والتوفيق أنها لا تجوز سكنى المنازل والبيوت المنحوتة في الجبال والدموس، فأما هجر سائر الفضاء وعدم السكون فيه فلا يلزم الأمة الرحيل عنها والتباعد منها ولو أن كل موضع نزل فيه عذاب وجب هجرته لهجرت مكة وضواحيها لنزول حجارة من سجيل على أهل الفيل فيها ولتركت مدين بعدما كانت كانت جنات وعيوناً لسحاب الظل الذي أمطرت به مدين لما كذبوا شعبياً وكذلك مصر ومنازل قوم نوح وغيرهم قال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَsrَكْنَا فِيهَا﴾ وقال جل ذكره: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَم خَلَيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤) ونحمل كلام الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه في نزول الحجر وما حدثهم به من التهديدات والتخريفات تحذيراً لهم من تكذيبه ورد دعوته وليتفكروا ويتذكروا عاقبة المكذبين أن في تلك البيوت المنحوتة في الجبال لآثار كالزباء أو القبور فيها بقية من المنسوجات القديمة وبقية عظام دمية الله أعلم بحالتها، ولكن لبرودة تلك البيوت ورفرقة الرياح فيها ما يدل على أنها قد تكون قبوراً وكان هناك في الحجر محطة لقطار تركيا الذي يمر بها إلى المدينة المنورة، وقد تعطل سيرها وكانت في غاية عجيبة في قوة البناء قد أقيمت من حجر مسنمة السطح ممتدة في سكة القطار التي تمتد شمالاً وجنوباً وإلى يمنة المحطة مواضع حجر متماسكة تحتوي على ماكنات وأفران حديد عظيمة الشكل قوية الوضع كذلك عن يسرة هذه المحطة نوافذ، وهي تدل على قوة بناء الأتراك بحيث لم تتأثر على طول عمر السنين وقد أشرنا إلى هذه السكة في أوائل الجزء الثاني من هذا التاريخ، وقد تعطل سيرها لما انفصلت الحجاز عن الشام وقام الأعراب يقتلعون تلك الصفائح من السكة ويجعلونها سقفاً لبيوتهم هناك ولأبوابهم، أما عن الكاتبة وهي الصخرة التي خرجت منها الناقة بإذن الله فهي صخرة جبلية شاهقة في السماء ملساء عظيمة لا

يستطيع الصعود إليها بقدر ارتفاعها بمائة وخمسين متراً يزيد حجمها عن مسافة كيلوين وهي التي صعد إليها سقت ناقة صالح لما قال نبي الله أدركوا سبقها فإن حصلتم عليه نجوتم لكنه دعا ثلاث مرات يقول يا رب أين أمي ثم غاب ولم يستطيعوا الحصول عليه وكانت الكاتبة بأرض رملية ولما أن سرنا من الحجر إلى جهة الجنوب الغربي مررنا بموضع يدعى ثربة ومنه إلى شلاش ثم العذيب وفيه زراعة ونخيل وأشجار كما أننا جزنا إلى جبل يسمى معلق الحمادي قيل كان هناك صقور وكان أصحابه يدلون بجبل من أعلى الجبل ليصطادها من أوكارها وكان الحبل قد انتشب في موضع فلم يستطيعوا جذبه ولبث معلقاً بين السماء والأرض حتى هلك ومزقته الرياح والأمطار هذا ونحن نسير إلى العلا حيث مررنا بحجر منحوت أحمر اللون مستدير مهندس كأنه من نحاس مساحة حائطه اثنان وثلاثون سنتمراً كالإناء العظيم عمقه ثلاثة أمتار ودائرته عشرة أمتار وخمسة وسبعون سنتمراً يزعمون أنه الإناء الذي تحلب فيه ناقة صالح عليه السلام وكان وضعه عجباً ونحته غريباً ولا تظن إذا رأيته إلا أنه من نحاس لكنه حجر منحوت وحوالي ذلك الإناء الغريب الوضع أكوام من الحجارة كأنها مدينة قد تداعت فكانت أكواماً من الحجارة وقد جعلنا له رسماً في تلك الرحلة، وبعدما تجاوزناه مررنا بمدينة العلى وهي عبارة عن نخيل بين جبلين يقدر طولها بمسافة خمسة عشر كيلو ويحف النخيل إلى جهة الغرب مساكن الأهالي يتخللها أسواق من جملتها سوق البيع والشراء ورأيت العمال ينسفون في الجبل الغربي بالديناميت لتوسعة الشارع. وبالجملة فسوق البيع والشراء ضعيف ومناخ العلى على العموم غير صحي، وما زلنا نواصل السير في أراضي وطرق غير معبدة قد غمرتها حجارة سوداء بين تلك الجبال التي لونها حديدي حتى ألجأنا المقليل إلى ظل سمرة هناك فألقينا رحالتنا وقام الرفقة يصنعون ما يصلحهم حيث كان لديهم ذبيحة من المعز وشيء من الفاكهة وكنت غير مرتاح من أتعاب السفر ومشقته. وبعد الغداء والمقليل سرنا حتى جزنا وادي الجُزُل وكان مملوء بشجر الفضاء وكانت السيارة رغم قوتها تكاد توقف عن

السير لكثرة الرمال وصعوبة ذلك الوادي لكننا لما سرنا بقدر من ثلاثين ميلاً وصلنا إلى أرض صخرية ويتخللها أودية كثيرة فلا تسمع إلا قعقة الحجارة في ساعة ولى فيها النهار مدبراً ومنذراً بحر شديد وتشابهت الطرق وضل العارف الخريت الطريق فبينما كنا كذلك تبدى لنا بيت من شعر أسود فيه امرأة سألها بعض الرفقة فأشارت يميناً تقول هناك الطريق وقد كان جبل عويرض يصرفنا كيف شاء في منحنيات غير معبدة نسينا فيها سهل الأرض لحزونها وقد غابت الشمس فزلنا لأداء الصلاة جمعاً وقد قلّ الماء وخيف من المهالك لا من جهة وقود السيارة فقد كانت مؤمنة ولا من جهة قلة الماء فقد كنا في حالة يرثى لها إذ كنا نسير إلى غير جهة معينة وقد واصلنا السير إلى أن وصلنا إلى أرض ذات غابات كثيفة قد تكون مأوى للهوام حتى كانت الساعة تشير إلى الثلاثة غروبي فقام صاحبنا محمد ناصر يستنبح الكلاب إذا كان ثم كلاب بأن جعل يصفر بيندقيته فسمع نباح كلب على بعد فما فرح محمد ناصر بشيء فرحه بذلك بحيث اهتدينا إلى ذلك الصوت فاستقبلنا أعرابي يتبدى من بين تلك الجبال حواليه غنمه كان أسمر اللون من الرياح ولفح الهواجر شاخص البصر عليه أثواب وأطمار فسلمنا عليه وجعل يرحب بنا وقلنا مساك الله بالخير فأجاب حياكم الله تفضلوا انزلوا عندنا هذه الليلة فإن الأرض هذه أرض سباع ووحوش وفيها النمر والضباع والسمتاج فقلنا له تفضل معنا إلى طعام العشاء وأرنا الطريق فقال على رسلكم وإن الطريق قريب وجعل يصفه لنا وأنه يحف تلك الهضبة الحمراء ويمر من عند الهضبة السوداء، وجلس معنا على تكرومتنا فما فرحنا بشيء فرحنا بذلك الأعرابي الذي أنسنا به وأنس بنا وطلبنا منه أن يبيت عندنا وكانت تلك الجهة من مساكن بلي لأنها في ضفتي وادي الجُزُل وتمتد مساكن بلي في تلك السلسلة من الجبال ولما أن أكل وشرب اعتذر عن المبيت بأنه لا يقدر على أن يترك غنمه فريسة للسباع وجعل يذكر أشياء عن تلك الوحوش فقلنا له صف لنا بارك الله فيك السمتاج الذي تذكره فقال إنه حيوان على صفة الآدمي قد غاص رأسه بين كتفيه وهو مفترس وقد عجزت عنه الخيل والقوات

وقد افترس رجلاً وامرأتين وبعدهما فرغ من العشاء قام مودعاً يقول أستودعكم الله وكانت حالته يرثى لها فسبحان من ألقى عليه الصبر في مكابدة تلك الفلوات والأودية وقد بدت مرفقاه وأسفل ثوبه إذا عصفته الرياح كأذ ناب البقر وبما أن تلك الجهة موحشة فإننا لا ننساها لخالد ومحمد في حراستنا تلك الليلة العجيبة، ولما أن تبدت أشعة الفجر قمنا للأذان والصلاة وسرنا سالكين الطريق المسمى (بالنجد) حتى تبدى بعد شروق الشمس بساعة وثلاثين دقيقة مركز بدي كان رئيس ذلك المركز رجل يدعى طويلع ابن محمد النويعم وما أن علم بنا حتى وقف في الطريق وطلب من جميع أهل المركز أن لا يسبقوه في ضيافتنا فجلسنا لديه وكان عنده كتب منها رياض الصالحين وشرح موطأ مالك بن أنس في كتب أخرى وقدم لنا قهوة البن والحليب والشاي وتمراً جديداً يابساً وقد ألح بالجلوس لتناول طعام الغداء غير أننا لا نقصنا شيء من نعم الله التي زدنا بها أمير تبوك وكان يغتنم الفرصة ليطول الجلوس عنده وتظهر عليه آثار الوفاء ومحبة أولياء الله، وكان المركز مقاماً من الخشب ومسقوفاً بالسينكو كغيره من ساكن (بدي) أي أنها صنادق وذكر لنا مشاحة الأهالي فيما بينهم من جهة الماء والمساكن وهذه كعادة البدو يزدحمون في موضع وإن كان الفضاء واسعاً وكان الماء فيه عذباً قراحاً ويوجد هناك شجر الدوم بكثرة وبعد تبادل الحديث ذكروا لنا عن النجد وموضع مبيتنا الذي بتنا فيه الليلة الماضية أنه مخوف جداً من الغيلان والأشباح المستكرهة والحقيقة أنني لو قلت أنها منازل الجن والشياطين والسعالي والوحوش والسباع لكنت غير مبالغ. أما عن جو بدي فمتسع وفيه زراعة ضعيفة ويوجد فيه من الآثار القديمة جاييه من وضع زبيدة زوج هارون الرشيد التي كانت في طريق حجاج العراق إلى مكة المكرمة، وقد رسمت الأرض وفيها نزاع بينهم ذكروا لنا أن الهيثبات دائماً بعثها للمشكلات هناك ولو أنهم قاموا بعمارات تلك المتسعات والفيافي القفر وقاموا بحفر الآبار وأبقى القنوات لكان أحسن من تلك المشاحة، وأملنا عظيم في حكومتنا أن تفتح المجال وتبذل المساعدات ليتسع العمران هناك فقد كانت الصحاري قاحلة ومن أعجب ما

رأيت انتشار الأمن وهيبته لأوامر الحكومة في تلك الجبال والمواضع وقام رئيس المركز يشيعنا لما رأى عزمنا على مواصلة السير وقدم لنا ذبيحة من المعز، غير أننا كنا متوجهين إلى جهة ناصر السديري في بلدة الوجه ولا تسمح الظروف بحمل تلك الهدية بحيث رددناها شاكرين وسرنا من طريق فيها أودية على رأس السر والدثنة وحويرب حتى وصلنا إلى الوجه فنقول عنه.

الوجه وموقعه والحديث عنه

الوجه بلاد على شاطئ البحر وطقسه طيب ومناخه جميل وهواه عليل فيه بلدية وإدارة جوازات وإدارة شرطة كان رئيس الشرطة فيه هو القائد حسن رضا مشهدي، ويحتوي على مدرسة ابتدائية يبلغ طلابها ٤٠٠ طالب تأسست عام (١٣٣٠هـ) ومدرسة متوسطة تحتوي على ٦٠ تلميذاً ومدرسة للبنات ابتدائية تحتوي على ٣٠٠ طالبة أسست عام (١٣٨٢هـ) ومدرسة متوسطة للبنات تحتوي على ٦٠ طالبة وفي مدينة الوجه عشرة مساجد منها اثنان تقام فيهما صلاة الجمعة وفيه من الآثار قلعة الزريب وبناتها تركية وقشلة الدفاع وكان قدومنا إلى الوجه في تمام الساعة الرابعة نهاراً بالتوقيت الغروبي اتصلنا حال وصولنا بالأمير في تلك الجهة ناصر بن عبد الله السديري وكان كهلاً قد علاه المشيب غير أنه يتمتع بحركة ونشاط كشاب نشيط فقام بالترحيب والتعظيم كغيره من الأمراء وأجلسنا معه في المكتب حتى خلص الخدم من تهيئة دار الضيافة التي تقع على ساحل البحر وكانت بنايتها تركية مزودة بالأسرة والفرش والتماروق وكانت غرفها ممتازة لما فيها من تمام الراحة وتشرف النوافذ على البحر وفي الطابق الأسفل أناس من الخدم يقومون بالحشمة من كل أنواعها وكان الأمير ناصر السديري رجلاً طيباً متواضعاً جاء بعد صلاة الظهر يقود سيارته بنفسه إلينا وذهب بنا إلى مائدة الغداء التي كانت فخمة دعى إليها رؤساء البلدة وكبراء الموظفين في قصره، وكان رجلاً اجتماعياً يحادث ضيوفه ويمازحهم، وفي غرائب صفاته أنه لم يسمح لأحد أن يضيفنا رغم طلبهم

لذلك بل أقام وليمة أخرى للعشاء كانت أكبر من الأولى دعا إليها الكبراء، ولقد قمنا بعد صلاة العصر برؤية مشروع التحلية في الوجه وكان المشروع يقوم على شاطئ البحر في بناية حجرية تحتوي على المكائن والمضخات والتكرير قد أسس عام (١٣٩٠هـ) وفيه من العمال والمهندسين عشر، ويدعى كبيرهم محمد أفضل خان باكستاني أطلعنا على تلك المعدات ويقول أن السحب من البحر ثمانون فتصفي المكائن عشرة أي الثمن وترجع البقية وإن كان واحد من الخزانات يتسع لمائتي ألف وخمسة وستين ألف جالون (٢٦٥٠٠٠) فبذلك تحتوي على خمسمائة ألف جالون وثلاثين ألف جالون وجعل يروي لنا عمله وإخلاصه واستعداد المشروع لتأمين البلاد خمسة أيام لو تعطل العمل لا سمح الله، وكان يجيد اللغة العربية ويتكلم بأدب فسألته عن دينه فأجاب بأنه مسلم ويحمد الله على أن هداه للإسلام فهو يؤدي الصلاة في وقتها وسألته لو زادت الصرفية أكان يؤثر ذلك على المشروع فأجاب بأن غالب القصور الكبار فيها بساتين ولا ينقصنا ذلك من شيء، أما عن البيع والشراء فإن الأسواق هناك كافية للسكان، وقد وجدنا على مائدة سعادة الأمير الأطباء في ضمن المدعوين، وجرى بحث نحن نسألهم وهم يجابون وربما كانوا يستمعون إلى فوائد نلقيها من جهة الطب نرويها عن بقراط والحارث بن كلدة، وكان قد حضر لمائدة العشاء مشائخ القبائل ورؤساء الدوائر وكنا طلبنا من الأمير ناصر السماح لنا بالسفر غير أنه أبدى أسفه لسفرنا ليلاً وطلب منا البيتوتة في الوجه ويكون السفر صباحاً فبتنا بخير ليلة وسرنا بعد الإفطار في قصره العامر وعرض علينا كل ما نحتاجه غير أننا لم يقصرنا من شيء نحمد الله، وزودنا بكتاب فلبى أرض الأنبياء لنستعين به في مهمتنا فشكرناه وكان الكتاب مفيداً في الموضوع غير أن الذي نقله إلى اللغة العربية وترجمه إليها قد لا يكون قديراً لذلك نراه كثيراً ما يسقط اللام القمرية وهنا تغييرات في بعض الكلمات، وكذلك أقول عن كتاب فلبى الثاني المسمى تاريخ نجد فإن فيه بعض أخطاء وفي كل حال من حلنا ورحيلنا فكنا موفقين.

مسيرتنا إلى ضباء

لما أن غادرنا بلد الوجه شاكرين لأميره وموظفي الدولة هناك حثنا السير متوجهين إلى ضبا التي كنا قديماً نسمع بها وذكرنا أشياء عنها في أواخر الجزء الثالث من هذا التاريخ بمناسبة حركة حامد بن رفاة والقضاء عليها. فنقول: في أثناء مسيرنا مررنا بواد قد أجذبت أرجاؤه ويست أشجاره وتحطمت من قلة الأمطار وتكفأت فكنا نسير فيه بقدر من ثلاث كيلوات ونحن لا نرى إلا هشيماً أسود، لكننا لما جزناه مررنا بجرة فيها بيوت من الشعر ضعيفة ووجدنا من بين تلك البيوت أعرابياً يرعى غنمه قد جعل الخنجر في محزمه، لكنه لما رأى على بعد سيارة فيها السيفان والنخلة أدار خنجره إلى جهة دبره واستقبلنا متواضعاً فدعوانه وقدم ذبيحة معز إكراماً لنا وتقديراً لرجال الحكومة، لكننا رفضنا قبولها إلا بقيمة فاشتريناها مقدرين له أدبه وسرنا بقدر من ست كيلوات حيث أوقفونا على آثار آبار قد اندفن بعضها وهي أربعة يطلقون عليها اسم آبار عنتر بن شداد وفي الحجارة حولها آثار حفر في الصخر يزعمون أنها آثار فرسه في حوافرها ولكنها فيما يظهر خرافة ولا يمكن أن تبقى له هذه الكرامة، وكان بعض تلك الآبار فيها مياه وهو إليها جابية للماء قدرها ثلاثة عشر متراً مربعة كل جهة بهذا القدر مطوية بالحجارة وإلى جانبها جابية أخرى بقدرها قد تهدم بعض حيطانها مساحة الحائط أربعة وعشرون سنتم وحوالي تلك الآبار أعراب يسقون أغنامهم ففرحوا بنا وهم خائفون لرؤية تلك الأبهة من أن نكون مصدقين أو عمال التزكية وجعلوا يعرضون يضعف الحلال غير أنا أخبرناهم أننا غير مصدقين ثم تجاوزناها حتى ألبأنا المقليل إلى ظل شجرة فنزلنا بها لنستريح وبيننا نصلح طعامنا جاء أحد الرفقة بشيخ هرم قد لفحته الشمس وتركه الزمان ممزق الثياب يحمل مزوده على ظهره ويمشي على قدميه قد عصب رأسه بغترة من الصوف الأبيض المزركش، وكان يسير فإذا ما تعب جلس يستريح على المزود حتى وصل إلينا فسلم وقلنا له وعليكم السلام

ومرحباً، ما هو الاسم الكريم فأجاب يقول عياد بن حمد الحر القرعاني ولي أنجال يعملون في وظائف الحكومة وأنا هنية أرمي الإبل والغنم وإني عارف بالتاريخ قد مر علي أيام الخديوي والأتراك والشريف ثم استلمها ابن سعود وكان عمره يقدر بالثمانين غير أنه يتمتع بنشاط وحيوية لأنه قليل اللحم مربوع القامة ويكنى أبو محمود فقلنا حياك الله أبا محمود وجعل يروي لنا أشياء من أخبار تركيا والحرب الجارية بينها وبين الشريف الحسين، وبيننا هو يحدثنا أقبل صبي لا يتجاوز عمره السابعة معه ناقتان ومحترم بحزام من الليف فربط الناقتين بشجرة وسلم علينا وكان شجاعاً ذكياً يتكلم بكلام الرجال بالرغم من صغر سنه فقال أبو محمود هذا ابني وكان أبو محمود يروي أخباراً أدركها لكنه كعامي في قصصه وأخباره، وكان يتمتع برحابة صدر فشاركنا هو وابنه في طعامنا وكنت أعجب من وجوده في تلك الشعاب وقد سأله محمد بن ناصر بحيث كان بينهما معرفة هل لديه من يأنس به فقال لدي أم محمود وأما البنت فقد تزوجت منذ سنتين وبعدها تناولوا طعام الغداء انصرفا شاكرين يحملان بقية الطعام ولما أن أدينا الصلاة جمعاً قمنا نواصل سيرنا والساعة تشير إلى الثامنة ظهراً فمررنا بقصر الأزم وكانت قلعة من مباني تركيا قد تهدم بعضها وبقيت أطلال من بقايا الحجارة والجص وحواليها بئر ووجدنا أعرابياً ضخماً الجثة قد ألقى كساء على شجرة وجلس في الظل كأنه على شاطئ النيل أو الفرات قد تحلل لحيته خيوط من الشيب وإنك لتعجب لحالته في تلك الأودية والشعاب وكنا نتمشى في تلك القلعة التي غادرناها إلى وادي داما ومازلنا نواصل السير حتى وصلنا إلى ضبا في الساعة الحادية عشرة قبل الغروب بساعة تماماً من يوم الجمعة ١٣٩٢/٧/٩ هـ وكان جبل شار الذي يبلغ بعض الرواة في ارتفاعه يتبدى لنا وكانت ضبا تابعة في القضاء والإمارة لتبوك وكان أميرها إذ ذاك محمد بن عبد الله بن سعدون من أهالي ضرما ويقوم بالوكالة عنه عبد الرحمن بن محمد بن عقيل الأصل فيه من أهالي القصيم وهو من اليد ضياء ومن أشهر رجال القبائل فيها الشيخ محمد بن إبراهيم أبو طليقة وفريح بن عمرية وسلامة بن

عويضة أما القاضي هناك هو عبد الله بن فهد من أهالي الأفلاج. وممن وجدته شاباً أديباً كاتباً في الإمارة يدعى محمد ياسين عبد القادر حسن المحادثة أبدى تحية وترحيباً ويظهر أن الأصل فيه من مصر لكنه على جانب عظيم في العقل وحسن المعاشرة والأدب أهدي إلي كتاب الرحالة فلي، وطلب مني أن أهديه شيئاً من مؤلفاتنا فوعده بذلك وحقق الله الطلب فإننا بعثنا إليه أربعة أجزاء من تاريخنا تذكرة أولي النهى وعقود اللؤلؤ والمرجان ومن العلماء المشهورين هناك حسين حسن خضر وكاتب العدل فيها قنديل عبد القادر قنديل.

محتويات ضبا

أما عن محتوياتها ففيها مشروع التحلية الذي أقامته الحكومة السعودية فيها وكان كمشروع الوجه زرنه واستقبلنا فيه مهندس محمد عبد الحفيظ قرشي استقبلاً حاراً وكان مسلماً بشوشاً ذا أخلاق وأدب وفيه رجولة أطلعنا على محتويات المشروع ويظهر لي أن هذا المشروع أكبر من مشروع الوجه في حسن التصميم وكثرة العمال لأن سحبه من البحر مائة وتصفيته ثماني مصفحات وأدينا صلاة المغرب فيه حيث جاء بالسجاجيد وذهبنا بعد الرغم من عرض العشاء لديه إلى المادبة الكبرى التي أعدها الأمير لنا، وكان رجال الخدمة والضيافة يتسابقون، ومن بينهم رجل عليه السترة والبنطلون مزركشين كان يسعى بشدة وقوة وعناية، ومن محتوياتها ما يأتي: (١) إقليم مرور (٢) إدارة الشرطة (٣) الدفاع المدني (٤) مستوصف (٥) محكمة شرعية (٦) قيادة سلاح الحدود (٧) إدارة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٨) إدارة اللاسلكي والبريد (٩) فرع الأوقاف (١٠) إدارة الجمارك (١١) إدارة المالية (١٢) رئاسة البلدية (١٣) مشروع الكهرباء (١٤) مكتب زراعي (١٥) إدارة السجون (١٦) الإمارة العامة، وفيها من جهة التعليم مدرستان ابتدائيتان للبنين وابتدائية للبنات ومتوسطة للبنين ومتوسطة للبنات وفيها مسجد جامع تقام فيه صلاة الجمعة، وهو كبير وسبعة مساجد أخرى

ويا للأسف لم أتمكن من رؤية بقية الآبار في ضبا لمضايقه الليل، وكنا لما فرغنا من دعوة الوكيل قمنا مودعين له شاكرين لأهل ضباء حفاوتهم وإكرامهم، وكان الوكيل يفضل البيتوتة فيها غير أن الظروف لم تساعد ثم أنه زدنا بكتاب فيه التوصية بنا إلى أمير المويلح كل ذلك لأجل الشفقة والعناية بنا لكننا لما أن مررنا بالمويلح كان من الرفقة من يفضل مواصلة السير للبيتوتة في الفضاء الواسع والهواء الطلق فجعلناه إلى اليسار وهذا المويلح ماء في قلعة من الآثار القديمة يظهر أن مؤسسها كما يقولون خديوي مصر وأنه متقدم في وضعه على ضبا، ويا ليت أن لو نزلنا في ذلك الموضع لنأمن بسكانه غير أن الله لم يشأ ذلك بل ألقانا المبيت إلى أرض صحراوية ليس فيها سوى الأشجار والفلوات، وقد لقينا فيها نصباً لأنها حوالي جبل اللوز المملوء بالهوام والوحوش وبعد وقدة لم تلتذ فيها جفوننا بنوم مريح نهضنا لصلاة الفجر ومواصلة السير، وقد تأثر بعض الرفقة بتغير الطقس وما زلنا نسير حتى تبدى لنا نخيل وبيوت شعر يقولون هذه (شرما)، وكانت مملوءة بشجر الدوم، هذا ونحن نسير في الساحل نقرب منه تارة ونبعد عنه أخرى حتى وصلنا إلى الخريبة التي كانت مركزاً فيه جنود مرابطون في سلاح الحدود، وكان فيها جهاز المخابرة ليكونوا دائماً في الاتصال بالعواصم إذا حصل شيء من الطوارئ وتعلو الكآبة على أولئك الجنود لبعدهم ولأن ذلك الموضع سبخة ليس بجيد الطقس غير أنهم قاموا يباشرون ويتسابقون لما أن علموا بمهمتنا وهي الكتابة بتلك الأبرك عما نجده وأطلعونا على سهرهم لمصالح الأمة وكانت (الخريبة) فيها جامع كبير ومركز إمارة وجمرك وشرشورة وقد شجعناهم على الصبر والمصابرة وأنهم في جهاد في سبيل الله وكنت كثيراً ما أشجعهم ومن كانوا في ذلك المقام وأعظمهم وأذكرهم فأجد قبولاً وتعاوناً، ولما أن سرنا منها مررنا بأقيال وفيه عشاش ويخفنا من جهة اليمين زهد ثم جبل اللوز ويعتبر في سعته وارتفاعه آية من آيات الله ويروون من الحوادث أن طائفة اصطدمت به لرفعته، وكان مأوى للنمر والسباع والذب والقروذ وغيرها من السباع المفترسة وكان النمر موجوداً بكثرة هناك، أما

الأسد فقد لا يوجد لانفصال قارة أفريقيا عن آسيا بحفر قناة السويس وهي موجودة بكثرة في أفريقيا وفي جبل اللوز أنواع من النباتات قد لا توجد في غيره ووددت لو سمحت الظروف بدخوله والتجول فيه ولا سيما ونحن معنا من السلاح ما يحفظنا بإذن الله لأخذ فكرة عنه غير أنه لا يكفي للتمكن من رؤيته عدة أيام فضلاً عن الساعات وكان ينحدر منه بعض أودية تتفرع من وادي أقل الذي ينبع من جبل اللوز الكبير وإذا كان ارتفاع منطقة الحصمة حوالي ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر كما يبلغ ارتفاع أعلى قمة فيها ٥٠٠٠ قدم أو أكثر فإن جبل اللوز وهو الوحيد يبلغ غاية في الارتفاع وقد شاهدنا قمم سلسلة جبال مدين تمتد شاهقة أماناً إلى علو يقارب ٧٠٠٠ قدم، ومن العجائب كون بعض الصخور رملية متآكلة تحتوي على مواد صلبة وثابتة اللون ورغم تقلب عوامل الجو كالريح والأمطار والشمس عليها آلاف السنين فقد قاومتها وجعلتها عاجزة عن محو فن المعمار الممتد إلى هذه الأزمنة محواً تاماً كما هو مشاهد في ديار ثمود وبلاد مدين أصحاب الأيكة.

مرئياتنا في مدين

لما أن غادرنا أقبال وزهد تبدت لنا أعلام البدع في اللغة الحديثة أو مدين بلاد شعيب ﷺ فقدمناهما في الساعة الثالثة بالغروبي تزيد ٤٥ دقيقة من صباح يوم السبت ١٣٩٢/٧/١٠ هـ وهي التي توجه إليها موسى عليه الصلاة والسلام لما فرّ من فرعون وقومه خشية القتل فقصدنا قصر الإمارة حسب التعليمات وكان الأمير فيها متعب بن زيد الأيادي العززي ويقوم بالنيابة عنه أخوه سلطان بن زيد إذا كان غائباً وكان سلطان شاباً في التاسعة عشرة من العمر ضرب اللحم طلق الحيا نشيطاً في عمله طيب النفس عذب المنطق جذاباً في تعطفاته فقام مبادراً بالتحية والاستقبال وبدرنا بأن الغداء يكون عنده، أما القاضي هناك فهو فضيلة الشيخ محمد بن مسلم - بإسكان السين - بن سعيد بن عثيمين الدوسري، وكان ابن عم

الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين صاحب الديوان فكان الشيخ محمد بن مسلم يتصل بآل مبارك وصاحب الديوان يتصل بآل سعد وكان من جملة الحاضرين في مجلس الإمارة صبي عمره في الرابعة عشرة وهو نجل الأمير متعب بن زيد الأيادي أقامه الوكيل معي لإزالة وعشاء السفر فدلني على دورة المياه وهذا من تمام العناية فركبنا في سيارة من سيارات الأمن إلى بيت الأمير للاغتسال والتحمم وقد كان موجوداً في ذلك الحمام ماء بارد ومناديل وخدمة وبعد خروجي وجدت أصحابي ينتظروني فذهبنا للسلام على القاضي بعد أداء ركعتين بعد الوضوء ولما أن دخلنا عليه كان إلى جانبه كاتب أسمر اللون ولا يتجاوز عمره الثلاثين أما عن الشيخ محمد فقد قام من فوره للسلام وأداء التحية تاركاً بعض أشغاله، وكان قصير القامة أشمط الشعر ويتمتع بنشاط وعزم وكان في آخر العقد السادس من عمره وتقدم إلى نحو باب المكتب فأجلسنا معه وأمر بالطيب والقهوة والشاي وعرض علينا دعوة العشاء بحيث ورده دعوة الأمير كغيره من الرؤساء للغداء ثم طلب إجابة دعوته من الأمير والوجهاء والرؤساء وعرضنا عليه ما قمنا به من رؤية الآثار فلبى طلبنا وأحضر أحد أجزاء البداية والنهاية للحافظ ابن كثير يستعرض بلاد مدين ثم ركب معنا في سيارتنا الخاصة وهو يقول إنني ما تمشيت فيها منذ قدومي لهذا البلد ولي أربع سنين، وذكر أن فضيلة رئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم ابتعثه للقضاء في هذه الجهة لمدة أربعة أشهر وقد امتدت إلى أربع سنين ويظهر من كلامه تضجيره من تلك البلاد النائية ويأمل أن ينقل ويا ليتة لا ينقل إنه عالم متمسك بدينه وهو خير لهم ثم إنه ذهب بنا إلى جبل الرغام الواقع في شرقي البلد وبيننا نحن نمشي هناك نجد آثار الحيطان مقامه من الحجر والجص وفي ذلك الجبل نجد آثار القبور بائنة فيها وآثار النيران القديمة موجودة وهناك آثار شق عظيم يظهر أنه موضع خسف يبلغ عمقه خمسة أمتار في غيران الجبل المحاذي له من جهة الغرب موجود فيه بيوت منحوتة كبيوت ثمود لكنها أقل نسبياً منها وقد اندفن شيء منها على ممر السنين ولكنها أصلب حجارة من مدائن صالح، وفي الجهة الأخرى بيوت واسعة جداً كان

تصميم البيت مكوناً من مجلس وإلى جوانبه حجر جمع حجرة منحوتة ووجدنا بيتاً فيه ما لا يقل عن عشرة خنادق كأنها في نحتها الهندسي مخازن للطعام أو قبور وهناك سرب في بطن الأرض مظلم لا يمكن النزول فيه إلا بجبل ولا يصعد قط إلا بجبل وهو كهيئة السجن فيما يبدو وتلك الآثار لم تتغير عن وضعها القديم اللهم إلا ما كان من سواقي الرمال التي دفنت جزء منها ويوجد هناك آثار الآنية القديمة من الفخار ولا ريب أن مدين كانت في قديم الدهر مساكن عامرة وتدل على قوة أهلها وما زلنا كذلك حتى سئنا من الصعود والنزول ولم نتمكن من رؤية بئر موسى وكان للقاضي بستان كغيره من السكان فيه مجموعة من أشجار العنب والنخيل والبطيخ وقوامها على آبار يصبونها من الإسمنت ويقدر عمقها بعشرة أمتار تقريباً، وما وقفنا عليه موضع في مرتفع من الأرض يسمونه قرية الفسقية مرتفعة كربوة فيها آثار حجارة متداعية وآثار بيوت وآثار بروج ولا أدري عن اشتقاق هذه اللفظة ولقد جئنا بشيخ من المسنين فقال إنها تعرف ببئر السعيدني وأنها تسقي الحجاج من السنة إلى السنة ويقول فضيلة القاضي أنها كانت تسقي ألف سقية، وبعد صلاة الظهر ذهبنا إلى دعوة الأمير التي حضرها الزعماء ومشائخ القبائل ومن ضمن هؤلاء شيخ البلد ورئيسه سليمان بن علي البحيري، أما قبيلة العميرات فشيخهم الحاضر بن فايز وخضر بن حماد، أما قبيلة المساعيد فشيخها الطرفاوي وسليمان بن علي الدهينة جعل أولئك الرؤساء يقدمون دعواتهم ويطلبون تمديد الإقامة غير أننا أقنعناهم بأن لبثنا إلى صلاة العشاء الآخرة، أما ما كان عن شيخ البلدة ورئيسها سليمان بن علي البحيري فلم يقنع وجعل يبيد أسفه الشديد بحيث لم يكن له فرصة لجلوسنا في بيته وكان يقول أيها ابن مسلم وابن أيدي لم يكن لي حظ من الشيخ ورفقته وكان رجلاً أبيض اللون طويل القامة ممتلئ الجسم على رأسه غرة بيضاء وفوقها العقال الأسود وكان كريماً سخياً من رجالات مدين فأقنعتة بحيث لم نتمكن من البيوتة والجلوس من الغد بأن سنشرف بيته بعد العصر إذا سمحت الظروف وكان من عزمنا أن نذهب إلى مركز الشيخ

حميد أو اللسان الذي هو من أبعد المراكز السعودية بحيث كان يبعد عن مدين بواحد وستين كيلو وهو على مقربة من الحد إلى جهة إسرائيل فسرنا إليها وكان في الطريق (مقنا) وهو أيضاً مركز هناك، أما عن مركز الشيخ حميد فإنه لا يتجاوز بعده عن كيلوين من مطار إسرائيل وكان فيه جنود مرابطين بصورة مستمرة على الساحل يرقبون حركات اليهود وسكناتهم كان لديهم جهاز مخبرات واستعداد للطوارئ ويرأس ذلك المركز ناصر فارس العتيبي أدينا صلاة العصر في ذلك المركز وأحاطوا بنا يقدمون ما لديهم من كرامة وكان المعروض مع القهوة والشاي تمرأ يابساً رغم أن اليوم يوافق السادس والعشرين من برج الأسد وكان من توفيق الله أننا كنا نحمل حبات من القثاء أهدها إلينا الشيخ محمد بن مسلم فقدمناها لهم هذا ونحن نحدثهم ونشجعهم على الحفاظ فيما وسد إليهم ولزوم الثغر الذي هم فيه وكانوا مخلصين ولديهم شهامة وشجاعة وبين أيديهم النظارات وحواليهم مخزن قد أعد فيه قوة هائلة وذخيرة، نعم كانوا مرابطين وفي سلاح الحدود جزاهم الله خيراً.

ولما كان يوم حنين أخبر الرسول أن هوازن خرجت عن بكرة أبيها بظعنهم ونعمهم ونسائهم واجتمعت في حنين فقال الرسول عليه الصلاة والسلام من يجرسنا الليلة فقام أنس بن أبي مرثد القنوي وقال أنا يا رسول الله قال اركب فركب فرسه وذهب إلى أعظم الثغور حيث وجهه رسول الله ﷺ ولما رجع بعد صلاة الفجر سأل هل رأى أحداً قال لا يا رسول الله فسأله هل نزلت الليلة قال لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة فقال له الرسول قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها أي أتيت بعمل يوجب لك الجنة فسنأل الله تعالى أن يحمي حرزة الدين وينصر الإسلام والمسلمين، ثم رجعنا إلى مدين وذهبنا مساءً إلى الزعيم سليمان البحيري بحيث كان بانتظارنا حيث تناولنا عنه الشاي والقهوة وشيئاً من الفاكهة وقدم لنا قنوان النخل فيها رطب وبسر وأتي أيضاً قنوان النخلة الحلوة التي ملئت السيارة يقول تصدقوا به على من وجدتم فطلب منا فضيلة الشيخ القاضي أن نؤدي صلاة المغرب في الجامع الكبير ونلقي فيه موعظة وذكر أنه واعد الأمة بذلك وكان

بتواضعه بعدما صلى خلفي زحف وقرب وكان الوقت مناسباً جداً، وهذه رغبة في الانطلاقة التي كنت عليها في الوعظ والتذكير إذ كان مكبر الصوت موجوداً فألقيت عليهم موعظة جامعة شاملة أسمعتها الأمة المجتمعين في الجامع والجالسات في بيوتهن، إذ كان الحاضرون يتقدمهم الأمير والرؤساء وبعد فراغها أدوا التحية والإجلال وذهبنا إلى موضع قد أعدّه الأمير أمام قصره ليتناول النّد والطيب وكان المجلس برحة من دون حائط قد فرشت بالمفروشات الحسنة، وما أن اطمأن بنا المجلس حتى جاء مندوب القاضي يدعونا إلى وليمته التي دعي إليها الكبراء والمدراء والرؤساء وعلى رأسهم الوكيل وقد طلبوا منا تكرير الزيارة وتعلقوا راجين تحقيق ذلك وطلبوا منا السعي في جلب وعاظ ومرشدين إلى جهتهم ليعلموا ويبينوا ويرشدوا ثم سرنا راجعين إلى تبوك. أما عن محتويات مدين فإنها كما يلي: (١) مركز إمارة (٢) محكمة شرعية (٣) شرطة وأمن (٤) مستوصف (٥) تلغراف لاسلكي، وفيها مسجد تقام فيه صلاة الجمعة وأربعة مساجد عادية وفيها مدرسة ابتدائية أما عن حقل فهو قريب من العقبة وهو من آخر المراكز السعودية فكان يقع جنوب العقبة بما يقارب من ٢٥ كيلو وقد قيل إن العقبة هي أيلة التي ذكرها الله بقوله: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ ﴿١﴾ ولما أن قدمنا إلى تبوك من الغد ذهبنا للسلام على الأمير سليمان التركي الذي كان قد عيل صبره في انتظارنا وقد التقينا بمكتبه بالأخوين العالمين عبد الرحمن بن حماد العمر وإبراهيم بن عبد الله بن ناصر بن عتيق وكانا قد طلبا من الأمير صراحة بالذهاب إلى الأردن ليأخذا جولة ويعظا ويرشدا وقد طلبوا مني صحبة المذكورين لكنني لست راغباً في الذهاب إلى تلك الجهة، أما ما كان عن عين تبوك التي تقدمت الإشارة إليها فقد يوجد لها ذكر كثير نشرته المؤلفات العربية وذكر ياقوت الحموي في معجمه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر ابن غريص بإسكان الباء اليهودي بطي هذه البئر وهذه هي الواقعة بجوار المسجد الذي أشرنا إليه وكان يجاور المسجد من جهته الشرقية مقبرة قديمة محاطة بسور ويذكر المؤرخون بأن هذه المقبرة تضم رفات أناس

من الصالحين من هؤلاء ذو البجادين الذي فرّ من عمه ونعيمه إلى رسول الله ﷺ وكان قبل ذلك ينتظر إسلام عمه فلما لم يسلم عزم على الهجرة إلى الرسول فتوعده عمه ابن أسلم أن يسلب منه جميع ما أعطاه ولما أن جرى من العم ذلك وجرده من ثيابه ناولته أمه بجاداً فقطعه نصفين اتزر بأحدهما وارتدى بالآخر وسار إلى الرسول فسمي ذا البجادين فلما تنعم برؤية الرسول ولقائه وأقر الله عينه بذلك مؤثراً خشونة العيش والعري إذا لم يحصل المقصود إلا بذلك وافاه أجله في غزوة تبوك وقضى نحبه فصلى عليه الرسول ﷺ وحمل إلى لحدّه وأبو بكر وعمر يدلّيانه ولما صف عليه لبناته وأراد أن يخرج من القبر ليهيلوا عليه التراب رفع الرسول يديه وقال: «اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارضَ عنه» فصاح ابن مسعود يقول: يا ليتني كنت صاحب القبر.

ولما أن رأى الأمير سليمان عزمنا على السير طلب منا الإقامة لديه حتى يكون السفر ليلاً وبعد تناول مائدته التي دعا إليها أناساً من الأعيان ومن بينهم عاشق اللحاوي شيخ الشرارات كما أن مع المدعوين فضيلة الشيخ رئيس المحاكم صالح التويجري وكان الأمير قدس الله روحه قد عرض على زيارة المسجد الأقصى ويا حبذا لو حصل لتركع فيه ونسجد ما تيسر لنا هناك ولكنه يعكر الأجواء استيلاء اليهود عليه فهذا الذي قد فتّ من عزمنا أما ما كان من عاشق اللحاوي فإنه قام بدعوة لنا إلى الجوف وما إلى ذلك غير أنا أقنعناه بأن الظروف لا تسمح بذلك ولكننا وعدناه بذلك آجلاً ثم ركبنا الطريق راجعين.

وفيها في ضحى ١٢/١٤ نشب حريق في حفيز عبد الله بن محمد الكبير في قلب مدينة بريدة الكائن في البرحة الواقعة إلى جهة الشمال عن الجامع الكبير فاضطربت النيران وسببت حريقاً فكانت ألسنة النار ملتهبة خيفة في زمجرتها والرياح تصفر في لهبها فهب رجال المطافئ والدفاع المدني إلى ذلك الموضع مرتدين حلل الكفاح والعمل وجاءوا بمجدهم وما يستطيعونه ليدفعوا ذلك الخطر المحدق وليقضوا على ألسنة النار المتدلعة بين الحفريات والخلائق بعد ما نهزم كل من كان

مجاوراً للنار بنفسه وانطلقوا فارين تاركين أموالهم وما يملكونه. ولقد كاد أن يعجز رجال المطافئ عن القضاء على ذلك الحريق لأنه زاد الطين بلة ما كان في تلك الحفيزات من الطيب الكالونيا الذي كان مادة عظمى للحريق كالبنزين غير أن الله تعالى وقى الأنفس البشرية من الهلاك وخمدت النيران بعدما التهمت كل ما أتت عليه فكانت مخلفاتها كومة من الرماد.

وفيها وفاة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه وهذه ترجمته: هو العالم الزاهد الورع التقي أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، ولد في قرية البير من قرى المحمل على بعد مائة كيلو عن مدينة الرياض في الشمال الغربي سنة (١٣١٢هـ) فأخذ يتعلم القرآن حتى حذقه في سن مبكرة ونشأ في عبادة الله وطاعته ثم أخذ يطلب العلم وكان في أخلاقه أنه متواضع متقد الفكر صريح لا يملق ولا يدهن ولقد اتفقت به في مكة المكرمة في أوائل شهر ذي القعدة من عام (١٣٦١هـ) حينما حججت بيت الله الحرام حجتي الثالثة بحيث كنت مبكراً في الحج فبعث إلي أحد الأحبة يطلب مني مواجته في مكتبه الحرم الشريف وكنت لا أعرف شخصيته غير أنني طلبت منه أوصافه لأعرفه بها فقال لي تجد رجلاً طوالاً أسمر اللون يعني قد لوحته الشمس سريع الحركة ملتهباً متواضعاً فحينما دخلت المكتبة المذكورة وكان يتولى إدارتها إذ ذاك محمد بن سياد الطبرستاني شيخ كريم الأخلاق حسن المعاملة جلست إلى جانب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وكنت عرفته بأوصافه التي وصف بها غير أنني ويا للأسف سألت إنسان إلى جانبي أهذا ابن قاسم فأجابني بأنه ليس هو وكان لا يعرفه، وكان الموعد بيننا في الساعة الثالثة وبعد مضي ثلاثين دقيقة أصغيت في أذنيه وهو إلى يميني فقلت له يا أخي إن بيني وبين الشيخ ابن قاسم موعداً في الساعة والدقيقة ففزع واستوى قائماً وبدأني بالتحية والمصافحة والتقبيل، وهكذا كنت واعتذر بعدم المعرفة ثم أنه أطبق كتاباً بين يديه في أصله دفتر كبيراً أراه يكتب ويمحي ويجمع فيه العبارات وهو مسودة حاشيته على شرح زاد المستقنع، وأخذ

بيدي بعد تبادل التحية الحارة وذهب بنا إلى بيته ماراً بالسوق حيث أخذ حبات من القثاء ودخلنا ثم جاء بالقهوة والشاي ثم جاء بالقثاء ووضع على السفرة وبينما كنت أحادثه كلمته بيا شيخ فقال أرجو أن لا تخاطبني إلا باسمي فإنه أحب إليّ ولما أن استفسرته عن هذا اللقاء الذي من الله به علينا أبدى فرحه بذلك لما يحب على الإخوان من الاجتماع وتبادل الحديث ثم ذكر أن الشيخ محمد بن عبد اللطيف ألف الشيخ بعثه إليّ لما علم بقدومي إلى مكة لأن أنسخ له شرح السنة للبغوي، فذكرت له أن شرح السنة كبير ويحتاج إلى وقت طويل، غير أنه أبدى لي أن ناسخين يشتغلان فيه من جهته بحيث أن الكتاب ليس بموجود إلا في كتب خانة وهي مكتبة الحرم المكي، وبعدهما أبدت عذراً أنني غريب وليس لدي مسطرة ولا حبر أسود ولا أقلام للنسخ تكون صالحة أجاب بأن أعمل على حسب القدرة وأن كل شيء فموجود في مكاتب باب السلام فاتفقت بالشيخ محمد رحمه الله ووجدت رغبته في ذلك العمل وأما المسطرة فلدى فلان الحاوي مسطرة صالحة فسهل الله الأمور وكنت عند حسن ظنهما بي فكنت أخذ الكراسة واذهب ليلاً فانقل ما تيسر حوالي أحد المصاييح في رحبة المسجد الحرام. وفي السنة التي بعدها كنت أوافيه في المسجد الحرام بعد المغرب والعشاء وجرى بيننا البحث في فضائل الشيخ عمر بن محمد بن سليم لأنه قد توفي في تلك السنة فأثنى على الشيخ عمر وذكر ماله من المناقب وترحم عليه وأثنى على تلامذته بما ذكرناه عنه عند ذكر تلامذة الشيخ عمر رحمه الله، وكان الرجل متواضعاً حسن المعاشرة والمحادثة وجعل يثني على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ويذكر مقاماته في الإسلام ونصرته له خاصة والدفاع عنه وتأيينه له نعم كان الشيخ محمد بن إبراهيم مناصراً للشيخ عبد الرحمن بن قاسم ومدافعاً عنه بل وعن غيره بجاهه العريض وماله من الوجاهة عند الحكام فإنه قد يكون سداً عظيماً ودرعاً حصيناً يلوذ به في حياته المنكوبون والمغلوبون ولما للشيخ محمد بن إبراهيم من المواقف الدينية الجبارة التي يقفها الله عز وجل فلا يوقف في طريقه وذلك لأن الشيخ بن قاسم كان لا تأخذه في الله لومة لائم ومن

كان مثله فإنه لا يسلم من وشاية الأعداء وإنني لأثني عليه وأنوه بذكره وأسأل الله أن يرفع منزلته في الجنات العالية ذلك لما قام به من الأعمال التي يشكر عليها فمنها ترتيبه لرسائل أئمة الدعوة لقد قام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بعناية تامة لترتيب هذه الرسائل بعدما كانت منشورة في مجلداتها التي طبعتها مطبعة المنار ويصعب طلب المسائل المطلوبة منها فقد ألفها ونظمها تنظيماً فائقاً وسماها الدرر السنية في الأجوبة النجدية وجاءت في أحد عشر جزءاً وقد ذكر أن ساعده الأشد في هذا العمل الخيري هو الشيخ محمد بن إبراهيم وقد قرض عليها المذكور والشيخ عبد الله العنقري ولكنها ويا للأسف طباعتها رديئة بالرغم من أنها طبعت مرتين الأولى في مطبعة أم القرى عام (١٣٥٢هـ) والأخرى في مطابع المكتب الإسلامي في عام (١٣٨٥هـ) وكلتاها لم يعتن بطباعتها ولو أنها طبعت بحرف جميل وورق جميل لكان أولى خدمة لتلك الأسفار الجليلة.

ترتيبه لفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية

لما كانت فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية مشتهرة في مشارق الأرض ومغاربها وطبع الرجل المواطن مقبل الذكر أجزاء كبرى من تلك الجواهر كما أن مطبعة المنار طبعت أخرى ويوجد في مجاميع نبذة منها فلأنها لم تستكمل ولم تحصل الفائدة منها فقد قام المترجم يفكر في جمعها وترتيبها وجعل يفتش في مكاتب نجد وغيرها لاستحصائها وبما أن نجد تعتبر أسعد الأقاليم بالانتفاع بمؤلفات شيخ الإسلام وتداولها وتدريسها، ولما أن باشر تصحيح فتاوى أئمة الدعوة النجدية في مكة المكرمة فتش في المخطوطات الموجودة بمكة المكرمة بمكتبة الحرم الشريف فاستخرج منها عدداً من المسائل كما تحصل على مسائل من بعض العلماء الأفاضل ثم إنه عزم على ترتيب فتاوى ابن تيمية فضم الموجود من المخطوطات إلى المطبوعات بإشارة الشيخ محمد بن إبراهيم وأخذ في ترتيبها على وضع الكتب المتداولة بين العلماء لتسهيل المراجعة ثم إنه سمع من بعض رواد المكاتب بوجود

مسائل لشيخ الإسلام في دار الكتب المصرية فأجل طبعها وأجمع على السفر إلى مصر لهذا الموضوع في سنة (١٣٦٥هـ) فلم يقدر له ذلك، ولما أن أصيب بنكبة انقلاب السيارة التي أثرت على دماغه اختل نظام الدم في رأسه فأصابه من ذلك وجع شديد فسافر إلى بيروت للعلاج وفي صحبته ابنه محمد ولما استكمل الفحوص الطبية وأجرى له بعض العمليات التي لم تنجح توجه إلى مكتبة بيروت العمومية ولم يثن عزمه وهو فيه من المرض الذي أصيب به من جراء انقلاب السيارة وكان حازماً لأنه قد استصحب ما جمعه سابقاً من الفتاوى وفهرساً خاصاً بها مفتشاً فيها فلم يجد مسائل لشيخ الإسلام وذكر له أن ما كان فيها من المخطوطات قد نقل لإحدى الدول منذ زمن طويل ثم فتش في مكتبة الجامعة الأمريكية فلم يجد فيها شيئاً، وكان مستصحباً ورقة فيها أرقام لثلاث مسائل في المكتبة الظاهرية ذكرها له بنص من زار المكتبة من العلماء فبعث ابنه إلى دمشق لنسخها وبذل مجهود في هذا السبيل مع ما كان يقاسي من شدة المرض ومواصلة العلاج فدأب نجله محمد في مواصلة العمل والتفتيش حتى ذهب إلى المكاتب الأهلية بدمشق وحلب وحماة وسافر إلى بغداد وبعدما حصل على ما تحويه بلاد الشام وطن شيخ الإسلام وجعل يبحث وينقب في بغداد ومكاتبها وأراد أن يسافر إلى البصرة والكويت وتركيا غير أن صحة والده كانت متأخرة بحيث أقام الشيخ في بيروت ثمانية أشهر فاضطر إلى الرجوع إلى والده ببغداد وعاد إلى الرياض ثم أنه سافر الشيخ عبدالرحمن إلى باريس عن طريق القاهرة يصحبه نجله محمد وذلك لما يريده الله تعالى من إبراز مكنون فتاوى شيخ الإسلام بحيث جعل الله عز وجل مرض المترجم سبباً للسفر إلى فرنسا ولما أن وصلاً إلى القاهرة قاما بزيارة دار الكتب المصرية وتصفحاً ما تحتوي عليه من المجموعات التي لم تكن موجودة لديهما ولما أن وصلاً إلى فرنسا أجريت له عملية وتمائل للشفاء فذهب إلى مكتبة باريس الوطنية وتتبعها ما فيها من الفهارس المطبوعة باللغة الغربية للمخطوطات الموجودة في باريس ولندن وبرلين وفيينا وبعض فهارس مخطوطات تركيا وغيرها، ولما أن كان في عام

(١٣٨٠هـ) أمر الملك السابق سعود بن عبد العزيز بطبع هذه الفتاوى وأمر أيضاً أن يدفع من المبالغ ما تحتاجه إليه هذه المجموعة لتجهيزها للطبع وما يحتاج إليه التصحيح وكان قد ساعد على ذلك بإرشاداته وإشرافه وتوجيهاته رئيس القضاة في المملكة العربية فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم ولما تكامل جمعها من مصر وأوروبا إصدر الملك سعود أمره بطبع خمسة آلاف نسخة وقدرت تكاليف طبعها وتجهيز الكتاب للمطبعة بمبلغ يزيد على مليون ريال أمر الملك بدفعها فبرزت في ٣٧ مجلداً بفهارسها وما يلتحق بها وكانت طباعتها ممتازة جداً فأما الثلاثون الأولى فطبعت في مطابع الرياض وأما السبعة الأخيرة فأمر بطبعها الملك فيصل بن عبد العزيز في مطبعة الحكومة ولقد علم الله من حسن نية شيخ الإسلام فنشر هذه الفتاوى وقام بطبعها للمرة الثانية صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وكانت إعادة طباعتها برحاء من العالمين الفاضلين عبد الله بن محمد بن حميد وعبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى الملكين الكريمين ذلك لأن الطبعة الأولى أوشكت على التقسيم على العلماء المتأهلين وكان صدور الأمر من الملك السابق سعود في عام (١٣٧٤هـ). ومن مؤلفات المترجم حاشيته على الروض المربع وتقع في سبع مجلدات ضخمة أتى فيها بالعجب العجائب فهي موجودة وتكررت طباعتها بالورق الصقيل والحرف الجميل وخدمة بتوفيق من الله تعالى، ومن مؤلفاته أحكام الأحكام شرح أصول الأحكام رأيت منه ثلاثة أجزاء، ومنها مختصر كتاب اللطائف، وله تعليق على الرحبية وله تعليق على الأجرومية وله حاشية على ثلاثة الأصول، وحاشية على كتاب التوحيد، ومنها مقدمة في أصول التفسير وحاشية عليها، ومنها الصارم المسلول في الرد على عابد الرسول، ورسالة في تحريم حلق اللحية، وله إمام بالتاريخ حتى أنه اشتغل بالتاريخ وجمع الشيء الكثير لكن قضية وقعت له بسبب التاريخ جعلته ينصرف عن ذلك وذكر بعض الأدباء أنه اطلع على كرايس من تاريخه وأنه وجدها وافية لكنه عدل عن ذلك.

أعماله التي كان يمارسها

أما عن أعماله التي كان يمارسها فقد كان مدرساً في المساجد وفي خدمة الكتب والإشراف على طبعها ويعلق ويفيد وبضاعته العلم ونشره فكان قد اشتغل بطلب العلم منذ صغره وتلقى عن عدة علماء أجلاء فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري وأخذ عن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ وأخذ عن الشيخ أحمد بن فارس وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ويكفي المترجم شرفاً أخذه عن هؤلاء الأجلاء ولقد أثنى عليه مشائخه وامتدحوه ورضوا عنه وقد عمل مدة في مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ثم تولى إدارة المكتبة السعودية بالرياض، وأخيراً قبل وفاته بثمان سنين طلب الإحالة على المعاش واعتزل الأعمال وبقي في مزرعته في (المعيزر) قرب العمارية حتى توفي. وكان خائفاً وغير مرتاح للأوضاع التي كانت عليها الأمة من الناحية الدينية والاجتماعية ويخشى من الانجراف لما شاهده في البلاد المجاورة من العقائد المنحرفة وأنواع المعاصي الظاهرة ويخشى من حلول النقمة وأن يصيب قومه ما أصاب الآخرين وكان إلى جانب تضلعه في العلوم الدينية والعقائد له إلمام كبير بالنواحي السياسية والاجتماعية وله سوالات وانتقادات ويسأل زائريه عن أخبار الساسة لأنه لا يستمع إلى المذيع، ولقد قام المترجم بجهود جبارة تقصر عنها وثبات المطاولين وبما أنه يعمل بمقتضى هذا المثل ما لا يدرك جلُّه لا يترك كله فإنه عمل أسباباً لطبع كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب التخويف من النار، وكتاب أهوال القبور وكلاهما من مؤلفات الحافظ ابن رجب وديوان الشيخ أحمد بن علي بن مشرف مصحوباً في ميمية شمس الدين ابن القيم ونونية القحطاني ونبد من قصيدة ابن عبد القوي، وجعل لهذه مقدمات وتراجم لأصحابها ورام أن يصدع بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم ولكي يعلم أعداء الشريعة أن في الحياض من يذود عنها وفي سبيل الله ما لقيه من المشاق

والأتعاب ومن سبر حالته وصبره وتمسكه بالدين فإنه يبكي لحالته والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وقد قلت في هذه المناسبة:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| هو العلم المشهور من فاق ذكره | وكان لعمري أية في الفضائل |
| صبوراً على كرب الزمان ومره | وينشر دين الله ليس بغافل |
| له قدم طولى لتبين واجب | وكشف لثام المشكلات النوازل |
| يصول بقال الله قال رسوله | مجداً ولا يخشى ملامة عاذل |
| يغوص على مكنونها مخرجاً لها | بحسن بيان مدركاً للمسائل |
| قضى عمره في خدمة العلم والنها | وتحقيق برهان ودفع الأباطل |
| فيا عابد الرحمن عشت معزراً | وفزت من المولى بأعلى المنازل |
| ألت الذي قد قمت لله جاهداً | بتقرير مسنون وكشف المشاكل |
| ليهنك ما ترجو من الله وحده | وما الله عما تعملون بغافل |
| جمعت فتاوى قام فيها محقق | إمام جسور لا يميل لعاذل |
| كفانا بها عن مشكل البحث جهبذ | وحبر نبيل ماهر في الدلائل |
| سقاها بتيار المعافى ربه | فسبحان ربي مسدياً للفضائل |
| فأصبح مجموعاً للهداية كافياً | بترتيب تحرير كفى في المسائل |
| عليك سلام الله حياً وميتاً | وغفران لرب العرش يا خير راحل |

وبما أنه لقي مشقة في جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية من مظانها وكان قيذاً أوابدها حتى حصل عليها فإنه كابد المشاق أيضاً في استحصال فتاوى آل الشيخ وأئمة هذه الدعوة وترتيبها ولم يثن عزمه عدم مساعدة الظروف والصعوبات التي كابدتها والأخطار التي واجهها، ولكنه ما وهن ولا استكان والله يحب الصابرين وأسر لي ثقة ببعض ما ناله في هذا السبيل وفي كلامه الحكمة إياك والسأمة فتقذفك الرجال خلف أعقابها فكان لا يعتريه ملل ولا كآبة وقد ساعده على ذلك حسن الخط وسرعة الكتابة وقد جعل تراجم لأولئك الأئمة المهديين في جزء من هذه المجموعة ولما أن أصيب بمحادث انقلاب السيارة قبل وفاته بعشرين عاماً وأجريت له

العملية الأخيرة في فرنسا ونجح بعض النجاح تحسنت صحته غير أن المرض لا يزال يعاوده فكان يتناول حبوباً مهدئة باستمرار حتى توفاه الله تعالى في ٨ شعبان من هذه السنة، ووفاه أجله المحتوم رحمه الله وعفى عنه فضلى عليه في جامع الرياض الكبير وشيعه خلق كثير إلى قبره وحزن عليه المسلمون وترحموا وقد رثاه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل بهذه المراثية التي أبانت مواهبه وخصاله الحميدة.

| | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| مصاب على الإسلام بين العوالم | على العلم والدين القوي الدعائم |
| رحيل رجال العلم والمجد والتقى | أولي الصدق والإخلاص من كل عالم |
| نجوم الهدى والرشد والحق والعلی | رجوم العدا من كل غاو وآثم |
| فكم فاضل حبر جليل مهذب | حكم عليم ثابت الجأش حازم |
| تصرمت الأيام أيام عمره | وبات بأطباق الثرى المترام |
| وفي اليوم ذا تجري الدموع غزيرة | كهتان وبيل من خلال السواجم |
| وتنقذ الأحشاء حزناً ولوعة | تجيش بها الأشجان مثل الصرائم |
| لفقد التقى الألمي أخو الوفا | أخي السبق في شأو العلى والمكارم |
| هو العابد الرحمن نجل محمد | أكيد الإخاء الشيخ الأديب بن قاسم |
| هو الصالح المحبوب والناصح الذي | يسير على النهج المنير المعالم |
| على الأصل والتقوى وحسن عقيدة | وصحة إيمان على الرشد قائم |
| عفاف وزهد صادق وتورع | وحسن اعتناء في الأداء والتفاهم |
| ونصح وإرشاد وحزم وغيرة | بحكمة وإع مشفق غير ناقم |
| وحرب على الإلحاد والغبي والردى | وكل انحراف ذائع أو جرائم |
| سخاء ونبل فائق وسماحة | وعون مع الإخوان أوفى مساهم |
| وترتيل آيات الكتاب تدبراً | وخشية رب بالسرائر عالم |
| مفيد بما يدري وما صح علمه | بحسن بيان واضح غير كاتم |
| وما ليس بالمعنى عنه بمعزل | وعن كل خوض سيئ أو تخاصم |
| له في سبيل العلم والحق والهدى | جهاد بمجهود الدؤب الملازم |

فنون بحوث ضم بعضاً لبعضها
له القلم الموهوب عزمًا وقوة
بعزم وجد واهتمام مواضب
فلله شوق في المعارف والعلى
ويكفيك عن عد الخصال لما جد
فقد طار في الآفاق بالخير ذكره
فترجوله خير الثواب مضاعفًا
وأن يخلف المولى بخير تكرمًا
وسبحان رب دائم أبدع الورى
وكل ملاق في الحساب جزاءه
فيا نعم من يلقي السعادة فائزًا
وبئس لحظ خاسر الربح نادم

خلف المترجم أنجالاً صالحين أكبرهم عبد الله ثم محمد الذي كان عضد والده
الأشد ومساعداً له في آخر حياته وقد تخرج من كلية الشريعة وقام بالتدريس فيها
مدة، ويتندب لتصحيح بعض كتب والده وأحمد أمين مكتبة كلية الشريعة وسليمان
وسعد وناصر ومحمد هذا آخر ترجمة الشيخ ابن قاسم فאלله المستعان.

وفيها قامت الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ترثي لحالة المسلمين
الذين في فلبن بـحيث أوذوا في ديارهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم وأنفسهم، وقام
المسيحيون يريدون إلزامهم بأن يعتنقوا دين المسيحية وبعثوا إليهم رسائل التهديد
تنذر وتحذر بأنهم إذا لم يعتنقوا دين المسيحية فإنهم يؤخذون بالقوة ويكون الموت
مصيرهم وقامت الصحف الإسلامية تدعو إلى الضغط على حكومة الفلبين لأن
تضع حداً لهذا الاستهجان وإيقاف المجازر ضد المسلمين وقد تلقى زعيم من زعماء
الفلبين خطاباً من المسيحيين جاء فيه ما معناه نناشدك بأن يتحد المسيحيون
والمسلمون تحت إله واحد عن طريق دين المسيح فأياكم أصبحت معدودة كزعيم
للمسلمين.. الخ. في كلام طويل مما بعث المسلمين في سائر أنحاء المعمورة يشقون

جيوبهم للانتصار لأولئك المسلمين الذين يهددهم الطغيان الجارف بالجللاء عن بلدانهم والتحكم فيهم بالإيذاء والتجريح والتشديد ليشمل دين المسيحية أكبر رقعة من هذا العالم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفيها في اليوم ٢٥ من شهر شعبان من هذه السنة قدم سمو الأمير الشهير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي إلى الرياض عائداً من بيروت لأنه قد سافر للاستجمام هناك وإراحة نفسه أن عبد العزيز بن مساعد من رجالات الحكومة السعودية وقضى واجباً يشكر عليه في خدمة أمته وحكومته فهو أمير حائل لما فتحها المغفور له الملك عبد العزيز عام (١٣٤٠هـ) ولأهـ إمارتها لما كان يعهده عنه من الثقة والكفاءة وليكون محافظاً على الحدود الشمالية فدخل في هذه الإمارة الجوف وما يليها من وادي سرحان وعرعر والقريات فقام هناك خير قيام ولكنه لما بلغ التسعين من عمره طلب من الحكومة أن تعافيه من العمل ورغب في لزوم العبادة ليكمل بقية عمره في راحة بمدينة الرياض وجلس فيها مكرماً محترماً عزيزاً محتشماً وسيأتي بقية ذكره في سنة وفاته.

غريبة من الحوادث

ففي هذه السنة ولدت عنز لها ثمان آذان وأربع أرجل وأربع أيدي وذنبان جزؤها الأعلى متصل من الصدر وجزؤها الأسفل منفصل، لها رأس واحد يشبه رأس القرد وعينان، والله على كل شيء قدير، وقدرة الله صالحة وقد أحضرت لفترة في متحف كلية العلوم بالرياض وأخذت لها رسوم.

وفيها قامت بلدية مدينة بريدي بتوسعة شوارع في المدينة وسفلتها فقامت المعدات تهد يمينة ويسرة وكان من هذه الشوارع شارع يمتد من شارع الصناعة إلى جهة الشرق حتى يصل بشارع الخبيب ومن هذه الشوارع شارع المياه الذي يمتد من شمال المدينة إلى جنوبيها مخترقاً حارة العجيبة ماراً بالشقيري ثم السبيع ثم يتجه إلى الشرق ماراً بريشة وكان الأهالي قد كانوا متعبين من الفيضانات فجعلت الحكومة

ذلك المشروع الذي خفف من وطأة الفيضانات وجعلتها بشكل هندسي يشير إلى خزانات أرضية ثم تدفعه الدفاعات إلى جهة بعيدة عن المدينة كما أنها كثرت الإصلاحات في كل من مدينة عنيزة والبكيرية والخبراء ورياض الخبراء والرس وغيرها وقد تقرر سفلة ثمانية وعشرين شارعاً في مدينة بريدة رصد لها سبعة ملايين ومن شوارع مدينة عنيزة والتي وقعت عليها التوسعة والسفلة، الشارع الرئيس الذي يحف الجامع الكبير من الجهة الجنوبية كما تم ترسية مشروع سفلة وأرصعة في مدينة الجمعة وإنارتها بحيث بلغت تكاليف مدينة الجمعة في هذه السنة مليون وثلاثمائة ألف ريال وستة وأربعين ألف ريال وستة وسبعين ريالاً، وجعلت مدة التنفيذ ١٢ شهراً.

وفيهما تم ترسية مشروع تعبيد طريق بريدة إلى الرياض لتوفير خط تنقص به المسافة بين البلدين على شركة ابن ربيعة والنصار وهذا الطريق شرقي مدينة بريدة يمر بمزارع سمو الأمير متعب بن عبدالعزيز إلى روضة الربيعية ثم يأخذ بمنة إلى جهة الجنوب ماراً بقرية الشماسية حتى يستوعبها كلها ثم يمتد إلى جهة المستوي ماراً بالزلفى، وبما أن الزلفى بين رمال عظيمة وهناك منخفضات ومرتفعات فإن العمل واجه كلفة ومشقة، ثم يمر الطريق بالغايط متماً إلى الجمعة إلى روضة سدير وحوطة سدير إلى ثادق وحتى يتصل بالرياض، وكان فتح هذا الطريق مفيداً للحجاج الذين يأتون من الجهة الشرقية، كما أن عاصمة القصيم بريدة استفادت منه وأصبحت تضاهي مدينة الرياض وجدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة والإحساء والظهران مما كان يحسدها عليه المدن الأخرى وقد ابتدأت الشركة في غرة محرم من هذه السنة وعقدت الحكومة عزمها على إصلاح خط حائل يمتد من مدينة بريدة فينفضل من بين الشقتين حتى يصل إلى شري فالأجفر حتى يصل إلى مدينة حائل وقام العمل على ثلاث شركات وطنية يسير على قدم وساق لإنجاز هذا الخط دون توقف يعرقل الحركة، كما أنه في ١٢ ذي القعدة أمرت الحكومة بإنشاء مبنيين للهاتف الآلي في مدينة بريدة وعنيزة فقامت وزارة المواصلات بتنفيذ هذا المشروع وبلغت

تقاويم هذا العمل أكثر من أربعة ملايين ريال، وقام لذلك العمال يدأبون في حفر الأرض في المدينتين لما يتطلبه المشروع وتقرر أن يتم إنجاز العمل في مدة تبلغ خمسمائة يوم ابتداء من تاريخ تسليم موقع العمل، وقد قامت وزارة المواصلات بإنشاء واحد وسبعين ألف خط وستمائة خط هاتفي في كل مدن المملكة، كما أنه قد جرى قبل ذلك تشغيل ٧٦٠٠٠ خط، كذلك قامت وزارة المواصلات برئاسة عمر توفيق حينما كان وزيراً في المواصلات بمشروع ٩ ملايين لمباني مراكز التدريب للمواصلات السلكية واللاسلكية والإذاعية بمجدة، وهذا يعتبر من نشاط هذه الوزارة، أما عن وزارة الحج والأوقاف برئاسة حسن كتي فقد قامت ببيع ١٥٠ ألف مصحف ليتم توزيعها على المساجد في المنطقة الوسطى والشرقية بمناسبة دخول شهر رمضان، ورمت بعضاً من المساجد.

إصلاح مجاري مدن المملكة

لقد رصدت الحكومة السعودية مبلغ تسعمائة مليون ريال لتنفيذ مجاري مدن المملكة وقد صرف منها إلى ٦/٣٠ من هذه السنة ما قيمته ثلاثمائة وتسعة وعشرون مليوناً وثمانية عشر ألفاً وتسعمائة وخمسة وثلاثون ريالاً والعمل جاد في سيره.

وفيهما أمرت الحكومة السعودية بجعل وجبة يومية لتغذية الطلبة في المدارس واعتمد للصرف تسعة ملايين ، وذلك في ٢١ شعبان ابتداءً بعدما رسى المشروع على شركة أبو الجدائل، وهذه الوجبة تكون يومية مركبة من علبة كرتون تحتوي على شابورة زنة ١٠٠ غرام وعلبة حليب من الورق أو من الصفيح وقطعة جبن زنة ٣٠ غرام وفاكهة مجففة زنه ٥٠ غرام تمرأ أو تين أو مشمش مجفف ومغلف وعلبة صغيرة من المربي ولا ريب أن هذه خطوة خطتها وزارة المعارف لكنها لم تنتظم في هذه السنة.

وفيها في صباح اليوم ٥ من شعبان قام الفدائيون الفلسطينيون بهجوم عنيف على مصنع إنتاج الكرتون التابع لليهود فدمروه بالعبوات الناسفة المتفجرة وكانت شديدة الانفجار جداً فاشتعلت النيران في جميع محتويات المصنع ودمروه عن آخره، وقام أحد الفدائيين في مساء ذلك اليوم فآلقى قنبلة يدوية على سيارة عسكرية يهودية في ميدان فلسطين في ميدان غزة فتتج عن ذلك الانفجار إعطاب السيارة وجرح وقتل من كان فيها، هذا ولا تزال مشكلة اليهود في فلسطين تتطور حتى بلغت أوجها في الفظاعة من سجن وإهانة وتحكم يأخذون العشرات والمئات فيزجونهم بالسجون يأخذون بتعذيبهم على ما تقتضيه إرادتهم.

كما أن في هذه السنة تم نقل اثنين وثلاثين قاضياً من موضع إلى موضع.

حادثة من الحوادث

وقع في سيلان حدوث انهيار أرضي من جراء الأمطار الغزيرة المتواصلة هلك بسببها حوالي أربعين شخصاً قد دفنوا تحت الأتربة والأنقاض وقد حاول رجال الإنقاذ الوصول إلى الضحايا الموجودين تحت الأنقاض، هذه فاجعة ليست بعادية هلك بسببها نفوس وأموال كثيرة.

وفيها قامت الحكومة السعودية برصد ٦٤ مليون ريال ونصف مليون لتطوير سلاح الحدود، وذلك أداء لما يفرضه الواجب وتشجيعاً للمرابطين وتقوية للجيش.

إنشاء مصنع كسوة الكعبة

إن الحكومة السعودية لا تزال جادة في خدمة الحرمين الشريفين ويكفي أنها حصلت في سقف الكعبة المشرفة بعض التصدعات فقامت الحكومة بمجد ونشاط لإصلاح ذلك، وقد أشرنا إلى ذلك في عام (١٣٧٧هـ) ومن أراد بسطها فليراجع الجزء الرابع من تاريخ الكعبة لمحمد طاهر الكردي فإنه بسط ذلك التعمير في كلام طويل، وفي هذه السنة أنشأت الحكومة السعودية مصنع كسوة الكعبة بمكة المكرمة، وبلغت تكاليف إنشاء المصنع ٢٥٣١١٢٣ ريال، وهذا إضافة إلى ما بلغت تكاليف

معدات الآلات للمصنع المذكور بحيث بلغت تكاليف هذه المعدات ٤٣٧٧٦٠ ريال وهذا مما يدل على الاعتناء بالأمكان المقدسة وعلى رأسها بيت الله الكعبة المعظمة وقد تقدم أول تأسيس لدار الكسوة في المملكة العربية السعودية قبل هذه السنة بست وأربعين سنة ولا ريب أن أول المطر قطر.

أمطار على الأماكن السعودية

لما كان في أنواء الوسمي هطلت أمطار كثيرة غزيرة على القصيم وتوالى نزولها ومن العادة التي أجراها الله عز وجل أن الوسمي إذا كثرت أمطاره ينزل الله فيها البركة ولا سيما الكمأة فعلى آثار هذه الأمطار اهتزت الأرض وربت وأنبتت من كل زوج بهيج وكثر الإقط والسمن والكمأة ورخص السعر بحيث كان الكيلو بريالين وقد يذهب الذهاب إلى بيوت الشعر من البادية النازلين في الفيافي حوالي المدن فيجد كيلو الكمأة يباع بريال، وكان معظم الكمأة موجوداً في برج الدلو كما عم الكلاء والعشب الكثير بحيث لم يوجد مثل ذلك في السنين الأخيرة، وكانت البادية قد أخضبت جداً بحيث توفر لديهم في موسم خمسة أشياء بكثرة الإقط والسمن والكمأة والعشب والألبان. وكنت ذهبت في يوم من تلك الأيام إلى الضلفعة للوعظ والإرشاد فكنا نمر على بيوت الشعر في الطريق فنجدهم يتحدثون عما فيه من النعم والغبطة ويشنون بالشكر على الله سبحانه وتعالى، وكانت قد اشتدت وطأة البرد في يوم الثلاثاء ٢١/ ذي القعدة رابع الجدي بحيث كانت الدرجة في القصيم قد نزلت إلى ثمان تحت الصفر وتجمدت المياه ونزل جليد وبرد بإسكان الرء شديد في الرياض وما يليه وبلغت الدرجة في تركيا إلى ٢٥ تحت الصفر، وذكرت الأنباء في مصر أنه خرب من البرتقال والتفاح ما يبلغ حوالي ٢٥ ألف طن كما وردت الأخبار على جهة التحقيق من حائل وما يليها إلى عرعر أن مواسير المياه تكسرت من جمود المياه فيها وسألت أمير حائل في مجلس ضمنا لدى أمير منطقة القصيم فهد بن محمد بزيارة زار بها القصيم أحقاً ما يقال عن ذلك فقال نعم وأروها عني واستمر البرد بهذا الوضع اثني عشر يوماً.

وفي هذه السنة أصيبت الأمة في شهر رمضان المعظم وأوائل شهر شوال بمرض الحمى غير أنها خفيفة فلم يهلك أحد بسببها والله الحمد.

وفيها في أوائل العشر الوسطى من ذي القعدة شبَّ حريق هائل في مدينة بورما تشرد بذلك الحريق أكثر من أربعين ألف شخص في جنوبيها، ولما أن هرعت رجال المطافئ لذلك هلك ضحية منهم خمسة رجال ودمر ذلك الحريق أكثر من سبعة آلاف منزل وعدد من المدارس والمخازن ودمر أيضاً ذلك الحريق ما مر عليه.

كتب أثرية ومخطوطات نادرة تلتهمها النيران

أصيبت مكتبة ضخمة بيفلادلفيا أ.ب بحريق عظيم وكانت هذه المكتبة تضم كثيراً من الكتب والمخطوطات النادرة، وقد بدأت النيران من مكاتب الإدارة ثم انتشرت في المبنى بكامله ولم يستطع رجال الإطفاء السيطرة على النيران إلا بعد ساعة كاملة كانت فيها ألسنة اللهب تلتهم جميع محتويات المكتبة فيما عدا ٣٠٠ كتاب وفهرس المكتبة وذهب البقية ضحية ذلك الحريق وتقدر الخسائر المادية بحوالي خمسة ملايين دولار عدا الكتب الأثرية التي لا تقدر بثمن وقد اشتعلت النيران عندما كان حوالي ٦٠ شخصاً في المبنى لكرامة لم يصب ووقى الله سبحانه الأنفس البشرية من هذه الكارثة التي كانت خسارة في صرح المبنى العلمي.

إعصار وفيضانات تضرب الفلبين

أصيب وسط الفلبين بفيضانات وإعصار تركت ما لا يقل عن مائتين وأحد عشر قتيلاً وشردت نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ إنسان وذكر أن ألوف الناس يعانون المجاعة من جراء الإعصار الذي ضرب المنطقة الوسطى من الفلبين وتسبب في وقوع أسوأ فيضانات عرفتها البلاد منذ أكثر من قرن. وفي ١٥ جمادى الآخرة اشتبكت قوات الجيش الفلبيني مع جماعات فيها جائعة حاولت الاستيلاء على شحنات الأغذية التي وصلت بطائرات هليكوبتر لإطعام المنكوبين من الفيضانات التي ضربت وسط الفلبين وأفادت أنباء أولية أن الجنود أطلقوا عيارات نارية تحذيرية في الهواء لتدفع

مئات الجائعين الذين هجموا على طائرات الهليكوبتر وكنت أظن أن الله عز وجل عاقب هذه الدولة بما كسبت يداها وهو أذية المسلمين واضطهادهم للإلزامهم بأن يكونوا نصارى.

إسلام ٤٥٠ مسلماً بأفريقيا

أعلن في مدينة أمبرارا بأفريقيا إسلام ٤٥٠ واعتنق أولئك الإسلام وهذه حالة تبشر بخير في انتشار الإسلام في تلك الجهات.

وفيها رخصت الحكومة السعودية بإنشاء وتوسعة عدد من المصانع الوطنية منها مصنع زمزم للبلاستيك بمكة المكرمة برأس مال قدره ٧٨٥٥٧١٩ ريال لإنتاج حافظات التبريد الثلجات وأغطية كراسي الحمامات والحقائب اليدوية وحافظات الخبز، ومنها مؤسسة مصنع الألبان والبوظرة الوطني بالخبر بحيث يصبح رأس مال المصنع أربعة ملايين وتسعة وأربعين ألفاً وتسعة وستين ريالاً، ومنها توسعة شركة الطباعة والنشر الوطنية مطابع الرياض بحيث يصبح رأس مالها مليوني ريال، ومنها توسعة المصنع الأهلي لصناعة المناشف الوطنية بمجدة بحيث يصبح رأس ماله ٥٠٠٠٠٠٠ ألف ريال، ومنها الترخيص لمصنع الزبدة السعودي بمجدة برأس مال قدره مليون ريال، ومنها إقامة مصنع الصلصة وعصير الطماطم بمدينة الرياض برأس مال قدره تسعة ملايين.

وفيها أصيبت مدينة الدرعية بعاصفة حادة شديدة جداً وكان الأعيان قد أقاموا هناك احتفالاً بنوا له خياماً وزينة فهبت العاصفة بموجة قوية شديدة قلعت الخيام وأطارت الأواني وأصيب أناس من الخدم الذين حواليلها بحيث حملت العاصفة أحد الفراشين فذهب يتقلب كأنه كرة إلى قدر من ثلاثة عشر ذراعاً وقد يجري بقدرة الله زوابع شديدة لكنها نادرة ففي أحد أيام سنة ألف وثلاثمائة واثنين وسبعين كنت في البدائع الوسطى بدعوة من بعض أصحابنا إليها ولما أن كان بعد صلاة العصر ونحن في صحراء واسعة قريبة من المباني هبت ريح عاصفة وكان

الرفقة خمسة فما كان منهم إلا أن استمسكوا بأصول الشجر حتى سكنت ولولا ذلك لاحتملتهم وكان من بينهم شيخ هرم يدعى بالعم ناصر انبطح واستمسك بشجرة حواليه وكان ضرب الحصاء كوقع إسهام في الأقدام ولما أن سكنت كانت جيوبنا مملوءة بالرمل الذي دخل فيها من شدة العاصفة كما نحمل فيها ثقل الإحمال فسألت الحاضرين ومن بينهم العم ناصر هل يجري ذلك فأجابوا بأنه قد يصيبهم موجات من أمثالها وكنت أذكر أنه في رجوعنا من الحج عام اثنتين وخمسين بعد الألف وثلاثمائة هبت ريح ونحن رقود بين الظهر والعصر كادت أن تحمل بعض الرفقة وطارت الخيام والأواني فلم نحصل على الأواني إلا بعد سعي شديد خلفها كادت أن تلقى في آبار ذلك الموضع الذي يدعي نعيروا وكانت أطناب الخيام لما طارت كالسهام لو أصابت أحداً قتلتها لكن الله دافع وسلم الرفقة الذين كانوا لا يقلون عن مائة نسمة في زمن الحج على الإبل.

وفيها رشح محمود رياض بدلاً عن حسونة ليكون السكرتير العام للجامعة الدول العربية في منصبه وكان عبد الخالق حسونة أعرب عن رغبته في التقاعد.

وفيها وفاة سلطان مسقط سعيد بن تيمور الذي قد تنازل عن السلطنة لابنه قابوس في عام ١٣٩٠ هـ لما أطلقت عليه العيارات النارية فتنازل عن سلطنة مسقط وعُمان لابنه المذكور، وذهب للعلاج في لندن وكان عمره ٦٣ سنة.

وفيها وفاة حاكم عَمَّان بتشديد الميم والأردن طلال بن عبد الله بن الحسن بن علي الشريف جلس على العرش بعد وفاة والده الملك عبد الله وزار المملكة السعودية وكان الحظ لم يساعده بحيث أنه لما سمع بوفاة والده سار من فوره من لندن إلى الأردن فجأة لأن حكومة بريطانيا لا ترى توليته على العرش بسبب حالته العصبية كذا يقولون على حسب تقريرها ولكن سرعان ما سمع بوفاة والده حتى قدم إلى الأردن وتوج ملكاً بعده وكان محباً للعرب وله ميل إليهم ومحبواً لدى العشائر البدوية في الأردن والعرب لأنه يميل إلى التحرر من نفوذ الإنجليز والتخلص من سيطرتهم خاصة فيما يتعلق بالجيش فلما وصل إلى العرش بعد

مقتل أبيه حاول تنفيذ سياسته العربية فعارض كثيراً من المشروعات الإنجليزية وخالف أمورهم السياسية وتقرب إلى جيرانه من الدول العربية فقام بسلسلة من الزيارات للملوك والرؤساء وكان الوقت لم يحن للتخلص من استعمارهم فأحست بريطانيا بخطر هذه السياسة على مركزها ونفوذها في الأردن، فعملت على خلعه وتولية نجله الحسين وذلك بعدما تبوأ العرش بستين، وكانت وفاته عن عمر يناهز الثانية والستين وعلى من أحب ترجمته مراجعتها في أواخر سنة (١٣٧٢هـ) فالله المستعان، وكانت وفاته على قرب من وفاة عمه زيد بن الحسين بن علي بحيث كان زمن وفاتهما متقارباً فرحمة الله على أموات المسلمين.

وفيها في أواخر ذي الحجة قام الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بزيارات تفقدية لكل من المدينة المنورة وحائل والقصيم فقامت الأمة في تلك النواحي والمناطق تبدي فرحها وسرورها لقدمه وزينت الشوارع الرئيسية بأقواس النصر وأنواع الزينات وقد أحب أن لا يكلف الأهالي بالولائم والخسائر وأنواع الأطعمة فتنفيذاً لطلبه ونزولاً على رغبته توجهت الأمة إلى هذه التوجيهات والتعليمات وسنذكر زيارته للقصيم في مستهل السنة القادمة إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة (١٣٩٣هـ)

في هذه السنة تكشف الخطر الذي تتيته روسيا لأفغانستان وبدأت الخطوات الشيوعية تتحدى شعور المسلمين فقام ابن عم الملك داود خان على ابن عمه الملك ظاهر شاه وخلعه عن العرش بمساعدة ومؤامرة من الروس الذين لا يزالون يغزلون للمكر بالإسلام وأهله كما فعلوا في التركستان، فقد قتل الشيوعيون في التركستان عام (١٩٣٤م) مائة ألف مسلم وبعدها بخمس سنين ألقت روسيا القبض على ٥٠٠ ألف مسلم فأعدمت فريقاً وأرسلت فريقاً آخر إلى مجاهل سيبيريا وبعدها بإحدى عشرة سنة قتلوا سبعة آلاف مسلم ونفوا ثلاثمائة ألف مسلم وعرب من التركستان نتيجة الأذى والتعذيب مليونان ونصف مليون مسلم

ومات ثلاثة ملايين تركستاني جوعاً نتيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد وفي سنة (١٣٥١هـ) أُلقي القبض على ثلاثة عشر ألف مسلم وخمسمائة وخمسة وستين وأودعوا المعتقلات وهدمت المسجِد وحولت إلى دور للهو بحيث بلغ مجموع المساجد التي هُدمت وحولت إلى غايات أخرى في التركستان ستة آلاف مسجِد وستمائة واثنين وثمانين ما بين جامع ومسجِد وقتلت رجال الدين واستأصلت العلماء الدينيين وحكمت على اثني عشر عالماً دينياً بالأشغال الشاقة في يوغسلافيا وكان عدد المدارس والكتاتيب التي أُقفِلوها في التركستان يبلغ ٧٠٥٢ وهدم جامع ابن قتيبة وجامع الأمير فضل بن يحيى وغيرها ومساجد أثرية مثل منارة مسجِد كالان في مدينة بخارى ومات من (١٩٣٢-١٩٣٤م) ثلاثة ملايين تركستاني جوعاً.

وفي هذه السنة فوجئت أفغانستان بالدبابات والطائرات الروسية وتزعّم نور محمد تركي الذي قام بانقلابه بعد ست سنوات من هذه السنة وانتشر الفساد والفوضى واشتد هياج الشعب المسلم وانحاز المجاهدون إلى الجبال يعملون على إسقاط حكومة كابل الشيوعية مما أضعف موقف الضباط الشيوعيين وأجأهم إلى تصعيد المعركة مع الشعب المجاهد الذي عز عليه أن يرى الإسلام يذبح في بلده وبذلك وقعت البلاد تحت الاحتلال الروسي وحققت روسيا حلمها الذي كانت تعمل لتحقيقه منذ أمد بعيد. وذلك بعد هذه بسبع سنين أي في صفر عام (١٤٠٠هـ) وغزت أفغانستان ودمرت المنشآت واعتدوا على النساء والأطفال وقتلوا الأبرياء العزل بالأسلحة الممنوعة دولياً بحيث قتلوا زهاء مليون من شعب أفغانستان الذي قتل أهله في أرضه وهذا الاحتلال تمّ بخيانة الشيوعية القذرة الذين يلاحقون دين الإسلام ملاحة بواسطة الذي تولى كبره منهم وانسلخ من دينه وأمه ولقد عرف الأفغانيون بشجاعتهم وبلائهم في القتال وصبرهم على خشونة العيش كما عرفوا بتمسكهم بالإسلام وآدابه وحرصهم على استقلالهم وحرّيتهم وما زالت حكومة كابل المدفوعة من قبل الروس ودباباتها وطائراتها بهم حتى قتلوا من رجال أفغانستان زهاء مليون وشرّدوا أكثر من مليونين كلهم يتسببون إلى

الإسلام لجأوا إلى باكستان ليعيشوا في خيام، وهكذا فعل الروس بالمسلمين ولقد استطاع المجاهدون أن يكبدوا روسيا خسائر وقتلوا منها ثلاثين ألفاً ودمروا ثلاثة آلاف دبابة وقد حكم أفغانستان منذ القرن الثاني عشر أمراء محليون آخرهم محمد ظاهر الذي تولى الملك منذ (١٣٥١هـ) حتى الانقلاب العسكري في هذه السنة، منهم أمان الله خان الذي تولى البلاد وهي تحت حماية بريطانيا فاستل سيفه في يوم ٧ مايو عام (١٩١٩م) في الميدان العام أمام الجمهور وأعلن أنه لا يعيده إلى قرابه حتى يعيد لبلاده استقلالها الكامل وسيادتها التامة ثم أرسل على الفور إنذاراً إلى الحكومة البريطانية يطلب إلغاء معاهدة راوول بندي المعقودة مع جده ولما رفض الإنكليز إجابته إلى طلبه أعلن الحرب عليهم وأمر جيشه بقيادة السردار محمد نادر خان بمنازلتهم فوقعت معارك قصيرة انتهت بإجابة الحكومة البريطانية له وخضوعها لطلبه وسيأتي لذلك بقية إن شاء الله.

نشاط التعليم

قد أقبل فتیان المملكة السعودية وفتياتها على التعليم حتى بلغ مستواه، وفتحت الحكومة زيادة مدارس للبنات إضافة إلى ما تقدم وارتفعت ميزانيات المدن السعودية بحيث بلغت ميزانية الدولة اثنين وعشرين ألف مليون وثمانمائة ألف ريال.

زيارة الملك للقصيم

قد تقدمت الإشارة إلى ذلك، وفي غرة محرم قامت مدينة بريدة تسعد بزیناتها لقدم خام الحرمين الشريفين الملك فيصل بن عبد العزيز وهبت الأمة وجلبت جمع التجارين لعمل أقواس النصر المزدانة بهياكلها مكسوة بفاخر القماش وأنواع الأصباغ واشترك في هذه الفرحة الأهالي والأجانب ممن يسكنون القصيم من الیمینین والمصریین والفلسطینیین حتى بلغت أقواس النصر المقامة في مدينة بريدة التي اختار الجلوس فيها خمسة وثلاثين منورة باللمبات الكهربائية وكان في إحدى

هذه المقامة ستمائة لمبة ورفع عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله والسيوف والنخلة وكتب عليها رموز من الكلام المعبر عن الفرحة والسرور من مطار القصيم في المليداء إلى آخر فيحان جنوباً ورفعت الأعلام الخضراء في أعالي البيوت والمرتفعات. ولما أن كان في اليوم ١/٩ خرجت أبناء المدارس من سائر مدن القصيم فصفت صفين على ضفتي الشارع العمومي في مدينة بريدة من قصر الإمارة إلى مسافة سبع كيلو شمالاً ولكل مدرسة لواء أخضر ولائحة ولما أن كان في الساعة الرابعة تزيد عشر دقائق غروبياً من صباح يوم الاثنين توافق العاشرة زوالي قدم بسياراته يتقدمها سيارات الحرس وسيارات اللاسلكي الغارقة بالمدافع والرشاشات وكان الموكب عظيماً وكان قدومه من طريق حائل شمالاً وحينما وصل إلى قصر الإمارة يخترق الصفوف لتحية الجمهور في ساعة كانت العاصمة غاصة بالخللايق حاضرتها وباديتها في وقت كانت آيات الكتاب تتلى من كل دائرة قريبة يتقدم المستقبلين أمير المقاطعة فهد بن محمد بن عبد الرحمن عن يسار الملك فكان يتلقى جموع المستقبلين بصدر رحب وامتلات الآفاق بالتصفيق، وبعدما أخذ راحته خرج إلى خيمة في المليداء وكان أعد له هناك سرادق عظيم دعي له سائر مدن القصيم والقرى وأقام له الأمير فهد بن محمد مائدة عظيمة وخيماً في قصر الفائزية دعي لها الأعيان والرؤساء لتناول طعام العشاء وأقام في الفائزية مناورة استعراض حضرها المدعوون بحيث نحر فيها عشر جزور وذبح لها مائتين وثلاثين كبشاً وامتلاً الفضاء بالسيارات حتى كانت ممتلئة بالخليقة وأنوار الكهرباء قد حولتها في ظلمة الليل كرابعة النهار وعاد إلى خيمه بالمليداء الذي أقام فيه الأهالي حفلاً عظيماً لم تشهده تلك الفيا في قبل ذلك وأقيم هناك استعراض بعد العصر من يوم الثلاثاء إلى غروب الشمس شارك الأمراء فيه الأهالي حتى كانت قاعدة المليداء في كثرة من اجتمعوا فيها وما نصب فيها من الخيام كمنى في الموسم ولما أن كان في صباح يوم الأربعاء سار في الساعة الثالثة والنصف متيمماً الجنوب بموكبه إلى الرياض وكان لم يزر بقية مدن القصيم اعتماداً على ما وجهه من أن الاجتماع في العاصمة.

وفيها انتهت عمارة المسجد الحرام بعدما امتدت ١٨ سنة وشركة بن لادن تكابد تلك الأعمال الشاقة فأصبح المسجد الحرام منظره زاهراً وله روعة عظيمة في تلك البناية الضخمة وقد أقيم من طابقين بإتقان عظيم وفي كل ركن من أركانه الأربعة منارتان عاليتان بارتفاع ٩٠ متراً سوى الشرقي الجنوبي فواحدة بهذا كانت سبع منارات ولها منظر حسن وبلغت مساحة المسجد الحرام بعد هذه التوسعة ١٦٨, ١٦٠ متر مربع وكانت مساحته قبل هذه التوسعة ٢٩١٢٧ وبلغت النفقات التي بذلت من خزانة الدولة السعودية لهذه العمارة والتوسعة أكثر من ٧١٠٠٠٠٠٠٠٠ تقابل هذا العدد من الدولار ١٨٠٠٠٠٠٠٠٠ وقد أقيمت رموز من العمارة التركية وهي أول ما يحيط برحبة المسجد الحرام تقديراً لمن قام بتلك العمارة القديمة وقد جعل ميادين حول المسجد الحرام تتسع لأربعة آلاف سيارة وبذلك أصبح المسجد الحرام يتسع لأكثر من ٥٠٠٠٠٠٠ مصل وكذلك المسعى الذي كان يبلغ عرضه عشرين متراً مقسوماً بفواصل للذاهب والآيب ولعربات الركوب على طرفي الجدار الفاصل طرق تليق بها وهذا بعدما كان المسعى شارعاً ضيقاً زمن الإشراف غير مرصوف بل نائر الغبرة.

حادثة غريبة ونادرة عجيبة

حدثنا الثقات من المصريين ومن بينهم رجال التعليم أنه لما دفن الرئيس جمال عبد الناصر في مسجده الذي عينه لقبره وسوي عليه القبر ظهرت رائحة كريهة صبيحة رابع من دفنه ففتبعوها فوجدوها تخرج من القبر فاضطرت الأمة إلى كشف القبر ليقضوا على تلك الرائحة فوجدوا خمس بواليع تجري بأوساخ الحمامات على جثمانه ولم يكن وحواليه مجاري لكن القدرة الإلهية ساقتها إليه فأصبح ضريحه كنيفاً منتناً فنقل إلى قبر آخر وهذا عكس ما يعامل الله به أوليائه وأهل طاعته حيث توجد رائحة المسك والريحان من بعض العقود ونحن لا نريد مسببة الموتى فقد أفضوا إلى ما عملوا ولكننا نسوق الأمور على حقائقها.

وفيها في فجر يوم الثلاثاء ٣/٧ هجمت اليهود على الفدائيين في لبنان بأن نزلت طائرة من طائرات اليهود في أراضي لبنان فقتلوا وجرحوا أناساً في مخيماتهم وهم نائمون ومن بين هؤلاء القتلى ثلاثة زعماء من رؤساء الفدائيين استطاعت اليهود بجواسيسها وبخاشيشها واستخباراتها الوصول إليهم وأصيب معهم أناس آخرون مدنيون فجزعت لبنان لذلك وجزع العرب لانتهاك أراضي لبنان وبعثت لبنان شكاياتها إلى هيئة الأمم ومجلس الأمن ولكن تلك الشكايات ذهبت أدراج الرياح ولم تتلق اليهود ردعاً وكانت اليهود مع غيضا تحتج على أنهم مخربون وستبعمهم في أعشاشهم.

انتهاك العراق الحدود الكويتية

لما كان في ٢/١٥ من هذه السنة الموافق ٢٠ مارس نيسان الموافق ليوم الثلاثاء اعتدت العراق على الكويت بهذا الاعتداء الذي لا مبرر فقامت الحكومة السعودية وفاء بحسن الصلات بين البلدين وبعثت أربعين لواء لنصرة الكويت ودرء المعتدين فسكتت التحركات وتراجعت الحكومة العراقية وذلك لما استمر الخلاف إلى ١٣٩٣/٢/٢٩ هـ ولولا ذلك لأصبحت العراق تسوم جارتها الخسف وقد تكرر ذلك الاعتداء من العراق على الكويت كما قدمنا أما ما كان من حكومة عدن فإنها تظهر العداء من وراء الستار للحكومة السعودية ولم تأل جهداً في التأثير عليها بالسب والشتم وما إلى ذلك ولكنها باءت بالفشل ولم تحصل على طائل وذلك لأن هناك من يدفعها للتحرش ولكن السعودية قد اتخذت الحيلة واستعدت للطوارئ ولما أن كان في أوائل شعبان أي بعد هذه الحماية للكويت بخمسة أشهر هجم أناس ينتمون إلى الفدائيين على السفارة السعودية في باريس فقبضوا على رجال سعوديين فيها وحملوهم بطائرة تحت الإرهاب والعسف يهددونهم بالسلاح فوفق أن قبضت الحكومة الكويتية على المختطفين وأرغمتهم على الاستسلام وعملت على تخليص السعوديين لتكافئ السعودية عن بعض معروفها وإحسانها ولا ريب أن هذا العمل

الذي حصل من الفدائيين عمل إجرامي كما قال الله في محكم كتابه: ﴿وَلَا تُزْرُ
وَارِزَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ والذي حدى بهم إلى ذلك هو أن فدائياً قد قبضت السلطات
الأردنية عليه وزجته بالسجن فعمل الفدائيون هذا التصرف لترغم الحكومة
السعودية حكومة عمان على إطلاق سراح صاحبهم وبما أنه مشتبه في أولئك
الفدائيين فإنها لا تخلو المسألة من دسيمة يهودية لتشوش على العرب مؤتمر القمة
الذي عقد في الجزائر في أوائل شعبان المذكور، أما ما كان عن ياسر عرفات فقد
تنصل من أن يكون ذلك العمل قد صدر من أتباعه.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها وفاة رجل الدين والفضل صاحب السمو الأمير عبد الله بن محمد بن
عبد الرحمن آل فيصل أخي أمير منطقة القصيم ابن عم الملك فيصل رحمه الله وعفا
عنه وذلك على إثر جلطة أثرت عليه وأذاع الديوان الملكي ما يأتي: في تمام الساعة
الثامنة والنصف من صباح أمس الثلاثاء ١٤/٣/١٣٩٣ هـ حسب توقيت المملكة
المحلي انتقل إلى رحمة الله تعالى صاحب السمو الأمير عبد الله بن محمد بن
عبد الرحمن على إثر نوبة قلبية عن عمر يناهز الخامسة والخمسين والديوان الملكي
إذ يعلن ببالح الأسى فقد رجل كبير وبارز من أفراد الأسرة يرجو من الله سبحانه
وتعالى أن يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه وإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد شيع
الجمهور في مدينة الرياض جثمان الأمير عبد الله وحضر تشييعه الملك فيصل وعمه
عبد الله بن عبد الرحمن ومحمد بن عبد العزيز وخالد بن عبد العزيز والعلماء
والأمراء وكبار المسؤولين وجمع كثير من المواطنين وصلى عليه في الجامع الكبير
وساروا به إلى قبره وأثنى عليه العلماء لصلاحه ونزاهته وورثه وزير المعارف حسن
بن عبد الله بن حسن بكلمة عدد فيها محاسنه وأنه كان مثلاً صالحاً تتجلى في سيرته
وأعماله كل الفضائل التي يتمنى المخلصون لو استطاعوا إلزام أنفسهم بها وختمها
بقوله وأدعو الله أن يجعله مع الأبرار وأن يجبر المصيبة برحيله وإنا لله وإنا إليه

راجعون. وقد حدثني عنه أهل الخبرة بأنه موسوم بالصلاح والزكاء والعفة والديانة وأن جاهه مبذول لقضاء الحاجات وتفريج الكربات وله عطف على الفقراء والمحتاجين وهذه دمة رثاء قالها محمد بن عبد الرحمن السديري أعربت عن بعض خصاله وأفعاله الحميدة التي استحق بها الثناء والمديح رحمه الله:

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| أنا الصبح نعيك والرثاء | فلا عاد الصباح ولا المساء |
| فقدنا فيك عبد الله شهماً | سجاياء الرجولة والوفاء |
| كريم كان ذا خلق عظيم | وفياً حين قلّ الأوفياء |
| رأيت الناس تبكي من قلوب | وبعض الناس أدركه العياء |
| رأيت الأكرمين تحف نعشاً | ويحمله الرجال الأقوياء |
| فأنت اليوم منهم كل قلب | وما في القول كذب أو رياء |
| سيبك الضعيف بكل دمع | فأنت ملاذه أنت الرجاء |
| تفرج همه وتزيل كرباً | تواسيه إذا اشتد البلاء |
| وما للناس غير الذكر باق | وذكراك السماحة والثناء |
| يصب الله رحمته بقبر | لعبد الله تمطره السماء |
| نعزي فيك إخواناً كراماً | وأبناء لنا فيهم عزاء |

ونشرت عنه الصحف ثناء حسناً فقالت إحدى الجرائد كانت الفاجعة بموته كبيرة جداً وكانت الخسارة بفقدانه فادحة مؤلمة ذلك لأنه لم يكن لنفسه ولم يكن لأشخاص معدودين فقد كان للجميع نعم الأب والأخ والصديق وكان للبلاد ذلك الرجل الذي يحرص على توقيف كل خير لها كما كان هكذا في خدمته لبلاده وأبناء وطنه، ومن هنا بكاه كل الناس وخصّوه بأحاديثهم عن فضل الرجل وإنسانية المفقود، قال الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل يرثاه بهذه القصيدة ولا ريب أن ثناء الناس شهادة بفضله كما أشار إلى ذلك الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

مال البرايا للمصير مؤكدة وأن المنايا للنفسوس بمصرده

ولكنها الآجال في اللوح قدرت
مضى الشهم عبد الله ذو النبل والوفا
عضيد النضال بن الإمام بن فيصل
من الصيدهم آل السعود لوامع
لهم في عريق المجد أصل فروعه
لهم في سبيل الحق نبل مواقف
على المنهج الأقوى وأنوار دعوة
ذباد وصبركم به الله قد حمى
فمن ينصر الرحمن يسعد بنصره
ومن أعظم الأرزاء فقدان ماجد
مضى الشهم عبد الله وهو مودع
فكم أدمع فضات بيوم رحيله
لفقد تقى أريحى مهذب
صبور وقور ناصح متواضع
سخي ببذل العون والجاء والندى
وأن السجايا الطيبات لها البقا
فهبه إله العرش عفواً ورحمة

لموعدها الحتم المسمى المحدد
سمو الأمير ابن الأمير محمد
إمام الهدى الليث الحسام المهند
طوالع يمن قد تجلت بأسعد
تسامت بعز وافتخار وسؤدد
وصدق جهاد بالإله مؤيد
إلى الحق والرشد المبين المحمد
حمى الأمن والإسلام من كيد معتد
كما جاء بالذكر الحكيم الممجّد
أخي همة عليا بسعي ومقصد
بحر الأسى بين الجموع بمشهد
وأشجان أحزان بلطت بأكبد
وفي صفى صالح متعبّد
أكيد إخاء طيب النفس مسعد
بحسن اهتمام بالغ وتجهّد
مدى الدهر بالذكر الجميل المخلّد
وحسن مقرر في النعيم المؤبّد

وفيها في جمادى الأولى جرى تبادل الأسرا بين العرب من جهة وبين اليهود من
جهة أخرى فأعيد ستة وخمسون أسيراً من العرب إسرائيليين ولبنانيين مقابل ثلاثة
طيارين من اليهود.

ذكر كارثة في معرض باريس

لما كان في يوم الأحد ثاني جمادى الأولى كانت طائرة سوفيتية من طراز أسرع
من الصوت تقوم بمناورات أمام رواد المعرض الدولي إذ انفجرت فجأة وتحولت

إلى شعلة من النيران ثم سقطت وهي تحترق فوق الشارع الرئيسي في إحدى قرى باريس وقد توفي في الحال جميع أفراد طاقم الطائرة وقام رجال الشرطة والإطفاء بين حطام الطائرة وذكروا أنهم انتشلوا ثلاثين جثة منها في غضون ساعتين وأن خمسة عشر منزلاً في قرية قوسين قيل قد دمرت عن آخرها كما تضرر أكثر من خمسة وثمانين منزلاً وقد سقطت الطائرة بالقرب من إحدى المدارس التي لم يكن فيها أحد من طلابها كما دمر جزء من حطامها مركزاً للشرطة في الشارع الرئيسي للقرية وقد حاصرت سيارات الشرطة منطقة الحادث بينما كانت طائرات الهليكوبتر تقوم بنقل جثث القتلى وكذلك الجرحى وكانت الطائرة ضخمة جداً قام قائدتها برفعها حال استعراضها لكي يراها الناس ويتمكنوا من رؤيتها بعد انخفاض من سرعتها وذلك استعداداً للهبوط ولكنها بدلاً من ذلك انتكست على رأسها وهي على ارتفاع ألف قدم من الأرض ثم وقع بداخلها انفجار هائل تلته ألسنة كثيفة من اللهب الأحمر والدخان ثم انفجرت مدوية كالقنبلة.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها ولدت امرأة في أمريكا ستة أولاد ثلاثة ذكور وثلاث إناث وسلمت هي وأولادها فكانوا يتمتعون بصحة، وقالت الرواة أن أجسام أولئك المواليد كانت صغاراً، أما عن صفة وضعها فقد أجريت لها عملية وقد نشرتها الصحف للعالم، قلتُ ذكر ابن القيم رحمه الله عن أرسطو أنه قد يعيش للمرأة خمسة أولاد في بطن واحد. قال: فحكى عن امرأة أنها وضعت في أربعة بطون عشرين ولداً، ثم نقل عن صاحب القانون أنه قال سمعت بجرجان أن امرأة أسقطت كيساً فيه سبعون صورة صغيرة جداً ونقل عن أرسطو أنها إذا توأمت امرأة بذكر وأنثى فقلما تسلم الوالدة والمولود، وأما إذا توأمت بذكرين أو أنثيين فإنها تسلم وقد أجرى الله العادة بأنها إذا توأمت بذكر وأنثى فإنها قلما تسلم إلا نادراً، وفي أحد أيام جمادى الثانية أصيبت طائرة تابعة الخطوة (أوزارك) بصاعقة فانشطرت إلى عدة قطع بعد أن

ارتطمت بمنزل خال من السكان فهلك من ركبها ثلاثة وثلاثون راكباً وأصيب القائد بجروح خطيرة وذلك في ٢٥ من الشهر المذكور، وتحطمت طائرة أمريكية من طراز بيج ٧٠٧ فتم إنقاذ ١٦ جثة لم ينج منهم سوى واحد ولم يستطع رجال الإنقاذ التوصل إلى بقية جثث البقية من ركبها وملاحيها البالغ عددهم ٧٩. وفي أوائل ربيع الأول من هذه السنة سقطت طائرة بريطانية فانقسمت إلى شطرين واندلعت فيها النار وكانت تحمل مائة وتسعة وثلاثين راكباً وسبعة ملاحين وذلك بالقرب من (بال) في شمالي غربي سويسرا وهلك من ركبها قائد وعشرة ركاب ونجا أربعون ولكن عدداً كبيراً من الناجين قد أصيبوا بجراح خطيرة وسبب سقوطها أنها لما اقتربت من المطار وسط ثلوج كثيرة وقد تجاوزت الطائرة المهبط المخصص لها سقطت في منطقة جبلية وقد عرقلت الثلوج عملية الإنقاذ وكانت لما انقسمت إلى شطرين اندلعت النيران في جزئها الأمامي وكانت الرؤيا سيئة جداً.

ومن الحوادث أيضاً أن طائر بونج ٧٠٧ كانت في طريقها في رحلة مقررة تحمل ٧٩ شخصاً قد تحطمت بعد قليل من إقلاعها وأسباب ذلك راجع إلى أن الزجاج الأمامي للطائرة قد انفجر وأن الكابتن طلب المهبوط كإجراء عاجل فسقطت في البحر وتم انتشال ثلاث جثث من البحر كما تم نقل شخص رابع أصيب بإصابات بالغة إلى المستشفى أما المضيعة فيها فبعدما تم إنقاذها توفيت متأثرة بجراحها والطائرة تابعة لشركة (بان أميركان).

وفيها حدث انفجار شديد في سيبيريا وقد سجل مركز هناك لرصد الزلازل أن هذا الانفجار الشديد يعد أقوى الانفجارات وبلغت قوته أول درجة وكان ذلك في الساعة الواحدة صباحاً والدقيقة ٢٩ من ٢٢ يوليو.

وفيها كسفت الشمس قبل صلاة العصر من اليوم ٢٩/٥ وخسف القمر في آخر ليلة الاثنين ١١/١٥ من هذه السنة ومما يجدر بنا ذكره تساهل الناس في شأن الكسوف وجعله من قبل الحسابات التي لا يتأثر لها حتى قال الأستاذ محمد رشيد رضا ليس الكسوف والخسوف من المصائب أو من أسبابها كما يتبادر إلى فهم

العامي من عبارة ابن القيم رحمه الله بل هما داخلان في معنى قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ولذلك يعرف أوقاتها الحاسبون من علماء الفلك ويحرونها قبل وقوعها مضبوطة بالدقائق والثواني ويذكرون في تقاويمهم السنوية ما يقع في كل سنة منهما إلى آخر كلامه نعم ذكر المشرع عليه الصلاة والسلام أنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنه قام يصلي خائفاً وقال «إذا رأيتموها فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم» فوجب متابعتة ﷺ وجوباً في الوجوب واستحباً في الاستحباب وأن نفعل كما فعله.

وفيهما قامت الحكومة السعودية بهذه الجهة الكائنة إلى الغرب من مسجده ﷺ وذلك لتوسعة المسجد النبوي حيث كان يضيق بكثرة المصلين رغم ما قامت به أولاً في سنة ألف وثلاثمائة وأربع وسبعين فأمرت بتقويم البيوت والدكاكين لهذا الغرض وشرع العمال في مستهل ربيع الثاني من هذه السنة بالدركتورات والمعدات فما أن استهلجت جمادى الثانية حتى أصبحت تلك المساحة الواسعة قاعاً صفصفاً وتقدر بمساحة المسجد مرتين وأقيمت فيها مظلات هندسية لوقاية المصلين من الشمس والأمطار وقد تضيق في الجمع بمن كان فيها.

وفي هذه السنة أراد العرب أن يضربوا دولة اليهود ضربة تتجلى تلك الظلمة منها لأنهم سئموا من اليهود وملوا من إرهابهم ومعاملتهم السيئة لجيرانهم كمصر وسوريا ولبنان وليغسلوا أدران هزيمة ٥ يونيو سنة (١٩٦٧م) ولا سيما ذلك الهجوم الذي قدمنا من انتهاكهم حرمة لبنان وكان ذلك الهجوم أن مظليين من اليهود قد هبطوا من طائرة يهودية على أحد الشواطئ الرملية في أواخر ليلة الثلاثاء ٣/٧ فانتشروا ممتطين سيارات في شوارع بيروت فجرت معارك مع رجال الأمن والجنود اللبنانيين ولا ريب أن هذه خطة مدروسة بين العدو وبين عملائه في بيروت وقامت فرقة إسرائيلية أخرى بنسف كراج في مدينة صيدا وقتل أولئك اليهود المهاجمون أحد عشر شخصاً وجرحوا تسعة وعشرين وصعدوا السلام

وقتلوا زعماء الفدائيين وهم كمال ناصر المتحدث الرسمي باسم منظمة تحرير فلسطين ومحمد أبو يوسف وكمال عدوان وقتلوا زوجة النجار المعروف أبو يوسف وكانت هذه السيارات الست التي استخدموها في هجماتهم قد عثر عليها وهي مملوءة بالدماء قد استأجرها أشخاص أجنب قبل الحادث بأيام لذلك الغرض وقد جزع العرب واستنكروا تلك الجريمة التي ارتكبتها الصهاينة وشيع أولئك الضحايا الثلاثة في بيروت إلى قبورهم في اليوم التاسع من ربيع الأول الموافق ليوم الخميس من هذه السنة في موكب مهيب محزن بصفة أن القوات الصهيونية اغتالتهم في منازلهم وعلى فرشهم بين أطفالهم وأهاليهم وقد قدم لتشييعهم وفود كثيرة من سائر البلاد العربية بحيث بلغ عدد المشيعين ربع مليون شخص بحيث لم تشهد له بيروت مثيلاً وساد جو من الصمت الحزين وتوقفت الأعمال في بيروت ونشرت صور الزعماء الفدائيين في جميع أنحاء المدينة وتناولت الصحف العربية العمل بأنه جريمة كبيرة، ثم أنه قام رجال مسلحون من الفدائيين بالتخريب وتفجير صهاريج تخزين الزيت بصيدا بعد أن أوثقوا الحراس بالحبال وكان عدد أولئك المخربين أحد عشر فلسطينياً وغير ذلك من الأحداث مما صرح به معمر القذافي رئيس الجماهيرية الليبية حيث قال أنه من الواضح أنه من المستحيل بالنسبة إلى الصهاينة أن يجمعوا عفشهم ويرحلوا من فلسطين إلا بالقوة ولذلك فإن على الفلسطينيين أن يعودوا إلى بلادهم بالقوة وأن المعركة ضد العدو الإسرائيلي هي معركة الأمة العربية بأكملها هذا وقد اشتدت المعارك بين الجيش اللبناني وبين الفدائيين الفلسطينيين وكان يسكن لبنان من اللاجئين الفلسطينيين مئات الألوف وقد قامت الطائرات السعودية بالإسعافات والأدوات الطبية إلى اللبنانيين والفدائيين من جراء الحوادث بينهم التي أصيب بها الطرفان وكانت العرب قد ضاقت ذرعاً بأعمال الفدائيين الذين جعلوا ينتقمون من العرب بحيث لم يساعدهم كل المساعدة على اليهود كما قدمنا من قبضهم على رجال السفارة السعودية وكذلك ما قاموا به من اختطاف طائرة عظيمة يابانية بينج ٧٤٧ الجامبو وسيطرتهم عليها لما أقلعت من مطارها

تحمّل ١٤٣ راكباً وتعتبر أعلى طائرة في العالم بحيث يقدر قيمتها بأربعة وعشرين مليوناً من الدولارات كان طولها سبعين متراً وارتفاعها ثمانية عشر متراً وزنتها ثلاثمائة واثنان وعشرون طناً ويمكن أن تقطع عشرة آلاف كيلو متر دون توقف بسرعة سبعمائة وخمسين كيلو متراً في الساعة وعلى متنها أربعمائة واثنان وسبعون راكباً، ولما أن أقلعت كان من بين ركابها أولئك الفدائيون فقاموا بمسدساتهم وقنابلهم اليدوية يتحكمون بملاحيتها وركابها ويهددونهم بالأخطار وكان اختطافهم لها في يوم الجمعة ٢٠ جمادى الثانية من هذه السنة وهي فوق هولندا واضطرت إلى الهبوط في مطار دبي فظلت فيه جاثمة سبعين ساعة بعد ما كاد ركابها يهلكوا جوعاً مما هم فيه من متاعب الحياة لولا عطف حكومة دبي بإسعافهم بالطعام وكان الفدائيون المختطفون لم يمكنوا أحداً من الدنو إليها وقد طلبوا تزويدها بالوقود غير أنهم لم يتحصلوا إلى على بعض الوقود هناك فأقلعت في الساعة الثامنة وسبع دقائق من مساء اليوم ٢٣ من جمادى الثانية وهذه مغامرة لم يسبق لها نظير ولما أن أرادت الهبوط في مطار بغداد مانعت الحكومة العراقية وأغلقت مطارها فواصلت الطائرة رحلتها إلى دمشق فسمحت السلطات السورية للطائرة بالهبوط في مطار دمشق ولكنها لم تلبث في المطار سوى ساعتين للتزود من الوقود ثم أقلعت مرة أخرى في اتجاه البحر الأبيض المتوسط وعندما حلّقت فوق بيروت بعثت برسالة حيث فيها هذه المرة المناضلين الفلسطينيين وقالت أن العدو سيضرب حيثما كان وشوهدت على التوالي وهي تطير فوق قبرص وأثينا اللتين أغلقتا مطاريهما في وجهها واستدارت الطائرة إلى الجنوب وشوهدت تحلق فوق مالطة ثم هبطت في مطار ليبيا وعزم الخاطفون على تفجير القنابل فيها فهرع الركاب يغادرونها وذلك بعد هبوطها في مطار بنغازي في الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم فوضع الخاطفون قبلة حارقة في كابنة القيادة فانفجرت فيها حتى أتت النيران على جميع الطائرة واشتد اللهب فأصبح جحيماً لا يستطيع أي شخص إخماده وتم نسفها وكان هؤلاء الفدائيون أربعة اثنان عريان وثالث غربي والرابع ياباني، وكانت

اليابان قد قدمت الملايين من النقود في فداء هذه الطائرة غير أن تلك الأيادي لم تقبل فداء وسلموا أنفسهم في ليبيا يوم الأربعاء ٢٥ من جمادى الثانية.

قدح الزناد والحرب بين العرب وإسرائيل

لما كان في يوم السبت عاشر رمضان وهو اليوم الذي يدعى لدى اليهود يوم الغفران ثارت الحرب بين الفريقين وقامت القيامة واستمات الفريقان لخوض المعركة بالقنابل والصواريخ والنار والحديد وكانت العرب هذه المرة مجمعين على خوض المعركة ولما وقعت الواقعة كانت اليهود تقاتل في جبهتين، واستماتت في سبيل الدفاع لأنها جعلت تقاتل مصر من جبهة وسوريا من الجبهة الأخرى، فاستمر القتال طول ذلك اليوم ودارت رحى الحرب واستمرت المعارك الجوية وبحرية وبرية وتقدمت القوات المصرية تقدماً لم يسبق له نظير وجعلت قنابلها تقصف اليهود ونجحت في عبور قناة السويس فافتحمت مراكز اليهود وأوقعت بها إيقاعاً شديداً تكبدت اليهود خسائر فادحة في رجالها ومدركاتها ودباباتها وطائراتها وكانت اليهود لم تحسب للعرب حساباً ثم أنها عبرت القوات المصرية المدرعة في عدة أماكن في القطاعين الشمالي والأوسط من القناة وأقامت مصر جسرين عبر القناة حيث أخذت السيارات المدرعة تتدفق عبر الجسرين إلى الضفة الشرقية وقد انتقل الرئيس أنور السادات إلى قيادة القوات المسلحة حينما أبلغ بتأزم الموقف وذلك لمتابعته وحتى يكون على اتصال دائم بسير المعركة وقامت القوات المصرية بقصف قواعد اليهود وأهدافها العسكرية في الأراضي المحتلة واستهدفت تلك المعسكرات لإصابات مباشرة وأسقطت مصر إحدى عشرة طائرة إسرائيلية، وقام الرئيس السوري حافظ الأسد بهجوم على المواقع الإسرائيلية وتقدمت القوات السورية واشتدت حملتها هذه المرة حتى أنذرت جميع السفن عن السير في البحر الأبيض المتوسط لأنها مهددة بالنيران والحديد وقديماً ما قيل في فضل الشجاعة:

كذلك شأن السيف إن سلّ حده يهاب ولا يخشى إذا كان مغمداً

الجبهة السورية وشدة موقعها

تقدمت سوريا وتمكنت من التمرکز في مواضع الجولان ودارت معارك عنيفة وقامت دبابتها بتحرق مواقع اليهود واحتلت عدة مواقع محصنة وجعلت بطاريات مدافعها المضادة للطائرات تصيب وتسقط واعترفت اليهود بأن القوات السورية قد استعملت دبابات تزيد على ما استعملت ألمانيا عندما غزت روسيا في الحرب العالمية الثانية، وما زالت مصر تتقدم حتى رفع العلم المصري فوق مناطق جديدة في سينا وذلك بعدما ركزت مصر ضرباتها في نحو العدو وكان وزير الدفاع في إسرائيل موشي ديان يتكهن في أول يوم من أيام الحرب بأنه بعد ست ساعات سيقضي على قوات العرب، ولما خاب ظنه أعلن بأنه بعد اثني عشرة ساعة سيقضي على قوات العرب، ولما لم يقع تكهنه أذاع بأنه سيقضي عليها قبل مضي ثلاثة أيام فلم يفلح، ولما أن أعلن القائد السوري إنذاره للسفن عن الإبحار في البحر الأبيض المتوسط أصدرت مصر تحذيراً مماثلاً للسفن في أجزاء من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وقد أقفلت مطارات دمشق والقاهرة أمام الطيران المدني اعتباراً من الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم، ولما أن جرى ذلك قامت سيارات اليهود منتشرة في شوارع تل أبيب مزودة بمكبرات الصوت تحذر السكان بالبقاء داخل المخايئ وبالبقاء بعيداً عن الشوارع وتجنب السفر إلى خارج المدينة وقامت صفارات الإنذار من الغارات الجوية تطلق بالإنذار وساد الرعب والذعر والخوف دولة اليهود وما زالت القوات السورية في قصفها وضربها حتى حررت بعض المواقع المحتلة ومنها موقع جبل الشيخ ونجحت قواتها من إيقاف هجوم العدو على مواقعها وانتقلت إلى الهجوم المعاكس واستمرت القوات العربية في تقدمها وإحرازها النصر المبين يمحرون ويدمرون طائرات العدو ودباباته وعرباته بحيث أسقطت العرب ستمائة طائرة للعدو ودمرت مئات الدبابات والعربات والمجنزرات والبطاريات والمدافع الإسرائيلية وأصبحت الطائرات الإسرائيلية محطمة على ظهر الأرض، واستمر القتال من ٦ أكتوبر (١٩٧٣هـ) حتى آخر يوم ٢٢ من

شهر أكتوبر، ولقد قامت القوات المصرية كأنها جدران مرصوفة من الدبابات والجنود واقتحمت خط برليف بسرعة لا يصدقها العقل وبنيران لم تشهد من قبل، وكان هذا الخط آية في القوة والمناعة وقد تحدث عنه بعض عارفيه أن الساتر الرملي الذي كان يحمي المواقع الإسرائيلية يتراوح ما بين عشر وعشرين متراً وعرضه فيما قيل يقدر باثني عشر متراً حتى قال عنه وزير دفاع إسرائيل أنه لا يمكن لأية قوة في الأرض أن تهدده، فقد قامت القوات المصرية وتمكنت من السيطرة الكاملة عليه وهد هذا الخط المسمى خط برليف واستولت على صحراء سيناء وتركت حطام الدبابات والقوات الإسرائيلية ملقاة على ظهر الأرض وأصبحت حالة اليهود سيئة جداً ودمرت في اليومين ٢٣ و ٢٤ من رمضان في سيناء مائة وإحدى وأربعين دبابة وعربة نصف جنزير وخمس عشرة طائرة وحطمت أيضاً خمساً وثمانين دبابة في منطقة المحور الأوسط والدفرسوار وستاً وخمسين عربة، ولما قامت فرق من سلاح اليهود الجوي صباح يوم السبت ٢٤ باختراق مجال قوات مصر الجوي في القطاع الجنوبي من الجبهة تصدت لها وسائل الدفاع فأسقطت عشر طائرات يهودية وحاول العدو بعد قليل فأسقطت له خمس طائرات ولقد تحملت اليهود خسائر فادحة من هذه الحرب بحيث أنها تكلف اليهود عشرة ملايين دولار كل ساعة وسقط من رجالها مئات القتلى والجرحى واستسلم آخرون للأسر ولقد بعثت إسرائيل في أحد أيام الحرب مائة طائرة وثمان طائرات مقاتلة فلم يرجع سوى ثمان طائرات فكلفت طيارين في اليوم الثاني فأبوا لأن النتيجة الموت المحتم وأنه إذا كان ولا بد فإنهم يفضلون القتل على الذهاب فأعدمت القيادة الإسرائيلية أربعة طيارين.

أعمال الفدائيين

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ④ **بِنَصْرِ اللَّهِ** ﴿قَامَ الفدائيون منتهزين الفرصة فحاضوا معارك عنيفة في منطقة العرقوب وأوقعوا

باليهود حتى عطلوا إذاعتها في القدس فتوقفت مدة ١٥ دقيقة واضطرت اليهود إلى الاستعانة بالبحر من محطتهم الاحتياطية وخاضوا معارك ضد العدو وقاموا بتخريبات وتفجيرات ناسفة في مستودع لقطع غيار الطائرات الحربية بتل أبيب وتمكنوا من تدمير جزء كبير منه كما فجروا عبوات أخرى ناسفة في مستودع للذخيرة تابع لطيران العدو وهاجموا مطار عكا الحربي وتمكنوا من إحداث أضرار كبيرة وفجروا عبوات ناسفة بمصنع الذخيرة في صفاء وأسفر الانفجار عن تدمير الجانب الجنوبي من المصنع وإتلاف كمية كبيرة من الذخائر وقتل وجرح عدد من العاملين وهاجموا رتلًا من دبابات العدو وتمكنوا من إلحاق خسائر فيها وكانت ساعات للفدائيين يبطشون باليهود ويدمرون وأصبحت إسرائيل محاطة من كل صوب بذئاب هاربة من الغابة مكشرة عن أنيابها لتمزيق اليهود وأبادتها وشفوا كلومهم وصدروهم وأدركوا ثأرهم من حرب ٥ يونيو حزيران عام (١٩٦٧م) الذي احتلت اليهود فيه الضفة الغربية من الأردن وسيناء وقطاع غزة والمرتفعات السورية وشردت مئات الألوف من المواطنين العرب.

ولما رأت أمريكا خطورة الموقف بعث وزير خارجيتها هنري كيسنجر رسالة برقية إلى العاهل السعودي ملك المملكة العربية السعودية فيصل بن عبد العزيز يطلب فيها منه التدخل مع الرئيس أنور السادات رئيس الجمهورية المصرية والفريق حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية لوقف القتال الدائر بين مصر وسورية وإسرائيل فأجابه الملك فيصل بهذه البرقية (معالي الوزير هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية تلقيت رسالة معاليكم المستندة إلى تقرير وردكم من إسرائيل بأن القوات المصرية والسورية تنوي شن هجوم منسق على القوات الإسرائيلية والذي بدا الاشتباك فعلاً بين القوات المصرية والسورية من جهة والقوات الإسرائيلية من جهة أخرى في البر والجو فإن معاليكم تأكد بأن البادئ بهذا الهجوم هي إسرائيل وفي اعتقادي أن هذا الهجوم هو حلقة من حلقات السياسة الإسرائيلية لتنفيذ الخطط التي رسمتها لتطبيق سياستها العدوانية ضد

الدول العربية لأن العرب لم يقوموا بأي عدوان ضد إسرائيل من تاريخ نشأتها وأن العدوان كان دائماً من قبل إسرائيل لتكسب في كل عدوان مساحة من الأرض وفقاً لمخططاتها المرسومة فإذا لم تهب الولايات المتحدة بردع إسرائيل عن التماذي في غيرها وعدوانها فسوف ينفجر البركان الهاجع حتى الآن في منطقة الشرق الأوسط وسوف لا يقتصر تدميره على المنطقة وحدها بل سيتعداها إلى حرب عالمية شاملة تصطلي جميع دول العالم بنارها على الرغم مما نصت عليه اتفاقيات عدم المجابهة بين الدول الكبرى، ولهذا فإن المسؤولية الكبرى في هذا الصراع القائم في المنطقة تقع على عاتق إسرائيل، وعلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تجبر إسرائيل على الانسحاب من الأرض العربية وإعطاء الشعب الفلسطيني حقه في أرضه ووطنه). فيصل، وبعث الملك فيصل ببرقيتين للرئيسين أنور السادات وحافظ الأسد يستنكر عدوان اليهود ويؤكد وقوف المملكة السعودية إلى جانب الجمهوريتين وهذا جواباً لمناشدة مصر الدول الصديقة والدول المحبة للسلام شجب العدوان الإسرائيلي وتأييد الموقف العربي، ثم أنه اتصل وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة السوفيت للنظر في وقف إطلاق النار وكان من حسن حظ العرب أنها قامت اليهود بطائراتها فضربت سوريا فكانت الضربة بالسفارة الروسية فيها فأصيب رجال ونساء وقامت روسيا تحتج على إسرائيل بتلاعبها بالنار وأعلنت نصرتها للعرب، كما أن الصين أظهرت تأييدها للعرب وأعلنت ليبيا وتونس والجزائر والسودان مناصرتها للعرب وقطعت جمهورية مالاجاسي علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل كذلك رئيس جمهورية إفريقيا الوسطى قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل وحررت سوريا الجولان تحريراً كلياً فلم يبق سوى جيوب للمقاومة ولولا إمدادات تدفقت على اليهود من أمريكا لما لبثت عشرة أيام إلا وقد تداعى عرشها وقضي عليها ولكنها قامت أمريكا مصرحة بنصرة إسرائيل وأنه لا بد من تعويضها أسلحة عما فقدت وتوالت شحنات الأسلحة الأمريكية على اليهود فعند ذلك هددت العرب أمريكا وهولندا بقطع البترول عنهما وفعلاً قررت

العرب تخفيض إنتاجها من البترول بنسبة ١٠٪ ثم أنها قطعت البترول مطلقاً وهذا في السعودية والكويت والبحرين والعراق وحكومات الخليج العربي وقطعت حكومة البحرين معاهدتها مع أمريكا وكان موقف السعودية حازماً. ولما أعلن بإيقاف إطلاق النار بادرت مصر لهذا المشروع بشروط قدمتها ومانعت سوريا من توقف إطلاق النار ولم توافق العراق على ذلك ولم تصوت الصين أيضاً لهذا القرار لعلمهم بأنه خديعة ومكر عياداً بالله.

خديعة أمريكا للعرب وخيانتها

كان الرئيس جمال عبد الناصر قد قال عن أمريكا بأنها أعظم عدو للعرب وشاهد هذا أنها قامت أمريكا بطائرات استكشافية وأرشدت اليهود إلى الدخول في الضفة الغربية من القتال فقامت اليهود بدبابات غنمتها من مصر في عام (١٩٦٧م) واتخذوها خديعة حتى تمكنوا من أغراضهم وحصروا الجيش الثالث في مصر وحاولت أمريكا بأن يقع الصلح على الموقف الذي اتخذ وقتاً لإيقاف إطلاق النار بحيث كانوا يراقبون حركات اليهود فلما بلغت ما أرادت أعلنوا بوقف إطلاق النار ففي الساعة السادسة تزيد اثنتين وخمسين دقيقة زوالي يوافق الساعة الثانية والنصف من ليلة ٢٧ رمضان آخر نهار أكتوبر في وقت كان جنود المظليين الإسرائيليين يتهابطون على جبل الشيخ غير أن السوريين قد اتخذوا الحيلة لذلك وأخذوا يصطادون جميع من تمكنوا منه بالبنادق والسلاح الأبيض فجرت مجابهة بين العرب واليهود بالسلاح الأبيض وحصلت معارك عنيفة في جبل الشيخ ومن سوء حظ أمريكا أن أصيب الرئيس نكسن بزوبعة شديدة تهدد عرشه بالسقوط وذلك لعزله أحد الوزراء في أمريكا من غير ما جرم فجع الشعب الأمريكي لمحاكمة نكسن والتضييق عليه ولما كان صدور هذا القرار من أمريكا كوسيلة ليعث ذلك نشاطاً في اليهود للتمكن من التمرکز بما تقف عليه أعلنت روسيا أنها ستبعث قواتها لنصرة العرب وقامت أمريكا فجهزت قوات لمصادة قوات روسيا وخشيت الأمة من وقوع حرب عالمية فصدر أمر آخر بتوقف إطلاق النار وذلك في يوم الأربعاء

٩/٢٨ في الساعة الخامسة غروبي من صباح اليوم وكانت مصر التي سارعت إلى إصدار أوامرها على القوات المصرية بإيقاف القتال أولاً فإنها لما رأت إسرائيل تدفع بقوتها لتحزز تقدماً في هذه الفرصة على المواقع المصرية فإنها قامت بمضادة تلك الأعمال السيئة وأطلقت المدافع وأرسلت الطائرات التي كانت على أتم استعداد فجرت معارك بين الطرفين في سابع وعشرين رمضان وتجلت عن هزيمة اليهود هزيمة شنيعة وأسقطت مصر من طائرات العدو في تلك الساعة ثلاث عشرة طائرة ومما يجمل بنا ذكره ويسر به المسلمون جميعاً وقوف الجيوش المصرية أمام دباباتها ومدافعها يصلون صلاة الخوف بصفوفهم المتماسكة كأنها بنيان مرصوص، ثم إنها قامت الحكومات العربية تجمع التبرعات لمصر وسوريا فكانت النساء تقدم حليها أو ترهنه لمساعدة المجاهدين وعوائلهم وتبارى المتبرعون حتى قام الأطفال يدفعون ما بأيديهم ولقد كانت السنة النيران تتصاعد في مستعمرات اليهود نتيجة القصف السوري مقابل أعمال اليهود بطائراتها على كل من مدينتي حمص واللاذقية بشمال سوريا بحيث لم تتورب اليهود عن ضرب النساء والعمال الذين يعدون بالمئات وقد استشهدوا فقابلتها سوريا بمثل عدوانها فضربت بطائراتها معمل تكرير البترول في حيفا وقصفت وأشعلت النيران فيه وبما أن العرب أعلنوا نصرتهم للمجاهدين فقد أعلنت إسبانيا دعمها ومصادقتها للعرب، وأعلنت الباكستان ذلك واستمرت الأحوال هائجة مائجة فلا العرب استطاعوا القضاء على اليهود لتضخم الموقف لمساعدة أمريكا لحليفها ولا اليهود تراجعوا عما استولوا عليه عام (١٩٦٧م)، ولئن كانت العرب أمدت مصر وسوريا بمئات الملايين فإن أمريكا بذلت لليهود ما في استطاعتها من السلاح والنقود والرجال وهذا لثالث مرة تخون أمريكا العرب وتخذلهم.

فشل المؤتمر الذي سعى به كيسنجر

لما كان في يوم الجمعة ١١/٢٧ الموافق ٢١ ديسمبر كانون أول (١٩٧٣م) عقد مؤتمر السلام في جنيف وحضره رؤساء ومندوبو الدول العربية وحضر لذلك

مندوب إسرائيل وكيسنجر وزير خارجية أمريكا ومندوبو روسيا وغيرهم واستمرت المناقشات والمفاوضات بينهم وبين كيسنجر وبدت علامات الفشل لذلك المؤتمر وذلك لسوء نوايا اليهود ومؤيديهم فكانت سوريا لم تحضر المؤتمر ولم تنخدع لعقده ولم يرق لها ذلك وفعلاً فشل ذلك المؤتمر.

استدراك لما فات

قد ذكرنا وفيات الأعيان في هذه السنة، ومن توفي فيها مالك بن نبي بضم النون قالت عنه إحدى الصحف الصادرة من مكة المكرمة لقد فقد الفكر الإسلامي أحد قاداته وبناته وذلك هو الباحث الكبير الأستاذ مالك بن نبي صاحب المؤلفات الإسلامية لما عرف عنه، وكان لوفاته صدى حزن عميق في أوساط الفكر الإسلامي لما عرف عنه الفقيه من باع طويل في البحوث الإسلامية وكثرة مؤلفاته التي سدت فراغاً كبيراً في المكتبة الإسلامية وكان الفقيه الكريم قد أدى فريضة الحج في عام (١٣٩١هـ).

وفيها في يوم الأحد ٣/ ١٠ وفاة طه حسين عن عمر يناهز ٨٤ في مصر، وقد وصفته بعض الصحف العربية والأجنبية بالذكاء والأدب وسمته فقيه العرب أو عميد الأدب العربي. وكان قد درس في الأزهر ثم في الجامعة المصرية ثم دخل إلى فرنسا وأخذ يدرس في العلوم العربية وألف عشرات المؤلفات في الأدب والتاريخ وقد رماه رجال العلم الشرعي في عقيدته وكان له ذكاء حاداً ومعرفة في الأدب اليوناني ومن أشهر كتبه (الأيام) وهو في جزأين وكان يدعى بالدكتور، وقد ترك له ذكراً في الأمم الذين يجذبون أدبه، أما عن البيان عن حقيقته فإنه ملحد زنديق فيلسوف أعمى القلب والبصر وإنما نبهنا على إلحاده وفلسفته لأن لا ينخدع مغفل بضلالته نسأل الله السلامة والعافية.

وفيها صدرت الفتوى الشرعية من دار الإفتاء بالملكة العربية السعودية في جواز السعي في سطح المسعى وأن الهواء له حكم القرار، وهذا للحرص والمشقة

بحيث كان حجاج بيت الله يعانون مشقة في الازدحام أيام المواسم فلمنع المشقة والحرج وقعت الرخصة وكان في تصميمه قابلاً للسعي لحسن تصميمه ويلاحظ أنه لا بد من استيعاب ما بين الصفا والمروة.

وفيها لا تزال الاصلاحات مستمرة في المملكة فمن ذلك صدور الأوامر ببناء أكثر من ثلاثين مدرسة ما بين ابتدائية ومتوسطة في القرى والمناطق تتكلف بقدر عشرين مليوناً كما أن طريق حائل الذي يربطه بالقصيم انتهى عمله، وبنية الهاتف الآلي في كل من بريدة وعنيزة قد أوشكت على الانتهاء وكانت أية في التصميم ولا تزال عمال المواصلات تواصل سيرها في سفلة طريق الطائف إلى جيزان وقد قسم إلى ثمانية أقسام بحيث بلغت تكاليفه ألف مليون ومائة مليون واثنين وتسعين مليوناً وكانت مسافته سبعمائة وأربعة وتسعين كيلومتر وكانت مؤسسة بن لادن تقوم بإرسال طائرتين عموديتين لتلبية الطلبات ونقل الحالات المستعجلة لهذا العمل الشاق ذلك لما يتطلبه من الصعوبات وردم أنفاق طويلة تضاء نهاراً وليلاً بالكهرباء.

أما عن مدينة حائل فقد حظيت بنهضة رائعة في أيام الأمير فهد بن سعد بن عبد الرحمن وبعده ابنه سعد بن فهد فأقيمت البيوت الحجرية والفلل ودوائر الحكومة وشقت فيها شوارع واسعة واتسعت رقعة العمران فيها.

رحلتنا إلى حائل

قمت بزيارة لحائل في أواخر سنة (١٣٩٣هـ) وكان في صحبتي أناس من طلاب العلم والوعاظ والمرشدين وكان فيما وجدنا فيها أن مساجدها كانت عامرة بالصلوات الخمسة والأذان وتلاوة القرآن، وفي المساجد على العموم دورات المياه متوفرة ومما عجبت له أن الأئمة فيها من ذوي الأمانة والعقول والنهي، ومن جملة أصحابنا الشيخ عبد الرحمن الحمد الحطيلي في أناس آخرين وبما أن الوقت شديد

البرودة لأن يوافق ٢٠ القوس ٥ الإكليل فإننا لقينا من الأحبة فيها كل عطف وإكرام وقبولاً للموعظة وتبادلنا الحديث والبحث في المسائل العلمية وذهبنا إلى موضع عقدة المعروف فيها فنقول عقده عبارة عن ساروت بين جبال قائمة كالحيطان منتصبة يتخللها وادي فيه بطحاء نقية على ضفتي الوادي نخيل قائمة بمنظر حسنة في خضرتها ونجد في أقاصيها إذا دخلناها مع منشق بين جبالها ضيق بقدر ثلاثة أمتار تقريباً إلى جهة الغرب مياها تنزل في أوقات السيول منصبة جارية تذكر بالنيل والفرات وهي في جريها عجيبة المنظر متدفقة كأحسن ما يكون فإذا نزلت من بين الجبال وقفت لتنزل في تلك البطحاء فيتخلل خلجان الأرض ذاهبة إلى تلك الآبار وبطون الأرض تحدها بقدره الله تعالى وبحسب كثرة الأمطار وقلتها يكون قدر المياه في الآبار التي تسقى منها النخيل الخضراء الجميلة ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢)، ونجد عند مدخل عقدة سداً إلى جهة اليمين مرتفعة بقدر ثلاثة أمتار أقامته إمارة الجبل في زمن آل رشيد ليكون حصناً منيعاً وسداً بين السكان وبين العدو وبولاية آل سعود على الجبل هد بعض ذلك السد فكان يدخل إلى عقدة من ذلك السد ومن مدخلها الرئيسي وقد حدثنا الأستاذ عبد الكريم بن سليمان الرشيد المنتدب من أهالي الزلفى للتدريس في متوسطة حائل الثانية أن هناك منتزهاً آخر يسمى مشار فيه مصبات كثيرة وأشجار يتناهاها الأهالي للفرجة والنزهة بالعوائل لما يتمتعون به بين تلك الجبال من المناظر الجميلة وكان الأستاذ عبد الكريم قد صاحبنا ليرينا تلك المنتزهات ويمتاز بلين العريكة وحسن الحديث وحسن المعاشرة، وقد لزم الصحبة من حين ما قدمنا إلى حائل إلى قبيل مغادر تناها وذكر لي أحد مرافقينا من أهل الجبل أن قرى حائل تزيد على مائتي قرية وأن من الآثار فيها، فيها مسجد إلى جهة بيت المقدس ومن قرى حائل قفار وموقق وبقعا التي تقع بالشمال الشرقي عن مدينة حائل وهي التي حصلت فيها الواقعة بين عبد الله بن علي بن رشيد وبين أهالي القصيم بقيادة عبد العزيز بن محمد آل أبي عليان ويحيى بن سليمان آل سليم أميرى بريدة وعنيزة.

وفيهما كثر التسول في مساجد المملكة وطرقها واتخذوا ذلك حيلة لاكتساب الدراهم، فهذا يدعي بالمرض وآخر يدعي بالجوائح المالية من حريق وهدم ودهس وانقلاب السيارات وأخطارها إلى غير ذلك من تقديم صكوك مزورة، وحدثني بعض الثقات أن رجلاً أجنبياً صلى في مسجد ابن مقبل الكائن شمالي الجامع الكبير في مدينة بريدة، وكان يحمل رجلاً آخر على كتفيه بعد صلاة العشاء الآخرة، ثم تقدم أمام المصلين وقال أيها المسلمون انظروا إلى حالة هذا المقعد المسكين الذي لا مال له ولا أهل ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، وجعلوا يبكيان حتى رحمهما الحاضرون وجادوا عليهما بما في أيديهما، قال ثم خرج الحامل والمحمول فجلسا مختفين عن نور القمر ورؤية الناس بعدما وضعه عن كتفيه واقتسما ما حصلا عليه وذهبا يمشيان يتبادلان الحديث، وقصص المتسولين طويلة نسأل الله العافية، وقد فتحت الحكومة السعودية مراكز للقبض على أولئك وأخذ التعهد عليهم.

المعهد الزراعي

تأسس هذا المعهد في الصفراء شمالي مدينة واحتضر له مساحة كبيرة جداً ورصد له زيادة على ثلاثين مليوناً وكان هذا المعهد ممتازاً لما قد يجلب إليه من الخبراء وما سينشأ عنه من الإصلاحات الزراعية ويدل على عناية الحكومة في الزراعة في القصيم وهذا المعهد الفني هو أحد المعاهد الفنية التابعة للمؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني الزراعي، وهو الوحيد بالمملكة كان فيه مزرعة لمحاصيل العلف ومزرعة إرشادية لزراعة النخيل والخضر والفواكه ومشاتل ومزرعة للإنتاج الحيواني تشمل على زيادة عن مائة وخمسين رأس بقر لإنتاج اللبن والحليب، وفيه مزرعة لتربية الدواجن لعشرة آلاف دجاجة وإعداد خلايا النحل التي تخرج العسل بتمام قدرة الله تعالى، وقد أخرج شطأه بتخريج ٣٨٠ طالباً بدرجة دبلوم وكان مزوداً بأحدث المعدات، وقد حفر فيه آبار ارتوازية وصرفت لطلاب المعهد مكافأة شهرية لكل فرد ٦٧٥ ريالاً.

وفي هذه السنة قامت الحكومة بتشجيع المزارعين تشجيعاً فعلياً وذلك بإقامة البنك الزراعي الذي أوجد للمزارع جميع ما يتطلبه من معدات الحرث والشق والتسوية والمكائن المائية وما يتطلبه الوضع بحيث بيع صندوق الطماطم بخمسة ريالات إذا كان يضم ٢٠ كيلو، وتوفرت المحصولات ونجحت وتغيرت الأحوال من الوقود بالخطب وكرب النخل وجذوعها وزادت بالأمة التقدّمات إلى أن عدلوا عن الفحم ومادة الكيوسين إلى الوقود بالغاز والكهرباء، وقامت الحكومة بإطار التجميل والتحسين لشوارع المدن والقرى ورصفها وسفلتها.

محطة بترومين

في هذه السنة أسست محطة في القصيم شمال المطار في المليء اتخذ لها موضع فسيح بسعة ١٢٠,٠٠٠ برميل، ثم زيد في سعتها إلى ٦٢٠,٠٠٠ برميل ليتم بيع جميع المحروقات منها بنزين ممتاز بنزين عادي، ديزل، كيوسين، زيت التزليق، وذلك يومياً وكان يردها يومياً عشرات الوايتات للتفريغ فيها والتعبئة منها لخدمة إقليم القصيم وسيزود هذا المشروع في إنشاء مصفاة فيما بعد..

وفيها قام مشروع تغذية الأطفال والطلاب في المدارس للمرحلة الثانية ليستفيد منها مائة ألف طالب من ثلاث عشرة منطقة تعليمية واشترط في الوجبة أن تكون جافة وتتوفر فيها جميع شروط الوجبة الصباحية والشروط الصحية في الإعداد والتغليف وقد نجحت هذه المرة وأصبح الطالب يتمتع بهذا النشاط، وهذا التشجيع ولا ريب أن من الطلاب من هو بحاجة إليها.

وفيها نزلت قيمة شجر الأثل الذي كان قبل ذلك هو رأس أموال بعض الناس بحيث كان الهصير وقوداً والأخشاب سقوفاً ويتخذ لما سوى ذلك من المصالح ولما رأت الحكومة أنه أصبح بحالة لا يلتفت إليها رأت أن تكون تلك الأخشاب مهياة لأن تقوم مقام المستورادات من البلاد الأخرى وهي أخشاب الساج التي منها المربعات والألواح على اختلافها ورأت أن تنشأ لذلك معامل ومصانع لعله أن

يسد فراغاً وبما أن البيوت الشعبية قلت في المملكة وكان غالب الشعب السعودي أو أجمعه إنما يقيمون البيوت من الإسمنت والحديد والبناء المسلح ولما للممارسة معاملته كذلك من المشقة والتنفقات والكلفة فإنها لم تنتظم تلك الفكرة وكنت أذكر كلمة ظهرت من أمي لأبويه في حال إقبال الناس على شجر الإثل وجعله رأس مال ومقالات الخلق فيه أن قال: والله ما كنت أظن أن شجرة حقرها الله في كتابه يكون لها مستقبل، وفعلاً حصل ذلك وكانت الأمة في قديم الدهر يتخذون أخشابه لصناعة الأبواب بالنوافذ المنقوشة فقد اتخذوا بدلاً عنها أبواباً على الطراز الحديث من الساج، فسبحانه مقلب الدهور ومصرف الأمور وذهبت دولة الأثل وقام المزارعون ييذرون الفاصوليا والخس والجزر والبصل والبطيخ والنعناع والتفاح والبرتقال والليمون وغير ذلك من أنواع الأشجار التي جلبت عليهم من الخارج كالملوز والجوافة وأشجار الرياحين والزينة وقاموا بإرشاد وزارة الزراعة بتوجيه من البيطريين يعالجون أمراض المواشي والأشجار والزراعة عما حدث فيها من الآفات.

حالة عمار

كان هذا المكان يحمل هذا الاسم ويبعد عن أقرب نقطة حدود الأردن بكيولون ونصف وهذا المركز يعتبر مدينة متكاملة بجميع مراكزها على الحدود الأردنية وكان افتتاح هذا المركز في ١٠ / ١ من هذه السنة، وانتقلت الدوائر الحكومية إلى مبانيها الجديدة، وقد انتهى في العام الماضي بناء مركز الرقعي والحماطيات أما عن مركز حالة عمار فيبعد عن تبوك بحوالي مائة كيلو وأربع كيلوات، أما عن التسمية هذه لهذا الموضع فإنه يعتبر بعض الرواة أنها نسبة إلى شخص يدعى عمار كان حارساً على نقاط الخط الحديدي لأن بعض الرواة يرى أنها حديثة ترجع إلى أواخر الدولة العثمانية وبعضهم يرى أنها قديمة تعود إلى عصر صدر الإسلام، وقد أقيمت هذه المدينة في هذه السنة والتي قبلها إقامة حديثة وشقت فيها الشوارع المسفلتة المضاءة

بالأنوار الكهربائية والمباني العصرية، أما مراحل المشروع فكان مركز بئر ابن هرماس الذي يبعد عن مدينة تبوك بحوالي ستين كيلومتراً، يقوم باستقبال الحجاج لأن جمر تبوك يكون دائماً مشغولاً باستقبال سيارات البضائع التي ترد يومياً إلى المملكة وتعد ازدياد عدد الحجاج القادمين سنوياً بدأت الحكومة السعودية تفكر في تطوير مراكز استقبال الحجاج بحيث توفر لهم أكبر قدر من الخدمات التي تساعد على بلوغ أهدافهم في الحج والعمرة والزيارة، ولقد بدأت الدراسات لإقامة هذا المشروع الجديد منذ ست سنوات وبدأ في تنفيذ العمل عام (١٣٨٩هـ) حيث رست على شركة عالية وتعثرت أعمال هذه الشركة في بداية العام الماضي وسلمت العملية لشركة أخرى قامت بإتمام المشروع وكان الأمير سلطان السديري مفتش الحدود الغربية وأمير القرينات هو المشرف على أعمال الحج في هذا المركز، ولقد جددت الحكومة السعودية في راحة الحجاج وبعثت مرشدين وموجهين يقومون بالتوعية في أيام الموسم ويبينوا أحكام المناسك ويقوموا بالفتيا لما كان الحجاج الوافدون في أمس الحاجة إلى ذلك.

وفيها في ١٣/ ١٠ وفاة الشيخ حسن إسماعيل الهضيبي وكان لوفاته رنة أسا وحزن في الأمم الإسلامية التي عرفت جهاده وكفاحه في سبيل الدعوة إلى الله ولد في سنة (١٨٩١م) توافق (١٣٠٩هـ) في قرية عرب الصوالحة وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم بالقرية درس سنة بالأزهر ثم تحول إلى المدارس النظامية الابتدائية فالثانوية ثم التحق بمدرسة الحقوق ولم تكون آنذاك تسمى كلية لعدم استكمال النظام الجامعي وتخرج سنة (١٩١٦م) وعمل محامياً ثم ولي القضاء وتدرج في مناصبه حتى ولي منصب مستشار قاضي بمحكمة النقض التي هي أعلى درجات القضاء المصري وكان على صلوات وثيقة بجماعة الإخوان المسلمين وخاصة مرشدها ومؤسسها حسن البناء، وبعد اغتيال حسن البناء أجمع مكتب الإرشاد للجماعة على اختيار المترجم مرشد الجماعة الإخوان المسلمين فقبل وترك منصبه القضائي عام (١٩٥٠م).

ذكر المحن التي مرت عليه

حكم عليه بالإعدام عقب أحداث عام (١٩٥٤م) ثم عدل الحكم إلى السجن وبعد نحو عامين سجن بمنزله حتى عام (١٩٦١م) ثم أعيد اعتقاله مع آلاف من أعضاء الجماعة عام (١٩٦٥م) وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنين ثم اعتقل بعدها نحو ثلاث سنوات أخرى وأفرج عنه في أكتوبر عام (١٩٧١م) بعد أن جاوز الثمانين من عمره وقد حج في سنة (١٣٩٢هـ) وكان قد أدى فريضة الحج من قبل كما سبق أن زار المملكة السعودية في مناسبات أخرى حتى توفي في يوم الخميس من اليوم المذكور الموافق ٨ نوفمبر (١٩٧٣م) ودفن في يوم الجمعة رحمه الله تعالى وعفا عنه قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣١).

وفيها وفاة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم المتبحر في التفسير والفقه والعلم والمعرفة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ينتهي نسبه إلى يعقوب بن جاك النابر جد القبيلة الكبرى المعروفة بالجكنيين ويرجع نسبها إلى حمير، ولد في القطر المسمى شنقيط، وهو الجزء العربي الواقع في الجهة الشرقية من دون موريتانيا الواقعة من المحيط الأطلسي والجزائر ومناخة لمراكش والسنغال في عام (١٣٢٥هـ)، وتوفي في ١٢/١٧ من هذه السنة، وكانت أمه ابنة عم أبيه.

نشأته

نشأ في بيت علم نساء ورجالاً، ودرس على أخواله وأبناء أخواله ونسائهم مبادئ العلوم وعلوم القرآن وأتم دراساته في مختلف الفنون على كبار مشايخ البلاد من التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والبلاغة والصرف، أما السير فقد درسها على نساء أهل بيته، وأما المنطق فقد حصله دراسة.

مشائخه

أما مشائخه فكلهم من بلاده منهم الشيخ محمد بن صالح والعلامة الشيخ أحمد الأفرم بن المختار والشيخ أحمد بن عمرو الفقيه الكبير محمد النعمة بن زيدان والعلامة في الفنون أحمد فال بن زاده وغيرهم وكان سير الدراسة لديهم أنهم لا يجمعون الفنون معاً ولا يقرأ الطالب على شيخين في وقت وكانت طريقة التدريس لديهم أنه يكلف الطالب بحفظ المتن الذي يقرأه وقد يجتمع لدى الشيخ الواحد العدد الكثير في الفنون العديدة وتستمر الدراسة من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد العشاء يتخللها فترات الغداء والصلوات والقيلولة، وهكذا طيلة العام ما عدا الخميس وصبيحة الجمعة والأعياد فقط وتقتصر الدراسة في رمضان المعظم على المذاكرة وكانت علاقة الطلاب بمشائخهم أثناء الدراسة علاقة أبوية ويكون الطلاب ما يسمى بالعزوبة يقومون بشئون أنفسهم وإن وجد فيهم ضعيف ساعده الشيخ وربما أنفق عليه حتى ينهي دراسته عنده وقد كان الشيخ رحمه الله ينتقل إلى مشائخه بأوفر زاد وأكمل متاع وخادم يكفيه كل مؤونة وكان لديه تدريس أهلي في بيته ويجلس للخصوم في بيته فيفصل بينهم وكانت أحكامه نافذة عن الجميع حتى الحكومة وقد كان ثاني اثنين في البلاد وعمدتهم الحكومة الفرنسية بأقضية الدماء خاصة بعد أن امتنع أن يلي لها أي عمل ولما أن كان في سنة (١٣٦٧هـ) قدم حاجاً إلى المملكة العربية السعودية وبدأ التدريس في المسجد النبوي وتعرف عليه المسئولون وطلبوا منه البقاء للمنفعة العامة فاستمر في تدريسه وإفادته ولما أن كان في عام (١٣٧١هـ) طلب للتدريس في المعاهد والكليات بالرياض وفي عام (١٣٨١هـ) نقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان له حظ عظيم في التأليف ومملكة وقوة استخراج ومن الناس من يبالغ في سعة علمه ولا ريب أنه من علماء هذا الزمان المتبحرين ولا أقول أنه عصري بل إنه سلفي وتفسيره للقرآن وشرحه مراقي السعود أكبر دليل على سعة علمه ومقدرته. ومن مؤلفاته «منع جواز الحجاز في المنزل للتعبد والإعجاز»، «أنساب العرب» نظاماً «فروع مالك» نظاماً

«ألفية في المنطق»، «نظم في الفرائض»، «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن»، «شرح مراقبي السعود»، «رحلة خروجه من البلاد إلى المدينة»، وفي تلك الرحلة من أنواع العلوم ما دونت فيه المباحثات مع من مر عليهم من أهل العلم والمعرفة في طريقه سرح على السلم أملاه على طلابه ««فع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب» أبان فيه مواضع ما يشبه التعارض في القرآن كله. ومنها «مذكرة الأصول على روضة الناظر»، «آداب البحث والمناظرة» أوضح فيه آداب البحث من إيراد المسائل.

أما عن تفسيره فقد توفاه الله تعالى ولم يكمله بل وصل فيه إلى آخر سورة المجادلة فأكماله تلميذه عطية محمد سالم وحذا حذوه وقد كمل في تسعة أجزاء كان التاسع منها ضخماً جداً ولى عليه مآخذ منها أنه أطال في مواضع وأسهب إسهاباً في النقول كلام العلماء فوق نصف القرآن الأول في أقل من ثلاثة أجزاء ونصفه الأخير في ستة أجزاء، ومنها أن بعض القرآن لم يفسره جملة وكنت أظن أن سكوته عن تفسير بعضه لظنه أنه يفهم من غير تفسير، ولكن هذا لدى أرباب المعرفة مثله وإلا فغالبا الخلق لا يعرفونه إلا بتفسير هذا ولا ينقص من فضل المؤلف لأننا لا ننكر ما له من طول الباع وعلو الكعب ولكن لكل جواد عثرة ولكل صارم نبوة، ومنها الملحقات التي في آخر التفسير فلو جعلت مفردة لكان أحسن.

شماله وأخلاقه

أما عن المترجم فإني لا أعرفه شخصياً ولوددت أني اجتمعت به، ولكن الظروف لم تسمح بذلك وقد قالت عنه مجلة الجامعة الإسلامية في عددها الثالث من السنة السادسة محمد الأمين ذكر محمد تبارك واللقب أبا عبد الهمة وتشديد الباء واسم أبيه محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار من أولاد أولاد الطالب أوبك وهذا من أولاد أولاد كرير بن الموافي بن يعقوب بن جاكنا الإبرجد القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالجنكينين ثم قال ويرجع نسب هذه القبيلة إلى حميرة ثم قال أما مكارم أخلاقه ومراعاة شعور

جلسائه فهذا فوق حد الاستطاعة، وقال عن أحد تلامذته صحبته لم أسمع منه مقالاً لأي إنسان ولو مخطئ عليه يكون فيه جرح لشعوره وما كان يعاتب إنساناً في شيء يمكن تداركه وكان كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه ولم يكن يغتاب أحداً ولم يسمح بغيبة في مجلسه وكثيراً ما يقول لإخوانه تحفظوا من حصر الغيبة ويقول إذا كان الإنسان يعلم أن كل ما يتكلم به يأتي في صحيفته فلا يأتي فيها إلا لشيء الطيب ويصفونه بأنه قوي صلباً في الحق وليناً سهلاً في مخاطبته وفي الرجوع إلى ما ظهر إليه منه وذكره بمكارم الأخلاق والشيم وصفات الكمال في الرجال ولم تكن الدنيا تساوي عنده شيئاً فلم يكن يهتم لها ولم يطلب عطاء ولا ترفيحاً لمرتبته ولا حصولاً على مكافأة أو علاوة ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه، وما حصل عليه لم يكن ليستبقه بل يوزعه في حينه على المعوزين من أرامل ومنقطعين ومات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً وقد وجدت عند قصة عجيبة في حال طلبه للعلم بأنه سأل أحد مشائخه في حالة الطلب عن مسألة وكان في شرحه لم يشف ما في نفسه فقام من عنده ظهراً فأخذ الكتب والمراجع وجعل يراجع حتى وقت العصر فلم يتوصل إلى حل مشكلة المسألة فعاد إلى المراجعة إلى غروب الشمس ثم أنه أوقد له أعواد من الحطب يراجع على ضوءها وواصل المطالعة والمراجعة وجعل يتناول الشاهي الأخضر كلما مل أو سئم وحوله من يتابع الوقود من الحطب حتى طلع الفجر وهو في مجلسه لم يقم إلا لصلاة فرض أو تناول لطعام وما زال كذلك حتى ارتفع النهار وقد وضح له مشكلها فنام بقية يومه واكتفى بظهور هذه المسألة فلم يذهب للدراسة بقية يومه من السهر والله در القائل:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| فكابد إلى أن تبلغ النفس عذرها | وكن في اكتساب العلم طلاع أنجد |
| ولا يذهبن العمر منك سهلاً | ولا تغبنن في النعمتين بل اجهد |
| وخذا بدرس ليس في النوم تدركن | لأهل التقى والعلم في كل مشهد |
| فمن هجر اللذات نال المنى ومن | أكب على اللذات عض على اليد |
| وفي خلوة الإنسان بالعلم أنسه | ويسلم دين المرء عند التوحد |

ولما أن كان في ضحى يوم الخميس المذكور من اليوم المذكور توفاه الله تعالى عن عمر يناهز الثامنة والستين في مكة المكرمة فصلى عليه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الحرم الشريف بعد صلاة الظهر وحضر جنازته جم غفير ثم دفن بمقبرة المعلاة. وفي ليلة الأحد ١٢/٢٠ أقيمت عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي في المدينة المنورة صلى عليه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح رئيس محاكم المدينة وإمام المسجد النبوي بعد صلاة العشاء الآخرة وصلى عليه جموع كثيرة كما صلى عليه بالجامعة الإسلامية وفي مساجد أخرى رحمه الله رحمة الأبرار.

وختمت هذه السنة وعرب فلسطين يكابدون الشقاء من اليهود حيث استعادت قوتها وكونت بناء القوات المسلحة بمساعدة أمريكا لها بحيث هي التي أقامتها بموطن قومي في بلاد العرب فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وصمة عظيمة لولا الوقوف بطريقها

قامت حكومة ليبيا والكويت والمغرب والبحرين لإخراج فلم لرسول الله ﷺ وللصحابة وعقدت هذه الحكومات تأسيس شركة عربية للإنتاج السينمائي العالمي مع المخرج مصطفى عقاد يستمر عرضه ثلاث ساعات ويخرج بعشرين لغة عالمية، وذلك بالاستناد إلى قصة أقرها الأزهر والمجلس الشيعي الأعلى واشترك في صياغتها توفيق الحكيم وعبد الحميد جودة السحار وعبد الرحمن الشرقاوي فعرض هذا الموضوع على المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة فقرر المجلس تحريم ذلك، وهذا في المادة السادسة من قراره المتخذ في دورته الثالثة عشرة المنعقدة خلال المدة من غرة شعبان عام (١٣٩١هـ) إلى ١٣ من الشهر المذكور وقررت هيئة كبار العلماء بالملكة السعودية المنع، وذلك بقرارها رقم ١٣ وتاريخ ١٦ من هذه (١٣٩٣هـ) ومنع إخراج فيلم الصحابة وقرروا المنع في أربع مواد وأن ذلك فيه استهانة بجانب النبي محمد بن عبد الله ﷺ وفي أصحابه رضوان الله عليهم،

وقال رئيس الجامعة الإسلامية إنني أطلب من جميع المسلمين في كافة الأقطار استنكارهم لذلك كما أرجو من جميع الحكومات والمسؤولين بذل جهودهم لوقف إخراجه.

المرصد الفلكي

لقد تابعت الرابطة الإسلامية جهودها لتقرير مرصد فلكي بعد توحيد الأهلة وإنشائه يطلق عليه اسم المرصد الإسلامي حيث سيزود بالكفاءات الإسلامية والمعدات الإسلامية الحديثة للأرصاء الفلكية وتقرر اختيار الموقع المناسب للمرصد وذلك في اجتماعات المرصد التي جرت في شهر رمضان من هذه السنة، وقد اتجه البحث في إنشائه في منطقة الطائف واهتمت البلدان كمصر والكويت وغيرها وعقد مؤتمر في الكويت سمي مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الإسلامية العرب، وكان انعقاده في فبراير (١٩٧٣م) ميلادي من رؤية وحسابات وقياسات ضوئية وكهربائية وذلك في استخلاص رأي موحد فيه بعد أن شمل العالم الإسلامي ملتماً تحت راية التضامن الإسلامي التي رفعها الملك فيصل عالية فوق كل شعارات الدنيا نسأل الله تعالى أن يجمع شمل المسلمين على الهدى، وقد جرت بحوث بهذا الشأن فمن قائل باختلاف المطالع ومن قائل بالاتفاق وكان الذين يرون اختلاف المطالع يحتجون بحديث كريب «أن أم الفضل بعثته إلى معاوية بالشام قال فقدمت الشام وقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ قلت: نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: لكننا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه فقلت ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه فقال: لا هكذا أمرنا رسول الله ﷺ» رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه، ومن أخذ بهذا القول فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد وألف فيه رسالة وذكر الأدلة والأقيسة المؤيدة لذلك

وأقوال العلماء وأن هذا مشاهد ملموس وأسمى كتابه «تبيان الأدلة في إثبات الأهله»، وحمل على من قال بتوحيد الأهله وفند رأي رابطة العالم الإسلامي وأثبت أن لكل بلد رؤيتهم وتناول بحته أموراً مهمة جداً ولكنه يرد على ما اختاره هو ومن قال بذلك توحيد يوم الوقوف بعرفة وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة الذي رواه أبو داود وابن ماجه «الفطر يوم يفطرون والأضحى يوم يضحون»، وفي حديث عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «الفطر يوم يفطر الناس والأضحى يوم يضحي الناس» رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب.

تكوين المسالخ في أمهات المدن

صدر قرار من وزارة الداخلية بتوقيع سبعة عقود مع إحدى الشركات العالمية المتخصصة لإنشاء سبعة مسالخ كبرى في الرياض ومكة والمدينة المنورة وجدة والدمام والإحساء وبريدة وذلك بمبلغ سبعة وثمانين مليون ريال وهذه تكون على الطريقة الصحية ويتكون المسلخ من عدة مبان أهمهما مبنى الذبح والمسلخ وصالات التبريد ومبنى الذبح الصحي والورشة ومبنى الإدارة بالإضافة لمحطة الحضائر والكراج وبرج الماء وغرفة الحراسة ومواضع الغسيل والتطهير ومكان السماد وأشياء أخرى توفر راحة المواطنين والذبح والنحر على الطريقة الشرعية واستعمال منشار كهربائي لفتح عظام الصدر ومنشار كهربائي لتقطيعها وآلات أتوماتكية للوزن والنقل وغير ذلك وهذا العمل لأول مرة يكون.

ثم دخلت سنة (١٣٩٤هـ)

استهلت هذه السنة والعرب يكابدون المشاق من دولة اليهود ويطالبون برجوع أهالي فلسطين المشردين الذين أخرجوا من ديارهم وما أصبحوا به من إيداعهم السجون والتعذيب والحالة التي رماهم بها الدهر وعظهم بنابه وأمسوا بعد التقلب على الأرائك الأثيرة والنعيم يفرشون الغبراء ويستظلون الخضراء ويضو تحت الخيام الممزقة من القذائف النارية أشبه شيء بزرائب الحيوانات تهطل عليهم

الأمطار وتغمرهم الثلوج وإذا كانت أمريكا وبريطانيا هما اللتين مكنتا اليهود من سكنى تلك الجهات وأيدتها بقوة حرابها وما تستطيعه من الحيل الجائرة فإن اليهود أو دولة إسرائيل نالت أمنيتهما التي لم تكن تحلم بها قبل وصممت على البقاء والعناد ولا تزال في التوسع ورؤية جاراتها بعين الاحتقار كما صنعتها أيضاً في لبنان وهكذا فعل مستعمر خسيس لا دين له ولا شرف.

وفي شوال من هذه السنة عقد مؤتمر القمة في الرباط وحضر لذلك رؤساء الدول العربية وذلك للنظر في مشكلة فلسطين التي تأزمت في ضل مجلس الأمن في حلها ولما كانت اليهود تعمل ما تشاء من التنكيل بعرب فلسطين ولم تحشّ سطوة خالق ولا مخلوق لمساندة أمريكا للعدو فقد قام الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز عاهل السعودية يستميل أفريقيا للانضمام إلى العرب ليكونوا يداً واحدة واستمال بما لديه من القدرة دولة فرنسا لتقوم بمساندة العرب وقد نجحت أعماله وانضم غالب أفريقيا إلى العرب.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها وفاة عمر السقاف وزير خارجية المملكة العربية السعودية على أثر جلطة في الدماغ كان بها حتفه وذلك في يوم الخميس ١٠/٣٠ وهو في أمريكا منتدباً من الحكومة السعودية يناقش قضية فلسطين فكان لوفاته رنة أسف في البلاد العربية ولا سيما في حكومته لأنه توفي وهو يؤدي واجبه في أمريكا نحو الموقف في الشرق الأوسط وضجت الإذاعات تنذبه بأن الأمة العربية وغيرها فقدت رجلاً مخلصاً طالما ترأس وفد المملكة العربية السعودية وأظهرت الحكومات الحداد عليه كما أن الحكومة الأمريكية وضعت علمها لهذا الحادث المؤسف الشديد وقد أقرت له مندوبو الدول بالشجاعة والتقدم والإخلاص والتفاني في قضية العرب وجاءت التعازي من رئيس أمريكا ووزير خارجيتها للملك فيصل وحمل جثمانه بطائرة خاصة من أمريكا إلى جدة ثم نقل جثمانه إلى المدينة المنورة للصلاة عليه وإيداعه في قبره.

وفيها في ٢٠ جمادى الثانية الموافق ليوم الخميس وفاة الحاج أمين الحسيني رحمة الله على أموات المسلمين، وقد أقيمت صلاة الغائب على فضيلته بالمسجد الحرام وكان يعتبر من أكابر علماء الشام وأيضاً كان معظماً من بين العرب لأنه يناقش في قضية فلسطين وأدى واجباً نحو هذه المشكلة، وقد توفاه الله تعالى ولم تنحل ولم توفق لحل يشفي ويكفي وكان هو المفتي الأكبر في فلسطين ورئيس مجلس الأمة الفلسطينية العربية، وقالت عنه صحيفة الحياة بعددها ٨٩٣٧/١٦ تموز ١٩٧٤م كان الحاج أمين من عظماء أمتنا في العصر الحاضر بالرغم مما لقي من جفاء وجحود ومقاومة ودعاية مغرضة في الداخل والخارج وتتجلى مظاهر عظمتة في شخصيته الساحرة ووجهه النوراني الباش وفي قوة حجته وصلابته في الدفاع عن الحق الشرعي للشعب الفلسطيني وعدم التساهل في ذلك قيد أنملة، لقد رأى الحاج أمين الخطر الصهيوني المهدق بالأمة العربية مبكراً منذ صدور وعد بلفور، وفرض الانتداب البريطاني على فلسطين فتحمل كل المشاق والتشريد في سبيل مكافحة هذا الخطر حتى آخر أيام حياته لا أعرف عربياً سلطت عليه الدعاية الصهيونية العالمية قذائفها وحاولت تشويه سمعته كما فعلت مع الحاج أمين، ومع ذلك فقد وقف صلباً متحدياً الخصوم معززاً مقدراً في العالمين العربي والإسلامي، لا أعرف عربياً حاربه السياسة الاستعمارية غربية كانت أم شيوعية كما فعلت مع الحاج أمين منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى مماته، وقد كانت الدوائر الرسمية البريطانية تتهمه اتهاماً قوياً بأنه يحاول القضاء على الوحدة العربية وألصقت به تهمة الاغتيال للملك عبد الله بن الحسين في إحدى محاولات اغتياله وساءت العلاقات بينه وبين الملك عبد الله حتى قرر عزله من مقامه في فلسطين بصفته رئيس مجلس الأمة الفلسطينية العربية، وكان يظهر أنه بريء من كل ما ألصق به وإنما هو رجل مخلص لأتمته ووطنه، وقد تقدم له ذكر في هذا التاريخ في الثورة العراقية وفراره لما فشلت ألمانيا وقد عاد بعدها واستقر في لبنان حتى توفي فيها وأوصى أن يدفن في القدس.

ومن توفي فيها من الأعيان محمد بن خزيم، وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الزاهد ذو الأخلاق الزكية والخصال المرضية محمد بن صالح بن سلمان بن علي بن خزيم قاضي الرس والمذنب وعنيزة ولد في بلدة البكيرية سنة (١٣١٩هـ) وهي المدينة الرابعة من مدن القصيم فتعلم القرآن ودرسه حتى حفظه عن ظهر قلب، وجد واجتهد في طلب العلم وكان عليه آثار الزهد والورع لأنه لازم الشيخ محمد بن مقبل واكتسب منه الزهد.

مشائخه

أخذ عن الشيخ العالم الزاهد عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ الألمعي عمر بن محمد بن سليم وكفى بهما فخراً وشرفاً لتلامذتهما وأخذ عن الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد وأخذ عن الشيخ محمد بن عثمان الشاوي العالم المشهور وأخذ عن الشيخ الورع محمد بن مقبل قاضي البكيرية، وأخذ عن الشيخ حمد بن سليمان بن بليهد وكان في إقامته بعنيزة يجلس إلى الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ويجري بينهما البحث في مسائل العلم ويعجب لذكائه ويقدر له عمله ومكانته كما أنه يجلس إلى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن سبيل، وكان جمع بين وظيفتين في القضاء فيتردد بين المذنب وعنيزة للقضاء فيهما ويتواضع ولا يحب الخلطة في الجامع والدعوات وقد رأته مرة واحدة وكنت زائراً للبكيرية بدعوة من أخيه الشيخ الفاضل القاضي سليمان بن صالح بن خزيم واجتمعت به فكان سكينة حليماً لا يظهر عليه الفرح ولا الغضب أسمر اللون مربوع القامة يميل إلى القصر وعليه آثار الزهد والورع وليس ممن يفرش طريقه بالرياحين بل متقشفاً متواضعاً وكان كث اللحية يعلوها الشيب ولا يرى لنفسه حقاً سثن اليدين والرجلين يتكلم عند السؤال ويصمت عند الخوض في أحاديث الدنيا، وكان لين العريكة، وهكذا يكون رجال العلم والدين وذا سمت حسن ولا يحب أن يضيع من وقته شيء ثم إنه طلب من الحكومة أن تعطف عليه وترجحه من العمل؛ فأحيل على المعاش وتفرغ للعبادة حتى توفاه الله تعالى لأنه تجاوز السبعين توفي فجأة

حوالي الظهر من ٦/٧ من هذه السنة بعد غشية حملوه بالإسعاف فتوفي قبل وصوله رحمة الله عليه وصلي عليه في الجامع الكبير بالبكيرية وخرج لتشييعه إلى قبره خلق كثير وجم غفير.

وفيها وفاة الشيخ محمد بن سليمان البصري بالمدينة المنورة.

وفيها وفاة الشيخ عبد العزيز الهويش: وهو عبد العزيز بن إبراهيم الهويش، والده الشيخ إبراهيم بن عبد الله الهويش، من أهالي شقراء، ولد رحمه الله في مدينة شقراء عام (١٣٤٧هـ) ودرس في الحجاز والطائف، حيث نجح من المعاهد وكلية الشريعة واشتغل في عدة وظائف حكومية آخرها توليه نيابة رئيس ديوان المظالم في الرياض ويتصف المترجم بحسن الخلق والآداب والأمانة التي أهله لأن يكون نائب رئيس ديوان المظالم، وكان محبوباً لدى أصحابه وجلسائه لما قام به من إخلاص وصدق، وكان كريماً وذا أخلاق نبيلة، وكانت وفاته في شهر جمادى الثانية من هذه السنة حيث شيع جثمانه في مدينة الرياض بموكب حزين نعم إنه كان مستقيماً نابغاً في فنون العلم وذا عقل ومعرفة وبصيرة ويلازم حلقات الذكر في الرياض والحجاز، وله مساهمة في الوعظ والإرشاد والمحاضرات وصفه زميله الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل بالوفاء والصلاح، لهذا أسف المسلمون على فراقه وامتدحوه وأثنوا عليه بالشعر والنثر بعد وفاته.

ومن توفي فيها وزير الحربية المصرية أحمد إسماعيل، وذلك في يوم الأربعاء ١١/١٢/١٣٩٤ هـ، كان قد أصيب بداء السرطان في الرئة فبعث به إلى لندن للعلاج وألحقه الرئيس أنور السادات طبيباً أمريكياً زيادة على ما أمامه من الأطباء غير أن الله تعالى لم يقدر له الشفاء ونقل جثمانه على متن طائرة إلى مصر فأُخِر تجهيزه ليوم الجمعة، حيث يصلى عليه ويودع قبره، وقد أصيبت به مصر، وكان يخفي علته تلك فما سافر إلا بعدما أجاده مرضه فإله المستعان.

وفيها في يوم الأربعاء ٢٢/٥/٩٤ هـ قدم الرئيس الأمريكي نكسون من الولايات المتحدة لتسوية الخلاف في الشرق الأوسط فزار مصر ولبت فيها يفاوض

رئيس الجمهورية أنور السادات يومين ثم غادرها في يوم الجمعة ٢٤ / ٥ إلى السعودية لمفاوضة الملك فيصل، وفي ٢٥ / ٥ السبت ذهب إلى سوريا لمفاوضة الرئيس حافظ الأسد ثم غادرها إلى إسرائيل في اليوم ٢٦ من جمادى الأولى، ثم أنه ختم زيارته في عمان يوم الاثنين ٢٧ / ٥ وكان يقام له في كل عاصمة مآدبة فاخرة ورجت الأمة من زيارته خيراً غير أن الأمور لم تزدد إلا تعقيداً، ولم تسفر هذه الزيارة عن شيء، ولما أن كان بعد رجوعه بشهرين خلع الرئيس نكسون وأجبر على التنازل عن الرئاسة ورشح للرئاسة جيرالد فورد، وهنا غيوم شر قد تلبدت في الأفق، وسيجري من الشر ما الله به عليم، وقد قيل في الأمور المغيبة التي لا يعلمها إلا الله:

إن الليالي والأيام حاملّة وليس يدري سوى الله بما تلد
هذا ولا تزال قبرص طوال شهر رجب في حرب وقتال مع الأتراك واستمرت
المنازعات والقتال الشديد الذي سقط فيه خلائق كثيرون.

وفيها ليلة رابع عشر جمادى الأولى انخسف القمر في منتصف الليل، وكان الخسوف ثقیلاً بحيث لبث ثلاث ساعات، وأيضاً خسف القمر في هذه السنة نفسها وقت طلوعه في ليلة ١٦ ذي القعدة وانطمس انطماًساً كلياً، فلم يتجل إلا في الساعة الثالثة تماماً بعد الغروب، كما أنه وقع كسوف الشمس في ٢٩ من ذي القعدة يرى في البلاد الواقعة خلف مصر إلى جهة الغرب.

وفيها في ليلة ١٠ فبراير الموافق ١٨ محرم أعلن العراق بأنه في الساعة الحادية عشرة وزالي تزيد خمساً وأربعين دقيقة دار صدام ضار على الحدود بين القوات العراقية والإيرانية مني فيه كلا الجانبين بخسائر فادحة، وقالت الإذاعة أن ضابطاً عراقياً قتل وجرح واحد وعشرون جندياً، وهذا يعتبر أول عداء قام بين الدولتين، وهو منذر بما سيجري بعده من التناحر وإراقة الدماء، وما أحسن الأبيات التي ذكرها صاحب الجامع الصحيح أبو عبد الله ونسبها إلى امرئ القيس تقيحاً للحرب واتقاء لها قبل وقوعها فإذا وقعت فإن وقفها شديد وليس بيسير:

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزيتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء ينكر لونها وتغيرت مكروهة للشم والتقييل

ومما يؤسف له أن رافع راية التضامن الإسلامي وقائد العروبة وابن مجدها
وجديها المحكك وغديها الموجب قد حان وقت غروب شمسها، فما هي إلا أشهر
قليلة فتصاب الأمة الإسلامية والعربية والعالمية بفقدته، فلا حول ولا قوة إلا بالله،
ومما قيل في الأمثال:

يا لك من قنبرة بمعمر خلى لك الجو فيضي واصفري
قد رفع الفخ فماذا تحذري ونقري ما شئت أن تنقري
قد ذهب الصياد عنك فأبشري لا بد من أخذك يوماً فأحذري

وفيها جرى تنفيذ المرسوم الملكي رقم م/١٣ بتاريخ ٢٣/٤/٩١ هـ بإجراء
إحصاء لسكان المملكة خلال ٤ سنوات من تاريخه وتقرير تنفيذه في أواخر شعبان
فأعدت مصلحة الإحصاءات العامة العدة لتجنيد عدد كبير من الباحثين من
مدرسين وطلبة جامعيين يبلغ عددهم في حدود عشرة آلاف ينتشرون في جميع أنحاء
المملكة، يوكل إليهم ذلك ابتداءً من ٨/٢٣ من هذه السنة أي خلال ثمانية أيام
وبذلت أسباب للتوصل إلى هذا الغرض حتى أعلن لجميع الموظفين في الدولة بأن
ينتظروا المندوب إلى بيوتهم في ٢٨ و٢٩ شعبان، وقد جاء هذا المشروع في سبع
مواد جاء في الرابعة منها أنه يحظر على كل شخص تعويق المسؤولين عن التعداد
عن أداء مهمتهم أو منعهم من وضع أية علامات أو أرقام على أبواب وجدران
المساكن.. الخ. ولكنه فيما يظهر قد فشل الإحصاء لترامي أطراف المملكة وانتشار
السكان ولا سيما البادية، وكان ذلك عملاً شاقاً.

وفيها في آخر يوم الجمعة في الساعة الحادية عشرة غروبي من ٣/٦ نشأت
سحب سوداء كثيفة من الغرب، فلما أن انتشرت إلى الشرق هبت رياح شمالية

شرقية فأصيبت نفس مدينة بريدة ببرد عظيم بقدر بيض الدجاج، واستمر نزوله عشرين دقيقة وقد أثر البرد على بعض السيارات بحيث تهشمت وكسر البرد ما مرّ عليه من الزجاج، غير أن الله دافع عن الأنفس البشرية وكانت الجهة الجنوبية على بُعد مسافة ثلاث كيلوات لم يعلموا بذلك.

حادثة غريبة

وجد في إحدى مزارع قرية القصيعة حبة طماطم مكتوباً عليها بقلم القدرة بخط كوفي واضح (حمداً لله) والكتاب بماء الذهب داخل القشرة، وقال صاحب المزرعة صالح البريدي أنه وجد هذه الحبة عندما كان يقتطف من الأشجار فتناولها وقد نشرت ذلك جريدة الجزيرة في عددها ١٠٣٧ تاريخ ٨ / ١٠ / ١٣٩٤ هـ) وتشبه هذه الحادثة ما وجد في خب رواق من ضواحي مدينة بريدة في الجهة الجنوبية ورقة حنطة خضراء مكتوباً فيها هذه العبارة (الرب لكم كالوالدة) ناولنيها الزاهد محمد بن صالح الرشودي صاحب المزرعة وكانت بقلم النسخ وقد احتفظت بهذه الورقة إلى كتابة هذه الأحرف، ولبت عندي محتفظاً بها عشر سنين وكان وجودها في عام (١٣٨٨ هـ)، أما عن الأولى فقد سألت البريدي فأخبرني أنه وجدها بنفسه وأنه قرأها هو وأولاده ونشروها وفي هذا تذكرة من الله بنعمه التي يجب شكره عليها، وإذا تظهر الآيات والخوارق فهي مذكرة بعظمة هذا الرب العظيم، ومما أنشده بعضهم مذكراً بقدرة الله تعالى:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| قل للطبيب تخطفته يد الردى | يا شافي الأمراض من أرداكا |
| قل للمريض نجا وعوفي بعدما | عجزت فنون الطب من عافاكا |
| قل للصحيح يموت لا من علة | من بالمنايا يا صحيح دهاكا |
| قل للبصير وكان يحذر حفرة | فهوى بها من ذا الذي أهواكا |
| بل سائل الأعمى خطا بين الزحا | م بلا اصطدام من يقود خطاكا |
| قل للجنين يعيش معزولاً بلا | راع ومرعى ما الذي أبكاكا |

وإذا ترى الشعبان ينفث سمه فاسأله من ذا بالسوم حشاكا
واسأله كيف تعيش يا شعبان أو تحيا وهذا السم يلاً فاكاً
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاكاً
بل سائل اللين المصفى كان بين دم وفرث ما الذي صفاكا

وفيها أمر الملك فيصل بزيادة رواتب ومكافآت لأئمة المساجد ومؤذنيها والخدم
بنسبة ٥٠٪ وقد كثرت المساجد في المملكة السعودية وامتلات، كما أن السكان كثر
عددهم فكان من حدود اليمن إلى حدود الشام ومن البحر الأحمر غرباً إلى الخليج
العربي شرقاً يتمتعون برغد في العيش وسعة في الرزق ولديهم ثروة في المال عظيمة
وأنه يجب شكر الله على نعمه بحيث كانت الأمم الأخرى يتناحرون ويتقاتلون
ويتمتعون بضنك المعيشة وما هم فيه من المخاوف والفيضانات، فهذه بلاد
بنجلادش المنفصلة عن حكومة باكستان وحاكمها مجيب الرحمن ابتلاها الله
بفيضانات عظيمة أهلكت النفوس والأموال وكانت نتائج تلك الفيضانات خسائر
أسفرت عن حوالي ٤٥٠ مليون دولار و٣٤٠٠٠٠٠ هكتار من الحقول قد
اجتاحت مياه الفيضانات كما دمرت ١٥٠٠٠٠ مسكن و١٤٠٠ مركز تعليم
ودمرت أيضاً ٥٤٠٠ كيلو متر من الطرق البرية فاضطرت الحكومات لإسعافها
وإنقاذها وقامت الحكومة السعودية بمساعدتها بعشرة ملايين وكان وقوع الكارثة
في أواخر شهر رجب من هذه السنة، كما أنه في أوائل شهر شعبان ابتلى الله عز
وجل برما بفيضانات عظيمة كان ضحيتها مليون ونصف من الخسائر المادية.

وفيها خلع رئيس الحبشة هिला سيلاسي وكان قد كبر بحيث يناهز الثمانين من
العمر، وكان مشهوراً بشدة العسف والتعذيب ولا سيما للمسلمين هناك، فقد سنّ
تشريعات لإذلال المسلمين لما استلم السلطة وأصبح إمبراطور الحبشة فيها أن على
المسلمين أن يركعوا لموظفي الدولة وألا يقتلوا وأمر أن تستباح دماؤهم لأقل سبب
ومن لم يخضع لأوامره من المسلمين فإنه يأمر زبانيته بالقبض على أطفالهم ونسائهم
وشييوخهم فيجمعون في أكواخ من الحشيش والقصب ويصب عليهم البنزين

ويحرقون، وكان يعذب المسلمين عذاباً رهيباً قبل قتلهم من التعذيب إطفاء السجائر في أعينهم وآذانهم وهتك أعراض بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم أمام أعينهم ودق خصيتي الرجل بأعقاب البنادق وجرحه على الأسلاك الشائكة حتى يتمزق وإلقاء المعتذب جريحاً لتأكله الحيوانات الجارحة بعد أن يربط بالسلاسل حتى لا يقاوم، وأمر بإغلاق مدارس المسلمين وأمر بفتح مدارس مسيحية وأجبر المسلمين على إدخال أبنائهم فيها ليصبحوا مسيحيين وعين حكاماً فجرة تصدر ٩٠٪ من أراضي المسلمين ونهب جميع ممتلكات الفلاحين المسلمين وأصدر أمراً أن لا يقطف الفلاحون ثمار أراضيهم إلا بعد موافقته، وكان لا يسمح بقطافها إلا بعد أن تتلف إلى غير ذلك من أذيته للمسلمين، وفي هذه السنة يخلع ويطرد وقد جزع خلعه جزعاً شديداً وأمسك عن الطعام والشراب وأودع المستشفى لذلك.

وفيها في ربيع الثاني قامت الحكومة السعودية بأعمال شاقة في إصلاحات شتى في مكة المكرمة وذلك بأن أحضرت المعدات الضخمة لهد جبال في منى لتوسعتها للحجاج من دركتورات وجرافات كهربائية للجبال وغير ذلك من شتى القطع الحديثة وقام العمال بياشرون تسليطها على الجبال فصدعتها بالديناميت وأحضرت لذلك السيارات الضخمة لحمل الصخور بعد تكسيرها وإخراجها من منى كما أن الحكومة هدت الجهة الشرقية من مسجد الخيف في منى وهذا موضع خيمة الرسول الذي أقامته الدولة العثمانية هناك كتذكار وشرعت الحكومة في بنيته على الطراز الحديث بعدما قومت تكاليفه بسبعة ملايين ريال، كما أن مسجد المشعر الحرام هدت بنيته الأولى، وفي ٥ / ٥ من هذه السنة أخذ العمال في عمارته عمارة ممتازة بقواعد مربعة الشكل، وقد رأيت العمال في ١٥ شوال قد فرغوا من الطابق الأسفل منه ورصد له سبعة ملايين ولا تزال العمارة جادة للمكتبة غربي الحرم المكي التي أقيمت من ست طوابق وهي مكتبة الحرم الشريف عوضاً عن المكتبة الأولى التي شملها الهد لتوسعة المسجد وقد نقلت مؤقتاً إلى بيت الوزير سابقاً في جردول كما أن جلالة الملك فيصل أمر بتوسعة الكوبري المرادف للمسجد الحرام في

جهة الجنوب من ستة أمتار إلى اثني عشر متراً، وقد قومت التكاليف لهذه التوسعة باثني عشر مليوناً، وشقت طرق في جبال منى وأقيمت جسور فيه أيضاً، وأقيمت شوارع في عرفات لتتصل بمزدلفة كما اتصلت بمزدلفة بمنى بالإسفلت وأقيمت أعلام محدود عرفات فاصلة لها عن بطن عرنة، وذلك يجعل لجنة من العلماء وأهل الخبرة وقد ازدحم العمل لمضايقة الموسم فكان العمال يعملون بمواصلة الليل بالنهار.

التعويضات

قد قومت التعويضات بقدر ٢٢٢ مليوناً، وأعلنت عنها وزارة المواصلات كما أن من تلك المشاريع طريق دائري حول الحرم الشريف بمكة المكرمة، يبدأ من طريق أجياد ومحس الجن حتى شارع العزيزية تبلغ تكاليف ٣٢٠ مليوناً، وقد اخترقت الطرق جبلاً بين مكة ومنى وعرفات بلغت تكاليفها ٤٧ مليوناً، وأنشأت مواقف للسيارات حوالي الحرم الشريف وحوالي منى، ومنها طريق الجحفة وطريق الجعرانة وغيرها.

سحب المياه لمدينة الطائف

صدر مشروع سحب المياه من تربة إلى الطائف، وكانت المسافة بعيدة واستخدمت لذلك الحفارات الحديثة تواصل الليل بالنهار، وكان المشقوق مبارياً لخط الإسفلت إلى الجهة الجنوبية، كما أن خط التلفون إلى الجهة الأخرى بمشقوق من الأرض وقد انفصل خط من طريق الطائف إلى قرن المنازل الميقات المشهور بالسيل ليكون أوسع وأيسر من طريق كراء وما يعانيه الحجاج من وادي الحرم لأنه يضيق بالحجاج.

عجائب الشفاء

من عجائب قدرة الله تعالى برد الطائف وما حواله من المرتفعات، فقد كان مصيفاً لأهل مكة المشرفة وبكثرة السيارات ودخانها وما استعملت الأمة من

المكائن والديتموات والمواطير وطرق الاسفلت فقد أثرت على برد الطائف، أما عن الشفاء فبرده في فصل الصيف واشتداد الحر من العجائب، فلقد خرج بنا أحد الأحبة للنزهة من مكة إلى الشفاء في نوء تموز حيث تقول العامة عنه إذا طلع تموز سخن الماء في كل كوز، فلما تجاوزنا مدينة الطائف حيث مر بنا على مسكنهم وأخذ ما يصلحنا استصحب نصف كيس من الفحم وحمله في السيارة فعجبت من وقود في ذلك الحر فقد كانت حمله فيما يبدو كالعبث، ولما أن وصلنا إلى ذلك الموضع وغابت الشمس أصابنا برد شديد لولا ذلك الفحم الذي جعلنا نصطلي على ناره لما تمكنا من الجلوس والراحة والطمأنينة لشدة البرد الذي كانت ترعد من الرفقة فرائضهم.

وأذكر أنه دعانا فضيلة الشيخ سليمان بن عبيد بن سلمي حال كونه رئيس المحاكم الشرعية في مكة المكرمة إلى مأدبة الغداء في بيته الكائن بالشفاء في الطائف، وكنا إذ ذاك في أوائل شهر آب الذي تقول عنه العامة إذا طلع آب اطرق المسمار بالباب، خرجنا في صحبته لما فرغ الدوام، فلما أن وصلنا إلى بيته الكائن بالشفاء أجلسنا في العريش المكشوف على العمدة، فلم تتمكن من شدة البرد ولم نظمئن إلى ذلك المجلس الذي كانت فرائض الحاضرين ترعد من شدة برده، حتى إذا دخلنا إلى المجلس وأغلقت الباب لذلك وكانت تلك الدعوة على أثر ليلة ذلك اليوم التي دعانا فيها لمأدبة العشاء فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد المشرف إذ ذاك على الأعمال الدينية في الحرمين، فلم تتأثر لبرد ذلك الموضع الذي يبعد عن الطائف شرقاً بسبعين كيلو متراً.

زيارة الملك لمصر والاحتفال هناك

لما كان في ١١ رجب من هذه السنة قام الملك فيصل بن عبد العزيز بزيارة رسمية لمصر حسب رغبة الرئيس محمد أنور السادات فأصدر إلى ولي العهد هذا القرار: (بسم الله الرحمن الرحيم، الرقم ١١٩/٩ التاريخ ١٠/١١/١٣٩٤هـ

حضرة صاحب السمو الملكي الأخ الأمير خالد بن عبد العزيز ولي العهد حفظه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فنظراً لعزمنا على السفر إلى القاهرة يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر رجب عام (١٣٩٤هـ) الموافق لليوم الثلاثين من شهر تموز عام (١٩٧٤م)، وذلك للقيام بزيارة رسمية لجمهورية مصر العربية تلبية للدعوة التي تلقيناها من فخامة الأخ أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، لذا فإننا نعهد إلى سموكم رعاية مصالح الشعب وتصريف أمور الدولة خلال فترة غيابنا عن المملكة سائلين الله أن يمدكم بعونه وتوفيقه والسلام)، التوقيع - فيصل، ولما أن قدم إلى مصر استقبل استقبلاً حافلاً هناك ونقلت وكالة الأنباء مظاهر الاهتمام الذي أبدته الدوائر الصحفية العربية حول زيارة العاهل السعودي وقالت صحيفة الأخبار أن المحادثات بين فيصل والسادات ستكون ذات أهمية وميزة خاصة بالنظر لأنها تأتي في وقت تشدد فيه الكثير من الأطراف في العالم العربي.. الخ وأذاعت الصحيفة أن المحادثات بين جلالة الملك فيصل والرئيس السادات التي ستعزز العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية وأشادت صحيفة الأهرام في عناوينها الرئيسية إلى المحادثات الهامة التي سيجريها الزعيمان الكيران وفي مقدمتها الموقف العربي الراهن والتعاون الاقتصادي بين البلدين، وقالت صحيفة الجمهورية أن زيارة جلالة الملك فيصل تلقى من الشعب المصري المسلم كل الاهتمام لمواقف جلالته المشرفة وأكدت صحيفة لبنان وأشادت بالدور الفعال، ووصفت صحيفة النهار زيارة جلالة الملك فيصل لمصر بأنها تتويج مشترك للفيصل والسادات، وقالت صحيفة الأنوار أن مصر تستقبل اليوم جلالة الملك فيصل بأفضل ما يمكن أن تستقبل به قائداً عربياً من محبة واعتزاز وتقدير، وتكلمت صحيفة صوت العروبة وصحيفة الشعب عن فائدة هذه الزيارة وثمرتها.

وفيها في يوم السبت ١٤/١٢ أصيبت باكستان بزلزال عظيم هلك سببه خمسة آلاف شخص وجرح خمسة عشر ألف شخص، ولا تزال الضحايا والزحايا من جراء تلك الزلازل تتضخم، وجرت مضرة على أكثر من مائة ألف ساكن.

تنبيه: قد أشرنا فيما تقدم عن الحرب والثورات في قبرص وذهب ضحيتها مئات الأسر المسلمة في جزيرة قبرص، ونشير إلى هنا إلى أنها مؤامرة تحاك ضد المسلمين في قبرص ويدل على ذلك المذابح التي ارتكبتها العناصر الحاقدة ضد المدنيين من الأطفال والنساء والشيوخ، وقد أسرت تركيا من اليونان الكاثنيين في قبرص ٧٨٣ أسيراً ونقلتهم إلى تركيا واستمرت الأحوال هائلة مائجة وكان بعد أن أطاح العسكريون بالأسقف مكاريوس في قبرص تخلص الاستعماريون من آخر زعيم في منطقة الشرق الأوسط قد ناضل ضد النفوذ الأجنبي، ووصل ببلاده بعد كفاح طويل إلى شاطئ الحرية، والسيادة والاستقلال فيما ذكرت عنه إحدى الجرائد اللبنانية، وكان قد نفى إلى جزيرة سيشل من قبل المستعمرين البريطانيين، كما نفى قبله سعد زغلول إلى الجزيرة نفسها، ولاقى من الاضطهاد والمطاردة والمكاييدة ما لقيه رجال التحرير في مصر والكتليون في سوريا والسنوسيون في طرابلس الغرب وناله أخيراً من العسكريين ما نال جميع قادة العرب الذين جلبوا إلى بلادهم الاستقلال والازدهار وتصدوا للصهيونية والاستعمار.

وفيها قامت الحكومة السعودية بنشر العلم والثقافة في اليمن ورأت مساعدة الحكومة اليمنية بجلب ثلاثمائة مدرس مصري وخمسين مدرساً سعودياً بالإضافة إلى ثلاثة وعشرين مدرساً قبل هذه السنة، وقامت بجميع مرتباتهم وميانتهم وكان لهذه اللفتة عظيم مشجع للتعليم في الشعب اليمني الذي طالما كان أبناؤه يعيشون في الجهل والجفاء ويضجون مما هم فيه من عدم التعليم، ولقد كان أبناء اليمن حال إقامتهم في السعودية يزاولون أعمالهم في النهار لطلب الرزق وفي الليل وأوقات الفراغ كانوا يدرسون بالمدارس الليلية ويغتنمون الفرص لأخذ نصيبهم من الدراسة.

وفيها صدرت الإرادة الملكية بتحويل المقابر صيانة لرمم الموتى فأقيمت الحيطان بالقواعد المسلحة والطوب، فعم ذلك المقبرتين الشرقيتين في مدينة بريدة والمقبرتين الجنوبيتين والمقبرة القديمة التي في وسط البلد كما أحيطت المقابر كذلك

في الموطأ وقد رصد للمقابر في مدينة بريدة خمسمائة ألف ريال، وكانت الأخيرة منها قد حامت حول وضعها الآراء لاندراستها ومضي حقبة من الزمن عليها وذلك لجعل موضعها حديقة، لأنه لا يعرف فيها قبور، ولكونها أصبحت مزبلة يوضع فيها القمام غير أن بعض المنازعين رأى بقاءها على وضعها لتضمن ما فيها.

أبشع مجزرة بشرية في القرن الرابع عشر

رجال يقومون في الصومال ينهون عن تغيير الشريعة فيحرقون بالنار في ميدان عام وتستأصل بقيتهم بالشنق على الأشجار وينادى لا إسلام بعد اليوم، بعث رئيس الجامعة الإسلامية فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز بريقة إلى رئيس حكومة الصومال لما علق أولياء الله بأعناقهم في جذوع الشجر ليلفظوا أواخر أنفاسهم، في هذه الحالة الشنيعة يقول فيها مخاطباً للرئيس: اتق الله ولا تعذب المسلمين وخوفه بقدرة الله الذي لا يفوته هارب ولا يعاجزه مغالب وأن الله من فوق الجميع.

ونحن نسوق ما جرى في الصومال فنقول هتف الماركسيون في الصومال أثناء زيارة بود غوتي للصومال لا إسلام بعد اليوم وهو هتاف رددوه من قبل في السودان واليمن الديمقراطية بل في اليمن الشمالي إبان الفتنة الأخيرة، وأقدم النظام الانقلابي في الصومال على إلغاء الشريعة المطهرة الإسلامية بأن جعلوا للمرأة مثل حظ الذكر في الإرث وألغوا آية الطلاق فقرر النظام ألا طلاق أبداً وألغى تعدد الزوجات وعارضوا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْهُمَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعٌ ۖ وَبِمَا أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَأَيِّ مَعْصِيَةٍ وَأَيِّ رَدَّةٍ أَعْظَمَ مِنْ إلْغَاءِ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ، فقد وقف المسلمون يرفضون هذه الردة ويطالبون بالإبقاء على شريعة الإسلام، وخطب أحد أئمة المساجد ينكر هذه الردة ويذكر المسلمين بضرورة التمسك بشريعة الله ويتلو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ

مَنْ الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وهب أكثر من داعية يعبر عن عقيدته ويصور مشاعر المسلمين الصوماليين تجاه محاولات إلغاء الشريعة الإسلامية، فالقى النظام الانقلابي القبض على هؤلاء الدعاة، ثم حرقوا بالنار وعشرات حكم عليهم بالسجن مدداً تجاوزت كل خيال، وفي وجه هذه الردة وقف المسلمون في الصومال فكان مصيرهم القتل بأشنع القتل وهو التحريق بالنار وتعليقهم بأعناقهم وقتلهم بالشنق، فيا لهذه الحالة النكرى وكيف توصلت الأمور إلى هذه الأفعال الشنيعة التي لا يقرها الإسلام ولا العرف ولا الطبيعة، رجال يدافعون عن شريعة الإسلام فيحرقون بالنار، رجالاً قالوا ربنا الله وشريعتنا الإسلام واستقاموا فيعاملون تلك المعاملة ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ وعى الانقلاب اللغة العربية واستبدلها في النطق والكتابة باللغة اللاتينية، وأطالت جريدة المجتمع واستنهضت الأمة الإسلامية بأن لا مبرر للمجاملات وأنه يجب على المسلمين في كل أرض بأن يقفوا وقفة رجل واحد من أجل إنقاذ الإسلام والمسلمين من هذه الورطة، ثم كلفت الأمة رابطة العالم الإسلامي أن تتصل بكافة المنظمات المشتركة الإسلامية فوراً وتدعوها لعمل جاد مؤثر وفعال لهذه الأوضاع في الصومال.

اضطهاد المسلمين في زنجبار

قام تيريري يلعب دوراً خطيراً في أفريقيا ولاقى الدعاة إلى الله منه أشد الأذى وأنواع العذاب والتنكيل والتشريد، ومن الذين طردوا خارج البلاد قاضي القضاة هناك، وصدر الحكم على الشيخ حسن بن أمير وهو زعيم إسلام وذكره بالتقى والصلاح، فمنع من العمل في الدعوة إلى الله وتوج تيريري انتصاره على المسلمين ببناء ثمان كنائس في زنجبار إضافة إلى الأربع الموجودة سابقاً، وقد قام تيريري بفصل المئات من المواطنين المسلمين من وظائفهم وترحيله وقتل بعضهم واعتقال البعض، وذلك في محرم ١٥ من السنة القادمة وقام بقتل الناس الأبرياء في المساجد

أثناء تأديتهم للصلاة وذلك دون أدنى سبب، وقام بزج قادة المسلمين والوعاظ والمرشدين والزعماء في السجون وطردهم ومنع التجهيزات الدينية عن المساجد، وإدخال المناهج الهدامة في المدارس ومنع تدريس الدين الإسلامي في المدارس والمعاهد، وقد رفع أبناء بلدة كفر شنوبا المقيمون بدولة الكويت شكواهم إلى المسلمين مآدين أيديهم للعون والمساعدة لبلدتهم المنكوبة والتي دمرها العدو الإسرائيلي تدميراً تاماً، وذلك بالقصف المتواصل خلال ثمانية أيام ليلاً ونهاراً دمرتها اليهود بالمدفعية والدبابات والطائرات مما شرد أهلها وجعلهم بلا مأوى ولا مأكّل ولا لباس فاعتصموا في المساجد والمدارس والمستشفيات، وجرى على المجاهدين أيضاً من المسلمين في الفلّين وبين الحكومة الكاثوليكية حروب جديدة في جنوب الفلّين، ودارت رحى معارك شديدة البأس كثيرة الضحايا فلقد استخدمت حكومة ماركوس ضد المسلمين قنابل النابالم، وضربت بيوت المسلمين هناك وقراهم ومساجدهم وشيوخهم ونساءهم وأطفالهم وقامت الدبابات والطائرات والصواريخ وقنابل النابالم بضرب المسلمين وعلى الرغم من عدم التكافؤ فإن المجاهدين المسلمين نالوا من العدو نيلاً عظيماً وكسروا شوكة الظالمين، وكذلك ما جرى على مدينة أحمد أباد من أذية المسلمين بحيث كانوا يشدون المسلمين بالحبال ثم يرمونهم في النيران الملتهبة وهم أحياء حتى يتحولوا إلى رماد حيث تحولت عدة مناطقها إلى ركام من الحراب، هذا بعد نهب أموالهم وحرق متاجرهم ومنازلهم وانتهاك محارمهم مما تقشعر منه الجلود وتشمئز منه القلوب وتكره الفطر السليمة والأخلاق المستقيمة استهتاراً بالشريعة المحمدية.

في هذه السنة نشرت صحيفة الشهاب اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ ربيع الأول الموافق نيسان فقرات خطيرة من خطاب الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الذي ألقاه في مؤتمر المدرسين والمربين لمناسبة الملتقى الدولي حول الثقافة الذاتية والوعي القومي يتضمن الطعن في القرآن الكريم بأنه متناقض ومشتتل على بعض الخرافات، وقد نشرت نص الخطاب جريدة الصباح التونسية على جزأين في

عدددين صدرا بتاريخ ٢٠ و ٢١ من شهر آذار مارس الماضي وهي ثلاث نقاط ذكر
 أبو رقية في خطابه أن في القرآن تناقضاً لم يعد يقبله العقل بين ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا﴾
 إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
 وذكر أن الرسول محمداً كان إنساناً بسيطاً يسافر كثيراً عبر الصحراء العربية ويستمع
 إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن،
 مثال ذلك عصا موسى، وهذا شيء لا يقبله العقل بعد اكتشاف باستور وقصة أهل
 الكهف وذكر أن المسلمين وصلوا إلى تأليه الرسول محمد فهم دائماً يكررون محمداً
 ﷺ يصلي على محمد، وهذا تأليه لمحمد، وقد دعى في ختام خطابه المربين وأهل
 العلم إلى تلقين ما قاله حول الإسلام إلى تلاميذهم، النقطة الخامسة معارضته إعطاء
 المرأة نصف ما يُعطي الذكر، النقطة السادسة أفكاره تعدد الزوجات ولا ريب أن
 هذا كفر صريح وقد أفزع هذا المقال كل مسلم قرأه أو سمعه، فصاح به العلماء
 وهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وحسين محمد مخلوف وأبو الحسن علي
 الحسيني الندوي وأبو بكر محمود جومي والدكتور محمد أمين المصري وأرسلوا إليه
 بتاريخ ١٦/٤/١٣٩٤ هـ برقيات استنكار لتلك التصريحات المكفرة التي فيها
 الطعن في القرآن والنبي المصطفى وطلبوا منه أن يكذب ما نسب إليه، وقام الشيخ
 عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الإسلامية ومفتي الديار المصرية سابقاً
 وقاضي ولايات شمال نيجيريا وأمين عام ندوة العلماء لكنوا الهند وقد تجاوب
 معهم الرئيس وواعد وتبرأ وتقدم السفير التونسي في المملكة برسالة من الوزير مدير
 الديوان الرئاسي برقم ٤٠٦ تاريخ ١١ ماي (١٩٧٤م) للشيخ ابن باز ذكر فيها أن
 فخامة الرئيس قد اطلع على برقيته شاكراً له حسن عنايته وقيامه بالنصيحة لله
 ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وذكر أن الحبيب بورقيبة إنما جاهد فرنسا
 لإعلاء كلمة الله والوطن وإرجاع تونس دولة مستقلة دينها الإسلام ولغتها العربية
 وأنه ما كان ليدور بخلد فخامته الطعن في كتاب الله ولا في مقام الرسول الأكرم
 عليه أفضل الصلاة والسلام وهو الذي نصر الحق بالحق وهدى إلى الصراط

المستقيم إلى آخر كلامه، وكان الشيخ عبد العزيز قد أرسل إليه برقية في ١٣٩٤/٤/٧ هـ وتلطف ورجا من الرئيس أن يعلن البراءة من جميع ما نسب إليه والحقيقة أنه لا ينبغي من رئيس يتظاهر بالإسلام أن يعتقد هذا الاعتقاد لأنه يخرج من الملة ثم نشر الشيخ ابن باز رسالة سماها حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات أو وصف الرسول ﷺ بما يتضمن بنقصه أو الطعن في رسالته والرد على الرئيس أبي رقية، فيما نسب إليه من ذلك، وقد وزعت الرسالة في المدينة المنورة بعد ذلك.

وفي هذه السنة أحصيت وظائف البلديات في المملكة السعودية كما جاء في جريدة الرياض ٧/١٠ فبلغت مع وظائف مصالح المياه تسعة آلاف وسبعمائة وثمانين وظيفة.

وفي ١٨ ذي القعدة من هذه السنة يقف الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز يقص الشريط للافتتاح الرسمي للحرم الجامعي الجديد لكلية البترول والمعادن بالظهران.

وفيها أنشئ في المملكة السعودية صندوق التنمية العقاري وذلك في ١٣٩٤/٦/١١ هـ أول يوليو (١٩٧٤م) ويهدف إلى تشجيع القطاع الخاص على البناء والتعمير لعرض السكن الشخصي والاستثمار ويقوم بمنح قروض بنسبة ٧٠٪ من تكاليف البناء بحد أقصى ٣٠٠ ألف ريال.

ثم دخلت سنة (١٣٩٥هـ)

استهلّت هذه السنة وقد انبعثت روح الحياة الإسلامية تدب في ساكني قارة أفريقيا والباكستان واليمن وغيرها من إمارات الخليج وذلك لبعث المدرسين والمرشدين والموجهين من المملكة السعودية وبذل المساعدات المادية لبناء المساجد والرباطات والإعانة لبناء المدارس والمعاهد هناك، وقد بث الملك فيصل دعاية قوية فكان بذلك أعظم داعية إسلامية في زمانه، وقد ترجمت كتب إسلامية عربية بسائر

اللغات المنتشرة هناك، وكثر الإسلام في تلك الجهات وانتشر فكانوا يعتنقونه بالعشرات والمئات وبعثت الحكومة السعودية بعض أئمة المسجد الحرام لإقامة صلاة العيد وشعائر الإسلام هناك، وقد واجهت تلك الدعاية قبولاً من الرؤساء والمعظمين والمتبعين الذين يسودون تلك الجهات، وقام المبتعثون وما يتخرج من الجامعة الإسلامية ينشرون الدعوة إلى الإسلام ويشرحون لرؤساء البلدان مرامي السياسة الإسلامية الرشيدة وما تهدف إليه من جمع كلمة المسلمين وإزالة العوائق التي تحول بين اتصال المسلمين بعضهم ببعض.

وفيها أسست المدينة الصناعية ببريدة خلف قرية رواق في الجهة الجنوبية على بعد سبع كيلو من مدينة بريدة، وكانت تبلغ مساحتها زيادة على مليون متر مربع وكانت تضم حالياً ستة مصانع وهي مصنع الطوب الفخاري ومصنع الإسفنج الصناعي ومصنع الألمنيوم ومصنع الغازات ومصنع للأثاث، ومصنع للبلاستيك وتقوم هذه المدينة بخدمة المصانع والمشاريع الصناعية وتقدم المواد الأولية اللازمة للمشروع، ويوجد فيها خمس محولات كهربائية محطية وغير ذلك وتعمل أوتوماتيكياً للرفع. وقد شرعت الوزارة في تأسيس عدد من المدن الصناعية في المملكة، لأن هذه المدن توفر للمصانع الخدمات ومصالح أخرى، وقد تأسست المدينة الصناعية ببريدة على أن يكون فيها خمسون مصنعاً ولا ريب أنها خطوة تقديمية تخطوها المملكة.

وفيها في مستهل ربيع الأول عام (١٣٩٥هـ) الموافق ٢٢ من برج الحوت فشا بين الناس أن رجلاً من ضواحي بلدة حائل رأى ملكاً فاتبعه في أثره حتى صعد الملك على جبل هناك فآثرت قدماءه في الجبل آثاراً بيضاء ومن الناس من يقول كان لها أثر نور في ظلمة الليل، ويبالغ بعض الرواة في هذا الموضوع، فركبت إلى بلدة حائل واتصلت بالإمارة وهناك سألته فأجاب بأن ذلك له ذكر عند العامة ولكنه أقل من مخبره فزودتنا الإمارة بسيارتين لرؤية الجبل وتتبع الآثار المذكورة هناك

والوقوف عليها فقيل إن الذي وقعت له هذه القصة أعرابي في تلك الضاحية، ولما أن سرنا إلى تلك الجهة سألنا عنه حتى اتصلت به ليروي لنا القصة، ووجدته أشمط مربوع القامة يدعى عبد الله بن زايد الحميدي فقال أنه كان لدي ماشية من الغنم وكانت السنة محملة ومجدبة فكنت أعلفها وأجمع لها حتى لم أجد ما أعلفها به فكنت أرثي لغنمي كلما رأيته، وكان يأتي إلى بئرنا رجل يدعى زين المطيري ليستقي من مائها ويستعذب لأهله وهو شيخ كبير يقود سيارته وقد يساعده أبنائنا لموقفها لأنه لا يهتدي إلى مصب الماء تماماً فقدر أنه جاء ولم يجد من يساعده فاختل توازن السيارة وحصل ضجة شديدة من الأولاد خوفاً من أن تسقط في البئر ففزع لذلك وخاف ونزل إلى الأرض يتفقد السيارة، ثم دعا بماء فصب على رأسه ويديه ورجليه ثم سأل الأولاد هل أحدث عدم اتجاه السيارة حادثاً فأخبروه بالسلامة ولطف الله تعالى غير أنهم خشوا أن تسقط السيارة في البئر فصاحوا لذلك فحمد الله وشكره على لطفه ثم قال لا حول ولا قوة إلا بالله، إن هذه السنة لمشؤمة رأيت السحاب يلتحم ولا يمطر ورأيت الغبرة والفترة فأسأل الله أن يجعل المصيبة في العشب أو الحلال ولا يجعلها في الراعي ووالي الأمر ثم ذهب وأحدث كلامه انزعاجاً وكانت الأعراب يتشاءمون، ومن جهة أخرى فقد كان في مصر فلكي يدعي علم النجوم في حساباته فكان يتنبأ في لياليه وعلم النجوم أنه يموت عظيم في هذه السنة، ويفشل مؤتمر كذلك بنبوءة علمه ثم ذكر الأخ عبد الله بن زايد أنه ذهب كعادته هو وصبيته لرعي الغنم ومن بينها شاة يجلبونها ويزيدون في علفها لذلك قال فلحقني ولها ثغاء كأنها تشتكي من الجوع فقال مخاطباً لها أشكو إلى الله هذه الحالة قال ثم توسدت حجراً ونمت فتبدى لي إنسان طوال أبيض اللون وعليه لباس أبيض فقال بشر الناس بخير ولا يحزنوا ثم ذهب وصعد إلى جبل يبعد مسافة كيلوين عن موضعه يدعى بجبل ذوف فلما استيقضت ذهبت أتبع آثاره فوجدت مواضع أقدامه بيضاً نعم وجدناها بيضاً حينما وقفنا عليها وتقدر بأربعين قدماً، وهي أقدام رجل معتدل القامة فليس القدم بالطويل ولا القصير وانتهت على جبر

ماء في ذلك الجبل الذي يدعى جبل ذرف في شعيب يسمى شعيب الحفن وهناك خيمة فيها رجال محافظون على آثار تلك الأقدام وهي لا تزال باقية منذ شهرين ونصف شهر لم تمح، ولكنها لم تحتفر بالصخر ولم تكن مضيئة كما زعموا ولكنه موجود في الجبل على مسطحة أثر قدم منطبع في الصفا بأصابع واضحة ورؤية واضحة كبير الحجم هدانا إليه أحد الحارسين هناك.

حادث أليم في هذه السنة

لما كان في اليوم الثالث عشر من ربيع الأول استشهد فيصل بن عبد العزيز فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

صفة الحادث

لما كان في هذا اليوم المذكور ١٣/٣/١٣٩٥ هـ الموافق ليوم الثلاثاء ٢٦ مارس -آذار- (١٩٧٥م) تقدم فيصل بن مساعد بن عبد العزيز فدخل على عمه فيصل بن عبد العزيز متذرعاً بتهنته بعيد الميلاد، وكان متجنداً المسدس خفية وبما أنه من الأسرة فإنه سمح له بالدخول فأفرغ رصاص المسدس في رأس الملك وصدره وكان هناك قرائن تدل على أنه يخشى على الملك منه وكان أمر الله قدراً مقدراً. ولما أن وقع هذا الحادث الأليم المشؤوم سقط الملك عن الكرسي ورفع طرفه إلى السماء، وقال إرادتك يا رب، ثم تكلم بصوت خافت يقول: حققوا مع الجاني، ولما نقل إلى المستشفى ما كان إلى حياته من سبيل وسلمت روحه إلى خالقها وقد قبض على الجاني وضربوه بأعقاب البنادق حتى انكسرت إحدى قوائمه وأودع السجن وقد حدث لذلك رنة أسف في مشارق الأرض ومغاربها وفي الجزيرة العربية ونكست الأعلام لموته وأعلن الحداد في سائر ممالك الدنيا عليه لأنه أكبر داعية إلى الإسلام وأكبر مقاوم للشرك في زمانه، وهكذا أعرب الجاني بأنه قتله لذلك وهذا لما جرى التحقيق معه وتكلم بكلام خرج فيه من الإسلام.

استشهاد الفيصل العظيم - رحمه الله -

لما قتل في الساعة الثالثة صباحاً بالغروبي أعلن الديوان الملكي بالرياض بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور نبأ استشهاد الفيصل رحمه الله وهو يصرف شؤون الدولة ويواصل نهجه في البناء والتطوير وما أن أذيع النبأ حتى ذهل الناس جميعاً وأصابهم الوجوم والحزن وأغلقت متاجرهم وتركوا بيوتهم متوجهين إلى قصر الحكم في الرياض بين مصدق ومكذب وغير مصدق وإلى دور الإمارات في داخل المملكة والسفارات في خارجها فوجدوا الأعلام منكسة وإذا الخبر حقيقة والفيصل الغالي ينتقل إلى الرفيق الأعلى، فعمّ الحزن وانهمرت الدموع لوعة وحسرة على الفقيد الراحل طيب الله ثراه، كما حضرت الألوف المؤلفة من داخل المملكة وخارجها لتشيع جثمان الشهيد إلى قبره ولتعزية الأسرة المالكة وهم يتلون قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولما نودي بالصلاة عليه بعد العصر من اليوم الرابع عشر وحمله ودفنه وسار نعشه فوق الرؤوس كنت لا تسمع إلا البكاء والابتهاال والنداء بذكر الله جهراً وحصلت ضجة عظيمة شديدة وزحام عظيم واشتد الخطب وعظم المصاب وشقت الجيوب من بعض الأنام وانطلقت بالثناء الأعلام، وكنت ممن وفد للصلاة عليه وتشيع جثمانه فرأيت حالة يرثى لها وحاملي النعش من الأسرة السعودية من بين الأمة قد رفعوا أصواتهم بالبكاء وسباباتهم بذكر الله جهراً فكان مشهداً أليماً ولبست بعض الجهات السواد لموته، وذلك لأنه سقط في ساحة الشرف في سبيل القضايا العربية التي وقف حياته لها ولفظ آخر أنفاسه في خدمتها قالت الرياض في أحد أعدادها (قلوب الناس لم يخف حزنها وعيون لم تحف دمعها) إن قلوبنا لن يخف حزنها وعيوننا لم تحف دمعها بفقيد بطل العروبة والإسلام فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - الذي ترك فينا ألماً وحزناً مصيبة برحيله عنا فقد كان يعيش في قلوبنا في أفكارنا في كل حياتنا إن الفيصل العظيم زرع حياتنا أمناً ورخاءً وسروراً ورفاهية

وجعلنا قمة في هذا الوجود قمة في حياتنا فقد جعل الشعب السعودي المثل الذي يحتذى به ولم يكن الشعب الذي قاده الفيصل الباني إلى القوة والمجد وأسس نهضته العارمة وحده ولكن الشعوب العربية والإسلامية قادها بطل الأبطال إلى بناء مجدها وعزها وتوحيد صفوفها ووقف في كل المنابر يدعو إلى الخير والفضيلة يدعو إلى السلام والعدل إلى آخر كلامه.

ونشرت هذه الجريدة لإحدى نساء الأسرة كلمة عنوانها: القائد الملهم.

ماذا بعد فيصل، وماذا بعد الذي حقق الخير والسلام في أرجاء العالم، أبعد فيصل أبعد قائد داع إلى السلام في العالم الإسلامي والعربي إن هذه الخسارة عظمت وفادحة كبرى بعد فقد هذا الرجل الذي ضحى بكل حياته وراحته وسعادته في سبيل الرفاهية لهذا الشعب المخلص الذي تمنى أنه فقد أعز ما يملك من المال والبنين في سبيل حياة الفيصل ولكن هذا قضاء الله وقدره أن هذا الشعب الذي ذرف الدمع الغزير على فقيده هذه الأمة ألا وهو الفيصل الشهيد لا يفي حقاً من حقوقه العظيمة ولا نقطة من دمه التي خرجت من جسمه الطاهر على يد أئيمة وهو على مكتبه يجاهد من أجل المقدسات الإسلامية ومن أجل إسعاد هذه الأمة وفي سبيل إعلاء كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله التي لا تفارق ذلك الفهم، إلى أن قالت: فيا لهول هذه الخسارة على الأمة الإسلامية والأمم التي تنشد السلام فإن القلوب ذابت والعيون عمت من شدة البكاء وإنني أكتب هذه الأسطر التي لا تفي الفيصل حقه وأنا لا أكاد أرى سطراً من سطورها من شدة الدموع وكل هذا لا يجزي فيصل الشهيد الأب الحنون المرحوم والابن البار لشعبه وأمتة والرجل المتواضع في جميع أعماله وفعاله فيا رب وفق خليفته خير خلف لخير سلف وبارك في مساعيهم وخذ بأيديهم ليسلكوا الطريق الذي سلكه الفيصل وبارك في مساعيهم وخذ بأيديهم ليسلكوا الطريق الذي سلكه الفيصل وبارك في مساعيهم وخذ بأيديهم واجعل خالداً وفهداً محروسين تحت حراستك وتحت حمايتك واجعل فيصلاً في جنة الخلد مع الشهداء الأبرار والصالحين من عبادك وأظله تحت ظلك

يوم لا ظل إلا ظلك واجبر مصيبتنا وأحسن عزاءنا وثبت أقدامنا على طاعتك
واقهر أعداء الدين وانصر عبادك الموحدين، واجعل هذا البلد تحت ظل المليك
وولى عهده آمناً وسائر بلاد المسلمين يا الله.

قالت أيضاً هذه الجريدة تحت عنوان (رحم الله الراحل العظيم) رحمك الله يا
فيصل العرب والمسلمين رحمك الله يا شهيد الأمة العربية والإسلامية رحمك الله
قائداً فذاً وحكيماً نافذ البصيرة ثاقب الرأي ملكت عرش القلوب في وقت
اضطربت فيه الموازين وتفرقت فيه الأمة العربية شيعاً وتألبت فيه قوى الشر
وتحيرت فيه وسائل الإعلام ضد مواقفك التاريخية في دعوة التضامن العربي ودعوة
التضامن الإسلامي فاستطعت بما منحك الله من الصبر والحلم والحكمة والجلد
والحزم والتسامح من ترأب الصدع وتجمع الكلمة وتوحد البلاد العربية وتشد من
أزر دول المواجهة وأن تساهم في معركة رمضان المبارك العسكرية وما تبعها من
معارك سياسية واقتصادية لا تزال آثارها قائمة وكنت المرجى بعد الله في إصلاح
الأمر بما عرف عنك من سداد الرأي والحزم وحسن الإدارة والجلد والمثابرة
والصبر والحلم والتواضع، وبعد النظر وبدأت جهادك بل واصلت جهادك الشاق
ورسالتك العظيمة مستلهماً من الله العون والرشاد وملتمساً من إخوانك ورجالك
المخلصين العون ومسترشداً في سياستك وقيادتك مبادئ المغفور له مؤسس الدولة
السعودية وموحد الجزيرة العربية تلك المبادئ التي أهمها الحلم والحزم والتسامح
والتواضع فكنت أخاً وخادماً وقائداً فتحققت على يديك المعجزات بفضل الله ثم
بفضل قيادتك الرشيدة وأطالت الجريدة في تعداد مواهبه وفضله وتسامحه مع
خصومه كل ذلك لأجل جمع كلمة العرب سعيّاً وراء وحدة الصف وأثنت على
نهضته بالملكة حضارياً واقتصادياً بحيث جردت كثيراً من دول أفريقيا من علاقاتها
السياسية والاقتصادية من القوى الصهيونية إلى آخر الثناء على الفقيه، قال غازي
القصبي يرثي الملك فيصل بن عبد العزيز:

فارس القدس اقفر الميدان وهوى البند واستراح الحصان

سقط السيف من يد رفعته
وانخنكت أمة عليك بقلب
الرياض الحسنا وجه كئيب
والجماهير موجة من زهول
نبأ طاف بالصحارى فريعت
أجهشت بعده الخيام وفاض الـ
فارس القدس لو يجوز فداء
لو يرد القضاء لانتصب السحب
لو يصد الردى الثبات لصد الـ
لو ونحتي الرؤوس هذا قضا
كلما ضلل المصاب نهانا
فارس القدس أغمض العين واهدا
قد بلوت الجهاد والعمر غض
وخبرت النضال شيخاً فلم يصدأ
خطوات القصون فوق محياك
خضتها بالسلاح والهول نار
خضتها باليقين والأفق بحر
خضتها بالصمود ينتحدر
خضتها بالسديد من ثابت الرا
فارس القدس كيف عبت وما حيـ
مت والقدس في عيونك حلم
مت والقدس في دمائك شوق
مت والقدس في الشفاه صلاة
فارس القدس لا يزال على القد

نصف قرن واستسلم العنفوان
ملاً التوحيد نبضه والحنان
أوغلت في شحوبه الأحزان
ونشيج ماذا يقول البيان
واقشعرت لهولته الكتبان
رمل دمعاً وأنت الوديان
لافتدتك الأضلاع والأجفان
سياجاً فما استطاع الجبان
موت حزم ملكته وجنان
الله هذا ما شاء الرحمن
ردنا من ضلالنا الإيمان
فلقد أهرق الكمي الطعان
والصبا في أحصاله ريان
فرند ولم يكل سنان
حروب وقودها الشجعان
تتلظى وللردى جيشان
مدلهم يعي به الربان
اليأس عليه يخافه الإذعان
ي وللرأي في الحروب مكان
اك في قدسك الحبيب أذان
وخيال منظر فتان
ليس يهدأ أيهدأ الطوفان
يا إلهي متى يحين الأوان
س ظلام نخيم وهوان

في ربوع الإسراء يستأسد البغـ
 غرهم أناهد أنا وهل يد
 فارس القدس مت ويبقى الحـ
 كلما خر فارس في ثرائنا
 منجم للرجال أرض بلاد
 شع منها الهدى فأومضت الد
 وأطل الصباح يزهب كفر
 يا بلادي والجرح دام عميق
 كفكفي الدمع فهو فينا وإن
 هو فينا حسب البسطة لم
 هو فينا الصمت الدوب والصم
 هو فينا فكرر ورأي سديد
 وهو فينا التصميم أن تدخل القد
 وهو فينا بشائر الغد نبنيـ

سي علينا ويشمخ الطغيان
 رون ماذا يدبر البركان
 ب يبقى الوفاء يبقى الكيان
 دفع البند بعده فرسان
 في رباها تنزل القرآن
 نيا جوراً ومادت الأوثان
 في سنياء ومولد الإيمان
 والليالي من حولنا أشجان
 شق ضريح ولفست الأكفان
 يطغ عليها عز ولا سلطان
 ت بيان وللسكوت لسان
 واعتدال محبب واتزان
 س كراماً أن ترجع الجولان
 ه رخاء ليسعد الإنسان

قدمنا هذه القصيدة لما فيها من الأسف الشديد من أن يتوفى المترجم ولم يحرر
 القدس، وهذه ترجمته: هو القائد المحنك والعبقري المقدم والباقة الذي يوقف كل
 معتد عند حده فيصل بن الإمام الأعظم والرئيس الفخم عبد العزيز بن عبد الرحمن
 بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن الأوحدهمام
 والرئيس المقدم ولد في مدينة الرياض في ١٤ / ٢ عام (١٣٢٤هـ) ووالدته ابنة
 الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ طرفة ابنة عبد الله بن عبد اللطيف بن
 عبد الله بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، نشأ نشأة أدبية ورباه والده تربية
 إسلامية عبقرية، وكان يسمى ذا النورين فأبوه بطل الصحراء، وأبوه من أمه من
 الأخيار الذين يتسلسلون إلى إمام الدعوة السلفية وزوجه والده لما بلغ من العمر
 خمس عشرة سنة بأم ابنه عبد الله سلطنة السديري، فولدت منه عبد الله بن فيصل

وسنة ست عشرة سنة وبعثه والده الملك عبد العزيز، وهو في السادسة عشرة من العمر إلى لندن للتعرف بلندن بصحبة أحمد بن ثنيان، وذلك لما كان يرمقه والده فيه من المؤهلات وحسن الجواب مع حداثة سنّه وكان يقول عنه إنني أستحيي من فيصل من بين أبنائي ومن كان أبوه عبد العزيز وجده عبد الله بن عبد اللطيف حق له أن يكون نجيباً، فهو البطل الجسور والليث المصور، قاد الجيوش بحياة والده قيادة بصير محنك وهزم الأقران، وكان عظيماً لا تلين قناته ولا يقنع له بالشنان كأنما قلبه قطعة من الصوان وكان ماهراً في القيادة بسياسة حيرت العالم كله وأحرز انتصارات عظيمة تدمر بعضها في هذا التاريخ وجعله والده نائباً في الحجاز جميعاً ثم أضيف إليه وزارة الخارجية فقام بأعماله خير قيام جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وكان هو العضد الأشد لأخيه سعود لما تولى الملك بعد أبيه، وكان مع ذلك صبوراً وذو معرفة وبصيرة بالرجال، يقدر من يستحق التقدير، وله ميل إلى الأدب والأخلاق الكريمة والشرف وله حسن تدابير وأعدده والده لمهام الأمور وصعوباتها فكان ينجلي بسعيه وإدراكه ما لا يدور في الخيال، ولما أن زحف لقتال أهل اليمن المتمردين ووجدت القيادة له نازل مدينة ميدي وأصدر أوامره على القوات للهجوم عليها وجعل يطالع عن كثب من المرتفعات للكشف على المدينة، ولكنه جعل يفكر في العجزة من النساء والشيوخ والذراري ومن لا ذنب له إذا وقعت الواقعة وعمهم الدمار والتهمتهم النيران وبينما هو ينتظر الساعة التي قرر فيها الهجوم إذ قد رفعت الأعلام فيها للتسليم والاستسلام وجاءه مندوبها لذلك فاحتلها من دون سفك دماء، وفرت قوات الإمام يحيى هاربة هي وقائدها عبد الله العرشي فبعث القوات في آثارها وفتكت بهم فتكاً هائلاً فوقعوا في شر حالة ما بين قتل وجريح وأسير، وقد أوصى أن يؤتى بالعرشي أسيراً فجيء به مكبلاً بالحديد، وألقي أمامه ولكنه لأدبه وحسن مجابته لم يقتله، وكان في حرب الغفران الذي أدار إليه الدائرة فيه على اليهود هو الدينامو الفعال بحيث قطع البترول عن أمريكا فتوقفت السيارات في الطرق، ولما علمت اليهود بتلك التدابير أوعزت إلى أسياها

في أمريكا أن تطلب منه إيقاف الحرب والسعي في ذلك، وبما أن العرب موتورون من أعمال اليهود وتعسفاتها فإنه لم يخضع لذلك، وأصيب حليفة أمريكا بقوارع من أمر الله ما لا يطاق وهدت القوات المصرية خط بارليف الذي يعتقد العدوان لو اجتمعت الإنس والجن عليه لم يهدوه وكان قاب قوسين على أن تستسلم اليهود غير أن الأمور مرهونة لأوقاتها والله تمام الحكمة وله الحجة البالغة، فلو شاء لهدى الخلق أجمعين وفي عام (١٣٧٣هـ) نودي به ولياً للعهد وفي عام أربع وثمانين نودي به ملك المملكة العربية السعودية عن اختيار من الأمة واتفاق على ذلك فسار بالمملكة إلى الأمام ولا نطيل فحدث ولا حرج ولكن ويا للأسف أنها اختطفته أيدي المنية وخسرته المملكة وقد قلت هذه المراثية في عاهل الجزيرة الراحل الذي شاهدته من أعظم المحترمين لي والمقدرين للعلماء فيا لها خسارة لا تشبهها خسارة، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فقلت هذه مراثية في إمام المسلمين وأمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز لما توفاه الله تعالى بسبب الاعتداء فأصبحت المملكة العربية السعودية بحالة حزينة لفراقه:

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| لكارثة هدت جميع الجوانب | نريق دموعاً حزنها غير ذاهب |
| على فيصل بدر الزمان وشمسه | ومن حاز جل الكرامات الأطائب |
| فلله من عين تحلب دمعها | وتبكي طويلاً بالدموع السواكب |
| على مثله تبكي الأنعام بحسرة | وتندب شهماً ماهراً في التجارب |
| فما شئت من حزن وندب ولوعة | وحسرة أشجان وصرخة نادب |
| أصبيت به أقطار أمة يعرب | بكى الشرق ثم الدهر حتى المغارب |
| فيا لك من رزء ويا لك من أسى | ويا لك من حزن مريع المصائب |
| فيا أمة الإسلام هذا مصابكم | دهانا به قدم جهول العواقب |
| عليه من الرحمن ما يستحقه | وباء من المولى بخزي العواقب |
| وقد قيل في الأمثال بيت وإنه | لا صدق قيل في اللئام الأجانب |
| فلا تحقر الخصم الضعيف بضعفه | فكم خرب الجرذي في سد مأرب |

دهانا بها عظمى بكف أثيمة
فجعت به شعباً وأيتمت أمة
ففي خامس التسعين من بعد ألفها
بيوم الثلاثاء من ربيع الأول
فيا لك من يوم مشوم على الورى
به فقدوا حبراً شقيقاً على الورى
به فقدوا شهماً نبيلاً مؤدباً
لقد كان سداً محكماً دون شعبه
فما فيصل إن قيل من هو فيصل
ملاذ عيايل ثمال أرامل
ملاذ لقصاص إذا ما لجوا له
يقضي لياليه قياماً بواجب
صبوراً على الشدات محتمل الأذى
لقد ملأ الدنيا سروراً وغبطة
فيا ويح للشورى إذا قيل من لها
مضى ملتجأ المفهوم من كان ساهراً
مضى كاشف الأوهام في عقله الذي
لقد كان كهفاً يلتجى فيه خائف
وسرنا نشق البيد من كل وجهة
نوالي إلى نحو الرياض مسيرنا
فلله من ألف وألف تجمعت
هناك ترى فوق البيوت خلائقاً
شوارعها من غصة قد توقفت
فهذا لذكر الله يرفع صوته

وكم من ضعيف نافذ في المضارب
وأذويت روضاً زاهياً بالغرائب
ثلاث مئين قد تلاها لحاسب
ثلاث وعشر يومها ذو مصائب
به ضلت الأفكار حقاً لنادب
سجيته نشر الهدى في الأجانب
شمائله التقوى وقمع المشاغب
وغوثاً عظيماً يرتجى في النوائب
سوى أمن أوطان وغوث لطالب
غياث ذوي عدم جزيل المواهب
وقد نالهم أمر عظيم المصاعب
لإنصاف مظلوم وقمع المشاغب
إذا أظلمت أرجاؤها بالغياب
وأضحى بنو الإنسان في خير عاقب
ويا ويح للآراء في فقد صائب
لنصرة مظلوم وكشف المعاطب
يفوق به أهل النهى والتجارب
يلاذ به عند اشتداد النوائب
لتشييع جثمان ودفن لذهاب
بيوم به لفح الهجير النواكب
وضاقت بهم أقطارها في المناكب
نساء وأطفال كحال الجنادب
ينادون بالويلات من حر لاهب
وذاك بتكسير وذا بتناحب

وكم تاكل حرى تمزق شعرها
شعارهم لبس السواد لفقده
وأعلنت الأرض الحداد تفجعاً
ونكست الأعلام فوق عراضها
بكته جهات الأرض في كل وجهة
وشقت جيوب من يتامى ورملة
إلهي فجعت الشعب كن خلفاً لهم
يلم لهم شعناً ويجمع شملهم
وقفت على أنصابه أبدى للأسى
على ذلك المدفون نرجو له الرضا
إلى الله نشكو لا إلى الخلق ما بنا
إذا فيصل فينا قضى اليوم نخبه
وهذا ولي العهد أمسى مبايعاً
فما خالد إن قيل من هو خالد
نبايعه حقاً على السمع أمره
وذا فهد أمسى ولياً لعهد
وأختم قولي بالصلاة مسلماً
محمد المبعوث للخلق رحمة
وآل وأصحاب هداة أجلة

وأخرى تنادي في عويل مصاخب
وتمزيق أثواب وصرخة نادب
واقفلت الأعمال عن كل طالب
ونودي بالأحزان في كل جانب
ورن صداها في عراض السباب
ينادون رباً ليس عنا بغائب
ببر قدیر حافظ للجوانب
فأنت إله الخلق مسدي المواهب
واستنزل الغفران من خير واهب
أنادي بيجران وبرد اللهائب
فما زال معروفاً لجبر المصائب
فخالقه حي مجيب لطالب
وما خالد إلا سليل الأطايب
سوى الأمل المحبوب ليث الكتائب
وطاعته فرض علينا كواجب
فاكرم به شهماً رفيع المراتب
على من به ختم الكرام الأطايب
نبي أئانا من سلالة غالب
وأتباعهم من كل حبر وتائب

وقال عبد الفتاح خياط هذه المراثية في الملك الراحل:

سمعت الطفل يصرخ وا أبانا
وجن البعض من خطب اليم
وصار الكل يمشي دون عقل
وزلزلت الجبال لهول يوم

من الهول العظيم لقد عمانا
تردد في الإذاعة ما دهانا
يمزق للثياب وما كفانا
وحتى الشمس غابت من سمانا

وفي كل الجزيرة صار حزن
وفي لبنان والصومال وسوريا
وكل الشرق والغرب ناحوا
هو القدر المقدور لست أدري
بفقد حبيينا والحب غال
وحتى مصر والأردن معانا
وفي آسيا وأفريقيا وغانا
وهزتهم فجيحة ما أتاننا
لماذا قد تعجل وابتلانا
وأمر الله ينفذ كيف أين كانا

وقال أحمد بن عبد الله العامر:

عزاءكم أن الفقيـد شهيد
تفرد بالمجد الذي جاوز العلا
من لم يكن للمال جامع تبره
بنى النهضة الكبرى وإنما
فتى الصدق في رسم السياسة مثله
فتى العزم لم تعرفه عنه مقالة
فتى العدل والإنصاف نهج وغاية
فتى الحلم والمعروف والطهر والندا
أناسة إذا خطب ألم وحكمة
وفيّ وشهم والرجولة معدن
إلى جنة الرضوان يا خير راحل
رحلت فلم تترك ثقباً خلية
يقصر عن تعداد فضلك شاعر
عزاؤكم يا آل مقـرن أنه
عزاؤكم فيه وأنتم عزاؤنا
ويبقى طويل العمر خالد خالداً
ويبقى ولي العهد فهد معينه
وإن أمير المؤمنين فريد
وكان لأهل الخافقين يقود
ولكنه بالمال كان يشيد
له المعجزات الغر وهي تزيد
مثال أبي الخطاب وهو عميد
ولم تشه في العضلات حشود
ونبل سيفنى الدهر وهو جديد
وإن قصرت أيدي الكرام يجود
جسور على الأقدام وهو سديد
خلال له في العالمين شهود
وفيها لأخيار الوجوه خلود
وفي خفقات القلب منك وجود
ويعجز عنه في المقال قصيد
شهيد بأخبار الرجال وحيد
وأنتم بأعشار القلوب شهود
يحقق آمالاً لنا ويزيد
وتبقى مجبات القلوب عقود

وقال أسعد أمين سعيد:

على كل أرض تحت كل سماء قوموا نصلي ركعة من أجله
في المسجد الأقصى أذاناً نائحاً
يا فيصل من للعروبة فيصل
يا جهبذاً عرف الزمان جهاده
لك جولة ضد الطغاة وكيدهم
في الحرب أو في السلم كنت نصيرنا
وَمَدَدَتْ كَفْكَ لِلْأَنَامِ حَبَّة
وملكت ناصية اليان بحكمه
فانعم قريبر العين في دار البقا
مع موكب الأبرار والسعداء

ولا نطيل فقد رثي بالنظم والنثر والشعر النبطي ولو تتبعنا ما قيل في مديحه
لضاق الموسع ولكننا نقتصر على بعض المقصود لأجل الاختصار فאלله المستعان.

ذكر ما جرى بعد ذلك

لما رجعت الأسرة السعودية الكريمة من دفن الفقيد اجتمعت الأمة وأعلنوا
بيعتهم لسمو ولي العهد خالد بن عبد العزيز أخي الملك وتقدم العلماء والأعيان
وسائر الأسرة السعودية وجميع الأمة من المواطنين وبايعوا حضرة صاحب الجلالة
الملك خالد بن عبد العزيز على السمع والطاعة وعلى طاعة الله ورسوله ونودي به
ملكاً على المملكة السعودية وتلقى جميع المعزين والمهنئين فكان جلالاته يتلقاهم
لذلك كما بايعوا سمو الأمير فهد بن عبد العزيز بولاية العهد وبعد البيعة عاهد
صاحب الجلالة الملك خالد وولي عهده عاهد الله والمسلمين أجمعين على السير في
خطا الراحل العظيم مؤكدين ذلك بالبيان الشامل الذي تضمنت بنوده أهدافاً
وخطاً كثيرة، منها: السير على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وإكمال سيرة

الفیصل رحمه الله في البناء والتعمير والتطوير والاستقرار وتحقيق أمنيته الغالية وهي الصلاة في المسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف وتطهيره من دنس الصهاينة، والعمل على توحيد كلمة العرب والمسلمين، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني واسترداد حقوقه، والعمل على تحرير جميع الأراضي المغتصبة والاستمرار على السياسة الخارجية التي أرسى قواعدها المغفور له الملك عبد العزيز وشاد صرحها الفيصل طيب الله ثراه والاستمرار في دعم التضامن الإسلامي بكل ما لديها من قوة وإمكانات وسيراً على خطا الفيصل رحمه الله في التنظيم القيادي للوزارة وبما أنه عين سمو الأمير فهد بن عبد العزيز ولياً للعهد أضاف إليه وزارة الداخلية كما عين له نائباً أولاً لرئيس مجلس الوزراء وعين سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز رئيس الحرس الوطني نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء بالإضافة إلى رئاسة للحرس الوطني وأصبحت الأمة تشاهد كل يوم الإنجازات والمخططات في مجالات التقدم والاستقرار ورفع المستوى المعيشي التي يقوم بها جلالة وسمو ولي عهده وحكومتها الرشيدة وقام صاحب الجلالة الملك المحبوب بتدابير أمور الدولة نسال الله لهم التوفيق.

كما أنه وجه الملك خالد بن عبد العزيز كلمة إلى أبناء شعبه أذاعها معالي الشيخ إبراهيم العنقري وزير الإعلام وهي هذه (بقلب حزين مليء بالحزن والأسى ومع تسليم كامل لإرادة الله وقضائه أنعي إلى العالمين العربي والإسلامي وإلى شعبنا المخلص الوفي صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز والذي شاء الله أن ينقله إلى جواره في صباح يوم الثلاثاء ١٣/٣/١٣٩٥ هـ على إثر حادث أليم في وقت نحن أشد ما نكون فيه حاجة إلى قيادته وحكمته وسداد رأيه وبعد أن عمل بكل جهوده وطاقاته في سبيل الدعوة إلى الله والدفاع عن دينه وبعد أن أرسى قواعد نهضتنا المعاصرة على دعائم ثابتة بذلك في سبيل إرسائها مالا يحصى من الجهود والطاقات وبعد أن انتقل بالملكة العربية السعودية إلى مصاف الدول المتطورة في كل المجالات مع الحفاظ بإصرار على ديننا ومثلنا

وتقاليدنا نسأل الله أن يرحمه رحمة شاملة واسعة وأن يجعله مع الصديقين والشهداء والصالحين بمنه وكرمه وأن يعيننا على إكمال رسالته والسير على منواله ولا نقول إلا كما يقول الصابرون إنا لله وإنا له راجعون).

ثم أنه أصدر أمراً ملكياً في ١٦/٣/٩٥هـ باستمرار جميع أعضاء مجلس الوزراء في مناصبهم وهذه صورته (قد أمرنا بما هو آت أولاً: يستمر جميع أعضاء مجلس الوزراء الحاليين في مناصبهم. ثانياً: على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ أمرنا هذا وهو برقم ٥٢/١) وصدر عفو ملكي شامل عن جميع المحكومين والمتهمين في قضايا سياسية في الداخل والخارج ونفذ هذا العفو الكريم في اليوم التالي لصدوره وصدرت الأوامر الملكية بتعيين سمو الأمير فهد بن عبد العزيز ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء وتعيين سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نائباً ثانياً إضافة إلى رئاسة الحرس الوطني، ويعين سمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير دولة للشؤون الداخلية وعضواً في مجلس الوزراء بأرقام وتواريخ. وعلى رئيس مجلس الوزراء تنفيذها كما صدر الأمر من جلالة بتعيين صاحب السمو سعود الفيصل وزير دولة للشؤون الخارجية وصدر أمر ملكي بتعيين الفقرة (ب) من المادة ١١ من نظام مجلس الوزراء الصادر بالمرسوم الملكي رقم ٣٨ تاريخ ٢٢/١٠/١٣٧٧هـ أما عن الجاني فيصل بن مساعد فقد أحيلت مسألته إلى المحكمة الشرعية في مدينة الرياض لترى موقف الشريعة نحوه بعدما استكملت الإجراءات اللازمة في دفعه إلى هذه الجريمة بحيث أنه ظن أنه مختل العقل، ولكن بعد الفحوص الطبية تبين أنه يتمتع بقواه العقلية أثناء ارتكابه الجريمة وبعدها ولا يزال كذلك وبعد التحقيق معه وأنه لم يدفعه يد من الداخل ولا من الخارج ثبتت إدانته وأن الباعث له على ذلك لما رأى عمه جلالة الملك فيصل أكبر داعية إلى الإسلام ونشره في العمورة أراد القضاء عليه لأنه لا يرى دين الإسلام حقاً ولا يرى شعائره شيئاً وأن تردد المسلمين إلى المساجد للصلوات الخمس ليس بشيء ولا يرى الصيام شيئاً ولا الحج شيئاً مما ثبت به كفره وأنه خلع ربقة الإسلام من عنقه ثم أنه بعد أيام من فعلته

لتلك الجريمة الشنعاء أعدم بمشهد عظيم من الأمة بالسيف قصاصاً جزاء وفاقاً وإن كان ذلك لا يشفي ولكن القاتل يقتل.

تنبيه لما سبق

قد أشرنا إلى ما جرى من الفزع والبكاء لهذه الفادحة التي أرتمت لها مشارق الأرض ومغاربها واقتصروا على بعض من كل، وقد رثاه الشاعر الغزاوي بقصيدة عظيمة مطلعها قوله:

جرت الدموع كأنها أنهار ووجدتني بنزيفها أنهار
ماذا سمعت أفصل أودى به في طرفه ذو جنّة غدار
وقد بلغت أبياتها خمسة وثلاثين كما رثاه الشيخ محمد صالح قزاز بقصيدة كان من أبياتها قوله:

أي خطب جرى وأي مصاب جل بالشعب ملهاً أشجانه
أي دهماء فاجأت كل قلب روعته وهيجت أحزانه
ما الذي روع الجزيرة بالأمس فأضحت مرزوءة ولهانه
وقد بلغت أبياتها اثنين وثلاثين ورثاه حسين سراج بقصيدة بلغت أبياتها خمسة وعشرين قال في مطلعها:

رزئ الدين في أعز نصير فابكه يا دنيا بدمع غزير
ذهل المسلمون واعتراهم وجوم وقلوب تفجرت بالزفير
ونعته الرابطة للعالم الإسلامي بقولها: (يبالغ الأسى والحسرة والألم والحزن العميق تنعى رابطة العالم الإسلامي إلى الأمة الإسلامية قاطبة علماً من أعلام الإسلام وقائداً من قواده البررة المتقين ورائدة من رواده الذين نذروا حياتهم لخدمة دين الله الحنيف ونشر دعوته في كل الأنحاء والأصقاع ومجاهداً من مجاهديه الذين ثبتوا في الميدان حتى آخر رمق في حياته) في كلام طويل.

ونعته الأمانة العامة الإسلامية بقولها: (بقلوب خاشعة مفعمة إيماناً بقضاء الله خاضعة لمشيئته سبحانه وتعالى تنعى الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي إلى الأمة الإسلامية في جميع أنحاء العالم قائداً من أعظم قوادها وصرحاً من أقوى صروحها طوال تاريخها المجيد المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل .. إلى أن قالت أن الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي وقد فجعت بفقد زعيم الأمة الإسلامية وبطلها الذي جعل رايتها مرفوعة في أخرج أوقاتها تتقدم بأصدق التعازي إلى حضرة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز المعظم ملك المملكة العربية السعودية وشعبه الكريم سائلة المولى عز وجل أن يتغمد الراحل العظيم بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً وإنا لله وإنا إليه راجعون).

وكرثت الولايات والأسى وانبعثت التعازي من كل جهة وقدم الوفود لتعازي الأمة والتهاني بالخلف الجديد.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نجد والمنطقة الشرقية رحمه الله وعفا عنه. وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم والبحر الزاخر مقيم العوجاء وناصر الملة السمحاء بقية السلف الصالح ومن لا تأخذه في الله لومة لائم أبو حسن عمر بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن إمام الدعوة ناصر السنة قانع البدعة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقد سبق سياق النسب في ذكر جددهم الشيخ في أول الكتاب، ولد المترجم في عام (١٣١٩هـ) فنشأ في بيت علم وتعلم القرآن كعادة أهل زمانه ثم أخذ مبادئ في الكتب الصغار ثلاثة الأصول والتوحيد وكشف الشبهات وآداب المشي إلى الصلاة والرحبية والأجرومية ثم أنه أخذ عن أبيه الشيخ حسن وكان له قوة ذاكرة وفهم منير فتلقى عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف سائر العلوم وأخذ عن الشيخ

سليمان بن سحمان وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس ودرس على هؤلاء في الكتب الكبار والأمهات وجعل يتردد على حلقات الذكر بهمة عالية وقوة عزيمة حتى ظهر في العلوم مظهراً رائعاً، وكان خطيباً مصقوعاً ينتظم الكلام ويخرج منه بحسن تعبير ولا يمل وإن أطال كما أنها لا تمل فوائده، ومن قوته أنه كان مخيفاً للمجرمين فلا يذكر اسمه أمامهم إلا وجهوا ولما أن كان في سنة (١٣٤٥هـ) إقامه الملكة عبد العزيز رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف فقام بهذه المهمة خير قيام بقوة ونشاط وصدق لا تأخذه في الله لومة لائم وهابه المبطلون، وكان قد شددت الحكومة أزره بأعوان وأعضاء وجنود، وإذا رأى أمراً شديداً من المناكر فإنه يراجع فيه ويشجعه للانتقام بالعصا كما وجد أربعة قد أفطروا في شهر رمضان خارج البلد فأتى بهم إلى السلطان فأمر بهم جلالته أن يحملوا أباريقهم وأوانيهم بأيديهم ويطاف بهم في الأسواق في الحالة التي وجدوا فيها ثم ضربوا بالخشب حتى هلكوا تحت الضرب، وكان ثلاثة من الأشقياء ألقوا القبض على صبي فحملوه يريدون الفرار به غير أنه كتب له السلامة بحيث فزع المسلمون على ساقه السيارة فلما أخذوا ذات الشمال إذ بسيارة قلابي تلاقيهم فوقفوا وشردوا تاركين سيارتهم والصبي فيها مشدوداً فاه لثلا يتكلم وكان الشد قد أطبق أسنانه على لسانه فذهبت الأمة لإشعار الرئيس فجيء بالسيارة إليه وجاءه المالك يسأل عنها لأن السيارة والحالة هذه يسأل عنها رجال الأمن كما أنه يسأل الشيخ الرئيس كذلك لخشية وقوع مثل ذلك، وذكر المالك أن سائق السيارة قد نام في حديقة من الحدائق فلما انتبه إذا قد سرقت، هذا ما ادعاه المجرم فقال له اتني به وبعث معه بجنود فجيء به فأمر أن يشد على عقبيه في عمود من العمود ويجعل منكوساً ويضرب بالخيزران حتى خبر بأصحابه فذهب الشيخ إلى الملك سعود يسأله أن يحكم بقتلهم وقال انهيار أي والدكم إذا ما فعل أحد مثل فعلهم وقصة العبد مرسل وكيف خاطر الشح بنفسه حتى كاد أن يقتله العبد مشهورة وقد يناله أذى في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنه يقابل ذلك بالصبر، وكان ينشر الدعوة

إلى الله ويعظ ويرشد ويوجه، وله جاه ومنزلة عالية تهابه الملوك وتقبل توجيهاته. وهذه صفته: كان مربوع القامة حسن الوجه صلباً قوياً مع لين وحسن معاشرة لمن قصده ولونه حنطي قد وخطه الشيب لما أسن وفي آخر عمره أصيب بربو قد يزداد عليه وقد يخف حتى أنهكه ذلك لأنه يتعب نفسه ويباشر مهام الأمور ويوالي بين الحج والعمرة حتى توفاه الله تعالى في ليلة الأحد ٢ من رمضان في هذه السنة بمدينة الطائف فصلى عليه هناك جم غفير وخلق كثير على رأسهم الملك خالد وولي العهد وجمع حاشد من العلماء والأعيان ثم نقل جثمانه بطائرة إلى مدينة الرياض حيث صلي عليه بالجامع الكبير حضر الصلاة عليه خلائق كثيرون ودفن في مقبرة العود بين أسلافه وأجداده وقد نعتة الصحف وبكتة الأمة رحمه الله وعفا عنه.

الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن فريح من أهالي وشيقر، ولد رحمه الله في بلدته عام (١٣١٣هـ) ثم سافر إلى مكة المكرمة بعدما أخذ مبادئ العلوم في بلدته حيث تعلم القرآن الكريم وعلم الخط والحساب لأن الظروف قضت بذلك لسفر والده إلى أم القرى فأخذ عن علماء الحرم الشريف فلبث هناك ثم رجع بعد ثلاث وعشرين سنة إلى بلده، وقد راودوه على القضاء لكنه رفض وهو مدرس في المدارس الحكومية واستمر في وظيفة الإمام والخطابة والتدريس، فهو خطيب جامع وشيقر، ولما أرهقته الشيخوخة ترك التدريس وجعل يتابع الوعظ والإرشاد وتجرد للعبادة والاجتهاد حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة وكان من العناقر قبيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

الشيخ محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن رشيد، ولد هذا العالم في إحدى ضواحي مدينة الرس عام (١٣١١هـ). فنشأ كغيره من الطلاب يدرس على معلم في الرس تدعي محمد بن صالح بن خليفة كان هذا المعلم من أهالي الرس ثم استوطن مدينة بريدة بعدما ذهب إلى الرياض وأمضى حقبة من الزمن وبعد رجوعه إلى بريدة تتلمذ الشيخ عمر بن محمد بن سليم ولبث فيها عشرين عاماً حتى توفاه الله على إثر حادث انقلاب سيارة عام (١٣٦٨هـ) رجعنا إلى

المترجم فيقول أخذ عن الشيخ إبراهيم بن ضويان العالم المشهور في مدينة الرس، وأخذ عن الشيخ الفاضل عبد الله بن سليمان بن بليهد وأخذ عن علماء الرس ثم سمت به همته فقدم مدينة بريدة فأخذ في الدراسة على الشيخين العالمين عبد الله بن محمد بن سليم وعمر بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن بشر ثم أنه ذهب إلى الرياض وواصل دراسته فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ سعد بن عتيق والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود واستمر في دراسته ثم رجع إلى القصيم وانتدبته الحكومة إلى البادية لوعظهم وإرشادهم وكان لدعوته قبول حينما كان في هجرة سنام ثم عاد إلى الرس فأخذ في التعليم وفي عام (١٣٤٨هـ) عين قاضياً للأمر ملكي في بلدة الرس لسوء تفاهم بينهم وبين قاضيهما السابق سالم الحناكي فاخترأوا المترجم بعدما أمرهم الملك عبد العزيز أن يختاروا قاضياً فوق الاختيار عليه وألزمه الملك بذلك وقال له يا ابني إنهم اتفقوا على اختيارك فتوكل على الله فقام بهذه الوظيفة خير قيام وأحبه الأهالي ثم أن أمير الخزنة طلب من الملك نقله إليهم فنقل في آخر عام (١٣٦٥هـ) وكان في جلوسه لقضاء بلدة الرس لا يأنف من مراجعة العلماء ومشاورتهم كمحمد بن مقبل وعمر بن محمد بن سليم وصالح ابن عثمان القاضي وهذه خصلة حميدة تدل على توفيقه فاستمر في قضاء الخدمة ثلاث سنين ولكنه طلب الاعفاء من القضاء لتزاع حصل بين الأمير وبين بعض الأهالي وبما أن الأمير فجل خالد بن منصور بن لوي مكانة فقد ثبتت الحكومة مقامه في بلده وسار المترجم إلى رنيه وجعل يدرس ويرشد ويعظ وأبى عن الانضمام إلى سلك القضاء وفي عام (١٣٧٢هـ) سافر إلى الطائف بعدما أصر على عدم مراجعة القضاء فكان مرجعاً للأحباب والأصحاب وأسن وأرهقته الشيخوخة حتى وافاه أجله المحتوم في ١٣٩٥/٩/٢٨ هـ رحمه الله وعفا عنه.

وفيهما في يوم الثلاثاء ٩/٥ وفاة الزاهد محمد بن صالح بن عبد الله الرشودي من أهالي ضاحية رواق الكائن جنوباً عن مدينة بريدة عن عمر يناهز ٨٤ لأن

ولادته كانت في آخر سنة المilled عام (١٣٠٨هـ) نشأ في عبادة الله وفي العفة والزهد فتعلم القرآن وكان في كفاف من العيش ومع ذلك فكان سخيّاً كريماً لا يمك على شيء متصدقاً مواسياً للفقراء والمساكين وإن كان ذلك جهد مقل فكان لا يتمالك إذا رأى الفقير عن أن يناوله ما تيسر من قنوت أو حزمه سنبل أو ما في يده من النقود ويخفي الصدقة ويلتذ ببذل ما يقدر عليه وكان تالياً لكتاب الله ومكباً على التلاوة من المصحف ولا يفتر عن الذكر، أما عن صلاة النافلة فحدث ولا حرج وتعجب لحالته كيف يطيق ابن آدم ذلك القيام والركوع والسجود وقد اصطحبنا نحن وإياهم في سفر الحج عام (١٣٥٩هـ) فرأيت أنه لا يفتر بالليل عن الصلاة والتهجد طوال الليل ويبذل الطعام ولا يمك شيئاً ولو كان شهياً وحج ما يفوق عن ستين حجة وغالبها على ظهور الإبل حتى ظهرت السيارات وله خوارق عادات منها أنهم لما أحضروا طعام العشاء له ولأولاده وعاملين عندهم إذا بضيوف لا يقل عددهم عن سبعة فكانوا خمسة عشر بأجمعهم فقام وقعد وأحضر مع الطعام المعتاد تمرأ ثم جعل يسمي ويدير يده على الصحن الصغير ويستنزل البركة فأكلوا وشبعوا جميعاً والصحن على حالته وقد وجد في مزرعته ورقة سنبله فيها الكتابة التي قدمنا ذكرها في السنة التي قبلها. وكان متقشفاً ششن اليدين والرجلين لا يعبأ بما يصيبه من الصدمات وما يكابده من المشاق في هذه الحياة وكان من رفقه الزاهد محمد بن إبراهيم النجدي يحجون جميعاً ويعتمرون جميعاً كافاً أذاه عن الناس غامض الذكر غير أن شهرة عبادته وزهده مذكورة وله أخوة منهم عبد الله بن صالح الرشودي يعد من زهاد أهل زمانه وبما أنه لا يقرأ القرآن فهو مولع بسماعه واستماعه فتجده لا يمل من استماع القرآن من كل قارئ لكتاب الله كبيراً أو صغيراً فيجلس متواضعاً عن يمين القارئ ويأتم به إذا سجد للتلاوة ولو كان ابن خمس سنين وإذا سمع بجنابة قام مهرولاً لتشيع الميت من البيت أو من حيث وجد الجنابة إلى قبره ويطعم الطعام على حبه مما وجده عند أهله فهو فلاح في سباح بريدة ويكابد الفقر ويستدين لحبه للصدقة عن جهد مقل ويتابع مجالس الذكر فلا

يفوته منها شيء، وإذا وجد الغريب أخذ بيده وذهب به إلى بيته فيقطعمه مما يجده وربما اغترف من القدر وهي على النار فلا إله إلا الله ما أعجب حالته ولهما أخ يدعى إبراهيم بن صالح يتعبر من الزهاد مات من دور العام المقبل من وفاة محمد.

وفيها وقعت اشتباكات عنيفة في ربيع الثاني بين المواطنين العرب داخل المسجد الأقصى وبين عصابة يهودية حاولت تدنيس جدران المسجد، وذلك أن العصابة اقتحمت أبواب المسجد الأقصى وقت صلاة الفجر وتوجهت إلى الجدران تلطخها بالدهان الأسود تقذيراً وتحقيراً للإسلام ولم ترع للمسجد حرمة بينما توجهت عصابة أخرى إلى مسجد عمر بالقيام بالعملية نفسها وأكدت الأنباء من القادمين من الضفة الغربية المحتلة أن هذه العصابة كانت تستهدف هدم أحد أسوار المسجد الأقصى وقامت جموع المصلين في المسجد وسكان البيوت المجاورة ضد هذه العصابة وتصدوا لهذه الفئات التي كانت تحمل المعاول فدارت اشتباكات عنيفة سقط فيها عدد من الجرحى وقد قامت العرب بمحاولات ضد اليهود فوضعت السعودية قوات مرابطة على الجبهة السورية وقوات مرابطة على الجبهة الأردنية وقام سمو الأمير تركي بن عبد العزيز نائب وزير الدفاع في هذا الشهر بزيادة هذه القوات المرابطة هناك وتفقدتها كما قام الرئيس المصري أنور السادات بجولة تشمل الكويت والعراق وسوريا والأردن تهدف لصالح العرب بعد فشل جهود هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية المتقدمة في شهر مارس الماضي، وهذا في شهر ربيع الثاني من هذه السنة.

وفيها في ٢٢/١ بعد العصر توفيت أم كلثوم المغنية في مصر وقد تأخر تجهيزها ليوم ٢٤/١ وقدم إلى مصر لتشييعها إلى قبرها وفود كثرة من بعض الحكومات التي فتنت بالأغاني والأخلاق الساقطة من ذوي العقول السخيفة. وسنورد مقالاً من مجلة المجتمع متهمكة إلى آخر السخرية قالت المجلة: (العالم العربي يعيش مرحلة حرجة لا بسبب الاعتداءات على جنوب لبنان وإبادة الأبرياء من السكان الأمنيين ولا بسبب تهديدات أمريكا التي تخدش كرامة كل عربي ولا حتى بوقوع حرب

خامسة ما بين العرب وإسرائيل ليس بسبب كل هذا يعيش العالم العربي مرحلة معلقة إنما بسبب تدهور صحة ملكة الغناء وكوكب الشرق (أم كلثوم) وإليكم ما جاء في الصحف العربية أصدقاء العائلة عائلة أم كلثوم قالوا إن حالة معبودة العالم العربي منذ ٥٠ سنة قد تحسنت أمس فلماذا تحمر أنوف بعض الناس عندما نقول أن ناساً في بلادنا يعبدون غير الله ويعيشون في جاهلية أشد من جاهلية أبي جهل وأبي لهب وأمّية بن خلف ولما أن فرغ صاحب المقالة من السخرية بأولئك المهووسين وكال لهم بمكيال السخرية والشماتة ما يقابل خسائرهم في ذهابهم وإيابهم قال اللهم إن المرض والحياة والموت قدر لك حسب أجل معلوم لا يتأخر ولا يتقدم وقدر الله ليس فيه شماتة بل يسرنا أن نتوب (أم كلثوم) قبل موتها عن جريمة تخدير العالم العربي خلال نصف قرن، وإن كان أثرها السيئ سيستمر بعد وفاتها ولكن أليس انشغال العالم العربي بمثل هذا دليلاً على ما يعيشه من تخلف وانحراف عن منهج الله.

وقال صاحب مقالة أخرى ما هي أم كلثوم إنما هي عجوز شمطاء بلغت من الكبر عتياً ويكفيها من الإثم ما ملئت به الأشرطة التي هي وصمة في وجهها إلى يوم القيامة فما اهتز العالم من أقصاه إلى أقصاه لنزول اليهود ببلاد العرب وتحكماتهم الانحرافية ولا لما جرى من استلاب فلسطين من أهلها المقيمين الآمنين بأيدي اليهود المغضوب عليهم الذين لم يجدوا رادعاً ولا وازعاً دينياً ولا خلقاً عقلياً يمنعهم من الظلم الوجيع للإسلام وأهله ولا لما نزل بالقدس والمسجد الأقصى، تارة تأتي العصابات اليهودية بمعاولها لهدمه جهاراً بمشهد من الله ومن خلقه ولا لما وقع بלבnan من المجازر الوحشية التي تشيب لها النواصي حتى أصبح الأهالي صيد القناصة من الشيوعيين والنصريين ولا ما أمسى به أهل فلسطين من أخذ أبريائهم وضعفائهم وزجهم في غيابات السجون حتى امتلأت بمئات الألوف منهم من لقي مصيره بالقتل ومنهم من شردوا عن أوطانهم وانتهبت أموالهم، ومنهم من لا يزال تحت التعذيب ورحمة اليهود الذين نزع الرحمة من قلوبهم ولا لتوسعات اليهود

وتحكماتهم في بلاد العرب لم يهتز العالم لذلك كله بل اهتز لموت أم كلثوم العجوز الشمطاء المغنية، فوالله لو عقل أولئك المجانين لعلموا أن قلوبهم قد ماتت قبل موت أم كلثوم ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾.

وفيها ٨/٨ ثار شعب بنغلادش من الباكستان الشرقية التي سكانها ٧٥ مليوناً وأطاحوا بحكومة مجيب الرحمن، فقتل في بيته وهو رئيس الجمهورية وكانت ولادته عام (١٩٢٠م) عن عمر يناهز الخامسة والخمسين وتولى بعده الرئيس أحمد وكان يتظاهر بالإسلام ويحارب الشيوعية وكان عضد الرئيس مجيب الرحمن غير أنه كثير الخلاف في الشيوعية.

وفيها في يوم عيد الأضحى نشب حريق هائل في منى وحجاج بيت الله مكتظين هناك، وبما أن خيام الحجاج متماسكة فقد أتى الحريق على جملة منها وهلك بأسبابه أنفس كثيرة بشرية، وأصيب آخرون وترك ذلك الحريق ميداناً كبيراً وكان أسبابه اسطوانة غاز انفجرت فسببت تلك الأضرار وعم الحريق ما يليه من الاسطوانات.

وفيها في اليوم ١٩/١٢ قام خمسة إرهابيون فدائيون فاخطفوا طائرة تحمل وزراء البترول أحمد زكي يماني السعودي ووزير الكويت ووزير إيران ووزير العراق وغيرهم وكانوا قد امتطوا تلك الطائرة لحضور المؤتمر في النمسا فأصبحوا مهددين تحت الأخطار وقام أولئك الأشقياء بتسخير الكابتن على ما تقتضيه إرادتهم بعدما قتلوا اثنين من رفقة الوزراء، ثم أنهم ذهبوا بالطائرة يريدون مطار الجزائر وطلبوا تزويدها بالوقود، ثم ذهبوا بالطائرة يريدون مطار تونس غير أن الحكومة هناك منعت من نزولهم فيها ثم أفرجوا عن بعض الوزراء وأصبح البقية مهددين تحت رحمة الإرهابيين ولما أن رجعوا إلى الجزائر ورجع بقية الوزراء سالمين على متن طائرات بعثت بها إليهم حكوماتهم.

وقد نشرت جريدة الرياض في ٣/٢٤ ما يلي عن ياسر عرفات.. إسرائيل تملك ثلاثة أنواع من الأسلحة النووية وتخطط لحرب جديدة وقد كان ألقى في الليلة الماضية هذا الخطاب في الدوحة وناشد العرب أن يصغوا إلى تحذيراته من نوايا إسرائيل، وقال إنه لا يوجد أدنى شك في أنها تستعد لحرب أخرى، ومضى ياسر عرفات قائلاً أن إسرائيل قد زادت قوتها النظامية من ٨٠٠٠٠ جندي إلى ١٢٠٠٠٠ وضاعفت قوتها من الدروع من ألف وأربعمائة دبابة إلى ٢٦٠٠ دبابة إلى جانب حصولها على مزيد من الطائرات والصواريخ التي تستطيع حمل رؤوس نووية. وقال وعلي أنؤكد لكم ولدى مصادرنا الخاصة للمعلومات داخل فلسطين المحتلة أن لدى إسرائيل ما بين ثلاث وخمس قنابل ذرية وأن الصواريخ التي أعطيت لإسرائيل قد أعدت لأمر ضخمة وعاجلاً أو آجلاً ستلجأ إسرائيل إلى الحرب.

وفيها وفاة الأستاذ رضوان إبراهيم في القاهرة وذلك في أواخر شهر ذي الحجة ويعد في مصر أحد كبار موظفي وزارة التعليم وله مقالات عديدة في مجلة الرابطة من سنوات طويلة، وكان فيما يذكر عنه على جانب كبير من دماثة الأخلاق محبوباً لدى محبيه وعارفيه فرحمة الله على أموات المسلمين.

وفي أوائل هذه السنة نشبت خلافات في لبنان وذلك بمناسبة ثورة عزيز الأحذب وخلع المسيحي سليمان فرنجيه ذلك بأنه كان للأول أحزاب يؤيدونه ولم تنجح ثورة عزيز بل كانت أساساً لفوضى وقعت في لبنان.

نشوب الحرب في لبنان

لما خلع فرنجية تحزبت أحزاب وتوترت الأحوال جداً، وقد أحصى القتلى والجرحى من اليوم السابع من محرم إلى عشرين من الشهر أي بظرف ثلاثة عشر يوماً فبلغت ٧٠٠ قتيل وألفاً ومائتي جريح وقام المسلمون هناك ينادون بالأسواق

بمكبرات الصوت إلى الجهاد المقدس وكم من عاجز وطفل وعجوز قد أصيبوا من جراء القصف العشوائي وهم لم يشتركوا في القتال، وليس لهم ذنب في جعلهم أهدافاً فالقنابل المدافع وفوهات البنادق والرشاشات وقنابل الطائرات المدمرة ولقد اشتدت الحرب الأهلية في لبنان وبلغت أوج الهمجية وقامت القناصة في أماكن فسدوا ضربات البنادق والرشاشات على كل من مر من الشوارع يضربونهم بالعبارات النارية وحصر الفدائيون في مخيماتهم وقطع عنهم الماء فأصبحوا مهددين بالهلاك من العطش وتوالي الضرب على نساءهم وأطفالهم وتخرجت الحال جداً حتى استقال رئيس الوزارة اللبنانية رشيد كرامي لما وضع اتفاقيات عديدة لوقف القتال ووقف إطلاق النار وكلها ترفض، ولقد قام جلالة الملك خالد بن عبد العزيز في ١٢/٢ بزيارة رسمية لكل من الأردن وسوريا وأقام ستة أيام هناك وترأس هو والملك حسين بن طلال المأساة اللبنانية وأبديا قلقهما الشديد من استمرار هذه الحالة على النحو الأليم المحزن، حيث انتشر القتل والتدمير على صورة من الوحشية لم يسبق لها مثيل وقد صدر في كل من جدة ودمشق البيان الصحفي التالي عن زيارة جلالة الملك خالد للجمهورية العربية السورية: قام جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بزيارة رسمية للجمهورية العربية السورية تلبية لدعوة من أخيه سيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية في الفترة ما بين الثالث والعشرين والخامس والعشرين من (١٣٩٥هـ) الموافق ما بين الخامس والعشرين والسابع والعشرين من كانون الأول عام (١٩٧٥) ميلادي وقد استقبل هناك بكل حفاوة ولقد بذلت ملوك العرب ورؤساؤها جهوداً جبارة لإيقاف هذه الحرب الأهلية في بيروت ولبنان والتي كانت سبباً لشر مستطير اشترك فيه جميع المناوئين للعرب وكانت سبباً لتدخل اليهود الصهاينة فيما لا يعنيه فلم تفلح الجهود المبذولة في ذلك بل استمرت هائجة مائجة وأصبح كل حارة تقاتل الأخرى وكل شارع يقاتل الشارع الآخر وكانت فتنة عمياء يعجب لها وعجز المصلحون وفشل المتوسطون.

ثم دخلت سنة (١٣٩٦هـ)

استهلّت هذه السنة وخطر الموت يهدد مئات المعتقلين العرب في السجون الإسرائيلية بسبب إضرابهم عن تناول الطعام وبدأت حملة في عمان واسعة النطاق لإطلاق سراح المعتقلين والإفراج عنهم. وكان الرئيس المصري أنور السادات قد أكد في رجب من السنة الماضية إصرار مصر على الانسحاب الإسرائيلي من عمري متلا والجدي استراتيجيين ومن حول أبو ردليس البترولية وذلك في خطاب ألقاه في ٧/٢٦ خلال اجتماعه بقيادة الحزب العربي الاشتراكي ولكنه مع الأسف لم يثبت على ذلك بل جرى منه بعد ذلك من التناقض وصمة شديدة اسودت منها وجوه العرب كما أن أهل لبنان أصبحوا يعانون من الغارات الإسرائيلية على بلادهم شراً كبيراً وتآزمت الأمور في لبنان وبيروت وركض الشيطان فيما بينهم وحجة اليهود عليهم لعائن الله هي أن الفدائيين الفلسطينيين ينفذون ضرباتهم باليهود ويلجئون إلى لبنان فرأت اليهود بتعسفها أنه لا بد من استئصال الفدائيين في أعشاشهم واتخذت من ذلك حجة في غزوها وقصفها للبنان ليتخذوها موطناً كما فعلوا بفلسطين في طرد أهلها ووضع حمايتها على المتبقين فيها وقد نجم عن غارتها على لبنان في هذه السنة وتحركاتهم بها سقوط ثلاثمائة وثمانية عشر ما بين قتيل وجريح وقام المسيحيون بقطع الماء عن تل الزعتر الذي فيه مخيم اللاجئين وعجزت القوات عن إنقاذ خمسمائة طفل وامرأة تحت الانقراض الذي في هذا المخيم وكان الأطفال يعانون من شدة العطش الشديد والجفاف في أجسامهم ما يهدد بهلاكهم من قصف المسيحيين وقطع الماء عنهم وذلك لأن هؤلاء الضعفاء التجئوا إلى أسفل مبنى هناك فسقط عليهم وقام حسن صبري الخولي مبعوث جامعة الدول العربية يدين حزب شمعون بإطلاق النار على قوة الأمن العربية وإصابة بعضهم بجراح وقد بعثت المملكة العربية السعودية مليون وأربعمائة ألف دولار مساهمة في نفقات قوات الأمن العربية في لبنان وهذه المجازر والمذابح كمقدمة لما يأتي بعدها من الهول، الهول الذي حار فيه العاقل والمجهول، وتعرضت له لبنان وأبنائها من الفتك والتدمير والإبادة.

وفيهما كثر تسيب الحمر الأهلية بحيث لما توفرت السيارات بكثرة نزعت رغبتها من صدور الأمة في كل موضع فكانت تسير في الفلوات والطرق البرية وحصل عليها ومنها أذى لما أصبحت فيه من أذية الصبيان والذين لا يعرفون للبهائم حرمة وكانت هدفاً لحوادث السيارات وسببت أضراراً في تجولها في الطرق الرئيسية وكنت أرى أن لو جعلت في أحواش وصرفت الحكومة لها قوتاً وماء لتعيش لأنها أمة من الأمم وربما يأتي لها يوم يحتاج لها الناس، وما زالت تنقص حتى أوشكت على تقليص ظلها وكنت أظن أن الكوريين والفلبينيين يأكلونها.

وفيهما كثر وجود الهنود في بلاد العرب وكثر وجود المصريين الذين استقدموا للخدمة كما أن الكوريين والفلبينيين رجالاً ونساءً، وجدوا بكثرة للخدمة وسياسة السيارات ونظافة البيوت وخدمة الأهالي وكانوا يعملون في البلديات وينظفون المساجد والدوائر الحكومية ولا سيما البخاريين فكانوا موجودين بكثرة وإذا نظرت في المساجد الجوامع فإن الأجانب من اليمانيين والهنود يكادون يزيدون على الأهالي بالكثرة.

وفي يوم السبت ١٣/١ من هذه السنة تدخلت سوريا والأردن لإيقاف القتال في لبنان فبدا وقف إطلاق النار شيئاً ما وذلك لأنها توترت الأحوال في لبنان بصفة أن عزيز الأحذب لم تنجح ثورته بحيث صمم سليمان فرنجيه على عدم التنازل وقام رجال من الحرس يقدرون بألف مقاتل يدافعون وهم من الخارج وحصل بسبب ذلك نقص كبير على بيروت ولبنان وكان يسقط مئات القتلى والجرحى بسبب مقاومة رجال الثورة لرجال الرئيس فرنجيه بالدبابات والمدافع الثقيلة ولضخامة الموقف وخشية تدخل أجني لم يستطع ملوك العرب التدخل في تلك الحرب الأهلية وفي ٢٢/٣ من هذه السنة تم للحرب الأهلية في بيروت ستة أشهر بحالة يرثى لها.

ضرب المخيمات في لبنان

لما كان في غرة رجب من هذه السنة شنت القوات التقدمية هجمات في اليوم المذكور مضادة على مواقع القوات الكتائبية وحلفائها وذلك على عدة جهات وأعلن التقدميون أنهم اكتسبوا أراضي في جميع المناطق التي شنوا عليها هجماتهم ولا تزال القوات المشتركة تسيطر على غيمي تل الزعتر وجسر الباشا الفلسطينيين على الرغم من القتال الضاري حيث سقطت حوالي ثلاثة آلاف قذيفة خلال الاشتباكات والتي أطلق عليها حرب المخيمات خلال الساعات الأربع والعشرين الأخيرة ولم تنجح القوات الانعزالية من تحقيق هدفها، ولما أن سكنت الأحوال في لبنان أحصيت القتلى فبلغت عشرين ألف قتيل وساعدت الحكومة السعودية لبنان بعشرة ملايين، وكان يظن أن قد وضعت الحرب أوزارها فنشأت الحرب من جديد.

وفيها قام رئيس الجمهورية المصرية أنوار السادات في ٢٣/٢ بزيارة للمملكة العربية السعودية فأقيم له احتفال واستقبل بما يليق به وأظهر سروره وغبطته بلقائه بالملك خالد بن عبد العزيز وشارك في العرضة النجدية لابساً الملابس العربية وبيده السيف صلتاً يؤدي واجبه مع الملك خالد وولي عهده والنائب الثاني سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز وبقية الأسرة المالكة.

أن أنور السادات رئيس من رؤساء العرب ولا تنسى مواقفه في حرب رمضان أو حرب الغفران لدى اليهود، ولقد أصدر العفو عن أمة كثيرين من الإخوان المسلمين الذين اعتقلهم سلفه وهو محبوب بين العرب لما يتخلق به من الشجاعة وحسن الجوار والمواقف التي ساندها بها العرب، ولكنه ويا للأسف فعل فعلة وضعت من قدره وهي ذهابه إلى إسرائيل وصلحه معها وسيأتي ذكر ذلك.

وفيها في عصر اليوم الرابع من جمادى الأولى قدم زائراً للمملكة السعودية رئيس الجمهورية السودانية جعفر محمد نميري فاحتفلت به المملكة واستقبل

استقبالاً يليق به وقال إن زيارته يهدف إلى التشاور والتنسيق بالنسبة لتغيرات الموقف في العالم العربي وقد أقام صاحب الجلالة الملك خالد حفل عشاء تكريماً لفخامته وقام بما ينبغي من كرامته، ووافقت الحكومة على أن تمنح السودان قرضاً قدره ستة وثلاثون مليوناً من الدولارات ويخصص لتمويل إقامة طريق بور سودان كسلا وإنشاء مطار في بور سودان والميناء الوحيد في السودان الذي يقع في مواجهة المملكة العربية السعودية.

تقدم الزراعة في السعودية

في هذه السنة نشطت حركة الزراعة في المملكة وذلك لما كانت الحكومة تولي المزارع من السلفة وعدة به من الحراثات والدركتورات والجرافات والحصادات والطرنبات والمكائن المائية وكانت مدينة القصيم قد أتت الحظ الأوفر من منتوجاتها فقد بلغت حبة البطاطس تسع كيلو جرام وبلغت حبة اليقطين العسلي خمسة وأربعين كيلوجرام وهذا شيء نادر الوقوع، وأصبحت مدينة بريدة تفخر على ما سواها من المدن العظيمة مضافاً إلى ذلك القمح والحجب والقثاء والبقول من الجزر والخس والبصل وذلك في مزارعها كما أن مدينة عنيزة والزلفى وسائر مدن القصيم كان لها أثر عظيم في المنتوجات. أما عن التمور بسائر أنواعه فلا أتجاوز الحد إذا قلت أن العاصمة بريدة وقراها وضواحيها تستطيع أن تكفي سائر المملكة ولا نستطيع التعبير عن منتوجات البطين والمليداء وقد نصبت صوامع الغلال للقمح على مسافة عشر كيلوات شمالاً عن مدينة بريدة في طريق حائل.

وأصدرت المملكة معونات من القمح ولحوم الهدايا إلى المستحقين في مشارق الأرض ومغاربها وكانت المملكة كما عودها الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز تبدل معونات وتنج مدارس ومستشفيات في البلاد الأخرى وكانت تستقدم المهندسين والفنيين من سوريا ومصر والجهات الأخرى لتوجيه المزارع حتى ظهرت المملكة مظهرأ رائعاً في البناء والغراس والتشجير بحيث أنها قامت تضاهي سائر

الممالك في التجارة والحدادة والهندسة والبناء والزخرفة وهذا نتيجة فتح المدارس على اختلاف أنواعها بحيث ظهر منها أناس متعلمون ظهر منها الضباط والقواد والعلماء بفنون الحياة العصرية.

وفيها فتح فرع لجامعة الإمام محمد بن سعود في مدينة بريدة تأسست لقسمي كلية الشريعة واللغة العربية، ثم أنها ما زالت في تضخم واتخذ لها مساكن محيطة بها للطلاب الأجانب وذلك في الحارة الشرقية المسماة (العكيرشة).

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم عبد الله بن عبد الرحمن بن دخيل رئيس مركز هيئة حلة القصمان شرقي الرياض رحمه الله وعفا عنه كان والده مقداماً ذكياً وجده صالح بن دخيل كان من جملة طلاب العلم الذين درسوا في بغداد، ومن جملة الذين درسوا على الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم ثم وقعت منافرة بينهما. أما عم المترجم فهو الشيخ الأديب سليمان بن صالح بن دخيل، وهم من أسرة كبيرة في نجد ينتمون إلى الدواسر وللسليمان بن صالح ذوق في الأدب والتاريخ وقد اشترك في إنشاء مجلة الرياض في بغداد وله اطلاع على عوائد العرب وأشعارهم وتاريخهم وذكره المؤرخون بالأدب والثقافة وقد رأته عام اثنين وستين بعد الألف وثلاثمائة في مكة المكرمة بعد الحج، وكان كبر سنه وثقل مريباً للحية وعليه لباس العرب القميص والشماع والبشت، ولكنني لم أتمكن من البحث معه لضيق الوقت ويذكر أنه طاف البلاد وذهب إلى الهند وبغداد والمدينة المنورة كانت وفاته بعد رؤيتي له بستين رحمه الله. أما عن المترجم فقد أخذ في الدراسة على المؤدب في مدينة بريدة صالح بن محمد بن الصتعي في عام (١٣٤٥هـ) إلى نهاية (١٣٤٩هـ) وحصل على تعلم القرآن والكتابة والحساب وذهب إلى مدينة الرياض واتصل بالعلماء هناك وحصل على وظيفة رئيس مركز في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستمر فيها بنشاط وقوة عزيمة لكنه طلب الإقالة أو أقيل لأنه كان قوياً ولم تساعده الظروف

وأصيب في أواخر عمره بمرض السكر لأنه كان ممتلئ الجسم وقضى عليه مرضه وهو مسافر في نسك العمر رحمه الله وعفا عنه.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبد العزيز الفوزان وهذه ترجمته: هو الشيخ عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم بن صالح بن فوزان بن راشد وتقدم ذكر نسبهم في ترجمة والده ويتمون إلى الروقة من أفخاذ عتيبة ولد في مدينة بريدة عام (١٣٣٣هـ) ونشأ بتربية أبيه وعناية الله ثم عنايته وأدخله والده على مؤدب يدعى محمد بن عقيل لتعلم القرآن والكتابة ثم إنه أخذ يطلب العلم من الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي وأكثر الأخذ عن الشيخ عمر والشيخ عبد العزيز العبادي وجد واجتهد ونافس في طلب العلوم الدينية في حلق الذكر ومن معلوماته ثلاثة الأصول والتوحيد وكشف الشبهات ومفيد المستفيد وآداب المشي إلى الصلاة وعمدة الأحكام وعمدة الفقيه ودليل الطالب وشرحه وزاد المستنقع وشرحه للبهوتي وبلوغ المرام والمتقى من أخبار المصطفى وعكف على المراجعة في القناع وكشاف القناع والمقنع، وفي عام (١٣٥٦هـ) جعله الشيخ عمر إماماً في مسجده الكائن شرقي مدينة بريدة ثم إنه رفع للقضاء في الجوف دومة الجندل ثم في ضرية ثم نقل إلى قضاء صبياً ثم كان رئيساً لمحكمة جيزان ثم نقل إلى بلد الطائف فمكث فيها إلى عام (١٣٨٠هـ) حيث نقل إلى هيئة التمييز فكان عضواً فيها بمكة المكرمة، واستمر في تلك الوظيفة ولما أن كان في ١٧/١٢ أصيب بنزيف في المخ بعد صلاة الفجر من ذلك اليوم ففقد وعيه ودام مغمى عليه إلى الليل حيث توفاه الله تعالى في الساعة الثانية بعد الغروب وقد نقل إلى المستشفى فلم يغن ذلك عنه من شيء وكانت وفاته ليلة الخميس ١٨ من الشهر المذكور فصلى عليه في المسجد الحرام ظهراً ودفن في العدل، وكان في جميع الوظائف التي نالها محمود السيرة ومثالاً في النزاهة والحكم بالحق وهو من زملائنا في الدراسة ومن جملة أصحابنا مولعاً بدراسة النحو وله حظ في معرفة المواريث، ومع ذلك فإنه دمث الأخلاق متواضع

اجتماعي هادئ الطبع وآخر عهدي به في آخر عام (١٣٨٩هـ) حيث زارني في مدينة بريدة وجلسنا نتناول القهوة في بيتنا نتحدث كأخ عزيز لم تطغه المناصب ولم تستهوه خمرة العجب وكان له أخوة كرام من أبرزهم أمير ضاحية خضيراء فوزان بن صالح ومنهم محمد وحمود وسليمان وعبد الكريم ومن زملائه صالح بن سليمان بن حميد وعبد الرحمن بن عبد الله بن طرياق وعلي بن صالح بن مرشد وعبد الله بن صالح بن حسين وعلي بن محمد بن علي السكاكر رحمة الله على الشيخ عبد العزيز.

ومن توفي فيها إبراهيم بن صالح الرشودي وذلك في ٥ / ٩ من هذه السنة بعد وفاة أخيه محمد بن صالح بسنة لا زيادة ولا نقصان، وهو: إبراهيم بن صالح بن عبد الله الرشودي عن عمر يناهز السابعة والثمانين قضاه في العبادة والذكر وتلاوة القرآن وكان من زهاد زمانه كأخيه محمد وعبد الله نحيف البدن ملازماً للصلاة كافاً شره عن الناس.

وفيها وفاة الشيخ محمد صادق المجدي عضو المجلس التأسيسي لرباطة العالم الإسلامي ويصفونه بالمدافعة عن دين الإسلام وأنه سفير أفغانستان في المملكة السعودية.

وفيها في ٩ / ٩ صدر أمر ملكي بتعيين عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برتبة وزير وذلك برقم ٢١٥ / ١ وقد أشاد الشيخ عبد العزيز بذلك المرسوم الملكي الخاص بتوحيد هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هيئة واحدة ترتبط برئاسة مجلس الوزراء وقال أن هذا المرسوم يأتي نتيجة لاهتمام جلالة الملك خالد المعظم وصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورغبتهم في تنظيم هذا المرفق الهام وقال أنه سيختار للهيئة نخبة صالحة من الرجال الأكفاء المؤهلين علمياً وفكرياً ليتحملوا الأمانة وأطال في الموضوع ولكن ذلك لم يطل زمنه فقد زالت عنه وعين لها الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ واستمر

فيها وكان عبد العزيز بن عبد الله هو الخطيب في الأعياد بالمسجد الحرام ويوم الوقوف بعرفة ولكنه أيضاً قد زالت عنه هذه الوظيفة بعد ذلك.

وفيها في يوم الجمعة ١٣/٢ وقع انقلاب في نيجيريا قتل لذلك الرئيس مرتضى الله محمد بحيث كمن له الثوار في طريقه إلى مكتبه فأصيب بالرصاص وقتل من أصحابه رجلان غير أن ذلك الانقلاب فشل وألقي القبض على الثوار فأعدموا ورجعت المياه في مجاريها.

وفيها صدور أمر من الرئيس المصري قراراً بتعيين حسني مبارك نائباً للرئيس وهذا بعد تجديد رئاسته وقد أدى اليمين الدستورية أمام مجلس الشعب بعد أن أعيد انتخابه وقد تولى حسني مبارك مهامه نائباً لرئيس الجمهورية منذ تعيينه في هذا المنصب في ١٦ إبريل عام (١٩٧٥هـ).

وفيها وقع انفجار في منجم بالهند بأسباب مياه هناك فذهب ضحية ذلك تحت الأرض ٤٠٠ عامل، وكان وقوعه في آخر ذي الحجة.

وفيها افتتح خط مباشر من الخطوط الجوية بين السعودية وإيران، وفي مساء يوم الأربعاء ١٠ ربيع الأول من هذه السنة الموافق ١٠ مارس (١٩٧٦م) في تمام الساعة الثامنة صباحاً وزيادة أربعين دقيقة هبطت طائرة إيرانية في مطار جدة من طراز بوينج ٧٢٧ قادمة من إيران.

وفيها صدر قرار بمنع غير السعوديين من مزاوله التجارة في السعودية وهذا القرار يطبق فوراً لأصحاب المباسط وبائعي الخضار وأعطوا مهلة إلى آخر العام.

وفيها بلغ عدد سكان الاتحاد السوفيتي مائتين وثمانية وخمسين مليوناً من النسمات البشرية وذلك بزيادة قدرها اثنا عشر مليوناً خلال السنوات الخمس الماضية.

وفيها في أواخر شهر رجب صدرت فتوى في الجزائر بالتوقف عن الصيام لذوي الأعمال الشاقة وهي تتيح للعمال المسلمين الذين يقومون بأعمال شاقة في

مجمع الحديد والصلب والعمال المهاجرين إذا اقتضت الضرورة والحاجة إلى المشقة فإنهم يفطرون رمضان ويقضونه في عدة من أيام آخر ولا ريب أن هذا خطأ وجراءة على أحكام الشريعة فإن كان ذلك قياساً على المسافر والمريض فإنه قياس غير مقبول لأن المريض لا يستطيع لمرضه والمسافر رخص له قصر الرباعية والفطر لعارض السفر، أما المقيم فإنه باستطاعته أن يترك العمل ويؤجل عمله إلى شهر شوال ويحترم هذا الموسم العظيم وقد رد العلماء على هذه الفتيا وأبطلوها مهما صدرت ومن صدرت ومن رد عليها الشيخ محمد الصالح المنسلح من أهالي بريدة.

وفيها هطلت أمطار غزيرة على القصيم وما يليه واستمر هطول الأمطار من دخول الأربعانية في الشتاء إلى انسلاخ سعد السعود أي ثلاثة أشهر ونصف شهر بحيث نزحت البادية من الحجاز والعارض والوشم وسدير إلى القصيم وعم الكلاء والعشب الكثير.

وفي موسم الحج من هذه السنة وجه خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبد العزيز كلمة سامية إلى حجاج بيت الله الحرام وإلى المسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها وأنحاء الأرض دعا فيها إلى الجهاد في سبيل الله من أجل استعادة القدس الشريف والتمسك بالشريعة الإسلامية الخالدة وهي طويلة. وقال: نريدها غضبة ونهضة إسلامية لا تدخلها قومية ولا عنصرية ولا حزبية إنما دعوة إسلامية دعوة إلى الجهاد في سبيل الله في سبيل ديننا وعقيدتنا دفاعاً عن مقدساتنا وحرماننا وأثنى على أخيه فيصل رحمه الله الذي وفقه الله إلى إبراز كيان التضامن الإسلامي وذكر ثمرة ذلك التضامن الذي بينما كان عدد الدول التي تشترك في المؤتمرات لا تتجاوز عشرين دولة أصبح الآن عددها يزيد عن الأربعين.

وفيها في ١٥ شعبان أسست شركة إسمنت القصيم بمقتضى المرسوم الملكي رقم ٩٢/٩ لغرض إنشاء وتشغيل مصنع إسمنت بورتلاندي في بريدة وتقع شمال خط الطرية ووصل القومظير برأسمال قدره ثلاثمائة مليون ريال.

وفيهما أصيبت مدينة جواتيمالا وهي جمهورية في أمريكا الوسطى بهزة أرضية هلك بسببها أربعة عشر ألف نسمة وأصيب آخرون بجروح بلغ الجرحى حوالي خمسة وأربعين ألف جريح.

بيان من وزارة الداخلية

نشرت مجلة رابطة العلم الإسلامي في العدد الأول للسنة الرابعة عشرة محرم من هذه السنة الهجرية في يناير (١٩٧٦م) بياناً عن الحريق الذي وقع في منى ١٠/١٢/١٣٩٥ هـ وانشب في منطقة المجزرة القديمة بعد اطلاع الوزارة على نتائج التحقيقات الواسعة تؤكد للجميع أن الحادث كان قضاءً وقدرًا وقد نجم عن سوء استعمال اسطوانة غاز في خيمة أحد الحجاج، هذا وقد بلغت الخسائر في الأرواح مائة وثمانية وثلاثين شخصاً داهمهم النيران قبل أن يتمكنوا من الخروج من خيامهم، كما بلغ عدد المصابين مائة وواحد وخمسين شخصاً نقلوا فوراً إلى المستشفى العام في منى لعلاجهم، وقد شارك في نقل المصابين إلى المستشفى علاوة على سيارات الإسعاف التابعة للهلال الأحمر السعودي عدد كبير من سيارات الإسعاف الخاصة بمختلف بعثات الحج الطبية حيث بذلت جهداً تشكر عليه كما بلغ عدد السيارات التي أتلّفها الحادث مائة وثلاثة وثمانين سيارة ووزارة الداخلية إذ تعلن هذا للعموم تتوجه إلى الله العليّ القدير بالشكر الجزيل على لطفه ورحمته بعباده بحيث أن النسبة سواء في الوفيات أو الإصابات تعتبر قليلة بالنسبة لعدد الحجاج الذين وقع الحادث في منطقتهم وعددهم اثنان وخمسون ألفاً وثلاثمائة وسبعة وتسعون، كما تؤكد أنه بفضل توجيهات صاحب الجلالة الملك المعظم قامت الجهات المسؤولة بعد الحادث مباشرة بنصب العدد الكافي من الخيام لإيواء الحجاج الذين أصبحوا بدون مأوى من جراء الحريق كما قدمت إليهم الوجبات الغذائية والبطانيات وجميع الخدمات اللازمة وترجوا المولى عز شأنه أن يديم على الجميع لطفه وعنايته هذا وقد صدر أمر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز بتعويض

جميع الحجاج الذين احترقت أمتعتهم وخيامهم وقامت وزارة الحج وصرفت مبلغ ألف ريال لكل واحد من هؤلاء وقد ألقى شاعر جلالة الملك أحمد إبراهيم الغزاوي قصيدة في موسم هذه السنة تتعلق بالموضوع ومنها:

| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| أبا بندر يهناك أنك خالد | وإنك محبوب وإنك ملهم |
| لك الخير وليحيى التضامن إنه | بك اعتز فيه كل من هو مسلم |
| فثق أنك معصوم في كل موقف | على رغم من شذوا ومن هم تجرموا |
| وإنك محفوظ بحفظك للذي | تناجيه في الأسحار والليل المظلم |
| سهرت ونام الناس عما يريهم | وأنت إلى اطمئنانهم تتجشم |
| بذلت لهم ما لا يطيقون حصره | ولا هو يحصى أو يعد ويرقم |
| وذلك في ذات الإله وأنه | لشكر به النعماء تنمو وتعظم |
| فما ثم من يوم يمر وليلة | بغير جهاد منك والله يعلم |
| خلائق من عبد العزيز وفيصل | تمثل في برديك وهي تحشم |
| بها الله أحيأمة الخير فازدهت | بما هي تبديه وما هي تكتم |
| فبشراك بالنصر المبين موزراً | وأنت به البشرى وأنت المقدم |
| تفياً ضيف الله فيك بنعمة | بها الأمن يصفو والهناء يعمم |
| ألوف ملايين الريالات أنفقت | لراحة ضيف الله وهو مكرم |
| فقد نسفت شتى الخيال ومهدت | لكي يتهنوا بالمقام وينعموا |
| مضاربهم بين الصفوف رحيبة | وفيها لغات الوافدين تترجم |
| وها هم بها في غبطة وتزاور | وكل امرئ منهم بها يتقوم |

وبهذا نختتم المجلد السادس من تاريخنا والله الحمد والمنة أثناب الله جامعه وسدد أقواله وأفعاله إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآل وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ويليه المجلد السابع إن شاء الله أوله ثم دخلت سنة (١٣٩٧هـ).

فهرس المجلد السادس من تذكرة أولي النهى والعرفان

- سنة (١٣٨٥هـ) وحروب فيتنام ٥
- أخطار تهدد بني الإنسان ٥
- ولادة خمسة توائم ٦
- زلزال في اليابان ٦
- وفاة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ٦
- وفاة رئيس الجمهورية العراقية: ١٤
- وفاة سليمان بن طلق ١٥
- جمعية تحفيظ القرآن في المساجد ١٥
- كلية الهندسة بالرياض ١٦
- زيارة الملك فيصل للإحساء ١٦
- رسم تخطيط لمكة المكرمة ١٦
- تطوير التعليم الصناعي في السعودية ١٧
- عقد اتفاقية تقسيم المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت ١٧
- ارتفاع مستوى المياه في مدينة بريدة ١٧
- حريق في حلة القصمان بالرياض ١٧
- وفاة عبد الله السعد الشبرمي ١٨
- وفاة حجيلان العمير ١٨
- حريق في فرنسا ١٩

| | |
|--|----|
| إعادة السلام بين الهند وباكستان..... | ١٩ |
| إذاعة جديدة في السعودية..... | ١٩ |
| إلغاء الوزن وإنشاء الكيلوغرام..... | ٢٠ |
| وفاة رشيد عالي الكيلاني..... | ٢٠ |
| ثم دخلت سنة (١٣٨٦هـ)..... | ٢١ |
| فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم بشأن غلاء المهور..... | ٢١ |
| ثلاثون ألف دولار لكلية الشريعة..... | ٢٢ |
| شباب سعوديون يتخرجون من الجامعات الأمريكية..... | ٢٢ |
| حادثة غريبة:..... | ٢٤ |
| ذكر من توفي فيها من الأعيان:..... | ٢٥ |
| وفاة الشيخ عبد الله بن إبراهيم آل الشيخ..... | ٢٥ |
| قتل عالم من العلماء سيد قطب..... | ٢٧ |
| الأوساط الإسلامية تناشد الرئيس جمال عبد الناصر:..... | ٢٨ |
| إعدام الشهيد..... | ٢٩ |
| مولده وحياته:..... | ٣١ |
| تعذيب الأخوان المسلمين..... | ٣٢ |
| نوع آخر من التعذيب..... | ٣٣ |
| وفاة الزعيم إبراهيم بن سليمان الجربوع وترجمته..... | ٣٥ |
| وفاة أبو حماد الرسي وترجمته..... | ٣٦ |
| ركن ينهد في شرقي المملكة..... | ٣٩ |
| تشيع جنازته..... | ٤٥ |
| وفاة إبراهيم بن علي الضبيعي وترجمته..... | ٤٦ |

| | |
|----|---|
| ٤٧ | وفاة صالح بن سليمان السعودي وترجمته |
| ٤٧ | توريد الآلات لمشروع مياه الرياض |
| ٤٨ | تأسيس المصنع السعودي للمفروشات |
| ٤٨ | فتح المعهد العالي للقضاء بالرياض |
| ٤٨ | عقد معاهدة بين السعودية وتونس |
| ٤٨ | قتل ١٥٠٤٠٠ شيوعي في إندونيسيا |
| ٤٨ | تنظيم شبكة مياه المدينة المنورة |
| ٤٩ | تهجم كافر على دين الإسلام |
| ٤٩ | الخط بين أبها وجيزان |
| ٤٩ | سفلته الطريق بين الرياض والطائف |
| ٤٩ | زيارات الملك فيصل للملك الدول |
| ٥٠ | إصلاحات في بريدة وعنيزة |
| ٥٠ | عواصف شديدة ورياح مزعجة تهب على الشرق الأوسط: |
| ٥١ | عقوبات للمفسدين وتنكيل بالمخربين والمعتدين |
| ٥٣ | ثم دخلت سنة (١٣٨٧هـ) |
| ٥٣ | شيء من سياسة الملك فيصل |
| ٥٣ | ذكر ما جرى فيها من الحوادث |
| ٥٤ | حرب بين العرب وإسرائيل ونكسة حزيران |
| ٥٥ | ذنوب تحيط بأهلها وعقوبات عاجلة |
| ٥٦ | تراجع العرب إلى جبهة القتال |
| ٥٨ | المرابطة في الجبهة |
| ٥٩ | أعمال الأسد الجريح |

- ٦١ قتل المشير عبد الحكيم عامر
- ٦٣ ذكر الأهوال والأحداث المريرة التي جرت من اليهود
- ٦٤ ذكر ما جرى بعد نكسة حزيران
- ٦٦ ذكر من توفي فيها من الأعيان
- ٦٦ الشيخ محمد بن فارس وترجمته
- ٦٧ الشيخ أبو حبيب الشقري وترجمته
- ٧٢ وفاة محمد بن عبد العزيز المطوع
- ٧٢ وفاة شاعر لبنان بشارة
- ٧٣ كائنة غريبة:
- ٧٣ هطول أمطار على القصيم
- ٧٤ ذكر الحرب الأهلية في نيجيريا
- ٧٤ ذكر ما حصل من القتل والتشريد
- ٧٥ وفاة محمد بن لادن وترجمته
- ٧٥ تلفزيون القصيم
- ٧٥ ذكر مقام إبراهيم عليه السلام
- ٧٧ ساعة مكة المكرمة في هذه السنة
- ٧٧ نافورة الريح
- ٧٨ تعيين سطاتم بن عبد العزيز وكيلاً لإمارة الرياض
- ٧٨ رياح وسموم في القصيم واشتداد وطأة الحر في إيران
- ٧٨ ثم دخلت سنة (١٣٨٨هـ)
- ٧٨ احتفال في القصيم لافتتاح التلفزيون
- ٧٩ مكة المكرمة تستهدف لأمطار غزيرة

| | |
|----|--|
| ٨٠ | ذكر ضحايا ذلك السيل |
| ٨١ | اتفاقيات للتنقيب في الربع الخالي |
| ٨٢ | طعنة في الصميم وتحويل المسجد الأقصى إلى كنيسة |
| ٨٣ | احتلال اليهود مطار لبنان ومدافعة الفدائيين |
| ٨٥ | خلع رئيس الجمهورية العراقية |
| ٨٥ | هطول أمطار على القصيم |
| ٨٦ | قتل رئيس وزراء اليهود بصواريخ الفدائيين |
| ٨٦ | وقع قيصرية في بريدة |
| ٨٦ | وفاة الملك السابق سعود بن عبد العزيز |
| ٨٧ | وفاة الشيخ محمد بن ناصر الوهيبي |
| ٨٨ | وفاة عبد العزيز بن حسين وترجمته |
| ٨٩ | وفاة عالم ديني سليمان الناصر السعودي وترجمته |
| ٨٩ | مرثية للمؤلف فيه |
| ٩٠ | أخلاقه وشمائله |
| ٩٣ | وفاة أمير القصيم مبارك سابقاً |
| ٩٤ | عفوه وتجاوزه |
| ٩٦ | وفاة حبيب جامالي |
| ٩٦ | أخبار عن وزير الدولة شلهوب |
| ٩٨ | تشكيل لجنة لإصلاح ما تحرب من جراء السيول في مكة وجدة |
| ٩٩ | زيارة ملك إيران محمد رضا بهلوي للملكة |
| ٩٩ | زيارة وزير المعارف والصحة للقصيم |
| ٩٩ | مصائب تنزل بالعالم |

- ١٠١ ذكر ما جرى فيها من الحوادث.
- ١٠٢ ذكر شيء من إصلاحات الملك فيصل
- ١٠٢ تشييد مستشفى أوتوماتيكياً في الرياض
- ١٠٣ ثم دخلت سنة (١٣٨٩هـ)
- ١٠٣ ما جرى من إفساد اليهود وتخريباتهم
- ١٠٤ عدوان صارخ أثيم اليهود تحرق المسجد الأقصى
- ١٠٧ أعمال سيئة من اليهود ضد العرب
- ١٠٨ أعمال الفدائيين وشنهم الغارات على اليهود
- ١٠٩ ذكر ما جرى فيها من الحوادث
- ١١٠ إمارة فهد بن محمد بن عبد الرحمن في بريدة
- ١١٠ مهرجان كبير اشتركت فيه أندية منطقة القصيم
- ١١١ إنهاء العمل من الخط بين البدائع والخبراء
- ١١١ سفلة طريق القصيم إلى المدينة
- ١١١ ذكر من توفي فيها من الأعيان
- ١١١ وفاة الشيخ عبد الله القرعاوي وترجمته
- ١١٦ وفاة الهمام عبد الله بن سليمان بن عيسى
- ١١٨ وفاة الوجيه عبد العزيز الرجيعي
- ١١٨ وفاة عبد الرحمن الخاقان وترجمته
- ١١٩ اعتداء أثيم على مركز الوديعه
- ١٢٩ المبنى الكبير للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة
- ١٢٠ مصاب عظيم ووفاة الشيخ محمد بن إبراهيم وترجمته
- ١٢١ دروسه وتدريساته

- ١٢٢..... مقامات المترجم في الإسلام
- ١٢٤..... تلامذة الشيخ محمد
- ١٢٧..... مرثية للمؤلف وما قيل فيه من المراثي
- ١٣٣..... وفاة محب الدين الخطيب
- ١٣٣..... فتح معهد النور في بريدة
- ١٣٣..... فتح المعهد الفني بمدينة الظهران
- ١٣٤..... وفاة علوي شطا
- ١٣٤..... تنبيه في توجيه نداء من الفيصل لتأثره بأعمال اليهود
- ١٣٥..... ثم دخلت سنة (١٣٩٠هـ)
- ١٣٦..... اشتباك أهل فلسطين مع الأردن وحالة محزنة
- ١٣٦..... هزات أرضية في تركيا
- ١٣٦..... ذكر وفاة الزعيم جمال عبد الناصر
- ١٤٠..... تعيين الأمير فهد بن سعد بمنطقة عسير
- ١٤٠..... زيارة الملك فيصل لماليزيا
- ١٤١..... رياح تجتاح باكستان
- ١٤٢..... وفاة مفتي الجمهورية التونسية
- ١٤٢..... وفاة الزعيم علي بن فهد الرشودي وترجمته
- ١٤٢..... وفاة صبحي القضماني من دمشق
- ١٤٢..... بنت مولدة بلا رقبة
- ١٤٣..... فصل المعاهد العلمية إلى مرحلتين
- ١٤٣..... كشف طبي طيور مهاجرة تنقل أمراضاً خطيرة
- ١٤٣..... رحلتنا إلى قطر عام (١٣٩٠هـ)

| | |
|---|-----|
| التعريف بقطر..... | ١٤٩ |
| قضاة قطر..... | ١٥١ |
| نسب آل ثاني وتطورات قطر عما كانت..... | ١٥٢ |
| الاعتراف بالجمهورية اليمنية..... | ١٥٩ |
| بناء برج الرياض الحديث..... | ١٥٩ |
| مجازر وأهوال تصيب العالم..... | ١٦١ |
| جريمة شنيعة..... | ١٦٣ |
| مشروع الهاتف الآلي..... | ١٦٤ |
| تأسس وزارة العدل..... | ١٦٥ |
| خط الإسفلت بين القصيم سدير الرياض..... | ١٦٥ |
| أخبار عن سجناء العرب بفلسطين..... | ١٦٥ |
| إجراء عملية للملك فيصل..... | ١٦٦ |
| فائدة عظيمة النفع..... | ١٦٧ |
| حجة عالم عدن اليبجاني..... | ١٦٨ |
| تحلي الرئيس تيتوا عن العمل..... | ١٦٨ |
| تخريج أناس من تحفيظ القرآن..... | ١٦٨ |
| نشرة لوزارة الإعلام..... | ١٦٩ |
| ثم دخلت سنة (١٣٩١هـ)..... | ١٦٩ |
| هطول أمطار على القصيم..... | ١٦٩ |
| جراد في أفريقيا يلتهم ما مر عليه..... | ١٧٠ |
| شعب يتعرض للإبادة..... | ١٧١ |
| ذكر ما جرى على المسلمين هناك من الخزي والتعذيب والهلاك والدمار..... | ١٧٢ |

- ١٧٤ ذكر من توفي فيها من الأعيان
- ١٧٤ وفاة محمد نصيف وترجمته
- ١٧٧ وفاة علوي المالكي
- ١٧٨ وفاة وزير المالية محمد سرور وترجمته
- ١٨٠ وفاة عبد الله المحمد بن عامر
- ١٨٢ مريثة للمؤلف فيه
- ١٧٤ وفاة زعيم بريدة عبد الله المشيخ وترجمته
- ١٨٦ ذكر شيء من نباهة المترجم وسياسته
- ١٨٧ وفاة محمد الراشد الرقيبة
- ١٨٧ افتتاح مشروع الري بالإحساء
- ١٨٨ انقلابات وثورات في السودان
- ١٨٨ اغتيال رئيس الوزارة الأردنية
- ١٨٩ خلافات بين الهند وباكستان
- ١٨٩ شر عظيم وبلاء مستطير تعانیه باكستان
- ١٩١ التهديد بحرب عالمية
- ١٩٢ موقف المملكة العربية السعودية من تلك الحروب
- ١٩٣ ضرب فيتنام
- ١٩٤ المعهد الفني في الظهران
- ١٩٤ محاولة اغتيال ياسر عرفات وفشلها
- ١٩٥ انفجار قبلية في أحد ملابس الأردنيين قبل حركة الطائرة
- ١٩٥ تحريق السفارة البريطانية في دبلن إيرلندا
- ١٩٥ فيضانات بأفغانستان

| | |
|-----------|--|
| ١٩٥ | قتل أناس في السودان |
| ١٩٥ | وفاة الشاعر حمزة شحاتة |
| ١٩٦ | وفاة إبراهيم إسلام |
| ١٩٦ | اتحاد الإمارات العربية في الخليج |
| ١٩٦ | دعوة زينب الغزالي لإلقاء دروس في الحرم المكي |
| ١٩٦ | إنشاء الهاتف الآلي |
| ١٩٧ | النظر إلى الماضي والحاضر |
| ١٩٩ | أبيات مليحة للأعشى أبي بصير |
| ٢٠٠ | الاحتفال بسد جيزان |
| ٢٠١ | خسوف القمر خسوفاً ثقيلاً |
| ٢٠١ | وفاة عالم من العلماء فالح بن مهدي |
| ٢٠٢ | أخلاقه وصفاته |
| ٢٠٣ | اختيار حسن بن محمد المشاط رئيساً لتحفيظ القرآن |
| ٢٠٤ | تعيين خالد الفيصل لإمارة عسير |
| ٢٠٤ | ثم دخلت سنة (١٣٩٢هـ) |
| ٢٠٤ | خلع أحمد بن علي بن ثاني وولاية خليفة بن محمد |
| ٢٠٥ | وفاة الشيخ البيجاني وترجمته |
| ٢٠٧ | رحلتنا إلى الجهة الشمالية الغربية |
| ٢٠٩ | تيما والحديث عنها |
| ٢١١ | صفة قتل أمير تيماء |
| ٢١٤ | قصيدة تتعلق في الرحلة |
| ٢١٩ | محتويات تبوك |

| | |
|-----|---|
| ٢٢٠ | رحلتنا إلى الحجر |
| ٢٢٨ | الوجه وموقعه والحديث عنه |
| ٢٣٠ | مسيرتنا إلى ضباء |
| ٢٣١ | محتويات ضبا |
| ٢٣٤ | مرثياتنا في مدين |
| ٢٣٩ | حريق في حفيز عبيد الله الكبير شمال الجامع الكبير ببريدة |
| ٢٤٠ | وفاة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وترجمته |
| ٢٤٢ | ترتيبه لفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية |
| ٢٤٥ | أعماله التي كان يمارسها |
| ٢٤٨ | الحالة السيئة في الفلبين |
| ٢٤٩ | قدوم الأمير بن مساعد إلى الرياض وجلوسه فيها |
| ٢٤٩ | غريبة من الحوادث |
| ٢٤٩ | مشاريع في مدينة بريدة |
| ٢٥٠ | إنشاء طريق من بريدة إلى الرياض شرقاً |
| ٢٥٠ | إنشاء طريق من القصيم إلى حائل |
| ٢٥١ | إنشاء مبنيين للهاتف في بريدة وعنيزة |
| ٢٥١ | إصلاح مجاري مدن المملكة |
| ٢٥١ | وجبة يومية للطلاب |
| ٢٥٢ | قيام الفدائيين بهجوم وتفجير عبوات |
| ٢٥٢ | حادثة من الحوادث في سيلان |
| ٢٥٢ | تطوير سلاح الحدود |
| ٢٥٢ | إنشاء مصنع كسوة الكعبة |

- ٢٥٣ أمطار على الأماكن السعودية
- ٢٥٤ أصيبت الأمة بمرض الحمى غير أنها خفيفة
- ٢٥٤ حريق هائل في مدينة بورما
- ٢٥٤ كتب أثرية ومخطوطات نادرة تلتهمها النيران
- ٢٥٤ إعصار وفيضانات تضرب الفلبين
- ٢٥٥ إسلام ٤٥٠ مسلماً بأفريقيا
- ٢٥٥ إنشاء وتوسعة عدد من المصانع
- ٢٥٥ عاصفة تصيب مدينة الدرعية
- ٢٥٦ وفاة حاكم عمان سابقاً طلال
- ٢٥٧ زيارات الملك فيصل لكل من المدينة وحائل
- ٢٥٧ ثم دخلت سنة (١٣٩٣هـ)
- ٢٥٨ خطر من غزو روسيا لأفغانستان
- ٢٥٩ نشاط التعليم
- ٢٥٩ زيارة الملك للقصيم
- ٢٦١ انتهاء عمارة المسجد الحرام
- ٢٦١ حادثة غريبة ونادرة عجيبة
- ٢٦٢ هجوم اليهود على الفدائيين في لبنان
- ٢٦٢ انتهاك العراق الحدود الكويتية
- ٢٦٣ ذكر من توفي فيها من الأعيان
- ٢٦٣ وفاة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
- ٢٦٥ ذكر كارثة في معرض باريس
- ٢٦٦ ذكر ما جرى فيها من الحوادث

| | |
|----------|---|
| ٢٦٦..... | ولادة امرأة ستة توائم ثلاث ذكور وثلاث إناث |
| ٢٦٧..... | سقوط طائرة انقسمت شطرين |
| ٢٦٧..... | انفجار في سيبيريا |
| ٢٦٧..... | كسوف الشمس وخسوف القمر |
| ٢٦٨..... | هد الجبهة الغربية من المسجد النبوي ووضع المظلات |
| ٢٦٨..... | تحمس العرب لحرب إسرائيل |
| ٢٧١..... | قدح الزناد والحرب بين العرب وإسرائيل |
| ٢٧٢..... | الجبهة السورية وشدة موقعها |
| ٢٧٣..... | أعمال الفدائيين وبطشهم باليهود |
| ٢٧٦..... | خدعة أمريكا للعرب وخيانتها |
| ٢٧٧..... | فشل المؤتمر الذي سعى به كيسنجر |
| ٢٧٨..... | استدراك لما فات |
| ٢٧٨..... | وفاة طه حسين |
| ٢٧٨..... | صدور فتوى مجواز السعي في سطح المسعى |
| ٢٧٩..... | بناء مدارس وفتح طرق وغيرها في السعودية |
| ٢٧٩..... | رحلتنا إلى حائل |
| ٢٨٠..... | كثرة التسول في المسجد وغيرها |
| ٢٨١..... | المعهد الزراعي في مدينة بريدة وتطور الأحوال |
| ٢٨٢..... | محطة بترولين |
| ٢٨٢..... | تغذية الأطفال |
| ٢٨٢..... | نزول قيمة شجر الإثل |
| ٢٨٣..... | حالة عمّار |

| | |
|-----------|--|
| ٢٨٤ | وفاة الشيخ حسن إسماعيل الهضيبي وترجمته |
| ٢٨٥ | وفاة الشيخ محمد الأمين الشينقيطي وترجمته |
| ٢٨٥ | ذكر الحن الي مرت عليه |
| ٢٨٥ | نشأته |
| ٢٨٦ | مشائخه |
| ٢٨٧ | شمائله وأخلاقه |
| ٢٨٩ | وصمة عظيمة لولا الوقوف بطريقها |
| ٢٩٠ | المرصد الفلكي |
| ٢٩١ | تكوين المسالخ في أمهات المدن |
| ٢٩١ | ثم دخلت سنة (١٣٩٤هـ) |
| ٢٩٢ | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ٢٩٢ | وفاة عمر السقاف وترجمته |
| ٢٩٣ | وفاة الحاج أمين الحسيني وترجمته |
| ٢٩٤ | وفاة الشيخ محمد الخزيم وترجمته |
| ٢٩٤ | مشائخه |
| ٢٩٥ | وفاة الشيخ عبد العزيز الهويش وترجمته |
| ٢٩٥ | وفاة وزير الحربية المصرية |
| ٢٩٥ | زيارة الرئيس الأمريكي نكسون للشرق الأوسط |
| ٢٩٦ | الخساف القمر كلياً |
| ٢٩٦ | نزاع بين العراق وإيران من جهة الحدود |
| ٢٩٧ | إجراء إحصائيات لسكان السعودية |
| ٢٩٨ | حادثة غربية في كتابة وجدت |

| | |
|-----------|---|
| ٢٩٩ | خلع رئيس الحبشة |
| ٣٠٠ | هد جبال في منى للتوسعة |
| ٣٠١ | التعويضات |
| ٣٠١ | سحب المياه لمدينة الطائف |
| ٣٠١ | عجائب الشفاء وبرودته |
| ٣٠٢ | زيارة الملك لمصر والاحتفال هناك |
| ٣٠٣ | زلزال عظيم في الباكستان |
| ٣٠٤ | نشر المملكة السعودية العلم والثقافة في اليمن |
| ٣٠٥ | أبشع مجزرة بشرية في الصومال وتعذيب المسلمين واضطهادهم |
| ٣٠٦ | اضطهاد المسلمين في زنجبار |
| ٣٠٧ | استهتار أبو رقية بالشرعية المحمدية |
| ٣٠٩ | صندوق التنمية في المملكة |
| ٣٠٩ | ثم دخلت سنة (١٣٩٥هـ) |
| ٣١٠ | تأسيس المدينة الصناعية ببريدة |
| ٣١٠ | فشو أخبار عن ملك وجدت آثاره في حائل |
| ٣١١ | تنبؤات وتوقعات لوفاة الملك فيصل |
| ٣١٢ | حادث أليم في هذه السنة |
| ٣١٢ | صفة الحادث |
| ٣١٣ | استشهاد الفيصل العظيم - رحمه الله - |
| ٣١٦ | مرثية للمؤلف في الملك ومراثي أخرى |
| ٣٢٣ | ذكر ما جرى بعد ذلك |
| ٣٢٦ | تنبيه لما سبق |

- ذكر من توفي فيها من الأعيان ٣٢٧
- وفاة الشيخ عمر بن حسن وترجمته ٣٢٧
- وفاة الشيخ ابن فريج وترجمته ٣٢٩
- وفاة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن رشيد وترجمته ٣٢٩
- وفاة الزاه محمد بن صالح الرشودي ٣٣٠
- اشتباكات بين اليهود والعرب في المسجد الأقصى ٣٣٢
- وفاة أم كلثوم وفتنة الجهال وعصبيتها ٣٣٢
- ثورة شعب بنغلادش ٣٣٤
- حريق هائل في منى ٣٣٤
- اختطاف طائرة وزراء البترول ٣٣٤
- نشرة ياسر عرفات عن خبث نيات اليهود ٣٣٥
- وفاة الأستاذ رضوان وترجمته ٣٣٥
- ثورة عزيز الأحذب في لبنان ٣٣٥
- نشوب الحرب في لبنان ٣٣٥
- ثم دخلت سنة (١٣٩٦هـ) ٣٣٧
- قتال عنيف وشر مستطير في لبنان ٣٣٧
- تسيب الحمر وما فيها من المضرة منها وعليها ٣٣٨
- استقدام أجانب من الهنود وغيرهم لخدمة المواطنين ٣٣٨
- تدخل سوريا والأردن لوقف القتال في لبنان وفشله ٣٣٨
- ضرب المخيمات في لبنان ٣٣٩
- زيارة الرئيس أنور السادات للسعودية ٣٣٩
- زيارة الرئيس السوداني جعفر نميري ٣٣٩

| | |
|---|-----|
| تقدم الزراعة في السعودية | ٣٤٠ |
| فتح فرع لجامعة الإمام محمد في القصيم | ٣٤١ |
| ذكر من توفي فيها من الأعيان | ٣٤١ |
| عبد الله الدخيل وترجمته | ٣٤١ |
| وفاة الشيخ عبد العزيز الفوزان وترجمته | ٣٤٢ |
| وفاة الشيخ محمد صادق المجدي | ٣٤٣ |
| تعيين عبد العزيز بن محمد آل الشيخ مكانه | ٣٤٣ |
| انقلاب في نيجيريا | ٣٤٤ |
| تعيين حسني مبارك نائباً لرئيس مصر | ٣٤٤ |
| انفجار منجم في الهند | ٣٤٤ |
| فتح خط جوي بين ايران والسعودية | ٣٤٤ |
| قرار بمنع الأجانب من مزاولة التجارة في السعودية | ٣٤٤ |
| عدد سكان الروس في هذه السنة | ٣٤٤ |
| صدور فتوى في الجزائر مخالفة للشريعة | ٣٤٤ |
| هطول أمطار على القصيم | ٣٤٥ |
| توجيه الملك خالد بن عبد العزيز دعوة إلى المسلمين في مشارق | |
| الأرض ومغاريها إلى الجهاد في سبيل الله لاستعادة القدس | ٣٤٥ |
| بيان التضامن الإسلام واشتراك ٤٠ دولة فيه | ٣٤٥ |
| تأسيس شركة الإسمنت في القصيم ببريدة | ٣٤٥ |
| هزة أرضية في إحدى المدن الأمريكية | ٣٤٦ |
| بيان من وزارة الداخلية بشأن الحريق بمنى | ٣٤٦ |
| قصيدة في مديح الملك خالد بن عبد العزيز | ٣٤٧ |
| فهرس المجلد السادس من تذكرة أولي النهى والعرفان | ٣٤٩ |

تَذَكُّرَةُ أَوْلِيَاءِ النَّبِيِّ وَالْعُرَفَاءِ
بِإِسْمِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْوَحِيدِ
وَذِكْرُ حَوَادِثِ الثَّمَانِ

تَأْلِيفُ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَسَنِ
مِنْ سُلَّاءِ أَهْلِ الْقَصَبِ

الْجُزْءُ السَّابِعُ

مَكْتَبَةُ الرِّشْدِ
مَشَارِقُ

② مكتبة الرشيد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبید

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان. /

إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. — الرياض، ١٤٢٧هـ.

۴۳۲ ص؛ ۱۷ × ۲۴ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٩٩٦٠-٠١-٦٢٥- (ج ٧)

أ- العنوان

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم

1427/4792

ديوي ۹۵۳

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

(٧ ج) ٩٩٦. - . ١ - ٦٢٥ - .

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الرشد - ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

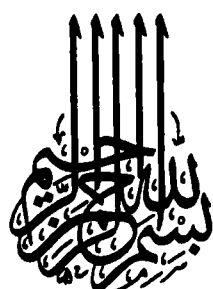


فروع المكتبة داخل المملكة

- ★ الرئيساض: فرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٢٠١
- ★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٢٥٠٦
- ★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٢٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٢٨٢٤٢٧
- ★ فرع جدة: ميدان الطائفرة: هاتف: ٦٧٧٦٢٣١ - فاكس: ٦٧٧٦٢٥٤
- ★ فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٣٢٤١٢٥٨
- ★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
- ★ فرع الدمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٨٤١٨٤٧٣
- ★ فرع حائل: هاتف: ٥٣٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مکاتبتنا بالخارج

- ★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣
- ★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موبايل: ٠٢/٥٥٤٣٥٣ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه نتوكل

ثم دخلت سنة (١٣٩٧ هـ)

استهلت هذه السنة والأمرء في المناطق والمدن والقرى على وظائفهم فكان الأمير في مكة المكرمة صاحب السمو فواز بن عبد العزيز أخو الملك وفي المدينة المنورة صاحب السمو عبد المحسن بن عبد العزيز، وفي المنطقة الشرقية عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي، وفي بريدة سعد بن محمد بن سلطان بالوكالة، وفي تبوك وما يليها سليمان بن تركي السديري بالوكالة، وكان أمير عسير وما يلي تلك الجهات صاحب السمو خالد الفيصل بن عبد العزيز.

وكان الأمير خالد محبوباً لدى أهل تلك الجهات لما كان متسماً به من الإخلاص والتواضع وحسن التدابير.

كما أن الأمير سليمان بن تركي السديري فيه مكارم الأخلاق ورحابة صدر وكرم وقوة مقدرة.

وكان في إمارة العاصمة الرياض صاحب السمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أخو جلالة الملك، وكان أمير عرعر وتلك الحدود صاحب السمو عبد الله بن عبدالعزيز بن مساعد، وفي إمارة جدة الأمير عبد الرحمن السديري كما أن الأمير في حائل سعادة الوكيل وهكذا.

ثم إنه جعل بعد ذلك بمدة قليلة إقامة أمرء من الأسرة المالكة في بريدة عاصمة القصيم وفي مدينة حائل وفي تبوك وذلك لإراحة الأمراء الذين أدوا واجباً يشكرون عليه.

أما القضاة فقد نقل اثنان وثلاثون قاضياً من جهة إلى جهة أخرى فقد نقل الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن مسلم من قضاء الفوارة إلى مساعدية قضاء عنيزة، ونقل مساعد قاضي عنيزة إلى عضوية محكمة بريدة ومن هؤلاء قاضي تربه الشيخ عبد الله بن عثمان بن بشر نقل منها إلى قضاء محكمة سدير، ونقل الشيخ علي الفايز الدغيري من قضاء قبة إلى قضاء الفوارة بالإضافة إلى أن من هؤلاء عدداً سيتم نقلهم بعد استكمالات إجراء ترقيةاتهم.

أما الوزراء فكان وزير العدل فضيلة الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ووزير الصناعة والكهرباء هو غازي القصيبي، ووزير الزراعة والمياه هو الدكتور عبد الرحمن آل الشيخ، ووزير البترول هو أحمد زكي يماني وزيراً للثروة المعدنية، وكان وزير الإعلام والمواصلات حسين منصورى أصيلاً في الثانية ووكيلاً في الأولى، وجعل الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ وزيراً في التعليم العالي، وأما وزير الأشغال العامة والإسكان فهو متعب بن عبد العزيز سمو الأمير المحترم ويأتي ذكر أسماء بقية الوزراء.

وفيها منح جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة السعودية أوشحة وأوسمة الملك عبد العزيز لبعض الأمراء والوزراء تفضلاً وتقديراً لأعمالهم وهؤلاء ناصر بن عبد العزيز، سعد بن عبد العزيز، بندر بن عبد العزيز، مساعد بن عبد العزيز، متعب بن عبد العزيز، عبد المحسن بن عبد العزيز، مشعل بن عبد العزيز، عبد الرحمن بن عبد العزيز، طلال بن عبد العزيز، مشاري بن عبد العزيز، بدر بن عبد العزيز، تركي بن عبد العزيز، نايف بن عبد العزيز، فواز بن عبد العزيز، سلمان بن عبد العزيز، ماجد بن عبد العزيز، ممدوح بن عبد العزيز، عبد الاله بن عبد العزيز، سطام بن عبد العزيز، أحمد بن عبد العزيز، مشهور بن عبد العزيز، عبد المجيد بن عبد العزيز، هذلول بن عبد العزيز، مقرن بن عبد العزيز، حمود بن عبد العزيز، كما تفضل بمنح الوزراء ذلك وهؤلاء الشيخ إبراهيم بن محمد

آل الشيخ وعبد الرحمن بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الزراعة والمياه محمد عبده يمانى، سليمان العبد العزيز السليم، غازي القصيبي علوي درويش كيال وزير البرق والبريد والهاتف حسين الجزائري وزير الصحة حسين منصوري، محمد الملحم وزير الدولة عبد الله العمران وزير الدولة محمد إبراهيم مسعود وزير الدولة الشيخ صالح قزاز.

ولما كان في ٣/٢ من هذه السنة سافر الملك خالد إلى لندن لإجراء عملية في وركه لخلل في إحدى رجله، وبعدما أجريت العملية أعيدت لمرة أخرى لتكون على مستوى أعلى وأحسن فنجحت العملية بحالة جيدة، ولكنه نشأ عن ذلك أنه كان يستعين على المشي بالعصا ويشق عليه ثنيها.

ولما أن كان في يوم السبت ٥/١٢ في الساعة الرابعة بعد العصر زوالى توافق التاسعة وثلاثين دقيقة غروبي قدم بعد غيابه بشهرين وعشرة أيام واستعدت البلاد بزيتها ثم أقيم له من الغد يوم الأحد ٥/١٣ مهرجان عظيم واحتفال رائع صفقت الأمة في سائر أنحاء المملكة فرحاً واستبشاراً بعودة رائدها العظيم وأقيمت استعراضات من سائر القبائل شاكرين لله على توفيقه وسلامة الملك.

إن الملك خالد بن عبد العزيز رجل عاقل ومحبوب لدى شعبه لما كان عليه من التواضع والرفقة والرحمة وقلما نجد أحد إلا وهو يدعو له ويثني عليه، وقد نال رضا الجميع بتوفيق من الله وحُسن نية، وقد اشترك (١٥٠٠٠) مواطن في احتفالات الهدى واستمر الاحتفال إلى بعد منتصف الليل وازدانت المنطقة بالأنوار وكان واقفاً ويشير بيده للتحية، وأنشدت قصائد وألقيت كلمات وتهنئات في كل النواحي فمن مديح أحمد الغزاوي:

لدن ملك ما تاجه من زخارف ولكنه الفرقان وهو يفاخر
وما خالد إلا السماحة والهدى به تضرب الأمثال وهي سوائر
ترأى به عبد العزيز وفيصل وآل سعود والأباة الأكابر

هم استخلفوه موقنين بأنه على كل ما يرضي به الله سائر
وقد حمل العبء العظيم أمانة تقلدها بالحق وهو مغامر
تمام عيون الناس ملء جفونها ويخنو عليهم جاهداً وهو ساهر
وما برحت تهمني يداه سحائباً هي الغيث وبلا ليس للغيث حاصر

وفيها وقعت هزة وزلزال في رومانيا هلك بسببها ألوف من السكان نستجير
بالله من قوارع الزمان وتهدم من ذلك تسعة وعشرون وألف منزل وقامت سلطات
الإنقاذ فكانت تتشغل بعض الجثث تحت الانقراض التي تبلغ ألوف الأطنان ومما
يعجب له أنه عثر على بعض الجثث وهم في قيد الحياة بعد مرور يومين وهم تحت
الانقراض وهذه الهزة الأرضية تعتبر من أعظم ما مرّ في القرن الرابع عشر الهجري،
وقد هلك ألف نسمة وأما عشرة آلاف فكانوا مرهقين من الجراح وتعطل سبعون
مصنعاً.

وفيها جزر البحر الأحمر في جهادى الأولى من إحدى جهاته عن امرأة رأسها
رأس سمكة ومن رقبتها إلى أسفل جسمها امرأة وجدت بين الأحجار هناك ثثن
أنين إنسان غير أنها هلكت فحنطت وجعلت في أحد المتاحف لإطلاع المتفرجين
عليها، والله على كل شيء قدير.

أما ما كان عن لبنان فقد غادر خمسة وثلاثون ألفاً من السكان جنوب لبنان
بسبب قصف اليهود والقتال الدائر هناك ترك أولئك منازلهم لهذه الأذية، وهذه
الملاحقة اليهودية وكان ذلك في أوائل ربيع الأول من هذه السنة ولم يتركوا منازلهم
ويغادروا مواطنهم إلا لما حل بهم من المحق والدمار والخوف والضرب والتقتيل
وفي كلام الحكمة لو ترك القطا ليلاً لنام ويقول الشاعر:

فلولا المزعجات من الليالي لما ترك القطا لذيذ المنام
إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

هذا وقد حدثنا من يسافرون إلى بيروت ولبنان نسأل الله العافية بأنه يوجد

هناك خلاعة ودعارة والنساء سافرات عاريات يتجولن في الأسواق وأسباب الفجور متوفرة، فلا يؤمن أن الله سبحانه وتعالى قد غار لذلك، وفي الحديث: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢)»، وقد انتدب ثلاثة وثلاثون ما بين ملك ورئيس من العرب لحضور القمة العربية الإفريقية وليقفوا أمام هذا التيار الجارف، ولكنهم عجزوا رغم محاولات عظيمة.

أما القدس والضفة الغربية المحتلة وما يكابده أهلها من تعسفات اليهود فقد قام الطلاب في الشوارع وأخذوا يقذفون الحجارة على القوات اليهودية في وقت أغلق فيه التجار محالهم التجارية، فاستخدمت قوات العدو القنابل المسيلة للدموع لتفرقة المتظاهرين وألقت القبض على ستة عشر تلميذاً من الطلاب، ولم تؤثر الأمطار والعواصف الثلجية التي تجتاح الأرض المحتلة منذ الصباح الباكر على حركة المتظاهرين الذين بلغ عددهم نحو عشرين ألفاً.

وفيها في يوم الخميس ٢٠ يناير (١٩٧٧م) الموافق ٢/٢/١٣٩٧هـ تولى الرئيس الجديد لأمریکا جيمي كارتر رئاسة الجمهورية الأمريكية فأقيم هناك احتفال رائع حضره الرؤساء والأعيان فيها وجعلوا يهتفون بالتصفيق في تقاطع خطبته وكان الشعب الأمريكي قد استعد لهذا الاحتفال.

وفيها تم تسوير المدينة الصناعية في القصيم وتبعد عن مدينة بريدة بست كليوات وذلك بعدما تم نزع ملكيتها من أربابها وبلغت قيمة نزع ملكيتها عشرين مليون ريال وغالبها من ممتلكات المزارع عبد الله بن سليمان بن عيسى الذي تقدمت ترجمته جنوبي بريدة.

(١) سورة هود، آية ١٠٢.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها وفاة صاحب السمو عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو الأمير ومستشار أخيه الملك عبد العزيز، وقد يعترف له بالعلم ولا سيما التاريخ والأنساب، عبد الله بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن مقرن، وكان ذا شهامة وصرامة وتقدير بين الأمة ومولعاً بالغراس فله في الخرج ضيعة كبرى فيها أنواع النخيل والأشجار، وله مقامات في نصرة الدين ومساعدة القائمين به يحثهم على الثبات وعدم الانهزام أمام الباطل وأن لا يهنوا ولا يضعفوا، ولديه مكتبة عظيمة تضم جانباً كبيراً من الكتب المخطوطة والمطبوعات أهداها أولاده بعد وفاته لمكتبة الجامعة، وكانت وفاة المترجم في محرم من هذه السنة عن عمر يناهز الثمانين من العمر، وأيضاً له نهمه في الصحافة فقلما توجد جريدة أو مجلة في المملكة إلا وهو يطلع عليها ويقتنيها ولا ريب أنه في عداد أهل الدين والغيرة ومحترماً لدى أبناء أخيه الملوك سعود وفيصل وخالد رحمه الله وعفا عنه.

ومن توفي فيها من الأعيان الأمير عبد العزيز بن مساعد البطل المشهور وهذه ترجمته: هو الأمير الشهير والشهم النبيل الكبير أبو عبد الله عبد العزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، ولد عام (١٣٠٠هـ) وكان أحد الأبطال الذين سطا بهم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن لفتح الرياض والذين لا يتجاوز عددهم أربعين، وقد جرح في رجله من وابل الرصاص الذي أنهل عليهم من أعلى القصر في تلك المخاطرة العجيبة، وفازوا بالنصر والظفر وكان سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد صارماً مقروناً به النصر.

وقد أعده الملك عبد العزيز لمهام الأمور، أضف إلى ذلك أنه كان رجلاً نزيهاً تقياً صالحاً وأسدأ وثوباً مقداماً تتضاءل أمامه وثبات الأبطال وتقصر عن وصفه الأمثال، حتى أنه لم ينهزم قط في جميع الوقعات التي خاضها.

اختاره الملك عبد العزيز لإمارة بريدة مرتين، ولما فتح حائلاً وجبال طيء لم يجد لها كفواً سواه، وليكون محافظاً على الحدود الشمالية، وناهيك به من يقظ حازم يراقب الأمور عن كثب، وأرسله لصد تقلبات آل عائض في عسير عام (١٣٤٠هـ) فظفر وأخضع تلك القبائل ثم تصدى لابن الدويش عبد العزيز فقضى عليه وعلى من معه وذبحه ذبح شاة لما انتقضت عهودهم وذلك في واقعة أم رضة، وكان منصور اللواء ومحبباً لدى أمته.

وهذه صفته كان ربعة جيلاً حسن الصورة مهيب الطلعة أبيض اللون قليل الضحك والمزاح، ذا عبادة وفيه مؤهلات لمهام الأمور، قال الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر يمتدحه ويثني عليه من قصيدة:

| | |
|----------------------------|--------------------------------|
| أثنا بشير من أمير مؤيد | مبارك ميمون الشمال فاضل |
| كريم جواد ذي تقى وشهامة | صبور جسور في اللقاء وفضائل |
| وأعني به الضرغام نجل مساعد | أديب رحيب من كرام أفاضل |
| يقود جنود المسلمين بعزمه | وهمته العليا إلى كل طائل |
| فوفقهم ربي لحرب ذوي الردى | ذوي الزيغ والطغيان نسل الأسافل |

ولقد كان سيفاً مسلولاً على المعتدين جاءت إليه امرأة تشكو فاسقاً من الأعراب أرادها عن نفسها وفجر بها، وقالت له كأني بك يا أبا عبد الله تقول اتني بشاهد، فقد قهرني بواي وفعل بي الفاحشة يا ابن مساعد فأمر به فأحضر بين يديه فهمس بأذنه فأقر بفعله سريعاً فأشار إلى الجلاد بنزع رأسه فطار رأس الجاني بلحظة وعجب الحاضرون كيف فهم الجلاد إشارته.

ذكر شيء من صرامته وبطشه وحزمه

كان في أيامه أعرابي تزوج بامرأة، غير أن أهلها مانعوا من سفرها إلى بلده فلما كان بعد مضي شهرين من الزواج باح الزوج بما لديه من كونه انقطع عن أهله

ووطنه وأخبرها أنه لا يمكن أن يجلس في تلك الصفة منقطعاً عن التكسب ومصلحة دنياه فذهبت إلى أبيها فمانع من سفرها فاشتكى الزوج على الأمير وكان والدها قد تهددها بالقتل إن سافرت قائلاً لئن ذهبت معه لأجعلن صدرك مخرقاً بمشط الرصاص، فدعا بها الأمير وسألها عن رغبتها في السفر مع زوجها فأجابت بما هددت به، وإلا فإنها ترغب الذهاب مع زوجها ولكنه حيل بينها وبينه فدعى بأبيها وقال له أحضر مطيتين إحداهما للزوج والعفش والأخرى تركبها مع ابنتك حتى تؤديهما إلى أهله على مسافة مائة وعشرين كيلو حتى توصلها ثم أقسم بالله لئن أصابه أو أصابها شوكة في الحال أو في المستقبل بسببك لأجعلنك عبرة ونكالاً للخلق فقام مبادراً وحملهما حتى وصلا بالسلامة وأشهد على ذلك الحاضرين، ورجع.

وحدثني صالح بن محمد أبا الخيل بأنه كان مسافراً ورفقته أربعة إلى فلسطين ومصر من جملة العقيلات فلما صفوا بضاعتهم وباعوا جمالهم وأحماهم رجعوا إلى أهليهم في القصيم قال: فلما كان في منتصف الطريق بين الشام والسعودية ظهر خلفنا ثمانية من الركب على إبلهم، فقال البعض منا للآخر إنكم مقفيون فاستعدوا، وكان معنا رجل ماهر في الرماية يحمل أم خمس قصيرة فاختبأ خلفنا في ظل شجرة، ولما أن قربوا منه قال جنوبوا عنا فوالله الذي لا رب غيره لأن لم تجتنبوا لتتفاقدوا والعدة فقالوا له استعد بالله من الشيطان فنحن إسلام وإخوانكم ونعاهدكم بالله أن لا يصلحكم منا ما تكرهون، فانخدعنا لهم كما قال عمر ابن الخطاب من خدعنا بالله انخدعنا له، فركب الرجل راحلته وأغلق بندقيته في مؤخر الرحل ثم تقدم أحدهم لما كنا نسير على السواء وأخذ البندقية كأنه يريد رؤيتها وبجيلة أنه يريد شراءها فلما استولى عليها داخلنا منه خوف وكثر غمزههم وهمسهم فأيقنا بالخيانة، ثم أنزلوهم عن رواحلهم وسلبوا ما معهم ثم قالوا تشهدوا قال وكنا نحمل كمرين من الذهب أخذوا أحدها والآخر تمكنت من أن ألقيه على خفية

ببحر ضب، ثم قلنا لهم بلين كلام لنسلم من شرهم، ما أخذتم فهو كرامة لكم فإننا لا نسلم من الرسوم على الحدود فقالوا لي تقدم للقتل وجعلوه غرضاً على بعد عشرين متراً واستسلم للقتل فأطلق عليه أحدهم البندقية فأصابت ما فوق أذنه خدشاً بسيطاً وقدموا الآخر فأصابت الرمية ما بين فخذه وأصابت الثوب، فلما رأوهما سالمين قالوا يا جماعة هل فيكم أحد قريباً لعيسى بن رميح، قال قلت نعم إنه عمي، فأجابوا يقولون له سلمتم فعندنا ملحة له وهذه عادة عند الأعراب فتركونا وأعطونا نعالتا والشمع التي استلبوها من رؤوسنا وفروا ذاهبين فكنا لا نملك زاداً ولا مزاداً، وقمنا ننظر يمينا ويسرة علنا نجد أحداً نستقي منه ماء، حتى نزلنا إلى موضع منخفض من الأرض فوجدنا أعراباً من بينهم الأمير فبكينا في وجهه وطلبنا منه المساعدة على أولئك اللصوص، فلبى طلبنا وشد ومعه أربعة وعشرون فارساً في طلب اللصوص وكان ذلك بين الصلاتين الظهر والعصر فما زلنا في طلب القوم حتى أشرفت الشمس على الغروب فلم يبق سوى نصف ساعة.

فقال لنا يا جماعة هذه حدودي ولا أستطيع تجاوزها، وأيضاً غربت الشمس فرجع بأربعة عشر من صحبه وطلبناهم بالمعروف أن يستمروا ولكنه رجع بثلة من أصحابه وبقي عشرة فقلنا لهم نرجو أن تبلغونا نقطة ابن مساعد في ذلك المركز على الحدود لا أقل ولا أكثر جزيتهم خيراً فاستحيوا وساروا معنا حتى وصلنا المركز، وكنا لما أشرفنا عليه رجعوا ولما أن وصلنا إلى المركز استقبلنا ابن عبد الواحد وروينا له القصة ونحن بحالة يرثى لها من التعب والجوع والمشقة ففكر قليلاً ثم قال أيا ليت فلاناً حاضر فإنه خوي طيب ولقد ذهب لحاجة ولكن فلاناً حاضر وفيه بركة إن شاء الله فبكينا أمامه وقلنا له تكفى يا ابن الحرة تكفى يا ولد البيضا وهذه نخوة عربية فدعا بالخدام والمري وأمرهما أن يستصحبا رشاشتين معبأتين فاستويا على صهوتي الخيل وقال لا ترجعوا إلا بهم.

نعم كان في شمالي المملكة رجال محنكون شذبتهم التجارب وخلقوا رجالاً للأمن وقال لنا استريحوا لما رأى ما بنا من تعاسة الحظ وسوء الحال، فلما كان بعد منتصف الليل جيء باللصوص وما استلبوه من المطايا وما بين أيديهم من الحلال فأحكم قيودهم بالحديد ثم سيرهم معنا تحت الحراسة وقال سلمهم لبو عبد الله.

فما كان وقت جلوسه في الضحى إلا ونحن وخصومنا ماثلون أمامه في مدينة حائل، فشققنا جيوبنا وصحنا تكفى يا أبو عبد الله تكفى يا ولد مساعد وأريناه مضارب الرصاص في أجسامنا وثيابنا وروينا له القصة فدعى بالعصا والخشب وضربهم حتى انقطعت أنفاسهم وسكتت حركاتهم فأمر بإبلهم فوسمت وسم الحكومة وقال لنا خذوا شيئكم ولا تتجاوزوه فركبنا مطايانا وسرنا من عنده شاكرين فرحمة الله عليه.

هذا ابن مساعد الذي حزم شمالي المملكة حزم السلم وما كنت أظن أعداء الفضيلة وأصحاب الرذيلة من قطاع الطريق الذين يسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين تأمن الأمة منهم إلا بمثل ذلك الصنيع والقبض عليهم بأيدي من حديد ليستريح البررة ويستراح من الفجرة.

وكان الملك عبد العزيز يعتمد عليه اعتماداً كبيراً في رسم خطط جهاده ومعاركه ومجابهة خصومه، فكان عند حسن ظنه وله رأي ثاقب وشجاعة نادرة وقوس نصر يرمي به الملك عبد العزيز أعداءه وخصومه.

وعندما هاجم الملك قلعة الرياض كان في مقدمة المهاجمين رغم صغر سنة بحيث لا يملك إلا عصا معقوفة من شجر السلم وخنجراً أصيلاً وله دوره في فتح الرياض بحيث ألقي على قدمه حجر كبير أصاب أصابعه يرضوض ولا زالت وسام شرف الوفاء والفداء.

وقد شارك الملك عبد العزيز في جل غزواته في البكيرية وقتل الصنديد عبد العزيز بن رشيد وواقعة جراب وواقعة كنزان كما شهد فتح الإحساء.

وفي سنة (١٣٣٨هـ) بعث به عبد العزيز بن عبد الرحمن ليقود جيشاً ضد آل عايض في عسير كما قدمنا وكانت تلك الإمارة قد رفضت أن تتحد مع بقية أجزاء هذه المملكة فنازلها وأخضعها وقدم بزعمائها مخفورين إلى الرياض، وقد لبث في إمارة حائل اثنتين وخمسين سنة ولما أن تم له من العمر اثنتان وتسعون سنة طلب من حكومته الإعفاء من الخدمة وتفرغ للعبادة حتى وافاه أجله المحتوم في مدينة الرياض بعدما قدمها عام اثنين وتسعين، وكان إلى جانب شجاعته وصرامته يتحلى بالتقى والورع والتمسك بالدين الحنيف محافظاً على الصلوات مع الجماعة وقوراً صامتاً متديناً إذا أردت أن يحدثك عن جهاده وكفاحه يقول ما نحن إلا جنود صغار نؤمر فنأتمر ويخطط لنا فننفذ، قال الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل يرثاه بهذه القصيدة ويذكر مناقبه الشريفة:

| | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| رحيل الأمير الأرمحي المساعد | هزبر الشراى عبد العزيز المساعد |
| مصاب ورزء فادح أجج الأسى | لفقدانه من كل ناع وفاقد |
| هو الفارس المغوار في حومة اللقا | أبو الشبل عبد الله فرع الأماجد |
| حسام نضال والقنا يقرع القنا | ونار الوغى ما بين صال وواقد |
| لقد كان حداً في الصوارم ماضياً | بكف المليك الفيصلي المجاهد |
| أجل إنه عبد العزيز أخو العلى | مؤسسها مجداً بأرسى القواعد |
| وحامي حمى الإسلام والعدل والتقى | مؤمنها من كل طاع وحاقد |
| من البحر حتى البحر شرقاً ومغرباً | وشاماً جنوباً حول أطوار حاشد |
| بنصر وتوفيق الإله وفضله | برغم الأعادي والألد المعاند |
| فلله عهد شامل الأمن والهناء | بعز مكين ساطع السعد سائد |
| وكم للأمير ابن المساعد كم له | مواقف صدق في الرخا والشدائد |
| مواقف ميمون أمين محبب | وغيظ على الأشرار أهل المكائد |
| فأهأ على فقدان شهم مظفر | ومسعر حرب للجحافل قائد |
| دهاء وتوفيق ورأي مسدد | وحظ من الله العلي المساعد |

أكيد الإخاء منذ الشبيبة ساعد
إلى آخر العمر المديد جهاده
على الصدق والإيمان والنصح والولا
سماحة أخلاق ونبل وهيبة
وسمت وصمت لائق وتواضع
عن الحق والإعجاب كل بمعزل
يسارع في الخيرات سيرة سيد
وكم مسجد لله ديناً أقامه
تلاوة آيات الكتاب تدبراً
صلاح ورشد واستقامة منهج
غني عن الإطناب خير شمائل
تدوم على مر الزمان مطنب
فأكرم وأنعم بالسجايا وبالوفا
سقى صيب الغفران مثوى مجله
إلى الله كل الخلق لا بد صائر
وصل على الزاكي الأمين مسلماً
واتباعهم ما لاح نجم وما هوى

قوي من الأبطال أقوى السواعد
بعزم طموح في ذرا المجد صاعد
بأخلص أعمال وأنقى المقاصد
وحكمة تدبير الصبور المكابد
سجايا تجلت من أجل العوائد
وشيمة طبع ثابت غير حائد
تقي وتقوى الله أزكى الفوائد
ومن أشرف الأعمال رفع المساجد
بخشية أبواب منيب وعابد
وخدمة هذا المجد إخلاص جاهد
يدوي بها التاريخ أوضح شاهد
بها الصوت من حاد وراوٍ ووافد
وأطيب ذكر في المحامد خالد
سليل الحماية الأكرمين الأماجد
وسبحانه المعبود من كل حامد
وأصحابه والآل أهل المحامد
وهب الصبا وانهل وببل الرواعد

وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله وعفا عنه، وكان آخر
الأربعين وفاة من الذين شاركوا في فتح مدينة الرياض ورافق الملك فيصل في تثبيت
الأمن كما رافق الملك سعود والملك عبد العزيز، فكان العضد الأشد وموضع الثقة
من الجميع.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ علي الضالع رحمه الله وعفا عنه وهذه
ترجمته: هو الشيخ علي بن سليمان بن علي بن سليمان الضالع ذكروا لي عشيرته

أنهم من التواجد يجمعهم الجد السادس، ولد رحمه الله سنة (١٣٢٩هـ) في قرية الشقة الكائنة على بُعد مسافة ٧ كيلو من مدينة بريدة وتقع في الشمال الغربي عن المدينة فتعلم القراءة والكتابة على مقرأ فيها، كما أخذ مبادئ في الحساب ثم أنه رحل إلى بريدة للأخذ من علمائها فأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي وأخذ عن الشيخ سليمان بن عبد الله المشعلي وأخذ عن الشيخ محمد بن عثمان الشاوي.

وأكثر الأخذ عن الشيخ عمر بن سليم وحظي لديه فكان ملازماً له في الحضر والسفر كجملته رفيقته، فقلما يحج أو يذهب إلى الرياض إلا والمترجم في صحبته حتى قال عنه بعض زملائه هذا ولد للشيخ سوى أنه لم يلده وجد واجتهد وأعجب به شيخه عمر بن سليم كما أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد لما بعثته الحكومة إلى بريدة مدرساً وقاضياً في إقليم القصيم. وكان المترجم رجلاً اجتماعياً يحب المذاكرة والبحث وكان مرحاً مع رزانه وهيبة عضداً إلي أشد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم ويغشى الناس في مجامعهم ويذكرهم، وذهب مرة إلى القاضي حسب دعواته لأهل الحسبة والأئمة والمؤذنين لتشجيعهم في القيام بأمر الله فذكر أنه متبرع بنفسه لتوجيه الأمة إلى صراط الله المستقيم، وأنه صابر على ما يناله في الدعوة إلى الله تعالى من جهل الجهال والنيل منه وأنه وقف نفسه لذلك.

وكنتم أذهب وهو في معيتي إلى المستشفيات والمدارس الحربية والزراعية والصناعية وقد قمنا وفي صحبتنا بعض الموجهين لزيارة المدرسة الحربية في بريدة وكان مديرها إذ ذاك رجلاً طيباً من أهالي عسير يدعى حسن مستور فأحضر الطلاب في ساحة المدرسة وحصل منهم إقبال وقبول لتوجيهاتنا إليهم بحيث نخثهم قبل كل شيء على المحافظة على الصلوات الخمس في جماعة والثبات على تعاليم الدين والإخلاص لحكومتهم ولشعبهم.

وهكذا كل دعوة على بصيرة وحسن نية وبجكمة وموعظة حسنة ودعوا لنا وشكروا لنا حتى أنهم كانوا قد تعلقوا بنا وطلبوا منا أن نكثر من زيارتهم وأقسموا لنا بأن زيارتنا كالغيث أصاب الأرض المجدبة.

وزرنا مستشفى مدينة بريدة المركزي بعدما ضربنا موعداً للزيارة فلا نفاجئهم وقد حضر الأطباء والمرضون والمرضات والمدراء والمراقبون والبوابون وأعطيناهم توجيهات حسنة تعود على مصلحة المجتمع، وهذا باعتماد ثلاثة أشياء أن لا تدخل امرأة إلا ومعها ذو محرم وأن يحافظوا على الصلوات الخمس في جماعة وهذا خاص بالرجال، بحيث جعلت الحكومة مسجداً وإماماً ومؤذناً وكلفت عضو الهيئة الدينية بالمحافظة على ذلك. ثالثاً: اجتناب الدخان ومن ابتلاه الله بهذه البلوى فإنه يكون مستتراً بحيث لا يجاهر بذلك علناً، وكنا ممتطين سيارة من قبل المحكمة الشرعية وسيارة من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وظائفه:

أما عن أعماله التي كان متصفاً بها فإنه لما قدم مدينة بريدة لطلب العلم كان من جملة الغرباء الذين سكنوا في حجرات مسجد ناصر بن سيف؛ لأن المسجد فيه خمس حجرات قد يسكن الحجرة الواحدة ثلاثة أو أربعة لما كان ينتاب المسجد من الطلاب والدارسين على فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وما هناك من المستمعين الذين اجتمعوا لاستفراغ منطوقه وجثوا أمامه بالركب ولما أن نقل الشيخ عمر إلى جامع بريدة بعد وفاة أخيه الشيخ عبد الله كان المترجم قد تزوج بابنة عمه فولاه الشيخ إمامة المسجد وذلك في سنة (١٣٥١هـ) وذلك لحسن قراءته وتجويده ومؤهلاته في العلم فقام بالإمامة والتدريس والوعظ والإرشاد فلبث في ذلك المسجد خمس عشرة سنة ثم إنه بنى مسجداً في شمالي بريدة حوالي بيته ويعرف باسمه وفي عام (١٣٧٣هـ) فتح المعهد العلمي في بريدة فعين فيه مدرساً في العلوم الدينية وانتفع بعلمه خلائق كثيرون فكان يدرس في المعهد وفي المسجد واستمر

على ذلك في نشر الدعوة وكتابة الوثائق وعقد الأنكحة وما رغب في وظيفة القضاء وما زال على حالته في الوعظ والإرشاد والتدريس ثم أنه سار إلى الرياض لبعض شؤونه فلما وصل هجرة ساجر أصيب بحادث انقلاب السيارة فحمل إلى المستشفى ولم يفد فيه العلاج وتوفاه الله تعالى فنقل جثمانه إلى مدينة بريدة رحمه الله وذلك في ١٥ ربيع الأول فالله المستعان.

ومن توفي فيها الشيخ علي السالم المحمد أخذ عن إمام مسجدهم إبراهيم الجليلي وعن الشيخ صالح السكيبي وعن الشيخ سليمان المشعلي وعن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، ونال قضاء المستعجلة في مدينة بريدة ثم نقل إلى حائل فكان قاضياً في المستعجلة ثم أعيد إلى بريدة فكان إماماً في مسجد في شمالها ولبث في محكمة بريدة كمساعد للرئيس وكان قد أصيب بمرض التشنج ونوع من الجنون فزاد عليه المرض فرفع موظفو المحكمة برقية بموضوعة إلى وزير العدل بأنه غير صالح للعمل فبعثت الوزارة طائرة لحمله وعلاجه لكنه توفي من ذلك المرض في هذه السنة رحمه الله.

ومن توفي فيها من الأعيان أمين بلدة مكة المكرمة عبد الله عريف كان رجلاً نشيطاً في أعماله وحصل في أيامه تخطيط لمكة المكرمة وتطورت إلى درجة مثلى في النشاط ومن يذكر عنه أنه اشترى بقيمة تعويض أحد شوارع مكة البالغة (٢٤) مليوناً معدات للبلدية من سيارات ودركتورات وما يتطلبه الوضع وعند صرف التعويض أطلع الحكومة على ذلك وأبرز الفواتير بذلك قائلاً لقد سئمت من الاستعارة فلتصرف الحكومة مرة أخرى فوافقوا على ذلك تقديراً لإخلاصه وتفانيه في العمل.

وفيها في ٨ ربيع الثاني وقع اصطدام بين طائرتين جمبو إحداهما أمريكية والأخرى هولندية وتحولتا إلى شعلة من اللهب وقد نجم عن ذلك الحادث وفاة (٥٦٣) راكباً وهذه أكبر خسارة وقعت في حوادث الطائرات.

وصمة سيئة في وجوه العرب

لما أن كان ليلة عيد الأضحى من هذه السنة امتطى رئيس الجمهورية المصرية أنور السادات طائرته وذهب إلى اليهود يزعم أنه مفاد بنفسه لوضع صلح مع إسرائيل فتأثر العرب لذلك وحصل استنكار لهذا التصرف وعارض العلماء والرؤساء عقد السادات للصلح بينه وبين إسرائيل لأن الأماكن المقدسة قضيتها تهم المسلمين جميعاً، وجعلوا تصرفه ذلك خيانة وحوصرت السفارات المصرية في غالب الممالك الإسلامية وأطلقت على بعضها النار ولا سيما في بيروت ونقلت الجامعة العربية من مصر ولا ريب أن ذلك يعتبر خللاً في صفوف العرب وصدمة في وجوههم وكأنه بذلك لم يبال لأحد لأنه فعل ذلك لمصلحة مصر لا أقل ولا أكثر وقد امتدحت إسرائيل الرئيس المصري بالشجاعة والتقدم ولكنه لم يفز مع ذلك بتقدير من إسرائيل لم يرعوا لذلك اهتماماً بل كان جواب وزير حرب إسرائيل (عزرا وايزمان) قوله أمام مؤتمر حزب حيروت بعد مرور هذا الصلح بسنة ونصف أنه إذا أغلقت القناة يريد قناة السويس من جديد في وجه السفن الإسرائيلية إثر أي تغيير قد يحدث في مصر فإن إسرائيل ستعود إلى سيناء للمرة الرابعة وقال أن العمليات التي يوجهها الفدائيون ضد المستوطنين الإسرائيليين مرهقة للأعصاب ونحن لا زلنا في البداية وإن كانت المعركة قد بدأت بالفعل كما قدم بعد ذلك وزير داخلية إسرائيل يوسف برغ زائراً لمصر للمفاوضة فيما يسمى بالحكم الذاتي للضفة والقطاع.

وفيها حج جموع من الحجاج لم يعهد مثله فيما مضى أحصى ما دخل في مكة المكرمة من سيارات الحجاج فبلغت خمسمائة ألف سيارة (٥٠٠٠٠٠) هؤلاء سوى حجاج الطائرات.

تنبيه ذكرنا فيما تقدم أن ثورة عزيز الأحذب لم تنجح ونحن نتكلم عنه فنقول هو العميد الركن عزيز الأحذب قائد منطقة بيروت الذي أعلن نفسه مساء يوم

الخميس ١٣/٣ من السنة المتقدمة حاكماً عسكرياً مؤقتاً في لبنان في مدينة طرابلس شمال لبنان ولد عام (١٩١٨م) تخرج من الكلية الحربية عام (١٩٣٩م) يحمل دبلوم القوات الخاصة للجيش الفرنسي والإنجليزي ودبلوم القناصة الهولندي وشهادة أركان حرب من فرنسا والعراق، وكذلك دبلومات في الجغرافيا والصحافة واللغة والأدب الإنجليزي، ولقد تدرج العميد الأحذب في مناصب الجيش ثم أصبح مفتشاً على ألعاب القوى والرمية في الجيش ومديراً للشرطة اللبنانية حيث يرجع إليه الفضل في تشكيل اللواء السادس عشر الذي يمثل القوات الخاصة في الشرطة اللبنانية وتقلب في وظائف أخرى منها الدفاع الوطني اللبناني ضد العدو الصهيوني.

وبما أن عزيز الأحذب نشر تدابيره في لبنان فإن للرئيس السابق سليمان فرنجية أعواناً يؤيدونه، وبينما كانت العرب رافعين أكفهم كما يشاهد في موقف الملك الراحل فيصل وإلى جانبه رئيس محاكم المدينة المنورة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح وغيره يدعون الله بدعوات صادقة بأن يجمع كلمة العرب والمسلمين وأن ينصر قضاياها إذ بسوريا تغلق مكتباً لمصر لديها وتقوم مصر بمثل ذلك وتأخذ كلاهما رجال المكتبين إلى أصلهما وتسيء العلاقات بين البلدين، وبما أن الأمة حزنت على الملك فيصل لما له من المواقف العظيمة لنصرة قضايا العرب ففي ١٣ من ربيع الأول كل سنة يجعل ذكرى في الصحف والجرائد.

اكتشاف مدينة أثرية

في اليوم ١٤/١٠ من هذه السنة اكتشف على مدينة أثرية في سوريا فيها تلال وقلاع من العهد العربي الإسلامي الأول، وكانت تقع بالقرب من نهر الخابور في شمال شرق سوريا وتحتوي على سور عرضه (٨٠٠) متر يحدها من ثلاثة أطراف وفي طرف المدينة تقع قلعة شائخة وكان هذا الاكتشاف جاء على يد البعثة الأثرية الألمانية ورجح المصدر أن تكون هذه المدينة مركزاً حضارياً على درجة كبيرة من الأهمية نظراً لاتساعها.

كما أنه في هذه السنة بل في هذا الشهر اكتشفت الولايات المتحدة الأمريكية تسرب إشعاعات نووية قاتلة في الهواء من المصنع الوحيد الخاص بالقنابل النووية، وأشار التقرير إلى أن كمية هذه الإشعاعات يمكن أن ترفع معدل الوفيات بمرض السرطان بمقدار (١٦٠) حالة بالنسبة للمليون نسمة وتزيد من حالة ولادة الأطفال المعوقين.

وفيها تم اعتماد مبلغ (٢٢٣) مليون ريال للمشروعات الجديدة بمدينة الطائف وتشمل نزع ملكيات وتحسين وتجميل وتوسعة شوارع المصيف وإنشاء سوق حديثة للخضار واللحوم وإقامة دورات مياه صحية وغيرها، هذا وقد كانت شوارع مدن المملكة مختلفة أعمالها فهناك شركات تحفر وشركات ترصف وشركات تأتي لتحفر بعد الرصف وشركات تخطط المجاري وشركات تخطط التيارات للهاتف والكهرباء وشركات تهدم بعد التخطيط وغير ذلك.

ثم دخلت سنة (١٣٩٨ هـ)

استهلّت هذه السنة والرئيس في أمريكا جيمي كارتر وفي العشر الأواخر من شهر محرم قام بجولة لزيارة ست دول في أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا وفي أسوان وكان ذلك في ٢٥ محرم الموافق اليوم الأربعاء ٤ يناير (١٩٧٨م) بعدما وصل إلى مصر كان هو وأنور السادات يتعانقان، عقد اجتماعهما في مطار أسوان واستغرق ذلك الاجتماع خمساً وخمسين دقيقة، وقد توقف الرئيس الأمريكي ساعة في مصر وقام الرئيس أنور السادات وكارتر يبحثان في شأن وجود السلام في الشرق الأوسط، وقال الرئيس الأمريكي أن الولايات المتحدة تنوي أن تلعب دوراً حيوياً في مفاوضات السلام، وكان السادات قد أعلن في خطابه الذي ألقاه في ٢٧ ديسمبر في حفل العشاء الذي أقيم تكريماً لهيلموت سميث مستشار ألمانيا الغربية أنه لن يتزحزح قيد أنملة عن مطالبه بشأن إقامة دولة فلسطينية والانسحاب الإسرائيلي

التام من الأراضي العربية رغم رفض إسرائيل وقال إنا سنستمر في طريقنا بخطوات ثابتة وأضاف إنا مستعدون لأي موقف إلى أن يتحقق مطلب العرب الشرعي الخاص بانسحاب إسرائيل من كل الأراضي العربية المحتلة واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني بما فيها حقه في إقامة دولة مستقلة.

مقتل الآلاف في قصف أثيوبي

وفيها في يوم الأربعاء المذكور هب إعصار مدمر ووقعت فيضانات عظيمة في الأرض المحتلة وبلغ الإعصار العنيف الذي اجتاحت إسرائيل منذ يوم الأربعاء ذروته في المساء وقد أثار الهواء العاصف والأمطار الغزيرة وعواصف البرد الاضطراب في حياة السكان واضطر المختصون إلى البقاء طوال الليل لإصلاح الخطوط الكهربائية وخطوط التلفون ورفع الأشجار التي وقعت في الطرق من جراء الإعصار، وفي عدد كبير من المدن والأحياء الفقيرة أصبحت الشوارع غير صالحة للسير فيها سواء بالنسبة للسيارات أو بالنسبة للمارة.

ففي تلك الآونة وقع قصف جنوبي المدن الأتريرية من الأثيوبيين مما أدى إلى قتل الآلاف من الناس وألقى المحاربون قنابل النابالم على مواقع الثوار حيث يحارب الثوار القوات الأثيوبية في منطقة الميناء وعلى القرى المحيطة بالعاصمة (أسمراء).

إقامة مدينة الملك خالد

هذا ولا يزال الصندوق العقاري في المملكة السعودية يوالي نشاطاته في القروض حتى أعلنت إحدى الجرائد بأنه بني مائة ألف مسكن عائلي كلفت واحداً وعشرين ألف مليون ريال ولا يزال الصندوق في نشاطاته، وقد استفادت الأمة من ذلك أن أصبح مائة وست وعشرون مدينة وقرية في جميع أنحاء المملكة قد أقيم فيها

العدد المذكور من المساكن وقد جعل الحد الأعلى للقرض ثلاثمائة ألف ريال وسيتم تصنيف القرى والمدن إلى ثلاث أو أربع فئات فيكون الحد الأعلى للقرض في المدن الكبرى كما ذكر ثم يندرج بالانخفاض بالنسبة للمدن والقرى الأقل حجماً حتى يصل حده إلى مائة ألف ريال.

في هذه السنة أقيم احتفال عظيم في حفر الباطن لوضع الحجر الأساسي لمدينة الملك خالد حضر لذلك الأعيان ووضع حجر الأساس الملك خالد بن عبد العزيز لهذه المدينة العسكرية وما أن وصل جلالته إلى مكان الاحتفال حتى عزفت الموسيقى بالسلام الملكي وكان في استقباله ولي العهد سمو الأمير فهد بن عبد العزيز ووزير الدفاع سلطان بن عبد العزيز وعدد من الأمراء والوزراء وكبار المسؤولين من المدنيين والعسكريين، كما كان في استقباله هناك كبار قادة وضباط القوات المسلحة يتقدمهم الفريق أول عثمان الحميد رئيس الأركان.

وهذه المدينة المشار إليها هي ثالث مدينة عسكرية تقام في المملكة بعد مدينة الملك عبد العزيز في تبوك، ومدينة الملك فيصل في خيس مشيط، وقد افتتح الحفل الكبير بأي من الذكر الحديث ثم ألقى الرائد ناصر الفهد الفيصل مدير عام الأشغال العسكرية كلمة رحب فيها بالقائد الأعلى للقوات المسلحة الملك خالد بن عبد العزيز وتحدث عن الإنجازات التي حققتها حكومة جلالة الملك والتي كان آخرها مشروع الجبيل الصناعي، وبعد إلقاء الكلمات قام صاحب الجلالة الملك خالد بإزاحة الستار لوضع حجر الأساس إيذاناً ببدء العمل بمدينة خالد العسكرية وكانت هذه المدينة ضخمة بحيث تقرر لها ستة عشر ألف عامل وفني ومهندس وتقرر ما تحتاجه من إنشاء مرافق وقاعدة جوية وغير ذلك مما يطول ذكره من مستشفى عسكري على بُعد كيلو متر شرق المدينة بسعة (٣٣٠) سريراً كما سيتم إنشاء مركز ومدرسة للمهندسين على بُعد أربعة كيلوات غرب المدينة لاستيعاب (٥٠٠) طالب وأشياء أخرى.

كائنة غريبة

في أوائل هذه السنة ولد توأمان في بعض الجهات البعيدة ملتصقين ببعض رأسيهما فأجريت لهما عملية دقيقة بعد مضي تسعة عشر شهراً من ولادتهما وتمكن الأطباء من فصل التوأمين بعد ست عشرة ساعة من إجراء العملية ونجحت العملية بعدما استيقظ كل منهما يصرخ على حدة والله على كل شيء قدير.

اجتماع لبحث إنشاء منظمة العواصم الإسلامية

في هذه السنة عقد اجتماع لذلك والمقصود منه هو التعاضد والتكاتف والسعي لعز الإسلام والوقوف أمام المذاهب الهدامة التي تجرف الإسلام وأهله.

وفيها ألقى القبض على رئيس وزراء باكستان ذو الفقار علي بوتو وألقي في السجن وذلك بعدما حرص المسؤولون في إبعاده عن الانتخابات بدعوى تهمة الإفساد المالي ومصادرة حرية الصحافة، وقد اعتقل مرتين ثم أطلق سراحه واعتقل هذه المرة وامتحن بتهمة اغتيال أحد منافسيه السياسيين ففي ٥ يوليو (١٩٧٧م) قام الجنرال ضياء الحق بانقلاب عسكري وتم اعتقال بوتو رئيس الوزراء ثم أطلق سراحه بعد عشرة أيام ثم اعتقل في سبتمبر في كراتشي بتهمة بأنه عندما كان رئيساً للوزراء أصدر الأوامر لرجال الأمن باغتيال أحد خصومه السياسيين وهو أحمد رضا كاشوري ولكن أحمد نجا من محاولة اغتياله في لاهور في ٥ نوفمبر (١٩٧٤م) بينما لفظ والده نواب محمد أحمد خان أنفاسه الأخيرة في المستشفى متأثراً بجراحه بعد إصابته بعدد من الأعيرة النارية.

وفي ١٣ سبتمبر دافع بوتو بأنه غير مذنب وأفرج عنه بكفالة وبعد أربعة أيام ألقى القبض عليه من جديد بتهمة انتهاكه للأحكام العرفية عندما كان يستعد لبدء الحملة الانتخابية لحزبه حزب الشعب الباكستاني، وفي ١١ أكتوبر كانت المحكمة العليا في لاهور تتهم علي بوتو رسمياً بالتآمر والقتل، وبدأ النظر في القضية

(١٩٧٨م) وفي ١٨ مارس أذانت محكمة لاهور العليا ذو الفقار علي بوتو وأصدرت حكمها عليه بالإعدام شتقاً بسبب تورطه في جريمة سياسية، كما صدر الحكم بإعدام أربعة من المشتركين معه في القضية وكلهم من رجال قوات الأمن الفدرالية في فترة حدوث الجريمة، وقد اعترف ثلاثة منهم بالاشتراك في مؤامرة الاغتيال، وسيأتي في التي بعدها ذكر إعدامه لما وجهت إليه هذه الاتهامات، وكان قد أضرب عن الطعام للمطالبة بتحسين ظروفه في السجن، ولكن ضياء الحق الرئيس الحالي رفض العفو عنه واستمر في السجن الكائن في دوالبندي بعدما نقل من لاهور.

وفيها كان رئيس وزراء اليهود مناحيم بيغن يدبر خطته في إطالة الحرب اللبنانية وإن كان يتظاهر بأن اليهود على استعداد لمناقشة موضوع إطلاق النار في جنوب لبنان ويريد أن يظل الوضع في جنوب لبنان بلا حل لأن ذلك من صالحها لتتدخل في لبنان كما فعلت بفلسطين.

وفيها صدرت الموافقة السامية على توسعة المطاف بالحرم المكي الشريف ليصل إلى حدود الحرم القديم وليصبح المطاف (٨٥٠٠) متر مربع وليستوعب أكثر من (٢٠) ألف طائف بعد أن كان يستوعب أربعة آلاف متر مربع فقط ومساحته سابقاً أربعة آلاف متر مربع وكونت لجنة برئاسة وزير الحج والأوقاف ووكيل الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ووكيل الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجدين المكي والنبوي قامت بدراسة المخططات المقدمة من شركة هندسية استشارية وبدأ العمل في غرة جمادى الأولى عام (١٣٩٨هـ) وألغيت الحصاوي والمشايات ونقل المنبر ومدخل بئر زمزم إلى خارج المطاف الجديد مع تبليطه ببلاط أبيض من الرخام الممتاز وفرشت رحبة المسجد الحرام بذلك البلاط الأبيض ضد حرارة الشمس، وقد جعل أسفل البلاط مقاماً شبكة من حديد قوي، وكان مستمراً بحيث استغرقت مدة التنفيذ الذي يتولاه مؤسسة ابن لادن (٢٧) شهراً وبلغت تكلفة المشروع أكثر من مائة وخمسة وخمسين مليوناً من الريالات.

ذكر تجديد باب الكعبة المعظمة وجعله من الذهب الخالص

أصدر صاحب الجلالة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز أمراً إلى وزير الحج والأوقاف بتجديد باب الكعبة المشرفة ويكون هذا الباب من خالص الذهب، فجاء ذلك الباب كأحسن شيء وأتقنه بحيث لم يركب للكعبة منذ نشأت باب من ذهب قبل ذلك.

وفي ٢٦ محرم من هذه السنة نشر وزير المالية عن الصندوق العقاري ما يأتي مما بذلته الحكومة السعودية نحو المواطنين مائة ألف مسكن عائلي بالملكة يبنى من القروض بلغت (٧٩٥٠٥) قروض كلفت واحداً وعشرين ألف مليون ريال و(٤٨٦) قرض للاستثمار العقاري كلفت ألفاً وثلاثمائة وثمانية عشر مليون ريال ويقول أن رغبة حكومة جلالة الملك في استمرار خططها لمساعدة أكبر عدد من المواطنين على بناء مساكن عائلية ودعم مقدرة المواطنين الذين يرغبون في استثمار مدخراتهم في بناء المباني للاستثمار التجاري هو هدف سيستمر اعتباره ذو أولوية قصوى.. الخ.

كما أنه نشر في السنة المتقدمة ١٦ / ١٠ أن ثلاثة آلاف شارع نفذتها الأمانة خلال عام واحد في مدينة الرياض، كما أن الرئيس العام لتعليم البنات الشيخ راشد بن صالح بن خنين قد صادق على أن (٣٥٦) موظفاً وموظفة في جهاز تعليم البنات ستشملهم العلاوات التشجيعية وهذا في ١٨ محرم من هذه السنة، ولقد ازدهت مدينة الرياض وأصبحت واحدة من أكثر مدن العالم ازدحاماً بالسيارات، وكانت طوابير السيارات تجوب شوارعها بحيث كان أكثر من ثلاثمائة ألف وخمسين ألف سيارة تجوب شوارعها.

جهود تبذل لنصر الإسلام ورفعته

كانت المملكة السعودية قد قامت بافتتاح مكاتب للتوعية في الدول الإسلامية لصد التيارات الهدامة التي أصيب بها العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها وذلك بغزو الإسلام وملاحقته ولا ريب أن هذه المساعي القوية كانت بتأييد من خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبد العزيز طيّب الله ثراه، وقد أقيم احتفال حضره حشد كبير من العلماء وأعضاء المجلس الأعلى العالمي للمساجد ورجال الفكر افتتح بأي من الذكر الحكيم ثم ألقى فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء كلمة أشاد فيها بدعم المملكة العربية السعودية لمراكز التوعية وتمنى أن تخرج هذه المكاتب دعاة إلى الإسلام عقيدة وشريعة وقرآناً ولغة حتى يستطيعوا أن يؤديوا المهمة التي يقومون بها على خير وجه، وكان أمين الرابطة الشيخ صالح قزاز فيه نشاط عظيم في هذا السبيل بحيث شكر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز على جهوده العظيمة نحو نصرة الإسلام وتشجيع القائمين بذلك وبعث الشيخ محمد بن علي الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ومعالى وزير الحج والأوقاف عبد الوهاب عبد الواسع برقيتين إلى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وصاحب السمو ولي العهد فهد بن عبد العزيز ونائب رئيس مجلس الوزراء بمناسبة افتتاح المركز العام للدعاة والأئمة والخطباء بمكة المكرمة أعربت البرقيتان عن جزيل الشكر لجلالة الملك خالد ولولي عهده لرعايتهما واحتضانهما لهذا المركز الذي يقام لأول مرة بالتعاون بين رابطة العالم الإسلامي ووزارة الحج والأوقاف وجامعة الملك عبد العزيز.

وقد قام ضياء الحق الحاكم بباكستان وأكد عزمه على تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان وأعلن أن الحكومة أعطت المحاكم العليا صلاحيات لتعديل أي قانون في البلاد لي مطابق القرآن والسنة مما شكره عليه علماء الإسلام وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز بن باز كما أنه قام الوفد العماني برئاسة سماحة الشيخ أحمد حمد الخليلى مفتي عُمان حيث زار المملكة السعودية وصرح بأنه تم مناقشة الأساليب المختلفة لمكافحة الحركات الهدامة التي أصيب بها العالم الإسلامي.

بأءة غرربة

نشرت إءءى المءلات المءلى فى عءءها الثانى من المءلء ٢٦ فى شهر صفر من هءه السنة نشره عن نبات يُسمى (ءنسء) وهى نبة غرربة تمءل وءه إنسان بعفنن ءسناوفن ىءلى من ءوالهما قرنان ذكروا أن لهءه النبة مفعولات فى العلاء منها الوقاية من الإءهاد والإرهاق البءنى ومنها تنشفء نمو الجسم ونشاطاته الءوىة ومنها زفاة الكفاءة الجسمفة والعقلفة ومنها ءءففض ضغط الدم بشكل عابر إذا ءقن الورفء ومنها ءءففض منسوب السكر المرتفع ومنها تنشفء الجهاز العصفى المركزى بالءرعات الءفففة وءشفطه بالءرعات الءقفلة وأن له مفعولاً ضء السرطان فى أنسءته الطبعفة فى الجسم المرفض وله تنشفء فى ءركة الجهاز الهضمى وإفراف مادة الءساسفة المعروفة الهفستامفن وهو نبات هئى شهر بهذه النسبة الءرففة.

ببان عن المؤرخ الزركلى

رأفء بقلم الءءءور مءء رءب البفومى قوله قرأء نعى الشاعر الكفر الأستاذ ءفر الءفن الزركلى وأطال فى مءفءه وذكرف نبة من شعره وهى قوله:

النار مءءقة بمءلو بعء ما تركء ءماة على شففر هار
تنساب فى الأءفاء مسرعة الءطا ءأف على الأطمار والأعمار
والقوم ففغمسون فى ءماءها فءكأ بكل مبرء صبار

وكان له شعر قوى كقصفءفه بمناسبة الواقعة الءى ءرف فى الءرم الشرف وكفف فءى الله قاءء العروبة من فء البغاة الملاءفن عام (١٣٥٣هـ) وكفف قءموا على اءففال سفء العروبة لولا أن الله ءعالى فءاه منهم ومن كفءهم:

ضل الءناة سففل النبل من ملك لولاه ما صفن بفء الله والءرم
عبء العزفز الإمام الءق ءكلؤه عفن من الله لا ءنء ولا ءشم

وقء ءقءم فى الءزاء الرابع نبة منها.

نعم إن الزركلي بكسر الزاي والراء وإسكان الكاف قد أظهر ترجمته في كتابه الأعلام صفحة ٢٥٧ في الجزء العاشر وذكر أنه ولد ليلة ٩ ذي الحجة (١٣١٠هـ) وذكر نسبه خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، وذكر أن ولادته في بيروت ونحيل القارئ على ترجمته هناك ولا ريب أنه أديب من أدباء القرن الرابع عشر الهجري ويدل على فضله ومقدرته كتابه الأعلام الواقع في اثني عشر مجلداً ذكر فيه الأعيان وذكر أنه أخذ عن مصادر كثيرة جداً ذكرها وله مؤلفات أخرى من أشهرها شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز أربعة أجزاء ومن وظائفه التي نالها في هذه المملكة تناوبه العمل مع يوسف ياسين وزير الخارجية بالنيابة في الوزارة وفي جامعة الدول العربية معاً ثم عين سفيراً ومندوباً في المغرب واشتغل في وزارة الخارجية زمناً طويلاً، ونحن نسوق أبياتاً من قصيدة لأحمد بن إبراهيم الغزاوي بمناسبة عيد الأضحى ألقاها بين يدي ولي العهد فهد بن عبد العزيز في ١١/١٢ من هذه السنة:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| يا أيها الأضياف يا من أقبلوا | الله وانطلقوا إليه وأشفقوا |
| مهما تنزى الشوق فيكم إننا | منكم إلى هذا التلاقي أشوق |
| ماذا شهدتم في المشاعر كلها | من كل ما هو كالضحى يترقق |
| سبل يمج غدوها ورواحها | بالسالكين وبالمكارم تغدق |

إلى أن قال:

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| طوبى لكم هذا التضامن بينكم | وبه القوارع والخطوب ستمحق |
| سيروا عباد الله في مرضاته | ولكم به النصر المبين يحقق |
| أننا وأنتم في المشاعر أمة | منها وفيها الخير طرا يعمق |
| إن الحياة بدون ذلك فتنة | وإذا اهتدينا فهي طيب يعبق |
| وهي السبيل لمن أراد نجاته | يوم الخلود وأنه لمصدق |

إلى أن قال:

ولطالما نشر الغواية وباءهم وإننا لنرسلها إلى إخواننا أن ينصروا الله الذي هو ربنا ويكافحوا عن دينه بعزائم وليقتدوا بمحمد وبنهجه هو رحمة للعالمين وشرعه فالحمد لله الذي بكتابيه نحياب به بيضاء وهي بصائر وليرض عنا الله وهو نصيرنا وليحفظ الله المهيمن خالداً حمل الأمانة وهي في أعبائها ويحيي فهد صنوه وولييه وبه الجوامع والمجامع تزدهي وليهن كل مقصر ومخلق

وبه تمادى الغي فيمن يفسق أيان ما هم غربوا أو شرقوا وبه سينصر كل من هو مرهق منها فرائض من تمادى تفرق وبصحة الأبرار لا من زبرقوا فينا المحكم والهرء ملفق ورسوله لم يختلبننا زئبق وبها إلى الحق المبين نوفق وهو الملاذ وبالتفضل أخلق في صحة وبه الضحى يترقرق تحكى الجبال وأنه لموفق وبنوا أبيه ومن بهم يتعلق وبه سنفتحم النضال ونسبق ولنا بهم في كل نصر فيلق

وفيهما تأسست جمعية البر الخيرية بمدينة بريدة، وقد قامت بخدمات متعددة وتدفقت إليها الإعانات الكثيرة من الملك خالد وإخوانه وتسابقت الأسرة المالكة بدفع عشرات الألوف بل مئات الألوف وتقدم ذوو اليسار بمبالغ طائلة يبذلونها منها ما هو مستمر ومنها ما هو مقطوع، فمن هذه الخدمات إعانات مقطوعة دفعت لأغراض متعددة استفاد منها (٢٨٥٤) أسرة، ومنها دفع رواتب شهرية ثابتة لمائتي أسرة ووزعت إعانات عينية تشتمل على كسوة في الشتاء لأناس محتاجين وعلى مواد غذائية متعددة وردت من عدد من المحسنين بلغ مجموعها (٩٥٠١٤٢) واستفاد منها (٢٤٠) أسرة وتم توزيع ثلاثين عربة للمعوقين وخمسين عكازاً وركبت أيضاً الجمعية عشرين براداً في الأماكن المناسبة وأمنت ثلاثة لاستقبال الفائض من

الولائم والأطعمة وفكرت الجمعية ببناء مقر خاص لها وبناء مركز ثقافي يضم مسجداً ومكتبة وقاعة محاضرات.

ولقد قامت مدينة عنيزة قبل ذلك بتأسيس جمعية للبر الخيرية وتعمل هذه الجمعية على رفع المستوى من رواتب شهرية وإعانات عينية تشتمل على كسوة للمحتاجين في الشتاء وعلى مواد غذائية وغير ذلك من تحسين مساكن أسر المحتاجين للقوت وتزويدها بالماء والكهرباء ومساعدات زواج ومساعدات تعمير وترميم بيوت.

كما أسس بعد ثلاث سنين من هذه السنة جمعية خيرية بالبدائع.

وكما أسس بالرس والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وما أحسن الغاية التي يطلبونها والضالة التي ينشدونها نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدي المسلمين إلى ما فيه رقيهم وسعادتهم وأن يشد أزهرهم ويهيئ لهم من أمرهم رشداً.

وإن بهذه الأعمال الخيرية ترتفع سمعة المسلمين ويندحر كل عدو من المناوئين وفي الأمثال ما تعاونت عليه الرجال خف ولو تساند الإخوان وتكاثفت الأمة لهان كل عسير وهكذا تكون المساعدات فقد يأتي الله لهذا الفقير بيومه ما يشبعه وفي الغد يرزقه الله من جهة أخرى عكس ما عليه أهل الخيبة والضلال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾^(١) فيا أهل الثروة تصدقوا مما أعطاكم الله وتفضلوا على إخوانكم الفقراء يتفضل الله عليكم ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِيْنَ ﴿٣٩﴾﴾^(٢). وفي الحديث: «الرزق إلى أهل البيت فيه السخاء أسرع من الشفرة إلى سنام البعير».

(١) سورة يس، آية ٤٧.

(٢) سورة سبأ، آية ٣٩.

كائنة عجيبة

في رجب من هذه السنة وضعت امرأة في فرنسا خمسة توائم وعاشوا في صحة تامة وكان هذا الحدث مثار اهتمام كل الفريقين وقد أخرج الأطفال بين والديهم ليتفكر الناس لرؤيتهم ويأخذوا عنهم رسوماً والله على كل شيء قدير.

وختمت هذه السنة باعتمادات اليهود على العرب في فلسطين وجنوب لبنان وأعمال سيئة في رام الله والأراضي المحتلة ونسفت منازل وأغلقت متاجر وقام دايان في القاهرة لوقاحته يجاهر بقوله القدس ستظل عاصمة لإسرائيل وطالبت اليهود بنقل السفارات من تل أبيب إليها وذلك لما وقع انفجار عنيف في القدس وسقط عدد من الإسرائيليين فقام العدو يصادر آلاف الهكتارات من أراضي الضفة الغربية وقد قام العرب ببدون شكايات اليهود على مجلس الأمن.

ثم دخلت سنة (١٣٩٩هـ)

استهلّت هذه السنة والعمال يكدحون في تبليط رحبة المسجد الحرام بالبلاط الأبيض ضد حرارة الشمس وإزالة الدرج والمماشي لتكون الرحبة كلها صالحة للطواف، وبما أنها أزيلت المقامات الأربعة فقد أزيل المنبر وأبدل بمنبر خشب متنقل وأزيل باب بني شيبه الذي كان مقاماً في وسط الرحبة كما أن العمل في باب الكعبة الجديد مستمر وقد حظيت مكة المكرمة والمدينة المنورة بالطمأنينة والأمن وإراحة الحجاج والعمار والمصلين حتى كتابة هذه الأحرف والله الحمد والمئة.

أما عن لبنان واعتداءات سعد حداد عميل إسرائيل فقد حلقت طائرتان حريبتان في سماء بيروت على ارتفاع منخفض جداً وهما إسرائيليتان وتعرضت مواقع القوات المؤقتة لمنظمة الأمم المتحدة في لبنان لنيران مدفعية سعد حداد في جنوب لبنان، وذلك في يوم الخميس ١٥ شوال واستمر القصف تسعين دقيقة وقامت القوات الفلسطينية واللبنانية فأرسلت وحدة من قواتها هاجمت بالصواريخ

والرشاشات أحد المواقع التي تسيطر عليها الكتائب فاستمرت الاشتباكات ساعة سقط فيها عدد كبير من رجال الميليشيات ما بين قتيل وجريح، وحصل من القناصة في منطقة الأسواق التجارية أذى كبير.

وفيها في شوال حشدت الصين أربعمئة ألف جندي صيني عند الحدود الفيتنامية وجعلتها ١٢ فرقة وستة فيالق وأسرت القوات الصينية الكثير من الفيتناميين، وقد قيل أن الخسائر في الأرواح في فيتنام والخسائر المادية كانت كثيرة جداً وأصبح الوضع متوتراً للغاية، واركتبت الصين في الأشهر الماضية مائة استفزاز مسلح ولقي الأسرى من أنواع التعذيب شيئاً بليغاً حتى ذكر أن (٢٥) ألفاً من فيتنام لقوا مصرعهم وأن الذين طردوا إلى هونج كونج بلغوا ثلاثين ألف لاجئ ورأوا من أنواع التعذيب والعقوبات ما جعلهم يهربون إلى أي مكان، ونشرت اليمامة في عددها (٥٥٣) من هذه السنة بأن هناك ما بين (٤٠٠) ألف و(٦٠٠) ألف شخص بفيتنام الجنوبية يرغبون في الهجرة والموقف متأزم جداً، وقد وجهت نداءات كثيرة من جهات مختلفة إلى الصين بأن توضع حداً لزعزعتها على الحدود.

أخبار عن الحرب في هذه الآونة

سبق أنها قد تازمت الأمور بين أفغانستان وبين الحكومة السوفيتية، فقد بلغ عدد اللاجئين من الأفغان الذين عبروا إلى باكستان مائة ألف لاجئ واثنين وثمانين ألف لاجئ.

وقد توترت في هذه السنة الأمور والعلاقات بين سوريا والعراق وأصبح الوضع بشكل خطير من جهة التفكك في البلاد العربية.

كما أن تصرفات الرئيس المصري الأخيرة غير مقبولة عند العرب، وقد قام الرئيس أنور السادات في أوائل جمادى الأولى فوقع اتفاقية مع إسرائيل في واشنطن لوضع السلام بين مصر وإسرائيل وأحدث ذلك جزعاً شديداً من العرب بحيث نقلوا سفراءهم من القاهرة ونقلوا الجامعة من مصر إلى المغرب وقطعوا المواصلات

بينهم وبين مصر وجعل الرئيس يستهجن العرب ويتهم قادتهم بالانهزاميين وأنهم أقزام ويجدد تهجماته على العرب واستنقاصهم وكان قد ألقى خطاباً في الإسماعيلية بعد مقابلته لوزير العدو موشي دايان بأن العرب سياسة قادتهم انهزامية وأنه لن ينقاد أبداً وراء هذه السياسة التي زعم أنها تقوم على أساس الحق والسبب وأكد القول بأن مصر لا تزال مصرة على المطالبة باستعادة حقوق الشعب الفلسطيني حتى قالت عنه بعض الصحف العربية باع الحقوق ويطلب باستردادها وكان دايان هذا قد فاق بيجن رئيس وزراء العدو في التعنت والإصرار على تطلباته.

حريق في مدينة الرياض

لما كان في ٨ شهر رجب من هذه السنة الموافق ليوم الأحد وقع حريق عند تقاطع شارع الرمل مع الشارع المؤدي إلى الصناعية وقد أتت النار على عدد كبير هناك من الكفريات السريعة الاشتعال وكادت النيران تصل إلى محطة بنزين هناك لولا أن الله سلّم وقد استطاع رجال الإطفاء بوحداتهم السيطرة على إخمادها ورجوا من الأهالي أن يقللوا من تخزين الكفريات في مستودعاتهم ومن تخزين المواد القابلة للاشتعال داخل المدينة لما ينجم عن ذلك من امتداد الهلاك إلى الجيران وقد أغمي على رجل في أحد المستودعات لولا أن سارع رجال الإسعاف لإنقاذه.

حريق آخر في الرياض

ولما أن في ٨/٢٦ من هذه السنة وقع حريق آخر في شارع الوزير وتعرضت للحريق عشر محلات تجارية واستمرت النيران فيها أكثر من خمس ساعات و٤٥ دقيقة متواصلة ويعد هذا أضخم حريق تتعرض له العاصمة ولقد كانت تلك محلات أخشاب وبوية وأدوات للمنازل بجوار عمائر ابن رصيص ورغم الجهود التي بذلتها رجال الدفاع المدني والدوريات دوريات الجيش والأفراد بمعاونة بعض

المواطنين والأجانب وكانت فرق الدفاع التي شاركت في إخماد الحريق خمس فرق من الدفاع المدني وثلاثون فرقة من الدوريات اللاسلكية فإن مصادر النيران المتعددة بالإضافة إلى إغلاق المحلات وكذلك الباب الرئيسي لمستودع الأخشاب كانت من العوامل التي ساعدت على إبقاء النيران المشتعلة إلى زمن يقارب ست ساعات تقريباً مما أدى إلى وقوع خسائر في محتويات المحلات وتقدر الخسائر المادية من جراء هذا الحريق إلى رقم يتجاوز المليونين من الريالات.

الرجل المعمر

في ٢٧ من شوال من هذه السنة حصلت مقابلة مع الرجل المعمر المدعو عايض بن معتق بن عتيق الجعيد الذي عمر مائة وخمسين سنة وقد نشرتها جريدة المدينة كان يجلس وعن يساره ابنه ثم ابن ابنه ثم ابن ابنه وحفيده وابن حفيده، وكان يتمتع بنشاط وينصح الشباب إذا أحبوا طول العمر والصحة أن يتعدوا عما يكدر الذهن ويجلب الهم ويقول عن نفسه لم أمرض ليوم واحد والسبب حليب الإبل والتمر والعسل ويقول في سبب بقائه: الهموم عدو الإنسان، وكان قد ظهر عليه التجاعيد والعروق الخضر وبالنسبة إلى مائة وخمسين عاماً خلفها وراء ظهره فإنه لم يتشوه خلقه بل على وجهه تبدت بوضوح علامات الزمن خلال الغضون والتجاعيد وأفكاره ما زالت شابة وقلبه عامر بحيوية يحسده عليها شباب العصر وذاكرته حافلة وكان يقول لما سئل عن غذائه أن حليب الإبل يقوي العظام فسئل مم يتكون غذاؤك حتى حافظت على صحتك، قال الحمد والشكر لله القائل ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١)، وقد كان غذائي الذي عودني عليه والذي رحمه الله وأسكنه الجنة حليب الإبل واللحم والتمر. أما الحليب أقصد حليب الإبل يقوي العظام ويشد محتها واللحم يشد العضود والتمر كله قوة ثم أمر حفيده أن

(١) سورة إبراهيم، آية ٧.

يأتي بكتاب ويكتب نصيحة بالغذاء وأنه أحسن من الدواء وفيه أن للتمر أكثر من
عشرين فائدة واستمرت على هذا الغذاء حتى الآن حليب الإبل لا ينقطع عني لا
ليل ولا نهار، أما اللحم فقد كنت آكله مع الشحم ولكن في السنين الأخيرة
أصبحت لا أستسيغ إلا اللحم الأحمر فالشحم لا تقبله نفسي والتمر فما زلت لا
أفارقه حتى الآن ولا تنس العسل فهو قوة من الله بها علي أقابلها بالشكر والعرفان
فسئل عن الأحداث التي شهدتها في عمره الطويل وليعقد مقارنة ظريفة بين اليوم
والأمس فتكلم بصوت الرجل العربي قوي النيرات وبلغه عربية سليمة لا تشوبها
الشوائب، شتان الفرق بين الأمس واليوم بالأمس لم ينعم أحد بجزء من هذا الأمن
والأمان أو الرغد المتوفر لشباب هذا العصر، كانت الحياة صعبة للغاية فالتعليم
والخدمات لم تكن متاحة وكانت القبائل دائماً في حالة قلق وتأهب لصد أية غارة
والدفاع عن النفس والمال فالجميع في خوف ووجل يحدرون بعضهم البعض لأخذ
الحيطة من قطاع الطريق والمغيرين على الناس الآمنين خاصة عندما يتضعض
الأمن في البادية فالواحد لا ينام مليء عينيه لأية حركة يفز من نومه خوفاً من
مداهمة القوم الواحد تجده بمشعبه والقديمي والبندق مسلحاً باستمرار حتى وهو
نائم ليكون مستعداً لرد أية غارة من القوم المعادين أو الذين يهجمون على حين
غرة ينهبون الإبل والمواشي وأكثر الطمعة في الإبل ولو اقتضى الأمر قتل صاحبها
ثم يعود إلى من جعل الله الأمن على يديه فيقول المغفور له الملك عبد العزيز جاءنا
بالأمن والأمان أما الأمان فأنتم تترقدون وبيوتكم مشرعة الأبواب مع النوافذ ونحن
لا ننعم بالنوم إلا إذا كنا مجموعة ينام بعضنا ويحرسنا البعض الآخر، لم نعرف
الأمن والاطمئنان إلا بعد مجيء الملك عبد العزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جناته،
فمنذ دخوله إلى الحجاز والناس في أمن واستقرار واختفى قطاع الطريق وهذا راجع
إلى حكم الله الذي يطبق على كل عابث كان هناك ناس أغواهم الشيطان في أوائل
حكمه فقطعوا الطريق وسمعنا بأنه نفذ فيهم حكم الشرع وبعدها لم نسمع بأن

هناك قطاعاً للطرق لأن الجميع خافوا أن ينالهم الحد الشرعي من قطع يد ورجل وقد حرص المغفور له جلالة الملك عبد العزيز أن يغرس في أولاده من بعده الحرص على حكم الله سبحانه وتعالى، وعليه سار حكم سعود ومن بعده فيصل الله يرحمهم جميعاً وأنت ونحن نعيش في ظل هذا الحكم في عهد خالد حفظه الله وأبقاه ونصره على من عاداه.

وقال إنه تزوج من ثلاث زوجات ولا مانع من الرابعة كان مهر الأولى عشرة ريالاً والثانية جاءت هدية من والدها رغب فيّ فزوجني إياها وذلك بعد وفاة الأولى، ثم تزوجت بالثالثة بمهر زهيد لا يتعدى عشرين ريالاً وتوفيت الثانية والثالثة ولديه استطاعة في أن يتزوج رابعة ولو طلب عليه مهر كثير وقال بعد كلام طويل نفيس لما سئل بماذا تنصح إخوانك المسلمين الذين يريدون المحافظة على صحتهم فقال الصحة والعافية بيد الله وهي ميزات يختص بها بعض أمته فيجعلهم عبرة لغيرهم من المصابين، وكما قيل الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى.

ونصيحتي لإخواني المسلمين أن يتعدوا عن مواطن الهموم فكثرة التفكير يتعب المخ ويشوش على الإنسان، فاغسل قلبك من كل الضغائن والأحقاد وابتعد عن المشاكل ترتاح نفسك وتحس بالاطمئنان وتعيش بسلام الفترة التي يقدرها لك الإيمان، فالأعمار بيد الله ولكن الهموم وما يتبعها من متاعب تؤثر على صحة الإنسان فلا يستطيع مقاومة الأمراض فيشيخ ويكبر قبل أوانه ويستسلم للأمراض لعدم قدرته على المقاومة.

ولما سئل عن صحته أجاب قائلاً: الحمد لله صحتي على أحسن ما يكون سوى تعب بسيط تتعرض له رجلاي عند الوقوف كثيراً، ونحن في البادية إذا كبر الرجال جعلناه يرعى (البهم) صغار الضان فأنا أقوم على رعيها والحمد لله على كل حال.

هذا نص كلامه باختصار وكان ابنه جالساً إلى جانبه بحالة في الكبر قد مال فمه وعمشت عيناه وكان بمرأى عجيب من مرور السنين عليه، أما هو فإنه أحسن رؤية من الابن بكثير وعلى رأسه الغرة البيضاء والعقال والمشلح الخفيف.

إيران وآية الله الخميني

لما كان في ربيع الأول تمكن الخميني من الرجوع إلى إيران بعد طرده منها قبل ذلك بخمس عشرة سنة فاستولى على السلطة فيها ونظم حكومة على وفق إرادته وفر الشاه محمد رضا بهلوي طريداً معه أهله الذين غادروا إيران قبله، ومعه رفقته البالغ عددهم ثلاثمائة شخص.

وقام الخميني بما أوتي من غرور بتعقب من كان موالياً للشاه ومن هو على طريقته بالتقتيل والسجن من ضباط وجنرالات وغيرهم ورجت إيران أن تنال خيراً من آية الله الخميني حسب خرقته وجعجعته وشعوذته ولكن الأمر كما قيل والأمثال تضرب للناس:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
وسترى أيها المنصف إلى الحد الذي وصلت إليه الحال في إيران، فقد نشبت الحرب بينها وبين العراق جيرانها الأدنى وما عامل به أهل إيران من أنواع التعذيبات.

ومن جملة ما حصل من هذا الإمام الخميني الذي زعم أن ثورته إسلامية أن أخذ ثمانية آلاف من السكان الإيرانيين فعذبهم بأن قطع ألسنتهم ونقب أعينهم قبل القتل ثم قتلهم نسأل الله العافية، فأين الإسلام من هذا العمل السيئ الذي نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: «اغزوا باسم الله في سبيل الله ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً» واتبعه على ذلك الشيعة من أهالي إيران سواء كان على خطأ أو على صواب.

ولما أن ذهب الشاه محمد رضا مغادراً بلاده طلب اللجوء ببريطانيا فمانعت حكومة بريطانيا من إيوائه بحجة أنها تخشى أن يغتال فيها، ومن جهة أخرى فقد تحسنت العلاقات بينها وبين الخميني وجعل يتردد بين الرباط وغيرها وآخر ذلك أن استقر بالأرجنتين وجعل الخميني يطارد الشاه ويطالب الدول بإحضاره لديه ولكن الشاه مرض ومات في غربته من آثار هذا الأذى، فسبحان من لا انقضاء لملكه ولا نهاية لأبديته.

الزعازع والبلى الذي حصل بسبب الخميني

لما كان في ليلة ٧/٨ من هذه السنة تعرض منزل آية الله خلخلي رئيس المحاكم الثورية الإسلامية وزعيم منظمة فدائيين إسلام إلى هجوم مسلح في مدينة (قم) ولكن حرس المنزل ردوا على المهاجمين الذين تمكنوا من الفرار متسترين بالظلام بعد أن أمطروا واجهة المنزل برصاص المدافع الرشاشة وهذه هي المرة الثانية التي يتعرض فيها المنزل خلال (٢٤) ساعة.

وذكرت صحف إيران أن خمسة أشخاص هاجموا منزل آية الله محمد منتظري أحد الأعوان المقربين للخميني وقد ألقى القبض على أحد المهاجمين وهاجم أربعة أشخاص مسلحين بعد ظهر ٧/٨ أحد فروع البنك الوطني الإيراني وسط العاصمة وتمكنوا من السرقة والغدر بمائة وثلاثين ألف دولار ولم يتمكن رجال الشرطة وحرس الثورة من القبض على أي من المهاجمين.

ثم أنه أصدر الخميني أوامره بمجرد ممتلكات المسؤولين السابقين في إيران وجرد أموال جميع رجال نظام الحكم السابق من الوزراء ونواب الوزراء ورجال الأعمال والمديرين وشركاء أفراد عائلة الشاه بصورة أو بأخرى وقد أمرت القيادة العامة للجنة الخميني بالاستيلاء على تلك الأموال والممتلكات واتخذ هذا القرار عندما استكملت وتحققت صحة المعلومات والانتهاكات وقد تمت عمليات الجرد ليلاً، وبعد عملية الجرد طرقت الأبواب وكانت فرق الجرد مسلحة وفور دخولهم المساكن

قطعوا أسلك التليفون ثم دونوا بعض الملاحظات وملؤا حقائب عديدة بالأوراق، وبعد ذلك طلبوا من المالك التوجه في أسرع وقت ممكن إلى اللجنة لاستكمال الملف لتعود الحرارة، ثم أمر بمنع قرابة (١٦) ألف شخص من مغادرة إيران ولا سيما الأثرياء.

واستمر القتال بينه وبين العراق من هذه السنة ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى ابتلى الإسلام والعرب بتولي هذا الطاغية على إيران، وكان هادئ الطبع مطمئن النفس له لحية بيضاء كثيفة ويتستر بالإسلام وأن ثورته إسلامية.

إعصار يجتاح الهند

لما كان في ٧/١ الموافق ٢٧ مايو هبّ إعصار مدمر في الهند في ولاية أندرا براديش فتسبب في قتل (٦٠٧) أشخاص وتشريد مليونين ومائتين وخمسين ألف ودمر (٥٦٨) ألف منزل كلها سقطت من جراء ذلك الإعصار وبلغت سرعة رياحه (١٨٠) كيلومتر في الساعة.

أهوال يسببها السلاح الحديث إن استعمل

في هذه السنة قررت إحدى الجرائد في نشراتها بأنها لو قامت غارة نووية لكان مائة مليون وخمسة وستون مليوناً أمريكياً مرشحين للموت بعد ثوان من أية غارة نووية، ولكان عدد الضحايا في الروس أكبر لسوء الاحتياطات.

وفي هذه السنة ساءت الحالة في أفغانستان وتدهورت الأحوال بينها وبين روسيا وخيف من وقوع حرب بين الحكومتين وفعلاً جرى ذلك، وبهذا يتبين قبح نوايا وطوية السوفيت وما تبثه الشيوعية للمسلمين وعلى رأسها الزعيم ليونيد بريجنيف، وترغم الزعامة الرئيس الجديد حفيظ الله أمين وبدأ الروس في حماية أذنانهم في كابل بعد الانقلاب الثالث الذي قتل فيه نور محمد تركي واشتد هياج الشعب المسلم وانحاز المجاهدون إلى الجبال يعملون على إسقاط حكومة كابل الشيوعية.

وفوجئت البلاد من الاتحاد السوفيتي بالدبابات والطائرات الروسية الغازية، وبذلك وقعت البلاد تحت الاحتلال، ولكن الأهالي رغم ما ينالهم قاموا بجهد استمر مدة طويلة أثبت لهم شجاعة وبسالة، وما زالت تتدفق عليهم المساعدات من المسلمين وكانوا منذ هذه السنة إلى آخر السنة الثامنة بعدها في جهاد مريم يقاتلون أعظم دولة على البسيطة ويتصرون عليها بإسقاط طائراتها وقتل جنودها وما النصر إلا من عند الله صابرين على الأهوال التي مزقت بعض أيدي المجاهدين وأرجلهم، وكانت طلائع النصر تتبدى عليهم والانتصار دائماً حليفهم.

تنفيذ الإعدام شنقاً في علي بوتو

لما كان في فجر يوم الأربعاء ٧/ ٥ تم إعدام ذو الفقار علي بوتو بعد سجن طويل عن أمر حاكم باكستان ضياء الحق، وذلك في الساعة الثانية من صباح اليوم المذكور ٤ إبريل (١٩٧٩م) ميلادي بتوقيت باكستان توافق الحادية عشرة مساء بتوقيت المملكة العربية السعودية، وقد بعث رؤساء العالم يطلبون من ضياء الحق الصفح عنه وذلك بالنداءات الباكستانية والعربية والإسلامية والأوروبية والعالمية، فضرب بها عرض الحائط، وكان لما صعد إلى المشنقة همس يقول (يا إلهي ساعدني إنني بريء) وبعد إعدامه نقل جثمانه بطائرة هليكوبتر تحت حراسة شديدة إلى جنوب باكستان حيث ووري في مقبرة عائلته قريباً من مسقط رأسه، وأبدت الهند وفرنسا وأستراليا أسفها الشديد.

كذلك وقد وصف رئيس وزراء باكستان ذو الفقار علي بوتو بأنه الرجل الذي يتعامل مع الأغنياء ويحظى بحب وتأييد الفقراء.

وقد قامت مظاهرات عنيفة في عاصمة كشمير، واستمر اندلاع المظاهرات العنيفة واضطر البوليس إلى استخدام الغاز المسيل للدموع والعصي لتفريق المتظاهرين واضطر البوليس آخر الأمر إلى إطلاق الرصاص لإرهاب المتظاهرين.

إسلام أسرة

في ٨ رجب من هذه السنة، أسلمت أسرة كاملة أمريكية، كان ربّ هذه الأسرة كثير القراءة لبعض الكتب الدينية الإسلامية فوفقه الله للإسلام وأسلم هو وأبناؤه فأدخلهم في المدرسة، أما عن الزوجة فتأخر إسلامها ولكن الله منّ عليها فأسلمت بعدهم بيومين، وهذه بشارة باعتناق هذه الأسرة للدين الحنيفي الإسلامي نسأل الله تعالى أن يهدي من ضل عن الطريق إلى الرجوع إليه.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم مدفع التوحيد محمد صالح المطوع، وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الزاهد الورع محمد بن صالح بن سليمان المطوع، ويلقب بالحميدي ويلهجون هذه التسمية وربما نسب المسجد إليه، فيقال مسجد الحميدي، وهو من أسرة كبيرة غلب عليهم هذا الاسم.

ولد رحمه الله في مدينة بريدة عام (١٣١٢هـ)، وكان والده من زعماء مدينة بريدة ومن العقيلات المشهورين الذين يسافرون للتجارة لمصر والشام والعراق، وكان يريد أن يكون ابنه محمد على سيره وبما أن والدته ليست في ذمة والده فقد قامت بتربية ابنها وأدخلته في إحدى المدارس لتعلم القراءة والكتابة.

وقد حاول الأب أن يصدّه عن الدراسة وأن يأخذه قسراً، ولكن العناية الربانية لاحظته، فقد أخذه والده معه في سفره وكان قد أخذ في الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم، فذهبت أمه إلى الأمير في بريدة عبد الله بن جلوي واستعانت بالشيخ عمر بن محمد بن سليم فأخبر الشيخ الأمير بأنه في رعاية والدته ولم ينفق عليه أبوه، فبعث الأمير فارساً رجّع به من مسافة ثلاثين كيلو أي من قرية الطرفية وورده إلى أمه، وكان المترجم لا ينساها لشيخه عمر ويدعو له كلما ذكره، وكان يقول أنه سبب هدايتي، كما أن الوالد حاول في صده عن طلب العلم مرة أخرى

لأنه يرى أن طلبه للعالم أنفع له لأن الذين يطلبون العلم إذ ذاك ليس بين أيديهم مادة فسلم من هذه المحاولة بسبب والدته.

طلبه العلم واجتهاده:

لما تقدم الشيخ عمر بن سليم في مسجد عودة الرديني والتفت عليه جلق الذكر كان من جملة الذين أخذوا عنه ولأزمه وأكثر الأخذ عنه وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم لما قدم من البكرية بعد ذلك لقضاء بريدة، ثم أنه كان يتردد بين تدريس الشيخين المذكورين.

وكان محبوباً لما كان متصفاً به من صفات أهل اليقين، قليل المزح كثير الخشوع ومن جملة ما درس به على الشيخ عمر بن محمد الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية يلهم بأبياتها ويضمن إليها ودرس في كتب التوحيد والفقه والتفسير والحديث والنحو والفرائض.

كما أنه أخذ عن الشيخ الزاهد عبد الله بن محمد بن فداء ويمتدحه بالزهد والورع ويكفيك في فضل المترجم أخذه عن هؤلاء العلماء الأفاضل والصفوة الفطاحل وله زملاء من العلماء وهم الشيخ محمد ابن عبد العزيز العجاجي والشيخ عبد الرحمن بن عبيد والشيخ عبد الله بن محمد ابن جربوع والشيخ عبد الله الصالح الربدي والشيخ سليمان المشعلي وغيرهم.

وما زال يطلب العلم ويزاحم العلماء حتى كانت له مكانة فكان الشيخ عمر يستخلفه في مسجده من بين أقرانه وله والده سألت الله أن يجعله في إمامة محمد بن عبد العزيز الصقعي لأنه كان في إمامة ذلك المسجد، وكانت من الصالحات فاستجاب الله دعاءها بحيث لما نقل الشيخ عمر من هذا المسجد إلى مسجد ناصر بن سليمان بن سيف جعله مكانه.

ولبت في إمامة هذا المسجد (٥٥) سنة تقريباً حتى أعجزه الكبر فخلفه أبناؤه وجلس في ذلك المسجد قريباً من أربعين سنة في تعليم القرآن والتوحيد والفقه

والتفسير وتخرج عليه طلاب كثيرون فكان يجلس بعد صلاة الفجر وبعد الظهر وبين العشائين على الدوام، وتعلم عليه طلاب كثيرون منهم من هو مسن ومنهم شباب ونحن نذكر بعضاً من كل، فمن أخذ عنه صالح بن إبراهيم البليهي وعلي بن عبد الله بن حواس وعبد الله الزامل بن عفيسان وإبراهيم بن ضيف الله اليوسف وعلي بن محمد السكاكر وصالح بن محمد السكاكر وإبراهيم بن محمد السكاكر ورشيد بن عبد الله الحميضي وإبراهيم بن عبد الله الدباسي وعبد العزيز بن إبراهيم الدوسري وعبد الله بن محمد العجلاني ونصار العلي النصار وبراك المنصور ونصيان بن حمد النصيان وعلي الراشد الرقية ومحمد العلي الروق وصالح العبد الرحمن بن جحان وصالح العبد العزيز الجطيلي وعلي السليمان الوهبي وعلي السحيمان ومحمد بن صالح الخليفة وعبد الله بن خليفة وعبد الرحمن بن عبد العزيز القفاري ومبارك بن راجح وعبد الرحمن بن سليمان بن جار الله وسعد بن محمد المالك، وصالح بن محمد بن غانم وفهد بن عبد العزيز السعيد وسليمان بن صالح الريش وعلي بن عبد الله بن مهوس وعبد الكريم بن عبد الرحمن الفداء وعبد الرحمن بن دغثير وعلي بن عبد الله بن مقبل وابنه عبد الله بن محمد وابنه عبد الرحمن بن محمد وسليمان العلي بن براك ومحمد بن منصور الرجيعي ومحمد بن عبد الله أبا الخليل ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف وسليمان بن علي العمر وسليمان بن محمد العمر، وأخذ عنه غير هؤلاء.

وكان ذا غيرة عظيمة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر باليد واللسان ويلهج بكتاب الله ويفسر آياته وربما انفعل فأخذ يبكي لما يجده في ضميره من التغيرات، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، ويبكي ويبكي من حوله، وكان في واد والناس في واد.

أخذ مرة يفسر قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١)، فوجه الخطاب على رجل عامي من

(١) سورة الأنعام، آية ١٥٣.

المستمعين ونادى بأعلى صوته لو أنك سرت في طريق وقيل لك لا تخرج عنها يمنة ولا يسرة فإن خرجت يمنة أخذتك الحرامية واللصوص ولئن خرجت يسرة لكنت فريسة للضياع، نعم كان مثلاً مطابقاً غير أن ذلك الرجل كان جاهلاً لا يعرف عن ذلك سوى أنه كان في أول عمره يسافر مع العقيلات إلى بلاد الأجانب ثم إن الله مَنّْ عليه في آخر عمره بالجلوس في بريدة من بلاد المسلمين ويلازم الصلوات الخمس في جماعة ويحضر مجالس الذكر مستمعاً فأجابه يقول كيف أضيع وأنا خريت وماهر في الدلالة لا أسير إلا مع رؤوس الجبال وأعالي الكشب الرملية ومتاهات الطرق، ولا أضيع وتنسبني إلى الضياع هداك الله، فقال له المترجم بأعلى صوته لا ولكني أضرب لك مثلاً في أن من لزم الصراط المستقيم يكون آمناً ولكن ذلك الجاهل صمم على رأيه يقول أقال الله عثرتك كيف تنسبني إلى الضياع فسل العقيلات عن دلالتني وأناي ماهر في الطرق لا يزيد على ذلك شيئاً، فكان في واد والمترجم في واد.

وكان لا يسأل الناس شيئاً ولا يطلب من بيت المال إلا ما جاءه من غير مسألة وعف عن الوظائف كلها فلم يقبل وظيفة.

وكان في صفته أبيض اللون مشرق الطلعة كأن وجهه قنديل عليه آثار النور والعبادة وله حظ من قيام الليل مربوع القامة جميل المنظر ويؤم في مسجده في صلاة التراويح في رمضان وقيام الليل على الدوام حتى أعياء الكبر وضعف بصره في آخر حياته حتى فقد البصر، ولم يطلب العلاج رجاء حديث الثواب، وكان قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموالياً لأولياء الله معادياً لأعدائه وربما ناله بسبب ذلك أذى من بعض الرؤساء الجهال فيصبر على ما أصابه ولا يداري في أوامر الله أحداً كائناً من كان وكان دائم الخوف ويقول لمن يثق به أخشى أن يكون الله قد مقتنا ولا تعجبه حالة زمانه بل كان قليل الضحك وقوراً فلذلك كان مسموع الكلمة لدى الرؤساء لإخلاصه وحُسن مقصده.

وكان في آخر حياته ملجأً وكهفاً لأهل الخير يترددون إليه ويفزعون إليه عند المهمات فيجدون ما يفرج عن المهظوم.

ثم إنه مرض قبل وفاته بمرض أفقده شعوره لمدة ثلاثة شهور لكنه يلهج بالاستغفار والذكر وتوفاه الله تعالى في منتصف ليلة الأحد الموافق ٢١ ربيع الأول عن عمر يناهز (٨٨) عاماً وتأخر تجهيزه إلى صلاة الظهر من اليوم المذكور فصلى عليه المسلمون في جامع بريدة الكبيرة حيث امتلأ المسجد وشيعه خلائق كثيرون وأقبل الناس يعزي بعضهم بعضاً حيث اجتمعوا من القرى والضواحي وعم الأسى والحزن ودفن في مقابر الموطا غربي المدينة وقد رثي بمراثٍ حسنة.

ومن توفي فيها الرجل العابد إبراهيم بن جردان رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته: هو الزاهد الخطيب المقرئ الحافظ إبراهيم بن محمد الجردان كان من أهالي مدينة بريدة ومن أسرة فيها ولد (١٣٢٥هـ) فنشأ كغيره في الدراسة في إحدى المدارس الأهلية وأخذ يتعلم القرآن حتى حفظه عن ظهر قلب، ثم إنه اشتغل في التجارة لتأمين معيشته ثم إنه كان عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنطقة الشرقية بالظهران، ويدرس على رئيس محاكم المنطقة ويتولى الخطابة في بعض الأحيان هناك كما أنه أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد حال إقامته في مدينة بريدة وله صوت جهوري حسن في تلاوة القرآن فهو من أحسن بني زمانه في الترتيل.

ثم إنه تولى وظيفة التدريس في مدرسة دار التربية ثم كان مدرساً في القرآن والعلوم الدينية في مدرسة تحفيظ القرآن في مدينة بريدة، كما كان في مدرسة دار التربية ونال وظيفة جامع مسجد الخبيب بريدة وكثر تردد الرجال والنساء على مسجده في صلاة التراويح وقيام شهر رمضان حتى أنه كان يمتلي المسجد من كثرة المصلين الذين يتابون المسجد من بعيد إليه لحسن صوته وجودة تلاوته كما كان يغص المسجد يوم الجمعة بكثرة المصلين.

ولما أن ترك التجارة وتثبت بالإمامة والتدريس كان رزقه رغداً ولزم الإمامة والخطابة، وكان مولعاً بالحج والعمرة ومحروباً بين الناس لعقله وقلة مشاغبه وعبادته شكور النعم لله.

ولما كان في شهر جمادى الثانية من هذه السنة ذهب لزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة ولأداء العمرة وعاد بنفسه يوم الخميس الموافق ٢٨ جمادى الثانية ليصلي إماماً بالمسلمين لأنه لم يخلف أحداً فأدى صلاة الجمعة إماماً في مسجد بريدة حرصاً منه على رغبة الناس في الصلاة معه ولما أن كان من آخر يوم الجمعة رجع إلى عمرته وحينما سار ميمماً إلى جهة الغرب انقلبت السيارة فكان في ذلك حتفه وكان ضحية لهذا الحادث وقد أسفت الأمة لموته وحزنوا، رحمه الله وعفا عنه.

فيها وفاة هوارى أبو مدين رئيس الجزائر وكان ذلك في ٢٧ من شهر محرم الموافق ليوم الأربعاء وقد تأخر تجهيزه ليصلى عليه بعد صلاة الجمعة وتقام الجنازة في مظهر عظيم لأنه قدم إلى الجزائر وفود كثيرة للصلاة عليه وتشيع جنازته وظهر حزن عميق لذلك وتأسفت الجزائر عليه أسفاً شديداً.

وفيها في أوائل شهر شوال يوم السابع منه وفاة أبو الخير المودودي شقيق الشيخ أبي الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية الباكستانية على إثر إصابته بنوبة قلبية ويبلغ من العمر ثمانين عاماً.

وفيها وفاة الشيخ حسن محمد مشاط بمكة المكرمة وقد استقبل ذووه العزاء بمنزله في مكة المكرمة، وكان الشيخ حسن له مؤلفات حسنة فمنها إسعاف أهل الإسلام بوظائف الحج إلى بيت الله الحرام، قال في خطبة الكتاب: أما بعد فيقول العبد الفقير المنكسر خاطره لقلّة العمل والتقوى حسن محمد المشاط غفر الله ذنبه وستر عيبه إنك سألتني أسعدك الله ووفقي وإياك أن اتبع لك كتابي إسعاف أهل الإيمان بوظائف رمضان بإسعاف أهل الإيمان بوظائف الحج إلى بيت الله الحرام

الخ، وقد طلب مجموعاً إلى القصيدة الذهبية في الحج لابن رشيد عام (١٣٧٩هـ)، وله كتاب الزواجر المنفرة عن إدخال المسلمين أولادهم في مدارس الكفرة، وذكر فيه قصة محزنة تدل على الانحلال من دين الإسلام نتيجة تلك المدارس وأفاد وأجاد جزاءه الله خيراً وهو الذي اختير لأن يكون رئيساً لجماعة تحفيظ القرآن بعد وفاة علوي عباس المالكي رحمه الله وعفا عنه.

وفيها وفاة الشيخ عبد الرحمن الدوسري صاحب المحاضرات والكشف عن أهل المذاهب الهدامة تغمده الله برحمته وهذه ترجمته: هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله بن فهد آل نادر الدوسري من قبيلة الوداعين ولد عام (١٣٣٢هـ) في مدينة بريدة عاصمة القصيم ثم إنه انتقل والده منها إلى الكويت فكان المترجم مع والده كجمله أولاده وكان ذهابهم بعد أشهر قليلة من ولادته وكان جده عبد الله قد نزح من قومه وبلاده المعروفة بالسليل إلى قرية الشماسية التي تبعد عن بريدة شرقاً باثنين وثلاثين كيلومتراً.

نشأ المترجم في بلد الكويت في محلة معروفة بالمرقاب تمتاز عن سائر البلد بالصلاح ويسكنها النجديون إذ ذاك فأدخله والده في مدرسة المباركية وكانت من المدارس الأهلية وتمتاز بما تحويه من المقررات في أول نشأتها بتدريس القرآن الكريم ويجرّص أربابها على حفظ القرآن عن ظهر قلب وتدرس ثلاثة الأصول والكتب الدينية المشبعة بعقائد السلف كعقيدة السفاريني ودليل الطالب والأحاديث النبوية فكان المترجم مولعاً بكتب السلف الصالح ومعرفة ما يخالف الشريعة، ويقول عن نفسه أنه حفظ القرآن في شهرين عن ظهر قلب بحيث انقطع عن المجالس في تلك المدة القليلة حتى حذق القرآن حفظاً ودرس في السيرة والتاريخ والفقه وحارب أقوال المنحرفين ورد عليهم بصراحة لم ينلها في زمنه سواء بحيث استهدف نتيجة كلامه في رؤساء الفتنة للأذى وخشي عليه ولكن الله يدافع عنه لأن له إقداماً وشهامة توقعه في أمور صعبة.

وكان في صفته حنطي اللون ممتلئ الجسم قد لوحته الشمس وفي لسانه ثقل
ولكن الله يساعده بالبيان وكان له مؤلفات منها زيادات في نظم قصة يوسف
للشيخ يحيى الصرصري، ومنها تفسير القرآن الكريم، وزيادة توضيحات لكتب
الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لأنه قال لي مرة نريد تركيز العقيدة في قلوب الخلائق
تركيزاً وشن الغارة على المنحرفين وفضحهم وهتك أستارهم لأن الله أعطاه قوة
ملكة في بيان تضليلاتهم.

والرجل مجاهد بلسانه وبيانه يغشى الناس بالموعظة في مجامعهم ولا يخاف لومة
لائم، وقال قصائد مهيجة في نصره فلسطين والذيات عنها فمن ذلك قوله من
قصيدة:

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| فلم يلغبونا بالقوى أبداً كذا | ونكباتها الأخرى كذلك فاعدد |
| فنكبتها الأولى بفقد عقيدة | فلسطين ما ضاعت بقوة معتد |
| فلسطين بالتكبير حررها الأولى | وقوة إيمان كسائر أبلد |
| ولو صدقوا في الدين أيضاً لكبروا | بالسنة لا تألف اللغو والدد |
| فيسترجعوها مع سواها ويزحفوا | كما زحف الأسلاف في كل أنجد |
| ولكنهم مالوا إلى شهواتهم | ولم يستجيبوا للإله المجد |
| فلسطين ضاعت إذ أضاعوا صلاتهم | ومزقوا القرآن تمزيق ملحد |
| بتعطيلهم أحكامه وإباحة | لخمر وفحشاء إذا رضي الردي |
| فلسطين أدمت قلب مستضعف يرى | تلاعب ماسونية اليوم والغد |
| وكانت شعاراً كاذباً يرتدي به | دجاجة الغوغاء في كل مشهد |
| يريدون منها سلعة عاطفية | وجرحاً ذكياً دائماً لم يضمّد |
| يريدونها ذخراً به يحصلوا على | مناصب عليا مع مديح لشد |
| فلسطين رمى لعبة ووسيلة | لسائر طلاب الكراسي ومقعد |
| فلسطين دمي متجرٍ أو بضاعة | لمتجر من ساسة ومعربد |

ودومي لهم مثل القميص الذي مضى ليحصل ما يرغبون من كل مقصد
ولا ترتجي منهم قتالاً فحر بهم لبعضهم بعضاً يروح ويغتدي
فذلك رجعي وهذا تقديمي وذا ثائر هذا مخلص مرتدي
على بعضهم بعضاً أسود أشدة وحولك أقوالهم نعامه فدغد
إلى أن قال:

ولكن خذي منهم كلاماً وضجة بأجهزة الإعلام في كل معهد
وشكواهم في مجلس الأمن طلباً حقوقاً وعدلاً بالكلام المنضد
ألم يعلموا عن مجلس الأمن إنه أداة يهود العالمين لمعتد
إلى آخرها، وله قصائد كثيرة في الرد على أعداء الإسلام وله قصيدة في مصرع
الرئيس جمال عبد الناصر يصور فيها حالته ويكشف خيائنه ومؤامراته.

أما مشائخه الذين أخذ عنهم فقد أخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن خلف
الدحيان، وأخذ عن الشيخ صالح بن عبد الرحمن الدويش، وأخذ عن الشيخ قاسم
بن مهزغ من علماء البحرين لما سافر في طلب التجارة إليها واستفاد منه كثيراً.
ولما رأى ذكاء المترجم حثه على الإكثار من قراءة تفسير القرآن ولهذا كان له
إلمام قوي في التفسير.

وله أيضاً مؤلفات كثيرة منها إرشاد المسلمين على فهم حقيقة الدين، ومشكاة
التنوير على شرح الكوكب المنير، وله كتاب سماه من هم المنافقون، وغير ذلك.

وبعد اللتي ثم اللتي لو أن ليت لو تفيد شيئاً لتمنينا بقاءه ليكافح عن العقيدة
بحيث توفي عن عمر يناهز السابعة والستين لأنه كان يجذب على الفقراء ويواسيهم
ويوزع كتباً مجاناً وله مساهمة في المساعدات التي تعود مصلحتها على المجتمع
ويحارب القوانين الوضعية ويكفي محاربه للقانون الكويتي الذي وضعه الدكتور
عبد الرزاق السنهوري، فكان من جملة الذين انتقدوه وصاحوا على أعلى المنابر

بمحاربة بعض فقراته وقابلوا المسؤولين وأخبروهم بخطورة ذلك القانون ولديه رحمه الله مكتبة حافلة كبرى.

أما عن مرضه ووفاته فقد أصيب بمرض السكري وأمراض أخرى داخلية وحينما اشتد به المرض سافر إلى لندن للعلاج والدعوة فنصح له الطبيب بالراحة لكنه أثر الموعظة والإلقاء فزاد عليه المرض حتى توفاه الله في ١٠ ذي القعدة من هذه السنة فحمل جثمانه إلى الرياض وصلي عليه في الجامع الكبير وتأثر لوفاته المسلمون وحضره جمع كثير وجم غفير رحمه الله برحمته الواسعة وقد رثاه المحبون بمراثي حسنة منها ما قاله الأستاذ عبد الرحمن البرغوثي صاحب القصيد وهو شاعر إسلامي منها قوله بعدما ذكر ما أصيبت به المجتمع الإسلامي وما حل بذويه وكان الشاعر من أهالي بلدة الكويت:

فقد خلت ساحة الميدان من بطل كان القول إذا ما استل بتار
فوق المنابر لم يعبأ بمنحرف من قبل ما اقتحم الأوطان أشرار
واحسرتاه قضى من غير أمنية كانت تراوده لما طغى الجار
إلى أن قال:

ثويت والقدس يعلو فوقها نجم فمن ينبه من القدس أنصار
فتم هنيئاً بما أحسنت من عمل فقد دعاه الذي نشر للحق يختار
من المحبين من إخوان معتقد من هم على الدرب مهما اشتط جبار
لن ينكشوا العهد في إيقاظ مجتمع ما زال في أرضه للكفر آثار
لن يشحوا بمال عند معترك ولا بنفس إذا ما شبت النار
حتى ينال المنى في يوم معركة يقودها جحفل للقدس جرار
فقر عيناً ففي القرآن مواعده إذ قد يزول عن الأوطان أشرار

أما عن اتصاله بالمؤلف فقد وعظ في مسجدنا الكبير وسط البلد قبيل صلاة العشاء الآخر فأحضرت لذلك القهوة البن والشاي بكثرة وواسينا في ذلك المجتمع

الذي لا يقل حضوره عن خمسمائة مستمع ولما فرغت الصلاة طلبت منه أن يكمل الفائدة بعدها، فشكرني على ذلك ووعظ وبلغ أولاً وآخرأً وكان يزورني بالبيت كثيراً ويتحدث كما مر ويظهر أسفاً على حالة بني الزمان وأنه لا يألو جهداً في دحض الباطل.

وفيهما في ٣٠ / ٢ الموافق ليوم الأحد وفاة الأمير محمد بن أحمد السديري رحمه الله كان الأمير محمد بن أحمد أميراً في الحدود الشمالية ثم أنه رغب أن يكون يعمل في الأعمال الحرة فمنح أرضاً في البطين مزارع بريدة وتسمى الخفيات فقام في زراعتها واتخذها مسكناً وكان له مزارع أيضاً في الموضع المسمى أم ظهيرة يقع شرقاً عن مدينة بريدة جعل فيها عمالاً واختار الخفيات لسكنه وجعل فيها أنواع المواشي من الخيل والإبل والغنم والظباء وكان يحب الغزل وله ذوق بالتاريخ وقصص شجعان العرب المشاهير من المتأخرين وألف كتاباً في الموضوع أسماه (أبطال من الصحراء) طبع منه الجزء الأول ويقع في (٣١٤) صفحة قدم له الأستاذ عبد الله بن خميس وامتدحه بالأدب وذكر أن المترجم شاعر شعبي مجيد ولشعره جاذبية وتحرك سواكن العاطفة، وقال إنه شاعر غزلي وأنه جيد في بابه.

وكان المترجم اجتماعياً وذا عشرة ومن الشخصيات البارزة يلبس طيب الكسوة وله شيمة وأنفة لأنه ينتمي إلى أحوال الملك عبد العزيز ومحبه لمدينة بريدة وصى لما اشتد به المرض أن يدفن فيها أو في ملكه بالخفيات ولما أن اشتد به المرض حمل إلى مدينة الرياض للعلاج هناك فتوفاه الله تعالى وأتي بجثمانه إلى بريدة فغسل وصلي عليه في الجامع الكبير في ضحى الغد الاثنين وحضر جنازته جم غفير من الرياض وبريدة وكان قد شيعه من الرياض ركاب ثلاث طائرات وعشرين سيارة من أبناء الحاشية والأقرباء ولا تزال مزارعه وخيله موجودة في ملكه المذكور.

وفيهما في شهر شعبان وفاة رئيسة وزراء اليهود جلد مائير وهي التي وقعت في أيامها حرب الغفران منذ ست سنوات وأقر الله عيون المسلمين بجزنها وبكائها على قومها وكان وزير دفاعها إذ ذاك عزرا وايزمان.

وفيها في الساعة الثامنة من صباح يوم الأربعاء ١٦ ربيع الثاني (١٣٩٩هـ) قامت المدفعية الإسرائيلية الثقيلة طويلة المدى تقصف النبطية التي تحتوي على القوات الفلسطينية التقدمية في جنوب لبنان وتحلق طائراتها في سماء المنطقة وتكثف القصف على الأشرفية والمحمودية بلبنان تتعاقب على مقدار عشرين كيلومتر شمال الحدود الإسرائيلية اللبنانية مما أسفر عن قتل وجرح وإتلاف كثير من السكان وإتلاف قسم كبير من المزروعات إضافة إلى الأضرار التي لحقت بالمباني.

ولا يخفى أن أطماع اليهود لا تقف عندما اغتصبته أولاً وآخرأ وما منحته أولاً من البلاد العربية بحيث انتهى الأمر أخيراً في الهزيمة النكرى هزيمة حزيران إلى أن خسر العرب القدس وما تبقى من أرض فلسطين الضفة الغربية وقطاع غزة مع أراضي واسعة من مصر وسوريا إذ استولى اليهود على سيناء وأشرفوا على قناة السويس كما تسلموا مرتفعات الجولان الحصينة وكانت أكبر ضربة تلقاها العرب في تاريخهم الحديث.

وأن الخريطة الجغرافية التي وضعها اليهود لدولتهم المرتقبة تشمل فلسطين والأردن وسوريا ولبنان وقسماً كبيراً من العراق وقسماً من أرض مصر شبه جزيرة سيناء والدلتا كما تمتد جنوباً لتشمل المدينة المنورة وكان مما قاله مناحيم بيغن في تل أبيب أن إسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل إلا خمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء وأنه يجب العمل على تحرير أربعة أخماس الباقية.

وفيها انتهى العمل من تركيب باب الكعبة المعظمة الذي كان من خالص الذهب فجاء كأحسن شيء وإنها لحسنة خالدة في تاريخ الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية جزاه الله خيراً بحيث لم يسبق إلى مثل هذا الباب طيب الله ثراه وغفر له، أما عن الباب القديم الذي صنعه الملك الراحل عبد العزيز والد الأسرة، فقد لبث ثلاثة وثلاثين عاماً ولا ريب أن هذا الاعتناء بالكعبة المعظمة

خدمة للبيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأي خدمة وأي تعظيم كهذا التعظيم إضافة إلى حفظها من العابثين وتطهيرها وتطيبها وكسوتها الثمينة يقام لها باب من ذهب وتخدم وما حولها بالتغسيل والصيانة ومضادة ما يمر حولها من البعوض والذباب بحيث وإن كانت معظمة في قديم الدهر فإن الحكومة السعودية اشتدت عنايتها بها وبسائر المسجد الحرام تعظيماً وعمارة.

أفغانستان والحديث عنها

أما ما جرى على أفغانستان والغزو الروسي فإنه لجأ منهم إلى الباكستان مائة ألف لاجئ واثنان وثمانون ألف لاجئ فاضطرت الباكستان إلى طلب المعونات للاجئين الأفغان فامتلات المساجد في المملكة السعودية بأنواع الكساوي والفرش تبرعاً لمنكوبي أفغانستان وجرى سيل من التبرعات بحيث بلغ مجموع التبرعات من المسلمين خمسة ملايين وربع مليون، وقتل الثوار المسلمون مائتي مقاتل من الجيش المماليك للشيوخيين وجعل المسلمون يدعون فوق رؤوس المنابر يوم الجمعة للمجاهدين بالنصر، وما زالوا يسقطون طائرات العدو ويحطمون الدبابات واستطاعوا أن يصمدوا أمام دولة قوية جبارة قد نزع الله من قلبها الرحمة بالمؤمنين، ولكن الله وعد بالنصرة في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١).

ومما جرى في هذه السنة من الحوادث انفجار قطار محمل بالمنتجات الكيماوية والغازات السامة في كندا مما أدى إلى إخلاء (٢٤٠) ألفاً من السكان من مكان

(١) سورة الحج، آية ٤٠.

الانفجار ونقل المرضى وإجلاء ما يزيد عن مائة ألف من سكان المنطقة، وسببه خروج القطار عن القضبان ووقعت انفجارات عديدة لا تزال أسبابها مجهولة ويدعي بعض شهود العيان أنهم رأوا سيارة تصطدم بالقافلة مما نتج عن خروج القطار عن القضبان وقد اشتعلت مقطورات عديدة مما يهدد بانفجار المقطورة المحملة وبذل رجال الإنقاذ قصارى جهودهم للحيلولة دون وقوع المأساة والسيطرة عليها وقد أرسل حوالي مائتين من جنود القوات المسلحة الكندية وأربعين ضابطاً من الحرس الملكي إلى مكان الحادث بناءً على طلب السلطات المحلية وتولت حوالي ستين سيارة إسعاف مهمة إجلاء المرضى والمسنين من المستشفيات، وغادر نحو عشرة آلاف شخص ديارهم بينما أخذ السكان الباقون يوقفون السيارات على الطريق العام لنقلهم بعيداً عن أماكن الحادث ووجه البوليس نداءً صباح الحادث لكل من يملك قناعاً ضد الغازات لتسليمه لمكان الحادث كما تلقى آلاف من السكان المقيمين بالجلاء عن ديارهم وخشوا من الرياح أن تساعد على انتشار السحب السامة التي تسربت إثر انفجار المقطورات الثلاثة، وقد شعر كثير من السكان بدوار وآلام في الرؤوس والعيون نتيجة استنشاقهم الهواء الممتزج بالغازات السامة، ولم تنجح فرق الإنقاذ في السيطرة على ألسنة النار التي اشتعلت وشوهت النيران على بعد أربعة كيلوات من مكان الحادث واضطر رجال الإنقاذ إلى ارتداء أقنعة واقية قدمها السكان ضد الغازات والحادث عظيم جداً، وكان تسعة عشر قاطرة من بين القاطرات الخمس والعشرين المقلوبة محملة بالمواد الكيماوية الخطيرة وتقل قاطرة واحدة (٩٠) طناً من مادة الكلور.

وفي هذه السنة صرحت مصادر دبلوماسية في طهران أعني يوم الأربعاء ١٢ رجب بأن الغارات الجوية العراقية على قرى الحدود الإيرانية دفع البلدين بصورة خطيرة إلى حد المواجهة بعد أسابيع من التوتر الذي سببه الصراعات القبلية في الأقاليم الإيرانية المجاورة للحدود مع العراق.

طعنة في الصميم

قام الرئيس المسلم العربي أنور السادات بتسليم مئات المعتقلين الفلسطينيين إلى اليهود، وأعلن موشي ديان أن القدس ستظل عاصمة لإسرائيل، وقال سناو صل بناء المستوطنات في غزة والضفة الغربية المحتلين وسنضرب الفلسطينيين.

وفيهما شرع العمال في توسعة ميناء ينبع البالغ تكلفتها بألف مليون ومائة مليون وخمسين مليوناً.

كما أنه لأول مرة تتصل منى ببلاد العالم ويمسي كل فرد حاج يكلم أهله وذويه في أنحاء بلاد العالم وقد صلى مليون مسلم صلاة فجر يوم التروية مع الإمام في المسجد الحرام، وسنورد القصيدة التي قالها أحمد بن إبراهيم الغزاوي في ٢٢ ذي القعدة من هذه السنة ألفاها بالنيابة عنه بدر كريم بين يدي جلالة الملك خالد ابن عبد العزيز:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| في باب بيت الله ذكرك عاطر | بالبر وهو مفاخر ومواعد |
| وقد اصطفاك الله جل جلاله | للمجد وهو على البرايا خالد |
| ولم يعهد التاريخ مثلك عاهلاً | وله جميع الباقيات شواهد |
| في هذه الدنيا اكتسبت مأثراً | هيئات منها الحصر وهي روافد |
| تتقاصر الآمال دون بلوغها | وبها ازدهاؤك دون زهوك خالد |
| أعظم بمالك من مأثر كلها | كالشمس في راد الضحى تتجدد |
| أضواؤها تعلقو بما هو باهر | وبها رضاء الله عنك يعاضد |
| لم يحظ هارون بها في عصره | كلا ولا فيها الملوك تصاعد |
| مضت القرون ولم تشيد مثلها | وبها الفخار نخالد وهو أيد |
| هي عزة للدين وهي لدعمه | آيات صدق كلها بك سائد |
| كم من يد بيضاء لم يبح بها | بين المشاعر كلنا تتماجد |
| في كل ما آتاك ربك بوركت | منك المكارم واستعز الوافد |

لم تبغ منها سمعة لكنما هي نعمة ولها النجوم قلائد
 والمسجد المسبوك تم نضارة في الركن تذكرة لمن يتوارد
 هي غبطة لا شك وهي نموذج مما اشدت وللخلود مقاصد
 ممن عليك من الإله وإنها لأدلة تترى بأنك رائد
 فلتحي للإسلام جيشك ظافر وجميع من بك في هداه جاهدوا
 وليهن فيك المؤمنون جميعهم والناصحون وكل من لك ساندوا
 وليبق فهد قرة لعيوننا ولك الثناء وفضلك المتزايد

ثم دخلت سنة (١٤٠٠هـ)

في هذه السنة وقعت فتنة جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، وذلك بأنه لا يزال يبرم حبال الفتنة فاستقوى وأناساً انقادوا له وتسموا فرقة الحديث وأتى برجل جميل الصورة يدعى بمحمد بن عبد الله يزعمون أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان.

وكان قد حدث منهم اجتماعات قبل شهر رمضان من العام الماضي ووزعت من قبلهم منشورات تدل على خروجهم بأشياء مخالفة لكثير من الأحاديث والقواعد الشرعية الإسلامية مما لفت النظر إلى خروجهم عما هو عليه إجماع العلماء ويحضر هذه الاجتماعات عدد منهم وقد عقدوا عزمهم في ٢٥ ذي الحجة من العام الماضي أن يقرروا دخول الحرم والقتال فيه كما أنهم قرروا أن هذا الرجل الذي ادعوا أنه المهدي تنطبق عليه صفات المهدي وأنهم رأوا ذلك في المنام وقالوا أن أشخاصاً شهدوا بأنه من سلالة فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا لا يستند إلى أي حقيقة بدليل اعتراف والد هذا الرجل الذي زعموا أنه المهدي.

فلما كان في فجر يوم الثلاثاء غرة محرم من هذه السنة دخلوا الحرم أثناء تأدية

صلاة الفجر وبما أن الحرم لم يكن عند أبوابه أي حراسة لا في الماضي ولا في الآخر بل هو مفتوح طوال الوقت ومنذ أن بنى الخليل عليه السلام الكعبة ويقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ نُدُفَةٌ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ (١) فإنهم أدخلوا الذخيرة بسيارة بواسطة مدخل مفتوح بدون بوابة يؤدي إلى الأقبية السفلية وقد دخلت هذه السيارة قبل صلاة الفجر من مكان ليس متواجد فيه أشخاص لأنه يدخل إليه أي شخص له علاقة بالأقبية وليس عليه أي حراسة، ويمكن أن تدخل معه السيارات أو سيارات المقاول المسئول عن صيانة وإصلاحات الحرم الشريف، وبهذا تمكن الجناة من إدخال زادهم الذي هو مريس التمر وقد تمكنوا من إدخال بقية الأسلحة بأن جعلوها في نعوش مغطاة على هيئة الجنائز أحضرت للصلاة عليها وهي أسلحة مميّنة كالرشاشات المتنوعة ومنها صناعة شرقية وصناعة غربية وبنادق معروفة وقديمة مستعملة في البلد إلى جانب المسدسات وكان من بين هذه الفئة الباغية عشر نساء واثنًا عشر صبياً وقد وجد بعض من لهم علاقة بأبواب الحرم أنهم ساعدوا هذه الفئة الباغية في تسهيل دخولهم إلى الحرم كما وجدت بعض الذخيرة وقطع السلاح القليلة في بعض سياراتهم الموجودة قرب الحرم، ولما أن دخلوا تمكنوا من استعمال مكبر الصوت يلقون فيه ضلالهم.

وفر إمام الحرم محمد بن سبيل مستخفياً بفنيلة وسراويل قصير لينجو بنفسه حتى تمكن من الهرب من الحرم بنفسه وجعلوا يتلون على الأمة الواجبة من شدة الهول قصة المهدي وما توحيه إليهم غوايتهم واستعملوا الكثير من إطلاق النار على أهداف وبدون أهداف وكانوا رماة مدرّبين فيلتقطون جندي الحكومة من مسافة بعيدة وارتكبوا أعمالاً وخيمة في حرم الله أمام بيت الله.

(١) سورة الحج، آية ٢٥.

موقف الحكومة السعودية

لما جرت تلك الفوضىاء وقام أعداء الله بتلك الأعمال التي تشتمز منها قلوب المؤمنين وتنكرها فطر المؤمنين جعلت الحكومة منذ بداية دخولهم الحرم بهذه الصفة تدعوهم إلى أن يسلموا وتؤكد لهم أنهم سيؤمنون وسيكونون آمنين إذا سلموا أنفسهم وألقوا السلاح.

فطلبت الحكومة من سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى أن يوجه لهم كلمة إرشاد ونصيحة وفعلاً سجلت وأذيعت عليهم مرات بأن يستسلموا، وبين لهم خطأهم وما هم عليه من الوجهة الدينية والدنيوية، كما حاولت الحكومة عن طريق بعض نسائهم أن تدعوهم للاستسلام حتى يحقنوا دماءهم ولكنهم لم يستجيبوا بل استمروا في غيهم وأن يقاتلوا إلى آخر لحظة ثم صعدوا إلى سطوح الحرم وجعلوا فرش الحرم متاريس يختفون خلفها وركبوا الرشاشات والبنادق والمسدسات واستهدف أناس من أفراد قوات الحكومة لما اندفعوا لتخليص الحرم من هذه الشرذمة الفاسدة لرصاص أولئك الخوارج، وكانت الحكومة قد بعثت إلى العلماء سؤالاً في شأنهم وانتظرت إلى ما بعد مغرب اليوم الأول حتى صدرت الفتوى في شأنهم فأصدر صاحب الجلالة خالد بن عبدالعزيز أوامره وحضر وزير الدفاع سلطان بن عبد العزيز وأمير مكة فواز بن عبد العزيز لمعالجة الموقف واستدعيت جميع القوات من الجيش من الحرس الوطني ورجال الأمن وتأزمت الأمور.

وقام أولئك الأشقياء يطلقون النار خارج الحرم حتى رجال الإسعاف الذين أتوا لإنقاذ المصابين لم يسلموا من آذاهم وانقطعت الصلاة في الحرم الشريف، وقد وضع وزير الداخلية نايف بن عبد العزيز أنه كان بإمكان قوات الأمن القضاء على الفتنة خلال ساعات قلائل لولا حرص القيادة وعلى رأسها جلاله الملك خالد بن عبد العزيز وولي عهده على سلامة البيت وسلامة أرواح المسلمين الأبرياء وكانت

القوات قد اندفعت على الفور وتقدموا بالرشاشات ولم يعلموا ما كان عليه أولئك الطغاة بحيث جاءهم وإبل الرصاص من فوق وكان اندفاعهم حرصاً على الفوز بتطهير المكان المقدس ومنهم من يؤثر الشهادة في سبيل الله فسقط من جنود الله خمسة وستون قتيلاً وجرح مائتان ولما أن دخلت القوات في الحرم الشريف انقطع عنهم الزاد بحيث أن أولئك الطغاة قاموا في المنائر يطلقون النار على الأمة برها وفاجرها فلا يستطيع أحد الدنو من المسجد الحرام غير أن أهالي مكة عملوا حيلة لإيصال الأغذية إلى القوات وذلك بواسطة عربات يحملون فيها الطعام مغطاة يدفعها الصبيان كأنها من القمام بحيث توصلوا إلى المقصود وهذا من باب التعاون على البر والتقوى وبذلت الحكومة أسباباً لهلاك البغاة بحيث أطلقت مدافع الهاون على إحدى المنائر التي كانوا فيها فدخلت القبلة في وسط المنارة ولم تؤثر فيها لقوة المنارة ومناعتها فاضطر البغاة إلى النزول إلى الأقبية بحيث ترصد لها رجال قتلوا أربعين منهم، ولما أن دخلوا في الأقبيلة أرسلت عليهم الحكومة الماء وأسلاك الكهرباء ليتمكنوا من القبض عليهم أحياء فاستفادوا من الماء شرباً ونقبت عليهم سقوف الأقبية لإسقاط القنابل عليهم غير أنهم كانوا يتلقونها ببراميل مملوءة بالماء فيبطل عملها.

معجزة غريبة

مما جرى من العجائب وحماية الله لبيته أن أحد أولئك الأشقياء وقف أمام الحجر الأسود وجعل يطلق النار على المسلمين لعلمه أنه لا يصوب عليه السلاح وهو في ذلك الموقف، فخرج مخلوق على هيئة اهر الأسود من فجوة حجر إسماعيل التي تلي باب الكعبة وجعل يواثبه في وجهه ورقبته ويخدشه حتى طرده عن ذلك الموضع، نقله إلى أسماعنا شهود العيان الحاضرون.

ثم أنه بعد عشرة أيام طلب الدفاع أن يمنح حرية التصرف للقبض عليهم أو قتلهم فنزلوا يحملون أكياس الرمل أمامهم وهم خلفها برشاشاتهم حتى تم القبض

على (١٧٠) منهم وأعدم خمسة وثلاثون وكان من الذين أُلقي القبض عليهم رئيس الفتنة جهيمان بن محمد قد طالت شعور وجهه ورأسه كأنه متصف بصفة الأسد.

ولما قبض عليه جعل يفتخر ويعتزي بقوله لو بقي معي رصاصة واحدة لما استطعتم الدنو مني واستمر يهاجم بكلامه السيئ وبأفعاله القبيحة، قال الله تعالى في حق هؤلاء وأمثالهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ (١) وقال جل ذكره: ﴿أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (٢) أما بقية الأشقياء فقد اختفوا في السرايب وهلكوا فيها ووجدوا جثثاً هامدة ثم أنه وزع على مدن المملكة السعودية ثلاثة وستون مجرمًا قتلوا بالسيف منهم رئيس الفتنة جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي واثنى عشر معه أعدموا أمام باب السلام ضرباً بالسيف في أعناقهم.

وهذه الفئة غالبها من السعودية ومنها أفراد من الكويت ومصر والمغرب واليمن الشمالي واليمن الجنوبي وباكستان ومن ضمن الذين قتلوا في الأقبية مهديهم المزعوم وقد ادعى هذا الدجال بأن الأرض ستخسف بالقوات التي تحاصره.

وبعد التحقيق ثبت أن لا صلة لأي دول أجنبية بالحادث ثم إنها جاءت البرقيات من سائر المملكة أفراد وأسراً وأمراء وانهارت على الديوان الملكي تستنكر وتنهى بإبادة الفئة الباغية وتبين حقيقة مشاعر المسلمين وشجبها للعدوان الأثيم ثم إنه بعد تطهير المسجد وتنظيفه فتحت أبوابه للمسلمين مساء يوم الخميس ١٧ محرم بعد انقطاع ١٧ يوماً تعطلت الصلاة وقال صاحب السمو وزير الداخلية نايف بن عبد العزيز أنه لا يمكن معاقبة الأطفال الذين اشتركوا مع آبائهم لأنهم كانوا مجبرين من آبائهم، أما النساء فسيقدمن للقضاء ليحكم في مصيرهن.

(١) سورة الكهف، الآيتان ١٠٣ و ١٠٤.

(٢) سورة فاطر، آية ٨.

وانتهت هذه الفتنة وأخزى الله القائمين بها، أما خطبهم التي ألقوها حال دخولهم الحرم التي تتضمن المهدي وأحاديث فلا حاجة إلى وضعها وقد مر خمسة وثمانون فرضاً وجمعتان لم تؤد صلاتها في المسجد الحرام.

إمارة عبد الإله بن عبد العزيز في القصيم

ففيها في ١٦ جمادى الأولى قدم سمو الأمير عبد الإله بن عبد العزيز أميراً على منطقة القصيم وأظهرت الأمة فرحها واستبشارها به وأقيمت حفلات بهذه المناسبة في مدن القصيم في البكيرية والرس وعنيزة والقصيعة والغماس وخب ضراس والمريديسة والمذنب والريعية والشماسية وغيرها ودعيت لذلك الأمة ببطاقات ورفعت الزينات ووضعت القهوة والشاي وأنواع المرطبات في كل حفل فكانت ساعات زاهرة في القصيم ورجوا خيراً بإمارة الشاب عبد الله.

إمارة مقرن بن عبد العزيز بحائل

قامت مدينة حائل باستقبال أميرها الجديد مقرن بن عبد العزيز وأعلنوا الفرح وأنواع الاستبشار لقدمه وأقيمت له احتفالات في مدن حائل وقراه مظهرين زيناتهم وصفقت مدينة حائل وأعلنت فرحها بهذا الأمير الشاب الذي هو من سلالة الملك عبد العزيز ورجوا خيراً بإمارته.

كما أن مدينة تبوك قامت باستقبال أميرها الجديد عبد المجيد بن عبد العزيز وأعلنت فرحتها واستبشارها به وبقدمه نسأل الله تعالى لهم التوفيق والتسديد وأن يجعل هؤلاء الأمراء الأفاضل لتلك المناطق لدليل على اعتناء الحكومة بها.

انتشار الإسلام

انتشر الإسلام في كوريا الجنوبية بحيث اعتنق ثلاثة عشر ألف كوري في كوريا الجنوبية دين الإسلام خلال ٢٥ عاماً وهم يفاخرون اليوم بأن لهم مسجداً مهيباً أقيم في عام (١٩٧١م) على قطعة أرض أهداها الرئيس مجاناً بفضل هبة من المملكة

العربية السعودية وليبيا قيمتها خمسمائة ألف دولار ويجري حالياً بناء مسجد آخر في ثاني أكبر المدن الكورية بفضل هبة قيمتها أربعمائة ألف دولار تبرع بها رجل أعمال ليبي.

وكذلك جرت معارك في ١٩ جمادى الأولى من هذه السنة غرب أفغانستان سقط منها سبعون جندياً سوفيتياً وأتباعهم ودمر المجاهدون أربع دبابات كما قتل المجاهدون في هذه السنة أيضاً ستمائة جندي حكومي وثلاثة عشر مستشاراً سوفيتياً فله الحمد على نصرته المسلمين.

غرق سفينة

في هذه السنة غرقت سفينة تحمل (٩٨٠) راكباً في الفلبين بسبب اصطدام، فهلك معظم الركاب وهلك متاعهم ولم يسلم إلا جزء يسير منهم.

وفيها دعا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة والرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إلى مد يد المعونة والمساعدة للمسلمين الأفغانين وبذل ما يعينهم على جهاد أعداء الإسلام ويمكنهم من أسباب النصر عليهم.

وقال أنه لا مانع من صرف الزكاة عليهم وتعجيلها وإخراجها لهم قبل وقتها ودعا الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان وساق الآيات والأحاديث في الحث على التبرع.

فقامت الأمة بالتبرعات التي كانت كالسيل المنهمر بالآلوف وعشرات الألوف فمنهم من أعلن اسمه ومنه باسم فاعل خير وتسبقوا وقد تلقى صاحب السمو الملكي أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز رئيس الهيئة العامة لاستقبال تبرعات المحسنين للمجاهدين في الأفغان بلغت أول دفعة ملايين من النقود أما الكسوة والفرش فقد انسدت المساجد منها وقد نشط المجاهدون وأعلنوا أنهم استولوا على

عاصمة إقليمية في أفغانستان وأبادوا قوة قوامها ستة آلاف جندي واستولوا على دبابات وسيارات مدرعة وخمسة آلاف قطعة سلاح وأسقطوا سبع طائرات هليكوبتر عسكرية سوفيتية وأعلنوا أنهم لن يلقوا السلاح ما دام هناك جندي سوفيتي واحد في أفغانستان بالرغم من تجهيزات روسيا وإمداداتها لكابل وقد رفض المجاهدون التفاوض مع حكومة كابل الشيوعية وقد انضم إلى المجاهدين أربعة عشر جندياً سوفيتياً وثلاث الجيش الأفغاني انضموا لصفوف المجاهدين واستطاعوا أن يغلقوا خلال أسبوع واحد الطريق بين كابل وباكستان وقد تعرضت القوات السوفيتية لنكسات خطيرة في إقليم بلمياك في شمال غرب كابل.

حادثة غريبة وكائنة عجيبة

لما كان في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف انفجرت عين بلايادي الكائنة في الموضع الشمالي الواقع في الجهة الغربية الشمالية عن مدينة حائل تبعد عن حائل بمائة وتسعين كيلومتر وكان هذا الموضع أهلاً بالسكان من البادية وفيه قصور زراعية ومركز إمارة.

وكانت هذه البئر في بداية أمرها حفرها رجل يدعى سليمان بن ماضي الرفدي من عنزة وكان مأوها عذباً قراحاً فعنّ لصاحبها أن يعمقها في أواخر هذه السنة (١٤٠٠هـ)، وبينما الحفار في الحفر إذ انفجرت فيها مادة غريبة حامضة مالحة متبخرة فتوقفوا عن الحفر وأخذوا يقلبون ذلك المتبخر من العين وعكفت الأمة على البئر ورأت الخليقة أن فيها شفاء من كل داء فكان أول ما استعملوه لجرب الإبل ثم بعد ذلك أقبلت عليه الخلائق من كل فج عميق من الحجاز والشام والعراق والكويت والبحرين وسائر الخليج ومن الناحية الشمالية والجنوبية وسائر المملكة السعودية وكان ذلك الموضع في أرض مستوية صحراء واسعة مترامية الأطراف فنصبت الخيام فيها تتخللها السيارات التي ملئت تلك الجهة حتى لكانها خيام الحجاج بمنى.

وقام صاحب العين على الماسورة فخرقها وجعل فيها عشرين لياً ممتدة على الأرض وكل لي يقدر بطول أربعين متراً كل منها مشغول ولو شئت لقلت بعضها بطول خمسين متراً بالزام ممتدة من كل جهة ورفع ماسورة تصب في جابية للسباحة فكانت الخليقة تغتسل على السواء وتذلك أجسامها في تلك الجابية واختلط الحابل بالنابل فلا ترى إلا عراة ليس عليهم سوى ما يستر سواتهم والماء يصب عليهم من أعلى واختلط الأبرص بالأعمى والأصم والمقعّد والأجرب وكل ذي عاهة على السواء يغتسلون في تلك الجابية الضيقة وجعل للرجال ساعات معلومة كما أن للنساء ساعات أخرى.

ونظمت الجيكات والبراميل إلى تلك الليات فمن يملأ الإناء أو الجيك فكانه نال الشفاء، ومن الناس من يأخذ بيديه ماء ويدلك به جسمه وازدحموا زحاماً لم يكن له مثله ولا على بئر زمزم وسول للعالم أن ذلك الماء صالح لجميع الأمراض سواء كانت جلدية أو جوفية يشربون ذلك الماء ويتداوون به من كل علة كالبرص والجذام والشلل والعرج والصمم والعمى وغير ذلك.

ويروي بعضهم لبعض ما رآه من الشفاء نتيجة استعمال ذلك، ومنهم من ينادي دعوا الصيدليات واتركوا المستشفيات والأطباء فقد أنزل الله الشفاء، ورأيت رجلاً واقفاً على سيارة دودسن وهو ينادي بأعلى صوته هلموا إلى العافية هلموا إلى الشفاء، وذكر أنه جاء من مدينة جدة وهو أعمى أصم وأبكم ومقعّد فاغتسل ثلاثة أيام من هذا الماء وشفاه الله، وجرت أمور تضحك العقلاء أشبه بها بخرافة، وجرت حالة يعجب لها وكان رجال الشرطة يحجزون بعض الناس عن البعض خشية أن يهلكوا وروي أن بعض الأجواد طلب شراءها من صاحبها بقيمة باهظة ليكون له الفضل والإحسان وينال درجته التي اختصه الله بها ولكنه أبى، بل يكن ذلك في موازين حسناته.

وفيها في ٢٥ شوال الموافق ٤ سبتمبر أيلول عام (١٩٨٠م) ميلادي وقعت

الحرب بين العراق وإيران وقد مرّ عليها ثمان سنوات، ولم تضع الحرب أوزارها، وكان ذلك بعد مرور حول وستة شهور من بعد ما دعى الخميني ثلاثمائة من أعيان الدول لحضور الاحتفال بمرور سنة ولعيد الثورة في ربيع الأول من هذه السنة.

وفيها أعلنت رئيسة وزراء الهند (أنديرا غاندي) أنها مصممة على القضاء على الفوضى وذلك في حديث لها بعد يومين من أعمال الشغب التي لقي خلالها ١٠٥ أشخاص مصرعهم، وقالت في خطاب لها من القلعة الحمراء في دلهي القديمة بمناسبة يوم الاستقلال أن العنف والفوضى ينتشران عبر البلاد وأنه يبدو أن هناك مؤامرة عميقة الجذور لتنظيم أعمال الشغب احتجاجاً على كل موضوع سواء كان مهماً أو غير مهم بهدف منع أداء الحكومة لمهامها في سر يتعين علينا القضاء على الفوضوية بأي ثمن.

وفي هذه السنة منحت رئاسة تعليم البنات ألفاً وتسعمائة موظف وموظفة في تعليم البنات العلاوات والمكافئات التشجيعية.

أما ما كان عن اليهود وتعسفاتهم فإنهم ضيقوا في الضفة الغربية وقطاع غزة على أهل فلسطين الخناقة وعقدوا عزمهم على أن لا يخرجوا من القدس وهذا مما يدمي الكبد ويبعث الأحزان وسنورد مأساة حزينة وذلك أنه لما دخل المسجد الأقصى جلاله الملك المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن وكبر لصلاة تحية المسجد كان الحاج أمين الحسيني حاضراً فأنشد هذا البيت أمام الملك عبد العزيز غفر الله لهما:

المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه
وهذا مما يندى له الجبين أن يكون ثالث الحرمين والقبلة الأولى للمسلمين
فريسة لليهود ولا يوجد من يحره اللهم ابعث لدينك ناصراً وأظهر الهدى ودين
الحق الذي بعثت به نبيك على الدين كله اللهم دمر الكفار والمنافقين الذين
يصدون عن سبيلك ويبدلون دينك ويعادون أوليائك الموحدين اللهم خالف بين

كلمته وشتت بين قلوبهم واجعل تدبيرهم في تدميرهم وأدر عليهم دائرة السوء
وأنزل عليهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهم اشدد عليهم وطأتك
وارفع عنهم يدك ومزقهم كل ممزق ودمرهم تدميراً.

قال الدكتور حسن نصيف هذه القصيدة التي صاغها بمناسبة الجريمة التي
ارتكبتها جهيمان وأصحابه في المسجد الحرام:

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| الله أكبر ضج البيت والحرم | وهزّ أم القرى في الفجر مضطرم |
| عصابة أقبلت والشر باعثها | وتدعي الدين جل الله والقيم |
| أيجعل الدين بيت الله مذبحه | وهل من الدين ترويع الملا ودم |
| وهل من الدين ضرب الآمنين به | وفيهم الطفل والمسقوم والهرم |
| تصايح الناس في خوف وفي جزع | واخالدها فلبى الصوت معتصم |
| وقال للجنود لا ترموا ولا تصبوا | إن سلم القوم كان الخير والسلم |
| وإن تولوا فإن الله ناصرهم | وانسوا التريث صارت لاءنا نعم |
| فأنزل الله جنداً من ملائكة | ومزق الله شمل الجمع فانهزموا |
| وقفت بالمسجد المحزون أسأله | أين الطواف وأين الركن يستلم |
| وأين أصوات أذان في مأذنة | وأين زمزم تسقي كل من سقموا |
| قد كان أحمد في الحراب ما انقطعت | فيه الصلاة ولم يتركه ملتزم |
| هل قدر الآثمون اليوم ما فعلوا | وهل دروا كيف يجزي الله ما اجتموا |
| فمن أراد بيت الله مظلمة | فالله خاذلهم والله حسبهـمـو |
| يا رب قد صنت هذا البيت من قدم | في عام فيل وكان الكفر والصنم |
| واليوم نبلى بهذا الهول من فئة | ودينك الحق كل الأرض تنظم |
| هل أنت يا رب تدعونا لموعظة | هل نحن حدنا وهل يا رب نتهم |
| هل أنت تدعو إلى عود وتذكرة | لشرعة الحق أن قد ضلت القدم |
| يا رب واحفظ ولاية الأمر واهدم | خير البلاد وبارك رب سعيهم |
| وفق أبا بندر للحق منطلقاً | وحوله الفهد والأرواح والعلم |

وفي هذه السنة تكشفت الأوضاع عما تبثته اليهود للعرب من أنها تستعد لطرد العرب من بلاد فلسطين وتسعى لتهجير السكان وإخراجهم من منازلهم وتسعى أيضاً لتهويد الأراضي الفلسطينية وتعرضت مدينة الخليل لتصعيد خطير في سياسة الاستيطان التي تقوم بها سلطات العدو ففي ١٧ جمادى الأولى من هذه السنة قامت قوات العدو تحاصر مدينة الخليل، فقامت أربع مدن عربية في الضفة تضرب احتجاجاً على القرار اليهودي بتوطين اليهود في مدينة الخليل وقامت مظاهرات من عرب فلسطين ضد هذا القرار، وبما أن مجلس الأمن أصبح آلة في يد اليهود تصرفه كيف شاءت، فلا فائدة منه للعرب.

تنبيه: ذكرنا إعدام جهيمان و(٦٢) من رؤوس الفتنة، وذلك في اليوم ٢١ من صفر عن أمر ملكي مبني على فتاوى العلماء وقد وزعوا على ثمان مدن في المملكة ليتعظ بهم من تسول له نفسه شراً والسعيد من اتعظ بغيره وقد نشرت أسماءهم ومن أي البلاد كانوا.

ولما أن هلك رجال على الطائرة العسكرية بالقرب من مطار المدينة تأثر الملك خالد لذلك المصاب ونشر جوابات يعرب فيها عن ألمه البالغ بفقدهم، وقال: لكننا محتسبون وصابرون لقضاء الله وقدره، ولا رادّ لقضائه وإننا نسأله تعالى أن يجعلهم في عداد الشهداء البررة وفي جنات الخلد والنعيم، ونتوجه بعزائنا ومواساتنا القلبية إلى أسر وذوي هؤلاء الشهداء في كلام طويل جواباً لقائد الحرس الملكي عبد الله البصلي، وقد أمر بمكرمة لأسرهم وذويهم وكان قد وجه إليه برفقيات وإلى ولي العهد فيها الشناء عليهما نحو مواساة أسر أولئك الذين سقطت بهم الطائرة المذكورة وتأثر الملك خالد جداً.

كما أنه تفضل بتوجيه كلمة سامية لأبنائه أفراد القوات المسلحة والحرس الوطني تقديراً لإخلاصهم وتفانيهم في تطهير البيت الحرام، كما أن الشهداء الذين قتلوا وهلكوا في هذا الحادث جمعت لأسرهم التبرعات من الحكومة والشعب.

ولادة غريبة

ولدت امرأة إيطالية ستة توائم أربعة أولاد وبتين بعد حمل لمدة ٣٥ أسبوعاً في الشهر التاسع ويتمتع التوائم جميعهم في صحة جيدة داخل الحاضنات، ويأمل الأطباء بقاء جميع التوائم على قيد الحياة، والله على كل شيء قدير والقدرة صالحة.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها في اليوم الخامس عشر من رمضان وفاة شاه إيران وكانت وفاته في الصباح المبكر في مدينة القاهرة، وهذه ترجمته، قالت إحدى الجرائد هو صاحب الجلالة الإمبراطورية الشاهنشاه اريا مهر وهذا اللقب من تعظيمات الأعاجم، وهو اللقب الرسمي لمحمد رضا بهلوي شاه إيران السابق ومعناه مالك الملك نور الأولين ولا ريب أن هذه مبالغة نهى عنها الشرع الشريف، ولد في طهران ٢٦ تشرين الأول أكتوبر عام (١٩١٩م) وأصبح ولياً للعهد عندما بلغ السادسة من عمره عام (١٩٢٥م) باسم رضا شاه تلقى تعليماً عسكرياً عالياً قبل أن يواصل دراسته في سويسرا بين (١٩٣١م) إلى (١٩٣٦م) ثم التحق بالكلية الحربية في طهران ثم عينه والده مفتشاً عاماً للجيش وهو في العشرين من عمره بضغط من روسيا وإنكلترا تنازل الأب عن العرش وتوَّج محمد رضا وتزوج عام (١٩٣٩م) بالأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق ملك مصر السابق وأنجب منها بنتاً ثم اختلفا بسبب سيطرة والدته وأخته التوأم الأميرة أشرف وانفصلا وفي ١٦ أيلول عام (١٩٤١م) أدى اليمين أمام مجلس النواب ليجلس على عرش كسرى الذي يرجع إلى ألفين وخمسمائة عام باسم محمد رضا بهلوي، وفي التاسع عشر من تشرين الثاني نوفمبر (١٩٤٨م) طلق زوجته الأولى فوزية.

أول مشكلة كبيرة في فترة حكمه، وهي من مخلفات الحرب العالمية الثانية ثورة إقليم أذربيجان الشمالي الذي يحتل الاتحاد السوفيتي جزءاً منه حين بدأت الحركة

وظهرت بوادر شعور الدول الكبرى بالقلق قاوم وشن هجوماً من قصر جولستان وهو بناء ضخم جدير بليالي ألف ليلة وليلة، واستطاع تحقيق نصر في ١٦ كانون أول سبتمبر (١٩٤٦م) بدخول قوة عسكرية إيرانية إلى إقليم أذربيجان الإيراني، وفي عام (١٩٤٩م) نجا من محاولة اغتيال أصيب خلالها بخمس رصاصات لم تسبب خطورة على حياته وفي عام (١٩٥١م) تزوج من الأميرة ثريا أصفدياوي الإيرانية التي كان يُكن لها عاطفة قوية.

الأزمة الكبرى الثانية كانت مع حكومة مصدق الذي قرر تأميم البترول والحد في صلاحيات الشاه وقصرها في المهام الدبلوماسية والبروتوكولية فقط كما ينص دستور (١٩٠٧م) أسفر عن مقاومة الشاه لإجراءات مصدق فوضى عامة بلغت قمتها في آب أغسطس (١٩٥٣م) حين اجتاحت المظاهرات طهران وأحرقوا صور الشاه وحطموا تماثيله، وفي ١٦ آب أغسطس اضطر إلى اختيار حياة المنفى لفترة قصيرة في إيطاليا إلى أن تحرك الجيش وأطاح بمصدق بمساعدة أمريكية وعاد الشاه في ٢٢ آب أغسطس إلى طهران وفي ١٦ نيسان إبريل (١٩٥٨م) طلق زوجته ثريا، وفي عام (١٩٥٩م) تزوج الأميرة فرح ديبا للحصول على ولي العهد فأنجبت أربعة أولاد هم الأمير رضا قورش ولي العهد في ٣١ تشرين الأول أكتوبر (١٩٦٠م)، وكان قد أبرم مع الولايات المتحدة معاهدة عسكرية في آذار مارس (١٩٥٩م) وفي عام (١٩٦٣م).

تفجرت أزمة داخلية جديدة للإصلاح الزراعي وكان للفئات الدينية دور لذلك ألقى القبض على آية الله الخميني ونفي إلى تركيا ثم إلى العراق ثم توج إمبراطوراً في أبهة كبيرة اشتهرت على مستوى عالمي عام (١٩٧٠م) تشرين الأول أكتوبر وتعاقبت الاضطرابات في مختلف المناطق وخاصة طهران فتصدى لها الشاه بيد حديدية فازدادت طباعه حدة ووصل الفساد إلى القصر وأجهزة البوليس السري السافاك، وقد أثار نظام الحرب الواحد في آذار مارس (١٩٧٥م) وتشدد

الدكتاتورية اعتباراً من عام (١٩٧٧م) مظاهرات قمعت بعنف، ومنذ (١٩٧٨م) أخذت الفئات أمام الموقف في الشارع الإيراني بعد اضطرابات كان أبرزها يوم الجمعة الأسود الثامن من أيلول سبتمبر من ذلك العام وفيها قتل في طهران وحدها أكثر من ٧٠٠ قتيل وأثر ذلك توقف شحن البترول وحدث اختناق اقتصادي وفشلت محاولة تشكيل حكومة عسكرية ولم يحظ هذه المرة بمساعدة أمريكا فاضطر إلى مغادرة البلاد في السادس عشر من كانون الثاني (١٩٧٨م) إلى مصر فالمغرب فجزر البهاما فالمكسيك فالولايات المتحدة ثم أعلنت الجمهورية الإسلامية في الثاني من نيسان إبريل (١٩٧٩م) ثم مرض فنقل إلى مستشفى كورنيل بنيويورك ثم نقل منه إلى مستشفى المعادي في القاهرة وتم استئصال طحاله، وفي موسكو إذيعت وفاته في مصر بعد بذل علاج له في مصر وقدم طبيب ماهر أمريكي على متن طائرة بوينج تحمل أربعة عشر صندوقاً بها أجهزة طبية، لكن حالته الصحية خطيرة جداً بحيث تضخم طحاله إلى خمسة أمثال حجمه، وكان قد قضى ١٨ شهراً في المنفى بعدما حكم في إيران التي بلغ عدد سكانها خمسة وثلاثين مليوناً، وقد مات وهو مطارّد وفي طوال هذه المدة وحكام إيران يطالبون بحضوره ومحاكمته لاسترداد الثروات التي يزعمون أنه أخذها هو وأسرته ويستثمر أمواله في الخارج.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته، هو الأديب الأريب الشاعر العربي الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل، ولد عام (١٣٣٠هـ) ببلدة الخرج بنجد وتعلم القرآن بوطنه، وأجاد قراءة القرآن وعمره تسع سنوات ثم رحل إلى الرياض، وأخذ بعض العلوم الدينية على بعض المشائخ ثم سافر إلى مكة المكرمة والتحق بالمعهد العلمي السعودي فيها مع زملائه الأساتذة حمد الجاسر وعبد الكريم الجهيمن وظل في المعهد حتى حاز الشهادة وكان يدرس على بعض العلماء في الحرم المكي بعض الكتب المطولة إلى نهاية (١٣٥٣هـ)،

وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف وعن الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وقد تقلد عدة وظائف حكومية وهي قضاء رابغ طيلة عام (١٣٥٤هـ) ثم تولى قضاء الطفير بالحجاز من غرة محرم عام (١٣٥٥هـ) إلى أواخر عام (١٣٥٩هـ) ثم تولى قضاء الدوادمي.

وهو من الأدباء المعروفين بجودة الشعر وحسن الأسلوب وقد طبع له عدة قصائد في الرثاء والمناسبات ومر في هذا التاريخ جملة منها بحيث يبلغ مجموعها ديواناً، ومن أخذ عنه المترجم محمد بن عثمان الشاوي، كان دائماً يلهج بذكره ويترحم عليه ورثاه بمرثية في سنة وفاته، كما أنه رثى الشيخ عبد الرحمن بن قاسم والشيخ سلمان بن سحمان والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وكان وجيهاً لدى الحكام وذا حظ منهم وتولى وظيفة التحقيق بديوان المظالم ووظيفة التحقيق بوزارة الداخلية، وكان له مجالس ممتعة يتعاطى في الأدب إضافة إلى ذلك أنه عالم فقيه وذو عقيدة ومعرفة وكثيراً ما تنتدبه الحكومة ليمثل ديوان المظالم في مهام الأمور.

وقد أحببت أن أورد قصيدة له رثائية قالها بمناسبة وفاة الشيخ محمد بن خنين، حيث قال: الحمد لله وحده والصلاة على عبده ورسوله، أما بعد فهذه أبيات رثائية قلتها لما فجعت بأحد أخواني المحبين من طلاب العلم وهو الشيخ الفاضل التقي الأريب محمد بن عبد الله الخنين المتوفى في عام (١٣٥٤هـ) نور الله عليه ضريحه وأسكنه جنته الفسيحة بمنه وكرمه، وهذا نص ما قلت وأنا الفقير إلى مولاه محمد بن عبد العزيز آل هليل:

رضا وصبراً على قدر الباري إذ كل شيء لدى الباري بمقدار
لا يخطئ المرء حقاً ما أصيب به وليس يوماً عليه عكسه جار
كل ابن أنثى وإن طال الزمان به لا بد مرتحل عن هذه الدار
ما للأنام مفر عن منيتهم ولا امتناع بحجاب وأستار
فكل نفس لكأس الموت ذائقة إلا الذي جل عن شبه وأنظار

أوعظ النفس لما جاء في خبر إن الفتى طاهر الأخلاق قد سفحت محمد نجمل عبد الله من حسنت شخص جني ذكي نال معرفة على الصفا ووفاء وحسن معتقد يرجى له الفوز إذ قد كان متصفاً وآها القلب عليه أضحى ملتهباً سقى المهيمن قبراً حله كرمأ والله يسكنه يوم الجزا غرفاً ألا فيا عامر الدنيا رويدك لا ترى مصارع أقوام بها صرعوا فلا تكن معجباً صافي بيهجتها والموت حقاً فلا تنسى به كرباً فنسأل الله لطفاً ومغفرة والحمد لله رب العالمين على ثم الصلاة على المختار سيدنا ما سحّ دمع وما حمامة صدحت

أذاب قلبي مع نقال أخبار لفقده مقل كالهاتل السار حقاً سجيته فسل به دار شخص تقى نقى ليس ذا عار وترك فحش وما يزري به الزار بالخير مقتدياً بفعل أخيار واهماً لدمع عليه سافح جار بغيث عفو مع الرضوان مدرار بدار خلد بجنات وأنهار تغررك زيتتها وانظر بأفكار كانوا فبانوا ولم يقضوا الأوطار فإن مدتها كلمح أبصار ما بين حشرجة تأتي وأسكار والقرب منه وإبعاداً من النار ما قد قضاه من السرا وأضرار وصحبه خير أصحاب وأنصار تبكي هديلاً على أفنان أشجار

وقال الشيخ راشد بن صالح بن خنين مترجماً وراثياً للمترجم في يوم الأحد الموافق ٢٦ من ذي القعدة (١٤٠٠هـ) رزئنا بوفاة صاحبنا وصديقنا الشيخ الأديب الوقور محمد بن عبد العزيز بن هليل عن عمر يقرب من السبعين أسكنه الله فسيح جنته بفضلته ورحمته، وقد درس مبادئ أصول الدين والعقيدة السلفية على يد والده الشيخ عبد العزيز إمام وخطيب المسجد الجامع بالقرية المسماة (العذار) التابعة لبلدة الدلم في منطقة الخرج ثم سافر إلى الرياض وأخذ العلم بها عن عدة

مشائخ منهم سماحة شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ثم سافر إلى مكة مع الطلبة الذين اختيروا إذ ذاك للدراسة بالمعهد السعودي بمكة المكرمة ودرس به حتى تخرج منه مع دراسته بالحرم المكي الشريف على عدة مشائخ منهم الشيخ محمد بن عثمان الشاوي والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والشيخ محمد البيزر وغيرهم.

ثم عين قاضياً ببلدة رابغ ثم نقل على درجة رئيس محكمة إلى الظفير بمنطقة غامد وزهران ومنها نقل إلى محكمة ساجر ثم إلى محكمة الدوادمي التي قضى بها أكثر من عشر سنين، ومنها انتقل إلى ديوان المظالم محققاً شرعياً ثم مستشاراً شرعياً على مرتبة رئيس محكمة حتى بلغ سن التقاعد.

وقد أعيرت خدماته أثناء عمله بديوان المظالم لحكومة قطر للعمل في تمييز الأحكام الشرعية، وقد عرف في جميع أعماله التي تولاه بالتبث والحكمة والروية مع تحري العدل والحرص على الوصول إلى الحق مع اتصافه بالأدب والتواضع وحُسن المحادثة رحمه الله وعفا عنه وله شعر كثير في المناسبات والرحلات والرثاء وغير ذلك، ولعل أحد أبنائه يقوم بجمعه وترتيبه وطباعته ولقد تأثرت لوفاته تأثراً بالغاً ورثيته بالأبيات الآتية:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| كل البرية للفناء مصيرها | لا فرق بين رعية أو سيد |
| والكل يلقي في القيامة سعيه | يجزى به من صالح أو من ردي |
| فالمخلصون مخلدون مجبه | والمشركون لهم عذاب سرمدي |
| إن المصائب في الحياة كثيرة | لكن قبض العلم داء المقتدي |
| والعلم يقبض إذ تموت رجاله | أهل القرآن مع الحديث المسند |
| إن المصيبة أن تكون بعالم | يبكي لها أهل النهي والسؤدد |
| إذ أنها الرزء الكبير لأمة | ترك الفراغ بثلمة لم تسدد |
| فالقلب يحزن والدموع مهيلة | نبكي على فقد الأديب الأجد |

أكرم به عالم ذي هية
شغل القضاء بحكمة وروية
نظر المظالم دارساً ومحققاً
ذي همة وعزيمة وترفع
أشعاره مملوءة بنصائح
ذي بسطة في علمه وبجسمه
زين المجالس إذ ييوح بنكته
أعني به شيخ الهليل صاحبي
كم مرة شاركته أطروحة
كم مرة قال الرثاء بعالم
قد زرتة فوق السرور ممدداً
بعد البشاشة والفكاهة عاقه
أسمعته صوتي فهمهم داعياً
ودعته متكديراً في لوعة
ذاك اللقاء هو الأخير وأرتجى
يا رب أعظم أجره وثوابه
أولاده أوصي وأنصح مخلصاً
يا رب أصلح شأنهم وتولهم
ثم الصلاة مع السلام على الذي

عف اللسان مؤدب عف اليد
وتأمل في المدعى والمقصد
قصد الوصول بدقة للمعتدي
عما يشين العالم أو مبتدي
وعقيدة تحكي صفاء الورد
ذي خفة في الروح غير مفند
فيها الجواب لصحبه أو يتدي
فاجبر مصابي في الصديق محمد
لنقي بها عنا هموم الجهد
والآن يرثى والبقاء للموجد
يشكو الضنى متألاً بتكيد
ثقل اللسان عن الجواب المفرد
لي بالثواب وممسكاً مني يدي
والموت يرقب واقفاً بالمرصد
جمع النعيم من الإله الأوحد
واجعل له في القبر أفسح مرقد
متواصل وتعاطف وتودد
واحم الجميع من الغواة الحسد
فضل الخليقة في الحياة وفي غد

هذا كلام صديقه وخاصته، وقد باح بما لديه من ألم الفراق فإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اغفر للمترجم.

ونعود إلى بقية الترجمة، كان المترجم طوالاً فوق الرتبة ممتلىء الجسم قد أعطاه الله بسطة في الجسم أسمر اللون مهيب الطلعة ذا شخصية بارزة حتى ليخيل إليك

إذا رأيته أنه من الأسرة له عينان كأنهما لسانان شهابوان ويلبس أحسن الكسوة ويفضل الغترة على رأسه والمشلح الأسود تجلوه الابتسامة دائماً، وكان متواضعاً جداً مع ما منحه الله من الرفعة.

وأقول إخلاصاً للتاريخ كأنه لم ير مثل نفسه ويتعاطى الأدب ونعود إلى مواقفه ومؤهلاته، فقد جاء متظلم إلى الشيخ محمد بن إبراهيم بصفته رئيس القضاة يشكو قاضياً ويتظلم وأغلظ في التظلم، ويمكن أنه صادق فجعل الشيخ يسترجع ويقول كفانا الله شرك وما وسعه إلا أن كتب معه كتاباً إلى الإمام الأعظم فيصل بن عبد العزيز لينظر في مظلمته، فدعا جلالة الملك فيصل بالرجل وقال له اسمع بأني سأقيم لجنة مكونة من ديوان المظالم ومن رئاسة القضاء، ومن المالية فإن كنت مظلوماً فسأفصل القاضي فصلاً، وإن كنت كاذباً فوالله لأؤدبن بك الجن والإنس، هل أنت قادم على ذلك فأجاب بأنه مستعد، فأقيم ثلاثة أعضاء من الرئاسة والمالية وديوان المظالم، وكان المترجم أحد الأعضاء يمثل ديوان المظالم، وكان ذلك ليلة الثاني عشر الأواخر من رمضان، وقد طلبت اللجنة تأجيل القضية إلى ما بعد رمضان لمشقة الصوم والقيام فصدر الأمر بأن يسيروا إلى مهمتهم في الوقت نفسه فلما قدموا مدينة بريدة مروا في طريقهم على مسجدنا وصلوا معنا التراويح وأخبروني أنهم جاءوا لهذه المهمة، ولما أن جلسوا لها وجدوا هذا البائس مظلوماً بعد التحقيق واستعراض المسألة فرأوا أن يصلحوا بينه وبين خصمه بقدر من المال ستة آلاف ريال تدفع للمظلوم وأن ينهوا المسألة خشية على القاضي فرضي الفريقان لأنها تثبت إدانة القاضي ورجعوا ثم كلموا صاحب الجلالة بإنهاء القضية، فقال أخبروني عن الواقع فقالوا لا نخبرك بل أنهينا المسألة وخلص المتظلم ففهم الملك فيصل وأمضى اقتراحهم بشرط أن المتظلم قد خلص من قضيته. وقام هذا القاضي مرة بالإنكار باليد على أناس من الجنود يشربون الدخان علناً فاجتمعوا عليه بعد نزاع وضربوا القاضي فرفعت المسألة إلى أعتاب جلالة الملك

فيصل فبعث لذلك لجنة مكونة من الأمن و رئاسة القضاء و ديوان المظالم، وكان المترجم هو المبعوث يمثل ديوان المظالم، وكنت قد حضرت التحقيق مع المعتدين فكان هو الذي يتولى ذلك فرأيت معه حكمة وله هبة ترج المعتدين وبعد التحقيق معهم أفراداً ثبتت إدانتهم فصدر الأمر بجلد كل واحد منهم ثلاثين جلدة وأخذ التعهد عليهم أن لا يمدوا أيديهم مرة أخرى وهكذا كانت الحكومة تتدبه ضمن المحققين.

ومن نكته أن بعثته الحكومة ضمن الأعضاء للنظر في مشكلات في الشمال الشرقي من المملكة، فلما أن هبطت بهم الطائرة في العاصمة قام الأمير فيها وسيرهم في سيارة وانيت ليحلوا تلك المشاكل في القرى وكانت الطرق رملية وربما غرزت لهم السيارات لأنها تعبانة فينزلون يدفونها فصاغ أبياتاً تصور الموضوع، ثم علق في آخرها أنهم رجعوا بطائرة مريجة وكيف أن الله منّ برجوعهم على متنها بعد ذلك:

| | |
|----------------------------------|------------------------------|
| أمن بعد كنفير ونيت وقرنبع | يرج بنا في سيره ويقرقع |
| ونيت دنس في المسير مخطب | كان به مساً من الجن يصرع |
| فطوراً بأعلى الحزم ينزو فينطفي | وهندله في أنفه ليس ينزع |
| وطوراً مع البطيء يبقى مغرراً | فنحشوا نجافي الرمل عنه وندفع |
| فيزداد بالتغريز في الرمل راسباً | فنخشى عليه الرمل يطغى فييلع |
| هنيئاً مريئاً سائغاً في ابتلاعه | وذو العرش ينجيننا وللشر يدفع |
| ومن فضله كان الإياب بطائر | يخلق في جو السماء ويرفع |
| وخير المطايا ما يسرك سيره | وينجز في طي الطريق ويسرع |
| وما كل مركوب مريح لراكب | ولا كل ظهر للمهامة يقطع |
| من الله نرجو العفو واللطف والرضا | وفضل إلهي بالمواهب أوسع |

وله قصيدة نونية عظيمة في شأن هذه الصناعات التي وفرت للناس مصلحتهم

ولا سيما الطائرات ويصور فيها ركوبهم الطائرة وما فيها من القوة والمناعة وكيف
سخر الله العظيم بقدرته ذلك الحديد ويصف إقلاعها وهبوطها باستخدام مادة
الكهرباء الذي وفر للناس مصالحهم فمن أبياتها قوله بعد أربعة أبيات:

إذا محركها اشتدت صواعقه يكاد ينصم منها سمع آذان
باسم الإله ركبناها مسخرة تسخير مقتدر خلاق أكوان
توجهت تعبر الجو الرفيع بنا أمضى وأسرع من منقض عقبان
مرت على الطير مرتاعاً ومنذراً ما بين مندهش منها وحيران
مثل الشهاب يرى في الليل منطلقاً وراء مسترق للسمع شيطان
بنا مضت وتعالى الله حاملنا في البر والبحر تكريماً بإحسان
حتى إذا شاهدت أعلام موقعها ترنخت ونخت قصداً بامعان
فتأتي منصبة إليه هابطة فتجري دراجة من فوق ميدان
فقرسوا مثل رسو الفلك ثابتة الله أجرى وأرساها بإمكان

إلى آخرها وهي حسنة طويلة رنانة لولا خشية الإطالة لأتينا بها.

ولما مرض اشتد به المرض تحولت صحته إلى ضعف ونحول كذا وصف حالته
نجله سعد بن محمد غفر الله لهما، ولما أن نعت لنا وفاته وقد كان صديقاً وصهيراً
وابنة الأخت تحته قلت فيه هذه المراثية لعلها تشفي غليلاً وتعزي مجروحاً وذكرنا
فيها شيئاً من مناقبه:

على علم أمسى فقيد الحباب نريق دموعاً من حلول النواكب
به قد أحاطت من أوامر ربه طوارق قد أودت به للمعاطب
وما المرء إلا عرضة لكوارث إذا أخطئت هذي فليس بهارب
أمور قضائها حاكم ومدبر وما من قضا الرحمن منجا لهارب
عنيت به ذا العلم ابن هليل محمداً المعروف في كل صائب
وحبراً به عبد العزيز أتى الورى فأكرم به شهماً وأنعم بصاحب

إذا قيل من للمعضلات يجلها
ومن لفنون العلم يبلغ شأوها
أجابت فنون العلم حبر سميع
وذاك أبو المغوار ومن كان عارفاً
أجل يا أبا المغوار مالك صامتاً
عهدتك لا تبقي لصاحب حجة
تفوق على الأقران في غرض نعمة
ينادون في الهيجاء ابن هليل
فما بال هذا الطود أمسى مهدماً
كان لم يكن بالأمس نبراس حكمه
فأين التداوي من دعة مهارة
أما كان في التمريض كشف لغمة
فما بالها أردت كريماً وسيداً
ولكنه أمر الإله وحكمه
خرجت من الدنيا كريماً معززاً
مضيت عن الدنيا سليماً من الأذى
مضيت إلى رب جليل وغافر
ليهنك ما قدمته من محاسن
عليك سلام الله يا خير راحل
وأزكى صلاة الله ثم سلامه
وآل وأصحاب هداة أجلّة

ويحكى عويصاً من فنون الغرائب
ومن يرتجى من بعده في النوائب
تغرد في علم يفوق لحاسب
بحكمة تدبير وكشف الغياهب
وقد كنت منطيقاً وأعظم واثب
بقول فصيح ماهر في التجارب
وعيش رغيد راتعاً في المآرب
وغصنك مياد وأعظم دائب
عليلاً كثيباً شأنه كل مسالب
يعود على الأحباب في كل طائب
لتكشف من أرزائنا كل صائب
ودفع الأوهام ودرء المعاطب
وطيح به صخراً صريع المصائب
فعدت جماداً لا تجيب لنادب
بذكر جميل حائز للمراتب
نزيباً من الأسواء وكسب المعائب
ونرجو لك الزلفى بيوم المصاعب
وما سجل التاريخ في رق كاتب
ويا خير مفقود بخير المناقب
على المصطفى المبعوث من نسل غالب
وأتباعهم في الهدى من كل ذاهب

ومن توفي فيها علي بن معارك رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته: هو الأديب
الأريب ذو الأخلاق والكارم المعاصر المبسم البشوش العاقل الرزين علي بن عبد

الله بن إبراهيم آل معارك، ولد عام (١٣٣٠هـ) ونشأ في أحضان والده المؤدب المعلم إمام مسجد ماضي في بريدة فمسقط رأس المترجم في مدينة بريدة عاصمة القصيم، وبما أن والده عبد الله لديه مدرسة أهلية فإنه انضم إلى والده لتعلم القراءة وحروف الهجاء، ولم تطل أيام والده بحيث أن توفي في عام (١٣٣٧هـ) بذلك الوفاء العظيم.

ويدعى ذلك العام بسنة الرحمة عند العامة، وهلك بسببه خلق كثير في نجد والعراق والهند والإحساء وما يلي الخليج العربي، فأخذ في الدراسة على علي بن عبد العزيز الحوطي صاحب مدرسة أهلية في بريدة، لأن الأيام لم تمكن المترجم من الأخذ عن أبيه لوفاته بعد ولادة المترجم بثمان سنوات تقريباً، وكان أديباً قارعاً للشعر النبطي والعربي وله أخ أسن منه وهو الشيخ عثمان العبد الله المعارك تولى القضاء مدة من الزمن وتوفي عام (١٣٩١هـ)، ويمتاز المترجم بأنه دمث الأخلاق وطلق الحيا بشوش وقد نال وظيفة في الجهة الشرقية من المملكة وخدم حكومته وأمه ومن شعره قوله يمتدح وطنه بريدة ويذكر أيامه التي عاش فيها بصباه، وما آلت إليه في الأيام الأخيرة من الرفاهية والتقدم وحب الوطن من الإيمان:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| بريدة قد تآقت إليك مشاعري | وطاب لنا ذكر من رياضك والربا |
| بريدة ما أغنى برائك إنني | فخور ومشتاق إلى مرتع الصبا |
| بريدة شمس في القصيم منيرة | لقد شاهد الزوار ما كان أعجبا |
| معالم الدار ذكراها لمفخرة | لكل فرد لها قد كان متسبا |
| أعني بريدة قد ضاءت معالمها | وغرد الطير في أجوائها طربا |
| فيها المشاريع وال عمران قائمة | والبعض منها قريباً صار مرتقبا |
| أما الشوارع قد شأقت لناظرها | ثم الظلام اختفى من بينها هربا |
| تمتاز بالري والأشجار يانعة | تؤتي الفواكه والرمان والعنبا |
| والباسقات بقنوان مثقلة | من كل عذق طري يجتني رطباً |

في جردة السوق خيرات متنوعة يلقي بها كل مبتاع لما طلبا
وفاض إنتاجها مما تصدره لكل قطر من المحصول ما جلبا
قرى القصيم وما يتبعه أجنحة أنعم بها مسكنا للضيف قد رجا
كذا الصباح ووهطان وأخبية مع البطين غزير الماء قد عذبا
شكراً جزيلاً لمن أسدى فضائله رب العباد والذي للخير قد وهبا
ثم الصلاة على المختار سيدنا ما ضاء برق لوبل ماطر سكبنا
وله شعر جميل يمتدح فيه الدار والسكان ويشكو نزوحه إلى ديار الغربة وفراق
الوطن.

وكان شيقاً حبیباً لیبياً مأمون الشر عسراً لا يمل حديثه نزيهاً بشوشاً وإنا لندعو
له ونترحم عليه ونسأل الله له المنزلة العالية في الجنة، وكان من جيراننا في بيت
والده الذي هو أقرب الجيران من بيتنا، وكان يتاب وطنه للزيارة، وفي إحدى
زياراته لبريدة سقط من السيارة فأصيبت إحدى قدميه بكسر.

وفي هذه السنة توفي على إثر انقلاب سيارة كان فيه حتفه، وهكذا الدنيا هموم
وأحزان ومصائب في المال والأنفس والثمرات، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى
تَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣١) وبالجمللة فإن الدنيا دار من
لا دار له، ومنزل من لا منزل له، ولها يجمع من لا عقل له والله در القائل حيث
يقول في وصفها:

ومن صحب الدنيا على جور حكمها فأيامه منكودة ومصائب
هي الضلع العوجاء لست تقيمها إذا سر فيها جانب ساء جانب
وقد وصف العقلاء حالة ابن آدم في هذه الحياة وأنه مهدد بالآلام والمصائب

(١) سورة محمد، آية ٣١.

والمخاوف كرجل فر من عدو واختفى في أعلى بئر عن عدوه، فحانت منه نظرة إلى أسفل البئر فإذا في أسفلها ثعبان عظيم فرجع إلى قدميه اللتين قد اعتمد عليهما وهل هما متوثقتان من طي البئر وإذا قد خرج من حوالي كل قدم حية تريد أن تنهشه إن غفل عنهما وكان بأعلى البئر شجرة لها أغصان فشد بيديه على غصن منها ليكون سبباً يتعلق به عند الحاجة والضرورة فإذا جرد يقرض به فوقف متحيراً لا يأمن من الحيتين إلى جانبه أو يسقط على ما في أسفل البئر، فإن تعلّق بالغصن فلا يأمن أن ينكسر به لعبث ذلك الجرذ به فبينما هو كذلك حانت منه نظرة فإذا غسل يقطر من بين حجرتين أمام وجهه فأخذ يلحق الغسل ونسي ما هو فيه من الأهوال نسأل الله تعالى السلامة والعون على ما نحن فيه.

وفيها وفاة الشيخ عبد الرحمن بن دخيل رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته، هو الشيخ الزاهد الورع الفقيه القاضي في لينة عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان بن دخيل بتشديد الياء من النواصر من بني تميم ووالدته من الجمالة أسرة معروفة، ولد في بلدة المذنب عام (١٣٠٨هـ) وكان من بيت علم وصلاح فنشأ نشأة صالحة، وأخذ عن والده الشيخ عبد الله الذي كان مقصداً لطلاب العلم في بلد المذنب.

ثم أنه بعد وفاة والده رحل إلى مدينة بريدة فأكبّ على طلب العلم بين يدي الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وبين يدي الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأخذ عن الشيخ عبد العزيز العبادي، وكان طلاب العلم إذ ذاك يسارعون إلى مزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر وأخذ عن الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن فداء كما أنه أخذ عن الشيخ صالح العثمان القاضي، وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن مانع وكان من زملاء الأخ الشيخ عبد الرحمن بن عبيد بن عبد المحسن ثم سافر إلى الرياض للأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وعن الشيخ محمد

بن عبد اللطيف وجدّ واجتهد ونافس في طلب العلم وقد عينه الشيخ عمر بن محمد بن سليم مرشداً وخطيباً وإماماً في هجرة الأرباطوية عام (١٣٤٤هـ) ثم نقل إلى هجرة الصفراء عام (١٣٤٦هـ) وبعد ذلك إلى غمرة من قبيلة الأسلم ثم إلى العظيم ثم إلى قضاء لينة.

وكان طلق الحيا متواضعاً بشوشاً رزيناً عاقلاً كثير التبسم عليه سيما الديانة والعلم وكان في إقامته بالعظيم يتجول في القرى التابعة لها ويعظ ويرشد فيها وفي حال قضاء لينة يدرس ويعلم في المساجد ونال محبة من الجميع له في سائر تقلباته وتنقلاته ولما بلغ من العمر ثلاثاً وسبعين عاماً أحيل على المعاش وذلك في عام (١٣٨٢هـ) فرحل إلى هجرة العظيم وسكنها وألقى عصا التسيار فيها حتى وافاه أجله المحتوم فيها متفرغاً للعبادة مقبلاً على شأنه وللمترجم أخوة من بينهم محمد وسليمان وعثمان الذي هلك شاباً في مدينة بريدة، وله ذوق عظيم في طلب العلم، وقد أشرنا إلى وفاته في (١٣٤٦هـ)، وقد خلف المترجم عقباً من الذكور.

وفيها في ذي الحجة أصيبت حكومة الجزائر بهزات أرضية أي زلزال شديد وكان الموضع المصاب منها مدينة الأصنام، فتهدمت مساكن كثيرة، وأصيب مائتان وخمسون ألفاً ما بين قتل وجريح، وقد قامت الحكومة الجزائرية بالدركتورات والشيولات لانتشال الجثث، فحصلت على ألوف من الجثث وتوالت الهزات عليها، وقد بعثت الحكومات مساعدات عظيمة من النقود لهذه الكارثة.

وفيها في يوم عيد الأضحى خطب معمر القذافي خطبة شنع فيها على السعودية باستخدام الطائرات في منى وعرفات، وزعم أنها طائرات أمريكية يجب الجهاد المقدس لذلك، لأن الحجاج تحت احتلال أمريكا، هذا ما أملاه عليه علمه.

وقد شنعت عليه السعودية بالردود وأجلبت عليه بالجرائد ضده، وكذبتة الحجاج بافتراءاته حتى أن الحجاج الليبيين كذبوا مقالته وما زعمه، ولكنه تصدى لحجاج ليبيا حينما رجعوا فاعتقل ١٢ ألف حاج ليبي يحقق معهم ويعذبهم

ويناقشهم، وكان القذافي على ما فهمه منه أهل المعرفة والسياسة متدهور ولا يتقيد بما يعود عليه بالذم وسوء التدابير، وفي كلام الحكمة قول الشاعر:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي الحل الثاني
فإذا هما اجتماعاً لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان
ولربما ظفر الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

ولو أن المسلمين تركوا السباب فيما بينهم وأعرضوا عن نيل التنقيص في أعراض الآخرين وصرفوا جل وقتهم وزمنهم في التفكير فيما دهى فلسطين من القتل والتدمير وما وصلت إليه الحالة في لبنان وانتهاك حقوق الإنسان من الفتك والتدمير وإراقة الدماء وهتك الأعراض وما أصيب به الإسلام والمسلمون من ملاحقة دين الإسلام للقضاء عليه والتكيل بأهله لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً.

فهذا جزء من المسلمين يقتلون ويصلبون في الصومال وأمة يرغمون على خلع الإسلام والتهود أو التنصر وجزء يؤخذون بالتهمة وتوجيهها إليهم فيعذبون بأنواع التعذيبات التي لا تثبت لها صم الجبال ولا الحديد ونسي هؤلاء الذين يسبون إخوانهم ويقعون في أعراضهم ما هم فيه لو عقلوا ولكنما أخبر به الهادي الذي لا ينطق عن الهوى وقع ولا محالة حيث يقول: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» فيا لهذا التفكك ويا لهذا التخاذل ويا لغربة الإسلام بين ظهرائي أهله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ونسأل الله تعالى السلامة والعون على ما نحن فيه.

إقامة حدائق في مدينة الدمام (١٤٠٠هـ)

ففي هذه السنة قامت بلدية مدينة الدمام ببذل جهود كبيرة في تحسين مستوى البيئة والنواحي الصحية والترفيهية في المنطقة من رصف وإنارة وتشجير شوارع

المدينة بالإضافة إلى إنارة الشوارع وتشجيرها وإنشاء حدائق عامة في كل حي من أحياء مدينة الدمام إضافة إلى الحدائق الموجودة حالياً مع بذل جهود بتزويد معظم الحدائق بمختلف الألعاب وتنظيف الشواطئ البحرية التي يؤمها الناس، كما أن مشتل البلدية يقوم بتزويد المدارس ورياض الأطفال، وكذلك الأفراد بالشتلات التي يحتاجونها للزراعة وتقوم البلدية بالاتصال مع مختلف الجهات الحكومية ذات العلاقة بهدف التنظيم والتنسيق وتوصيل مختلف الخدمات لكافة المواطنين.

إنشاء وحدات مياه القطيف

اجتمعت لجنة لتنقية مياه المجاري بالقطيف والقرى التابعة لها ولتحسين صحة البيئة بالمنطقة الشرقية برئاسة المهندس عبد الرحمن محمد الشهيل مدير عام الشؤون البلدية والقروية ورئيس لجنة صحة البيئة بالمنطقة الشرقية، كما وافقت اللجنة على إنشاء وحدات لتنقية مياه المجاري في مدينة القطيف، وقد تم تزويد هذه الوحدات بوسائل ومعدات حديثة تذيب الروائح ويمتصها فور إلقتها في مياه البحر دون أن تشكل أي خطورة وذلك للمحافظة العامة.

بدء العمل في طريق الجنوب

بدأ العمل في صيانة طريق أبها ظهران الجنوب لما كان في ١/٣ من هذه السنة ثم استلام مشروع الصيانة العادية لطرق أبها وخميس مشيط ظهران الجنوب نجران ومتفرعاتها والذي تشرف عليه إدارة الطرق في أبها ويبلغ إجمالي طول هذا المشروع (٤٠٤) كيلومتر.

افتتاح مركز لتحفيظ القرآن الكريم بالجبيل تدرس جمعية الجبيل الخيرية بالتعاون مع المكتب الرئيسي للشؤون الاجتماعية بالمنطقة الشرقية وكانت الجمعية العمومية التي عقدت في شهر رمضان الماضي قد أوصت مجلس الإدارة على تنفيذ المشروع انطلاقاً من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

عمارة مطار الرياض الدولي

كان مطار الرياض الدولي آية من آيات الله بحيث وضع ٣٦ عقداً لتنفيذ ١٢ ألف مخطط وضعت في (٣٦) ألف صفحة من المواصفات واستغرق عمله أكثر من (٢٢) ألف ساعة استغرقها العمل في وضع تصاميم المطار الجديد و(١٢) ألف عامل في المشروع ويبلغ عدد القوى العاملة حالياً (٧) آلاف عامل، وكانت بداية التخطيط في سبتمبر عام (١٩٧٤م) وكانت مساحته الكلية (٢٢٥) كيلومتراً وتكاليفه الإجمالية من أحد عشر ألف مليون ريال، وكان بحجم مدينة في وطن ويشتمل على فندق من (٥٠٠) غرفة ومطعم رئيسي لتقديم الخدمات وهو مدينة سكنية من (٣٩٠) فيلا ووحدة وشقق سكنية ومدارس تسع (٦٠٠) طالب ومسجد فخم على الطراز الحديث ومجمع ترفيهي يشتمل على حمامات سباحة وملعب تنس وجولف وكرة قدم.

واتسعت في هذه السنة ١٢ جمادى الأولى (١٤٠٠هـ) إلى طاقة تسع ثمانية ملايين راكب وخمسين مليون طن شحن جوي سنوياً، وكانت مساحة أرض المسجد تبلغ ألفاً وثلاثمائة وخمسة وتسعين متراً مربعاً فيها أماكن للوضوء وفصول للدراسة الدينية ومساكن لإقامة خادم المسجد، وحول المسجد فناء واسع مساحته ألف وثلاثمائة وخمسة وستون متراً مربعاً والمطار في وضعه الهندسي آية من الآيات وأقيم على مساحة أرض بلغت خمسة آلاف متر وأربعمائة وعشرة أمتار مربع تحتوي على حمامات سباحة خارجية وداخلية وصالات الجلوس وغرف لخلع وتغيير الملابس ودورات مياه، إلى غير ذلك من الأشياء الهندسية.

وفيها وقع حادث شنيع في بلدة المربع قرب مدينة المذنب بين سيارتين بويك وونيت راح ضحيته جميع ركاب السيارتين وهم خمسة، وذلك في صباح الأربعاء ٥/٩ وقد اشتعلت النيران في السيارة البويك، وحولت أصحابها الثلاثة إلى جثث هامة مما تعذرت معرفتهم.

وتعرضت مدينة الرياض ليلة السبت ١٢/٥ لرياح انعدمت لها الرؤية الأفقية.
كما أن مدينة جدة تعرضت في يوم ١٠/٥ لعاصفة ترابية شديدة وتأثر طقس
المملكة بعواصف ترابية في المناطق الشمالية والغربية ولا سيما تبوك، وكانت الرياح
سموياً شديداً الحرارة.

وفيهما وفاة الشيخ عبد الله العجلاني، وهذه ترجمته: هو عبد الله بن علي بن
عثمان بن علي العجلان من آل أبي عليان الأسرة المعروفة من بني معد من قبيلة
تميم، وكان آل أبي عليان سكن كثير منهم ضاحية الصباح من أعمال بريدة منهم
السلامة والسلطان والعدوان والنصار والعرفج.

ولد المترجم في بلة الصباح المعروف بفيحان عام (١٢٩١هـ) فنشأ في طلب
العلم منذ صغره ونعومة أظفاره، فلازم الشيخ الزاهد محمد بن عبد الله بن سليم،
والشيخ التقي عبد الله بن محمد بن فداء العالم الزاهد، وهو الذي أشار عليه بقبول
هدية الحاكم عبد العزيز بن متعب بن رشيد وأن من الحكمة قبولها، لكن الشيخ ابن
فداء رفض قبولها لترجح المصلحة ولما يتفرسه في قبولها رحمة الله عليهما.

وطلب العلم منذ صغره، حيث لازم الشيخ عبد الله بن محمد بن فداء، والشيخ
محمد بن عبد الله بن سليم حتى وافاه اليقين فلزم ابن الشيخ عبد الله بن محمد بن
سليم وأخذ عنه علم العقيدة ومعرفة الرجال وأشياء من الفقه، ثم أنه رغب في
طلب العلم والأخذ عن آل الشيخ في مدينة الرياض، فسار على قدميه في صحبة
أناس من طلاب العلم منهم الشيخ سليمان بن عبد الله المشعلي في أناس آخرين،
فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وعن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق،
وأخذ عن الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ، وكان الشيخ عمر بن حسن من زملاء
المترجم، حيث كان يدرس على والده في أناس آخرين ثم أنه عاد من الرياض لما
سمع بمرض والدته وتوفيت وهو في الطريق، فأخذ في الدراسة على الشيخ عمر بن
محمد بن سليم ولازمه كجملة الطلاب، ولما أن توفي الشيخ عبد الله بن محمد بن

فدا كلفه الشيخ عمر بن سليم بإمامة مسجد ابن فداء، وذلك لقربه من مسكنهم الذي يقع شرقاً عن المسجد المذكور جوار منزل راشد بن حميد الذي هو مؤذن المسجد فأقام فيه حتى كبر عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله فترك الإمامة له وكان لما اشتكاه أشرار إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم مدعين بأنه متشدد في الدين أجابهم بقوله: الذي عند العجلاني هو نفس ما عندنا، فانقلبوا خاسئين، وكانوا يسكن هو وأهل بيته صيفاً في السباخ وفي الشتاء يرحلون إلى بيتهم في بريدة، وكان قوياً في دين الله لا تأخذه لومة لائم يصدع بالحق ولديه موالاة لأولياء الله ومعاداة لأعدائه، ولديه ميزة بين الرجال فيفرق بين الغث والسمين ويعرف المؤمنين من المنافقين.

وكان متمسكاً بالدين، وأي متمسك يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده ويصبيه في ذات الله أذى كثير، ولكنه صابر ومحتسب.

مثال ذلك أنه مرّ بشباب في طريقه وهو راجع من السباخ من آخر النهار وكان ذلك في وقت المغرب قد سهوا عن الصلاة وارتدوا ملابس الكرة، فتناول كرتهم ومزقها وانتهرهم فاجتمعوا عليه وضربوه، ولما جاء إلينا قمت بمساعدته بحيث ألقينا القبض على الذين اعتدوا على زاهدنا، وجيء بهم إلى هيئة الحسبة فصدر الأمر بضربهم وأخذ التعهد عليهم.

وصلى إلى جانبه شاب قد فاتته ركعة من صلاة المغرب فرآه ينقر صلاته فأنكر عليه، غير أن ذلك الشاب قابله بكلام يجرح العواطف بحيث قال البعيد: أشغلتونا بقول رسول الله ووالله لو خرج رسول الله لكتنم أول من يرميه بالحجارة، فتأثر رحمه الله وجاء إليّ في نفس المحراب بعد كلام المسيء غير أنني لم أتمكن من المسيء، ولكنني لعدم معرفة المترجم بالذي أبدى الوقاحة ألقيت موعظة بليغة على العموم الحاضرين وأقسمت بالله لو عرفته لأسيرنه إلى الجهات المسؤولة ذليلاً بعدما كان عزيزاً بعدما شرحت الموضوع أمام خمسة صفوف، وفي هذا إكمال المصلحة ليرتدع المجرم ويرتدع من على نحوه وكثيراً ما يتأثر من رؤية المناكر والمعاصي.

وكان مقلداً من الدنيا وزاهداً بها غير ساعٍ لتحصيلها ومجالسه معمورة بالذكر والمناقشات والبحث في التوحيد وترسيخ العقيدة والنهي عن الشرك والابتعاد عنه والتخويف منه ويلهج بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والسلفية ويكي عند ذكره ويكرر الدعاء له والثناء عليه ويردد الأبيات التي قيلت في الثناء عليه، ويلقي عبارات الشيخ من كتبه ويلقي الأسئلة على دائريه ومجالسيه، ويفيدهم إذا لم يجابوا عليها وإذا تذكر آل سليم أثنى عليهم وبكى وأبكى من حوله لما يرويه عن حالتهم وتسمكهم بالعقيدة، وله ورد بالليل يحافظ عليه ويحتاط لذلك بحيث لا يجالس أحداً بعد صلاة العشاء الآخرة، ويتتابه زواره في الضحى وبعد العصر في منزله من طلبه العلم والمشائخ، ولا يترك فرصة لمحدثه أن يتحدث في أمور غير ما يتعلق بالدين، وما زال كذلك حتى وافاه اليقين في ضحى يوم الاثنين الموافق ١٢ / ٤ من هذه السنة، ويحث مجالسيه على التمسك بالدين والعقيدة.

ولما توفي شيعه المسلمون إلى المسجد الجامع الكبير ببريدة، وأقيمت عليه صلاة الجنازة بعد الظهر في جمع كبير ثم شيعوه من الجامع إلى مثواه الأخير بحيث دفن في مقبرة الموطن الشمالية وترحم عليه المسلمون وبكاه أهل الدين والعقيدة ورثي بمراثٍ حسنة.

ومن صفاته أنه بارز في إظهار دينه ولا يدهن ولا تعجبه حالة بني الزمان التي تخالف ما كان عليه مشائخه السلفيون، فتجده لا يميل إلى الألعاب الرياضية لما ينشأ عنها من إضاعة الصلوات وخسارة الوقت، ولا سيما في الأسواق بحيث أنه قد يتأذى بها المسلمون ويتحرز من جميع محدثه في الدين.

وإن كان فيها مصلحة ويحث على التمسك بالدين، وقد خلف أبناء صالحين منهم محمد درس علينا من جملة طلاب العلم، وعضو في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعثمان، وهو أخرس ولكنه على جانب في محبة الدين وأهله والولاء والبراء، وإبراهيم توفي قبل وفاته بثمان سنين، وله أحفاد صالحون منهم علي بن محمد من جملة الذين درسوا علينا.

وفيهما وفاة أمير البصر في منطقة القصيم محمد بن عبد الله بن سليمان بن محميد من قبيلة الخوالد ولد في (١٣٣٠هـ) وكانت وفاته في ٩ / ١٢ وذلك عن إثر سكتة قلبية تقدمها التهاب يسير بحيث كان مؤدياً لإحدى زوجاته إلى المستشفى بريدة، ولما رجع كان قد أحس من نفسه ملأ فطلب من ابنه الذي كان يقود السيارة به أن يقف عن السير وأخبره بما أصابه من التهاب، فطلب منه ابنه أن يأتيه بقارورة ببسي غير أنه رفض لأنه كان صائماً وآثر البقاء على الصوم وقال ليس في ما تشير إليه، وكان متكئاً على يده اليسرى في المرتبة غير أن الابن ذهب مسارعاً وأتى إليه بالماء المعقم ماء الصحة، فلما جاء به إذ قد غطى وجهه وشخص بصره وأسلم الروح إلى فاطرها فأخفى ابنه وفاته على عائلته من وقت العصر، ومالوا به إلى أحد أقربائه بحيث جهزوه وجعلوه في مسجد، ثم بعثوا إلى الجامع وإلى أقربائه فصلوا عليه بعد المغرب وذهبوا به إلى مثواه الأخير.

وفيهما حصلت فيضانات في الهند ذهب ضحيتها عشرات القرى وأنفس بشرية تعد بعشرات الألوف، وذلك في ١٣ / ٩ / ١٤٠٠هـ.

وفيهما في يوم الثلاثاء ١٠ / ٩ احتترت طائرة سعودية تقل ٣٠٣ راكباً من جهات مختلفة، وهذا لما أقلعت من مطار الرياض فما كان غير قليل حتى انفجر في وسطها احتراق قضى بتعطيل أبوابها، وبعدما رجع بها الكابتن إلى مطار الرياض وقد كلم الإسعافات وحضرت لذلك تعوق فتح أبوابها فقضى ذلك بهلاك جميع ركابها.

وفيهما تأسس نادي القصيم الأدبي في مدينة بريدة وتلقى نشاطاً ونهضة من أدباء الشباب، وخرج بعض المؤلفات وبعضاً من مطبوعات الأدب لما يحتوي عليه من الأدباء الناهضين بتلك البضاعة، وفيه نشاطات ثقافية وأدبية منها المحاضرات، فقد بلغت إلى شعبان من هذه السنة ثماناً وعشرين محاضرة أدبية وثقافية اشترك في إعدادها عدد من المثقفين وأساتذة الجامعات،

ومنها مطبوعات يقوم بها النادي بلغت في هذه السنة ١٧ كتاباً إلى غير ذلك، كما قد شهدت جميع الأندية في القصيم حركة ثقافية ورياضية وحقق المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالقصيم مسابقات منها مسابقة حفظ القرآن الكريم ومسابقة صحف الحائط، كما قامت الحكومة بإنشاء الأستاذ الرياضي الذي كلف مئات الملايين.

وفيها في أواخر جمادى الثانية هبت رياح شديدة على سائر القصيم، وذلك بعد المغرب من ليلة الجمعة ٢٨ من الشهر المذكور الموافق ١٠ نيسان - إبريل الحمل وسعد الأخبية بحيث توقفت السيارات عن مواصلة السير لشدة الغبار، والفترة التي لا تستطيع الأمة السير معها لما في ذلك من شدة الأخطار، وقد تأخرت الأمطار فلم تنزل إلا في آخر برج الحمل.

وفي هذه السنة قامت هيئة الإغاثة في رابطة العالم الإسلامي بجهود مكثفة لجمع المعونات لمساعدة اللاجئين التشاديين الذين تضرروا من الحرب الأهلية، وقد تبرع المحسن الكبير حسن عباس شربتلي بمبلغ مليون ريال تسلمتها هيئة الإغاثة، وألفين خيمة تم تأمينها وتجري ترتيبات شحنها للاجئين الذين يعيشون أسوأ الظروف في عدد من الدول المجاورة بينها السودان.

تطبيق أحكام الشريعة

إنه لا قول لأحد مع قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، حيث يقول: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، ثم أقسم لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ولما كان حكم الشريعة نافذاً على الشريف والوضيع فإن حكومة جلاله الملك تنفذ الأحكام الشرعية كما يقول تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ

وَلَوْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ أَوْ أَوْلَادِيْنَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴿١﴾ وإنها لمفخرة عظيمة، كما علّق على ذلك فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد في يوم الأربعاء ٨ جمادى الثانية من هذه السنة رداً على الحملات الإعلامية ضد الإسلام والمملكة، هذا ونحن نشير إلى ما قام به جلالة الملك خالد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن من تحكيم الشرع والتحاكم إليه، وفي هذه الأيام تتمتع المملكة السعودية بالرفاهية ورغد العيش تحت تدابير جلالته بأمن وطمأنينة، قال أحمد الغزاوي يمتدحه:

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| إمام الهدى بشراك إنك خالد | بما أنت تجبوه وما أنت تصلح |
| بك أزيّنت في الأخشين مشاعر | بها الحج ميسور وبها الرغد يمدح |
| بحيث اطمأنت بالحجيج مضاجع | وسالت بهم جمع وكبر أبطح |
| أجل شهدوا بين المحصب من منى | وفي عرفات كل ما ضاق يفسح |
| جبال ازيلت واستوت وتمهدت | ومن حولها أعتى الجسور تسلح |
| بها كل حزن عاد سهلاً معبداً | وفيهما دمء البدن لله تسفح |
| هم ها هنا الإسلام طرا بأسره | وكل امرئ منهم نجواك يشرح |
| أفاضوا وللنعمى عليهم سرادق | من الله والرضوان رحل مزحزح |
| وقد رجموا الخناس من كل جانب | فأطرق ولا يغوي ولا يتبجح |

وفيهما وقع حريق في نجران الكائن بجنوبي المملكة، وذلك في ثاني عشر شعبان، وهذا رابع حريق يقع بمنطقة نجران هذا العام، وقد التهمت النيران سبعة آلاف نخلة، واستمر منذ عشر سنوات من بدايته، وقد فرّ أهالي القرية يلجأون إلى قمم الجبال حتى اليوم الثاني من هذا الحريق الأخير خوفاً من النيران، وقد تقدم في السنة التي قبلها حرائق في مدينة الرياض وما أصيبت به منى في حريق الموسم عام (١٣٩٥هـ).

(١) سورة النساء، آية ١٣٥.

وفيها قام رئيس الجمهورية اللبنانية إلياس سركيس وأبلغ غسان تويني مندوب لبنان الدائم لدى الأمم المتحدة تفاصيل الاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة على الجنوب اللبناني، وطلبت الحكومة منه إجراء اتصالات عاجلة مع الدكتور كورت فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة ومع رئيس مجلس الأمن لإطلاعهما على هذه التفاصيل.

ومن ناحية ثانية اجتمع كامل الأسعد رئيس مجلس النواب اللبناني يوم ١٨ محرم من هذه السنة مع حليم فياض محافظ الجنوب في لبنان، وقد أبلغ المحافظ كامل الأسعد على الوضع في الجنوب، ومن جهة أخرى دعا رئيس مجلس النواب اللبناني أعضاء التكتل النيابي المستقل للاجتماع صباح يوم الحادي والعشرين من محرم لمتابعة مناقشة مقررات القمة العربية، ولكن الأمور تأزمت جداً في لبنان وعجزت الأمة عن حل القتال الكائن في لبنان.

وختمت هذه السنة بالنظر في أعمال الرئيس المصري أنور السادات في تصرفاته ضد الأمة العربية واتفاقية (كامب ديفيد) بحيث لم تقره ذوو العقول والآراء باعتبارها خروجاً عن الإجماع العربي، وقال عنها أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد بن علي الحركان أنها غير موافقة، وقال إن موضوع فتوى الأزهر قد عرضت على المجلس التأسيسي للرابطة في دورته التي عقدت، وأكد أن الضمير العام العالمي يجب أن يقف موقفاً حازماً لإعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وإعادة المقدسات إلى أهلها.

وقد عارض الملك حسين بن طلال ولم يرض اتفاقية (كامب ديفيد) وقطعت الحكومة السعودية علاقاتها الدبلوماسية والسياسية مع مصر، وذلك اعتباراً من اليوم السادس والعشرين من جمادى الأولى من السنة المتقدمة؛ لأن السادات دمج نفسه مع اليهود وخرج على الإجماع العربي، وعلى كل الموروثات والقرارات والتقاليد العربية والإسلامية.

ثم دخلت سنة (١٤٠١هـ)

ففيها في ١٣ صفر قام الشيخ عبد الله بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء في المملكة العربية السعودية بنصيحة ثمينة ودعا العراق وإيران إلى وقف نزيف الدماء بينهما والعودة إلى الكتاب والسنة النبوية في تحكيم خلافهما المتأزم.

وقال في حديث خاص بالجزيرة: لا شك أن من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن التعاون على البر والتقوى؛ لأنه يوجب على المسلمين إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وجماعات في دينهم ودنياهم، فجميع بني آدم لا تتم مصالحهم في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالتعاون والتناصر على جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم على كل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفسد والمضار عن أنفسهم.

كما نهاهم مؤكداً هذا الأمر بالنهي عن ضده وهو التعاون على الإثم والمعاصي وكل ما يعوق عن البر والخير من العدوان الذي يغري الناس بعضهم ببعض ويجعلهم أعداء متباغضين يتناحرون فيما بينهم ويتقاتلون بدون سبب بين يقتضي ذلك أن العراقيين والإيرانيين لو رجعوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم وحكمهما في كل شيء فاستراح نفوسهم واطمأنت ضمائرهم من هذه الحروب الطاحنة وسفك الدماء وتخريب الديار، وأشار بأنه لا يستفيد من ذلك إلا أعداء الإسلام، وأطال وحث على الاعتصام بحبل الله جميعاً، وأن لا يفرقوا وأورد الآية الشريفة ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾^(٢) وأفاد بأنه إذا ذهب الدين ضاعت الرئاسة وأن الدين

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٢) سورة الشورى، آية ١٠.

الإسلامي يأمر بالاجتماع والتكاتف، وأطال جداً ولكن هذه النصيحة ذهبت أدراج الرياح، وكانت صرخة بواذ خال من البشر بل صممت إيران على ما هي عليه من الحرب والتخريب وسفك الدماء، هدى الله الجميع.

وفيها في ١٤ محرم قام الملك خالد بن عبد العزيز بزيارة مطولة للمنطقة الشرقية استمرت عشرة أيام، وقد أعلن أمير المنطقة سمو الأمير عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي عن سروره البالغ بالزيارة، وقال: لقد تعودنا من جلالته القيام بمثل هذه الزيارات التي تحقق المزيد من الخير والرفاه إلى أبناء المنطقة. وقد أقام الأمير عبد المحسن حفل عشاء كبير على شرف صاحب الجلالة الملك خالد المعظم يوم الأحد ١٥ محرم دعا إليها الأهالي، وحضر لذلك الأمراء والأعيان وسائر الأمة، كما قام أهالي المنطقة الشرقية حفل عشاء يوم الأربعاء ١٨ محرم تكريماً لجلالته وتبارى الشعراء والخطباء بكلمات الترحيب والفرحة.

وقد قام الملك خالد خلال تلك الأيام بزيارة لمنطقة الجبيل الصناعية؛ حيث قام بافتتاح قاعدة الملك عبد العزيز البحرية، وقام بزيارة لمنطقة الإحساء، وقد توافد أمراء وشيوخ المنطقة الشرقية على مكتب أمير المنطقة الشرقية يعربون عن فرحتهم وسعادتهم بهذه الزيارة الميمونة التي قام بها الملك خالد بن عبد العزيز، وكانت قد أقيمت هناك الزينات وأقواس النصر في الميادين والشوارع الرئيسية ورفعت أعلام المملكة على البيوت والمباني هناك محتفظين بحله وترحاله.

ذكر زيارة الملك للقصيم سنة (١٤٠١هـ)

كان سمو أمير القصيم قد طلب من الملك خالد في آخر السنة الماضية زيارته للمنطقة، فواعدهم بالزيارة في أوائل هذه السنة، ولما أن كان في أواخر شهر محرم قام أهالي القصيم يستعدون بالزينات وأقواس النصر، ونصبت الدراويز والأعلام في طريقه من الرياض وما يتخلل الطريق مثل جلاجل حيث كان يمر بسدير فالجمعة فالفاظ والزلفى فالسمانية فالروضة وامتدت تلك الأقواس والزينات من

الرياض إلى بريدة ومن بلد المذنب إلى مدين حائل حتى قالت إحدى الجرائد أن مدينة بريدة نصبت ستة آلاف قوس، وهذه الأقواس كان الواحد منها عبارة عن دروازة أقيمت من الحديد أو الخشب المربع والبلاكاش وأعلاها من الديكور، وقد تكلف بعضها بتكاليف باهظة بحيث بلغت تكاليف واحدة منها بثمانين ألف ريال منظمة بالزينات ولمبات الكهرباء والأعلام السعودية.

ولما أن سار عاهل المملكة من العاصمة الرياض كان لا يمر بقرية أو مدينة في الطريق إلا وقد اصطفت له رجالها وأشباهها وأطفالها، وما زال يدخل من بين تلك الزينات وقد وقفت الأمة يُمَنة الخط ويسرته حتى بلغ المستوى حيث وقفت طلاب مدارس القصيم يهزجون بكلمات الترحيب واشترك الآباء والأبناء تصفق الأمة وترحب بجلالة الملك وهو يسير بموكبه العظيم.

حتى وصل إلى مدينة بريدة عاصمة القصيم وقت أذان المغرب من يوم السبت ٢٠ صفر الخير فاستمرّ سائراً إلى قصر الإمارة في الصفراء شمالي مدينة بريدة مجتازاً بتلك الأقواس المزخرفة بالألوان والزينات واللمبات الكهربائية المنضدة، فجلس للاستراحة في القصر واستقبله الأعيان فيه وعلى رأسهم سمو أمير المنطقة.

ولما كان من الغد الموافق ليوم الأحد اجتمعت الأمة في موضع الاحتفال المسمى ميدان الملك خالد، وقد حضرت الخاصة من الأمراء والأعيان بدعوات وجهت إليهم وازدلفت سائر الأمة بذلك الصالون الكبير المنضود بالكراسي على اختلاف أنواعها، فوقف للسلام وكانت الأمة منهم من يصافح ومنهم من يبدي التقبل وهو يتقبل تلك التحايا بترحاب وبشر وسرور.

وقد أقام الأمير عبد الإله مائدة الغداء وكانت فخمة جداً بحيث بلغت تكاليفها مليون ريال دُعي إليها سائر أهالي القصيم، وتقدم الخطباء والشعراء يلقون الخطب والقصائد العربية والنبطية وفرقة الاستعراض تهزج بأناشيدها قد رفعت السيوف مجردة من أغمادها، وكان يتلقى ذلك بصدر رحب وتواضع حتى أذان صلاة

الظهر، وقد ذهب إلى تشريف بيت القاضي للسلام عليه وتقدير العلم، ثم إلى بيت كبير أسرة آل مشيقح؛ حيث أقعده الكبر والعجز عن السير إلى موضع الاحتفال، وكان موكبه العظيم يسير على فرش الزوالي تطوُّها السيارات بعجلاتها تقديراً واحتشاماً، ثم إنه عاد بعد صلاة الظهر إلى صالون الضيافة ووليمة الغداء التي أقيمت على شرفه، وبعد صلاة العصر سار موكبه إلى مدينة عنيزة؛ حيث قام أميرها والأهالي بدعوة لجلالته ورجع مع غروب الشمس إلى مدينة بريدة لتناول طعام العشاء في قصر الإمارة، ومن الغد استراح وبعث أخوته أصحاب السمو ولي العهد فهد بن عبد العزيز والنائب الثاني عبد الله بن عبد العزيز وسلمان وعبدالمجيد إلى احتفالات مدن القصيم، الرس والبكيرية ورياض الخبراء والخبراء والهلالية والبدايع والشنانة والأسياح والمذنب، ثم ذهب بنفسه بعد صلاة العصر من يوم الاثنين لافتتاح صوامع الغلال الكائنة خلف الشقتين.

وفي صباح يوم الثلاثاء سار لدعوة مدير مالية مدينة بريدة سابقاً حمد بن عبدالمحسن التويجري.

ثم سار موكبه إلى مدينة حائل ماراً بالدغمانيات ومدرج وشري والأجفر والعظيم، حتى قدم مدينة حائل؛ حيث كان في استقباله سمو الأمير مقرن بن عبد العزيز وأهالي حائل وما يليها مستعدين بالزيينات والأفراح فلبث فيها يوم الأربعاء، وسار في الساعة السادسة قبل الظهر من يوم الخميس على متن الطائرات بموكبه إلى الرياض.

وقد شاهدت من مكارم أخلاقه وتواضعه ورجولته أمراً عالياً شريفاً، فكنت لما أن سلمت عليه طلب التعرف بي وأن أهديه شيئاً من مؤلفاتنا فأجبت به بكامل الممنونية والاحتراف، وبعث إليّ الخادم ابن سويلم يستحثني على جلبها إليه سريعاً فسألت الخادم هل أجده آخر ذلك النهار فقال: أنه بعدما يتناول طعام الغداء سيذهب إلى عنيزة ثم يرجع فيصلني صلاة المغرب ببريدة، فأمرت أحد أنجالي أن يحملها وتحينت مجيئه.

فلما رجع بعد غروب الشمس ودخل قصر الإمارة في الصفراء كنا في انتظاره حتى خرج بعد تناول طعام العشاء عن يمينه النائب الثاني سمو الأمير عبد الله وعن يساره زعيم مدينة بريدة عبد العزيز بن فهد الرشودي، فتناول بيده الكريمة من تاريخنا أربعة أجزاء وكتاب عقود اللؤلؤ والمرجان فطلب مثلها لأخيه عبد الله فكان من حسن الحظ أن كان معنا نسخة أخرى من التاريخ أربعة أجزاء ونسخة من العقود سلمتها للنائب الثاني ورئيس الحرس، وكنت لا أنساها حينما كان القصر مزدحماً جداً ورئيس الحرس الملكي عبد الله البصيلي آخذاً بيدي ويفسح الناس عن طريقي ويقدمنا إليه، كان رئيس الحرس الوطني عبد الله بن عبد العزيز تناولها شاكراً.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

أحمد بن إبراهيم الغزاوي شاعر جلالة الملك، هذه ترجمته: هو الشاعر المنطيق اللسن المقول ذو الصوت العالي الذي ملأ شعره الصحف والمجلات والجرائد أحمد بن إبراهيم بن علي بن سليمان الغزاوي نسبة إلى غزة بفلسطين؛ لأن جدهم الثامن هاجر من غزة إلى مكة المكرمة مفضلاً لها بالسكنى، إما مجاوراً أو لطلب العلم أو للتجارة على اختلاف في ذلك، فاشتهرت الأسرة بذلك وأصبحت أسرة من أكبر الأسر في مكة المكرمة، اشتغل بعضهم بالتجارة وبعضهم في طلب العلم، وكان منهم كتاتيب في مكة المكرمة افتتحوا مدارس.

أما عن المترجم فقد ولد عام (١٣١٨هـ) في مطلع القرن العشرين في شهر ربيع الأول في بيت والده الكائن في شارع الدعوجي في حارة سويقة من مكة المكرمة، ولقي عناية من والديه لأنه كان الابن الوحيد لهما بحيث كان له سبع أخوات، وكانت والدته تسمى بدرية بنت عبد الرحمن السند عاجلتها الوفاة وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، فكان موضع الحنو من أبيه فنشأ في حضن والده الذي يجيد القراءة والكتابة ويعمل بالتجارة في قاعة الشفاء، وكان يصحب والده في جميع

تقلباته ويعيش من بين زملائه من أطفال مكة في الدراسة على الكتاب لتعلم القرآن والكتابة والإملاء ويمارسون الألعاب كحالة الأطفال في تسلق الأشجار والقفز فوق التلال ونحو ذلك.

وقد رباه والده أحسن تربية، ولما أن بلغ من العمر سن العشرين توفي والده في ٦ صفر عام (١٣٣٦هـ)، وقد تنقل المترجم وعاش البادية لأن مكة إذ ذاك كانت مدينة صغيرة، ثم التحق بالمدرسة الصولتية وكانت تلك المدرسة لها اعتناء باللغة العربية والعلوم الشرعية، ثم بعد تخرجه منها التحق بمدرسة الفلاح التي يقوم عليها محمد زينل ثم أنه أخذ عن جملة من العلماء منهم الشيخ عبد الوهاب نائب الحرم المكي من أئمة الشریف، وأخذ عن الشيخ حسين الحبشي، وأخذ عن الشيخ صالح شطا، وأخذ عن الشيخ عبد الله سراج قاضي القضاة في عهد الشریف حسين ولازمه، وأخذ عن الشيخ حسن باسلامة الحضرمي صاحب المؤلفات، وأخذ عن الشيخ عبد الله السناري حمدوه، وعن الشيخ إبراهيم فودة، وعن الشيخ محمد بن سليمان حسب الله.

أما علاقته بالملوك فكان على اتصال مع الحسين بن علي الشریف حينما قام بثورته على الأتراك وامتدحه لأنه تعرف إليه عن طريق رئيس القضاة إذ ذاك عبدالله سراج فقال يمتدح الحسين:

إن الحسين ملك العرب منقذهم من سد مأرب حتى نهر زوراء
قد خصه ربه فاختره ملكاً لخير شعب بإجماع وإيجاء
ولما أن توحدت البلاد تحت قيادة صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز، خرج إلى الهند، ولكنه سرعان ما عاد واتصل بالملك عبد العزيز وامتدحه بقصائد عظيمة وصحبه وشهد المشاهد الوطنية واللقاءات الفكرية والمؤتمرات الإسلامية إلى أن توفاه الله تعالى.

ثم استمرت صلته بالملك سعود وظلّ وثيق الصلة به وامتدحه بقصائد حمة،

أضف إلى ذلك أن له روابط وثيقة وإخلاصاً لنائب الملك فيصل حينما كان أميراً في الحجاز ومحافظة على الوداد لرؤساء المملكة السعودية لما أظفروهم الله تعالى ومكنهم لذلك نجد ديوانه مملوءاً بمدحهم. كما أنه نال ثقة من الملك فيصل لما ولاه الله تعالى ونال أيضاً منزلة عالية لدى الملك خالد بن عبد العزيز رحمهم الله تعالى وأسبغ عليهم من رحمته وإبلاً مدراراً. وإنها لأيام قضائها في رضاء أولئك الملوك وامتدح ولي العهد فهد بن عبد العزيز وله صلة بسائر أمراء آل سعود وكان شعره جزلاً كوقع الصواعق، غير أن غالبه في المديح ولم يتظاهر بالهجاء، فمن مدائحه قوله لما لم يحج عاهل الجزيرة الملك عبد العزيز عام (١٣٦٠هـ) ثم سافر النائب فيصل في ٢٨ محرم فقال هذه القصيدة في حفلة توديعه:

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| يغالبنا فيك الهوى ونغالبه | فطوراً له العتبى وطوراً نعاتبه |
| أباحق أن نلقى الذي لا نطيقه | عشية هذا البعد تطوى سبابه |
| أباحق نعمى بسهمين عن يد | فراق المفدى ثم يتلوه نائبه |
| سنحمل أعباء البعاد ثقيلة | وفيك لعمر الله تضنى متاعبه |
| وهل أبصرت عين بغير سوادها | وهل هو إلا حيث أنت تراقبه |

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ولم تزل في كل قلب وناظر | وإن رفرفت أحناؤه وهوادبه |
| سل البيت عما قلت لو كان ناطقاً | أجاب وحسي أن يعبر حاجبه |
| رعى الله نجداً إنها في بروجها | سماء هدى تغشى الحجاز كواكبه |
| بلاد تود الأرض طراً لو أنها | من المجد فيها حيث نيطت مضاربه |
| إذا سطعت شمس النهار وخلالها | فكل شعاع من سناها مساربه |
| تطل بها الأقمار من كل مطلع | وتزهو بها أجابه وملاعبه |
| وتختال في أرباضها أسد الشرى | حراساً على العهد الذي عاد ذاهبه |
| ثقة مذاويد ترى الصدق دأبهم | إذا سخرت من ذي الأمانى كواذبه |

أضاءت أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فيا ابن الذي لا الشعر يحسن وصفه ولا الشر إلا ما بته قواضيه
حنانيك إننا في وداعك أمة يجاذبها فيك النوى وتجاذبه
ولو ملكت فيك الخيار لسابقت إليك مع الأرياح خطوا توابه
على أننا والوجد يصلي قلوبنا لنرضى بما ترضى وما أنت راغبه
ومهما أطعنا ما أمرت فإننا لنعصي فراقاً عنك تسجو غياهبه
فإن نحن سامرنا النجوم تعلقة إليك فإن الشوق صعب مراكيه
وأن لنا يوم اللقاء لفيعه يكاد لها صدري تطير ترائبه
فسر في أمان الله وأقرئ سلامنا إلى ملك نغفر من العدل نهجه
إلى ملك نغفر من العدل نهجه نبادل به الإحسان بالشكر خالصاً
ونفديه بالأرواح غيماً ومشهداً ونفنى ليقى والسعود مآربه
مأرب لم يبرح بها التاج زاهياً على الأفق الأعلى تراءى مناكيه
بألحانها تشدو وتهزج في الورى وتهتز من شجوبهن كتائبه
وأبلغ ولي العهد خير تحية هي الطل يستهو النواظر ذائبه

إلى آخرها وهي حسنة في بابها قوية في موضوعها ومن شعره قصيدة في الملك
عبد العزيز ألقاها في ١١ ذي الحجة تهنئة له بالعيد عام (١٣٦٥هـ).

بك العيد نحيًا حيث تبدو عوائده ومنك معانيه وفيك قواصده
إذ الوفد ألقى في بساطك نظرة تراءى له المجد الذي أنت ماجده
حقيق بك الإعجاب إنك أمة وإنك شعب بين برديك ماجده
فماذا تروني أستطيع من الشا على ملك تقى الشاء محامده
على ملك آمنت بالله أنه هو الفلك الدوار وأنت مشاهده

من الخلفاء الراشدين في سبيله
 ومن محكم الفرقان لآل جانبه
 به إلتأم الشمل الشتيت وأقبلت
 وفيه التقى الإسلام من كل جانب
 محى بالحسام العضب كل ضلالة
 وشيد بالتوحيد أركان عرشه
 وتلك بيوت الله تشهد أنه
 على أنه والشكر لله عاهل
 وما أنا في حيي له اليوم واحد
 ألا أيها الجمع الملبون وقفه
 نقلب فيها الذكريات لعلنا
 هو الحج إلا أنه في افتراضه
 وما هو ذخر المرء يوم معاده
 فكيف وهذا الأمن ضاف رواقه
 وكائن ترى من هاجع تحت أيكه
 تحدى مع التفريط من هو سارق
 فمن شاطئ الإحساء شرقاً ومغرباً
 تروح وتغدو الموقرات لطائماً
 فلا شبح الإجرام يلوح طيفه
 له الويل مغترأ إذا ابتز كاسياً
 حدود أقيمت ليس هوادة
 وما من شفيح في قصاص ولا هوى
 بذلك لا بالبطش من غير ما هدى

وفي الباقيات الصالحات فراقده
 ومن سنة الهادي البشير معاقده
 حظوظ وردت في العدو مكائده
 وعزت به أخلاقه وعقائده
 عن الدين حتى هادنته طرائده
 وفي العلم راجت من نداء معاهده
 له عمرت في كل ربع مساجده
 يفوز مواليه ويخزي معانده
 ولكنما الدنيا جميعاً تعاضده
 بها ينطق الأضحى وينصت وافده
 بذلك نقضي حقه ونعاوده
 من الله فضل ليس تحصي فوائده
 فحسب ولكن كل ما سر واجده
 على كل فج أين سالت روافده
 وآخر بين الأخشين الذي هو فاقده
 ولكنه الشخص الذي هو فاقده
 إلى البحر حيث الفلك تأوي قواعده
 من الجوهر المكنون تفري فوائده
 ولا الطمع الخداع ينقض مارده
 ولو لبس الليل الذي هو وائده
 ولا حكم إلا الشرع تذر حصائده
 إذا ما استحق السيف من هو جالده
 ولا بالتواني طوقتنا قلائده

هو الطائع البر الحليم وكلنا له ولد بشرى الذي هو والده
وأما إذا ما المشكلات تأزمت وفاضت كؤوس الشر واغتر عامده
فما هي إلا لمحة ثم خطفة ويا بؤس من دوت عليه رواعده
كأن نزاراً قبضة في يمينه أستم معي فيما أرى وأشاهده
لك الظفر الموعود والمركب الذي يموت ويحيا في تمنيه حاسده
وجدت بياني فيك أسهل مرتقى ومن لي بالشعر الذي أنت رائده
فعش هائئاً في كل عيد وموسم وآل سعود ما أتقى الله عابده

هذه نماذج من شعره وله مرثي قالها في الأعيان، وله مجاوبات مع الأدباء الذين
منهم عبد الله بن محمد بن خميس، ومحمد بن بليهد وأحمد العربي وغيرهم، ويعتبر
من فحول الشعراء الذين كانوا في القرن الرابع عشر الهجري كالشيخ سليمان بن
سحمان ومحمد بن عبد الله بن عثيمين، والزركلي والشاعر محمد بن بليهد، وقد
بلغ ديوانه ثلاث مجلدات ضخام.

أما عن الوظائف التي نالها فقد ظل في خدمة الملك حسين بن علي كاتباً في
ديوان رئيس قضاته، ونال ثقة منهم ثم جعله الملك عبد العزيز في تلك الوظيفة.
لدى رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، ثم جعله محرراً للجريدة أم
القرى بعدما حول اسمها من جريدة القبلة إلى هذه التسمية ثم محرراً لصوت
الحجاز، ثم كان نائب رئيس مجلس الشورى ومنحه الملك سعود بن عبد العزيز
مرتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى رسمياً تقديراً لجهوده، وجعله ملك فيصل
حال كونه نائباً لجلالة الملك في مقدمة المرشحين لما توفي رئيس صالح شطا لأن
يكون نائب الرئيس، واستمر في تلك الوظيفة حتى توفي.

ولما أن كان في عام (١٣٨٠هـ) جفاه زمانه بموت أحبابه وزواج بنتيه، وكان لم
يوهب له ذكور ولم يبق لديه في البيت سوى زوجته التي توفيت بعد ذلك، فعاش
سنيه الأخيرة وقد شعر بتقدم السن، ولم يتزوج وضاق ذرعاً بهذه الضائقة بحيث

أصبح وحيداً عاجزاً وأقعده الهم والكآبة في بيته وأثر ذلك على قواه وتشاغل عنه أقرباؤه وأصيب بمرض المفاصل ولم يثن عزمه ذلك، بل استمر يكتب حتى عجز وتوفاه الله تعالى ولديه ثروة طائلة ولكنها لم تغن عنه شيئاً فوفاه أجله المحتوم في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة الأحد ٢٢ جمادى الآخرة من هذه السنة، فغسل وكفن وصلي عليه في الحرم الشريف وحضر جنازته جم غفير وجمع كثير من العلماء والوجهاء والأدباء ودفن في مقبرة المعلاة في مكة المكرمة رحمه الله وعفا عنه.

اغتيال رئيس جمهورية مصر

لما كان في ظهر يوم التروية ٨ / ١٢ / ١٤٠١ هـ يوم الثلاثاء ٦ أكتوبر (١٩٨١م) كان الرئيس أنور السادات قد ارتدى ملابسه الرسمية واعتلى على المنصة أثناء حضوره عرضاً عسكرياً بمناسبة الذكرى الثامنة لحرب أكتوبر، فتقدم ضابطان وأربعة جنود في عربة وهاجموه بالقنابل والرشاشات، فأصيب بخمس رصاصات قضت عليه فقد أصيب فخذ الأيسر و صدره ورقبته وساقه وذراعه، وكانت الدماء تسيل من فمه، ثم حمل إلى المستشفى لإنقاذ حياته، ورغم الجهود التي بذلها عشرة أطباء أخصائيين استماتوا في العلاج فإن روحه قد فاضت في الساعة الثانية تزيد ٤٠ دقيقة من بعد ظهر اليوم الثامن من شهر ذي الحجة في مستشفى المعادي بالقاهرة.

كان قد أسفر الهجوم عن سقوط عدد كبير من الضحايا المحيطين بالرئيس في المنصة الرئيسية منهم سكرتيه الخاص وسفير بلجيكا ووزير الدفاع المصري الفريق أبو غزالة وثلاثة ضباط أمريكيين وكان الحادث قد وقع في الوقت الذي وصلت فيه سيارات جيب تعلقوها صواريخ مضادة للدبابات أمام المنصة الرئيسية، وكان أولئك المهاجمون جاؤا في سيارة نقل وقفت أمام المنصة، ثم خرج منها أعضاء المجموعة المهاجمة وألقوا قبلة يدوية في اتجاه السادات، وأطلق بعض الجنود الواقفين وراء

السيارة الرصاص على المنصة وقد رد حرس الرئيس على هذه الطلقات، ثم سقط عدد من الأشخاص داخل المنصة وأصيب المشاهدون بحالة ذعر ودبت الفوضى واختل العرض العسكري وسارت السيارات المدرعة وسيارات الجيب في كل اتجاه محدثة دويًا عنيفاً، وقد قتل ثلاثة من المهاجمين شقاً بعدما استمر التحقيق إلى آخر جمادى الثانية من هذه السنة.

أما رئيس العصاة إسلامبولي وآخر معه فقد قتلوا بالرصاص بعدما ألقى القبض على رئيس المجموعة، وقد تيقن المحققون أن أسلحة الجناة مهربة من الجيش، ثم أعلن في الحال تعيين الدكتور صدقي أبو طالب رئيساً مؤقتاً وقرر الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم ترشيح حسني مبارك في منصب رئيس الجمهورية وقد وافق يوم اغتيال الرئيس مع التاريخ الذي اختاره ليقوم بزيارته المشؤومة والتقاءه بزعماء الكيان الصهيوني، فهل اختاره مدبرو الاغتيال لتنفيذ عملياتهم أم أنها كانت مجرد مصادفة، وقد قيل أن الحادث نجم عن الاستياء في صفوف الجيش المصري وعن التأثير المتعاظم للإخوان المسلمين المعارضين لاتفاقية الصلح مع إسرائيل، وكان السادات قد شن في الفترة الأخيرة حملة قمع واسعة ضد المعارضة الدينية والوطنية في مصر شملت أكثر من ١٥٠٠ شخص، هذا وقد أعلنت مصر الحداد أربعين يوماً حزناً على وفاة السادات، ونكس العلم المصري فوق مبنى مجلس الشعب مساء يوم الثلاثاء بدءاً بإعلان الحداد الرسمي ولا ريب أن صلحه المشؤوم مع اليهود قد جرّ عليه شراً كبيراً في سمعته وآخر شيء اغتياله.

وفيها في ٢ ربيع أول طالب أربعمئة من كبار رجال الدين في أمريكا بتخفيض المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة للكيان الصهيوني بسبب انتهاكه لحقوق الإنسان، واتهم رجال الدين في بيان لهم أصدروه في ليلة ١ ربيع أول سلموا نسخاً منه إلى الرئيس الأمريكي جيمي كارتر والرئيس المنتخب رونالد ريغان والمسؤولين الأمريكيين وسفارة العدو الصهيوني اتهموا الكيان الصهيوني بانتهاك مبادئ إعلان

الأمم المتحدة الخاص بحقوق الإنسان في الضفة الغربية وقطاع غزة وتعذيب السكان ومصادرة أموالهم وتدمير منازلهم واعتقالهم بشكل تعسفي وتطبيق العقوبات الجماعية عليهم وكانت سلطات العدو الصهيوني قد أنكرت تلك التهم خشية توقف المساعدات الأمريكية.

وكان الكونغرس الأمريكي قد حظر المساعدات الاقتصادية على أي بلد تنتهك حقوق الإنسان وأعلنت المجموعة العربية بأنها ستضغط على مجلس الأمن لتنفيذ قرار عودة فهد القواسمة ومحمد ملحم العمدين وغيرهما المطرودين من ديارهم وكانت حكومة اليهود قد أبعدتهما إلى بيروت صباح ٢٨ محرم من هذه السنة وهذه المرة الثانية يبعدان عن وطنهما فلسطين.

وفي هذه السنة بلغت ميزانية البلديات والقرويات لعام ١٤٠٠/١٤٠١ هـ بليوناً وستمائة وواحد وأربعين مليوناً وستمائة ألف واثنين وخمسين ألف ريال.

كما أن من ثمرات التأكيد على مجلس الأمن أن رجع العمدتان المبعدان إلى عمان في سابع ربيع الثاني من هذه السنة.

وفي هذه السنة نزل ثلج عظيم على كابول بحيث غطى المنازل والسكان قاموا قابعين خلف المدافئ يطردون البرد القارس ليتخلصوا من هذه الورطة التي سموها ضربة كابول.

وفيها قدم قادة المسلمين إلى مكة المكرمة لمجلس القمة الثالث المعقود فيها للتفاوض في هذا المؤتمر لنبد الخلافات وتصفيها.

مؤتمر مكة المكرمة عام (١٤٠١ هـ)

لما كان في الساعة الرابعة و٢٥ من عصر يوم التاسع عشر ربيع الأول بدأ تحرك ملوك العرب ورؤساء الدول الإسلامية يتوافدون إلى المسجد الحرام، وكان أول موكب يصل إلى مدخل الحرم المكي الشريف موكب رئيس جمهورية جزر القمر

أحمد عبد الله عبد الرحمن ثم الدكتور محاضر محمد نايب نائب رئيس وزراء ماليزيا ورئيس وفد بلاده إلى القمة الإسلامية، كما قدم الرئيس علي ناصر محمد رئيس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ورئيس جمهورية تشاد جوكوني عويدي وفخامة الرئيس ضياء الرحمن رئيس جمهورية بنغلاديش فسمو الشيخ عيسى بن سلمان الخليفة أمير دولة البحرين ورئيس جمهورية الصومال محمد سياد بري رئيس جمهورية غينيا الثورية فدولة ممثل رئيس جمهورية غينيا سمبا الأمين مانيه عضو مجلس الثورة والرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف ورئيس جمهورية جامبيا رئيس جمهورية السودان جعفر نميري رئيس وزراء تركيا وخليفة بن حمد أمير قطر فملك الأردن حسين بن طلال فالسلطان قابوس بن سعيد سلطان عُمان رئيس وزراء موريتانيا رئيس جمهورية السنغال عبد ديوف والرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق وأمير دولة الكويت جابر الأحمد ورئيس جمهورية جيبوتي، ورئيس جمهورية الجابون ونائب الرئيس الإندونيسي وشفيق الوزان رئيس وزراء لبنان وياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لتحرير الفلسطينية ورئيس الجمهورية الجزائرية الشاذلي بن جديد ورئيس الجمهورية العربية اليمنية علي عبد الله صالح وفخامة رئيس الجمهورية السورية حافظ الأسد فالرئيس العراقي صدام حسين فالملك الحسن الثاني عاهل المغرب فسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الإمارات العربية المتحدة فالرئيس حسين كونشي.

وقد افتتح خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبد العزيز اجتماع قادة الأمة الإسلامية بهذا الدعاء اللهم انصر الإسلام والمسلمين واجمع على الحق كلمتهم وأيدهم بنصر من عندك إنك سميع مجيب، وجعل يردد هذا الدعاء ويبكي وقد تحشرج صوته ثم نودي لصلاة المغرب وقد فرغ الرؤساء من طواف العمرة صلى بالمسلمين خطيب الحرم الشريف وإمامه الشيخ عبد الله الخليفة ثم أنه ألقى بين الأمة لما رأى ذلك الاجتماع والحضور من الرؤساء دعاء جعل يتلوه وهو

واقف ويحشر صدره بالبكاء وقد يتوقف غير مرة بالبكاء والحشجة بحيث بكى الملك خالد بن عبد العزيز وبكى الرؤساء والملوك وذرفت أعينهم بالدموع، وهذا دعاء الخليفة: (اللهم رب البيت العتيق وفق ولاية أمور المسلمين لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، وكان يتوقف صوته عن الدعاء من شدة البكاء، وتأثر قادة العالم الإسلامي المجتمعين في ذلك المكان الطاهر ثم يعود إلى الدعاء والمسلمون يكون فيقول اللهم رب هذا البيت العتيق وفق ولاية أمور المسلمين لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين اللهم وفقهم لما فيه الخير والفلاح واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين وانصرهم على عدوك وعدوهم واجعلهم ولاية مهتدين.

اللهم إنك أنت أرحم الراحمين اللهم إنك أنت الحق المبين اللهم اهدهم اللهم أسألك أن تأخذ بأيدي ولاية أمور المسلمين وقادتهم إلى كل ما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، اللهم إليك أشكو ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس وأنت أرحم الراحمين وأنت رب العالمين إلى من تكلنا إلى عدو يتجهمنا أم إلى قريب ملكته أمرنا إن لم تكن غضباناً علينا فلا نبالي غير أننا في يدك فاعفر لنا نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلحت عليه أمور الدنيا والآخر أن ينزل بنا غضبك أو يحل بنا سخطك، لك الحسنی حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم أعن بالصلاح والتوفيق رعايا المسلمين وولاتهم وكثر أنصارهم وأصلح حكامهم وعلماءهم وأمرأهم وقضاتهم واجعلهم هداة مهتدين يا رب العالمين، اللهم ومن أراد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه واجعل كيده في نحره واجعل تدميره في تدبيره يا سميع الدعاء، اللهم أعز الإسلام والمسلمين اللهم أعز الإسلام والمسلمين اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين وانصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين اللهم وفق ولاية أمور المسلمين للعمل بما يرضيك وحقق على أيديهم كل ما نرجوه من مجد وعز وسؤدد ونصر للإسلام وأهله اللهم أيدهم بتأييدك وسددهم بتسديدك واجعل التوفيق حليفهم، اللهم بك

نتنصر فانصرنا، وعليك نتوكل فلا تكلنا إلى أنفسنا وإياك نسأل فلا تخيننا ومن فضلك نرغب فلا تحرمنا اللهم اجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم دمر اليهود وجميع المفسدين واشدد وطأتك عليهم وخالف بين كلمتهم وطهر بيتك الأقصى المقدس منهم يا رب العالمين، إلهنا لقد أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالإجابة فقلنا يا أعز من قائل: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) فأليك يا ربنا ولينا وجوهنا ومددنا أكفنا أمام بيتك العتيق فبرحمتك استجب دعاءنا وبلغنا آمالنا ولا تقطع منك رجاءنا واكفنا شر أعدائنا يا واسع المغفرة، اللهم يا دافع النقم ويا نور المستوحشين في الظلم يا ارحم الراحمين استجب دعاءنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وصل الله على سيد المرسلين وإمام المتقين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته والتابعين والحمد لله رب العالمين).

وقد شارك في استقبال قادة الأمة الإسلامية عند مدخل الحرم المكي الشريف إلى جانب جلالة الملك كل من صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني وصاحب السمو سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران وبقية الأمراء الكرام متعب بن عبد العزيز وطلال بن عبد العزيز وبد بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني ونايف بن عبد العزيز وزير الداخلية وفواز بن عبد العزيز وماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة وسعود بن عبد المحسن نائب أمير مكة والشيخ سليمان بن عبيد الرئيس العام للإشراف الديني وطه الشبيبي سادن بيت الله والحبيب الشطي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي وعبد القادر كوشك أمين العاصمة المقدسة،

(١) سورة غافر، آية ٦٠.

ثم خرج الرؤساء الوافدون إلى الطائف يتبادلون الآراء ويدرسون المواضيع نسأل الله تعالى أن يحقق مآل المسلمين ويسدد رميهم وينصرهم على أعدائهم.

وفيها نزلت أمطار في الوسمي توالى نزولها في القصيم وهطلت أيضاً أمطار على بلدة حائل وما يليها فازدهرت الأرض وعم الكلاً والعشب الكثير وكثر الأقط والسمن والكمأة وخرجت الأمة في أيام الربيع بخيام وأدباش إلى الخلوات يستمتعون بالهواء الطلق وليروحوا عن أنفسهم في تلك الرياض الياقة.

وفيها في ١٦/٩ بينما الأمة تسعى في الصلح وتسكين الثارات قامت إسرائيل وضربت لبنان فهدمت جسوراً وأعدمت أرواحاً فثارت لذلك ثورة العرب وقدموا احتجاجهم إلى مجلس الأمن وقام رئيس الجمهورية اللبنانية بتقديم شكاية إلى مجلس الأمن، ومع ذلك فإن الأمم المتحدة لم تقم بالواجب نحو إسرائيل، إنما أظهرت أسفها لأفعال اليهود وما أكثر ما يقدم إلى مجلس الأمن من الشكايات المحزنة ولكنها صيحة في واد خلي من البشر.

وسياتي في التي بعدها ما أقدمت عليه اليهود في لبنان بحيث هدمت القرى وأبادت جزءاً من السكان بحيث لم تر لها رادعاً، وقد تأثر صاحب الجلالة خالد بن عبد العزيز ملك المملكة السعودية لهذه الأعمال الوحشية التي لا يقرها الشرع ولا الذوق ولا الفطرة، وقد تخرجت الأمور وساءت الأحوال في بيروت ولبنان فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفيها في ليلة ٢٤/٩ أصيبت باكستان بسيول وأمطار اجتاحت مائتي قرية.

وفيها ثارت براكين من جبل بشمال غرب الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث دفنت البراكين والحمم أعداداً هائلة من السيارات والمنازل وأفسدت مزارع واسعة بنشاطاتها المستمرة وكان الرماد قد سقط على مدى كيلوين متر مكعب على المزارع والغابات في واشنطن والولايات المحيطة بها وبعض مناطق واشنطن الشرقية ذاتها استقبلت ٣٠٠ طن من الرماد البركاني بحيث قدرت الخسارة الناجمة عن ذاك

بجوالي مائة وواحد وستين بليون دولار وربع على المحاصيل الزراعية وخاصة الفواكه والحبوب الغذائية والبطاطس والخضراوات علاوة على خسارة في المتوجات الحيوانية بمائتين وسبعين مليون دولار ووقعت خسائر في الخوخ والشمش وغيرها تقدر بعشرات الملايين وسقطت ثمار قبل نضجها من جراء ذلك الرماد.

معرض الكتاب

معرض الكتاب الدولي بالرياض اشتركت فيه أربعمئة دار نشر وأوجد ١٢ ألف عنوان كتاب وقد أوجد العام الماضي ٢٥ ألف كتاب، وقد استمرت هذه المعارض في البلاد الأخرى فكل مكتبة تقدم كتبها للبيع وتلقى رواجاً من الحاضرين، وقد افتتح معرض الكتاب لهذا العام يوم ٢٤ ربيع الآخر واستمر عشرة أيام بعدما بدأت عمادة المكتبات ترتيبات إقامة معرض الرياض.

وفيها وقع زلزال في جنوب إيطاليا بلغ عدد ضحاياه إلى (٧٦٧١) شخصاً ما بين قتل وجريح وبالغ عمال الإنقاذ إلى أن عدد الضحايا يزيد عن ذلك.

أعمال بريجينيف تغلغل روسيا في أفغانستان وغزوها يحدث سوء نياتها وأنها تستعمل سوريا للعبور إلى الشرق الأوسط، فقد اتهمت الصين حكومة الاتحاد السوفيتي بأنه يرغب في تحويل سوريا مستقبلاً إلى مصير لها للوصول إلى الشرق الأوسط حتى تتمكن من التدخل في شؤون المنطقة انطلاقاً من هذا البلد، هكذا نشرته جريدة الجزيرة في عددها ٣٠٥٧ / ٢١ صفر من هذه السنة بمعناه.

استدراك ذكرنا مؤتمر مكة المكرمة وكان البعث له هو التهديدات التي يتعرض لها العالم الإسلامي، فتحتم عقد قمة مكة المتقدم، وكان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في المملكة محمد بن علي الحركان قد أكد على أن استجابة رؤساء

المسلمين وملوكها ليدل على تماسك الأمة الإسلامية وتضامنها وأضاف أن التهديدات التي يتعرض لها العالم الإسلامي اليوم وخاصة العدوان العسكري على أفغانستان تحتم عقد مؤتمر القمة الإسلامي وأعرب أن ذلك سيحقق بمشيئة الله تعالى آمال وتطلعات الشعوب الإسلامية من أجل تحرير القدس.

وكانت كلمة جلالة الملك الطويلة التي ألقاها بالنيابة عنه ولي العهد المعظم فهد بن عبد العزيز تعلن الفرحة والسرور والتضامن بالتقاء قادة المسلمين، ويوجب هذا الاجتماع ما آلت إليه أراضي الأمة الإسلامية ومقدساتها من رزح تحت وطأة الاحتلال الصهيوني إلى آخرها، مما وصلت إليه الأحوال في لبنان وفي أفغانستان.

وفي هذه السنة تعلن المملكة السعودية أنها لن تزيد إنتاجها البترولي إلى أربعة عشر مليون برميل يومياً، وبهذا تبين ما لدى المملكة من الخيرات والثروة العظيمة.

زيادة في رواتب الأئمة والمؤذنين

في هذه السنة أمر صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز بصرف زيادة مرتبات لأئمة المساجد والمؤذنين بلغت (٥٢٧) مليون ريال فروق الزيادات في المرتبات الجديدة للأئمة والمؤذنين، فجزى الله خادماً الحرمين الشريفين خير الجزاء بتشجيعه للأعمال الدينية الخيرية وإنها لخطوة سابقة في فضل هذه الحكومة وما توليه من النهضة تجاه الأعمال الدينية.

وقد ذكرنا ما حظي به القصيم وحائل من الأمطار التي نزلت في الوسمي من هذه السنة، ولا يفوتنا أن نذكر ما هطل من الأمطار في آخر ربيع الأول في العقب الأول من السنة المتقدمة على القصيم والرياض وسدير بحيث امتلأت السدود

وجرت الأودية وغرق أفراد في سد نمار والدرعية ولم يتمكن المنقذون من إخراجهم وحاول رجال الدفاع المدني لإخراجهم فما استطاعوا بعدما لبث الدفاع المدني ٩٦ ساعة في سبيل إنقاذهم.

كما قد هطلت أمطار غزيرة في أوائل ربيع الثاني على حائل، وما إلى ذلك إلى الموضع المعروف بالبطين من مزارع بريدة، كما هطلت أمطار غزيرة مصحوبة ببرد ورعود وصواعق سقط منها صاعقة على غربي مبنى بلدية مدينة بريدة أصابت الصاعقة شجرة في نفس المبنى فكانت آية من آيات الله بحيث سقطت أعواداً يابسة كأعواد الكبريت، وكان على أثرها في يوم غد ٩ / ٤ فترة شديدة وصفرة ورياح وغبرة طوال اليوم استعملت لذلك أنوار السيارات في النهار.

وفي أوائل جمادى الثانية تغبر الطقس على المنطقة الوسطى العارض وسدير والوشم والقصيم بموجة برد استمرت ثلاثة أيام بحيث نزلت الدرجة إلى ٧ درجات فوق الصفر.

قتل رئيس جمهورية بنجلاديش

في ٢٦ رجب تقدم مجموعة من المتمردين فقتلوا الرئيس ضياء الرحمن رئيس الجمهورية وذلك أثناء تفقده لمدينة تشيتا جونج الواقعة على ساحل البحر في جنوب شرق بنجلاديش فأصبحت المملكة هناك بذهول لوفاته اغتيالاً، وقام المتمردون فأعلنوا إلغاء معاهدة الصداقة مع الهند فأقيم نائب الرئيس عبد الستار بالوكالة فأذاع بياناً حالة الطوارئ في البلاد ودعا السكان إلى التزام الهدوء والحذر وقد بعث جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة السعودية ببرقيتين يعزي في وفاة ضياء الرحمن ويتمنى للرئيس بالوكالة التوفيق، أعرب فيها جلالتة عن تعازيه ومواساته في الحادث الأليم الذي أودى بحياة الرئيس ضياء الرحمن رئيس جمهورية بنجلاديش الشعبية، كما بعث جلالتة برقية أخرى للشهيد عبد الستار

أعرب فيها عن تمنياته الطيبة لفضيلته بمناسبة توليه مهام رئاسة جمهورية بنجلاديش الشعبية بالنيابة، وفيما يلي نص البرقيتين:

(تحية طيبة وبعد فلقد أحزننا نبأ الحادث الأليم الذي أودى بحياة الرئيس ضياء الرحمن رئيس جمهورية بنجلاديش الشعبية وإننا إذ نبعث لكم ولأعضاء حكومة بنجلاديش الشعبية وكافة أفراد أسرة الفقيد وشعب بنجلاديش الشقيقة بأحر التعازي وأصدق المواساة نبتهل إلى المولى جل وعلا أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه جنته وأن يلهم الجميع الصبر ويجزل لكم الأجر والحمد لله على قضائه وقدره وإنا لله وإنا إليه راجعون).

البرقية الثانية: (تحية طيبة وبعد نبعث لكم بتحياتنا وتمنياتنا الطيبة بمناسبة توليكم مهام رئاسة جمهورية بنجلاديش الشعبية بالنيابة سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يمدكم بعونه وتوفيقه ويسدد خطاكم بما فيه خير دولة بنجلاديش الإسلامية ورفعتها وتوفير الأمن والاستقرار والرخاء لهذا البلد الشقيق المسلم إنه سميع مجيب. خالد بن عبد العزيز آل سعود).

ضرب المفاعل النووي

لما كان في يوم الأحد ٥ شعبان من هذه السنة أغارت طائرات العدو الإسرائيلي على المفاعل النووي بالقرب من بغداد نحو من ثلاثين كيلومتراً فقصفته بطائراتها وكانت تخشاه وهو لا زال مشروعاً على ورق، وقد استنكرت حكومات العالم هذه الغارة الإسرائيلية على بغداد واعتبروها تعقيداً لموقف متفجر بالفعل وأكد العديد من الدول مساندة العراق في مواجهة هذا العدو الغاشم، وأدانت واشنطن الغارة هذه وارتقبت الأمة منع الأسلحة الأمريكية عن إسرائيل.

وقد نددت الحكومة البريطانية بالعدوان الذي وصفته بأنه انتهاك حظر القانون الدولي وبأنه يؤدي إلى نتائج وخيمة وذكر الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية

أن بلاده لا تقر مثل هذا العدوان وأما القاهرة فإنها قررت وزارة الخارجية المصرية إبلاغ الحكومة الأمريكية رسمياً بقلقها الشديد على إثر القصف الإسرائيلي للمحطة النووية العراقية، كما أن روما أعربت أن الحكومة الإيطالية عن عميق أسفها للعدوان الإسرائيلي، وكذلك فرنسا والدول الأخرى قابلت ذلك بالاستياء.

وفي رمضان من هذه السنة استردت إيران أراضي قد استولت عليها العراق قبل ذلك، ولا تزال تتوسع في حروبها وأذيتها للجيران، وكانت الحرب مستعرة الوقود بينها وبين العراق، ولكنها لا تزال في مواصلة الحرب رغم التوجيهات والإرشادات المحذرة لها من عاقبة الأمور ويمدها دول ضد الإسلام منتهزة الفرصة ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ (١) والدليل على ذلك ما جرى من أذيتها لحجاج بين الله وإلقاء العذرة والنجاسات أمام الكعب المشرفة لتنجيس الطائفين والمصلين وتقدير الأماكن المقدسة بل جعلهم النجاسة خفية في الحجر الأسود المقدس ليتأذى المقبلون له والمتمسحون، قال الله تعالى لخليله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢) فأصبحوا مع الشريعة المطهرة في طرفي نقيض، ولقد أفتى الشيخ محمد حامد فقي في سنة (١٣٦٢هـ) لما جرى منهم ذلك وهو العالم الفقيه ورئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر بأنه يجب على الحكومة السعودية منعهم من الحج وآخر ذلك أن غزو حجاج بيت الله متذرعين بالحج فقتلوهم أمام جدر الكعبة المشرفة وأتوا بالعبوات الناسفة يريدون تفجيرها بالمسجد الحرام والأماكن المقدسة لولا أن الله سلم، فعياداً بالله من كيد أعداء الله ونسأله أن يرد كيد الكائدين في نحورهم.

(١) سورة الصف، الآيتان ٨ و ٩.

(٢) سورة الحج، آية ٢٦.

رجل معمر ١٥٩ عاماً

كان الرجل المدعو مبارك بن صلاح من وادي كلاخ بالطائف من البادية قد بلغ من العمر ١٥٩ سنة يعلوه النشاط وطلاقة الوجه رغم ما مرّ عليه من السنين ويكنى أبو سعود وأجريت معه مقابلة، ولما قيل له الله يعطيك طول العمر أجاب إن شاء الله، ولكن أتمنى الموت لأنني أعيش في غربة أصدقائي وأحبابي رفاق طفولتي كلهم ماتوا والمقابلة معه طويلة ذكر فيها ما مرّ من السنين وما يعرفه عن الملك عبد العزيز وغير ذلك مما يرويه في حياته وهذا العمر الطويل يعتبر من غرائب الزمان.

وفي هذه السنة أحصيت المساجد التي في المملكة السعودية فبلغ مجموعها تسعة عشر ألف مسجد كبارها وجوامعها وخاصها وعامها، وبهذا نعرف سير المملكة قدماً فإنه كان منذ قرابة نصف قرن لا يوجد في مدينة بريدة التي تعتبر اليوم ثالثة مدينة في المملكة إن لم نقل ثانية مدينة سوى ثلاثة عشر مسجداً منها ستة هي القدامى مسجد الجامع الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة، ومسجد عبد العزيز بن عبد الله أبا بطين المعروف بمسجد محمد بن عبد العزيز بن غنيم، ومسجد أبي علطا ويدعى مسجد صويلح ومسجد عبد الرحمن بن شريدة ومسجد العجيبة ومسجد عودة الرديني حتى غاية السنة العاشرة من القرن الرابع عشر ثم أنه أنشأ بعد ذلك مسجد بن مقبل شمالي الجامع اشتهر بذلك ومؤسسه حمد بن خضير فمسجد ناصر بن سليمان بن سيف فمسجد الجردة المعروف باسم حسين بن عرفج فمسجد ماضي فمسجد الخويزة الذي كان إمامه السابق صالح الحمد المنصور فمسجد عيسى بن عبد الكريم فمسجد راشد بن إبراهيم الحميد، واشتهر بمسجد ابن فداء هذه ثلاثة عشر مسجداً إلى غاية عام (١٣٤٩هـ) ثم إنه باتساع البلد تأسست مساجد أخرى حتى بلغ مجموعها إلى آخر هذه السنة خمسمائة مسجد من بينها خمسين جامعاً تقام فيها صلاة الجمعة، وبهذا يتبين تقدم سير هذه المملكة الغنية إلى الأمام والتقدم.

ثم دخلت سنة (١٤٠٢هـ)

استهلت هذه السنة والرئيس السوفيتي بريجنيف لا يزال في نشاطه في نشر دعوات الشيوعية وبيعت البعث لغزو أفغانستان وكان المجاهدون المسلمون في أفغانستان صامدين لرد تلك الغارات الوحشية من دولة عظمى تعتبر أكبر دول العالم في قواتها ومهماتهما وحدها وحديدها وكيدها وشرها المستطير.

وكانوا يرون أن دين الإسلام دين مزعوم ولا أصل لهذه الخرافات بزعمهم الفاسد من صلاة وصيام وحج وغير ذلك من تعاليم الإسلام ويقابلهم دولة عظمى هي أمريكا كانت أهالي أفغانستان يدافعون عن إيمان وعقيدة ولقد أصيبت من جراء هذا الغزو بنقص كبير في الأنفس والثمرات والخوف والجوع، ولكنها ثبتت على الدفاع ثقة بالله في انتظار النصر، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) وقد كبدوا الجيش الغازي خسائر وأسقطوا طائرات ودمروا دبابات ومعدات حربية وبيّن من تصرفات بريجنيف ودولته وما يظهر من تصرفاته السيئة بالرغم من كبر سنه وهرمه ما يبيته من اتخاذ معبر في الشرق الأوسط عن طريق ليبيا وغيرها من الموالين له، هذا مع قرب لمفارقة الحياة. هذا وكانت الحرب بين العراق وإيران مستعرة الوقود.

وأصبح سكان لبنان بحالة يرثى لها من الانشقاق والمذابح والمجازر كما أن اليهود قد تدخلت في لبنان بواسطة عملائها كسعد حداد وغيره، أما عن الضفة الغربية وقطاع غزة فلا تسأل عما هم فيه من الأخطار والضيم وحشرهم إلى غيابات السجون التي امتلأت بهم وتعذيبهم وتقتيلهم وتشريدهم هذا ما كان من الحروب في بلاد العرب.

(١) سورة الروم، آية ٤٧.

أما عن المملكة السعودية وحالاتها في الرخاء فإن الأمراء كانوا في وظائفهم فكان في إمارة مكة المكرمة صاحب السمو ماجد بن عبد العزيز، وكان النائب في الإمارة سعود بن عبد المحسن بن عبد العزيز، وكان في إمارة المدينة المنورة عبدالمحسن بن عبد العزيز، وفي إمارة الرياض سلمان بن عبد العزيز والوكيل سظام بن عبدالعزيز وأمير منطقة القصيم عبد الإله بن عبد العزيز وأمير حائل مقرن بن عبدالعزيز وأمير تبوك وما يليها عبد المجيد بن عبد العزيز وأمير المنطقة الشرقية عبدالمحسن بن عبد الله بن جلوي.

وقد نقل سعادة الأمير سليمان بن تركي السديري من وكالة إمارة تبوك إلى وزارة الداخلية فكان يعمل فيها ويبعث كاحتياطي لیسد أعمال أمير المنطقة من الأسر إذا طرأ عليه شاغل كما سد فراغ إمارة منطقة القصيم بغياب الأمير عبدالإله وأمير منطقة عسير خالد الفيصل بن عبد العزيز وأمير عرعر والحدود الشمالية عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد وأمير جدة قائم مقام عبد الرحمن السديري ووزير العدل الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

كما أن الشيخ محمد بن حركان هو الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، كما أن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد هو الرئيس للمجلس الأعلى للقضاء منذ أن تولى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز والرئيس المشرف الديني على الحرمين الشريفين الشيخ سليمان بن عبيد بن سلمي وكان من أهالي مدينة البدائع.

ورفع الشيخ حسن بن عبد الله إلى وزير التعليم العالي وجعل الدكتور عبد العزيز العبدالله الخويطر وزيراً للمعارف ولا يزال الأمير خالد بن فهد بن خالد بن محمد بن عبد الرحمن وكيلاً في وزارة المعارف ثم إنه طلب الإقالة بعد ذلك.

كما أن الشيخ صالح بن علي بن غضون قد نقل من رئاسة محاكم الإحصاء إلى عضوية المجلس الأعلى للقضاء.

وقد مرض الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد مرضه الأخير المخوف الذي أودى

به إلى الهلاك، وقد بعث الملك به إلى إنجلترا ولم يدخر وسعاً في صحته غير أن المرض استعصى ولم يفد العلاج، وقد سأل عنه الملك خالد مستفهماً، ولما قيل أنه تعبان من المرض تأثر لذلك وبكى، هذا ولا ننسى منحة الملك له العظمى بحيث اشترى له بيت الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ووهبه له كما اشترى بيت الشيخ محمد بن إبراهيم الكبير ومنحه لزميله الشيخ عبد العزيز بن باز.

أما وزير الكهرباء الدكتور غازي القصيبي فلا يزال يوالي جده ونشاطه في الكهرباء، وقد قام بعملين وزارة الصناعة والكهرباء وقد قام بتمديد شبكة الكهرباء وجعل الخزانات الكهربائية في المزارع والقرى والضواحي فلا تخلو مزرعة منه، ولما أن تحركت المكائن الكهربائية التي نصب في القصيم جنوبي مدينة بريدة وكانت قوية ضخمة امتدت الأنوار بمنة ويسرة إلى مسافة أربعين كيلومتر من كل جهة واستفادت الأمة من مصالح الكهرباء ما وفر لها أشياء، لولا هذه الكهرباء بعد عناية الله لخربت وتعفت أما بقية الأمراء والوزراء والموظفين فكل في عمله.

وفيها هبت رياح شديدة وذلك في ١٣ جمادى الأولى على ضواحي في القصيم على السيب ولوجعان ورواق والسباخ فاقتلعت نخيلاً تقدر في تلك الأماكن بـ (٧٠) نخلة وكسرت أشجاراً وأسقطت حيطاناً منها حائط سقط على سبع سيارات فأعدمها أو كاد، وسقطت نخلة على بقرة وعجلها فقتلتهما معاً وقلبت ناقتين باركتين وحملت رجلاً فجعل يتقلب عدة مرات بقدر ١٥ متراً وألقت عمارة على ظهرها الأرض وبلغنا أن أناساً استهدفوا لها في القضاء فلولا أنهم تمسكوا بسيارات حوالهم واقفة لأقلتهم بين السماء والأرض، وقد سبقها في اليوم نفسه برَد وقع على الغميس ومواضع من ضواحي بريدة الجنوبية والغربية فدمرت الزروع وأحدثت أضراراً.

وفي أوائل جمادى الثانية في نوء الحمل ولا سيما في ٧ نيسان إبريل ١٨ الحمل هبت رياح عاصفة ونجم عنها خسارة تقلبت بعض الحيطان واجتشت الأشجار

والنخيل وكادت الريح أن تحمل ما مرت عليه لقوتها وهطلت أمطار فجرى وادي رضوان الذي كان بالقرب من ركه فأحدث أضراراً شديدة في الأحوال والأنفس بحيث هلك فيه من الأنفس البشرية خمسون نسمة، وفي آخر يوم الجمعة ٢٢/٦، ٢٧ الحمل نشأت سحب ثقال من الأفق الغربي فهطلت أمطار غزيرة على ما كان من أبان الأحمر إلى البدائع وما إلى ذلك، وكانت ممزوجة ببرد ورياح واستمر هطول الأمطار ساعتين تقريباً فأحدث ذلك توقف السير وتعطلت حركة السيارات لأن الأرض كانت كالبحر فلا يهتدى إلى الطريق وليس من سبيل إلى ذلك، ولكن الله سلم من عطب السيارات.

كما أن مدينة حائل نزل عليها مياه غزيرة وارتفعت المياه إلى أمر قد قدر وكان ذلك مصحوباً بالثلوج ويرد كبار فقد ارتفع منسوب الثلوج والأمطار في بعض الأماكن بمر نصف متر وكان ذلك في أوائل نوء المؤخر من برج الحمل وقد استمرت الرياح والأمطار طيلة أيام برج الحمل وأوائل الثور ونشأ عنها نقص أصاب الزروع والثمار وتكسرت نخيل واستمرت الظلم الشديدة بحيث لم يعهد مثل هذا منذ عشرات السنين وأصيب ما بين عقلة الصقور والمدينة المنورة ببرد توقفت له حركة السيارات واستمر نزول الأمطار على القصيم يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء وليلة الخميس اللاتي توافق ٢٠ و ٢١ و ٢٣ من برج الثور وكان لم ينقطع المطر طيلة هذه الأيام السابقة إلا دقائق معلومة ثم يعود.

ولما كان في ٢٢ من شهر رجب الموافق ١٥ أيار (مايو) جرى وادي الرمة وكان قد زخر هذه المرة مقبلاً من أقاصي مجاريه الغربية فألجم الجسور والكباري التي في طريقه له صوت عظيم فخرجت الأمة رجالاً ونساءً وأطفالاً لرؤيته من قرى القصيم ومدنه متشربين يتفكرون على عظيم قدرة الله وقام قلم المرور والنجادات بالإنذار والتحذير عن الهلاك والوقوع فيه، وكان له زجرة عظيمة مخيفة وقد حمل ما في طريقه من الحيوانات والبيوت والخيام فكانت غثاء وكادت السيارات لكثرتها تتحطم لولا قلم المرور واستمر يجري بقوة عشرة أيام.

وفيهما قامت وزارة الحج والأوقاف في أواخر شهر رجب بهدم ثلاثة مساجد من طين في مدينة بريدة لإعادة بنائها بناية حديثة ولتنفق عليها من قيمة مسجد ناصر بن سيف الذي شمله الهدم وبلغ تقويمه بتسعة ملايين ومسجد الشيخ محمد بن عمر آل سليم الذي بلغ تقويمه ثلاثة ملايين، وهذه الثلاثة هي مسجد محمد بن غنيم ومسجد الجريش ومسجد بن حوشان أمام السوق المركزي غرباً.

كما أنها هدمت مسجداً ثالثاً مقاماً من لبن وطين ينسب لابن ضحيان في قلب البلد حوالي التغير لإعادته مسلحاً.

ولما أن كان في منتصف شهر جمادى الأولى من هذه السنة لوحظ أن جامع بريدة الكبير الذي قام ببنائه الأخيرة مسلحاً الملك السابق سعود بن عبد العزيز حدث في جنوب المسجد تصدع في الحائط الجنوبي وفي درج الأبواب الجنوبية فكان من حسن الحظ أن قدم وزير المالية أبا الخيل لتشيع جنازة ابن عمه عبد الله بن سليمان بن حسن المهنا فسعى لدى ولي العهد سمو الأمير فهد بن عبد العزيز لترميم المسجد فقام بنفقة الترميم كلها وأن يكسى بالحجارة الهندسية مع مراعاة ما يتكلف من النفقة البالغة خمسة ملايين من الريالات، وقام المقاول محمد بن صالح بن فهد الرشودي بالعمل وأحضرت المخاريق والمعدات لذلك، وكانت البناية التي أشرف عليها فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد لا بأس بها في القوة لأنها مقامة من خالص الأحجار والممتازة بالقوة وكان ما بينها وبين هذا الترميم أربعاً وعشرين سنة وانتهى عمل الترميم في غاية رجب من هذه السنة وقد ظهر المسجد مظهراً لائقاً جداً وغير تلييسه الأول وكهرباؤه إلى وضع أحسن وأقيم حائط للمصباح الداخلي إلى جهة الشرق وركب له أبواب في ذلك الحائط كما ركبت فيه مكيفات كثيرة وثريات سقفية وأقيمت أسفل الحيطان الداخلية والأعمدة بالرخام القوي الحسن الجميل، وفرشت الأرض على العموم بالرخام الجيد الحسن الأبيض، فجزى الله القائمين بالنفقة والمشرفين بإخلاص على أعماله والسعي في تكميله على الوجه المطلوب خير الجزاء.

انسحاب العراق عن أراضٍ احتلتها قديماً

لما كان في أواخر شعبان من هذه السنة تخلت العراق وانسحبت عن جميع ما استولت عليه من أراضي إيران لعلها أن تهدأ الأمور غير أن إيران قامت تلاحقها ملاحقة وشنت هجوماً على البصرة وطلبت من العراق أن تقوم بخسائر الحرب وإلا فستواصل هجومها.

فلما رأت العراق أن لا بد من مواصلة الحرب عز عليها أن تبوء بالضعف والخضوع للضيم، فوقفت لإيران وقفة اضطرارية وأمدتها بعض الدول بالأسلحة والقوات وثبتت ثبات الأسود في غيابها بقيادة الرئيس صدام حسين، وشنت حرباً منسية وقابل الشر بالشر وأغارت الطائرات العراقية على أهداف إيرانية وجعلت تحرق وتهدم وتدمر.

ولم تبال إيران أن لو كانت هذه الحرب تحطم الإسلام ولسان حال العراق يقول عزتنا بالإسلام لا بالأقوام وقد نتج عن هذا الحرب والضرب دمار على كلا الدولتين وظهرت إيران بمظهر المعاند وخاضتها بصلف وغرور كما أن العراق لجأت إلى امتشاق الحسام ضرورة، وعجز قرار الأمم المتحدة عن تسكين إيران كما أن اجتماعات القمة التي عقدت لم يقم الخميني لها وزناً وكانت الصواريخ بين الجانبين تهدم العمران وتبيد السكان، وتعرضت السفن التي في الخليج إلى الحريق والدمار من بين المتقاتلين وغضبت أمريكا من أعمال الخميني وآياته وأتباعه ولكنها لم تعمل ما يبيد حركاته.

ضرب لبنان سنة (١٤٠٢هـ)

لما كان في اليوم ١٢ من شعبان قامت إسرائيل بغزو بيروت فحشدت نصف قواتها وضربت السكان الآمنين وخيمات الفلسطينيين بالقنابل العنقودية وقنابل النابالم وغير ذلك مما هو محظور فأعدمت ما لا يقل عن اثني عشر ألفاً من السكان

غالبهم من الشيوخ والأطفال وجرحت ثلاثين ألفاً وحصرت غربي بيروت ومنعت وصول الأطباء والإسعاف إليهم وكانت العرب قد بعثت ثلاثين طبيباً لمعالجة الجرحى فألقت اليهود القبض عليهم وعاملت إسرائيل أسراء بيروت والفلسطينيين معاملة سيئة واستمر قصفها يومياً وطلبت أن يلقي الفلسطينيون السلاح ويسلموا أنفسهم ولكنهم أبوا وجعلوا يدافعون دفاع المستميت وقد نجم عن ذلك الغزو الذي هو كإبادة للشعبين هدم سبع قرى وإحراق خمسة مخيمات فلسطينية ويظهر من ذلك أنها تريد الاستيلاء على بيروت وقد عجز العرب عن صد اليهود وإنما قامت بهذا الغزو للبنان لأنها أمنت مصر حينما ردت إليها سينا وأمنت سوريا لأعمال سرية بينها وبين الأسد.

ولما أن كان في سابع تموز يوليو الموافق ١٦ رمضان من هذه السنة على إثر غزو اليهود بيروت والفلسطينيين قام ضياء الحق رئيس الجمهورية الباكستانية يطالب الولايات المتحدة الأمريكية ورؤساء بريطانيا وفرنسا لوضع حد لأعمال اليهود لأنهم المسؤولون عن السلام والأمن، وقد أحدثت هذه الجراءة هزة عظيمة عند العرب لأنه توالى قصفها ثلاثة أيام متوالية للبنان.

نداء من السفارة اللبنانية بالملكة

وجهت السفارة اللبنانية بجمدة نداء إلى اللبنانيين العاملين في المملكة السعودية وإلى المتعاطفين مع لبنان دعيتهم فيه للمساهمة ومساعدة إخوانهم اللبنانيين لمواجهة الاعتداء الإسرائيلي الغاشم على لبنان الذي أوقع آلاف الضحايا وهدم عشرات الألوف من البيوت وشرّد مئات الألوف من المواطنين وأشارت السفارة في بيانها إلى أنه نتيجة للحاجة الملحة إلى العون والمساعدة فقد قامت بفتح حساب في بنك لبنان والمهجر باسم صندوق عون لبنان وطالبت السفارة من المتبرعين إرسال الشيكات المحررة باسم صندوق عون لبنان إلى عنوان السفارة بجمدة وبالرغم من صيحات العرب فإن قوات الغزو الإسرائيلي جددت قصفها البري والبحري على

المواقع السورية والقوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة صباح سادس وعشرين من شعبان الموافق ليوم السبت في مصيف سوق الغرب وعين السيدة وقلين في الجبل وكانت مواقع القوات المشتركة في برج البراجنة والليلكي وحي السلم قد تعرضت لقصف مماثل خلال الليل استمر متقطعاً حتى الفجر.

وفي الصباح استؤنف القصف المدفعي قتل ثمانية أشخاص وفقد عشرة آخرون وأصيب ثلاثة عشر بجروح مختلفة وفي عملية تفجير تعرضت لها باخرة الشحن اللبنانية وقد اندلعت النيران في الباخرة وقد طالب مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد برفع الحصار من بيروت فوراً وجلاء القوات الإسرائيلية عن كل الأراضي اللبنانية من دون قيد ولا شرط ولقد تأثر أول القصف المتقدم جلاله الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية الذي نذر نفسه لنصرة لبنان رغم ما يقاسيه من ألم في القلب أودى به إلى الهلاك وقد عمل طيلة ملكه وخلال سني مسئوليته في الحكم ليعز الإسلام والمسلمين ولم يحل المرض ولم يحل الإجهاد والتعب دون الدور القيادي الذي اكتسبه بعمله وجهده لبلاده والتصدي والمبادرة إلى الموقف الحاسم من كل قضية تتصل بأمتيه العربية والإسلامية حتى أتاه اليقين.

ذكر وفاة جلاله الملك خالد

غفر الله له وأسكنه في فسيح جناته (١٤٠٢هـ) لما كان في الساعة السادسة زوالي وثلاثين دقيقة من صباح اليوم الحادي والعشرين من شهر شعبان الموافق ١٣ يونيو (١٩٨٢م) يوافق الساعة الحادية عشرة و ٤٦ دقيقة توفي الملك خالد بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية في مدينة الطائف ووافاه أجله المحتوم إثر نوبة قلبية فأصدر الديوان الملكي البيان التالي: (بسم الله الرحمن الرحيم بيان من الديوان الملكي، ببالغ الأسى والحزن ينعي الديوان الملكي باسم صاحب السمو الملكي ولي العهد وكافة أفراد الأسرة ونيابة عن الأمة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم حيث وافاه الأجل المحتوم على إثر نوبة قلبية فإننا لله

وإنا إليه راجعون)، ومن ناحية أخرى أعلنت اليوم مبايعة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ملكاً للمملكة العربية السعودية خلفاً للمغفور له جلالة الملك خالد بن عبد العزيز كما عين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ولياً للعهد ولما أن كان بعد الظهر جيء به محمولاً على طائرة من الطائف إلى الرياض حيث غُسل وكُفن ثم حمل إلى المسجد الكبير والجامع القديم، ووضع جثمانه فيه في الساعة الثالثة و ٥٥ دقيقة انتظاراً لصلاة العصر.

وكان قد غص الجامع الكبير منذ ساعات بالآلاف من المصلين الذين يمثلون مختلف الدول والشعوب العربية والإسلامية والذين حرصوا على الصلاة على الفقيد سائلين الله له الرحمة والمغفرة وكان يحيم على الجميع الحزن والأسى لفقد واحد من رجالات هذه الأمة الأعزاء الذين نذروا أنفسهم وحياتهم لخدمة دينهم وأمتهم ومعايشتها في السراء والضراء.

والتفت الأسرة المالكة حول المسجد وعلى طول الشوارع يحف المواطنون الوفا لإلقاء النظرة الأخيرة على جثمان الفقيد وتوديعه الوداع الأخير قبل أن يوارى جثمانه، وكانوا يتهايمسون فيما بينهم ومن خلال مشاعر الحزن والإيمان بقضاء الله بآثره الطيبة.

وقد وجه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز كلمة نعى فيها جلالة الملك خالد بن عبد العزيز إلى الأمة العربية والإسلامية وآبن فيها الفقيد داعياً الله أن يتغمده برحمته وأن يوفق خليفته جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وسمو ولي العهد إلى ما يحبه ويرضاه ودعا المسلمين إلى الإيمان بقضاء الله في خلقه مؤكداً أن الموت حق على كل حي وأن على المؤمن أن يواجهه بالصبر والتحمل.

وفي الساعة الرابعة و ١٠ دقائق دخل جثمان الفقيد محمولاً على أعناق أبنائه المواطنين في الوقت الذي انهالت فيه دموع الجموع الغفيرة التي ملأت المسجد

وارتفعت أصوات المكبرين الداعين له برحمة الله الواسعة ثم أقيمت صلاة العصر والمصلين فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز وعقب صلاة العصر أقيمت الصلاة على جثمان الفقيد رحمه الله.

ثم حُمل ووري في الساعة الخامسة إلا رُبْعاً من بعد صلاة العصر بمقبرة العود بالرياض، وقد شارك الملك فهد بن عبد العزيز وصاحب السمو عبد الله بن عبد العزيز وصاحب السمو سلطان بن عبد العزيز في حمل فقيد الأمة العربية والإسلامية على أعناقهم وتوسيده مثواه الأخير داعين الله أن يتغمده بواسع رحمته وأن يلهم أمته الصبر والسلوان.

وكانت الشوارع المحيطة بالمقبرة قد غصت بالآلاف من المواطنين الذين أصروا على الانتظار في حزن وأسى بالغين لساعات طوال ليلقوا النظرة الأخيرة على الفقيد الراحل وليودعوه الوداع الأخير رحم الله الملك خالد وألحقه بالنبين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة.

لقد مات وهو في اللحظة الأخيرة من أنفاس الحياة جندي من جنود الله المسلمين المؤمنين يعمل كما ظل طوال حياته لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه ونشر عقيدة الإسلام في الدنيا بين الناس كان ضد الظلم أياً كان مصدره وأياً كان سببه لفرد أو لجماعة أو لشعب بأكمله ولقد ظل طوال الساعات الأخيرة لا يعرف النوم ولا الراحة ولا الهدوء وهو يشارك بعقله وبقلبه ومشاعره وبجهده طاقته اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين محنة العدوان الإسرائيلي الغاشم ليقاتل معهم بكل ما أوتي من قوة حتى الساعة الأخيرة.

فلتبكه الأمة العربية والأمة الإسلامية ولتبكه المملكة بحيث خسرت والداً شقيقاً ساهراً لمصلحتها فإلى جنة الخلد يا خالد إلى جنة الخلد يا من زرعت الحب في قلوب أبناء شعبك إلى جنة الخلد يا خالد بعد أن أديت واجبك كإنسان في هذه الدنيا تفعل الخير وتحب الجميع ولا تعرف الكراهية والحقد.

إلى جنة الخلد يا خالد يا من تحمّل الأمانة وقاد السفينة إلى جنة الخلد يا خادماً
الحرمين إلى جنة الخلد أيها الملك العادل، لقد عدلت بين أفراد شعبك فكنت بمثابة
الأخ الأكبر والأب الرحيم فإنا لله وإنا إليه راجعون والله در القائل:

فلو كان يفدى بالنفوس ولو غلت فداه همّام أشوس ونيّل
ولو كان من خصم تنمر دونه رجال بأيديهم قنا ونصول
إذا ما اعتلوا قب الأباطل لم يكن لهم أوبة أو يستباح قتيل
ولكن قضاء مبرم يستوي به ملك عزيز في السورى وذليل

ولما مات لبست الدنيا ثياب الحداد عليه وباح الشعراء والفصحاء بالثناء
والتأبين عليه قال الأديب الشاعر غازي القصيبي هذه المراثية وكأنه يتجول بعيونه
على المرحوم خالد بن عبد العزيز حين ينظر إليه وكأنه فارس توسد سيفه ونام فيا
أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي
جنّتي:

(واخالده) وضج الجرح في كبدي فسرت بالجرح لا ألوي على أحد
يكون منك وقد ناحوا على ملك أما أنا فبكائي حرقه الولد
يطوف وجهك في روحي فأسأله بالله قل لي أهذي فرقة الأبد
فأين نظرت به بالحسب طافحة كأنما هي بشرى ثرة الرغد
وأين بسمته السمحاء هل سقطت شمس النهار على ليل من الكمد
(واخالده) يغص الشعر من ألم كما تذوب عيون الشوق من سهر
ويخطر الموت فوق اليد عاصفة من الدموع فناد الصبر يا بلدي
هرعت بعدك للذكرى معطرة بالبشر صافية كالقطر نبع دد
وغبت في الأمل على الأمل يسعفني إذا أفقت ولم أبصر كصبح غد
فلححت لي وجدار الموت منتصب حتى لأوشك شوقاً أن أمدّ يدي
أراك رغم ضباب البين يا رجلاً به تزايد ملك وهو لم يزد

هل كالسطة تاج عز لابسـه هل كالبراءة عرش ثابت العمـد
(واخالده) وعاد الناس وانصرفوا وأنت في القبر لم تبرح ولم تعد
تبارك الله نجري كلنا زمراً نحو المنون ولا يبقى سوى الصمد
فقل لمن يعشق الدنيا أخطبها وهي الولود وغير الموت لم تلد

ولقد امتلأت وجوه الجرايد بالكلمات الرمزية والحروف المكبرة بالتعازي من
الشركات والمؤسسات وغيرها بهذه العبارة وغيرها بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره
نرفع تعازينا ونشاطر الأسرة المالكة الكريمة والشعب العربي السعودي والأمة
الإسلامية أحزانها في الفقيد الغالي جلالة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز
أسكنه الله فسيح جنانه.

ونبايع على كتاب الله وسنة رسوله خلفه العظيم جلالة الملك فهد بن
عبد العزيز وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
وقدمت إلى الرياض الملوك والرؤساء والوزراء من سائر المعمورة للتعزية بالفقيد
والتهاني لخلفه.

وقدمت إلى الرياض ضمن الذين ساروا بطائرات الحكومة مجاناً لبيعة الملك
فهد بن عبد العزيز نسأل الله تعالى أن يوفقه وأن يجعله خير خلف لخير سلف، وقد
نكست الأعلام في الأردن على الدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والسفارات
الأردنية في الخارج، وأعلن الحداد في الأردن لمدة أربعة عشر يوماً وأعلن العراق
الحداد لمدة سبعة أيام ونكست الأعلام فيه.

وقام أمير قطر خليفة بن حمد آل ثاني فألقى هذا البيان: (بقلوب مفعمة بالحزن
ونفس مثقلة بالأسى والألم تلقينا نبأ انتقال المغفور له أخينا العزيز صاحب الجلالة
الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود إلى رحاب الله، إن المصاب فادح لقد فقدت
أمتنا العربية والإسلامية واحداً من أعظم قادتها في وقت هي أشد الحاجة إليه وهي
تواجه أحداثاً حاسمة وتحديات مصيرية، لقد كرس رحمه الله كل وقته وفكره

وطاقته لخدمة بلاده وأمته العربية والإسلامية وترك تاريخاً حافلاً بجلال الأعمال سيظل دوماً نبراساً يضيء لها طريق الرشد والسداد، إن المرء ليعجز عن التعبير عن مدى الفجوعة في فقد هذا القائد الكبير في هذه الآونة العصيبة من تاريخ أمتنا وإن كنت أنعاه إلى شعبنا في قطر وإلى شعوب العالم العربي والإسلامي قاطبة، فإنما أنعاه وقلوبنا جميعاً تقطر مرارة وأسى.. إلى آخر كلامه المتضمن للتعزية والدعاء للراحل وقد أعلن الديوان القطري الحداد وتنكيس الأعلام في كافة أنحاء دولة قطر وسفاراتها في الخارج لمدة أربعين يوماً وتعطيل الوزارات والأجهزة الحكومية والمؤسسات والشركات لمدة ثلاثة أيام اعتباراً من يوم الغد الموافق ١٣ يونيو كما أعلن الديوان رسمياً بأن سموه قد توجه إلى المملكة العربية السعودية على رأس وفد دولته للمشاركة في تشييع جثمان الفقيد وأعلن الديوان القطري الحداد العام وتنكيس الأعلام في كافة الدولة.

وكذلك دولة البحرين أشادت بمواقف المغفور له ببيانها وهي تتلو ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾^(١) صدق الله العظيم وأصدر مجلس الوزراء البحريني في جلسة استثنائية عقدها في ذلك اليوم برئاسة سمو الشيخ عيسى بن سليمان آل خليفة أمير دولة البحرين أمراً بإعلان الحداد في البلاد ولمدة أربعين يوماً وتعطيل الدولة ثلاثة أيام وكذلك سلطنة عُمان وكذلك السودان يعلن الحداد وكذلك الرابطة الإسلامية للعالم الإسلامي قامت تنعى الملك خالد وكذلك أمين منظمة المؤتمر الإسلامي أمسى ينعى المغفور له وغيرها من الدول الإسلامية والعربية وقد أكثر المحزونون من الرثاء شعراً نبطياً وعريباً ولا سيما حينما نشرت جريدة الجزيرة غرف قصره للناظرين وأبرزت رسوم أبنائه وبعض خدمه المختصين للمعتبرين وشيئاً من أخلاقه وعفته وتواضعه.

(١) سورة الفجر، الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩ و ٣٠.

ونحن نسوق هذه المراثية التي جادت بها قريحة الأديب الشاعر عبد الله بن محمد بن خميس في هذه الرائعة والنازلة المحزنة.

إن شاعرنا الأديب هو أحد أدباء هذا الزمن لما أوتيته من عاطفة تجسد مشاعر الفقيـد الراحـل ودـمعة تحـدرت من وجنتيه ولوعة ساكنة بين أضلاعه وخفقة حزن في أعماقه فقال:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| حبيب وما كل الملوك حبيب | وراع إلى كل القلوب قريب |
| وما بهم أن يجمعوا في مودة | فسنة أخلاق الأنام ضروب |
| ولكن إذا اختاروا مودة خالد | فما هو حب في القلوب مريب |
| ألم يك طباً في هواها وعارفاً | له من مجاري نبضهن نصيب |
| تولى قياد الشعب سبعا فما أتى | مريباً ولم يزور عنه لبيب |
| يعادي ولكن في مخافة ربه | ويشجع في مرضاته ويؤوب |
| وما مد يمناه الحَصَّان لريبة | ولكن عليها من تقاه رقيب |
| ويعرف أن المُلْك ظل مبارح | وأن خطوب النائبات تثوب |
| وأن لسان الخلق يشهد بالذي | تبادر منه مخطئ ومصيب |
| فويل من التاريخ يأتي وما له | حبيب ولا غير الصلاح ربيب |
| أيطمع أن تروى المحاسن جمّة | بهاله مدح يصطفيه مريب |
| يدل بها والخلق تشهد أنه | به من ضروب المخزيات ندوب |
| تحاشيت هذا خالد وأنفته | فعرضك عما قد يشين قشيب |
| تبع الأول من دوحة طاب أصلها | لها في المراقبي الصالحات وثوب |
| تباروا على الدين الحنيف خائفاً | أريب مضى تتلو خطاب أريب |
| خلائق ما فيها منال لغامز | ومآربها في المكرمات جديب |
| بها غرسوا في العالمين مودة | لتبقى إذا خان النسيب نسيب |
| وما الحكم إلا أن يتوج حاكم | محب وأن تحنو عليه قلوب |

فبالأمس غص القصر بل ضاق ربه
وتتلوه أيام تنوء بعمارم
وفي كل إقليم حشود تتابعت
وهذا لعمري منتهى الحب أخصبت
أخالد لا ينفك ربك آمناً
تعهدته بالبر حتى تأرجت
فمن في رحاب الله عفواً ورحمة
وأن بني عبد العزيز تآزروا
لأخوة صدق لا يقل غرارهم
يؤمنهم فهد الرضا من تجمعت
خليق بها عدلاً وحلماً ونائلاً
ريب غلا لا يسبر الضد غوره
وما حوله مع أنه لرحيب
من الحشد من كل البقاع تصوب
إلى بيعة فيها النفوس تطيب
رباه وبعض المدعين كذوب
وواديك مخضر الجناح خصيب
مغانيه روض بالعطاء عشب
عليك شآبيب الرضاء تصوب
وكلهم في النائبات جنيب
إذا استخرت يوماً وعم قطوب
عليه قلوب حمة وشعوب
ورأياً إذا عمت عليه دروب
وفي كل محمود الخصال ريب

ولد الملك خالد عام (١٣٣١هـ) ورباه والده تربية طيبة كجمله أولاده وسعى في نجاتهم وكرائم أخلاقهم ورجولة أخوالهم ونشأ في كنف والده الملك عبد العزيز حتى وصل إلى سن الدراسة فالتحق بإحدى مدارس الرياض التي ولد فيها ودرس العلوم الإسلامية بشكل خاص واشترك مع والده في الجهود التي قام بها والده لتوحيد المملكة وتثبيت كيائها وعين مساعداً لأخيه فيصل حيث باشر معالجة القضايا السياسية العامة وقد تميز برجاحة العقل وسعة الاطلاع والحكمة وحينما تولى الملك فيصل عرش المملكة صدر مرسوم ملكي يجعله ولي العهد وقد سحب أخاه فيصلاً في بعض رحلاته الرسمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتولى رئاسة الوزراء بالنيابة وتقدم في عام (١٣٦٣هـ) قدومه من أمريكا في رفقة أخيه فيصل ومديح الشاعر حسين خطاني له في قصيدته العصماء التي يقول فيها:

إذا قيل من تهوى السيوف يمينه تنادت به الأيام لا زلت أوحداً

وإن قيل من يعتاد للعز منصباً
أميران في الدنيا الجديدة أشرقاً
فحدث عن الإجلال ما شئت معلناً
وبين بلاد الإنجليز حاة
وفي غرب إفريقيا وشماها
لقد عدتما والشوق مليء ربوعنا
أعدا لنا من خير ما قد شهدتما
وإن بلاد العرب ظمأ لنهضه
فسيرا بها نحو العلاء بهمة
أجابت أرى في خالد من تعودا
وسيفان من غمد العروبة جردا
وحدث عن الإكبار ما شئت منشدا
بضيفين كانا للمحامد متدا
وداد قديم بالوصال تأكيدا
فأضحى نشيد اليمن فيها مرددا
فإن من الإصلاح أن تتعهدا
يحدث عنها كل من راح أو غدا
وكونا لها قلباً وكونا لها يدا

وكان الملك فيصل يعتمد عليه وناب عن الملك فيصل في تصريف أمور الدولة
مرات عديدة أثناء قيام الفيصل بمهام خارج المملكة ونودي به ملكاً بعد وفاة
أخيه فيصل على المملكة العربية السعودية في ١٣/٣/١٣٩٥هـ فسار بالمملكة
مسيرة حميدة شكره عليها الكبير والصغير ونال رضا الجميع برفق وحنان وشفقة
أبوية ونالت المملكة ازدهاراً في أيامه ولقد صدق عليه قول الشاعر ابن هانئ
الأندلسي:

هموا ورثوه المجد لا مجد غيره وهم خير حافر في البلاد وناعل
أولئك من لا يحسن الجود غيرهم ولا الطعن شزراً بالرماح الذوابل
لهم من مساعيهم دروع حصينة توقيهم من كل قول وقائل

توفي المغفور له عن ثلاثة بنين بندر وعبد الله وفيصل وست بنات الجوهرة
ونوف وموضي وحصة والبندري ومشاعل، ولما سئل نجله فيصل وهو يتحدث عن
والده كيف كانت الساعات الأخيرة حينما كان يصارع الموت قال كان يرحمه الله
قبل انتقاله للطائف يوم السبت يعاني من تعب بسيط ونصحه الأطباء بعدم السفر
إلى الطائف وتأجيله يوماً أو يومين لكنه أصر وقال لا بد أن نمشي وذكر أنه كان

متعباً قبل السفر إلى الطائف وبالفعل سافر ووصل إلى الطائف في أول الليل الساعة التاسعة مساءً وكان متعباً بعض الشيء وجلسنا عنده حتى الساعة الحادية عشرة والنصف وذلك على غير عادتنا وبعد ذلك خرج من القصر إلى الحديقة، وبعد بضع دقائق توجه إلى غرفة النوم وكان طيباً وفي الصباح انتقل إلى رحمة الله ولم يكن عنده أحد في تلك اللحظة فبعد أن دخلوا عليه في غرفته وجوده رافعاً إصبعه وهو يتشهد وقال أن آخر كلمة أسمعها من والدي عندما قال لي شيل العصا وطلعها فوق وكان قد ودع أهله وأولاده وداعاً ليس كالمعتاد قبل أن ينصرفوا عنه حوالي منتصف الليل رحمه الله رحمة الأبرار ثم قام بالأمر من بعده أخوه صاحب الجلالة فهد بن عبد العزيز فبايعته الأمة ملكاً وبايعت صاحب السمو عبد الله بن عبد العزيز ولياً للعهد.

خسوف كلي للقمر

لما كان ليلة ١٥ ربيع الأول خسف القمر خسوفاً كلياً حوالي ساعة وعشرين دقيقة على شبه الجزيرة العربية وقام المسلمون متوجهين إلى الله بالصلاة والدعاء والاستغفار وأديت صلاة الكسوف بسائر المساجد، كما أقيمت بالحرمين الشريفين. وفيها عض ذئب مفترس أحد العمال اليمنيين في مصنع البلوك في بلدة ثادق فرفع المصاب إلى المستشفى فقرر الطبيب أنها بسيطة ما لم يكن الذئب مصاباً بمرض الكلب السعار، وطلب الطبيب رأس الذئب ليحلله في المختبر فسعوا في طلب الذئب حتى قتلوه وذهبوا برأسه إلى الطبيب.

انفجار رهيب في إيران

لما كان في مساء يوم الجمعة ١٥ ذي الحجة في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة بتوقيت الرياض من هذه السنة أصيب فندق في إيران بعبوة ناسفة أحدثت انفجاراً نتج عنه وفاة (٦٠) قتيلاً وجرح (٧٠٠) جريح منهم ثلثمائة في حالة خطيرة، وكان

ذلك الفندق المدمر مقاماً من خمسة طوابق وأصيبت ثلاث سيارات أوتوبيس ملأى بالركاب كما أحدث الانفجار تلفيات جسيمة في سبعة فنادق أخرى وبعض المحلات التجارية والمباني المجاورة وامتلاً عديد من مستشفيات طهران بالجرحى والمصابين وأوضح مدير الشرطة هناك أن العبوة الناسفة التي نجم عنها ذلك تزن (١٥٠) كيلو وكانت قد وضعت في إحدى سيارات النقل التابعة للفندق وأحدث الانفجار حفرة عميقة بطول ستة أمتار وعرض أربعة أمتار وعمق ثلاثة أمتار.

وقد وجه الخميني رسالة إلى الإيرانيين اتهم فيها المنافقين والمفسدين الأمريكيين بالسعي إلى الانتقام بهذا الشكل إلى الانتقام لهزائمهم المتكررة وذلك بضرب المقهورين والمقدمين في الأحياء الجنوبية للعاصمة وطلب الخميني من مير حسين موسوي رئيس الوزراء الإيراني أن يشكل لجنة خاصة تكلف بتعويض ضحايا الانفجار.

خسائر وقعت في إيران

لما كان في أوائل شهر شوال من هذه السنة كبد العراق إيران خسائر في الأرواح فقد سقط في إيران خمسة عشر ألف قتيل خلال عشرة أيام وأعداداً كبيرة من الأسراء والجرحى وقامت وحدات متخصصة من الجيش العراقي بدفن تلك الجثث لما فرت إيران وتركتها في أرض المعركة وقد ندد الرئيس الإيراني السابق أبو الحسن بني صدر بالهجوم الإيراني وقال إن النزاع لا ينفع سوى إسرائيل والولايات المتحدة وقال أن هذه الحرب ليست من مصلحة إيران ولا العراق.

ذكر قتل رئيس لبنان

لما كان في ٢٧/ ١١ اغتيل الرئيس بشير الجميل بعد ترشيحه للرئاسة وهذا الاغتيال دبر له بعبوة ناسفة زنتها (٣٠٠) كيلو غرام تي أن تي وضعت فوق سطح مبنى الكتائب فانفجرت بعد قليل من وصوله للاجتماع بأركان حزبه صرعت ستة

وعشرين من كبار الزعماء وأصاب سبعة وثلاثين (٣٧) فأقيم بدلاً عنه أمين الجميل رئيساً للبنان.

وفي ١٨/١٢ وفاة رئيس الجمهورية العراقية السابق حسن البكر يوافق يوم الثلاثاء من هذه السنة والشهر.

ومن توفي فيها الأمير محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن آل فيصل كانت وفاته في شهر صفر من هذه السنة وقد رفعت التعازي إلى صاحب الجلالة الملك خالد وولي عهده وأفراد الأسرة.

قرار ملكي

أمر جلالة الملك فهد بن عبد العزيز أن يكون بدء الدوام الرسمي للإدارات الحكومية أيام الاستسقاء من الساعة التاسعة والنصف بدلاً من الساعة السابعة والنصف، وأن تبدأ الدراسة بالمدارس وجميع المؤسسات التعليمية في ذلك اليوم بالحصّة الثالثة.

النهي عن المخدرات

نشرت جريدة الرياض بعددها ٥١٢٠/١٢/٧ من هذه السنة نشرة باسم سعد سيف إبراهيم السيف تتضمن النهي عن المخدرات عنوانها مرض فتاك علينا مكافحته وأتى بما يرشد العقول الصحيحة من مضارها ديناً وأخلاقاً ومروءة وباح بما في ضميره على ما تقتضيه الطاقة البشرية بحسن أسلوب، نعم إن تلك المخدرات التي هي من عمل الشيطان ويقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ وأمر الإمام الأعظم الرعية باجتنابها وهدد وتوعد بالقتل وأمرت المروءة باجتنابها ونهت السنة المطهرة باجتنابها وعن تناولها ونهت العقول السليمة والفترة المستقيمة عنها فكيف لا يخضع المسلم لذلك، وكيف أقدم أربابها والمفتونون بها على تخطي تلك العقبات وإلقاءهم أنفسهم بتلك الهاوية التي هدمت الأخلاق وسلبت الفضيلة

وجرت الرذيلة غير أن المبتلى بها نسأل الله العافية لا يسمع ولا يبصر، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ (١).

فيا أيها السامعون ويا أيها المؤمنون أما لكم من عقولكم ناهية، أما لكم من شريعة ربكم داعية، أما تستحيون من الندامة في هذه الدار الفانية، والخزي والفضيحة في الدار الباقية، فاتقوا الله في شرفكم اتقوا الله في نفوسكم اتقوا الله في دينكم اتقوا الله من خزي في الدنيا لا يغسله شيء، اتقوا الله فلا يتخذكم الشيطان لعبوبة يتلاعب بكم ويستهر بكم فقد حذرکم وأنذرکم منه خالقكم حيث يقول: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢) وسأذكر قصة وجدتها بقلم مرشد وناصح من العلماء قال: أن مبتلى بهذه الرذائل والمسكرات بال فشرّب من بوله وتوضأ ببقية بوله ثم رفع أصبعه إلى السماء يقول اللهم اجعلني من التوايين واجعلني من المتطهرين.

ورأى عالم من الزهاد إبليس عرياناً بين الناس وهو يرقص ويضرب فقال له يا عدو الله لا تستحي من الخلق بهذه الصفة تكون بين الناس فقال لو كانوا أناساً ما كنت ألعب بهم كما تلعب الصبيان بالكرة.

نعم لعب بهؤلاء المفتونين وما كان فيهم شجاعة يغلبون بها أهواءهم ويسيطرون على أنفسهم فيا عباد الله كونوا عند حسن الظن بكم واعقلوا عن الله ما وصاكم به في قوله يا عبادي يا عبادي واحضروا عقولكم في نهيه عن الانخداع لهذا العدو حيث يقول: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٣).

(١) سورة المائدة، آية ٤١.

(٢) سورة فاطر، آية ٦.

(٣) سورة الكهف، آية ٥٠.

كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ

رأيت رداً على غازي القصيبي لأبي تراب الظاهري جزاه الله خيراً نشرته جريدة المدينة في عددها (٥٤٣١) ٥ ربيع الثاني من هذه السنة بأن الدكتور غازي القصيبي استنتج من قصة ذكرها الطبري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكأنه بذلك يرى جواز السفر وإباحة الاختلاط بين الرجال والنساء وقد سبق القصيبي إلى إباحة السفر الشيخ الفاضل محمد ناصر الدين الألباني، وكان الألباني خاطئاً بمقالته تلك لأنه بشر بخطئ ويصيب فقال في رده كلا إن مثل هذه الروايات من دسوسات الشيعة الرافضة يبغضون عمر ويريدون أن يتقصوا بها من مكانة الفاروق وقال في آخر رده أفكان عمر بن الخطاب يرمي بهذا كله ويريد الحجاب وقول الرب في كتابه العزيز: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ ويشير إلى آية الحجاب في الأحزاب يقول أفكان عمر يرمي بهذا كله عرض الحائط ويطلب من امرأته أن تخرج للضيف الأجنبي فتأكل معه كأنها ابنة أمريكي وليست بابنة أسد الله الغالب ابن عم رسول الله الهاشمي، تالله إنه لبهتان عظيم وإن يقولون إلا كذباً نسأل الله السلامة والهداية وبه السداد والتوفيق وقد اختصرنا الرد وأتيننا ببعضه فنشكر للأخ أبي تراب على بيانه وإيضاحه ونرشد الأخ غازي إلى خطئه لأننا لا نؤيد السفر للأجانب ووالله لو تصور القائلون بالإباحة مفسد السفر في نسائهم وبناتهم وإخوانهم لكان لهم من ذلك ما يردعهم إذا كان فيهم غيره.

ذكر ما جرى على حماة في سوريا

فنقول قام عظيم سوريا الرئيس حافظ الأسد هداه الله وذلك لأنه نصيري وصاحب تقلبات كما جرى منه في تدخله بما لا يفيد في لبنان بصفته يريد الردع للمعتدين هناك وإنما قلنا نصيري كما نقل عنه شعبه وإلا فإننا لم نجالسه ولم نعرف عقيدته ولكن التبعة على الناقل ولكن يظهر من تعسفاته وبغضه للإسلام وانحراطه

في صف روسيا الشيوعية أنه كما قيل عنه أن النصيرية كما ذكره عنهم شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في كتابه (الرد على النصيرية) قال عنهم أنهم وسائر القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاريين مثل كفار التتار والفرنجة وغيرهم وأطال في ذمهم ومبتهم وقد قال السائل وهذه الطائفة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام وهم معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب ثم ذكره بأن إلههم الذي خلق السماوات والأرض هو علي بن أبي طالب عليه السلام فهو عندهم الإمام في السماء والإمام في الأرض فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم أن يؤنس خلقه وعبيده ليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه وبأن النصيري عندهم لا يصير نصيرياً يجالسونه ويشربون معه الخمر ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نساءهم حتى يخاطبه معلمه وحقيقة الخطاب عندهم أن يحلفوه على كتمان دينه ومعرفة مشائخه وأكابر أهل مذهبه وعلى أن لا ينصح مسلماً ولا غيره إلا من كان من أهل دينه الخ.

والمقصود خبث بهذه الطائفة وشدة عداوتها للمسلمين.

رجعنا إلى ما نحن بصدده فنقول لما كان في ليلة الثلاثاء ٢/٢ شباط فبراير (١٩٨٢م) الموافق ٨ ربيع الثاني في عام (١٤٠٢هـ) ليلة مطيرة قامت أهوال وقوات حافظ الأسد العسكرية من سرايا الدفاع والمخابرات ٢٠ سيارة مصفحة فأحس المجاهدون بشدة البلاء وهبوا يهللون ويكبرون وقاموا يدافعون عن محارمهم وأولادهم وهاجمت سيارات جيب غاز ٦٦ فاشتبكت مع المواطنين واستطاعوا تحطيمها ولكن طائرات الهليكوبتر جاءت تحمل سلطة غاشمة فأنزلت الآلاف حول المدينة وغزوها بارتكاب مجزرة عظيمة وشرعت القوات بوحشية وهمجية لا سبيل إلى وصفها فذبحت أهالي حماة ذبح النعاج الرجال والنساء والأطفال وانتهكت أعراض النساء وشرعت القوات الحكومية في الانتقام بوحشية وهمجية لا نظير لها

ولا سبيل إلى وصفها بحجة التفتيش عن المجاهدين وتحمل المواطنين ألواناً من القهر حتى رأوا أن الموت عندهم قد طاب وليس لهم إلا أن ينطلقوا ليلقوا وجه ربهم واستمر الضرب وهدمت المساجد على أهلها وتحولت تلك المدينة بعد أن كانت دهشة للزوار والسياح إلى أكوام ركام (وسنعود عن قريب) وذلك بدعوى أن الإخوان المسلمين في مدينة حماة السورية قد زودوا بكميات ضخمة من الأسلحة والذخيرة واتهم الأسد بعض الجهات الأجنبية المشبوهة التي لم يذكرها بالاسم وقال أنها زودت أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بها وأن عمليات التفتيش التي قامت بها السلطات الحكومية في حماة مكنتها من اكتشاف كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر المتنوعة فضلاً عن العثور على عدد من الوثائق التي تكشف صلات الإخوان المسلمين بجهات أجنبية معينة كانوا يتلقون منها الأوامر وأضاف الأسد أن الإخوان المسلمين ليسوا سوى عصابة محدودة ولا يمكن لها أن تشكل خطراً على الوضع في سوريا بأي حال من الأحوال وظهرت على الشاشة مجموعات من مدافع المورتر والبنادق الصاروخية والبنادق الأوتوماتيكية وصناديق الذخيرة الحية التي تحمل علامات (عراقية) وبهذا نشأت العداوة بين العراق وسوريا وقال أحمد الأسد أمين حزب البعث السوري في حماة في مقابلة مطولة الليلة قبل الماضية أن دعوة الإخوان المسلمين إلى بدء الهجوم في حماة صدرت من مكبرات الصوت الملحقة بالمساجد.

وقد أشاد الرئيس حافظ الأسد في حديثه بالعلاقات السعودية ووصفها بأنها طيبة مع العلاقات السورية وأخوية واعترف من جانب آخر بوجود خلافات بين سوريا والعراق واتهم العراق بأنه عرقل الوحدة بين البلدين مما وجه لطمة قوية لإمكانات انتصار الأمة العربية.

وقال مشيراً إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن الجولان أنه مع احترامه للرأي العام العالمي إلا أن بلاده لديها أكثر من سلاح وأكثر من بديل

للدفاع عن حقوقها المغتصبة وذكر في دمشق أن المدافع والبنادق التي ضبطت في حماة من صناعة سوفيتية وأمريكية وعلى بعضها علامات عراقية باللغة الإنجليزية ونسب لأحمد الأسعد قوله بأن عدد مدافع المورتر يبلغ ستين مدفعاً وفي مخبأ واحد فقط ضبطت أكثر من ألف قطعة سلاح كما أن زهير مشاركة أحد مسؤولي حزب البعث السوري أبلغ أن القوات الحكومية تسيطر الآن تماماً على الأوضاع في حماة وأن البحث عن أعضاء جماعة الإخوان المسلمين قد انتهى تماماً ويوضح الحياة وهي تعود إلى حالتها الطبيعية في شوارع مدينة حماة وذلك في ٢ جمادى الأولى من هذه السنة.

الإخوان المسلمون

نتكلم الآن عن الإخوان المسلمين وما لقوا من التعذيب في سجون جمال عبدالناصر وفي سوريا في سبيل الله ونصرة دينه وإن كان قد تقدم بعض ذلك فنقول نقلاً عن مجلة الدعوة بعد هذا العنوان صوت الحق والقوة والحرية الله أكبر والله الحمد فقالت وبلا شك فإن الجماعة قد استفادت كثيراً من مرحلة الابتلاء التي دخلت بها والتي تمثلت في حملات التنكيل والقتل والتشويه والتشريد بعد أن أثبتت الممارسة العملية زيف وبهتان أصحاب هذه الحملات ثم أنه أخذ في تعريف بالشيخ حسن البنا وشخصيته الذي هو رئيس جماعة الإخوان المسلمين الذي تعرف الراصدون على شخصيته وصدقه وثقة الناس به وأنه ولد في بلدة المحمودية التي تقع شمال غرب مدينة القاهرة في دلتا النيل وكان أبوه يعمل في تصليح الساعات إلى جانب عمله كمدرس في مسجد البلدة المحلي وقد درس على يد الإمام محمد عبده في الأزهر الشريف وكتب بعض الأعمال في الفقه والتشريع الإسلامي ولذلك تربى في جو ديني ملتزم.

وقد انضم حسن البنا إلى بعض الطرق الصوفية عندما وصل سن البلوغ وظل عضواً نشطاً فيها لمدة حوالي عشرين عاماً، وقد تأثر حسن البنا كثيراً من قراءاته

لكثير من أعمال الشيخ الغزالي، وفي سن السادسة عشرة أرسل للتدريب في كلية دار العلوم بالقاهرة كمدرس للغة العربية، ومن خلال ترده المستمر على المكتبة السلفية بالقاهرة تعرف على الكثير من أصحاب الحركة السلفية وعلى رأسهم محمد رشيد رضا، وفي عام (١٩٢٧م) وله من العمر إحدى وعشرين سنة تخرج حسن البنا وعمل مدرساً للغة العربية في مدرسة ابتدائية بمدينة الإسماعيلية التي كانت مقراً لشركة قناة السويس وعاصمة لمنطقة القناة التي تقع تحت السيطرة البريطانية.

وبدأ حسن البنا يشعر بالحزن والقلق لما يراه ويشهده من فساد سياسي وأخلاقي وتمزق وانحلال والاتجاه السائد بين شباب الطبقة المتوسطة والغنية في الاهتمام بالثقافة الغربية العلمانية وإهمالهم لدينهم وسيطرة قوات الاحتلال البريطاني على خيرات البلاد واقتصادها وتمتعها بخيرات مصر، بينما يعاني الشعب من البؤس والفقر، ومنذ تلك اللحظة قرر حسن البنا أن تكون مهمته ورسالته الوحيدة في الحياة هي إصلاح تلك الأخطاء وتوجيه التيار لمساره الصحيح.

فبدأ يدعو وينصح الأطفال في الصباح وأهلهم بالمساء، كما أهتم بعقد اجتماعات في المدارس لمناقشة أمور الناس ونصحتهم في المسجد وفي المقاهي.

نشاط الإخوان المسلمين وابتداء تنظيمهم:

ففي أحد أيام عام (١٩٢٩م)، ولد تنظيم الإخوان المسلمين في مدينة الإسماعيلية، وذلك عندما توجه ستة من العمال المصريين الذين يعملون في المعسكر البريطاني للقاء حسن البنا وصرحوا له باستيائهم من الظروف والأحوال التي تعيش فيها مصر وما يتعرض له الإسلام والمسلمون في كل مكان من العالم العربي وأقسموا لحسن البنا على الولاء والعمل تحت قيادته لما فيه خير الإسلام والوطن، ومع مرور السنين بدأ أعضاء التنظيم في الازدياد حتى وصل عددهم في عام (١٩٥٠م) إلى حوالي خمسمائة ألف عضو عامل وفعال غير المتعاطفين

والمؤيدين من طبقات الشعب وكان من أفكار الإخوان المسلمين العداوة والكراهية للسيطرة الأجنبية وكرهيتهم للأقليات المحلية في مصر من يهود ومسيحيين والذين كانوا يخدمون مصالح المستعمرين.

وبدأ تنظيم الإخوان المسلمين في بداية تكوينه بالاهتمام بالإصلاح الاجتماعي والأخلاقي في مصر، ولكنه سرعان ما تحول إلى تنظيم سياسي حيث بدأ يظهر عداوته وكرهيته للاحتلال البريطاني.

كما آيد الإخوان مغلوبى الفلسطينيين ضد الصهاينة واعتبر الإخوان المسلمون القدس هي ثالث الأماكن المقدسة وأن فلسطين هو قلب العالم العربي، وفي عام (١٩٤٨م) أرسل الإخوان المسلمون متطوعين ليشتركوا في القتال مع الفلسطينيين في الجهاد ضد اليهود، وكان ذلك قبل أن تعلن الحكومة المصرية الحرب بشكل رسمي، ونشأ عن نشاط الإخوان المسلمين وتنظيمهم أن عارضوا سياسة الملك فاروق، وبدأ الصراع يزداد بين الحكومة وتنظيم الإخوان المسلمين حتى قامت الحكومة المصرية في أواخر أيام فاروق بحل تنظيم الإخوان المسلمين.

وقبضت على الأعضاء البارزين إلى جانب حسن البنا وبعد ثلاثة أسابيع من ذلك قتل رئيس الوزراء المصري النقراشي باشا بإطلاق الرصاص عليه من قبل أحد الأعضاء الشبان من الإخوان المسلمين، وبعد سبع أسابيع من هذا الحادث بل في ثاني عشر من فبراير عام (١٩٤٩م) اغتيل حسن البنا وكان لاغتياله تأثير قوي على التنظيم، لكن ذلك لم يغير قوة الإخوان المسلمين، ولقد ظهر إعجاب الضباط الأحرار بتنظيم الإخوان المسلمين أثناء حرب فلسطين عام (١٩٤٨م) الموافق (١٣٦٨هـ) عندما رأوا شجاعة واستبسال الإخوان المسلمين في القتال ضد اليهود ومن والاهم.

بينما كان الملك فاروق وأتباعه سعداء في تركهم الجيش ليلاً في ضفة بحيث ظهر لبعض المسلمين الصادقين خيانة فاروق في قتال اليهود من جهات كثيرة

وانتقدوه بعد خلعه بأن سار بجيش للقتال يحمل أسلحة غير صالحة للقتال وربما ثار المدفع من خلفه فقتل من يطلقه إلى غير ذلك مما اتهموه به من الخيانة، ولما كان قبل تنفيذ ثورة عام (١٩٥٢م) كان هناك اتصال بين الضباط الأحرار وتنظيم الإخوان المسلمين للقيام بتنفيذ بعض الأعمال لإنجاح الثورة ومن خلال تلك المشاركة ظن الإخوان المسلمون أن لهم الحق في المشاركة في الحكم، ولكن عندما سيطر عبد الناصر ورفاقه على مقاليد الأمور في مصر أصدرت الحكومة الناصرية قراراً بحل التنظيم رسمياً، وبما أن محمد نجيب الذي تولى الرئاسة بعد فاروق مصدر معارضة لسلطة جمال وتحركه فقد أبعد وتولى الرئاسة جمال.

وبما أن حسن البنا رحمه الله قد قتل فقد ظهر المفكر الشيخ سيد قطب الذي خرج من السجن عام (١٩٦٤م) وتولى تنظيم الإخوان المسلمين وقام جمال عبد الناصر لما رأى نشاط سيد قطب وما أثبتته في كتابه الشهير (معالم في الطريق) فقبض على قطب وعلى الكثير من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بتهمة محاولة قلب نظام الحكم ومحاولة اغتياله فزجهم في غييات السجون.

وأمر زبانيته بتعذيبهم عذاباً لم يفعله فرعون ولا جنوده وأعوانه، تارةً بسلاسل الحديد وتسخيرهم لقطع الحجارة في إحراق الشمس، وتارةً ضربهم وهم عراة لا يجعل لهم ما يسترون به سواثهم والتضييق عليهم في زناناتهم وإرسال الثلج عليهم وهم قيام عراة وشيهم بالنار، وإرسال الكلاب عليهم تنهشهم جائعة وهم مقيدون، وتارةً بتعليقهم بأرجلهم وقتاً طويلاً وضرب رؤوسهم بأسياخ الحديد وكيهم بالنار في المواضع الحساسة كالعيون والمناخر والعورات، وقد قدمنا شيئاً من ذلك وعلى من أراد الاطلاع فعليه بمعاملتهم لزنب الغزالي وسيد قطب، مما تستك عنده الأسماع وتغير الأوضاع وإطلاق العيارات النارية عليهم وأشياء لا يكاد يصدق بها السامع، وقد اثبتت في كتب ورواها المشاهدون للغائبين ومعاملتهم بالمعاملات اللاأخلاقية كإحضار زوجاتهم وبناتهم بين أيديهم تفعل الجنود بهم

الفاحشة وقد هلك الظالم والمظلوم وسيتولى الله الفصل بينهم ونحيل القارئ على حوادث عام (١٣٨٦هـ)، وإن كان الموضوع ضيقاً لا يتسع للسطح هنا وهناك.

ذكر ياسر عرفات

أما ما كان عن ياسر عرفات فقد ظل مذبذباً تارة يتردد إلى روسيا وتارة يركن إلى الخميني الذي خدع الناس بثورته وبهرجته بادعائه أنه قام بثورة إسلامية عليه يجد لديه حيلة في طرد إسرائيل ومناصرة منه لما هو يكابده من كونه زعيم التحرير الفلسطيني، فقد زار طهران وراح يوزع قبلاته المشهورة على وجوه قادة الثورة، وخاطب الخميني قائلاً إن ثورة إيران ليست ملكاً للشعب الإيراني فقط إنها ثورتنا أيضاً، فنحن نعتبر الإمام الخميني ثائرتنا ومرشدنا الأول، وذلك لأنه في ١١/٢/١٩٧٩م فبراير الموافق ليوم الأحد ١٤ ربيع الأول (١٣٩٩هـ) تحولت سماء المخيمات الفلسطينية في بيروت والضواحي المحيطة بها إلى كتلة من النيران فقد أخذ الفلسطينيون والمواطنون اللبنانيون كذلك يطلقون العيارات النارية من مختلف الأسلحة بكثافة غير عادية ابتهاجاً بنجاح ثورة الخميني وكأنهم نسوا غدر الصدر بهم عندما انضم إلى الجيش النصيري عند دخوله لبنان حينما أمر منظمة أمل وعساكره التي تعمل في جيش لبنان العربي بالانضمام إلى جيش سوريا.

وتارة يذهب إلى حافظ الأسد وينخدع له.

وتارة تظهر له خيانتة فيذهب إلى الحسين بن طلال ملك الأردن، وتارة يفاوض أمريكا وظل محل الحيرة من الفلسطينيين الذين تزعموه وآخر شيء قيل عن ياسر عرفات مسكين شعب فلسطين قد ابتلاه الله بقيادة ياسر عرفات وأمثاله، وقد نجح حافظ الأسد وقام بما عجزت إسرائيل عنه وذلك بشق منظمة التحرير الفلسطينية بحيث انشق الفلسطينيون بأنفسهم فكان جزء معه وجزء مع أبي موسى الذي استخفه حافظ الأسد وجعله يقاتل ياسر عرفات وأتباعه لما يريده الأسد من التحرير والضوضاء في لبنان حتى أصبح الفلسطينيون يتناحرون في لبنان

ويتقاتلون جزء مع ياسر عرفات وجزء مع أبي موسى بما كان العرب أضحوكة للأمة وشماتة عدو لإسرائيل وأتباعها.

فقد قامت اليهود تغزو لبنان بحجة أن الفلسطينيين فيه وقام كل عدو وكل مشاغب وكل طاغوت يتدخل في لبنان بصفة الناصح والمدافع عن أهله منهم من كان مدفوعاً من جهة إسرائيل كسعد حداد الذي أهلكه الله بعد ذلك بمرض السرطان.

ومنهم من كان مدفوعاً من جهة حافظ الأسد الذي يتظاهر بالنصح والدفاع عن لبنان ولكنه بضد ذلك.

واستطاع الخميني أن يفسد في لبنان كما أفسد في إيران وبعث شيعته الذين سماهم مجزب الله يقاتلون الأهالي ويتهاوشون مع حركة أمل التي يدفعها الأسد فأصبح أهالي لبنان ضحية لهذه الفتن والمجازر والدمار والدليل على ذلك أن الأسد في تاسع رمضان من هذه السنة (١٤٠٢هـ) الموافق ٢٠/٧/١٩٨٢م يقول في أجهزة إعلامه أن القوات السورية دخلت إلى لبنان لأداء مهمة محددة هي إنهاء الحرب الأهلية التي فرقته خلال عام ٧٥ و٧٦ ولم تذهب لتحارب إسرائيل من هناك، إذا به يصارح مبعوث ياسر عرفات إليه بقوله أريد أن تهلكوا جميعاً لأنكم أوباش.

وإني لأعجب من الخداع إيران للخميني وآياته الذين زادوا الطين بلة وقام وأعوانه من الفراعنة المعاندين يريدون القضاء على الإسلام وأهله وهي حالة الفرس قديماً وحديثاً كيف يتركونه يسعى بالفساد.

ولكن أين عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص ليلقوا عليهم درساً من العذاب لا ينسونه إلى آخر الدهر، لأن هذا القتال الذي نشأ في الخليج بين العراق وإيران ثمرته مصالح الدول الكبرى من جهتين، أولاً لبيع السلاح على الفريقين بأثمان باهظة وثانياً لاضعاف الجهتين المحاربتين وفعلاً حصل لذلك التفرقة بين

المسلمين وحصد شوكتهم وهذا ما يرمي إليه الكفار أعداء الإسلام فقد ربح الكفار استجلاب المادة التي لا تعتبر بالحساب تقليل عدد المسلمين هذا وهم لكمال سياستهم يضحكون ويقفون موقف المتفرج على الفريقين واستنزفت الأموال في سبيل الشيطان لشراء الأسلحة الثقيلة الحديثة، وقتل بعضهم لبعض بها ولو أن المسلمين والشيعة والعرب فكروا في ذلك كان لهم ما يرشدهم ولو شخصوا أمراضهم التي قضت على الأرواح والأموال وهدمت المساكن على أهلها لكان لهم ما يردعهم عن ذلك فخذ ما شئت من أسباب التفكك والعداوة التي ينشدها أعداء السلام بحيث حصلوا على مقصودهم بحيث كان المسلمون ضحية ذلك الدمار والمذابح والهمجية ولو رجع أهل لبنان وفلسطين إلى ربهم وأصلحوا ذات بينهم وكانوا يداً واحدة هم وسائر المسلمين لهزموا عدوهم ووحدوا كلمتهم فخذ ما شئت من هذا التفكك والتخاذل والعبث بكرامتهم وذهاب ريجهم وفشلهم فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها في ٢٠ / ١١ من هذه السنة وفاة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد أثر مرض مخوف قضى عليه رحمه الله وعفا عنه وكنت لم أجد له ترجمة ولا أعرف شيئاً كثيراً عن حياته.

ذكر شيء عن مدينة الظهران وما من الله به على الحكومة السعودية

لما أن كان في عام (١٣٥٢هـ) شرعت أمريكا في التنقيب عن الزيت والبتترول والمعادن في منطقة الظهران، وبهذه المناسبة في ذكر الخليج العربي أي قبل هذه السنة بخمسين عام كانت عجوز تقف في طريق الملك عبد العزيز رحمه الله تستجدي من جوده وكرمه فقالت له مرة: أسأل الله أن يفتح لك كنوز الأرض فعجب لكلامها وجعل يفكر في كنوز الأرض ومتى إذا شاء الله أن يجد تلك الكنوز، وهل هي من ذهب أو فضة فشاءت القدرة الإلهية أن يفتح الله عليه بالبتترول المستخرج من الأرض الكنوز التي أغنى الله بها من شاء من خلقه في الكويت والعراق وإيران

وغيرها من الممالك، ومنذ أن قامت الشركة الأمريكية أرامكو تنقب عن الزيت وحفرت آبار الزيت وأنشأت مصانع هناك وأقيم حي السلامة أو حي السعودية وأصبحت مدينة الظهران لها منظر غير وضعها الأول وتحولت تلك الهوة من الحجارة إلى مناظر عجيبة وشقت فيها شوارع وغرس فيها أنواع من الأشجار والزينات وأضيئت بالكهرباء وجعلت مصافيات للزيت ويقول لي أحد المهندسين أن هذه المصفيه ويشير إلى مصنع مرتفع بالجو قد أضيء رأسه قد كلف الحكومة خمسة ملايين وأراني محلات ومواضع قد أنشأت هناك لما يتطلبه الوضع.

وذلك لما زرت الظهران وقمت برحلة لمدينة الظهران عام ست وسبعين بعد الألف وثلاثمائة ووجدت هناك الشهم عبد الله بن سليمان بن عيسى من أهالي مدينة بريدة كان يمارس أعماله في الأمن هناك، وقد أثنى على مدينة الظهران، وإن الله سبحانه قد جعل فيها رزقاً لأولئك العمال الذين رحلوا إليها كما وجدت القائد تركي بن عبد الله بن عطيشان من أهالي بريدة وكان هو قائد المنطقة إذ ذاك وفيه شهامة وتقدم أهله إلى أن يكون هو القائد العام، وكان تركي معظماً لديهم ويكنى أبا علي ويحترم لما كان فيه من صفات الرجولة والتقدم.

كما وجدت هناك أمير الخبر عبد الرحمن بن عيسى بن رميح كان أيضاً من مدينة بريدة ورأيت يستعد لإقامة مأدبة لأمر قطر علي بن عبد الله بن ثاني ويستعد لما يتطلبه الوضع لإكرام أمير عربي، وبما أن الأمير عبد الرحمن قد كان بيني وبينه صلة ومعرفة ذكرت له أنه لو اكتفى بأمير المنطقة سعود بن جلوي فهو والد الأمراء هناك فذكر لي بأنه لا يحب الخمول وإنما له نفس عالية تطلب المجد والرفعة ويا للأسف أنني غادرت البلاد ولم يساعدنني الحظ للجلوس معهم على تلك المائدة وكان عبد الرحمن مديراً قبل ذلك لمدرسة قرية الطرفية ففرقت به الأحوال إلى أن يكون أميراً من أمراء المنطقة الشرقية ونفسه تطلب المجد وقد توفاه الله بعد ذلك وهو يزاول العمل في إمارة الخبر عن عمر يناهز الستين من الأعوام.

ولقد كانت المنطقة كلها تخضع لإمارة سعود بن عبد الله بن جلوي وجلوسه في مدينة الظهران اختاره الملك المغفور له عبد العزيز وكانوا يرون عند أشياء من تأمين المنطقة، فقد استطاع أن يوقف كل معتد عند حده وتركهم أمة طائعين خاضعين لحكومتهم وأصبح كل فرد منشغلاً بنفسه وتأديب من خرج عن الجادة وللأمير سعود قصص في الأمن تقدمت في ترجمته في سنة وفاته فإنه كان أميراً وأي أمير قد خضع لسلطوته القريب والبعيد هناك وإذا ذكر اسمه أمام البدوي من الأعراب وقطاع الطريق فإنها تكاد يفصل جوارحهم ذلك لما يعرفونه من صرامته وشدة بطشه وكان عريقاً بالمجد ولا يقعقع له بالشنان ويا ويل كل معتد وكل متجاوز لوضعه فنسأل الله تعالى أن يغيث الحكومات الإسلامية بالرجال الأكفاء الذين يسهرون على راحة الشعوب وأمن الأمة.

وممن وجدت هناك زميلنا في الدراسة على الدرب صالح بن محمد الصقعي في مدرسة الأهلية وهو محمد بن علي بن مطلق مدير مطار الظهران، كان يقوم بأعماله بجد ونشاط أتيت إليه وقلت له أن الأيام التي أريد قضاءها في هذه المنطقة قد انتهت وقد قال لي المسئولون أن الطائرات محجوزة لنصف شهر للحجاج، كما أن القطار السريع محجوز لمدة أسبوع فقال لي أين عفشك فقلت حاضر ولكن كيف أصنع بدعوة قائد المنطقة تركي بن عبد الله فأجابني بقوله: إذا عزمتم فتوكل على الله ويسمح القائد عن حضوركم فنفعني بالركوب رغم الحجز والمحاضرات، وكان وديعاً أديباً وممن وجدت محمد بن علي الحوطي من أهالي بريدة، كان يقول إنني قدمت سياقة القطار فساقها الله لغيري وكان يسوق سيارة قلابي من ذوات النقل وممن وجدت هناك محمد بن سليمان بن عبد الله بن مشيحق أهداني كتاب تاريخ حميدان الشويعر وابن ربيعة وابن لعبون وابن سبيل شعراء النبط المشهورين وكانت الأمة ينتهزون من الأيام والليالي كأنها أيام وليالي أعياد وذلك للقبول في مدينة الظهران.

أما عن الشهم عبد الله بن سليمان بن عيسى فقد رجع إلى وطنه ومسقط رأسه مدينة بريدة واتخذ مزرعة واسعة النطاق في وادي الرمة في الجهة الشرقية الجنوبية وعاش بها حتى توفاه الله فيها لأن المؤمن يحب وطنه وحب الوطن من الإيمان.

إقامة السوق المركزي في مدينة بريدة

لما تقدمت المدن في هذا العصر وقامت تتفاخر بالزينات في مداخلها ومخارجها باقامة شلالات ترفع المياه وتضعها ونصب رموز عن كرامة العرب وما يسمعونه أولاً من المباني وأباريق القهوة والقدرور والصواني بحيث ترفع هذه الرموز فوق قواعد لترى بضخامة وحسن وضوح فقد وضع في مدينة بريدة سوق بعدما هدمت مئات البيوت المقامة من الطين واللين وذلك في قلب المدينة الأولى الذي كان يقع في جنوبها بحيث أزيل ثلاثون شارعاً وما على ضفتي الشوارع من البيوت وجعل مكانها البالغ في السعة قدراً طويلاً عريضاً وبنيت فيه مظلات مسلحة هذه للحوم وأخرى للبطيخ وساحة للتمور وأصبح ذلك السوق من أكبر الأسواق في الشرق الأوسط وجلب إليه أنواع الفواكه والخضراوات من اللوبيا والكوسا والباذنجان والقثاء والبطاطس والمنجا والملفوف والخيشان والمشمش واليقطين بأنواعه والبرتقال والتفاح والكمثرى والموز وفواكه الهند ومصر والشام واليمن بأنواعها كان ذلك السوق في مدينة بريدة لا يكاد يفقد فيه مما تطلبه النفوس وجلب إلى ذلك السوق أنواع الكماة والأقط والسمن.

فأما ما كان من الخضراوات فتباع بأقيام زهيدة لكثرتها وأما السمن فأحضر من الأسواق بحيث بلغت قيمة السمن إلى قدر عظيم في الغلاء وأصبح ذلك الميدان الذي كان من قبة رشيد المعروفة شمالاً إلى منقى حيالة ريشة جنوباً موضع مكان إيقاف الأقدام من كثرة من يرد عليه من الزبائن وكانت السيارات تحمل مما في ذلك السوق وتذهب إلى البيوت والضواحي والقرى والمدن التابعة لمدينة بريدة من عقلة السبله غرباً إلى مدينة الزلفى شرقاً ومن هجرة الصقور وساجر جنوباً إلى قرية

الكهفة شمالاً ولم يقتصر تموين على تموين المنطقة حتى تجاوز إلى الرياض وحائل والمدينة المنورة ومكة المكرمة إلى ذلك الجمعة والعاظ وشقراء حتى امتد إلى الكويت شمالاً إلى عسير جنوباً فسيحان مداول الأيام والليالي، ولقد عم الهدم إلى منطقة السوق مسجد ناصر بن سليمان بن سيف ومسجد الشيخ محمد ابن عمر بن سليم ومدرسة المعلم صالح بن محمد الصقعي.

قال بعض الأدباء والمواطنين في ٩/٣/١٤٠٢هـ يعني من هذه السنة ستودع مدينة بريدة خلال الأسبوع القادم مدرسة علمية شهدتها المنطقة الوسطى قبل تأسيس المدارس الحكومية ألا وهي مدرسة الصقعي المنسوبة لصاحبها صالح بن محمد الصقعي حيث تقوم بلدية بريدة بهدم الحي السكني الذي يضم هذه المدرسة وذلك ضمن مشروع المرحلة السادسة التي سيقام عليها السوق المركزي ببريدة وهذه المدرسة لها فضل على عدد من العلماء والكتاب والأساتذة بحيث خرجت المئات من القراء والعلماء والمهرين والأدباء والمثقفين وقد توفي مؤسس هذه المدرسة في عام (١٣٥٧هـ) رحمه الله وكانت تحتوي في وقت ازدهارها على ٤٥٠ طالباً وقد تم ترشيحه لإدارة المدرسة المذكورة، لتكون حكومية قبل وفاته بأيام وقد كانت المدرسة فاتحة أبوابها لتعليم القرآن الحكيم بقراءة مجودة وحفظ وتعليم الحساب والإملاء والعلوم الدينية.

وقد قدمنا عنها ذكراً في سنة وفاة صاحبها وبموته انطفأت تلك الشعلة وخذت تلك الجذوة والآن يعمل فيها معاول الهدم والنسف حتى أصبحت أثراً بعد عين فسيحانه من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ومما قال بعضهم في الفراقيات ودمار المنازل وحلول الكوارث:

أحاط بها أمر المليك فأصبحت معطلة تبكي على فقد طالب
فاها على تلك الرياض قد أفقرت رياح بها تسفر على كل جانب

وقال غيره:

تغير لون من ديار الحباب ولم يبق فيها بعد إلف وصاحب
سوى موقد للنار من بعد مرجل أثافي سفاع بين تلك السباب
وقفت على الأطلال تذكّار معشر وأنس مضى هل كان يوماً باب

وقال غيره:

وقفت على الأطلال أذري مدامعي وأبكي زمان الوصل مع كل طالب
تذكرت أياماً خلت ولياليا معاهد أفواج زهت بالحباب
فأها على ذاك الزمان وأهله وآها على فقد العلى والصاحب

وقال الشاعر يبكي عالماً من العلماء ويرثاه:

وقمت أنادي في الطلول وادمعي تروي الشراء إذ منه واره بلقع
وبكل حال فإن تلك المدرسة زرعت زرعاً فأخرج شطأه ولا يعرف قدرها إلا
من شرب من ينابيعها ولو قمت أعدد خريجيها لضاق الموسع وكان نباتها الكبار
والصغار وإن كانت إنما أسست للأطفال لكنها لم تقتصر عليهم وكان يتلقى جميع
قاصديها بصدر رحب وقبول وكان من ضمن طلابها الشيخ الشاب محمد بن عبد
الله بن الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم والشيخ محمد بن رشيد الحمود الريش
وحمّد الجاسر وصاحب التاريخ المشهور وأنجال آل مشيق وأنجال آل رشودي
وأنجال آل مهنا وأنجال صالح بن سليمان المطوع أخوة الشيخ محمد بن صالح
المطوع وأنجال آل غنام وأنجال آل مرشود وغيرهم خلق كثير وجم غفير من لا
يحضرني ذكرهم.

وكان في مدينة بريدة مدارس أهلية قبل أن تنشأ المدارس الحكومية كمدرسة
ناصر بن سليمان بن سيف الكائنة بجوار مسجده ومدرسة محمد بن عقيل في
جنوبي بريدة ومدرسة المطوع في شمالي بريدة ومدرسة عبد العزيز بن فرج

ومدرسة محمد بن صالح الوهيبي ولكنه بتأسيس المدارس الحكومية انتهى وقتها ونقل أربابها إلى أن يكونوا مدرسين في تلك الدوائر والمدارس الحكومية كما أنه موجود في مدينة بريدة مدارس أيضاً للبنات، وقد تعطل سيرها لما فتحت مدارس البنات الحكومية.

ذكر حالة القتال بين العراق وإيران

لما نشبت الحرب بين الفريقين قام رئيس العراق صدام حسين يستنهض العرب ويطلب منهم المساعدات ليقوم بنحر إيران ويقف سداً بينها وبين العرب فاستجابت له المملكة السعودية والكويت وأمدوه بالسلاح والذخائر وجعلت التريلات وناقلات المدافع الضخمة القوية تسير شحناتها إلى العراق بغير حساب وانخدعوا له ولم يتنبهوا إلى كيدته ومكره وكان يتظاهر بأنه يقوم كسد قوي بين إيران والخليج وحسنوا به الظن وكان بخلاف ما يظهره بل جعل يجمع الأسلحة والذخائر التي بلغت قيمتها مليارات النقود ليومها الموعود وهو ما انطوى عليه ضميره من المكر والكيد لأولئك الذين أمدوه بالسلاح والذخائر ويستغيث ويستنصر العرب للمصلحة العامة بزعمه الكاذب.

ولما قامت أمريكا بنصرته ضد إيران خضعت إيران برئاسة الخميني وانقادت إلى الصلح مرغمة بعد ما قتل بسبب هذا الطاغية مئات الألوف من بين الطرفين حتى قيل أن العراق وإيران خسرتا مليون مقاتل بسبب الطاغية الأكبر، وكان قد أحضر لديه في العراق عمالاً روسيين يصنعون له السلاح المدمر من الخردل والأدوات الكيميائية أضافها إلى ما استحصله من العرب وقلب ظهر المجن وأقبل يريد هتك الكويت وضرب السعودية بما لديه من الأحوال.

وكان قد اتخذ ملجأً يحتوي على رقعة كبرى في بطن الأرض تسعه وتسع أتباعه وأسلحته وذخائره التي قام بجمعها واستعد استعداداً لا يصل إليه ضرب القنابل من الجو والبر والبحر.

ولما عرف الجيران ماذا يسعى إليه وما يقصده ذكروه حسناهم ومساعداتهم له
غير أنه كان عازماً على ما يضره من سوء والخيانة كما سيأتي.

ولما أجمع أمره بعد مضي عشر من السنين نفذ ما أضمره من الشر فضرب
الكويت من دون سابق إنذار ولا عداً بينه وبينها ولما أن هتكها وهو يريد القبض
على أسرة آل الصباح غير أن الله سلمهم من شره وفروا إلى السعودية كما فر
أهالي الكويت مع الصحاري والتجأوا بالسعودية وقتل من قتل منهم وهتك
نسائهم وأعراضهم وهدم قصورهم وأعاد ذكر الصليبيين الذين هتكوا الإسلام
وأهله بالأندلس كما سيأتي وأطلق صواريخ أرض أرض على السعودية وهي من
طراز سكود وقوية التدمير بعيدة المدى بحيث تساقط بعضها في مدينة الرياض لما
أطلقت من قواعدها في العراق كما سنبينه فيما بعد وجعل يتظاهر بأنه لا يريد
الكويت فحسب بل يريد احتلال السعودية وتدميرها غير أن الله تعالى جعل كيده
في نحره ورجع بخفي حنين يجر أذيال الهزيمة واستطاعت أمريكا أن تخرجه وقومه من
الكويت ويرجع أهالي الكويت إلى وطنهم بعد التشريد والتعذيب وبعدما وضعت
الحرب أوزارها بينه وبين إيران.

ظهر أنه لم يحصل إلا على الخزي والعار وخسر حروبه كلها وأصبح ضحكة
لكل ساخر بعدما كان يقول أريد أن أجعل الكويت ميناء للعراق، وكان قد أفسد
أرض الكويت بالألغام الناسفة والمكائد المدمرة غير أن الله قضى عليها كلها.

هذا بعدما فجر آبار البترول في الكويت وأراد أن يقضي على الرطب واليابس،
وصدق الله حيث يقول: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠)
فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ

يُؤْتِيهِمْ حَاوِيَةً يَمَا ظَلَمُوا ﴿١﴾ وقال جل ذكره: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا
إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ
بِأَيْدِينَا﴾ ﴿٢﴾ فأصابهم الخزي في الدنيا بأيدي الأمريكان وقامت بالتفتيش على
أسلحتهم ومعداتهم وضربت قصورهم وسامتهم سوء العذاب وأصبحوا بعدما
كانوا يحلمون بالسيطرة على العالم إذا بهم خائفون غير آمنين في وطنهم تفرقت
جموعهم وتفرق عليهم شعبهم وما عند الله في الآخرة إلا خزي وهم لا ينصرون
وصار العذاب يلاحقهم في عقر دارهم.

ثم نعود إلى ذكر مدينة بريدة التي أتى إليها أهل الكويت حيث أصبحوا آمنين
فيها برغد من العيش ولقد كانوا في أوائل قدومهم يستجدون في الأسواق ليحصلوا
على قيمة وقود سياراتهم بحيث كان تاجرهم لا يملكون شيئاً، وعندما أمن
امراؤهم سعوا لهم في مالية الكويت ما يصلحهم وأصبحوا ساكنين في مواضع
الإسكان في مدينة بريدة في مدينة جديدة التي يقطنون مع إخوانهم السعوديين
ورجعوا إلى وطنهم شاكرين للحكومة عطفها، وإنها لمفخرة عظيمة وأيادي تستحق
الشكر والذكر ورفع الراية البيضاء لهذه الحكومة جزاها الله خيراً وأيدها وحفظها
من الأسواء.

ذكر شيء من تطور الزمان

لما كان في هذه السنة نشأ شباب في مدارس تحفيظ القرآن وضبطه وتجويده وكثر
أولئك الطلاب كما كانت جامعة الإمام محمد بن سعود تخرج الطلاب الذين منهم
المدرسون والقضاة وكتاب العدل فتولى أولئك الأعمال وأصبح القضاء بيد الشبيبة،

(١) سورة النمل، الآيات ٥٠-٥٢.

(٢) سورة التوبة، آية ٥٢.

بحيث لا يرى إلا شاباً أما الكهول والشيوخ فلا ترى منها إلا قلة من بقايا كانت متمسكة بالوظائف وأصبح جل الأئمة والخطباء والقضاة من الشيبية.

وقد أولع بلغتهم كثير من الأهالي يفضلون إمامة الشاب في صلاة التراويح وقيام رمضان والجمع والأعياد والقضاء فلا تكاد ترى في سائر الأعمال إلا من الشباب وكانت القدماء لا يبلغون عشرة في لمأه وقد أغرتهم الحكومة بكثرة المرتب فإنه زاد عددهم وبما أن القاضي فيما تقدم لا يبلغ مرتبه خمسمائة ريال فقد بلغت رواتب القضاة إلى عشرين ألف ريال شهرياً ومنهم من بلغ ثلاثين ألفاً، وكان منذ خمسة عشر عاماً لا يوجد قاضٍ إلا بعد تسخيره للقضاء فكان أولئك يتسابقون إلى القضاء لكثرتهم فأصبحت لا ترى رجل الأمن أو القاضي أو المدرس إلا شاباً وقد يندر في الأئمة من يكون رجلاً قد علاه الشيب أو كهل اللهم إلا من كان معلماً في وظيفة فسبحانه مطور الأحوال ومقلب الليل والنهار كما أن الأمراء المستجدين شباب وقل أن ترى الكبير واستمر الوضع كذلك.

ذكر الحروب والثورات

كانت فلسطين تغلي مراجلها من القتال بين أهلها وبين اليهود.

وجنوب لبنان فيه حرب اللبنانيين مع اليهود والقتال مستمر في لبنان بين الأهالي واليهود ولا تزال الغلبة لليهود لتوفر السلاح الحديث بأيديهم.

ومن جهة أخرى كانت أمريكا من ورائهم تمدهم بالأسلحة والطائرات والدبابات الحديثة والمدافع الثقيلة وقد استهدف لبنان لضربات اليهود ونسفهم كما أن وجود جماعة حزب الله وجماعة أمل المبعوثين من إيران وسوريا نشأ عن وجودهما استهداف لبنان لتلك القوارع وأن ينازع فلا تزال لبنان تغلي مراجلها بالشر والحروب.

وبما أن أفغانستان يسعى في الاستقلال والتخلص من الشيوعيين فلا يزال

في نزاع وقتال بين الأهالي وكانت الصواريخ والقنابل الصاروخية الموجهة من بينهم وكل جهة تحارب الأخرى فإن البلاء لا يزال مستطيراً والفتنة قائمة والثورات متتابعة وقد عجزت الأمة عن تسليك تلك الفتن.

وكذلك ما جرى في الصومال والعراق من الانشقاق والهند ويوغسلافيا من الحروب بين الصرب وبين البوسنة والهرسك أضف إلى ذلك إراقة الدماء في مصر وغيرها فإن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها استهدفوا للعقوبات والأذى وقد قدمنا في ذلك ما يكفي وما وقع عليهم بعد ذلك من ملاحقة المسلمين وأذيتهم فأصبح دين الإسلام يلاحق ملاحقة فلا حول ولا قوة إلا بالله وأسبابه تحاذل المسلمين وتفككهم ومن عاش فسوف يرى.

رجعنا إلى ما نحن بصددہ فنقول لما أن قامت المعدات بنسف الجهة الجنوبية الغربية من مدينة بريدة لجعل ذلك الموضع متسعاً وسوقاً مركزياً للنظر إلى الظروف التي دعت إلى ذلك من أن تلك الجهة كلها بيوت قديمة من الطين واللبن حتى اتصل الهد إلى الموضع المعروف بالسيح والبوطة ونخيل الهوشان والشقيري وكلها نخيل وآبار في غربي البلد ومن خلفها إلى الغرب كثبان الرمال ألقت تلك الشيولات والدركتورات والمعدات البيوت التي استقامت على اللبن والطين من قبل فازيل متان وخمسون بيتاً يتخللها ثلاثون دكاناً وأصبحت ليس فيها ديار ولا نافخ نار.

وكان بعض المولعين بتلك الخرائب لم يصدقوا وقاموا يرمون تلك البيوت بالحصا والجص ولما قامت تلك المعدات الحديثة والمعاول بنسفها وهداها ومن بينها مدرسة الصقعي التي أشرنا إليها بالذكر والنسف وقد انمحت آثار هناك مشهورة منها قبة سعيد المنسوبة إلى سعيد المنفوشي ومنها مسجد ناصر بن سليمان بن سيف واسمه القديم مسجد الجردة وهو من المساجد القديمة ومنها دار الحمامة وكانت هذه الدار عالية جداً، وقد أبقاها أمير بريدة إذ ذاك فهد بن محمد بن عبد الرحمن آل

سعود لتكون من الآثار ولكنها هدمت بعد موته وزواله ومن الآثار القديمة قبة رشيد المنسوبة إلى رشيد بن سليمان الحجيلان الذي مات قتيلاً عام (١٢٣٤هـ) على تدبير من الحرمه المعروفة بالعرفجية وهي الواقعة في السوق القديم.

وقد وقف الهدم على موضعها وما يتبعها من دكاكين قد يكون بعضها تابعاً لها وقد حظيت بازدهام شديد حينما كانت هي السوق المشهورة لبيع الخضراوات والتمور والفواكه حتى نقل ذلك السوق إلى موضع قصر بريدة حينما هدم بأمر من الملك سعود بن عبد العزيز واشتهرت قبة رشيد باسم صاحبها بحيث كان يجلس فيها ليشرف على الجهات الثلاث شمالاً وجنوباً وغرباً ويمتد منها سوق إلى جهة الغرب فيه دكاكين ضعيفة للنساء يبعن فيها أنواع الأباذير قد زالت جهتها الجنوبية تبع الهدم.

وفيها في ١٧/٨ الموافق لليلة الأربعاء وفاة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن زامل بن سليم أمراء مدينة عنيزة ويعتبر من رجالات المملكة العربية السعودية وكان مسكنه المزرعة المعروفة في عنيزة وتسمى الغبية وكان على جانب عظيم من الشرف والعقل والأدب وله شخصية بارزة في العلم والمروءة والأخلاق والطيبة.

والده الشيخ عبد العزيز بن زامل توفي شاباً عن عمر يناهز السابعة والعشرين في الوباء الذي حصل بمكة المكرمة عام (١٣١٠هـ) ولد المترجم بعد وفاة والده سنة (١٣١١هـ) في ١٦/٢ أي بثلاثة أشهر ويومين فنشأ المترجم في حضانة أمه وتعلم القراءة والكتابة وأخذ العلم عن علماء عنيزة كالشيخ صالح بن عثمان القاضي وأخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي وهو من تلاميذه الأقدمين وما زال يتقدم حتى كان من أعيان أسرته ومن وجهاء أهل بلده فهو الوجه المقدم، وله إلمام في العلوم الشرعية والعربية وله علم بارز في التاريخ والأنساب والأدب فكانوا يراجعونه في الأنساب لأنه من أبرز أهل بلده في ذلك وكان يقول الشعر، فمن شعره يمتدح شيخه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر سعدي قوله:

دع عنك ذكر الهوى واذكر أخا ثقة يدعو إلى العلم لم يقعد به الضجر
شمس العلوم ومن بالعلم متصف مفتاح خير إلى الطاعات مبتكر
بحر من العلم نال العلم في صغر مع التقى حيث ذاك الفوز والظفر
نال العلا يافعاً تعلو مراتعه فضله عند كل الناس مشتهر
بالفقه في الدين نال الخير أجمعه والفقه في الدين غصن كله ثمر

وكان إلى ذلك صاحب دين مالكا للسانه وحافظا لكلامه ومن رجال العلم والأدب أضف إلى ذلك كرماً ورجولة وعزة نفس ورزانة في العقل قمت مرة بزيارة للشيخ رئيس محاكم عنيزة عبد الله بن عبد العزيز بن عبدان في أناس من المشائخ والأعيان فوافانا المترجم عند الشيخ بن عبدان قبل صلاة العصر في أحد أيام سنة (١٣٨٨هـ) في برج الأسد ودعانا إلى منزله وأكد علي بالزيارة في السنة التي بعدها فقامت بدعوة منه بعدما عرض علي أن يصحبني رئيس الهيئات الدينية علي بن محمد السكاكر ومدير مالية بريدة حمد العبد المحسن التويجري وإبراهيم بن محمد بن الربيعان فاطلعنا على مكتبته الحافلة التي أقيمت من حجر وخدمت بالنوافذ والدواليب والأرفاف في جانب مزرعته.

وكنت طلبت منه ترجمة وزير المالية عبد الله بن سليمان فناولني كتاباً في التاريخ يحتوي على ترجمته وفتح لي باب المكتبة على مصراعيه وطلب مني أن آخذ ما شئت من المكتبة لكنني شكرته وأقسمت أن لا آخذ منها شيئاً وجعل يعرض عليّ كتباً غير أنني لغلائها لدى كل أديب مثله لم تسمح نفسي بأخذ شيء منها جزاه الله خيراً وجعل يناشدني أن آخذها فهي هدية من والد إلى صديق لكنني رفضت وكان عمره إذ ذاك في الثامنة والسبعين.

وصليت مرة صلاة الجمعة في الجامع الكبير بعنيزة وسلمت عليه وبعد رجوعي بعث إلي بخطاب قال فيه اعذر أخاك الذي بلغ من العمر ثمانين عاماً فلم ينتبه لك ثم توسل بكل طريقة أن أزوره وأخلف تلك الزيارة وكنت أظن أن الله منّ بفضلته

بزيارته واجتمعنا به في مناسبة زيارة قام بها فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد
للقصيم في موضع حوالي الورداني غفر الله له وأسكنه جنته.

ونعود الآن إلى هدم المساكن القديمة في بريدة والنسف فيها، وقد عم الهدم
بيوت والدنا الواقعة في تلك المنطقة التي عشنا فيها قرابة ثمانين عاماً.

احتراق مكتبة بريدة

لما كان في السنة المتقدمة أقيم في السطح المرادف لصالة المراجعات زيادة غرف
من الديكور فقد أن أحد المكيفات فيها حصل منه التماس كهربائي فسبب ذلك
احتراق تلك الغرف الجديدة وقضت النار على ما في تلك الغرف قضاء مبرماً
وأصبحت الكتب الموجودة في غرف الديكور كومة من الرماد والعياذ بالله.

وكان أمين المكتبة عبد الرحمن بن حمد الجطيلي إذ ذاك يبذل أسباب وقف
الحريق عليها تسلم فكتبت السلامة للصالتين المقامة من الإسمت المسلح والتهمت
النيران المنشآت الحديثة، ثم أنها نقلت بعد ذلك إلى جهة الصفراء في موضع مؤقت
حتى يتم بناء المسكن الجديد وهي تحتوي على مدير ومساعد ومحضرين وخدم
يتناوبون الحضور صباحاً ومساءً تحت إشراف وزارة المعارف.

وفيها انعقد مؤتمر قمة فاس المؤلفة لجنته سباعية من السعودية والأردن
والمغرب وتونس والجزائر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية فقام الأحرار
الليبيون ببناءات هذه اللجنة لإنقاذهم من غطسة معمر القذافي وما تعانيه ليبيا من
أذاة وتقلباته وتلقى المؤتمر من أولئك استغاثة مما هم فيه من العسف والشر وما
تعانيه ليبيا ولا سيما حكايتهم الحقائق لما رجع حاج ليبيا يروون الأمن في موسم
الحج وتكذيب الافتراءات المختلفة فلقوا من حكومتهم إهانة وأذى.

عود على بدء وبيان عن مدينة حماة المتقدم ذكرها، فنقول بعدما هدمت القوات
السورية مساجد حماه وأحرقت البيوت والمساكن وحطمت النواعير، فلقد قام

المجاهدون يدافعون دفاع المستميت، وكانت استغاثة الشيوخ والنساء والأطفال تسمع في كل ناحية واتصل العقيد الطائفي ديب ضاهر قائد الوحدات الخاصة قائد هذا الهجوم على اللاسلكي بقيادته يقول يا سيدي إن ٩٠٪ من القوات المهاجمة عندي أبيدت، فقال له رفعت الأسد اضربوهم بالنابالم، ولا أريد أن أرى بيتاً لا تخرج منه النار.

ومما جرى أن أحد أولاد المجاهدين البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً لما أمضى المجاهدون الليل كله في الدفاع قال لأمه إنني أريد أن ألبس ثياباً جديدة أقابل بها رب العالمين فحاولت أمه صرفه عن طلبه فأصرّ على ذلك ونال ما تمناه بعد انضمامه إلى الدفاع، ولما أن كان في اليوم الثالث من المعركة قامت قوات الحكومة تنادي بمكبرات الصوت وتحذر الناس من أن يشتركوا في المقاومة والدفاع وأفهموا الناس أنهم لا يريدون بهم شراً إن التزموا بالهدوء وعدم المقاومة مما طمأن الناس بعض الشيء ثم نادوا على الناس مرة ثانية، فلما اجتمعوا وجهوا إليهم تحذيراً أشد من مغبة الاشتراك في المقاومة ثم فرقوا الناس مما زاد في الاطمئنان والهدوء وقلل من عمليات الاختفاء ثم دعتهم مرة ثالثة إلى الساحة فلما أن اجتمع كثير من الناس بما فيهم الأطفال والنساء بدأت معهم حفلة إهانات وتعذيب أعقبها حفلة رشاشات لم تبق أحداً ممن حضر حياً ثم توجهوا إلى البيوت فبدأت عمليات النهب والسلب وقتل كل من لم يحضر المجزرة فكانوا يخرجون الأسرة أمام بيتها فتقتل فرداً فرداً يقتل الأب أمام ابنه والابن أمام أمه وأخته وسيق البقية إلى خنادق دفنوا فيها وقام حافظ الأسد بتصريحاته يقول إنه كانت هناك مدينة اسمها حماء كانت حفرة وسوف نردمها ونحرق مدينة حماء من الوجود.

وفعلأ جرى ذلك، فقد حوصرت المدينة من كل الجهات ثم قصفت بالمدفعية الثقيلة قصفاً عشوائياً بحيث قصفت الأبنية والمساكن من المدفعية وراجمات الصواريخ والدبابات ثم أرسل الأسد إلى مواضع الركام والأطلال جرافات

ضخمة فأزالتها وأحالت الموقع إلى ساحة ترابية جرداء وأصبحت مدينة حماة التي كان يعيش فيها أكثر من ثلاثمائة ألف مواطن بعد المجزرة التي تركتها أثراً بعد عين لا يوجد فيها سوى أربعين ألف مواطن فقط فروا إلى جهات الأرض من كل جهة.

ذكر بيوت الله التي هدمت

قامت الجنود المدفوعة من قبل الحاكم حافظ الأسد فجعلت مآذن المساجد أهدافاً لقنابل المدافع والطائرات فقصفت المساجد وهدمتها ومنها المسجد الشرقي في حي الشرقية ومسجد الشيخ إبراهيم في حي الدباغة ومسجد الأفندي وكان هذا المسجد قد سبق في العام الذي قبل هذا أن قصفته السلطة ومسجد سوق الشجرة وجامع الشيخ علوان ومسجد حي الشريعة ومسجد الأشقر في سوق الطويل ومسجد خان الصحن ومسجد المحسنين في حي البياض ومسجد الشيخ زين في حي الشمالية ومسجد حي الحميدية ومسجد عمر بن الخطاب في حي السخانة ومسجد حي المناخ ومسجد المسعود في حي المحالبة ومسجد حي كرم الحوراني ومسجد الشيخ محمد الحامد في حي المحطة ومسجد الحراكي في حي بين الخبرين ومسجد صلاح الدين في جنوب الملعب البلدي ومسجد الشهداء في حي الصابوية ومسجد الإيمان في حي الشريعة ومسجد الأربعين في حي الأميرية والجامع الكبير في حي المدينة ومسجد سعد بن معاذ في حي الغراية ومسجد ترسم بك في حي المجالبة ومسجد الهدى في حي طريق حلب زاوية الشيخ حسين كيلاني في حي الكيلانية، ومسجد الشيخ إبراهيم كيلاني في حي الزنبقي ومسجد الدرايزون في حي القصيدة ومسجد السرجاوي في حي الجراجمة.

وسقط ألوف القتلى ولم يرحموا طفلاً ولم يوقروا شيخاً كبيراً.

ومما يندى له الجبين ويبعث الأسى أن توجه الرشاشات حيث تسكن أربع عائلات فلما استيقظت الأسر من تحطم بوابة الفناء سمعوا النداء بأن يجتمعوا في إحدى الشقق التي اختارها الغزاة ثم هيات بنادقهم لحصدهم فحاول أحدهم

التوسل بحمل طفل رضيع ودفعه بكلتا يديه إلى الأمام قائلاً من أجل هذا الرضيع ارحمونا لعل ذلك سيثير عاطفتهم الإنسانية فأطلقوا الرصاص على الطفل وتمزق أمام والده وقتل والده وحصدت الرشاشات البقية.

وأمر الأسد بالعلماء والمشائخ فأخرجوا من بيوتهم وقتلوا في الشوارع وقد بلغ عدد العلماء اثنين وأربعين عالماً واعتقل من العلماء ستة وعشرون عالماً منهم أئمة ومنهم مؤذنون ومنهم خطباء حتى خلت مساجد سورية من الأئمة والخطباء الصالحين.

ولما اختبأ بعض الناس تحت الأنقاض ماتوا جوعاً وعطشاً بعدما نفدت أرزاقهم.

ومما يؤسف له أن يصعد صبي إلى الطابق الثالث فتلاحقه الجنود ويلقونه مرمياً من الطابق الثالث، ولما انسحبت عناصر السلطة ظناً منها أنها قضت على الأهالي في حماة تحت الأنقاض فكان أفراد كتبت لهم السلامة بعدما واصل الحفارة أعمالهم ليزيلوا الأنقاض، فانسحب أولئك في اليوم ٢٥ من شباط إلى موضع آخر، وإذا حفارة أخرى تعمل قرب الموضع فانسحبوا إلى حمام واختبئوا فيه فلما أن خيم الظلام استبدلوا موضعاً آخر تحت الأنقاض نحو جامع هناك وإذا عناصر السلطة يتمركزون للكنص فوق الأبنية العالية لكنهم عبروا الشارع إلى الحميدية فجاءع الشفاء فرآهم أحد العناصر وصرخ بهم ليقفوا لكنهم هربوا من موضع إلى موضع لشجاعتهم بعدما كانت العناصر تلاحقهم بكشاف النور، لكنهم كتبت لهم النجاة.

وفي بعض الأقيية تجمع تسع وثلاثون امرأة مع أطفالهم، وثلاثة رجال هرباً من شرور القصف لم يدر هؤلاء المساكين أن شر القتل يلاحقهم حتى الأقيية، فانهالت عليهم رصاصات العدو تحصدهم، واختلط أصوات التكبير بصراخ الأطفال بأزيز الطلقات، فما هي إلا لحظات حتى صعدت أرواحهم إلى بارئها.

ومما يدمي الأكباد في هذه المجزرة أن وجد طفل رضيع ابن خمسة أشهر بعد ستة أيام من المذبحة حياً يرضع من صدر أمه الميتة دماً.

وهكذا انتهت تلك المجازر الشنيعة التي تشمئز منها القلوب وتكرها فطر العالمين.

وكان في اليوم ٢٢ من شباط أمر السفاح رفعت الأسد فنودي بمكبرات الصوت لإحضار جميع المشائخ ومؤذني المساجد وخدامها من المعتقلات في حماة، وكانوا حوالي ألف شيخ وسيقوا إلى مكان مجهول ولا يزال مصير هؤلاء مجهولاً، وأتي بمسيحي إلى العقيد علي ديب أحد قواد الوحدات الخاصة فلما قدم بين يديه قال له يا سيدي إنكم تبحثون عن الإخوان المسلمين وهو مسيحي فأجابه العقيد أن مسيحي حماه كلهم إخوان مسلمون، وقد يرد على ذلك التصرف سؤال وهو هل كان شعب حماه كله مناوئاً للنظام فما ذنب الأطفال والشيخ والنساء الذين لم يحملوا السلاح ولم يتدخلوا في الموضوع، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١)، ولكن كانت كلمة الإخوان المسلمين قد أصبحت تطلق على كل وطني شريف، ولقد قالت الحكومة السورية التي يرأسها حافظ الأسد بقتل الجرحى والأطباء.

وأصبحت مدينة حماه التي بلغ عدد سكانها مما يلي ثلاثمائة ألف مواطن على التحقيق لم يسلم منهم سوى أربعين ألفاً كتبت لهم النجاة ومنهم من فر إلى جهة من تلك الجهات وبذلوا ما بين أيديهم من حلي النساء لرصدة الطرق ليتركوهم يفرون.

ولما اتصل العقيد الطائفي بسيد الأسد وشكى إليه هذا القتل الجماعي للرجال لأنه سيضيع عليهم فرصة التحقيق لمعرفة المجاهدين فما كان منه إلا أن يتصل

(١) سورة فاطر، آية ١٨.

بالعقيد الطائفي علي ديب ليحاوره في هذا الأمر فقال يا سيدي إن المعتقلات لا تكفي مع أننا لم نترك مدرسة ومعملاً يصلح للاعتقال إلا استخدمناه فقرر الأسد أن يعتقلوا الثلاثين ويقتلوا الثلث الثالث من رجال كل حي وكان يأتي الأمر بأن نسبة القتلى يجب أن تزيد في اليوم عن سبعة آلاف وفي اليوم الذي يليه يجب زيادتها إلى عشرة آلاف يومياً فصاعداً وقد سجنوا في مدرسة واحدة خمسة عشر ألف مواطن.

أما تعذيب المعتقلين من أهل حماه فمنها البرد والجوع والظمأ ومنها التعذيب بالملزمة، يؤتى بالمعتقل وتوضع رجله أو يده في الملزمة الضخمة ويشد عليها حتى يتمزق لحمه وتهرس عظامه، كما يوضع الرأس أحياناً إذا أرادوا القضاء على المواطن نوع آخر كرسي سليمان وهو اسم أطلقه الجلادون على الخازوق الحديدي الذي كان يجلس عليه الشخص حتى يسيل الدم من قفاه ويضرب خلال ذلك بالعصي والأكبال الكهربائية حتى يتسلخ جلده.

ومنها بساط الريح يعلق المعتقل من يديه ورجليه في السقف مع تجريح ظهره وبطنه بالسكين ويترك حتى ينزف دمه ومنها أسلاك الكهرباء توضع في لسان المواطن ودبره وقبله وكما يوضع أحياناً على سخانة كهربائية مشتعلة حتى تفوح رائحة لحمه.

ومنها الكي بالحديد المحمى، كانت أسياخ الحديد تحمى في النار وتغرز في جسد المواطن في الصدر والظهر والبطن وأي موضع من الجسد يخطر ببال الجلاد، ومنها الخنق فكانوا يخنقون بعض المواطنين خنقاً إذ يضعون رأسه على الجدار ويضغطون بأنبوب على رقبته حتى يموت.

وقد استشهد خلائق كثيرون من الشهداء من هذه التعذيبات، هذا ولا نطيل بذكر هذه الحادثة التي لم ينقل التاريخ مثلها في البشاعة، وقد دمرت مدارسها وحرقت محلاتها وحطمت نواحيها وحرقت بساطينها وحرقت البيوت ونهبت

الدكاكين ثم هدمت بعد سرقة جميع ما فيها وأعدمت الكيلانية المنسوبة إلى أحد أحفاد الإمام الجليل عبد القادر الجيلاني، وكانت من أعظم آثار سوريا الإسلامية، كل هذه الآثار بالنسف ومدافع الهاون وراجمات الصواريخ وضرب الطائرات وأهوال أخرى ولو أن هذه الضربات كانت بعدو للإسلام لكان أولى.

وفيها في ليلة الخميس ليلة ١/٢٣ سقط بيت أفراح في الطائف وكان قد أقيم فيه احتفال حضره ٨٥٠ مدعو من بين رجل وامرأة وطفل فهلك في أول وهلة ٤٥ ما بين رجل وامرأة وانقلب ذلك القصر من أفراح إلى أتراح وقامت فرق الإنقاذ بانتشال جثث الهلكى يساعدهم المواطنون وقد بلغ عدد الجرحى ٩٧ وأسفرت الكارثة عن مأساة شنيعة، وقد بعث الملك خالد بن عبد العزيز إعانات وتقويضات كبيرة إلى أسر الهلكى جزاء الله خيراً مما كان له جبر لقلوبهم.

وقد ذكرنا ولاية الملك فهد سدد الله رأيه وأمدّه بتوفيقه وكان لما أن تولى أمر بصرف راتب شهر إضافي للموظفين ودعوا له وشكروا له تلك المكرمة الطيبة ولما أن افتتح الملك فهد بن عبد العزيز القاعدة الجوية بمجدة أنشأ الشاعر محمد حسن فقي هذه القصيدة وأهداها لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والمفتش العام:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| إلى مثل هذا المجد تهفو النوازع | وتدعوا إليه منذ كنا الشرائع |
| ففيه لنا بعد الهدى كل عزة | وفيه لمن عادى الردى والبواقع |
| بدأنا به طفلاً وحطناه بالنهى | وبالحب قلباً يحتويه الأضالع |
| فما زال ينمو بيننا ونصونه | فشب الفتى جادت عليه المراضع |
| وها هو عملاق جناحاه رفعه | بها تزدهي أقوامنا والمرابع |
| إذا هلا هذي الربوع فما هما | سوى النار يصلها العدو المنازع |
| فما نحن منذ اليوم مطمع طامع | ولا دهته بالحقوق المطامع |
| إذا أنت رمت الحق من دون قوة | تقاصره فالحق لا شك ضائع |

أبا فيصل جاهدت حتى تبينت
فأنت لهذا الربع تحمي ذماره
فللعرب العرباء منك عوارف
وللمسلمين الأكرمين مودة
مآثر من سلم وحرب تألفت
ذرائع عن غاياتها ما تنكبت
كفى شرفاً للمرء تلهمه العلا
يلبيه عبد الله عند ندائه
لأبصارنا رغم الضباب المطالع
وما تكتفي بل عن سواء تدافع
تواكبها منك السيوف القواطع
مرفهة فرت عراها الودائع
محافل من لآلائها ووقائع
إذا انخرفت غاياتهم والذرائع
مجامع تستهدي به وجوامع
وسلطان يتلو والنجوم السواطع

زهوت بما شاهدت بالأمس حينما
وأبصرت من حولي التهلل والمنى
فقلت لنفسي اليوم ما أعذب الروى
ومن قبلها كانت هناك مزارع
كما رصعت كل الثغور يوافئ
إذا ذكرت في العالمين تطلعت
تمجدت يومي هل تطلعت باسماً
فصممت أن نحيًا حياة كمثلته
فتستشرف الأجداد منك ومن غد
لقد دارت الأيام غير وثيدة
ولم نك يوماً بالروائع أنما
وها نحن نصحو صحو مضرية
أولو العزم لا يرضون بالذل والخنأ

إلى آخرها لأننا نؤثر الاختصار.

ثم دخلت سنة (١٤٠٣هـ)

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها في عصر يوم الخميس الموافق حادي عشر محرم في الساعة الثالثة زوالي والنصف أي ما يوافق العاشرة والربع غروبي أصيبت مدينة الخفجي الكائنة حوالي الحدود الكويتية بعاصفة شديدة مصحوبة بمطر ممزوج بالحجارة يقدر بعضها بكبر كرة القدم هشمت السيارات وجرفت الرمال وأدخلتها المنازل وأسقطت بيوتاً وحملت السيارات فمنها ما أدخلتها في المنازل إما بتحطيم الحيطان أو إطارتها بالجو لأنها سقطت الحيطان وانقلب غالب السيارات وشالتها إلى مسافة خمسين متراً وهلك اثنا عشرة نفساً من جراء الرياح وجرح خمسون آخرون وتحطمت أعمدة الكهرباء في الشوارع والبراري.

وهبت فرق الإطفاء والإنقاذ من الدفاع المدني والشرطة والحرس الوطني لإخلاء العديد من المساكن خشية أن تسقط على أهلها وقد بلغ عدد أعمدة الكهرباء التي تحطمت خمسين عموداً وأحصيت البيوت التي سقطت في الوقت فبلغت ستة وأربعين بيتاً ولما سكنت الريح وقف الأهالي حوالي السيارات المتقلبة والبيوت المتهمة يشاهدون تمام قدرة الله عز وجل وهاجوا وماجوا فما بين فار ومختبئ وبين واقف يشاهد ما وصلت إليه الحالة.

وقد روى بعض الجرحى صفة الواقعة فقال: كنت أسوق سيارتي السوبر معي عائلي وعندما لاحظت العاصفة سارعت بإيقاف السيارة فتفجر زجاجها وانفتحت أبوابها وما هي إلا لحظات وإذا السيارة ترتفع إلى الجو وبعد ذلك لم أشعر إلا وأنا في المستشفى.

وذكر أحد المصابين قال: كنت أعمل مع زملائي في إحدى البنايات بالمنطقة عندما فوجئت بسقوط الأعمدة المقامة من الحديد والخرسانة والإسمنت فشاهدت

زملائي وهم تحت الأنقاض يئنون من الآلام نتيجة تعرضهم للإصابات المختلفة وقد قلبت السيارات الثقيلة الشاحنة وغيرها.

واحتلت العاصفة مساحة كيلوين طويلاً وعرضاً أي مليون كيلومتر فخلفت وراءها كثيراً من المنازل المهدامة التي سقطت على بعض ساكنيها أو العمال الذين يعملون فيها وقد شاهدوا أنواع السيارات الشاحنة وهي تطير في الجو عن مستوى الأرض بشكل لا يصدق بمثله ولكنها قدرة الله عز وجل ويروي المسنون في الأعمال أنهم لم يشاهدوا مثل هذه العاصفة طوال أعمارهم، وقد تضاعفت حدة العاصفة بأعاصير شديدة تندفع بسرعة مخيفة قلعت المساكن والأعمدة الخرسانية وأعمدة الكهرباء، وقتلت بعض السكان ونشوء هذه العاصفة من صباح اليوم المذكور بحيث أصبحت أشعة الشمس محتجبة وتحولت السماء إلى شبه السحابة السوداء ثم هبت في الوقت المذكور وكان ذلك في منتصف الموسم ٢٨ تشرين أول أكتوبر.

وفيها في ليلة الأربعاء الموافق ١٧ محرم هبت على القصيم رياح شديدة وذلك في الساعة السادسة ليلاً بالتوقيت الغربي الموافق للساعة الحادية عشر واثنتين وعشرين دقيقة زوالي ويصف المشاهدون لها بأنها مخيفة جداً وكانت مصحوبة بأمطار ممزوجة بمجارة على أمثال البرتقال في كبره فهشمت السيارات في مزرعة سمو الأمير متعب الكائنة في طريق الرياض وما حوالها وحطمت زجاجها وقتلت ما أصابت من الأغنام هناك وما مرت عليه في جناحها شمالاً حوالي مرتقى سكة الإسفلت في خط الطرفيه وكان عدد البهائم التي أصيبت تقدر بثمانين رأساً فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها في ٥/٨ نزلت ثلوج على لبنان وما يليه بحيث انسدت الطرق وعجز بعض الجهات عن الخروج من منازلهم فكانوا محاصرين، وارتفع الثلج بقدر سبعة أمتار وهلك من الأنفس البشرية ما لا يقل عن أربعين قتيلاً وقامت فرق الإنقاذ بما تستطيعه من بذل الجهود لسلامة الأنفس وتخفيف الوطأة عن السكان.

وكثيراً ما ينزل الثلج على جهات الشام فقد ذهب رفقة من العقيلات بعد صلاة العصر للترهة والفرجة ماشين على الأقدام من موضع إلى موضع وذلك في برج الحوت من عام ١٣٥٤هـ وكان الجو متعكراً، ولما أن رجعوا كان أن سقط الثلج وبنى على سطح الأرض شبه مدينة فكانوا يمشون حتى أدركهم الإعياء من شدة البرد وسقط غالبهم وكان من بينهم علي الحليسي فما زال يسير والثلج يكاد يحرق قدميه حتى انخفس الثلج وسقط على بيت من الشعر فيه سكان وعوائل نساء ورجال وأطفال قد أضرموا ناراً وبين أيديهم سراج والثلج قد بنى من فوق البيت، فلما وقع عليهم كان في آخر رمق من الحياة لولا أن الله دافع عنه المنية فقاموا إليه وأجلسوه على النار وأتوا بفتاتين من البنات وأجلسوهما إلى جانبيه، ومن عاداتهم أن يعالجوا مثله بذلك لأن حرارة الفتاة تؤثر على البرد وتكشفه، ولما أن أفاق أتوا له بثياب أخرى وخلعوا ملابسه لتجف ولما أن وصلوا إلى خفي القدمين لم تخرجوا إلا بعد أن انبرت الأصابع، ولما كتبت له النجاة عاش من دون أصابع القدمين فكان على الدوام يلبس الخفين نتيجة احتراق الأصابع من الثلج.

عاصفة تجتاح الإحساء

ففي هذه السنة في ١٥ محرم منها عصفت عاصفة مصحوبة بالثلج على مدينة الإحساء، ولما أن هبت العاصفة كانت مصحوبة بالأمطار أيضاً فانتزعت الأشجار الكبيرة وكان هبوبها في الساعة الأولى من صباح ذلك اليوم ولم تكتف العاصفة بقلع الأشجار فقط، بل اقتلعتها ودمرت ما حوالها من الأرصفة لما أن انتزعت الأشجار من جذورها فتخربت الطبقة الإسفلتية الكثيفة وانهار منزل سقط على سيارة فحطمها وهشمها وأدت العاصفة إلى تعطيل العديد من السيارات في الشوارع والطرق.

وقد غطت الثلوج بعض شوارع الإحساء بكميات كبيرة من ثلج واحتل الثلج مساحة كبيرة من ساحة سوق المبرر أمام محلات الفحم وأسواق الجوهر وقد

خرجت الأمة من الأسر والعائلات في تلك المناطق لمشاهدة الثلج ومشاهدة قدرة الله تعالى.

هذا وقد أثر الثلج والعاصفة كثيراً على المزارع في الإحساء وتناثرت في كل مكان وتلف الكثير من المزروعات نتيجة لذلك.

وقد نفى أحد المسؤولين في الدفاع المدني بالإحساء وجود إصابات أو حوادث بشرية تكذيباً لما شيع واقتلعت العاصفة النخيل وأصبحت الأرض كتلة بيضاء وبحوراً من الثلج.

أما عن كارثة الخفجي فتعتبر أسوأ كارثة يشهدها الخليج ولقد تدمرت المنازل وانكفأت السيارات فكان أعلاها أسفلها وأصبحت المنازل والسيارات لا يرى إلا آثارها ويشاهد مواطن أمام سيارته التي ارتفعت كفراتها إلى السماء يتأمل قدرة الله وسيارة أخرى كفأت الحائط ودخلت بالبيت وسيارة حملتها العاصفة إلى مسافة خمسين متراً وقام أمير الخفجي خالد بن تركي بن عطيشان يتفقد المصابين وقامت كافة الإدارات والمصالح الحكومية بانتشال الجثث والمصابين من تحت الأنقاض وتقديم الخدمات الإسعافية والطبية للمصابين في مستشفيات المنطقة وعلى الفور قام أمير المنطقة الشرقية عبد المحسن بن جلوي بتشكيل لجنة خاصة لدراسة ومسح المنطقة المنكوبة.

وفيها في شهر جمادى الثانية ضربت العراق إحدى آبار النفط الإيرانية فانساح النفط بصفة مخيفة على مياه الخليج بحيث أدى ذلك إلى تلف الأسماك وإفساد المياه التي جعلت للتحلية فاتخذت إيران من ذلك شغباً على العرب وإمارات الخليج وما نعت فرنسا ومن أراد سدها من سدها كل ذلك أذية للعرب لأنه لا يمكن سدها إلا بإيقاف القتال فلم ترضخ إيران، هذا وقد قتلت العراق وأسرت في أواخر الشهر من الجنود الإيرانية ما يبلغ خمسة آلاف إثر مهاجمة جرت بين الفريقين.

وفيها في يوم السبت ٧/١٧ احتفل في مدينة الرياض عاصمة المملكة السعودية

بافتتاح منجم الذهب في المهدي وكان هذا المنجم قد استعمل منذ منتصف القرن الرابع عشر خمس عشرة سنة ثم أغلق إلى حاجته الماسة.

وفيها في ١٣/٥ نزلت ثلوج على تركيا في العاصمة إسطنبول بحيث حوَصِر ثمانية آلاف من الأنفس البشرية، وقامت فرق الإنقاذ وذلك فيما وافق ٢٤ شباط فبراير.

وفيها في اليوم ٢٣ من رجب الموافق ١٦ برج الثور ٦ مايو يوافق يوم الجمعة هبت رياح شديدة في الساعة الحادية عشرة والنصف من آخر النهار أقبلت من الجنوبي الغربي بقوة شديدة لم يعهد مثلها فأظلم الجو ظلمة الليل مصحوبة بمطر خفيف ولبت حوالي ٢٥ دقيقة، وهذه لم يعهد مثلها منذ خمس وأربعين سنة بحيث كان المستهدف لها في خطر شديد جداً وفي أواخر أيام برج الثور أوائل أيام شعبان توالى نزول الأمطار على القصيم ولا سيما بريدة، وقد يكون تارة ممزوجاً ببرد دقيق وصحبها رياح شديدة جداً سقط لها سقوف الزينكو أطارتها جواً وتفرقت شذر ومذر.

وفيها نشأ في بريطانيا والسوفيت مرض الجدري في الحيوانات ولاحظ الخبراء أن قسماً من النمر والأفيال أصيبت به كما أعلنت إحدى الجامعات البريطانية عن إصابة ثلاثة من قطط المنازل بهذا المرض، كما قد أوضح الخبراء بأنها أصيبت به بعض الخيول.

وفيها في شهر محرم الهجري الموافق لشهر أكتوبر أصيبت إسبانيا بأمطار غزيرة جداً هطلت في إقليم فالينسيا الإسباني اجتاحت السيول المناطق السكنية ونجم عنها مصرع خمسة عشر شخصاً وإصابة العدد الكثير بجراح وشرعت السلطات في توفير المأوى لمائة ألف مواطن تهدمت منازلهم وتصدع سد هناك مما يشكل خطراً جديداً على المنطقة المنكوبة، وقد سارعت السلطات الإسبانية إلى مناشدة العالم لإغاثةها وقد تبرعت المملكة السعودية بمبلغ عشرة ملايين دولار لإغاثة المنكوبين هناك.

وفيهما اعتنق أكثر من ثلاثين شخصاً الإسلام وتشهدوا في مدينة (نوكسفيل) الأمريكية لما شاهدوا عرض المسجد الحرام واستمعوا إلى المواعظ فيه.

زلازل وقوارع تصيب اليمن

لما كان في يوم الاثنين ٢٨/٢ من هذه السنة الموافق ١٣ كانون الأول ديسمبر (١٩٨٢م) من هذه السنة الموافق ١٣ كانون الأول ديسمبر (١٩٨٢م) أصيبت اليمن الشمالية بزلزال شديد تضرر مائة وثلاث وثلاثون قرية وبلغ عدد القتلى لأول وهلة ٧٠٠ قتيل أما الجرحى فقد استقبلت المستشفيات في اليمن حوالي ١٥٠٠ جريح، وقد انمحت ٣٣ قرية وبعثت الحكومات العربية مساعدات من الأدوية والخيام ولقد نودي بأنحاء المملكة السعودية بالتبرعات لإخوانهم أهل اليمن ومواساتهم نودي بذلك في الجوامع وأن يمدوا يد المساعدات إلى هذه المملكة المصابة بالأضرار فسارع المسلمون إلى ذلك واستمرت الزلازل في اليمن.

وفي صباح يوم الخميس الموافق ١٥/٣ حصلت هزات أيضاً في ذمار أما عن الزلازل التي لم يعهد مثلها وما نجم عنها في اليمن الشمالية فإنها تداركت والعياذ بالله ففي ليلة الأربعاء ٣٠ صفر وغرة ربيع الأول فقد بلغ عدد القرى التي تضررت من تلك الهزات الأرضية على جهة التحقيق مائتين وثلاث وتسعين قرية منها ما انمحت عن الخارطة الأرضية ومنها ما أصيب معظمها ولقد هرعت رجال الأمن والإنقاذ لانتشال جثث القتلى وامتألت المستشفيات بالجرحى وأصيبت الأمة اليمانية بقوارع شديدة وهبت القوات والدفاع المدني لتخفيف الوطأة عن السكان الذين سقط منهم ما لا يقل عن ٢٨٠٠ قتيل عياداً بالله وقامت الحكومة السعودية لنجدة المنكوبين وواصلت مساعداتها من خيام لمن تهدمت بيوتهم وأكسية وأدوية بلغت حمولة ثلاثاً وأربعين طائراً أما النقود فبلغت مائة مليون وتبرع الموظفون بالسعودية براتب يوم من رواتبهم وهبت الحكومات المجاورة إلى المساعدات أيضاً، والأمر أعظم مما ذكر وأدهى.

فقد أضر ذلك الزلزال بنسبة عشرين بالمائة من مساحة اليمن ودمر أكثر من عشرين مدينة وشملت الأضرار منشآت زراعية وصناعية، وقدر عدد الذين شردوا بنحو نصف مليون وبلغ عدد المنازل التي تصدعت وتهدمت (٢٥) ألف منزل وقدرت الخسائر بنحو مليار دولار.

منبر يُصنع للمسجد الأقصى

في القاهرة تم الاتفاق على تصنيع منبر جديد للمسجد الأقصى المبارك بدلاً من المنبر الذي أحرق عام (١٩٦٩م) ويتم تصنيعه بنمط على ضوء التصنيعات التي تنطبق على الأصل لمنبر صلاح الدين وذلك في يوم الأربعاء ١٠ / ٥ / ١٤٠٣ هـ بين محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء برئاسة الجمهورية و الأمين العام لهيئة إعمار المسجد الأقصى والأماكن المقدسة بالقدس العربية والدكتور عبد العزيز قطان قاضي القضاة ورئيس هيئة إعمار الأماكن المقدسة الأردنية كما تم تنسيق التعاون بينهما لاستئناف العمل المشترك في استكمال ترميم الأماكن المقدسة بالقدس العربية خاصة ما أصابها من تلفيات في السنوات الأخيرة.

وفيها في ١٣ / ٥ زار الرئيس حافظ الأسد عظيم سوريا حكومة الجزائر، ذكرت صحيفة الخليج التي تصدر في الشارقة أن هذه الزيارة ستتركز على بحث الأوضاع العربية الراهنة وإحياء جبهة الصمود كما تدخل في إطار الجهود المبذولة لتصفية الأجواء بين الجزائر وليبيا.

تعذيب إيران للأسرى

نشرت إحدى الجرائد ما قامت به إيران من تعذيب منهجي للأسرى الذين تحتجزهم كإسرى في الفترة من ٩ أغسطس آب الماضي إلى ٨ سبتمبر أيلول الحالي وسحب دماء الأسرى المحكوم عليهم بالإعدام، وسينقل هذا الدم إلى حراس الثورة الذين أصيبوا بجراح خلال مصادمات وقعت في المدن أو معارك على الجبهة

العراقية الإيرانية، وتم تنفيذ أحكام الإعدام في أكثر من ٤٥٠ شخصاً وتوالت عمليات التعذيب من ضرب وحرق وصعق بالصدمات الكهربائية والتعليق بالقدمين وبالشعر والحرمان من النوم والغذاء والعناية والإذلال والإهانة إلى غير ذلك من أنواع الأذى في ١١/١ من هذه السنة.

وكانت العراق قد أحبطت هجوماً إيرانياً جديداً في ٢٠ شوال من هذه السنة وقتلت من إيران أكثر من سبعة آلاف قتيل خلال عشرة أيام ونشرت العراق بياناً برقم ١١٦٩ إلى العراقيين وصفتهم بالأماجد وأبناء الأمة العربية الشرفاء بأن أعوان الخميني يجربون حظهم العاثر في عملية غزو فاشلة لأراضي العراق بدفع أبناء إيران في هاوية الطاحونة التي لا ترحم الغزاة ليرؤوس أعوانهم تتدحرج معفرة بالحزري والعار على أيدي العراقيين وذلك كان في ٢٠ شوال من هذه السنة.

ذكر من توفي فيها

فممن توفي فيها من الأعيان الشيخ محمد بن علي بن حركان، وكانت وفاته في ٩/٧ من هذه السنة وهو العالم المفكر الموصوف بالمجد والاجتهاد في العمل والدؤوب في ممارسة الأعمال حيث كان له منزله بين الناس وقبول ونال كمال الثقة من الملك فيصل رحمه الله بحيث نال درجة وزير العدل في المملكة العربية السعودية وقام بهذه الوظيفة خير قيام.

ولما أن تولى جلالة الملك خالد رأى أن تكون هذه الوظيفة في سلالة آل الشيخ رحم الله أمواتهم وسدد أحياءهم وجعلهم قادة في الخير فاختر لها فضيلة الشيخ إبراهيم بن محمد آل إبراهيم آل الشيخ وجعل فضيلة الشيخ محمد بن حركان أمين رابطة العالم الإسلامي، فقام بهذه الوظيفة خير قيام واستمر في هذه الوظيفة حتى مات، وكان قبل ذلك هو رئيس محكمة جدة الشرعية وكان سنه حال وفاته قد شمطه الشيب ويقدر عمره بخمس وسبعين سنة ويعتبر من رجال العلم والمحامين على دين الإسلام رحمه الله وعفى عنه.

ومن توفي فيها الشيخ محمد الريش، وهذه ترجمته: هو العالم المقرئ ذو الأصل والعقيدة محمد بن رشيد بن حمود الريش ولد في مدينة بريدة عام (١٣٣٢هـ)، وكان من جيراننا الأقدمين فنشأ في سن الطفولة في حضانة والديه ولما أن بلغ الثامنة من العمر أدخله والده في مدرسة المعلم صالح بن محمد الصقعي وتهذب فيها كجملة من درس فيها وحفظ القرآن عن ظهر قلب حفظاً مجوداً ونال درجة في الخط لا بأس بها وتعلم مبادئ الحساب.

التحق في الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم وجد وثابر على الدراسة بوقت كانت الظروف لا تساعد طالب العلم لضيق المعيشة وكان والده في ضيق من العيش ويكابد طلب الرزق ولما أن بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة أراد فضيلة الشيخ عمر أن يبعثه إماماً ومرشداً ويتولى عقود الأنكحة في هجرة الدليمية فرفض والده واعتذر بأنه كبير السن وليس له من يساعده على مشاق الحياة فأقسم الشيخ للمترجم بأني لم أبعثك إلا لتستعين براتب هذه الوظيفة وذلك لما يعلمه من حالته المادية فأخبر والده بكلام الشيخ فوفق أن مسجد أبي بطين الجنوبي الذي بناه محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الله أبا بطين الذي تولى الإشراف على بنيته كوكيل إبراهيم بن علي الرشودي ومهندس البناء هو عبد الله الماضي مؤذن مسجد ماضي قد خلع بناؤه عام (١٣٥٥هـ) فذهب والد المترجم إلى نحو الشيخ عمر قاضي القصيم، وقال له ذكرت عفا الله عنك وأحسن إليك أنك تريد مبرة محمد وإذا كان ذلك فنرجو جعله إماماً في هذا المسجد ببريدة فأقامه الشيخ فيه إماماً.

وفي عام (١٣٦٣هـ) وليَّ الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد قاضياً في القصيم فاتخذ المترجم كاتباً ونال منه الثقة ولازمه في حضره وسفره ودخوله وخروجه طوال مدته في القضاء ثم لزم هذه الوظيفة أياماً قصاراً لدى الشيخ صالح الخريصي ثم أنه كان في كتابة العدل ببريدة لدى كاتب عدل مدينة بريدة.

ولما أن تأسس مسجده جامعاً في أيام الشيخ عبد الله بن حميد كان خطيباً فيه،

ثم أحيل على المعاش قبل وفاته بتسع سنين واستمر في إمامة مسجده ذلك سبعةً وأربعين سنة إماماً وخطيباً.

وقد أصيب بمرض الربو وضيق التنفس في آخر عمره فكان يستنهب من يخطب عنه ويصلي التراويح وقيام رمضان.

أمّا في حال شبابه وقوته وأنه يجيد القراءة والترتيل بحيث أنه يعتبر من أحسن الناس في زمنه ترتيلاً، من خصاله تركه ما لا يعنيه والتزام خويصة نفسه وفي ٩/٦ الموافق ليوم الخميس توفي رحمه الله وعفا عنه عن عمر بلغ الحادية و السبعين.

ومن توفي فيها من الأعيان الفريق أول منصور الشعبي، وهذه ترجمته: ولد في مدينة البكيرية بالقصيم عام (١٣٣٣هـ) وتعلم فيها القراءة والكتابة، ولما أن كان في غرة محرم (١٣٤٨هـ) التحق بالخدمة العسكرية فعين جندياً مدفعيةً وتدرج في صفوف الجندية إلى أن رفع ملازماً ثانياً، وذلك في غرة ٨/ ١٣٦٢هـ وفي غرة ٣/ ١٣٦٧هـ ترقى إلى رتبة ملازم أول وفي ٥/ ٦/ ١٣٧٠هـ ترقى إلى رتبة نقيب، وقد عمل في الفوج الأول متحرك في مدينة الخرج، وفي غرة ٥/ ١٣٧٣هـ رقي إلى رتبة رائد، وقد عين قائداً لمنطقة الخرج وفي غرة ٩/ ١٣٧٤هـ وهو برتبة رائد وفي ١٧/ ١٠/ ١٣٧٥هـ ترقى إلى رتبة مقدم وقد عين قائد اللواء الثامن مشاة وفي غرة ٢/ ١٣٧٦هـ عين مساعداً لقائد منطقة تبوك العسكرية وفي غرة ٢/ ١٣٧٨هـ عين قائداً للواء العاشر مشاة وفي ١٧/ ١٠/ ١٣٧٩هـ ترقى إلى رتبة عقيد وفي غرة ١٢/ ١٣٨٣هـ ترقى إلى رتبة عميد، وفي ١٢/ ٦/ ١٣٨٥هـ ترقى إلى رتبة لواء وترقى إلى رتبة فريق في ٣/ ٧/ ١٣٩١هـ وأخيراً ترقى إلى رتبة فريق أول اعتباراً من ٩/ ١٢/ ١٤٠٠هـ، وقد حصل من الدورات منها دورة تدريب قيادة الخفيرة والتدريب على استعمال الأسلحة ودورة دراسة فرع الأسلحة ودورة صيانة مدفعية ودورة تدريب المشاة ودورة الضباط العظام كما حصل على العديد من الأوسمة ويصفونه بالتفاني والإخلاص لدينه ومليكه ووطنه، وما زال في الخدمة

مدى خمس وخمسين سنة ونال رضا الجميع بشجاعته وحُسن سلوكه إلى أن توفاه الله تعالى في ٣/١٥ من هذه السنة حيث تركت وفاته رنة حزن وأسى لزملائه وجميع عارفه تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته والمسلمين وكان فيه رجولة وله شخصية وعليه آثار الشجاعة والتقدم.

ومن توفي فيها الشيخ عبد الله بن محمد البقيشي رحمه الله وعفا عنه، كان من طلاب العلم ومن جملة الطلاب الذين اختارتهم الحكومة سنة (١٣٦٤هـ) للدراسة في دار التوحيد في الطائف، ولكنه رفض والده ذلك لأنه في حال السفر عرض له مرض منعه من السفر، وكانت ولادته عام (١٣٤٣هـ) فأخذ في القراءة في إحدى مدارس بريدة، ثم إنه التحق بالدراسة على فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم لكنه لم يتمكن من كثرة الأخذ عنه لصغر سنه، ولم يدرك إلا أواخر أيام الشيخ لكنه أخذ عن الشيخ محمد بن صالح المطوّع مبادئ من العلوم، ولما أن قدم الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد لازمه وأخذ بغيره وكان من خاصته والمقرّين لديه فجعله إماماً في مسجد الشيخ عمر بن سليم في جنوبي بريدة، ولبث في إمامة المسجد سنين، وكان موضع سر الشيخ عبد الله بن حميد.

ولما أن سار الشيخ عبد الله إلى مكة المكرمة كان من جملة الذين لازموا خدمة الشيخ وذلك في عام (١٣٨٤هـ)، حيث صدرت الأوامر على عبد الله بن حميد بالتوجه إليها لياشر وظيفة الإشراف الديني على المسجد الحرام فأكثر المترجم الأخذ عنه وقد يكون كاتباً لفضيلته في بعض الأحيان ويراجع المسألة له ويقرأ بين يديه في المجالس العامة، وجعله الشيخ من المدرسين في المسجد الحرام، وكان لين الطبيعة متحياً إلى الناس، وما زال على وضعه ذلك حتى سار مرة من بريدة ولما أن قرب من الطائف قد حمل عائلته ويسوق السيارة بنفسه أصيبوا بحادث صدم فهلك هو وبعض أفراد عائلته، وكانت وفاته في ١٤ ربيع الثاني من هذه السنة فآله المستعان.

أهوال تروى عن أهالي مدينة هيروشيما

نورد هنا قصة عن فتاة يابانية صماء من مواليد وسكان مدينة هيروشيما وهي أول مدينة في تاريخ العالم الحديث التي شاء الله أن تضرب أول قنبلة ذرية تدمرها ويموت من مات من أهلها بجرائق القنبلة وأن يبقى من بقي حياً من أهلها مشوه الخلقة من آثار الحروق ومريضاً يهدده الموت بسبب الإشعاع الذري الذي لم يزل رغم مضي قرابة نصف قرن على ضرب هيروشيما بالقنبلة الذرية.

وقد روى لنا التاريخ أن رجلاً أصيب بسبب الإشعاع منها فلبث ٢٥ سنة لم يذق غمضاً، وفقد طبيعة النوم، فكان بالليل يتمدد في فراشه ويريح مفاصله ولكنه فقد النوم فكان لديه مزرعة تقدر قيمتها بسبعة عشر مليوناً ويقول لو وجدت من يعالجني لأنام كما ينام الناس لبذلته له.

وهنا تقول الفتاة عن تلك الضربة التي وجهها الرئيس ترومان لقصف اليابان وقدمنا ذكرها في سنة (١٣٦٤هـ) فتقول الفتاة لما ألقيت معها مقابلة إنني أعيش الآن فتاة لا تستطيع أن تعمل ولا تستطيع أن تتزوج عرفنا أسماءنا ونحن في الماء عندما حدث القصف كان عمري ١٢ عاماً كنت أعمل مع مجموعة طلابية على بعد ميل واحد من مركز الهدف، وبعد سماع صفارات الأمان الكامل عدنا إلى العمل رأيت بريقاً ساطعاً وعندما استعدت وعيي أردت أن أعود إلى المنزل وبدأت أجري وصلت إلى جسر (تسور وميء) وكان هناك الكثيرون في النهر يصرخون طلباً للمساعدة فقفزت من الجسر إلى الماء بارتفاع ٤٥ قدماً تقريباً، كانت وجوهنا فوق الماء ونحن نصرخ طالبين النجدة من أمهاتنا فأمسكني شخص فعرفني دعاني باسمي لم أستطع أن أعرف من الذي كان يكلمني سألته من أنت فذكر اسمه ثم بدأنا جميعاً نعرف أسماء بعضنا، فغرق غالبنا ولم ينبج من الغرق سوى خمسة وخمسين من ثلاثمائة وعشرين، أدركت أن النار ستحيط بنا سريعاً وأن علينا أن نترك الماء ونعود إلى الجسر ورأيت النار في جسد امرأة تكافح لإطفائها بأن تنتزع من جسمها شرائح

لحم طويلة محترقة حتى باتت لما تسلخت يداها وذراعاها وكان هناك أيضاً بعض الناس الذين توقفوا عن الجري لشرب جرعة ماء من زجاجات ماء كانت معهم ولكن لشدة الحرارة اختنقوا وماتوا ووجوههم في الماء.

وذكرت هذه الفتاة التي جرت المقابلة معها في ٢٠ ربيع الثاني من هذه السنة مستمرة فيما رأت تقول كان الشارع مجرد حوض من الدماء على طريق الغابة كانت توجد جثث كثيرة والشارع مجرد حوض من الدماء وبمساعدة شخص ما وصلت إلى نقطة تجمع يتم فيها معالجة الجرحى وضع أحدهم منديلاً على وجه فتاة لأن جروحها كانت بشعة إلى الحد الذي لا يمكن رؤيتها، لقد التصق المنديل بوجهها المحترق ولم يمكن نزعها حتى بعد موت الفتاة، لقد بحثت أم هذه الفتاة عن ابنتها ولكنها لم تستطع أن ترى وجهها أبداً وذكرت هذه الفتاة أن علاجها استمر لمدة ثمانية شهور وهي تحمل بالنقالة لمعالجة الحروق وانتهى العلاج وهي مصابة بتشوهات وأورام على الساقين والذراعين والوجه وتقول طلبت من أمي مرات كثيرة مرات أريد أن أرى كيف أصبح وجهي بعد العلاج ولكن أمي ترفض، وعندما أصبحت قادرة على أن أقف ذهبت إلى المرأة بنفسني فأصبت بصدمة عندما نظرت إلى وجهي، وهكذا أعيش الآن لا أعرف متى سيعود المرض الإشعاعي وعندما لم أستطع الحصول على وظيفة مما أصاب وجهي بكيت وبكيت وكانت أمي تبكي وهي تقول ليتني أنا التي احترقت بدلاً منك لأنني أكبر سناً وأحياناً كانت تقول لو أنك متّ لكان من الأفضل عندما تعرضت لهذا الحريق.

وذكرت أنها أصيبت بصدمة شديدة عندما وجدت أن أخاها الأكبر وزوجته قد ماتا وتركوا ثلاثة أطفال كانت أعمارهم من ست سنوات إلى ١٢ سنة انتقلوا إلى منزلهم ليعيشوا مع والديها بسنين بالرغم من أن صحة والديها مصاب بالسرطان من جراء تلك القنبلة في معدته وقال الأطباء أنه كان أحد الناجين مع ما أصابه من ذلك المرض فقولوا بصوت عالٍ لا نريد الحرب ولا مزيداً من الحروب ولا نريد

هيروشيما جديدة قالت وهكذا بقي على قيد الحياة النسوة اللاتي ظهرت الندبات على وجوههن والأجزاء المكشوفة من الذراعين والساقين بشكل يثير الشفقة والرثاء لحالتهن هذا بعض ما جرى من قبله أعدمت ثمانية وسبعين ألفاً ومائة وخمسين من سكان هيروشيما وجرحت مائة وعشرين ألفاً من الشيوخ والأطفال، ولا يزال شرها مستمر وقد قيل أن إشعاعها الذي امتد إلى مسافة مائتين من الكيلوات طولاً وعرضاً أي أربعين ألف كيلو متر مربع أي أربعون مليون متر مربع.

مقابلة مع طبيب شعبي

في ٢٢/١٢/١٤٠٣ هـ جرت مقابلة مع الرجل المواطن في مدينة بريدة عبد الله بن دخيل الله البالغ من العمر زيادة على ٨٠ عاماً كان عبد الله قد آتاه الله ملكة في تحجير الكسور ومعالجة ما تعصى من الأمراض بالأدوية النباتية وغيرها وقد قدمنا عن سويلم بن شعلان ما يقوم به من علاج أمراض عجزت عنها الأطباء العصريون وذلك لأن الله عز وجل قد يجعل العلم في كشف المهمات على يد من لا يظن به ذلك.

كما في قصة عامر بن الضرب وكيف أن الله جعل كشف حالة الخنثى المشكل على يد جاريته التي ترعى غنمه، وكان لما سأله يا سيدي ما الذي جعل السهاد حليفك فقال: إن العرب أتوني بداهية عجزت عن حلها وحالت بيني وبين الرقاد، فقالت: وما هي؟ قال: ليست من قبيل رعي الغنم يا سجيعة إنهم أتوني بآدمي ليس بذكر ولا أنثى فما حكم إرثه. قالت: يا سيدي اتبع القضاء المبال. فانكشفت المهمة على يديها وخرج صباحاً فقال: إيتوني به فإن بال من ذكره فهو ذكر، وإن بال من فرجه فهو أنثى، وهذا هو حكم الخنثى والنظر في شأنه شرعاً جعله الله على يدي سجيعة راعية الغنم.

كان الوالد عبد الله الدخيل الله لديه خطابات شكر لم يحتفظ بها ولديه اعتراف

بمهارته بعثت بها مجموعة من الجهات المسؤولة سئل عن اسمه أجاب يقول اسمي عبد الله بن دخيل الله وما زال محتفظاً بحيويته ونشاطه ويزاول مهنة التجبير ومعالجة بعض الأمراض الأخرى وإذا أطرت الأحوال يرى أن لا علاج سوى الكي.

وذكر أنه ورث مهمة الطب الشعبي عن ثلاثة من آبائه يقول هم جد أُمِّي وجدي ثم أبي ولي الآن في مزاولة هذه المهمة ٢٥ عاماً وسيرث عني هذا العمل اثنان من أبنائي هما عبد العزيز وسليمان وأحمد الله أن ثقة الناس بي كبيرة فلو أننا جمعنا الإشاعات التي تظهر علينا من المستشفى لم نحصها عدداً لكننا لا نعتد بكميتها بقدر ما نعتد بأهمية صورة الكثير منها فتجدنا لا نسجل اسم صاحبها ولا تاريخ خروجه ولا عدد هذه الإشاعات وذكر مرض النبطه وأمراضاً أخرى كان يعالجها ليس لها نهاية وطريقة علاجها من قبلي يقول بالكي.

ففي الأيام الماضية كان هناك مريض من أهالي المذنب نوم في مستشفى الشميسي بالرياض وهو مصاب بمرض الغيطة وهذا المرض لا يعرفه كثيرون بما فيهم بعض الأطباء والمقصود به (الغثة) وكان كل طبيب يكشف عليه يقول بأن عندك التهاب بالمعدة وللغيطة ثلاثة أشكال كبيرة ووسطى وصغيرة تشكل حاجزاً لمسلك الغائط وتسده.

ومرض الرجل أربعة أشهر وكما قلت دار مستشفيات عديدة وذهب إلى طبيب شعبي بالرياض يسمى الصنعاني وكواه في رأسه كية ليس من ورائها منفعة وعاد إلى مستشفى بريدة ثانية وأشار عليه أقربائه بأن يراجعني طلباً للشفاء الذي يمن به الله سبحانه وتعالى والشاهد أنه حضر وسألته عن حالته أولاً ثم نومته وعندما تحسسته وجدت أن مرضه الغيطة ووجدت بأن هناك ثلاث مساوي واحدة مثل البيضة سادة المسلك واثنين من دونها وذكرت له شيئاً من أطباء العرب وذهب واستعملها وقلت له إن أفادتكَ كان ذلك وإلا فليس لك إلا الكي وبعد ثلاثة أيام اتصل بي وقال استعملت الدواء والمساوي التي ذكرتها سقطت وصحتي والله الحمد

الآن على ما يرام وبقي عندي شيء من العلاج فهل أستمّر في استعماله فنصحته بالاستمرار عليه لأنه لن يجني من ورائه إلا المنفعة لأن هذا الدواء يصفى معدة الإنسان الصحيح.

وتكلم عن الكسور وكيف أن مكسوراً صب الجبس على العضو في المستشفى مرات ولم يفد العلاج وجيء به إليه فطلب الأشعة ثم كسر الجبس وأعاد تجبيرها وذكر نجاح التجبير لديه وقال أن مرضانا ينقسمون إلى قسمين مرض بالكسور يعجز المستشفى عن علاجهم فيخرجون إلينا ونعالجهم وقسم آخر لا يرغبون التوجه إلى المستشفى بتاتاً وإنما يتوجهون إلى الطب الشعبي مباشرة ولولا نجاح عمليات التجبير التي نقوم بها لما وصلنا إلى هذا الحد من إقبال المرضى من المواطنين وتكلم عن مدة التئام الكسور، وذكر أن الناس يتفاوتون بالنسبة للشباب ما بين ٢٢ يوماً إلى ٣٠ وبالنسبة للشيخ فتطول المدة ما بين شهر ونصف الشهر وهناك حالات نادرة تطول مدة التئام كسور أصحابها أما لكون المكسور شيخاً كبيراً أو ضعيف الدم وغير ذلك إلا أنها حالات نادرة وأطال بتفصيل يدل على براعته في التجبير وقال شهود الله في أرضه فأنا يتعامل معي من منطلق ثقة والله الحمد أفراد من الإمارة والشرطة والمرور حسب حاجتهم للعلاج ويقصدني مرضى كثيرون لا أعرفهم من الأسياح والطوارق وأناس من الحفر ومن المدينة وكذلك من بعض دول الخليج أما جنسيات المرضى فغالبيتها سعودية، وهناك جنسيات أخرى تدخل فيها الجنسية المصرية والباكستانية وكذلك السورية واليمنية وغيرها.

وأكثرهم يخرجون من المستشفى إلينا بحجة أنهم لم يجدوا فائدة من بقائهم فترات طويلة بالمستشفى وتكلم عن كسر الحوض وعن الصابونة أي الركبة عندما تتعرض لكسر فالغالبية بالمستشفى يقررون قطعها بينما أنه يستطيع علاجها وذكر صفة علاجها.

وذكر أن حالة عجيبة مرت عليه في بعض الأيام الماضية وهي أن طفلاً مكسوراً

في بطن أمه وأنه سأل أمه فأجابت بأنه ضربها باب حديد وأخذ الطفل داخل بطنها يوماً أو يومين لم يتحرك ولما وضعت وأرادوا أن يهدوه فوجئوا بأن قدمه تتمايل وتطرخ فجبره وتم شفاؤه أما عن حول رغبته ورأيه في إنشاء عيادة خاصة به منظمة ويزوده بأجهزة علاج الكسور الحديثة من أشعة وغيرها فأجاب بأن شرطي الوحيد في مثل حدوث هذا أن تكون العيادة مستقلة عن المستشفى لئلا يحدث له ما حدث للطبيب الشعبي -الردادي- عندما أدخله سمو الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز مستشفى المدينة المنورة لعلاج مرضى الكسور وما لبث شهرين حتى تضايق لما يسببه وجوده بين أطباء المستشفى الحديثين من حرج فاستمر في علاج الضلوع وذكره للوشرة ويسميتها بعض أطباء العصر الجلطة إلى آخر كلامه وقال أنه لا يفيد فيها سوى الكي.

استمرار الأذى على لبنان

قد تقدم بعض ما جرى فيه من المذابح والأهوال وكيف أن الله سلط بعضهم على بعض فأصبح الجيران يتقاتلون وجعل الله بأسهم بينهم ونذكر شيئاً عن سعد حداد الذي كان آلة بيد اليهود يمدونه بالأسلحة والذخائر ليدمر أهالي لبنان وإن كان منهم ويغزو الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وما جرى عليهم وعلى نسائهم وذرائعهم وأولادهم من الفتك والتدمير وما أصبح به أهالي لبنان وأن في ذلك لعبرة لمن يخشى.

فلأن كانت فلسطين أحدثة لأهل الدهر من تقتيل بعضهم وسجن البعض الآخر وتعذيبهم وتشريدتهم عن أوطانهم التي ولدوا فيها ونيطت عليهم فيها تمائمهم فإن لبنان أصبح مقبرة لأهله ولإن كانت لبنان زهرة للدنيا وزيتها فيما مضى ويرتادها المترفون للمصيف وإراحة النفوس من جميع نواحي المعمورة فقد أصبحت من جراء تلك المذابح والمجازر آية من آيات الله من الدمار وصدق عليها قول الشاعر في قوله وكأنه يصف حالة أهالي فلسطين:

إذا ما الدهر جر على أناس حوادثه أنأخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

فنقول عن سعد حداد أقام جده ميخائيل حداد في مرجعيون منذ السنوات الأولى من هذا القرن والده (مكاري) كان يستخدم دابة لنقل البضائع والمحاصيل الزراعية من مناطق الجنوب وبعض المناطق اللبنانية الأخرى وفي فترة الحرب العالمية الثانية عمل سعد حداد مع والده في سن مبكرة ثم بعد ذلك عمل في إحدى الدوائر العسكرية البريطانية ثم دخل مدرسة تابعة لدير الكاثوليك في مرجعيون ثم أرسله الدير إلى بيروت للدراسة فنال الثانوية عام (١٩٥١م) القسم الأول.

وفي عام (١٩٥٢م) دخل الكلية الحربية بدعم من كميل شمعون في ذلك الوقت ويقع مكتبه العسكري بين بلدتي القليعة ومرجعيون أما دولته فطولها حوالي ٩٠ كيلومتر وعرضها في بعض المناطق ٦ كيلومترات وفي مناطق أخرى ١٩ كيلومترات. وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي ٨٥٠ كيلومتراً مربعاً وكانت عناصر الميليشيا في الدولة حوالي ٢٥٠٠ عنصر يشكلون الجيش بينهم ما يقارب ٩٠٠ عنصر كانوا في الجيش اللبناني تحت إمرة سعد حداد أما عدد سكان الدولة فقد كانوا ٧٠ ألفاً يشكل المسيحيون نصفهم والباقي من الشيعة.

ولما كانت إسرائيل مهتمة بالمناطق الواقعة في جنوب لبنان فإنها اتخذت سعد حداد آلة فعالة لها وقام كميل يسعى لها ونجحت سياسة إسرائيل في استخدام اليد العاملة من القرى الحدودية ولكنه لوحظ ما تهدف له إسرائيل ببذل الأطماع وقام قسم من فقراء القرى الحدودية الذين كانوا يعملون بالأجرة لدى حداد يطلبون مغادرة تلك الأمكنة ولكنه قام بسلطاته على أن يفرض على من يريد الخروج بغرامة مالية قدرها ستة آلاف ليرة وذلك لأنه طالب إسرائيل أولاً أن تدفع رواتبهم فيكون الإخلاص لإسرائيل ضد العرب جداراً يؤمن شمالها ويحقق أهدافها في جنوب لبنان وأصبح المنشق سعد حداد يجاهد ويقاوم مع اليهود ضد بني جنسه وقومه.

وفي ١١ من جمادى الأولى من هذه السنة تقوم سلطات العدو على أكثر من خمسين امرأة معتقلة داخل مخيم أنصار فتقتلهن فقتل في هذا الموج خمسون امرأة معتقلة وترفض ستة آلاف طلب زيارة قامت بها عائلات المعتقلين الذين بلغ عددهم ألف معتقل من اللبنانيين منهم عدد من الطلاب انتزعوا من المدارس التابعة لوكالة غوث الدولية إضافة إلى ٢٦ مدرساً من صيدا وإحدى وعشرين مدرسة من صور وضعوا كلهم في مخيم الأنصار هذا بعض ما جرى من الصهاينة.

وكانوا لما أن دخلت قواتهم القدس عام (١٣٨٧هـ) أخذوا يهتفون مع (موشي ديان) بهذا الهتاف هذا يوم خير بالثارات خير وتابعوا هتافهم بهذه العبارات القذرة (حطوا الشمس على التفاح دين محمد ولي وراح) ويهتفون بهذه العبارة التي خلى لها الجو من أنصار دين محمد صلوات الله وسلامه عليه (محمد مات مات خلف بنات) ويقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابة له (إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء..) إلى آخر كلامه الذي تطهر الأوراق من دنسه.

وسنذكر أبياتاً محزنة تتعلق بلبنان وما جرى عليها وإن كنا خرجنا عن شرط الكتابة لكننا نبعتها لتهيج العاطفة:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| أبكىك وأبكى كل من فيك سكان | بعد السعادة كيف صرتي حزينه |
| كيف الهدوء في لحظة صار بركان | في غفلة منك وكنتي رزينه |
| على جمالك تحسدك كل الأوطان | كنتي بوسط العقد درة ثمينه |
| على بساطك تجتمع كل الألوان | يوم أن بيروت الخرابه مدينه |
| يوم العرب تطرب على ذكر لبنان | كانوا جسم واحد ولبنان عينه |
| كنتي عروساً والحسن فيك فتان | ومع الحلا كنت ذكيه فطينه |

كان التعايش فيك ما بين الأديان
واليوم صار القتل في شعبك إدمان
من قبل غزوك فجر وافيك الأضغان
وصبروا عليك يلين ضعفك لهم بان
جوك اليهود وعشقك قتل الإنسان
وبدوا بضربك عنصرية وطغيان
وقاموا بقتل أطفال رضع وشبان
لكن صمدتي ما احتملت للإذعان
لبنان من عقب التشرد والأحزان
إلى آخر القصيدة مما يثير الهموم ويستجيش الأحزان وما أحسن ما قال بعضهم:

فقل لرجال الضبط والربط إنكم
لأي من الأسباب طابت نفوسكم
ألم تعلموا أن الفساد انبعثه
ويربو وينمو كل ما كان مهملاً
فإن لم تجد قبل التوقد مطفئاً
كذا أصل إتلاف الرعايا رعاها
أسود حروب للخطوب تقارعوا
لإمهال أهل الغي حتى تجمعوا
ومطلعه عصر الشباب المضيع
كجذوة نار شرها يتوقع
عجولاً خوت منها بيوت وأربع
إذا لم يقم للمفسدين مروع

وفيهما في أواخر شهر ربيع الأول حصلت هزة أرضية على جهة حقل الكائن بالشمال الغربي من المملكة السعودية مما أدى إلى خروج الأهالي عن مساكنهم.

وفيهما طالب الرئيس الأمريكي رونالد ريغان إسرائيل بتجميد بناء المستوطنات في الضفة الغربية المحتلة وقال أن ذلك يمكن أن يعتبر أكبر دليل على حسن نوايا إسرائيل نحو إحلال السلام في الشرق الأوسط ودعا في كلمة ألقاها أمام أعضاء المؤتمر اليهودي العالمي وأذاعها راديو صوت أمريكا إسرائيل إلى الدخول في

مفاوضات جادة حول مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة كما طالب الرئيس الأمريكي الملك حسين عاهل الأردن أن يشترك في مفاوضات مباشرة مع العدو الإسرائيلي حول السلام ولكن هذه كغيرها ومضة أعقبها الظلام.

ذكر إعلان قيام مجلس التعاون الخليجي

لما كان يوم الأربعاء ٢٩/٣ يوافق شباط فبراير (١٩٨١م) من السنة المتقدمة (١٤٠١هـ) اجتمع في الرياض بالمملكة العربية السعودية وزراء خارجية الدول الست السعودية والبحرين ودولة الإمارات وسلطنة عُمان وقطر والكويت حيث حققوا إنجازاً كبيراً توج جهد عمل متواصل من أجل التنسيق والتعاون بين الدول الست وأصدر الوزراء بياناً بهذه المناسبة تلاه سمو الأمير سعود الفيصل وأبلغوا الدول العربية بنص ميثاق التعاون الخليجي في كلام طويل وتفصيل من فقرات هذا المجلس الذي أعد للدراسات والمواضيع والتوصيات أن يجتمع المجلس ست اجتماعات كل سنة مرة كل شهرين.

ويجوز عقد دورات طارئة إلى آخره وسمي مجلس التعاون الخليجي لدول الخليجي العربية أما عن الخليج العربي فيقع بين الجزيرة العربية غرباً وإيران شرقاً ومضيق هرمز وخليج عُمان جنوباً والعراق شمالاً وتبلغ مساحته ٢٢٦ ألف كيلومتر مكعب ويمتد لمسافة ١٥٠٠ كيلو متر من شط العرب في الشمال حتى رأس مسندم في الجنوب ويتراوح اتساعه بين ٤٧ كيلومتر عند مضيق هرمز و ٢٨٠ كيلو في أوسع نقطة فيه ويبلغ أعماق جزء فيه قرابة ١٤٥ متر قرب جزيرة هرمز ومن هذا الحين استمر مجلس التعاون لدول الخليج العربية في مدينة الرياض بنظامه وهيكله التنظيمي وإنجازاته.

اليوم الوطني

أمير المنطقة الشرقية يصف اليوم الوطني بأنه يوم غر في تاريخ المملكة ففي

هذه السنة يقوم سمو الأمير عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي أمير المنطقة الشرقية بعد أخيه سعود يقول أنه بفضل الله ثم بفضل القيادة الحكيمة المتزنة المتمسكة بالعقيدة السمحة وتراثها المجيد وتاريخها العريق أسس على الخير انطلاقتها نحو المجد والاستقرار لشعب المملكة واستتب أمنها على يد باني مجدها وصانع حضارتها جلالة المغفور له الملك عبد العزيز واستطاعت بقيادة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى وسمو ولي عهده الأمين أن ترتقي بمختلف الميادين وتواكب الحضارة المتقدمة في مختلف المجالات مما حقق النمو الاقتصادي لتلك القطاعات وتنفيذ الخطط التنموية التي لا تزال تسير عليها مما حقق لجميع المواطنين مكاسب عديدة ستعود عليهم بالخير.

وفيهما انهيار عمارة في أنقرة عاصمة تركيا وكانت مكونة من ٧ طوابق وكان ذلك في يوم الاثنين ١٩/٣/١٤٠٣ هـ وقد نجم من ذلك هلاك سبعة عشر شخصاً لقوا مصرعهم من جراء ذلك الحادث.

وفيهما بدأ العمل في إنشاء مصفاة البترول بسعة ١٦٠٠٠٠ برميل وذلك لخدمة منطقة القصيم وحائل، هذا في منطقة القصيم.

إقامة دورات المياه في المواقيت

ففيها أنشئت الحكومة السعودية حمامات ومغاسل لحجاج بيت الله وعمارة من القادمين الذين يأتون من مشارق الأرض ومغاربها قسماً للرجال وقسماً للنساء وذلك في قرن المنازل وذي الحليفة وبقية المواقيت وأصبح المسلمون يتمتعون في راحة وطمأنينة عكس ما كانوا عليه أولاً من مشقة ما يلاقونه عند الأحرام من شراء المياه وأجرة المغاسل الضيقة التي نصبها المرتزقة هناك.

وذلك لما قامت الحكومة بهذا العمل الخيري بفضل من الله وتيسير وجعلت لها خدماً وعمالاً يقومون بإصلاحها وتنظيفها وخدمتها بالصابون واللدش وكانت الدورات مقامة من الإسمنت المسلح وفرش ما حوالها بالرخام وأقيمت الأشجار

في الرصيفات حواليتها ليتمتع الحجاج والعمار من ضيوف الرحمن براحة وطمأنينة والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وكان هذا التخطيط قد أقيم في أيام جلالة الملك المغفور له خالد بن عبد العزيز وقد تمت عمارتها على الوجه المطلوب وكم من عمل وإصلاحات قامت بها هذه الحكومة السعودية في مكة البلد الأمين وفي المدينة المنورة وسائر مدن المملكة.

ومن الخدمات التي وفرت للحجاج راحتهم حمامات أقيمت في منى لضرورة الحجاج إليها وإقامة الهاتف الذي يبلغ أهاليهم في المشارق والمغارب تحياتهم ومخاطبتهم وتخطيط شوارع منى وترقيمتها وقد قامت الحكومة بنسف جبال في منى للتوسعة وجلبت المياه والثلوج بسيارات للتوزيع وأقامت رجالاً يبلغون الحجاج في خيامهم للتوعية والإرشاد بمكبرات الصوت.

كما أن الحكومة تفكر في إقامة بنايات على وجوه الجبال المحيطة بمنى لتخفف الوطأ عن الضيق هناك ولتكون مساكن للحجاج ووقع ما كان يتوخاه المؤسس العظيم الملك المغفور له عبد العزيز من أنه إذا وجهت إليه اقتراحات يقول كل شيء في الطريق إن شاء الله ولكن الأمور تسير تدريجياً ولما قيل له لو أقمتهم موجهين ومرشدين أبدى كلمته المتقدمة وكان يقول للأمرء ورؤساء الدوائر علموا جماعتكم ووجهوهم إلى الخير عاجلاً وإننا سنقيم موجهين ومعلمين ومرشدين فكان الأمير يقوم بتوجيه من تحت يده كل بقدر الاستطاعة وعلى حسب القدرة.

وأذكر أن أميراً مجتهداً قال في نصيحته يا قوم اتقوا الله وقوا بما وجب عليكم فقد ضيعتم أوامر الله ولم يبق سوى هاتين الركعتين وقد أضعتموها ويبالغ في ذلك بما لم نذكره ولم يأتكم من الله عهد بدخول الجنة هذا وهو أنا نسيب الشيوخ لا أدري أدخل الجنة أم لا.

وفيها وفاة الابن عبد العزيز بن إبراهيم البالغ من العمر ٣٤ عاماً وذلك في ٦/٢٣ جعله الله في موازين حسناتنا وذلك عن صدمة سيارة قضت عليه.

وفيها قام سمو الأمير عبد الإله بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم يتقدم أهالي بريدة للاحتفال بجامعة الإمام محمد بن سعود في موضعها الجديد الكائن خلف قرية رواق إلى جهة الجنوب على مسافة سبع كيلوات من مدينة بريدة، وقام سمو الأمير بإزاحة الستار عن اللوحة التذكارية لوضع حجر الأساس لمباني فرع الجامعة بمنطقة القصيم وذلك بعد العصر من مساء يوم الأربعاء ٢٣ جمادى الثانية وبهذه المناسبة دعي الأعيان والأمراء من مدن القصيم كعنيزة والرس والبكيرية والخبراء ورياض الخبراء وغيرها لوضع حجر الأساس لمشروع مباني المدينة الجامعية بالإضافة إلى نشاطات كلية الشريعة وأصول الدين وكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالقصيم، وكانت مساحة الأرض تبلغ ما يقارب من مليوني متر مربع وتحتوي على قاعات للمحاضرين ومكتبة واسعة تحوي كتباً جمّة وتعتبر من أمهات المكتبات وتحتوي على فصول دراسية ومركز خدمات طلابية وعلى صالات مختلفة ومواقف للسيارات.

هذا فيما يتعلق بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود في القصيم أما عن فرع جامعة الملك سعود في بريدة في القصيم فقد تم افتتاحها في هذه السنة أيضاً وتولى الإدارة العامة للفرع في بريدة جميع الأنشطة فيها ومما تحتوي عليه كليتا الشريعة وأصول الدين قسم الدعوة الذي صدر قرار المجلس الأعلى للجامعة بافتتاحه في العام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ.

وفيها في يوم الثلاثاء ٥ شعبان قام الرئيس اللبناني أمين الجميل يناشد واشنطن إقناع سوريا بالانسحاب من لبنان وكان أمين الجميل قد عقد في اليوم نفسه اجتماعاً مع رئيس الحكومة شفيق الوزان ووزير الخارجية إليلي سالم لتقويم الموقف الراهن ولتحديد المواقف اللبنانية في ضوء توقيع الاتفاق اللبناني - الإسرائيلي، وقد أعرب الجميل عن تفاؤله على الرغم من العوائق التي تعرقل حتى الآن تطبيق هذا الاتفاق وطالب بشدة مساعدة الولايات المتحدة لإقناع سوريا بسحب قواتها

من لبنان وكانت إسرائيل مصممة على عدم الانسحاب ما دامت القوات السورية لم تنسحب.

هذا وقد كانت الحكومة السعودية تراقب حركات حجاج إيران وتفضل أن يكونوا بمرأى ومسمع منها وذلك لما يخشى ويتوقع من إفسادهم في الأماكن المقدسة من حرائق وغيرها مما يؤذون به حجاج بيت الله وكانت تلك الفارسية الإيرانية لم يتورعوا عن إلقاء النجاس من العذرة وغيرها في طريق الطائفين والمصلين قبحهم الله وسيأتي ما توصلوا إليه من الشر والأذى نسأل الله العافية.

وفيهما زادت الحكومة في معاشات المتقاعدين وذلك ابتداءً من أول شهر رجب من هذه السنة فنشر بموجب قرار مجلس الوزراء رقم ١٢١ وتاريخ ١٤٠١/٧/١٥ هـ وقد صرح به وزير الإعلام الحالي علي الشاعر.

وفيهما تأسس المركز الثقافي بالقصيم ووافق نشاطاً من الذين يجذبونه من بلدية مدينة بريدة وكان هذا المركز قابلاً لإنشاء متحف شعبي يحتوي على أشياء من التراث القديم نعم كانت الأمم الأخرى يحتفظون بالتراث القديم الذي توارثوه عن آبائهم وأجدادهم كما في المتحف البريطاني وغيره وكما كان أهل الكويت يحتفظون به وقد أدلت بعض الدول بالاحتفاظ بمخلفات قدماء العرب وهذا لشيئين: أحدهما: الاعتبار بأواني الآباء والأجداد وصبرهم على خشونة العيش من كون الفلاح يعتني بالقرب للساقية وكيف أنهم كانوا يكابدون رفع الماء من قعر الآبار إما بشد الحبال على ظهورهم إذا لم توجد أباعر ترفعها ويجعل تلك الحبال على ظهر الحمر تذهب وتجيء مقبلة ومدبرة لرفع الماء أو على ظهور البقر ومن هو الذي يجد الأباعر لهذه الساقية وكذلك الدلو الذي يشيل الماء من آبار البيوت يجعل بكرة تدور بالرشاء ويأكلون في أواني الخشب كالصحفة والموقعة والمغرفة والقدح الذي يشرب منه الماء وكل هذه أواني خشبية وكذلك المحال الخشبية بهندستها وأسنانها في كونها تؤخذ تلك الأسنان وتفرز في أصلها الذي يدور على المحور ثم تشد دائرتها

العالية بالقد ويسمونه الوساد ومن الآثار أيضاً النقيرة فلا يطمئن صاحب البيت إلا بوجودها وهي حجر أعلاه مربع واسع بطول ٣٥ ستم وعرض ٣٥ ستم بتركيب هندسي وأسفلها مستدير من دون ترييع وفي أعلاها حفرة في ذلك المستوى لعمود القهوة كالهون في الدق والمهرس ومنهم من يحتفظ بمخلفات أقناش قنابل مدافع الأتراك إذا لم يحصلوا على النقيرة فيجعلونها نجراً بكسر النون أي هاون يدقون بها القهوة والبهارات وكذلك المنفاخ والمبرد الذي ينسف فيه القهوة بعد حمصها لتبرد قبل هرسها والمطعمة وهي التي يجعل فيها معروض التمر في وسطها وإلى جانبيتها عيان صغيرتان للنوى.

وكانت الزمزية مصطنعة من الفخار كإناء مستطيل أحمر تحفظ القهوة العربية من البن تعلق في الشداد (الرحل على البعير) تلبث في طبيعتها ما يقرب من أربع ساعات وقد رأيت غلافاً ذا طابقين مستديرين وبينهما قماش أبيض بهندسة فنية فيه ليكون عند الحاجة كالطابوق بارتفاع قدر متر ودائرة بقدر خمسة وتسعين ستم وعند عدم الحاجة يقدر بأربعة عشر ستم وفي أسفله شمعة فيحفظ القماش النور عن الريح ويضيء ليأتم به المسافرون ليلاً كالزجاجة حينما لم يكن كشافات كهربائية أو سرج محفوظة بزجاجات.

وكذلك صندوق السامان الذي يزدان بتلك الأقمار ويدفع مع العروس إلى بيت زوجها كجملته من الأثاث ليحفظ ثياب العروس وحليها وزينتها بطول متر وعشرين ستم وعرض ٦٠ ستم وارتفاع ٨٠ ستم وكذلك القرو المنحوت من حجر الذي جعل موضعاً لماء الوضوء والتغسيل يصب فيه الماء الخارج من بشر المسكن ويختلف بالكبر والصغر فللمساجد كبار، للبيوت صغار وينقسم إلى عال وأسفل فالعالي للتروش والأسفل لتناول من قريب ويجعل له بلايل تسد بحرق كهيئة البزابيز.

وساعات الجيب التي يجعلون لها حبلاً أو مرسن، ولها جيب خاص في

الصدر إلى جهة اليسار ليسهل إدخالها وإخراجها عند الحاجة وقد يكون زنتها مائتي غرام.

وكذلك الخف يجعل من غزل الصوف وأسفله حذاء جلد كما أن العرقوب يكسى من الجلد وما فوق أصابع القدمين كذلك إلى غير ذلك من الأمور التي كانت فبانت وسدت فراغاً في زمنها.

ومن الناس من يسير على قدميه حافياً مسافة ثلاثين كيلومتراً وما كانوا يعرفون الترف والرفاهية.

الأمر الثاني: من الشيين المتقدمين الإشارة إلى زمنهم الذي يعيشون فيه ويلائم طباعهم ولكل زمان دولة ورجال وعاشوا زمنهم لا يعرفون مكيفات ولا ثلاجات ولا غسالات ولا سخانات ولا مراوح متنقلة وسقفية فسبحان مدبر الدهور ومصرف الأمور.

وفيها في ١٧ جمادى الثانية تمت بعون من الله وتوفيق عمارة مسجدنا الكائن بمحلة القرارة في منطقة العكيرشة شرقي مدينة بريدة وقد ألحقنا به بيتين لسكنى الإمام والمؤذن على نفقتنا وساعدنا بعض الأجواد وكانت البناية ممتازة جداً من الإسمنت المسلح وإلى جانبيه دورة المياه وكان طوله غرباً وشرقاً ستة وثلاثين متراً بعرض أربعة وعشرين متراً شمالاً وجنوباً فجاء آية من آيات الله في حسن الترتيب وقوة التركيب.

وقد بلغت تكاليف المسجد وبيوته ومأذنته بأجمعها مليون وخمسمائة ألف ريال وقد أقيمت فيه منارة قوية عالية بارتفاع ٤٥ متراً بدرج حسن مسلح بحيث فاقت بجسناها وارتفاعها جميع منائر منطقة القصيم، وكانت تكاليف هذه المنارة خاصة قد بلغت مائتي ألف وسبعة وستين ألفاً من الريالات، وكان مهندس المسجد ومقاوله عبده حزام المريسي اليمني ولديه عشرة عُمال أما عن المنارة والبيوت فكان المهندس لها المقاول أبو عبد الله عبد العليم محمد خليفة المصري والمهندس محمد توفيق

المصري فزودا المسجد بالكهرباء نوراً وتكيفاً بحيث بلغت قيمة مكيفاته ومعدات الكهرباء بما في ذلك بيوت المسجد والمئارة سبعين ألف ريال ومائتين وتسعين ريالاً أما عن أرضية المسجد وبيوته، فقد تبرع بها ثلاثة من الأجواد والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وكنتم قد قمتم قبل ذلك بعمارة مسجدنا الداخلي منذ عشرين سنة من تاريخه عمارة ممتازة تساير حالة الوقت الحاضر نسأل الله القبول والإثابة وله الشكر والثناء الحسن.

ونختم هذه السنة بالحالة السوءى بحيث جاء في تقرير للأمم المتحدة أنه جرى إعدام مليوني شخص خلال خمسة عشر عاماً بلا محاكمة ومع ذلك جاء في التقرير أن القوانين الوضعية والدستورية لا تمنع من تنفيذ أحكام الإعدام دون محاكمة وبصفة خاصة في الدول التي يجري فيها انتهاك حقوق الإنسان الأساسية وأعمال التعذيب والاعتقال التعسفي والعنصري والطائفي.

ثم دخلت سنة (١٤٠٤هـ)

في هذه السنة أخرج الفدائيون والفلسطينيون من لبنان وعلى رأسهم ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطيني بعدما كانوا في خطر هلاك محقق بهم ومحصورين فحملتهم البواخر إلى المغرب مطرودين عن ديارهم لعلها تسكن المعارك في لبنان ولكنها استمرت على ما هي عليه وقامت اليهود تطاردهم وتلاحقهم في منفاهم البعيد.

وكان رحيلهم إلى تونس في المغرب على إثر ما أصاب الفلسطينيين لما ضربت إسرائيل لبنان وقتلت المدنيين في صبرا وشاتيلا في اليوم الثامن من ذي الحجة يوم الخميس الموافق ١٥ و ١٦ و ١٧ من أيلول سبتمبر (١٩٨٣م) من العام الماضي (١٤٠٣هـ).

وقد طلبت العرب محاكمة إسرائيل ولكنهم لم تجب طلباتهم وكانت صرخة في واد خلي من البشر وكان خروج الفلسطينيين في حالة يرثى لها وكان أسباب هذه الخديعة أنه اتفق المبعوث الأمريكي فيليب حبيب مع النظام اليهودي من جهة والأنظمة العربية المعنية من جهة أخرى على إخراج منظمة التحرير وقواتها التي تربو على أحد عشر ألف مقاتل من لبنان وصورت أجهزة الإعلام العربية المشبوهة الاتفاق على أنه انتصار للمنظمة وهزيمة منكرة للعدو الصهيوني.

وإسرائيل لا تريد في تلك المرحلة أكثر من خروج المنظمة وقواتها العسكرية من لبنان وخرج البطل ياسر عرفات كما يصوره أتباعه وشركاؤه من لبنان وتركوا وراءهم النساء والشيوخ والأطفال العزل تركوهم بين الكتائب واليهود والباطنيين وزعموا أنهم حصلوا على ضمانات بسلامتهم من الولايات المتحدة وجهة عربية أخرى صديقة للولايات المتحدة.

فأما ما جرى من اقتحام القوات الكتائبية واليهودية مخيمي صبرا وشاتيلا فيصف المسؤولون عن دفن الموتى قرب صبرا وشاتيلا أنها أخذت الجرافات تدفن الضحايا بدون صلاة ولا تكفين ولا تغسيل وقد اسودت الجثث وانتفخ قسم آخر بفعل الشمس وذكر أنه دفن في يوم واحد عدداً إجمالياً ثلاثمائة جثة في سبعة خلجان حفرتها الجرافات وقال عندما دخلت إلى المخيم رأيت اللحم ملزقاً على الحيطان، تستطيع أن تقول كل أساليب القتل قد استخدمت الساطور، البارودة، الرصاص، العصي، كاتم الصوت.

وهناك ساحة لاحظتها وهي عبارة عن مائتين من الأمتار فيها كثافة دماء مع آثار شعر وأحذية وارتكب الأوباش مجزرة رهيبة تذكرنا بمجزرة حماة التي سبقتها بقليل ولقد قصف الطيران الإسرائيلي دمشق في أكبر معركة جوية في تاريخ الشرق الأوسط واشترك ثلاثمائة طائرة.

واستطاعت منظمة التحرير الفلسطينية الاحتفاظ بسلاحها والصمود في وجه

العدو رغم تصاعد حجم القوات الغازية إلى مائة ألف وثلاثين ألف جندي تساندتهم مئات الدبابات والعربات المدرعة مع القصف الجوي والبحري الوحشي مستخدمة في ذلك أحدث الأسلحة الأمريكية وقامت الطائرات الإسرائيلية بعدوان جوي بالغ العنف على الأحياء السكنية في جنوب بيروت، حيث توجد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين مما أسفر عن عشرات القتلى ومئات الشهداء من المدنيين وغيرهم.

وجعلت طائرات اليهود تواصل قصفها وعدوانها الوحشي بحيث قامت بـ(١٧٠) غارة جوية على بيروت الغربية ألقت خلالها خمسمائة ألف قنبلة من بينها القنابل العنقودية والفسفورية المحرمة دولياً من الجو والبر والبحر فوق بيروت الغربية وكانت القوات التي تحاصر بيروت الغربية أربعين ألف جندي ومائتي دبابة وخمسمائة ناقلة جنود مصفحة ويقدر عدد الضحايا من هذا الغزو بثلاثمائة ألف وخمسين ألفاً أغلبهم من المدنيين العزل وخاصة الأطفال والنساء والشيوخ كما دمرت المستشفيات والمنازل والمدارس بمتهى القسوة وقد خسرت إسرائيل من ابتداء الغزو في ٤ يونيو إلى ٢ يوليو (١٢٥٠) قتيلاً و(٨٠٠٠) آلاف جريح.

وطالب اثنان وسبعون ضابطاً إسرائيلياً باستقالة شارون وحملوه مسؤولية الخسائر الجسيمة وفي اليوم نفسه شن الفدائيون هجوماً جديداً ناجحاً على قلعة الشقيف واعترف العدو ببسالة الفدائيين.

وفي ٧ يوليو رفضت منظمة التحرير الفلسطينية الاقتراح الأمريكي بإجلاء المقاومة عن بيروت ولكنهم اضطروا أخيراً إلى الجلاء ومما قال الشاعر حسين عرب هذه القصيدة العصماء يذكر حالة أهل فلسطين ويوح بما جرى عليهم من المآسي وهذه القصيدة مؤثرة جداً بحيث خرجت من كبد حراء وفؤاد موجدوع وقلب بآلم الفراق ملسوع وكيف توصلت الأحوال إلى جلاء أهل الشام من ديارهم وأموالهم عكس الحالة التي جرت على اليهود من بني النضير:

كم تخرجون وما بكت لخروجكم
 كم تصمتون على الخيانة والأذى
 كم تصمدون وليس يصمد غيركم
 كم تصرخون ولا يجاب صراخكم
 كم تقتلون وكم تراق دماؤكم
 القدس واللبنى تدوس جيوشه
 والروض صوخ والطيور تناوحت
 والمسجد الأقصى ثئن قبابه
 والدار ترعف والبراق مصفد
 وحائم الحراب باكرها الجوي
 والمنبر اهتزت قوائمه أسى
 والراكون الساجدون نشيجهم
 صلواتهم رفعت بها دعواتهم
 أنفاس أكباد يفوح شياطها
 ويسود في أرض القداسة مجرم
 والجائعون طعامهم جمر الوغى
 وبأي أرض ينصبون خيامهم
 والمرمات الثاكلات حواسر
 السافرات وما أردن تكشفاً
 النافرات من القذائف واللظى
 عصت الدموع عيونهن فجلجلت
 يطوين أحناء الضلوع على الجوى
 وكأن أهوال القيامة فزعت
 عين ولا عزی بمأتمكم فم
 وفؤادكم بأذى الخيانة مفعم
 وتحاربون وغيركم يستكلم
 وكأن من يدعى أصم وأبكم
 وينو أبىكم لا يراق لهم دم
 أرياضها وقصورها تتهدم
 والنور أغفى والظلام يخيم
 مما تعانى والمنائر ترزم
 والأرض ترجف والآذان مكمم
 من شر ما تلقى وما تتبرم
 لما علاهن الغراب الأسحم
 متلهب وأديمهم متفحم
 نحو السماء فجوابتها الأنجم
 حمما براكين بها تتحمم
 متهود ويذل فيها المسلم
 والظالمون وكل كأس علقم
 فالأرض نار والسماء جهنم
 لا من تنوح بوجودها وتلطم
 لكنه الهول المريع المعتم
 مثل الطباء تصيدهن الأسهم
 بقلوبهن مما تكن وتكظم
 وعيونهن بما طوين تُترجم
 نظراتهن بما يروع ويلجم

يبكين هل من منصف يبكين هل
 في كل بيت فاقد وفقيدة
 بين الخيام تناثر أشلاؤهم
 لا من يناصرهم ويرعى حقهم
 من مسعف فقلوبهن تكلم
 وبكل ربع في المربع مأتى
 وعلى بقاياها النسور تحوم
 أو يستجيب لهم ولا من يرحم

سبعون عاماً واليهود ومكرهم
 سبعون عاماً والعدو يسومهم
 سبعون عاماً والعدو أمامهم
 سبعون والآلام في جنباتهم
 سبعون ما عرفوا الكرى في ليلها
 سبعون والشرف الرفيع مهدد
 سبعون ومن بالطور وأعطى وعده
 في كل يوم دير ياسين إلى
 ما طأطأوا رأساً وما خافوا وما
 حكم القوي على الضعيف قضاؤه
 قالوا الرئيس إعاقة ترشيحه
 حتى متى يبقى الرئيس وحزبه
 نتوسم الإنصاف من أقواله
 ونخاف من أعراضه ونفوره
 ونريد منه العدل وهو يزيدنا
 أعمى الرئيس عن الصواب رئاسة
 فأذاب به بيد العصا دمية
 نصبتة واحتكمت على أفعاله
 والإنجليز وغدرهم يتجرم
 سوء العذاب وبأسه يتضرم
 ووراءهم يغتالهم وهموهم
 تغري وتستشري ولم يتألموا
 ورفاقهم فوق الأرائك نؤم
 كالسيل والخوض المنيع مهدم
 ووعيد ريجان به يتجرم
 صبرا وشاتيلا وما لا يعلم
 ماتوا وما هانوا ولم يستسلموا
 ظلم ومنطقه اختل وأظلم
 عن كل ما نشكو وما نتظلم
 ويهوده بمصيرنا يستحكم
 وفعاله ويخيب ما نتوسم
 ونتيه حين جنابه يتسم
 جوراً ونطمع أن يبين فيهم
 سيظل أعواماً بها يتنعم
 ليست ترى شيئاً وليست تفهم
 فأعجب لحكوم عليه ويحكم

تدنيه إن شاءت وتقصيه إذا
وإذا أرادوه تكلّم كيفما
ويقرون له الأمور فلا يرى
وإذا تجاوز عاجلوه بطلقة
من ذا سيرضى أن يكون رئيسهم
تباً لشأنك يا رئيس ألا ترى
لو كنت مثلك لا احتقرت وظيفة
لكنه ضعف النفوس يريدّها
شلت فيتنام الضعيفة عزمه
فإلاما نخشى بأسه وصادمه
وعلام لا نجزيه شر جزائه
حامى الفضيلة لا يلام بفعله

شَاءت وتأمّره فلا يتّسم
شَاءوا وإلا فهو لا يتكلّم
بأساً بامضاء القرار فيختم
ترديه أو بفضيحة أو يهزم
إلا الذي لشروهم يستسلم
إن الهوان على الرئاسة معلّم
لا يستين لها الطريق الأقوم
أن ترتضى مالا يعز ويكرم
فتراه يهرب كل من يفتنم
وهو الذي يخشى إذا ما يصدّم
أفنحن أضعف إذ نصول ويعزم
والمستطيل على الفضيلة ألوم

ثم أنه أطال في الموضوع فقال بعد خمسة وثلاثين بيتاً:

صبراً وبعض الصبر من حسناته
الخارجون سيرجعون قنابلاً
وسيصنعون من الدماء قذائفاً
وسيشعلون بكل أرض ثورة
سيفجرون الطائرات ومن بها
سيتزلون الأرض تحت خصومهم
وسيسحقون الخائنين بلادهم
وسيجعلون قبورهم بقصورهم
وسيمحقون الواجحين على القذى
وسيفرق الطوفان كل منافق

تهدي الأمور إلى المراد وتخدم
ذرية تمحو العدا وتدمدم
تجري الدماء بئارها وتزمزم
شعواء يصلها العدو المجرم
والحاملات الطائرات تحطم
وسيقلبون الراسيات عليهمو
باسم الزعامة جاهروا وترعموا
تسفي عليهن الرياح وتردم
الخوف ساد قلوبهم فتوجهوا
يرغي ويزبد كاذباً ويغمغم

إن كان شأنهم لدود غاشم فهمو لدى البلوى الدّ وأغشم
 يا مشعل النيران فوق جلودهم نيرانهم أقوى فويلك منهمو
 الثأر يا للثائرين لحقهم وكان عزمهم القضاء المبرم
 إنني لا أطمع أن أراها غارة بسطور ملحمة يسجلها الدم
 من كان ما عرف الحفاظ وهوله سیری الحفاظ وهوله وسيندم
 والحق بالحق الشريف سيلتقي والشر بالشر العنيف سيحسم
 يا أمة لعبت بها أيدي العدا وغدت بها أخطاؤها تتجسم
 تلکم لعمري حنة الزمن الذي ساد الدعي به وهان الضيغم
 يا للرجال ولا رجال كما أرى إلا الذين إلى النضال تقدموا
 يا للرجال يسودهم ويقودهم فحل الرجال فلا يجور ويحجم
 يا فهد أنت لها فخذ بزمامها إن كانت العظمى فربك أعظم

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها في ٢٠ محرم وفاة الشيخ والرئيس العالم لهيئات الأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر في المنطقة الغربية الشيخ العالم عبد الملك بن الشيخ إبراهيم بن
 عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ تغمده الله برحمته وأسكنه
 فسيح جنته وهو الرابع من أنجال الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف وقد ذكرنا لكل
 منهم ترجمة حافلة في سني وفاتهم.

ويمتاز الشيخ عن بني جنسه في عقله ودينه وسمته ويعتبر من الأفاض القلائل،
 تولى رئاسة الهيئات في مكة المكرمة وما يليها ويرتبط بها فقام بهذه الوظيفة خير قيام
 وكان مهيباً موقراً محبوباً ذلك لما قام به من مكارم الأخلاق ومعالي الشيم ولما لآل
 إبراهيم من المكانة العالية لدى الحكومة وبين الأمة فكان يلقي محاضرات منها
 سلسلة سيرة الرسول ﷺ ينظمها في حلقات من الإذاعة، وكان له مقامات في
 الإسلام وقوة.

رفع إليه مساعد الرئيس بأن في بحره بين مكة وجدة حفل زواج كبير أقامه ذووه وعزموا على أن يأتوا فيه بأشياء تخالف الشريعة كالسفور ورفع الغناء بمكبر الصوت والاختلاط وذكر أنه نهاهم فلم ير استجابة منهم وكان رحمه الله في مصيفه بالطائف فقال له اذهب من فورك واستصحب معك ضابطاً وأربعة عشر جندياً يحملون رشاشين فإن خضعوا للأوامر وإلا فأزيلوا ذلك الحفل بالقوة.

ولما أن حضروا بلغوهم أوامر الرئيس فكأنهم لم يجدوا لديهم استجابة فقبل أين رئيس الحفل فقالوا ليس بحاضر فطلبوا الوكيل وتكلم الوكيل بعدم الامتثال فتكلم الضابط بقوله وقع على عدم استعمال هذه المواد التي خرقت بها النظام، وإلا فسوف أتحذ تدابير أخرى ضد هذا المنكر فكأنك ترى تلك الخيام والزينات قد طارت مزعاً في الجو بين السماء والأرض فخضعوا صاغرين وأزالوا ما عزموا عليه.

قبل ذلك زرته في موسم الحج بمنى فأهدى إلي منسك الشيخ عبد الله بن جاسر جزأين مجلدين تجليداً ممتازاً وكان حسن العشرة لين العريكة يعلوه البهاء.

وذكر لي بأنه اشترى تاريخنا تذكرة أولى النهى وأنه جلده وأهداه إلى الملك فيصل وأن الملك أبدى سروره به وأولع بمراجعته وأعجب بما فيه وكان معظماً ومحترماً بينما كنت أحادثه إذ جاء إليه سمو الأمير الملكي عبد الله بن عبد العزيز لتهنئته بعيد الأضحى المبارك وجلست معه غير مرة وفي كلها أجد منه تعظيماً وتقديراً وقبل وفاته أصيب بألم في ركبتيه فكان يذهب لعلاجهما وما زال في استقامته حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة غفر الله له وعفا عنه.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي رحمه الله تعالى، وكانت وفاته في الرياض يوم الأحد ٢١/٢ من هذه السنة.

وهذه شهادة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للمترجم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وآله وصحبه وبعد فإن فضيلة الشيخ محمد بن

إبراهيم البواردي قد التحق في الوظائف الحكومية في عام (١٣٤١هـ) حيث تعين إماماً ومرشداً لآل سفران العجمان في هجرة حنبره.

ثم في آخر العام المشار إليه نقل بأمر جلالة الملك عبد العزيز إماماً لمسجد القصابا في الجبيل وفي آخر عام الخمسة والأربعين وثلاثمائة وألف عين قاضياً لبلد الجبيل بدلاً من الشيخ عبد العزيز بن عكاس ولا زال يتنقل بأعمال القضاء حتى تم نقله إلى عضوية هيئة التمييز عام (١٣٨١هـ) وما زال يمارس عمله في العضوية المذكورة بنشاط وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه ويباناً للواقع ولطلب المذكور حرراً، وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم، رئيس القضاة الختم الرقم ٢٨٣/٥٥٥ س/٢٠٢٠ ح. وكان المذكور من قرناء الشيخ راشد بن صالح بن خنين والشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل، ولما مات رثاه إبراهيم محمد العبد الله المهنا بهذه الأبيات:

| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| الموت حق وكل الناس تنتظر | آجال قد كتبت كل سيحتضر |
| قد مات شيخي أديب لا مثيل له | في الفقه والشعر والأخبار والسير |
| بـواردي إذا أوى إلى هدف | أصاب منه مكان القلب والنظر |
| فرحمة الله تغشى الشيخ في جدث | قد ضم علماً وحلماً حازه بشر |
| معالم عرفت هي سجيته | ولا يجاريه من حضر ولا مدر |
| رسائل العلم والأخبار فاز بها | وقد توارت فلا عين ولا أثر |
| لو كان دونها ما كان أحسنها | نوادير عرفت أمثالها الدرر |
| إنني لأرجو من أبنائه خلف | يكون مفتي لأهل البدو والحضر |
| فرحمة الله في الجنات مسكنه | وقد فجعنا به مذ غاب ذا القمر |

ومن توفي فيها الشيخ عبد الله بن سليمان بن عبد الله بن حميد من أهالي مدينة بريدة، وكانت وفاته في ٦/٣ من هذه السنة ولد رحمه في أواخر عام (١٣٢١هـ) فنشأ بين والديه وفي حضانتهم وقاما في تربيته فأدخل على المؤدب عبد الله بن

إبراهيم بن معارك المشهور وبعدما أتم دراسة القرآن وأخذ مبادئ في الكتابة والحساب شمر لطلب العلم على الشيخين عبد الله بن محمد بن سليم وعمر بن محمد بن سليم فأخذ علم التوحيد والفقه والعقيدة عن الشيخ عبد الله بن سليم ثم أنه لازم الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأخذ عنه علم النحو والفرائض والفقه كما أخذ عن الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي ودرس عليه في ثلاثة الأصول والتوحيد وكان له ميل إلى عقيدة السلف الصالح وكان من جملة الذين يبعثهم الشيخ عمر إلى هجر البدو للصلاة بهم ووعظهم وإرشادهم وخطب الجمعة والنكاح ثم تولي قضاء برك الغماد ووفق من مساعد هناك كاتب بين يديه ونال ثقتهم به وقد يقوم بأعمال الأمير.

لبث في هذه الوظيفة ثم نقل إلى قضاء القنفذة وأقام برهة من الزمن هناك ثم أنه رشحه الشيخ عمر لقضاء جيزان وكان رجلاً ذا عشرة وسعة ومعرفة بالعلماء السلفين سواء كانوا من المملكة السعودية أو خارجها وفيه نشاط في الدعوة والإرشاد ونال وظائف في عسير وما يليها وتزوج غير مرة من تلك الجهات وولد له ثم.

أنه بعد وفاة الشيخ عمر بن محمد بن سليم رأى أن تكون خدمته للحكومة في وطنه بينما أنه لم ينل قبل ذلك وظيفة رسمية في نجد وقد يقوم بالنيابة عن والده في إمامة مسجد ماضي الكائن ببريدة وله معرفة بإخواني عبد الرحمن وعبد المحسن وصداقة وألفه واجتمع بالشيخ عبد الله بن محمد بن حميد لما ولي قضاء بريدة وذلك لأنه يحسن الأدب والعشرة.

ثم أنه تولى رئاسة الهيئات في القصيم وقام بالأمر والنهي واشتد عليه أمر الحالفين لحاهم رغم ما يواجهه من النصائح وحصل بسبب الإنكار على المحلقين لحاهم من الشباب مضايقة اضطر لأجلها أن يتخلى عن الرئاسة أو عزل عنها وذلك في عام (١٣٧٤هـ) ثم أنه بعثه الشيخ عبد الله بن محمد قاضياً للأسياح فلم

يلبث إلا قليلاً فنقل إلى قضاء البكيرية وقد لبث فترة من الزمن أعني قبل ذهابه لقضاء الأسياح رئيساً لهيئة الأراضي والنظر في مشكلات تصريف مياه السيول وذلك في عام (١٣٧٦هـ) غير أن لبثه في هذه الوظيفة قليل لكثرة المشاغبات والمنازعات ولا سيما كونه يبت فيها سريعاً، ولما أن ذهب لقضاء البكيرية لم يلبث أن أعفي من العمل وأحيل على المعاش.

فقدّر أن تاجراً من تجار الهند كان لديه ثروة فرأى أن يصرف منها في تعليم القرآن وحفظه ووافق تشجيعاً من المترجم فأسست هذه الحلق في المساجد لتحفيظ القرآن وينفق عليها من مال الهندي ومساعدات من الأجواد، وكان ابتداء هذا العمل أو تأسيس مدارس تحفيظ القرآن عام (١٣٨٣هـ) وهي السنة التي أحيل فيها المترجم على التقاعد.

ولما أن كان في السنة التي بعدها أقيم مسجد في محلة آل الجربوع في الجنوب الغربي من مدينة بريدة قام بعمارته عبد الله بن تركي من أهالي بريدة الذين سكنوا في بلدة الكويت، فأقيم المترجم إماماً فيه واتسعت رقعة المسجد بحيث كان جامعاً وجلس فيه لتدريس من يتتبه من أحبابه من طلاب العلم وتخرج عليه بعض الطلاب.

ولكنه لتقدمه في السن ولضعف بصره تخلّى عن المسجد وعن الأعمال جملة حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة على إثر مرض وشيعه للصلاة عليه في جامع بريدة وحمله إلى مثواه الأخير خلق كثير وتأسفت الأمة وترحموا عليه ودفن في مقابر الموطن رحمة الله برحمته الواسعة، وكان له من الأخوة صالح بن سليمان وعلي بن سليمان كلاهما توفيا قبل وفاته وهما من طلاب العلم ومن أهل العقيدة وقد خلف المترجم عقباً من الذكور والإناث.

ومن توفي فيها الشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيّتي رحمه الله وعفا عنه وذلك في ١٥ ذي القعدة من هذه السنة وهذه ترجمته: هو الشيخ اللوذعي الفقيه أبو

عبدالعزیز حسن صالح بن عبد الرحمن السکیتی إمام مسجد ابن مساعد ولد في عام (١٣٣٣هـ) في مدينة بريدة في القصيم فلما أن بلغ الثامنة من العمر التحق في مدرسة أهلية في شمالي بريدة صاحبها يدعى المطوع ثم انتقل إلى مدرسة صالح بن محمد الصقعي فتعلم القراءة والكتابة حتى حفظ القرآن الكريم وكان يجيد الترتيل بصوت رخيم غير جهوري ثم أنه أخذ في طلب العلم عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي ولازمهما وأكثر من الأخذ عنهما كما أنه أخذ قبل ذلك عن الشيخ صالح بن إبراهيم بن كريدس إمام مسجد عبد الرحمن بن شريدة في شمالي بريدة عام (١٣٤٩هـ) و(١٣٥٠هـ) وجد واجتهد وبعد وفاة الشيخ عبد العزيز العبادي ذهب إلى الرياض للأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم وأخيه عبد اللطيف ثم رجع إلى بريدة فولي إدارة المكتبة العلمية حينما كانت في المسجد الجامع في بريدة، وهي أول وظيفة نالها.

ولما أن تأسس مسجد عبد العزيز بن مساعد جامعاً في بريدة ولاه الشيخ عمر بن محمد بن سليم إمامته وذلك في عام (١٣٥٥هـ) واستمر في إمامته حتى وفاته يتخلل ذلك فترة ذهابه قاضياً في بلد المذنب.

ولما أن تأسس المعهد العلمي في مدينة بريدة طلب من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ أن يكون مدرساً فيه وانتقل من القضاء إلى التدريس حباً لنشر العلم ورغبة في براءة ذمته من القضاء كما أنه جلس للتدريس في مسجده وانتفع به خلائق من طلاب العلم وكان يحب البحث والمناقشة في مسائل الفقه وعلم وتخرج على يديه عدد كثير وما زال في جِدّه واجتهاده حتى ضعف عن العمل لضعف بنيته فأحيل على المعاش.

وكان لما أن قدم الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد مدرساً في مدينة بريدة وقاضياً لازمه وأخذ عنه وأكثر الأخذ عنه وقد استنابه في قضاء بريدة فترة من الزمن لما صدرت الأوامر على الشيخ عبد الله بن حميد في الذهاب لحل مشكلات

وتعقيدات في محاكم مكة وجدة والمدينة، وذلك في منتصف عام (١٣٧٢هـ) قدراً من أربعة شهور وقد قنع بالتدريس في المعهد كما أنه استمر في التدريس في مسجده وقد عُذَّ من العلماء وخرج في تشييع جنازته والصلاة عليه خلق كثير من مدينة بريدة وكثر الجمع في المسجد الجامع الكبير للصلاة عليه وتشييع جثمانه لمقره الأخير ودفن في مقابر الموطأ.

وكان من زملاء عقلاء بن موسى الحسين وإبراهيم الصالح الصايغ وعلي بن سليمان الضالع ومن زملائنا في الدراسة على مشائخنا الكرام وتربطنا الأخوة الإسلامية والمحبة الدينية.

ومن توفي في السنة التي قبل هذه علي المطلق رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو الشيخ في الفضل والكرم والأخلاق علي بن محمد بن صالح بن مطلق، ولد المترجم عام (١٣٣٣هـ) وهذه السنة يعبر عنها العامة ويعرفون تاريخها بسنة جراب لحصول الواقعة فيها بين الملك عبد العزيز وبين أمير حائل سعود بن عبد العزيز ابن متعب، وكان والده محمد متكسباً إذ ذاك ويعاني من طلب المعيشة ولا سيما بين مكة وبريدة، أما جده فقد كان متعافاً في طلب الرزق ومرارة العيش اتخذ موضعاً للغراس بين تلك الرمال تبعد عن البلد إلى جهة الشرق بأحد عشرة كيلو يسمى الأرطاوية فيه أشجار من الإثل ويحب الوحدة.

فنشأ المترجم في حضانة والديه وأدخلوه مدرسة أهلية لصاحبها محمد بن عقيل فتعلم الخط والقراءة ثم أنه أخذ في الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم وعلى الشيخ عبد العزيز العبادي وعلى الشيخ محمد بن صالح المطوع وعلى الشيخ سليمان بن محمد بن طويان، وكان له مع الأخير بحث ومناقشة.

ثم أنه سافر إلى مكة المكرمة فأخذ عن الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ واجتمع بالشيخ سليمان بن حمدان وأخذ عنه.

ثم أنه رجع إلى بريدة وكان له معنا مجالس شيقة ومن جملة رفقتنا الذين نأنس

بهم ومن جملة اجتماعنا أن سرنا مرة إلى مدينة عنيزة على أرجلنا وفي صحبتنا الشيخ فهد بن عيسى، ولما أن خرج من بين والديه لم يكن لديه ثروة فاتخذ دكاناً في قبة رشيد المشهورة ولما لم تساعده حالته المادية اختار أن يكون في مزرعة بقرية الخضر الواقعة في الجنوبي الغربي عن مدينة بريدة وجعل يمارس طلب المعيشة وقد جعله الشيخ إماماً وخطيباً فيها وذلك ببعث كتاب إليه جاء فيه من عمر بن محمد بن سليم إلى الابن علي المطلق تلتزم إن شاء الله الإمامة في الجامع وكان يظهر آثار العفة عليه في حال الفقر والغنا وله عزة نفس وسلوك مع الأمة ثم سافر إلى الرياض للأخذ عن آل الشيخ فدرس على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وعلى أخيه الشيخ عبد اللطيف ونال هناك إدارة مدرسة ثم أنه التحق في وظيفة لدى الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ اختاره الشيخ أن يكون يوزع الرواتب والمستحقات لهيئات الحسبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويثق به.

ثم أنه رأى أن يتعاطى في شراء الأراضي وبيعها وجعل مدينة الرياض مقراً لعمله وفتح الله عليه من أمور الدنيا ما أصبح به من أهل الثروة والموجدة وحظي واتسعت رقعة تعاطيه مع تيسير على المعسر وإذا كان له على أحد دين فإنه يحسن في الطلب ويواضع فكان له من هذه الخصلة محبة بين الناس وذكر حسن.

ومما ينسب عنه أنه جاء إليه رجل يشكو تأخر زواجه فنظر فلم يكن له تلك الساعة ما يؤمن زواجه فقال له هل عندك مهر فقال لا أجد إلا بيت فأشار عليه أن يبيع بيته ويتزوج من قيمته، وباع عليه قطعة أرض وقال له خذ ما تبقى من قيمة البيت وعمّر ما يؤمنك من المسكن ولا تأتني بقيمة الأرض حتى يفتح الله عليك بها، ففعل ويسر الله له سعيه ومنحه الله سمعة طيبة بين الأمة وربما ضايقته الأحوال لاتساع الرقعة فلا يتسامح الخصم ويظنه واجد فيسيء المعاملة فكان مرة لما ضايقه بعض عملائه أحاله على ستة ممن كان لديهم مئات الألوف قد حلت أجالها ولم يضايقهم فكان ذلك الغريم الذي لا يبلغ طلبه عشرات الألوف يذهب

إليهم واحداً بعد واحد، وكل منهم يقر بما لديه من الطلب ولكنه لا يجد تسديداً فاستحيا ذلك الغريم وصبر تقديراً لإحسان المترجم إلى خلق الله حتى استوفى من دون تشويش ولا مضايقة.

ولحسن نيته كانت قيمة تلك الأرض أربعة وعشرين ألفاً فارتفعت حتى بلغت الملايين ولديه قوة نفس وسعة في الرزق حتى حصل على عقارات عظيمة ونخيل وبيوت ويتغافل عن الفقراء والمحتاجين ويوزع ثمرات النخيل ويسمح بها ويصل قرابته وله ضيافة في الرياض وفي بريدة وأبوابه مفتوحة في وجوده وغيابه وله رفقة تلتف عليه من أصحابه يلازمونه في جلوسه ومدخله ومخرجه لما ينالونه من إكرام الناس له ويجلس مع الفقراء في تناول الطعام ويتواضع لهم ولا يستأثر من بينهم في مأكّل أو مشرب وإن كانت الظروف تقتضي ذلك لأنه أصيب بمرض السكر وكان الأولى أن يكون له طعام خاصاً لكنه يقول أنها خصلة جبله الله عليها.

ولو قلت أنه يعتبر من رجالات أهل القصيم ومن أجواد أهل زمانه لما كنت مبالغاً ومحافظته على الصداقة والمحبة الجارية بيننا قديماً يطلب مني أن أتفضل عليه في إجابة دعواته والجلوس معه ولكنني لكثرة أشغالي لا أتمكن من ذلك، وربما بكى أمامي لأجلس على كرامته وآخر مجلس ضمنا أن عقد معي موعداً لتناول الغداء لكنه حال بينه وبين دعوته وفاة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز قدس الله روحه بحيث اشتغل المسلمون بتشجيع جثمانه والدعوة لولي عهده للمبايعة وكثيراً ما يتحدث بنعم الله ويتذكر أوقات في قلة ذات اليد والحاجة مرت عليه وقد بالغ الناس في بذله وإحسانه ومنح المحتاجين إليه مبالغاً لا يبلغها العبارة في الجود والكرم وما لم أتحقق عنها من مصادر وثيقة لم أذكر إلا ما شاهدته وكنت في روايته صادقاً.

ولما أن كان في آخر حياته اشتد به مرض السكر لعدم تقيده بالحمية وتوفاه الله تعالى في يوم الاثنين ١٢/٧ عام (١٤٠٢هـ) وخلف أموالاً طائلة وعقباً كثيراً من النسل البشري نسأل الله تعالى أن يهديهم ويوفقهم.

ومن غرائب ما جرى عليه أن غريباً ضايقه في طلبه بأن لا بد أن يسدد أو يسجن فتقدم إلى السجن ولما أن دخل السجن في طلب نزر يسير بالنسبة إلى ما لديه من الثروة الطائلة وجد في السجن سجيناً في طلب مائة ألف عليه لم يجد لها تسديداً فتحملها عنه واخرج للسجن في الحال إلى أولاده.

وإننا نترحم على الأخ علي بن محمد بن مطلق ونسأل الله له الكرامة في الآخرة والرفعة بإحسانه إلى خلق الله وبذله ماله ونفسه في سبل المجد والكرامة وذكر عنه أنه وصى بشيء كثير في أعمال البر بعد وفاته من حجرات له ولوالديه وأقربائه وترميم مساجد وبناء أخرى واشتراء مصاحف ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتوزيعها هكذاذكروا بما أني لم أتلقيها عن مصدر وثيق ولم أقف على غالب أعماله الأخيرة فإنني أسلك مسلك السماع لا الرواية فالله المستعان.

هذا والواجب لاخلاص للتاريخ فما وصلني من حال قيامي بأعمال خيرية مساعدات مرة واحدة بل قد اشتريت منه قطعة أرض بحاجة فنقدته المعجل من القيمة وقبل حلول المؤجل منها بشهرين كاملين بعث يطلبها فعجبت لذلك فأخبرني أنه في تلك الساعة محتاج لغريم ولثقتة بي طلب البقية قبل حل الأجل وكان مع ذلك لم يفرغ لي لكنني بعلم الله سددت له قبل حلول الأجل لتعلم أن مدحي له وثنائي عليه تقديراً لإحسانه إلى الناس لا لأن له فضلاً علي أو معروفاً وكان عاقلاً لا يتوصل إلى سره ولديه اطلاعات على الغموض وبحث في مهامها ولا يحقد ولا يميل إلى غيبة أو مسبة أحد ولو أساء إليه.

وهذه صفته ضخم الجسم حنطي اللون قد لوحته الشمس له عيان كلسانين كثير تحركهما ويشابه خلقه الشيخ محمد العلي بن حركان ولما بدن كانوا يساعدونه في القيام.

ومن توفي فيها أمير تبوك سابقاً سليمان بن تركي السديري رحمه الله تعالى وعفا عنه كان شاباً مثقفاً وذو مقدرة وتقدم ورجولة وكرم وسباقاً في المكارم والفضائل وكان مرحاً متواضعاً.

ولو شئت لقلت لم أر في الأمراء مثله ومع ما يلاقه من المشاكل والشكايات التي ترد عليه ومن تدابير أمر تلك المنطقة التي كانت من حدود المملكة شمالاً وغرباً إلى حدود المنطقة من الشرق والجنوب فإنه استطاع بمقدرته أن يؤمنها بتوفيق من الله سبحانه حتى أصبحت تلك الجبال والفلوات وما تحتوي عليه من المدن والقرى آمنة مطمئنة يسير الراكب فيها كأنما هو في صحن بيته وهو رحب الصدر ولا يغضب ولا يتأثر ويمجاذب جلسه وأضيافه بحديث لا ينقطع ولا يمل وفيه مؤهلات.

ومما ورد عليه أنه أتى برجل شاب عليه آثار العقل وهو في الثلاثين من عمره قد كبل بالحديد ومكشوف الرأس غير أن الله ابتلاه بشيء من بلاوي الزمان فقبل يا سعادة الأمير هذا السجين إننا منعناه مرتين عن أن يحرق نفسه بالنار نعم إنه متأثر مما وقع فيه بغواية الشيطان وكان لا يبدي شيئاً فسألنا الأمير عن جنايته فقال إنه انتهب زوجة جاره في الرياض وصلح وإياها وبعد القبض عليه قضت العدالة أن يسجن حتى يبت في شأنه وقد طلب أن ينقل من سجن الرياض إلى سجن تبوك لتسهيل زيارة والدته له من قرب ثم سأل الأمير سليمان عن الحكم في تحريق نفسه فناصرهنا وبيننا له ما لقاتل نفسه من العقوبة الأخروية والدينية نسأل الله العافية فأمر بعرضه على المستشفى للنظر في عقله.

ولما أن قضت الإرادة الملكية إقامة سمو الأمير عبد المجيد في تبوك نقل بطلب منه إلى وظيفة مستشار في الداخلية لا يسدها سواه فنقل في عام (١٤٠٠هـ) المتقدم وقد يقام بالنيابة كاحتياطي ليسد مقام أمير المنطقة كما قدم بريدة نائباً عن صاحب السمو عبد الإله بن عبد العزيز لما سافر إلى أمريكا.

وقد منّ الله علينا برويته والاجتماع به في بيتنا بدعوة تكميمية وأريناه مكتبتنا وأهديناه بعض مؤلفاتنا مقابل ما أسداه إلينا من المعروف سابقاً والفضل للمتقدم ولما كان في ٢٥ من شهر جمادى الأولى من هذه السنة توفاه الله تعالى عن عمر يناهز الخامسة والأربعين غفر الله له وتجاوز عنه.

وفيه وفاة رئيس ديوان إمارة بريدة سابقاً سالم بن إبراهيم الديب كان هو السكرتير للأمير عبد الله بن فيصل بن فرحان في حال إمارته بالقصيم ثم كان بهذه الوظيفة في إمارة عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد بالقصيم كما أنه لبث في إمارة خال الأمير عبد الله بن مساعد وهو محمد بن عبد الله بن بتال المطيري وترفعت مرتبته في إمارة صاحب السمو سعود بن هذلول في إمارة القصيم فكان رئيس الديوان في إمارة القصيم ثم إنه أصابه نكبة من نكبات الزمان وأبعد عن الوظيفة بعد اهانتة ثم أنه كان بعد ذلك في شركة كهرياء بريدة وقد جمع ختمة مطولة للقرآن الكريم وختمة مختصرة كذلك وجمع ورداً سماه الورد المسطور أصيب في آخر عمره بشلل في أحد جنبيه وتوفاه الله تعالى في آخر جمادى الأولى من هذه السنة رحمه الله برحمته الواسعة.

وفيه وفاة الأمير ناصر بن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل غفر الله له وتغمده برحمته أمير الرياض فترة من الزمن جعله والده في هذا المكان والمقام المفخم الرائع ثم خلفه في هذه الإمارة سلطان بن عبد العزيز عام (١٣٦٦هـ).

وفيه في يوم الأحد ١٦ / ٢ وفاة صهرنا عبد الرحمن بن أحمد بن علي العيري رحمه الله لأنه متمسك بالدين وبالعقيدة وكانت وفاته عن عمر يناهز السابعة والستين.

وفيه في ٢٤ / ١ / ١٤٠٤ هـ وقوع زلازل عنيفة في تركيا في قرية الزوم هلك بسببها خمسمائة قتيل وجرح ثلاثون كثيرون وتهدمت منازل ومساكن على أهلها.

وفيه في أوائل برج الحمل مبتدأ واحد وعشرين مارس ١٩ جمادى الثانية هطلت أمطار غزيرة على مدينة الرياض وما حولها بحيث جرت الأودية جرياً عظيماً جداً وتضررت المزارع هناك من تلك الأمطار وخرجت الأمة بجمعها يتفكرون على تلك الأودية والخبارى والرياض بما في ذلك القصيم الذي يفوق بكثرة مياهه.

فقد حصل في هذه السنة جفاف عظيم ونزلت مياه الآبار وخشي من هلاك
الزروع والخضر وغيرها من قلة الأمطار ولا سيما المليداء في القصيم فقد خسر
المزارعون الألوف لشراء المواسير وتنزيلها إلى أسفل لنزول المياه وبما أن الأمة
استعملت المحاور والأمطار الصناعية فقد أثرت مع قلة الأمطار على الماء قال الله
تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (١).

ذكر بئر العجائب

لما كان في شهر شعبان من هذه السنة ظهرت بئر جديدة في المدينة المنورة
حفرت وأقبلت الأمة عليها وجعلوا ينسجون حول مائها الكثير من الأساطير
والخوارق ويقولون أن ماء هذه البئر يفتح الشهية ويزيل الأذية ويقوي البصر
ويزيل الحساسية من الجسم وأقبل المرضى يتدافعون حفاة عراة أمام البئر.

وسولت لهم أنفسهم أن ماءها يشفي من جميع الآلام وأمراض المعدة وغيرها
من الأمراض وأن هذه البئر التي يمتاز ماؤها بكل هذه القدرات التي يعجز عنها
الطب الحديث تشهد إقبالاً منقطع النظير من أبناء المدينة وغيرها من مدن المملكة
وربما من الدول المجاورة كل منهم يبحث عن العلاج.

ويقول وكيل البئر رضا عمران السحيمي إننا لا نأخذ مقابلاً لهذه المياه من
رواد البئر بل بالمجان وجرى من الناس كما جرى في السنة السابقة على بئر
الشملي.

أما كيف تم اكتشاف أن هذه المياه تعالج كل هذه الأمراض فيقول السحيمي
علمنا ذلك من خلال بئر أخرى قديمة في الشمال كانت مياهها تعالج أمراض النظر
والحساسية وعندما حفرنا هذه البئر الارتوازية وجدنا أن مياهها تتميز بكل مميزات

(١) سورة الذاريات، آية ٢٢.

مياه بئر الشملي هذه ويؤكد رضا عمران السحيمي أنه كان لا يستطيع أن يقود سيارته بدون النظارة الطبية وبعد أن شرب من مياه هذه البئر واغتسل منها استطاع أن يستغني عن هذه النظارة.

ومنذ أول شهر شوال الماضي بدأت وفود المرضى تتجه إلى هذه البئر العجيبة وذاع صيتها بين الناس في مختلف أنحاء المملكة ومن كل الجهات.

مميزات البئر:

ويؤكد السحيمي أن مياه هذه البئر خفيفة وبإمكان أن يشرب الإنسان منها قدراً كبيراً دون أن يحس بثقلها أما إذا استحم بها الإنسان فيزعمون أن الماء ينزل من جسمه أبيض كاللبن حتى ينظف الجسم ويزيل عنه الحساسية وذكروا أن وكيل البئر أنه كان أولاً لا يستطيع أن يتناول الطعام وكان طعامه يقتصر على القهوة المرة وعلى الماء واللبن وقد بحث عن علاج عند الأطباء دون جدوى فشرب من ماء هذه البئر فأصبح يستطيع أن يتناول مختلف الأطعمة كأبي إنسان عادي.

وذكر عن رجل آخر أنه يعاني كثيراً من انتفاخ البطن فشرب منها وعافاه الله وآخر يعاني كثيراً عندما يأكل الطعام ولا سيما الموز فإنه يعاني بسببه من الانتفاخ الشديد.

ولكن ماء هذه العين وضع حداً لكل هذه المعاناة وذكر آخر أنه يعاني من انتفاخ القولون فشرب من ماء هذه البئر فما لبث سوى يومين حتى زال وجعل الناس يتسابقون كل يقول من فضلكم دعوني أملاً الجالون وزعموا أنه إن لم يحتفظ بغلق الأنية فإنه يتبخر ويعود إلى طبيعة الماء، وقال وكيل البئر إنا اضطررنا إلى أن نخصص مواعيد معينة للرجال والنساء لهؤلاء فترة الصباح ولأولئك فترة المساء، هذا ما ذكرته إحدى الجرائد السعودية.

وفيها في ٣/١٢ قام إرهابيون من العراق ولبنان عدتهم اثنا عشر شقياً بتفجير قنابل ومتفجرات في مدينة الكويت فألقت حكومة الكويت القبض عليهم واحتجزتهم.

وفيهما وفاة رئيس الجمهورية المصرية السابق بعد إلغاء الملكية في مصر محمد نجيب، وكانت وفاته في يوم الثلاثاء ١٢/٢/١٤٠٤ هـ وكان موصوفاً بالعدالة والدين وقد قدمنا تواضعه وإنصافه في سنة حجه وميله إلى السلم وإكبابه على العبادة وتلاوة القرآن وأحبه شعب مصر وجعلوا يلهجون باسمه لأنه وقع اختيار الأمة المصرية عليه وهو أول رئيس للجمهورية ولكن من الضباط من أهل مصر من كانوا يريدون توطيد الجمهورية أولاً ويريدون لها جمال عبد الناصر ولما أقاموه أولاً لما يعرفه الشعب المصري عنه من النزاهة والدين ومحبة الشعب له ولما أن أرادوا إبداله بجمال جرى ارتباك في شعب مصر وقام الإخوان المسلمون الذين أيدوا الثورة لا يعدلون بمحمد نجيب سواء لكنهم غلبوا على أمرهم وتلقى الرئاسة جمال وكان عزل اللواء محمد نجيب عن الحكم إثر خلاف سياسي مع جمال ثم حددت إقامته في نوفمبر (١٩٥٤ هـ) في فيلا بالمرج شمالي القاهرة ولم يفرج عنه إلا بعد ٢٠ عاماً عمره يناهز ٨٣ سنة.

مصلحة الهاتف السيار

لما كان في هذه السنة أدخلت في ١٥ جمادى الثانية خدمة الهاتف السيار لخدمة المواطنين وراحة العالمين فأصبح الراكب في سيارته يكلم من شاء من قريب أو بعيد وكان لهذا المشروع مصلحة عظيمة ويعتبر هذا المشروع من أحدث المواصلات التي وفرت للناس راحتهم وقضت حاجتهم بسرعة فائقة والله في خلقه شؤون وإنه ليعجب لتقدم تلك الأعمال التي لا يكاد يصدق بها.

وقد تم في منتصف هذه السنة تركيب مائتي خط هاتف سيار، وكانت منطقة القصيم تتمتع في بيوتها ومكاتبها ودوائر الحكومة في هذه السنة بشبكة من أحدث شبكات الاتصالات في العالم بحيث بلغ في منطقة القصيم عدد من خطوط الهاتف بقدر ٥٥٠٠٠ ألف خط وقد كثرت الإصلاحات في سائر أنحاء المملكة.

فمائة وخمسون قطعة أرض تسلمتها إدارة التعليم بحفر الباطن لإقامة مشاريع

تعليمية عليها في مدن المنطقة من مدارس وغيرها وكانت مساحة تلك الأراضي تتراوح القطعة الواحدة منها من عشرة آلاف متر مربع إلى عشرين ألف متر مربع كما أن أمير عسير صاحب السمو الملكي خالد الفيصل قام في أواخر هذه السنة بتنظيمات ودراسات لتلك المنطقة وقام أمير المنطقة الشرقية عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي بتوقيع خمسة عقود جديدة مع عدد من المؤسسات الوطنية المتخصصة تتعلق بإيصال المياه المحلاة لعدد من المدن بالمنطقة الشرقية وذلك بصفته رئيس مجلس إدارة مصلحة مياه ومجاري المنطقة الشرقية بتكلفة ثلاثمائة وأربعة وثلاثين مليوناً لشبكات المياه والمجاري وتصريف سيول في القطيف.

ذكر المذابح والتدميرات في أفغانستان

في ١١/١٥ من هذه السنة والأيام قبله ارتكبت روسيا في معاملة أفغانستان مذابح جماعية وحرقت ودمرت وتشير الألمان إلى خطورة تلك المذابح بحيث أحصى الذين قتلوا من الأفغانيين منذ بدء غزو روسيا لغزوهم فبلغوا أكثر من مليون أفغاني وشردوا ملايين وأن جرائم الحرب التي ارتكبتها روسيا في معاملتها لأفغانستان لا تقل خطورة عن الأعمال التي ارتكبتها النازيون.

وقد قامت روسيا باستخدام أساليب البطش والعذاب فحرقوا الأراضي والمئات من القرى المسالمة وأطلقت النار على المدنيين واغتصبت النساء ودمرت المحاصيل وسممت الآبار ولم يعفوا عن قتل صغير وتحريق كبير ولم يتركوا وسيلة تؤدي إلى الهلاك والدمار إلا وقد فعلوها.

فخمسون شخصاً أفغانياً اختبأوا في مجاري المياه تلاحقهم العساكر الروسية فتصب عليهم البنزين وتحرقهم ومع ذلك فإن المجاهدين ثبوا وصمدوا أمام تلك الأهوال ولم يهنوا ولم يستكينوا ولم يضعفوا بالرغم من حجم النيران وهم القنابل وكونهم.

أمام دولة هي أكبر دول العالم أمام عدو غاشم لا يستهان به ناضلوا بصدق
إيمان وقوة عقيدة.

ومع أن روسيا تضربها بأنواع الأسلحة الفتاكة والمعدات الرهيبة فلم يرهبوا
من صنوف العذاب وحرب الإبادة والتعذيب الذي لا يكاد يصدر ممن له ذرة من
رحمة أو شيمة أو أنفة ولاقوا جيوش روسيا وتصدوا لها وهم يرون إخوانهم
المقتلين والمشردين في مشارق الأرض ومغاربها صمودهم أمام تلك الجيوش
الكاسرة الذين ملؤوا الأرض بقضهم وقضيضهم أمدوهم بالأموال والأرزاق
والكسوة ليثبتوا ويناضلوا بما أن الطائرات تصب عليهم أنواع العذاب والجحيم
والحمم من قنابل الخوف والهدم والتدمير فإنهم أحرزوا نصراً متفوقاً يزداد كل يوم
بل كل ساعة ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) أولئك الأفغان
المجاهدون الأشداء المتمسكون بدينهم المعتصمون بجبالهم وصياصيههم ولم يعرفوا
الخضوع للأجانب ولم يعتادوا عليه ويكفي ما قام به قائدهم أمان الله خان بحيث
أنه لما خلف والده استل سيفه أمام الجمهور وأعلن أنه لا يعيده إلى قرابه حتى يعيد
لبلاده استقلالها الكامل وسيادتها التامة.

ثم أرسل إنذاراً إلى بريطانيا، ولما رفض الإنجليز إجابته أعلن الحرب عليهم
حتى خضعوا، وفي هذه السنة انتصروا وأذاقوا روسيا درساً لا يُنسى، وما زالوا
طوال تلك السنين الماضية التي بلغت ستاً يجاهدون ويناضلون حتى أدخلوا الرعب
في قلوب السوفيت ووجهوا ضرباتهم إلى كابول، فقد ضربوها في يوم واحد بمائة
وثلاثين صاروخاً وأسقطوا طائرات ودمروا دبابات وكل يوم وهم يتقدمون
وللعدو يقهرون وذلك بعدما جاءتهم الإمدادات وأفتى العلماء بجواز صرف زكاة
الأموال إليهم فانسدت المساجد من كثرة ما يلقي فيها ويرصد من التبرعات وعلت
أصوات الخطباء إلى الله بالدعاء لهم بالنصر وتبدت أعلام النصر لهم وتورطت
روسيا في غزوها.

(١) سورة آل عمران، آية ١٢٦.

تصريف مياه مكة المكرمة

لما كانت أم القرى بحاجة إلى تصريف مياه السيول التي يجتاحها من جهة الشرق ولطالما أحدثت تلك الأودية أضراراً عظيمة وبما أن الحرم الشريف منخفض موقعه وتأدياً مع الأمكنة المقدسة لا يتمكن أحد من رفعه لمكان الكعبة الشريفة فإنه موضع اجتياحها.

وكم مرة دخلت المياه في الحرم الشريف فسببت أضراراً في الكتب والمصاحف وأضراراً بالكهرباء وأضراراً في النفوس وتعطلت الصلاة فيه وبكل أتعاب تقوم المعدات والمواطنون بإزالة تلك الأوساخ والأتربة ولا ريب أنه إن تأمن المسجد الحرام من دهماء السيول التي تجتمع من تلك الأودية والشعاب فيه فإنها راحة كبرى للحجاج والعمار والزوار والمواطنين.

ولقد بذلت الحكومة أسباباً عظيمة قبل ذلك، ولكنها وإن خففت بسيطاً من الأضرار فإنها تفشل، ولقد رصدت الحكومة هذه المرة ثلاثمائة مليون وثمانية وستين مليوناً لهذا المشروع وهو أضخم مشروع يتم تنفيذه بحيث بلغت تكاليفه الإجمالية (٨٦٨٧٧٤٦٥١) ريالاً صرح بذلك أمين العاصمة المقدسة فؤاد توفيق وقد بدأ العمل فيه منذ عام (١٣٩٨هـ) وتم تنفيذ هذا المشروع في هذه السنة في أربع مناطق رئيسية تضم منطقة حي العزيزية ومنطقة شارع المنصور ومنطقة طريق جدة ومنطقة المعابدة حيث نفذتها عبارات خرسانية طولية يبلغ طولها أكثر من عشرة آلاف متر وأنفاق ومواسير (استبس) ويجري العمل حالياً في تنفيذ باقي المشروع الذي يغطي معظم أحياء مكة ولعل هذه الخطوة الجبارة تكون كفيلة بالنجاح.

ويروي لنا أهالي مكة والمقيمون فيها أن مياه السيول قد تبلغ إلى قفل باب الكعبة وتارة تبلغ مستوى أعلى من ذلك فتحدث أضراراً وتفسد ما مرت عليه في المسجد الحرام وما حواليه كما تقدمت الإشارة إليه فإنها لا تزال اللجان تفكر في

دراسة تلك المهمة ولقد كنت جالساً في صحبتي أحد الرفقة في دكان من دكاكين باب السلام قبل إزالته، وذلك في أحد أيام ذي القعدة من سنة (١٣٦١هـ) فهطلت أمطار ونحن جالسون فلم نشعر إلا وبذلك الوادي قد أقبل ولكنه خفيف تلك المرة فامتلاً ما حوالي باب السلام بالأتربة والأوساخ فعجبت كيف تحولت تلك المنطقة النظيفة إلى بحيرة قذرة وقام السكان في تلك الدكاكين يزيلونها بشدة وكلفة فقمنا معهم في نظافتها وإعادتها إلى طبيعتها الأولى.

وفي إحدى السنين عملت الحكومة صفائح من الخشب والحديد وجعلوها أركاناً من الحديد من بين أبواب الحرم الشريف ولكنها فشلت وكانت ترتفع عند عدم الحاجة وتوضع عند الضرورة ثم جعلت الحكومة سراديب بقدر سعة ستة أمتار تحت المسجد من جهة الجنوب ولكنها ظهرت غير كافية فأمر الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز رحمه الله بتوسيعها إلى اثني عشر متراً كما عملت سداً في أعالي مكة لتصريف السيول وتخفيف وطأتها عن الحرم الشريف، وقد مرّ في هذا التاريخ العجب العجيب من أضرار السيول في مكة وطرقها.

وفيهما رأيت وزارة الحج والأوقاف بعد صدور الفتوى من قبل دار الإفتاء والبحوث أن تحدد أماكن إقامة صلاة الأعياد في القصيم والزلفى وشقراء وذلك لما كثر المصلون وضائق مساجد الأعياد من كثرة المصلين فقام صاحب السمو الملكي الأمير عبد الإله بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم بإقامة مصلى للعيد بحى الصفراء من بريدة كما كان المصلى القديم في وسط المدينة تقام فيه الصلاة وقام فرع الأوقاف في كل من عنيزة والرس والبكيرية وغيرها من المدن بتنظيف مصليات العيد وفرشها ورشها بالماء كما قامت الوزارة في ملبح وعلقة والثوير وما يتبع الزلفى وزودت وزارة الأوقاف المصليات بمكبرات الصوت ورش الأسواق بالماء وتسوية أراضي المصليات كل هذا لراحة المصلين وكذلك تجهيز المصليات بالمدينة المنورة والقرى المرتبطة بها وفي حفر الباطن والقيصومة وغيرها.

وهذا لأول مرة تتكرر صلاة العيد لما اتسعت الرقعة وكثر عدد المصلين.

تحديد مواقع صلاة العيد بالإحساء قام فرع وزارة الحج والأوقاف بالإحساء بتهيئة مصليات العيد والجوامع التي ستقام فيها صلاة يوم عيد الأضحى المبارك حيث تم توفير الإمكانات لذلك، وسوف تقام صلاة العيد بالإحساء في المصليات في كل من الهفوف والصالحية والرقيقة والمبرز بمصلى العيد فيه وفي المراح بمصلى المراح وفي العيون واللوزية والكلابية بالجشة ومصلى العيد بالحفر ومصلى العيد بالطرف والشقيق والمقدام وحررض وسلوى هذا إلى جانب إقامة الصلاة في مصليات الأعياد في كل من هجر الإحساء.

اليهود تقتل أئمة المساجد وتهدد المسجد الأقصى

في هذه السنة بل في ١٦ من جمادى الأولى ارتكبت القوات الصهيونية فيه جريمة شنيعة وهي أنهم اغتالوا الشيخ راغب حرب إمام بلدة جبشيت قتلوه في داخل منزله كما أن إمام مسجد قرية أخرى تدعى الخلوسية لا يزال معتقلاً ولم تفرج عنه سلطات الاحتلال رغم كل مظاهر الاحتجاج والاعتصام التي نفذها أهالي القرية كما أن رجال الدين كانوا تعرضوا في الأسابيع الأخيرة للاعتقال والإهانة على أيدي الجنود الصهاينة، هذا ولقد كان من المعلوم أن هذه الفئة الملعونة المغضوب عليهم لم يألوا جهداً في الأذى وعذبوا العرب وامتألت سجونهم بهم وفي هذه الأيام الأخيرة نذكر ما يلي:

بيان عن رئيس الهيئة الإسلامية في القدس

قام هذا الرئيس يحذر من مخاطر الاعتداء على المسجد الأقصى وهو سماحة الشيخ سعد الدين العلمي رئيس الهيئة الإسلامية في القدس المحتلة قام يحذر من مخاطر الاعتداء على المسجد الأقصى وقال إن المحاولات الإسرائيلية مستمرة وأن هناك جمعية صهيونية متعددة تمولها الولايات المتحدة وتستهدف المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان المزعوم عليه وكشف الشيخ العلمي في تصريح لمراسل وكالة

الأنباء القطرية في عيان النقاب عن أن قائد شرطة الحرم أبلغه أمراً من الحكومة الإسرائيلية في الأول من أغسطس بالسماح للإرهابي كاهانا بدخول ساحات المسجد الأقصى وأن الحكومة الإسرائيلية ترغب في إتمام هذه الزيارة هذا ما أوضحه رئيس الهيئة الإسلامية وقد أصبحت مدينة القدس المحتلة أشبه بثكنة عسكرية ويخيم عليها جو من الرعب وأن وكالة الأنباء الكويتية تلقت في ثاني ١٢ من هذه السنة تقريراً من المدينة المقدسة أن هناك (٣٣) دورية محمولة للشرطة و(٩) دوريات لحرس الحدود تجوب شوارع مدينة القدس ليلاً ونهاراً منذ بداية الأسبوع الحالي وهناك أربع فرق لتفكيك المتفجرات والعبوات الناسفة لأنه تكرر اكتشاف عبوات ناسفة وسيارات ملغومة في الأحياء اليهودية قبل بضعة أيام ونجاح بعض العمليات المسلحة ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي كما أن اليهود جعلوا ما يزيد على ثلاثمائة فرد من أفراد المخابرات الإسرائيلية (الشين بيت) يجوبون أسواق وشوارع القدس ويشير التقرير إلى أن الشرطة الإسرائيلية العاملة في القدس أصبحت تعيش في وضع لا يحتمل منذ اكتشاف السيارات الملغومة والعبوات الناسفة قبل بضعة أيام.

أخبار عن مدينة بريدة في القصيم

لما أن هدت منطقة ربيشة وأقيم فيها السوق المركزي كان بالرغم من ضخامته وسعته لا يتسع للماشية فاتخذ للماشية من إبل وبقر وغنم موضع آخر يقع جنوب المدينة ذلك بأن السوق المركزي الذي أصبح مبيعاً للحوم والتمور والفواكه بأنواعها وما ألحق بهاتيكة المحطة التي قد رست فيها سيارات النقل الواردة بفواكه الشام ومصر وكانت مأوى لجميع البقول والخضراوات من البصل والبطيخ والقثاء والطماطم والخوخ والكمثرى والباذنجان والمنجا والرمان والتفاح والبرتقال وغيرها وأصبح ذلك السوق ينتابه من كان بين مدينة الجمعة والبراء شرقاً وغرباً وما بين ساجر جنوباً إلى قرى حائل شمالاً فلو حظ ضيقه عن الماشية.

وأسس سوق الماشية وأقيم في ذلك السوق ما يتطلبه من مساجد وخزانات للمياه وتم تأسيسه في هذه السنة وكلف إنشاؤه مائة وسبعين مليوناً من الريالات ورصد له ولشيء من المشاريع في مدينة بريدة أربع مائة مليون وثمانية وثمانون مليوناً.

أصبحت بريدة عروس القصيم وما زالت تحمل ذلك الاسم كما أنه رصد خمسمائة مليون وسبعة وسبعون مليوناً للمجاري، أما عن نزع الملكيات فتكلف المشروع بثمانين مليوناً.

سوق الماشية يضيق

لما عجز ذلك السوق عن تحمل ما يجلب إليه اتخذ للإبل والأبقار موضع آخر في جنوبي الموطن يقع عن المدينة جنوباً بمسافة ثلاث كيلوات فبالرغم من سعة سوق الماشية مع عظمتها وسعته خرجت الأمة لبقية المستوردات الحيوانية وأصبح السمك يباع في مدينة بريدة كأنما يباع حوالي ميناء جدة ولا يطلب المواطنون شيئاً إلا وقد أصبح موجوداً لديهم وكان الأمير عبد الإله وفقه الله وسدد خطاه يسعى في كل ما يقدم المنطقة وقامت المدن.

الأخرى في القصيم كعنيزة التي يتبارى سكانها في نهضتها وزيتها وكل ما يقدمها وتضم رجالاً متكاتفين متعاضدين فيهم نخوة ورجولة وكذلك مدينة الرس ومدينة البكيرية والخبراء ورياض الخبراء ومدينة المذنب وغيرها من مدن القصيم، كل هذه قامت بنهضة عمرانية وتعليم وتطلب العز والتقدم، تضم دوائر حكومية وبلديات ومستشفيات وغير ذلك مما يتطلبه الوضع الحديث وذلك بظل الله ثم هذه الحكومة السعودية أدام الله بقاءها ولقد نهضت البلاد السعودية نهضة تقدمية بفضل ما ساعدت الحكومة الشعب من قروض بنائية وقروض زراعية وبنك تسليف وأصبحت الجمعية عاصمة سدير وشقراء عاصمة الوشم وحائل وغيرها من المدن الكبار والصغار بحالة نهضة لا كالأمس.

نسأل الله تعالى أن يوزع المسلمين شكر نعمه وأن يهديهم إلى سواء السبيل أما عن مكة المكرمة والمدينة المنورة والمنطقة الشرقية والجنوبية والشمالية والغربية فحدث ولا حرج وذلك لأن بتوفير الماء والكهرباء الذين هما مادة الحياة تتوفر المصلحة للأمة.

وفيها في ٢٥ جمادى الأولى قامت الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين بتركيب أبواب جديدة للمسجد الحرام تقدر تكلفتها الإجمالية بأحد عشر مليوناً من الريالات وكانت الأبواب ستة وخمسين باباً وروعي في صناعة هذه الأبواب الطابع الإسلامي، وكان صنعتها من مواد غير قابلة للتأثر بالعوامل الجوية.

ومن الغد من هذا اليوم تخرج (٧٤) ضابطاً جامعياً سلموا شهاداتهم وجوائزهم وكان الذي تولى رئاسة الحفل صاحب السمو الملكي نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية.

احتفال كبير للأدب

لما كان في عصر اليوم ٢٧ من محرم في هذه السنة والساعة في الرابعة أقيم احتفال كبير في بهو الملك فيصل للمؤتمرات في فندق (إنتركتنتال) الرياض برئاسة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وقد دعيت الأمة لذلك وقد غصت أبهاء الاحتفال على سعتها بعلية القوم من مختلف طبقات الأمة، ثم أنه وصل الموكب الملكي إلى مكان الحفل يضم ملك البلاد وسمو ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وحضرة صاحب السمو الملكي سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع وعدداً من أصحاب السمو الملكي فبدأ الحفل بآي من الذكر الحكيم، وتلا هذه الآيات مقرئ ثم بعده ألقى كلمات وقد فاز بالجائزة ثلاثة أدباء هم أحمد السباعي وحمد الجاسر وعبد الله بن خميس على هذا الترتيب بالأولوية هؤلاء نالوا جائزة الدولة التقديرية للأدب وقد أجريت محاورة معهم.

هذا هو أحمد السباعي الأديب غير أحمد السباعي المطوف وقد ولد الأديب بمكة المكرمة، فهو من مواليدها ونشأ بها وتعلم في كتابيها وقد ذكر معرفته بالشيخ محمد نصيف واتصاله بمحمد سرور الصبان وجعل يروي مرويته في حياته العجبية.

أما عن حمد الجاسر فيقول عن نفسه بأنه حمد بن محمد بن جاسر آل جاسر وأنه ولد على وجه التقريب عام (١٣٢٨هـ) مكان ولادته في البرود الواقع بين غرب الوشم وجنوب القصيم من إقليم السر حيث نشأت في بيت فقير والدي فلاح ممن قدر عليه رزقه وحياة الفلاحين قبل نصف قرن من الزمان كانت حياته تعدة بدأت التعليم لدى كتاب القرية وعرفت الحروف وقرأت القرآن الكريم نظراً ثم روى قصة حياته وسفره إلى الرياض عام (١٣٤١هـ) وأطال إلى أن قال فنقلت برغم إرادتي قاضياً شمال الحجاز بضياء ونواحيها إلى أن قال ثم عملت في المعارف وذكر خدماته في وظائف الدولة السعودية.

ثم قال إذا كنت فقدت شيئاً فقدت اثنين مكتبتني وولدي فسئل هل كان لهذين الحادثين تأثيرٌ بالغ عليكم أجاب نعم فقد كان لهاتين الحادثتين أبلغ تأثير علي أولاً كنت قد فقدت ابني البكر وهو رجل أتم دراسته الجامعية في جامعة بيروت الأمريكية، وكنت أتطلع أن يحمل عني شيئاً من أعباء ما تحتاجه الأسرة من عناية ولا أزال أحس بألم الذكرى ثم فقدت مكتبتني التي كانت تحتوي على أشياء ليس لها عندي ما يعوضها مذكراتي وكتبي التي ألفتها ومجموعة من المخطوطات ومجموعة من المصورات أثر ذلك في نفسي لأنني الآن بعدما كنت إذا علمت أن هناك مخطوطاً في أقصى بقاع العالم أشدّ الرحل أصبحت عندما يقال في المكتبة العلانية مخطوطات أحس بشيء يعصر فؤادي عصراً وانكمش وأذكر ما جرى في مكتبتني وما جمعت في زهرة شبابي ثم صدر حياتي وأحس أن ذاك عبث به وأن الحياة أحقر من أن يسعى لها الإنسان ويتحدث في موضع آخر عن الفجيعة بآبائه محمد الذي رزقه عام (١٣٧٠هـ) وما بذله في سبيل تربيته، وحيث شب واجتاز مراحل التعليم.

وبينما هو يخاطب أمه في مساء يوم الاثنين ٢٥ رمضان عام (١٣٩٥هـ) بالهاتف من بيروت بالقدوم من الغد إذ احترقت به وصاحبيه الطائرة وألقتهم في البحر جثثاً هامدة جسمه للحرق وللغرق فيا لفجائع البحر ويا لقوارع الزمان ووقف بين مصدق ومكذب بهذا النبأ، لم يُطق الوقوف على قدميه وجعل مسؤولو الطائرة يضلّلونه بأنه ليس من ركابها وهو بين اليأس والرجاء حتى جاءه الخبر اليقين وأعظم منه احتراق مكتبته.

ومن فاز بالجائزة عبد الله بن محمد بن خميس ويقول عن نفسه أنه رجل عادي من عامة الشعب السعودي حاز الثقة والتقدير بالحصول على هذه الجائزة ولا شك أن هناك نظرة خاصة من قبل جلالة الملك المعظم ومن قبل اللجنة الخاصة بالجائزة وعلى رأسها سمو الأمير فيصل بن فهد تنظر إلى عبد الله بن خميس على أساس أنه علم من الأعلام كما يقولون وأنه أفنى رداً من حياته في هذا الجانب ويقول أنه يختلف إلى حلقات التدريس التي كانت تعقد آنذاك عند المشايخ فيقرأ عليهم في المتون وفي المطولات الشيء الكثير.

ومن أعظم من قرأت عليهم والذي ثم لما فتحت مدرسة دار التوحيد بالطائف وهي أول مدرسة من نوعها في ذلك الحين التحقت بها في عام (١٣٦٥هـ) وحصلت على شهادتها الابتدائية، ثم حصلت على شهادتها الثانوية كان ميولي إلى الأدب والشعر والكتابة وذكر أن عمره ٦٣ سنة وذكر الوظائف التي نالها حيث يقول عينت أول ما تخرجت مديراً لمعهد الإحساء العلمي، ثم مديراً لكلية الشريعة واللغة العربية بالرياض ثم مديراً عاماً لرئاسة القضاء قبل أن تكون وزارة ثم وكيلاً لوزارة المواصلات ثم رئيساً لمصلحة مياه الرياض ويقول أنه يتخلل هذه الأعمال أعمال جانبية كالنيابة عن سمو أمير الرياض حينما يذهب هنا أو هناك أتوب عنه في إدارة الأعمال، وكنت أيضاً عضواً في مجلس إدارة شركة الكهرباء ثم طلبت من جلالة الملك فيصل رحمه الله أن أتفرغ للبحث وإحياء الآثار الإسلامية والعربية وخدمتها الخدمة اللائقة بها.

ثم أنه أحيل إلى التقاعد وهو يقوم بهذه الأمور ماضياً في سبيل نشاطه ثم جعل يثني على أولئك الأماجد الذين تركوا في الدنيا دوراً لا يزال يهز العالم ويحرك أوتارها في جميع جوانبها وهؤلاء الموجودون المتمسكون بالدين والشرف هم سلالته.

وهذا النموذج من ذكره وثقافته فيما أن العيون ترمق عبد الله بن محمد بن خميس بالأدب فنحن نسوق شيئاً من حياته فنقول كان والده ينقل خطواته بهدوء وطمأنينة نحو مسجد الملقى من ضواحي الدرعية ليملك فيه ريثما يطل الصباح ليؤدي صلاة الفجر مع الجماعة وحيثما رجع مرة من المسجد قابله البشير عند باب الدار يبشره بمولود ذكر فسر لهذه البشرى ثم أنه درج الطفل الوليد عبد الله في سني حياته وفي الثالثة من عمره انتقل والده إلى الدرعية وهناك أدخله والده الكتاب الذي كان مقصوراً على القرآن الكريم واستنساخ بعض آياته كتمرين على الخط، ولكن الأسر المتعلمة لا تكتفي بذلك اليسير من العلم لأولادها وكانت أسرة عبد الله بن خميس تحمل شرف العلم فجده عبد الرحمن بن خميس كان إماماً ومدرساً في مسجد الطريف بالدرعية وجده عبد الله من أفاضل العلماء في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز وعمه ظل قاضياً في الرياض أوائل هذا العهد الزاهر.

أما والده فكان على جانب من العلم والأدب فنشأ عبد الله مولعاً بالكتب على قلتها أن ذاك وكان يستفيد منها ويفيد وبما أن والده رغم انشغاله في الفلاحة فإنه لم يصد ذلك عن الأدب ويتذكر الابن عبد الله روح الزراعة وتقاليدها أهلها فكان يصرف من أوقات فراغه رؤية الجبال والأودية ويزاول مهنة الصيد فيرتاد البراري والفلوات وأشبع قلبه بالشوق إليها والتغني بها وكان له صلة بالشاب الغيور فهد آل مارق الذي كان له كفاح في سبيل فلسطين يبادل الآراء الصائبة والأحاديث التي عادت عليه بأفضل النتائج.

ثم التحق بدار التوحيد كما ذكر عن نفسه وأعجب به زملاؤه في النشاط

الأدبي ولا سيما لما زار عبد الله بن فيصل دار التوحيد وكان يمتاز بأخلاق أرق من النسيم، ويقول الشعر على أفنان مختلفة وسنورد شيئاً من شعره في الملك سعود حال ولايته للعهد والقصيدة طويلة قال في معرضها:

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| تنيك عن فضل الرجال سماتهم | وأنت عليه المكرمات دليلاً |
| عشقت مودته القلوب فلن ترى | قلباً بغير سموه موصولاً |
| لا غرو إن جرت المدى فلطالما | تبع الفروع الناميات أصولاً |
| فأبوك لم يأت الزمان بمثله | مستخلفاً بعد القرون الأولى |
| كتبت له أيدي الزمان مناظراً | جيل يحدث بالمكرمات جيلاً |
| ومضيت تحترق الصفوف مفاخرأ | حتى سلكت إلى علاه سبيلاً |
| فلتبق يا أمل الشباب وفخرهم | ظلاً على كل البلاد ظللاً |
| مولاي في عنقي إليك أمانة | أزجي بها محض الولاء رسولا |
| من أسرة التوحيد هالك تحية | كالورد داعيه الصفاء أصيلاً |
| دار على التقوى بنيتم صرحها | وصعابها ذلتمو تذللاً |

إلى آخرها وهي رنانة وله أشعار رائعة قالها في المناسبات.

وفيهما وفاة زعيم روسيا بريجنيف الذي يعتبر عندهم رابع زعيم للحزب الشيوعي السوفياتي وشيعت جنازته في جم غفير ومشهد كبير في موسكو ثم أنه انتخب بعده (يوري أندروبوف) بالإجماع سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعي خلفاً للرئيس ليونيد بريجنيف وذلك في جلسة موسعة للجنة المركزية للحزب وسجي جثمان رئيس الدولة والحزب الشيوعي السوفياتي حالياً في دار النقابات بالقرب من الكرملين.

وفيهما في يوم الثلاثاء الموافق ١٢/٩ دخلت الحرب العراقية الإيرانية عامها الخامس.

ثم دخلت سنة (١٤٠٥هـ)

في هذه السنة عظمت الكارثة واشتدت الوطأة على الخليج بامتداد الحرب بين العراق وإيران بحيث أهدمت النفوس وأذهبت الأموال وهدمت البنيان وجعل سعاة الإصلاح ينادون بهذا الصوت المحشج (ألا من رجل رشيد ليقف حرب الخليج وهنا تتساءل ألا من رجل رشيد يؤمن بالله ورسوله يستطيع إيقاف هذه الحرب الضروس ويضع المفهوم القرآني ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١) في موضعه الصحيح وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٦) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^(٧) وجعلت الأصوات المحزونة والموتورة تنادي (أوقفوا حرب الخليج إن كنتم مسلمين)، ولقد تأزمت المسألة من هذه الحرب الاستنزافية بين الطرفين

(١) سورة الحجرات، آية ١٠.

(٢) سورة الأنفال، آية ١.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٤) سورة النساء، آية ١١٤.

(٥) سورة الأنفال، آية ٤٦.

(٦) سورة الحجرات، الآيتان ٩ و ١٠.

العراقي والإيراني وكان الصراع الدولي يدعم استمرار الحرب ويشعل أوارها لأن الموقف الأمريكي سلبياً يتلخص في ترك الثورة الإيرانية لتهزم نفسها بنفسها ثم عملت بعد ذلك لتشجيع استمرار الحرب لإضعاف النظامين معاً، وكانت العراق قد حذرت في جمادى الأولى من السنة الماضية حكام إيران من الاستمرار في نهجهم العدواني في ضرب الأهداف المدنية العراقية.

وأكد الرئيس صدام حسين بأنه سيرد بعنف على هذه التصرفات دفاعاً عن العراق ومصالحه وأنه بكل أسف يرد عليها بعنف مع اعتذاره المسبق للشعوب الإيرانية وقد حاول العراق أن يتجنب مواجهة هذه التصرفات اللاأخلاقية إلا أن نظام طهران تمادى في قصف المدن العراقية وفي مقدمتها البصرة ومندلي وخانقين وزوباطية وخاصة في الفترة الأخيرة، وقال إن العراق لن يقف ساكناً أمام هذه التصرفات الهوجاء وأنه سيرد بنفس الأسلوب حماية لأُمته.

وفيها جرت محاولة لاغتيال حاكم الكويت جابر الأحمد وذلك في الساعة التاسعة تزيد دقائق من صباح ٦ رمضان ولكنه سلم فلم يحصل عليه سوى جراح بسيطة.

وذلك بأنه تقدم فدائي بسيارة محملة بالمتفجرات إلى موكبه، وبعدما انفجرت العبوة أصيب أربعة من رجال الحاكم بقتل وجرح عدد يبلغون عشرة، وأصيب قائد السيارة فكان بذلك حتفه، أما هو فقد كتبت له النجاة.

وقد قامت العراق انتقاماً لذلك الحادث فأطارت طائراتها وضربت العاصمة الإيرانية فأصيبت مدينتان في إيران وتهدمت منازل وذلك في سابع رمضان من غد الحادث.

اغتيال أنديرا غاندي

ففيها في ٧/٢/١٤٠٥هـ اغتيلت رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي بأن أطلق

عليها عيارات نارية ثمانية أصابت بطنها وصدرها فحملت إلى المستشفى بحالة
خطرة وهلكت لما جعلوا يخرجون الرصاص منها بعد ساعات قليلة من إصابتها.
وهذا شيء يؤسف له فهذا رئيس جمهورية بنغلاديش يغتال وهذا أنور
السادات يغتال وهذا رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية كندي يغتال وهذا
فيصل بن غازي ملك العراق يقتل وهذا الملك عبد الله بن الحسين يغتال وهذا
رياض الصلح يغتال وهذا الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن يغتال، وهذا الإمام
بعده أحمد بن يحيى يغتال ويهلك بعد سنة من اغتياله متأثراً بجراحه، وهذا شاه
إيران محمد طاهر يخلع وهذا جعفر النميري رئيس السودان يخلع وهذا سليمان
فرنجة رئيس جمهورية لبنان يخلع إلى غير ذلك مما جرى وسيجري فلا حول ولا قوة
إلا بالله.

ولقد أصيبت بها الهند لأنها قامت بها خير قيام، وكانت على حسن صلات
من دول العالم، هكذا ذكروا عنها ثم أنها جاءت التعازي لرئيس جمهورية الهند
جيانبي زابل سنغ من رؤساء الدول وأصيب الرئيس بوفاتها وثني عزمه عن زيارة
بعض البلدان لذلك، وكان الذين اغتالوها اثنين من حراس الأمن المكلفين بحمايتها
يتممون إلى طائفة الشيخ وقد قتل ثم أقيم ابنها راجيف غاندي رئيساً للوزراء
بعدها.

وفيها في اليوم الرابع والخامس الموافقين للاثنين والثلاثاء من ربيع الأول
تعرضت مدينة حائل لهطول أمطار غزيرة تعطلت الحركة فيها وتهدمت المنازل
القديمة وامتألت الشوارع بالمياه حتى انحصر جملة من السكان لا يستطيعون الخروج
وهم مهددون بالهلاك من سقوط منازلهم عليهم فاضطرت الحكومة إلى بعث
طائرات هليكوبتر تحملهم من منازلهم لما حاصرهم الماء ولم يستطيعوا التخلص إلا
بذلك.

وجلبت الحكومة خياماً للمتضررين الذين شردوا من بيوتهم خشية أن تسقط
عليهم وجرت الأودية كلها وعجزت الطائرات عن الهبوط فيها.

حائل والحديث عنها

تقدم الكلام عن مدينة حائل غير مرة ونحن الآن نتحدث عن وضعها الحالي فنقول عنها أنها حظيت في السنين الأخيرة بمشاريع عظيمة منذ ١٥ سنة، ووفقت ببلدية يرأسها إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد البليهي، فقد نهض بالبلد نهضة عظيمة ولما أن قدمها سمو الأمير مقرن بن عبد العزيز وفقت بنهضة شاملة وقام الأمير الجديد يطالب لها بمشاريع وسفلتة وشق طرق واسعة وتشجير وشلالات وزينات على ما يقتضيه الوضع الحالي بحيث أطلق عليها اسم عروس الشمال.

وكان وكيل الإمارة فيها الأستاذ الأديب مقبل بن محمد بن صالح بن مقبل نقل إليها من وكالة إمارة منطقة القصيم الذي كان يروي لنا قصة حياته في أحد أعداد جريدة الجزيرة من السنة التي بعد هذه وكان مقبل يمتاز ضمن ثقافته وأدبه بأنه رجل ديني متمسك بالشرعية والطريقة المثلى، ولقد تطورت مدينة حائل وتوسعت بشكل سريع لا سيما عندما باشر صندوق التنمية العقاري بتقديم خدماته للمواطنين عن طريق إمدادهم بالقروض لبناء المساكن والمباني التجارية تحولت حائل إلى مدينة كبيرة تعج بالحركة والعمران وتكثر فيها الأسواق التجارية وترتفع البنايات والعمارات الشاهقة على الطراز الحديث.

ومن المشاريع فيها إنشاء ثلاث بحيرات صناعية كبيرة تتجمع فيها مياه السيول لري الحدائق العامة، ولتكون من المعالم الجمالية والسياحية في المدينة، ولقد زرتها أربع مرات تارة لرؤية آثارها وتارة للوعظ والإرشاد، فما رأيتها مرة إلا وقد تطورت عن رؤيتها الأولى.

ولآخر مرة تجولت في بعض قراها كبقعاء وجبه وقفار ولبدة وموقق وطابة والشملبي وعقدة والنيصية ورأيت فيها مساجد قديمة.

وفي آخر عام (١٤٠٨هـ) قمت برحلة إلى بلد حائل فقد زرتها في آخر يوم من ذي القعدة التاسع وعشرين منه، وكنت قد طلبت من صاحب السمو الملكي الأمير

عبد الإله بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم توصية إلى أمير حائل مقرن بن عبد العزيز ولما لآل مقرن من المكارم التي فاقوا بها بني الزمان فإن الأمير الأخير لما قدمنا عليه قام الوكلاء وأنزلوني في فندق حائل حسب الرغبة ولما لديهم من التعليمات عن سمو سيدهم وكان بصحتي بعض العائلة فقام الخدم والعمال الموكلون بالفندق يؤدون واجبه في الخدمة وما يتطلبه الوضع بنشاط ومباشرة حية وكنت قد امتطيت السيارة التايوتا التي قدمتها الإمارة لخدمتنا يقودها الماهر في الأدب والدلالة عوض بن ماضي الشمري، وكان رجلاً طيباً ذا أخلاق وهي موديل (١٩٨٧م).

فأول شيء ذهينا إليه بلدة قفار وكان ذلك في صباح يوم الخميس غرة ذي الحجة من العام المذكور فطفقنا نسأل عن بيت الأمير فهد بن عبد العزيز الخوير البالغ من العمر ٢٨ عاماً فاستقبلنا بترحيب وأرسل إلى والده فهد بن عبد العزيز البالغ من العمر ثمانين عاماً فجاء مسارعاً وكان رجلاً متقشفاً وقد سئم من كثرة ما يعانيه من أتعاب الحياة لأنه لم يزل منذ كان يطبق العمل إلى أن بلغ الثمانين وهو في طلب المعيشة، لكنه كان نشيطاً وجعل يروي لنا بعضاً من معلوماته عن قفار وكان بالرغم من أنه لا يكتب ولا يقرأ فهو يجيد الأخبار بل هو راوية من رواياها ويلقي علينا الحديث عن مدينة قفار وكيف صارت أثراً بعد عين وذكر أنها مدينة أهلة بالسكان وهي أقدم من مدينة حائل لأن مدينة حائل تدعى أولاً بوادي (الديعجان) وكانت آثار قفار من شجر الأثل الذي كانت جذوعه آية في ضخامتها وهناك آثار بنايات قوية من الطين لم يبق منها إلا أطلال ولكنها عظيمة جداً.

ونجد بقية البروج المقامة من الطين يقدر بعض عرض الجدر فيها بقدر مترين ولكنها لم تكن مقامة على أسس من الحجر وقد تركها الزمان خاوية على عروشها وبثراً معطلة وقصراً مشيداً، وقد كانت الآبار قريبة من القصور منحوتة من نفس الطين، وهي متجرفة من طول عمر السنين وقد رحل أهلها عنها إلى البلاد

الأخرى وهلكوا بأسباب وباء مر عليهم وبغور المياه هناك أو فقده وكان أهلوها الذين سكنوها سابقاً وأقاموا تلك البنايات العظيمة القوية لم يبق منها سوى أطلال عالية أخذت أخشابها من طابقين وبقيت جرائم قد نزحوا من حوطة بني تميم فهم من بني تميم، كما ذكروا.

وقد هجموا على أناس من الجيران وقتلوهم وأخذوا جماجم رؤوسهم فدفنوها في أم الجماجم المعروفة المتداول اسمها ولما أن سكنوا قفار كانت أمراء آل رشيد لا يسمحون بحفر الآبار خشية من قلة الماء على السكان فلم يرغبوا أن تتوسع الناحية فيها، وهذا لأمرين قلة الماء وخشية من سكانها أن يطغوا على أمراء حائل.

ولما أن جاء ابن بديهان الذي يعتبر من أكبر الأسر فيها إلى محمد بن عبد الله ابن رشيد بصفته الحاكم العام يطلبه السماح له باحتفار بئر أعطاه ترخيصاً في ذلك ولكنه لما شرع في الحفر شعر به الأهالي وجاءوا إليه منكبين ومعترضين فأجاب يقول ليست بئر وإنما هي زيبه للضباع تقع فيها وكان ممن اعترض عليه علي الرشيد ابن عيادة فذهب ابن بديهان إلى الحاكم ابن رشيد قد واحتزم بطمر من نصيف امرأة وقال للأمير محمد بن رشيد علي الرشيد بن عيادة قد اعترض على عطيتك لي فدعا به محمد بن رشيد إليه وقال: تعترض على عطيتنا لابن بديهان وأنا أخو نورة؟! فقال: نعم أعترض ووالله لأن أحتفر بئراً لأنزعن رأسه أمامك وألقي به بين يديك وأنا أخو حسناء فقام ابن رشيد من عنده ودخل مجلسه، وقال للخوياء آيتوني به فلما دخل عليه قال تتكلم بهذا الكلام أمامي وأنا أخو نورة فقال نعم وسع عدلك الأمة كلها يا طويل العمر وهذه المرة تجور في تخصيصه يا محمد بن رشيد فأين العدل الذي عهدناه فيك فثنى الأمير عزمه ومنع ابن بديهان من تلك المنحة ترجيحاً للمصلحة وإقامة للعدل بين الأمة.

ولما أن جلسنا في بيت سالم ووالده ودعوا الأمير راشد بن عبد العزيز العبد العزيز الخويز الذي كان ساكناً هناك، وكان كهلاً يقوم بالخدمة بنفسه ويحترمنا احتراماً عظيماً.

أما عن سالم بن فهد بن عبد العزيز فقد استقبلنا وأبدى بشاشة وقدم لكرمنا لنا قهوة عربية وشاي وجاء بصحن كبير من القثاء وأشياء من العنب أما عن الحارة التي يسكنها الأمير وأسرتة فتسمى الحماد بتشديد الميم وكان من الأسر هناك أسرة زيد الخشم الخالدي وأسرة سلامة المتحي وأسرة فرج الحميضي الذين منهم آل خوير وهناك أسر ضاعت أسماؤهم واستولت الدولة على أملاكهم التي لا يعرف لها مالك وكنت أظن أن أولئك الذين فقدوا ولم تعرف أسماؤهم هم الذين هلكوا بالوباء.

أما عن الذين نزحوا عنها إلى البلدان الأخرى فأملأهم باقية وعلى بقية البيوت القديمة من الطين التي لم تخرب آثار الضعف وفيها مركز هيئة الأمر بالمعروف وهو ضعيف.

ويوجد فيها مدرستان ابتدائيتان ومتوسطة للبنين ومدرسة للبنات، وقد قل الماء فيها جداً فكانوا يستجلبونه من مسافة أربع كيلو وقد قاموا بتجربة حفر لاستجلاب الماء ولكنه حال بينهم وبينه الجبل الذي يسمى درع فهو الحائل العظيم الذين عجزت عنه المعدات الحديثة وهذا الدرع هو الذي حال بين أهالي الرس في القصيم وبين الماء ولا تزال الأمة تدبر حيلة تحرق الدرع الذي عجزت عنه المعدات.

وكانت قفار على بعد اثني عشر كيلومتراً من حائل وكان يقدر خراب تلك المدينة بعد عنفوان شبابها بمائتي سنة والإصلاحات الحديثة ضعيفة وكان الذين جلسنا إليهم وهم سالم ووالده لم يألوا جهداً في طلب الإقامة لديهم ولو إلى الظهر من ذلك اليوم لكننا لضيق الوقت ودعناهم شاكرين وكانوا يتسابقون بعد خروجنا من المنزل بالطيب والحشمة والإكرام مشيعين لنا وركب الأمير سيارته أماناً ليطلعنا على بقية الآثار فأوقفنا على قصر ابن عيادة وعلى جرائم الغفيلية وهي حصن عظيم محاط بجائط واسع وهي لآل عبيد بن رشيد حكام حائل وهناك لا ترى إلا جرائم الحيطان التي هي كخشوم الجبال.

أما عن موفق الذي هو من مدن حائل فيقع غرباً عن مدينة حائل فهو وإن كان قديماً قرية فهو الآن يتمتع بمجوية ونشاط في النخيل والشوارع المزفلة وفيه إدارة شرطة ومجمع قروي ومحكمة شرعية ومركز للحسبة ومدارس بنين وبنات ومركز إمارة ومركز بريد وهاتف، وفيها ثانوية للبنين وكان أمراءها البشير بتشديد الياء منذ زمن طويل وفي المدينة مساجد قديمة وحديثة.

ومن الآثار مسجد البشير وقبيلة البشير ينتسبون إلى الغفيلة وتنسب هذه إلى سنجارة وقد أضافهم زيد الخيل والبيت معروف بالسخاء وبالكرم والرجولة ولهم أيادي حسنة في إصلاح ذات البين وقطع النزاع وإكرام الضيف ووالد الأسرة حال التاريخ هو غالب بن سليم البشير ورأيت فيها أسواق للبيع والشراء ودكاكين وأشجار ولديهم الماء والكهرباء وتحتوي على جامعين لإقامة صلاة الجمعة.

وكان أبناء غالب بن سالم رجال فيهم بسالة وشجاعة ويتسابقون إلى الكرم بحيث أنه طال تعجبي من فضائلهم ومكارم أخلاقهم، أما عن توفر المياه فإنه كغيرها من مدن حائل في قلة توفر الماء.

ومن المراثي التي وقفنا عليها عقدة وقد تقدم البيان عنها وتقع غرباً عن مدينة حائل على بعد نحو سبعة كيلو مترات وكانت حائل تقع بين جبلي أجا وسلمى الذين لهما ذكر في قتال خالد بن الوليد لطليحة الأسدي لما أشار المسلمون على خالد بأن يلجأ إلى أجا وسلمى ويتحصن بهما وذلك لما لقوا أهوالاً في ملاقاته جيش طليحة، فقال ﷺ وأرضاه إلى الله الملجأ ولما أوقع الله ما وقع ببني أسد وفزارة عمد خالد إلى جبلي أجا وطوى وسلمى فأتته القبائل تسير رغبة في الإسلام وخوفاً من السيف من هؤلاء القبائل عامر وغطفان يسألونه الأمان على مياههم وبلادهم.

وفيها بقية آثار من قصر آل رشيد الذي جبه الشارع وأبقت الحكومة منه بقية برجين ليعتبر به، ومن الآثار ما يعرف باسم القشلة وهي ثكنة واسعة يعود تاريخ بنائها إلى ثلاثة وخسين عاماً.

ومن الآثار فيها قبر حاتم الطائي المشهور بالكرم على نحو ٥٠ كيلو من مدينة حائل وهو إلى الشرق منها وهناك جبل شاهق يحمل اسم الموقدة يذكرون أن حاتم الطائي كان يرسل في كل ليلة من ليالي الشتاء غلاماً من غلمانه إلى قمة الجبل يوقد النار ليهتدي الضيوف إليه وكان يقول إذا جلبت ضيفاً فأنت حر، فيلهذه المكارم كما أن الخدمة الصحيحة فيها متوفرة ويتسع المستشفى الجديد لمائتي سرير وحظيت شوارع المدينة بقدر كبير من الاهتمام ولا سيما مداخل المدينة الرئيسية وتعيش اليوم في خضم عصر الازدهار بشوارعها الفسحة المزروعة بالأشجار والدوائر الحكومية.

كما افتتح فيها مدينة رياضية تحتوي على مختلف التجهيزات.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

عبد العزيز الفهد الرشودي رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته، هو الهمام البطل السياسي العارف المحنك عبد العزيز بن فهد بن علي بن عبد الله الرشودي وإليه زعيم مدينة بريدة الشهم الكبير والبطل الشهير وقد تقدم نسبتهم وقبيلتهم وكانت وفاته في ١٣/١ من هذه السنة على إثر ربو وضيق تنفس ولد عام (١٣٢٠هـ) في مدينة بريدة وأدخله والده عند الكتاب عبد الله بن إبراهيم بن معارك ولما حفظ القرآن الكريم.

وأخذ مبادئ في الخط والحساب أخذ يضرب في الأرض لطلب الرزق مع عقيل الذي يذهبون إلى الشام والعراق ومصر للبيع والتجارة تحت أوامر والده التاجر الزعيم وكان في جميع تقلباته محافظاً على الصلوات الخمس في أوقاتها ويعمل بإرشادات والده وخدمته وله أخوة من أشهرهم أخوه الأكبر سنّاً علي بن فهد وتقدمت ترجمته.

ويمتاز المترجم بالذكاء والصبر والبصيرة وخلف أباه وأخاه في الزعامة، فكان ملجأً للمغلوبين يفرعون إليه ولا سيما أهل الدين والأمينين المعروف والناهين عن

المنكر فإنه كان العضد الأشد لهم وذلك لرجاحة عقله ويقدر العلماء ويحترمهم
وسيماه سيما المشائخ والعلماء وله وجاهة عند الملوك والأمراء وعلو مرتبة وذلك
لحسن تدابيره.

ومن خصاله أنه لا يأنف ولا يحقد، ومعه حسن خلق ويدرك بهذه الثلاثة
الأشياء طلبه لأنه يدرك الإنسان بالرفق ما لا يدركه بالعنف ولا يتقدمه أحد في
الاحتفالات العامة.

وسعى لدى الحكومة بحجز المكان الواسع في الموطن ليكون مقابر المسلمين
وسعى في إحاطته وإنه ليشكر على ذلك وقلما يسعى في طلب أمر من الأمور التي
تعود لمصلحة المجتمع إلا ويدركه وذلك بالترث وعدم السامة والعجلة وفي كلام
الحكمة (إياك والسامة فتلقيك الرجال خلف أعقابها) وهكذا الرجال وأهل المعرفة
فإنهم لا ييأسون وإذا انسدّ أمر من طريق فإنهم يأتونه من طريق أخرى ولا
يضجرون حتى يدركوا مطلوبهم وما أحسن ما قاله عمارة اليميني يمتدح شاور بن
مجير الدين أبا شجاع السعدي الملقب أمير الجيوش في صبره وثباته:

ضجر الحديد من الحديد وشاور من نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بمثله حثت يمينك يا زمان فكفر
وبوفاته ختم رجال الضبط والربط والإخلاص لأمتهم وكنت كثيراً ما أناصحه
وأشجعه على اقتفاء سيرة والده وبذله نفسه في المصلحة العامة فيعمل النصائح مع
إبدائه للعذر بأن الوقت والزمان ليس كزمان والده ولقد ضمني سفر الحج في رفقة
من بينهم المترجم والشيخ عبد الله بن سليمان الحميد وأناس آخرون في سيارة تبع
المتطوعين في عام (١٣٨٧هـ) وأخذوا منا الأجار فلم يأنف أن يأخذوا منه الأجرة
ومن ابن صغير معه عمره ٨ سنين.

ويختصني لأسراره ويبيدي أسفه الشديد في كون الأمور وسدت إلى غير أهلها.
ووجدته مرة في سفرنا للحج قد صعد للسيارة يقلب فسألته ما الذي جرى به

فقال ضاع مني أربعة آلاف ريال فقلت له اصبر قلت له ولامرأته أن يدعوا بدعاء رجوع الضائع علماً دعى به يضربه في رجله شيء فنظر إلى ما ضربه وإذا هي دراهمه في طرف ألقيت بين يديه ولما سلم على الملك فيصل في مكة المكرمة في أداء العمرة في رمضان واجتمع به سألته عن أمير القصيم واستقامته فأبدى ما كان عليه من الاستبداد واحتجازه أراضي كثيرة لنفسه قد استولى عليها فعلم الأمير وأسرها في نفسه ليعاتبه على ذلك، ولما أن اجتمع به للسلام عليه بدره بقوله تسبني عند الحكومة وغلظ عليه في التعنيف حتى قال إن وقفت علي بعد هذه المرة لأفعلن بك ولأفعلن فأجابه برحابة صدر وطمأنينة يقول والله لأقفن عليك ولأجتمعن بك فإن كنت واقفاً على قصرك بالرياض فأنا مخطئ وأما ما دمت أميرنا ومسؤولاً عنا فتراجعك في مهامنا وشئون بلادنا وإن كان لك دعوى فحياك إلى إمام المسلمين فخجل وسكت ولهذا كان مسموع الكلمة مهاباً وموقراً لدى الخاص والعام، ولما مات رثاه بعض أحبابه بهذه المراثية التي عدت فضائله^(١):

| | |
|------------------------------|----------------------------------|
| دها القصيم مصاب خطبة عظما | وطودها الجبل الراسي لها انهدم |
| أم القصيم نعت شهماً له همم | كريم جاه غدا في قمة الكرما |
| عبد العزيز الذي من بعد والده | كان السنام وكان الرأس والعلم |
| كهف لأهل التقى والخير قاطبة | سد منيع لمن في حقه هضما |
| يغار للدين إن نيلت محارمه | ويبذل الجهد للإصلاح لو عظما |
| يلازم النصح في سر وفي علن | لكل شخص من الأوساط والعظما |
| يساند الأمر بالمعروف محتسباً | يرى مساندة للخير مغتتما |
| هذي صفات رجال الخير في سلف | يناصرون الهدى حتى علا وسما |
| ويحسن النطق في رفق وتبصرة | يعطيك ما شئت إما رأياً وإما حكما |
| إذا أتيت رأيت البشر بصحبه | وإن تخاطبه تلق الوجه مبتسما |

(١) منشئ هذه القصيدة هو عبد العزيز بن عبد الرحمن اليحيا من أهالي بريدة.

أبوه من عمت الآفاق شهرته
أتاه ربي من الأخلاق أفضالها
أم القصيم نعت أعيانها ذهبوا
بريدة اليوم عمها حزن
تألم القلب والهفاه وأسفا
من شاهد الجمع في ممشى جنازته
وفي مصيبة خير الخلق موعظة
لنا العزاء بها إن فادح صدمة

وهذه مراثية للأديب عبد العزيز بن محمد النقيدان في الفقيد عبد العزيز بن فهد
الرشودي قال: اخترمت يد المنون الشيخ عبد العزيز الفهد الرشودي كبير أعيان
القصيم وأحد الرجال الأوفياء لوطنهم وللدولة السعودية الرائدة:

نبأ يهز مشاعري وكياني
علم هوى في بأسه ونضاله
تأتي إليه المشكلات عويصة
منذ الطفولة كان يسهم في البناء
لم يجن مالاً أو يكس ثروة
للناس للوطن الحبيب كفاحه
كم موقف سام تجلّد دونه
العطف والرأي السديد سلاحه
الأمر بالمعروف من عزماته
المصلحون جزاؤهم من ربهم
مالي بريدة شبيبها وشبابها
آل الرشودي قد رأيت مصابكم
أسقاه ربي من معين ثوابه

وَرَجَعْتُ يَعْتَصِرُ الْأَسَى وَجَدَانِي
مَا فاق كل مساعي الأعيان
فيحلّها للناس دون توان
حتى قضى في همّة وتفان
عبر السنين يجول في الميدان
للعاجزين وللفقير العاني
بالصبر والإخلاص والإيمان
في حلبة الإصلاح أعظم بان
والصدق والإخلاص للأوطان
خير العطاء وأعظم الإحسان
فيض العزاء بالراحل الإنسان
جللاً يصيب حشاشة الأبدان
بين الجنان سحائب الرضوان

آخر ما وجدت من القصيدة وهي حسنة من بحر الكامل ونعتذر عن تأخيرها لعدم الحصول عليها أولاً فلذا تأخرت ومهما كانت الأحوال والظروف فإن منطقة القصيم قد خسرت رجلاً مخلصاً ثابتاً لا يتضعع ولا يخذل مظلوماً فنسأل من بيده أزمة الأمور أن يغفر له ويسكنه فسيح جناته.

ثورة في السودان

لما كان في ١٧ رجب من هذه السنة ثار الشعب السوداني بزعامة عبد الرحمن سوار الذهب وأطاحوا بحكومة النميري بدعوى أن الرئيس جعفر النميري حصل منه خيانة فخلعوه وولوا سوار الذهب فانشق الشعب وكان جملة ما أدانوه به أنه لما زار السودان نائب الرئيس الأمريكي (جورج بوش) في شهر مارس آخر جهادى الثانية من هذه السنة وضع للنميري أربعة شروط^(١) لينفذها حتى تتدفق من بعدها المعونات الأمريكية على السودان وهي:

أولاً: إقصاء الإسلاميين عن المناصب الحكومية السياسية والاجتماعية.

ثانياً: العمل على تخفيف إجراءات تطبيق الشريعة الإسلامية.

ثالثاً: القبول بشروط صندوق النقد الدولي.

رابعاً: وقف أية مساعي للمصالحة مع ليبيا، ولكن العقلاء يفهمون أن أمريكا لا تقدم المعونات لمساعدة للشعوب الفقيرة كما تدعي إنما ذلك من أجل مصالحها وكان على النميري بدلاً من أن يباشر فوراً التنفيذ أن يتعلم الدرس ممن سبقوه على هذا الطريق، إنها إنما تريد مصالحها، ولما أن تولى قائد الثورة سوار الذهب زمام الحكم بعثت إليه مجلة الإصلاح توجيهات منها إخراج السجناء السياسيين الذين ذهبوا ضحية بسبب توجيهات بوش للنميري ورد الاعتبار لهؤلاء السجناء

(١) نقلت: هذه الشروط عن مجلة الإصلاح عدد (٨٧) شعبان ١٤٠٥ هـ.

وتبرئة ساحاتهم وإعادتهم إلى وظائفهم ومحكمة المجرمين الذين أصدروا الأوامر بإطلاق الرصاص على المتظاهرين وتعويض المصابين ودفع الديات لورثة القتلى وأشياء أخرى.

وفيها كان المسلمون في بلغاريا يواجه أكثر من مليون مسلم إبادة جماعية وكان العدو لا يعرف طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة، ووصلت الحال إلى أن كان الفرد المسلم لا يأمن على نفسه ولا على ماله وهتك المحارم.

وكان الشيوعيون يخبرون الفرد بين أمرين إما القتل وإما تغيير اسمه ومعتقداته الإسلامية التي يحملها، وقد قتل فيها أكثر من ثمانمائة مسلم في حملة قمعية وقد حصدتهم ميليشيات الحكومة كما دفن آخرون أحياء تحت أنقاض بيوتهم.

وأغلقت المساجد ولم يسمح بفتحها لصلوات الجمعة والأعياد وأغلقت مدارس تعليم القرآن الكريم عددها ستمائة مدرسة وثمانون مدرسة ومنعوا الزي الإسلامي للنساء، وفرق بين المسلمين وسيطر أعداء الإسلام على دار الإفتاء المركزية في عاصمة صوفيا، واشتدت الحملة لمحاربة الإسلام والمسلمين وتنصيرهم وأجبرت الفتيات المسلمات على نزع الحجاب فعياداً بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفيها هدم مسكن بلدية مدينة بريدة القديم الذي كان مجاوراً للمقابر الشرقية وجعل موضعها متسعاً وموقفاً للسيارات ونقلت المالية والبريد والمديرية للبلديات ومديرية الهاتف إلى الجهة الشمالية وأصبحت الصفراء التي كانت سابقاً مأوى للوحوش والهوام على مسافة بعيدة من المدينة موضعاً لجميع الدوائر الحكومية واتصلت ببريدة من الجهة الشمالية وفيها مصلحة السجون.

وفيها في ١٥/٣ في ليلة الموافق لليلة الجمعة وفاة ابنتنا محمد بن إبراهيم بن عبيد عن عمر يناهز السابعة والثلاثين بحيث توفي في شبابه، ولد في ١٧ جمادى الأولى عام (١٣٦٨هـ) في مدينة بريدة وبعدما نال شهادة المعهد التحق بكلية الشريعة عام

(١٣٨٨هـ) في مدينة الرياض ثم أنه نال الشهادة الجامعية في عام (١٣٩٣هـ) وطلب أن يكون مدرساً في متوسطة إمام الدعوة ببريدة ثم أنه طلب النقل إلى متوسطة ابن قدامة لقربها من المسكن، وفي كل تنقلاته كان موضع الإعجاب في نهضته ونشاطه، وقد تزوج عام (١٣٨٦هـ) ولد له وأنجب وكان وصولاً للرحم باراً بوالديه محسناً إلى جيرانه ويسعى بكل الوسائل لمنفعتهم وإدخال الراحة والسرور عليهم وكانوا لما أن فجعوا بوفاته بكوه وتأثروا وحزنوا، كما أن زملاءه في التدريس تأثروا لوفاته جداً، ورويت له منامات حسنة بحيث رآه بعضهم بعد وفاته بيومين وهو يقول أنا حي لم أمت، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١) وله صوت جهوري يرتل القراءة يفوق به أبناء جنسه على العموم.

وكان أسباب وفاته أنه خرج يوم الخميس معه صبيته يقود السياقة لرؤية وادي الرمة حينما جرى فكان أمامه شاب سكران يقود سيارته بسير غير معقول فانقلبت سيارة الشقي وتقلبت مرات بينما كان بينه وبينها مسافة ثلاثين متراً فانكفأت من تلك السيارة الهوجاء في ثالث مرة على غمارة سيارة ابنتها فرمسته وهلك بين حديد سيارته ولقد أصبنا به وفجعنا بوفاته وما أحسن ما قاله أبو الحسن التهامي في رثائه لابنه:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذلك عمر كواكب الأسحار
وهلال أيام مضى لم يستدر بداراً ولم يمهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه فمحاه قبل مظنة الأبدار
واسئل من أترابه ولداته كالقلعة استلت من الأشفار

(١) آل عمران، آية ١٦٩.

فكسان قلبي قبره وكأنه في طيه بسر من الأسرار
أن يعتبط صغراً قرب مقم إن الكواكب في علو مكانها
لترى صغاراً وهي غير صغار أشكو بعادك وأنت بموضع
لولا الردى لسمعت قبة مزارى والشرق نحو الغرب أقرب شقة
من بعد تلك الخمسة الأشبار فإذا نطقنت فأنت أول منطقي وإذا سكت فأنت في إضماري

وكانَّ التهامي يندبني وكأنه يعنيني وأجد الجو كله كأنه يهزأ بي ويستهر، وأجد
الصديق كأنه يرثي لحالي حاله مبتئس خانه الطالع، حالة مسلوب من أمتاع الحياة،
وأجد العدو يشمت بي ويتشفى بهذه المصيبة فيا لقلب موجع بها ويا لكاهل يكل
عن حملها وأسلي النفس بالموت ووثباته على الخلائق كما في المثل السائر في كل وادٍ
بنو سعدٍ وكأنني أسامر الخنساء وأشاركها الأحزان بقولها في صخر:

ضاقت بي الأرض وانقضت محارمها حتى تخاشعت الأعلام والبيد
وقائلين تعزي عن تذكرة فالصبر ليس لأمر الله مردود
يا صخر قد كنت بداراً يستضاء به فقد ثوى يوم مقت المجد والجدود
فاليوم أمسيت لا يرجوك ذو أمل لما هلكت وحوض الموت مورود
وبقولها:

ألا لست أمي لم تلدني سوية وكنت تراباً بين أيدي القوابل
وخرت على الأرض السماء فطبقت ومات جميعاً كل حافٍ وناعل
غداة غدي ناعٍ لصخر فراعني وأورثني حزناً طويل البلابل
فقلت له ماذا تقول فقال لي نعى يا ابن عمر وأثكلته هوائلي
فأصبحت لا ألتذ بعدك نعمة حياتي ولا أبكي لدعوة ثاكل

لقد كنت يا بني براً بأبيك وخادماً له بجهدك ما استطعت وها قد خسرتك
ودفنوك في شق من الأرض ولم أحضر دفنك ولم أملاً عيني منك عند فراقك

الأخير؛ حيث عجزت قدماي عن حملي بينا أنك في الجمعة الماضية مجتمعين نتبادل الحديث، وفي منتصف الأسبوع تجلس معي فما دار يوم الجمعة حتى رماني الدهر بفراقك فراقاً لا رؤية بعده، وهذه سادسة فاجعة أصاب بها فقد خسرت أخاك عبد العزيز منذ ستين وقبلة أختك وقبلهما أخاك أحمد واثنين قبلكم فيا لفجائع الزمان ويا القوارع والدهر ويا للخسارة العظمى فأصبحت لا أملك إلا زفرة من فؤاد مكلموم وكضمة من حزين بألم الفراق مضيوم ولي من أبيات تصور هذا المصاب:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| رأيتك في الدنيا مقيماً وواثقاً | تروح وتغد ناسياً كل نازل |
| أتمر دار أذنت برحيلها | وتصرخ في ويلاتها بالزلازل |
| تجر الدواهي والبلايا خطوبها | ويسأها أهل التُّهى والفضائل |
| بنفسي وأهلي من حبيب مفارق | أديب نجيب ماهر في المسائل |
| دهينا به واسواتي كيف أنا | نكنا به رغماً على كل عامل |
| فلو أن فيه الموت يقبل فدية | لكننا بها نسعى سريعاً بعاجل |
| وقمنا سراعاً كيف ندافع دونه | يجاه ومال عاجل بل وآجل |
| فما قد دهانا مثلها من مصيبة | ولا قد عرى من مزعجات الزلازل |
| فيا للمنايا كم أبادت لمثله | فخرٌ سريعاً في العرا والجنادل |
| وياما أمراً الين والله إنه | فراق حبيب قد دها بالعوازل |
| فتباً لذي الدنيا وقبح مصيرها | فكم أذنت يوماً بخزي النوازل |
| لك الله ما طابت فترضى بموثر | وقلبك مشعوف على غير حاصل |

فمن أسباب البلاء أنه هو الذي يباشر القراءة بين يدي إذا ذهبتُ يمنة ويسرة أو حصلت مناسبات، كما أنه تضرب الأمثال في كرمه وعطفه وقضائه لحاجتنا لمعرفة وذكائه.

ثم ولى بفجأة تاركاً أرملته وصبيته سليباً من غير وصية لم أجد في سيارته المحطمة سوى الرخصة وساعته التي ناولنيها مكسورة رجال المرور وكانوا يريدون

إخفاء وفاته عني لما رأوا ما عراني من شدة الاضطراب، فقلت قولوا لي الحقيقة
فما قدر الرحمن فسيصيب فأخبروني أن صاحب السيارة البنز قد قضى نحبه ولقد
طغى الحزن على كل أهل البيت لما تحققوا فقدان عزيزهم.

ولما فجعت به وأمسيت أجر ثوب الهزيمة قلت هذه المرثية التي لا أملك سواها،
وقد خرجت من كبد حراء وفؤاد موجوع وقلب بألم الفراق ملسوع، وإنها لتعرب
عن الحقيقة وتكشف عن الضمير ما يكنه من نيران الأسى الملتهبة المحرقة فعياذاً بالله
من قوارع الزمان ومن محن الأمن ومن شماتة الأعداء ومن درك الشقاء ومن سوء
القضاء ومن فرقة الأحباء ومن حلول البأساء والضراء:

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| أحقاً توفي النجل أعني محمداً | سمعنا بأخبار تسيء لناطق |
| أحقاً توفي أم خيال وطارق | فهلا لبثنا نحو الحبيب المفارق |
| فيا أسفاً كيف الفراق وذا الأسى | ويا حزناً عمّ الجميع مضايق |
| وقوفاً إلى رب المقادر نشتكى | وعدنا بخفي خائب بل ووابق |
| فما نالنا في ذا الزمان مصيبة | وردء كبير من عظيم الشقاشق |
| لخمس من الأيام من بعدها عشرها | بشهر ربيع محزن للخلائق |
| ربيع لقد كنت القبيح لما بدا | فأنحس به شهراً وليس برائق |
| لألف من الأعوام من بعد أربع | مئين ثلثها الخمس في شر غاسق |
| أتى أحمد نجل الفقيده بصرخة | أصبنا بصدم من عضال الطوارق |
| فإخوتنا نحو العلاج بأسرهم | أبونا بقي بين الحديد المطابق |
| فزعت من الأهوال حران موجعاً | فلا حول مما حل إلا بخالق |
| وقمت أنادي في الطلول ألا أسرعوا | كفى الله شر النازلات الطوارق |
| ذهبنا سراعاً للبيان عن النوى | ونستطلع الأخبار في جنح غاسق |
| نؤم لمستشفى الخليفة كلها | أفيدوا عن النجل الشفيق المصادق |
| وقمنا ببحث للحوادث نبتغي | جواباً سريعاً منهمو في الحقائق |

فقل لنا فخر الشباب فقيدهم
فما كان إلا برهة ثم نالنا
فيا لك من خزي ويا لك من بلى
فقل لليالي كيف ما شئت فاصنعي
فجعنا بكسر هدمنا مبانياً
محمد لا تفجع أبوك مرزء
تركت الأهالي يسكبون دموعهم
رحلت سليماً أدرجوك بمخرقة
فقدناك يا خير البنين مفارقاً
نجر لأذيال الهزيمة والشقا
فلو أن فيه الموت يقبل فدية
وقمنا دفاعاً دونه في نفوسنا
فقدناك يا من كنت فينا معزراً
فقدناك براً بل وصولاً مسدداً
خسرناك يا من كنت فيهم مقدماً
خسرناك يا نجل المكارم والنهي
على مثله يبكي جريح مرزؤ
فيا دهرنا أف لك من صديق
دهينا به واسوءت كيف أننا
وقائله مالي أراك مفجعاً
وذا فكرة قد أذهلتك طويلة
ألم تر أن الموت مرصاد حيناً
فقلت ذربي قد عراني مصائب

مصاب كبير من عضال العوائق
أيأ تقيأ ماهرأ في المناطق
وإن كان لا يشفى لهيب الحرائق
تطيب نفوس مسها حر حارق
كريم وصول نابغ في السوابق
وتعجز عنه همة المتسابق
سوى كافر مستقبح أو منافق
ومن بعده يرجى لقطع الطرائق
وجل الورى في قيله غير صادق
فحسي إله الخلق جالي المضائق
وخوف وتنكيد مرير المذايق
فأهاأ على نجل أصيب بعائق
وأوهمها لکنها في العوائق
وما الهم إلا جالبأ للمضائق
رويدأ لكي نخطى ببعض الدقائق
وخلفت فينا كل هم مطابق
وأهاأ على علق نفيس مفارق
بجالة منكوب وقطع العلائق
شهادة تأهيل لعلو الشهايق
عليك الرزايا يا طويل الوثائق
وكنأ أريبأ عاقلاً خير صادق
تقضي لحاجات وتسعى بالتسابق
وكنأ نجيبأ من خيار الخلائق

دعيني فلا والله ما بعد هذه
رزئنا كريم الخيم خيرة وقته
فلا ذخّر بعد اليوم للدمع والأسى
أمن بعدما مات الحبيب محمد
أينسى محب نافع غير ضائر
له في الندى رسم يطول على الورى
وقد كان محبوبأ لدى الخلق كلهم
فمن بعده للحج قل لي عمرة
فإني لأبكيه وإنني لصادق
وإنني لموتور وإنني لموجع
لقد بدلت نعمائنا بمكأره
وقد بدلت أحوالنا بعده أسى
أعلل نفسي بالتلاقي وقربه
أقول لها كفى فما الحزن نافعأ
فيا سائراً يسعى إلى القبر مسرعأ
رحلت شهيدأ نحو ربك قاصدأ
فأها على صدع تكسر وانمحي
نكابد أنكاد الحياة وخزيها
عهدناك بالأمس القريب مجدأ
فما هي إلا ومضة ثم أطبقت
هنيئأ لك الجنات إذ كنت طائعأ
إلى البر والإحسان تسعى مبادراً
لقد كنت برأ في القرابة واصلاً

فيا موضعاً أقفرت إذ فاتك إليها
لقد فقد الجيران ركننا ومشفقاً
لحاجاتهم يقضي ويسعى لعزهم
عليك سلام الله حياً وهالكاً
ولا زلت مذكوراً بخير وسمعة
فما الله عما قد فعلت بغافل
وصل إلهي عد ما أنت خالق
على أحمد خير الأنام شفاعاً
وأتباعهم ممن على النهج اقتفوا
صلاة وتسليماً تفوق لناطق

وفيهما في ٢٠/٦ من هذه السنة أقيم الشاب سمو الأمير محمد بن الملك فهد بن عبد العزيز أميراً في المنطقة الشرقية بدلاً عن الأمير السابق عبد المحسن بن عبد الله ابن جلوي، وذلك لأن الأمير عبد المحسن كان متأثراً بمرض فطلب من الحكومة إعفائه من العمل ليستريح وتقدمت الأمة هناك تدعو للأمير الجديد بالتوفيق وتشكر الأمير السابق على أعماله المتقدمة، نعم إنه بذل جهوداً وسد فراغاً من وفاة أخيه سعود قرابة عشرين عاماً.

وفيهما في يوم الأربعاء ٦/٣/١٤٠٥ هـ عقد مؤتمر القمة الخليجي حضره رؤساء دول الخليج، أمير قطر، وزيد بن سلطان بن نهيان، وأمير دولة البحرين، وجابر الأحمد أمير الكويت، وملك السعودية فهد بن عبد العزيز، ورئيس عُمان قابوس بن سعيد، وكان موضع الاجتماع في الكويت وقد تقدم شيء من ذكر مجلس التعاون الخليجي.

وفيهما قمنا برحلة إلى جنوب المملكة عسير وجيزان ونجران وما يليها، لقد سرنا من العاصمة التي عشنا فيها في يوم الأربعاء ٢٣/١٠ من هذه السنة في الساعة الحادية عشرة صباحاً بالتوقيت الزوالي الموافق ٨ السرطان ٨ الهقعة ١٠ تموز يوليو

سرنا عن طريق المدينة فقدمناها بعد صلاة الظهر ولبشنا فيها حتى أشارت الساعة الثالثة ليلاً بالغروب حيث سرنا إلى جدة ومنها إلى الطائف حيث اجتمعنا بالشيخ الفاضل رئيس الإفتاء والبحوث، تناولنا حسب دعوته طعام الغداء في بيته بالطائف يوم الأحد ١٠/٢٦ واجتمعنا لديه بالشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام حيث دعانا إلى وليمة العشاء في بيته بعد العشاء الآخرة.

وكان الشيخ ابن باز قد عرض علينا أن نسلم على الملك قبل السير من الغد وفعلاً سلمنا عليه صحبة كبار المشائخ وجلسنا معه طويلاً، ولما أن انصرفنا طلب مني فضيلته أن أقوم بالوعظ والإرشاد في طريقنا بالرحلة فنكون كمن رمى عصفورين بحجر جزاه الله خيراً.

وهكذا كنت أتحوّل جميع من مررنا عليه في الجوامع والمساجد ومن حُسن الحظ أن حصلتُ على توصية من سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني ووزير الدفاع والمفتش العام لمن نمر عليه من الأمراء أن يساعدونا في مهمتنا وقد قمنا من مدينة الطائف ميممين جهة الجنوب في الساعة الثامنة عريباً بعد الظهر، ولما أن مررنا بمسجد عن يمين الطريق صلينا العصر قصراً في تلك القرية التي تدعى بقرية الشрман أو قبيلة الشрман، وهكذا سرنا مارين بقرية الصور والدار الحمراء يتخلل الطريق أنفاق منقوبة بين تلك الجبال بمنظرها الحسن قد زينت بالسلم والعرعر، وهكذا نمر بالحمراء ووادي الشهران ثم وادي الشوامط ثم وادي القعرة ثم وادي بُوي.

وهناك الفرعة ثم القريع ثم الأشرع ووادي السائلة ثم المرازيق والفقعة حتى قدمنا الباحة التي كان الأمير فيها إبراهيم بن عبد العزيز، وكانت ممتازة بالأمطر والبرد الشديد في برج الأسد.

أما عن الظفير فقد ارتبط بالباحة حيث وجدنا فيها إمام الجامع ورئيس هيئة الحسبة محمد بن يحيى آل الموحان، وقد وافينا الوكيل الدكتور إبراهيم بن محمد الزيد الذي أكرم مثوانا، وبعد بياتنا فيها تحولنا على سيارة الإمارة لرؤية الآبار.

وقد نزلنا إلى تهامة حيث وجدنا فيها الأمير ضيف الله الطعيمس المريخاني من أهالي بلدة الذيبية في القصيم، وإنه لرجل طيب وبعدها إلى خثعم ثم أدمة بلاد فيها أخلاط من خثعم وغيرهم، وبعدها سرنا أخذنا باليسار إلى جهة بيشة لرؤيتها وكانت بلدة فسيحة الشوارع ولدى أهلها نشاط في البيع والشراء وأرضها قابلة للنخلة فكانت شجرة النخل تحمل من الثمرة ما لا تبلغه العبارة، وكانت القنوان متراكبة بعضها فوق بعض بحيث تقدر ثمرة النخل الواحدة بثلاثمائة كيلو.

ولما أن سرنا منها مررنا بالنماص وكانت قرية كبيرة لغيرها من قرى عسير، وقدمنا بعدها إلى أبها عاصمة عسير وقاعدتها وكان أمير تلك المنطقة صاحب السمو الملكي خالد بن فيصل، قدمنا عليه في الليلة الموافقة لـ ١١/٢ مساءً في الساعة الثامنة يزيد خمساً وعشرين دقيقة الموافقة لليلة الجمعة أقمنا بها ثلاثة أيام في ضيافة الإمارة، وكان الأمير خالد بن فيصل من خيرة آل مقرن يتمتع بالعقل والأدب والبشاشة والكرم، وقد أثنى عليه أهالي المنطقة وأنه يستحق الثناء.

وذهبنا لرؤية حجله وهي ملجأ حسن بن عايض الذي تمرد على الملك عبد العزيز غفر الله له فلاحقه الأمير فيصل بن عبد العزيز وأعطاه درساً لا يُنسى.

وكانت حرملة في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها إلا من منافذ معلومة لا يعرفها غير أهلها.

أما عن حجلي فهي بين أبها وخميس مشيط فهو خلفها إلى جهة الشمال وكانت مدينة حديثة أهلة بالسكان والبنیان وكانت الخميس منذ اثنتين وخمسين سنة ميداناً كبيراً لذلك حصل فيه القتال عام (١٣٥٢هـ) بين قوات الملك عبد العزيز وقوات الإمام يحيى.

وهناك قرية السقا وهي التي ولد فيها الشيخ سليمان بن سحمان ومررنا بمسجد بن عايض وكان من الآثار، وبنائته عجيبة بحيث أقيمت أعمدته من خشب العرعر القوي، وكانت لغلظها وضخامتها كأعمدة الحجر ولولا أنهم ذكروا أنها من الخشب لما صدقنا وفوق أعمدة الخشب سقف مسقوف من شجر العرعر.

وحديثي عن هذه الرحلة طويل فيه تفاصيل وبيانات أفردتها بكتاب مستقل، وهنا أشرنا إشارة لطيفة، وما لا يدرك كله لا يترك كله، وعلى من أحب التفاصيل مراجعتها.

ولما أن سرنا نواصل السير مررنا على سراة عبيدة وظهران الجنوب وكان من مزية الوكيل في إمارته أن شيعنا بنفسه بعد تناول ضيافته وإكرامه إلى مسافة عشرين كيلومتراً في سيرنا إلى نجران، ومما يجمل بنا ذكره رؤيتنا لقوم من تهامة قحطان قد شدوا عصائب على رؤوسهم وغرزوا فيها أنواعاً من الأشجار ومن رؤية نجران والاجتماع بوكيل الإمارة هناك ناصر ابن خالد السديري الذي قام باحتشامنا وأنزلنا أفخر المنازل وأطلعنا على الأخدود، وما هنالك من الآثار، وقد لبثنا يوماً وليلة في ضيافته ويقص من أخبارهم وما يعرفه عن نجران بأدب وحُسن تعبير.

سرنا إلى جيزان، وإن كان الوقت غير مناسب لشدة الحر لكن لرغبة بعض الرفقة الذين في صحبتنا وهناك واصلنا السير إلى صامطة مارين بقرية (الأحد) ثم (دغارير)، وكانت كل هذه البلدان مضاءة بالأنوار ليلاً، وكان ما بين جيزان الذي قدمنا إليه في الساعة الواحدة والنصف عربياً مع أذان العشاء الآخرة إلى صامطة ٨٥ كيلومتراً.

أما ما يحتوي جيزان عليه فهناك وادي تعشر ووادي أبو حشيش ووادي المغيلة ويليه إلى الشمال (وادي ليّه) ويليه (خلب) وكنا لما أن قدمنا إلى صامطة كان الطقس غير مناسب، فلم نر إطالة الجلوس هناك بحيث نتصل بالإمارة ونمتطي إحدى سياراتها لرؤية الآثار كجاري عادتنا.

فقد طفقتنا نسأل عن مسكن الأخ عبد الله بن صالح بن دغثير من أهالي بريدة واستوطن صامطة منذ ثلاث وخمسين عاماً، وكان قريباً لأحد الرفقة، وكان في صفته مربوع القامة شيخاً قليل اللحم صالحاً عمره يناهز السبعين ولكنه يتمتع بنشاط وحيوية وقد صبغ لحيته بالحناء، وملازماً للصوات الخمس والعبادة في

المسجد وقد أتاه الله سعة في الرزق بحيث يتعاطى بالملايين وشاكراً النعم لله، ويقول عن نفسه أنه يملك أربعمئة سيارة ويتعاطى بقطع الغيار.

بحث مهم ينبغي الوقوف عنده

وكان إمام المسجد شافعيّاً يجهر بالبسملة في الجهرية^(١).

فبعدما أُلقيت الموعظة بينت الحكم في حديث أنس: «صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها»، وكان أسود اللون حسن الصوت، ولكننا في تلك الليلة التي بتناها عند ابن دغثير لا نستطيع الذهاب إلا إلى المسجد ودورة المياه لعدم ملاءمة الطقس لأجسامنا، لذلك فضلت الرجوع بطائرة إلى جدة ومنها إلى القصيم بعد تناول ضيافته وكرامته جزاه الله خيراً ونرجع الآن إلى المقصود فنقول:

وفيها في يوم الجمعة ٩/٥ أصيبت بنغلاديش بإعصار شديد هلك بسببه عشرة آلاف من السكان وبعثت المساعدات إليها من الهند والإنجليز.

وفيها في ٣/١٣ الموافق ٨٤/١٢/٥ افتتح الملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين المباني الجديدة لجامعة الملك سعود وذلك يوم الأربعاء وقد بلغ عدد الكليات في هذا العام ستة عشر كلية إضافة إلى معهد اللغة العربية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وبلغ عدد أعضاء هيئة التدريس والمحاضرين والمعيدين بكليات الجامعة ٢٥٢٧ وبلغ عدد الطلاب والطالبات المقيدين بكليات الجامعة مرحلة الدراسات العليا في العام الدراسي ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ (٥٧٥) طالباً وطالبة بينهم (٤) طلاب مسجلين لدرجة الدكتوراة، أما عدد الطلاب والطالبات

(١) بحث مهم ينبغي الوقوف عنده.

الملتحقين بكليات الجامعة المختلفة فقد بلغ (٢٤٣٦٩) طالباً وطالبة في الفصل الأول من العام الدراسي ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ، وقد افتتحت الجامعة عامها الدراسي الأول بكلية الآداب عام ١٣٧٧/١٣٧٨ هـ.

نهضة تعليمية

اثنان وثلاثون ألف طالب وطالبة يتقدمون للامتحان في جميع المراحل بمنطقة عرعر في هذه السنة كذا ذكرت جريدة الجزيرة في عددها (٤٤٧٨) ولما نشأت فكرة تأسيس جامعة الملك عبد العزيز بجدة كجامعة أهلية وذلك في مستهل عام (١٣٨٤ هـ) وتشكلت هيئة تأسيسية برئاسة الملك فيصل غفر الله له، وافتتحت الجامعة للدراسة في عام ١٣٨٨/٨٧ هـ ثم توالى فتح باقي الكليات وتضخمت هذه الجامعة أصدر مجلس الوزراء قراره برقم (١٥٠) وتاريخ ١٣٩١/٢/٤ هـ بتحويلها من جامعة أهلية إلى جامعة حكومية وكانت تضم تسع كليات ثمان بجدة وكلية واحدة للتربية بالمدينة المنورة وأصبح الطلاب المنتظمون بمرحلة البكالوريوس الفصل الأول الدراسي ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ بلغ إجمالي عدد طلاب الكلية والطالبات المستجدين المقبولين في هذا الفصل ألفين وخمسمائة وعشرين والمنتظمين بالجامعة في هذا الفصل (١٣٨٨٤) ما بين طالب وطالبة.

وإذا قارنا ما بين هذا العام وعام (١٣٥٢ هـ) الذي أصدر فيه كبار العلماء وأجلتهم نصيحة تحث على طلب العلم وكيف أن الملك عبد العزيز غفر الله له صدق عليها وذكر أنه ينبغي إجبار من كان فيه صلاحية من الشباب على طلب العلم، وقدمنا توجيهات فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد للملك عبد العزيز أن يفتح مدارس ومعاهد ويمنح الطلاب مكافئات فهي الطريقة التي تكفل وجود علماء وقضاة تسد بهم الجهات وأنه بوجود الجامعات والكليات والمعاهد تحقق ما تصبو إليه الأنظار ويكفيها أنه كان يجبر طلاب العلم ويؤخذون قسراً من أوطانهم وأهليهم إذ ذاك للضرورة بحيث لا يوجد من يسد الأقطار ويقوم

بالأعمال وها قد توفرت في هذه السنين الوعاظ والقضاة والمفتون يجلب الأسباب وتأسيس المدارس كبارها وصغارها من ابتدائيات ومتوسطة ومعاهد وجامعات وكليات و ثانويات وأصبحت هذه النهضة لها أثرها ومكانتها.

وفيها في يوم الجمعة ٤ / ٦ قتل فهد القواسمة عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، كان قتله غيلة في اليوم المذكور وشيع جثمانه يوم الاثنين وعلى رأس المشيعين ياسر عرفات رئيس اللجنة وأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني ووفود من الضفة الغربية ومن الدول العربية.

وكان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن داهية العرب طيب الله ثراه بنافذ رأيه وبصيرته قد حذر العرب والمسلمين من حدوث نكبة فلسطين، وكان الملك سعود والملك فيصل والملك خالد والملك فهد ساروا على نهج والدهم عندما بلغت تعقيدات القضية الفلسطينية ذروتها وسدت طرق كل الحلول أمامها، وكان من رأي الملك عبد العزيز أن يتولى الفلسطينيون دون غيرهم مسؤولية الجهاد الوطني ضد المؤامرة اليهودية الصهيونية، وقام بنصرة الفلسطينيين وتأييدهم، ولقد تحمل أبناءه من بعده سعود و فيصل وخالد وفهد المسؤولية عن القضية الفلسطينية بشرف وإخلاص وبسالة.

وتبشر جريدة الجزيرة هذه بوجود أربعة عشر ألف مسلم في جزيرة الأحلام. وفيها أصيب شمال اليابان بعواصف ثلجية اجتاحت السواحل الشمالية يوم الأحد ٤ / ٨ ولقي ما لا يقل عن ١٥ شخصاً مصرعهم، وقد بلغ ارتفاع الثلج ما بين ياردة إلى ياردتين ونصف.

وفيها انتهى إنجاز طريق الرياض إلى الدمام السريع وكان طريق القصيم السريع الذي انطلق من خلف ضاحية رواق إلى الشرق تحت الإنجاز، وكان من فائدة هذه الطرق السريعة أن وفرت للمسافر نصف مدة الزمن الذي يكابد فيه المسافرون مشاق التعريجات والمنحنيات في الطرق الأخرى فثلاث ساعات من الزمن ما بين

العاصمة بريدة إلى الرياض، ولولا ما اتخذته الحكومة من المراقبة على السير خشية الهلاك من السرعة لكان من الممكن أن يكون ساعتين وفي ذلك عبرة للمعتبرين أن يتحول الطريق من عشر مراحل للإبل المحملة إلى ساعتين من الزمن، وصدق الهادي الذي لا ينطق عن الهوى فيما أخبر عن ذلك.

وفي هذه السنة بلغ عدد مدارس البنات في منطقة عسير أربعمائة مدرسة وسبعاً وسبعين مدرسة تحتوي على إحدى وأربعين ألف طالبة ومائة وست وتسعين طالبة، وهذه بادرة تدل على إقبال الفتيات على التعلم والدراسة، وهذا العدد شامل للابتدائيات والمتوسطات والمعاهد والثانويات.

وهذا شيء يعجب منه بحيث لا يوجد في عام ١٣٨٠ / ١٣٨١ هـ بهذه المنطقة سوى مدرسة واحدة تضم ١٥٥ طالبة لا غير كما أنه تخرج في هذه السنة عدد كبير من المبتعثين ينهون دراستهم بالولايات المتحدة وعددهم سبعون ورجعوا يحملون شهادات متفوقة بكالوريوس ماجستير دكتوراه علم الكمبيوتر وكان ذلك خلال الفترة ما بين ١٥ أغسطس حتى ١٥ سبتمبر (١٩٨٤م).

وفيهما يقوم مدير الشؤون البلدية والقروية بالقصيم إبراهيم بن عبد الرحمن البليهي بالبيان الآتي بصفته ترتبط بمديريته أكثر من ثلاثمائة وخمسين مدينة وقرية وهجرة وضاحية عن اعتماد ألفين وخمسمائة وثمانين مليون لعشر بلديات وسبع مجتمعات قروية بالمنطقة وهي هذه بلدية عنيزة وبلدية الرس وبلدية المذنب وبلدية الأسياح وبلدية البدائع وبلدية البكيرية وبلدية رياض الخبراء وبلدية الخبراء والسحابين ومجمع قرى الشماسية ومجمع قري النبهانية ومجمع عيون الجواء ومجمع دخنة ومجمع ضريه ومجمع عقلة الصقور ومجمع البصر وختم ذلك بالمسار الدائري الذي يجري العمل به حالياً.

أما عما يتعلق بمدينة بريدة فقد جرى اللقاء مع رئيس بلدية بريدة إذ ذاك صالح النافع وعن نصيب مدينة بريدة من الحداثق والمتزهات العامة ونشاط البلدية

في مجال أعمال السفلة والإنارة وزيادة رقعة المسطحات الخضراء فأجاب بأن هناك العديد من المشاريع التطويرية الكبيرة كاعتماد ثلاثة عشر مليون لتسع عشرة حديقة، وهناك مشاريع المجاري المرحلة الثانية وإقامة محطة مجار وقد أعلن عنها وإقامة منتزه عام كبير تقدر مساحته بمليون متر مربع وهذا ضخماً جداً بحيث يعتبر أعظم منتزه مع إنارة وترصيف بتكلفة ثلاثة وخمسين مليوناً تشمل العديد من الشوارع الرئيسة ومواقف للسيارات وغيرها من الإصلاحات.

ثم نعود إلى النهضة التعليمية في القصيم فنقول نقلاً عن جريدة الجزيرة في عددها ٤٥٢٧/٢٩ جمادى الأولى من هذه السنة خمسمائة وثلاثين مدرسة للبنات بمختلف المراحل تضم (٤٠٩٦٤) طالبة وإنجاز (١١٣) مبنى في مختلف مدن وقرى المنطقة بتكلفة قدرها (٤٨٤, ٤٨٧, ١١٦) ريالاً أربعمائة ألف مليون وأربعة وثمانون مليوناً وأربعمائة وسبعة وثمانون ألفاً ومائة وستة عشر ريالاً كما نشرت الجريدة المذكورة بعددها وتاريخها، إن في منطقة القصيم مائتين وخمساً وثمانين مدرسة للبنين تضم أربعين ألف طالب، وأن نسبة المدرسين فيها ١٠٠٪ في الابتدائيات و ٨٠٪ في المتوسطات و ٦٠٪ في الثانوي ولا تزال تتطور في الزيادة والتحسين.

برج مياه بريدة

في هذه السنة كانت العمال يدأبون في إقامة هذا البرج ويقع شمال مدينة بريدة وكانت مدة التنفيذ أربع سنوات تولت تنفيذه شركة كيهو الإنشاءات الهندسية كوريا، وقد تأسس في محلة الصفراء بتكلفة لهذا المشروع (٦٩٠٠٠٠٠٠) تسعة وستون مليوناً على مساحة إجمالية قدرها خمسة وأربعون متر، وسعته (٨٠٠٠) متر والارتفاع الكلي (٧٤) متر، وعن سطح الأرض (٦٦) متراً على مسافة (٥) كيلو من محطة التنقية، أما المحطة فتقع بحي الموطن الغربي مدينة بريدة على مساحة قدرها (٢٨٠٠٠) متراً وتم توسعة المحطة عام (١٤٠٢هـ) وتم تشغيل هذه المحطة في

١٣/٦/١٤٠٥ هـ أما عن البرج ومتطلباته فمذكورة في غير هذا الموضع ففي هذه السنة واليوم والشهر تم تشغيل هذه المحطة وقد بدئ العمل في البرج في محرم من عام (١٤٠٢ هـ) لمدة (٨٤٠) يوماً وقد صمم البرج على أساس مخزن للمياه وخزان تواجد للشبكة وكان مستوى الخزان ينقل بواسطة إشارة تلفونية لاسلكية إلى مركز التحكم والمراقبة بموقع المضخات بمحطة التنقية وهناك جهاز إنذار عند الوصول إلى الحد الأقصى للمياه ودور صالة الاستقبال الرئيسية على ارتفاع (٤٦) متراً بمساحة (١٠٠٠) متر تحلق حول البرج وتحتوي على كافيتيريا ومطابخ ومخزن للأثاث وصالة الأكل وتوجد أسفل البرج مجموعة مباني مساندة ومواقف سيارات مظلة وبحيرة مياه عاكسة ومسطحات خضراء مساحتها (٥٠٠) متر بالإضافة إلى مبنى الحراسة، وقد كمل بناؤه في آخر يوم من هذه السنة.

إيجاد مياه لعفيف والدوامي

إن مدينة عفيف لما تأسست كثرت مبانيها وتقدمت تقدماً يزيد يوماً فيوماً ولا سيما في عام إحدى وستين بعد ثلاثمائة وألف وهذا بالنسبة إلى أنها كهجرة من هجر البادية قبل ذلك فما زالت تنشأ فيها المباني من الطين واللبن لكن قلة الماء فيها أوقف توسعها ولكنها بالرغم من تلك فإنها اتسعت، أما عن الدوامي فإنه قرية ضعيفة جداً، ولكنهما بالنسبة لوقوعهما في طريق مكة المشرفة لمن حج من الشرق لهما ذكر وشهرة بين المسافرين، فهذا الدوامي وكم تبقى من المسافة إلى عفيف. وفي هذه السنة تضع الحكومة السعودية ترسية مشروع مياه لهما مما يخدم ثلاثين قرية تابعة لهما، وذلك بإنشاء أحد عشر خزاناً تتراوح سعتها ما بين مائتين متر مكعب وأحد عشر وثمانمائة متر مكعب وإقامة أربعة وعشرين برج مياه من الخرسانة المسلحة تتراوح سعتها ما بين (٢٢٠-٦٥٠) متر مكعب وإقامة محطات ضخ وإقامة تسع وحدات لتعبئة الوانيتات وغير ذلك، وقد أنفق لهذا المشروع

نفقات باهظة مما جعل البلدتين وما يتبعهما تتمتعان برغد المعيشة ويقول الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(١) فلله الشكر على ذلك.

وفيها في يوم السبت غرة ذي الحجة من هذه السنة سقط في بيروت (٢٣) قتيلاً و(٧٠) جريحاً نتيجة تفجير سيارة ملغومة أمام سوق تجاري في الشرقية واندلع حريق هائل دمر (٧٠) سيارة وكان ذلك الانفجار قد هز بيروت وكان في سيارة مرسيدس مفخخة بمائتين كيلوجرام من مادة تي.أن.تي بالإضافة إلى مواد حارقة وكميات كبيرة من المسامير وقد سحب العاملون في مجال الإنقاذ (٢٠) جثة كانوا محترقين كما انتشلوا (٧٠) جريحاً وبينما كان المنقذون يعملون سقط قذيفتا مدفعيين في المنطقة كما سقطت ثلاث قذائف في منطقة مجاورة وأحدث الانفجار حفرة في الرصيف بلغ قطرها أربعة أمتار وعمقها متر ونصف وهذه هزات تحدث الأسف الشديد.

وقد قدمنا هزة العالم لقتل أنديرا غاندي التي قتلت آخر يوم الأربعاء المتقدم على يد حراسها الذين بلغ عدد المجرمين منهم خمسة وهم من السيخ بحيث أطلقوا عليها (١٦) رصاصة أصيبت بثمانية منها ثم أعدم الذين اغتالوها، ولدت في ١٩ نوفمبر عام (١٩١٧م) وهي الابنة الوحيدة لنهرو رئيس الوزارة الهندية الذي تقدمت وفاته في عام (١٣٨٤هـ) وتقدمت ترجمته هناك ويصفونها بعزمها الذي لا يلين وظلت محاولة جعل الهند دولة مستقلة وقوية ومنددة دون كلل أو ملل واستمرت تحكم بلادها بيد قوية أو بقبضة حديدية وقد فجعت في يوليو (١٩٨٠م) بمصرع ابنها سانجاي ومستشارها السياسي التي كانت تعده لخلافة أسرة نهرو السياسية وكان ممن تأثر لوفاتها الرئيس ريجان الأمريكي وصرح رئيس الدولة المصري للشئون الخارجية بأن رحيل رئيسة وزراء الهند يمثل خسارة فادحة

(١) سورة المؤمنون، آية ٣٠.

للمجتمع الدولي وغير هؤلاء كما أن غالب الدول الكبرى نددت بوفاتها واعتبروها خسارة، وقد أحصي الذين اغتيلوا في الأعوام العشرة الماضية والذين كانت آخرتهم أنديرا غاندي ففي ١١ سبتمبر (١٩٧٣م) سلفادور الليندي رئيس جمهورية تشيلي خلال انقلابه وفي ١٢ فبراير (١٩٧٥م) الكولونيل ريتشارد راشيماندرافا رئيس الدولة والحكومة في مدغشقر، وفي ١٣ إبريل (١٩٧٥م) بجاتا تومبلباي رئيس جمهورية تشاد خلال انقلاب، ١٨ مارس (١٩٧٧م) هاريان بنجواي رئيس جمهورية الكونغو برازافيل الشعبية في مؤامرة ١١ أكتوبر (١٩٧٧م) إبراهيم الحمدي رئيس جمهورية اليمن الشمالية خلال اعتداء ٢٧ إبريل (١٩٧٨م) الرئيس الأفغاني محمد داود خلال انقلاب ٢٤ يونيو (١٩٧٨م) المقدم أحمد الهاشمي رئيس جمهورية اليمن الشمالية خلال اعتداء ١٤ سبتمبر (١٩٧٩م) مارك تونج هي رئيس جمهورية كوريا الجنوبية اغتاله مدير المخابرات الكورية ٢٧ ديسمبر (١٩٧٩م) حفيظ الله أمين رئيس جمهورية أفغانستان خلال انقلاب ١٢ إبريل (١٩٨٠م) وليم توليس رئيس ليبيريا خلال انقلاب ٣٠ أغسطس (١٩٨١م) علي رجائي الرئيس الإيراني خلال اعتداء ٦ أكتوبر (١٩٨١م)، أنور السادات الرئيس المصري خلال عرض عسكري في ذكرى نصر أكتوبر (١٩٧٣م)، ١٥ سبتمبر (١٩٨٢م) بشير الجميل رئيس لبنان المنتخب قبل ثمانية أيام من توليه السلطة خلال اعتداء.

ثم دخلت سنة (١٤٠٦هـ)

ففيها أطارت اليهود في يوم الثلاثاء ١٧ محرم ثمان طائرات قطعت ألوف الأميال فضربت تونس تريد ياسر عرفات غير أنه كتبت له النجاة، لأنه لم يبت في تلك العمارة التي ضربوها وهي من ثمانية أدوار يسكنها فلسطينيون في تونس هلك من جراء تلك الضربة التي غزوا بها تونس ما يزيد على سبعين فلسطينياً وجرح آخرون وتهدمت العمارة.

وقد أحدثت تلك الفعلة هزة عظيمة في أنحاء العالم فكيف تسطو إسرائيل على بلد آمن وتسير تلك المسافة الطويلة وتهتدي إلى العمارة لولا أن لها استكشافيين وأشقياء قد سهروا لأذية العرب وبذلوا النفيس في استئصال شافتهم.

ومن جهة أخرى تنتهك حرمة تونس ولم يمنعهم البعد في إبعاد مساكين أهل فلسطين حتى يلاحقوهم تلك الملاحقة ويتهكوا الديار الآمنة البعيدة وقصارى ما تلاقيه من الردع عرض المسألة التي تعترض طورها على مجلس الأمن ثم تنتهي الشكاية عن لا شيء فأصبح مجلس الأمن آلة في يد اليهود وأمريكا يصرفونه على ما يشاءون وبهذا وأمثاله انتقد التونسيون حكومة حبيب أبو رقية بالضعف وفكروا في استبداله برئيس آخر فإن الحكومات تنظر إلى أعمال رؤسائها ولا سيما في الجمهوريات، فتتقرب ماذا يحصل من حماية البلاد والأخذ على أيدي العابثين.

وفي هذه السنة في ١٩ أيلول (١٩٨٦م) أصيبت المكسيك بزلزال شديد هلك بسببه حوالي ١٥ ألف نسمة من الأنفس البشرية وأصيب آخرون بجراح وتهدمت فيها منازل وكان ذلك في ٥ محرم.

وفيها صدر الأمر الملكي بنقل سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز من إمارة تبوك إلى إمارة المدينة المنورة وذلك في ١٥ / ٥.

وفيها أمر الملك فهد ببناء ملحق للمسجد النبوي يكون زيادة للمسجد من الجهة الشمالية والغربية وذلك لضيق المسجد بالمصلين أوقات المواسم، وبما أن الملك فيصل قد أمر بهدم الجهة التي تلي المسجد من الجهة الغربية وأقام مظلات جميلة قوية فيها مفروشة بالفرش واتسع المصلى وخفف ذلك الضغط عن التوسعة التي أمر بها الملك عبد العزيز وابنه سعود وأضيفت إلى المسجد ببناء قوي جداً.

فقد رأت الحكومة التي يرأسها الآن الملك فهد بن عبد العزيز أن تقيم توسعة في الموضع المشار إليه مقامة من ثلاثة طوابق ببنية فخمة جداً، كما أنه هدّ مسجد قباء وزيد فيه توسعة فخمة عما كان عليه من عمارة الدولة العثمانية، وكانت

العمارة الأخيرة في هذه السنة واسعة جداً بالطراز الحديث وأنشأ له دورات مياه عظيمة وتم بناؤه على أحسن وضع وأجمله.

وكان يلي المسجد من الجهة الغربية بئر أريس التي يُسمى بئر الخاتم، وقد ردمت في السنين الأخيرة قبل هذه السنة بأربع سنوات ترجيحاً للمصلحة لأن بعض الحجاج والزوار ولا سيما الأجانب يرتادون الوقوف عليها منهم من يرى الآثار ومنهم من جعلها مزاراً، فرأت الحكومة ردمها بإرشاد من بعض العلماء فتعطلت وضاع مكانها.

وفيها في يوم الاثنين ٣/٥/١٤٠٦ هـ يوافق ١٣ يناير عام (١٩٨٦م) قامت اليمن الجنوبية الديمقراطية بثورة ضد الرئيس علي ناصر محمد للإطاحة بحكمه وقامت الجيوش المتمردة بالتقتيل وامتألت شوارع عدن بجثث القتلى حتى بلغ عدد القتلى عشرة آلاف قتيل وتشريد أربعة آلاف واستمرت الدبابات تجوب الشوارع وتعمل الفوضى لمدة ١٤ يوماً وبذلك أزالوه عن منصبه وأقاموا بدلاً عنه مؤقتاً (العطاس) وكانت روسيا قد أيدت هذه الثورة.

وفيها وفاة الشيخ صالح العلي الناصر كانت وفاته في أوائل صفر من هذه السنة كان هذا الرجل يشارك في المحاضرات ويتلقى الأسئلة ويجاوب عليها في الإذاعة السعودية.

ورأيت له ترجمة بقلم أحد تلامذته بحيث يقول [فقيه جليل فقدناه] كان رحمه الله أول سعودي يتخصص في تعليم المكفوفين، ثم قال لقد فقدنا في هذه الأيام عالماً جليلاً ومربياً كبيراً وفقيهاً قديراً هو فضيلة الشيخ صالح العلي الناصر، فقدناه في وقت نحن في أمس الحاجة إلى طول باعه وسعة اطلاعه في مجال الفقه وأصوله، فقد تخرج على يديه من علماء المملكة وفقهائها خلال مدة تزيد على إحدى وثلاثين سنة ما يعجز القلم عن حصره، وأطال في مديحه.

وهذه ترجمته: هو الشيخ الفقيه صالح العلي بن ناصر، هذا هو الذي يعرف به،

وإلا فهو صالح بن علي بن سلمان بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن ناصر، وهم عضو ينتمون إلى سنجارة أحد بطون شمر وموطن عائلة آل ابن ناصر القرعة، ثم رحل أحد أجداده إلى الخبراء ورحل والده إلى عنيزة وبها ولد المترجم، ثم انتقل مع والديه إلى البدائع ثم عادوا إلى عنيزة وبها ترعرع ودرس بها أجزاء من القرآن على يد عبد العزيز بن دماغ المشهور بضعيف الله.

وكان كفيف البصر قوياً طبيعته الشدة، كذا ذكر لي عن ترجمته وكذلك درس على يد صالح الدماغ ثم رحل مع والديه إلى مكة المكرمة وبها عاش طويلاً وتلقى القرآن والعلوم المتنوعة على كثير من علمائها في المدارس وفي الحرم الشريف.

فممن تلقى عليه القرآن بالتجويد الشيخ محمود مرسي سعيد صاحب مدرسة في شعب عامر وتلقى عليه مبادئ النحو والقراءات وشيئاً من علم الحديث، كما تلقى القرآن على الشيخ محمد حزيم وكذلك على الشيخ محمد علوان وفي الحرم تلقى علوم التفسير والحديث على الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم الشريف وحضر دروس الشيخ علوي المالكي ومحمد كتي والتحق بدار الحديث، وما زال يتقلب بين حلق التدريس في الحرم الشريف حتى قدم إلى مكة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع فلازمه وانتفع به كثيراً في الدراسة عليه بزاد المستنقع وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وبلوغ المرام ثم التحق بدار التوحيد لما أن ضمت إلى الشيخ محمد.

فأخذ عن الشيخ عبد الله الصالح الخلفي وعبد الله المسعري والشيخ البحيري وعبد الرزاق عفيفي وغيرهم من السعوديين والمصريين الذين كانوا يدرسون فيها، ثم تخرج من دار التوحيد بالطائف والتحق بكلية الشريعة بمكة المكرمة فدرس فيها وتخرج من كلية الشريعة وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ لما قدم مكة وأخذ عن الشيخ عبد الله بن حسن رئيس القضاة إذ ذاك وأخذ عن عبد العزيز بن رشيد حينما كان مقيماً في مكة وعن الشيخ أحمد المغربي.

ثم تعين مدرساً في المعهد العلمي بالرياض، ثم في كلية الشريعة ثم رحل إلى مصر فالتحق بالمعهد العالي للدراسات العربية العليا وهناك تلقى علم القوانين وهو معهد يتلقى فيه خريجو الجامعات وخريجو الأزهر فأخذ عن علماء هناك يذكر منهم الدكتور صبري والدكتور محمد حافظ غانم وصبحي الحمصاني وغيرهم كما التحق بالمركز النموذجي لرعاية وتوجيه المكفوفين بالكتابة والقراءة بالحروف البارزة (طريقة إبرايل) ولما عاد من مصر كان أستاذ الفقه الإسلامي في كلية الشريعة بالرياض في السنة الرابعة وتخرج على يديه طلاب كثيرون، وما زال في الكلية وهو عضو في بعثة إرشاد الحج في مكة والمشاعر المقدسة وعضو في اللجنة الفرعية لإعداد المناهج وتحقيق الكتب المدرسية، كما كان عضواً في مجلس معهد القضاء ويشترك في برامج تلفزيونية ويلقي محاضرات وهو من ضمن الذين يجاوبون على الأسئلة في الإذاعة السعودية، رحمه الله وعفا عنه.

وفيهما تم إنجاز طريق الرياض السريع من القصيم متبداً من خلف كلية الشريعة واللغة إلى جهة الشرق الجنوبي وكان افتتاحه في شهر شعبان من هذه السنة وبلغ عرضه ثمانية وأربعين متراً وسبعين ستمتراً، وكان ذا اتجاهين بكل اتجاه ثلاثة مسارات ويفصل المسارين جزيرة في الوسط عرضها عشرين متراً، وإلى جوانبه أسلاك تحميه من دخول المواشي والمارة وعلى الخط كوبريات تقاطع للمدن والقرى، وقد كلف على الحكومة بنفقة باهظة تقدر بألف مليون وستمائة مليون.

وفيهما في يوم الأربعاء غرة ربيع الأول ثار بركان عظيم في مدينة (أومير الكولومبية) فدفنها، وهلك بسببه ثلاثون ألف نسمة.

وفيهما في مساء الأحد ١٩/٣ أقيم حفل افتتاح المؤتمر الذي نظم في تاريخ الملك عبد العزيز موحد البلاد التي أسس نهضتها وبنى دعائمها وقد ألقى الملك فهد بن عبد العزيز كلمته فيما لوالده من المآثر الطيبة وإصلاحاته في الحرمين الشريفين وتأمين راحة الحجاج من قدومهم إلى عودتهم إلى بلادهم وما قام به من الإصلاحات الزراعية والتعليم وغير ذلك.

ثم ألقى وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ كلمة في مناقب الملك عبد العزيز وما قام به في سبيل تركيز العقيدة السلفية والإيمان وترسيخه في القلوب إلى آخرها ثم ألقى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلمة حيا بها جميع الحاضرين وأشاد بذكر الملك عبد العزيز غفر الله له وما قام به من الأعمال الخيرية وتلاه مصطفى عبد القادر فألقى كلمته ثم محمد بن عبد الله عرفة ثم محمد حسين زيدان، وكلهم أفادوا وأجادوا في مآثر الملك عبد العزيز، وتلاه أبنائه الملوك الكرام سعود وفيصل وخالد وفهد غفر الله لميتهم ووفق أحياءهم وسددهم لسلوك طريقة والدهم والتمسك بالعقيدة السلفية، أما عن الملك عبد العزيز وذكر مآثره فهي كنار على علم بذل جهده في نصرة الدين الحنيف وجاهد في نصرة العرب وفي سبيل العرب.

حادثة

حدث في مدينة بيروت أن عشرة فلاحين خرجوا في تشييع جنازة أحد عائلتهم فتوقفوا يشربون الخمر وعلى الفور سقط كل منهم قتيلاً وظهر أن الخمر التي تناولوها ظهرت مسمومة فلم يعودوا سالمين بل هلكوا جميعاً.

وفي هذه السنة نشرت جريدة الرياض في عددها (٦٤٤٥) ٥ جمادى الآخرة أن الحكومة السعودية تستورد من اليابان مائتين وخمسين ألف سيارة، وهذا يدل على كثرة السيارات في المملكة السعودية بحيث أصبحت السيارات هي مركوبات العالم على العموم وتعطلت حركة الإبل والحمير في طویل الأسفار وقصيرها، وسبحان مطور الأحوال ومبدلها من حال إلى حال.

ولقد كانت مكة منذ أربعين سنة قد عاشوا على ركوب الحمير قد جعلوا فيها أجراساً وجللوا شعرها بالقص والتجميل، فما زالت تلك العادات تضحل كما أن الحمار الطيب بيع بالإحساء بألف ريال، وفي هذه الآونة لا تجد حماراً يصلح للركوب وتعطلت حركة السير على الأقدام وعادت حالة غير مألوفة.

وما زال الحكماء يوصون بالمشي لما فيها من الرياضة حتى قالوا ثلاث ينبغي للعاقل أن يتعاهدها ولا يتركها ينبغي له أن لا يترك الأكل فإن أمعاه تضيق وينبغي له أن لا يترك الجماع فإن البثر إذا لم تنزح ذهب ماؤها وينبغي له أن لا يترك المشي فإن احتاج إليه يوماً قدر عليه.

وفاة عالم من العلماء

في هذه السنة بل في جمادى الأولى منها توفي الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش وهذه ترجمته: هو الشيخ القاضي العالم الفقيه قاضي مدينة حائل ورئيس محكمة مكة المكرمة وكان قد نقل من قضاء مدينة حائل وما يليها إلى وظيفة وهي النظر في مشكلات المحاكم الشرعية في مكة المكرمة فشفع بالشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع وذلك في آخر عام (١٣٦١هـ)، وكان رزيناً وذا شخصية بارزة، فكان كهيئة تميز القضايا هناك، وبعد توليه للرئاسة في محاكم مكة المشرفة ولبث فيها مدة وزمناً رأته خلال ذلك عام (١٣٧٢هـ) يؤدي عمله بنشاط، وبعد ذلك أسن وكبر فأحيل على التقاعد، وكان له من الأبناء الشيخ عبد الملك بن عبد الله ولي وظيفة مساعد رئيس المحاكم في مكة ثم نال الرئاسة للمحاكم، ثم أعفي منها وله نشاط في خدمة العلم.

وممن توفي فيها

الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبدان عن عمر يناهز الثامنة والثمانين لأن ولادته عام (١٣١٩هـ) كان من خيرة تلامذة الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وعمر ابن محمد بن سليم ومحسوباً من أفذاذ العلماء في منطقة القصيم علماً وعقلاً وأدباً وأوتي بسطة في العلم والجسم وكان أديباً جميل المنظر وبصيراً في أمور دينه ومن أهل الولاء والبراء الذين يوالون في الله ويعادون فيه ومن زملاء إخواني الأشقاء عبد الرحمن وعبد المحسن تولى الخطابة والوعظ والإرشاد في خصيبة من

أعمال الأسياح مدة من الزمن ثم رفع إلى القضاء فكان رئيس محكمة الزلفى ثم نقل إلى الجمعة ثم إلى أبها ثم إلى قضاء عنيزة كانت وفاته في ٨/٢٦ .

وفيها صدر مرسوم كويتي بإعفاء الأسر الكويتية المتوفى معيلوها من القروض، وذلك مراعاة لحالة اليتامى والثكلى الذين هلك رب أسرهم وتركهم بلا عائل.

وفيها في ربيع الآخر سقط في إيران خمسون ألف قتيل من ضرب قنابل العراق بالطائرات والمدافع، وقد انفجر مصنع الذخيرة في طهران الإيرانية فنجم عن ذلك مصرع خمسمائة قتيل إيراني، ولا تزال الانتصارات تتوالى للعراق.

وفي هذه السنين الأخيرة اشتد الأذى على المسلمين في بورما من الحكومة بحيث هدمت الآثار الإسلامية واشتدت حملات البوذيين إلى إجبار مائة وخمسة وعشرين ألفاً من المسلمين على تغيير إسلامهم واعتناق البوذية وأوقفت جميع أوقاف المسلمين وأوقفت المدارس الإسلامية وصودرت مجالات إسلامية.

وأوقفت ومنعت الحكومة من طباعة أي كتاب عن الإسلام وأمرت بإيقاف بناء المساجد وأمرت أن لا يعين المسلمون في الوظائف القيادية واستولت الحكومة هناك على مبنى لإيواء الحجاج قبل سفرهم، وكان ذلك المبنى وقفاً لحبيب مسافر خانة.

ودمرت مساجد المسلمين قبل هذه السنة بثلاث سنين وهدمت منابرهم ومنع المسلمون من الصلاة وشرّد أبناء المسلمين في الشمس المحرقة وأجبر خمسمائة ألف إلى النزوح إلى الحدود البنغلاديشية، وأقام أولئك البؤساء في مخيمات سيئة للغاية، وطاردتهم الحكومة البورمية مطاردة عنيفة حيث سلبت دورهم ومساجدهم، وأحرقت منازلهم وصادرت الكتب والمجلات الإسلامية التي يدرسونها ويتعلمون منها دينهم، وقد ساءت أحوال اللاجئين إلى درجة لا تطاق وهؤلاء البوذية كانوا ضد العقائد الدينية ولا يؤمنون بالله ولا بكتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر، ملاحدة زناديق، ومذهبههم الذي يميلون إليه من شر المذاهب، وهم من أجهل خلق

الله وأضلهم عن سواء السبيل، وبهذا وأمثاله مما قدمنا تبين غربة الإسلام وأن دين الإسلام يطارد مطاردة في كثير من بلدان العالم.

وفيها في جمادى الأولى افتتح نجل الملك محمد بن فهد بن عبد العزيز أمير المنطقة الشرقية المدينة الصناعية الثانية بالدمام وبدأت هذه المدينة الصناعية مرحلة التشغيل، وكانت تقع على طريق الدمام - أبقيق، وتبعد قرابة خمسة وثلاثين كيلو متراً عن مدينة الدمام ومساحتها الإجمالية بلغة أربعة وعشرين مليون متر مربع، وكانت على وضع بديع وذكرت إحدى الجرائد السعودية أن عدد المصانع المنتجة في السعودية سبعة وأربعين مصنعاً بعضها تحت الإنشاء، ويقول وزير الصناعة أن المملكة أنشأت قاعدة صناعية ستكون إحدى دعائم اقتصادنا الوطني.

وفيها وقع وزير الشؤون البلدية والقروية الأستاذ إبراهيم القنقري مع عدد من المؤسسات عقوداً بقيمة ٢٨ مليون لإصلاح أضرار السيول بمدينة حائل وتنفيذ مشاريع أخرى فيها.

وفيها في ذي القعدة وفاة الأمير سعود بن عبد الله الشويعر كان أخاً لأمير عسير حمد الشويعر الذي كان له مواقف في الحرب اليمنية بين الملك عبد العزيز وبين إمام اليمن يحيى عام (١٣٥٢هـ)، وقد أسند إلى سعود هذا إمارة صامطة فترة من الزمن، وكان لسعود هذا مواقف شجاعة مع أخيه حمد.

وبعد وفاة أخيه عام (١٣٥٤هـ) انتقل إلى الرياض ثم إلى حائل، وفي عام (١٣٦٠هـ) تم تعيينه أميراً لمنطقة الجبيل، واستمر في ذلك حتى عام (١٣٨٩هـ) حيث صدر الأمر بتعيينه أميراً في الخبر حتى عام (١٣٩٨هـ) حيث طلب للتقاعد، وقد حظي بتقدير ملوك آل سعود وهم سعود وفيصل وخالد رحمهم الله كما حظي لدى الملك فهد حينما كان وزيراً للداخلية ولدى سمو الأمير سعود بن جلوي رحمه الله ولدى الأمير عبد المحسن بن جلوي وقد عاد إلى مسقط رأسه بلدة حائل، ويصفونه بسماعدة المحتاجين والعطف على الفقراء ووافاه الأجل في يوم الخميس ١٤٠٦/١١/١٨هـ.

ومن الغرائب أن مرضه كان جلطة لم يلبث إلا قليلاً في مرضه وقبله بأسبوع كان ابن عمه قد مات بهذا المرض، وهو عبد الله الحمود الشويرع وكان عمر المترجم قد تجاوز السبعين رحمهما الله تعالى، قال الله جل ذكره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١) فدلّ على أن البقاء لله وحده وبنو آدم وما سواهم فهم عرضة للأمراض والمصائب وما أحسن ما قيل في الموضوع:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد وفي هذه المناسبة نذكر شيئاً عن تاريخ المذنب وتاريخ حرمه فنقول عن بلد المذنب فيما مضى أنهم كانوا يجلبون الماء العذب كغيرهم من بلدان القصيم، فكان أهل المذنب يشربون من البئر الوحيدة في المذنب المسماه القفيفة، وتبعد عن البلد ثمانية كيلومترات في القرب على الحمير، بحيث يحمل الحمار قربتين، وأحياناً ثلاثاً إذا كان الحمار قوياً، ويحتفظون بهذا الماء للشرب وطهي الطعام وإعداد القهوة والشاي، أما الوضوء وتغسيل الأواني فله ماء خاص بمعنى أنه يوجد في كل بيت بئر يسمى بالحسو وكان هناك أناس يبيعون الماء العذب محمولاً على الجمال أو على الحمير، وكان الجمل يحمل ما بين ست إلى ثمان قيرب، وكان الجمل يوزع على عدة بيوت، أما الماء غير العذب فموجود ومتوفر في الفلايح والبيوت وقد أخذنا ذلك بالمعنى من إفادة وكيل إمارة حائل مقبل بن محمد بن صالح المقبل لضيف الجزيرة.

ثم تنقل إلى طعام العشاء الذي يعد بعد صلاة العصر فقد ذكر الوكيل أنه سمع امرأة من جيرانهم أتت قبل صلاة العصر لزيارة والدته بأنها كانت تقول إنني سأعود لمنزلي لأن عشاءنا لا زال والله في سنابله، فتذهب قبل صلاة العصر تخرجه من السنابل لتدقه في مدقة خاصة بذلك، ثم تقوم بتنقيته من الشوائب ثم تطحنه

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٥.

وتنخله وتعجنه وتصنع منه ما مطازيز أو مرقوق أو قرصان وهذه هي الأكلات التي كانت معروفة في السابق، ومنها الجريش.

ثم ذكر ضيف الجزيرة أن أول من عثر على الماء العذب في مدينة المذنب رجل يدعى علي بن عبد الله السويدي قد أمضى مدة طويلة خارج المملكة ولديه ثروة وضحي بجزء من ماله للبحث عن الماء العذب، ووفقه الله إلى ذلك وقد بدأ الماء يتدفق من البئر بدون ضخ الماء عام (١٣٧٧هـ) وبعد عام مدد الماء في البلدة وفي الحارات المحيطة بها.

وقال أذكر أنني عندما عدتُ مع والدي رحمه الله من مكة المكرمة بعد صيام رمضان كان ذلك عام (١٣٧٨هـ) وفتحت الصنبور من خزان صغير وضع في حي من أحياء المذنب بكيت فرحاً وأنا بين مصدق ومكذب لما أرى وحدثُ الله على هذه النعم، ثم ذكر الحالة الحسنة في هذه السنة يعني (١٤٠٦هـ) أن أكثر من بئر عليها مضخات تعمل ليلاً ونهاراً ويوجد في المذنب ثلاثة خزانات رئيسة تغذي المدينة وضواحيها ومخططاتها بالماء المعقم العذب، وقد تضافرت جهود وزارة الزراعة ووزارة الشؤون البلدية والقروية حتى نعم الجميع بفضل الله ثم بفضل ما تقدمه حكومتنا الرشيدة لهذه المدينة وغيرها من مدن المملكة بالكهرباء والهاتف، ووصلت الطرق كل حي وكل قرية في هذه المدينة وأصبح الماضي مجرد ذكريات يحلوها ومرّها.

أما عن بلدة حرمة الكائنة في منطقة سدير على جانبي وادي المشقر والكلب على بعد (١٩٥) كيلو متر في شمال غرب الرياض ويقول عنها أميرها الحالي في هذه السنة أنها وضعت أول لبنة في مخطط (٢١٦) في أواخر عام (١٣٩٨هـ) وذكر أنه يرجع تاريخ عمران حرمة إلى سنة (٧٧٠هـ)، وذلك عندما انتقل إليها إبراهيم بن حسين بن مريح الوائلي كما ذكر ذلك المؤرخ النسابة حمد بن العيون في تاريخه وكان إبراهيم مع أبيه أمير بلدة التويم فارتحل عنه إلى موضع بلدة حرمة الحالي التي

كانت قبل ذلك مياهاً وآثار منازل قد تعطلت من منازل بني سعيد، ونزلها إبراهيم بن حسن وعمرها وغرسها ونزل عليه كثير من قرابته وأتباعه وقد تزال الجبال الواقعة بالقرب من البلدة، وقد حظيت في السنين الأخيرة كغيرها من مدن المملكة السعودية من تقدم الزراعة والخضراوات وتشهد إقبالاً من المواطنين كما أنها تحتوي على مدارس وحدائق وبلدية وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها مركز بريد والنادي الفيصلي ومن أشهر منتوجاتها التمور، كما أنه تم سفلتة بعض طرقها وهنا دراسة مشروع لتصريف مياه السيول والمجاري ومشاريع أخرى، وتم إيصال الخدمة الهاتفية في المخطط الجديد رقم (٢١٦) وسيتم إيصال الخدمة الهاتفية إلى باقي المخططات هذا بالإضافة إلى مشاريع الكهرباء حيث قامت شركة كهرباء المجموعة بإيصال التيار الكهربائي إلى جميع المخططات فيها.

وفي تلك الآونة وفاة صاحب السمو الملكي أمير المدينة المنورة عبد المحسن بن عبد العزيز رحمه الله وعفا عنه، وقد قدمنا نقل عبد المجيد إلى المدينة لأنه لم ينقل إليها إلا بعد وفاته.

وبعث الملك فهد بن عبد العزيز برقية تهنئة إلى رئيس جمهورية باكستان الإسلامية الجنرال محمد ضياء الحق بمناسبة ذكرى يوم الباكستان وقد عبر جلالته في برقيته باسمه وباسم شعب وحكومة المملكة العربية السعودية عن أحر التهاني وأصدق المشاعر الأخوية متمنياً له الصحة والسعادة والهناء ولشعب الباكستان.

وفي هذا اليوم يقوم رجال المقاومة اللبنانية بتدمير آليتين للعدو ويقصفون مستعمرة صهيونية بالصواريخ وصدر بيان في بيروت من اليوم الذي قبله أن رجال المقاومة تمكنوا خلال الهجوم من إيقاع عدد كثير في إصابات في صفوف العدو فكانوا ما بين قتل وجريح ولكنها قامت طائرات الهليكوبتر العسكرية الصهيونية بالاشتراك على الفور في المعركة وهكذا استمرت المجازر في لبنان وبيروت بحالة مؤسفة.

وفيه صدر أمر ملكي بتعيين الأمير ممدوح بن عبد العزيز أميراً لمنطقة تبوك
بمرتبة وزير، وذلك بتاريخ ١٨ / ٥ / ١٤٠٦ هـ رقم.

وفيه في يوم الأربعاء ٣ جمادى الثانية قام الأسطول السادس الأمريكي ببدا
مناورات بحرية وجوية أمام السواحل الليبية وقد ابتدأت المناورات ليلة الثلاثاء
وتنتهي يوم السبت ٦ جمادى الثانية، وكانت ليبيا تنظر إلى خليج سوت على أنه
جزء من المياه الإقليمية الليبية وقد أعلنت ليبيا استيائها من الإسراف الأمريكي
لاستخدام الفيتو وقد استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد قرار مجلس
الأمن لإدانة إسرائيل ولما أن جرى ذلك انضمت جامعة الدول العربية إلى مصر
ومنظمة التحرير الفلسطينية والكويت في تحذير الولايات المتحدة وإسرائيل
وأعربت الأمانة العامة عن أسفها الشديد للتهديدات باستخدام القوة ضد ليبيا
وقالت الجامعة في بيان صدر بالأمس في تونس أن الاتهامات الإسرائيلية
والأمريكية بأن ليبيا وراء الهجومين من شأنهما تصعيد التوتر في الشرق الأوسط
ومنطقة البحر المتوسط وقال البيان مكرراً إدانة الجامعة العربية للهجومين اللذين
راح ضحيتهما ١٩ شخصاً أن الجامعة تقف بقوة إلى جانب أي دولة عربية يهددها
عدوان، ولكنه من جهة أخرى نفى الرئيس الأمريكي أن يكون هناك حشد
عسكري في البحر الأبيض المتوسط على الرغم من الأنباء التي ذكرت مؤخراً أن
الولايات المتحدة تعد لعمل عسكري ضد ليبيا، وقال أن التحركات الحالية للقوات
الأمريكية في منطقة البحر المتوسط هي مناورة عادية هذا جوابه ولكن حاملة
الطائرات الأمريكية (كورالي شي) قد غادرت ميناء نابولي الإيطالي للانضمام
لقطع عسكرية أمريكية في حوض البحر المتوسط وسط أنباء ترددت عن احتمال أن
يصدر الرئيس ريجان قريباً أمراً للقيام بعملية عسكرية ضد ليبيا انتقاماً للهجومين
على مطار فيينا وروما.

ومن توفي فيها من الأعيان الأديب البريطاني (روبرت واخ) توفي في جزيرة

بالمالدي مابوركا الإسبانية عن عمر يناهز التسعين عاماً نتيجة مرض كان يعاني منه في السنوات الأخيرة وذكروا أن له أكثر من مائة وأربعين ديوان شعر والعديد من الروايات والبحوث الأدبية، وكانوا يببالغون في أدبه.

ومن توفي فيها محمد سعيد كركدان مدير عام الشؤون الحكومية بالخطوط السعودية وكانت وفاته إثر حادث مؤلم قضى عليه.

مرض الإيدز

في هذه السنين القريبة الأخيرة فشا مرض مخوف يسمى مرض الإيدز ولما أن تفشى في أمريكا انتقل بالعدوى إلى روسيا، وفي يوم الجمعة ٤ جمادى الآخرة من هذه السنة اكتشف الأطباء في شمال حكومة ناميبيا أول إصابة في البلاد.

وفيها أيضاً تم استلام مشروع التوسعة الثالث لكهرباء منطقة تبوك بتكاليف ٣٧٨ مليوناً وذلك لتدعيم تغذية مدينة تبوك بالطاقة الكهربائية.

وكان يجري العمل حالياً في إنشاء المنطقة الصناعية بمكة المكرمة بتكلفة إجمالية قدرها ٦٦ مليوناً وثمانمائة وواحد وخمسين ألفاً وسبعمائة وتسعة ريالاً، وهنا مشاريع بلغت تكاليفها (٣٧٨, ٨٦٨, ٦٤٤).

وفيها تعيين الأمير فهد بن سلمان بن عبد العزيز نائباً لأمير المنطقة الشرقية فباشر عمله بمجد ونشاط مع ابن الملك محمد بن فهد نسأل الله لهما التوفيق.

وفيها أنشأ جماعتان لتحفيظ القرآن في الوشم والدوادمي وارتفع نشاط جماعات تحفيظ القرآن وذلك بالدعم المالي من إعانات الدولة والإسهام في ذلك وتشجيع المحسنين على التبرع في هذا السبيل.

وقد ترأس مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الشيخ عبد الله بن عبد المحسن بن تركي اجتماع مجلس الإدارة ومتابعة أعمالها وإمدادها بالخطط والمناهج والقوى العاملة بحيث بلغ عدد جماعات تحفيظ القرآن في هذه السنة بالمملكة السعودية خمس عشرة جماعة يدرس بها أكثر من ٣٧ ألف طالب.

تعزية ببرقية بوفاة عالم مدرس في قسم الفقه بالجامعة، وهذا نصها جاءت من الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ لمدير الجامعة عبد الله بن تركي (معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

تأثرت غاية التأثير لنبا وفاة الأخ الشيخ صالح العلي الناصر رئيس قسم الفقه بالجامعة تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته ورفع درجاته عنده وجزاه خير ما يجزي به العلماء العاملين: أمل قبول أحر تعازي وصدق مواساتي وإبلاغها لكافة أفراد الأسرة التعليمية بالجامعة: لقد كان الفقيه الغالي من خيرة الرجال والعلماء الذين أسهموا بجهدهم وعلمهم وفكرهم في بناء الأجيال ولقد قدم للجامعة وطلابها في مجال من أهم المجالات العلمية الكثير من الخدمات الجللى التي يجب أن تذكر فتشكر وأن تحفظ له في سجل خدماته العلمي الحافل حيث يعتبر من اللبانات الأساسية التي شهدت ولادة كلية الشريعة بالجامعة، واستمر بعطائه الجيد المتميز حتى وافاه الأجل المحتوم، أسأل الله أن يلهم الجميع جميل الصبر وحُسن العزاء، وأن يجمع الجميع في مستقر رحمته مع خالص تحياته وتقديرى.

ومن الصدف الغريبة أنه توفي الشيخ حسن بن عبد الله في السنة التي بعد هذه وهلك المعزى والمعزى جميعاً بعد سنة وأشهر قليلة فسبحان الباقي الحي الذي لا يموت، وسيأتي ذكر وفاته وما أحسن ما عزى به الشافعي أحد أحبابه لما فجع بهلاك ابنه:

إنى معزىك لا أنى على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباقي بعد ميتة ولا المعزى ولو عاشا إلى حين
وفيهما في ٢٠ جمادى الآخرة أذاعت إحدى الجرائد أن تسعمائة ألف سوداني يتعرضون للمجاعة وأن أمداداً غذائية تنتظر السماح لها بالدخول على بلاد السودان هذا بالإضافة إلى الجفاف فيها وغزو الجراد هناك الذي لا يبقى ولا يذر، وقد ابتلى الله عز وجل حكومة السودان بالانشقاق والخلافات فيما بينهم

وانتشرت الفوضىاء وتتابعـت عليهم الأزمات عياداً بالله من تقلبات الزمان والمحن والأحزان.

وفيها انتصر المجاهدون الأفغانيون وتقدموا وصمدوا للروس ولسان حالهم يقول:

سنقاوم الروس ومن شايـعهم بين السهول وفي الجبال فلا نلـين
متمسكين بقوة الله الـتي من حازها في عدة لا يستـكين
لا يرضى سياف وكل المسلمينا إلا بخـزي وانسحاب المعتدين
سيزلزلون الأرض تحت الروس والـ عملاء المتجبرين الظالمين

وكانوا قد استولوا على معسكر شيوعي وقتلوا سبعمائة من قواته وغنموا أسلحته ولديهم أسلحة ومدافع صاروخية ضعفت قوات كابل وأحرقت ما أمامها والله مع الصابرين وجعلت روسيا تفكر في الانسحاب من أفغانستان، وفي كلام الحكمة من عرف الحق عز عليه أن يكون مهزوماً، أولئك الأفغانيون الأشداء الأقوياء المعروفون بالتمسك بالدين الإسلامي المعتصمون بالله ثم بالجبال، ولم يعرفوا الخضوع للأجانب ولم يعتادوا عليه.

وفيها ظهر نجم مذب في ليالي شهر رجب من ليلة الاثنين سابع رجب إلى ٨/٧ شعبان ولكنه ضعيف بالنسبة إلى السنين الماضية وتسميه العامة أبو عسيب لأنه يشابه عسيب النخلة، وقد ظهر في عام (١٣٦٧هـ) برؤية ظاهرة جداً وخاف عامة الناس أنه لا يخرج إلا لوقوع حروب وزعازع، ولكن هذا خطأ صريح فما كان عند النجوم خير وإنما النفع والضرر بيد خالقها وقد طمأن الناس في السنة الماضية فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد.

وفيها في ٦/١٥ عظم اهتمام الملك فهد بن عبد العزيز ملك السعودية بالمدينة المنورة ليجعلها عروس المدن الإسلامية ولتكون بلداً حضارياً يسر كل سعودي ومسلم في العالم، وكان يقيم فيها أياماً لتتبع مشاريعها وأمر بتوسعة المسجد النبوي

إضافة إلى سعتة الأولى من الجهة الشمالية والغربية وقامت المعدات تواصل الليل مع النهار في هد البيوت والدكاكين الكائنة في تلك الجهتين بحيث قامت المعدات بحفر أساس القواعد لإقامة الأعمدة والاسطوانات بحيث كان لها رعود شديدة.

وقام أمير المدينة عبد المجيد بن عبد العزيز يلقي خطاباً قال فيه إنني أطلب منكم بعد الله فرداً فرداً أن تعينوني على أداء واجباتي والقيام بمسئولياتي التي هي أمانة في عنقي يسألني الله عنها يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ثم يسألني عنها في هذه الحياة الدنيا إمام المسلمين وخادم الحرمين الشريفين إلى آخر كلامه وعلقت جريدة المدينة تقول: وكيف لا تكون المدينة عروس المدن الإسلامية وقد اختارها الله لتكون مهاجر سيدنا محمد ﷺ وكيف لا تكون عروس المدن الإسلامية وقد أمضى رسول الله ﷺ سني جهاده وكفاحه مع أصحابه المهاجرين والأنصار فيها لنصرة دين الله وتبليغ رسالته المثلى وعاش بها، وكيف لا تكون عروس المدن الإسلامية وقد نصرت رسول الله وآوته وضحت في سبيل نصرته دينه وعاش وأصحابه الغر الميامين بين جبالها وأوديتها وشربوا ماءها وأكلوا ثمارها وكيف لا تكون عروس المدن الإسلامية وهي مهبط الوحي الذي أتى به من عند الله للبشر أجمعين، ضحت بالمال والنفس والولد وبكل ما تملك وأطالت الجريدة بتمجيد المدينة وما لها من المكانة العالية التي اختصها الله بها نعم كان لها فضل عظيم.

وقد اختلف العلماء في مكة والمدينة أيهما أفضل وقد عبر الملك فهد بن عبد العزيز عن حبه للمدينة بأنه لولا أن آباءه وأجداده جعلوا الرياض هي العاصمة لجلس فيها دائماً.

أما عن الرياض فقد قام أمين مدينة الرياض عبد الله بن نعيم بخدمتها وتطويرها وتشبيدها وفتح الطرق وإقامة الجسور فيها لازدحام الشوارع وكثرة حركة السيارات بصفة عامة وغرس الأشجار وإقامة حدائق ومنتزهات فيها وما إلى

ذلك، ولقد نصب للاحتفال بمرور نصف قرن على بلديتها أكثر من خمسة ملايين شمعة كهربائية تضيء سماء الرياض وكان ذلك في ليلة ١٤ من شهر رجب من هذه السنة بحيث أقيم الاحتفال يوم الاثنين المذكور برئاسة نائب أمير الرياض سظام بن عبد العزيز.

وقوع حادث مؤسف

وذلك أنه لما رجع مدرسات بعد الدوام أصبن بحادث مرور في طريق الرس، مما أدى إلى وفاة البعض وإصابة البعض، وذلك في آخر جمادى الأولى من هذه السنة وقد حزنّت الأمة ونشرت التعازي في الجرائد لأهليهن، فلا حول ولا قوة إلا بالله. وفيها وفاة أمير العينة والجيليلة علي بن محمد بن سلطان وذلك في ٦/٩ نسأل الله أن يغفر لأموات المسلمين.

حادثة في بنغلاديش

وذلك أنه في يوم الحادي عشر من شهر رجب من هذه السنة هاجت فرقة من الأفيال عددها اثنا عشر فيلاً قرية فيها فقتلت عائلة عددها خمسة أشخاص من بينهم ثلاثة أطفال بعد أن داستهم بأرجلها ودمرت عدة مزارع وأكواخ ومحاصيل، وحصل فيها إفساد هناك.

مستشفى القصيم التخصصي

الأمل الذي تحقق وجعلت الأمة تقصده وتتردد إليه لما فيه من العناية والخدمة، ويعتبر أعظم مستشفى ظهر في القصيم، وكان يتسع لخمسمائة سرير وأربعة وسبعين سريراً وتكلفته خمسمائة مليون وتسعة وعشرون مليوناً فيه سبع غرف عمليات وثمان غرف أشعة ومختبر وبنك للدم يمكنه تحليل (٣٠٠٠) عينة يومياً والمطبخ مستعد لتقديم (٣٠٠٠) وجبة يومياً ومبنى للعيادات الخارجية يتسع لأربعين سريراً ومجمع سكني فيه ستمائة وإحدى وعشرون وحدة سكنية ومركز خدمات.

وأطالت إحدى الجرائد في تفخيمه وكان موقعه في مدينة بريدة بالصفراء وفيه عناية وخدمة لقاصديه وتطريزه عجيب وقد انتهى العمل منه في هذه السنة.

كما أنه تأسس مستشفى في مدينة عنيزة الكائنة بالقصيم وهذا المستشفى كبير بالنسبة إلى ما قبله تقدر تكاليفه الإجمالية بـ (٢٩٦) مليوناً يقع على أرض مستوية مساحتها مائة وأربعون ألف متر مربع وفيه مسجد يتسع لمائتي مصلٍ وقد امتد العمل فيه هذه السنة.

وفيها في ٢٨ رجب انتهى العمل من مستشفى البكيرية والمذنب وبدأ التشغيل وقد أقيم لذلك احتفالات دعي إليها الأكابر وعلى رأسهم أمير منطقة القصيم سعة كل واحد منهما مائة سرير بتكلفة (٣٠٠) مليون ريال وكانت الأمة قد سعت في جلب مستوصفات أهلية في مدينة بريدة كمستوصف المحميد ومستوصف العضيب وغيرها وقد افتتح أمير منطقة القصيم سمو الأمير عبد الإله بن عبد العزيز المعرض الصحي بصالات ميدان الملك خالد للاحتفالات ببريدة، وكان ذلك الميدان أرضاً واسعة طلبه أهالي مدينة بريدة من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ليكون متسعاً وميداناً للاحتفالات فمنحهم إياه، وقد بنته الحكومة بناية فخمة يتكون من عدة أجنحة ويشارك فيه أكثر من (١١٨) هيئة حكومية، وكان عظيم المكانة حسن الوضع وله مكانة وموقعه قابل وله فضل في استقبال الضيوف وفي الاحتفالات الفخمة.

وفيها في ١٩ شعبان ولدت عنز في مدينة الطائف مولوداً برأسين وثلاث أرجل والله على كل شيء قدير.

وفيها في ١٠ جمادى الآخرة افتتح مكتبة الحرم المكي الشريف، وقد بلغت تكاليفها أربعين مليوناً، وقد ألقى سمو الأمير سعود بن عبد المحسن نائب أمير مكة المكرمة وتلك المنطقة كلمة بالنيابة عن جلالة الملك فهد بن عبد العزيز تضرع فيها إلى الله عز وجل أن ينفع بهذه المكتبة طلاب العلم والمعرفة من أبناء هذه البلاد

وأبناء كافة أقطار المسلمين، وقد أهدى الأمير سعود بن عبد المحسن نائب أمير منطقة مكة المكرمة مكتبة والده أمير المدينة المنورة عبد المحسن بن عبد العزيز لمكتبة الحرم المكي وأعرب نائب الرئيس العام لشئون الحرمين الشيخ عبد الله بن سليمان العبيد عن شكره وتقديره لذلك، وكانت مكتبة الحرم المكي تمتاز بكثرة كتبها القديمة والحديثة.

وقد زرتها مرات في بنائها القديمة قبل الهد لتوسعة الحرم، وزرتها مرات حينما كانت في قصر الوزير عبد الله بن سليمان بن حمدان مؤقثاً وزرتها حينما كانت إلى جانب الحرم من الجهة الجنوبية، فرأيت فيها مصاحف أثرية منها مصحف قد جعل الجزء كاملاً في ورقة ونصف الجزء في صفحة واحدة ورأيت فيها مصحفاً كبير الحجم جداً مكتوباً بجلود وهو ضخماً جداً لذلك.

ولعلها لما وضعت في سكن ممتاز وألقت عصا التسيار يكون لها شأن كبير وبما أن المكاتب قد توفرت في هذه البلاد والحمد لله وجلبت إليها الكتب كمكاتب المعاهد والكلية وأصبحت في مناظر زاهرة وعمائر ممتازة تفوق كتبها العد والإحصاء لتوفر الطباعة وتسهيل نيلها فإن لمكتبة الحرم المكي أوفر حظ ونصيب ورأيت فيها أناساً يجلدون الكتب تجليداً ممتازاً على الطريقة المثلى.

وفي هذه السنة تم مشروع تظليل جميع طرق المشاة لتغطيتها بحماية لحجاج بيت الله من شدة حرارة الشمس، وقد بلغ ما يزيد على خمسين كيلو متر من الطرق المظللة.

وفيهما في ٢٩ جمادى الأولى أمرت الحكومة بصرف خمسمائة مليون وثمانين مليوناً من الريالات لمشروع تصريف مياه المجاري والمستشفيات لأربعين قرية بالإحساء.

وفيهما أيضاً أمرت الحكومة في ٧ جمادى الآخرة بطريق دائري حول الحرم المكي الشريف كلف (١٤٥٩) مليون لنزع الملكيات و(١٥٨) مليوناً للتنفيذ فكانت مساحة الأراضي المنزوعة (٢٨٣, ٤٧٣) متراً مربعاً وذلك بنزع ملكة السوق الصغير وتوسعة شارع إبراهيم بالمسفلة وتوسعة شارع المروة وغيرها.

وفيهما في ٦ شعبان ١٥ إبريل (١٩٨٦م) انتهى المتقنون من إنشاء (٨) متاحف واكتشافات أثرية عثر عليها في المملكة السعودية منها قصر كامل عمره الزمني يزيد على (٢٥٠٠) سنة في مدينة تيماء المشهورة وتشير الأدلة إلى أن جزءاً كبيراً منه قد استخدم كمعبد وثني في الزمن الجاهلي كما اكتشف في منطقة الجوف المعروف قديماً بدومة الجندل على منشآت وتحف أثرية تدل على مكانتها قديماً، وذكر أنه يعود زمن ازدهارها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام مضت واكتشف على تلال ركامية في منطقة جنوب مدينة الظهران في الخليج خاصة بالبحرين حيث يعود زمنها إلى خمسة آلاف سنة تقريباً كما اكتشف على منطقة سكنية في الحجر بلاد ثمود التي تختفي فيها المقابر النبطية المشهورة.

وفيهما في يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة وصل إلى مطار العقيق بالباحة ربيع صادق دحلان فالتقى بمعالي أمير منطقة الباحة إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم، وتم مناقشة تطوير الاتصالات بالباحة بحيث بلغ عدد الهواتف فيها حتى نهاية شهر ربيع الثاني ثمانية آلاف وخمسمائة وستة وستين خطأً (٨٥٦٦) تخدم أكثر من (١٢٠) قرية وكان الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم معظماً هناك.

وفي رحلتي المتقدمة قبل هذه السنة لم يشأ الله أن أجده لغيبته في خارج المملكة للعلاج من مرض الفهاق الذي أصابه ولكننا وجدنا الوكيل إبراهيم بن محمد الزيد، وكان أديباً وذا أخلاق بارزة وسيأتي بقية ذكر للأمير في سنة وفاته.

أما عن طقس مدينة الباحة فشديد البرودة في حر الصيف فقد لا يستطيع الإنسان النوم تحت السماء في الليل أيام شدة حر الصيف لذلك كانت الأمة يتخذونها مصيفاً ولا تزال الأمطار تهطل عليها في فصل الصيف والقيظ.

حادثة غريبة

قدم عليّ أعرابيان من قبيلة حرب قد علاهما المشيب فتكلم أحدهما قائلاً فقد ابني وهذا عمه منذ اثني عشرة سنة كان مراهقاً يرعى الغنم فسعينا في طلبه بكل

طريقة ثم أتينا بصاحب القافة المري فوجد أثره قد وقف على رأس كثيب من الرمل وانقطع أثره، فلما كان في هذه السنة بعد مضي اثنتي عشرة سنة كان يأتي ويتبدى للصبيان يكلمهم ويكلمونه، فكنا نذهب ونسمع كلامه ولا نراه فطلبنا منه أن يأتي إلينا، قال فكان يجلس خلف بيت الشعر ويكلمنا ولا نراه ويمد يده لتناول كوب الشاي فسألناه عن حالته فأخبرنا أنه في هذه المدة قد تزوج من الجن بامرأة اسمها شمعة فاقترحنا أن نمسك بذراعه ونجده إلينا فلما جاء ذات يوم فعلنا ما عقدنا عزمنا عليه فجاءتنا حجارة رمينا بها وكادت أن تمزق البيت لولا أن تركناه وكانوا في حيرة من أمره.

ثم دخلت سنة (١٤٠٧هـ)

في هذه السنة هطلت أمطار غزيرة في ٧/٣ على القصيم واستمر هطول الأمطار من ليلة الثلاثاء ٧/٣ إلى تمام ست وثلاثين ساعة من دون رعود ولا بروق بحيث تعطلت المسيرة في طرق مدينة بريدة وانسدت الشوارع من المياه وسقطت بيوت وجرى وادي الرمة شيئاً عظيماً.

واشتد البرد في روسيا من ١٣ جمادى الأولى الموافق ليوم الثلاثاء بحيث بلغت درجة الحرارة ستين تحت الصفر في روسيا، وهذا شيء نادر الوقوع وهلك أناس فيها وارتفع الثلج فوق سطح الأرض هناك تسعة أمتار وأصيبت أوروبا كذلك ببرد شديد، أما عن نجد ولا سيما القصيم فالجو معتدل البرودة.

وفيها في ١٠/٥ قتل رئيس الوزارة اللبنانية رشيد كرامي بأن جعل في مقعده بالطائرة قبلة قتلته وقد أسف لذلك الحادث ملوك العرب ورؤساؤها.

وفاة وزير التعليم العالي

ففي آخر يوم السبت ٥/١٧ من هذه السنة وفاة الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن رحمه الله وهذه ترجمته: هو الشيخ حسن بن عبد الله، الشيخ الفاضل رئيس

القضاة في المملكة العربية السعودية بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن شيخ الإسلام وعلم الأعلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله أجمعين، ولد بالمدينة المنورة سنة (١٣٥٢هـ) وتلقى دراسته الابتدائية بمكة المكرمة حيث وجود والده فيها، ثم التحق بكلية الشريعة بمكة المكرمة وتخرج منها عام (١٣٧٣هـ) وتلقى العلم عن والده الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ولازمه وأخذ عنه فتعين عضواً في رئاسة القضاء بالمنطقة الغربية ثم أن الملك فيصل اختاره لأن يكون وزير المعارف في سنة (١٣٨١هـ) فلبث في هذه الوظيفة أربعة عشر عاماً.

ثم جعله الملك خالد وزيراً للتعليم العالي، فلبث في هذا المنصب حتى توفاه الله تعالى، وكان إضافة إلى عمله هو المشرف العام على المجلة العربية ورئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورئيس مجلس إدارة دار الملك عبد العزيز ونائب الرئيس الأعلى للجامعات.

قالت المجلة العربية كان في يوم السبت ١٧ / ٥ / ١٤٠٧ هـ الذي انتقل فيه إلى رحمة ربه أكثر ما يكون صحة ونشاطاً وقوة وعملاً، فقد استمر مداوماً في مكتبه حتى الساعة الثالثة بعد الظهر وبعد أن أدى صلاة العصر تناول غداءً خفيفاً ثم كان بجانبه حقيقتان تمثلتان معاملات وأوراقاً خاصة وبدأ ينظر ويوقع على ما تحمله الحقيبة الأولى وعندما انتهى منها حل موعد صلاة المغرب فقام وتوضأ ثم أدى الصلاة مع الجماعة وبعد أن انتهى من الصلاة جلس يدعو ربه ثم طلب كأساً من الماء ولما هم بشربه إذا هو يسقط من يده مسلماً روحه إلى بارئها.

ثم أقيمت عليه الصلاة في الجامع الكبير بالرياض وأمّ المصلين سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وصلى عليه جمع كثير يتقدمهم سلطان بن عبد العزيز وعدد كثير من أصحاب السمو الأمراء وأصحاب الفضيلة العلماء والوزراء وجم غفير من المواطنين وجعل الناس في المسجد يعزي بعضهم بعضاً وبالغ بعض محبيه بقولهم وداعاً يا أغلى الرجال، ومنهم من يقول إنه لمصاب جليل ووفاته خسارة للعلم والفكر وبعضهم يقول فقدنا مثال النزاهة والإخلاص.

ومن الغرائب أن رجلاً من أئمة جوامع الإحساء وهو محمد بن عبد الله المبارك بعث إلى المترجم يخبره برؤيا رآها حسنة قال إني كنت بعد صلاة الفجر نائماً يوم الجمعة ١٨ ربيع الثاني (١٤٠٧هـ) فرأيتك تخطب واقفاً مرتدياً جبة من الصوف شتوية ويبدك ورقة بيضاء تشدها بيديك وموضوع الخطبة توجيه ديني ضمنتها آيات من القرآن الحكيم وحديثاً طويلاً كنت وأنا نائم أحاول حفظه حيث لم يطرق مسمعي من قبل ثم أنك جلست وأنت على مسند وكان إلى يساري شخص لا أعرفه وقال لي بالحرف الواحد وهو يشير إليك هذا الرجل يحب الله ورسوله ثم قال معالي الوالد أن الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى من المبشرات حيث يقول ﷺ: «ذهبت النبوة فلا نبوة بعدي إلا المبشرات الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له» حديث صحيح رواه الطبراني وأنت بحول الله أهل لكل خير إلى آخره.

وهذه الرؤيا قبل وفاة المترجم بأيام قليلة فرد عليه بقوله فضيلة الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل مبارك سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: تلقيت بالتقدير رسالتكم الأخوية الكريمة التي تضمنت بشارتكم بالرؤيا التي رأيتموها ولقد سررت لما ذكرتم وتوجهت إلى الله أن يجزيكم الجزاء على إدخال السرور على قلبي وأرجو الله أن يتجاوز عنا ويجعلنا جميعاً من أوليائه وأن يشيكم على ما أدخلتم من السرور إلى قلب أخ يحبكم في الله حفظكم الله وأدام لكم التوفيق، أخوكم المحب لكم في الله حسن بن عبد الله آل الشيخ.

ومن الغرائب أنه لم يلبث بعد هذه الرؤيا سوى شهر حتى توفاه الله وكان في وقت وفاته لم يكن أحد من أبنائه حاضراً فما أن علموا حتى قدم الأكبر هشام من فرنسا وعبد الرحمن من لندن وعبد الله من أمريكا وأسامة من المنطقة الشرقية لأنهم كانوا خمسة محمد خامسهم وقد استقبلهم إمام المسلمين فهد بن عبد العزيز وعزاهم بوالدهم وقال لهم إنكم لستم أنتم الذين فقدتموه بل أنا أيضاً فقدته وواساهم بقوله اعتبروا أن أباكم لم يغب فأنا والدكم.

أما عن صليتي بالمرجم فأني رأيت يدرس في كلية الشريعة بمكة عام (١٣٧٢هـ) حينما كنت جالساً في مكة المكرمة حسب طلب من الحكومة لي بأن أذهب إلى قضاء تيماء وأهدي إلي الرحلة الملكية التي رواها يوسف ياسين وطلب مني بصفتي مؤرخاً أن أنظر فيها فبعثت إليه ببعض الملاحظات ومنها ما أثبت فيها من أن الأمير مشاري بن سعود بن جلوي أمير بريدة توفي عام (١٣٤٦هـ) فأشرت إلى أن مجيئه لإمارة بريدة في هذه السنة أما وفاته ففي عام (١٣٤٨هـ) فشكرني بكتاب بعثه إلي وذلك في عام (١٣٩٠هـ).

وفيها قامت أمانة العاصمة المقدسة في مكة المكرمة بما كانت تفكر فيه قبل ذلك من غرس أشجار في عرفات لتلطف درجة الحرارة على حجاج بيت الله الحرام فتقرر غرس سبع عشرة ألف شجرة (١٧٠٠٠) في عرفات وقام العمال بغرسها في أواخر السنة الماضية، وفي هذه السنة بحيث تصبح عرفات غابة خضراء يستظل بها حجاج بيت الله الحرام في الوقوف بعرفة وكان وضعها حسناً تقوم الشجرة على ساقها مرتفعة بأغصانها بأن لم تحدث ضيقاً وانتفع بظلالها.

إنشاء جسر يربط البحرين بالمملكة

ففي هذه السنة فرغ العمال من عمل الجسر، وسمي جسر الملك فهد، وفي ٢٧ ربيع الأول عبرت عليه ١٩٩٧ سيارة بين ذهاب وإياب بحيث بلغ عدد الذين عبروا في هذا الجسر يوم ٣/٢٧ (٦٢٥٩) وبلغ عدد السيارات القادمة من المملكة إلى البحرين (١١١٧) سيارة وثمانين حافلات.

وفيها في تلك الأيام الخمسة ابتداءً من اليوم المذكور من الشهر المذكور سقط أكثر من (١٣٠٠) قتيل وجريح في حرب المخيمات في لبنان وتحاول (أمل) إحراق نخيم (شاتيلا) بالبنزين، وهذه الحرب القائمة بين الأهالي في لبنان عجز عن تسكينها الجن والإنس وتهدمت منها البنيان وهلكت النفوس ولا تزال ضراوتها مشتعلة.

وفيهما في ٢٧ ربيع الأول صدرت أحكام بإعدام أحد المعتدين على حاكم الكويت سابقاً لاغتياله وسجن أحدهم سجيناً مؤبداً وبراءة ثلاثة متهمين آخرين.

وفيهما شنت إيران هجوماً على الجهة الجنوبية العراقية ولكن القوات العراقية تصدت لذلك الهجوم وأبادت الجزء الأساسي وتمكنت من إبادة القوات الإيرانية المهاجمة وحولت جثث القتلى الإيرانيين إلى مأساة تغطت مياه شط العرب منها، ولهذا وأمثاله عقد اتفاق بين الدول الخمس عشرة الأعضاء حول النزاع العراقي الإيراني.

مشروع قرار مجلس الأمن

قرر مجلس الأمن القرارات الآتية منها يطالب إيران والعراق بوقف إطلاق النار فوراً وتوقف كل المعارك الجوية والبرية والبحرية وتسحب كل القوات فوراً إلى الحدود الدولية المعترف بها.

ومنها يناشد السكرتير العام للأمم المتحدة مواصلة الجهود التي يبذلها لمساعدة الطرفين على تنفيذ القرار، ومنها يطالب الطرفان بالمبادرة بإحالة كل أوجه النزاع إلى الوساطة أو أي وسيلة أخرى للتحلي بضبط النفس وبالامتناع عن أي عمل يفضي إلى تصعيد النزاع واتساع نطاقه وغير ذلك مما يقضي على تلك الحرب الظروس.

ولما أن صدر القرار ظهرت إيران بمظهر المعاند فقد اطلقت صاروخاً في ١٤ ربيع الأول على مدينة بغداد أصاب منزلاً وبنية لسكن الطلبة وتسبب في مقتل وإصابة ثلاثة وستين مدنياً فردت العراق بسلسلة من الغارات على إيران استهدفت منشآت بترولية وعسكرية وقامت الطائرات العراقية فدمرت منصة نفطية بحرية في وسط الخليج كان عليها عدد كبير من العمال مما أسفر عن وقوع إصابات وخسائر في إيران وأدى إلى اشتعال النيران في المياه المحيطة بالمنصة وقام المتقذون بإنقاذ (٢٥٠) إيرانياً تورطوا في هذه الهجمات العراقية الصاروخية، ولما كانت بهذه

المثابة ولم تخضع لقرار مجلس أمن ولا لغيره جرى عليها بعد ذلك بسنة ما أرغمها على الخضوع وهي صاغرة.

وفيهما في هذا الشهر ولد مولود بشمال الفلّين برأسين وثلاث سيقان ولكنه هلك والله على كل شيء قدير.

هذا وقد تأزمت الأحوال في بيروت من جراء الحرب والضرب حتى كان الماء أغلى من البنزين وذلك لضيق الأحوال وشدة الحصار.

وفيهما في ٢٢ ربيع الأول انهار منزل في مصر مكون من خمسة طوابق يقع في مدينة دمنهور في الشمال الغربي من القاهرة هلك بسببه ثلاثة عشر شخصاً وجرح اثنان لا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيهما وفاة عبد الله بن عبد العزيز بن تركي بن عبد الله آل سعود عن عمر يناهز الثمانين وذلك في ١٥/٤/١٤٠٧هـ.

وفيهما أصيب في ٢٥ محرم سبعون معتقلاً فلسطينياً بسجون العدو الصهيوني بالتسمم بطعام قدمته إدارة سجون العدو لأولئك الضعفاء المعتقلين، وهذا قد لا يستبعد أن يكون السم قد وضع عمداً في طعامهم لأن العدو لم يدع وسيلة من التقتيل والتجريح والإهانة إلا وقد فعلها نحوهم.

فتارة يوقفون بالشمس الحارقة على قدم واحدة وتارة تهدم منازلهم وتارة تطلق عليهم الأعيرة النارية وتارة يشردون وينفون عن مساكنهم ومواطنهم التي عاشوا فيها.

هذا وهم عزل من السلاح يدافعون عن أنفسهم بأيديهم هذا وهم يدافعون النار والحديد بغير سكين ولا ساطور ولا سيف ولا بندق.

ولما كان في ٢٤ محرم المتقدم قامت قوات الاحتلال بهدم سبعة منازل فلسطينية في قضاء اللد وتشريد أصحابها للاستيلاء على أراضيهم والتخلص منهم بذرائع واهية.

وفيها في ٢٩ محرم حصلت محاولة اغتيال فاشلة لاغتيال رئيس الوزارة الهندية راجيف غاندي وذلك أن مسلحاً كان يرتدي زياً عسكرياً أطلق النار عليه بعد انتهائه من أداء المراسيم الدينية، وكان فيما يبدو يكمن وراء مجموعة من الأشجار حيث أطلق خمس رصاصات باتجاه غاندي بينما كان يهم بمغادرة المكان إلا أنه لم يصب بأذى وسلم وقد ألقى القبض على الجاني وتأكد أن مجموعة كانوا قد اشتركوا في الحادث وفر بعضهم.

وفيها في ٢١ من ربيع الأول وضع أمير المدينة المنورة عبد المجيد بن عبد العزيز حجر الأساس لعمارة وتوسعة ميقات ذي الحليفة الذي وقته رسول الله ﷺ لأهل المدينة وما يليها كما قامت الحكومة بتوسعة المسجد الذي يضمه الميقات، وذلك القيام بهذه التوسعة من الأمير عبد المجيد بوضعه الأساس نيابة عن جلالة الملك فهد بن عبد العزيز.

وفي هذه السنة تعلن إيران أنها غير مستعدة لوقف إطلاق النار أو توقيع أي اتفاق مع العراق بل تظاهرت في موقف العناد وذلك بالرغم من حرص الأمم على انتهاء الحرب بينها وبين العراق.

وفيها في عصر يوم الأحد ٢١/٣ فوجئ العاملون بمطار الإحساء بهبوط طائرة صغيرة الحجم تعتبر أصغر طائرة في العالم تشابه إلى حد كبير لعبة من ألعاب الأطفال وكانت تحمل خلفها قصصاً عديدة بدأ من صنعها وانتهائها بمحركاتها الصغيرة جداً وقد سببت لصانعها المغامر العديد من المواقف بحيث أنه منذ استقلالها وهي تحلق في الجو خلال العامين الماضيين تلبية لرغبة الطيار بالدوران حول العالم وألقيت معه محاضرات في رحلته تلك ومنها هل واجهت مشاكل أو مصاعب أثناء الرحلة فأجاب لقد رأيت الموت أكثر من مرة في كلام طويل أثبتته جريدة الجزيرة في عددها ١٧٦/٣٠ تشرين نوفمبر (١٩٨٦م) وكانت هذه الطائرة قد أقلعت من مطار باريس يوم ٢٩ سبتمبر عام (١٩٨٤م) أي منذ أكثر من عامين وقسم صاحبها

الرحلة إلى عدة مراحل المرحلة الأولى بدأت من باريس إلى إسبانيا ثم المغرب، السنغال، موريتانيا، المغرب، المرحلة الثانية في أمريكا الجنوبية بدأت من البرازيل وهكذا وذكر أنه احتجز في بورما وبنغلاديش إلى آخره وهي عجيبة من العجائب وغريبة من الغرائب في ذلك الوقت.

مناطق المملكة تحتفل بأسبوع المساجد ونظافتها وخدمتها

ففي يوم السبت ٢٧/٣ بدأ الحفل ففي الرياض بدأ الاحتفال بآيات من القرآن الحكيم ثم ألقى مدير عام الأوقاف والمساجد بمنطقة الرياض كلمته بحضور الرؤساء والكبراء، وفي حائل قام صاحب السمو الملكي مقرن بن عبد العزيز وحضر الحفل إبراهيم العريفي مدير عام أوقاف حائل ومساجده ومدير فرع الدعوة والإرشاد هناك والأعيان والكبراء وقام سمو الأمير يرافقه مدير شرطة المنطقة ومدير إدارة المرور وعدد آخر من المسؤولين بعملية تنظيف المسجد الجامع الكبير وقد شارك في هذا العمل الشريف جمع من المواطنين وطلبة المدارس ومنسوبي الهيئات والأندية الرياضية وفي القريات شارك طلبة المعهد العلمي وطلبة مدارس المنطقة وفي الطائف رعى أمير الطائف فهد بن عبد العزيز بن معمر ومدير التعليم هناك وجم غفير من الكبراء وفي الخرج قام مكتب الأوقاف والمساجد ومستشفى الملك خالد وغيرهم.

وفي بريدة أقيم الحفل بالجامع الكبير برئاسة نائب الأمير وحضر مدير إدارة الأوقاف والمساجد ورؤساء الدوائر الحكومية وأعيان المنطقة وجزء كبير من طلاب المدارس وافتتح الحفل بآيات من الذكر الحكيم وقال الملقى لكلمة إدارة الأوقاف أن منطقة القصيم يوجد فيها (٢٢٨٨) جامعاً ومسجداً.

وفي ظهران الجنوب افتتح أمير المنطقة سعود نعيم المطلق الحفل أمام المسجد الجامع الكبير بالسوق التجاري وحضر الاحتفال وكيل الإمارة بالنيابة ومديرو المدارس بمختلف مراحلها ورئيس البلدية ورئيس الشرطة وفي حوطة بني تميم دعى

أمير المنطقة نايف بن سجدي الهیضل في جامعمهم الكبير رؤساء المصالح الحكومية المشاركة والمتمثلة في فرع وزارة الحج والأوقاف وإدارة التعليم وبلدية الحوطة وبلدية الحريق والحلوة والمعهد العلمي وغيرهم وفي نهاية الحفل قام الحاضرون يتقدمهم أمير المنطقة بتنظيف المسجد الجامع، وفي عرعر أناب صاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد محسن إبراهيم الصغير لافتتاح أسبوع المساجد العاشر وحضر لذلك وزارات الأعلام والشئون البلدية والقروية والمعارف وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وفي عنيزة رعى أمير عنيزة محمد الحمد السليم ومدير أوقاف عنيزة ورئيس البلدية ومسؤولو إدارة التعليم حيث شارك الجميع في نظافة المساجد.

وفي شقراء قام الأمير بمنطقة الوشم سليمان محمد الهلال بمشاركة رؤساء الدوائر الحكومية وطلبة المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية وفي مكة المكرمة قام مدير عام الأوقاف بالمنطقة وأوضح أنه وضع كافة الترتيبات الخاصة بذلك، وفي تبوك قام مدير عام الأوقاف هناك بحضور قائد المنطقة الشمالية الغربية عبد العزيز آل الشيخ ورؤساء الدوائر ونائب رئيس المحاكم.

وفي المدينة المنورة قام صاحب السمو الملكي عبد المجيد بن عبد العزيز بما يلزم من التوجيهات، كما أن في أبها قام صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير ودعى بمدير الأوقاف هناك والرؤساء لهذا الحفل وقام أمير وادي الدواسر محمد سعد الماضي ودعى في موضع الحفل في جامع آل تميم وفي السليل دعى أمير السليل محمد بن عمر التشعيل بحضور رؤساء الدوائر وأئمة المساجد كما أنه دُعى أمير مرات وأمير حريملاء وأحضر لذلك مدراء الأوقاف وشاركت المدارس ورؤساء الدوائر هناك وفي الرس بالقصيم دعى وكيل إمارة الرس محمد العساف بحضور مسئولى الدوائر الحكومية وجمع من المواطنين كما أن أمير البكيرية ومدير أوقافها ومساجدها والرؤساء فيها فأمر بما يجب.

وقام جميع الأمراء والرؤساء بعملية تنظيف المساجد ليقتردي بهم الباقون وفي هذا دليل على عظم اعتناء المسلمين بمساجدهم وتطهيرها وتنظيفها ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١) وجاءت الشريعة بالأمر بتنظيف المساجد وتطهيرها وعمارتها نسأل الله تعالى أن يديم رفعتها وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعزّ فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا به.

هجوم الإيرانيين على حجاج بيت الله سنة (١٤٠٧هـ)

لما كان في يوم الجمعة ١٢/٦ بعد صلاة الجمعة قام الحجاج الإيرانيون يحملون لافتات بأيديهم ضد السعودية فيها رسوم آية الله الخميني وأمعنوا الضرب بالحجاج بسكاكين يحملونها ومقاريض وما استطاعوا التسلح به كسواطير ونحوها اشتروها بحجة أنها للحوم الهدى لكنهم استعملوها لغير ذلك واصطدموا مع المسلمين في معركة عظيمة حوالى المسجد الحرام حتى سقط من حجاج بيت الله تسعمائة ما بين قتل وجريح.

وأشعلوا النيران بسيارات المرور وسيارات النجديات والدبابات البخارية السعودية وقتلوا ثمانين جندياً سعودياً.

وكانوا في العام الماضي أتوا بقنابل على خفية ومتفجرات ناسفة من الديناميت غير أن الله سبحانه وتعالى كفى المسلمين شرهم بحيث انتبعت الحكومة لما يبيتونه من الأذى والكيد للمسلمين وقبضت تلك العبوات الناسفة وحرصت في العام الماضي على أن لا يعلم المسلمون بما يبيتونه من الغدر فلما أن تكرر منهم ذلك باحت الحكومة السعودية أمام العالم الإسلامي بأعمالهم الشنيعة وما ارتكبوه من

(١) سورة التوبة، آية ١٨.

الكيد للإسلام من أنهم يريدون هدم الكعبة المشرفة ونسف الجسور المقامة في منى وغيرها.

وفي يوم الخميس في وقت صلاة العصر الموافق ١٣/١٢ من هذه السنة دخلوا الحرم الشريف وأجمعوا أمرهم على فتح باب الكعبة بالقوة فقامت القوات السعودية عليهم بالغازات المسيلة للدموع فلم يكفوا وحرصت الحكومة السعودية على أن يدفعوا أذاهم بدون إطلاق النار احتراماً للمشاعر المقدسة وإبقاءً عليهم.

ولكن الأشقياء بقروا بطوناً وشقوا صدوراً وأفسدوا في تلك المنطقة المطهرة ولولا ما استعملته الحكومة من قمعهم ومقابلة الشر بالشر لكان الأمر أدهى وأكبر^(١).

وقد انتهبوا ما حصلوا عليه من الأموال التي في دكاكين أهالي مكة مما يلي المسجد الحرام وجرت منهم واقعة أشبه بأعمال القرامطة السابقة في عام (٣١٧هـ) وكانت الحكومة تراقب حركاتهم في السنين قبل هذه ووقع ما كان يتوقع منهم نسأل الله العافية.

وكانوا في عام (١٣٦٢هـ) قد جرى منهم أذى لحجاج بيت الله بإلقاء النجاسات أمام الطائفين بالبيت الشريف، وذلك العذرة بالحجر الأسود قبحهم الله وقد قتلوا السفير السعودي لديهم فاضطرت الحكومة إلى قطع العلاقات مع حكومة إيران لهذه المخزيات التي ارتكبوها وانتهت المسألة بلطف من الله بحجاج بيته بحيث لولا لطف الله لكان الأمر شنيعاً، وخاف زوار بيت الله وزوار مسجد رسوله في المدينة المنورة بحيث لم يقتصروا على الأذى في مكة المكرمة بل تأذت المدينة المنورة منهم وباؤوا بغضب من الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ

(١) لما تأزمت الأمور مضى ولي العهد عبد الله بن عبد العزيز فأمر بإطلاق رشاش على الفئة الباغية فيسقط منهم ٤٥ مجرمًا وولى بقيتهم الأدبار فحصل بذلك منعهم .

يَا الْحَكَامِ يُظْلِمُ نُذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴿١﴾ وقال ﷺ: «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل من صرف ولا عدل» رواه الطبراني بإسناد جيد.

وفي آخر اليوم ١٩ من صفر الخير هبت رياح غربية فأتارت غبرة شديدة واستمرت الرياح وبعد سكونها في منتصف الليل أعقبت غبرة وقرة شديدة جداً استمرت في اليوم العشرين وليلة إحدى وعشرين ولم تتجل إلا بعد مضي ٥٢ ساعة من الزمن أي في الساعة الواحدة غروبي من ليلة ٢٢/٢ وهذا شيء لم يعهد مثله منذ عشر سنين.

ولما أن كان في آخر برج السرطان وأول برج الأسد حصلت موجة حر شديدة جداً هلك بسببها أناس في اليونان واليابان وتأثرت الأمة منها واشتدت حرارة الطقس في نجد والحجاز وغيرها وقيل أنه ذاب الإسفلت في بعض المسالك منها.

هذا ولا تزال المعدات والمخاريق وآلة النسف في الدركتورات والشيولات وغيرها تعمل بمجد ونشاط لتوسعة المسجد النبوي فهدمت دكاكين وبيوت في الجهة الشرقية والشمالية والغربية.

وكنت قد وقفت في اليوم ٢٧ من شهر جمادى الأولى و٢٨/٥ الموافق للثلاثاء والأربعاء لما زرت المدينة المنورة حينما رجعت من العمرة في الطريق إلى القصيم في هذه السنة فرأيت آثار الخشب وعسبان النخل والسعف والخصوص القديمة والأعمال ماشية في طريقها ومن أعجب ما رأيت أن القواعد للأعمدة تحرق بمخاريق جعلت لذلك حتى تصل إلى قعر بعيد من الطبقة الأرضية وكان لتلك المعدات والأهوال لجة عظيمة قد واصلت الليل مع النهار ولها رجفة شديدة وصريخ مهيل.

(١) سورة الحج، آية ٢٥.

وكانت حيطان تلك البيوت والمساكن مقامة من اللبن والطين ونجد العمران القديم في المدينة المنورة وقد تفكك وكان مأوى للعقارب والحشرات بحيث سكنا بيتاً حوالى الحرم فكانت جماعة العقارب الضخمة موجودة بكثرة هناك ولما أن رششنا البيت ببعض المبيدات خرجت إلى السقوف بمراى مخيف غير أن الله سبحانه وتعالى قد وقانا شرها وتلك المساكن القديمة منخفضة عن مستوى الشوارع بقدر يتراوح من متر إلى ثلثي متر وثلاثة أرباع المتر سوى ما كان من المساجد الأثرية القديمة والقلاع الموجودة بعد تركيا فإنها مقامة من الحجر ومادة تمسك الحجارة.

نهضة علمية في المملكة السعودية

لما كان في عام (١٣٥٥هـ) فكرت الحكومة في إقامة مدارس حكومية لتعليم النشء على الطريقة الحديثة، وكان التعليم فيما مضى إنما يكون ابتداءً في مدارس أهلية ثم ينتقل الطالب إلى الدراسة على العلماء في حلقات الذكر العامة في المساجد.

وكان للرياض أكبر حظ من هذا التعليم لأنها تزخر بكبار العلماء الذين بذلوا نفوسهم في سبيل التعليم كالشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف والشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود وعبد الله بن راشد بن جلعود والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ حمد بن فارس والشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ سليمان بن حمدان والشيخ ابن سالم وفي القصيم آل سليم والشيخ عبد العزيز العبادي والشيخ عبد الله بن فداء والشيخ صالح العثمان القاضي والشيخ عبد الرحمن بن سعدي والشيخ سليمان المشعلي وغيرهم مثل الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد والشيخ محمد بن صالح المطوع ومحمد بن مقبل والشيخ عبد الله بن محمد بن دخيل.

ولما أن فتحت المدارس الحكومية في السنة المذكورة ضعف التدريس في المساجد

وكانت المدارس في أوائل الأمر لم تجد تشجيعاً ولكنها استطاعت أخيراً أن تشق الطريق أمام الطلاب ويكون لها سيرها العميم ولا سيما لما جلب إليها المدرسون الأكفاء الذين نالوا ثقة الأمة بالتعليم منهم وأقبلت الأمة على إدخال النشء فيها بجد ونشاط وجعلت مراحل الدراسة تسير فيها قدماً فست سنين للابتدائي ثم بعده المتوسطات والمعاهد ثم بعدها الثانويات ثم الجامعات.

ولما أن كان بعض الآباء لم يحصل على الدراسة سابقاً أسست الحكومة مدارس ليلية لمحو الأمية فقاموا يتسابقون إليها ولا سيما لما حصل الطلاب على الشهادات في الابتدائية والمتوسطة والكفاءة ونالوا مرتبات لدى الحكومة مما شجع الأمة على التسابق في طلب العلم وأقيم في كل مدينة وقرية وهجرة مدارس للبنين.

ولما أن كان البنون بهذه المثابة طلبت الأمة المفكرة مدارس للبنات ولبت الحكومة طلبهم ورأت تشجيع الفتاة السعودية على الدراسة وكان هناك معارحون لم يعرفوا المصلحة إلا بعد ذلك، فأسست مدارس البنات تحت إشراف رئيس القضاة فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم وذلك في عام (١٣٧٩هـ) وجعلن يتسابقن في آخر الأمر إلى التسجيل فيها وبما أن المرأة مطلوب منها ملازمة البيت وصيانتها والاحتفاظ بكرامتها فقد بذلت الحكومة جهوداً في حفظ المنشء وصيانتهم في خروجهم ورجوعهم بحملهن بسيارات الأوتوبيسات الخاصة لنقلهن وحصل المقصود بأن لا يجري اختلاط ولا رؤية لأحد إليهن كائنات من كان.

بل كانت الفتاة في صيانة وحفظ داخل المدرسة وخارجها ولما رأى أولياء الأمور العناية والصيانة اطمأنوا كثيراً إلى ما قامت به الحكومة أيدها الله تعالى وحصل إقبال على الدراسة وذلك لمعنيين:

أولاً: كون الشاب يميل إلى زوجة متعلمة فحصل بذلك ما كانوا يسعون لطلبه.
وثانياً: كون المتدينين للتدريس في السعودية من الرجال إذا جاء بعائلته يحصل البنون على التعليم وتقر أعينهم بما يجدونه من العناية، أما البنات فلا يجدن تدریساً فاضطرت الحكومة لذلك بتأسيس مدارس للبنات لأن المصلحة تقتضي ذلك.

ومن جهة ثالثة: فقد كان لدى الفتاة السعودية مؤهلات تخولها لأن تكون مدرسة وطبيبة وعارفة بالخياطة وما تتطلبه الحياة فحصل ما كانت الأمة تحلم به وانتشرت الثقافة الإسلامية في النظافة ومعرفة الحقوق الزوجية وما يلزم الزوجة نحو زوجها وما ينشأ العلم في أمة إلا وسادت وأفلحت وما ظهر الجهل في أمة إلا وذهب مجدها وتفرق أمرها.

ولقد كانت المعلمات السعوديات والفتيات المتعلّقات يتمشين على الطريقة المثلى والحمد لله وينكرن السفور ويحاربن الخلاعة ومنهن الأديبات التي قد لا يوجد مثلهن، وذلك بالحفاظ على الدين والتمسك بالأخلاق الفاضلة وجزى الله القائمين في توطيد الشريعة الإسلامية خير الجزاء، ولا ريب أن التأداب بأداب الشريعة المحمدية هو أساس الخير وحسن التربية والتوجيهات لها أثر عظيم.

وها قد سدت الوظائف بالقضاة والمفتين والمصنّفين والصحفيين والأدباء وعلماء الطب والهندسة والمدرسين مما كان له أعظم الأثر وآتت تلك الأشجار أكلها وأخرج ذلك الزرع شطأه وتمتعت الأمة بحياة عجيبة غريبة.

وفي هذه السنة نجد بعض الشباب قد حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وتعلموا تجويد القراءة وأمسوا يؤمنون المسلمين في صلاة التراويح في رمضان بحسن ترتيل وإذا نوقش الطالب في تفسير كلمات القرآن ومقاصده فإنه يأتي بالفائدة وبالعجب العجائب.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذه النهضة نهضة علمية غير علمانية وأن يثبت الإيمان في قلوبهم ويؤيدهم بروح منه إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وأصبح بث الإذاعة بنور على الدرب له الأثر المطلوب لهداية الخلق في مشارق الأرض ومغاربها بحيث تهدي إليهم الأحكام الشرعية وتجلب في بيوتهم وهم جالسون وترشدتهم إلى سواء السبيل، ولقد كان بالإمكان أن تقول أن نشر العلم وإرشاد الأمة قد وصل إلى درجة لم تحصل للأولين والآخرين إلى زمننا هذا والله تمام المنة والفضل.

ولكننا نشير إلى مشكلة قد يقع فيها كثير من الشباب وهي الغلو والجفاء أو الإفراط أو التفريط وقد نبه على هذه المشكلة شمس الدين ابن القيم رحمه الله وأن هذه المشكلة لا ينجي منها إلا العلم الراسخ الذي يوضح كيد الشيطان وما ينبغي للمؤمن أن يتسلح به من غارات الشيطان ومكائده، وكنت أظن أن اللبيب تكفيه الإشارة فيما لو حنا إليه وحذرنا منه.

نَعَمَ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرَةً

لقد مرّ على المسلمين أوقات طويلة كانوا لا تراق دماء الذبائح في بيوتهم إلا في عيد الأضحى وأيام التشريق، فكانت الأمهات تعد أطفالها بالتوسع في أكل اللحوم بعيد الأضحى وقد لا يذبح في المدينة الكبرى للبيع والشراء من الجزارين سوى سبعة رؤوس من الضأن يومياً وجمالاً واحداً.

ومن القرى من تَمُر الأيام ولا يوجد في أسواقها لحم وإذا اشترى ربّ العائلة إداماً من اللحم فإنه يحرص على أن لا يطلع عليه الناس خشية من عين الحسود فقد يأخذ القدر القليل من اللحم ثم يدخل يده في كفه فيجعله من بين الثوب والجسم، كل ذلك إخفاء عن الآخرين.

وأذكر أنني لما رجعت من الحج عام (١٣٦١هـ) وكنت في صحبة العميان مطاوعة البيت المالك الذين حملوا أثاثي بسياراتهم وطلبوا مني الصحبة كان يقدم لنا الطباخون طعام الغداء والعشاء من الأرز الذي إدامه من الدهن وحينما وصلت السيارات في اليوم الثالث ظهراً إلى بلد الداودي إذا بالأمر ينزل من الرياض استفساراً عن تأخيرها، فيبادر المسلمون إلى مواصلة السير ونزل الذين تعلقوا بها كرفقة وكانوا واحداً وثلاثين شخصاً قد تعلقوا بتلك السيارات التي بلغ عددها ثلاثاً وثلاثين سيارة قاصدة إلى الرياض.

وبما أن الداودي في مسامته القصيم جنوباً فإنهم نزلوا فيه وبما أنه لا يوجد إذ ذاك سيارات بالأجار إلى القصيم فإن الأمة بادروا بعد تناول طعام العشاء ليلاً لدى

أحد الرفقة إلى امتطاء الإبل الهزيلة التي كانت تسير تارة وتبرك أخرى لضعفها، فكانت المسافة ما بين الدوادمي إلى بريدة سبعة أيام بلياليها جعلت الأمة تبحث عن وجود اللحم في القرى.

ف قيل لنا أن عمشاً وعميشاً والمعريض وقرى تمرن بها ضعيفة لا يوجد فيها اللحم، ولكن أمامكم المربع لهجرة هناك فإنهم كانوا ينحرون في كل أسبوع جملاً لجلبه على المارة والسكان.

ولما أن وصلنا إلى المربع وجدنا الأمة قد أحاطوا بالجزار وبلحم الجمل للشراء وكانت الكلاب من خلفهم لعله يحصل لها عظم أو عصب فلاذى الكلاب وشدة سورتها لم تتمكن من الدنو إلى اللحم وسرنا بلا شيء.

وفي هذه الأزمان كانت القطط والكلاب لا تأكل الطعام ولا العصب ولا الشحم إنما تريد اللحم الخالص وأصبح المتوسطون لا يأكلون طعام الغداء والعشاء إلا وهو مصحوباً باللحم، وقد أحصى ما تستهلكه مدينة بريدة من الذبائح شهرياً فبلغت في ظرف تسعين يوماً ثلاثة وثلاثين ألف رأس ماشية فيا عجباً أصبحت القطط تأنف من أكل الشحم والعصب بل الوحوش تأنف من أكلها.

النهى عن الإسراف وما جاء في ذمه

قال الله تعالى: ﴿يٰٓبَنِي ٓءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) وقال تعالى في وصف عباد الله الصالحين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (١٧) (٢) هاتان الآيتان بينت النهي عن الإسراف في المأكول والمشرب والملبس وأن عباد

(١) سورة الأعراف، آية ٣١.

(٢) سورة الفرقان، آية ٦٧.

الرحمن الذين امتدحهم الله تعالى وسطاً بين الإسراف والتقتير فيما أن الله تعالى إذا أنعم على بعد أحب أن يرى أثر نعمته عليه.

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب < وأرضاه: «إذا أوسع الله عليكم فأوسعوا» فإن الإنسان لا يتجاوز به البطر والأشر إلى الإسراف في النفقة حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ (١) ويقول في مقام التأديب لعباده: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (٢) فنقول عن ذلك، لقد مر في سني (١٣٤٧ و ١٣٤٨ هـ) وما قبلها وما بعدها وما حواليتها من السنين أنه قد لا يحصل الإنسان في السنة إلا على ثوبين ثوب في العيد عيد الفطر وثوب في الشتاء.

وكنت أذكر أن من الأغنياء البخلاء والمقتصدين من يشتري مشلحاً صفيقاً يلبسه في الشتاء والصيف فيكون صالحاً للفصلين لمدة عشر سنوات.

وقال لي أحد المسلمين الأغنياء إن هذا المشلح - ويشير إلى مشلح كان يلبسه في ذهابه وإيابه وخروجه ودخوله - إن هذا المشلح قد خبئه فلان لرجل ذكره قد توفي منذ ثماني عشرة سنة، وذلك في عام (١٣٥٤ هـ) أي في سنة سبع وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف، وكان بعد هذه المدة صالحاً للبس فهل هذا إلا من المبالغة في التقتير على النفس.

ثم إنها وصلت الأحوال في هذه السنة التي نحن بصدددها وما قبلها وبعدها إلى أن كانت النساء تسير في أسواق البيع والشراء يطلبن كسوة فاخرة للزينة يومياً أو أسبوعياً، فهل هذا إلا من مشكلة الإسراف في الكسوة، وإذا لبست المرأة الثوب للزينة في إحدى المناسبات فإنها لا تلبسه مرة أخرى للمناسبات بل تشتري سواه.

(١) سورة الإسراء، آية ٢٦.

(٢) سورة الإسراء، آية ٢٩.

ولقد حدثني ثقة عن فتاة من الأثرياء تزوجت فاشتريت والدتها ثوباً للزينة ولمناسبة زواج ابنتها في قيمة أربعة وعشرين ألف ريال، وبلغت قيمة ساعة اليد للفتاة المتزوجة مائة ألف وخمسين ألفاً، وبلغت قيمة غرفة النوم لها ستين ألف ريال، فهل هذا إلا من الإسراف الذي حرّمه الله ورسوله.

أما عن المغالاة في المهور وما ينفق في هذا السبيل لبيوت الأفراح والزينات والولائم التي تبذل لذلك وما ينفق في سبيل الشيطان للغناء والطرب فحدث ولا حرج، ولما حصلت هذه البادرة التي هي بادرة سوء، قام الخطباء والمرشدون والموجهون والوعاظ يبذلون النصائح وبُحَّت الأصوات وأفتى رئيس القضاة بالأمر في الاقتصاد والنهي عن هذا البذخ والسرف ونشرت التعليمات في الصحف والجرائد والمجلات ولكنها صرخات في واد خلبي من البشر ولم تجد تلك التوجيهات أذاناً صاغية أو قبولاً عند الأمة، بل لا يزالون سائرين في هذه الطريقة رغم ما يسمعون وبكل ما يستطيعونه يتسابقون فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

رجعنا إلى ما نحن في صددده وما أصيبت به العرب من الكوارث والمخاوف ففيها في يوم الأحد الموافق ٣/٢١ اندفع أناس من اليهود يهتفون بهذه الكلمات (الموت للعرب) وقامت عصابات منهم في اليوم ٢٦ من الشهر الحالي فحرقوا منزلاً عربياً وخربت السيارات العربية في القدس وشهدت مدينة القدس المحتلة أسوأ أعمال العنف المعادية للعرب وأقامت اليهود مدرسة يهودية في قلب الحي الإسلامي بالقدس المحتلة، وأقامت حواجز على مداخل الجامعات لتعطيل سير الدراسة فيها وإغلاق بعضها واعتقال عدد من طلبتها وإحالة عدد منهم إلى المحاكم الصهيونية بحجة قيامهم بنشر كتب ومطبوعات تدين سياسة الاحتلال الصهيوني ومنعت بعض أعضاء هيئة التدريس في جامعات الأرض المحتلة من الانضمام إلى عملهم في هذه الجامعات فعلوا ذلك غير من احتفال العالم بيوم التضامن مع الشعب الفلسطيني وهو ٢٩ نوفمبر الموافق السابع وعشرين ربيع الأول من هذه

السنة.

وفيهما في يوم الثلاثاء ٥ محرم وفاة الشيخ محمد الصالح بن سليم وهذه ترجمته:
هو محمد بن صالح بن محمد بن عبد الله بن سليم، وتقدمت معرفة أنسابهم ولد
عام (١٣٣٠هـ) بمدينة بريدة ونشأ نشأة حسنة فأخذ في الدراسة على أحد المؤدبين
في إحدى المدارس الأهلية ببريدة وبعدما أخذ مبادئ في الخط والحساب التحق في
الدراسة على عمه الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وعلى عمه الشيخ عمر بن
محمد بن سليم وجد ونافس وكان يظهر عليه الزهد في حال طلبه للعلم وقليل
الضحك وأكثر الأخذ عن الشيخ عمر، وكان عمه يحله ويقدر له اجتهاده فكان
يدرس في زاد المستنقع للحجاوي حفظاً فيناول الشيخ الكتاب، وبعدما يقرأ قطعة
يفسر لها الشيخ ثم يتناول الكتاب ويقرأ شرحها من شرح الزاد والروض المربع
لمنصور بن يونس البهوتي ولازم عمه عمر بن محمد في مدخله ومخرجه.

وكان الشيخ له بمنزلة الوالد وذلك باعترافه في مراثيه التي رثى بها شيخه عبد
العزيز بن إبراهيم العبادي لأنه أخذ عنه أيضاً، فمن مراثيه قوله يمتدح عمه ويدعو
له بالبقاء:

فضجوا جيمعاً بالدعاء تضرعاً إلى من على فوق السماوات قاهر
لتدعو جميعاً أن يديم بقاء من لنا مورداً من ينبع العلم غازر
وأعني به من كان لي مثل والد شفيق علينا بالوفاء يبادر

وبينما هو يدرس قبل أذان العشاء على عمه الشيخ عمر إمام المصلين في
المسجد الجامع بتفسير سورة الصافات مر على ذكر الحور العين فأخذته غمرة من
البكاء وتأثر من شدة البكاء فرآه عمه أهلاً للإمامة وجعله إماماً في مسجد الجردة
المعروف بمسجد حسين بن عرفج فلبث في إمامته مدة وقد يقرأ بنفسه على المصلين
إذا لم يكن هناك قارئ.

ثم أنه جعل في قضاء هجرة دخنة ثم نقل إلى قضاء الظفير في منطقة عسير

وجعل يبذل نصائحاً وقيم من في معيته من الأئمة ومنهم عبد الله بن محمد بن صالح ابن فوزان يتحولون الأمة بها هناك ثم أنه نقل إلى قضاء مستعجلة المدينة المنورة وجدته فيها عام أربع وسبعين ثم نقل إلى قضاء الدمام ثم نقل إلى أن يكون رئيساً لهيئة التمييز في المنطقة الغربية بمكة المكرمة ونال رضا الأمة برحابة صدر واستمر في هذه الوظيفة.

فلما أن كان قبل وفاته بسنة أحيل على المعاش فانتقل إلى الرياض ولما ألقى عصا التسيار فيها توفاه الله تعالى بعد ذلك بيسير في هذه السنة وكنت أظن أنه قبل وظيفته الأخيرة كان عضواً في هيئة التمييز بالرياض.

وكان له رسالة في تحريم الاشتراكية وله منسك مختصر في الحج، وكانت وفاته عن عمر يناهز السابعة والسبعين رحمه الله وعفا عنه، وكان له أولاد وأحفاد وبني وبينه معرفة قديمة، ومن أبنائه صالح بن محمد المعروف بالهمة والزراعة والإنشاء والتعمير كفندق السليم ببريدة ومحطة السليم ومساهمة كبرى في تأسيس مصنع إسمنت القصيم وكان له مزرعة كبرى تقدر طولاً بستة عشر كيلو وعرضاً بثلاثة عشر كيلو وتعتبر أكبر مزرعة في القصيم اشتراها بصكاكها من حرّ ماله كما أن له مشروعاً للدواجن يحتوي على عدد كبير.

وفي هذه السنة نشرت وزارة الحج والأوقاف منشورات برقم أمير المنطقة المني على تعميم وزير الداخلية رقم (٥٨٥٣٨) في ١/٨/١٤٠٧هـ بشأن المنع من التسول وهذا نصه: لوحظ في الآونة الأخيرة انتشار المتسولين في الأسواق والمساجد من مواطنين ووافدين واستغلاهم للمواطنين بطرق الابتزاز لأصحاب القلوب الرحيمة واستدرا عطفهم وقد رغب سموه منع ذلك والقبض على أي متسول وإبعاده عن البلاد إذا كان أجنبياً ومنع أي متسول.

كما أنه نشر تعميم عن طريق وزارة الحج والأوقاف حسب أوامر الحكومة برقم (٣٧١٥) بتاريخ ٢١/٨/١٤٠٧هـ موجهاً إلى أئمة وخطباء المساجد بالتحذير

من خطر المخدرات وبيان أضرارها وتحريمها دينياً وخلقياً لما لها من عوامل الفساد والانحراف وأكدت على الوعاظ والمرشدين بشدة تحريمها وخطرها الفتاك، وقد قدمنا عن هاتين البادرتين في هذا التاريخ ما يبين خبثها وسوء مغبتها.

كما نشرت إدارة أوقاف القصيم حسب الأوامر برقم (٣٨٠٥) تاريخ ١٤٠٧/٨/٢٧ هـ وجوب توحيد الأذان وعدم التفاوت لما يحدث للكسلان والمتهاون من التخلف عن أداء الصلاة، وذلك حسب تقويم أم القرى وأن يكون أذان صلاة العشاء الآخر في تمام الساعة الثانية غروبياً وحظر رفع الأصوات بمكبرات الصوت في صلاة التراويح لأنه يحدث تشويشاً على الآخرين في المساجد الأخرى ولا ريب أن هذه التوجيهات من وزارة الحج والأوقاف ومن المسؤولين لها أكبر مصلحة للأمة وجزى الله القائمين بهذه التوجيهات خيراً.

وفي هذه السنة رأت الحكومة أيدها الله أن بقاء الخربات والبنيات القديمة مما يسبب ضرراً على أرواح المواطنين وأموالهم بحيث قد تكون الخربة طريقاً وسبباً إلى اتخاذ سراديب منها إلى معارض أهل الصياغة والمجوهرات والأموال كما جرى ذلك في مواطن كثيرة، ومن جهة أخرى فحفظاً للأرواح والمواطنين والمارة أن تسقط عليهم كما جرى ذلك يمّة ويسرة، ولا سيما بيت الأفراح في الحجاز الذي سقط ليلة الأفراح على من فيه رأت الحكومة هدّ تلك المباني القديمة وقد هدّت مباني كثيرة في وسط البلاد بدون تعويض لهذا السبب المتوقع وأصبحت خاوية على عروشها فبناء على ذلك سارعت البلديات إلى التنفيذ لهذا الغرض وأزيلت مخلفاتها من خشب وأطيان وعسبان النخل وخصوصها وسعفها.

إصلاح ما قفة بريدة

كانت الماقفة منذ زمن طويل تطلق على دكاكين في شرقيها والجنوب والغرب ويطلق اسم بعضها على دكاكين الجماعة ودكاكين المشايخ وفي وسطها رحبة واسعة تضم كلاً من مبيع الإبل والبقر والغنم، وتنتشر في الجهة الغربية والشرقية المبيعات

المكونة من الثياب وبيوت الشعر والأكوات والحبال وفي الجهتين مبيع السمن البري والدهن في القرب الصغيرة والكبيرة ويطلقون عليها (النحو بضم النون وإسكان الواو) والعكة وهي أقل من الكثير وهناك مصفحات للتفريغ.

وقد مرّ على هذا الاصطلاح زمن طويل منذ عام (١٣٥٤هـ) وما زال هذا الدهن ينقص عاماً بعد عام وفي الجهة الجنوبية مبيع التمور والحبوب من بُرّ ودُخن وغيرها ولما أن اتسعت الرقعة في المواشي والأدهان والأقط والكمأة التي قلت لما نزلت البركات وقلت الخيرات.

وضاق الوضع بالمواشي اختير لها مواضع أخرى فقد كانت الدكاكين أشبه شيء بزرائب الوحوش لأنها أقيمت من لبن وطين ولطول المدة تشوه منظرها ولا سيما بعد الإسفلت الذي عم ذلك الموضع وارتفع عن مستواها فرأت البلدية هدها وأنشاءها من الإسمنت والحديد المسلح وليكون لها منظر جميل يتناسب مع الوقت فهدتها بأجمعها وأقامتها بنايات حسنة من طابق واحد مشرف.

أما الجهة الشمالية فقد كان فيها قصر بريدة القديم وكان الملك السابق سعود بن عبد العزيز رحمه الله قد هدهه ليكون موضعه سعة للبلد بحيث اختير موضع للقصر من جهة الشرق كما قدمنا فقد أقيم مكانه قيصريات للحوم والفواكه لكنها ظهرت بعد زمن غير صالح لا لتساع الرقعة فهدت ونقل بيع الخضراوات واللحوم بأجمعها إلى السوق المركزي الجديد في غربي المدينة.

وكانت المنطقة الأخيرة منظرًا رائعًا يجبي إليها ثمرات كل شيء من الفواكه الداخلية والخارجية من البرتقال والتفاح والموز واليقطين والبطيخ والقثاء على اختلاف أنواعها والبصل والطماطم والباذنجان واللوييا والفاصوليا وأنواع الأسماك واللحوم والخيار والتمور والإقط وغيرها من أنواع البقول وأصبحت البقول والخضراوات على اختلاف أنواعها من الخس والبطاطس التي لا تكاد

تعرف أسماؤها إلا في مصر والشام كالسبانخ والملفوف والليمون والأترج وأشياء أخرى في ذلك الموضع مورداً لكل أهالي القصيم وغيرها من السر جنوباً إلى حائل شمالاً ومن عقلة الصقور غرباً إلى الجمعة والأرطاوية شرقاً، وكانت السيارات الضخمة التي أعدت للنقل مرسية هناك يمناً ويسرة والتريلات جاثمة في تلك المنطقة للتفريغ والتنزيل وسيارات أخرى تحمل وتوزع على بلدان القصيم ومدنه.

وفيهما قامت المعدات الثقيلة بجرفها وهذا في إصلاح الخط الدائري على مدينة بريدة وما يتطلبه الوضع من جسور وكباري وذلك لما يمر به من كثبان الرمال والأودية ولا سيما وادي الرمة الذي يتطلب عملاً شاقاً وكان سد المياه الذي أقيم في نفس الوادي ويقع جنوباً عن مدينة بريدة عمله جباراً أقيم لما في ذلك من المصلحة بحيث يخزن به مياه السيول والأمطار.

عمارة جامع مدينة عنيزة في القصيم

بما أن مدينة عنيزة تعتبر هي المدينة الثانية في القصيم بعد بريدة فإنها بنهضة أهاليها تنافس مدينة بريدة وقد قام الأهالي فيها يتطلبون مشاريع من الحكومة ولحسن حظهم فقد كان من أهاليها من يعمل في الوزارات ولهم فيها من يطالب بحقوق بلدهم، وفيها شباب ناهض يعملون لرفع بلدهم ولأن كان للمدينة حظها الأوفر من المشاريع الحكومية فإنهم إضافة إلى ذلك يعملون بمجد ونشاط في المساهمة من أموالهم لرفعة البلد سواء من السكان أو من النازحين في البلاد الأخرى، فقد قاموا بتجميل المدينة بما استطاعوا من الزينات الحديثة ورفعوا ساعات حائطية ضخمة تحملها القواعد الجميلة الرفيعة ونصبوا أعلاماً وأبواباً للمدينة واتسعت شوارعها الحديثة التي أعدت للبيع والشراء وما حوالى الجامع الكبير.

ومن أعظم مشاريعها عمارة الجامع الكبير في هذه السنة وكان حواليه دكاكين قديمة اشترت لتوسعة المسجد وأضيفت إليه فقاموا بهذه جملة وإقامته من الإسمنت المسلح ببنية قوية وتطريز حديث وأقيم المسجد بجعل قبو واسع كبير في أسفله (خلوه) كبيرة وجعل الطابق الثاني مشكلاً في بنيته من قبة وأعمدة عالية تدخله الأنوار الطبيعية وقامت المعدات بجد ونشاط في العمل مضافاً إلى ذلك درج وأبواب ونوافذ حسنة جميلة.

وأقيم للمسجد منارتان عاليتان وابقيت منارته المقامة من الطين أولاً وهي من الآثار القديمة في ارتفاعها وعلوها وقوتها لم تؤثر فيها الرياح والسيول على عمر السنين وحفاظاً على جعلها من الآثار القديمة فإنها ببابها القديم من جذوع النخل ودرجها أبقى هيكلها على وضعه القديم.

وقد قام الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين الذي تولى إمامة المسجد الكبير الجامع والتدريس فيه بعد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي بوضع مخططات المسجد الجامع مستعيناً بالمهندسين والفنيين وسعى بموضوعه حتى ظهر المسجد في مظهر لائق بمصابيح الكهرباء ودورات المياه.

وهكذا والحمد لله فإن الله سبحانه قد يسر بناية المساجد، وكان قد سبق بناية الجامع الكبير مسجد رئيس الديوان الملكي صالح بن عباد الواقع في شرقي البلد أيضاً.

ولقد جددت الأمة بعمارة المساجد وتوسعتها والتسابق إلى الإنفاق فيها كما يشاهد في مدينة الرس ومدينة البكيرية التي قام بعمارة جامعها الكبير حمود الذياب، وظهر بهيكله الجميل وقد رأيت جامعاً كبيراً في مدينة جدة حسن الوضع والتطريز قام بعمارته عبد الرحمن بن نويصر وحواليه مسجد أقيم على نفقة أحد المواطنين حسن الوضع والتطريز وقد أقيم له خمسة بيوت وينسب إلى المطرب محمد عبده والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وقد وقع سؤال بين يدي فضيلة رئيس الإفتاء والبحوث الدينية عبد العزيز بن باز عن حكم الصلاة فيه لأنه لا يعلم من أي نفقة استقام.

فأجاب بأنه لا مانع من الصلاة فيه وليس على المصلين فيه إلا مصلحة وجوده التي تعود عليهم بالفائدة.

إن مدينة عنيزة والحق يقال فيها رجال ذوو مروءة واحتشام للضيوف ويمتازون برقة الكلام والأدب ولين الجانب مظهرين الخدمة والاحتشام لمن قدم عليهم وكانوا يقدمون بلدهم ويرفعون من شأنه ولا يحط ذلك من قدرهم كما في الحديث حب الوطن من الإيمان، ومما يمتازون به عدم السباب بعضهم لبعض وترك الغيبة والنميمة من بعضهم لبعض.

وكان من سكان بريدة شاب مستخدم في محكمة عنيزة يذهب كل صباح ممتطياً دراجة بخارية من بريدة إلى عنيزة فلا تسأل عما يكابده من لفح الرياح في زمهرير الشتاء وسموم الصيف، فانطرح بين يدي يشكو الحال، ولعلي أذهب به إلى رئيس المحكمة فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبدان لنقله إلى بريدة فركبنا تاكسي في هذه المرة وعندما قدمنا إلى عنيزة كان القاضي قد خرج مع الخصوم إلى القرعاوية فأوقفت صاحب تاكسي وسألته عن القرعاوية فقال نعم إنه ذهب إليها ولكن اركب فلعلك إن ذهبت راجلاً لا تدركه، ولما أن قربنا منها ودعنا ورفعت يدي إلى جيبني لأناوله الأجرة فأسف لذلك وأقسم بالله أن لا يأخذ مني شيئاً، وقال يا عجباً إن حقت أن أذبح لك ذبيحة في أربعمئة ريال فكيف آخذ منك شيئاً، فشكرت له وكان رجلاً أشمط قد علاه المشيب.

وامتطيت مرة في إيابي من الحج سيارة من تريد عنيزة وهي لإبراهيم عاشوراء وذلك في سنة (١٣٦٢هـ) بوقت كانت السيارات هزيلة لقلتها وعدم قطع الغيار بمناسبة الحرب العالمية الثانية بحيث جعلنا الطريق تسعة أيام بينها وبين مكة المكرمة ولما أن قدمنا إلى الوادي من عند قصر ابن بطاح صباحاً تلقانا الصبيان لطول السفر

يرحبون بقدمونا وركبوا معنا ولسوء الحظ كانت السيارة تعبانة لا أعادها الله فما أن وصلنا إلى المضبابة حتى خربت السيارة وتعطلت في ساعة كانت السماء تهتن بالأمطار والرياح الشديدة باردة وتعذر السير.

فقام رجال الرفقة إلي وقالوا إن نساءنا وهذا الصبي معهن وكان مراقباً بعضهن محتجبن منه والبز والقماش الذي تحمله السيارة مختلف الألوان في حفظ الله ثم حفظك وسنطلق لتستفرح أولاد علي لنجدتنا.

فقلت وأنا من حقي عليكم تبعثون إلى أحد الجمالة الثلاثة الذين يترددون من بين بريدة وعنيزة لجلب البضائع بينهما فإني أريد الوطن لأنه وإن كان قريباً فهو بعيد في هذه الساعة الراهنة ثم قمت وجعلت النساء في ظل السيارة وكن سبعاً وأحطت عليهن بحاجز عن دخول الماء وجعلت الصبي في غمارة السيارة وجعلت بما أستطيعه أغطي حمولة السيارة بالبطانيات والبسط واللحف عن الماء وكنت أظن أن تلك الساعة من أشد ما مر في العمر لأنني كنت هدفاً للماء والبرد.

أما عن السائق فقد بعث المساعد إلى عنيزة ليأتيه بطعام منها وتذثر في بشت غليظ صفيق يسمى بودي تمدد فيه للراحة.

فما كان إلا قليل حتى جاءوا بأحد عشر حملاً على ظهورها المحامل الخشبية وناقة تحمل خيمة كبيرة لتؤمن حمولة السيارة وجاءوا بمأكولات شهية كثيرة فحملوني مع رحلي إلى بيت فلان الذي هو أحد الجمالة طاهر أما عن الحقيقة فإنهم أبدوا أسفهم الشديد في كوني لم أطمئن إلى بيوتهم في تلك الساعة الحرجة قائلين والله لو كنت قادماً على صلب لما كنت في هذه الوحشة، البلد بلدك والبيوت بيتك والأهل أهلك والأولاد خدمك وذهب بي الجمال إلى بيت أحد الرفقة محمد بن عبد الرحمن بن سليم حيث وجدت لديه كرامة وحشمة فد أضرم النيران ونقل إليها حطباً جزلاً ووالى الأطعمة والقهوة والشاي وفي آخر الليل أتى بطعام الحنيني بحيث كان أفخر المطاعم إذ ذاك.

وأشار علي بأن لا أسير إلى بريدة والحالة هذه ريح باردة شديدة شمالية شرقية وأمطار عاصفة والأسواق ممتلئة بالمياه وطلب مني التريث ولو أقمت شهراً فإني عند أهل ومحبوب وكريم لديهم.

لكنني أثرت السير من الغد على أي حالة كانت بحيث امتطيت حماراً بالأجرة وبصحتي صاحب الحمار وأعرابي شاب عليه مشلح ويظهر أنه من أهل الدّين والخير وكان محمد لما رأى أنني مصمم على السفر زودنا بمطبعة مملوءة تمرّاً لذيذاً وصندوق كبريت إن احتجنا إلى إيقاد نار نصطلي عليها في الطريق، وسرنا والحمد لله حتى وصلنا إلى بريدة بعد المغرب بحيث كان الطريق سبع ساعات لهذه الظروف القاسية.

وفيهما في ٢٥ محرم قام رئيس وزراء حكومة السودان الصادق المهدي بزيارة قصيرة للمملكة السعودية استغرقت يوماً واحداً فاستقبله الملك فهد بن عبد العزيز حيث يتم إجراء مباحثات تتعلق بتعزيز العلاقات الثنائية وكان من هذه الزيارة أن أهدى الملك فهد للشعب السوداني ثلاثة مستشفيات متكاملة الأجهزة والمعدات الطبية الحديثة بسعة مائة سرير لكل منها في كل من مدينة أم درمان العاصمة الوطنية للبلاد ومدينة كسلا عاصمة المحافظة الشرقية ومدينة الفاشر عاصمة شمال إقليم دارفور وقد زادت تكلفة هذه المستشفيات على عشرة ملايين دولار أمريكي هذا ولا تزال طائرات مؤن الإغاثة التي ترسلها الحكومة إلى مناطق الجفاف والمجاعة في شرق وغرب السودان لم تنقطع عن نقل المزيد من هذه المؤن مما خفف الوطأة من الجفاف والمجاعة هناك بأن الله عز وجل ابتلى حكومة السودان بالجفاف ثم بالطوفان والأمطار التي سببت عليهم الجلاء عن مساكنهم ثم الجراد، وسيمر بنا في هذا التاريخ ما بعثته الحكومة السعودية إليها من الإعانات والإغاثة بالمؤن والأطعمة والنقود وغير ذلك مما لا تبلغه العبارة وكانت الطائرات ترسل شاحنة إليهم.

ولكن الأمر أدهى وأعظم وقد توجهت طائرات الإغاثة بحمولتها في هذه السنة إلى الخرطوم وبما أنهم انشقوا وقام المتمردون في الجنوب من أرض السودان يحاربون حكومة السودان فقد قام دبلوماسيون تابعون للدول التي تقدم مواد الإغاثة يتفاوضون مع الحكومة بشأن كيفية توزيع تلك المواد في الجنوب.

وكان المتمردون قد أسقطوا طائرة تابعة للخطوط الجوية السودانية في الشهر الماضي وقتل في الحادث جميع من كانوا على متنها وهم ستون شخصاً، واستمر تهديد ثوار جيش تحرير الشعب السوداني بإسقاط أي طائرة تدخل المجال الجوي الجنوبي بدون إذنهم، وقد وصف رئيس الوزراء السوداني الصادق المهدي جيش تحرير الشعب السوداني بأنه منظمة إرهابية إثر الحادث المتقدم وقطع محادثات السلام التي كان قد بدأها مع زعيم المتمردين العقيد (جون قرنق) في أديس أبابا في شهر تموز يوليو الماضي.

وفيها في ٢٦/٢ تمت عمارة مسجد قباء الأخيرة وتوسعته على يدي صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز وقد أضيف إلى هذه العمارة دورات مياه للرجال على حده وقسم للنساء وجعل له منارتان وكانت تلك العمارة ممتازة جداً وكان للنساء جناح ممتاز يصلين فيه وأصبح المسجد بمظهر رائع ورونق حسن جداً مفروشاً بالفرش الثمينة ومملوءاً بمصاحف كثيرة ومكيفاً بتكييف باهر ومكسياً بالحجر ومناراً بالكهرباء.

وفي تلك الآونة وفاة أمير الباحة إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم رحمه الله وعفا عنه وكانت وفاته بسبب الغرق بحيث كان يسير في سيارته معه بعض رفقته فلم يشعروا إلا بالوادي قد دهمهم فنزل عن سيارته لينجو فكان ضحية الغرق وسلم رفقته الذين لزموا مكانهم في السيارة وقد قيل إن وفاته في ٢٧/٧ من السنة المتقدمة.

ثم دخلت سنة (١٤٠٨هـ)

استهلّت هذه السنة والعمال يدأبون في توسعة الحرمين الشريفين، وبما أن سطح المسجد الحرام قابل لأن يكون مصلى لسعته فقد قامت الحكومة لاستغلال السطح في أوقات المواسم كزمن الحج وشهر رمضان بحيث اتسع لمائتي ألف مصلى، كما أن الحكومة جادة في التصليحات في الطرق.

فهذا طريق الدمام قد امتد في سعته على ثلاثة أسياد ذهاباً وإياباً من عاصمة القصيم حينما انفصل هذا الطريق السريع من خط بريدة عزيزة مشرقاً من خلف فرع جامعة الإمام محمد بن سعود محاطاً بالأسلاك المانعة من دخول البهائم إلى الخط حتى يمر بالرياض فيستمر إلى الدمام بهذا الوضع واكتسبت الأمة راحة في قلة الحوادث والاصطدامات.

وقد جعلت الحكومة جزاءً على من تجاوز الحد في السرعة ولما أن تجاوز الدمام رأت الحكومة إنشاء جسر بين المملكة وبين البحرين ذلك بأنه كان سابقاً لا يتوصل إلى البحرين إلا عن طريق الجو أو البحر فأنشأت هذا الجسر على متن البحر بصفة هندسية يربط بين المملكتين عن طريق اليابسة كما أسلفنا وقد جعلوا في باب هذا الجسر مكتباً للمرور وبعد انتهاء عشر كيلوات تنتهي حدود المملكة وهناك جزيرة صغيرة للاستراحة فيها مسجد جميل التطريز ودورة مياه وحديقة فمن أراد الذهاب إلى البحرين فيدفع ضريبة عشرين ريالاً لمكتب في حدود البحرين بشرط أن يكون حاملاً للجواز ومن أراد التزهة والفرجة فإنه يأخذ بذات اليسار للرجوع إلى المملكة عن طريق في هذا المتسع الجميل ويسمى هذا الجسر باسم جسر الملك فهد وسيأتي عن ذكر المنطقة الشرقية بقية ذكر.

وفي محرم من هذه السنة تم للحرب العراقية الإيرانية سبع سنوات، ولما أن رأت أمريكا أن إيران غير خاضعة لقرار مجلس الأمن رقم (٥٩٨) بل لا تزال في عنادها

أطلقت صاروخاً على طائرة إيرانية تحمل مائتين وتسعين راكباً فاحترقت وهلك جميع ركبها وبعد ذلك التفتت إيران بمئة ويسرة فعلمت أن لا فائدة لها في مواصلة الحرب، وقبلت القرار رقم (٥٩٨) راغمة كما يقوله الخميني وأن ذلك كوقع السم على أحشائه وكان ذلك في آخر هذه السنة قبله وهو كاره له.

ولما أن كان في يوم الاثنين ٥ ذي الحجة من هذه السنة (١٤٠٨هـ) يوافق ١٨ تموز يوليو (١٩٨٨م) أعلنت إيران قبولها لقرار مجلس الأمن رقم (٥٩٨) لوقف إطلاق النار وكانت إيران قد خسرت الحرب وتحلت عن أراضٍ عراقية وتورطت في تصرفاتها السيئة فأعلنت رسمياً ارتياحها لقرار مجلس الأمن واحتجت بأن إسقاط الطائرة الإيرانية بفعل أمريكي وقد تلف فيها (٢٩٠) راكباً مدنياً وتدخلت سفن حربية أجنبية في الخليج هذا هو الذي دفعها إلى ذلك.

وفيها في شعبان في إبريل قطعت الحكومة السعودية العلاقات بينها وبين إيران يوافق (١٩٨٨م) ذلك لما قصدت له من العداوة للحكومة السعودية وقتلها السفير السعودي في إيران وهجومها على حجاج بيت الله أمام الكعبة والمسجد الحرام الذي جعله الله آمناً، وبما أن السعودية هي المسئولة عن تأمين الحرمين الشريفين لكونهما في ولايتها وقامت إيران بهتكها لحرمت الله أمام بيت الله ويقول الله جل ذكره: ﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ الْبَعْرِ﴾^(١) ولا ريب أنها وصمة عظيمة سودت وجه إيران، فقد عزمت قبل الواقعة بسنة على إرادة الإلحاد في مكة المكرمة ثم أقدمت في العام الماضي على ما أقدمت عليه من تقتيل حجاج بيت الله وأذيتهم فقد وجبت مقاطعتهم والتبري منهم ومنابذتهم بعد عرض مسألتهم على العالم الإسلامي.

وفيها في ١٣ ربيع الثاني قام أهالي فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة وما

(١) سورة الحج، آية ٢٥.

إليها بانتفاضة ضد اليهود سميت الانتفاضة الفلسطينية توافق رابع كانون أول ديسمبر (١٩٨٧م)، وقام الصبيان الفلسطينيون والشباب يرحمون سيارات اليهود الصهاينة بالحجارة والزجاجات المحماة بالنار وجرت مظاهرات فكابدت اليهود الصهاينة من تلك الانتفاضة مشقة وقابلوا هذه الانتفاضة بإطلاق قنابل الغاز وبالدخان المسيل للدموع وقد يطلقون العيارات النارية على المتظاهرين.

وسقط من ذلك قتلى وجرحى من أهالي فلسطين ولكنهم لم يعأوا بما يقوم به اليهود من البطش بهم والتعذيب والتنكيل واستمرت الانتفاضة بقوة ونشاط وقتال بينهم وبين اليهود.

ولعل هؤلاء الشباب من الفلسطينيين لما رأوا شجاعة المجاهدين في أفغانستان وسعيهم في تحرير بلادهم وصمودهم حتى أذل الله روسيا بقوتها وحدها وحديدها وانهزمت أمام الإيمان والعقيدة فتبعثر قوات روسيا لما رأت الثبات الذي نشأ من أهالي أفغانستان وتندحر مدافعها وصواريخها وطائراتها لما صدق أهالي أفغانستان الحملة عليها وثبتوا أمام كيد أعظم دولة على وجه الأرض وكبدوها خسائر في الأرواح والمعدات الحربية وأسقطوا طائراتها حتى أدخلوا الرعب في قلوبهم وانسحبوا من أراضي أفغانستان.

وهكذا الإيمان إذا صدق أهله الحملة مستعينين بالله فإنه يتبعثر الباطل أمامهم وأثبت الدهر لأهل أفغانستان جدارة وشجاعة بيضوا بها وجه تاريخهم ولقد استشهد من أراد الله لهم الشهادة وجرح آخرون وتقطعت أوصال بعضهم ولكنهم لم يهنوا ولم يستكينوا وثبتوا في الجبال والمغارات يطلقون المدافع الصاروخية ويقذفون بالقوات التي حصلوا عليها من العرب والمسلمين وغيرهم وقد أمدتهم أمريكا وقام المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ممن تقلهم الغبراء وتظلمهم الخضراء بمساعدتهم حتى كتب الله لهم النصر ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(١)

(١) سورة آل عمران، آية ١٢٦.

وقد امتلأت المساجد في السعودية من المساعدات بالكسوة والفرش والأكوات تبرعاً لهم وحملتها إليهم الطائرات كما أن الأطعمة والنقود التي زادت على عشرات الملايين تبعث إليهم، وقد اعترفت الحكومة السعودية بحكومة أفغانستان في السنة التي بعد هذه.

أما عن أهالي فلسطين فقد قاموا في هذه المرة بحجارتهم التي لا يملكون سواها وبالزجاجات الحارقة يرمون اليهود وثبتوا في هذه الانتفاضة، وكانت اليهود تعذبهم بأنواع التعذيبات ولكنهم استمروا في نضالهم.

ولقد كان أهالي فلسطين ينشؤون لأبنائهم أسماء كغازي ونضال ونحوها مما يبعث الحماسة في صدورهم لما أن عقلوا فائتان وأربعون سنة كانوا يكابدون أذى اليهود وتعسفاتهم وبما أن العدو لم يحترم كبيراً ولم يرحم صغيراً، فقد ثبتوا في هذه الانتفاضة صابرين على ما يصيبهم من التعذيب تارة بهدم مساكنهم وتارة برضخ رؤوسهم بالصخر، وتارة بشق بطونهم، وتارة بإيقافهم في حر الظهيرة على قدم واحد، وفي كل يوم قد خسر الفلسطينيون عشرات القتلى والجرحى وهم مع ذلك ثابتون، وللعو يجاهدون واستمرت هذه الانتفاضة التي أعجب بها العرب قاطبة وتدفقت عليهم المؤن والمساعدات من العرب والمسلمين بحيث كمل لهذه الانتفاضة سنة وأربعة شهور، ولا يعلم نتيجتها إلا الله عز وجل، كما قيل:

إن الليالي والأيام حاملة وليس يعلم غير الله ما تلد

وإنه ليعجب العاقل من تصرفات أمريكا ومن أيدها في موقفهم نحو أهالي فلسطين وكيف أن اليهود تسومهم سوء العذاب، ولم تتحرك جارحة من أمريكا وأتباعها المؤيدين لليهود لرحمة أهالي فلسطين غلبوا على ديارهم وأوذوا في عقر بيوتهم تقتل نسائهم وشيوخهم وأطفالهم وتنتهب أموالهم وامتلات السجون منهم وكيف نزع الله الرحمة من قلوب الأمريكيين نحو هذه الأمة المغلوبة الذين يدافعون العدو بأيديهم وحجارتهم، ولا يملكون مدفعاً ولا سيفاً ولا بندقية ولا مسدساً ولا

رشاشاً وهم أمام عدو لثيم غاشم سلاحه القنابل الذرية والمدافع والرشاشات والصواريخ الفتاكة التي تدمر بها أمريكا وتعملها في مصانع تل أبيب.

وفي كل يوم قد هدمت اليهود جزءاً من منازلهم وأغلقت مساجدهم ومدارسهم حتى أصبح هؤلاء الضعفاء لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

فوالله لو أن أمريكا تملك ذرة في قلوبها من الشرف والرحمة أو الخوف من الله أو كانوا على حسب كفرهم وضلالهم يدينون بدين يعبدون به الأصنام كما هم عليه على أقل تقدير لكان لهم من ذلك ما يردهم عن تسلط اليهود الصهاينة على أهالي فلسطين مع العلم أن مقاتل اليهود الصهاينة إنما يقاتل أمريكا بحيث تقوم مجدها وحديدتها وطائراتها وأهوالها بنصرة هذه الدولة التي سمت نفسها دولة إسرائيل.

وإذا كان هذا موقف أمريكا مع اليهود فكيف لا تنصف من نفسها خشية العار وتأخذ على أيدي حليفاتها عن هذه المجازر البشرية والأعمال التعسفية التي لو كانت من دماء الكلاب والخنازير لكان في الأديان السماوية ما يمنعها.

أما عن مجلس الأمن فلا شك أنه آلة بيد أمريكا واليهود يصرفونه كيف شاؤوا، فأين قرار الأمم وهيئتها وأين العدالة وأين الأمم المفكرة وأين عقول البريطانيين الذين منحوا اليهود وطن أهالي فلسطين ووقفوا هم والأمريكيين في ورطة أهالي فلسطين وقفه المتفرج أمام تلك الدماء التي تسفك والمنازل التي تهدم، وتعمل أيدي الدمار بأولئك البشر تلك الأعمال المخزية من التقتيل والتخريب والتشريد ما لو كان معهم إنسانية لوضعوا لها حداً فاعتبروا يا أولي الأبصار.

أما عن الحرب العراقية الإيرانية فكما أسلفنا استمرت طيلة سبع سنوات، وفي هذه السنة تمام ثمان سنوات، وعجز مجلس الأمن بقرار (٥٩٨) وعجزت هيئة الأمم عن وقف إطلاق النار والتزام قبول قرار مجلس الأمن في آخرها كما قدمنا وفي ٢٣ ربيع الأول تعرضت إيران للمراكب البحرية وحاملات الزيت في الخليج

بالتحريق والتدمير، واستمرت في شرها وويلاتها وكانت روسيا تمدها بالصواريخ ضد العرب، وتحرشت إيران بالكويت وأطلقت الصواريخ عليها، وهكذا حتى آخر هذه السنة.

وفيهما هطلت أمطار على السودان في الخرطوم فحصلت فيضانات سقط من جراءها خمسة آلاف بيت، وهلك أناس فبعثوا استغاثة إلى الأمة يطلبون خياماً ونجدة من الأغذية والأكسية من جراء تلك السيول، وتغلبت الفيضانات بدخول الماء إلى المنازل بنسبة ٨٠٪، هذا بعدما فتحت بوابتان على النيل الأزرق لعله يخفف الضغط ولتوالي الأمطار فإن فتح البوابات بسبب الأزرق أغرق البيوت أو أعظمها.

وقد شرد في السودان أكثر من مليون شخص عدى القتلى وقضى مئات الألوف من الناس في ٢٧ ذي الحجة ثلاثة أيام على التوالي مكდسين وسط أكوام من الأمتعة التي تم إنقاذها بعد فيضانات اجتاحت المنازل وأغرقتها في مياه النيل تاركة وراءها ما لا يقل عن ربع سكان العاصمة السودانية البالغ عددها أربعة ملايين نسمة بلا مأوى وما زالت الطائرات السعودية في نقل المؤن والأغذية إلى السودان حتى بلغت عدتها إلى ١٤ / ١ من السنة القادمة مائة طائرة وخمسين طائرة ولا تزال الطائرات في نقلها وقد تجاوز العدد حتى بلغ عدد المشردين من أهالي السودان في الخرطوم مليونين من الأنفس البشرية.

وفيهما هطلت على مصر في يوم الأربعاء ٣ جمادى الأولى أمطار غزيرة لم يعهد مثلها منذ خمس سنوات بحيث هلك بسببها ٤٢ شخصاً غرقوا وتعطل سير ألفي سيارة فيها.

حادث في مصر

ففي ٢١ ربيع الثاني خرج باص من خط القطار فتقطعت كفراته وأصيب من ركابه الذين يبلغ عددهم خمسين بإصابات هلك أكثرهم والبقية بحالة خطيرة.

ولما أن كان في يوم السبت ٢٠ جمادى الأولى قام رئيس الجمهورية المصرية محمد حسني مبارك بزيارة رسمية للمملكة السعودية فاستقبل استقبالاً رائعاً وأطلق لقدميه ٢١ مدفعاً، وقد استقبله الملك فهد وتبادلا التحية وتعانقا وأظهرا كامل المحبة المتأصلة وتبادلا السفراء وكان في صحبة الرئيس رؤساء دولته كما استقبله رؤساء الحكومة السعودية.

وفيهما قام وزير الدفاع الأمريكي بزيارة للمملكة السعودية فاستقبله وزير الدفاع السعودي سلطان بن عبد العزيز وقوبل بكل ترحيب واستقبال.

وفيهما في ١٧ جمادى الأولى هطلت أمطار غزيرة على القصيم واستمر نزول المطر طيلة ذلك اليوم رذاذاً متواصلاً من دون كثرة رعود وبروق واستمر بهذا الوضع ٣٦ ساعة بحيث زاد هطولها بكثرة في اليوم ١٨ حتى امتلأت الروابي وجرت الأودية والشعاب.

ولما أن كان في سابع شهر رجب هطلت أمطار على الجمعة وكنت في تلك اللحظة قبل أذان العصر ماراً بها أريد الرياض فكدنا أن نتعطل عن السير لولا لطف الله في كون السيارة السبرمان مؤمنة في إغلاقها وزجاجها فكنا في الطريق إلى الرياض تحت هطول الأمطار الغزيرة، ولما أن قدمنا مدينة الرياض إذا قد أصيبت ببرْد عظيم قد غطى الرصيفات ومنع حركة المرور بحيث وجدنا الإسعافات والنجادات في إخراج بعض السيارات التي تورطت بالمياه إلى أعالي الكفريات وكان المطر عظيماً جداً مصحوباً بالبرْد الكثير الذي كان مكدساً فوق الرصيفات كالجبال.

مؤتمر قمة عام (١٤٠٨هـ)

كانت من نتيجة هذا المؤتمر تحسن العلاقات بين مصر والدول العربية بعدما ساءت بسبب صلح أنور السادات مع إسرائيل ونشأ عن ذلك زيارة الرئيس المصري للسعودية كما قدمنا.

ففي يوم الأحد ١٧ ربيع الأول من هذه السنة عقد هذا المؤتمر في عمان بين ملوك العرب ورؤسائها بشأن الإصلاح بين سوريا والعراق والحرب العراقية الإيرانية، وقد حضره جميع رؤساء العرب سوى معمر القذافي رئيس ليبيا ورئيس تونس، وقد قام ولي العهد عبد الله بن عبد العزيز بالنيابة عن الملك فهد، وكان من ثمرات هذا المؤتمر تحسن العلاقات بين العراق وسوريا وبين مصر والدول العربية، كما قدمنا وكان فيه أكبر مصلحة للعرب نسأل الله أن يجمع شمل العرب والمسلمين.

وفي هذه السنة ارتفع سعر البنزين في السعودية لغاية عظيمة كما أنه زيد في رخص السيارات وتجديد استثماراتها إلى درجة شاقة وأوجد قبل ذلك موضع فحص للسيارات يتجدد في كل ستة شهور بضريبة سبعين ريالاً لكل سيارة كما زيد في هذه السنة ضريبة الهاتف.

زيارة الملك فهد للقصيم

ففيها في ٢٥/٦ قامت منطقة القصيم تستعد بالزيارات وأقواس النصر والدراويز لزيارة الملك أيده الله وحفظه، وقد كسيت أعمدة الكهرباء في الشوارع الرسمية والدوائر بالأنوار الكهربائية واستمرت إقامة الأقواس ومعالم الزينة بأنواع اللمبات الكهربائية الملونة أحمر وأخضر وأصفر وأزرق، وما زالت الأمة في إقامة الدراويز في كل مدينة وقرية، ومنها ما كانت مثمنة.

ولقد حظيت العاصمة بريدة باستعداد عظيم وأقام أهل القصيم بقية جهادي ورجب ومنتصف شعبان وقام أهالي المنطقة يدربون بالعرضات النجدية في كل مدينة وقرية.

ولما أن كان في آخر يوم الجمعة ١٤ شعبان قدم في الساعة السادسة تماماً تزيد ٣٥ دقيقة وقد اصطفت أبناء المدارس صفين على مسافة ٦ كيلوات من أبواب القصور الملكية إلى الجسر الكائن بعد الشقة في طريق المطار فاستقبلته أهالي منطقة

القصيم بالترحيب والأشواق القلبية، ولما أن كان بعد صلاة الظهر من الغد كانت الأمة قد اجتمعت للسلام عليه في القصر الملكي فوقف وعن يمينه ولي العهد وجعلت الخلائق تزدحم للسلام على جلالته وكان يتلقاهم حتى أدوا التحية ولما أن كان في الساعة الثامنة زوالي من مساء يوم السبت بعد صلاة العشاء الآخرة حضر للاحتفال الذي أقيم له ولحاشيته وللأسرة المالكة في الاستاد الرياضي بمدينة بريدة في أبهة عظيمة وأنوار وزينات كأن الشمس لم تغب وكان قد حضر هذا الاحتفال خلائق عظيمة من المنطقة وغيرها بدعوات بعثت إليهم.

وكان هذا الاحتفال فخماً تقدم أمام الأمة ولي العهد يشارك في الاستعراض فعرض في هذا الاحتفال أشياء من الآثار القديمة منها بيت من الشعر تحمله سيارة في وسط البيت أعراب جالسون على النار التي ارتفع سناها بطول متر أمامهم الوجار وأواني القهوة ومنها بئر سانية عليها الدراج والبكرات الجميلة والإبل تحمل الماء، ويسمع للسانية صوت مطرب كعادة القدامى يحمل البئر بسانيتها سيارة أعدت لذلك وكان البئر على ظهر الأرض تسير بها سيارتها.

وخيل وإبل على ظهر سيارة، منها بعير يحمل حملاً من عسبان النخيل.

ومنها دكان محمول على ظهر سيارة تسير به من دكاكين الصناعات في شارع الصناعة القديم أقيم فيه قدر عظيم قد حفر به العمال يدقونه بمطارقهم بصوت يذكر بالعمل القديم.

وكان سوق الصناعات في بريدة قديماً إذا مررت به فإنك لا تسمع بأذن من أصوات المطارق قوم يصنعون القدور النحاسية والصواني الضخمة والمخاريف وغيرها من الأواني النحاسية المدهونة بالبرصاص.

ومما عرض قصر بريدة القديم الذي كان كالعلم فيها تحمله سيارة تسير به عرض ببروجه وأسواره وشرفه ومصاليته وكان مرأى تلك الآثار رائعاً جداً لأنه يذكر بالحالة القديمة كأنها مرأى بعين وكان قد جعل فوقه الحمام تطير بين شرفاته.

ثم سار بموكبه إلى الوليمة التي أقامها له أهالي مدينة بريدة ودعوا لها أهل المنطقة بأجمعهم وكانت قد أقيمت بخيام عظيمة ضخمة يقدر ميدانها بـ (١٣٠٠٠٠) متر مربع مزيناً ذلك المحفل الجميل بالزينات والأنوار التي كان بها في ظلمة الليل كسادسة النهار محفوفاً بالكراسي على اختلاف أنواعها، وكان مرادفاً الميدان الملك خالد الحضاري إلى جهة الشمالي، وقد حضر لذلك الأعيان من المنطقة الشرقية والوسطى والشمالية والغربية والجنوبية وعامة أهالي المنطقة في القصيم.

وكان ذلك الاحتفال قد أقيم في ظرف أربعة أيام، وذلك لأن جلالة الملك لم يعجبه قيام أهالي مدينة بريدة بما قد يشق عليهم، ولما أن حصلوا على إذن من جلالته وتقرر أن تكون وليمة مليكهم ليلة الأحد ١٦ شعبان بعد صلاة العشاء الأخير استطاعوا بما أوتوا من مقدرة وخدمة لإمام المسلمين أن يحشروا المعدات من كل جهة ووافقوا أن جميع الشركات الموجودات في مدينة بريدة تعاضدوا وتكاتفوا لتقديم الدركتورات والشيولات والجرافات لهذه المهمة فظهر احتفالهم في مظهر عظيم لائق جداً في ذلك الوقت القصير.

وأعجب صاحب السمو أمير المنطقة عبد الإله بن عبد العزيز بشجاعة أهل البلد وتقدمهم بحيث ظهرت تلك الوليمة الكبرى لذلك المظهر الغريب، وكنت لا ترى موضع قدم أو شبر إلا وفيه ضيف من كبير وصغير شيخ وكهل وشاب يتزاحون على مائدة الملك فهد بن عبد العزيز وأصحاب السمو الأمراء، وقد تقدم أصحاب الفضيلة العلماء ومعالي الوزراء وأمراء المدن والقرى والهجر من حاضرة وبادية.

ثم لما كان من الغدا سار إلى مدينة عنيزة لتناول طعام الغداء فيها الذي أقيمت مائدته فيها وزار بعض المدن الكبار في القصيم ودخل من بين تلك الدراويز التي أقيمت له.

أما عن ذلك المحفل فقد أقيم في ذلك الميدان بها وياشر الأعمال فيها خمسون

عاملاً ومطبخ كبير لكل من زار مدينة بريدة فقد يذبح في كل يوم عدد من الضأن يتراوح عدده من خمس وثلاثين ذبيحة إلى خمسين ذبيحة، وصبت الثلاثجات والبرادات واستمر عمل العمال أربعاً وعشرين ساعة لا يتخلون عن العمل، وفي يوم المائدة تكلفت مائدة جلالة الملك بستمائة وخمسين ذبيحة، بما في ذلك من الاطعمة والخضراوات وشحنات الأرز مفرقاً على سفرتين خاصة للملك وعامة الجميع الحاضرين، بحيث لم يقم في مدينة بريدة وليمة أكبر منها من حين ما نشأت وبينما كانت الزيارة لثلاثة أيام مددت تسعة أيام بحيث كانت عائلة الملك في صحبته وانتهت بإظهار الفرح والسرور.

وفيهما في ١٦ ربيع الأول خلع الرئيس التونسي الحبيب أبو رقية وأقيم بدلاً عنه الرئيس زين العابدين بن علي، وكان قد تقدمت به السن إضافة إلى ذلك سوء تصرفات جرت منه قد تقدم بعضها.

ومما جرى من عجائب الزمان وقلة وفاء الدنيا وكثرة جفائها أنه بعد الرئاسة والعز والشرف قد بعث برسالة إلى الرئيس الجديد يسمح لبعض أفراد عائلته بزيارته بمنفاه، ولما أن زاره في يوم عيد الفطر قال فيها إنني أرجوك أن تأذن لي بالانتقال إلى منزلي لأكمل ما تبقى لي في منزلي العائلي، وكان منزله قد أصبح شبه متحف أثناء حكمه ويقع في وسط الحي القديم في المدينة ولكنه لم يتلق جواباً على طلبه بل أمر الرئيس الجديد بصرف مرتب شهري له وتوفير منزل مناسب له.

وفيهما في آخر شهر ذي القعدة في الأيام السبعة الأخيرة من نوء الهقعة أصيبت الأمة بموجة حر شديد جداً بحيث هلك عشرات النفوس البشرية في اليونان، وفي بعض المدن السعودية ارتفعت درجة الحرارة إلى (٥٥) درجة، وذكر في مدينة حائل أنهم لم يعهدوا ذلك الحر منذ زمن طويل، وفي هذه الآونة بينما اجتاحت العالم موجة الحر اللاهبة قام اليهود بقطع المياه عن معسكري البريج والنصيرات بقطاع غزة عل أهل تلك الأمكنة يهلكون عطشاً، وفي ذلك يقول الشاعر حسن خليل حسن:

| | |
|------------------------|---------------------|
| سقياك يا رباه للأحباب | عشاق الجهاد |
| الصامدين هناك في | أرض البطولة في بلاد |
| الثائرين على الصهاينة | اللئام على الفساد |
| الناس في بلدي عطاش | كيف يا رب العباد |
| يا رب أهل دون ماء | في بلاد دون واد |
| أيعطشون وحولهم أنهارنا | ملاء البوادي |
| سقياك يا رب فيضا | من سمائك والوهاد |

وفي ٢٠ من شوال من هذه السنة قامت اليهود الصهاينة يجرفون مقبرة للمسلمين في طولكرم وألقوا برفات الموتى على الطرق حقداً واستهتاراً وتحدياً لمشاعر الأحياء وتعبيراً عن حقدها على الأموات.

ومما يندى له الجبين أن تقوم بجرائمها الوحشية وتقتحم قواتها منزل المواطن الفلسطيني إسماعيل البابا وتجمع أفراد عائلته البالغ عددهم ثمانية في غرفة واحدة من المنزل ثم اعتدوا عليهم بالضرب بالهراوات وأعقاب البنادق وقيدتهم بالحبال ثم أغلقوا عليهم الغرفة بعد أن قذفوهم بقنبلتين مسيلتين للدموع.

واشتبكت في القرى بمنطقة الخليل ومدينتي قلقيلية وطولكرم اشتباكات واسعة مع السكان واعتقلت في أثرها عديداً من المواطنين، وقد رفع المواطنون الفلسطينيون خلال هذه الاشتباكات الأعلام الفلسطينية وأقاموا المتاريس والحواجز على الطرقات ورشقوا القوات الإسرائيلية بالحجارة ونددوا بزيارة شولتز لمنطقة الشرق الأوسط.

وفيها في ٢٤ ذي الحجة بلغ عدد الأسراء الإيرانيين في العراق ثلاثين ألف أسير، وبلغ عدد الأسراء العراقيين في إيران سبعين ألف أسير، وقد سبق أن ذكرنا ما حصل من النقص والشقاء بسبب هذه الحرب الإيرانية العراقية، وقد فشلت إيران وخسرت الحرب.

ونشير هنا إلى أن الحكومة الإيرانية لما منيت بالهزائم التي لحقت بها فقد أطارط طائرة من طراز إف ٤ في صباح ١٩ شوال حاولت قصف دار سكن الرئيس صدام حسين في قرية العوجة ولكنها تصدت لها المقاومات الأرضية العراقية فأرغمتها على الفرار بعد أن ألقت قنابلها بشكل عشوائي على منطقة قريبة من دار سكن عائلة الرئيس صدام حسين، ولم ينجم عنها إصابة أحد من المواطنين، وكان ذلك في الساعة السادسة إلا خمس دقائق من صباح اليوم المذكور.

ولما وقف الخميني مكتوف اليدين بأن طلب السكرتير العام للأمم المتحدة تشكيل ثلاثمائة وخمسين مراقباً ووحدتان جوية وبحرية لوقف إطلاق النار بين العراق وإيران.

وقف إطلاق النار

ففي اليوم ٢٩ من ذي الحجة توقف إطلاق النار بين إيران والعراق، وذلك بقيام هيئة الأمم المتحدة بعدما سادت في اليومين قبله حالة هدوء نسبي قبل وقف إطلاق النار فقد قام السكرتير العام للأمم المتحدة يوم الاثنين ٢٥ ذي الحجة من هذه السنة بطلب تشكيل قوة من (٣٥٠) مراقباً بالإضافة إلى هيئة دعم عسكرية ووحدتان جوية وبحرية في إطار هيئة الأمم المتحدة لمراقبة وقف إطلاق النار بين إيران والعراق، ثم قام المراقبون لتدعيم وقف إطلاق النار في انتظار إعلان (خافير بيريز دي كويلار) الأمين العام للأمم المتحدة تقريره الخطي إلى المجلس حول ترتيبات وقف إطلاق النار بعد جلسة مشاورات مجلس الأمن أن الطرفين قد وافقا على وقف إطلاق النار، وقد قامت فرقة تابعة للأمم المتحدة قوامها (٢٥٠) جندياً بالإشراف على وقف إطلاق النار على طول الحدود الإيرانية العراقية التي تمتد لمسافة ألف كيلو ومائتي كيلومتر، وقد قال الأمين العام يوم الأحد ٢٥ ذي الحجة أنه يعتزم من حيث المبدأ إعلان موعد لوقف إطلاق النار ثم جاء التقدم المفاجئ في الجهود المبذولة لإنهاء الحرب الخليجية ثم أن مائة سفينة وسفينة كلها حربية

أمريكية وإيطالية وسوفيتية عبرت قناة السويس قادمة من الخليج العربي بعد انتهاء مهمتها وتضم هذه السفن حاملة الطائرات فورستر والمدمرات (سميث)، ومونتجمري، وميلوك، وسيرفيس، (وسوارنش) والفرقاطة (فالي جرين) ومنها سفيتا اتصالات تابعتان للأسطول الحربي السوفيتي هما (س ٣٠٨ وس بي ٥٣٥) في طريقهما إلى البحر الأحمر وقافلة الجنوب التي ضمت كذلك مدمرتين إيطاليتين (إدرتو) و(إسبيرو).

ومن العجائب أن حوشر الأمين العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دي كويلار داخل أحد المصاعد عندما كان في طريقه إلى مكتبه لإجراء محادثات مهمة مع وزير الخارجية الإيراني علي أكبر ولايتي حينما كان يسعى في مهمته وكان المصعد قد صعد نحو أربعة أقدام فقط عندما توقف فجأة وقد فتح حراس الأمين العام للأمم المتحدة باب المصعد عنوة وساعدوه على الخروج ليستقل مصعداً آخر.

وفيها حصل في الهند في نيودلهي وباء الكوليرا فذهب ضحيته مائتان وستون شخصاً وهو الالتهاب المعوي، وقد تم تشخيص (٢٣٢٧٩) حالة منذ بداية الوباء في أعقاب أمطار غزيرة، ولقح ضد الكوليرا حوالي مليونين ونصف مليون وتسببت موجة الفيضانات الحالية باجتياح أجزاء عديدة في الهند وقتل عدد من السكان وارتفع عدد القتلى إلى (١٧٨) قتيلاً.

وفيها في آخر السنة دمرت السيول عشرة آلاف مسكن في الخرطوم وكسلا والشوك وذلك في ٢٧ ذي الحجة وعاشت تلك البلدان في أسوأ كارثة منذ عام (١٩٤٦م) وعاش مليون شخص في السودان بدون مأوى، وذكرت إحدى المسئوليات أن مائتين وعشرة أشخاص ماتوا جوعاً في السودان وأن ما بين (٢٠) و(٣٠) شخصاً يموتون جوعاً يومياً في منطقة واحدة وأن الكثيرين سيموتون ما لم تصل المعونات الغذائية قريباً ومعظم الذين ماتوا من النساء والأطفال فعياداً بالله، ولقد عظم هطول الأمطار في السودان حتى بلغ الماء إلى منتصف الأشجار العالية في الشوارع وأثر ذلك تعكيراً في طقس السودان نشأ عنها حمى وأمراض.

وفيهما وفي السنين التي قبلها قل نبات الكمأة بأسباب تأخر الأمطار في الوسمي لأن أمطار الوسمي سبب لوجودها فلاسباب تأخر الأمطار في زمن نفعها وكثرتها في عدم نفعها إذا كدست الزروع أو جعلت في البيادر فيكابد المزارعون مشقة من ذلك لتعفنهما، وهذا بأسباب الذنوب والمعاصي، قلت الكمأة جداً وإن وجدت فإنها تباع بقيم باهظة فلا يحصل عليها إلا الأثرياء وأصحاب الجدة من الأقوياء.

وقد قال عنها رسول الله ﷺ : «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» ففي هذه السنة في ٢١ من جمادى الثانية ٢١ برج الدلو بلغت قيمة الكمأة حينما وجدت إن بيع الكرتون المحتوي على أربع كيلوغرام ثلاثة آلاف ريال وخمسمائة ريال وبيعت أربع حبات من الكمأة (الفقع) بأربعمائة ريال، وهذا يعتبر من نواذر الزمان بحيث كانت قيمة الوزن التي تعتبر في زمننا كيلوغرام وربعاً منذ ستين سنة ببشيله ونصف من العملة القديمة أي بقدر عُشر ريال جزء من عشرة ووزنتين بخمس ريال جزء من خمسة فكانت قيمة أربع كيلوغرامات إذ ذاك بثلاث ريال فسبحان المتصرف في خلقه على وفق مراده.

وكنت أذكر أنه في عام (١٣٧٤هـ) يجلس البائع ولديه على بساط أمامه في ماقفة بريدة كومة من التمر وكومة من الإقط وكومة من الكمأة (الفقع) وكومة من الجراد فيأخذ المشتري مما يشاء الوزن بعُشر ريال بضم العين المهملة.

وما زالت مواد الغذاء تزداد في الغلاء حتى كان المشلح بعدما كان بثلاثين ريالاً بلغت قيمته أربعة آلاف ريال، وقد حدثني المسنون أن بلغت قيمة التمر عشر وزنات بريال وبلغت قيمة البر إن كان خمسة أصواع بريال، وما زالت المؤونة تشتد كما ذكره الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه في حديث ابن عمر رضي الله عنهما : «ما طفف قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان» فقد بلغت قيمة صاع البرّ الممتاز أربعة عشر ريالاً وبلغت قيمة الشعير الممتاز للأكل نحواً من خمسة ريالات وهلم جرا.

كما أن قيمة السيارة الممتازة للركوب في هذه السنة بلغت ثلاثمائة ألف ريال، وبلغ كيلو التمر السكري الممتاز في هذه السنة أربعة وعشرين ريالاً.

وقد اشترت هدي التمتع عام (١٣٥٩هـ) بثلاثة ريالات، فحدث الأخ الزاهد محمد بن إبراهيم النجدي بذلك متعجباً من الرخص فذكر لي أنه ضحى تلك السنة بمئتي بيتس من المعز قيمته ريال واحد.

كما أنني أذكر أنني خرجتُ معي أحد الرفقة على أثر هطول أمطار نزلت بالأمس لنرى آثار نعم الله فمررنا على بئر تقع على مسافة عشرين دقيقة من المدينة قد تعطلت فوجدنا بقعة على نيلتها تقدر بتمر ونصف في متر ونصف قد انشالت وارتفعت بقدر ثلاثين سنتماً فرفعناها فوجدنا قد رفعها نوع من الكمأة يسمى الفطر وتسميه العامة فطيراء كانت النباتات التي وجدناها تقدر بعشرين لكننا اقتصرنا على عشر منها بحيث كانت تملأ قدراً متوسطاً من قدور الطبخ، وقد رأيت منذ خمسين عاماً قرب السمن البري المستخرج من ضروع الأغنام ملقى على ظهر الأرض حوالي دكاكين الماقفة المذكورة فعددت أمام دكان واحد أربعين قربة من النحاء التي ملئت بالسمن.

وكانت عقيل الذين كانوا ينحدرون إلى العراق ويذهبون إلى مصر والشام للتجارة يفرغون ذلك السمن العظيم في براميل كبار يسع الواحد منها أربعاً وعشرين مصفحة فيجعلونه في تلك المصفحات.

وأقسم بالله لو كانت تلك القرب تملأ ماءً لا سمناً لنزفت الآبار التي تؤخذ منها، وفي زمننا هذا قلت تلك البركات ونُزعت الخيرات، فقد بلغ كيلو السمن البري إن كانت قيمته بخمسة وستين ريالاً ولولا ما كان يرد من الجوالين المعروفة بعافيه وفقهه ونحوها من الأسماء لأوشك أن يعدم السمن وكانوا يسمونه السمن الشجري.

أما عن الودك المصفى قبل من شحوم بهيمة الأنعام والذي كان قوتاً للأمة قبل

ذلك، فإنه لا يكاد يؤكل ترفعاً عنه، ولما حدث من الرفاهية في أكثر الخلق والترف والمدينة التي اكتسبوها من البلدان الأخرى، وقد كان الودك فيما مضى مادة للسرج والمصابيح وإداماً للطعام فأصبح في هذا الزمان معطل المنفعة.

كما أن شجر الإثل الذي كان فيما مضى سقوفاً للبيوت وأبواباً ووقوداً قد استبدل الناس عنه الغاز وقوداً والحديد والإسمنت سقوفاً وأصبحت الأبواب من الحديد فلا تجد أهل بيت في المدر أو الشعر إلا ووقودها من الغاز، وتجد البادية فضلاً عن الحاضرة يتسصبحون بالأنوار الكهربائية ويستغلون مادة الكهرباء للمنافع الأخرى من تبريد وتسخين وتغسيل وغير ذلك من الطبخ والطحن وتسخير الهاتف للمكالمات القريبة والبعيدة وغير ذلك مما توفر لديهم من المستحدثات الحديثة وأصبح من في مشارق الأرض يكلم من في مغاربها وقد يجلس الإنسان في رفائف سيارته مستصحباً للهاتف السيار فلا يفوته شيء من أن يكلمه كائناً من كان وتأتيه المكالمات وهو يسير في السيارة وإنها لعبرة وآية من الآيات، وهذا من أحدث ما توصلوا إليه، ومن عاش فسوف يرى.

وفيهما في ٣٠/٣ فرغ من عمارة مسجد القبلتين في المدينة المنورة، وكان قد مضى عليه سنون طويلة مقاماً من عمارة تركيا، فأقيم في هذه السنة من طابقين وأضيفت إليها زيادات أخرى فكان الطابق الأسفل دورات مياه رجالية ونسائية، وما يحتاج المسجد إليه، والطابق الثاني أقيم عليه المسجد بعمارة حسنة جميلة على يدي جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وخدم المسجد بفراشين وخدم تظهر المسجد بمظهر رائع.

ظاهرة غريبة، جني يشهر إسلامه

كان في مدينة الرياض فتاة قد تلبسها جني يسبب لها حالات من الصرع كادت أن تقضي عليها فأعلن إسلامه على يد الشيخ عبد الله بن مشرف العمري، وكان قد عجز عن علاجها عدد كبير من الأطباء، ولما جيء بها إلى عبد الله العمري قرأ

عليها آيات من القرآن فخطبه الجان من داخل جسد الفتاة بصوت واضح ويختلف تماماً عن صوت الفتاة، وحيثُ طلب منه الشيخ أن يشهر إسلامه فنطق بالشهادتين وتعهد بعدم الأذى لأي إنسان مؤكداً توبته ثم أطلعه القارئ على تعاليم دين الإسلام وسُنَّة رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد جيء بهذه الفتاة التي قرأ عليها عبد الله بن مشرف العمري عضو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في فرع العلّيا إلى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد فأقر الجني أمامه بالشهادتين واعتناق دين الإسلام وأنه لا يعود إلى الأذى مؤكداً ذلك بالتوبة.

وفي آخر هذه السنة أعلنت صحيفة سودانية وفاة ثمانية آلاف شخص في السودان من الجوع نتيجة الفيضانات فيها.

طاعون الإيدز

كان هذا الوباء الذي ظهر في هذه السنين الأخيرة بلغ من أمره أن كان ينذر برفع معدل الوفيات ممن ابتلوا به بين المواليد بنسبة ٢٠٪، والشباب بنسبة ٥٠٪. وأصبح طاعون هذا العصر في عام ١٤٠٨ هـ يهدد بتحويل حكومة زائير إلى دولة من الأيتام، وقد يتوقع أهل المعرفة والعلم إلى أن أسبابه الزنا واللواط، نسأله تعالى أن يعافينا وسائر المسلمين من بليات الزمان.

فقد حدثني ثقة أنه وقف على متحف في مدينة مدريد عاصمة إسبانيا فرأى بعيني رأسه غير رواية خمسة وثلاثين ذكراً قد علا بعضهم على بعض عُراة كل واحد يفعل الفاحشة بالآخر والمفعول به واقفاً على من بين يديه يفعل به الفاحشة منتظمين.

ورأى في متحف آخر فيها أربع إناث عاريات مستلقيات فجاء شاب وجعل يجامعن واحدة بعد الأخرى والناس ينظرون، قال ثم رفع ذكره من الرابعة ورشق

بين الحاضرين ببقية مائه وهم يضحكون، وكان كلما قام من امرأة أقبلت على ذكره تمتصه وتلحسه، فهل بعد هذه الهمجية من شيء، وصدق عليهم وصف رب العزة والجبروت حيث يقول: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (١) فإن قيل كيف يمهلهم الله عز وجل وهذه أعمالهم فيقال أن الأمور مرهونة لأوقاتها، فقد رأيت في بعض الكتب أن الله جلت عظمتة أمر جبريل أن يخسف بمدينة كذا وكذا فقال: يا ربّ إن فيهم عبدك العابد الزاهد فلاناً، فقال الله عز وجل: به فابدأ فإنه الليلة الماضية قد وقع على سبعة ذكور وسبعين امرأة في الحرام، فأدخل جبريل جناحه في تخوم الأرض ليقبها ويجعل عاليها سافلها فقدر أن امرأة كانت تخبز في تنور لها وبين يديها طفل قد اشتد به البكاء فكانت في حيرة من أمرها فهل تبدأ بالطفل الذي يكاد أن يهلك من الصراخ والبكاء فيحترق عجينها أم تدرك العجين قبل أن يحترق فيهلك الصبي، فتكلمت بكلام غريب تخاطب الطفل قائلة يا بني احلم فإن الله يحلم لا يعاجل بالعقوبة صاحب المعصية.

فارتفعت هذه الكلمة إلى من سبق حلمه غضبه وعفوه عقوبته فنادى: يا جبريل إني حلیم لا أعاجل بالعقوبة صاحب المعصية، فسلمت المدينة بسبب هذه المرأة التي كان من المصادفات ذكرها لسعة حلم الله في مضايقة ابنها لها.

وفيها في ١٢/٢٦ تم ترشيح ثمانية وسبعين مُدرساً في المملكة السعودية للعمل في خارج المملكة أضف إلى ذلك مساعدات للمنكوبين في السودان وفي فلسطين المحتلة بحيث كان ثلاثمائة ألف وخمسون ألف طفل فلسطيني يعانون ظروفاً مأساوية في الأرض المحتلة وأشياء أخرى في بعض البلاد الإسلامية توليها الحكومة السعودية عنايتها واهتمامها كاليمن الشمالية والعراق وغيرها، ومن ذلك البحرين، وجعل جسر ليسهل الاتصال منها وإليها.

(١) سورة الفرقان، آية ٤٤.

زيارة الوزير الأمريكي

كان الهدف من هذه الزيارة هو أن هذا الوزير جورج شلتز قام مبادراً لحماية إسرائيل من الزلزال الذي أحدثته الانتفاضة الفلسطينية والصمود في جنوب لبنان فلم تنجح زيارته، وقد قدم المواطنون الفلسطينيون احتجاجاً فأضربوا لهذه الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الأمريكي، وقد حشدت سلطات الاحتلال الإسرائيلي المزيد من القوات والآليات في منطقة الحرم القدسي، وأقامت الحواجز على الطرق المؤدية إلى القدس للحيلولة دون وصول المواطنين من الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطين المحتلة لأداء صلاة الجمعة في المسجد الأقصى.

ذكر ما ألقاه الله من الذل على اليهود

ولما كان الله عز وجل قد وعد وهو الذي لا يخلف الميعاد أنه ضرب الذلة والمسكنة عليهم أينما ثقفوا إلا بجبل من الله وحبل من الناس، نعم بجبل من الناس فما انتصروا حتى كانوا تحت حماية أمريكا، فكانت تحوطهم وتحميهم، وكلما تولى رئيس في أمريكا فتأخذ عليه حماية اليهود ومناصرتهم.

وذكرت الأنباء الواردة من الأراضي العربية المحتلة أن مكاتب الشركات والبنوك الصهيونية بدأت تنتقل من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى فلسطين المحتلة عام (١٩٤٨م) بعد تعرضها للرشق بالحجارة والزجاجات الحارقة ووقوع المذكورات في مناطق تشهد اشتباكات بين المواطنين الفلسطينيين وقوات الاحتلال الصهيوني.

وقام وزير الحرب الإسرائيلي إسحاق رابين بطلب أموال من الخزانة الإسرائيلية زيادة الميزانية (٤٥٠) مليون دولار لمواجهة الانتفاضة العارمة، ولقد طلبت إسرائيل من بعض المسئولين في هذه الانتفاضة أن تتوقف هذه الحركات الفلسطينية لما رأت نشاطها حتى تهدأ الأمور كهذه، ولكنهم أبوا إلا مواصلة

أعمالهم التي أزعجوا بها اليهود من رميهم بالحجارة وقذف الزجاجات الحارقة وإشعال النيران بالإطارات في الطرق وإزعاج اليهود لعلمهم أن وقف الانتفاضة خديعة ومكر ومكيدة منها كما قد جربوا في سالف الأزمان.

واستمر الثائرون في نشاطهم وإقلاق راحة اليهود وأن صدور هذه الأمور من اليهود ونقلهم الشركات والبنوك من هذه المواضع ليدل على ما كابدوه من شباب فلسطين وقلقههم من اعتراف الدول وإقامة سفارات للحكومة الفلسطينية في الحكومات العربية والإسلامية وبالرغم من عقد المؤتمرات بمنة ويُسرّة في شأن فلسطين وأهالي فلسطين ولبنان وأهل لبنان وسعي ملوك العرب والمسلمين ورؤساؤهم في هذا الموضوع فإنها لم تسفر عن نتيجة تذكر ولم تضع الحرب أوزارها في الأراضي المحتلة ولم توفق الدول الكبرى لحل سريع يضمن للعرب سلامتها وراحتها.

والسبب الوحيد الذي عرقل الأمور وكان عقبة في طريق الإصلاحات وإطفاء الفتن هو أمران:

أولاً: ما أوقعه الله عز وجل من الانشقاق بين الأمم في مشارق الأرض ومغاربها بحيث كثرت الثورات والمنازعات وإراقة الدماء ودمرت المساكن وأهينت الكرامات، وكان لكل حزب صوت يريد ارتفاعه وأصبح غالب الأمم غير آمنة ولها مراتع في هذه الفتن العمياء وكل هذا بأسباب الذنوب والمعاصي.

الأمر الثاني: فيما يتعلق بالعرب والمسلمين فإنهم كانوا متفككين ومتخاذلين ولم يكونوا كئيد واحدة على الأعداء ومنهم من يرجى منهم العلاج ولكنهم لا يحسنون.

ومنهم من يسعى ظاهراً في الإصلاح ولكنهم في الباطن متأخرون أو مخادعون وتجتمع الأمة للنظر في المشاكل وعلى غير جدوى يتفرقون، وكلما خرجوا من مشكلة وقعوا في أخرى، وهذا لاختلاف الآراء وعدم انقياد بعضهم لبعض.

ولقد سعى جلالة الملك فهد بن عبد العزيز بالإصلاح بين الرؤساء من ملوك العرب ورؤسائها وبذل قصارى جهده ونجح سعيه شئاً ما فهذا العراق وسوريا كانت الأمور بينهما متأزمة ولكنها ستتحل بالإصلاح ودعيت مصر بعد قطع العلاقات معها إلى تحسين الوضع فاستجابت لما كان عليه حسني مبارك من حُسن التفاهم وسعى المصلحون بين مصر وليبيا لإزالة الحن والأحن التي بينهما فنجح الصلح وتبادلنا السفراء ويوشك أن يظهر لذلك سير الأمور على ما تقتضيه المصلحة العامة.

وبذلك ينتصر الإسلام وينهزم الأعداء القائمون ضد الإسلام الذين لا يزالون يبرمون حبال الفتنة بين الرؤساء ليدركوا مقاصدهم خلف هذا النزاع ويشتوا شمل الإسلام والمسلمين ويمزقوا مجتمع الأمة ويحرقوا أديمه ويعملوا على تمزيقه كل ممزق ولقد نجحوا فيما يطلبون وأدركوا ما إليه يسعون ولكن العقلاء سيتلافون الأمور وينتبهون من سِنَّة النوم والغفلة.

وكان من دهاة العرب من جمع أولاده عند وفاته فدعى مجزئة من العصي فأمرهم أن يكسروها جملة واحدة فشق ذلك أو تعذر فأمرهم أن يكسروها واحداً واحداً فتكسرت فقال هكذا يتوصل الأعداء بكم إذا تفرقتم ويعجزوا عنكم إذا ما اجتمعتم.

ومن نظر إلى ما وقع في لبنان وما جرى بين إيران والعراق وما حل في السودان من الانشقاق وعقوبات الله فإنه يرى العجب العجائب، وفي كل صباح يوم ومساءه تنشر الإذاعات وتروي ما حصل من المجازر والمذابح والاستهانة بسفك الدماء وابتلى الله عز وجل بعض الأمم بالفيضانات والرياح المدمرة والزلازل المهلكة والجوع والفقر وأنواع الأمراض والهلاك والله تمام الإرادة والتدابير ومن عاش فسوف يرى.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فهد بن ناصر بن جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، كان من الشباب الأشبال توفي في ذي القعدة بعد وفاة والده بأربع سنوات رحمه الله، وقد حزن عليه أهله وأقرباؤه وأصدقاؤه، وجاءت التعازي من الملك ومن البيت المالكة لإخوته وأبنائه، كما جاءت التعازي من الأمة لصاحب الجلالة الملك فهد ولولي العهد عبد الله بن عبد العزيز وللنائب الثاني ووزير الدفاع سلطان بن عبدالعزيز.

ومن توفي فيها سالم بن محمد بن لادن رحمة الله على أموات المسلمين.

وفيهما وفاة أكبر معمر في الضفة الغربية من فلسطين وهو الحاج عبد الفتاح القميز عن عمر يناهز المائة والثلاثين عاماً، كانت وفاته في يوم الجمعة ١٢/٢٧ في إحدى القرى قرب قرية قضاء الخليل، وكان له نحو من مائة وخمسين ولداً وحفيداً، وهو يتمتع في طيلة هذا العمر بكامل قواه العقلية والجسدية، وفي ذلك عبرة لمن يخشى.

وفيهما في اليوم الثاني من شهر شعبان الموافق ليوم الأحد ٢٠ آذار مارس (١٩٨٨م) قام الرئيس صدام بعد الزوال من ذلك اليوم بالهجوم على مدينة حلبشة أو حلبجة شمال شرق العراق بطائرات الميغ والهيلوكبتر وألقت على أهلها الغازات السامة والكيماوية والقنابل فقتلت خمسة آلاف وجرحت عشرة آلاف تركتهم معوقين وأسفر ذلك الهجوم عن خمسة عشر ألفاً بين قتيل وجريح ملقين في الشوارع، ثم عاد وقتلهم وأصبح أولئك الأكرام الضعفاء فريسة بغيه وعدوانه.

أما عن فلسطين فحصل ارتباك في الأسواق من فلسطين المحتلة بسبب ثورة أطفال الحجارة، ووقعت خسائر بنسبة ٦٠٪ في الخزينة الإسرائيلية من الدخل السياحي.

حادثة غريبة

في شهر رجب من هذه السنة ولد مولود بلا دُبر والله على كل شيء قدير فعملت الأطباء له ليا يخرج البراز من سرته حتى يتقوى للعملية ثم أجريت له عملية بعد ستة شهور من ولادته في شق دبره ونجحت وعاش، قال الله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(١) ويقول إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الرابعة أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

حادثة أخرى

في أوائل شهر ذي القعدة من هذه السنة ولد مولود مشوه عيناه برأسه ارتفاعاً وأنفه إلى أسفل وجهة تخطيطها لسيت عادية وبطنه طبقات كبيرة كبطن البعير ورجلاه ويدها كقوائم القط وهو خنثى وقد ألقاه أهله لما ولد بهذا الوضع في حوش البقر لأن لا ينزعج الصبيان ومن يراه برؤيته ومات فدعو له مغسله ولما أن حضرت خبروها لأن لا تنزعج وأوصوها بالكتمان في شأنه، وهذه إحدى الولادات التي ليست طبيعية نسأل الله العافية.

وقد ذكر المؤرخ ابن بشر في تاريخه أن امرأة ولدت كلباً في إحدى السنين وهي من نساء العرب فخافوا الفضيحة وقتلوه وهي من أهالي الشبيكة في مكة عام (١٠٩٥هـ)، وبما أن الله جلت عظمتة هو القادر على كل شيء وهو القاهر فوق عباده فله تمام الإرادة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فنسأله تمام اللطف وحسن الرعاية.

كما أنه ولد مولود ذكر في إحدى مدن القصيم بصورة إنسان، ولكن جلده

(١) سورة الانفطار، آية ٨.

عليه شعر ورأسه يشابه رأس الكبش وذلك من مدة أربع سنوات قبل هذه السنة فخاف أهله من الفضيحة، وفقد فلم يخرج إلى عالم الأحياء.

وفيها قام الرئيس السوفيتي ميخائيل غوربتشوف بزيارة لأمريكا وذلك في يوم الجمعة ٢/ ٤ فتلقاء الرئيس الأمريكي والولايات المتحدة بالترحيب والاستقبال الرسمي، وكانت هذه المقابلة بين ميخائيل غوربتشوف وبين الرئيس الأمريكي رونالد ريغان وجرى بينهما مفاوضات في شأن الصواريخ في أوروبا وغيرها وعقدت اتفاقية بين رئيسي الدولتين العظميين.

وفيها في يوم الأحد ٧ جمادى الأولى ٢٦ ديسمبر (١٩٨٨م) اجتمع رؤساء مجلس التعاون في الرياض للدورة الثامنة لدول المجلس حضره الملك فهد بن عبد العزيز وولي العهد عبد الله بن عبد العزيز ووزير الدفاع سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني وحاكم البحرين عيسى بن سلمان بن حمد بن عيسى بن علي بن خليفة وجابر بن أحمد الجابر بن صباح حاكم الكويت، وخليفة بن حمد بن عبد الله بن قاسم بن ثاني حاكم قطر، وزايد بن سلطان بن نهيان رئيس الإمارات العربية، وقابوس بن سعيد سلطان عُمان.

وفيها أعلنت الحكومة السعودية للعالم أجمع تهديد كل من يريد التشويش على حجاج بيت الله وزيارة مسجد رسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه مستهدف للعقوبات وبما أن حرمة البيت والمشاعر المقدسة لم تحترمها إيران في العام الماضي فقد استعدت السعودية بقوات عظيمة خشية من الطوارئ، وبذلت الحكومة السعودية الثلوج والمياه الصحية لخدمة ضيوف الرحمن وحج المسلمون القادمون ممن تقلهم الغبراء وتظلمهم الخضراء بطمأنينة وأمن ورخاء وصحة ولم يجر حوادث ولم تحج إيران في هذه السنة لأنها أعلنت حج مائة ألف وخمسين ألفاً من إيران فلم توافق الحكومة السعودية إلا أن يحج خمسة وأربعون ألفاً منهم، وصدق الله حيث يقول: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلْقَكُمْ يَغْوَنَكُمُ

الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ (١)

والله المسئول أن يهدي إيران ويهدي جميع من خرج عن سواء السبيل ويردهم إلى الحق ويرغم الشيطان ويرده ناكصاً على عقبيه يجر أذيال الخزي والهزيمة.

وقد أعلنت الحكومة أن في اليوم الرابع من ذي الحجة يتكامل عدد الحجاج الواردين إلى مكة المكرمة، وستغلق الأبواب بعد ذلك اليوم براً وبحراً وجواً لتهم الحكومة بالحاضرين، وقد حصلت العناية الكاملة والرأفة بالحجاج وانصرفوا داعين شاكرين للحكومة السعودية بما بذلته من أسباب الراحة والطمأنينة فلله الحمد، فثلاثة ملايين اجتمعوا في عرفة والمشاعر المقدسة وتفرقوا بعد الحج والزيارة بخير وسرور.

لبنان والحديث عنه

ففي يوم السبت الموافق ١١/١١، ٢٢ حزيران (١٩٨٨م) ظهر في المستشفيات عدد من المرضى مصابون بحروق جلدية ومنهم مصابون بانتفاخ في الوجه ومنهم مصابون باحتقان في المجاري الهوائية إضافة إلى حروق في العينين والأذنين إضافة إلى التسمم من جراء أكل لحوم فاسدة تأتي من إيطاليا إلى مرافئ (أريتريا) التي تحتلها (إثيوبيا) وهي عبارة عن نفايات نووية وصناعية مشغلة فزيادة عن ما هم فيه من الحروب والتقتيل والدمار والخوف كانت الأغذية الواردة عليهم غير مضبوطة في الصحة وأنها مواد سامة مميتة، وقد تداركت عليهم هذه المصائب حتى من جراء أطعمة فاسدة وقد قيل أن جانباً هناك أتى من باخرة سورية تدعى (زنوبيا) وكانت تلك الحمولة مملوءة من النفايات القذرة والبراميل التي مكتوب عليها سريعة الاشتعال وأصبحت تلك الحمولة مملوءة من النفايات القذرة.

(١) سورة التوبة، الآيتان ٤٧ و ٤٨.

ثم أفرغت ضارة من كل الجهات بحيث إن أحرقت ضرّت وإن أُلقيت في البحر أحدثت أضراراً، ولا ريب أن الذين يبيتون الغدر للبنان لم يكتفوا بالتحريش وإلقاء التشاجر فيما بينهم حتى بعثوا إليهم ما يبدهم إن استعملوه وهي من الأعمال السرية التي تجري بالخفاء وقد اكتشف الأطباء تلك المواد والنفايات فوجدوها مسمومة مهلكة.

وقد تلقت وزارة الخارجية اللبنانية من القنصل العام للبنان في إيطاليا يسأل فيها عن شركة لبنانية تولت أمر إتلاف نفايات صناعية كيميائية إيطالية في لبنان ويقول القنصل في برقيته أن الشركة اللبنانية قدمت أوراقاً قانونياً وعليها أختام رسمية وتواقيع مسؤولين بحيث سمح لها أن تتولى نقل هذه النفايات فاستقبلتها وطمرتها في لبنان ورغم برقية القنصل فالنفايات كانت قد رحلت إلى لبنان، وكان المقصود منها إيقاع الأذى والأمراض في لبنان بأيد فعالة ذكرت ذلك جريدة الشرق الأوسط في عددها (٣٤٩٧) من هذه السنة.

ولقد قام رجال المقاومة اللبنانية بلغم أرضي مضاد للمدرعات الإسرائيلية داخل الشريط الحدودي المحتل بجنوب لبنان، فأصيب عدد من جنود الاحتلال الإسرائيلي بجروح بالغة وهاجموا هؤلاء الجنود وأمطروهم ببوابل من نيران الرشاشات بعد انفجار اللغم وهاجم رجال المقاومة أيضاً موقعاً تابعاً لليهود في ذلك الموضع المحتل فاستخدموا الأسلحة الرشاشة والقنابل الصاروخية مما حمل اليهودي على جلب طائرات الهليكوبتر لنقل المصابين من ذلك الموضع إلى مستشفياتهم واستمر التوتر في الجبل وبيروت الشرقية ووقع اشتباك مسلح في بلدة كفر شيما في إقليم الخروب بجبل الشوف استعملت فيه الأسلحة الرشاشة والقذائف الصاروخية مما أسفر عن إصابة عدد من القتلى والجرحى، وهذا كان في اليوم الخامس والعشرين من ذي الحجة، أما ما فعلته اليهود المشؤومة فقد قامت في أوائل هذه السنة في ١٢/١ بمحكمة على المخيمات في لبنان وأمطرتها وابلاً من

القذائف النارية بحيث سقط خمسون من الشيوخ والأطفال موتى على ظهر الأرض وأصيب ثمانون بجروح فمائة وثلثون أصيبوا ما بين قتيل وجريح وتوالت الحن في لبنان.

أما ما كان عن أهل الضفة الغربية فقد قام زعماء منظمة التحرير الفلسطينية والمناطق المحتلة في فلسطين بوضع وثيقة الاستقلال الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات الذي قام بتشجيعاً وهذه الوثيقة مفادها في مواد جاء في الثانية منها يتأسس الدولة الفلسطينية المنتظرة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات وجاء في الثالثة يتم الإعلان عن المجلس الوطني الفلسطيني كبرلمان للدولة الجديدة وذلك بمشاركة شخصيات من الأراضي المحتلة وجاء فيها يكون للدولة الفلسطينية الجديدة نظام جمهوري ورئيس ينتخب من قبل البرلمان.. الخ.

وقد دخلت الانتفاضة الفلسطينية شهرها التاسع في ١٢/٢٦ من هذه السنة وهي في اندفاعها وصلابتها واستطاعت الانتفاضة بأساليبها النضالية من الضرب بالحجارة والعصي والزجاجات الحارقة والسكاكين وحرب الحرائق تسجيل نقاطاً إيجابية مقدمتها صدور ثلاثة قرارات عن مجلس الأمن في غضون أشهر قليلة أكدت للمرة الأولى حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واعترفت بالأراضي الفلسطينية المحتلة، وقد عمل الثوار انفجاراً في مستعمرة صهيونية وتدمير وإحراق ١٤ سيارة وحافلة إسرائيلية.

بيان عن شبكة الكهرباء في المملكة السعودية

وذلك لأنه لما كان في السنين الأخيرة بعدما رأت الدولة أنه لا قوام للأمة إلا بالكهرباء التي أصبحت الأمة تستخدمها، فقد أقيمت مكائن في غاية القوة وتم توفير الطاقة وتحسين شبكاتها في المملكة، وقد كلف عملها (٦٥) بليون ريال خمسة وستين بليون ريال، ولكنها اطمأنت الأمة لما كان التيار أرضياً يرتفع عند الحاجة إلى الخزانات الكهربائية المغذية للسحب وإلى وصول المساكن والمحلات الصناعية وإن

كان في ذلك نفقات باهظة، ولكنه كما قيل الراحة لا تُنال بالراحة فقد امتدت الشبكات في البراري والصحاري وربطت المدن والقرى بعضها ببعض وأوشك أن يكون الخط منتظماً بالأنوار الكهربائية لهداية السائرين في الليل وأمسى الليل في هذه الطرق كالنهار في الإضاءة.

نبأ وفاة الخميني

لما كان في اليوم الثاني الموافق ليوم الخميس من ذي القعدة ١٩ حزيران يونيو عام (١٩٨٨م) أذاعت لندن خبر وفاة الخميني البالغ من العمر ٨٨ عاماً، ولكن إسرائيل نفت هذا الخبر وطلبت هل كان هذا النبأ عن مصدر وثيق ولكن شبكة الأخبار الأمريكية قد ذكرت قبل ذلك أن الخميني يعاني من سرطان مزمن في الكبد، هكذا قرر الأطباء عنه ولا ريب أنه مريض وتقدمت به السن لكبره وكان قد حمل على صاحب الآيات الشيطانية وضلاله وأفتى بقتله، وكان الأخير قد غير آيات القرآن الحكيم وحرفها وبدلها والعياذ بالله نسأل الله تعالى أن يكيد من أراد الإسلام وأهله بسوء، ويرد كيده في نحره.

ولا ريب أن حملات الخميني على هذا الضال المضل تعد من حسناته إن كان له حسنات، وختمت هذه السنة بخير والحمد لله لا نحصي ثناء عليه.

ثم دخلت سنة (١٤٠٩هـ)

استهلّت هذه السنة بيوم السبت ١٣ آب أغسطس الموافق عام (١٩٨٨م) ٢١ الأسد ٣ الثرة الموافق (٣٥٥) من نوء سهيل، ففيها في ١/١٢ سرنا نحن والعائلة مولين وجوهنا شطر المسجد الحرام لأداء العمرة، وقد كان الوقت مناسباً لزيارة بيت الله تعالى، وكانت الفرصة سانحة، ولما أن قدمنا محرمين إلى مكة المكرمة ذهب أحد الأنجال لاستئجار بيت للسكن في حارة الشامية وجاورنا بمكة المكرمة أربعة أيام تمتعنا خلالها برؤية البيت العتيق والطواف به وتقبيل الحجر الأسود واستلام

الركن اليماني فأربعة أيام قد منَّ الله بها علينا في الصلاة في الحرم المكي الشريف والطواف بالبيت وتلاوة القرآن.

ثم سیرنا في ١٧ / ١ إلى المدينة المنورة للصلاة في المسجد النبوي وزرنا قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وسائر الصحابة وقبري صاحبيه ولبثنا فيها أربعة أيام.

وقد استهلكت هذه السنة وأهالي السودان في حالة يُرثى لها وتأزمت الأحوال لا من جهة انشقاق المتمردین فيها بل من جراء الأمطار والفيضانات بحيث شُرِّد من الخرطوم مليونان بلا مأوى وارتفع منسوب المياه إلى منتصف الأشجار ثم أنهم ابتلوا بالجراد الذي غزاها في أوائل هذه السنة وقد بعثت بريطانيا خمس طائرات عن طريق مصر لإغاثتهم بالأغذية والفرش، أما عن الحكومة السعودية التي حملت إليهم الأغذية والإغاثة بالملبوسات والفرش والأدوية وغيرها، فقد بلغت الطائرات المبعوثة منها إلى السودان إلى غاية ٢٤ محرم الموافق ليوم الاثنين ٥ أيلول سبتمبر (١٩٨٨م) مائة طائرة وسبعين طائرة.

ظهور الجراد في المملكة

لقد ظهر الجراد في المملكة العربية السعودية كما توقعت ذلك بريطانيا قبل ذلك ففي ٨ / ٣ / ١٤٠٩هـ، وصلت أفواجه وأسرابه إلى مدينة حِدة مقبلاً من السودان وأخذ ينتشر في الشوارع والأشجار بحيث عراها من الورق وقامت فرق الإبادة تكافحه بطائراتها لإبادته والقضاء عليه لأن وجوده في هذه الأزمنة الأخيرة يترجح ضرره على منفعة وهو وإن كان مأكولاً حلالاً وقد يعيش الفقراء سابقاً على اقتناته ويقول الصحابي: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد. ويقول عنه بعض الأطباء المتقدمين: ما أكل ابن آدم طعاماً أضر عليه من الباذنجان والجراد لأنه يورث الهزال في الجسم فإن الله أوسع على خلقه في هذه الأزمنة

الأخيرة بأنواع المأكولات ولكن بعضاً من الناس لا يزالون يأكلونه ويعتبرونه طرفة ويستحسنونه ولا سيما إذا كانت الإناث منه مملوءة بالزهومة وهي السمن ويسمونهم نقوعة.

وبما أنه يكافح بالرش بالمبيدات فإن الحكومة لا تزال تحذر من أكله لأنه مسموم لكن العامة يأكلونه ويزعمون أن النار تقطع المادة السمية عنه ولقد قامت الأهالي في مدينة جدة ولا سيما الصبيان يلاحقونه بالشوارع والأشجار لتقتيله والقضاء عليه، وكان زحفه على جبهة طولها ألف كيلو متر.

وفي ٣/١٠ وصل غزو الجراد إلى مدينة حائل، وفي أواخر ربيع الآخر وصل إلى البجادية والخبراء ورياض الخبراء ووصلت أسرابه إلى الشماسية في القصيم في أواخر جمادى الأولى هذا ولا تزال الطائرات تلاحقه حتى قضت عليه.

هـ مسجد عودة الرديني

في مدينة بريدة في أوائل هذه السّنة هُدم هذا المسجد بعدما أثبت جدارة في التعليم على يدي الشيخ عمر بن محمد بن سليم وعلى يدي إمامه الأخير الشيخ محمد بن صالح المطوع.

وقد قمنا بالتدريس فيه مدة من الزمن وحجرات المسجد مملوءة بطلاب العلم، وكانت الأمة تأتيه وتضرب إليه أكباد الإبل لطلب العلم وحلق الذكر المقامة فيه، وبما أنه كان من الطين واللبن وارتفعت الأراضي المحيطة به فإنه هُدم وأقيم مسلحاً بعدما ألغيت خلوته ويعرف أخيراً بمسجد الحميدي الصالح.

وشرع في عمارته الحديثة في ٤/١٥ من هذه السّنة وامتدت عمارته بعدما ردم القبو أو (الخلوة) وقد نزل عليه السوق المركزي في بريدة فكان المسجد في جهته الشرقية وتقديراً لهذا المسجد لم يحول عن موضعه بل لا يزال ثابتاً في موضعه المقام فيه.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها في ١/٢٢ تكبدت بنغلاديش أضراراً وخسائر عظيمة من فيضانات حصلت عليها بحيث استولت الفيضانات على ثلاثة أرباع المساكن هناك، وجعلت تستغيث بهيئة الأمم المتحدة وبريطانيا فوعدها بالمساعدة.

وفيهما في يوم الأربعاء ٣٠/٣ أصيبت سيارة بأبها تحمل خمس مدرسات من مصر وثلاثاً من سوريا ومُدْرسة سعودية بجادث قضى عليهن وعلى سائق السيارة والخادم فقتلوا فنجبهم وهن في أثناء تأديتهن للعمل وكلهن موجهات.

أمطار تجتاح اليمن

في اليوم ١٦ و ١٧ من شعبان هطلت أمطار وسيول اجتاحت اليمن الجنوبية الديمقراطية فأحدثت أضراراً عظيمة على السكان والبيوت وقامت الدول تسعى لإغايتها من هذه النكبة، وبعثت إليها المساعدات من السعودية وغيرها ولا يزالون مادين أيديهم للمساعدة، ولقد أصيبت ممالك بأنواع الفرق فهذه حكومة السودان مر ذكر ما هم فيه من الغرق.

وهذا أمير الباحة إبراهيم بن عبد العزيز هلك بالغرق في وادي من الأودية وذكرنا بنغلاديش وما جرى عليها من الغرق وقد بالغ بعض الرواة عنها أن عشر ملايين شخصاً تعرضوا فيها لما غمرتهم تلك المياه للخطر، وقد أغلق مطار دكا فلم تصل إليها الإعانات وعزلها عن العالم، واليمن الجنوبية فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ذكر اغتيال الرئيس الباكستاني

لما كان في هذه السنة يوم الأربعاء خامس شهر محرم الموافق ١٧ أغسطس آب (١٩٨٨م) امتطى الرئيس ضياء الحق طائرته، وبعد إقلاعها انفجرت الطائرة فتحطمت فكان ضحية ذلك الحادث محمد ضياء الحق وثلاثون شخصاً برفقته هلكوا جميعاً.

ويمكن أن يكون ذلك الحادث عن طريق التخريب فتأخر تجهيزه إلى يوم السبت الموافق ٨ محرم حيث أقيمت الصلاة عليه في ألوف من الأمة الذين شيعوا جثمانه ملفوفاً بالعلم الباكستاني، وقد قدم لتشيع جنازته نواب عن ملوك العرب ورؤسائها والمسلمين، وقد أقيم الحداد لوفاته حزناً في الباكستان.

وكان قد تولى الرئاسة في تموز يوليو (١٩٧٧م) وحزن المسلمون لمصابه وترحموا عليه ثم أنه أقيم بعده في الرئاسة غلام إسحاق خان، ويذكر عن الفقيه أنه كان مناصراً لدين الإسلام ومؤيداً للشريعة المحمدية، وكان الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز يثني عليه ويمتدحه ويعتبره من أنصار المسلمين والمحكمين للشريعة المحمدية.

وفيها في ١٧/٤ اشتد البرد جداً وأصيبت الأمة بموجة برد في أوائل برج الزبانا بفجأة فأثرت على الأجسام لكونها جاءت من غير تدريج بحيث لم يحترزوا بملابس شتوية بل كانت عليهم ملابس الصيف، بحيث أحدثت تلك الموجة سعلاً ونزلات شعبية، وإن من حكمة الله التي نبه عليها شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم وغيره من علماء التفكير والمعرفة إتيان الشتاء شيئاً فشيئاً، كما أن الصيف يأتي بهذا الوضع، ولو أن أحد الفصلين جاء دفعة واحدة لتضررت الأجسام، ثم قال رحمه الله: فانظر إذا جاء أحدهما دفعة واحدة ماذا يحصل للأجسام من الزكام والسعال والأمراض. وصدق رحمه الله فإن هذا معلوم بالتجربة.

ولما أن كان في أواخر الأربعانية ثالث الشولة وأربعة أيام بعده اشتد كلب البرد جداً حتى تجمدت المياه ونزلت درجة الحرارة في طريف وما حواله من البلدان إلى عشر درجات تحت الصفر، وفي حائل وما يليه إلى سبع درجات أسفل الصفر.

وفي القصيم نزلت الدرجة إلى أربع تحت الصفر، وهذا شيء نادر الوقوع وما زال البرد يشتد.

واستمرت الثلوج حتى نزلت الدرجة في حائل وما يليه إلى ١٥ درجة تحت الصفر، وبلغت الدرجة في القصيم إلى ست درجات تحت الصفر في بضع الأحيان،

وحصل من ذلك أذى شديد لشدة البرد بحيث هلكت الأشجار وبعض النخيل وأصبحت كالصريم، وكأنما أحرقت في بعض الأماكن المستهدفة بالنار وتكسرت بعض المواشير في مجاري المياه وتقطعت المكائن المائية والدينموات عياداً بالله من عذابه.

ولبثت بعض المياه جامدة أياماً وليالي متواصلة، وهذا بالرغم من وجود الشمس صافية واستمرت هذه الحالة إلى ١٧ من جمادى الثانية حادي عشر شباط الأول نوء النعائم سادس الدلو واستمر البرد حتى عاشر رجب، ولقد اشتد البرد على الدوام حتى نزلت الدرجة في أمريكا إلى (٤٨) تحت الصفر وارتفعت الثلوج على سطح الأرض فيها بأربعة أمتار ونصف متر حتى قرر الخبراء فيها أنه لم يحصل فيها ذلك البرد منذ مائة عام، ولما أن كان في ٢٩ رجب هبت رياح شديدة على المنطقة الوسطى والشرقية بحيث أثارت الرمال والغبار الشديد، وكانت خطوط السيارات تكاد تختفي من شدة الغبرة والفترة، واستمرت طوال الليل بحيث شالت الرياح الرمال ودفت الطرق ولا سيما في الدهناء وما حوالي الصمان، ولما كان في ١٤٠٩/٨/٣ هـ اشتدت الرياح جداً بحيث كادت أن توقف حركة السيارات عن السير واشتدت الغبرة والفترة جداً بحيث تأزمت الأمور من قوة الرياح وشالت السينكوات وكادت أن تحمل ما أمامها من الأثاث والأغراض وأن تحطم أبواب النوافذ، وهذا كان في الوسطى ولا سيما في القصيم.

وقد لبست الفراء في مكة المكرمة أواخر الليل وهذا شيء نادر الوقوع بحيث كان طقس مكة المكرمة قديماً معتدلاً للغاية، ووافق ذلك جفافاً وتأخر الأمطار بحيث استسقى المسلمون مرات عديدة بأمر من الملك فهد بن عبد العزيز، ولكنه في برج الحمل والثور كثر هطور الأمطار على الرياض والمجمعة ومكة المكرمة وسائر القصيم.

ولقد حدثني أحد الذين يعملون لمعالجة النخيل في فرع الزراعة بالقصيم أنه مر

بقريّة الدعيّسة الواقعة غرباً عن العاصمة فوجد النخيل فيها كأنما شويت بالنار مسودة من جراء شدة البرد الذي نزل عليها، ولقد يبست الأشجار التي في الشوارع وهلكت فأصبحت كالصريم، وهشمت بعد أن كانت منظراً حسناً وزينة للناظرين، فسبحان المتصرف في خلقه على ما تقتضيه إرادته، وإنها لعبرة لمن يخشى، ولكن الله تبارك وتعالى قد نبّه عن بعض القلوب القاسية فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ (٧٦) (١) وإنها لعبرة لمن وقف عليها بحيث أصبحت خاوية على عروشها وهشماً بالياً محزناً.

وفيها في يوم الجمعة ١٣ من جمادى الثانية الموافق ٢٠ يناير كانون الثاني (١٩٨٥م) رشح لرئاسة الجمهورية الأمريكية الرئيس الجديد جورج بوش بدلاً عن الرئيس السابق ريغان، وأبعد الثاني رفعت الأمة رؤوسها لتنصيب الرئيس الأميركي المنتخب، وقد أبدى بعض الأكاديميين والمسؤولين العرب تفاعلاً ملحوظاً بمقدم (بوش) بعد رحيل ريغان ووزير خارجيته (شولتز) وسرت أنظار كثيرة حول مستقبل القضية الفلسطينية في نظر الإدارة الجديدة، إذ تعتبر هذه القضية واحدة من أهم القضايا التي توليها السياسة الأمريكية عناية خاصة ذلك لأنها مرتبطة مباشرة بمصالح أمريكا في المنطقة.

أما عن الانتفاضة الفلسطينية فقد استمرت على ما هي عليه في نشاطها، ولقد أحصى الذين قتلوا في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ ابتداء الانتفاضة إلى آخرتها يوم الاثنين ١٠ جمادى الأولى من هذه السنة رمياً وتعذيباً بأيدي اليهود فبلغوا ٣٣٣ قتيلاً ولكنهم كانوا ثابتين في نضالهم وصابرين على ما أصابهم وينتظرون الفرج والنصر من الله تعالى.

(١) سورة المؤمنون، آية ٧٦.

ولقد كانت اليهود مصممة على حصد شوكتهم على أن لا يزالوا تحت
استعمارهم وإبادتهم بكل وسائل الإعدام وامتلات السجون من أهالي فلسطين
وبما أن أهالي فلسطين سئموا من تلك الحياة التي لا سلم ولا حرب لخلو أيديهم
من السلاح.

فقد أقدم شبابهم على هذه الانتفاضة التي لا بد أن يكون لها أثر إما بالنصر أو
الاستراحة من حياة كهذه الحياة البائسة السيئة كما قيل:

فأقدم فإما مُنيّة أو مَنيّة تريحك من عيش به لست راضيا
فما ثم إلا الوصل أو كلف بهم وحسبك فوز إذاك إن كنت راعيا
أما سئمت من عيشها نفس وإله تبيت بنار البعد تلقى المكاويا
ولما شكوت الحب قالت كذبتى فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق القلب بالحشا وتخرس حتى لا تجيب المناديا
وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى سوى مقلّة تبكي بها وتناجيا

ولقد جد أهالي فلسطين وسعوا بكل وسيلة لتحرير وطنهم وتخليصه من براثن
اليهود والذين استطاعوا بمساعدة أمريكا لهم وغيرها من الدول القوية أن ينزلوا في
أراضي مغصوبة ومقهورة أربابها.

وغامر أهالي فلسطين مغامرة تحمل العرب وتشجعهم تارة وإرغامهم
بالتخويات والأذية للعرب إذا لم يناصروهم تارة أخرى، وبالرغم من مناصرة
المسلمين لهم وقيام العرب قاطبة في صفهم وقتالهم دونهم وبذل النفس والنفيس في
سبيل طرد عدوهم بكل أنواع الجهاد فإن الأمور لا تزال في وضعها ولما أن قالوا
للحاج أمين الحسيني متى الرجوع إلى وطننا المسلوب قال لهم إذا رجعتم إلى الله عز
وجل فسترجعون إلى وطنكم.

فيا لها من كلمات سميئة مفيدة تذكرهم بأنهم عوقبوا بذنوبهم وسيئاتهم ولقد
جدّ واجتهد الحاج أمين الحسيني نحو الملوك والرؤساء المسلمين والعرب وبالأخص

نحو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ملك السعودية واستجاش سواكنه كما في قصيدته التي منها هذا البيت لما رآه لآخر مرة يصلي بالمسجد الأقصى:

المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه
وكنت أظن أن أشبال فلسطين لما تم لاستيلاء اليهود على بلادهم أربعون عاماً
أخذوا من قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي
الْأَرْضِ﴾^(١) وفهموا بأن الله تعالى سيجعل لوالديهم فرجاً ونصراً على أيديهم لأن
الأمر مرهونة لأوقاتها ولعل ما قد جرى من تلك العقوبات سيوقض الغافلين
وينبه المعرضين، ولما أن كان في إحدى الغزوات التي يترأس جيش المسلمين فيها
قتيبة بن مسلم لما صاف الترك وهاله أمرهم قال لمن حوله أين محمد بن واسع ف قيل
من أقصى اليمينه جانح على سية فرسه ويشير بأصبعه إلى السماء فقال
تلك الأصبع الفاردة أحب إلي من مائة ألف سيف شهير و سنان طيرير فلما
فتح عليهم قال له ما كنت تصنع في وقت التحام المعركة حينما كنت ترفع أصبعك
نحو السماء فقال إني أطلب الله عز وجل بهذه الآية، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

ولئن كانت الطاعات سبباً للنصر وهزيمة للأعداء فإن المعاصي سبب الخذلان،
فلقد حدثني الثقة عبد الله بن محمد بن حسن الملقب بالأمير بالتصغير بقصة رواها
لي قال: كنت مرة في فلسطين بوقت عز أهلها قبل الاستيلاء عليهم في صحبة أناس
من العقيلات فعرض جمل للبيع وكنت بحاجة إلى جمل ليطرق إبلي فاشتريته وكان
بجاني فلسطيني يريد شراءه لكنه تأنى لعله يحصل رخيصاً، فلما أن اشتريته طلب مني

(١) سورة المائدة، آية ٢٦.

(٢) سورة المنافقين، آية ٨.

أن أتخلى عنه له بقيمته وأنه بحاجة إليه، فأبدت لمشاعره بأني بحاجة ماسة إليه، قال فاشتد ذلك عليه فأشهد بأنه رفع طرفه إلى السماء وقال يلعنك يا رب بحيث لم تيسره لي.

وروى عبد الله بن محمد بن حسن أيضاً وكان ثقة أن يهودياً اشترى مزرعة من عربي في فلسطين حينما كانوا يشترون سابقاً مزارع العرب هناك فيها ست بيارات وفدانان بستمائة ألف من العربي، فلما أن نقده الثمن قال لابنته وكانت بكرة جميلة يا بنية دونك هذا العربي فاستخرجني نقودنا منه بأي وسيلة تكون، قال فكانت تحسن وتجميل وتدخل عليه في دكانه وتطمعه بنفسها زحماً وتقبيلاً وجعل يبذل لها أموالاً طائلة فعل عاشق استولى عليه الهوى وافتتن بها، غير أنها كانت تماطله يوماً فيوماً تارة تعتذر بالحيض، وتارة تعده بغفلة أبيها، غير أنها لم تتمكن من نفسها فاشتد هيمانه وهيجانه، ولما أن استنزفت منه تلك الأموال أو أكثرها واعدته بأن تأتيه في بيته وعداً صادقاً فانتظرها.

ولما أن لم تفِ خرج من الغد يطلبها في الأسواق فوجدها تحمل حقيبة وذكرت أنها تريد الذهاب إلى أوروبا بعد ثلاثة أيام ستعود إليه فأمسكها وقال يا عرب هذه البنت تماطل بي وتواعدني وتكذب حتى استنزفت مالي ثم احتضنها وألقاها إلى الأرض ووقع عليها والناس ينظرون فجاء البوليس ورجال الأمن لتخليصها منه بالضرب فما استطاعوا ثم ألقوا عليهما بطانية وتركوهما، ولما قضى وطره منها بعد مضي ساعة قال اصنعوا بي ما شئتم، فكانت النتيجة أن خطأوها وذهبت أمواله أدراج الرياح.

وحدثني ثقة أنه سمع أناساً في فلسطين جالسين في قهوة، ولما أن رعدت السماء جعلوا يضحكون ويقولون هذا ربنا يضارط، فإلى هذه الدرجة نزلت الهمجية ببعض المغرورين، ولا يستنكر في حكمة الله أن يأخذ الظالمين ببعض ذنوبهم ويقول

الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) (١).

وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان يقوم أناس من كفرة السودان المتمردين بسلاحهم ويهجمون على المسلمين في بلدهم وهم في صلاة التراويح خلف الإمام ليسقط (٢٥) مسلماً ما بين قتيل وجريح، وتقوم الصهاينة على أبواب المساجد في هذا اليوم والشهر من هذه السنة على أهالي فلسطين فيطردونهم عن مساجدهم، ومن بين ذلك المسجد الأقصى، ولقد قام أمين الجامعة العربية بحج على هذا العمل الإجرامي وكيف يطرد المسلمون عن صلاة التراويح وقيام رمضان وتغلق مساجدهم وحل كل رئيس وملك مسلم المسئولية عن أعمال الصهاينة الذين لم يخافوا الله ولم يستحيوا من خلقه وأن يقوموا صفأ واحداً لوضع حد لهذه الجراءة العظيمة.

ولقد اشتدّ ضغوط اليهود على أهالي فلسطين في مستهل هذه السنة جداً وتخرج الموقف وقاموا بنسف منازل الفلسطينيين وتشريدهم وتقتيلهم وعزموا على طردهم مطلقاً عن فلسطين إلى أي جهة في الأرض، وقرروا حبسهم لمدة عشر سنوات وبعضهم إلى عشرات السنين وبالغ بعض الرواة بأن الذين قتلوا من أهالي فلسطين من حين الانتفاضة إلى تمام سنة كاملة قد بلغ سبعمائة قتيل.

وفي ٣/٦ و ٣/٧ قامت جنود العدو يطلقون النار على الشبان العرب وأيديهم مكبلة بالحبال وجعلوا يعتقلون الأطفال بتهم السعي لقتل الإسرائيليين، وقام رئيس وزراء الصهاينة إسحاق شامير يهدد بإبادة الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وقال أنه إذا عمد سكان الضفة والقطاع إلى تصعيد أساليب

(١) سورة هود، آية ١١.

الانتفاضة باستخدام السلاح الناري فإن القوات الإسرائيلية لن تبقي لهم أثراً وأن زعماء منظمة التحرير يدركون ذلك.

أمور تحاك بالخفاء

إن دين الإسلام يلاحق ملاحقة وصدق على المسلمين ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى بقوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن». قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» ففي منتصف هذه السنة ٢٥ رجب تكشف الأحوال وتيقنت الأمة أن زعيم المتمردين في جنوب السودان (جون قرنق) وصاحبه منصور خالد سليمان رشدي الذي كان الأخير يقول أن على أهل السودان أن يتهبوا نفسياً لتقبل حاكم غير عربي وغير مسلم كان خلفهما من يدفعهما وأتباعهما إلى الردة عن دين الإسلام، فكانوا بذلك عملاء للصليبيين يدعون إلى دين الصليب وينابذون دين الإسلام وأهله ويبغون الكيد للمسلمين ويسعون بالفتنة وتشيت شمل السودان.

هناك دعاية من الشيوعيين واليهود الصهاينة الذين لا يزالون يبرمون أمورهم ضد الإسلام وأهله، وقد قامت الأمة المفكرة في عواقب الأمور لوضع حد لهذا البلاء والشر المستطير قبل أن يشعل الشر من جديد لأن من ثمرات هذه الدعاية أن قام الشعب السوداني المسلم بعضهم على بعض يتقاتلون وحدثت لذلك فوضى ويريد هؤلاء المفسدون أن يصنع العرب في السودان كما صنع أهل لبنان.

فأما عن كثرة المسلمين ونزع بركتهم كما ثبت في الحديث فهذا شيء مشاهد في كونهم مع كثرتهم لم يقهروا عدواً ولم ينصروا صديقاً ولم يعرفوا الوسيلة التي تكفل لهم الأمن والسلامة.

وهذا للتخاذل فيما بينهم وعدم ركون بعضهم إلى بعض، فلو أنهم صدقوا

الحملة على العدو لانهزم أمامهم، ولكنهم انشغلوا بالخلافات فيما بينهم ولما رأى أعداء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ضعف المسلمين وانشغالهم فيما بينهم وتفككهم وضعفهم وخورهم واستكانتهم طمعوا فيهم وتداغت أمم الكفر على الإسلام والمسلمين كما تداعى الأكلة على قصعتها لا لقلة المسلمين ولكن كما قال نبينا «غثاء كغثاء السيل» واضرب لذلك مثلاً في صدق العزيمة وقوة الإيمان حينما كانت النية صالحة أن يزحف ألف وخمسمائة بدوي لا يملكون إلا البنادق والسيوف في وقعة تربة التي تقدم ذكرها فيهجمون بقوة الإيمان والدين والعقيدة على جيش العدو البالغ عدده عشرات الألوف ما بين نظام وهجان وما استعدادا به من المدافع والرشاشات والأهوال فيذبحونهم بالسكاكين والسيوف أمام مدافعهم المقيدين فيها، ويعدمون ذلك الجيش عن بكرة أبيهم ويتبعثر اثنا عشر ألف مقاتل مزودين بالأسلحة النارية والقوات العسكرية والبطر والخيلاء يتبعثر ذلك الجيش أمام عدد قليل من المجاهدين الصادقين.

و ضد هذا النصر ما جرى في هزيمة حزيران والنكسة المشؤومة التي حصلت على مصر البالغ عددها أربعين مليوناً فكيف الله أيديهم ويمنح العدو أكتافهم ويصيرون لعبة في أيدي اليهود ذبحوا رجالهم وغنموا جميع سلاحهم وسلبوا قواتهم ولولا الإبقاء عليهم لضممت اليهود مصر إلى تل أبيب فخمسمائة مليون مسلم كما يزعمون يعجزون عن عدد قليل من اليهود لا يبلغون عشر معشار المسلمين بل أقل من ذلك مع أن الله سبحانه ذكر عن اليهود أنهم غلت أيديهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله فيتمكنون مع خستهم أن يفسدوا في الأرض ويتهبوا بلدان العرب ويحرقونها ويهدمونها ويقتلون الرجال والنساء والأطفال.

وكأنما ضرب المسلمون بالذل والخوف والهلع كما روى لنا التاريخ في غزو القرامطة عام (٦٥٦هـ) وكيف وصلت الأحوال في انتصارهم على المسلمين وذل المسلمين أن يقوم قرمطي من القرامطة فيضع رأس مسلم على حجر ويقول

انتظرنى لآتي بحجر أرضخ به رأسك فيستسلم المسلم كذبيحة مقيدة مع كونه يستطيع الفرار حتى جاء القرمطي بحجر وقتله.

فوالله لو أن كبشاً وضع كذلك لتمكن من الفرار ولم يلبث مستسلماً فإننا لله وإنا له راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد قام المسلمون مستكرين لذلك ورأوا أن يبذلوا جهودهم قبل أن يتمكن الداء ويصعب علاجه ويأتي يوم شره مستطير، وما أصيب الإسلام وأهله إلا بدعايات سرية لإعادة دين المجوس، ولقد قام سياسيون من الشيوعيين وساسة الفرس الذين يبيتون الغدر بالإسلام وأهله ويسعون بمساعدة جمعيات سرية لإشعال الفتنة بين المسلمين من قديم الدهر وحديثه وحصد شوكة الإسلام والمسلمين بمساندة الغرب لهم وغزوا دين الإسلام تارة بالأطماع وتارة بإظهار الصداقة للإسلام وهم عن الإسلام بمعزل ونفذوا أغراضهم بأنواع الحيل والمكر وعملوا لهدم دين الإسلام والسعي بالإفساد بين المسلمين وتضليل النشء حتى تمكنوا من تفرقة المسلمين وجعلهم أضراباً وشيعاً ولكن المسلمين بغفلة عن ذلك، ولو أنهم تنبهوا لذلك وتساندوا وتعاضدوا وتكاتفوا لهان كل عسير وتم كل مراد وفي الأمثال ما تعاونت عليه الرجال خف.

ومن أسباب النقص والبلاء مخالفات وكتابات من بعضهم ضد البعض وانشغالهم بأمور تافهة في الأصول والفروع وغفلتهم من السيل الجارف والوقوف أمام تيار الفتنة ومعرفة الشباك التي نصبت لدين الإسلام والكيد لأهله وغلب شر الكفار الذين لا يزالون منذ زمن بعيد ساعين في اضمحلال الشريعة المحمدية.

ومن ضعف نصيره وقل ظهيره وخذله إخوانه وأسلمه للنائبات خلائه وأعوانه ييس عوده وذهب معدوده ومحدوده وعرضه الزمان بنابه وكذلك حال المسلمين اليوم وقد ذهبت منهم العزة والنخوة وضعفت بينهم الموالاة والأخوة فلا تقوم لأحدهم قائمة إذا كبا وعثر ولا يجد من يأخذ بيده ويحبره إذا انكسر.

ذكر قنابل تضرب أم درمان

لما كان في ٣/١٦ من هذه السنة جعلت قنابل لا يعلم من أين تأتي تضرب مساكن في أم درمان وهدمت مساكن فيها وحيرت رجال الأمن فلم يتوصلوا إلى معرفة طريققتها حتى قيل أنها من عفاريت الجن لأنها قنابل مجهولة لا يعلم مصدرها.

حادث غريب من بلاوي الزمان

نشرت جريدة «المسلمون» الدولية أن قذائف مجهولة المصدر تدمر منزلاً في حي ودنوماوي العتيق وأن قوات الشرطة في حيرة من ذلك وأن الشيخ المبارك يتهم الجن الكافر بذلك.

فقد تعرضت أسرتان في أم درمان بالسودان وهاتان الأسرتان عددها أربعة عشر شخصاً في رعب منذ ثلاثة أشهر من أذى الجن تساقط عليهم قذائف من اللهب والطوب استمرت لمدة هذه الشهور، وقد فشلت قوات الشرطة في العثور على مصدر هذه القذائف فالتقى مندوب جريدة «المسلمون» بأفراد الأسرتين في المنزل المسكون فأكدت صاحبة المنزل أن النيران بدأت بالتهام صندوق مملوء بالأوراق القديمة ثم امتدت لتلتهم أثاث المنزل ولما أن صعدت قوات الشرطة إلى سطح المنزل وانهالت عليها الحجارة واستمرت الحرائق المجهولة المصدر وقالت أن النيران كانت تشتعل من خلفنا وليس أمام أعيننا بحيث لم نستطع أبداً مشاهدة كيفية بدايتها فاضطرت الأسرتان إلى مغادرة المنزل السكني إلى منزل أحد الأقارب ولكنها اشتعلت النيران في إحدى الحقائق المنقولة فقررت الأسرتان العودة إلى منزلهما الأصلي.

وقد أشارت صاحبة المنزل إلى استقامة جميع الأسرتين أنهم يصلون الصلوات الخمس ويصومون ويؤدون جميع الفرائض وعللت الحادث بأنه امتحان إلهي وقد

ذكر بعض الجيران أن حدوث تلك الظاهرة يعود إلى كتابه أعمال سحريه بواسطة إنسان ليجبر أهل البيت على الرحيل.

وأكد لهم الشيخ عبد الجبار المبارك أن الجن الكافر يسكن في الأماكن المهجورة، أما الجن المؤمن فيسكن مع الإنسان ولكن الإنسان لا يراه وعن رؤيته للحادث قال أن هناك جنياً يسكن في مكان مهجور من هذا المنزل ويبدو أن أحد السكان قد استفزه من حيث لا يدري أو ألحق به أذى فانتقم الساكن من أهل البيت فثلاثة أشهر ظلت هذه الأسرة الكبيرة مسهدة العيون مبللة الأفكار مكسوفة البال لأن قذائف النار والطوب حولت منزلهم بأم درمان إلى جحيم وما زالت النيران تقلق راحة تلك الأسرة بعد أن قضت على كل ما تملك والفاعل ما زال مجهولاً، ومع أن المنزل أبعد ما يكون عن المنازل التي يأوي إليها الجن لأنه يقع في منطقة مليئة بالحركة، وأكدت صاحبة المنزل أن النيران التهمت صندوقاً مليئاً بالأوراق بمخزن المنزل كما التهمت جانباً من مرتبة القطن بعد أن قضت النيران والطوب المجهول المصدر على أثاث المنزل وحتى المخزون منها حيث اشتعلت النيران في داخل المخزن فأحرقت ثلاثة جديدة وبوتاجازاً واستمرت عمليات الحرق حتى تكوّن داخل البيت جبل من الأثاث المحروق إلى جانب الملابس، وقد بلغت تكاليف ترحيل هذه الأثاث التالفة سبعمئة جنيه سوداني وبعد ثلاثة أشهر من التنقل بين أطراف العاصمة ووسط السودان والعود لم تختف الظاهرة بل ظلت ثابتة في المنزل وبالرغم من تكثف الشرطة برجالها ووجودهم داخل المنزل ومراقبة المنزل عن بُعد بواسطة المباحث ورجال الشرطة عثرت الشرطة على أعواد ثقاب (كبريت) كما عثرت في مرات أخرى على جمرات صغيرة ولم تتوصل إلى الفاعل أو المتهم.

ثم قالت الجريدة ويمكن أن يكون ذلك بفعل إنسان أو بفعل الجن، ثم قال الشيخ عبد الجبار أن علاج هذه الظاهرة أن يأتي رجل له القدرة على مخاطبة الجن يذكرهم بالله ويبصرهم بالخطأ فيما يفعلون أ.هـ.

قلت: يمكن أن الجن يقدرون بتسليط من الله على السرقة وعلى التصرف بالأذى، وقصة أبي هريرة في حفظه لزكاة رمضان وكيف أن الشيطان توصل إلى السرقة مرات منها وأخبر أبا هريرة أن قراءة آية الكرسي أمان للعبد من شر الشياطين وقصة أبي دجاجة سماك بن خرشة حينما شكى إلى الرسول ما رأى في بيته مشهورة حينما كتب الرسول بأمره إلى علي كتاباً ينهى الجن عن الأذى وأن ذلك الكتاب أثر عليهم أنيناً وصراخاً وبكاءً يجدون أله إلى يوم القيامة.

وقد سبقنا في حوادث (١٣٦٥هـ) ما جرى على أهل قرية حوالي روضة الربيعية من أذى الجن ورمي أهل قصر فيها بالحجارة والعظام.

وقد رأيت سؤالاً وجواباً صدر من دار الإفتاء عن رجل تسرق نقوده من بيته ولا يعلم سارقها من أن أهل بيته أمناء فجاء الجواب أن يكون ذلك العمل عن طريق الجن، لأن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ثبت سرقتهم وأن العفريت قال لنبي الله سليمان عليه السلام أنا آتيك بعرش بلقيس قبل أن تقوم من مقامك، فدل ذلك على أن لهم نفوذاً إذا مكنهم الله من تلك الجرائم.

وذكر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية أن من بال عليهم أو نثر عليهم ماءً حاراً وإن كان بغير عمد لأنهم يرون الإنس ولا يراهم الإنس فقد لا يسلم في الغالب من شرهم نعوذ بالله من شرهم.

وقد يصاب الإنسان بشلل ويكون في الغالب انتقاماً منهم بدعوى أن المصاب حصل منه أذية عليهم وقصة قاتل الحية وما جرى عليه منهم ولم ينجه إلا شهود عدل شهدوا بأنه لم يقتل جنياً بل قتل حية ذكرها الشارح المكودي^(١).

(١) القصة مروية عن أبي جلال المايورقي أنه خطفته الجن ومكث مدة فسمع بعد طول قراءة أولاد فطمع في الخير منهم فعرض قضيته على معلمهم فقال: إذا سمعت بوجبة عظيمة فاعلم أنه سلطان الجن فنادى بالشرع تسمع بعد ذلك، فنادى فأحضر الجن فسل فقال هذا قتل أخي فقال الإنسي ما قتلت إلا حية كما لقنه شيخ الجن فاستفتى المؤدب المذكور وكان كبير السن فوقع حاجبه بيده =

قف على هذه التوصيات فهي مهمة

ومن تأمل إرشاداته ﷺ وجدها كافية وافية لمصالح الدين والدنيا فكان يقول لربيّه: «يا بني سمّ الله وكلّ بيمينك وكلّ مما يليك» صلوات الله وسلامه عليك يا نبي الرحمة صلواته وسلامه عليك يا مرشد الأمة صلوات الله وسلامه عليك يا من هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، اللهم جازه عنا كل خير.

فمن توصياته ﷺ لخالد بن الوليد لما ذكر له أنه يجد وحشة قال: «إذا أخذت مضجعتك فقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون».

وجاء رجل يشكو إليه الوحشة فقال: «أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، جللت السماوات والأرض بالعزة والجبروت» فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة.

= وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تصور على غير شكله قدمه هدر، فالزم الجنّي بحمله لأهله فامثل فوجهه إلى أهله، هكذا ساق القصة وقد رأيتها في مرجع آخر بأبسط من هذا وهي أنه قتل رجل حية فساح في الأرض ولم يعلم بخبره خمسة عشر يوماً فذهب أخوه إلى كاهن وأخبره بفقد أخيه، فقال له: اذهب إلى أرض كذا لصحراء بعيدة من السكان وهي واسعة وخالية من البشر فلماذا كان في وقت وقوف الشمس وكان الزمن في نوء المظلة فسيمر بك عاصفة وغيرة فلا تلتفت إليها ثم تمر عاصفة أشد من الأولى فقف في تلك الغيرة وناد يا شيخ الجنّ إنني أطلب الشرع، فسمع ضجة ورأى أشباحاً فيها وأتى بكرسي فجلس عليه شيخ ضخم الجثة علاه المشيب فتكلم يا إنسي وما حاجتك فقال: يرحمك الله فقدتُ أخي منذ خمسة عشر يوماً فتكلم بأعلى صوته إيتوني بأخ هذا الإنسي قال فجيء بأخي مكبلاً بالحديد وأناس معه فقال وما ذنب هذا الرجل؟ فقالوا: قتل ابننا، فسأله عن قتله فقال: ما قتل غير حية، فقال: انتني بشهود يبرؤون ساحتك، فقال ومن أين أجد شهوداً وقد قتلها في البرية بوادي خال من البشر، فسكت الشيخ قليلاً وإذا قد أقبل اثنان من الجن فقال: ما عندكما من البرهان تشهدان به قالاً: نشهد بالله شهادة نسأل عنها إذا وقفنا بين يدي الله سبحانه، قتله وهو متصور بصورة حية، فرفع الشيخ حاجبيه بيديه ثم قال: حدثني أبي عن جدي وساق بالإسناد إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «من تصور بغير شكله فقتل قدمه هدر» وأطلقوا الإنسي وقم فاذهب بأخيك وقد تقدم عن قريب قصة حديثه من هذا النوع أ.هـ.

وأرشدنا إلى أن نسمي الله عند الأكل لأن لا يشارك الشيطان أحدنا في الأكل،
وأرشدنا إلى أن نسمي الله عند الجماع لأن لا يشارك الشيطان في هذه الحالة، وأخبر
الربّ الجليل عن أذية هذا العدو وبين الحالة في الامتحان به في قوله: ﴿وَأَسْتَفِزُّ
مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١) اللهم يا ربّ الشيطان ويا من
ناصية الشيطان بيده اكفنا شره ولا تسلطه علينا.

وقد روي أن طالب علم سار إلى عالم في جهة بعيدة للأخذ عنه والتعلم منه
وأنفق في تلك السفرة أموالاً طائلة، فلما أراد الرجوع أخبر ذلك العالم بالنفقات
التي بذلها فقال له: أريد أن أمنحك فائدة واحدة تعدل بجميع ما أنفقت، فقال له:
نعم وجزاك الله خيراً، قال: ذهبت في طريق فاعترض لك كلب فكيف تصنع به إن
تركته أكلك وإن قمت تنازعه وتقاتله قطعك عن المسير فكيف الخلاص منه؟ قال:
أرشدني يا أستاذ، قال: إن الطريقة في الخلاص منه أن تدعو صاحبه وتطلب أن
يكف كلبه عنك فهكذا الشيطان كلب ابن آدم فاستعذ بالله منه ليكفيك شره
وتستريح منه.

ومن وصاياه ﷺ «أوك سقاءك واذكر اسم الله وخمر إناءك واذكر اسم الله، ولو
أن تعرض عليه عوداً» وفي رواية عنه «فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على انائه
عوداً فإن الشيطان لا يفتح باباً» وفي رواية: «فإن الشيطان لا يفتح باباً مجافاً ولا
يكشف غطاءً ولا يحل وكاء».

قال بعض العلماء: وضع العود لرد دبيب أو بمروره يعني الدبيب على العود
وقيل الحكمة في ذلك ليعتاد تخميره ولا ينساه، وكل هذه الوصايا لأجل المحافظة

(١) سورة الإسراء، آية ٦٤.

على السلامة من إذاء هذا الشرير اللعين الخسيس، وجلس ﷺ وأصحابه مرة على طعام فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ ﷺ بيدها ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده ثم قال: «إن الشيطان يستحل الطعام إن لا يذكر اسم الله تعالى عليه وأنه جاء بهذه الجارية يستحل بها فأخذت بيدها فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديهما ثم ذكر اسم الله تعالى وأكل» رواه مسلم.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يأكل طعاماً في ستة من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بلقمتين فقال رسول الله ﷺ أما أنه لو سمى لكفاكم» رواه الترمذي قال حسن صحيح، «وبينما هو يصلي صلوات الله وسلامه عليه بأصحابه سمعوه يقول أعوذ بالله منك ثم قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك، قال: إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاثة مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أن أخذه والله لولا قول أخي سليمان لأصبح موثقاً تلعب به ولدان أهلي المدينة» رواه مسلم عن أبي الدرداء وقال أبو التياح لعبد الرحمن بن خنيس رضي الله عنه وكان كبيراً: أدركت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الجن؟ قال: «إن الشياطين تحدت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ فهبط إليه جبريل ﷺ فقال: يا محمد قل ما أقول قال قل: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، وذراً وبراً ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن. قال: فطفت نارهم وهزمهم الله تبارك وتعالى» رواه أحمد وأبو يعلى ومالك والنسائي.

وقد أطلنا ولا يخلو ذلك عن فائدة ونحن وإن كنا أتينا بالمقصود فقد أشرنا في معرض القصة إلى تحقيق رجال الضبط والربط إن ذلك يمكن أن يكون بفعل إنسان من شياطين الإنس أو من شياطين الجن.

حادثة غريبة

لما أن كان في رمضان من هذه السنة أمطرت السماء في إقليم الهند دماً أحمر وفزعت الأمة لذلك أشد الفزع، وقالوا دماً أمطرت السماء على الهند والله على كل شيء قدير.

ولا يستغرب ذلك فقد حدثني الأخ العاقل الرزين حجيلان بن عمير بن حجيلان من أهالي بريدة وقد قدمنا ترجمته في سنة (١٣٨٥هـ) أنه في عام (١٣٥٠هـ) كان من جملة العقيلات الذين في الشام للتجارة قال أمطرت السماء عجباً فعجبت لذلك، ولولا أنه ثقة لم أعتمدت كلامه.

فبحثت في الموضوع وفتشت في كتب القوم وتجاربهم فأفادت التجارب أن الزوابع والإعصار إذا هبت بشدة فقد تحمل ما مرت عليه وترفعه إلى الفضاء فإذا بلغ غاية السحب في الجو يتساقط، وقد تحمل البرتقال وغيره فيظن الإنسان أنها نزلت من السماء، وليس كذلك.

وقد ذكرت جريدة الرياض في عددها ٧٤١٧ / ٢٥ / ٩ من هذه السنة بعدما قالت أمطار من الدم في الهند ما معناه تساقطت أمطار من الدماء لمدة عشرة أيام، وقد تعذر تفسير هذه الظاهرة علمياً، ثم قالت أعلن وزير الصحة في ولاية (تاميلنادو) أن العينات التي تم تحليلها من هذه الأمطار أظهرت أنها تحمل خاصيات الدم البشري، والقرية التي نزل عليها هي جنوب شرق الهند أ.هـ. أما عن الظاهرة الدينية فإن هذا يوقظ الغافلين ويؤجج الأعصاب ويهز المفاصل ويمكن أن يكون عقاباً من الله عز وجل.

وفيه في ٦/٣ قامت رئيسة وزراء باكستان (بنازير بوتو) بزيارة للمملكة العربية السعودية فقدمت إلى جدة بعد الظهر من ذلك اليوم لأداء مناسك العمرة بصفتها مسلمة وكانت متسترة بثيابها ومستقيمة فاستقبلها أمير مكة صاحب السمو ماجد بن عبد العزيز والأمير منصور بن بندر بن عبد العزيز وقائم مقام جدة الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري ووزير الصحة فيصل الحجيلان، وبعد أداء العمرة ذهبت لزيارة المسجد النبوي والسلام على صاحب الحجرة الشريفة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وصاحبيه في المدينة المنورة، وذلك لتقوية الصلات بين الباكستان والسعودية، وبعد تلك الزيارة رجعت إلى بلادها.

وفيه في ٢٨ ربيع الآخر أصيبت إحدى مدن روسيا السوفيتية بهزة أرضية وزلزال هلك بسببها مائة ألف وتأثرت الأرض من جراء ذلك الزلزال وخربت منه خفوس أعقبت ذلك، نسأل الله السلامة.

قتل قنصلين من السعودية

لما كان في ٣/١٦ قتل السفير السعودي في الحكومة التركية بأنقرة وهو عبد الغني بديوي اغتيل بأيدٍ آثمة يقع الظن بأن قاتليه لبنانيون أربعة كانوا يثارون للذين قتلهم السعودية بسبب ارتكاب جنایات جنوها في السعودية فقام أولئك اللؤماء بارتكاب تلك الجريمة الخاطئة، ولد السفير عام (١٣٥٦هـ) في الوجه وتنقل في العمل في قسم اللاسلكي بوزارة المواصلات إلى وزارة الخارجية وعمل في سفارات المملكة بالصومال ولبنان وتركيا، وكان يقيم في معية زوجته في تركيا منذ ست سنوات، وله ثلاثة أبناء محمد جامعي يعمل مدرساً بالطائف، وأمين طالب بجامعة الملك عبد العزيز، وحنان طالبة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة، ويشنون عليه بالوفاء والإخلاص في عمله الموسود إليه، وقتل أيضاً القنصل الثاني في تايلاند صالح عبد الله المالكي وقد قامت الحكومة في البحث عن قاتليه وألقت القبض على أربعة أشخاص قد تورطوا في حادث مقتل السكرتير الثالث لسفارة المملكة في بانكوك

الذي أطلقت النار عليه يوم الأربعاء ٢٦ جمادى الأولى من هذه السنة، وفي هذه الآونة قتل السفير السعودي بباكستان.

تأسيس سفارات للدولة الفلسطينية

في آخر جمادى الأولى من هذه السنة أسست الممالك العربية سفارات لديها للدولة الفلسطينية، وجرى احتفال لأهل فلسطين من أهل فلسطين في المملكة السعودية يرأسه الزعيم ياسر عرفات، وقام الشباب باستعراض حي يمثل الدولة الفلسطينية، وبهذا كانت الدول العربية قد اعترفت بدولة فلسطين وكان يؤمل أن تقوم هذه الدولة بعدما انطفأت من زمان طويل وسفت السواني على ذكرها والآن ترفع أعلامها بعدما كانت أمة مغلوبة تطوؤها اليهود بأرجلها وتستعبدتها ذليلة تحت استعمارها وتسومها سوء العذاب.

وبما أن انتفاضة شباب فلسطين التي قدمنا ذكرها بلغت في ١٣ رمضان سبعة عشر شهراً من هذه السنة وقام العرب بتأييدها ولا يزال أهالي فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة في انتفاضتهم ضد اليهود فإن اليهود في عنادهم وجبروتهم قائمين عن قدم وساق يريدون القضاء عليها وإبادة أهالي فلسطين كما تسول لرئيس وزراء الصهاينة إسحاق شامير نفسه بأنه سيعمل على إبادة الشعب الفلسطيني وكأنه بذلك لم يلتفت لا إلى اعتراف العرب بالدولة الفلسطينية ولا إلى الخضوع لقرار صدر أو يصدر في صالح أهل فلسطين، وبما أن الدول الأخرى قد اعترفت غالبها بدولة فلسطين فإن اليهود لا تزال في غطرستها وغيها ضد العرب والمسلمين، وهنا نستشهد بكلام شاعر النبط العربي وإن من الشعر لحكمة، حيث يقول:

لا تطلب صلح من جهال لين الحرب اثشور اتفقـه
لين ترشش مقابرهم وينعى الناعي ممـا طـرقـه
ثم اعذل فيهم يا عاذل اتخلى لك الأرقاب أصدقه

ويقول الشيخ العالم الماهر الذي صاغ الجواهر من عويص غويصه أحمد بن علي بن مشرف رحمة الله عليه ومغفرته منهضاً للإمام فيصل بن تركي لقتال الأعراب:
ولا ترضى إلا مقعد العز مقعداً على ظهر مهر للعنان مجاذب
وجر عليهم جحفاً بعد جحفل وضيق عليهم أرضهم بالمقانب
جيوشاً تريهم ظلمة الليل في الضحى ولمع المواضي كالنجوم الثواقب
فإن أنت سالمـت العدو مخافة فأيسر ما يلقاه بول الثعالب
فقول الشاعر الأول (لا تطلب الصلح من جهال) إشارة إلى أن العدو لا يخضع باستراحته والتعطف له بل يخضع إذا جرحته القنابل وبددت أوصاله وأعمى منخره وعينيه دخان النار وشظائف الحديد وانشغل بدفن أصحابه وذويه وقام الناعي ينعى أقرانه ويبكي أحبابه وأترابه فعند ذلك يطلب الصلح ويترك ما بين يديه راغماً مما دهاه ودهمه.

ويحدثنا التاريخ عن شجاعة أمير المؤمنين هارون الرشيد لما سقط بين يديه خطاب النقفور الذي قال فيه من النقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أن الملكة ريني التي بعثت إليك أموال بلادنا قد خلعتها لضعفها - ويريد بذلك الجزية - فرد جميع ما بعثت إليك وإلا فالسيف بيننا وبينك فغضب أمير المؤمنين هارون وانتفخ وبعث إليه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين ملك العرب إلى كلب الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فالجواب ما ترى لا ما تسمع، ثم صاح بالنفير العام وزحف في أول وهلة بعشرة آلاف فارس، ثم إنه توغل في بلدان الروم فجعل يهدم فيها ويحرق فجاءه الجواب من الملك النقفور يقول: ترجع ولك جميع ما يدفع إليك قبل ذلك، فقال: لا أرجع حتى تكتب على سكتكم اسم هارون الرشيد ففعلاً كتب على نقودهم اسم هارون الرشيد.

هذا هارون الرشيد الذي كتب على قلنسوته (غاز حاج) فسنة يحج وسنة يغزو فيرجع مرفوع اللواء منصوراً معززاً ثم يقول شاعر الإسلام أحمد بن مشرف مصوراً نتيجة الجهاد في سبيل الله والدفاع عن النفس والأهل والوطن:

بذلك تعطيك المعالي زمامها وتسمو على أعلى الذرا والمراتب وإن كره الناس بالجهاد بداية فآثاره محمودة في العواقب ومن كان معوجاً فقومه بالظبا إذا لم يفد بذل الجياد والمواهب

وفي هذه السنة عمّ الجفاف و القحط في المملكة السعودية واستسقى المسلمون مرات في جهات المملكة بأمر من ولي الأمر، وفي آخر فصل الشتاء نزلت أمطار في غالب الجهات لكنها خفيفة بالنسبة إلى ما تتطلبه الرياض، وقلّت الأعشاب وكاد أهل المواشي أن يبيعوها برخص وقيمة زهيدة ولكن الله لطف بعباده وعادت أقيامها متحسنة، ولقلة الأمطار فإن نسبة المياه نزلت عن مستواها نزولاً ظاهراً وجعل أهالي آبار الزراعة ينزلون إلى قعر الأرض بكثرة المواسير.

وفيها في أوائل ربيع الآخر نودي في الرياض وسائر مدن المملكة بالتبرع للمجاهدين الأفغان والمهاجرين واللاجئين ومدّ يد العون والمساعدة لهم بما تجود به أنفسهم والذين لا يزالون يواجهون حرباً ضروساً لا هوادة فيها أمام عدو شرس لا يرحم وهو الغزو السوفيتي.

والتي أحرقت فيها الأخضر واليابس وقتلت الأطفال الأبرياء والنساء والشيوخ العزل، وقتلت ويتمت الكثير من أبناء الشعب الأفغاني الذين يتمنون إلى الإسلام إضافة إلى ذلك الأجواء السيئة جداً التي تحتاج الأراضي الأفغانية حيث البرد القارس الشديد والثلوج الأمر الذي أدى إلى سقوط واصابة العديد منهم بأمراض شديدة وفتاكة بسبب عدم وجود الأغذية والكسوة والمواد الغذائية الكافية، وأصبح الكثير منهم يعيش بدون مأوى والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وقد أقيم هيئة عامة لاستقبال التبرعات يرأسها أمير الرياض صاحب السمو الملكي سلمان بن عبد العزيز وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز، وهذه الإغاثة بالبطانيات والخيام والملابس إضافة إلى الأدوية والأجهزة الطبية وجميع ضروريات ومستلزمات المجاهدين وإن كان من الزكاة الواجبة في الأموال، وتم اختيار أعضاء اللجنة الموثوق

بهم مضافاً إليهم صاحب السمو سظام بن عبد العزيز والشيخ صالح بن لحيدان ويقام من التبرعات لهم حفر الآبار وبناء المساجد والمدارس والمستشفيات وبناء العُرف للمجاهدين وغير ذلك من المشاريع الخيرية المختلفة.

وفيها في ٢ من شهر شوال هبت رياح عاصفة مغبرة شديدة وفترة واستمرت تلك الرياح وقت هبوبها بعد صلاة العصر من كل يوم بغبار دقيق وشدة من قوتها وعصفها وتكليفها حتى كانت الأجواء متكدرة جداً، وكان ذلك في ١٧ من برج الثور، وما زالت كذلك إلى آخر اليوم ١٢ من شوال وكانت تلك الزواجع والإعصارات بريح السموم شدتها على مدينة بريدة وما حواليلها عنها جنوباً إلى مسافة عشرين كيلو من الجهة الشمالية إلى قدر خمسين كيلو وقد امتلأت الأمكنة والمساكن بالغبار.

وقد حدثنا بعض الثقات أنه نزل على صامطة وما يليها من جهة عسير الجنوبية الغربية أطار يميل لونها إلى السواد وذلك في شعبان من هذه السنة وكان هبوب الرياح على القصيم في الوقت الذي ذكرنا يوافق ٧ مايو أيار وهو وإن كان وقتاً لهبوب الرياح فإن تلك العاصفة التي امتد وقتها وحدث فيها بعض الأذى والمشاق واختفاء الأنوار وقد وافق جفافاً ولم يبارك الله بما نزل من الأمطار.

عود على بدء

لما أن اغتيل الرئيس الباكستاني ضياء الحق تأثر بهلاكه المسلمون هناك لأنه العضيد الأشد في مساعدة المجاهدين في أفغانستان ضد الروس ومن في صفهم وفقدوا تلك الشعلة وبكوه وترحوا عليه لأنه كان مناصراً للإسلام في باكستان، وقام برفع أعلامه فمن ذلك القصيدة الرائعة التي قالها الأستاذ عيسى بهاء الدين الأميري منها بما قام به ضياء الحق من تطبيق لشرع الله في بلاده وما له من المواقف في جهاد أهالي أفغانستان حينما غزوا في بلادهم وأوذوا في سبيل الله وأخرجوا من ديارهم وقتلوا وقتلوا:

جلى ضياء الحق في استشهاده وزكا وحلق في سماء جهاده
قد كان كالطود الأشم في شموخه ورسوخه والعقل هدي مراده
عزم الوفاء لربه ولدينه ويقينه والصبر وحي سداه
رأى كيان بلاده متصدعاً فيضنى وإن الدين طب بلاداه
وأقام بالإسلام خطة حكمه ومضى وشرع الله نور رشاده
وأبى وقد جاس الخؤون جواده فأمد من لجأوا إلى أنجاده
أدى وأسدى ما استطاع لنصرة ال أفغان رغم عدوه وكياده
واشتد في دعم الجهاد بنفسه ونفيسه بل كان من أجناده
فرمى العدو الدما في مكره ليدلله وألح في أبعاده
لكنه الثبت الأبى فما ونى عن دعمه بل زاد في إمداده
حتى إذا انتصر الجهاد وخصمه ولى ولفح الغليظ في أحقاده
قتلوه كلا إنه أجل مضى جسم هوى والروح في أصفاده

وقال أيضاً في مناسبة اغتيال الشهيد ضياء الحق غفر الله له وتقبل جهاده:

حم القضاء وفي الكتاب طوارق متباينات كلهن حقائق
قدر له صور ويمضى مبرماً ومنية وطرائق وطرائق
أجل إذا ما جاء موعد فصله لا لن يؤخره محب وامق
ويظن لد ماكر مقامر تقديمه عمه الغرور الخائق
الموت حق أمره وزمانه ومكانه حكم قضاه الخائق
والناس فيهم معول ومهلل والميت في بجران غيب عارق
جسم تسربل بالتراب مكبلاً وثوى وروح من أسار ابق
في برزخ بين الهناء والشجا عمل وتم وفي الحساب ملاحق
هذا سجل لا يغادر لمحمة والقسط يوم الدين عدل صادق
وتجىء نفس المرء يحدو سعيها لحسابها منها شهيد سائق

طوبى لمدخر وأوج صبيعه حب وقلب بالضراعة خافق
فالرحمة الفيض الغمير تحفه وهو المؤمل بالسخاء الوثائق

ابني ياالعمر الغريض أخي في صوغ القريض وإنها لأوامر
أهديتني من بث نفسك نفحة وكأنها منى إليك مشاعر
همي وهمك من معين واحد تبعاً ولست أقول أنه حظ عاثر
لكنه قدر المجاهد لا يسنى يحيا لظى لأوائه ويصابر
وله من الإيمان في حلك الدجى نور وفي الغمض العميق بصائر
يمضي على الجد والصراط سوية عزماته وكأنهن منائر
يمضي بأمر الله لا.. لا ينثني سهماً تجرد أو تتمر كافر
قد حالف الله القوي وكر في حرب العداة فهو القوي القادر
ويقينه النصر المبين بربه صدق اليقين وجل رب ناصر
ولقد ينير عليه ظلام وغي ويكيد طاغوت ويختل غادر
ولقد يجند له اغتيال خائن يؤدي به وهو الغنيم الظافر
يحيا شهيداً في الجفان مخلصاً فرحاً تغمده نعيم باهر

وكانت هذه القصائد جواباً لقصيدة بعثها إليه عبد الرحمن صالح العشماوي
هي قوله في رثاء ضياء الحق الرئيس الباكستاني لما اغتيل في حادث الطائرة التي كان
من ضمن ضحاياها:

سفر وكل يا ضياء مفارق والليل مفتول الذراع مراهق
والسائرون على الطريق قلوبهم تشكو وجر الحزن فيها حارق
أين المسار وكيف تحمل الردى أجسامنا ومتى يفر الخافق
يا أرض باكستان ماذا أبصرت عين الحقيقة كيف جاء الطارق
قالت وغيث الدمع يهطل لا تسل عن غاية فيها الذئاب نواطق

يا غابة ما في حماها منزل
أشجارها هرمت وفي أدغالها
سفر وتمتد الطريق وتنمحي
والواقفون عيونهم مبهورة
يا غيمة جاءت ولم يهتف لها
من أين جئت وكيف أمهلك الردى
في شرك المكنون ألف حكاية
يا غيمة الأسرار طعم قصائدي
قولي لنا شيئاً فرب مقالة
قولي لنا فرمت إليّ بنظرة
وتكوم الصمت الطويل أماننا
وتحدثت وأنا أغالب رهبي
أنتم ركبتم موجة غريبة
أنتم تسابقتم إلى أعدائكم
أنتم فتحتم بابكم فتسللت
هذا ضياء الحق هز ذراعاه
حتى إذا ألوى عظام نظامه
ودعا إلى الشرع الحكيم وقد نما
بعث العدو إليه صاروخ الردى
نام الحماة عن البلاد فكيف لا
وسكتُ تنهشني الهموم وينثني
سفر وتبقى يا ضياء ركابنا
كل يسير إلى الفناء فسابق

يؤوي الضعيف ولا لسان ناطق
يختال جزار ويسعد مارق
فيها الخطى ويضل فيها الحاذق
مما تراه وكل بدر غاسق
رعد ولم يومض لديها بارق
حتى وصلت وكيف عاش الوافق
يشدو بها شاد وينعى ناعق
مر ولون الشعر لون غامق
يحيا بها ميت ويخشع فاسق
وشعرت أني في وجومي غارق
والعين مغمضة وقلبي خافق
وتساءلت أين الشجاع الوثاق
شرقية والراكضون تلاحقوا
كم ضاع مسبوق وضاع السابق
منه اللصوص وجاء منه الأبق
ليسوق موكبه ونعم السائق
وأطل من عينيه عزم صادق
في أرضه المعطاء نخل باسق
فمضى وفي الدنيا دخان خائق
يسطو العدو ولا يعيث السارق
سيفي إلى صدري ويدنو الشاهق
مسدودة وعلى الرؤوس يبارق
متقدم يحصي خطاه اللاحق

وإلى متى هذا السؤال جوابه متعذر وبه أحاط الخالق
يا غيمة الأسرار قولك واضح وأنا على ما تذكرين أصادق
نحن الذين تكسرت نظراتنا نرضى بما رسم العدا ونوافق
لو أن أمتنا أقامت أمرها بالدين ما عاق المسيرة عائق

وفيها في يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ صفر وقعت ثورة في الجزائر استمرت ثمانية
أيام فسقط على يد الجيش مئات من الثوار واستطاع الشاذلي بن جديد أن يخمدها
وينكل بالقائمين بها ويسيطر على الموقف فخدمت تلك الثورة وسكنت
المتحركات، أما ما كان عن أهالي باكستان فقد كان الآلاف يحتشدون لإلقاء النظرة
الأخيرة على ضياء الحق واحتشد الآلاف عند مسجد فيصل يوم السبت ١/٨
لتشييع جنازة الرئيس محمد ضياء الحق الذي لقي مصرعه في حادث تحطم طائرة
منذ ثلاثة أيام وأخذ الباكستانيون يرددون (سيعيش ضياء الحق إلى الأبد وتعيش
باكستان) أثناء مسيرهم إلى الموضع الذي سيدفن فيه، وقد أحاطت مئات من رجال
الشرطة والجيش بالموضع وحملت عربة مدفع جثمان الرئيس ضياء الحق في جزء من
الطريق ونقلته إلى قبره ورفعوا لافتة كتب عليها (ضياء حي الشهيد لا يموت)
وحضر رؤساء الدول وشخصيات أخرى بارزة من أكثر من خمسين دولة جنازة
الرئيس ضياء الحق الذي حكم باكستان لمدة عشر عاماً، وكان عدد من كبار
ضباط الجيش الباكستاني والسفير الأمريكي أرنولد رافيل من بين ٣٠ شخصاً لقوا
مصرعهم يوم الأربعاء الذي أصيب فيه الرئيس عندما تحطمت الطائرة، وشاركت
عائلة الرئيس وأخوه وابنه وبعض المقرين في وضع النعش في شاحنة عسكرية
مغطاة بعلم باكستاني كبير أخضر وأبيض ووضع الجثمان في إحدى صالات القصر
لمدة ربع ساعة لتمكين أقرباء الراحل ومعاونيه من إلقاء النظرة الأخيرة عليه.

وفيها في ليلة الاثنين عاشر شوال انشب حريق في مدينة بريدة بمناجر وأخشاب
من ألواح الساج ومرايع تقع في حفيرات من الجهة الجنوبية خلف خط الإسفلت

من الشرق أمام سوق الماشية من الجهة الجنوبية الشرقية في واجهة (الشرقية السباخ) ولما أن اضطربت النيران كانت ألسنتها ملتبهة في قصفها ولها زججرة والرياح تصفر في لهبها فهب رجال المطافئ والدفاع المدني إلى ذلك الموضع مرتدين حبل الكفاح والعمل.

وجاءوا بمجدهم وحديدهم ومياهم تقذفها خراطيم تلك المعدات وما يستطيعونه ليدفعوا ذلك الخطر المحقق وليقضوا على ألسنة النيران المندلعة بين الحفريات ووسطها، وكاد أن يعجز رجال المطافئ عن القضاء عليها بعدما جيء بمطافئ غنية وغيرها وعجزوا عن مقاومة تلك البادرة السيئة فاستمرت النيران مندلعة عشرين ساعة وفكرت الجهات المسؤولة بطلب الطائرات لاستخدامها لهذه المهمة وسقط بعض رجال الدفاع المدني من خنق ذلك الدخان وأتت النيران على جميع ما في تلك المناجر والمستودعات بما فيها من المكائن والحديد فجعلته كومة من الرماد هامة لا قيمة لها، وكانت تلك الاخشاب والمناجر كثيرة العد والعدد وتقدر تكاليفها بقيمة باهظة، ولكن الله لطف بسلامة الأرواح.

وفي ١٩ جمادى الآخرة من هذه السنة أحصيت المبالغ التي قدمتها المملكة السعودية لدعم مجالات الدعوة الإسلامية وساهمت في إنشاء أربعين مركزاً إسلامياً في أمريكا وأوروبا فبلغت ثلاثة آلاف مليون ريال ووزعت عشرين مليون مصحفاً من القرآن من طباعة الملك فهد بن عبد العزيز على المسلمين في أنحاء العالم.

وقامت جماعة تحفيظ القرآن في حلقات المساجد بتشجيع الدارسين ومنحهم مكافآت تقديراً وتشجيعاً لأمثالهم لكل فرد عشرة آلاف ريال من بين أولئك الأفراد ستة وعشرون طالباً في مدينة بريدة وزعت في جامعها الكبير بمحضر الآباء والمدعوين.

مؤتمرة قمة

لما كان في ٢٢ شوال من هذه السنة أقيم مؤتمر القمة في الدار البيضاء في المغرب، وذلك في يوم السبت وحضر ذلك المؤتمر المنعقد لدى العاهل المغربي

الحسن الثاني خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يصحبه الأمراء سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض بعدما أناب في غيابه على المملكة ولي العهد والنائب الأول رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني عبد الله بن عبد العزيز، وحضر المؤتمر الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد والرئيس السوري حافظ الأسد والعقيد الليبي معمر القذافي ورئيس الجمهورية المصرية محمد حسني مبارك ورئيس الإمارات زايد بن سلطان آل نهيان وسلطان عُمان قابوس بن سعيد والملك حسين بن طلال وأمير البحرين وأمير قطر وأمير الكويت والرئيس اليمني وياسر عرفات وأمين الجامعة وغيرهم.

عرض في هذا المؤتمر مهام الأمور المتعلقة في مصالح الأمة الإسلامية والعربية ومن ذلك معرض الحرمين في المغرب وافتتاحه والقضية الفلسطينية وتحديد الحجاج لما فيه من المصلحة العامة كما اطلع الملك فهد جلالة الملك المغربي على ما تقوم به المملكة السعودية من الخدمات للمسلمين وقضية لبنان ودرسها وغير ذلك.

قرار مجلس هيئة كبار العلماء في شأن المعتدين

لما كان السعي في الأرض فساداً قد أنزل الله فيه آيات من القرآن تحوف وتحذر، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣) (١). وقال تعالى في معرض النهي: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (٢) وقال تعالى في فضيحة المفسدين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ

(١) سورة المائدة، آية ٣٣.

(٢) سورة الأعراف، آية ٥٦.

﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴿١﴾ ذلك لما ينشأ عن هذه الجرائم السيئة من المفساد التي لا تصدر إلا ممن فقد إنسانيته وأضاع شرفه وعصى الله ورسوله، فقد صدر الحكم وقرار من مجلس هيئة كبار العلماء بتطبيق أحكام الله ضد المفسدين وأن من فعل ذلك فقد استهدف للعقوبة، وقال مفتي الجمهورية العربية اليمنية القاضي أحمد محمد زيادة إنه قرار حكيم ونابع من صميم الشريعة الإسلامية الغراء لأنه يجسد ما أمر به الله ورسوله من تطبيق الحدود الشرعية على المخربين والمفسدين في الأرض، ودعى كل الدول الإسلامية إلى أن تحذو حذو المملكة العربية السعودية كما أكد عن أعضاء المحكمة العليا للنقض والإقرار في الجمهورية اليمنية تأييدهم الكامل لكل ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء، وقال مدير الحرم القدسي أن من يعتدي على أمن الجماعة ويفسد في الأرض يستوجب على ولي الأمر أن يوقع عليه العقوبات الرادعة، وقال محمد الشعراوي ما اتخذه المجلس يتناسب مع الحفاظ على المقدسات الإسلامية والأمن والاستقرار.

نشرات مؤلفة عن أفغانستان

ففيها في جمدى الثانية الموافق يناير ١٩٨٩ نشرت مجلة البنيان المرصوص صوت الحق الإسلامي الأصيل في أفغانستان في عددها (٢٥) الفضائح التي قامت بها روسيا في غزو أفغانستان ما يأتي: (إذا رأيت الظلم قد علا في الأرض وسحق المسلمين لا تيأس فهناك في أفغانستان أخوة لك يردون الظلم بالحديد والنار ويضحون بأرواحهم من أجل رفع رايتك الإسلامية).

ثم نشرت بعض رسوم وصور للمشردين يحملون أزودتهم على أكتافهم

(١) سورة البقرة، الآيتان ١١ و١٢.

فمليون ونصف مليون شهيد وخمسة ملايين مهاجر في عشرة أعوام من أفعال الروس في أفغانستان.

ومع كل إشراقة شمس يوم جديد في أفغانستان الجريحة تبدأ قصة حزينة بل في كل ساعة وكل دقيقة هناك معركة في مكان ما بين جنود الحق الأعزل وطواغيت الباطل الشرس، وفي كل لحظة هناك أخ لك يعبر خطوط النار والدمار ويركض فوق الثلج والألغام ويحابه أحدث الطائرات وجحيمها بصدره العاري لكن بعد انتهاء الجولة يسقط الشهداء والجرحى في دوائر من أجل إعلاء كلمة الله ويستمر من تبقى من المجاهدين في حمل الراية ومواصلة رحلة الجهاد الطويلة.

وهناك ترى جماجم الشهداء وأطفال الشهداء الأيتام يحملون صغارهم على ظهورهم بمنظر حزين وحالة يرثى لها وقد قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة» ويحثك الله عز وجل على الإحسان إليهم بقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَنَحْنُ بِكُمْ﴾ (١) ولما أن ثبت الأفغانيون أمام تلك المجازر ثبات الجبال الرواسي ورأت أمريكا انتصارات الأفغانين الذين كانت تمدهم بالأسلحة لأذية روسيا قامت تسعى لإقامة حكومة غير إسلامية في أفغانستان هي ومن في صفهم من الدول المعادية للروس يخططون لما رأوا اقتراب المجاهدين من الظفر.

وثارت ثائرتهم لإقامة حكومة غير إسلامية في كابل لما رأوا انسحاب الروس، ولكن أهالي أفغانستان لا يرتضون إلا دين الإسلام فغيرة من الكفار على انتصار المسلمين الذين يريدون رفع راية الإسلام رأوا أن يسعوا خلف هذه الانتصارات ليكون ذلك من صالح الكفار لا من صالح المسلمين، هذا من جهة أفغانستان.

أما عن فلسطين الحزينة وما يكابده أهلها من تعسفات اليهود وجعلهم أغراضاً

(١) سورة الإنسان، آية ٨.

لسهامهم فقد أحصي الذين أصيبوا فيها منذ بداية الانتفاضة إلى تاريخ ٢١ شوال الموافق ليوم الجمعة من هذه السنة أي في ظرف ثمانية عشر شهراً وتسعة أيام فكانوا كما يأتي: سبعمائة واثنين وثلاثين قتيلاً، واثنين وثلاثين ألف جريح، واثني عشر ألف سجين، ولكن أطفال الحجارة والمتفضين كانوا لا يزالون يوالون نشاطاتهم في تفجير العبوات وعرقلة أعمال اليهود ويشعلون الإطارات في طرقهم ويقذفون الزجاج المحماة بالنيران على السيارات والمارة مما أقلقوا راحة اليهود.

أما عن لبنان الذي تضمنه مؤتمر القمة الأخير فما قد قام أعضاء المؤتمر يطرقون الأبواب لوقف إطلاق النار وأن تضع الحرب أوزارها وبعثوا رجاء إلى الأهالي أن يضعوا حداً لهذه الحرب التي أتت على الرطب واليابس واستنزفت الأموال والدماء وقد يكون سعيهم ذلك له مفعول كبير.

إن لبنان التي تضرب الأمثال في حضارتها ونضارتها فيما مر من السنين بحيث كانت جنة الدنيا يتتابها جميع العالم للمصيف وإراحة النفس وإجمام الجسم لما خصها الله به من النعم والفواكه والهواء الطلق والمستشفيات وكثرة المطابع لنشر الكتب الدينية والأدبية والتاريخية وكان فيها أنواع اللهو والأفراح لمن أراد ذلك ممن له هواية ورغبة فيما يعطي نفسه سؤلها من الملذات والمشتهيات وما يجده فيها أهل الخلاعة من أسواق البغايا والعاشرات التي كانت وبلا شك هي سبب دمارها وعقوبات الله التي حلت بها كانت بعدما ذكرنا قد أصبحت آية من آيات الله في الخراب والدمار وسلط الله بعضهم على بعض بحيث أصبحوا يتناحرون ويتقاتلون فيما بينهم.

قال عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس: جئت يوماً إلى ابن عباس فوجدته يبكي فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك، فقال: هؤلاء الورقات وإذا هو في سورة الأعراف ينظر في حال أهل القرية الذين ذكرهم الله بقوله:

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾^(١)
إلى آخر ست آيات من القصة وما أحله الله بهم من العقوبة.

ولما فتحت قبرص وفرق بين أهلها وبكى بعضهم إلى بعض كان أبو الدرداء جالساً وحده يبكي فقال له بعض الصحابة: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك والغلبة تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

ف تأمل أيها المسلم في كلام هذا الصحابي وإنه لموعظة لمن اعتبر، ولقد بدأت لجنة القمة الثلاثية الخاصة بتسوية أزمة لبنان تعقد أول اجتماعات عملها في يوم الأحد غرة شهر ذي القعدة من هذه السنة في القصر الملكي في الرباط.

امتحانات النقل

في يوم السبت ٢٩/١٠ من هذه السنة تقدم أكثر من مليونين ما بين طالب وطالبة لاختبار النقل في سائر المملكة السعودية وأنحاءها في جميع المراحل الدراسية وهذا مما يدل على إقبال الأمة على التعليم وتسابقهم على ذلك وما كثر العلم في أمة إلا وسادت وشادت وأفلحت وما ظهر الجهل في أمة إلا ذهب مجدها وتفرق أمرها.

وفيها في شهر شوال ظهر في الصين كتاب يسيء سمعة الإسلام والمسلمين فقامت مظاهرة ضخمة من الطلاب والطالبات المسلمين هناك يقدمون احتجاجهم ضد هذا الكتاب وطالبوا بعدم توزيعه وكان أكثر من أربعة عشر مليوناً من

(١) سورة الأعراف، آية ١٦٣.

المسلمين يعيش معظمهم في أقصى الشمال الغربي وقدم أولئك المتظاهرون مذكرة للحكومة الصينية طالبوها فيها بمنع نشره وحمل المتظاهرون لافتات كتبت باللغتين العربية والصينية ودعت اللافتات إلى إطلاق حرية الأديان والذود عن القرآن الكريم وأن هذا الكتاب مثل كتاب الآيات الشيطانية.

وفاة الخميني

لما كان في يوم الأحد غرة شهر ذي القعدة صباحاً أعلن راديو طهران وفاة آية الله الخميني عن عمر يناهز ٨٩ سنة وقاموا في إيران ينظمون أمور الثورة الإسلامية المزعومة التي أسسها لهم الخميني وقام بها وينفذون وصاياه التي أوصاهم بها وفتحوا أبواب إيران للوافدين الذي سيقدّمون للصلاة عليه وتشيع جثمانه إلى مقره الأخير.

أما صكوك الجنة التي منحها أتباعه وبوأهم فيها القصور والغرف فإن رعايهم يحتفظون بها، وأما النشء المتنور فإنهم يأخذونها من يده ويلقونها على خفية في المزابل بعدما يمزقونها، ولما أن كان من الغد أقيمت عليه صلاة الجنازة بعد الظهر بعدما قدمت الشيعة من أقطار الأرض ومن كل حذب ووقعت ضجة وارتباك وزحمة شديدة هناك ممن كانوا يتمسحون بكفنه ويتبركون به ويصبون عليه مياه الورد، وقد سقط الكفن مرات ممن يعظمونه وكادت أن تمزق الثياب من شدة الزحام.

وجرى على بعضهم من البعض خدوش لكثرة المصلين الذين بلغوا مئات ألوف وكانت وفاته عقب أسبوعين من إجراء عملية لإيقاف نزيف داخلي وكانوا قبل وفاته بليلة قد ناشدوا المواطنين الإيرانيين الدعاء له بالشفاء، ولكنها نقلت الإذاعة عن بيان أصدره المكتب الشخصي للخميني قوله لقد طرأت بعض المصاعب خلال معالجة الإمام.

ولكنها بثت إذاعة طهران ليلة الأحد أن الأطباء يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذ الخميني وفي صباح يوم الأحد بثت إذاعة طهران بياناً منسوباً لابن الخميني أحمد الخميني أن الزعيم الإيراني توفي ثم أنه تم تلاوة نص وصية الخميني في جلسة خاصة عقدها مجلس الشورى بحضور مجلس الوزراء مير حسين موسوي وأعضاء لجنة الخبراء ومجلس الوصاية ومجلس القضاء العالي ونواب المجلس والوزراء، وقالت وكالة الأنباء الإيرانية أن مشكيني قد ترأس هذا الاجتماع الذي استغرق ساعتين وخمساً وأربعين دقيقة، ونقلوا الوصية التي كتبت عام (١٩٨٢م)، وتم إعادة صياغتها عام (١٩٨٧م) أحد الحضور وتشتمل على ٢٩ صفحة تحتوي على خمس صفحات كمقدمة وصفحة أخرى كملحق وسيعلن أحمد الخميني وصية والده على أفراد الشعب في وقت قريب.

وفيها في أوائل شهر ذي القعدة وقعت ثورات في الصين استعمل لها السلاح وهلكت أعداد نتيجة هذه الثورة أياماً بحيث هلك تحت السلاح خلائق كثيرون، وكانت تلك المظاهرات والثورة نتيجة العسف والتضييق على الشعب الذي بلغ عدده (٩٠) مليوناً من الأنفس البشرية ولكنها تحسنت الأمور شيئاً ما بعد الثورة بسبعة أيام، ولقد كانت الصين في الأيام الأخيرة تعرف لها الدول الكبرى حقها في القوة والشراسة وما أعدته من الصواريخ الصينية النووية التي لها مكانتها من الفتك والتدمير وتعتبر أكبر دول العالم سكاناً وعاصمتها (بكين) بلغ سكانها زيادة على عشرة ملايين، وكان نظام الحكم فيها شيوعياً، هذه هي جمهورية الصين، وكان قد انفصلت عنها فرموزا والجزر القريبة منها وألفت دوله الصين الوطنية، وللصين مكانة عظيمة لأنها غنية بالسهول الواسعة والأنهار الكثيرة التي ترويتها، ولقد بلغت الفتوحات الإسلامية في زمن الدولة الأموية إليها أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان، ولقد كانت الأمم تنمو نمواً باهراً بحيث بلغ إحصاء الحكومة الأميركية في هذه السنة (٢٤٠) مليوناً، كما أن الروس بلغوا (٢٦٠) مليوناً هذا بالرغم مما يحصل من القتل والدمار والاغتيال.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم محمد بن عبد العزيز، ففي صباح يوم الجمعة ١٦ ربيع الآخر عام (١٤٠٩هـ) أعلن الديوان الملكي البيان وهذا نصه: (انتقل إلى رحمة الله تعالى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود، حيث وافاه الأجل المحتوم صباح اليوم الجمعة الموافق ١٦/٤/١٤٠٩هـ بمدينة الرياض عن عمر يناهز الثمانين سنة ساهم خلالها مع والده مؤسس هذه المملكة بالكثير من الأعمال الجليلة التي كان يقوم بها والده رحمه الله للتوحيد وتوحيد استقرار المملكة وسيصلى على سموه ظهر يوم السبت ١٧/٤/١٤٠٩هـ في جامع الملك عبد العزيز بالمربع في مدينة الرياض نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته، إنا لله وإنا إليه راجعون). وهذه ترجمته: هو الأمير الشجاع الباسل الشهير والعلم الظهير والسميدع الخطير الذي رجفت هيته القلوب ومزق الأعادي في الغرب والشرق والشمال والجنوب صاحب السمو الملكي محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن مقرن القائد المحنك أمير المدينة المنورة سمي بذلك لأنه هو الذي تولى فتحها، كان شعلة نارية مهيباً متقدماً وله نفوذ وقدر عظيم ولما أن توفي والده كان سامعاً مطيعاً لأخيه الملك سعود بأرائه خاضعاً لتدابيره وكتب له التاريخ صفحة في الوفاء والذكر الحسن، ولما جاء دوره لولاية العهد بعد الملك فيصل تركها لأخيه خالد بن عبد العزيز لأنه كان شقيقه.

ولد المترجم عام (١٣٣٠هـ) في مدينة الرياض وأدخل والده إحدى المدارس الأهلية حتى شب ونشأ في تربيته كأبناء عبد العزيز، وكان صارماً فتاكاً وليناً وثوباً شوهد منه في ملاحقة الدويش وجاسر بن لامي وابن حثلين لما فروا إلى الكويت والعراق والتجأوا إلى الكابتن كلوب المفتش الإداري هناك، وكان والده ينهيه عن أن يخاطر بنفسه وعمره إذ ذاك ثماني عشرة سنة غير أنه ما كان له أن يخلد إلى السكينة حتى يقبض على العدو، فزحف برتل من السيارات على مضض من

والده جلالة الملك فنازل قبيلة الصفهان التابعة للعجمان فما كان إلا دقائق حتى قضى عليها.

وكان من قواد الجيش السعودي في جهاد اليمن عام (١٣٥٢هـ) وأحرز نصراً وتقدماً، ولما أن كان في فتح المدينة المنورة طلب أهلها من الملك عبد العزيز أن يبعث إليهم للمفاهمة أحد أفراد العائلة لما لقوا من محاصرة فيصل الدويش من قساوة وعناء وشراسة ولا سيما ما تفوه به الأعداء من أن الدويش أطلق الرصاص على قبة الرسول ﷺ والسهام فاقتضى إلى الملك أن يجعل المترجم يحاصر المدينة لما له من الشدة ولكنه أمره أن يضيف إلى الشدة الرفق وعدم القتال لعلهم يسلمون ويستسلمون ففعلاً جرى ذلك واستسلموا للأمير محمد بن عبد العزيز وفتحها الله على يديه، وكان منصور اللواء لا تنهزم رايته أضف إلى ذلك جوداً وكرماً، وكانت والدته الجوهرة ابنة مساعد بن جلوي بن تركي فأخواله آل جلوي وشقيقه الملك خالد بن عبد العزيز، ولما أن توفي صلى عليه المسلمون في المسجد النبوي بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب وعلى رأسهم الملك فهد وأمير المدينة عبد المجيد بن عبد العزيز وأصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب المعالي الوزراء وجموع كثيرة غفيرة من المصلين، أما إقامة الصلاة عليه فكما قدمنا.

وممن توفي فيها من الأعيان في مدينة بريدة الشيخ حمود المشيقح رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته هو أبو سليمان حمود بن عبد العزيز بن حمود بن مشيقح بن عبد الله، ولد في عام (١٣١٦هـ) في مدينة بريدة عاصمة القصيم فنشأ في بيت والده فأدخله والده إحدى المدارس الأهلية في مدينة بريدة ورباه والده تربية حسنة وكان محبوباً لديه ثم أنه بعدما نجح من المدرسة وحفظ القرآن، وأخذ نصيباً من تعلم الخط والحساب أخذ في الدراسة على الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وعلى الشيخ عمر بن محمد بن سليم ولازمها وأكثر الأخذ عنهما ومن جملة ما درس على الشيخ عمر فتح الباري شرح صحيح البخاري إذا أخذ في القراءة فإنها خفيفة على

لسانه لأن له سليقة قوية كأنما تخرج الكلمات من أكبر نحوي، وإن كان قليل الأخذ من علم النحو ولكنها بديهة فقليل لحنه وأخذ عن الشيخ عبد العزيز العبادي لما أن جلس للتدريس في مسجدهم عام (١٣٥٥هـ) في كتب الفقه والحديث إضافة إلى مجالسة الأولى في بكرات الأيام لأن الشيخ عبد العزيز جعل يدرس ضحى وظهراً في ذلك المسجد الذي ضم جمعاً كثيرة من الطلاب وأصبح إذ ذاك كزهرة البلاد، وذلك قبل وفاة الشيخ ينتابه طلاب العلم ويترددون إليه.

وكان والد الأسرة عبد العزيز بن حمود بن مشيقح يبذل مساعدات للأجانب الذين في ذلك المسجد وكان من جملة الذين يدرسون على الشيخ عمر بن سليم بعد صلاة العشاء الآخرة في بيتهم وجد واجتهد حتى نال الثقة من والده وإخوانه بحيث كان هو صاحب الدفاتر والصندوق المالي وقبيل وفاة والده فقد بصره وأسف والله لذلك أسفاً شديداً ولكنه موضع التقدير من أهله ومن أمته وأهل بلده، ولما أقعد كانت الملوك من آل سعود كالملك فيصل والملك خالد والملك فهد يتتابون في بيته للسلام وزيارته إذا ما قدموا إلى القصيم وكان بالرغم من كونه محمولاً في محمل ويسعى بين المروة والصفاء راكباً عربة ولم يمنعه أن أسن وكبر وثقل عن حضور الجمع والجماعات فكانوا يذهبون به إلى المساجد على عربة وكان صابراً ومحتسباً.

ولما أن علم الله حسن نيته رزقه من إخوانه وأبنائه وأبناء إخوانه حسن عناية فكانوا يتتابون زيارته كل ليلة بعد العشاء الآخرة ويجمعون به ويتبادلون الحديث معه وكان راوية للقصص وذا خبرة بالتاريخ عن وعي ومعرفة أضف إلى ذلك أنه كان بصيراً في أمور دينه وموالياً لأولياء الله ومعادياً أعداءه في حسن معتقد ولين معركه مع الكبير والصغير وما زال على الاستقامة حتى وافاه أجله المحتوم في يوم الجمعة ١٣/٦/١٤٠٩هـ فصلى عليه المسلمون بعد صلاة العصر وحضر للصلاة عليه خلق كثير وجم غفير في الجامع الكبير ببريدة وشيعه إلى قبره ومشواه الأخير

جمع كثير من المسلمين بحيث دفن في مقابر الموطا عن عمر يناهز الثالثة والتسعين.

ومن توفي فيها المقرئ المصري عبد الباسط عبد الصمد، والذي طالما ألقى قراءاته بالإذاعات في مشارق الأرض ومغاربها وقد سجلت أشرطة كثيرة وذلك لحسن ترتيله وجودة صوته، وكان في حال شببته له المثلى القيم في تلاوة القرآن وطول النفس والترتيل لما له من سعة الحنجرة، فقلما كان يباريه في حال شببته أحد في حسن الترتيل وملأت الأشرطة التي كانت تباع في كل مكان من الجامع والدكاكين والمكاتب وكان قد أصيب قبل وفاته بسنة في حادث سيارة فأثرت عليه، وكانت وفاته في ٢١ / ٤ / ١٤٠٩ هـ.

وفاة معمر

ففيها في يوم الثلاثاء محرم توفي شيخ قبيلة ثقيف عبد المعين عطية الثقفي عن عمر بلغ مائة سنة وخمساً وأربعين سنة فيعتبر أكبر معمر في المملكة العربية السعودية، كانت ولادته في عام (١٢٦٢ هـ) وذكروا عنه أنه واحد من الجنود الأوفياء للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود وخدمه بإخلاص ووفاء.

ومن توفي فيها من الأعيان أيضاً الأمير محمد بن سليمان بن عبد الله بن جبرين على إثر مرض ألزمه الفراش فأدخل في مستشفى القوات المسلحة في الرياض ومستشفى الملك فيصل التخصصي، وبعد علاج وعناية وافاه أجله المحتوم، ولم يغنِ حذر عن قدر وهو أخو حمد بن سليمان بن جبرين أمير منطقة حفر الباطن، وكانت وفاته في شهر محرم من هذه السنة.

ومن توفي فيها أمير الهياثم سابقاً محمد بن خالد بن فيصل آل جش وهو أحد مشائخ قحطان الذين خدموا وطنهم بكل تفان وإخلاص هكذا ذكروا، وقد رثاه كثير من شعراء النبط بمراث كبيرة كانت وفاته في غرة شعبان من هذه السنة.

وفيهما في ٢٩ / ٥ وفاة إمبراطور اليابان عن عمر تجاوز ٨٢.

وفيهما توفي غازي بن ظافر مدير إدارة أملاك الدولة في مكة المكرمة ورئيس لجنة التقرير والعقار وقد ترحموا عليه ودعوا له بالمغفرة والرحمة لما يعلمونه عنه من المؤهلات والإخلاص.

وممن توفي فيها زميلنا وتلميذنا فهد بن عبد العزيز السعيد كانت وفاته في ٨/١٧ من هذه السنة، ولد عام (١٣٣٧هـ) في مدينة بريدة وأخواله من آل العقيلي فنشأ في الدراسة على المقرئ صالح بن محمد بن عبد العزيز الصقعي حيث كانت مدرسته أهلة بالتدريس، ولما أن أخذ نصيباً من تعلم القرآن وأكملته وأخذ نصيباً من تعلم الخط والحسابات كغيره بحيث كانت المدارس آنذاك أهلية ولم تكن حكومية أخذ في الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي والشيخ محمد بن صالح المطوع.

كما أنه درس علينا من جملة الدين أخذوا عنا وكان يسكن حجرة في مسجد عودة المشهور بمدينة بريدة والمعروف بمسجد الحميدي المطوع، وقد أكثر الأخذ عن محمد بن صالح المطوع ولازمه واحتفى بقربه وكان له فضل عليه كما أن للمؤرخ فضل عليه بحيث كان يساعده في أزمات الأمور ويشد أزره ويدافع عنه.

وبعدما بلغ العشرين من عمره تزوج وكان بيده صناعة الخرازة للأحذية ثم أنه بعدما كان يكابد شيئاً من قلة ذات اليد سعى في أن يكون مديراً لمدرسة رياض الخبراء من مدن بريدة الغربي فحصل عليها ولبث في إدارتها خمس عشرة سنة ثم رأى أن يكون متقلباً في الأعمال الحرة فتركها إلى وظيفة محامي يزامله عبد العزيز المزني من أهالي البكيرية واتخذ لذلك بيتاً في الرياض في شارع الخزان فكان يقضي بعض زمانه في رياض الخبراء وبعضه في العاصمة وله حظ في معرفة العلماء ومجالستهم كما أنه يتصل بالأمراء ويجالسهم ولصبغته في أخذه عن العلماء المتقدمين الذين قد ذكرت كان متأثراً بالعلم والأدب والدين وفي سلك أهل الفضل.

كما أنه قوي النفس شجاع كريم الأخلاق وبعد وفاة زميله عدل إلى طبع الكتب الفقهية في بيروت ودمشق وحصل على قدر كبير منها فمن مطبوعاته «الإفصاح» لابن مغيرة و«الاختيارات الفقهية من فتاوى ابن تيمية» و«كشف المخدرات شرح أخصر المختصرات» و«المذهب الأحمد» و«التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع» و«زوائد الكافي والمحرم على المقنع» و«المقنع لابن قدامة» و«جامع العلوم والحكم» جعله في ثلاثة أجزاء و«تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي» و«الحسبة في الإسلام» و«وظائف الشيخ عبدالرحمن العمري» و«التبيان في أقسام القرآن» و«غاية المنتهى» لمرعي بن يوسف وغيرها وقد أبرزها بالحرف الكبير وخدمها بالتجليد الإفرنجي.

وكان يقول لي إني حرصت على طباعتها بالحرف الكبير أريد أن يقرأها الناس لأن الأبصار قد تضاعفت في هذا الزمان، وحقيقة أنه يشكر على خدمته لكتب الحنابلة، ثم أنه أصيب بمرض يعاوده كهية الجلطة حتى توفاه الله في هذه السنة وخلف عقباً من الذكور والإناث أحد عشر ذكراً وعشر إناث، وهم يسكنون رياض الخبراء الموطن الذي اختاره والدهم فغفر الله له وعفا عنه.

ذكر ثورة يونيو في السودان

لما أن كان في فجر يوم الجمعة ٢٧ ذي القعدة عام (١٤٠٩هـ) الموافق ٣٠ يونيو قام عمر حسن البشير بثورة ضد المهدي في السودان واستيقظت الخرطوم على أنباء نجاح وحدات من سلاح المظلات والمدركات بقيادة العميد عمر حسن البشير الذي رقى نفسه إلى رتبة فريق أول في السيطرة على العاصمة السودانية وإعلان ثورة (يونيو) للإنقاذ الوطني بقيادة مجلس لقيادة الثورة بقسم عدد من كبار الضباط بينهم العمداء أحمد فضل الله، وعلي يوسف، وعثمان أحمد حسن، ومحمد عثمان سعيد، والعقيد موسى عبد الرحمن.

وأذيع البيان رقم واحد الذي أذاعه راديو أم درمان فجر يوم الجمعة بقيام ثورة

(يونيو) وألقي القبض على الرئيس الأول الصادق المهدي بعدما حاول الفرار وغير هيئته ثم نزل من القصر بجبل ولكن إلقي القبض عليه لمحاكمته وسيق هو وعدد من وزرائه وسط قافلة عسكرية متجهة إلى أحد سجون الخرطوم.

وقد استولت مدرعات العقيد موسى عبد الرحمن التي قادها على كل المناطق الحيوية في العاصمة وكان أحمد فضل الله وعلي يوسف من جملة الذين اعتقلهم المهدي في ثورة فشلت قبل ذلك فأفرج عنهم وثاروا ضده في هذه الثورة التي نجحت، ثم إن الخرطوم هدأت بعد سيطرة الجيش على القصر الجمهوري وأصدر قائد الثورة عمر حسن البشير مرسومين نصا على تعطيل الدستور وإلغاء رخص الصحف وحل المؤسسات الحكومية والبرلمان وحل الأحزاب وال نقابات العمالية، وحذر المرسومان من أي معارضة وأعلن منع التجول في الخرطوم بين الساعة السادسة مساءً حتى الساعة السابعة صباحاً وقال أنه سيتولى مناصب رئيس الدولة ورئيس الوزراء ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة وكان قواد ثورة يونيو هذه وطنيين متدينين.

ولما أن اعتقل الرئيس الأول الصادق المهدي وصاحبه أحمد الميرغني قامت قواد الثورة الجديدة يشنون سيئاته واحتكاره الأطعمة والأغذية عن المواطنين الذين يعيشون في حالة بؤس من الجوع والفقر ويلاقون من أتعاب الحياة والمساعدات المجلوبة إلى السودان مكدسة لديه، هكذا ذكروا.

وفيها في ليلة التروية مساء يوم الاثنين ليلة الثلاثاء وقع انفجاران حوالي الحرم المكي الشريف عن قنبلتين خارج المسجد إلى جهة الجنوب معبأتين كان ضحيتهما هلاك شخص واحد باكستاني وجرح ستة عشر شخصاً آخرين، فتأثرت الحكومة السعودية لذلك وأقامت لجنة للتحقيق والكشف عن فاعلي ذلك.

وجاءت الأنباء واردة من جميع حكومات الإسلام والعرب مستنكرين لذلك العمل الإجرامي في أقدس بقعة على وجه الأرض وأعلنوا شجبهم لذلك

وتأييدهم لخادم الحرمين الشريفين وسخطهم البليغ لوقوع ذلك وأنهم يؤيدون الحكومة السعودية ويستنزلون اللعنة على من فعل ذلك في أعظم أيام الله أمام بيت الله.

ولا ريب في أنه لم يفعل ذلك إلا من فقد إنسانيته وخان الله ورسوله والمسلمين وسعى في الأرض فساداً واستهدف لعقوبة الله تعالى في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٥).

حادثة قصر أفراح جيزان

لما أن كان في ليلة الأحد ٢٩ ذي القعدة من هذه السنة أقبلت النساء والفتيات والأطفال إلى قصر أفراح جيزان لفرح العرس والاحتفال، وفي آخر الليل عند الانصراف من الاحتفال حصل ضجيج وصراخ وتغاير من أولئك المجتمعين فنظر عامل القصل وحارسه أن هناك حريقاً بالتماس كهربائي فأقفل عداد الكهرباء فانطلقت النسوة والحاضرون للهرب إلى الخارج وتسببت ضيق بوابة القصر وضيق المسافة إلى أن يخرج الحاضرون من النوافذ ووطأ بعضهم بعضاً وداس بعضهم بعضاً بالأرجل مما أسفر عن مأساة عظيمة من جراء هذا الحادث الأليم فأصبحوا ما بين قتيل وجريح وهبّ رجال الدوريات والنجدة لعمليات الإنقاذ بكسر الأبواب والنوافذ لإخراج المصابين، ولقد تم استدعاء (١٧) طبيباً من منازلهم على وجه السرعة فجر الواقعة كما تم استدعاء (٢٥) ممرضة مختصة فهلك من هلك وحمل الجرحى إلى المستشفيات هناك.

قال بعض الرواة بينما كنت أمشي بالصدفة بجوار الموقع وإذا بي أشاهد أعداداً من سيارات الدوريات والنجدة تسير بسرعة مذهلة في الحي فانتابني الذعر

(١) سورة الحج، آية ٢٥.

وانطلقت في غير وعي إلى بوابة القصر لأشاهد أرتالاً من الأجسام البشرية مكومة على بعضها ومن غير إحساس بدأت بالبحث عن الوالدة فسكت قليلاً والتزمنا الصمت ثم جعل يروي ما وقف عليه من المأساة الشنيعة كيف ذهبت ضحايا ذلك الحادث الشنيع من أم وفتاة وصغيرة وكبيرة بحيث انتهى ذلك الحفل على حالة سيئة نسأل الله العافية.

وفي موسم الحج من هذه السنة اشتدت وطأة الحر في مكة المكرمة بحيث بلغت الدرجة ارتفاعاً إلى خمسين درجة ولم تحج إيران في هذه السنة لسوء علاقاتها مع السعودية، كما أنه حصل تفجيرات أخرى في الموسم في بعض الجبال وحريقة في منى التهمت خياماً للحجاج لا يقل عددها عن مائة وعشرين خيمة، ولا ريب أن ذلك من المخاوف والتنكيدات التي يسعى أهل الشقاق والضلال وابتلى الله بها المسلمين، هذا وقد رأى حجاج بيت الله عناية ووجدوا خدمة في توفير المياه والثلوج وجلب الألبان والخبز والخضراوات وغيرها مما وفر لهم أنواع الراحة.

وفيها وفاة العالم العابد الزاهد الناسك والفاضل المجتهد صاحب العلم بالعقيدة السلفية والمتصف بالاستقامة والأعمال والأخلاق المرضية أمام ضاحية السباخ في الموضع الجنوبي من المدينة الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن حمد بن مضيان -رحمه الله وعاف عنه-، ولد في عام (١٣١٦هـ) في قرية وهطان الواقعة في الجنوبي الشرقي عن مدينة بريدة فنشأ في أحضان والده الشيخ عثمان بن مضيان فأدخله في إحدى المدارس هناك وهي المدرسة الأهلية التي معلمها جده لأمة عبد الله بن معارك، وبعدما تعلم القراءة والكتابة أخذ في الدراسة على الشيخ عبد الله بن إبراهيم الباحوث في موضع العكيرشة، ثم أنه ترقى في التعلم حتى أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم ولازمه وتردد إلى حلقاته في المسجد الجامع الكبير في مدينة بريدة وانتهل من ذلك المنهل العذب، ومن زملائه عبد الله العلي العجلاني الذي تقدمت ترجمته وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن فدا وأخذ عن الشيخ

عمر بن محمد بن سليم وكان يظهر دينه ويلهج بذكر العلماء المتمسكين بالسنة كآل الشيخ محمد والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ صالح بن سالم آل بنيان وآل سليم ويظهر موالاتهم ومحبتهم ويميل إليهم وهو في طبقة الشيخ محمد الصالح المطوع في علم العقيدة.

وكان محبوباً لدى الناس لما هو عليه من الإخلاص لله ومحبة للخير لهم وذا أصل عظيم في العقيدة ومحتفظاً بآثار الصالحين ولديه مكتبة علمية وله فهم وإدراك ومن أهل الولاء والبراء الذين يحبون الله ويغضون له صابراً ومحتسباً وقانعاً بما قسم الله له من الرزق.

ولحسن نيته عاش في كفاف من العيش وفي سرور وغبطة في تفويض أموره لربه، فكان في الاتكال والرضا بمنزلة الملوك وإن كان لا يملك إلا بيتاً يسكنه ولباساً يلائمه وكفافاً من العيش ولو شئت لقلت أنه من أفذاذ الرجال في حُسن خلقه وطيب مأكله وسلامة صدره وسلامة الناس من شره وقناعته بما آتاه الله، ولقد أكثر الأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وسار موجهاً إلى جهة الرياض للأخذ عن علمائها فأخذ عن الشيخ الأملعي عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن شيخ المشائخ، وأخذ عن الشيخ سليمان بن سحيمان وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف ثم أنه رجع إلى وهطان يتردد إلى حلق الذكر ببريدة فكان مقيماً في وهطان.

ولما أن فتحت المدينة المنورة بعثه مشائخه في سنة فتحها بأمر من جلالة الملك عبد العزيز ليكون واعظاً ومرشداً وموجهاً في الحرم النبوي، وقد يتولى إمامة المسجد النبوي، وبما أن الشيخ سليمان بن عبد الرحمن العمري سار إلى المدينة لتولي القضاء فيها فإن الشيخ عبد العزيز أخذ عنه كما أخذ عن الشيخ سعيد الغلاني، وكان المترجم يلهج بذكر الشيخ سعيد ويمتدحه بعلم العقيدة ويثني عليه.

فقد روى لنا عن هذا الشيخ أن حاجاً من الذين قدموا للصلاة في مسجد

رسول الله عليه الصلاة والسلام شكى واعظاً على الشيخ سعيد وقال أنه يزعم أن الله يتحرك وينزل ويصعد كما ينزل ويصعد الرجل في الدرج فسأل الشيخ ذلك الواعظ عن كلامه ومستفهماً فقال لم أذكر إلا ما جاء في الحديث «إن الله ينزل في آخر كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول من يدعوني فأستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» ولم أذكر كيفية النزول بل ذكرت الحديث كما جاء.

فقال الشيخ للسائل اسمع يا بني حدثني أبي عن جدي عن فلان وساق بالإسناد إلى أبي هريرة عن صاحب هذه الحجرة وأشار إليها أنه قال ذلك، فبكى السائل واقتنع وزال عنه الشك، وكان المترجم يلهج بذكر الشيخ سعيد ويثني عليه ثم أن المترجم رجع إلى بلدته وهطان.

ولما أن توفي الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم رحمه الله وتولى أخوه مقامه رأى تأسيس جامع لضاحية السباخ فرأى في طلاب العلم البارزين في الدين والعقيدة من يكون إماماً له فوق الاختيار على المترجم وصدرت الأوامر عليه ليتولى إمامة الجامع والخطابة فيه عام (١٣٥١هـ) فنقل من هطان إلى فيحان أو السباخ المذكور فكان إمامهم وخطيبهم ويرجعون إليه في الفتيا وعقود الأنكحة والنظر في شئونهم والإصلاح فيما بينهم وتولى إدارة المدرسة الأهلية هناك والتدريس في المسجد الجامع ودرس عليه وأخذ عنه جمع كثير من بين أولئك عبد الله بن عبد العزيز الصعب وأمير الضاحية صالح بن عبد الله التويجري وعبد الله المحمد بن مبارك وغانم إسماعيل وعبد العزيز بن إسماعيل وأبناءؤهم وغيرهم، وتخرج عليه عدد كثير.

ولبت في إمامة المسجد الجامع ثلاثة وأربعين سنة ولما أن أسن ورق عظمه وأقعدته الشيخوخة انتقل إلى السادة وهي الموضع الكائن في جنوبي بريدة الشرقي وتفرغ للعبادة وقد يجلس للتدريس في المسجد ويؤم فيه في ذلك الموضع، ثم أنه ثقل سمعه وضعف بصره وفقد البصر لكنه لا يزال يقرأ عليه بعض أحفاده

ويسمعه القراءة ثم مرض وجعلت الأسقام تتردد على جسمه حتى توفاه الله تعالى في وقت أذان العصر من اليوم ١٥ من شهر ذي الحجة وصلى عليه المسلمون في المسجد الجامع الكبير في بريدة ودُفن في مقبرة السباخ بعد صلاة العشاء الأخير من ذلك اليوم لوصيته بذلك.

ومن الغرائب ما سأذكره في رؤيا رأيته في إحدى ليالي سنة (١٣٨٧هـ) من أنني رأيت في المنام قائلاً يقول أن النبي محمد بن عبد الله في المسجد الغربي من مدينة بريدة فقمتم مسارعاً لرؤيته والسلام عليه وذهبت إلى مسجد الشيخ محمد بن عمر بن سليم المعروف بمسجد أبو علطا وبينما كنت أمشي مبادراً في شارع آل عطيشان إذا بقائل يقول هنا فأخذت باليسار إلى حيث أشار فدخلت مسجداً هناك من طين فصعدت إلى سطحه بشوق عظيم وكان ذلك المسجد جدرانه مكلفة بطين سبخ وفيه صف واحد ونصف صف فجعلت أسأل عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه فأخذ إنسان بحصة قدر الحمصة ورمأها إلى نحوه مشيراً إلى موضعه في يسار الصف الأول، فلما رأيته استقبلني ووجهه نحوي إلى الجهة الشمالية الشرقية فقبلته ثم صافحته وكان في هندامه على هيئة المترجم بثوبي خام قد بدى طرف الكمين الأسفلين من الأعلى وكان في صفته باسم الوجه أشمط الشعر أطول من المترجم بقليل بصفة رجل أعرفه يدعى إبراهيم السديري، وبعدما تبادلنا التحية والتقبيل بشوق مني عظيم قلت: يا رسول الله إن الناس قد أضاعوا ستك، فأجابني بقوله: وماذا على سنتي إذا أضيعت فهل يستوي الأعمى والمهتدي بضدهما وجعل يحثني على اتباع السنة حثاً عظيماً ويشجعني في الثبات عليها على قدر ما يتكلم به ويستطيع التعبير عنه ثم جعل يتمثل بأبيات من الشعر كنت أظنها أبياتاً ذكرها ابن القيم في عدة الصابرين وهي قوله:

سأترك وصلكم شرفاً وعزاً لخسة سائر الشركاء فيه
إذا كثر الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الأسود ورود ماء إذا كان الكلاب يلغن فيه

فاستيقظتُ ويدي في يده وقد حالت بين وبينه اليقظة ويعلم الله أن رائحة المسك لتفوح من فمي طوال ذلك اليوم وكنت في رؤيتي له وما عليه بشت إنما عليه قيمصان.

ولما أن فجعنا بوفاة محبنا عبد العزيز بن عثمان قلت فيه هذه الأبيات التي كانت مرثية فيه وأشادة بذكره:

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| الله أكبر هذا الدين قد رجفت | به رحي من منون الموت منعثرا |
| إذا مضى زمر تتلوها زمر | وأصيحت باليات العقد متثرا |
| عبد العزيز رعاك الله من رجل | كنت الأريب وكنت السمع والبصرا |
| حفظت لله عهداً من أمانته | وقمت فيما رعاك الله مصطبرا |
| بك الأمانة فيك الخير أجمعه | خصال خير تعالى الله مقتدرا |
| ليهنك العلم والقرآن في سحر | ترتل الآي في الأسحار والسورا |
| وكنت في الأصل مقداماً تعلمهم | تقرر الدين والتوحيد مشتهرا |
| على سنا من هدي الرحمن تبشر به | عن حسن قصد وقلب بالتقى عمرا |
| نبكيك يا من إلى الرحمن في وجل | قد سرت متجهاً نحو العلى فخرا |
| فقل لمن جاء ينعى موته أسفاً | ومخبراً بالردى أخبرت بالخبرا |
| نعت من العلى والخير أجمعه | وجئت فيما يسيء السمع والبصرا |
| نعى إلينا صديقاً ليس ننكره | محافظاً دهره في الود ليس منعثرا |
| أتيت في نبأ أخباره كمد | يكاد منها جميل الصبر ينشمر |
| نعت حبراً هماماً فائقاً أمماً | وللمساجد بالأذكار قد عمرا |
| براً وصولاً لبيباً بل أخاً ثقة | فيا له من مرزء قد شوش الفكر |
| يا لهف نفسي ووا حزني ووا أسفا | على الزكي الذي قد أسبل العبرا |

عبد العزيز الذي طابت شمائله
أهكذا تذهب الأخيار ليس لهم
عليك من عفو مولانا العظيم أجمعه
سقى ثرى حله نجم الهدى سحب
وصل ربّ على المختار من بشر
محمد من أتى بالشرع ميسرة
وفي النهار ففرسان لهم جلب
أكرم به من صديق فائق السيرا
عين ولا أثر يبقني لهم خبرا
وما منح إله العرش منحصر
من واسع العفو والغفران منهمرا
شفيعاً من سمى علواً ومفتخرا
وإله مع صحاب كابدوا السهرا
قد أعلنوا الحق في علو ومنحدرا

ورثاه أيضاً تلميذه عبد العزيز بن عبد الرحمن بن يحيى بهذه القصيدة منوهاً
بفضله ومعرباً عن أعماله التي قام بها:

بكيّت والدمع من عيني تنهمر
مضى الأفاضل والأيام باقية
وهذه حالة الدنيا وستتها
ودعت شيخ الهدى والقلب في كمد
عبد العزيز بن عثمان كفى شرفاً
نشأ بروضة علم زانها أدب
آل سليم بحور العلم في سلف
كم أرشدوا الخلق نحو الشرع مع سنن
من ثم سافر كي يزداد معرفة
على ابن عبد اللطيف الجد قدوتنا
كم خرجوا من إمام فاضل فطن
بمسجد المصطفى أم الوفود به
سل عنه وهطان والأطلال شاهدة
عم المصاب بموت الشيخ وأسفاً
وقد رضيت بما يأتي به القدر
وكل مجد سوى التقوى سيندر
كم من عزيز لنا قد ضمه المدر
والحزن في مهجتي ما زال يستعر
بالمضيان حقاً كان يشتهر
تنبيك عن حالها الأخبار والسير
هم الأماجد والأقطاب والغرر
أم القصيم بذكر القوم تفتخر
نحو الرياض التي بالعلم تزدهر
شيخ المشايخ ما في نهجه وضر
بالبر والخير والإصلاح يتزر
وكان للشيخ في أرجائه أثر
فذاك فيحان سلّه عنده الخبر
فالعلم يبكي على أهل له قبروا

فموت أهل التقى نقص يهددنا ماذا عسى بعد أهل الخير ينتظر
أحباب قلبي مضوا لله في عجل ومن بقي منهمو للنحب ينتظر
بالأمس كنت فخوراً في مجالسهم بروضة أنف قد زانها الزهر
علم وبحث وتوجيه وتبصرة يسودها الخير لا الإعجاب والشجر
واليوم هم في بطون الأرض قد سكنوا لله فيها البقاء والأمر والخير
فالمجد مهما علا فالموت ينزله والعمر لو طال فيها طوله قصر
لا تغترر بحياة أنت تاركها انظر لمن ملكوا فيها ومن أمروا

إلى آخرها وهي حسنة.

وقد ختمت هذه السنة والقتال مستعر في لبنان والزعرار تهدد أهله
وأهالي فلسطين بالضفة الغربية بحالة يرثى لها فلا هم استطاعوا بانتفاضتهم أن
يحققوا نصراً مؤزراً ينهي ما كانوا فيه من الضيم والقهر ولا كانت اليهود تحسن
موقفها نحوهم الذين كانوا في دفاعهم لاسترجاع حقوقهم المسلوبة من قبل اليهود
ومناصريهم وأصبحت تلك الأعداء يتربصون بهم إحدى الحسينين، ولكن نصر الله
قريب.

أما أهالي أفغانستان وجهادهم مع حكومة كابل التي تمدّها الروس بقواها فلا
تزال نيران الحرب مستعرة وقد انتصر المجاهدون هناك انتصاراً مؤزراً وجعلت
قاذفات القنابل الصاروخية تهدد حكومة كابل بمدافعها القوية التي ترجي الوحوش
وتبعث الموت والهلع والخوف على من في أمامها.

وهكذا ثورة السودان الأخيرة فإنها لم تستطع السيطرة على الجنوب بصورة
نهائية، وأما الدول المتنازعة وقد حصل بينها النزاع ولا سيما الدولتين العظميين
فإن النزاع لم ينته بينها بصورة قطعية تضمن لكل واحدة الأمن والسلامة من
الأخرى، وإلى الله تصير الأمور.

ثم دخلت سنة (١٤١٠هـ)

في أوائل محرم من هذه السنة أقامت إيران في الرئاسة لجمهوريتها بدلاً عن الخميني الرئيس الجديد (علي أكبر هاشمي رفسنجاني) فأصبح رئيساً لجمهوريتها وزعيماً هناك، وكانوا لم يحجوا في السنة الماضية منشغلين بوفاة الخميني وتنفيذ وصاياه، وعكف جهالهم على قبره يعظمونه ويننون عليه كعبة، ولما قدمنا من سوء صلاتهم بالسعودية.

وفي هذه السنة في أوائل محرم فشلت المساعي لوقف إطلاق النار في لبنان وعجز الساعون في الوساطة والإصلاح وانسحبوا آسفين لذلك، وقد استعرت نيران الحروب فيها ولم تزل الأمور في تعقيد واضطراب وهدم وتقتيل من راجحات الصواريخ والقنابل الصاروخية والمدافع والنسف.

ومن نية الرئيس السوري حافظ الأسد أن يقضي على لبنان ويجعلها أثراً بعد عين، وقد طالب الأهالي بسحب قوات سوريا لأنه لا يمكن للبنان استقامة ما دامت القوات السورية فيها واستمرت الأحوال هناك هائجة مائجة تنذر بشرها وويلاتها.

وكانت اللجنة التي تضم المملكة السعودية والجزائر والمغرب قد قالت يوم ٣١ يوليو تموز الموافق ليوم الثلاثاء ٢٩ ذي الحجة من العام الماضي أن جهودنا لإنهاء الحرب الأهلية المستمرة في لبنان منذ أربعة عشر عاماً وصلت إلى طريق مسدود ثم أنه جاء البيان استجابة لدعوة من الأمين العام للأمم المتحدة (خافيير بيريز دي كويلار) إلى عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن لمحاولة وقف إراقة الدماء في لبنان، وقال البيان الذي قرأه رئيس المجلس (حسين جودي) مندوب الجزائر المجلس يدعو جميع الأطراف بإلحاح إلى وضع نهاية فورية لجميع العمليات وجميع أعمال إطلاق النيران والقصف في البر والبحر ويناشد جميع الأطراف بقوة الالتزام بوقف شامل وفوري لإطلاق النار.

ولما دعا مجلس الأمن الدولي إلى ذلك قبل عون رئيس الحكومة العسكرية دون شروط نداء مجلس الأمن الحازم بوقف فوري وشامل لإطلاق النار، وحصل هدوء نسبي وكانت دعوة مجلس الأمن الدولي في ساعة متأخرة فجر يوم الثلاثاء ١٤/١/١٤١٠هـ وقد انتهى ذلك الهدوء بمعارك شرسة صباحاً أوقعت ٣ قتلى و١٢ جريحاً وهرب سكان البقاع بواسطة ٥ آلاف سيارة باتجاه الحدود السورية، وتدفق آلاف آخرين إلى بعلبك وكان المجلس قد أعرب عن تأييده الكامل للجنة الثلاثية التابعة للجامعة العربية في جهودها لإنهاء الأزمة مع الحفاظ على وحدة لبنان واستقلاله وكان ذلك عن جهود بذلها ملك المملكة السعودية في هذا الموضوع.

ذكر حادثة غريبة (ميت يخرج من قبره بعد دفنه بـ ٢٧ ساعة)

لما أن كان في ١٤/١ من هذه السنة أصيب رجل يدعى معتق ظافر الشهراني بسكتة قلبية قضت على أهله وذويه به والمستشفى أنه قضى نحبه من هذه الحياة فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه وحمل إلى قبره.

ولما أن نصبت عليه لبناته وهدوا عليه التراب سمعوا بعد مضي سبع وعشرين ساعة من دفنه سمعوا صراخه في قبره فكشفوا عنه قبره فوجدوه حياً فقام من لحده بأكفانه وذهب إلى أهله والدته وأخته مرتدياً أكفانه، فلما دخل البيت صقع أهل البيت لرؤيته وهلكوا بعد رجوعه إلى الدنيا، زهد في الدنيا وجعل يتجول في القرى ينام في المساجد ويأكل في المطاعم وترك الدنيا وزيتها بكاملها فلا أهل ولا مال ولا أملاك، وهذا مما يدل على كمال قدرة الله تعالى، وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

فبعد تجهيزه والصلاة على جثمانه وإيداعه في لحده وحمله على نعشه سمع صراخه بعد مضي ٢٧ ساعة.

وكان الذين سمعوا صراخه كما يروي قصته بنفسه أنه مر رعاة الغنم من فوق

أرضية المقبرة فسمعوا صوته وصراخه فعادوا إلى القرية وأبلغوا الناس فحضروا وقاموا بجفر القبر فخرج عليهم وهربوا خوفاً من منظره لما خرج بأكفانه، وذهب إلى أهله كما مرّ وكان يقول عندما أفقت وأنا في القبر رفعت رأسي فضرب في الحجارة التي كان لها أثر في رأسه، أما عن حالته في القبر فقال شاهدت وكأني في الحلم شخصين حضرا وأخذ أحدهما يسأل الآخر عن عملي فقال له لا يزال له حياة في الدنيا، عندها أفقت على صوت الأغنام ولكنه ساءت حالته متمنياً دوام الموت لصعقة والدته وأخته لما دخل عليهما، ولما قيل له ما هي النصيحة التي توجهها للناس بعد تجربتك التي عشتها فقال: نصيحتي لهم أن لا تنسهم الدنيا الآخرة وأن يعملوا لآخرتهم، وكان يرى على منظره كهيئة البهق وكانت قصته بهذا الوضع تذكر بتمام قدرة الله جلت عظمته وأن لكل أجل كتاب.

وتذكرنا هذه القصة بما ذكره الحافظ ابن كثير في تاريخه أنها جرت هذه الواقعة لرجل دفن على إثر سكتة فقدر أنه جاء نباش لأخذ كفنه فوافق أنه أفاق فقام مستوياً وفرّ النباش منهزماً فجاء إلى أهله بأكفانه قد اتزر ببعضها وحلّ الآخر مرابطه فوجدهم يبكون لموته فلم يشعروا إلا وقد عاد من قبره يحمل كفنه، والله على كل شيء قدير فسُمي حامل كفنه وعاش بعد ذلك خمسة عشر عاماً.

وقد ذكر علماء الطب المتقدمون أنه قد يموت الإنسان ويوارى في قبره على إثر السكتة فربما أفاق ولم يجد من يخرج به من القبر ويعالج الخروج فلا يتمكن حتى ينخمد.

ولكننا نأخذ من ذلك درساً وهو عدم العجلة في تجهيزه حتى يتبين موته، وذكروا أنه كثيراً ما يحصل ذلك، وكان صاحب هذه الحادثة عمره يبلغ التاسعة والأربعين من العمر ويذكر أن حرارة القبر أعظم من حرارة نار الدنيا^(١).

(١) هذه القصة نشرتها إحدى الجرائد السعودية بعددها ولكنها نشرت جريدة أخرى تكذيب هذا الخبر وأن المذكور أغمي عليه ولم يدفن فرأى ذلك كرؤيا منامية والله أعلم. علقه المؤلف أ.هـ.

وفي هذه السنة بلغ عدد مساجد منطقة القصيم ألفين وخسمائة وخمسة وأربعين مسجداً منها مائتان وخمسة وأربعون جامعاً.

وكانت طباعة المصحف الأخير الذي سعت الحكومة في طبعه وإيجاده باسم مصحف المدينة المنورة مجمع الملك فهد قد انتشرت إلى حد بعيد فقد امتلأت به مساجد المملكة وانقطعت أنواع الطباعة المصرية والهندية بحيث لا يقع الطرف في الغالب إلا على هذه الطباعة الجديدة وتقدم ذكر توزيعه على غالب الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وذلك بإعداد الملايين.

وكانت طباعته بالقطع الكبير والمتوسط على حسب التوجيه والتنظيم للصفحات بحيث كان الجزء من القرآن الحكيم يقع في عشرين صفحة وعشر ورقات مجلداً تجليداً فاحراً.

وإنها لخطوة تقدمية رائعة لخدمة كتاب الله العزيز وقد رأيت منه قسماً ممتازاً في تجليده في مساجد المدينة المنورة كما أنها حظيت المدينة المنورة بعناية فائقة من الملك فهد بن عبد العزيز وفقه الله لما يحبه ويرضاه، وأصبحت التوسعة الأخيرة للمسجد النبوي ومسجد قباء ومسجد القبلتين لها شأن عظيم وتطورت المكيفات فيها بالحسن والوضع وكان لها دور عظيم.

وأمرت الحكومة السعودية بترميم خمسين مسجداً في أنحاء فلسطين المحتلة وصيانتها بدعم مالي، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(١) ولكن كيف يصنع بالذين قال الله في حقهم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ

(١) سورة التوبة، آية ١٨.

فِيهَا أَسْمُهُ، وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴿١﴾ نعم قامت اليهود بهدم المساجد وتحريق المسجد الأقصى الذي قال الله في حقه: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾ ﴿٢﴾ قال بعض العلماء: أخيفوهم بأبي أنتم وأمي، وقال بعض المفسرين: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائض من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها.

وقد جلس العدو في ديارنا آمناً غير خائف ومدد جبال أطنابه ولم يرع جانباً ولم يرتقب محامياً على الأوطان يصول عليه وينقضّ عليه بل أصبح متغلباً متحكماً آمناً مطمئناً ولم ترع آية البقرة ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿٣﴾ وانشغل المسلمون خاصة والعرب عامة بترفعهم ولعبهم وصدق عليهم خبر الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في قوله: «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلّط الله شرارها على خيارها» رواه الترمذي وقال ﷺ: «إذا ضنّ الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد في سبيل الله وأخذوا أذنان البقر أنزل الله عليهم من السماء بلاءً فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم» ذكره ابن أبي الدنيا، وقد تبايع الناس بالعينة وتعاطوا بالربا وانهمكوا في الزراعة وصرفوا لها جُلّ أوقاتهم وتركوا الجهاد في سبيل الله وتحاذلوا.

(١) سورة البقرة، آية ١١٤.

(٢) سورة الإسراء، آية ١.

(٣) سورة البقرة، آية ١١٤.

وما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا ذلوا فما شئت تراه في تفكك في المجتمع وتباين في الأهواء، وكل له صوت يريد ارتفاعه مما ذهب بمجدهم وجعلهم في ديارهم أذلاء وفي أوطانهم غرباء فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد قدمنا تقتيل المسلمين في المساجد وهم يصلون في بلاد السودان وتشتيت اليهود للمصلين صلاة التراويح وطردهم عن المساجد وازداد الطين بلة بما جرى على أهالي فلسطين في آخر السنة الماضية وأوائل هذه السنة من تهشيم رؤوس الأطفال وتنقيب أعينهم وتعذيبهم بالرمضاء واقفين على قدم واحد وتغليق مدارسهم وحرمانهم من الدراسة وهتك محارمهم وشرفهم.

وكان الأمة لا يسمعون ولا بما دهاهم يتوجعون فإخوانهم يسامون سوء العذاب تقتل أبناؤهم وتستباح محارمهم وهم عن ذلك منشغلون وفي ترفهم يلعبون لاهية قلوبهم وفي غفلة معرضون فلو رأيت ذلك الفتى الفلسطيني يقتل أمام أمه بعد تهشيم أسنانه وقلع إحدى عينيه وإحراقه بالسجائر في اليوم ١٩ من شهر محرم من هذه السنة يوم الأحد لا نخلع قلبك أيها المواطن الكريم إن كان لك قلب وإلا فاسأل الله أن يهيك قلباً.

فكرة عاطفية

لما أن كانت لحوم الهدي والأضاحي تراق دماؤها في منى ولا ينتفع بها إنما كانت آخرتها أن تلقى جيفاً تؤذي برائحتها من مرّ بها اقتضت المصلحة أن تبعث محفوظة بالثلاجات إلى من بحاجتها من المنكوبين والجياع في فلسطين والمجاهدين في أفغانستان، فحملت على متون الطائرات عشرات الآلاف في هذه السنة منها إلى أولئك البؤساء والفقراء، ومن كان بحاجة إليها ليأكلوها وينتفعوا بها وإنها لفكرة جيدة من الحكومة السعودية، قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا أَسَاسَ﴾

الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾^(١) فلقد كان في الهند جياح يئنون من الجوع والمساغب وتوصلت الأحوال إلى أن أكل بعضهم أطفالهم لما لم يجدوا ما يسدوا جوعتهم عياداً بالله من الجوع وقد استعاذ منه نبينا في قوله: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البضاعة وأعوذ بك من الحاجة إلا إليك».

وقد وجب نشر الفضائل لتقرظ بها الآذان ويثبتها التاريخ لأهلها، فلقد قام الشعب بقيادة الحكومة السعودية وتبرعوا تبرعات لا تبلغها العبارة ومنهم من تبرع بجهد من مقل وأكثروا على أنفسهم وامتلات باحات المساجد في المملكة السعودية من الأكوات والثياب والبطانيات وغيرها من الملابس لبعثها إلى المتضررين في السودان وأفغانستان وفلسطين وقامت لجان يقبضون النقود والتفقات ويسلمونها من يبعثها إلى المتضررين هناك، وإنها لبادرة عطف وإحسان يشكرون عليها وتوضع لهذا الشعب أسطراً من نور تروى ويدوي ذكرها في المشارق والمغارب وييضوا وجه تاريخهم بتلك الأفعال الخيرية، وكنت أرى إذا نادى النادي في الجوامع ومصليات الأعياد والمساجد بالتبرع تسابقاً وتنافساً في هذه الصدقات وهان عليهم كل ما يذلونه وألقت النساء حليها وأقراطها بين يدي أولئك الأطفال الذين أمروا أن يجمعوا الصدقات، وقد تكرر ذلك مرات عديدة وما سئمو.

ولا سيما ما كان في المسجد الجامع في مدينة بريدة فقد شهد ذلك الجامع الكبير فيها أعمالاً خيرية وأثبتت أرباعه واسطواناته وجدرانه أخباراً ستحدث بها يوم هول المطلع لأربابها والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ولقد سمعت وأنا في أحد الأندية من تبرع بخمسين ألف ريال من أولئك الأجياد.

(١) سورة الحج، آية ٢٨.

وما أحسن ما قاله بعض الأدباء في معرض كلامه الذي أثبتته في مؤلفه: مررتُ بدار فقير جائع وهو يشكو الجوع والإملاق، فلما سرتُ أريد صاحباً لي وجدته يشكو بطنه من الشبع والبطنة فقلتُ يا عجباً لو أنصف الناس وعاد ذلك الغني القوي على ذلك الفقير المعدم لما تضرر أحدهما.

لقد كثرت التبرعات في هذه السنين الأخيرة من الشعب السعودي تارة للجزائر وتارة لليمن وتارة للمجاهدين في أفغانستان وتارة لضعفاء فلسطين الذين أودوا في ديارهم وأوطانهم وعذبوا وقتلوا وسجنوا، أما ما كان عن التبرعات نحو الطوارئ الداخلية فقد قام الشعب بالتبرعات المالية لجمعيات البر الخيرية ودراسات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد والحلق وتوالى سيول التبرعات لهذه المهمة وبذلها للمعلمين والمتعلمين مما أحدث نشاطاً وسيراً قوياً وقد امتلأت المجلات في ذكر المتبرعين التي تصدر من جماعة تحفيظ القرآن وتسابقت الأمة إلى هذا العمل الخيري حكومة وشعباً وكان لها أثرها التقدمي في هذا، وقد قال النبي صلوات الله وسلامه عليه: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» كما أن تأسيس جمعيات البر استفادت الأمة منها إن كان فضلات الموائد الكبار وأسارها بعدما كانت تطرح في المزابل والأسواق أسفل الحيطان وطريق المارة كانت أعضاء هذه الجمعيات يحملونها ويوزعونها على الفقراء والمحتاجين.

هذا ولا يفوتنا ما قام به أمير منطقة الجوف عبد الرحمن بن أحمد السديري من عناية قام بها نحو المعوقين من الأطفال هناك الذين بلغ عددهم مائتي معوق كانوا بأمس الحاجة لوجود جهة ترعاهم وتقوم بخدمتهم، وكانوا يشنون ببالغ الشاء على الأمير عبد الرحمن السديري وسمعت الأمير سليمان التركي في منطقة تبوك يثني على المذكور ويذكره بالرجولة والأخلاق الفاضلة وكنتُ أظنه فوق ما قيل عنه ولا سيما ما بذله نحو جمعية البر الخيرية هناك، وقد طلب مني عاشق اللهاوي شيخ الشرارات حينما وجدته في ضيافة الأمير سليمان التركي بتبوك أن أقوم بزيارة

الجوف ورؤية دومة الجندل والالتقاء بالأمير عبد الرحمن السديري، لكنني أجّلت الزيارة لوقت واسع حقق الله الآمال وإلى وضع هذه الكلمات في ١/٢٦ من هذه السنة لم تسنح الفرصة بذلك.

ثم إننا نعود إلى مصلحة مشروع الإفادة من لحوم الهدي والأضاحي فقد أعلنت جريدة الرياض أنه تم شحن خمسمائة ألف ذبيحة من الغنم إلى إحدى وعشرين دولة في العالم في آخر السنة الماضية وأوائل هذه السنة توزع إلى مستحقيها هناك، ومن أهم ذلك إنقاذ اليتامى في أفغانستان الذين قتل آبؤهم وأمهاتهم وأصبحوا يهيمنون في الفلوات والبراري بغير طعام ولا شراب فكانوا يأكلون أوراق الشجر من الجوع، وإليك هذه القصة التي يرويها مجاهد خرج سائحاً ليدفن الشهداء هناك وينقذ الأيتام بما لديه من الاستطاعة، وعلى قدر وسعه ومقدرته في أراضي أفغانستان وهي سياحة معجزة وسفرة غريبة مريرة يرويها التاريخ.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (١).

ذكرت جريدة «المسلمون» الدولية في عددها (٢٣٧) الجمعة ١٧ محرم ١٤١٠ هـ أن رجلاً يدعى جمال اليماني ابتداء رحلة من مدينة جدة قام بها ليرى بلاد أفغانستان ويتتبع الأيتام في صحاري أفغانستان وجبالها لإنقاذهم من الهلاك والجوع فسار بسيارته الخزيلة محملة بالغذاء، ولكنها تسير تارة وتنطفئ أخرى وتارة يحملها على ظهر شاحنة فمئة وثمانين يوماً كان يسير بهذه الحالة وعلى هذه الصفة، وكان يتحدث عن سائق الشاحنة الذي عبر معه إلى قندهار وما واجهه من المصاعب التي تطارده فيها الذئاب فلا يسمع إلا أصوات عواء الذئاب ترتطم بشدة بأذنيه وآذان من صحبهم هناك من المجاهدين.

ثم ذكر أنه قام يبحث عن يتامى المجاهدين فوجدهم يأكلون أوراق الشجر من

(١) سورة الحشر، آية ٢.

الجوع وأنهم يعيشون بحالة بؤس من الحياة التي رماهم بها الزمان فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

وحاول قطاع الطريق قتله حينما كان يسير في بلاد تخلو من الجن والإنس وواصل رحلته فوصل إلى مدينة موحشة عندما يأتيها الليل يختفي منها أشكال الحياة تماماً والصمت يطبق عليها فتشعر أنك في مدينة هجرها السكان، فسأل عن السر بحيث جاء إلى المدينة نهاراً ورأى فيها حركة لا تهدأ فأين ذهب كل هؤلاء الناس، فقليل إنها ملأى بالمخاطر جواسيس ومنافقون يعدون أنفاس الهوى ليطيروها إلى الشيوعيين ومجرمون وقطاع طرق يحاولون أن يروعوا أمن المدينة بالسرقة والنهب والقتل مما جعلني أخشى على ما أحمله من مساعدات لليتامى.

وبعد أن وصلنا إلى الضفة الأخرى انطلقت بالسيارة التي تارة تسير سير السلحفاة وتارة تسحب بالحبال وسط مسالك جبلية صعبة حتى لا تصل إليهم أنظار الشيوعيين، وأخذنا يومين كاملين دون أن نبصر أمامنا أو خلفنا شيئاً كأننا نسبح في فضاء واسع يتعذر على العين أن ترى نهاية لأفقه الواسع.

ويحكى جمال بأن الشيوعيين شعروا به فأطلقوا عليه صاروخين لكنه انبطح على بطنه في الأرض فلم تصبه وكتبت له النجاة وأنه عانى ورفيقه جوعاً وعطشاً بلغ بهما إلى درجة أن أيقنوا بالهلاك وبينما هما كذلك إذ رأيا عين ماء تتبع من باطن الجبل فأسرعا إليها ورأيا أنها عناية من الله هي أغلى من كل كنوز الدنيا، قال فأخذنا نرتشف الماء ونفرقه بأيدينا، ويواصل مقالته بأنه في أثناء تجولاته بين قندهار وكوتيا وجد اثنين من المجاهدين يحملان زميلاً ثالثاً أصابته طلقات الشيوعيين في الجبهة، وعندما عرفهما بنفسه وطلبا منه أن يحمله للعلاج بمستشفى المدينة المنورة على الحدود الباكستانية ويعيدهما لاستكمال الجهاد لفظ المريض آخر أنفاسه.

قال فطلبت أباه بعد جهد شديد وإذا هو طاعن في السن ليس له مصدر رزق فأخبره أن ابنه الآخر استشهد منذ عشرة شهور وأن الاثنين متزوجان ولكل منهما

طفلاً صغيراً فأعطاه عشرة آلاف روبية أفغانية كمساعدة عاجلة وقام الرحالة بعمل كفالات لأبناء المجاهدين وصحبه الأب العجوز إلى أسرة مجاهد ثالث استشهد وترك أطفالاً بلا مأوى قال فذهبت معه لمساعدتهم ثم ذهب يمشي في طرق ذات منحنيات وصخور ومرتفعات (١٥) يوماً على قدميه لم يركب سيارة. وذكر أنه أعطى كفالات لمائة يتيم وخمسة أيتام وجدهم داخل ثماني عشرة قرية.

قال ووجدت سبع قرى ليس بها سكان على الإطلاق قد حولها الشيوعيون إلى خرابات وواصل رحلته إلى وادي قاصداً قرية نزل عليها الشيوعيون أطلق عليها المجاهدون اسم قرية الشهداء وذكر أيتاماً عاينهم يأكلون أوراق الشجر من الجوع وقد ذكر ما جرى عليه من الطرق الجبلية والصخور الضخمة التي تصطدم بها سيارته الضعيفة وتكاد تهوي به إلى أسفل المرتفعات ووافق لذلك أمطار مستمرة تجعل شلالات الماء تتدفق عليه وعلى سيارته وربما غرزت حتى بلغت المياه إلى محركها.

قال ولما حملت السيارة بالشاحنة كان معي بالطبع سائق الشاحنة وكان يردد الشهادتين طوال الطريق إلى قندهار وكنت أسمعه يتمم بدعوات تبينت منها أنه يدعو ربه أن يتولى أبناء القُصّر الذين سيصبحوا يتاماً بفقده وقلت له ربك لا ينسى أحداً، إنني أجتاز هذه المصاعب لأبحث عن اليتامى إلى آخر ما رواه من الأحوال التي صدرت من الشيوعيين مما تستك له الأسماع وتنفّر منه الطباع وتبعث أوجاع القلوب وتهيج الأحزان والكروب فلا حول ولا قوة إلا بعلام الغيوب.

ذكر فاجعة عظيمة

لما كان في ١٦ مايو الموافق ١٠/١١ من السنة الماضية انفجرت سيارة ملغومة هز لها بيروت وتحطمت زجاج منزل الحص كان ضحيتها واحد وعشرون شهيداً من بينهم مفتي لبنان وسقوط مائة جريح.

وكانت الخسارة باغتيال مفتي بيروت عظيمة، وكانت هذه الأيادي الأثمة أودت بحياة صاحب الفضيلة في بيروت سماحة مفتي بيروت الشيخ حسن خالد بعد أن عجزت كل حراب الحرب وكل المقريبات والتهديدات عن أن تثنيه عن موقفه الإنساني، ولما أن جرت هذه الحادثة تأثر لها زعماء العرب وغيرت وجه التاريخ، وقال عنها نائب رئيس مجلس الوزراء الكويتي صباح الأحمد أن الجناة هم الذين عاثوا بלבnan طوال أعوام الأزمة، وقال عنها الحسين بن طلال أنها أيد أئيمة لا تتقي الله دبرت الجريمة، وقال عنها حافظ الأسد أرادوا باغتياله اغتيال السعي المخلص للحل.

أما الرياض فهي تشجب وتستنكر وتطالب بكشف الجناة الذين اغتالوا الشيخ حسن خالد، وكانت سيارة المفتي لما جرى هذا الحادث طارت في الهواء من قوة الانفجار فارتطمت بجائط مسلح، وبعث الملك حسين برسالة تعزية إلى رئيس الحكومة اللبنانية بالنيابة سليم الحص وجاءت التعازي لتقديمها في مسجد عائشة بكار، وذكر عن الفقيه أنه مفتي الجمهورية اللبنانية ومرجع المسلمين في لبنان في كافة أمورهم وشئونهم الدينية والاجتماعية وممثلهم بهذه الصفة لدى السلطات الرسمية في لبنان وخارج لبنان، فهو رئيس مجلس القضاء الشرعي الأعلى ومرجع جميع الموظفين.

وهذه ترجمته: هو العالم السياسي في الجمهورية اللبنانية، ولد في بيروت وتابع دراسته الأولى في مدارس المقاصد الإسلامية في بيروت ودراسته الثانوية في الكلية الشرعية في بيروت، وفي عام (١٩٤٦م) تخرج من كلية أصول الدين بالأزهر في القاهرة وكان جامع الأزهر إذ ذاك وما حوالي تلك السنة مدرسة شريفة يتتابها طلاب العلم، وعُيّن على إثر ذلك أستاذاً في الكلية الشرعية في بيروت، لمادتي المنطق والتوحيد، ثم نقل إلى المحكمة الشرعية الإسلامية، وفي عام (١٩٥٤م) عين نائب قاضي بيروت الشرعي، ثم في عام (١٩٥٧م) عُيّن قاضياً شرعياً لقضاء

عكار، ثم انتقل إلى محكمة محافظة جبل لبنان الشرعية، وفي عام (١٩٦٠م) اختير لمنصب الإفتاء في الجمهورية اللبنانية في ٢١ كانون الأول من عام (١٩٦٦م) وهو منصب يشغله صاحبه مدى الحياة، وفي عام (١٩٦٧م) منحته جامعة الأزهر بالقاهرة شهادة الدكتوراه الفخرية.

وكان له مؤلفات دينية واجتماعية وسياسية منها الإسلام والتكامل المادي في المجتمع، ومنها أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، ومنها المواريث في الشريعة الإسلامية - الشهيد في الإسلام - ومنها آراء ومواقف وغيرها من المؤلفات.

وفي اليوم الذي ذكرنا من الشهر المذكور اغتيل بأسباب الأيدي الأثيمة وقضوا على تلك الشعلة المنيرة فقيح الله أهل الفساد وأراح منهم العباد والبلاد.

وهذه سادس شخصية بارزة يتم اغتيالها منذ (١٩٧٥م) فقد كانت وفاة معروف سعد في صيدا في مارس عام (١٩٧٥م) متأثراً بجروح أصيب بها خلال تظاهرة من الأحداث التي أدت إلى اندلاع الحرب في إبريل عام (١٩٧٥م) وتم اغتيال كمال جنبلاط زعيم اليسار اللبناني في ٦ مارس (١٩٧٨م)، وقتل طوني فرنجيه ابن الرئيس الأسبق سليمان فرنجيه في ١٢ يونيو من تلك السنة وثلاثون من أنصاره بأيدي مجموعة مسلحة، وقتل الرئيس المنتخب بشير الجميل في ١٤ سبتمبر عام (١٩٨٢م) بعد انتخابه بانفجار أدى إلى تدمير مقر حزب الكتائب وقتل رئيس الوزراء رشيد كرامي في أول يونيو (١٩٨٧م) من جراء انفجار قنبلة وضعت خلف مقعده في طائرة الهليكوبتر كما أن موسى الصدر الزعيم للشيعا في لبنان فقد فقد منذ ٢٠ أغسطس (١٩٧٨م) عقب زيارة قام بها لليبيا وقد سبق للمترجم أن نجح من محاولة لاغتياله عام (١٩٨٥م) عندما انفجرت سيارة ملغومة بالقرب من موكبه في بيروت الغربية.

وفيها في ٤ محرم أصيبت بنغلاديش المنفصلة عن باكستان بفيضانات سببت أضراراً كثيرة تلف بسببها أموال وأصيب آخرون وسقط بسببها بيوت.

كما أنه أصيب في اليوم نفسه بعض من مدن الهند بفيضانات هلك بسببها أعداد من البشر هناك، وحصلت فيها أضرار.

وفيها في يوم الجمعة ٢٢/٢ بعد صلاة الجمعة أتي بأناس من الكويت وغيره عشر عليهم بتفجير العبوات الناسفة في مكة المكرمة أيام موسم الحج غالبهم شباب في العشرين والخامسة والعشرين بعدما جرى التحقيق معهم وإدانتهم بهذه الجرائم القبيحة، فقتل منهم ستة عشر مجرمًا بالسيف بضرب أعناقهم والتشهير بهم وسجن بعض الأشقياء لمدة تتراوح من خمسة عشر سنة إلى عشرين، وجلدهم كل واحد منهم ألف جلدة وخسمائة جلدة مفرقة، نسأل الله العافية.

ومن العجائب أن بعضهم متنورون وعارفون بأحكام الشريعة وما يعامل به المفسدون في الأرض من التعذيب والتقتيل والتشريد، ولكن من سبقت له من الله سابقة لا بد من أن يكون عليها.

ولقد اعتمرنا في السابع من هذا الشهر نفسه ومررنا بالمدينة المنورة والطائف فرأينا من أسباب الأمن والطمأنينة ما تقرّ به العيون وتنشرح به الصدور، جزى الله حكومتنا خير الجزاء، ولا تزال من أنجال الملك عبد العزيز من يرفع راية الحق ويعود الأمة الإسلامية إلى سعادتها وصلاحها ولا سيما الملك الحالي خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز.

أما عن حالة المخربين الذين تقدم ذكرهم فإنهم يحملون الجنسية الكويتية والأصل من إيران يدينون بالإسلام وهم من الشيعة، وقد اعترفوا في التحقيق معهم بأنهم مخطئون وآسفون على ما جرى منهم ونادمون ولكن في وقت لا ينفع فيه الندم، وقد أبرزت صورهم في جريدة الشرق الأوسط بحالة طمأنينة وملابس عربية حسنة ذكروا أنهم استلموا العبوات الناسفة من السفارة الإيرانية بالكويت واستطاعوا أن يدخلوا بها في المملكة السعودية، ولهذا يتبين ما يبته الفرس من الغدر والخيانة وتربص الدوائر بالمسلمين والمكر بهم.

ذكر إعادة الكرة للسعي في وضع الحرب ببيروت ولبنان

قد قدمنا ما توصلت به الأحوال في الحرب اللبنانية وكيف عمهم الله عز وجل بحرب طاحنة لا تبقي ولا تذر، وتأزمت الأمور وعمّ القلق في النزاع بين المسلمين والنصارى واليهود ورفع كل خائن في الشام رأسه في إثارة الفتن، ولم يقتصروا على المذابح فيما بينهم حتى تدخلت إيران في هذا الشر وغيرها، ولما أن فشلت جهود المصلحين أولاً لم يأسوا من السعي ثانياً لعل وعسى.

وقام الإبراهيمي يسعى بالموضوع ولكنه بالرغم من ذلك اغتيل النائب في بيروت الغربية ناظم القادري وكان قتله وهو يهيم بالدخول بالسيارة حين أطلق الرصاص عليه، وكان عضواً في مجلس النواب من بيروت الغربية وجرى قتله يوم الخميس ٢١ صفر يوافق ٢١ سبتمبر أيلول (١٩٨٩م)، وكان قتله قد هز الأوساط القيادية في لبنان لأنها جاءت في وقت يستعد فيه اللبنانيون للممة جروحهم وطي صفحة الحرب، وفي وقت تنشط فيه الجهود ولتطبيق مقررات اللجنة الثلاثية العربية التي تهدف إلى إعادة السلام، ولقد حذر الوفد الخاص للجنة الثلاثية الأخضر الإبراهيمي من مغبة تلك الأفعال ويصفون القتل بأنه كان معروفاً بحماسة لقضايا العالم العربي، ولد في قرية البيرة، ونال إجازة الحقوق من جامعة دمشق وورث عن والده مفتي راسيا والحرص على الاهتمام بقضايا الناس وشئونهم، وفي عام (١٩٥١م) انتخب نائباً عن منطقة البقاع الغربي وتولى مناصب وزارية، ولقد قامت واشنطن وموسكو تدعوان لإنهاء معاناة الشعب اللبناني.

ولما أن كان في يوم الأحد ٢٤ صفر من هذه عم التزام شامل بوقف إطلاق النار في لبنان وإعادة فتح مطار وميناء بيروت وهبطت أول طائرة قبل ظهر يوم الأحد في مطار بيروت، كما رست سفينة في ميناء بيروت في صباح ذلك اليوم وعمت فرحة شعبية غامرة وتدفق العائدون إلى العاصمة وافتتحت سفارة فلسطينية بمصر.

ولا تزال الانتفاضة الفلسطينية تتقدم، وأشعل الفلسطينيون حرائق عظيمة وألقوا الرعب في قلوب اليهود، ولقد استطاعت اللجنة الثلاثية في مواصلة جهودها الجبارة أن تنال مقصودها رغم ارتباك المتحاربين واختلاف آرائهم وعدم التعاون مع المصلحين، ولكنه لم يتطرق السأم ولا الكلل إلى السير نحو الغاية المطلوبة منهم وأكثر الله الرجال المصلحين الذين يضحون بأوقاتهم ويسهرون في طلب الغاية المنشودة والضالة المفقودة.

وفيها في يوم الجمعة الموافق ٢٩ صفر بعد صلاة الجمعة تم تنفيذ أحكام الشريعة على قطاع طرق في الرياض وسكاكا والباحة اختطفوا صبياناً وفتيات وفعلوا الفاحشة بهم وانتهبوا الأموال وقتلوا الأنفس وأفسدوا في الأرض بعد إصلاحها.

وكانت هذه العصابات لم تتورع عن فعل فاحشة الزنا واللواط ونهب الأموال وعن قتل الأنفس بحيث يقفون في الطرق ويخيفون الأمنين بتلك الأفعال الشنيعة.

مثال ذلك أن اعترض ثلاثة من هؤلاء المفسدين في الأرض لصاحب سيارة معه زوجته وابنته وأشهبوا المسدس وقالوا لا بد أن تخلي بيننا وبين محارمك فخوفهم بالله وعقوبته فقالوا له لا بد من ذلك، فقال: هذه سبعون ألف ريال في الدرج أفتدي بيها فريض اثنان منهم وصمم واحد على جريمته غير أن صاحبيه ما زالوا به حتى عدل إلى المال فسلمهم سبعين ألفاً وسلم وعائلته من شرهم، وهكذا فعل هذه الفئات الضالة، لكن الله يسر القبض عليهم فأعدم عشرة منهم بالسيف وسجن بعضهم لمدة تتراوح من عشر سنين إلى عشرين سنة، وحكمت المحاكم الشرعية بقطع أيديهم وجلدهم ثمانين جلدة، وبعضهم ألف جلدة، ولقد جردت الحكومة رجالاً من رجال الأمن وجندتهم لهذه وللقبض على أولئك المجرمين، وقد يطلقون النار من رشاشاتهم ومسدساتهم على رجال الأمن، فمن سالم ومن هالك، وأعلنت وزارة الداخلية بأرقامها وتحذيراتها بأنها قد سلت السيف على كل مفسد

ومجرم حتى لا تكون فتنة وأنها ستقبض بأيدي من حديد على مثل هؤلاء اللصوص
المفسدين من غير كلل ولا ملل وأن من صدرت منه مثل تلك الأفعال فهو
مستهدف للعقوبة، ولقد تلاعب قوم بالأمن وجرى في السنين الأربع المتقدمة
سراقات، وكسرت أقفال الدكاكين، ونهبت الأموال من وسط الحروز وجرى من
عدم الاهتمام شر كبير، والله درّ العالم أحمد بن مشرف حيث يقول في قصيدته البائية
تنهيطاً للإمام فيصل بن تركي لقتال قطاع الطرق:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| فكم قعدوا للمسلمين بمرصد | وكم أفسدوا في سبلها بالنهائب |
| فيا ليت شعري هل سراه حاتها | قيام فهم ما بين لاه ولاعب |
| أم الحدّ منهم كلّ أم زندهم كبا | أم القوم غروا بالأمان الكواذب |
| فقد كان تخشى بأسهم أسد الشرا | فصارت بهم تغدو صغار الثعالب |
| فقل لإمام المسلمين وسر له | بنفسك أو بلغه مع كل راكب |
| وأنشده إن أحسست منه ثاقلا | إذا لم يسالك الزمان فحارب |

وبما أن السيف لا يزال مسلولاً على أهل هذه الجرائم وفي كل يوم بعد يوم
الجمعة تنشر الجرائد قتل عدد من المجرمين فإن هذا الإقدام على الجرائم الشنيعة لا
يزال مستمراً نسأل الله العافية.

ولقد كانت إقراراتهم بعد التحقيق معهم تحزن بحيث يعترفون بأخطائهم
ويقعون باللائمة على أنفسهم وعلى الشياطين التي أغوتهم وأضلتهم عن سواء
السبيل، وحتى وضع هذه الأحرف فإن المخاوف والزعازع لا تزال مستمرة في كل
يوم بل في كل ساعة تقع هذه الجرائم ليلاً ونهاراً ولم يتوفر الأمن والراحة.

ولقد كانت هذه العصابات تحفر خنادق في الأرض حتى تخرج من مسافة
سبعين متراً إلى مائة وخمسين متراً على أسفل معارض الذهب والمجوهرات فتنتهبها
بالرغم من وجود الحراس ورجال الأمن حتى أخافوا الأمنين، ويصبح الناس
يتحدثون أخذ من معرض فلان خمسة وثلاثون كيلوغرام من الذهب، وأخذ من

معرض فلان كذا وأخذ من معرض فلان كذا، وهجم على البيت الفلاني فانتهب جميع ما يحتوي عليه حتى الفرش والمكيفات اقتلعت.

ووجدت عصاة يبلغ عددها ثلاثين أعرابياً يأوون إلى جبل من منازل عتية في عالية نجد الغربية اتخذوه مأوى لهم وينهبون ويقطعون الطريق ويذهبون إلى محطات البنزين فيهددون العمال بمسدساتهم ويفتحون الصناديق فيأخذون جميع ما تحتوي عليه من النقود، وهذا في غرة شهر صفر من هذه السنة ولا تزال رجال الأمن تلاحقهم.

وفيها وفاة الشيخ علي بن فراج الهلالي في أواخر شهر محرم من هذه السنة رحمه الله وعفا عنه كان هو المساعد في هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ وفيه غيرة دينية وقسوة على العصاة فلا تأخذه في الله لومة لائم، وذلك في عام (١٣٦١هـ) جلست معهم في إدارتهم بمكة المكرمة لزيارتهم والسلام عليهم، فكان المساعد على رأسهم ثم جعل مفتشاً في الهيئات بمكة المكرمة.

وفيها وفاة الشيخ عبد الله بن محمد بن خربوش أحد أئمة المسجد النبوي سابقاً رحمه الله، كان يصلي فريضة العصر بالمسلمين في المسجد النبوي، كانت وفاته في يوم الأحد ١٠/٢ من هذه السنة فصلى عليه المسلمون بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم وشيعه إلى المقابر خلق كثير ودعوا له وترحموا عليه.

ولقد وقفت على توسعة المسجد النبوي في يوم السبت ٩/٢ من هذه السنة فرأيت العمال يشتغلون، وقد أقيمت أعمدة تلك التوسعة الضخمة الواسعة، فرأيت عملاً جباراً بقوة في الحديد والإسمنت ورأيت المهندسين بلباسهم ومصباتهم العظيمة وأعمالهم الشاقة في الرافعات والونشات وما إلى ذلك من معدات ودركتورات والعمل بغاية الهندسة، وقد شرعوا في المنائر التي زيدت في هذه التوسعة وهي وإن كانت حسنة جميلة فإنها تستدعي وقتاً طويلاً.

كما أنني حينما قدمت مكة المكرمة في يوم الاثنين ١١ صفر وقفت على التوسعة التي ستضاف إلى المسجد الحرام من الجهة الغربية فرأيت المعدات من دركتورات وحفارات في قعر الأرض لعمل ذلك القبو وسيارات نقل التراب وحمله شيئاً عظيماً، والعمل ضخم جداً ولا تزال الخدمة في الحرمين الشريفين بالغة جداً تشكر عليها الحكومة السعودية كما أن المفروشات ترفع ويغسل المسجد بالصابون وتعمل فيه تنظيفات وتوضع ترامس المياه المبردة من ماء زمزم بشكل كبير وأكواب الشرب موضوعة عن يمين الجالس، وبعد فراغه من الكأس يجعله إلى اليسار بشكل فني ونظافة فائقة لم يسبق لها نظير.

وكانت العناية بالمسجد الحرام أيام الحسين الشريف ضعيفة جداً لأنه لم يكن في تلك الأزمان استعدادات كافية فكان شارع المسعى تراباً نثار الغبرة وعلى جانبيه الدكاكين حتى رصفه الملك المغفور له عبد العزيز بالحجارة، كما أن الحجاج والعُمار يسعون فيه تحت وطأة الشمس ونزول مياه الأمطار حتى سقفه الملك عبد العزيز بسقف صالح في زمنه وما زالت الأحوال تتحسن حتى أصبح بهذا المنظر البديع في الصيف والشتاء لا يرى الساعي ما يسوؤه، وفي أمن وطمأنينة من الأمطار والشمس.

ولقد أدركت في أوائل عمري في الأركان صوراً من الأشجار في داخل المسجد تسمى شجر القناديل معلقة فيها سرج، وفي عتبة باب الكعبة شمعتان طويلتان تحمل لإنارة الكعبة ويتولى وضعها بنو شيبه كما أن البناية التي أحاطت ببئر زمزم قد جعل فيها أبواب على قدر قامة الرجل الربعة فيها مياه يغترف منها بكؤوس مربوطة بسلاسل، وقد أزيلت البناية وسحب من أسفل الأرض مواسير تنقل من البئر، وأزيل باب بني شيبه وأزيل المنبر لهذه التوسعة الأخيرة وكان المسلمون من أهالي مكة المكرمة وغيرها يجعلون حجلاً فيها ماء للشرب ويتسابقون إلى ذلك.

وقد يكتب عليها هذا سبيل فلان أو فلانة حتى أتى الله بهذا العمل الأخير

وضرب الناس بعطن وأزيل التراب والحصىء عن المسجد الحرام لأنه لم يكن قبل ذلك إلا مماشى مبنية من الأبواب حتى صحن المطاف وقد يعثر بها الحجاج في وقت الزحمة، وهناك حفرة قعرها بقدر حجرة الرجل أمام باب الكعبة يزعمون أنها معجن الطين حينما كان بيني الخليل الكعبة وابنه إسماعيل عليهما السلام يناوله منها الطين ومن الناس من يسمي تلك الحفرة بحفرة التوبة ينزل فيها الرجل أو المرأة يصليان وهي تسع ثلاثة من المصلين ببنائة حسنة بنتها تركيا، وإذا وجدوا إنساناً يسأل عنها ليصلي فيها فإنهم يترحمون عليه ويأسون لحالته لأنهم يرون أن توبة الجاني من الذنب الكبير تقبل إذا صلى في تلك الحفرة، وهي ملاصقة للشاذروان عن يمين الداخل للكعبة، وقد أزيلت وردمت ترجيحاً للمصلحة وتوسعة للطائفين.

نعم وإن الله يقبل توبة التائب ولو كان في أي مكان، وقد يقوم جهال الحجاج يتمسحون بشباب بني شيبه كما كانوا يتمسحون بكسوة الكعبة اليوم.

ولقد طلبنا من رجال الأمن وخدم الكعبة وسدنتها منعهم من ذلك، ولكنهم أبدوا سئماً ومللاً وتعباً ومشقة بحيث لا يجدي منعهم شيئاً.

ولكنه مما يثير الأشجان ويبعث الأحزان ويذيب الأبدان ويمرض نوع الإنسان أن يقوم أناس يزعمون أنهم مسلمون فيغزون الكعبة المشرقة والأماكن المقدسة مستصحبين متفجرات وقنابل لهدم شعائر الإسلام ونسف الجسور في مكة المكرمة ويهجمون على حجاج بيت الله الحرام في أيام الله المحترمة بالسكاكين والسواطير متذرعين بالحج فيقتلون المسلمين أمام الكعبة المشرفة وتحت جدرانها ويفعلون تلك الجرائم ويخيفوا المسلمين كما ذكرنا^(١).

(١) إشارة إلى ما فعله الإيرانيون في موسم الحج عام (١٤٠٧هـ) من سفك دماء المسلمين في الواقعة التي مرت ومرت بنا إلى سني هذا التاريخ وفي السنة قبلها أرادوا أن ينسفوا بعض المشاعر المقدسة تلتها تفجيرات بسعيهم وإغراء الجهال بالأطماع للتشويش والأذى نسأل الله العافية.

ولقد كان الحرم الشريف والأماكن المقدسة محترمة في وقت الجاهلية فضلاً عن نشوء الإسلام وما قرّرتة الشريعة المطهرة والآيات القرآنية فيه بحيث لو دخل الحرم جان جنابة توجب القطع أو القتل لم يتعرض له حتى يخرج وكذلك الصيد من الطباء والطيور لا بأس بملاحقتها وصيدها ما لم تدخل الحرم، فإذا دخلت الحرم المحدود بأميال معلومة من كل جهة حرم التعرض لها بحيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(١).

وحرمة البيت معلومة حتى عند المشركين الأولين وعند أهل الجاهلية في جاهليتهم كما قال القائل:

إن الفضول تعاهدوا وتعاهدوا أن لا يقرب بطن مكة ظالم
وفي حديث أبي شريح خويلد بن عمرو أنه × قال: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها -يعني مكة- دمًا ولا يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله × فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب».

وفيها فتحت الحكومة باب البقيع للزائرين بعدما أغلق وجعل شباك حوالي البيت ليسلم الزائرون دون دخول حماية للموتى لئلا يحصل المشي على القبور وبالأقدام والنعال، ولكنه فتح ترجيحاً للمصلحة لأن من الأتراك والشيعة من لا تطمئن أنفسهم إلا بالسير بين القبور والوقوف أمامها للسلام وأن يكون ذلك على الأفراد.

وكان يوجد أناس يعلمون الزائرين ويدلونهم على القبور ومعرفتها ومن داخل الباب برادات للشاربين.

(١) سورة آل عمران، آية ٩٧.

وكنتم أظن من تلك القبور المعينة بهذا قبر فلان وهذا قبر فلانة ليس بمضبوط، ولقد حرصت الدولة العثمانية على تتبع الآثار ونصبت قباباً على قبور زوجات الرسول وبناته ولكنها أزيلت جزى الله من أزالها خيراً.

كما جعل على قبر حمزة سيد الشهداء وصاحبيه وعلى قبور شهداء أحد قباب أزيلت والحمد لله لما دخلتها - أي المدينة المنورة - جيوش التوحيد وأزيلت البدع بظهور صاحب الجلالة الملك عبد العزيز غفر الله له.

وفيهما في يوم الجمعة بعد الصلاة أتى بأناس من السراق وقطاع الطرق يكونون عصابات وينهبون الأموال فقطعت أيديهم وكانوا أحد عشر يمانياً وكان ذلك في المدينة المنورة وخميس مشيط والليث، وسجن أربعة لمدة تراوح من سنة إلى سنتين وجلدهم وتعزيرهم جلداً مبرحاً من (٣٥٠) جلدة إلى (٩٠٠) جلدة لأنها لم تتوفر فيهم شروط القطع إما لعدم بلوغ الرشد أو غير ذلك، وكان ذلك في ٣/٧ من اليوم المذكور، ويقول الله جل ذكره: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولُوا أَلْأَلْبَبِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾^(٢).

وفيهما في يوم الجمعة ٣/١٤ أُتي بأناس من الشياطين العتبان قد قطعوا السبيل وأخافوا الأمنين بعدما اعترفوا بجناياتهم وسرقاتهم وتهديدتهم الأمنين بالسلاح وأنهم سرقوا من فلان ألفين ومن الآخر سبعة آلاف ومن الآخر عشرين ألفاً وأطلقوا النار على رجال الأمن وقتلوا وأذوا المسلمين بانتهاب السيارات فصدر الأمر من المحاكم الشرعية بقتلهم وصلبهم بعد صلاة الجمعة من اليوم المذكور

(١) سورة البقرة، آية ١٧٩.

(٢) سورة المائدة، آية ٣٨.

وكانت اعترافاتهم بأعمالهم السيئة وما ارتكبوه من الجرائم تؤسف ويندى لها الجبين وعدد هؤلاء ستة فشكرت الأمة الحكومة بالقبض على المفسدين وتتبعهم والقبض عليهم بأيديهم من حديد وإراحة الشعب الآمن منهم.

وفي هذه السنة كثر إقبال الشباب والفتيات على تعلم القرآن وحفظه، فقد تقدم مائة ألف منهم على الانضمام لجماعات تحفيظ القرآن وأفصحت جريدة الرياض أنه ينفق على هذه الجماعات سنوياً عشرة ملايين ريال من قبل الحكومة تصرف على المشاريع التوسعية للجماعات ومكافآت شهرية لحفظة كتاب الله هذا بالإضافة إلى ما يرد من التبرعات الخيرية التي تتلقاها الجماعات من حكام هذه البلاد وعدد كبير من محبي الخير، وكانت هذه النشاطات توالي جهودها في هذا السبيل، وقد تلقت الجماعات دعماً كبيراً من المتسابقين إلى العناية بتعليم كتاب الله وحفظه وتجويده.

زلزال مدمر

لما أن كان في فجر يوم الأربعاء في الساعة الثالثة الموافق ١٩ ربيع الأول من هذه السنة بتوقيت الرياض الموافق لقبل المساء في الساعة الخامسة بتوقيت أمريكا من اليوم الثلاثاء اجتاح زلزال عنيف مدمر مدينة سان فرانسيسكو بأمريكا خلف (٧٥٠) ما بين قتل وجريح فمئتان وخمسون لقوا مصرعهم وخمسائة أصيبوا بجروح خطيرة، هذا على جهة التحقيق، ويمكن أن الأمر أعظم وأدهى فقد انهار جسر من جراء ذلك فوق مئات السيارات، وكانت الهزة قد استمرت (١٥) ثانية أعقبها ثلاثون هزة أخرى، ولقد قام العاملون في فرق الإنقاذ والإسعاف بنقل الضحايا والمصابين ومساعدة المحاصرين تحت الأنقاض وداخل البنايات المتهدمة وبلغت شدة الهزة (٧) درجات.

واندلعت حرائق ضخمة وانهارت مباني وعاشت المنطقة البالغ عدد سكانها مليونين في ظلام دامس، وكانوا حوالي موضع الزلزال ما لا يقل عن ستين ألف

نسمة تجمعوا للمباراة فأصيبوا بذعر وهلع شديد بعد ما بدت أرض الملعب تهتز وارتفعت أعمدة الدخان ميلاً في الجو وقد لقي سائقو السيارات حتفهم داخل سياراتهم التي تحطمت وهذا مما يدل على تمام قدرة الله.

ولما أن اندلعت النيران بأسباب تساقط أعمدة الكهرباء وأظلمت الدنيا هناك.

كانت ساعة للصوص حطموا واجهات المتاجر في عمليات نهب للأموال وقام شباب يجوبون في الشوارع المظلمة وأخذوا يهاجمون الناس ويستولون على أموالهم وأغلق المطار وأغلقت كافة الجسور التي تقع هناك، وتعطلت حركة المرور فيها، وكانت أطنان الإسمنت التي تقطعت وانهارت لم تبقى أو تذر لمن أصيب بها، أما الذين أصيبوا بالجراح فتحت المشيئة، وكانت صرخات المصابين والأنين يسمع بعد مضي ساعات حتى هلكوا تحت الانقاض ورفعت التعازي من السعودية وغيرها إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش.

وفيها في ظهر يوم الجمعة الموافق ٢١ / ٣ جزر البحر في جيزان عن أكبر حوت قذفت به الأمواج على شاطئ (غوار) ميتاً وكان طوله اثني عشر متراً وعرضه ثمانون ستمتراً ويتوقع المتزهون هناك في الشاطئ بأنه أصيب باصطدام سفينة وذلك لوجود آثار الضربات على ظهره، ويسمى بلغة الصيادين (يوتان) التي تعني حوت العنبر.

وفيها في ١٦ و ١٧ و ١٨ ربيع الأول أصيب شمالي الصين بزلازل استمرت ثلاثة أيام سجل علماء الزلازل فيها ألفاً وخمسمائة هزة أرضية أعقبها الهزة الكبرى التي وقعت يوم الأربعاء ١٩ ربيع الأول بحيث نتج عن ذلك أن حوالي خمسين ألفاً فقدوا مساكنهم من تلك الزلازل الأرضية وبلغ عدد المساكن التي تم تدميرها سبعة وعشرين ألف مسكن وخمسمائة مسكن، كما أنه تعرض اثنان و ثلاثون ألف مسكن وأربعمائة مسكن آخر لتلفيات بالغة ويخشى من انهيارها، كما لوحظت أيضاً بعض التشققات على جدران السدود في المنطقة.

وفيهما في يوم الأحد ٢٩ ربيع الأول أصيبت الجزائر بهزتين أرضيتين نشأ عنها قتل وجرح عدد من السكان وبعثت الدول الصديقة للجزائر تعازيها وأسفها الشديد إلى الرئيس الشاذلي بن جديد يواسونه وشعبه في هذه الحادثة.

وفيهما في أواخر شهر ربيع الأول انفصل المجلس في الطائف عما وقع عليه الاتفاق بين الأعضاء البرلمانيين في شأن لبنان لوضع الحرب فيه بين الأهالي، وذكروا أنه انتهى النزاع فاستبشرت الأمة بذلك عسى أن يعيش لبنان في طمأنينة وراحة، ولعل الحرب أن تضع أوزارها وجعلوا يفكرون في انتخاب رئيس جديد وكان قد بذل الأعضاء جهوداً جبارة في هذا الموضوع وانصرف المسئولون في لبنان ينظمون حالة الصلح فيه.

ولما أن كان في يوم الأربعاء الموافق ٤/٣ قتل المواطن السعودي في لبنان محمد ابن علي المرزوقي وكان قتله اغتيالاً بحيث تقدم ثلاثة من الأشقياء بسيارة فأطلقوا النار عليه فسقط قتيلاً، واصيب سائقه بجراح، وكان قتله تشقياً وتعكيراً لجو الإصلاح الذي قامت به اللجنة الدائمة فأحدث ذلك رنة أسف بين ملوك العرب ورؤسائها وجاءت التعازي إلى الملك فهد بن عبد العزيز مرفوعة من الملوك والرؤساء وكان قتله يعتبر خيانة وغدراً وسوء تصرف وذلك لأمرين أولاً أنه لا ذنب له بحيث يكون كبش الفداء وثانياً أن تلك الجريمة لم تفل من عزم القائمين بالصلح بل ساروا في طريقهم ومهمتهم.

وفي اليوم ٥ من ٤ نودي برينيه معوض رئيساً لجمهورية لبنان بأغلبية (٤٥) صوتاً من (٥٠) صوتاً.

وفي اليوم السادس من ربيع الثاني من هذه السنة في وقت الفجر جرت محاولة اغتيال للعماد ميشال عون، فقد قام أحد المرافقين له المكلفين بتأمين الحراسة الشخصية فأطلق عليه النار في أحد أروقة القصر الجمهوري قبيل توجهه لإلقاء خطابه محل مجلس النواب اللبناني، ولكن هذه المحاولة فشلت وأطلق حراس عون

وابلاً من الرصاص على مرتكب المحاولة فأردته قتيلاً في الحال، وكان عون رئيس الحكومة العسكرية في شرق بيروت، وكان عون يرى أن لا سلام إلا بسحب الجيش السوري من لبنان الذي يبلغ عدده خمسة وأربعين ألفاً.

وفيها في يوم الاثنين ٨ ربيع الثاني استسقى المسلمون في سائر أنحاء المملكة حسب الأمر الملكي فسقوا وأغاثهم الله عز وجل ونزلت أمطار في شمالي المملكة وعلى سائر القصيم ورعدت السماء وبرقت البروق، وكان ذلك في أيام الوسمي ١٤ العقرب عاشر السماك والأيام بعدها فكان قد وافق ذلك أن نزلت المياه إلى قدر عميق في الطبقة الأرضية لقلّة المياه التي كانت عادة تنزل بكثرة في فصل الوسمي وسائر الشتاء مما أحدث ضعف المياه التي تفجرت في القصيم قبل ذلك، والأمل بفضل الله مكين.

ولما أن كان في ١٢ من نوء الغفر و١٣ الموافق ٢٣ و٢٤ من ربيع الثاني أصيبت الأمة ببرد شديد نزلت الدرجة إلى عشرة فوق الصفر وهو نادر الوقوع لأنه قبيل نوء الزبانا.

وفيها في ١٩/٤ شب حريق في منجم في بلغراد هلك بسببه مائة عامل.

ذكر اغتيال الرئيس اللبناني

لما كان في اليوم ٢٤ من ربيع الثاني من هذه السنة رصد الأعداء له في طريق مره بعبوة ناسفة مائتين كيلو جرام من التي. أن. تي انفجرت في موكب الرئيس رينيه معوض فتقطعت سيارته ولقي حتفه بعدما أسفر الانفجار عن مقتل سبعة هو أحدهم وجرح ١٤ آخرين وتدمير أربع سيارات مرافقة لموكبه، وقد تحطم الزجاج في المنازل والمباني الواقعة هناك، وأصيب عشرات السكان بجروح مختلفة من جراء تطاير الزجاج وتصدعت بناية سكنية وارتفعت ألسنة اللهب وأعمدة الدخان وكان ذلك بعد توليه الرئاسة بسبعة عشر يوماً، وكان وقوع هذا الحادث في الساعة الواحدة و٥٠ دقيقة بالتوقيت المحلي يوافق الحادية عشرة و٥٠ دقيقة بتوقيت

جريتش، ولما أن وقعت هذه الحادثة بدأت وسائل الإعلام بعد لحظات تردد أن معوض قد نجا، وبعد مضي بعض الوقت استمر الغموض يحيط بمصير الرئيس إذ لم يصل إلى منزله ولا إلى المستشفى، وتساعد القلق في كل أنحاء البلاد.

وبدى الهجوم على وجهي رئيس المجلس اللبناني حسين الحسيني ورئيس الحكومة الدكتور سليم الحص الذين لم يتلقيا أي معلومات حول مصير الرئيس أو أي تأكيد بنجاته تلى الحص بعد ساعتين وعشرين دقيقة بياناً نعى فيه رينه معوض. وكانت قوات أمن سورية ولبنانية قد طوقت المكان الذي فيه الحادث بحيث هرعت إليه قوات الإسعاف، وكانت جثة الرئيس قد تشوهت بشكل جعل من الصعب التعرف إليها في سيارته المصفحة، وكان سائقه ومرافقوه قد احترقوا في سيارته التي احترقت وتناثرت وجاءت التعازي من جميع ملوك العرب ورؤسائها إلى أهالي لبنان، وبكت النساء في الشوارع وأقفلت المحلات التجارية أبوابها حداداً على الرئيس.

كما أن سوريا أعلنت الحداد سبعة أيام وأظهر الأسد أسفه الشديد لذلك، ويقول المتقربون أنهم عثروا على خربة على بعد من ممر الرئيس أطلقت منها العبوة المتفجرة، ثم أنهم أقاموا رئيساً بعده يدعى الياس الهراوي باتفاق من الأمة سوى المعارضين من قبل وهم ميشيل عون ومن في جهته.

وفيها في ٢٦/٤ بعد صلاة الجمعة قتل من قطاع الطريق والمفسدين في الأرض سبعة يخطفون النساء والفتيات في الطرق ويفعلون الفاحشة والثامن عامل من فلبين اعتدى على صاحب بقالة فألقاه في ثلاجته وانتهب نقوده، ولما أن تمكن من الخروج منها طعنه المجرم بسكين ولكنه ألقى القبض عليهم جميعاً وأعدموا بالسيف جزاءً وفاقاً.

وفيها في ١٥/٦ الموافق ١٢ يناير (١٩٩٠م) ظهرت أعلام طلائع الانتفاضة الفلسطينية التي قام بها شباب فلسطين في الأراضي المحتلة، وكان مما شجع على

ذلك حكومة السوفيت حينما عزمت على الاعتراف بدولة فلسطين وجعل سفارة لها، وهذا على رغم اليهود وحليفهم أمريكا الذين ظلوا ولا يزالون مكابرين ومعاندين، ولكنه بالرغم من ذلك استطاعت هيئة التحرير الفلسطينية أن تحقق أهدافها وذلك حينما دخلت الانتفاضة الشهر السادس والعشرين، وهم يجاهدون ويناضلون.

ولقد تكبد الفلسطينيون خسائر في الأرواح والمساكن والأموال في نضالهم وكانوا يواجهون أخطاراً وتنكيلاً بهم من دولة اليهود، فتارة يرضخ رأسهم بالحجارة وتارة بتحطيم جماجهم بالمطارق، وكل يوم وقد سقط عشرات الجرحى من أهالي فلسطين، وكل ساعة وقد أصيبوا بقارعة من قوارع اليهود لأنهم يرسلون عليهم العيارات النارية وأولئك البؤساء لا يملكون سوى الحجارة والزجاجات، وغلقت مدارسهم وحرموا من الدراسة وهدمت منازلهم وعذبوا وزلزلوا زلزالاً شديداً ولكنهم صابرون وعلى فرش الهوان والبلاء يتقلبون، وظلوا ينتظرون الفرج ممن يقول للشيء كن فيكون.

أما عن لبنان فنار البغي والأهوال لا تزال في سعيها بين حزب أمل من قبل سوريا والحزب الثاني من جهة إيران المزعوم بتسميته حزب الله، وتقوم اليهود في جنوب لبنان تارات بإطلاق المدافع والصواريخ وإرسال الطائرات رغم سعي المصلحين وجعل الرئيس الياس الهراوي.

وفيها في أوائل جمادى الثانية أصيبت المياه الجزائرية بسبب الزيت التي نجم عن سفينة متفجرة مما أثر على الأسماك هناك، وقد بعثت الحكومة السعودية لهم مساعدات لا تقل عن سبعين مليون دولار.

وفيها هطلت أمطار غزيرة على سائر أنحاء المملكة السعودية في المربعانية، أعني في القوس والجدي، وظهر على إثرها في أواخر الجدي أنواع الكمأة، وكان الغيث ينزل ديمة من دون رعد ولا برق.

وفيها وفاة الأمير فهد بن خالد بن محمد بن عبد الرحمن آل سعود، كان والده خالد بن محمد أحد القواد الشجعان المشاهير في حروب اليمن.

وفيها أصيبت الجزائر بهزتين أرضيتين نشأ عنهما قتل وجرح أعداد فأرسلت الدول الصديقة لها أسفها الشديد إلى الشاذلي بن جديد يواسونه في هذه الكارثة.

وفيها في وقت صلاة العصر من يوم الجمعة ٥ / ٣ وفاة الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي - رحمه الله - بسبب مرض قلبي كان يعاوده في بعض الأحيان، وفي هذه المرة قضى عليه، وقد حزن المسلمون لوفاته، وظهر أسفهم الشديد. وهذه ترجمته: هو العالم الفقيه الاجتماعي الشيخ صالح بن إبراهيم بن محمد البليهي، ولد في عام (١٣٣١هـ) في قرية الشماسية من قرى مدينة بريدة، ثم أنه انتقل به والده إلى مدينة بريدة كسائر أسرته فأدخله والده مدرسة أهلية فيها، وله من العمر ثمان سنوات، وبعد أخذه من المدرسة نصيبه من الدراسة اشتغل مع والده في التجارة لأن والده كان إذ ذاك يضرب في الأرض يبتغي من فضل الله في الرياض والإحساء والخليج، ثم أنه كان للمترجم هواية في طلب العلم فأخذ عن الشيخ محمد بن صالح المطوع، وأخذ عن صاحب التاريخ إبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن، وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي، وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ سليمان بن عبد الله المشعلي وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد.

وكان مشغولاً بطلب العلم ومعه أناة، كما أنه رزين ومتفاهم وعاقل، ثم أنه كان أميناً لمكتبة بريدة حينما كانت في الجامع الكبير فيها.

ولما تأسس المعهد العلمي في مدينة بريدة كان فيه مدرساً وكانت إدارته للمكتبة عام (١٣٦٩هـ) والتحاقه بالمعهد عام (١٣٧٣هـ) وعلم في المعهد الدروس الدينية في المعهد وفي المساجد، وقد ألف حاشيته على الزاد حال كونه مدرساً في المعهد وسمها (السلسيل في معرفة الدليل) وتقع في ثلاثة أجزاء لطيفة وهي وإن كانت

مختصرة فإنها كثيرة الفائد، وقد عرض عليه القضاء ولكنه رفض حباً للسلامة، وقد امتدح العلماء كتابه هذا.

وله غيره من المؤلفات المفيدة كعقيدة المسلمين، وتقع في جزئين وكتاب في أسماء القرآن سماه (الهدى والبيان) ويدل هذا الكتاب على سعة علمه، وله كتاب في توجيه الفتاة المسلمة سماه (يا فتاة الإسلام اقراي حتى لا تخدعي) ومن مشائخه الشيخ صالح الأحمد الخريصي والشيخ محمد العبد الرحمن البليهي، وله نشاط في الدعوة إلى الله ويتخول الناس في الموعظة والإرشاد، وكنا نخرج شرقاً وغرباً برفقتنا الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد والشيخ عبد الرحمن بن حمد الجطيلي والشيخ علي الغضية للوعظ والتذكير.

ولقد جاء إليّ مرة في يوم شاتٍ مطير من سنة (١٤٠٨هـ) وطلب مني أن نخرج للموعظة والتذكير بجوامع بن غنام في مدينة الزلفى فاعتذرت لهطول الأمطار تلك الليلة وشدة البرد، فجعل يحثني على الصبر وقال إن السيارة لفلان وهي مؤمنة وسائقها ماهر وقد عقدت معهم موعداً لصلاة العشاء الآخرة، ولما أن قدمنا إلى المسجد من مسافة مائة كيلو وسبعة كيلوات وجدنا فيه خمسة عشر صفاً من الرجال وسبعة صفوف من النساء ينتظرون الفائدة والموعظة وكنا عزمنا على أن يعظ في الصلاة وعظم شأنها وأعظمهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وله محاضرات قيّمة وعلى موعظته الهدوء والسكينة ومن أعماله الخيرية أنه ترأس جمعية البر الخيرية وجمعية تحفيظ القرآن في المساجد وله كرسي في الحرم المكي الشريف يلقي دروساً في حضوره، ولما توفي وافق تلك الليلة هطول أمطار غزيرة وبالرغم من ذلك فقد شيعه إلى قبره جمع لم يكن له نظير في مدينة بريدة ورثي بمراثي كثيرة، وقد رأيت له ترجمة مطولة وضعها بعض أحبابه على من أرادها مراجعتها.

ما جرى فيها من الحوادث

ففيها قام إرهابيون في حكومة بانكوك فاغتلوا في السفارة السعودية فيها ثلاثة رجال من الدبلوماسيين وقتلوهم رمياً بالرصاص فسقطوا صرعى فبعثت الحكومة الصديقة تعازيها للحكومة السعودية وأحدث ذلك رنة أسف شديد.

وكان قتلهم في يوم الخميس ٧/٤ من هذه السنة وأتي بجثمان كل واحد منهم إلى السعودية فصلي عليهم في الجامع الكبير من مدينة الرياض وشيعوا إلى مشواهم في موكب مهيب حضره أولياؤهم وأقرباؤهم والمسلمون في حالة محزنة، وقد رفعت الحكومة السعودية احتجاجها على الحكومة وهددت بقطع العلاقات بينها وبينها فأقامت حكومة بانكوك سبعمائة ضابط لملاحقة المجرمين والقبض عليهم ولن يعجزوا الله.

وفيهما عدى ذئب كبير على غنم لرجل في ينبع فلما أحس صاحبها به أخذ عصا وطرده وسعى خلفه لكنه لما بعد عن المنازل عاد عليه الذئب وشد على ساعده الأيسر، ولكن الرجل كان قوياً فأدخل يده بين فكّي الذئب في فمه فاستطاع أن يحل فكّيه غير أن الذئب تمكن من خمشه برجله في رأسه وسلم الرجل وألقي في مستشفى ينبع للعلاج، وكانت تلك الليلة التي جرت فيها الحادثة ليلة الثلاثاء الموافقة لـ ٢٨ جمادى الأولى في الساعة العاشرة بالزوالي ليلاً والسماء غائمة ماطرة ولما فرّ الذئب دخل أسفل سيارة شاحنة بالركاب فتمكنوا من القبض عليه وقتله وألقي رأسه في المستشفى.

وفاة الشيخ عبد العزيز

ففيها في يوم الخميس ٦/٢٨ توفي الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين آل الشيخ رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته: ولد في عام (١٣٤٣هـ) ونشأ في أحضان والده فتعلم القراءة في إحدى مدارس مكة المشرفة

حيث كان والده فيها ثم أنه لازم والده وجدّ واجتهد وقد رأيته عام (١٣٧٢هـ) في جمادى الثانية حيث كان يقوم بأعمال والده في رئاسة القضاء بعض الأحيان.

ولما أن تحولت إدارة المعارف إلى وزارة وكان وزير التعليم فهد بن عبد العزيز (١٣٧٤هـ) جعله وكيلًا للوزارة، ثم أنه ترقّت درجته وزيراً للمعارف ثم أنه كان خطيباً في المسجد الحرام في الأعياد وخطيباً بالنيابة في مسجد غمرة يوم عرفة ولما أن تولى الملك خالد بن عبد العزيز غفر الله له جعله رئيساً عاماً لهيئات الأمر بالمعروف في نجد.

ولما أن تولى هذا المنصب الخطير بدلاً عن عمه الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رأى أن يقوم بهذه الوظيفة خير قيام لأن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي حالة أنشط من حالتها الأولى، ولما لم يحصل على مطلوبه طلب الاستقالة منها وأيضاً تخلى بعد ذلك عن الخطابة، ثم أصيب في آخر عمره بمرض السكر وضغط الدم مما يسبب له عدم قدرة على بعض الأعمال، وما زال على حالته تلك حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة وقد حزن المسلمون لوفاته ورثاه أحبابه ومن يقدر العلم قال محمد بن سعد المشعان:

خطوات إلى دار يطول بها البقاء لعلك تلقى اللحد بالنور مشرقاً
أجل كلنا للموت ينشال ركبنا فللموت ما أبقى وللموت ما انتقا
وما هي إلا لحظة بعد مولد وبين رحيل للنعيم أو الشقا
لعلك تلقى الدار زهر أديمها وأرجاؤها تدعو الأحبة للقاء
ورثاه أيضاً غيره شعراً ونثراً عربياً ونبطياً، وقد توفي والده قبله باثنين وثلاثين سنة وعمه عمر قبله بـ (١٥) وأخوه حسن توفي قبله بثلاث سنين، وفي هذه السنة لحق سابلتهم غفر الله لهم جميعاً ولسائر المسلمين.

وفيها جرت فيضانات في تونس هلك بسببها ثلاثون شخصاً، ودمرت الفيضانات ستة وأربعين ألف منزل وهلك أربعة آلاف رأس من الغنم، وكان ذلك

في غرة شهر رجب من هذه السنة وجاءت من ليبيا ومصر الجزائر والمغرب وفرنسا وبلجيكا واليابان والولايات المتحدة وإسبانيا وغيرها إعانات ووجدوا تضامناً عظيماً كما أن الحكومة السعودية بعثت إليهم إعانة جيدة كعادتها في المساعدات.

وفيهما كثرت أنواع الكمأة فقع بصفة كثيرة لكنه بالرغم من كثرتها فإنها تباع بأسعار باهظة ولقوة المسلمين وكثرة المادة يشترونها بغالي الثمن معدل الكيلو يبلغ ثمانين ريالاً.

وفيهما في ليلة ١٥ الموافق للسبت من شهر رجب خسف القمر بعد صلاة العشاء الأخير في الساعة الثانية غروبى وانطمس انطماشاً كلياً وخرج المسلمون لصلاة الكسوف رجالهم ونساؤهم في بيوت الله.

وفيهما في صباح اليوم ١٧ الموافق ليوم الاثنين من شهر رجب قدمت إلى مدينة بريدة قافلة التجنيد ضد المخدرات في موكب مهيب من السيارات يصحبها الإبل وبعض الخيل وأقيم لهذه القافلة احتفال في ميدان الملك خالد الحضاري في مدينة بريدة حضره الأعيان والأمراء من جميع المنطقة وعلى رأسهم صاحب السمو أمير المنطقة، وقامت الطائرات الهليكوبتر حلقة فوق المكان المعد للاستقبال على ارتفاع منخفض، وجعلت إذاعات التحذير من المخدرات والخمور والمسكرات تنادي بنشر مضررتها وما فيها من المفاسد والقبائح.

وقد وضع رجال الأمن والقافلة معارض في ذلك الميدان لأنواع أشجار المخدرات من الأفيون والهروين وكل مخدر وغيرها وأن الحكومة استطاعت القضاء على بعض الأشجار المخدرة، نعم وإن الحكومة قد بذلت جهوداً جبارة ضد هذه المخدرات وأصدرت الأوامر الثقيلة على رجال الأمن وسلاح الحدود بالقبض على مهربها، وجعلت تنكل بهم وسلت السيف ضد تلك الأعمال الرذيلة المنافية للفضيلة.

وكيف أرباب تلك الأعمال الشيطانية توصلت بهم الهمجية إلى درجة ساقطة

بحيث يدخلون المخدرات بحيل لا يقدم عليها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فجعلوها في باغات يدخلونها بأدبار الغنم، وعثر على بعضهم بأن جعلوها في أدبارهم - نسأل الله العافية - وتوصل أرباب تلك المخدرات إلى أعمال لا أخلاقية بحيث أن قام ساقط من أولئك الرذائل وتوصلت الأحوال به لأن يقتل صبيّاً من صلبه فأخرج أحشاه وحشى جوفه من المخدرات وأدخله في المملكة مسجى بكفانه.

ونقل لنا أن إنساناً من المبطلين لما فقد ما عنده من المخدرات ذهب إلى إنسان وجلبه إلى بيته وكان الشقي يتعاطى بها فطلب منه شيئاً منها فقال لا أعطيك إلا أن تبذل لي جميع ما أطلب منك فأجابه إلى طلبه، وكان لدى صاحب البيت فتاة عمرها سبع سنين جاء بها لتبشر تقديم شيء من العصيرات للضيف الملعون فقال أريد أن أزني بهذه الفتاة فقام والدها وأعطاهما مخدراً فوقع عليها الشقي وذهبت الفتاة البريئة ضحية لهذه البادرة السيئة.

فيا منتقماً من الظلمة ويا من كنت بالمرصاد من الطغاة والفجرة صبّ عليهم سوط عذاب والعنهم لعناً كبيراً.

ولقد قامت إذاعات الأصوات تشق الفضاء وتدوي في الأجواء تنصح وتحذر من ارتكاب تلك الجرائم وتعاطيها، وقد أظهرت الأمة سخطها البليغ، وقاموا بتشجيع القافلة وشد أزرها وتحبذ فعلها وشكروا لهم جهادهم الذي قاموا به والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً واعتنقوا أعناق رجال القافلة يباركون لهم في مساعيهم، ووجدت القافلة تعاضداً وتكاتفاً من العلماء والرؤساء والأعيان، وأقيمت لهم الولائم الضخمة والترحيبات والتكريمات.

ثم سارت القافلة إلى مدينة حائل بعدما أقاموا في مدينة بريدة خمسة أيام وأخذوا يتجولون في فترات بمدن القصيم يبلغون ويرشدون على قدر وسعهم وطاقاتهم.

أما ما كان عن لبنان فقد قام ميشيل عون بانشقاق في شرقي لبنان وجرى بينه وبين جعجع قائد قوات الرئيس الشرعي إلياس الهراوي معارك سقطت بأسبابها مئات القتلى وتهدمت منازل واشتعلت حرائق في شرق لبنان وغربها وفشلت المفاوضات كما أن قوات أمل وقوات حزب الله لا تزال متطاحنة وجنوبي لبنان فيه إسرائيل وعملاؤها واستهدفت لبنان للأذى وكانت المناوشات بسائر الأسلحة بين جعجع وبين عون مستمرة واشتعلت الحرائق ولم يسلم من البلاء سائر المدنيين.

معجزة من المعجزات

كان رجل اسمه عمر غيمو قد أسلم وكان من أهل نيجيريا ثم ارتد عن الإسلام وجعل يستهزئ بالإسلام والقرآن فوقف بين لفيف من المسيحيين بإحدى كنائس قرية توب بولاية غونغولي شمال نيجيريا ورفع صوته بسخرية قائلاً إن كان القرآن والإسلام حقاً فإني أسأل الله ألا أرجع إلى بيتي حياً، فخرج عقب ذلك في طريقه إلى منزله فتعثرت قدماه وهو يعبر جدول ماء صغير وسقط فيه فمات، وقد قام أحد المارة فحاول إنقاذه فلقي مصرعه كالأول، ولما جرت هذه المعجزة أسلم سكان أربع قرى عقب الحادث وأشهروا إسلامهم ذكر ذلك النبأ بيان لرابطة العالم الإسلام في جريدة الرياض بعددها (٧٩٣٢/١٥/٨/١٤١٠هـ) الموافق ليوم الاثنين ١٢ مارس (١٩٩٠م).

وفيها في ٨/١٣ من هذه السنة دخل الشهر الثامن والعشرين من الانتفاضة الفلسطينية وشباب فلسطين في تلك المدة يحاربون اليهود بالحجارة والزجاجات وإشعال الإطارات في طرقهم وبالرغم من تقتيل الفلسطينيين وتجريحهم والقبض على بعضهم وإيداعهم السجون لمدة عشرات السنين وأقل وأكثر ورضخ رؤوسهم وهدم منازلهم فإنهم ثابتون يناضلون وقد أحصى الحرجى الذين أصيبوا من أهالي فلسطين فبلغوا سبعة وستين ألف جريح منهم ستة آلاف معوقون وسقط ألف وخمسمائة قتيل وهدم آلاف من بيوتهم وشرد مائتا ألف عن أوطانهم، هذا في مدة الانتفاضة وكانت العرب تدعمهم بالمساعدات المالية لا غير.

كما أن المجاهدين في أفغانستان لا يزالون في كفاحهم حتى ٨/١٧ من هذه السنة ضد حكومة السوفيت هذا وهم ثابتون وللنصر من الله يطلبون وقد أسقطوا وأحرقوا طائرات سوفيتية وحطموا دبابات ولكن المسألة حتى الآن لم تنته بصورة قاطعة.

كائنة غريبة

في مكة المكرمة أصيب أهل بيت في إحدى الحارات بأذى من الجن وكان البيت مؤلفاً من ثلاثة أدوار فكان الذين في الدور الأسفل يحصل عليهم أذى وربما أمسك أحد الأفراد وربما أصيبوا بجروح من جراء ذلك الأذى -نسأل الله العافية- وآخر ذلك أن هجره أهله وارتحلوا عنه.

وفيها قام رئيس تعليم البنات عبد الملك بن الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش بصفته الرئيس العام بزيارة تفقدية لمنطقة القصيم وذلك في ٨/١٤ من هذه السنة.

كائنة غريبة

في ٤ شوال من هذه السنة جرت فيضانات جارفة في جنوبي الصومال نتج عنها غرق عشرات القرى وإجلاء آلاف السكان وهؤلاء الذين تم إجلاؤهم صاروا بلا مأوى ولا غذاء وهذه الكارثة لم تشهدها المنطقة في التاريخ الحديث وقطعت هذه الفيضانات معظم الاتصالات ومحت طريقاً يبلغ طوله تسعين كيلومتراً.

في يوم عيد الفطر جرت مجزرة بين الفلسطينيين أهل الانتفاضة وبين قوات الاحتلال اليهودية نتج عن هذه الاشتباكات في يوم العيد قتل ثمانية من الفلسطينيين وهدم مائة وخمسين منزلاً من المقدسات وجرح مائتين وستة وثلاثين فلسطينياً واستمرت قوات العدو في القمع والإرهاب.

أما رجال الانتفاضة فقد جرحوا ثلاثة عشر يهودياً وقام رئيس وزراء العدو

بإغلاق قطاع غزة تحسباً لتصعيد المقاومة كما أن اليهود قاموا بخططون لمجزرة واسعة، وقد قام رئيس الدولة الفلسطينية ياسر عرفات مستنكراً لتلك الأعمال الوحشية فبعث برسالة إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش يشتكي من أعمال اليهود وطلب منه دراسة أعمالها الوحشية ضد أهل فلسطين وما يعاملونهم به من تلك المعاملة القاسية ورجى أن يوضع حد لذلك ولكنها لم تتلق أذنأ صاغية بل استمرت الأحوال هائجة مائجة لما أن توالى هجرة اليهود من روسيا إلى فلسطين المحتلة قامت قيادة العرب بالاستنكار لذلك وأن ذلك ضد السلام وضد التفاهم في مشكلة الشرق الأوسط فرأى المهاجرون أن تسمح الولايات المتحدة الأمريكية لهم بالقيام لديها.

وقد جرت زيارة رسمية من الرئيس حافظ الأسد إلى روسيا وكان وقت هذه الزيارة قصيراً وجعلت الدولتان العراقية والسورية تبحث في توفير أجواء المصالحة بين دمشق وبغداد ورجت الأمة العربية أن يكون من وراء ذلك ما يُرجى من حسن الصلات، الصلات الكلمة والأمل عظيم بالله أن تنقطع الحزازات بينهما وترجع المياه على مجاريها السابقة ذلك بأنه لا خير للعرب والمسلمين إلا إذا اتحدوا وكانوا يداً واحدة تهابها الأعداء وقد ذكرنا في كتابنا الديني الكبير بمناسبة اجتماع حجاج بيت الله الحرام في يوم التروية ومشاهدة بعضهم بعضاً ما لهم من المصالح لو اجتمعوا وتوحدت كلمتهم إذاً هزموا عدو الإسلام وأفلحوا ونجحوا.

وبهذا نختتم المجلد السابع من تاريخنا والله الحمد والمنة ويليهِ الثامن إن شاء الله.

فهرس المجلد السابع

من تذكرة أولي النهى والعرفان

| | |
|----|--|
| ٥ | ثم دخلت سنة (١٣٩٧هـ) |
| ١٠ | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ١١ | ذكر شيء من صرامته ويطشه وحزمه |
| ٢٠ | وصمة سيئة في وجوه العرب |
| ٢١ | اكتشاف مدينة أثرية |
| ٢٢ | ثم دخلت سنة (١٣٩٨هـ) |
| ٢٣ | مقتل الآلاف في قصف أثيوبي |
| ٢٣ | إقامة مدينة الملك خالد |
| ٢٥ | كائنة غريبة |
| ٢٥ | اجتماع لبحث إنشاء منظمة العواصم الإسلامية |
| ٢٧ | ذكر تجديد باب الكعبة المعظمة وجعله من الذهب الخالص |
| ٢٨ | جهود تبذل لنصر الإسلام ورفعته |
| ٢٩ | بادرة غريبة |
| ٢٩ | بيان عن المؤرخ الزركلي |
| ٣٣ | كائنة عجيبة |
| ٣٣ | ثم دخلت سنة (١٣٩٩هـ) |
| ٣٤ | أخبار عن الحرب في هذه الآونة |
| ٣٥ | حريق في مدينة الرياض |
| ٣٥ | حريق آخر في الرياض |
| ٣٦ | الرجل المعمّر |
| ٣٩ | إيران وآية الله الخميني |
| ٤٠ | الزعازع والبللى الذي حصل بسبب الخميني |
| ٤١ | إعصار يحتاج الهند |
| ٤١ | أهوال يسببها السلاح الحديث إن استعمل |
| ٤٢ | تنفيذ الإعدام شنقاً في علي بوتو |
| ٤٣ | إسلام أسرة |
| ٤٣ | ذكر من توفي فيها من الأعيان |

| | |
|-----|---|
| ٥٥ | أفغانستان والحديث عنها |
| ٥٧ | طعنة في الصميم |
| ٥٨ | ثم دخلت سنة (١٤٠٠هـ) |
| ٦٠ | موقف الحكومة السعودية |
| ٦١ | معجزة غريبة |
| ٦٣ | إمارة عبد الإله بن عبد العزيز في القصيم |
| ٦٣ | إمارة مقرن بن عبد العزيز بمحائل |
| ٦٣ | انتشار الإسلام |
| ٦٤ | غرق سفينة |
| ٦٥ | حادثة غريبة وكائنة عجيبة |
| ٧٠ | ولادة غريبة |
| ٧٠ | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ٧٢ | ومن توفي فيها من الأعيان |
| ٨٥ | إقامة حدائق في مدينة الدمام (١٤٠٠هـ) |
| ٨٦ | إنشاء وحدات لمياه القطيف |
| ٨٦ | بدء العمل في طريق الجنوب |
| ٨٧ | عمارة مطار الرياض الدولي |
| ٩٢ | تطبيق أحكام الشريعة |
| ٩٥ | ثم دخلت سنة (١٤٠١هـ) |
| ٩٦ | ذكر زيارة الملك للقصيم سنة (١٤٠١هـ) |
| ٩٩ | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ١٠٥ | اغتيال رئيس جمهورية مصر |
| ١٠٧ | مؤتمر مكة المكرمة عام (١٤٠١هـ) |
| ١١٢ | معرض الكتاب |
| ١١٣ | زيادة في رواتب الأئمة والمؤذنين |
| ١١٤ | قتل رئيس جمهورية بنجلاديش |
| ١١٥ | ضرب المفاعل النووي |
| ١١٧ | رجل معمر ١٥٩ عاماً |
| ١١٨ | ثم دخلت سنة (١٤٠٢هـ) |
| ١٢٣ | انسحاب العراق عن أراضٍ احتلتها قديماً |

| | |
|-----|--|
| ١٢٣ | ضرب لبنان سنة (١٤٠٢هـ) |
| ١٢٤ | نداء من السفارة اللبنانية بالملكة |
| ١٢٥ | ذكر وفاة جلالة الملك خالد |
| ١٣٤ | خسوف كلي للقمر |
| ١٣٤ | انفجار رهيب في إيران |
| ١٣٥ | خسائر وقعت في إيران |
| ١٣٥ | ذكر قتل رئيس لبنان |
| ١٣٦ | قرار ملكي |
| ١٣٦ | النهي عن المخدرات |
| ١٣٨ | كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ١٣٨ | ذكر ما جرى على حمّاه في سوريا |
| ١٤١ | الإخوان المسلمون |
| ١٤٥ | ذكر ياسر عرفات |
| ١٤٧ | ذكر شيء عن مدينة الظهران وما من الله به على الحكومة السعودية |
| ١٥٠ | إقامة السوق المركزي في مدينة بريدة |
| ١٥٣ | ذكر حالة القتال بين العراق وإيران |
| ١٥٥ | ذكر شيء من تطور الزمان |
| ١٥٦ | ذكر الحروب والثورات |
| ١٦٠ | احتراق مكتبة بريدة |
| ١٦٢ | ذكر بيوت الله التي هدمت |
| ١٦٨ | ثم دخلت سنة (١٤٠٣هـ) ذكر ما جرى فيها من الحوادث |
| ١٧٠ | عاصفة تجتاح الإحساء |
| ١٧٣ | زلازل وقوارع تصيب اليمن |
| ١٧٤ | منبر يصنع للمسجد الأقصى |
| ١٧٤ | تعذيب إيران للأسرى |
| ١٧٥ | ذكر من توفي فيها |
| ١٧٩ | أهوال تروى عن أهالي مدينة هيروشيما |
| ١٨١ | مقابلة مع طبيب شعبي |
| ١٨٤ | استمرار الأذى على لبنان |
| ١٨٨ | ذكر إعلان مجلس التعاون الخليجي |

| | |
|-----|--|
| ١٨٨ | اليوم الوطني |
| ١٨٩ | إقامة دورات المياه في المواقيت |
| ١٩٥ | ثم دخلت سنة (١٤٠٤هـ) |
| ٢٠١ | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ٢١٣ | ذكر بئر العجائب |
| ٢١٥ | مصلحة الهاتف السيار |
| ٢١٦ | ذكر المذابح والتدميرات في أفغانستان |
| ٢١٨ | تصريف مياه مكة المكرمة |
| ٢٢٠ | اليهود تقتل أئمة المساجد وتهدد المسجد الأقصى |
| ٢٢٠ | بيان عن رئيس الهيئة الإسلامية في القدس |
| ٢٢١ | أخبار عن مدينة بريدة في القصيم |
| ٢٢٢ | سوق الماشية يضيق |
| ٢٢٣ | احتفال كبير للأدب |
| ٢٢٨ | ثم دخلت سنة (١٤٠٥هـ) |
| ٢٢٩ | اغتيال أنديرا غاندي |
| ٢٣١ | حائل والحديث عنها |
| ٢٣٦ | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ٢٤٠ | ثورة في السودان |
| ٢٥٢ | بحث مهم ينبغي الوقوف عنده |
| ٢٥٣ | نهضة تعليمية |
| ٢٥٦ | برج مياه بريدة |
| ٢٥٧ | إيجاد مياه لعفيف والدوامي |
| ٢٥٩ | ثم دخلت سنة (١٤٠٦هـ) |
| ٢٦٤ | حادثة |
| ٢٦٥ | وفاة عالم من العلماء |
| ٢٦٥ | وممن توفي فيها |
| ٢٧٢ | مرض الإيدز |
| ٢٧٦ | وقوع حادث مؤسف |
| ٢٧٦ | حادثة في بنغلادش |
| ٢٧٦ | مستشفى القصيم التخصصي |

| | |
|-----|---|
| ٢٧٩ | حادثة غربية |
| ٢٨٠ | ثم دخلت سنة (١٤٠٧هـ) |
| ٢٨٠ | وفاة وزير التعليم العالي |
| ٢٨٤ | إنشاء جسر يربط البحرين بالمملكة |
| ٢٨٤ | مشروع قرار مجلس الأمن |
| ٢٨٧ | مناطق المملكة تحتفل بأسبوع المساجد ونظافتها وخدمتها |
| ٢٨٩ | هجوم الإيرانيين على حجاج بيت الله سنة (١٤٠٧هـ) |
| ٢٩٢ | نهضة علمية في المملكة السعودية |
| ٢٩٥ | نعم الله على عباده كثيرة |
| ٢٩٦ | النهي عن الإسراف وما جاء في ذمه |
| ٣٠١ | إصلاح ماقفة بريدة |
| ٣٠٣ | عمارة جامع مدينة عنيزة في القصيم |
| ٣٠٩ | ثم دخلت سنة (١٤٠٨هـ) |
| ٣١٤ | حادث في مصر |
| ٣١٥ | مؤتمر قمة عام (١٤٠٨هـ) |
| ٣١٦ | زيارة الملك فهد للقصيم |
| ٣٢١ | وقف إطلاق النار |
| ٣٢٥ | ظاهرة غربية، جني يشهر إسلامه |
| ٣٢٦ | طاعون الإيدز |
| ٣٢٨ | زيارة الوزير الأمريكي |
| ٣٢٨ | ذكر ما ألقاه الله من الذل على اليهود |
| ٣٣١ | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ٣٣٢ | حادثة غربية |
| ٣٣٤ | لبنان والحديث عنه |
| ٣٣٦ | بيان عن شبكة الكهرباء في المملكة السعودية |
| ٣٣٧ | نبأ وفاة الحميني |
| ٣٣٧ | ثم دخلت سنة (١٤٠٩هـ) |
| ٣٣٨ | ظهور الجراد في المملكة |
| ٣٣٩ | هدم مسجد عودة الرديني |
| ٣٤٠ | ذكر ما جرى فيها من الحوادث |

| | | |
|-----|-------|--|
| ٣٤٠ | | أمطار تجتاح اليمن |
| ٣٤٠ | | ذكر اغتيال الرئيس الباكستاني |
| ٣٤٨ | | أمور تحاك بالخفاء |
| ٣٥١ | | ذكر قنابل تضرب أم درمان |
| ٣٥١ | | حادث غريب من بلاوي الزمان |
| ٣٥٤ | | قف على هذه التوصيات فهي مهمة |
| ٣٥٧ | | حادثة غريبة |
| ٣٥٨ | | قتل قنصلين من السعودية |
| ٣٥٩ | | تأسيس سفارات للدولة الفلسطينية |
| ٣٦٢ | | عود على بدء |
| ٣٦٧ | | مؤتمر قمة |
| ٣٦٨ | | قرار مجلس هيئة كبار العلماء في شأن المعتدين |
| ٣٦٩ | | نشرات مؤلفة عن أفغانستان |
| ٣٧٢ | | امتحانات النقل |
| ٣٧٣ | | وفاة الحميني |
| ٣٧٥ | | ذكر من توفي فيها من الأعيان |
| ٣٧٨ | | وفاة معمر |
| ٣٨٠ | | ذكر ثورة يونيو في السودان |
| ٣٨٢ | | حادثة قصر أفراح جيزان |
| ٣٩٠ | | ثم دخلت سنة (١٤١٠هـ) |
| ٣٩١ | | ذكر حادثة غريبة (ميت يخرج من قبره بعد دفنه بـ ٢٧ ساعة) |
| ٣٩٥ | | فكرة عاطفية |
| ٤٠٠ | | ذكر فاجعة عظيمة |
| ٤٠٤ | | ذكر إعادة الكرة للسعي في وضع الحرب ببيروت ولبنان |
| ٤١٢ | | زلزال مدمر |
| ٤١٥ | | ذكر اغتيال الرئيس اللبناني |
| ٤٢٠ | | ما جرى فيها من الحوادث |
| ٤٢٠ | | وفاة الشيخ عبد العزيز |
| ٤٢٤ | | معجزة من المعجزات |
| ٤٢٥ | | كائنة غريبة |

تَذَكُّرَةٌ أَوَّلَى الْإِنْفِخِ وَالْعُرْفَانِ
بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْوَحِيدِ
وَذِكْرٌ جَوَادِثِ التَّهْمَانِ

تَأْلِيفُ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَسَنِ
مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْقَصْرِ

الْجُزْءُ الثَّامِنُ

مَكْتَبَةُ الرِّشْدِ
سَنَاءُ زُورَتْ

٢ مكبة الرشء؁ ١٤٢٧هـ

فهرسة مكبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن؁ إبراهيم عبفء

تذكرة أولف النهف والعرفان بأفام الواحد الءفان وذكرف ءوافء الزمان./

إبراهفم عبفء آل عبد المحسن. — الرفاض؁ ١٤٢٧هـ

٣٥٢ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

رءمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مءوءة)

٩-٦٢٦-٠١-٩٩٦٠ (ء ٨)

أ- العفوان

١- التاريخ الإسلامف ٢- التراجم

١٤٢٧/٤٧٩٢

ءفوف ٩٥٣

رءمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مءوءة) رقم الإفءاع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٩-٦٢٦-٠١-٩٩٦٠ (ء ٨)

ءمفء ءءوق مءفوظة الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مكبة الرشء - ناشرون

الملكة العرفة السعوءفة - الرفاض

شارع الأمفر عبء الله بن عبء الرحمن (طرف ءءاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرفاض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com



فروع المكبة داخل الملكة

- ★ الرفاض: فرع طرفق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٣٠١
- ★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
- ★ فرع المءفنة المنورة: شارع أبف ذرف الغفارف: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٢٨٣٤٢٧
- ★ فرع ءةة: مفءان الطائف: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ - فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤
- ★ فرع القصفم: برفءة - طرفق المءفنة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٣٢٤١٣٥٨
- ★ فرع أبها: شارع الملك ففصفل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
- ★ فرع الءمام: شارع ءفزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٨٤٨٤٧٣
- ★ فرع ءائف: هاتف: ٥٢٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالفارء

- ★ القاهرة: مءفنة نصفر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبافل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣
- ★ بفروت: بفرف ءسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موبافل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

ذكر التقلبات والمخاوف والمجازر في فلسطين ولبنان وأفغانستان

عام ١٤١٠هـ قد أسلفنا من ذكر الانتفاضة الفلسطينية ولبنان وأفغانستان، وما توصلت الأحوال إليه، فقد بلغ عدد القتلى في فلسطين من حين الانتفاضة إلى يوم ١٠/٩ من هذه السنة ١١٠٩ قتيلًا يعدون في نظر العرب شهداء الجرائم الإسرائيلية، وما زاد ذلك الفلسطينيين إلا نشاطاً ومواصلةً لقتال العدو وبالحجارة والزجاجات الحارقة، وقد تصيب سيارات العدو ويخرج من شاء الله من قواته، وكان القائم بأعمال رئيس وزراء إسرائيل إسحاق شامير موقفه نحو العرب أنه لا يطلب السلام بل يرى حقاً لأهل فلسطين، ويعامل أهالي فلسطين معاملةً قاسية، معاملة يهودية لا يعلم إلا الله جل ذكره عن شدة عدائهم للذين آمنوا ويقول يوسفني أننا بسبب المهام التي علينا لا نستطيع في العامين القادمين القيام بعملية استيطان واسعة، ويجذب توطين اليهود في الأراضي المحتلة، أما عن لبنان فقد استمر القتال بين العمداء ميشال عون وبين جعجع وجرت مذابح عنيفة بين الفريقين، واستعملت أنواع الأسلحة الغازية كالمدافع والقنابل الصاروخية وما إلى ذلك مما عم ضرره المدنيين والأطفال والنساء والضعفاء، وكانت الأمور متازمة جداً في لبنان ولا سيما في شريطها، كما أن أفغانستان لا تزال فيها المجازر والمذابح بين المجاهدين وبين حكومة كابول التي تمدها الروس بالأسلحة والذخيرة، ولقد كانت العرب والمسلمون يجمعون التبرعات في مساجد المملكة السعودية وغيرها وبيعون بها إلى المجاهدين، وهم لا يزالون يواصلون نشاطاتهم، ففي ١١/١٠ من هذه السنة قتلوا ٢٤ ضابطاً ودمروا معدات للعدو، وهم يتقدمون بنشاط وقوة عزيمة، وكان من المتحمسين لمناصرة المجاهدين، هناك من يذهب ويقاوم بنفسه وربما يودع زملائه وأحبابه ويسألهم الدعاء له بالشهادة في سبيل تحرير أفغانستان من مغالب حكومة السوفيت وبرائتها، ولا ريب أنه إن كان قتال المجاهدين عن نية وعقيدة فإن الله

معهم لأن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وكانت المواد الغذائية والأكسية على اختلاف أنواعها وملايين النقود تبعث إليهم بكثرة من جميع جهات المسلمين لشد أزهرهم ومساعدتهم بها.

مناظر غريبة في مخلوقات الله

أبرزت جريدة عكاظ في عددها ٩/٢٨/١٦٨٤ من آيات الله صورة رجل قد بلغ من العمر ٤٥ ولد من دون يدين ولا رجلين، فهو نصف إنسان، فلا فخذين ولا عضدين واسمه عبدالله محمد بن داود بن عبدالكريم، وكان بوجه وصدر عليه لباس كأحسن رجل، وعلى رأسه القلنسوة يخيل إليك إذا رأيته أنه ليس منقوص الخلقة، ويتمتع برحابة صدر، كما أبرزت الجريدة نفسها صورة طفلة لها من العمر أحد عشرة سنة، كذلك بنصف إنسان ليس لها يدان ولا رجلان بل فاقدة العضدين إلى الكتفين والفخذين، ويتمتع بنصف جسمها الأعلى، وهي من أهالي مكة المكرمة، وتبرز برحابة صدر، ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ في آي صورته مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿[الانفطار: ٦-٨].

اتفاق عام بشأن عودة مقر الأمانة العامة للجامعة إلى القاهرة

وذلك في ١٤ شعبان من هذه السنة، وذلك بنقلها من تونس لما تحسنت الأحوال بعد تصرفات الرئيس المصري السابق، ويعد هذا من حسن حظ العرب في جعل مقر الأمانة العامة بما شاءوا، وترحيب كل رئيس عربي بما يعود في المصلحة العامة ولا سيما تونس الشقيقة في تعاونها وتكاتفها في المدة الماضية وترحيبها سابقاً بما طلب منها، مما بيّض وجه تاريخها، وهكذا يكون التكاتف والتساعد والتعاقد. وفيها في ١٠/١٠ اعتقلت حكومة التايلند سبعة أشخاص يشتبه بتورطهم

بجرمة اغتيال الدبلوماسيين السعوديين الذين قتلوا سابقاً، بحيث ذكر القائم بأعمال الحكومة التايلاندية ذكل الخبر وذلك توطيد أمنها عن العلاقات بينها وبين المملكة السعودية ووفاء بحسن الصلات بينهما، ونحن إذ نبرز ذلك سائلين الله تعالى أن يكف أكف الأيادي الجائرة، ومن حسن توفيق الله أن تحيط بأهل الجرائم جرائمهم. وفيها وفاة رجل الدين والخير سليمان بن علي بن مقبل غفر الله له، وهذه ترجمته: هو سليمان ابن رجل الدين والعقيدة علي بن مقبل بن علي بن عبيد من قبيلة سبيع، كان المترجم صاحب دين وعقيدة ومتسماً بصفات العلماء، أبيض اللون، زاهر الطلعة، شجاعاً وتالياً لكتاب الله، أبيض شعر اللحية، كثيف اللحية، مطهر لدينه ولا تأخذه في الله لومة لائم، وله أخوة من أبرزهم رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبدالعزيز بن علي بن مقبل، ومنهم عبدالله وقد تقدمت تراجمهم، وللسليمان هذا مسابقة بالخيرات ومساهمة في طرق الخير، حدثني وهو يتذكر نعم الله على المسلمين قال: خرجت مع والدي إلى مدين له، وكان لدى مدينه لوبيا في مزرعته، وقد خيره والدي بين أن يأتي بالموياء ويؤمن له ولزوجته نصيباً من القمح، أو يكله إلى ما يخرج من اللوياء، فمانعت من ذلك زوجته وقالت: لا نسقيه وندعه للغريم، قال: فكانوا يتناولون طعام العشاء لوياء صرفاً ليس فيه سوى الماء، فلون الماء أصفر، قال: فلما علم بمجيئنا ذهب إلى أحد الجيران واستعرض منه نصف نصيف ضيافة لعلّي المقبل، ثم جاء بالعشاء ولم يكن فيه سوى قطع بسيطة من بين اللوياء، فكان والدي يخرج القطعة يعود فيه نتوء أمامي، وكان المترجم من العرب كريم النفس، جهوري الصوت، يلبس البياض من الثياب، وذا اجتماع مع أحبابه وبني جنسه، يجالس العلماء ويخصّ مجالس الذكر، ويجب في الله، ويعادي فيه، وكانت وفاته في ٩ شوال من هذه السنة.

وفيها نشرت إحدى الجرائد أن إسرائيل تملك إلى غاية شهر رمضان مائتي قنبلة نووية، وذكرت هذه الجريدة أن سبق لليهود أن هددت الولايات المتحدة باستعمال السلاح النووي عام ١٩٧٣م في الحرب السابق فيها لو لم تصلها المعونات والأسلحة التي طلبتها من واشنطن.

وفيهما في ١٠ شوال قام ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز بزيارة لدمشق، ثم زيارة لبغداد، وذلك بعد اجتماعه بالرئيس حافظ الأسد، وذلك لتحسين الأجواء بين الحكومتين، وتصف الخبراء تلك الزيارة بأنها تعود بالمصلحة الكبرى على العرب.

وفيهما قامت حكومة بورما بتدمير كميات مصادرة من الهيروين قيمتها ٥٠٠ مليون دولار، كما قامت بتدمير كميات من المخدرات وزيت الأفيون وغيرها من المخدرات، وقامت الأمة من جميع المنتورين والساعين لمصالح الشعوب بإعدام كثير من المخدرات، وذلك سعياً وراء المصلحة العامة، وبما أن الحكومات جادة في هذا السعي فإنه بالرغم من مقاومتها وإتلافها لا تزال أيادي ساعية في إيجادها، نسأل الله العافية، وكان من أعظم الحكومات الإسلامية المحاربة للمخدرات السعودية جزاها الله خيراً.

حادث مؤسف

ففي يوم الأحد ١٨ شوال الموافق ١٣ مايو إيار ١٩٩٠م جرى حادث في الموضع المعروف بشري الواقع في طريق حائل بأن اصطدمت سيارة تريلة بباص يحمل ٣٠ فتاة في ذهابهن للدراسة، فهلك سبع فتيات بأول وهلة، وجرح بقيتهم بحيث نقلن إلى المستشفيات، وهذه حادثة يؤسف لها، وقد تلقت الأمة هذا الحادث ببالغ الأسى، كانت حافلة الفتيات أراد سائقها أن يقطع الطريق فاستهدفت الناقلة الضخمة فجبتها مع وسطها وحصلت تلك الحادثة الشنيعة، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيهما أرادت إسرائيل ضرب العراق كما جرى سابقاً، ولكن الرئيس العراقي صدام حسين قام بتهديد إسرائيل بأنها إن فعلت ذلك فإنه سيحرق نصف دولة إسرائيل بأسلحة كيماوية، وثنت عزمها، ولكنها لا تزال في غيها وتماديها وتخطط ضربات للأردن والعراق لتفسد على العرب وحدتهم.

النَّاسِ ﴿[آل عمران: ١١٢]﴾، وما يزالون في تماديهم وغيهم وخبثهم كصبي مدلل يفعل ما يشاء، وهنا من يقيم له أعداراً ويدافع عنه فيأخذ ما في جيوب الناس ويدوس كرامتهم، ووليه يقول: دعوه يفعل ما يشاء، وعدم من تقهر هذا الولي الخاطيء ويوقفه عند حده راغماً، ويعرفه بالقوة خطأه، وهي التي تكفل الحقوق إذا لم يفد حسن التفاهم، ولم يملك المسلمون سوى رفع أيديهم إلى السماء، ولم يكلمهم الله عز وجل إلى ذلك، بل قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وهذه القوة على حسب قوة الزمان، فإن كانت في زمن الرسول من رباط الخيل والأقواس والسيوف والسهام، فهي اليوم من الدبابات والطائرات القاذفة والقنابل الصاروخية والمدافع الثقيلة بعيدة المدى، والرشاشات والعبوات الناسفة، والقنابل المدمرة والمحركة، ولكنه مع الأسف إن نجد أعداء الشريعة متفوقين في صناعتها وإيجادها بالملايين ومئات الألوف والمسلمين منشغلين بالبذخ ورفع العمائر ولبس الكسوة الفاخرة، وما كان الكلاب أكلت عجينهم، ويرفعهم الموج تارةً ويخفضهم أخرى، وهم يقولون: هذا وابل ممطر، ربنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا واغفر لنا، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، نسأل الله تعالى أن يلم شمل المسلمين ويجمعهم على الهدى وأن يجعل لهم جيشاً مشتركاً فيما بينهم، لا يقل عدده عن عشرة ملايين، زدودوا بجميع أنواع الأسلحة الحديثة، ويحملة رجال من صفوتهم المخلصين يدافعون به عن كيان الإسلام والمسلمين ويحوطون به عن سياج الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه ونعم المستعان.

وفيهما في خامس من شهر رمضان قام شاب متهور عمره في ١٦ سنة، فأخذ مفاتيح سيارة أخيه وركبها وخرج بها ليفتح في ظلام الليل بمدينة بريدة، ولما أن سار بسرعة جنونية أصاب طفلة تبلغ من العمر ثلاثة سنوات إلى جانبها متعلق بقدم السيارة، ولم يشعر به المراهق المتهور حتى سار مسافة طويلة تسحبه السيارة وهو فار فراراً شديداً من جنايته الأولى، حتى أخبر بما يسحب بالسيارة فوق ضحية هذا الشقي طفل وطفلة أبرياء حال كونهما

ومن العجائب ما نشرته جريدة الجزيرة في عددها ٦٤٣٧ في ١٩ شوال من هذه السنة قولها: «حكومة شامير تدرس شن ضربة عسكرية إجهاضية خلال قمة بغداد المقبلة» من أن الظروف والأحوال مساعدة لليهود بحيث تمكنوا في هذه الفترة القصيرة أن يؤسسوا دولة سموها إسرائيل، وكانت جميع الحروب الدائرة بينها وبين العرب في صالحها، كما أن من العجائب تمكن الله لها وخدمتهم الأيام والليالي بحيث لم يظهر من حينها عرفوا لظهورهم في آخر القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الخامس عشر إلى آخر هذه السنة، وما زالوا يتقدمون حتى كانوا كأكبر دولة في الشرق الأوسط رغم قلتهم، وذلك بمساندة أمريكا وبذاتها الإعانات والأسلحة والذخيرة لها من دون حساب، وأمدتها بقوات مادية ومعنوية وحشية، وبما أن فرنسا وبريطانيا قد جدتا في تمكينها وتقويتها فليست بحاجة إليهما لما كانت عليه من إنشاء المصانع والتعميرات، وإيجاد الأسلحة والذخيرة، وتوفير الزراعة والأشياء التي كلما همّ العرب في إخراجها من بين أظهرهم يزيد تمكنهم وظهورهم، وكثرة عددهم، وهجرة إخوانهم من اليهود إليهم، ولقد جدّ العرب والمسلمون بما يستطيعونه في حربهم مادياً وعسكرياً وقولياً وفعلياً، ودعاء المسلمين عليهم فوق رؤوس المنابر في خطب الجمعة والجماع فوق المنصات بأن يقطع الله دابرهم ويمزقهم كل ممزق، ويدمرهم تدميراً أجمعين أكتعين أبقعين أبصعين مما كأنهم في ذلك لا يدعون لهم بالنصر والغلبة، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وكلما وقعت الحرب بينهم وبين العرب فإنها تنتهي بصالحهم حتى انتهوا أراضي فلسطين بأجمعها واستولوا عليها، وزحفوا إلى سيناء، ويخططون للاستيلاء على النيل والفرات، وسائر الجزيرة العربية، واندفعوا بهمجيتهم إلى أن جعلوا يستهترون بدين الإسلام، ويسبّون الرسول محمد ﷺ بقولهم: «هات المشمش والتفاح، دين محمد قد راح راح راح، محمد مات مات ولم يخلف سوى بنات» إلى غير ذلك من الكفر والمكابرة، وعدم المبالاة من أحد كائناً من كان، وذلك بتأييد أمريكا لهم التي ذكر الله تعالى حالتها بقوله: ﴿صُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ إِنَّ مَا تُفْعَلُونَ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنْ

أمام مسكن والدها يسيران إلى إحدى البقالات، وخسرهما أهلها نتيجة طيش هذا الشقي العابث، مما يندي له الجبين ويأسف له كل من سمع بهذه الحادثة، وكانت الطفلة اسمها نوف وأخوها عبدالرحمن الذي سحبه السيارة ألف متر ولم يشعر السائق المراهق الجاني، أحسن الله عزاء ذويهما وجبر مصابهما، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا ريب إن جعل الحبل على الغارب بشأن الشباب الطائش الذي أهمل أولياء أمورهم تتبع حركاتهم وسكناتهم نتيجة تكون هكذا.

وفيها في ٢٥ / ١٠ أصيب جنوب السودان بزلزلة وهزة أرضيه، وكان ذلك في صباح هذا اليوم، غير أننا لم نتوصل عن طريق الضبط والتحقيق عما نتج عنها. وفي هذه السنة أكدت إيران أنها ستبعث مائة ألف حاج وخمسين ألفاً إلى السعودية ما نفعت عن أن يحج زيادة في الأعداد المقررة فلا تسمح إلا بعدد قدره خمسة وأربعون ألفاً مما منعت إيران من الحج هذا العام لشعبها حتى تنزل السعودية على أمرها، وكان جلّ قصدهم بهذه التحكّيمات إيجاد القلائل والزعازع والفتن، غير أن الحكومة السعودية كانت متنبهة لذلك، وشاهد ذلك ما جرى منها في السنين الماضية.

ولما أن كان في يوم الأحد ٢٥ شوال من هذه السنة جرت مجزرة عظيمة في فلسطين بين جنود الاحتلال اليهود وبين شباب فلسطين الذين قاموا بتلك الانتفاضة، سقط من الفلسطينيين ١٤ قتيل وجرح مئات بينهم، وأشبعت هذه مجزرة دير ياسين، بل أعادت ذكرها، وسقط أولئك القتلى مخرجين بدمائهم، ولا غرابة في أن برزا الفلسطينيون بهذه النكبة إذا كانوا يقاتلون بالحجارة والعدو يقاتل بالأسلحة الحديث، بالرشاشات والبنادق، وكان الرئيس ياسر عرفات يدعو لفرض عقوبات دولية ويؤكد المجزرة لن توقف الانتفاضة، وأعلنت زعامات الأرض المحتلة الإضراب ثلاثة أيام سوداء احتجاجاً على الدموية الفاشية الإسرائيلية، فيما ناشدت فلسطين دول العالم التدخل لحماية مواطنيها من مذابح العدو، ونزل

الآلاف من الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين إلى الشوارع يلوحون بالأعلام السوداء ويكبرون الله أكبر الله أكبر، في تحدٍ صريح وقوي لأوامر حظر التجول ووجود قوات الاحتلال في الشوارع وما أسفر عنه من اشتباكات واسعة النطاق، وقد أبدت مصر أسفها الشديد لذلك، وبما أنه لا يقام وزن لما جرى سابقاً من أعمال اليهود فإن هذه ستذهب أدراج الرياح كأخواتها كما أن مجلس الأمن الذي كان الأولي أن يسمى مجلس الخوف يتولى تصريفه وإدارته وأعماله أمريكا مؤيدة اليهود، أو هي اليهود فإنه لا يرجى منه نتيجة ولا صلاح ولا إصلاح.

ومنها في رابع ذي القعدة عقد مؤتمر قمة بين العرب في حكومة العراق حضره رؤساء العرب وملوك العرب، حضره الرئيس حسني مبارك والحسن ملك المغرب، ورؤساء دول الخليج، وحسين بن طلال ملك الأردن، وياسر عرفات رئيس الدولة الفلسطينية، وجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، وصدام حسين رئيس الجمهورية العراقية، وكان المقصود من هذا المؤتمر تداول النظر فيما تبنته اليهود للعرب وخصوصاً مسألة الشرق الأوسط فلسطين المحتلة ولبنان الجريح، وتهديدات اليهود للعراق، وحضر عن الكويت الأمير جابر، وعن قطر خليفة الحمد، وعن البحرين عيسى بن سلمان بن خليفة، وزايد بن سلطان بن نهيان، والسلطان قابوس، وكان هذا المؤتمر من أعظم المؤتمرات، وقد طلب الأعضاء تمديده ليوم واحد وذلك يوم الثلاثاء ١١/٥، كما قد حضره معمر القذافي وخطب خطبة تليق بالموضوع، وهي تدل بمفهومها على أنه يجب الاهتمام بالخطر المحدق بالعرب والمسلمين.

محطة القطار

لما كان في يوم الأربعاء ١١/٦/١٤١٠ هـ افتتح أمير الرياض محطة القطار في الرياض بالنيابة عن خادم الحرمين وملك البلاد بحيث بلغت تكاليف ذلك العمل من الدمام إلى الهفوف إلى الرياض بمبلغ مائتين مليون وخمسة ملايين، وكان موضع

المحطة بالرياض قد بلغ ١٢٠٠٠٠ متر مربع، ولقد قام الرئيس العام لسكة الحديد معرباً عن شكره وتقديره لصاحب السمو الملكي سلمان بن عبدالعزيز بافتتاح هذه المحطة الجديدة، والتي تعتبر من أجمل المحطات في الشرق الأوسط، وكان الرئيس فيصل الشهيد قد قام بأعباء هذا العمل، وإن المؤسسات العامة للخطوط الحديدية السعودية قد خطت خطوات هامة ووصلت إلى مرحلة كبيرة من مراحل التطور، حيث أنها مجهزة بكافة الخدمات المريحة للمواطنين، وكان ابتداء العمل منذ أربع سنوات بسرعة فائقة، وكانت العربات الجديدة بعد إنشاء هذا الخط الجديد، وقد اشترت المؤسسة عشر قاطرات من نوع جنرال موتورز الأمريكية والتي تسير بطاقة ١٥٠ كيلو متر في الساعة، كما اشترت المؤسسة ٢٠ عربة ركاب من فرنسا، و٢٠ عربة ركاب أخرى من ألمانيا الغربية لخدمة الخط الجديد تكلف شرائها بمائة مليون وثلاثة ملايين وثمانمائة ألف ريال، إضافةً إلى عربات أخرى.

وفيها في برج الجوزاء أصيبت النخيل بأن تساقطت ثمرتها بشيء لم يعهد مثلها قبل ذلك، نسأل الله اللطف، وهذا من الأمراض التي تصيب الشمار بالنقص كما ذكره الحافظ ابن القيم رحمه الله أن من آثار الذنوب والمعاصي ونوع مثل ذلك.

ومن توفى فيها من الأعيان مدير مالية مدينة بريدة سابقاً ولاء الملك عبدالعزيز هذه الإدارة عام ١٣٥٧هـ فقام بعمله خير قيام، وكان موضع التقدير من أمته، ولبث في هذه الوظيفة قرابة خمس وثلاثين سنة حتى كبر فطلب الإعفاء، وكان من الوجهاء وذوي الجاه ويسكن في نخيلة الكائنة بناحية خضيراء شرقاً عن مدينة بريدة، وكن قد أسن وأرهقته الشيخوخة لأنه تجاوز التسعين من العمر، وأحدث وفاته رنة أسف ورفعت التعازي إلى ذويه وأقربائه، ألا وهو حمد بن عبدالمحسن التويجري، وكانت وفاته في غرة شهر ذي القعدة غفر الله له.

ومن توفى فيها في سادس شهر صفر إمام جامع حميدان في بريدة الشاب الناسك عبدالمحسن آل عبيد، كانت وفاته بأسباب حادث سيارة في طريق الرياض رحمه الله وعفا عنه، وكان باراً وعليه سيماء العبادة، يجب أولياء الله

ويعادي أعداءه، وله اجتهاد في الحج وفي شهر رمضان ولا سيما في ليالي ختم القرآن، ومدرساً في العلوم الدينية في مدرسة تحفيظ القرآن في بريدة، وله ديوان خطب في المناسبات قد طبع، ونرجو له القبول والغفران، كان في عنفوان الشباب، جميلاً حسن الصورة، تام الخلقة، أبيض مشرباً بحمرة، كانت وفاته عن عمر يناهز ٤٣ عاماً.

ومن توفى فيها عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن زعاق، ولد عام ١٣٣٨هـ، كان من طلاب العلم، وله ميل إلى التقشف وإن كان واجداً لأنه ثري، درس على المؤدب صالح بن محمد الصقعي، أدخله والده في مدرسته، وبعدما تعلم القراءة والكتابة أخذ يطلب العلم في فترات على الشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ عبدالعزيز العبادي وإن كان لم يدرك، كما أدرك زملائه، وأخذ عن الشيخ محمد بن صالح المطوع، وأخذ في الدراسة علينا كجملة تلامذتنا، وأخذ على الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، وتعلم من الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، ولكنه لاشتغاله في طلب المعيشة في الرياض وغيرها في وقت لم يكن للطلاب مساعدات، كان يسعى فيما يؤمن معيشته، ثم إنه أخذ في التدريس في مدارس الحكومة، ثم نال إدارة مدرسة البدائع ثم إدارة مدرسة الرس الابتدائية، ثم في مدرسة روضة الربيعي، ثم نقل إلى مدرسة تحفيظ القرآن ببريدة مديراً لها، ثم كان مدرساً في مدرسة طارق بن زياد في بريدة، فلبث قرابة اثنتين وأربعين سنة حتى أقعده المرض، ومن خصاله أنه متمسك في العقيدة يطمس التصاوير وعليه آثار الديانة، مع دهاء يعيش به في الناس، وله حظ في الوعظ والإرشاد من جملة الذين يتخولون في القرى مجامع الناس هناك، كما أن له حظاً من قيام الليل، وله أخوة من أبيه كان أبرزهم، ويكثر من الحج والعمرة، فقلما يتخلف عن الحج قرابة خمس وثلاثين سنة حجة، ثم أصيب بمرض قلبي قبل وفاته بسنة حتى قضى عليه ذلك في هذه السنة، غفر الله له وتغمده برحمته وخلف نسلاً كثيراً من ذكور وإناث، ولازم إمامة مسجد في خبيب بريدة يدرس فيه على حسب اجتهاده وقوته، والطلاب تذكره.

قد ذكرنا عقد مؤتمر القمة في بغداد وأنه قد نال موضع الإعجاب من رؤساء العرب وملوكهم في حسن المفاوضات والتشاور فيما بينهم ولا سيما موقف الرئيس العراقي صدام حسين الذي أطلق عليه فارس العرب، وخطبة الرئيس معمر القذافي رئيس جمهورية ليبيا التي نالت الاستحسان، ولكن الأعمال الفوضوية في فلسطين ولبنان حال المؤتمر وبعده لا تزال مستمرة في تعقيدها، ولم يتغير الموقف عما هو عليه قبل ذلك، وقد تأثرت بريطانيا من حالة إسرائيل بحيث لم يضع حداً لتخطيطاتها التوسعية وأعمالها الإجرامية، بحيث كانت أمريكا تمدّها بالمليارات لإنشاء مستوطنات لليهود ضد أهالي فلسطين، مما كان حجر في طريق السلام، ولا تزال الاشتباكات مستمرة بين جيش عون وجيش لبنان، ولم يكن هنا أمل في وقف القتال والتناحر في فلسطين، ولم تغير إسرائيل موقفها ضد العرب، وزاد الطين بلة أعمال أمريكا وتشجيعها لليهود في سوء تصرفاتهم، وكان معمر القذافي قد قال كلمته السابقة التي هي عين الحقيقة بحيث قال قبل هذه السنة بسنتين أنه لا يمكن تصور رحيل إسرائيل من فلسطين، بحيث تضع أثاثها على رؤوسها وترحل من دون قتال، وبهذا أصبحت مشكلة الشرق الأوسط تتطور، وقد كانت الأمة ترغب أن يكون حلها عن طريقة سلمية إن وفقت لذلك، ولكن أنى وهيهات، ومن تذوق الانتصارات فإنه لا يميل إلى الصلح، ومن حكم الشاعر ما قدمنا في سنة ١٤٠٩هـ، وإن من الشعر لحكمة، نسأل الله تعالى أن يصلح أمور المسلمين وأن يرد كيد أعدائهم حتى يرجعوا بالصفقة الخاسرة.

قتل مجرم

يسعى في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين، والتشهير به لما كان في يوم الجمعة الموافق ١٥ ذي القعدة ١٤١٠هـ، أعدم بعد صلاة الجمعة رشاش بن سيف العتيبي بضرب عنقه وصلبه ثلاثة أيام، لقد ألقي القبض على هذا الجاني بعد ساعات، بعد أن عاث في الأرض فساداً يقتل المسلمين وينهب أموالهم، وأخاف الأمنين، وأصبح خطراً على الأمن، فبتوفيق من الله تعالى ألقي القبض عليه في

جنوبي المملكة، فأقر بجميع جناياته التي منها: إطلاقه النار على دورية لمكافحة المخدرات مما أدى إلى استشهاد أحدهم ليلة ١٤٠٨/١/٢١، ومنها اعتراض عدد من أصحاب السيارات وتهديدهم بالسلاح وسلب ما معهم ليلة ١٤١٠/٢/١٧هـ، ومنه إطلاقه النار على مواطن من العتبان، ومنها إقرارات منه بأنه أطلق النار على مواطنين آخرين، ومنها السطو المسلح على محل تجاري واستيلائه على ما فيه، ومنها استيلائه على سيارة جيب إلى غير ذلك مما يندي له الجبين، وهو خامس أفراد عصابة قتل منهم ثلاثة وقتل الرابع أثناء مقاومته لرجال الأمن، وهذه العصابة قطعوا الطريق وسلبوا وانهبوا، وروجوا المخدرات، ونهبوا المواطنين والمقيمين بالسطو على ممتلكاتهم ومقاومتهم رجال الأمن بقوة السلاح، وكان هذا المجرم رشاش من أعظمهم جهاراً ومكابرةً، وقد اعترف بجرائمه كلها أمام المحكمة الشرعية، نسأل الله العافية، وإن مما يبعث الأسى في القلوب، ويهدم المجتمع ويؤذن بالفوضى مثل هؤلاء الجناة، يعيشون في الأرض فساداً، وعدم مساعدة الشعب للحكومة في ردع أمثال هؤلاء، وكان بتوفيق من الله تعالى وسعي من وزارة الداخلية، وتشجيع رجال الأمن أن يقطع دابر هؤلاء المفسدين الذين تقدم بعض إخافتهم للأمة، وتعرض المسافرين للتهديد والقتل والنهب والسلب، ونشأ عن القبض عليهم وإعدامهم الأمن والطمأنينة.

وفيهما في ذي القعدة وفاة عيد بن سالم وزير الملك السابق سعود بن عبدالعزيز، كان موضع الثقة من الملك سعود، وفي أيامه الماضية وقد يكون من أعلى أعماله في الدولة، ويختصه ويقربه، وفي العام يتقدم أبناؤه بنعيه وينشرون شكرهم لكل من أساهم بتعزيتهم به شفهاً أو برقياً أو تلفونياً، رحمة الله على أموات المسلمين، ومن تقدم بالتعزية والمواساة الملك فهد بن عبدالعزيز وإخوانه جزاهم الله خيراً.

وفي شوال وذي القعدة من هذه السنة جعلت تتوافد قوافل حجاج بيت الله الحرام على مكة المكرمة والمدينة المنورة بأمن وطمأنينة بعد تولي من الحكومة السعودية، كما أن الحكومة جادة في جلب وسائل الراحة للحجاج والمعتمرين في

جعل دورات مياه في المشاعر وأنوار كهربائية، وتوفير أرزاق وفواكه وثلوج، وغير ذلك بما يعود بالمصلحة على الحجاج والمسلمين.

إن بطش ربك لشديد

زلزال شديد يصيب إيران عام ١٤١٠هـ، ففي صباح اليوم ٢٨ من ذي القعدة الموافق ليوم الخميس أصيب شمال غربي إيران بزلزال كانت ضحاياه ثلاثين ألف قتيل ومائة ألف جريح، لذلك قام رجال الإنقاذ هناك بانتشال جثث القتلى، وحدث لذلك انزعاج في إيران وبعثوا يطلبون الإغاثة من جميع المسلمين، وكانت الضربة قاسية جداً بحيث شرد مئات الآلاف، أذاعت بذلك الحكومة الإيرانية وذكرت أن ٢٥٢٤١ قتيلاً من إقليم جيلان، و٣٧٠٩ من إقليم زانجان وكلهم لقوا حتفهم من جراء تلك الحادثة التي تعد أعظم زلزال يكون، مدوا أيديهم يطلبون التبرعات ما عدا إسرائيل، وسبب ذلك الزلزال فوادح من تهديم المنازل والإرجاف بالسكان وإلقاء الرعب في قلوبهم، وكان ذلك الزلزال لم ينته بصورة نهائية، وأصيبت به إيران، وقد يكون مثل هذا من آثار الذنوب والمعاصي التي تجري، ولم يغفل الله عنها.

زلزال وهزات أخرى تصيب إيران

لما كان في اليوم ١٢ / ١ أصيبت إيران أيضاً بزلزال عنيف في أذربيجان وغيرها، تكسرت منها الجبال وتهدمت الأرض من شدته وقوته، وألقيت البيوت مساوية للأرض، وتعطلت حركة الطرق، وهز الزلزال عاصمة غيلان، وما زالت جثث القتلى تنتشل حتى عجز المنقذون، وكلما وقفوا في جهة تقطعت الأرض من أسفلهم حتى عجزوا عن دفنهم فرادى ودفنوا جماعياً، ومن جهة أخرى فقد راحت جيف القتلى وخشوا من تسرب الأمراض بينهم، وقد كان يتزايد عدد القتلى في الدقيقة والثانية، فأصبحت إيران المنكوبة بحالة يرثى لها، بحيث أنه لم يمر في سالف الأيام وفيما مضى زلزال إيران أعظم من هذا الزلزال حتى بلغ في آخر يوم الاثنين

الموافق ٣ ذي الحجة عدد القتلى ثمانين ألف قتيل وثلاثمائة وخمسين ألف جريح، ومسحت البيوت على ظهر الأرض، وخرت الجبال وتكسرت من عظمة الزلزال، وشرد ثمانمائة ألف من السكان غير مواقع الهلكة، وتنجرف المياه أنهاراً على ظهر الأرض، وانقطعت المواصلات وتيارات الكهرباء، وكان حجم الخسائر البشرية والمادية من مائة وعشرين قرية انمحت عن آخرها ضخماً جداً إلى درجة أن الحكومة بقواتها تبذل قصارى جهودها ولا تستطيع أن تفعل الشيء الذي يكفل إنقاذ المصابين ومساعدة الناجين، ودعا المسؤول الإيراني جميع المواطنين في البلاد إلى التطوع لإنقاذ الجرحى، وكان من بين تلك القرى من عمهم الدمار، ولم ينج واحد منهم، وكانت الضربات تهز الإقليم وتدمر على التوالي شيئاً فشيئاً، وتداركت الزلازل وعم الخطر والهول، حتى كانت الأرض كالبحيم ولا يستطيع الدنو من مواضع الدمار أحد من الذين هبوا عن بكرة أبيهم للعلاج من الورطة.

وفيها وفاة الأمير محمد بن تركي، كان من الأسرة السعودية رحمه الله وعفا عنه فرفعت التعازي إلى الملك فهد وولي العهد ووزير الدفاع، وإلى أبنائه وعائلته.

وفيها وفاة علي بن إبراهيم بن علي الرشودي مدير عام المجاهدين، كان من جملة الذين درسوا علينا وأسرتهم آل علي، كما أن الفخذ الثاني ينتسبون إلى صالح، كان أبوه من زعماء مدينة بريدة، وعمه رئيس علماء القصيم فهد بن علي الرشودي، ويمتاز المتوفى بالعقل والكرم، وقد تولى سابقاً وكالة إمارة بريدة، ثم كان رئيساً في البلديات رحمه الله وعفا عنه، وكان أديباً مأمون الشر متزناً، فرفعت التعازي إلى ذويه وأقربائه، وكانت في أوائل شهر ذي الحجة من هذه السنة.

وفيها في موسم الحج يوم عرفة أصيبت بعض خيام الحجاج في منى والحجاج في الوقوف بحريقة، واستطاعت الحكومة أن تقضي عليها قبل سريان النار، وعرضت الحكومة في الحال خياماً سواها.

وفيها في موسم الحج أيضاً يوم عيد النحر وقع ارتباك شديد بين المارة في النفق المعروف بنفق المعيصم بمنى، وحارت الآراء حول أسباب ذلك، ولم تتكشف الأمور

إلى بعد ذلك، وقد عاقب الله من دبر هذه المكيدة بعقاب أليم، كما أنه قتل بعض مدبريه، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ تَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وقامت سيارات الإسعاف تنقل المصابين إلى المستشفيات والمستوصفات، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد تأثرت الجهات المسؤولة عن ترتيب الحجاج وعلى رأسهم الملك فهد وولي عهده ووزير الداخلية، وكان هذا في منتصف النهار من يوم العيد.

تنبيه: قد ذكرنا فيما تقدم ما أصيبت به إيران من الزلازل العظيمة، وقد استمرت تلك الزلازل بحيث بلغت إلى يوم عيد الأضحى خمسمائة هزة، والله على كل شيء قدير، وارتفع عدد القتلى إلى مائة ألف قتيل وخمسين ألفاً، ولما عجز الأخصائيون عن ضبط العدد لضرورة الدفن الجماعي لم يتمكنوا من التوصل إلى الغرض المقصود الذي استهدفت له إيران، وكنت أظن أن الله عز وجل قد غار لحرمه الشريف وللأماكن المقدسة التي قال تعالى عنها: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ تَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، لما وقع من جهال إيران عليها، وقد قام المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يبعثون المساعدات التقليدية إلى إيران، ومن بعث إليهم المساعدات الحكومية السعودية، فقد بلغت اثنتين وأربعين طائرة تحمل الأدوية والمساعدات، كما أن حكومة العراق لم يمنعها معاملة الإيرانيين لهم عن أن يبعثوا إليهم المساعدات، وبالرغم من المساعدات التي بعثتها الحكومة السعودية التي بذلت من غير عدد ولا حساب فإنها لا تزال في غيها وشرها، وما تقوم به المسبة والمهاجمات التي ملأت الفضاء بها انتقاصاً وازدراءً للحكومة السعودية، وفي كلام الحكمة الذي ينبغي إثباته قول المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

تنبيه: قد أشرنا إلى الكارثة التي أصيبت بها قسم من حجاج بين الله الحرام، وهي حادثة عيد الأضحى في هذه السنة، وذلك في نفق المعيصم الواقع حوالي

الحرم، فلقد أصيب حجاج بيت الله الحرام، وذلك في الساعة الرابعة غروبى من ضحى اليوم المذكور، وكانت الأزمة شديدة لم يعلم المشرفون ما سببها، فقد قيل أنه أصاب مراوح الشفط في ذلك النفق شوط كهربائي تأثرت له المراوح وفرت الخلائق هارين من دون نظام، واصطدم الواردون بالصادرين مما سبب تلك الورطة التي شوشت على المارة فسقط أناس كانوا السبب في تضخم الواقعة فولى الناس هارين لا يلوي أحد على أحد، ووطأ بعضهم بعضاً مما أسفر عن مأساة شنيعة، وأصبح جزء كبير قد سقطوا هلكى، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان قد عم الهلاك من وجد فيه من أجنب وأهالي، وجاءت التعازي من كل صوب ومن كل جهة من رؤساء الدول وملوكها إلى الملك وولي العهد وإلى الشعب السعودي يواسونهم في هذا المصاب الذي لم يعهد وقوعه منذ زمن بعيد، وقد أصيب الحجاج بضربة من الشمس في أحد أيام منى عامة ١٣٧٠هـ ولكنها بسيطة إلى هذه، وكان أكثر من فقد عدد كثير من حجاج تركيا وإندونيسيا، وقد بقيت جثث القتلى في الثلاثجات إذا أحب أهلهم أن يتولوا دفنهم، وفي هذه الآونة أي بعد موسم الحج أذاعت الإذاعات عما ارتكبه حكومة إيران من قتل تسعين ألفاً من شعبها بعد مقاسات أنواع العذاب، والأشياء التي لا يمكن تصويرها، وسجن مائة ألف وأربعين ألفاً لوقاحة وسوء تصرف من تلك الحكومة.

وفيها في ١٢/٢٢ قام الرئيس السوري حافظ الأسد بزيارة رسمية لمصر وكانت هذه الزيارة لأول مرة في نشر الصلات والمودة بين الحكومتين، واستبشرت الأهالي وجميع العرب بذلك مما كان له صدى المحبة والوثام، وقد استقبل في شعب مصر استقبالاً لا يليق إلا برئيس عربي، وقامت الألوف بالتصفيق والترحيب له، ويعتبر الأسد من أكبر رؤساء العرب، نسال الله له الهداية، هذا ولا تزال الأمة الإسلامية والعربية والعجم في نزاع واختلاف، كما أن روسيا لا تزال تكابد مشاكل وتعاني أموراً تتعلق بالمنشقين هناك.

كوارث في الفلبين

لما كان في فجر اليوم ٢١ من ذي الحجة أصيبت الفلبين بستة انفجارات اهتزت لها العاصمة مانيلا، وهزت الأبواب الأمامية لوزارة التعليم، وألحقت أضراراً بعدة سيارات متوقفة، وبمكاتب شركة الخطوط الجوية الصينية ووكالة أفيس لتأجير السيارات في وسط مانيلا، ثم أعقب ذلك زلازل أسفرت عن إصابات في النفوس والمنازل، وعدة كوارث في الثلاثة الأيام التي بعدها، وفي يوم الثلاثاء ٢٥ من ذي الحجة أصيبت الفلبين أيضاً بزلزال شديد اهتزت له العاصمة مانيلا، وهلك بسببه ألف قتيل، وعجزت فرق الإنقاذ عن انتشارال الجثث، ووقعت خسائر في الأموال، وتهدمت البيوت وأصيبت الفلبين بأنفسهم وبيوتهم وأموالهم فسبحان الله المتصرف في خلقه على وفق مراده.

وفي هذه السنة اشتدت وطأة النزاع بين العرب واليهود الصهاينة بحيث أن العرب كانوا ينتظرون بفارغ الصبر جلاء اليهود عن فلسطين لأن فلسطين بلاد عربية لأهلها العرب، إذا قد سمح ليهود روسيا السوفيتية بالهجرة إلى فلسطين، وتدفقت أعداد الألوف مهاجرين من روسيا إلى فلسطين والضفة الغربية، وقد طردوا أهالي فلسطين العرب عن أماكنهم وأجلسوا فيها اليهود المهاجرين، مما كان لذلك أسوأ وقع وأجلّ مصيبة، ولم تثمر المفاوضات، ولم تفد الشكايا التي تبعث من رئيس المنظمة الفلسطينية ومن الأهالي شيئاً، بل كانت صرخة في وادي خلى من البشر، وإذا كانت أمريكا مؤيدة لهذه الهجرة ولم يحدث منها أي ممانعة، لذلك فقد حصل اليهود على ما يريدون، واتسع الخرق على الراقع وخابت الآمال، ولم يحصل العرب على نتيجة تضمن لهم السلام، وأصبحت مسألة الشرق الأوسط ومشكلته تتطور، وبما أن العرب يعلقون آمالهم بأمريكا لأن زمام اليهود بأيديهم، وطريقة الحل عن طريق السلام يملكونها فقد خاب فيهم الظن، لأن كل رئيس من رؤسائها يمثل الذي قبله في الحفاظ على اليهود والدفاع عنهم، وبذل ما يستطيع من

تمكينهم في فلسطين، ولا ريب أنها خائنة في معاملتهم للعرب تلك المعاملة، وما أصيب العرب والمسلمون هناك، بل في كل مكان، وأعظم من هذه المصيبة قيام الصهاينة باعتقال أبناء العرب وسجنهم وتعذيبهم بضرب رؤوسهم بالحجارة وتهشيم جماجمهم وهم أحياء، وتهديم منازلهم وتشريدهم عنها وتقاعسهم عن علاج جراحهم في المستشفيات، وقد أوتي ببقية اليهود فجعلوا في مساكنهم وأجلسوا فيها، ولم يقم مجلس الأمن بما يسند إليه بل كان لا يعرف إلا اسمه، وما يؤسف له إذاعة الملك حسين بن طلال ملك عمان والأردن أنه يتوقع وصول مليون مهاجر من يهود السوفيات خلال ثمانية عشر شهراً، ويقول: الحرب قد تندلع بسبب تزايد الهجرة إلى فلسطين، كما أن مما يؤسف له إصابة ٣٢ فلسطينياً بجروح وكسور، وتهدم قوات اليهود سبعة منازل في مدينة طولكرم وحلحول في ظرف يومين، واعتقلت ٣٧ فلسطينياً، ولا ريب أنه لا يفل الحديد إلا الحديد، والعدول إلى القوة تستدعي ثلاثة أمور:

إحداها: الاستعداد بالقوة كما أمر الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وهي اليوم الطائرات والدبابات والذخيرة، وهي القنابل الصاروخية وسائر القنابل على اختلاف أنواعها، والعبوات الناسفة والمدافع الثقيلة على دعائه لا أمل ولا أكثر بل حثنا على اتخاذ الحيلة بقوله: ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ ثم ثنى مرة أخرى بقوله: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ حتى قال بعض العلماء: لو قيل لوجوبه لكان وجيهاً، ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغَفَّلُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

الأمر الثاني: التوكل على الله وطلب النصر منه، ومحاسبة النفوس عن العوائق التي تحول بين المسلمين وبين النصر، لأن النصر ينزل من عند الله تعالى.

الأمر الثالث: ما ذكره الله بقوله: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنَفْسُكُمْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُكُمْ﴾

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقد حث تبارك وتعالى على الثبات وذكره تعالى في الاجتماع وتوحيد الصفوف، والتكاتف والتعاقد يحصل للمقصود وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُومٍ﴾ ﴿٤٧﴾ [الصف: ٤]، وما حصل من الانهزام والفشل إلا بتفرق الكلمة والتنازع والتخاذل وإحداث نيات لا يرضاها الله ولا رسوله، ولو أن العرب صدقوا الجملة ووقفوا صفّاً واحداً متماسكين متكاتفين لهزموا من أمامهم، وسيجمع الله كلمتهم إن شاء، وتحسن نيتهم ويزول الشقاق فيما بينهم، وليعلم أن الذي أخرّ العرب وحصد شوكتهم وأوقع الوهن في قلوبهم والرعب، ونزع هيبتهم من صدور أعدائهم هو ما ذكرنا، فلا قلة غلبوا وذلك ما أخبر به الرسول ﷺ، فكيف ينتصروا وأوقع الله العداوة فيما بينهم، وتشتت شملهم، وأصبح غالبهم يتناحرون فيما بينهم، وشغلهم الله بأنفسهم، وأصبحت الأمم الأخرى يشمتون بهم، فهذه إيران والعراق يتقاتلون، وهذه لبنان انشقت انشقاقاً، واثارت المواضع فيها أحزاباً يتقاتلون، يكون بحيث لم يجر فيها ذلك النزاع من قديم الدهر ولا حديثه، فسمير جعجع يقاتل عوناً وحزب أمل يقاتل حزب الله الذي سمى نفسه بذلك، وهو التابع لإيران، كما أن الأول تابع لحكومة سوريا، وأصبحت لبنان مسرحاً للقتال والزعازع، وعجزت الأمة عن تسكين تلك الثوائر، كما أن اليهود استولوا على جنوب لبنان وأصبحوا يتقاتلون مع الأهالي والفلسطينيين، وفي ذلك عبرة لمن يخشى، ولم تجر تلك المذابح في قديم الدهر ولا حديثه، ويمكن أنه لو سكنت تلك الفتنة والحزن لما عاد لبنان على وضعه إلى بعد مضي عشرين سنة، أما عن فلسطين وما أصيبت به من الهلاك والدمار فقد التهمت أراضيها ثاراً وعذاباً بين اليهود وشباب فلسطين، وكانت اليهود تستخدم عليهم الأسلحة النارية، ولم تتورع عن قتل النساء والأطفال الذين لا ذنب لهم، وقامت بهدم المنازل وتشريد السكان، وتطردهم عن مساكنهم كما قدمنا، ولم ترع كبير ولا صغير، وآخر شيء أن

أجلوهم عن الشام جملةً إلا من شاء الله كما جرى في إخراجهم من لبنان إلى المغرب، وإن كان بالإمكان أن يربوا بأنفسهم عن تلك الأعمال الوحشية التي استهدفت لها الأطفال والنساء والعجزة، كما أن هدم بيوت الفلسطينيين وطردهم منها أمر تشمئز منه القلوب، وتنكره الفطر السليمة والعقول المستقيمة، ويقابلهم شباب فلسطين البؤساء الذين لا يملكون من السلاح سوى الحجارة والزجاجات الحارقة، وإشعال إطارات السيارات في طرق اليهود، ثم يقابلهم اليهود مما لديهم من الأسلحة النارية مما بين قتيل وبين جريح وهم وإن كانوا بهذا الوضع ويخسرون يومياً قتلى وجرحى، فهم يواصلون أعمالهم بنشاط وقوة عزيمة، وكانوا يعذبون شباب هذه الانتفاضة بأنواع التعذيب تارةً بضرب رؤوسهم وتكسير جماجمهم، وتارةً بقطع أيديهم، كل ذلك لأجل أن ينتهوا ويخضعوا للاستعمار اليهودي وتعسفاتهم، ويكفوا عن انتفاضتهم، وبما أن العرب وغير العرب اعترفوا بالدولة الفلسطينية وأنشئوا لها سفارات في ممالكهم فقد بلغ الأمر حده بالفلسطينيين إلى غاية هذه السنة العاشرة من القرن الخامس عشر وهم يكابدون مرارة الحياة، وكانت العرب تقدمهم بالمجال وتشجعهم في تحرير بلادهم وتخليصها من برائن أولئك الغزاة الذين فقدوا دينهم وإنسانيتهم، هذا الذي تستطيعه العرب وسائر المسلمين بعد جهاد مرير وحروب مع اليهود لم يستطيعوا إحراز النصر فيها، وما ينبغي أن يعلم أن العدو بهذا الوضع يستطيع أن يسحق أهالي فلسطين ويمحقهم بيوم أو بعض يوم، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها، ولكن مراعاة للمسؤولية وما تتلقاه اليهود من تعليمات من أسيادهم الأمريكيين يعاملون أهالي فلسطين بتلك المعاملة، يريدون بها أن يكونوا دائماً خاضعين لسيطرتهم، فقد بلغت مشكلة فلسطين أربعاً وخمسين سنة وهي بهذا الوضع لا تزدد إلا توتراً، وأصبح المسجد الأقصى أولى القبلتين مهدداً من أخطار اليهود، وبما أن الداعمين لليهود حكومات لا يستهان بها فأمريكا وفرنسا وبريطانيا والروس تطالع عن كثب، قد أنزلوهم بفلسطين بين العرب وفي وسط

بلاد العرب بموضع خصب طيب التربة عذب الماء وتأتيهم الإمدادات من هذه الدول، ولا سيما أمريكا التي تدفق إمداداتها بالمليارات وتزودهم بالأسلحة الحديثة ليقبوا معنوياتهم، ويثبتوا مراكزهم، فقد أصبحت دولة إسرائيل لا يستهان بها عاصمتها تل أبيب، ويفكرون بأن يجعلوا العاصمة القدس، وجعلوا يتوسعون ويخضعون كل من تحرش بهم، ويتهددون ويتوعدون بنشر سلطانهم على نيلها وفراتها، واستطاعوا أن ينشئوا معامل ومصانع للأسلحة والذخيرة، وقد شاع بين الأمة أنهم يملكون قدراً لا يستهان به من القنابل الذرية، وكان العرب ينتظرون بفارغ الصبر الفرج من الله حيث عدموا صلاح الدين الأيوبي، والمعتصم بن هارون الرشيد، ولعل الله أن يحقق النصر كما ورد في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى يتقاتل المسلمون واليهود، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود، ولن يخلف الله وعده، وما زال المسلمون بعدما مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ينادون متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب.

ذكر عجائب وغرائب من العالم

لما أن كان من الأول اليوم من شهر محرم افتتح عام ١٤٠٠ هـ شاهد الحجر الأسود والكعبة، البيت الحرام المعظمة منكراً من القول، واستبيحت حرمة مكة التي حرمها الله يوم خلق السماوات والأرض ولم يجرمها الخلق بل حرمها الخالق جل وعلى، فلا يحل سفك الدماء فيها ولا يعضد شجرها وإنما أباحها الله لثبته ساعة من النهار ثم عادت حرمتها سائر الدهر كحرمتها قبل ذلك، فقد دخل المجرم جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي وأتباعه المسجد الحرام بسلاحهم واستحلوا حرمة الله في وقت صلاة الفجر واستولوا على المكرفون ومكبر الصوت، وأخذوا يذيعون شرهم وبلائهم، وأغلقوا الأبواب، وحصروا المسلمين في المسجد الحرام، وألقوا الرعب في

قلوبهم وأخافوهم، ولم يرعوا الله حرمة ولا لرسوله ولا للكعبة المعظمة، واستهدف جميع من في المسجد الحرام للقتل لولا أن الله سلم، لأنهم كانوا يريدون رجال الحكومة، وكان أولئك الخوارج قد اتخذوا المسجد الحرام قلعة لهم يقاتلون فيه ويطلقون النار بمنة ويسرة، فأصيب جميع المحاصرين من رجال الحكومة، وتعطلت صلاة الجماعة في المسجد الحرام سبعة عشر يوماً، وبعد إطفاء هذه الفتنة والقضاء عليها بعدما أصيبت المصاحف التي لم يقل عددها عن أعداد الملايين، واتخذ أولئك الأشقياء فرش المسجد الحرام وسجاجيده متاريس لهم ينصبوها ويعاملون من خلفها، كان سوء الحظ أن خلع شاه إيران الذي كان ممسكاً بزمام أمته استولى الخميني عام ١٣٩٩هـ، وبولايته قام أهالي إيران بمفاسد كثيرة ضد السعودية في مواسم الحج يشيعون حرائق، ويكثرون صفاء جو الأمن خفية، وكانت الحكومة تطالع عن كتب وترصد حركاتهم وسكناتهم، وفي عام ١٤٠٦هـ تكشفت نواياهم السيئة وما كانوا يبيتونه من الأذى للمسلمين في مجتمعاتهم في الأماكن المقدسة، وكانت هذه هي الطريقة التي يعاملون بها الإسلام وأهله من إلقاءهم النجاسات في صحن المطاف وفي الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض بخفية، وحينما تولى آية الله الخميني كان يرسل شياطينه متذرعين بالحج وهم بخلاف ذلك، ففي السنة المذكورة ألقي القبض على حقائب يحملها حجاجهم ولا يعلمون ما فيها، يحمل في طياتها أنواع العبوات والمتفجرات بحيث إذا قدم بها أولئك كملبوسات يستلمها بعد قدومهم مكة المكرمة رجال قد كلفوا بتركيبها وتفجيرها من قبل شيطان إيران، غير أن الحكومة استطاعت القبض عليها في تلك السنة، ولو أنها استعملت لنسفت الجسور ودمرت جزءاً كبيراً من الحجاج الذين قدموا بظل الحكومة السعودية، ولكن ما بصنع هؤلاء المخربين وقد قدمنا ذلك في سني هذا التاريخ، عبث في الأمن، وأذى لحجاج بيت الله الحرام، وانتهاك حرمة الإسلام.

لما كان في موسم الحج عام ١٤٠٧هـ جرت فعلة لم تجر في قديم الدهر ولا في حديثه، ولم يفعلها اليهود ولا النصارى ولا المجوس، ولا عبدة الشمس ولا

الكواكب، ولا دهرية الشيوعيين، بحيث سطا حجاج إيران بمظاهرات عنيفة يحملون صور الخميني على رؤوسهم وصدورهم، يحملون ما استطاعوا حمله من السكاكين والمقاريض والفؤوس التي اشتروها بدعوى تكسير وتقطيع لحوم الهدى والأضاحي وهم بخلاف ذلك، وأوقعوا بالمسلمين وقعة كانت من أسوأ الوقعات، وهجموا على المسلمين والحجاج في حال ازدحامهم أمام الحجر الأسود وأمام جدر الكعبة المشرفة، وقيل أنه عثر على أناس إيرانيين يريدون هدم الكعبة، واقتحم أناس منهم يريدون فتح الكعبة بالقوة، ولكن الحكومة ردتهم خاسئين، وكان وقوع ذلك في ١٢/١٦ كما قدمنا، واقتحامهم لفتح الكعبة في ١٢/١٣، وكانت الحكومة تؤثر عدم تكشف أحوالهم، ولكن إشعال النيران أمام الحجاج، وحيلولتهم لحجاج بيت الله أثار غضب السعودية، فأبرزوا شيئاً من أعمالهم ونشروها لأعين البشر، وأمام العالم الإسلامي ولا سيما العبوات التي أرادوا تفجيرها لولا أن الله سلم، وفي المدينة المنورة فعلوا مثل ذلك وأخافوا حرم المصطفى، وروعوا أهالي المدينة المنورة وسكانها، وقد قال النبي ﷺ : «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء» رواه البخاري، وفي رواية لمسلم: «لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء»، وقال ﷺ : «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرف ولا عدل».

وفي عام ١٤٠٩هـ في موسم الحج مساء يوم الاثنين ١٢/٧ ليلة التروية انفجرت قنبلتان في الجسر أمام باب السلام من جنوب وأبواب المسجد الحرام هدتا الجسر وقتلت أفراد مما كان له أثر سيئ، وأثار العالم الإسلامي، وقد أعدم القائمون بتلك المتفجرات، وكل هذه الإفسادات التي جرت لم يعهد مثلها في قديم الدهر ولا في حديثه، ولقد كان لأثار الأنبياء والأماكن المقدسة حرمتها بين الأمة في الجاهلية والإسلام، ومما يؤسف له قتل السفير السعودي في إيران، وهو الرجل البريء الذي لم يظلم أحداً ولم يتطرق لشيء من السياسة، وقد

قدمنا ذلك بما أغنى عن إعادته هنا، وبالرغم من ذلك ونشر الفوضى والإفساد في الأماكن المقدسة تشيع إيران بعد بعثها المفسدين والمخربين، وإجراء تلك الفوضى، وتدق أبواقها وتنشر إذاعاتها بأن السعودية عجزت عن أن تؤمن الأماكن المقدسة فأصبحت هذه الأفاعيل تسعى بحيلة شيطانية، بل تعجز الشياطين عن تلك الحيل السخيفة التي يموهون بها ظلمهم كما قيل.

وكنْتُ أمرؤ من جند إبليس فارتقى... بي الحال حتى صار إبليس من جندي، والمقصود من ذلك وقوع تلك الأفعال الشنيعة في أطهر البقاع على وجه الأرض بمشيئة الله الكونية القدريّة إلا الشرعية وحصولها في أوائل القرن الخامس عشر، وبما أن الله عز وجل رمى أولئك الذين تمردوا على ربهم وسعوا في هتك حرّماته في أفضل أيام الله أمام بيت الله، وفي وسط حرمة بعقوبة قد أحاطت بهم في ديارهم وفي عقر دارهم فإنهم لم يتفطنوا، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون، فنعوذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفيها في اليوم ١٢/٢٩ وفاة الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري في جدة رحمه الله وتجاوز عنه عن عمر يناهز الخامسة والسبعين، وكان قد لبث في تلك الإمارة مدة طويلة، وقام بواجبه، ولما أن توفاه الله تعالى حزنت الحكومة.

وفيها قامت فئة من الأفيال المتوحشة في بنجلادش - المنفصلة عن باكستان - أصابها هياج أدى إلى مصرع ثمانية وعشرين شخصاً وتدمير أربع قرى، وهذه الفيلة قطعان نزلت في الفلاة وهدمت الأكواخ واقتلعت المحاصيل، وقد لقي عدد من المزارعين مصرعهم تحت أقدام الفيلة المتوحشة أثناء محاولتهم الفرار، وقد قتلت ما يزيد عن خمسة وستين شخصاً في إقليم ذل شينياجو جونج خلال العام الحالي.

وفيها في ١٢/٢٦ وفاة الشاعر الأديب الذكي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين بمكة المكرمة عن عمر يناهز التسعين، ولد في مدينة بريدة وأخذ عن الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن سليم، ثم إنه ذهب إلى العراق والشام وأخذ عن علمائها، ثم رجع إلى مدينة بريدة فاستقر فيها، وكان يأكل من عمل يده، وفي عام

١٣٥٥هـ ذهب إلى مكة المكرمة وكانت الحكومة رأت أن تجري له مساعدة من بيت المال والأفعال في وزارة الحج والأوقاف وظيفه، وقد خلف مكتبة كبرى.

وختمت هذه السنة بزعازع وقلقل من الفوضى في لبنان وفلسطين، كما أن روسيا حصل فيها انشقاق وقامت بعض الأقاليم تطالب الاستقلال فيها، ولما سحبت روسيا جنودها من أوربا الشرقية، كانوا حوالي ٧٥ ألفاً من أفراد وحدات الجيش السوفياتية التي انسحبت من أوربا الشرقية، ومن بينهم خمسة وعشرون ألف ضابط، وضابط صف هم الآن دون مسكن، وقالت صحيفة روسية إن جيشنا لا يواجه مشاكل أخطر من التي يطرحها الانسحاب من أوربا الشرقية وإسكان ١٢٣ ألف رجل وأكثر من مائة ألف من أفراد عائلات الضباط وضباط الصف، كما أن سائر الخلائق في السودان والهند وسواها في بلاء وشر مستطير، أضف إلى ذلك أفغانستان في جهادها ضد الروس، وقد كثرت الانقلابات والله المستعان وعليه التكلان.

ثم دخلت سنة ١٤١١هـ

استهلّت هذه السنة والعمال يداومون في أعمالهم المتواصلة في توسعة الحرمين الشريفين المكي والمدني، والإصلاحات في سائر المملكة، وعمال مصلحة المياه وتحليتها من مرارة البحور إلى تحلية فنية لنشرها في سائر المملكة ليتمتعوا في هذا المشروع، وقد أسست الخزانات الواسعة لهذه المهمة.

وفيهما أقرّ الملك فهد بناية خمسين مسجداً في باكستان تقوية للجانب الإسلامي، ووزعت عشرات الملايين من المصحف الشريف في أقطار الأرض.

هجوم على الكويت

ففيها في ليلة الخميس حادي عشر محرم زحفت العراق وهجمت بدباباتها ومدافعها على الكويت، فاستولت عليها بالقوة من دون سابق إنذار وأعلنوا أنهم جاءوا لنصرة الأمير جابر الأحمد الذي عزم شعبه على خلعهم متظاهرين بهذا الكذب، وذلك وقت طلوع الفجر، وكانوا يريدون القبض على الأمير، غير أنه سبقهم النذير إليه فالتجأ الصباح إلى السعودية ثم أغلقت الكويت وعاثت الجنود فيها فساداً، وانقطعت المواصلات بينها وبين الأمة فلم يبقَ إلا إذاعة في سيارة جعلت تستغيث حتى خمدت، ولما أقبلت المدافع ذوات الجنزير جعلت تضرب مصوبةً إلى الكويت ثم استولت تلك الجنود الراجفة على القصر الملكي والدوائر الحكومية، وتمركزت فيها بعدما دافع أخو الأمير فهد بن أحمد ثم قتل وفرّ من استطاع الفرار، ولما أن جرت هذه القارعة جاءت حاملات الطائرات الأمريكية متحركة لصد هذا الاعتداء، ولكنها ذكرت أنها لا تتدخل عسكرياً في الموضوع، وهذه حالة يؤسف لها، وقد طلب بعض ذوي الآراء أن لا يجري قتال أو أي حركة حتى تعالج الموقف بطريقة سلمية ما دام أن في القوس منزعاً، ولا ريب أن هذه الكارثة شنيعة جداً، وقامت الإذاعات تنشر هذه الواقعة، وطلب الرئيس السوري حافظ الأسد عقد مجلس قمة لهذه المهمة، وكانت الأخبار منصرفه طوال اليوم في هذا الحدث الذي غير وجه التاريخ، وقامت الجامعة العربية توالي اهتمامها في الموضوع، وأكدت الكويت محتجة على العرب أنها لا تزال في القيام مع العرب ضد كل ناثر عليها، وأنه لا يمكن تصور هذا العمل الإجرامي دون صدى هذه الحادثة الغربية والكارثة العجيبة في جميع أقطار العالم مستنكرين لذلك، وقد عقد مجلس في القاهرة حضره مندوبون من جهة الحكومات العربية، وحصلت مقاومة في الكويت، وقتل أخو أمير الكويت لما قام لصد الهجوم على قصر دسمان في الكويت وارتفعت أسعار النفط إلى ثلاثة وعشرين دولاراً، وقد

قامت العراق بتحسين مواقعها استعداداً للحرب، وجعلت الطائرات على استعداد للحرب، وكان قصد العراق انتهاب أراضي واسعة من الكويت، هذا وقد ضجت الأمة من فعل العراق مستنكرةً لذلك ولا سيما الرئيس جورج بوش، وأكدت انسحاب العراق فوراً ودون قيد أو شرط، فالذين قضوا نحبهم من قصف المدافع والطائرات فيقدرون بمائتي شخص وعشرة أشخاص من بينهم أخو الأمير فهد الأحمد، وقد جعلت حكومة العراق حكومة في الكويت مؤقتة بعدما أطيح بالحكم السابق، وسنعود عن قريب.

وفي عاشر محرم وردت واردات مشروع توسعة الحرمين الشريفين من الرخام الإيطالية والمرمر وكان قيمتها سبعمائة مليون ريال، وقد اشتدت الوطأة على جنوب لبنان وانفجر لغم شديد الانفجار بحيث سقط من جراء ذلك سبعون ما بين قتيل وجريح، أما عن أهالي فلسطين فإنها تلاحقهم قوات الاحتلال يطلقون عليهم النار بجميع العيارات النارية فما بين قتيل وما بين جريح، وكل يوم يخسرون عشرات من القتلى والجرحى، وربما حالت جنود الاحتلال بين المصلين وبين المسجد الأقصى، ولقد استهدفت المسجد الأقصى لأذى اليهود وأصبح مهدداً من قوارعه وأذاهم، وفي كل يوم تحدث زعازع وتخويفات منذرة بالشر والويلات، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم إن كانت قوى أهل الإسلام أصبحت عاجزة عن ردع من منعوا رفعته وأن نذكر فيه اسمك، فانت القوي وهم الضعفاء، أنزل نصراً من نصرك وتأيداً من تأييدك على أربابه، يا قوي السلطان، وبأعالي المكان، وكانت الواقعة في إقليم التفاح تجلت عن ٨٧ جثة انتشلها الصليب الأحمر.

عودة على بدا لما أن هجم العراق على الكويت بثلاثمائة وأربعين طائرة تآزم الموقف وفرّ من استطاع الفرار من الأهالي إلى الحفر في السعودية، وبلغ عدد القتلى في اليوم الثاني من الواقعة ٥٠٠ قتيل و٦٠٠ جريح، وقد قام المتبقون من الأهالي يدافعون بحسب قدرتهم، وجرت فوضى في الكويت وأغلقت أبواب

الكويت وانقطعت المواصلات بينها وبين ما سواها، وأصبحت الأمور هائجة مائجة تنذر بشرها وويلاتها، وترمي بشروها، وأحاط الجيش العراقي بالكويت على بعد ألف متر وخمسمائة أمتار من الحدود السعودية، وأصبح أهل العراق يعيشون فساداً في مملكة مستقلة هجموا عليها واستولوا عليها بظرف ثمان ساعات من الزمن بحيث لم يجدوا ناهياً ولا مجلس أمن، ينتهبون أموال الكويت، ويهدمون ويفسدون، ويهدد الرئيس صدام بأنه إذا ما قام تدخل من أمراء الخليج أو غيرهم فإنه سيفجر آبار البترول بنار تحرق الأخضر واليابس، وهدد السعودية بأن إذا ما تدخلت فإنه سيضرب آبار البترول ويجعل الكويت مقبرة لأهل الخليج، ولما بادرت الرؤساء والملوك إلى عقد مؤتمر في مدينة جدة لم يحضر وفشل ذلك المؤتمر قبل انعقاده لأن الرئيس العراقي كان على أتم استعداد للحضور ولكنه رفض، وقد فرضت جميع الدول عقوبات على العراق كعدم تصدير بترول العراق والكويت وعدم التعامل معها مقابل ذلك العمل الإجرامي، وفكرت بريطانيا والولايات المتحدة بتوجيه ضربة قاسية على العراق لكنها تريد البواخر الأجنبية أن تتحرك إلى مياه الخليج، ولكن أمراء العرب وحكامها طلبوا عدم التدخل الأجنبي ولعل أن تنحل المشكلة من دون تدخل أجنبي، وكان الرئيس المصري حسني مبارك أعظم قائم بالاستنكار لهذا الموضوع، وأكدت بريطانيا بانسحاب العراق ووضع عقوبات عليه، كما أن حكومة السوفييت قامت باستنكار ذلك وأوقفت الأسلحة عن العراق، وأصبح غالب أهل الكويت لاجئين إلى السعودية في الرياض وبريدة وجدة، وأقامت حكومة جديدة أجنبية على وفق مرادها، ولكن جميع الدول لا يزالون يعتبرون إمارة جابر بن أحمد هي الحكومة الشرعية ولا يعترفون بالحكومة الجديدة، أما عن الأمير القديم فإنه لا يزال يتقلب في أمريكا وغيرها ويطالب مجلس الأمن بطرد القوات العراقية التي غزت بلاده وانتهكت حرمتها بهذا الوضع، ويلقي لآئمه على حكومة عربية شقيقة مجاورة تفعل تلك الأفاعيل الشنيعة وتغزو جارتها، وقد استمرت الأحوال هائجة مائجة، وقد قدم الرئيس اليمني علي عبدالله

ليوم الأربعاء جاءت قوات أمريكية أبحرت البواخر والأساطيل البحرية في مياه الخليج تحمل الأسلحة والإمدادات لنصرة العرب في الخليج وحفاظاً على بقية الأمة هناك، وجعلت تلك الأساطيل الأجنبية تفرغ حولتها استعداداً لنصرة العرب وإنقاذهم من تلك الورطة التي قام بها الرئيس العراقي، وكان من أفعال تلك الأيدي الجائرة إخراج المرضى من المستشفى وهدمه وإحراق جميع السيارات وتدميرها من المعارض، وما وقعت أيديهم عليه، ووقفت الدبابات والمدافع الضخمة في شوارع الكويت ولا تخشى أحداً، وبلغت الأمور ذروتها حتى آخر اليوم السابع من تلك الجريمة، ولم ينبض العرب شفة سوى الكلام لا غير، ومن العجائب ذل أنزله الله في قلوب العرب، وخوف فلم يتقدم أحد لمقاومة تلك الفتنة العمياء، ولم تعمل الجامعة العربية نحو تلك الواقعة شيئاً، بل ولم يقيم مجلس التعاون الخليجي بشيء من الكفاح أو صد هذا الغزو المرير، حتى غاية الساعة الثانية من غروب الشمس ليلة الخميس ١٨ محرم، ولقد ازدحمت الطرق في المملكة العربية السعودية لما لجأوا إليها، وسمح جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة السعودية لهم بذلك جزاء الله خيراً لأنه لو لم يفعل ذلك لكان ماثمهم إلى الهلاك والخذود، وذلك في إطار العطف والرحمة لمملكة استلبت واستولى عليها العدو بقوته وسلبه، وقد انتهب الطاغية أموال أهل الكويت، وقام يذيع بأنه فعل ذلك رحمةً بالكويت وإخراجاً لهم من قيود العبودية التي كانوا منذ زمن يعيشونها في حكم آل صباح، وذكر أن آل صباح كانوا فجرة فساقاً خونة، وأن الله بعثه في احتلال الكويت ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ولو كان صادقاً فيما ادعاه بإذاعاته وأبواقه أنه يريد الخير لهم وأن يسيروا أحراراً بزعمه متخلصين من حكومة الصباح لما فعل بهم تلك الأفعال من التقتيل والنهب والسلب وإباحة الكويت للجنود العراقيين يفعلون بهم ما يشاءون، ويحكمون فيهم بما يريدون، فلقد كانت وما زال آل صباح الذين عاشوا في حكمهم وقتاً طويلاً مستريحين، وفي ظلهم الوارف خيراً من جنته التي أشرنا إليها، ولقد كان أهل الكويت ينادون لما تخلصوا من

صالح إلى القاهرة للبحث في الموضوع، وآخر ذلك أن انقطعت الأخبار جملةً عن الكويت وصارت في عالم الخفاء، وذكر الرئيس الأمريكي جورج بوش بأن العراق إن اعتدت على السعودية أو الأردن فإنها ستتدخل عسكرياً، وكان صدام ينفي نفيّاً تاماً أن يكون اقترب من السعودية أو حدودها.

وفيها في ١٣ محرم وقع زلزال في حوالي روسيا انهد له منازل، كما أنه في ذلك اليوم تنازل ميخائيل غوربتشوف عن رئاسة الشيوعية هناك، ولما أن كان في اليوم الخامس عشر من محرم امتلأت البلاد السعودية بسكان الكويت الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم وأوذوا، وانتهبت أموالهم، وحرقت سياراتهم، وأصبحوا عائلة فقراء لا يملكون شيئاً مشردين مشتتاً شملهم نساءً وأطفالاً يلتجئون على الورش وأكواخ خيام أشبه بها زرايب الحيوانات، يستظلون بها بعد المراوح والمكيفات بجالة يرثى لها، وإن المدعو صدام حسين المغرور قد ارتكب أكبر الجرائم في معاملته لأهل الكويت البؤساء الذين لم يظلموا، وكانت تلك الفعلة الشنعاء لم يفعلها اليهود ولا النصارى ولا الذين أشركوا، لأن لا ذنب لهم يستحقون ما فعله بهم، وكانت الأسرة إذا رأوا كراج أو صاحب بيت يريد الخروج أو الذهاب لزيارة أو سياحة في حفر الباطن والدمام وغيرها يسقطون أمامه يسترحونه لعله أن يسمح بسكنى إلى أن يأذن الله له بفرج أو مخرج، وقد امتلأت المساجد والمدارس بهم، وقد حدثني بعض من أثق به أن الأمة المقيمين في الكويت لما وجدوا سبيلاً للفرار حفاظاً على أعراضهم سحبوا أطفالهم من فرشهم نائمين وهربوا ولم يكن في جيوبهم ما يؤمن قيمة المحروقات للسيارات التي تحملهم إلى السعودية، وإن أسرة تعطلت سياراتهم بالدمام فبعثوا إلى أقربائهم في مدينة بريدة ليوافوهم بسيارة تؤمنهم في مسيرهم إلى مدينة بريدة، وأعلن البقية الذين تخلفوا بالكويت أنهم لا يستطيعون البقاء على قيد الحياة سوى أسبوع واحد لأن المحلات التجارية والبقالات قد انتهبت، ولم يبقَ لديهم من القوت سوى ما يؤمنهم أسبوعاً لا غير.

ولما كان في صباح السابع عشر من شهر محرم الموافق أغسطس ١٩٩٠م الموافق

جراء فعلته المشؤومة وتنفسوا الصعداء فارين مما وجدوا إلى الفلوات والبراري ينادون بأنهم صافون تحت راية أميرهم جابر الأحمد، ويقدرونه بأنفسهم وأموالهم، ولما أن أبحرت البواخر ونزلت الأسطولات البحرية أشار بأنه علم أن العراق استهدفت للسحق والدمار، فأوعز إلى الرئيس المصري حسني مبارك يطلب عقد مجلس قمة بعدما كان لم يخضع للعرب ولا إلى مؤتمراتهم، فأجابت العرب بأن الباب لا يزال مفتوحاً بشرط أن ينزل على أوامر مجلس الأمن وقيوده، وهي انسحابه جملةً من الكويت، وأن يرجع إلى صباح إمارتهم، وتلغى إمارته التعسفية المختلقة، وأن لا يعود إلى مثل أفعاله العجيبة المتقدمة، وأن تكون أمريكا هي الكفيلة بأمن الخليج عن مثل اعتداءاته على جيرانه وهتكه الأمن وأذيته للعرب والمسلمين، ولما أن خرج أهالي الكويت من بلدهم بحالة يرثى لهم، انتهبت سياراتهم الثمينة، وخرج الذين تخلصوا من جراء تلك الحن العمياء على سيارات هزيلة، وأغلقت في وجوههم الطرق الرئيسية ليسيروا عبر الصحراء، وطرق غير معبدة عليهم يهلكون، ولم تكثف أفراد القوات العراقية بما حصل بل رصدوا لهم في الطرق يلاحقونهم ويسلبون ما على النساء من الحلبي، وأخذ ما بأيديهم من نفقة، فانتهبوها وهتكوا أعراض النساء، ومما يؤسف له قصة ساروبها عن كويتي فرّ هارباً بعائلته المكونة من زوجته وأربع بنات، فاعترض له عراقي وأوقفه واختار إحدى البنات ليعتدي عليها أمام والدها بالقوة، وصوب إليهم الرشاش فخوفه بالله وعقوباته، وقال له: خذ ما بأيدينا، وإن شئت فخذ السيارة ودعنا نهلك فالنار ولا العار، فصمم على ما يريد، فاستسلم المسكين وقال: خذ الفتاة واقض شهوتك منها بمكان بعيد وأت بها بعدما تنتهي منها، فأخذها ولم يرجع بها، ولما لحقه يطلبه أن يرجع بالفتاة أبى وقال: سأعذمكم جميعاً إن لم تتركوها لي، وكان إذا جلس يرى عليه آثار البؤس ثم يغشى عليه، فإذا أفاق بعدما استراح في السعودية سألوه عن نكبتة التي تركته على هذه الحالة، يروي لهم القصة فنعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

فصل

فلنرجع إلى ما نحن في صددده من الأمور التي تشتمز منها قلوب المؤمنين وتنكرها فطر العالمين من هتك الحكومة الكويتية، والعبث بأموالهم وأعراضهم، وهدم مساكنهم، وطردهم من ديارهم، وإخراجهم منها، بل هدموا جزءاً من المساجد التي هي بيوت الله، ولما أن جرى ذلك من رئيس العراق زاد الطين بلة أن قام المنافقون الذين في قلوبهم مرض ويتربصون الدوائر بالحكومة السعودية، وهم حسين ملك الأردن، ورئيس اليمن الشمالية علي عبدالله صالح، وانضم إلى العراق وذلك لما كان يسول لهم ويملي لهم الرئيس العراقي بأنها حانت الفرصة لما كانوا يريدون، ويتظنون هذا يريد الحجاز وذاك يريد ضم عسير إليه، وجعل رئيس الفتنة ينادي جميع العرب للانضمام إليه، وأنه قام لحماية الحرمين الكعبة المشرفة وقبر رسول الله ﷺ من الصليبيين الذين استقدمتهم السعودية بزعمه، ولكنه خاب فلم يستجب له أحد لعلمهم بأنه كذاب، بل أنه لما قام باحتلال الكويت تظاهر بأنه لا يريد الكويت بل يريد المملكة العربية السعودية ودول الخليج كعمان وأبو ظبي والبحرين وقطر والإمارات هناك، ومن العجائب الخداع الأردن له وهي التي كانت السعودية ترضعها بلبانها وتغد مليكها بمئات الملايين، كما أن اليمن الشمالي تتمتع بالنعيم والترف من مساعدات السعودية، فقد بنت لهم المدارس، وجلبت إليها المدرسين السعوديين وغير السعوديين، ومهدت طرقهم وجعلت لديهم المستشفيات والمستوصفات، ولكن من كلام الحكمة «أتق شر من تحسن إليه» وكانوا لا يفهمون من ذلك حكومةً وشعباً، إلا أن السعودية خائفة منهم ببذلها لهم الأموال من دون حساب، أمور مضحكة، ونتائج مؤسفة تبكي العاقل ويضحك السفیه لها، أما ما كان من مجلس التعاون الخليجي فإنه مفكك وفرّ كلُ ناجياً بنفسه لما دهاهم من شدة الهول والذهول، ولم يسفر ذلك المجلس عن شيء، بل فشل وأصبحت وحدة العرب كما أعرب عنها الرئيس المصري حسني مبارك ووصفها بأنها كالطقس لا

يثبت على حالة، والله الأمر من قبل ومن بعد، وما زالت الطائرات الأمريكية متماسكة أسرابها في الجو، والأساطيل البحرية تفرغ حمولتها في مياه الخليج، حتى سكنت المتحركات، ولمصر فضل كبير في مساعدة السعودية، فقد جاءت قواتها زاحفة، وأصبحت جيوشها إلى جانب الجبهة السعودية باذلة أقصى جهودها في هذا السبيل منذرةً ومحدرةً رئيس العراق بأن يتراجع عما هو عليه من الغي قبل أن لا يمكن الوقت، وأنزلت بريطانيا قواتها إلى جانب الجبهة السعودية وكان من أكبر ما يهم الدولتين الكبيرتين، وطرد رجال من رعاياهم جلبهم الحائن من الكويت وجعلهم في المواضيع الحساسة من العراق لتلقي بهم بالضربة المنتظرة، وليكونوا وقاية دونه وطلب من جميع سفراء الدول أن يحضروا في العراق، أي الذين في حكومة الكويت، فمانعت من ذلك حكوماتهم وأن لا يخرجوا من الكويت، وكان قصده بذلك أمرين أحدهما أنه ضم بزعمه الكويت فتكون الكويت على ما يتصوره قرية من قرى العراق، والثاني بأن يحترم العراق إذا ما كانوا فيه عن ضربة ساحقة ماحقة، وقررت الحكومة الأمريكية على أنها يقع على رجالها وسفاراتها في الكويت والعراق مسؤولاً عنه، وفي أوائل شهر صفر جعل يستغيث بالأمم من جراء ما حصل عليه من الحصار والعقوبات الاقتصادية بأن الأطفال بالعرق مهددون بالهلاك من الجوع، ولكنهم لم يلتفتوا إليه، وأصبح كالدب المحجور عليه، أو كالفار مأواه بطن الأرض، فسبحان المتصرف في خلقه على وفق مراده، وما زالت الطائرات الأمريكية متماسكة أسرابها في جو المملكة العربية السعودية تحمل حمولاتها إلى الحدود السعودية الشمالية ليلاً ونهاراً إلى يوم الأحد ١٣/٢ من هذه السنة، ولما أن ذهب الحسين ملك عمان إلى أمريكا ليرى خليج العقبة وهو فيها، كما أنهم كشفوا له عن موضع صدام حسين الكائن في بطن الأرض، وأنهم على علم من تقلباته وحركاته، وافتتحت مكاتب التجنيد في السعودية لينخرط فيها من أراد الالتحاق بالجيش، وقام شيوخ القبائل يقدمون أنفسهم أمام مليكهم وشعبهم وأمتهم ليحموها بالنفس والنفيس، كما قامت فرق المتطوعين من سائر مدن المملكة

وقراها يتسابقون إلى الجبهة السعودية، وفي يوم الأربعاء ثاني صفر زار ولي العهد والنائب الأول رئيس الحرس الوطني الأمير عبدالله بن عبدالعزيز يصحبه أصحاب السمو الأمراء السعوديون، ووقف بنفسه يشرف على الأولوية والفيالق هناك، ويحثهم على الصبر والمصابرة، وأن الله معهم، ولما كان في ١٥/٤ تكامل عدد الطائرات الحربية الزاحفة إلى الخليج، والتريلات الحاملة للدبابات والمدافع الثقيلة بعدما استمرت ثلاثة أشهر وخمسة أيام من أمريكا وبريطانيا ومصر وسورية، كما أن الأساطيل البحرية رست في مياه الخليج، وحاملات الطائرات وغيرها، وكانت في صف القوات السعودية، وقد اشترك في ذلك الباكستان، وزحف المتطوعون للقتال، وجاءت القوات التي قد اشتركت في الدفاع عن أفغانستان وساعدت اليابان بالحال، ولبت القبائل مجيبة لدعوة ملك السعودية، كما أن قبائل اليمن كانت مستعدة للاشتراك في هذه الحملة على العراق، ولم يتخلف سوى حسين في عمان وحكومة اليمن اللتين كانتا مغمورتين بنعم السعودية، وفي كلام الحكمة: «أتق شر من تحسن إليه»، وقال سفيان الثوري العالم الكبير في أمة محمد ﷺ: أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللثام، كما أن تونس التي يرأسها زين العابدين بن علي وموريتانيا لم تشركا في الموضوع بل كانتا في صف العراق المعتدي الخائن، ثم دعت الجيوش الإسلامية ومن انضم إليها الرئيس العراقي صدام حسين أن يفيء إلى أمر الله ويترك الأذى، ويقبل حسن التفاهم، ويميل إلى السلم، ويرجع عن غيه وضلاله، ولكنه صمم على ما هو عليه من الأذى والشقاق، ولم يقبل من أحد كائناً من كان، ولقد دعت مصر إلى أن ينزل على حكم الله ويذر ما هو عليه من الشر والأذى، فلم يقبل وأبى إلا القتال وإثارة الفتن معتمداً على ما لديه من القوة، وكان قد اختبأ في قبر من الأرض واتقى البأس بالأطفال الذين احتجزهم كرهائن لديه، ونسأهم لنعمهم معه، وهذا يدل على سخافة عقله، ولو كان شجاعاً كما يزعم لبرز في الميدان كما قيل:

تسمى فتى البطحاء حياءً وخجلةً وما القرن يخفى في قراع الكتائب

وكان لما رأى نفسه ومن أضلهم محصورين من الجنوب بجنود الله ومن ساعدهم من الأوفياء، ومن الشمال بإيران الدولة التي طالما أذاها وحاربها وهلك بشؤومه مليون من الأنفس البشرية، بعث إليها يقول في يد الصلح وتبادل الأسرى، ورد إليها جميع الأراضي التي اغتصبها فعبارة أنه خسر الحرب العراقية الإيرانية التي دامت ثمان سنوات، فأجابت الأخرى بأنه لا مانع من ذلك ويدها على قلبها بحيث لا تنخدع له ولا لأكاذيبه، ورجعت بذلك واستردت أراضيها، وتبادلوا الأسرى ولكنها اشترطت عليه شرطين: بأن احتلاله الكويت لا توافقه عليه، وتسخط من فعالة تلك وأن يبذل لها نفقات الحرب وخسائرها التي سببها ذلك المشؤوم، ثم بعث إليها يواسيها بالزلازل والهزات التي جرت عليها أي بعد وقوعها شهرين، ثم إنه دعا بجنوده المرباطين على حدود إيران ووجهها إلى السعودية، وكانوا ثلاثمائة ألف وخمسين ألفاً فمن عذاب إلى أكبر منه، ومن هؤلاء بعض الأسر الذين استخرجهم من سجون إيران، فما أن وصلوا إلى أهاليهم في العراق وتمتعوا برؤيتهم يوماً واحداً حتى ألزمهم بأن يجاربوا إخوانهم السعوديين ويصرفهم من حرب إخوانهم الإيرانيين إلى حرب السعوديين، وقد جرت فيه سوابق في إبادة الأكراد الضعفاء المساكين، بحيث سلط عليهم السلاح الكيميائي وأبادهم عن آخرهم، وله بوادر شرّ أن لم يؤخذ على يديه لأنه أصبح خطراً على الأمن، وقد فرّ من العراق وظلم صدام ألوف إلى السعودية واستجاروا إليها، وقد حدثني من حضر هجومه على الكويت من دون سابق إنذار أن المسلمين يصلّون صلاة الفجر فلم يشعروا إلى بضرب المدافع وجر الأطواب والدبابات عليها، فمنهم من فرّ وكتبت له النجاة، وكان من الذين هجموا على الكويت يغترون ولم يعلموا الحقيقة أنهم شاب يقولون قيل لنا تعلمون مغاوره فكانوا لم يحملوا ولا ماء للشراب، بل جعلوا يطرقون بيوت المتبقين في الكويت يسألون شربة من الماء، فعبارة أعاد فعل الإفرنج والحروب الصليبية وما فعلوه

بالمسلمين في الأندلس حينما قتلوا الرجال والنساء والأطفال واستباحوا فروج النساء علناً قبحه الله ولعته، وإنني لأعجب من الشعب العراقي وهم الرجال كيف لم يقضوا عليه، ولقد قتل ضباطاً يزيد عددهم على عشرين، ولم يتورع عن قتل زوجته التي هي فراشه بل عمتها طلاقات رشاشه، وما زال كل يوم يقتل من الضباط، ومن الذين يناصحونه عن أعماله الإجرامية، وقد حاولت الأمة العراقية اغتياله مرات عديدة ليتخلصوا من شره وما جرّه عليهم وتسببه من حصار العراق والتضييق عليها.

عقد مؤتمر في القاهرة

لما كان في يوم الأحد الموافق ٢٠/٢ عقد مؤتمر كبير في القاهرة حضره ممثلو ثمانين دولة للبت في شأن العراق، واشترك في هذا اليوم الرئيسان للدولتين العظيمين ميخائيل غوربتشوف وجورج بوش، وكانت أول جلسة استغرقت خمس ساعات درسوا الموضوع وقرروا مصير العراق، ومع كل من هذه الإجراءات وحصار العراق فإن طاغية العراق لا يزال في غيّه وضلاله ويهاجم الملك السعودي بأنواع القذف والشتائم، وقد عجّت الخطباء في الجمع ضد صدام وأظهروا عيوبه وما فعله وما ينطوي عليه، وقنت أئمة الحرمين في صلاة الفجر لهذه النازلة، وبما أنه لجأ إلى إيران لتناصره وهي العدو لعله يستجلب رضاها والميل إليه، فإنها لم تتخذ له بمعرفتها لخبثه وخيائته، وإذا كانت معاملته للسعودية التي شدت عضده وأنقذته في ورطته تلك المعاملة البشعة التي لا تصدر من رجل شريف يؤمن بالله واليوم الآخر، فحري بأن لا يركن إليه ولا يوثق به ولا بدينه ولا أمانته.

مؤتمر في مكة المكرمة

لما أسس الطاغية إذاعة لديه سماها إذاعة مكة المكرمة، وجعل ينشر في تلك الإذاعة استغاثة مكة والمدينة من جو السعودية، وكان ولا بد من تبرئة الحرمين الشريفين مما نسب إليهما من الكذب، ففي يوم الاثنين الموافق ٢١

صفر عقد مؤتمر عظيم في الرابطة الإسلامية بمكة المكرمة حضره الأعيان والرؤساء، وكان هذا المؤتمر عالياً فافتتحت الجلسة الأولى بآيات من الذكر الحكيم، ثم ألقى مندوب المجاهدين الأفغان، ثم كلمة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ثم ألقى الشيخ أبو الحسن الندوي عند الهند، ثم شيخ الأزهر بالنيابة عن مصر، ثم خطب أمين الرابطة الإسلامية الدكتور عبدالله بن عمر نصيف ، فآلقى كلمة أوضحت تكذيب ما يدعيه رئيس العراق، ثم قام الدكتور عبدالله بن عبدالحسن التركي، فآلقى كلمة خادم الحرمين الملك فهد، ثم ألقى المندوب بن جاسم كلمة بالنيابة عن حاكم الكويت جابر الأحمد الذي طرد وهتكت بلاده، ثم خطب أحمد القطان خطبة باح فيها عما جرى على الكويت من صدام حسين، وكيف توصلت به الأحوال إلى هذه الدرجة، وهكذا تتابع الخطباء ينشرون تلك الجرائم التي فعلها رجل يدعي العروبة والإسلام، وكان هذا المؤتمر العظيم الذي عقد في ٢١ صفر عام ١٤١١هـ يوافق ١٠ سبتمبر ١٩٩٠م يوافق يوم الاثنين، وقد حضر ذلك المؤتمر ثلاثمائة وخمسون من العلماء والأعيان والرؤساء، وانتهى بما إذا لم ينسحب العدو عن الكويت فإن على الأمة الإسلامية دفع العدوان العراقي بالقوة، وكانت القوة قد حضرت قوة لا يستهان بها، هذا وقد كانت إذاعة العراق تهاجم الملك بالرغم من التضيق على العراق بالحصار، ويذيع عن لسان مكة المكرمة بأنها تشكوا الظلم ويستنهض بإذاعته الحكومة السعودية ضد مليكها، وفي اليوم الثامن من ربيع الأول أكدت العواصم حظراً جويّاً، كما فعل ذلك برياً وبحرياً وأنها ستستعمل القوة وتستخدمها لإرغام العراق على الانسحاب من الكويت، وفي هذه الأثناء كانت حكومة صدام تعمل أيديها أنواع البطش بالكويتيين من دون رحمة، واتسعت الهجرة إلى السعودية، كما أن حكومة اليمن دعت جميع رعاياها من السعودية فقاموا يبيع جميع ما بين أيديهم بثمان بخس وتهيأوا للرحيل.

وفيها في ٢٩/٢ أصيبت فيتنام بإعصار شديد سقط منه اثنان وأربعون ما بين قتل وجريح، ويصفونه بأنه لم يعهد في السنين الأخيرة مثله.

وفيهما في ١٨ صفر جرت مجازر في لبنان في عين الحلوة سقط فيها خمسة وثلاثون قتيلاً، وجرح مائة وثلاثون، ولما أن كان في ٢/١٩ ثار متمرّدون في نيجيريا فأطلقوا النار على الرئيس، وأصيب بجروح خطيرة، ولكنه هلك وأقيم فيها رئيس مؤقت حتى ينظر في حالة الرئيس الأول.

وفيهما في غرة ربيع الأول حصل زلزال شديد في بلاد الصين، غير أنه لم يهلك فيه أنفـس كثيرة.

وفيهما في الساعة العاشرة ضحى في يوم الأربعاء ٣/١٤ في العاشر من أكتوبر هبت رياح الصفرة شديدة محرقة أثارت عبرة شديدة، واستمرت أربع ساعات من الزمن، وهذا في المنطقة الوسطى.

وفي ٣/٧ صدرت الأوامر بترحيل اليمنيين جملةً من المملكة السعودية، فقام أولئك اليمنيين ببيع ما لديهم من الأثاث والأفران وما يملكونه بقيمة زهيدة مغادرين إلى الجلاء عن المملكة، وكانت ساعة كانوا متولين في تلك الأونة للبيع والشراء وخدمة البلاد بالورش ومحطات البنزين والحبز وغير ذلك، وهذا لما تقتضيه الحال من سوء العلاقات بين السعودية واليمن الشمالية لتصرفات رئيسها علي عبدالله صالح، كما أن هناك منعت الواردات من الأردن إلى المملكة لأن الظروف السياسية تقتضي ذلك.

أما عن مشكلة الكويت وما نتج عنها فإن الأمم جاءت من مشارق الأرض ومغاربها، ورابطت في مياه الخليج تأييداً للسعودية براً وبحراً وجواً، وحاصروا العراق من الجهات الثلاث، ومنعوا دخول الأطعمة والأرزاق عليها فأصبحت بحالة سيئة واستمرت الحالة بحيث دخل الشهر الثالث في هذا الوضع ولا تزال الطائرات الأمريكية شاحنة أسرابها إلى الخليج تقلق رعوها جواً بحيث تفرغ حمولتها، وعادت الأمور تنذر بشرها وويلاتها، فإن الرئيس العراقي لا يزال في غيه وتحديه، وإنه مصمم على استيلائه على الكويت، ورغم أنه جزء من العراق لا يتجزأ، وقد أذاق من تبقى من الكويتيين أنواع

العذاب، واقتلع جميع ما تحتوي عليه الشوارع من الإشارات والأبواب وحملت إلى العراق، وكان الموجودون في الكويت يقاومون على حسب مقدرتهم، ومن لا يرفع رسوم صدام حسين مرغماً فما له إلا القتل، ولا سيما إذا كان يرفع رسوم الأخير جابر الأحمد، واستمرت الحالة شهرين وسبعة عشر يوماً لا سلم ولا حرب، ولا تزال القوات الدولية محاصرة العراق وتضييق الخناق عليه، وصدام لا يزال في غيه وغروره ويسب ويشتم أمريكا وبريطانيا ومن شعوبها.

وفيها في ١ / ٧ وإقالة أمين مدينة الرياض عبدالله النعيم من أهالي عنيزة لكبر سنه، وجعل مكانه مساعد بن عبدالرحمن العنقري فرفعت التهاني إلى الرئيس الجديد لثقة الحكومة فيه، وأحيل الأول إلى المعاش شاكرين له خدمته الطويلة، وكان عبدالله بن علي النعيم من أسر أهالي عنيزة، وحظي لدى الحكومة السعودية، كما حظي لديها عبدالعزيز بن عبدالله بن خويطر، وعبدالعزیز بن زامل وقبلهم وزير المالية عبدالله بن سليمان بن حمدان، كما حظي لدى الحكومة رئيس الديوان إبراهيم بن عبدالله بن عيدان، وعبدالرحمن الطبيشي، ومحمد صالح شلهوب، ويوسف يستين، وأناس آخرون.

ذكر شيء عن صدام حسين

كان منذ صغره يعمل كإرهابي مؤذي، وبما أنه كان يستلم أسلحة من السعودية تمويهاً بأنه يقاتل إيران، فقد كان يكتنزها وهي أسلحة لا يستهان لها، فقد قام بهذه الأسلحة التي يمويه بأنها ضد إيران، فقد أمر بها أن توجه على السعودية ليضربها بأسلحتها التي ساعدته بها، وقد بدا إجرامه منذ بلوغه الرابعة عشر من عمره منذ عام ١٩٥٩م، أي منذ إحدى وثلاثين سنة، وهو مفسد في العراق يزرع بذور الشر فيه، وربما أنه كان يسمع عن هتلر وشجاعته فيقلده في أعماله، وإن كان هتلر ألمانيا لم يعمل كما عمل هذا الشرير ودسائسه وإذائه ومكره، فقد أعدم في عام ٨٥م حوالي ٢٩ طفلاً من أبناء السياسيين المعارضين لحكمه، وأعدم ٦٠٠ عضو منظمة

دينية، واستخدم الغازات السامة ضد القوات الإيرانية، وبعث بوفد ديني كعمل جهاز تسجيل للتباحث مع البرازاني، وانفجر الجهاز المملوء بأعضاء الوفد أثناء المحادثات، واستخدم عام ٨٨م الغازات السامة ضد مواطنين عراقيين من الأكراد، وأباد ثمانية آلاف منهم، وطلب الإعانات من الكويت لحرب إيران، ولما استنزف ما لديهم انقلب عليهم وغزاهم في بلادهم، وقتل رجالهم وهتك محارمهم، وانتهب أموالهم، وطردهم عن بلادهم، وفعل بهم أعمال لا أخلاقية لم يفعلها فرعون ولا غيره. ولم توجد في تاريخ الأمم المتقدمة إلا ما دونه التاريخ عن أعمال الصليبيين بالأندلس وقد طلب الشيخ عبدالعزيز بن باز إلى سائر الأمة، ودعى إلى تشكيل محكمة شرعية لمحاكمة صدام، ولكنه لم يلتفت إلى ذلك، وكان مآلها إلى الفشل وعدم استجابته، وقد وقعت انفجارات كيماوية في مجمع عراقي قرب الحدود السورية سمع لها رجة عظيمة وذلك في ٢١ صفر ١٤١١هـ، وتعتبر نكبة في العراق، ولقد أصيبت العراق بسبب التضيق عليها والحصار الشديد، وإن بوسع الرئيس صدام حسين لما رأى تضخم الموقف وإدانته بفعل ذلك أن يقلع عن أطماعه بالكويت، ويقوم بما يجب عليه من سحبه عنه وإصلاح ما أفسده، ويقلع عن هواه، وقد استعمل شراسة في معاملة شعبه الذي أخذه بالقوة واغتصب حسن البكر رئاسته، وأرهق مئات الألوف في هذا السبيل، كما أنتشر سفكه لدماء أهالي الكويت الأمنيين مع أنه لا يحصل على مقصوده الذي أقدم عليه، وإن في الحياض من يذود عنها، وقديماً قيل:

كذبتهم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حياً تجتنيك المظالم

وذلك لأمرين: أولاً أن الحكومة السعودية تجمعها مع الكويت أواصر الحجة وحسن الجوار منذ قيام الملك الراحل عبدالعزيز بالملك ومحامات السعودية ودفاعها عن الكويت مرات عديدة.

ثانياً: إن تهديدات صدام حسين قد أيقظت الحكومة السعودية لما يبيته من

الغدر والخيانة وسوء طويته، وأنه لو كان محنكاً بصيراً لكان له ما يردعه عما عزم عليه، ولكنه كما قيل:

يقضى على المرء في أيام محتته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

وإن دونه ودون الكويت وضمها إلى العراق بحور من الدماء وعاقبته إلى الفشل، وإن معانقة الثريا أيسر من معانقة الكويت، والتمسح بذراع الأسد دون التمسح بملكها، وأخذها، ولكن الجنون فنون، ولقد بدا الندم والأسى من حسين الأردن ورئيس اليمن، وأظهرا استيائهما وانخداعهما لما دلاهما فيه من غرور وإيحاء زخرف القول وغروره رئيس العراق، وقاما يطلبان الوساطة بينهم وبين خادم الحرمين وقبول الأعذار بعد كيدته وتسويله شهرين وثمانية أيام، وتحققا أن مواعيده كمواعيد عرقوب التي تقدم ضرب الأمثال بها، فنسأل الله تعالى أن يعيذنا من الخزي والفضيحة في الدنيا والآخرة، فقد كفاهما ما وقعا فيهما، وما أحسن الاستخارة والمشورة قبل الدخول في الأمر، فما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين، وبما أن اليمن وقع في حيرة وارتباك ونزاع شديد فيما بينهم من تصرفات علي عبدالله صالح، فما كان الأردن يأمل منهم خزيًا وارتباكًا وحيرة من تصرفات ملكهم السيئة.

ذكر ما وقع في لبنان

وقع في لبنان فوضى، فقد قام عون بقواته في نشر في لبنان، وتبادلت قواته وقوات لبنان القذائف النارية والقنابل المدمرة والمحركة من مدافع الهاون والصواريخ، واستهدفت الأمة في النصف الأخير من ربيع الأول في هذه السنة للضرب والتخريب والحرائق، وأصبحت بلاد العرب في فتن هائجة مائجة، فهذه الضفة الغربية وقطاع غزة وما حواليتها من هدم وتخريب من جراء الحروب بين اليهود والفلسطينيين، واستمرت الأحوال في شرها وويلاتها ولا تزداد الأمور في فلسطين إلى دماراً وشرًا، وهذا جنوب لبنان استولت عليه

اليهود وأصبحوا هم والفلسطينيين في شر حالة، وهذا حزب أمل والمسمى حزب الله بقتال عنيف، وهذا جعجع يقاتل حزب عون ويتناحرون، وأصبحت لبنان مسرحاً للفتن والزلازل والقلاقل، وعجزت الأمة عن تسكينهم والسعي بالصلح فيما بينهم.

وبينما الأمة تسعى لإيجاد حلول لما وقع في فلسطين ولبنان إذ بدا هية تنزل بهم وهي فتنة صدام حسين وما نشأ عنها من المحنة في الخليج، وأمسى العرب كلما حاولوا إطفاء فتنة وقعت فتنة أكبر منها، وذلك باختلاف الآراء وعدم الاتفاق على شيء، ولا ينقاد أحد منهم لغيره، فعمالهم مختلفون وتجارهم بالمشاكل مشغولون، ومن يرتجي منهم العلاج لا يحسنون، وتجتمع الأمة للنظر في المشاكل وعلى غير جدوى يتفرقون، وعظمت الحوادث ونازحت الكوارث واشتدت المحن وكثرت الفتن، وقل المصلحون، وكثر المفسدون، وأصبحت البلابل تكشر عن أنيابها، وتلوح، وأنواع البلايا تغدو على الناس وتروح، وقل المصلحون، وكانت الأمة بحالة لا يحسدون عليها، غنيهم لا يرحم الفقير وكبيرهم لا يرحم الصغير، والصغير لا يوقر الكبير، آرائهم مختلفة وكل صوت يريد ارتفاعه، فما شئت من تفكك وتحاذل وعدم ثقة من بعضهم لبعض لأن القلوب منطوية منهم على الخيانة، والعدو إلا من يشاء الله منهم، وكيف يرتجي الفلاح من كانت هذه بضاعتهم، وهذه معاملتهم فيما بينهم، ولقد أدبنا الله وبين لنا في موجباته بكتابه العزيز في قوله: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَخْرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا يَسَاءُ مَن يَسَاءُ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاتِّمَامُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

اشتباك بين العرب وإسرائيل لما كان في ٣/١٩ من هذه السنة قامت اليهود بوضع حجر الأساس حوالي المسجد الأقصى كعادتهم في التحرش مع عرب

فلسطين، فقام شباب الانتفاضة ضد ذلك وكانت اليهود إنغا تريد قصدها في قتل وجرح ما تشاء منهم لما يحصل من تلك الاشتباكات من قضاء وطهرهم منهم، وكان حرب الانتفاضة قد ألقوا الحجارة على اليهود وهم يصعدون فالتفتت عليهم اليهود بالأسلحة النارية، وأطلقوا عليهم الرصاص فسقط من جراء ذلك ثلاثون قتيلاً فلسطينياً وجرح سبعمائة، وقد بالغ بعض الرواة بأن الجرحى تجاوز عددهم إلى ٨٥٠ جريحاً وهو الصحيح، وقامت الأمة متأثرة من أعمال اليهود ضد العرب ورفعوا شكايات إلى مجلس الأمن وإلى الجهات المختصة في أمريكا، وأبدوا استيائهم من تصرفات اليهود لأنهم يريدون بذلك هتك المسجد الأقصى وحرقة، وألقى الملك حسين احتجاجه ضد عمل اليهود، ومما يبعث الأسى ويحرك الصدور كون أولئك الضعفاء يقومون برمي الحجارة على اليهود فيجرحون نفرأ أو أكثر فيقوم اليهود برميهم بالرصاص والنار فيصاب منهم العشرات والمئات، وكنت أظن أن اقتراح هذا الرأي ليس برشيد ممن أتى به، أو لكون ذلك دسيمة ممن أشار به ليقضي على الفلسطينيين ويستأصلهم.

وفيهما في ٣/١٨ وفاة حاكم دبي راشد بن مكتوم البالغ من العمر ٨٤ عاماً، وقد أقيم الحداد لوفاته، وقد كان مشهوراً بالسباق على الإبل، ومحبباً لديهم، ثم أقيم بدلاً عنه ابنه مكتوم.

وفيهما في ٣/٢٠ أصيبت بنغلادش بإعصار شديد نشأ عنه أضرار.

وفيهما قامت مدينة البصرة في العراق بمظاهرات عنيفة ضد الحكومة احتجاجاً لنقص المواد الغذائية لديهم، ولكنهم قبلوا بإطلاق النار عليهم، وتشيت المتظاهرين بالقوة، وقد بدأت على عامة أهل العراق أشباح الجوع والهلاك في أهالي العراق، ولما أن رأى الرئيس العراقي ما أحاط به من البلاء والملاحقة التي لا قبل له بها جعل يفكر في الانسحاب من الكويت ويتظاهر أمام روسيا بأنه مستعد للانسحاب بشرط أن لا تضرب أمريكا العراق، وكان ذلك في يوم السبت الموافق

٢٤ ربيع الأول، وكان بالرغم من ذلك لم يترك وسيلة من وسائل الأذى فقد قلع أشجار الكويت وقطع الأزاهير وأفسد فيه إفساداً، وفعل أفعالاً تدل على جهله وحمقه وإلا فلو علم أنه سيضمن ما أفسده ما فعل ذلك، ولكنه ينطوي خبث وأذى وسوء تصرف، والدليل على ذلك أنه قتل في اليوم المذكور أعظم شخصية بارزة في العراق وهو النائب الأول، واستمر على سفكه للدماء في العراق، وقد فضلت أمريكا مطاولته في الوقت لعله أن يقتل ويكون العراق سالماً من ضربة، تعم البلاد بسببه ليعلمها أن من فعل فعالة فإنه لا يسلم، وحقاً إن الأمة العراقية تسعى لإعدامه ولكنه غره دروعه الحديدية والحراس الذين جلبهم من خارج العراق إلى العراق لعدم نقته بشعبه.

ذكر ما جرى بعد مذبحة القدس

لما أن قامت اليهود متغمة انشغال العرب بمحادثه الخليج على ضعفاء فلسطين فقتلوا ثلاثين وجرحوا سبعمائة لما أن صوبوا عليهم الرصاص، رفع رؤساء العرب شكايات إلى مجلس الأمن، وتأثرت الولايات المتحدة لذلك وأدانت اليهود بهذا العمل السيئ، وبعثت مندوبها للكشف عن هذه المهمة والتحقيق مع مرتكبيها، ولكن اليهود عارضوا الدخول إلى موضع المجزرة لأن ذلك يفضحهم ويظهر الجرائم التي ارتكبوها وسوء نواياهم نحو العرب، وإبادتهم بما شاءوا من الجرائم.

ذكر استسلام صاحب الأذى في لبنان

لما أن كان في ٢٣/٣ وقعت سوريا بقيادة الرئيس حافظ الأسد، وكان من أفاذا الرجال في سعة المقدرة وتنفيذ الإرادة فجر على المنشق العماد ميشيل عون قوة من الصواريخ والمدافع، فما كان إلا ربيع ساعة بعد هذا الهجوم الصاعق حتى استسلم وقرر اللجوء بعائلته إلى فرنسا، وطلب السماح له بالفرار على ظهر طائرة إلى الجهة التي اختارها، ولكن الحكومة اللبنانية قررت إعداد ملف محاكمة قائد التمرد المخلوع الذي قد طالما قام في شرق لبنان يثير الفتن والتمرد طوال سنتين.

وفيهما في ٢٤/٣ قتل اغتيالاً رفعت محجوب بمصر بحيث قام خمسة في المتآمرين على قتله واستأجروا سكناً إلى جانبه، فلما تمكنوا من قتله قتلوه وقد أُلقي القبض على الجناة، والمقتول رئيس المجلس الشعبي، وقد بذلت الحكومة أسباباً للقبض على الجناة لما فروا، أما عن العماد عون المتمرد فإنه لما استسلم أمر أتباعه أن يستسلموا، ولجأ إلى السفارة الفرنسية في لبنان، ولكن الجيش اللبناني حاصر السفارة ليقبضوا عليه ويرغموه على المحاكمة بدعوا أموال استولى عليها وأبوا أن يسمحوا له بمغادرة لبنان إلا بعد المحاكمة، وقد قامت فرنسا تطلب إطلاق سراحه، ولكنهم أصروا إلا أنهم كانوا موتين منه طوال هذه المدة التي كان معانداً فيها ومحارباً، وقد يستجيبون لكرامة فرنسا وتقديرها.

ففي غرة يوم الجمعة ١/٤ امتطى أربع سيارات إلى مطار بيروت لمغادرة لبنان، وكان يؤمل بعد استسلامه واستسلام أتباعه أن تتحسن الأحوال.

ذكر حالة الكويتيين في المملكة

وذلك أنهم لما لجئوا إلى الحكومة السعودية في وقت ابتداء الدراسة لم يقل ذلك من عزم الحكومة السعودية عن سير الدراسة في أوقاتها، فقد فتحت لأبناء أهل الكويت وبناتهم أبواب مدارسها وواستهم بأنفسهم بالرغم من كثرة الأعداد التي ازدحمت بها الفصول في سائر المدارس الابتدائية والمتوسطة والجامعات، ونقل أهل الكويت من المدارس إلى مواضع سكنية، كما أن حكومة الكويت بذلت لأبناء شعبها مساعدات للإيجار حينما امتلأت مواضع الإسكان، وكانت المملكة السعودية حكومةً وشعباً قد قامت بواجب حق ضيوفهم فما كانوا إلا كأنهم في بلادهم وسلطانهم، وهكذا تكون الأخوة الإسلامية، كما أرشد الرسول ﷺ إلى ذلك في ضربه الأمثال للمسلمين بأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهم ينتظرون كل يوم الفرج من الله وأن ينصرهم على عدوهم ويردهم إلى وطنهم، وإن كانوا مطمئنين كما يظهر من حالتهم، هذا

وقد كان الأمير جابر وولي عهده سعد بن عبدالله يسعون بكل جد ونشاط في طرد العدو عن بلادهم، ويطالبون مجلس الأمن في تنفيذ قراره في مصير الكويت، وانسحاب المغتصب عنها، وكان العدو قد قام كما تسول له نفسه أن تتخلى الكويت عن بعض أراضيها للعراق، ولكن الكويتيين لن يسمحوا بالتخلي عن شبر واحد من أراضيها، وفي كل يوم يشدد الضغط على حكومة العراق والتضييق عليها، وبما أنهم أصبحوا في حصار مستمر فإنها ستضطربهم الأحوال إلى الانسحاب، وكنت أظن أن أحكي الحقائق على وضعها أن الحكومة الأمريكية لا تكتفي بالانسحاب فحسب بل تريد الإطاحة بحكم صدام حسين الذي أعد عدته للفرار واللجوء إلى إحدى الدول إن حصل على ذلك، فلقد جرت محاولات لاغتياله، ولقد ضر نفسه وشعبه، وكان لما أن أقدم على ما أقدم عليه من أعماله المتقدمة ساءت سمعته ولقب بالدكتاتوري، ونظمت قصائد كثيرة في مسبته وانشق عليه شعب العراق وذلك لما كابدوه من الجوع لما اشتد الحصار، وقتل الأبرياء وأصبحت الأمة من جراء فعله بحالة يرثى لها، ونحن نسوق قصيدة من تلك القصائد التي يندى لها الجبين وتبعث الأحزان، وهي لمحمد نادر فرج:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| رجف الكون غاضباً والوجود | من لظى الرزء فالمصاب شديد |
| أنه اليوم يوم خطب جليل | شاب من هوله الغلام الوليد |
| أهو الحشر أم تراه شبيهاً | فيه ما ذاقه الكويت الشريد |
| أذهل الناس لا يقر قرار | فلقد حار في المصاب الرشيد |
| ليس من راعها يفقد بنيتها | أجنيباً به رماها الوجود |
| ليس من شرد الآلوف وأفتى | في الكويت الشقيق ليس اليهود |
| إنه القدر قد تحدانا | إنه الحق قد حين ساد الحسود |
| إنه ابن الخليج تعساً وسحقاً | لأخ فاجر وعنه القروود |
| أين أين الإخاء هل من وفاء | لأخ كان في الفؤاد يجود |
| أين ابن الإخاء وصمة عار | حين تعدو على الإخاء الجنود |

إن من روعة المصاب بأنا
أمة العرب ابتدى بعزاء
وعزائي بمن يكون عزائي
أم بمن ترز بعد حسين
أحسن الله في بنيك عزاء
وهم بين هالك وسقيم
يتساقون من كؤوس المنايا
وعلى الموت يصدرون حشوداً
يا عراقاً به الجراح تنذى
كيف تنسى طعم الجراح وتأسى
فلقد أهرقت دماء أسود
وترويه في النجيع فيسمو
كيف تهديه للعدو وتنسى
قل لصدام يا لسوء زمان
فلقد سقت للعراق مصاباً
ولقد رعت فيه كل كريم
وجعلت الحياة فيه جحيماً
فعلى الهالكين يبكي الحيارى
كيف يدعوا إلى الجهاد سفيه
كيف يحمي حمى الشعائر نذل
ليس يرعى محارماً لتقي
إنه العهر أن يقوم وضيع
إيه يا أمتي لعل زماناً
والعلى ليس يشترى بنقود

بأيدينا نبني علينا اللحد
وعزائي إليك هل سيفيد
بفقيدي وهل يعود الفقيد
وهو الآن في العناد يزيد
فيهم راعك الزمان الجديد
وضليل قد حار فيما يريد
بدمام هو الفناء الأكيد
وإلى قبرها تساق الوفود
أهب الغدر نارها والجحود
بدماء الأبطال كيف تجود
دون ذاك الشراب كانت تذود
سامعاً للعلل دعاه الخلود
إنها بالدماء عنه الأسود
أنت فيه على العراق تسود
كالذي قد جفت عليها تمود
مزق الظلم جسمه والقيود
وبه الحرب مبتلي والمسود
وعلى الفاقدين يأسى الفقيد
بدماء الأسود كان يجود
مجرم فاجرٍ دعيّ طريد
وهو في الكفر بادي ومعيد
يدعي أنه الحكيم الرشيد
نحن كنا أسياده سيعود
ومع الغدر لا تفيد العهود

وإذا ضاعت الكرامة فينا ما الذي تنفع العبيد النقاد
فابعثي العزم كي يكون صلاحاً يرفع المجد شاخاً ويشيد
وأعدي إلى العدو جيوشاً لا يفل الحديد إلا الحديد

إن هذا الشاعر موتور من أعمال طاغية العراق، وهو وإن كان قد بالغ في مسبته فلم يصل إلى بعض سيئاته، كيف لا وقد كان المجرم مؤذياً لجيرانه ومتنكراً للإحسان، وماكراً لثيماً، بينما هو سلاح في يدك لم تشعر إلا به فقد كان سلاحاً في نحر، ولما أن رأى حروجة الموقف طلب من الأمة أنه يكفي العراق بعض الكويت كالرميلة وكذا وكذا، غير أن الكويتيين لا يسمحون بشبر من أراضيهم.

وفيها في ٣/٤ قتل الرئيس شمعون المسيحي وعائلته وكان في السابق رئيساً في بيروت، وأحدث قتله رنة أسف عند أصحابه وذويه، هذا ولا تزال المجازر في الضفة الغربية والقدس نتيجة إصابة إسرائيليين، فقد جرح من أبناء فلسطين ثلاثة عشر شاباً رغم تأكيد مجلس الأمن لمحاكمة إسرائيل عن مجزرة تاسع عشر ربيع الأول وما فيها من الفظائع، وقد اشتد عدا اليهود وقتلوا المسلمين من صلاة الجمعة الموافقة غرة ربيع الثاني من هذه السنة في المسجد الأقصى.

وفيها قام الرئيس المصري حسني مبارك في يوم الاثنين ٤/٤ بزيارة لرئيس الإمارات في الخليج زايد بن سلطان بن نهيان لأخذ رأي رؤساء الإمارات هناك خليفة بن حمد، وعيسى بن سلمان، وحاكم أبو ظبي، فاستقبل استقبالاً يليق به، وقامت من الغد جرائد الحكومة السعودية تذكر ما بذلته من الإحسان والمعونات إلى اليمن، وكيف أن نصيبيهم من الشكر جحود المعروف ومقابلة الإحسان بالإساءة والكذب، ولكنه ليس متعجب أن تأخذ الحكومة اليمنية على أبنائها لما رجعوا إليها حسب طلبها رسومات قد تزيد على قيمة ما معهم من الأثاث، وعلاوة على ذلك أن تنتهب ما جاءوا به يحملونه، وتزعم الحكومة السعودية هي التي قامت بانتهابها، وغير ذلك مما جاءت به الحكومة اليمنية من الإفك والبهتان والكذب على السعودية التي طالما منحتهم المستشفيات والمستوصفات وبنيت مدارسهم، وبذلت

المدرسين إليها، وفي الحديث: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» فأؤ على إحسان ينكر وعلى معروف لا يشكر وعلى أيادي جزيلة لا تذكر، وكانت السعودية تقابل تلك المسبة برحابة الصدر، وحسن الخلق، وكلام الأدب الذي هي أهله، والخلقة به، والله در القائل حيث يقول:

يخاطبني السفية بكل قبح وأكره أن أكون له مجيباً
يزيد سفاهةً وأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيباً
ويقول الحكيم الثاني متصفاً بالأخلاق العالية:

إذا جاريبت في خلق دنيئاً فانت ومن تجاربه سواء
رأيت الحر يمتنب المخازي ويحميه من الغدر الوفاء
وكن رجلاً على الأهوال جلدأ وشيمتك السماحة والحياء
ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحواث الدنيا بقاء

زلازل تصيب الهند

في ٧/ ٤ أصيبت باكستان بزلزال شديد في مدينة بيشاور تصدعت منه الحيطان، وأصيب ٧٥ قتلوا، وأصيبت الهند من هذا الزلزال، كما أن أفغانستان عمه ذلك الزلزال ولم يتوصل الجميع إلى إحصاء ما دمره ذلك الزلزال، وكان ذلك في وقت انتخاب رئيس وزراء باكستان، وكانت الرئيسة بوتو مهددة بانتخاب غيرها وإبعادها، ولما أن كان في ثامن ربيع الثاني أبلغت موسكو مجلس الأمن بأن صدام حسين رئيس العراق لا يهمه وصول الأزمة في الخليج عن طريق السلم، وهذا بعد ما صدر القرار العاشر من مجلس الأمن ضد العراق وتصرفات صدام السيئة، فقام بقية الأهالي في الكويت بعد صلاة الجمعة من ذلك اليوم بمظاهرات في الكويت يهتفون بأميرهم جابر وبولي عهده سعد بن عبدالله، ولم تنفك المظاهرات العنيفة إلا في إطلاق النار في الهواء ضد المتظاهرين، وبعد تلك المظاهرات قامت النساء

بمظاهرات ضد صدام ويهتفن بالشيخ جابر الأحمد وولي عهده، وشهد مسجد كيفان أكبر مظاهرة، وفجرت سيارة بالبصرة وسط جمع كبير من العراقيين هناك، وكانت أمريكا مهتمة بإيجاد معدات الحرب بحيث أبدلت أربعمئة دبابة وجلبتها لتكون من السلاح الحديث وجلبت طائرات لا يهتدي الرادار إليها، واشتد الحصار على العراق وقامت الأمور هناك.

كفاح أهالي فلسطين

لما أن كان في يوم الأحد ١٠/٤ فتحت اليهود الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين والقدس بعد إغلاقها أربعة أيام عقوبةً لأهالي فلسطين، وإغلاقهم المسجد الأقصى ومنع المسلمين من صلاة الجمعة الموافقة ٨/٤ وذلك لما قاموا ضد هذا العدو الغاشم بالسكاكين، وقد أصيب من المسلمين ١٣ بجروح في الاشتباك الأخير، وقد رفعت الشكاوي إلى مجلس الأمن وقضى فيها بمحاكمة إسرائيل، ولكنها لم تخضع للمحاكمة بعد التأكيد عليها، وكان الملك عبدالعزيز غفر الله له قد قال كلمته الخالدة: إنه لا يجرر فلسطين إلى أهل فلسطين، ولكنه بسبب شدة المقاومة نشأ أن أغلق المسجد الأقصى ومنع المسلمون من الصلاة فيها، وأصبح مهدداً من اليهود، وكان الشباب في فلسطين إلا أهل فلسطين، ولكنه بسبب شدة المقاومة نشأ أن أغلق المسجد الأقصى ومنع المسلمون من الصلاة فيها، وأصبح مهدداً من اليهود، وكان الشباب في فلسطين لما قاموا بانتفاضتهم لم يكن ليصددهم عن قصدهم شيء رغم إطلاق النار عليهم وتخويفهم وتهديدتهم، واستطاعوا بأن يلفتوا أنظار اليهود إليهم بعدما كانوا عنهم معرضين ومتصلبين، ومن أراد أن يطاع فليطلب ما يستطيع، وكنت أظن أن الفلسطينيين لو كانوا مقتنعين لحصل لهم بعض ما كانوا يطلبون، وفي كلام الحكمة: «مالا يدرك كله لا يترك كله»، وتكون هذه خطوة أولى، وإذا نظرنا بعين الإنصاف إلى حالة الظروف وأنهم أمام عدو قوي فإن معاملة اليهود لهم بالنسبة إلى معاملة العرب بعضهم لبعض أخف قساوة، وأقرب إلى عدم الإبادة لهم، لأن العدو متغلب، ولو ركنوا إلى السلم وعدم المقاومة وصبروا على

شيء من الضيم مراعات للظروف لحصلت بعض الراحة حتى تسنح الفرصة، وإنهم يريدون إخراج اليهود من فلسطين حالياً وهذا شيء شبه مستحيل، هذا والله المسؤول بأن يأتي بالساعة التي فيها الفرج والتخلص من هذه الورطة ليسترد العرب والمسلمون حقوقهم كاملة من أعدائهم، وبما أن المسلمين قد وقعوا في أربع مشكلات فقد أشرنا إلى إحداها، ونأتي ببقيتها.

هدوء يسود لبنان

لما أن سقط العماد عون وسلم أتباعه وجد أهالي لبنان بعض الراحة لوطنهم وبلادهم، وقامت الأمة التي تسعى إلى إيقاف الحرب بسعي حثيث وجهود جبارة لوضع حل بين حركة أمل وما يسمى حزب الله، وقد باتت طلائع تبشر بحل تلك الأزمة ولا سيما إن كان الرئيس حافظ الأسد قد التفت إلى ما حل بلبنان فإنه بسعي منه لوضع العراقيل المتعلقة بذلك قد يحصل المقصود، ولعل الجهود التي بذلت في هذا السبيل بمؤتمر الطائف يكون لها الأثر الفعال ولا سيما وقد قام الرئيس إلياس الهراوي بتنظيم حكومته وأصبح سعي اللجنة الثلاثية مثمراً ثمرته المطلوبة، وهذا بعد حروب استمرت في لبنان خمسة عشر عاماً، وقد قدمنا السنة التي قبل هذه ما قامت به اللجنة وإعادة الكرة بعد فشلها، وبالرغم من كثر الموانع والصعوبات إنه عم التزام شامل بوقف إطلاق النار في لبنان وإعادة فتح المطار فيه، وفتح ميناء بيروت، وعمت فرحة شعبية غامرة وتدفق العائدون إلى العاصمة، وإن اللجنة الثلاثية قد نالت مقصودها ولم يتطرق السأم ولا الملل إلى السعي نحو الغاية المطلوبة، ولكن أنى وهيات، وكيف وأن البلاء قد تفتحت أبوابه وتفتقت الأرض بشر وويلات، فما كادت العرب أن تسعى إلى ترميم الشرخ حتى وقعوا في محنة ثالثة وهي هجوم العراق على الكويت، ذلك الهجوم الهمجي الذي أنساهم جميع ما تقدم من المشكلات وأصبحت نيران البلاء تأجج من جديد وتذر بشرها وويلاتها، وأصبحت الأمة في حيرة مما جره الرئيس صدام حسين على العرب والمسلمين وما سببه من الكوارث التي تفوق العد والحسبان، فبعد قتاله لإيران واستنزافه لأموال

السعودية والكويت التين قامتا بمساعدته، وأقامته من كبوته إذا هو يلتفت عليها فيهجم على الكويت ويستبيحه، ويصبح يتهدد السعودية بأن يفعل بها فعله بالكويت وهو ما نحن بصددده، فقد أقبلت الأمم من مشارق الأرض ومغاربها، واجتمعت الدول الكبرى والمتوسطة والصغرى للوقوف أمام هذا التيار الجارف الذي سيكون وقوده الجثث إن لم تداركها عناية الله تبارك وتعالى، وقد اختبأ ذلك الشجاع بزعمه الباطل في القبو الأرضي، واتقى بالصبيبة والنساء من عوائل الأجانب الذين يحتوي عليها العراق، وقد تأزمت الأمور جداً وأقبل الجو والبر والبحر بالهجمات الحديثة التي تهدر أعاصيرها وتضرب أمواجها بالفتن والقتل والزعازع وأصبحت الأساطيل الأمريكية والبريطانية والقوات الفرنسية والسورية والمصرية، وما يحتوي عليه الخليج مطوقة العراق برأً وبحراً وجواً، وبما أن الرئيس العراقي يترىص الدوائر بالعرب والمسلمين، فقد اتخذ من ذلك وهو محيي الحلفاء والأصدقاء والمدافعين عن السعودية والكويت، وعن أهل الحقوق عرضاً ومسبة لمن أتى بها، وإنهم إنما جاء يهدمون الإسلام ويبعدون أهله، ويغيرون أخلاقهم ونحو ذلك مما تقتضيه إرادته الضالة وإذاعاته الساقطة، وجعل يستنهض الإسلام والمسلمين والعرب لقتالهم وإنهم إنما جاءوا ليحتلوا مكة والمدينة لا غير، ولكنه بالرغم من إذاعاته المتواصلة أربعاً وعشرين ساعة تسب وتقذف وترمي بالبهتان لم يستجب له أحد سوى من استغواهم وهي اليمن وعمان، وقد قام بتزويرات وخزعات، وما هو متصف به من النفاق والبهجة والكذب، والكيد للإسلام وأهله بحيث أنه هو السبب إلى حضور الأجانب والمكر والأذى، وإخافة الأمنين، وقتل الأبرياء، وهدم المساكن واستباحة الدماء والأموال والأعراض، ولكن الذين اتخدعوا له لا يعلمون ولا بعواقب الأمور يفكرون، وجروا على أنفسهم وعلى أمتهم شراً وبلاءً وجوعاً، وسيعلم الذي ظلموا أي منقلب ينقلبون، ولم تقتصر البلية على هؤلاء بل عمت شعب العراق بالفقر والجوع والإملاق وتقتيله أبناء العراق وضباط جيشه لما هو مفطور عليه من الإرهاب والقتل والإفساد، حتى

أصبحت العراق كجزيرة صغيرة يحيط بها البلاء من كل جهة، محصوراً ومضيقاً عليه من كل جانب، وقد قدمنا أنهم خططوا مرات عديدة لاغتياله والاستراحة منه، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها بحيث أمهله الله ليلقى المسلمون من بقية شره شروراً كثيرة.

وفيها في ظهر اليوم ٢٥ من ربيع الثانية أقيم إمبراطور لليابان بدل إمبراطوريتها الأولى فهللت الأمة هناك لطلوع شمس الإمبراطور الجديد، وقد استهل منصبه بأنه ضد العراق باعتدائه على الكويت.

وفيها في صباح اليوم ٢٦ من ٤ أصيب الفلبين بإعصار شديد أعظم ما مرّ عليهم، وقد اجتاحت أشجاراً وبعض المساكن، وكل ما استهدف له حتى قيل أنه هلك بسببه خمسة آلاف من الأنفس البشرية، وقد مر في هذا التاريخ إعصارات شديدة تصيب الأمة وتهلك وتدمر، ولا سيما إذا كان مصحوباً بنار فإنه يحرق ما مرّ عليه من الزرع والثمار، وقد نبه الله على ذلك في كتابه.

وفيها في ١٩ ربيع الثاني أصيبت إيران بزلزال شديد على بعد أربعمائة كيلومتر من العاصمة هلك بسببه مائة وأصيبت تسع قرى، وحصل أضراراً جسيمة.

وفيها في اليوم المذكور من الشهر الرابع المذكور قامت فتيات في شرقي مدينة الرياض بمظاهرات يطالبن فيها بقيادة السيارات ومشاركة الرجال في أعمالهم احتجاجاً بأن المرأة تسوق السيارة بنفسها لسلامة من الأجانب الذين يسوقون بهن السيارات ويدخلون البيوت لذلك، وقد أظهرن الضرورة وتغيب المصلحة لذلك، وأبين أن يخضعن لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا للعلماء فلا يقتنعن إلا بعرض مسألتهن على أمير الرياض سلمان بن عبدالعزيز، وكانت المسألة لا تخلوا من دسيسة شر لقيامهن بتلك المظاهرة في حالة سيئة، وجراءة في القول، ومنهن من أسفرن عن وجوههن، فلقيام المعارضين لذلك وأهل الغيرة الدينية ورفع المسألة إلى الحكومة برجاء منهم لها بعد استنكار عملهن صدرت الأوامر بالمنع لما يترتب على ذلك في الشر وتعرض الفئات لفتنة أكبر، ونشرت وزارة الداخلية

للعوم في الإذاعة والجرائد لمنع البنات تغلياً لجانب المصلحة، وبما أن أناساً من كبار العلماء أفتوا بالمنع فإن الحكومة أيدها الله حريصة على صيانة الفتيات المسلمة عن السفور والاجتماع بالرجال الأجانب تهددت بالمنع من ذلك، وسوف تلقى من لم تلتزم أعظم الجزاء، فله الحمد والشكر على ذلك، وإنها لوقفة حسنة في سبيل هذا الاستحسان السيء، والسيل الجارف للأخلاق.

وفيهام قام الرئيس الجديد في الهند سيندرا سيكر ينظم شؤون دولة الهند إن حكومة الهند لضخامتها وكثرة سكانها الذين تجاوز عددهم ثمانمائة مليون يشق على الرئيس سيادتها وهي وإن كانت مملوءة بالخيرات فلكثرة سكانها يتطرق عليهم الجوع والحاجة الماسة في أمر معيشتهم، وإصلاح دنياهم لضخامة العدد فقد حدثني من رآها وتردد فيها أنهم كانوا يجلسون بين الأشجار في الطرقات وقد تلقى العائلة بين أغصان الأشجار فيجلسون تحته ويقول بعض المسافرين إليها من السواح ومن العمال فيها: كنا بعد تناول طعام الإفطار نلقي ما تبقى مع النوافذ إلى الشارع فرأت عيناى أنهم يتسابقون إلى ذلك من كسرة الخبز وغيرها، قال: وقد يجلس مائة نسمة لانتظار ما يسقط من النوافذ، ولما أن اغتيلت الرئيسة «أنديرا غاندي» وأقيم ابنها «راجيف غاندي» رئيساً بعدها تولى منصبها، ولكنه لتطور الأحوال لم يستطع السيطرة على الهند، ولضعفه وكثرة المتمردين والمنشقين من المتطرفين والشيخ وغيرهم، ظهر عجزه فأطيح به وتولى الرئاسة بعده الرئيس الجديد، فقام في آخر ربيع الثانية من هذه السنة ينظم شؤون بلاده ويسعى لما يصلحها، وقد كان لما أن فتح الله الرزق وبسطه على السعودية تستقدم أناساً من الهند إلى المملكة لسياقة السيارات، والقيام بأعمال البناء والتصليح، يسترزقون الله تعالى وينفعون الأمة بالخدمة كغيرهم في البيوت والدكاكين، وقد استجلب إلى المملكة من نسايم لما غليت المهور فجيء بهن وعشن زوجات فيها تاركين سيحون وجيحون وجبل الجودي الذي ذكره الله تعالى في كتابه، وقد أثرت فيهم أعمال العالم الجليل زوج «سُمُو بيكم» وهو صديق بن حسن القنوجي ملك مدينة بهوبال

بالنيابة، والذي قامت دولة إنكلترا بالتأثير على الملكة سموييكم إذا لم يضعف حركته الدينية لأنه يعتبر أكبر عالم مؤلف للكتب الدينية، ومفسر للقرآن الكريم، لما انظفات تلك الشعلة بقوة تأثير الإنكليز عليها، هذا هو العالم الشيخ صديق بن حسن الذي توفاه الله تعالى عام ١٣٠٧هـ بعدما ملأ الدنيا بمؤلفاته الدينية التي غالبها باللغة العربية، ولولا أننا كفيينا ترجمته لأتينا بها في سنة وفاته، فرحمه الله من عالم جليل، وحبر نبيل، وقد سمعت أنه لقوة التأثير عليه وقطع خدماته للدولة الإسلامية عملوا على قطع النسل له من زوجته سموييكم لوقف دعوة الحق، وأن لا يظهر من نسله من يكون ناشراً لدين الله ورسوله، وقد كان من أهالي الهند أمم مختلفين في اعتقاداتهم ودياناتهم ونحلهم التي كانوا ينتحلونها، وكان منهم من يعبد البقر ومنهم من يعبد فروج النساء إلى غير ذلك من التفرق والاختلاف الذي سببه بذور الشر وقوة الداعي، وكثرة الفساد، ولكنه في حال وضع هذه الكلمات أعني في هذه السنة والتي قبلها نشأت دعوة دينية قام بها نذرٌ يسير فأسست جامعة إسلامية ومدارس تدعوا إلى الحق وإلى طريق مستقيم، بعثوا يصرحون للعالم الإسلامي بجمع التبرعات لها، نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ﴿يَقُومَتَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

مذابح في سيريلانكا

لما كان الإسلام يطارد مطاردة في أقطار الأرض فقد حدثت مذابح جماعية للمسلمين هناك من ذبح الأطفال والنساء وحرق البيوت، واستمرت والعالم يتفرج عليها، وقد دمرت قرى بالتحريق وعذب المسلمون هناك عذاباً شديداً، وكانت هذه الظاهرة من هدم البيوت والمساجد وغير ذلك دون أن يفعل المسلمون شيئاً يذكر فقد كان المسلمون هناك يعانون في أوائل شهر جمادى الأولى من هذه السنة من البطش والتعذيب والتقتيل، وانتهز التاميليون في سيريلانكا الفرصة ومارسوا هوايتهم، ولم يتورع أولئك المتطرفون في شمال وشرق البلاد عن مذابح جماعية

وتدنيس المساجد وإطلاق الرصاص على المصلين، والتمثيل بجثثهم، وقد فاجأ الأشقياء النساء، وأن صلاة العشاء الأخيرة وقتلوا الأبرياء، وفعلوا جريمة لا يقرها الشرع ولا العرف ولا الذوق، نتائج العلمانية أو إن نتائج العلمانية ومفاسدها هي إقصاء الدين وقتله والخروج عن الدين وتحجيم دوره، وإقصاء العلماء عن مواقع المسؤولية هذه هي العلمانية التي يتعشقها أهل الانحلال والضلال من هذه الأمة، ونحن نذكر ما جرى على مسلمي سريلانكا لأن أسباب كراهية دين الإسلام هو انتشار هذه البلية، فبينما الدولة العثمانية يعتبرون أنفسهم أنهم أكبر دولة إسلامية تحولت من الخلافة إلى جمهورية يحكمها الغازي مصطفى، كما أنها علمانية لا دينية فصلت الدين عن الدنيا واستبدلته بأنظمة جديدة مقتبسة من القوانين الأوروبية الحديثة، وكانت هذه طريقة ضل بها أكثر الناس، أما ما جرى على مسلمي أهالي سريلانكا فمن أهم الحوادث التي سجلها التاريخ هي:

في ١٢ يونيو ١٩٩٠م قامت جبهة النمر فاخطففت عدداً من التجار المسافرين الذين كانوا متجهين من مدينة إلى مدينة فنهبوا أموالهم وقتلهم جميعاً، ولم يعثر على أجسادهم، وكان عددهم يتجاوز ٢٤٠ مسلماً من بينهم العلماء وطلبة العلم والنساء والأطفال.

وفي ٣ أغسطس ١٩٩٠م دخل النمر مسجدي مدينة «دكانا نكدي» عند صلاة العشاء فشنوا هجوماً وحشياً لا إنسانياً بإطلاق الرصاص والقنابل على المصلين الأبرياء، فقتلوا مائة وستة أنفار في هذين المسجدين وجرحوا ثمانين مصلياً، ولم يكتفوا بهذه الأعمال الإجرامية بل ذبحوا كثيراً من الفلاحين في مزارعهم وعدداً أكثر من الصيادين في قواربهم، ورموا بالقنابل على العابرين فأثاروا الذعر، وكان إذا وقع مسلم في قبضتهم لا يستطيع الفكك منهم، وفي الرحلة الأخيرة تتجاوز النمر التاميل ذبح إلى هدم إلى إحراق المساجد والمنازل والمحلات التجارية، وإحراق المصاحف والكتب الدينية، وكل ما يتعلق بالمسلمين إلى غير ذلك مما لا يصدق بمثله.

زيارة الرئيس الأمريكي

لما أن كان في اليوم المذكور الموافق ليوم الأربعاء وفي الغد يوم الخميس قدم الظهران ليشرف على القوات التي تكامل عددها هناك ليقف على الفيالق والمعدات الحربية، ثم سار إلى جنيف ليجتمع بالرئيس حافظ الأسد، وكان هذا الاجتماع أو اجتماع بين الرئيس الأمريكي وبين حافظ الأسد منذ بضع عشرة سنة، وكان في استقباله بالسعودية إقامة تكريم واحتفاء من الملك فهد وولي العهد وسائر الأسرة السعودية مرحبين بقدمه، كما أنه اجتمع بالرئيس حسني مبارك رئيس الجمهورية المصرية، وكان لجولته هذه أهمية عظيمة، وتأثر لها العراق خوفاً وذعراً، واهتزت الجزيرة العربية لهذه الزيارة، ولا سيما أن الدول المرابطة في مياه الخليج تنتظر النتيجة المنتظرة في استخدام القوة على العراق، وقد أمر بجلب مائة ألف أمريكي إلى الجبهة التي كان فيها مائتا ألف من الجنود الأمريكية قبل ذلك، ولديهم الأهوال والقنابل والصواريخ والعذاب الذي لا تطيقه القوى البشرية، وكان بوش قد استعد بما لديه من السلاح المهيأ لخوض المعركة.

وفيها في ٥/٥ من هذه السنة قامت رئيسة وزراء بريطانيا «تاتشر» بتقديم استقالتها من منصبها لقيام من يزاحمها، فأحدث ذلك هزة في وسط حكومتها ولا سيما لما أصرت على طلبها، وكان قد تقدم لها في الخدمة أحد عشر عاماً ونصفاً فاغتنم هذه الفرصة الرئيس صدام معرباً بأن ذلك لقيامها ضد العراق، وتقدمها في صد هجومه على الكويت، وكان قد أقذع في مسبتها والنيل منه كعادته في السباب والقذف والشتيم، ولا يعلم حقيقة ما الذي حملها على ذلك في هذا الوقت، غير المناسب لتنازلها.

مغريات الأردن لما أظهر ملك هذه الدولة الصغيرة الضعيفة في عداوته للسعودية التي غمرته بنعيمها وأمدته بمئات الملايين قديماً وحديثاً، وأنقذته من كبواته مرات عديدات، كما في النكسة التي جرت عليه وعلى جمال عبدالناصر عام ١٣٨٧هـ، وغير ذلك من عطفها عليه كما قدمنا من غزو الرئيس صدام له وإيقاعه

برية الغرور ومنع منتوجات الأردن وتوريدها على السعودية من جميع الخضروات، فإنه لم يزهّد أن يطلق خطباء مساجده ألسنتهم بالسب والافتراء، وآخر شيء أن قام خطيب جامعهم المسمى العالم الفقير بأن الأردن لا تقوم بفريضة الحج في هذا العام لوجود أمريكا والحلفاء في مهابط الوحي، ويشيرون إلى الظهران من مهابط الوحي، وأن وجودهم في البلاد السعودية سواء كانوا في شرقها أو غربها يمنع الحج حتى ولو كان ما بينهم وبين مكة المكرمة ألفا كيلومتر، وكان المدعو الشيخ على الفقير يتكلم بما يوافق هوى حكومته، فنشرت الحكومة السعودية نشرة معناها: «الحج فريضة لا تلغيا دعاوي السياسيين والمغرضين»، وأقول أن مما يثير الأسى ويبعث الأحزان أن تكون شعائر الإسلام في مطالع الأهلة وأداء الحج والعمرة تبعاً للسياسة، أو أن تكون مكة المكرمة هدفاً لسهام الراشقين وتفجير عبوات المفسدين، وملتقى نقمة المتذرعين أن مكة والمدينة يجب احترامهما وتقديسهما كما قدسهما تعالى، فلا سبيل إلى النيل منهما وإدراك الأغراض الشخصية بدوس كرامتهما، ولقد كانت كرامتهما واحترامهما وتقديسهما كما قدستهما الحكومة السعودية وطهرتهما وأبعدت كل الأخطار عنهما، ولكن أين من يتكلم بالحقيقة وينطق بالحق يا أولي الأبواب؟ ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤١]، ولو أن العدو إذا أراد أن ينال من عدوه لا يتذرع بالدين هذان الله جميعاً إلى سواء السبيل.

وفيها حصل انقلاب في تشاد وأطيح الرئيس حسن حبري، وقام المتمردون يفعلون ما يشاءون ويحكمون بما يريدون، وفرّ جميع القواد المتقدمين إلى موضع غير معلوم، وقد يكون ذلك بسعي من العقيد معمر القذافي.

وفي يوم السبت الموافق ٢١ جمادى الأولى دخلت الانتفاضة عامها الرابع من هذه السنة، وقد تازمت الأمور في فلسطين بغزة والخليل والقدس، بل في الضفة الغربية، وكان يخشى من شباب المقاومة والانتفاضة العدول عن القتال بالحجارة والزجاجات الحارقة إلى السلاح، ولقد أحصى الذين قتلوا وجرحوا وأصبحوا

معوقين، وهدمت منازلهم ومساكنهم في فلسطين المحتلة ونابلس وغيرها، فكانوا كما يأتي من قيام الانتفاضة إلى يوم السبت ٥/٢١ من هذه السنة سبعة آلاف معوق، وخمسة وسبعون ألف سجين، وأحد عشر ألف جريح، وتسعة آلاف قتيل، وهدمت المساكن التي تعد بالآلاف.

وفيها في ٢٩ جمادى الأولى وقعت هزة في جنوب إيران تأثرت الأهالي لذلك، ووقعت في الهند معارك ضد الإسلام من أناس متطرفين من الهندوس، كثر التقلب والتفكك في روسيا، وكثرت الثورات فيها، وذلك في مبتدى ٢ صفر، وكان ذلك من حسن حظ أفغانستان المسلمة ضد حكومة كابول الموالية للروس، فأخذت الثوار ثأرها منهم، وأنزلت بهم خسائر فادحة.

وفيها في أوائل شهر جمادى الثانية قامت أمريكا تعمل مناورات وتجارب لأسلحتها التي رست في الدمام وما يلي الحدود السعودية من جهة الشمال جهة العراق، ورئيسها صدام حسين، فأحدثت أفزاعاً عظيمة تأثر لها السكان، وأزعجت الأمة هناك مما كان له أعظم التأثير على العدو، وبما أنه مضى على المهلة للعراق ٢٥ يوماً، إما أن ينسحبوا أو تشن عليهم حرب لا قبل لهم بها، ولم يبقَ من هذه المهلة سوى واحد وعشرين يوماً، لأن مبتدى هذه المهلة في ١ ديسمبر ومنتهاها منتصف يناير آخر جمادى الثانية من هذه السنة، وكانت العراق لم يتغير عن موقفها، فلم يبقَ إلا مقابلة الشر بمثله، كما أنها قامت مناورات وتجربة بالسلاح في حفر الباطن، وكانت زجاجات النوافذ في الدمام قد تأثرت من أصوات الصواريخ والأهوال، مما سيضطر الأهالي إلى عدم السكنية والطمأنينة أو البعد عنها.

وفيها في يوم الجمعة الموافق ٦/٤ وفاة معتمد المعارف السابق الشيخ صالح بن سليمان العمري من أهالي مدينة بريدة، تولى إدارة مدرسة الملك فيصل بعد مديرها عام ١٣٦٦هـ، ثم رأت المعارف أن يكون معتمداً في القصيم، فقام بجذ ونشاط في هذه الوظيفة أربع سنوات، ثم نقل إلى الرياض في عام ١٣٧٥هـ ليكون مساعداً لمدير دور الأيتام والرعاية، ثم نقل إلى وظيفة في الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، ثم

إلى الإحالة على التقاعد، وقد قام قبل ذلك في إصدار جريدة القصيم استمرت ثلاث سنين لكنها فشلت عام ١٣٧٦هـ، وبعد الإحالة فكر أناس في إنشاء مصنع إسمنت في القصيم فقامت شركة قوية لذلك، وكان موضع المصنع يقع شرق موضع القويطير، وتوفى في هذه السنة عن عمر يناهز الرابعة والسبعين لأن ولادته عام ١٣٣٧هـ رحمه الله وعفا عنه.

وفيها في يوم الاثنين ٦/٧ أصيبت أمريكا بموجة برد شديدة، ونزلت الدرجة إلى ٤٠ تحت الصفر، فأصيب من شدة الصقيع خمسون قتيلاً، وهذا شيء يعتبر من أعظم ما كان في أمريكا.

وفيها في يوم السبت ٦/١٢ وقع اشتباك عنيف بين الفلسطينيين وجنود الاحتلال الصهيانية، فسقط من أهالي فلسطين ستة قتلى وجرح منهم مائتان، وقد تأثر العرب لذلك فأصبحت أبناء فلسطين ألوعية في يد الصهيانية، وبما أن اليهود لم ترَ من يقف أمامها من المدافعين العرب، فقد عزمت على إقامة ستة آلاف مسكن في أحياء سكنية في القدس للمهاجرين اليهود، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وتزداد الفتن في فلسطين وتوالي تلك المجازر ولم تتوقف إلى حل مجلس الأمن الدولي رغم كثرة الشكايات، بل لا تزال في تعقيد منذ ثلاثة وأربعين عاماً.

وفيها في ٦/١٣ يجند الملك إعانات ومساعدات للمجاهدين في أفغانستان ثلاثين مليون روبية رغم نفقات الدولة، وما هي فيه من أزمة الحرب وملاقات الأهوال التي كانت تكابدها، كما بعثت اثني عشر مليوناً لإكمال مستشفى صعدة في اليمن، مع ما كان بينها وبين اليمن من الخلافات وسوء التفاهم، وفي هذه الأثناء يقوم الشعب السعودي بجلب ما يتطلبه الموقف وما تدعوا إليه الحاجة من سرج وفتائل ووقود لها من الغاز، وتأمين البيوت بالأرزاق استعداداً لكارثة تتوقع من نتائج هذه الحرب التي كانت أمريكا وبريطانيا وفرنسا تستعد لها منذ خمسة شهور وثمانية أيام، ودخل في جبهتها الرئيس حسني مبارك والرئيس حافظ الأسد، وذلك بعدما فشلت جميع المحاولات للصالح، وأن يقف الرئيس العراقي عند حده ويرجع

عن غيه، ولم تزده هذه المهلة الطويلة إلا غطرسة وتمسكاً فيما هو عليه، وقد لاقى بقية أهل الكويت المتبقون فيه أنواعاً من العذاب والمعاملة اللاإنسانية من جنود صدام وزبانيته، وقد ارتفعت أسعار الحاجيات فبلغت قيمة السراج العادي مائة ريال بعد ستة ريالات وهذا في يوم الجمعة ٦/١٨ من هذه السنة، وارتفعت قيمة الأرزاق والماكولات في العراق لشدة الحصار عليها درجة لا يكاد يصدق بها، وكان الرئيس المغرور قد ضيق على سائر مدن العراق في النفقات، وجلب ما يضمه له ولجنوده المحيطين به، فأصبحت العراق بحالة يرثى لها، وقد فرّ من السكان تخلصاً من ظلم صدام من استطاع الفرار، وهددت جملة السكان بأنهم غير خاضعين لسياسته التي سلكها رغم بطشه والتنكيل بمن لا يخضع لأوامره، ولقد أشار عليه جميع العرب والناصحين له أن يسلك غير ما هو ثابت فيه وتظاهره بالعناد والأذى، ولكنه أبى أن يقبل نصيحة أحد كائناً من كان، وقاوم الموقف جداً، وأضافت أمريكا أهوالاً أخرى إلى ما جاءت به من القوات، وكان لغروره وما يريده الله به يتظاهر بأن لديه قوات لا تغلب وجنوداً لا تقهر، ويستهزئ بالسعودية وأمريكا وبريطانيا، أما الجنود التي أعدتها الحلفاء لمقابلته فبلغت على الصحيح ستمائة ألف لديهم من الأسلحة من الأساطيل والدبابات والطائرات والمدافع والقنابل والصواريخ شيء لا تبلغه العبارة، ويقول الرئيس جورج بوش أن ذكاء صدام حسين لا يحتاج إلى زمن طويل، وكان لخيانته لشعبه وخذلانه له قد أعد طائرات للهرب وتركهم فريسة لعدوهم إذا ما أحس في أدنى انهزام وخلل في جبهة حربه هذه خطته التي كان يسلكها بعابرة يريد أن يلقيهم في المهالك ويتبرأ منهم، وما أشبه هذه الحالة، نسأل الله الهداية بما قصه الله في كتابه علينا بحيث يقول: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٨]، فسبحان الله من ابتلى به من غره الناس.

وفي الساعة التاسعة وعشر دقائق بتوقيت غرينتش توافق الثانية وثمان وثلاثين دقيقة زوالي من ليلة اليوم الثاني من شهر رجب ١٤١١ هـ قامت الحرب على

العراق وبدأت الطائرات تضربها، وركزت قذف القنابل على مطارات العراق والمراكز العسكرية فيها، وسمعت الانفجارات ودوي ضرب القنابل، وذلك بعد المعذرة وإمهال العراق وقتاً طويلاً لتراجع عن غيها، فلما لم تعد المفاوضات في كل تلك المدة عدلت أمريكا وحلفائها بريطانيا العظمى وفرنسا إلى اللجوء إلى القوة، وقد أحضرت في ضمن تلك الأسلحة أسلحة نووية كيميائية لاستعمالها ضد العراق إن دعت الضرورة إليها، وكان ذلك في منتصف الليل من يوم ١٧ يناير كانون الثاني ١٩٩١م، وقد رجعت الطائرات التي باشرت الضرب سالمة، وقد ظهر في أول وهلة عجز العراق وضعف غطرستها، ولما أن وقعت الواقعة كان من المعلوم أن العراق بغرورها لا تستطيع الصمود أمام تلك الأهوال، وكان فجر يوم الخميس وقتاً لمطالع الحرب الضروس التي تنفست في ذلك اليوم، وأعدت الأحوال لها من أمريكا ولندن وباريس والسعودية ومصر وسوريا، وما يحتوي عليه ذلك الجيش من الإمارات الخليجية قطر ودبي وعمان وأبو ظبي والبحرين وغيرها، وكان أول شيء إطلاق أربعين صاروخاً من السفن الأمريكية على المواضع الحساسة، واستطاعت مع قاذفات القنابل التي ركزت على القضاء على المواقع النووية والكيميائية في العراق، وكانت الطائرات التي اشتركت في ضرب العراق قد بلغت الفين وخمسمائة طائرة، وأصيب العراق بأربعمئة غارة أسقطت عليها أربعة آلاف طن من الحديد وأصيب نصف جيش صدام المحيط به، وضرب موضعه وأصيب المواضع الكيميائية والمواضع النووية والهاتف والمطار العراقي والمواضع العراقية العسكرية في الكويت، وأصيب مدينة الخفجي من ضرب مدافع العراق فاستهدفت بعض خزانات الزيت، وقد سهل الله إطفائها، واستمرت هجمات أمريكا وحلفائها طيلة ذلك اليوم حتى بلغت غاراتها ألف غارة، وتم إنزال ثمانين عشر ألف طن من الحديد على العراق، ودمر قصر الرئاسة تدميراً كاملاً، كما أن الصواريخ التي وجهها العراق إلى إسرائيل في تل أبيب قد دمرت هذا في أول يوم من غزو الحلفاء للعراق، وما زالت القوات الإسلامية ومساعدوها تشن غاراتها

على العراق حتى قضى يوم وليلة وهي مصرة على غيها، وقد انقطعت المواصلات بين العراق والعالم بحيث أن الهاتف السلكي واللاسلكي قد دمرت ودمرت الشبكة الكهربائية، وقد ألقت أمريكا مناشير تنصح الأهالي بالعراق بالفرار إلى خارجها، وفعلاً قد فرَّ بعضهم إلى إيران والتحق إليها وإلى غيرها فقد التجأ إلى الأردن سبعمائة وخمسون عراقياً وبعثت الأول المساعدات لأولئك اللاجئين من بطانيات وملابس ومواد غذائية وتوقع أن يبلغ العدد من اللاجئين في الأردن إلى ثلاثة آلاف لاجئ، وكانت أمريكا قد أهملت العراق تسع عشرة ساعة من صدور قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ في ضربها لعلها تفيء، ولكنها ما دامت في عنادها وغيها، وفي هذه الأثناء قامت قوات العراق ترسل صواريخاً إلى مدن السعودية على الرياض والظهران، ولكن القوات الأمريكية كانت تضادها جواً، فكانت تلك الصواريخ العراقية تنفجر في الجو، كما أن الصواريخ الموجهة إلى تل أبيب «سكود» تصاب بمضادات أمريكا، ولما أن أرادت إسرائيل الدفاع عن كيائها وما تحت يدها وأن ترد على العراق سيحدث منها غضب من بعض ملوك العرب ورؤسائها تعلقاً بخيط من العنكبوت لمساعدة العراق، وزودت أمريكا لإسرائيل بصواريخ طراز باتريوت قوية التأثير على صواريخ العراق، وتكفلت لإسرائيل بحمايتها.

ولما أن كان في يوم الاثنين سادس رجب قامت الطائرات الأمريكية بضرب مدينة البصرة واشتد القصف عليها حتى اهتزت مدينة الأهواز الإيرانية من ضرب القنابل التي فاقت بضخامتها واستهدفت البصرة، فقام كافر الخليج زنديق القرن الخامس بتفجير آبار الزيت في الكويت وأضرمتها ناراً، كما كان يطلق صواريخ سكود السوفيتية على الرياض والظهران، ولكن الله أبطل كيده فكان يقابلها الصواريخ الأمريكية فتفجرها في الجو، وتبطل مفعولها، ولقد أصيبت إحدى عمائر مدينة الرياض بشظية صاروخ من صواريخ الشقي فأحدثت أضراراً بسيطة ولكن غالب سكان الرياض لما رأوا الرياض تصاب كذلك امتطوا السيارات على اختلاف أنواعها بعوائلهم وفروا هارين إلى القصيم، ولا ريب أن هذا الشقي

أصبح كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۖ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ ﴿[البقرة: ٢٠٥-٢٠٦]﴾، ولقد اشتد الحرب والضرب في منطقة الخليج، وشاركت القوات الفرنسية في ضرب العراق، كما أنها استطاعت أن تأسر عشرات الجنود العراقيين في الكويت، وأصبحت القوات البحرية العراقية بتدمير لبعضها، كما أنها قطعت المواد الغذائية عن العراقيين المرابطين في الكويت حتى جعلوا يطوفون في الشوارع ليحصلوا على كسرة من الخبز، وما زالت الإمداد الحاربة من بريطانيا وغيرها تتواصل لنجدة القوات المشتركة، وكان من أعظم ما لدى العدو اللثيم صواريخ سكود، فكان يطلقها إطلاقاً عشوائياً لعدم معرفة شياطينه لها، لأن الرجال المدربين لمعرفة هذه الصواريخ قد أعدمهم غضباً لما لم ينتصروا ولم يحرزوا تقدماً، وما يؤسف له أن جعل هذه الصواريخ متفرقة وفي أمكنة غير معلومة لثلا يحصل تدميرها القبض عليها، كما كنت أظن أنه تصرفه هو وكلايه برؤوسها جهلاً بمعرفتها أضعف قوتها، وإلا فلو كانت على وضعها الأول لكان لها تأثير عظيم لقوتها وعظم ضررها، ومع ذلك فإنها شديدة الانفجار وقوية التدمير، ولا أدري كيف غفلت الأمة عن شرائها والحصول عليها، كما أن حصل تسخط المجتمع الدولي على روسيا بحيث لم تبذلها لغير هذا الجنون الشقي، ولقد تقدمت قوات العراق إلى مدينة الخفجي وهجمت عليها هجوماً انتحارياً، ولكن القوات السعودية بمساندة الجيش القطري استطاعت إخراجها وطردها ناكصةً على أعقابها وكبدتها خسائر جسيمة، وحطمت أليتها تحطيماً فكانت قوات صدام ما بين أسير وقتيل، واستمرت الطائرات المشتركة في ضرب البصرة حتى اهتزت قصور مدينة الأهواز الإيرانية.

وقد فر من العراق طيارون بطائراتهم إلى إيران فاحتجزتهم إيران متظاهرة أنها لا تطلق سراحهم حتى توضع الحرب أوزارها، غير أن إيران بالرغم من أنها كانت على الحياد في هذه الحرب لا تدخر وسعاً بالعطف على صدام الذي كان مبارزاً لها

بالعداوة والكيد والحروب الدائرة رحاها ثمان سنوات، والدليل على ذلك سعيها بالصلح بين العراق والحلفاء لما رأوا انتصاراته عليه، وهذا شيء يعجب له.

ولما أن كان في دخول شهر شعبان ١٤ فبراير اشتد الضرب على العراق واهتزت حيطان مدينة عبادان والأهواز من قوة الانفجارات، ودمرت الطائرات الأمريكية جميع ما مرت عليه في العراق من الصواريخ، وأصيبت محطات الكهرباء وخزانات المياه والمواصلات، وكانت الجنود الذين جعلهم الرئيس العراقي من أهالي العراق دونه وحرسه الجمهوري مقصورين على وجبة واحد، كانت خمس ملاعق من الأرز في اليوم والليلة بينما يتنعم في مخابئه التي أعدها في جرف الأرض وأهالي العراق بحالة يرثى لها قد استهدفت بعض مساكن الأهالي المدنيين للقصف لما كان ذلك الطاغية العراقي يطلق صواريخه على الرياض والحفر والمدن السعودية إطلاقاً عشوائياً فتصيب النساء والأطفال في فرشهم، وأصبح ذلك المؤذي بطبعه عقوبة على شعبه خاصة وعلى المسلمين عامة وكان إطلاقه صواريخه الشديدة الانفجار على اليهود في فلسطين وعلى العاصمة السعودية الرياض، فقد أصيبت جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، ولم يكن فيها ليلاً سوى الخدم الضعفاء الذين أصيبوا، وقد تصيب بعض الأهالي المدنيين العزل، ونذكر إصابة من شظية صاروخ من صواريخه لما أطلق آخر الليل إنه هدم بعض المساكن فما أخرج المصابون في تحت الانقراض إلا وقت العصر من ذلك اليوم لما انتشلت جثثهم فوجدوا ما بين قتيل وجريح تكسرت الأبواب والنوافذ التي تقع عليها تلك الأهوال، وأصبحت مدينة الرياض التي كانت زهرة الدنيا مهددة بالأخطار ولا تزال صفارات الإنذار عالية أصواتها وتارةً تنادي الإذاعة بالاستعداد وأخذ الحيلة لما سيجري، وتارةً تنادي بأنه زال الخطر والحمد لله فذهبوا إلى أعمالهم، ولما أن رأى الأهالي ما دهم ركبوا الصعب والذلول وفروا هارين على ما حصلوا عليه من قلايات وغيرها مكشوفة إلى القصيم فاستأجروا مساكن فيها، ومنهم من لم يحصل إلا على خيام نصبوها في البراري، وقد كانت

فرصة لما أجلت الدراسة في المدارس لهذا العارض، فكانوا يذهبون لأخذ العمرة والجلوس في مكة والمدينة، ولما أن توسطت روسيا بالصلح تظاهر عدو الله بقبوله الانسحاب من الكويت، كما تفرضه جميع الدول عليه وتباشر الجنود العراقية الذين ثبتهم في الكويت لأذية أهلها وتفتشهم وتشريدهم والتمثيل بهم، ولكنها قليلة وخدعة من خدعه، فعاد إلى ضباطهم ورؤسائهم يطلقون النار عليهم ويلعنونهم، وكانت النتيجة من طلبه للصلح ورضوخه للانسحاب أن فجر مأتي بثر في الكويت من آبار النفط والبترو، وأشعل الحرائق فيها، حتى ارتفعت النيران والدخان الأسود في أجواء الكويت وما يليها، حتى حالت دون ضياء الشمس، وأصبحت الدنيا هناك جحيماً أسوداً لا يستطيع السير في سادسة النهار، وهذا انتقاماً من قوات الحلفاء التي قيل أنه في معدل اليوم الواحد تصاب مائة دبابة من قوات العراق. وأحصى ما قامت به طائرات الحلفاء في قصف العراق من آخر ليلة خامس ٨ إلى تمام أربع وعشرين ساعة فبلغ الفين وثمانمائة طلعة، أي ليلة سادس من ٨.

ولما أن كان من آخر ليلة الأحد عاشر شعبان في الساعة الرابعة زوال قبل طلوع الفجر بدأت الحرب البرية، وهذا بالرغم مما بذلته جهود روسيا من سعيها بالصلح وإقناع المجرم صدام حسين، فقد قتل شباب الكويت وألقى بجثثهم في شوارع الكويت، وفجر الآبار، كما ذكرنا وتقدمت قوات الحلفاء بمدافعها وصواريخها ودباباتها متجهة نحو الكويت لطرد العدو عنه وإخراجه ذليلاً، وكان الرئيس قد طوقه بجواجز من الرمل، وبعدها أسلاك شائكة ثم حفر خنادق لثلاث تحترقها القوات الآلية، ولكنه بالرغم من ذلك دخلت القوات المتحالفة ولم تعبأ بها وأسرت خمسة آلاف من الجنود العراقية، واستسلم آخرون حتى بلغ الأسراء خمسة وعشرين ألف عراقي، وجاءت التدابير من القائد الأعلى بالإحسان إليهم ونقلهم من الجبهة إلى مواضع الأسر حتى تضع الحرب أوزارها، ولم تجد القوات المتحالفة أمامها قوة تذكر كما يتصوره الطاغية، واستطاعت القوات المتحالفة تحطيم خمسين

دبابة روسية، ولقد صفقت الكويت لما رأت قوات التحالف تنتشر في أرض الكويت تأسر وتدمر القوات العراقية، وكانت دبابات أمريكا تفوق في القوة والاستعداد، كما أن الدبابات البريطانية لها مفعول عظيم، هذا وقد كانت الطائرات المتحالفة تضرب العراق وتطالع عن كذب سير الدبابات والمحافظة عليها، وقد دمر الحلفاء وقتلوا أعداداً كثيرة، وتقدمت ولم يفقد من جيشها سوى ثمانية قتلى وعشرين جريحاً، وما زالت قوات التحالف تحطم والجنود العراقيون يستسلمون، وذلك لما أنهكهم الجوع لأن خمس ملاعق من الأرز للجندي العراقي في اليوم والليلة غير كافية لأن تقيم صلبه، ولا سيما لما رأوا بمعاملة المملكة السعودية للأسراء العراقية من الرأفة والرحمة، لكن غالبهم مسخرون ومغلوبون على أمرهم عندما رأوا من تقتيل إخوانهم المسلمين.

وفي يوم الجمعة الموافق ٨/٨ صدرت أوامر الرئيس صدام على جنوده في الكويت بأن يترصدوا للمسلمين بعد صلاة الجمعة بأبواب المساجد فيلقون القبض عليهم ويجعلون عيونهم مغطاة ويحملوهم أسراء لا يعلمون إلى أي جهة ذهبوا فيلقونهم في العراق ويفجر بقية آبار البترول في الكويت حتى تم تفجير خمسمائة بئر في الكويت وأصبحت الأمور لا تبشر بخير بعد اندلاع النيران وإشعال الحرائق في أحياء الكويت، وقتل النساء والأطفال وهتك المحارم، وكانت الأمور لا تبشر بخير وتنذر بشرها وويلاتها، وفي تلك الأثناء تطلق العراق بتوجيه من رئيسها صواريخ سكود السوفيتية على المدن السعودية، وكانت آية من آيات الله في قوة القصف وشدة التدمير، لولا أن الله جعل لها صواريخ مضادة في الجو وهي صواريخ باتريوت الأمريكية، فقد أطلق الشقي صاروخاً على مدينة الخبر في الشرقية فسقط على عمارة فيها ذات طابقين، فقتل أربعين وجرح مائة وخمسين، وفقد أربعون تحت الأنقاض، كما كان يطلق الصواريخ على مدينة الرياض فأصيب بعض المدارس وبعض البيوت فيها، ولولا أن الله دافع بفضلته عن المسلمين لكان الأمر أدهى وأعظم، ولما أن توغلت جيوش الأمم المتحالفة ضد العراق في مدينة الكويت

استطاعت أن تطرد الجيوش العراقية وتأخذهم أسراً وقتلاً وتحطم دباباتهم حتى خرجوا أذلة وهم صاغرون، وأسر منهم خمسون ألفاً ودمرت دباباتهم ولم تكتفِ أمريكا بذلك حتى سدوا الطريق بينهم وبين العراق يقتلون ويأسرون ولا يزال الضرب في مدن العراق مما حمل على الرئيس أن يعلن سحبه من الكويت، ويعترف بأن الكويت ليست جزءاً من العراق، ويخضع لقرارات مجلس الأمن صاغراً مرغماً، وأخذ يفكر في الفرار من العراق بجعل طائرتين على استعداد، ولكن أمريكا جعلت له أقماراً صناعية تمنعه من الهرب حتى تخضع لجميع الخسائر التي أنزلها بالكويت، وقد شوهه من مصر التي بلغت جيوشها تسعة وثلاثين ألفاً، تقدماً عظيماً في طرد الجيوش العراقية أيضاً عن الكويت، ورفع العلم الكويتي في الكويت وفتحت السفارة الأمريكية بعد إغلاقها، كما فتحت بقية السفارات فيها، وقام الأهالي في الكويت يهزجون بالدعاء والثناء والشكر لصاحب الفضل عليهم الملك فهد بن عبدالعزيز، وأصبح الذين ناصروا الشقي المعتدي رئيس العراق وزجوه في غيه وضلاله يعضون على أيديهم أسفاً على ما بدر منهم، بحيث جحدوا المعروف وأنكروا الفضل وجأهروا بعداوتهم كيف لا وهم يتربصون الدوائر ويظهرون في وقت العافية مالا يبتغون قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ ﴿هَآئِنْتَ هَؤُلَاءِ جَدَلْتَهُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٧-١٠٩].

كان الحكماء قد قرروا على أن يجعل صدام في قفص المحاكمة بعدما أطيح في حكمه وخذله الله، وكان رفع العلم الكويتي فيها يوم الأربعاء في ١٣ شعبان من هذه السنة.

وفي صباح يوم الرابع عشر الموافق ٢٨ من فبراير شباط ١٩٩١م تلقى السفير السعودي في واشنطن بلاغاً من الرئيس جورج بوش بالأمر بوقف إطلاق النار،

وذلك في الساعة الثامنة صباحاً بتوقيت الرياض، ولما أن أعلن القرار كان فيما قبله وبعده سوء تصرف من العراق بحيث أنه لم يتوقف إطلاق النار منهم بصورة قطعية مما اضطر المشاركة إلى رد الفعل بالفعل بحيث سقط من أهالي العراق بالبصرة جملة قتلوا وحطمت من دباباتهم ثمانون دبابة، إضافةً إلى أربعة آلاف دبابة حطمتها أمريكا والقوات المشاركة، وخلفوا ورائهم حينما انهزموا مائة ألف قتيل وخمسين ألفاً وأسروا منهم مائة ألف وخمسة وسبعون ألف أسير، ثم وقعت فوضى في اليوم الثاني عشر في مدينة البصرة وكسرت صور الرئيس صدام، ونودي بالإطاحة في حكمه وجرح الثوار في البصرة ابن صدام حسين وهو عدي بعد محاولة اغتياله، وقتل حاكم البصرة ورئيس البلديات فيها وخسر العراق مدينة الزبير والسماعة والبصر والناصرية، وقام الجيش ضد الرئيس الأول بقصف للحرس الجمهوري، ومظاهرات عنيفة بحيث سمع في إيران أصوات الانفجارات من ضرب المعارضين لصدام، وقام الرئيس المخلوع يفكر في جهة يلجأ إليها فمانعت روسيا من إيوائه، وقد يكون فرض بنفسه على أعوانه الذين زجوه في ورطة وعرض نفسه على الجزائر ملحاً فأجابت بأنه لا مانع من ذلك إذا وافقت أمريكا.

ولما أن كان في يوم الاثنين ٨/١٨ قدم ولي عهد الكويت رئيس الوزراء فيها سعد بن عبدالله بن صباح الكويت على متن طائرة سعودية بعد غيابه عنها سبعة أشهر وسبعة أيام، وقد أجمعت ظنون الأعداء ومن على نحوهم بأنها غابت شمس الصباح فلا يعودون إليها، وهذا يدل على تمام قدرة الله تعالى، وأن الإنسان لا يئأس من روح الله، فأول شيء بداية ركعتان ركعتهما على مدرج الطائرة شكراً لله تعالى وخضوعاً لعظمته، هذا وقد كانت سماء الكويت غمامة سوداء من دخان آبار الزيت التي فجرها طاغية العراق وبلغ عددها تسعمائة بئر، ومثل بمن وقعت يده عليه من أهالي الكويت المفقودين فيها بأن قلع أعينهم وأحرق بعضه فلم تعرف أجسامهم، وقتل الشباب والأطفال وألقاهم في الشوارع جثثاً هامدة، وأصبحت الكويت بمراً يرى حزينٍ تقشعر له الجلود وتحزن له القلوب وتنكره العقول البشرية،

وقد كانت بقايا من الفلسطينيين في الكويت لم يزهّدوا في الأذى والانضمام إلى الطاغية ولكن أحيط بهم لما جاء النصر من الله.

ولما أن أصبح الرئيس صدام قد خسر الحرب ونودي بالإطاحة بحكمه، وكان كأسير في غبائه قام الأهالي ضده بثورات عنيفة من الشيعة والأكراد، واستعملت الطائرات والمدافع بين أهالي العراق والجيش الجمهوري المحيط بالرئيس السابق، وحصلت فوضى في العراق وأصبح الذي يريد السيطرة على الدنيا كلها عاجزاً عن تخليص نفسه من شعبه الخائنين عليه، ولما أراد أن يستعمل على الثائرين عليه زيت الخردل والمواد الكيماوية وهددته أمريكا، وأصبح بحالة لا يحسد عليها، وهناك قام الفريقان بتبادل الأسرى، غير أن الأسرى العراقيين رفضوا العودة إلى العراق لما يتوقعونه من سوء الحالة فيها كيف وقد فرّ من تمكن من الفرار إلى إيران وتركيا والأردن وغيرها.

وفي بقية أيام شعبان عادت الأمور إلى ما كانت عليه، أولاً في الدمام والخبر وحفر الباطن من الأمن والطمأنينة والهدوء، وقام أهالي الكويت ينظمون شؤون بلادهم بعد رجوعهم إليها، وقد التزمت العراق حسب قرار مجلس الأمن بإرجاع جميع ما سلبته وانتهبت من الكويت سواء من الذهب والفضة والحلي والنقود كذا أعمدة الكهرباء والإشارات التي في شوارعها، أو كان غير ذلك من السيارات والمكيفات وما يلتحق بها، وطلبت حضور من يستلمها، ولكن أهل المعرفة يقدرّون ما انتهب من الكويت وخرب ودمر فيها بمائة ألف مليون على أقل تقدير، كما أن آبار البترول التي فجرت فيها لا يمكن القضاء على لهبها إلا بعد سنتين، وقد أثر الدخان على الطبقة الجوية بدخان أسود تراكم منه قطع سحب انتشر دخانها في شمالي المملكة السعودية بما في ذلك القصيم.

وفيهما في ليلة الثلاثاء تاسع عشر شعبان هبت رياح شديدة السرعة على القصيم فأثرت على غربي القصيم الشمالي بأن سقطت أعمدة الكهرباء وخزانات الكهرباء بأن تحطمت وسقط لذلك الأشجار في الشوارع ونخيل ولا سيما في عقلة

الصقور، وكانت تلك الرياح مصحوبة ببرد شديد وغبرة وفترة، وكان من آثار تلك الرياح سقوط خيام في البراري استهدفت لتلك العاصفة.

وفيها في ١٧ شعبان وفاة الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز الجبيلي رحمه الله وعفا عنه، كان من حملة المشايخ الذين أخذوا العلم عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وعن الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، وتولى قضاء مدينة الخبراء في القصيم، ثم كان مدرساً في مدينة تحفيظ القرآن في مدينة بريدة، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد حال كونه في مدينة بريدة، وكان ضرير البصر وله صوت جهوري في تلاوة القرآن.

وفيها في اليوم ٨/٢٨ قدم أمير الكويت جابر بن أحمد إلى بلد الكويت بعد مغادرته إياها سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً، ولما أن ظفر الرئيس الأمريكي جورج بوش ذلك الظفر وتقدمت جيوشه محتلة من العراق وأراضيه مائة وخمسين كيلوا صفقت له الأمة معلنةً المديح له والثناء عليه، وقد كان باستطاعته أن يمحى العراق بأسرها ويزيلها من الكرة الأرضية، لكنه قال إنني لم أت مخرباً ولا مدمراً، بل جئنا لتحرير الكويت وطرد المغتصب عنها، فلذلك لم يفجر آبار النفط ولم يسع بالإنفساد فيها، وهتك الأعراض، ونهب الأموال كما فعله رجل يدعي الإسلام ويهرج بأنه عربي وغيور، فأصبح بضد ذلك، نسأل الله العافية وأذله الله وأخزاه وجعله أحدوثة للأمة إلى يوم القيامة وهكذا فعل الله عز وجل بمن سعى فساداً، ولقد ألقى الله عليه الخوف والذعر فبعث إلى الموالين له وهم السودان وتونس وحسين الأردن وعلي عبدالله صالح اليمني يطلب منهم أن يبعثوا المنهوبات التي وزعها عليهم في الكويت يردها إلى أهلها الذين أنتهبها منهم حسب قرار مجلس الأمن.

فيا عجباً ويا سبحان الله كيف توصلت الأحوال به إلى هذه الدرجة، وقد ثار العراق بأجمعه عليه وأصبح في قتال مع الأهالي، وكان قد لجأ إلى استعمال الغازات السامة والكيماوية على الأكراد، ولكن أمريكا التي استولت على سدس مدينة العراق حدث من ذلك وإلا فإنها لا تزهد في ضربه في قبوه، والبقاء عليه.

وفي رابع شهر رمضان قام الرئيس المخلوع بفجر آبار بترول العراق ويسعى بتخريب بلاده.

وفيها في آخر اليوم السادس من ٩ أصيب القصيم بصفرة وظلمة شديدة، واستمرت قبل وقت العصر إلى الغروب، وفي هذه الأيام التي توافق آخر برج الحوت وأوائل الحمل، كانت أراضي القصيم مزدهرة بالأعشاب وأنواع الربيع، فكانت الأمة يخرجون إلى رياض السكة وما يليها التي كانت قد أنبتت من كل زوج بهيج، وقد كانت السماء مدرارة بالأمطار الوابلة عليها بحيث كانت الشوارع المسفلتة داخل المدن قد اخضرت من طول بقاء الماء فيها في غير كثرة المستنقعات، ولكن لتدارك الأمطار، ولما أن كان في ٩/١٠ قامت قوات صدام حسين بضرب الثائرين عليه من جهة الشمال والجنوب، وامتلات الشوارع في البصرة في جثث القتلى، وكان معظمهم من الأكراد، وبما أن الحكومة القديمة في العراق تملك بقية قواتها التي دمر معظمها فإن الثائرين من الأكراد والشيعة واجهوا قوات من عدوهم ولم يتلقوا مساعدات من المجاورين، فقد استهدفوا للقتل والدمار.

وفي ٩/١٨ أصيبت مدنها بالدمار بحيث قضت قوات صدام بما فيها الطائرات العمودية وطائرات الهلوكبتر على المدينة، وجعلتها أكواماً من الحجارة، وفرّ المتبقون من الملايين عنه ميسرةً عن العراق، ولقد ضجت الأمة ولا سيما فرنسا من أعمال صدام الإجرامية الذي لا يعرف عن الحياة إلا القتل والأذى التدمير، نسال الله العافية، وكانت المعارك ضارية جداً في العراق بين الأهالي بما انتحله الطاغية، وكأنه لما قُتل في حرب إيران وفي هجومه على الكويت وتعذيب أهلها، وأخرج منهد طريداً قد قتل رجاله وأبيدت قواته، ورد الله كيده في نحره لم يجد مندوحة عن أن يعدل إلى قتل قومه وشعبه لما كان يسعى به من التخريب والإفساد، فقد قام هذا اللئيم على شعب العراق بقتل الأطفال فيها والنساء، إضافةً إلى ما أصيبوا بأسبابه من الجوع والأمراض الفتاكة، وإلى ما حل بهم.

وكان موقف أمريكا ومن حالفها أن تنظر إليه بعين المتفرج وتقف وقفة المتفرج، وذلك لثلاثة أمور:

أولاً: إن ذلك كحرب داخلية وثورات داخلية نصيبها عدم التدخل في شؤون العراق.

ثانياً: أن أمريكا لا تزهد في تشتيت شمل العراق وضعفه لما سولت لرئيسه نفسه أن تسفر حالته عن أن يكون بارزاً على إسرائيل حليفة أمريكا لأن مما حفظ عنه في حالة طغيانه بأنه يستطيع القضاء على نصف إسرائيل، وفعلاً حصل على ما تمليه عليه نفسه من جمعه الطائرات والدبابات والصواريخ بعيدة المدى التي أبدت.

ثالثاً: لعله يسترد شيئاً من حياته حتى يطالب بقرارات مجلس الأمن التي أدانته بجميع تعويضات ما قام به من الإفساد في الكويت وغيرها، والسرقة والتخريب ثم ترجع عليه بعد ذلك بالإطاحة بحكمه وقتله أو طرده، وكان في تلك المدة التي بلغت ثمانية أشهر وعشرة أيام لا يزال الجبن والضعف، ولو كان شجاعاً لظهر يقاوم الأبطال ويدير المعارك بنفسه لكنه كان يرسل شياطينه وأذنا به الحرس الجمهوري الذين باعوا إخوتهم برضاه واتكل عليهم فخاب وفشل وخسر الحروب كلها، وجرّ على نفسه وقومه وشعبه واقعة بلاء ودماراً، قد لا يتلاقى في عشرات السنين بحيث كان غير مفكر ولا عاقل ولا محنكاً إنما كان همجياً لم يجد في شعبه رجالاً يوقفونه عند حده، ولقد حاولوا عدة مرات لاغتياله فلم يفلحوا بحيث بلغت العشرات، ولكن لما يريد الله بهم من بقايا شره لم يصب، وإذا قارنا بين حالته في إرغام قومه على أن يسكتوا عنه ويقبلوه رغماً على أنوفهم وبين حالة أبي بكر الصديق وعمر بن عبدالعزيز وعقلاء الرؤساء الذين كانوا يفرضون على شعوبهم إقبالهم من البيعة إن كانوا لا يرتضونهم، بل كان دكتاتورياً مجنوناً أنزل على أمة لا تريده لا ترتضيه رئيساً فجاء بإطاحة الرئيس حسن البكر واغتصبه عرشه، وأذى المسلمين عامة وأهل العراق خاصة، وفي الحقيقة إنه لم يروي التاريخ من نزول دم على الأرض عن ملك أخرق فعل مثل أفعال هذا الرجل، وليس العجب من مجنون يلعب بالنار ويقتل الأبرياء ويسفك الدماء إنما العجب من شعبه كيف لا يهجموا عليه هجوم رجل واحد ويستريحوا منه، ولكن الله سبحانه وتعالى له حكمة من وراء ذلك كله.

أما النازحون والذين تمكنوا من الفرار إلى تركيا فقد بعثت بريطانيا إليهم الخيام والبطانيات بطائرات مسلحة، وشيئاً من الأغذية والأطعمة ينقذونهم من الهلاك والجوع، أنزلتها بالبرشوت من الجو على المنكوبين والفارين إلى أراضي تركيا، ومعظمهم من الأكراد الذين عذبهم زمانهم وابتلاهم بصدام، وكانت هذه القوارع والزعازع إلى ثالث العشر الآخر من شهر رمضان المعظم.

ذكر الطمأنينة والأمن في السعودية

لما أن كان في منتصف شهر شعبان من هذه السنة صدر الأمر بفتح قصور الأفراس التي كانت مهياً للفرح ولوائم الزواج بعدما أمر بتخليقها لحادث الطوارئ وإخماد أنوارها ليلاً، وعادت الأمور في جميع أنحاء المملكة إلى طبيعتها، وبما أن الحكومة الكويتية قد قامت بعد عودة الكويت بعد احتلالها إلى حالتها الأولى فاستعملت جزية التطهير والتنظيف لها من جميع الألغام التي ودعت فيها، فإن الحكومة السعودية رأت الإبقاء على الكويتيين وأن يلبثوا في السعودية حتى تتاح الفرصة بالإذن لهم من حكومتهم بالعودة سالمين غانمين، وكانت تلك العاطفة من الحكومة السعودية عليهم تعتبر من أعظم الحسنات والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ذكر الفوضى في العراق

قدمنا ما جرى على الأكراد من الرئيس صدام بحيث أباد معظمهم بقتل جماعي كالسلاح الكيماوي المحظور استعماله وقنابل النابالم والقنابل العنقودية، وذلك لما انهزم في حرب الكويت وأعطته أمريكا درساً لا ينسى، وذلك باستخدام ذخائر حديدية لم تكن بحسبانه كالقنابل الإقحوانية والزرقاء الكبيرة، وقنابل الوقود الحارقة، وكانت قوية التأثير إلى حد أن البعض يعتبرها البديل الرخيص للقنابل الذرية، أضيف إليها تحديداً قنابل «بي» إلى «بو» ٨٢ ولكن ماذا كان تدميرها عندما أطلقت على مسرح العمليات، وكانت الدلائل تتزايد حول قرب قيام القوات

المشتركة باجتياح الدفاعات العراقية في الكويت المحتلة بواسطة هجوم بري بحري جوي كاسح، ويوم إذاعة العراق بيانه كانت ٥٠ ساعة قد مرت على بدء استخدام الحلفاء لقنابل الوقود الحارقة، إنها قنابل ثقيلة استخدمها الحلفاء في الخليج لتفجير حقول الألغام وفتح ممرات وثغرات فيها، ويتم استخدام هذه القنابل وإسقاطها بمظلات وتحديد لها المساحة المطلوب غمرها بكتلة لب هائلة، وكانت قنابل الإقحوان تعد أكبر قنبلة استخدمتها قوات الحلفاء، وهي أكبر قنبلة تقليدية في العالم، ولا تفوقها غير القنابل الذرية، وتنفجر هذه القنابل فوق سطح الأرض بقوة تخريبية، وفي نفس اليوم الذي تم فيه تدمير ما مرت عليه شظاياها التي دمرت استحكامات الحرس الجمهوري العراقي، والتلال والمتاريس والألغام أيضاً، وفي نفس اليوم الذي تم فيه تدمير ملجأ العامرية كانت القوات المتحالفة تلقي طائراتها صواريخ مستحدثة على مواقع مدفعية في الكويت المحتلة، وهذه الصواريخ المستحدثة تعمل ضمن نظام صاروخي اسمه «إم» إلى «أو أس» وهو نظام متعدد الإطلاق يتولد عنه رشقات متتالية كل منها يضم ١٢ صاروخاً، ويزيد قدر الصاروخ عن ٢٠ ميلاً، وكل صاروخ من هذه الصواريخ يحمل داخل جوفه ٦٠٠ قنبلة طراز «إم» ٧٧ يخرج من جوف الصاروخ البالغ طوله أربعة أمتار وتفجر ما تحته بمساحة ٦٠ قدماً، ولم ينكر المتحدثون العسكريون هذه الذخائر جميعها وغيرها مما استحدثته القوات المشتركة عند هذه العمليات:

كانت توجه إلى قائمة جديدة من هذه الأهداف عطلت فيها خطوط السكك الحديدية والجسور والطرق وجميع وسائل الإمداد والتموين في العراق، مما جعلها أثراً بعد عين، وقال مسؤول أمريكي أن مثل هذه الأهداف توجد داخل المدن، ويمكن أن تسفر الغارات عن إصابة بعض المدنيين بطريق الخطأ، وقال توم كيسنج وزير الدفاع البريطاني ضمن حديثه لمحنة «بي بي سي» البريطانية أن الهجوم على القوات العراقية في الكويت لا بد له أن يتم بواسطة معارك برية حاسمة قريبة، ولا بد للمعركة البرية أن تنتهي أيضاً قبل الصيف وفعلاً فقد انتهت في أيام قلائل

قضت على قوات صدام وجنوده وسحقتهن سحقاً، ورجعوا ما بين قتيل وأسير وجريح يحIRON ثياب الخزي والهزيمة، وقد قتل صدام وزير دفاعه حنقاً وغيظاً على ذلك، ولما أن أوقع بالأكراد المساكين الذين لا تملك سوى أذية شعبه لما خذله الله فرّ بقيتهم إلى الجبال في شمال العراق، ولجأ بعضهم إلى إيران والبعض الآخر لجأ إلى تركيا مستجيرين من عذابه، وأبى الأسراء الذين وقعوا في يد القوات السعودية الرجوع إلى العراق لعلمهم أنهم لو وقعوا في قبضة رئيسهم لأعدمهم وانشق شعبه عليه يريدون الإطاحة به، ولقد نصبت أمريكا للمشردين من الأكراد مخيماً في شمال العراق وبنوا ذلك المخيم بقوة واستحكام، وشاركت به ذلك بريطانيا حفاظاً على حياة أولئك الضعفاء المشردين، ولم يزهّد المغلوب صدام عن التبرص بهم ومراقبتهم ليقع بهم، ولكن القوات المتحالفة أمدتهم بالأرزاق والأدوية والأطعمة، وطرّدوا عنهم قوات صدام التي تريد إهلاكهم وتدميرهم على أية حالة كانوا عليها وكان في تقلباته يتحرك حركة المذبوح، فقد أقام عيداً سنوياً في منتصف شهر شوال في هذه السنة، مما كان به ضحكة وسخرية لك ساخر، ولا تزال عين أمريكا تراقب حركاته حتى أنها وقفت أمام رش الزروع في بغداد حتى تشرف على المادة المستعملة في الرش خوفاً أن تكون ضد الأهالي لأنه لا يؤمن من أذيتهم.

إعصار يصيب بنغلادش

لما كان في اليوم الخامس عشر من شهر شوال أثبتت الأرصاد الجوية عندهم أنه سيقع إعصار في منتصف ليلة سادس عشر شوال الموافق عاشر برج الثور ثاني نجم، فجعلت الأمة تتوقع حدوث هذه الحادثة وتفكر فيما ينجم من هولها، فهب الإعصار نصف الليل بقوة مائتين وثلاثين، واجتاح ما مر عليه فقد هلك ألف نسمة ودمر عشرات الألوف من المنازل، ودمر ميناء هناك، وأغرق عدة سفن والله كمال التصرف في خلقه.

حادثة غريبة في هذه السنة، في ١٢ شوال عض حمار رجلاً في مدينة بريدة في الماقفة فلم تستطع الأمة تخليص الرجل، فقطعوا رأس الحمار وحملوه مع الرجل إلى المستشفى للكشف وتحليله خوفاً أن يكون مسعوراً.

لما كان في ١٠/٧ هب إعصار على تلك الجهات في ضواحي مدينة بريدة يوافق يوم الأحد أول يوم من برج الثور، جاء من الجهة الغربية الشمالية ثم عطف على الجهة الجنوبية بقوة هائلة عظيمة فكسر ما مرّ عليه من الزروع هناك، وجعلها كعصفٍ مأكول، وقد وافق ذلك نزول البرد فما لم يهلكه الإعصار مما مرّ عليه أهلكه البرد بفتح الرء وقلب الإعصار محاور للرش، واقتلع بعض الصوامع الأهلية هناك، ولكنها قليلة بالنسبة إلى كبر المنطقة.

هذا وقد هبت عواصف من الرياح في أواخر برج الحمل على منطقة القصيم مما سبب تكسير بعض أشجار الطرق وبعض النخيل الطوال، وقد اقتلعت ما مرت عليه، وبيست الأعشاب فأصبحت هشيماً تذروه الرياح بعدما كانت منظراً رائعاً، ولا يستنكر وقوع تلك الإصابات في برج الثور إذا لم يدافع الله عز وجل، نسأل الله اللطف والعافية.

ذكر ما جرى في أفغانستان

لما اتخذت روسيا مدينة كابول ماثار للفتن وأمدت حكومة كابول بقواتها وأهوالها تطلق منها الصواريخ وترسل الطائرات على المسلمين هناك كان المجاهدون من مسلمي أفغانستان يقابلون ذلك الشر بمثله، وهم وإن كانوا يواجهون أهوالاً من التقتيل والتدمير وأنواع البلاء، فإنهم صامدون ومنتصرون وواثقون بنصر الله، وكانت الأمم الإسلامية تمدهم بالأغذية والأكسية وجمع النقود والنفقات وبعثها إليهم، فقد كان من انتصاراتهم أن استولوا في سادس شوال من هذه السنة على ثلاثين قرية من أفغانستان، وقد قتل منهم في هذا الإقدام والبسالة ثلاثون قتيلاً وجرح سبعمائة، وبهذا تعلم عظم الجهاد الذي يقاتلون فيه أعظم دولة كافرة قوية، ولكن هذا النصر لم يدم حلاوته فقد قامت روسيا وأطلقت على المجاهدين المسلمين صواريخ نارية مزقت جثثاً من المجاهدين وتركتهم لحوماً ممزقة طارت بين السماء والأرض، وكان الذين مزقتهم هذه الصواريخ لا يقل عددهم عن ثلاثة آلاف

قتيل، وقد تأثرت أمريكا لهذه الفادحة وانهاالت بها الأخبار مستنكرين تلك الفعله الشنعاء والقتل الجماعي الذي تجلت عند شدة عداوة الروس للمسلمين.

وفيها في صباح اليوم ١٨ من شوال هبت رياح أثارت صفرة في الجو واستمرت إلى وقت العصر ثم تحولت إلى غبرة وفترة من غير رياح، ولكنها كادت أن تعطل حركة السير وذلك على منطقة القصيم.

وفيها قام الرئيس الإيراني علي أكبر هاشمي رفسنجاني بزيارة لسوريا حسب طلب الرئيس السوري حافظ الأسد ، وذلك في ١٣ شوال، فلبث ثلاثة أيام استغرقتها فيها زيارته، وكانت هذه الزيارة تتعلق في مستقبل الخليج ونشر السلام فيه، وكأنا رؤساء الإسلام رأوا أن من المصلحة العامة التزاور فيما بينهم وتبادل الزيارات والتوادد والتحابب، وكأنهم لما رأوا نتائج الاجتماع من النصر والغلبة وثمره الاعتصام بحبل الله جميعاً، وأنها خطوة طيبة، نسأل الله تعالى أن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن يجعلهم يدأ واحدة على أعدائهم.

وفي هذه السنة فتحت الحكومة السعودية أبواب القبول لحجاج إيران بالغأ عددهم ما بلغ تلبية.

ذكرنا فيما سبق بلغ عدد ضحايا الإعصار بينغلادش المتقدم ذكره سبعة وثلاثين ألف قتيل، وقد تجاوز العدد بعد الحادثة وهلاك الجرحى حتى بلغو ثلاثمائة ألف قتيل، ويعتبر هذا الإعصار من أعظم ما مرّ على بنغلادش وإنما تبين العدد بعدما طفت جثث الهلكى على متن ماء البحر وساقتها الرياح إلى السواحل هناك، لأن غرق السفن التي تحطمت ولم يعثر عليها إلا بعد ذلك، وقد بعثت الحكومات الإسلامية إليهم مساعدة لهذه الكارثة، إن شعب بنغلادش البالغ عدده تسعين مليوناً وتسعون بالمائة إسلام يعيشون بقر ومجاعة وإملاق.

وفيها في ١٥ / ١٠ أصيبت إحدى مدن روسيا بهزة أرضية هلك بسببها خمسون نسمة وفقد سبعون، وشرد سبعون ألفاً فأصبحوا بلا مأوى، وكانت بينغلادش كثيراً ما تتعرض للفيضانات لكثرة مياهها، وقد انفصلت عن باكستان بعد الحرب

العالمية الثانية، ولما أن أصيبت في هذه السنة بتلك الكارثة كان على رأس المتبرعين لها الحكومة السعودية، فقد تبرع الملك فهد بن عبدالعزيز بمبلغ عظيم بلغ أربعمائة مليون من الريالات.

وفيهما في ١٠/٢٩ قام وزير خارجية روسيا بزيارة للمملكة العربية السعودية، وعندما قدم لذلك كان في استقباله وزير الخارجية السعودية سعود الفيصل، ولما أن قدم الوزير السوفيتي استقبل في المملكة استقبالاً يعبر عما بين الحكومتين من حسن التفاهم وقوة الصلات وأعجب كثيراً بما وجده من قبول نشر السلام والسير إلى الأمام في توطيد الأمن ووضع التخطيط لما يعود على العرب في الشرق الأوسط.

ذكر ما نتج عن إعصار بنغلادش

لما أن حصلت تلك الضربة الإلهية وجعل البحر يقذف بأمواله الجثث وغرقت المساكن وتعطلت المصالح، وغرقت السفن وغرق معها خلائق كثيرة، وقد وردني في بعض الآثار أن ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق بني آدم فتمنعه القدرة الإلهية والرافة السماوية، وإذا كان الله قد أهلك عاداً بالريح فأصبحوا لا يرى مساكنهم فليس بمستبعد أن يهلك الله من شاء بالريح، ولما جرت تلك الكارثة هبت الأمة من مشارق الأرض ومغاربها يبعثون المساعدات والمؤن والكسوة والفرش لأولئك الموتورين، وقامت الطائرات العمودية لإنقاذ الغرقى، واستنقاذ ما توصلوا إليه، ولا ريب أن تلك الضربة قاسية جداً أغرقت الأنفس ودمرت المساكن وابتلعت الأموال وجعلتهم حديثاً للأمة، فعياداً بالله من عقوباته، ونسأله العافية، ولا ريب أن جميع ما استهدف لتلك الكارثة من شجر وبيوت وأعمدة كهربائية وطائرات وسفن أصيبت بضربة ساحقة ماحقة، وقد أنكرت إحدى الدول هلاك ذلك العدد الكثير من الأنفس البشرية، ولكننا لا ننكر عظمة بعض الإعصارات وقد تقدم في هذا التاريخ ما فيه كفاية أنه في صباح اليوم ٢٦ من ربيع الثاني من هذه السنة أصيبت الفلبين بإعصار شديد من أعظم ما مرّ عليهم، وقد حمل ذلك

الإعصار ما مرّ عليه من الرجال والبهائم والأشجار فاجتاحها واجتاح المساكن التي مرّ بها فدمرها تدميراً، فقد قيل أنه قتل خمسة آلاف نسمة هلكوا بسببه.

وفيها في يوم الثلاثاء ٩ الموافق ٣٠ شوال قامت الرابطة الإسلامية فبعثت موساة إلى جيلوتريان، بعثت إليها مئات من المصاحف ومئات من الكتب وأعدت إعمار مسجدها على نفقة الرابطة الإسلامية في مكة المكرمة، كما أن الحكومة بعثت مساعدات مالية للمنكوبين في بنغلادش قدرها أربعمئة مليون من الريالات السعودية.

وفي هذا اليوم أعلنت أمريكا بأنه لا بد من اتخاذ إجراءات ضد أعمال الرئيس المغلوب العراقي صدام حسين لحمله على الخضوع لتسليم الأسلحة الكيميائية لإتلافها، والأمن مما يتوقع من شره، وبما أنه أقيم غيماً للاجئين من الأكراد في شمال العراق الذين أخرجهم الطاغية من بيوتهم واستحل دمائهم وأموالهم، فإنه لا يؤمن من الهجوم عليهم هو وزمرته ولا سيما ما لوحظ من زمرته الفاسدة من عدم الطمأنينة إلى مواعيدهم، وكذبهم بحيث توصلت الأحداث بهم إلى أن كانوا يطلقون النار على رجال الإنكليز الذين كانوا يراقبون حركاتهم وسكناتهم، فبذلك يصبح الأمن غير متوفر من بقية الطغمة الفاسدة، وقديماً قالت أمريكا: إنه لا يتوفر الأمن، ولا يستقيم أمر العراق ما دام صدام فيه، فلا بد من الإطاحة به واغتياله والاستراحة من بقية شره، وقد استمرت الفتن فيما بين زمرته وبين المناوئين له من أهالي العراق الذين ملوا من ظلمه وأذاه، فلا يزال إطلاق النار بين القبيلين مستمراً والانشقاق في العراق متوالياً وقوياً لأنه يحكم أمة تريد التخلص منه والقضاء على بقية شره، لأنهم رأوا أن لا خير لهم في الحياة ما زال في الوجود، فقاموا ضده.

إن سياسة الدول الكبرى نحوه ظاهرة لمن تأملها، ولا ريب أن حياته تلك مهددة بالذل والخوف لأنه لم يجد ملجأ يذهب إليه ويكفل له البقاء والسلامة.

ذكر زيارة وزير خارجية أمريكا جيمس بيكر

لما أن كان في ٢٩ شوال من هذه السنة قدم الوزير المذكور وكان يريد وضع

صلح واستقرار في الشرق الأوسط ونشر السلام، وقد سعى في هذا الموضوع بجد واجتهاد غير أنه لم يتلقَ جواباً، ومما يؤسف له حالة لبنان وما هم فيه من التناحر فيما بينهم، والقتال الذي استمر بين حزب أمل الذي من جهة حاكم سوريا، وبين حزب الله المدعوم من جهة إيران، ومن جهة إسرائيل والأهالي استعملت لذلك الصواريخ والطائرات والمدافع والرشاشات واستمرت الحالة بما أضر بلبنان وجعلهم أحزاباً وفرقاً مختلفين، وكذلك ما بين الفلسطينيين وإسرائيل من القتل والتدمير لمنازل الأهالي في فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة والخليل وغيرها، وبما أن أهالي فلسطين يقاتلون بالحجارة والزجاجات الحارقة فإنها تقابلهم إسرائيل بالنار والأعيرة النارية والمسدسات والرشاشات، وإذا رمى الفلسطينيون زجاجة حارقة فتكسر زجاجة سيارة ويصيبوا إسرائيلياً بجروح فإنها تقابلهم إسرائيل بالقبض على الأعداد منهم وتقتلهم وتلقي العشرات في غيابات السجون، بحيث امتلأت السجون بالأهالي ويعاملهم بالتشريد ونسف المنازل، فثلاث وأربعون سنة والحالة بهذا الوضع الشنيع، ولم تعد الانتفاضة الفلسطينية أهالي فلسطين إلا بما عاد عليهم من القتل والدمار والتعذيب والتشريد، وأرادت أمريكا أن تضع حد لهذه الفوضى بصلح بين العرب واليهود لتهدأ الأمور، وبما أن الرئيس ياسر عرفات كان عقوبة على أهل فلسطين ورئيساً استغلالياً يقبض المساعدات التي تجري لهم من ملوك العرب ورؤسائهم لنفسه وبيعها إلى شراء مساكن وقصور لنفسه في الممالك الأخرى، ولا يبعد أن تكون هذه الانتفاضة الذي سوغها لقومه وأشار بها خيانةً منه لإضعاف أهل فلسطين، فإن عقلاء الدول قرروا أن لا صلاح لهم ما دامت له الرئاسة، وبما ظهر من تصرفاته في مناصرة صدام العراق والتفافه إلى زمريته أنه عدو للعرب أو سيء التصرف، أوقع قومه في المهالك ولم ينفعهم، وقد رجع جس ببيكر خالي الوفاض بخفي حنين، ولكن فيما يظهر سيعيد الكرة لوضع السلام ونشر الأمن في الشرق الأوسط إن ساعدت الظروف وعرف العرب ما

يصلحهم، وإن في صلح الحديبية والحالة التي سلكها الرسول ﷺ قدوة حسنة عند الحاجة.

وفيها في ١١/٥ قدم سلطان عمان قابوس بن سعيد زائراً زيارة رسمية للمملكة السعودية، فأقيم له استقبلاً واحتفالاً وترحيب لكونه رئيساً عربياً، وقد حامت الآراء على أنه جاء ليضع حسن الصلات بين اليمن والأردن وبين السعودية بعدما ارتكبتها الأوليان من الأخطاء والضلال وسلوك طريق الغي.

وفيها أقيم وزير خارجية مصر عصمت عبدالمجيد أميناً عاماً للجامعة العربية في مصر بدلاً عن الأول الذي كان مقره في تونس، هذا ونسأل الله تعالى حسن العافية للمسلمين والعرب.

وفيها في ١١/٧/١٤١١هـ الموافق ٢١ مايو أيار وفاة راجيف غاندي الرئيس لوزراء الهند سابقاً في حادث اغتيال بقنبلة قضت عليه، كان قد تولى رئاسة الوزراء بعد أنديرا غاندي فلبث في الرئاسة زمناً غير طويل، وكثرت في أيامه التقلبات في الهند وعم القتل فإطاحوا به لضعفه، وتوفى في هذه السنة اغتيالاً، ونشير إلى حكومة الهند بأنها واسعة الأرجاء، كثيرة السكان، ولديهم مجاعة لسعة رقعتها كما قدمنا، وقد أظهرت الأمة هناك استيائها لاغتياله ولا سيما رئيس وزراء باكستان غلام إسحاق خان، ووصفوه بأنه صاحب سياسية.

وفيها في ١١/٧ قدم رئيس أثيوبيا استقالته وغادر البلاد، وقام المتمردون لمهاجمة العاصمة أديس أبابا.

أما عن رئيس باكستان غلام إسحاق فقد وصفوه بالخير، وأثنوا عليه، عندما اجتمع بنا مدراء مدارس لتعليم القرآن الذين فتحوا مدارس لتحفيظ القرآن في باكستان ذكروا عن الرجل خيراً، وكان هو الذي تولى الرئاسة بعد خلع بنازير بوتو ابنة الرئيس علي بوتو، وكانوا يتألفون في عدم نصرة الدين وقتل المنتسبين إلى الله، فقد قيل أنها قتلت سبعة عشر عالماً دينياً وسموها بلقب «خنازير» بعد خلعها، ويستفاد من ذلك أن من تولى شيئاً من الأعمال فإنه ينبغي له أن يكون محسناً

ويكون ذكرى خير لا ذكرى شر، لأنها تُفنى الذوات، وتبقى الأذكار، وكما قيل إذا كنت في أمر فكن فيه محسناً فعماً قليل أنت ماضٍ وتاركه، السامع لقد تشفت الأسماع بمديح العالم الملك صديق بن حسن القنوجي النجاري وغيره من العلماء المستقيمين مثله.

وفيها في ١١/٨ قدمت رئيسة وزراء بنغلادش خالدة ابنة ضياء الرحمن على المملكة العربية السعودية للزيارة فاستقبلت بالترحيب بعدما أدت مناسك العمرة، وزارات مسجد المدينة المنورة ثم سلمت على المصطفى عليه الصلاة والسلام فلبثت أياماً ورجعت إلى بلادها في ١٤ الشهر المذكور، وكانت بلادها قد أصيبت بجائحة الإعصار المدمر كما مرّ وذكرناه مفصلاً.

وفي ١٤ المذكور أصيبت طائرة باحترق في الجو أجنبية وكانت تحمل مائتي راكب هلكوا بأجمعهم، وفي تلك الأيام كانت الحكومة السعودية باستقبال حجاج بيت الله الحرام وضيوف الرحمن فاتحةً أبوابها للحجاج والعمار على الترحيب والدعة والسكون، نسال الله تعالى حسن القبول، ونشر وزير الداخلية نايف بن عبدالعزيز التعليمات المرادة من كل حاج.

وفيها عقدت اتفاقية بين لبنان وسوريا تقتضي هذه الاتفاقية سحب سوريا قواتها الكائنة في لبنان، وقد استبشر العرب لذلك لعلها نهاية الأمور في لبنان، وفعلاً بدأت سوريا تسحب قواتها في ١١/١٥ من هذه السنة.

ولما أن قام الرئيس اليمني علي عبدالله صالح ضد السعودية وانضم إلى رئيس العراق المخذول صدام حسين ساءت العلاقات بين البلدين وقام شعب اليمن ضد الرئيس علي الذي استهوته الشياطين وجحد المعروف وأنكر الإحسان إليه، وعاقبه الله بتشتيت اليمن وقام الشعب ضد الحكومة وأصبحت الأمور في اليمن تنذر بشرها وويلاتها، وكانت سعادة الرئيس يجاهر بلومه وجهله، وأنه لما يثير الاستهجان ويبعث الحزن أن تقابل أيادي السعودية وبذلتها الأموال الطائلة وبناءة المستشفيات في اليمن، وشق الطرق

فيها وبناء المدارس، وجلب المدرسين إليها من السعودية على نفقتها، وتنكر تلك النعم وتكفر ولا تشكر، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وما أحسن ما قاله زهير بن أبي سلمى:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يكن حمده ذمّاً عليه ويندم
وفيها في صباح اليوم ١٩ من شهر ذي القعدة الموافق ليوم الأحد من هذه السنة أصيبت بنغلادش بإعصار عظيم وارتفع موج البحر أربعة أمتار، وأصيبت تلك البلاد بكارثة إضافة إلى ما أصابها قبل ذلك، وهذا يعتبر من الكوارث التي تصيب تلك المملكة وغيرها، فمن يريد الله بها سوءاً.

فيها ثار الشعب الجزائري فأطيح برئيس الوزراء ومن معه، وشكلت وزارة جديدة فقامت الحكومة التي يرأسها بن جديد في ١١/٢٦ في تنظيم الوزارة الجديدة.

وفيها في هذا اليوم ثار بركان عظيم في الفلبين وارتفعت حممه الساخنة في الجو فأحرقت ما مرت عليه من قريب وبعيد واتخذت إجراءات الأمن هناك لإنقاذ ما سببه من قتل وجريح، وكانت تدمير عجيب بإذن الله تعالى، وهم وإن كانوا رأوا أمراً بديعاً فقد كانوا يتوقعون ماذا ينتهي أمر هذا البركان فقد انفجر مرة أخرى في اليوم الثامن والعشرين من ذي القعدة أي بعد انفجاره بثلاثة أيام، وسبب أضراراً عظيمة من رمي الحجارة وغير ذلك.

وفي ١١/٢٦ قام الملك فهد بن عبدالعزيز بزيارة لبلاد الكويت فاستقبل استقبالاً حاراً مظهرين له كمال الشكر كمنقذ لهم من ورطتهم التي وقعوا فيها، ثم تجلت بإذن الله، ثم سعوا بحيث حرروا البلاد من الرئيس الغاشم لها.

أما عن انفجار البركان المتقدم ذكره الذي كان في حينه لم ينفجر منذ ست سنوات فقد بالغوا في قوة انفجاره، ولحقت أضراره بالسيارات وطائرات حوالية، وأصيبت المساكن وأخلت من أهلها، وقد هلك من الأنفس البشرية أربعون، وجرح خمسون.

نكتة غريبة: في فصل الصيف من هذه السنة امتد وقت البرودة في الليل بحيث

كانت الأمة في السطوح يلتحفون بالبطانيات وغيرها من الأغذية الثقيلة، وذلك طوال برج الثور وعامة برج الجوزاء، وذكر أهل الأرصاد أن سبب ذلك الغبار الناشئ من الرياح، فقد أثر على أشعة الشمس وأنه لم يمر ذلك منذ سنين عديدة، وقد ملء الحيطان والثياب وستائر النوافذ والفرش مما كان له أثر سيء في باب الصحة، بحيث امتلأت المستشفيات بالمراجعين من ألم الربو وتلقوا عشرات الألوف، كما أن الكراسي والنمازق وغيرها استهدفت لذلك، وهذا شيء نادر الوقوع، فعياًذاً بالله من سوء القضاء وحلول المصائب والنواكب.

ومن العجائب أعشاب من أنواع الكلاً في برج الحوت والحمل كان لها منظر عجيب في بعض الأماكن، فما هي إلا عشية أو ضحاها حتى أصبحت هشيماً كان لم تغن بالأمس بسرعة فائقة بالسحق والحق.

وفيها في ٢٠ ذي الحجة حصل انقلاب في يوغسلافيا وتمردت عاصمتان كلٍ منها يريد الاستقلال بنفسها، وحصل انشقاق وأحضرت كل جهة قوتها من دبابات ومدافع واشتد الخطب، وكانت السيادة أولاً فيها لتوتو، وبعد وفاته بمدة طويلة تعددت الأطراف على الحكومة، ولقد حاولت الحكومة الأخرى إقناع الحكومة بالرضوخ لتلك الجهتين ومنحهما حق الاستقلال بدون الرجوع إلى السلاح، ولكنه لا بد من اللجوء إليه.

أما عن الجزائر فقد استمرت الزعازع فيها وعدم الاستقرار، ولما أن كانت الحالة في العراق بعد ضربه وإعطاء حاكم العراق درساً لا ينسى، ولعدم سكونه وخضوعه ظاهراً أو باطناً لقرارات مجلس الأمن، وأصبح الأكراد غير آمنين وذلك لما يتوقع من صدام حسين فإن الرئيس الأمريكي هدد بضرب العراق مرة أخرى، فرفع صدام قبوله رسمياً لوقف إطلاق النار وتمكين هيئة المتدبين من قبل الأمم المتحدة من التفتيش عن الأسلحة الكيماوية وإتلافها وإعدام السلاح الذري فيه، وفعلاً جرى القبض على قواعد من تلك الأسلحة المدمرة، وقام بدوره لجمع التعويضات التي التزم بها عن إفساده في الكويت وتدمير ما دمرت

أيدي العراقيين عليه، أما عن إضرامه آبار الزيت في الكويت فقد قامت حكومة الكويت بما استطاعت في إطفائها، وكان لعدم توفيقه وضعف عقله لا يزال يتهدد ويتوعد في إعادة الكرة على الكويت والسعودية ما دام يتحرك كحركة المذبوح وإنما أثرت الحكومة الأمريكية الإبقاء عليه ليقوم بما ألزم به، ثم بعد ذلك ترى رأيها فيه.

وقد ذكرنا صفة انشقاق حكومة يوغسلافيا وللعالم نذكر السبب لذلك فنقول أن حكومة يوغسلافيا قامت أخيراً ضد المسلمين وعذبتهم واضطهدتهم إلى درجة الاضطراب للتخلص منها.

ذكر ما جرى على اليابان

لما أن كان في أوائل يونية حزيران أصيبت اليابان بأمطار عظيمة وسيول أودت بأناس إلى الهلاك بعدما دمرت المساكن وشردت أناس، ومن جراء تلك السيول أن تهدمت جسور وطرق وأصبحت الأمة هناك بحالة لا يحسدون عليها، ويوافق ذلك ١٩/١١/١٤١١هـ.

تنبيه: قد ذكرنا انفجار بركان جبل ماليزيا المنتظر لما أن كان في ٢٥ ذي الحجة الموافق ١٦ السرطان يوم الأحد ٧ يولية تموز انفجر جبل الفلبين المذكور وكانوا يتوقعون انفجاره لأنه لم ينته بصورة قطعية، ويتخوفون ما ينجم من هذا البركان فانفجر في هذا اليوم وارتفع دخانه خمسة عشر كيلو متر في الجو، وجعل يرمي بحمم وأحجار سوداء لم يسبق لها نظير، مما أدى إلى أن يهجر المكان الذي حواليه البالغ نحواً من ثلاثين كيلو، لأنه قد دمر انفجاره بتلك الحمم السيارات والناقلات والأثاث والمعدات إلى درجة خفيفة، والله على كل شيء قدير، وبها تتبين عظمة قدرة الخالق جل وعلا، وأن المخلوقين لا يملكون شيئاً من هذه الأحوال حتى يوقفها الله بتمام قدرته، وأنها لعبرة لمن يخشى.

ولما كان في ٢٧/١٢ شوهذ أعمدة من الدخان تثور من ذلك البركان. صفة حج هذا العالم لما كان في وقت تداق الحجاج والزوار إلى مكة المكرمة،

أذنت الحكومة لحجاج إيران بالحج كسائر الحجاج بعدما صدر البيان بأن من عثر عليه قائماً بالتخريب في الأماكن المقدسة فإنه يقضى عليه بالفعل، وذلك تعظيماً لمكة والمدينة، وتقدم من إيران مائة ألف وعشرون ألفاً لأداء فريضة الحج ولكنه بحسن تدبير المملكة وتيسير من الله عز وجل لم تجر أي حادثة لا حريق ولا تخريب ولا فوضى، بل كان حج هذه السنة آية من آيات الله في الطمأنينة والهدوء والسكينة، فلا نزاع ولا خصومة، وذلك برغم من قدوم مليونين ومائتي ألف جاءوا من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات، ولقد بذلت الحكومة السعودية جهوداً جبارة في تنظيم الحج في هذا العام وراحة حجاج بيت الله الحرام وضيوف الرحمن، وعلى رأس القائمين بالعمل خادم الحرمين وولي عهده ووزير الداخلية، ومدير الأمن وسائر الجهات المسؤولة، فكان سير العمل في مكة والطرق ومنى ومزدلفة وعرفات على ما ينبغي، ولقد قامت الحكومة بتوزيع أكياس الثلج تبرعاً بحيث تبرعت حكومة جلالة الملك لحجاج بيت الله سبعة ملايين كيساً من الثلج، وكان الأجواد يوزعون اللبن وعصير الليمون وغير ذلك، وينادي عليها سبيل سبيل، فجزى الله المحسنين خيراً، ولقد كان الحجاج يسعون بين الصفا والمروة في الطابق الأسفل والثاني والثالث وأقيم بمنى حمامات لدورة المياه ومدت الأنابيب، وركبت البازات، في كل موضع من المسجد الحرام، وفي كل طابق ماء زمزم متوفر، وبما أن الحج وقع في برج الجوزاء وأوائل السرطان فقد أعلن وزير الصحة قلة الوفيات إلى حد غريب، ويتمتع حجاج بيت الله في أكمل الصحة والعافية، وسلموا من ضربات الشمس وسائر الأمراض الوراثية، وكنا والحمد لله ممن أن الله عليهم بالحج في هذا العام، فما رأيت حجة من حجاتي التي حضرت الموسم فيها بأحسن من هذه الحجة.

وفي ١٢/٧ ركب الميكرفون في منائر مسجد الخيف التي صلى فيه تسعون نبياً لأداء الأذان والإقامة والخطب والمواعظ، فإذا كبر المؤذن لصلاة الصبح أطلقت للحكومة مدفعين إيداناً بدخول الوقت، كما أنه إذا زالت الشمس أطلق مدفعان إيداناً بالصلاة والرمي، وكذلك العصر والمغرب إيداناً بدخول الوقت وغروب

الشمس، ويستطيع أهالي منى أن يسمعون إلى بيان مناسك الحج وأحكام الحج وهم جالسون في خيامهم، ورأيت تسابقاً للخير ودفعاً للنعماء وإتيان من ينادي عليها، بعرفات في سبيل الله، ورأيت تسابقاً في إطعام الطعام كل بحسبه فجزى الله المحسنين خيراً، وقد تأخرنا لليوم الثالث عشر طلباً للراحة ولأن يخف الزحام في رمي الجمار، ورجعنا من الحج من طريق المدينة المنورة لزيارة مسجد المصطفى عليه الصلاة والسلام، وكان لبثنا فيه أحد عشر ساعة وبما أننا سرنا من مدينة الرسول ﷺ بعد طلوع الشمس بثلاث ساعات وواصلنا المسير إلى بريدة خمس ساعات ونصف من الزمن في ظروف الطريق الصعب، فقد من الله علينا بالستر واللفظ فلم تتأثر سيارتنا الخمس لهذه الظروف القاسية.

إعصار روسيا

لما أن كان في ١٢/٢٧ أصيبت إحدى المدن الروسية بإعصار شديد دمر الجسور والطرق وأهلك ما مرّ عليه من البهائم والسيارات والآلات النقل إلى درجة شديدة من الفتك والتدمير.

وفيها في ١٢/٢٧ بارح الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض المملكة إلى كندا لافتتاح معرض المملكة بين اليوم والأمس، فاستقبل هناك استقبلاً حاراً. وفيها في ١٢/٢٩ أصيبت طائرة نيجيرية تحمل ٢٤٥ حاجاً نيجيرياً، وكان الملاح لما أقلعت مطار جدة على مسافة قصيرة أبلغ برج المطار بأن الطائرة الآن خرجت عن اختياره، ولما رجعت وأرادت الهبوط بمطار جدة احترقت ومن فيها من الركاب بأجمعهم.

وفي اليوم نفسه أصيب مخزن ذخيرة في الكويت الشمالي الغربي لأمريكا فاحترق وسمع أصوات المتفجرات من مسافة عشرين كيلوا فأصيبت من رجال أمريكا أربعمائة وخمسون أمريكياً بجراح ولم يسقط وفيات، فحملوا للعلاج بالمستشفيات، ويعتبر هذا من الحوادث الكبرى، وقد جرى التحقيق والفحص عبر تلك الحادثة، وتعتبر هاتان الحادثنان من حوادث الدهر، وكانت الطائرة النيجيرية

لما علم الكابتن بعدم إنزالها كلم برج المراقبة في جدة بأنها خرجت عن سيطرته، ولما ارتطمت في الأرض احترقت ثم إنه بعث الملك فهد بن عبدالعزيز برقية تعزية ومواساة للرئيس النيجيري، ونسأل الله لهم الغفران.

وفيها في آخر ذي الحجة قدم لزيارة المملكة وزير الصين الشعبية وختمت هذه السنة بخير والحمد لله سوى ما كان من الرئيس العراقي صدام المخذول فإنه لا يزال يتهدد ويتوعد الكويت بأنه سيعيد الكرة عليها، هذا مع ظهور عجزه وقهر الله له ومذلتة.

ثم دخلت سنة ١٤١٢هـ

استهلت هذه السنة والعمال يدأبون في عمارة توسعة الحرمين الشريفين مسجد مكة المكرمة ومسجد المدينة المنورة، وكان العمل ممتازاً وكان تبليط الشارع في الجهة الجنوبية أمام حرم مكة الشريف قد كان رونقاً حسناً يرتاح فيه الحجاج، ثم خلف هذا الشارع جنوباً متسعاً لأمة عظيمة من الناس ينامون ويرتاحون فيه، وقد آمنوا من مرور السيارات، فتجد الرجال والنساء والأطفال الضعفاء آمنين مطمئنين، ولأن قلنا إنه حسنة من حسنات الملك فهد فكم لآل سعود من الحسنات.

وفيها جرى في الهند فيضان عظيم جلي بسببه عما كان حوالي الخطر المليون ونصف المليون، كانوا مشردين.

تنبيه: قد ذكرنا انفجارات جبل «بيناتوبو» بالفلبين وما نتج عن ذلك من أضرار بحيث ارتفع الدخان إلى خمسة آلاف متر في الجو، وانفتح مرةً بقذف الحمم والحجارة بحيث بلغ ارتفاعه خمسة عشر كيلو في الجو، وامتنعت من التحليق فوقه الطائرات لأن لا يصيبنا الدخان والحجارة السوداء، وهذا مما يدل على عظمة الباري وضعف المخلوق، بحيث إذا انفتح شيء من الأرض وقامت تقذف بالحمم وتفور بالدخان والحجارة السامة فإنها لا تقف أمامها قوة في الأرض من صنيع البشر، وكذلك الحصى والرياح العاتية بزجرتها ورهصها ووقصها لا تقف أمام هذه القوة، وقد حذر القوي القادر من سطوته بقوله: ﴿أَمْسِكْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ

يَحْيِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾ [الملك: ١٦-١٧]، وهذا التهديد يوقظ الغافلين ويريح أعصابهم، فهذه الأرض التي جعلها الله ذلولاً والمخلوقات على ظهرها أمسكتها قدرة الله، وهم يشاهدون كيف تتحول هذه الساكنة إذا شاء الله في بعض الأحيان إلى حالة تريح هي ومن فوق ظهرها وتذهب ضحاياها أمم من المخلوقات، أو ينجم من ذلك انفتاح أحد أفواهها، وهذا بقدرة الله، وإن هذه القدرة التي أمسكتها قد تتحول إلى أن تكون بأمر الله مهتزة مرتجة فلا يملكون إلا أن يرفعوا بأيديهم إلى السماء وأبصارهم إليها، ويشغلوا قلوبهم بمن هزها أن يمسكها، ويوقفها الله أكبر ما أعظم هذه القدرة وما أشد حاجة المخلوق إلى الخالق، وهكذا هذا الجبل لما انفجر بركاناً وتكرر انفجاره أصبح منذر بشره وويلاته وهجر ما حولها بمسافة ثلاثين كيلو متر فأصبحت معطلة من السكان والأنيس الصالح، سبحان الله المتصرف في خلقه على وفق مراده.

وفيها في ١/٤ انفجر بركان جبل الفلبين بدخان هائل وحجارة مما أرغم عشرين ألف جندي أمريكي على مغادرة أمكنتهم، وهذا يعتبر رابع انفجار لهذا البركان.

وفيها في ١/٢ هب إعصار شديد في الصين سقط فيه ٣٥ شخصاً ولقوا مصرعهم، وجرح ألف وسبعمئة شخص وسبعة عشر، ويعتبر هذا رزء شديد وهدم خمسة عشر ألف منزل، ودمر من الأشجار وغيرها تدميراً شاملاً، وسبب أضراراً عظيمة، وبذلك تعرف عظمة صاحب العظمة الذي إذا وقعت آياته فإنه لا راد لها، فعياذ بالله من درك الشقاء وكيف أن المخلوقين يقفون أمام تلك الكوارث لا يملكون نفعا ولا ضرا.

وفي هذه السنة بل في الآونة الأخيرة في مبتدأ هذه السنة ١/٥ ظهرت تقنيات صدام في العراق وأتباعه من الجيش الجمهوري، فلم يخضعوا لأوامر الأمة في إتلاف ما لديهم من السلاح الذري، علاوة على ذلك فقد قتلوا من الأكراد

خمسمائة كردي ولم يؤدوا ما تقرر عليهم من تعويضات ما خربوه في الكويت، فقد أُنذرت أمريكا الحكومة العراقية بأن يلتزموا بما أوجب عليهم وأعطتهم مهلة إلى خامس وعشرين من شهر يونية الموافق ١٤ / ١ فإن فاءوا فلا بد من ضرب العراق، وقامت بريطانيا العظمى بتأييد أمريكا وتجنيد ما اتخذته من التدابير ضد العراق، وقد أمر الرئيس جورج بوش بأن تجهز الطائرات تحضر الدبابات لهذه المهمة، وكان قد قام بزيارة لقبرص وتركيا وبريطانيا، وكان صدام وشيعته لما رأوا من عدم التزام إسرائيل من أوامر الأمم المتحدة أخذوا من ذلك درساً ليعاندوا، ويأخذوا بقول القائل وهو أبو العلاء المعري:

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا

ورأى من ذلك أن يعاند ويظهر في مظهر القوي الذي لا تلين قناته ولكن هذا الاصطلاح بعيد، وكيف وأنى وهيهات فلا تستوي الحالتان، وكان فيما يظهره من جبن وتبدو سوء تصرفاته الخالية من السياسة أنه يعلن بأن لا فائدة في إصلاح الكويت، ورجوع أهلها إليه فإنه سيعيد الكرة عليهم مرة أخرى، وتظاهر مغلوب بهذا القصد يدل على أمرين: إما أن يكون عن ضعف عقله وسوء تصرفه، وإنه لا يقيم للأمور وزناً مع ما هو من سوء الحال، وما سببه على شعب يزعم أنه هو رئيسه من الذل والفقر والمرض وسوء الحال التي كست وجهه اسوداداً وأثبتت له عجزاً وسوء تصرف، وأعجب شيء حربه لإيران وما سببه من قتل الأنفس والفتك والتدمير والإفساد في الأرض والاستغاثة ليساعده بالأسلحة والأقوال لحرب الفرس، فلما جمعها تنازل عن تلك الحرب وخسرها ورد عليهم جميع أرض لهم استولى عليها، ثم يلتفت بجميع ما ساعده به جيرانه فيرميهم بها ويصبح أهالي العراق لقمة سائغة للعقوبات، وتارةً يذهب إلى الشمال ليدمرهم وتارةً يذهب إلى الجنوب ويجعلهم جيفاً ملقاة على ظهر الأرض، ويكون هو وشيعته الذين استغواهم وجعلهم في أسراب في بطن الأرض يأكلون ويتمتعون وسائر الشعب يعيش في المساغب وفتك الأمراض، وتهدم منازلهم للعذاب بسببه، فهذا من جهة

الأفعال الجنونية، ثم أصبح سفاكاً للدماء لا يتمالك عن القتل وإراقة الدماء عمن تحت يده فكم من بريء قتله وكم ثكلى أصبحت تبكي زوجها وابنها وأخاها وقريبها الذي قتله بنفسه أو جرّ عليهم بالقتل، فهذا من جهة ومن جهة أخرى وهي الأمر الثاني أن يكون عقوبة على العراق وأهله عاقبهم الله به حتى صاروا حديثاً للأمم إلى يوم القيامة، فلا ريب أن عقوبات الذنوب والمعاصي تتنوع تارة بالخسف وتارة المسح، وتارة بالحصب، وتارة بتسليط الأعداء، وتارة بتسليط بعض الناس على بعض كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقد وقف أهالي العراق مكتوفي الأيدي لا يستطيعون خلع هذا الرئيس الذي يملك بحرسه القوة والسلاح، فلا يملكون مقاومته، فكان بذلك عقوبة عليهم، ومن عجائب الزمان إهماله والغفلة عند تلك المدة، بحيث تمكن من جمع أسلحة لا تبلغها القيادة من جيرانه الذين أحسنوا فيه الظن، واتخذوا له بأنه يدافع عنهم، فلم يشعروا حتى كان خنجراً في حلوهم وقتلهم بسلاحهم الذي أمدوه به وغدرهم وخانهم، ولقد أطلع إخوانه وحرسه على ما يسره في نفسه وحذروه من الغدر والخيانة التي تكشف في آخر ليلة يظهر في أولها الصداقة وفي آخرها، يمضي على ما خططه من احتلال الكويت وإطلاق الصواريخ على حليفته السعودية، كما أن الغفلة عنه بحيث يبني بيوتاً تحت الأرض مؤقتة وأتباعه من أذنا به وحرسه من ضرب القنابل، فإن عظمت لمن أعجب بها، ولما أن أغارت عليه الجنود التحالف ضده، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من أن يقبضوا عليه أعطاهم العهود والمواثيق بأن ينزل على إرادتهم وينفذ طلباتهم، لكن ظهر كاذباً متمرداً بحيث أنه بعثي كافر لا يؤمن بيوم الحساب، ولا قيمة للدين في عهده، ولا ميثاق، فلا مانع إذا أعادت عليه الدول الكبار التي أوقفته عند حده، ولم يراعوا عن غيه وضلاله، ولما أن دنى الموعد المحدد ولتسلم العراق أسلحتها الكيماوية والذرية أو ضربه مرة أخرى لأنه ظهر باكتشاف الأقمار الصناعية إصرار العراق على عدم إبراز الأسلحة الخطرة

لديه، وعلاوة على ذلك عثر على مصانع السلاح الذري في العراق يخفيها صدام ويتظاهر بأنها مصانع بلاستيك، عجت الادعاءات بما يكن من الأذى والسعي ضد الأمن، وقام في هذه المرة يتظاهر بأنه قادر على ضرب العرب وحتى لو أراد يضرب أمريكا، فقامت الأمة تستعد لضربه مرة أخرى، ولما أن مضت المهلة وزيادة ثلاثة أيام ورات أمريكا أن لا فائدة في تركه بهذا الوضع يعيث في الأرض فساداً ويسعى ضد الأمن، وقد أحضرت أمريكا قوات جوية لهذا الطارئ فأعدت في حفر الباطن قوة جوية كامنة من الطائرات لا يقل عددها عن أربعمئة طائرة، كما أن قوة قامت مستعدة لهذه الطوارئ في مدينة الرياض ولكن العدو تظاهر بأنه مستعد للتفتيش على مصانعه السرية من قبل هيئة الأمم المتحدة، فقامت اللجنة التي يبلغ عددها ١٢ خبيراً بالبحث في مصانعه.

وفيهما في ١٧/١ أصيبت الفلین بفيضانات وهطول أمطار علاوة على انفجار البركان المتقدم ذكره، وكان ذلك البركان آية من آيات الله بحيث كان يقذف الحجارة والدخان، فأما الحجارة فقد بلغت إلى غاية أنها اندفنت منها بعض المساكن الكائنة حوالیه، وهذا شيء بلغ في الغاية قدراً من الدمار والإفساد، والله تمام الحكمة في ذلك، ولما أن هطلت تلك الأمطار وحصلت الفيضانات التي دمرت المساكن الكبيرة وشرد لأجلها أم لا يعلمها إلا الله جعلت الإذاعات تروي تلك الأهوال التي نجمت عن ذلك البركان، وعن الفيضانات وما أصيبت به الفلین.

تنبيه: ذكرنا فيما تقدم الثورة والانشقاق في يوغسلافيا وكيف أن المتمردين قاموا ضد الحكومة واستعملت القوات وسقطت جثث القتلى في الشوارع، وظهرت روائح تلك الجيف واستمرت الأحوال هناك تنذر بشرها وويلاتها مما أدى بوزير الدولة بأن يهدد بتقديم استقالته إذا لم تهدأ الأمور، وكانت الأحوال في يوغسلافيا تزداد ارتباكاً وفوضوية.

اختبار المدارس والمعاهد المتوسطة والثانويات في المملكة السعودية، ففي ١/٩ شرعت لجان الاختبار في الامتحان وأصبح الطلاب من البنين والبنات في مرحلة الابتدائي إلى مراحل الكليات والجامعات يواصلون جهودهم في هذا السبيل.

سعي المصلحين لوضع سلام في الشرق الأوسط

لما تأزمت الأمور بين اليهود وأهالي فلسطين وأصبحت الأمور تزداد تعقيداً يوماً فيوماً سعت أمريكا لوضع صلح يكفل للطرفين حقن الدماء، وافي السبل، ذلك بأن الانتفاضة الفلسطينية التي شرعها ياسر عرفات لم تسفر عن نتيجة تذكر بل ضاعفت هجرة اليهود إلى فلسطين وبناء مستوطنات لهم فيها، وأصبح الفلسطينيون بحالة يرثى لها لأنهم يقاتلون بالحجارة والزجاجات الحارقة، فتقابلهم اليهود بالأسلحة النارية وكثرت الضحايا من أهالي فلسطين وتدمير مساكنهم، وإغلاق أسواقهم، وتعطيل مصالحهم، وانتشر البلاء إلى جنوب لبنان، وعجزت الأمة عن وضع حد لهذه الفوضى ووقف تلك الأعمال الوحشية، ولم يكن بوسع أمريكا أن تحمل إسرائيل على اضطهادها ومنعها عن إدانة العرب، لأنها حليفها وصديقتها الخاصة، فإنها جعلت تبعث رسلها ووزرائها إلى إسرائيل تشير عليها بوضع صلح مع العرب، وبما أن إسرائيل واليهود على الصحيح لم تكن خائفة من العرب فإنها ظهرت في مظهر القوي المسلط المتغلب لأن ظهرها أمريكا الواثقة منها، فكان وزير خارجية أمريكا يتردد لوضع الصلح إرضاء للعرب، ولقد قام الرئيس حسني مبارك والرئيس السوري حافظ الأسد والملك فهد بن عبدالعزيز بكل ما أوتوا في هذه المرة أن يضعوا حداً لتلك الأعمال التي تقوم بها إسرائيل، ورجوا أن يوضع عقد سلام بين الفريقين، وأن تحمل أمريكا إسرائيل على وضع صلح يكفل الأمن ويحقن الدماء، فلقد طالما انتشرت الفوضى وعذب الفلسطينيون وانتهبت أموالهم وديارهم، وقد قامت الرسل تتردد إلى القاهرة وإلى دمشق والرياض، وأمريكا وإسرائيل، وكان العرب يأسوا من إسرائيل أن تجاوب ولا سيما فيما تقوم به من هجمات ضد جنوب لبنان، وما حصل من غاراتها على المخيمات والمساكن هناك، وآخر شيء قيامها بتحليق طائراتها فوق عاصمة لبنان بوقت كانت الأمة تسعى فيه للصلح بين صدام حسين والعرب، كان هذا الرجل لا يزال يعمل وجنوده في بطن الأرض ومصانع السلاح النووي والكيماوي، ولديه خيانة ومكر، ولما أن أجري معه إلزام أن يبرز ما لديه من السلاح كان يكفه ويعده ليومه المعلوم

لأنه لم يظهر أولاً إلا نذراً يسيراً، وتظاهر بالعصيان فيهدد بأنه يستطيع أن يغير مجرى التاريخ ويهدم الكويت، ويفعل ويفعل، هددته أمريكا بأمر الرئيس جورج بوش بأنه إذا لم يحضر جميع ما لديه من السلاح الذري وما قام به من جمع الأسلحة التي أنفق ثروة العراق في جمعها وإنشائها لأن الرجل خطر على الأمن ويسكت على شر كبير لما يبنيه للإسلام وللعرب، وبعثت إليه اللجنة التي تم ذكرها وأنه إذا لم يخضع فإنها ستضرب العراق مرة أخرى عند ذلك أطلع اللجنة الكائن عددها من اثني عشر خبيراً، فبواسطة الأقمار الصناعية أظهر ما أخفاه وهي مدافع وصواريخ بعيدة المدى وأعمالاً كيماوية وذرية.

وذلك في ١٩/١ محرم، ومن هذه الأسلحة المسيلة للدموع والأسلحة المؤثرة على الأعصاب وغير ذلك من الأسلحة المهددة بالهلاك والدمار، نسال الله العافية، وكان أهالي الكويت لما سمعوا بتهديداته الأخيرة عزموا على ترك الكويت والعودة إلى السعودية، كما أن سكان مدينة الرياض جعلوا يفكرون باللجوء إلى القصيم واستأجروا فيها، ولكن تهديد أمريكا وشجاعة الرئيس بوش التي كانت أعظم من وقوع الصاعقة عليه أوقفته ذليلاً خائباً حسيراً، وهكذا كل معتد فإنه لا بد أن ييؤ بالخزي والهوان والخيبة والخسران، ومن العجائب، والعجائب جمة أن يقوم طريد ذليل فيعمل تلك المشاكل سوى أن الأمور مرهونة لأوقاتها، ولم سمع أهالي العراق بما يذيعه وينشره من هذيانه ألقى الله في قلوبهم الرعب وفروا إلى القرى والجيران خشية أن يعمهم البلاء بسببه.

عجائب من نجائب القدر وحادثه من حوادث القرن الخامس عشر

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالسَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فأما الخوف فحدث ولا حرج فيما إذا أوقع الله الخوف بأحد من خلقه، وانظر إلى تمام قدرة الله جلّت عظمته إذا أذن بالخوف، فقد روى التاريخ أن التتار لما سلطهم الله على المسلمين عام ٦٥٦هـ توصلت الأحوال إلى أن يقبض رجل من التتار على رجل من المسلمين فيقول له

ضع رأسك على هذا الحجر حتى أجد حجراً أرض به رأسك فيستسلم ويضع رأسه على الحجر حتى يأتيه بحجر فيرض به رأسه، والله لو أن شاة صنع بها هكذا لتمكنت من الفرار، ولكن هذا من العجائب التي يبتيلى الله بها عباده، وكان لما أن هجم العراقيون على الكويت لم يجدوا مقاومة تذكر، فقد فرّ الأمير وولي عهده ومن تمكن من الأسيرة الحاكمة أن يفروا، وأخذت نسائهم سبايا وفرّ البقية ممن تمكن من الفرار لا يلوي أحد على أحد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وتركوا أموالهم وسياراتهم الثمينة، لعل العدو أن يشغل بها وركبوا عبر الصحراء تاركين الخط الرئيسي لعلمهم يسلمون، وتوجهوا إلى السعودية فارين مع الصحاري الموحشة، فكانت الجنود العراقية تلاحقهم وتأخذ أموالهم وفتياتهم قهراً ويسلبون ما وقعت عليه أيديهم من الحلبي والساعات والنفقات، ويقعون على النساء وهم ينظرون بمرأى ومسمع من أزواجهن ووالديهن، وبلغت بهم إلى أن يصبوب العراقي المسدس على الولي أو الرشاش ويتهدده إذا غضّ طرفه وهو واقع عليها، فأى همجية وأي حالة أخسر من هذه الحالة التي لم يتوصل إليها غيرهم، فوالله لو أن العرب قاطبة، ولو أن المسلمين شدوا الصعب والذلول وهجموا هجوماً صاعقاً على أولئك الغوغاء لكان هو اللائق بهم، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها، وربما هلك الكويتيون عطشاً أو تعطلت السيارة عن السير فهلك أهلها بحيث لا زاد ولا مزاد ولا وقود، فحدث ولا حرج، ولم يروا التاريخ أبشع من هذه الحالة، وقد تقدم شيء من تلك المخازي التي لا يقدم عليها شريف له إنسانية إذا عدم فيه اسم الدين والإسلام مما يندي له الجبين وتقشعر منه جلود المؤمنين، وتنكره فطر العالمين فعياذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ومن العجائب كون النساء والصبيان وضعفاء العقول فارين يهربون من الخوف من صدام، إياكم صدام حسين الويل لكم من صدام، ولما أن جلسوا في السعودية كانوا لا يقر لهم قرار، فكلما مرت طائرة في الجو خافوا، ولا سيما الشباب في المدارس، فقد كانوا يفرون من مقاعدهم ودراساتهم من الهلع والخوف،

وانتشرت فيهم الوسوس والمخاوف وفيهم من أثر ذلك على عقله وشعر أنه في نومه ويقظته، وكان الكويتيون يسرون في السعودية ويشحذون ثمن البنزين ويروون ماذا حصل على أموالهم من النهب والسلب، ولما أن جعلت صواريخ صدام تسقط بمنة ويسرة طويلة المدى في الرياض والحفر وبعض المواضع الشرقية، شد المسلمون من الرياض والدمام والحفر ممتطين الصعب والسيارات فارين إلى القصيم، ثم إنه لما أذل الله العدو كسرت شوكته، وكان الكويتيون بين مصدق ومكذب بحيث أبو عن الرجوع إلى الكويت، وذلك لأنه قد ملأ بيوتهم بالأسلحة والذخائر والعبوات الناسفة، مما كان له أثر سيئ بحيث لما وقعت في أيدي سكان الكويت ومن اجتمعوا به فكانت تلك الأسلحة سبب الفوضى والتناحر هناك، فقد قام الفلسطيني وغيره ممن كان في الكويت لا يتورعون عن إطلاق النار، وانتشرت المذابح فيما بينهم، وزاد الطين بلة وجود عراقيين مختفين في الكويت يعملون الفوضى ويفجرون العبوات الناسفة، ولما أن استقر الأهالي في الكويت وقاموا بردم بعض آبار النفط والبتروك هناك لم يلبثوا إلا قليلاً حتى سمعوا أبواق إذاعات صدام بأنه سيعيد الكرة عليهم، فلا فائدة في إصلاح بلدهم وهو يريد أن يهدمها مرة أخرى، وكان لتهديداته وخزعبلاته وتخويفاته صدى عظيم في صدر الأهالي بحيث عقدوا العزم على الفرار مرة أخرى إلى السعودية لولا أن ضمنت لهم أمريكا الأمن في الكويت، وقامت تهدد العراق بضربة أخرى إذا لم يلتزموا بالأمن وعدم إطلاق النار ووقف إطلاق النار، وسلموا السلاح والسرقات التي سرقوها من الكويت، وكان ذلك في أواخر شهر محرم من هذه السنة، وكان تهديد أمريكا أعظم من وقوع الصاعقة عليهم، واختفى ذكر صدام فكانت العراق تنطق باسم حكومة العراق.

وهناك هددت بريطانيا العراق بأنها إذا لم تلتزم بثلاثة أمور فلا بد من ضربها:
أولاً: إطلاق الأسراء الكويتيين.

ثانياً: تسليم جميع ما لدى العراق من الأسلحة النووية والكيمياوية.

ثالثاً: رد جميع المسروقات والمنهوبات من الكويت.

فسلمت العراق جميع تلك الأسلحة، والمواد، واعترفت العراق أنها اشترت تلك المواد والأسلحة التي أبرزتها بعشرة مليارات، وردت على الكويت ألف سبيكة من الذهب وأربعمائة سبيكة مثلها، وذلك في ٣/٤ يوم الثلاثاء، ووعدت بأنها ستسلم بقيمتها في يوم الثلاثاء المقبل ١٠/٤ من هذه السنة، أما عن الأسراء فجعلت تماطل بوعودها، كما أن الأقمار الصناعية اكتشفت أسلحة باقية لم تسلم، فخبأه العراق وكان الرئيس صدام قد ضيق على الشعب في المدة الماضية، واشترى بجزء كبير من ناتج البلاء وبترولها تلك الأسلحة، وبهذا تبين حالة الرئيس المقهور والمغلوب وما بيته للجيران من الغدر والخيانة.

وفيها في يوم الاثنين الموافق ٩/٤ أطيح الرئيس السوفيتي ميخائيل غوربتشوف، وكان ذلك في ظهر ذلك اليوم، ولما جرى ذلك الحادث الجلل في روسيا تكشرت أنياب الفتن في موسكو وحدثت لذلك رنة أسف في الدول الكبار، وأظهرت اليابان أسفها الشديد لذلك، كما أن الرئيس الأميركي جورج بوش تأثر لذلك ولكنه أبدى أنه لا يتدخل في شؤون الدول الداخلية، وقد قامت مظاهرات في موسكو ضد الذين أطاحوا بحكمه، وقامت مصفحات وقوات هناك خشية الفوضى، وكان قد أناب وكيله عنه قبل أن يتخلى عن الرئاسة، وكان الذين نقموا منه رأوا ضعف حزمه واستهانته بالأمور وتدخله فيما لا يعنيه كحربه في أفغانستان وإمداده العراق بالأسلحة الخطيرة، أضف إلى ذلك سوء الاقتصاد في روسيا وما أصيبوا به من ذلك.

ومن كلام الشيخ أحمد بن علي بن مشرف وحكمة قوله:

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| وأنى يحوط الملك إلا سميع | ينحوض لظى الهيجاء ليس بهائب |
| له غيرة تحمي الرعايا كأنها | حمية ضرغام جسور موائب |
| ولا مجد إلا بالشجاعة والندا | وجر العوالي فوق مجرى السلاهب |
| فقل لإمام المسلمين وسر له | بنفسك أو أبلغه مع كل راكب |
| وأنشده إن أحسست منه تشاقلاً | إذا لم يسالملك الزمان فحارب |

ولا تحقر الخصم الضعيف لضعفه فكم خرب الجرذي في سد مأرب

وهذه الأبيات وإن قيلت في ملك عربي لا يملك في زمنه سوى سيف أو مدفع فتيل فإن لها في السياسة والحزم، وما ينبغي للرئيس أن يمثل به مقامه، وكان المعنى بذلك هو فيصل بن تركي بن عبدالله بن سعود، ولما أن بلغ فتوحاته إلى قطر ومسقط ورأس الخيمة خافت بريطانيا من توسعات رقعة المملكة السعودية فبعثت بباخرتين حربيتين عظيمتين إلى مياه الخليج لرد أطماعه، فأمر الإمام فيصل عبده بلال أن يزحف بمدفع ضد الباخرتين فيضربهما، ولما أن رسى بلال بمدفعه جعل قائد الباخرتين يضحك استهتاراً لذلك المدفع الضعيف وصاحبه، فأنذر بلال قائدي الباخرتين بأن يغادرا موضعهما، ولكن الباخرتين لم تتأثرا لذلك، فعند ذلك أطلق بلال مدفعه وما النصر إلا من عند الله فسقطت القنبلة في إحدى البواخر فقدر أن ثار اللهب والتهبت الذخيرة بأجمعها وامتدت النيران على الباخرة الأخرى فعطبنا وغرقنا وهلك ركبها بين حريق وغرق، وخلد الزمان ذكراً لبلال ومدفعه، فلا يزال في موضعه بين البر والبحر ذكراً خالداً.

وقد ذكرتني هذه القصة بأخرى في جهاد رئيس ليبيا السابق عمر المختار لإيطاليا حينما أرسل قنبلة على إحدى دبابتين حربيتين إيطاليتين فأصيبت فاستدارت على الأخرى فأصيبتا ودمرهما جيمعاً، والله على كل شيء قدير.

رجعنا إلى ما نحن فيه فنقول: لما كان في اليوم الثاني من تخلي الرئيس ميخائيل عن منصبه قام في صباح اليوم العاشر خمسون ألف متظاهر في موسكو يطالبون بعودة الرئيس إلى منصبه وأن يكشف عن حالته الصحية لأنه تخلى أو عزل بهذه الدعوى واحتجوا هم وغيرهم ممن يؤيده بأن تخليه عن منصبه ليس بمقبول لأنه انسحب بغير طريقة شرعية ولا قانونية، وكثر الهرج والمرج والقتل والقتال بين مكذب ومصدق، فبينما الناس متحيرين في انشقاق يوغسلافيا إذا قد وقعت المشكلة في روسيا، ولا ريب في أن دعاء المسلمين في خلواتهم وجلواتهم

قد يستجاب وهو أن يجعل الله بأس المشركين والكفار بينهم وتدميرهم في تدبيرهم، ومن عاش فسوف يرى، وكان ثورة جيش روسيا على الرئيس ميخائيل مستترين بأنه مريض وعاجز عن القيام بالعمل ونحو ذلك من المسوغات، لم يذكروا أنه يحارب الشيوعية وأن في طلب السلام مع الدول الكبرى، ولم يتحدّ المسلمين في دينهم، وفي آخر هذا اليوم زحف مائة دبابة وعشرون وطوقوا بيت الرئيس وهو موضع برلمان وأصبح مهدداً بإهلاكه وأهل بيته، وبما أن الشعب كله يريد الرئيس السابق فإنه يتكهن أهل المعرفة أن الثورة ستفشل كما أنه العالم أجمع يؤيد الرئيس السابق.

فشل الثورة وعودة الرئيس

لما كان في ١٢/٢ الموافق ليوم الخميس أي بعد الثورة بثلاثة أيام استطاع الشعب أن يقيم الرئيس ميخائيل إلى منصبه وأعيدوا انتخابه رئيساً، ثم إنه ألقي القبض على الثمانية الذين قاموا بالثورة ورفعت التهاني إلى الرئيس ميخائيل ومؤيديه، وكان من بين الذين رفعوا التهاني الملك فهد بن عبدالعزيز ملك السعودية، وذلك استبشاراً بإخماد هذه الفتنة لما ينشب عنها من الأهوال وإراقة الدماء ثم سكنت التحركات وعادت المياه إلى مجاريها.

وفيها هطلت أمطار على الفلبين وارتفعت الفيضانات فيها مما أدى إلى هلاك سبعة وعشرين غريقاً وتهدمت سبعة آلاف منزل وشرد سبعون ألفاً، وقد جرى على اليابان وبنغلادش والفلبين، كما ذكرنا ما جرى على السودان قبل ذلك من الفيضانات، وذكرنا تمام قدرة الله تعالى وكيف أن سكان المعمورة لا يستطيعون بأجمعهم الدفاع لقدرة الله، ولا يملكون أمام تلك الضربات إلا رفع اليدين إلى من دبرها ليوقفها ويمنع شرها، ولو كان المقام مقام وعظ لآتيناً بالمقصود ولكننا نشير هنا إلى الحوادث الأرضية وما يجري على سكان المعمورة، وكانت هذه الأمطار على الفلبين في الحريف ١٢/٤ من هذه السنة.

فتن وبلاء مستطير، قال الله تعالى: ﴿وَأَنقُضُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ

ذكرنا ما جرى في روسيا وكيف أن الله لطف ولم ينتشر شر تلك الفتن وأخذ الله تلك الثائرة، وإلا فلو استمرت لأخذت دورها في الشر والبلاء، ومن العجائب أن تلك الثورة الروسية لم يهلك فيها ضحايا إلا كعدد أصابع اليد، وإلا فقد ينتشر شرها بمحن بالغلاء وشدة المؤنة، وإذا كانت يوغسلافيا لما حدث فيها ذلك الانشقاق كثر سقوط ضحايا القتلى بين الصرب وكرواتيا، وعجزت الأمة عن تسكين تلك الفتن، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ تَوَلَّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما جرى ويجري من اليهود في فلسطين المحتلة وفي جنوب لبنان، ولقد بذلت الأمة جهود إجباره لوضع صلح بين الفلسطينيين وبين اليهود، ولكن اليهود لم يخضعوا لأحد من البشر، واستمرت المذابح بين شباب فلسطين في انتفاضتهم وبين العدو، ومما أدى إلى خراب فلسطين وكثر المهاجرين من اليهود إليها وإقامة مستوطنات لهم في فلسطين، وتهديد الأهالي تارةً تهدم المسجد الأقصى بعد إحراقه فيما مضى، وتارةً بالتهديد في هدم المسجد الإبراهيمي، وعجز المسلمون عن كف اليهود عن الإغارات على لبنان رغم ما بذل من الجهود في تسكين هذه الحركة اليهودية، ولقد حامت الأفكار بين مؤيد لياسر عرفات وبين من يرى بأن لا صلاح لفلسطين ولا لأهل فلسطين ما دام في الرئاسة، ولعل وجوده وظهور خيائته للعرب لمناصرته أعداء العرب أكبر دليل على عدم توفيقه وأن ما يجني من الأموال لمصالحه وإقامة قصور ومساكن له في البلاد الأخرى، وإنما اتخذ طريقته في استحصال الأموال باسم أهالي فلسطين وإنما يجمعها لنفسه، ولقد قام بزيارة لمصر في الأيام الأخيرة بعد هبوطه بالطائرة لم يسمح له بالخروج فيها، ولم يستقبل منها بل لبث تسعين دقيقة في طائرته ورجع غخدولاً إلى حيث أتى، ومن يتأمل كثرة تقلباته واستجابته للفتن وسعيه بالفساد، أما عن قصد أو غباوة في طبعه، علم أنه لا خير فيه، وقد يكون في توجيهاته أهالي فلسطين غاشاً لهم

باسم الإخلاص والنصح لهم، وما أسرَّ عبدٌ سريرة إلى وألبسه الله إياها علانية، فمن ذلك ميله إلى صدام حسين وتأيده له ولفته مما أثار غضب العرب عليه وعلى أهالي فلسطين الذين ساروا خلفه مغترين ومنخدعين وانضمامه إلى الحميني في أول ظهوره ناسياً أو متناسياً ما في العواقب من سوء الحال، ولو نظرنا إلى ما حل في العراق من الدمار والقتل والجوع وعزله عن الأمة بسبب ما جرى عليه، لكان له ما يمنعه بموالاته، ولكن الله تعالى قال: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [المائدة: ٤١]، مقتدياً بمن اغتروا مثل البشير وعلي عبدالله صالح وحسين الأردن الذين عاشوا مثله في ظل هذه الحكومة، ولكنهم ويا للأسف قابلوا الإحسان بالإساءة، والمعروف بالأذى وإن ضاع معهم المعروف فإنه لا يضيع عند الله عز وجل وكما قيل:

من يفعل الحسنات الله يشكرها لا يذهب العرف بين الله والناس

وفيها في ١٣ و ١٤ من شهر صفر هب إعصار في كوريا بلغ من قوته أن قتل ثلاثين رجلاً واجتاح تسعة وتسعين شردوا من منازلهم، وانفجر البركان المتقدم ذكره في الفلبين فأرسل حجارة قتلت من سقطت عليه، كما انه نجم عن ذلك فيضان عظيم تآذى من ذلك أهالي الفلبين .

مذابح في يوغسلافيا

لما انشقت كرواتيا والصرب في هذه السنة حصل بين هاتين المنشقتين وأنفسهما نزاع وقتال شديد سقط لذلك رؤوس، وأرهقت نفوس وبلغ عدد القتلى بالمئات، وعجزت الأمة عن وضع حد لهذه الفوضى والفتنة العمياء، واستمرت المذابح بين الجانبيين ولا تزال الفتنة قائمة منذ أن بدأت بينهما، وكانت أمريكا بما أوتيت من قدرة وقوة تسعى لإطفاء الفتنة بينهما، ولما أن حدث انشقاق في روسيا وقامت كل جمهورية تطالب باستقلالها نزعت هيبة الرئيس ميخائيل غوربتشوف وأطيح برئاسته، غير أنه استطاع أن يسترد منصبه

ورئاسته بمساعدة الشعب، وكان السبب في الإطاحة به أنه يحارب الشيوعية الملعونة، وقد استطاع أن يقبض على جميع المناوئين له، وكانت العلاقات بينه وبين أمريكا حسنة وبين الناس من يرى أن ستكون تلك الحركة في روسيا من حسن حظ العالم لما ينجم عنها لو استمرت، والله لطيف بعباده.

ذكر سوء الاقتصاد في بعض أقطار الأرض

كانت الباكستان وبنغلادش والمجاهدون في أفغانستان لتحرير بلادهم من الكفر والشيوعية وغالب أفريقيا قد ضحوا بما هم فيه من الفقر والمجاعة، وبسبب ذلك فإن النصارى استغلوا تلك الفرصة وجعلوا ينادون بعض الجهات لينضموا إلى النصرانية وكي يواسوهم بالإعانات ليرتدوا عن دين الإسلام، فقامت أمة من الغائرين على دين الإسلام يحثون في المملكة العربية السعودية على التبرعات لهؤلاء الجياع قبل أن تصرفهم النصارى عن دينهم، وصدق الرسول حيث يقول: «كاد الفقر أن يكون كفراً»، ولقد وجدت النصارى بكل ما يستطيعون في نشر الدعاة لدين النصرانية حتى ذكر شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أنهم كانوا إذا أسروا مسلماً أدخلوا عليه في السجن فتاة حسنة جميلة تدعوه إلى نفسها، ولكن لا تمكنه من نفسها حتى يكون نصرانياً، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن مسيحياً في الحرب العالمية الأولى دعا بإعرابي من أعراب العراق فقال له: أعطيك ديناراً على أن تقتل هذا الكلب، فقتله، فقال: أعطيك دينارين على أن تسلخه، فسلخ الكلب، فقال: أعطيك ثلاثة دنائير على أن تأكله، ففعل فقال له: هكذا نغلبكم يعني ببذل المادة، ولقد ابتلى الله بعض المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالقلّة والفقر، فترى أناساً يقدمون من باكستان وغيرها يبشرون بانتشار المسلمين هناك وأنهم فتحو مدارس ومعاهد لتحفيظ القرآن، وذكروا أن الإقبال على تلك المدارس يزداد بكثرة ولكن المادة للمدرسين والمتعلمين لا تساعد، ويستجدون من إخوانهم في السعودية وغيرها من أهل الثروة أن يواسوهم في نشر الدعاية لدين

الإسلام وتعليم القرآن هناك، وفعلاً كان المسلمون يتسابقون بالتبرعات ويتفاخرون ببذل الأموال في هذا السبيل وسبل الخيرات، وهان عليهم بذل الأموال في ابتغاء مرضاة الله، فنسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن ينصر الإسلام والمسلمين.

وفيها في فجر اليوم ١٨ من صفر انفتح بركان بياتوبو وجعل يقذف حجارة ونيران مما أدى إلى نزوح أكثر من ألف نسمة من حوالي ذلك المكان، وحدث في الفلبين ست هزات أرضية وجعل ذلك البركان ينذر بشره وبلائه، وهذا شيء نادر الوقوع ويعجب له وعند أرباب الهيئة بحوث وآراء نحو هذه البراكين، ولا ريب أن استمراره بهذه المفاجئات نوع عذاب على من حواليه من البشر ولا يتعد هذا أن يكون قد فتح من جهنم جزءاً من سبعين جزء، فعياداً بالله من أليم عقابه.

وفيها في ٢٩/٢ زلزلت بإيران أرض على مسافة مائتي كيلو، ولا تخلو من تدمير لبعض المنشآت.

وفيها في ٢٢/٢ من الله علينا بالذهاب إلى مكة المكرمة لأداء نافلة العمرة، وإلى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول ﷺ وثاني المسجدين المعظمين، فوجدنا تيسيراً ولطفاً في حلنا وترحالنا فوجدنا العمال يدأبون في الأعمال الجبارة لخدمة الحرمين الشريفين وتوسعة الحرم المدني، وجعل مرافق ودورات مياه في الحرم المكي، ووجدنا من الأمن والطمأنينة مالا تبلغه العبارة، فله الشكر على فضله وتوفيقه.

وفيها في ١١/٣ أصيبت قوانتنا بهزة أرضية قوية هلك بسببها ستة أشخاص لقوا مصرعهم وجرح عشرات وتهدمت البنيان والمنازل.

وفيها في ١٢/٣ الموافق ٢٨ في الحريف ١٩ سبتمبر هطلت أمطار غزيرة على بعض الجهات، وذكروا أنها لم تصب بمثلها منذ زمان طويل، كما هبت إعصارات شديدة عليها، وفي هذه الآونة سمحت الولايات المتحدة للعراق في بيع قدر من البترول تؤمن وجود شيء من المواد الغذائية لها هذا من جهة الأهالي، أما عن الرئيس المجنون وقومه الذين انتقامهم فهم مشغولون بصنع الأسلحة الفتاكة التي يريدون القضاء بها على المسلمين ومحو الإسلام.

اليوم الوطني

ففيها في اليوم الخامس عشر من ربيع الأول وافق أول يوم من برج الميزان ويعتبر هذا هو اليوم الوطني في المملكة العربية السعودية، وبما أنه لا يسمح الإسلام بإقامة أعياداً غير ما شرعه الله ورسوله من عيد الفطر والأضحى فإن الحكومة وتنفيذاً لهذا لم تجد موعد ولادته عيداً ولا يوم ارتقائه عرش المملكة أعياداً، ولكنه اليوم الوطني لتوحيد المملكة، ومرور إحدى وتسعين سنة من توحيدها لأنه لولا ذلك لكانت المملكة التي تضم شبه الجزيرة دويلات صغيرة ولكن كان هذا اليوم يوم ذكرى وتعداد لما أعطى الله الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن من التأييد ومكارم الأخلاق بحيث وحد الجزيرة وجعلها مملكة واحدة، ويذكر في هذا اليوم ما من الله به على المسلمين من الألفة، وكان لما تم لولايته خمسون عاماً أرادت أن تجعل ذلك اليوم عيداً ذهبياً، وبينما كانت العواصم في المملكة تستعد للفرح لإقامة العيد وجلبت الإبل لنحرها في أرجاء المملكة، والخطباء مستعدون بالقصائد والخطب إذا بها تصدر الأوامر بالمنع وأن لا عيداً إلا ما شرعه الله، وقد قدمنا ذلك في موضعه مما أغنى عن إعادته هنا فكانت الإذاعة السعودية والجرائد والمحلات تنطق بها للملك عبدالعزيز من الحسنات والمكارم والرأفة بالشعب، وما بذله من جهود تعجز الأقلام عن عدها وحساباتها، ولم يقتصر ذلك على المملكة فحسب بل كانت الدول المجاورة تبوح بذلك وتنشر تلك الموهبة التي وهبها الله عبدالعزيز، وأنها لذكرى خالدة، وتوارثها أنجاله النجباء الملك سعود والملك فيصل والملك خالد والملك فهد جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ذلك لما قاموا به من نصرة الحق وقمع الباطل فحدث عن الفضائل ولا حرج.

رجعنا إلى ما نحن في صده والتاريخ يعيد نفسه فيقول في هذا اليوم عشر في الكويت على مدافع عملاقة خلفها الجيش العراقي كان يبلغ طول الواحد منها ستة أمتار بمدى ثلاثين كيلو، وقد أكدت أمريكا باستئصال ما في العراق من الأسلحة الكيماوية والذرية وإتلافها، ولكن الحكومة العراقية تراوغ ولم تتمكن اللجنة القادمة

من هذه المهمة فجاء الجواب الأخير بأنها إذا لم تخضع العراق لقرار مجلس الأمن القاضي بذلك فلا بد من العدول إلى القوة، وكانت لا تزال تتظاهر بالعناد وعدم اليأس من ضم الكويت كما عدتها في نفوسها مع ما هم من السيطرة عليهم وفرض السلطة على العراق.

أما عن يوغسلافيا وكرواتيا والصرب فقد تطورت الأوضاع فيها وكثر القتل وإراقة الدماء فيها، وكانت الدبابات والمدافع لها شأن عظيم في ذلك التناحر، وعجزت الأمة عن الصلح فيما بينهم، ووقف إطلاق النار فيها، ولا تزال من حين نشوب الخلاف فيما بينهم إلى ١٥/٣ من هذه السنة.

أما عن لبنان فإن الحرب فيها لم تضع أوزارها ولا يزالون في عناء من اليهود، وكذلك القتال مستمر بين اليهود المحتلين لفلسطين وبين أهلها، وكثرت الإصابات بأهل فلسطين رجالاً ونساءً وذلك لأن اليهود يطلقون عليهم النار من البنادق والرشاشات والمسدسات وأولئك يقاتلون بالزجاجات الحارقة، وامتلأت سجون اليهود بأهالي فلسطين، كما أن القتال مستمر ومستعرة نيران الحروب بين المجاهدين المسلمين وبين الكفار الذين في كابول تمدهم روسيا، ومطالع الأمور تبشر بانتصار الإسلام على الشيوعية هناك، ومما يؤسف له أن تكون فرقة تحرير فلسطين منشقة ويصبح العرب بين فتنة صدام منشقين فمنهم من تبع المذكور في ضلاله كالسودان واليمن ودويلة الأردن وتونس، وأصبح المسلمون بحالة يرثى لها، وقد أثر عمان واليمن والسودان البقاء على ما هم عليه من الانشقاق ونسوا ما هم عليه من ضيق المعيشة والجوع والفقر والاقتصاد، وسوء الحال، ووقع بما أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة »، فخذ ما شئت من هذا التفكك والتمزق الذي من أجله كانوا به مسخرة للأجانب، وضحكة لهم، ولقد أدبنا الله عز وجل بقوله: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاَتَّبِعُوا ﴾ ثم قال: ﴿ وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمُ وَأَنفُسُكُمْ وَأَصِيرُوا ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦]، وكنت أظن أنه لو كان لبعض المنحرفين عقول ولم يستحوذ

عليهم شيطان العراق بغروره وخداعه، وزين لهم الباطل فلا أفلحوا واقتضحوا بين الناس بحيث كشفوا عوراتهم بأيديهم وأخزاهم الله، ولكن الله تعالى قال: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥]، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

وفيها في ٣/١٦ قدم مبعوثوا الأمم المتحدة إلى العراق للتفتيش على الأسلحة الكيماوية والنووية وعددهم ٤ أعضاء، ولما أن قدموا على العراق قامت الحكومة العراقية القبض عليهم كأسراء واحتجزوا الوثائق التي يحملونها، وأثار ذلك غضباً، وأمر بالقوات الأمريكية والإنكليزية أن تكون على أتم استعداد للحرب وضرب العراق، وقد أنسدت الطرق بالدبابات وحاملاتها، وامتلاً البحر بإحضار الطائرات القاذفة للقنابل على اختلاف أنواعها، وجعلت الأمة تنتظر لضرب العراق، وأصبح الشر على قاب قوسين أو أدنى، ومن نظر إلى ما كان عليه الرئيس المزعوم المخذول من التقلبات والكذب والخيانة وما يبيته من الشر والمكر والكيد فإنه يكون على علم ويقين بأنه لا صلاح للعرب ولا للعراق إلا بالقضاء عليه، وما هو يجلب قوات من سائر الأنحاء يعد العدة ويرم حبال الفتنة كما قيل:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| ويربو وينمو كلما كان مهماً | كجذوة نارٍ شرها يتوقع |
| فإن لم تجد قبل التوقد مطفئاً | عجولاً خوت منها بيوت وأربع |
| كذا أصل أتلاف الرعايا رعاها | إذا لم يقم للمفسدين مروع |

ولم سئل أبو مسلم الخراساني عن سبب زوال ملك بني أمية قال: لأنهم قربوا العدو تألفاً له وأبعدوا الصديق ثقةً به فما صار العدو صديقاً وصار الصديق عدواً ويقول شاعر العرب الحكيم:

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| وإذا الصديق لفيته متملقاً | فهو العدو وحقه بتجنب |
| لا خير في ود امرئ متملقٍ | حلو اللسان وقلبه يتلهب |
| يلقاك يحلف أنه بك واثقٌ | وإذا توارى عنك فهو العقرب |
| يعطيك من طرف اللسان حلاوةً | ويروغ منك كما يروع الثعلب |

وفيهما في يوم الجمعة ١٩ ربيع الأول هب إعصار شديد على اليابان فهلك بسببه أنفس وأصيب آخرون، وقد هلك على التحقيق خمسة وثلاثون قتيلاً وفقدوا ستة، فلا يعلم مصيرهم، كما أن زائير حدث فيها تقلبات ونزاع.

وفيهما في ليلة الخميس الموافق ٢٥ جمادى الأولى الموافق ١١ الميزان نزلت أمطار غزيرة على القصيم والمجعة والرياض، وأصيبت جهة بإعصار شديد حطم بعض المحاور التي مرّ عليها فألقاها مكسرة على ظهر الأرض، كما أن مدرّج وما يليه في القصيم أصيب برياح شديدة أوقفت السيارات عن السير، وبهطول الأمطار كانت برد، أوقدت لأجلها النيران، كان ذلك وقت صَرام النخيل.

وفيهما في إندونيسيا تحطمت طائرة في الجو وأصيب ركابها وكانوا مائة وثمانين قضوا نحبهم وكانت من طراز الطائرات الأمريكية.

تنبيه: قد قدمنا معاملة العراق للجنة التفتيش على أسلحتهم، ولما أن احتجزوهم، وقامت العراق بقيادة صدام بعدم الخضوع، لكنها رأت علامات الهلاك مظلمة على العراق خضعوا صاغرين وخلوا بينهم وبين مهمتهم فعثرت اللجنة البالغ عددها أربعين عضواً على مصانع كيماوية هناك ومعدات نووية، وعلى المدفع العملاق الذي يبلغ طوله ٥٦ متراً، وعززت أمريكا اللجنة فقضت اللجنة بإعدام تلك الأسلحة والقضاء عليها، وما أحسن ما قيل وكأنه يصف حالة صدام في تصرفاته التي عادت عليه بالخزي والعار حيث أراد الإسلام وأهله بسوء وأحاط به مكره، ويصف الشجاعة للرئيس الأمريكي بوش:

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| ورب مريد قبره ضر نفسه | وهاد إليه الجيش أهذا وما هذا |
| ومستكبر لم يعرف الله ساعة | رأي سيفه في كفه فتشهدا |
| تظل ملوك الأرض خاشعة له | تفارقه هلكى وتلقاه سجدا |
| وتجبي له المال الصوارم والقنا | ويقتل ما مجي التبسم والجذا |

وفيهما في ٢٩/٣ قدم وزير الدفاع والطيران سلطان بن عبدالعزيز منطقة تبوك فأقيم له احتفال وأشرف على إحدى الفرق القائمة بأعمالها ونشاطها في خدمة الدولة.

ذكر افتتاح مشروع الكهرباء في تبوك

وفي تبوك افتتح الأمير سلطان بن عبدالعزيز مشروع الكهرباء في مدينة تبوك وضواحيها بحيث عم التيار هناك ٤٦ مدينة وقرية، وقد بلغت تكلفة ذلك العمل الجبار خمسمائة مليون، وكان عدد المشتركين في ذلك التيار ومكائنه سبعة آلاف مشترك، وأصبحت تلك المنطقة مستنيرة بأنوار الكهرباء وما ينتج عنها من الخدمات من تبريد وتسخين وتثليج وطبخ وتغسيل وغير ذلك مما يوفر الكهرباء للأمة من المصالح، ومن الغد يوم الثلاثاء الموافق غرة ربيع الثاني افتتح مستشفى مدينة ضباء الواقعة على ساحل البحر في غربي المملكة الشمالي، وأقيم لذلك احتفال حضره سكان تلك الجهة، وحينئذ يقال: سبحانه الله العظيم وتبارك اسم ربك الكريم، ففي كل يوم يفتتح مشروع في مدينة من مدن المملكة السعودية مع كثرتها وترامي أطرافها، وبما أن المواصلات اليوم من طائرات وسيارات فإنه أصبح البعيد قريباً، وكان لما أن فتحها الملك الراحل عبدالعزيز واستولى عليها لم تكن المشاريع متوفرة وموجودة، ولكن يعد بأن العمل في الطريق فحقق الله أمنيته، وقام أنجاله الأسود الضياغم يسيرون بالعمل سيراً حثيثاً، ولقد وفقت المملكة بتيسير من الله بحجده ونشاط من أنجاله الملوك سعود وفيصل وخالد وفهد غفر الله لأمواتهم وأيد أحيائهم ولا سيما من كان على عرش الحكم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، والله در القائل حيث يقول في مراثيه للإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي رحمه الله^(١):

فيا لك بدرأ أعقب الشمس بعده وثجاج مزنٍ أعقبته سيول

(١) هو الشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين رحمه الله.

بدور علا هذا هوى لمغيبه وذا فى سماء المكرمات يحول

وفيه قامت الحكومة السعودية بمجد ونشاط في إيجاد الأسلحة الحديثة والاستعداد بالقوة، كما نص على ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، لأن بذلك يندحر كيد كل كائد، ولا ينبغي التغافل عن ذلك، ونضرب مثلاً والأمثال تضرب للناس بأن الطائر المعروف بأم سالم كانت تسجع بالتغريد في أيام الربيع، فكانت ترتفع إلى السماء ثم تهبط بسرعة لها تغريد وفرح في أيام الربيع، وبينها وبين النملة تفاوت عظيم في ذلك الوقت، فالنمل يجمع الحب من القمح ويحمله إلى بيوتها وهذه مشغولة بتغريدها فهذه تدخر القوة وهذه مشغولة عنه، فقدر أن نزل ضيف بعد الربيع بأم سالم، فلم يكن لديها شيء فذهبت تقترض من النملة قوتاً لضيفها فقالت لها: يا أم سالم قد أهلك القصائد يوم الحصاد، فذهب ذلك مثلاً بين الأمة لمن كان يلهو بطرب ساعة ويهمل مصلحة المستقبل، ومن نظر إلى طبيعة النملة في ادخارها القوت فإنه يستفيد من استعدادها لنوائب الزمان، وعليك أيها البارع الأديب الأريب بالنظر في كلام العالم ابن القيم ووقوفه على طبائع الحيوانات وإلهام الله لها حتى ذكر رحمه الله أن الملوك البارعين يأخذون من طبائع النحل مع يعسوبها سياسةً وتقليداً.

دخول شهر ربيع الثاني من هذه السنة استهل هذا الشهر والأمور بين يوغسلافيا والصرب وكرواتيا هائجة مائجة، وقد تطور الخلاف بينهم وجعلت الدبابات والطائرات والمدافع تلقي بقنابلها من هنا وهناك، وعجزت الأمة في أفريقيا وغيرها عن وقف ذلك القتال والبلاء المتراكم، وسقطت مئات القتلى ومئات الجرحى بين الفريقين، وقد قامت يوغسلافيا فضربت قصر الرئيس الكرواتي، وجرت المدافع والدبابات، وأرسلت أسراب الطائرات على منخفض فوق جو كرواتيا فيما سبب لها إدانتها عن هذا الاعتداء الوحشي.

وقد حاصرت قوات أمن إسرائيل الفلسطينيين في المسجد الأقصى، وقتلت فيه خمسة عشر فلسطينياً، ولم يراعوا ثانيي القبلتين وثالث الحرمين الشريفين حرمة ولا كرامة فنفذ فيه حريق بقصد إلقاء القذارة والأوساخ وإرادته بالسوء والهدم فيقتلوا المسلمين فيه ويعصون الله ورسوله، ويقتلون الأبرياء ويغتصبون أملاكهم ولا

يرعون للعرب ولا لقرارات مجلس الأمن حرمة، وهكذا أمةً يترك لها الزمام والخطام يفعلون ما يشاءون ويحكمون فيما يريدون، وفي كل ساعة يطلقون النار على أبناء فلسطين فيسقطون ما بين قتيل وجريح ومعوق، وامتلات السجون بالفلسطينيين فهذا يحكم عليه بسجن المؤبد وهذا بسجن أربعين سنة وخمس عشر وثمان، وامتلات السجون بأهالي فلسطين وقد ذكرنا في هذا التاريخ قصصاً وأخباراً مملوءة بأعمال اليهود وظلمهم، وذلك لما ضمه تاريخنا من أعداد السنين التي استولوا بها على فلسطين وما يليه بوعده بلفور من حينما سكنت الحرب العالمية الأولى وما جرى في هذه السنين ولا سيما لما رفع اليهود منذ ست وخمسين سنة لشعار اليهودي على المسجد الأقصى، فعلت صيحات العرب وسائر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وكان الرئيس هتلر زعيم ألمانيا يتكهن وقوع الزلازل والمعارك في الشرق الأوسط ولا سيما حينما وقف مشيراً بأصبعه إلى فلسطين لعلهم أن اتخاذ اليهود فلسطين سيحدث الزعازع والأهوال، وكان يقول: سيحدث أهوال في فلسطين ويشير إليها، وبما أنه العدو الألد لليهود لما يعرفه عنهم من المكر والخداع والكذب فقد شفى غيظه منهم وأندر من فتنهم وشرهم، وقد قدمنا في هذا التاريخ ما فيه كفاية.

ولما أن كان في أواخر شهر ربيع الأول قامت قوات صدام حسين بضرب الأكراد في موقعهم الذي كانوا فيه لاجئين، فجرى بين خريد وبين الأكراد مناوشات وقام الأكراد على ستة وستين أسيراً عراقياً فقتلوهم وهم واضعون أيديهم على رؤوسهم للاستسلام، ثم قام الرئيس صدام فقتل من جنوده ستة وسبعين ضابطاً بيده، كان يزعم أنهم متواطئون على اغتياله، وقد قررت الأمة بإجماعها على أن لا أمن ولا طمأنينة ما بقي صدام في الوجود، أما ما لحق بالعراق من الأضرار والتدمير فشيء كثير، وبما أن أهل العراق قد أظهروا للأمة عجزهم عن اغتياله فإنه لا ذنب لهم فيما أبدوه من مقاسات ظلمه وأعماله، وقد كانت السليمانية موضعاً للمعركة الأخيرة، وبما أن الأمور أصبحت بهذا الوضع فقد مرّ من العراق مليونان من السكان إلى أطراف البلاد التركية خوفاً على أنفسهم وذرياتهم من هذه الطوارئ.

أما عن لبنان وغارات اليهود عليها فإنها لا تزال تغلي مراجلها بالفتن والزعازع وقامت حكومة الرئيس إلياس الهراوي بالقتال والدفاع عن جنوب لبنان، ولكن ماذا يصنع باليهود الذين عزموا على إقامة مستوطنات على عتبة الجولان، وبما أنها تشرف على اليهود فإنها لا تتخلى عنها منذ أن استولت عليها، وكان بقاؤها فيها ذا أهمية عظيمة في مصالح اليهود، وقد عجزت سوريا عن طردهم عنها، وكان مما يظهر ويبين أن جميع ما استولت عليه اليهود لا يمكن أن يتحولوا عنه ولا عن شبر واحد منه، والله كمال الإرادة، وهو على كل شيء قدير، وقد حاولت الأمة إيجاد صلح في الشرق الأوسط، وذهبت تلك المحاولات أدراج الرياح، والله در الشاعر العربي حيث يقول:

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| فلا صلحٌ حتى تقدح الخيل بالقنا | وتضرب بالبيض الخفاف الجماجم |
| ولا أمنٌ حتى تغشم الحرب جهرةً | عبيدة يوماً والحروب غواشم |
| أمستبطى عمرو بن نعمان غارقي | وما يشبه اليقظان من هو نائم |

وقد قدمنا شيئاً من أعمال رئيس العراق وهجومه الأخير على الأكراد فقد سقط من الأكراد عدد من المئات وأصيب آخرون، وقد جاء بالمدافع الثقيلة لهدم منازلهم وعثر المنقبون على مصانعه أنه يعمل فيها إيجاد القنبلة الهيدروجينية المحظور استعمالها بين الأمم كلها.

ذكر زيارة رئيس باكستان

لما أن كان في غرة ربيع الثاني من هذه السنة قدم الرئيس غلام إسحاق خان إلى المملكة العربية السعودية لأنه قام بهذه الزيارة للملكة لما بينها وبين بلاده من حسن الصلات، فأطلقت المدفعية لقدمه واحداً وعشرين مدفعاً، واستقبل استقبالاً يليق به من حفاوة وإكرام، إن الحكومة الباكستانية الإسلامية قد حظيت بهذا الرئيس المسلم، وقد كانت الحكومة السعودية قد أمرت ببناء مساجد في باكستان الإسلامية وعددها خمسون مسجد، ولا يزال فيها رجال يدينون بدين الإسلام، ففتحوا

مدارس لتحفيظ القرآن، وكان أولئك القائمون بهذه المدارس لا يزالون جادين في نشر الإسلام ببلادهم ويترددون إلى المملكة للاستجداء من الأجواد فيها والمساعدة على مهمتهم بالبذل لمساعدتهم مادياً، وكتابةً وتشجيعاً، وجزى الله من أعان المسلمين وأهله ولو بشرط كلمة، ثم إنه غادر جدة إلى المدينة المنورة، وكان موضع التقدير فيها في حله ورحيله بين مدنها وفي رحابها، وكان أهالي باكستان حينما تنفسوا الصعداء من الرئيسة الأولى بنازير بوتو التي يطلقون عليها لفظة خنازير لأنها لم تكن في صف الدعاة إلى الله بل تثبط عن نشاط الإسلام هكذا ذكروا، ولقد كانت الحكومة الهندية تقاسي أنواعاً من التمرد وكثرة اغتيال الأمنيين ولا سيما من الشيخ، ولما أن كان بعد صلاة الجمعة غادر الرئيس غلام إسحاق خان المملكة إلى باكستان.

وفيهما في ٤/٢ قامت حكومة كابول بقتال النابالم على المجاهدين في أفغانستان فضربتهم بهذه القنابل الحارقة، وجرى قتال لم يجزِ مثله منذ ثلاث عشرة سنة من انتشار القتال بين المجاهدين وبين حكومة كابول الخاضعة لروسيا.

وفيهما في ٤/١٣ أصيبت الهند بزلزال شديد تجلى عن عدد من المئات من القتلى وجرح آخرين، وهدم منازل كثيرة وأحدث هذا الزلزال خسائر في الأموال والأرواح.

قامت إسرائيل بغارات كثيفة على جنوب لبنان واستعملت القنابل الكشافة حتى كانت بيروت كرابعة النهار، وهذا في سعي الأمة لعقد الصلح في الشرق الأوسط وموعده ٣٠ أكتوبر من عام ١٩٩١م في مدريد عاصمة إسبانيا، بينما كانت الأمة تستعد لبعث مندوبيها لموعد الصلح، وقد أطلقت المدافع في جنوب لبنان وسقط بعض من القتلى والجرحى، أي قبل الموعد بعشرة أيام، كما أن العراق لا يزال في غيه وعناده، أما ما كان من عمان فقد لزمته حكومته الصمت وعدم الحركة، كما بعث الملك حسين ببرقية تهنئة باليوم الوطني للحكومة السعودية، غير أنه لم يتلقَ جواباً، وكان حافظ الأسد قد تلقى عقد الصلح في مدريد برحابة الصدر والارتياح ورجا من هذا المؤتمر حل مشاكل الشرق الأوسط، وتلقت السعودية

ومصر ذلك بالقبول والفرح والاستبشار، كما أن إسرائيل ستحضر المؤتمر، أما العراق فقد طردت وأسقطت معنوياتها وهلكت الكويت لعقد هذا المؤتمر، وقام رئيس لجنة تحرير فلسطين تستعد لذلك اليوم أما عن إسحاق شامير فقد كان في تمرد و عناده، وقد قام ثلاثون ألف إسرائيل بمظاهرات^(١) ضده ينادون بوضع حد لهذا العناد، ويطالبون بوضع صلح بين إسرائيل والعرب، وقامت الأمة يستعدون للذهاب إلى مدريد عاصمة إسبانيا ويتظرون ذلك الصلح في الشرق الأوسط، وقد تظاهرت أمريكا بأن هذا الصلح لا يكون حاسماً في أول وهلة للخلاف في الشرق الأوسط، كما أن إيران كانت في شك مما يرمي إليه اليهود من التقلبات والمكر والخداع ولا سيما لما قام رئيس وزراء اليهود إسحاق شامير يرأس وفد دولته، هذا الذي دفع إيران إلى أمريكا وإسرائيل زمن تلك الآونة أعني منتصف ربيع الثاني الأخير، كانت تركيا في مناوشات قتال مع الأكراد وقد سقط قتلى بين الفريقين، وكان السبب في ذلك الأكراد في شمال العراق، كما أن شعب العراق أيضاً يهاجم صدام حسين ويقذع في مسبته بما جرّ عليهم من الأذى والدمار والفقر والجوع والنكبات التي جرت إليهم.

ذكر أسبوع نظافة المساجد

لما كان يوم السبت الموافق ٢٠ / ٤ قامت الأمة في سائر أنحاء المملكة يتقدمهم الأمراء والوكلاء بمكانس الكهرباء وغيرها من أنواع المكائن وسمي هذا الأسبوع أسبوع النظافة، وهذا فيه رمز إلى اهتمام الحكومة بالمساجد، نسأل الله أن يرفع المساجد بذكره وتلاوة كتابه، وإقامة الصلوات، وكان يوماً مشهوداً.

وفي ٢١ / ٤ أصيبت اليابان بزلزال شديد تضرر ما كان حواليه، كما أنه في ذلك اليوم الموافق ليوم الاثنين أصيبت الفلبين بضرية إعصار عظيم سقط منها الأشجار

(١) وأسباب ذلك أن اليهود تذوقوا حلاوة النصر والتأييد فلا يمكن أن يحولوا أحزابهم.

والمنازل عندما مرّ عليها، وقد هلك بسببه أنفس بشرية وحيوانات، وتسبب بأضرار كثيرة، نسأل الله تعالى أن يطف بالمسلمين ويجعل الكفار عبرة للمعتبرين، وقد تقدمت إصابات للفليين واليابان بهذه الآيات والقوارع ولا ريب أنها عقوبة للعصاة، وتذكير للمسلمين ليعتبروا ويتعظوا بغيره، اللهم اجعلنا متعظين.

مؤتمر السلام في الشرق الأوسط ٣٠ أكتوبر ١٩٩١م

لما كان في ٢٣ ربيع الثاني من هذه السنة اجتمع المندوبون لهذه المهمة في مدريد عاصمة إسبانيا من السعودية ومصر وسوريا والأردن والكويت وفلسطين واليهود وبريطانيا وفرنسا واليابان، وتأهب الرئيسان عظيم أمريكا وعظيم روسيا وغيرهم وهنا منتدبون من الدولتين العظيمتين وغيرهما، ولا ريب أن الأمة قد سئمت من حالة أهل فلسطين ومن حالة لبنان، وجلسوا على مائدة المفاوضات لاتخاذ إجراءات حول هذه القضية، ولا ريب أن حلها بيد أمريكا إن اهتدت إلى ذلك سبيلاً، واستشرفت الأمة إلى ما ينتج عن هذا المؤتمر العظيم، وكان يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الثاني يوماً مشهوداً حضره مندوبوا رؤساء الخليج من قطر والبحرين والإمارات ووجهت الروادو والتلفزيونات لاستماع الأمر الأخير الذي سيصدر عن هذا المؤتمر مؤتمر السلام في الشرق الأوسط، ولا يعلم إلا الله هل يكون ذلك البارق مؤذناً بما فيه الخير أو يكون برقاً خلياً كبروق غالب المؤتمرات الأخيرة، وإن إغلاق مدينة القدس ومنع المسلمين فيها من المسجد الأقصى الذي كان تحت سيطرة اليهود، الآن يفتحونه ويغلقونه بحيث لا رادع ولا منقذ له ليس بالأمر الهين لدى من تقله الغبراء وتظله الخضراء من أمة الإسلام الذين يشهد لهم التاريخ بالفتوحات والغيرة على بلادهم ودينهم وشرفهم، وينتظرون بفارغ الصبر ماذا تنتهي إليه أمر إسحاق شامير الذي قيل فيه وفي أمثاله إذا غابت أسد الشرى سادت الثعالب، فأين الغيرة يا مسلمون؟ وأين الأنفة يا مؤمنون؟.

مؤتمر مدريد

لما كان في ظهر يوم الأربعاء ثلاثين أكتوبر الموافق ٢٣ ربيع الثاني افتتح المؤتمر رئيس وزراء إسبانيا بكلمة ألقاها أمام الأمة، وكان الرئيس ميخائيل غربتشوف يتعلق بالموضوع، وقد جلس الرئيس الأمريكي أول النهار مع رؤساء الوفود للتفاهم، وقد خص خمسة آلاف مصور لذلك وعرضت قرارات مجلس الأمن، وأظهرت الأمة اهتمامها حول هذا المؤتمر ولا سيما الرئيس جورج بوش وميخائيل، وقد بارحا مدريد لما مهد للأمور، وألقيت الخطب والكلمات حول المؤتمر وقررت جلسات بعد هذا اليوم، هذا وقد كانت اليهود ليلة ذلك اليوم تواصل اعتداءاتها على جنوب لبنان، فقد ضربت سبع قرى في لبنان كما أن حركة فتح في أشد ما يكون من الهجمات والعنف ضد اليهود، وساد الاضطراب والقلق في حال هذا المؤتمر بين اليهود والعرب، وكانت الدول الخمس تعد بحل الموضوع وترشد إلى أن الحل يتطلب وقتاً لبس بالقصير، ويظهر مما بذلوه من جهد في الإصلاح بين العرب واليهود أنهم مهتمون في قضية فلسطين ولبنان، والله من وراء القصد.

إطفاء آخربئر في الكويت

لما كان في يوم الجمعة الموافق ٢٥ ربيع الثاني من هذه السنة واحد نوفمبر تم إطفاء آخربئر في الكويت التي فجرها صدام حسين في غزوه للكويت، وقد ذكر أنه سيعمل عملاً في الكويت يأتي على الرطب واليابس، وفجر تلك النيران، مما أثر دخانها على الأفق، وأثر على نزول الأمطار في الكويت وما جاورها بحيث نزلت الأمطار متأثرة من الدخان الأسود على الأراضي التي تبلغ مسافة ستمائة كيلو بحيث كانت الأرض متلونة بالسواد من جراء فعل هذا العدو اللثيم المجنون الذي فقد دينه وإنسانيته، ويكفي ما عاقبه الله به من الخذلان، وجعل كيده في نحره، ولم يحصل إلا على الخزي والعار والسمعة السيئة في الدنيا والآخرة.

ذكر ما تجلى عنه المؤتمر

لما كان في يوم الأحد ٢٧/٤ أعيدت الجلسة لتكون ثنائية، ولم يحضر بقية الوفود، وقد نال مندوب سوريا من رئيس وزراء العدو وهاجمه مهاجمة، بأن هذا الوزير كان معروفاً قبل الوزارة أعني إسحاق شامير بأنه إرهابي وغير مستقيم، وكانت اليهود لا تزال في تعنتها، فلماذا لم تظهر نتيجة تذكر لهذا المؤتمر، غير أن رؤساء الدول الخمس يتنبئون بأن يسفر ذلك المؤتمر عن خير وسلام، ولكن أين الخير والسلام والأمور لا تزال متعقدة وإسرائيل في حال هذا المؤتمر تقيم احتفالات لليهود السوفيت، وقيمون لهم مستوطنات في الجولان، كما أنها في قتال عنيف في جنوب لبنان، وأيضاً كانت تذيب الفلسطينيين أنواع العذاب في فلسطين، وآخر شيء أغلقت المسجد الأقصى عن المسلمين ومنعوه من الصلاة فيه أمور لا يحلها مؤتمر ولا شبيه مؤتمر، والله الأمر من قبل ومن بعد، وله تمام القدرة والحكمة لا لغيره، ولا إله سواه، ومن العجائب أن المساعي نحو تحرير المسجد الأقصى قد باءت بالفشل.

وفيها في ٣٠/٤ أصيب الجنوب من المحيط الهادي بزلزال شديد وتضرر ما حوالي تلك المنطقة.

كما أن في الفلبين أصيبت بفيضان عظيم تأذى منه الأهالي، لأنه حصل بدون استعداد له، فقد سقط ألوف من القتلى وشرذ عشرات الألوف من السكان الذين تهدمت مساكنهم وسقطت بيوتهم، وأصيبوا في أموالهم، وذلك لما طغى الماء في تلك الجهة بقدر لم يعهد مثله، والأمر أعظم مما ذكر، وكانت الأمة هناك لما رأوا ما نزل بهم، شردوا على وجوههم لا يلوي أحد على أحد، وكان هذا الفيضان كثيراً ما يصيب ما حوالي البحر، فقد روى الثقات أن بحر جدة فاض ذات مرة فدخلت المياه البيوت وكاد أن يغرق بعض السكان، وتضررت الفرش والمكاتب في بعض جهات جدة، ولا تنسى فيضان الماء في مدينة بريدة عام ١٣٨٣هـ بحيث سقط لذلك

بنايات كثيرة، وطفى الماء في أسفل المساجد ولا سيما ما كان فيه قبو وهي الخلوات المعروفة عندهم، فقد ارتفع مستوى المياه ولم تغنِ صبات الإسمنت المسلح، وجيء بالمواتير لشفطها، فسلم بعضها وأنهد بعضها، هذا وقد كانت البناية في القصيم بالطين واللبن وقت أذن فاضطروا إلى أن يعدلوا إلى البناية الحديثة، فما مرَّ عليها ربع قرن حتى أصبحت بعامة من الإسمنت المسلح.

وفي هذه السنة نزلت قيمة التمور إلى قدر غير معقول، ومن أسباب ذلك نزول الأمطار وهطولها في أيام سهيل لهطولها قبل إبان وقتها فأصبح التمر السكري لا يساوي سبع قيمته العادية، وقد تضرر بالماء ووجد بكمية وافرة مما كان سبباً لكساده جملة.

استمرار القتال والخلافات

استمر القتال حتى وضع هذه الكلمات بين يوغسلافيا وكرواتيا والصرب، وعجزت أفريقيا والأمم المتحدة عن تسكين هذه الفتنة، واشتد قصف اليهود للبنان وقراه في حال انعقاد مؤتمر السلام في مدريد، واشتدت أذيتهم لأهالي فلسطين بينما كان شباب فلسطين في انتفاضتهم ضد اليهود، واستمر الشقي صدام حسين يصنع لحرب العرب، ولكن أمريكا كانت له بالمرصاد، فكلما سوى عدة للحرب أتت أمريكا فدمرتها وقضت عليها، ولا تزال أفغانستان في قتال عنيف بين المسلمين المجاهدين، وبين الحكومة الموالية لروسيا في كابول، وكان المجاهدون منتصرون لأنهم يقاتلون عن عقيدة ودين، ويسعون في نشر الإسلام، ولولا قوة العدو لديهم من المعدات الروسية والقنابل المختلفة الأنواع كالعنقودية والنابالم المحرقة وغيرها لكان لها زمن طويل قد وضعت الحرب أوزارها، وبما أن مسلمي أفغانستان مشهورة بالشجاعة الفائقة وتمدهم الحكومات الإسلامية بالأسلحة والذخائر والتبرعات والنفقات، فإنه كان ينتظر ظفرهم وغلبتهم للعدو وقهرهم له، وقد أشرفت طلائع النصر للمجاهدين، كما

أنها توالى انتصاراتهم وتقدمهم هناك، وتقدموا وظفروا كما صبروا وصابروا ورابطوا وضحوا بأنفسهم، والله ما الصابرين.

خطر يخشى منه

في الساعة الحادية عشرة بتوقيت الزوال أعلنت الإذاعة في يوم ٥/٥/١٤١٢هـ أن العراق تملك ٣٥٠ طناً من نوع الأسلحة الكيماوية وستة آلاف قذيفة من نوع الخردل والأسلحة النووية، وهذا النبأ عن الولايات المتحدة، وإن تدميرها يتطلب مليارات، وقُدِّرَ وقت التدمير سنتين كاملتين، وإنها في يوم أمس الأكراد بعد حشدها للقوات إليهم، وبهذا يعلم أن حالة رئيس العراق في وجوده كحالة الفئران لسان حاله يقول سبحان من خلقه للفساد.

وفي تلك الآونة بذلت الأمة في المملكة السعودية نصائح وإرشادات، وعلى رأسهم العلماء موجهة إلى الملك فهد أيده الله، يطلبون تخفيض الرسوم على السيارات في الرخص والاستمارات والفحوص على سائر السيارات، فصدر الأمر بتخفيضها إلى قدر معقول، والتسامح بفحص السيارات على العموم، وأشار حفظه الله بأن الفحص من مصلحة الأمة لتسيير السيارة سالمة من العيوب التي تكون بها هدفاً للخطر هي أو صاحبها، هكذا ذكر حفظه الله.

عود على بدء عقد مؤتمر السلام في الشرق الأوسط، انفصل عن لا شيء، وتكشفت نوايا اليهود، ومن في صفهم أنهم يريدون الخداع وتثييط همم العرب والمسلمين، وتخدير أعصابهم، وكانت فرصة لليهود في ضرب قرى لبنان جنونية وغريبة بحيث سقط عشرات القتلى وهدمت المساكن هناك، وقامت اليهود أيضاً بتضييق الخناق على فلسطين وأهله، وانتهاك حرمة المسجد الأقصى، ولم تسفر تلك المفاوضات والجلسات عن شيء يستعذب، بل كان ضحكة لكل ساخر، وصدقت فراسة إيران فيه، وكشرت أنياب الفتن والزعازع في وقته وبعد وقته، ولم تزد الفتن إلى تعقيداً.

صلاة الاستسقاء

لما كان في يوم الاثنين ٥/٥ أقيمت صلاة الاستسقاء في سائر أنحاء المملكة نزولاً على أمر الملك فهد بن عبدالعزيز، وكان ذلك اليوم يوافق ٢٦ من الوسمي، نسأل الله تعالى أن يغيث المسلمين، وقد مرّ على ذلك فترة لم تنزل فيها أمطار بعد الاستسقاء، ومن سنته أنهم إذا لم يسقوا يستسقوا ثانياً وثالثاً، إن الله يحب من عباده الإلحاح بالدعاء ولا يأسوا، وإذا عزموا على الاستسقاء فسقوا قبل الخروج خرجوا في يوم موعدهم، نسأل الله المزيد من فضله، وإن الله يحب أن يُسأل ويغضب إذا لم يُسأل، فنسأل الله أن يرحم عباده وبلادهم وبهائمهم، ويسقي البلد الميت وينشر رحمته وينزل علينا من بركاته، وقد ذكر العلماء حالة الخروج إلى صلاة الاستسقاء أنها تكون بخشوع وتواضع، ويخرج الإمام بعد الشيوخ والعلماء والصبيان، ويباح حضور البهائم والأطفال والضعفاء، إذا تواضع جبار الأرض رحم جبار السماء ويكون ذلك أسرع للإجابة لأن الله أرحم الراحمين.

حادثة

لما كان في يوم ١٣/٥ أصيب قطار في المكسيك فهلك بأسباب ذلك الحادث غالب ركابه، وقد قامت فرق الإنقاذ فقامت بإخراج ٦٥ جثة من الهالكين، وقد أبيد معظم ركاب القطار، وقد ذكرتني هذه الحادثة حادثة قوم ذهبوا من القصيم إلى جازان في جنوبي المملكة السعودية، فلما أن وصلوا إلى مياه البحر هناك ركبوا في سنوك لصيد الأسماك، وكان الذي ربط في الأرض لم يمكن السنوك كما ينبغي فانطلق في البحر ملججاً تدفعه الرياح في ذلك البحر اللجي فلا ينظرون إلا إلى السماء وغبة البحر فأيقنوا بالهلاك ورجعوا إلى أنفسهم يودعون الحياة ويمجأرون إلى الله في طلب النجاة، وجعل بعضهم يستحل من البعض رافعين سباباتهم إلى السماء بحيث قد انقطعت الحيلة إلا من ربهم تبارك وتعالى، وبينما هم كذلك بدت لهم سفينة عن بعد فجعلوا يشيرون إليها بأيديهم، وما

على رؤوسهم يستغيثون بها فتحرك قبطان السفينة إليهم لينقذهم، وعند وصوله سألهم عن خبرهم فقصوا عليه صفة الحادثة، فربط السنبوك بالسفينة حتى بلغهم ناحية البر فوقفوا يعرضون عليه ما يطلب في سبب إنقاذهم من تلك الورطة، غير أنه لم يطلب سوى دعائهم له وشكرهم لله ثم له، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة المتقدمة.

ذكر الحركة في الصومال

قال نبينا ﷺ بأن السيف إذا وقع لا يرفع إلى يوم القيامة، وبأنه يقتل بعضهم بعض ويسبي بعضهم بعض، ولقد امتدت الحروب في كمبوديا وعجزت الأمة عن تسكينها، وفي حال وصول التاريخ ٥/١٨ من هذه السنة كان الرئيس المؤقت في الصومال بمقديشو علي مهدي محمد بينه وبين منافسة في الرئاسة منازعات، ولا تزال القتلى والجرحى بين الفريقين قتال ومنازعات، وقد طلب الهلال الأحمر أن يخلي الجرحى إلى المستشفى للعلاج، وحدث ولا حرج عن قتال أهالي لبنان، وتدخل الأمم الأخرى في هذا النزاع، كما أن اليهود لم يكتفوا بقتال أهالي فلسطين الذي استمر خمساً وأربعين سنة، حتى امتلأت المستشفيات بالجرحى، وكذلك ما كان في أفغانستان وغيرها من المجازر والأهوال، فعياداً بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفي هذه الأيام الأخيرة حدث في يوغسلافيا وكرواتيا والصرب من القتال والانشقاق الذي أزعج الأمة وحملها على التدخل لإطفاء هذه الفتن العمياء وتآزمت الأمور هناك.

وفيها في ٦/٩ الموافق ليوم الأحد أصيبت سفينة عبارة من سفن مصر في شعاب المرجان حوالي مصر في البحر الأحمر تحمل ستمائة وثمانين راكباً وأربعين سيارة على ظهرها، فهلك منهم خمسمائة وتمكن المنقذون من إنقاذ بقيتهم، وقد سعى المنقذون في إخراج بعض جثث الغرقاء، وكان الركاب قد رجعوا من

السعودية منهم عمال رجعوا من السعودية وعجاز كانوا يعتمرون، وكانت الحادثة من أغرب ما مرَّ في هذه السنين الأخيرة، فأحدث ذلك رنة في مصر وبعثت برقيات التعازي ولا سيما برقية من الملك فهد ومن ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز ليواسوا حكومتهم وأهاليهم في هذا المصائب، وأسباب عطبها تعكر الجو هناك، وانبعثت الأنباء في مشارق الأرض ومغاربها طولاً وعرضاً يروون الحادث المؤسف، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما ما كان عن حالة الأكراد الذين هم في شمال العراق فقد أمسى خمسمائة ألف كردي مهددين من البرد والجوع إن لم تداركهم العناية، وبما أن من وراء ذلك كله تحديات صدام للأكراد فإن تركيا جعلت تهدد العراق بأنها ستدخل في الموضوع لحل الأزمة وإنقاذ أولئك البؤساء من برائن حكومة العراق التي لا يزال الرئيس الطاغية يستهوي شياطينه في الأذى ليكون سبباً في هلاك بقية حرسه وجنوده.

وفيها في ٦/١١ توفيت زوجة الملك عبدالعزيز والدة طلال ونواف، وكانت امرأة صالحة وموصوفة بالإحسان والعطف على الفقراء رحمها الله وعفا عنها، ومن خصائصها أن الملك عبدالعزيز كان يناولها صدقات تبذلها على الفقراء، وكثيرة الصلاة والعبادة، وقد صلي عليها في المسجد الجامع في الرياض، وحضر جنازتها جمع كثير وجم غفير، فالله المستعان.

ذكر انهيار الحكومة الروسية وانقسامها إلى دويلات

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

لما كانت هذه الدولة هي الدولة الثانية في العالم، وهي إحدى الدولتين العظيمتين في العالم فيقال روسيا وأمريكا اقتضت القدرة الإلهية والحكمة الربانية أن

يقع التفكك فيها وتنفصل جمهورياتها جمهورية بعد أخرى لما كان عليه الرئيس ميخائيل خربتشوف من الضعف الذي أدى به إلى أن يقبض عليه ثم يطلق سراحه، ولكنه لما رجع إلى منصبه تدهور الوضع وقام الشيوعيون ضده لأنه كان يحارب الشيوعية، ثم قام في الأخير يريد أن يقدم استقالته، وكانت أمريكا تفضل بقاءه لحسن الصلات بينه وبينها، ومن العجائب أن هذه الدولة تضرب الأمثال بقوتها، وهي التي وقفت في وجه أمريكا، وكان الرئيس ستالين الذي وقعت في زمن الحرب العالمية الثانية على غاية عظيمة من القوة والمقدرة، وهو الذي قام وزميله «روزفلت» الرئيس الأمريكي ووقفا وقفه في نحر ألمانيا حتى سقطت، وما زالت روسيا في عظمتها حتى هذه السنة، ثم إنها أخذت تنهار وعرشها يهتز وحق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه، وسنذكر أسباب هذا الضعف من التفكك، لأن الوضع لا يزال غامضاً في الاتحاد السوفيتي.

استقالة الرئيس ميخائيل غوربتشوف

في ليلة الخميس ٢/٦/١٤١٢هـ قدم الرئيس استقالته عن منصبه يوافق ذلك ٢٦ ديسمبر ١٩٩١م لأنه رأى ما لا بد له منه، وبذلك تغير الوضع في روسيا عن الحالة الأولى.

الأنوار الإلهية تتجلى لما أن كان في ليلة ٢٩ من رمضان من هذه السنة والمسلمون في قيام الليل في المسجد الحرام لحضور ختم القرآن، تجلت الأنوار الإلهية لبعض المسلمين، فرأت امرأة من الصالحات أجساماً نورانية من الملائكة بين صفوف المصلين وهذه خارقة من الخوارق، وكرامة من الكرامات أن يطلع الله بعض خلقه على حضور ملائكة من السماء صلاة التراويح مع أمة محمد ﷺ كما جاء في بعض الآثار أن جزء من الملائكة يستأذنون ربهم تبارك وتعالى في الحضور مع أمة محمد ﷺ صلاة التراويح، وهذه المرأة من الصالحات، فشهدت رفيقتها إلى جانبها في الصف أنها رأت، وكانت المرأة من أسرتنا فسألناها هل تكرر ذلك؟

فذكرت أن امرأة من أسرتنا أيضاً رأت كذلك في العام الماضي ليلة الختم في المسلمين، وهذه بشارة للمسلمين بتجلي الأنوار الإلهية لهم وقبول عبادتهم تلك الليلة، فنسأل الله تعالى التوفيق.

وفيهما في آخر جمادى الآخرة في منتصف برج الجدي وقبل يومين اشتدت وطأة البرد جداً وجرى ما سأذكره موجة برد في هذه الأيام المذكورة جمد الماء ونزلت درجة الحرارة في بلدة حائل وما يليها إلى خمس تحت الصفر، وفي القصيم درجتين، وارتفعت الثلوج إلى ثلاثة أمتار في تبوك، وحال الثلج في عمان بين المرور والمطار، وتعطلت السير هناك، أما عن لبنان فحدث ولا حرج، وقد وافق ذاك زيادة الأمطار، وقد ذكر أرباب الخبرة بأنه لم يمر ذلك البرد منذ أربعين عاماً، وبما أن خليقة قد وسع الله عليها في الملابس والمكيفات والدفايات وسخانات الماء، فإنهم لم يتأثروا لذلك، وكانت أعالي الكشب الرملية قد أصبحت بيضاء في أوائل النهار، وقد تكون السيارات في وقت الصبيحة قد اكتست من الثلج، واشتدت وطأة البرد جداً في كل قطر ومكان.

انفجار في غربي بيروت

لما أن كان في ٦/٢٤ من هذه السنة بلغت مدة الحرب في كمبوديا ثلاث عشرة سنة، وفي هذا اليوم انفجرت قنبلة في غربي لبنان نتج عن هذا الانفجار أن سقط عشرون قتيلاً وسبعون جريحاً، وتهدمت منازل، وأصيبت سيارات، وحدث لذلك رنة أسف في الأمم الذين ينتظرون هدوء الأحوال في لبنان، وهي تتطور يوماً بعد يوم، ومن الأمور التي زادت على الحسبان اختلاف القوارع والزلازل هناك، وكانت فرنسا قد تأثرت جداً لذلك؟

عود على ما ذكرنا فيما تقدم من شدة البرد عام ١٤١٢هـ وذلك لأنه لما دخل نوء الشولة الثالث من أنواء الأربعمائة تأزمت الأمور واشتدت وطأة البرد، وتجمدت المياه، وحال الثلج بين مدينة عمان وبين المطار، وارتفع الثلج بين

الجبـال بقدر ستة أمتار في لبنان، وهلك بسبب ذلك الصقيع في تبوك وما يليها وذلك من الثلج، وهلك بسبب شدة البرد أنفـس كثيرة وحيوانات كثيرة، وبما أن الطقس جاف في الصحراء فقد تجمد الغاز وتأثر عن الدفع، وفي مدينة حائل وما يليها انكسرت مواسير المياه، كما أن منطقة الجوف وعرعر مستهدفة من البرد، وقد تأثرت، وقد أـتفق أرباب أهل الخبرة بأنه لم يمر منذ خمسين سنة تقريباً مثل هذا البرد، وأنه نادر الوقوع، وقد تجمدت البرك وحوالي المياه في موضع سباح بريدة المسمى فيحان وأصبحت الحجارة لا ينتفع بها ولبثت أربعة أيام على ذلك الوضع، وبما أن المياه تجمدت تكون في وضعها كالزجاج فإنك قد تمرّ بها وتظنها زجاجاً لا يتقدم ولا يتأخر، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا تظن أيها القارئ أنني تجاوزت بل الأمر كان أبلغ من ذلك^(١) ولا ريب أن وقوع الجفاف واشتداد البرد هكذا عقوبة من العقوبات الدنيوية التي تصيب بني آدم بسبب الذنوب والمعاصي، وفي الحديث القدسي: «لو أن عبيدي أطاعوني لأسعفهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد والصواعق» وتستحضرني في هذا المقام كلام الحافظ شمس الدين ابن القيم بحيث يقول: «لا تحسن العدو غلب، ولكن الصديق تخلّى عن المناصرة»، وقد ذكرنا في غير هذا الموضوع الأثر المرفوع أن الملائكة تطلب في الشتاء رحمة لبني آدم.

كائنة غريبة

كان إنسان لدى دواجن من الدجاج، وكان يذبح الدجاجة أمامها، فقد ران دجاجة شريـدة من الدجاج حنقت عليه وصاحت بأخواتها وغفلته ووثبت عليه وهو غافل بألـة حادة في منقارها فجعلت تضرب إحدى عينيه تريد أن تفقأها لكنه تمكن من الخلاص بعدما أخرت، فذهبوا به إلى المستشفى، وبعد علاج عينه المصابة

(١) إن من لم يشاهد هذا الواقع يكذب بما يخبر عنه، وقد تأثر الفقراء والضعفاء.

بمدة ثلاثة أيام ظهر أن الدجاجة لثم يقضى عليها فغضب لذلك وأمر بذبح جميع ما لديه من الدجاج بحيث لم يعرف التي غزته بعينه، نسأل الله العافية من البليات، وكانت هذه الواقعة حصلت في إحدى مدن عسير في هذا البرد عبدة بكرهة ذبح الحيوانات والأخرى تنظر، فقد روى التاريخ أن رجلاً ذبح عجلأً أمام أمه وهي تنظر، فبيست يده إلى كتفه، والصحيح أن ذبح البهائم أمام إخوانها لا يجوز من جهة من الناحية الشرعية، وقال في الإقناع وشرحه، ويكره أن يحذ شفرته أمام الذبيحة، وأن تذبح الذبيحة والأخرى تنظر إليها.

وفيها في ١٢ رجب اتفق العلماء من سائر المعمورة على إرغام حكومة العراق بإطلاق سراح أسراء الكويتيين الموجودين بالعراق، وذلك بأن اقتحام العراق للمسلمين بعد صلاة الجمعة وأخذهم من المساجد حتى لا يعلو إلى أية جهة ذهب بهم وأخذهم أسراء وجعلهم في العراق فوق المكامن يتقون بهم الأخطار، أمر شيع جداً، وبما أن لديهم في العراق ولا تقره العقول ولا الملل ولا النحل فإن الأمة رأت إجبار العراق وحملها على الإفراج عنهم بحيث كانت جميع الأعمال التي ارتكبتها الطاغية الرئيس المزعوم ساقطة في حرب الخليج وهتك القوانين الدولية والأحكام الشرعية، وقد نودي بأن لا صلاح للعرب والإسلام في بقاء المذكور والإطاحة بحكمه لا بد منها، وكانت العراق قد أعلنت إدانتها بمسبته والحكم على إبعاده والتخلص منه لتستعيد العراق شرفها ويعود عليها حياتها الطبيعية كغيرها من البلدان، وكانوا من شؤمه قد أصبحوا عالة فقراء جياً مرضى، وأمست العراق التي تدعى أولاً بمدينة السلام بحالة يرثى لها متهدمة الأركان متداعية البنيان، وهكذا عمل كل رئيس جاهل أحمق كما قيل،

أوتيت ملكاً فلم تحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه

ذكر حالة الفريقين

أما عن صدام وشيعته فكانوا في غيهم وضلالهم ولا يزال في كل يوم قد قتل جزء

من كانوا في معيته لأنهم يريدون التخلص منه، فيقتل من يخاف منهم وينكل بهم، ولا تزال أمريكا بعد هزيمة العراق تبعث الوفود لمراقبة أسلحته الكيماوية، والقضاء عليها، وإن كان جاداً في إيجادها والاستمرار بأعماله الوحشية يتهدد ويتوعد، وإن كان مشلول الحركة، لا ريب أن أعماله جنونية لا تصدر من عاقل، أما عن الكويت وأنهم بعد رجوعهم إلى بلدهم ورؤيته والجلوس فيه وهم يدعون الله على صدام حسين، لم يحدث لهم ذلك عبرة ولا موعظة بل كان جلهم على المعاصي والدعارة رغم أن الخطيب فيها القطان كان ينذرهم ويحذرهم من مغبة الذنوب والمعاصي، وكيف وقد رأوا فكيف لا يعتبرون قال الله تعالى خطاباً للذين لا يتفكرون ولا يتذكرون وذمّاً لحالتهم: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، ويقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۖ حَمِيمٌ ۖ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذِيرُ﴾ [القمر: ٤-٥].

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

لما أن كان في آخر شهر رجب انشقت الأرض حوالي الموية بصدع عظيم، فكان منظراً رائعاً وكان كخليج في طوله وعرضه وسمكه، وحصل من ذلك لفت نظر لأن الرسول ﷺ قد أشار إلى ذلك في قوله: «خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب».

وفيهما في إحدى ليالي من شهر شعبان في أوائله ذهب رجل بأولاده لقضاء مناسك العمرة، وفي طريقه بين مكة المدينة نزل لقضاء حاجته على بعد مسافة قريبة من السيارة فقصى عليه ذئب فافترسه ومزق أحشائه، وبينما كانت زوجته وأولاده في انتظاره تأخر عليهم فلبثوا بسيارتهم طول الليل، ولما انشق الفجر نزلت المرأة تنظر عليه، واستعانت على ذلك مهلهلها برجال فوجدوه ممزق الأحشاء ورجع الأولاد من أبيهم بخفي حنين رحمه الله وغفر له.

كائنة غريبة

أتي بامرأة قد أصيبت بعقلها منذ زمن بعيد إلى كاهن يحل السحر فذكر لهم بأنها منذ أربع وعشرين سنة أصيبت بسحر وإنه في عظم مملوء بالشعر، وقد ألقى في بئر منذ ١٧ عاماً تدعى بقليب الجلاجل في بطن مدينة بريدة أسفل النفوذ الغربي فيها، فقام أربابها واستأجروا عمالاً بالبساتين لحفرها محاولون إيجاده حتى وقعوا عليه، وقد نشأ عن ذلك ثائرة غضب عند من لا يؤيد فعلهم هذا، وبعثوا يسألون هل هذا مبرر لفعلهم ذلك.

وفيها وقع زلزال في منطقة حائل، وفيها في آخر اليوم الثالث عشر من شهر شعبان الموافق ٢٨ من برج الدلو يوم الأحد غشا الجو صفرة شديدة بريح قوية فاصفر الجو قريباً من أربع ساعات، وقد قدمنا اشتداد البرد في هذه السنة بحالة لم يشاهد فعلها، وقد يكون فترات في بعض الأحيان، وكان ينبغي أن تسمى هذه السنة سنة الثلج والبرد، وقد تضرر لبنان وما يليه من كثرة الثلوج إلى درجة أن قاموا يستنجدون بالمسلمين ويسألونهم المواساة لما هم فيه من الأزمات والشدائد التي علاوة على ما هم فيه من غارات اليهود على ديارهم وأوطانهم ابتلوا بشدة البرد والثلوج التي سدت الطرق وعطلت الماشية، وقد وجهت إليهما المساعدات من هذه الورطة.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

فمنهم محمد بن عبدالله بن حمود البازعي، كان من أسرة ظاهرة وقبيلة شريفة، عاش عزيزاً كريماً فيه شرف الرجولة وكرم الرجل العربي، يسارع إلى الخيرات على حسب مقدرته، ولديه عزة نفس من بين إخوانه، وقد أصيب في إحدى قدميه من آثار دهن سيارة، ولم ينقص ذلك من عزمه فكان يسوق سيارته بنفسه ويسير على عربة لحوائجه في بيته، وكنت أظن أنه أصيب أيضاً في رجله الأخرى فلم ينقص ذلك من عزمه، وما زال تتقلب في المكابدة والمرارة وهو يكافح في الحياة حتى توفى

في هذه السنة وجسمه ممتلئ، وتقدمت في قوة نفسه، رحمه الله وعفا عنه عن عمر يناهز ٧٩ في هذه السنة.

ومن توفى فيها إبراهيم بن صالح بن سليمان المطوع أخو الشيخ محمد بن صالح المطوع لأبيه، كان ذا شخصية بارزة ومنظر حسن، أخذ في الدراسة على المؤدب صالح بن محمد الصقعي مؤدب الجيل، ولما حذق في الدراسة والكتاب ومبادئ علم الحساب، أخذ بيده والده وجعل يسافر به إلى الشام وغيره في تجارة الإبل والسمن وغيرها، فكان يتقلب في ذلك العمل إلى أن توفى والده صالح بن سليمان، فاستمر في سنة ١٣٦٥هـ في أعماله ويؤثر الكسوة الفاخرة، وله قوة نفس ومعاملة حسنة ثم إنه أكثر من تناول الحبوب المقوية والمهدئة لأنه لا يخلو من مرض السكر.

ومن توفى فيها الشيخ إبراهيم بن ضيف الله اليوسف من أهالي قرية الشماسية في القصيم، وهو من قبائل أهل القصيم، ولد في عام ١٣٣٢هـ وأخذ في تعليم القرآن من أحد المعلمين في المدارس الأهلية، ثم أخذ يطلب العلم، ومن مشايخه الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن، وأخذ عن الشيخ محمد بن صالح المطوع في مدينة بريدة وغيرهما، وكان موضع التقدير من أمته، وكان له زملاء في مهنة الزراعة في بلده فإذا ما حلت الشمس في برج الجوزاء ساروا إلى مدينة بريدة لأخذ العلم عن العلماء إلى أن تحل الشمس في برج الميزان فيرجعون، وإذا ما رجع فإنه يجلس يعلم بني وطنه، وقد كان إمام جامع الشماسية وخطيبه، ثم ترك ذلك بعارض قد أصابه، ولما أن فتحت المدرسة الحكومية الابتدائية في قرية الشماسية التحق بها كمدرس ديني، ولبت في هذه الوظيفة قرابة خمس وعشرين سنة ثم أحيل على المعاش فلبث في بلده يفيد السائلين من أهل بلده رجالاً ونساء، وكان موضع التقدير حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة، رحمه الله وعفا عنه، ويلاحظ عليه أنه قطع الزيارة عمن تعلم منه، فكان لا يزور ولا يزاور مع قرب المسافة، والله يغفر له، وقد رثاه بعد موته أحد طلابه بمرثية طويلة قال صاحبها:

بسم الله الرحمن الرحيم قصيدة للشيخ سليمان بن إبراهيم اللاحم
هوى البدر يا قومي لجل مصابنا

في يوم الاثنين الموافق ١٦/٧/١٤١٢هـ وافى الأجل شيخنا إبراهيم بن
ضيف الله اليوسف والقصيدة طويلة من أبياتها قوله:

نكبة بلادي أرضها وسمائها وحق لها تبكي أفول الكواكب
شباب وأطفال وشيب ونسوة بكوه جميعاً في الضحى والغياهب
إلى آخرها وهي حسنة، وكان مربع القامة، ممتلئ الجسم، عليه بهاء العبادة،
وسيم الصالحين.

ومن توفى فيها الشيخ صالح بن محمد بن عبدالله التويجري رحمه الله وعفا
عنه، كانت وفاته في يوم السبت ٧ رجب من هذه السنة، ولد في ١٣٣٥هـ ونشأ
في ظل والده الشيخ محمد إمام المسجد الجامع في قرية القصيبة، ورباه وأحسن
تربيته، ولما أن انتقل والده من الغربية المذكورة إلى مدينة بريدة ليتزود من العلم
كان في معيته، وحينما عين والده قاضياً في جيزان من أعمال عسير كان في
معيته، وذلك في عام ١٣٥٨هـ، وفي خدمته، ونال وظيفة في هيئة الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر هناك، ولما أن توفى والده عام ١٣٦١هـ انتقل وأخوته إلى مكة
المكرمة فأقاموا فيها، وكان حلو الكلام، جذاب الملامح، أديباً وحسن السيرة،
وهو من زملائنا، أخذ العلم عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وعن الشيخ
عبدالعزیز بن إبراهيم العبادي، ودرس مكة المكرمة حال إقامته فيها عام
١٣٦٢هـ، وقد أجرى له ولأخوته راتباً وزير المالية عبدالله بن سليمان بن حمدان
في تلك الفترة، ثم إنه عين رئيساً لمحاكم تبوك، وخدم في هذه الوظيفة حكومته
نائلاً رضا الأمة هناك مع حظ وحس معاشرة جلسائه، ويحرص دائماً على
الصلح بين الخصمين، ولا يمل حديثه، وكان موضع التقدير من الجميع ورزقه
الله مالا هناك فكان له مزارع ثمينة هناك، ثم طلب أن يكون عضواً في هيئة
التميز إضافة إلى وظيفته فلم يوافق الحكومة وخيرته بين وظيفته أو إلى الانتقال
إلى مكة، ويكون مساعد الرئيس هيئة التميز هناك، واختار هيئة التميز ورحل

إلى مكة المكرمة ليشغل هذه الوظيفة، وكان موضع التقدير هنا وهناك، وبما أن بيني وبينه صلة قوية فقد لاحظت عليه تركه لرئاسة المحاكم هناك، فذكرني أنه مطمأن للجلوس في مكة المكرمة، وهي مدينته، ويقول: يا ليتها متقدمة لكنه فارق ما هو فيه من المكان والرفعة، وكان في جلوسه بمكة المكرمة يعيش عيشة الملوك، وقد جعل على المعاش في أواخر سني حياته، ولا يزال محتشماً لدى الملوك والأمة حتى وافاه أجله المحتوم عن عمر يناهز السابعة والسبعين في مكة المكرمة موصياً بأن يدفن فيها، وكان له بذل وإحسان وتقدم وأثنى عليه أصحابه وجلسائه وامتدحوه وترحموا عليه، وكان مرضه في قوته وجسمه، ولا يزال يتجلد حتى توفي في هذا السن الذي ذكرناه.

وفيها توفي حمد بن عبدالله بن عودة مؤذن مسجد عودة الرديني في مدينة بريدة، الذي يؤم فيه الشيخ محمد الصالح المطوع رحمه الله تعالى وعفا عنه.

زلزال يصيب إيران

ففي اليوم الحادي عشر من شهر رمضان ١٤١٢هـ أصاب شمال إيران زلزال بلغ ست درجات وهم جالسون على وليمة الإفطار في اثنتين ثوان فهدمت البيوت وهلك أربعة آلاف وتسعمائة، فكانت أسفل الانقراض جرحى أودعوا المستشفيات للعلاج، ثم إنه انبعث ذلك الزلزال مرة أخرى بعد يومين، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ونسأل الله أن يغفر للمسلمين ويقيهم الحوادث، ويكشف عنهم العذاب، وقد رفعت التعازي إلى رئيس الجمهورية للمواساة.

وفاة رجل معمر

في مدينة بريدة توفي يوم الجمعة ١١ شعبان المواطن عبدالله بن عبدالعزيز بن علي العقيل عن عمر يناهز مائة سنة، وكان رحمه الله من المحافظين على الصلوات الخمس في جماعة بالمساجد، ويتعاطى في التجارة حتى وصل الشيخوخة، وله أخوة وأبناء صلحاء.

وفيهما تقدمت أيادي للسفارة الإسرائيلية في الأرجنتين ففجرت ألغاماً وعبوات ناسفة، ودمرت فيها فهلك من جراء ذلك اثنان وعشرون، وجرح مائتان وثمانية، وقد أرادت إسرائيل أن تنتقم لنفسها ولكن أمريكا رأت أن تعالج الأمور بحكمة، وكان ذلك ليلة إحدى وعشرين من رمضان المعظم من هذه السنة يوافق ذلك الأربعاء ٢٥ من مارس.

وفيهما أيضاً ليلة دخول العشر الأواخر من رمضان في تلك الليلة أصدر مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية عن إرادة الملك فهد بن عبدالعزيز تخفيض الأسعار من الأرز والسكر والغاز والوقود والبنزين والجمارك والمكالمات الهاتفية الداخلية وغير ذلك مما تمس آلية حاجة الإنسان فوافق ذلك ارتياح الشعب داعين الخالق القدير، إنها خطوة حسنة ورأفة بالمسلمين، لأن اشتداد المؤنة من الفقر، اللهم الطف بالمسلمين وأوسع لهم في أرزاقهم وأرخص أسعارهم ويسر أمورهم، وكانت الأمطار قد توقف هطولها على الدمام وما يليه والرياض والقصيم والحجاز، والمسلمون ينتظرون من الله الفرج، وذلك بعدما خرجوا مرات للاستسقاء عن أمر الوالي.

استقالة عبدالإله

لما كان في ٢٢/٩/١٤١٢هـ قدم استقالته عن إمارة منطقة القصيم فأجيب إلى طلبه ونشر الملك أخوه فهد بن عبدالعزيز للعالم شكره للأمير على ما قام به من العمل وخدمته لحكومته تلك المدة، فبهذا تقرر تخلي سمو الأمير عبدالإله بن عبدالعزيز عن إمارة المنطقة وأظهر أنه يريد إراحة نفسه من العمل.

وفيهما في ٢٧/٩ احترقت طائرة في بلاد السنغال بحيث تفجرت وهلك بعض ركابها وجرح بقيتهم، فبعثت الحكومة السعودية تعازيها لرئيس الحكومة والدعاء للهلكى، وطلب الشفاء من الله تعالى للجرحى، وذلك لما تفجرت صهاريجها من النار وسقطت.

وفيها في برج الحمل أعاد الله الكرة للمسلمين بأن هطلت أمطار على نجد والشرقية والحجاز وحائل وما يليها، وتسمى العامة مثل ذلك رجعان بكسر الراء على وزن حرمان، وإن كان ذلك قليلاً بالنسبة إلى ما يصلح آبار الزراعة الحديثة التي لقلة الأمطار قلت مياهها، وفي كل عام منذ عشر سنوات يضطر المزارع إلى تنزيل المواسير لطلب الماء، وبما أنه توالى هطول المياه لكنها ضعيفة بالنسبة بما يتطلبه الوضع، لأن المحاور والرشاشات المائية أو كما قيل الأمطار الصناعية تستدعي كمية من الأمطار التي تصرفها الطبقة الأرضية، وأملنا عظيم بربنا أن ييسر مياه الأمطار إلى المواقع الزراعية كالقصيم وغيره مما لا يصلحه القليل، وبما أن الحكومة بذلت أسباباً لتحلية مياه البحر فإنها وإن كانت فيها المعونات لسقيا الخلائق فلا تغني شيئاً إذا لم يأذن الله بقطر السماء، بحيث يقول تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وفي كلام الحكمة: «إذا جاء نهر الله بطل نهر عمر»، وأما عن مشروع التحلية في جدة والوجه وضباء والجهات الأخرى، وقد ظهرت مصلحته واطمأن الناس في بعض جهات المملكة إليه، وقد سبق سحب تلك الخطوط الصناعية إلى بعض الجهات الأخرى لما كان يعتقد أنه صحي، والله أعلم بذلك.

وفيها اشتدت الأذية على المسلمين في بورما وفروا هارين إلى باكستان بدينهم ليسلموا من التعذيب، ولما أن تدفقوا إلى حكومة الباكستان اضطر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إلى دفع المعونات والمساعدات من أغذية وكسوة ونفقات ليساعدوهم ولا سيما وقد كان فرارهم في الشتاء في برج الحوت.

وفي شهر رمضان المبارك ومن المصادفات انتشار الإسلام بعد سقوط روسيا التعسفية التي كانت تلك الجمهوريات المنفصلة عنها متحررة بعد الضغط عليها تحت سيطرة الشيوعية التي كانت منذ سبعين سنة ترزح تحت استعمارها وتحكماتها، واليوم قد أصبحت متحرزة وتدين بالإسلام، وكثر اعتناق بعض المنحرفين عن الهدى لدين الإسلام.

سقوط طائرة الرئيس الفلسطيني

لما كان في أثناء سفر رئيس تحرير فلسطين ياسر عرفات من السودان إلى ليبيا أصيبت الطائرة بعاصفة فتأثرت لها الطائرة واختفى موضعها فاضطرت أمريكا إلى تسليط قمر صناعي لانتشالها حتى توصلوا إليها، وكانت قد سقطت فسلم الرئيس وأصيب ثلاثة ممن معه، أما ياسر عرفات فقد كتبت له السلامة، وكان ذلك في ١٠/٤ من هذه السنة.

ثلوج تقع في المشعلية لما كان بعد عيد الفطر من هذه السنة نزلت الثلوج حول قرية المزاحمية غرب الرياض وذلك في ٢٠ برج الحمل ١٠/٨ من هذه السنة، وقد مرّ عليها ثلاث ليالٍ لم تذب، وهذا شيء نادر الوقوع، وكان طقس المنطقة الوسط متقلب الأحوال تارةً برودةً وتارةً ترتفع الحرارة وظلمة ورياح.

لما كان بعد صلاة الظهر من اليوم ٩ من شوال من هذه السنة عصفت رياح رملية شديدة على القرية الكائنة على مسافة ٦٥ من الرس فأصبح الجو عليهم ظلاماً دامساً بظلمة الليل فخرجوا من بيوتهم ولجأوا إلى المساجد ليكون ويستغفرون الله رافعين أياديهم إلى السماء، ولم يشكو إبان قامت القيامة التي وعد الله بها فلبثت الحالة خمساً وأربعين دقيقة وقد تعالى صراخ الأطفال بالبكاء، وكان رجل نائماً وقف القيلولة فلما هب من نومه إذا الدنيا قد تحولت من ضياء النهار إلى ظلمة، ظنها منتصف الليل وكانت القرية البالغ عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة في حالة يرثى لها حتى فرج الله تلك الشدة فرجعوا إلى بيوتهم والله على كل شيء قدير، ولما كان بعد هطول الأمطار على سائر القصيم عادت إلى الأرض بهجتها وزينتها واكتست الأرض بالعراجين البيضاء فكانت الأمة يقتلعونها ويحصلون على المئات منها، كما كثر العشب والكلأ.

ضرب الحصار على ليبيا

لما أن كان في يوم السبت ١٠/١٦ ضربت الحصار أمريكا على ليبيا وذلك


بدعوى أن رجلين من الحكومة الليبية فجرا طائرة أمريكية منذ خمس سنوات ولم تتوصل الحكومة الأمريكية إلى الحقيقة إلا قبل فرض الحصار على ليبيا، وقد طلبت تسليمهما إليها ولقد امتنع معمر القذافي عن تسليمهما، وطالت المراهنات بينهما، وذلك لأن أعمال الرجلين قد تكون عن إرادة القذافي كمنتقم من أمريكا التي ضربت ليبيا فيما سبق فأحب أن يشفي غيظه بتدبير منه لهذين الرجلين وتسليم الرجلين للتحقيق معهما تنكشف الحقائق، وبما أن أمريكا وهي الدولة العظيمة القوية تستطيع أن تعمل ما تشاء بليبيا فقد فرضت الحصار عليها ووضعت طائراتها من الرحلات مع أشياء أخرى، إلى أن تخضع ليبيا للتدابير الأمريكية، وفي كلام الحكمة: «لا تخاصم من إذا قال فعل»، وكان القذافي لما ضايقته أمريكا قبل الحصار عرض عليها أن يسلمهما للجامعة العربية، وقد أصبحت الطائرات جاثمة في مطار ليبيا، ولو تكلم التاريخ بصراحة القول لكان الأولى بالقذافي تسليمهما للتخلص من برائن الأسد، ولكنه أظهر عناده لما ينجم عن ذلك من المسؤوليات وإدانته بتسليمهما أمام أمريكا، وبما أن فرنسا وبريطانيا حليفان لأمريكا فإنها لم تتكلم بكلمة واحدة، وقد حصلت مظاهرات في الهند، فقد قام مائتا ألف متظاهر هناك من أجل فرض الحصار على ليبيا، ولكن ثم ماذا تعني تلك المظاهرات في الهند، ولقد كانت تضرب الأمثال في حكمة أمريكا وسير أعمالها بحيث لم تستطع الدول الأخرى أن تقف في وجهه، لا سيما وهي التي أخضعت العراق وجعلت الرئيس صدام كذب حائر في شق من الأرض لا يستطيع حيله ولا يهتدي سبيلا، ودمرت قواته وأصبح تحت سيطرتها ولولا أن عين الأسد حمراء لما خضعت العراق، وكانت تحت رحمة أمريكا.

حادثة من الحوادث

لما أن كان في ظهر يوم الأحد ١٧/ ١٠ ألقى القبض على السفير السعودي في اليمن بأن دخل رجل يحمل قبلة يدوية ومسدسين على خفية متذرعاً بالسلام على

السفير بصنعاء، ثم ألقى القبض عليه واحتجزه وصاحبه في مكتبه، وأبان بأنه لا يسلم من القتل حتى يفتدي نفسه بمليون ريال، فلبث السفير من ظهر اليوم المذكور إلى الصباح من يوم غد بحالة يرثى لها، ولبت على هذه الحالة عشرين ساعة من يوم ١٨/١٠ قد حرم النوم والراحة، ثم إنها استطاعت الحكومة اليمنية من أن تقبض على الجاني وذلك برشقه بالشاي الحار في وجهه، وقد حاول الجاني بأن يلقي القنبلة وأطلق رصاصتين، لكنه لم يصب أحداً بأذى، ومكن الله منه وألقي القبض عليه، وبعد التحقيق عنه تبين بأن ليس له هدف سوى دفع مليون من الريالات إليه، وقد رفعت الحكومة السعودية شكرها لوزير الداخلية اليمنية وحكومة اليمن.

تحرير أفغانستان

في يوم السبت ٢٣/١٠ سقطت كابل عاصمة أفغانستان بأيدي المجاهدين، وانتصر أهالي أفغانستان على روسيا ومن اتخذ لهم بعدما فرّ الحاكم الأول نجيب الله، وقد استبشر المسلمون بهذا النصر: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾  [الروم: ٤-٥]، ولكنه يخشى من تنافس الرؤساء على السلطة، وبعث ملوك العرب ورؤسائها يحثون الأهالي على الاعتصام بجبل الله جميعاً ولا يتفرقوا، وأن يتفقوا على جعل رئيس، وقد دخل القائد بالجيش الإسلامي أحمد شاه مسعود، وكان ذلك بطريقة سلمية، وكان الجيش قد سيطر على جميع الأماكن الحساسة، ولكن قلب الدين حكمتيار الذي كان ينازع على الرئاسة يخشى منه، ولهذا فإن الأمة رأت تتويج صبغة الله، واختاروه رئيساً، وهذا بعد جهاد مرير دام بضع عشرة سنة، وما زال المجاهدون في كفاحهم حتى نصرهم الله تعالى وكانت الإمدادات الإسلامية من أطعمة وأكسية متوالية على المجاهدين حتى فتح الله عليهم، وفي كلام الحكمة: «إياك والسامة فتقذف بك الرجال خلف أعقابها»، ومن العجائب، والعجائب حجة سقوط الحكومة الأولى، سقوط روسيا التي ناصرتها، نسأل الله أن ينصر دينه ويظهره على الدين كله ولو

كره المشركون، وإنها للبشارة العظمى بانتصار المجاهدين الذين لم يحزنوا لأنهم الأعلون، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ١٦].

هذا ولا يزال القتال مستمر بين أهالي فلسطين المظلومين وبين اليهود، وقد كثرت القتلى والجرحى من أهالي فلسطين لأنهم يدافعون بالحجارة والزجاج، والعدو يقاتلهم بالسلاح الحديث، سوى أن اليهود والحق يقال لم يقاتلوا أهالي فلسطين قتالاً مبيداً، ولكنهم قد تغلبوا على المسجد الأقصى، وعلى أراضي فلسطين، وهدموا بناء فلسطين بالقوة، وجعلوا بنايات ومستوطنات يهودية، وما زالت اليهود في تقدمها وانتصاراتها حتى وضع هذه الكلمات في ٢٩ شوال عام ١٤١٢هـ والله الحكمة البالغة.

شرور وبلاء مستطير

لما أن كان في رمضان من هذه السنة قامت حكومة الصرب على المسلمين هناك في يوغسلافيا وهجموا عليهم وفعلوا بهم أمور تنكرها الأديان، ولم يقع فعلها في هذه الأزمان، بحيث مزقوهم بالفؤوس والسواطير، وقطعوههم ومزقوهم ثم حرقوهم، وأخذوا النساء المسلمات فاغتصبوهن ووقفوا عليهم ثم قطعوا أيديهم وفعلوا بهم أفعالاً بشعة، وقتلوا الأطفال وهدموا المساجد وذبحوا الأئمة والمؤذنين في محاريبها، وقاموا بمكبرات الصوت يبشرون ويشيعون ما فعلوه بالمسلمين، وهدموا مساكن المسلمين عليهم وقتلوا مئات الألوف وشردوا البقية، وكان يوم الجمعة آخر أيام رمضان يوماً مشهوداً في تقتيل المسلمين ونحن نسوق ما بلغنا على جهة التحقيق.

ذكر المحنة والبلاء والخذي الذي جرى على المسلمين في يوغسلافيا

ذبحت الميليشيات الصربية في مدينة بيليسيا ثلاثة آلاف مسلم وقتلوا في مدينة دروننا في ليلة واحدة ٤٢٠ في نفس اليوم الذي غادر فيه مبعوث الأمم المتحدة

سائرس ووانس العاصمة سراييفو، قتل الصرب في مدينة زورونيك ألفي مسلم، وفي مدينة فوتفيا ثلاثة آلاف، ولم تصل التدقيقات عن عدد التي استولى الصربيون عليها، وكانوا يقتلون في كل يوم أكثر من ألف مسلم على أرض الجمهورية تلاحق وتطارد الفارين من الأطفال والنساء من القرى والمدن المهاجمة في النفايات وتحت الأحجار والأشجار، فإذا أدركوهم قتلوهم جميعاً، لقد أسر الصرب اثنين وعشرين رجلاً فلما لم يتبينوا هويتهم جردوهم من ثيابهم وملابسهم، فلما رأوهم مختونين علموا أنهم مسلمين فذبحوهم بالسكاكين جميعاً، وهذه حالة تنفطر لها القلوب وتشق لها الجيوب، وترفع الأكف لعلام الغيوب، اللهم إنا لا نقدر على الدفاع عنهم فأنزل عليهم دوائر السوء، وثبتوا في آخر يوم من أيام رمضان الأئمة والمؤذنين في محارب المساجد ثم رفعوا الأعلام الصربية على المآذن بمكبرات الصوت فرحاً واستبشاراً بعلو ذلك بالتعاون مع الجنود والاتحاديين الذين يمارسون أبشع أنواع التعذيب بالمسلمين، الله انتقم من هؤلاء الكفرة الظالمين للمسلمين العزل الذين ذبحوا بالسكاكين في محارب المسجد، وقد قال المخبرون عنها أنهم لم يتوصلوا إلى كل ما فعل لأن العقول البشرية لا تصدق بذلك هذا آخر البسط بالمسلمين في البوسنة والهرسك على أيدي الصربيين الكفرة هناك، وقد قتلوا وذبحوا وعذبوا المسلمين وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]، وعذبوا الأطفال وقتلوا البعض، وعذبوا السجناء وعاملوهم معاملة لا إنسانية وانتهكوا أعراض النساء وقتلوا معظمهم، ونقل الأحياء منهم إلى حكومة العدو، وقد خلفت الحرب في البوسنة والهرسك من الأعمال الإجرامية التي ارتكبتها الحكومة الصربية وأسفرت عن ثلاثة آلاف قتيل وعشرات الآلاف من الجرحى، وتشريد أكثر من خمسة وثلاثين ألف، واغتصاب مئات النساء ثم قتلهن، واختطاف بعضهن والذهاب بهن إلى حكومة صربيا، وتدمير مائة ألف وستين ألف منزل في المدن والقرى الإسلامية، وتدمير مئات المساجد بالقصف، وإحراق محتوياتها، وتدمير عشرات المصانع

ومحطات الكهرباء، وتدمير مئات المدارس وعشرات المستشفيات، وسقوط عشر مدن وعديد من القرى بأيدي الصرب، ونهب محلات المسلمين والبنوك، وهدم مطار المسلمين، ووصلت الأحوال إلى درجة سيئة.

كما أن كشمير أغار عليها كفار الهند وقتلوا المسلمين فيها ومثلوا بهم من قطع أيدي النساء وهتكها.

إمارة فيصل بن بندر بن عبدالعزيز

ففيها في خامس عشر ذي القعدة قدم سمو الأمير فيصل بن بندر بعد صلاة العصر على مدينة بريدة أميراً في منطقة القصيم خلفاً عن الأمير عبدالإله الذي قدم استقالته قبل ذلك بعدما صدر الأمر بتعيين الثاني، فصفت العاصمة فرحاً بقدومه وخرج الأعيان لاستقباله، وذلك في يوم الأحد الموافق لما تقدم، ورجوا خيراً.

حادثة من الحوادث

ففي اليوم الرابع عشر من ذي القعدة حدث زلزال في روسيا بمدينة طاجيكستان هلك بسببه مائتي قتيل، ونزلت المياه من رؤوس الجبال من الفيضانات، وتكسفت الأحوال هناك.

وفي ثاني عشر ذي القعدة خرج صاحب سيارة وايت في طريق حائل بصفة غير منظمة فأصيب ركاب سيارتين باصطدام هلك منه عشرة صلي عليهم في المسجد الجامع الكبير في مدينة بريدة بعد صلاة الجمعة، واثنان تحت العلاج في المستشفى، نعوذ بالله من سوء المنظر في الأهل والمال والأحباب.

عذاب وتعذيب لمسلمي كشمير في الباكستان من أهل الهند

لما أن كان المسمون ولا سيما أهل الإيمان منهم يمتحن الله صبرهم وثباتهم كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عِبَادًا وَهُوَ الْغَنِيُّ الْغَفُورُ﴾

[الملك: ٢]، وكما في قوله تعالى في ذكره: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا﴾ [البقرة: ٢١٤]، فإن مسلمي أهل كشمير في حكومة الباكستان نالهم أذى من كفار أهل الهند أشد العذاب والبلاء، فقد ساءهم الأعداء سوم فذلّوهم وعذبوهم في الله، وكان لما أن رفضت الحكومة الهندوسية في الهند تقرير مصير للشعب الكشميري شرعت في أخذهم بأنواع التعذيب والبطش والأذى وعاملتهم معاملة قصرت عنها معاملة الصليبيين لمسلمي أهالي الأندلس ولا ريب في أن من لم يرع مخلوقاً ولا خالقاً وفقد إنسانيته فإنه يفعل ما يشاء من أمور الخلاعة كما قيل:

إذا لم تسرع مخلوقاً ولم تحش خالقاً ولم تصن وجهاً فما شئت فاصنع
فعياداً بالله من سوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونحن نسوق ما بلغنا عن طريق التحرير لا المشافهة، قال الراوي: بعد أن رفضت الحكومة الهندوسية حتى تقرير المصير للشعب الكشميري شرعت في تدمير بلاد كشمير الجميلة، واستخدمت الهندوس الكافرة جميع أشكال الاضطهاد بما فيها الاستقلال الاقتصادي والتعذيب الثقافي، والاضطهاد السياسي، وأساليب التعذيب اللاإنسانية، والقمع العسكري لإنهاء ثورة الاستقلال في كشمير، إلا أن الشعب الكشميري أعلن أنه سيستمر في جهاده بغية تحرير وطنه وحصوله على حقوقه الشرعية الكاملة غير منقوصة حتى نهاية المصير، وما زال كشمير الأعزل في جهاده ضد القوات المحتلة دون خوف أو وجل، غير أن ممارسات القوات الهندية الوحشية من بداية ١٩٩٠م اتخذت إجراءات شديدة لإنهاء جهاد الشعب الكشميري بحيث استخدمت الأسلحة الفتاكة بكل أنواعها دون أي رحمة أو شفقة، فقتلت آلاف الأبرياء من النساء والأطفال والشيخوخ، وقامت قوات الهند باغتصاب العديد من النساء والفتيات، وأحرقت المساكن والممتلكات وهدفها من هذه الأعمال الإجرامية إرغام الكشميريين على الاستسلام، ولكنها إرادة شعب وأمة ظالمة، فهيئات أن تلين كشمير وهم المسلمون مهما كان الإرهاب، ولقد قطعوا ثدي

النساء وعاملوا الأسراء معاملة تستحيل عندها العادة، ذلك بأن العدو وفي عدد تجاوز خمسمائة ألف فقاموا على المسلمين بعد الأسر وجعلوهم عراة، وأجبروهم على أن يقع بعضهم على بعض في اللواط، وأن يغتصبوا فيهم، وأن يحمل كل إنسان على تلاوة شيء من القرآن الحكيم، وبعد تلاوته يجبر على أن يبول في إناء ويشربه على القرآن، وأطلقوا الرصاص على المتظاهرين العزل، واعتقلوا آلاف الشباب، وأصيب عشرون ألف بالقتل، وجرح خمسة آلاف، وقتل الأسراء وهم عراة، جعلوهم ركاماً، وأخذت الكاميرات صورهم وهم بهذه الحالة المذرية، وعذب المسلمون وانتهكت حرمت الإسلام على يد أناس لا أخلاق لهم ولا دين ولا إنسانية، وهلك مئات من المسلمين غرقاً، وحرقت الهند آلافاً من الماشية، وهناك آلاف الأشخاص قطعت أعضاؤهم وحرقوا مئات من الأحياء، وهلك سبعة آلاف يقيمون في سجون التعذيب من الشباب، ويوجد ثلاثون ألفاً من الرجال والنساء والأطفال تحت التعذيب، وطرد خمسة آلاف من ديارهم ومساكنهم إلى غير ذلك من الأمور التي تقف عن الاستماع وتنكرها الفطر وتشتتر منها القلوب، هذا وقد قام المسلمون في بيوت الله والحرمين الشريفين يقتتون في صلاة المغرب والفجر يدعون الله ويستنصرونه على الأعداء في خلواتهم وجلواتهم من تلك الأفعال الشنيعة في البوسنة والهرسك الذين أصيبوا بأعظم مما أصيبت كشمير وسكان المسلمون.

ولبثوا شهراً كاملاً بهذه الصفة يدعون ويستنصرون ما دام القمع والحصار والتعذيب على البوسنة والهرسك، هذا ونسأل الله تعالى أن يلفظ بالمسلمين وينصرهم على أعدائهم، وأن يذيق أعداء المسلمين مرير عقوباته، وأن يخذلهم ويمزقهم كل ممزق، ويدمرهم تدميراً، وإنها لحالة يرثى لها بفؤاد موجوع، وقلب من سماع هذه الأهوال، وإن النصر بيد الله والأمور مرهونة لأوقاتها.

وفيها اغتيال رئيس جمهورية الجزائر ضياء، كان لما ارتقى المنصة لإلقاء خطاب على الأمة أطلق عليه الرصاص، وكان لا يستطيع أحد الدنو منه إلا

الجنود المحافظون عليه، فتقدم اثنان وأطلقا عليه النار فقتل الرصاص من حواليه فالقي القبض على أحدهما وفرّ الآخر، وكان ذلك في يوم الاثنين حادي وعشرين ذي الحجة، وما أغنى حذر من قدر، وقد كان هذا الرجل كما ذكروا عنه متحدياً لأهل الدين، وقد سجن وعذب أمةً منهم، والله بالمرصاد، وقد امتلأت السجون بالمسلمين بحيث سجن خمسون ألف مسلم بسبب هذه الحادثة، وعمت الفوضى بالجزائر.

وختمت هذه السنة بزعازع في مشارق الأرض ومغاربها، وثورات في سائر المعمورة، ولقد عجز المصلحون عن تسكين تلك الفتن، ومع هذا التناحر والتقتيل فقد كثرت الفيضانات والزلازل والأعاصير، فمن لم يمت بالقتل فقد هلك من جراء تلك الفيضانات والزلازل والبراكين المتفجرة والأعاصير القاتلة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبما أن الحكومة السعودية لها أفعال كثيرة في مساعدة المنكوبين والعطف عليهم فقد اتسع الخرق على الرفع، وذلك بأسباب تفكك الأمم ونزاعها.

ثم دخلت سنة ١٤١٣هـ

استهلت هذه السنة والحالة مستمرة في النزاع وإراقة الدماء، فهذه كشمير المسلمة في الهند يعاني أهلها أنواع البلاء والتعذيب وقتل المسلمون بعدما أذيقوا أشد أنواع التعذيبات على يدي حكومة الهند الكافرة، فكانوا يرغمون المسلمين على أبشع الحالات وهم في سجون التعذيب من تناول الأشياء الحارة وعلى اللواط، وربط الأشياء الثقيلة في قضبانهم يجرونها، وامتنصاص الني، والوقوف الطويل فترات لا يتحملها الآدمي، وأعظم شيء حملهم على ممارسة اللواط بعد تلاوة القرآن، وكانت قوات الاحتلال تمارس في معاملتهم أبشع الجرائم اللاإنسانية التي لم يسبق لها نظير في تاريخ البشر، إلا أن المسلمين يتصدون لقمع هذه الممارسات الشنيعة القمعية حتى لقوا حتفهم وماتوا وهم عرات، فلم يبقَ نوع من

أنواع التعذيبات إلا أوجدوها على أولئك العجزة، ومن العجائب سعة حلم الله عليهم، ولم يعاجلهم بعقوبة من عنده، وقد أرغمت نساؤهم على هتك أعراضها وتقطيع ثديها والعبث بها مما تستنكر عند سماعها الآذان، وتقشعر منه الأبدان، وتنكرها الفطر والأديان، وقد قطعوا أعضائهم وهم ينظرون، وأجبروهم على شرب بولهم ويرمون الملح والفلفل على جروحهم وغير ذلك مما يخالف القوانين الدولية والحقوق الإنسانية.

أما البوسنة والهرسك فقد همّ النصارى في حكومة الصرب على المسلمين هناك واصطادوا من وقف لهم فذبجهم بالسكاكين، ولما فرت النساء المسلمات والأطفال كانوا يلاحقونهم ويصطادونهم كما يصطادون الأرانب فيذبجونهم بالسكاكين، وإذا شكوا في رجل هل هو مسلم أو نصراني كشفوا له عن عورته فإن وجدوه مخنوناً قتلوه، وقد قطعوا ثدي النساء وهتكوا أعراضهم وساموهم سوء العذاب بهتك أعراض الفتيات وقتل الأطفال، وتعذيب المسلمين بأنواع التعذيبات، ولم يراعوا كبيراً في سنه أو طفلاً في مهده، وقطعوا المواد الغذائية عن المسلمين ليموتوا جوعاً وعطشاً، وكانت القوات النصرانية تهدم المساجد ويقتلون أئمتها في محاريبهم والمؤذنين، ويكتبون في حيطان المساجد: قتلنا كلاب محمد، وهدموا المصانع وحرقوا جميع المساجد والمصانع، ولم يلقَ المسلمون ولياً ولا مناصراً، وكانت دبابات الصرب ومدافعهم تمطر البوسنة والهرسك وما يلحق بها قذائفها على أولئك المسلمين بالنيران والحديد، حالوا بين المساعدات التي وجهت إليهم جواً وبراً، ولم يراعوا فيهم الأولاد، ولم يرقبوا في تلك التعسفات خالقاً ولا مخلوقاً كما حالوا بينهم وبين الأدوية التي يبعثها المسلمون الجرحى ليموتوا جوعاً وعطشاً ومرضاً، وكانت أمريكا وغيرها لم يراعوا تلك الأحوال اهتماماً، أملى أن يقضى على الإسلام ويباد أهلها، وقد أقام المسلمون الحجة على أمريكا بأنها حينما بطشت بالعراق وجعلوا أهله أذلة صاغرين كانوا مستطيعين ولهم تمام النفوذ في إبادة سلاح العراق والتككيل بأهلها، أما الصرب فيتركونهم يبطشون بالمسلمين،

وكانت السياسة الأمريكية تماطل في النظر في تلك الأهوال والمشاغب ليتمكن النصارى في انتهاز الفرصة والقضاء على المسلمين، وتعد الصرب بوضع الحرب، وكف الأذى، وتماطل ليقضوا أغراضهم في المسلمين البؤساء العزل هناك، وقد اشتد الأمر وعظم الخطب، وتأخر النصر للمسلمين لما يريد الله تعالى من تمام حكمته، إنها ليست ثورة داخلية إنما هي غزو النصارى للمسلمين هناك، وهم أقوى منهم، وقتلوهم وهدموا ديارهم، واستحلوا محارمهم، ولعلمهم لم يتوصلوا إلى هذا القصد السيئ حتى أتاحت لهم الفرصة، ولم يجدوا من وقف في وجوههم حتى حصلوا على مقصودهم في هذا الزمن الذي فقد فيه أسد العرين، وكان من شباب المسلمين وأهل الغيرة في نواحي الأرض من ينادي بالاستنكار لهذا العمل السيئ، ولكنهم لم يستطيعوا نصرتهم ولا الدفاع لقوة العدو وما لديه من المعدات والأسلحة الشعبية.

ذكر ما جرى في الصومال

لما كانت هذه الحياة الدنيا فيها الخير والشر، وفيها السراء والضراء، وفيها النعمة والبؤس فإن الله عز وجل ابتلى أهل الصومال بالنزاع فيما بينهم يتنازعون الشرف، وقام بعضهم على بعض بالقتال والمذابح التي سببت عليهم أنواع الجوع والأمراض، وعجزت الأمة عن تسكينهم، وابتلى الله عز وجل المسلمين هناك، وقد وصلت الحالة في ربيع الأول من هذه السنة إلى أن أصبحوا في حالة خطيرة، وقرر الخبراء أنه يهلك في كل يوم منهم ألف نسمة من الجوع والمشاغب وانتشار الأمراض فيما بينهم من سوء التغذية، حتى أعلنت إحدى الإذاعات بأن أربعة ملايين في الصومال مهددون بالهلاك، والموت، وقد بعثت الحكومات الإسلامية بأنواع الأغذية والمساعدات مما يخفف الوطأة من هذا المحنة، ولا يزال الموت يعم الأسر كاملة، وقد حدثني بعض المطلعين على حالتهم من المنقذين لهم من خطر المجاعة بأنه رفع إليه أن أهل البيت سيموتون من الجوع فذهبوا إليهم بما يصلحهم لكنه لما جاءهم وجد الأسرة كلها جامدة وهي مكونة من عشرة أنفس، وسمع

أهالي بيت يستغيثون لطلب ما ينقذهم، فلما جاء أهل الإنقاذ إذا قد انقطعت أصواتهم وهلكوا عن آخرهم وهلم ما جرى من هول ما وقع فيهم من الدماء والهلاك، وقد استمرت هذه الحالة السيئة منذ أكثر من ستين بحيث لم يروِ التاريخ عن أكثر هلاكاً من هذه الأمة جوعاً، وتعجز الألسنة عن التعبير عما هم فيه من البلاء والأحزان ومرارة العيش، نسأل الله العافية، وبما أن الحكومات تبعث إليهم المدد من الإغاثة فإن الهلاك منتشر فيما بينهم، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا العافية، وأن يلطف بالمسلمين، وإن الإمدادات توالى إليهم من أطنان الحبوب والتمور، فإن الحالة تكاد تنطق عما هم فيه قبل ذلك، ولا يزال المسلمون يوالون إليهم أنواع الأغذية والأدوية، ولكن الأمور كما هي في تأزم الموقف إلى حالة يرثى لها.

ذكر حادثة شنيعة

ففيها في يوم الجمعة من يوم الحادي والعشرين من ربيع الأول قتل رجل من أهالي اليمن في مدينة الرياض أمه، وكان قد قام بمساعدة زوجته على والدته بالساطور يضرب رأسها ثم رقبته، فأخذت الوالدة السكين فانتزعتها من يدها بقوة فوقعت أصابعها، وقامت الزوجة بلبن البلوك ترجم رأس الوالدة حتى هلكت، فأتي بالرجل وزوجته وأجري عليهما حكم الله قتلاً فعند ذلك تتجلى هذه الجريمة من إنسان فقد دينه وإنسانيته، وعامل والدته الحنون بتلك المعاملة الرذيلة، وأي ذنب بعد الشرك بالله أعظم من قتل والدته التي حملته كرهاً ووضعت كرهاً، نسأل الله العافية، وإذا نزع الدين والحياء من الإنسان فليفعل ما يشاء، نعوذ بالله من الخذلان، وكيفيه ما لاقاه هو وزوجته من هذا الجزاء موتاً زؤماً وكأساً علقماً.

وفيها جرى ترفيع موظفين ونقل آخرين، ففي عشرين ربيع الأول رفع الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان من وكالة رئيس المجلس الأعلى للقضاء إلى رئيس المجلس الأعلى، ونقل وزير العمل محمد بن إبراهيم بن جبير إلى رئاسة مجلس الشورى ونصّب الشيخ بن راشد الرئيس العام سابقاً في رئاسة ديوان المظالم، وكان الشيخ

نشطاً في أعماله، ونصَّبَ الشيخ ابن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل مباشر كلٍ وظيفته الجديدة، نسأل الله لهم التوفيق.

وفيها في ٦ ربيع الأول هبَّ إعصار في المكسيك من أعمال أمريكا الجنوبية فسبب خسائر عظيمة تقدر بعشرين مليون دولار، وأهلك أنفساً، ودمرَ أموالاً طائلة، وأحدث أهوالاً لا يحيط بها الوصف ولا يبعثها، وتعتبر من أعظم الإعصارات، وسقط من جرائه حيوانات كثيرة، ولقد قامت أمريكا فعوضت المصابين تعويضات على نقائصهم، فسبحان الله المتصرف في خلقه على وفق مراده.

تنبيه: قد ذكرنا ما جرى على البوسنة والمهرسك من نصارى الصرب وما حلَّ بالمسلمين من العذاب والدمار منهم، وبهذا تتبين عداوة النصارى للمسلمين وكيف أنهم كانوا يذبحونهم كما يفعل بالأغنام، ولم يتورعوا عن قتل النساء والأطفال والشيخوخ والعجائز المسنين، قال الله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

ذكر أفغانستان وما جرى عليه

كان أهالي أفغانستان لما حرروا بلادهم من الروس بعد جهاد مرير، ضحوا بأنفسهم لينالوا الحرية وينتصروا للإسلام والمسلمين، كان فيهم شرذمة تناصر النصارى، وتميل إلى الكفر والضلال، فوقع نزاع شديد بين المسلمين وأولئك الضالين، وحدث انشقاقات استخدمت له المدافع والصواريخ والقنابل الصاروخية، وقد بعثت إليهم الدول الإسلامية والناصحون لهم يحذرونهم من الفوضى، ولينظروا إلى ما وقع بالصومال بسبب النزاع والشقاق، ولكن هذه الحنة استمرت زمناً أهرقت فيه الدماء، وقد شاء الله أن نسكن هذه الحنة، ولكنها نار قد يكون هناك من يضررها.

وفيها وفاة أمير القرريات سلطان بن عبدالعزيز السديري رحمه الله وغفر له، أدركته الوفاة وهو يعالج بعمّان.

وفيها حصل نزاع بين إيران وبين الإمارات الخليجية في شأن جزيرة أبي موسى

كلّ منهم يدعي أنها له، وبما أن إيران أقوى من الإمارات فتطمع في ضمها إليها، وبذلك توفرت المشاكل بين إيران والإمارات، وقد حصل قبل ذلك نزاع بين البحرين وقطر في شأن الحدود بينهما، وبما أن البوسنة والهرسك استهدفت لغارات النصارى من سكان الصرب، وفعل بهم النصارى الأفاعيل التي لم تجر في تاريخ البشر، بحيث هجم الصربيون على المسلمين في البوسنة وذبحوهم في مساجدهم ورفعوا صور القتلى يزورون على المسلمين بأنه فعلوا بالصرب ذلك وقلبوا الحقائق، فقد قام المتطوعون من أهالي الصرب وهجموا على المسلمين وقتلوا من تبقى بعدما طبعوا صورة الصليب على صدورهم قبل الذبح ولطخوا حيطان المساجد بدمائهم، وجعلوا ينادون بمكبرات الصوت بانتصار النصارى وذل المسلمين، وجعلوا يكتبون على ما تبقى من حيطان المساجد هذه الكلمات قتلنا كلاب محمد وهتكناهم وسيناهم، ويستهزئون بالإسلام وأهله وذلك لأنهم لم يجدوا سطوة المعتصم، ولا وقوف صلاح الدين الأيوبي في وجوههم، ولقد جزع لذلك شباب من المسلمين وخطباء قاموا ينادون بالويلات على ما جرى على المسلمين وبجت الاصوات في الدولة السعودية، ولكنها صرخة في وادي خالٍ من البشر، فإنها بعثت المساعدات من الأطعمة والأغذية والملابس، ولكن نصارى الصرب يقفون دونها ويمنعون من وصولها إليهم، ولكن أمريكا والولايات المتحدة رأت أنها إذا لم تصل إليهم الإمدادات من الأغذية والكسوة فإنهم بمناسبة حلول فصل الشتاء سييادون عن آخرهم، فبعثت إليهم مساعدات، وبعثت قوات لحقتها حتى تصل، وذلك في ٤/٦.

وبما أن البوسنة والهرسك بهذا الوضع فإن الصومال لا تقل عن الهول الذي لحق بإخوانهم، وكذلك مسلمو كشمير وما ناهم من أذى الهندوس وأصبح الإسلام وأهله يلاحقون ملاحقة لقتلهم والقضاء عليهم، وقد بلغ في الصومال والبوسنة والهرسك ما لا يتلafa إصلاحه إلى آخر الأبد من الأذى والتدمير والإفساد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تنبيه: قد ذكرنا فيما تقدم اغتيال الرئيس الجزائري لما صعد إلى المنصة ليلقي خطاباً فأصيب برصاص من بعض المعارضين له، وبعد اغتياله جرت مظاهرات وامتلات السجون بسبب قتله، وحصلت مفاصد هناك مما أدى إلى الفوضى، وكان الذين اغتالوه يرون أنه ضد أهل الإيمان ومنحرف عن الحق، وقد استمر النزاع والشقاق هناك.

وفيها في شهر ربيع الأول أصيب ملك الأردن الحسين بن طلال بمرض السرطان في كليته وجهة مثانته مما يليها فذهب إلى بريطانيا للعلاج واستتصال ما تدعوا الحاجة إلى قطعة وبعد العلاج رجع في أوائل ربيع الثاني من هذه السنة وفرحت الأمة هناك برجوعه، وجعلت تصفق استبشاراً برجوعه، وكان فيما يظهر أنه حصل تفكك في حكومة عمان من بعض المتقدين لسياسته، وعمل أناس في الخفاء ضده حيث كان مناصراً للعراق ويمدها بالسلاح سراً، وإن كان لا يتظاهر بعداوة المملكة السعودية فإن أعماله تدل على موالاته لأعدائها، وهي ثلاثة حكومة غمرتها السعودية بالمساعدات، فاليمن والسودان قد انقلبوا بعداوة وكفران النعمة، ولكن الله بالمرصاد فقد حصلت ثورات في السودان وانشقاق، كما حصلت ثورات في اليمن الجنوبي والشمالي، وأصبح الرئيس اليمن على عبدالله صالح يكابد المشاق في تمرد شعبه وأنواع المشاكل في اليمن، وأصبحت الفتن في اليمن والسودان تغدو وتروح، نسأل الله العافية.

أما العراق فقد انشق إلى ثلاث فرق: فرقة ثارت ضد الحكومة، وفرقة الأكراد، والفرقة التابعة لصدام، وهم يدبرون الحيل لاغتياله مرات عديدة، ولكنه قد نصب المشانق والنار والحديد، وأصبح الطاغية الذي يمني نفسه بجعل الكويت ميناء للعراق بعد قتل السكان، وأن يغزو الجيران في عقر دارهم عاجزاً عن تدبير شعبه الذي انشق عليه وأصبح ضحكة للأجانب فالحمد لله الذي عافا المسلمين مما ابتلاه، وبكل حال فإن حالة المسلمين اليوم يرثى لها من التفكك والنزاع والشقاق، نسأل الله تعالى أن لا يجعلهم فتنَةً للذين كفروا، وأن يجمع شملهم على التقوى، وأن يجعلهم يداً واحدة على أعداء الإسلام.

حادثة

لما أن كان في اليوم الثامن من ربيع الثاني سقطت طائرة إسرائيلية على هولندا، فسقط من جرائها عمارتان في مدينة هولندا واشتعلت النيران في ثمانين شقة هناك، وهلك بسبب هذا الحادث مائة وخمسون، وفقد مائة وثلاثون لم يتوصل إلى ما صاروا إليه، وهلك جميع ركابها الذين بلغوا مائة راكب وخمسة ركاب، وقد عجز رجال المطافئ من السيطرة على الحرائق والنيران لإخمادها، وعثر على بعض محركات الطائرة قد سقطت من هنا وهناك، وتعتبر هذه كارثة من كوارث الزمان، أصيبت الطائرة وركابها ودمرت ما سقطت عليه، نسأل الله أن يجعل تدمير الكفار في تدبيرهم.

وفيها في ٩ ربيع الثاني قامت إسرائيل بما أوتيت فأطلقت المدافع الثقيلة على جنوب لبنان وساعدتها الميليشيات في الجنوب فأصيب بعض في لبنان بكوارث، ودمرت تلك الأسلحة والرشاشات الثقيلة ما سقطت عليه، هذا والأمم المتحدة تسعى في إيجاد صلح بين العرب وإسرائيل في الشرق الأوسط ولا ريب أن ذلك تخدير الأعصاب ليتمكن اليهود من الفتك بالعرب، هذا وقد حصل إضراب عن الطعام في فلسطين من تعذيب سجناء العرب هناك ومعاملتهم معاملة قاسية، وكانوا يطلقون الرصاص على الشباب الفلسطيني مما يسبب القتل والجرح، فهذا أصيب في رأسه وهذا أصيب في فخذه، وهذا أصيب في بطنه، وهذا أصيب في صدره برصاص جنود الاحتلال، وما زال المشردون عن أوطانهم في ازدياد ومن ديارهم يطردون ويفرون، حتى بلغ عدد المشردين من كل بقع وصقع يزيد عن ثمانية عشر مليوناً، وقد رجع مليون مشرد إلى وطنهم أفغانستان لما فتح الله لهم.

ذكر ما جرى على ليبيا

إن أمريكا اتهمت رجلين ليبيين من أنهما فجرا طائرة أمريكية فطلبت إحضارهما إليها للتحقيق، وبما أن معمر القذافي أبى أن يسلمها لأن مصيرهما

الإعدام، حققت أمريكا الطلب وقد عاند الرئيس القذافي فقامت أمريكا بما أوتيت من قوة وفرضت حصاراً على ليبيا في آخر الحياة من نيسان الماضي بسبب هذا الأمر الطفيف الذي لا يقام له وزن، وأصبح المسلمون هناك متضررين من ضيق الحال والمعيشة، كان من العجائب إهمال شأن الصرب يبطش بالمسلمين هناك ويسوموهم سوء العذاب تقتيلاً أو تشريداً، وقد ذبحت رجالهم ونساؤهم وأطفالهم وهوجوا بعقر ديارهم، وهلكوا جوعاً وأذيقوا مرارة الحياة على يدي أعداء الله النصارى، ولم تسمع صرخات المسلمين واستغاثتهم بمجلس الأمن والأمم المتحدة، وكأنهم لم تهدم ديارهم ومساجدهم التي هي بيوت الله، ولم يرقب النصارى فيهم إلا ولا ذمة بل تقف أمريكا وقفة المشاهد كما وقفت كذلك تتفرج على قتل أهالي فلسطين، وكان اليهود يقتلون يومياً من أولئك البؤساء العشرات والأفراد، وهاهم النصارى يواصلون هجماتهم على سرايفو عاصمة البوسنة والهرسك حتى أصبحت في ١٠/٤ بلا ماء ولا كهرباء، وتضربها مدافع الهاون والمورتر بدون رافة ولا رحمة، ولم ينبس لهم بنت شفة بل صمت الأذان عن استغاثتهم ومواساتهم، وما هي إلى مواعيد من بريطانيا وفرنسا وأمريكا ليقضوا على الإسلام هناك، وقد شردت الصرب عشرات الآلف وقتلوا مئات القتلى، فعياذاً بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء وجهد البلاء وشماتة الأعداء.

ذكر حادثة كريمة

في ليلة الثلاثاء عاشر ربيع الثاني من هذه السنة قام عامل باكستاني على سيده وهو إعرابي في قرية أبا الدود من أعمال الأسياح على سيده ليقتله، فأخذ ساطوراً وسكاكين ففعل بسيده وجمع أهل بيته وهم ثلاثة عشر نسمة، هلك في الحال منهم تسعة أنفس، وحمل أربعة إلى المستشفى في مدينة بريدة، ثم مات العاشر في غرفة الإنعاش، وكان الذي ضربه صبي كتبت له النجاة فأخبر المسلمين بقصته، وكان صاحب الأتوبيس جاء ليحملهم إلى المدرسة فلما أشرف على البيت وجد الدماء

سائلة ففرّ إلى رجال الأمن وإمارة البلد، ولما أن فعل الجاني تلك الفعلة الشنعاء التي لا يقدم عليها من يؤمن بالله واليوم الآخر، لأنهم ما بين امرأة وطفلة وطفل لم يحبوا ولم يكن لهم ذنب، فرّ إلى أخي كفيله، ولما أن جلس ليتناول شراب الشاي، أراد أن يلحقه بأهله، غير أنه فكر أنه لم يكن له ذنب ولم يسبق منه عليه أذى فعصمه الله منه، وقد ألقى القبض على الجاني وكان يرعى تلك الليلة بالغنم ففقد المالك ثلاثة رؤوس منها وانتهره، ولما ألقى التحقيق معه أقر بأن الكفيل لم يعطه أجرته لمدة وقد طلب منه الجواز ليسافر فلم يفعل ففعل تلك الفعلة الشنيعة، نسأل الله السلامة، وقد أوجعت فعلته القلوب والأكباد، وأصبحت الأمة تتحدث بهذا النبا الغريب والخبر المؤلم العجيب، وقد أظهر الكشف عنه بأنه في عقله غير مجنون فأجري عليه القصاص، وأذيق جزاء فعلته التي فعلها، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

زلزال يصيب مصر

لما كان في اليوم السادس عشر من ربيع الثاني ١٦/٤ الموافق ١٢ تشرين الأول أكتوبر أصيبت عاصمة مصر مدينة القاهرة بزلزال تهدمت بسببه منازل وأصيب عشرات السكان، وجرح ما يزيد على مائة وخمسين أعقبه هزتان أيضاً لم يشعر بهما السكان، وهرعت مئات من السكان إلى القرى خشيةً من الهلاك، وقد انتشلت جثث القتلى الذين هلكوا تحت الأنقاض، وكان الرئيس حسني مبارك قد قام بزيارة إلى إمارات الخليج، ثم إلى اليابان فقطع زيارته لليابان لياشر بنفسه ما جرى على عاصمة بلاده، وعاد إلى مصر لهذا الحادث الأليم، وفي نفس الحال بعثت الحكومة السعودية مساعدات لمواساة شقيقتها في الإسلام، وقد أحدثت تلك الكارثة رنة أسى في البلاد المجاورة لها، وبعثت التعازي إلى الرئيس المصري حسني مبارك ومواساته في هذا النبا الحزين لما تعرضت له عاصمة مصر من الهلاك والتدمير، نسأل الله تعالى أن لا يريهم في بلادهم ولا أنفسهم سوء ولا مكروه.

ذكر ما تجلى عن ذلك البلاء

تعطلت الدراسة في مصر ووقفت الحركة، وأغلقت الدكاكين ذلك اليوم، وهلك ستمائة قتيل وتسعون قتيل، وجرح أربعة آلاف، ولكنهم في اليوم الثاني من هذا الزلزال رجعوا إلى الحالة الطبيعية وفتحت المدارس والمعامل والدكاكين، وعادوا إلى الحالة الطبيعية.

انفجار بركان

قد نهى الله عز وجل عن عدم الأمن من مكره بقوله: ﴿أَمِنُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَنُورُ﴾ [الملك: ١٦]، وفي هذه السنة انفجر بركان الفلبين فقامت الحجارة السوداء تقذفها الأرض إلى الفضاء بحيث ارتفعت في الجو إلى قدر ثلاثين كيلو بحمم سوداء، وربما تكرر انفجاره مرات عديدة، وأخذ السكان حذرهم منه، فتباعدها عن قربه بمسافة ثلاثين كيلو، فكانت هذه المساحة مسرحاً للحوادث من جراء تلك الحجارة التي تقذف بمنة ويسرة، وفي هذه الآونة تنطلق فوهته بتلك الحجارة، وكانت القدرة البشرية عاجزة عن ردمه وإيقافه فلم يجدوا بداً من الابتعاد عنه وهجر ما كان حواليه من تلك المساحة الكبيرة حذراً من تلك الطوارئ.

انتشار الكتب وإيجادها

كانت الأمة فيما مضى يستخدمون أقلام القصب والمحابر في نسخ الكتب، وتقوم أناملهم في العمل لذلك، مما كان يشق على الأفراد تحصيلها، وكان الكاتب الماهر في الكتابة قد يكتب القرآن الحكيم في وقتٍ طويل فلا يتمكن من ذلك إلا في فترة أيام، ويجعل بين الآيات دوائر بالقلم الأحمر، كذلك الرموز التي توضع للوقف وعدمه كاللازم والجائز، وانتشرت مؤلفات العلماء المتقدمين باستخدام المحابر والأقلام التي كانت من القصب، بحيث يري الكاتب القلم بالبراة من الجهات الثلاث، فإذا استدق فإنه يشق رأس القلم ليسيل الحبر بكثرة، وقد كنت كثير الكتابة كذلك، يقول الشاعر في صفة ذلك راثياً عالماً من العلماء ذاكرأ مواهبه وماله من الصفات الحسنة:

وأقلامنا سقت عليه ناسفاً على خد أعلى الطرس كم فيه ترصع

وقد خدمت هذه المحابر والأقلام القصب العلماء المتقدمين، وجاء من بعدها أقلام تبعاً بالخبر الأزرق ولكن الأقلام القصية لها دور فعال، وكان الأدباء والعلماء من يدخر قلماً، وأوصى العالم عبر عبدالرحمن بن علي بن الجوزي بأن يسخن ماء تغسيله إذا فارق الدنيا بعلامات أقلامه، فوجدوا منها كمية زادت عن المطلوب، وانتشرت مؤلفات كبار العلماء كالإمام أحمد بن حنبل والشافعي ومالك باستخدام هذه الأقلام القصية، كما أن مؤلفات شيخ الإسلام تقي الدين وابن القيم وابن رجب وعلي بن عقیل بالأقلام القصية السائلة، ومن نظر إلى مؤلفات عماد الدين بن كثير وتفسيره للقرآن وتاريخه ومؤلفات موفق الدين بن قدامة، حتى قيل أن كتاب الظنون لابن عقیل يبلغ ثمانمائة مجلداً وقيل أربعمائة، ومؤلفات الحافظ بن حجر العسقلاني، والفخر الرازي، والزنجشري، والحسين بن مسعود البغوي والبخاري وشروحه، وعمدة القاري، وفتح الباري، وهداية الساري، ومؤلفات ابن مفلح وصحيح مسلم وشروحه، وابن الاثير كأسد الغابة، وجامع الأصول، وكتب اللغة القاموس المحيط، ولسان العرب، وتاج العروس وغيرها من كتب العلماء فإنه يرى من العجائب بركة الله تعالى في نشرها، ولكنها تباع بأسعار باهظة، وسمعت بأن جامع العلوم والحكم لابن رجب بلغت قيمتها اثني عشر ريالاً وكانت إذ ذاك تلك القيمة قد تشتري بها بيتاً لسكنه، بل زادت قيمة هذا الكتاب عن اثني عشر ريالاً إلى زيادة وزنتين من القهوة البن، وثوب وشماع، ورأيت كتاب الكبائر للعلامة الذهبي مكتوباً بقلم جميل، وقد ملك هذا الكتاب الفقير إلى الله محمد بن عمر بن سليم، ونصيحتي لطالب العلم أن لا يغير كتبه، فقد لا ترجع إليه في هذا الزمان، ولما نشأت المطابع في أول الأمر لا تستطيع التأشير بالخبر الأحمر ويعتذر أربابها عن قيامها بهذا الغرض، ولكن مع تطوير الصناعات وتقدم العلم بها، استطاعت ذلك وأتت بما ينبغي الإتيان به تعذر الأمر عنه، وفي هذا الزمان جلبت الكتب وطبعت، وكان لها طور عظيم، واستطاعت الأمة

باستخدام المطابع أن توجد كتباً قد لا يتوصل إليها ككتاب الغاية وشرحه مطلب أولي النهى، وكتاب الإنصاف، ومصنف بن أبي شيبة، ومصنف عبدالرزاق، وتفسير بن جرير وتاريخه، وتفسير ابن كثير وتاريخه، البالغ ستة عشرة مجلدة، والمغني في الفقه والكافي في الفقه، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي، وتفسير القاسمي، وتفسير الفخر الرازي، وكشاف الزمخشري، ومن العجائب تيسير قيمتها، فقد بلغت قيمة نيل الأوطار ستين ريالاً، ومسند الإمام أحمد وسير أعلام النبلاء وكتب اللغة ومعجم البلدان، ومجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، وأسد الغابة، والإصابة، ووفيات الأعيان، وتفسير الشوكاني، وشرح السنة للبخاري، وسنن الأقوال والأفعال، وجامع الأصول، والأمهات الست، والمجموع شرح المذهب، وكتاب الأغاني، وصفة الصفوة، ومشكاة المصابيح، وسنن البيهقي، والمقنع والإقناع، ومدارج السالكين، وزاد المعاد، ودلائل النبوة للبيهقي، وتفسير الخازن، وتفسير صديق، ولو ذكرنا بعضها لضاق الوسع، تباع هذه الكتب بقيمة مناسبة، وربما كان بعضها بقيمة زهيدة، وأصبحت موجودة لدى الأفراد، وفي سائر المكاتب بعد أن لم تكن موجودة إلا عند أفذاذ الناس، أو في المكاتب الكبار، وقد انتشرت في هذه الأزمان كتب لا يحصى لها عدد وكثرت طباعتها وخدمت بالتجليد، وانتشرت دواوين الشعراء كابن ربيعة وحسان بن ثابت وأبي تمام وابن هانئ وابن مقرب والمتنبي وديوان الشيخ سليمان بن سحمان وأحمد بن مشرف، وديوان أبي العتاهية، وحافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، وديوان الإمام علي، والشافعي وغيرها، وامتلات رفوف المكاتب، وكنت أذكر أنني طلبت كتاب مدارج السالكين إعارة من أحد مشايخي الكبار لمدة خمسة أيام، فما حصلت عليه، وهذا من مدة ست وخمسين سنة، وفي هذه الآونة قد توفرت أنواع الكتب، والحمد لله وأصبحت السنة الثامنة من أوائل القرن الخامس عشر وما بعدها يضرب الأمثال بها في كثرة الكتب وتيسير حصولها لكل واحد من الأفراد، فضلاً عن مكاتب المعاهد والكيليات والرابطة الإسلامية في مكة المكرمة، والجامعة الإسلامية في المدينة.

أما كتب مكتبة الحرم المكي فإنك لا تكاد تطلب كتاب إلا وهو موجود فيها مع الخدمات للمراجعين والزائرين حديثاً وفقهاً على المذاهب الأربعة، وتاريخاً ولغةً ونحواً، وفرائض وأدباً وحساباً، وقام الكمبيوتر بدوره التقدمي، كما أن جميع الجامعات ممثلة مكاتبها بالكتب، وقد أصبحت الأمة تطلب الفخر في إيجاد الكتب وتوفرها، وقد حدثني أحد العلماء الأفاضل أن مكتبة احتوت على ثلاثمائة ألف كتاب من سائر العلوم، وقد تُرجم القرآن العظيم في سائر اللغات، وإن كان في النفس من ذلك شيء لأن القرآن من اللغة العربية وقول الله عز وجل أنه بلسان عربي مبين، وهذا لسان عربي مبين، ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾، وفي الحديث: «تعلموا العربية وعلموها الناس فإنها لسان الله عز وجل يوم القيامة»، وفي سورة الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، وقال في سورة فصلت: ﴿كَتَبْنَا فَصَّلَتْ أَيْنَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣]، إلى غير ذلك من احترام القرآن، والأمر بحفظه وحراسته إلى أن يرفع إلى السماء في آخر الزمان، وقوله في: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: ٧]، اللهم اجعلنا ثم عبادك العارفين والمهتدين يا رب العالمين.

عود على بدء

قد أشرنا فيما تقدم عن زلزال مصر عام ١٤١٣ هجرية، ونريد أن نقول بياناً: فنقول في الساعة الثالثة ظهراً اهتزت جهة من جهات القاهرة بقدر ستين ثانية، فقامت البيوت تهتز كالأشجار، وأصابتها عاصفة فسقطت البيوت والحيطان، أي تصدعت وجعلت البلوك يتساقط، فسلم من سلم وهلك من هلك، وأصبح ألوف تحت الأنقاض، فهلك في أول وهلة قرابة ثلاثمائة قتيل وأربعة آلاف جريح، وازدحمت الفتيات الدارسات في تلك المدارس، وقفزت فتيات مع النوافذ من الطابق الرابع فحطمت بعضها، وخرجت الأمة من مساكنها إلى الأرصفة لعلهم يسلمون، فما لبثت تلك الأسر إلا قليلاً حتى أصيبت من الجهات المجاورة الأخرى، وحدثت ضجة وبلاء مستطير، ومما ينبغي ذكره أن رجلاً خرج يحمل

ابنته على كتفيه ليلوذ بالفرار وهلكت زوجته تحت الأنقاض، وسقطت عليه وعلى ابنته قطعة فقضت عليهما معاً، وحمل رب أسرة وزوجته وأطفالها فجلسوا على البيت وهو يشاهدون البيت يهتز من الرياح، وقد انهارت عمارة بارتفاع أربعة عشر طابقاً، وكانت كومة من التراب، وهلك من فيها من السكان، وهذا ذهل عن زوجته، وهذا فرّ وترك مسكنه، وتساقطت منارات أحد الجوامع وتهدمت مدارس، وقد توالى الهزات على القاهرة تارة يشعر بها السكان وتارة لا يشعرون.

ففي عشرة أيام مرت على القاهرة حوالي عشر هزات، وقد بعثت التبرعات والمساعدات، فمنها مائة مليون من المملكة السعودية، وثلاثون مليوناً من إمارات الخليج، وعشرون مليون من قطر، وعشرة ملايين من البحرين، وثلاثون مليون من ليبيا، وفي هذا دليل على ما يقدره الله تبارك وتعالى من النقص، فلأن كانت القنابل المدمرة والحروب الطاحنة التي أصابت الصومال والبوسنة والهرسك وبورما لم تصب مصر فقد جاءهم من أمر الله مالا يطاق وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وكانت تلك العمارة الكبرى ذات أربعة عشر طابقاً تسمى عمارة الموت لكثرة من مات تحتها، ولما قاموا بالفؤوس والمعاول لإخراج الجثث لم تجد شيئاً لأنهم اجتنبوا الشولات إبقاءً للهلكى، ثم استعملوها ضرورة، وما زالت الزلازل والهزات تتوالى عليهم يوماً فيوماً، ومن بين هؤلاء الذين انتشلوا رجلاً بعد مضي أربع وعشرين ساعة، فوجدوه حياً.

وفيها في شهر ربيع الثاني جرت مفاوضات بين حافظ الأسد ودولة إسرائيل بشأن الجولان، تطلب سوريا من إسرائيل الانسحاب من الجولان عن طريق السلم، ولكنها كلما توجهت الأمور للحل عرقلت إسرائيل حل المشكلة، ويظهر من السياسة أن إسرائيل تطلب من سوريا أن لا تتدخل في شأن اليهود، ومع أهالي فلسطين في فلسطين ولا في جنوب لبنان، بل إذا تخلت عن الجولان فإن سوريا تترك اليهود وأهالي فلسطين وأهالي لبنان وشأنهم.

ذكر نزاع بين أهل مصر والرئيس حسني مبارك

فنعول عن ذلك: وفي ٢٧/٤ وقع نزاع بين فقراء أهل مصر وبين الرئيس حسني مبارك، بأن الرئيس لم يواسهم في تلك المساعدات الواردة على مصر من الدول الإسلامية ولا سيما فقراء المسلمين المتضررين من جراء الزلازل، وحصلت مظاهرات في مصر استعمال لها الغاز المسيل للدموع، وكان غالب ما وقع من جراء الزلازل في الأماكن القديمة في القاهرة، وكان الإخوان المسلمين من جملة المعارضين على الرئيس في عدم التوزيع، ونسأل الله أن يصلح شأن المسلمين فيما بينهم وبين حكوماتهم، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

ولما أن وقفت الزلازل حساً ومعنى خاف المصريون وثاروا لذلك لأنهم نازحون في السعودية وغيرها يطلبون الرزق، وانبعث رجالهم ونسائهم إلى الهواتف يستفسرون عن سلامة أقربائهم ومساكنهم، ولعل الألفاظ الربانية شملت أولئك عن الهلاك والدمار، وما أصيبت به مصر من سوء الحالة، فمن مستبشر وحزين، ولما أن أضحت البوسنة والهرسك بتلك المهالك، وقام المسلمون مدافعون عن أنفسهم وأهاليهم في الشوارع، وقيل لهم نريد إبعاد رئيس الجمهورية المسلم عزت وإبداله بمن يقوم بالعلمانية لا العلمية الدينية، وتقسم الممالك الإسلامية إلى دويلات علمانية، شق ذلك على المسلمين وجعلوا ينادون ويستغيثون عن رفضهم من هذا الطلب الوجيع، فلما استقاموا، ولكنها صرخة في وادي خالٍ من البشر، وتآزمت الأمور على المسلمين وتحملوا ما لا يطيقون من المظلم والمذابح والمآسي مما تنهد له الجبال الرواسي.

أما عن الصومال وعما أصبحوا من الجوع والقتال بحيث كانوا عظاماً خالية من اللحوم، وهياكل يمشون ولا يستطيعون، فحدث ولا حرج، وهذا سائر المسلمين أصبحوا يطاردون ويقتلون ودين الإسلام يطارده مطاردة لقلة المناصرين،

وكثرة أعدائه من اليهود والنصارى والمجوس الملحدين، فلا مسلم في أفريقيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا وغالب آسيا إلا وهو مضطهد لا يستطيع أن يتنفس الصعداء، وأصيب معظمهم بحروب طاحنة، ولا تستطيع الألسن عن أن تعبر عنها، فقد قدمنا من المآسي ما فيه كفاية.

وفيها في ليلة ١٨ / ٤ أقيم في المسجد الجامع الكبير في مدينة بريدة لحفاظ سنة سيد المرسلين ﷺ حفل كبير قام به مكتب الدعوة والإرشاد ببريدة، ودعي إليه المشايخ والعلماء من الرياض ومكة المشرفة، والمدينة المنورة، وجم غفير من الرس وعنيزة، والخبراء، ورياض الخبراء، والبكيرية وحائل، والمنطقة الشرقية، والمذنب، وعمت الدعوة علماء جاءوا من السودان والمنتدبين من مصر وغيرها، وعلى رأس الحفل أمير المنطقة فيصل بن بندر وأعيان مدينة بريدة، وقد امتلأ المسجد الجامع وغصّ بالحاضرين، وامتلات رحبة المسجد وسطحه، وامتلات الشوارع من كثرة الحاضرين، فكانوا في سائر شوارع المسجد يميناً ويسرة، وشرقاً وغرباً، ومما يجدر بنا ذكره أن يقوم صبي لا يتجاوز عمره السابعة فيجيب على مائتي حديث كان يحفظها عن ظهر قلبه، وقد قام الحاضرون يهتفون بتلك الموهبة التي من الله بها عليه، وقد نال سبعمائة ريال جائزة.

أما بقية الحفاظ فقد نالوا جوائز معنية ونالوا رفعةً وذكرًا حسنًا، وقد حضر لذلك نساء كثيرة في سائر الجهات وإنها لخطوة رائعة وتقدم بفضائل عظيمة وشرف يتسابق إليه الشاب المسلم، فقبل الحفل حفل يقام في هذا المسجد يتنافس فيه المتنافسون من حفاظ القرآن الحكيم، ويقال ثمانون شاباً من حفاظ القرآن جوائز ومكافآت، وكل فرد عشرة آلاف ريال تقديراً لجهودهم، ومكافآت قيمة، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وفي هذا اليوم المذكور تتقدم الدفعة الثانية الذين حفظوا سنة محمد ﷺ فيرى المسلمون ما يسرهم وينعشهم، وكانت تقام مثل هذه الحفلات في مدن المملكة، وقد آتينا ما حضرناه.

افتتاح المعهد البري في القصيم

لما أن كان في آخر يوم الثلاثاء الموافق ٥ / ٢ من هذه السنة قدم سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والمفتش العام لمطار القصيم لهذه المهمة، ومن الغد في الساعة الحادية عشرة اجتمعت الأمة لذلك وحضر المدير المسؤول لفتحه في حفل عظيم أقيمت فيه الخطب والكلمات، وازدهرت المنطقة لذلك المشروع والمبشرة بالقوة والنشاط.

وفيها في مستهل شهر جمادى الأولى ألقى القبض على شباب قتلوا زميلاً لهم، وهذه وصمة عظيمة وجريمة شنيعة، ونحن نوضح ذلك فنقول ذكر وصمة عظيمة وفعلة قبيحة، وذلك بأن كان في منتصف شهر ربيع الثاني ٤ / ١٥ من هذه السنة فقد شاب بين أهله وجيرانه في مدينة بريدة، ولم يوقف له على خبر، ففطّق أهله يبحثون عنه، وأعلنوا في الإذاعات والتلفاز فقده، وبعد مضي نصف شهر لما أجري التحقيق من رجال الأمن عثر على جثته مقتولاً ومحرّقاً بالنار، فتوصلوا إلى أنه خرج به ستة من زملائه شباب فنصبوه وأطلقوا عليه النار من مسدسين بأيديهم، فأصيب برصاصة في كتفه وأخرى في رأسه، فوافاه الله حتفه، وبعد ما قتلوه خرجوا من الغد فحرقوه بالنار ودفنوه، فألقى القبض عليهم وأجري معهم التحقيق، فأقروا وكان القتل وأخفق الله تبارك وتعالى ما كان يسعى بضد هذا القتل ظلماً، نسأل الله العافية، ولما أن أتى بهم واحداً بعد واحد، أقروا وكان الذي تولى كبره منهم شاب، وقد رنّ صدى هذه الجريمة التي لا تكاد تصدر من أناس يؤمنون بالله واليوم الآخر، ولم تجد الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً، ولم يرعوا سطوة الخالق ولا المخلوق، فكان فيه أربعة حقوق: حق الله وحق لولي الأمر، وحق الحكومة، وحق القتل نفسه.

ومنها تقلد الرئاسة الأمريكية في ٥ / ١١ جمادى الأولى من هذه السنة الرئيس الجديد كليتون بعد فوزه بالأغلبية، وزال حكم الرئيس القديم جورج بوش، وقد

فرح صدام حسين واستبشر بذلك، فقد أظهر احتفالاً في مقره في العراق، وقد قيل أنه ذبح من رؤوس الضأن أعداداً، وعيد عيداً في موضعه.

أما عن الرئيس الجديد الأمريكي فقد استهل رئاسته مناصرة اليهود وأنه لا يمكن تركهم هم والعرب بهذه الحالة، كما أنه أبان عن النظر في جعل جمارك على الباخرة الخارجية، والواردات الأوروبية، وكان بذلك يريد تحسين الوضع الاقتصادي بأمريكا، ولقد كان من المعلوم اهتمام أمريكا بأمر اليهود ومناصرتهم وإمدادهم بالأسلحة والأموال الطائلة يتوارثون هذا رئيساً بعد رئيس، ويعتدون بها على العرب في إقليم الشام في فلسطين وبيروت ولبنان، ولأن كان الرئيس حافظ الأسد في سوريا وملحقاتها فإنه لم يحصل على مقصوده في الجولان حتى ٥/١٤ من هذه السنة، وطلب أن يباشر مهمته إلا في السادس عشرة، وترك للرئيس بوش أن يقضي أعماله وينهي تصرفاته إلى آخر العقد، واستمرت الأمور في بورما والبوسنة والهرسك، وفلسطين ولبنان، وأفغانستان وغيرها على حالتها تعطى تدابير الرئيس الجديد هذا، ولا تزال النصارى في تعذيب المسلمين هناك، وبما أن الإمدادات ترد على نصارى الصرب من إخوانهم، فإن المسلمين في البوسنة والهرسك لا يمددهم أحد، ولكنهم يقومون بدفاع مستميت، وقد تصلهم الإمدادات، وقد لا تصلهم، ينادون بطلب الغوث ولكن مع إن الأشد من ذلك صرخة في وادي خالي من البشر، وقد صدق رسول الله ﷺ ما أخبر عنه بقوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة فينا يا رسول الله؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله هيبتكم من قلوب عدوكم ويجعلها في قلوبكم» وبما قيل في شكوى الزمان والحال قصيدة للشيخ علي بن حسين بن الشيخ الإمام وقدة المؤمنين من الأنام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى لما نكبت الدرعية وحل بنجد ما حل بها، نذكر منها قليلاً، وكان يرثى لحالة المسلمين اليوم في بعض الأماكن والأقطار:

خليلي عوجاً عن طريق العواذل بهجور ليلي فابكيا في المنازل

لعل المحذار الدمع يعقب راحة
أرى عبرة غبراء تتبع اختها
تهيج ذكراً للأمور التي جرت
وتسقط من بطن الحوامل حملها
وتخفق رايات الجهاد شهيرة
تبدلت النعما بؤساً وأصبحت
وبث غلاة الدين في الأرض بغيهم
وأقبل قادات الضلالة والردى
إلى أن قال:

وفرعن الأوطان من كان قاطناً
وفرقت شمل كان للخير شاملاً
وساد شرار الخلق في الأرض بعدهم
فأصبحت الأموال فيهم نهائياً
فكم دمروا من مسكن كان أنساً
وكم خربوا من مسجد ومدارس
وكم قطعوا من باسقات نواعم
وكم أهلكوا حرثاً ونسلاً بغيهم
وكم حرفوا من كتب علم وحكمة
وكم هدموا سوراً وقصراً مشيداً
وكم أسروا من حاكم بعد عالم
وكم قتلوا من عصبة الحق فتية
يذودون عن ورد الدنا بتوسم
فما بعدهم والله من داعي له

من الوجد أو يشفي عليل البلابل
على أثر أخرى يستهل بوابل
تشيب النواصي واللحا للأماثل
وتذهل أخيار النساء المكافل
بشرق وغرب يمنة والشمائل
طفأة عتاة ملجأ للأراذل
ورئعت قلوب المؤمنين الغوافل
وساداتها في عسكر وجحافل

تراهم فرادى نحو قطر وساحل
وزالت مولاة المسلمين الأعادل
ودارت رحي للأرذلين الأسافل
وأضحت الأيتام خص الحواصل
وكم خربوا من مربع ومعقل
يقام بها ذكرى الضحى والأصائل
وكم أغلقوا من معمل ومغازل
وكم أيتموا طفلاً بغدر وباطل
وفقه وتوحيد وشرع مسائل
وحصناً حصيناً أو هنوا بالمعاول
وكم زلزلوا من محصنات غوافل
تقاة هداة في الدجا كالمشاعل
ويسعون جهد الاقتناء الفضائل
ولا بعدهم للخير والدين فاعل

وفيها في الوسمي في نوء السماك ١٥ العقرب هطلت أمطار موسمية وهي

المباركة إذا أذن الله بالخير على مكة المكرمة والحوية وعسير، لقد حظيت الباحة وتبوك وأم الهوشات التابعة للمنطقة الشرقية بهطول تلك الأمطار.

زلزال في تركيا

في ١٦/٥ أصيب ما حوالي تركيا بهزة أرضية، فهلك ٢٥ وجرح ٢٠، ونتج عن ذلك صدع في الأرض وخسف، وكانت تركيا تعاني إذ ذاك مشاكل بينها وبين الأكراد ومشاكل أخرى، أما عن مصر وما أصيبت من الزلزال فقد تلاشت عشرة آلاف مدرسة من ثلاثين ألف مدرسة، وقد قامت الحكومة السعودية بترميم ما تهدم من المدارس المصابة وإعادة ما تدمر منها.

العراق والحديث عنه

كان العراق منذ زمن طويل بعد الحرب العالمية الأولى تحت الحماية البريطانية في حكم فيصل بن الحسين الشريف وابنه غازي وابنه فيصل بن غازي، وكانت العراق إذ ذاك في رغد من العيش وطمأنينة في الحياة، وسميت بغداد مدينة السلام، قال الشافعي لعالم من العلماء: رأيت بغداد؟ قال: لا، فقال: لم تر الدنيا، ولما أن ثار عبدالكريم قاسم وحصلت ثورة ١٣٧٧هـ ضد الملوك وقتل فيصل بن غازي ونوري السعيد، تحولت العراق من الملكية إلى جمهورية يرأسها عبدالكريم قاسم، بعدما أريق في دمائها بسبب تلك الثورة، ثم قتل الرئيس عبدالكريم وتولى بعده الرئاسة عبدالسلام محمد عارف، وكان رجلاً مسلماً لم تمهله الليالي حتى هلك بسبب اصطدام طائرته ببعض الجبال من جراء عاصفة رملية، كذا يقولون: ثم تولى بعده الرئاسة محمد عارف، ثم بعده حسن البكري، ثم انتزع الرئاسة منه واغتصب العرش صدام حسين، ولما أن تولى الرئاسة لم يخلد إلى الراحة والسكينة بل أذى جيرانه ونشبت بينه وبين إيران حروب عظيمة أريق بسببها دماء مليون من الطرفين، كان سببها صدام، ولقد خدع ملوك العرب وأمراءها ورؤساءها مدعياً بذلك أنه سيقف في وجه إيران عدوة العرب، واستنزفهم أموالاً عظيمة وسلاحاً لا

يستهان به، واتخذوا له وكان يجني تلك الأموال والأسلحة ويخزنها ليومها المعلوم مدعياً بزعمه أن سيستخدمها أمام تيار سيل إيران الجارف، وأضاف إلى ما استحصله من العرب والخليج أسلحة روسية فعالة، وكانت أسلحة الروس كيماوية، وصواريخ سكود، وبينما كان متظاهر بخدمة العرب والمسلمين وسيكون ضد اليهود إذا هو يقلب ظهر الجمن ويكون في نخور العرب، وصرف ما لديه من المساعدات التي استحصلها منهم، فيوجه ضرباتها إليهم، وقام ضد الخليج والسعودية والكويت الذين أمدوه بما استطاعوا من قوة وصرف أسلحته إلى حربهم، ثم هجم على الكويت لما انطوت سريرته عليه من الخيانة كما قدمنا، وهدم مساكنهم وانتهب أموالهم، وهتك نسائهم، ففرّ من استطاع الفرار وقبض على بقية الأهالي العزل يتعقبهم ويشق بطونهم، وكان الطاغية يعول أن يجعل الكويت ميناء العراق وسلطه الله عليهم بذنوبهم ومعاصيهم، فأصبحوا مشردين ومطرودين، وكان ذلك منذ حقل التجارب في تدمير بقية الخليج، فخابت أمنيته بعدما أعاد على أهل الكويت حرب الصليبيين للأندلس، وسلط الله عليه أمريكا فأقبلت بجدها وحديدها وصواريخها وطائراتها ودباباتها ومدافعها التي لا يستهان بها، فردوه على أعقابهم وساموا العراق وأهله سوء العذاب، وذلك لأن الكويت ليس بلقمة سائغة ولا غضيضة فتلفظ بل إن في الحياض من يذود عنها، وإن الأسد السعودي يفترش ببرائه دون ذلك الحمى، وأصبح حقل التجارب الذي منى به نفسه ثعلب العراق فاشلاً وخائباً، وها هو قد وقع في الحفرة وأحاط به بغيه وأصبح معكوس المراد، وهكذا كل مغفل مجنون لا يفكر في عواقب الأمور، وكان مشؤوماً على نفسه وعلى قومه الذين استخفهم، ودخلت عليه أمريكا في عقر داره ودمرت أسلحته تدميراً شاملاً.

وأصبح العراق بعدما كان زهرة البلاد بحالة يرثى لها جوعاً وفقراً وأمراضاً، تتهدم البيوت أطلالاً ودمر القصر الجمهوري العراقي، وفرّ السكان مشردين، وانقسمت العراق إلى أقسام قسم ضد الطاغية وقسم يحاربونه وقسم مشردين،

وقسم هلكوا جوعاً، وفي ذلك عبرة لمن يخشى، وبما أن روسيا سقطت وكانت فرنسا وبريطانيا حلفاء لأمريكا فإن الطاغية لم يجد ولياً ولا نصيراً، وفي كل وقت تنزل قوات التفتيش الأمريكية على العراق تفتش أسلحته وتدمرها بالرغم من كونه يخفيها في المزارع فإن الأقمار الصناعية تهتدي إليها.

هطول أمطار على القصيم

لما كان في ١٨، ١٩، ٢٠ من جمادى الأولى هطلت أمطار على القصيم وكان ذلك في ١٢، ١٣، ١٤ من تشرين الثاني نوفمبر عام ١٩٩٢م واختصت مدينة بريدة بزيادة هطول الأمطار بحيث تعطلت حركة المرور في شوارعها الرسمية، جعلها الله أمطار خير وبركة، وقد نزل أمر ملكي قبل ذلك بإقامة صلاة الاستسقاء في سائر أنحاء المملكة لأن الرياض والدمام لم تحض بالأمطار، ولتعم دعوة المسلمين.

وفيها في ٥/٢٢ هب إعصار في الهند حصل فيه فيضانات سببت دمار قرية بأكملها هناك، وتضرر بسببه أيضاً ثلاثة قرى أخرى يضاف إلى ذلك هطول أمطار في الهند، وقد أصيب بسببه أنفس بشرية، ونقص معنوي في الأموال، وقد كان الأهالي هناك يعيشون في ضيق العيش، وقد حدثني من زار الهند في طلب عمال أن الهند كادت أن تضيق بالسكان، وأنه رأى بعض الأسر يطرحون البطانيات على الشجر ويجلسون تحتها، وكان مما يخفف شدة الوطأة عنها أن الدول يجلبون العمال منها للبناء و كسائقي سيارات وحراس بساتين، ويذهبون بمنة ويسرة يكسبون القوت لعوائلهم حتى قيل أن المملكة العربية السعودية تضم حتى حال وضع هذه الكلمات لا يقلون عن ثلاثة ملايين استقدموا للخدمة ينفعون ويتفعون، وغالبهم كهول عليهم آثار الفقر والمسكنة.

وكان خطباء جوامع المملكة السعودية ووعاظها ينادون لما جبلوا عليه من الرحمة والعطف على الفقراء بالإحسان إليهم، وأن لا يكلفوا من الأعمال مالا يطيقون.

أخبار حول الرئيس الجديد في أمريكا

لما فاز الرئيس الجديد في أمريكا بيل كلينتون وفاز بانتخابه رئيساً وذلك في ١١/٥ الموافق ليوم الخميس ٥ نوفمبر تشرين الثاني طلب أن لا يعمل إلا في ١ يناير ١٩٩٣م، كانت الأمة تتوقع أعمال هذا الرئيس الجديد وتترقب هذا الناشئ في الأفق برعوده وبروقه، وحق لليبيا أن تتغير حساسية أمريكا نحوها بحيث وضعت عليها قبل ذلك عقوبات اقتصادية وضيق عليها الخناق بسبب تفجير باخرة أمريكية قام بهذا العلم رجلان من ليبيا فلم تسلمهما ليبيا للتحقيق، والعقوبات وعجب لذلك أهل العزة والأنتفة وكيف تعاقب ليبيا بهذا العمل البسيط وترك الصرب يبطش بالمسلمين في البوسنة والهرسك وتسومهم سوء العذاب، ولم يتحرك لذلك بنت شفة لا من أمريكا ولا فرنسا ولا بريطانيا فيقوم الصربيون بمشاهدة النصاري يذبجون سكان البوسنة والهرسك كما تذبح الشاة من بهيمة الأنعام، ولا يرحم النصاري شيخاً كبير ولا طفلاً ولا ضعيفاً، بل قد توصلت الأحوال إلى أن تشق بطون الحوامل ويخرج بأجنتها ويجعل مكان الجنين جرو كلب أو خنزير، وهذا بهتان عظيم، وتقطع ثدي النساء بعد هتك أعراضها ويسامون سوء العذاب بعد هدم معابد المسلمين ومساجدهم وقتل الأئمة والمؤذنين في محاريب المساجد وعلى أبوابها، وتدنيس ما تهدم بدمائهم كما فعل بالعراق وأصبح أهلوها كبش الفداء من أعمال رئيسها الذي جرّ عليهم البلاء، ولم يستأصل شفته ويقضي عليه حتى أصبح العراق بهذا الوضع السيء، وتقطعوا أمرهم بينهم شيعاً وأحزاباً فأصبحت دولة عربية مسلمة يسومها رئيسها سوء العذاب، ورجوا خيراً من هذا الرئيس الجديد في أمريكا خيراً .

وسقطت روسيا وهي الدولة العظيمة الثانية من دول العالم، كما كانت الصومال بهذا الوضع السيئ ستان تمرّ بهم وهم يتناحرون ويتقاتلون حتى هلكوا جوعاً وتركوا عراة وشرد بعضهم، وقد قدمنا ما فيه كفاية، وقد شهد بعض المسلمين بأن البوسنة والهرسك وما في معيتهم أنه قاموا قبل حلول البلاء عليهم من

العرب يصيحون لإخوانهم المسلمين ويعرضون بطلب النجدة والقوات عما أحاط بهم من البلاء، وما يتوقعون من أعداء الله وأعدائهم، فلم يجدوا منجداً ولا نصيراً حتى أصيبوا بتلك الكوارث ولأعمال القتل الجماعي.

كما أن الإسلام بأفغانستان أمسى كثيباً من أعدائه، وكلما قام المسلمون هناك بمدافعة الشر إذا قد يحيط بهم بلاء أكبر.

وكذلك بورما وما أصيب به المسلمون فيها وما عومل به أهالي كشمير من أذى الهندوس الذين تخلوا من الدين والشرف، وفعلوا بالمسلمين ما فعلوا، فعياذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وقد قبض في بعض الممالك الإسلامية التي تنتمي على الإسلام على جميع من له لحية من الرجال فأودعوا غيابات السجون، وكانت النتيجة من ذلك أن من كان متمسكاً بهدي الرسول ﷺ فإنه يخشى من شره، وكانت النصارى في يوغسلافيا ينادون بمكبرات الصوت: اقتلوا كلاب محمد، وينادي اليهود بفلسطين ولبنان بهذه العبارة: هات المشمش والتفاح دين محمد قد مات، ويتنادى بعضهم بهذه العبارة: محمد مات مات ما خلف غير البنات.

ذكر حركة في باكستان

لما أن كان في ٢٠ جمادى الأولى من هذه السنة قامت بنازير بوتو رئيسة الوزراء السابقة بثورة ضد الحكومة تريد الاستيلاء على باكستان، وكان لها أنصار وشعبية أيدوها، وتنفست إيران الصعداء فكانت تهاجم مصر في مضايقة الإخوان المسلمين كما أنها جعلت تتدخل في أمور لا تعنيها، وكانت بذلك تتظاهر في نصرة الإسلام وتأييد العدالة، ولم يخفَ على مصر ما تبينه إيران لدول الخليج.

ولما أن قامت بنازير الرئيس في باكستان تريد هذه المرة اغتصاب عرش باكستان وقد آنست أن الجو خلى لها، وقد استغواها أناس من الأعداء، فيما أنها مكروهة هناك، وقد قامت فيما سبق بتعذيب المسلمين، وقامت الحكومة الحالية دون إرادتها واستعدت بصدها والحيلولة بينها وبين ما تريد.

وفيها هبّ إعصار شديد على المحيط الهادي بحيث علت الأمواج، ونتج عن ذلك أضرار في الممتلكات، وذلك في يوم الجمعة ١٧ جمادى الثانية يوافق ١١ ديسمبر عشرين القوس، وقد هلك جمع من الأحياء والأنفس البشرية.

وفيها في ١٥ جمادى الثانية ارتكمت سحب في جو حفر الباطن وهطلت أمطار، واشتد البرد في اليوم نفسه، واليومين قبله، هذا وقد توالى الجفاف وقلة الأمطار على مدينة الرياض إلى اليوم الثامن عشر من جمادى الآخرة في ٢١ من برج القوس ١٢ ديسمبر ١٩٩٢م، والله تمام الحكمة والتدبير.

زلزال يصيب إندونيسيا

لما كان في ١٨ جمادى الآخرة أصيبت إندونيسيا بزلزال هز جهة منها، فأصيبت مئات وانجرح آخرون وقد أحصي عدد الهلكى فبلغوا ألفاً وثمانمائة وتسعين قتيلاً قد انتشلت جثثهم بعد الهلاك والدمار، ولا تزال فرق الانتشال في طلبهم وقد دوت الأخبار والأنباء بخبر هذه الفادحة، هذا ولا تزال بقية المسلمين في البوسنة والهرسك يدافعون هجمات الصرب النصارى، وقد بلغ عدد السجناء المسلمين في معتقلات العدو يسومونهم سوء العذاب والإهانة خمسة وتسعين ألف مسلم يكابدون أنواع التعذيبات والإهانة، ولم يجدوا ولياً ولا مناصراً، نسأل الله أن ينصر المسلمين على أعدائهم أنه على كل شيء قدير، وقد حمل المسلمون المدافعون على الصرب فيصيبون منهم، ولكن كيف يصنع بطائرات الصرب ومدافعهم الثقيلة، وما تم للمسلمين من مناصرة، وقد يتسلل أفراد من سائر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لنصرة البوسنة والهرسك.

ذكر جلاء بعض الفلسطينيين

لما كان في يوم الخميس ٦/٢٣ من هذه السنة صدرت الإرادة الصهيونية عن إسحاق راين بإجلاء أربعمائة شاب فلسطيني إلى جنوب لبنان وطردهم خارج منازلهم، ولما أن أرادوا دخول لبنان مانعت حكومة لبنان من قبولهم فاصبحوا

مشردين لا في ديارهم ولا في الجهة التي ذهبوا إليها، بل كانت الأرض فراشهم والسماء غطائهم وذلك بسبب قتل جندي يهودي، ولما أن صدر هذا الأمر قامت الحكومات العربية والإسلامية تطالب بإلغاء صدور هذا الأمر الشنيع، وبعث بعض الأجواد إلى أولئك المشردين بطايات وبعض الفرش.

ذكر وصمة عظيمة

لما أن كان في أحد أيام جمادى الثانية من العشر الأخيرة عام ١٤١٣ قام الهندوس في الهند بهدم مسجد كبير للمسلمين فهدموه حتى ساووه بالأرض، وجعلوا مكانه معبد لهم فيه صنم فضح المسلمون لهذا الفعل الشنيع وتتابعت الأصوات تستنكر لهذا العمل الإجرامي، وكان هذا المسجد قديم البناء، وفي المدة الماضية كانت أولئك الكفرة يحاولون هده، ولكنهم لم يتمكنوا إلا من في هذه السنة لما صفى لهم الجو، وخلت تلك الأماكن من أسد العرين التي تدافع عن كيان المسلمين ومساجدهم، ولما أن أرادوا ذلك قامت المحكمة الكبرى في الهند وأصدرت أحكامها في المنع من ذلك، ولكن أعداء الله لم ينتهوا ونفذوا أعمالهم القبيحة ضد الإسلام وكأنهم لما قتلوا المسلمين في بلد كشمير وفعلوا بهم مالا يسمع وتنكره الفطرة والأديان، واهتز لسماعه العاقلين، ولم يجدوا ناهياً ولا رادعاً، وأصبح مجلس الأمن بحالة ضد اسمه رأوا أن الجو خلا لهم فليفعلوا ما شاءوا، وعجز مليون مسلم وزيادة في الهند عن الدفاع عن الإسلام وأهل الإسلام وبيوت الله التي أمر الله أن ترفع ولا تهدم، كما قيل خلالك الجو فايضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري، غير أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها قاموا ضد هذا العمل فتراجعت الحكومة الهندية وعزموا على بنائه وإعادةه فالحمد لله على نصر دينه، ولقد جرت في اليمن فوضى وأهرقت الدماء وقتل عشرات من السكان، وجرح مئات وهلكوا جوعاً، وذلك لأنه لما ساءت أحوال الحكومة، ورجع ما يزيد عن مليونين كانوا يعملون في السعودية لسوء تصرفات حكومتهم لحقتهم المسائب

والجوع والإملاق، وسلط الله بعضهم على بعض فأصبحوا بحالة يرثى لها ذلك بأنه غرهم الغرور رئيس العراق سؤل لهم وأملى لهم ولم ينفعهم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ ذَرَيْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦]، يكفي من ذلك ما جرى منه على أهل العراق وظلمه للأبرياء وإراقة الدماء، حتى أمسى العراق حديثاً للأمة في المآسي والجوع والفقر، تشتت شمله حتى انقسم إلى أحزاب وثورات، وعجز المجنون عن إصلاح نفسه، فكيف يصلح غيره.

جلسة في مجلس التعاون

لما أن كان في عصر اليوم السابع وعشرين من شهر جمادى الآخرة عقدت جلسة في الإمارات العربية بأبي ظبي دعا إليها رؤساء أعضاء المجلس حضراها رؤساء وملوك العرب، ودعى لها الملك فهد بن عبدالعزيز ممثلاً وفود مملكته، وحضر خليفة بن حمد بن ثاني، وحسني مبارك رئيس الجمهورية المصرية، وقد كان قام في السعي بالصلح بين السعودية وقطر من جهة الحدود بينهما، وذلك لأن ولي العهد في الحكومة القطرية قام بإيعاز من والده خليفة بن حمد فتجاوزوا الحدود، ولما رأوا ابتلاء السعودية بحرب صدام ليتجهزوا الفرصة ولتقدموا إلى السعودية، فقامت السعودية وردتها بالقوة على أعقابها خشية سوء العلاقات بين الحكومتين، فسعى حسني مبارك بالصلح وعادت الأمور إلى مجاريها بعدما قامت الحكومة القطرية تسعى بالانشقاق عن مجلس التعاون، فنجحت المساعي وأقيم احتفال في أبو ظبي وكنت أظن أن الأمير حليف ممن استغواهم صدام حسين ولكنه رجع عن غيه لما فشلت مساعيه، وعادت الحدود على وضعها، وقد أقيمت حفلة في الإمارات العربية وتصدر المجلس رئيس الإمارات هناك زايد بن سلطان آل نهيان،

فألقيت الخطب والكلمات وحصلت رنة فرح وسرور بهذه المناسبة، وكان ملك السعودية قد أقام ولي العهد سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بالنيابة عنه في تدبير المملكة رسمياً في حال غيابه عن المملكة.

وفيها في ٣ رجب هطلت أمطار على مدينة الرياض وتراكت سحب على القصيم وأمست السماء تمطر ثلجاً على القصيم من شدة البرد، واستمر الغطاء عن الشمس مع شدة البرد، وهبت رياح شمالية شرقية.

هذا وأربعمائة وسبعة عشر فلسطينياً مشردين عن فلسطين إلى لبنان ولم تقبلهم الحكومة اللبنانية فأمسوا بلا مأوى يكابدون مرارة الحياة وآلام البرد هناك، وقد عقد مؤتمر في مدينة القاهرة من خمس حكومات للنظر في إخراج اليهود أولئك البؤساء الذين أمست الأرض فراشهم والسماء غطاؤهم في ذلك البرد المهلك، وكان ذلك في ٢٦ ديسمبر سادس الجدي.

زلزال في إندونيسيا لما كان في صباح ٤ رجب، فأصيبت إندونيسيا بزلزال عنيف اهتزت له بقوة ١, ٦ واستمر ذلك الزلزال لفترة.

وفيها وقعت هزات وزلازل في شمال تركيا، وذلك في ٥ رجب من هذه السنة.

ذكر ما جرى من الحوادث

وفاة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله وعفى عنه، وذلك في يوم الثلاثاء ٥ رجب من هذه السنة، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، حمود بن عبدالله التويجري، ولد في عام ١٣٣٤هـ في مدينة الجمعة، وحفظ القرآن الكريم قبل أن يتجاوز الحادية عشرة من عمره، ثم بعد ذلك لازم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري واستمسك به، ودرس عليه في سائر العلوم، ولما تعين الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضياً للمجموعة، أخذ القراءة عليه، كما أخذ عن الشيخ سليمان بن حمدان، وكان له مؤلفات راقية انتصر فيها للإسلام ورد على أهل البدع جزاه الله خيراً،

وله الرسالة البديعة في الرد على أهل المجلة الخليجية وغيره، وله ردود حسنة رد بها على المنحرفين، وكان في أيام شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تنشر كتبه لثقة الشيخ محمد بن إبراهيم به، وهذه بعض من مؤلفاته فمنها:

الصواعق الشديدة أبطل فيها مزاعم الصوفاء، ومنها رده على أبي تراب الظاهري، وفيها إبطال التكبير الجماعي يوم عيد الفطر وعيد النحر، ورده كتاب الصارم المشهور في تحريم السفور، دحض فيه مزاعم الذين أباحوا السفور، كتاب الانتصار للنبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، وقد أبطل ما انتحله عبدالله بن سعد في نسبية الرسول ﷺ إلى أنهم أعراب جفاة، كتاب إتحاف الجماعة جزءان أتى فيه بأشراط الساعة وإماراتها، كتاب إثبات علو الله ومباينته لخلقه أبطل فيه مزاعم من قال إن الله مع خلقه بذاته، وأدحض باطله وبرأ جانب العلي العظيم من هذه التوهّمات الساقطة فيما أن القائل بهذه المقالة الخاطئة الساقطة يشار إليه بالأصابع فإنه لا يؤبه لباطله، وله كتاب في صحة خروج المهدي في آخر الزمان ووضح الحق ولم تأخذه في الله لومة لائم، وله كتب مفيدة طبعت وظهر للأمة أنها أتت بالحق وقذف يد الباطل فأصبحت نبراساً يستضاء به للأمة، فجزاه الله خيراً، وكان من المنحرفين من يستقل كلامه لخبثهم وضلالهم، وهو ثاني الرجلين المدافعين عن الإسلام وأهله أحدهما الشيخ سليمان بن سحمان، والآخر حمود بن عبدالله التويجري، اجتمعت به مرة في بيته في الرياض فأهداني شيئاً من مؤلفاته وأعجبتني أقواله وأفعاله، كان ربعةً من الرجال وعليه سيماء التواضع والصالحين.

وفيها في ١٦ رجب أصيبت بنغلادش بإعصار اجتاحتها، فقد هلك أربعون وتضرر ألوف.

وفيها في اليوم المذكور هطلت أمطار على المكسيك، ولغزارتها حصل فيضان تضرر من جرائه السكان، هلك بسببه خمسة وأربعون، وأصيبت منازل، وشردت خلائق لذلك.

وفيها كثرت المساعدات التي بعثت للصومال للذين أهلكهم الجوع والعري،

ولا سيما في فصل الشتاء، وسلط الله بعضهم على بعض يتناحرون، فأريقَت الدماء هناك وعجزت الأنس والجن عن تسكين تلك الحروب فيها، وإذا جاءتهم المساعدات تحطفها القوي وضاع الضعيف، وهناك ترسل إليها مواد الغذاء يومياً، وقدم إليها مندوبو الدول الكبار والصغار لتسكين تلك الفتنة الثائرة فيما بينهم وأسبابها عظيمان فيها يتنازعان الرئاسة، ولكل واحد منهما أنصار وأعوان، فأصبحت تلك المملكة العظيمة قابعة بשרالبلاء المستطير، وقد تكون لكل زعيم منهما أنصار يمدونها بالسلاح والقوة، ولا تخلو هذه المسألة من دسيسة ضد الإسلام فيها، لأن دين الإسلام أصبح يلاحق ملاحقة لإبادة أهله، ولا يزال اليهود والنصارى جادين في هذا السبيل، ولقد توسطت الوفود وبذلوا جهوداً لوضع الصلح حتى تقدمت الأمم المتحدة لقبض السلاح المتداول لهم لعل الحرب تتوقف وتضع أوزارها، ومن الدليل على خيانة النصارى وما تبيته للمسلمين، إن الفتنة التي ثارت بين الصرب والبوسنة والهرسك كلما أوشكت على الانتهاء إذا بفرنسا والإنكليز يقفلون الطاولة لعل نصارى الصرب يبيدون المسلمين، فلسان حالهم يقول أمدوا النصارى واطلبوا الوقت لقتل المسلمين، فمن العجائب أن سيل المساعدات مستمرة للنصارى وممنوعة عند المسلمين.

فيها قد قام الهندوس وهدموا أكبر مسجد في الهند ليحترشوا بالمسلمين حتى قام المسلمون يدافعون عن الآثار الإسلامية يشتبكون معهم بقتال، وتكون النصره للكفار لتخلي الله تبارك وتعالى عن نصره المسلمين وخذلانهم، والله تمام الحكمة.

وفيها قد قام الصرب وانتهكوا عرض خمسمائة وعشرين ألفاً من نساء المسلمين، وربما شقوا بطون الحوامل وأخرجوا أجنتها من أرحامها وجعلوا فيها جراء الكلاب وخاطوا الأرحام عليها، وقتلوا المسلمين وصوروا الصليب بالدم وجعلوه في صدور المسلمين، وغير ذلك مما تأنف الأسماع عنه وتقشعر منه الجلود وتنكره الفطر، وتدمى فيه أفئدة المؤمنين وذلك بمسمع وعلم من بقية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وخلت من مناصرٍ من غيرة على ما

يصنعه النصرارى وينادون: اقتلوا كلاب محمد، ويمكن أن هذا البلاء لم يسبق له نظير في الأمم السابقة مما يندى له الجبين وتقرح الأكباد ويوجع القلوب، وهذا مصداق ما أخبر به خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى في قوله: «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة» فهؤلاء المسلمون يقتلون في الهند والصومال وأنغولا والبوسنة والهرسك، وفي بعض الممالك العربية، أضف إلى ذلك أعمال الصهاينة في فلسطين ولبنان، مما أصبح به الإسلام شماتة للأعداء، وقد يقتل المسلمون في الجزائر وتونس وغيرها بتهم تتفق عليهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون، أضف إلى ذلك ما فعله العراقيون بسكان الكويت حينما هجموا عليه عام ١٤١١هـ من تنقيب أعينهم وحصدتهم بالرشاشات وتهتكهم أعراض النساء بين أزواجهن وأوليائهن، فخرجوا ممن يهمهم الأمر من المسلمين أن ينتقموا لأولئك المسلمين المغلوبين المضطهدين في سائر المعمورة، وتقضي على تلك الأفعال التي تدمي الأكباد وتعذب القلوب بسماعها وقديماً قيل أمور تضحك السفه ويكي العاقل منها.

وفيهما أي في هذه السنة أعاد الله على مدينة الرياض من فضله ورحمته فتوالى هطول الأمطار في يوم الجمعة ١٥ رجب ١٨ الجدي إلى يوم الاثنين أي أربعة أيام، واستمر نزول الأمطار عليها كما أن مدينة حفر الباطن توالى عليها هطول الأمطار مما عجزت سيارات الوايتات عن نقل المياه من الشوارع، وقد أوجدت الكمأة فيها، وبيعت بأثمان باهظة، وقد كثر الكلاء والعشب الكثير في القصيم.

صدمة نفسية ووقفة

قد تقدم ما فعلته الهندوس بمسلمي كشمير وما فعلته النصرارى بالبوسنة والهرسك والمسلمين، هناك ولما أن شقوا بطون الحوامل وأخرجوا أجنحتها وجعلوا مكانها جراء كلام وخنازير، ووضعوا الحجارة الثقيلة بمذاكير مسلمي كشمير يجرونها، وأجبروهم على شرب بولهم ومصرّ منيهم، وهلكوا وهم عراة بعد

ضرب بيوتهم ومساكنهم بالقنابل المدمرة القنابل العنقودية، وقنابل النابالم، والقنابل الحارقة، وعبثوا بنسائهم بهتكهن وتقطيع ثديهن، وغير ذلك من الأمور اللاإنسانية، وهذا بمسمع من إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ولم تنبث جارحة لنصرتهم، ولم تنبض القلوب لهذا العمل الإجرامي مما تمسك عنه أسماع المؤمنين وتنكره فطر العالمين، وتقشعر منه الجلود، وتنبث منه الدموع على الخدود، ويشيب منه المولود، ولم يوجد من أمثاله من مئات السنين فيشمت كل عدو للإسلام والمسلمين بتلك الأفعال الساقطة الرذيلة، ولو يستطيع اللسان أن ينطق لباح بتلك الأهوال التي جرت في القرن الخامس عشر من الهجرة النبوية وحوادثه المؤلمة، وهذه ملقاة على أعناق المسلمين القادرين والمتخلين عن نصرتهم والشد من أزهرهم، فخذ ما شئت من تلك المخازي والأمور التي لا تبشر بالخير، بل هي وصمة في وجه الإسلام والمسلمين وابتلاء وامتحان للمؤمنين إلى يوم الدين، اللهم كما منعت النصر عن أولئك المعذبين في الحياة فامنحهم الفوز برضوانك في دار النعيم والمقيم، ودار المقرنين.

وفيها في ليلة يوم الأربعاء عشرين زحف من هذه السنة فيلق من أمريكا وقوات الحلفاء البريطانية الفرنسية فبعثت طائرة على العراق لإنذارها عن الاعتداء على الكويت، وعدم التزامها بالشروط التي بينها وبين أمريكا، وتمردها، فضربتها بالقنابل وراجحات الصواريخ فاستسلمت العراق بعد غطرتها، ولم تبد أي مقاومة لما كانت تعرفه عن هؤلاء الحلفاء، فأصبحت قواعد للصواريخ وقتلت سبع ضباط لها في البصرة، وهدمت بيوتاً، وعند ذلك خضعت العراق بقيادة رئيسها صدام حسين وأعطتها أمريكا درساً يقيم عجرفتها وغطرتها، وكانت مدة الضرب ساعة وخمسين دقيقة، وكانت قبل ذلك تهدد وتوعد، فما كان إلا ساعات قليلة حتى آبت بالخيبة والندامة والفشل، وقررت أمريكا أن لها فيها عودة بعد عودة إذا لم تخضع لأوامرها وشروطها التي منها الكف عن الكويت، وأن يقدم رجال أمريكا على الدوام يفتشون أسلحة العراق ويدمرونها، وقد تظاهرت

العراق القوة وأعلنت بأنها لم تصب بهذه الغارة إلا بنزر يسير من قواتها وممتلكاتها، والصحيح أن القوات المتحالفة دمرت بهذه الغارة ثمانين بالمئة من قوات العراق ولكنها جعلت أبواق تزويرات العراق بأنها صامدة وتهنئ الرئيس المزعوم صدام بالظفر والنصر، ولقد تأثرت الكويت وضاعت مصارفها في الأيام الثلاثة التي كانت قبل ضربها، ولكن الأمور رجعت بعد ضرب العراق للمرة الأولى على مجاريها واستمرت الأعمال في سيرها، وقد وصفت بريطانيا صدام بأنه ليس بحكيم ولا بعقري، وإنما هو مغرور بخداع أتباعه الذين استغواهم بجهله وغروره، ولا يزال العقلاء يضحكون منهم فعندما قرروا أن لا صلاح للعراق ما دام صدام هو رئيسها.

زلزال يصيب اليابان

أصيبت اليابان بزلزال في ٧/٢٣ بلغ سبع درجات ونصف، وقد قرر الخبراء أنه أكبر زلزال يصيب اليابان منذ أحد عشر عاماً فكانت أربعة قتلى وثلاثمائة جريح وستين جريحاً.

رجعنا إلى ذكر العراق وما أوقعهم رئيسهم فيه من المتاعب والمآسي، فقد أنزلت أمريكا وحلفاؤها مهماتها في الحدود بين الكويت والعراق يعملون مناورات، وأنذرت أمريكا عقوبة العراق إذا لم تسمح العراق بنزول الطائرات الأمريكية بأراضي العراق للقبض على أسلحة العراق وإبادتها، فأذعنت العراق وسلمت مرغمة قبل نهاية الإنذار بنصف ساعة، وذلك لتعلم العراق الدرس، وكانت العراق تتظاهر بأن الغارة الأمريكية لم يقع منها ما يتوقع حدوثه، وهذا شيء من التحدي، إلا أن أمريكا لم تبين مهمتها بصورة قطعية عن الغارة على العراق، وقد ذكرنا الزلزال الواقع في اليابان وما نجم عنه بحيث تكسرت جسور وتهدمت منازل وانقطعت الطرق، فعياذاً بالله من بطشه ونقمته.

وفيها في ٨/٢١ انفجر بركان الفلين فهلك بسببه خمسون مواطناً وشرد

خمسون ألفاً على بعد عشرات الكيلو مترات، وقد قامت الحكومة بتشريدهم خوفاً عليهم من هذه الداهية فارتفع الجو سحابة سوداء من آثار الدخان في السماء، وقد تكرر انفجار ذلك البركان، وكان تقذف حجارة ترتفع في الجو وتصيب من حواليه، أما عن العراق فإنه لما تولى الرئيس كليتون تنفس صدام حسين الصعداء وجعل يتودد إلى الرئيس الجديد، ولما أن تنفس الصعداء رأى أن سياسة كليتون مثل سياسة الرئيس السابق بوش، فأظهر التعاضم ورأى أنه لا بد من المقاومة، فأطلقت أمريكا عليه سبعين صاروخاً من البحر الأحمر ومن مياه الخليج فدمرت تلك الصواريخ ما في منطقة القتال بين العراق والكويت، وأصاب صواريخه وقضت عليها، وأصاب الرادار العراقي وأصيب فندق في العراق بتدمير دورين منه، وبعد ذلك خضع مرغماً وسمح لقوات الحلفاء بالتفتيش عن أسلحة الخائن وهو يتجرع غصص الحياة، وكانت أمريكا تريد بذلك أن تحصد شوكته، على رغم أنفه، ولقد طلب حسين الصلات بينه وبين فرنسا فلم تجبه كما أنه طلب من بريطانيا فلم تسمع منه وكان يتسلل إلى العراق من إيران أناس مخربون، ولكنه بعث إلى إيران يتهدد قبل نشوب الحرب بينهما، وكما أن تركيا تسرب إلى العراق أناس منها إلى شرقي العراق بقيادة، قد انقطعت يداه من كل تسعين ومعين، وهكذا فإن فرس الباغي عثور.

وفيها هب إعصار في بنغلادش نجم عنها تلف مئات الأرواح هناك وتشريد عشرين ألفاً، وذلك في الصباح الباكر من يوم ٨/٢٩ وقد تضرر السكان وانهدم بعض الجسور، وكانت سرعته شديدة.

وفيها اندلعت ثورة في أنغولا وذلك في ٨/١٥ فقتل بسببها في شهر واحد عشرون ألفاً وشرد مليون من السكان، ولا تزال نيران تلك الفتنة مستعرة.

كما أن الصومال لا تزال حتى ٩/٥ من هذه السنة.

كثر الكلاء والعشب في منطقة القصيم وتوالت هطول الأمطار عليها، وكثرت الكمأة والأقط، وخرج الجراد في المملكة العربية السعودية فبلغت هذه الأشياء

بقيمة باهظة، وبعد المدة بالجراد أقبلوا على شرائه كما أنه في بقية يومين من العقر الثالثة توالى هطول الأمار وكثر، سبحان القادر على كل شيء، ولقد تراكت السحب على فضاء منطقة القصيم بحيث توالى هطول الأمطار أربعين ساعة لم يتوقف المطر، وكان ذلك من دون رعود ولا بروق.

ولما أن كان في ١١ / ١٠ من هذه السنة ١٤ من برج الحمل توالى هطول الأمطار برعود وبروق على سائر القصيم والزلفي والمجمعة وسائر سدير بحيث كان الناشئ ينشأ في وقت صلاة العصر من كل يوم بظلمة وصفرة، واستمر كذلك سبعة أيام، وقد يكثر هطول الأمطار بحيث تعطلت حركة المرور وامتلات البرك وكثر العشب بصورة لا تبلغها العبارة، وكثر الأقط والسمن وظهر الجراد وبيع بأثمان باهظة بحيث بيع الكيس بأربعمائة ريال، ومن العجائب أن حبات الكمأة بلغ بعضها خمس كيلو غرام وبيعت حبات بألفي ريال، وبهذه القيمة الباهظة فإن الأمة يسارعون إلى الشراء ويتسابقون، وبلغ كيلو السمن في مدينة حفر الباطن بمائة ريال، وبلغت قيمة السمن الطيب مائة ريال وثلاثين ريال أعني كيلو غرام، وحدثني بعض أهالي مدينة الحفر بذلك.

المسلمون يعذبون في مشارق الأرض ومغاربها وقد ذكرنا ما يلاقي المسلمون في البوسنة والهرسك وكشمير من أذية النصارى وكفار الهندوس في الهند وسائر أفريقيا، ووصلهم البلاء والتعذيب في مصر فقد قام أعداء الإسلام هناك بادعاءات بأن هناك أناساً مسلمين متطرفين لا يخلقون لحاهم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، نعم هذه حالة الرسل وأتباعهم، فجد الأعداء في طلب المسلمين والزمومهم بخلق لحاهم، وإن من وجدت له لحية فهو ضد الثقافة والإسلام، وقتل من قتل وأجريت أعمال شاقة على المسلمين الآخرين، وإنها لحالة سيئة وبادرة سيئة، نسأل الله العافية، ولقد جد اليهود والنصارى في تضليل الأمة الإسلامية وألصقوا بهم التهم، وعذب المسلمون وابتلوا في أفريقيا والهند والسند وغالب الممالك التي أحاط بها الكفار ومن والاهم، وأصبح دين الإسلام يلاحق ملاحقة، ولقد كانت المملكة

العربية السعودية مأوى لكل من يصل إليها لطلب الراحة من المسلمين في سائر المعمورة، نسأل الله تعالى أن يثبت حكامها ورؤسائها على دين نبيهم محمد ﷺ وملة أبيه إبراهيم عليه السلام.

وفيها في ١١/٣ أصيب حي العمال بلندن بانفجار عنيف من آثار قنبلة سبب ذلك خسائر فادحة في الأموال المادية بحيث تلف ما لا يقل عن مائة مليون، وهلك رجل وجرح مائة نقلوا إلى المستشفيات.

وفيها في ١١/٤ هب إعصار في أمريكا دمر مائة منزل هذا ما أذاعته الإذاعات، ويظهر أن الأمر أشد من ذلك.

وفيها في ١١/١٥ قتل رئيس سيرلنكا بعبوات فجرها شاب في الرابعة عشرة من عمره جاءه وفجر به العبوة فتمزق لحم الرئيس، ولم يسلم الشاب بل عمته المتفجرات فهلك كما هلك الرئيس، وكان الشاب قد جاء على دراجة سيكل متدرباً بأنه يحبه ويستقبله ثم ينفذ تلك الخطة فيه.

وفيها هبت رياح في واشنطن مصحوبة برعود فكسرت الأشجار، فأصيب شخص فيها فقتلته وكان ذلك في ١١/٢٢ من هذه السنة.

تنبيه: ذكرنا فيما تقدم من حوادث هذه السنة ما من الله على نجد من هطول الأمطار تتوالى نزولها ولا سيما على القصيم وسدير، ونتج عن ذلك أعشاب عظيمة لم يعهد مثله منذ زمن طويل، وكانت معدات القهوة والأباريق قد تختفي من بين تلك الأشياء، وقد حدثني بعض الأصحاب أنهم ذهبوا لنزهة وفرجة فوصلوا إلى موضع يبعد عن هجره قبة ثمانين كيلو متر شرقاً بغرب، تختفي السيارة من بين تلك الأشياء، واستمر نزول الأمطار إلى حلول الشمس في برج الجوزاء مصحوبة ببعض الأحيان ببرد ورعد وصواعق، واستمر ذلك بصورة مستمرة، وقد يوجد الرياحين، وكانت مدينة الرياض قد حظيت كغيرها من مدن المملكة جعلها الله أمطار خير وبركة.

وفيها في ١١/١٧ بدأ العمال من شركة بن لادن في هدم جامع مدينة بريدة لتوسعته وذلك بعد نزول أمر الملك فهد بن عبدالعزيز وعلى نفقة الحكومة، وهذه

تكون إلى جهة التوسعة، ولما أن صدر الأذن بذلك قبضت الجهة المسؤولة على أبوابه ونوافذه ومكيفاته والمراوح والنجفات والثريات، وأخذ الفقراء في أخذ رخامه والبلاط، وقام أهالي الدكاكين التي بجانبه ثمن بقيمة باهظة بالخراج وبيع ما تحتوي عليه تلك الدكاكين من البضائع الثمينة، وباعوا بأثمان رخيصة ليصفوا بضائعهم، وحصلت من الأمة أن اجتمعوا للشراء، فكانت تلك الوسعة آية في الزحام، وسمع لهم لجة عظيمة لم يعهد مثلها.

عمارة جامع بريدة عام ١٤١٣هـ

لما أن لبثت عمارة الملك سعود ستاً وثلاثين عاماً لم تتأثر بملي أو كلل هدمت عمارته لتوسعته وإعادة من جديد على الطراز الحديث، فتقدمت لذلك مؤسسة بن لادن إذ هي أعظم مؤسسة في المملكة العربية السعودية، ولما شرع الهدم في ٢٢/١١ أحضرت المعدات الحديثة للتكسير والهدم بمشقة عظيمة ولا سيما المنارة القابعة في الجهة الشمالية الشرقية بحث أقيمت من الحجارة والصبات، وذلك أنهم لم يتوصلوا إلى هدها إلى بعد كلفة ومشقة، وبعثت الحكومة رجال الأمن لحماية النفوس، وفي ٧/١٢ استطاعت المعدات الحديثة أن تسيطر على سائر هدم الجامع بعد مشقة وكلفة لأن العمال لم يستمروا بالهدم بالدناميت حفاظاً على الأرواح والبنيات المجاورة للمسجد الجامع، وقد ردمت الخلوة كغيرها من الخلوات للمساجد القديمة نظراً إلى أن المكيفات تقوم بتلطيف الجو شتاءً وصيفاً، وبما ليتهما لم تردم لما فيها من المصالح والسعة التي قد تكون على قدر كبر المسجد، ولكن الجهة المسؤولة رأت ذلك والأمر بيد الله تعالى.

ذكر أمطار تجتاح مدينة الخرج

لما أن كان في خامس شهر ذي الحجة هطلت أمطار على الدلم لم يعهد مثلها منذ إحدى عشرة سنة فدمرت مدينة الدلم وخربت المزارع، وهدمت البيوت هناك، وذلك أن الأودية اجتمعت في وادٍ واحد، وتعتبر هذه كارثة من قوارع الزمان.

حرباً في الصومال

لما طال النزاع في الصومال قام حزباً تنازع السلطة هناك فتدخلت الأمم المتحدة للوقوف أمام هذا التيار الجارف، فلم يزد ذلك التدبير شيئاً، وقام الرئيس هناك وقتل ٢٣ جندياً باكستانياً مساندين لرجال الأمم المتحدة مما زاد الأمور توتراً، فعند ذلك صدرت الأوامر الأمريكية إلى رجالها البالغين ألفي مقاتل، وكانوا يدربون في مدينة الكويت بأن يركبوا المراكب الهوائية وهي طائرات هلو كبتير ويتوجهوا لضرب المتمردين في الصومال، ولما أن كان في اليوم ٢٤ من ذي الحجة من هذه السنة قصفت القوات الأمريكية المتمردين في الصومال وأمطرتهم وابلاً من القذائف النارية فتوالى ضرب الطائرات حتى كانت القنابل تتساقط كتساقط حبات المطر مما سبب إصراراً على مواقع الرئيس المتمرّد، وهددت بأن بقية الطائرات سترسل للإبادة والتنكيل بالتمرّدين، وكانت الحالة سيئة على المتمرّدين بحيث كانوا في شر حالة، وقد تهدم قصره من ضرب القنابل، وقامت القوات الأمريكية تطارده وتلاحقه، فقد قيل أنه اختبأ في إحدى المستشفيات ولا تزال القوات الأمريكية في طلبه، وهكذا عاشت الصومال منذ سنتين وثلاثة أشهر بشر حالة.

كما أن البوسنة والهرسك بحالة حصار وتضييق وتشريد وأذى من الصرب ومن والاهم، وانضم إلى الصرب كفار آخرون فكانوا يداً واحدة على المسلمين تمدهم روسيا علناً وبريطانيا وفرنسا، وكان رئيس البوسنة علي عزت يبذل جهوداً جبارة لدى مجلس الأمن ويطالب بالحقوق الإنسانية، ولكنها صرخة في وادي خال من البشر.

ثم دخلت سنة ١٤١٤هـ

ففيها في يوم الأحد ٧ محرم قامت أمريكا وأطلقت على العراق ثلاثة وعشرين صاروخاً من طراز كروز، وذلك من البحر الأحمر ومياه الخليج، وجعلت هدفها

الاستخبارات العراقية وذلك انتقاماً منها لما أراد أحد عشر عراقياً وأربعة كويتياً اغتيال الرئيس السابق بوش في زيارته للكويت، وبعد التحقيق ثبت أن الذين دفعهم إلى ذلك الاستخبارات العراقية فأرادت أمريكا القضاء على ذلك المبنى وتدميره وهدمه وإهلاك موظفيه، وكانت هذه الصواريخ تهتدي إلى هدفها الذي أرسلت عليه بحيث قيل أنها تستطيع أن لا تمس شيئاً إلا ما أطلقت عليه، فدخلت مع النوافذ وسببت دماراً عظيماً في الأرواح والمباني والمكاتب، وكانت قد أرسلت من دون سابق إنذار فقامت العراق تحتج لدى مجلس الأمن والأمم المتحدة على مهاجمة أمريكا للعراق وخدمة المخلصون له، وترك العراق يتلمظ جوعاً وأمراضاً وفقرًا، إن العراق كان منذ زمن يعيش تحت الرعاية البريطانية في زمن فيصل بن الحسين الشريف وابنه غازي بن فيصل وابن ابنه فيصل بن غازي الشاب المخلوع المقتول، ولما أن قام عبدالكريم قاسم بثورة ١٣٧٧ هـ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٧ تحولت العراق من ملكية إلى جمهورية ترأسها عبدالكريم قاسم كما سمعنا، وتوالى عليها ثورات وكانت تعيش في زمن الحماية البريطانية في رغد من العيش وطمأنينة وأمن، وتعتبر بغداد عاصمة العراق من أعظم المدن في رخاء العيش، ولكنها بسبب الثورات التي جرت من عبدالسلام محمد عارف وبعده آلت الجمهورية إلى حسن البكر، ولما أن اغتصب صدام حسين عرش العراق بالقوة والظلم سبب عليها نكبات دمرتها وألحقت بها أضراراً لغزوه إيران وما جرى من المذابح والأهوال، ثم أوقعها في مهالك لما احتل الكويت وطرد أهلها فسلط الله عليه أمريكا وسامت العراق سوء العذاب، بحيث دمرت العراق وهدمت مبانيها وانتهكت حرمتها وأصبحت بحالة يرثى لها، ولا تزال مهددة بالأخطار بأسباب رئيسها الحالي صدام حسين، ومن العجائب أن الله عز وجل ابتلى تلك الحكومة برجل زين له سوء عمله، ولا تزال الحكومة في كل يوم بنقص وتأخر في الحياة، وقد حاول أهل العراق اغتياله مرات عديدة ليستريحوا من شره ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها،

وكان قد اعتصم بمخبأه واحتمى بدروعه وهم ثلة من المغترين به وشعبه يتضور من مرارة العيش وسوء الحال، وكانت أمريكا قد عاملته تلك المعاملة وإن كانت تستطيع القضاء عليه لتذيقه الحسرات ومرارة الحياة، وكلما أنشأ أسلحة ضد الجيران أتت عليها ودمرتها وهو ينظر إليها، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وفيها لا تزال العمال يكدحون في عمارة المسجد الجامع الكبير في مدينة بريدة، وقد أحضرت المعدات والتركورات والشيولات وآلة الحفر وما يطلبه الوضع، وقد استهلكت هذه السنة والأمم لا تزال في زعازع وقتال واختلاف فهذه مصر يجري فيها تفجيرات وألغام قد تكون بمن كان يسكنها من غير أهلها، وأفغانستان بينهم فتن وشر مستطير، والجزائر في حالة سيئة، والمسلمون يعذبون في الهند بكشمير من الهندوس، والصومال كما ذكرنا، والعراق كما مر معنا، واليمن يشكون من الجوع والفقر، وبما أن مئات الألوف منهم كانوا يعيشون في السعودية سابقاً فقد رجعوا إلى بلادهم اليمن عاطلين عن العمل، وعمان الأردن في حالة قلة فيها الألوف عاطلين عن العمل، وهم في حالة جوع وإملاق، قد انقطعت مصالحهم التي كانوا فيها.

ولما أن كان في يوم الثلاثاء ١/٩ أطلقت أمريكا أيضاً ثلاثة صواريخ من طراز كروز من مياه الخليج على محطة الرادار العراقي فدمرتة تدميراً، وكانت هذه الصواريخ تضرب الأمثال بقوتها وشدة تدميرها وعجائب هدايتها إلى نفس الأهداف التي أرسلت عليها، ومن سوء حظ العراق أنها وجهت صاروخاً على طائرة ظناً منها أنها أمريكية، فلما وقعت على الأرض محترقة إذا بها عراقية، فأصيب بخسائر أولاً وبتدمير أميركا موضع الاستخبارات في العراق، ثم دهم محطة الرادار العراقية ثم إحراقهم طائرتهم غلطاً، وهذه من النكبات التي عوقبوا بها بشؤم خياناتهم ومكرهم واعتدائهم، ولا تزال أمريكا تمحق الأسلحة العراقية وتدمرها علناً على رغم أنوفهم، وتذيقهم أنواع الانتقام والإهانات والتضييق

عليهم في معيشتهم وتسومهم سوء العذاب، فانظر أيها اللبيب العاقل وتلمح بعين البصيرة عاقبة البغي والاستطالة والكيد والمكر والخيانة، يقوم عدو لدود على حكومة من جيرانه بعدما فرغ من الأولى ذات اليمين بعد مضي ثمان سنوات عليها بضربها بالنار والحديد، ثم يلتفت إلى ذات الشمال ويهتك حرمتها ويدمر بنيانها وأهلها غافلون، ويطردهم فيفرون كالوحوش في البراري والأنعام السائمة بأسوأ الأحوال تاركين بلادهم وأموالهم، وقد هتكت أعراضهم كما ذكرنا وسولت له نفسه بأن يجعل الكويت ميناء للعراق على ما تقتضيه تصوراته، وقد فرّ سكان الكويت كأنهم وحوش في الصحارى لا يلتفت أحد على أحد، ثم تقتضي إرادة الله فيرجعوا إلى وطنهم سالمين، ويدير الله الدائرة على العدو ويسلط عليهم من هو أقوى منهم فيرجع العدو على أعقابهم خائبين يجرّون أنواع الهزيمة راجعين بخفي حنين، وشتت الله شملهم وباءوا بالخزي والعار، وشتت الله شمل العدو، ولما سلط الله عليهم أكبر دولة على وجه الأرض فاستردوا منهوباتهم، وبينما أن العدو يحلم بالسيطرة على العالم إذا به ذليل خاسع متحير قد ثار عليه شعبه وتجراً وتفلتت من يده جميع أنواع الحيل، وأصبح ذليلاً مقهوراً في عقر داره، وفي ذلك عبرة لمن يخشى.

نكتة غريبة وكائنة عجيبة

لما شرع المتعبون في حفر قواعد الجامع الكبير في مدينة بريدة عثروا على مدافن في الأرض حيث وجدوا الحفر مملوءة بالفضة وهي من الريالات الفرنسية المتداولة بأيدي الناس من سكة الدولة العثمانية، وريالات من النقود الفضية السعودية التي كانت بدلاً عن الأولى في سنة ١٣٥٩هـ، ولما علمت الشركة بذلك قبضت عليها وسلمتها للإمارة في بريدة، وينتظر فيها من الناحية الشرعية، نعم كان في تلك المواضع كنوز، وكنت أذكر أنه لما عمر المسجد الجامع المذكور عام ١٣٥٩هـ وجد كنز من الكنوز لم يعلم من عثر عليه، غير أنه وجدت آثاره في حائط من حيطان

التوسعة، فالله أعلم بمن وجده، غير أنها أصبحت آثاره موجودة في الحائط، وقد تضيع أموال بهذه الصفة في الحيطان يضعها أصحابها في مواضع لحفظها من السرقة فموت أصحابها وتغمر آثارها كما هلك إنسان بحادث سيارة، وبعد ما خلصوا من دفنه كانت عائلته في البحث عن نقود بين يديه حتى اهتمدوا إلى سؤال زوجته، فجاءت بفاس ووقعت علامة بيضاء في الحائط، فحفروها فوجدوا فيها أربعة وعشرين ألفاً، ثم ذهبت بهم إلى موضع آخر معلمةً بعلامة وقالت احفروها، فوجدوا في ذلك المخبأ سبعة آلاف، وكان لم يخبر بها سوى زوجته، وقد تضيق حيلة الإنسان بحاله إذا لم يكن له عقب، ولا يرثه إلا الكلاله، كما ذكر الحافظ ابن الجوزي رحمه الله أن عجوزاً لما كانت في سكرات الموت جعلت تبتلع دنائير لها فعلمت بها صبية، وأخبرت بخبرها، فلما توفيت قاموا بكسر عظامها بعد موتها بشهر فوجدوا الدنائير فيها قال: وكان رجل ليس له وارث قريب، فلما كان في مرض الموت جعلها في طين وعلقها لبناً ثم أوصى بأن يجعل اللبن في سقف لحدّه، وقال إني أخذت تراباً من المسجد فجعلته لبناً تبركاً في تراب المسجد، فلما بنوا اللحد بقيت سنة فجعلوها إحدى الفضائل للقبر، فلما ضربها السيل تفككت عن دنائيرها فأخرجوا اللبن وكسروه فوجدوه مملوءاً بالدنائير، نسأل الله العافية.

فيضانات في أمريكا

لما كان في ١/١٩ من هذه السنة أصيبت أمريكا بفيضانات عظيمة هلكت ودمرت وأحدثت أضراراً عظيمة، بحيث قال الخبراء أنها لم يأت مثلها منذ خمسمائة سنة، والله على كل شيء قدير.

وفيها في صباح اليوم الثالث عشر من صفر أصيبت السودان بزلزال شديد شمال العاصمة الخرطوم فأهلكت هذه الهزة أنفساً بشرية، وهدت بيوتاً ودمرت شيئاً من الشبكة الكهربائية، أصيبوا بأضرارٍ فادحة فأصبحت تلك الهزة بلاء على

السكان من جهة، ومن جهة أخرى هناك تقلبات وثوارث فيما بينهم، وكانت السودان قد أصيبت بمجاعة ونقص من الثمرات، وكثرة التقلبات.

ثورة في السودان

لما أن كان في اليوم العشرين من شهر صفر من هذه السنة وقعت الثورة في السودان ضد البشير بأن قام الجيش على الحكومة، وجرت مذابح عظيمة سقط منها خمسة وثلاثون ما بين قتل وجريح، وشرذ مائة ألف فكانوا بلا مأوى، واشتد الأمر وعظم الخطب، ذلك بأن غالب الشعب لا يريدون حكم البشير، ولما جرت هذه الفادحة طلب الرئيس البشير من الأمم المتحدة التدخل في الموضوع لإخماد هذه الثورة والقضاء عليها، وبما أن أمريكا ضد البشير وربما أنها تمد الشعب الثائر فإن تلك الضجة لم تجد أذنًا صاغية، ولم تستجب الأمم المتحدة لذلك الطلب، فتأزمت الأمور جدًّا، ولما لم يكن الرئيس البشير على وفاق بين العرب لخيانته وتقلباته فإنه وقع في الفخ ولم يحسدوه على ما وقع منه، وبما أن الثورات عليه كثرت، وكلما خمدت ثورة تلتها أخرى فإنه وقع في حيرة، وربما أنه يسقط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفي كلام الحكمة: «من كثرت أعداؤه فلا يأمن مصرعه، وفعلاً قد لا يسلم».

وقد امتحنت السودان بالزلازل المتقدم ذكرها وبالثورات التي أضعفتها مضافاً إلى ذلك الفيضان الذي تقدم ذكره، وكانوا يعيشون حينما انضمت السودان إلى مصر في أيام الملك فاروق برغد من العيش، ولكنها بليت بالثورات والتقلبات التي أضعفتها، وثار الجنوب ضد الشمال وحصل شقاق ونزاع، وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ ولقد أحسنت المملكة السعودية إلى السودان وأرسلت إليها إعانات منها ثلاثة مستشفيات، ولكن الجميل كان ضائعاً بمثلهم، ولكنه لا يضيع الإحسان عند الله وإن ضاع عند بعض الناس كما قبل:

من يفعل الحسنات الله يشكرها لا يذهب العرف بين الله والناس

وفيهما في ٢/١٥ حشدت إسرائيل قواتها على أهل لبنان وضربت طائراتها ومدافعها بالقنابل الصاروخية الأهالي فسقط مائة وثلاثون من أهالي لبنان، وأصيب أضعافهم فسقطوا جرحى فقامت لبنان تحتج لدى الأمم المتحدة وضجت من أفعال اليهود، ولما لم يردعوا رجعوا ثانيةً ليهجموا على لبنان وقراه، والعياذ بالله ومن أمن العقاب أن يعمل ما شاء.

كما أنه قام حكمتيار في أفغانستان فأطلق صواريخ على مدينة كابل فأصيب أناس وجرح آخرون، وقد احتجت حكومة كابول على من أطلقها وحملوه المسؤولية.

الفراغ من توسعة مسجد المدينة المنورة

في أوائل هذه السنة فرغ من توسعة حرم رسول الله ﷺ فأصبح المسجد كبيراً جداً إلى درجة لم تقع منذ قيامه، وكانت بشكل رائع لم يسبق له نظير، وكانت هذه التوسعة قد ظهرت بمظهر لا يبلغ الوصف قدرها حتى يشاهد بالعيان وبهذا الوضع فإنه أصبح يتسع الواردين إلى المدينة من سائر المعمورة، ولقد جدّ الملك فهد بن عبدالعزيز بتطريز هذه التوسعة التي كلفت ملايين النقود بزيادة. وإن أرضية تلك الزيادة معزز برخام ملون بشكل بديع، ويخرج من قواعد الأعمدة أنفاس المكيفات بطريقة لم يسبق لها نظير، وإذا دخلت من أبواب التوسعة فإنك تضيع ولا تهتدي إلى الروضة الشريفة والقبر الشريف إلا بسؤال بحيث لا تكاد تهتدي إلى ذلك، وذلك لكثرة ميادين تلك الزيادة، وهدت بيوت خارج المسجد لإقامتها على الطراز الحديث من الجهة الغربية، وشمل الهدم ما حوالي مسجد الغمامة ومسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى أصبحت جميع البيوت المحيطة بالمساجد هناك قد أزيلت، وبقيت المساجد يؤذن وتقام الصلاة فيها، وهذه الزيادة وإن كانت لا تمتلئ بالمصلين فإنه يأتي يوم في مواسم الحج والعمرة مكتظة بالمصلين، وكانت توسعة الملك عبدالعزيز يرحمه الله كرقعة صغيرة فيها، وقد بلغت مساحة المسجد النبوي بعد التوسعة الأخير يبلغ

مائة ألف متر مربع وسبعين ألف متر مربع، هذا ما رأيته وشاهدته في زيارة مسجد رسول الله ﷺ في يوم الجمعة ٢/١١ عام ١٤١٤هـ.

ذكر موجة حر

لما كان في برج الأسد ابتداء من خامس شهر صفر اشتد الحر جداً وعظمت حتى ارتفعت درجة الحرارة في الرياض وبريدة إلى ٤٦ درجة، وهذا شيء نادر الوقوع وارتفعت درجة الحرارة في مدن الخليج إلى ٥٥ درجة، وانصرف الناس جملةً في الليل إلى النوم في المنازل بحيث المكيفات إذ لم يستطيعوا النوم في السطوح، أما في منتصف النهار فقد مات الناس في بعض مدن الخليج، وكنت خرجت وقت الظهيرة في المدينة المنورة إلى الشارع للركوب والسير منها إلى القصيم فإن الشوارع لا يكاد يجلس بها، إضافةً إلى ذلك جديد السيارات، واستمر الحر بشدة حتى تأثرت السيارات من ذلك، وأن الحكومة أيدها الله جعلت مصائف للأمة في الطائف والباحة وأبها مما دفع الأمة إلى الاستراحة فيها، وقد تأثرت درجة الحرارة ليلاً في الباحة إلى عشر فوق الصفر مع هطول أمطار، وقد وجدت فيها خدمة للمواطنين بتلك الجبال من مجالس وحدائق وما يتطلبه الوضع، وتطمئن النفوس إليه فيها.

إعصار يصيب اليابان

لما كان في اليوم ٢٣ من صفر أصيبت اليابان بإعصار لم يعهد مثله بحيث هدمت أرض الإعصار وتكسرت وأصيب ما مرّ عليه وسقط مالا يقل عن مائة وخمسين شخص هلكي، ونزح عشرة آلاف من المنطقة عقب ذلك الإعصار الشديد بقوة خارقة تتلاشى دونها القوى البشرية، وقد قرر الخبراء أن هذا الإعصار أشد إعصار سمع به في أقطار الأرض، ويمكن أن يكون مشاركة بركان ينفجر.

نقم تصيب قوات أمريكا في الصومال

لما كان في ٢/١٩ انفجر لغم أرضي تحت سيارة أمريكية في الصومال فأصيب أربعة جنود ثلاثة قضوا حتفهم والرابع على وشك الهلاك، فجن جنون أمريكا لهذا الحادث وقامت بالتفتيش والبحث والتدقيق للتوصل إلى مدبر ذلك الحادث،

تركيب كاميرات أمريكية

لما كانت أمريكا تبعث رجال الأعمال التفتيشية عن حركات الطاغية العراقي شق عليها كثرة تردد الهيئات فيها على العراق لإبادة سلاحها فأرادت أن يجعل كاميرات تكشف عن إيجاد سلاح إبادة فيها فمانعت العراق من ذلك، ولكنها رضخت مرغمة لأوامر أمريكا، وفي كلام الحكمة: «لا تخاصم من إذا قال فعل»، وقد رأت أنه لا فعل لها بصواريخ أمريكا التي ترسل عليها فتهتدي إلى النوافذ والأبواب، وركبت تلك الكاميرات التي ترى أمريكا منها أهالي العراق، وذلك في ٢/٢٠ من هذه السنة، ولقد كانت العراق لا يسعها إلا أن تخضع لتلك التدابير على مضض، وكانت لا تستطيع أن تهاجم أمريكا بالكلام أو سوء المعاملة لما تخشاه منها، ولكنها لهمجيتها تركز الملامة على السعودية، وكأنها فعلت هي ذلك، وقد قيل فيها وفي أفعالها والأمثال تضرب للناس:

وكم معرض والناس ما عنه أعرضوا إلا أن من أشرارهم قل من سلم ولما أن رأت بريطانيا سقوط الدولة العثمانية وطردها من الحجاز لتضع الحجاز تحت إمارة حسين بن علي الشريف، ألقت المناشير على مدينة جدة ونصحت لقوات الدولة العثمانية بأن يسلموا وأن من الحكمة أن يقبلوا ذلك، فقالت: إذا لم يسلموا فسنصب عليهم القنابل من السفن الهوائية ومن البحر والبر، وقالت في معرض كلامها: إني أنصح لكم أن تسلموا قبل أن تبادوا عن آخركم، وإن الرجل المضطر يركب الصعب من الأمر، وهو عالم بركوبه، ويتجاوز الأدب وهو كاره بتجاوزه، فلا تلقوا بأنفسكم في التهلكة الخ، والله الحكمة في جعل أمريكا بنحر

العراق وطاغيته فيما أنه سلط على الكويت فإن الله سلط على العراق أمريكا يقضها قضياً، وهو البلاء.

انهيار فندق

لما كان في ليلة الجمعة ٢٥/٢ انهار فندق في تايلاند فسبب أضراراً عظيمة، وكان ضحية ذلك هلاك مئات من سكان الفندق الأمر الذي فقد من أهله عشرات تحت الانقراض، وقتل وجرح من جراء ذلك خلائق كثيرون، وكان ذلك الفندق ينذر قبل انهياره بالهلاك والدمار، وتعتبر هذه الورطة من أعظم ما مرت بالحكومة التايلاندية، نسأل الله السلامة والعافية إنه جواد كريم.

وفاة أمير من الأمراء

لما كان في يوم الخميس ٣/٢ من هذه السنة توفي صاحب السمو الأمير سعد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل تغمد الله برحمته، وصلى عليه جمع كبير على رأسهم الملك فهد والأمراء أصحاب السمو والمسلمون، كان له أنجال من بينهم نائب أمين منطقة القصيم سابقاً محمد بن سعد، ثم جاءت التعازي للملك فهد بن عبدالعزيز وولي عهده عبدالله بن عبدالعزيز والنائب الثاني سلطان بن عبدالعزيز وسائر أخوته، وجعلت البرقيات تتبادل من نواحي المملكة وغيرها من الممالك، وله أنجال آخرون، فسبحان الله، وكان هو السادس من أنجال الملك المغفور له عبدالعزيز الذين توفوا بعد وفاته رحمهم الله وعفا عنهم.

محاريب المسجد الحرام تنعى إمامها

في يوم ٢٨/٢ يوافق الاثنين من هذه السنة توفي عبد الله الخليلي رحمه الله وعفا عنه، واختطفته أيدي المنون، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم العابد عبد الله الخليلي إمام المسجد الحرام خمسين عاماً، ولد في مدينة من أعمال القصيم وتلقى علومه من علماء أهل بريدة وأخذ عن الشيخ

محمد بن مقبل، وعن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وعن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ثم ذهب إلى مكة المكرمة فأتم دراسته هناك، وجد واجتهد، ثم كان مدير المدرسة في مكة، واستمر في هذه الإدارة حتى توفاه الله تعالى، ثم إنه تولى إمامة المسجد الحرام خمسين عاماً أي نصف قرن، وكان محبوباً، وهو الذي يتولى ختم القرآن ليلة الختم في صوت حسن وبكاء وخشوع، وإذا تمت الصلاة من ليلة الختم فإن الخلائق المجتمعة في المسجد الحرام يكادون يقتتلون للسلام عليه، وربما قامت الشرطة لحجز المزدحمين عليه، وكن طوالاً يستعين بالعصا وعليه ملبوساته الشماع والمسلح، ويلقي دروساً ويعظ وينصح، وكانت ولادته في عام ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين على الصحيح، ويجب الاصطيفاف بالطائف، وقد حزن المسلمون لموته، فقال بعض العلماء هذه رنة أسف لوفاة الشيخ عبدالله الخليلي، وقال بعضهم: يا للأسف أنه توفى والد الأئمة في المسجد الحرام، الناسك الفقيه، وقال عند أحد مؤذني المسجد الحرام: فقدنا الصوت الشجي والعالم الوفي والمربي الفاضل، والكاتب الإسلامي، كما أثنى عليه سائر أئمة المسجد الحرام، ودعوا له بالمغفرة والرحمة، نهض إمام المسجد الحرام وخطيبه، وكان إذا لم يؤم فيه فإنه يصلي خلف الإمام ولا يتأخر عن الصلاة مع الجماعة، وقد كان بين الأئمة كالوالد لديهم.

وفاة صاحب السمو الملكي فهد بن عبدالله

بن سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن رحمه الله وعفا عنه، قالت جريدة المدينة المنورة في إحدى صفحاتها: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾، ﴿لكل أجل كتاب﴾، ﴿كل نفس ذائقة الموت، ثم إلينا ترجعون﴾، ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم وأولئك هم المهتدون﴾ بقلوب راضية بقضاء الله وقدره يتقدم المعزون بأحر التعازي القلبية المخلصة وصدق المواسات إلى خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده والنائب الثاني وسائر الأمراء

أصحاب السمو وأولادهم لوفاة الفقيه فهد بن عبدالله بن سعود رحمه الله وعفا عنه، وكانت وفاة الفقيه يوم الأحد الموافق ٢٧/٢ من هذه السنة.

حريق بمكة

في يوم ٢٨/٢ شب حريق هائل بسوق الغزة بمكة المكرمة نشب هذا الحريق بصفة قوية وقامت السنة اللهب تزجر في الجو مما أحدث الرعب بكل من حول هذا السوق، وأحدث خسائر عظيمة، غير أن الله تعالى وقى الأرواح فما أصيب أحد من هذه الحادثة، وكان الأمير يقول: إنه لا خسائر في الأرواح هكذا كان سمو الأمير بالنيابة سعود بن عبدالمحسن يبشر بذلك، وقد أتت النيران على الرطب واليابس، غير أن الله وقى من شرها، وقد قام رجال المطافئ والدفاع المدني بإخماد الحريق والقضاء عليه بصفة عاجلة، فله تمام الشكر بحيث كان العطب في الأموال لا بالأرواح، وكان مصيبته دون الأرواح، وما زال الرسول ﷺ يحذر من النار بقوله: «إن هذه النار عدو لكم فإذا نتم فاطفئوها» وكان وقوع الحادث ظهراً من يوم الاثنين في اليوم المذكور، وقد حدثني من رأى الحريق أنه بصفة هائلة في تلك الدكاكين.

قتال

وقتل في شهر ربيع الأول استبد بين أرمينيا وبين أذربيجان، وذلك لأنه لما سقطت روسيا قامت الأمة المسلمة هناك تتخلص من الشيوعية الكافرة فنشب قتال عنيف بين أذربيجان وبين أرمينيا فأطلق كل من المتحاربين القذائف الغازية والقنابل، وحمى الوطيس واشتدت الحرب وتفاقم الأمر بما لا طاقة للبشر.

وكانت الصومال قد نشأ فيها بين الأهالي قتال تأزمت الآراء، وكان المسلمون قد لحقهم الضرر ولم يقتصر البلاء عن أن يشرك الفريقان المتحاربين، فكثرت إراقة الدماء في الحكومة، وأرسلت إلى الولايات المتحدة للكشف عن هذه الهجمة، والتف مقابلها على العدو وضربت قصره ومساكنه، ولكن تلك المحنة لم تهدأ نيرانها

بل امتد لهيها بين الأهالي وقد جعلت أمريكا لمن هداها إلى النصر على الرئيس، ولكن لا يزال بماكر ويراوغ وروغان الثعالب، وكانت الأمة الصومالية فريسة لهذه الحروب الضارية وانتشرت فيهم الأمراض والمشاغب إلى قدر لا يكاد يعبر عنه الوصف، ولا تبلغه العبارة.

ولما أن بلغت مشكلة فلسطين الذروة التي امتدت مغلبيها وقتلت الأنفس برضا أعداء الدين والله وهم اليهود، رأى أهالي فلسطين برئاسة ياسر عرفات أن يقبلوا حكماً ذاتياً لعلها تسكن الأحوال وتهدا الأمور، ولقد باشرت أمريكا وحليفاتها اليهود وبشروا لذلك ووعدت اليهود أهالي فلسطين برد جميع المبعدين إلى موطنهم المغصوب، ولكن هذا الصلح لم يرق عند العرب جميعاً، ولقد رأوا أن هذا الصلح فيه إجحاف بحق العرب، ولكن عقلاء فلسطين قاموا يرحبون بهذا الصلح وما لا يدرك كله لا يترك كله.

عدم التقيد بالمسافة يسبب الحوادث

لقد كثرت الحوادث التي سببت الهلاك والدمار على الأمة بسبب الشباب الطائش، حتى لقد كان بسكان الهند يتجاوز عددهم أكثر من سبعمائة مليون منهم عشرة ملايين معوق من الحوادث، وقد كان ينبغي أن يتذكر الإنسان إذا حرك المحرك في سيارته للسير أن أهله وأطفاله ينتظرون رجوعه، فينبغي له أن يحرك العاطفة ويسترعي للطف والرفق بنفسه وأن لا يكون سبباً في هلاك الغير، وما التوفيق إلا من عند الله.

عود على بدء

ذكرنا قريباً شيئاً عن الصلح الذي يكفل لأهل فلسطين عدم اعتداء اليهود الذين اغتتموا فرصة الانتفاضة بحيث قاموا ضد الأهالي يطلقون عليهم النيران ويقتلون ويهدمون، ولما أن كثر القتل في العرب وامتألت السجون اليهودية بهم رأى ياسر عرفات ومن انضم إليه أن يوضع حد لذلك، وقام غالب العرب والدول

الكبار يستبشرون بذلك الصلح، ووعدت أمريكا بمساعدات لأهل فلسطين ورأوا أنها خطوة عالية لعل الحرب أن تضع أوزارها وهللت مصر ورفعت السعودية إلى الأمم المتحدة امتنانها لذلك، ولكن كيف يهنأ العيش والقدس تحت سيطرة اليهود، والمسجد الأقصى لم يحرر من ذلك الاغتصاب، وأملنا عظيم أن يكون صلحاً كصلح الحديبية، هذا ما حصل ولكن كيف يصنع ببقية ملوك العرب وبعض رؤسائها الذين لم يؤيدوا هذا الصلح ولم يقرّوه، ورأوه أنه إجحافاً بحق العرب حيث خسروا القدس الشريف والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث المسجدين، وقاموا ضده كالرئيس حافظ الأسد صاحب سوريا والرئيس إلياس الهراوي صاحب لبنان، وتلك من الفلسطينيين، وقاموا ضد عقد هذا الصلح ونقض الاتفاقية وهو ياسر عرفات، وتوعده بالقتل، ونجم عن هذا الصلح الجائر ارتباك ونزاع وسوء تفاهم وما حصل النقص على الأمم المتحدة، وهدت العروش وسقطت الرؤساء إلا بسبب النتائج والتجادل الذي نتيجته الفشل وذهاب الريح، فقد قامت فرقة من الفلسطينيين لنقض هذا الصلح الذي لم يستشاروا في عقده، واعتبروه صلحاً جائراً، ولقد قامت أمريكا تصفق لهذا الصلح وانشقاق العرب الذي كانت تصبوا إليه وتنشده لصفحتها عدوة العرب والمسلمين، ووعدوا الذين عقدوه بالمساعدات المالية والمادية والمعنوية، وحصلت على مقصودها وتنفيذه، ألقوه إذا لم ينفذ بالطريقة السلمية ولكن كما قيل:

ستعلم حين ينجلي الغبار أخيل تحت رجلك أم حمار

وفيها في يوم الخميس ١٤/٤/١٤١٤ هـ أصيب غربي الهند بزلزال شديد بلغ ست درجات هلك بسببه واحد وعشرون ألفاً، فقام المسلمون بدفن موتاهم دفناً جماعياً بحفرة، وقام الهندوس بتحريق موتاهم كعادتهم الباطلة، وقد تمكن رجال الإنقاذ بانتشال بقية الجثث، ويتوقع أهل المعرفة هناك أن يبلغ عدد المصابين ثلاثين ألفاً، وقد بعثت إليهم إمدادات الإغاثة والعلاجات من بين سائر العالم.

وفيها في ٢١/٤ استطاع الرئيس الروسي أن يسيطر على المبنى الرمالي الذي

قام المعارضون لحكمه وقتل أربعمائة وشرد بعضهم، وقام رجال الحكومة يلاحقون القناصة ويصطادونهم، وذلك بأن أمريكا في كفة الرئيس السابق، وكان رجال البرلمان قد قاموا بتمرد وعناد ضد الرئيس السابق، هذا وقد قام رجال التفتيش على أسلحة الدمار في بغداد وتدميرها وما كان بوسع حكومة العراق إلا الخضوع لأمريكا، بما أن الاقتصاد المعيشي وانتشار الأمراض في العراق لقلة الأدوية والعناية بالشعب الذي تفكك كان مستمراً في الأمة العراقية فإن الرئيس صدام يتظاهر بالجلد وأن الحكومة والشعب لم ينقص عليهم إلا بقدر بعوضة، وإلا فإن العراق مستمر في نشاطه وقوته، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، ولقد أصبح البترول العراقي تحت تصرف أمريكا، فهي التي تملك تدميره، وأهالي العراق مكتوفي الأيدي عن مصالحهم، أما عن الحسين بن طلال فإنه لما رأى أن لا قدرة للعراق في الدفاع عما نزل بها فإنه تثعلب بعدما كان يتظاهر بالود مع العراق، وجعل كأنما يسعى بالصلح بينها وبين خصمائها لينسى العرب أعمال الرئيس صدام، وجعل يتظاهر بالولاء للسعودية، كما أن اليمن قد كفت عن المسبة والعداء للسعودية، وذلك لما أصبحوا فيه من ضيق المعيشة وسوء الحال، وكانت السودان بحال اضطراب الثورات الداخلية، وتشتت الشعب الذي قام وتمرد على الحكومة.

زيارة وزير الدفاع للقصيم

لما أن كان في اليوم الثالث عشر من ربيع الثاني قام وزير الدفاع والنائب الثاني والمفتش العام بزيارة رسمية للقصيم، فأقيمت الولائم والاستقبالات لقدمه، وتبادل الخطباء في الخطب والقصائد في الترحيب بقدمه والثناء على الحكومة، كما أنه أقام مأدبة حافلة لأهالي حضرها الأعيان، وقد تأثر بما سمعه من مديح والده المؤسس وأبدى شكره لأهالي القصيم والثناء عليهم، وكان لزيارته مكانة بين الأمة، وتلقى كل استقبال وترحيب، وقد لبث في بريدة العاصمة أربعة أيام يلتقي

بجميع أهالي القصيم الذين استقبلوه بالحبة والترحيب وكامل الود والمحبة والفرح،
وزار المواضع الحربية لأنه كمسؤول عن تقدمها وما تخرجه من الدفعات والقوات
ورجال الأمن التي هي حصن البلاد، فكانت موضع الإعجاب وقرة العين لأن
بتقدم هذه القوات وتوفرها حفظ العباد والبلاء والله در القائل حيث يقول:

فقل لرجال الضبط والربط إنكم أسود حروب للخطوب تقارع
وما تقدم شعب ولا أفلحت أمة إلا بحفظ كيائها والأمن بأوطانها كما قال أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أخيفوا الوحوش في البراري قبل
أن تهجم عليكم في بيوتكم» وما عبدالله وأقيمت الصلوات في
المساجد كما ينبغي إلا بتوفير الأمن والراحة ورغد العيش، فنسأل الله تعالى أن
يثبت المسلمين برجال الأمن الأقوياء الأشداء المخلصين الذين يسهرون لأمن البلاد
والعباد، وما تقدم شعب ولا حكومة إلا برجال شعارهم مراقبة الله وحفظ البلاد
وأداء الواجب فيما أسند إليهم، وفي كلام أبي حفص أمير المؤمنين عمر: «لو ماتت
شاة في شط العراق لخشيت أن يسأل الله عمر عنها».

ويروي لنا تاريخ الحافظ بن بشر رحمه الله ما جرى في زمن الإمام عبدالعزيز
بن محمد بن سعود من أن المسافرين في أيامه كانوا يربطون الخيام بأكياس الذهب
والفضة إذا لم يجدوا خبايا، وإن في زمن كان خمسة على مطيهم يسيروا في ليلة
باردة، فمرت بهم شاة بين العشائين فتحدثوا بأخذها وإنها لهم أو لغيرهم أو
للذئب، فجعلوا يترادون في من ينزل منهم ويأخذها لهم، وجعل كل واحد يأمر
صاحبه فيعتذر، كل يخشى من سطوة الإمام عبدالعزيز، حتى قالوا هذه الشاة
يرعاها عبدالعزيز بن محمد قالوا لمن أخذها.

وفيهما في ٥/٤ أعيدت بنازير بوتو علي ذي الفقار إلى منصبها الأول بعد
خلعها فنودي بها رئيسة وزراء باكستان، وبسبب ذلك أن لها شعبية ويؤيدها
أصوات كثيرة من باكستان ومن الدول الكثيرة التي لديها انحراف عن الإسلام،
وكان أبوها هو الرئيس السابق ثم خلعه ثم قتلوه، ربما أن ضياء الحق الذي تولى

الرئاسة قد قام بقتل والدها فلا تخلو المسألة من طلبها الثأر لوالدها بحيث اغتيل بجادث طيارة، وفي هذه الأيام تعود بنازير إلى رئاسة الوزراء.

وفي هذه الأثناء لا تزال المناوشات مستمرة بين الفلسطينيين واليهود بغزة وأريحا، وعم الصلح الذي كانت الأمة تسعى له، كما أن طائرات الهلوكبتر مستمرة في ضرب لبنان، بما يستطيعونه بالقنابل المدمرة والمحركة، وتهدم المنازل، وقامت بضرب قاذفات القنابل الصاروخية فيحل الهلاك والتدمير من بين المقاتلين، وكانت قاذفات القنابل المدمرة والقنابل المحركة تعمل عملها السيئ في التدمير والهدم والهلاك في لبنان الذي طالت عليه السنين وهو يكابد الأهوال والتدمير.

ضرب الأهواز

لما أن كان في بداية جمادى الأولى قام الرئيس صدام موجه قواته إلى الأهواز فحرق الأهواز وطرده أهلها إلى إيران، وحول الأهواز من جنات وعيون وبساتين وأشجار وارفة، ومزارع إلى صحراء قاحلة ليس فيها ديار، وكان يدعي بذلك أنه يظهر قوته وشجاعته ومقدرته، ولكن أعداءه يتفكرون من تدميره لشعبه وإضعافه وإذلاله، ويأخذون من ذلك فرجة على همجيته وسوء تدابيره، ولبغض نفسه لأهل العراق الذين حاولوا اغتياله مرات عديدة، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها، والمقصود من ذلك أن منطقة الأهواز تحولت إلى صحراء قاحلة.

وفاة أمير من الأمراء

ففيها في يوم الثلاثاء ١١/٥ توفي الأمير سعد بن عبدالله بن جلوي عن عمر يناهز الخامسة والسبعين، وصلى عليه في مدينة الإحساء في جامع الأمير فيصل بن تركي رحمه الله.

وفيها قامت الصرب الملعونة وهجمت على قرية كاملة من قرى البوسنة، فقتلوا أهلها أجمعين، وكان عددها كبير ولم يروا معارضاً أو مدافعاً.

وفيها في ١٢/٥ أطلقت إسرائيل سراح ستمائة أسير فلسطيني، ثم جعلوا يطلقون بالعشرات من الأسرى وذلك مقابل الصلح الذي عقد بين اليهود ورئيس فلسطين ياسر عرفات بحيث جعلت إسرائيل تعطي الفلسطينيين رقعة صغير وهي قطاع غزة وأريحا، ولا يعد ذلك نصراً للعرب، بحيث خسرت العرب القدس والمسجد الأقصى وقد قنع الفلسطينيون فرحاً بهذا الصلح الصغير لما قاسوا من المذابح وإيداعهم في غيابات السجون، وقام أهالي فلسطين ينظمون ما حصلوا عليه، وينظمون جيشاً من قبلهم لأمنهم وأمن ذرايتهم، وهذا الصلح وإن كان ساري المفعول فإن المناوشات بين الأفراد في فلسطين لم تهدأ لأنه قد يكون فرق فلسطينية لم ترضَ بهذا الصلح.

وفيها في ١٣/٥ اندلعت ثورة في ليبيا ضد معمر القذافي، فقام على حسب قدرته لإخمادها، واستخدم جميع ما لديه من القوة على الثوار، وقد ذكر القذافي في إذاعته أنه ألقي القبض على الثائرين وإنه ربطهم بسلاسل الحديد في أعناقهم وصلبهم على الحيطان التي حرقوا لربطهم بالسلاسل، كذا قال، وقد ذكرنا عن الصلح الذي عقد بين اليهود وحزب فلسطين بأن يكون أهالي فلسطين في أريحا وغزة، ولكنهم وإن كانوا صغيراً ولكن اليهود بظلمهم وعدوانهم جعلوا يتطرفون بأوهامهم وأن لا يأمنوا من العرب وجعلوا يطلبون الخلاص من هذا الصلح لما أقدموا عليه من القتل والسلب وأذية المسلمين ومن تأمل حالة اليهود في الشام مع المسلمين، وحالة النصارى في الصرب من أذيتهم لمسلمي البوسنة الهرسك، وسفك دماء المسلمين والتمثيل بهم، علم أن بعض النفوس الشديدة أخس من شريعة الغاب والظفر والنايب من الحيوانات المفترسة بحيث كانت الأسود والنمور والذئاب لا تفرس الإنسان إلا إذا جاعت، وهؤلاء لا يشبعوا من افتراس المسلمين في أي حالة كانت وشاهد الحال يحكي فعالهم، ويعبر عن سوء مقاصدهم نحو المسلمين، فلقد شقت بطون الحوامل وقطعت ثدي النساء، وذبح الرجال ورسم بالدم على صدورهم، ولم يرحموا طفلاً ولا أشجار وأحرقوا قرى المسلمين بل ذكروهم دكا، فعياداً بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أما ما كان عن أفغانستان فلا تزال المذابح بينهم، كما أن الصومال لا يزالون يتقاتلون في طلب الرئاسة، وقد عجزت الأمم المتحدة وأمريكا عن تسكين فتنهم فيما بينهم، ولقد طلبت منهم ملوك الإسلام ورؤساء الجمهوريات الإسلامية أن يضعوا حداً لهذا الشجار فيما بينهم، ودعوهم إلى الصلح، وأن تضع الحرب أوزارها، ولكنها فشلت جميع الإصلاحات، ولكنهم أبو إلا التناحر، وقد ظهر في هذه الأيام بعض المسلمين الذين يقومون بطلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تونس والجزائر ومصر وقامت حكوماتهم بإعدام بعضهم، وهم شراذم في تلك الجمهوريات، وأودع بعضهم في غيابات السجون والتضييق عليهم، وكنت أظن أن أولئك الغيورين لو سلكوا طريق الحكمة والتفاوض مع حكوماتهم لكان خيراً لهم، ولكن الأمور بيد الله.

وفيها في الرسمي هطلت أمطار على عسير والطائف وحائل وما إلى ذلك على القصيم أمطار ضعيفة، نسأل الله تعالى أن يجعلها مباركة وأن يعم المسلمين بفضله وكرمه، وقد رفعوا أيديهم إلى السماء لذلك.

ذكر المجزرة الكبرى في فلسطين

هذه المجزرة تدعى مجزرة منتصف رمضان عام ١٤١٤ هـ ذلك بأنه لما كان في فجر اليوم الخامس عشر من رمضان أوعزت اليهود إلى رجل منهم أن يهجم على مسلمي فلسطين وهم يصلون صلاة الفجر بالمسجد الإبراهيمي في الخليل، فدخل المجرم متذرعاً بالجنون، وكان قد أعد رفقة له وهما رجلان كانا متلبسين باسم الصلاة، ولما أن سجد المصلون أطلقوا عليهم الرشاشات، فسقط من نيران الرشاشات خمسة وستون قتيلاً، وجرح ثلاثمائة نقلوا إلى المستشفيات، بينما يتظاهر اليهود بأن الجاني مجنون، وقد أفاد الجرحى بأن السفاحين عددهم ثلاثة، ولما جرت هذه الفعلة الشنعاء والجريمة النكراء التي قد تقدم لها سوابق من هذه الأمة البغيضة التي لم تحسّ سطوة الخالق، ولم يتلقَ أهالي فلسطين من النصرة من أمة الإسلام رد فعل سوى الاستنكار والغضب، ومن الدول الكبار من تقول سنشجب على هذا

الفعل وكأن الكلب لم يأكل عجينهم سوى أن الحكومة السعودية بعثت إلى أسر الموتورون مواساة مالية لكل أسرة من الأرامل مائتي ألف ريال، أما تكوين جيش وقوة عسكرية تقف أمام هذا التيار الجارف، بل فعلت اليهود ذلك الفعل الذميم ويتربصون لعمل آخر ضد العرب فيقتلونهم وهم يصلون في مساجدهم، فلعنة الله على اليهود ما أعظم خطرهم على الإسلام والمسلمين.

وفيها في ٩/١٨ وفاة الأمير حمود بن الملك عبدالعزيز عن عمر يناهز الخمسين عاماً، وقد وردت التعازي على البيت المالكة من سائر الأقطار، وبالأخص الملك وولي العهد، فآله المستعان.

النداء بالتبرع

لما كان في مستهل شهر رمضان من هذه السنة نودي بالتبرع لمسلمي البوسنة والهرسك الذين أصيبوا في أنفسهم ونسائهم وأطفالهم وما عملته فيهم أبادي الصرب النصارى، وكيف أن المسلمين هناك كتفت أيديهم ومنع توريد السلاح لهم، وذلك ليفتك بهم، بل قيل قوموا بأيديكم لرد قنابل الهاون والطائرات القاذفة من الجو والسفن الهوائية، فكل يوم وقد سقط العشرات من القتلى والجرحى فأصبح أولئك البؤساء لا يملكون من الأسلحة النارية ولا الأسلحة البيضاء إلا ما لا يقيهم من النصارى، وكانت الحالة محزنة لدرجة أن الدول الكبار تبعت الأسلحة النارية والطائرات القاذفة المحرقة مدد للنصارى المعتدين، وتقوية لشوكتهم، وعجزت أمة الإسلام عن إدخال السلاح على المسلمين المغلوبين، ولما أن نودي بالتبرع بالمملكة العربية السعودية قام المسلمون يتسابقون لدفع التبرعات، ويتولى قبضها لإرسالها إليهم أمير الرياض سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز، ولما جعلت تلك الأغذية والتبرعات التي بلغت عشرات الملايين من كل بلد سعودي مانعت النصارى من دخولها على المسلمين في البوسنة والهرسك، وأوقفت قوافلها إليهم فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأصبحت أولئك النصارى يتحكمون في الإسلام

والمسلمين، ولم يجدوا ناهياً ينهاهم أو عدواً يردعهم، بل لسان حال العدو يقول: موتوا جوعاً وقتلاً، وكان مجلس الأمن يقف وقفة المتفرج من هذه الحالة الذميمة، وذلك بمراى ومسمع من الأمم المتحدة، وكانت أمريكا لما رأت تعصب الصرب أطلقت طائرتين تضرب الصرب المعادين المهاجرين، فأسقطت طائرتين ويالها من يقظة لو دامت، بل كانت ومضة عن قليل توقفت.

ولما أن كان في ٢ ذي القعدة لرد عدوان الصرب الذي لم يتوقف عن ضرب المسلمين في البوسنة والهرسك فتحركت طائرات من حلف الأطلسي فضربت دبابات ومدافع الصرب ودمرتها لما أن نفذت بأعمال الأمم المتحدة وتوجيهاتها، بعد ساعتين أعادت الضرب على الصرب المعتدين مما كان له التأثير عليها، وسبب أسبابا بتراجع الصرب.

فيضانات تصيب روسيا

ففي الوقت نفسه أصيبت روسيا بفيضانات عظيمة سببت هلاك بعض مواضع في روسيا، وتقدر بخسائر عظيمة اجتاحت فأوقفت فيه بحيث أنها أضحت موسكو من عظيم ما جرى في ظروف عصيبة، والله على كل شيء قدير.

نزاع وشقاق في اليمن

لما أن وقع الانشقاق في اليمن وذلك لأن عدن وما يليها لا ترغب الخضوع لحاكم اليمن الشمالي، فاندلعت الحرب التي عجز عن إخمادها علي عبدالله صالح، فاستمرت في تأججها بين الجهتين، وجعلت مجالس المفاوضات بين الطرفين بما خشي من حروب طاحنة في اليمن، وقامت فرق الإصلاح في مصر وغيرها لتسكين تلك الفتنة، باذلة جهوداً جبارة لعل وعسى، غير أن الأحوال لا تزال هائجة ومائجة، وكنت أظن ذلك بسبب المكر والخيانات التي وقعت من حكومة اليمن من تغيراتها وعدم استقامتها مع المجاورين، وما زالت الفتنة في اليمن تغدو وتروح وأنياب الشر تبدو وتلوح، قال الله تعالى: ﴿وَالْوَلَّ

أَسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ [الجن: ١٦]، وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وبما أن الجبهة الجنوبية القرية يطلق عليها اليمن الشمالي واليمن الجنوبي فلا بد أن تعود المياه إلى مجاريها، وكان هو المتعارف في هذه الأزمنة، ولقد بقيت هذه السنة في الحروب والانشقاقات ما لله به عليم؟

ذكر البلاء والنزاع بين الأمم

لما تحررت أفغانستان من المحتل روسيا وشرها وتعسفها نشأ خلاف بين الأهالي في طلب الرئاسة، وحصلت عداوة، وجعل الله بأسهم بينهم، فقامت الحكومات الإسلامية لتسكين ذلك النزاع، وعلى رأس المصلحين الحكومة السعودية فقد بذلت قصارى جهدها في جلب النصائح وبذلت المساعدات المالية والمواد الغذائية لهم، ولأن الله تعالى لم يشأ اجتماعهم وتفريق أفغانستان شيعاً وأحزاباً، فقد قام الرئيس حكمتيار بخطف الرئاسة لنفسه ونازع رؤساء آخرون، استهدفت البلاء للقصف والضرب، واستعملت القنابل الصاروخية الموجهة من بعضهم إلى بعض، وأصبحت العاصمة كابل مهددة بضرب المدافع الثقيلة وقنابل الطائرات، فكانت محاطة من جوانبها بالأخطار، كما أن متنازعي الرئاسة الآخرين لم يزهدوا في خلق المشاكل وإحداث القلاقل مما لم تشهد الأفغان في قديم الدهر وحديثه، وكان الذي يتنازعون الرئاسة بعدما غضب الله عليهم بنزع الكابوس الروسي وتخلصوا من الشيوعية، واستمرت الحرب والضرب، فتارة ترتفع تلك الفتن إلى عنان السماء، وتارة تسكن نوعاً ما، غير أن الأمة عجزت عن إطفاء تلك الفتنة العمياء التي دمرت البلاد والعباد.

أما عن الصومال فإن النزاع لا يزال مستمر فيها.

أما عن كشمير وأذية المسلمين هناك فحدث ولا حرج، وما وقع من هذا النزاع فهو سياسة أجنبية يريد الآثمون فيها القضاء على الإسلام وأهله، ولو فكر

المسلمون في كل جهات الأرض بما يبرمه اليهود لهم والنصارى والدهريون من زرع بذور الشر والخلافات يريدون بذلك كسر شوكة الإسلام ومحو أهله، والقضاء عليه، والعداوة والبغضاء يبيتوهم، لأن أعداء الإسلام جادون بسياستهم التي لا يعرفها المسلمون، وهي القضاء عليهم وتمزيق شملهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأنا أحزن لذلك، وهو أن النصارى لما رأوا انتشار الإسلام في أوروبا ولا سيما البوسنة والمهرسك، زينوا لهم الاستقلال، وأنهم إذا قاموا ضد الصرب فليديهم حماسة ومقدرة تمكنهم من الاستقلال، وإن إخواننا من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يجدونهم ويساعدونهم على الاستقلال.

ولما أن وقعت الواقعة وأمرت الدول الكبار بقطع المساعدات عنهم، ومنع دخول السلاح عليهم وجعلوهم عزلاً لا يقاتلون بأيديهم، كما فعلوا ذلك بأهل فلسطين الضعفاء المغلوبين، والعرب المقهورين، وجعلوا يخدعون بالصلح والمفاهمة مع اليهود، وجعلت أيدي اليهود تعمل بهم الفوضى من التقتيل والتشريد، ولم يقفوا عن تقتيل الأطفال والنساء والعرب، ينخدعون لمواعيدهم الخلابية، ولما أن نزح المسلمون عن البوسنة والمهرسك في القتال لم يجدوا ولياً ولا نصيراً، وجعلت النصارى من كل جهة يبعثون الإمدادات من الأسلحة الثقيلة والطائرات والمهمات للصرب، حتى قام نصارى الصرب يبعثون بنساء المسلمين، ويهدمون المساجد، ويحرقون المصاحف، ويرسمون بالدم الصليب على صدور الرجال من المسلمين، وكتب الويل لمن ناصر المسلمين، فزينت أعوان النصارى للمسلمين التخريب بممتلكات الصرب، ولما تورطوا في تلك الهاوية يجلى عنهم الأنصار ووقفت الأحداث، وفي كل يوم يسقط منهم القتلى والجرحى، وآخر ذلك تصدر الأمر لأعداء الإسلام بأن تخلوا بقوتهم عن الصرب مكرهين، وكان في مستهل ذي القعدة من هذه السنة فعياداً بالله من قهر الأعداء، وشماتتهم، واحتكام البلاء.

وكانت الأمم القوية تتظاهر بقمع أولئك النصارى المعتدين، ولكنهم

بخلاف ذلك، والتاريخ يعيد نفسه، فإن قامت الأمة بالسعي في الصلح بين إسرائيل وبين الفلسطينيين كانت فرقة حماس الشاذة عن ياسر عرفات لا يرون لديها أن تعطي الفلسطينيين الدنيئة، فقد قاموا بالانتفاضة وجعلوا يفجرون الغاماً باليهود، مما أدى إلى إغلاق أبواب الصلح، وأحدثوا مشاكل رائعة مما عرقلوا به المساعي، وفي مستهل الشهر.

لقد كان من المعلوم ما أصيب به أهالي فلسطين من الأذى من قبل اليهود وتحكماتهم، لأنه لا رادع لهم ولا مانع، ولا أمل يرجى في حل هذه الأزمة، وإذا كانت اليهود بهذا الوضع فلا أمل يرجى.

وفاة وزير من الوزراء

لما أن كان في ذي القعدة توفى وزير الأوقاف سابقاً محمد عمر توفيق، وكان قد أضيف إلى وزارته أن كان أيضاً وزير المواصلات، وقد قام بها بين الوزارتين، ويقدم الأعمال للملك فهد بن عبدالعزيز الذي رفع التعازي لأقاربه وذويه، وقد استمر في هاتين الوزارتين برهة من الزمن.

وفي يوم الاثنين سابع ذي القعدة أقيمت صلاة الاستسقاء في سائر أنحاء المملكة عن أمر الملك فهد، وذلك للجفاف الذي كان في بعض أقطار المملكة العربية السعودية وشدته على الرياض وما يليها.

ضربات في البوسنة

لما أن كان في ١١/٩ من هذه السنة قامت حكومة الصرب فشددت القصف والضرب على البوسنة والهرسك، فقد أحصي الذين سقطوا من المسلمين هناك في خمس ساعات فبلغوا مائتين وأربعين ما بين قتيل وجريح، وكان أعداء الإسلام ضد المسلمين يخدرون أعصابهم، ويعدونهم بالنصرة ليتمكن النصاري من تدمير المسلمين بوعودهم الكاذبة، وفعلاً قد علم المسلمون بأن هيئات الأمم المتحدة أكبر عدو لهم.

ولما أن قام مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية بأشد الاستنكار لتلك الأعمال الوحشية، بحيث ضرب الصرب المستشفيات المكتظة بالمرضى والمصابين، وقتلوا الأطفال والنساء، لكنهم وعدوا بالنظر في هذا الموضوع وليوقفوا المعتدين على المسلمين في المستشفيات ومواضع أمنهم، ولكنهم يعملون في الخفاء على قتل المسلمين، ولما أن قام شمال الأطلسي بضرب مواقع الصرب وعدت الأمم المتحدة بأن تسعى بالصلح ولا تستعمل القوة على الصرب، وهم بذلك كاذبون، وقد استمر قنوت أئمة المسجد الحرام في أواخر الصلوات المكتوبة لنصرة المسلمين والدعاء على المشركين، ولكن النصارى ومن في صفهم قاموا بهتك حرمت المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبعد الانتهاء من توسعة الحرم المكي وتوسعة مسجد رسول الله ﷺ قامت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها بالدعاء لخادم الحرمين الشريفين في المملكة وخارجها رافعين أكفهم بعد وضع آخر لبنة من اللبنة، فجزى الله المحسنين خير الجزاء، وإنها لحسنة خالدة في تاريخ الملك فهد بن عبدالعزيز.

وفيها في عصر اليوم الخامس عشر من ذي القعدة هبت رياح شديدة بصفرة عظيمة، وأظلمت وذلك في الساعة الرابعة والنصف من زوالى، فكسرت الأشجار في الشوارع، وتعطلت حركة المرور، والله على كل شيء قدير.

وفيها في ١٠ الشهر المذكور قام أناس متطرفين في إحدى الدول الكافرة بسخطهم على تعاليم دين الإسلام، وتكلموا في المملكة العربية السعودية هناك، فوق قول الرسول ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين»، وكان أولئك يدعون الثقافة والمعرفة، وقد عاشوا برواتب ضخمة، وللذكرى قال بعض السلف الصالح: «ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر».

وفيها في ١١/١٦ من هذه السنة بعثت الأمم المتحدة ثلاثة آلاف جندي يرابطون حول الوقوف أمام هجمات الصرب النصارى، وأيضاً أمرت بقوات أخلى لإنقاذ البوسنة والهرسك من هتك حرمت المسلمين وإنقاذهم لما رأوا شدة

ما وقع عليهم وعلى المسلمين، بحيث كانوا يهجمون على المستشفيات التي تضم سبعمائة جريح مسلم، وقتلوا بعضهم، ولما أن رأى الصرب أن لا بد من طردهم قاموا على أنابيب مياه المسلمين وفجروها وكسروا جميع ما وصلت أيديهم إليه، وحرقوا ودمروا تدميراً شاملاً، وقام حلف شمال الأطلسي بالأسف لضرب الصرب المعتدين، وقامت الأمم المتحدة بإنذار أيضاً للصرب، وبعثت جنوداً لحماية المسلمين، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

وقد تمكنت قوات الصليب من نصارى الصرب وفعلوا ما لم يفعله كافر من الكفار بالمسلمين كما جرى منهم فلا نكون مبالغين إذا قلنا ذلك.

وفيها اشتدت ضربات اليهود على لبنان، وبالرغم من المساعدات السعودية للبنان فإن ما ينالها من أذى من اليهود وتخريباتها لا يفيدتها بشيء ولا تزال السنة أهالي لبنان رطبة في مديح السعودية، ولقد بالغ اليهود في توالي قصف لبنان، ولقد تضررت لبنان من توالي قصفها، وقامت اليهود بالتخريبات والضرب فما كان أهالي لبنان جامدين أمام هذا الضرب، ويقاثلونهم بمثله ولديهم قوة من حزب الله المنتمي لإيران، وحزب أمل المنتمي لسوريا، وعلى كل حال فقد تهدمت المساكن هناك واحترقت البيوت والمزارع من مضي عشرات الأعوام ولبنان مستهدف للضرب، والحالة معقدة ولا تبشر بالخير وإن كانت القوات الأهلية من قنابل صاروخية وغيرها من الدفاع الأرضي فإنها ليست بشيء إلى جانب قوات اليهود المستقدمة من أمريكا.

حروب ومخاوف حول العالم

لقد اندلعت في هذه السنة حروب ومجازر وثورات، فهذه اليمن تعاني مخاوف ونزاعاً وشقاقاً بين اليمن الجنوبي والشمالي، ولم يتمتع رئاسة علي عبدالله صالح بالطمأنينة في هذه السنة.

وفي أفغانستان لما تحررت من روسيا وقع نزاع بين ثلاث جهات، واستعملت الأسلحة الثقيلة والقنابل الصاروخية، ولم يطمئنون بعد أذى روسيا لها.

وفي الجزائر حرب بين الحكومة والمواطنين.

وفي لبنان حرب نزاع مما جرى مع اليهود في الجنوب.

وفي فلسطين تغلي مراجلها من أذى اليهود.

وفي العراق رئيسها يتهدد ويتوعد لجيرانه لما يحمله من الشر والفساد بحيث لا يهدأ عن ذلك هذا السفاح من إراقة الدماء لما أن رده الله على أعقابهِ وعن كيدهِ، فشرع في قتال شعبه فحرق مزارعهم وقتل كثيراً من السكان، ولقد أرادوه أن يموت في محاولات الاغتيال لما فعله بشعبه من جوع وفقر ومشاغب وأمراض، وقد أمهله الله تعالى لما يحلم به نفسه وغيه.

ولم تسلم مصر من أناس يقتلون ويخونون، وجرى من الصعوبات ما لا يعلم به إلا الله من الانشقاق والنزاع.

وسوريا تطالب بهضبة الجولان التي استولت عليها اليهود، ولا تزال اليهود تماطل في وعودها.

ولما أن كان في ١٧ / ١١ من هذه السنة بعد عجز المسلمين، ازداد الشقاق وسوء التفاهم وتضخم البلاء في اليمن، وما زال الشر في ازدياد في اليمن بين الرئيس علي عبدالله صالح وبين نائبه في عدن حتى وقع القتال بين الفريقين، فسقط مئات ما بين قتيل وجريح، وذلك في اليوم المذكور، وما زال الشر يزداد فيها.

كما أن خلافاً بين كوريا الشمالية والجنوبية ورفعت القضية إلى الأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن وأصبحت أمريكا تهدد كوريا الشمالية لما تخشاه من الأسلحة الكيماوية لديها، وجعلت المفاوضات تروح وتغدو، وجعل أهل الرأي والمعرفة يتوقعون حروباً تجري بينهما.

ومن العجائب عجز الأمم المتحدة عن تسكين ما تتدخل فيه، بل لا تزال في ارتباك ونزاع وشقاق.

ذكر ما من الله به على المملكة العربية السعودية

لقد أكرم الله عز وجل الحكومة السعودية وذلك لتحكيمها الكتاب والسنة، وخدمة الحرمين الشريفين وحجاج بيت الله الحرام وزوار المسجد النبوي الشريف، ومعاملة الله بكل من أراد بها سوءاً بشر معاملة.

ولما أن قام رئيس العراق صدام المخذول بما قام به من سوء المعاملة للإسلام والمسلمين سلط الله عليه من حيث لم يحتسب في قذف في قلبه الرعب يخرب مملكته يديه، ويسعى في تدمير شعبه سوء تدابيره، وقام الذين اتخدعوا لأكاذيبه ومكره كاليمن والسودان وحسين صاحب الأردن بحيث ابتلاهم الله بأنواع البلاء، فهذا حسين يعاني الأمراض في جسمه وفي ضيق من الاقتصاد، وهذا رئيس السودان انشق عليه شعبه وقاموا يتناحرون بسبب الثورات والمنازعات فيما بينهم، وأصبحوا بحالة يرثى لها من الجوع والفقر، وهذا رئيس حكومة اليمن جعل الله له السوء في تدبيره، وشغلهم في أنفسهم، وكانوا عبرة لأولي الألباب فيا، سبحان الله ويا عجباً لما تفعله الذنوب والمعاصي، وتنتج النتائج السيئة التي أحاطت بهم، ولقد جدت الحكومة السعودية في حسن الجوار ومواساتهم بالأموال والتعمير، ولكنهم غيروا فغير الله عليهم، ويا ليت إخواننا من المسلمين داموا على مبادئهم ورعوا نعم الله الدارة عليهم فأمسوا بحالة لا يحسدون عليها، وكلاً من هؤلاء المناوئين ابتلاه الله بنقيض قصده.

كانت ميناء العقبة مهددة بضربها وعجزت الأمة عن تسكين الفتن فيما بينهم، وفي ذلك عبرة لمن يعتبر ويخشى، وإن لحسن النية لتأثيراً عظيماً في إصلاح شأن العبد، والعكس بالعكس، ولو أتينا بنتيجة النيات القبيحة وما تجلبه لضاق الموسع، ولكننا نشير بقصة وجدتها عن بعض الملوك: هو أنه كان له حاجب ولا يزال بسيفه ومروحته على رأس الملك، فقام ضده نمام يستثير الملك ويشوه سمعة ذلك الحاجب، وما زال بالملك حتى أمر بقتل الحاجب، وبعث بكتاب إلى الجلاد كتبه بيده يقول فيه: اقتله واسلخ جلده ورده إلي، وكان الحاجب كثيراً ما يردد كلمات

يقول فيها أحسن إلى من أحسن إليك وأما الباغي سيكفيك الله شره، فلما ناوله الكتاب الذي كتبه بيده ومن القواعد أن الملك لا يكتب بيده إلا الجائزة، فعندما حمل الحاجب كتاب الملك ثم اعترض له ذلك النمام طمعاً لما في ظاهر ذلك الكتاب قائلاً أحسن إلي بهذه الجائزة ولعلك خير من أخذها، فناوله الكتاب، ولقد بلغ حتفه ذلك المسكين الذي أخذه إلى الجلاد وقتله وسلخ جلده وأعادته إلى الملك بتنفيذ الأوامر، ولما أن جلس الملك كعادته إذا بالحاجب يأتي معد سيفه ومروخته فيقف على رأسه ثم أتى بالجلد وألقى بين يديه، فعجب لذلك وقام وأخذ بيد الحاجب وخلقى به وقال: أخبرني عن أمرك؟ فقال إن فلاناً «لهذا النمام الذي أحاط به جرمه» جرمًا طلب مني جائزة الملك التي خطها بيده، وشكى إلي الحاجة فأعطيته إياه، فعجب الملك وبكى لعلمه أن المقتول عاقبه الله بنميمته وبغيه ثم قال: يا بني دم على حسن النية فلم ينجك غير حسن نيتك، وارتفع شأن ذلك الحاجب عند الملك، وخذ من ذلك درساً أيها المسلم وعامل الله بحسن النية.

وفيهما وإقالة عبدالوهاب عبدالواسع وجعل مكانه في وزارة الحج والأوقاف عبدالله بن عبدالمحسن بن تركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود سابقاً في تعديلات أخرى.

وفيهما قسمت مدن مناطق المملكة إلى فرقة (أ) وفرقة (ب) مثال ذلك أن جدة والطائف في الحجاز من فرقة (أ) وفرقة عنيزة والرس والمذنب في القصيم من فرقة (أ)، وهكذا بعض العواصم تقسم إلى قسمين.

وفيهما في ليلة ٢٠ ذي القعدة يقام احتفال في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود في القصيم لثاني مرة في شأن الدعوة من أئمة المساجد حضره أمير المنطقة ووكيل الوزارة عبدالله بن محمد الطيار لشؤون المساجد والدعوة والإرشاد، وحضر لذلك الأعيان من المشايخ متفائلين بهذه الوزارة باسمها الوزارة الإسلامية للشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد والحج والمساجد، وقد حضر لذلك الخطباء في القصيم ورجوا خيراً بأن هذا العمل يبشر بخير، وقد حضر لذلك أعيان أهالي القصيم.

في ١٩ ذي القعدة أحصى طلائع الحجاج الذين بدأوا بالقدوم لأداء فريضة الحج، فبلغوا مائتي ألف وتسعين ألفاً، وقد حصل بين إيران وبين السعودية مفاوضات في طلب إيران في رفع عدد حجاج إيران إلى مئة ألف، ولكن السعودية جعلت عدداً معيناً لسائر أقطار المعمورة، إن كل مليون يحج منه ألف حاج.

حروب وقتال في اليمن

لما قامت الشعوب بثورات، وقام أعداء التضليل وأرباب الرذيلة ينازعون السيادة فيما بينهم لم تزهد اليمن في الدخول بالنزاع كغيرها، فقام رئيس اليمن الجنوبي بالنيابة وهو علي سالم البيض ينازع رئيسه علي عبدالله صالح، وأظهر الخلاف والانشقاق فتأزمت الأمور إلى درجة استعمل فيه السلاح بين اليمن الجنوبي والشمالي، وما زالت الأمور تتأزم حتى شبت الحرب وأطلق النائب على صنعاء خمسة صواريخ سكود فهدمت مواضع في العاصمة صنعاء، واستعرت نيران الحرب وكان ذلك في يوم الأحد ٢٧ ذي القعدة، ورد اليمن الشمالي على الجنوبي، ثم زحف علي عبدالله صالح بقواته وحاصر العاصمة عدن، فخاضت أربعة ألوية في ميدان القتال، ويقول المطلعون على القتال أن رئيس علي لم يجرز نصراً يذكر، وأن الهزيمة بعيدة عن الجنوب، وما زالت الحرب مستعرة نيرانها، واستعملت الطائرات الحربية فأسقطت طائرتين من قوات علي عبدالله صالح، وأيضاً الدبابات تخوض جحيم تلك الهاوية حتى سقط القتلى والجرحى، وقد أرادت مصر وبعض الحكومات الإسلامية التدخل في الإصلاح ولكنها فشلت، وما زالت المدافع الثقيلة تضرب صنعاء والجهة الأخرى تضرب عدن حتى سببت أضراراً عظيمة، وإن الحرب إذا قامت لا يستطيع إخمادها الجن ولا الأنس، واستمرت الأحوال هائجة مائجة تنذر بشرها وويلاتها، ولقد ضربت صواريخ سكود المدمرة عدن والعاصمة صنعاء وسببت أضراراً جسيمة، ووجه الرئيس علي سالم البيض صاروخاً على عدن يريد أن يضرب علي عبدالله صالح لكنه أصاب

عشرين رجلاً آخرين، ثم جعل الفريقان يخوضان معارك ضارية، فقد سقط من بين الفريقين اثنا عشر ألفاً ما بين قتيل وجريح، وقام علي عبدالله صالح يطالب السعودية ومصر في التدخل بالصلح، ولأن اليمن الشمالية كانت تتفوق على الجنوبية بكثرة العدد بحيث كان عدد سكانها عشرة ملايين وعدد الجنوبية مليونان ونصف، فإن الجنوبية لديها تدريب من روسيا لأنها موالية لها، وكان الذي سعى بالوحدة بين الشمالي والجنوبي هو الرئيس صدام حسين لما لديه من سوء النية للمجاورين، ولكنه خذل الشمالي فلم يمدّها العراق بسلاح، وبما أن الرئيس علي عبدالله تقدم يريد محاصرة عدن فإنه لم يحرز نصراً بل باء بالفشل لأن عاصمة اليمن الجنوبي دافعت دفاع الأبطال، وجاء بالروايات أنه في ظرف أربعة أيام من القتال سقط اثنا عشر ألفاً وخمسمائة، وما زالت الحروب مستمرة.

احتفال

في جامعة الملك سعود في ٢٩ ذي القعدة ومن العجائب أنه في أول تأسيسها عام ١٣٧٧هـ كان طلابها خمس وعشرين طالباً وفي هذه السنة بلغوا سبعة وثلاثين ألفاً، وهذا يعجب له من تقدم الدراسة وشقها طريقها.

ذكر الصلح بين اليهود وأهل فلسطين

قامت العرب في السعي بين اليهود وياسر عرفات الذي كان يمثل أهالي فلسطين، واستمرت المراجعات بعد أخذ ورد طيلة الزمان الذي كان بعد احتلال اليهود لغزة وأريحا، وقام رؤساء العرب يطلبون من أمريكا حليفة اليهود أن تضع حداً لعناد اليهود الذين استولوا على فلسطين بالقوة، وما زال العرب يسترحمون الأمم الكبرى في العطف على أهالي فلسطين حتى استطاعوا أن يجعلوا اليهود يردوا الأهالي من فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، فاستقر الصلح عن أن تكون قطاع غزة وأريحا موضعاً لأهالي فلسطين، وكلام الحكمة: إياك والسامة فتلقيك الرجال خلف أعقابها، ووقع الاتفاق على أن يجعل أهالي فلسطين دولتهم

في ذلك الموضوعين، ولما أن وقع الاتفاق قدم أهالي فلسطين الذين تحملوا حكماً ذاتياً عليهم أنفسهم بأنفسهم.

وفي فجر اليوم الثاني من شهر ذي الحجة عام ١٤١٤هـ قدمت طلائع الجيش الفلسطيني وأسلحتهم وقواتهم إلى قطاع غزة وأريحا وذلك يوافق ١٣ مايو ١٩٩٤م وصفق الأهالي فرحاً، وكانت ساعة لأهالي فلسطين الذين رجعوا بتوفيق من الله إلى بلادهم بعد مضي ٤٦ عاماً، ورحل اليهود عن تلك المواضع المذكورة، وإنها لخطوة تبشر بالخير، ربما أن فرقة حماس الفلسطينية لا يروق لها ذلك الصلح لأنها تريد أن تكون الرقعة أكبر من ذلك ولا سيما المسجد الذي تحت حكم اليهود، وربما في ذلك القدس الغربية التي لا تزال تحت سيطرة اليهود، فإن فرقة حماس لا تزال في مناوشات وحرب مع إسرائيل، وكان ياسر عرفات ومن في جبهته يعملون بحكمة، ولا بد أنهم ينتظرون الفرج من الله في ذلك اليوم الذي يمكنهم في أن يكون المسجد الأقصى ثالث المسجدين وأولى القبلتين تحت الولاية الإسلامية، وأملنا بالله عظيم كما قال تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الذِّينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ يَغْيِرْ حَقٌّ] [الحج: ٣٩-٤٠]، وما أقرب النصر من المظلوم.

وقد ذكرنا القتال الدائر في اليمن فقد تم في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة عشرة أيام فقد نشب القتال وهم يخوضون معارك ضارية، وتهدمت مساكنهم لأن القتال بين الفريقين بالمدافع الثقيلة والدبابات والطائرات القاذفة، وأرسلت الهند طائراتها لحمل أبناءها الموجودين في اليمن، كما أن مصر فعلت ذلك، وكان من ملوك العرب من لم يتدخل في موضوعهم، ومنهم من فشلت وساطتهم، وتنبأ العقلاء أن الأمور هناك لا تبشر بخير وأن الموقف تضخم جداً، وجعلت القنابل تضرب ضرباً عشوائياً، وكان من جملة الذين استشهدوا من جالية الصومال فعمهم الضرب وهلكوا، وقد خرجت حكومة عمان للإصلاح لأنه يلوذ بها شر الفارين من اليمن الجنوبي، وبكل حال فقد تأزم الموقف جداً في اليمن.

هذا وقد جاءت الأنباء بما وقع في راوندا من أنه قتل بسبب الانشقاق ثلاثمائة ألف وقد يزيد العدد من قوة الخلاف فيما بينهم، وشهد شهود عيان أن إحدى الجبهتين كانت تقبض عليه من الجهة الأخرى فتجعلهم في حفر وتشعل الإطارات عليهم فيحترقون في حفرهم.

ولا تسل عما كان به من الهنود من معاملة لأهالي كشمير، وكانوا قد قتلوا تسعة آلاف مسلم، وكانت الفتن بين راوندا في أوائل ذي الحجة من هذه السنة، فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالسلامة والأمن.

ولقد جددت الحكومة السعودية بنشر الإسلام في بنغلادش بحيث بنت فيها ثلاثين مسجداً، وجعلت غميماً عظيماً يلجأ إليه كل عاجز ومن ليس له مأوى، وبذلت إليه الدعوة إلى الإسلام والمساعدات.

ذكر ما جرى بعد منح الفلسطينيين الحكم الذاتي

لما دخل أهالي فلسطين أريحا وغزة رفع العلم الفلسطيني فيها، وهللت الأمة الفلسطينية لذلك بالفرح والاستبشار، ودخلت القوات الفلسطينية بأسلحتهم وقواتهم بدلاً من قوات اليهود وأنه ليوم خالد الذي يسجله التاريخ لهذه المغلوبة بعدما طردوا فأدخلوا غزة بعد مضي فترة طويلة جداً.

وفي ٦ ذي الحجة تقرر عدم الوفاق وانتشر النزاع بين أرمينيا وأذربيجان، واستمر الخلاف والنزاع وذلك لأن عداوة الدين لا ترجى.

كل العداوة قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين

وفي ١٢/٤ من هذه السنة أذاعت الإذاعة السعودية أن مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة بلغت مساحته مائة ألف متر مربع وسبعين ألف متر مربع بعد توسعته التي قام بها الملك فهد بن عبدالعزيز، وهذه التوسعة لم يبلغنا أن مسجد من المساجد بلغت مساحته هذه المساحة، وجعلت في هذه الزيادة ست منارات إضافية إلى أربع قبل ذلك، وكان الداخل في المسجد بعد هذه الزيادة قد لا يهتدي إلى

الرواق الجنوبي الذي بعد الحجرة والروضة الشريفة، وكان الملك يقول: «أريد أن أجعل المدينة المنورة أحسن مدينة في العالم، وقد أقبلت الأمة من سائر المعمورة إلى العكوف في المسجد النبوي، ولا سيما الأعاجم من الهند والسند وإيران وأفغانستان وغيرها، ولو قلت أن التوسعة الأخيرة التي اكتملت في سنة ١٤١٤هـ لم يكن لها نظير في التصميم وحسن الوضع، وقد بلغت تكاليف التوسعة خمسة عشر ملياراً من الريالات، جعلها الله في ميزان حسناته، وكنت أظن أنها قامت جميع البنايات الحديثة ولا سيما المكيفات التي تخرج الراحة من أصول الأعمدة.

أما عن توسعة المسجد الحرام توفرت في توجيهات الملك عبدالعزيز رحمه الله، ولها فضلٌ عظيم، وبعدها توسعة الملك فهد بن عبدالعزيز الرائعة، ولقد جدت الحكومة السعودية في خدمة المسجدين الشريفين والحرمين المعظمين، كما جدت في بناية المساجد في مشارق الأرض ومغاربها.

ذكر الحج في هذه السنة

لما دخل شهر ذي الحجة في يوم الخميس وتقرر أن الوقوف بعرفة يوم الجمعة تسابق المسلمون إلى الحج اغتناماً لهذه الفرصة، فأقبل المسلمون إلى مكة المشرفة من مشارق الأرض ومغاربها، وبما أن الراحة والأمن لها فقد ضاقت مكة والمشاعر المفضلة بحجاج بيت الله الحرام، ولولا ما بذلته الحكومة السعودية من حسن التنظيم، وجعل حد للعدد لكان الأفراد هي من ذلك الضيق، وقد امتلأت منى، وخرج الحجاج إلى مزدلفة وغيرها لأجل الضرورة وافتوى بعض العلماء في ذلك، كما أنه وقع الترخيص في جواز السعي في سطح المسعى ورمي الجمار من أعلاها، وذلك تمشياً في أن دين الإسلام يسر، ولم يجعل الله في الدين من حرج، فلولا ما حصل للحجاج من إعداد لكادوا أن يصلوا إلى عرفات ويتجاوزوا جمرة العقبة إلى مكة المشرفة لكثرة العدد، وذلك لأن منى ضاقت بالحجاج لما فتحت فيها الشوارع والطرق، وبما يحسن بالحجاج أن يقفوا سواسية في المنزل ويكونوا سواسية فلا فضل لأحد على أحد في ذلك المشهد العظيم الذي يدخله الملوك

والعبيد، فهذا لحكمة يريد بها الله التي شرعها ليعلموا أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وقد امتدح الله عز وجل الأنصار بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، ولو أنصف الناس لاستراحوا، ومما يؤثر عن الملك خالد بن عبدالعزيز طيب الله ثراه أن لا يحج في أحد المواسم، فقال: أريد أن أوسع للحجاج بترك الزحام في منى، وأوسع لهم في منزلي ومنزل خدمي، ومن الناس من يحج كل عام ويرى أن ذلك من أفضل الأعمال، ولكنه فإنه يعلم أن من لم يحج إلا الفرض يكفيه من الزحام.

حادثة من الحوادث

لما أن كان في آخر اليوم الثامن من شهر ذي الحجة قبل غروب الشمس بساعتين وثلاث نشأت سحابة من الجنوب سودات تسبقها رياح، فتكشفت عن ظلمة شديدة، فتحول الفضاء من الحالة الطبيعية إلى ظلمة شديدة، وكانت الأمة في منتصف الليل برياح اقتلعت الأشجار التي استهدفتها، وانسدت الشوارع من تلك الأشجار الضخمة الثقيلة، وكادت الحركة أن تتعطل لولا ما اتخذته بلدية مدينة بريدة من جلب المعدات والونشات، وكانت الرياح لشدتها أن تحمل ما تمر به مع مطر كثيف شديد، ولشدة هذه الرياح دخلت الأمطار في المنازل من جهة الأبواب والنوافذ، فلبثت بهذا الوضع ساعة وثلثين دقيقة، وقام الضعفاء من النساء والصبيان يصرخون، فتجلت شيئاً فشيئاً، وهذا في القصيم على العاصمة، ولكن الله دافع بفضله عن الهلاك والدمار، هذا وقد هطلت الأمطار على منى منزل الحجاج في أوائل النهار، ومن ذلك اليوم يوم التروية، وقد أحصى الذين قدموا إلى مكة إلى آخر يوم التروية عن طريق الجو والبحر، فبلغوا تسعمائة ألف وتسعين ألفاً من الحجاج، وزيادة سبعمائة وقد أراد الإيرانيين أن يقوموا بمظاهرات، ولكن عقلاءهم عدلوا عن ذلك لقوة المواقع من الحكومة، وسار الموسم إلى الهدوء، فله الحمد على ذلك.

هذا وفي موسم الحج أوائل شهر ذي الحجة بلغ الشر ذروته في اليمن، وأحصى الذين سقطوا من بين المتقاتلين هناك إلى يوم التروية ثلاثين ألفاً ما بين قتيل وجريح، وعمّ القتل في المدنيين وغيرهم، وقتل أربعمائة من الصومال الموجودين في اليمن، وكان الرئيس علي عبدالله صالح ينادي بعدم التدخل في هذه الحرب الأهلية، وقد تصاعدت أعمدة الدخان من مطار عدن أبين، وخاض الفريقان معارك شرسة، وقام أمين الجامعة العربية ينادي بالصلح والتدخل لإنقاذ الأمة في اليمن، ولكن الفريقان لا يزالان مصطليين بنار الحرب، ولقد جدّ عصمت عبدالمجيد في الأمر بالتدخل في من قبل الجامعة العربية، ولكنها صرخة في وادي خالٍ من البشر، وما زالت القتلى تنزف دماؤهم برمال الأرض.

حادثة سماوية

لما أن كان في ليلة الخميس الموافق ٢٣ ذي الحجة عام ١٤١٤هـ في الساعة العاشرة ليلاً اصطدم كوكبان فحصل من ذلك نور عظيم بقدر ست ثوان، رُوي في القصيم وحائل وغيرهم بحيث أضاء الكون كرابعة النهار، وهذا يسمى نيزك، وكان لما اصطدم بإحدى الكواكب شاهد ذلك النور الذين كانوا يخرجون في ساحات الفضاء، وقد تحدث المنجمون الذين كانوا يستدلون بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية قبل وقوعه بأشهر، والله على كل شيء قدير.

ذكر موجة حر في آخر ذي الحجة

لما كان في عاشر برج الجوزاء من هذه السنة جرت موجة حر شديدة لم يعهد مثلها منذ زمن طويل بحيث قرر خبراء الهند بأنه لم يجر مثلها منذ خمسين عاماً، وقد هلك في الهند بسببها أربعمائة شخص وأربعة أشخاص، ونقل إلى المستشفيات مئات من المصابين، أما عن المملكة العربية السعودية فقد قرر الخبراء بأنه لم يجر مثلها منذ خمس وعشرين عاماً، ولشدة الرطوبة جعلت المكيفات تقطر ماءً، ولبثت خمسة أيام، والله على كل شيء قدير، وكان ذلك بعد افتتاح النوء عن الرياح

والأمطار، هذا ولا زال القتل مستمر في اليمن بين الشمال والجنوب بمعارك ضارية استهدف لها المدنيون، وأحرقت مصفاة الزيت الجنوبية، وحدثت حرائق عظيمة، وصمم الرئيس الشمالي علي عبدالله صالح على مواصلة القتال ليخضع الانفصاليون بزعمه على أن يخضعوا لسيطرته، وعجز المصلحون عن تسكين هذه الفتنة وعلى رأسهم الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وكان يمد اليمن الشمالي صدام حسين رئيس العراق، واستمرت هذه الحرب الضروس حوالي شهر ذي الحجة من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ١٤١٥هـ

استهلت هذه السنة والبوسنة والمهرسك في شر حال مع كفار الصرب الذين لم يتوانوا عن قتل النساء والأطفال المسلمين، بعدما سنوا بهم ما لم يسنها أحد من اليهود ولا النصارى قبلهم، وكانت البوسنة تدافع على حسب قوتها الضعيفة، وقد حاولوا الوقوف لغارات الصرب.

أما عن راوندا فإنه لما اغتيل رئيسها بمحادث طائرة تفجرت وهلك، حصل نزاع من المتمردين ضد الحكومة، فقتل بسبب ذلك مئات الآلاف، وعجزت الأمة عن تسكين تلك الفتنة، فقد عجز مجلس الأمن والأمم المتحدة عن تسكين أولئك الثوار.

أما عن اليمن فمنذ أن نشأت الحرب الأهلية حتى هذا اليوم فقد تم لها شهر وخمسة أيام، وقد استهدفت عدن أن اهتزت حيطانها بقنابل الحكومة الشمالية، وقد أحصيت عدد القنابل التي ضربتها منذ صلاة الفجر إلى تمام الساعة الواحدة ظهراً بالتوقيت الزوالي فكان كل دقيقة يسقط عليها قنبلة، وذلك من حكومة علي عبدالله صالح ومن أمده كالعراق والسودان والأردن، واستقرت الحرائق في عدن أبين، وعجز الإطفاء عن إخمادها، ونفدت المياه في عدن والحكومة الجنوبية، حتى قامت العربان واستعملت

الآبار لقلّة المياه فيها، وأصدر مجلس الأمن أوامره بإيقاف إطلاق النار، ولكن الشماليين لم يخضعوا، ويواعدوا ويماطلوا، واستهدفت الذراري والمدنيون، والعياذ بالله من ذلك، وألقيت جثث القتلى في البحر، واشتدت الأزمة جداً وتفاقم الأمر، وعظم الخطب.

كما أن كوريا الشمالية ظهرت بمظهر المعاند عن الخضوع للتفتيش عن أسلحتها الكيماوية، فنجم عن ذلك نزاع بينها وبين أمريكا، ولا تزال مصرة على أمرها وتهدد العالم بقوتها، ولما أن كان في غزة محرم جلبت أمريكا صواريخها إلى كوريا الجنوبية بعد استعدادها للخطة من تقلبات أمريكا الشمالية ومواجهتها بالقوات التي لا قبل لكوريا بها.

أما الحديث عن أنغولا ففيها حركة واضطرابات، فقد قتل فيها أربعمئة وخمسة وسبعون، وجرح خمسمئة، ونقصت المواد الغذائية عن التوصل إلى والوصول، وذلك في ١/١ من هذه السنة لعدم الأمن هناك، وشدة المخاوف.

كما أن الصومال وأفغانستان لا تزالان في تقلباتهما، والرئيس العراقي لا يزال يوقع الفرص لأذى المسلمين من الجيران وغيرهم، ولما أن كان لا يخلد إلى الراحة والطمأنينة أخذ يمد اليمن الشمالي بالقوات لحرب الجنوب بطيارين ثم بالطائرات العراقية، لأنه جبل على الأذى وسفك الدماء وإخافة الأمنين، ولكن له يوماً سيلقاه بإذن الله، وكان لما أن هزم في حرب إيران وحرب الخليج، وفشل في ضم الكويت إلى العراق لم يجد إلا الأذى إلى شعبه الذين أهلكهم الجوع والأمراض، وحرق حقولهم وأشجارهم، ودك بيوتهم عليهم فما فعل بالأهوار وغيرها.

وفي كشمير وغيرها من أذى المسلمين وتقتيلهم ما نقول أن أرجاء المعمورة تغلي من أجل الفقر فيها.

حالة اليمن المريعة

لما دخلت هذه السنة امتدت الوطأة على اليمن الشمالي والجنوبي، ولسوء

الحظ تدخل أناس لا ناقة لهم ولا جمل، فتقدمت العراق بطياريتها، وإيران بعشرة ألوية، وقام حسين عمان وحكومة السودان يقاتلون مع اليمن الشمالي ضد اليمن الجنوبي، وجرت أضرار مخيفة في اليمن، وذلك من ضرب القنابل وإرسال الصواريخ، واشتدت المعركة على الجنوبيين، وتوقفت مصلحة المياه عنها بحيث رجعوا إلى الآبار يبحثون عن الماء ويبعونها على العربات، وحرقت مصفاة الزيت في الجنوب، وحصل من الأذى ما الله أعلم به، وكان الرئيس الشمالي يقوم بإيقاف إطلاق النار ثم يهجم على غفلة من الجنوبيين، حتى استهدف الجنوب للسحق والمحرق، فطلب اليمن الجنوبي من الدول الكبار إيقاف إطلاق النار، فلم تفلح، واشتد البلاء.

ولما أن انتهت هذه الفتنة في اليمن التي جلبت للمنطقة الدمار والويلات، ودمرت العمران والعجزة من الشيوخ، والأطفال والنساء، ولم يكن في اليمن عقلاء من فوقها يطفئونها، وكان كل من الطرفين يريد الانتصار، ونشر الهلاك لهذه الأمة وذهاب أموالهم، وتدمير منازلهم لما يريد الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَِرَ سَوْءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ [الرعد: ١١]، فعياذاً بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وما أحسن من الرجلين أن يجتمعا ويتفاوضان في إيقاف ذلك البلاء المستطير، ويعلموا بأن ذلكم تسكين الفتنة وإخمادها:

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| فقل لرجال الضبط والربط إنكم | أسود حروب للخطوب تقارع |
| لا يحیی الأنساب خوابت نتوسلم | لا مهال الفي حتى يجمع |
| ألم تعلموا أن الفساد تعاقد | ومصلق عبق السان النصيع |
| وبربوة ينمو كل ما كان مهملا | لجذوة نار شرها يقوقع |
| فإن لم نجد فعل العوقد مطفئا | عجولا خوف فيها ليوث وأربع |
| لذا جعلها خلاف الرعايا رعاها | أذا لم يقم للمفسدين مروع |
| فإن قمتم في واجب النصح بينهم | فأنتم على نور من الله ينفع |
| وقد أعفيت تلك الرياح عما قد | نزىل يسيل الحق عنا ويرفع |

وكننت أذكر أن حرباً نشبت بين جيشين من العرب القدماء، وكانت نيران الحرب تضطرم فكان سبب إطفائها امرأة من نساء العرب الصلحاء ذات شرف ومقدرة، ونحن نسوق القصة، ذلك بأن أمير من أمراء العرب قال لمن حوله: هل يوجد أحد لا يزوجني؟ فقليل له نعم فلان، فركب الخاطب تحدي ورجاله متوجهاً إلى ذلك الشخص، ولما أن قدم عليه خطب من إحدى بناته فكأنه لم يُعره اهتمام فرجع، ولما أن ولي ذاهباً قالت له زوجته من هذا الرجل، فقال: هذا أمير فارغ البال يخطب إحدى البنات، فقالت: ولم لم تزوجه وهو كفو ومن جهة أخرى فإنه أقوى منك، فيوشك أن يغزوك في عقر دارك ويأخذ بناتك سراري، اذهب فردّه واعتذر إليه، فركب فرسه ثم أدركه وأبدى عذره وطلب منه الرجوع لينال ما طلبه هذا، وقد كان أهل الجاهلية ينهب بعضهم بعضاً، ويقتل القوي الضعيف قبل بعثة محمد ﷺ، فلما جاء الإسلام وانتشر في الأرض، حمى كرامة الإنسانية، ولما أن رجع دعا ابنته الكبرى فعرض عليها الزواج، فاعتذرت قائلة: يا أبتِ هذا رجل شريف وإنني لم أدرس ولم أتأدب، فعدل عنها إلى أختها، وعرض لها الموضوع، فاعتذرت بمثل كلام أختها، وقالت: الأمر إليك، ولكنني أخشى أن لا أسترِكَ، فعرض الموضوع على الثالثة، وأجابت بكلام أختها، فدعا الصغرى وقال لها: إنني أريد أن أزوجه برجل كريم، فقالت: لا مانع من ذلك إذا رأيته وأشرت به فأنت والدي الحنون، وأنا البنت المطيعة، فعقد لها عليها وقاموا بتجهيز طعام العشاء، ومائدة الزواج، ودعوة الجيران، ونحر الخرفان، ولما أن كان الليل ودخل في موضع النوم وأرادها قال: ليس ذلك من الشيمة أن يكون افتضاضك لي بين أخواتي، فإذا سرنا فشأنك، فاستشار وزيره فأشار عليه بالتزول على رأيها، ولما أن كانوا في أثناء المسير وخلي بها قالت: كاني تعباً وأنا لك فاصبر حتى تقدم بلدك وتنحر الجزور، وتدعوا الجيران إلى مائدتك، فشق ذلك واستشار وزيره فقال: نعم، وإنني أراها نجبية، ولما أن قدموا وفرغوا من طعام المائدة التي هيئت لزواج الأمير ودخل عليها يريد افتضاضها قالت: أيها الأمير إنني لك وإن أبي يقول قد زوجتك برجل عظيم وكفو

كريم، فإن كنت كذلك فأريد منك أن تسكن هذه الحرب التي بين عبس وذبيان، فشق ذلك عليه، واستشار وزيره، فأشار عليه بقبول كلامها، وكانت الحرب قد نشبت منذ ست وسنين بين قبيلتين قد سكنت كل قبيلة بجبل من الجبال، وما وقعت عليه السهام، ذهب ضحية تلك الحرب، ولقد جاء أحد المشاهير على فرسه يشير بعلم أبيض، فقال الفريقان المتحاربان هذا أبو فلان، ولم يخرج هذا الخروج إلا لمهمة، انزلوا وكلموه واسألوه، فقال: إن هذه الحرب التي أهلكت الأنفس والأموال لا بد من تسكينها فجعل الأمير يصالحهم، فأحصيت الديات فبلغت مائة دية، فتحملها ثم إنها سكنت الحرب، وذهب كل فارس إلى بيته، ولما كان بعد سكونها بأربعة أيام قام رجل من إحدى القبيلتين لا يعرف صلحاً ولا هدنة لأخذ الثأر من قاتل ابن عمه فقتله على غرة بعدما وضعت الحرب أوزارها فرجعت الأمور إلى وضعها، وقالوا خدعنا فلان الذي سكن الحرب، فقام وركب فرسه وأردف ابنه خلفه وخرج إليهم، وقال: هذا أمر لم يكن باستطاعتي وجرى ولكم ابني هذا فاقتلوه ومزقوه، وقد رأوا مواقفه تلك من صفح عن القاتل كغيره، وقد حضر هذا الشاعر الجاهلي صاحب المعلقة وهو زهير بن أبي سلمى بقوله يمتدح الرجلين الذين أطفئا هذه الحرب وسكنها، وهما الحرث ابن عوف وهرم ابن سنان:

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله | رجال بنوه من قريش وجرهم |
| يميناً لنعم السيدان وجدتما | على كل حال من سجيل ومبرم |
| تداركتما عيساً وذبيان بعدما | تفانوا ودقوا بينهم عطر منسم |
| وقد قلتما أن ندرك السلم واسعاً | مجال ومعروف من القول يسلم |
| إلا أبلغ الأحلاف عني رسالة | وذبيان هل أقسمتم كل مقسم |
| فلا تكتمن الله ما في نفوسكم | لتخفى ومهما يكتم الله يعلم |
| يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر | ليوم الحساب أو يعجل فينقم |
| وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم | وما هو عنها بالحديث المرجم |
| متى تبعثوها تبعثوها ذميمة | وتضر إذا ضريرتموها فتضرم |

فتعركم عرك الرحى بثفالها
فيصبح لهم غلمان سام كلهم
لعمري لنعم الحى حر عليهم
وكان جوير الثنى على مسلم
وقال سأقضي حاجتي لهم أبقي
فشد لهم بفزع هون لغيره
لدى سديسألي السماح فعنده
جرى متى يصلهم العاقب بظلمه

وتلقح كشافاً ثم تنتج فتؤم
ما جرى دايم لرضع قفصهم
بما كان إليهم حسين بن ضلم
فلا هو أبدها ولم تنعدم
بجدوى بالفذ وراع ملحهم
لدى حقيق القف رجلها أم سبقهم
لذنبق أظفاره لم تقلم
عريقاً وإلا يبد بالظلم يظلم

تأسيس دولة فلسطينية

لما أن كان في يوم السبت الموافق ٢٣/١ قدم الرئيس ياسر عرفات إلى مدينة غزة وأريحا، وكان الذين وقعوا على الحكم الذاتي من الفلسطينيين في قطاره، فأقيم احتفال لياسر عرفات الرئيس للحكم الذاتي، ولما أن قدم سار تحت حراسة قوية من الفلسطينيين، وصفقوا له وألقيت الخطب، وكان لهذه الغادرة، ولكن حماسية حماس لم يوافقوا على تصرفاته تلك ذلك لأن أريحا وغزة لا تقنعهم عن القدس والمسجد الأقصى وسائر فلسطين المحتلة، وكان للرئيس نظرة وهو أن مالا يدرك كله لا يترك كله، ولسان حاله يقول: هذا الذي حصلنا عليه أولاً والثاني في الطريق، وقد يكون ذلك نظراً وجيهاً لما كابده أهالي فلسطين بعد مرور تسع وعشرين تماماً من طردهم، وقد أفرج لذلك الصلح عن بعض السجناء من أهالي فلسطين، ولكن سوريا ومن كان على خلاف مع إسرائيل لم يخضعوا للصلح.

سقوط عدن

لما أن كان في يوم الخميس ٢٩/١ استولى اليمن الشمالي على الجنوبي بعدما أحرقت الشمالية مطار عدن وأعدمت ودمرت وقتلت النساء والأولاد، وضربوا مصفاة الزيت، ودمرت جميع مضخات المياه، ووصلت الحال باليمن الجنوبي إلى أن

كانوا يجلسون على سواحل البحر ويحفرون الآبار، وكادوا أن يهلكوا عطشاً، وفر الزعيم علي سالم البيض إلى عمان وذلك بمساعدة صدام حسين والسودان، وحسين ملك الأردن، وسام السكان سوء العذاب فلا حول ولا قوة إلا بالله، ونهبت أموال اليمن الجنوبي، وحطمت مساكن الأهالي.

وفيها وفاة الشيخ عبدالعزيز بن صالح الصالح رئيس محاكم المدينة المنورة رحمه الله وعفا عنه، وكان من العلماء الثابتين على مبادئهم، ولم تجزعهم زعازع الزمان عن عمر يناهز الخامسة والثمانين، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الثابت إمام المسجد النبوي وخطيبه زمناً طويلاً، قالت إحدى الصحف السعودية في وفاته: الأمة تودع الشيخ عبدالعزيز بن صالح حزينين خشوعاً ... رحل، ولد الشيخ بمدينة الجمعة عام ١٣٤٨هـ في أسرة كريمة ذات أصالة في الرأي، حفظ القرآن الكريم في صغره قبل البلوغ ودرس على المشايخ الأوائل، خاصة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري أحد كبار علماء عصره، وأما دراسته للتجويد على شيخ المسجد النبوي حسن الشاعر، وظهر مخايل النبوغ في صغره، وقام في صغره بمساعدة إمام مسجدهم لصلاة التراويح، وكان عمره ست عشرة سنة، ثم عين إماماً للمسجد في الجمعة ورئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالجمعة في نفس الوقت الذي كان يواصل فيه دراسته، عين في سلك القضاء في الرياض مع فضيلة الشيخ عبدالله بن زاحم، فالتحق في تلك الفترة بالمشايخ في الرياض، وصاحب آل الشيخ وسماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم، وفي سنة ١٣٦٣هـ اختاره الشيخ عبدالله بن زاحم من المقربين من الملك عبدالعزيز يرحمه الله، ورأساً لمحكمة المدينة المنورة، بدأ فضيلته إماماً بالمسجد النبوي في شهر شعبان ١٣٦٧هـ مساعداً لفضيلة الشيخ صالح الرغبي، وخطيباً للمسجد، وأحياناً في الصلوات الجهرية، رحمه الله.

في يوم الخميس الموافق من ٣/٢٥ وفاة الشيخ عبدالرزاق عفيفي المصري، كان من العلماء المتقدمين بأعلام الشريعة، والموثوق بهم في علم الفقه، ولد عام

١٣٢٣هـ، كان نائب هيئة كبار العلماء سابقاً، وقد درس العلم من الأزهر وتدرج في سلك التدريس بدار التوحيد بالطائف عام ١٣٦٤هـ، ثم في كليتي الشريعة واللغة بالرياض هذا قبل أن يعين مديراً للمعهد العالي للقضاء، وقد قال الشيخ محمد السبيل: إن الراحل خسارة كبيرة على المحكمة، وخسارة للأمة، ولقد فقدت الأمة شيخاً فاضلاً خدم الدين بكل صدق وإخلاص، في سنوات طويلة قام بنشر تعاليم الدين الحنيف الإسلامي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تعلم على يديه العديد من طلبة العلم، وكان حليماً وقوراً، ولا يخلو مجلسه من طلبة العلم، وقال عنه بعض العلماء: بأن الشيخ عبدالرزاق عفيفي قد عمل بعد قدومه معلماً في دار التوحيد، ثم انتقل للمعاهد العلمية عضواً في اللجنة الدائمة للبحوث، ثم عضواً في هيئة كبار العلماء، وكان رحمه الله عاقلاً وما زال يعطي العلم للذين يتلقونه على يديه، يعرفون له جده واجتهاده، وقال عنه بعض العلماء: أن وفاته خسارة كبيرة للأمة الإسلامية التي هي أحوج ما تكون إلى أمثاله.

وفيها في ٢٣ ربيع الثاني تفشى في بلاد الهند وباء أصيب به مئات من السكان وربما إذا كافحوه بشيء من المضادات سلم المصاب بدون ألم إن وقع فيهم الوباء تقطع جميع المواصلات بالطائرات والسيارات والمراكب البحرية، وعدم السماح لهم أن يقدموا إلى الجهات الأخرى وحقيقة تفشي الوباء فيها، ولا بأس بذلك لحديث إذا وقع الطاعون ببلد وأنتم فيها فلا تخرجوا، ولما أن وقع ذلك قامت حكومة الهند بمكافحته فزال بإذن الله في ظرف أيام، وقد أحصيت الوفيات فلم تزد عن ستين، وفيه سمح بالذهاب إلى الهند والإتيان منها.

وفيها في ٢٨ ربيع الثاني أصيبت اليابان بزلزال بلغت درجته سبع درجات، ثم بعد ثلاثة أيام أصيبت بأقل من الزلزال الأول.

زحف العراق إلى الحدود الكويتية

لما أن كان في ٢ / ٥ حشد صدام مائتي ألفاً من ثلثه يضم ثلاثة وخمسين دبابة

إلى حدود الكويت، وأخذ يتهدد ويتوعد يريد احتلال الكويت، وكان قد حيل صبره من ضغط أمريكا عليه في الاقتصاد في معيشة العراق، فأقدم على ذلك العمل الانتحاري، ولما أن جرى ذلك أجلبت الأمة بإذاعاتها ضد صدام وقامت أمريكا تتهدد العراق وتتوعدة، وطلبت من المملكة العربية السعودية السماح لها باستخدام بوارجها الحربية وحاملات الطائرات، والسماح لها بهبوط الطائرات في الأراضي السعودية، وذكرت الحكومة السعودية أن الاعتداء على الكويت اعتداء عليها، ولما أن أصرت العراق على حشد قواتها على الكويت قامت أمريكا وجهازت مائة ألف جندي وخمسة وستين ألفاً، وبعثت ستمائة طائرة، كما قامت فرنسا والإنكليز يندرون ببعث القوات ضد صدام، وكما قامت حكومات أخرى ضد صدام، وجعلت الأمة تترقب ماذا يحصل من ضرب العراق، وجعلت العراق تستعد لضربات أمريكا بالمطافئ على قدر استطاعتها.

في بقية ثلاث أيام من نوء، وأربعة أيام من أوائل الوسمي هبت رياح شديدة بأمطار جعلت في أواخر هذه الأيام ورواحاتها من بعد الظهر يتعكر الطقس تنشأ سحب كثيرة من دون برد، وقد هطلت أمطار على مدينة حائل وعسير وما يلي تلك المناطق، واشتعلت البروق ورنّت الرعود، ولقد هطلت أمطار كثيرة، تبارك الله في أمطاره، أما عن البحارة فهم يزعمون أن كل نقطة من القطر تقع في البحر في الوسمي فإنها بإذن الله تعالى تكون لؤلؤة.

عواصف رعدية وصواعق

نزلت على مصر ففي اليوم ٢٨ من جمادى الأولى من هذه السنة أصيبت مصر بإعصار شديد وصواعق أصابت مصر على العاصمة، وسقطت صاعقة على خزان البترول فيها فالتهمت الحرائق وحدث فيضان لم يعهد مثل ذلك في هذه السنين الأخيرة، منذ خمسين سنة، فأصيب خمسمائة من جراء ذلك بالهلاك، وانتهت ثلاثمائة جثة هامة، وبالعواصف والصواعق والأمطار الشديدة حدث فيضان في

القاهرة بحيث تعطلت الحركة ساعات، وارتفع منسوب المياه إلى ارتفاع ٣٧٤ سنتمتر، وتحطمت الجسور، وقد عم البلاء في فلسطين وعمّان بما في ذلك تل أبيب، وشرد أناس عن بيوتهم لما دهاهم من أمر الله شيء لا يعرفونه فيما قيل، وقد بقيت الطائرات من السعودية تحمل الأرزاق إليهم، كما أن ليبيا بعثت بمساعدات لمصر وقدرها مليون دولار، وكان الحادث قد وافق ٢ نوفمبر يوم الأربعاء، وما زاد الطين بلة أن الصاعقة ضربت خزان البترول فالتهب وساح على الأرض التي تجري عليها المياه، فالتهب الماء وجعلت الشوارع تجري ناراً، ودخلت البيوت فاحترق كل بيت دخلته، وذلك ليلاً، وهلك بسببه خمسة آلاف نسمة، ونادى الرئيس حسني مبارك بجمع التبرعات من فرش وثياب وطعام وأرزاق، وإنقاذ المصابين من الحوادث، لما كان في المساعدة التخفيف من الشر.

وفي ليلة الثلاثاء ٦/٥ هبت عاصفة على الخبراء من بلدان القصيم فحطمت بعض الأشجار ومواسير الكهرباء، ثم سارت العاصفة بإذن الله قرية وثال وسببت أضراراً عظيمة بحيث أتت على بعض النخيل والأشجار فخربتتها، ولم يسلم الجهد الذي بذل، وهذا شيء نادر الوقوع لأن الرياح والعواصف إنما تهب أواخر الشتاء، والله على كل شيء قدير، وقد جاءت الأنباء بأن فرنسا أصيبت بفيضان وأضرار في هذه الآونة.

وفيها في يوم السبت ثالث وعشرين من جمادى الآخر في آخر الوسمي أصيبت إيران بلاد العجم من فارس بأمطار غزيرة وفيضانات، فدمرت سبعمئة قرية من بلاد إيران، وهذا شيء نادر الحصول، نسأل الله اللطف بالمسلمين الموحدين.

وفيها قامت فرقة حماس الفلسطينية تهاجم إسرائيل فتدخل الرئيس ياسر عرفات لوقف الفلسطينيين على أن يعتذر لإسرائيل حسب الاتفاقية، فوقع على الفلسطينيين أن قتل أحد عشر وجرح ما يزيد عن خمسين، وقد أحتج أعداء ياسر عرفات أن هذا من عثراته.

توافق في ٢٦ جمادى الآخرة وافق ٢٩ نوفمبر وهو اليوم العالمي الذي وقع فيه

تقسيم فلسطين، وهذا الذين يبعث الأحزان لأجل احتلال فلسطين فينا، فيتخذها أهالي فلسطين، فإنما لهم ذكرى حزن في هذا اليوم الذي طردوا فيه عن بلادهم، ولقد احتج العالم العربي والإسلامي، وجاهدوا ودافعوا عن فلسطين، ولكنهم لم يحصلوا على طائل، وإن دولة تساندها أمريكا تجدها قوية، كما أن بريطانيا وفرنسا تمدها وتناصرها، لذلك لا يستطيعون، ولكن الحق فوق القوة، ومجلس الأمن ينبغي أن يسير بالعدالة والأمن.

وفيها في أوائل الأربعمائة اشتدت وطأة البرد جيداً وتجمدت المياه حتى أن ومواسير المياه في حفر الباطن توقفت عن الدفع في أول النهار.

في ١٢ رجب خرج رفقة إلى الموضع الكائن قريب من «قبة»، ولما أن كان أحدهم قد ذهب لطلب الخطب ضل الطريق في مجيئه، ووقفت السيارة لعدم وجود الوقود، فانتظره أصحابه إلى نصف الليل، فلم يرجع فبحثوا عنه إلى آخر الليل، ولما أن لم يجدوه ذهبوا بسياراتهم للبحث عنه، وطفقوا يبحثون عنه في المساجد والمجمعات والمستنقعات، فلما لم يهتدوا إليه طلبوا طائرة عمودية لتكشف البر وتشرف على سهوله، وفلم يجدوه، ثم إن بعد أيام تبين أنه وصل إلى بيت أعراب على مسافة خمسين كيلو متر من موضعهم، وقد طلب بنزين فلم يسعفه، غير أنهم سمحوا له أن يجلس لديهم بشرط أن يكتفي بالماء والتمر فلا يوجد لديهم غيره، فقدر أن مرت سيارة على بعد فأشار إليها وأوقفها، وطلب الركوب معهم، فذكر لهم أنه يريد أم الجماجم، فاستأجر منهم ركوباً إليها، وبعد وصوله كلم أصحابه في مدينة بريدة بالهاتف، فاستبشروا وذهبوا إليه، وفرح أهله وجيرانه واستبشروا بعد اليأس.

وفيها في يوم الاثنين ٨ شعبان وفاة الشيخ عبدالله خياط إمام وخطيب المسجد الحرام غفر الله له وأسكنه فسيح جنانه.

وفيها في صباح يوم الثلاثاء المبكر الموافق ٨/١٦ أصيبت مدينة كوني اليابانية بزلزال شديد بلغ سبع درجات، فارتجت المدينة وما يليها من البحر، فهلك بسبب

ذلك سبعة آلاف قتيل وجرح وخمسون ألف وفروا عن المساكن مائة ثلاثين تهدمت من مساكنهم، ويعد هذا من أعظم ما جرى على اليابان في السبعين السنة الأخيرة، وقد بعثت الحكومات إليها المساعدات المادية والفرش، كما أن السعودية بعثت إليها خمسة ملايين دولار.

كما أصيبت تركيا بهزة.

وفيها في يوم الاثنين ٢٨ رمضان وفاة الشيخ ابن عبدالله صالح بن أحمد الخريصي رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ صالح بن أحمد الخريصي قاضي بريدة ونواحيها، أصيب بمرض السكر فأقعده، وسبب له التقاعد، ثم قَدَّر أن يسقط في الحمام مما أثر عليه بالفالج وورم في إحدى ساقيه، فلبث في هذا المرض حتى توفى عن عمر يناهز السادسة والثمانين، لأن ولادته كانت عام ١٣٢٨هـ، فشب ونشأ ودرس في إحدى مدارس بريدة، وبعدما حفظ القرآن ودرس مبادئ الحساب، وأخذ الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي رحمهما الله، ثم إنه أخذ عن الشيخ سليمان بن عبدالله المشعلي العالم المشهور، وجد ونافس، ثم إنه كان في رئاسة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولديه عبادة لذلك، كان شديداً في لزوم العادات، ولا يميل إلى المستحدثات الأخيرة، حتى أنه كان لا يستعين بمكبر الصوت، وقد كان في إمامة مسجدهم الكائن في شمالي بريدة، وما زال في الإمامة حتى أدركته الشيخوخة، وأقعده المرض عن الإمامة فكان إماماً وخطيباً في ذلك المسجد، وترمقه العيون بالتعظيم، ثم إنه عين قاضياً بالخرج في سنة ١٣٧٢هـ، ثم نقل إلى قضاء الأسياح وبعد ثلاث سنوات نقل إلى قضاء المستجلة في بريدة، فكان مساعداً للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، ثم إنه جعل رئيساً لمحاكم القصيم عام ١٣٧٧هـ واستمر في هذه الوظيفة بعدما تخلى عنها الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، ولبث رئيسها حتى أحيل إلى المعاش عام ١٤٠٧هـ، وكان إضافة إلى المحكمة مدرساً في مسجد بالعلوم الدينية، وقد لبث في الخدمة أربعين عاماً، وبعدما

تقدم في العمر استمر في التدريس، وكان له خط ضعيف، وكان في كل أعماله موضع التقدير من قومه، وله رسائل ونصائح قليلة، وملازماً لمذهب الإمام أحمد، وكان من الذين لا يؤيدون مخترعات الوقت بل ثابتاً على مبادئه، حتى أنه لا يرى تعليم الفتاة العلوم المدرسية، وجد وجاهد في إزالة تعليم الفتاة، ولم يحصل على مقصوده، وقد نال حظاً من القيادة والتلاوة والحج والعمرة، ولديه ورع وعبادة وخشوع، وكان مرجعاً في زمنه لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب استطاعته، وله تلامذة يقدرونه ويقفون عند توجيهاته، ولما أن توفي يوم ٢٨ رمضان ١٤١٥ هـ حزن عليه المسلمون، وصلى عليه في مصلى العيد ببريدة، وصلى عليه ابنه سليمان، وقد رُئيَّ بمراثي حسان، كما أنه كريم في بذله للمحتاج، ويقدره الملوك والرؤساء، وما زال كذلك حتى وافاه أجله المحتوم.

وفي هذه السنة هطلت أمطار غزيرة على القصيم، ولما أن كان في عاشر شوال هطلت أمطار على مدينة بريدة مما أدى إلى غرق بعض المستشفيات ولا سيما التخصصي الواقع شمالاً من المدينة، فقد غرق ودخل الماء على المرضى وخرب الأوراق والمعاملات، واستوت الشوارع والأرصفة بعد ما علاها الماء، وكانت الدنيا كالبحر، ولطول الأمطار في الرسمي توفر وجود الأقط والكماة بأنواعها، وعم الكلاً والعشب نواحي الأرض، ولا يزال الخلائق في النعيم والرفاهية لآثار وجود الربيع، ولكن الأغنام وأنواع اللحوم في أثمان باهظة، وقد قلت الزراعة وضعفت في هذه السنة لعدم العناية بها.

ولما أن كان في يوم الاثنين ١٩ شوال الموافق ٢٩ الحوت هطلت أمطار على مدينة بريدة ثلاث عشرة ساعة، وكادت أن تتعطل السير لمدة أيام، وقد نزلت المياه في أسفل المستشفى التخصصي مما أدى إلى عمل لشفت الماء بالوايتات، وفي كلها بين الجانبين توقف السير في مدينة بريدة، وقد هطلت في هذه الأيام الأمطار على مدينة الرياض، وما حولها بعد قحط فيها وجذب، كما أنها سقطت بيوت في بعض النواحي لكثرة المياه، وهلكت أمة غرقاً في بعض المستشفيات خاصة في الطابق

السفلي، وقد ذكروا توفر العشب والكلأ الكثير في بعض الأماكن في حفر الباطن وهجرة، والزلفي، وعلى كل حال فإن الربيع فيه أمطار، وفي الحديث ليس القحط إن لا تمطر، إنما القحط إن أمطرت ولا تنبت الأرض، ومع ذلك فلإن مواشي وادي الدواسر الذي امتلأ، وقد أقبلت بلاد قطر مدينة آل ثاني لطلب الرعي في منطقة القصم حيث الكلأ.

حريق في منى

وكان شديد جداً، وقد وقع في ١٤١٥هـ لما كان في يوم سابع ذي الحجة في وقت طلوع الفجر شب حريق في منى، وقد كان الحجاج منشغلين يدعون الله ويستغفرونه ويتهيؤون للحج، وقد امتلأت منى بالخيام والزحام وكل قد انشغل بنفسه فلم يشعروا إلا وقد أصيبوا بقارعة من أيادي أعداء الإسلام والملة، وقد اضطرت النيران في الخيام وزاد الطين بلة أن هبت رياح شرقية جنوبية مؤذية فازدادت الأمور تعقيداً، وغطى الدخان الأسود نور الشمس، وأسفرت النيران وأحرقت على جميع الخيام التي مرت عليها حتى جاءت فرق الإطفاء والدفاع المدين، ولكن زالت الشمس، وقد قامت الحكومة بنصب خيام بدلها، ولم يهلك سوى رجلين، واختنق ٦٩، وجرح ١٩، ويمكن أن تكون هذه الحريق من يد عاملة ضمن منى.

ثم جاءت سنة ١٤١٦هـ

وفيها في أحد أيام ربيع الأول فر عن العراق ابتا صدام حسين والتجأتا إلى عمان تحت ولاية الملك حسين بن طلال، ومعهما أحد زوجيهما، وكان هذا على ثقة من صدام، ولكنهم كغيرهم كرهوا أعماله، وبعث نجله عدي يحتج على الملك حسين، وطلب منه رجوعهم إلى العراق فمانع الملك حسين وتظاهر بأن البنتين كلاجئ سياسي كما يقره القانون، فتأزمت الأمور بين العراق والأردن، وكان ملك الأردن رأى أن القانون الدولي يمنع طردهم، وقام الرئيس صدام يرغي ويزبد،

وجند الجنود وجيش الجيوش لحرب عمان، وقرر ضربه بالقنابل، وذلك كان بعدما رجع الابن عدي صفر اليدين، ومن العجائب سرعة تقلبات صدام كأنه ريشة في مهب الريح، فبينما هو يستحوذ على الملك حسين ويمنيه ويعدده باسترجاع الحجاز، ويمده بالسلح والذخيرة لحرب السعودية إذا به يتقلب عليه ويجر المدافع، ويرسل الطائرات لحربه، فلما أن علمت أمريكا بما يضره وما يريد ضد الأردن أعلنت بأنها ستضرب العراق وتنكل به، وهكذا كان أمر هذا الطاغية المجنون، وقد ظهرت إشاعات عنه بأنه يريد اللجوء إلى إحدى الدول لأنه خاف على نفسه وأصبح غير آمن في العراق، ويخاف اغتياله، بعد المحاولات العديدة، غير أنه يفوز بالنجاة من تلك المكائد التي رصدت له، وسبب على العراق الجوع والأمراض والفقر بسوء سياسته وقبح تصرفاته.

حادثة من الحوادث

لما أن كان في يوم الثلاثاء الموافق ٢٩ محرم ١٤١٦هـ الموافق ٢٧ يونيو ١٩٩٥م ثار الأمير ولي العهد القطري رئيس الوزراء وقائد القوات في قطر على والده وهو في جنيف ليقضي أيام المصيف هناك، وهو حمد بن خليفة بن حمد آل ثاني، فخلع والده خليفة بن حمد وساعده بعض الشعب وخلعوه وولوا الأمير حمد فأصبح الابن حاكماً في قطر، وذهب الأمير المخلوع إلى فرنسا يتوعد ويتهدد، وأنه سيقوم على ابنه وأتباعه ويمشي على جنائزهم، ولكنه لم يحصل على شيء، ثم إنه قام الأمير الجديد ينظم الأمور، وأقام الجيش والقوات يحافظون على الحدود خشية من القوات التي تؤيد والده، ولكنه لم ينتطح لذلك عنزان وكيل للأمير السابق بمكياله الذي اکتال به لخلع ابن أخيه أحمد بن علي بن عبدالله بن ثاني، وهو غافل بمصيفه في لبنان، ثم إن الأمير الجديد بعث إلى رؤساء العرب وملوكهم ينبئهم بما حصل، وبما أن هذه تعتبر ثورة داخلية فإنه لم يتدخل أحد فيها، وأوفد إلى السعودية يخبرها بما جرى فاعترفوا به أميراً في دولة قطر، ثم إنه بعث إلى والده يرحب به ضيفاً في

قطر بحيث أن يكون كأفراد الشعب ، وبهذا تعرف قدر الدنيا كما قال أبو الطيب المتنبي:

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها متعنا بها من جيئة وذهاب
تملكها الباقي تملك سالب وفارقها الماضي فراق تسليب
حشدت الحكومة المصرية قواتها على الحدود مع السودان، وذلك بدعوى أن
الذين أرادوا اغتيال حسني مبارك من السودان قبل ذلك بأيام، ولكن السودان
ضعيفة بالنسبة إلى مصر بحيث أن مصر تقاوم بالمدافع والرشاشات والطائرات،
وأولئك ليس لديهم سوى العصي وأسياف الحديد، ولكن السودان توعدوا بقطع
النيل عن مصر، لأنه يأتي إلى مصر من قبلهم، فتجلت تلك المشكلة من لا شيء،
وسكنت التحركات.

وفيها في شهر ربيع الثاني قامت أمريكا لما أن عيل صبرها من الصرب الذي
أذوا المسلمين في البوسنة والهرسك، وذبحوهم ذبح النعاج، حتى كان أحد قواد
الصرب يتظاهر بأنه لم يصب بجرح واحد في قتاله للمسلمين هناك، إلا أن الشفرة
التي بيده خطرة على فخذه التي كان يضجع المسلمين وأولادهم عليها للذبح،
وكانت أمريكا والأمم المتحدة قد أُنذرت الصرب وحذرتها من تلك الأعمال
الوحشية، وشرعية الغاب، فلما لم تنته الصرب ولم تخضع لأمريكا، ساقطت القوات
وأمرت شمال الأطلسي بضرب الصرب، وشتت قواتها وأعطتها درساً، ولتظهر
قوتها أمام العالم، فقامت راجمات الصواريخ والطائرات المدمرة تضرب قوات
الصرب وتشتت جمعها حتى لم يبقَ أمامها مقاومة يومئذٍ، وتفرقوا شذر مذر،
وناهيك بأمريكا وما لديها من البأس والحرب والضرب، وأقبلت التبرعات
والإمدادات للبوسنة والهرسك.

في هذه السنة وما تليها ازدادت رغبة الأمة في الدراسة، وأقبل الشباب أبناء
وبنات على الدراسة والتعلم إقبالاً لم يعهد قبله في قديم الدهر وحديثه، وأصبحت
المدارس كاظحة ومزدحمة على طلب العلم، ووقع ما أخبر به صاحب الرسول ﷺ
عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من قوله: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها

الصغير ويهرم فيها الكبير، وتؤخذ سنةٌ يجري الناس عليها، فإذا غير منها شيء قيل تركت سنة، قيل متى ذلك يا أبا عبدالرحمن؟ قال: إذا كثر قراؤكم وقل فهمكم، وكثرت أموالكم، وقل أماناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين، رواه الدارمي، ولولا ما وضعت الحكومة من جعل إعداد للقبول لكان الأمر فوق ما يتوقع، وقد يتجاوز العدد إلى رغبة غير معقولة فقد حدثني أحد المسؤولين بأنه يرد على كل جهة من المعاهد والثانويات، والمتوسطات وسائر المدارس، كل سنة ما يتجاوز الألوف من الفتيان والفتيات، ولا سيما مدارس البنات، فقد أوسعت الحكومة المجال لقبولها، وأخذت عدة بيوت تضمها لأن تكون مدارس، وذلك عن طريق الإجار بقيمة باهظة، وكان التعليم مجاناً، ومن تخرج من الفتيان والفتيات فإنه يجعل بالوظائف المختلفة، وكانت الحكومة تبذل مكافئات لبعض الطلاب والطالبات، وفي بداية الأمر تجلب الحكومة من خارج المملكة معلمين ومعلمات، وفي هذه الآونة استغنت الحكومة بما لديها من المتخرجين، وقد أثبتت اللغة الإنكليزية في المناهج، ومن الفتيات من تفوق بنشاطها على الفتيان، نسأل اله تعالى أن يجعل العاقبة إلى خير، ومما قال الشاعر المصري أحمد شوقي في وجوب احترام المعلم، ومعرفة قدره، لأن المعلم يغذي الجيل ويركز الآداب والأخلاق:

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| قم للمعلم وفه التبجيلا | كاد المعلم أن يكون رسولا |
| أعلمت أشرف وأجل من الذي | يبنى وينشئ أنفساً وعقولا |
| سبحانك اللهم خير معلم | علمت بالقلم القرون الأولى |
| أخرجت هذا العقل من ظلماته | وهديته النور المبين سبيلا |
| وطبعته بيد المعلم تارة | صدئ الحديد وتارة مصقولا |
| أرسلت بالتوراة موسى مرشداً | وابن البتول فعلم الإنجيلا |
| وفجرت ينبوع البيان محمداً | فسقى الحديث وناول التنزيلا |
| إلى أن قال: | |

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فاقم عليهم مائماً وعويلا

وإذا النساء نشأن في أمية وضع الرجال جهالةً وحمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلاً
فأصاب بالدنيا الحكمة فيها وبحسن تربية الزمان بذيل
إن اليتيم هو الذي تلقى له أمّاً تخلت أو أباً مشغولاً

إن الشاعر المصري أحمد شوقي قد أخذ بعض كلامه من قول الشاعر الحكيم:
ليس اليتيم الذي قد مات والده إن اليتيم يتيم العلم والأدب

وقد روي أن القاضي أبا يوسف رحمه الله كان يغتزل الشعر مع أمه ففقدته أمه
فإذا هو يذهب إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت لأخذ العلم عنه، فأتت والدته إلى
النعمان تطلب منه أن يتخلى الابن عن طلب العلم ويشاركها في طلب المعيشة
بالغزل فقال لها الإمام: دعي ابنك وشأنه فإنه سيأكل الفالودج بصحن الغيروزج
مع الخليفة، فلم تذهب الأيام والليالي حتى كان مرةً إلى جانب هارون الرشيد
يأكل من مائدته ويقدم له هارون الفالودج بصحن الغيروزج فتبسم أبو يوسف
والخليفة ينظر ثم قال: أخبرني ما الذي يضحكك يا أبا يوسف؟ فقال: حتى نفرغ
من الأكل فلما غسل يديه أخبره بمقالة أبي حنيفة رحمه الله، فترحم الخليفة على
الإمام أبي حنيفة وقال: هو العلم يرفع الله به درجات.

رجعنا إلى ما نحن فيه بصده، ففي هذه السنة قام الملك فهد بن عبدالعزيز يغير
جملة من الوزراء، وأبدلهم بآخرين، وإقالة وزير المعارف عبدالعزيز بن عبدالله بن
خويطر، وإقالة وزير التعليم العالي عبدالله بن عبدالمحسن بن تركي، وجعل مكانه
غيره، ونقل الأول إلى وظيفته، وإقالة مدير الجمارك وأبدل بسواه، وإقالة عبدالملك
بن عبدالله بن دهيش رئيس مدارس البنات العام، وإقالة وزير الإعلام علي
الشويعر، وأبدل بسواه، وإقالة وزير الحج والأوقاف عبدالوهاب عبدالواسع،
وإقالة وزير المالية أبا الخيل، كما أن هناك وزراء أبدلوا بغيرهم، أما وزير الدفاع
وإمارة الرياض وسائر الأمراء فلا يزالون في مناصبهم.

خطوط دائرية

لما أن كانت حركة السيارات لا تزال في ازدياد وكثرت حوادث السيارات بسبب الزحمة واختلاطها بالمارة من الرجال والنساء والأطفال، فإن الحكومة أيدها الله رأت أن تجعل خطوط دائرية تحف منتهى كل مدينة لتخفيف هذه الخطوط من الزحمة في المدن، وكان لهذه الخطوط أكبر الفضل على الحركة والمشاة، وما زالت المصنوعات الحديثة تتطور حتى أنشأت الحكومة الفرنسية طائرات تسمى سابقات الصوت، فكانت هذه الطائرة بصوتها العالي الرفيع إذا مرت فإن البصير لا يكاد يدركها لسرعتها مع ضخامتها، وكانت تقطع مسافة ثلاثة مراحل للإبل في دقيقة واحدة، ولقوة صوتها فإنها تكاد أن تحطم النوافذ والأبواب إذا مرت من حواليتها، وتغلق المسامع بأصواتها التي تغلب على الرعد الصواعق فسبحان الله العظيم.

وفيهما يوم الثلاثاء في ٢/٥/١٤١٦هـ وفاة الشيخ سليمان العبيد، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم رئيس شؤون الحرمين الشريفين ذو الأخلاق الكريمة، والأفعال المستقيمة، سليمان بن عبيد بن سلمى، كان دمث الأخلاق، حسن السيرة، أديباً كريماً متواضعاً، ولد عام ١٣٣١هـ في قرية البدائع في منطقة القصيم بلد أبيه، ولما بلغ من العمر سن التمييز بعثه والده إلى مدرسة أهلية في البدائع، فتعلم القرآن الكريم، ومبادئ الخط والحساب، وكانت المدارس إذ ذاك أهلية، فنشأ نشأة حسنة، ورباه والده تربية طيبة في ملازمة الصلوات الخمس واجتناب الرذيلة، وطلب الفضيلة كسائر أبنائه، ولما رأى والده ميله إلى طلب العلم، وعلو همته بحيث لم يكن في إخوانه علماء مثله بعث به إلى ملازمة الشيخ عمر بن محمد بن سليم في مدينة بريدة، وملازمة الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، فأخذ عنهما وأسكنه في حجرة مسجد ناصر بن سيف الذي يتولى إمامته الشيخ عمر بن محمد، وأوصى به صديقنا حسن السيرة ألا وهو صهرنا ونسيبنا زوج الأخت عبدالله بن علي الحمادا، كان

رجلاً ويمتاز بحسن السلوك ولين العريكة، وتهذيب الأخلاق، فكان الشيخ يتردد إلى بيته لتناول الطعام، والشراب بحيث لم يتزوج ولم يكن لديه من يخدمه، واشترى له كتباً ثمينة وجميع ما يتطلبه الوضع، وفرغ والده لطلب العلم، وكان له زملاء في المسجد المذكور في حجر المسجد، وما زال يتقدم، ثم إنه سافر إلى مدينة الرياض لطلب العلم من الشيخ الفاضل محمد بن إبراهيم آل الشيخ بعد أن كان من زملاء الشيخ علي السليمان الصالح، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العيدان، والشيخ سليمان بن محمد بن جربوع في بريدة، وكان زملائه في الرياض الشيخ عبدالله بن يوسف بن وائل، والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، والشيخ عبدالعزيز بن باز في أناس آخرين، واختارت الحكومة هؤلاء الأربعة لما كانت تتفرس فيهم العلم والمعرفة، ولما أخذ حظه من العلم في الرياض، بعثت ثلاثة منهم لتولي وظائف الحكومة في القضاء، وبما أن المترجم لم يرضَ هذه الوظائف القضائية ألزمت الحكومة إلزاماً، فقام بوظائف القضاء، وكان عند حسن الظن بحيث لم يشاغب ولم ينزع، بل كان دمث الأخلاق، حسن المعاملة، محبباً إلى الناس.

وظائفه التي نالها

أولاً جعلته الحكومة في قضاء بلدة الزلفي، فقام بالعمل خير قيام، ولما رآته الحكومة أكبر من هذه الوظيفة نقلته إلى قضاء المجمعة، ولما أن كان من خيرة بني زمانه لم يرفع عند أخطاء، ولم يشاغب، جعلته الحكومة رئيساً لمحاكم المنطقة الشرقية، ثم نقل رئيساً لمحاكم الرياض، ثم مساعداً لمدير عام التعليم بالمملكة، ثم رئيساً لمحاكم عنيزة، وأخذ من السياسة ما الآن شكائهم، ولما أن احتاجت محاكم مكة المكرمة رئيساً لمحاكمها بعد فضيلة الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش، نقلته الحكومة لأن يكون رئيساً لمحاكم الحجاز، وناهيك به من حبر، سار بها وخطابها خطأ بحسن سيرة وحكمة، ولبت في الرئاسة زمناً قوياً من غير عنف، وليناً من غير ضعف،

أوامره منفذة، وسيرته حميدة، وكان في الوكالة معه الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ثم إنها شغرت وظيفة رئيس الإشراف على الحرمين الشريفين بعدما رفع الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد إلى أن يكون رئيس المجلس الأعلى للقضاء في العاصمة الرياض بعهد إمام المسلمين خالد بن عبدالعزيز الملك العادل، ذلك لأنه راجح العقل، وينزل الأمور منازلها، كما جعل الإمام الملك خالد وزير للعدل إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فصدرت الأوامر بنقل الشيخ بن حميد إلى تلك الوظيفة، ولم تجد الحكومة لرئاسة الحرمين غير الشيخ سليمان بن عبيد، وذلك لما كان يختصه الملك فيصل بن عبدالعزيز للمشاورة والاستئناس، لأنه حظي في القرب من الملك فيصل لما رأى حسن سلوكه وقلة مشاغبه، ورضا الجميع عنه، فلبث المترجم في الرئاسة للإشراف على الحرمين، حتى أقعده الكبر، وطلب من الملك فهد بن عبدالعزيز الإحالة على المعاش والتقاعد، فعطف عليه وأكرم مثواه بالإجابة إلى طلبه، وكان المساعد للشيخ سليمان فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله بن سبيل، وهو الذي تولى رئاسة الإشراف على الحرمين، ثم إنه لما استراح من الأعمال أصبح يصيبه الدوار، وقد تصيبه بعض الأحيان قلة الذاكرة، ثم إنه توفي في هذه السنة عن عمر يناهز الرابعة والثمانين وأربعة أشهر، نسأل الله تعالى أن يعلي منازلته في الجنات العلى، وفيها النعيم المقيم، وإنها لخسارة عظيمة أن يصاب الإسلام بمثله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وبما أنه صديق لنا وزميل في الدراسة على مشايخنا، فإني أحببت أن أرثيه بهذه المرثية، وهي غيضٌ من فيض:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| سلامٌ من الرحمن للحبر ذي النهى | فما هو عن أسبابها متخلف |
| عليه سلام الله أذكى تحيةٍ | وروحٌ وريحان يبدو ويعطف |
| وإني وإن كنت الذي لا يهمني | فراق بني الدنيا إذا هم تخلفوا |
| ولكنني والله ما زلت باكياً | وأندب أخلاقاً لها الموت يخطف |
| فهذا صديقٌ خلصٌ بوفائه | وهذا قريبٌ بالفجعة يؤسف |

سليمان قد كنت الرزية في الملا
رمانا بك الدهر الدؤوب بفرقة
إذا أنت قد وليت عنا مفارقا
لقد كان مأمون السريرة فاضلاً
ويحسن آداباً وليس بطائش
قد اختاره الرحمن للحجر والصفاء
إلى الله نشكوا من فراق أحبة
إذا كنت مفجوعاً بفقد أحبة
فهذا زمان قل فيه خياره
فمن لي بإخلاف على الجهل قد نشوا
فيا دهرنا قد كنت بالسوء موقظاً
أولوا العلم صاروا للمصائب عرضة
نريد خلوداً في الحياة جهالة
فمن مثل أركان الهدى قد تفرقوا
فسبحان ربي من عظيم مدبر
تباركت يا من قد فطرت خليفة
فليس سوى التسليم لله وحده
فصبراً بني الإسلام صبراً على القضا
وصل آهي عد ما أنت خالق
وما سار للبيت العتيق مليباً
على أحمد رب المكارم والتقوى

وفارقت أحباباً وألفاً مؤلف
يكاد لها القلب الرصين لينسف
سلام على الدنيا إذا كنت تصدف
وركناً عظيماً في الفضائل يعرف
على شرعة الهادي يسير وينصف
وللحجر الميمون يسعى ويهتف
فهذا مضى ختماً وآخر يردف
وإبقاء قوم ليس في الخير تعرف
وأندر في المنقول من كان ينصف
شعارهم حب الرئاسة إن وفوا
ففي كل يوم فالعلى يتقصف
فهذا مضى والكل منا غوف
وهذا غراب البين بالبئر يهتف
ودارت رحى هلاكهم وتخلفوا
يدير أموراً فعله لا يكيف
على وفق ما قد شئت لا يتخلفوا
رضينا به رباً جليلاً يصرف
عسى الله بالجبران يرفو ويكشف
وما ناحت الورقاء على الغصن تهتف
حجيج وطافوا ثم صلوا وعرفوا
وآل وأصحاب إلى الله يعكف

فهذا شيء من مناقبه وفضائله، ومن فضائله أنه دعاني مرة على أثر رؤيته تلك
الليلة على مائدة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في وادي عكاظ، فطلب مني
صباحاً أن أنزل معه إلى مكة المكرمة، وأطوف بالبيت الشريف ثم بدا لي الخروج

إلى الطائف لمأدبة الغداء، مررت عليه في المحكمة، ولما أن مررت على المحكمة وجدت المدعي العام يخاصم أحد الأشراف بدعوى أن الشريف عون الرفيق قد منح هذا الشريف قطعة أرض بعرفات ليجعل فيها قهوة ومطبخاً، فأنكر الشيخ هذا التصرف وأبطل المنحة بحجة أن مشاعر الحج لا يجوز فتحها لأحد، لأنه لو فتح هذا الباب لفسد المجتمع، ولضاقت عرفة بالحجاج، وما أحسن هذا الحكم لعودته بالمصلحة، وكان قد أخذ رأيي بحضور الخصم، فشكرته على ذلك ودعوت له الله أن يجعلها في موازين حسناته، نعم إنه لا يجوز منح أي شيء من المشاعر لأحد كائناً من كان ولو أنصف الناس لاستراح القاضي.

إلقاء قنبلة

ثم نعود إلى التاريخ فنقول إلقاء قنبلة في جامع قرية قويا من عسير، لما كان في يوم الجمعة الموافق ٢٦ جمادى الأولى قام مواطن من أهل القرية المذكورة فآلقى قنبلتين من صنع روسيا على المصلين، فسبب أضراراً جسيمة بحيث قتلت ستة مصلين وجرحت مالا يقل عن تسعين رجلاً، وطارت الفرش والدواليب والمصاحف والأردية من فوق الروس متمزقة بحالة مخيفة، وخربت ودمرت، وكان الباعث لهذا الشقي هو أنه طلب منحة أرض، فلما لم يوافق الأهالي واعترضوا فعل ذلك الانتقام، ولما أن فعل تلك الفعلة الشنيعة فرّ على سيارته، غير أنه اهتدى صبي لمعرفته فأخبرهم، وكاد أن يدهس الصبي، ودخل الجاني بيته وغلق الأبواب، فقامت القوات الحكومية فأحاطت بالبيت، وفتشوا على جميع أهالي قرية القوباء، وكان مع الجاني رفيق له، وكان الجاني شريراً وذا عائلة، وقد نصحته إحدى زوجتيه قبل ذلك، ولكنه لم يقبل لما يريد الله به من النقص على نفسه وعلى المسلمين الأبرياء، ويقدر عمره إذ ذاك بخمسين سنة، واسمه عبدالله محمد سعد العمري، يلقب بابن معمر، كما أن زوجته ناشدته لما فعل فعلته الشنعاء وجريته النكراء أن يسلم نفسه للعدالة، ولكنه اختفى بغار في جبل، فلما كان يذهب بمنّة

ويسراً ويختفي لم يغنه ذلك عن الله شيئاً، ولما أن أحاطت به القوات كان معه قبلة أخرى ففجرها بنفسه قبل القبض عليه، فطارت بعض أضلعه، وتمزق لحمه والعياذ بالله.

وفيهما في يوم السبت الموافق حادي عشر جمادى الثانية اغتيل رئيس وزراء دولة اليهود في فلسطين إسحاق رابين، قتله يهودي متطرف غضباً وانتقاماً منه لأنه عقد الصلح مع العرب، فأحدث ذلك جزعاً لدى اليهود ولدى بعض رؤساء العرب وملوكها لأنهم وصفوه بكمال العقل والمعرفة، ويجب مسألة العرب، وأقيم لقتله في اليهود حداداً عليه ورنه أسف، ومن أعظم ملوك العرب الذين جزعوا لقتله حسين بن طلال ملك الأردن.

وفيهما في اليوم الاثنين الموافق ٢٠ جمادى الثانية في الساعة الحادية عشرة زوالي قبل الظهر فجرت عبوة ناسفة في مدينة الرياض عاصمة المملكة السعودية في حارة العليا حوالي بقالات، فأحدثت أضراراً شديدة وقتلت عدة أشخاص، وجرحت آخرين، فحصل بذلك رنة أسف في الداخل والخارج، وجاءت برقيات الاستنكار لهذا الحادث المؤسف من المغرب والإمارات وعمان ولبنان ومصر والبحرين واليمن وغيرها، وقامت الحكومة السعودية بالبحث والتدقيق، وانبعثت قوات الأمن ورجال الأمن بالتفتيش للتوصل إلى من حدثته نفسه بالكيد والأذى إلى هذه الدرجة الرذيلة.

وفيهما في شهر جمادى الآخرة حصل في مدينة أبها من أعمال عسير في جنوبي المملكة السعودية حريق لا يعلم ما سببه في هجعة الليل، فأصيب بعض الطلاب الكاثنيين في سكن إحدى المدارس وهم نائمون فلم يستيقظوا إلا وهم فحم، نسأل الله السلامة، كما أن الفرش وما إلى ذلك احترقت، وما زالت الحكومة تبحث وتجري التحقيقات للتوصل إلى من كان السبب في هاتين الجريمتين، وقد أغلقت الشوارع في مدينة الرياض للقبض على من سبب ذلك، وقد كثر جلب المخدرات سرّاً في كل أنحاء المملكة السعودية بالرغم من عقوبات القتل والتنكيل لكل من

يجلبها، وغلّظت العقوبات الصارمة على كل من يجلبها أو يتعاطاها، ولكن النفوس جبلت على الإقدام على ما نهيت عنه ابتلاء وامتحان، حتى قال أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك: لولا أن الله ذكر اللواط في القرآن الكريم وعقوبة فاعله لما سطت بعض النفوس الرذيلة على فعله.

وفيها في صباح اليوم ٢٦ من جمادى الآخرة فجرت السفارة المصرية في الباكستان في إسلام آباد، فتهدمت السفارة وسقطت مبانيها، وزعم الذين فجروها أنهم إنما يريدون الرئيس حسني مبارك وهم الذين أرادوا اغتياله سابقاً بأن دخلت سيارة تحمل تسعة من الأشقياء على السفارة ففجروها، فسقط عشرة من الموظفين هلكى، وجرح ستون نفر، فقامت الباكستان لذلك وقعدت وأرغت وأزبدت استنكاراً لذلك، وكيف تقع تلك الفوضى في أراضيها، وقد قبل أن الذين أقدموا على ذلك من المتطرفين بمصر الذين يعارضون حكومة الرئيس حسني مبارك، وإنه عما يبعث الأسى في القلوب والأحزان في الصدور وقوع مثل هذا العمل الإجرامي الذي لا يقدم عليه إلا من فقد إنسانيته وقل نصيبه من الدين، وإلا فما ذنب أولئك الذين ذهبوا ضحيةً لهذا الحادث الإجرامي المؤسف، يريدون التأثير على الرئيس بإصابة غيره، وقد مرّ بنا ما وقع في مدينة الرياض منذ سبعة أيام من مرور هذا الحادث الذي وقع الاستنكار له، وانهاالت مئات البرقيات من أنحاء المعمورة إلى الملك فهد بن عبدالعزيز وأسرته في هذه الحادثة التي وقعت في العاصمة، ويشجبونها، وما زالت الحكومة بالبحث والتدقيق، ويمكن أن لا يعجزوا في القبض عليهم والتنكيل بهم، وقد كثرت هذه الأفعال الشنيعة من أعداء الإسلام وأهله، وقيام شرذمة مفسدة على وجه الأرض يؤذون المسلمين بأفعالهم وأقوالهم الرذيلة لأنهم فقدوا إنسانيتهم وأضاعوا دينهم، وسعوا في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين، نسأل الله تعالى أن يقطع دابرهم وما عمل عامل برذيلة سراً إلا ألبسه الله إياها علانية،

اللهم من أراد الإسلام وأهله بسوء فأشغله بنفسه واجعل كيده في نحره، وردده خائباً من جملة الخائبين.

حادثة سماوية تهز الأرض

ففيها في تاسع وعشرين جمادى الثانية في الساعة السابعة صباحاً في ١٥ دقيقة، وقع زلزال في شمالي غرب المملكة السعودية وما يلي تلك الربوع من العقبة والأردن ومصر، فتأثرت خمس ممالك من ذلك الزلزال، فسقطت مراوح سقفيه في تبوك، وأحسّ بتلك الهزة من في المدينة المنورة، وأصيبت منازل في مصر والأردن وتل أبيب والعقبة، ولما أن وقع ذلك الحادث اتصل الملك فهد بن عبدالعزيز اتصالاً هاتفياً بأمير تبوك يستفهم عن الأوضاع في منطقة تبوك، وعن سلامة الأرواح، ولعل الله دافع عنهم فجاء الجواب من الأمير صاحب السمو فهد بن سلطان بن عبدالعزيز بأن الأوضاع آمنة ومستقرة، والله الحمد أثر تعرضها لهزة أرضية، وإن جميع الأجهزة الحكومية ذات العلاقة قامت بواجبها نحو هذا الحادث، وإن الحياة في تبوك والمدن المرتبطة بها تسير بشكل عادي، وقد طلب جلالته من الأمير نقل عزائه لأسرة طفل أصيب من جراء ذلك وأسرة باكستاني أصيب وهلك، وكان مركز الزلزال في جنوب حقل على مسافة ١١٠ كيلو متر وبنفس البعد والمسافة عن العقبة، ونجم عنه في حقل حالتنا وفاة في محافظة حقل على خليج العقبة، ومركز البدع المجاور لها، وكان الزلزال قوياً، هز عدة دول في المنطقة قوته ٨,٥ درجات، وقد هز مصر والأردن والأراضي المحتلة، ونجم عنه وفيات ٦ أشخاص وإصابة عشرين بجروح، وكان أخف وقعاً في سوريا ولبنان، وانهار في مصر فندق مكون من أربعة طوابق، وقتل سائقاً مصرياً وشخصاً لبنانياً، وتدمير منشآت، وأصيب أحد عشر شخصاً، وأصيب إسرائيلي عمره ستة وستون عاماً بأزمة قلبية من جراء ذلك، وفي الأردن أصيب رجل بأزمة قلبية وتهشمت النواذف في العقبة، وفي القاهرة قفز رجل من شرفة مسكنه فسقط ميتاً، وأصيب طبيب عندما سقط عليه سقف

غرفته، وتراوح تقديرات الراصد المختلفة لقوة الزلزال بين ٧,٥ و ٧,٢ درجات على مقياس ريختر، وسقطت مئذنة في مصر وانهار مباني في القاهرة، وكانت العقبة التابعة للأردن قد تأثرت مبانيها من ذلك، كما أصيب في مصر أربعة أشخاص اثنان قفزا من شرفي منزلهما واثنان هلكا في الفندق، وكان هذا في ظرف دقيقتين حال الزلزال، ولا ريب أن الله عز وجل قدرته خوفت عباده من وقوع العذاب بهم، كما قال تعالى: ﴿أَإِنَّمَا أَنَا خَسِيفٌ يُكْمِ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [المملك: ١٦]، فبينما الخلاق يتمتعون على ظهر الأرض التي جعلها الله ذلولاً يعرفون كيف تتحول هذه الأرض إلى دابة غير ذلول في بعض الأجيال، عندما يأذن الله بأن تضطرب قليلاً فيرتج كل شيء فوق ظهرها أو يتحطم ويمور كل ما عليها ويضطرب فلا تمسكها قوة ولا قدرة ولا حيلة ذلك عند الزلزال والبراكين الكامنة، في هذه الذلول، وأمسك من أمامها فلا تثور إلا بقدر ولا تجمع إلا ثواني معدودة حينما يأذن الله لها فيتحطم فيها كل ما يشيده الإنسان على ظهرها، أو يغوص في جوفها عندما تفتح أحد أفواهها، وتخسف فإذا هي تمور والبشر لا يملكون جماعها، ولا الأخذ بزمامها بل لا يملكون من هذا الأمر شيئاً ولا يستطيعون ويشاهدون العواصف الجاعحة الخاصة التي تدمر وتخرب وتحرق، وهم بإزاء ذلك ضعاف عاجزون بكل ما يعلمون وما يعملون، والعاصفة حينما تزار وتضرب بالخصى الحاصب، وتأخذ في طريقها كل شيء مرت عليه في البر أو البحر والجو، فيقف الإنسان أمامها عاجزاً صغيراً هزيراً ضعيفاً حتى يأخذ الله بزمامها فتقف وتهداً فسأل أمريكا، ومن في صفها من أهل الأهوال والاختراعات والتفكير التي غزوا بها الجو والبر والبحر، هل يستطيعون الوقوف أمام قدرة الله وعظمته أم هل يستطيعون أن يمسكوا بزمام الأرض إذا هي تزلزلت واضطربت وخسفت فلم يبق إلا التسليم والخضوع لعظمة صاحب العظمة، فسبحانه ما أعظم شأنه وأجل قدرته، وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره، وكانت مدة الزلزال على ما رصده أهل العلم والمعرفة دقيقة واحدة وعدة ثواني، وقد وافق يوم الأربعاء من عدد أيام

الشهر الذي أشرنا إليه، وقد قال أمير منطقة تبوك أن الحالة بعد الظهر كانت طبيعية، هذا وقد وصلت آثار الزلزال إلى المدينة المنورة وجنوباً إلى ينبع، فقد شعر به بعض المواطنين هناك عند الساعة الرابعة والربع، واهتزت بعض العمائر والمباني السكنية اهتزازاً خفيفاً خاصة في شرق وجنوب المدينة وضبا والحوالي، وفي بعض مدارس البنات تم إخلاء الصفوف الدراسية ولم يسمح للطالبات بدخول الفصول إلا بعد الحصة الرابعة في الساعة العاشرة، ولم تحدث أية أضرار مادية أو خسائر بشرية، في البدع وحقل وتبوك، وسقط منازل طينية، وتصعد بعض المباني المدرسية لبنات والأولاد، وسقط بعض واجهات المحلات التجارية والأسواق القديمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وكان في مدينة تبوك قد تم إجلاء الطلاب والطالبات عن مدارسهم خشية سقوطها عليهم، وتم نقل إصابات خفيفة إلى المستشفيات كما توجه بعض المواطنين للمستشفيات والمراكز الصحية للاطمئنان على صحة أولادهم وذويهم.

وفاة رجل من الرجال

ففيها توفي الأمير محمد بن سعود الكبير، ويسمى شقران، كان يوصف بالكرم والرجولة، وفيه مكارم أخلاق، وله شهامة وعزة نفس، وبعد من رجال آل سعود الأكرمين لما له من الأفعال الكريمة والمسابقة إلى الخيرات، وقد رثاه ابنه عبدالعزيز بن سعود بن محمد بمرثية نبطية نشرت بالقلم العريض في جريدة الجزيرة، وباح بماله من الشجاعة وعق الرقاب وعطفه على المساكين كما أثنى عليه بالعقل والحلم والكرم كما رثاه أيضاً خالد بن سعود الكبير بمرثية شعر نبطية نشرتها أيضاً الجزيرة في نشراتها ولولا أنهما ليستا من شرطنا في نشر شعر النبط لأتينا بها وإنا لله وإنا إليه لراجعون، ونترحم لكل من قام به داعي الإيمان والإحسان والعطف على الفقراء والمساكين، ونسأل الله أن يكثر من أمثالهم وإن رجلا كشقران لجدير بالشاء والذكر الحسن.

ومن توفي فيها من الأعيان وذلك في يوم الأربعاء ٦/٢٩ الأميرة منيرة بنت

فيصل بن هذلول بن ناصر آل سعود خالة كل من الأمراء فيصل وسعود وفهد أبناء الأمير عبدالله بن ثنيان بن محمد آل سعود، وفهد وسعد أبناء الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان أمير منطقة القصيم سابقاً، وتركبي وفيصل أبناء الأمير محمد بن سعود بن هذلول آل سعود، وقد صلي على جنازتها ظهر الأربعاء في الجامع الكبير جامع الإمام تركي بن عبدالله في مدينة الرياض، ودفنت بمقبرة الدرعية تغمدها الله بواسع رحمته.

ومن توفى فيها أيضاً السفير السعودي فؤاد عبدالحميد الخطيب سفير المملكة الأسبق لدى بنغلادش والأمين العام المساعد السابق لمنظمة المؤتمر الإسلامي رحمه الله برحمته الواسعة، وكان أبوه هو عبدالحميد الخطيب المؤرخ، وصاحب كتاب الإمام العادل الذي وضعه تاريخاً للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، يقع في جزأين سنة ١٣٧٠هـ وقد تم طبعه في مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

وفيها في غرة شهر رجب قامت مدينة بريدة تستعد بزياراتها وأنوارها وزخارفها لقدوم ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز أيده الله، وقد أقيم موضع الاحتفال حوالي هجرة الفوارة بالحيام والزينات والأبهة، فقدم في يوم السبت ٣ رجب إلى ذلك من جهة الحرس الوطني فيه سرادقات وخيام وعدة وتنظيمات وما يقتضيه الوضع من سيف ومنسف ومطابخ وعدة وعدد، رعاه الله وأيده، وكانت هذه الزيارة منه للقصيم ليفتح جامع بريدة الكبير الذي تمت عمارته على نفقة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله، ولوضع أول حجر أساسي لعمارة قصر الحكم الجديد في مدينة بريدة عاصمة القصيم الكائن في الصفراء، ففرحت أهالي القصيم لقدومه والترحيب به، وكانت أعمدة الكهرباء وأقواس النصر قد أنيرت، وأقيمت في الشوارع الرسمية، فعادت أنوارها في الليل كرابعة النهار في زمن معقول أوائل برج القوس، وافتتح في ٢٤ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٩٥م وفي الساعة الثانية من يوم الاثنين ٥ رجب حضرت الأعيان لفتح الجامع الكبير بعد الظهر بين ملاً عظيم من الخلائق افتتح المسجد ودخل المسلمون إلى رحبته وأطلق

عليه جامع الملك فهد بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين، وكانت ساعة عظيمة من الزمن لأهالي مدينة بريدة اغتصت الشوارع بالخلاتق، وأقفلت الطرق لحضور ولي العهد والناس يشرفون من بعيد وكما أنه وضع أول حجر أساسي لقصر الجديد في مدينة بريدة، وافتتح المرحلة الأولى من مباني جامعة الملك سعود بالمليدا، وألقيت الخطب والترحيبات بهذه المناسبة وظهر الفرح والسرور، وكانت تكلفة القصر تقدر بتسعين مليوناً من الريالات، وكانت في مدة إقامته في بريدة محترماً ومعظماً تزوره الرؤساء ويقدمون إليه الشكايات، وكل ما لديهم من الحاجات ليقضيهها، فلبث فيها يتقلب في بعض قرى القصيم، وفي يوم الأربعاء سار موكبه مخفوطاً برعاية الله وحفظه.

وفيهما صدر الأمر الملكي بإقامة صلاة الاستسقاء بسائر أنحاء المملكة لأنه من الوسمي ٣٦ يوماً، ولم يأذن الله بالمطر فأقيمت صلاة الاستسقاء في اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الثانية الموافق ليوم الاثنين ٢٠ نوفمبر، ولما أن كان بعد مضي عشرة أيام قامت السماء تمطر بأمطار غزيرة ثلاثة أيام بدون رعود ولا بروق، ولما أن كان من آخر اليوم الرابع الموافق ليوم السبت عاشر رجب ارتكمت سحب ثقيلة كالجبال وبدأ المطر، وكادت تقطع القلوب من شدتها، وكادت البروق أن تخطف الأبصار بقوتها، وكادت أن تغرق بعض المحلات، وبما أن مدينة بريدة قد لفظت المياه من قبل في بعض جهاتها فقد أحدثت فيضاناً عظيماً على ظاهر الأرض ذلك لأن الحكومة لما أضعفت الزراعة في هاتين السنتين الأخيرتين، وقل سحب المياه من بطن الأرض حدثت تلك الفيضانات، وبما أن البناء أولاً من اللبن والطين فأثر الفيضان على البيوت والمساكن، فإنه قام الملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله بإنشاء خزانات أتوماتيكية في باطن الأرض مما خففت الوطأة إذ ذاك فقد أقيمت بعد ذلك البيوت من الإسمنت المسلح في ظرف ثلاثين عاماً، وأصبحت الأمة آمنة من سقوط البيوت بخلاف عام ١٣٧٦هـ لما حدث الغرق إذ ذاك، غير أن الشوارع لا تزال الأمة تعاني منها لكثرة المياه، كما في حارة الصبيحية،

وحي مشعل وما إلى ذلك، وأملنا عظيم في حكومتنا أن تسعى جهدها في راحة المواطنين والقيام بما يجب من سفلته وإصلاحات في الطرق وغير ذلك.

وفيها في يوم الأربعاء الموافق ٢١ رجب جرى في العقبة زلزال خفيف لم يحدث تهديماً ولا تقيلاً، نسال الله أن يلفظ بالمسلمين.

وفيها في منتصف شهر رجب أصيب الملك فهد بن عبدالعزيز بوعكة مرض فتجلت بعد أسبوع، وجاءت التهاني والسرور وسلامته.

وفيها في ٧/٢٢ ساءت العلاقات بين اليمن وبين أرتيريا فوقعت الحرب واستطاعت الثانية أن تستولي على ما أرادت، وهي تتعلق بالحدود وبينهما كما أن بين اليمن والسعودية خلاف في الحدود بينهما، ذلك بأن اليمن تدعي بأن معاهدة الطائف واتفاقيتها التي عقدها الملك خالد بن عبدالعزيز بالنيابة عن والده عبدالعزيز قد انتهت، وهي في عام ١٣٥٢هـ لمدة «٦٠ سنة»، وتقتضي النظر في نجران وعسير بعد ذلك، ولما أن كان في أواخر شهر رجب بعد مضي ٢٣ منه توالى نزول الأمطار على بريدة وضواحيها، وهطلت أمطار غزيرة بحيث اختفت الشمس من ذلك التاريخ وعم الغيث، ولم تكد تفرّ الأمطار ليلاً ونهاراً من دون رعود ولا بروق، بل كانت ديمة، وقد كان المسلمون يجمعون بين المغرب والعشاء ليالي عديدة، كما أن مدينة الرياض وضواحيها عمتها الأمطار وتوالى نزول الغيث على العاصمة الرياض، بحيث لم يتوالى في السنين التي قبلها، بحيث عجزت الجرارات عن سحب السيارات فيها، وكما أنها هطلت أمطار على الدمام وما حوالها، وكادت أن تتعطل الحركة أو ضعفت لتوالي الأمطار، واستمرت الحال على هذه الصفة وقد دخل شهر شعبان والسحب متراكمة والسماء تصب مياهها بحيث لم تتوقف عن صب المياه إلا فترات قليلة واحتجبت الشمس ١٢ يوماً بواسطة هطول الأمطار هذه المدة، وقد توالى هطول الأمطار لذلك على الإمارات الخليجية بحيث كانت المياه وقد ارتفعت في شوارعها، وكان المستشفى التخصصي هدفاً ليجتمع المياه

فيه بحث أخرج المرضى ف نعوش من هذا المستشفى الكائن ببريدة، أما عن الرياض فقد قرر الخبراء بأنه مضى عليها أربعة وعشرون عاماً لم يعهد أن توات عليها تلك الأمطار، ولم تعهد تلك الأمطار عليها منذ زمن طويل.

وفيهما أقام الملك فهد بن عبدالعزيز ولي عهده عبدالله بن عبدالعزيز ليتولى شؤون الدولة بالنيابة عنه، وذلك لتأخر صحته، فقام ولي العهد من تاريخ ٨/١٥ بالعمل خير قيام، ويعد هذا من توفيق جلالة الملك أيده الله وحفظه لأن في ذلك صلاحاً للأمة ولما يعهد عن ولي العهد من حسن التدابير والسير على منواله، وفق الله الجميع، أما عن مكة المكرمة فقد هطلت عليها أمطار غزيرة في ٢١ من الشهر المذكور، واستمر هطول الأمطار عليها.

ميزانية ١٦ و ١٧ لما أن أذيعت ميزانية الدولة كان الوضع كما هو في الستة المتقدمة، فلم ينخفض سعر البنزين ولا الديزل ولا الكهرباء ولا الهاتف، بل استمرت الأشياء على وضعها، وبذلك تأخرت الزراعة تأخراً ملموساً، وكادت أن تتعطل محركات الحفر، وإنشاء آباراً ارتوازية لهذا الغرض، ولكن الحكومة أيدها الله صرفت للمزارعين أقساطاً مما ورد عليها، وجعلت تفكر في جعل أسواق تحتوي على دكاكين ومعارض في شمالي السوق المركزي، فمن مؤيد لهذه النظرية، ومن معارض لها ذلك بأن السوق المركزي في عاصمة القصيم يضيق بما يرد عليه من التمور والبطيخ واليقطين وما إلى ذلك من أنواع الفواكه، فكيف إذا اختزل منه ما يضيقه وتصبح حركة السيارات مشلولة في ذلك الموضع الواسع، وكان الوضع خطيراً لأن الأمر لم يكن عن رضا الجمهور بل لأغراض البلدية لا أقل ولا أكثر، وإن المصلحة العامة تقتضي خلاف ذلك، وذلك لأمرين: أولاً لاتساع الرقعة فالمدينة لا تزال حركتها في البيع والشراء والواردات لا تزال في ازدياد لأن ما بين حائل وبين عقلة الصقور غرباً إلى الأرطاوية شرقاً، كلها تدير وتمول من السوق المركزي في بريدة، ثانياً أن أهالي منطقة السوق المركزي لما نزع ملكيتهم واعترضوا بعدم

عدل التقويم، ولما يحصلوا على أقيام معقولة كغيرهم قيل لهم أن موضع بيوتهم سيكون سوقاً مركزياً لمصلحتهم، فسكتوا على مضض فلم يشعروا إلى جرافات البلدية الجديدة فقبلوا مكرهين.

وفيها في ٩/١٥ وفاة المنحرف عن الدين عبدالله بن علي الصعيدي، وكان يدعى أولاً بالقصيمي، فلما أن غير وبذل والعياذ بالله تبرأ منه القصيم وسموه الصعيدي نسبةً إلى صعيد مصر الذي حل أخيراً فيه، وقد تقدم في سنة ١٣٦٦هـ صفة رده عن دين الإسلام، كان مسقط رأسه في خب الحلوة من ضواحي مدينة بريدة، ففيه ولادته، ولكنه لما تربى في مصر بلده الجديد رأى أن ليس هناك من يرده عن هواه، ورأى الجو هناك خالياً لما قام به، وكان أولاً من المنتصرين للحق، ويشي على شيخ الإسلام عبدالوهاب ويمتدحه، ويدافع عنه بلهجة جذابة كما في البروق النجدية، وله ردود على أهل الضلال، حتى هتك أستاذهم بلسان فصيح، وقول بليغ، فاخترته روسيا لما رأت من بلاغته وفصاحته وحلاوة منطقته الجذاب، وأغرته بالأطماع أن يقوم ضد الإسلام، ويحمل على المسلمين، وكان معجباً بنفسه فاستمالته روسيا لهذا الغرض فعن له بعد ذلك بأن يتوسع في العقيدة، فأظهر أموراً من الزيف، وله كتاب الصراع بين الإسلام والوثنية، وكان الكتاب ضخماً، ثم ألف كتاباً يستنشق منه الحملة على المسلمين وتأخرهم، فلما أن كان في تلك السنة أظهر كتابه الأغلال وما لبس عبد ثياب سريره إلى ألبسه الله إياها علانية، وخلع ريقة الإسلام من عنقه وسمي شرائع الإسلام أغلالاً غلت المسلمين عن التقدم والرقى وحسن طريقته، وشن الغارة على الإسلام والمسلمين وفضل طريقة الكفر والكافرين بلهجة خبيثة خلاصة على طريقة الإسلام والمسلمين، فرد عليه الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وكان لا يورد ألفاظه الضالة بل يقوله، وقال في صفحة كذا، وقال في صفحة كذا لأن الخبيث يخشى على ضعفاء البصيرة من جاذبيته لأنها من السحر الحرام، وسمى الشيخ رده عليه تنزيه الإسلام ورجاله عن

ما افتراه القصيمي في أغلاله، كما رد عليه الشيخ أبو كابس وضللوه وكفروه وحذروا المسلمين من ضلاله، وقد اجتمع به أناس من الناصحين، وطلبوا منه أن يقلع عن غيه وضلاله، وحذروه عقوبة الله لأنه عصى على بصيرة، وضلّ عن الطريق، وهو واضح له، ولكن الله لم يرد به خيراً، وهؤلاء منهم عبدالرحمن بن عقيل الظاهري وغيره، وذلك برفق وحسن دعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، ولكنه صمم على ما هو عليه، نسأل الله العافية.

وذكروا عنه أنه رجل أديب ماهر في سبيله، ولكنه ثبت على مبادئه، وكان سلاحاً ضد المسلمين، كما كان أولاً ولكنه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [المائدة: ٤١]، فبينما هو في صف المسلمين إذ هو خنجر في نحورهم، وإنها لخسارة عظيمة في المسلمين يندى لها الجبين، ويحزن منه العقلاء، وذلك لأنه في حملاته الأولى على الكفر والكافرين بلهجة كالصاعقة على من وجهت عليه، تعمل عمل القذائف النارية، إذا هو يصرف زمام الحملة فيجعلها كصاعقة على عقبيه موجهة ضد ما كانت عليه من قبل، ولكن لا عجب ولا غرو ولا بدع فقد ضلّ قبله من هو خير منه، وللإسلام رجال وأسود ضارية تحمى حماه، وتذود عنه، وقد قطع إمام المسلمين الملك عبدالعزيز رفع الله منازلهم في الجنات مرتباته التي تمشي له في مصر وتبراً منه، وكان يحدثنا الملك في زيارته لنا في القصيم فتكلم أحد المشايخ وهو عبدالله بن محمد بن حميد بأنه سقيم العقل، فأجابه الملك رحمه الله بقوله: لا ليس بسقيم عقل، ولكنه سقيم في الدين.

وفيها وفي يوم السبت الموافق عشرين شوال وفاة الشيخ المصري محمد الغزالي، وكان من علماء مصر، وكانوا يذكرونه باللقاء محاضرات ونشر علمه في المجتمعات، ومعظماً في مصر، ويشنون عليه، وعليه مأخذ بسيط، وكانت وفاته في الرياض، وقد دفن في المدينة المنورة فرفعت التعازي إلى الرئيس المصري حسني مبارك وأسرته وذويه، منها برقية من الملك فهد بن عبدالعزيز ملك السعودية، وكان قد قدم لإلقاء محاضرة فمات في سبيل الحجاء لإلقائها.

وفيها دعا الرئيس صدام حسين العراق دعا بأناس فروا عن جوره وتعسفه وظلمه، والتجثوا نحو الأردن فأعطاهم العهد والميثاق بأنهم آمنون إذا قدموا العراق، وكان منهم أخوه لأبيه صدام، وزوج ابنته وأناس آخرون، فلما أن قدموا العراق بعدما أمنهم وأعطاهم العهد والميثاق قتلهم والعياذ بالله، ثم دعا بذرايرهم فألحقهم بهم قائلاً: لا أخشى أن يأخذوا بالثأر فقتلهم أجمعين، ولم يرعَ إلاً ولا ذمة، ولا جانب لله عز وجل حيث يقول رسوله الكريم عن رب العالمين: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته فذكر منهم رجلاً أعطي بي ثم غدر»، ولما وقعت تلك الحادثة كبر شأنها في مجلس الأمن وأرادت أمريكا الانتقام منه، ولكنها ثنت عزمها عن ذلك ولا ريب أن قتل عربي لا يهمها ذلك، وتأثر المسلمون والعرب لذلك.

وفيها وفاة شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق، وكانت وفاته في يوم الجمعة ١٠/٢٦ من هذه السنة، وكانت وفاته في مدينة القاهرة، ومن المصادفات وفاة عالين جليلين في مصر بظرف أسبوع واحد، وقد رفعت التعازي إلى الرئيس حسني مبارك ومواساتهم في هذه المصيبة.

حادثة من الحوادث

لما أن كان في يوم الخميس الموافق ثاني شهر ذي القعدة من هذه السنة هطلت أمطار مصحوبة ببرد وحجارة من الثلج يعدل بعضها بكبر بيض الدجاج وأكبر، واستمر هطول الأمطار على هذه الصفة ثلاثة أيام، وفي يوم السبت نشأت سحابة سوداء برياح شديدة حطمت النوافذ التي مرت عليها وكسرت حجارة البرد الزجاج، وتوالت الأمطار على سدير والمجمعة وضرما وجلاجل وحريملا، وارتفعت المياه في السدود، حتى أن بعض السدود بلغ مستوى ارتفاع المياه فيها إلى عشرة أمتار، وتعطلت الحركة في الرياض، وقام

رجال الإنقاذ والدفاع المدني بطائرات لإنقاذ الذين حاصرتهم الطوفان، فلم يتقدموا ولم يتأخروا، وجيء بقوارب لحملهم فيها على متن المياه، وهذا شيء نادر الوقوع لأن بعض الجهات كانت كهيئة البحار، وانقطع التيار الكهربائي في مدينة الرياض عن بعض الأحياء، وتوقف السير من المياه وحجارة البرد، وحصلت ظلمة شديدة في يوم السبت ١١/٤ من آثار تلك السحابة، ودمرت الريح وحجارة البرد الضخم كلما مرت عليه من النوافذ والزجاج والمكيفات وغيرها، وحصل ارتباك في المرور، وتعرضت أجزاء من مدينة الرياض لإصابات، وغرقت امرأة وطفل لأن الأمطار صحبتها رياح شديدة وظلمة من آثار السحابة السوداء، وقام أمير الرياض والنائب بدورهم في تدابير على قدر مقدورهم لإنقاذ الأمة بما حل فيها، كما أن مصلحة المياه قد قام رجالها بما يستطيعونه، وبذلوا جهوداً في هذا السبيل حفاظاً على الأمة، واستمر هطول الأمطار على العاصمة ثلاثة أيام، ولم يذهب البرد إلا بعد يومين من نزوله، وكان قد جيء بالقوارب البحرية تشق المياه لما كان متنا شخص محصورين من جراء ذلك الطوفان لتنقذهم، والأمر عظيم والخطب جسيم، وكان سبعة في مدينة الجمعة قد لقوا مصرعهم، وأصيب آخرون، وقد عم الطوفان جلاجل وسدير وحريملا والمجمعة إلى الغاط، وانهار عديد من المنازل في الأحياء الشعبية، وهلك بعض الأنفس البشرية، ولم يقع في أواخر هذه السنين مثل ذلك، نسأل الله تعالى أن يلطف بالمسلمين ويبعد السوء عنهم، وقد عطلت المدارس في الرياض يوم ١١/٤ لمشقة السير في الشوارع، وعرقلة الذهاب والإياب، وسوء الحال هناك، أما الذين كانوا في البراري قد خرجوا للنزهة فقد تعرضوا للخطر لما داهمتهم السيول، وهلك من هلك منهم، ونجا من نجا منهم، ولقد قام رجال الحرس فحملوا على صدورهم ورؤوسهم واكتاتفهم الأطفال وكبار السن، وأخرجوهم من السيارات التي استهدفت،

وبعض السيارات قد غرقت، ومنها من لم يبقَ منها إلا القليل، وأعد المستشفى مائتي سرير للطوارئ، وقد حدثني الثقات أن من البرد ما تجاوز في كبره أكبر من علبات البيبسي، وكان ذلك في أول يوم من برج الحمل سعد الأخبية ٢١ مارس آذار ١٩٩٦م، وحدثني ثقة أنه وجد بين البرد بعضاً تجاوز حجمه عن قبضة اليد.

كسوف طمس القمر

لما أن كان في ليلة الخميس ١٥ ذي القعدة بدأ الكسوف في الساعة السادسة غروبى تزيد ١٥ دقيقة، ومن الساعة السابعة والنصف انطمس انطماً كلياً، فلبث ساعتين ونصف منكسفاً انكسافاً كلياً، ولم يتجلّ ويرجع على طبيعته إلا في الساعة الحادية عشرة و١٥ دقيقة، فكانت مدة الكسوف خمس ساعات من الزمن، وهذا نادر الوقوع في طول المدة، وبما أنه وقع الكسوف في وقت الهجوع فإنه لم يصل إلا القليل بالرغم من أن الأخبار نبأت بذلك من قبل.

حصار تفرضه اليهود على أهل الحكم الذاتي

كانت منظمة حماس لم تتورع عن مهاجمة اليهود على قدر استطاعتها فقتلت في مغامراتها الانتحارية عشرات من اليهود، وذلك بأن الفدائي يغامر فيحشو جسمه بالمتفجرات ليهلك من أمامه، وإن كان هو الضحية فقد قامت اليهود بعقاب الصالح والطالح ففرضت حصاراً على أهل الحكم الذاتي في قطاع غزة، وإن كان ذلك محظوراً عليها لكنه قام السكرتير يطالب الأمم المتحدة ومن بينها أمريكا وبريطانيا بفك الحصار عن الفلسطينيين المظلومين، نعم إنهم مظلومين بهذه المعاملة لأنهم لا يستطيعون صد منظمة حماس ولليهود إن تفعل منظمة حماس ما شاءت من العقوبات ويقول الله تعالى: «ولا تذر وازرة وزر أخرى» فكانهم يقولون افعلوا ما شئتم بمن اعتدى عليكم ولكن المتغلب بفعل ما يشاء، نسأل الله تعالى أن يكفي المسلمين ما أهمهم.

ذكر ما جرى من اليهود

لما أن كان في اليوم الثامن عشر من ذي القعدة الموافق ليوم السبت ٦ إبريل نيسان من هذه السنة ١٤١٦ هـ يوافق عام ١٩٩٦ م قامت اليهود فحشدت قواتها بكل ما تستطيع وأرسلتها لحرب لبنان من مدافع وطائرات وصواريخ ودبابات ثقيلة، وجعلت تضرب لبنان بالقنابل العنقودية، والقنابل المحرقة، والقنابل المدمرة، والقنابل الهدامة، وواصلت الضرب على المدنيين والعجزة والنساء والأطفال من دون رحمة، ولا سابق إنذار فهدمت البيوت، وحرقت المزارع، وفعلت بلبنان أفعالاً لم يسبق لها نظير ولا في عام اثنتين بعد أربعمئة وألف، وكانت جنود حزب الله وجنود أمل قد وقفت أمام هذه الجراءة العجيبة لأنها لا تملك سوى الرشاشات والسلاح الخفيف والصواريخ قريبة المدى، وكانت اليهود قد اتفقت مع أمريكا على هذا الشأن، ولم يستطع مجلس الأمن الدولي على إيقاف هذا التيار الجارف، ولم تخضع أمريكا لمجلس الأمن وتقديراته بل زعمت أن إسرائيل مظلومة، وليس لها إلا ذلك، ولما أن جرى من اليهود ذلك القصف العشوائي على لبنان فرّ الأهالي والتجنوا إلى الجبال والزرائب لا يلوي أحد على أحد، فقد أحصي الذين تمكنوا من الفرار والهرب فبلغوا سبعمئة وخمسين هارباً بعدما دكت منازلهم وطردهوا، وذهبت تقارير مجلس الأمن أدراج الرياح، واستمر الضرب والقصف اثنتين وعشرين يوماً، ووقفت العرب مكتوفة الأيدي وتهددت إسرائيل جميع من أراد أن ينضم إلى لبنان من أي دولة تكون بضربه، ولم تملك العرب والمسلمون سوى الاستنكار لذلك، ودفع المساعدات بالقوت واللباس، وبات الأطفال والعجزة في الفضاء السماء غطاؤهم والأراضي فراشهم، ينتظرون رحمة اليهود وقضاء وطهرهم من تعذيبهم وطردهم من أوطانهم.

وفيها في يوم الأحد الموافق ١٢/٤ قتل رئيس الشيشان الذين يحاربون روسيا للتخلص منهم، وخلفه رئيس آخر، وكانت قد ظهرت كفاءة الشيشان بحيث

صمدوا أمام روسيا، وأعلنت القتال، ولو بلغت الأحوال إلى آخر رمق، وحينما رأت روسيا أنها لن تلين قناتهم مهما كلف الثمن تظاهرت بالانسحاب تدريجياً، وعدم مواصلة القتال أمام العالم، لأن الشيشان لا يقبلوا الشيوعية مطلقاً، وبما أن روسيا لما تفككت وخسرت غالب ممالكها ومستعمراتها التي تمقت الشيوعية وتميل إلى الإسلام، وتخلصت تلك الأمم الخاضعة لها من براثن ذلك الكابوس الظالم الجائر، وحصلت على الحرية بعدما سقطت تلك الحكومة القوية التي كانت ثاني حكومة على وجه الأرض، فإن مستعمرة الشيشان التابعة لها تطلب ذلك، وقد جاءتهم المساعدات من أمة الإسلام، ولم يألوا جهداً في تخليصها، كما وقد تخلص غيرها، وإنها لعبرة للمعتبرين، وآية للناظرين بحيث كانت حكومة السوفيت القاهرة التي وقفت لأمرها وقفة جبارة، فلا تهاب أمريكا سواها، وأصبحت اليوم بهذا الوضع، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يضام سلطانه، ولا يرام عزه، فقلل لأمريكا خلالك الجلو شعراً:

يا لك من قنبرة بمعمرٍ خلالك الجلو فيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري صيادك اليوم قتيلٌ فابشري

وفيها وفاة الشيخ زيد بن فياض الأديب، وقد تقلب في عدة وظائف، فهو زيد بن عبدالعزيز بن زيد بن فياض، كانت ولادته عام ١٣٥٠هـ، وقد وصفوه بالأدب، وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس القضاة في العهد السعودي، وعن أخيه عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ سعود بن راشد، أما مشايخه في المعهد وكلية الشريعة فهم: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والأستاذ حمد الجاسر، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ عبدالعزيز بن باز، وجداً واجتهد في العلوم الشرعية والعربية والاجتماعية، وله نشاط في التأليف، حتى قيل أن مؤلفاته بلغت تسعين مؤلفاً، وقد صار عضواً في دار الإفتاء، ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة بالرياض، ثم عضواً في رئاسة القضاء، وقام بالتدريس في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود، وتقلب في عدة

وظائف، وله عدة قصائد، ويعد من أدباء العصر، وقد استقال من رئاسة القضاء، وفضل أن يكون في مؤسسة اليمامة، ثم أعيدت خدماته، وبالجملة فإنه أديب وعالم.

ثم دخلت سنة ١٤١٧هـ

استهلّت هذه السنة يوم السبت الموافق ١٨ مايو وأن الأمراء والقضاة كل في وظيفته، فكان في إمارة الرياض سلمان بن عبدالعزيز، وفي حائل مقرن بن عبدالعزيز، وفي المدينة المنورة عبدالمجيد بن عبدالعزيز، وفي مكة المكرمة ماجد بن عبدالعزيز، وهكذا.

وفاة عبد الله بن إبراهيم بن سليم

وذلك في ١٣ محرم، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الأديب المتقن العالم الفلكي عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن سليم، كان أبوه إبراهيم يعد من الأئمة في المساجد، فلم حسن في كتابة الوصايا والعقود وجده فضيلة الشيخ العالم الجليل محمد بن عمر بن سليم الذي كان له مواقف وشهرة عالية، وأهل للقضاء، وقد راودوه مرات لقضاء بريدة، ولما غادر المدينة مكرهاً فضيلة الشيخ القاضي محمد بن عبدالله بن سليم فرفض قائللاً لا يمكن أن أسدّ مكان ثلثة ابن عمي، وأبدى أعذاراً آخرها أن سافر إلى مكة المشرفة، وقد تقدمت ترجمته في سنة وفاته، كان الشيخ عبدالله بن إبراهيم يعتبر من أدباء القصيم وأهل الثقافة والمعرفة، ولديه إلمام في الحساب والفلك، وقوي الذاكرة، ولد عام ١٣٢٨هـ ولما بلغ من العمر السابعة أدخله والده في المدرسة الأهلية التي قام بها ناصر بن سليمان السيف في قلب البلد، مرادفة لمسجد ناصر إلى جهة الشرق، لأنها إذ ذاك تعتبر من أكبر المدارس الأهلية، تقتصر الدراسة فيها على الهجاء وتعلم القرآن الحكيم، وبعدما توفي ناصر بن سليمان واستمرت المدرسة في سيرها، وقد خلفه فيها ابنه صالح بن ناصر، ثم إنه انتقل صالح إلى السباخ وافتتح مدرسة

هناك، وذلك لأنها أوجبت الظروف ذلك بأمر من جلالة الملك عبدالعزيز على فضيلة الشيخ العلامة عمر بن محمد بن سليم بسعي الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد ومشورته بأن يكون إماماً ومدرساً في مسجد ناصر بن سيف، ثم إن المترجم لما بلغ من العمر ١٧ سنة كان له مؤهل بأن يكون خلفاً في المدرسة التي تعتبر مدرسة ناصر بن سيف، وتقع هذه المدرسة جنوباً عن قبة رشيد التي كانت موضع البيع والشراء والزحمة، لأن موضعها إلى جانب عليته، فاستخدم المترجم رئيساً ومديراً فيها، ولما أن مضى عليه أحد عشر عاماً رأت الحكومة أيدها الله أن يفتح مدارس حكومية لنشر العلوم، ومعرفة الحساب، وتجويد القرآن، وتعويد النشء أمور الوضوء والصلاة، وكان في مدينة بريدة مدارس أهلية وتنافس التقدم والعلوم مدرستان أحدهما هذه المدرسة، ومدرسة المعلم صالح بن محمد بن عبدالعزيز الصقعي، فعرضت الحكومة لإدارة المدرسة التي تأسست لأول مرة عام ١٣٥٦هـ على صالح بن محمد الصقعي فتكون هي الوحيدة في سائر القصيم، غير أن صاحبها عاجلته المنية فاختر لإدارة المدرسة الحكومية المترجم عبدالله بن إبراهيم بن سليم، وذلك بمشورة من الأهالي بأن يكون المدير من نفس البلدة، ولما نال سليم من الثقة فقام بإدارتها، وضمت جميع مدارس الحكومة تحت إدارة طاهر الدباغ فكان مدير المعارف السعودية عام ١٣٥٥هـ كما قدمنا، ولما أن لبث المترجم مديراً لهذه المدرسة شغرت وظيفة إدارة المدرسة التذكارية في الرياض فاختر لها وذهب إلى الرياض، فلبث في إدارة التذكارية التي تعتبر أكبر مدرسة في الرياض، ثم نقل في عام ١٣٧٣هـ إلى إدارة معهد المعلمين أو إعداد المعلمين في مدينة بريدة لأن هذه الوظيفة أكبر من الأولى، ويعتبر المعهد ذا أهمية فاستمر في إدارته حتى أحيل على التقاعد، ولم يصده ذلك عن أن تكون في نشاطه وثقافته، وكان مشتركاً في هيئة إدارة حساب توقيت أم القرى، وقد جمع جدولاً لحساب علوم الفلك شاملاً للملكة، وبلغه إلى عام ١٦٠٢م في الزوالي والغروبي بضبط وإتقان فاق به العيوني وابن فارس، ويرجع إليه، لكنه ليس له إلمام بعلم الكسوف كالعجيري وغيره الذين

يعرفون ذلك الحساب، وفوق كل ذي علم عليم، وله جداول أخرى وشرح قصيدة محمد القاضي سماه تحفة المزارع، وله كتاب الدرر المشورة في التواريخ الثلاثة المشهورة، وهذه في الغروبي والزوالي والميلادي، وله تقويم الأوقات لإرشاد ذوي الألباب لمعرفة مبادئ السنين والشهور من طريق الحساب، وما زال في نشاطه وحيويته حتى أقعدته الشيخوخة بمرض ألزمه الفراش شهراً كاملاً، فآله المستعان، وتوفى عن عمر يناهز الثامنة والثمانين غفر الله له وعفا عنه، وقد حزن لمصابه من يعرف ثقافته وأدبه، وبكته النوادي ورجال الأدب، ولكن ذلك دون ما يستحقه.

وفيهما ألقى القبض على المفسدين الذين فجروا عبوة ناسفة من الديناميت في حارة العليا من الرياض في ٢٠ جمادى الثانية، وكانوا أربعة وأجري التحقيق معهم فأقروا الجناة بما قاموا به من إفساد، ونشرت صورهم في الجرائد، ثم أعدموا بالقتل، وشهر بأجسامهم بين الأمة مرفوعة بالونشات، فالحمد لله الذي مكن منهم، وفي الحديث الشريف: «حد يقام في الأرض خير لهم من مطر أربعين صباحاً»، وكانوا يتمون إلى الدين ظاهراً والله إنه ليعث الأسى ويهيج الأحزان، ويذيب القلوب أن يكونوا من العرب، ويدعون الإسلام، وتجري منهم الأفعال اللإنسانية، فعياًذاً بالله من همزات الشياطين، ومن الخذلان، فقد دمرت قبلتهم أموالاً وأنفساً بشرية، وألقت الرعب وفيها التلاعب بالأمن، وهذه نظيرة الفعلة السابقة في جامع القوياء التي ذكرنا قبلها.

ذكر عجائب من عجائب التاريخ

لما أن كان في هذه السنة والسنين قبلها كثر الأجانب في المملكة العربية السعودية من شامها ويمنها، ومن مصر والهند والباكستان، والفلبين والكوريين، وغيرهم بصفة لا نظير لها، وجاءوا بصفة الخدم والسواقين، وامتلات الشوارع منهم، فهذا يعمل في البناء، وهذا يعمل في الدكاكين وأموال التجارة، وهذا في سياقة السيارات، ووثقت الأمة بهم، ومن الأسف أن بعضهم ليسوا بمسلمين، فتجد صاحب الدكان وصاحب محطات البنزين يولونهم أموالهم ومعاملاتهم إلى

درجة أنهم يثقون بهم أعظم من ثقتهم بأولادهم وبني جنسهم، وكنت أظن أن الأولاد وبني الجنس أبوا أن يقوموا بالأعمال، أو يكون من باب الامتحان، فإنك تجد الابن أو البنين يعملون لدى الناس براتب ضئيل، ويطلب أولياء أمورهم أن يعملوا عندهم برواتب مضاعفة، ولكنهم يأبون ذلك، وتضرب لهم الأمثال «كن كأم موسى عليه السلام ترضع ابنها وتأخذ جرتها»، فلا يجدون آذاناً صاغية، فكان صاحب الدكان أو المحطة كأجنبي، فإذا جاء من وسط النهار أو منتصف الليل بعد نومه الضحى، أو ضياع الوقت إلى نصف الليل إذا بالعامل قد بقي في الدرج له ما يزعم أنه ما اكتسب، فيأخذ مقتنعاً قليلاً كان أو كثيراً، فينشأ عن ذلك خيانة كبيرة، فقد يكون العامل الأجنبي خائناً فينتهب ما يشاء من النقود جاعلاً لها في موضع لا يعلمها سيده، فقد قيل: لإنسان أحذر عاملك، فقال: وما أخشى إذا كنت أفشه كلما أتبه فألخوا عليه فوجدوه يستصحب مصحفاً كبيراً لا يتخلى عنه كلما لم يكن يعمل فأخذه، فلما فشه إذا بين أوراق المصحف أوراق النقود الرفيعة أمهات خمسمائة فما دون، وقيل: الآخر احترز من عاملك، فذكر من ثقته به وأمانته فلما ألخوا عليه فتشوا عليه خفية فإذا بمطبعة مشقوقة من أعلاها على قدر سقوط النقود، فحملها إلى بيته، وبعدما كسر غلفتها وإذا فيها اثنا عشر ألف ريال، فلما كان في منتصف الليل أتى بقفل جديد وخلع الأول وركبه، فلما أن كان في الصباح وجاء لياشر العامل العمر إذا بالقفل مغيراً فذهب إلى سيده يقول: يا عمي سرقتنا، فنأوله مرتبه وقال: يا بني اذهب في أمان الله فقد قلت المصالح فسقط في يده وخجل، وفر من بين يديه، فلما كان من الغد وخرج يطلبه وجده قد حلق لحيته الكثيفة التي يربيهها ليخدع بها الناس، فكلمه قائلاً: يا عبدالرحمن أين لحيتك؟ فأجاب ذهبت مع المطبعة، ولولا أنه كان لك والدة تدعوا من آخر الليل في حفظ مالك لذهب، وهكذا فعل العمال الأجانب، وكان أبو مسلم الخراساني الذي انتزع الخلافة من بني أمية يقول في أبيات له:

ومن رعى غنماً في أرضٍ مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

وما زال الأجانب في كثرة حتى كانوا في عواصم المملكة أكثر من السكان بنسبة ثمانين في المائة، فكنت ترى في الجوامع وقت الصلاة من الذين يصلون الجمعة ما ذكرنا، وقليل المواطنين من بينهم، وهم وإن كانوا أجانب فكانوا يتقدمون ولا يلتزمون الآداب، كأنهم أهل الوطن ونحن الأجانب، وقد ذكرنا فيما تقدم أنه منذ ست وستين سنة لا يوجد أجنبي في مدينة بريدة سوى أنه جاء طبيب يسمى ديم فلبس لباس البيثة قميص وشماع وقباء ومشلح لثلا يستنكر، وفي يومنا هذا نرى ما آلت الأحوال، فسبحان المتصرف في خلقه على وفق مراده، وهذا مصداق ما أخبر به الهادي الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ في قوله: «إذا أمّن الخائن وخونّ الأمين، وساد كل قبيلة منافقوها، وكان زعيم القوم أرذهم، فانتظر الساعة، إن الساعة علمها عند الله»، وقد وردت إماراتها في الأحاديث الصحيحة، وجدت أشراف الساعة الصغار والمتوسطة، ولم يبق إلا الكبار، فنسأل الله الثبات على دينه والتمسك بهدي رسوله ﷺ إلى أن نلقاه، وإن لمن المؤسف أن تأتي الفتن بدقيق نصها، فالموفق من تأتبه منيته وهو يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر، وقد كانت المؤنة في هذه السنة شديدة كالأعوام قبلها، فكان برميل الغاز للوقود حجم خمسين في ثمانية وعشرين، ومقاس ٢٥ في ١٤ ريال، وبرميل الديزل الكبير في ٧٠٠٠ ريال، وكان الذين جعلوا سياراتهم على الديزل قد ندموا لغلائه، كما أن قيم البنزين والكهرباء والهاتف وعدادات المساكن قد بلغت غاية في الغلاء، وقد تأخرت الزراعة وألقيت المحوريات في العراء، وكادت الزراعة إن استمر ذلك أن تتعطل.

وفي هذه السنة كثرت السرقات في القصيم وذلك لضعف الإمارة فيها، وقد ذكرنا ذلك ما جرى في عام ١٣٧٦هـ من عدم الأمن على الأموال.

وفيها ولدت طفلة حامل، وبعدها أجريت لها العمليات تقرر لدى الأطباء أن أمها حملت بتوأمين فكان أحدهما في بطن الآخر، وكان ذلك الفحص بعدما كان لها من العمر ستة شهور، والله على كل شيء قدير.

ذكر سنة المؤنة

في هذه السنة اشتدت المؤنة على كثير من المسلمين بحيث أن الوضع يتطلب حاجات لم يكن الناس يعرفونها من قبل، فقد كان البيت في الوقت الحاضر يستدعي استهلاكاً من مادة الغاز والوقود الذي أصبحت الأمة معتمدة عليه تاركةً الحطب بمجملته، فكان الطبخ مثلاً بجميع ما يحتاجه المواطن من أرز وجريش وسليق ولحوم بأنواعها، وفول وشورية، وأوعية المأكّل والمشرب، واليقطين والخبز وغير ذلك على مادة الغاز الذي ارتفعت قيمته إلى الضعف من قبل، وأصبح مسير العالم على الجملة في السيارات وجميع النقل برأً وبحراً وجواً على مادة البنزين، فهو وقود النقل والذهاب والإياب على المخترعات الحديثة بالرغم من غلاته وارتفاع قيمته، كما أن الكهرباء هو مادة الحياة، بحيث كانت الإضاءة والمراوح المتنقلة والسقفية، ومكبرات الصوت والغسالات، والسخانات والبرادات والثلاجات وغيرها عليه، بحيث لو تعطل التيار ليلاً أو نهاراً لخربت جميع الأغراض التي كانت الحياة متوقفة على مصلحتها، وأصبح الخبز الذي كان هو مادة الحياة في هذا الزمان من الأفران وغيرها على ذلك الوقود بالرغم من غلاته وتعاطيه بقيمة باهظة، وكانت الأمة من قبل يسافرون على الإبل والحمر والبغال التي تسير بقوائمها، وتقطع المسافات القرية والبعيدة، وكنت قد أدركت مراكب الناس في الحجاز ونجد واليمن والشام والعراق وغيرها على الحمر والإبل التي وقودها البرسيم والأعلاف، ونوابت الأرض، وفضلات أطعمة الناس، فحدّث ولا حرج عن كل ما استبدل عنها من أمور يقصر الوصف عنها، فقد كان الفقير قد كلّ كاهله عن حملها، فيا ربنا لا تحملنا مالا طاقة لنا به، وإن بإمكان الولاة هداهم الله أن يراعوا حالة الشعوب، أما عند انتهاء الشهر فلا ننسى رسوم الماء الذي جعله الله مادة الحياة، ورسوم الهاتف، ورسوم الكهرباء، وقد حدثني صاحب مكتبة قال: كنت أبيع من المحابر والدفاتر والأقلام والبرايات والحمايات، وما تيسر من الكتب إن قدر ذلك، وقد لا يبلغ

محصلة مائة وخمسين ريال، ولكنه بالنسبة إلى بنزين السيارة التي استخدمها لأغراض البيت وخبز الأولاد، وقيمة الأكل والشرب، واستهلاك الكهرباء وما يتطلبه الوضع، فإنه لا شيء بالنسبة إلى ذلك، هذا بغض النظر عن الكسوة والملبوسات والحليب والخضراوات وغير ذلك، والمكيفات وإصلاحاتها، وأدوات الأكل والشرب، وقد فتنت العوائل بتغيير الملابس ولبس فاخر اللباس أسوة بغيرهم، وتحمل رب الأسرة شراء سيارة لابنه، ولا يكتفي بالرخيص وما قيمته زهيدة، وإذا نظر يميناً ويسرة فإنه لا يرضى لأسرته بهذا ولسان الحال ينادي: كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت فلا يرضى لهم بالدون، ولو قال ما ذكره الله في كتابه: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]، لم يجد أذنأ صاغية، ولما قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عليه: كيف أصبحت؟ قال كيف حالة من أصبح وربه يطالب بحقوقه، وزوجته تطالب بحقوقها من نفقة وكسوة، وأولاد يطالبونه بحقوقهم، ولو قال لمن تحت يده اقتصروا يا أبنائي وراعوا ظروفكم لم يجد أذنأ صاغية ولا يعذرون، وقد ذكرني ذلك كلام ابن القيم رحمه الله بحيث يقول: «كيف يصنع من له زوجة لا ترحمه، وولد لا يعذره، وشريك لا ينصفه، وصديق لا ينصحه، وعدو لا ينام عن معاداته، ودنيا متزينة، ونفس أمارة السوء...».

أما عن كثرة الواردات على البلاد من أنواع الأرزاق والخيرات فحدث ولا حرج ولا سيما البطيخ والخيار والقرع واليقطين بأنواعه، والتفاح والبرتقال والموز والخوخ والعنب الوطني والخارجي، ولو شئت لقلت أن العنب الخارجي لا ينقطع، كما أن اللوبيا والباذنجان والباميا والقمح والذرة وأنواع الحبوب والبرسيم وغيرها من البقول موجودة بكثرة، وتباع بقيم مناسبة لذلك، وأيضاً جميع الخضراوات موجودة بكثرة، وإذا كان بالليل والصباح الباكر فجميع السيارات النقل مشحونة، ولا يكاد شيء أن يكون مفقوداً، وكانت ترد على العواصم وتأتي قوافل من القرى تزود من تلك الخيرات، أما عن علب المربيات فقد امتلأت منها العواصم، وفي كل محطة بنزين تأتي للشراء منها، وبذلك تحولت المدن والقرى في السعودية إلى حضارة تامة.

ضربات من كيد الأعداء

لما أن كان في إحدى ليالي شهر صفر إلا وهي ليلة الثلاثاء الموافقة من هذا الشهر، تقدم أناس مفسدين في مدينة الخبر من المنطقة الشرقية بكارثة عظيمة، وهي أنهم أتوا بسيارة محشوة بالديناميت فأوقفوها داخل مبنى، وفروا بسيارة أخرى، فما كان إلا أن انفجرت عبوات شديدة الانفجار فنسفت المبنى وقتلت من كان داخل الطوابق، وسببت أضراراً عظيمة في الأنفس والأثاث والأموال، وهدمت وخربت جميع ما مرت عليه، وكان الأمر في ما قيل، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء من المفسدين والمخربين: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَكَتٌ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وهذه ثاني مرة يقوم بها المفسدون في مدينة الخبر والرياض.

ذكر ما حل ونزل في الخبر

لما وقع هذا البلاء والحادث الأليم تجلت الأمور عن هلاك ١٩ من الأنفس البشرية وجرح ٣٨٦، وتقدمت الحكومة ببذل عشرة ملايين ريال لمن دلهما على هؤلاء العابثين المفسدين، وانطلقت رجال الأمن بجميع إمكانياتهم يبحثون ويتحررون التحقيقات، ويلفتون النظر للحصول على هذه الطغمة الفاجرة، وكان تفصيل الجرحى والقتلى كما يأتي:

الوفيات ١٩، وبلغ عدد الجرحى ٣٨٦ منهم ١٤٧ سعودياً، و١١٨ بنغلاديشياً، و١٠٩ أمريكي، و٤ مصريين، واثنان من الأردن، وإندونيسيا والفلبين، وهذا شيء ترفضه الأديان السماوية ولا تقره العقول السليمة، ولا الفطر المستقيمة، ولقد بعثت الدول برقياً وهاتفياً استنكارها لهذا الحادث الإرهابي الذي هز العالم بأجمعه، ولا تقع المسؤولية على رجال الأمر فحسب، بل تقع على كل من تقله الغبراء وتظله الخضراء ممن يؤمن بالله واليوم الآخر بأن يكون متأثراً من هذا العمل الإجرامي الذي يهز المفاصل ويقلق راحة الآمنين، ولقد أغلقت مدينة الخبر لأجل

التفتيش والبحث والتدقيق عن مرتكبي هذه الجريمة، وأن هذا لا يقتصر على رجال الأمن بل على كل فرد بعينه أن يكون مشاركاً للملكة في هذه الكارثة الشنيعة للبحث عن مرتكبيها سواء كانوا جماعة أو أفراداً، ولقد نشرت التلفزيونات رسوم هذا الأمر الخطير، وكان يقدر موضع الحادث الأليم في الأرض التي حل فيها حوالي عشرة أمتار وقطره عشرون متراً، ولقد هز البيوت وأزعج الأطفال لما بدى بنور قوي حطم الزجاج، وقذف بالمكيفات وأصاب الأطفال، وأقلق الآمنين وتحطمت الحلات على بعد ثلاثمائة متر في لحظة، ولم يشعر الجيران بأنفسهم إلا في المستشفيات، وهم لا يعلمون ما صفة الحادث، ولقد عم الدمار جميع ما حوالي موضع الحادث، وتحطم زجاج السيارات، وأصيبت الأمة بدهشة ليس لها نظير، ووضعت الأمة أكفها على خواصرها من شدة الهول، ورفعت الأمة أكفها إلى السماء وهي تقول: شاء الله فإن أجهزتنا الأمنية سوف تتمكن من إلقاء القبض على هؤلاء الذين فقدوا دينهم وإنسانيتهم حينما ارتكبوا هذا الجرم الوحيم، اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء فآته ضعفين من العذاب والعنه لعناً كبيراً، اللهم اجعل من بين يديه سداً، ومن خلفه سداً واغشه حتى لا يبصر، سبحانه هذا بهتان عظيم، ولقد مرّ ثلاثة أيام من حلول الحادث ولم يصلوا إلى حقيقته، وكان قدر العبرة ضخماً، وقد بعثت الدول الكبار بريطانيا العظمى وفرنسا واليابان وغيرها استنكار ذلك الحادث الأليم الذي وقع ضد الأمن واستهدف له أناس أبرياء، وندد الرئيس الأمريكي في بيان صدر باسم الولايات المتحدة الأمريكية بالإرهاب، وصف من قاموا بهذا العمل بأنهم جناء، وبأنهم لن يفلتوا من العقاب، وكان قدر العبرة التي نسفت المبنى المكون من ثمانية أدوار، وسقطت بأجمعها على الأرض تقدر بطنين وزيادة عن كيلوات، ولما أن وقع هذا الحادث الإجرامي هرع رجال الدفاع المدني والشرطة والمرور والأجهزة الأمنية لرفع الأنقاض وإسعاف المصابين، وانتشال جثث القتلى، حيث نقل المصابون إلى المستشفيات، فهذا أصيب بكتفه وإلى جانبه ابنته الصغرى، وهذا أصيب يده، وآخر

أصبحت مجتمه، وهذا تكسرت أضلاعه، وكانوا بحالة مزرية، نعوذ بالله من سوء المنظر في الأحباب من المسلمين، والمجاورين، ثم إنها قامت أجهزة الاستعلامات والمخابرات وطفقت تبحث عن المجرمين الذين تدنسوا بهذه الجريمة ولم يرعوا سطوة خالق ولا مخلوق، فعلها من فقد ذوقه وشعوره وإنسانيته، حتى وقع القبض عليهم وسلموا للعدالة.

وفيها في غرة شهر صفر قامت الحكومة السعودية بهدم الكعبة المشرفة، وكانت ترمم قبل ذلك ما انحل من أحجارها، وفي هذه المرة رأت الحكومة أن تهدمها وتقيمها من جديد لإزالة سقفها الذي رأت الحكومة أن أخشابه قد نخرت وساوتهما بالأرض، وبدأت بها حجراً حجراً كانت تغسل الحجارة وتزيل أوساخها ثم تردها، فأحيطت بمحاط من الأخشاب بقدر سعة للعمال، وأزيل السقف جملة فلم يبق إلا الحجر، وكانت قد جعلت الحكومة ما يستر موضعها من جهة الأعلى لأن لا تؤخذ فيها رسوم أو يكشف على العمل، وقد تسرب بعض من يرغب في النظر إلى العمل وقت صلاة العصر فيدخل محيطها، واستمرت العمارة فيها ستة أشهر وخمسة أيام والأمة التي تطوف فيها قد لا يعلمون كيفية العمل.

وفيها في ٣/٦ يوافق يوم الأحد ٢١ يولية ١٩٩٦ شب حريق بمكة تلف بسببه ٥٥ مليون من النقود الريالات وجيء بكل فرق الدفاع المدني في العاصمة المقدسة، ودعي ثلاث فرق من مدينة جدة، وثلاث فرق من الطائف، فبلغ مجموعها ثمانى عشرة فرقة، وشارك الأهالي بوايات الماء حتى بلغت ١٥٠ سيارة من الوايات، ولبت الحريق يعمل من الساعة الواحدة بعد منتصف الليل إلى تمام الثانية عشرة ظهراً بعدما جيء بالسلام والآلات الحديثة، فما استطاعوا إخماد الحريق إلى بظرف اثنتى عشرة ساعة، ولكنها سلمت الأنفس البشرية، نسأل الله السلامة، وكان موضعه بالعزيزية في مكة المشرفة.

وفيها في ١٥ ربيع الأول أصيب ثمانية أشخاص تتراوح أعمارهم من الرابعة والعشرين إلى الثلاثين تناولوا طبقاً من الحمص متسمماً فادعى به إلى آلام في

أجوافهم وسوء حالة محزنة، فأودعوا بمستشفى جدة على الأكلة التي تناولوها من مطعم أبي رشاد في الروابي، ولكنهم سلموا وتحدثنا كتب طبائع الحيوانات أن الوزغ الخبيث إذا سقط في طعام أو ماء فإنه يسبب أضراراً شديدة، ولهذا أمر الرسول ﷺ بقتله وسماه فويسقاً، وقد حدثني أحد الثقات أنه لما عاد إلى بيته بعد الدوام من العمل، وقدم أهله له طعام الغداء، فأقبل ليتناوله وقبل وصوله إليه رأى رشقاً ظهر في الماء على السطح فتبعه ليرى من أين أتى ورأى في السقف وزغ لما حاذاه من جهته بصق فيه ليؤذي من تناوله، فأصبح الخبيث عدو الإنسان، وما أحسن الاحتراز من كل ما يخافه الإنسان، كما أشار إليه العالم الجليل أبو الفرج بن الجوزي في صيد الخاطر من مؤلفاته رحمه الله.

وفيها في دخول شهر ربيع الأول أوائل نوء الهبة بحساب الراعي بالجوزاء الثانية ٢٥ السرطان ١٦ تموز اشتدت وطأة الحر وأصيب الشرق الأوسط بموجة حر لم تعهد منذ زمن طويل، وبلغت درجة الحرارة في بعض المدن ٤٨ درجة، واستمر الحر الشديد، أما في بريدة فقد تجاوزت الدرجة بعض الأوقات الخامسة والأربعين، وكان ضعفاء الأبدان لا يستطيعون السير في منتصف النهار، وقد تأثرت المكيفات الكهربائية من شدة الحر، وقامت الجهات المسؤولة في شركات الكهرباء تنصح وتحذر عن الحرائق وما ينجم عن اشتداد الحرب في منتصف النهار، وأمرت بمراقبة التيارات الكهربائية لأن لا تتفجر، نسأل الله تعالى أن يلطف بالمسلمين، وكانت المراوح الكهربائية قد لا تفيد شيئاً لحرارة السموم.

بعد صلاة الجمعة ٣/٢٥ أجرى العقاب بالقتل على ثلاثة مجرمين ارتكبوا الفاحشة والعياذ بالله.

وفي يوم الثلاثاء الموافق ٣/٢٢ قامت روسيا تضرب الشيشان بالدبابات والمدافع والقنابل التي قامت الطائرات تقصفها بها من دون رحمة ولا هوادة، واستمر القصف ستة أيام، ولكن الشيشان صمدت وقابلت ذلك القصف بالثبات وصدق الدفاع، وقضت على الاعتداء بقتل أحد زعماء الروس حتى

لاقى حتفه، وردتها خائبة مدحورة على أعقابها، وأثبتت لها ذلك جدارةً تفوق كل شجاعة.

وفيها في ليلة خامس وعشرين جمادى الأولى في آخر الليل انخسف القمر خسوفاً كلياً، وطلع الفجر وهو مختفي، وحصل ارتباك من بعض الأئمة لأنهم ليسوا كلهم علماء، فصلوا الفريضة في أول وقتها، وبعد الفريضة قاموا بصلاة الكسوف، فطلعت الشمس وهم يصلون لأن الواجب إذا حصل قبل ذلك أن يصلي الكسوف في وقته وبعد صلاة الكسوف تصل الفريضة، لأنه إذا طلع الفجر لا يصلى له لأنه ذهب وقت الانتفاع به فلا يصلى، نسأل الله تعالى البصيرة في الدين.

وفيها قامت أفغانستان بثورة على رئيسها، ولما حصلت هذه الثورة والعياذ بالله نشأ عنها أن فرّ النساء والأطفال والضعفاء إلى كهوف الجبال والمخابئ عن القصف والضرب والمذابح لعلمهم ينجون ويسلمون، وجعلوا يتوقعون ماذا يحل بالأمة، وخافت الآيامي من جراء هذه الفوضى والفتن والحن، وكانوا لما أن انتصرت الأفغان على عدوة الإسلام روسيا الشيوعية سعى إبليس بينهم بالتحريش والعداء، وكلّ يخطب الرئاسة لنفسه، وما زالت الأمم الإسلامية تناصحهم وتحثهم على الاجتماع وعدم التفرق لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ولكنهم لا يزالون في الفرقة والاختلاف وبجالة سيئة لا يحسدون عليها، ومثلهم في هذا الغي والمحنة أهالي الصومال في النزاع والثورة، وسوء الحال بالرغم من بذل الإرشاد والنصائح لهم، ولقد لحق الدولتين المنازعتين الفقر والعذاب والبلاء والأمراض الفتاكة لأنهم انشغلوا عما يصلحهم ومالا يصلحهم، وقد هلّ هلال جمادى الثانية من هذه السنة ولم تهدأ منهم تلك المجازر والفتن، وقد رقص الشيطان بينهم في النزاع وإثارة الفتن والحن، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنه لما يثير الأحزان ويبعث الهموم أن تصبح الأمم الإسلامية بهذا الوضع.

ذكر بادرة من بوادر النقص والرديلة

لما أن كان في يوم السبت الموافق ٢٨ ثمانية وعشرون من جمادى الثانية من هذه السنة عثر على عصابة بلغ عددها ثلاثين من الأشقياء الذين أضاعوا دينهم وشرفهم، فقاموا بتهريب كميات من المخدرات والمسكرات، ولما أن بلغوا مدينة جدة أحاطت بهم القوات السعودية، ذلك لما كانت التحذيرات والإنذارات تحذر وتنذر باجتنابها والوعيد الشديد لمن يرتكبها، وكان أولئك الأشقياء قد أقدموا على هذا الأمر الشنيع، ولما أن رأوا البلاء أحاط بهم قاموا يدافعون عن أنفسهم بإطلاق رشاشاتهم، فقد أصيب الضابط الذي يرأس فرقة الشرف والعز والكرامة فلقي حتفه، وجرح أحد القوات المضادة لكيد هؤلاء الأذلين، فلما تيقنوا أن القائد لقي حتفه وجرح الآخر لم يبقَ إلا مقابلة الشر بمثله فأطلق الأسلحة عليهم فسقط خمسة وألقي القبض على بقيتهم، وراح ضحية ذلك القائد الشجاع السعودي زايد فيصل بن سعد العتيبي، وقد وجد مع الأشقياء لباسات نسائية ليتمكنوا من الفرار تحت أستار مخزية، فنعوذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفيها في أحد أيام جمادى الآخرة قام إعرابي شمري بالإقدام على قتل والده، فأطلق عليه ثلاثة عيارات نارية، وبعدما سقط قتيلاً حمله وألقاه في بئر، ولكن الله وفق قوات الأمن فألقت القبض عليه، وقتل بعد عرض قضيته على الحكومة والمحاكم الشرعية، ومن المعلوم أن هذا الجاني قد فقد دينه وإنسانيته.

وفيها في ٦/٢٥ من هذه السنة جددت انتخابية الرئيس كلينتون، وثبت على نهجه لأنه كان مسائراً للناس، وذا حكمة في تصرفاته.

وفيها في يوم الاثنين الموافق ٣ جمادى الآخرة استسقى المسلمون في سائر المملكة فأغاثهم الله تعالى وهطلت أمطار على مكة والطائف وجدة خمسة أيام والأمطار متوالية نزولها، وسقط بسبب ذلك بيوت في مدينة الطائف، كما هطلت أمطار على القصيم وكانت كثيرة على بريدة وعنيزة وروضة الربيعي والباطن، وما إلى ذلك، وتوالى هطول

الأمطار على سائر نجد، وقد تهطل الأمطار متوالية بقدر أربعين ساعة لا تتوقف، وذلك بنوء العذراء آخر الوسمي، وجاءت الأنباء من ظلم وما يليها، ومن المهد بأن الأخير أحاطت بها الأودية من كل جهاتها فما استطاعوا السير منها إلى على متن الطائرات. وفيها في غرة شهر رجب من هذه السنة ألقى القبض على المخربين الذين فجروا العبوات الناسفة في مدينة الخبر في شهر صفر الماضي، وأحدثت أضراراً عظيمة في الأنفس والأموال هناك، ولما أن أرادت الحكومة السعودية أن تجري عليهم العقوبة اللازمة مقابل أعمالهم الإجرامية، طلبت الحكومة الأمريكية أن تتولى التحقيق معهم واتخاذ ما يلزم نحوهم لأن الذين قتلوا من جراء تفجيراتهم من رجال أمريكا بلغوا ١٩ قتيلاً، هذا ما نقصت منه أمريكا، وأما الذين أصيبوا وغيرهم فقد تقدم ذكر عددهم.

وفيها في أوائل شهر رجب أجريت انتخابات الأمين للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي، وبما أنه فاز بالانتخاب سوى أن أمريكا لم توافق على ذلك.

عود على ما تقدم

ذكرنا توالي هطول الأمطار فيما تقدم فنقول: توالى هطول الأمطار على سائر نواحي المملكة السعودية، حتى سقطت البيوت في مدينة الطائف، وجرى فيها سيول، حتى أن بعض العوائل أخرجوا إلى الشوارع وجلسوا على الأرصفة خشيةً على أنفسهم من تهدم المنازل عليهم، وقد برزت إحدى النساء متحجبة بثيابها وأكسيتها وجلست في الشارع تنتظر إياب زوجها بعدما حمل السبيل أثاثها، وسقط بيتها لترى ما يصنع الله بها، وقد بعثت الحكومة مساعدات من خيام وفرش وكسوة للمصابين من أهل الطائف وجدة، ومعونات تنقذهم من تلك الورطة، وأنه يجب على أمة الإسلام أن يتكاتفوا ويتعاضدوا ويعطف بعضهم على بعض، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وقد ذكرتني هذه الحادثة ما مرّ في سنة ١٣٧٦هـ حينما تداركت السيول على منطقة القصيم من هطول الأمطار بكثرة

على تلك المنطقة بحيث سقط من جرائها ثلاثة آلاف بيت في مدينة بريدة، وفرّ الأهالي من منازلهم وأماكنهم إلى الفلاة، فكانت السماء غطاء الفقراء والأرض فراشهم لا يوجد من الخيام إلا القليل، فكانت الأمة تحت السماء تصب عليهم، والأرض تفيض من تحتهم، ومنهم من كانوا تحت أظلة أسقف زرائب الحيوانات من كثرة ما ينطوي تحت سقوفها واصطنعوا مساجد في الفضاء لما كانت مساجدهم لا تغني عنهم شيئاً، وأصبحوا معدمين إلا من رحمة الله ربهم، ثم عطف حكومتهم، فشهران سوى أيام قليلة لم تَرُ الشمس، ولما طلعت الشمس جعلوا يستبشرون بها، ولقد كنا نواسي المنكوبين من العرب والمسلمين لما توجهه العاطفة الإسلامية إذا أنكبوا هكذا، أفصحت إحدى الجرائد السعودية وباحت بما لديها، وقد تقدمت القصة مبسطة في موضعها فعلى من أحب مراجعتها فليراجعها، نعم كنا نبذل المساعدات للمنكوبين حسب إرشاد حكومتنا وطلبها، كما بذلنا للجزائر في أزمتها وورطتها مع فرنسا، وكما بذلنا المساعدات لمصر في الحرب الثلاثية وغير ذلك مما توجهه العاطفة وتفرضه العادات التقليدية، وفي كلام الحكمة: ما تعاونت عليه الرجال خف، ومن عدم ظهيره، وقل نصيره، وخذله أعدائه، ولم تساعده إخوانه، وكثر أعدائه، وهذه حالة بني الزمان اليوم المعروف لا يشكر، والكبير لا يوقر، والصغير لا يرحم، وقد قلّ العطف على الفقراء والمساكين من أهل الجدة والثروة، وهذا عكس ما كان عليه أسلافنا من الصحابة والتابعين لهم بإحسان بحيث لو سمع أحدهم بمصاب لقام يواسيه، وإن كان فقيراً جعل يعطيه، ولو كان بعيداً يهديه، وقد ذكرنا في بعض المناسبات أن أرملة ذكرت لوزير من الوزراء في أحد المساجد هي وأولادها جياًعاً عراً معدمين، لا طعام لهم ولا شراب في ليلة باردة شاتية، فأدركته الرحمة والعاطفة الإسلامية فبعث إليهم بما يصلحهم من طعام وفرش وكسوة وغيرها، ثم خلغ ثيابه وأقسم أن لا يلبسها حتى يأتيه الرسول فيخبره بما صنع، فلما رجع إليه وأخبره بأنه نفذ أوامره، وكان ينتفض من شدة البرد، وعاد إلى

كسوته وملبوساته فأين إسلامنا يا مسلمون، وأين عطفنا يا مؤمنون، وأين حميتنا يا موحدون، أما قال النبي ﷺ : «الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله»^(١) وقال ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتناسحهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه، وفي رواية: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم» وما زال النبي ﷺ يوصي بحقوق المسلمين بعضهم لبعض حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وأمر بتعاهد الجيران والرفق بالجيران، وتقبيل الصبيان ورحمتهم، ولو أن المسلمين أخذوا بتعاليم الشريعة لأفلحوا ونجحوا وسارت بهم سفينة الفلاح والنجاح، ولكنهم ويا للأسف أضاعوا وصية نبيهم، بل وتوصياته، وتحاذلوا وحدثت فيهم الأنانية، وهي إصلاح المرء نفسه وعدم الاعتناء بغيره، وهي مذمومة قطعاً.

وفيها في يوم الخميس الموافق ٧/٢٤ أقيمت صلاة الاستسقاء في سائر نواحي المملكة السعودية حسب طلب الملك للمرة الثانية في هذا الشهر، لأن الغيث الذي أنزله الله من فضله وكرمه لم يعم المسلمين، فغالب المدن والنواحي ترجوا من كرم الله وفضله أن يسقيهم كماخوانهم.

وفيها قامت حكومة قطر ترأسها حكومتها الجديدة حمد بن خليفة بنزاع مع البحرين، وتقرر أن قطر تعمل بالخفاء ضد البحرين، فتوترت العلاقات بين الحكومتين، ونشأ سوء تفاهم بينهما.

وذلك في رجب من هذه السنة مرض الملك فهد بن عبدالعزيز وكان يقوم ببعض الأعمال ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز بمساعدة بعض إخوانه، وقد بعث جلالة الملك سيارات لبعض رؤساء هيئات الحسبة مساعدة لهم في أعمالهم، وكان

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، هكذا ذكره صاحب مشكاة المصابيح.

مرضه ضعفاً في قيامه وجلسه ومشيه، نسال الله له العافية، وهذا وقد قام نجله الشاب الفاضل سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد بطباعة بعض الكتب الدينية السلفية مجاناً تصل إلى المشايخ، فجزاه الله خيراً، وإنها لبادرة حسنة خيرية، ومن هذه الكتب الطرق الحكمية، وتنبيه الغافلين لابن النحاس وغيرها، ولا بدع ولا غرو فقد سبقه إلى هذه الحسنات، والأحكام السلطانية.

ذكر الانتهاء من عمارة الكعبة

لما أن كان في يوم الاثنين ٦ شعبان عام ١٤١٧هـ انتهت عمارة الكعبة المعظمة بعد مضي ستة أشهر تقريباً من ابتداء العمل بطمأنينة وسكينة، حتى أنه يتخيل إلى المعتمرين والمصلين والطائفين أن ليس هناك عمل، وخرجت بثوبها الشريف كأحسن ما يكون جمالاً ورونقاً ومنظراً، وذلك في اليوم ٨/٦ الاثنين الموافق السادس عشر من سبتمبر الميلادي عام ١٩٩٦م كانون الأول ٢٥ القوس عاشر نوء الإكليل عاشر المربعانية من سنة ١٣٧٥ الشمسية، وقد أقيم في اليوم المذكور احتفال يرأسه ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ودعي لذلك الاحتفال الذي قام به ولي العهد بالنيابة عن الملك جميع الرؤساء والمسؤولين لتغسيل الكعبة المعظمة، ومن كل دولة قد حضر عضو يمثلها من أهل الإسلام، فكان يوماً مشهوداً ويومئذ يفرح المؤمنون، وقد رفع المدعوون وجميع الحاضرين أكفهم بالدعاء والشكر لله ثم للمملكة السعودية لقيامها بهذا العمل، وكان هذا الغسيل إيذاناً بانتهاء العمل التاريخي المبارك، وقد حضر الاحتفال كل من عبدالرحمن بن عبدالعزيز نائب وزير الدفاع، والأمير فواز بن عبدالعزيز، والأمير عبدالإله بن عبدالعزيز، وأمير المدينة المنورة عبدالمجيد بن عبدالعزيز، وأمير مكة المشرفة ماجد بن عبدالعزيز، والمشرف العام الرئيس لشؤون الحرمين، ووزير الحج والأوقاف ورئيس الرابطة الإسلامية، ورئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وسائر أبناء عبدالعزيز وأبنائهم، وأعضاء السلك الدبلوماسي العربي، والإسلامي.

ملاحظة: قيمة هذه العمارة للكعبة المعظمة لم يحدث مثلها في التاريخ منذ أكثر من ثلاثمائة سنة وسبعة وسبعين عاماً المصادف لعام ١٠٤٠ وقد استهلّت عبارات الاحتفال ببسم الله الرحمن الرحيم، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، تم بعون الله وتوفيقه في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود الترميم والتجديد الشامل للكعبة المشرفة سقف الكعبة والأعمدة الثلاثة حوائط الكعبة من الداخل والخارج، والأرضيات رخام السطح والحوائط والأرضيات، والسلم الداخلي الشاذروان جدار حجر سيدنا إسماعيل ميزاب الكعبة المشرفة، تقبله عملاً صالحاً وأجزل الأجر والثواب، والحمد لله رب العالمين، وتشرف المملكة العربية السعودية بخدمة الحرمين الشريفين لتكون دائماً وإلى ما يشاء الله في استقبال المسلمين الراغبين بأداء الحج والعمرة والزيارة لينعموا في قضاء مسكنهم بكل سرور وسهولة، في مناخ آمن وجيد، وظروف طيبة بحمد الله هكذا أذاعت جريدة الرياض في عددها ١٠٤٠٤ تاريخ الأربعاء ٨ شعبان ١٤١٧هـ الموافق ١٨ ديسـر ١٩٩٦م السنة الثالثة والثلاثون كانون الأول.

وفيها في ٢١ شعبان أذاعت الحكومة السعودية ميزانية الدولة، وكان فيها بعض المشاريع العائدة على الأمة بالخير، واستبشر المسلمون بذلك لأن الحكومة قبل هذه السنة مشغولة بمخسائر ونفقات حرب الخليج، وفي هذه السنة تنفست الحكومة الصعداء، وقد بلغت الميزانية المرصودة لسنة ١٤١٧هـ و١٤١٨هـ والأمور تنشر بخير مبلغ.

وفيها بمناسبة دخول شهر رمضان أذنت الحكومة السعودية بزيارة أهالي السجناء لأقربائهم في السجن تقديرًا لشهر رمضان.

ززال يقص إيران

لما أن كان في يوم الثلاثاء الموافق ٩/٢٦ أصيب شمال إيران بهزتين، فخلف هذا الزلزال ٧٩ قتيلاً و٢٦٠ جريحاً، ونشريد خمسة وعشرين ألف شخص من

منازلهم، وكان ذلك من تمام عجائب قدرة الله تعالى، كما أنه في نفس ذلك اليوم والشهر أصيبتا طائرتان من طائرات العدو الإسرائيلي متجهتين لقصف لبنان، فأحدث ذلك انزعاجاً لدى اليهود، واستبشر المسلمون بهذه العقوبة التي قد تكون من دعاء المسلمين وتأثيره على تلك الدولة الخاسرة، وقد هلك فيها ثلاثة وسبعون راكباً، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

سفرنا لزيارة المدينة المنورة

لما أن كان في ضحى الاثنين الموافق ١٠ / ٣ من هذه السنة سرنا من الوطن إلى مدينة الرسول ﷺ فقدمناهما قبل الغروب، وبعدما أمنا أنفسنا نحن ومن صحب من العائلة بيت في العنبرية يحتوي على أربع غرف وثلاث دورات مياه بقيمة من الأجرة قدرها سبعمائة وخمسون ريالاً لثلاثة أيام، وبعد صلاة تحية المسجد والسلام على رسول الله ﷺ وصاحبيه في الحجرة الشريفة سرنا من الغد لرؤية توسعة المسجد المدني النبوي الأخيرة التي كملت في منتصف السنة ١٧ بعد ألف وأربعمائة، فرأينا شيء لا تبلغه العبارة، لقد كلفت هذه التوسعة الأخيرة في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود من الجهات الثلاث شمالاً وشرقاً وغرباً، واحتوت على رقعة كبيرة من الأرض بحيث لم يسبق لها نظير من لدى نزول آدم إلى الأرض، وقد كلفت المليارات من النقود على نفقة الدولة السعودية وبيت المال بحيث لم تشترك معها أي دولة أخرى، بحيث أن الداخل في الحرم النبوي قد يضل الطريق، فلا يهتدي إلى الروضة الشريفة والحجرة النبوية إلا بسؤال المستخدمين في المسجد، وقد أقيمت على أعمدة واسطوانات لم يسبق لها نظير، وتصميم عجيب جلب له أجناب بناءون من سائر المعمورة، وكانت توسعة الملك المغفور له عبدالعزيز رحمه الله لم تكن إلا في زاوية منها تقع في وسطها من الجهة الشمالية، أما عمارة الدولة العثمانية في الجهة الجنوبية فكانت بقوتها وتصميمها ونقوشها لم تتعرض لتغيير بل على وضعها القديم، وقد طرزت وخدمت خدمة كافية بالأنوار واللمبات لما تطورت الحياة العصرية بخدمة الكهرباء بما تحتوي عليه من الكتابات

القديمة العربية بالقلم العريض، وقد كانت الإضاءة فيها بالكهرباء ليلاً كنهارها، فلا يتغير الطقس، ومن العجائب أن الكهرباء على الدوام في الإضاءة كالشمس في رابعة النهار، وكما أن الحجرة الشريفة بهيكلها القديم وجالها ووضعها قد كسيت بحلل التطريز عليها من رونق الحسن ما يبهر العقول من الإجلال والتعظيم، كسيت بأعظم حلة عليها طراز بالملاحة معلم، ولمكانتها في جميع أقطار الأرض فإن الحكومة السعودية بحكمتها ومراعاة للظروف لم تزدها إلا تحسيناً وخدمةً وتعظيماً لأنها قد احتوت على الذات الشريفة التي لم يكن في السماوات والأرض بعد عظمة الباري الذي هو أعظم من كل عظيم أعظم منها، وما زالت الملوك والعظماء يحترمونها بما يليق بها، ولكنها لم تسمح الحكومات الإسلامية بطول المدة واختلاف الملوك والرؤساء يحافظون على عدم تقيلها والتمسح بها نزولاً على الامتثال للشرعية المطهرة، وكانت لولا احتشامها وحمايتها لم تسلم من أذى الرافضة والحيلولة بينهم وبينها، ولقد كانت الدوريات ورجال الأمن يبذلون جهوداً جبارة في هذا السبيل ليعلم المفسدون أن في الحياض من يزود عنها، ولقد كلف بالحرم الشريف النبوي خدم يقومون بالمناديل والتنظيف وإزالة الغبار عن الدواليب والمصاحف يومياً، وتغسيل أرضية المسجد، وقد جلبت الحكومة السعودية أنواع الزوالي الفاخرة المستحسنة بحيث لو قلت أنها تقدر قيمتها بسبعين مليوناً لما كنت مبالغاً، وكانت المنارات قد رفعت وأقيمت بكثرة، وقد رأيت قباب المسجد متحركة إذا أرادوا دخول أشعة الشمس والهواء المتجدد، ونصبت شماسي في رحبات المسجد وقايةً من الشمس، وملئ المسجد بالمصاحف المطبوعة على نفقة الدولة، وتطورت الأحوال بعدما كان الحجاج يهدون المصاحف للحرمين الشريفين فيما مضى من نفقاتهم الخاصة، فقد قامت الحكومة بمشروع طباعتها في مجمع الملك فهد، وانتشرت هذه الطباعة وبعثت بالآلاف إلى المسلمين وعشرات الألوف إلى مساجد المعمورة، كما أقيم في باطن الأرض مواقف للسيارات في المسجد النبوي، وجعل أسفل الأرض شوارع وإشارات.

وفيه وفاة الشيخ ابن محمود قاضي قطر رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم عبدالله بن زيد بن محمود، ونحن نسوق الترجمة على ما نشرته إحدى الجرائد السعودية بقلم محمد بن عبدالله الشريف، انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس الثامن والعشرين من رمضان عام ١٤١٧هـ في مدينة الدوحة فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية في دولة قطر عن عمر يناهز التسعين عاماً، وقد فقد الإسلام والمسلمون بوفاته علماً من الأعلام المنيرة في التاريخ الإسلامي المعاصر لما يتمتع به رحمه الله من علم واسع غزير، وحكمة بالغة، وتواضع جمّ، وأسلوب مشوق ممتع، وقد أكسبته هذه الصفات وغيرها من الصفات الأخرى الحميدة التي كان يتحلى بها، ويندر أن تجتمع في عالم واحد أكسبته ملكة التبهر في العلوم الشرعية والتبصر في آفاقها الرحبة ومدلولاتها الواسعة، وتبسيطها وتقريبها إلى أذهان العامة، مما ساعد على تعميق معاني الإيمان الحقّة لدى كثير من الناس وتحييه إلى قلوبهم، كما أكسبته هو تلك السمات والخصال محبة من عرفوه أو أخذوا عنه، كما ساهم رحمه الله بمؤلفات عديدة في خدمة الإسلام وتيسير العبادات، ومساعدة المسلمين على أداء شعائهم الدينية، وإزالة ما علق بأذهان العامة من غموض أو جهل بأمور العبادات والواجبات الدينية، وكان من أشد المجاهدين في سبيل رفع راية الإسلام، ومحاربة البدع والمنكرات، وقد جاهد بلسانه وقلمه في سبيل الاحتفاظ بعقيدة الأمة طاهرة نقية من البدع والانحرافات، وكان لا يتردد في نصيح أولياء أمور المسلمين بما يراه محققاً لتطبيق الشرع ومصلحة الأمة، ولد رحمه الله في حوطة بني تميم من أسرة تنتمي إلى ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، ورحل عنها وهو يافع في طلب العلم على أيدي عدد من العلماء منهم: الشيخ عبدالملك بن إبراهيم، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ محمد بن مانع، واختاره محمد بن إبراهيم ضمن عدد من العلماء للوعظ والتدريس في المسجد الحرام.

وفي عام ١٣٥٩هـ قدم إلى مكة حاكم قطر الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني

لأداء فريضة الحج، وطلب من الملك عبدالعزيز رحمه الله ترشح أحد القضاة ليتولى مهمة القضاء في قطر خلفاً للشيخ محمد بن مانع، فكان أن رشح الشيخ عبدالله بن محمود لهذه المهمة، واستمر بها إلى أن وصل إلى منصب رئيس المحاكم الشرعية، وعرف عنه في ممارسة العمل وأحكامه بالقراءة المتعمقة، والتبكير في الحضور إلى مقر العمل، وحل المسائل الصعبة، والعد والنزاهة والاجتهاد، ووسع في الإصلاح بين الخصوم، وكان شغوفاً بالدرس والمطالعة والتنقيب والبحث في المراجع والكتب، وقد ساعده وحياه الله من مقدرة على الحفظ والاستيعاب على حفظ الكثير من المتون والأحاديث والمذاهب، وإلى جانب ذلك كله كان له اهتمام بالأدب والشعر، وكان يحفظ فيهما الكثير مما يستعين به أو يستشهد به في أحاديثه وكتابات، وقد ألف عدداً كبيراً من الكتب في مختلف المجالات الدينية منها لحكم الجامعة، وأحكام عقود التأمين في الإسلام والربا بأنواعه، والجهاد المشروع في الإسلام، وقد توجه رحمه الله في مؤلفاته إلى معالجة المشاكل التي يواجهها المسلمون، أو توضيح ما خفي من أمور الدين والعبادات وتنقيتها من البدع، أو الرد على المفترين على الإسلام، رحم الله الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رحمةً واسعة، وعوض الإسلام والمسلمين بفقده خيراً، وألهم أهله وذويه حسن العزاء، وأعانهم على الوفاء عما قدم من أعمال، والله المستعان، قال المؤرخ: إخلاصاً للتاريخ وإن عليه لما أخذ والله يغفر له، منها أنه يحب الخلاف كاجتهاده في مسائل الحج وقد ردّ عليه فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم وترجيح أن الأضحية عن الميت غير شرعية، وقد رد عليه الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، والشيخ علي بن عبدالله بن حواس وغيرهما، والصواب معهم ويرى دفع الفطرة نقوداً عما قرره الشارع في دفعها من الأصناف الخمسة، ولعل هذا من أسهل خلافاته نظراً منه إلى توخي المصلحة في وجود الأفران والمطاعم في هذا الزمان، وكلّ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم، وكان يرى صلاة ما له سبب في أوقات النهي وإن كانت من أوقات النهي القصار مع غروب الشمس أو مع طلوعها، وقد تقدم في سنة (١٣٩٠هـ) عن المترجم، وذكر دولة قطر ما فيه كفاية.

(وفيها) في يوم الخميس (١٠/٢٠) أقيمت صلاة الاستسقاء في سائر أنحاء المملكة للجفاف وتأخر الأمطار فأمر الملك بذلك لعل الله أن يعم المسلمين برحمته. (وفيها) في أواخر شهر شوال أصيبت (إيران) بزلزال في الشمال الغربي، هلك بسببه عدد وجرح عدد كثير وفر عن الموضع آلاف، وقد بعثت بعض دول الخليج تعازي إلى الرئيس رفسنجاني ومعونات تواسيهم.

(جريمة شنيعة) لما كان في يوم السبت (١١/٢٧) من هذه السنة أحضر الجاني: محمد أحمد مصلح يماني في ساحة القتل باليمن، وكان عمره ٤٨ سنة فأطلق عليه خمس رصاصات قضت عليه بالإعدام؛ لإطلاقه النار من بندقيته على مئات من تلاميذ المدارس في يوم الأحد الموافق (١١/٢١) فيما أخذت حشود من أهل اليمن، وأشرفت حشود من أسطح المنازل يهتفون ويصفقون ويصفرون مع إطلاق الرصاص على الجاني ويكبرون (الله أكبر) وكان الجاني قد أطلق على مدرستين في صنعاء العيارات النارية فقتل أربعة من التلاميذ وناظرة المدرسة ومدرساً، وكان أولئك الحشود يكبرون ويهتفون - تحيا العدالة - وكان قتله أمام المدرستين اللتين جنى عليهما تلك الجناية، وذلك بعد ما صدقت محكمة اليمن على القتل غير أنها ألغت صلبه ثلاثة أيام.

(جريمة شنعاء) لما كان في أحد الأيام من شهر ذي القعدة سنة (١٤١٧هـ) خرج سائق مصري بسيارته كان يحمل الفتيات من السعودية بمدينة الرياض لتوصيلهن إلى مقر أعمالهن في التدريس وكانت المدرسات قد قبضن رواتبهن، وكان مصطحباً زوجته، فمال بالسيارة وخرج عن الطريق، فقلن له إنك خرجت عن الطريق، فقال إلى قريب، فلما أن كان في موضع بعيد عن البلد نزل بهن وسلبهن رواتبهن،

وتركهن بقطع من الأرض ، وفرّ بالسيارة، فلما كن هذه الحالة السيئة قدّر الله لسبب نجاتهن أوقفت إحداهن صاحب سيارة فحملها إلى أقرب مركز من مراكز الأمن، فبعثوا إليهن بسيارة حملتهن إلى بيوت أهاليهن وألقى

رجال الأمن القبض على المجرم وزوجته، ولا ريب أن هذه الفعلة الشنيعة والجريمة الرذيلة لا تكاد تصدر من مسلم ولا ممن كان له شيمة وأنفة، بحيث لم يفعلها اليهود ولا النصارى، فقبح الله الخبثاء، ولعن الله كل لئيم، وأنزل بهم أليم عقابه، فعياًذاً بالله من سوء الأعمال ومنكرات الأخلاق، وكان هذا المجرم قد قص جوازه قبل ذلك لسفره إلى مصر بطائرة، فعند ذلك صدرت الأوامر كلمح البصر إلى المطار العالمي في الرياض بأن تتوقف الحركة، وفتشوا على الخطوط الجوية حتى ألقى القبض عليه وعلى زوجته بتوفيق من الله، ثم قيام رجال الأمن بهذه المهمة.

وفيها في ١٢/٤ أصيب القصيم بموجة برد شديد جاءت في فصل الربيع ٩ من المقدم ٢٢ الحمل وكادت أن تهلك الأشجار لأنها في غير وقتها، لولا أن الله سلم.

وفيها في آخر نهار الجمعة الموافق ١١/٢٦ ١٥ من برج الحمل ١٤١٧هـ هبت عاصفة شديدة مثيرة للغبار على مدينة حفر الباطن، ولشدتها كسرت الأشجار وحطمت أخشاب الشبكة الكهربائية، فانطفأ لذلك التيار الكهربائي، وقد تكسر لذلك بعض شبابيك المنازل والنوافذ، واستمرت ساعة من الزمن.

ذكر أعمال الشياطين ومضرتهم على أمة الإسلام

لما استكمل عدد حجاج بيت الله الحرام في منى في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، وكانت منى محاطة بخيام حجاج بيت الله الحرام نفذ أولئك الشياطين أغراضهم الخسيسة الرذيلة بتفجير عبوات في الساعة المذكورة من يوم التروية ١٢/٨ من عام ١٤١٧هـ، وكان أولئك الفجرة يريدون خيام الحرس الوطني، فعرفه على المنزل، فثارت النيران بحميمها وأهوالها تزجر في تلك البقعة من منى التي أحاطت بها خيام حجاج بيت الله الحرام، ولم يرعوا الله حرمة، فنسألك يا ربنا بأنك

لا تخلف الميعاد، ونطالبك ربنا بالانتقام منهم كما وعدتنا، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، وأن تذيب من فعل ذلك أو سبب له أسباباً من عذابك الأليم، وما كنت أظن من فعل ذلك الفعل الدميم إلا من خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وفقد دينه ومروءته وإنسانيته، وكنت ممن حج في هذا العام، فلما أن اتجهنا إلى جهة منى إذا الحجاج واقفين مدهوشين، وإذا سماء منى تثور دخاناً أسود ينقطع في الجو كالجبال السوداء، فقبل لنا حدث في منى حادث وتمزقت جثث من أراد الله هلاكه، وجرح خلائق واحترقت خيام حجاج بيت الله الحرام، وقد أغلق منى فلا يدخلها أحد سوى السيارات الوايتات لرش المياه على الحرائق، وسيارات الإسعاف لحمل الموتى وإنقاذ الجرحى، سبحانك هذا بهتان عظيم، فقامت الأمة تضرب أخماساً بأسداساً لا يملكون إلا دمعاً محرقة، فهذا مجروح بماله المحترق وأثاثه الذي قضى عليه الحريق، وخسره أهله، ومن الناس من فرّ إلى مكة المكرمة واستأجروا بيوتاً بنفقات باهظة، حتى بلغ أحد البيوت لسته أيام قيمة ثلاثين ألفاً، فعياًذاً بالله، وكنت أظن أنها لا حادثة تشبه هذه الحادثة سوى حادثة القرامطة عام ٣١٧ هجرية من كونهم قتلوا الحجاج والقوهم ببئر زمزم، وقلعوا الحجر الأسود وباب الكعبة المشرفة، أين احترام حرم الله الذي حرمت أشجاره وطيوره احتراماً لتلك البقعة المقدسة، لقد تأملت الأمم الإسلامية لما جرى، وحدث من هذا الفعل الدميم، والأمر الشنيع، فرجعنا إلى مكة، ولما أن كان قبل الغروب خرجنا لمنى فقبل لنا الأمور على وضعها، ومنى مغلقة، ولم يستطع لا الدفاع المدني ولا رجال الأمن السيطرة على الحريق، كذلك البلديات قد وقفت ذاهلة متحيرة من عظم ما جرى، فرجعنا إلى مكة وخرجنا من صباح يوم عرفة إلى عرفة تاركين منى لأنه خيف، وقد بلغ عدد الهلكى ما يزيد على خمسمائة قتيل وعدد الجرحى ثمانمائة أو يزيدون، أما الخيام التي احترقت فبلغت سبعين ألف خيمة على جهة التحقيق، ولا أكون متجاوزاً أو مبالغاً عما جرى من الحادث.

ذكر زلزال يحيق بشمالي إيران

لما أن كان في السنة المتقدمة سنة ألف وأربعمائة وسبع قام الإيرانيون بثورة أمام المسجد الحرام، فقتلوا بعضاً من حجاج بيت الله الحرام، وانتهبوا ما وقعت أيديهم عليه من أموال أهل مكة التي تلي الجهة الجنوبية من الحرم الشريف، واستعملوا سواطير وسكاكين ومقارض زعموا أنها جمعوها لتقطيع لحوم الهدايا والأضاحي، فسطوا على حجاج بيت الله الحرام، وقد دافعت الحكومة السعودية على قد استطاعتها عن المسلمين والحجاج، وأصبحت الأمة يتربصون ماذا يحله الله بهم من العقوبات لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وقد أصيبت إيران بزلزال، غير أنها ليست بكافية لعقوبتهم وما انتحلوه من الأعمال الرذيلة السيئة، نسأل الله تعالى أن يأخذهم بذنوبهم وهو أحكم الحاكمين.

ثم دخلت سنة ١٤١٨هـ

استهلت هذه السنة والأشياء الضروريات في غاية من الغلاء، فهذا سعر محروقات السيارات من البنزين والديزل وما إلى ذلك بقيمة باهظة، وبلغ سعر برميل الديزل سبعة آلاف ريال بعدما كانت قيمته ألف ريال، وسعر الغاز بقيمة باهظة، فبعدها كانت قيمة برميل عيار ٢٥ بسبعة ريالات رفعة قيمتها إلى ١٤ ريال، وأصبحت هذه القيمة وهلم ما جرى، وإذا كان هو الوقود في هذا الزمان فما على الإنسان إلا أن يشتريه بهذه القيمة الباهظة.

وفيها في ظهر اليوم الرابع من شهر محرم الموافق يوم السبت من هذه السنة أصيب شرقي إيران بزلزال شديد، ولم يعهد مثله، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد، ولما وقع الزلزال تجلّى عن قتل ألفين ومائتي قتيل وأربعين ألف جريح، هذا ما عثر عليه وإلا فقد دمر مائتي قرية منها سبع قرى

فدفنت، وما وقف لهم عن خبر، ومنها ثمانون قرية انتشلت القتلى والجرحى
بجثثهم، وبلغت درجة الزلزال سبع درجات، ولما وقع ذلك الزلزال الذي لم يعهد
مثله قط منذ زمن بعيد قامت الحكومة الإيرانية بنصب الخيام للجرحى، وبعثت
تستغيث الأمم الأخرى والحكومات المجاورة لها يطلبون الغوث والمواسات،
فجاءتهم الإعانات، ومن سوء الحظ أن الضربة وقعت والموظفين في أعمالهم فلم
يرجعوا إلى وقد خلفهم في أهاليهم وذرياتهم من الهدم والقتل والجرح ما الله به
عليم، فقد تهدمت المساكن ووقعت على السكان وتحطمت الأبواب والنوافذ
والمكيفات على ما تحتوي عليه من الأثاث، وكانت أثراً بعد عين، ولم يبق في موضع
الزلزال ديار ولا نافخ نار، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]، فهل ينتظرون إلا مثل أيام
الذين خلوا من قبلهم، ﴿ قُلْ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ [يونس: ١٠٢]، ولما أن نصبت الخيام للمصابين سلم من سلم بعد العلاج الطويل
ممن كتبت له النجاة، وهلك معظمهم، وإن في ذلك لعظة لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد، وكم أصيبت هذه الجوس من الفرس الذين كانوا أشد الخلق
عداوة للمسلمين، فلم يتعظوا ولم يزالوا في غيهم وضلالهم، وقد عثر على بعضهم
في الزحام عند الجمرات أنهم كانوا يحملون أمواس مكائن الحلاقة يصيبون بها
أعين الحجاج وجوارحهم، فعياداً بالله من هذه العداوة للمسلمين، وكان الشاه
محمد رضى بهلوي في حال ولايته إيران وسيطرته قد حزمهم حزم السلم، ولكنهم
بعد خلعه عادوا إلى أخبث حالة، ولكن فأين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسعد
بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وشجعان الصحابة رضى الله عنهم من هؤلاء، ولما
أن خلع الشاه محمد رضا وفرط طريد معه أهله الذين غادروا إيران قبله من الحميني
الذي عذب أهل إيران وعرضهم لحرب ضروس مع العراق، كما قدمنا، وما زالوا
حتى وضع التاريخ في شر إقامة الفتن والحن التي زجهم بها الحميني فظنوا أنه
سيعيد لهم مجد الغابرين وعز الآخرين.

إعصار قوي يصيب بنغلادش

لما أن كان في ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٤ محرم أصيبت حكومة بنغلادش بإعصار شديد تعرضت له بنغلادش، وكانت سرعته وقوته عظيمة فهدم بيوتاً وكسر أشجاراً، وقلع أخرى، وهلك بسببه أنفس وجرح آخرون، فبعث الحكومة إليها مساعدات مواساة، وساهمت الحكومة السعودية بإرسال طائرتين محملتين بالخيام والأغطية والبسط والمواد الغذائية إلى البلد الشقيق المنكوب إسهاماً في التخفيف عن الأضرار الناجمة عن الإعصار الذي تعرضت له، وخرج ألوف من بيوتهم فراراً عن الأخطار والمهالك.

وفيها في برج الجوزاء أواخر شهر محرم أصيبت ثمرات النخيل بالتسوس فسقط جزء من ثمرتها، ولم يبق سوى الثلث، وقد حارت الآراء حول ذلك النقص الذي لم يبق منها إلا القليل، نستغفر الله ونتوب إليه، ولا ريب أن ذلك من الابتلاء الذي يبتلي الله به عباده، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾.

وفيها في دخول السنة الهجرية أمرت الحكومة أيدها الله بصرف العوائد والشرهات كجاري العادة، وأقبلت الأمة على دوائر المالية لتناول العادات كما صرفت الحكومة أرباح سنتي ١٣/١٢ للمشاركين في الكهرباء، وذلك في شهر محرم من هذه السنة ابتداء من أواخر ذي الحجة من السنة المنصرمة في المائة سبعة ريالات.

ذكر وفاة أناس من الأعيان

لم نذكر الوفيات في أوائل هذه السنة وأواخر التي قبلها، فقد توفى في آخر السنة الماضية محمد بن سليمان بن محمد بن عمر بن سليم، وجدته العالم الرباني محمد بن عمر العالم المشهور في القصيم، كان المترجم من أسرة آل سليم وابن عمه الأديب الفلكي الحاسب عبدالله بن إبراهيم بن سليم، ولد المترجم عام ١٣٢٠هـ وتعلم القرآن الكريم، ولما نشأ كان والده يتاجر في طلب المعيشة والرزق فسلك طريقة

والده في السفر للعراق وفلسطين، ولما أن قلت مصالح الأسفار فوق ظهور الإبل بالرغم من المشاق التي يعانها المسافرون إذ ذاك لزم هو والده مدينة بريدة بيت حوالي جامع بريدة الكبير، ولهم ضيعة على مسافة قريبة في جنوبي البلد، تحتوي على النخيل والأشجار مستخدمين الإبل ثم المكائن المائية، ثم كان مراقباً في معهد إعداد المعلمين حينما كان المدير ابن عمه، وألقى عصا التسيار ثم اكتفى بما يحصل من تقويم ممتلكاتهم حينما وقع الهدم عليها، ووفق في آخر عمره برزق رغد براحة، وكان له أخ يسمى عمر بن سليمان، ولهم بنون وأحفاد، فالله المستعان.

ومن توفى فيها عبدالرحمن بن سلمان بن سحمان كان رحمه الله رجلاً متعففاً قنوعاً بما آتاه الله من الرزق، ومن سكان مدينة الرياض محافظاً على الصلوات الخمس، ومنشأه القصيم في مدينة بريدة، وله قرابة وذا صلة بقرابته.

حادثة غريبة

كان أحد أمراء البادية يسير فأصيب بحادث سيارة فذهب به إلى أحد المستشفيات في بريدة، وجعل في غرفة الإنعاش لأن الحادث شديد، فجاء ابنه إلى المستشفى وطلب رؤية أبيه، فنصح له الأطباء بعدم رؤيته وأن يتأخر قليلاً حتى يمن الله على أبيه بالشفاء، غير أنه أكد في أن يراه، فلما رأى والده في ثياب العلاج وحال غيبوبة، خرج الابن وكان في سلك الأمن منفعلاً، فما رأى يقود السيارة منكداً مهموماً فاختل التوازن فأصيبت السيارة بحادث وهلك في لحظة رحمه الله تعالى، فهذا الابن قد جاء يسعى إلى رؤية والده المصاب، ولعل أن يلقى على والده آخر رؤية قبل أن يرحل من الدنيا، فكان حتف الابن بتلك الزيارة، وهلك قبل والده.

قد ذكرنا السنة الماضية وفاة الأستاذ عبدالله بن إبراهيم بن سليم، ولما أن كان بعد وفاته بسنة تقريباً ظهر المتحذلق يزعم أنه من زملائه، ووصفه بأنه ذو بضاعة من العلم مزجاة، ولم يكن لديه سوى بصيص ضئيل من العلم، وكأنه لما توفاه الله

تعالى ولم يستطع أن يدافع عن نفسه لأن الحي يغلب ألف ميت، كما هو مشهور، وفي المثل السابق وأيضاً قام هذا المتحذلق ينتقص أهالي بريدة وأنهم متحجرون، وغير ذلك من التهم عليهم، وكأنه لا يعرف عن العلماء إلا عن نفسه لأن الجهل بحره عميق وتجاهل ما لأهل بريدة من الفضل، وأن أهالي بريدة ملئوا أقطار المعمورة بالعلماء والأدباء والمفتيين والمدرسين والقضاة، فتصدى لهذا المفترى الشعراء والخطباء وردوا أكاذيبه وترهاته ليعلم أن في الحياض من يذود عنها، وأن في الحمى من هو على ثغرة المرمى، ونحن نذكر منها قصيدة أنشأها الأديب الشاعر صالح بن سليمان بن مقيطيب من أدباء مدينة بريدة

وهي هذه:

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| مقالاً عن الشيخ كما قد قرأناه | ألا يا بني قومي أما قد قرأت |
| ولو أنه حق لكننا قبلناه | قرأنا مقالاً جانب الصدق ذكره |
| وبيت لهم بالعلم قد شهدناه | أزف إلى آل السليم تحية |
| فكم خادماً لله بالذكر أحياء | سقى الله أجداناً تضم رفاتهم |
| أحاسيس من قلبي إذا ما سمعناه | إذا مر ذكر للسليم تحركت |
| وتاريخكم عطراً إذا ما درسناه | تمرستم أصول الدين في الخير رغبة |
| لكم في قلوب الناس حب لمسناه | لكم سيرة الإسلام في العلم والتقى |
| نصحتهم لوالي القصيم لما تولاه | فأنتم أحباء القصيم شيوخها |
| لقد كان نجماً لامعاً طاب مرآه | تذكرت عبدالله إذ كان بيننا |
| فارباً على الأقران والفهم بذكاه | تعلم علم الشرع مذ كان ناشئاً |
| على الفور يلقي عنده ما تمناه | فكم عالم يأتيه أعياء بحثه |
| متى خاض في فن من العلم منشاه | لقد كان فذاً بارزاً في علومه |
| لتعليم أبناء الرياض فلباه | ويكفيه فخراً أن دعاه مليكنا |
| فكم يحسد الموهوب ما الله أعطاه | ألا يوجد الحساد يوماً مثله |

كما كان من عثمان في حق شيخنا
وقد زامن الشيخ ويعرف فضله
إذا الحاسد المسكين أدرك فضله
أبى الحسد أن يثقَ دفيناً وإنما
كفى الحسد ذماً أن يقود إلى الردى
عرفناك يا عثمان للناس ما لها
وتزجي رخيص المدح دون توقفٍ
ترسل إذا ما كنت للشخص مادحاً
عدلت عن المدح تنقصت شيخنا
تنقصت عبدالله لما ذكرته
زعمت بأن الشيخ لا علم عنده
فلست بسباح فتعرف عمقه
إذا كنت لا تدري عن الشيخ علمه
وسل عنه آل الشيخ فسل محمداً
وقد هبت عبدالله جأً لعلمه
ولكننا للشيخ نرعى حقوقه
أعثمان دع عنك المديح تزلفاً
ولازم بيوت الله بالذكر معرضاً
أترجو بممدح الناس عزاً تناله
أما العمر قد ولى وحان أفوله
وسل ربك المعبود حسن ختامه

قلت إنما أثبتنا هذه القصيدة لأمرين:

وأسبابه حسد على العلم منشأه
ولكنما الحسد عن الحق أعماه
سعى يشغل الناس بسبب ننسأه
سييدوا ذا المحسود يوماً دفناه
ويكشف للمحسود فضلاً جهلناه
وتعطى بلا حدا إذا ما وزناه
ولو يشتري ما كنت أنفقت قلناه
فلو زاد في المطعوم ملحَ رميناه
بخست حقوق الشيخ لما دفناه
ولو قيل ضير فيك كنا ذمناه
وأثبت لشيخ بصيصاً رفضناه
فكم جاهلٍ بالبحر يوماً فقدناه
فسل من له بالعلم باعُ سبرناه
تجد عندهم علماً عن الشيخ نرضاه
أما كان هذا حين آواه مثواه
علينا له حق فلا بد نرعاه
وقدم من الأعمال ما طاب تلقاه
عن القيل واسأل ربك اليوم تقواه
ولكنما العز لمن طاب مسعاه
وقد حان لو تبكي عليه وتنعاه
وصل على المبعوث فالله أعلاه

أولاً لأنها كمرثية عدت محاسن عبدالله بن سليم، لأنني لم أجده له مرثية، ويقول
الله تعالى: وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

ثانياً نصيحة هذا وأمثاله أن لا يختم بالسيئات أعماله لا سيما وقد كان في عشر التسعين، ولو نصحه زيادة عن إسبال ثيابه لكان أحسن لأنه ظهر في هندامه سبلاً ثيابه، ويجب إرشاده، نسأل الله أن يهدي الجميع.

ذكر حريق في مدينة الرياض

ففيها أصيب أحد مستودعات الرجل الغني الكبير صالح بن عبدالعزيز الراجحي بحريق استمر ٨٤ ساعة، وبالرغم من قيام الحرس الوطني مشتركاً بالمهمة مع الدفاع المدني وما قاموا به من جهود جبارة، فإن الحريق قضى على ذلك المستودع وخلف خسائر باهظة، ومما يذكر أن المصاب صالح الراجحي عرض عليه أن يواسى في ذلك النقص والخسائر من جهة الحكومة وغيرها فلم يوافق، وسلم لأقدار الله وحكمة قائلاً: من الله الرزق وعليه الخلف، ولم يجزع ولم يتأثر لهذا المصاب الجلل، حتى قيل أنها بلغت الخسائر تسعين مليون من النقود، وكان ذلك في يوم الاثنين الموافق ١١ صفر من هذه السنة الهجرية ١٦ يونية من عام ١٩٩٧م، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم آجره في مصيبته واخلف له خيراً منها، وكان وقوع الحادث في نوء الثريا ٢٦ برج الجوزاء، والدرجة في الخامسة والأربعين في شدة الحر، وقد قدمنا حادثة منى في موسم الحج وما أصيب به المسلمون من تلف الأموال والأنفس من جراء حريق منى كما ذكرنا مصيبة بنقص الثمرات التي جرت في النخيل في هذه السنة.

حادثة عجيبة

لما أن كان في يوم الأربعاء الموافق ٢٦/٣ من هذه السنة تقد اثنان من الفدائيين الفلسطينيين الذين لم يستطيعوا الصبر على الضيم ولم يرضوا لأنفسهم بالذل والهوان، وقد سثموا من أعمال اليهود في بلادهم فلسطين بعمل خيف ذلك بأنهما حشوا أجسامهم بالمتفجرات ودخلوا سوق ماهان يهودا في الساعة العاشرة وثمانية

عشرة دقيقة صباحاً، ففجرا العبوات التي يحملونها داخل ثيابهم فأسفر الحادث عن قتل أربعة عشر يهودياً، وجرح مائة وسبعة وخمسين، واحترقا ضمن المصابين، لما تم الاكتشاف عن جثتي الفلسطينيين وقد أحدث ذلك العمل هزة عظيمة في فلسطين المحتلة، ويقول المتمثل:

| | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| فأقدم فأما مَنِيَّةٌ أو مَنِيَّةٌ | ترجحك من عيش به لست راضيا |
| أما سئمت من عيشها نفسٌ والهـ | تبيت بنار البعد تلقى المكاويا |
| فما تم إلى الوصل أو كلف بهم | وحسبك فوز ذاك إن كنت واعياً |
| أما موته فيهم حياةٌ وذلةٌ | هو العز والتوفيق ما زال غالباً |
| أما سمع العشاق هول حبيبةٍ | لصب بها وافى من الحب شاكيا |
| ولما شكوت الحب قالت كذبتني | فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا |
| فلا حب حتى يلصق القلب بالحشا | وتخرس حتى لا يجيب المناديا |
| وتنحل حتى لا يبق لك الهوى | سوى مقلة تبكي بها ونتاجيا |
| فيا عجة الحسناء تهدي إلى امرئٍ | ضرير وعينٍ من الوجد خاليا |
| إذا ظلمة الليل انجلت بضياؤها | يعود لعينه ظلاماً كما هيا |
| فظن بها أن كنت تعرف قدرها | إلى أن ترى كفواً أتاك موافيا |
| فما مهرها شيءٌ سوى الروح أبى | السجيان تأخر لست كفواً مساوياً |
| وادلج ولا تخشى الظلام فإنه | سيكفيك وجه الحب في الليل هاويا |
| رشقها بذكراه مطاياك إنه | سيبغي المطايا طيب ذكره حاديا |
| وعدها بروح الوصل تعطيك سرها | فما شئت واستبق العظم البواليا |

هذه الأبيات للحافظ ابن القيم رحمه الله، وكأنه يصور حالة أهالي فلسطين، وإن كان ذكرها في منزلة المحبة، فقولهُ فأقدم فأما مَنِيَّةٌ أو مَنِيَّةٌ يعني إما أن تبلغ مقصودك وما تطلبه نفسك فتفوز بطلبك كمجاهد في سبيل الله فله إحدى الحسينين، أما الظفر بالأعداء فيهلكن على يديه، ويخزيهم الله وينصره عليهم، ويشفي صدره، ويذهب غيظ قلبه، وأما أن يقتل في سبيل الله ويستريح من أتعاب

الحياة ومكابدة الضيم والحرقه بين جنبيه، قال صاحب الحماسة يندد بسياسة الهون واللين:

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| وإن وطن ساءتك أخلاق أهله | فدعه فما يصبر على الضيم ماجدٌ |
| فبتَّ حبال الوصل ممن توده | إذا لم يرد كل الذي أنت وارد |
| وقل للليالي كيف ما شئت فاصنعي | فإن على الأقدار تأتي المكائد |
| ولا تذهب الخطب الجليل لهوله | فطعم المنايا كيفما ذقت واحد |
| فليس بصعّاد إلى المجد عاجزٌ | تناديه العلى وهو قاعد |
| فقم نحصد الأعمار أو نبلغ المنى | يجد فللأعمار لا بد حاصد |

وفيهما في ليلة ١٦ جمادى الأولى كسف القمر كسوفاً كلياً ولبث في الخسوف ثلاث ساعات، من الساعة الثانية إلا ربع ليلاً بالغروبي حتى تمام الخامسة، هذا ولتقويم الحاسب الفلكي المعروف بصالح العجيري فضلٌ كبير بحيث أصبح صاحبه وحيد زمانه في معرفة أوقات خسوف القمر وكسوف الشمس بالساعات والدقائق، ابتداء وانتهاء بحيث ينشر ذلك قبل وقوعه، ويذكر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أن ذلك يدرك عن طريقة الحساب لا عن طريقة التنجيم.

وفيهما في جمادى الآخرة ساءت الحالة بين العراق وأمريكا وامنعت العراق من تفتيش أمريكا على أسلحتها، وتأزمت الأمور بينهما، ولما أن رأت العراق أنه لا بد من ذلك أو تستهدف للضرب والسحق الحق سمحت بذلك على مضض، وقامت العراق بالسبّ والنيل منها.

ذكر ترحيل الأجانب عن السعودية

لما أن كان في الشهر الرابع منها رأت الحكومة السعودية أن تطرد الأجانب عن المملكة، ذلك بأنهم استأثروا بالمصلحة في جميع الأعمال، وأخذت تطاردتهم في الجبال والأودية لما كثروا وامتلات الأزقة والجامع والجوامع منهم، ولا سيما الهنود.

هطول أمطار على السعودية

لما أن كان في دخول برج العقرب الموافق ليوم الخميس ٢٢ جمادى الآخرة ٢٣ أكتوبر انعقدت سحب متراكمة على الرياض وما حواليتها وأخذت الأمطار تهطل عليها، وأما القصيم فإن المطر رذاذ عليها، أما عن مكة والمدينة والطائف وسائر الحجاز فقد عمرتها أمطار قبل ذلك في نوء العواء أوائل الوسمي، وفي دخول شهر رجب اشتد هطول الأمطار على القصيم وسدير والوشم، وتوالى هطول الأمطار عليها، واستهدفت الرياض وما حواليتها إلى أمطار غزيرة، ثم عمّ ذلك القصيم ليلاً ونهاراً، ثم كانت السماء صواعق ورعوداً شديدة، وامتلأت المنخفضات، وكادت تغرق، وقامت المعدات شفت تلك المياه، واشتد نزول الأمطار بكثرة على الشرقية والوسط، وكانت مدينة بريدة قد استهدفت للغرق وقامت البلديات تواني أعمالها ليلاً ونهاراً ولا سيما المستشفى التخصصي فقد غرق وتعرض موضع الإسكان في بريدة لأن تخرج القوات الحكومية سكانه لأن يكونوا فريسة لتلك المياه التي طغت، واستمر الوضع في هذه الصفة وقد اختفت الشمس من ظلال تلك السحب المتراكمة، وما كان بمقدور الأمة إلا رفع الأكف إلى السماء يدعون للاستصحاء وأن يوقف الخالق تلك المياه التي لا طاقة لهم بها، وسقطت بعض البيوت وارتفعت مياه السماء على الأرصفة، واختفت والله على كل شيء قدير، وخافت الأمة في المملكة السعودية وشهدت منطقة الجوف خلال هذه الأيام هطول أمطار غزيرة سالت على أثرها الأودية والشعاب مما أدى إلى تعرض العديد من المواطنين لمحاصرة السيول والموت غرقاً، الأمر الذي استدعى التدخل الضروري لقوات الإنقاذ التابعة لمديرية الدفاع المدني بمنطقة الجوف بكل إمكانياتها المتاحة حيث تمت الاستعانة بطيران الدفاع المدني لإخلاء العديد من المواطنين ممن حاصرتهم السيول في أحد الشعاب التي تبعد أربعمائة كيلو متر عن مركز طبرجل، ومن ثم نقلهم إلى مناطق أكثر أمناً، وقد بلغ عدد من تم إنقاذهم اثنين وأربعين بين ذكر وأنثى، وما زالت الإسعافات تسير في طريق الإنقاذ.

الصواعق تحرق أجهزة بني مالك

أدت الصواعق الرعدية المصاحبة لهطول الأمطار هناك إلى تلف عدد من المولدات الكهربائية، وقد احتجزت السيول المعلمات والطالبات في الطائف، ولكنه استطاع رجال الدفاع المدني بمركز القريع إنقاذ عدد من المعلمات والطالبات من مدرسة الأشرف الابتدائية والمتوسطة اللواتي احتجزنهن السيول الناجمة عن هطول الأمطار التي شهدتها بني مالك مؤخراً، وهكذا جميع القصيم، ولما أخرجت السكان عن موضع الإسكان في مدينة بريدة جعلتهم الحكومة في الفنادق وأجرت الحكومة لهم الطعام والشراب.

ولما أن كان في ٧/١١ توقف المطر وطلعت الشمس في اليوم المذكور بعدما تأثرت بعض الجسور، وما استطاع المدرسون الذين يذهبون إلى حائل لما انكسر بعض الجسور وما استطاع المدرسون الذين يذهبون إلى حائل، أما ما كان عن الزلفي والمذنب فحدث ولا حرج عما نجم من تلك السيول، وقد بلغت الأمور في مستشفى بريدة التخصصي أن كسرت الأرصفة التي حواله لما حفرت خنادق تمنع السيول والأمطار عن دخولها عليه، وأصبحت المعدات جاهزة والعمال يراقبونها، فلا يبخلون عن الشفط، وجعلت حواجز هناك، ولكنها لم تغن شيئاً، وقد بلغت الأحوال إلى أن ارتفع منسوب المياه في موضع الإسكان في مدينة بريدة إلى ارتفاع متر وخمسين ستمتراً بحيث ارتفع أثاث السكان إلى هذا القدر المعلوم، وجاءت الأنباء من كل جهة من جهات المملكة السعودية بغرق بعض أفراد الأمة، نسال الله تعالى أن يلطف بالمسلمين، ولولا ما قام به المسؤولون لما رابطوا في جهات الأخطار لكان الأمر أشد وأعظم، ولا سيما طائرات الإنقاذ، فقد أدت واجبها نحو هذه الكارثة، وقد سقطت صواعق وهبت رياح قلعت النخيل القديمة في بعض الأماكن، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وجاءت الأنباء من النجاج وهو الأسياح بأن المياه دخلت البيوت وأوشك بعضها على الغرق، قالت جريدة الجزيرة في عددها ٩١٧٥ تاريخ الثلاثاء ١١ رجب ١٤١٨هـ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٩٧م ما لاقى أهالي حي

الناصرية بعنيزة، تركوا منازلهم أثر محاصرة المياه، ثم قالت الجريدة حالات غرق واحتجاز وصواعق، وغرق شخصين وإنقاذ ٥٨ بالقريات والجوف، قال المؤلف: ولقد خرجت في ١٣ الموافق للخميس من شهر رجب ٢٩ الوسمي ١٣ نوفمبر إلى جهة الوطاة الموضع الكائن غربي القويطير شمالي بريدة، فكنت أسير من حينما بلغت فندق السلطان، فرأيت من ذلك الموضع إلى الوطاة بحيرة من ماء تقدر مساحتها جنوباً وشمالاً ٢٤ كيلو بعرض ثلاث كيلو شرقاً وغرباً، ولا تستطيع السيارات السير فيها، ولا البهائم، وقد غرقت مواضع الزراعة فيها، ولما أن كان في غداة اليوم ١٥ من شهر رجب استأنفت السماء من جديد هطول الأمطار كما مضى برعوها وبروقها بإذن الله تعالى، وقد تعطلت الدراسة في بعض الجهات وأصبحت الأغنام تسقط عليها الصاعقة فدمرت الراعي والأغنام.

تنبيه: قد ذكرنا عناد الرئيس العراقي صدام حسين ورفضه لتفتيش رجال أمريكا، وتظاهر الشقي بالعصيان فاتخذت أمريكا وبريطانيا في قمعه أسباباً وجندت الطائرات المقاتلة بضرب العراق، وقدمت حاملات الطائرات من أمريكا وعلى ظهرها مائة وثمانون طائرة، كما قدمت الطائرات تحملها حاملة الطائرات، وقدرها ثمانون طائرة مقاتلة من بريطانيا لضرب العراق، تظاهر الشقي بأنه مستعد للحرب، وكانت الحكومتان تراقب حركاته وتقلباته وصممتا هذه المرة على ضربه، واتخذتا التدابير للأزمة والإجراءات العنيفة القوية، وكانت الكويت على خوف ووجل من حادثة ١٤١١هـ، وأظهرت أنها تطلب أن يكون موقع الحرب بعيداً عنها، وأصبحت في أهبة للفرار عن الكويت كما مرّ في السنة المذكورة، كما أنها رست الأسطول البحري تراقب حركات هذا الطاغية، لكنها خمدت حركاته جملة لما رأى من أمر الله مالا قبل له به، وكان ضعيف العقل، سيئ التدابير، يريد أن يهلك بقية العراق الذي خرب معظمه وأهلك أهله جوعاً وعرياً، وقد قاموا عدة مرات لاغتياله، غير أن الأمور مرهونة لوقتها، وكان يثني عن راية بعدما تحيط به قوات

- ٢٩٣ -

أمريكا والحلفاء ثم يقف وقفة المعاند ويمنع التفتيش، فإذا ما ضايقوه أخفى معداته الحربية وسمح لأمريكا بأن تفتش عليه، لكن أمريكا لا تزال تراقب حركته وتكشف أعماله عن طريق الأقمار الصناعية، وإننا لنعجب من سعة حلم أمريكا لتصرفاته، غير أن الدول الكبار لها رأيها في السياسة لطلب مصالحها، ولا ريب من أن الله خلقه للفساد كالقار الذي لسان حاله يقول: سبحان من خلقه للفساد.

برد شديد وظل في القصيم

لما كان في ٥ رمضان ترادفت سحب على أجواء القصيم وقامت هطول الأمطار تتوالى على القصيم ببرد، واختفت الشمس من ٢٨ الأربعاء ١٣ الجدي ٣ يناير كانون الثاني أمطار تهطل ليلاً، وقد توقف نهراً بدون رعود أو بروق منذ ذلك حتى اليوم التاسع عشرين من رمضان الموافق ٢٧ الجدي ١٧ يناير، وقد وجد أنواع الكمأة والعراجين، واشتد الطقس بالبرودة ولكن هطول الأمطار كان على قدر من غير غرق، والله في ذلك حكمة، وكثر الكأ والعشب، ولم تخرج السيول السكان عن بيوتها، وهطلت أمطار على الجمعة وما يليها من منطقة سدير والريا وضرما وحائل.

وفيها في رمضان اشتد الخلاف بين باكستان والهند، ورفعت باكستان أعلامها لقتال الهند، وتآزمت الأمور بين البلدين والحكومتين.

ولما أن كان في ٢٦ رمضان ٤ الدلو توالى وجود الفقع الكمأة بأنواعها، وتوالى وجود الأقط بكثرة، وأتى بالجراد من سائر جهات المملكة وأصبحت سائر أسواق الرياض والقصيم ونجد على العموم مزدحمة بهذه الأنواع.

وفيها وقع فيضان في الصومال اضطر الأهالي إلى الخروج من مساكنهم إلى الجبال بأطفالهم وبهائمهم، ولما أن فرّ الأهالي إلى الجهات المرتفعة في الجهات نزلت عليهم الذئاب المفترسة من الجبال فأكلت أطفالهم، وقاموا بأسلحتهم يدافعون ضد تلك السباع.

تنبيه: ذكرنا ازدحام الأسواق بأكياس الجراد والأقط والكمأة، ولا ريب أن

ذلك يعتبر من سني البركات التي قل أن توجد في السنين الأخيرة، وقد ذكرنا في سنة ٤٨ ما فتح الله على المسلمين فيها من البركات فذكرتني هذه السنة ما مر، ونحن نسوق تماماً للفائدة ما في ذلك من الخير والشر، وذكرنا هناك كثرة الدهن والكمأة حتى بيعت الكمأة «الفقع» تسع وزنة بريال، فنقول: إن الله نبه على ذلك بقوله: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فعن سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض، فقليل: وما بركات الأرض؟ قال زهرة الدنيا، فقال له رجل: هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى ظننت أنه سينزل عليه ثم جعل يمسح عن جبينه فقال من السائل؟ قال: أنا، قال: لا يأتي الخير إلا بالخير»، وأن هذا المال خضرة حلوة، وإن مما ينبت الربيع يقتل حبطاً إذ يتم إلى كلمة الخضر أكلت متى إذا امتلأت خاصرتها استقبلت الشمس فأصرت وتلطف وبال، ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال خضرة حلوة، ومن أخذه بحقه ووضعه بحقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع، وقد ذكرنا شدة البرد فيما تقدم، ولما أن كان في ٢٢ من رمضان توقف المطر بإذن الله تعالى، ولطف الله بعباده بعد كثرة المياه، وأطلع الله الشمس في أواخر الشهر، فكان الناس في ذلك الصحو في أيام الربيع والكلاء والعشب الكثير يتمتعون بلطافة الجو، واستمر ذلك حتى ربما استعملت المراوح لتبرد الطقس، وربما كره في الشمس القعود للحرارة في أوائل شهر شوال، وربما استعملت المكيفات في البارد، وكان ذلك في آخر شباط الثاني وهو نادر الوقوع.

ذكر زلزال شمالي شرقي أفغانستان

ففيها في اليوم في ١١/١١ عام ١٤١٨ هـ دخل الملك المستشفى على أثر التهاب في المرارة، وذلك في أحد المستشفيات في المملكة وأجري له عملية فنجحت واستبشر الأهالي تمام صحته في اليوم الذي بعده الموافق ليوم الثلاثاء

١١/١٢ وفي اليوم الذي قبله هبت رياح شديدة مصحوبة بأمطار ممزوجة ببرد على قدر بيض الدجاج، وأخصبت الأرض لأن الأمطار نزلت عليها وهي محتاجة إليها.

وفاة رجل معمر

ففيها وفاة إمام قرية العاقول في ١١/١٠ وقد ذكر أنه تجاوز المائة وخمساً وثلاثين عاماً^(١) وهو عبدالعزيز بن محمد العبد الله العجلان رحمة الله عليه. وممن توفى فيها محمد بن أحمد العلي العبيري، كان رجلاً صالحاً مستقيماً رحمه الله وعفا عنه.

ومما توفى فيها صاحب السمو ابن عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود ابن أخي الملك عبدالعزيز رحمه الله.

وممن توفى فيها من الأعيان علي بن عبدالله بن ذربان إمام قرية خضيراء من نواحي القصيم، كان رحمه الله مشهوراً في الدين والصلاح، وذا غيرة في الدين، ويعالج المصايين بالأرواح الشيطانية، ويسكن في خب القبر، مرض في آخر عمره، ومن إخواننا في الدين والصلاح، وله صوت حسن في القراءة والخطابة، وكان توفى عن خمس وثمانين سنة، كانت وفاته في أواخر شوال، وممن توفى فيها ناصر بن محمد بن إبراهيم بن زعاق، كان من أهل الخير والصلاح وله شهرة بين الناس.

وفيها في يوم الثلاثاء الموافق ١١/١٩ الموافق ١٧ مارس هبت عاصفة شديدة على مدرج من جهة البطين في شمالي مدينة بريدة بسرعة هائلة فقلبت المحاور الرشاشة في المزارع، وحطمت بعض أعمدة الكهرباء هناك، وهلك بسببها خمسمائة من الأغنام، وذلك في عاشر نوء سعد السعود آخر العقارب، نسأل الله أن يلطف بالمسلمين.

(١) هكذا قيل.

نادرة من النوادر في إحدى مزارع البطين

عثر على كمأة كبيرة الحجم فوزنوها فكانت ثلاث كيلو ونصف، وهذا نادر الوقوع في السنين الأخيرة، وكانت المزرعة للأمير فهد بن فيصل بن فرحان كما أنه نزلت قيمة سمن الأغنام فيبيع الطيب من السمن بخمسة وأربعين ريالاً، وقد قدمنا أنه في هذه السنة عم الكلاً والعشب الكثير فله الشكر والحمد، وكانت الأمة تكثر النزهة والفرجة في البر، ويتمتعون في زينة الربيع، أما عن الأغنام والإبل فإنها في قيمة باهظة وغاية في الغلاء، وقد بيع كبش كبير في تسعمائة ريال، أما سائر كباش الضأن فتتراوح من خمسمائة وخمسين إلى ستمائة.

ثلوج وبرد

ففيها في اليوم المذكور نزلت ثلوج يصحبها برد على الأردن وسوريا، وقد ارتفع الثلج في الشوارع إلى قدر من ثمانين سنتمتر، وانتشر الصقيع والبرد حتى تجاوز القصيم، وكانت تقلبات الطقس غريبة فيوماً يفسو الحر حتى ترتفع الدرجة ويبقى الناس أثواب البرد وملابسه، ويوماً تعود الأمور إلى أشد ما كانت في البرودة، والله تمام التدابير، وقد ذكر لنا أنه هب على مصر في اليوم نفسه رياح.

عود على بدء

قد ذكرنا العاصفة التي مرت على أهل مدرج من أعمال البطين، وأشرنا إليها وقد بالغ الرواة فيها، فقليل إنها دمرت ما مرت عليه من البيوت والمواشي، وما استهدفت لها، نسأل الله أن يلفظ بالمسلمين، وطارت بيوت الشعر والصناديق، وقد صاحبها مطر ممزوج بالحجارة وهي البرد.

ذكر غريبة من الحوادث

ذكرت جريدة من الجرائد السعودية من أعداد شهر ذي القعدة أنها ولدت

امراة عراقية مولوداً مشوهاً على صورة سبع وحش خفيف، وقد قامت الأم بحمله حتى وضعت وقد نشرت صورة المولود ليراه الناس، وهذا من أعجب ما وردنا من الحوادث والعجائب في هذه السنين المتأخرة، والله على كل شيء قدير، وقدرة الله صالحة حيث يقول تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الأنفطار: ٨]، وذكر الشيخ العالم العلامة محمد بن عبد الوهاب مسألة على أبواب التوحيد قوله الرابعة أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم، وهذه الجريدة هي جريدة خزامى السنة الثانية العدد ٤٤ يوم الاثنين ١١ / ٥ عام ١٤١٨ هـ الموافق لعام ١٩٩٨ م، ولما لم يجد من يناوله الطعام هلك.

ذكر جرائم من جرائم القتل

وهذه الجرائم من الرئيس صدام العراق في يوم من أيام ذي الحجة من هذه السنة، فأمر بقتل ١٥٠٠ في أحد سجون، وبعد قتلهم لزم أهاليهم أن يبعثوا إليه بقيمة الرصاص التي أطلقت عليهم، وأعدمهم، وهذه غريبة لم يجر غريبة في التاريخ البشري مثلها، وقد طبقت هذه الغفلة الشنيعة على ظلم الحجاج بن يوسف، ذكرت هذه الحادثة في إحدى الجرائد بنقل صحيح.

رجعنا إلى ما نحن بصده فنعول: لما أن كان في يوم الأربعاء ١٠ محرم من هذه السنة قام شاب بنزاع بينه وبين أخيه، فقتل أخاه وكان الجاني في الثامنة عشرة من عمره، وكان المقتول يكبر أخاه بسبع سنين، وقد قام بقتله لأنه يعرف بأن أخاه معه عقداً نفسية، وأغلق الباب لكن سهم الحسد قوي فخرق الباب، وخلص إلى القتل فأرداه صريعاً على وجه الأرض، وفرّ الجاني فصيح للقوات وجعلوا يلاحقونه فأطلق مسدسه على الضابط فقتله أيضاً كما قتل أخاه من قبل، فجعل رجال القوات يلاحقونه وهو يقفز من بيت إلى بيت، وخاف أهل البيوت وفروا من بيوتهم، وجعلت قوات الأمن تنذر الجاني وتنصح له أن يستسلم لكنه أصرّ على العناد، فأطلقوا عليه النار فأصيب بسهم في جانب صدره ولم يقتله، وتمكنوا من

القبض عليه فأودع السجن، وبعث به إلى المستشفى للتحقيق معه.

حادثة أخرى

عثر على شاب مقتول بغرفته لم يعلم السبب في قتله.

رياح عاصفة في مدينة بريدة

أصبحت مدينة بريدة في ظلمة بعد العصر لبثت ساعتين، وطار غبرة شديدة تكسرت منها الأشجار والصناديق وحطمتها، وذلك في يوم الاثنين ١٥ محرم ٢١ الثور ٢١ مايو، وكان قتل الشاب بغرفته قبل العاصفة بيومين. وفيها في ١/١٧ وفاة الأميرة السعودية العنود ابنة الملك عبدالعزيز رحمها الله، عن عمر تجاوز الثمانين، وصلي عليها في الجامع الكبير في الرياض جامع الملك تركي بن عبدالله بعد صلاة العصر الأربعاء، وخرج في جنازتها جمع كثير يشيعونها إلى قبرها ومثاها الأخير، ورفعت التعازي إلى أخوتها وأبنائها وذويها.

زلزال يهز بلاد أفغانستان

لما كان في يوم الأحد الموافق ٦ صفر عاشر الجوزاء سابع نوء البطين من هذه السنة أصيبت أفغانستان بكارثة إنسانية كبرى تجلت عن قتل خمسة آلاف نسمة، وجرح آخرين بإذن الله رب العالمين، وكان هذا الزلزال قوياً بدرجة قوية بلغت ١, ٧ درجات، وصدرت نداءات الإغاثة التي وجهها المسؤولون للمجتمع الدولي، فقد توجه خمسة من المسؤولية في جنيف إلى موضع الكارثة، وأكدت جماعات من الأطباء والإغاثة الذين توجهوا إلى المنطقة المنكوبة في أفغانستان لما تعرقلت طائرة خاصة بالأمم المتحدة بأنها لم تستطع الهبوط لحوادث الأخطار هناك، وقد قامت الأمة لانتشال جثث القتلى الذين عجزت الأمة عن الإحاطة بها، وبذل الجهود في سبيل الإنقاذ لكنها فشلت جلها، فسبحان الله ما أعظم شأنه، وصيح بالعالم أن يتوجهوا

إلى موضع الكارثة، وانفصل الحادث عن قتل خمسة آلاف قتيل وتدمير خمسين قرية، مع أن غالب الجثث قد اندفنت ولم يوقف لها على خبر، بل ابتلعتها الأرض.

ذكر موجة حر

لما كان في ٢٨ السرطان ٢٥ ربيع أول عام ١٤١٩هـ اشتدت وطأة الحر، وكانت الحرارة شديدة، وتزداد كل يوم حتى بلغت قدر لم يعهد مثله منذ ثلاثين عاماً، أو قد ثبت بالأرصاد الجوية وأعلنت الحكومة أنها رفعت في العاصمة الرياض والقيصومة والإحساء إلى ثمان وأربعين درجة، وبلغت حرارة الشمس في الكويت ستين درجة، وفي الظل خمسين درجة، كما أن الدرجة ارتفعت في المدينة المنورة ثمانية وأربعين درجة، كما أن المكيفات والمراوح قد لا تنفع بها ولا تفيد، واشتدت وطأة الحر، وهلك أناس في أمريكا من شدة الحر، ونزل خريف أمطار في أيام الجوزاء بحيث جرت بعض الشوارع، وذلك في مدينة بريدة برعود وبروق، وهذا أيضاً لم يعهد، وفي الناس من تأثرت صحته، ولا ريب أن هذا من أتعاب الحياة ومشاقها، نسأل الله أن يلطف بالمسلمين، وقد بلغت الأحوال إلى أن من السكان من لا يخرج في منتصف الأيام خشية من ضربات الشمس ولهيها، وقد تنطفئ بعض السيارات حوالي وقت الظهيرة من شدة الحرارة، وقد شاهدنا من وهج الشمس وحرارة الطقس شيئاً ما كنا نعرفه قبل ذلك، وقد لا تطيقه القوى البشرية، نسأل الله تعالى العافية، وقد ارتفعت درجة الحرارة في مدينة بريدة إلى تسع وأربعين في ٢٤ من ربيع الآخر ١٦ أغسطس أب ٢٥ الأسد، وهذا شيء نادر الوقوع.

زيارة سلطان بن عبدالعزيز لحائل

في يوم الاثنين ٥١٤١٩/٩هـ إلى يوم الخميس ١٢/٥/١٤١٩هـ فأقيمت له الزينات في بلدة حائل، ونظمت أعمدة الكهرباء وقلائد اللمبات، وأظهر الفرح والسرور بعالم الزينات، وكانت القبائل قد ملأت ساحة بلاد حائل كل بخيامه، وما إلى ذلك فحرب، وبنو تميم، وقحطان وشمر وعنزة ومطير وعتيبة،

ونحرت الإبل، وذبحت الأغنام، وكانت أيام مشهودة، فقد ذبحت إحدى القبائل ١٨ ناقة، وبعد انتهاء الزيارة سار وزير الدفاع سلطان إلى القصيم في يوم الخميس ١٢/٥ وفي مدينة بريدة حيث أقيمت له الزينات، ونظمت أنوار الكهرباء، ورفعت على الأعمدة والنخيل والأشجار، وأتت الأمة من شرقها وجنوبها وشمالها وغربها للاحتفال، وسار منها وغادرها في آخر يوم الثلاثاء ١٧/٥/١٤١٩هـ وانتهت الزيارة.

فيضانات تدمر خمسمائة قرية في السودان

قالت منظمات الإغاثة التابعة للأمم المتحدة السبت الماضي في ٦/٦/١٤١٩هـ أن أكثر من خمسمائة قرية قد جرفت، وأن مئات الآلاف من الناس قد فقدوا منازلهم في أسوأ فيضان لنهر النيل بالسودان في السنوات العشر الأخيرة، وقالت المنظمات أن نصف مليون شخص على الأقل قد تأثر بفيضان نهري النيل وعطبرة، وأن عدد المصابين بالإسهال والملاريا يرتفع بشكل ينذر بالخطر.

إعصار اجتاح جنوب شبه الجزيرة الكورية

وذلك في يوم الخميس ١١ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ خلف ١٩ قتيلًا، وأغرق مئات المنازل، وعطل حركة النقل، وما زال ٢٩ في عداد المفقودين ويسمى عندهم بيني، كما أن الرياح الشديدة والأمطار الغزيرة والفيضانات شردت ٢٣٧٦ شخصاً في المناطق الجنوبية والوسطى بكوريا الجنوبية، وغمرت المياه ١٣٢٦ منزلاً، وأن أربع سفن غرقت وأغلقت خمسة خطوط للسكك الحديدية، و٣٤ طريقاً ومساراً واحداً للطائرات، و٩٣ مساراً بحرياً بصفة مؤقتة، وفي الشهر الماضي تسببت الفيضانات الناجمة عن سقوط أمطار غزيرة في أكثر من ٢٧٠ شخصاً قتيلاً في واحدة من أسوأ الكوارث الطبيعية التي شهدتها كوريا الجنوبية على الإطلاق.

حالة نادرة

فتى في الطائف يترك الطعام ويلتهم الزجاج وأمواس الحلاقة، وكان عمر الفتى في

الخامسة عشر من عمره، قالت الجريدة المسماة الرياض في العدد ١١٠٥٧ في حالة غريبة ونادرة جداً: فتى يأكل الزجاج وأمواس الحلاقة، وبشكل غريب جعل أسرته في حيرة من أمرها، ورغم رفضهم لهذا العمل خوفاً على صحته إلا أنه مصر على مواصلة إشباع نهمه من الزجاج وأمواس الحلاقة، كلما أراد أن يمارس رغبته، وكان اسمه عبدالرحمن هلال الشبتي، قال الراوي وجدناه في انتظارنا لما طلبنا رؤيته أمام المنزل، فسألناه ما هي الوجبة التي تريدها من الزجاج لكي نحضرها لك، فطلب لمبة كهرباء عمود، وكوع وأمواس حلاقة، أحضرتها من البقالة المجاورة للمنزل، وطلبنا من عبدالرحمن أن يبدأ الأكل، فقام يكسر اللبة، ثم التهم أجزاء منها ومضغها ثم ابتلعها، وهكذا حتى أكل جزء كبير منها، تابعناه في كل مرة فإذا هو يلتهم الزجاج ثم يمضغه بصوت مسموع، فيتلذذ بالصوت، والقصة طويلة لولا الإطالة لأتينا بها، وكنت أرى أن هذه نادرة الوقوع، وكيف تصمد الأمعاء الرقيقة لأمواس الزجاج وأمواس الحلاقة، والله على كل شيء قدير، وهذا شيء لا يكاد يصدق به سوى أن قدرة الله صالحة.

وفيهما وقع زلزال في الصين، وذلك في يوم الأربعاء، وكان قوياً في إقليم يونان في جنوب الصين ألحق أضراراً بأكثر من ١٤٠٠ منزل، وأصاب ٤ أشخاص بجراح، وقال المسؤولون في مكتب الأرصاد في مدينة خواني بحيث وقع الزلزال يوم الثلاثاء، وكان نحو ١٤٩٢ عائلة أعلنت عن وقوع أضرار في منازلهم، وبلغت قوته ٥,١ درجات بمقياس ريختر، نسأل الله السلامة، قلت وأنا المؤرخ سبحانه الله العظيم، وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره، كيف حصلت هذه الحالة في بلاد الصين ويأتينا خبرها في نجد، بل في القصيم، وهذا مؤذن بخوج الدجال الذي يعلم بخروجه من في المشرق والمغرب في ساعة واحدة.

ضرب العراق

في اليوم السابع والعشرين من شعبان يوافق الأربعاء، قامت أمريكا وبريطانيا واليابان فضربت أمريكا بالصواريخ قوية المفعول مدينة العراق وأعقبها بضربة

أخرى في غرة رمضان ثلاثمائة وثمانين صاروخاً هدمت دوائر العراق وأوقعت بها خسائر عظيمة، ومن بينها بيت ابنة صدام، وذلك لما منعت العراق من التفتيش على أسلحتها وعائدت، ولم تعلم أن أمامها قوة لا يستهان بها.

وفيها رأت الحكومة السعودية بعدما قاست من الأحوال نتيجة كثرة الحجاج الذين تجاوزوا الملايين، وزاد الطين بلة أن جزء من الحجاج الذين يتذرعون بالحج لأغراضهم الشنيعة كانوا أشعلوا الحرائق في خيام الحجاج في ذهابهم إلى عرفة ومزدلفة، وانشغالهم في مناسكهم، فإذا ما رجع الحجاج إلى منى وجدوا الأيادي العابثة قد لعبت بأثاثهم وخيامهم وملابسهم، وذلك لأن مشكلة قدوم الأمم من سائر الأرض إلى المشاعر المقدسة واجتماعهم فيها الرافضة والكفار والمنافقون والحساد والأعداء الذين يسعون في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين، ينجم عنها أضراراً كبيرة، وقد توفرت في هذا الأزمته أسباب تشعل في النار ليتوصل المفسدون والمخربون إلى أغراضهم السيئة كالبترين والغاز والكهرباء وغيرها، فلعنة الله على من فعل ذلك، ومن فقد دينه وإنسانيته وشرفه فليفعل ما شاء من أعمال الفساد، فلسان حال أولئك المخربين ينادي سبحانه من خلقهم للفساد، وكان هذا العمل الإجرامي منذ ولاية أمير المؤمنين خالد بن عبدالعزيز غفر الله له وأسكنه فسيح جنانه، حيث لما رأوا شيئاً من سعة حلمه ورحمته وعفوه تمكنوا من ارتكاب تلك الجنايات، وما زالت الأمور تشتد في مواسم الحج حتى أحصى عدد الخيام التي حرقت في موسم عام ١٤١٧هـ فبلغت سبعين ألف خيمة، وأصبحت منى التي كانت من المشاعر المفضلة، وتحتوي على خيام الحجاج كالبنيان المرصوص بمنظر يرثى له، وكان جزء من منى قاعاً صفصفاً لا ترى فيها سوى أطناب الحديد بعدما كان مكسياً في الخيام، وقد رأيتها بعيني رأسي بعد العبث في يوم عيد الأضحى بمنظر سيئ، وأصبح أولئك الطغام يشمتون بالإسلام والمسلمين، ولكنه سرعان ما قامت الحكومة السعودية بصفتها هي المسؤولة عن الأمن بتعويض المنكوس بخيام أخرى، وجلبت

للحرس الوطني الذين نكبوا كغيرهم في أيام الله أمام بيت الله في الأشهر الحرم وعيد الأضحى، وقد قال الله تعالى في حرمة الحجاج والمعتمرين: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لو أن رجلاً بعدن أبين وهم أن يلحد في الحرم ويفسد فيه لأذاقه الله من العذاب الأليم».

وفي هذه السنة جعلت الحكومة عدداً للحجاج لا يتجاوزونه بعد عرض المسألة على العالم الإسلامي، فإنه يمكسك عن الحج خمس سنوات ويحج جزء آخرين من المسلمين، ولقد حج المسلمون في هذا العام بخير وطمأنينة وأمن وراحة، ورجعوا سالمين آمنين.

وفيها وفاة وزوجة الملك وهي العنود ابنة عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، أم أكثر أولاده ذكوراً ونساءً.

ذكر وصمة شنيعة في وجوه العراق

ولا ريب أنها استهتار بالحج وشعائر الإسلام لما أذن الرئيس صدام لشعبه بالحج استطاعت ثلاث طائرات أن تصل إلى مكة، فأحرموا وطافوا وسعوا وقضوا نسك العمرة والقُدوم، وحبس ثمانية عشر ألف حاج عراقي، وأمرهم بالرجوع عن الحج، وذلك لما تقتضيه إرادته من الفخر والخيلاء، وذلك بدعوى ترحيب المملكة العربية السعودية بحجاج العراق كغيرهم من المسلمين، وأنهم يستقبلون ويرحب بهم مكفولين ومحترمين، فأخذته العزة الجاهلية وأنه لا فضل للسعودية، بل هم أغنياء ومنعهم من الحج، فتوسلت الحكومة السعودية بجميع الطرق أن لا يصدّهم عن الحج فأبوا ومنعهم من الحج بعدما لبس بعضهم لباس الإحرام، فيا لهذه التدابير التي جعلت سعادته شعائر الإسلام القوية كالألعاب الصبيان على وفق إرادته، وبلغت هذه الوصمة مبلغها من أمة الإسلام قاطبةً.

مرور مائة عام لتأسيس المملكة

لما قام الملك الراحل عبدالعزيز بن عبدالرحمن بنهضته عام ألف وثلاثمائة وتسع عشرة في اليوم الرابع من شهر شوال، ويسر الله له الأمور بعدد قليل ففتح الرياض عاصمة آل سعود، وكان ذلك من الخوارق التي خصه الله بها، لأنها عمل المستحيل، ولكنه لا يستنكر شيء من تمام قدرة الله الذي لا يعجزه شيء كان ذلك اليوم عجباً في تاريخ الإسلام، ومهد الله له الأمور اعتبرته الأمم عيداً ذهبياً ليس كسائر الأعياد، والحق يقال، غير أنه من الناحية الشرعية لا يجوز اتخاذ أعياد سوى ما قرره الشريعة المطهرة، ولكنه في الذكرى يوم أرادت الأمة أن تقيمه عيداً نزولاً على الأحكام الشرعية، ولكنه بعد مرور في مائة عام في هذه السنة كمل بقيام الدولة السعودية بنهضة قائدها ومرسى قواعدها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود رفع الله منازلته في أعالي الجنان، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فقام أناس من رجال هذه المملكة فجعلوه عيداً ذهبياً، وأرادوا شكر الله تعالى الذي بفضله تم ذلك، وهو مرور هذه المدة الطويلة على دولة إسلامية تزداد كل يوم وكل وقت بالرفاهية والأمن والسرور، وقد كثرت التهاني والنشرات في المجلات والصحف لتذكر نعمة الله تعالى وشكره على ذلك.

ونقدم شيء من أعمال نصارى الصرب في مسلمي البوسنة الهرسك من شق بطون النساء وإخراج أطفالها من بطونها ودكها بالحجارة، وتقطيع ثديها والعبث بها، حيث لم يجد المسلمون ولياً ولا نصيراً، وكتابة رسم الصليب على صدور المسلمين بعد قتلهم بدمائهم، والله الحكمة في تأخر النصر بالرغم من استغاثة المسلمين بربهم وقتوتهم في الصلوات الخمس يدعون على الصرب الكافرة، وقد توصلوا إلى أن كانوا يشقون بطون النساء ويدخلون فيها جراوة من الكلاب، الأمر الذي تنكره فطر العالمين وتشمئز منه قلوب المؤمنين، فلا حول ولا قوة إلا بالله أرحم الراحمين.

وفي آخر هذا العام تحركت المملكة العربية السعودية من أجل شعب كوسوفو ويقوم وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل بزيارة لروسيا الاتحادية لبحث هناك مع قادتها بالنيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لإنقاذ من بقوا على قيد الحياة من الألبان المسلمين الذين يشكلون أكثر من ٩٠ في المائة من إقليم كوسوفو تجيء هذه الزيارة تعبيراً عما تشعر به قيادة المملكة الرشيدة ونشاركها لشعورها لما يتعرض له المسلمون في كوسوفو من تطهير عرقي يمارسه صرب يوغسلافيا بأسلوب شيطاني حاقداً إذا كشفت مسؤولية المفوضية العليا لشؤون اللاجئين في ١٢/١٢/١٤١٩هـ عن أن الجيش الصربي في كوسوفو عزل الرجال عن النساء والأطفال بمغادرة الإقليم سريعاً حتى دون تمكينهم من أخذ أي متاع أو ملابس، وحجزوا الرجال مع الفتيات الشابات المسلمات، حيث يتعرض الرجال لمصير مجهول، وتعرض الفتيات للاغتصاب ثم القتل حتى لا يبقى شاهد حي منهم أو منهن على ما أصابهم من وحشية الصرب وهمجيتهم، ومن الواضح أن عمليات التطهير العرقي التي مارسها ويمارسها صرب يوغسلافيا اتخذت بعداً وحشياً تجاوز وحشية صرب البوسنة الذين مارسوا تطهير من المسلمين هناك قتلاً وتعذيباً واغتصاباً وتشريداً، والملاحظة الهامة هي أن الصرب يتميزون دائماً بجرائمهم الوحشية ضد المسلمين سواء في البوسنة أو في كوسوفو أثناء المناسبات الدينية للمسلمين بهدف تنغيص فرحة المسلمين بهذه المناسبة، كما هو الحال الآن، إذ تمتزج فرحة ضيوف الرحمن بأداء فريضة الحج وعيد الأضحى المبارك بغصة الألم ومرارته مما يصيب المسلمين في إقليم كوسوفو من القتل والتعذيب والاغتصاب والتشريد، إذ وصل عدد الذين تم طردهم عن وطنهم وتركوا ورائهم منازلهم وممتلكاتهم فيها خمسة آلاف نسمة، وهو رقم يساوي ربع سكان الإقليم، وما يزال المسلمون في الإقليم يواجهون المزيد من التعذيب والقتل والتشريد إلى الدول المجاورة، ولقد صمت الأذان من ضجيج المسلمين واستغاثتهم، ولكنها صرخة في وادٍ خالٍ من البشر.

زلزال يصيب إيران

في ساعة مبكرة من صباح اليوم الثاني عشر الموافق يوم الاثنين أصاب زلزال إيران بقوة بلغت ٤,٦ درجة بإقليم فارس الجنوبي حوالي الساعة ٨,٤٠ مساءً بتوقيت غرينتش.

ثوران بركان جبل كاميرون

لما أن كان في يوم الأحد مساءً الحادي عشر ١٢/١٤١٩هـ وقع ذلك الحادث وأثار الرعب في مدينة بوايا، وكان في المساء، وقد سبقه عدة انفجارات وهزات أرضية، وقد سبب أضراراً مادية جسيمة سقط لها ضحايا بشرية عديدة، وقد ذكرته جريدة الجزيرة في عددها ٩٦٧٩.

زلزال قوي

يضرّب بعنف سفوح جبال الهيمالايا الهندية، وقتل ٥٢ شخصاً وأصيب ٥٠ آخرون، عندما اهتزت سلسلة من توابع سفوح جبال الهيمالايا الهندية في ساعة مبكرة من صباح الاثنين المذكور، ومع بزوغ الفجر رأى رجال الإنقاذ ما أحدثه الزلزال من دمار، حيث سوى بيوتاً بالأرض ساحقاً سكانها تحت أنقاضها وهم نيام، وقال مسؤولون إنهم يتوقعون مزيداً من الضحايا، وقال المسؤولون بأنها بلغت قوته ٦,٨ درجات على مقياس ريختر، هز المنطقة بعد ٣٥ دقيقة من منتصف الليل، فهذه ثلاثة زلازل فيما بلغنا تعتري الأرض وتصيب السكان، نسأل الله تعالى العافية والسلامة.

ذكر من توفي من الأعيان

منهم الشيخ العالم صالح بن علي بن غصون رحمه الله تعالى وعفا عنه، كان من العلماء والقضاة والمفتيين لما ترعرع في الحياة وأخذ في طلب العلم على المشايخ

الكبار، وكان من كبار تلامذتهم، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ سلمان بن سحمان، وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس القضاة، وأخذ عن الشيخ عبدالعزيز بن باز، وجدّ واجتهد، وكان من ضمن الذين يؤمون في البيت الملك ويوثق بهم في حرم الحكومة، وما زال يتقدم حتى كان من القضاة آخر عمله رئيساً في محكمة الإحساء، ونال منهم قبولاً لأنه من العدول، ولما زرت الإحساء في طريقي إلى قطر رأيت، وكان عدلاً في قضاؤه، مرحاً في أخلاقه، قوياً في قضاؤه، إذا وردت عليه القضية أخذ في دراستها ثم يحكم، ولا يتضعع أو يتنازل عن حكمه كائناً من كان، ونال وظيفة أن كان من هيئة كبار العلماء المفتين، وكان يحيطني بالحبّة ولا يخاطبني إلى بـ«يا شيخنا»، ولا يمل مجلسه، وذهب معي إلى الآثار في منطقة الإحساء كغيره من العلماء، وكانت وفاته مساء يوم السبت في آخر ذي الحجة ١٤١٩/١٢/١٨ هـ، وصلينا عليه في مدينة بريدة صلاة الغائب، وكنت مقدماً لديه في حياته، وقد فقد بصره في صغره.

ومن توفى فيها الشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالعزيز المشيخ وعمره حين وفاته ٨٧ عاماً في مدينة بريدة، أخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأخذ عن الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، وكان تالياً لكتاب الله، جهوري الصوت، ونال وظائف في خدمة الدولة آخرها إمامة مسجد ابن سليم في جنوبي بريدة، وكان شجاعاً كريماً، غفر الله له وعفا عنه.

ومن توفى فيها عبدالله بن أحمد بن علي العبيدي، كان من طلاب العلم الذين أخذوا عن الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في مجيئه ببريدة، وكان يحب البحث والسؤال، وعليه آثار الصلاح والعبادة، ولم يتولّ وظيفة، ولديه مبادئ في العلوم الدينية والعربية، وكانت وفاته وله من العمر ٧٧ سنة غفر الله له وعفا عنه، قضاها في العبادة، وكان له أخوة منهم علي وفهد ومحمد توفاهم الله قبله، كذلك الرابع عبدالرحمن بن أحمد رحمهم الله، وكانت وفاته في ١٠ رمضان ١٤١٩ هـ.

وفيها وفاة إبراهيم الراشد الحميد غفر الله له وعفا عنه، وذلك في يوم الاثنين ٢٨ رمضان ١٤١٨ هـ، وكان معروفاً بالإحسان والكرم، ومن أعيان مدينة بريدة.

وفيهما في ١٠ رجب من عام ١٤١٨هـ حاصرت السيول عدداً من الأحياء، وأغلقت طرقاً رئيسية في الزلفي والدوادمي.

ذكر مقتل أحمد بن عودة

هو أحمد بن عودة بن عبدالله بن عودة السعودي، قالت جريدة عكاظ في عددها ١١٤٤٢ يوم الأحد ١٤ شعبان ١٤١٨هـ مقتل دبلوماسي سعودي في كازخستان، ونهب نقوده، وكان قتله في مدينة ألماتا في ساعة متأخرة من ليلة الأربعاء ١٠ شعبان ١٤١٨هـ، وله من العمر ٣٩ سنة، وهو السكرتير السعودي الأول بسفارة المملكة السعودية في كازخستان إثر قيام عصابة بالسطو على منزله ونهب ممتلكاته ونقوده، ولما بلغ قتله الملك فهد بن عبدالعزيز خادم الحرمين أمر بطائرة خاصة لنقل جثمانه إلى القصيم مسقط رأسه في مدينة بريدة، وكان هذا الاعتداء الأثم في منزله في المدينة المذكورة ألماتا من قبل هذه العصابة التي داهمت منزله ونهبت ممتلكاته ومحتويات السكن من أثاث وأجهزة كهربائية، وعند مقاومته لهم وجهوا إليه عدة طلقات نارية في أنحاء متفرقة من جسمه أدت إلى وفاته، وقد جاء رجال الأمن في ملاحقة القتلة.

وفيهما في جنوب المكسيك هب إعصار بولين فقتل ١٢٢ شخصاً حيث بلغت سرعة الرياح ٢٤٠ كيلو، وأدت الأمطار الغزيرة إلى تحويل شوارع المدينة التي يسكنها مليون نسمة إلى أنهار، وتقطعت السبل مع انقطاع الاتصالات الهاتفية والكهربائية، وإلغاء الرحلات الجوية، واقتلعت الرياح الشديدة الأشجار، وأطاحت بالسيارات.

بشرى سارة: في مكتب التوعية بجدة وحي السلطانة أشهر ١٨٦ شخصاً إسلامهم، وذلك في يوم الأحد حادي عشر رجب من سنة ١٤١٨هـ.

وفيهما في ١٨ رمضان عام ١٤١٨هـ تبرع الأمير الوليد بن طلال بخمسة عشر مليوناً للأعمال الخيرية.

وفيها في هذه السنة ٦ يناير توفى في بنغلادش ٨٥ شخصاً من شدة البرد، وقبلها توفى ليلة الاثنين عشرون شخصاً، وأيضاً توفى ٦٥ شخصاً في شمال البلاد وشمال غربها، وذلك لأن درجة الحرارة انخفضت عندهم بشكل كبير.

ذكر حادث في الأردن

وهو تصادم في شرقيه بين حافلة سعودية وشاحنة أردنية، فأصيب سبعة ركاب توفوا كلهم، وأتي بجثثهم في صباح يوم الجمعة ١٤١٨/٣/٨هـ إلى السعودية بصفتهم سعوديين، وأصيب ثلاثة بكسور، ولما أن كان في ١٦ رجب ١٤١٨هـ كثرت الشكايات من أجل تسبب الإبل في البراري، فقتيلان وثمانية مصابون من حوادث طريق حين اصطدمت أربع سيارات بالإبل، وكنت ممن يلاحظ تلك الأعمال الفوضوية في طرق البراري وما تسببه تلك الإبل من الأخطار بحيث يجب على المسؤولين في المرور أن يضعوا حداً على أرباب المواشي السائبة إبلأً وأغناماً، ومن ثم الانتباه من أرباب السيارات لقطعها الطريق، فسيكون عرضة لتلك الأخطار.

وفيها وفاة الأمير فهد بن فيصل بن فرحان بن سعود رحمه الله وغفر له، نائب أخيه الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان بن سعود في إمارة القصيم، وأمين مدينة الرياض لمدة، أدى واجبه فيها، ويثنون على سموه، وكان شجاعاً، ثم إنه اختار سكناً مدينة بريدة، ولما توفى نقل إلى مدينة الرياض، وصلى عليه الأمراء من آل سعود وعلى رأسهم ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز، وكانت وفاته في فجر اليوم ٢٥ من شهر شوال ١٤١٨هـ عن عمر يناهز السابعة والثمانين، وله من الأبناء تسعة أبناء أكبرهم عبدالله بن فهد.

ذكر وفاة شخص وإصابة ٢٨ شخصاً لما كان في ١٦ رجب ١٤١٨هـ نزلت أمطار تهدم منها عدد من المنازل على النعيرية، وارتفع منسوب المياه في سد الملك فهد إلى ٣٧ متر، فتضرر من جراء ذلك العديد من المزارع والطرق والمنازل نتيجة كثرة الأمطار الغزيرة، وهلك من أنفاس البشر ما ذكرنا.

ذكر زيارة الرئيس الإيراني إلى المملكة

زار الرئيس أكبر هاشمي المعروف رفسنجاني إيران للسعودية وذلك في ٢٦ شوال ١٤١٨هـ، وقد زار مقر رئاسة الحرس الوطني، فاستقبله نائب رئاسة الحرس الوطني عبدالعزيز التويجري والتقى به، وإن في تلك الزيارة لما يبشر بالخير وحسن الجوار لمثله، ورحبت به الجهات التي مرّ بها.

وفيهما في حادي عشر صفر وقع حادث مرور نجم عنه بعض الأضرار.

ذكر حالة مؤسسة

لما كان في اليوم التاسع من ذي الحجة ١٤١٨هـ ظهرت رائحة من برميل فوق سطح في مصرف، فاشتكى الجيران من نثانة هذه الرائحة، ورفعت إلى الشرطة، فقام شرطة الأمن هناك وأجري التحقيق مع صاحب الموضع، فكشف عن البرميل، فاعترف مصري بقتل زوجته أثناء تحقيق الشرطة معه، واسمه محمد فرج البالغ من العمر ثمانية وأربعين سنة، أقدم قبل خمس سنوات على خنق زوجته التي كانت تصغره بثمانية عشر عاماً خلال شجار بينهما بسبب بقائها ساعات طويلة خارج المنزل، وإهمال رعاية أطفالها الثلاثة لكونها ممرضة دعت الحاجة إلى تأخيرها، وبعد التحقيق أبلغ محمد فرج عن اختفاء زوجته أثر الحادث أنه ضل جالساً أربعاً وعشرين ساعة قرب الجثة في شقته دون أن يعرف ماذا يفعل بها، ثم قرر وضعها في البرميل الذي غطاه بالإسمنت، واحتفظ به داخل الشقة ثلاثة أشهر قبل أن ينقله إلى سطح المنزل، حيث واظب على طلائه والاعتناء به طيلة خمس سنوات، حتى جاء جاره يطلب منه التخلص منه، فتشاجر معه عن سبب رفضه التخلص من رائحته الكريهة فوق منزله، فجاء به، وبعد حضوره أمام ضابط الشرطة الذي استدعى فرج بناءً على شكوى جيرانه يسأله عن سبب رفضه التخلص من برميل تنبعث منه رائحة كريهة فوق منزله، ففوجئ به يقول دون تردد بأن فيه جثة زوجتي، وكان قد وجهت إليه تهمة بالقتل العمد وإخفاء الجثة، وعقوبتهما

القصوى الإعدام، إنه لم يعترف بجريمته حتى يظل قادراً على إعالة أطفاله الذين يعيشون مع جدتهم لأُمهم، هذا ونسأل الله تعالى أن يحمينا والمسلمين من الفتن، وما يزينه لنا عدو الإنسان فقال: إن الشيطان لكم عدواً فاتخذوه عدو، ومن فتن الحيا والممات، وأن يثبتنا على دينه القويم إلى أن نلقاه ونحن على دين الإسلام لا مبدلين ولا مغيرين، إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

وختمت هذه السنة كما كانت، والأمور على وضعها فكانت العراق تعاني مشاكل الحياة من معاملة الرئيس صدام لهم بالتعسف والتقتيل والتعذيب والتدمير، وجعلهم هدفاً لقوارع الزمان خوفاً وجوعاً وسوء حال من بين جيرانهم، وفشت فيهم الأمراض، وخسرت العراق بأسبابه الأمن والطمأنينة ورغد العيش، ومن العجائب أنه كان يقودهم إلى المخازي والحروب، ويعرضهم للهلاك وفعل الفواحش، والمآثم وهم منقادون لأوامره خشيةً من النار والحديد مكرهين، وآخر شيء أن منعهم من أداء فريضة الحج بعدما لبسوا ثياب الإحرام فرجعوا من أثناء الطريق بعدما استقبلتهم الحكومة السعودية ترحب بهم كسائر حجاج المسلمين.

أما عن أفغانستان وما جرى فيها من الفوضى والتناحر يتنازعون الرئاسة بعدما نصرهم الله على عدوتهم روسيا، وحصل بذلك عدم استقرار، وقتال مرير، وشر كبير، بعدما عجزت الأمة عن الوفاق بينهم، واستمروا في النزاع وصدق الهادي البشير حيث يقول: «إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن بالتحرش فيما بينهم»، كما أن الجزائر لا تزال إراقة الدماء فيها بسبب النزاع بينهم، وكذلك البوسنة والهرسك تكابد أنواع التعذيب والتقتيل والتشريد من نصارى الصرب.

توفت الأميرة جوزا بنت عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود، وذلك في اليوم الرابع عشر من جمادى الأولى الموافق ليوم الأحد من عام ١٤١٨هـ غفر الله لها وعفا عنها، وصلي عليها في جامع الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بالرياض، عن عمر يناهز الرابعة والستين، أثر نوبة قلبية.

وعمّن توفي فيها الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن بن غنام إمام مسجد المعيقلية، عن عمر يناهز ٨٥ عاماً، هذا ولا يزال أهالي منطقة الجوف يرحبون بأميرهم الجديد عبدالإله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ويوحدون بذكره وبالمشاريع التي قام بها، ويهتثونه بالإمارة فيها، يدعون له بالتوفيق.

عاصفة على الأسياح

لما كان في إحدى ليالي رجب من هذه السنة هبت عاصفة على مدن الأسياح استمرت دقيقة، اقتلعت الأشجار وسقف إحدى المدارس وسقوف الورش، وتسببت في قطع التيار الكهربائي في جنوب الأسياح لفترات بين الساعتين إلى سبع عشرة ساعة، وفي إحدى قرى الأسياح الجنوبية، ولما أن اقتلعت سقف إحدى المدارس شوهد في سماء القرية لعدة ثوان قبل أن يربض فوق شوارع أحد المنازل، بعد أن طار أكثر من سبعين متراً وأسقط في طريقه واجهة أحد المباني، وقطع أسلاك تيار الضغط، وقال رئيس مركز الجعلة ابن غنيمة: أن هذه الحادثة كادت أن تتسبب في وقوع كارثة لولا لطف الله، ولما أن كان يوم الخميس رابع شعبان عام ١٤١٨هـ هطلت أمطار وسيول على مركز رابع، حجزت الملعومات وقتلت شخصين.

ذكر مهاجمات ومصادمات

لما أن كان في ٤ شعبان أعني في هذا التاريخ المذكور قتل ٢٨٠ شخص في مهاجمات ومصادمات في الجزائر.

وفيها وفاة رجل الدين والخير عبداللطيف بن عبدالعزيز القشعمي ١٠ جمادى الأولى من بلاد الزلفي ١٤١٨هـ غفر الله له، وقد صلى عليه وشيعه خلق كثير وجم غفير، منهم عضو هيئة كبار العلماء صالح بن عبدالله الأطرم، والرئيس العام لشؤون الحرمين محمد بن عبدالله بن سبيل، والشيخ سعود بن إبراهيم الشريم خطيب المسجد الحرام وإمامه وغير هؤلاء، وقد امتلأ منزل الفقيد بالزلفي بجمع كثير من الأعيان للتعزية والأحباب والمشايخ وغيرهم.

وفيهما في ٥ جمادى الآخرة قام ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الزيارة تشمل كلاً من لندن وفرنسا، وكان في صحبته وفد كبير وعلى رأسهم وزير الخارجية سعود بن فيصل، وبندر بن سلطان بن عبدالعزيز، ونائب رئيس الحرس الوطني عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، وتركي بن عبدالله بن محمد آل سعود، وعبدالرحمن بن بندر بن عبدالعزيز، وبندر بن سلطان السفير هناك وغيرهم.

ثم دخلت سنة ١٤١٩هـ

وفيهما قام وزير العدل في السعودية بزيارة للمغرب في اليوم ٢٣ من جمادى الأولى، وهو الشيخ عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فاستقبل استقبالاً حافلاً. وفيها في يوم الاثنين الموافق ٢٩ من جمادى الآخرة من هذه السنة وقع حادث قطار في مصر نجم عنه ٤١ قتيلاً وأكثر من ٨٠ جريحاً.

وفيهما قامت الجهات المسؤولة في بلديات المملكة السعودية بهدم بيوت الطين القديمة خشية من وقوعها على من فيها، لأن غالبيتها قد رحل عنه الأهالي وأصبح مهدداً منها المارة، ومنها ما كان مأوى للفساد.

وقع حريق هائل في المدينة المنورة شرفها الله التهم منه خمسون نخلة مثمرة، وذلك في جمادى الأولى عام ١٤١٩هـ، وكانت المدينة قد حظيت بالنخيل منذ زمن الرسول ﷺ .

وفيهما في يوم الجمعة ١٩ جمادى الآخرة من هذه السنة أسلم سبعمائة وأحد عشر من عدة جنسيات ما بين رجل وامرأة من شعبة الجاليات في مدينة تبوك، واستبشر المسلمون من هذه البادرة التي يفرح بها المسلمون، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، اللهم اهدِ خلقك إلى طريق الهدى والرشاد، وأكثر المسلمين، وأيدهم الله وزدهم الرغبة في اعتناق دين الإسلام دين الهدى والحق والرشاد.

وفيهما في جمادى الثانية زلزال قوي في الفلبين لكنه بدون خسائر.

تنبيه: ذكرنا إسلام كمية كبيرة أسلمت وشكرنا الله تعالى على ذلك، وكان ذلك ببذل جهود أثمرت، ونرجوا من إخواننا الذين لهم قوة الدعوة وحسن التوجيه، وبذل النصائح التي تؤثر في إصلاح المجتمع وتحسين سمعة الإسلام أن يجدوا ويدعوا الخليقة إلى دين الإسلام الذي اختاره الله وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولقد جد النصارى على قدر جهدهم واستطاعتهم مادياً وتوجيهياً في الدعوة إلى دينهم بكل ما أوتوا، وإخراج المسلمين من دين الإسلام إلى درجة أن يكونوا يجلبون العاهرات إلى الأسرى المسلمين، فلا تمكنهم تلك الكافرات من أغراضها إلا بالردة عن الإسلام، ورخصت تلك العاهرات أغراضها في سبيل الدعوة إلى النصرانية، فهناك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، اللهم ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وفيهما أسلم في الثلث الأخير من هذه السنة ١٤١٩هـ ١٧ كافراً، ١٢ رجلاً و ٥ نسوة، فله الشكر على ذلك، وقد قبلوا بالتهتة بذلك ومنحوا مصاحف وكتباً.

ذكر حالة محزنة

استمرت المذابح والجرائم الحرب التي ارتكبتها الصرب النصارى في حق المسلمين من أهالي البوسنة والمهرسك وأهالي كوسوفو، ففي ١٣ ذي الحجة عام ١٤١٩هـ طردت المسلمات تحمل أطفالها على صدورهما من ديارهم وأموالهم يرحلون مشردين مطرودين، فلا ترى إلا عشرات الألوف ينزحون عن كوسوفو رجالاً وعجائز وأطفالاً حفاة، وعلى نسائهم وأطفاله آثار الحزن والبكاء والأسى، مطرودين على ما تقتضيه إرادة النصارى الملعونين، ولم يجدوا ولياً ولا نصيراً، فوا رحماك يا أرحم الراحمين من أعمال كفره نصارى الصرب، أعداء الله ورسوله وذلك بمراى ومسمع العالم من المسلمين، فإلى من يهمهم الأمر من المسلمين من جيوش خاتم المرسلين والأنبياء محمد بن عبدالله ﷺ ، وإلى من

يهمهم الأمر من أمته تسومهم النصارى سوء العذاب تقتيلاً وتعذيباً وتشريداً، من معاملة النصارى الذي قال الله في حقهم: «كيف وأن يظهرُوا عليكم لا يرقبوا فيكم الأولاد ذمةً وأولئك هم المعتدون» إن نصرانياً دخل بيت مسلم وكانت زوجته تصنع الطعام لأطفالها، فقال لها: ما هذا؟ قالت شيء نصفه للصبية، فقال ما فيه لحم؟ قالت لا فأخرج السكين وأقلع جنب صبي وألقاه في الطعام، ودخل نصراني بيت جاره المسلم يحمل رشاشاً وكان جاره منذ أربع وعشرين سنة، فما كان منه إلى أن أطلق الرشاش عليهم فحصدهم جميعاً، وقال لأهمم الخنون: اذهبي إلى من وجدت من المسلمين فأخبريهم، إلى غير ذلك من الجراءة والقسوة والغلظة، فهل بعد هذا من الهمجية على خلق الله الذين قال الرسول ﷺ في حقهم: «الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الخالق من أحسن إلى عياله»، فعياًذاً بالله من قسوة القلوب، وارتكاب الذنوب، ونسأل الله أن يرينا في أولئك النصارى عجائب قدرته، فلو رأيت حالة المسلمين هناك لرأيت من عجائب قدرة الله مذلة الإسلام والمسلمين.

وفيها نشرت إحدى الجرائد السعودية مايلي: «صفقة صواريخ أمريكية مقترحة للإمارات» بقيمة ملياري دولار.

ذكر وفاة أمير البحرين

ففيها في ١٧ ذي القعدة ١٤١٩هـ توفي عيسى بن سلمان بن خليفة أمير البحرين، وقد قام أفراد العائلة هناك وجميع المسؤولين في الدولة يعبرون عن أسفهم لموته الذي يدهش له الأهالي بصفته رجلاً مسالماً، وقد سدَّ فراغاً، رحمه الله، وكانوا يشنون عليه ويمتدحونه، ولا سيما في الدول المجاورة، ويصفونه بحسن الجوار، وفي قضية هتك الكويت لما فعل صدام حسين أفعاله الساقطة الرذيلة بالمسلمين عليه من الله ما يستحقه، وكان على حسن صلوات مع السعودية، وحسن جوار، ولذلك جعلت السعودية ذلك الجسر معربةً أنها والبحرين كالجسد الواحد.

وفيهما في ٢٩ ذي الحجة عام ١٤١٩هـ وقع حادث مؤسف، ذلك بأنه انقلبت حافلة تحمل معلمات قرب محافظة الغاط، كانت في طريقها من القصيم إلى القطيف، فكانت النتيجة وفاة معلمة وإصابة إحدى وثلاثين من زميلاتها وسائق الحافلة، كما أنه في يوم الجمعة ٣ ذي الحجة ١٤١٩هـ حصل انقلاب حافلة أخرى في الأفلاج نجم عنه إصابة تسع معلمات، وكانت تلك الحادثة في طريق القصيم إلى الرياض، وذلك في أثناء عودتهن من مدارسهن إلى مقر إقامتهن بمدينة ليلى في الأفلاج.

وفيهما قام أمير مكة المكرمة ماجد بن عبدالعزيز بالنيابة عن الملك فهد بن عبدالعزيز تغسيل الكعبة المعظمة من الداخل بماء زمزم المخلوط بماء الورد، وكان ذلك في يوم الجمعة ثاني ذي الحجة ١٤١٩هـ، وكانت هذه العادة مستمرة من حينما تولى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن تمشياً على غسيل الكعبة من قديم الدهر، وقد حج المسلمون من سائر مناكب الأرض بخير والحمد لله، ولم يجر شيء من الحوادث، وذلك بفضل الله ثم ما بذلته الحكومة من أسباب الأمن والراحة للمسلمين وخدمة حجاج بيت الله الحرام.

ذكر وفاة الشيخ عبدالعزيز بن باز

وذلك في فجر اليوم السابع والعشرين من شهر محرم، وسيأتي ذكر ما جرى من تشييعه بعد هذه السنة.

وفي هذه السنة قامت طائرتا إغاثة سعوديتان تغادران إلى ألبانيا لمساعدة اللاجئين من كوسوفو تحملان مساعدات من المملكة العربية السعودية للاجئين هناك على الحدود الألبانية، وقامت وزارة المالية والاقتصاد الوطني بتأمين وتجهيز ما مقداره مائة وعشرون طناً من الخيام والدقيق والسكر وزيت الطهي والحليب، وقال الأمير سلطان بن عبدالعزيز أن الأعمال الصربية أصبحت أمراً إجرامياً لا يجب السكوت عليه للمرة الأولى منذ بداية عمليات الناتو ضد يوغسلافيا في ٢٤

مارس آذار الماضي، ودمرت الصواريخ الأطلسية العابرة للقارات تعري وزارة الداخلية الصربية والداخلية اليوغسلافية في بلغراد خلال غارة ليلة شنت فجر أمس ١٩ ذي الحجة.

وفيها في يوم الأربعاء ٢١ ذي الحجة ولدت مصرية عمرها ٢٨ عاماً ثلاثة توائم في مستشفى الدوادمي، قالوا: وصحة الأم ومواليدها جيدة.

وفيها في يوم الثلاثاء بدا إجلاء مائة ألف كوسوفي من البلقان إلى دول الأطلسي، وقد غادر أكثر من ٣٥٠ ألف شخص من ألبان كوسوفو، واحتشدوا على حدودها، ووصل أكثر من ٣٠٠ لاجئ من ألبان كوسوفو إلى تركيا، وما زالت دفعات من لاجئي كوسوفو تصل إلى تركيا والنرويج، وتوقعات بارتفاع الرقم إلى تسعمائة ألف، وقد حرق العدو وهم النصاري ثمانى عشرة قرية خلال الأسابيع الماضية، واكتشفت أدلة على مقابر جماعية في كوسوفو، وكان الأهالي رجالاً ونساءً وأطفالاً لا يملكون إلا ذرف دموعهم لما طردوا من ديارهم ومساكنهم، وإن الحلف الأطلسي في حوزته براهين تتكاثر شيئاً فشيئاً على وجود مقابر جماعية نتيجة سياسة القمع العنيفة التي انتهجها الصرب في حق ألبان كوسوفو.

ذكر حريق

لما كان في يوم الخميس ٢٩ ذي الحجة ١٤١٩هـ اندلع حريق هائل في مزارع قرية في بداء التابعة للوجه، وقد باشر موقع الحريق فريق من الدفاع المدني وفرقة من شركة محافظة الوجه، وتمت السيطرة على الحريق، وقد أبدى رئيس مركز بداء شكره معرباً عن تقديره وشكره لمدير شرطة محافظة الوجه ومدير مركز الدفاع المدني بالوجه ومدير مركز الدفاع المدني بالوجه على سرعة الاستجابة للإخماد النيران التي اندلعت في مزارع قرية بداء.

ذكر حادثة

لما كان في إحدى ليالي آخر ذي الحجة من هذه السنة توفى عامل باكستاني في

غرفته التي كان يسكن فيها، وذلك إثر سكتة قلبية دون أن يشعر به أحد إلا بعد يومين من وفاته وجدوا رائحة ننته تخرج من غرفته، فشرع بها المجاورون، وكان زملاءه في العمل قد فقدوه خلال اليومين الذين تغيب فيهما مما دعاهم للذهاب إليه للسؤال عن غيابه المفاجئ، حيث فوجئ الجميع برائحة تنبعث من الغرفة التي كان يسكن فيها، ثم باشرت الجهات المختصة الحادث وتم فتح الباب وإخراج الجثة، وأشارت التقارير الطبية إلى وفاة العامل بالسكتة القلبية دون مقدمات لمرض أو بذل جهد مضاعف.

ثم دخلت سنة ١٤٢٠هـ

استهلت هذه السنة والنصارى تعمل أيديهم قتلاً وتعذيباً وإجلاءً للمسلمين عن أوطانهم، وهؤلاء نصارى الصرب يقتلون ما يشاءون من المسلمين من سكان كوسوفو، ولم يجدوا ناهياً ولا مدافعاً عنهم، وقد تأزمت الأمور هناك إلى درجة أنها لا تتحملها العقول البشرية، ونحن نذكر طرفاً من ذلك، فامرأة تروي ما فعله النصارى تقول: ربطوا زوجي بالحزام وذبحوه بالسكين، ثم أخرجوا عينيه وقطعوا أجزاء أبنائي ودخلوا بيتي وقتلوا أبنائي الأربعة الواحد بعد الآخر، ويروي آخر قصته يقول: كنا في البيت في قريتنا الحبيبة وفجأة سمعنا بعض الطلقات من الجيش الصربي، وبعد قليل سمعنا صوتاً آخر ألا وهو صوت الصواريخ، واجتمع كل أهالي القرية وخرجنا من القرية واتجهنا إلى ألبانيا، وعددنا خمسون شخصاً تقريباً والغالبية من النساء والأطفال، ونحن الآن نعيش في بيرم وهي إحدى المدن الألبانية، ونحتاج إلى من يساعدنا، ونسأل الله أن يعيدنا إلى كوسوفو سالمين، ورأيت تسعة عشر شخصاً كلهم جرحى، ورأيت الكثير من المرضى والمحتاجين والجرحى في الطرقات المؤدية إلى ألبانيا، وأثناء سيرنا إلى ألبانيا خرج علينا الصرب فجأة وبدأو يرموننا بالمدفعية الثقيلة والرشاشات، وقتلوا الكثير من أبنائنا، وأخذوا بعض

النساء، وبعد سبع ساعات تركوا النساء، وما رأيت أقبح من هذا، قتلوا أبناءنا فما استطعنا أن نعمل شيئاً، وتركناهم في الجبال صرعا ولم نستطع أن نواري أجسادهم التراب خوفاً من الجيش الصربي، ثم بينما كنت وأسرتي في منزلنا فجأة اقتحم الجيش الصربي قريتنا فخرج أهالي القرية وهم في حالة هلع وخوف، حتى أنني لم أستطع أن ألبس ملابسي وحذائي، والخوف كان يدب في كل شعرة من جسدي، فخرجت وجميع أفراد أسرتي ما عدى أبي لكبر سنه، وما أن غادرنا القرية إلا ونسمع أن منزلنا أصابته خمس قذائف فأحرقته، أما والدنا فقد قبضت عليه القوات الصربية وضربوه حتى فارق الحياة، فخرجنا إلى ألبانيا عن طريق الجبال حتى وصلنا إليها، ثم قال: بدأ الصرب يقصفون القرية بالدبابات وراجمات الصواريخ، وأحياناً يستخدمون الطائرات، وبعد أن دمروا كل مرتع يريدونه دخلت دباباتهم وخلفها الجنود، والتقى في داخل القرية جيش تحرير كوسوفا، وكنت معهم، ثم بدأ إطلاق النار بين الطرفين، وكان هذا الوقت قبل صلاة المغرب، وانتهى بعد صلاة العشاء، وقتل منا اثنان وجرح ثلاثة، حملت أحد الجرحى إلى قرية ياسك، والآن هو بصحة جيدة، لكن بترت يده، ثم بدأت أبحث عن ابني وأنا أبكي فلم أجده، فبقيت أبكي حتى جاء جاري، فسألته عن ابني هل تعرف شيئاً عنه؟ قال لا، وبعد أسبوعين وجدناه في بئر أمام بيتنا، حاولنا أن نخرجه ولكن كانت الفاجعة، كان مقطعاً فلم نستطع أن نخرج إلا رأسه قتلوه قتلهم الله.

اتقاء شر السباع وأخذ الحيطة

ففيها في يوم الجمعة ٦ صفر من هذه السنة ١٤٢٠هـ قام ثلاثة من الشباب تتراوح أعمارهم من ١٤ سنة إلى ١٥ عاماً في مدينة دمار إلى الجنوب من صنعاء في اليمن، فصادوا ثلاثة أشبال، ثم أشعلوا النار أمام أحد الكهوف لتضييق الخناق عليها، وكان أن خرجت النمر الصغار من الكهف فتمكن الشباب من

اصطيادها وأوثقوها بالحبال وعادوا بها إلى القرية، لكنه قبل أن يصلوا إلى منازلهم فوجئوا بنمر ضخم يهاجمهم وينقض عليهم، ففتك بهم جميعاً وحرر أبناءه وعاد بهم إلى كهفه، وقد عثر المواطنون على جثث الشباب الثلاثة ممزقة إلى أشلاء بالقرب من القرية.

وفي آخر العام الماضي وفاة علي بن إبراهيم الصغير، وذلك في ٢٩ ذي الحجة غفر الله لأموات المسلمين.

وفيهما في ٧ محرم ترقية ٤٨ موظفاً بوزارة المعارف إلى المرتبة العاشرة.

وفاة الشيخ عبدالعزيز بن باز

وفيهما في يوم الخميس الموافق ٢٧ محرم مع طلوع الفجر وفاة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وقد نودي بوفاته والصلاة عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة من الغد، واجتمعت الأمة وساروا من الجهات لحضور الصلاة عليه قادمين على الطائرات والسيارات، وحزنت الأمة وبكوه، وهذه ترجمته:

هو العالم الفقيه اللوذعي الورع، ولد في سنة ١٣٢٩هـ بمدينة الرياض، وحفظ القرآن قبل سن البلوغ، وفقد بصره عام ١٣٥٠هـ، وجدّ واجتهد في طلب العلم على علماء الرياض، ومن أبرزهم: الشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، أخذ عنهم العلوم الشرعية واللغة العربية، وعين في القضاء عام ١٣٥٧هـ، ولم يتقطع عن التعليم مما شغل به من القضاء، كما أنه نقل إلى جهة الخرج، وسنعود عن قريب، وبعدما حمل إلى ودفن وسوي عليه التراب نشرت الأمة هذه الكلمة:

«بقلوب مؤمنة مطمئنة تؤمن بقضاء الله وقدره ننشر للعالم الإسلامي والعربي نبأ وفاة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز رحمه الله وتجاوز عنه، ونتقبل العزاء والمواساة من سائر المسلمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وكان من خيرة تلامذة

الشيخ محمد بن إبراهيم، لهذا فإنه اختير من طلاب العلم الذين ضوعفت مكافئاتهم، وهم: الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وعبدالعزیز بن باز، وعبدالله بن يوسف بن ابل، وسليمان بن عبيد بن سلمى، فكان كل واحد من هؤلاء يتقاضى مرتبه خمسة وعشرين ريالاً، وكان بقية الطلاب يصرف لكل واحد منهم خمسة ريالات إلى ريال ونصف شهرياً، وكان يتقلب في وظائف الحكومة كوكالة الجامعة الإسلامية، ورئاسة دار الإفتاء، ولكنه لم يكن نافذ التصرف كالشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ العلامة عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، فالله المستعان.

وفيهما في ١٢ صفر دخل الملك فهد بن عبدالعزيز المستشفى لتزيف في إحدى عينيه، ولما أن كان في آخر برج الثور وأوائل الجوزاء، قبل انفكاك النوء حصل جفاف لعدم هطول الأمطار، وتتابعت رياح أثارت الغبار والتراب لنزع القطر عن أهل الأرض حتى طلوع نوء البطين، نستغفر الله العظيم ونتوب إليه.

وفيهما هبّ إعصار في باكستان وذلك في صفر، نجم عنه بيوت تهدمت وأشجار تكسرت، وهلك عشرات من المواطنين.

طعنة في الصميم

لما كان في يوم الأربعاء أحد أيام سنة ١٤١٩هـ قام في مدينة صيدا من لبنان مسلحون فأطلقوا الرصاص على أربعة قضاة في المحكمة من رشاشات عبر نوافذ القاعة للمحكمة، وذلك أثناء انعقاد الجلسة، فأصيب أربعة قضاة وهم: رئيس المحكمة القاضي حسن عثمان، والأعضاء القضاة عاصم بو ظاهر، ووليد حرموش، وعماد شهاب، وذلك أثناء انعقادها للنظر في دعاوي مقامة ضد أشخاص فلسطينيين ولبنانيين متهمين بارتكاب جرائم قتل وسرقة وتزوير عملات، وهذه تعتبر أعظم مذبحة في قصر العدل بصيدا، لم يشهد لبنان مثيلاً لها من قبل، وموجة استنكار عارمة في وقت أعطى الرئيس اللبناني العماد أميل لحود توجيهاته إلى الأجهزة الأمنية لتعقب الجناة وإلقاء القبض عليهم، وتقديمهم للعدالة، وقد دعت أحزاب صيدا وفعاليتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية

والنقابية إلى إضراب عام في المدينة استنكاراً للجريمة، فيما أعلنت جمعية التجار فيها ذلك اليوم يوم حداد وطني على الضحايا الذين سقطوا في هذه الجريمة، وابتداءً من بعد ظهر اليوم شهدت المدينة إجراءات أمنية وعسكرية مشددة في شوارعها، وعلى كل مداخلها، فيما باشرت الأجهزة المختصة دهم عدد من الأماكن التي يظن أن الجناة لجثوا فيها.

ومن جهة أخرى انفجرت قنبلة وسط الخضراوات في سوق بعدن فجرح اثنا عشر بصنعاء بعد مشاجرة واشتباك بالأيدي، وأدى انفجار هذه القنبلة في أحد محلات بيع الخضراوات والفواكه في سوق كريتر في عدن إلى إصابة شخصين يعملان في المحل إصابة أحدهما خطيرة، وقال أحد أفراد الشرطة المكلفين بحراسة مكان وقوع الانفجار أن القنبلة كانت موضوعة في أحد صناديق الخضراوات في المحل، وأن انفجارها ربما يكون عائداً لارتفاع درجة الحرارة في وقت الظهيرة في هذا الفصل، وفي أثناء ذلك قامت اليهود في ١٣/٣/١٤٢٠ هـ وضربت لبنان بالقنابل المحرقة والهدامة مما أدى إلى وقوع خسائر في الأرواح والأموال والأثاث، وذهبت هذه الضربة أدراج الرياح كغيرها من أذية اليهود للمسلمين وللعرب بحيث لم يجد اللبنانيون مناصراً ولا معاضداً، وكم توالى أذية هذه الأمة الغاصبة على لبنان وفلسطين وغيرها كمصر والأردن وغيرها من البلاد العربية، ومن العجائب توالي النصر والإمهال من الله لهم، ولا ريب أن الأمور مرهونة لأوقاتها كما قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]، نعم مست أهالي فلسطين وأهالي كشمير المسلمين وأهالي البوسنة والهرسك، واقتحمت القوات الكتائبية واليهود غيمي صبرا وشاتيلا، ودفنت الضحايا بدون تغسيل ولا تكفين ولا صلاة، وأصيبت أهالي كوسوفو بقتل أولادهم أمامهم، وهتك أعراض النساء، ونهب أموالهم من نصارى الصرب، وقد قدمنا ما فيه كفاية من إجلالهم عن أوطانهم ومعاملتهم معاملة لم تفعلها الأسود الوحشية، مما أغنى عن إعادته.

وفيهما في ١٣/٣ أفرجت الحكومة السعودية عن بعض السجناء السياسيين، وهم: سلمان العودة، وسفر الحوالي، وناصر العمر، بعدما خرجوا ذهبوا إلى جدة، وأحرموا بالعمرة ورجعوا إلى أهاليهم .

ذكر فاجعة من الفجائع وأمر القوارع

لما أن كان في آخر يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الثاني من هذه السنة ١٤٢٠هـ قدر أنه أقيم احتفال في أحد قصور مدينة القطيف للزواج، فالتمس الكهرباء فحدث حريق في القصر، وقعت من جرائه سقوط الخيام على من كان حاضراً من النساء والرجال والصبيان أسفر الحادث عن مائة قتيل ومائة وثمانين جريح، لأنها حملت الضحايا للمستشفيات فهلكوا في المستشفيات، وقد عوضت الحكومة لكل فرد من الصغار والكبار خمسين ألف ريال، نسال الله العافية.

كما أنه اصطدم في الهند حافلتان، تجلت الأمور عن ضحايا كثيرة من بين الفريقين. وفيها في أوائل شهر ربيع الثاني من عام ١٤٢٠هـ سافر الملك إلى مدريد للعلاج، نسال الله تعالى أن يمنحه الصحة العافية.

وفيهما لا تزال الجبهات المسؤولة تنصح بالاحتفاظ بمصلحة المياه وحسن تصريفها، وعدم الإسراف باستعمالها، وذلك عن طريق كتابة اللافئات والجرائد، والاحتفاظ بها، كما أنها أكدت بدفع الضرائب وأخذ نقود على جميع البيوت، وأخذت ضرائب عما مضى من الشهور.

ذكر وفاة حاكم المغرب

لما أن كان في يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر ٢٣ يوليو ١٩٩٩م برج الأسد ظهراً توفي الحسن الثاني ملك المغرب، وهذه ترجمته:

هو الملك المعظم في قومه، الذي استطاع أن يسود قومه بعقله وسياسته، ومن حسن حظه عدم الثورات والمشاغبات والمنازعات في ملكه، وذلك لأنه أخذ الأمور بالحزم والشجاعة، وكان لما أن قضى الله عليه الموت اكتضت

الشوارع في قلب العاصمة المغربية الرباط بالمعزين، وتدفق سكان البلاد على المدينة من شتى أرجاء المغرب للمشاركة في تشييع جنازته، لأنه الملك الراحل الحسن الثاني أحد أقطاب العالم، هكذا ذكرت بعض الجرائد، وأحد أنصار السلام في الشرق الأوسط، وتوافدت موجات من الأهالي على العاصمة خلال الليل من القرى والبلدان المجاورة، وقبل سويغات من مغادرة الموكب للقصر الملكي اصطفت قوات الجيش والشرطة في جو حار شبيّ بالرطوبة على طول طريق طوله ٢ كيلو متر إلى الضريح، ورفع الآلاف من المغاربة صور الراحل وقاموا بيبكون ومنتحبون، ثم توافد زعماء العالم ورؤساء الدول وكبار الشخصيات العالمية إلى القصر الملكي لإلقاء النظرة الأخيرة.

كسوف الشمس

لما أن كان في أواخر ربيع الثاني أشاعت الجرائد والحساب الفلكيون أن الشمس ستكسف ظهر يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الآخر، فقام أهل الأرصاد الجوية لينظروا تأثير الكسوف على ما بين السماء والأرض والطبقة الأرضية منذرين ومحذرين عن النظر إليها حال الكسوف إلا بنظارات سوداء ثقيلة، ولما أن كان في الساعة الثانية والربع زوالي والناس يتوقعون، شرع الكسوف كما ذكروا بأنه ثقيل، ولم يجر مثله في السنين القريبة الماضية، بحيث ستنطمس على بعض جهات وتخرج النجوم، وتنبج الكلاب بحيث تكون الدنيا كليل، وقامت الأمة فزعة إلى الصلاة ورؤية الشمس إذا أثر عليها حجاب القمر من أسفل منها، فاستمر الكسوف خفيفاً ساعتين وربع الساعة، لا كما ذكروا، تجلى مع صلاة العصر ولم يجر أي تأثير على شيء من الكائنات، فله الشكر والحمد على ذلك، وكذب المنجمون، قال الله تعالى: ﴿إِن كُرِ لَفِي قَوْلٍ مُّخِلِفٍ﴾ يُؤَفِّكَ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴿١﴾ قِيلَ الْخَرَصُونَ ﴿الذاريات: ٨-١٠﴾، وقد نسب لنا أنها انطمست كلية على الهند وما يليه، فالله أعلم.

ذكر زلزال عظيم أصاب تركيا

ففي فجر اليوم السادس من جمادى الأولى الموافق ليوم الثلاثاء ١٧ أغسطس ١٩٩٩م أصيب غرب تركيا، وكان ذلك الزلزال عنيفاً جداً، ولما أن حصلت هذه الهزة العظيمة تجلت عما يأتي: عشرة آلاف قتيل في اسطنبول و٢٥٠ عسكرياً قضوا نحبهم تحت الانقراض، وتهدم نحو ألف منزل كلياً أو جزئياً، وبعضها غرق في البحر، وإن بطش ربك لشديد.

تفاصيل هذا الزلزال

ذكرت جريدة الجزيرة امرأة تركية محشورة وسط الانقراض تلوح بيدها لعمال الإنقاذ الذين يحاولون تخليصها بعد تهدم منزلها، وإن الجيش منضم لفرق الإنقاذ، أشارت الشبكة إلى أن مدينة أزمير أصبحت شبه خالية من السكان الذين فروا من المدينة بعد توابع الزلزال، وكانت قوة الزلزال ٧,٨ درجات، أما عمق مركز الزلزال تقع على ٣٢ كلم تحت الأرض، وكان عدد الجرحى ارتفع إلى ١٦٣٧ جريح، وأمضى سكان اسطنبول وأنقرة بقية الليل في الشوارع والحدايق العامة، وكانت المنازل التي انهارت غمرت تماماً بالماء، وأشارت وكالة الأنباء الألمانية إلى أنه أمكن السيطرة على حريق اندلع في مصنع للغاز بالمدينة بعد مرور أكثر من ثلاث ساعات على وقوع الزلزال، كما تقطعت الطرق داخل مدينة أزمير تاركة مئات الأشخاص محاصرين في سياراتهم بعد أن تقطعت بهم الزلازل التي ضربت تركيا، والأمر أدهى وأعظم.

وفاة ابن الملك فهد

لما أن كان في اليوم العاشر من شهر جمادى الأولى عام ١٤٢٠هـ الموافق ليوم السبت ٢١ أغسطس ١٩٩٩م توفى الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الرئيس العام لرعاية الشباب من دون سابق مرض بعدما أدى

نشاطاً في الرياضة بمدينة الأردن، ووزع عشرات الملايين على الفقراء والأطفال هناك، ولكنه كان يعاني في أيامه الأخيرة مرض يجبره على تغيير دمه، وفي ظهر اليوم المذكور قضى نحبه من ذلك المرض، وكان أبوه الملك مسافر في إسبانيا، وكانت الأمة لم تتوقع أن ذلك المرض يقضي عليه بموت الفجأة، وعفا الله عنه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ أَلَمَتِ الَّذِي تَفْرُوتُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

عود على بدء

ذكرنا زلزال تركيا عن قريب، وكان لم ينته بصورة قطعية بحيث أن ذلك الزلزال أعقبه زلزال آخر، وأصبحت الأمة هناك تتوقع زلازل غير الأولى، وخرجوا من بيوتهم يسكنون الحدائق والجبال التي تبعد عن موضع الحادث، وارتفع عدد القتلى والجرحى إلى ٥٧ ألفاً وقام الخبراء يحذرون من وقوع زلزال آخر في نفس تركيا بنفس القوة، وقال الخبراء أن صدع شمال الأناضول أكبر من أي صدع آخر في العالم له طريقة خاصة به في طبيعة تشققه المتزايد، ومن جهة أخرى لا تزال فرق الإنقاذ وعائلات ضحايا الزلزال يحذوها الأمل في العثور على إحياء خلال عمليات البحث المتواصلة في أنقاض المباني المتهدمة، ومن العجائب أن يسمعوها أصوات الهواتف الجواله من بين أنقاض المباني المتهدمة تنادي بالاستغاثة أنقذونا أنقذونا... وذلك بعد مرور خمسة أيام بعد انتشار أربعين ألف قتيل، وكان ذلك في شمال غرب تركيا، ف سبحان الله ما أعظم شأنه، ولما وقعت تلك الكارثة قامت الدول بجمع التبرعات لورثة أولئك الهلكى الذين نكبوا تلك النكبة وأصيبوا بتلك القارعة.

زلزال يصيب تايوان

لما أن كان في الساعة الواحدة و٤٧ دقيقة بعد منتصف ليلة الاثنين يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الآخرة من عام ١٤٢٠ الموافق ٢٢ سبتمبر أيلول ١٩٩٩م ميلادي

أصبحت تايوان بهذا الزلزال، فلقى ١٤٥٠ شخصاً على الأقل مصرعهم، وجرح حوالي أربعة آلاف آخرين، ولا يزال ١٥٠٠ شخص محتجزين تحت أنقاض المباني المنهارة عندما ضرب الزلزال المدمر الذي يعد الأقوى خلال هذا القرن، وانهارت مباني مؤلفة من ١٢ طابقاً لما تعرض حوالي ثلاثين ألف منزل لأضرار مادية جسيمة للتدمير، وتم إعلان حالة الطوارئ في البلاد، وتكليف القوات المسلحة بالمساعدة في جهود الإنقاذ، وبعد شروق الشمس أصبح واضحاً للعيان الحجم الحقيقي للدمار الذي خلفه الزلزال الذي ضرب تايوان وبلغت قوته ما بين ٦، ٧-١، ٨ درجة على مقياس ريختر، وبدأت مشاهد المباني المنهارة والدخان المتصاعد من جراء الحرائق المشتعلة، فيما سمع دوي صافرات عربات الإسعاف عبر الشوارع المكتظة بأنقاض المباني، وهرع السكان وهم في حالة من الذهول والهلع إلى الحدائق العامة يعترهم الخوف الشديد من العودة إلى منازلهم، وشرعت فرق الإنقاذ في العمل على قدم وساق باستخدام الرافعات والجرافات وغيرها في محاولة للعثور على أحياء تحت الأنقاض يفحصون البناية المنكوبة من ١٢ طابقاً والتي هوت في تايبيه بعد الزلزال القوي الذي بلغت ٧، ٣ على مقياس ريختر، ولا ريب أن هذا يعتبر من أعظم الزلازل التي وقعت، وبها تبين عظمة البارئ وأن مخترعات أهالي القرن العشرين لم تغن شيئاً أمام قدرة الله تعالى إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

وفاة الشيخ الألباني

وفيها في آخر جمادى الثانية انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ الألباني أحد حماة السنة النبوية، وذلك بعد عصر يوم السبت ٦/٢٢ من عام ١٤٢٠هـ وهذه ترجمته:

هو الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني بن نوح نجاتي، ولد في شفودرة عاصمة ألبانيا سنة ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م وإليها ينسب، كان محدثاً فقيهاً داعية إلى الكتاب والسنة، وعلى مذهب السلف الصالح، كان والده الحاج نوح من كبار علماء الحنفية في بلده، وفي أثناء الحكم الشيوعي الهالك أحمد زوغو كان

هناك تضيق شديد على المسلمين، فهاجر الحاج نوح مع جميع أبنائه ومنهم محمد ناصر الدين بدينه إلى بلاد الشام لما ورد فيها من فضائل ومناقب في السنة النبوية، وهناك استقر بهم المقام، ومنها بعد خمسين عاماً هاجر إلى عمان عاصمة الأردن، وتلقى تعليمه الأساسي في دمشق عاصمة سوريا، مستفيداً من الشيوخ وأهل العلم، وأحب علم الحديث النبوي في مقتبل عمره وبواكر شبابه، وذلك حين اطلاعه على مقالات علمية للشيخ رشيد رضا المصري في مجلة المنار، ونقداً لروايات واهية ذكرها أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وقد أجازته الشيخ محمد راغب الطباخ مؤرخ حلب ومحدثها بمروياته المجموعة في ثبته المسمى الأنوار الحلية في مختصر الأثبات الحلية، وذلك لما رأى نبوغه ورغبته العالية في تحصيل العلوم والمعارف الحديثة، ابتداءً التأليف والتصنيف في العقد الثاني من عمره، فكان من أول مؤلفاته الفقهية المبنية على معرفة الدليل والفقه المقارن كتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، وهو مطبوع مراراً، وكان من أوائل تخاريجه الحديثية المصححة، أيضاً كتاب الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير، ولا يزال مخطوطاً، تولى تدريس مادة الحديث النبوي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة إبان افتتاحها مدة ثلاث سنوات من ١٩٦٠م، مما كان له بسببه أعظم الأثر في إيجاد نهضة علمية حديثة، وكان رحمه الله قد حصل عليه مضايقة في بلده.

وفيها وفاة الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله وعفا عنه، وكان من تلامذة الشيخ محمد أمين الشنقيطي العالم المشهور صاحب التفسير أضواء البيان، وكان هو الذي أكمله لأن الشيخ رحمه الله لم يتمه بل وقف قبل تنمة القرآن بثلاثة أجزاء، رجعنا إلى ترجمة ناصر الدين الألبان وإكمالها:

فأقول: إنني رأيته واجتمعت معه في أيام الموسم، فكان يلقي دروسه على الحاضرين والمستمعين وأمامه خمسة سجلات، أحدها يراقب كلماته والبقية ترصدوا فوائده، وكان في زمن الشيخوخة ضعيف البنية، ولكنه يتمتع بقوته

وعزمه، فسلمت عليه واستقبلني لأنه يقدر الأعيان، ولا سيما العلماء، فجري في الحديث معه أن أبديت أسفي في كون بعض المشكلات في قسمة الموارث ترد من سوريا إليه، فذكر رحمه الله أنه لم يتبحر في علم الفرائض والموارث، بل كان همه في علم الحديث ومسائله والجرح والتعديل في رجاله، ووجدته يشبع الكلام ويطيل بحيث لم يدع في الحديث وعلمه مقالاً يقال، وذلك لما وهبه الله تعالى من سعة العلم والبحث، وقوة الذاكرة، فقلت في نفسي أنه لا يوجد أمثاله، نسأل الله تعالى أن يجبر المسلمين في فقده، وأن يكثر من أمثاله، وذكرت قول النبي ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالم، اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

وفيهما قام أناس من المنجمين والكهان يروون أخباراً بغرق حفر الباطن، وأنه في سابع من سنة ١٤٢٠هـ سيصيب الحفر غرق ورياح وزلزال، فقامت إمارة الشرقية تستعد لذلك الهول والأمور التي لا تبشر بخير استعداداً للطوارئ، وماذا يحل هناك، وقد مرت الأيام التي ذكروا ولم يحصل إلا الخير، وكذب المنجمون والخراسون، نسأل الله تعالى أن يديم العاقبة على المسلمين.

وفيهما جرت مظاهرة بين أناس من مصر وبين الكويتيين في بلدة الكويت، مما اضطر حكومة الكويت إلى أن تخرج المصريين وتجعلهم في خيام على حدة موجب المظاهرة.

وفيهما كثرت الأمطار وتوالى هطولها على مكة المشرفة وبلاد عسير وأجزاء من منطقة القصيم وحائل سوى مدينة بريدة، فلم يكن لها حظ، وقد أقيمت صلاة الاستسقاء فيها، ولكن لم يرد الله شيئاً، وقد بلغ الموسم ٣١، فلم ينزل شيء في تلك المدة، نسأل الله تعالى عدم الحرمان من فضله.

وفيهما أصيبت الهند بزلزال شديد تكشفت الأمور عن ٤٥ ألف قتيل وجريح وأربعمائة طفل مع مدرسيهم تحت أنقاض مدرستهم، وذلك يوم السبت الموافق ثاني يوم من ذي القعدة عام ١٤٢١هـ،

اشتد البرد في نوء النعائم على سائر الطبقة الأرضية، حتى قيل أنها نزلت الدرجة تحت الصفر إلى خمسين في روسيا، وقرر الخبراء والأطباء أن هذا نادر الوقوع، ولم تبلغ الدرجة إلى هذا القدر منذ ٤٥ سنة.

وفاة الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله تعالى، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم المفتي الفقيه محمد بن صالح العثيمين عن مرض لم يقعه، لأنه يتجلد ولديه صبر كان رحمه الله من أبرز علماء عنيزة في القصيم، أخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، وما زال يبحث في الكتب والمراجع حتى كانوا يراجعون في تلك الجهات، وما زال يتقدم حتى عُذَّ من هيئة كبار العلماء الذين وصفتهم الحكومة بذلك، وكان محبوباً عند الناس ويعجبون به، وكان يميل إلى أن طلاق الغضب شديداً الغضب لا يقع احتجاجاً بحديث لا طلاق في إغلاق.

ذكر ما احتوى عليه الجزء الثامن

وهو آخر أجزاء التاريخ المسمى تذكرة أولي النهى والعرفان على يد مؤلفه الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن آل عبيد أثابه الله تعالى وشكر سعيه لخدمة الأمة، لقد احتوى على آخر سنة ألف وأربعمائة وعشر إلى ما تيسر من حوادث سنة ألف وأربعمائة وعشرين.

كتب الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن

- ١- عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان مجلد واحد
- ٢- تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان ثمان مجلدات
- ٣- رياض الأنوار الزاهرة والحكم المثورة الباهرة مجلد واحد
- ٤- السحاب المركوم والرحيق المختوم ثلاث مجلدات
- ٥- الأعلام المرفوعة والتحف المدفوعة جزأين
- ٦- تحذير الأنام عن ارتكاب القبائح والآثام مجلد واحد

فهرس الموضوعات

الصفحات

الموضوع

| | |
|----|--|
| ٣ | ذكر التقلبات والمخاوف والمجازر في فلسطين ولبنان وأفغانستان |
| ٤ | مناظر غريبة في مخلوقات الله |
| ٤ | اتفاق عام بشأن عودة مقر الأمانة العامة للجامعة إلى القاهرة |
| ٦ | حادث مؤسف |
| ١٠ | محطة القطار |
| ١٣ | قتل مجرم |
| ١٥ | إن بطش ربك لشديد |
| ١٥ | زلازل وهزات أخرى تصيب إيران |
| ١٩ | كوارث في الفلبين |
| ٢٣ | ذكر عجائب وغرائب من العالم |
| ٢٧ | ثم دخلت سنة ١٤١١ هـ |
| ٢٨ | هجوم على الكويت |
| ٣٤ | فصل |
| ٣٨ | عقد مؤتمر في القاهرة |
| ٣٨ | مؤتمر في مكة المكرمة |
| ٤١ | ذكر شيء عن صدام حسين |

| | |
|----------|---|
| ٤٣..... | ذكر ما وقع في لبنان |
| ٤٦..... | ذكر ما جرى بعد مذبحة القدس |
| ٤٦..... | ذكر استسلام صاحب الأذى في لبنان |
| ٤٧..... | ذكر حالة الكويتيين في المملكة |
| ٥١..... | زلازل تصيب الهند |
| ٥٢..... | كفاح أهالي فلسطين |
| ٥٣..... | هدوء يسود لبنان |
| ٥٧..... | مذابح في سيريلانكا |
| ٥٩..... | زيارة الرئيس الأمريكي |
| ٧٦..... | ذكر الطمأنينة والأمن في السعودية |
| ٧٦..... | ذكر الفوضى في العراق |
| ٧٨..... | إعصار يصيب بنغلادش |
| ٧٩..... | ذكر ما جرى في أفغانستان |
| ٨١..... | ذكر ما نتج عن إعصار بنغلادش |
| ٨٢..... | ذكر زيارة وزير خارجية أمريكا جمس بيكر |
| ٨٨..... | ذكر ما جرى على اليابان |
| ٩٠..... | إعصار روسيا |
| ٩١..... | ثم دخلت سنة ١٤١٢ هـ |
| ٩٦..... | سعي المصلحين لوضع سلام في الشرق الأوسط |
| ٩٧..... | عجائب من عجائب القدر وحادثه من حوادث القرن الخامس عشر |
| ١٠٢..... | فشل الثورة وعودة الرئيس |
| ١٠٤..... | مذابح في يوغسلافيا |
| ١٠٥..... | ذكر سوء الاقتصاد في بعض أقطار الأرض |

| | |
|----------|---|
| ١٠٧..... | اليوم الوطني |
| ١١١..... | ذكر افتتاح مشروع الكهرباء في تبوك |
| ١١٤..... | ذكر زيارة رئيس باكستان |
| ١١٦..... | ذكر أسبوع نظافة المساجد |
| ١١٧..... | مؤتمر السلام في الشرق الأوسط ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ م |
| ١١٨..... | مؤتمر مدريد |
| ١١٨..... | إطفاء آخر بئر في الكويت |
| ١١٩..... | ذكر ما تجلّى عنه المؤتمر |
| ١٢٠..... | استمرار القتال والخلافات |
| ١٢١..... | خطر يخشى منه |
| ١٢٢..... | صلاة الاستسقاء |
| ١٢٢..... | حادثة |
| ١٢٣..... | ذكر الحركة في الصومال |
| ١٢٤..... | ذكر انهيار الحكومة الروسية وانقسامها إلى دويلات |
| ١٢٥..... | استقالة الرئيس ميخائيل غوربتشوف |
| ١٢٦..... | انفجار في غربي بيروت |
| ١٢٧..... | كائنة غربية |
| ١٢٨..... | ذكر حالة الفريقين |
| ١٢٩..... | ذكر ما جرى فيها من الحوادث |
| ١٣٠..... | كائنة غربية |
| ١٣٠..... | ذكر من توفى فيها من الأعيان |
| ١٣٣..... | زلزال يصيب إيران |
| ١٣٣..... | وفاة رجل معمر |

| | |
|----------|--|
| ١٣٤..... | استقالة عبدالإله |
| ١٣٦..... | سقوط طائرة الرئيس الفلسطيني |
| ١٣٦..... | ضرب الحصار على ليبيا |
| ١٣٧..... | حادثة من الحوادث |
| ١٣٨..... | تحرير أفغانستان |
| ١٣٩..... | شرور وبلاء مستطير |
| ١٣٩..... | ذكر المحنة والبلاء والخذي الذي جرى على المسلمين في يوغسلافيا |
| ١٤١..... | إمارة فيصل بن بندر بن عبدالعزيز |
| ١٤١..... | حادثة من الحوادث |
| ١٤١..... | عذاب وتعذيب لمسلمي كشمير في الباكستان من أهل الهند |
| ١٤٤..... | ثم دخلت سنة ١٤١٣هـ |
| ١٤٦..... | ذكر ما جرى في الصومال |
| ١٤٧..... | ذكر حادثة شنيعة |
| ١٤٨..... | ذكر أفغانستان وما جرى عليه |
| ١٥١..... | حادثة |
| ١٥١..... | ذكر ما جرى على ليبيا |
| ١٥٢..... | ذكر حادثة كريمة |
| ١٥٣..... | زلزال يصيب مصر |
| ١٥٤..... | ذكر ما تجلى عن ذلك البلاء |
| ١٥٤..... | انفجار بركان |
| ١٥٤..... | انتشار الكتب وإيجادها |
| ١٥٧..... | عود على بدء |
| ١٥٩..... | ذكر نزاع بين أهل مصر والرئيس حسني مبارك |

| | |
|---|-----|
| افتتاح المعهد البري في القصيم..... | ١٦١ |
| زلزال في تركيا..... | ١٦٤ |
| العراق والحديث عنه..... | ١٦٤ |
| هطول أمطار على القصيم..... | ١٦٦ |
| أخبار حول الرئيس الجديد في أمريكا..... | ١٦٧ |
| ذكر حركة في باكستان..... | ١٦٨ |
| زلزال يصيب إندونيسيا..... | ١٦٩ |
| ذكر جلاء بعض الفلسطينيين..... | ١٦٩ |
| ذكر وصمة عظيمة..... | ١٧٠ |
| جلسة في مجلس التعاون..... | ١٧١ |
| ذكر ما جرى من الحوادث..... | ١٧٢ |
| صدمة نفسية ووقفة..... | ١٧٥ |
| زلزال يصيب اليابان..... | ١٧٧ |
| عمارة جامع بريدة عام ١٤١٣هـ..... | ١٨١ |
| ذكر أمطار تجتاح مدينة الخرج..... | ١٨١ |
| حرباً في الصومال..... | ١٨٢ |
| ثم دخلت سنة ١٤١٤هـ..... | ١٨٢ |
| نكتة غريبة وكائنة عجيبة..... | ١٨٥ |
| فيضانات في أمريكا..... | ١٨٦ |
| ثورة في السودان..... | ١٨٧ |
| الفراغ من توسعة مسجد المدينة المنورة..... | ١٨٨ |
| ذكر موجة حر..... | ١٨٩ |
| إعصار يصيب اليابان..... | ١٨٩ |

| | |
|-----|--|
| ١٩٠ | نقم تصيب قوات أمريكا في الصومال |
| ١٩٠ | تركيب كاميرات أمريكية |
| ١٩١ | انهيار فندق |
| ١٩١ | وفاة أمير من الأمراء |
| ١٩١ | محارِب المسجد الحرام تنعى إمامها |
| ١٩٢ | وفاة صاحب السمو الملكي فهد بن عبدالله |
| ١٩٣ | حريق بمكة |
| ١٩٣ | قتال |
| ١٩٤ | عدم التقيد بالمسافة يسبب الحوادث |
| ١٩٤ | عود على بدء |
| ١٩٦ | زيارة وزير الدفاع للقصيم |
| ١٩٨ | ضرب الأهواز |
| ١٩٨ | وفاة أمير من الأمراء |
| ٢٠٠ | ذكر المجزرة الكبرى في فلسطين |
| ٢٠١ | النداء بالتبرع |
| ٢٠٢ | فيضانات تصيب روسيا |
| ٢٠٢ | نزاع وشقاق في اليمن |
| ٢٠٣ | ذكر البلاء والنزاع بين الأمم |
| ٢٠٥ | وفاة وزير من الوزراء |
| ٢٠٥ | ضربات في البوسنة |
| ٢٠٧ | حروب ومخاوف حول العالم |
| ٢٠٩ | ذكر ما من الله به على المملكة العربية السعودية |
| ٢١١ | حروب وقتال في اليمن |

| | |
|-----|---|
| ٢١٢ | احتفال |
| ٢١٢ | ذكر الصلح بين اليهود وأهل فلسطين |
| ٢١٤ | ذكر ما جرى بعد منح الفلسطينيين الحكم الذاتي |
| ٢١٥ | ذكر الحج في هذه السنة |
| ٢١٦ | حادثة من الحوادث |
| ٢١٧ | حادثة سماوية |
| ٢١٧ | ذكر موجة حر في آخر ذي الحجة |
| ٢١٨ | ثم دخلت سنة ١٤١٥ هـ |
| ٢١٩ | حالة اليمن المريرة |
| ٢٢٣ | تأسيس دولة فلسطينية |
| ٢٢٣ | سقوط عدن |
| ٢٢٥ | زحف العراق إلى الحدود الكويتية |
| ٢٢٦ | عواصف رعديّة وصواعق |
| ٢٣١ | حريق في منى |
| ٢٣١ | ثم جاءت سنة ١٤١٦ هـ |
| ٢٣٢ | حادثة من الحوادث |
| ٢٣٦ | خطوط دائرية |
| ٢٣٧ | وظائفه التي نالها |
| ٢٤٠ | إلقاء قنبلة |
| ٢٤٣ | حادثة سماوية تهز الأرض |
| ٢٤٥ | وفاة رجل من الرجال |
| ٢٥٢ | حادثة من الحوادث |
| ٢٥٤ | كسوف طمس القمر |

| | |
|----------|--|
| ٢٥٤..... | حصار تفرضه اليهود على أهل الحكم الذاتي |
| ٢٥٥..... | ذكر ما جرى من اليهود |
| ٢٥٧..... | ثم دخلت سنة ١٤١٧هـ |
| ٢٥٧..... | وفاة عبدالله بن إبراهيم بن سليم |
| ٢٥٩..... | ذكر عجائب من عجائب التاريخ |
| ٢٦٢..... | ذكر سنة المؤنة |
| ٢٦٤..... | ضربات من كيد الأعداء |
| ٢٦٤..... | ذكر ما حل ونزل في الخبر |
| ٢٦٩..... | ذكر بادرة من بوادر النقص والرذيلة |
| ٢٧٠..... | عود على ما تقدم |
| ٢٧٣..... | ذكر الانتهاء من عمارة الكعبة |
| ٢٧٤..... | زلزال يقض إيران |
| ٢٧٥..... | سفرنا لزيارة المدينة المنورة |
| ٢٨٠..... | ذكر أعمال الشياطين ومضرتهم على أمة الإسلام |
| ٢٨٢..... | ذكر زلزال يحرق بشمالي إيران |
| ٢٨٢..... | ثم دخلت سنة ١٤١٨هـ |
| ٢٨٤..... | إعصار قوي يصيب بنغلادش |
| ٢٨٤..... | ذكر وفاة أناس من الأعيان |
| ٢٨٥..... | حادثة غريبة |
| ٢٨٨..... | ذكر حريق في مدينة الرياض |
| ٢٨٨..... | حادثة عجيبة |
| ٢٩٠..... | ذكر ترحيل الأجانب عن السعودية |
| ٢٩١..... | هطول أمطار على السعودية |

| | |
|----------|---------------------------------------|
| ٢٩٢..... | الصواعق تحرق أجهزة بني مالك |
| ٢٩٤..... | برد شديد وظل في القصيم |
| ٢٩٥..... | ذكر زلزال شمالي شرقي أفغانستان |
| ٢٩٦..... | وفاة رجل معمر |
| ٢٩٧..... | نادرة من النواذر في إحدى مزارع البطين |
| ٢٩٧..... | ثلوج وبرد |
| ٢٩٧..... | عود على بدء |
| ٢٩٧..... | ذكر غريبة من الحوادث |
| ٢٩٨..... | ذكر جرائم من جرائم القتل |
| ٢٩٩..... | حادثة أخرى |
| ٢٩٩..... | رياح عاصفة في مدينة بريدة |
| ٢٩٩..... | زلزال يهز بلاد أفغانستان |
| ٣٠٠..... | ذكر موجة حر |
| ٣٠٠..... | زيارة سلطان بن عبدالعزيز لحائل |
| ٣٠١..... | فيضانات تدمر خمسمائة قرية في السودان |
| ٣٠١..... | إعصار اجتاح جنوب شبه الجزيرة الكورية |
| ٣٠١..... | حالة نادرة |
| ٣٠٢..... | ضرب العراق |
| ٣٠٤..... | ذكر وصمة شنيعة في وجوه العراق |
| ٣٠٥..... | مرور مائة عام لتأسيس المملكة |
| ٣٠٧..... | زلزال يصيب إيران |
| ٣٠٧..... | ثوران بركان جبل كامبيرون |
| ٣٠٧..... | زلزال قوي |

- ٣٠٧..... ذكر من توفى من الأعيان
- ٣٠٩..... ذكر مقتل أحمد بن عودة
- ٣١٠..... ذكر حادث في الأردن
- ٣١١..... ذكر زيارة الرئيس الإيراني إلى المملكة
- ٣١١..... ذكر حالة مؤسفة
- ٣١٣..... عاصفة على الأسياح
- ٣١٣..... ذكر مهاجمات ومصادمات
- ٣١٤..... ثم دخلت سنة ١٤١٩هـ
- ٣١٥..... ذكر حالة محزنة
- ٣١٦..... ذكر وفاة أمير البحرين
- ٣١٧..... ذكر وفاة الشيخ عبدالعزيز بن باز
- ٣١٨..... ذكر حريق
- ٣١٨..... ذكر حادثة
- ٣١٩..... ثم دخلت سنة ١٤٢٠هـ
- ٣٢٠..... اتقاء شر السباع وأخذ الحيطة
- ٣٢١..... وفاة الشيخ عبدالعزيز بن باز
- ٣٢٢..... طعنة في الصميم
- ٣٢٤..... ذكر فاجعة من الفجائع وأمر القوارع
- ٣٢٤..... ذكر وفاة حاكم المغرب
- ٣٢٥..... كسوف الشمس
- ٣٢٦..... ذكر زلزال عظيم أصاب تركيا
- ٣٢٦..... تفاصيل هذا الزلزال
- ٣٢٦..... وفاة ابن الملك فهد

| | |
|----------|---|
| ٣٢٧..... | عود على بدء..... |
| ٣٢٧..... | زلزال يصيب تايوان..... |
| ٣٢٨..... | وفاة الشيخ الألباني..... |
| ٣٣١..... | ذكر ما احتوى عليه الجزء الثامن..... |
| ٣٣٣..... | كتب الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن..... |
| ٣٣٥..... | فهرس الموضوعات..... |

